المكتوبات الربانية

للإمام الرباني أحمد بن عبد الأحد
السرهندي الفاروقي النقشبندي
المتوفى ١٠٣٤ هـ

جمعها
يار محمد الجديد البدخشي الطالقاني

علق عليها ووضع حواشيها
مصطفى حسنين عبد الهادي

المجلد الأول

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
DKI
بيروت - لبنان

المكتوبات الربانية

للإمام الرباني أحمد بن عبد الأحد السرهندي الفاروقي النقشبندي

المتوفى ١٠٣٤ هـ

جمعها

يار محمد الجديد البدخشي الطالقاني

علق عليها ووضع حواشيها

مصطفى حسنين عبد الهادي

الجزء الأول

دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKI
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

الكتاب : المكتوبات الربانية

Title : AL-MAKTUBĀT AR-RABBĀNIYYA

التصنيف : تصوف

Classification: Sufism

المؤلف: الإمام أحمد بن عبد الأحد السرهندي الفاروقي النقشبندي
(ت 1034هـ)

Author : Al-Imam Ahmad ben Abdul-Ahad As-Sarhandi
Al-Farouqi An-Naqshabandi (D.1034H.)

المحقق : مصطفى حسنين عبد الهادي

Editor : Mustafa Hasanayn Abdul-Hadi

الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت

Publisher: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

Pages (3 Volumes)	1472 (3 مجلدات)	عدد الصفحات
Size	17 x 24 cm	قياس الصفحات
Year	2015 A.D - 1436H.	سنة الطباعة
Printed in : Lebanon		بلد الطباعة : لبنان
Edition : 2nd		الطبعة : الثانية

Exclusive rights by © Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut-Lebanon No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à © Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beyrouth-Liban Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت-لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

ISBN-13: 978-2-7451-4111-8
ISBN-10: 2-7451-4111-2

بِسْــمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ الذي عَجزَت العُقُول عَنْ إدْرَاك كُنْه ذَاتهْ * وَتحَيَّرتْ فُهُومُ الفُحُول فِي مَعْرِفَة صفَاتهْ * أَبْدَعَ العَالَمَ وَأجْلى عَجَائبَ صُنْعه في مَجَالي مَصْنُوعَاتهْ * وَخلَق نَوْعَ الإنْسَان وَأوْدَعَ فيه جَميعَ مَا في مُكَوِّنَاتهْ * وَشَرَّفَهُ وكَرَّمَهُ بخلاَفَته وَفَضَّلهُ عَلى سَائر بَرِيَّاتهْ * وَصَيَّرَهَا سَبَبًا لنجَاته * وإنْجَاح حَاجَاتهْ * وَرفْع دَرجَاتهْ * وَسُلمًا لعُرُوجَاتهْ * إلى أَوْج القُرب وأَقْصَى غَايَاتهْ.

وَلآلئُ الصَّلوَات وَجَواهرُ التَّسْليمات وَفَوَائدُ التَّحيَّات عَلى أَشْرَف مَخْلوقَاتهْ * وَأَكْرَم مَوْجُودَاتهْ * وَالمَظْهَر الأتَمِّ لظُهُورَاتهْ * سَيِّدنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّد، المُرَادُ منْ خَلق الكَوْنَيْنِ وَالعلةُ الغَائيَّةُ لإفَاضَة فُيُوضَاتهْ * وَبَثّ بَرَكَاتهْ * وَعَلى آله وَأَصْحَابه الذينَ حَازُوا نعْمَةَ صحَابَاتهْ * وَفَازُوا بالتَّطَفُّل في سَائر كَمَالاَتهْ * وَعَلى جَميع أَوْليَاء أُمَّته الذينَ بَذَلوا جُهْدَهُمْ في إحْيَاء ملته وَاتِّبَاع سُنَّته وَاقْتفَاء سيرَته في جَميع حَالاَتهْ * فَأَبَاحَ اللهُ لهُمْ مَوائدَ نعمهْ * وقَلدَهُمْ لطَائفَ مننهْ * وَزَيَّنَ ظَوَاهرَهُمْ وَبَوَاطنَهُمْ بمَكَارم شيَمهْ * وَنَوَّرَ قُلوبَهُمْ منْ لوَاقح الأَنْوَارْ * وَمَلأَ أَسْرَارَهُمْ بفُصُوص الحكَم وَجَوَاهر الأَسْرَارْ * وَكَحَّل أَبْصَارَ بصَائرهمْ بكُحْل العنَايَة وَالاسْتبْصَارْ * وَأَشَمَّهُمْ عَوَارفَ المَعَارف وَمَنَحهُمْ قُوتَ القُلوب وَأَطْلعَهُمْ منَ العلم عَلى مَكْنُونَاتهْ *

أَمَّا بَعْــــــدُ: فَهَذه دُرَرٌ مَكْنُونَاتٌ مُنيفَهْ * بَرَزَتْ منْ أَصْدَاف عبَارَات المَكْتُوبَات الشَّريفَهْ * للإمَام الرَّبَّاني * وَالغَوْث الصَّمَدَاني * وَالقُطْب السُّبْحَاني * وَالعَارف الرَّحْمَاني * نُقْطَة دَائرَة الإرْشَادْ * رُحْلة الأَبْدَال وَالأَوْتَادْ * قُدْوَة الكُمَلاَء الأَفْرَادْ، وَاقف الأَسْرَار الإلهيَّهْ * كَاشف دَقَائق المُتَشَابهَات القُرْآنيَّهْ * بُرْهَان الولاَيَة الخَاصَّة المُحَمَّديَّهْ * سَميِّ سَيِّد المُرْسَلينَ وَأَفْضَل البَريَّهْ * بالاسْم الذي بَشَّرَ به المَسيحُ عَلى نَبيِّنَا وَعَليْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّهْ * سَيِّدنَا وَسَندنَا وَمَوْلاَنَا وَوَسيلتَنَا إلى الله القَديم الكَريم الأَحَد الأَبَديّ * **الشَّيْخ أَحْمَدَ بْن الشَّيْخ عَبْد الأَحَد السَّرْهَنْديّ مجَدّدا** * الفَارُوقيّ نَسَبًا * النَّقْشبَنْديّ مَشْرَبًا * الحَنَفيِّ مَذْهَبًا * الشَّهير عنْدَ الأَقَاصي وَالأَدَاني * بمُجَدِّد الأَلف الثَّاني * قَدَّسَ اللهُ سرَّهُ وَرَوَّحَ رُوحَهُ وَنَوَّرَ ضَريحَه وَأَفَاضَ عَليْنَا منْ بَرَكَاته * وَجعَلَ لنَا نَصيبًا وَافرًا منْ جَميع مَقَامَاته * بحُرْمَة أَشْرَف العبَاد وَآله الأَمْجَاد.

وَكَانَتْ تلكَ الجَوَاهِرُ تَصْدُرُ منْ لجج مَكْشُوفَاته وَمَعْلومَاته قُدِّسَ سره، شيئاً فَشَيْئًا عَلى مُرُورِ الأَوْقَات وَالحجَجِ مُدَّةَ حَيَاتهْ * منْ بدَايَة كَمَاله إلى حين مَمَاتهْ * عَلى مقْدَارِ اسْتعْدَاد كُلِّ مَنْ أَرْسَلَ إليْه * حَسَبَ مَا يَظْهَرُ منْ عَالَم الغَيْب لدَيْه * بَعْضُهَا في ذَمِّ الدُّنْيَا الدَّنيَّةْ * وَبَعْضُهَا في الحَثِّ وَالتَّحْرِيض عَلى مَا يَنْفَعُ في الآخرَة وَدَرَجَاتهَا العَليَّةْ * وَبَعْضُهَا في النَّصَائح وَالمَوَاعظ البَهيَّة وَللقَبُول حَرِيَّةْ * وَبَعْضُهَا في التَّرْغيب في تَرْويج أَحْكَام الشَّرِيعَة المُصْطَفَوِيَّةْ * وَأَكْثَرُهَا في بَيَان أَسْرَار الشَّريعَة المُحَمَّديَّةْ * وَتَحْقيق حَقَائقهَا * وَحَلِّ رُمُوز الطَّرِيقَة النَّقْشَبَنْديَّة الأَحْمَديَّةْ * وَكَشْف دَقَائقهَا، مُقْتَبَسَةً منْ أَنْوَار مُتَابَعَة السُّنَّة السَّنيَّةْ * مُقْتَطَفَةً منْ أَشْجَار اقْتفَاء السِّيرَة المُصْطَفَوِيَّةْ * وَمُلْتَقَطَةً منْ مَوَائد فَوَائد التَّأَدُّب بالآدَاب النَّبَوِيَّةْ * مصْدَاقَ قَوْله ﷺ: "إنَّ منَ العلم كَهَيْئَة المَكْنُون لاَ يَعْلَمُهُ إلاَّ أَهْلُ المعْرفَة بالله"، وَفي روَايَة "إلاَّ العُلَمَاءُ بالله فَإذَا قَالوهُ"، وَفي رِوَايَة: "تَكلمُوا"، وَفي روَايَة: "نَطَقُوا به لاَ يُنْكرُهُ إلاَّ أَهْلُ الغرَّة بالله"(١).

وَقَوْله ﷺ : "مَنْ عَمل بمَا عَلمَ وَرَّثَهُ اللهُ تَعَالى علمَ مَا لمْ يَعْلمْ"(٢)

---

(١) ــ **حديث ضعيف**: رواه أبو عبد الرحمن السلمي في " الأربعين في التصوف " من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف، وتمامه: " إنَّ مَنَ العلمِ كَهَيْئَة المَكْنُون، لاَ يَعْلَمُهُ إلاَّ أَهْلُ المَعْرِفَة بالله تَعَالى، فَإذَا نَطَقُوا به لَمْ يَجْهَلْهُ إلاَّ أَهْلُ الاغْترَار بالله تَعَالى، فَلاَ تُحَقِّرُوا عَالمًا آتَاهُ اللهُ تَعَالى علمًا منْهُ؛ فَإنَّ اللهَ تَعَالى لَمْ يُحَقِّرْهُ إذْ آتَاهُ إيَّاهُ " والحديث رواه أيضا: الديلمي في مسند الفردوس عن علي بن أبي طالب، وابن شاهين، وذكره الفَتَّنيُّ في " تذكرة الموضوعات " وذكره الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء وضعف سنده.

والمراد بأهل الغرة بالله: أهل الغفلة الذين ركنوا إلى الدنيا، انظر: المتقي الهندي: كنز العمال: حديث ٢٨٩٤٢، القنَّوْجيّ: أبجد العلوم: ١/٢٤٧ــ٢٤٨، ٢/١٥٣، حاجي خليفة: كشف الظنون: ١/٥١ ــ ٥٢.

(٢) ــ **حديث ضعيف وله شواهد تؤيد معناه**: الحديث أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث أنس ابن مالك وأشار إلى ضعفه، وكذلك ضعفه الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء، والفَتَّنيُّ في تذكرة الموضوعات.

وللحديث شواهد تؤيد معناه، ومن ذلك:

ما أخرجه الترمذي من عن يزيد بن سلمة الجعفي أنه قال: يَا رَسُول الله، إنِّي سَمعْتُ منْكَ حَديثًا كَثيرًا، وَأَخَافُ أَنْ يُنسِينِي أَوَّلَهُ آخرَهُ، فَحَدِّثْني بكَلمَة تَكُونُ جمَاعًا، قَالَ: اتَّقِ اللهَ فيمَا تَعْلمُ".

وكذلك ما أخرجه أبو الشيخ عن ابن عباس مرفوعا: " مَنْ تَعَلمَ علمًا فَعَمل به، كَانَ حَقًّا عَلى الله أَنْ يُعَلمَهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلمُ ".

وما أخرجه أبو يعقوب البغدادي في كتاب "رواية الكبار عن الصغار" عن سفيان قال: "مَنْ

عَمِل بِمَا يَعْلَمُ وُفِّقَ إلى مَا لاَ يَعْلَمُ".

يَعْنِي: مِنْ غَيْرِ تَعَلمٍ مِنْ أَحَد، وَلاَ أَخْذ مِنَ الكتَاب، بَل بِمُجَرَّد فَتْحِ البَابْ، مِنْ طَرَف حَكِيمٍ عَلِيمٍ وَهَّابْ، وَهُوَ عِلْمُ الورَاثَةِ المُحمَّدِيَّة الذي وَرِثَهُ الأَوْلِيَاء مِنْ بَاطنِيَّة مُحمَّد ﷺ بأَسَانيد الإلهَامْ، وَنَقَلة الكَشْف التَّامْ، وَصَفَاء السَّرِيرَة، وَصدْق المُعَامَلَة مَعَ الله تَعَالى دُونَ غَيْرِهِمْ؛ لحَديث رَوَاهُ القَسْطَلاَّنيُّ في المَوَاهب اللدُنِيَّة وَغَيْره فِي كُتُبِ الأَحَاديث النَّبَوِيَّة مِنْ قَوْلِه ﷺ : "وَسَأَلني رَبِّي فَلمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أُجيبَهُ، فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتفيَّ [بلاَ تَكْييف وَلاَ تَحْديد][1] فَوَجَدْتُ بَرْدَهَا فَأَوْرَثَني علمَ الأَوَّلينَ وَالآخرينَ، وَعَلمَني عُلومًا شَتَّى: فَعلمٌ أَخَذَ عَليَّ كتْمَانَهُ؛ إذْ عَلمَ أَنَّهُ لاَ يَقْدرُ عَلى حَمْله أَحَدٌ غَيْري، وَعلمٌ خَيَّرَني فيه، وَعَلمَني القُرْآنَ فَكَانَ جبْريل يُذَكِّرُني به وَعلمٌ أَمَرَني بتَبْليغه إلى الخَاصِّ وَالعَامِّ "[2] اهـــ.

فَتَبَيَّنَ منْ هَذَا الحَديث: أَنَّ وَرَاءَ العلمِ الذي أُمرَ بتَبْليغه إلى الخَاصِّ وَالعَامِّ الذي هُوَ علمُ الشَّرَائِعِ وَالأَحْكَامِ علمَيْنِ آخرَيْنِ، بَل عُلومًا شَتَّى؛ كَمَا قَال ﷺ كُلهَا حَقٌّ:

أَمَّا العلمُ المَأْمُورُ بكتْمَانه فَهُوَ علمُ النُّبوَّة؛ إذْ لاَ يَعْلمُهُ وَلاَ يَقْدرُ عَلى حَمْله غَيْرُ النَّبيِّ وَلاَ نَبيَّ بَعْدَهُ.

---

(١) ـــ ما بين المعكوفتين ليس من أصل الحديث.

(٢) ـــ هذا الحديث المشهور بحديث اختصام الملأ الأعلى، والحديث أخرجه أحمد في مسنده، والترمذي في السنن في تفسير سورة ص حديث ٢٣١ وحسنه، وعبد بن حميد، ومحمد بن نصر المروزي في كتاب تعظيم قدر الصلاة، وابن جرير في تفسيره، وابن مردويه، والبيهقي في الأسماء والصفات عن عبدالرحمن بن عائش الحضرمي عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: " رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَة، فَقَال: فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلأُ الأَعْلى يَا مُحَمَّدُ ؟ قَال: قُلتُ: أَنْتَ أَعْلمُ أَيْ رَبِّ... ! قَال: فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتفَيَّ فَوَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ، قَال: فَعَلمْتُ مَا فِي السَّمَوَات وَالأَرْض، ثُمَّ تَلاَ هَذه الآيَةَ: **{وَكَذَلكَ نُري إبْرَاهيمَ مَلكُوتَ السَّمَوَات وَالأَرْض وَليَكُونَ منَ المُوقنينَ}** ثُمَّ قَال: يَا مُحَمَّدُ، فيمَ يَخْتَصمُ المَلأُ الأَعْلى ؟ قَال: قُلتُ: فِي الدَّرَجَات وَالكَفَّارَات. قَال: وَمَا الكَفَّارَاتُ ؟ قُلتُ: نَقْل الأَقْدَامِ إلى الجَمَاعَات، وَالمَجَالسُ فِي المَسَاجد خلاَفَ الصَّلَوَات، وَإبْلاَغُ الوُضُوء أَمَاكنَهُ فِي المَكْرُوه، فَمَنْ يَفْعَل ذَلكَ يَعشْ بخَيْرٍ وَيَمُتْ بخَيْرٍ وَيَكُنْ فِي خَطيئَته كَيَوْمَ وَلدَتْهُ أُمُّهُ.

وَأَمَّا الدَّرَجَاتُ: فَبَذْل السَّلاَم، وَإطْعَامُ الطَّعَام، وَالصَّلاَةُ باللَيْل وَالنَّاسُ نيَامٌ. قَال: قُل: اللهُمَّ إنِّي أَسْأَلكَ الطَّيِّبَات، وَتَرْكَ المُنْكَرَات، وَحُبَّ المَسَاكين، وَأَنْ تَغْفرَ لي وَتَرْحَمَني، وَإذَا أَرَدْتَ فتْنَةً فِي قَوْمٍ فَتَوَفَّني غَيْرَ مَفْتُون. فَقَال رَسُول الله صَلى اللهُ عَليْه وَسَلمَ: تَعَلمُوهُنَّ؛ فَإنَّهُنَّ حَقٌّ " وأخرجه كذلك الطبراني عن أبي رافع مرفوعا.

وَأَمَّا العلمُ الذي خُيِّرَ فيه ﷺ فَهُوَ علمُ الولاَيَة وَهُوَ علمُ بَاطِنِ الشَّرِيعَة وَحَقيقَتهَا وَأَسْرَارهَا المَخْزُونَة المَكْنُونَة التي أَسَرَّهَا النَّبيُّ ﷺ لخَوَاصِّ أَصْحَابه كَمَا خَصَّ بإعْلاَم المُنَافقينَ حُذَيْفَةَ(١) ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ــ وَهُمْ أَسَرُّوهَا إلى خَوَاصِّ أَصْحَابهِمْ وَهَلُمَّ جَرًّا لأَنَّهَا إِنَّمَا تُؤْخَذُ وَتُتَلقَّى بالأَحْوَال الصَّادقَة وَالعَقيدَة الرَّاسخَة وَالأَعْمَال الصَّالحَة المَصْحُوبَة بالإخْلاَص وَالنِّيَّة الخَالصَة وَمُلاَزَمَة الذِّكْر وَمُدَاوَمَة الفكْرِ وَمُرَاقَبَة الحُضُور مَعَ الله تَعَالَى كَذَا قَالَ خَاتمَةُ المُحَقِّقينَ العَارفُ بالله الشَّيْخُ عَبْدُ الغَنيِّ النَّابُلسيُّ(٢) قُدِّسَ سرُّهُ.

وَقَال أَبُو هُرَيْرَةَ(٣) ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ــ فيمَا رَوَاهُ البُخَاريُّ(١) في صَحيحه: "حَفظْتُ عَنْ رَسُول الله ﷺ وعَائَيْن:

(١) ــ **حذيفة بن اليمان**: حذيفة بن اليمان بن جابر بن عمرو بن ربيعة العبسي حليف بني عبد الأشهل من الأنصار، أسلم حذيفة وأبوه وشهدا أُحدا واستشهد فيها اليمان قتله المسلمون خطأ فوهب حذيفة لهم دمه، كان صاحب سر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ، وله مناقب كثيرة، مات بالمدائن سنة ست وثلاثين.

(٢) ــ **الشيخ عبدالغني النابلسي**: هو الشيخ عبدالغني بن إسماعيل بن عبدالغني بن إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم الدمشقي الصالحي الحنفي النقشبندي القادري المعروف بالنابلسي، عالم أديب صوفي، تولى الإفتاء والتدريس، مشارك في أنواع من العلوم، ولد في دمشق في الخامس من ذي الحجة سنة: ١٠٥٠هـ ــ ١٦٤١م وتوفي بها أيضا في الرابع والعشربن من شهر شعبان سنة: ١١٤٣هـ ــ ١٧٣١م، من مكثرين في التصنيف، ومن مصنفاته: إطلاق الوجود على الحق المعبود، أنوار السلوك في أسرار الملوك إيضاح المقصود من معنى وحدة الوجود، بقية الله خير بعد الفناء وغيرها كثير. انظر ترجمته في: المرادي: سلك الدرر: ٣/٣٠-٣٨، الجبرتي: عجائب الآثار: ١/١٥٤، البغدادي: هدية العارفين: ٥/٥٩٠، الزركلي: الأعلام: ٤/١٥٨-١٥٩، الكتاني: فهرس الفهارس والأثبات: ٢/١٥٠-١٥٢، جورجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية: ٣/٣٢٤، عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين: ٢/١٧٦-١٧٨.

(٣) ــ **أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي**: على الراجح من اسمه حافظ الصحابة على الإطلاق ووعاء السنة اختلف في اسمه واسم أبيه على نحو ثلاثين قولا، أرجحها عند الأكثر عبد الرحمن بن صَخْر، مات سنة ٥٩ هـ، وقيل: قبلها بسنة أو سنتين، قال الحاكم أبو أحمد ــ بعد أن حكى الاختلاف في اسمه ببعض ما تقدم ــ: كان من أحفظ أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وألزمهم له صحبة، على شبع بطنه؛ فكانت يده مع يده؛ يدور معه حيث دار، إلى أن مات، ولذلك كثر حديثه، وأخرج البخاري في صحيحه: ٥/٣٤فتح، عن الأعرج، عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال: " يقولون: إن أبا هريرة يكثر الحديث، والله الموعد، ويقولون: ما للمهاجرين والأنصار لا يحدثون مثل أحاديثه ؟ وإن أخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخوتي من الأنصار كان يشغلهم عمل أموالهم، وكنت امرءً مسكينا، ألزم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ على ملء بطني، فأحضر حين يغيبون، وأعي حين ينسون، وقال

● أَمَّا أَحَدُهُمَا: فَبَثَثْتُهُ.

النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ يوما: " لن يبسط أحد منكم ثوبه حتى أقضي مقالتي هذه، ثم يجمعه إلى صدره فينسى من مقالتي شيئا أبدا "، فبسطت نمرة ليس عليَّ ثوبٌ غيرها، حتى قضى النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ مقالته، ثم جمعتها إلى صدري، فوالذي بعثه بالحق، ما نسيت من مقالته تلك إلى يومي هذا، والله لولا آيتان في كتاب الله، ما حدثتكم شيئا أبدا: {إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات} انظر: الإصابة: ٤٢٢/٧، التهذيب: ٤٧٩/٦، الكاشف للذهبي: ٣٨٥/٣.

(١) ـــ **الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي**: حبر الإسلام والحافظ لحديث رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ صاحب الجامع الصحيح، ولد سنة ١٩٤هـــ في بخارى ونشأ يتيما، طلب الحديث مبكرا ورحل في طلبه سنة ٢١٠هـــ إلى الأمصار فكتب بخراسان والجبال ومدن العراق كلها وبالحجاز والشام ومصر، وسمع من نحو ألف شيخ وجمع نحو ستمائة ألف حديث اختار منها في صحيحه ما وثق بروايته وهو أول من وضع في الإسلام كتابا على هذا النحو، قال عنه الحافظ في التقريب: " جبل الحفظ وإمام الدنيا "، من تصانيفه الكثيرة: الجامع الصحيح، التاريخ الكبير، الأسماء والكنى، الرد على الجهمية وخلق أفعال العباد، رفع اليدين في الصلاة، توفي، أفردت في ترجمته المصنفات منها: أخبار البخاري للذهبي، ترجمة البخاري للدواليبي، الفوائد الدراري للعجلوني، مناقب البخاري للعيدروسي وللبسكري، حياة البخاري للقاسمي، تاريخ الإمام البخاري للمباركفوري. انظر في ترجمته: طبقات الفقهاء للشيرازي:، طبقات الحنابلة: ٢٧١/١ـــ٢٧٩، صفة الصفوة: ٣٥٤/٢، مقدمة هدي الساري:، تهذيب التهذيب: ٣٣/٥ـــ٣٨، المنهج الأحمد: ١٣٣/١، شذرات الذهب: ١٣٤/٢، النجوم الزاهرة:، هدية العارفين: ١٦/٢، الأعلام: ٣٤/٦، معجم المؤلفين: ١٣٠/٣، ضحى الإسلام: ١١٠/٢ـــ١١٩، بروكلمان: ١٦٣/٣، تاريخ التراث العربي: ١٧٣/١

وفي تاريخ التراث لسزكين طعن متهافت لا وزن له، وتعصب على الإمام البخاري وصحيحه؛ فزعم صاحبه ـــ بعد دراسة ناقدة عميقة !! اتضح له منها أن الكتاب صادف حظا كبيرا، وأن معلقات البخاري إنما هي أسانيد ناقصة في ربع مادها وأنه" بهذا يفقد كتاب البخاري كثيرا من شهرته بالجمع والشمول "ولا يكون البخاري بهذه المعلقات العالمَ الذي طور الإسناد إلى الكمال، بل هو أول من بدأ معه انهيار الإسناد !!

ومثل هذا النقد يكشف عن جهل مركب وسَوْءَة علمية لصاحبه بعلوم أهل الحديث واصطلاحهم فضلا عن أن يدرس صحيح البخاري دراسة ناقدة عميقة؛ حيث لم يفرق بين صحيح البخاري وبين معلقات البخاري؛ فإن معلقات البخاري لا تأخذ حكم الأحاديث الموصولة، بل هي كما قيل فقه الإمام البخاري في صحيحه، لا أنها هي الصحيح نفسه، وهذه المعلقات على مراتب: فمنها المرفوع منها الموقوف، ومنها الصحيح الذي على شرط البخاري وما ليس على شرطه ومنها الحسن ومنها أيضا الضعيف الذي يتقوى بغيره، وانظر: هدي الساري مقدمة فتح الباري: ١٩ـــ٧٧، تغليق التعليق: ٢٨٠/١،قواعد التحديث: ١٢٤.

• وَأَمَّا الآخَرُ: فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هَذَا البُلْعُومُ"(١).

يَعْنِي: لقَتَلوني لحُكْمِهِمْ بكُفْرِي حَيْثُ لَمْ يَفْهَمُوا مَا أُشِيرُ إِلَيْهِ فِي كَلَامِي مِنْ حَقَائِقِ المَعَانِي وَأَسْرَارِ الشَّرِيعَةِ المُطَهَّرَةِ؛ كَمَا وَقَعَ لِلإِمَامِ حُجَّةِ الإِسْلَامِ أَبِي حَامِدِ الغَزَالِي(٢) حِينَ أَظْهَرَ بَعْضَ أَسْرَارِ مُعَامَلَةِ الدِّينِ حَيْثُ رَمَوْهُ بِالزَّنْدَقَةِ وَالخُرُوجِ مِنَ الدِّينِ، فَلاَ بُدَّ مِنْ كِتْمَانِهِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ إِلَى أَنْ يَجِيءَ وَقْتُ ظُهُورِهِ ــ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى ــ فَإِنَّ الأُمُورَ مَرْهُونَةٌ بِأَوْقَاتِهَا (شِعْرٌ).

وَلِلْمَرْءِ أَحْوَالٌ وَلِلْحَالِ فُرْصَةٌ وَلِلدَّهْرِ أَوْقَاتٌ وَلِلْوَقْتِ حَادِثُ

كَمَا قَالَ ﷺ لِعَائِشَةَ(٣) ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ــ عَلَى مَا رَوَاهُ الشَّيْخَانِ: " لَوْلاَ أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُوا عَهْدٍ بِشِرْكٍ لَهَدَمْتُ الكَعْبَةَ فَأَلْزَقْتُهَا بِالأَرْضِ وَجَعَلْتُ لَهَا بَابًا شَرْقِيًّا وَبَابًا غَرْبِيًّا وَزِدْتُ فِيهَا سِتَّةَ أَذْرُعٍ مِنَ الحِجْرِ فَإِنَّ قُرَيْشًا اسْتَقْصَرَتْهَا

(١) ــ **حديث صحيح**: أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب العلم باب حفظ العلم حديث ١٢٠، وقول أبي هريرة: قطع هذا البلعوم: كناية عن قتله، وحمل العلماء الوعاء الذي لم يبثه أبو هريرة على الأحاديث التي فيها أسامي أمراء السوء وأحوال زمانهم؛ ومن الدليل على هذا التأويل أن أبا هريرة كان يكني عن بعض ما سيحدث من الفتن ولا يصرح به خوفا على نفسه كقوله: " أعوذ بالله من رأس الستين وإمارة الصبيان " يشير إلى خلافة يزيد بن معاوية، ويدل عليه أيضا قول ابن عمر: " لو حدثكم أبو هريرة أنكم تقتلون خليفتكم وتفعلون كذا وكذا لقلتم: كذب أبو هريرة ". انظر: تفسير القرطبي: ١٨٦/٢، فتح الباري: ٢٦٣/١.

(٢) ــ **أبو حامد الغزالي**: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي المعروف بالغزالي، زين الدين حجة الإسلام أبو حامد، ولد سنة: (٤٥٠هــ ١٠٥٨م) وتوفي سنة: (٥٠٥هــ ١١١١م) حكيم متكلم فقيه أصولي صوفي مشارك في كثير من العلوم، ولد بالطابران إحدى قصبتي طوس بخراسان، تلمذ لإمام الحرمين الجويني وحضر مجلس نظام الملك، من تصانيفه الكثيرة: إحياء علوم الدين، تهافت الفلاسفة، الوجيز في فروع الشافعية، المستصفى في أصول الفقه، وغيرها كثير. انظر ترجمته في: الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣٤٢/١٠، ابن خلكان: وفيات الأعيان: ٥٨٦/١-٥٨٨، السبكي: طبقات الشافعية: ١٠١/٤-١٨٢، ابن الجوزي: المنتظم: ١٦٩/٩، ابن الأثير: اللباب: ١٧٠/٢، ابن كثير: البداية والنهاية: ١٧٣/١٢، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب: ١٠/٤-١٣، ابن تغرى بردي: النجوم الزاهرة: ٢٠٣/٥.

(٣) ــ **أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق**: أحب أزواج رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلى نفسه، الصديقة بنت الصديق، أمها أم رومان بنت عامر، خطبها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بمكة، وبنى عليها في شوال سنة ثنتين من الهجرة، كناها النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعبد الله بن الزبير، كانت فقيهة عالمة فصيحة فاضلة كثيرة الحديث عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ روى عنها جماعة من الصحابة والتابعين، ماتت بالمدينة سنة سبع وخمسين ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان، ودفنت بالبقيع، وصلى عليها أبو هريرة. انظر: ابن حجر: الإصابة: ٣٢٨/٨-٣٢٩.

حِينَ بَنَت الكَعْبَةَ فَإِنْ بَدَا لِقَوْمِكِ مِنْ بَعْدِي أَنْ يَبْنُوهُ فَهَلُمِّي لأُرِيكِ مَا تَرَكُوا مِنْهُ"(١) الحَدِيثَ.

فَانْظُرْ: كَيْفَ تَرَكَ النَّبِيُّ ﷺ أَمْرًا مَشْرُوعًا مَخَافَةَ الفِتْنَة فِي زَمَنِه، وَأَشَارَ إِلى جَوَازِ فِعْلِ غَيْرِه ذَلِكَ الأَمْرَ فِي وَقْت آخَرَ لِعَدَمِ تَوَقُّعِ الفِتْنَة، فَلاَحَ مِنْ هَذَا وَجْهُ بَثِّ المُتَأَخِّرِينَ عُلومَ الأَسْرَار بِالتَّآلِيف وَالتَّصَانِيف مَعَ سَتْرِ المُتَقَدِّمِينَ وَكَتْمِهِمْ إِيَّاهَا، عَلى أَنَّ قَصْدَهُمْ فِي ذَلِكَ إِفَادَةُ أَهْلِهَا دُونَ غَيْرِهِمْ، وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ مَقَاصِدُ أُخْرَى حَسَنَةٌ يُعْلَمُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضِ هَذِهِ المَكْتُوبَاتُ، (ع):

*** فَيَالَهَا قِصَّةً فِي شَرْحِهَا طُول ***

وَلَمَّا كَثُرَتْ تِلْكَ المَكَاتِيبُ وَانْتَشَرَتْ وَفِي أَقْطَارِ الأَرْضِ انْتَثَرَتْ * قَامَ بِجَمْعِهَا ثَلاَثَةٌ مِنْ كِبَارِ أَصْحَابِه حَسَبَ الإِشَارَةِ وَالأَمْرِ * فَجَمَعُوهَا فِي ثَلاَثَة مُجَلدَات وَأَوْدَعُوهَا فِي دُولاَبِ الدَّهْرِ * فَبَقِيَتْ عَلى مَا كَانَتْ عَلَيْه مِنَ العِبَارَة الفَارِسِيَّةِ زَمَانًا طَوِيلاً * فَأَمَّا الذِينَ هُمْ مِنْ أَهْلِ لِسَانِهَا فَكَانُوا يَشْرَبُونَ مِنْ يَدِ خَرَائِدِهَا شَرَابًا سَلسَبِيلاً * وَيُزَيِّنُونَ بِفَرَائِدِهَا تِيجَانًا وَأَكَالِيلاً * وَيُدَاوُونَ بِعَقَاقِرِهَا مَنْ سَقَطَ مَرِيضًا وَعَلِيلاً * وَأَمَّا الذِينَ خَالَفَتْهَا لُغَاتُهُمْ فَلمْ يَكَادُوا يَهْتَدُونَ إِلَيْه سَبِيلاً * وَلَمْ يَجِدُوا فِي وِصَالِهَا عَلَيْهِمْ دَلِيلاً * وَلاَ مَنْ يَكُونُ عَلَيْه عَوِيلاً * فَطَالَمَا امْتَدَّتْ إِلَيْه أَعْنَاقُ الأَشْوَاق * وَاشْتَدَّ صُدُودُهَا عَلى العُشَّاق * وَهِيَ مُحَجَّبَةٌ بِأَسِنَّة أَبْطَال العِبَارَات الفَارِسِيَّةْ * وَالإِقْدَامُ عَلَيْهَا أَشَدُّ وَأَصْعَبُ مِنَ اقْتِحَام وَقْعَة القَادِسِيَّةْ.

وَلَمَّا رَأَيْتُ كَثْرَةَ تَطْلاَب المُشْتَاقِينَ إِيَّاهَا * وَتَطَوُّفَ العَاشِقِينَ حَوْلَ حِمَاهَا * وَسُقُوطَ الهَائِمِينَ بِهَا صَرْعَى مَا بَيْنَ رُبَاهَا * وَرَأَيْتُ المَيْدَانَ عَنْ فُرْسَان هَذَا الشَّأْن خَالِيًا * وَالزَّمَانَ مَاضِيًا * وَهِيَ عَلى صُدُودِهَا كَمَا هِيَا * اخْتَلجَ فِي صَدْرِي أَنْ أُلقِيَ لإِصْلاَحِ ذَات البَيْنِ فِي حُدُود بَحْرِهَا الفَارِسِيِّ المَرَاسِيَا * وَأَقْطَعَ فِي جَزِيرَة العَرَب مَهَامِهَ وَرَوَاسِيَا * لِمَا بَيْنِي وَبَيْنَهَا مِنَ المَعْرِفَة وَالأُلفَة مِنْ صِغَرِ السِّنِّ * إِلى أَنْ نَاهَزَ العُمُرُ الآنَ الثَّلاَثِين * وَلكِنِ امْتَنَعْتُ عَنْ ذَلِكَ لِعَدَمِ الاسْتِطَاعَة وَقِلة البِضَاعَة فِي العُلُوم العَرَبِيَّه * وَقُصُورِ البَاعِ وَقِلة الاطِّلاَعِ عَلى الفُنُون الأَدَبِيَّه * وَعَيَّرْتُ نَفْسِي أَشَدَّ تَعْيِير * قَائِلاً: أَنَّى لكَ هَذَا؛ فَإِنَّكَ لسْتَ فِي العِيرِ وَلاَ فِي النَّفِير

(١) ــ **حديث صحيح**: أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الحج باب نقض الكعبة وبنائها، وأحمد في مسند عائشة، والنسائي: كتاب مناسك الحج باب بناء الكعبة حديث ٢٨٩٣، والترمذي: أبواب الحج والعمرة حديث: ٨٧٦ جميعهم من حديث عائشة وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

* وَهَبْ أَنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا مَعْرِفَةً مَا وَلكِنْ أَيْنَ فِيكَ حَلاَوَةُ التَّعْبِير * فَإِنَّكَ لَمْ تَلِدْكَ يَعْرُبُ وَإِيَاد * وَلَمْ تَنْشَأْ فِي كُوفَةٍ وَلاَ بَغْدَادَ.

مَعَ أَنَّ رِجَال هَذَا الشَّأْن قَدْ لَعِبَتْ بِهِمْ أَيْدِي النَّوَائِب فَرَكِبُوا غَارِبَ الاغْتِرَابْ * وَصَاحَ عَلى أَوْطَانِهِمُ البُومُ وَالغُرَابْ * وَتَوَجَّهُوا نَحْوَ إِقْلِيمِ الزَّوَال وَالأُفُول *

وَسَحَبَ الذُّل وَالمَهَانَةُ عَلى بَقَايَاهُمُ الذُّيُول * فَحَمَلوا حُمُولَهُمْ عَلى زَوَايَا الاسْتِتَارِ وَالخُمُول * فَكُل مَنْ جَاءَ حَوْل خِيَامِهِمْ يَجُول * يَقُومُ رَاهِبُ دِيرِهِمْ وَيَقُول:

إِنَّ الخِيَامَ التِي قَدْ جِئْتَ تَطْلُبُهَا * بِالأَمْسِ كَانُوا هُنَا وَالآنَ قَدْ رَحَلوا**

فَيَرْجِعُ بَاكِيًا مُشَبِّكًا عَشَرَةً عَلى رَأْسِه وَمُنْشِدًا:

لاَ وَالذِي حَجَّتْ قُرَيْشٌ بَيْتَهُ — مُسْتَقْبِلِينَ الرُّكْنَ مِنْ بَطْحَائِهَا
مَا أَبْصَرَتْ عَيْنِي خِيَامَ قَبِيلَة — إِلاَّ بَكَيْتُ أَحِبَّتِي بِفِنَائِهَا
أَمَّا الخِيَامُ فَإِنَّهَا كَخِيَامِهِمْ — وَأَرَى نِسَاءَ الحَيِّ غَيْرَ نِسَائِهَا

ثُمَّ بَعْدَ مُدَّةٍ مِنْ ذَلِكَ تَأَكَّدَ مَا هَجَسَ فِي الخَاطِرِ الفَاتِرِ هُنَالِكَ بِوُقُوعِ الإِشَارَه * مِمَّنْ إِشَارَتُهُ مُشْتَمِلةٌ عَلى أَنْوَاعِ اللطْف وَالبِشَارَه * فَاسْتَخَرْتُ اللهَ سُبْحَانَهُ بَعْدَ هَذِه الإِشَارَه * وَكَرَّرْتُ الاسْتِخَارَةَ فَانْشَرَحَ صَدْرِي * لِمَا قَصَدْتُهُ مِنْ أَمْرِي وَعَلِمْتُ أَنَّ اللهَ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا فَلاَ بُدَّ وَأَنْ يَقَعَ حَسْبَمَا أَرَادَ، وَلكِنَّ مُرُورَ الأَزْمَان مِنْ شُرُوط ظُهُور المُرَاد، فَتَوَجَّهْتُ مُتَرَجِّلاً تِلقَاءَ مَدْيَنَ المَآرِب، رَاجِيًا مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ أَنْ أَكُونَ رَابِعَهُمْ(١) كَلبُهُمْ بِتَطَفُّلِهِمْ فِي تِلكَ الأَذْوَاق وَالمَشَارِب * وَسَلكْتُ فِي النَّقْل مِنْ طَرِيقَيِ التَّرْجَمَة المَسْلكَ الثَّانِي * أَعْنِي رِعَايَةَ جَانِب المَعَانِي؛ لِكَوْنِه أَجْوَدَ، مَعَ رِعَايَةِ الأَوَّل، أَعْنِي: رِعَايَةَ جَانِب اللفْظ مَهْمَا أَمْكَنَ؛ فَإِنَّهُ أَبْعَدُ عَنِ الشُّبْهَة وَأَجَدّ * فَإِنْ أَتَيْتُ بِبَعْضِ أَلفَاظ لَيْسَ فِي المَنْقُول عَنْهُ مَا يُرَادِفُهَا مِنْ نَحْوِ إِظْهَارِ المُضْمَر وَتَفْسِيرِ المُجْمَل وَتَبْدِيل الجَمْعِ بِالمُفْرَد وَعَكْسِه وَتَغْيِيرِ الغَيْبَة إِلى الخِطَاب وَالتَّكَلمِ وَعَكْسِه، وَأَمْثَال ذَلكَ فَهُوَ مِنْ لوَازِم هَذَا المَسْلك؛ فَإِنَّ تَغَايُرَ اللغَتَيْنِ وَتَبَايُنَ الاصْطِلاحَيْنِ مُقْتَضِيَان لِذَلكَ وَمَا أَظُنُّكَ تَجِدُهُ إِلاَّ قَلِيلاً * فِيمَا لَمْ أَجِدْ إِلى العُدُول عَنْهُ سَبِيلاً، وَمَعَ ذَلكَ هُوَ أَيْضًا مُقْتَبَسٌ مِنْ ذَلكَ النِّبْرَاسْ * لإِزَاحَة

---

(١) — يعنى رابع الذين جمعوا هذه المكتوبات كما مر بقوله قام بجمعها ثلاثة من كبار أصحابه اهـ سند عفى عنه.

الالتِبَاسْ * وَدَفْعِ الوَسْوَاسْ * لاَ أَخْذٌ بالتَّخْمِين وَالقِيَاسْ * وَالتَزَمْتُ إيرَادَ جَميعهَا، وَإِنْ وَقَعَ مُكَرَّرًا فَإِنَّ ذَلكَ أَسْلَمُ وَأَفْيَدُ * وَالمَرْجُوُّ منَ النَّاظِرينَ أَهْلِ الإِنْصَافْ * المُتَبَاعدينَ عَنِ الاعْتِسَافْ * إِغْضَاؤُهُمْ عَمَّا وَقَعَ فيه منَ الزَّلل * وَإِصْلاَحُهُمْ مَا ظَهَرَ لَهُمْ فِيهِ مِنَ الخَلَل * فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَبَى أَنْ يَصِحَّ إلاَّ كتَابُهُ.

وَمَنْ ذَا الَذي تُرْضَى سَجَايَاهُ كُلُهَا * كَفَى المَرْأَ نُبلاً أَنْ تُعَدَّ مَعَايبُهْ**

وَعَدَمُ الاسْتعْجَال * بإطْلاَق سهَام المَلاَمِ وَنبَال المَقَال * فَإِنَّ الاشْتغَال برُؤْيَة عُيُوبِ الرِّجَال منْ عَادَة السَّفَلَة وَدَيْدَن الأَرْذَال.

وَكَمْ منْ عَائب قَوْلاً صَحيحًا * وَمَنْشَأُهُ منَ الفَهْمِ السَّقيم**

خُصُوصًا إِذَا انْجَرَّ ذَلكَ إلى طَعْنِ الأَكَابرِ وَسُوءِ الظَّنِّ فيهِمْ، الحَذَرَ الحَذَرَ منْ ذَلكَ؛ فَإِنَّ سَهْمَهُمْ صَائبٌ وَلَحْمَهُمْ مَسْمُوم * وَمُعَارِضَهُمْ مَشْئُوم * وَقَتيلهُـــمْ لاَ يَحْيَى وَصَرِيعَهُـــمْ لاَ يَقُوم، (شعْرٌ):

دَخَلتَ غَابَ أُسُود غَابَ عَنْكَ حجًى * وَأَنْتَ تَحْسَبُهَا دَهْنَاء غزْلاَن**

فَإِنْ حَصَلَتْ لكَ القَنَاعَةُ بمَا فيه وَانْتَفَعْتَ به فَيُبَارَكُ فيكَ * وَإلاَّ: فَدَعْ مَا يَريبُكَ إلى مَا لاَ يَريبُكَ[1] * وَسَلمِ الأَمْرَ إلى أَهْله؛ فَإِنَّ {اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَات إلى أَهْلهَا}[2].

إذَا لَمْ تَسْتَطعْ أَمْرًا فَدَعْهُ * وَجَاوِزْهُ إلى مَا تَسْتَطيعُ**

فَإِنَّ لكُل مَيْدَان رجَالاً، وَلكُل رجَال مَقَالاً وَأَحْوَالاً، "السَّيْفُ للضَّارِب" مَثَل مَشْهُورٌ وَللهِ دَرُّ القَائل.

وَمَنْ سَمعَ الغنَاءَ بغَيْرِ قَلب * وَلَمْ يَطْرَبْ فَلاَ يَلم المُغَنِّي**

وَعَلَيْكَ الاتِّعَاظَ بمَا وَعَظَكَ به الشَّيْخُ عَبْدُ الغَنيِّ النَّابُلسيُّ ــ رَوَّحَ اللهُ رُوحَهُ وَنَوَّرَ ضَرِيحَهُ ــ حَيْثُ قَال: "وَأُحَذِّرُ منَ الطَّعْنِ في أَحَد منْهُمْ وَاعْتقَاد مُخَالفَته لمَا عَلمْتَ منَ الكتَاب وَالسُّنَّة؛ فَإِنَّهُمْ أَعْلَمُ منْكَ بهمَا، وَأَكْثَرُ فَهْمًا منْكَ وَمنْ أَمْثَالكَ لمَعَانيهمَا * لتَنَوُّرِ عُقُولهمْ بنُورِ مَعْرِفَة الله وَزِيَادَة الاطِّلاَعِ عَلى سُنَّة رَسُول الله وَاتِّصَافهِمْ بالإخْلاَصِ وَاليَقين".

---

(١) ــ اقتباس من حديث صحيح رواه أحمد في مسنده عن أنس، والنسائي عن الحسن بن علي، والطبراني في معجمه الكبير عن وابصة بن معبد والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد من حديث ابن عمر، وابن قانع في معجم الصحابة عن الحسن.

(٢) ــ جزء من الآية: ٥٨ من سورة النساء.

وَأَنْتَ أَيُّهَا الفَقِيهُ المِسْكِينُ تَعْرِفُ حِصَّةً مِنْ كَيْفِيَّةِ الأَعْمَالِ الشَّرْعِيَّةِ اسْتَخْلَصْتَ مَعْرِفَتَهَا مِنْ بَيْنِ يَدَيِ اشْتِغَالِكَ بِشَهَوَاتِ بَطْنِكَ وَفَرْجِكَ فَأَنْتَ فَرْحَانُ بِهَا تَظُنُّ أَنَّكَ بِسَبَبِهَا صِرْتَ مِنَ العُلَمَاءِ الكِبَارِ * وَسَاوَيْتَ المُتَقَدِّمِينَ أُولِي الأَبْصَارِ وَالاسْتِبْصَارِ، فَاعْمَلْ بِمَا بَدَا لَكَ إِنْ أَرَدْتَ النَّصِيحَةَ، وَلاَ تَدْخُلْ فِي أَعْمَالِ مَنْ هُوَ أَعْلَى مِنْكَ مِنْ أُولِي الهِمَمِ الصَّحِيحَةِ، "وَمِنْ أَيْنَ لِلعُصْفُورِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ مَأْكَلِ النُّسُورِ" فَإِنَّ حَوْصَلَتَهُ المُعْتَادَةَ عَلَى الحَبَّاتِ الصِّغَارِ لاَ تُشَابِهُ حَوْصَلَةَ النُّسُورِ التى لاَ يُقِيتُهَا غَيْرُ اللُّقَمِ الكِبَارِ: {قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ}(١) يَعْنِى عُذُوبَةً وَأُجَاجًا وَ: {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا}(٢) انْتَهَى مُلَخَّصًا.

وَجُلُّ المَقْصُودِ مِنَ ارْتِكَابِ هَذَا الأَمْرِ الجَسِيمِ وَالخَطْبِ العَظِيمِ أَدَاءُ بَعْضِ خِدْمَةِ عَتَبَةِ مَنْ طَوَّقَنِي قَلاَئِدَ مِنَحِ جَزِيلِهِ * وَأَنْعَمَ عَلَيَّ بِجَلاَئِلِ نِعَمِ جَمِيلِهِ * مُرْشِدِ السَّالِكِينَ * وَمُرَبِّى الطَّالِبِينَ * وَقُدْوَةِ الوَاصِلِينَ * وَزُبْدَةِ العَارِفِينَ * شَيْخِ الحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ * وَإِمَامِ المَقَامَيْنِ المُنِيفَيْنِ * حَامِي مُهْجَةِ الطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّه * وَحَافِظِ النِّسْبَةِ الأَحْمَدِيَّةِ المُجَدِّدِيَّه * سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا وَمُرْشِدِنَا وَوَسِيلَتِنَا إِلى اللهِ سَيِّدِي الشَّيْخِ الجَلِيلِ * وَالسَّيِّدِ النَّبِيلِ * أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدٍ صَالِحِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الزَّوَاوِي * عَامَلَهُ اللهُ تَعَالَى بِفَضْلِهِ العَمِيمِ وَلُطْفِهِ الحَاوِي * آمِينَ؛ بِحُرْمَةِ جَدِّهِ الذي نَزَلَ إِلَيْهِ الرُّوحُ الأَمِينُ. وَلْيَكُنْ هَذَا أَوَانَ الشُّرُوعِ فِي المَقْصُودِ * مُسْتَعِينًا بِمُفِيضِ الخَيْرِ وَالجُودِ.

قَالَ جَامِعُ المَكَاتِيبِ رَحِمَهُ اللهُ بَعْدَ مَا تَيَمَّنَ بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: "الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ أَضْعَافَ مَا حَمِدَهُ جَمِيعُ خَلْقِهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى * وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنْ أَرْسَلَهُ رَحْمَةً لِلعَالَمِينَ كُلَّمَا ذَكَرَهُ الذَّاكِرُونَ وَكُلَّمَا غَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ الغَافِلُونَ كَمَا يَنْبَغِي لَهُ وَيَحْرَى * وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ البَرَرَةِ التُّقَى.

أَمَّـا بَعْـــدُ: فَإِنَّ هَذَا المُجَلَّدَ الأَوَّلَ مِنَ المَكْتُوبَاتِ القُدْسِيَّةِ لِحَضْرَةِ غَوْثِ المُحَقِّقِينَ * قُطْبِ العَارِفِينَ * بُرْهَانِ الوِلاَيَةِ المُحَمَّدِيَّه * حُجَّةِ الشَّرِيعَةِ المُصْطَفَوِيَّه * شَيْخِ الإِسْلاَمِ وَالمُسْلِمِينَ شَيْخِنَا وَإِمَامِنَا الشَّيْخِ أَحْمَدَ الفَارُوقِيِّ النَّقْشَبَنْدِيِّ ـــ سَلَّمَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَأَبْقَاهُ، جَمَعَهُ هَذَا الحَقِيرُ قَلِيلُ البِضَاعَةِ أَقَلُّ القَاعِدِينَ عَلَى تُرَابِ أَعْتَابِ تِلْكَ الخَيْمَةِ المُقَدَّسَةِ يَار مُحَمَّدٌ الجَدِيدُ البَدَخْشِيُّ الطَّالَقَانِيُّ وَأَوْرَدَهُ فِي قَيْدِ التَّحْرِيرِ رَجَاءَ وُصُولِ النَّفْعِ مِنْهُ إِلى طَالِبِي الحَقِّ جَلَّ وَعَلاَ وَالمَسْئُولُ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ العِصْمَةُ وَالتَّوْفِيقُ.

(١) ـــ جزء من الاية: ٦٠ من سورة البقرة.

(٢) ـــ جزء من الآية: ٤٨ من سورة المائدة.

الْمَكْتُوبُ الأَوَّل

فِي بَيَانِ الأَحْوَال التِي لَهَا مُنَاسَبَةٌ بالاسْمِ الظَّاهِرِ وَبَيَانِ ظُهُورِ القِسْمِ الخَاصِّ مِنَ التَّوْحِيد وَبَيَان العُرُوجَات الوَاقعَة فَوْقَ المُحَدَّد وَانْكشَاف دَرَجَات الجَنَّة وَظُهُور مَرَاتب بَعْضِ أَهْل الله

كَتَبَهُ إِلى شَيْخه المُعَظِّمِ وَهُوَ الشَّيْخُ الكَامل المُكَمِّل الوَاصل إِلى دَرَجَات الوَلاَيَة الهَادي إِلى طَرِيقِ انْدرَاجِ النِّهَايَة في البدَايَة مُؤَيِّدُ الدِّين الرَّضيُّ شَيْخُنَا وَإِمَامُنَا الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ البَاقِي النَّقْشبَنْديُّ الأَحْرَاريُّ قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ الأَقْدَس وَبلغَهُ إِلى أَقْصَى مَا يَتمَنَّاهُ

عَرِيضَـــــةٌ: أَقَل العَبيدِ أَحْمَدُ إِلى ذُرْوَة العَرْضِ يَعْرِضُ أَحْوَالهُ المُتفرِّقَة اجْتِرَاءً منْهُ حَسَبَ الأَمْرِ الشَّرِيف.

قَدْ تَشَرَّفْتُ فِي أَثْنَاء الطَّرِيقِ بتَجَلي الاسْمِ الظَّاهِرِ تَجَليًا كُليًا؛ بحَيْثُ ظَهَرَ لِي فِي جَميعِ الأَشْيَاءِ بتَجَل خَاصٍّ عَلى حدَة عَلى حدَة، وَعَلى الخُصُوصِ فِي كسْوَة النِّسَاء، بَل فِي أَجْزَائهنَّ عَلى حدَة عَلى حدَة، فَصرْتُ مُنْقَادًا لتلكَ الطَّائفَة عَلى وَجْه لاَ أَقْدرُ عَلى عَرْضه وَكُنْتُ مُضْطَرًّا فِي ذَلكَ الانْقيَاد. وَهَذَا الظُّهُورُ الذي حَصَل فِي هَذَا المَحَل لَمْ يَكُنْ فِي مَحَل آخرَ، وَمَا أُرِيتُ مِنْ خُصُوصيَّات اللطَائف وَمُحَسَّنَات العَجَائب فِي هَذَا اللبَاسِ لَمْ يَظْهَرْ فِي مَظْهَرِ مَا أَصلاً، قَدْ ذُبْتُ بالتَّمَامِ وَجَرَيْتُ كَالمَاء بَيْنَ أَيْديهنَّ، وَكَذَلكَ تَجَلى لي فِي كُل طَعَامٍ وَشَرَاب وَكسْوَة عَلى حدَة عَلى حدَة وَمَا كَانَ منَ اللطَافَة وَالحُسْنِ فِي الطَّعَامِ اللذيذ المُتَكَلف فيه لَمْ يَكُنْ فِي غَيْره، وَكَانَ ذَلكَ التَّفَاوُتُ بَيْنَ المَاء العَذْب وَالملحِ بَل كَانَ فِي كُل شَيْءٍ حُلوٍ شَيْءٌ مِنْ خُصُوصيَّات الكَمَال عَلى تَفَاوُت الدَّرَجَات عَلى حدَة عَلى حدَة وَلاَ يُمْكنُ عَرْضُ خُصُوصيَّات هَذَا التَّجَلي بالتَّحْرِير، فَإِنْ كُنْتَ فِي المُلاَزَمَة العَليَّة لعَرَضْتهَا، وَلكنْ كُنْت فِي أَثْنَاء هَذه التَّجَليَّات مُشْتَاقًا إِلى الرَّفيقِ الأَعْلى وَلَمْ أَلتَفتْ إِلى مَا سوَاهُ مَهْمَا أَمْكَنَ بَيْدَ أَنِّي لَمَّا صرْتُ مَغْلوبًا لَمْ أَجدْ بُدًّا منَ الالتفَات، وَفي ذَلكَ الأَثْنَاء صَارَ مَعْلومًا لي أَنَّ هَذَا التَّجَليَ لاَ يُنَافِي تلكَ النِّسْبَةَ التَّنْزِيهيَّةَ؛ فَإِنَّ البَاطنَ مُتَعَلقٌ بتِلكَ النِّسْبَة، لاَ التفَاتَ لهُ إِلى الظَّاهِرِ أَصْلاً وَإِنَّمَا المُتَشَرِّفُ بهَذَا

التَّجلي هُوَ الظَّاهِرُ الذي هُوَ خَال وَمُعَطَّل عَنْ تلكَ النِّسْبَة، وَالحَقُّ أَنِّي وَجَدْتُ البَاطِنَ غَيْرَ مُبْتَلى بزَيْغ البَصَر، بَل هُوَ مُعْرِضٌ عَنْ جَميع المَعْلومَات وَالظُّهورَات وَلَمَّا كَانَ الظَّاهِرُ مُتوَجِّهًا إلى الكَثْرَة وَالإثْنينيَّة اسْتَسْعَدَ بهَذَا التَّجلي، ثُمَّ أَخَذَتْ هَذه التَّجليَاتُ في الاخْتفَاء وَالاسْتتَار بَعْدَ زَمَان وَبَقيَتْ نسْبَةُ الحيرَة وَالجَهَالة بحَالهَا وَصَارَتْ تلكَ التَّجليَاتُ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا.

ثُمَّ عَرَضَ بَعْدَ ذَلكَ شَيْءٌ منَ الفَنَاء الخَاصِّ وَكَانَ ذَلكَ التَّعَيُّنُ العلميُّ الذي ظَهَرَ بَعْدَ عَوْد التَّعَيُّن انْعَدَمَ في هَذَا الفَنَا، وَلَمْ يَبْقَ أَثَرٌ منْ مَظَانِّ أَنَا، وَفي هَذَا الوَقْت شَرَعَ آثَارُ الإسْلاَم وَعَلاَمَةُ انْهدَام مَعَالم الشِّرْك الخَفيِّ في الظُّهُور وَكَذَلكَ رُؤْيَةُ القُصُور في الأَعْمَال وَالفُتُور وَاتِّهَام النِّيَّات وَالخَوَاطر وَالخُطُور، وَبالجُمْلة ظَهَرَ بَعْضُ أَمَارَات العُبُوديَّة وَالاضْمحْلاَل. ـــ بَلغَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى ببَركَة تَوَجُّهكُمْ مَقَامَ حَقيقَة العُبُوديَّة ـــ وَالعُرُوجَاتُ إلى مَا فَوْقَ المُحَدَّد تَقَعُ كَثيرًا.

وَلَمَّا وَقَعَ العُرُوجُ في المَرْتَبَة الأُولى، وَوَصَلتُ إلى مَا فَوْقَ المُحَدَّد بَعْدَ طَيِّ المَسَافَة، وَصَارَ الخلدُ مَعَ مَا تَحْتَهُ مَشْهُودًا، خَطَرَ في ذَلكَ الوَقْت في الخَاطر أَنْ أُشَاهدَ هُنَالكَ مَقَامَات بَعْض الرِّجَال، وَلَمَّا تَوَجَّهْتُ وَقَعَ النَّظَرُ عَلى مَقَامَاتهمْ، وَرَأَيْتُ هَؤُلاَء الأَشْخَاصَ ـــ في تلكَ المَحَال عَلى تَفَاوُت دَرَجَاتهمْ ـــ مَكَانًا وَمَكَانَةً وَذَوْقًا وَشَوْقًا.

ثُمَّ وَقَعَ العُرُوجُ في مَرْتَبَة ثَانيَة، وَصَارَتْ مَقَامَاتُ المَشَايخ العظَام وَأَئمَّة أَهْل البَيْت الكرَام وَالخُلفَاء الرَّاشدينَ المُرْشدينَ للأَنَام، وَالمَقَامُ الخَاصُّ بنَبيِّنَا ـــ عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم ـــ وَكَذَلكَ مَقَامَاتُ سَائر الأَنْبيَاء وَالرُّسُل الفخَام عَلى التَّفَاوُت، وَمَقَامَاتُ المَلاَئكَة المَلأُ الأَعْلى ـــ: مَشْهُودَةً فَوْقَ المُحَدَّد.

وَوَقَعَ منَ العُرُوج فَوْقَ المُحَدَّد مقْدَارُ مَا بَيْنَ مَرْكَز الأَرْض وَالمُحَدَّد أَوْ أَقل منْ ذَلكَ بيَسير، إلى أَن انْتَهَى إلى مَقَام حَضْرَة الخواجه بَهَاء الدِّين النَّقْشَبَنْديِّ[(١)] قَدَّسَ اللهُ سرَّهُ، وَكَانَ فَوْقَ ذَلكَ المَقَام عدَّةٌ منَ المَشَايخ العظَام، بَل في نَفْس ذَلكَ

---

(١) ـــ **بهاء الدين النقشبندي**: محمد بن خواجه أحمد الظهوري الفاروقي العارف بالله الشيخ بهاء الدين النقشبندي الصوفي ولد سنة ٧٢٨ هـــ وتوفي سنة ٧٩١ هـــ، من تصانيفه: الأوراد البهائية، سلك الأنوار في التصوف، هدية السالكين وتحفة الطالبين في التصوف. انظر ترجمته في: إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين: ٦/١٧٣، كحالة: معجم المؤلفين: ٣/٧١.

المَقَامِ بِفَوْقِيَّةٍ يَسِيرَةٍ مِثْلِ الشَّيْخِ مَعْرُوفٍ الكَرْخِيِّ(١) وَالشَّيْخِ أَبِي سَعِيدٍ الخَرَّازِ(٢) وَمَقَامَاتُ المَشَايِخِ البَاقِينَ، بَعْضُهَا فِيمَا تَحْتَهُ، وَبَعْضُهَا فِي نَفْسِ ذَلِكَ المَقَامِ.

فَأَمَّا الذينَ فِي المَقَامِ التَّحْتَانِيِّ: فَمِثْلِ الشَّيْخِ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ السِّمْنَانِيِّ(٣) وَالشَّيْخِ نَجْمِ الدِّينِ الكُبْرَى(٤).

---

(١) ــ **معروف الكرخي:** أبو محفوظ، القدوة الزاهد، صاحب الأحوال والكرامات، توفي سنة ٢٠٠ هـــ، كان من موالي علي بن موسى الرضى، كان أبواه نصرانيين فأسلماه إلى مؤدبهم فقال له: إن الله ثالث ثلاثة، فقال: بل هو الله أحد، فضربه فهرب وأسلم على يد علي بن موسى الرضى ورجع إلى أبويه فأسلما، واشتهرت بركاته واستجابة دعوته، كان معروف الكرخي من المُحَدِّثِينَ، ومن جوامع كلمه: " مقت الله للعبد أن يراه مشتغلا بما لا يعنيه من أمر نفسه "، ومن أقواله أيضا: " طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب، وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور، وارتجاء رحمة من لا يطاع جهل وحمق ". انظر: ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب: ٣٦٠/١،

(٢) ــ **أبو سعيد الخراز:** أحمد بن عيسى المتوفى سنة: ٢٧٧، وقيل سنة: ٢٨٦ هـــ ــ ٨٩٩ م، الخراز: نسبة إلى خرز الجلود، الزاهد الكبير، شيخ الصوفية، أحد المشاهير بالعبادة والمجاهدة والورع والمراقبة، له في ذلك التصانيف منها كتاب الصدق أو الطريق إلى الله، وكتاب الصيام، له كرامات وأحوال وصبر على الشدائد، قال الجنيد: " لو طالبنا الله بحقيقة ما عليه الخراز لهلكنا "، روى عن إبراهيم بن بشار صاحب إبراهيم بن أدهم، ومن جيد كلامه: " إذا بكت أعين الخائفين فقد كاتبوا الله بدموعهم "، وقال: " العافية تستر البر والفاجر، فإذا نزل البلاء تبين عنده الرجال ". انظر في ترجمته: ابن كثير: البداية والنهاية: ٦٢/١١، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب: ١٩٢/٢، ابن الأثير: اللباب: ٣٥١/١، هدية العارفين: ٥٥/٥، الزركلي: الأعلام: ١٩١/١، كحالة: معجم المؤلفين: ٢٢١/١.

(٣) ــ **الشيخ علاء الدولة السمناني:** هو الشيخ ركن الدين، علاء الدولة محمد بن أحمد السمناني، المالكي، المتوفى سنة: ٧٣٦ هـــ ــ ١٣٣٦ م، عالم مشارك في عدة علوم، سكن تبريز وبغداد، محدِّث؛ سمع صحيح مسلم، وأجاز له جماعة، اختصر شرح السنة للبغوي، له مصنفات كثيرة في التفسير والتصوف وغيرها حتى قيل: إنها تزيد على الثلاثمائة، من مؤلفاته: آداب الخلوة، فوائد العقائد، المدارك والمعارج، المكاشفات، نجم القراءة في تأويلات القرآن. انظر في ترجمته: الحافظ ابن حجر: الدرر الكامنة: ٢٥٠/١ ــ ٢٥١، ابن العماد: شذرت الذهب: ١٢٥/٦، حاجي خليفة: كشف الظنون: ٤٢، ١٢٩٩، ١٦٤٠، ١٨١١، ١٩٣٠، البغدادي: إيضاح المكنون: ٢٠٥/١.

(٤) ــ **الشيخ نجم الدين الكبرى:** أحمد بن عمر بن محمد الرازيّ البغدادي الخَيْوَقِيُّ أبو الجناب وقيل أبو الجنان، الشيخ الشيخ نجم الدين الكبرى صوفي مفسر فقيه محدِّث، ولد بخيوق إحدى قرى خُوَارِزمَ سنة: (٥٤٠ هـــ ١١٤٥م) واستشهد في ربيع الأول سنة: (٦١٨ هـــ ــ ١٢٢١م) له عدة تصانيف، منها: أصول العشرة رسالة الهائم الخائف من لومة اللائم، سر الحدس، رسالة

وَالذينَ هُمْ فِي المَقَامِ الفوْقَانِيِّ: فَأَئِمَّةُ أَهْلِ البَيْت، وَمَا فَوْقَهُ الخُلفَاءُ الرَّاشِدُونَ ــ رِضْوَانُ الله عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ــ وَمَقَامَاتُ سَائِرِ الأَنْبيَاء ــ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ــ كَانَتْ عَلى طَرَف مِنْ مَقَامِ نَبيِّنَا ﷺ وَكَذَلكَ مَقَامَاتُ المَلائكَة العُلويِّينَ كَانَتْ عَلى طَرَف آخرَ منْ ذَلكَ المَقَام، وَكَانَ لمَقَامِ نَبيِّنَا ــ عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ــ فَوْقيَّةٌ وَأَصَالةٌ بِالنِّسْبَةِ عَلى جَميعِ المَقَامَاتِ وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلمُ بِحقَائِقِ الأُمورِ كُلهَا.

وَيَقَعُ العُرُوجُ بعنَايَة الله سُبْحَانَهُ كُلمَا أَرَدْتُهُ، وَيَقَعُ فِي بَعْضِ الأَوْقَات منْ غَيْر إرَادَة وَيُشَاهَدُ أَشْيَاءَ أُخَرُ وَتَتَرَتَّبُ الآثَارُ أَيْضًا في بَعْضِ العُرُوجَات وَيَكُونُ أَكْثَرُهَا مَنْسيًّا، وَكُلمَا أُريدُ أَنْ أَكْتُبَ بَعْضَ الحَالاَت لأَتَذَكَّرَ وَقْتَ العَرْضِ لاَ يَتَيَسَّرُ ذَلكَ؛ فَإِنَّهُ يُرَى حَقيرًا فِي النَّظَر بَل هُوَ حَقيقٌ بأَنْ يُسْتَغْفَرَ منْهُ فَضْلاً عَنْ أَنْ أَكْتُبَهُ، وَكَانَ بَعْضٌ منْهَا فِي الخَاطر فِي أَثْنَاء إمْلاَءِ العَريضَة وَلكنَّهُ مَا وَفَّى أَخيرًا أَنْ أَكْتُبَهُ.

وَالزِّيَادَةُ عَلى ذَلكَ إسَاءَةُ الأَدَب وَحَال مُلاَّ قَاسم عَليٌّ أَحْسَنُ قَدْ غَلبَ عَليْه الاسْتهْلاَكُ وَالاسْتغْرَاقُ وَجَاوَزَ جَميعَ مَقَامَات الجَذْبَة وَوَضَعَ قَدَمَهُ فَوْقَهَا وَكَانَ أَوَّلاً يَرَى الصِّفَات منَ الأَصْل وَالآنَ يَرَى تلكَ الصِّفَات مَعَ وُجُودهَا مُبَاينَةً لنَفْسه وَيَجدُ نَفْسَهُ خَاليًا مَحْضًا، بَل يَرَى النُّورَ الذي قَامَتْ به الصِّفَاتُ مُبَاينًا لنَفْسه أَيْضًا، وَيَجدُ نَفْسَهُ فِي طَرَف منْ ذَلكَ النُّور، وَأَحْوَال الأَصْحَاب البَاقينَ فِي التَّرَقِّي يَوْمًا فَيوْمًا أُريدُ أَنْ أَعْرِضَهَا بِالتَّفْصيل فِي عَريضَة أُخْرَى إنْ شَاءَ اللهُ العَزيزُ.

الطرق، طوالع التنوير، عين الحياة في تفسير القرآن في اثني عشر مجلدا، فواتيح الجمال وفوايح الجلال باللغة الفارسية وغيرها. انظر في ترجمته: ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب: ٥/٧٩ ـ ٨٠، حاجي خليفة: كشف الظنون: (٤٥٩، ٨٧٦، ١١٨١)، إسماعيل البغدادي: هدية العارفين: ٥/٩٠.

المَكْتُوبُ الثَّانِى
فِى بَيَانِ حُصُولِ التَّرْقِيَاتِ وَالْمُبَاهَاتِ بِعِنَايَاتِ الحَقِّ جَلَّ سُلْطَانُهُ
كَتَبَهُ إِلَى شَيْخِهِ المُعَظَّمِ قُدِّسَ سِرُّهُ

عَرِيضَــــةٌ: أَقَلُّ العَبِيدِ أَحْمَدُ عَلَى ذِرْوَةِ العَرْضِ: أَنَّ مَوْلاَنَا شَاه مُحَمَّدٌ بَلَغَ الأَمْرُ بِالاسْتِخَارَةِ مُتَصِّلاً بِشَهْرِ رَمَضَانَ المُبَارَكِ فَلَمْ أَجِدْ فُرْصَةً أَنْ أَتَشَرَّفَ بِاسْتِلاَمِ العَتَبَةِ العَلِيَّةِ إِلَى شَهْرِ رَمَضَانَ فَلاَ جَرَمَ سَلَيْتُ نَفْسِي بِمُضِيِّ الشَّهْرِ المَذْكُورِ بِالضَّرُورَةِ وَمَاذَا أَعْرِضُ عَلَى حَضْرَتِكُمْ مِنْ عِنَايَاتِ الحَقِّ جَلَّ وَعَلاَ التِي تُفَاضُ وَتُصَبُّ عَلَى التَّوَاتُرِ وَالتَّوَالِي بِبَرَكَةِ تَوَجُّهَاتِكُمُ العَلِيَّةِ (شِعْرٌ).

كَأَنِّي رَوْضَةٌ فِيهَا سَحَابُ الـــ ــرَّبِيعِ مُمْطِرٌ مَاءً زُلاَلاَ
فَلَــوْ لِي أَلْفُ أَلْسِنَـــــةٍ وَأُثْنِي بِهَا مَا ازْدَدْتُ إِلاَّ انْفِعَالاَ

وَإِنْ كَانَ إِظْهَارُ هَذَا القِسْمِ مِنَ الأَحْوَالِ مُوهِمًا لِلجَرَاءَةِ وَتَرْكِ الأَدَبِ وَمُشْعِرًا بِالافْتِخَارِ وَالمُبَاهَاتِ.

وَلَكِنْ سَيِّدِي أَعْلَى مَقَامِي فَفُقْتُ بِهِ نُجُومًا وَالهِلاَلاَ

ابْتَدَأَ الشُّرُوعُ فِي عَالَمِ الصَّحْوِ وَالبَقَاءُ مِنْ أَوَاخِرِ رَبِيعِ الآخِرِ. وَأَتَشَرَّفُ إِلَى الآنَ فِي كُلِّ مُدَّةٍ بِبَقَاءٍ خَاصٍّ يُجَاءُ بِي أَوَّلاً مِنَ التَّجَلِّي الذَّاتِيِّ المَنْسُوبِ إِلَى الشَّيْخِ مُحْيِى الدِّينِ قُدِّسَ سِرُّهُ إِلَى الصَّحْوِ ثُمَّ يَذْهَبُ بِي إِلَى السُّكْرِ وَيَحْصُلُ وَقْتَ العُرُوجِ وَالنُّزُولِ عُلُومٌ غَرِيبَةٌ وَمَعَارِفُ عَجِيبَةٌ وَأَتَشَرَّفُ مِنَ الإِحْسَانِ وَالشُّهُودِ الخَاصِّ فِي كُلِّ مَرْتَبَةٍ بِمَا يُنَاسِبُ لِبَقَاءِ ذَلِكَ المَقَامِ.

وَقَدْ شَرُفْتُ فِي سَادِسِ شَهْرِ رَمَضَانَ بِبَقَاءٍ وَإِحْسَانٍ لاَ أَقْدِرُ عَلَى عَرْضِهِ وَأَظُنُّ أَنَّ نِهَايَةَ الاسْتِعْدَادِ لاَ تَتَجَاوَزُ ذَلِكَ وَتَيَسَّرَ هُنَا الوَصْلُ المُنَاسِبُ لِلحَالِ وَتَمَّتِ الآنَ جِهَةُ الجَذْبَةِ بِالتَّمَامِ وَوَقَعَ الشُّرُوعُ فِي السَّيْرِ فِي اللهِ الذي هُوَ مُنَاسِبٌ لِمَقَامِ الجَذْبَةِ وَكُلَّمَا كَانَ الفَنَاءُ أَتَمَّ يَكُونُ البَقَاءُ المُتَرَتِّبُ عَلَيْهِ أَكْمَلَ وَكُلَّمَا كَانَ البَقَاءُ أَكْمَلَ كَانَ الصَّحْوُ أَكْثَرَ وَكُلَّمَا كَانَ الصَّحْوُ أَكْثَرَ تَقَعُ العُلُومُ مُوَافِقَةً لِلشَّرِيعَةِ الغَرَّاءِ؛ فَإِنَّ كَمَالَ الصَّحْوِ لِلأَنْبِيَاءِ ــ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ــ وَالمَعَارِفُ التِي

ظَهَرَتْ مِنْهُمْ هِيَ الشَّرَائِعُ وَالعَقَائِدُ التي بَيَّنُوهَا في الذَاتِ وَالصِّفَات، وَمُخَالَفَةُ ظَاهِرِهَا إِنَّمَا هِيَ مِنْ بَقِيَّةِ سُكْرِ الحَال وَالمَعَارِفُ التي تُفَاضُ عَلى هَذَا الفَقِيرِ أَكْثَرُهَا تَفْصِيلِ المَعَارِفِ الشَّرْعِيَّةِ وَبَيَانُهَا يُصَيِّرُ العِلمَ الاِسْتِدْلاَلِيَّ كَشْفِيًّا وَضَرُورِيًّا وَالمُجْمَلَ مُفَصَّلاً (ع):

يَطُول إذَا حَرَّرْتَ تَفْصِيل شَرْحه

وَإِنِّي خَائِفٌ وَوَجِلٌ؛ مِنْ أَنْ يَنْجَرَّ الأَمْرُ إِلى إِسَاءَةِ الأَدَب.

المَكْتُوبُ الثَّالثُ
فِي بَيَانِ تَوَقُّفِ الأَصْحَابِ فِي مَقَامٍ مَخْصُوصٍ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ
كَتَبَهُ إِلَى شَيْخِهِ المُعَظَّمِ

المَعْرُوضُ: أَنَّ الأَصْحَابَ الكَائِنِينَ هُنَا وَكَذَلِكَ الأَصْحَابُ السَّاكِنُونَ هُنَاكَ كُل مِنْهُمْ مَحْبُوسٌ فِي مَقَامٍ، وَإِخْرَاجُهُمْ مِنْ ذَلِكَ المَقَامِ مُتَعَسِّرٌ. وَلاَ أَرَى فِي نَفْسِي مِنَ القُدْرَةِ مَا يُنَاسِبُ لِذَلِكَ المَقَامِ وَيُوَافِيهِ، رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ التَّرَقِّي بِبَرَكَةِ تَوَجُّهَاتِكُمُ العَلِيَّةِ.

وَقَدْ جَاوَزَ وَاحِدٌ مِنْ أَقْرِبَائِي ذَلِكَ المَقَامَ وَوَصَلَ إِلَى مُقَدِّمَاتِ التَّجَلِّيَاتِ الذَّاتِيَّةِ، وَحَالُهُ حَسَنٌ جِدًّا يَضَعُ قَدَمَهُ عَلَى قَدَمِ الفَقِيرِ. وَأَرْجُو ذَلِكَ فِي حَقِّ الآخَرِينَ أَيْضًا. وَبَعْضُ الإِخْوَانِ لَيْسَ لَهُمْ مُنَاسَبَةٌ بِطَرِيقِ المُقَرَّبِينَ، بَلِ المُوَافِقُ لِحَالِهِمْ طَرِيقُ الأَبْرَارِ وَمَا حَصَّلُوهُ مِنَ اليَقِينِ فِي الجُمْلَةِ فَهُوَ أَيْضًا غَنِيمَةٌ، يَنْبَغِي أَنْ نَأْمُرَهُمْ بِذَلِكَ الطَّرِيقِ، (ع)

لِكُل مِنَ الإِنْسَانِ شَأْنٌ يَخُصُّهُ

وَلَمْ أَجْتَرِئْ بِتَفْصِيلِ أَسَامِيهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لاَ يَخْفَوْنَ عَلَيْكُمْ وَالزِّيَادَةُ عَلَى ذَلِكَ خُرُوجٌ عَنْ طَوْرِ الأَدَبِ وَرَأَى المِير السَّيِّدُ شَاه حُسَيْنِ يَوْمَ تَحْرِيرِ العَرْضِ فِي مَشْغُولِيَّتِهِ كَأَنَّهُ وَصَلَ إِلَى بَابٍ عَظِيمٍ، وَيُقَالُ لَهُ إِنَّ هَذَا بَابُ الحَيْرَةِ، وَقَالَ: " وَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى دَاخِلِهِ رَأَيْتُ فِيهِ حَضْرَةَ الشَّيْخِ وَأَنْتَ مَعَهُ وَكُلمَا أَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَ نَفْسِي هُنَاكَ، لاَ تُسَاعِدُنِي رِجْلِي.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ

فِي بَيَانِ فَضَائِلِ شَهْرِ رَمَضَانَ المُبَارَكِ وَبَيَانِ الحَقِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ

كَتَبَهُ أَيْضًا إِلَى شَيْخِهِ المُعَظَّمِ

عَرِيضَةُ أَحْقَرِ الخُدَّامِ: أَنَّهُ قَدْ طَالَتِ المُدَّةُ وَلَمْ أَطَّلِعْ عَلَى أَحْوَالِ خِدْمَةِ العَتَبَةِ العَلِيَّةِ مِنْ طَرِيقِ المُفَاوَضَةِ الشَّرِيفَةِ وَالمُرَاسَلَةِ المُنِيفَةِ وَنَنْتَظِرُ الآنَ قُدُومَ شَهْرِ رَمَضَانَ المُبَارَكِ وَلِهَذَا الشَّهْرِ مُنَاسَبَةٌ تَامَّةٌ بِالقُرْآنِ المَجِيدِ الحَاوِي لِجَمِيعِ الكَمَالَاتِ الذَّاتِيَّةِ وَالشُّئُونِيَّةِ الدَّاخِلِ فِي دَائِرَةِ الأَصْلِ بِحَيْثُ لَمْ يَتَطَرَّقْ إِلَيْهِ الظِّلِّيَّةُ أَصْلًا وَالقَابِلِيَّةُ الأُولَى ظِلَّةٌ.

وَبِهَذِهِ المُنَاسَبَةِ وَقَعَ نُزُولُهُ فِي هَذَا الشَّهْرِ قَوْلُهُ تعالى {شَهْرُ رَمَضَانَ الذي أُنزِلَ فيه القُرْآنُ}(١) مُصَدِّقٌ لِهَذَا القَوْلِ وَبِهَذِهِ المُنَاسَبَةِ كَانَ هَذَا الشَّهْرُ جَامِعًا لِجَمِيعِ الخَيْرَاتِ وَالبَرَكَاتِ. وَكُلُّ بَرَكَةٍ وَخَيْرٍ يَصِلُ إِلَى كُلِّ أَحَدٍ مِنْ أَيِّ وَجْهٍ كَانَ فِي تَمَامِ السَّنَةِ إِنَّمَا هُوَ قَطْرَةٌ مِنْ بَحْرِ بَرَكَاتِ هَذَا الشَّهْرِ العَظِيمِ القَدْرِ الَّذِي لَا نِهَايَةَ لَهُ، وَالجَمْعِيَّةُ فِي هَذَا الشَّهْرِ سَبَبٌ لِلجَمْعِيَّةِ فِي جَمِيعِ السَّنَةِ، وَالتَّفْرِقَةُ فِيهِ سَبَبٌ لِلتَّفْرِقَةِ فِي كُلِّ السَّنَةِ، فَطُوبَى لِمَنْ مَضَى عَلَيْهِ هَذَا الشَّهْرُ المُبَارَكُ وَهُوَ رَاضٍ عَنْهُ وَوَيْلٌ لِمَنْ هُوَ سَاخِطٌ عَلَيْهِ، فَمُنِعَ مِنَ البَرَكَاتِ وَحُرِمَ المَبَرَّاتِ وَالخَيْرَاتِ.

وَأَيْضًا: يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ وَجْهُ سُنِّيَّةِ خَتْمِ القُرْآنِ بِوَاسِطَةِ تَحْصِيلِ جَمِيعِ الكَمَالَاتِ الأَصْلِيَّةِ وَالبَرَكَاتِ الظِّلِّيَّةِ، فَمَنْ جَمَعَ بَيْنَهُمَا يُرْجَى أَنْ لَا يُحْرَمَ بَرَكَاتِهِ وَلَا يُمْنَعَ مِنْ خَيْرَاتِهِ، وَأَنَّ البَرَكَاتِ المُتَعَلِّقَةَ بِأَيَّامِ هَذَا الشَّهْرِ لَا تُشَابِهُ غَيْرَهَا، وَالخَيْرَاتُ المُتَعَلِّقَةُ بِلَيَالِيهِ لَا يُقَاسُ عَلَيْهَا غَيْرُهَا وَلَعَلَّ. سِرَّ الحُكْمِ بِأَوْلَوِيَّةِ تَعْجِيلِ الإِفْطَارِ وَتَأْخِيرِ السُّحُورِ مِنْ هَذِهِ الجِهَةِ لِيَحْصُلَ تَمَامُ الامْتِيَازِ بَيْنَ أَجْزَاءِ الوَقْتَيْنِ، وَالقَابِلِيَّةُ الأُولَى الَّتِي ذَكَرْتُ آنِفًا، وَالحَقِيقَةُ المُحَمَّدِيَّةُ عَلَى مَظْهَرِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ عِبَارَةٌ عَنْهَا لَيْسَتْ هِيَ قَابِلِيَّةَ الذَّاتِ لِلاتِّصَافِ بِجَمِيعِ الصِّفَاتِ كَمَا حَكَمَ بِهَا البَعْضُ، بَلْ هِيَ قَابِلِيَّةُ الذَّاتِ ـــ عَزَّ سُلْطَانُهَا ـــ لِلاعْتِبَارِ العِلْمِيِّ الَّذِي هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِجَمِيعِ الكَمَالَاتِ الذَّاتِيَّةِ وَالشُّئُونِيَّةِ، وَهُوَ حَاصِلُ حَقِيقَةِ القُرْآنِ المَجِيدِ. وَقَابِلِيَّةُ الاتِّصَافِ الَّتِي هِيَ مُنَاسَبَةٌ لِمَوْطِنِ الصِّفَاتِ وَبَرْزَخٌ بَيْنَ الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ هِيَ

---

(١) ـــ الآية: ١٨٥ من سورة البقرة.

حَقَائِقُ سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ. وَتلكَ القَابليَّةُ مَعَ مُلاَحَظَةِ الاعْتِبَارَاتِ المُنْدَرِجَة فِيهَا صَارَتْ حَقَائِقَ مُتَعَدِّدَةً. وَالقَابِليَّةُ التي هِيَ الحَقِيقَةُ المُحَمَّدِيَّةُ وَإِنْ كَانَتْ فِيهَا ظَلِيلَةٌ لكِنْ لَمْ يَمْتَزِجْ بِهَا لوْنُ الصِّفَاتِ وَلَمْ يَحْصُل فِي البَيْنِ حَائِل أَصْلاً.

وَحَقَائِقُ جَمَاعَة مُحَمَّدِيِّ المَشْرَب قَابليَّاتُ الذَّات للاعْتِبَارِ العلميِّ الذي يَتعَلَّقُ بِبَعْضِ تلكَ الكَمَالاَت. وَالقَابليَّةُ المُحَمَّدِيَّةُ بَرْزَخٌ بَيْنَ الذَّات وَبَيْنَ هَذه القَابليَّات المُتَعَدِّدَة. وَإِنَّمَا حَكَمَ ذَلكَ البَعْضُ بِمَا ذُكِرَ بوَاسطَة أَنَّ لهَا مَوْضِعَ قَدَمٍ فَقَطْ فِي مَوْطِنِ الصِّفَاتِ. وَنِهَايَةُ عُرُوجِ ذَلكَ المَوْطِنِ إِلى تِلكَ القَابِليَّة فَلاَ جَرَمَ نَسَبَهَا إِليْه ﷺ.

وَلَمَّا كَانَتْ قَابليَّةُ الاتِّصَاف غَيْرَ مُرْتَفِعَة أَصْلاً حَكَمَ ذَلكَ البَعْضُ بِالضَّرُورَة بِأَنَّ الحَقِيقَةَ المُحَمَّدِيَّةَ حَائلةٌ دَائمًا وَإِلاَّ فَالحَقِيقَةُ المُحَمَّدِيَّةُ عَلى مَظْهَرِهَا الصَّلاَةُ وَالتَّحيَّةُ التي هِي مُجَرَّدُ اعْتِبَارٍ فِي الذَّات يُمْكِنُ ارْتِفَاعُهَا عَنِ النَّظَرِ بَل هُوَ وَاقِعٌ. وَقَابليَّةُ الاتِّصَاف وَإِنْ كَانَت اعْتِبَارِيَّةً أَيْضًا لكنَّهَا أَخَذَتْ لوْنَ الصِّفَات، وَوَصْفَهَا بوَاسطَة البَرْزَخيَّة. وَالصِّفَاتُ مَوْجُودَةٌ فِي الخَارِجِ بوُجُوده فِي الخَارِجِ بِوُجُود زَائد، وَارْتِفَاعُهَا خَارِجٌ عَنْ دَائرَة الإِمْكَان، فَلاَ جَرَمَ حَكَمَ بِوُجُود ذَلكَ الحَائل دَائمًا.

وَأَمْثَال هَذه العُلومِ التي مَنْشَأُهَا الجَامعيَّةُ بَيْنَ الأَصَالة وَالظِّلِّيَّة وَارِدَةٌ كَثيرًا، وَأَكْثَرُهَا أَكْتُبُهُ فِي الأَوْرَاق.

وَمَقَامُ القُطْبيَّة مَنْشَأُ دَقَائق عُلوم مَقَام الظِّلِّيَّة.

وَمَرْتَبَةُ الفَرْدِيَّة وَاسطَةُ وُرُود مَعَارِف دَائرَة الأَصْل، وَالامْتيَازُ بَيْنَ الظِّل وَالأَصْل لاَ يَتيَسَّرُ بدُون اجْتمَاعِ هَاتَيْنِ الدَّوْلَتَيْنِ، وَلهَذَا لَمْ يَقُل بَعْضُ المَشَايخِ بزِيَادَة القَابليَّة الأُوْلى التي يُقَال لهَا التَّعَيُّنُ الأَوَّل عَلى الذَّات، وَزَعَمُوا شُهُودَ تلكَ القَابليَّة تَجَلِّيًا ذَاتيًّا.

وَالحَقُّ مَا حَقَّقْتُ، وَالأَمْرُ مَا أَوْضَحْتُ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ يُحقُّ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيل.

وَالرِّسَالةُ التي كُنْتُ مَأْمُورًا بتَسْوِيدهَا: لَمْ أُوَفَّقْ إِلى الآنَ لإِتْمَامهَا، بَل بَقِيَتْ مُسَوَّدَةً كَمَا هِيَ، وَلَمْ أَدْرِ فِي هَذَا التَّوَقُّفِ مَا الحِكْمَةُ الإِلهِيَّةُ؟ وَزِيَادَةُ الجَرَاءَة بَعِيدَةٌ عَنِ الأَدَب.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ
فِي تَفْوِيضِ الخواجه بُرْهَان الذي هُوَ وَاحِدٌ مِنَ المُخْلصِينَ
مَعَ بَيَان بَعْضِ أَحْوَاله
كَتَبَهُ إلى شَيْخِه المُعَظَّمِ

عَرِيضَـــةُ أَحْقَـــر الخُـــدَّامِ: إنِّي قَدْ كَتَبْتُ رِسَالةً فِي بَيَان طَرِيقَة خواجكان ــ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ ــ وَأَرْسَلتُهَا نَحْوَ الجَنَاب العَالي؛ لعَلهَا تَكُونُ مَنْظُورَةً بالنَّظَرِ المُبَارَك، وَلكنَّهَا مُسَوَّدَةٌ فقَطْ؛ لَمْ أَجدْ فُرْصَةً لنَقْلهَا إلى البَيَاضِ؛ بِسَبَبِ عَجَلة الخواجه بُرْهَان فِي التَّوَجُّه، وَلاحْتمَال أَنْ يَلحَقَ بهَا عُلومٌ أُخَرُ.

وَلَمَّا وَقَعَ نَظَرِي ــ يَوْمًا مِنَ الأَيَّامِ ــ عَلى رِسَالة: "**سلسلة الأَحْرَار**" خَطَرَ فِي الخَاطِرِ الفَاتِرِ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكُمْ؛ لتَكْتُبُوا شَيْئًا فِي بَيَانِ بَعْضِ عُلومِهَا، أَوْ تَأْمُرُوا الفَقيرَ؛ لأَكْتُبَ شَيْئًا فيهَا، وَقَوِيَ هَذَا الخَاطرُ.

وَبَيْنَا أَنَا فِي هَذَا الخَاطِرِ، إذْ فَاضَتْ عُلومُ هَذه المُسَوَّدَة؛ فَكَتَبْتُهَا، وَبَيَّنْتُ بَعْضَ عُلومِ تلكَ الرِّسَالة فِي ضِمْنِ مَا كَتَبْتُ فِي هَذه المُسَوَّدَة فِي الجُمْلة.

فَإنْ جَعَلتَ هَذه المُسَوَّدَةَ تَكْملةً لتلكَ الرِّسَالة فَبِهَا، وَإلاَّ فَإنِ انْتَخَبَ بَعْضَ العُلومِ المُنَاسِبَة لَهَا منْهَا، وَأُلحقَ بهَا فَلهُ وَجْهٌ.

وَزِيَادَةُ الانْبساط خُرُوجٌ عَنِ الأَدَب.

وَالخواجه بُرْهَانٌ فَعَل فِي هَذه المُدَّة فعْلاً حَسَنًا وَأَمْرًا مُسْتَحْسَنًا، وَنَال نَصيبًا مِنَ السَّيْرِ الثَّالث الذي هُوَ مُنَاسِبٌ لمَقَامِ الجَذْبَة، وَصَارَ الآنَ بوَاسِطَة مُهمِّ مَدَد مَعَاشٍ صوبة المالوه مُشَوَّشَ الحَال وَمُشَتَّتَ البَال، وَقَدْ تَوَجَّهَ نَحْوَ الجَنَاب المُعَلى؛ وَكُل شَيْءٍ أَمَرْوهُ بهِ يَكُونُ مُبَارَكًا.

المَكْتُوبُ السَّادسُ
في بَيَان حُصُول الجَذْبَة وَالسُّلوك وَتَحْصيل التَّرْبيَة بصفَتَي الجَلاَل وَالجَمَال وَبَيَانِ الفَنَاء وَالبَقَاء وَبَيَان عُلوِّ نسْبَة النَّقْشبَنْديَّة
كَتَبَهُ إلى شَيْخه المُحْتَرَم

عَريضَــةُ أَقَل العَبيــد أَحْمَـــدَ: إنَّهُ قَدْ أَكْرَمَني المُرْشدُ عَلى الإطْلاَق جَل شَأْنُهُ؛ ببَرَكَة التَّوَجُّه العَالي بتَرْبيَة طَريقَي الجَذْبَة وَالسُّلوك، وَرَبَّاني بصفَتَي الجَمَال وَالجَلاَل، وَالآنَ صَارَ الجَلاَل عَيْنَ الجَمَال، وَالجَمَال عَيْنَ الجَلاَل، وَقَدْ حَرَّفُوا هَذه العبَارَة في بَعْضِ حَوَاشي "**الرِّسَالة القُدُسيَّة**" عَنْ مَفْهُومهَا الصَّريح، وَحَمَلوهَا عَلى المَفْهُوم المَوْهُوم.

وَالحَال أَنَّ العبَارَةَ مَحْمُولةٌ عَلى ظَاهرهَا، غَيْرُ قَابلة للتَّحْريف وَالتَّأويل، وَعَلاَمَةُ هَذه التَّرْبيَة التَّحَقُّقُ بالمَحبَّة الذَّاتيَّة، وَلاَ إمْكَانَ لحُصُولهَا بدُون التَّحَقُّق بهَا.

وَالمَحَبَّةُ الذَّاتيَّةُ عَلاَمَةُ الفَنَاء، وَالفَنَاءُ عبَارَةٌ عَنْ نسْيَان مَا سوَى الله تَعَالى؛ فَمَتَى لمْ تَزُل العُلوم عَنْ سَاحَة الصَّدْر بالتَّمَام، وَلمْ يَحْصُل التَّحَقُّق بالجَهْل المُطْلق، لاَ نَصيبَ منَ الفَنَاء أَصْلاً، وَهَذَا الجَهْل دَائميٌّ لاَ إمْكَانَ لزَوَاله، لاَ أَنَّهُ يَحْصُل أَحْيَانًا وَيَزُول أُخرَى غَايَةُ.

مَا في البَاب: أَنَّهُ قَبْل البَقَاء جَهَالةٌ مَحْضَةٌ، وَبَعْدَ البَقَاء يَجْتَمعُ الجَهَالةُ وَالعلمُ مَعًا؛ فَفي عَيْن الجَهَالة شُعُورٌ، وَفي عَيْن الحَيْرَة حُضُورٌ.

وَهَذَا مَوْطنُ حَقِّ اليَقين، الذي لاَ يَكُونُ فيه كُل منَ العلم وَالعَيْن حجَابًا للآخَر، وَالعلمُ الحَاصل قَبْل مثْل هَذه الجَهَالة خَارجٌ منْ حَيِّز الاعْتبَار، مَعَ أَنَّهُ إنْ كَانَ هُنَاكَ علمٌ فَفي النَّفْس، وَإنْ كَانَ شُهُودٌ فَفي النَّفْس، وَإنْ مَعْرفَةٌ أَوْ حَيْرَةٌ فَفي النَّفْس أَيْضًا.

وَمَا دَامَ النَّظَرُ في الخَارج لاَ حَاصل فيه، وَإنْ كَانَ النَّظَرُ في النَّفْس يَعْني في الجُمْلة، بَل اللاَّئق أَنْ يَنْقَطعَ النَّظَرُ عَن الخَارج بالكُليَّة.

قَال الخواجه النَّقْشبَنْديُّ ــ قُدِّسَ سرُّهُ ــ: "وَكُل مَا يَرَاهُ أَهْل الله بَعْدَ الفَنَاء وَالبَقَاء يَرَوْنَهُ في أَنْفُسهمْ، وَكُل مَا يَعْرفُونَ يَعْرفُونَهُ في أَنْفُسهمْ، وَحَيْرَتُهُمْ تَكُونَ في وُجُود أَنْفُسهمْ".

وَفُهِمَ مِنْ ذَلِكَ أَيْضًا صَرِيحًا: أَنَّ الشُّهُودَ وَالمَعْرِفَةَ وَالحَيْرَةَ فِي النَّفْسِ فَحَسْبُ، لَيْسَ فِي الخَارِجِ شَيْءٌ مِنْهَا، وَمَا دَامَ وَاحِدٌ مِنْهَا فِي الخَارِجِ، لاَ حَظَّ مِنَ الفَنَاءِ وَلاَ نَصِيبَ، وَإِنْ كَانَ بَعْضٌ مِنْهَا فِي الخَارِجِ، فَأَيْنَ البَقَاءُ بَعْدُ.

وَنِهَايَةُ المَرَاتِبِ فِي الفَنَاءِ وَالبَقَاءِ هِيَ هَذِهِ، وَهَذَا هُوَ الفَنَاءُ المُطْلَقُ، وَمُطْلَقُ الفَنَاءِ أَعَمُّ مِنْهُ وَمِنْ غَيْرِهِ، وَالبَقَاءُ إِنَّمَا هُوَ عَلَى مِقْدَارِ الفَنَاءِ؛ وَلِهَذَا يَكُونُ لِبَعْضِ أَهْلِ اللهِ شُهُودٌ فِي الخَارِجِ بَعْدَ التَّحَقُّقِ بِالفَنَاءِ وَالبَقَاءِ، وَلَكِنَّ نِسْبَةَ هَؤُلاَءِ الأَعِزَّةِ يَعْنِي: النَّقْشَبَنْدِيِّينَ فَوْقَ جَمِيعِ النِّسَبِ.

وَهَيْهَاتَ مَا كُلُّ النَّسِيمِ حِجَازِيًّا   وَمَا كُلُّ مَصْقُولِ الحَدِيدِ يَمَانِيًّا

فَإِذَا تَشَرَّفَ وَاحِدٌ أَوِ اثْنَانِ مِنْ أَكَابِرِ هَذِهِ السِّلْسِلَةِ بَعْدَ قُرُونٍ كَثِيرَةٍ بِهَذِهِ النِّسْبَةِ، فَمَاذَا يَقُولُونَ فِي سَلاَسِلَ أُخَرَ، وَهَذِهِ نِسْبَةُ خواجه عَبْدِ الخَالِقِ الغَجْدَوَانِيِّ[١] قُدِّسَ سِرُّهُ، وَمُتَمِّمُهَا وَمُكَمِّلُهَا شَيْخُ الشُّيُوخِ، أَعْنِي: حَضْرَةَ الخواجه بَهَاءَ الدِّينِ المَعْرُوفَ بِالنَّقْشَبَنْدِيِّ قُدِّسَ سِرُّهُ، وَتَشَرَّفَ بِهَذِهِ الدَّوْلَةِ مِنْ خُلَفَائِهِ الخواجه عَلاَءُ الدِّينِ العَطَّارُ قُدِّسَ سِرُّهُ، (ع):

وَتِلْكَ سَعَادَاتٌ تَكُونُ نَصِيبَ مَنْ

وَالعَجَبُ مِنْ هَذَا الأَمْرِ؛ حَيْثُ كَانَ كُلُّ بَلاَءٍ وَمُصِيبَةٍ وَاقِعَةً بَاعِثَةً عَلَى السُّرُورِ وَالفَرَحِ أَوَّلاً، وَكُنْتُ أَقُولُ: "هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ وَكُلَّمَا فَاتَنِي شَيْءٌ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا كَانَ يَطِيبُ بِهِ قَلْبِي، وَكُنْتُ أَتَمَنَّى مِثْلَهُ، وَلَمَّا أُنْزِلْتُ الآنَ إِلَى عَالَمِ الأَسْبَابِ، وَوَقَعَ نَظَرِي عَلَى عَجْزِي وَافْتِقَارِي، صَارَ يَحْصُلُ لِي نَوْعُ حُزْنٍ بِحُصُولِ ضَرَرٍ يَسِيرٍ فِي أَوَّلِ وَهْلَةٍ، وَإِنْ زَالَ بِسُرْعَةٍ وَلَمْ يَبْقَ أَصْلاً وَكَذَا إِذَا دَعَوْتُ اللهَ سُبْحَانَهُ لِدَفْعِ بَلاَءٍ أَوْ مُصِيبَةٍ، مَا كَانَ المَقْصُودُ مِنْهُ رَفْعَ تِلْكَ المُصِيبَةِ، بَلْ لأَجْلِ الامْتِثَالِ لأَمْرِ: "**ادْعُوا**".

وَالآنَ صَارَ المَقْصُودُ مِنَ الدُّعَاءِ رَفْعَ المَصَائِبِ وَالبَلاَءِ، وَقَدْ رَجَعَ الخَوْفُ وَالحُزْنُ، اللذَانِ قَدْ زَالاَ مِنْ قَبْلُ، وَصَارَ مَعْلُومًا لِي أَنَّ ذَلِكَ كَانَ مِنَ السُّكْرِ.

وَأَمَّا فِي الصَّحْوِ: فَكُلُّ مَا هُوَ مَوْجُودٌ فِي عَوَامِّ النَّاسِ مِنَ العَجْزِ وَالافْتِقَارِ

---

(١) ــ **عبد الخالق بن عبد الجميل الملطي الغجدواني ثم البخاري الصوفي:** من خلفاء يوسف الهمداني، توفي سنة ٥٧٥ هـــ، له الوصايا في التصوف. انظر: إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: ٥/٥٠٩.

وَالخَوْف وَالحُزْن وَالغَمّ وَالفرَح، مَوْجُودٌ فِي صَاحب الصَّحْو في الابْتدَاء، وَإنْ لَمْ يَكُنِ المَقْصُودُ مِنَ الدُّعَاءِ رَفْعَ البَلاَءِ، وَلكِنْ مَا كَانَ قَلْبي يَطيبُ بِهَذَا المَعْنَى، إلاَّ أَنَّ الحَال كَانَ غَالبًا عَليَّ، وَكَانَ أَوَّلاً يَخْطرُ فِي البَال أَنَّ دَعْوَات الأَنْبيَاء ــ عَلَيْهِمُ الصَّلوَاتُ وَالتَّسْليمَاتُ ــ لَيْسَتْ مِنْ قَبيلِ اسْتدْعَاء حُصُول المُرَاد، وَلَمَّا شَرُفْتُ الآنَ بتلكَ الحَالة صَارَتْ حَقيقَةُ الأَمْرِ وَاضحَةً، وَعَلمْتُ أَنَّ دَعَوَات الأَنْبيَاء ــ عَلَيْهِمُ الصَّلوَاتُ وَالتَّحيَّاتُ ــ كَانَتْ عَلَى وَجْه العَجْزِ وَالافْتقَارِ وَالخَوْف وَالانْكسَارِ، لاَ لُمجَرَّد امْتثَال الأَمْر.

وَتَصْدُرُ الجَرَاءَةُ أَحْيَانًا بِعَرْضِ بَعْضِ الأُمُورِ الوَاقِعَة حَسَبَ الأَمْر.

المَكْتُوبُ السَّابعُ

فِي بَيَانِ بَعْضِ أَحْوَالِه الغَرِيبَة مَعَ بَعْضِ اسْتِفْسَارَاتِهِ الضَّرُورِيَّةِ كَتَبَهُ إِلى شَيْخِهِ المُكَرَّم

عَرِيضَةُ أَقَل العَبِيدِ أَحْمَدَ: إنَّ المَقَامَ الذي كَانَ فَوْقَ المُحَدَّدِ وَجَدْتُ رُوحِي هُنَاكَ بِطَرِيقِ العُرُوجِ، وكَانَ لِهَذَا المَقَام اخْتِصَاصٌ بِحَضْرَةِ الخواجه النَّقْشَبَنْدِيِّ ـ قُدِّسَ سِرُّهُ الأَقْدَسُ ـ ثُمَّ وَجَدْتُ بَدَنِيَ العُنْصُرِيَّ هُنَاكَ بَعْدَ زَمَانٍ، وَخُيِّل لي فِي ذَلكَ الوَقْت أَنَّ هَذَا العَالَم بتَمَامه مِنَ العُنْصُرِيَّات وَالفَلَكِيَّاتِ نازِلاً إلى التَّحْتِ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ اسْمٌ وَلاَ رَسْمٌ وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ فِي ذَلكَ المَقَامِ إلاَّ بَعْضُ الأَوْلِيَاءِ الكبَارِ، وَالآنَ أَجِدُ تَمَامَ العَالم شَرِيكًا لي فِي المَحَل وَالمَقَامِ، حَصَلتِ الحَيْرَةُ بِأَنَّهُ مَعَ وُجُودِ الأَجْنَبِيَّة التَّامَّة أَرَى نَفْسِي مَعَهُمْ.

وَالحَاصِل: تَظْهَرُ أَحْيانًا حَالةٌ لاَ أَبْقَى فِيهَا أَنَا وَلاَ العَالَمُ، وَلاَ يَظْهَرُ شَيْءٌ لاَ فِي النَّظَرِ وَلاَ فِي العلم، وَتِلْكَ الحَالةُ مُسْتَمِرَّةٌ إلى الآن وَوُجُودُ العَالم مُحْتَجَبٌ عَنِ النَّظَرِ وَالعلم، ثُمَّ ظَهَرَ فِي ذَلكَ المَقَام قَصْرٌ عَال، قَدْ وُضِعَ فِيه سَلاَلمُ فَطَلعْتُ فِيهِ، ثُمَّ تَنَزَّل ذَلكَ المَقَامُ أَيْضاً بالتَّدْرِيج مِثْلَ العَالم، وَوَجَدْتُني صَاعِدًا سَاعَةً فَسَاعَةً، فَصَليْتُ اتِّفَاقاً رَكْعَتَيْ شُكْرِ الوُضُوءِ، فَظَهَرَ مَقَامٌ عَال جدًّا، فَرَأَيْتُ فيه الأَكَابِرَ الأَرْبَعَة[1] النَّقْشَبَنْدِيِّينَ ـ قَدَّسَ اللَّهُ أَسْرَارَهُمْ ـ وَكَانَ فِيهِ أَيْضاً مَشَايخُ آخَرُونَ مثْل: سَيِّد الطَّائِفَة، وَغَيْرِهِ، وَكَانَ بَعْضٌ مِنَ المَشَايخ فَوْقَ ذَلكَ المَقَام، وَلكِنْ كَانُوا قَاعدِينَ آخِذينَ بِقَوَائِمِهِ، وَكَانَ بَعْضُهُمْ تَحْتَهُ عَلى تَفَاوُتِ دَرَجَاتِهِمْ، وَوَجَدْتُ نَفْسِي بَعِيدًا عَنْ ذَلكَ المَقَام جدًّا، بَل لَمْ أَرَ فِي نَفْسِي مُنَاسَبَة بِهَذَا المَقَام، فَحَصَلَ لي مِنْ هَذِهِ الوَاقِعَةِ اضْطرابٌ تَامٌّ، حَتَّى كِدْتُ أَكُونُ مَجْنُوناً، وَيَخْرُجُ رُوحي مِنْ بَدَنِي مِنْ فَرْطِ الحُزْنِ وَالأَسف، فَمَرَّتْ عَلى هَذِهِ النهج أَوْقَاتٌ، ثُمَّ رَأَيْتُ نَفْسي أَخيرًا مُنَاسبًا لذَلكَ المَقَام؛ بِتَوَجُّهاتِكُم العَلِيَّة، وَوَجَدْتُ رَأْسِي أَوَّلاً مُحَاذِيًا لذَلكَ المَقَام، ثُمَّ صَعِدْتُ تَدْرِيجًا وَقَعَدْتُ فَوْقَهُ، ثُمَّ خَطَرَ في بَالي بَعْدَ التَّوَجُّه ـ أَنَّ ذَلكَ المَقَامَ مقامُ التَّكْمِيل التَّامِّ؛ يُوصَل إِلَيْهِ بَعْدَ تَمَامِ السُّلوكِ وَلاَ

---

(١) ـ لعله أراد بهم الخواجه عبد الخالق الغجدواني والخواجه محمد بهاء الدين النقشبند والخواجه علاء الدين العطار والخواجه عبيد الله أحرار قدس سرهم لمؤلفه عفى عنه.

حَظٌّ مِنْ ذَلِكَ الْمَقَامِ لَمِجْذُوب، لَمْ يُتِمَّ السُّلوكَ، وَخُيِّل لِي فِي ذَلِكَ الوَقْتِ أَنَّ الوُصُول إِلى ذَلكَ المَقَام مِنْ نَتَائِج تلكَ الوَاقعَة التِي كُنْتُ رَأَيْتُهَا حِينَ كَوْنِي فِي مُلاَزَمَتكُمْ، وَهِيَ أَنِّي رَأَيْتُ سَيِّدَنَا عَلَيًّا ــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ــ قَدْ جَاءَ وَقَال: "**جِئْتُكَ لأُعَلِّمَكَ علمَ السَّمَوَات**" إلخ.

وَلَمَّا أَمْعَنْتُ النَّظَرَ وَجَدْتُ ذَلِكَ المَقَامَ مَخْصُوصًا بِسَيِّدَنَا عَلِيٍّ[١] ــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ــ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ ــ وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى أَعْلَمُ.

وَالمعْرُوضُ ثَانِيًا: أَنَّهُ يَظْهَرُ لِي أَنَّ الأَخْلاَقَ السَّيِّئَةَ تَرْتَفِعُ سَاعَةً فَسَاعَةً، بَعْضُهَا يَخْرُجُ مِنَ البَدَنِ مِثْل الخَيْط، وَبَعْضُهَا مِثْل الدُّودِ، وَيُخَيَّل فِي بَعْضِ الأَوْقَات أَنَّ كُلها قَدْ زَالتْ، ثُمَّ يَظْهَرُ فِي وَقْت آخرَ.

وَثَالثًا: أَنَّ التَّوَجُّهَ لدَفْعِ بَعْضِ الأَمْرَاضِ وَالشَّدَائِد هَل هُوَ مَشْرُوطٌ بِأَنْ يُعْلم رِضَا الحَقِّ سُبْحَانَهُ أَوَّلاً أَوْ لاَ ؟:

وَالظَّاهرُ مِنْ عبَارَة الرَّشَحَات المَنْقُولة عَنْ حَضْرَة الخواجه يَعْنِي: عُبَيْدَ اللهِ أَحْرَارَ ــ قَدَّسَ اللهُ سرَّهُ الأَقْدَسَ ــ أَنَّ هَذَا لَيْسَ بِشَرْط، فَبِمَاذَا تَحْكُمُونَ فِي هَذَا البَاب، مَعَ أَنَّ التَّوَجُّهَ غَيْرُ مُسْتَحْسَنٍ : يَعْنِي: عِنْدَهُ.

وَرَابِعًا: أَنَّ بَعْدَ تَحَقُّق الحُضُور فِي الطَّالبِينَ، هَل يَلزَمُ المَنْعُ مِنَ الذِّكْر وَالأَمْرُ بِالمُحَافَظَة عَلى الحُضُور أَوَّلاً؟ ثُمَّ أَيُّ مَرْتَبَة مِنَ الحُضُور لاَ ذِكْرَ فِيهَا، مَعَ أَنَّ البَعْضَ لَمْ يَتْرُك الذِّكْرَ مِنَ الأَوَّل إِلى الآخرِ؟ وَلَمْ يَمْتَنِعْ مِنَ الذِّكْرِ أَصْلاً حَتَّى أَنْهَى الأَمْرَ إِلى النِّهَايَة. فَمَا حَقِيقَةُ الأَمْرِ فِيه ؟ وَبِمَاذَا تَأْمُرُونَ ؟

---

(١) ــ **أبو الحسن علي بن أبي طالب**: ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، واسم أبي طالب عبد مناف، أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، أسلمت وهاجرت، ويكنى أبا الحسن وأبا تراب، أسلم وهو ابن سبع سنين، وشهد المشاهد كلها، ولم يتخلف إلا في تبوك؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في أهله، وكان غزير العلم مرجعا في الفتوى والقضاء حتى قيل: " فتوى ولا أبا الحسن لها "، توفي بالمدينة سنة خمسين. انظر: ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ٥٦/١، ابن الجوزي: صفة الصفوة: ١٦٢/١، الشيخ يس السنهوتي النقشبندي ت (١٤١٦هـ): الأنوار القدسية في مناقب السادة النقشبندية: ٢١.

وخامسًا: أنَّ حضْرَةَ الخواجه ـــ يَعْني: عُبَيْدَ الله أَحْرَارَ ـــ قَال في الفِقْرَات: "وَيَأْمُرُونَ أخيرًا بالذِّكْرِ؛ فإنَّ بَعْضَ المَقَاصد لاَ يَتَيَسَّرُ إلاَّ به، وَمَا هَذه المَقَاصدُ فعَيِّنُوهُ".

وَسَادسًا: أنَّ بَعْضَ الطَّالبينَ يَطْلُبُونَ تَعْليمَ الطَّريقَة إيَّاهُمْ، وَلكنَّهُمْ لاَ يَحْتَاطُونَ في اللقْمَة، وَمعَ عَدَمِ الاحْتيَاط قَدْ حَصَّلوا حُضُورًا وَنَحْوًا منَ الاسْتغْرَاق، فَإنْ أكَّدْنَا عَلَيْهمْ بالاحْتيَاط في اللقْمَة يَتْرُكُونَ الكُل، يَعْنى: يَخْتَارُونَ تَرْكَ الطَّريقَة بالكُلِّيَّة منْ ضَعْف الطَّلَب. فَمَا الحُكْمُ في هَذَا البَاب ؟ وَالبَعْضُ الآخَرُ يَطْلُبُونَ مُجَرَّدَ الاتِّصَال بهَذه السِّلْسلة الشَّريفَة بطَريق الإرَدَاة منْ غَيْر طَلَب تَعْليم الذِّكْر، وَهَل يَجُوزُ ذَلكَ أَوْ لاَ ؟ فَإنْ كَانَ يَجُوزُ، فَمَا طَريقُهُ، وَزيَادَةُ الانْبسَاط خُرُوجٌ منَ الأدَب.

المَكْتُوبُ الثَّامِنُ
فِي بَيَانِ الأَحْوَالِ المُتَعَلِّقَةِ بِمَرْتَبَةِ البَقَاءِ وَالصَّحْوِ
كَتَبَهُ أَيْضًا إِلَى شَيْخِهِ المُعَظَّمِ

عَرِيضَةُ أَقَلِّ العَبِيدِ أَحْمَدَ: إِنِّي لَمَّا أُخرِجْتُ إِلَى الصَّحْوِ، وَشُرِّفْتُ بِالبَقَاءِ، أَخَذَ تَظْهَرُ العُلومُ الغَرِيبَةُ، وَالمَعَارِفُ غَيْرُ المُتَعَارَفَةِ، وَتُفَاضُ عَلَى التَّوَاتُرِ وَالتَّوَالِي، وَأَكْثَرُهَا لاَ يُوَافِقُ بَيَانَ القَوْمِ وَاصْطِلاَحَهُمُ المُتَدَاوَلَ.

وَكُلُّ مَا بَيَّنُوهُ فِي مَسْأَلَةِ وَحْدَةِ الوُجُودِ وَقَالُوا بِهِ، قَدْ شُرِّفْتُ بِهِ فِي أَوَائِلِ الحَالِ، وَتَيَسَّرَ شُهُودُ الوَحْدَةِ فِي الكَثْرَةِ، ثُمَّ تَرَقَّيْتُ مِنْ ذَلِكَ المَقَامِ بِعِنَايَةِ المَلِكِ العَلاَّمِ إِلَى مَا فَوْقَهُ بِدَرَجَاتٍ كَثِيرَةٍ، وَفَاضَ عَلَيَّ فِي ضِمْنِ ذَلِكَ أَنْوَاعُ العُلُومِ، وَلكِنْ لاَ يُوجَدُ فِي كَلاَمِ القَوْمِ مِصْدَاقُ تِلْكَ المَقَامَاتِ، وَمِصْدَاقُ هَاتِيكَ المَعَارِفِ وَالمَقَالاَتِ صَرِيحًا.

وَفِي كَلاَمِ بَعْضِ الأَكَابِرِ إِشَارَاتٌ وَرُمُوزٌ إِجْمَالِيَّةٌ فِيهَا، وَلكِنَّ الشَّاهِدَ العَدْلَ لِصِحَّتِهَا مُوَافَقَتُهَا لِظَاهِرِ الشَّرِيعَةِ، وَإِجْمَاعِ عُلَمَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ؛ بِحَيْثُ لاَ تُخَالِفُ ظَاهِرَ الشَّرِيعَةِ الغَرَّاءِ فِي شَيْءٍ، وَلاَ تُوَافِقُ أَقْوَالَ الفَلاَسِفَةِ وَأُصُولَهُمُ المَعْقُولَةَ، بَل لاَ تُوَافِقُ أُصُولَ طَائِفَةٍ مِنَ العُلَمَاءِ الإِسْلاَمِيِّينَ لَهُمْ مُخَالَفَةٌ لِأَهْلِ السُّنَّةِ.

وَقَد انْكَشَفَ أَنَّ الاسْتِطَاعَةَ مَعَ الفِعْلِ، وَأَنْ لاَ قُدْرَةَ قَبْلَ الفِعْلِ، بَل تَحْصُلُ القُدْرَةُ مُقَارِنًا بِالفِعْلِ، وَالتَّكْلِيفُ مُسْتَنِدٌ إِلَى سَلاَمَةِ الأَسْبَابِ وَالأَعْضَاءِ؛ كَمَا قَرَّرَهُ عُلَمَاءُ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَأَجِدُنِي فِي هَذَا المَقَامِ عَلَى قَدَمِ الخواجه بَهَاءِ الدِّينِ النَّقْشَبَنْدِيِّ قُدِّسَ سِرُّهُ؛ فَإِنَّهُ كَانَ فِي هَذَا المَقَامِ، وَكَانَ لِحَضْرَةِ الخواجه عَلاَءِ الدِّينِ العَطَّارِ نَصِيبٌ أَيْضًا مِنْ هَذَا المَقَامِ، وَمِنْ أَكَابِرِ هَذِهِ السِّلْسِلَةِ العَلِيَّةِ حَضْرَةُ الخواجه عَبْدُ الخَالِقِ الغَجْدَوَانِيُّ ــ قَدَّسَ اللهُ تَعَالَى سِرَّهُ الأَقْدَسَ ــ وَمِنَ المُتَقَدِّمِينَ الشَّيْخُ مَعْرُوفٌ الكَرْخِيُّ، وَدَاوُدُ الطَّائِيُّ، وَالحَسَنُ البَصْرِيُّ، وَحَبِيبٌ العَجَمِيُّ، قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمُ المُقَدَّسَةَ.

وَحَاصِلُ هَذِهِ كُلِّهَا كَمَالُ البُعْدِ وَالوَحْشَةِ، وَقَدْ جَاوَزَ الأَمْرُ المُعَالَجَةَ، وَمَا دَامَتِ الحُجُبُ مَسْدُولَةً كَانَ لِلسَّعْيِ وَالاهْتِمَامِ لِرَفْعِهَا مَجَالٌ، وَالآنَ كَانَتْ عَظَمَةُ الأَمْرِ حِجَابًا لَهُ (ع):

فَلاَ طَبِيبَ لَهَا وَلاَ رَاقِ

وَكَأَنَّهُمْ سَمَّوْا كَمَال الوَحْشَةِ وَعَدَمَ الْمُنَاسَبَةِ وَصْلاً وَاتِّصَالاً، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ !! وَهَذَا البَيْتُ مُوَافِقٌ للحَال.

إِيَّاكَ يَا صَاحِ وَدَعْوَى وِصَالِه أَيْنَ الحَضِيضُ مِنَ السِّمَاكِ الأَعْزَلِ

أَيْنَ الشُّهُودِ، وَمَنِ الشَّاهِدُ وَمَا الْمَشْهُودُ، (ع):

وَمَتَى يُرَى للخَلقِ نُورُ جَمَالِه

مَا للتُّرَابِ وَرَبِّ الأَرْبَابِ؟! وَإِنَّمَا للعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ نَفْسَهُ مَخْلوقًا غَيْرَ قَادِرٍ، وَكَذَلِكَ لَهُ أَنْ يَعْتَقِدَ جَمِيعَ العَالَمِ كَذَلِكَ، وَأَنْ يُذْعِنَ أَنَّ الخَالِقَ وَالقَادِرَ هُوَ الحَقُّ عَزَّ وَجَل، لاَ يُثْبِتُ نِسْبَةً غَيْرَ هَذَا أَصْلاً. فَأَيْنَ العَيْنِيَّةُ وَالمِرْآتِيَّةُ ؟ (ع):

وَبِأَيِّ مِرْآةٍ غَدًا مُتَصَوَّرًا ؟

وَعُلَمَاءُ الظَّاهِرِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَإِنْ كَانُوا مُقَصِّرِينَ فِي بَعْضِ الأَعْمَال، وَلكِنْ يَظْهَرُ فِي النَّظَرِ أَنَّ لِجَمَالِ صِحَّةِ عَقَائِدِهِمْ مِنَ النُّورَانِيَّةِ مَا يَضْمَحِلُ فِيهِ تَقْصِيرَاتُهِمِ وَتَتَلاَشَى.

وَلاَ يُوجَدُ ذَلِكَ فِي بَعْضِ الْمُتَصَوِّفَةِ؛ لعَدَمِ كَمَال صِحَّةِ عَقِيدَتِهِمْ فِي الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ، مَعَ وُجُودِ الرِّيَاضَاتِ وَالْمُجَاهَدَاتِ.

وَقَدْ حَصَلَتْ لِي مَحَبَّةٌ كَثِيرَةٌ فِي حَقِّ العُلَمَاءِ وَطَلَبَةِ العُلومِ، وَتُسْتَحْسَنُ لِي سِيرَتُهُمْ، وَأَتَمَنَّى أَنْ أَكُونَ فِي زُمْرَتِهِمْ، وَنَتَذَاكَرَ مَعَ طَلَبَةِ العُلُومِ "**التَّوْضِيحَ وَالتَّلوِيحَ**" مِنَ الْمُقَدِّمَاتِ الأَرْبَعِ، وَنَتَبَاحَثُ مَعَهُمْ وَنَقْرَأُ "**الهِدَايَةَ**" أَيْضًا مِنَ الفِقْهِ.

وَأُشَارِكُ العُلَمَاءَ أَيْضًا فِي القَوْلِ بِالإِحَاطَةِ وَالمَعِيَّةِ العِلمِيَّتَيْنِ.

وَكَذَلِكَ أَعْلَمُ أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ لَيْسَ عَيْنَ العَالَمِ، وَلاَ مُتَصِّلاً بِهِ، وَلاَ مُنْفَصِلاً عَنْهُ، وَلاَ مَعَ العَالَمِ، وَلاَ مُفَارِقًا عَنْهُ، وَلاَ مُحِيطًا بِهِ، وَلاَ سَارِيًا فِيهِ، وَأَعْلَمُ أَنَّ الذَّوَاتَ وَالصِّفَاتِ كُلَهَا مَخْلوقَةٌ لَهُ تَعَالَى، لاَ أَنَّ صِفَاتِ المَخْلوقَاتِ صِفَاتٌ لَهُ تَعَالَى وَأَفْعَالَهَا أَفْعَالُهُ سُبْحَانَهُ، بَل أَعْلَمُ أَنَّ الْمُؤَثِّرَ فِي الأَفْعَالِ إِنَّمَا هُوَ قُدْرَتُهُ تَعَالَى؛ لاَ تَأْثِيرَ لِقُدْرَةِ المَخْلوقِ؛ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ عُلَمَاءِ الْمُتَكَلمِينَ.

وَكَذَلِكَ أَعْلَم أَنَّ الصِّفَاتِ السَّبْعَ مَوْجُودَةٌ، وَأَعْلَمُ أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ مُرِيدٌ، وَأَتَصَوَّرُ القُدْرَةَ بِمَعْنَى صِحَّةِ الفِعْلِ وَالتَّرْكِ بِيَقِينٍ، لاَ بِمَعْنَى إِنْ شَاءَ فَعَلَ وَإِنْ لَمْ يَشَأْ لَمْ يَفْعَل، وَلاَ أَقُول إِنَّ الشَّرْطِيَّةَ الثَّانِيَةَ مُمْتَنِعَةُ الوُقُوعِ؛ كَمَا قَال بِهِ الحُكَمَاءِ،

يَعْنِي الفَلاَسِفَةَ السُّفَهَاءَ، وَبَعْضَ الصُّوفِيَّةِ؛ فَإِنَّ هَذَا يَنْجَرُّ إِلى القَوْلِ بِالإِيجَابِ، وَيُوَافِقُ أُصُولَ الحُكَمَاءِ، وَأَعْتَقِدُ مَسْأَلَةَ القَضَاءِ وَالقَدَرِ عَلى طَوْرِ العُلَمَاءِ؛ فَإِنَّ لِلمَالِكِ أَنْ يَتَصَرَّفَ فِي مِلْكِهِ كَيْفَ يَشَاءُ، وَلاَ أَرَى لِلقَابِلِيَّةِ وَالاسْتِعْدَادِ دَخْلاً أَصْلاً؛ فَإِنَّهُ يَنْجَرُّ إِلى الإِيجَابِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ مُخْتَارٌ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ، وَعَلى هَذَا القِيَاسُ.

وَلَمَّا كَانَ عَرْضُ الأَحْوَالِ مِنْ جُمْلَةِ الضَّرُورِيَّاتِ، اجْتَرَأْنَا بِعَرْضِهَا بِالضَّرُورَةِ (ع):

عَلى المَرْءِ أَنْ لاَ يَجْهَلَ الدَّهْرَ طَوْرَهُ

اَلْمَكْتُوبُ اَلتَّاسِعُ
فِي بَيَانِ الأَحْوَالِ الْمُنَاسَبَةِ لِمَقَامِ اَلنُّزُولِ
كَتَبَهُ أَيْضًا إِلَى شَيْخِهِ الْمُكَرَّمِ

عَرِيضَــةٌ: الْمُدِيرُ الأَسْوَدُ الوَجْهِ الْمُقَصِّرُ سَيِّئُ الخَلقِ مَغْرُورُ الوَقْتِ وَالحَالِ الكَامِلِ اَلاِجْتِهَادِ فِي مُخَالَفَةِ المَوْلَى * العَامِلِ بِتَرْكِ العَزِيمَةِ وَالأَوْلَى * مُزَيِّنُ مَوْقِعِ نَظَرِ الخَلقِ * وَمُخَرِّبُ مَحَلِ نَظَرِ الحَقِّ * تَعَالَى وَتَقَدَّسَ مَقْصُورُ الهِمَّةِ فِي تَزْيِينِ اَلظَّاهِرِ * مُنْحَرِفُ البَاطِنِ مِنْ هَذِهِ الجِهَةِ نَحْوَ الأَغْيَارِ قَوْلُهُ مُنَافٍ لِحَالِهِ * وَحَالُهُ مَبْنِيٌّ عَلَى خَيَالِهِ * فَمَاذَا يَحْصُلُ مِنْ هَذَا الْمَنَامِ وَالخَيَالِ * وَمَاذَا يَنْكَشِفُ مِنْ هَذَا القَالِ وَالحَالِ * نَقْدُ الوَقْتِ الأَدْبَارِ وَالخَسَارَةُ * وَالبِضَاعَةُ الغَبَاوَةُ وَالضَّلاَلَةُ * وَنَفْسُهُ مَبْدَأُ اَلشَّرِّ وَالفَسَادِ * وَمَنْشَأُ اَلظُّلمِ وَمَعْصِيَةِ رَبِّ العِبَادِ * وَبِالجُمْلَةِ إِنَّهُ ذُنُوبٌ مُجَسَّمَةٌ * وَعُيُوبٌ مُجْتَمِعَةٌ * خَيْرَاتُهُ لاَئِقَةٌ بِاللَعْنِ وَالرَّدِّ * وَحَسَنَاتُهُ مُسْتَحِقَّةٌ لِلطَّعْنِ وَالطَّرْدِ * " رُبَّ قَارِئِ القُرْآنِ وَالقُرْآنُ يَلعَنُهُ "[1] شَاهِدُ عَدْلٍ فِي حَقِّهِ " وَكَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلاَّ اَلظَّمَأُ وَالجُوعُ "[2] شَاهِدُ صِدْقٍ فِي شَأْنِهِ * فَوَيْلٌ لِمَنْ كَانَ هَذَا حَالَهُ وَمَنْزِلَتَهُ وَكَمَالَهُ وَدَرَجَتَهُ * اسْتِغْفَارُهُ ذَنْبٌ كَسَائِرِ اَلذُّنُوبِ بَلْ أَشَدُّ * وَتَوْبَتُهُ مَعْصِيَةٌ كَسَائِرِ الْمَعَاصِي بَلْ أَقْبَحُ * كُلُ مَا يَفْعَلُهُ القَبِيحُ قَبِيحٌ، مِصْدَاقُ هَذَا القَوْلِ (ع):

---

(١) ــ **لا أصل له:** ذكره الغزالي في الإحياء من قول أنس بن مالك رضي الله عنه وسكت عنه مخرجوا أحاديثه قاطبة.

(٢) ــ أخرجه ابن ماجه في كتاب الصيام، باب: ما جاء في الغيبة والرفث للصائم، والنسائي، والدارمي: كتاب الرقاق باب: المحافظة على الصوم، بلفظ: " رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلاَّ الجُوعُ "، وَفي بعض طرقه إلا العطش وذكره ابن حجر عن النسائي وابن ماجه بلفظ: " كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش " وفي رواية الدارمي: " كم من صائم ليس له من صيامه إلا الظمأ "، وعند أحمد في باقي مسند المكثرين وعند الطبراني والبيهقي عن عبد الله بن عمر ــ رضي الله عنه ــ بلفظ: " رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ وَرُبَّ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ " وصححه السيوطي في الجامع الصغير حديث رقم: ٤٤٠٤، وانظر كذلك كشف الخفا مزيل الألباس للعجلوني: (ح ١٣٦٥)، تخريج أحاديث الإحياء للحافظ العراقي كتاب أسرار الصيام حديث: ٣، وكنز العمال للمتقي الهندي: (ح ٧٤٩٠)، وأخرجه، وقول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم: " لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلاَّ الجُوعُ " أي: ليس لصومه قبول عند الله؛ فلا ثواب له، قال الغزالي: قيل: هو الذي يفطر على حرام، أو من يفطر على لحوم الناس بالغيبة، أو من لا يحفظ جوارحه عن الآثام، وانظر: فيض القدير للمناوي الموضع السابق.

مَنْ يَزْرَعُ اَلشَّوْكَ لَمْ يَحْصُدْ بِهِ عِنَبًا

مَرَضُهُ ذَاتِيٌّ لاَ يَقْبَلُ العِلاَجَ وَدَاؤُهُ أَصْلِيٌّ لاَ يَنْفَعُهُ اَلدَّوَاءُ ؛ كَفَاسِدِ المِزَاجِ مَا بِالذَّاتِ لاَ يَنْفَكُّ عَنِ الذَّاتِ.

شِعْرٌ.

أَنَّى يَزُولُ مِنَ الحُبُوشِ سَوَادُهَا إِنَّ اَلسَّوَادَ بِأَصْلِهِ هُوَ لَوْنُهَا

مَاذَا نَصْنَعُ: {وَمَا ظَلَمَهُمُ اَللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}[1] نَعَمْ الخَيْرُ المَحْضُ يَسْتَدْعِي شَرِّيرًا مَحْضًا ؛ لِتَظْهَرَ حَقِيقَةُ الخَيْرِيَّةِ لأَشْيَاءِ إِنَّمَا تَتَبَيَّنُ بِضِدِّهَا ؛ فَالخَيْرُ وَالكَمَالُ إِذَا كَانَا مُهَيَّأَيْنِ يَلزَمُهُمَا اَلشَّرُّ وَالنَّقْصُ فَإِنَّ الحُسْنَ وَالجَمَالَ لاَ بُدَّ لَهُمَا مِنَ المِرْآةِ وَالمِرْآةُ لاَ تَكُونُ إِلاَّ فِي مُقَابَلَةِ شَيْءٍ فَلاَ جَرَمَ كَانَ اَلشَّرُّ مِرْآةً لِلخَيْرِ وَالنَّقْصُ مِرْآةً لِلكَمَالِ. فَمَا زَادَ فِيهِ اَلنَّقْصُ وَالشَّرُّ يَكُونُ الكَمَالُ فِيهِ أَزْيَدَ وَالخَيْرُ أَوْفَرَ وَالعَجَبُ أَنَّ هَذَا اَلذَّمَّ كَشَفَ عَنْ وَجْهِ مَعْنَى المَدْحِ وَصَارَ اَلشَّرُّ وَالنُّقْصَانُ مَحَلاً لِلخَيْرِ وَالكَمَالِ. فَلاَ جَرَمَ يَكُونُ مَقَامُ العَبْدِيَّةِ فَوْقَ جَمِيعِ المَقَامَاتِ فَإِنَّ هَذَا المَعْنَى أَتَمُّ وَأَكْمَلُ فِي مَقَامِ العَبْدِيَّةِ وَإِنَّمَا يَتَشَرَّفُ بِهَذَا المَقَامِ المَحْبُوبُونَ وَتَلَذُّذُ المُحِبِّينَ إِنَّمَا هُوَ بِذَوْقِ الشُّهُودِ وَالالتِذَاذُ بِالعَبْدِيَّةِ وَالأُنْسُ بِهَا مُخْتَصَّانِ بِالمَحْبُوبِينَ. أُنْسُ المُحِبِّينَ فِي مُشَاهَدَةِ المَحْبُوبِ وَأُنْسُ المَحْبُوبِينَ فِي عُبُودِيَّةِ المَحْبُوبِ. فَهُمْ يَتَشَرَّفُونَ فِي هَذَا الأُنْسِ بِتِلْكَ اَلدَّوْلَةِ وَالنِّعْمَةِ.

وَفَارِسُ هَذَا المَيْدَانِ عَلَى الإِطْلاَقِ هُوَ سَنَدُ اَلدُّنْيَا وَالدِّينِ وَسَيِّدُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ وَحَبِيبُ رَبِّ العَالَمِينَ عَلَيْهِ مِنَ اَلصَّلَوَاتِ أَتَمُّهَا وَمِنَ اَلتَّحِيَّاتِ أَكْمَلُهَا. فَإِنْ أُرِيدَ إِيصَالُ شَخْصٍ إِلَى هَذِهِ اَلدَّوْلَةِ بِمَحْضِ الفَضْلِ يُجْعَلُ أَوَّلاً مُتَحَقِّقًا بِكَمَالِ مُتَابَعَتِهِ – عَلَيْهِ اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ –، ثُمَّ يُرْفَعُ بِتِلْكَ المُتَابَعَةِ إِلَى ذُرْوَةِ العُلاَ: {ذَلِكَ فَضْلُ اَللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاَللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ}[2].

وَالمُرَادُ مِنَ اَلشَّرِّ وَالنَّقْصِ العِلمُ اَلذَّوْقِيُّ بِهِمَا لاَ اَلاتِّصَافُ بِهِمَا، وَصَاحِبُ هَذَا العِلمِ مُتَخَلِّقٌ بِأَخْلاَقِ اَللَّهِ تَعَالَى شَأْنُهُ وَتَقَدَّسَ وَهَذَا العِلمُ مِنْ جُمْلَةِ ثَمَرَاتِ ذَلِكَ اَلتَّخَلُّقِ. فَكَيْفَ يَكُونُ لِلشَّرِّ وَالنَّقْصِ مَجَالٌ فِي ذَلِكَ المَوْطِنِ سِوَى تَعَلُّقِ العِلمِ بِهِمَا.

---

(١) ـــ الآية: ٣٣ من سورة النحل.

(٢) ـــ الآية: ٢١ من سورة الحديد، والآية: ٤ من سورة الجمعة.

وَهَذَا العلمُ إِنَّمَا هُوَ بواسطَة اَلشُّهُود اَلتَّامِّ للخَيْرِ المَحْضِ اَلذي يَرَى الكُل في جَنْبه شَرًّا. وَهَذَا اَلشُّهُودُ بَعْدَ نُزُول النَّفْسِ المُطْمَئنَّة إِلى مَقَامِهَا؛ وَلذَلكَ مَا دَامَ العَبْدُ لَمْ يُسْقطْ حَظَّ نَفْسه وَلَمْ يَضْرِبْ به الأَرْضَ وَلَمْ يَبْلغْ أَمْرُهُ هَذه المَرْتَبَةَ لاَ نَصيبَ لهُ منْ كَمَال مَوْلاَهُ جَل شَأْنُهُ فَكَيْفَ إِذَا اعْتَقَدَ نَفْسَهُ أَنَّهُ عَيْنُ مَوْلاَهُ وَصفَاتُهُ صفَاتُهُ تَعَالى اللهُ عَنْ ذَلكَ عُلوًّا كَبيرًا، وَهَذَا الاعْتقَادُ إِلحَادٌ في الأَسْمَاء وَالصِّفَات وَأَرْبَابُهُ دَاخلونَ في زُمْرَة مصْدَاق قَوْله تَعَالى {وَذَر الذينَ يُلحدُونَ في أَسْمَائه}[1].

وَليْسَ كُل مَنْ تَقَدَّمَتْ جَذْبَتُهُ عَلى سُلوكه منَ المَحْبُوبينَ وَلكنَّ تَقَدُّمَ الجَذْبَة شَرْطٌ في المَحْبُوبيَّة نَعَمْ في كُل جَذْبَة نَوْعٌ منْ مَعْنَى المَحْبُوبيَّة. فَإِنَّ الجَذْبَ لاَ يَكُونُ بدُونه وَذَلكَ المَعْنَى حَصَل فيهمْ بسَبَب عَارضٍ منَ العَوَارضِ لاَ ذَاتيٌّ، والذَّاتيُّ غَيْرُ مُعَلل بشَيْءٍ منَ الأَشْيَاء ؛ أَلاَ تَرَى أَنَّ كُل مُنْتَه تَتَيَسَّرُ لهُ الجَذْبَةُ أَخيرًا مَعَ كَوْنه دَاخلاً في زُمْرَة المُحبِّينَ ظَهَرَ فيه مَعْنَى المَحْبُوبيَّة بوَاسطَة عَارضٍ وَهُوَ لاَ يَكْفي فيه يَعْني حُصُول هَذَا المَعْنَى لاَ يَكْفي في كَوْن اَلسَّالك مَحْبُوبًا، وَذَلكَ العَارضُ هُوَ اَلتَّزْكيَةُ وَالتَّصْفيَةُ، وَيَكُونُ البَاعثُ عَلى حُصُول هَذَا المَعْنَى لبَعْض المُبْتَدئينَ في الجُمْلة اتِّبَاعَ اَلنَّبيِّ ﷺ وَلوْ في الجُمْلة بَل البَاعثُ عَليْه في المُنْتَهَى أَيْضًا هُوَ اَلاتِّبَاعُ فَقَطْ، وَظُهُورُ ذَلكَ المَعْنَى الذَّاتيِّ وَالفَضْليِّ في المَحْبُوبينَ أيضًا مَنُوطٌ باتِّبَاعه ﷺ بَل أَقُول: إِنَّ ذَلكَ المَعْنَى الذَّاتيَّ بوَاسطَة المُنَاسَبَة اَلذَّاتيَّة للنَّبيِّ ﷺ وَالاسْمُ اَلذي هُوَ رَبُّهُ وَاقعٌ مُنَاسبًا للاسْمِ اَلذي هُوَ رَبُّهُ ﷺ في حَقِّ تلكَ الخُصُوصيَّة وَبهَذَا اَلسَّبَب اكْتَسَبَ هَذه اَلسَّعَادَةَ وَاَللهُ أَعْلمُ بالصَّوَاب وَإِليْه المَرْجعُ وَالمَآبُ وَاَللهُ يُحقُّ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدي اَلسَّبيل.

---

(١) ــ الآية: ١٨٠ من سورة الأعراف.

اَلْمَكْتُوبُ الْعَاشِرُ
فِي حُصُولِ الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ
وَالْفَرْقِ وَالْوَصْلِ بِمَعَانٍ غَيْرِ مُتَعَارِفَةٍ
مَعَ بَعْضِ الْعُلُومِ الْمُنَاسِبِ لِذَلِكَ الْمَقَامِ
كَتَبَهُ أَيْضًا إِلَى شَيْخِهِ الْمُعَظَّمِ

عَرِيضَةُ أَحْقَرِ الْخَدَمَةِ: أَنَّهُ قَدْ طَالَتْ الْمُدَّةُ وَلاَ اطِّلاَعَ لِي عَلَى أَحْوَالِ خَدَمَةِ تِلْكَ الْعَتَبَةِ الْعَلِيَّةِ مَعَ كَثْرَةِ الاِنْتِظَارِ.

شِعْرٌ.

وَلاَ عَجَبَ أَنْ عَادَ رُوحِي إِذَا أَتَى سَلاَمٌ مِنَ الْخِلِ الْوَفِيِّ الْمُفَارِقِ
عَلِمْتُ بِأَنِّي غَيْرُ لاَحِقِ رَكْبِهِ فَيَكْفِي سَمَاعِي مَنْ وَرَاهُ تَدَاعَى

وَاعْجَبْ بِأَمْرٍ؛ حَيْثُ سَمَّوْا نِهَايَةَ الْبُعْدِ قُرْبًا وَغَايَةَ الْفِرَاقِ وَصْلاً!! وَكَأَنَّهُمْ أَشَارُوا فِي ضِمْنِ ذَلِكَ إِلَى نَفْيِ الْقُرْبِ وَالْوِصَالِ. شِعْرٌ.

كَيْفَ الْوُصُولُ إِلَى سُعَادَ وَدُونَهَا قُلَلُ الْجِبَالِ وَدُونَهُنَّ حُيُوفُ

فَلاَ جَرَمَ كَانَ الْحُزْنُ الأَبَدِيُّ وَالْفِكْرُ الدَّائِمِيُّ مُمِدًّا وَمُعِينًا، وَلاَ بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ فِي آخِرِ الأَمْرِ مُرِيدًا أَيْضًا بِإِرَادَتِهِ وَالْمَحْبُوبُ مُحِبًّا وَمُبْتَلَى بِمَحَبَّةِ الْمَحْبُوبِ. وَهَذَا النَّبِيُّ ﷺ مَعَ وُجُودِ مَقَامِ الْمُرَادِيَّةِ وَالْمَحْبُوبِيَّةِ صَارَ مُرِيدًا وَمُحِبًّا فَلاَ جَرَمَ أَخْبَرُوا عَنْ حَالِهِ بِأَنَّهُ "كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُتَوَاصِلَ الْحُزْنِ دَائِمَ الْفِكْرِ "[١] وَقَالَ النَّبِيُّ ـــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـــ: " مَا أُوذِيَ نَبِيٌّ مِثْلَمَا أُوذِيتُ "[٢].

---

(١) ـــ هذا طرف من حديث طويل في شمائل حليته صلى الله عليه وسلم عزاه السيوطى في جمع الجوامع إلى ابن سعد والترمذى في الشمائل والبيهقى في الدلائل والشعب والطبرانى في الكبير والرويانى وابن عساكر عن الحسن ابن على عن خاله ابن أبي هالة بلفظ كان متواصل الأحزان دائم الفكر ولا عبرة بإنكار المنكر بمجرد عقله بعد ثبوته بنقل الثقات وتقرير العلماء الإثبات اهـــ.

ويؤيده ما أخرجه سعيد بن منصور وأحمد وعبد بن حميد والبخاري ومسلم وأبو داود وابن المنذر وابن مردويه عن عائشة ـــ رضي الله عنها ـــ أنها قالت: " مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ـــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـــ مُسْتَجْمِعًا ضَاحِكًا حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ، إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ ".

(٢) ـــ أخرجه ابن عدى وابن عساكر عن جابر رضه بلفظ ما أوذى أحد ما أوذيت وأخرجه أحمد والترمذى وابن حبان عن أنس مرفوعا لقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد واخفت في الله وما يخاف أحد.

وَالْمُحِبُّونَ هُمُ الْمُتَحَمِّلونَ لِثقَلِ الْمَحَبَّةِ، وَحَمْلِ هَذَا الثِّقْلِ عَسِيرٌ عَلى الْمَحْبُوبِينَ، (ع):

فَيَا لَهَا قِصَّةٌ فِي شَرْحِهَا طُول

(ع):

وَقِصَّةُ العِشْقِ مِمَّا لاَ انْفِصَامَ لَهُ

وَحَامِلِ العَرِيضَةَ اَلشَّيْخُ اله بخش قَدْ حَصَلَ لهُ نَوْعٌ مِنَ الجَذْبِ وَالْمَحَبَّةِ وَقَدْ صَارَ بَاعِثًا عَلى كِتَابَة كَلِمَات إلى خِدْمَتِكُمْ بِالإبْرَامِ.

وَحَاصِلِ الْمَرَامِ أَنَّهُ أَظْهَرَ شَوْقَ الْمُلاَزَمَة وَتَوَجَّهَ نَحْوَ تِلك الحُدُود وَقَدْ كَانَ أَوَّلاً أَظْهَرَ بَعْضَ الإِرَادَات وَلَمَّا فَهِمَ مِنْ هَذَا الفَقِيرِ تَقَاعَدَا فِيه وَتَأَخَّرَا عَنْ إنْجَاحه رَضِيَ بِمُجَرَّدِ الْمُلاَقَاة فَكَتَبْنَا لأَجْلِ ذَلكَ هَذه الكَلِمَات وَزِيَادَةُ الانْبِسَاط بَعِيدَةٌ عَنْ طَوْرِ الأَدَب.

اَلْمَكْتُوبُ الحَادِيَ عَشَرَ
فى بَيَانِ بَعْضِ الكُشُوف
وَحُصُول مَقَامِ رُؤْيَة قُصُورِ نَفْسِه وَاتِّهَامِهَا فِي جَمِيعِ الأَحْوَال
وَظُهُورِ مَعْنَى الكَلِمَات اَلثَّلاثَ للشَّيْخِ أَبِي سَعِيدُ أَبِي الخَيْرِ
وَسِرِّهَا وَبَيَان أَحْوَال بَعْضِ أَصْحَابِه
كَتَبَهُ إِلى شَيْخِه المُكَرَّمِ أيضًا

عَرِيضَةُ أَقَل العَبِيد أَحْمَدَ: إِنَّ المَقَامَ اَلذي كُنْتُ رَأَيْتَني فيه سَابقًا وَقَعَ اَلنَّظَرُ عَلى عُبُورِ الخُلَفَاء اَلثَّلاَثَة مِنْهُ بَعْدَ المُلاَحَظَة حَسَبَ الأَمْرِ اَلشَّرِيف، وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ لي فيه مَقَامٌ وَاسْتِقْرَارٌ لَمْ أَرَهُمْ فيه فِي أَوَّل وَهْلَة كَمَا أَنَّهُ لاَ اسْتِقْرَارَ فيه وَلاَ ثَبَاتَ لأَحَدٍ منْ أَئمَّة أَهْلِ البَيْت غَيْرَ الإِمَامَيْنِ[1] وَالإِمَام زَيْنِ العَابِدينَ[2] ــ رَضِيَ اَللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعينَ ــ وَلكنْ وَقَعَ لَهُمُ العُبُورُ مِنْهُ وَيُمْكِنُ إِدْرَاكُهُ بدقَّة اَلنَّظَرِ.

وَأَمَّا وَجْهُ رُؤْيَةِ نَفْسِي أَوَّلاً غَيْرُ مُنَاسِبٍ لهَذَا المَقَامِ فَعَدَمُ المُنَاسَبَةِ عَلى نَوْعَيْنِ:

أَحَدُهُمَا - عَدَمُ ظُهُورِ طَرِيقٍ مِنَ اَلطُّرُقِ فَلوْ أُرِيتُ اَلطَّرِيقَ لزَال عَدَمُ المُنَاسَبَة.

---

(١) ــ يعني الإمام الحسن والإمام الحسين ابني على بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعا.

(٢) ــ **الإمام زين العابدين علي بن الحسين**: أمه اسمها غزالة، وهو علي الأصغر، وأما الأكبر فإنه قُتلَ مع أبيه الحسين عليهما السلام، وكان علي هذا مع أبيه وهو ابن ثلاث وعشرين سنة إلا أنه كان مريضا نائما على فراش فلم يقتل، وكان يكنى أبا الحسين وقيل أبا محمد، ومن مناقبه:

عن عبدالرحمن بن حفص القرشي قال: كان علي بن الحسين إذا توضأ يصفر فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء ؟ فيقول: تدرون بين يدي من أريد أن أقوم ؟!

وعن أبي نوح الأنصاري قال: وقع حريق في بيت فيه علي بن الحسين وهو ساجد، فجعل الناس يقولون له: يا ابن رسول الله النار، يا ابن رسول الله النار، فما رفع رأسه حتى أطفئت، فقيل له: ما الذي ألهاك عنها ؟ فقال: ألهتني عنها النار الأخرى.

انظر في ترجمته: ابن الجوزي: صفة الصفوة: ٦٦/٢، الشيخ عبد المجيد بن محمد بن محمد الخاني الشافعي النقشبندي: الكواكب الدرية على الحدائق الوردية: ١١٧، الشيخ يس السنهوتي النقشبندي: الأنوار القدسية في مناقب السادة النقشبندية: ٣٢.

وَثَانيهمَا - عَدَمُ مُنَاسَبَة مُطْلقًا. وَهَذَا أَلاَ يَقْبَلَ اَلزَّوَال بوَجْه منَ الوُجُوه.
وَالطَّرِيقُ الْمُوصل لذَلكَ الْمَقَامِ اثْنَان لاَ ثَالثَ لَهُمَا، أَعْنِي أَنَّهُ لاَ يَظْهَرُ فِي اَلنَّظَرِ طَرِيقٌ غَيْرُ هَذَيْنِ اَلطَّرِيقَيْنِ:
أَحَدُهُمَا - رُؤْيَةُ اَلنَّقْصِ وَالقُصُورِ وَاتِّهَامُ اَلنِّيَّاتِ فِي الْخَيْرَاتِ مَعَ قُوَّة الجَذْب.
وَثَانيهمَا - صُحْبَةُ مُكَمِّل مَجْذُوب قَدْ أَتَمَّ اَلسُّلوكَ.
وَقَدْ رَزَقَنِي اَللهُ سُبْحَانَهُ اَلطَّرِيقَ الأَوَّلَ عَلى قَدْرِ اَلاسْتعْدَاد بيُمْنِ عنَايَتكُمْ العَليَّة، فَإِنَّهُ لاَ يَصْدُرُ عَنِّي مِنْ أَعْمَال الخَيْرِ إلاَّ أَتَّهِمُ فيه نَفْسِي بَل لاَ أَسْتَرِيحُ وَلاَ يَسْتَقِرُّ قَلْبِي إِلى أَنْ أَتَّهِمَ فِيه نَفْسِي، وأُرَانِي كَأَنَّهُ لَمْ يَصْدُرْ عَنِّي عَمَل قَابل لكتَابَة ملك اليَمين، وَأَعْتَقدُ أَنَّ صَحيفَةَ يَمِيني خَاليَةٌ عَنْ أَعْمَال الخَيْرِ كَتَبَتُهَا مُعَطَّلونَ منَ الكتَابَة فَكَيْفَ أَكُونُ مُسْتَحقًّا لقَبُول الحَقِّ - جَل وَعَلاَ -. وَاعْلَمْ أَنَّ جَميعَ مَنْ في العَالمِ مِنْ كفَّارِ الإِفرنْجِ وَالزَّنَادقَة وَالْمَلاَحدَة أَفْضَل منِّي بوُجُوه، وَشَرُّ الجَميعِ أَنَا.
وَجهَةُ الجَذْبَة وَإِنْ تَمَّتْ بتَمَامِ اَلسَّيْرِ إِلى اَللهِ وَلكنْ كَانَ بَعْضُ لوَازمه وتَوَابعه بَاقيًا وَتَمَّ الآنَ ذلكَ البَاقِي أَيْضًا فِي ضمْنِ الفَنَاء اَلذي وَقَعَ فِي مَرْكَز مَقَام اَلسَّيْرِ فِي اَللهِ وَكُنْتُ كَتَبْتُ أَحْوَال ذَلكَ الفَنَاء في العَرِيضَة اَلسَّابقَة بالتَّمَام، وَلعَل الْمُرَادَ بالفَنَاء الوَاقعِ فِي كَلاَمِ الخواجهْ عُبَيد اَللهِ أَحْرَار(١) - قُدِّسَ سرُّهُ - حَيْثُ قَال:" قَال الأَكَابرُ: نهَايَةُ هَذَا الأَمْرِ الفَنَاءُ " هُوَ ذَلكَ الفَنَاءُ اَلذي يَتَحقَّقُ بَعْدَ اَلتَّجَلي الذَّاتيِّ.
وَالتَّحَقُّقُ بالسَّيْرِ فِي اَللهِ وَفَنَاءِ الإِرَادَة منْ جُمْلَة شُعَبِ ذَلكَ الفَنَاء.
شعْرٌ.

وَمَنْ لَمْ يَكُنْ في حُبِّ مَوْلاَهُ فَانيًا   فَليْسَ لهُ في كبْريَاهُ سَبيل

وَالذينَ لاَ مُنَاسَبَةَ لَهُمْ بهَذَا الْمَقَام فَهُمْ فِي اَلنَّظَر طَائفَتَان طَائفَةٌ مُتَوَجِّهُونَ إِليْه وَطَالبُونَ لطَرِيقِ الوُصُول إِليْه. وَطَائفَةٌ أُخْرَى لاَ التفَاتَ لَهُمْ إِليْه وَلاَ تَوَجُّهَ فيهِم نَحْوَهُ. وَتَوَجُّهُ الحَضْرَة - يَعْني شَيْخَهُ - أَشَدُّ ظُهُورًا منَ اَلطَّرِيق اَلثَّاني منْ طَرِيقَي الوُصُول إِليْه وَتَظْهَرُ مُنَاسَبَتُهُ لهَذَا اَلطَّرِيق، وَحَيْثُ كُنْتُ مَأْمُورًا منْ جَانب

(١) ــ الشيخ العارف بالله خواجه ناصر الدين عبيد الله بن محمود بن شهاب الدين أحمد الشاشي السمرقندي النقشبندي: الزاهد الملقب بالأحرار المتوفى في سلخ ربيع الأول من سنة ٨٩٥ هــ، في قرية كمان كشان ودفن بسمرقند، من مصنفاته: أنيس السالكين في التصوف، العروة الوثقى لأرباب الارتقا.

حَضْرَتِكُمْ نَتَجَاسَرُ بِأَمْثَالِ هَذِهِ الأُمُورِ امْتِثَالاً لِلأَمْرِ وَإِلاَّ فَأَنَا ذَاكَ أَحْمَدُ الأَمْسِ لَمْ أَتَغَيَّرْ أَصْلاً.

وَالمَعْرُوضُ ثَانِيًا - أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ فِي أَثْنَاءِ مُلاَحَظَةِ ذَلِكَ المَقَامِ مَرَّةً ثَانِيَةً مَقَامَاتٌ أُخَرُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ وَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَى المَقَامِ الَّذِي فَوْقَ المَقَامِ السَّابِقِ بَعْدَ التَّوَجُّهِ بِالانْكِسَارِ وَإِظْهَارِ الافْتِقَارِ تَبَيَّنَ لِي أَنَّهُ مَقَامُ حَضْرَةِ ذِي النُّورَيْنِ[١] ـــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـــ وَلِلخُلَفَاءِ البَاقِينَ عُبُورٌ مِنْ ذَلِكَ المَقَامِ. وَهَذَا المَقَامُ مَقَامُ التَّكْمِيلِ وَالإِرْشَادِ أَيْضًا فِي هَذِهِ المَرْتَبَةِ، وَكَذَلِكَ المَقَامَانِ اللَّذَانِ يُذْكَرَانِ بَعْدُ. ثُمَّ وَقَعَ النَّظَرُ عَلَى مَقَامٍ فَوْقَهُ وَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَيْهِ تَبَيَّنَ لِي أَنَّهُ مَقَامُ حَضْرَةِ الفَارُوقِ[٢] ـــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـــ وَلِلخُلَفَاءِ البَاقِينَ عُبُورٌ مِنْ ذَلِكَ المَقَامِ. ثُمَّ ظَهَرَ فَوْقَهُ مَقَامُ الصِّدِّيقِ الأَكْبَرِ[٣] ـــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـــ وَوَصَلْتُ إِلَيْهِ أَيْضًا وَوَجَدْتُ الخواجهْ بَهَاءَ الدِّينِ النَّقْشَبَنْدِيَّ[٤] - قُدِّسَ سِرُّهُ - رَفِيقًا لِي مِنْ بَيْنِ المَشَايِخِ فِي جَمِيعِ المَقَامَاتِ. وَلِسَائِرِ الخُلَفَاءِ عُبُورٌ مِنْ هَذَا المَقَامِ. لاَ تَفَاوُتَ إِلاَّ فِي العُبُورِ وَالمَقَامِ وَالمُرُورِ وَالثَّبَاتِ. وَلاَ يُرَى فَوْقَهُ مَقَامٌ أَصْلاً إِلاَّ مَقَامَ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَالمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَكْمَلُهَا وَمِنَ التَّحِيَّاتِ أَتَمُّهَا وَظَهَرَ فِي مُحَاذَاةِ مَقَامِ الصِّدِّيقِ الأَكْبَرِ ـــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـــ مَقَامٌ آخَرُ نُورَانِيٌّ عَالٍ جِدًّا لَمْ أَرَ مِثْلَهُ قَطُّ، وَكَانَ لَهُ ارْتِفَاعٌ يَسِيرٌ مِنْ ذَلِكَ المَقَامِ كَمَا إِذَا رَفَعُوا اللَّوْحَ

---

(١) ـــ **عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، أمير المؤمنين، ذو النورين:** ثالث الخلفاء الراشدين ولد بمكة وأسلم بعد البعثة بقليل، ولي الخلافة بعد عمر بن الخطاب سنة ٢٣ هـــ، استشهد سنة ٣٥ هـــ، انظر صفة الصفوة (١/١٢٣).

(٢) ـــ **عمر بن الخطاب القرشي العدوي أبو حفص:** أول من لقب بأمير المؤمنين، كان إسلامه عزا ظهر به الإسلام هاجر مع الأولين، وشهد المشاهد، ولي الخلافة بعد أبي بكر، فمصر الأمصار ودون الدواوين، توفي ـــ رضي الله عنه ـــ مقتولا سنة ٢٣ هـــ، انظر: صفة الصفوة: ١/١١٣ـــ١٢٣.

(٣) ـــ **أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة، أبو بكر الصديق** ﷺ: أول من أسلم من الرجال، والصاحب في الهجرة، شهد بدرا والمشاهد، له من المناقب والفضائل الكثير، والصحابة مجمعون على أنه أفضل هذه الأمة بعد النبي، استخلف على المسلمين في سقيفة بني ساعدة ومكث في الخلافة سنتين وثلاثة أشهر وسبع ليال، قضى على الردة، توفي سنة ١٣ هـــ، نظر: الاستيعاب (٢/٢٣٤ـــ٢٤٨)، وفيات الأعيان (٣/٦٤)، صفة الصفوة (١/١٠٠ـــ١١٣).

(٤) ـــ **بهاء الدين النقشبندي:** محمد بن خواجه أحمد الظهوري الفاروقي العارف بالله الشيخ بهاء الدين النقشبندي الصوفي ولد سنة ٧٢٨ هـــ وتوفي سنة ٧٩١ هـــ، من تصانيفه: الأوراد البهائية، سلك الأنوار في التصوف، هداية السالكين وتحفة الطالبين في التصوف. انظر ترجمته في: إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين: ٦/١٧٣، كحالة: معجم المؤلفين: ٣/٧١.

مِنَ الأَرْضِ وَتَبَيَّنَ لِي أَنَّهُ مَقَامُ المَحْبُوبِيَّة وَكَانَ ذَلِكَ المَقَامُ مُزَيَّنًا وَمُنَقَّشًا فَوَجَدْتُ نَفْسِي أَيْضًا مُزَيَّنًا وَمُنَقَّشًا مِنَ انْعِكَاسِه ثُمَّ وَجَدْتُ نَفْسِي بَعْدَ ذَلِكَ لَطِيفًا فِي تِلْكَ الكَيْفِيَّة ورَأَيْتُنِي مُنْتَشِرًا فِي الآفَاقِ مِثْلَ الهَوَاءِ وَقِطْعَةِ السَّحَابِ حَتَّى اسْتَوْعَبْتُ بَعْضَ الأَطْرَافِ، وَحَضْرَةَ الخواجهْ النَّقْشَبَنْدِيَّ فِي مَقَامِ الصِّدِّيقِ وَأَجِدُنِي فِي المَقَامِ المُحَاذِي لَهُ بِكَيْفِيَّة مَعْرُوضَة.

وَالمَعْرُوضُ ثَالِثًا - أَنَّهُ لاَ يُرَى تَرْكُ الاشْتِغَالِ بِهَذَا العَمَلِ مَرْضِيًا كَيْفَ وَالعَالِمُ عَلَى شَرَفِ الغَرَقِ فِي لُجَّةِ الضَّلاَلَة وَمَنْ وَجَدَ فِي نَفْسِه قُوَّةَ الإِخْرَاجِ مِنْ تِلْكَ اللُّجَّة كَيْفَ يَسُوغُ لَهُ أَنْ يُسَامِحَ نَفْسَهُ وَإِنْ كَانَ لَهُ أَمْرٌ آخَرُ أَمَامَهُ، وَلَكِنَّ الاشْتِغَالَ بِهَذَا العَمَلِ ضَرُورِيٌّ وَمَرْضِيٌّ بِشَرْطِ التِزَامِ الاسْتِغْفَارِ مِنْ بَعْضِ الوَسَاوِسِ وَالهَوَاجِسِ الذِي يَحْصُلُ فِي أَثْنَاءِ هَذَا العَمَلِ وَبِهَذَا الشَّرْطِ يَكُونُ دَاخِلاً تَحْتَ الرِّضَا وَأَمَّا بِدُونِ مُلاَحَظَة هَذَا الشَّرْطِ فَلاَ، بَل يَبْقَى أَدْوَنَ. وَأَمَّا الخواجهْ النَّقْشَبَنْدِيُّ وَالخواجهْ عَلاَءُ الدِّينِ العَطَّارُ[1] - قُدِّسَ سِرُّهُمَا - فَهَذَا العَمَلُ مَرْضِيٌّ مِنْهُمَا مِنْ غَيْرِ مُلاَحَظَة هَذَا الشَّرْطِ.

وَأَمَّا عَمَلُ هَذَا الفَقِيرِ فَأَحْيَانًا دَاخِلٌ فِي الرِّضَا مِنْ غَيْرِ مُلاَحَظَة هَذَا الشَّرْطِ وَأَحْيَانًا يَبْقَى أَدْوَنَ.

ورابعًا - أَنَّهُ ذَكَرَ فِي النَّفَحَاتِ أَنَّ الشَّيْخَ أَبَا سَعِيد أَبَا الخَيْرِ قَالَ:" إِذَا لَمْ يَبْقَ العَيْنُ فَأَيْنَ يَبْقَى الأَثَرُ لاَ تَبْقَى وَلاَ تَذَرُ " وَقَدْ أَشْكَلَ عَلَيَّ هَذَا الكَلاَمُ فِي أَوَّلِ النَّظَرِ فَإِنَّ الشَّيْخَ مُحْيِي الدِّينِ[2] وَأَتْبَاعَهُ ذَاهِبُونَ إِلَى أَنَّ زَوَالَ العَيْنِ الذِي هُوَ مَعْلُومٌ

---

(١) ـــ **الشيخ محمد بن محمد علاء الدين البخاري الخوارزمي العطار**: ولد ونشأ في حجر والده ن ولما توفي والده ترك ثلاثة أنجال فخرج من ميراثه لأخويه واختار التجرد لتحصيل العلوم في مدارس بخارى حتى نبغ في عديد من الفنون، وأخذ الطريق على يد الشاه نقشبند، فهو الذي تولى تربيته وزوجه ابنته وفي ذلك قصة طريفة - ينظر: الأنوار القدسية في مناقب السادة النقشبندية للشيخ يس السنهوتي ص١٤٥، ١٤٦.

(٢) **محيي الدين ابن عربي**: الشيخ الأكبر محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الطائي الحاتمي المرسي المعروف بابن عربي ،حكيم ،صوفي ،متكلم ،فقيه ،مفسر ،أديب ،شاعر ،مشارك في علوم أخرى ،ولد في مرسية بالأندلس في رمضان ،وانتقل إلى إشبيلية ،وسمع من ابن بشكوال ،ورحل إلى مصر والحجاز وبغداد والموصل وبلاد الروم ،أنكر عليه أهل مصر آراءه ؛فعمل بعضهم على إراقة دمه ،وحبس فسعى في خلاصه علي بن الفتح البجائي فنجا واستقر بدمشق وتوفي بها في ٢٢ ربيع الآخر سنة [٦٣٨هـ ـــ ١٢٤٠م] ،ودفن بسفح قاسيون.

مِنْ مَعْلُومَاتِ اَللهِ تَعَالَى مُحَالٌ، وَإِلاَّ لاَنْقَلَبَ العِلْمُ جَهْلاً. فَإِذَا لَمْ يَزَلِ العَيْنُ أَيْنَ يَذْهَبُ الأَثَرُ ؟!

وَقَدْ كَانَ هَذَا الكَلاَمُ مُتَمَكِّنًا فِي اَلذِّهْنِ بِهَذَا الوَجْهِ فَلَمْ يَنْحَل كَلاَمُ اَلشَّيْخِ أَبِي سَعِيد قَطُّ. ثُمَّ كَشَفَ اَللهُ سُبْحَانَهُ عَنْ وَجْهِ سِرِّ هَذَا الكَلاَمِ بَعْدَ اَلتَّوَجُّهِ اَلتَّامِّ وَتَحَقَّقَ أَنَّهُ لاَ يَبْقَى العَيْنُ وَلاَ الأَثَرُ.

وَوَجَدْتُ هذا المَعْنَى فِي نَفْسِي أَيْضًا فَلَمْ يَبْقَ اَلإِشْكَال أَصْلاً. وَقَدْ وَقَعَ اَلنَّظَرُ عَلَى مَقَامِ هَذِهِ المَعْرِفَةِ أَيْضًا رَأَيْتُهُ عَالِيًا جِدًّا فَوْقَ المَقَامِ اَلذِي بَيَّنَهُ اَلشَّيْخُ وَأَتْبَاعُهُ وَلاَ تَنَافِيَ بَيْنَ هَذَيْنِ المَبْحَثَيْنِ ؛ فَإِنَّ أَحَدَهُمَا مِنْ مَقَامٍ وَالآخَرَ مِنْ مَقَامٍ آخَرَ.

وَتَفْصِيلُهُ فِي العَرِيضَةِ مُوجِبٌ لِلتَّطْوِيلِ وَالمَلاَلِ.

وَقَدْ ظَهَرَ أَيْضًا مَا قَالَهُ اَلشَّيْخُ يَعْنِي أَبَا سَعِيد أَبَا الخَيْرِ مِنْ دَوَامِ هَذَا الحَدِيثِ[1] وَأَنَّ الحَدِيثَ عِبَارَةٌ عَنْ مَاذَا وَدَوَامَهُ مَاذَا، وَوَجَدْتُ هذَا الحَدِيثَ فِي نَفْسِي دَائِمًا وَلَوْ كَانَ مِنَ اَلنَّوَادِرِ.

وَأَيْضًا لاَ يَمِيلُ قَلْبِي إِلَى مُطَالَعَةِ الكُتُبِ وَلاَ يَطِيبُ بِهِ إِلاَّ مَا كَانَ فِيهِ ذِكْرُ مَنَاقِبِ المَشَايِخِ الكِبَارِ العَالِيَةِ وَأَحْوَالِهِمُ اَلسَّامِيَةِ الوَاقِعَةِ فِي المَقَامَاتِ فَيَسْتَحْسِنُ لِي مُطَالَعَةُ أَمْثَالِ ذَلِكَ.

وَأَحْوَالُ المَشَايِخِ المُتَقَدِّمِينَ أَكْثَرُ رَغْبَةً فِيهَا. وَلاَ أَقْدِرُ عَلَى مُطَالَعَةِ كُتُبَ الحَقَائِقِ وَالمَعَارِفِ خُصُوصًا كَلِمَاتِ تَوْحِيدِ الوُجُودِ وَتَنَزُّلاَتِ المَرَاتِبِ، وَأُرَانِي فِي هَذَا البَابِ كَثِيرَ المُنَاسَبَةِ لِلشَّيْخِ عَلاَءِ اَلدَّوْلَةِ[2] وَمُتَّفِقًا مَعَهُ فِي اَلذَّوْقِ وَالحَالِ فِي

---

(١) ـــ وهذه القصة مذكورة في النفحات قال فيه أن الشيخ أبا سعيد أبا الخير قال لأستاذه أبي على الدقاق أن هذا الحديث يكون دائما قال الأستاذ لا فأطرق الشيخ مليا ثم رفع رأسه وقال أن هذا الحديث كان دائما فقال الأستاذ لا فأطرق الشيخ ثانيا ثم رفع رأسه وقال أيها الأستاذ إن هذا الحديث يدوم قال الأستاذان كان دائما يكون نادرا فصفق الشيخ وقال هذا من تلك النوادر أهو المراد من هذا الحديث عند الإمام الرباني قدس سره وعلى ما بينه في محل آخر التجلي الذاتي البرقي وهو دائمي عنده وإن كان برقيا بالنسبة إلى غيره كما سيبينه في بعض مكاتيبه اهـــ.

(٢) ـــ الشيخ علاء الدولة السمناني، تقدمت ترجمته.

هَذِه الْمَسْأَلة وَلكنَّ العلمَ اَلسَّابقَ لاَ يَتْرُكُني[١] لإِنْكَارِهَا وَالتَّشْديدِ عَلى أَرْبَابِهَا يَعْني كَمَا صَدَرَ مِنَ اَلشَّيْخِ عَلاَءِ الدَّوْلَة.

وَأَيْضًا قَدْ وَقَعَ اَلتَّوَجُّهُ لدَفْعِ بَعْضِ الأَمْرَاضِ مَرَّات وَظَهَرَ أَثَرُهُ، وَكَذَلكَ ظَهَرَتْ أَحْوَال بَعْضِ المَوْتى اَلتي هِيَ مِنْ عَالم البرْزَخِ، وَوَقَعَ اَلتَّوَجُّهُ أَيْضًا لدَفْعِ الآلاَمِ وَالشَّدَائد عَنْهُمْ. وَلكنْ لَمْ تَبْقَ الآنَ قُدْرَةُ اَلتَّوَجُّه ؛ فَإِنِّي لاَ أَقْدرُ أَنْ أَجْمَعَ نَفْسي بِشَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاءِ بِسَبَب أَنَّهُ قَدْ صَدَرَ بَعْضُ المُصَادَرَات وَالظُّلْمِ وَالجَوْرِ في حَقِّ الفَقيرِ مِنْ بَعْضِ اَلنَّاسِ، وَحَمَلوا عَلى اَلشَّدَائدِ وَظَلَمُوا جَمْعًا كَثيرًا مِنْ مُتَعَلقي هَذَا الجَانبِ وَجَلوْهُمْ عَنِ الوَطَنِ بِغَيْرِ حَقٍّ.

وَمَعَ ذَلكَ لَمْ يَقَعْ الغُبَارُ عَلى الخَاطرِ وَلَمْ يَتَطَرَّقْ الكُلفَةُ وَالتَّضَجُّرُ إِلى القَلبِ أَصْلاً فَضْلاً عَنْ صُدُورِ قَصْد الإِسَاءَة إِلَيْهِمْ. وَاكْتَسَبَ بَعْضُ الأَصْحَاب شُهُودًا وَمَعْرِفَةً في مَقَامِ الجَذْبَة وَلَمْ يَضَعُوا إِلى الآنَ قَدَمًا في مَنَازِل اَلسُّلوك. وَأَنَا أَذْكُرُ نُبْذَةً مِنْ أَحْوَالهِمْ وَأَعْرِضُهَا عَلى حَضْرَتكُمْ عَسَى اَللهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يُشَرِّفَهُمْ بِدَوْلَة اَلسُّلوك بَعْدَ تَمَامِ جهَة الجَذْبَة فَأَقُول:

إِنَّ اَلشَّيْخَ نُورًا مَرْبُوطٌ وَمَحْبُوسٌ في ذَلكَ المَقَامِ وَلَمْ يَصل بَعْدُ إِلى نُقْطَة فَوْقَانيَّة مِنْ مَقَامِ الجَذْبَة فَإِنَّهُ يُؤْذي في الحَرَكَات وَالسَّكَنَات وَلاَ يُمَيِّزُ اَلطَّيِّبَات مِنَ القَبَائحِ ؛ فَوَقَعَ أَمْرُهُ في اَلتَّوَقُّف بلاَ اخْتيَارٍ، وَكَذَلكَ وَقَعَ اَلتَّوَقُّفُ في أُمُورِ أَكْثَرِ الأَصْحَاب بِوَاسطَة عَدَمِ رعَايَة الآدَاب. وَأَنَا حَيْرَانُ في هَذَا البَاب ؛ فَإِنَّهُ لاَ إِرَادَةَ للتَّوَقُّف مِنْ هَذَا اَلطَّرَف بَل الإِرَادَةُ لتَرَقِّيهِمْ، وَيَقَعُ المُكْثُ في أُمُورهِمْ بلاَ اخْتيَارٍ وَإِلاَّ فَالطَّريقُ أَقْرَبُ. وَنَزَل مَوْلاَنَا المَعْهُودُ إِلى النُّقْطَة الأَخيرَة وَأَتَمَّ أَمْرَ الجَذْبَة وَوَصَلَ إِلى بَرْزَخيَّة ذَلكَ المَقَام وَأَوْصَل الفَرْقَ مِنْ وُجْهَة إِلى النِّهَايَة قَدْ رَأَى اَلصِّفَات أَوَّلاً بَل اَلنُّورَ القَائمَةَ به اَلصِّفَاتُ مُفَارِقًا عَنْ نَفْسه، وَوَجَدَ نَفْسَهُ شَبَحًا خَاليًا، ثُمَّ رَأَى اَلصِّفَات مُنْفَكَّةً عَنِ اَلذَّات وَوَصَل بِهَذه اَلرُّؤْيَة مِنْ مَقَام الجَذْبَة إِلى الأُحَديَّة وَالآنَ قَدْ ذُهل عَنِ العَالم وَعَنْ نَفْسه ؛ بحَيْثُ لاَ يَقُول بالإِحَاطَة وَلاَ بِالمَعيَّة وَتَوَجُّهُهُ إِلى أَبْطَنِ البُطُونِ بحَيْثُ لاَ حَاصِلَ لهُ غَيْرُ الحَيْرَة وَالجَهَالة.

---

(١) ـــ يريد أنه مع كونه في مشرب الشيخ ركن الدولة علاء الدين السمناني في تلك المعرفة لا ينكر أهل معارف وحدة الوجود لحصولها له قبل ذلك.

وَوَصَل اَلسَّيِّدُ شَاهْ حُسَيْنٌ أَيْضًا إلى قُرْب اَلنُّقْطَة الأَخيرَة منْ مَقَام الجَذْبَة عَلى وَجْه وَصْل رَأْسه إلى اَلنُّقْطَة وَكَذَلكَ وَجَدَ اَلصِّفَات مُنْفَكَّةً عَنِ اَلذَّات وَلكنْ يَجدُ اَلذَّاتَ الأَحَدَ في كُل مَحَل وَيَحْتَظُّ بالظَّاهر. وَكَذَلكَ مَيَّانُ جَعْفَر وَصَل إلى قُرْب اَلنُّقْطَة الأَخيرَة وَكَثيرًا مَا يَظْهَرُ بالشَّوْق وَالوَله وَقَريبٌ منَ اَلشَّاه حُسَيْن. وَيَظْهَرُ اَلتَّفَاوُتُ أَيْضًا في بَقيَّة الأَصْحَاب. وَقَدْ وَصَل مَيَّانُ شيخن وَالشَّيْخُ عيسَى وَالشَّيْخُ كَمَال إلى اَلنُّقْطَة الفَوْقَانيَّة منْ مَقَام الجَذْبَة وَالشَّيْخ كَمَال أَيْضًا مُتَوَجِّهٌ إلى اَلنُّزُول وَوَصَل اَلشَّيْخُ ناكورى تَحْتَ اَلنُّقْطَة الفَوْقَانيَّة وَلكنَّ أَمَامَهُ مَسَافَةً كَثيرَةً وَبَلغَ منَ الأَصْحَاب الكَائنينَ هُنَا ثَمَانيَةٌ أَوْ تسْعَةٌ بَل عَشَرَةُ أَشْخَاص تَحْتَ اَلنُّقْطَة الفَوْقَانيَّة وَبَلغَ بَعْضُهُمْ اَلنُّقْطَةَ وَبَعْضُهمْ تَهَيَّأَ للنُّزُول وَبَعْضُهمْ قَريبٌ منْهَا وَبَعْضُهمْ بَعيدٌ عَنْهَا. وَيَجدُ اَلشَّيْخُ مَيَّانُ مُزَّمِّل نَفْسه مَعْدُومًا وَيَرَى اَلصِّفَات منَ الأَصْل وَيَجدُ المُطْلقَ في كُل مَحَل وَيَرَى الأَشْيَاءَ كَالسَّرَاب عَدمَ اَلاعْتبَار بَل لاَ يَرَى شَيْئًا. وَيَظْهَرُ مَوْلاَنَا المَعْهُودُ في هَذَا البَاب عَلى وَجْه يَكُونُ إجَازَتُهُ لتَعْليم اَلطَّالبينَ منَ المَرْضيَّات لكنْ إجَازَةٌ مُنَاسبَةٌ للجَذْبَة، وَإنْ بَقيَ بَعْضُ الأُمُور اَللاَّزمَة اَلاسْتفَادَة وَلكنَّهُ اسْتَعْجَل في اَلذَّهَاب وَلَمْ يَتَوَقَّفْ. فَإذَا وَصَل إلى الحُضُور الأَقْدَس تَأْمُرُونَهُ بمَا فيه صَلاَحُ أَمْره. وَمَا هُوَ في علم الفَقير فَقَدْ عَرَضْتُهُ عَلَيْكُمْ وَالحُكْمُ عنْدَكُمْ.

وَكَانَ الخواجهْ ضيَاءُ اَلدِّين مُحَمَّدٌ هُنَا أَيَّامًا وَاكْتَسَبَ الحُضُورَ وَالجَمْعيَّةَ في الجُمْلة ثُمَّ لَمْ يَقْدرْ آخرَ الأَمْر أَنْ يَجْمَعَ خَاطرَهُ منْ قلة أَسْبَاب المَعيشَة فَتَوَجَّهَ نَحْوَ العَسْكَر، وَوَلَدُ مَوْلاَنَا شير مُحَمَّد مُتَوَجِّهٌ نَحْوَكُمْ للمُلاَزَمَة وَلَهُ حُضُورٌ وَجَمْعيَّةٌ في الجُمْلة وَلَمْ يَتَرَقَّ كَمَا يَنْبَغي بوَاسطَة بَعْض المَوَانع. وَزيَادَةُ اَلانْبسَاط بَعيدَةٌ عَن الأَدَب، (ع):

عَلى المَرْء أَنْ لاَ يَجْهَل اَلدَّهْرُ طَوْرَهُ

ثُمَّ عَرَضْتُ بَعْدَ تَحْرير العَريضَة كَيْفيَّةَ وَحَالةً لاَ يُمْكنُ بَيَانُهَا بالتَّحْرير ، وَتَحقَّقَ في هَذَا المَحَل فَنَاءُ الإرَادَة كَمَا أَنَّ تَعلق الإرَادَة بالمُرَادَات انْعَدَمَ سَابقًا وَبَقيَ أَصْلُ الإرَادَة كَمَا عَرَضْتُهُ في العَريضَة. وَالآنَ انْقَطَعَ عرْقُ الإرَادَة بالكُليَّة فَحينَئذ لاَ مُرَادَ وَلاَ إرَادَةَ، وَظَهَرَتْ صُورَةُ هَذَا الفَنَاء أَيْضًا في اَلنَّظَر، وَفَاضَ بَعْضُ العُلُوم المُنَاسبَة لهَذَا المَقَام ، وَلَمَّا كَانَ في تَحْريرهَا وَحينَ اَلتَّحقُّق بهَذَا الفَنَاء وَفَيْضَات العُلوم ، وَفَتْح نَظَر خَاصٌ عَلى مَا وَرَاءَ الوَحْدَة ، وَإنْ كَانَ عَدَمُ اَلنَّظَر إلى مَا وَرَاء

الوَحْدَةَ أَمْرًا مُقَرَّرًا، بَل لاَ نِسْبَةَ فِيه أَصْلاً لكِنْ كُلمَا أَجِدُهُ أَعْرِضُهُ وَلاَ أَتَجَاسَرُ بِكِتَابَتِه إِلى أَنْ يَبْلغَ مَرْتَبَةَ اليَقِينِ وَأَرَى صُورَةَ ذَلِكَ المَقَامِ فِي مَا وَرَاءَ الوَحْدَةَ كاَ رة وراء دهلى. وَلمْ يَتطَرَّقْ إِليْه شُبْهَةٌ قَطٌّ وَإِنْ لمْ تَكُنْ فِي النَّظَرِ وَحْدَةٌ وَلاَ مَا وَرَاءَهَا وَلاَ مَقَامٌ آخَرُ أَعْرِفُهُ بِعُنْوَانِ الحَقِّيَّة أَوْ أَعْرِفُ أَنَّ الحَقَّ وَرَاءَهُ وَالحَيْرَةَ وَالجَهَالةَ عَلى صِرَافَتِهِمَا وَلمْ تَتفَاوَتَا بِسَبَبِ هَذه الرُّؤْيَة فَلاَ أَدْرِي مَاذَا أَعْرِضُ فَإِنَّ الكُل تَنَاقُضٌ فِي تَنَاقُضٍ لاَ يُمْكِنُ أَنْ يُورَدَ فِي قَيْدِ القَال وَإِنْ كَانَ الحَال مُتَحَقِّقًا بِلاَ شُبْهَة.

أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلى اللهِ مَعَ جَمِيعِ مَا كَرِهَ اللهُ قَوْلاً وَفِعْلاً خَاطِرًا وَنَاظِرًا.

وَأَيْضًا تَبَيَّنَ فِي هَذَا الوَقْتِ أَنَّ مَا ظَنَنْتُهُ سَابِقًا مِنْ فَنَاءِ الصِّفَات كَانَ فِي الحَقِيقَة فَنَاءَ خُصُوصِيَّاتِ الصِّفَات وَمَا بِه امْتِيَازُهَا لَمَّا انْدَرَجَتْ الصِّفَاتُ فِي ضِمْنِ الوَحْدَةَ ارْتَفَعَتْ الخُصُوصِيَّاتُ وَتَوَهَّمَ مِنْ ذَلِكَ فَنَاءَهَا. وَالآنَ قَدْ اضْمَحَل أَصْلُ الصِّفَات وَانْمَحَى وَلمْ يَبْقَ مِنْهَا شَيْءٌ وَلوْ عَلى سَبِيل الانْدِمَاجِ وَالانْدِرَاجِ وَلمْ يَتْرُكْ قَهْرُ الأَحَدِيَّة شَيْئًا قَطٌّ، وَلمْ يَبْقَ التَّمْيِيزُ الذي حَصَل مِنْ مَرْتَبَة العِلمِ الإِجْمَاليِّ أَوْ التَّفصِيليِّ، وَصَارَ النَّظَرُ إِلى الخَارِجِ بِالتَّمَامِ كَانَ اللهُ وَلمْ يَكُنْ مَعَهُ شَيْءٌ وَهُوَ الآنَ كَمَا كَانَ مُطَابِقٌ للحَال فِي هَذَا الوَقْت، وَكَانَ سَابِقًا العِلمَ بِمَضْمُون هَذَا الحَدِيث دُونَ الحَال وَالمَرْجُوُّ حُصُول التَّنْبِيه عَلى الصِّحَّة وَالسَّقَم.

وَقَدْ يُرَى لمَوْلاَنَا القَاسِمِ عَلى نَصِيبٍ مِنْ مَقَامِ التَّكْمِيل، وَكَذَلكَ يُرَى مِنْ هَذَا المَقَامِ نَصِيبٌ لبَعْضِ الأَصْحَابِ وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلمُ بِحَقِيقَةِ الحَال.

اَلْمَكْتُوبُ اَلثَّانِي عَشَرَ
فِى بَيَان حُصُول الفَنَاء وَالبَقَاء
وَظُهُور الوَجْه الخَاصِّ فِي كُل شَيْءٍ
وَحقِيقَة اَلسَّيْرِ فِي اَللهِ وَالتَّجلي الذَّاتِيِّ البَرْقِيِّ وَغَيْرِ ذَلكَ
كَتَبَهُ إِلَى شَيْخِه المُعَظَّم أَيْضًا

عَرِيضَةُ أَقَلِ العَبِيدِ أَحْمَدَ: يُنْهَى إِلى ذُرْوَة العَرْضِ أَنَّهُ مَا يُدْرَى مَاذَا يَعْرِضُ مِنْ تقصيراتِهِ مَا شَاءَ اَللهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَم يَكُنْ وَلاَ حَوْل وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاَللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ.

اَلعُلومُ اَلتِي تَتَعَلقُ بِمَقَامِ الفَنَاء فِي اَللهِ وَالبَقَاءِ بِاَللهِ كَشَفَ عَنْهَا الحَقُّ سُبْحَانَهُ بعِنَايَته وَتَبَيَّنَ أَنَّهُ مَا الوَجْهُ الخَاصُّ فِي كُل شَيْءٍ وَمَا مَعْنَى اَلسَّيْرِ فِي اَللهِ وَمَا اَلتَّجَلي الذَّاتِيُّ البَرْقِيُّ وَمَنْ مُحَمَّدِيُّ المَشْرَب وَمَا أَشْبَهَ ذَلكَ يَقَعُ اَلاطِّلاَعُ فِي كُل مَقَامٍ عَلى لوَازِمِ ذَلكَ المَقَام وَضَرُورِيَّاته ثُمَّ يَقَعُ العُبُورُ عَنْهُ، وَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِمَّا أَخْبَرَ عَنْهُ أَوْلِيَاءُ اَللهِ تَعَالى غَيْرَ نُبْذَة يَسِيرَة إِلاَّ وَقَدْ أُرِيتُهُ وَأَعْلَمْتُهُ قَبْل مِنْ قَبْل بِلاَ علة، وَكَذَلكَ أَرَى ذَوَاتَ الأَشْيَاء مَجْعُولةً وَأَرَى أَصْل القَابِليَّات وَالاسْتعْدَادَات مَجْعُولَةً وَمَصْنُوعَةً وَاَللهُ سبحانَهُ لَيْسَ بِمَحْكُومِ القَابِليَّات؛ فَإِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يُحْكَمَ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ وَلنَتْرُكْ زِيَادَةَ اَلانْبِسَاط، (ع):

عَلى المَرْءِ أَنْ لاَ يَجْهَل اَلدَّهْرُ طَوْرَهُ

اَلْمَكْتُوبُ اَلثَّالِثَ عَشَرَ
فى بَيَانِ عَدَمِ نِهَايَةِ اَلطَّرِيقِ
وَمُطَابَقَةِ عُلُومِ الحَقِيقَةِ بِعُلُومِ اَلشَّرِيعَةِ
كَتَبَهُ إِلى شَيْخِهِ اَلْمُعَظَّمِ

اَلْمَعْرُوضُ مِنْ أَقَلِّ العَبِيدِ أَحْمَدَ: آهْ أَلفَ آهْ مِنْ عَدَمِ نِهَايَةِ هَذَا اَلطَّرِيقِ مَعَ هَذِهِ اَلسُّرْعَةِ فِي اَلسَّيْرِ وَكَثْرَةِ الإِرَادَاتِ والعِنَايَاتِ وَمِنْ هَهُنَا قَالَ المَشَايِخُ: " إِنَّ اَلسَّيْرَ إِلى اَللهِ مَسَافَةُ خَمْسِينَ أَلفَ سَنَةٍ " وَكَانَ فِي قَوْلِه تَعَالى: {تَعْرُجُ المَلاَئكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلفَ سَنَةٍ}(١) إِيمَاءٌ إِلى هَذَا المَعْنَى وَلَمَّا انْجَرَّ الأَمْرُ إِلى اليَأْسِ وَانْقَطَعَ اَلرَّجَاءُ لزِمَ اَلاسْتِمْسَاكُ بِقَوْلِه تَعَالى: {وَهُوَ اَلذي يُنَزِّلُ الغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنِطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ}(٢) وَكَانَ قَدْ وَقَعَ اَلسَّيْرُ فِي الأَشْيَاءِ مُنْذُ أَيَّامٍ وَلَمَّا غَالى المُسْتَرْشِدُونَ وَأَلَحُّوا ثَانِيًا شَرَعْتُ فِي أُمُورِهِمْ فِي الجُمْلَةِ وَلكِنْ لاَ أَجِدُ نَفْسِي قَابِلاً لِذَلِكَ المَقَامِ. وَلكِنْ أُعْلِمُهُمْ شَيْئًا عَلى مُقْتَضَى المُرُوءَةِ وَالحَيَاءِ لإِكْثَارِهِمْ فِي الإِلحَاحِ وَالإِبْرَامِ، وَقَدْ كُنْتُ فِي مَسْأَلَةِ تَوْحِيدِ الوُجُودِ مُتَوَقِّفًا سَابِقًا كَمَا حَرَّرْتُهُ مُكَرَّرًا وَكُنْتُ أَنْسُبُ الأَفْعَالَ وَالصِّفَاتِ إِلى الأَصْلِ وَلَمَّا صَارَ حَقِيقَةُ الأَمْرِ مَعْلُومًا تَرَكْتُ اَلتَّوَقُّفَ وَوَجَدْتُ القَوْلَ بِأَنَّ الكُلَّ مِنْهُ أَحْسَنَ وَرَأَيْتُ الكَمَالَ فِيه أَزْيَدَ مِنْهُ فِي القَوْلِ بِأَنَّ الكُلَّ هُوَ، وَعَلِمْتُ الأَفْعَالَ وَالصِّفَاتِ بِلَوْنٍ آخَرَ - يَعْنِي بِوَجْهٍ آخَرَ - وَأُرِيتُ الكُلَّ وَاحِدًا أَوْ أَحَدًا أَوْ جُوِّزَ بِي إِلى الفَوْقِ وَلَمْ يَبْقَ رَيْبٌ وَلاَ شُبْهَةٌ أَصْلاً، وَجَاءَتْ الكَشْفِيَّاتُ كُلُّهَا مُطَابِقَةً لِلشَّرِيعَةِ لاَ مُخَالفَةَ فِيهَا لِظَاهِرِ اَلشَّرِيعَةِ مِقْدَارَ شَعْرَةٍ وَمَا بَيَّنَهُ بَعْضُ اَلصُّوفِيَّةِ مِنَ الكَشْفِيَّاتِ المُخَالفَةِ لِظَاهِرِ اَلشَّرِيعَةِ فَهُوَ إِمَّا مِنَ اَلسَّهْوِ أَوْ مِنَ اَلسُّكْرِ، وَإِلاَّ فَلاَ مُخَالفَةَ بَيْنَ البَاطِنِ وَالظَّاهِرِ.

وَالمُخَالفَةُ إِنَّمَا تَعْرِضُ لِلنَّظَرِ فِي أَثْنَاءِ اَلطَّرِيقِ فَيَحْتَاجُ إِلى اَلتَّوَجُّهِ وَالجَمْعِ، وَأَمَّا المُنْتَهَى الحَقِيقِيُّ فَإِنَّهُ يَجِدُ البَاطِنَ مُوَافِقًا لِظَاهِرِ اَلشَّرْعِيَّةِ.

وَالفَرْقُ بَيْنَ مَعْرِفَةِ العُلَمَاءِ وَمَعْرِفَةِ المَشَايِخِ الكِرَامِ هُوَ أَنَّ العُلَمَاءَ يَعْرِفُونَ بِالاسْتِدْلاَلِ وَالعِلمِ وَالمَشَايِخَ بِالكَشْفِ وَالذَّوْقِ وَأَيُّ دَلِيلٍ أَدَلُّ عَلى صِحَّةِ حَالِهِمْ مِنْ هَذِهِ المُطَابَقَةِ: {يَضِيقُ صَدْرِي وَلاَ يَنْطَلِقُ لِسَانِي}(٣) نَقْدُ الوَقْتِ وَلاَ أَدْرِي مَاذَا

---

(١) ــ الآية: ٤ من سورة المعارج.

(٢) ــ الآية: ٢٨ من سورة الشورى.

(٣) ــ الآية: ١٣ من سورة الشعراء.

أَعْرِضُ وَقَدْ كُنْتُ مُوَفَّقًا لِتَسْوِيدِ بَعْضِ الأَحْوَالِ وَلاَ يُمْكِنُ تَحْرِيرُهُ فِي العَرَائِضِ وَلَعَلَّ فِي ذَلِكَ حِكْمَةً وَالمَسْئُولُ أَنْ لاَ تَحْرِمُوا هَذَا المَحْرُومَ المَهْجُورَ مِنَ اَلتَّوَجُّهِ اَلذِي هُوَ لِلغُرَبَاءِ مَبْذُولٌ وَأَنْ لاَ تَتْرُكُوهُ فِي اَلطَّرِيقِ، شِعْرٌ.

وَأَنْتَ لِهَذَا القَوْلِ قَدْ كُنْتَ مَبْدَأً   فَإِنَّ فِيهِ إِطْنَابًا فَمِنْكَ مُسَبَّبُ

وَزِيَادَةُ اَلاِنْبِسَاطِ جَرَاءَةٌ، (ع):

عَلَى المَرْءِ أَنْ لاَ يَجْهَلَ اَلدَّهْرَ طَوْرَهُ

المَكْتُوبُ اَلرَّابعَ عَشَرَ
فِي بَيَانِ حُصُول الوَقَائِعِ اَلتِي عَرَضَتْ فِي أَثْنَاء اَلطَّرِيقِ وَبَيَان أَحْوَال بَعْضِ المُسْتَرْشِدِينَ
كَتَبَهُ إِلى شَيْخه المُعَظَّمِ أَيْضًا

عَرِيضَةُ أَقَل العَبيد أَحْمَدَ: إنَّ اَلتَّجَلِيَات اَلتي ظَهَرَتْ فِي مَرَاتب الأَكْوَان وَقَدْ كُنْتُ عَرَضْتُ بَعْضَهَا فِي العَرِيضَة اَلسَّابقَة ظَهَرَتْ بَعْدَهَا مَرْتَبَةُ الوُجُوب اَلتي هِيَ جَامعَةٌ للصِّفَات الكُلِّيَّة، وَتَمَثَّلتْ فِي صُورَة امْرَأة دَميمَة مُسْوَدَّة اَللوْن ثُمَّ تَجَلتْ بَعْدَ ذَلكَ مَرْتَبَةُ الأُحَدِيَّة فِي صُورَة رَجُل طَوِيل قَائم عَلى جدَار رَقيق غَيْر مُرْتَفعٍ. وَظَهَرَ كُل وَاحد منْ هَذَيْن اَلتَّجَلِيَيْن بعُنْوَان الحَقَّانيَّة بخلاَف اَلتَّجَلِيَات اَلسَّابقَة فإنَّهَا مَا كَانَتْ بهَذَا العُنْوَان. وَعَرَضَ لِي فِي ذَلكَ الأَثْنَاء تَمَنِّي المَوْت وَخُيِّل لِي كَأَنِّي قَائمٌ عَلى سَاحل البَحْر المُحيط لأَرْميَ فيه نَفْسِي وَلَكنِّي مَرْبُوطٌ بالحَبْل عَلى وَرائِي فَلاَ يُمْكنُ اَلدُّخُول فِي البَحْر، وَصَارَ مَعْلومًا لِي أَنَّ ذَلكَ الحَبل عبَارَةٌ عَنِ اَلتَّعَلق بالبَدَن، فَتَمَنَّيْتُ انْقطَاعَ ذَلكَ اَلتَّعَلق. ثُمَّ عَرَضَتْ كَيْفيَّةٌ خَاصَّةٌ فَوَجَدْتُ فِي ذَلكَ الوَقْت بطَريق اَلذَّوْق أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ فِي القَلب مُقْتَضًى غَيْرَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ، ثُمَّ وَقَعَ اَلنَّظَرُ عَلى اَلصِّفَات الكُلِّيَّة الوُجُوبيَّة اَلتي اكْتَسَبَتْ الخُصُوصيَّات باعْتبَار المَحَال وَالمَظَاهر، ثُمَّ سَقَطَتْ اَلخُصُوصيَّاتُ عَنْهَا بَعْدَ ذَلكَ بالتَّمَام وَلَمْ تَبْقَ اَلصِّفَاتُ إلاَّ بعُنْوَان الكُلِّيَّة الوُجُوديَّة، وَوَقَعَ اَلنَّظَرُ أَيْضًا عَلى صُورَة تَجَرُّدهَا عَنِ الخُصُوصيَّات. وَحينَئذ صَارَ مَعْلومًا أَنَّ اَلصِّفَات قَدْ أُعْطيَتْ الآنَ للأَصْل حَقيقَةً وَقَبْل تَجَرُّدهَا عَنِ الخُصُوصيَّات لَمْ يَكُنْ مَعْنًى لإعْطَائهَا الأَصْل اَللهُمَّ إلاَّ إنْ كَانَ عَلى طَرِيق اَلتَّجَوُّز كَمَا هُوَ حَالُ أَرْبَاب اَلتَّجَلي اَلصُّوريِّ. وَتَحَقَّقَ الفَنَاءُ الحَقيقيُّ فِي هَذَا الوَقْت وَبَعْدَ اَلتَّحَقُّق بهَذه الحَالة وَجَدْتُ اَلصِّفَات اَلتي فِي وَفِي غَيْرِي عَلى نَهْجٍ وَاحد وَارْتَفعَ إمْتيَازُ المُحَال، وَتَيَسَّرَ فِي ذَلكَ الوَقْت اَلتَّخلصُ عَنْ بَعْض دَقَائق أَنْوَاعِ اَلشِّرْكِ الخَفيِّ فَلمْ يَبْقَ حينَئذ العَرْشُ وَلاَ الفَرْشُ وَلاَ المَكَانُ وَلاَ اَلزَّمَانُ وَلاَ الجهَاتُ وَلاَ الحُدُودُ. فَإنْ تَفكَّرْتَ فَرْضًا سنينَ لاَ يَحْصُل العلمُ بأَنَّ ذَرَّةً منَ العَالمِ مَخْلوقَةٌ. ثُمَّ وَقَعَ اَلنَّظَرُ عَلى تَعَيُّنِ نَفْسِي وَالوَجْه الخَاصِّ اَلذي فِي وَكَانَ اَلتَّعَيُّنُ فِي صُورَة ثَوْب بَال مُتَمَزِّق مَلبُوسٍ لشَخْصٍ وَعَلمْتَ أَنَّ هَذَا اَلشَّخْصَ هُوَ الوَجْهُ الخَاصُّ لكنْ لَمْ يُتَصَوَّرْ ذَلكَ بعُنْوَانِ الحَقَّانيَّة، ثُمَّ تَعَلقَ اَلنَّظَرُ بَعْدَ ذَلكَ بجلد رَقيق فَوْقَ ذَلكَ اَلشَّخْصِ مُتَّصلاً به،

ثُمَّ وَجَدْتُ نَفْسِي عَيْنَ ذَلِكَ الجلد وَرَأَيْتُ ذَلِكَ ٱلثَّوْبَ ٱلذي هُوَ ٱلتَّعَيُّنُ أَجْنَبِيًّا لِنَفْسِي - يَعْنِي مُفَارِقًا وَمُنْفَكًّا عَنْهُ - وَوَقَعَ ٱلنَّظَرُ عَلَى نُورٍ فِي الجلد ثُمَّ غَابَ ذَلِكَ ٱلنُّورُ بَعْدَ سَاعَةٍ عَنِ ٱلنَّظَرِ وَٱرْتَفَعَ الجلدُ وَٱلثَّوْبُ أَيْضًا عَنِ ٱلنَّظَرِ وَبَقِيَتْ تِلْكَ الجَهَالَةُ ٱلسَّابِقَةُ. وَلْنَعْرِضْ تَعْبِيرَ صُورَةِ هَذِهِ الوَاقِعَةِ المَذْكُورَةِ عَلَى مَا بَلَغَهُ عِلْمِي لِيُعْلَمَ صِحَّتُهُ وَسَقَمُهُ وَهُوَ أَنَّ ٱلصُّورَةَ المَذْكُورَةَ عِبَارَةٌ عَنِ العَيْنِ ٱلثَّابِتِ كَالبَرْزَخِ بَيْنَ الوُجُوبِ وَالإِمْكَانِ حَيْثُ ٱفْتَرَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ طَرَفَيْهِ عَنِ الآخَرِ وَتَحَقَّقَ بِكَمَالِ الفَرْقِ وَالجلد ٱلذي وَقَعَ بَيْنَ ٱلثَّوْبِ وَٱلنُّورِ بَرْزَخٌ بَيْنَ الوُجُودِ وَالعَدَمِ وَوَجَدْتُ أَنَّ نَفْسِي عَيْنَ ذَلِكَ الجلد أَخِيرًا إِشَارَةً إِلَى وُصُولِي إِلَى البَرْزَخِيَّةِ، وَقَدْ كُنْتُ وَجَدْتُنِي سَابِقًا فِي الوَقَائِعِ بَرْزَخًا بَيْنَ الوُجُودِ وَالعَدَمِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الآفَاقِ وَهَذَا بِالنَّظَرِ إِلَى ٱلنَّفْسِ وَقَدْ ظَهَرَ فِي ذَلِكَ فَرْقٌ آخَرُ أَيْضًا، وَلَكِنِّي نَسِيتُهُ وَقْتَ الكِتَابَةِ هَذَا وَمَا هُوَ الحَاصِلُ دَائِمًا هُوَ ٱلنَّكَارَةُ وَالجَهَالَةُ وَيَظْهَرُ أَحْيَانًا مِثْلُ هَذِهِ ٱلشَّعْبَذَةِ ثُمَّ يَنْعَدِمُ وَتَبْقَى مَعْرِفَتُهُ. وَأَعْجَزُ عَنْ تَعْبِيرِ بَعْضِ الوَقَائِعِ وَٱلذي يَقَعُ فِي الخَاطِرِ مِنْ تَعْبِيرِهِ لاَ أَعْتَمِدُ عَلَيْهِ.

وَبِهَذَا ٱلسَّبَبِ أَتَجَاسَرُ فِي العَرَائِضِ رَجَاءَ حُصُولِي اليَقِينَ بِتَنْبِيهِ الحَضْرَةِ. وَالمَرْجُوُّ تَيَسُّرُ ٱلنَّجَاةِ عَنِ ٱلتَّعَلُّقَاتِ ٱلدَّنِيَّةِ بِتَوَجُّهَاتِكُمْ العَلِيَّةِ وَإِلاَّ فَالأَمْرُ مُشْكِلٌ جِدًّا شِعْرٌ.

مَنْ لَمْ يَعْنِه مُهَيمِنٌ وَخَوَاصُّهُ ... لاَسْوَدَّ صَفْحَتُهُ وَلَوْ هُوَ مَنْ مَلَكْ

وَٱلشَّيْخُ طه ٱبْنُ ٱلشَّيْخِ عَبْدِ ٱللهِ النِّيَازِيِّ ٱلذي هُوَ مِنْ مَشَاهِيرِ مَشَايِخِ سَرْهَنْدَ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الحَاجِّ عَبْدِ العَزِيزِ مَوَدَّةٌ تَامَّةٌ ٱسْتَدْعَى تَقْبِيلَ الأَقْدَامِ المُبَارَكَةِ وَفِيهِ دَاعِيَةُ الإِنَابَةِ وَٱلدُّخُولِ فِي هَذِهِ ٱلطَّرِيقَةِ العَلِيَّةِ ٱلشَّرِيفَةِ، وَٱلتَجَأَ إِلَيَّ بِالصِّدْقِ وَالاِنْكِسَارِ فَأَمَرْتُهُ بِالاسْتِخَارَةِ وَلَهُ مُنَاسَبَةٌ فِي ٱلظَّاهِرِ وَالأَصْحَابُ ٱلذينَ أَخَذُوا ٱلذِّكْرَ هُنَا مُشْتَغِلونَ بِطَرِيقِ ٱلرَّابِطَةِ فِي الأَكْثَرِ يَجِيءُ بَعْضُهُمْ بِأَخْذِ ٱلرَّابِطَةِ بِالرُّؤْيَةِ فِي الوَاقِعَاتِ. وَكَانَ لِبَعْضِهِمْ رَابِطَةٌ قَبْلَ المَجِيءِ مِنْ دهلى يَذْهَبُونَ أَوَّلاً بِالحُضُورِ، وَالاسْتِغْرَاقِ وَبَعْضٌ مِنْهُمْ يُعْطَى ٱلصِّفَاتِ الأَصْلَ - يَعْنِي يَرَاهَا مِنْهُ - وَبَعْضُهُمْ لاَ. وَلَكِنْ لاَ يَذْهَبُ مِنْهُمْ أَحَدٌ عَلَى طَرِيقِ تَوْحِيدِ الوُجُودِ وَالأَنْوَارِ وَالكُشُوفِ وَوَصَلَ المُلا قَاسِمٌ عَلِيٌّ وَالمُلا مَوْدُودُ مُحَمَّدٌ وَعَبْدُ المُؤْمِنِ ظَاهِرٌ إِلَى نُقْطَةٍ فَوْقَانِيَّةٍ مِنْ مَقَامِ الجَذْبَةِ وَلَكِنَّ المُلا قَاسِمًا مُتَوَجِّهٌ إِلَى ٱلنُّزُولِ. وَنُزُولُ البَاقِينَ لَيْسَ بِمَعْلُومٍ وَٱلشَّيْخُ

نُورٌ(١) أَيْضًا قَرِيبٌ مِنَ النُّقْطَةِ وَلَمْ يَصِل إِلَيْهَا بَعْدُ والملا عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَيْضًا قَرِيبٌ مِنَ النُّقْطَةِ وَلكِنْ فِي البَيْنِ مَسَافَةٌ قَلِيلَةٌ، وَحَصَلَ للملا عَبْدِ الهَادِي فِيهِ حُضُورٌ مَعَ الاسْتِغْرَاقِ وَهُوَ يَقُولُ: " أُشَاهِدُ المُطْلَقَ المُنَزَّهَ - جَلَّ شَأْنُهُ - فِي الأَشْيَاءِ بِصِفَةِ التَّنْزِيهِ وَأَرَى الأَفْعَالَ أَيْضًا مِنْهُ تَعَالَى، وَمَا يُفَاضُ عَلَى الطَّالِبِينَ وَالمُسْتَعِدِّينَ فَإِنَّمَا هُوَ مِنْ دَوْلَتِكُمْ وَلَيْسَ لِهَذَا الفَقِيرِ نَصِيبٌ فِي إِفَاضَتِهِ، (ع):

أَنَا ذَاكَ أَحْمَدُ لَمْ أَكُنْ مُتَغَيِّرًا

وَقَدْ قُلْتُمْ يَوْمًا فِيمَا بَيْنَ وَاقِعَةٍ مِنَ الوَقَائِعِ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَعْنَى المَحْبُوبِيَّةِ لَوَقَعَ تَوَقُّفٌ كَثِيرٌ فِي الوُصُولِ إِلَى المَقْصِدِ، وَبَيَّنْتُمْ المَحْبُوبِيَّةَ أَيْضًا بِعِنَايَتِكُمْ. وَلِي مِنْ ذَلِكَ الكَلَامِ رَجَاءٌ تَامٌّ، وَهَذِهِ الجَرَاءَةُ كُلُّهَا مِنْ ذَلِكَ.

---

(١) هو العلامة الصالح الشيخ المولوي نور محمد، وجه أقصى اهتمامه بالرياضات والخلوات حتى من الله تعالى عليه بالفتح، حتى كان بحرا زاخرا في كثير من العلوم. انظر: السنهوتي: الأنوار القدسية ٢٢٣.

اَلْمَكْتُوبُ الخَامِسَ عَشَرَ
فى بَيَانِ الأَحْوَال اَلتي لَهَا مُنَاسَبَةٌ لَمقَامِ الهُبُوطِ وَالنُّزُول
مَعَ بَعْضِ الأَسْرَارِ المَكْنُونَة
كَتَبَهُ إلى شَيْخه المُعَظَّمِ أَيْضًا

عَرِيضَةُ الحَاضِرِ الغَائب الوَاجد الفَاقد المُقْبِل المُعْرِض: أَنَّهُ طَلَبَهُ مُدَّةً مَدِيدَةً فَوَجَدَ نَفسَهُ ثُمَّ انْجَرَّ أَمْرُه إلى مَرْتَبَة لوْ طَلَبَ نَفْسَهُ وَجدَهُ وَالآنَ فَقَدَهُ وَوَجدَ نَفْسَهُ وَمَعَ فقْدَانه وَغَيْبَته لاَ يَطْلُبُهُ وَلاَ يَسْتَخْبِرُ عَنْهُ. فَمنْ حَيْثُ العلمُ حَاضِرٌ وَوَاجدٌ وَمُقْبل وَمنْ جهَةَ اَلذَّوْق غَائبٌ وَفَاقدٌ وَمُعْرضٌ. ظَاهرُهُ بَقَاءٌ وَبَاطنُهُ فَنَاءٌ فَفي عَيْنِ البَقَاء فَان، وَفي عَيْنِ الفَنَاء بَاق، وَلكنَّ الفَنَاءَ علميٌّ وَالبَقَاء ذَوْقِيٌّ. وَتَقَرَّرَ أَمْرُهُ عَلى الهُبُوط وَالنُّزُول وَامْتَنَعَ عَنِ اَلصُّعُود وَالعُرُوجِ فَكَمَا رَفَعُوهُ عَنِ القَلب إلى مُقَلب القَلب كَذَلكَ أَنْزَلوهُ منْ مُقَلب القَلب إلى مَقَام القَلب. وَمَعَ تَخَلصِ اَلرُّوحِ عَنِ اَلنَّفْسِ وَخُرُوجِ اَلنَّفْسِ بَعْدَ اَلاطْمئْنَان منْ غَلبَات أَنْوَار اَلرُّوحِ جَعلوهُ جَامعًا لجهَتَي اَلرُّوحِ وَالنَّفْسِ وَشَرَّفُوهُ ببرْزَخيَّة هَاتَيْنِ الجهَتَيْنِ وَأَعْطَوْهُ اَلاسْتفَادَةَ منْ فَوْق وَالإفَادَةَ إلى سُفْل مَعًا بِسَبَبِ هَذه البَرْزَخيَّة، ففى عَيْنِ اَلاسْتفَادَة مُفيدٌ وَفي عَيْنِ الإفَادَة مُسْتَفيدٌ. شعْرٌ.

فَيَا لَهَا قصَّةٌ في شَرْحهَا طُول ‏ ‏ ‏ ‏ وَكَمْ يُرَاعُ إذَا حُرِّرَتْ يَنْكَسرُ

ثُمَّ المَعْرُوضُ: إنَّ اليَدَ اليُسْرَى عبارَةٌ عَنْ مَقَام القَلب الحَاصل قَبْل العُرُوجِ إلى مُقَلب القُلوب وَأَمَّا مَقَامُ القَلب اَلذي يَكُونُ اَلنُّزُول إليْه بَعْدَ الهُبُوطِ منْ فَوْق فَهُوَ مَقَامٌ آخرُ، فَإنَّهُ بَرْزَخٌ بَيْنَ اَلشِّمَال وَاليَمين كَمَا هُوَ اَلظَّاهرُ لأَرْبَابه،

وَالمَجْذُوبُونَ اَلذينَ ليْسَ لَهُمْ سُلوكٌ منْ أَرْبَاب القُلوب، وَالوُصُول إلى مُقَلب القُلوب مَرْبُوطٌ بالسُّلوك، وَتَعَلقُ مَقَام بشَخْصٍ كنَايَةٌ عَنْ حُصُول شَأْن خَاصٌ لهُ في ذَلكَ المَقَام، وَلهُ امْتيَازٌ عَلى حدَة منْ أَرْبَاب ذَلكَ المَقَام. وَمنْ جُمْلَة ذَلكَ الامْتيَاز سَبْقَةُ الانْجذَاب فيمَا نَحْنُ فيه. وَالبَقَاءُ الخَاصُّ اَلذي كَانَ مَنْشَأً للعُلومِ وَالمَعَارف المُنَاسبَة لذَلكَ المَقَام وَتَحْقيقُ عُلوم مَقَام القَلب وَحَقيقَة الجَذْبَة وَالسُّلوك وَالفَنَاء وَالبَقَاء وَأَمْثَال ذَلكَ مَكْتُوبَةٌ في اَلرِّسَالة المَوْعُودَة بالتَّفْصيل. وَتَوَجَّهَ اَلسَّيِّدُ شَاه حُسَيْنٌ بالاضْطرَابِ وَالعَجَلَة فَلَمْ تَكُنْ فُرْصَةٌ لنَقْلهَا إلى البَيَاضِ وَنَتَشَرَّفُ إنْ

شَاءَ اَللهُ تَعَالى عَلى الفَوْرِ بِمُطَالَعَتِكُمْ. وَالعَزِيزُ المُتَوَقِّفُ نَزَل مِنْ فَوْق مِنْ مَقَام الجَذْبَة وَلَكِنْ لَيْسَ وَجْهُهُ إلى العَالَمِ بَل تَوَجُّهُهُ إلى جهَة الفَوْق. وَلَمَّا كَانَ عُرُوجُهُ إلى الجِهَة الفَوْقَانِيَّة بالقَسْرِ كَانَتْ لهُ مُنَاسَبَةٌ بالطَّبْعِ للجَذْبَة وَاسْتَصْحَبَ مَعَهُ شَيْئًا يَسيرًا وَقْتَ نُزُوله مِنْ فَوْق وَبِضَاعَةَ نسْبَته اَلتي كَانَتْ مِنْ تَوَجُّه القَاسِرِ.

وَكَانَ العُرُوجُ إِثْرَ ذَلكَ اَلتَّوَجُّه بَاقِيَةً إلى الآنَ في نِسْبَة الجَذْبَة كَالرُّوحِ في الجَسَد وَكَالنُّورِ في اَلظُّلْمَة، وَلكِنَّ هَذه الجَذْبَةَ غَيْرُ جَذْبَة خواجكان قَدَّسَ اَللهُ أَسْرَارَهُمْ بَل هِيَ جَذْبَةٌ وَصَلَتْ إِلى خواجهْ عُبَيْدِ اَللهِ أَحْرَارٍ[١] - قُدِّسَ سِرُّهُ - مِنْ آبَائِه الكِرَام[٢].

وَكَانَ اَلشَّأْنُ الخَاصُّ لَهُمْ في ذَلكَ المَقَامِ. وَقَدْ رَأَى بَعْضُ اَلطَّالبينَ في الوَاقعَة أَنَّ ذَلكَ العَزِيزَ المُتَوَقِّفَ أَكَلَ الخواجهْ يَعْني المَذْكُورَ آنفًا بالتَّمَام وَظُهُورُ أَثَرِ هَذه الوَاقعَة إِنَّمَا يَكُونُ في هَذَا المَقَامِ وَلَيْسَ لهَذه الجَذْبَة مُنَاسَبَةٌ لمَقَامِ الإفَادَة فَإِنَّ اَلتَّوَجُّهَ في مَقَامِ هَذه الجَذْبَة إلى جهَة الفَوْق دائمًا وَالسُّكْرُ الدَّائميُّ لاَزمَةٌ، وَبَعْضُ مَقَامَات الجَذْبَة مُنَافيَةٌ للسُّلوك بَعْدَ اَلدُّخول فيه وَبَعْضٌ آخَرُ لَيْسَ بمُنَاف لهُ بَل يَتَوَجَّهُونَ لأَجْلِ اَلسُّلوك بَعْدَ اَلدُّخُول فيه. وَهَذه الجَذْبَةُ مُنَافيَةٌ للسُّلوك بَعْدَ اَلدُّخول فيه. وَقَدْ تَوَجَّهْتُ إلى ذَلكَ المَقَام وَقْتَ تَحْرِيرِ العَرِيضَة وَظَهَرَ بَعْضُ دَقَائقه وَلاَ يَتَيَسَّرُ اَلتَّوَجُّهُ مِنْ غَيْرِ بَاعث وَاَللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بحَقيقَة الحَال.

وَقَدْ نَزَل ذَلكَ العَزِيزُ مُنْذُ أَشْهُرٍ وَلكنَّهُ لَمْ يَكُنْ دَاخلاً في مَقَام الجَذْبَة المَذْكُورَة بالتَّمَام، وَالمَانِعُ عَدَمُ العلم بشَأْن ذَلكَ المَقَام مَعَ اَلتَّوَجُّهَات المُوَاجبَة للتَّفرقَة وَتَشَتُّت البَال، وَعَسَى أَنْ يَتَيَسَّرَ اَلدُّخُول فيه بالتَّمَام وَقْتَ مُطَالعَة هَذه الكَلمَات غَيْرِ المُرْتَبطَة، وَلعَلهُ يَنْزل بَعْدَ ذَلكَ حَضْرَةُ الخَوَاجَهْ بالتَّمَام .

---

(١) ــ الشيخ عبيد الله أحرار، تقدمت ترجمته.

(٢) ــ يعني أجداده من طرف أمه كالشيخ عمر الباغستاني وأولاده وأقربائه كما هو مذكور في الرشحات لمؤلفه عفى عنه.

المَكْتُوب السَّادِسَ عَشَرَ
فِي بَيَانِ أَحْوَالِ الخُرُوجِ وَالنُّزُول وَغَيْرِهَا
كَتَبَهُ إِلى شَيْخِهِ المُعَظَّمِ

عَرِيضَةُ أَحْقَرِ الطَّلَبَةِ: أَنَّ مَوْلَانَا عَلَاءَ الدِّين، قَدْ بَلَغَ المَكْتُوبَ المُشْتَمِل فِي الأَلْقَاب ، وَقَدْ جَعَلْتُ فِي الكَشْف كُل المُقدَّمَات المَذْكُورَة فِي الكَشْف مُسَوَّدَةً مُتَمِّمَات تِلْكَ العُلومِ المَسْطُورَة وَمُكَمِّلاتُهَا مَحْظورًا أَيْضًا، وَلكِنْ لَمْ تُوجَدْ فُرْصَةٌ لِتَحْرِيرِه ؛ لِتَوَجُّه حَامِل العَرِيضَة نُرْسِلهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالى إِلى خِدْمَتِكُمْ سَرِيعًا. وَقَدْ أَرْسَلْتُ الآنَ رِسَالَةً أُخْرَى قَدْ نُقلتْ إِلى البَيَاضِ، وَكُنْت جَمَعْتُهَا بِالتمَاس بَعْضِ الأَصْحَاب. فَإِنَّهُمْ التَمَسُوا مِنِّي أَنْ أَكْتُبَ لَهُمْ نَصَائِحَ تَكُونُ نَافِعَةً فِي الطَّرِيقَة وَيَعْمَلونَ بِمَضْمُونهَا. وَالحَقُّ أَنَّهَا رِسَالةٌ عَدِيمَةُ النَّظِير كَثِيرَةُ البَرَكَة. وَكَانَ بَعْدَ تَحْرِيرِه مَعْلومًا أَنَّ النَّبِيَّ ــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ــ قَدْ حَضَرَ مَعَ جَمْعٍ كَثِيرٍ مِنْ مَشَايِخِ أُمَّتِه وَفِي يَدِه المُبَارَكَة هَذه الرِّسَالةُ وَهُوَ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - يُقَبِّلُهَا مِنْ كَمَال كَرَمِه وَيُرِيهَا المَشَايِخَ وَيَقُول: يَنْبَغِي أَنْ يَحْصُل مِثْل هَذه المُعْتَقَدَات، وَالجَمَاعَةُ الذِينَ اسْتَسْعَدُوا بِهَذه العُلومِ نُورَانِيُّونَ وَمُمْتَازُونَ. وَعَزِيزُو الوُجُود قَائِمُونَ فِي مُقَابَلتِه - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ -.

وَالحَاصِل أَنَّ النَّبِيَّ ــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ــ أَمَرَ هَذَا الفَقِيرَ بِإِشَاعَةِ هَذِه الوَاقِعَة وَإِظْهَارِهَا فِي ذَلِكَ المَجْلِس، (ع):

لاَ عُسْرَ فِي أَمْرٍ مَعَ الكِرَامِ

وَحِينَ جِئْتُ مِنَ المُلاَزَمَة لَمْ تَكُنْ فِي مُنَاسَبَة كَثِيرَة لِمَقَام الإِرْشَاد بِوَاسِطَة وُجُود المَيْل إِلى جِهَة الفَوْق فَأَرَدْتُ أَنْ أَقْعُدَ فِي زَاوِيَة أَوْقَاتًا. وَظَهَرَ النَّاسُ فِي النَّظَر مِثْل النَّمر وَالأَسَد وَكَانَ عَزْمُ العُزْلة وَالإِنْزِواء مُصَمَّمًا، وَلكِنْ لَمْ تَقَعْ الاسْتِخَارَةُ مُوَافقَةً لِلمَطْلوب، وَالعُرُوجُ إِلى غَايَة غَايَات مَدَارِجِ القُرْب وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهَا غَايَةٌ قَدْ تَيَسَّرَ، وَلاَ يَزَال يَتَيَسَّرُ، وَالأَحْوَال فِي التَّقَلب دَائِمًا كُل يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ، وَجُوزِيَ بِي مَقَامَات جَمِيعِ المَشَايِخِ إِلاَّ مَا شَاءَ اللهُ، (شِعْرٌ):

وَتَدَاوَلتْ أَيْدِي الكِرَامِ وَرْدَةً ... حَتَّى إِلى العالِي الجَنَاب تَرَقَّتْ

فَإِنْ عَدَدْتَ تَوَسُّطَ رُوحَانِيَّةِ المَشَايِخِ فِي ذَلِكَ يَنْجَرُّ إِلى الإِطْنَابِ وَالتَّطْوِيل. وَبِالجُمْلَةِ قَدْ جُوزِيَ بِي مِنْ جَمِيعِ مَقَامَاتِ الأَصْلِ كَمُجَاوَزَتِي مَقَامَاتِ الظِّلِّ، فَمَاذَا أُبَيِّنُ مِنَ العِنَايَاتِ العَدِيمَةِ الغَايَاتِ قَبْلُ مِنْ قَبْلِ بِلاَ عِلَّةٍ وَعَرَضَ عَلَيَّ مِنْ وُجُوهِ الوِلاَيَاتِ وَكَمَالاَتِهَا مَا لاَ يُمْكِنُ تَحْرِيرُهُ. وَأُنْزِلْتُ فِي ذِي الحِجَّةِ إِلى مَقَامِ القَلْبِ مِنْ مَدَارِجِ النُّزُولِ وَهَذَا المَقَامُ مَقَامُ التَّكْمِيلِ وَالإِرْشَادِ، وَلَكِنْ لاَ بُدَّ مِنْ أَشْيَاءَ لِتَتْمِيمِ هَذَا المَقَامِ وَتَكْمِيلِهِ وَمَتَى يَتَيَسَّرُ - ذَلِكَ وَالأَمْرُ لَيْسَ بِسَهْلٍ - وَمَعَ وُجُودِ المُرَادِيَّةِ يُقْطَعُ مِنَ المَنَازِلِ مَا لَوْ أُعْطِيَ المُرِيدُونَ عُمْرَ نُوحٍ لاَ يُعْلَمُ تَيَسُّرُهُ بَلْ هَذِهِ الوُجُوهُ مَخْصُوصَةٌ لِلْمُرَادِينَ وَلاَ مَحَلَّ هُنَا لِلْمُرِيدِينَ، وَنِهَايَةُ عُرُوجِ الأَفْرَادِ إِلى بِدَايَةِ مَقَامِ الأَصْلِ فَحَسْبُ، وَلاَ مُجَاوَزَةَ لِلأَفْرَادِ مِنْهَا؛ {ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ}[1] وَهَذَا هُوَ وَجْهُ التَّوَقُّفِ فِي مَرَاتِبِ التَّكْمِيلِ وَالإِرْشَادِ وَعَدَمِ النُّورَانِيَّةِ، إِنَّمَا هُوَ بِوَاسِطَةِ ظُهُورِ نُورِ ظُلْمَةِ الغَيْبِ لاَ شَيْءٍ آخَرَ، وَقَدْ يَعْجِنُ النَّاسُ فِي مُتَخَيَّلاَتِهِمْ أَشْيَاءَ لاَ يَنْبَغِي اعْتِبَارُهَا. شِعْرٌ.

كَيْفَ يَدْرِي الأَغْبِيَا حَالَ الكِرَام   فَاقْصُرِ الأَقْوَالَ وَاسْكُتْ وَالسَّلاَم

وَاحْتِمَالُ الضَّرَرِ غَالِبٌ فِي تَخَيُّلِ مِثْلِ هَذِهِ الظُّنُونِ.

فَيَنْبَغِي أَمْرُ هَؤُلاَءِ الجَمَاعَةِ بِإِغْمَاضِ نَظَرِ خَيَالاَتِهِمْ عَنْ أَحْوَالِ هَذَا المَكْسُورِ البَالِ فَإِنَّ مِثْلَ هَذَا النَّظَرِ لَهُ مَجَالٌ فِي مَحَالَ أُخْرَى كَثِيرَةٍ. شِعْرٌ.

من كم شده أم مراجو بيد   باكم شد كان سخن مكوبيد

تَرْجَمَةٌ

كُفُّوا المَلاَمَ عَنِ الذِي أَفْنَى وُجُو   دَهُ فِي الإِلهِ وَاحْذَرُوا مِنْ بَأْسِهِ

يَنْبَغِي التَّفَكُّرُ فِي غَيْرَةِ الحَقِّ - جَلَّ سُلْطَانُهُ - فَإِنَّ التَّكَلُّمَ وَالتَّقَوُّلَ فِي تَنْقِيصِ أَمْرٍ يُرِيدُ الحَقُّ سُبْحَانَهُ كَمَالَهُ غَيْرُ مُنَاسِبٍ جِدًّا بَلْ هُوَ فِي الحَقِيقَةِ مُعَارَضَتُهُ تَعَالَى. وَالنُّزُولُ فِي مَقَامِ القَلْبِ المَارِّ ذِكْرُهُ آنِفًا نُزُولٌ فِي مَقَامِ الفَرْقِ فِي الحَقِيقَةِ الذِي هُوَ مَقَامُ الإِرْشَادِ. وَالفَرْقُ فِي هَذَا المَوْطِنِ عِبَارَةٌ عَنِ امْتِيَازِ النَّفْسِ عَنِ الرُّوحِ وَالرُّوحِ عَنِ النَّفْسِ بَعْدَ دُخُولِ النَّفْسِ فِي نُورِ الرُّوحِ الذِي هُوَ الجَمْعُ وَمَا فُهِمَ مِنَ الجَمْعِ. وَالفَرْقُ قَبْلَ ذَلِكَ فَهُوَ مِنَ السُّكْرِ فَإِنَّ رُؤْيَةَ الحَقِّ مُفَارِقًا وَمُنْفَكًّا عَنِ الخَلْقِ التِي يَزْعُمُونَهَا مَقَامَ الفَرْقِ لاَ حَقِيقَةَ لَهَا بَلْ يَزْعُمُونَ الرُّوحَ المَذْكُورَةَ حَقًّا وَيَزْعُمُونَ رُؤْيَةَ مُفَارَقَتِهَا وَامْتِيَازِهَا عَنِ النَّفْسِ رُؤْيَةَ مُفَارَقَةِ الحَقِّ وَامْتِيَازِهِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ عَنِ

---

(١) ــ الآية: ٢١ من سورة الحديد، والآية: ٤ من سورة الجمعة.

الخَلق. وَعَلى هَذَا القِيَاسِ أَكْثَرُ عُلومِ أَرْبَابِ السُّكْرِ فَإِنَّ حَقِيقَةَ الأَمْرِ مَفْقُودَةٌ ثَمَّةَ وَالأَمْرُ عِنْدَ اللهِ سُبْحَانَهُ. وَقَدْ حَرَّرْتُ عُلومَ أَرْبَابِ الجَذْبَةِ وَالسُّلوك وَحَقِيقَةُ كُل مِنْ هَذَيْنِ المَقَامَيْنِ بِالتَّفْصِيل فِي رِسَالَةٍ أُخْرَى. وَسَتُشَرَّفُ بِوُقُوعِ النَّظَرِ الشَّرِيفِ عَلَيْهَا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالى.

اَلْمَكْتُوبُ اَلسَّابِعَ عَشَرَ
فى الأَحْوَال الْمُتَعَلقَة بالعُرُوجِ وَالنُّزُول
كَتَبَهُ إلى شَيْخِه الْمُكَرَّمِ أَيْضًا

عَرِيضَةُ أَحْقَرِ الخَدَمَة: إنَّ العَزِيزَ اَلذي كَانَ مُتَوَقِّفًا مُنْذُ أَوْقَات ظَهَرَ يَوْمَ اَلتَّحْرِيرِ أَنَّهُ عَرَجٌ منْ ذَلكَ المَقَام بنَحْوٍ منَ العُرُوجِ وَنَزَل اَلتَّحْتَ وَلكنَّهُ مَا نزَل بالتَّمَام. وَالبَقَايَا اَلذينَ كَانُوا تَحْتَ هَذَا المَقَام عَرَجُوا أَيْضًا وَتَوَجَّهُوا نَحْوَ اَلنُّزُول منْ طَرِيق ذَلكَ المَقَامِ الفَوْقَانيِّ. وَكُل كَيْفيَّة تَظْهَرُ بَعْدَ هَذَا نَعْرِضُهَا فَإنْ كَتَبَ صَاحبُ المُعَامَلة شَيْئًا بَعْدَ انْكشَاف حَاله لكَانَ أَقْرَبَ إلى اَلصَّوَاب.

وَلَمَّا كَانَ حُدُوثُ قَضيَّةَ هَذَا اَلنُّزُول قَوِيًّا وَدَفْعيًّا، وَقَدْ طَرَأَ عَلى الفَقير ضَعْفٌ بوَاسطَة تَنَاوُل الجَلاَّبِ لَمْ أَشْتَغل بِأَمْرِ هَذَا اَلنُّزُول وَلَمْ أَنْظُرْ إلى مَآله وَسَيَظْهَرُ إنْ شَاءَ اَللهُ تَعَالى.

اَلْمَكْتُوبُ اَلثَّامنَ عَشَرَ
فى اَلتَّمْكِينِ اَلذي يَحْصُلُ بَعْدَ اَلتَّلوِينِ
وَبَيَانِ مَرَاتِبِ الوِلاَيَاتِ اَلثَّلاَث
وَبَيَانِ أَنَّ وُجُودَ الوَاجِبِ تَعَالَى زَائِدٌ عَلَى ذَاتِه تَعَالَى وَغَيْرِ ذَلكَ
كَتَبَهُ إِلَى شَيْخِه اَلْمُكَرَّمِ أَيْضًا

عَرِيضَةُ أَقَلِ العَبِيدِ ذي اَلتَّقْصِيرِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الأَحَدِ: أَنَّهُ مَا دَامَتْ الأَحْوَالِ وَارِدَةً كُنَّا نَتَجَاسَرُ بِعَرْضِهَا وَلَمَّا حَرَّرَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ مِنْ رِقِّيَّةِ الأَحْوَالِ بِبَرَكَةِ تَوَجُّهَاتِكُمْ العَلِيَّةِ، وَشَرَّفَ بِالتَّمْكِينِ بَعْدَ اَلتَّخْلِيصِ مِنَ اَلتَّلوِينِ، مَا بَقِيَ فِي اليَدِ حَاصِلَ الأَمْرِ غَيْرُ الحَيْرَةِ وَالعَجْزِ، وَمَا حَصَلَ مِنَ الوَصْلِ سِوَى الهَجْرِ وَالفَصْلِ، وَمِنَ القُرْبِ غَيْرُ البُعْدِ، وَلَمْ يَزِدْ مِنَ المَعْرِفَةِ غَيْرَ اَلنَّكِرَةِ وَمِنَ العِلمِ غَيْرَ الجَهْلِ، فَلاَ جَرَمَ وَقَعَ اَلتَّوَقُّفُ فِي تَقْدِيمِ العَرَائِضِ. وَلَمْ أَتَجَاسَرْ بِمُجَرَّدِ عَرْضِ أَحْوَالِ أَيَّامِ الفِرَاقِ وَمَعَ ذَلكَ قَدْ اسْتَوْلَتْ البُرُودَةُ عَلَى القَلبِ عَلَى نَهْجٍ لاَ مَيْلَ فِيه إِلَى أَمْرٍ مَا أَصْلاً وَلاَ شَوْقَ وَلاَ أَقْدَرُ عَلَى اَلاشْتِغَالِ بِعَمَلٍ كَمَا هُوَ دَيْدَنُ أَرْبَابِ البِطَالَةِ.

شِعْرٌ:

وَإِنِّي لاَ شَيْءَ وَمِنْ ذَاكَ أَنْقُصُ وَمَنْ هُوَ لاَ شَيْءَ يَكُونُ مُعَطَّلاً

وَلنَرْجِعَ إِلَى أَصْلِ المَقْصُودِ وَنَقُولَ: وَالعَجَبُ أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ قَدْ شَرَّفَنِي الآنَ بِمَقَامِ حَقِّ اليَقِينِ اَلذي لَيْسَ العِلمُ وَالعَيْنُ فِيه بَعْضَهُ حِجَابًا عَنْ بَعْضٍ.

وَالفَنَاءُ وَالبَقَاءُ مُجْتَمِعَانِ فِيه وَفِي عَيْنِ الحَيْرَةِ وَفِقْدَانِ الأَمَارَةِ عِلمٌ وَشُعُورٌ، وَفِي نَفْسِ الغَيْبَةِ أُنْسٌ وَحُضُورٌ، وَمَعَ وُجُودِ العِلمِ وَالمَعْرِفَةِ لاَ يَحْصُلُ سِوَى اِزْدِيَادِ الجَهْلِ وَالنَّكِرَةِ، (ع):

أَلاَ فَاعْجَبُوا مَنْ وَاصِلٍ مُتَحَيِّرٍ

وَقَدْ رَزَقَ اَللهُ تَعَالَى بِمَحْضِ عِنَايَتِه اَلتي لَيْسَتْ لَهَا نِهَايَةٌ فِي مَدَارِجِ القُرْبِ وَالكَمَالاَتِ تَرْقِيَاتٍ بِلاَ نِهَايَةٍ فَفَوْقَ مَقَامِ الوِلاَيَةِ مَقَامُ اَلشَّهَادَةِ. وَنِسْبَةُ الوِلاَيَةِ إِلَى اَلشَّهَادَةِ كَنِسْبَةِ اَلتَّجَلي الصُّورِيِّ إِلَى اَلتَّجَلي الذَّاتِيِّ، بَل بُعْدُ مَا بَيْنَهُمَا أَكْثَرُ مِنْ بُعْدِ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ اَلتَّجَليَيْنِ كَذَا مَرَّةٍ. وَفَوْقَ مَقَامِ اَلشَّهَادَةِ مَقَامُ الصِّدِّيقِيَّةِ. وَالتَّفَاوُتُ

فِيمَا بَيْنَ هَذَيْنِ الْمَقَامَيْنِ أَجَل مِنْ أَنْ يُعَبَّرَ عَنْهُ بِعِبَارَةٍ وَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُشَارَ إِلَيْهِ بِإِشَارَةٍ وَلَيْسَ فَوْقَهُ مَقَامٌ إِلاَّ مَقَامَ اَلنُّبُوَّةِ عَلَى أَهْلِهَا اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ.

وَلاَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَقَامٌ بَيْنَ الصِّدِّيقِيَّةِ وَالنُّبُوَّةِ بَلْ هُوَ مُحَالٌ. وَهَذَا الْحُكْمُ - أَعْنِي الْحُكْمَ بِالاسْتِحَالَةِ - عُلِمَ بِكَشْفٍ صَرِيحٍ صَحِيحٍ، وَمَا أَثْبَتَهُ بَعْضُ أَهْلِ اَللهِ مِنَ الْوَاسِطَةِ بَيْنَ هَذَيْنِ الْمَقَامَيْنِ وَسَمَّوْهَا بِمَقَامِ الْقُرْبِ قَدْ شُرِّفْتُ بِهِ أَيضًا، وَاطَّلَعْتُ عَلَى حَقِيقَتِهِ بَعْدَ تَوَجُّهٍ كَثِيرٍ وَتَضَرُّعٍ غَزِيرٍ ظَهَرَ أَوَّلاً عَلَى طَوْرٍ بَيَّنَهُ بَعْضُ الأَكَابِرِ، ثُمَّ صَارَتْ حَقِيقَةُ الأَمْرِ مَعْلُومَةً. نَعَمْ إِنَّ حُصُول هَذَا الْمَقَامِ إِنَّمَا هُوَ بَعْدَ حُصُولِ مَقَامِ الصِّدِّيقِيَّةِ وَقْتَ الْعُرُوجِ. وَلكِنَّ كَوْنَهُ وَاسِطَةً مَحَل تَأَمُّلٍ. وَسَنَعْرِضُ حَقِيقَةَ الأَمْرِ بِالتَّفْصِيلِ بَعْدَ حُصُولِ الْمُلاَزَمَةِ اَلصُّورِيَّةِ إِنْ شَاءَ اَللهُ تَعَالَى.

وَذَلِكَ الْمَقَامُ عَالٍ جِدًّا وَلاَ يُعْلَمُ فِي مَنَازِلِ الْعُرُوجِ مَقَامٌ فَوْقَهُ وَيَظْهَرُ فِي هَذَا الْمَقَامِ زِيَادَةُ الْوُجُودِ عَلَى ذَاتِ اَللهِ عَزَّ وَجَل كَمَا هُوَ الْمُقَرَّرُ عِنْدَ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْحَقِّ شَكَرَ اَللهُ تَعَالَى سَعْيَهُمْ وَيَبْقَى الْوُجُودُ هُنَا أَيضًا فِي اَلطَّرِيقِ وَيَقَعُ الْعُرُوجُ فَوْقَهُ كَمَا قَالَ اَلشَّيْخُ أَبُو الْمَكَارِمِ رُكْنُ اَلدِّينِ عَلاَءُ اَلدَّوْلَةِ فِي بَعْضِ مُصَنَّفَاتِهِ: " وَفَوْقَ عَالَمِ الْوُجُودِ عَالَمُ الْمَلِكِ الْوَدُودِ " وَمَقَامُ الصِّدِّيقِيَّةِ مِنْ مَقَامَاتِ الْبَقَاءِ اَلَّتِي هِيَ نَاظِرَةٌ إِلَى الْعَالَمِ وَأَسْفَل[1] مِنْهُ مَقَامُ اَلنُّبُوَّةِ، وَفِي الْحَقِيقَةِ

هُوَ أَعْلَى مِنْهُ وَهُوَ مَقَامُ كَمَالِ اَلصَّحْوِ وَالبَقَاءِ، وَلَيْسَ لِمَقَامِ الْقُرْبِ لِيَاقَةُ الْبَرْزَخِيَّةِ بَيْنَ هَذَيْنِ الْمَقَامَيْنِ فَإِنَّهُ نَاظِرٌ إِلَى اَلتَّنْزِيهِ اَلصِّرْفِ، وَتَمَامِ الْعُرُوجِ شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا. شِعْرٌ.

قَدْ أَمْسَكُونِي وَرَاءَ الْمَرْءِ كُدْرَتُهُمْ أَقُول مَا قَالَ لِي أُسْتَاذِي الأَزَلِيُّ

وَقَدْ صَارَتْ الْعُلومُ اَلشَّرْعِيَّةُ اَلنَّظَرِيَّةُ الاسْتِدْلاَلِيَّةُ ضَرُورَةً كَشْفِيَّةً لاَ مُخَالَفَةَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أُصُولِ عُلَمَاءِ اَلشَّرِيعَةِ مِقْدَارَ شَعْرَةٍ، وَإِنَّمَا جُعِلَتْ تِلْكَ الْعُلُومُ الإِجْمَالِيَّةُ تَفْصِيلِيَّةً وَأُخْرِجَتْ مِنَ اَلنَّظَرِيَّةِ إِلَى اَلضَّرُورِيَّةِ. سُئِلَ الْخَوَاجَهْ الأَعْظَمُ - يَعْنِي بَهَاءَ اَلدِّينِ اَلنَّقْشَبَنْدِيَّ - قُدِّسَ سِرُّهُ - أَنَّهُ مَا الْمَقْصُودُ مِنَ اَلسُّلوكِ ؟ فَقَالَ: " الْمَقْصُودُ مِنْهُ كَوْنُ الْمَعْرِفَةِ الإِجْمَالِيَّةِ تَفْصِيلِيَّةً وَالاسْتِدْلاَلِيَّةِ كَشْفِيَّةً " وَلَمْ يَقُل حُصُول عُلُومٍ سِوَاهَا نَعَمْ يَظْهَرُ فِي اَلطَّرِيقِ عُلومٌ كَثِيرَةٌ وَمَعَارِفُ غَزِيرَةٌ وَلكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يُجَاوِزَهَا، وَمَا دَامَ اَلسَّالِكُ لَمْ يَصِل إِلَى نِهَايَةِ اَلنِّهَايَاتِ اَلَّتِي هِيَ مَقَامُ الصِّدِّيقِيَّةِ لاَ يَكُونُ لَهُ

---

(١) — يعني في مراتب الترول والبقاء ولهذا قال وهو في الحقيقة أعلى منه فافهم سند عفى عنه.

نَصِيبٌ مِنْ هَذِهِ الْعُلُومِ الْحَقِيقِيَّةِ وَالْمَعَارِفِ الْيَقِينِيَّةِ. فَيَا لَيْتَ شِعْرِي إِنَّ مِنْ أَهْلِ اَللهِ الْقَائِلِينَ بِحُصُولِ هَذَا الْمَقَامِ اَلشَّرِيفِ لأَنْفُسِهِمْ وَلَيْسَ لَهُمْ مُنَاسَبَةٌ بِعُلُومِ هَذَا الْمَقَامِ وَمَعَارِفِهِ فَمَا وَجْهُهُ: {وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ}(١).

وَاطَّلَعْتُ أَيْضًا عَلَى سِرِّ مَسْأَلَةِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ وَعَلِمْتُهَا عَلَى نَهْجٍ لاَ تَقَعُ الْمُخَالَفَةُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أُصُولِ ظَاهِرِ اَلشَّرِيعَةِ الْغَرَّاءِ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ مُبَرَّأَةً وَمُنَزَّهَةً عَنْ نَقْصِ الإِيجَابِ وَشَائِبَةِ الْجَبْرِ وَفِي اَلظُّهُورِ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالْعَجَبُ مَا وَجْهُ إِخْفَائِهَا مَعَ عَدَمِ مُخَالَفَتِهَا أُصُولَ اَلشَّرِيعَةِ فَلَوْ كَانَتْ فِيهَا شَائِبَةُ الْمُخَالَفَةِ لِكَانَ لِلسَّتْرِ وَالإِخْفَاءِ شَيْءٌ مِنَ الْمُنَاسَبَةِ: {لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ}(٢). شِعْرٌ.

وَمَنِ اَلذي فِي فِعْلِهِ يَتَكَلَّمُ دُونَ اَلرِّضَا يَا صَاحِ وَالتَّسْلِيمِ

وَتُفَاضُ الْعُلُومُ وَالْمَعَارِفُ مِثْلَ فَيَضَانِ الْمَطَرِ مِنْ سَحَابِ اَلرَّبِيعِ بِحَيْثُ تَعْجِزُ الْقُوَّةُ الْمُدْرِكَةُ عَنْ تَحَمُّلِهَا، وَإِطْلاَقُ الْقُوَّةِ الْمُدْرِكَةِ مُجَرَّدُ تَعْبِيرٍ وَإِلاَّ فَلاَ يَحْمِلُ عَطَايَا الْمَلِكِ إِلاَّ مَطَايَاهُ. وَقَدْ كَانَ فِي الأَوَائِلِ شَوْقٌ قَيَّدَ هَذِهِ الْعُلُومَ الْغَرِيبَةَ بِالْكِتَابَةِ، وَلَكِنِّي لَمْ أُوَفَّقْ لِذَلِكَ وَكَانَ لِي تَحَرُّجٌ وَثِقَلٌ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ فَسَلَيْتُ آخِرَ الأَمْرِ بِأَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ إِفَاضَةِ هَذِهِ الْعُلُومِ حُصُولُ الْمَلَكَةِ لاَ حِفْظُهَا، كَمَا أَنَّ طَلَبَةَ الْعُلُومِ يُحَصِّلُونَ الْعُلُومَ لِيَنَالُوا مَلَكَةَ الْمَوْلَوِيَّةِ لاَ أَنَّهُمْ يُحَصِّلُونَهَا لأَجْلِ حِفْظِ أُصُولِ اَلصَّرْفِ وَالنَّحْوِ وَغَيْرِهِمَا. وَلْنَعْرِضْ بَعْضَ الْعُلُومِ الْمَذْكُورَةِ قَالَ اَللهُ تَعَالَى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ اَلسَّمِيعُ الْبَصِيرُ}(٣) أَوَّلُ هَذَا الْكَلاَمِ إِثْبَاتُ اَلتَّنْزِيهِ الْمَحْضِ كَمَا هُوَ اَلظَّاهِرُ، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {وَهُوَ اَلسَّمِيعُ الْبَصِيرُ}(٤) مُتَمِّمٌ وَمُكَمِّلٌ لِلتَّنْزِيهِ، وَبَيَانُهُ أَنَّ ثُبُوتَ اَلسَّمْعِ وَالْبَصَرِ لِلْمَخْلُوقِ لَمَّا كَانَ مُوهِمًا لِثُبُوتِ الْمُمَاثَلَةِ، وَلَوْ فِي الْجُمْلَةِ نَفَى اَللهُ سُبْحَانَهُ عَنْهُمُ اَلسَّمْعَ وَالْبَصَرَ لِدَفْعِ هَذَا الْوَهْمِ يَعْنِي أَنَّ اَلسَّمِيعَ وَالْبَصِيرَ هُوَ تَعَالَى لَيْسَ إِلاَّ وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ الْمَوْجُودَتَانِ فِي الْمَخْلُوقَاتِ لَيْسَ لَهُمَا مَدْخَلٌ فِي اَلسَّمَاعِ وَالرُّؤْيَةِ. فَكَمَا أَنَّ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ خَلَقَ اَلسَّمْعَ وَالْبَصَرَ كَذَلِكَ يَخْلُقُ اَلسَّمَاعَ وَالرُّؤْيَةَ بَعْدَ خَلْقِ هَاتَيْنِ اَلصِّفَتَيْنِ بِطَرِيقِ جَرْيِ الْعَادَةِ مِنْ غَيْرِ تَأْثِيرٍ لِصِفَاتِهِمْ. وَلَوْ قُلْنَا بِالتَّأْثِيرِ فَالتَّأْثِيرُ فِيهَا أَيْضًا مَخْلُوقٌ فَكَمَا أَنَّ ذَوَاتَهُمْ جَمَادٌ

---

(١) ــ الآية: ٦٧ من سورة يوسف.

(٢) ــ الآية: ٢٣ من سورة الأنبياء.

(٣) ــ الآية: ١١ من سورة الشورى.

(٤) ــ الآية: ١١ من سورة الشورى.

مَحْضٌ كَذَلِكَ صِفَاتُهُمْ أَيْضًا جَمَادٌ مَحْضٌ. مَثَلاً إِذَا خَلَقَ القَادِرُ بِمَحْضِ قُدْرَتِه كَلاَمًا فِي الحَجَرِ لاَ يُقَال إِنَّ الحَجَرَ مُتَكَلِّمٌ فِي الحَقِيقَة وَإِنَّ لَهُ صِفَةَ الكَلاَم وَفِي هَذِه اَلصُّورَة، كَمَا أَنَّ الحَجَرَ جَمَادٌ، كَذَلِكَ هَذِه اَلصِّفَةُ لَوْ فُرِضَ أَنَّهَا مَوْجُودَةٌ فِيه أَيْضًا جَمَادٌ لاَ مَدْخَل لَهُ أَصْلاً فِي ظُهُور الحَرْف وَالصَّوْت.

وَجَمِيعُ اَلصِّفَات مِنْ هَذَا القَبِيل. غَايَةُ مَا فِي البَاب أَنَّ هَاتَيْنِ اَلصِّفَتَيْنِ لَمَّا كَانَتْ أَظْهَرَ مِنْ غَيْرِهِمَا خَصَّهُمَا اَللهُ تَعَالَى بِنَفْيِهِمَا وَيَكُونُ لُزُومُ نَفْيِ البَوَاقِي مِنْهَا بِالطَّرِيقِ الأَوْلَى. وَخَلَقَ اَللهُ سُبْحَانَهُ يَعْنِي فِي المَخْلُوق أَوَّلاً صِفَةَ العِلم ثُمَّ خَلَقَ تَوَجُّهَهُ نَحْوَ المَعْلومِ ثُمَّ خَلَقَ تَعَلقَهَا بِه ثُمَّ جَعَل ذَلِكَ المَعْلومَ مُنْكَشِفًا لَهُ ثُمَّ خَلَقَ اَلانْكِشَافَ فِيه بَعْدَ خَلق صِفَة العِلم بِمُجَرَّد جَرْيِ العَادَة فَعُلِمَ أَنْ لاَ مَدْخَل للعِلم فِي اَلانْكِشَاف وَكَذَلِكَ خَلَقَ فِيه أَوَّلاً صِفَةَ اَلسَّمْعِ ثُمَّ خَلَقَ الإِصْغَاءَ وَالتَّوَجُّهَ إِلَى اَلمَسْمُوعِ ثُمَّ خَلَقَ اَلسَّمَاعَ ثُمَّ خَلَقَ إِدْرَاكَ المَسْمُوع وَكَذَلِكَ خَلَقَ فِيه البَصَرَ أَوَّلاً ثُمَّ تَقْلِيبَ الحَدَقَة وَالتَّوَجُّهَ نَحْوَ المَرْئِيِّ ثُمَّ لِرُؤْيَة ثُمَّ إِدْرَاك المَرْئِيِّ وَعَلى هَذَا القِيَاسِ سَائِرُ اَلصِّفَات وَالسَّمِيعُ وَالبَصِيرُ إِنَّمَا هُوَ مَنْ يَكُونُ مَبْدَأُ سَمَاعَه وَرُؤْيَته هَاتَيْنِ اَلصِّفَتَيْنِ، وَمَنْ لَيْسَ كَذَلِكَ فَلَيْسَ بِسَمِيعٍ وَلاَ بَصِير. فَتُحَقِّقَ أَنَّ صِفَات المَخْلوقِينَ جَمَادَاتٌ كَذَوَاتِهِمْ. فَالمَقْصُودُ مِنْ آخرِ الكَلاَم نَفْيُ اَلصِّفَات عَنْهُمْ رَأْسًا لاَ أَنَّ لَهُمْ صِفَات.

وَتِلكَ اَلصِّفَاتُ ثَابِتَةٌ لَهُ سُبْحَانَهُ حَتَّى يَكُونَ جَمْعًا بَيْنَ اَلتَّنْزِيه وَالتَّشْبِيه بَل تَمَامُ الآيَة الكَرِيمَة لإِثْبَات اَلتَّنْزِيه وَنَفْيِ المُمَاثَلة رَأْسًا. وَالعِلمُ الأَوَّل، أَعْنِي إِثْبَاتَ صِفَات هَؤُلاَء للحَقِّ سُبْحَانَهُ وَاعْتِقَادَ ذَوَاتِهِمْ جَمَادًا مَحْضًا وَزَعْمَهَا فِي ظُهُورِ هَذِه اَلصِّفَات مِنْهُمْ مِثْل اَلدَّنِّ وَالكُوزِ فِي ظُهُور المَاء مِنْهُمَا مِنَ العُلومِ المُنَاسِبَة لِمَقَام الوِلاَيَة. وَالعِلمُ اَلثَّانِي، أَعْنِي وِجْدَانَ صِفَات هَؤُلاَء مِثْل الجَمَادَات وَاعْتِقَادَ أَنَّهُمْ لاَ شُعُورَ لَهُمْ كَالأَمْوَات كَمَا قَالَ اَللهُ تَعَالَى: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ}[1] مِنَ العُلومِ المُنَاسِبَة لِمَقَامِ اَلشَّهَادَة. وَمِنْ هُنَا أَيْضًا يُعْلمُ اَلتَّفَاوُتُ بَيْنَ هَذَيْنِ المَقَامَيْن. القَلِيل يَدُل عَلى الكَثِيرِ وَالقَطْرَةُ تُنْبِئُ عَنِ الغَدِير (ع)

وَعَامُ اَلرُّخْصِ يُعْلمُ مِنْ رَبِيعِ

وَكَذَلِكَ يَجِدُ أَرْبَابُ هَذَا المَقَامِ العَالِي أَفْعَال المَخْلوقَات كَالمَيِّت وَالجَمَاد لاَ أَنَّهُمْ يَنْسُبُونَ أَفْعَالَهُمْ إِلَى الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَيَقُولونَ إِنَّ فَاعِل هَذِه الأَفْعَال هُوَ اَللهُ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ عُلوًّا كَبِيرًا مَثَلاً إِذَا حَرَّكَ شَخْصٌ حَجَرًا لاَ يُقَال إِنَّ هَذَا اَلشَّخْصَ مُتَحَرِّكٌ

(١) ــ الآية: ٣٠ من سورة الزمر.

بَل هُوَ مُوجِدٌ للحَرَكَة فِي الحَجَرِ وَالْمُتَحَرِّكُ إِنَّمَا هُوَ الحَجَرُ وَكَمَا أَنَّ الحَجَرَ جَمَادٌ مَحْضٌ كَذَلِكَ حَرَكَتُهُ جَمَادٌ صِرْفٌ فَإِنْ هَلَكَ بِتلكَ الحَرَكَة فَرْضًا شَخْصٌ لاَ يُقَال إِنَّهُ قَتَلَهُ حَجَرٌ بَل يُقَال قَتَلَهُ ذَلِكَ اَلشَّخْصُ اَلذي حَرَّكَ الحَجَرَ. وَقَوْل عُلَمَاءِ اَلشَّرِيعَة شَكَرَ اَللهُ تَعَالَى سَعْيَهُمْ، مُوَافِقٌ لهَذَا العِلْمِ فَإِنَّهُمْ يَقُولونَ: إِنَّ مَفْعُول المَخْلوقَات مَصْنُوعُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ مَعَ وُجُود صُدُورِ الأَفْعَال عَنْهُمْ بالإِرَادَة وَالاخْتيَار وَلاَ مَدْخَل لأَفْعَالهِمْ فِي مَصْنُوعيَّته وَأَفْعَالهُمْ عبَارَةٌ عَنْ حَرَكَات شَتَّى مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لَهَا تَأْثِيرٌ فِي حُصُول المُرَاد، كَانَتْ تلكَ الإِرَادَةُ أَيْضًا كَالْمَيِّت وَفَائدَتُهَا إِنَّمَا هِيَ كَوْنُ المُرَاد مَخْلوقًا بَعْدَ تَحَقُّقهَا بطَرِيق جَرْيِ العَادَة.

وَلوْ قِيلَ إِنَّ قُدْرَةَ المَخْلوق مُؤَثِّرَةٌ وَلوْ فِي الجُمْلة كَمَا ذَهَبَ إِلَيْه عُلَمَاءُ مَا وَرَاءَ اَلنَّهْر. فَذَلكَ اَلتَّأْثِيرُ أَيْضًا مَخْلوقٌ فيهَا كَمَا هِيَ مَخْلوقَةٌ بنَفْسهَا فَفِي تَأْثِيرهَا لاَ اخْتيَارَ لهُ أَصْلاً فَيَكُونُ تَأْثِيرُهَا أَيْضًا كَالجَمَاد. مَثَلاً إِذَا رَأَى شَخْصٌ حَجَرًا نَازِلاً مِنْ فَوْق بتَحْرِيك مُحَرِّك وَأَهْلكَ حَيَوَانًا فَكَمَا أَنَّ ذَلكَ اَلشَّخْصَ يَعْتَقدُ أَنَّ هَذَا الحَجَرَ جَمَادٌ كَذَلكَ يَعْتَقدُ أَنَّ فعْلهُ اَلذي هُوَ حَرَكَتُهُ جَمَادٌ وَيَعْتَقدُ أَنَّ الأَثَرَ المُتَرَتِّبَ لذَلكَ الفعْل أَعْنِي الهَلاَكَ أَيْضًا جَمَادٌ. فَالذَّوَاتُ وَالصِّفَاتُ وَالأَفْعَال كُلهَا جَمَادَاتٌ مَحْضَةٌ وَأَمْوَاتٌ صرْفَةٌ. فَهُوَ الحَيُّ القَيُّومُ وَهُوَ اَلسَّميعُ البَصيرُ وَهُوَ العَليمُ الخَبيرُ وَهُوَ الفَعَّال لمَا يُرِيدُ: {قُل لوْ كَانَ البَحْرُ مدَادًا لكَلمَات رَبِّي لَنفدَ البَحْرُ قَبْل أَنْ تَنْفَدَ كَلمَاتُ رَبِّي وَلوْ جئْنَا بمثْله مَدَدًا}(١) وَقَدْ كَثُرَتْ إِسَاءَةُ الأَدَب وَجَاوَزَ اَلانْبسَاطُ الحَدَّ فَمَاذَا أَصْنَعُ فَإِنَّ جَمَال الكَلاَمِ اَلذي هُوَ منَ الجَميل المُطْلق أَوْرَدَني مَوْرِدَان يَظُنُّ أَنَّ الكَلاَمَ كُلمَا يَطُول يَزْدَادُ حُسْنًا وَكُلمَا يُقَال حَاكيًا عَنْهُ يَكُونُ منَ اَللذَّة وَالحَلاَوَة فِي المَقَامِ الأَسْنِيِّ، مَعَ أَنِّي لاَ أَجِدُ فِي نَفْسي مُنَاسَبَةً لأَنْ أَتَكَلمَ منْ ذَلكَ الجَنَاب أَوْ أَتَفَوَّهُ باسْمه. شعْرٌ.

غَسَلتُ بِمَاءِ الوَرْدِ وَالمِسْكِ أَلفَ مـــ ـــرَّةٍ فِي بُعْدِ لسْت أَهْلاً لذكْرِهِ

(ع):

عَلى المَرْءِ أَنْ لاَ يَجْهَل اَلدَّهْرَ طَوْرَهُ

وَالمَرْجُوُّ بَذْل اَلتَّوَجُّه وَالعنَايَة وَمَا إِذَا أَعْرِضُ منْ سُوءِ أَحْوَالي وَكُل مَا أَجِدُ فِي نَفْسي فَهُوَ مِنْ عِنَايَات مَبْدَأ ذَلكَ اَلتَّوَجُّه العَالي وَإِلاَّ، (ع):

---

(١) ـــ الآية: ١٠٨ من سورة الكهف.

أَنَا ذَاكَ أَحْمَدُ لَمْ أَكُنْ مُتَغَيِّرًا

وَظَهَرَ لِلْمَيَّان شَاه حُسَيْنٍ طَرِيقُ اَلتَّوْحِيد فَهُوَ الآنَ مَحْظُوظٌ بِه وَيَخْطُرُ فِي البَال إِخْرَاجُهُ مِنْهُ لِيَبْلُغَ الحَيْرَةَ فَإِنَّهَا مَقْصُودَةٌ. وَمُحَمَّدٌ صَادِقٌ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَضْبِطَ نَفْسَهُ لِصِغَرِه فَإِنْ كَانَ رَفِيقًا فِي اَلسَّفَرِ يَنَال تَرْقِيَات كَثِيرَةً. وَقَدْ كَانَ فِي سَيْرِ سَفْحِ الجَبَل رَفِيقًا فَنَال تَرَقِّيًا كَثِيرًا وَتَجَرَّعَ مِنْ بَحْرِ الحَيْرَةَ فَلَهُ مُنَاسَبَةٌ تَامَّةٌ لِلفَقِير فِي الحَيْرَة. وَالشَّيْخُ نُورٌ أَيْضًا فِي ذَلِكَ المَقَامِ وَقَدْ تَرَقَّى تَرَقِّيًا كَثِيرًا. وَمِنْ أَقْرِبَاءِ هَذَا الفَقِيرِ غُلاَمٌ لَهُ حَال عَال جِدًّا قَرِيبٌ مِنَ اَلتَّجَلِّيَات البَرْقِيَّة بَل مُسْتَسْعِدٌ بِهَا.

اَلمَكْتُوبُ اَلتَّاسِعَ عَشَرَ
فى تَفْوِيضِ بَعْضِ أَرْبَابِ الحَوَائِجِ
كَتَبَهُ إِلى شَيْخِهِ المُكَرَّمِ أَيْضًا

عَرِيضَةُ أَحْقَرِ الخَدَمَةِ: إِنَّهُ جَاءَ شَخْصٌ مِنَ العَسْكَرِ وَأَخْبَرَ أَنَّ مَبْلَغَ أَرْبَابِ وَظَائِف فُقَرَاءِ دهلى وسرهندَ - يَعْنِي وَظَائِفَهُمْ - قَدْ مُنِعَ وَأُحِيلَ عَلى مُلازِمِي العَتَبَةِ العَلِيَّةِ مِنْ أَجْلِ مَادَّةِ فَصْلِ الخَرِيفِ المَارِّ لِيُوصِلُوا إِلى المُسْتَحِقِّينَ بَعْدَ اَلتَّحْقِيقِ الحَقِيقِ فَبِنَاءً عَلى ذَلِكَ صَدَرَ الجَرَاءَةُ فَإِنْ كَانَ هَذَا الخَبَرُ صِدْقًا يُحَالُ عَلى حَامِلِ العَرِيضَةِ أَلفُ دِرْهَمٍ فِصْلاَنَهُ باسْمِ اَلشَّيْخِ الحَافِظ أَبِي الحَسَنِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ وَأَلفَ دِرْهَمٍ فِصْلاَنَهُ بِاسْمِ اَلشَّيْخِ الحَافِظ شَاه مُحَمَّد مِنْ وُكَلاَءِ اَلشَّيْخِ نَوَّاب المُقَرَّرَةِ وَهُمَا حَيَّان قَائِمَان لَيْسَ فِيهِمَا شَائِبَةُ اَلاشْتِبَاه وَقَدْ أَرْسَلَ كُلٌ مِنْهُمَا وَكِيلَهُ المُعْتَمَدَ وَالمُشَارَ إِلَيْهِمَا فِي سرهندَ.

اَلْمَكْتُوبُ العِشْرُونَ
فى تَفْوِيضِ بَعْضِ أَرْبَابِ الحَوَائِجِ
كَتَبَهُ إِلَى شَيْخِهِ المُعَظَّمِ أَيْضًا

عَرِيضَةُ أَحْقَرِ الخَدَمَةِ: أَنَّهُ قَدْ صَدَرَ مِنَّا تَشْوِيشُ أَوْقَاتِ خَادِمِي العَتَبَةِ العَلِيَّةِ مُكَرَّرًا فِي بَابِ وَظَائِفِ وَالِدَةِ حَبِيبِ اَللهِ السَّرْهَنْدِيِّ وَمَنْكُوحَتِهِ ومَخادِيمَ أُخْرَى مِمَّنْ ذُكِرُوا فِي ضِمْنِ العَرِيضَةِ. فَإِنْ كَانَ مَبْلغُ وَظَائِفِ المُشَارِ إِلَيْهِمْ فِي دهلى فَأْمُرُوا مَوْلَانَا عَلِيًّا بِتَسْلِيمِهِ إِلَيْهِمْ وَقَدْ جَاءَ بَعْضُهُمْ بِطَرِيقِ الوَكَالَةِ وَبَعْضُهُمْ بِطَرِيقِ الأَصَالَةِ. فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَبْلَغُهُمْ فِي دهلى فَالمُشَارُ إِلَيْهِمْ أَحْيَاءٌ قَائِمُونَ يَلْتَمِسُونَ تَصْحِيحَ حِصَصِهِمْ وَالزِّيَادَةُ عَلَى ذَلِكَ انْبِسَاطٌ.

اَلْمَكْتُوبُ الحادِيَ وَالعِشْرُونَ
فى بَيَان دَرَجَات الولاَيَة لاَ سِيَّمَا الولاَيَة الُمحَمَّدِيَّة
عَلَى صَاحِبهَا اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ
وَمَدْحِ اَلطَّرِيقَة النَّقْشبَنْدِيَّة العَليَّة قَدَّسَ اَللهُ أَسْرَارَ أَهْلهَا
وَعُلوِّ نسْبَتِهِمْ وَفَضْلَهَا عَلَى نَسَب سَائِرِ اَلطُّرق
أَرْسَلهُ إلى اَلشَّيْخِ مُحَمَّدٍ المَكِّي ابْنِ الحَاجّ مُوسَى القَارِي اللاهوري

وَصَل المَكْتُوبُ اَلشَّرِيفُ اَللطيفُ إلى العَبْد اَلضَّعِيف اَلنَّحيف. عَظَّمَ اَللهُ سُبْحَانَهُ أَجْرَكُمْ وَيَسَّرَ أَمْرَكُمْ وَتَقَبَّل عُذْرَكُمْ، بحُرْمَة سَيِّد البَشَرِ المُطَهَّرِ عَنْ زَيْغِ البَصَرِ عَلَيْه وَعَلى آله مِنَ اَلصَّلوَات أَفْضَلهَا وَمِنَ اَلتَّسْليمَاتُ أَكْمَلهَا.

اعْلَمُوا إخْوَاني: أَنَّ المَوْتَ اَلذي قَبْل المَوْت المُعَبَّر عَنْهُ بالفَنَاء عنْدَ أَهْل اَلله مَا لَمْ يَتَحَقَّقْ لَمْ يَتَيَسَّرْ الوُصُول إلى جَنَاب القُدْسِ بَل لَمْ يُمْكنْ اَلنَّجَاةُ عَنْ عبَادَة المَعْبُودَات البَاطلة الأَفاقيَّة وَالآلهَة الهَوَائيَّة الأَنْفَسيَّة فَلمْ يَتَحَقَّقْ حَقيقَةُ الإسْلاَمِ وَلَمْ يَتيَسَّرْ كَمَال الإيمَان فَكَيْفَ يَحْصُل اَلدُّخول في زُمْرَة العبَاد وَالوُصُول إلى دَرَجَة الأَوْتَادِ مَعَ أَنَّ هَذَا الفَنَاءَ قَدَمٌ أَوَّل يُوضَعُ فِي أَطْوَارِ الولاَيَةِ وَكَمَال أَسْبَقُ يَحْصُل فِي البدَايَة.

فَيَنْبَغِي أَنْ يُقَاسَ مِنْ أَوَّل الولاَيَةِ حَال آخرِهَا وَمِنْ بدَايَتِهَا دَرَجَةُ نِهَايَتِهَا وَلنعْمَ مَا قِيل، (ع) :

وَقِسْ مِنْ حَال بُسْتَاني رَبِيعي

وَغَيْرُهُ:

وَعَامُ اَلرُّخْصِ يُعْلمُ مِنْ رَبِيعِ

وَللوِلاَيَة دَرَجَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ. إذْ عَلى قَدَمِ كُل نَبيٍّ وِلاَيَةٌ خَاصَّةٌ بِه وَأَقْصَى دَرَجَاتهَا هِيَ اَلتي عَلى قَدَمِ نَبِيِّنَا عَلَيْه وَعَلى جَميعِ إخْوَانه مِنَ اَلصَّلوَات أَتَمُّهَا وَمِنَ اَلتَّحيَّات أَيْمَنُهَا إذْ اَلتَّجَلي الذَّاتيُّ اَلذي لاَ اعْتبَارَ فيه للأَسْمَاءِ وَالصِّفَات والشئونِ وَالاعْتبَارَات لاَ بالإيجاب وَلاَ بالسَّلب مَخْصُوصٌ بوِلاَيَته ﷺ.

وَخَرْقُ جَميعِ الحُجُب الوُجُوديَّة وَالاعْتبَاريَّة علمًا وَعَيْنًا يَتَحَقَّقُ في هَذا المَقَامِ فَيحْصُل الوَصْل عُرْيَانًا وَيَتَحَقَّقُ الوَجْدُ حَقيقَةً لاَ حُسْبَانًا. وَللكَمَال مِنْ مُتَابعيه

عَلَيْه اَلصَّلاَةُ وَالتَّحيَّةُ نَصيبٌ كَامل وَحَظٌّ وَافرٌ منْ هَذَا المَقَام العَزيز وُجُودُهُ. فَعلَيْكُمْ باتِّبَاعه ــ صَلى الله عَلَيْه وَسَلمَ ــ إنْ كُنتُمْ مُتوَجِّهينَ إلى تَحْصيل هَذه الولاَيَة القُصْوَى وَتَكْميل هَذه الدَّرَجَة العُلْيَا وَهَذَا التَّجلي الذَّاتيُّ برْقيٌّ عنْدَ أَكْثَر المَشَايخِ رَحمَهُمُ اَللهُ تَعَالى يَعْني أَنَّ خَرْقَ الحُجُب عَنْ حَضْرَة الذَّات - جَل سُلطَانُهُ - يَكُونُ في زَمَان يَسير كَالبَرْق ثُمَّ تُسْدَل حُجُبُ الأَسْمَاء وَالصِّفَات وَيُستَرُ سَطَوَاتُ أَنْوَار اَلذَّات تَعَالَى فَيَكُونُ الحُضُورُ الذَّاتيُّ لَمحَةً كَالبَرْق، وَالغَيْبَةُ اَلذَّاتيَّةُ كَثيرَةٌ جدًّا. وَعنْدَ أَكَابر المَشَايخِ النَّقْشَبَنْديَّة قَدَّسَ اَللهُ أَسْرَارَهُمْ هَذَا الحُضُورُ الذَّاتيُّ دَائميٌّ. وَلاَ عبْرَةَ عنْدَهُمْ للحُضُور اَلزَّائل اَلمُتَبَدِّل بالغيبَة فَيَكُونُ كَمَال هَؤُلاَء الأَكَابر فَوْقَ جَميع الكَمَالاَت وَنسْبَتُهم فَوْقَ جَميع اَلنِّسَب كَمَا وَقَعَ في عبَارَاتهمْ: " إنَّ نسْبَتَنَا فَوْقَ جَميع اَلنِّسَب " وَأَرَادُوا بالنِّسْبَة الحُضُورَ الذَّاتيَّ الدَّائميَّ. وَأَعْجَبُ منْ ذَلكَ أَنَّ اَلنِّهَايَةَ في طَريقَة هَؤُلاَء الكَمال مُنْدَرجَةٌ في البدَايَة وَاقْتدَاؤُهُمْ في ذَلكَ بصَحَابَة رَسُول اَلله ــ صَلى الله عَلَيْه وَسَلمَ ــ وَبَارَكَ وَكَرَّمَ فَإنَّهُمْ في أَوَّل صُحْبَة اَلنَّبيِّ عَلَيْه اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ نَالوا مَا يَتَيَسَّرُ في اَلنِّهَايَة وَذَلكَ باندرَاج اَلنِّهَايَة في البدَايَة، فَكَمَا كَانَتْ ولاَيَةُ مُحَمَّد رَسُول اَلله - صَلى اَللهُ عَلَيْه وَآله وَسَلمَ - فَوْقَ ولاَيَات جَميع الأَنْبيَاء وَالرُّسُل - عَلَيْهم اَلصَّلوَاتُ وَالتَّسْليمَاتُ - كَذَلكَ كَانَتْ ولاَيَةُ هَؤُلاَء الأَكَابر فَوْقَ جَميع ولاَيَات الأَوْليَاء قَدَّسَ اَلله تَعَالى أَسْرَارَهُمْ كَيْفَ وَإنَّ ولاَيَتَهُمْ مَنْسُوبَةٌ إلى اَلصِّدِّيق الأَكْبَر نَعَمْ لأَفْرَاد مَنْ كمَل المَشَايخِ قَدْ حَصَلَتْ هَذه اَلنِّسْبَةُ لكنْ باقْتبَاس منَ اَلصِّدِّيق الأَكْبَر ــ رَضيَ اَللهُ تَعَالى ــ عَنْهُ كَمَا أَخْبَرَ أَبُو سَعيد عَنْ دَوَام هَذَا الحَديث وَقَدْ وَصَلَتْ جُبَّةُ اَلصِّديق الأَكْبَر ــ رَضيَ اَللهُ عَنْهُ ــ إلى هَذَا اَلشَّيْخ أَبي سَعيد كَمَا نَقَل صَاحبُ اَلنَّفَحَات.

وَالغَرَضُ منْ إظْهَار بَعْض كَمَالاَت هَذه اَلطَّريقَة العَليَّة اَلنَّقْشَبَنْديَّة تَرْغيبُ اَلطُّلاَّب في هَذه اَلطَّريقَة وَإلاَّ فَمَا لي وَلشَرْح كَمَالاَتهَا قَال المولوى في المثنوى شعْرٌ.

لَمْ يُنَاسبْ شَرْحَهُ للخلق بَل — حَقَّ أَنْ يَخفَى كَعشْق في المَثل
غَيْرَ أَنِّي صفَتُهُ كَيْ يَرْغَبُوا — فيه قَبْل الفَوْت كَيْ لاَ يَحزَنُـــوا

وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلى سَائر مَن اتَّبعَ الهُدَى.

اَلمكْتُوبُ اَلثَّاني وَالعشْرُونَ

أَرْسَل إلى اَلشَّيْخ عَبْد المَجيد بْن اَلشَّيْخ مُحَمَّد المُفْتي اللاهوري

فى بَيَان وَجْه اَلتَّعَلق بَيْنَ اَلرُّوح وَاَلنَّفْس

وَبَيَان عُرُوجهمَا وَنُزُولهمَا

وَبَيَان الفَنَاء الجَسَديِّ والرُّوحيِّ وبَقَائهمَا

وَبَيَان مَقَام اَلدَّعْوَة وَالفرْق بَيْنَ المُسْتَهْلَكينَ

وَمن الأَوْلِيَاء وَالرَّاجعينَ إلى اَلدَّعْوَة

سُبْحَانَ مَنْ جَمَعَ بَينَ اَلنُّور وَالظُّلْمَة وَقَرَنَ اَللاَّمَكَانيَّ المُتَبَرِّي عَن الجهَة مَعَ المَكانيِّ الحَاصل في الجهَة فَحُبِّبَتْ اَلظُّلمَةُ إلى اَلنُّور فَعَشقَ بهَا وَامْتَزجَ مَعَهَا بكَمَال المَحَبَّة ليَزْدَادَ بهَذَا اَلتَّعَلق جَلاَؤُهُ وَيَكمُل بمُجَاوَرَة اَلظُّلمَة صَفَاؤُهُ كَالمرْآة إذَا أُريدَ صقَالَتُهَا وَقُصدَ ظُهُورُ لطَافتهَا تَربَتْ أَوَّلاً ليَظْهَرَ بمُجَاوَرَة اَلظُّلمَة اَلتُّرَابيَّة صَفَاؤُهَا وَيَزْدَادَ بتَعَلق الكَثَافَة اَلطِّينيَّة بَهَاؤُهَا فَنَسيَ ذَلكَ اَلنُّورُ مَا حَصَل لهُ أَوَّلاً منْ شُهُوده القُدْسيِّ بَل جَهل نَفْسَهُ وَتَوَابعَهُ الوُجُوديَّةَ لاسْتغرَاقه في شُهُود مَعْشُوقه الظُّلمانيِّ وَتَعَلقه بالهَيْكَل الهيولانى فَصَارَ منْ أَصْحَاب المَشْأَمَة في مُصَاحَبته وَضَاعَ منْ كَرَامَات المَيْمَنَة في مُجَاوَرَته فَإنْ بَقيَ في مَضيق هَذَا اَلاسْتغْرَاق وَلَمْ يَتَخَلصْ إلى فَضَاء الإطْلاَق فَالوَيْل لهُ كُل الوَيْل لَمَا لمْ يَتَيسَّرْ لهُ مَا هُوَ المَقْصُودُ منْهُ وَضَاعَ جَوْهَرُ اسْتعْدَاده فَضَل ضَلاَلاً بعيدًا وَإنْ سَبَقَتْ لهُ الحُسْنَى وَأَدْرَكَتْهُ العنَايَةُ القُصْوَى رَفَعَ رَأْسَهُ وَتَذَكَّرَ مَا ضَل عَنْهُ فَرجَعَ القَهْقَرَى قَائلاً شعْرٌ:

إلَيْك يَا مُنْيَتي حَجِّي وَمُعْتَمري ... إنْ حَجَّ قَوْمٌ عَلى تَرب وَأَحْجَار

وَإنْ حَصَل لهُ اَلاسْتغْرَاقُ ثانيًا في شُهُود المَطْلوب الأَقْدَس عَلى أَحْسَن طُرُق وَتَيَسَّرَ لهُ اَلتَّوَجُّهُ إلى الجَنَاب المُقَدَّس بأَكْمَل وُجُوه تَبعَةَ اَلظُّلمَةُ ح وَانْدَرَجَتْ في غَلَبَات أَدْوَاره، فَإذَا بَلغَ هَذَا اَلاسْتغرَاقُ إلى أَنْ نَسيَ المُتَعَلقُ الظُّلمَاني رَأْسًا وَجَهل نَفْسَهُ وَتَوَابعَ وُجُوده كُليَّةً فَاسْتَهْلكَ في مُشَاهَدَة نُور الأَنْوَار، وَحَصَل لهُ حُضُورُ المَطْلوب وَرَاءَ الأَسْتَار، شُرِّفَ بالفَنَاء الجَسَديِّ والرُّوحيِّ وَإنْ حَصَل هَل البَقَاءُ بذَلكَ المَشْهُود أَيْضًا بَعْدَ الفَنَاء فيه فَقَدْ تَمَّتْ لهُ جهَتَا الفَنَاء وَالبَقَاء وَصَحَّ ح إطْلاَقُ اسْم الولاَيَة عَليْه.

فَحِينَئِذٍ لاَ يَخلو حَاله مِنْ أَمْرَيْنِ: إِمَّا الاسْتِغْرَاقُ فِي المَشْهُودِ بالكُلِيَّة وَالاسْتِهْلاَكُ فِيهِ عَلى الدَّوَام. وَإِمَّا الرُّجُوعُ إِلى دَعْوَةِ الخَلقِ إِلى الحَقِّ عَزَّ سُلطَانُهُ بِأَنْ يَصِيرَ بَاطِنُهُ مَعَ الله سُبْحَانَهُ وَظَاهِرُهُ مَعَ الخَلقِ فَيَتَخَلصَ النُّورُ مِنَ الظُّلمَةِ المُنْدَرِجَةِ فِيهِ المُتَوَجِّهَةِ إِلى المَطْلوبِ، وَيَصِيرُ بِهَذَا التَّخَلصِ مِنْ أَصْحَابِ اليَمِينِ، وَهُوَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لهُ فِي الحَقِيقَة يَمِينٌ وَلاَ شمَال لكنَّ اليَمِينَ أَوْلى بِحَالِهِ وَأَنْسَبُ لكَمَالِهِ، لجَامِعِيَّته الجِهَة الخَيْرِيَّةَ مَعَ اشْتِرَاكِهِمَا فِي اليُمْنِ وَالبَرَكَةِ كَمَا وَقَعَ فِي شَأْنِهِ عَزَّ شَأْنُه كِلتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ[١] وَتَنْزل تلك الظُّلمَةُ مِنْ ذَلكَ النُّورِ فِي مَقَام العِبَادَةِ وَأَدَاءِ الطَّاعَة. ونَعْنِي بِالنُّورِ اللاَّمَكانيِّ الرُّوحَ بَل خُلاَصَتَهُ وَبِالظُّلمَةِ المُقَيَّدَةِ بِالجِهَةِ النَّفسَ. وَكَذَا المُرَادُ بِالظَّاهِرِ وَالبَاطِنِ فَإِنْ قَال قَائِل: إِنَّ للأَوْلِيَاءِ المُسْتَهْلِكِينَ أَيْضاً شُعُورًا بِالعَلم وَتَوَجُّهًا إِليْهِ وَاخْتِلاَطًا مَعَ بَنِي نَوْع فَمَا مَعْنَى الاسْتِهْلاَكِ وَالتَّوَجُّهِ عَلى الدَّوَامِ؟ وَمَا الفَرْقُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ المَرْجُوعِينَ إِلى العَالمِ للدَّعْوَةِ؟

قُلنَا: إِنَّ الاسْتِهْلاَكَ وَالتَّوَجُّهَ بِالكُلِيَّة عِبَارَةٌ عَنْ تَوَجُّهِ الرُّوحِ وَالنَّفسِ مَعًا بَعْدَ انْدِرَاجِ النَّفسِ فِي أَنْوَارِ الرُّوحِ كَمَا مَرَّتْ الإِشَارَةُ إِليْهِ.

وَالشُّعُورُ بِالعَالمِ وَنَحْوِهِ إِنَّمَا يَكُونُ بِالحَوَاسِّ وَالقُوَى وَالجَوَارِح التِي هِيَ كَالتَّفَاصِيل للنَّفسِ، فَالمُجْمَلِ المُلَخَّصُ مُسْتَهْلَكٌ فِي ضِمْنِ أَنْوَارِ الرُّوحِ فِي مُطَالعَةِ المَشْهُودِ وَتَفْصِيلهِ بَاقٍ عَلى الشُّعُورِ السَّابِقِ مِنْ غَيْرِ تَطَرُّقِ فُتُورٍ إِليْهِ، بِخلاَفِ المَرْجُوع إِلى العَالمِ فإِنَّ نَفسَهُ بَعْدَ كَوْنِهَا مُطْمَئِنَّةً تَخرُجُ مِنْ تِلكَ الأَنْوَارِ للدَّعْوَةِ وَتَحصُل لهُ المُنَاسَبَةُ مَعَ العِلم فَتَقَعُ الدَّعْوَةُ بِتلكَ المُنَاسَبَةِ فِي مَعْرِضِ الإِجَابَةِ.

وأَمَّا بَيَانُ أَنَّ النَّفسَ مُجْملَةٌ وَالحَوَاسَّ وَنَحْوَهَا تَفَاصِيلها؛ فَلأَنَّ النَّفْسَ لَها تَعلقٌ بِالقَلبِ الصَّنُوبَرِيِّ، وَهُوَ لهُ تَعَلقٌ بِالرُّوحِ بِتَوَسُّط الحَقِيقَةِ الجَامِعِيَّةِ القَلْبِيَّةِ وَالفُيوضِ الوَارِدَةِ مِنَ الرُّوحِ تَرِدُ إِجْمالاً أَوَّلاً عَليْهَا ثُمَّ بِتَوَسُّطِهَا إِلى سَائِرِ القُوَى وَالجَوَارِحِ تَفْصِيلاً فَخُلاَصَتُهَا مَوْجُودَةٌ فِي النَّفْسِ إِجْمَالاً فَظَهَرَ الفَرْقُ بَيْنَ الفَرِيقَيْنِ.

وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلمَ: أَنَّ الطَّائِفَةَ الأُولى مِنْ أَرْبَابِ السُّكرِ، وَالثَّانِيَةِ مِنْ أَرْبَابِ الصَّحْوِ. وَالشَّرَافَةُ للأُولى وَالفَضِيلةُ للأُخْرَى. وَالمَقَامُ الأَوَّل مُنَاسِبٌ للوِلاَيَةِ وَالثَّانِي للنُّبُوَّة. شَرَّفَنَا اللَّهُ تَعَالى بِكَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ وَثَبَّتَنَا عَلى كَمَال مُتَابَعَةِ الأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ الله تَعَالى وَسَلاَمُهُ عَلى نَبِيِّنَا وَعَليْهِمْ وَعَلى جَمِيع إِخْوَانِه مِنَ المَلاَئِكَة المُقَرَّبِينَ وَالعِبَادِ الصَّالِحِينَ إِلى يَوْم الدِّينِ آمِينَ. المُحَرِّرُ الدَّاعِي وَإِنْ لَمْ يُحْسِنِ العَرَبِيَّةَ لعَجْمِيَّتِهِ لكِنْ لمَّا كَانَ مَكْتُوبُهُمُ الشَّرِيفُ مُحَرَّرًا بِالكَلِمَاتِ العَرَبِيَّةِ أَمْلى القِرْطَاسَ عَلى نَحْوِ إِمْلاَئِهِم وَالسَّلاَمُ خِتَامُ الكَلاَمِ.

---

(١) ـ رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو والترمذي عن أبي هريرة بلفظ وكلتا يدي ربي يمين مباركة.

المَكْتُوبُ اَلثَّالِثُ وَالعِشْرُونَ
أَرْسَل إلى عَبْد اَلرَّحِيم المُشْتَهِر بِخَان خَانَان(١)
فِي جَوَاب كِتَابِه فِي المَنْعِ عَنْ أَخْذ اَلطَّرِيق مِنَ اَلنَّاقِصِ وَبَيَانِ مَضَرَّته وَالمَنْعِ عَنِ الأَلْقَاب اَلشَّبِيهَة بِأَهْل الكُفْر

نَجَّانَا اَللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَنِ المَقَال الخَالي عَنِ الحَال وَالعلم المُعَرَّى عَنِ الأَعْمَال بحُرْمَة سَيِّد البَشَر المَبْعُوث إلى الأَسْوَد وَالأَحْمَر عَلَيْه وَعَلى آله مِنَ اَلصَّلوَات أَفْضَلهَا وَمنَ التَّسْليمَاتُ أَكْمَلهَا وَيَرْحَمُ اَللهُ عَبْدًا قَال آمينًا، بَلغ رِسَالَتَكُمْ الأَخُ اَلصَّالحُ اَلصَّادقُ تَبْليغًا وَحَكَى عَنْ جَنَابِكُمْ بلِسَانِ اَلتُّرْجُمَانِ مَا حَكَى فَأَنْشَدْتُ شعْرٌ

أَهْلاً لسَعْدي وَالرَّسُول وَحَبَّذَا وَجهُ اَلرَّسُول لحُبِّ وَجْه المُرْسَل

اعْلَمْ أَيُّهَا الأَخُ القَابل لظُهُور الكَمَالاَت أَظْهَرَ اَللهُ سُبْحَانَهُ فعْلَكُمْ منَ القُوَّة: إنَّ اَلدُّنْيَا مَزْرَعَةُ الآخرَة فَوَيْل لمَنْ لَمْ يَزْرَعْ فِيهَا وَعَطَّل أَرْضَ اَلاسْتعْدَاد وَأَضَاعَ بَذْرَ الأَعْمَال.

وَممَّا يَنْبَغي أَنْ يُعْلمَ: أَنَّ إضَاعَةَ الأَرْضِ وَتَعْطيلهَا إمَّا بأَنْ لاَ يَزْرَعَ فيهَا شَيْئًا، أَوْ أَنْ يُلقيَ فيهَا بَذْرًا خَبيثًا فَاسدًا وَهَذَا القسْمُ منَ الإضَاعَة أَشَدُّ مَضَرَّةً وَأَكْثَرُ فَسَادًا منَ القسْمِ الأَوَّل، كَمَا لاَ يَخْفَى وَخُبْثُ البَذْرِ وَفَسَادُهُ بأَنْ يَأْخُذَ اَلطَّرِيقَ منَ اَلسَّالك اَلنَّاقصِ وَيَسْلكَ مَسْلكَهُ لأَنَّ اَلنَّاقصَ صَاحبُ هَوًى مُتَّبَعٍ وَمَا يَشُوبُ بالهَوَى لاَ يُؤَثِّرُ وَإنْ أَثَّرَ أَعَانَ عَلى الهَوَى، فَيَحْصُل ظُلمَةٌ عَلى ظُلمَة لأَنَّ اَلنَّاقصَ لاَ يُمَيِّزُ بَيْنَ اَلطُّرُق المُوَصِّلة إلى اَللهِ سُبْحَانَهُ وَبَيْنَ اَلطُّرُق اَلتي لاَ تُوَصِّلُ إلَيْه سُبْحَانَهُ إذْ هُوَ غَيْرُ وَاصل قَطُّ، وَكَذَا لاَ يُمَيِّزُ بَيْنَ اَلاسْتعْدَادَات المُخْتَلفَة للطَّلَبَة وَإذَا لَمْ يُمَيِّزْ طُرُقَ الجَذْبَة عَنْ طُرُق اَلسُّلوك فَرُبَّمَا يَكُونُ اسْتعْدَادُ اَلطَّالب مُنَاسبًا لطَرِيق الجَذْبَة غَيْرَ مُنَاسب لطَرِيق اَلسُّلوك ابْتدَاءً وَالنَّاقصُ لعَدَم تَمْييزه بَيْنَ اَلطُّرُق وَبَيْنَ اَلاسْتعْدَادَات المُخْتَلفَة يَسْلكُهُ طَرِيقُ اَلسُّلوك ابْتدَاءً فَأَضَل عَنِ اَلطَّرِيق كَمَا ضَل. فَالشَّيْخُ الكَامل المُكَمِّل إذَا أَرَادَ تَرْبيَةَ هَذَا اَلطَّالب وَتَسْليكَهُ احْتَاجَ أَوَّلاً إلى إزَالة مَا أَصَابَ منَ اَلسَّالك اَلنَّاقص وَإصْلاَحِ مَا فَسَدَ بسَبَبه، ثُمَّ أَلقَى البَذْرَ اَلصَّالحَ المُنَاسبَ

---

(١) — تراجع ترجمة الشيخ حبيب الله جان جانان في الأنوار القدسية ص ٢٠٢.

لاستعْدَاده في أرْضِ الاستعْدَاد فيُنْبتُ نَبَاتًا حَسَنًا {وَمَثَل كَلمَة خَبيثَة كَشَجَرَة خَبيثَة اجْتُثَّتْ منْ فَوْق الأَرْضِ مَا لهَا منْ قَرَار}(١)" {وَمَثَل كَلمَة طَيِّبَة كَشَجرَة طَيِّبَة أَصْلهَا ثَابتٌ وَفَرْعُهَا في السَّمَاء}(٢) فَصُحْبَةُ الشَّيْخ الكَامل المُكَمَّل كبْريتٌ أَحْمَرُ، نَظَرُهُ دَوَاءٌ وكَلمَاتُهُ شفَاءٌ، وَبدُونها خَرْطُ القَتَاد وَثَبَّتَنا الله سُبْحَانَهُ وَإيَّاكُمْ عَلى جَادَّة الشَّريعَة المُصْطَفَويَّة عَلى صَاحبهَا أفْضَل السَّلاَم وَالتَّحيَّة إذْ هُوَ مِلاَكُ الأَمْرِ وَمَدَارُ النَّجَاة وَمَنَاطُ السَّعَادَة وَلنعْمَ مَا قيل بالفَارسيَّة. شعْرٌ.

مُحَمَّدٌ عَرَبيٌّ كابروى هرد وسراست كسيكه خاك درش نيست خاك برسراو

تَرْجَمَتُهُ

مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الكَوْنَيْنِ منْ عَرَبٍ تَعْسًا لمَنْ لَمْ يَكُنْ في بَابه التُّرْبَا

وَلنَخْتمِ المَقَالَةَ عَلى صَلوَات سَيِّد المُرْسَلينَ وَتَسْليمَاته وَتَحيَّاته وَبَرَكَاته التَّتمَّة.

وَالعَجَبُ كُل العَجَب أَنَّ الأَخَ الصَّادقَ قَدْ نَقَل أَنَّ منْ جُلسَائهمْ منَ الشُّعَرَاء الفُضَلاَء مَنْ يُلقَّبُ في الشِّعْر بالكفرى وَالحَال أَنَّهُ منَ السَّادَات العظَام وَالنُّقَبَاء الكرَام. فَياليْتَ شعْري مَا حَمَلهُ عَلى اخْتيَار هَذَا الاسْمِ الشَّنيعِ. البَيِّنِ شَنَاعَتُهُ. وَالمُسْلمُ يَنْبَغي لهُ أَنْ يَفرَّ منْ هَذَا الاسْمِ زيَادَةَ مَا يَفرُّ منَ الأَسَد المُهْلك، وَيَكْرَهُهُ كُل الكَرَاهَة ؛ لأَنَّ هَذَا الاسْمَ وَمُسَمَّاهُ مَبْغُوضَان عَلى الله تَعَالى وَرَسُوله - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَالمُسْلمُونَ مَأْمُورُونَ بعَدَاوَة أَهْل الكُفْر وَالغلظَة عَلَيْهمْ فالتَّحاشي عَنْ مثْل هَذَا الاسْمِ القَبيحِ وَاجبٌ، وَمَا وَقَعَ في عبَارَات بَعْضِ المَشَايخِ - قُدِّسَ سرُّهُمْ - في غَلبَات السُّكْر منْ مَدْحِ الكُفْر وَالتَّرْغيب في شَدِّ الزُّنَّار وَأَمْثَال ذَلكَ، فَمَصْرُوفٌ عَنِ الظَّاهر وَمَحْمُول عَلى التَّأْويل. فَإنَّ كَلاَمَ السَّكَارَى يُحْمَل وَيُصْرَفُ عَنِ الظَّاهر المُتَبَادر فَإنَّهُمْ مَعْذُورُونَ بغَلبَة السُّكْر في ارْتكَاب هَذه المَحْظُورَات، مَعَ أَنَّ كُفْرَ الحَقيقَة أَنْقَصُ بالنِّسْبَة إلى إسْلاَم الحَقيقة عنْدَ أَكَابر هَؤُلاَء القَوْم، وَغَيْرُ السَّكَارَى غَيْرُ مَعْذُور في تَقْليدهمْ لاَ عنْدَهُمْ وَلاَ عنْدَ أَهْل الشَّرْع لأَنَّ لكُل شَيْءٍ مَوْسمًا وَوَقْتًا خَاصًّا صَلحَ ذَلكَ الشَّيْءُ في ذَلكَ المَوْسمِ وَقَبُح في مَوْسمٍ

---

(١) ـــ الآية: ٢٦ من سورة إبراهيم.

(٢) ـــ الآية: ٢٤ من سورة إبراهيم.

آخرَ، وَالعَاقل لاَ يَقيسُ أَحَدَهُمَا عَلى الآخر فَالتَمسُوهُ منْ قَبْل أَنْ يُغَيِّرَ هَذا الاسْمَ وَيُبَدِّلَهُ باسْمٍ خَيْرٍ منْهُ وَيُلقَّبَ بالإسلاَميِّ، فَإِنَّهُ مُوَافقٌ لحَال المُسْلمِ وَمَقَاله، وَانْتسَابٌ إلى الإسْلاَمِ اَلذي هُوَ اَلدِّينُ المَرْضيُّ عنْدَ اَلله سُبْحَانَهُ وَعنْدَ اَلرَّسُول عَلَيْه اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَاجْتنَابٌ عَنِ اَلتُّهْمَة اَلتي أَمَرَنَا باتِّقَائهَا " اتَّقُوا مَوَاضعَ اَلتُّهَمِ ". كَلاَمٌ صَادقٌ لاَ غُبَارَ عَلَيْه قَال سُبْحَانَهُ: {وَلعَبْدٌ مُؤْمنٌ خَيْرٌ منْ مُشْرِكٍ}[1] {وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبعَ الهُدَى}[2].

---

(١) ــ الآية: ٢٢١ من سورة البقرة.

(٢) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

اَلْمَكْتُوبُ اَلرَّابِعُ وَالعِشْرُونَ
أَرْسَلَ إِلَى مُحَمَّد قليج خَانَ
فِي بَيَان أَنَّ الصُّوفِيَّ كَائِنٌ بَائِنٌ
وَأَنَّ تَعَلقَ القَلْب لاَ يَكُونُ بأَكْثَر مِنْ وَاحد
وَأَنَّ ظُهُورَ المَحَبَّة اَلذَّاتِيَّة يَسْتَلْزِمُ اسْتِوَاءَ الإِيلاَمِ وَالإِنْعَامِ مِنَ المَحْبُوب
وَالفَرْقُ بَيْنَ عبَادَة الْمُقَرَّبِينَ وَعبَادَة الأَبْرَار
وَكَذَا بَيْنَ الأَوْلِيَاءِ المُسْتَهْلكِينَ وَبَيْنَ الأَوْلِيَاءِ المَرْجُوعِينَ إِلَى دَعْوَة الخَلق

سَلمَكُمْ اَللهُ سُبْحَانَهُ وَعَافَاكُمْ بِحُرْمَة سَيِّد الْمُرْسَلِينَ عَلَيْه وَعَلى آله اَلصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ: " المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ "(١) فَطُوبَى لِمَنْ لَمْ يُبْقِ لقَلبه حُبًّا إِلاَّ مَعَ اَللهِ سُبْحَانَهُ وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ وَجْهَهُ تَعَالى وَتَقَدَّسَ فَيَكُونُ هُوَ مَعَ اَللهِ - جَلَ سُلطَانُهُ - وَإِنْ كَانَ فِي ظَاهِره مِنَ الخَلقِ وَاشْتَغَل بِهِمْ صُورَةً. وَهُوَ شَأْنُ الصُّوفيِّ الكَائِنِ البَائِنِ أَيِ الكَائِنُ مَعَ اَللهِ سُبْحَانَهُ وَالبَائِنُ مِنَ الخَلقِ حَقيقَةً، أَوْ المُرَادُ الكَائِنُ مَعَ الخَلقِ صُورَةً وَالبَائِنُ مِنْهُمْ حَقيقَةً وَالقَلبُ لاَ تَتَعَلقُ مَحَبَّتُهُ بأَكْثَر مِنْ وَاحد فَمَا لَمْ يَزَل اَلتَّعَلقُ الحُبِّيُّ بذَلكَ الوَاحد لَمْ يَتَعَلقْ بِمَا سِوَاهُ مَحَبَّتُهُ وَمَا يُرَى مِنْ كَثْرَة مُرَادَاته وَتَعَلق مَحَبَّته بِالأَشْيَاءِ المُتَكَاثِرَة كَالمَال وَالوَلَد وَالرِّيَاسَة وَالمَدْحِ وَالرِّفْعَة عِنْدَ النَّاس،

---

(١) ــ **متفق عليه:** وأخرجه البخاري في كتاب الأدب باب: علامة حب الله عز وجل، ومسلم في كتاب البر والصلة باب: المرء مع من أحب، وأبو داود في سننه كتاب الأدب، باب: إخبار الرجل الرجل بمحبته إياه وأحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، من حديث عبد الله بن مسعود.

وأخرجه الدارمي في كتاب المقدمة من سننه: باب في اجتناب الأهواء موقوفا على علي بن أبي طالب أنه قال: " كُونُوا فِي النَّاسِ كَالنَّحْلَة فِي الطَّيْرِ إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الطَّيْرِ شَيْءٌ إِلاَّ وَهُوَ يَسْتَضْعِفُهَا وَلَوْ يَعْلَمُ الطَّيْرُ مَا فِي أَجْوَافِهَا مِنَ الْبَرَكَة لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ بِهَا خَالِطُوا النَّاسَ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَأَجْسَادِكُمْ وَزَايِلُوهُمْ بِأَعْمَالِكُمْ وَقُلُوبِكُمْ فَإِنَّ لِلْمَرْءِ مَا اكْتَسَبَ وَهُوَ يَوْمَ الْقِيَامَة مَعَ مَنْ أَحَبَّ ".

وأخرج الترمذي وابن حبان وابن مردويه عن صفوان بن عسال ــ رضي الله عنه ــ أن رجلا من أهل البادية أتى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فجعل يناديه بصوت له جهوريٌّ: يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ، فَقُلْنَا: وَيْحَكَ ! أَخْفِضْ مِنْ صَوْتِكَ؛ فَإِنَّكَ قَدْ نُهِيتَ عَنْ هَذَا، قَالَ: لاَ وَاللهِ حَتَّى أَسْمِعَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ: هَاؤُمْ، قَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلاً يُحِبُّ قَوْمًا وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ، قَالَ: " الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ ".

فَثَمَّةَ أَيْضًا لاَ يَكُونُ مَحْبُوبُهُ إِلاَّ واحدًا وَهُوَ نَفْسُهُ وَمَحَبَّةُ هَؤُلاَءِ فَرْعُ مَحَبَّته لنَفْسه. فَإِنَّ هَذِه الأَشْيَاءَ لاَ يُرِيدُهَا إِلاَّ لنَفْسه لاَ لأَنْفُسِهِمْ. فَإِذَا زَالَتْ مَحَبَّتُهُ لنَفْسه زَالَتْ مَحَبَّتُهُمْ بالتَّبَعيَّة أَيْضًا، فَلهَذَا قيل: إِنَّ الحجَابَ بَيْنَ العَبْد وَالرَّبِّ هُوَ نَفْسُ العَبْد لاَ العَالَمُ، فَإِنَّ العَالَمَ في نَفْسه غَيْرُ مُرَاد للعَبْد حَتَّى يَكُونَ حجَابًا وَإِنَّمَا مُرَادُ العَبْد هُوَ نَفْسُهُ فَلاَ جَرَمَ يَكُونُ الحَجَابُ هُوَ العَبْدُ لاَ غَيْرُ. فَمَا لَمْ يَخْل العَبْدُ عَنْ مُرَاد نَفْسه كُلِّيَّةً لاَ يَكُونُ اَلرَّبُّ مُرَادَهُ وَلاَ يَسعُ قَلْبُهُ مَحَبَّتَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى.

وَهَذه اَلدَّوْلَةُ القُصْوَى لاَ تَتَحَقَّقُ إِلاَّ بَعْدَ الفَنَاء الْمُطْلَق المَنُوط بالتَّجَلي الذَّاتيِّ، فَإِنَّ رَفْعَ اَلظُّلُمَات رَأْسًا لاَ يُتَصَوَّرُ إِلاَّ بطُلوعِ اَلشَّمْسِ بَازغَةً. فَإِذَا حَصَلَتْ تلكَ المَحَبَّةُ المُعَبَّرُ عَنْهَا بالمَحَبَّة اَلذَّاتيَّة اسْتَوَى عنْدَ المُحبِّ إِنْعَامُ المَحْبُوب وَإِيلاَمُهُ فَحَصَلَ الإِخْلاَصُ فَلاَ يَعْبُدُ رَبَّهُ الإِلهَ لاَ لأَجْل نَفْسه منْ طَلَب الإِنْعَامِ وَدَفْعِ الإِيلاَمِ لأَنَّهُمَا عنْدَهُ سَوَاءٌ. وَهَذه مَرْتَبَةُ المُقَرَّبينَ فَإِنَّ الأَبْرَارَ إِنَّمَا يَعْبُدُونَ اَللّهَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَهُمَا رَاجعَان إِلى نَفْسهمْ لعَدَم فَوْزهمْ بسَعَادَة المَحَبَّة اَلذَّاتيَّة فَلاَ جَرَمَ يَكُونُ حَسَنَاتُ الأَبْرَار سَيِّئَات المُقَرَّبينَ فَحَسَنَاتُ الأَبْرَار حَسَنَاتٌ منْ وَجْه وَسَيِّئَاتٌ منْ وَجْه وَحَسَنَاتُ المُقَرَّبينَ حَسَنَاتٌ مَحْضَةٌ نَعَمْ منَ المُقَرَّبينَ بَيْنَ مَنْ يَعْبُدُ اَللّهَ خَوفًا وطَمَعًا أَيْضًا بَعْدَ تَحَقُّقهم بالبَقَاء الأَكْمَل وَتَنَزُّلهُمْ بعَالم الأَسْبَاب لكنَّ خَوْفَهُمْ وَطَمَعَهُمْ غَيْرُ رَاجعَينِ إِلى أَنْفُسِهِمْ بَل إِنَّمَا يَعْبُدُونَ طَمَعًا في رِضَائه سُبْحَانَهُ وخَوفًا منْ سَخَطه تَعَالى.

وَكَذَا إِنَّمَا يَطْلُبُونَ الجَنَّةَ لأَنَّهَا مَحَل رضَائه تَعَالى لاَ لحُظُوظ أَنْفُسهمْ، وَإِنَّمَا يَسْتَعيذُونَ منَ اَلنَّار لأَنَّهَا مَحَل سَخَطه تَعَالى لاَ لدَفْعِ الإِيلاَمِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ ؛ لأَنَّ هَؤُلاَءِ الأَكَابرَ مُحَرَّرُونَ عَنْ رقِّيَّة الأَنْفُسِ وَصَارُوا خَالصينَ لله سُبْحَانَهُ.

وَهَذه اَلرُّتْبَةُ أَعْلى منْ بَيْنِ رُتَب المُقَرَّبينَ وَلصَاحب هَذه المَرْتَبَة نَصيبٌ تَامٌّ منْ كَمَالاَت مَقَام اَلنُّبوَّة بَعْدَ تَحَقُّقه بمَرْتَبَة الوِلاَيَة الخَاصَّة. وَمَنْ لَمْ يَنْزل إِلى عَالَمِ الأَسْبَاب فَهُوَ منَ الأَوْليَاء المُسْتَهْلكينَ، فَلاَ نَصيبَ لَهُ منْ كَمَالاَت مَقَام اَلنُّبوَّة فَلاَ يَكُونُ أَهلاً للتَّكْميل بخلاَف الأَوَّل. رَزَقَنَا اَللّهُ سُبْحَانَهُ مَحَبَّةَ هَؤُلاَء الأَكَابر بحُرْمَة سَيِّد البَشَر عَلَيْه وَعَلى آله وَأَتْبَاعه منَ اَلصَّلَوَات أَفْضَلهَا وَمنَ اَلتَّسْليمَات أَكْمَلهَا فَإِنَّ المَرْءَ مَعَ مَنْ أَحَبَّ.

اَلْمَكْتُوبُ الخَامسُ وَالعشْرُونَ
أَرْسَل إلى خواجهْ جهَان
فِي اَلتَّحْرِيض عَلى مُتَابَعَة سَيِّد الْمُرْسَلينَ وَمُتَابَعَة الخُلفَاء اَلرَّاشدينَ عَلَيْه وَعَلَيْهِمْ منَ اَلصَّلوَاتِ أَكْمَلهَا وَمنَ التَّسْليمَاتِ أَتَمُّهَا

سَلمَ اَللهُ تَعَالى قَلبَكُمْ وَشرَحَ صُدُورَكُمْ وزَكَّى أَنْفُسَكُمْ وَأَلاَنَ جلدَكُمْ كُل ذَلكَ بَل جَميعُ كَمَالاَتِ اَلرُّوحِ وَالسِّرِّ والخَفَى وَالأَخْفَى مَنُوطٌ بمُتَابَعَة سَيِّد المُرْسَلينَ عَليْه وَعَلى آله منَ اَلصَّلوَات أَفْضَلهَا ومنَ التَّسْليمَات أَكْمَلهَا فَعَلَيْكُمْ بمُتَابعَته وَمُتَابَعَة خُلفَائه اَلرَّاشدينَ الهَادينَ المَهْديِّينَ منْ بَعْده، فَإِنَّهُمْ نُجُومُ الهدَايَة وَشُمُوسُ الولاَيَة، فَمَنْ شَرُفَ بمُتَابعَتهمْ فَقَدْ فَازَ فَوزًا عَظيمًا وَمنْ جُبل عَلى مُخَالفَتهمْ فَقَدْ ضَل ضلالاً بعيدًا. البَقيَّةُ منَ المَقْصُود إظْهَارُ اَلاضْطرَار وَضق المَعيشَة بَني المَرْحُومِ اَلشَّيْخ سُلطَانٍ فَالمُلتَمَسُ منْ جَنَابكُمْ مَدَدُهمْ وَإعَانَتُهمْ فَإنَّكُمْ حَريُّونَ بذَلكَ،

بَل مُوَفَّقُونَ لقَضَاء حَوَائجِ اَلنَّاسِ طُرًّا زَادَ اَللهُ تَعَالى تَوْفيقَكُمْ وَجعَل الخَيْرَ رَفيقَكُمْ. {وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلى سَائرِ مَنِ اتَّبعَ الهُدَى}(١).

---

(١) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

اَلْمَكْتُوبُ اَلسَّادِسُ وَالعِشْرُونَ

أَرْسَلَ إلى اَلشَّيْخِ العَالِمِ مَوْلاَنَا الحَاجِّ مُحَمَّد اللاهوري[١]

فِي بَيَانِ أَنَّ اَلشَّوْقَ يَكُونُ للأَبْرَارِ دُونَ المُقَرَّبِينَ مَعَ عُلومٍ تُناسِبُ هَذا المَقَامَ

ثَبَّتَنَا اَللهُ تَعَالى وَإِيَّاكُمْ عَلى جَادَّةِ اَلشَّرِيعَةِ المُصْطَفَوِيَّةِ عَلى صَاحِبِهَا اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ. وَرَدَ فِي الحَدِيثِ القُدْسِيِّ " أَلاَ طَال شَوْقُ الأَبْرَارِ إِلى لِقَائِي وَأَنَا إِلَيْهِمْ لأَشَدُّ شَوْقًا "[٢].

أَثْبَتَ اَللهُ سُبْحَانَهُ اَلشَّوْقَ للأَبْرَارِ لأَنَّ المُقَرَّبِينَ الوَاصِلِينَ لاَ شَوْقَ لَهُمْ، لأَنَّ اَلشَّوْقَ يَقْتَضِي الفَقْدَ وَالفَقْدُ فِي حَقِّهِمْ مَفْقُودٌ، أَلاَ يُرَى أَنَّ اَلشَّخْصَ لاَ يَشْتَاقُ إِلى نَفْسِهِ مَعَ إِفْرَاطِهِ فِي حُبِّهِ لِعَدَمِ تَحَقُّقِ الفَقْدِ فِي حَقِّهِ فَالمُقَرَّبُ الوَاصِلُ البَاقِي بِاللهِ سُبْحَانَهُ الفَانِي عَنْ نَفْسِهِ حُكْمُهُ كَحَالِ اَلشَّخْصِ مَعَ نَفْسِهِ. فَلاَ جَرَمَ لاَ يَكُونُ المُشْتَاقُ إلاَّ الأَبْرَارَ لأَنَّهُ مُحِبٌّ فَاقِدٌ. ونَعْنِي بالأَبْرَارِ غَيْرُ المُقَرَّبِ الوَاصِلِ سَوَاءٌ كَانَ فِي اَلابْتِدَاءِ أَوْ فِي الوَسَطِ، وَلَوْ بَقِيَ مِنْهُ مِقْدَارُ خَرْدَلَةٍ وَلَنِعْمَ مَا قِيلَ فِي اَلشِّعْرِ الفَارِسِيِّ:

فَرَاق دوست اكراند كست اندك نيست　　　درون ديده اكرنيم موست بسيارست

يَعْنِي

وَمَا قَلَّ هِجْرَانُ الحَبِيبِ وَإِنْ غَدَا　　　قَلِيلاً وَنِصْفُ اَلشَّعْرِ فِي العَيْنِ ضَائِرُ

نُقِلَ عَنِ اَلصِّدِّيقِ الأَكْبَرِ ـــ رَضِيَ اَللهُ عَنْهُ ـــ أَنَّهُ رَأَى قَارِئًا يَقْرَأُ القُرْآنَ وَيَبْكِي فَقَالَ: هَكَذَا كُنَّا نَفْعَلُ وَلَكِنْ قَسَتْ قُلوبُنَا. هَذَا مِنْ قَبِيلِ المَدْحِ بِمَا يُشْبِهُ

---

(١) ـــ **محمد بن عبد الله بن محمد بن جمعة اللاهوري**: صنف مبهج النفوس ومبلج العبوس في نوادر الحكايات، فرغ من جمعه وكتابته سنة: ١١٢٥ هـــ.

(٢) ـــ **لا أصل له**: ذكره في الإحياء بلفظ لقد طال شوق الأبرار الخ قال العراقى في تخريجه: لم أجد له أصلاً إلا أن صاحب الفردوس ذكره من حديث أبي الدرداء و لم يذكر له ولده في مسند الفردوس سنده، وقال الشيخ الأكبر في موضع من فتوحاته: " وقد ورد خبر لا علم لي بصحته أن الله ذكر المشتاقين إليه وقال عن نفسه: إنه أشد شوقاً إليهم " ولا علم لي به من الكشف ولا من رواية صحيحة إلا أنه مذكور مشهور " انتهى ملخصا، ولكن معناه صحيح مطابق لحديث: " من تقرب إليَّ شبراً تقربت إليه ذراعاً " الحديث.

الذَّمِّ. وَسَمِعْتُ شَيْخِي ـ قُدِّسَ سِرُّهُ ـ يَقُول: إنَّ المُنْتَهى الوَاصِل رُبَّمَا يَتَمَنَّي الشَّوْقَ وَالطَّلبَ الذي كَانَ لهُ فِي الابْتِدَاء. وَلِرَفْعِ الشَّوْقِ مَقَامٌ آخَرُ أَكْمَل مِنَ الأوَّل وَأَتَمُّ وَهُوَ مَقَامُ اليَأْسِ وَالعَجْزِ عَنِ الإدْرَاكِ فَإنَّ الشَّوْقَ يُتَصَوَّرُ فِي المُتَوَقَّعِ، فَحَيْثُ لا تَوَقُّعَ لاَ شَوْقَ. وَإذَا رَجَعَ هَذَا الكَامِل البَالِغُ نِهَايَةَ الكَمَالِ إلى العَالَم رُجُوعَ القَهْقَرَى لاَ يَعُودُ إلَيْهِ الشَّوْقُ أَيْضاً مَعَ وُجُودِ الفَقْدِ بالرُّجُوعِ؛ لأَنَّ زَوَال شَوْقِهِ مَا كَانَ لزَوَال الفَقْدِ بَل لحُصُول اليَأْسِ، وَهُوَ مَوْجُودٌ بَعْدَ الرُّجوعِ أَيْضاً بِخِلافِ الكَامِلِ الأَوَّل فإنَّه يَعُودُ إلَيْهِ الشَّوْقُ بِرُجُوعِهِ إلى العَالم لحُصُول الفَقْدِ الذِي زَال مِنْ قَبْلِ. فَحِينَ وُجِدَ الفَقْدُ بالرُّجُوعِ حَصَلَ الشَّوْقُ الذِي زَال بِزَوَالِه.

لاَ يُقَال إنَّ مَرَاتِبَ الوُصُول لاَ تَنْقَطِعُ أَبَدَ الآبِدِينَ فَيُتَوَقَّعُ بَعْدَ تلك المَرَاتِبِ فَيُتَصَوَّرُ الشَّوْقُ؛ لأَنَّا نَقُول: عَدَمُ انْقِطَاعِ مَرَاتِبِ الوُصُول مَبْنِيٌّ عَلى السَّيْرِ التَّفْصِيليِّ الوَاقِعِ فِي الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَالشُّئونِ وَالاعْتِبَارَاتِ. وَهَذَا السَّالِكُ لاَ يُتَصَوَّرُ فِي حَقِّه نِهَايَةٌ وَلاَ يَزُول عَنْهُ الشَّوْقُ أَبَدًا. وَمَا نَحْن بِصَدَدِهِ هُوَ المُنْتَهَى الوَاصِل الذِي قَطَعَ تِلكَ المَرَاتِبَ بِطَرِيقِ الإجْمَال، وَانْتَهَى إلى مَا لاَ يُمْكِنُ التَّعْبِيرُ عَنهُ بِعِبَارَةٍ وَلاَ يُشَارُ إلَيْهِ بإشَارَةٍ. فَلاَ يُتَصَوَّرُ ثَمَّةَ تَوَقُّعٌ أَصْلاً، فَلاَ جَرَمَ يَزُول عَنْهُ الشَّوْقُ وَالطَّلبُ. وَهَذَا حَال الخَوَاصِّ مِنَ الأَوْلِيَاءِ لأَنَّهُمْ هُمُ الذِينَ عَرَجُوا عَنْ ضِيقِ الصِّفَاتِ وَوَصَلوا إلى حَضْرَةِ الذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ، بُخلاَفِ السَّالِكِينَ فِي الصِّفَاتِ مُفَصَّلاً وَالسَّائِرِينَ في الشُّئونَات مُرَتَّبًا، فَإِنَّهُمْ مَحْبُوسُونَ فِي التَّجلِيَاتِ الصِّفَاتِيَّة أَبَدَ الآبِدِينَ. وَمَرَاتبُ الوُصُولِ فِي حَقِّهِمْ لَيْسَتْ إلاَّ الوُصُول إلى الصِّفَاتِ. وَالعُرُوجُ إلى حَضْرَةِ الذَّاتِ لاَ يُتَصَوَّرُ إلاَّ بِالسَّيْرِ الإجْمَالِيِّ فِي الصِّفَاتِ وَالاعْتِبَارَاتِ. وَمِنْ وَقَعَ سَيْرِهِ فِي الأَسْمَاءِ بالتَّفْصِيل حَبْسٌ في الصِّفَاتِ وَالاعْتِبَارَاتِ وَلِمْ يَزَل مِنْهُ الشَّوْقُ وَالطَّلبُ وَلَمْ يُفَارِقْ عَنْهُ الوَجْدُ وَالتَّوَاجُدُ فَأَصْحَابُ الشَّوْقِ وَالتَّوَاجُدِ لَيْسُوا إلاَّ أَصْحَابَ التَّجلِيَاتِ الصِّفَاتِيَّةِ وَلَيْسَ مِنَ التَّجلِيَاتِ الذَّاتِيَّة لَهُمْ نَصِيبٌ مَا دَامُوا فِي الشَّوْقِ وَالوَجْدِ.

فَإنْ قَال قَائِل: مَا مَعْنَى الشَّوْقِ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَلَيْسَ مِنْهُ سُبْحَانَهُ مَفْقُودٌ شَيْئاً؟ قُلتُ: ذِكْرُ الشَّوقِ ههنا يَحْتَمَل أَنْ يَكُونَ مِنْ قبيل صَنْعَةِ المُشَاكَلَة وذِككْرُ الشِّدَّة فِيهِ باعْتِبَارِ أَنَّ كُل مَا يُنْسَبُ إلى العَزِيزِ الجَبَّارِ فَهُوَ شَدِيدٌ وَغَالِبٌ عَلى مَا يُنْسَبُ إلى العَبْدِ الضَّعِيفِ. هَذَا الجَوَابُ عَلى طَرِيقَةِ العُلَمَاءِ. وَلِلعَبْدِ الضَّعِيفِ فِي جَوَابِهِ وُجُوهٌ أُخرُ تُنَاسِبُ طَرِيقَةَ الصُّوفِيَّةِ. ولَكِنَّ تِلكَ الأَجْوِبَةَ تَقْتَضِي نَحْوًا مِنَ السُّكْرِ وَبِدُونِ السُّكرِ لاَ تُسْتَحْسَنُ بَل لاَ تَجُوزُ، لأَنَّ السَّكَارَى مَعْذُورُونَ وَأَرْبَابَ الصَّحْوِ مَسْئُولون. وَحَالِي الآنَ الصَّحْوُ الصِّرْفُ فَلاَ يَلِيقُ بِحالي ذِكْرُهَا هَذَا.

الحَمْدُ لِلَّهِ أَوَّلاً وَآخِرًا وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلى نَبِيِّه دَائمًا وسَرمدًا.

اَلمَكْتُوبُ اَلسَّابِع وَالعشْرُونَ
إلى خواجهْ عَمِّكَ
في بَيَان مَدْحِ اَلطَّرِيقَة اَلنَّقْشبَنْدِيَّة
وَعُلوِّ نِسْبَة هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ قَدَّسَ اَللهُ أَسْرَارَهُمْ

اَلحَمْدُ لله وَسَلاَمٌ عَلى عِبَاده اَلذينَ اصْطَفَى: وَرَدَ مَكْتُوبُكُمْ الْمُرْسَل إلى هَذَا الْمُخْلص عَلى وَجْه الكَرَم وَصَارَ بَاعثًا عَلى اَلابْتهَاجِ وَالسُّرُور، وَالْمَرْجُوُّ سَلاَمَتُكُمْ وَلاَ أُرِيدُ أَنْ أُصدِّعَكُمْ بغَيْر مَدْحِ هَذه اَلسِّلسلة العَلِيَّة النَّقْشَبَنْدِيَّة.

أَيُّهَا اَلمَخْدُومُ المُكَرَّمُ، قَدْ وَقَعَ في عِبَارَات أَكَابِرِ هَذه اَلسِّلسلة العَلِيَّة - قَدَّسَ اَللهُ أَسْرَارَهُمْ - أَنَّ نسْبَتَنَا فَوْقَ جَميعِ اَلنِّسَب " وَأَرَادُوا بتلكَ اَلنِّسْبَة الحُضُورَ وَالشُّعُورَ. وَالحُضُورُ المُعْتَبَرُ عِنْدَهُمْ إِنَّمَا هُوَ حُضُورٌ بلاَ غَيْبَة. وَقَدْ عَبَّرُوا عَنْهُ بياداشت. فَتَكُونُ نسْبَةُ هَؤُلاَءِ الأَعزَّة عِبَارَةً عَنْ ياداشت ويادداشت، اَلذي تَقَرَّرَ في فَهْمِ هَذَا الفَقيرِ القَاصرِ مَبْنِيٌّ عَلى هَذَا اَلتَّفْصيل، وَهُوَ أَنَّ اَلتَّجَلِيَ الذَّاتيَّ عِبَارَةٌ عَنْ ظُهُورِ حَضْرَة اَلذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ. وَحُضُورُهُ تَعَالى بلاَ مُلاَحَظَة الأَسْمَاء وَالصِّفَات والشئون وَالاعْتبَارَات. وَقَالوا لِهَذَا اَلتَّجَلي تَجَلِّيًا بَرْقِيًّا، يَعْني يَتَحَقَّقُ ارْتفَاعُ الشئون وَالاعْتبَارَات لَمْحَةً يَسيرَةً ثُمَّ تُسْدَل حُجُبُ الشئون وَالاعْتبَارَات وَتَتَوَارَى حَضْرَةُ اَلذَّات. فعَلى هَذَا اَلتَّقْدير لاَ يُتَصَوَّرُ حُضُورٌ بلاَ غَيْبَة بَل الحُضُورُ لَمْحَةٌ يَسيرَةٌ وَالغَيْبَةُ دَائمَةٌ وَكَائنَةٌ في أَغْلَب الأَوْقَات فَلاَ تَكُونُ هَذه اَلنِّسْبَةُ مُعْتَبَرَةً عندَ هَؤُلاَءِ الأَعزَّة، وَالحَال قَدْ قَال مَشَائخُ اَلسَّلاَسل الأُخَر لِهَذَا اَلتَّجَلي نهَايَةَ اَلنِّهَايَة، فَإذَا دَامَ هَذَا الحُضُورُ وَلمْ يَقْبَل اَلاحْتجَابَ وَالاسْتتَارَ أَصْلاً، وَتَجَلي الحَقِّ سُبْحَانَهُ بلاَ حَجْب الأَسْمَاء وَالصِّفَات والشئون وَالاعْتبَارَات دَائمًا كَانَ حُضُورًا بلاَ غَيْبَة. فَيَنْبَغي أَنْ يُعْلمَ تَفَاوُتُ مَا بَيْنَ نسْبَة هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ وَنسَب الآخَرينَ بهَذَا القيَاس، وَأَنْ يَعْتَقدَهَا فَوْقَ الكُل بلاَ تَحَاشٍ وَهَذَا القسْمُ منَ الحُضُور وَإنْ كَانَ مُسْتَبْعَدًا عنْدَ أَكْثَر اَلنَّاسِ وَلكنْ لاَ بُعْدَ فيهَا عنْدَ أَرْبَابهَا. شعْرٌ.

هَنيئًا لأَرْبَاب اَلنَّعيم نَعيمُهَا ... وَللعَاشقِ المسْكين مَا يَتجَرَّعُ

وَقَدْ عَرَضَتْ لِهَذه اَلنِّسْبَة غَرَابَةٌ عَلى نَهجٍ لوْ حَكَيْتُهَا فَرْضًا عنْدَ أَرْبَاب هَذه اَلسِّلسلة العَظيمَة اَلشَّأْن يَحْتَمل أَنْ يَكُونَ أَكْثَرُهمْ في مَقَامِ الإنْكَارِ وَلاَ يُصدِّقُوهَا،

وَالنِّسْبَةُ اَلتِي كَانَتْ مُتَعَارَفَةٌ الآنَ عِنْدَ أَرْبَاب هَذه اَلسِّلسلة عِبَارَةٌ عَنْ حُضُور الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَشُهُوده تَعَالى عَلى وَجْه يَكُونُ مُنَزَّهًا عَنْ وَصْف اَلشَّاهديَّه والمشهُوديَّة وَعَنِ اَلتَّوَجُّه المُعَرَّى عَنِ الجِهَات اَلسِّتِّ اَلمُتَعَارَفة وَإِنْ تَوَهَّمْتَ جِهَةَ الفَوْق وَظَنَّ دَوَامَهَا بحَسَب اَلظَّاهر.

وَهَذه اَلنِّسْبَةُ - يَعْني اَلمَذْكُورَةَ المُتَعَارَفَةَ - الآنَ تَتَحَقَّقُ أَيْضًا في مَقَام الجَذْبَة فَقَطْ وَلاَ يَظْهَرُ وَجْهُ كَوْنهَا فَائقَةَ نَسَب سَائر اَلطُّرُق بخلاَف يادداشت بالمَعْنَى اَلسَّابق، فَإِنَّ حُصُولهَا إِنَّمَا هُوَ بَعْدَ تَمَام جهَة الجَذْبَة وَمَقَامَات اَلسُّلوك، وَعُلوُّ دَرَجَتهَا لاَ يَخْفَى عَلى أَحَد. فَإِنْ كَانَ خَفَاءٌ فَإِنَّمَا هُوَ في حُصُولهَا فَقَطْ فَإِنْ أَنْكَرَ حَاسدٌ بسَبَب حَسَده وَجَحَدَ نَاقصٌ لنُقْصَانه فَهُوَ مَعْذُورٌ (شعْرٌ.

إِنْ عَابَهُمْ قَاصرٌ طَعْنًا بهمْ سَفَهًا ... بَرَّأْتُ سَاحَتَهُمْ منْ أَفْحَش الكَلم

هَل يَقْطَعُ اَلثَّعْلَبُ المُحْتَال سلسلةً ... قَيَّدْتُ بهَا أَسَدَ اَلدُّنْيَا بأَسْرهمْ

وَالسَّلاَمُ أَوَّلاً وَآخرًا.

اَلْمَكْتُوبُ اَلثَّامِنُ وَالعِشْرُونَ
أَرْسَلَ أَيْضًا إلى خواجهْ عَمّك
في بَيَانِ عُلوٍّ الحَال
لكنْ بِعِبَارَةٍ مُوهِمَةٍ للتَّنزُّل وَالتَّبَاعُدِ

قَدْ ابْتَهَجْتُ بوُرُود مَكْتُوبكُمْ المُرْسَل إلى هَذَا المُخْلص عَلى وَجْه الكَرَم، وَتَشرَّفْتُ بمُطَالعَته، فَمَا أَعْظَمَ نعْمَةَ تَذكُّرِ الأَحْرَار المَأْسُورينَ وَمَا أَجَّل دَوْلَة اهْتمَام الوَاصلينَ بحَال المَهْجُورينَ، وَالمَهْجُورُ العَاجزُ لَمَّا لَمْ يَجدْ نَفْسَهُ أَهْلاً للوصَال اخْتَارَ الخُمولَةَ في زَاويَة الهجْرَان بالضَّرُورَة وَهَرَبَ منَ القُرْب وَاطْمَئَنَّ بالبُعْد وَسَكَنَ إلى اَلانْفصَال عَنِ اَلاتِّصَال وَلَمَّا رَأى أَسْرًا اخْتَارَ الحُرِّيَّةَ اخْتيَارَ الأَسْرِ بالمَمْنُونيَّة. شعْرٌ.

ــــون طَمَع خو اهد زمن سلطان دين خاك برفرق قناعت بعدا زين

يَعْني:

إذَا مَا أَرَادَ اَلطَّمعُ منِّي مَالكي لَقُلتُ عَلى رَأْسِ القَنَاعَة أَحْجَارُ

وَبمَاذَا أُصَدِّعُكُمْ بأَزْيَدَ منْ ذَلكَ بعبَارَات غَيْر مُرْتَبطَة وَإشَارَات غَيْر مُنْتَظمَة. ثَبَّتَنَا اَللهُ تَعَالى وَإيَّاكُمْ عَلى مُتَابَعَة سَيِّد المُرْسَلينَ عَلَيْه وَعَلى آلهِ منَ اَلصَّلوَاتِ أَفْضَلها وَمنَ التَّسْليمات أَكْمَلهَا.

اَلْمَكْتُوبُ اَلتَّاسِعُ وَالعِشْرُونَ
صَدَرَ إِلى اَلشَّيْخِ نِظَامِ اَلدِّينِ التانيسرى
فِي اَلتَّرْغِيبِ فِي أَدَاءِ الفَرَائِضِ وَرِعَايَةِ اَلسُّنَنِ وَالآدَابِ
وَعَدَمِ المُبَالاَتِ فِي أَدَاءِ اَلنَّافِلَةِ فِي جَنْبِ الفَرَائِضِ
وَالمَنْعِ عَنْ أَدَاءِ العِشَاءِ فِي اَلنِّصْفِ الأَخِيرِ مِنَ اَللَّيْلِ
وَالمَنْعِ عَنْ تَجْوِيزِ شُرْبِ المَاءِ المُسْتَعْمَلِ فِي الوُضُوءِ
وَالمَنْعِ عَنْ تَجْوِيزِ سَجْدَةِ المُرِيدِينَ ـــ يَعْنِي لِشَيْخِهِمْ أَوْ غَيْرِهِ ـــ

عَصَمَنَا اَللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَنِ اَلتَّعَصُّبِ وَالتَّعَسُّفِ وَنَجَّانَا وَإِيَّاكُمْ عَنِ اَلتَّلَهُّفِ وَالتَّأَسُّفِ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ البَشَرِ المَنْفِي عَنْهُ زَيْغُ البَصَرِ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ مِنَ اَلصَّلَوَاتِ أَتَمُّهَا وَمِنَ اَلتَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا.

وَاعْلَمْ أَنَّ مُقَرِّبَاتِ الأَعْمَالِ إِمَّا فَرَائِضُ وَإِمَّا نَوَافِلُ فَالنَّوَافِلُ لاَ اعْتِبَارَ لَهَا فِي جَنْبِ الفَرَائِضِ أَصْلاً، فَإِنَّ أَدَاءَ فَرْضٍ مِنَ الفَرَائِضِ فِي وَقْتٍ مِنَ الأَوْقَاتِ أَفْضَلُ مِنْ أَدَاءِ اَلنَّوَافِلِ أَلْفَ سَنَةٍ وَإِنْ أَدَّيْتَ بِنِيَّةٍ خَالِصَةٍ أَيَّ نَفْلٍ كَانَ مِنَ اَلصَّلاَةِ وَالصَّوْمِ وَالذِّكْرِ وَالفِكْرِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ بَلْ أَقُولُ: إِنَّ رِعَايَةَ سُنَّةٍ مِنَ اَلسُّنَنِ وَأَدَبٍ مِنَ الآدَابِ حِينَ أَدَاءِ الفَرَائِضِ لَهَا ذَلِكَ الحُكْمُ أَيْضًا[1].

نُقِلَ أَنَّ سَيِّدَنَا عُمَرَ ـــ رَضِيَ اَللهُ عَنْهُ ـــ صَلى يَوْمًا صَلاَةَ اَلصُّبْحِ بِجَمَاعَةٍ ثُمَّ نَظَرَ إِلى القَوْمِ وَتَفَقَّدَهُمْ فَلَمْ يَرَ فِيهِمْ شَخْصًا مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَلَمْ يَحْضُرْ فُلاَنٌ الجَمَاعَةَ ؟ فَقِيلَ: إِنَّهُ يَسْهَرُ أَكْثَرَ اَللَّيْلِ فَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ قَدْ غَلَبَهُ اَلنَّوْمُ فِي هَذَا الوَقْتِ. فَقَالَ:" لَوْ نَامَ تَمَامَ اَللَّيْلِ وَصَلى صَلاَةَ اَلصُّبْحِ مَعَ الجَمَاعَةِ لَكَانَ أَوْلى وَأَفْضَلَ "[2].

فَرِعَايَةُ الأَوْلى وَالاجْتِنَابُ عَنِ المَكْرُوهِ وَإِنْ كَانَ تَنْزِيهِيًّا أَوْلى مِنَ اَلذِّكْرِ وَالفِكْرِ وَالمُرَاقَبَةِ وَالتَّوَجُّهِ بِمَرَاتِبَ كَثِيرَةٍ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ المَكْرُوهُ تَحْرِيمِيًّا نَعَمْ إِنْ جَمَعَ هَذِهِ الأُمُورَ مَعَ هَذِهِ اَلرِّعَايَةِ وَالاجْتِنَابِ فَقَدْ فَازَ فَوزًا عَظِيمًا وَبِدُونِهِ خَرْطُ القَتَادِ.

---

(١) ـــ يعني رعاية سنة أو أدب وقت أداء الفرائض تزيد وتفضل على أداء النفل بكذا مرة.

(٢) ـــ المسئول عنه سليمان ابن أبي حثمة والحديث رواه مالك في الموطأ.

فَكَمَا أَنَّ تَصَدُّقَ دَانِقٍ مَثَلاً فِي حِسَابِ اَلزَّكَاةِ أَفْضَلُ مِنْ تَصَدُّقِ مِقْدَارِ جِبَالٍ عِظَامٍ مِنْ ذَهَبٍ بِطَرِيقِ اَلنَّفْلِ بِمَرَاتِبَ، كَذَلِكَ رِعَايَةُ أَدَبٍ فِي تَصَدُّقِ ذَلِكَ اَلدَّانِقِ كَانَ يُعْطِيهِ إِلَى فَقِيرٍ مُسْتَحِقٍّ أَفْضَلُ مِنْهُ أَيْضًا بِمَرَاتِبَ، فَتَأْخِيرُ صَلاَةِ العِشَاءِ إِلَى اَلنِّصْفِ الأَخِيرِ مِنَ اَللَّيْلِ وَجَعْلُ ذَلِكَ اَلتَّأْخِيرِ وَسِيلَةً إِلَى قِيَامِ اَللَّيْلِ مُسْتَنْكَرٌ جِدًّا ؛ فَإِنَّ أَدَاءَ العِشَاءِ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ مَكْرُوهٌ عِنْدَ عُلَمَاءِ الحَنَفِيَّةِ ــ رَضِيَ اَللهُ عَنْهُمْ ــ وَالظَّاهِرُ أَنَّهُمْ أَرَادُوا بِهَذِهِ الكَرَاهَةِ الكَرَاهَةَ التحرِيمِيَّةَ فَإِنَّهُمْ أَبَاحُوا أَدَاءَ العِشَاءِ إِلَى نِصْفِ اَللَّيْلِ وَبَعْدَ نِصْفِ اَللَّيْلِ قَالُوا بِكَرَاهَتِهِ وَالمَكْرُوهُ المُقَابِلُ لِلْمُبَاحِ مَكْرُوهٌ تَحْرِيمِيٌّ. وَعِنْدَ اَلشَّافِعِيَّةِ لاَ يَجُوزُ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ أَدَاءُ العِشَاءِ رَأْسًا. فَارْتِكَابُ هَذَا الأَمْرِ بِوَاسِطَةِ قِيَامِ اَللَّيْلِ وَحُصُولِ الأَذْوَاقِ وَالجَمْعِيَّةِ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ مُسْتَكْرَهٌ جِدًّا، وَيَكْفِي لِهَذَا الغَرَضِ تَأْخِيرُ الوِتْرِ أَيْضًا وَذَلِكَ اَلتَّأْخِيرُ مُسْتَحَبٌّ فَيُؤَدِّي الوِتْرَ فِي وَقْتٍ مُسْتَحَبٍّ وَيَتَيَسَّرُ الغَرَضُ مِنْ قِيَامِ اَللَّيْلِ وَالسَّهَرِ، فَيَنْبَغِي تَرْكُ هَذَا العَمَلِ وَقَضَاءُ اَلصَّلَوَاتِ الفَائِتَةِ فَإِنَّ الإِمَامَ الأَعْظَمَ أَبَا حَنِيفَةَ[١] الكُوفِيَّ ــ رَضِيَ اَللهُ تَعَالَى عَنْهُ ــ قَضَى صَلاَةَ أَرْبَعِينَ سَنَةً بِوَاسِطَةِ تَرْكِ أَدَبٍ مِنْ آدَابِ الوُضُوءِ.

وَأَيْضًا لاَ يَجُوزُ شُرْبُ المَاءِ المُسْتَعْمَلِ لِإِزَالَةِ الحَدَثِ أَوْ بِنِيَّةِ القُرْبَةِ. فَإِنَّ ذَلِكَ المَاءَ نَجِسٌ مُغَلَّظٌ عِنْدَ الإِمَامِ الأَعْظَمِ وَمَنَعَ الفُقَهَاءُ مِنْ شُرْبِ ذَلِكَ المَاءِ وَكَرِهُوهُ. نَعَمْ قَالُوا:" إِنَّ شُرْبَ بَقِيَّةِ الوُضُوءِ شِفَاءٌ " فَإِنْ طَلَبَ شَخْصٌ ذَلِكَ بِالاعْتِقَادِ اَلصَّحِيحِ فَأَعْطِ مِنْ ذَلِكَ وَقَدْ وَقَعَ لِلْفَقِيرِ مِثْلُ هَذَا اَلابْتِلاَءِ فِي دهلى فِي هَذِهِ اَلنَّوْبَةِ بِسَبَبِ أَنَّ بَعْضَ الأَصْحَابِ قَدْ رَأَى فِي الوَاقِعَةِ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَشْرَبَ المَاءَ المُسْتَعْمَلَ فِي وُضُوءِ هَذَا الفَقِيرِ وَإِلاَّ يَلْحَقُهُ ضَرَرٌ عَظِيمٌ، وَكُلَّمَا دَفَعْتُهُ لَمْ يَنْتَفِعْ وَلَمْ يَمْتَنِعْ، فَرَاجَعْتُ الكُتُبَ الفِقْهِيَّةَ فَوَجَدْتُ مَخْلَصًا مِنْ ذَلِكَ حَيْثُ قَالُوا: " إِنَّ المُتَوَضِّئَ لَوْ لَمْ يَنْوِ القُرْبَةَ بَعْدَ تَثْلِيثِ الغُسْلِ لاَ يَكُونُ المَاءُ مُسْتَعْمَلاً فِي المَرْتَبَةِ اَلرَّابِعَةِ

---

(١) هو الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت التيمي بالولاء الكوفي، إمام المذهب الحنفي، ولد سنة ٨٠ هـ وتوفي سنة ١٥٠ هـ، أراده الخليفة المنصور على القضاء فامتنع ورعا فحبسه الخليفة إلى أن مات، له المسند في الحديث وغيره، وأفردت التصانيف في أخباره وفضائله منها: أخبار أبي حنيفة لابن عقدة، ولابن همام الشيباني، وكذلك للمرزباني، انظر: النجوم الزاهرة (١٢/٢)، البداية والنهاية (١٠٧/١٠).

" فَكُنْتُ أُعْطِيهِ مَا أَغْسِلُ بِهِ فِي الْمَرْتَبَةِ الرَّابِعَةِ بِلاَ نِيَّةِ الْقُرْبَةِ لِيَشْرَبَهُ تَجْوِيزًا لَهُ بِهَذِهِ الحِيلَةِ.

وَأَيْضًا قَدْ نَقَلَ رَجُلٌ مُعْتَمَدٌ أَنَّ مُرِيدِي بَعْضِ خُلَفَائِكُمْ يَسْجُدُونَ لَهُ وَلاَ يَكْتَفُونَ بِتَقْبِيلِ الأَرْضِ. وَشَنَاعَةُ هَذَا الفِعْلِ أَظْهَرُ مِنَ الشَّمْسِ فَامْنَعُوهُ مِنْ ذَلِكَ بِالتَّأْكِيدِ، فَإِنَّ الاجْتِنَابَ مِنْ أَمْثَالِ هَذَا الفِعْلِ مَطْلُوبٌ مِنْ كُلِ أَحَدٍ خُصُوصًا مِمَّنْ تَصَدَّى لاقْتِدَاءِ الخَلْقِ بِهِ فَإِنَّ الاجْتِنَابَ لَهُ مِنْ أَمْثَالِ هَذَا الفِعْلِ مِنْ أَشَدِّ الضَّرُورِيَّاتِ ؛ لأَنَّ الْمُقَلِّدِينَ يَقْتَدُونَ بِهِ فِي أَعْمَالِهِ فَيَقَعُونَ فِي بَلاَءٍ وَابْتِلاَءٍ وَأَيْضًا إِنَّ عُلُومَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ عُلُومُ الأَحْوَالِ وَالأَحْوَالُ مَوَارِيثُ الأَعْمَالِ فَيَكُونُ الْمِيرَاثُ مِنْ عُلُومِ الأَحْوَالِ لِشَخْصٍ قَدْ صَحَّحَ الأَعْمَالَ وَقَامَ بِحَقِّهَا فِي كُلِ حَالٍ. وَتَصْحِيحُ الأَعْمَالِ إِنَّمَا يَتَيَسَّرُ إِذَا عَرَفَ الأَعْمَالَ وَعَلِمَ كَيْفِيَّةَ كُلِ مِنْهَا بِلاَ إِهْمَالٍ، وَذَلِكَ عِلْمُ أَحْكَامِ الشَّرْعِ مِنَ الصَّلاَةِ وَالصَّوْمِ وَسَائِرِ الفَرَائِضِ، وَعِلْمُ الْمُعَامَلاَتِ كَالنِّكَاحِ وَالطَّلاَقِ وَالْمُبَايَعَاتِ، وَعِلْمُ كُلِ شَيْءٍ أَوْجَبَهُ الحَقُّ سُبْحَانَهُ عَلَى الْمُكَلَفِ وَدَعَاهُ إِلَيْهِ. وَهَذِهِ العُلُومُ اكْتِسَابِيَّةٌ لاَ بُدَّ مِنْ تَعَلُمِهَا لِكُلِ أَحَدٍ وَالعِلْمُ بَيْنَ الْمُجَاهِدَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا فِي طَلَبِهِ قَبْلَ حُصُولِهِ، وَثَانِيَتُهِمَا الْمُجَاهَدَةُ فِي اسْتِعْمَالِهِ بَعْدَ حُصُولِهِ فَكَمَا أَنَّهُ يُذْكَرُ فِي مَجْلِسِهِ الشَّرِيفِ مِنْ كُتُبِ التَّصَوُّفِ، كَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يُذْكَرَ فِيهِ مِنَ الكُتُبِ الفِقْهِيَّةِ. وَالكُتُبُ الفِقْهِيَّةُ بِالعِبَارَةِ الفَارِسِيَّةِ كَثِيرَةٌ مِثْلُ مَجْمُوعَةِ خَانِي وَعُمْدَةِ الإِسْلاَمِ وَالكَنْزِ الفَارِسِيِّ، بَلْ لاَ ضَرَرَ أَصْلاً إِنْ لَمْ يُذْكَرْ مِنْ كُتُبِ التَّصَوُّفِ فَإِنَّهُ يَتَعَلَقُ بِالأَحْوَالِ لاَ دَخْلَ لَهُ فِي القَالِ. وَعَدَمُ مُذَاكَرَةِ الكُتُبِ الفِقْهِيَّةِ مُحْتَمِلٌ لِلضَّرَرِ، وَزِيَادَةُ الإِطْنَابِ مُوجِبَةٌ لِلمَلاَلِ. القَلِيلُ يَدُلُ عَلَى الكَثِيرِ (شعر):

وَبَثَثْتُ عِنْدَكَ مِنْ خَفِي ضَمَائِرَ ... نَبْذًا وَخِفْتُ سَآمَةً مِنْ كَثْرَةِ

رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ كَمَالَ مُتَابَعَةِ حَبِيبِهِ صَلَى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَمَ.

اَلْمَكْتُوبُ اَلثَّلاَثُونَ
فِي بَيَانِ اَلشُّهُودِ الآفَاقِيِّ وَالأَنْفُسِيِّ
وَفَرْقِ مَا بَيْنَ اَلشُّهُودِ الأَنْفُسِيِّ وَالتَّجَلِّي الصُّورِيِّ
وَبَيَانِ عُلُوِّ شَأْنِ مَقَامِ العُبُودِيَّةِ
وَمُطَابَقَةِ عُلُومِ ذَلِكَ المَقَامِ بِالعُلُومِ اَلشَّرْعِيَّةِ
وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

قَالَ المُلا مُحَمَّدُ صِدِّيق[1] مِنْ جُمْلَةِ خَدَمَتِهِ المُتَقَدِّمِينَ: إِنَّ هَذَا المَكْتُوبَ أَيْضًا أُرْسِلَ إِلَى اَلشَّيْخِ نِظَامِ اَلدِّينِ التانيسري

شَرَّفَكُمْ اَللهُ بِكَمَالِ الاتِّبَاعِ المُحَمَّدِيِّ وَزَيَّنَكُمْ بِزِيِّ اَلنَّبِيِّ المُصْطَفَوِيِّ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِنَ اَلصَّلَوَاتِ أَفْضَلُهَا وَمِنَ اَلتَّحِيَّاتِ أَكْمَلُهَا. مَا أَدْرِي مَاذَا أَكْتُبُ فَإِنْ تَكَلَّمْتُ مِنْ جَنَابِ قُدْسِ مَوْلاَيَ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ يَكُونُ كَذِبًا صَرِيحًا وَافْتِرَاءً مَحْضًا؛ فَإِنَّ جَنَابَ كِبْرِيَائِهِ أَجَلُّ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِيهِ مِثْلِي ؛ فَإِنَّ المُكْتَنِفَ بِالكَيْفِ كَيْفَ يَقُولُ وَيَتَكَلَّمُ مِمَّنْ تَنَزَّهَ عَنِ الكَيْفِ وَمَاذَا يُرِيدُ وَأَيُّ شَيْءٍ يُدْرِكُ المُحْدَثُ مِنَ القَدِيمِ، وَإِلَى مَتَى يَجْرِي المَكَانِيُّ وَيَعْدُو فِي لاَ مَكَانَ مِسْكِينٌ، لاَ خَبَرَ لَهُ عَمَّا فِي خَارِجِ نَفْسِهِ وَلاَ مَمَرَّ لَهُ فِيمَا وَرَائِهِ. شِعْرٌ:

ذره كربس نيك وربس بديود   كر جه عمرى تك زند درخو دبود

يَعْنِي

وَلَوْ سَعَتْ ذَرَّةٌ فِي عُمْرِهَا طَلَبًا   خَيْرًا وَشَرًّا تَنَل فِي نَفْسِهَا اكْتَمَنَا

وَهَذَا المَعْنَى أَيْضًا يَتَيَسَّرُ فِي اَلسَّيْرِ الأَنْفُسِيِّ اَلذِي يَتَيَسَّرُ فِي نِهَايَةِ الأَمْرِ.

قَالَ الخَوَاجَهْ بَهَاءُ اَلدِّينِ اَلنَّقْشَبَنْدِيُّ قُدِّسَ سِرُّهُ: إِنَّ أَهْلَ اَللهِ كُلَّمَا يَرَوْنَ بَعْدَ الفَنَاءِ وَالبَقَاءِ يَرَوْنَهُ فِي أَنْفُسِهِمْ وَكُلَّمَا يَعْرِفُونَهُ يَعْرِفُونَهُ فِي أَنْفُسِهِمْ وَحَيْرَتُهُمْ إِنَّمَا

---

(١) **الشيخ محمد صديق**: ولد سنة ١٠٥٧ هـ، وبرع في تحصيل العلوم على يد ووالده، وخصه الله بالترقي في جميع المقامات العالية، وحج البيت الحرام وحصل له بفضل الله تعالى قبول عظيم في هذه الأماكن المطهرة، فأقام هناك، ثم انقلب إلى أهله مسرورا، وبنى رباطا بمدينة دهلى، وتصدى لهداية العالمين؛ فقصده الفقراء والأمراء، وازدحم على بابه العلماء والشرفاء، وكان ذا علم وحلم وتواضع وأخلاق حسنة، توفي رضي الله عنه سنة ١١٣٠ هـ في دهلى، ونقل إلى سرهند.انظر: السنهوتي: الأنوار القدسية: ٢٠٠.

تَكُونُ فِي وُجُودهِمْ: {وَفِي أَنْفسكُمْ أَفَلاَ تُبصِرُونَ}[١]. وَكُل سَيْر قَبْل ذَلكَ دَاخِل فِي اَلسَّيْرِ الآفَاقِيِّ اَلذي حَاصِلهُ ممَّا لاَ حَاصِل فيه وَإِطْلاَقُ لفْظ لاَ حَاصِل إِنَّمَا هُوَ بالنِّسْبَة إِلى أَصْل المَطْلَب وَإِلاَّ فَهُوَ أَيْضًا مِنْ جُمْلَة اَلشَّرَائط وَالْمعدَّات.

وَلاَ يَتوَهَّمَنَّ أَحَدٌ منَ اَلشُّهُود الأَنْفُسيِّ أَنَّهُ مثْل اَلتَّجلي الصُّوريِّ اَلذي فِي نَفْسِ المُتَجلى لهُ وَلاَ يَتَخَيَّل ذَلكَ - حَاشَا وَكَلاَّ - فَإِنَّ اَلتَّجَلِيَ الصُّوريَّ دَاخِل فِي اَلسَّيْر الآفَاقِيِّ بجَميعِ أَقْسَامه وَحَاصل فِي مَرْتَبَة علم اليَقين، وَالشُّهُودُ الأَنْفُسيُّ كَائنٌ فِي مَرْتَبَة حَقِّ اليَقين اَلذي هُوَ نهَايَةُ مَرَاتب الكَمَال. وَإِطْلاَقُ لفْظ اَلشُّهُود فِي هَذَا المَقَام منْ ضيق مَيْدَان العبَارَة، وَإِلاَّ فَكَمَا أَنَّ مَطْلَبهُمْ مُنَزَّهٌ عَنِ الكَيْف وَالكَيْفيَّة، كَذَلكَ نسبَتُهمْ إِلى ذَلكَ المَطْلَب مُنَزَّهَةٌ عَنِ الكَيْف وَالكَيْفيَّة فَإِنَّهُ لاَ سَبيل للمُتَكَيِّف إِلى المُنَزَّه عَن الكَيْف قَال فِي المَثْنَوي. شعْرٌ.

هست رب الناس رابا جان ناس ... اتصـــالى بى تكيف بى قيـــاس
ليـــك كفـــتم نَاس رانسناس نـــه ... ناس غير ازجان جان اسناس نه

يَعْني

إِنَّ للرَّحْمَنِ مَعَ أَرْوَاحِ نَاسٍ ... إِتِّصَـــالاً دُونَ كَيْف وقيَـــاس
قُلتُ نَاسًا دُونَ نسْنَاسِ الفَلاَ ... لَيْسَ نَاسٌ غَيْرَ رُوحٍ فِي المَلاَ

وَمَنْشأُ تَوَهُّمِ اتِّحَاد اَلشُّهُود الأَنْفُسيِّ بالتَّجَلي الصُّوريِّ المَذْكُور، هُوَ حُصُول بَقَاء شَخْصٍ فِي كلاَ المَقَامَيْن. فَإِنَّ اَلتَّجَليَ الصُّوريَّ لَيْسَ بمُفْنٍ - يَعْني للمُتَجَلى لهُ - وَهُوَ وَإِنْ رَفَعَ قَيْدًا منَ القُيُود، وَلَكنَّهُ لاَ يُوصل إِلى حَدِّ الفَنَاء ؛ فَفيه بَقيَّةٌ منْ وُجُود اَلسَّالك، وَالسَّيْرُ الأَنْفُسيُّ إِنَّمَا هُوَ بَعْدَ الفَنَاء الأَتَمِّ وَالبَقَاء الأَكْمَل، فَلاَ جَرَمَ يَصْعُبُ تَفْرقَةُ مَا بَيْنَ هَذَيْن البقاءَيْن لقلة المَعْرفَة. فَيَحْكُمُونَ بالاتِّحَاد بالضَّرُورَة، فَإِنْ علمُوا أَنَّ البَقَاءَ اَلثَّاني مُعَبِّرٌ عنْدَهُمْ بالبَقَاء بالله وَأَنَّ ذَلكَ الوُجُودَ يُقَال لهُ الوُجُودُ المَوْهُوبُ الحَقَّانيُّ فَعَسَى أَنْ يَتَخَلصُوا منْ ذَلكَ اَلتَّوَهُّم.

وَلاَ يُقَال هُنَا إِنَّ البَقَاءَ بالله عبَارَةٌ عَنْ وجْدَان اَلسَّالك نَفْسَهُ عَيْنَ الحَقِّ تَعَالى وَتَقَدَّسَ فَإِنَّ الأَمْرَ لَيْسَ كَذَلكَ. فَإِن اُسْتُفيدَ هَذَا المَعْنَى منْ بَعْضِ عبَارَات القَوْم. أُجيبُ عَنْ ذَلكَ: أَنَّ هَذَا البَقَاءَ يَتَيَسَّرُ للبَعْضِ فِي مَقَام الجَذْبَة بَعْدَ الاسْتهْلاَك وَالاضْمحْلاَل المُتَشَابه بالفَنَاء. وَأَكَابرُ اَلنَّقْشَبَنْديَّة يُعَبِّرُونَ عَنْ ذَلكَ بوُجُود

---

(١) ـــ الآية: ٢١ من سورة الذراريات.

اَلْعَدَم، وَهَذَا قَبْل حُصُول الفَنَاء وَيُتَصَوَّرُ لَهُ اَلزَّوَال، بَل هُوَ وَاقِعٌ ؛ فَإِنَّهُ رُبَّمَا يُؤْخَذُ اَلسَّالِكُ عَنْ نَفْسِه وَيَغِيبُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلى نَفْسِه أَحْيَانًا - يَعْني تَرْتَفِعُ عَنْهُ اَلصِّفَاتُ البَشَرِيَّةُ ثُمَّ يُعْطَاهَا ثَانِيًا - وَالبَقَاءُ اَلذي بَعْدَ الفَنَاء الأَتَمِّ مَصُونٌ عَنِ اَلزَّوَال وَمَحْفُوظٌ مِنَ الخَلَل. وَفَنَاءُ أَرْبَاب هَذَا البَقَاء فَنَاءٌ دَائمِيٌّ فَهُمْ فَانُونَ فِي عَيْنِ البَقَاء وَبَاقُونَ فِي عَيْنِ الفَنَاء. فَإِنَّ الفَنَاءَ وَالبَقَاءَ اَللذَيْنِ يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِمَا اَلزَّوَال مِنْ جُمْلَة تَلوينات الأَوْقَات وَالأَحْوَال، وَلاَ كَذَلِكَ فِيمَا نَحْنُ بِصَدَد بَيَانه.

قَال الخَواجهْ بَهَاءُ اَلدِّينِ النَّقْشَبَنْدِيُّ - قُدِّسَ سِرُّهُ - " إِنَّ وُجُودَ العَدَم يَعُودُ إِلى وُجُود البَشَرِيَّة وَأَمَّا وُجُودُ الفَنَاء فَلاَ يَعُودُ إِلى وُجُود البَشَرِيَّة ".

فَلاَ جَرَمَ يَكُونُ وَقْتُهمْ دَائمِيًّا وَحَالُهمْ سَرْمَدِيًّا البَتَّةَ بَل لاَ وَقْتَ لَهُمْ وَلاَ حَال شَغْلهمْ مَعَ مُوَقِّت الأَوْقَات وَمُعَامَلَتُهمْ مَعَ مُحَوِّل الأَحْوَال، فَصَارَ قَبُول اَلزَّوَال مَخْصُوصًا بالوَقْت وَالحَال وَمَنْ تَخلصَ عَنِ الوَقْت وَالحَال فَقَدْ صَارَ مَا يَعْرِضُ لَهُ مَحْفُوظًا مِنَ اَلزَّوَال {ذَلكَ فَضْلُ اَللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاَللهُ ذُو الفَضْل العَظِيمِ}[(١)].

وَلاَ يَزْعُمُ اَلزَّاعِمُ: أَنَّ إِطْلاَقَهُمْ دَوَامَ الوَقْت، وَقَوْلَهُمْ بِه إِنَّمَا هُوَ بِاعْتبَار بَقَاء أَثَرِ ذَلكَ الوَقْت وَدَوَامه مِنَ اَلتَّعَيُّنِ وَغَيْرِه. فَإِنَّ الأَمْرَ لَيْسَ كَذَلكَ، بَل اَلدَّوَامُ لنَفْسِ الوَقْت وَالاسْتمْرَارُ لعَيْنِ الحَال

{إِنَّ اَلظَّنَّ لاَ يُغْني مِنَ الحَقِّ شَيْئًا}[(٢)].

بَل نَقُول: {إِنَّ بَعْضَ اَلظَّنِّ إِثْمٌ}[(٣)].

قَدْ طَال الكَلاَمُ، فَلنَرْجِعْ إِلى أَصْل المَرَامِ وَنَقُول: إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي فَضَاء قُدْسِه تَعَالى مَجَال للكَلاَمِ فَلنَتَكَلَّمْ فِي مَقَام عُبُودِيَّتنَا وَذُلنَا وَانْكسَارنا.

إِنَّ المَقْصُودَ مِنَ الخلقَة الإِنْسَانيَّة إِنَّمَا هُوَ أَدَاءُ وَظَائف العُبُودِيَّة. وَمَنْ أَعْطَى العِشْقَ وَالمَحَبَّةَ فِي الوَسَط وَالابْتدَاء فَالمَقْصُودُ مِنْهُ قَطْعُ اَلتَّعَلق مِنْ غَيْر جَنَاب قُدْسه - جَل شَأْنُهُ -. وَلَيْسَ العِشْقُ وَالمَحَبَّةُ مِنَ المَقَاصد بَل هُوَ لحُصُول مَقَام العُبُودِيَّة ؛ فَإِنَّ اَلسَّالكَ إِنَّمَا يَكُونُ عَبْدَ اَللهِ تَعَالى إِذَا تَخلصَ عَنْ أَسْرِ غَيْرِه تَعَالى وَعُبُودِيَّته

---

(١) ـــ الآية: ٢١ من سورة الحديد، والآية: ٤ من سورة الجمعة.

(٢) ـــ الآية: ٣٦ من سورة يونس.

(٣) ـــ الآية: ١٢ من سورة الحجرات.

بالتَّمَام، وَلَيْسَ فَائِدَةُ العشْقِ سوَى أَنْ يَكُونَ وَسيلةَ اَلانْقطَاعِ عَنْ غَيْره سُبْحَانَهُ ؛ وَلهَذَا كَانَتْ نهَايَةُ مَرَاتبِ الولاَيَة مَقَامَ العَبْديَّة، وَلَيْسَ في دَرَجَات الولاَيَة مَقَامٌ فَوْقَ مَقَامِ العَبْديَّة وَلاَ يَجدُ اَلسَّالكُ في هَذَا اَلمَقَامِ مُنَاسبَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَوْلاَهُ تَعَالى إلاَّ اَلاحْتيَاجَ منْ جَانبه وَالاسْتغْنَاءَ الأَتَمَّ ذَاتًا وَصفَةً منْ جَانب المَوْلى تَعَالى وَتَقَدَّسَ لاَ إنَّهُ يَجدُ ذَاتَهُ مُنَاسبًا لذَاته وَصفَاته لصفَاته وَأَفْعَالهُ لأَفْعَاله عَزَّ سُلطَانُهُ وَلوْ بوَجْه منَ الوُجُوه حَتَّى أَنَّهُ يَتَنَزَّهُ وَيَتَبَرَّأُ عَنْ إطْلاَقِ اَلظِّلِّيَّة لكَوْنهَا منْ جُمْلة المُنَاسَبَات، بَل يَعْتَقدُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ خَالقُهُ وَهُوَ مَخْلوقٌ لهُ تَعَالى وَلاَ يَجْتَرئُ بغَيْر ذَلكَ بشَيْء. وَالتَّوْحيدُ الفعْليُّ اَلذي يَظْهَرُ لجَمْعٍ في أَثْنَاء اَلطَّريق بأَنْ لاَ يَجدُوا فَاعلاً غَيْرَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ يَقُول هَؤُلاَء الأَكَابرُ وَيَعْتَقدُونَ أَنَّ خَالقَ هَذه الأَفْعَال وَاحدٌ لاَ أَنَّ مُبَاشرَهَا وَاحدٌ، فَإنَّ هَذَا الكَلاَمَ يَكَادُ يُوصل قَائلهُ إلى اَلزَّنْدَقَة.

وَلنُوَضِّح ذَلكَ بمثَال وَهُوَ أَنَّ العَارفَ بالشَّعْبَذَة إذَا قَعَدَ وَرَاءَ الحجَاب وَحَرَّكَ بشَعْبَذَته صُوَرَ جَمَادَات مُتَعَدِّدَة وَأَظْهَرَ منْهَا أَفْعَالاً عَجيبَةً غَريبَةً فَالذينَ فيهمْ حدَّةُ البَصَر يَعْرفُونَ أَنَّ جَاعلَ هَذه الأَفْعَال في تلكَ اَلصُّوَر هُوَ ذَلكَ اَلشَّخْصُ القَاعدُ وَرَاءَ الحجَاب وَلكنْ مُبَاشرُ هَذه الأَفْعَال هُوَ هَذه اَلصُّوَرُ. وَلهَذَا يُقَال: إنَّ اَلصُّورَةَ مُتَحَرِّكَةٌ دُونَ أَنْ يُقَال: إنَّ صَاحبَ اَلشَّعْبَذَة مُتَحَرِّكٌ. وَهُمْ مُحقُّونَ في ذَلكَ الحُكْم في نَفْس الأَمْر، وَشَرَائعُ الأَنْبيَاء نَاطقَةٌ بذَلكَ، وَالحُكْمُ بوَحْدَة الفَاعل منْ جُمْلة اَلسُّكْريَّات، بَل الحَقُّ اَلصَّريحُ أَنَّ الفَاعل مُتَعَدِّدٌ وَخَالقَ الأَفْعَال وَاحدٌ، وَهَكَذَا العُلُومُ اَلتي بَيَّنُوهَا في تَوْحيد الوُجُود مَبْنَاهَا عَلى اَلسُّكْر وَغَلبَة الحَال وَعَلاَمَة صحَّة العُلوم اَللدُنِّيَّة مُطَابَقَتُهَا لصَريح العُلوم اَلشَّرْعيَّة فَإنْ جَاوَزَهَا مقْدَارَ شَعْرَة وَخَالفَهَا في مثْقَال ذَرَّة فَهُوَ منَ اَلسُّكْر وَالحَقُّ مَا حَقَّقَهُ العُلمَاءُ منْ أَهْل اَلسُّنَّة وَالجَمَاعَة وَمَا سوَى ذَلكَ - يَعْني ممَّا يُخالفُهُ - إمَّا زَنْدَقَةٌ وَإلحَادٌ، أَوْ سُكْرُ وَقْت وَغَلبَةُ حَال مُفْضيَة إلى القَوْل بالاتِّحَاد. وَهَذه المُطَابَقَةُ عَلى وَجْه الكَمَال وَالتَّمَام إنَّمَا تَتَيَسَّرُ في مَقَامِ العَبْديَّة، وَفي مَا وَرَاءَ ذَلكَ يَتَحَقَّقُ فيه نَحْوٌ منَ اَلسُّكْر/(ع) :

فَيَا لهَا قصَّةٌ في شَرْحهَا طُول

سُئل الخواجهْ بهَاءُ اَلدِّين - قُدِّسَ سرُّهُ - أَنَّهُ مَا المَقْصُودُ منَ اَلسُّلوك ؟ فَقَال: " لتَصيرَ المَعْرفَةُ الإجْمَاليَّةُ تَفْصيليَّةً وَالاسْتدْلاَليَّةُ كَشْفيَّةً ضَرُوريَّةً " وَلَم يَقُل ليَحْصُل مَعْرفَةٌ زَائدَةٌ عَلى مَعَارفَ شَرْعيَّة وَإنْ حَصَل في اَلطَّريق أُمُورٌ زَائدَةٌ. لكنْ

إذَا بَلغَ الأَمْرُ نهَايَتَهُ تَكُونُ تلكَ الأُمُورُ هَبَاءً مَنْثُورًا وَتَصيرُ المَعَارفُ اَلشَّرْعيَّةُ مَعْلومَةً عَلى وَجْه اَلتَّفْصيل وَتَخْرُجُ منْ مَضيقِ اَلاسْتدْلاَل إلى فَضَاء إطْلاَق الكَشْف. يَعْني كَمَا أَنَّ اَلنَّبيَّ ـــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ـــ كَانَ يَأْخُذُ هَذه العُلومَ منَ الوَحْيِ كَذَلكَ هَؤُلاَء الأَكَابرُ يَأْخُذُونَهَا بطَريق الإلهَام منَ الأَصْل. وَالعُلمَاءُ بَيَّنُوا هَذه العُلومَ أَخْذًا لهَا منَ اَلدَّلاَئل اَلشَّرْعيَّة بطَريق الإجْمَال. فَكَمَا أَنَّ هَذه العُلوم كَانَتْ حَاصلةً للأَنْبيَاء - عَلَيْهمُ اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - تَفْصيلاً، كَذَلكَ تَكُونُ تلكَ العُلومُ حَاصلةً لَهُمْ كَشْفًا عَلى هَذَا اَلنَّهْج.

وَالأَصَالةُ وَالتَّبَعيَّةُ قَائمَتَان في البَيْن، وَإنَّمَا يَنْتَخبُ لمثْل هَذَا القسْمِ منَ الكَمَال بَعْضٌ منْ كَمَل الأَوْليَاء بَعْدَ قُرُون مُتطَاولة وَأَزْمنَة مُتبَاعدَة. وَقَدْ كَانَ في الخَاطر أَنْ أَكْتُبَ مَسْأَلةً إجْمَاليَّةً وَاسْتدْلاَليَّةً عَلى وَجْه اَلتَّفْصيل لكنْ تَمَّتْ اَلصَّحيفَةُ وَلمْ يَبْقَ مَحَل لكتَابَتهَا وَلعَل في ذَلكَ حكْمَةَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى وَالسَّلاَمُ.

اَلْمَكْتُوبُ الحادِيَ وَالثَّلاَثُونَ
فى بَيَان ظُهُور حقيقَةَ اَلتَّوْحِيد الوُجُودِيِّ وَقُرْبه تَعَالى وَمَعِيَّته اَلذَّاتِيَّيْن وَمُجَاوَزَة ذلكَ المَقَامِ مَعَ بَعْضِ الأَسْئِلَةَ وَالأَجْوِبَة المُتَعَلقَة بهَذا المَقَامِ
أَرْسَلَهُ إلى اَلشَّيْخِ صُوفِيٍّ

ثَبَّتَنَا اَللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى عَلى مُتَابَعَة سَيِّد المُرْسَلينَ عَلَيْه وَعَلى آله وَعَلَيْهِمْ منَ اَلصَّلوَات أَفْضَلهَا وَمنَ التَّسْليمَات أَكْمَلهَا: قَدْ نَقَل مَنْ كَانَ في مَجْلسكُمْ اَلشَّريف أَنَّ شخصًا مَنْ مُريدي اَلشَّيْخِ مَيَّانَ نظَامِ اَلدِّينِ التانيسرى ذَكَرَ هَذَا الفَقيرَ وَقَال إنَّهُ يُنْكرُ وَحْدَةَ الوُجُود، وَالتَمَسَ نَاقل هَذَا الكَلاَمِ منْ هَذَا الفَقيرِ أَنْ أَكْتُبَ إلى خُدَّامكُمْ مَا هُوَ الحَقيقَةُ في هَذَا البَاب لئلاًّ يَقعَ اَلنَّاسُ منْ هَذَا الكَلاَمِ في سُوء اَلظَّنِّ فَإنَّ بَعْضَ اَلظَّنِّ إثْمٌ. فَتَجَرَّأْتُ عَلى تَصْديعكُمْ بكَلمَات إجَابَة لمَسْئوله.

أَيُّهَا المَخْدُومُ المُكَرَّمُ: إنَّ مُعْتَقَدَ الفَقيرِ منَ اَلصِّغَرِ كَانَ مَشْرَبَ أَهْلَ اَلتَّوْحيد - يَعْني تَوْحيدَ الوُجُود - وَكَانَ وَالدُ الفَقيرِ - قُدِّسَ سرُّهُ - في ذَلكَ المَشْرَب بحَسَب اَلظَّاهرِ وَكَانَ مَشْغُولاً بهَذَا اَلطَّريق عَلى سَبيل اَلدَّوَامِ مَعَ وُجُود حُصُول اَلتَّوَجُّه اَلتَّامِّ بحَسَب البَاطنِ إلى جَانب المَرْتَبَة اَللاَّكَيْفيَّة. وَبحُكْمِ " ابْنُ الفَقيه نصْفُ الفقْه " كَانَ للفَقيرِ أَيْضًا حَظٌّ وَافرٌ منْ هَذَا المَشْرَب بحَسَب العلمِ وَحَصَلَتْ لي منْهُ لذَّةٌ عَظيمَةٌ إلى أَنْ أَوْصَلني اَللهُ بمَحْضِ كَرَمه إلى جَناب حَضْرَة مَعْدن الإرْشَاد مُظْهرِ الحَقَائقِ وَالمَعَارفِ مُؤَيِّدِ اَلدِّينِ اَلرَّضيِّ شَيْخنَا وَمَوْلاَنَا وَقبْلتنَا مُحَمَّد البَاقيِّ قَدَّسَنَا اَللهُ تَعَالى بسرِّه.

فَعَلمَ الفَقيرُ اَلطَّريقَةَ اَلنَّقْشبَنْديَّةَ وَبَذَل اَلتَّوَجُّهَ البَليغَ في حَقِّ هَذَا المسْكين، فَانْكَشَفَ اَلتَّوْحيدُ الوُجُوديُّ في مُدَّة يَسيرَة بَعْد مُمَارَسَة هَذه اَلطَّريقَة العَليَّة، وَعَرَضَ لي غُلوٌّ في هَذَا الكَشْف، وَظَهَرَ شَيْءٌ وَافرٌ منْ عُلوم هَذَا المَقَام وَمَعَارفه وَلَمْ تَبْقَ دَقيقَةٌ منْ دَقَائق هَذه المَرْتَبَة غَيْرَ مُنْكَشفَة، وَلاَحَتْ دَقَائقُ عُلومِ اَلشَّيْخ مُحْيي اَلدِّينِ بْنِ عَرَبيٍّ وَمَعَارِفُهُ، وَشَرُفْتُ بالتَّجَلي اَلذَّاتيِّ اَلذي بَيَّنَهُ صَاحبُ الفُصُوص[١]

---

(١) ــ فصوص الحكم: للشيخ محيي الدين أبي عبد الله محمد بن على المعروف بابن عربي الطائي الحاتمى الأندلسي المتوفى سنة ٦٣٨ ثمان وثلاثين وستمائة، وله كتاب النقوش وهو نقوش الفصوص على منواله لكنه مختصر، أوله الحمد لله منزل الحكم على قلوب الكلم الخ وهو على سبعة وعشرين فصا ترتيبها هكذا:

وَاعْتَقَدَ أَنَّهُ نِهَايَةُ العُرُوجِ، وَقَالَ فِي حَقِّه: " وَمَا بَعْدُ هَذَا إِلاَّ العَدَمُ المَحْضُ " وَحَصَلَ لِي عُلومُ ذَلكَ اَلتَّجلي وَمَعَارِفُهُ اَلتي قَال اَلشَّيْخُ مُحْيِي اَلدِّين بْن عَرَبِيٍّ أَنَّها مَخْصُوصَةٌ بِخَاتَمِ الوِلاَيَة بِالتَّفْصِيل، وَبَلغَ سُكْرُ الوَقْت وَغَلَبَةُ الحَال فِي هَذَا اَلتَّوْحيد حَدًّا كَتَبْتُ إِلى حَضْرَة الخَواجهْ - يَعْني شَيْخَهُ - فِي بَعْضِ العَرَائِضِ هَذَيْنِ البَيْتَيْنِ المَمْلوَيْنِ بِأَلفَاظ اَلسُّكْر. شِعْرٌ.

أى دريغا كاين شريعت ملت أعماه يست — ملت ما كافرى وملة ترساء يست

كفر وإيمان زلف وروى يرى زيبا يست — كفر وإيمان هردواندرراه مايكتأ يست

يَعْني:

أَلاَ إِنَّ هَذَا اَلشَّرْعَ ملةُ مَنْ عَمِيَ — وَملتُـــنا كُفْـــرٌ وَملةُ جاحـــد

ذَوَائِبُ مَنْ أَهْوَاهُ كُفْرٌ وَوَجْهُ الـــ — قِيَاد هُمَا عِنْدي عَلَى حَدٍّ وَاحَدِ

وَامْتَدَّ هَذَا الحَال إِلى مُدَّة مَديدَة وَانْجَرَّ الأَمْرُ منَ اَلشُّهُور إِلى سنينَ عَديدَة ثُمَّ بَرَزَتْ عِنَايَةُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ اَلتي لاَ غَايَةَ لَهَا منْ كُوَّةَ الغَيْب وَجَاءَتْ إِلى عُرْضَة اَلظُّهُور وَانْسَدَل نقَابُ الكَيْفيِّ وَاللاَّكَيْفيَّة عَلى وَجْه المَطْلوب المَذْكُور وَتَوَجَّهَتْ العُلومُ اَلسَّابقَةُ اَلتي كَانَتْ مُنْبئَةً عَنِ اَلاتِّحَاد وَوَحْدَة الوُجُود نَحْوَ اَلزَّوَال وَالفُتُور وَاسْتَتَرَتْ الإِحَاطَةُ وَالسَّرَيَانُ وَالقُرْبُ وَالمَعِيَّةُ اَلذَّاتيَّاتُ اَلتي كَانَتْ مُنْكَشفَةً فِي ذَلكَ المَقَامِ المَسْطُورِ وَصَارَ مَعْلومًا بِيَقِينِ يَقِينٍ أَنَّ هَذه اَلنِّسَبَ المَذْكُورَةَ لَيْسَتْ بِثَابتَة للصَّانِعِ - جَل شَأْنُهُ - مَعَ العَالَمِ بَل إِحَاطَتُهُ وَقُرْبُهُ تَعَالى بِحَسَبِ العلمِ كَمَا هُوَ

---

(١) ـــ فص حكمة الهية في الكلمة آدمية. ٢ ـــ نفثية في شيثية. ٣ ـــ سبوحية في نوحية. ٤ ـــ قدوسية في ادريسية. ٥ ـــ مهيمية في ابراهيمية. ٦ ـــ حقية في اسحاقية. ٧ ـــ علية في اسماعيلية. ٨ ـــ روحية في يعقوبية. ٩ ـــ نورية في يوسفية. ١٠ ـــ احادية في هودية. ١١ ـــ فاتحية في صالحية. ١٢ ـــ قلبية في شعيبية. ١٣ ـــ ملكية في لوطية. ١٤ ـــ قدرية في عيزرية. ١٥ ـــ نبوية في عيسوية. ١٦ ـــ رحمانية في سليمانية. ١٧ ـــ وجودية في داودية. ١٨ ـــ نفسية في يونسية. ١٩ ـــ غيبية في ايوبية. ٢ ـــ جلالية في يحياوية. ٢١ ـــ مالكية في زكرياوية. ٢٢ ـــ ايناسية في الياسية. ٢٣ ـــ احسانية في لقمانية. ٢٤ ـــ امامية في هارونية. ٢٥ ـــ علوية في موسوية. ٢٦ ـــ صمدية في خالدية. ٢٧ ـــ فردية في محمدية.

قال في خطبته اما بعد فاني رأيت رسول الله ـــ صلى الله تعالى عليه وسلم ـــ في مبشرة أريتها في العشر الآخر من محرم لسنة ٦٢٧ سبع وعشرين وستمائة بدمشق وبيده كتاب فقال لي: " هذا كتاب فصوص الحكم خذه واخرج به الى الناس ينتفعون به فقلت السمع والطاعة " انتهى. انظر: حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: ١٢٦١/٢.

مُقَرَّرٌ عِنْدَ أَهْلِ الحَقِّ شَكَرَ اَللهُ سَعْيَهُمْ وَهُوَ تَعَالى لَيْسَ بِمُتَّحِد بِشَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاء. هُوَ هُوَ تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَالعَالَمُ عَالَمٌ، وَهُوَ تَعَالى مُنَزَّهٌ عَنِ الكَيْفِ وَالكَيْفِيَّات وَالعَالَمُ مُتَّسِمٌ بِمِيسَمِ الكَيْفِ مِنَ الفَرْقِ إلى القَدَمِ. وَلاَ يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الْمُنَزَّهَ عَنِ الكَيْفِ عَيْنُ الْمُكَيَّفُ بِالكَيْفِ وَأَنَّ الوَاجِبَ عَيْنُ الْمُمْكِنِ وَلاَ يَكُونُ القَدِيمُ عَيْنَ الحَادِث وَمُمْتَنِعُ العَدَمِ عَيْنُ جَائِزِ العَدَمِ أَصْلاً. فَإِنَّ انْقِلاَبَ الحَقَائِقِ مُحَال عَقْلاً وَشَرْعًا وَصِحَّةَ حَمْلِ أَحَدِهِمَا عَلى الآخَرِ مَفْقُودَةٌ لِكَوْنِهِ مُمْتَنِعًا أَصْلاً وَرَأْسًا.

وَالعَجَبُ مِنَ اَلشَّيْخِ مُحْيِي اَلدِّينِ وَتَابِعِيهِ حَيْثُ يَقُولونَ لِذَاتِ الوَاجِب مَجْهُولةً مُطْلَقَةً، وإِنَّهَا لَيْسَتْ بِمَحْكُومَةٍ بِحُكْمٍ مِنَ الأَحْكَامِ قَطْعًا. وَمَعَ ذَلكَ يُثْبِتُونَ الإِحَاطَةَ وَالقُرْبَ وَالمَعِيَّةَ اَلذَّاتِيَّات وَمَا هَذَا إِلاَّ حُكْمٌ عَلى اَلذَّات تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ فَالصَّوَابُ مَا قَالهُ العُلَمَاءُ مِنَ القُرْبِ وَالإِحَاطَةِ العِلْمِيَّيْنِ.

وَكَانَ لِلفَقِيرِ اضْطِرَابٌ تَامٌّ وَقْتَ حُصُولِ العُلومِ وَالمَعَارِفِ الْمُنَافِيَةِ لِمَشْرَب اَلتَّوْحِيدِ الوُجُودِيِّ لِظَنِّي بِأَنْ لَيسَ وَرَاءَ هَذَا اَلتَّوْحِيدِ أَمْرٌ آخَرُ عَالٍ وَكُنْتُ أَدْعُو اَللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى بِالتَّضَرُّعِ وَالانْكِسَارِ أَنْ لاَ يُزِيلَ اَللهُ سُبْحَانَهُ عَنِّي هَذه المَعْرِفَةَ - يَعْنِي مَعْرِفَةَ اَلتَّوْحِيدِ الوُجُودِيِّ - إِلى أَنْ ارْتَفَعَتْ الحُجُبُ عَنْ وَجْهِ الأَمْرِ بِالتَّمَام وَانْكَشَفَ حَقِيقَةُ الحَالِ وَجَلِيَّةُ المَرَامِ كَمَا يَقْتَضِيهِ المَقَامُ، وَصَارَ مَعْلومًا أَنَّ العَالَمَ وَإِنْ كَانَ مَرَايَا لِلكَمَالاَتِ الصِّفَاتِيَّةِ وَمُجَالى لِلظُّهُورَاتِ الأَسْمَائِيَّة، وَلكِنَّ المَظْهَرَ لَيْس عَيْنَ اَلظَّاهِرِ وَالظِّلَّ لَيْسَ نَفْسَ الأَصْلِ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ اَلتَّوْحِيدِ الوُجُودِيِّ.

وَلِنُوضِّحْ هَذَا المَبْحَثَ بِمِثَالٍ: وَهُوَ أَنَّ عَالِمًا ذَا فُنُونٍ أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ كَمَالاَتِهِ الْمُتَنَوِّعَةَ إِلى عُرْضَةِ اَلظُّهُورِ وَأَنْ يُورِدَ خَفَايَاهَا الْمُسْتَحْسَنَةَ فِي مَعْرِضِ الإِيضَاحِ لأَهْلِ اَلشُّعُورِ فَأَوْجَدَ الحُرُوفَ وَالأَصْوَاتَ يَعْنِي بِالتَّكَلمِ وَأَظْهَرَ كَمَالاَتِهِ الْمُخْفِيَةَ فِي مَرَايَا تِلكَ الحُرُوفِ وَالأَصْوَاتِ. فَفِي هَذهِ اَلصُّورَةِ لاَ يُقَالُ: إِنَّ هَذهِ الحُرُوفَ وَالأَصْوَاتَ اَلتي كَانَتْ مُجَالى وَمَرَايَا لِتِلكَ الكَمَالاَتِ أَنَّهَا عَيْنُ تِلكَ الكَمَالاَتِ أَوْ مُحِيطَةٌ بِتِلكَ الكَمَالاَتِ بِالذَّاتِ أَوْ قَرِيبَةٌ مِنْهَا كَذَلكَ بِالذَّاتِ أَوْ لَهَا مَعِيَّةٌ بِهَا كَذَلكَ بَلْ بَيْنَهُمَا نِسْبَةُ اَلدَّالِيَةِ وَالْمَدْلولِيَةِ فَقَطْ، وَلَيْسَ لِتِلكَ الحُرُوف وَالأَصْوَاتِ نَصِيبٌ وَوَظِيفَةٌ سِوَى اَلدَّلاَلةِ عَلى تِلكَ الكَمَالاَتِ، وَأَمَّا تِلكَ الكَمَالاَتُ فَعَلى صَرَافَةِ إِطْلاَقِهَا. وَتِلكَ اَلنِّسْبَةُ اَلتي ظَهَرَتْ إِنَّمَا هِيَ فِي الأَوْهَامِ وَالخَيَالاَتِ وَإِلاَّ فَلاَ شَيْءَ مِنْهَا ثَابِتٌ فِي الحَقِيقَةِ، وَلكِنْ لَمَّا تَحَقَّقَتْ بَيْنَ تِلكَ

الكَمَالاَت وَالحُرُوف وَالأَصْوَات مُنَاسَبَةُ اَلظَّاهِرِيَّة وَالمَظْهَرِيَّة وَالدَّالِيَّة وَالمُدْلُوْلِيَة صَارَتْ هَذه المُنَاسَبَةُ بَاعِثَةً عَلى تَوَهُّم حُصُول تلكَ اَلنِّسَب الوَهْمِيَّة للبَعْضِ بِوَاسِطَةِ بَعْضِ العَوَارِضِ، وَإلاَّ فَتلكَ الكَمَالاَتُ مُعَرَّاةٌ وَمُبَرَّأَةٌ عَنْ جَميعِ اَلنِّسَب فِي نَفْس الأَمْرِ، وَفيمَا نَحْنُ فيه لاَ شَيْءَ سوَى عَلاَقَة اَلدَّالِيَّة وَالمُدْلوْلِيَة وَالظَّاهِرِيَّة وَالمَظْهَرِيَّة أَيْضًا فَإِنَّ العَالَمَ عَلَمٌ لصَانعه تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَمَظْهَرٌ لظُهُور كَمَالاَته الأَسْمائِيَّة والصِّفاتِيَّة.

وَهَذه العَلاَقَةُ رُبَّمَا تَكُونُ بَاعِثَةً عَلى إِثْبَات بَعْضِ الأَحْكَامِ الوَهْمِيَّة بِالنِّسْبَة إلى البَعْضِ بوَاسِطَة بَعْضِ العَوَارِضِ.

وَقَدْ يُورِدُ البَعْضُ إِلى هَذَا المَوْرد - يَعْني مَوْرِدَ إِثْبَات هَذه الأَحْكَامِ - كَثْرَةَ مُرَاقَبَة اَلتَّوْحيد وَالأَحَدِيَّة لاَنْتقَاش صُورَة تلكَ المُرَاقَبَات فِي القُوَّة المُتَخَيِّلَة.

وَيُورثُ البَعْضُ نَحْوًا مِنْ ذَوْق هَذه الأَحْكَام مُمَارَسَةَ علم اَلتَّوْحيد وَتَكْرَاره وَهَذَانَ القسْمَان منَ اَلتَّوْحيد يَعْني الوُجُوديَّ مَعْلولاَن وَدَاخلاَن فِي دَائِرَة العلمِ لاَ مَسَاسَ لهُمَا بالحَال.

وَيَكُونُ مَنْشَأُ تَوَهُّم هَذه الأَحْكَام فِي البَعْضِ الآخَرِ غَلبَةَ المَحَبَّة ؛ فَإِنَّهُ كَثيرًا مَا يَسْتَتِرُ عَنْ نَظَر المُحبِّ غَيْر مَحْبُوبه بوَاسطَة اسْتيلاَء حُبِّ مَحْبُوبه عَلَيْه فَلاَ يَرَى غَيْرَ مَحْبُوبه لاَ إنَّهُ لَيْسَ فِي نَفْسِ الأَمْر غَيْرُ مَحْبُوبه فَإِنَّهُ مُخَالفٌ لحُكْم الحسِّ وَالعَقْل وَالشَّرْعِ، وَتَصيرُ هَذه المَحَبَّةُ أَحْيَانًا بَاعِثَةً عَلى الحُكْمِ بالإِحَاطَة وَالقُرْب اَلذَّاتيَّيْن،

وَهَذَا القسْمُ منَ اَلتَّوْحيد أَعْلى منَ القسْمَيْنِ اَلسَّابقَيْنِ وَدَاخل فِي دَائِرَة الحَال وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُطَابقًا لنَفْسِ الأَمْر وَمُوَافقًا للشَّريعَة وَتَطْبِيقه عَلى اَلشَّرِيعَة، وَنَفْسُ الأَمْر تَكَلُّفٌ مَحْضٌ مثْل اَلتَّكَلفات الفَلسَفيَّة البَارِدَة، حَيْثُ إنَّ إِسْلاَمِيَّهُم يُرِيدُونَ تَطَبُّقَ أُصُولهمْ الفَاسدَةَ عَلى قَوَانِين اَلشَّرِيعَة، وَكتَابُ إِخْوَان اَلصَّفَا وَغَيْرِه منْ هَذَا القَبِيل. غَايَةُ مَا فِي البَاب أَنْ للخَطَأ الكَشْفيِّ حُكْمَ الخَطَأ الاجْتهَاديِّ فِي ارْتفَاعِ المَلاَمِ وَالعتَاب عَنْ صَاحبه، بَل تَتَحقَّقُ فيه دَرَجَةٌ منْ دَرَجَات اَلصَّوَاب وَإِنَّمَا اَلتَّفَاوُتُ بَيْنَهُمَا أَنَّ لمُقَلدي المُجْتَهد حُكْمَ المُجْتَهد وَلهُمْ دَرَجَةٌ منْ دَرَجَات اَلصَّوَاب عَلى تَقْدِيرِ الخَطَأ بخلاَف مُقَلدي أَهْل الكَشْف فَإِنَّهُمْ لَيْسُوا بمَعْذُورِينَ، بَل هُمْ مَحْرُومُونَ عَنْ نَيْل دَرَجَة اَلصَّوَاب عَلى تَقْدِيرِ الخَطَأ، فَإِنَّ كُلاً منَ الإِلهَامِ وَالكَشْف

لَيْسَ بِحُجَّة لِلغَيْر، وَقَوْل الُمجْتَهِد حُجَّةٌ للغَيْر، فَتَقْليدُ الأَوَّل لاَ يَجُوزُ عَلى تَقْديرِ احْتِمَال الخَطَأ وَتَقْليدُ اَلثَّاني جَائِزٌ عَلى تَقْديرِ احْتِمَال الخَطَأ أَيْضًا بَل وَاجِبٌ.

وَشُهُودُ بَعْضِ اَلسَّالكِينَ اَلذي هُوَ في مَرَايَا التَّعَيُّنَات الكَوْنِيَّة أَيْضًا مِنْ قَبِيل الأَحْكَامِ اَلسَّابِقَة وَيُسَمُّونَ هَذَا اَلشُّهُودَ شُهُودَ الوَحْدَة وَشُهُودَ الأُحَدِيَّة في الكَثْرَة فَإِنَّ[1] الوَاجِبَ تَعَالى وَتَقَدَّسَ مُنَزَّهٌ عَنِ الكَيْف وَالكَيْفِيَّات لاَ تَسَعُهُ مَرَايَا الُمكَيَّف أَصْلاً وَلاَ مُجَالى المتكم قَطْعًا وَلاَ يَحْصُلُ الَمكَانِيُّ في الَمكَان يَنْبَغي أَنْ يَطْلَبَ الُمنَزَّهَ عَنِ الُمكَيَّف فِي خَارِجِ دَائِرَة الُمكَيَّف، وأنْ يَبْتَغي الَمكانيَّ فيمَا وَرَاءَ الَمكَان. وَكُلمَا يُشَاهدُهُ في الآفَاق وَالأَنْفُسِ فَهُوَ مِنْ آياته سُبْحَانَهُ وَتَعَالى وَتَقَدَّسَ.

قَال قُطْبُ دَائرَة الوِلاَيَة - يَعْنِي حَضْرَةَ الخواجهْ بَهَاءِ اَلدِّينِ النَّقْشَبَنْدِيَّ قَدَّسَ اَللهُ تَعَالى سِرَّهُ -: كُلمَا كَانَ مَشْهُودًا أَوْ مَسْمُوعًا أَوْ مَعْلومًا فَهُوَ غَيْرُهُ تَعَالى يَنْبَغِي نَفْيُهُ فِي الحَقِيقَة بِكَلمَة لاَ. شِعْرٌ.

در تنكناى صورت معنى جكونه كنجد ... در كلبهء كدايان سلطان جه كاردارد

صورت برست غافل معنى جدد اندآخر ... كوباجال جانان بنهان جه كاردارد

فَإِنْ قِيل: قَدْ وَقَعَ في عِبَارَات كَثِيرٍ مِنْ مشائخِ النَّقْشَبَنْدِيَّة وَغَيْرِهِمْ صَرِيحًا وَحْدَةُ الوُجُود وَالقُرْبُ الذَّاتِيُّ وَالَمعِيَّةُ اَلذَّاتِيَّةُ وَشُهُودُ الوَحْدَة وَالأُحْدِيَّةُ في الكَثْرَة.

أُجِيبَ: إِنَّ تلكَ الأَحْوَال إِنَّمَا حَصَلَتْ لَهُمْ في تَوَسُّطِ الأَحْوَال، ثُمَّ تَرَقَّوْا بَعْدَ ذَلكَ عَنْ ذَلكَ الَمقَام، كَمَا كَتَبَ هَذَا الفَقيرُ عَنْ أَحْوَاله فيمَا تَقَدَّمَ.

وَجَوَابٌ آخَرُ أَنَّ جَمْعًا مِنَ اَلسَّالكِينَ مَعَ وُجُود اَلتَّوَجُّه اَلتَّامِّ فِيهِمْ إِلى جَانب الأُحَدِيَّة اَلصِّرْفَة بِبَاطنِهِمْ تَتَشَرَّفُ ظَوَاهِرُهِمْ اَلتي هِيَ مُشَاهَدَةٌ للكَثْرَة بِتلكَ الأَحْكَامِ وَالشُّهُودُ فَهُمْ بِحَسَبِ البَاطنِ مُتَوَجِّهُونَ إِلى الأُحَدِيَّة وَفي اَلظَّاهِرِ مُشَاهِدُونَ للمَطْلوب في اَلكَثْرَة، كَمَا أَخْبَرْتُ عَنْ حَال وَالدي في أَوَائل هَذَا الَمكْتُوب. وَتَفْصيل تَحْقيق هَذَا الجَوَاب مَسْطُورٌ في اَلرِّسَالة اَلمُؤَلفَة فِي تَحْقِيق مَرَاتِبِ وَحْدَة الوُجُود، وَلاَ يَتحمَّل هَذَا الَمقَامُ زِيَادَةً عَلى ذَلكَ.

لاَ يُقَال: إِذَا كَانَ في نَفْسِ الأَمْرِ وُجُودَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ وَلَمْ يَكُنْ قُرْبٌ ذَاتيٌّ وَإِحَاطَةٌ ذَاتيَّةٌ وَلَمْ يَكُنْ شُهُودُ الوَحْدَة فِي الكَثْرَة مُطَابِقًا للوَاقِعِ يَكُونُ حُكْمُ هَؤُلاَءِ

---

(١) ـــ علة لقوله من قبيل الأحكام السابقة سند عفى عنه.

الأَكَابرِ كَاذبًا ؛ لكَوْنه غَيْرَ مُطَابق للوَاقِعِ وَنَفْسِ الأَمْرِ ؛ لأَنَّا نَقُول: إنَّ هَؤُلاَء الأَكَابرَ إنَّمَا حَكَمُوا عَلَى مقْدَارِ شُهُودهِمْ مثْل مَنْ يَحْكُمُ برُؤْيَة صُورَة زَيْد في المِرْآة، وَهَذَا الحُكْمُ مَعَ كَوْنه غَيْرَ مُطَابق للوَاقعِ فَإنَّهُ لَمْ يَرَ في المِرْآة صُورَةَ زَيْد أَصْلاً لأَنَّهُ لاَ صُورَةَ في المِرْآة قَطْعًا حَتَّى تُرَى، لاَ يُقَال لِهَذَا الشَّخْصِ في العُرْف إنَّهُ كَاذبٌ فيه، وَإنْ لَمْ يَكُنْ مُطَابقًا لنَفْسِ الأَمْرِ فَهُوَ مَعْذُورٌ في هَذَا الحُكْمِ، وَعَلاَمَةُ الكَذب مُرْتَفعَةٌ عَنْهُ كَمَا مَرَّ سَابقًا.. وَالمَقْصُودُ منْ إظْهَارِ الأَحْوَال اللاَّزمَة الإخْفَاءُ وَالسَّتْرُ هُوَ الإيذَانُ وَالإعْلاَمُ بأَنَّهُ لوْ كَانَ منَّا قَبُول وَحْدَة الوُجُود فَهُوَ منْ طَريق الكَشْف لاَ عَلَى وَجْه التَّقْليد، وَإنْ وُجدَ منَّا إنْكَارٌ فَهُوَ أَيْضًا منَ الإلْهَام. فَلاَ مَجَال إذًا للإنْكَارِ - يَعْني عَلَى هَذَا الإنْكَارِ - وَإنْ لَمْ يَكُنْ الإلْهَامُ حُجَّةً عَلَى الغَيْرِ.

وَجَوَابٌ آخَرُ لدَفْعِ شُبْهَة الكَذب: إنَّ لأَفْرَاد العَالَمِ اشْترَاكًا مَعَ بَعْضهِمْ في بَعْضِ الأُمُورِ وَامْتيَازًا في بَعْضٍ آخَرَ، وَهَكَذَا اشْترَاكُ المُمْكنِ مَعَ الوَاجب تَعَالَى وَتَقَدَّسَ في بَعْضِ الأُمُورِ العُرْفيَّة - يَعْني في مُجَرَّد الاسْمِ وَالصُّورَة - وَإنْ كَانَا مُمْتَازَيْنِ بالذَّات امْتيَازًا كُليًّا، فَرُبَّمَا يَخْتَفي مَا به الامْتيَازُ عَنْ نَظَرِ السَّالك عَلَى تَقْديرِ غَلَبَة المَحَبَّة عَلَيْه، وَيَظْهَرُ مَا به الاشْترَاكُ لنَظَره فَعَلَى هَذه الصُّورَة لوْ حَكَمُوا بعَيْنيَّة أَحَدهمَا بالآخَرِ لكَانَ مُطَابقًا للوَاقعِ، فَلاَ يَبْقَى مَجَال للكَذب أَصْلاً. فَيَنْبَغي أَنْ يَقيسَ الإحَاطَةَ الذَّاتيَّةَ وَنَظَائرَهَا عَلَى ذَلكَ وَالسَّلاَمُ.

اَلمَكْتُوبُ اَلثَّانِي وَالثَّلاَثُون
أرْسَل إلى المِرْزَا حُسَامِ اَلدِّين أحْمَدَ
في بَيَان الكَمَال المَخْصُوص بالأَصْحَاب الكرَام
رِضْوَانُ اَللهِ تَعَالى عَلَيْهِمْ أجْمَعِينَ
وَأنَّهُ قَدْ تَشَرَّفَ به قَليل منَ الأوْلِيَاء
وَمَا يُنَاسِبُ ذَلكَ

قَدْ وَرَدَ مَكْتُوبُكُمْ المَرْسول عَلى وَجْه اَلالتفَات. لله سُبْحَانَهُ الحَمْدُ وَالمِنَّةُ عَلى مَا لَمْ يصر المَهْجُورُونَ مُنْسَبِينَ بَل ذُكِرُوا مَعَ المَذْكُورينَ وَلَوْ اسْتِطْرَادِيًّا (ع):

دَعُونَا نُسَلِي بالأَمَانِيِّ قُلوبَنَا

قَدْ انْدَرَجَ في كِتَابكُمْ اَلشِّكَايَةَ منْ فقْدَان نسْبَة حَضْرَة شَيْخنَا عَلَيْه اَلرَّحْمَةُ الخَاصَّةُ به وَعَدَم وِجْدَانهَا وَالاسْتفْسَارِ عَنْ سَبَبه. أَيُّهَا المَخْدُومُ: إنَّ شَرْحَ أمْثَال هَذه الكَلِمَاتِ بطَرِيقِ اَلتَّحْرِير بَل بالتَّقْرِيرِ غَيْرُ مُنَاسب فإنَّهُ لاَ يُدْرَى مَاذَا يَحْصُلُ في فَهْمِ إنْسَان، وَمَاذَا يَأخُذُ منْهُ بَل اَللاَّزمُ الحُضُورُ بشَرْطِ حُسْنِ اَلظَّنِّ أَوْ طُول اَلصُّحْبَة عَلى أَيِّ نَهْجٍ كَانَ وَبدُونه خَرْطُ القَتَاد. شعْرٌ.

أُرِيدُ صَفْوَ لَيَالٍ مَعَ ضِيَا قَمَرٍ حَتَّى أُحْدِثَ أنْوَاعَ الحكَايَات

وَلكنْ بحُكْمِ: لكُل سُؤَالٍ جَوَابٌ، أَظْهَرَ هَذَا القَدْرَ أَنَّ لكُل مَقَامٍ عُلومًا وَمَعَارفَ عَلى حدَة وَأَحْوَالاً وَمَوَاجيدَ مُتَمَايِزَةً. فَفِي مَقَامٍ يُنَاسِبُ اَلذِّكْرَ وَالتَّوَجُّهَ وَفِي مَقَامٍ يُنَاسبُ تلاَوَةَ القُرْآن وَالصَّلاَةَ،

وَمَقَامٌ مَخْصُوصٌ بالجَذْبَة وَمُقَامٌ بالسُّلوك وَمَقَامٌ مُمْتَزِجٌ بهَاتَيْنِ اَلدَّوْلَتَيْنِ وَمَقَامٌ خَال عَنْ جهَتَي الجَذْبَة وَالسُّلوك بحَيْثُ لاَ مَسَاسَ لهُ بالجَذْبَة وَلاَ تَعَلقَ لهُ بالسُّلوك، وَهَذَا المَقَامُ عَال جدًّا، وَأَصْحَابُ اَلنَّبيِّ عَلَيْه وَعَلى آله وَعَلَيْهِمْ منَ اَلصَّلوَات أفْضَلهَا وَمنَ التَّسْليمَات أَكْمَلهَا مُمْتَازُونَ بهَذَا المَقَام وَمُشَرَّفُونَ بهَذه اَلدَّوْلة العُظْمَى منْ بَيْنِ الأنَام وَلصَاحب هَذَا المَقَام امْتيَازٌ تَامٌّ عَنْ أَرْبَاب المَقَامَات الأُخَرِ، وَالمُشَابَهَةُ بَيْنَ أَرْبَاب هَذَا المَقَام قَليلةٌ بخلاَفِ أَرْبَاب مَقَامَات أُخَرَ فَإنَّ لهُمْ مُشَابَهَةَ بَعْضهِمْ ببَعْضٍ وَلوْ بوَجْه دُونَ وَجْه. وَهَذه اَلنِّسْبَةُ تَظْهَرُ بَعْدَ اَلصَّحَابَة رِضْوَان اَللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ فِي المَهْدِيِّ عَليْه اَلسَّلاَمُ عَلى الوَجْه الأَتَمِّ إنْ شَاءَ اَللهُ تَعَالى.

وَقَل مَنْ أَخْبَرَ عَنْ هَذَا المَقَامِ مِنْ مشائخِ اَلطَّبَقَات، فَكَيْفَ اَلتَّكَلمُ مِنْ عُلومِه وَمَعَارِفه {ذَلكَ فَضْلُ اَللهِ يُؤْتيه مَنْ يَشَاءُ وَاَللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ}(١).

غَايَةُ مَا فِي البَابِ أَنَّ هَذه اَلنِّسْبَةَ العَزِيزَةَ الوُجُود كَانَتْ تَظْهَرُ فِي اَلصَّحَابَة فِي أَوَّلِ القَدَمِ، ثُمَّ تَبْلغُ مَرْتَبَةَ الكَمَال بمُرُورِ اَلزَّمَان، وَأَمَّا غَيْرُ اَلصَّحَابَة فَإِنْ أُرِيدَ تَشْرِيفُهُ بِهَذه اَلدَّوْلَة وَتَرَتُّبُهُ عَلى قَدَمِ نسْبَة اَلصَّحَابَة إِنَّمَا يَسْتَسْعدُ بهَا بَعْدَ قَطْعِ مَنَازِل الجَذْبَة وَمَرَاتب اَلسُّلوك وَطَيِّ عُلومِ هَذَيْنِ المَقامَيْنِ وَمَعَارِفهمَا. وَظُهُورُ هَذه اَلنِّسْبَة اَلشَّرِيفَة فِي اَلابْتدَاء كَانَ مَخْصُوصًا ببَرَكَة صُحْبَة سَيِّد البَشَرِ عَلَيْه وَعَلى آله اَلصَّلوَاتُ وَالتَّحيَّاتُ وَالبَرَكَاتُ والتَّسْليمَاتُ وَلكَنْ يُمْكنُ أَنْ يَتشَرَّفَ بِهَذه البَرَكَة بَعْضُ مُتَابعيه ـــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ـــ فَتَكُونُ صُحْبَتُه أَيْضًا سَبَبًا لظُهُورِ هَذه اَلنِّسْبَة العَليَّة فِي اَلابْتدَاءِ يَعْني فِي ابْتِدَاءِ الحَال قَبْل قَطْعِ مَنَازِل الجَذْبَة وَالسُّلوك شِعْرٌ.

لوْ كَانَ منْ فَيْضِ رُوحِ القُدُسِ منْ مَدَد لغَيْرِ عيسَى ليَصْنَعَ مثْل صُنْعِ

وَفِى هَذَا الوَقْت يَتحَقَّقُ فِي هَذه اَلنِّسْبَة انْدرَاجُ اَلنِّهَايَة فِي البدَايَة أَيْضًا كَمَا هُوَ مُتَحَقِّقٌ فِي صُورَةِ تَقَدُّمِ الجَذْبَة عَلَى اَلسُّلوكِ وَلاَ مُسَاعَدَةَ للزِّيَادَة عَلى هَذَا. شِعْرٌ.

وَمنْ بَعْد هَذَا مَا يَدُقُّ بَيَانُهُ وَمَا كَتَمَهُ أَحْظَى لديَّ وَأَجْمَل

فَإِنْ وَقَعَتْ المُلاَقَاةُ بَعْدَ ذَلكَ وَأَحَسَّتْ مَظَنَّةَ حُسْنِ الاسْتمَاعِ منْ جَانب المُسْتَمعِينَ، تَرِدُ نُبْذَةٌ منْ هَذَا المَقَامِ فِي مَعْرِضِ اَلظُّهُورِ إِنْ شَاءَ اَللهُ تَعَالى وَهُوَ سُبْحَانَهُ المُوَفِّقُ.

وَقَدْ حَرَّرْتُمْ كَلمَات فِي حَقِّ بَعْضِ الأَصْحَاب فَالفَقيرُ قَدْ عَفَوْتَ زَلاَّتِهِمْ يَغْفرُ اَللهُ لَهُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ اَلرَّاحِمينَ. وَلكنْ يَنْبَغي نَصِيحَةُ الأَصْحَاب لئَلاَّ يَكُونُوا فِي مَقَامِ الإِيذَاءِ فِي الحُضُورِ وَالغَيْبَة وَلاَ يُغَيِّرُوا أَوْضَاعَهُمْ: {إِنَّ اَللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اَللهُ بقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونه مِنْ وَال}(٢). وَكَتَبْتُمْ فِي حَقِّ اَلشَّيْخِ الهَدَادِ خُصُوصًا لاَ مُضَايَقَةَ فِي حَقِّ الفَقيرِ أَصْلاً،

---

(١) ـــ الآية: ٢١ من سورة الحديد، والآية: ٤ من سورة الجمعة.

(٢) ـــ الآية: ١١ من سورة الرعد.

وَلكِنَّ اَلنَّدَامَةَ عَلى تَغَيُّرِ الوَضْعِ لاَزِمَةٌ للمُشَارِ إِلَيْهِ: " اَلنَّدَمُ تَوْبَةٌ وَالاِسْتِشْفَاعُ فَرْعُ اَلنَّدَامَةِ"(١).

وَالفَقِيرُ عَلى كُل حَال فِي مَقَامِ العَفْوِ وَالتَّجَاوُزِ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ وَجَانِبِهِ، وَأَمَّا الجَانِبُ الآخَرُ فَهُوَ أَعْلَمُ بِذَلِكَ وَمَا يَلزَمُ فِيمَا هُنَالِكَ.

وَأَيْضًا يَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تَتَصَوَّرُوا سرهند مَنْزِل أَنْفُسِكُمْ ؛ فَإِنَّ عَلاَقَةَ المَحَبَّةِ وَنِسْبَةَ أُخُوَّةِ اَلطَّرِيقَةِ لَيْسَتْ مِمَّا يَنْقَطِعُ بِسَبَبِ أُمُورٍ عَارِضِيَّةٍ. وَمَاذَا أَزِيْدُ عَلى ذَلِكَ. وَنَخُصُّ المَخَادِمَ وَسَائِرَ أَهْلِ البَيْتِ بِالدُّعَاءِ.

وَبَعْدَ تَسْوِيدِ هَذِهِ الرُّقِيمَةِ وَقَعَ فِي الخَاطِرِ أَنْ أَكْتُبَ فِي بَابِ زَلاَّتِ اَلإِخْوَانِ وَالعَفْوِ عَنْهُمْ كَلاَمًا أَوْضَحَ مِنَ الأَوَّلِ فَإِنَّ فِي الإِجْمَالِ إِبْهَامًا. وَمَاذَا يُفْهَمُ مِنْهُ.

فَاعْلَمْ أَيُّهَا المَخْدُومُ: إِنَّ العَفْوَ إِنَّمَا يُتَصَوَّرُ وَيُطْلَبُ عَلى تَقْدِيرِ اعْتِرَافِ هَؤُلاَءِ الجَمَاعَةِ بِسُوءِ تِلكَ الأَوْضَاعِ وَالنَّدَامَةِ عَلى فِعْلِهَا، وَإِلاَّ فَلاَ مَسَاغَ لِلعَفْوِ. وَكَتَبْتُمْ أَيْضًا أَنَّ حَضْرَةَ شَيْخِنَا فَوَّضَ هَذَا المَقَامَ إِلى اَلشَّيْخِ الهَدَاد بِشَهَادَةِ هَؤُلاَءِ الجَمَاعَةِ، وَهَذَا الكَلاَمُ يَسْتَدْعِي بَيَانًا. فَإِنْ كَانَ اَلتَّفْوِيضُ يَعْنِي أَنَّهُ يَخْدُمُ الفُقَرَاءَ وَالوَارِدِينَ وَالصَّادِرِينَ وَيَكُونُ مُسْتَخْبِرًا عَمَّا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنَ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ، فَذَلِكَ مُسَلَّمٌ لاَ نِزَاعَ فِيهِ لأَحَد. وَإِنْ كَانَ بِمَعْنَى أَنَّهُ يُرَبِّي جَمَاعَةً مِنَ اَلطَّالِبِينَ وَيَجْلِسُ فِي مَقَامِ المَشْيَخَةِ فَمَمْنُوعٌ. فَإِنَّ حَضْرَةَ شَيْخِنَا قَالَ لِلفَقِيرِ فِي آخِرِ مُلاَقَاتِنَا: مَا تَقُولُ فِي اَلشَّيْخِ الهَدَاد لَوْ عَلِمَ بَعْضُ اَلطَّالِبِينَ المَشْغُولِيَّةَ مِنْ جَانِبِنَا وَبَلَغَ أَحْوَالَ بَعْضِهِمْ إِلَيْنَا فَإِنَّهُ لاَ طَاقَةَ لِي الآنَ بِإِحْضَارِهِمْ وَتَعْلِيمِ المَشْغُولِيَّةِ وَالسُّؤَالِ عَنْ أَحْوَالِهِمْ. فَكَانَ الفَقِيرُ مُتَوَقِّفًا فِي هَذَا البَابِ أَيْضًا، وَلكِنْ لَمَّا اقْتَضَتْ اَلضَّرُورَةُ ذَلِكَ جَوَّزْتُ هَذَا القَدْرَ فِيمَا هُنَالِكَ، وَلاَ شَكَّ فِي أَنَّ هَذَا القِسْمَ مِنَ اَلتَّبْلِيغِ مِنْ جِنْسِ اَلسِّفَارَةِ المَحْضَةِ خُصُوصًا إِذَا كَانَتْ مَبْنِيَّةً عَلى اَلضَّرُورَةِ، وَالضَّرُورَةُ تُقَدَّرُ بِقَدْرِهَا، فَتَكُونُ تِلكَ اَلسِّفَارَةُ مَخْصُوصَةً بِزَمَنِ حَيَاةِ شَيْخِنَا وَيَكُونُ تَعْلِيمُ المَشْغُولِيَّةِ لِلطَّالِبِينَ وَسُؤَالُ أَحْوَالِهِمْ بَعْدَ اِرْتِحَالِهِ دَاخِلاً فِي الخِيَانَةِ.

---

(١) ـــ أخرجه البخارى في التاريخ وابن ماجه والحاكم عن ابن مسعود رضه وكذا أخرجه الحاكم والبيهقى في الشعب عن أنس رضه قال المناوى أنه حديث صحيح وقال الحافظ ابن حجر في الفتح أنه حسن سند عفى عنه.

وَكَتَبْتُمْ أَيْضًا: أَنَّ نسبَةَ حَضْرَة شَيْخنَا تَكُونُ بَاقيَةً البَتَّةَ يَعْني لاَ تَقْبَل اَلزِّيَادَةَ وَالنُّقْصَانَ بِمُرُورِ اَلدُّهُور وَالأَزْمَانِ. اعْلَمْ أَيُّهَا المَخْدُومُ أَنَّ تَكْميل اَلصِّنَاعَة أَفْكَارُ المُتَأَخِّرِينَ عَشْرَةَ أَمْثَالِهَا. فَإِنَّ بَقَاءَ الشَيْءِ عَلى صرَافَته عَيْنُ اَلنَّقْص. فَإِنَّ اَلنِّسْبَةَ اَلتي كَانَتْ لخواجهْ النَّقْشَبَنْدِيِّ مَا كَانَتْ في زَمَنِ الخواجهْ عَبْد الخَالق الغجدواني - قُدِّسَ سرُّهُمَا - وَعَلى هَذَا القيَاس - يَعْني سَائرَ الأَحْوَال - وَعَلى الخُصُوص كَانَ حَضْرَةُ شَيْخنَا في صَدَد تَكْميل هَذه اَلنِّسْبَة وَكَانَ غَيْرَ قَائل بتماميَّتها فَإِنْ وَفَّتْهُ حَيَاتُهُ زَادَهَا بإِرَادَة اَللهِ تَعَالى إِلى مَا شَاءَ اَللهُ سُبْحَانَهُ. فالسَّعْيُ في عَدَم زيَادَتهَا لَيْسَ بمُنَاسب وَهَذَا الفَقيرُ مَا يَدْري عَلى أَيِّ وَجْه يَكُونُ بَقَاؤُهَا فَإِنَّ لك نسْبَةً عَلى حدَة لاَ مَسَاسَ لَهَا بنسْبَة الآخَرينَ، وَكَانَ هَذَا اَلكَلاَمُ مُشَخَّصًا - يَعْني مُعَيَّنًا في حُضُوره - مُكرَّرًا، وَالشَّيْخُ الحَدَاد المسْكينُ منْ أَيْنَ يَعْرفُ أَنَّ اَلنِّسْبَةَ مَا هيَ وَإِنَّمَا لَهُ نَحْوٌ منْ حُضُور القَلب. وَمَعْلومٌ للآخَرينَ أَنَّ الحَالَةَ مَا هيَ، وَمنْ قَيِّم تلكَ اَلنِّسْبَة وَمُرَبِّيهَا أَخْبَرُوني عَنْهُ حَتَّى أَكُونَ مُمدًّا وَمُعَاونًا لَهُ. وَلاَ يَنْبَغي اعْتبَارُ الوَاقعَة وَالاعْتمَادُ عَلَيْهَا فَإِنَّهَا خَيَاليَّةٌ غَيْرُ صَادقَة. وَالشَّيْطَانُ عَدُوٌّ قَويٌّ وَالأَمْنُ منْ تَسْويلاَته مُتَعَسِّرٌ إِلاَّ لمَنْ عَصَمَهُ اَللهُ تَعَالى.

وَكَتَبْتُمْ أَيْضًا في حَقِّ سَلب اَلنِّسْبَة المُكْتَسَبَة فَاعْلَمْ أَيُّهَا المَخْدُومُ أَنَّ ذَلكَ اَلسَّلبَ لاَ يَكُونُ إِلاَّ بالاخْتيَار كَمَا ذُكرَ في الحُضُور. وَالآنَ هَذَا اَلسَّلبُ بحَالَة وَمنَ الخَيَال تَصَوُّرُ زَوَاله. وَالصَّوْتُ المَسْمُوعُ منَ القَلب لاَ تَعَلقَ لَهُ بتلكَ الحَالَة، أَلاَ تَرَى أَنَّ اَلرَّمَادَ اَلذي زَالَتْ عَنْهُ اَلنَّارُ وَصَارَ بَارِدًا يَصْدُرُ عَنْهُ صَوْتٌ بَعْدَ صَبِّ المَاء فيه، وَلاَ يُقَال إِنَّ اَلنَّارَ مَكْنُونَةٌ فيه بَعْدُ، وَلاَ اعْتبَارَ للوَقَائع فَإِنْ كَانَ هَذَا الكَلاَمُ مَخْفيًّا اليَوْمَ يَظْهَرُ صدْقُهُ غَدًا إِنْ شَاءَ اَللهُ تَعَالى. وَلَمَّا كَانَ كتَابُكُمْ مُشْتَملاً عَلى المُبَالَغَة صَدَرَ في جَوَابه كَلمَاتٌ وَإِلاَّ لاَ يَتَيَسَّرُ الكَلاَمُ بلاَ دَاعٍ.

الأعلام: ٥/٨١، سيبويه إمام النحاة لعلي النجدي ناصف: ٦٤ وما بعدها، نشأة النحو: ٤٧، المدارس النحوية: ٥٧ــ٩٣.

اَلْمَكْتُوبُ اَلثَّالِثُ وَالثَّلاَثُونَ

صَدَرَ إِلَى الحَاجِّ الملا مُحَمَّد اللاهوري

فِي بَيَانِ مَذَمَّةِ عُلَمَاءِ اَلسُّوءِ اَلذينَ هُمْ فِي أَسْرِ مَحَبَّةِ اَلدُّنْيَا وَمَدْحِ العُلَمَاءِ اَلزُّهَّادِ اَلذينَ يَرْغَبُونَ عَنِ اَلدُّنْيَا

إِنَّ مَحَبَّةَ اَلدُّنْيَا مِنَ العُلَمَاءِ وَرَغْبَتَهُمْ فِيهَا كَلَفٌ عَلَى وَجْه جَمَالِهِمْ وَإِنْ كَانَ يَحْصُلُ مِنْهُمْ فَوَائِدُ لِلخَلاَئِقِ لَكِنْ لاَ يَكُونُ عِلْمُهُمْ نَافِعًا فِي حَقِّهِمْ. وَإِنْ كَانَ تَأْيِيدُ اَلشَّرِيعَةِ وَتَقْوِيَةُ المِلة مُرَتَّبًا عَلَيْهِمْ لَكِنْ لاَ اعْتِبَارَ عَلَى ذَلِكَ، فَإِنَّ اَلتَّأْيِيدَ وَالتَّقْوِيَةَ يَحْصُلُ مِنْ أَهْلِ الفُجُورِ وَأَرْبَابِ الفُتُورِ أَحْيَانًا كَمَا أَخْبَرَ سَيِّدُ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه اَلصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ عَنْ تَأْيِيدِ الفَاجِرِ حَيْثُ قَالَ: " إِنَّ اَللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا اَلدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ "(١) وَهُمْ كَحَجَرِ الفَارِسِ حَيْثُ إِنَّ كُلَ مَا يَلصُقُ بِه مِنَ الشَيْءِ الأَمْلَسُ وَالحَدِيدُ يَكُونُ ذَهَبًا، وَهُوَ بَاقٍ عَلَى حَجَرِيَّتِه، وَكَالنَّارِ المُودَعَةِ فِي الحَجَرِ وَالشَّجَرِ؛ فَإِنَّهُ يَحْصُلُ مِنْهَا مَنَافِعُ لِلعَالَمِ، وَلَكِنْ لاَ نَصِيبَ لِلحَجَرِ وَالشَّجَرِ مِنْ تِلكَ اَلنَّارِ المُودَعَةِ فِي بَاطِنِهِمَا، بَل أَقُول إِنَّ ذَلِكَ العِلمَ مُضِرٌّ فِي حَقِّهِمْ لأَنَّهُ بِه تَمَّتْ

---

(١) ــ **متفق عليه**: أخرجه البخاري في كتاب الجهاد واليسر، باب: إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر، ومسلم: كتاب: الإيمان، باب: باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، وإن من قتل نفسه بشيء عذب به في النار، وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، وأحمد في المسند، باقي مسند المكثرين، والدارمي في سننه في كتاب المقدمة، باب: إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر، جميعهم أخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأخرجه الترمذى عن أنس ــ رضي الله عنه ــ والطبراني في المعجم الكبير من حديث النعمان بن عبد الله بن مقرّن وأبو نعيم في الحلية وابن عدى في الكامل بألفاظ مختلفة.

شرح الحديث: " **إن اللّه تعالى ليؤيد هذا الدين** " أي: الدين المحمدي؛ بدليل قوله في الخبر الآتي: " إن اللّه يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر " واللام للعهد، والمعهود: الرجل المذكور، أو للجنس، ولا يعارضه خبر مسلم: " إِنَّا لاَ نَسْتَعِينُ بِمُشْرِكٍ "؛ لأنه خاص بذلك الوقت، وحجة النسخ شهود صفوان بن أمية حنيناً مشركاً ــ كما قال ابن المُنير ــ فلا يُتَخَيَّلُ في إمام أو سلطان فاجر إذا حمى بيضة الإسلام أنه مطروح النفع في الدين لفجوره؛ فيجوز الخروج عليه وخلعه لأن اللّه تعالى قد يؤيد به دينه وفجورُهُ على نفسه؛ فيجب الصبر عليه وطاعته في غير إثم، ومنه جَوَّزُوا الدعاء للسلطان بالنصر والتأييد مع جَوْرِهِ، وهذا قاله لمّا رأى في غزوة حنين رجلاً يدَّعِي الإسلام يقاتل شديداً: " هذا من أهل النار " فجرح فقتل نفسه من شدة وجده، فذكره.

والمراد بالفاجر: الفاسق إن كان الرجل مسلماً حقيقة أو الكافر إن كان منافقاً أي الإمام الجائر أو العالم الفاسق أو المجاهد في سبيل اللّه.

انظر: المناوي: فيض القدير شرح الجامع الصغير: (ح١٧٩٠).

الحُجَّةُ عَلَيْهِمْ كَمَا قَالَ اَلنَّبِيُّ - عَلَيْهِ اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - " إِنَّ أَشَدَّ اَلنَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ اَللهُ بعلمه "(١).

فَكَيْفَ لاَ يَكُونُ مُضِرًّا فَإِنَّ العِلْمَ اَلذي هُوَ أَعَزُّ الأَشْيَاءِ عِنْدَ اَللهِ تَعَالى وَأَشْرَفُ المَوْجُودَاتِ جَعَلوهُ وَسِيلَةً لِجَمْعِ حُطَامِ اَلدُّنْيَا اَلدَّنِيَّةِ مِنَ المَالِ وَالجَاهِ وَالأَحْبَابِ، وَالحَالُ أَنَّ اَلدُّنْيَا ذَلِيلَةٌ عِنْدَ اَللهِ تَعَالى وَحَقِيرَةٌ وَأَبْغَضُ المَخْلوقَاتِ عِنْدَ اَللهِ وَإِذْلاَلُ مَا هُوَ عَزِيزٌ عِنْدَ اَللهِ وَإِعْزَازُ مَا هُوَ ذَلِيل عِنْدَهُ فِي غَايَةِ القَبَاحَةِ، بَل هُوَ مُعَارَضَةٌ مَعَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ فِي الحَقِيقَةِ. وَالتَّدْرِيسُ وَالإِفْتَاءُ إِنَّمَا يَكُونَانِ نَافِعَيْنِ إِذَا كَانَا خَالِصَيْنِ لِوَجْهِ اَللهِ تَعَالى وَخَالِيَيْنِ مِنْ شَائِبَةِ حُبِّ الجَاهِ وَالرِّيَاسَةِ وَطَمَعِ حُصُولِ المَالِ وَالرِّفْعَةِ. وَعَلاَمَةُ خُلوِّهِمَا عَنْ تِلْكَ المَذْكُورَاتِ اَلزُّهْدُ فِي اَلدُّنْيَا وَعَدَمُ اَلرَّغْبَةِ فِيهَا. فَالعُلَمَاءُ اَلذينَ هُمْ مُبْتَلَوْنَ بِهَذَا البَلاَءِ وَمَأْسُورُونَ فِي أَسْرِ مَحَبَّةِ اَلدُّنْيَا فَهُمْ مِنْ عُلَمَاءِ اَلدُّنْيَا وَهُمْ عُلَمَاءُ اَلسُّوءِ وَشِرَارُ اَلنَّاسِ وَلُصُوصُ اَلدِّينِ، وَالحَالُ أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنْفُسَهُمْ مُقْتَدًا بِهِمْ فِي اَلدِّينِ وَأَفْضَلَ الخَلاَئِقِ أَجْمَعِينَ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلى شَيْءٍ إِلاَّ أَنَّهُمْ هُمُ الكَاذِبُونَ {اِسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ اَلشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اَللهِ أُولئِكَ حِزْبُ اَلشَّيْطَانِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اَلشَّيْطَانِ هُمُ الخَاسِرُونَ}(٢) رَأَى وَاحِدٌ مِنَ الأَكَابِرِ

---

(١) ــ هذا الحديث أخرجه ابن عساكر عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ ورواه الطبراني أيضا في الصغير، والبيهقي في شعب الإيمان عنه بإسناد ضعيف، وابن عدى والحاكم في مستدركه أيضا بألفاظ مختلفة.

شرح الحديث: ترتي على عصيان العالم هذا الوعيد الشديد " لأن عصيانه عن علم؛ ولذا كان المنافقون في الدرك الأسفل لكونهم جحدوا بعد العلم، وكان اليهود شراً من النصارى لكونهم أنكروا بعد المعرفة. قال عبد الحق: " ومفهوم الحديث أن أعظمهم ثواباً عالم ينفعه علمه. قال الغزالي: فالعلم لا يُهْمِلَ العالم، بل يهلكه هلاك الأبد، أو يحييه حياة الأبد، فمن لم ينفعه علمه لا ينجو منه رأسًا برأس. هيهات فخطره عظيم وطالبه طالب النعيم المؤبد أو العذاب السرمد، لا ينفك عن الملك أو الهلك، فهو كطالب الملك في الدنيا فإن لم تتفق له الإصابة لم يطمع في السلامة أهــ.

وزعم بعض الصوفية أنه إنما كان أشد الناس عذاباً لأن عذابه مضاعف فوق عذاب مفارقة الجسد بقطعه عن اللذات الحسية المألوفة وعدم وصوله إلى ما هو أكمل منها لعدم انفتاح عين بصيرته مع عذاب الجحيم عن مشاهدة الحق تعالى، فعذاب الحجاب إنما يحصل للعلماء الذين تنبهوا للذة لقاء الله في الجملة و لم يتوجهوا إلى تحصيل ذلك واتبعوا الشهوات الحسية المانعة لذلك، وأما غيرهم فلا يعذب هذا العذاب الحجابي الذي هو أعظم من عذاب الجحيم لعدم تصورهم له بالكلية وعدم ذوقهم له رأساً.

(٢) ــ الآية: ٢٠ من سورة المجادلة.

اَلشَّيْطَانَ قَاعِدًا فَارِغَ البَالِ عَنِ الإِغْوَاءِ وَالإِضْلَالِ. فَسَأَلَهُ عَنْ سِرِّ قُعُودِهِ بِفَرَاغِ البَالِ. فَقَالَ اَللعِينُ: إِنَّ عُلَمَاءَ اَلسُّوءِ فِي هَذَا الوَقْتِ قَدْ أَمَدُّونِي فِي أَمْرِي مَدَدًا عَظِيمًا وَتَكَفَّلُوا لِي بِالإِضْلَالِ حَتَّى جَعَلُونِي فَارِغَ البَالِ وَالحَقُّ أَنَّ كُلَّ ضَعْفٍ وَوَهْمٍ وَقَعَ فِي أُمُورِ اَلشَّرِيعَةِ فِي هَذَا اَلزَّمَانِ وَكُلَّ فُتُورٍ ظَهَرَ فِي تَرْوِيجِ المِلَّةِ وَتَقْوِيَةِ اَلدِّينِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ شُؤْمِ عُلَمَاءِ اَلسُّوءِ وَفَسَادِ نِيَّاتِهِمْ. نَعَمْ إِنْ كَانَ العُلَمَاءُ رَاغِبِينَ عَنِ اَلدُّنْيَا وَمُحَرَّرِينَ مِنْ أَسْرِ حُبِّ الجَاهِ وَالرِّيَاسَةِ وَطَمَعِ المَالِ وَالرِّفْعَةِ فَهُمْ مِنْ عُلَمَاءِ الآخِرَةِ وَوَرَثَةِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ اَلصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ وَهُمْ أَفْضَلُ الخَلَائِقِ وَهُمُ اَلذِينَ يُوزَنُ مِدَادُهُم يَوْمَ القِيَامَةِ بِدَمِ اَلشُّهَدَاءِ فِي سَبِيلِ اَللهِ فَيَتَرَجَّحُ مِدَادُهُم "(١).

" وَنَوْمُ العَالِمِ عِبَادَةٌ "(٢) مُتَحَقِّقٌ فِي حَقِّهِمْ وَهُمُ اَلذِينَ اسْتَحْسَنَ فِي نَظَرِهِمْ جَمَالَ الآخِرَةِ وَنَضَارَتُهَا وَظَهَرَتْ قَبَاحَةُ اَلدُّنْيَا وَشَنَاعَتُهَا، فَنَظَرُوا إِلَى الآخِرَةِ بِنَظَرِ البَقَاءِ وَرَأَوْا اَلدُّنْيَا مُتَّسِمَةً بِسِمَةِ اَلزَّوَالِ وَالفَنَاءِ ؛ فَلَا جَرَمَ هَرَبُوا مِنَ الفَانِي وَأَقْبَلُوا عَلَى البَاقِي. وَشُهُودُ عَظَمَةِ الآخِرَةِ إِنَّمَا هُوَ ثَمَرَةُ شُهُودِ الجَلَالِ اليَزَالِيِّ، وَإِذْلَالُ اَلدُّنْيَا وَتَحْقِيرُ مَا فِيهَا مِنْ لَوَازِمِ شُهُودِ عَظَمَةِ الآخِرَةِ ؛ لِأَنَّ(٣) اَلدُّنْيَا

---

(١) ـــ قوله: " يوزن" ... ... إلخ إشارة إلى حديث ذكره الغزالى في الإحياء مرفوعا ولفظة: " يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء " أخرجه ابن عبد البر من حديث أبي الدرداء قاله العراقى قال شارحه: " وأخرجه الشيرازى في الألقاب من طريق أنس بزيادة فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء أخرجه المرهبى في فضل العلم عن عمران ابن الحصين، وابن الجوزى في العلل عن النعمان ابن بشير، والديلمى عن ابن عمر اهـــ بقدر المقصود والكلام عليه مستوفى في الشرح المذكور.

قلت: ورواه المنجنيقي في " رواية الأكابر عن الأصاغر " عن الحسن البصري مقطوعا، وروى الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد عن ابن عمر مرفوعا: " وُزِنَ حِبْرُ العُلَمَاءِ بِدَمِ الشُّهَدَاءِ فَرَجَحَ عَلَيْهِمْ " وفي سنده محمد بن جعفر متهم بالوضع، ومن ثَمَّ قال الخطيب موضوع، ورواه الديلمي عن نافع بلفظ: " يُوزَنُ حِبْرُ العُلَمَاءِ وَدَمُ الشُّهَدَاءِ فَيَرْجُحُ ثَوَابُ حِبْرِ العُلَمَاءِ عَلَى ثَوَابِ دَمِ الشُّهَدَاءِ، ومن أحسن ما قيل في ذلك:

يَا طَالِبِي عِلْمَ النَّبِيِّ مُحَمَّد * مَا أَنْتُمْ وَسِوَاكُمُ بِسَوَاء
فَمِدَادُ مَا تَجْرِي بِهِ أَقْلَامُكُمْ * أَزْكَى وَأَرْجَحُ مِنْ دَمِ الشُّهَدَاءِ

(٢) ـــ **لا أصل له**: قوله نوم العالم عبادة كأنه تلميح إلى حديث مرفوع ذكره الغزالى في الإحياء وبعده: " وَنَفَسُهُ تَسْبِيحٌ " قال العراقى المعروف فيه الصائم بدل العالم ذكره المخرج، قلت ولا يضر ذلك فإنه قد ثبت فضل العالم على الصائم القائم بل على مطلق العابد بمراتب كثيرة في أحاديث عديدة.

(٣) ـــ قوله لأن الدنيا والآخرة الخ إشارة إلى ما ورد في الحديث من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يفنى على ما يبقى ذكره في الإحياء عن أبي موسى الأشعرى مرفوعا

وَالآخِرَةَ ضَرَّتَان إِنْ رَضِيَتْ إِحْدَاهُمَا سَخِطَتْ الأُخْرَى. فَإِنْ كَانَتْ اَلدُّنْيَا عَزِيزَةً فَالآخِرَةَ حَقِيرَةٌ وَإِنْ كَانَتْ اَلدُّنْيَا حَقِيرَةً فَالآخِرَةُ عَزِيزَةٌ، وَجَمْعُ هَذَيْنِ الأَمْرَيْنِ مِنْ قَبِيل جَمْعِ الأَضْدَاد (ع):

مَا أَحْسَنَ اَلدِّينَ وَالدُّنْيَا لَوْ اجْتَمَعَا

نَعَمْ قَدْ اخْتَارَ جَمْعٌ مِنَ الْمَشَايِخِ اَلذِينَ تَخَلَصُوا عَنْ أَسْرِ نُفُوسِهِمْ وَمُقْتَضَيَات طَبَائِعِهِمْ بِالكُلِّيَّة صُورَةَ أَهْل اَلدُّنْيَا بِوَاسِطَة نِيَّات حَقَّانِيَّة تَرَاهُمْ فِي اَلظَّاهِرِ رَاغِبِينَ فِيهَا وَلَكِنْ لاَ عَلاَقَةَ لَهُمْ بِهَا فِي الْحَقِيقَة أَصْلاً، بَل هُمْ فَارِغُونَ عَن الكُل وَمُتَخَلِصُونَ عَنِ الْجَمِيعِ: {رِجَال لاَ تُلهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اَللهِ}[1] فَلاَ يَمْنَعُهُمُ البَيْعُ وَالشِّرَاءُ عَنْ ذِكْرِ اَللهِ، فَهُمْ فِي عَيْنِ اَلتَّعَلق بِهَذِه الأُمُور غَيْرُ مُتَعَلقِينَ بِشَيْءٍ. قَال الخَوَاجهْ بَهَاءُ اَلدِّينِ اَلنَّقْشَبَنْدِيُّ - قُدِّسَ سِرُّهُ -: " رَأَيْتُ فِي سُوقِ مِنًى تَاجِرًا اتَّجَرَ بِمِقْدَارِ خَمْسِينَ أَلفَ دِينَارٍ تَقْرِيبًا وَلَمْ يَغْفُل قَلبُهُ عَنِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ لَحْظَةً ".

قال العراقى رواه أحمد والبزار والطبرانى وابن حبان والحاكم وصححه على شرط الشيخين قلت وهو منقطع بين المطلب بن عبد الله وبين أبي موسى اهـ قال شارحه قلت سبقه إلى ذلك الذهبى وقد رواه كذلك القضاعى في مسند الشهاب والبيهقى في الشعب وقال المنذرى رجال أحمد ثقاة وعند بعضهم إلا فآثروا بزيادة إلا للتبنيه اهـ وقلت وذكر في الإحياء في موضع آخر من قول على كرم الله وجهه بلفظ الدنيا والآخرة ضرتان فيقدر ما ترضي أحديهما تسخط الآخرى وروى ابن عساكر عن ابن مسعود رضه قال من أراد الآخرة أضر بالدنيا ومن أراد الدنيا أضر بالآخرة فأضروا بالفانى للباقى انتهى وهذا الحديث كثير الدوران في هذا الكتاب بألفاظ مختلفة فليتنبه المطالع اهـ سند عفى عنه.

(١) ـــ الآية: ٣٧ من سورة النور.

اَلْمَكْتُوبُ اَلرَّابِعُ وَالثَّلاَثُونَ
أَرْسَلَ الحَاجُّ مُحَمَّدُ اللاهوري أَيْضًا
فِي بَيَانِ الجَوَاهِرِ الخَمْسَةِ الأَمْرِيَّةِ
بِطَرِيقِ البَسْطِ وَالتَّفْصِيلِ مَهْمَا أَمْكَنَ

اعْلَمْ: أَنَّ نَقْدَ سَعَادَةِ اَلدَّارَيْنِ مَرْبُوطٌ بِاتِّبَاعِ سَيِّدِ الكَوْنَيْنِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِنَ اَلصَّلَوَاتِ أَفْضَلُهَا وَمِنَ اَلتَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا. وَلَمَّا لَمْ تَكُنْ عَيْنُ بَصِيرَةِ الفَلْسَفِيِّ مُكَحَّلَةً بِكُحْلِ مُتَابَعَةِ صَاحِبِ اَلشَّرِيعَةِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ صَارَتْ فِي عِمَايَةٍ عَنْ حَقِيقَةِ عَالَمِ الأَمْرِ، فَضْلاً عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ شُعُورٌ عَنْ مَرْتَبَةِ الوُجُوبِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَنَظَرُهُ القَاصِرُ مَقْصُورٌ عَلَى عَالَمِ الخَلْقِ وَلَيْسَ بِتَامٍّ فِيهِ أَيْضًا.

وَمَا أَثْبَتُوهُ مِنَ الجَوَاهِرِ الخَمْسَةِ كُلِّهَا فِي عَالَمِ الخَلْقِ. وَمِنْ جَهَالَتِهِمْ عَدُّوا العَقْلَ وَالنَّفْسَ مِنَ المُجَرَّدَاتِ فَإِنَّ النَّفْسَ النَّاطِقَةَ هِيَ النَّفْسُ الأَمَّارَةُ المُحْتَاجَةُ إِلَى اَلتَّزْكِيَةِ وَهِمَّتُهَا بِالذَّاتِ فِي اَلسَّفَالَةِ وَالدَّنَاءَةِ، فَمَا المُنَاسَبَةُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ عَالَمِ الأَمْرِ، وَأَيُّ نِسْبَةٍ لَهُ بِالتَّجَرُّدِ، وَالعَقْلُ لاَ يُدْرِكُ مِنَ المَعْقُولاَتِ إِلاَّ الأُمُورَ اَلتِي لَهَا مُنَاسَبَةٌ بِالمَحْسُوسَاتِ بَلْ لاَ يُدْرِكُ إِلاَّ مَا لَهُ حُكْمُ المَحْسُوسَاتِ وَأَمَّا الأُمُورُ اَلتِي لاَ مُنَاسَبَةَ لَهَا بِالمَحْسُوسَاتِ وَلَيْسَ لَهَا شَبَهٌ وَمِثَالٌ فِي المُشَاهَدَاتِ، فَلاَ سَبِيلَ لإِدْرَاكِ العَقْلِ إِلَيْهَا وَلاَ يَفْتَحُ بِمِفْتَاحِ العَقْلِ مُغْلَقَاتِهَا. وَلِهَذَا كَانَ نَظَرُهُ قَاصِرًا فِي أَحْكَامِ الكَيْفِيِّ وَضَالاً مَحْضًا عَنِ اَلطَّرِيقِ فِي إِدْرَاكِ الغَيْبِ وَذَلِكَ عَلاَمَةُ كَوْنِهِ مِنْ عَالَمِ الخَلْقِ. وَمَيْلُ عَالَمِ الأَمْرِ إِلَى الكَيْفِيِّ وَتَوَجُّهُهُ إِلَى مَا تَنَزَّهَ عَنِ الكَيْفِيَّةِ وَابْتِدَاءُ عَالَمِ الأَمْرِ مِنْ مَرْتَبَةِ القَلْبِ وَفَوْقَ القَلْبِ اَلرُّوحُ وَفَوْقَ الرُّوحِ اَلسِّرُّ وَفَوْقَ اَلسِّرِّ الخَفِيُّ وَفَوْقَ الخَفِيِّ الأَخْفَى.

فَإِنْ قِيلَ: لِهَذِهِ الخَمْسَةِ الأَمْرِيَّةِ جَوَاهِرُ خَمْسَةٌ فَلَهُ وَجْهٌ. وَمِنْ قُصُورِ نَظَرِهِمُ التَقَطُوا عُدَّةً مِنْ قُطُعَاتِ الخَذَفِ وَظَنُّوهَا جَوَاهِرَ. وَإِدْرَاكُ هَذِهِ الجَوَاهِرِ الخَمْسَةِ اَلأَمْرِيَّةِ وَالاطِّلاَعُ عَلَى حَقَائِقِهَا إِنَّمَا هُوَ نَصِيبُ كُمَّلِ تَابِعِي اَلنَّبِيِّ – صَلَّى اَللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ – وَلَمَّا كَانَ مَا فِي العَالَمِ اَلصَّغِيرِ اَلذِي هُوَ الإِنْسَانُ أُنْمُوذَجًا مِمَّا فِي العَالَمِ الكَبِيرِ، كَانَ أُصُولُ هَذِهِ الجَوَاهِرِ الخَمْسَةِ أَيْضًا فِي العَالَمِ الكَبِيرِ، فَالعَرْشُ المَجِيدُ مَبْدَأُ هَذِهِ الجَوَاهِرِ فِي العَالَمِ الكَبِيرِ كَالقَلْبِ فِي العَالَمِ اَلصَّغِيرِ، وَبِهَذِهِ المُنَاسَبَةِ يُقَالُ لِلْقَلْبِ عَرْشُ اَللهِ تَعَالَى أَيْضًا. وَالمَرَاتِبُ البَاقِيَةُ مِنْ جَوَاهِرِ العَالَمِ الكَبِيرِ الخَمْسَةِ فَوْقَ العَرْشِ، وَالعَرْشُ بَرْزَخٌ بَيْنَ عَالَمِ الخَلْقِ وَعَالَمِ الأَمْرِ فِي العَالَمِ

الكَبِيرِ بِمَثَابَةِ قَلبِ الإِنْسَانِ حَيْثُ إِنَّهُ بَرْزَخٌ بَيْنَ عَالَمِ الخَلقِ وَعَالَمِ الأَمْرِ فِي العَالَمِ اَلصَّغِيرِ.

وَالقَلبُ وَالعَرْشُ وَإِنْ كَانَا ظَاهِرَيْنِ فِي عَالَمِ الخَلقِ لكِنَّهُمَا مِنْ عَالَمِ الأَمْرِ وَلَهُمَا نَصِيبٌ مِنَ الكَيْفِيِّ والكَمِّيِّ. وَالاطِّلاَعُ عَلى حَقِيقَةِ هَذِهِ الجَوَاهِرِ الخَمْسَةِ مُسَلمٌ لِكُمَّلِ أَفْرَادِ أَوْلِيَاءِ اَللهِ اَلذِينَ أَتَمُّوا مَرَاتِبَ اَلسُّلُوكِ بِالتَّفْصِيلِ وَبَلَغُوا نِهَايَةَ اَلنِّهَايَاتِ. شِعْرٌ:

هر كداى مرد ميدان كى شود   يشهء آخر سليمان كى شود

تَرْجَمَةٌ

هَل كُل مَنْ خَلتْ رَجُلاً رَجُل مَعْرَكَةٍ   أَوَكُل مَنْ صَارَ ذَا مُلكٍ سُليْمَانُ

فَإِنْ انْفَتَحَ نَظَرُ بَصِيرَةِ صَاحِبِ دَوْلَةٍ بِتَفْصِيلِ مَرْتَبَةِ الوُجُوبِ عَلى حَسَبِ الإِمْكَانِ بِمَحْضِ فَضْلِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى يُطَالِعُ أُصُولَ هَذِهِ الجَوَاهِرِ أَيْضًا فِي ذَلِكَ المَوْطِنِ، وَتَصِيرُ هَذِهِ الجَوَاهِرُ الصَّغِيرِيَّةُ والكَبِيرِيَّةُ فِي عِلمِهِ كَالظِّلاَلِ لِتِلكَ الجَوَاهِرِ الحَقِيقِيَّةِ، (ع):

وَهَذِي سَعَادَاتٌ تَكُونُ نَصِيبَ مَنْ

{ذَلِكَ فَضْلُ اَللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاَللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ}[١].

وَالمَنْعُ مِنْ إِظْهَارِ حَقَائِقِ عَالَمِ الأَمْرِ إِنَّمَا هُوَ بِسَبَبِ دِقَّةِ تِلكَ المَعَانِي المَكْنُونَةِ، وَمَاذَا يُدْرِكُ مِنْهَا قَاصِرُو اَلنَّظَرِ، وَالرَّاسِخُونَ المُشَرَّفُونَ بِشَرَفِ خِطَابِ: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلمِ إِلاَّ قَلِيلاً}[٢] لَهُمُ اطِّلاَعٌ عَلى مَا هُنَالِكَ، (ع):

هَنِيئًا لأَرْبَابِ اَلنَّعِيمِ نَعِيمُهَا

شِعْرٌ:

وَلَيْسَ فِي بَثِّ الأَسْرَارِ مَصْلَحَةٌ   وَإِنْ ظَهَرْنَ لَنَا كَالشَّمْسِ فِي فَلَكٍ

{وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلى سَائِرِ مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[٣] وَالتِزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ مِنَ اَلصَّلَوَاتِ والتَّسْلِيمَاتِ أَتَمُّهَا وأَدْوَمُهَا.

---

(١) ــ الآية: ٢١ من سورة الحديد، والآية: ٤ من سورة الجمعة.

(٢) ــ الآية: ٨٥ من سورة الإسراء.

(٣) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

وَأَيْضًا قَدْ وَقَعَ فِي الخَاطِرِ أَنْ أُحَرِّرَ نُبْذَةً مِنْ بَيَانِ الجَوَاهِرِ الْمُقَدَّسَةِ العَلِيَّا. يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ ابْتِدَاءَ تِلْكَ الجَوَاهِرِ مِنَ اَلصِّفَاتِ الإِضَافِيَّةِ اَلتِي هِيَ كَالبَرْزَخِ بَيْنَ الوُجُوبِ وَالإِمْكَانِ وَفَوْقَهَا صِفَاتٌ حَقِيقِيَّةٌ، وَلِلرُّوحِ نَصِيبٌ مِنْ تَجَلِّيَاتِهَا وَلِلْقَلْبِ تُعَلِّقٌ بِالصِّفَاتِ الإِضَافِيَّةِ وَهُوَ مُشَرَّفٌ بِتَجَلِّيَاتِهَا. وَبَقِيَّةُ الجَوَاهِرِ العُلْيَا اَلتِي فَوْقَ اَلصِّفَاتِ الحَقِيقِيَّةِ دَاخِلَةٌ فِي دَائِرَةِ حَضْرَةِ اَلذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ، وَلِهَذَا يُقَالُ لِتَجَلِّيَاتِ هَذِهِ المَرَاتِبِ اَلثَّلاَثَةِ تَجَلِّيَاتٌ ذَاتِيَّةٌ. وَلاَ مَصْلَحَةَ فِي اَلتَّكَلُّمِ وَرَاءَ ذَلِكَ، (ع):

بَلغَ اليَرَاعُ إِلى هُنَا فَتَكَسَّرَا

اَلمَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالثَّلاَثُونَ
فى بَيَانِ المَحَبَّة اَلذَّاتيَّة اَلتي يَسْتَوِي في هَذَا المَقَامِ الإنْعَامُ وَالإِيلاَمُ
كَتَبَهُ إِلى الحَاجِّ مَيَّانِ مُحَمَّد اللاهوري أَيْضًا

نَجَّانَا اَللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَنْ زَيْغِ البَصَرِ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ البَشَرِ عَلَيْه وَعَلى آله اَلصَّلَوَاتُ والتَّسْليمَاتُ.

اعْلَمْ أَنَّ المَقْصُودَ منَ اَلسَّيْرِ وَالسُّلوك تَزْكِيَةُ اَلنَّفْسِ الأَمَّارَة وَتَطْهيرُهَا حَتَّى يَتَيسَّرَ اَلنَّجَاةُ منْ عبَادَة الآلهَة البَاطلة اَلنَّاشئَة عَنِ الهوَى اَلنَّفْسَانيِّ وَلاَ تَبْقَى قبْلَةُ اَلتَّوَجُّه في الحَقيقَة غَيْرَ المَعْبُود الوَاحد الحَقيقيِّ تَعَالى وَتَقَدَّسَ، وَلاَ يَخْتَارُ عَلَيْه مَقْصدًا مَا أَصْلاً سَوَاءً كَانَ منَ المَقَاصد اَلدِّينيَّة أَوْ منَ المَطَالب الدُّنْيَويَّة. وَالمَقَاصدُ اَلدِّينيَّةُ وَإِنْ كَانَتْ منَ الحَسَنَات وَلكنَّهَا منْ شُغْل الأَبْرَار، وَالْمُقَرَّبُونَ يَرَوْنَهَا سَيِّئَةً وَلاَ يَعُدُّونَ سوَى الوَاحد منَ المَقَاصد. وَحُصُول هَذه اَلدَّوْلة مَنُوطٌ بحُصُول الفَنَاء وَتَحقُّق المَحَبَّة اَلذَّاتيَّة اَلتي يَسْتَوي في ذَلكَ المَقَامِ الإِنْعَامُ وَالإِيلاَمُ، وَيَحْصُل منَ اَلالتذَاذ منَ اَلتَّعْذيب مثْل مَا يَحْصُل منَ اَلتَّنْعيم، فَإِنْ أَرَادُوا الجَنَّةَ إِنَّمَا يُريدُونَهَا لكَوْنهَا مَحَل رضَائه تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَفي طَلَبهَا مَرْضَاة سُبْحَانَهُ، وَإِنْ اسْتَعَاذُوا منَ اَلنَّار إِنَّمَا يَسْتَعيذُونَ منْهَا لكَوْنهَا مَحَل سَخَطه تَعَالى، لاَ أَنَّ مَقْصُودَهمْ منَ الجَنَّة اسْتيفَاءُ الحُظُوظ اَلنَّفْسَانيَّة وَلاَ فرَارُهمْ منَ اَلنَّار لخَوْف الأَلم وَالأَذيَّة. فَإِنَّ كُلمَا يَحْصُل منَ المَحْبُوب فَهُوَ عنْدُ هؤُلاَء الأَكَابر مَحْبُوبٌ وَمَرْغُوبٌ وَعَيْنُ المَطْلوب، فَإِنَّ كُلمَا يَفْعَلهُ المَحْبُوبُ مَحْبُوبٌ وَهَهُنَا تَتَيسَّرُ حَقيقَةُ الإِخْلاَصِ وَيَحْصُل الخَلاَصُ منْ عبَادَة الآلهَة البَاطلة وَتَصحُّ كَلمَةُ اَلتَّوْحيد في هَذَا الوَقْت وَبدُونه خَرْطُ القَتَاد. وَالأَمْرُ منْ غَيْر حُصُول المَحَبَّة اَلذَّاتيَّة الحَاصلة بلاَ مُلاَحَظَة الأَسْمَاء وَالصِّفَات وَبلاَ تَوَسُّط إِنْعَام المَحْبُوب وَإِكْرَامه لاَ يَخْلو منَ الخَلل، وَالفَنَاءُ المُطْلقُ لاَ يَحْصُل بدُون هَذه المَحَبَّة المُحْرِقَة المُبْطلة للشَّرِكَة. شعْرٌ.

مَا العشْقُ إِلاَّ شُعْــلَةٌ قَدْ أَحــرَقَتْ كُل الوَرَى غَيْرَ الحَبِيب البَاقي
قَدْ هَزَّ في قَتْل اَلسِّوَى صَمْصَامٌ لاَ فــانظُرْ إِلى مَا بَعْدَ لاَ مَا البَاقي
بُشْرَاكَ يَا صَاح قَدْ اِحْتَرَقَ الوَرَ لَمْ يَبْقَ غــيرُ الهَنَــا الخَــلاقِ

اَلْمَكْتُوبُ اَلسَّادِسُ وَالثَّلاَثُونَ

فِي بَيَانِ أَنَّ اَلشَّرِيعَةَ مُتَكَفِّلَةٌ بِجَمِيعِ اَلسَّعَادَاتِ اَلدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ وَالطَّرِيقَةُ وَالحَقِيقَةُ خَادِمَتَانِ لِلشَّرِيعَةِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

إِلَى الحَاجِّ مُحَمَّدٍ اللاهوري

حَقَّقَنَا اَللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ بِحَقِيقَةِ اَلشَّرِيعَةِ اَلْمُصْطَفَوِيَّةِ عَلى صَاحِبِهَا اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ وَيَرْحَمُ اَللهُ عَبْدًا قَالَ آمينا.

اعْلَمْ: أَنَّ لِلشَّرِيعَةِ ثَلاَثَةَ أَجْزَاءٍ: العِلمُ وَالعَمَلُ وَالإِخْلاَصُ. وَمَا لَمْ يَتَحَقَّقْ كُل مِنْ هَذِهِ الأَجْزَاءِ اَلثَّلاَثَةِ لاَ تَتَحَقَّقُ اَلشَّرِيعَةُ، وَمَتَى تَحَقَّقَتْ اَلشَّرِيعَةُ فَقَدْ تَحَقق رِضَا الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى اَلذي هُوَ فَوْقَ جَمِيعِ اَلسَّعَادَاتِ اَلدُّنْيَوِيَّةِ وَالأُخْرَوِيَّةِ وَرِضْوَانٌ مِنَ اَللهِ أَكْبَرُ، فَكَانَتْ اَلشَّرِيعَةُ مُتَكَفِّلَةً بِجَمِيعِ اَلسَّعَادَاتِ اَلدُّنْيَوِيَّةِ وَالأُخْرَوِيَّةِ، وَلَمْ يَبْقَ مَطْلَبٌ يَقَعُ فِيهِ اَلاحْتِيَاجُ إِلى مَا وَرَاءَ اَلشَّرِيعَةِ.

وَالطَّرِيقَةُ وَالحَقِيقَةُ اَللتَانِ امْتَازَتْ بِهِمَا اَلصُّوفِيَّةُ خَادِمَتَانِ لِلشَّرِيعَةِ فِي تَكْمِيلِ جُزْئِهَا اَلثَّالِثِ اَلذي هُوَ الإِخْلاَصُ فَالْمَقْصُودُ مِنْ تَحْصِيلِ كُل مِنْهُمَا تَكْمِيلُ اَلشَّرِيعَةِ لاَ أَمْرٌ آخَرُ وَرَاءَ اَلشَّرِيعَةِ. وَالأَحْوَالُ وَالْمَوَاجِيدُ وَالعُلومُ وَالْمَعَارِفُ اَلتِي تَحْصُلُ لِلصُّوفِيَّةِ فِي أَثْنَاءِ اَلطَّرِيقِ لَيْسَتْ مِنَ الْمَقَاصِدِ بَل هِيَ أَوْهَامٌ وَخَيَالاَتٌ تُرَبَّى بِهَا أَطْفَالُ اَلطَّرِيقَةِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُجَاوِزَ جَمِيعَ ذَلِكَ وَأَنْ يَصِلَ إِلى مَقَامِ اَلرِّضَا اَلذي هُوَ نِهَايَةُ مَقَامَاتِ اَلسُّلوكِ وَالجَذْبَةِ. فَإِنَّ اَلْمَقْصُودَ مِنْ طَيِّ مَنَازِلِ اَلطَّرِيقَةِ وَالحَقِيقَةِ لَيْسَ هُوَ شَيْءٌ غَيْرُ تَحْصِيلِ الإِخْلاَصِ اَلْمُسْتَلزِمِ لِحُصُولِ مَقَامِ اَلرِّضَا وَيُوصِلُ إِلى دَوْلَةِ الإِخْلاَصِ. وَمَقَامُ اَلرِّضَا وَاحِدٌ مِنْ أُلوفٍ بَعْدَ العُبُورِ بِهِ مِنَ اَلتَّجَلِّيَاتِ اَلثَّلاَثَةِ وَمُشَاهَدَاتِ العَارِفِينَ.

وَالقَاصِرُونَ هُمُ اَلذينَ يَعُدُّونَ الأَحْوَالَ وَالْمَوَاجِيدَ مِنَ الْمَقَاصِدِ وَيَظُنُّونَ الْمُشَاهَدَاتِ وَالتَّجَلِّيَاتِ مِنَ الْمَطَالِبِ فَلاَ جَرَمَ يَبْقَوْنَ فِي حَبْسِ الوَهْمِ وَالخَيَالِ وَيَحْرُمُونَ كَمَالاَتِ اَلشَّرِيعَةِ بِهَذَا اَلاعْتِقَادِ: {كَبُرَ عَلى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اَللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ}(١).

---

(١) ــ الآية: ١٣ من سورة الشورى.

نَعَمْ إنَّ حُصُول مَقَامِ الإخْلاَصِ وَالوُصُول إلى مَرْتَبَة اَلرِّضَا مَنُوطٌ بطَيِّ هَذه الأَحْوَال وَالمَوَاجيد وَمَرْبُوطٌ بتَحقُّق هَذه العُلوم وَالمَعَارِف فَتكُونُ هَذه الأَشْيَاءُ مُعدَّات للمَطْلوب وَمُقَدِّمَات للمَقْصُود. وَحَقيقَةُ هَذَا المَعْنى اتَّضَحَتْ للفقير بَعْدَ اَلاشْتغَال بهَذَا اَلطَّرِيقِ عَشْرَ سنينَ بالتَّمَام ببَرَكَة حَبيبِ اَللهِ - عَلَيْه وَعَلى آله اَلصَّلاَةُ وَاَلسَّلاَمُ - وَانْجَلى شَاهدُ اَلشَّرِيعَة كمَا يَنْبَغي.

وَفيمَا قَبْل وَإنْ لَمْ يَكُنْ لي تُعَلقٌ بالأَحْوَال وَالمَوَاجيد وَلَمْ يَكُنْ في نَظَري مَطْلبٌ غَيْرَ اَلتَّحقُّق بحَقيقَة اَلشَّرِيعَة، وَلكنْ ظَهَرَتْ حَقيقَةُ الأَمْر بَعْدَ عَشَرَة كَاملة ظُهُورًا بَيِّنًا وَالحَمْدُ لله عَلى ذَلكَ حَمْدًا كثيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فيه مُبَارَكًا عَلَيْه. وَخَبَرُ مَوْت المَغْفُور لهُ اَلشَّيْخ مَيَّان جَمَال بَاعثٌ عَلى حُزْن جَميع الإسْلاَم وَتَفرقَة خَوَاطرِهمْ. وَالمُلتَمَسُ تَعْزِيَةُ أَوْلاَد المَرْحُوم المُتَوَفَّى وَقرَاءَةُ اَلفَاتحَة منْ جَانب الفَقيرِ وَالسَّلاَمُ.

اَلْمَكْتُوبُ اَلسَّابِعُ وَالثَّلاثُونَ
صَدَرَ إِلَى اَلشَّيْخِ مُحَمَّد الجتري
فِي اَلتَّحْرِيضِ عَلَى مُتَابَعَةِ اَلسُّنَّةِ اَلسَّنِيَّةِ
عَلَى صَاحِبِهَا اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ
وَالتَّرْغِيبُ فِي تُحَصُّلِ اَلنِّسْبَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ العَلِيَّةِ
قُدِّسَ سِرُّهُمْ

قَدْ حَصَلَ اَلسُّرُورُ وَالابْتِهَاجُ بِمُطَالَعَةِ المَكْتُوبِ اَلشَّرِيفِ اَلَّذِي صَدَرَ عَلَى وَجْهِ الكَرَمِ، وَقَدْ انْدَرَجَ فِيهِ بَيَانُ اسْتِقَامَتِكُمْ وَثَبَاتِكُمْ عَلَى هَذِهِ اَلطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ وَالحَمْدُ للهِ سُبْحَانَهُ عَلَى ذَلِكَ يُكْرِمُكُمْ اَللهُ سُبْحَانَهُ بِتَرَقِّيَاتٍ غَيْرِ مُتَنَاهِيَةٍ بِبَرَكَةِ أَكَابِرِ هَذِهِ اَلطَّرِيقَةِ العَلِيَّةِ، وَطَرِيقُهُمْ كِبْرِيتٌ أَحْمَرُ مَبْنِيٌّ عَلَى مُتَابَعَةِ اَلسُّنَّةِ اَلسَّنِيَّةِ عَلَى مَصْدَرِهَا اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ. وَيَكْتُبُ هَذَا الفَقِيرُ بَيَانًا لِنَقْدِ وَقْتِهِ. وَحَاصِلُهُ أَنَّ العُلومَ وَالمَعَارِفَ وَالأَحْوَالَ وَالمَقَامَاتِ قَدْ أُفِيضَتْ عَلَى مُدَّةٍ مَدِيدَةٍ مِثْلَ مَطَرِ اَلرَّبِيعِ، وَكُلمَا يَلزَمُ فِعْلُهُ فَقَدْ فُعِلَ بِعِنَايَةِ اَللهِ تَعَالَى وَالآنَ مَا بَقِيَ ثَمَنٌ غَيْرُ إِحْيَاءِ سُنَّةٍ مِنَ اَلسُّنَنِ المُصْطَفَوِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ وَالأَحْوَالُ وَالمَوَاجِيدُ إِنَّمَا هِيَ مَنْظُورَةٌ لأَرْبَابِ اَلذَّوْقِ يَنْبَغِي أَنْ يُعَمَّرَ البَاطِنُ بِنِسْبَةِ خواجكان قَدَّسَ اَللهُ أَسْرَارَهُمْ وَأَنْ يُحلى اَلظَّاهِرُ بِالكُلِّيَّةِ بِمُتَابَعَةِ اَلسُّنَنِ اَلظَّاهِرَةِ، (ع):

هَذَا هُوَ اَلشُّغْلُ وَالبَاقِي خَيَالاَتٌ

وَيَنْبَغِي أَنْ تُؤَدُّوا اَلصَّلَوَاتِ الخَمْسَ فِي أَوَّلِ أَوْقَاتِهَا غَيْرَ العِشَاءِ وَقْتَ اَلشِّتَاءِ فَإِنَّ تَأْخِيرَهَا إِلَى ثُلُثِ اَللَّيْلِ مُسْتَحَبٌّ. وَالفَقِيرُ مُضْطَرٌّ فِي هَذَا الأَمْرِ لاَ أُرِيدُ تَأْخِيرَ أَدَاءِ اَلصَّلاَةِ عَنْ أَوَّلِ وَقْتِهَا وَلَوْ مِقْدَارَ شَعْرَةٍ وَالعَجْزُ البَشَرِيُّ مُسْتَثْنًى.

اَلمَكْتُوبُ اَلثَّامِنُ وَالثَّلاَثُونَ

صَدَرَ أيضًا إلى اَلشَّيْخِ مُحَمَّد الجنرى

فِي بَيَانِ اَلتَّعَلقِ بالذَّاتِ البَحْتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ اَلمُنَزَّهِ عَنِ اعْتَبَارِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ والشئون وَالاعْتبَارَاتِ وَفِي مَذَمَّةِ الناقِصِينَ اَلذينَ زَعَمُوا المُنَزَّهَ عَنِ المَثَلِ مِثْلِيًّا وَالكَيْفِيَّ كَيْفيًا فتَعَلقُوا به وَافْتُتِنُوا

وَبَيَانِ تَفَاوُتِ الأَقْدَامِ فِي الفَنَاءِ المُتَرَتِّبِ عَلَيْهِ تَفَاوُتُ العُلومِ وَالمَعَارِفِ وَأَمْثَالِ ذَلكَ

قَدْ أَورَثَ المَكْتُوبُ اَلشَّرِيفُ بوُصُوله فَرَحًا كَثيرًا جَعَلنَا اَللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُم مَعَهُ دَائمًا وَلاَ يَتْرُكُنَا بغَيْره لحْظَةً، وَكُل شَيْءٍ غَيْرُ ذَاته البَحْت سُبْحَانَهُ وَتَعَالى مُعَبَّرٌ عَنْهُ بالغَيْرِ وَالسِّوَى وَإِنْ كَانَ ذَلكَ الغَيْرُ أَسْمَاءً وَصفَاتٍ، وَمَا قَالهُ المُتَكلمُونَ منْ أَنَّ صفَاته تَعَالى لاَ هُوَ وَلاَ غَيْرُه لهُ مَعْنًى آخرُ فَإِنَّهُمْ أَرَادُوا بالغَيْرِ الغَيْرَ المُصْطَلحَ وَنَفَوْا الغَيْرِيَّةَ بهَذَا المَعْنَى لاَ بالمَعْنَى المُطْلق، وَنَفْيُ الخَاصِّ لاَ يَسْتَلزِمُ نَفْيَ العَامِّ، وَلاَ يُمْكنُ اَلتَّعْبيرُ عَنِ اَلذَّات بغَيْرِ اَلسَّلوب وَكُل إِثْبَات في مَرْتَبَة اَلذَّات إلحَادٌ، وَأَفْضَل اَلتَّعْبيرَات وَأَجْمَعُ العبَارَات فيهَا {لَيْسَ كَمثْله شَيْءٌ}(١) وَمَعْنَاهُ بالفَارسيَّة: (بيـــچون وبيـــچوكونه.

وَلاَ سَبيل للعلمِ وَالشُّهُود وَالمَعْرِفَة إليْه سُبْحَانَهُ، كُل مَا تَرَاهُ العُيُونُ أَوْ وَعَاهُ الآذَانُ أَوْ حَوَاهُ اَلظُّنُونُ فَهُوَ غَيْرُهُ تَعَالى. وَالتَّعَلقُ به تَعَلقٌ بالغَيْرِ فَيَلزَمُ نَفْيُه بكَلمَة لاَ إلهَ وَإِثْبَاتُ اَلذَّات اَلمُنَزَّهَة عَنِ المثْل بكَلمَة إلاَّ اَللهُ وَهَذَا الإِثْبَاتُ يَكُونُ أَوَّلاً بالتَّقْليد ثُمَّ يَنْقَلبُ أخيرًا إلى اَلتَّحْقيق. وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ أَرْبَاب اَلسُّلوك اَلذينَ لَمْ يَبْلغُوا نهَايَةَ الأَمْرِ المثْليَّ وَالمُكَيَّفُ عَيْنَ اَلمُنَزَّه عَنِ المثْل وَاَلكَيْف وَقَالوا بإِمْكَان تَطَرُّق اَلشُّهُود وَالمَعْرِفَة إليْه. وَأَرْبَابُ اَلتَّقْليد أَفْضَل منْ هَؤُلاَء بمَرَاتبَ، فَإِنَّ تَقْليدَهُمْ مُقْتَبَسٌ منْ مشْكَاة أَنْوَارِ اَلنُّبوَّة عَلى صَاحبهَا اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَلاَ سَبيل للخَطَأ إليْه، وَمُقْتَدَى هَؤُلاَءِ القَاصرِينَ الكَشْفُ غَيْرُ اَلصَّحيحِ، (ع):

(١) ــ الآية: ١١ من سورة الشورى.

وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ اَلطَّرِيقَيْنِ فَانْظُرُوا

وَهَؤُلاَءِ الجَمَاعَةُ مُنْكِرُونَ للذَّات في الحَقِيقَة، وَإِنْ أَثْبَتُوا شُهُودَ اَلذَّات، وَلَمْ يَدْرُوا أَنَّ نَفسَ الإِثْبَات هُنَا هُوَ عَيْنُ الإِنْكَار، وَقَدْ قَال إِمَامُ المُسْلمينَ الإِمَامُ الأَعْظَمُ الكُوفِيُّ ــ رَضِيَ اَللهُ تَعَالى عَنْهُ ــ: " سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عبَادَتك وَلَكنْ عَرَفْنَاك حَقَّ مَعْرِفَتك " وَعَدَمُ أَدَاء حَقِّ العبَادَة ظَاهِرٌ، وَأَمَّا حُصُول حَقِّ المَعْرفَة فَمَبْنِيٌّ عَلى أَنَّ نهَايَةَ المَعْرفَة في اَلذَّات تَعَالى شَأْنُهَا لَيْسَتْ إِلاَّ مَعْرِفَتَهَا بعُنْوَان: {لَيْسَ كَمثْله شَيْءٌ}[1] وَلاَ يَظُنُّ الأَبْلَهُ مِنْ ذَلكَ أَنَّ الخَاصَّ وَالعَامَّ وَالمُبْتَدِئَ وَالمُنْتَهِيَ مُتساوُ اَلأَقْدَامِ فِي هَذه المَعْرفَة لِعَدَمِ تَمْييزه بَيْنَ العلم وَالمَعْرِفَة، فَإِنَّ العلمَ للمُبْتَدئ وَالمَعْرِفَةَ للمُنْتَهِي وَهِيَ لاَ تَحْصُل بِدُونِ الفَنَاء وَلاَ تَتَيَسَّرُ هَذه اَلدَّوْلَةُ لغَيْرِ الفانِي. قَال المولوى فِي المثنوى. شعْرٌ:

وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِي حُبِّ مَوْلاَهُ فَانِيًا … فَلَيْسَ لَهُ فِي كِبْرِيَاهُ سَبِيل

فَتَكُونُ المَعْرِفَةُ إِذًا وَرَاءَ العلم.

وَممَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ وَرَاءَ العلمِ وَالإِدْرَاكِ المُتَعَارَفِ أَمْرًا يُعَبَّرُ عَنْهُ بالمَعْرِفَةِ وَيُقَال لهُ الإِدْرَاكُ البَسِيطُ أيضًا. شعْرٌ.

خَليلي مَا هَذَا بِهزْلٍ وَإِنَّمَا … حَديثٌ عَجِيبٌ مِنْ بَديعِ الغَرَائبِ

غَيْرُهُ منَ المثنوى شعْرٌ:

إِنَّ للرَّحْمَنِ مَعَ أَرْوَاحِ نَاسٍ … اتِّصَــالاً دُون كَيْفٍ وقيَــاسٍ
قُلتُ نَاسًا دُونَ نسْنَاسِ الفَلاَ … لَيْسَ نَاسٌ غَيْرُ رُوحٍ فِي المَلاَ

وَلَمَّا كَانَتْ الأَقْدَامُ مُتَفَاوِتَةً فِي الفَنَاء لاَ جَرَمَ وُجدَ اَلتَّفَاوُتُ فِي المَعْرِفَة بَيْنَ المُنْتَهِينَ، فَمَنْ كَانَ فَنَاؤُهُ أَتَمَّ تَكُونُ مَعْرِفَتُهُ أَكْمَل، وَمَنْ كَانَ دُونَهُ فِي الفَنَاء يَكُونُ دُونَهُ فِي المَعْرِفَة. وَعَلى هَذَا القيَاسِ سُبْحَانَ اَللهِ انْجَرَّ الكَلاَمُ منْ أَيْنَ إِلى أَيْنَ بَل كَانَ اَللاَّئقُ بحَالي أَنْ أَكْتُبَ منْ عَدَمِ حَاصلي وَعَدَمِ حُصُول مُرَادي وَعَدَمِ ثَبَاتِي واستقامَتِي وَطَلَبِ المَعُونَة وَالمَدَدِ منَ الأَحْبَاب وَأَيُّ مُنَاسَبَةٍ لِي بِأَمْثَال هَذه الكَلمَات. شعْرٌ:

مَنْ لَمْ يَكُنْ خَبَرٌ لهُ عَنْ نَفْسه … هَل يُقَدِّرُ الأَخْبَارُ منْ هَذَا وَذَا

وَلَكِنَّ الهِمَّةَ العَاليَةَ وَالطِّينَةَ اَلسَّامِيَةَ لاَ تَتركُنِي أَنْ أَقْنَعَ بِبِضَاعَةٍ دَنِيَّةٍ وَدُعَابَةٍ

---

(١) ــ الآية: ١١ من سورة الشورى.

رَدِيَّة، فَلاَ جَرَمَ أَتَرَقَّى عَنْ مَرْتَبتي فَإِذَا قلتُ فَمنْهُ أَقُول وَإِنْ كَانَ لاَ شَيْئًا، وَإِذَا طَلَبْتُ فَإِيَّاهُ أَطْلبُ وَإِنْ لَمْ أَجدْ شَيْئًا، وَإِنْ كَانَ لِي حَاصل فَهُوَ حاصلي وَإِنْ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا وَإِنْ كُنْتُ وَاصلاً فَإِلَيْه وصُولي وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِي حُصُول. وَمَا وَقَعَ في عبَارَات بَعْضِ الأَكَابِرِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمُ العَلِيَّةَ مِنَ الشُّهُود الذَّاتِيِّ لاَ يَظْهَرُ مَعْنَاهُ لغَيْرِ أَرْبَابِ الكَمَال وَفَهْمُه مُحَال للنَّاقصينَ وَالقَاصرِينَ. شعْرٌ

لَيسَ يُدْرَى الأغيبا حَالَ الكِرَامِ   هَل يُقدِّرُ الأَخْبَارُ مِنْ هَذَا وَذَا

فَاقْصُرْ الأَقْوَال وَاسْكُتْ وَالسَّلاَمُ

وَقَدْ حَرَّرَ في عُنْوَان المَكْتُوب كَلمَةً " هُوَ الظَّاهرُ هُوَ البَاطنُ " أَيُّهَا المَخْدُومُ إِنَّ هُوَ الظَّاهرُ هُوَ البَاطنُ صَحيحٌ، وَلَكنَّ هَذَا الفَقيرَ لاَ يَفْهَمُ منْ هَذَا الكَلاَمِ مَعْنَى التَّوْحيد - يَعْنِي الوُجُوديَّ - منْ مُدَّة بَل أَنَا مُتَّفقٌ بالعُلَمَاء في فَهْمِ مَعْنَاهُ وَمُوَافقُهمْ في صحَّته فَإِنَّ صحَّةَ كَلاَمهمْ قَدْ صَارَتْ مَعْلومَةً لدَى فَوْقِ صحَّة قَوْل أَرْبَابِ التَّوْحيدِ " **كُلٌ مُيَسَّرٌ لَمَا خُلقَ لَهُ** "[1] (ع):

لكُل منَ الإِنْسَان شَأْنٌ يَخُصُّهُ

---

(١) ــ **متفق عليه**: أخرجه البخاري في كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله: **{فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى}**، ومسلم في كتاب: القدر، باب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله، عن علي ــ رضي الله عنه ــ قال: " كُنَّا فِي جَنَازَة فِي بَقيعِ الْغَرْقَد فَأَتَانَا رَسُولُ اللّه ــ صَلَّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ ــ فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ وَمَعَهُ مخصرَةٌ فَنَكَّسَ، فَجَعَلَ يَنْكُتُ بمخصرَته ثُمَّ قَالَ: " مَا منْكُمْ منْ أَحَد مَا منْ نَفْسٍ مَنْفُوسَة إلاَّ وَقَدْ كَتَبَ اللّهُ مَكَانَهَا منَ الْجَنَّة وَالنَّار، وَإلاَّ وَقَدْ كُتبَتْ شَقيَّةً أَوْ سَعيدَةً، قَالَ: فَقَالَ رَجلٌ: يَا رَسُولَ اللّه، أَفَلاَ نَمْكُثُ عَلَى كتَابنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ، فَقَالَ: مَنْ كَانَ منْ أَهْلِ السَّعَادَة فَسَيَصيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَة، وَمَنْ كَانَ منْ أَهْلِ الشَّقَاوَة فَسَيَصيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَة، فَقَالَ: اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَة فَيُيَسَّرُونَ لعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَة، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَة فَيُيَسَّرُونَ لعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَة، ثُمَّ قَرَأَ: **{فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى}** ".

والحديث أخرجه أيضا: عبد بن حميد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن مردويه، وابن جرير الطبري في تفسيره (حديث: ٢٥٤١٥).

شرح الحديث: قال الطِّيبيُّ: " الجواب من الأسلوب الحكيم منعهم عن ترك العمل وأمرهم بالتزام ما يجب على العبد من العبودية وزجرهم عن التصرف في الأمور المغيبة فلا يجعلوا العبادة وتركها سبباً مستقلاً لدخول الجنة والنار بل هي علامات فقط ".

وقال الحافظ في فتح الباري: " وفي الحديث أن الأقدار غالبة والعاقبة غائبة فلا ينبغي لأحد أن يغتر بظاهر الحال، ومن ثم شرع الدعاء بالثبات على الدين وبحسن الخاتمة "

وَمَا يَلزَمُ الإِنْسَانَ اَلذي لاَ بُدَّ لَهُ مِنْهُ وَهُوَ مُكَلفٌ بِهِ امْتِثَالِ الأَوَامِرِ وَالانْتِهَاءُ عَنِ المَنَاهِي: {وَمَا آتَاكُمْ اَلرَّسُول فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اَللّهَ}(١).

وَإِذَا كَانَ الإِنْسَانُ مَأْمُورًا بِالإِخْلاَصِ، وَالإِخْلاَصُ لاَ يُتَصَوَّرُ بِدُون الفَنَاء وَالمَحبَّة اَلذَّاتيَّة لاَ جَرَمَ يَنْبَغِي أَنْ يَحْصُلَ مُقَدِّمَاتُ الفَنَاء اَلتي هِيَ المَقَامَاتُ العَشْرَةُ وَالفَنَاءَ وَإِنْ كَانَ نَفْسُهُ مَوْهِبَةً مَحْضَةً وَلكِنَّ مُقَدِّمَاته وَمَبَادِيَهُ مُتَعَلقَةٌ بِالكَسْب، وَإِنْ تَشرَّفَ البَعْضُ بِحَقِيقَة الفَنَاء مِنْ غَيْرِ تَجَشُّمِ كَسْب مِنْهُ فِي مُقَدِّمَاته وَتَصْفيَة حَقِيقَته بِالرِّيَاضَات وَالمُجَاهَدَات وَحِينَئذ لاَ يَخْلو حَالَهُ مِنْ أَحَد الأَمْرَيْنِ، إِمَّا أَنْ يُوقَفَ فِي مَوْقف الوَاقفينَ، أَوْ يَرْجعَ إِلَى العَالَمِ لِتَكْميل النَاقصينَ. فَعَلى اَلتَّقْدِيرِ الأَوَّل لاَ يَقَعُ سَيْرُه فِي المَقَامَات المَذْكُورَة وَلاَ يَكُونُ لَهُ خَبَرٌ عَنْ تَفَاصيل اَلتَّجليَات الأَسْمائيَّة وَالصفاتيَّة. وَعَلى اَلتَّقْدِيرِ اَلثَّانِي يَقَعُ سَيْرُه فِي تَفَاصِيل المَقَامَات حِينَ رُجُوعه إِلَى العَالَمِ وَيَتَشرَّفُ بِتَجليَات غَيْرِ مُتَنَاهيَة وَتَكُونُ لَهُ صُورَةُ المُجَاهَدَة، وَلكِنَّ هُوَ فِي كَمَال اَلذَّوْق وَاللذَّة فِي الحُقِيقَة بِالظَّاهِرِ فِي اَلرِّيَاضَاتِ وَبِالبَاطِنِ فِي اَلتَّنَعُّمِ وَاللذَّات (ع):

وَهَذِى سَعَادَاتٌ تَكُونُ نَصِيبَ مَنْ

لاَ يُقَال: إِنَّ الإِخْلاَصَ إِذَا كَانَ مِنْ جُمْلَة المَأْمُورَات الوَاجبَة اَلامْتِثَال وَلَمْ تَتَحقَّقْ حَقِيقَتُه بِدُون الفَنَاء يَكُونُ العُلمَاءُ وَالصُّلحَاءُ وَالأَخْيَارُ عَاصِينَ بِتَرْك الإِخْلاَصِ لِعَدَم تَشرُّفِهِمْ بِحَقِيقَة الفَنَاء لأَنَّا نَقُول: إِنَّ نَفْسَ الإِخْلاَصِ حَاصِل لَهُمْ وَلَوْ فِي ضِمْنِ بَعْضِ أَفْرَاد الإِخْلاَص، وَالمُتَوَقِّفُ عَلى الفَنَاء إِنَّمَا هُوَ كَمَال الإِخْلاَصِ اَلذي يَشْمَل جَمِيعَ أَفْرَاد الإِخْلاَصِ وَلِهَذَا قِيل لاَ يَحْصُل حَقِيقَةُ الإِخْلاَصِ بِدُونِ الفَنَاءِ دُونَ أَنْ يُقَال نَفْسُ الإِخْلاَصِ.

---

(١) ـــ الآية:٧ من سورة الحشر.

المَكْتُوبُ اَلتَّاسِعُ وَالثَّلاَثُونَ
صَدَرَ أَيْضًا إِلَى اَلشَّيْخِ مُحَمَّد الجتري
فِي بَيَان أَنَّ مَدَارَ الأَمْرِ عَلَى القَلب
وَأَنَّهُ لاَ يُفْتَحُ شَيْءٌ مِنْ مُجَرَّدِ الأَعْمَالِ اَلصُّورِيَّةِ وَالعِبَادَاتِ اَلرَّسْمِيَّةِ وَامْتِثَالِ ذَلِكَ

رَزَقَنَا اَللهُ سُبْحَانَهُ الإِعْرَاضَ عَمَّا سِوَاهُ وَالإِقْبَالِ عَلَى جَنَابِ قُدْسِهِ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ البَشَرِ المُحَرَّرِ عَنْ زَيْغِ البَصَرِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ اَلصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ.

اعْلَمْ أَنَّ مَدَارَ الأَمْرِ عَلَى القَلْبِ. فَإِنْ كَانَ القَلْبُ مَفْتُونًا وَمُتَعَلِّقًا بِغَيْرِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَذَلِكَ القَلْبُ خَرَابٌ وَأَبْتَرُ وَلاَ يَحْصُلُ شَيْءٌ مِنْ مُجَرَّدِ الأَعْمَالِ اَلصُّورِيَّةِ وَالعِبَادَاتِ الرُّسُومِيَّةِ بَلْ لاَ بُدَّ فِي كُلٍ مِنْ سَلاَمَةِ القَلْبِ مِنَ اَلالتِفَاتِ إِلَى مَا سِوَاهُ، تَعَالَى وَالأَعْمَالِ اَلصَّالِحَةِ المُتَعَلِّقَةِ بِالبَدَنِ اَلتِي أَمَرَ اَلشَّرْعُ بِفِعْلِهَا، وَدَعْوَى سَلاَمَةِ القَلْبِ بِدُونِ إِتْيَانِ الأَعْمَالِ اَلصَّالِحَةِ بَاطِلَةٌ كَمَا أَنَّ وُجُودَ اَلرُّوحِ بِلاَ بَدَنٍ غَيْرُ مُتَصَوَّرٍ فِي هَذِهِ اَلنَّشْأَةِ وَحُصُولَ الأَحْوَالِ القَلْبِيَّةِ مِنْ غَيْرِ حُصُولِ الأَعْمَالِ اَلصَّالِحَةِ القَالِبِيَّةِ مُحَالٌ. وَكَثِيرٌ مِنَ المُلْحِدِينَ يَدَّعُونَ هَذِهِ اَلدَّعْوَى فِي هَذَا اَلزَّمَانِ. نَجَّانَا اَللهُ سُبْحَانَهُ عَنْ مُعْتَقَدَاتِهِمُ اَلسَّيِّئَةِ بِحُرْمَةِ حَبِيبِهِ - عَلَيْهِ اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ.

اَلمَكْتُوبُ الأَرْبَعُونَ
صَدَرَ أَيْضًا إلى اَلشَّيْخِ مُحَمَّد الجتري
في بَيَان تَحْصِيل الإِخْلاَص
اَلذي هُوَ جُزْءٌ منَ الأَجْزَاء الثَّلاثة للشَّريعَة الغَرَّاء
وَأنَّ اَلطَّرِيقَةَ وَالحَقِيقَةَ خَادمَتَان لَلشَّرِيعَةَ في تَكْمِيل هَذَا الجُزْء وَأَمْثَال ذَلكَ

نَحْمَدُهُ وَنُصَلي عَلى نَبيِّه وَنُسَلمُ:

أَيُّهَا المَخْدُومُ: قَدْ صَارَ مَعْلومًا لي بَعْد طَيِّ منازل السُّلوك وَقَطْعِ مَقَامَات الجَذْبَة، أَنَّ المَقْصُودَ منْ هَذَا اَلسَّيْرِ وَالسُّلوك تَحْصِيل مَقَامِ الإِخْلاَصِ المَرْبُوط حُصُولهُ بفَنَاء الآلهَة الآفَاقيَّه والأَنْفُسيَّة. وَهَذَا الإِخْلاَصُ جُزْءٌ منْ أَجْزَاء اَلشَّرِيعَة فَإنَّ للشَّرِيعَة ثَلاَثَةَ أَجْزَاء: العلمُ وَالعَمَل وَالإِخْلاَصُ. فَالطَّرِيقَةُ وَالحَقِيقَةُ خَادمَتَان للشَّرِيعَة في تَكْميل جُزْء الإِخْلاَصِ وَهَذَا هُوَ حَقيقَةُ الأَمْر، وَلكنْ لاَ يُدْرَكُ فَهْمُ كُل أَحَد ذَلكَ وَأَكْثَرُ خَلق العَالمِ قَدْ اطْمَأَنُّوا بالمَنَام وَالخَيَال وَاكْتَفُوا بالجَوْز وَالمَوْز، فَمَاذَا يُدْرِكُونَ منْ كَمَالاَت اَلشَّرِيعَة وَأَنَّا يَصلونَ إلى حَقيقَة الطَّرِيقَة وَالحَقيقَة، فَيَزْعُمُونَ اَلشَّرِيعَةَ قشْرًا وَالحَقيقَةَ لبًّا وَلاَ يَدْرُونَ مَا حَقيقَةُ المُعَامَلة بَل يَغْتَرُّونَ بتُرَّهَات اَلصُّوفيَّة وَيَفْتَتنُونَ بالأَحْوَال وَالمَقَامَات اَلسُّفْليَّة، هَدَاهُمُ اَللهُ سُبْحَانَهُ سَوَاءَ اَلطَّرِيقِ وَالسَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلى عبَاد اَللهِ اَلصَّالحينَ.

اَلْمَكْتُوبُ الحَادِيَ وَالأَرْبَعُونَ
إِلى اَلشَّيْخ دَرْوِيش
فِي اَلتَّحْرِيضِ عَلَى مُتَابَعَة اَلسُّنَّة اَلسَّنِّيَّة الْمُصْطَفَوِيَّة عَلَى صَاحِبِهَا اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ وَبَيَانِ أَنَّ اَلطَّرِيقَةَ وَالحَقِيقَةَ مُتممتَان للشَّرِيعَة وَمَا يُنَاسِبُ ذَلكَ

رَزَقَنَا اَللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى التَّحلِيَ وَالتَّزَيُّنَ بِمُتَابَعَة اَلسُّنَّة اَلسَّنِّيَّة الْمُصْطَفَوِيَّة عَلى صَاحِبهَا اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا بِحُرْمَة اَلنَّبِيِّ وَآله الأَمْجَاد عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ اَلصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ: إِنَّ مُحَمَّدًا رَسُول اَللهِ ــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ ــ مَحْبُوبُ رَبِّ العَالمِينَ وَكُل شَيْءٍ حَسَنٌ وَمَرْغُوبٌ فَهُوَ لأَجْلِ الْمَطْلُوب وَالْمَحْبُوب ؛ وَلهَذَا قَال اَللهُ تَعَالى فِي كَلاَمه اَلمَجِيد: {إِنَّكَ لعَلى خُلق عَظِيمٍ}[١] وَقَال تَعَالى وَتَقدَّسَ أَيْضًا: {إِنَّكَ لمِنَ الْمُرْسَلينَ عَلَى صِرَاط مُسْتَقيمٍ}[٢] وَقَال أَيْضًا: {أَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا اَلسُّبُل}[٣] فَسَمَّى ملتَهُ ــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ــ صِرَاطًا مُسْتَقيمًا وَجَعَل مَا سِوَاهَا دَاخِلاً فِي اَلسُّبُل وَمَنَعَ عَنِ اتِّبَاعِهَا، وَقَال - عَلَيْه اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - إِظْهَارًا للشُّكْر وَإِعْلاَمًا للخَلق وَهِدَايَةً لَهُمْ: " خَيْرُ الهَدْي هَدْيُ مُحَمَّد "[٤] وَقَال - عَلَيْه اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - أَيْضًا:"**أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي**"[٥] وَالبَاطِنُ مُتَمِّمٌ للظَّاهِر وَمُكَمِّل لهُ لاَ مُخَالفَةَ بَيْنهمَا مِقْدَارَ شَعْرَة. مَثَلاً عَدَمُ اَلتَّكَلم بِالكَذب شَرِيعَةٌ وَنَفْيُ الكَذب عَنِ الخَاطر طَرِيقَةٌ وَحَقيقَةٌ. فَإِنَّ ذَلكَ اَلنَّفْيَ لوْ كَانَ بِالتَّعمُّل وَالتَّكَلف فَطَرِيقَةٌ وَإِلاَّ فَحَقيقَةٌ فَكَانَ اَلبَاطِنُ اَلذِي هُوَ اَلطَّرِيقَةُ

(١) ــ الآية: ٤ من سورة القلم.

(٢) ــ الآية: ٣ من سورة يس.

(٣) ــ الآية: ١٥٣ من سورة الأنعام.

(٤) ــ قوله: " وخير الهدى هدى محمد " أخرجه مسلم عن جابر رضي الله عنه وأخرجه البخاري موقوفا على عبد الله بن مسعود ــ رضي الله عنه ــ في كتاب: الأدب، باب: في الهدي الصالح.

(٥) ــ قوله: " أدبني ربي فأحسن تأديبي " أخرجه ابن السمعاني في أدب الاملاء والاستملاء عن ابن مسعود ــ رضي الله عنه ــ ورمز السيوطى في الجامع الصغير برمز الصحة قال السخاوى سنده ضعيف ومعناه صحيح وهو كذلك.

وَالحَقِيقَةُ مُتَمِّمًا وَمُكَمِّلاً فِي الحَقِيقَةِ لِلظَّاهِرِ اَلذي هُوَ اَلشَّرِيعَة، فَإِنْ ظَهَرَ لِسَالِكِي سُبُلِ اَلطَّرِيقَةِ وَالحَقِيقَةِ فِي أَثْنَاءِ طَرِيقِهِمْ أُمُورٌ مُخَالِفَةٌ لِظَاهِرِ اَلشَّرِيعَةِ وَأَظْهَرُوا ذَلِكَ فَهُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى سُكْرِ الوَقْتِ وَغَلَبَةِ الحَالِ، فَإِنْ جَاوَزُوا ذَلِكَ المَقَامَ وَخَرَجُوا مِنْ مَضِيقِ اَلسُّكْرِ إِلى فَضَاءِ اَلصَّحْوِ، تَرْتَفِعُ تِلْكَ المُنَافَاةُ بِالكُلِّيَّةِ وَتَكُونُ تِلْكَ العُلُومُ المُتَضَادَّةُ هَبَاءً مَنْثُورًا، مَثَلاً قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنَ اَلسُّكْرِ بِالإِحَاطَةِ اَلذَّاتِيَّةِ وَرَأَوْا أَنَّ الحَقَّ مُحِيطٌ بِالعَالَمِ بِالذَّاتِ تَعَالى وَتَقَدَّسَ، وَهَذَا الحُكْمُ مُخَالِفٌ لآرَاءِ عُلَمَاءِ أَهْلِ الحَقِّ ؛ فَإِنَّهُمْ قَائِلُونَ بِإِحَاطَةٍ عِلْمِيَّةٍ، وَآرَاءُ العُلَمَاءِ أَقْرَبُ إِلى اَلصَّوَابِ فِي الحَقِيقَةِ، وَإِذَا قَالَ هَؤُلاَءِ اَلصُّوفِيَّةُ بِنَفْسِهِمْ بِأَنَّ ذَاتَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى لاَ يُحْكَمُ عَلَيْهَا بِحُكْمٍ يَكُونُ الحُكْمُ عَلَيْهَا بِالإِحَاطَةِ وَالسَّرَيَانِ مُخَالِفًا لِهَذَا القَوْلِ. وَالحَقُّ أَنَّ ذَاتَهُ تَعَالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}[١] لاَ سَبِيلَ لِحُكْمٍ مِنَ الأَحْكَامِ إِلَيْهَا أَصْلاً، بَلْ فِي ذَلِكَ المَوْطِنِ الحَيْرَةُ اَلصِّرْفَةُ وَالجَهَالَةُ المَحْضَةُ فَكَيْفَ يَتَطَرَّقُ اَلسَّرَيَانُ وَالإِحَاطَةُ إِلَيْهَا وَيُمْكِنُ اَلاعْتِذَارُ مِنْ جَانِبِ اَلصُّوفِيَّةِ القَائِلِينَ بِهَذِهِ الأَحْكَامِ بِأَنَّ مُرَادَهُمْ بِالذَّاتِ هُوَ اَلتَّعَيُّنُ الأَوَّلُ فَإِنَّهُمْ لَمَّا لَمْ يَقُولُوا بِزِيَادَةِ ذَلِكَ اَلتَّعَيُّنِ عَلَى المُتَعَيِّنِ قَالُوا لِذَلِكَ اَلتَّعَيُّنِ عَيْنَ اَلذَّاتِ وَذَلِكَ اَلتَّعَيُّنُ الأَوَّلُ المُعَبَّرُ عَنْهُ بِالوَاحِدِيَّةِ سَارَ فِي جَمِيعِ المُمْكِنَاتِ فَيَصِحُّ الحُكْمُ بِالإِحَاطَةِ اَلذَّاتِيَّةِ.

وَهَهُنَا دَقِيقَةٌ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ ذَاتَ الحَقِّ تَعَالى وَتَقَدَّسَ عِنْدَ عُلَمَاءِ أَهْلِ الحَقِّ مُنَزَّهَةٌ عَنِ المَثَلِ وَالكَيْفِ وَكُلِّ مَا سِوَاهَا زَائِدٌ عَلَيْهَا حَتَّى أَنَّ ذَلِكَ اَلتَّعَيُّنَ لَوْ كَانَ ثَابِتًا عِنْدَهُمْ لَكَانَ زَائِدًا عَلَى اَلذَّاتِ وَخَارِجًا عَنْ دَائِرَةِ اللاَّمِثْلِيَّةِ وَاللاَّكَيْفِيَّةِ، فَلاَ يُقَالُ لإِحَاطَتِهِ إِحَاطَةٌ ذَاتِيَّةٌ. فَكَانَ نَظَرُ العُلَمَاءِ أَعْلَى مِنْ نَظَرِ هَؤُلاَءِ اَلصُّوفِيَّةِ ؛ فَإِنَّ اَلذَّاتَ عِنْدَهُمْ كَانَتْ دَاخِلَةً فِيمَا سِوَاهَا عِنْدَ العُلَمَاءِ. وَعَلَى هَذَا القِيَاسِ القُرْبُ وَالمَعِيَّةُ اَلذَّاتِيَّانِ وَمُوَافَقَةُ المَعَارِفِ البَاطِنِيَّةِ لِعُلُومِ ظَاهِرِ اَلشَّرِيعَةِ بِتَمَامِهَا وَكَمَالِهَا بِحَيْثُ لاَ يَبْقَى مَجَالُ المُخَالَفَةِ فِي اَلنَّقِيرِ وَالقِطْمِيرِ، إِنَّمَا هِيَ فِي مَقَامِ الصِّدِّيقِيَّةِ اَلذي هُوَ فَوْقَ مَقَامِ الوِلاَيَةِ وَفَوْقَ مَقَامِ اَلصِّدِّيقِيَّةِ مَقَامُ اَلنُّبُوَّةِ. وَالعُلُومُ الحَاصِلَةُ لِلنَّبِيِّ بِطَرِيقِ الوَحْيِ مُنْكَشِفَةٌ لِلصِّدِّيقِ بِطَرِيقِ الإِلهَامِ وَلَيْسَ بَيْنَ هَذَيْنِ العِلْمَيْنِ فَرْقٌ سِوَى كَوْنِ حُصُولِ أَحَدِهِمَا بِالوَحْيِ وَالآخَرِ بِالإِلهَامِ، فَكَيْفَ يَكُونُ لِلمُخَالَفَةِ مَجَالٌ فِيهِ وَفِي كُلِّ مَقَامٍ دُونَ مَقَامِ اَلصِّدِّيقِيَّةِ نَحْوٌ مِنَ اَلسُّكْرِ.

(١) ـــ الآية: ١١ من سورة الشورى.

وَالصَّحْوُ اَلتَّامُّ إِنَّمَا هُوَ فِي مَقَامِ الصِّدِّيقِيَّة فَحَسْبُ وَفَوْقٌ آخَرُ بَيْنَ هَذَيْنِ العلمَيْنِ أَنَّ فِي الوَحْيِ قَطْعًا وَفِي الإِلهَامِ ظَنًّا ؛ فَإِنَّ الوَحْيَ بِتَوَسُّطِ المَلك وَالمَلاَئكَة مَعْصُومُونَ لَيْسَ فِيهِمُ احتمال الخَطَأ، وَالإلهَامُ وَإِنْ كَانَ لَهُ المَحَل المُعَلى وَالمَنْزِل الأَعْلى اَلذي هُوَ القَلْبُ اَلذي هُوَ مِنْ عَالَمِ الأَمْرِ لكنْ للقَلب نَحْوٌ منَ التَّعَلق بالعَقْل وَالنَّفس، وَالنَّفسُ وَإِنْ صَارَتْ مُطْمَئنَّةً بالتَّزْكيَة لكنَّهَا لاَ تَرْجعُ عَنْ صفَاتهَا أَصْلاً باطْمئْنَانهَا فَكَانَ للخَطَأ مَجَال في ذَلكَ المَيْدَان.

وَممَّا يَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ لبَقَاء صفَات اَلنَّفْسِ مَعَ وُجُود اطْمئْنَانهَا مَنَافعُ كَثيرَةٌ وَفوَائدُ عَديدَةٌ فَإِنَّهُ لوْ كَانَتْ اَلنَّفْسُ مَمْنُوعَةً عَنْ ظُهُور صفَاتهَا بالكُلِّيَّة لكَانَ طَرِيقُ التَّرَقِّي مَمْدُودًا وَلظَهَرَ فِي اَلرُّوحِ صفَةُ المَلك بحَيْثُ تَصيرُ مَحْبُوسَةً في مَقَامهَا فَإِنَّ تَرَقِّيهَا إِنَّمَا هُوَ بوَاسطَة مُخَالفَتهَا اَلنَّفسَ، فَإِنْ لَمْ تَبْقَ فِي اَلنَّفْسِ مُخَالفَةٌ فَمنْ أَيْنَ يَحْصُل التَّرَقِّي وَلَمَّا رَجَعَ سَيِّدُ الكَائنَات عَلَيْه أَفْضَل اَلصَّلوَات وَأَكْمَل التَّسْليمَات منَ الجهَاد مَعَ الكُفَّار مَرَّةً قَال: " رَجَعْنَا منَ الجهَاد الأَصْغَر إِلى الجهَاد الأَكْبَر "(١) فَقَال للجهَاد مَعَ اَلنَّفْسِ جهادًا أَكْبَرَ وَمُخَالفَةُ اَلنَّفْسِ فِي ذَلكَ المَوْطنِ إِنَّمَا تَكُونُ بتَرْك أَدْنَى عَزِيمَة بَل بإِرَادَتهَا ذَلكَ اَلتَّرْكَ مَهْمَا أَمْكَنَ لعَدَمِ تَصَوُّر تُحَقِّق اَلتُّرْك فيه. وَيَحْصُل بهَذه الإِرَادَة منَ اَلنَّدَامَة والخَجَالة وَالالتجَاء وَالتَّضَرُّع إِلى جَنَاب قُدْسه - جَل سُلطَانُهُ - مَا يَتَيَسَّرُ بهَا فَوَائدُ أُمُور سُنَّة مثَلاً في سَاعَة لطيفَة.

وَلنَرْجعْ إِلى أَصْل الكَلاَمِ وَنَقُول: كُلمَا يُوجَدُ فيه شَمَائل المَحْبُوب وَأَخلاَقُهُ يَكُونُ ذَلكَ الشَيْءُ أَيْضًا مَحْبُوبًا بتَبعيَّة المَحْبُوب وَفي قَوْله تَعَالى: {فَاتَّبعُوني يُحْبِبْكُمُ اللهُ}(٢) بَيَانٌ لهَذَا اَلرَّمْزِ فَالسَّاعي في مُتَابَعَته - عَلَيْه اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - يُجَرُّ إِلى المَحْبُوبيَّة فَعَلى كُل عَاقل ذي لبٍّ السَّعْيُ في كَمَال اتِّبَاعِ حَبيبه - عَلَيْه اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - ظَاهرًا وَبَاطنًا.

---

(١) ـــ قال السيوطى روى الخطيب في تاريخه من حديث جابر قال قدم النبي عليه السلام من غزاة لهم فقال النبي علية السلام قدمتم خير مقدم وقدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قالوا وما الجهاد الأكبر قال مجاهدة العبد هواه انتهى من موضوعات على القارى قلت روى السيوطى في جامعة الكبير بعد هذا الحديث أحاديث يعضده منها: " المجاهد من جاهد نفسه " أخرجه الترمذي وابن حبان عن فضالة ابن عبيد ومنها: " أفضل الجهاد أن يجاهد الرجل نفسه وهواه " أخرجه ابن النجار عن أبي ذر، ونسبه العراقى في تخريج أحاديث الإحياء إلى البيهقى من حديث جابر.

(٢) ـــ الآية: ٣١ من سورة آل عمران.

وَقَدْ انْجَرَّ الكَلاَمُ إلى اَلتَّطْوِيل وَالْمَأْمُول مُسَامَحَتُكُمْ وَجَمَال الكَلاَم إِذَا كَانَ مِنَ الجَمِيل الْمُطْلَقِ يَزْدَادُ حُسْنًا كُلمَا يَزْدَادُ طُولاً: {قُل لوْ كَانَ البَحْرُ مدَادًا لكَلمَاتِ رَبِّي لنَفِدَ البَحْرُ قَبْل أَنْ تَنْفَدَ كَلمَاتُ رَبِّي وَلوْ جئْنَا بمثْله مَدَدًا}(١) وَلنَنْقُل الكَلاَمَ إلى مَحَل آخرَ وَنَقُول: إنَّ حَامِل هَذه اَلرَّقَمِيَّة مَوْلاَنَا مُحَمَّد حَافظ منْ أَهْل العلمِ وَكَثِير العيَال وَبِسَبَب قلة أَسْبَاب المَعيشَة تَوَجَّهَ نَحْوَ العَسْكَرِ فَإنْ بَذَلتُمْ في حَقِّه العنَايَةَ وَالالتفَاتَ وَكَلمْتُمْ اَلرَّئيسَ المَنْصُورَ الأَميرَ اَلنَّقيبَ اَلسَّيِّدَ اَلشَّيْخَ جيو لتَحْصِيلَ الوَظِيفَةِ أَوْ الإمْدادِ للمُشَارِ إليْهِ يَكُونُ عَيْنَ الكَرَمِ وَلاَ نُصَدِّعُ بأَزْيَدَ منْ ذَلكَ.

(١) ــ الآية: ١٠٨ من سورة الكهف.

اَلْمَكْتُوبُ اَلثَّاني وَالأَرْبَعُونَ
إلى اَلشَّيْخ مُحَمَّد المَذْكُور أيضًا
فِي بَيَانِ أَنَّ أَفْضَلَ المَصاقِيلِ لإِزَالَة صَدَاء مَحَبَّة مَا سِوَى الحَقِّ مِنَ الحَقِيقَة الجَامعَة القَلبِيَّة مُتَابَعَةُ اَلسُّنَّة اَلسَّنِيَّة عَلى صَاحِبِهَا اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ

سَلمَكُمْ اَللهُ سُبْحَانَهُ وَأَبْقَاكُمْ:

وَاعْلَمْ أَنَّ الإِنْسَانَ مَا دَامَ مُتَلوِّثًا بِدَنَسِ التَّعَلقات اَلشَّتَّى مَحْرُومٌ وَمَهْجُورٌ وَلاَ بُدَّ مِنْ تَصْقِيل مِرْآة الحَقِيقَة الجَامعَة مِنْ صَدَاءِ مَحَبَّة مَا سِوَاهُ عَزَّ وَجَل.

وَأَفْضَلَ المَصَاقِيل فِي إِزَالَة ذَلِكَ اَلصَّدَاء مُتَابَعَةُ اَلسُّنَّة اَلسَّنِيَّة المُصْطَفَوِيَّة عَلى مَصْدَرِهَا اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ، وَمَدَارُ ذَلكَ عَلى رَفْعِ اَلعَادَات اَلنَّفْسَانِيَّة وَدَفْعِ اَلرُّسُومِ الظُّلمانيَّة فَطُوبَى لِمَنْ تَشَرَّفَ بِهَذه اَلنِّعْمَة العُظْمَى وَوَيْل لِمَنْ حُرِمَ مِنْ هَذه اَلدَّوْلَة القُصْوَى وَبَقيَّةُ المَرَام أَنَّ أَخي الأَعَزَّ مَيَّانَ مُظَفَّرَ ابْنِ المَرْحُوم اَلشَّيْخ كهورن وَمِنْ أَعْيَان اَلنَّاس وَأَوْلاَد الأَكَابر وَحَوْلَهُ مِنْ مُتَعَلقَاته جَمْعٌ كَثِيرٌ فَهُوَ مَحَل اَلتَّرَحُّمِ فَبِمَاذَا نُصَدِّعُ أَزْيَدَ مِنْ ذَلكَ ﴿وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلى سَائِرِ مَنِ اتبَعَ الهدَى﴾[1].

---

(١) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

اَلْمَكْتُوبُ اَلثَّالِثُ وَالْأَرْبَعُونَ

إلى اَلسَّيِّد اَلنَّقيب اَلشَّيْخ فَريد البُخَاريِّ في بَيَان أَنَّ اَلتَّوْحيدَ عَلَى قسْمَيْن شُهوديٌّ ووجُوديٌّ وَأَنَّ مَا لاَ بُدَّ منْهُ هُوَ الشُّهوديُّ المَرْبُوطُ به الفَناءُ وَأَنَّهُ في مَرْتَبَة عَيْن اليَقين وَمَا فَوْقَهُ فَهُوَ حَقُّ اليَقين وَمَا يُناسبُ ذَلكَ منَ الأَسْئلة وَالأَجْوبَة والتَّمثيلات المُوَضِّحَة

سَلمَكُمُ اَللهُ سُبْحَانَهُ وَعَصَمَكُمْ عَمَّا يَصمُكُمْ وَصَانَكُمْ عَمَّا شَانَكُمْ وَاعْلَمْ أَنَّ اَلتَّوْحيدَ اَلذي يَظْهَرُ في أَثْنَاء طَريق هَذه الطَّائفَة العَليَّة عَلى قسْمَيْن: تَوْحيدٌ شُهوديٌّ، وَتَوْحيدٌ وجُوديٌّ. فَالتَّوْحيدُ الشُّهوديُّ هُوَ مُشَاهَدَةُ الوَاحد - يَعْني لاَ يَكُونُ مَشْهُودُ اَلسَّالك غَيْرَ وَاحد -. وَالتَّوْحيدُ الوُجُوديُّ هُوَ أَنْ يَعْلمَ اَلسَّالكُ وَيَعْتَقدَ المَوْجُودَ واحدًا وَأَنْ يَعْتَقدَ أَوْ يَظُنَّ غَيْرَه مَعْدُومًا وَأَنْ يَزْعُمَ الغَيْرَ مَعَ اعْتقَاد عَدَميَّته مُجَالى ذَلكَ الوَاحد وَمَظَاهرَهُ. فَكَانَ اَلتَّوْحيدُ الوُجُوديُّ منْ قَبيل علْم اليَقين.

وَالتَّوْحيدُ الشُّهُوديُّ منْ قَبيل عَيْن اليَقين وَهُوَ منْ ضَرُوريَّات هَذَا اَلطَّريق. فَإنَّ الفَنَاءَ لاَ يَتَحَقَّقُ بدُونه وَلاَ يَتَيَسَّرُ عَيْنُ اليَقين بلاَ تَحَقُّقه، فَإنَّ مُشَاهَدَةَ الأُحَديَّة باسْتيلاَئهَا مُسْتَلزمَةٌ لعَدَم رُؤْيَة مَا سوَاهُ بخلاَف اَلتَّوْحيد الوُجُوديِّ فَإنَّهُ لَيسَ كَذَلكَ - يَعْني أَنَّهُ لَيْسَ بضَرُوريٍّ فَإنَّ علمَ اليَقين حَاصل بدُون تلكَ المَعْرفَة ؛ لأَنَّ علمَ اليَقين لَيسَ بمُسْتَلزم لنَفْي مَا سوَاهُ تَعَالى.

غَايَةُ مَا في البَاب أَنَّهُ مُسْتَلزمٌ لنَفْي علم مَا سوَاهُ وَقْتَ غلبَة علم ذَلكَ الوَاحد وَاسْتيلاَئه - مَثَلاً إذَا حَصَلَ لشَخْص يَقينٌ بوُجُود اَلشَّمْس فَاسْتيلاَءُ هَذَا اليَقين غَيْرُ مُسْتَلزم للعلم بأَنَّ اَلنُّجُومَ مُنْتَفيَةٌ وَمَعْدُومَةٌ في ذَلكَ الوَقْت، وَلَكنْ حينَ رُؤْيَته اَلشَّمْسَ لاَ يَرَى اَلنُّجُومَ البَتَّةَ وَلاَ يَكُونُ مَشهودُه غَيْرَ اَلشَّمْس، وَفي هَذَا الوَقْت اَلذي لاَ يَرَى فيه اَلنُّجُومَ يَعْلمُ أَنَّ اَلنُّجُومَ لَيْسَتْ بمَعْدُومَة بَل يَعْلمُ أَنَّهَا مَوْجُودَةٌ وَلَكنَّهَا مَسْتُورَةٌ وَفي تَشَعْشُع نُور اَلشَّمْس مَغْلوبَةٌ، وَهَذَا اَلشَّخْصُ في مَقَام الإنْكَار لجَمَاعَة يَنْفُونَ وُجُودَ اَلنُّجُوم في ذَلكَ الوَقْت وَيَرَى أَنَّ تلكَ المَعْرفَةَ غَيْرُ وَاقعيَّة.

فَالتَّوْحيدُ الوُجُوديُّ اَلذي هُوَ نَفْيُ مَا سوَى ذَات وَاحدَة تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ مُخَالفٌ للعَقْل وَالشَّرْع، بخلاَف اَلتَّوْحيد الشُّهُوديِّ فَإنَّهُ لاَ مُخَالفَةَ في مُشَاهَدَة

الوَاحد وَنَفي اَلنُّجوم وَقتَ طُلوعِ اَلشَّمْسِ مَثلاً، وَالقَوْل بأَنَّها مَعْدُومَةٌ مُخَالفٌ للوَاقعِ، وَأَمَّا عَدَمُ رُؤْيَة اَلنُّجُوم في ذلكَ الوَقْت فَلا مُخَالفَةَ فيه أَصْلاً بَل هَذَا إنَّمَا هُوَ بوَاسطَة غَلبَة ظُهُور نُور اَلشَّمْسِ وَضَعْف بَصَر الرَّائي فإنْ اكْتَحَل بَصَرُ الرَّائي بنُورِ اَلشَّمْسِ تَحْصُل لهُ قُوَّةٌ يَرَى بهَا أَنَّ اَلنُّجومَ مُمْتَازَةٌ منَ اَلشَّمْسِ وَهَذه اَلرُّؤْيَةُ - يَعْني رُؤْيَةَ اَلنُّجُوم - مُمْتَازَةٌ منَ اَلشَّمْسِ في مَرْتَبَة حَقِّ اليَقين.

وَأَقْوَال بَعْضِ المَشَايخِ اَلتي تُرَى مُخَالفَةً لظَاهرِ اَلشَّريعَة الحَقَّة وَنَزَّلَهَا بَعْضُ اَلنَّاسِ إلى اَلتَّوْحيد الوُجُوديِّ مثْل قَوْل الحُسَيْن بْن مَنْصُورِ الحَلَّاجِ[(١)]: أَنَا الحَقُّ.

وَقَوْل أَبي يَزِيدَ البِسْطَاميِّ[(٢)]: سُبْحَاني مَا أَعْظَمَ شَأْني. وَأَمْثَال ذَلكَ. فَالأَوَّل وَالأَنْسَبُ تَنْزيلهَا إلى اَلتَّوْحيد الشُّهُوديِّ وَإبْعَادُ المُخَالفَة عَنْهَا فَإنَّهُمْ لَمَّا اخْتَفَى مَا سوَى الحَقِّ سُبْحَانَهُ عَنْ نَظَرهِمْ تَكَلمُوا بهَذه الأَلفَاظ في غَلبَة ذَلكَ الحَال وَلَمْ يُثْبتُوا غَيْرَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ. وَمَعْنَى: أَنَا الحَقُّ. أَنَّهُ الحَقُّ دُونَ أَنَا فَإنَّهُ لَمَّا لَمْ يَرَ نَفْسَهُ لَمْ يُثْبتْهُ، لاَ أَنَّهُ رَأَى نَفْسَهُ وَقَال إنَّهُ الحَقُّ فَإنَّ هَذَا كُفْرٌ.

---

(١) ـــ **الحسين بن منصور الحـــــلاج أبو مغيث**: الفارسي البغدادي الصوفي، توفي مصلوبا ببغداد سنة ٣٠٩ هـــ، له من التصانيف: بستان المعرفة، تفسير سورة الإخلاص، كتاب الأبد، كتاب الأحرف المحدثة والأزلية والأسماء الكلية، كتاب الأمثال، كتاب التوحيد، كتاب الجيم الأصغر، كتاب الجيم الأكبر، كتاب حمل النور والحياة والأرواح، كتاب خزائن الخيرات ويعرف أيضا بالإلف المألوف، كتاب خلق الإنسان والبيان، كتاب خلق خلائق القرآن والاعتبار، كتاب الذاريات ذروا، كتاب سر العالم والمبعوث، كتاب السمري وجوابه، كتاب السياسة إلى حسين بن حمدان، كتاب السياسة والخلفاء والأمراء، كتاب شخص الظلمات، كتاب الصدق والإخلاص، كتاب الصلاة والصلوات، كتاب الصيهون، كتاب طاسين الأزل والجوهر الأكبر والشجرة الزيتونة النورية، كتاب الظل الممدود والماء المسكوب والحياة الباقية، كتاب العدل والتوحيد، كتاب علم البقاء والفناء، كتاب الغريب والفصيح، كتاب في: **{إِنَّ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ القُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ}**، كتاب قرآن القرآن والفرقان، كتاب القيامة والقيامات، كتاب الكبر والعظمة، كتاب الكبريت الأحمر، كتاب كيد الشيطان وأمر السلطان، كتاب الكيفية بالمجاز، كتاب الكيفية والحقيقة، كتاب كيف كان وكيف يكون، كتاب لا كيف، كتاب المتحليات، كتاب مدح النبي والمثل الأعلى، كتاب موابيد العارفين، كتاب النجم إذا هوى، كتاب نور النور، كتاب الوجود الأزل، كتاب الوجود الثاني، كتاب هو هو، كتاب الهيا كل والعالَم والعالِم، كتاب اليقظة وبدو الخلق، كتاب اليقين.

(٢) ـــ **أبو يزيد البسطامي**: طيفور بن عيسى بن آدم بن عيسى بن علي بن سروشان أبو يزيد البسطامي، الزاهد المشهور، توفغي سنة ٢٦٤ هـــ له من التصانيف: معارج التحقيق في التصوف، ورسائل أخر.

لاَ يُقَال: إنَّ عَدَمَ الإِثْبَات مُسْتَلزِمٌ للنَّفْي وَهُوَ اَلتَّوْحيدُ الوُجُودِيُّ بعَيْنه.

لأَنَّا نَقُول: لاَ يلزَمُ منْ عَدمِ الإِثْبَات اَلنَّفْيُ، فَإنَّ في ذَلكَ المَوطنِ حَيْرَةً بحَيْثُ قَدْ سَقطَتْ الأحْكَامُ فيه بالتَّمَام وَفي قَوْل: سُبْحَاني أَيْضًا تَنزيهُ الحَقِّ لاَ تَنْزيهُ القَائل نَفْسَهُ فإنَّ نَفْسَهُ قَدْ ارْتَفَعَ عَنْ نَظَره بالكُليَّة لاَ يَتَعَلقُ به حُكْمٌ أَصْلاً. وَأَمْثَال هَذه الأَقْوَال تَظْهَرُ منَ البَعْض في مَقَام عَيْن اليَقين اَلذي هُوَ مَقَامُ الحَيْرَة، فَإِذَا تَرَقَّوْا منْ ذَلكَ المَقَامِ وَبلَغُوا مَرْتَبَةَ حَقِّ اليَقين يَتحَاشَوْنَ منْ أَمْثَال تلكَ الكَلمَات وَلاَ يَتعَدَّوْنَ عَنْ حَدِّ الاعْتدَال. وَقَدْ أَشَاعَ اَلتَّوْحيدُ الوُجُوديُّ في هَذَا اَلزَّمَان كَثيرًا منْ هَذه اَلطَّائفَة المُتَزيينَ بزيِّ اَلصُّوفيَّة وَلاَ يَدْرُون أَنَّ الكَمَال فيمَا وَرَاءَهُ وَيَقْنَعُون منَ العَيْنِ بالعلمِ وَيُنْزلون أَقْوَال المَشَايخِ إلى مُتخيِّلاتهم وَيجْعَلونَهَا مُقْتَدًا بهَا لأَوْقَاتهمْ وسَندًا لأَحْوَالهمْ وَيُرَوِّجُون سُوقَهُمُ الكَاسدَ بهَذه اَلتَّخيُّلاَت. وَلئنْ وَقعَ في عبَارَات بَعْضِ المَشَايخِ المُتَقَدِّمينَ فَرْضًا أَلفَاظٌ صَرِيحَةٌ في اَلتَّوْحيد الوُجُوديِّ كَانَ يَنْبَغي حَمْلهَا عَلى أَنَّهُمْ تَكَلمُوا بهَذه الكَلمَات في اَلابْتدَاء حينَ كَوْنهمْ في مَقَامِ علمِ اليَقين، ثُمَّ تَرَقَّى حَالهُمْ منْ ذَلكَ المَقَامِ وَجَاوَزُوا منَ العلم إلى العَيْنِ أَخيرًا.

لاَ يُقَال هُنَا إنَّ أَرْبَابَ اَلتَّوْحيد الوُجُوديِّ كَمَا أَنَّهُمْ يَعْلمُونَ الوَاحدَ فَقطْ كَذَلكَ هُمْ لاَ يَرَوْنَ إلاَّ الوَاحدَ فقطْ فَكَانَ لهُمْ نَصيبٌ منْ عَيْنِ اليَقينِ أيضًا. لأَنَّا نَقُول: إنَّ أَرْبَابَ هَذَا اَلتَّوْحيد إنَّمَا يَرَوْنَ صُورَةَ اَلتَّوْحيد الشُّهُوديِّ المثَاليَّة لاَ إنَّهُمْ تَحَقَّقُوا بذَلكَ اَلتَّوْحيد. وَلاَ مُنَاسَبَةَ للتَّوْحيد الشُّهُوديِّ بهَذه اَلصُّورَة المثَاليَّة في الحَقيقَة لأَنَّ وَقتَ حُصُول ذَلكَ اَلتَّوْحيد وَقْتُ حَيْرَة لاَ حُكْمَ بشَيْءٍ في ذَلكَ المَوْطنِ، وَصَاحبُ اَلتَّوْحيد الوُجُوديِّ مَعَ شُهُوده لصُورَة اَلتَّوْحيد الشُّهُوديِّ المثَاليَّة منْ أَرْبَاب العلمِ فَإنَّهُ يَنْفي مَا سوَى الوَاحد، وَالنَّفْيُ حُكْمٌ منَ الأَحْكَام وَهُوَ منْ مَقُولة العلمِ، وَالعلمُ لاَ يَجْتمعُ مَعَ الحَيْرَة، فَثَبَتَ أَنَّ صَاحبَ اَلتَّوْحيد الوُجُوديِّ لاَ حَظَّ لهُ منْ مَقَام عَيْنِ اليَقينِ. نَعَمْ إذَا وَقَعَ لصَاحب اَلتَّوْحيد الشُّهُوديِّ التَّرَقِّي منْ مَقَامِ الحَيْرَة يَبْلغُ مَقَامَ المَعْرفَة اَلتي هُوَ مَقَامُ حَقِّ اليَقينِ فَيجْتَمعُ العلمُ في ذَلكَ المَوْطنِ مَعَ الحَيْرَة وَالعلمِ الحَاصل قَبْل الحَيْرَة وَمَعَ الحَيْرَة هُوَ علمُ اليَقينِ.

وَيَتَّضحُ هَذَا الجَوَابُ بمثَال وَهُوَ أَنَّ شَخْصًا رَأَى نَفْسَهُ مثلاً سُلطَانًا في المَنَام بوَاسطَة مُنَاسَبَة تَتَعَلقُ بمَقَام اَلسَّلطَنَة، وَوَجَدَ في نَفْسه لوَازمَ اَلسَّلطَنَة، وَمَعْلومٌ أَنَّ ذَلكَ اَلشَّخْصَ لمْ يَصرْ سُلطَانًا بَعْدُ بهَذه اَلرُّؤْيَة بَل رَأَى نَفْسَهُ في صُورَة اَلسَّلطَنَة

المِثَالِيَّة وَلاَ مُنَاسَبَةَ فِي الحَقِيقَة لِلسَّلْطَنَة بِصُورَتِهَا المِثَالِيَّة أَصْلاً، إِلاَّ أَنَّ هَذَا الشُّهُودَ وَلَوْ كَانَ لِصُورَةٍ مِثَالِيَّة يُؤْذِنُ بِوُجُود اَلاسْتِعْدَاد فِي ذَلِكَ اَلشَّخْصِ لِلتَّحَقُّقِ بِحَقِيقَةِ هَذِه اَلصُّورَة، بِحَيْثُ لَوْ اجْتَهَدَ بِغَايَة جُهْدِه وَكَانَتْ عِنَايَةُ الحَقِّ - جَل شَأْنُهُ - شَامِلاً حَالَهُ لَبَلَغَ مَقَامَ اَلسَّلْطَنَة. وَفَرْقٌ مَا بَيْنَ القُوَّة وَالفِعْل كَثِيرٌ، وَكَمْ مِنْ حَدِيد لَهُ قَابِلِيَّةٌ لأَنْ يَكُونَ مِرْآةً لاَ يَصِل إِلى أَيْدِي المُلُوكِ حَتَّى يَصِيرَ مِرْآةً بِالفِعْل وَلاَ يَحْصُل لَهُ نَصِيبٌ مِنْ جَمَالِهِمْ أَيْنَ وَقَعَتْ.

إِلاَّ أَنِّي أَقُول: إِنَّ سَبَبَ تَحْرِيرِ هَذِه العُلُومِ الغَامِضَة هُوَ أَنَّ أَكْثَرَ أَبْنَاء هَذَا اَلزَّمَان قَدْ تَمَسَّكَ بِذَيْل اَلتَّوْحِيد الوُجُودِيِّ بَعْضُهمْ بِالتَّقْلِيد، وَبَعْضُهم بِمُجَرَّد العِلم، وَبَعْضُهمْ بِالعِلمِ المَمْزُوجِ بِالذَّوْق وَلَوْ فِي الجُمْلَة، وَبَعْضُهم بِالإِلحَاد وَالزَّنْدَقَة. وَصَارُوا يَرَوْنَ الكُل مِنَ الحَقِّ بَل يَرَوْنَ الكُل حَقًّا، وَطَفِقُوا يُخرِجُونَ رِقَابَهمْ بِهَذِه الحِيلة مِنْ رِبْقَة الإِسْلاَم وَتَكَالِيف اَلشَّرِيعَة وَيَخْتَرِعُون أَنْوَاعَ المُدَاهَنَات فِي الأَحْكَام اَلشَّرْعِيَّة، وَيَفْرَحُونَ بِهَذِه المُعَامَلاَت الغَيْر المَرْعِيَّة. وَلَئِنْ اعْتَرَفُوا بِإِتْيَان الأَوَامِر اَلشَّرْعِيَّة إِنَّمَا يَعْتَرِفُونَ بِه بِالتَّبَعِيَّة وَيَتَخَيَّلونَ المَقْصُودَ الأَصْلِيَّ وَرَاءَ اَلشَّرِيعَة العَلِيَّة حَاشَا وَكَلاَّ ثُمَّ حَاشَا وَكَلاَّ نَعُوذُ بِاَللهِ سُبْحَانَهُ مِنْ هَذَا اَلاعْتِقَاد اَلسُّوء ؛ فَإِنَّ اَلطَّرِيقَة وَالشَّرِيعَة كُل مِنْهُمَا عَيْنُ اَلآخَرِ لاَ مُخَالَفَةَ بَيْنهمَا مِقْدَارَ شَعْرَة، وَإِنَّمَا الفَرْقُ بَيْنَهُمَا بِالإِجْمَال وَالتَّفْصِيل وَالاسْتِدْلاَل وَالكَشْف وَكُلمَا هُوَ مُخَالِفٌ لِلشَّرِيعَة فَهُوَ مَرْدُودٌ. وَكُل حَقِيقَة رَدَّتْه اَلشَّرِيعَةُ فَهُوَ زَنْدَقَةٌ. وَطَلَبُ الحَقِيقَة مَعَ اَلاسْتِقَامَة فِي اَلشَّرِيعَة حَال أَهْل اَلكَمَال مِنَ اَلرِّجَال. رَزَقَنَا اَللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ اَلاسْتِقَامَةَ وَالثَّبَاتَ عَلَى مُتَابَعَة سَيِّد البَشَرِ عَلَيْه وَعَلى آله اَلصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ وَالتَّحِيَّاتُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

وَكَانَ العَارِفُ بِاَللهِ حَضْرَةُ شَيْخنَا وَقِبْلَتنَا قَدَّسَ اَللهُ سِرَّهُ فِي مَشْرَب اَلتَّوْحِيد الوُجُودِيِّ زَمَانًا، وَبَيَّنَهُ فِي رَسَائِله وَمَكَاتِيبه، ثُمَّ رَزَقَهُ اَللهُ سُبْحَانَهُ التَّرَقِّيَ مِنْ ذَلكَ المَقَام أَخيرًا وَوَجَّهَ نَحْوَ اَلطَّرِيق اَلأَعْظَمِ وَخَلصَهُ مِنْ مَضِيقِ هَذه المَعْرِفَة.

نَقَل اَلشَّيْخُ مَيَّانُ عَبْدُ الحَقِّ اَلذِي هُوَ مِنْ جُمْلة مُخلصِيه عَنْهُ أَنَّهُ قَال قَبْل مَرَضِ مَوْته بِجُمْعَة: إِنَّهُ قَدْ صَارَ لِي مَعْلومًا بِيَقِين يَقِين أَنَّ اَلتَّوْحِيدَ الوُجُودِيَّ سِكَّةٌ صَغِيرَةٌ وَالطَّرِيقُ الأَعْظَمُ غَيْرُه، وَقَدْ كُنْتُ عَلمْتُ هَذَا سَابِقًا وَلَكِنَّ الآنَ قَدْ حَصَل لِي يَقِينٌ آخَرُ ". وَكَانَ هَذَا الفَقِيرُ أَيْضًا فِي مَشْرَب اَلتَّوْحِيد مُدَّةً حِين كُنْتُ فِي مُلاَزَمَة شَيْخِي وَحُضُورِه وَلاَحَتْ لِي مُقَدِّمَاتٌ كَشْفِيَّةٌ فِي تَأْيِيد هَذَا اَلطَّرِيقِ وَتَقْوِيَتِه

كَثِيرًا، ثُمَّ جَاوَزْتُ ذَلِكَ المَقَامَ بِعِنَايَةِ اَللهِ - جَلَّ سُلْطَانُهُ - وَشَرَّفَنِي اَللهُ سُبْحَانَهُ بِمَقَامٍ أَرَادَهُ لِي. وَلْنَكْتَفِ بِهَذَا القَدْرِ فَإِنَّ اَلزِّيَادَةَ عَلَى ذَلِكَ مُوجِبٌ لِلإِطْنَابِ.

وَالشَّيْخُ مِيَّانُ زَكَرِيَّا لاَ يَزَالُ يَكْتُبُ فِي شَأْنِ مَنْصِبِهِ وَيُظْهِرُ اَلالتِجَاءَ إِلَى عَتَبَتِكُمْ العَلِيَّةِ وَهُوَ فِي غَايَةِ الخَوْفِ مِنَ المُحَاسَبَةِ وَجَعَلَ مَلْجَأَهُ وَمُعْتَصَمَهُ فِي عَالَمِ الحِكْمَةِ جَنَابَ قُدْسِكُمْ وَلَيْسَ لَهُ مَلاَذٌ وَمَلْجَأٌ فِي اَلظَّاهِرِ سِوَى تَوَجُّهَاتِكُمْ العَلِيَّةِ، فَكَمَا سَبَقَ التِفَاتُكُمْ إِلَيْهِ كَذَلِكَ يَرْجُو أَنْ تُعِينُوهُ وَتَحْفَظُوهُ مِنْ ذِئَابِ الحَوَادِثِ، وَهُوَ لاَ يَتَجَاسَرُ أَنْ يَعْرِضَ أَحْوَالَهُ عَلَيْكُمْ بِنَفْسِهِ لِكَمَالِ رِعَايَةِ الأَدَبِ مَعَكُمْ ؛ وَلِهَذَا يُتَوَسَّلُ بِالفَقِيرِ إِلَيْكُمْ فِي إِظْهَارِ أَحْوَالِهِ وَالمَرْجُوُّ أَنْ يَقْتَرِنَ مَسْئُولُهُ بِالإِجَابَةِ.

اَلمَكْتُوبُ اَلرَّابِعُ وَالأَرْبَعُونَ
إِلى المَذْكُورِ أَيْضًا
فِي مَدْحِ خَيْرِ البَشَرِ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَبَيَانِ أَنَّ مُصَدِّقِيهِ مِنْ خَيْرِ الأُمَمِ وَمُكَذِّبِيهِ مِنْ أَشْرَارِ بَنِي آدَمَ وَفِي اَلتَّرْغِيبِ فِي مُتَابَعَةِ سُنَّتِه اَلسَّنِيَّة عَلَيْهِ وَعَلى آلِه اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ

وَرَدَ مَكْتُوبُكُمْ اَلشَّرِيفُ فِي أَعَزِّ الأَزْمِنَة وَتَشَرَّفْتُ بِمُطَالَعَتِه الحَمْدُ للهِ سُبْحَانَهُ وَالمِنَّةُ عَلى مَا حَصَلتُمْ مِنْ مِيرَاثِ الفَقْرِ المُحَمَّدِيِّ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه اَلصَّلَوَاتُ والتَّسْلِيمَاتُ، وَمَحَبَّةُ الفُقَرَاءِ وَالارْتِبَاطُ بِهِمْ مِنْ نَتِيجَةِ ذَلِكَ الفَقْرِ، وَلَمْ أَدْرِ مَاذَا أَكْتُبُ فِي جَوَابِه سِوَى أَنْ أُحَرِّرَ فِقْرَاتٍ بِعِبَارَةٍ عَرَبِيَّةٍ مَأْثُورَةٍ فِي فَضَائِلِ جَدِّكُمْ الأَعْظَمِ خَيْرِ العَرَبِ وَالعَجَمِ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه مِنَ اَلصَّلَوَاتِ أَتَمُّهَا وَمِنَ اَلتَّحِيَّاتِ أَكْمَلُهَا، وَأَجْعَلَ هَذَا المَكْتُوبَ وَسِيلَةً لِنَجَاةٍ أُخْرَوِيَّةٍ لاَ أَنِّي أَمْدَحُ بِهِ اَلنَّبِيَّ عَلَيْهِ اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بَلْ أَمْدَحُ بِه مَقَالِي. شِعْرٌ.

مَا أَنْ مَدَحْتُ مُحَمَّدًا بِمَقَالَتِي لكِنْ مَدَحْتُ مَقَالَتِي بِمُحَمَّد

فَأَقُول وَبِاللهِ العِصْمَةُ وَالتَّوْفِيقُ: إِنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اَللهِ " سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ "(١)، " وَأَكْثَرُ اَلنَّاسِ تَبَعًا يَوْمَ القِيَامَةِ وَأَكْرَمُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ عَلى اَللهِ(٢) وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ القَبْرُ(٣) وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ وَأَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الجَنَّةِ فَيَفْتَحُ اَللهُ لَهُ وَحَامِلُ لِوَاءِ الحَمْدِ يَوْمَ القِيَامَةِ تَحْتَهُ آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ(٤) وَهُوَ اَلذِي قَالَ - عَلَيْهِ اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - " وَنَحْنُ الآخِرُونَ وَنَحْنُ اَلسَّابِقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ(٥)، وَإِنِّي قَائِلٌ

---

(١) ـــ قوله أن محمدا رسول الله سيد ولد آدم الخ هذا حديث بين الناس مشهور وفي ألسنتهم مذكور وفي سائر الكتب مسطور روى من طرق متعددة بألفاظ مختلفة وممن رواه مسلم وأبو داود عن أنس رضي الله عنه.

(٢) ـــ قوله أكرم الأولين الخ رواه الترمذى والدارمى من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ـــ قوله أول من ينشق الخ هو في حديث مسلم وأبي داود.

(٤) ـــ قوله لواء الحمد بيدى الخ الترمذى والدارمى من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) ـــ قوله نحن الآخرون الخ الدارمى من حديث عمرو بن قيس رضي الله عنه.

قَوْلاً غَيْرَ فَخْرٍ وَأَنَا حَبِيبُ اَللهِ وَأَنَا قَائِدُ الْمُرْسَلِينَ وَلاَ فَخْرَ[١]، وَأَنَا خَاتَمُ اَلنَّبِيِّينَ وَلاَ فَخْرَ وَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اَللهِ بْنِ عَبْدِ اَلْمُطَّلِبِ، إِنَّ اَللهَ خَلَقَ الخَلقَ فَجَعَلني فِي خَيْرِهِمْ ثُمَّ جَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ فَجعلني فِي خَيْرِهِمْ فِرْقَةً ثُمَّ جَعَلَهُمْ قَبَائِلَ فَجعلني فِي خَيْرِهِمْ قَبِيلَةً ثُمَّ جَعَلَهُمْ بُيُوتًا فَجعلني فِي خَيْرِهِمْ بَيْتًا فَأَنَا خَيْرُهُمْ بَيْتًا وَخَيْرُهُمْ نَفْسًا وَأَنَا أَوَّلُ اَلنَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بُعِثُوا[٢] وَأَنَا قَائِدُهُمْ إِذَا وَفَدُوا وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذْ أَنْصَتُوا وَأَنَا شَفِيعُهُمْ إِذَا حُبِسُوا وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا يَئِسُوا وَلِوَاءُ الكَرَمِ وَالْمَفَاتِيحُ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي وَلِوَاءُ الحَمْدِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي يَطُوفُ عَلَيَّ أَلْفُ خَادِمٍ كَأَنَّهُمْ بَيْضٌ مَكْنُونٌ وَإِذَا كَانَ يَوْمَ القِيَامَةِ كُنْتُ إِمَامَ اَلنَّبِيِّينَ وَخَطِيبَهُمْ[٣] وَصَاحِبَ شَفَاعَتِهِمْ غَيْرَ فَخْرٍ "

لَوْلاَهُ لَمَا خَلَقَ اَللهُ سُبْحَانَهُ الخَلقَ[٤] وَلَمَا أَظْهَرَ اَلرُّبُوبِيَّةَ، وَكَانَ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ[٥]، (شِعْرٌ):

---

(١) ـــ قوله وأنا قائد أخرجه الدارمى من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) ـــ قوله وأنا أول الناس خروجا الخ أخرجه الترمذى والدرامى من حديث أنس رضي الله عنه سند.

(٣) ـــ قوله وإذا كان يوم القيامة الخ الترمذى وأحمد وابن ماجه والحاكم من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه سند.

(٤) ـــ قوله لولاه لما خلق الله الخ إشاره إلى ما رواه الديلمى في مسند الفردوس عن ابن عباس رضي الله عنهما يقول الله " وعزتى وجلالى لولاك لما خلقت الدنيا ولولاك لما خلقت الجنة " وأورده في المواهب معزيا إلى ابن طغربك بلفظ " لولاه ما خلقتك " خطابا لآدم عليه السلام " ولا خلقت سماء ولا أرضا " ثم قال ويشهد لهذا ما رواه الحاكم في صحيحه عن عمر رضي الله عنه أن آدم رأى اسم محمد مكتوبا على العرش وأن الله قال لآدم " لولا محمد ما خلقتك " قال الزرقانى روى أبو الشيخ والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما " أوحى الله إلى عيسى آمن بمحمد ومر أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار " الحديث وأقره السبكى في شفاء الأسقام والبلقينى في فتاواه ومثله لا يقال رأيا وعند الديلمى عن ابن عباس رضي الله عنهما رفعه " أتانى جبريل فقال أن الله يقول لولاك ما خلقت الجنة ولولاك ما خلقت النار " قلت معنى هذا الحديث لا شبهة في صحته ومطابقته لنفس الأمر عند كافة الصوفية وعامة من سواهم فهو صحيح إن شاء الله سند.

(٥) ـــ قوله وكان نبيا وآدم بين الماء والطين إشارة إلى حديث مشتهر في الألسنة " كنت نبيا وآدم بين الماء والطين " قال السخاوى نقلا عن ابن حجرانه قوى بهذا القدر. وقال السيوطى لا أصل له بهذا اللفظ ولكن في الترمذى متى كنت " نبيا قال وآدم بين الروح والجسد " وفي صحيح ابن حبان والحاكم " إنى لمكتوب عند الله خاتم النبيين وإن آدم لمجندل في طينته والحاصل هذا الحديث كثير الدواران بين الناس خصوصا عند الصوفية.

مَنْ كَانَ هَذَا مُقْتَداهُ بِأَمْرِه لنْ يَبْقَ فِي قَيْدِ الذُّنُوبِ وَأَسْرِه

فَلاَ جَرَمَ يَكُونُ مُصَدِّقُ مِثْلِ هَذَا الرَّسُولِ النَّبِيِّ الكَرِيمِ سَيِّدِ البَشَرِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمِ خَيْرِ الأُمَمِ البَتَّةَ، وَيَكُونُ قَوْلُه تَعَالَى {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}(١) نَقْدَ وَقْتِهِمْ وَوَصْفَ حَالِهِمْ وَيَكُونُ مُكَذِّبُوهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ شَرَّ بَنِي آدَمَ وَيَكُونُ قَوْلُه تَعَالَى: {الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا}(٢) عَلاَّمَةَ حَالِهِمْ، فَيَا سَعَادَةَ مَنْ يُشَرَّفُ بِدَوْلَةِ اتِّبَاعِ سُنَّتِه السَّنِيَّةِ وَمُتَابَعَةِ شَرِيعَتِه المَرْضِيَّةِ، وَالْيَوْمَ يَقْبَلُ الأَمْرُ اليَسِيرُ المَقْرُونُ بِتَصْدِيقِ حَقِّيَّةِ دِينِه - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - مَكَانَ العَمَلِ الكَثِيرِ وَلاَ غَرْوَ فِيهِ أَلاَ تَرَى أَنَّ أَصْحَابَ الكَهْفِ نَالُوا مَا نَالُوا مِنَ الدَّرَجَاتِ بِوَاسِطَةِ حَسَنَةٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ الهِجْرَةُ وَالفِرَارُ عَنْ أَعْدَاءِ اللهِ تَعَالَى بِسَبَبِ نُورِ اليَقِينِ الإِيمَانِيِّ وَقْتَ اسْتِيلاَءِ المُعَانِدِينَ، وَهَذَا كَمَا أَنَّ العَسْكَرَ إِذَا صَدَرَتْ عَنْهُمْ حَرَكَةٌ يَسِيرَةٌ حِينَ غَلَبَةِ الأَعْدَاءِ وَاسْتِيلاَءِ المُخَالِفِينَ تَكُونُ مِنَ القَبُولِ وَالاعْتِبَارِ بِمَرْتَبَةٍ لاَ تَبْلُغُهَا أَضْعَافُ تِلْكَ الحَرَكَةِ وَقْتَ الأَمْنِ وَالاطْمِئْنَانِ.

وَأَيْضًا أَنَّهُ ــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ــ لَمَّا كَانَ مَحْبُوبَ رَبِّ العَالَمِينَ لاَ جَرَمَ يَبْلُغُ اتِّبَاعُهُ ــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ــ مَرْتَبَةَ المَحْبُوبِيَّةِ بِسَبَبِ المُتَابَعَةِ ؛ فَإِنَّ المُحِبَّ إِذَا رَأَى شَيْئًا مِنْ شَمَائِلِ مَحْبُوبِه عِنْدَ شَخْصٍ يُحِبُّ ذَلِكَ الشَّخْصَ بِالضَّرُورَةِ لِمُلاَبَسَتِه بِشَمَائِلِ مَحْبُوبِه وَأَخْلاَقِه. وَقِسْ عَلَى ذَلِكَ حَالَ المُخَالِفِينَ. شِعْرٌ.

رَئِيسُ جَمِيعِ العَالَمِينَ مُحَمَّد عَلَى رَأْسِ أَعْدَاهُ حَصًى وَتُرَابُ

فَإِنْ لَمْ تَتَيَسَّرْ الهِجْرَةُ الظَّاهِرِيَّةُ يَنْبَغِي أَنْ يُرَاعَى الهِجْرَةُ البَاطِنِيَّةُ بِكَمَالِهَا، وَأَنْ يَكُونَ مَعَهُمْ - يَعْنِي مَعَ النَّاسِ فِي الظَّاهِرِ دُونَهُم يَعْنِي فِي البَاطِنِ، وَلَعَلَ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا. وَقَدْ أَتَى مَوْسِمُ النَّيْرُوزِ وَمَعْلومٌ أَنَّ أَهْلَ المَمْلَكَةِ يَكُونُونَ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ مُتفرِّقِي البَالِ وَمُتَشَتِّتِي الحَالِ فَإِذَا سَاعَدَتْ إِرَادَةُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَتَيَسَّرُ المُلاَقَاةُ بَعْدَ مُضِيِّ تِلْكَ الأَحْوَالِ. وَزِيَادَةُ الإِطْنَابِ مُوجِبَةٌ لِلمَلاَلِ. ثَبَّتَكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَى جَادَّةِ آبَائِكُمْ الكِرَامِ وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلَيْهِمْ إِلى يَوْمِ القِيَامَةِ.

---

(١) ــ الآية: ١١٠ من سورة آل عمران.

(٢) ــ الآية: ٩٧ من سورة التوبة.

اَلْمَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالأَرْبَعُونَ

كَتَبَهُ إِلى المَذْكُور أَيْضًا

إِظْهَارًا لِشُكْرِ تَقْوِيَتِه اَلظَّاهِرِيَّةَ أُمُورَ فُقَرَاءِ الخَانقاه بَعْدَ ارْتِحَالِ شَيْخِه وَبَيَّنَ فِيهِ أَيْضًا كَوْنَ جَامِعِيَّةِ الإِنْسَانِ سَبَبًا لِنُقْصَانِه كَكَوْنِهَا سَبَبًا لِكَمَالِه مَعَ ذِكْرِ فَضَائِلِ شَهْرِ رَمَضَانَ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

ثَبَّتَكُمْ اَللهُ سُبْحَانَهُ عَلى جَادَّةِ آبَائِكُمْ الكِرَامِ وَسَلَمَكُمْ عَنْ مُوجِبَاتِ اَلتَّلهُّفِ وَالتَّأَسُّفِ عَلى مُرُورِ اَلشُّهُورِ وَالأَيَّامِ، وَاعْلَمْ أَنَّ أَوْلِيَاءَ اَللهِ تَعَالى بِحُكْمِ " المَرْءِ مَعَ مَنْ أَحَبَّ " مَعَ اَللهِ تَعَالى وَتَقَدَّسَ، وَالتَّعَلقُ بِالبَدَنِ نَوْعٌ مِنْ مَوَانِعِ تِلكَ المَعِيَّةِ وَالاتِّصَالِ. وَأَمَّا بَعْدَ اَلانْفِصَالِ مِنْ هَذَا المَقَرِّ الهيولانى وَالمُفَارَقَةِ عَنِ الهَيْكَلِ الظُّلمَانِيِّ فَقُرْبٌ فِي قُرْبٍ وَاتِّصَالٌ فِي اتِّصَالٍ، المَوْتُ جِسْرٌ يُوصِلُ الحَبِيبَ إِلى الحَبِيبِ. بَيَانٌ لِهَذَا المَعْنَى، وَفِي قَوْلِه تَعَالى: {مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اَللهِ فَإِنَّ أَجَلَ اَللهِ لَاتٍ}[1] تَسْلِيَةٌ لِلمُشْتَاقِينَ وَرَمْزٌ مِنْ ذَلِكَ البَيَانِ، وَلكِنْ أَحْوَالُ العَاجِزِينَ اَلذِينَ أَخَّرَتْهُمُ العَلَائِقُ وَالعَوَائِقُ بِلاَ دَوْلَةِ الحُضُورِ عِنْدَ أَكَابِرِ اَلدِّينِ خَرَابٌ وَأَبْتَرُ، وَالاسْتِفَاضَةُ مِنْ رُوحَانِيَّاتِ الأَكَابِرِ قَدَّسَ اَللهُ أَسْرَارَهُمْ مَشْرُوطَةٌ بِشَرَائِطَ لاَ مَجَالَ لِكُلِّ شَخْصٍ فِي إِيفَائِهَا، وَلكِنَّ الحَمْدَ للهِ سُبْحَانَهُ ذِي الإِنْعَامِ وَالمِنَّةِ عَلى أَنْ جَعَلَ مُرَبِّي هَؤُلَاءِ الفُقَرَاءِ العَاجِزِينَ وَمُعِينِهِمْ وَقْتَ ظُهُورِ هَذِه الحَادِثَةِ الهَائِلةِ وَالوَاقِعَةِ المُوحِشَةِ المُفْزِعَةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ اَلنُّبُوَّةِ عَلى صَاحِبِهَا اَلصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ، فَصَارَ سَبَبًا لانْتِظَامِ هَذِه اَلسِّلسِلةِ العَلِيَّةِ، وَوَاسِطَةً لِجَمْعِيَّةِ اَلنِّسْبَةِ اَلنَّقْشَبَنْدِيَّةِ، وَلاَ غَرْوَ فِي ذَلِكَ فَإِنَّ هَذِه اَلنِّسْبَةَ العَلِيَّةَ لَمَّا كَانَتْ فِي هَذِه اَلدِّيَارِ غَرِيبَةً جِدًّا وَكَانَ أَهْلُهَا فِي هَذِه المَمْلَكَةِ قَدْ جَاوَزُوا فِي القلة حَدًّا كَنِسْبَةِ أَهْلِ البَيْتِ بَيْنَ سَائِرِ اَلنِّسَبِ، نَاسَبَ أَنْ يَكُونَ مُرَبِّيهَا وَحَامِيهَا مِنْ أَهْلِ البَيْتِ وَكَانَ تَقْوِيَتُهَا مِنْهُمْ أَوْلى وَأَحْرَى ؛ لِئَلاَّ يَلزَمَ تَكْمِيلُ تِلكَ اَلدَّوْلَةِ العُظْمَى بِالغَيْرِ، فَكَمَا أَنَّ شُكْرَ هَذِه اَلنِّعْمَةِ القُصْوَى لاَزِمٌ لِلفُقَرَاءِ، كَذَلِكَ شُكْرُ هَذِه اَلدَّوْلَةِ الأَسْمَى[2] لاَزِمٌ لِذِمَّتِهِمْ. وَكَمَا أَنَّهُ يَحْتَاجُ إِلى الجَمْعِيَّةِ البَاطِنِيَّةِ كَذَلِكَ يَحْتَاجُ إِلى الجَمْعِيَّةِ اَلظَّاهِرِيَّةِ بَل هَذَا الاحْتِيَاجُ مُقَدَّمٌ عَلى ذَلِكَ الاحْتِيَاجِ.

---

(١) ــــ الآية: ٥ من سورة العنكبوت.

(٢) ــــ يعني يلزمهم أيضا أن يشكروا على من قام بتربيتهم وتقوية نسبتهم لموجب قضية شكر النعم واجب وهو المكتوب إليه السيد فريد البخارى منه عفى عنه.

وَأَحْوَجُ الخَلاَئقِ هُوَ الإنْسَانُ وَشدَّةُ احْتيَاجه إنَّمَا هيَ بواسطَة جَامعيَّته فإنَّهُ يَلزَمُهُ وَحْدَهُ مَا يَلزَمُ الكُل وَلَهُ تَعَلقٌ بكُل مَا يَحْتَاجُ إلَيْه فَتعلقاتُه أَكْثَرُ منْ تَعلقات الكُل، وَكُل تَعَلق مُسْتَلزمٌ للإعْرَاض عَنْ جنَاب قُدْسه تَعَالى، فكَانَ الإنْسَانُ أَشَدَّ الخَلاَئق وَأَكْثرَهُمْ حرْمَانًا منْ هَذه الحَيْثيَّة. شعْرٌ.

وَمَرْتَبَةُ الإنْسَان في آخر الوَرَى لذَلكَ عَنْ عــزِّ الحُضُور تَأَخُّرًا

فَإنْ لَمْ يَعُدْ منْ بُعْــده وَاغْترَابه فَلاَ شَيْءَ مَحْرُومٌ كَإنْس منَ الوَرَى

وَالحَال أَنَّ سَبَبَ أَفْضَليَّته منْ جَميع الخَلاَئق كَانَ أَيْضًا منْ جهَة جَامعيَّته ؛ وَلهَذَا كَانَ مرْآتُهُ أَتَمَّ فَكُلمَا يَظْهَرُ في مَرَايَا جَميع الخَلاَئق فَهُوَ لاَئحٌ في مرْآة وَاحدَة منْهُ، فَكَانَ أَفْضَل الخَلاَئق منْ هَذه الجهَة هُوَ الإنْسَانُ، وَشَرُّ جَميع المَوْجُودَات منْ تلكَ الجهَة هُوَ الإنْسَانُ ؛ إذْ منْهُمْ مُحَمَّدٌ - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَمنْهُمْ أَبُو جَهْل اللعينُ. وَلاَ شَكَّ أَنَّكُمْ كَفيل بجَمْعيَّة هَؤُلاَء الفُقَرَاء في الظَّاهر بتَوْفيق اَللهِ عَزَّ وَجَل، وَبحُكْم: الوَلَدُ سرُّ أَبيه.

اَلرَّجَاءُ تَامٌّ بحُصُول الجَمْعيَّة البَاطنيَّة أَيْضًا بسَبَبكُمْ.

وَلَمَّا وَرَدَ مَكْتُوبُكُمْ الشَّريفُ في شَهْر رَمَضَانَ المُبَارَك خَطَرَ في الخَاطر الفَاتر أَنْ أَكْتُبَ نُبْذَةً منْ فَضَائل هَذَا الشَّهْر العَظيم القَدْر.

يَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ شَهْرٌ عَظيمٌ. وَكُل عبَادَة نَافلة منَ الصَّلاَة وَالذِّكْر وَالصَّدَقَة وَأَمْثَالهَا في هَذَا الشَّهْر تُسَاوي أَدَاءَ فَريضَة فيمَا سوَاهُ، وَمَنْ أَدَّى فَريضَةً فيه كَانَ كَمَنْ أَدَّى سَبْعينَ فَريضَةً فيمَا سوَاهُ، وَمَنْ فَطَّرَ فيه صَائمًا كَانَ لَهُ مَغْفرَةً لذُنُوبه وَعتْقَ رَقَبَته منَ النَّار وَكَانَ لَهُ مثْل أَجْره منْ غَيْر أَنْ يَنْتَقصَ مَنْ أَجْره شَيْءٌ، وَمَنْ خَفَّفَ عَنْ مَمْلوكه فيه غَفَرَ اَللهُ لَهُ وَأَعْتَقَهُ منَ النَّار. " وَكَانَ رَسُول اَللهِ ــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ــ إذَا دَخَل شَهْرُ رَمَضَانَ أَطْلَقَ كُل أَسير وَأَعْطَى كُل سَائل "[1]. وَمَنْ وُفِّقَ للخَيْرَات وَالأَعْمَال الصَّالحَة في هَذَا الشَّهْر كَانَ التَّوْفيقُ رَفيقَهُ في تَمَام هَذه السَّنَة. وَإذَا مَرَّ هَذَا الشَّهْرُ عَلَى تَفْرقَة يَكُونُ في جَميع السَّنَة عَلَى تَفْرقَة. فَيَنْبَغي فيه أَنْ يَجْتَهدَ في تَحْصيل الجَمْعيَّة مَهْمَا أَمْكَنَ مُغْتَنمًا لهَذَا

---

(١) ــ رواه البيهقي في شعب الإيمان عن سلمان الفارسي ــ رضي الله عنه ــ بلفظ: "من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه "،،،،، الخ مشكاة وفسر الشراح الخير بقولهم: " أي " من أنواع النوافل " رواه البيهقي عن ابن عباس مشكاة.

اَلشَّهْرِ؛ فَإِنَّ اَللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُعْتِقُ فِي كُل لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِيهَا أُلوفًا مِمَّنْ اِسْتَحَقَّ اَلنَّارَ(١).

وَتُفْتَحُ أَبْوَابُ الجَنَّة فِي هَذَا اَلشَّهْرِ.

وَتُغْلَقُ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ.

وَتُسَلسَل اَلشَّيَاطِينُ.

وَتُفْتَحُ أَبْوَابُ اَلرَّحْمَة.

وَتَعْجيل الإِفْطَار(٢) وَتَأْخيرُ اَلسُّحُور(٣) منَ اَلسُّنَن.

قَدْ بَالَغَ اَلنَّبِيُّ ــ صَلى اللهُ عَلَيْه وَسَلمَ ــ فِي هَذَا البَابِ وَيُشْبِهُ أَنْ تَكُونَ مُبَالغَةً لِإظْهَار احْتِيَاجه الْمُنَاسب لمَقَامِ العُبُوديَّة.

وَالإِفْطَارُ بالتَّمْر سُنَّةٌ(٤).

وَيَقْرَأُ وَقْتَ الإِفْطَارِ هَذَا اَلدُّعَاءَ: ذَهَبَ اَلظَّمَاءُ وَابْتَلتْ العُرُوقُ وَثَبَتَ الأَجْرُ إِنْ شَاءَ اَللهُ تَعَالى(٥).

وَأَدَاءُ اَلتَّرَاوِيحِ وَخَتْمُ القُرْآنِ فِي هَذَا اَلشَّهْرِ مِنَ اَلسُّنَنِ الْمُؤَكَّدَة(٦) وَمُثْمِرٌ لنَتَائِجَ كَثيرَة.

وَفَّقَنَا اَللهُ سُبْحَانَهُ بحُرْمَة حَبيبه عَلَيْه وَعَلى آله اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ. وَبَقيَّةُ الكَلاَمِ أَنَّ اَلصَّحيفَةَ اَلشَّريفَةَ وَرَدَتْ فِي وَسَط شَهْر رَمَضَانَ وَإِلاَّ مَا كُنْتُ أُسَامِحُ نَفْسي فِي اَلتَّأْخيرِ عَنِ امْتِثَال الأَمْرِ، وَالتَّكَلمُ ممَّا بَعْدَ اَلشَّهْرِ اَلمذْكُور حُكْمٌ بالغَيْب، وَمَبْنِيٌّ عَلى طُول الأَمَلِ. وَبالجُمْلة يَكُونُ مَا هُوَ مَرْضَاكُمْ وَلاَ أَكُونُ فِي صَوْنِ

---

(١) ــ رواه الشيخان والترمذى وابن ماجه عن أبي هريرة بألفاظ متقاربة كما في المشكاة.

(٢) ــ قال الله تعالى: " أحب عبادى إليّ أعجلهم فطرا " الترمذى عن أبي هريرة مشكاة.

(٣) ــ عن زيد بن ثابت أنه قال تسحرنا مع رسول الله صلى الله علية وسلم ثم قمنا إلى الصلاة قال أنس كم كان قدر ذلك قال قدر خمسين آية سند.

(٤) ــ عن سلمان بن عامر قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ: " إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمرة؛ فإن فيه بركة " رواه أحمد والترمذى وأبو داود وابن ماجه والدارمى، مشكاة وعن أنس ــ رضي الله عنه ــ قال: " كان النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يفطر قبل أن يصلى على رطبات، فإن لم تكن رطبات فتميرات " الحديث رواه أبو داود والترمذى وقال حسن غريب.

(٥) ــ رواه أبو داود عن أنس مشكاة.

(٦) ــ يعني من ستن الخلفاء الراشدين فإنها يقال لها أيضا سنة كما قال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ: " عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي ".

نَفْسِي بِوَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ فَإِنَّ حُقُوقَكُمْ ثَابِتَةٌ فِي ذِمَّتِنَا نَحْنُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

قَال حَضْرَةُ قِبْلَتِنَا - قُدِّسَ سِرُّهُ - إِنَّ حُقُوقَ اَلشَّيْخِ جيو ثَابِتَةٌ عَلَيْكُمْ جَمِيعًا وَمُقَرَّرَةٌ لَدَيْكُمْ فَإِنَّهُ هُوَ البَاعِثُ عَلى هَذِهِ الجَمْعِيَّةِ وَفَّقَنَا اَللّٰهُ سُبْحَانَهُ جَمِيعًا دَائِمًا لِلأَعْمَالِ المَرْضِيَّةِ بِحُرْمَةِ اَلنَّبِيِّ وَآلِهِ الأَمْجَادِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ اَلصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ وَالزِّيَادَةُ عَلى ذَلِكَ تَصْدِيعٌ تَامٌّ.

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالأَرْبَعُونَ

إلى المَذْكُور أَيْضًا

في بَيَان أَنَّ وُجُودَ الوَاجِب تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَكَذَلكَ وَحْدَانيَّتُهُ بَل نُبوَّةُ مُحَمَّدٍ رَسُول اَللهِ ﷺ وَرِسَالتُهُ وَجَميعُ مَا جَاءَ بِه منْ عنْد الله كُلهَا بَديهِيٌّ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إلى فكْرٍ وَدَليل وَذُكرَ في إيضَاحِ ذلكَ مُقدِّماتٌ كَثيرَةٌ

ثَبَّتَكُمْ اَللهُ سُبْحَانَهُ عَلى جَادَّة آبَائكُمْ الكِرَامِ عَلى أَوَّلهمْ وَأَفْضَلهمْ أَوَّلاً وَعَلى بوَاقيهمْ ثَانيًا اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

وَاعْلَمْ: أَنَّ وُجُودَ البَاري تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَكَذَلكَ وَحْدَانيَّته سُبْحَانَهُ بَل نُبوَّةُ مُحَمَّد رَسُول اَلله ــ صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلمَ ــ بَل جَميعُ مَا جَاءَ بِه منْ عنْد اَلله بَديهيٌّ لاَ يَحْتَاجُ إلى فكْرٍ وَدَليل عَلى تَقْدير سَلاَمَة القُوَّة اَلْمُدْركَة منَ اَلآفَات اَلرَّديَّة وَالأَمْرَاض المَعْنَويَّة وَالنَّظَرُ وَالفكْرُ فيهَا مَقْصُورٌ عَلى زَمَنِ وُجُود العلة وَثُبُوت الآفَة، وَأَمَّا بَعْدَ اَلنَّجَاة منَ المَرَض القَلبيِّ وَزَوَال الغشَاوَة البَصريَّة فَلاَ شَيْءَ سوَى البَدَاهَة ؛ أَلاَ نَرَى أَنْ الصَّفْرَاويَّ مَثَلاً مَا دَامَ مُبْتَلاً بعلة اَلصَّفْرَاء يَحْتَاجُ إثْبَاتَ حَلاَوَة اَلسُّكَّر وَالعَسَل عنْدَهُ إلى اَلدَّليل، وَلكنْ إذَا تَخَلصَ منْ تلكَ العلة لاَ يَحْتَاجُ إلى دَليل أَصْلاً، وَلاَ مُنَافَاةَ بَيْنَ احْتيَاجه إلى اَلدَّليل اَلنَّاشئ عَنْ وُجُود الآفَة وَبَيْنَ بَدَاهته - يَعْني في ذَاته - أَلاَ تَرَى أَنَّ الأَحْوَل يَرَى الوَاحدَ اثْنَيْنِ وَيَحكُمُ بعَدَم وَحْدَته، فَهُوَ مَعْذُورٌ في هَذَا الحُكْم. وَلاَ يُخرجُ حُكْمُهُ هَذَا اَلنَّاشئُ منَ الآفَة فيه وَحْدَةَ ذَلكَ الوَاحد منَ البَدَاهَة، وَلاَ يُدْخلهَا في اَلنَّظَريَّة. وَمنَ المُحقَّق أَنَّ مَيْدَانَ اَلاسْتدْلاَل ضَيِّقٌ جدًّا وَحُصُول اليَقين منْ طَريق اَلدَّليل وَالنَّظَر وَالفكْر مُتَعَذّرٌ ؛ فَكَانَ فكْرُ إزَالة المَرَض القَلبيِّ لتَحْصيل الإيمَان اليَقينيِّ ضَرُوريًّا كَمَا أَنَّ إزَالةَ علة اَلصَّفْرَاء في تَحْصيل اليَقين بحَلاَوَة اَلسُّكَّر أَشَدُّ ضَرُورَةً منْ إقَامَة اَلدَّليل عَلى حَلاَوَة اَلسُّكَّر، وَكَيْفَ يَحْصُل اليَقينُ به بإقَامَة اَلدَّليل عَلَيْه مَعَ حُكْم وجْدَانه بمَرَارَته بسَبَب علة اَلصَّفْرَاء القَائم به، وَهَكَذَا اَلحُكْمُ فيمَا نَحْنُ فيه فَإنَّ اَلنَّفْسَ الأَمَّارَةَ مُنْكرَةٌ للأَحْكَام اَلشَّرْعيَّة بالذَّات وَحَاكمَةٌ بتَنَاقُضهَا بالطَّبْع، فَتَحْصيل اليَقين بحَقِّيَّة هَذه الأَحْكَام اَلصَّادقَة منْ طَريق اَلدَّليل مَعَ وُجُود إنْكَار وجْدَان اَلمُسْتَدل عَلَيْه عَسيرٌ جدًّا، فَكَانَتْ تَزْكيَةُ اَلنَّفْسِ ضَرُوريَّةً لتَعسُّرِ حُصُول اليَقينِ اَللاَّزمِ الحُصُول بدُونهَا: {قَدْ أَفْلحَ مَنْ زَكَّاهَا

وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا}[١] فَتَقَرَّرَ أَنَّ مُنْكِرَ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ الْبَاهِرَةِ وَالْمِلَّةِ الطَّاهِرَةِ الظَّاهِرَةِ مَعْلُولٌ بِعِلَّةٍ مِثْلِ مُنْكِرِ حَلاَوَةِ السُّكَّرِ وَلَكِنْ:

مَا ضَرَّ شَمْسَ الضُّحَى فِي الْأُفُقِ طَالِعَةً أَنْ لاَ يَرَى ضَوْءَهَا مَنْ لَيْسَ ذَا بَصَرٍ

فَالْمَقْصُودُ مِنَ السَّيْرِ وَالسُّلُوكِ وَتَزْكِيَةِ النَّفْسِ وَتَصْفِيَةِ الْقَلْبِ هُوَ إِزَالَةُ الْآفَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَالْأَمْرَاضِ الْقَلْبِيَّةِ الْمُشَارِ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ}[٢] لِتَتَحَقَّقَ حَقِيقَةُ الْإِيمَانِ، فَإِنْ وُجِدَ الْإِيمَانُ مَعَ وُجُودِ هَذِهِ الْآفَاتِ فَإِنَّمَا هُوَ بِحَسَبِ الظَّاهِرِ فَقَطْ ؛ لِأَنَّ وِجْدَانَ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ حَاكِمٌ بِخِلاَفِهِ وَهِيَ مُصِرَّةٌ عَلَى كُفْرِهَا، وَمِثْلُ هَذَا الْإِيمَانِ الصُّورِيِّ مِثْلُ إِيمَانِ الصَّفْرَاوِيِّ بِحَلاَوَةِ السُّكَّرِ فِي كَوْنِ وِجْدَانِهِ حَاكِمًا وَشَاهِدًا بِخِلاَفِهِ، فَكَمَا أَنَّ الْيَقِينَ الْحَقِيقِيَّ بِحَلاَوَةِ السُّكَّرِ إِنَّمَا يَحْصُلُ بَعْدَ زَوَالِ مَرَضِ الصَّفْرَاءِ، كَذَلِكَ حَقِيقَةُ الْإِيمَانِ - يَعْنِي بِحَقِّيَّةِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَصِدْقِهَا - إِنَّمَا تَحْصُلُ بَعْدَ تَزْكِيَةِ النَّفْسِ وَاطْمِئْنَانِهَا، وَحِينَئِذٍ يَصِيرُ الْإِيمَانُ وِجْدَانِيًّا وَهَذَا الْقِسْمُ مِنْ أَقْسَامِ الْإِيمَانِ مَحْفُوظٌ مِنَ الزَّوَالِ قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}[٣] صَادِقٌ فِي شَأْنِ صَاحِبِهِ. شَرَّفَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِشَرَفِ هَذَا الْإِيمَانِ الْكَامِلِ الْحَقِيقِيِّ بِحُرْمَةِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الْقُرَشِيِّ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلُهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا.

---

(١) ـــ الآية: ٩، ١٠ من سورة الشمس.

(٢) ـــ الآية: ١٠ من سورة البقرة.

(٣) ـــ الآية: ٦٢ من سورة يونس.

اَلْمَكْتُوبُ اَلسَّابِعُ وَالْأَرْبَعُونَ
إلى اَلْمَذْكُورِ أَيْضًا
فِي اَلشِّكَايَةِ مِنْ ضَعْفِ أَهْلِ الإِسْلَامِ وَغَلَبَةِ الكُفَّارِ وَتَرْغِيبِ اَلسَّلَاطِينِ فِي تَرْوِيجِ اَلدِّينِ وَتَقْوِيَةِ اَلْمُسْلِمِينَ

ثَبَّتَكُمْ اَللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى جَادَّةِ آبَائِكُمْ الكِرَامِ عَلَى أَفْضَلِهِمْ سَيِّدِ الكَوْنَيْنِ أَوَّلاً وَعَلَى بَوَاقِيهِمْ ثَانِيًا اَلصَّلَاةُ وَالتَّحِيَّةُ وَالسَّلَامُ.

اعْلَمْ أَنَّ اَلسُّلْطَانَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى العَالَمِ بِمَثَابَةِ القَلْبِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى البَدَنِ مِنْ بَنِي آدَمَ، فَكَمَا أَنَّ القَلْبَ إِذَا كَانَ صَالِحًا يَكُونُ البَدَنُ صَالِحًا وَإِذَا كَانَ فَاسِدًا يَكُونُ البَدَنُ فَاسِدًا، كَذَلِكَ صَلَاحُ اَلسُّلْطَانِ صَلَاحُ العَالَمِ وَفَسَادُهُ فَسَادُهُ، أَلا تَرَى أَنَّهُ مَاذَا جَرَى عَلَى أَهْلِ الإِسْلَامِ فِي القَرْنِ اَلسَّابِقِ وَفِي ابْتِدَاءِ الإِسْلَامِ مَعَ كَمَالِ غُرْبَتِهِ وَعَجْزِ أَهْلِهِ وَقِلَّتِهِمْ وَضَعْفِهِمْ لَمْ يُورِثْ ذَلِكَ وَلَمْ يُوجِبْ شَيْئًا سِوَى أَنْ يَكُونَ اَلْمُسْلِمُونَ عَلَى دِينِهِمْ وَالكُفَّارُ عَلَى كُفْرِهِمْ - يَعْنِي لَمْ يَقْدِرْ الكُفَّارُ أَنْ يُغَيِّرُوا مِنْ أُمُورِ اَلْمُسْلِمِينَ شَيْئًا وَأَنْ يُجْرُوا عَلَيْهِمْ أَحْكَامَ الكُفْرِ مَعَ قُوَّتِهِمْ وَشَوْكَتِهِمْ - وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}[1] بَيَانٌ لِذَلِكَ وَأَمَّا فِي القَرْنِ اَلْمَاضِي فَقَدْ أَجْرَى الكُفَّارُ أَحْكَامَهُمْ فِي دَارِ الإِسْلَامِ عَلَى المَلَأِ بِطَرِيقَةِ الغَلَبَةِ وَالاسْتِيلَاءِ، حَتَّى عَجَزَ اَلْمُسْلِمُونَ عَنْ إِظْهَارِ أَحْكَامِ الإِسْلَامِ بِحَيْثُ مَنْ أَظْهَرَهُ قَتَلُوهُ، وَا وَيْلاً وَيَا مُصِيبَتَا وَيَا حَسْرَتَا وَيَا حُزْنًا عَلَى مَا صَارَ مُصَدِّقُو مُحَمَّدٍ رَسُولِ اَللّٰهِ ــ صَلَّى اَللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ مَحْبُوبِ رَبِّ العَالَمِينَ أَذِلَّاءَ حَقِيرِينَ عَدِيمِي اَلْمِقْدَارِ، وَمُنْكِرُوهُ فِي غَايَةِ العِزِّ وَالاعْتِبَارِ، وَاَلْمُسْلِمُونَ فِي تَعْزِيَةِ الإِسْلَامِ مَعَ قُلُوبٍ مَجْرُوحَةٍ، وَالْمُعَانِدُونَ يَرُشُّونَ المِلْحَ عَلَى جِرَاحَاتِهِمْ بِالسُّخْرِيَةِ وَالاسْتِهْزَاءِ، وَشَمْسُ الهِدَايَةِ مَسْتُورَةٌ تَحْتَ أُفُقِ اَلضَّلَالَةِ وَنُورُ الحَقِّ مُنْزَوٍ وَمُنْعَزِلٌ فِي حُجُبِ البَاطِلِ. وَقَدْ وَصَلَ الآنَ زَوَالُ مَانِعِ ظُهُورِ الإِسْلَامِ وَبِشَارَةُ جُلُوسِ سُلْطَانِ اَلْمُسْلِمِينَ عَلَى سَرِيرِ اَلسَّلْطَنَةِ إِلَى مَسَامِعِ الخَاصِّ وَالعَامِّ. فَيَنْبَغِي لِأَهْلِ الإِسْلَامِ أَنْ يُعِدُّوا مُعَاوَنَةَ اَلسُّلْطَانِ وَإِمْدَادَهُ لَازِمَةً لِذِمَّتِهِمْ، وَأَنْ يَدُلُّوهُ عَلَى تَرْوِيجِ اَلشَّرِيعَةِ وَتَقْوِيَةِ المِلَّةِ ؛ وَهَذَا الإِمْدَادُ وَالتَّقْوِيَةُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ بِاللِّسَانِ، وَأَنْ يَكُونَ بِاليَدِ. وَأَسْبَقُ الإِمْدَادِ بِاللِّسَانِ وَأَفْضَلُهُ هُوَ تَبْيِينُ اَلْمَسَائِلِ اَلشَّرْعِيَّةِ وَإِظْهَارُ العَقَائِدِ الكَلَامِيَّةِ عَلَى طِبْقِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ اَلسَّنِيَّةِ وَإِجْمَاعِ

---

(١) ــ الآية: ٦ من سورة الكافرون.

الْأُمَّة اَلنَّبَوِيَّة ؛ لئَلاَّ يَظْهَرَ فِي البَيْنِ ضَال وَمُبْتَدِعٌ فَيَسُدَّ اَلطَّرِيقَ، وَيَنْجَرَّ الأَمْرُ إِلَى اَلفَسَاد. وَهَذَا القِسْمُ مِنَ الإِمْدَاد مَخْصُوصٌ بِعُلَمَاء أَهْل الحَقِّ الْمُقْبلينَ عَلى الآخرَة، فَإِنَّ عُلَمَاءَ اَلدُّنْيَا اَلذينَ هِمَّتُهُمْ اَلتَّهَافُتُ عَلى مَتَاعِ اَلدُّنْيَا وَجَمْعِ حُطَامِهَا صُحْبَتُهم سُمٌّ قَاتل وَفَسَادُهمْ فَسَادٌ مُتَعَدّ. شعْرٌ.

إِذَا كَانَ ذُو علمٍ أَسيرًا بنَفْسه فَمَنْ ذَا اَلذي يَنْجُو به منْ غَوَايَته

وَكُل بَلاَء ظَهَرَ فِي القَرْن اَلمَاضي إِنَّمَا ظَهَرَ بِسَبَب شآمَة هَؤُلاَء الجَمَاعَة ؛ فَإِنَّهُم هُمُ اَلذينَ أَخْرَجُوا اَلسُّلطَانَ منَ اَلطَّرِيق الحَقَّة، بَل لَيْسَتْ فرْقَةٌ منَ اثْنَتَيْن وَسَبْعينَ فرْقَةً إِلاَّ ومُقْتداهُم فِي اخْتيَار طَرِيق اَلضَّلاَلة هُمُ العُلمَاءُ اَلسُّوءُ وَقَل مَنْ تَتَعَدَّى ضَلاَلَتُه إِلى الغَيْر اخْتَارَ اَلضَّلاَلَةَ غَيْرَ العُلمَاء اَلسُّوء وَأَكْثَرُ الجُهلاَء المُتَشَبِّهِينَ بالصُّوفيَّة فِي هَذَا اَلزَّمَان لَهُمْ حُكْمُ العُلمَاء اَلسُّوء أَيْضًا، فَإِنَّ فَسَادَهُمْ فَسَادٌ مُتَعَدّ. وَالظَّاهرُ أَنَّ كُل مَنْ يُقَصِّرُ فِي الإِمْدَاد مَعَ وُجُود اَلاسْتطَاعَة فِي أَيِّ نَوْعٍ كَانَ منَ الإِمْدَادِ وَوَقَعَ الفُتُورُ عَلى أُمُور أَهْل الإِسْلاَم يَكُونُ مُعَاتبًا.

وَبنَاءً عَلى هَذَا يُرِيدُ هَذَا الفَقيرُ أَنْ يُلقيَ نَفْسَهُ إِلى مَيْدَان مُمدِّي دَوْلة الإِسْلاَمِ وَيَجْتَهدَ فيه بقَدْر الإِمْكَان فَبحُكْم " مَنْ كَثَّرَ سَوَادَ قَوْم فَهُوَ منْهُمْ "(١) يَحْتَمل أَنْ يَكُونَ هَذَا العَاجزُ عَديمَ اَلاسْتطَاعَة دَاخلاً فِي زُمْرَة هَؤُلاَء الجَمَاعَة. وَإِنَّ مَثَلي مَثَل عَجُوز جَاءَتْ بغَزْلهَا فِي سُوق مُشْتري يُوسُفَ عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْه اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لتَشْتَريَهُ به، وَالمَرْجُوُّ أَنْ أَتَشَرَّفَ بشَرَف الحُضُور عَنْ قَرِيب إِنْ شَاءَ اَللهُ تَعَالى، وَالمُتَوَقَّعُ منْ جَنَاب شَرَفكُمْ حَيْثُ يَسَّرَ اَللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى لكَ اَلاسْتطَاعَةَ وَقُرْبَ اَلسُّلطَان عَلى الوَجْه الأَتَمّ أَنْ تَجْتَهدَ فِي تَرْوِيج اَلشَّرِيعَة المُحَمَّديَّة عَلَيْه وَعَلى آله اَلصَّلاَةُ وَالتَّحيَّةُ، وَإِخْرَاجُ المُسْلمينَ منَ الكُرْبَة، وَالإِسْلاَمِ منَ الغُرْبَة فِي خَلوَة وَجَلوَة. وَالحَامل اَلرَّقيمَة مَوْلاَنَا حَامد وَظيفَةٌ مُقَرَّرَةٌ منَ الأَمير صَاحب الإِقْبَال وَالظَّاهرُ أَنَّهُ أَخَذَهَا فِي العَام المَاضي فِي حُضُوركُمْ، وَجَاءَ فِي هَذه اَلسَّنَة أَيْضًا بهَذَا اَلرَّجَاء. يَسَّرَ لكُمْ اَللهُ سُبْحَانَهُ اَلدَّوْلَة الحَقيقَةَ وَالمَجَازِيَّةَ.

---

(١) ـــ هذا حديث أخرجه أبو يعلى عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا بزيادة ومن رضي عمل قوم كان شريك من عمل به اهـــ سند عفى عنه.

اَلْمَكْتُوبُ اَلثَّامِنُ وَالْأَرْبَعُونَ

إِلَى الْمَذْكُورِ أَيْضًا فِي اَلتَّحْرِيضِ عَلَى تَعْظِيمِ الْعُلَمَاءِ وَطَلَبَةِ الْعُلُومِ اَلَّذِينَ هُمْ حَمَلَةُ اَلشَّرِيعَةِ الْغَرَّاءِ

نَصَرَكُمْ اَللّٰهُ سُبْحَانَهُ عَلَى الأَعْدَاءِ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ اَلصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ وَالتَّحِيَّاتُ. قَدْ تَشَرَّفْتُ بِمُطَالَعَةِ مَكْتُوبِكُمْ اَلشَّرِيفِ الْمُرْسَلِ عَلَى وَجْهِ اَلالتِفَاتِ إِلَى الفُقَرَاءِ وَحَرَّرَ مَوْلاَنَا مُحَمَّدُ قليج مُوَفَّقٌ فِي الكِتَابِ أَنَّهُ قَدْ أُرْسِلَ شَيْءٌ مِنَ الخَرْجِ لأَجْلِ طَلَبَةِ العُلُومِ وَالصُّوفِيَّةِ وَقَدْ حَسُنَ تَقْدِيمُ طَلَبَةِ العُلُومِ عَلَى اَلصُّوفِيَّةِ فِي نَظَرِ الهِمَّةِ جِدًّا، وَبِحُكْمِ اَلظَّاهِرِ عُنْوَانُ البَاطِنِ نَرْجُو أَنْ يَحْصُلَ تَقْدِيمُ هَؤُلاَءِ الجَمَاعَةِ فِي البَاطِنِ أَيْضًا، (ع):

وَكُلُ إِنَاءٍ بِالَّذِي فِيهِ يَنْضَحُ

وَفِي تَقْدِيمِ طَلَبَةِ العُلُومِ تَرْوِيجُ اَلشَّرِيعَةِ لأَنَّهُمْ حَمْلَةُ اَلشَّرِيعَةِ اَلنَّبَوِيَّةِ، وَالملَّةُ الْمُصْطَفَوِيَّةُ قَائِمَةٌ بِهِمْ، وَالنَّاسُ إِنَّمَا يَسألُون يَوْمَ القِيَامَةِ عَنِ اَلشَّرِيعَةِ دُونَ اَلتَّصَوُّفِ، وَكُلٌ مِنْ دُخُولِ الجَنَّةِ وَتَجَنُّبِ اَلنَّارِ مَرْبُوطٌ بِإِتْيَانِ اَلشَّرِيعَةِ، وَالأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ اَلصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ اَلذِينَ هُمْ أَفْضَلُ الكَائِنَاتِ إِنَّمَا دَعَوْا الخَلْقَ إِلَى اَلشَّرَائِعِ وَجَعَلُوا مَدَارَ اَلنَّجَاةِ عَلَيْهَا. وَالمَقْصُودُ مِنْ بَعْثَةِ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ هُوَ تَبْلِيغُ اَلشَّرَائِعِ. فَأَعْظَمُ الخَيْرَاتِ إِذًا هُوَ السَّعْيُ فِي تَرْوِيجِ اَلشَّرِيعَةِ وَإِحْيَاءِ حُكْمٍ مِنْ أَحْكَامِهِ خصوصًا فِي اَلزَّمَانِ اَلذِي اِنْهَدَمَتْ فِيهِ شَعَائِرُ الإِسْلاَمِ بِحَيْثُ لَوْ أَنْفَقَ أُلوفًا فِي سَبِيلِ اَللّٰهِ لاَ يُسَاوِي ذَلِكَ تَرْوِيجَ مَسْأَلَةٍ مِنَ المَسَائِلِ اَلشَّرْعِيَّةِ فَإِنَّ فِي هَذَا الفِعْلِ اِقْتِدَاءً بِالأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ اَلصَّلاَةُ اَلسَّلاَمُ اَلذِينَ هُمْ أَعْظَمُ الْمَخْلُوقَاتِ وَمُشَارَكَةٌ لِهَؤُلاَءِ اَلأَكَابِرِ، وَمِنَ الْمُقَرَّرِ أَنَّ أَكْمَلَ الحَسَنَاتِ مُسَلَّمٌ لَهُمْ وَإِنْفَاقَ الأُلُوفِ مُيَسَّرٌ لِغَيْرِ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ أَيْضًا.

وَفِي إِقَامَةِ اَلشَّرِيعَةِ وَالعَمَلِ بِأَحْكَامِهَا مُخَالَفَةُ اَلنَّفْسِ أَيْضًا ؛ لأَنَّ اَلشَّرِيعَةَ وَرَدَتْ عَلَى خِلاَفِ اَلنَّفْسِ، وَفِي إِنْفَاقِ الأَمْوَالِ مُوَافَقَةُ اَلنَّفْسِ أَحْيَانًا. نَعَمْ إِنْ كَانَ الإِنْفَاقُ لِتَأْيِيدِ اَلشَّرِيعَةِ وَتَرْوِيجِ الملةِ فَلَهُ دَرَجَةٌ عُلْيَا وَإِنْفَاقُ فَلْسٍ بِهَذِهِ اَلنِّيَّةِ يُسَاوِي إِنْفَاقَ أُلُوفٍ فِي سَائِرِ الأُمْنِيَةِ.

فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ طَالِبَ عِلْمٍ أَسِيرٌ فِي يَدِ نَفْسِهِ فَكَيْفَ يَقْدَمُ عَلَى صُوفِيٍّ تَخَلَصَ مِنْ رِقِّيَّةِ نَفْسِهِ ؟

أُجِيبُ أَنَّ هَذَا القَائِل لَمْ يَفْهَمْ بَعْدُ حَقِيقَةَ الكَلَامِ وَلَمْ يَطَّلِعْ عَلَى أَصْل المَرَام، فَإِنَّ طَالبَ علم سَبَبٌ لنَجَاة الخَلَائق مَعَ وُجُود أَسْره في يَده نَفْسه، فَإِنَّ تَبْليغ الأَحْكَام اَلشَّرْعيَّة مَنُوطٌ به وَإِنْ لَمْ يَنْتَفعْ هُوَ نَفْسُهُ بهَا. والصُّوفيُّ مَعَ وُجُود تَخَلصه إنَّمَا خَلص نَفْسَهُ فقَطْ لاَ التفَاتَ لهُ إلى الخَلَائق. وَأَفْضَليَّةُ مَنْ تَعَلقَتْ به نَجَاةُ كَثير وَجَم غَفير ممَّنْ اقْتَصَرَتْ اَلنَّجَاةُ عَلَيْه أَمْرٌ مُقَرَّرٌ. نَعَمْ إذَا رَجَعَ الصُّوفيُّ إلى العَالَم لدَعْوَة الخَلق بَعْدَ الفَنَاء وَالبَقَاء وَالسَّيْر عَن اَللهِ وَبِاللهِ وَحَصَل لهُ نَصيبٌ منْ مَقَام اَلنُّبوَّة، فَهُوَ دَاخل في مُبَلغي اَلشَّريعَة وَلهُ حُكْمُ العُلمَاء الأَشْرَاف {ذَلكَ فَضْل اَللهِ يُؤْتيه مَنْ يَشَاءُ وَاَللهُ ذُو الفَضْل العَظيم}[1].

---

(١) ــ الآية: ٢١ من سورة الحديد، والآية: ٤ من سورة الجمعة.

المَكْتُوبُ اَلتَّاسِعُ وَالأَرْبَعُونَ
إِلى المَذْكُورِ أَيْضًا
فِي اَلتَّحْرِيضِ عَلى الجَمْعِ بَيْنَ دَوْلَتَيْ تَحْلِيَةِ اَلظَّاهِرِ بِإِتْيَانِ الأَحْكَامِ اَلشَّرْعِيَّة
وَتَخْلِيةِ البَاطِنِ عَنْ عَلاَقَةِ مَا سِوَاهُ تَعَالى

أَسْعَدَكُمُ اَللهُ سُبْحَانَهُ بِدَوْلَة صُورِيَّة وَسَعَادَة مَعْنَوِيَّة. وَالدَّوْلَةُ اَلصُّورِيَّةُ فِي الحَقِيقَة هِيَ كَوْنُ **اَلظَّاهِر** مُحَلى بِالأَحْكَامِ اَلشَّرْعِيَّة الْمُصْطَفَوِيَّة عَلى صَاحِبِهَا اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ. وَالسَّعَادَةُ المَعْنَوِيَّةُ هِيَ تَخَلصُ البَاطِنِ وَخُلُوُّهُ عَنْ عَلاَقَة مَا سِوَاهُ وَالارْتِبَاطُ بِغَيْرِه تَعَالى. فَيا فَوْزَ مَنْ تَشَرَّفَ بِهَاتَيْنِ اَلدَّوْلَتَيْنِ، (ع):

هَذَا هُوَ اَلأَمْرُ والبَاقِي مِنَ العَبَثِ

وَالزِّيَادَةُ تَصْدِيعٌ.

المَكْتُوبُ الخَمْسُونَ
فِي مَذَمَّةِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ
إِلَى السَّيِّدِ المَذْكُورِ أَيْضًا

أَكْرَمَكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِالحَرِيَّةِ مِنْ رِقِّيَةِ مَا سِوَاهُ وَجَعَلَكُمْ مُتَوَجِّهًا إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ بِالتَّمَامِ وَمَشْغُوفًا بِهِ عَلَى الدَّوَامِ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ البَشَرِ المُحَرَّرِ عَنْ زَيْغِ البَصَرِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ اعْلَمْ: أَنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا حُلْوٌ فِي الظَّاهِرِ وَلَهَا طَرَاوَةٌ صُورِيَّةٌ، وَلَكِنَّهَا فِي الحَقِيقَةِ سُمٌّ قَاتِلٌ وَمَتَاعٌ بَاطِلٌ، وَلَيْسَ فِي التَّعَلُّقِ وَالارْتِبَاطِ بِهَا طَائِلٌ، مَقْبُولُهَا مَخْذُولٌ وَمَفْتُونُهَا مَجْنُونٌ، وَحُكْمُهَا حُكْمُ نَجَاسَةٍ طُلِيَتْ بِالذَّهَبِ، وَمَثَلُهَا مَثَلُ سُمٍّ مَخْلُوطٍ بِالسُّكَّرِ، وَالعَاقِلُ هُوَ الذي لَا يَغْتَرُّ بِمِثْلِ هَذَا المَتَاعِ الكَاسِدِ وَلَا يَتَعَلَّقُ بِمِثْلِ هَذَا الشَّيْءِ الفَاسِدِ ؛ وَلِهَذَا قَالَ الفُقَهَاءُ لَوْ أَوْصَى بِمَالِهِ لِلعُقَلَاءِ فَهُوَ لِلزُّهَّادِ لِأَنَّهُمْ يَرْغَبُونَ عَنِ الدُّنْيَا، وَرَغْبَتُهُمْ عَنْهَا تَدُلُّ عَلَى كَمَالِ عَقْلِهِمْ وَفِطْنَتِهِمْ. وَالزِّيَادَةُ عَلَى ذَلِكَ إِطْنَابٌ وَبَقِيَّةُ المَرَامِ – أَنَّ الشَّيْخَ زَكَرِيَّا مُبْتَلًا بِمَنْصِبِ اسْتِيفَاءِ الخَرَاجِ فِي هَذَا السِّنِّ وَأَنَّهُ مَعَ وُجُودِ هَذَا الابْتِلَاءِ خَائِفٌ دَائِمًا مِنَ المُحَاسَبَةِ العَاجِلَةِ التِي هِيَ فِي غَايَةِ السُّهُولَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى المُحَاسَبَةِ الآجِلَةِ، وَيَرَى وَثِيقَتَهُ العُظْمَى فِي عَالَمِ الأَسْبَابِ تَوَجُّهَكُمْ الشَّرِيفَ، وَيَرْجُو أَنْ يَكُونَ كَوْنُهُ مِنْ خِدْمَةِ العَتَبَةِ العَلِيَّةِ ظَاهِرًا فِي الدِّيوَانِ الجَدِيدِ أَيْضًا يَعْنِي مَعْلُومًا عِنْدَ أَرْبَابِهَا. شِعْرٌ:

أَلَا أَعْطِنِي قَلْبًا تَرَى مِنْ جَسَارَةِ الأَ ... سُودَ وَإِنْ أَلْفَيْتَنِي قَبْلُ ثَعْلَبَا

يَسَّرَ اللهُ سُبْحَانَهُ الدَّوْلَةَ الصُّورِيَّةَ وَالمَعْنَوِيَّةَ بِحُرْمَةِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ وَآلِهِ الأَمْجَادِ – عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

اَلمَكْتُوبُ الحَادِيَ وَالخَمْسُونَ
إلى المَذْكُورِ أَيْضًا
فِي اَلتَّرْغِيبِ فِي تَرْوِيجِ اَلشَّرِيعَةِ الغَرَّاءِ
عَلى صَاحِبِهَا اَلصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

نَسْأَلُ اَللهَ سُبْحَانَهُ تَقْوَى أَرْكَانِ اَلشَّرِيعَةِ الغَرَّاءِ وَرَوَاجَ أَحْكَامِ المِلَّةِ اَلسَّمْحَةِ البَيْضَاءِ بِتَوَسُّلِ وُجُودِ سُلَالَةِ العِظَامِ اَلشَّرِيفَةِ.

ع هَذَا هُوَ الأَمْرُ والبَاقِي مِنَ العَبَثِ وَالنَّجَاةُ لِغُرَبَاءِ أَهْلِ الإِسْلَامِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الأَيَّامِ مِنْ لُجَّةِ بَحْرِ اَلضَّلَالَةِ إِنَّمَا تَرَجَّى مِنْ سَفِينَةِ أَهْلِ بَيْتِ خَيْرِ البَشَرِ مَعْدَنَ اَلرِّسَالَةِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِنَ اَلصَّلَوَاتِ أَكْمَلُهَا وَمِنَ اَلتَّسْلِيمَاتِ أَفْضَلُهَا قَالَ - عَلَيْهِ اَلصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: "مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي كَمَثَلِ سَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجَا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا هَلَكَ"(١).

فَيَنْبَغِي صَرْفُ الهِمَّةِ العُلْيَا فِي تَحْصِيلِ هَذِهِ اَلسَّعَادَةِ العُظْمَى. وَقَدْ تَيَسَّرَ لَكُمْ بِعِنَايَةِ اَللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الجَاهَ وَالجَلَالَ وَالعَظَمَةَ وَالشَّوْكَةَ كُلَّهَا، فَإِنْ اَنْضَمَّتْ هَذِهِ العَلَاوَةُ إِلَى هَذِهِ المَذْكُورَاتِ مَعَ وُجُودِ اَلشَّرَفِ الذَّاتِيِّ، فَقَدْ أَحْرَزْتُمْ قَصَبَ اَلسَّبْقِ فِي مَيْدَانِ اَلسَّعَادَةِ عَلَى جَمِيعِ الأَقْرَانِ وَهَذَا الفَقِيرُ مُتَوَجِّهٌ نَحْوَكُمْ بِإِرَادَةِ إِظْهَارِ أَمْثَالِ هَذِهِ الكَلِمَاتِ فِي تَأْيِيدِ اَلشَّرِيعَةِ الحَقَّةِ وَتَرْوِيجِهَا. وَرَأَوْا هِلَالَ شَهْرِ رَمَضَانَ فِي دهلي وَفَهِمَ مَرَضِي حَضْرَةُ الوَالِدَةِ فِي اَلتَّوَقُّفِ فَتَوَقَّفْتُ بِالضَّرُورَةِ لِاسْتِمَاعِ خَتْمِ القُرْآنِ. وَالأَمْرُ عِنْدَ اَللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَالمَرْجُوُّ مِنَ اَللهِ حُصُولُ سَعَادَةِ اَلدَّارَيْنِ.

---

(١) ـــ أخرجه البزار عن ابن عباس وابن الزبير والحاكم عن أبي ذر بسند.

اَلْمَكْتُوبُ اَلثَّاني وَالخَمْسُونَ
إلى اَلسَّيِّد المَذْكُور أَيْضًا
في مَذَمَّة اَلنَّفْس الأَمَّارَة
وَبَيَان مَرَضهَا الذَّاتيِّ
وَبَيَانِ عِلاَجِ إزَالَة ذَلكَ المَرَضِ

قَدْ تَشَرَّفْتُ بِمُطَالَعَة مَكْتُوب الأَخِ المُكَرَّم اَلذي جَعَل هَذَا الدَّاعِيَ المُخْلصَ مُمْتَازًا به عَلى وَجْه اَلشَّفَقَة وَالرَّأفَة عَظَّمَ اَللهُ سُبْحَانَهُ أَجْرَكُمْ وَرَفَعَ قَدْرَكُمْ وَشَرَحَ صَدْرَكُمْ وَيَسَّرَ أَمْرَكُمْ بحُرْمَة جَدِّكُمْ الأَمْجَد عَلَيْه وَعَلى آله منَ الصلاة أَفْضَلهَا ومنَ التَّسْليمَات أَكْمَلهَا ثَبَّتَنَا اَللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى عَلَى مُتَابَعَته ظَاهِرًا وَبَاطنًا وَيَرْحَمُ اَللهُ عَبْدًا قَال آمينًا.

وَإِنّى أَرَدْتُ أَنْ أُحَرِّرَ فقْرَات في اَلشِّكَايَة منْ صَاحب اَلسُّوء وَالنَّديم السَّيء الخُلق. فَالمَرْجُوُّ الإصْغَاءُ إليْه بسَمْع القَبُول فَاعْلمْ أَيُّهَا اَلمَخْدُومُ المُكَرَّمُ: أَنَّ اَلنَّفْسَ الأَمَّارَةَ الإِنْسَانيَّةَ مَجْبُولةٌ عَلى حُبِّ الجَاه وَالرِّيَاسَة وَجَميعُ همَّتهَا اَلتَّرَفُّعُ عَلى جَميعِ الأَقْرَان، وَمُتَمَنَّاهَا بالذَّات أَنْ يَكُونَ الخَلائقُ كُلهمْ مُحْتَاجينَ إليْهَا وَمُنْقَادينَ إلى أَوَامرهَا وَنَوَاهيهَا وَلاَ تُريدُ أَنْ تَكُونَ هيَ مُحْتَاجَةً إلى الشَيْء وَمَحْكُومَةً لأَحَد أَبَدًا، وَهَذه كُلهَا هيَ دَعْوَى الأُلوهيَّة منْهَا وَالشِّرْكَةُ مَعَ خَالقهَا المُنَزَّه عَنِ المَثَل وَالشِّبْه - جَل سُلطَانُهُ -، بَل هيَ البَعيدَةُ عَنِ اَلسَّعَادَة غَيْرُ رَاضيَة بالشّرْكَة بَل تُريدُ أَنْ تَكُونَ هيَ الحَاكمَةُ فَقَطْ لاَ غَيْرُ وَيَكُونُ الكُل تَحْتَ حُكْمهَا وَقَدْ وَرَدَ في الحَديث القُدْسيِّ " عَاد نَفْسَكَ فَإِنَّهَا انْتَصبَتْ لمُعادَاتي "[1] فَتَرْبيَةُ اَلنَّفْس بإعْطَاء مُرَادَاتها منَ الجَاه وَالرِّيَاسَة وَالتَّرَفُّع وَالتَّكَبُّر، إمْدَادُهَا في الحَقيقَة لعَدَاوَة اَللهِ عَزَّ وَجَل وَتَقْويَتهَا لذَلكَ، فَيَنْبَغي أَنْ يُدْركَ شَنَاعَةَ هَذَا الأَمْر جدًّا وَقَدْ وَرَدَ في الحَديث القُدْسيِّ " الكبْريَاءُ ردَائي وَالعَظَمَةُ إزاري فَمَنْ نَازَعني في شَيْءٍ منْهُمَا أَدْخَلتُهُ في نَارِي وَلاَ أُبَالي "[2] وَإِنَّمَا كَانَتْ اَلدُّنْيَا اَلدَّنيَّةُ مَبْغُوضَةً عنْدَ

---

(١) ـــ قيل هذا من قدسيات داود عليه السلام.

(٢) ـــ (وقوله والكبرياء الحديث) أخرجه مسلم وأحمد وأبو داود وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه وابن ماجه عن ابن عباس أيضا سند. إشارة لما ورد فيه من الأحاديث سند.

الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَمَلعُونَةٌ بِسَبَبِ أَنَّ حُصُولَهَا مُمِدٌّ وَمُعَاوِنٌ فِي حُصُول مُرَادَاتِ اَلنَّفْسِ، فَمَنْ أَمَدَّ العَدُوَّ لاَ جَرَمَ يَسْتَحِقُّ اَللعْنَ وَالطَّرْدَ.

وَإِنَّمَا صَارَ الفَقْرُ فَخْرًا مُحَمَّدِيًّا[١] عَلَيْهِ وَعَلى آله اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فَإِنَّ فِي الفَقْرِ عَدَمَ حُصُول مُرَاد اَلنَّفْسِ وَحُصُول عَجْزِهَا. وَالْمَقْصُودُ مِنْ بَعْثَة الأَنْبيَاء – عَلَيْهِمُ اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَم – وَالحِكْمَةُ فِي اَلتَّكْلِيفَات اَلشَّرْعِيَّة هُوَ تَعْجِيزُ هَذه اَلنَّفْسِ الأَمَّارَة وَتَخْرِيبُهَا، وَقَدْ وَرَدَتْ اَلشَّرَائِعُ لِرَفْعِ الهَوَى النَّفسانِيِّ، وَكُلمَا يُعْمَل شَيْءٌ بِمُقْتَضَى اَلشَّرِيعَة يَزُول مِنَ الهَوَى النَّفْسانِيِّ بِقَدْرِه وَلِهَذَا كَانَ فِعْل شَيْءِ مِنَ الأَحْكَامِ اَلشَّرْعِيَّة أَفْضَل فِي إِزَالَة الهَوَى النَّفسانِيِّ مِنْ رِيَاضَات أَلف سَنَة وَمُجَاهَدَاتِهَا اَلتِي كَانَتْ مِنْ قِبَلِ اَلنَّفْسِ، بَل هَذه اَلرِّيَاضَةُ وَالْمُجَاهَدَاتُ اَلتِي لَمْ تَقَعْ عَلَى مُقْتَضَى اَلشَّرِيعَة الغَرَّاء مُؤَيِّدَةٌ وَمُقَوِّيَةٌ لِلهَوَى النَّفسانِيِّ. وَلَمْ تُقصِّرْ البَرَاهِمَةُ الجوكية فِي اَلرِّيَاضَات وَالْمُجَاهَدَات شَيْئًا، وَلكِنَّهَا لَمَّا لَمْ تَكُنْ عَلَى وَفْقِ اَلشَّرِيعَة لَمْ يَنْتَفِعُوا بِهَا أَصْلاً وَلَمْ يَحْصُلْ لَهُمْ غَيْرُ تَقْوِيَة اَلنَّفْسِ وَتَرْبِيَتِهَا.

فَمَنْ صَرَفَ مَثَلاً دَانَقًا بِنِيَّة أَدَاءِ اَلزَّكَاة اَلتِي أَمَرَ بِهَا اَلشَّرْعُ فَهُوَ أَنْفَعُ فِي تَخْرِيب اَلنَّفْسِ مِنْ صَرْف أَلف دِينَار مِنْ قِبَل نَفْسه، وَكَذَلِكَ أَكْل اَلطَّعَام يَوْمَ عِيد الفِطْرِ بِحُكْمِ اَلشَّرِيعَة أَنْفَعُ فِي دَفْعِ الهَوَى مِنْ صِيَامِ سِنِينَ مِنْ قِبَل نَفْسه، وَأَدَاءُ رَكْعَتَي الفَجْرِ مَعَ الجَمَاعَة اَلتِي هِيَ سُنَّةٌ مِنَ اَلسُّنَنِ أَفْضَل مِنْ قِيَامِ تَمَام اَللَيْلَة بِالنَّافلة مَعَ تَرْك الجَمَاعَة فِي الفَجْرِ. وَبِالجُمْلَة: إِنَّ اَلنَّفْسَ مَا لَمْ تَتْرُكْ مِنْ خُبْث ماليخوليا دَعْوَى اَلسِّيَادَة وَالرِّفْعَة فَالنَّجَاةُ مُحَال، فَفِكْرُ إِزَالَة هَذَا المَرَضِ ضَرُورِيٌّ كَيْلاَ يُفْضِيَ إِلى المَوْت الأَبَدِيِّ، وَكَلِمَةُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اَللهُ اَلتِي وُضِعَتْ لِنَفْيِ الآلِهَة الآفَاقِيَّة والأَنْفُسِيَّة أَنْفَعُ فِي تَزْكِيَة اَلنَّفْسِ وَأَنْسَبُ لِتَطْهِيرِهَا، وَاخْتَارَ أَكَابِرُ اَلطَّرِيقَة قَدَّسَ اَللهُ أَسْرَارَهُمْ لِتَزْكِيَة اَلنَّفْسِ هَذه الكَلِمَة اَلطَّيِّبَة. شِعْرٌ.

مَا دُمْتُ لَمْ تَضْرِبْ بِلاَ عُنُقِ اَلسِّوَى ... فِي قَصْرِ إِلاَّ اَللهُ لَسْتَ بِوَاصِل

وَمَا دَامَتْ اَلنَّفْسُ فِي مَقَام البَغْيِ وَالعِنَاد وَنَقْضِ العَهْد وَالفَسَاد يَنْبَغِي أَنْ يُجَدَّدَ الإِيمَانُ بِتَكْرَارِ هَذه الكَلِمَة قَال عَلَيْه اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَم " جَدِّدُوا إِيمَانكُمْ بِقَوْل لاَ إِلَهَ إِلاَّ

---

(١) — (قوله وإنما صار الفقر الخ) إشارة لما هو دائر بين الناس من قوله صلى الله عليه وسلم (الفقر فخرى) قال ابن حجر وابن تيمية أنه باطل لا أصل له وقد ذكره في الشفاء عن على كرم الله وجهه في حديث طويل بهذا اللفظ على ما في بعض نسخه وبلفظ والعجز فخرى في بعض آخر. قال القارى في شرحه بعد الكلام فيه الحكم بوضعه وبطلانه باعتبار السنة لا باعتبار مبناه المطابق معناه للكتاب يعني قوله تعالى (والله الغني وأنتم الفقراء) انتهى ملخصا سند عفى عنه.

اَللهُ " بَل لاَ بُدَّ مِنْ تَكْرَارِ هَذِهِ الكَلِمَةِ فِي جَمِيعِ الأَوْقَاتِ، فَإِنَّ اَلنَّفْسَ الأَمَّارَةَ فِي مَقَامِ الخُبْثِ دَائِمًا. وَقَدْ وَرَدَ عَنِ اَلنَّبِيِّ ــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ــ فِي فَضَائِلِ هَذِهِ الكَلِمَةِ حَدِيثُ " لَوْ وُضِعَتْ اَلسَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ فِي كَفَّةِ المِيزَانِ وَهَذِهِ الكَلِمَةُ فِي كَفَّةٍ لَتَرَجَّحَتْ هَذِهِ الكَفَّةُ عَلَى الأُخْرَى "(١).

{وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}(٢) وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلى آله اَلصَّلاَةُ الأَكْمَل وَالسَّلاَمُ الأَوْفَى.

---

(١) ــ قال الحافظ العراقى في تخريج أحاديث الإحياء رواه ابن السنى في عمل اليوم والليلة وصححه الحاكم عن أبي سعيد مرفوعا قلت في المشكاة عن أبي سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال موسى يا رب علمنى شيأ أذكرك به أو أدعوك به فقال يا موسى قل لا إله إلا الله فقال يا رب كل عبادك يقول هذا إنما أريد شيأ تخصنى به قال يا موسى لو أن السموات وعامرهن غيرى والأرضين السبع وضعن في كفة ولا إله إلا الله في كفة لمالت بهن لا إله إلا الله) شرح السنة اهــ سند.

(٢) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

اَلْمَكْتُوبُ اَلثَّالِثُ وَالخَمْسُونَ
إِلَى اَلسَّيِّد المَذْكُور أَيْضًا
فِي بَيَانِ أَنَّ اخْتِلَافَ عُلَمَاءِ اَلسُّوءِ مُوجِبٌ لِفَسَادِ العَالَمِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

ثَبَّتَكُمْ اَللهُ سُبْحَانَهُ عَلَى جَادَّة آبَائِكُمْ الكِرَام. قَدْ سَمِعْتُ أَنَّ سُلْطَانَ الإِسْلَامِ وَالمُسْلِمِينَ أَمَرَ جَنَابَكُمْ مِنْ حُسْنِ نَشْأَته الإِسْلَامِيَّة اَلتِي أُودِعَتْ فِي جِبلته أَنْ تَنْتَخِبَ أَرْبَعَةَ أَنْفَارٍ مِنَ العُلَمَاءِ المُتَدَيِّنِينَ لِيُلَازِمُوهُ وَيُبَيِّنُوا لَهُ المَسَائِل اَلشَّرْعِيَّةَ حَتَّى لَا يَقَعَ أَمْرٌ عَلَى خِلَافِ اَلشَّرِيعَة. الحَمْدُ لله سُبْحَانَهُ عَلَى ذَلِكَ، وَمَاذَا يَكُونُ لِلْمُسْلِمِينَ أَحْسَنُ بِشَارَةً مِنْ ذَلِكَ وَأَيُّ شَيْءٍ يَكُونُ لِأَهْلِ المَآتِم أَشَدُّ تَسْلِيَةً مِمَّا هُنَاكَ. وَلكِنَّ الفَقِيرَ حَيْثُ كُنْتُ مُتَوَجِّهًا نَحْوَ جَانِبِكُمْ العَالِي بِوَاسِطَة هَذَا الغَرَضِ كَمَا أَظْهَرْتُ ذَلِكَ مُكَرَّرًا لَا أُسَامِحُ نَفْسِي وَلَا أُرَخِّصُ لَهَا فِي اَلسُّكُوت وَالقُعُود عَنِ الكِتَابَة فِي هَذَا البَاب بِالضَّرُورَة، فَالمَرْجُوُّ مُسَامَحَتُكُمْ إِيَّايَ فَإِنَّ صَاحِبَ الغَرَضِ مَجْنُونٌ وَالمَعْرُوضُ الآنَ هُوَ أَنَّ العُلَمَاءَ المُتَدَيِّنِينَ أَقَل مِنَ القَلِيل وَهُمُ اَلذِينَ جَاوَزُوا حُبَّ الجَاه وَالرِّيَاسَة وَخلفُوهُ وَرَاءَهُمْ وَلَيْسَ لَهُمْ مَقْصِدٌ وَمَطْلَبٌ سِوَى تَرْوِيجِ اَلشَّرِيعَة وَتَأْيِيد الملة فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ فِيهِمْ حُبُّ الجَاه يَأْخُذُ كُل وَاحِد مِنْهُمْ طَرَفًا مِمَّا يُلَائِمُ مَرَامَه وَيَتَمَسَّكُ بِه وَيُظْهِرُ مِنْ ذَلِكَ اَلطَّرَف أَفْضَلِيَّتَهُ وَيُورِدُ اَلاخْتِلَافَات وَيُوقِعُ الخِلَافِيَّات فِي البَيْنِ وَيَجْعَل ذَلِكَ وَسِيلَةً لِقُرْب اَلسُّلْطَان فَيَكُونُ مُهِمُّ اَلدِّينِ لَا مَحَالَةَ أَبْتَرَ وَأَقْطَعَ، وَاخْتِلَافَاتُ العُلَمَاء هِيَ اَلتِي أَلقَتْ العَالَمَ إِلَى البَلَاءِ فِي القَرْنِ اَلسَّابِق فَإِذَا كَانَ هَذَا اَلدَّاءُ مُسْتَمِرًّا وَتِلكَ اَلصُّحْبَةُ دَائِمَةً مِنْ أَيْنَ يُرْجَى تَرْوِيجُ اَلشَّرِيعَة ؛ وَكَيْفَ يَكُونُ المَجَال لِتَأْيِيد الملة ؛ بَل يَكُونُ بَاعِثًا عَلَى اَلتَّخْرِيب وَالعِيَاذُ بِالله سُبْحَانَهُ مِنْ ذَلِكَ، وَمِنْ فِتْنَة العُلَمَاءِ اَلسُّوء، فَإِنْ انْتَخَبْتُمْ لِهَذَا الغَرَضِ عَالِمًا وَاحِدًا فَهُوَ أَفْضَل وَأَحْسَنُ، فَإِنْ تَيَسَّرَ ذَلِكَ مِنْ عُلَمَاء الآخِرَة فَنِعْمَت اَلسَّعَادَةُ فَإِنَّ صُحْبَتَهُ كِبْرِيتٌ أَحْمَرُ، فَإِنْ لَمْ يَتَيَسَّرْ فَاخْتَارُوا أَفْضَل هَذَا الجِنْس بَعْدَ اَلتَّأَمُّل اَلصَّحِيح مَا ل يُدْرَكُ كُلُّهُ لَا يُتْرَكُ كُله. وَلَا أَدْرَى مَاذَا أَكْتُبُ. فَكَمَا أَنَّ نَجَاةَ الخَلَائِق مَرْبُوطَة بِوُجُود العُلَمَاء كَذَلِكَ خُسْرَان العَالم أَيْضًا مَنُوط بِهِمْ. وَأَفْضَل العُلَمَاء أَفْضَل العَالم وَشَرّهمْ شَرّ الخَلَائِق قَدْ نِيطَتْ الهِدَايَة وَالضَّلَالَة بِهِمْ رَأَى وَاحِد مِنَ الأَعِزَّة إِبْلِيس اَللعِينُ قَاعِدًا عَلَى الفَرَاغِ عَلَى خِلَافِ عَادَتِه فَسَأَلَهُ عَنْ سِرِّ ذَلِكَ يَعْنِي مُتَعَجِّبًا فَقَال

اَللعينُ: إنَّ عُلمَاءَ هَذَا الوَقْت قَدْ كَفَوني مُؤنتي وتَكفَّلوا لي بالإغْوَاء وَالإضْلَال وَالغَرَضُ إقْدَامُكُمْ عَلى هَذَا الأَمْرِ وَشُرُوعُكُمْ فيه بَعْدَ رِعَايَة الفكْرِ اَلصَّحيح وَالتَّأَمُّل اَلصَّادق فإنَّ الأَمْرَ إذَا خَرَجَ منَ اليَد لاَ يَقْبَل العلاَجَ. وَإنِّي وَإنْ كُنْتُ مُسْتَحْيِيًا منْ إظْهَار أَمْثَال هَذه الكَلمَات لأَرْبَاب الفَطَانَة اَلصَّحيحَة وَلَكنْ لَمَّا عَلمْتُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ وَسيلةٌ للسَّعَادَة اَلعُظْمَى كُنْت بَاعثًا عَلى اَلتَّصْديع.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالخَمْسُونَ
إلى السَّيِّد المَذْكُور أيْضًا
في بَيان أنَّ الاجْتِنَابَ من صُحْبَة المُبْتَدِع لازِمٌ وَإنَّ ضَرَرَ صُحْبَتِهِمْ فَوْقَ ضَرَرِ صُحْبَة الكُفَّارِ وَأنَّ شَرَّ الفرق المُبْتَدعَةُ الشِّيعَةُ الشَّنِيعَةُ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلكَ

عَظَّمَ اللهُ سُبْحَانَهُ أجرَكُمْ وَرَفَعَ قَدْرَكُمْ وَيَسَّرَ أَمْرَكُمْ وَشَرَحَ صَدْرَكُمْ بحُرْمَة سَيِّد البَشَرِ المُطَهَّرِ عَنْ زَيْغِ البَصَرِ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ الأوْفَى وَالسَّلاَمُ الأوْفَرُ. قَدْ وَرَدَ أنَّ مَنْ لم يَشْكُرْ النَّاسَ لم يَشْكُرْ اللهَ، فَشُكْرُ إحسانَاتكم لاَزِمٌ لنا فإنَّكُمْ كُنْتُمْ أوَّلاً سَبَبًا لجَمْعِيَّة حَضْرَة شَيْخنا، فطَلَبْنَا الحَقَّ سُبْحَانَهُ ببَرَكَتكُمْ في تلكَ الجَمْعِيَّة وَنلنَا حَظًّا وَافرًا منْ تلكَ الأمْنيَة، ولَمَّا بَلغَتْ النُّبُوَّةُ هَذه الطَّبَقَةَ بحُكْم: كَبُرَتْ بمَوْت الكُبَرَاء كُنْتُمْ مَرَّةً ثَانِيَةً وَاسطَةَ اجْتمَاع الفُقَرَاء وَبَاعثًا عَلى انْتظَامِ نظَامِ الطَّالبينَ الغُرَبَاء فَجزَاكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ عَنَّا خَيْرَ الجَزَاء. شعْرٌ.

وَلوْ أنَّ لي في كُل مَنْبَت شَعْرَة ... لسَانًا يَبُثُّ الشُّكْرَ كُنْتُ مُقصِّرًا

وَالمَأْمُول منَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ أنْ يَحْفَظَكُمْ عَمَّا لاَ يَليقُ بجَنَابكُمْ في الدُّنْيَا وَالآخرَة بحُرْمَة جَدِّكُمْ سَيِّد المُرْسَلينَ عَلَيْه وَعَلى آله منَ الصَّلَوَات أتَمُّهَا وَمنَ التَّسْليمَات أكْمَلهَا. وَقَدْ بَعُدَ هَذَا الفَقيرُ عَنْ صُحْبَتكُمْ وَنَأَى وَلاَ أدْري أنَّ أيَّ قسْمٍ منَ النَّاسِ في مَجْلسكُمْ الشَّريف وَمَنْ أنيسُكُمْ وَجَليسُكُمْ في مَحْفلكُمْ المَنيف. شعْرٌ.

منْ مُقْلتي طَارَ المَنَامُ تُفكُّرًا ... مَنْ كَانَ منْ نُدَمَائكُمْ وَضَجيعكُمْ

وَأَيْقنُوا أنَّ فَسَادَ صُحْبَة المُبْتَدع أزْيَدُ منْ فَسَاد صُحْبَة الكَافر، وَأخْبَثُ جَميع المُبْتَدعينَ وَأخَسُّهمْ طَائفَةٌ يَبْغضُونَ أصْحَابَ رَسُول اللهِ ـــ صَلى اللهُ عَلَيْه وَسَلمَ ـــ وَقَدْ قَال اللهُ تعَالى في القُرْآن المَجيد لهَؤُلاَء الطَّائفة كُفَّارًا حَيْثُ قَال سُبْحَانَهُ وَتَعَالى (ليَغيظَ بهمُ الكُفَّارَ) وَالمُبَلغُونَ للقُرْآن وَالشَّريعَة هُمُ الأصْحَابُ، فإنْ كَانَ الأصْحَابُ مَطعُونًا فيهمْ يَلزَمُ الطَّعْنُ في القُرْآنِ وَالشَّريعَة، وَالقُرْآنُ جَمعَهُ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ(١) ـــ عَلَيْه

---

(١) - هو الصحابي الجليل عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي أبو عمرو، أمير المؤمنين ذي النورين رضي الله عنه تزوج ابنتي النبي صلى اله عليه وسلم رقية وأم كلثوم واحدة بعد الأخرى، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي بكر و عمر رضي الله عنهما وروى عنه أولاده: أبان، وسعيد، وعمرو، وغيرهم، وهو أول من هاجر إلى

اَلرِّضْوَانُ ــ فَإِنْ كَانَ عُثْمَانُ مَطْعُونًا فيه كَانَ القُرْآنُ مَطْعُونًا فيه أَعَاذَنَا اَللّٰهُ سُبْحَانَهُ مِمَّا يَعْتَقِدُهُ الزَّنَادِقَةُ وَالاخْتِلاَفُ الوَاقِعُ بَيْنَ الأَصْحَاب عَلَيْهِمُ الرِّضْوَانُ وَكَذَا الجِدَال وَالقِتَال لَيْسَ بِمَحْمُول عَلَى الهَوَى النَّفْسانيِّ فَإِنَّ نُفُوسَهُمْ قَدْ تَزَكَّتْ في صُحْبَة خَيْرِ البَشَرِ وَتَخلصَتْ منْ وَصْف الأَمَّاريَّة، وَلكنَّ الذي نَعْتَقدُهُ أَنَّ الحَقَّ كَانَ في طَرَف عَليٍّ(١) ــ كَرَّمَ اللّٰهُ وَجْهَهُ ــ وَالخَطَأَ في طَرَف مُخَالفيه، وَلكنَّ هَذَا الخَطَأَ خَطَأٌ اجْتهاديٌّ وَهُوَ لاَ يَبْلغُ حَدَّ الفسْق بَل لاَ مَجَال للمَلاَمَة في مثْل هَذَا الخَطَأ وَللمُخْطئ فيه دَرَجَةٌ وَاحدَةٌ منَ الثَّوَاب. وَيَزيدُ البَعيدُ عَن السَّعَادَة لَيْسَ منَ الأَصْحَاب فَلاَ كَلاَمَ لأَحَد في كَوْنه بَعيدًا عَنْ سَاحَة السَّعَادَة فَإنَّ الأَمْرَ الذي فَعَلهُ هُوَ لاَ يَفْعَلهُ كُفَّارُ إفْرنْج، وَقَدْ تَوَقَّفَ بَعْضُ العُلمَاءِ منْ أَهْل السُّنَّة في لعْنه لاَ لكَوْنه رَاضيًا عَنْهُ أَوْ بفعْله بَل رعَايَةً لاحْتمَال رُجُوعه وَتَوْبَته.

وَيَنْبَغي أَنْ يُقْرَأَ في المَجْلس الشَّريف كُل يَوْم شَيْءٌ منْ كُتُب قُطْب الزَّمَان مَخْدُوم العَالم ليُعْلمَ أَنَّهُ كَيْفَ مَدَحَ أَصْحَابَ النَّبيِّ عَليْه وَعَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم وَبأَيِّ نَوْع منَ الآدَاب ذَكَرَهُمْ حَتَّى يَكُونَ المُخَالفُونَ مَحْجُوبينَ وَمَخْذُولينَ. وَقَدْ غَالَى هَذه الطَّائفَةُ البَاغيَةُ الطَّاغيَةُ في هَذه الأَيَّام غُلوًّا كَثيرًا وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبيرًا وَانْتَشَرُوا في الآفَاق والأَكْناف فَكَتَبْنَا في بَيَان فَسَادهمْ كَلمَات بهَذَا السَّبَب ؛ لئَلاَّ تَتَطَرَّقَ هَذه الطَّائفَةُ إلَى المَجْلس الشَّريف ؛ وَكَيْلاَ يَكُونَ لَهُمُ اعْتبَارٌ في ذَلكَ المَحْفَل المَنيف. ثَبَّتَكُمُ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ عَلَى الطَّريقَة المَرْضيَة.

الحبشة، ولم يشهد بدرا لتخلفه على تمريض زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.وشهد المشاهد بعدها.، مناقبه وفضائله كثيرة وشهيرة ــ توفي رضي الله عنه في أيام التشريق سنة ٣٥ هــ. انظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب ٩١/٤ ترجمة ٥١٩٠.

(١) هو الصحابي الجليل علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، أمير المؤمنين، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته فاطمة، كناه النبي صلى الله عليه وسلم أبا تراب، أمه فاطمة بنت أسد أسلمت وماتت في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، شهد بدرا وأحدا والمشاهد بعدها، وأبلى بلاء حسنا في بدر وأحد، والخندق، وخيبر، وكان لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم معه في كثير من المشاهد، وما تخلف إلا عن غزوة تبوك، خلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة، وقال له أنت مني بمترلة هارون وموسى إلا أنه لا نبي بعدي، فضائله كثيرة رضي الله عنه - توفي رضي الله عنه مقتولا ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ٤٠ من الهجرة. انظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب ٢١١/٤ ترجمة ٥٤٦٧.

اَلمَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالخَمْسُونَ
إلى اَلسَّيِّد عَبْد الوَهَّاب البُخارِيِّ(١)
فِي إِظْهَارِ المَحَبَّة

قَدْ ظَهَرَتْ فِي قَلبِي مَحَبَّةٌ لِجَنَابِكُمْ مِنْ مُدَّة مَديدَة غَيْرِ اَلارْتِبَاط اَلذي تَحقَّقَ سَابِقًا، فَنَحْنُ مَشْغُولونَ بِدُعَائِكُمْ الخَيْرَ مِنْ ظَهْرِ الغَيْبِ بلاَ اخْتِيَار. بِنَاءً عَلَى تِلْكَ المَحَبَّة وَحَيْثُ وَرَدَ مِنْ سَيِّد الكَائِنَات وَمَفْخَرِ المَوْجُودَات عَلَيْه وَعَلى آله اَلصَّلوَاتُ والتَّسْليمَاتُ " مَنْ أَحَبَّ أَخَاهُ فَلْيُعْلمْ إِيَّاه "(٢) رَأَيْتُ أَنَّ إِظْهَارَ حُبِّي أَوْلَى وَأَنْسَبُ، وَبهَذه المَحَبَّة المُتَعَلقَة بِأَقْرِبَاء اَلنَّبِيِّ ــ صَلى اللهُ عَلَيْه وَسَلمَ ــ حَصَلَ فِي اليَد حَبْل اَلرَّجَاء اَلتَّامِّ رَزَقَنَا اَللهُ سُبْحَانَهُ اَلاسْتقَامَةَ عَلى مَحَبَّتهِمْ بحُرْمَة سَيِّد البَشَرِ عَلَيْه وَعَلى آله اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

---

(١) ــ **عبد الوهاب بن السيد أحمد الملتاني**: جلال الدين شريف الله البخاري ثم الملتاني الهندي الحنفي الصوفي المتوفى سنة: ٩٣٢ هــ، له: تفسير القرآن.

(٢) ــ أحمد والبخارى في الأدب المفرد والترمذى في الزهد وابن حبان والحاكم وصححه عن المقدام بن معد يكرب وابن حبان عن أنس والبخارى في الأدب عن رجل من الصحابة بلفظ (إذا أحب أحدكم أخاه فليعلم أنه يحبه) شرح الجامع الصغير.

اَلْمَكْتُوبُ اَلسَّادِسُ وَالخَمْسُونَ
إلى اَلشَّيْخِ عَبْد الوَهَّاب أَيْضًا
فِي تَفْوِيضِ شَخْصٍ مِنَ اَلسَّادَات
إنَّ جَنَابَ قُدُسِ اَلسَّادَاتِ كَثِيرُ البَرَكَات
بِوَاسِطَةِ الجُزْئِيَّةِ مِنْ سَيِّدِ الأَوَّلِينَ وَالآخَرِينَ
عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ اَلصَّلَوَاتُ وَالتَّحِيَّاتُ أَجَل مَنْ أَنْ يُبَيِّنَ مَنْقَبَتَهُمْ وَمَحْمَدَتَهم بِاللِّسَان
إلاَّ أَنْ نَجْتَرِئَ فِي هَذَا البَاب لِيَكُونَ مَدْحُهمْ سَبَبًا لِسَعَادَتِنَا بَل إِنَّمَا نَمْدَحُ أَنْفُسَنَا فِي ضِمْنِهِ وَنُظْهِرُ المَوَدَّةَ اَلتي أَمَرَنَا اَللهُ بِهَا

اَللهُمَّ اجْعَلنَا مِنْ مُحِبِّيهِمْ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ. وَحَامِل العَرِيضَةِ هَذِهِ اَلسَّيِّدُ أَحْمَدُ مِنْ زُمْرَةِ اَلسَّادَات وَمِنْ جُمْلَةِ طَلَبَةِ العُلومِ وَمِنْ جَمَاعَةِ اَلصَّالِحِينَ. وَقَدْ تَوَجَّهَ إلى تِلكَ الحُدُود مِنْ جِهَةِ ضِيقِ المَعِيشَةِ، فَإِنْ كَانَ فِي البَاب العَالِي مَجَال فَالمُشَارُ إِلَيْهِ لاَئِقٌ بِالنَّظَرِ وَالإِمْدَاد، وَمُسْتَحِقٌّ فِي الغَايَة، وَإِلاَّ فَيَنْبَغِي تَفْوِيضُهُ إلى شَخْصٍ مِنَ المُخْلِصِينَ لِيَجْعَلَهُ مُطْمَئِنًّا مِنْ جِهَةِ المَعِيشَة، وَلَمَّا تَيَقَّنْتُ أَنَّ لِجَانِبِكُمْ تَوَجُّهًا أَتَمَّ فِي أَحْوَال الفُقَرَاء وَالمُحْتَاجِينَ وَعَلى الخُصُوصِ فِي إِمْدَاد اَلسَّادَات العِظَامِ أَقْدَمْنَا عَلى تَحْرِيرِ كَلِمَات وَالمَذْكُورُ وَإِنْ لَمْ يَسْتَسْعِدْ وَقْتَ اَلذَّهَاب بِسَعَادَةِ اَلرُّخْصَةِ إلاَّ أَنَّهُ دَاخِلٌ فِي زُمْرَةِ المُخْلِصِينَ. رَزَقَنَا اَللهُ سُبْحَانَهُ اَلاِسْتِقَامَةَ وَالإِخْلاَصَ فِي مَحَبَّتِهِمْ.

وَالزِّيَادَةُ عَلى ذَلِكَ انْبِسَاطٌ.

اَلْمَكْتُوبُ اَلسَّابِعُ وَالْخَمْسُونَ
إِلَى اَلشَّيْخِ مُحَمَّدٍ يُوسُفَ
فِي اَلنَّصِيحَةِ

رَزَقَكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ الاسْتِقَامَةَ عَلَى جَادَّةِ آبَائِكُمْ الكِرَامِ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ اَلصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ اعْلَمْ: أَنَّ اَلسُّؤْدُدَ وَالرِّيَاسَةَ وَالحِشْمَةَ مَوْرُوثَةٌ فِي جَمَاعَتِكُمْ، فَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ مَعِيشَتُكُمْ وَمُعَاشَرَتُكُمْ عَلَى نَهْجٍ يَتَيَسَّرُ لَكُمْ اسْتِحْقَاقُ هَذِهِ الوِرَاثَةِ، أَعْنِي تَحْلِيَةَ اَلظَّاهِرِ بِظَاهِرِ اَلشَّرِيعَةِ وَتَزْيِينَ البَاطِنِ بِبَاطِنِهَا اَلذي هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ الحَقِيقَةِ، فَإِنَّ اَلطَّرِيقَةَ وَالحَقِيقَةَ عِبَارَتَانِ عَنْ حَقِيقَةِ اَلشَّرِيعَةِ، وَاَلطَّرِيقَةُ هِيَ نَفْسُ تِلْكَ الحَقِيقَةِ اَلشَّرِيعَةُ أَمْرٌ وَالطَّرِيقَةُ وَالحَقِيقَةُ أَمْرَانِ آخَرَانِ مُغَايِرَانِ لَهَا، فَإِنَّ اعْتِقَادَ ذَلِكَ إِلحَادٌ وَزَنْدَقَةٌ. وَظَنُّ الفَقِيرِ بِكُمْ حَسَنٌ جِدًّا وَاجْعَل بَعْضَ الوَقَائِعِ شَاهِدًا لِهَذَا المَعْنَى وَقَدْ أَظْهَرْتُ نُبْذَةً مِنْ ذَلِكَ لِوَالِدِكُمْ المَاجِدِ وَبَقِيَّةُ المَرَامِ أَنَّ اَلشَّيْخَ عَبْدَ الغَنِيِّ رَجُلٌ مُحَلى بِالصَّلَاحِ وَحُسْنِ اَلشِّيمَةِ، فَإِنْ رَاجَعَ خِدْمَتَكُمْ فِي أَمْرٍ مِنَ الأُمُورِ فَالمَرْجُوُّ مِنْكُمْ بَذْل اَلالتِفَاتِ إِلَيْهِ وَالسَّلَامُ وَالإِكْرَامُ.

اَلْمَكْتُوبُ اَلثَّامِنُ وَالْخَمْسُونَ
إلى اَلسَّيِّد مَحْمُود
فِي بَيَان أَنَّ هَذَا اَلطَّرِيقَ كُلهُ سَبْعُ خُطُوَات وَأَنْ مشائخَ النَّقْشبَنْديَّة اختَارُوا ابْتدَاءَ اَلسَّيْر منْ عَالَمِ الأَمْرِ بخلاَف مَشَائخِ السَّلاَسلِ الأُخَرِ وَأَنَّ طَرِيقَ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ هُوَ طَرِيقُ الأَصْحَابِ الكِرَامِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلكَ

قَدْ وَرَدَ مَكْتُوبُكُمْ اَلشَّرِيفُ وَلَمَّا فَهِمْتُ منْهُ شَوْقَكُمْ إِلى اسْتمَاعِ كَلمَات هَؤُلاَءِ اَلطَّائفَة العَلِيَّة أَرَدْتُ أَنْ أُحَرِّرَ بالضَّرُورَة كَلمَات إِجَابَة للمسئول وَتَرْغيبًا فِي المَأْمُول.

أَيُّهَا المَخْدُومُ إِنَّ هَذَا اَلطَّرِيقَ اَلذي نَحْنُ فِي صَدَد قَطْعه كُله سَبْعُ أَقْدَامٍ بعَدَد اَللطَائف اَلسَّبْعِ الإِنْسَانيَّة: قَدَمَان منْهَا في عَالَمِ الخَلق يَتَعلَّقَان بالقَالب - أَعْني البَدَنَ العُنْصُرِيَّ وَالنَّفْسَ - وَخَمْسَةٌ منْهَا في عَالَمِ الأَمْرِ مَرْبُوطَةٌ بالقَلْب وَالرُّوحِ وَالسِّرِّ والخَفَى وَالأَخْفَى، وَفي كُل قَدَم منْ هَذه الأَقْدَام اَلسَّبْعِ تَرْتَفعُ عَشَرَةُ آلاَف حجَاب نُورَانيَّة كَانَتْ تلكَ الحُجُبُ أَوْ ظُلمانيَّة: " إِنَّ لله سَبْعينَ أَلفَ حجَاب منْ نُور وَظُلْمَة "(١) ففي القَدَمِ الأُولى اَلتي تُوضَعُ في عَالَمِ الأَمْرِ يَظْهَرُ اَلتَّجَلي الأفعالي، وَفي اَلثَّانيَة اَلتَّجَلي الصِّفَاتي، وَيَقَعُ اَلشُّرُوعُ في اَلتَّجَليَات اَلذَّاتيَّة في اَلثَّالثَة ثُمَّ وَثُمَّ عَلى تَفَاوُت دَرَجَاتهَا، كَمَا لاَ يَخْفَى عَلى أَرْبَابهَا، وَفي كُل خَطْوَة منَ الخَطَوَات اَلسَّبْعِ يَبْعُدُ اَلسَّالكُ عَنْ نَفْسه وَيُقَرَّبُ منْ رَبِّه سُبْحَانَهُ حَتَّى يَتمَّ القُرْبُ بتَمَامِ هَذه الأَقْدَام، فَحينَئذ يَتَشَرَّفُ بالفَنَاءِ وَالبَقَاءِ وَيَبْلغُ دَرَجَةَ الولاَيَة الخَاصَّة. وَاخْتَارَ مشَائخُ النَّقْشَبَنْديَّة العَليَّة قَدَّسَ اَللهُ

(١) ــ الحديث رواه في المشكاه من قول جبريل كان بيني وبينه سبعون ألف حجاب وترك البياض ثم ألحق بعض الشراح روى ابن حبان في صحيحه عن ابن عمر وقال ابن حجرانه صحيح ثم ذكر من الصحابة جبيرا بن مطعم وأن تعقب عليه على القارى بأن ذكر العد غير صحيح ونفس الحجاب في صحيح مسلم من رواية أبي موسى مرفوعا حجاب من النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه قلت الحديث الذي في المشكاة غير الذي أخرجه مسلم والذي في المشكاة أورده السيوطى في حديث طويل جدا وعزاه إلى ابن زنجوية عن على بن يزيد الهلالى عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامه مرفوعا بلفظ يا محمد لقد دنوت من الله دنوا ما دنوت مثله قط فكان بيني وبنه سبعون ألف حجاب من نور الحديث بطولة ثم قال حم القاسم بن عبد الرحمن حدث عن على بن يزيد باعا جيب ما أراها إلا من قبل القاسم اهــ سند عفى عنه.

أَسْرَارَهُمُ اَلسَّنِيَّةَ ابْتِدَاءَ هَذَا اَلسَّيْرِ مِنْ عَالَمِ الأَمْرِ وَهُمْ يَقْطَعُونَ مَسَافَةَ عَالَمِ الخَلْقِ أَيْضًا فِي ضِمْنِ هَذَا اَلسَّيْرِ، بِخِلَافِ مَشَائِخِ سَلَاسِلِ أُخَرَ قَدَّسَ اَللهُ أَسْرَارَهُمْ لِهَذَا كَانَ طَرِيقُ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ أَقْرَبُ اَلطُّرُقِ. فَلَا جَرَمَ صَارَتْ نِهَايَةُ غَيْرِهِمْ مُنْدَرِجَةً فِي بِدَايَتِهِمْ (ع):

يَدُلُّ عَلَى حُسْنِ اَلزَّمَانِ رَبِيعُهُ

وَطَرِيقُ هَؤُلَاءِ الأَكَابِرِ هُوَ بِعَيْنِهِ طَرِيقُ اَلصَّحَابَةِ الكِرَامِ رِضْوَانُ اَللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، فَإِنَّ مَا حَصَلَ لِلأَصْحَابِ فِي أَوَّلِ صُحْبَةِ خَيْرِ البَشَرِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ اَلصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِطَرِيقِ انْدِرَاجِ اَلنِّهَايَةِ فِي البِدَايَةِ قَلَّمَا يَحْصُلُ لِكُمَّلِ الأَوْلِيَاءِ فِي اَلنِّهَايَةِ، وَلِهَذَا كَانَ الوَحْشِيُّ قَاتِلُ حَمْزَةَ[١] ــ رَضِيَ اَللهُ عَنْهُ ــ أَفْضَلَ مِنْ أُوَيْسٍ اَلقَرْنِيِّ[٢] اَلَّذِي هُوَ خَيْرُ اَلتَّابِعِينَ ؛ لِنَيْلِهِ صُحْبَةَ اَلنَّبِيِّ ــ صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ مَرَّةً وَاحِدَةً. سُئِلَ عَبْدُ اَللهِ بْنُ المُبَارَكِ[٣]: أَيُّهُمَا أَفْضَلُ مُعَاوِيَةُ[١] أَوْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ[٢] ؟ فَقَالَ: وَاَللهِ لِلْغُبَارُ

---

(١) ــ حمزة بن عبدالمطلب ــ رضي الله عنه ــ: عم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أمه هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن عبد كلاب بن مرة، يكنى أبا عمارة، وكان له من الولد: يعلى وعامر وبنت وهي التي اختصم بها زيد وجعفر وعلي واسمها أمامة، كان إسلام حمزة عزة للإسلام والمسلمين؛ قال محمد بن كعب القرظي: قال أبو جهل في رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فبلغ ذلك حمزة، فدخل المسجد مغضبا فضرب رأس أبي جهل بالقوس ضربة أوضحته، وأسلم حمزة فعزَّ به رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ والمسلمون، وذلك في السنة السادسة من النبوة بعد دخول لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ دار الأرقم بن أبي الأرقم (أخرجه الطبراني مرسلا عن محمد بن كعب القرظي).

وقال يزيد بن رومان المدني: وأول لواء عقده رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حين قدم المدينة لحمزة. انظر: ابن الجوزي: صفة الصفوة: ١٩٥/١.

(٢) ــ أويس القرني: أويس بن عامر القرني المرادي، والقرني بفتح القاف والراء نسبة إلى قرن بن رومان، سيد التابعين، ذكر الصريفيني أن مسلما أخرج حديث أويس، والذي في مسلم ذكر أويس وحكاية كلامه، لا ذكر روايته؛ قلاال ابن عدي: ليس لأويس من الرواية شيء، إنما له حكايات ونتف في زهده، وقد شك قوم فيه، ولا يجوز أن يُشَكَّ فيه لشهرته، ولا يتهيأ أن يحكم عليه بالضعف، بل هو ثقة صدوق، قال: ومالك ينكر أويسا ويقول: لم يكن. انظر: الحافظ ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٢٤٤/١.

(٣) أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح من أهل مرو: ولد سنة ثمان عشرة ومائة، عالم فقيه مفسر محدث مؤرخ نحوي لغوي، قال عبد الرحمن بن مهدي: ما رأت عيناي أنصح لهذه الأمة من عبد الله بن المبارك، له رحلات عديدة ومن تصانيفه الكثيرة: كتاب الزهد، السنن في الفقه، كتاب التفسير، البر والصلة، كتاب الجهاد، مات ب " هيت " منصرفا من الغزو في رمضان سنة إحدى وثمانين ومائة. انظر: المعارف: ٥١١، طبقات الفقهاء للشيرازي: ١٠٧، صفة الصفوة: ٣٣٠/٢، تهذيب التهذيب: ٢٤٧/٣، شذرات الذهب: ٢٩٥/١، النجوم الزاهرة: ١٠٣/٢، هدية العارفين: ٤٣٨/١، الأعلام: ١١٥/٤، معجم المؤلفين: ٢٧١/٢، بروكلمان: ١٥٣/٣، تاريخ التراث العربي: ١٣٧/١.

اَلذي دَخَل أَنْفَ فَرَسِ مُعَاوِيَةَ مَعَ رَسُول اَللهِ ــ صَلى اَللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ــ خَيْرٌ منْ عُمَرَ بْنِ عَبْد العَزيز كَذَا مرَّةً[٣] فَيَنْبَغي أَنْ يَتَأَمَّل في أَنَّهُ إِذَا كَانَ بدَايَةَ جَمَاعَة بحَيْثُ انْدَرَجَتْ فيهَا نهَايَةُ غَيْرهمْ مَاذَا تَكُونُ نهَايَتُهمْ ؟! وَكَيْفَ يَسَعُهَا إِدْرَاكُ الآخَرِينَ: {وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ}[٤] (شعْرٌ):

لوْ عَابَهُمْ قَاصرٌ طَعْنًا بهمْ سَفَــهًا ... بَرَّأْتُ سَاحَتَهُمْ منْ أَفْحَشِ الكَلمِ

هَل يَقْطَعُ اَلثَّعْلبُ اَلمُحْتَال سلسلةً ... قَيَّدْتُ بهَا أَسَدَ اَلدُّنْيَا بأسـرهم

رَزَقَنَا اَللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ مَحَبَّةَ هَؤُلاَءِ اَلطَّائفَة العَزيزي الوُجُود. وَالوَرَقَةُ وَإِنْ كَانَتْ مُحَقَّرَةً وَلكنَّهَا قَدْ انْدَرَجَتْ فيهَا مَعَارِفُ عَاليَةٌ وَحَقَائقُ سَاميَةٌ، فَيَنْبَغي إِعْزَازُهَا، يَعْني منْ أَجْلهَا .

---

(١) معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس أبو عبد الرحمن الأموي، أسلم يوم الفتح وقيل: قبل ذلك، روى عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وعن أبي بكر وأخته أم حبيبة أم المؤمنين، وروى عنه: جرير بن عبد الله البجلي والسائب بن يزيد الكندي وابن عباس ومعاوية بن خديج وغيرهم، له في صحيح البخاري ثمانية أحاديث، ولاه عمر على الشام بعد أخيه يزيد، وأقره عثمان عليها مدة خلافته، ثم ولي الخلافة، قال ابن إسحاق: " كان معاوية أميرا عشرين سنة وخليفة عشرين سنة "، توفي معاوية ــ رضي الله عنه ــ في رجب لأربع بقين من سنة ٦٠هــ. انظر: تهذيب التهذيب: ٤٧٨/٥، هدي الساري لابن حجر: ٥٠٠، رجال صحيح البخاري للكلاباذي: ٧٠٣/٢، رجال صحيح مسلم لابن منجويه: ٢٢٨/٢.

(٢) ــ عمر بن عبدالعزيز بن مروان: يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، قال سفيان الثوري: الخلفاء خمسة: أبو بكر، وعمر وعثمان وعلي وعمر بن العزيز رضي الله عنهم، وقال الإمام أحمد بن حنبل: يروى في الحديث: " إن الله تبارك وتعالى يبعث على رأس كل مائة عام من يصحح لهذه الأمة دينها " فنظرنل في المائة الأولى فإذا هو عمر بن عبدالعزيز، ونظرنا في المائة الثانية فإذا هو الشافعي.

وعن الضحاك بن عثمان قال: لما انصرف عمر بن عبدالعزيز عن قبر سليمان بن عبدالملك صُفّتْ له مراكب سليمان، فقال:

ولولا التقى ثم النهى خشية الردى لعاصيت في حب الصبا كل زاجرِ

قضى ما قضى فيما قضى ثم لا يرى له صبوة أخرى الليالي الغوابرِ

انظر في ترجمة عمر بن عبدالعزيز: ابن الجوزي: صفة الصفوة: ٨٠/٢.

(٣) ــ في الفتاوى الحديثية لابن حجر من مائة وواحد مثل ابن عبد العزيز اهــ سند.

(٤) ــ الآية: ٣١ من سورة المدثر.

اَلْمَكْتُوبُ اَلتَّاسِعُ وَالْخَمْسُونَ
إلى اَلسَّيِّد مَحْمُود أَيْضًا
في بَيَان أَنَّهُ لاَ بُدَّ في حُصُول اَلنَّجَاة منْ أُمُور ثَلاَثَة: وَإِنَّهَا لاَ تُتَصَوَّرُ بدُون اتِّبَاع أَهْل اَلسُّنَّة وَالْجَمَاعَة وَأَنَّ العلمَ وَالعَمَل مُتَعَلِّقَان بالشَّريعَة وَالإخْلاَصَ مَنُوطٌ بسُلوك طَرِيقِ اَلصُّوفيَّة وَمَا يُنَاسبُ ذَلك

رَزَقَنَا اَللهُ سُبْحَانَهُ الاسْتقَامَةَ عَلى جَادَّة اَلشَّريعَة اَلْمُصْطَفَويَّة عَلى صَاحبهَا اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ وَالإقْبَال عَلى جَنَاب قُدْسه بالكُلِّيَّة. وَقَدْ وَرَدَتْ اَلصَّحيفَةُ اَلشَّريفَةُ اَلْمُشْتَملةُ عَلى اَلْمُفَاوَضَة الْمَنيفَة فَصَارَتْ مُوجبَةً للفَرَح، وَاتَّضَحَتْ اَلْمُقَدِّمَاتُ اَلْمَنيئة عَنْ مَحَبَّة الفُقَرَاء وَالإخْلاَص لهَؤُلاَء اَلطَّائفَة الغُرَبَاء، اَللهُمَّ زدْ. وَانْدَرَجَ فيهَا أَيْضًا طَلَبُ الفَوَائد فَاعْلَمْ أَيُّهَا المَخْدُومُ. وَلاَ بُدَّ للإنْسَان منْ ثَلاَثَة أَشْيَاء حَتَّى تَتَيَسَّرَ اَلنَّجَاةُ الأَبَديَّةُ: العلمُ وَالعَمَل وَالإخْلاَصُ. وَالعلمُ عَلَى قسْمَيْن: قسْمٌ المَقْصُودُ منْهُ العَمَل وَقَدْ تَكَفَّل ببَيَانه علمُ الفقْه. وَقسْمٌ المَقْصُودُ منْهُ مُجَرَّدُ اَلاعْتقَاد وَاليَقين القَلبيِّ وَذكرَ هَذَا القسْمُ في علم الكَلاَم بالتَّفْصيل عَلى مُقْتَضَى آرَاء أَهْل اَلسُّنَّة وَالجَمَاعَة اَلذينَ هُمُ الفرْقَةُ اَلنَّاجيَةُ. وَلاَ إمْكَانَ للنَّجَاة وَلاَ مَطْمَعَ لأَحَد فيهَا بدُون اتِّبَاع هَؤُلاَء الأَكَابر فَإنْ وَقَعَتْ اَلْمُخَالَفَةُ لَهُم مقْدَارَ شَعْرَة فَالأَمْرُ في خَطَر أَيِّ خَطَر. وَهَذَا الكَلاَمُ قَدْ بَلَغَ منَ اَلصِّحَّة مَرْتَبَةَ اليَقين بالكَشْف اَلصَّحيح وَالإلهَام اَلصَّريح أَيْضًا لاَ احْتمَال فيه للتَّخلف. فَطُوبَى لمَنْ وُفِّقَ لمُتَابعتهم وَتَشَرَّفَ بتَقْليدهم وَوَيْل لمَنْ خَالفَهُمْ وَاعْتَزَلهُمْ وَرَفَضَ أُصُولهُمْ وَخَرَجَ منْ زُمْرَتهمْ فَضَلَّ وَأَضَل وَأَنْكَرَ اَلرُّؤْيَةَ وَالشَّفَاعَةَ وَخَفيَ عَلَيْه فَضيلةُ اَلصُّحْبَة وَفَضْل اَلصَّحَابَة وَحُرمَ مَحَبَّةَ أَهْل بَيْت اَلرَّسُول وَمَوَدَّةَ أَوْلاَد البَتُول(١) فَمنَعَ منْ خَيْر كَثير نَالهَا أَهْل اَلسُّنَّة.

وَاتَّفَقَتْ اَلصَّحَابَةُ عَلى أَنَّ أَفْضَلهُمْ أَبُو بَكْر قَال الإمَامُ اَلشَّافعيُّ(٢) ــ رَضيَ اَللهُ عَنْهُ ــ وَهُوَ أَعْلَمُ بأَحْوَال اَلصَّحَابَة: اضْطَرَّ اَلنَّاسُ بَعْدَ رَسُول اَلله ــ صَلى اَللهُ عَلَيْهِ

(١) ــ يعني السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢) أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الشافعي المطلبي القرشي إمام الأئمة مجدد القرن الثاني يجتمع مع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في عبد مناف، الإمام الأعظم والحبر المكرم أحد الأئمة المجتهدين الأعلام ركن الإسلام أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة وإليه تنتسب الشافعية،

وَسَلَمَ ــ فَلَمْ يَجِدُوا تَحْتَ أَدِيمِ اَلسَّمَاءِ خَيْرًا مِنْ أَبِي بَكْرٍ فَوَلَوْهُ رِقَابَهُمْ وَهَذَا تَصْرِيحٌ مِنْهُ بِأَنَّ اَلصَّحَابَةَ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَفْضَلِيَّةِ اَلصِّدِّيقِ فَيَكُونُ إِجْمَاعًا عَلَى أَفْضَلِيَّتِهِ فِي اَلصَّدْرِ الأَوَّلِ فَيَكُونُ قَطْعِيًّا لاَ يَسُوغُ إِنْكَارُهُ. وَأَهْلُ بَيْتِ اَلرَّسُولِ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ سَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجَا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا هَلَكَ قَالَ بَعْضُ العَارِفِينَ إِنَّ رَسُولَ اَللهِ ــ صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ ــ جَعَلَ أَصْحَابَهُ كَالنُّجُومِ[1] وَبِالنُّجُومِ هُمْ يَهْتَدُونَ.

وَشَبَّهَ أَهْلَ بَيْتِهِ بِسَفِينَةِ نُوحٍ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ رَاكِبَ اَلسَّفِينَةِ لاَ بُدَّ لَهُ مِنْ رِعَايَةِ اَلنُّجُومِ لِيَأْمَنَ مِنَ الهَلاَكِ وَبِدُونِ رِعَايَةِ اَلنُّجُومِ اَلنَّجَاةُ مُمْتَنِعَةٌ.

وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ الإِنْكَارَ عَلَى بَعْضِ إِنْكَارٌ عَلَى جَمِيعِهِمْ، فَإِنَّهُمْ فِي فَضِيلَةِ صُحْبَةِ خَيْرِ البَشَرِ مُشْتَرِكُونَ، وَفَضِيلَةُ اَلصُّحْبَةِ فَوْقَ جَمِيعِ الفَضَائِلِ وَالكَمَالاَتِ، وَلِهَذَا لَمْ يَبْلُغْ أُوَيْسٌ القَرْنِيُّ اَلَّذِي هُوَ خَيْرُ اَلتَّابِعِينَ مَرْتَبَةَ أَدْنَى مِنْ صَحْبِهِ - عَلَيْهِ اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - فَلاَ تَعْدِلُ بِفَضِيلَةِ اَلصُّحْبَةِ شَيْئًا كَائِنًا مَا كَانَ، فَإِنَّ إِيمَانَهُمْ بِبَرَكَةِ اَلصُّحْبَةِ وَشُهُودِ نُزُولِ الوَحْيِ صَارَ شُهُودِيًّا. وَلَمْ يَتَّفِقْ لأَحَدٍ بَعْدَ اَلصَّحَابَةِ هَذِهِ المَرْتَبَةُ مِنَ الإِيمَانِ، وَالأَعْمَالُ مُتَفَرِّعَةٌ عَلَى الإِيمَانِ كَمَا لَهَا بِحَسَبِ كَمَالِ الإِيمَانِ، وَمَا جَرَى بَيْنَهُمْ مِنَ المُشَاجَرَاتِ وَالمُنَازَعَاتِ فَمَحْمُولٌ عَلَى مَحَامِلَ صَالِحَةٍ وَحِكَمٍ بَالِغَةٍ مَا كَانَتْ عَنْ هَوًى وَجَهْلٍ وَلَكِنْ عَنِ اجْتِهَادٍ وَعِلْمٍ، فَإِنْ أَخْطَأَ بَعْضُهُمْ فِي اَلاجْتِهَادِ فَلِلْمُخْطِئِ أَيْضًا دَرَجَةٌ عِنْدَ اَللهِ سُبْحَانَهُ. هَذَا هُوَ اَلطَّرِيقُ الوَسَطُ بَيْنَ الإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ اَلَّذِي اخْتَارَهُ أَهْلُ اَلسُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ وَهُوَ اَلطَّرِيقُ الأَسْلَمُ وَالسَّبِيلُ الأَحْكَمُ.

ومذهبه ينحو إلى التوفيق بين مذهب أهل الحديث الذي سار عليه مالك ومذهب أهل الرأي الذي أخذ به أبو حنيفة، ولد سنة ١٥٠ هـ وتوفي بالقرافة الصغرى بمصر سنة ٢٠٤ هـ، أول من دون علم أصول الفقه، له الرسالة في أصول الفقه، الأم في الفقه، جماع العلم، أفرد العلماء ترجمته بالتصنيف منها: مناقب الشافعي لابن أبي حاتم والبيهقي والرازي ومنها معالي التأسيس للحافظ ابن حجر، الشافعي حياته وعصره لأبي زهرة، انظر: تاريخ بغداد: ٥٦/٢، طبقات الفقهاء للشيرازي: ٦٠، طبقات الشافعية لابن هداية: ١٨٥، صفة الصفوة: ٤٨٢/١، طبقات الحنابلة: ٢٨٠/١، المنهج الأحمد: ٦٣/١، تهذيب التهذيب: ٢٠/٥، شذرات الذهب: ٩/٢، النجوم الزاهرة: ١٧٦/٢، هدية العارفين: ٩/٢، الأعلام: ٢٦/٦، معجم المؤلفين: ١١٦/٣، بروكلمان: ٢٩٢/٣، تاريخ التراث العربي: ١٦٥/٢.

(١) ــ (أشارة إلى ما هو المشهور على الألسنة من قول أصحابي كالنجوم الخ) والحديث متكلم فيه وقد أخرج المسلم عن أبي موسى الأشعري بلفظ النجوم أمنة أهل السماء فإذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يوعدون وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي بما يوعدون اهـ سند عفى عنه.

وَبِالْجُمْلَةِ إِنَّ العِلمَ وَالعَمَل مُسْتَفَادَانِ مِنَ اَلشَّرِيعَةِ، وَتَحْصِيل الإِخْلاَصِ اَلذِي هُوَ بِمَنْزِلَةِ اَلرُّوحِ للعلمِ.

وَالعَمَل مَرْبُوطٌ بِسُلوك طَرِيقَة اَلصُّوفِيَّة. وَمَا لَمْ يَقْطَعْ اَلسَّالِكُ مَسَافَةَ اَلسَّيْرِ إِلَى اَللهِ وَلَمْ يَتَحَقَّقْ لهُ اَلسَّيْرُ فِي اَللهِ فَهُوَ بَعِيدٌ مِنْ حَقِيقَة الإِخْلاَصِ وَمَحْرُومٌ مِنْ كَمَالاَتِ المُخْلصِينَ أَهْل الاخْتِصَاصِ. نَعَمْ قَدْ يَتَحَقَّقُ الإِخْلاَصُ فِي بَعْضِ الأَعْمَال لعَامَّة المُؤْمِنِينَ بِالتَّعَمُّل وَالتَّكَلف وَلوْ فِي الجُمْلة وَلكِنَّ الإِخْلاَصَ اَلذِي نَحْنُ فِي صَدَد بَيَانه هُوَ الإِخْلاَصُ فِي جَمِيعِ الأَفْعَال وَالأَقْوَال وَالحَرَكَات وَالسَّكَنَات مِنْ غَيْرِ تَعَلمٍ وَتَكَلف فيه. وَحُصُول هَذَا الإِخْلاَصِ مَنُوطٌ بِانْتِفَاء الآلهَة الآفَاقيَّة والأَنْفسيَّة اَلذي هُوَ مَرْبُوطٌ بِالفَنَاء وَالبَقَاء. وَالوُصُول بالولاَيَة الخَاصَّة وَالإِخْلاَصِ اَلذي يُحْتَاجُ فيه إِلَى اَلتَّعَمُّل وَالتَّكَلف لاَ يَكُونُ لهُ دَوَامٌ، وَلاَ بُدَّ مِنْ سُقُوط اَلتَّكَلف فِي حُصُول اَلدَّوَامِ اَلذي هُوَ مَرْتَبَةُ حَقِّ اليَقِين. وَأَوْلِيَاءُ اَللهِ تَعَالى كُلمَا يَفْعَلونَهُ يَفْعَلونَهُ للهِ - جَل وَعَلاَ - لاَ لحُظُوظ نُفُوسهمْ فَإِنَّ نُفُوسَهُمْ، كَانَت فدَاءَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَلاَ حَاجَةَ لهُمْ إِلى تَصْحِيحِ اَلنِّيَّة فِي حُصُول الإِخْلاَصِ فَإِنَّ نِيَّتَهُمْ قَدْ صَحَّتْ بِالفَنَاء فِي اَللهِ وَالبَقَاء بِاَللهِ، فَإِنَّ شَخْصًا مَثَلاً إِذَا كَانَ أَسِيرًا فِي يَد نَفْسه فَكُلمَا يَفْعَلهُ، يَفْعَلهُ لحَظِّ نَفْسه نَوَى أَوْ لَمْ يَنْوِ، وَمَتَى زَال تَعَلقُه بِنَفْسه وَتَخَلصَ مِنْ رِبْقَة رِقِّيَّتهَا وَحَصَل بَدْلهُ اَلتَّعَلق بِالحَقِّ - جَل وَعَلاَ - فَلاَ جَرَمَ يَفْعَل كُلمَا يَفْعَلهُ للهِ نَوَى أَوْ لمْ يَنْوِ فَإِنَّ اَلنِّيَّةَ إِنَّمَا يُحْتَاجُ إِليْهَا فِي المُحْتَمَل،وَأَمَّا المُتَعَيِّنُ فَلاَ حَاجَةَ فيه إِلى اَلتَّعْيِين {ذَلكَ فَضْل اَللهِ يُؤْتِيه مَنْ يَشَاءُ وَاَللهُ ذُو الفَضْل العَظِيمِ}(١) وَصَاحِبُ الإِخْلاَصِ اَلدَّائِمِ هُوَ مِنَ المُخْلَصِينَ - بِفَتْحِ اَللاَّمِ - وَمَنْ لاَ دَوَامَ فِي إِخْلاَصه بَل هُوَ فِي كَسْبِ الإِخْلاَصُ دَائمًا فَهُوَ مِنَ المُخْلصِينَ - بِكَسْرِ اَللاَّمِ - وَشَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا. وَالنَّفْعُ اَلذي يَحْصُل فِي العلمِ وَالعَمَل مِنْ طَرِيقِ اَلصُّوفِيَّة هُوَ أَنْ تَكُونَ العُلومُ الكَلاَمِيَّةُ الاسْتِدْلاَليَّةُ كَشْفيَّةً، وَأَنْ يَحْصُل اليُسْرُ اَلتَّامُّ فِي أَدَاءِ الأَعْمَال وَأَنْ يَزُول الكَسَل اَلنَّاشِئُ مِنْ جَانب اَلنَّفْسِ وَالشَّيْطَان. (ع):

وَهَذي سعَادَاتٌ تَكُونُ نَصِيبَ مَنْ

وَالسَّلاَمُ أَوَّلاً وَآخرًا

---

(١) ــ الآية: ٢١ من سورة الحديد، والآية: ٤ من سورة الجمعة.

المَكْتُوبُ اَلستُّونَ
إلى اَلسَّيِّد مَحْمُود أَيْضًا
فِي بَيَانِ نَفْيِ الخَوَاطِرِ وَدَفْعِ الوَسَاوِسِ الكُلِّيَّة وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

شَرَّفَ اَللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى بِدَوَامِ اَلتَّعَلق بِجَنَاب قُدْسِه، فَإِنَّ حَقِيقَةَ الحُرِّيَّة إِنَّمَا هِيَ فِي ذَلِكَ اَلتَّحَقُّقِ، وَمَنْعُ الخَوَاطِرِ، وَدَفْعُ الوساوِيسِ حَاصِل فِي طَرِيقَة خواجكان قَدَّسَ اَللهُ أَسْرَارَهُمْ عَلى الوَجْه الأَتَمِّ، حَتَّى جلس بَعْضُ مشائخ هَذه اَلطَّائفَة الأَرْبَعِينَ لِملاَحَظَة خُطُورِ الخَوَاطر وَمَنْعِهَا عَنْ سَاحَة صَدْره فِي هَذه المُدَّة كُلِّهَا، قَالَ حَضْرَةُ الخواجهْ عُبَيْدُ اَللهِ أَحْرَارٌ - قَدَّسَ اَللهُ سِرَّهُ - فِي هَذَا المَقَامِ: إِنَّ المُرَادَ بِعَدَمِ خُطُورِ الخَوَاطِرِ وَدَفْعِهَا هِيَ الخَوَاطِرُ اَلتي تَكُونُ مَانِعَةً مِنْ دَوَام اَلتَّوَجُّه إِلى المَطْلُوب لاَ دَفْعُ الخَوَاطِرِ مُطْلَقًا يَقُول وَاحِدٌ مِنْ مُخلصِي هَذه اَلسِّلسلة العَلِيَّة مُخْبِرًا عَنْ حَاله بِحُكْمِ {وَأَمَّا بِنِعْمَة رَبِّك فَحَدِّثْ}(١): إِنَّ نَفْيَ الخَوَاطِرِ عَنِ القَلب يَبْلغُ حَدًّا لوْ أُعْطِيتَ عُمْرَ نُوحٍ عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْه اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَم فَرْضًا لاَ يَخْطُرُ عَلى قَلبِي شَيْءٌ مِنَ الخَوَاطِر، لاَ أَنَّهُ مُتَكَلفٌ فِي هَذَا اَلدَّفْعِ فَإِنَّ كُل شَيْءٍ كَانَ حُصُولهُ بِالتَّكَلف فَهُوَ مُؤَقَّتٌ لاَ يَقْبَلُ اَلدَّوَامَ بَل لوْ تَكَلفَ فِي إِتْيَان الخَوَاطِرِ وَإِيقَاعِهَا سِنِينَ لاَ يَتَيَسَّرُ أَصْلاً، وَتَعْيِينُ الأَرْبَعِينَ يُنْبِئُ عَنِ اَلتَّكَلف. وَالتَّكَلفُ إِنَّمَا هُوَ فِي مَرْتَبَة اَلطَّرِيقَة، وَأَمَّا الحَقِيقَةُ فَهِيَ اَلتَّخَلصُ مِنَ اَلتَّعَمُّل وَالتَّكَلف يادكرد فِي اَلطَّرِيقَة ويادداشت فِي الحَقِيقَة، فَتَحَقَّقَ أَنَّ دَوَامَ اَلتَّوَجُّه إِلى المَطْلُوب عَلى تَقْدِيرِ تَحَقُّقِ مَنْعِ الخَوَاطِرِ المُؤَقَّت بِوَقْت مِنَ العَشْرِ وَالأَرْبَعِينَ مُحَال ؛ لمَا مَرَّ مِنْ أَنَّ اَلتَّكَلفَ فِي مَرْتَبَة اَلطَّرِيقَة وَالدَّوَامَ غَيْرُ مُتَصَوَّرٍ فِي اَلطَّرِيقَة وَإِنَّمَا هُوَ فِي الحَقِيقَة، وَذَلكَ لعَدَمِ مَجَال للتَّكَلف فِي ذَلكَ المَوْطن، فَوُرُودُ الخَاطرِ وَخُطُورُه فِي مَرْتَبَة اَلتَّكَلف يَكُونُ مَانِعًا مِنْ دَوَامِ اَلتَّوَجُّه. وَالذي يَحْصُل لقُلوب مُبْتَدئ هَذه اَلسِّلسلة العَلِيَّة مِنْ دَوَامِ اَلتَّوَجُّه فَهُوَ أَمْرٌ آخرُ. وَمَا نَحْنُ بِصَدَد بَيَانه فَعِبَارَةٌ عَنْ ياددَاشت اَلذي هُوَ نِهَايَةُ مَرْتَبَة الكَمَال. قَال حَضْرَةُ الخواجهْ عَبْد الخَالق - قُدِّسَ سِرُّهُ - لَيْسَ وَرَاءَ ياددَاشت غَيْرُ الأَوْهَامِ وَالظُّنُونِ - يَعْنِي لَيسَ وَرَاءَهُ مَرْتَبَةٌ أُخْرَى - وَالمَقْصُودُ مِنْ إِظْهَارِ

---

(١) ــ الآية: ١١من سورة الضحى.

أَمْثَال هَذِه الأَحْوَال هُوَ تَرْغِيبُ طَالِبِي هَذِه اَلطَّرِيقَةِ العَلِيَّة وَإِنْ لَمْ يُزِدْ لِلمُنْكِرِينَ غَيْرَ الإِنْكَارِ شَيْئًا {يُضِلّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا}[1].

قَال فِي المثنوى. شِعْرٌ.

خَابَ اَلذي قَدْ يَرَى ذَا القُبْحِ كَالحُسْنِ — وَفَازَ مَنْ كَانَ فيه حـــدَّةُ البَصَرِ
النيـــلَ كَانَ دَمًا للقبـــطِ ولبَـــنِي — يَعْقُوبَ مَاءٌ وَذَا مِنْ أَعْظَمِ العِبَرِ

وَالسَّلاَمُ وَالإِكْرَامُ.

(١) ــ الآية: ٢٦ من سورة البقرة.

اَلْمَكْتُوبُ الحادي وَالسِّتُّونَ
إلى اَلسَّيِّد مَحْمُود أيْضًا
فِي اَلتَّحْرِيضِ عَلى صُحْبَة اَلشَّيْخِ الكَامِل المُكَمِّل وَالاجْتِنَاب عَنْ صُحْبَة اَلنَّاقِص وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

رَزَقَكُمُ اَللهُ سُبْحَانَهُ اَلزِّيَادَةَ فِي طَلَبه وَالاجْتِنَابَ عَنْ كُلِ مَا يُنَافِي الوُصُول إلى المَطْلب بحُرْمَة سَيِّد البَشَرِ المُحَرَّر عَنْ زَيْغِ البَصَر عَلَيْه وَعَلى آله اَلصَّلَوَاتُ وَالتَّسْليمَاتُ. قَدْ شَرَّفَ مَكْتُوبُكُمْ اَلشَّرِيفُ بوُصُوله، وَلَمَّا كَانَ مُنْبِئًا عَنِ اَلطَّلَب وَالشَّوْق وَمُشْعرًا بوُجُود الهَيَام وَالظَّمَأ وَالذَّوْق، كَانَ لدَى اَلنَّظَر مُسْتَحْسَنًا جدًّا فَإنَّ وُجُودَ اَلطَّلَب مُبَشِّرٌ بحُصُول المَطْلُوب، وَحُصُول الهَيَام مُقَدِّمَةُ الوُصُول إلى المَقْصُود. وَقَال أَحَدٌ منَ الأَعِزَّة: إنْ طَلَبْتَ تُعطَى وَإنْ لَمْ تُعْطَ تُزَادُ فَيَنْبَغي أَنْ يُعَدَّ حُصُول دَوْلَة اَلطَّلَب نعْمَةً عُظْمَى، وَأَنْ يَحْتَرزَ منْ كُل مَا يُنَافيهَا لئَلاَّ يَتَطَرَّقَ الفُتُورُ إلَيْهَا منْ غَيْر شُعُور وَكَيْلاَ تُؤَثِّرَ البُرُودَةُ في تلكَ الحَرَارَة. وَمُعْظَمُ أَسْبَاب المُحَافَظَة عَلَيْهَا هُوَ القيَامُ بشُكْر حُصُول تلكَ اَلدَّوْلَة {لئَنْ شَكَرْتُمْ لأَزيدَنَّكُمْ}[1] وَدَوَامُ اَلالتجَاء وَالتَّضَرُّع إلى جَنَاب قُدْس الحَقِّ - جَل سُلطَانُهُ - حَتَّى لاَ يُصْرَفَ وَجْهُ طَلَبه عَنْ كَعْبَة جَمَاله اليَزَاليِّ، فَإنْ لَمْ تَتَيَسَّرْ حَقيقَةُ اَلالتجَاء وَالتَّضَرُّع يَنْبَغي أَنْ لاَ يُقَصِّرَ في صُورَة اَلالتجَاء وَالتَّضَرُّع " فَإنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوْا " بَيَانٌ لهَذَا المَعْنَى، وَهَذه المُحَافَظَةُ إنَّمَا هيَ إلَى زَمَان الوُصُول إلى اَلشَّيْخ الكَامل المُكَمِّل ثُمَّ بَعْدَ الوُصُول إلَيْه لاَ شَيْءَ عَلَيْه سوَى تَفْويض جَميع مُرَادَاته إلَيْه وَكَوْنه كَالمَيِّت بَيْن يَدَي الغَسَّال لدَيْه.

وَالفَنَاءُ الأَوَّل هُوَ الفَنَاءُ في اَلشَّيْخ، وَيَكُونُ هَذَا الفَنَاءُ وَسيلَةَ الفَنَاء في اَلله، (شعْرٌ).

منْ أَجْل كَوْنكَ في البدَايَة أَحْوَلاَ لاَ بُدَّ منْ شَيْخ يَقُودُكَ أَوَّلاَ

فَإنَّ طَريقَ الإفَادَة والاستفَادَة مَبْنيٌّ عَلى وُجُود المُنَاسَبَة بَيْنَ الطَّرَفَيْن.

وَالطَّالبُ لاَ بُدَّ لهُ أَوَّلاً منْ بَرْزَخٍ ذي جهَتَيْن لكَوْنه في اَلابْتدَاء في غَايَة الدنَاءَة وَنهَايَة الخَسَاسَة وَعَدَمُ مُنَاسَبَته أَصْلاً لجَنَاب قُدْسه - جَل سُلطَانُهُ - منْ هَذه

---

(١) — الآية: ٧ من سورة إبراهيم.

الحَيْثِيَّة، وَذَلكَ البَرْزَخُ هُوَ اَلشَّيْخُ الكَامِل المُكَمِّل. وَأَقْوَى أَسْبَاب وُقُوعِ الفُتُورِ عَلَى طَلَب اَلطَّالب هُوَ الإِنَابَةُ إِلى اَلشَّيْخِ اَلنَّاقِص، وَهُوَ اَلذي جَلسَ عَلى مُسْنَد المَشْيَخَة بدُون إِتْمَام أَمْرِه بالسُّلوك وَالجَذْبَة، فَصُحْبَتُهُ سُمٌّ قَاتل للطَّالب وَالإِنَابَةُ إِلَيْه مَرَضٌ مُهْلكٌ. وَمَثَل هَذه اَلصُّحْبَة تُورثُ اَلانْحطَاطَ وَالتَّنَزُّل للاسْتعْدَاد العالي، بَل تَرْميه منَ اَلذُّرْوَة إِلى الحَضيض ؛ أَلاَ تَرَى أَنَّ المَريضَ إِذَا أَكَل مَثَلاً دَوَاءً منْ طَبيب نَاقص في اَلطِّبِّ فَلاَ جَرَمَ يَكُونُ ذَلكَ سَعْيًا وَاجْتهَادًا منْهُ في زِيَادَة مَرَضه وَتَضْييع قَابليَّة إِزَالة مَرَضه، وَهَذَا اَلدَّوَاءُ وَإِنْ أَوْرَثَ تَسْكِينَ الوَجَع وَتَخْفيفًا مَا في أَوَّل وَهْلة وَلكنْ في الحَقيقَة هُوَ عَيْنُ المَضَرَّة، فَإِنْ وَصَل هَذَا المَريضُ فَرْضًا إِلى طَبيب حَاذق يَجْتَهِدُ هَذَا اَلطَّبيبُ أَوَّلاً في إِزَالة تَأْثير ذَلكَ اَلدَّوَاء وَيُعَالجُهُ بالمُسَهِّلاَت - يَعْني لإِخْرَاجه - ثُمَّ يَشْرَعُ في مُعَالجَة إِزَالة المَرَض بَعْدَ زَوَال ذَلكَ اَلتَّأْثير.

وَمَدَارُ طَرِيق هَؤُلاَء الأَكَابر عَلى اَلصُّحْبَة لاَ يَحْصُل فيه شَيْءٌ منَ القيل وَالقَال وَالسَّمَاعِ العاري عَنِ الأَحْوال بَل يُورثُ ذَلكَ فُتُورًا في طَلَب التَّرَقِّي إِلى مَدَارِج القُرْب وَالكَمَال، وَيُحْتَمَل أَنْ يَقعَ اَلسَّيْرُ إِلى جَانب دهلى وَأ ـــره بَعْدَ أَيَّام فَإِنْ أَوْصَلتَ نَفْسَكَ هُنَاكَ وَاسْتَفَدْتَ بالمُشَافَهَة شَيْئًا ثُمَّ رَجَعْتَ بلاَ تَأْخير يَكُونُ حَسَنًا. وَالزِّيَادَةُ عَلى ذَلكَ تَصْديعٌ. وَأَجْوبَةُ بَقيَّة الأَسْئلَة أَنَّ اَلشَّيْخَ نَاجَا صَاحبَ المَعَارف وَالابْتهَاج مُغْتَنمٌ في ذَلكَ اَلطَّرَف فَإِنَّهُ رَجُل مُحْتَشمٌ وَعَظيمُ اَلشَّأْن جدًّا وَلكنَّ اسْتعْدَادَك إِلى طَرِيقَة قَليلة جدًّا، وَحُصُول المَطْلوب منْ غَيْر رَابطَة المُنَاسبَة مُتَعَسِّرٌ، وَالأَمْرُ مُفَوَّضٌ إِلَيْكُم فَإِنْ كَتَبْتُمْ منْ أَحْوَالكُمْ شَيْئًا في بَعْضِ الأَحْيَان لنَكْتُبَ منْ هَذَا الجَانب في جَوَابه شَيْئًا لكَانَ مُنَاسبًا فَإِنَّ تلكَ الحَيْثِيَّةَ تَكُونُ بَاعثَةً عَلى تَحْرِيك سلسلة الإِخْلاَص دَائمًا.

المَكْتُوبُ اَلثَّانِي وَاَلسِّتُّونَ
إلى جَنَاب المِرْزَا حُسَامِ اَلدِّينِ أَحْمَدَ
فِي بَيَانِ أَنَّ اَلجَذْبَةَ اَلتِي هِيَ قَبْلَ اَلسُّلوك لَيْسَتْ مِنَ المَقَاصِد بَل هِيَ وَسِيلَةٌ لِقَطْعِ مَنَازِل اَلسُّلوك بِالسُّهُولَة وَاَلجذْبَةُ اَلتِي مِنَ المَقَاصِد إِنَّمَا هِيَ بَعْدَ اَلسُّلوك وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

اَلحَمْدُ لله وَسَلاَمٌ عَلى عِبَاده اَلذينَ اصْطَفَى اعْلَمْ أَنَّ طَرِيقَ الوُصُول مُرَكَّبٌ مِنْ جُزْأَيْنِ: جَذْبَة وَسُلوك. وَبعبَارَة أُخْرَى تَصْفيَة وَتَزْكيَة، وَالجَذْبَةُ اَلتِي هِيَ مُقَدَّمَةٌ عَلى اَلسُّلوك لَيْسَتْ مِنَ المَقَاصد، وَاَلتَّصْفيَةُ اَلتِي قَبْلَ اَلتَّزْكِيَة لَيْسَتْ مِنَ المَطَالب. وَالجَذْبَةُ المَقْصُودَةُ وَالتَّصْفيَةُ المَطْلوبَةُ إِنَّمَا هُمَا الحَاصلتَان بَعْد تَمَام اَلسُّلوك، وَحُصُول اَلتَّزْكيَة اَلتي هِيَ فِي اَلسَّيْر فِي اَلله. وَفَائدَةُ الجَذْبَة وَاَلتَّصْفيَة اَلسَّابقَتَيْن للسُّلوك وَالتَّزْكيَة إِنَّمَا هِيَ تَسْهِيل مَسَالك اَلسُّلوك فَإِنَّ الأَمْرَ لاَ يَحْصُل بدُون اَلسُّلوك، وَجَمَال المَطْلوب لاَ يَتجَلى مِنْ غَيْرِ قَطْعِ المَنَازِل. وَالجَذْبَةُ الأُولى كَالصُّورَة للجَذْبَة اَلثَّانيَة لاَ مُنَاسَبَةَ بَيْنَهُمَا فِي الحَقيقَة يَعْني سوَى هَذَا المُرَاد بِانْدرَاج اَلنِّهَايَة في البدَايَة كَمَا وَرَدَ ذَلكَ فِي عِبَارَات مشائخ هَذه اَلسِّلسلة العَليَّة هُوَ انْدرَاجُ صُورَة اَلنِّهَايَة في البدَايَة وَإِلاَّ فَالبدَايَةُ لاَ تَسعُ حَقيقَةَ اَلنِّهَايَة وَلاَ مُنَاسَبَة بَيْنَ اَلنِّهَايَة وَالبدَايَة. وَتَحْقيقُ هَذَا المَبْحَث مَذْكُورٌ بِالتَّفْصيل فِي اَلرِّسَالة اَلتِي حَرَّرْنَاهَا لتَحْقيق حَقيقَة الجَذْبَة وَالسُّلوك وَأَمْثَالهَا. وَالحَاصل أَنَّ العُبُورَ مِنَ اَلصُّورَة إِلى الحَقيقَة ضَرُوريٌّ وَالاكْتفَاء مِنَ الحَقيقَة بِالصُّورَة مَهْجوريٌّ. حَقَّقَنَا اَللهُ سُبْحَانَهُ بِالحَقيقَة الحَقَّة وَجَنَّبَنَا عَن اَلصُّورَة البَاطلة بِحُرْمَة اَلنَّبيِّ المُخْتَارِ وَآله الأَبْرَار عَلَيْه وَعَلَيْهِمْ مِنَ اَلصَّلوَات أَكْمَلهَا وَمِنَ اَلتَّحيَّات أَفْضَلهَا.

اَلْمَكْتُوبُ اَلثَّالِثُ وَالسِّتُّونَ
إلى اَلسَّيِّد اَلنَّقِيب اَلشَّيْخ فَرِيد
فِي بَيَانِ أَنَّ الأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَم مُتَّفِقُونَ فِي أُصُولِ اَلدِّينِ وَاخْتِلاَفُهِمْ إِنَّمَا هُوَ فِي الفُرُوعِ وَبَيَانِ بَعْضِ كَلِمَاتِهِمُ المُتَّفِقَة

ثَبَّتَنَا اَللهُ تَعَالى وَإِيَّاكُمْ عَلى جَادَّةِ آبائِكُمْ الكِرَامِ عَلى أَفْضَلِهِمْ أَصَالَةً وَعَلى بَوَاقِيهِمْ مُتَابَعَةً اَلصَّلاَةُ اَلسَّلاَمُ وَاعْلَمْ: أَنَّ الأَنْبِيَاءَ صَلَوَاتُ اَللهِ تَعَالى وتسليماته وَبَرَكَاتُه عَلى جَمِيعِهِمْ عُمُومًا وَعَلى أَفْضَلِهِمْ خُصُوصًا كُلُّهُمْ رَحَمَاتٌ مِنَ اَللهِ سُبْحَانَهُ اسْتَسْعَدَ العَالَمُ بِتَوَسُّطِ هَؤُلاَءِ العِظَامِ بِالنَّجَاةِ الأَبَدِيَّةِ وَتَخَلَّصُوا مِنَ اَلبَلِيَّاتِ اَلسَّرْمَدِيَّةِ فَلَوْلاَ وُجُودُهُمُ اَلشَّرِيفُ لَمَا أَخْبَرَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ اَلذي هُوَ الغَنِيُّ المُطْلَقُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ العَالَمِ عَنْ ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَلَمَا دَل عَلَيْهَا أَحَدًا وَلَمَا أَهْدَى إِلى مَعْرِفَتِهِ شَخْصًا أَبَدًا وَلَمَا كَلَّفَ عِبَادَهُ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَالانْتِهَاءِ عَنْ مَنَاهِيهِ سَرْمَدًا اَللَّذَيْنِ كَلَّفَهُمْ بِهِمَا بِمَحْضِ كَرَمِهِ لِنَفْعِهِمْ وَلَمَا امْتَازَتْ مَرْضِيَّاتُهُ تَعَالى مِنْ غَيْرِ مَرْضِيَّاتِهِ، فَشُكْرُ هَذِهِ اَلنِّعْمَةِ العُظْمَى بِأَيِّ لِسَانٍ يُؤَدِّي وَلِمَنْ يَكُونُ مَجَالُ الخُرُوجِ عَنْ عُهْدَتِهِ، الحَمْدُ للهِ اَلذي أَنْعَمَ عَلَيْنَا وَهَدَانَا إِلى الإِسْلاَمِ وَجَعَلَنَا مِنْ مُصَدِّقِي الأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَهَؤُلاَءِ العِظَامُ مُتَّفِقُونَ فِي الأُصُولِ وَكَلِمَتُهُمْ مُتَّحِدَةٌ فِي ذَاتِ الحَقِّ وَصِفَاتِهِ تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَفِي الحَشْرِ وَالنَّشْرِ وَإِرْسَالِ اَلرُّسُلِ وَنُزُولِ المَلَكِ وَوُرُودِ الوَحْيِ وَنَعِيمِ الجَنَّةِ وَعَذَابِ الجَحِيمِ بِطَرِيقِ الخُلُودِ وَالتَّأْبِيدِ، وَاخْتِلاَفُهُمْ إِنَّمَا هُوَ فِي بَعْضِ الأَحْكَامِ المُتَعَلِّقَةِ بِفُرُوعِ اَلدِّينِ وَذَلِكَ لأَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ أَرْسَلَ فِي كُلِ زَمَانٍ إِلى أَنْبِيَاءِ ذَلِكَ اَلزَّمَانِ بَعْضَ الأَحْكَامِ المُنَاسِبَةِ لِذَلِكَ اَلزَّمَانِ بِطَرِيقِ الوَحْيِ، وَكَلَّفَهُمْ بِأَحْكَامٍ مَخْصُوصَةٍ، وَالنَّسْخُ وَالتَّبْدِيلُ دَائِرَانِ عَلى حِكَمٍ مِنَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَمَصَالِحَ وَكَثِيرًا مَا وَرَدَتْ إِلى نَبِيٍّ صَاحِبِ شَرِيعَةٍ - يَعْنِي مُسْتَقِلَّةً - أَحْكَامٌ مُتَضَادَّةٌ فِي أَوْقَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ بِطَرِيقِ اَلنَّسْخِ وَالتَّبْدِيلِ. وَمِنْ كَلِمَاتِهِمُ المُتَّحِدَةِ وَعِبَارَاتِهِمُ المُتَّفِقَةِ نَفْيُ عِبَادَةِ غَيْرِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَمَنْعُ الاشْتِرَاكِ مَعَهُ تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَمَنْعُ المَخْلُوقَاتِ عَنِ اتِّخَاذِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اَللهِ. وَهَذَا الحُكْمُ مَخْصُوصٌ بِالأَنْبِيَاءِ وَلَمْ يُشَرَّفْ بِهَذِهِ اَلدَّوْلَةِ غَيْرُ مُتَابِعِيهِمْ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ بِهَذَا الكَلاَمِ أَحَدٌ غَيْرَ الأَنْبِيَاءِ. وَاَلذِينَ يُنْكِرُونَ الأَنْبِيَاءَ وَإِنْ أَقَرُّوا بِوَحْدَانِيَّةِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَلَكِنَّ حَالَهُمْ غَيْرُ

خَال عَنْ أَحَد أَمْرَيْن: إِمَّا تَقْلِيدُ أَهْل الإِسْلَام، وَإِمَّا اَلتَّوْحِيدُ فِي وُجُوب الوُجُود فَقَطْ دُونَ اسْتِحْقَاق العِبَادَة بخِلاَف أَهْل الإِسْلاَم - يَعْنِي اتِّبَاعَ الأَنْبِيَاء الكِرَام - فَإِنَّهُمْ يُوَحِّدُونَهُ سُبْحَانَهُ فِي وُجُوبِ الوُجُودِ وَفِي اسْتِحْقَاق العِبَادَة، فَإِنَّ الْمُرَادَ بِنُطْق كَلِمَة: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ .

نَفْيُ الآلِهَة البَاطِلة وَإِثْبَاتُ الْمَعْبُود بالحَقِّ، وَمِمَّا يَخْتَصُّ بِهَؤُلاَء العِظَام اعْتِقَادُ أَنْفُسِهِمْ بَشَرًا مِثْل سَائِرِ اَلنَّاسِ وَاعْتِقَادُ أَنَّ الإِلهَ الْمَعْبُودَ هُوَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَدَعْوَةُ اَلنَّاسِ إِلَيْه تَعَالى وَتَنْزِيهُه - جَل شَأْنُهُ - عَنِ الحُلول وَالاتِّحَاد. وَمُنْكِرُو اَلنُّبُوَّة لَيْسُوا كَذَلِكَ بَل رُؤَسَاؤُهُمْ يَدَّعُونَ الأُلوهِيَّةَ وَيُثْبِتُونَ حُلول الحَقِّ فِي أَنْفُسِهِمْ وَلاَ يَتَحَاشَوْنَ مِنْ دَعْوَى اسْتِحْقَاق العِبَادَة وَإِطْلاَق اسْمِ الأُلوهِيَّة عَلى أَنْفُسِهِمْ. فَلاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ لاَ يَزَالونَ يَخْلَعُونَ رِبْقَةَ العُبُودِيَّة عَنْ رِقَابِهِمْ وَيَقَعُونَ فِي مُنْكَرَات الأَفْعَال وَمُسْتَقْبِحَات الأَعْمَال وَيَسْلُكُونَ سَبِيل الإِبَاحَة وَيَزْعُمُونَ أَنَّ اَللهَ غَيْرُ مَمْنُوعٍ مِنْ شَيْء أَصْلاً وَكُل مَا يَقُولونَهُ يَحْسَبُونَهُ صَوَابًا وَكُل مَا يَفْعَلونَ يَزْعُمُونَهُ مُبَاحًا ضَلوا فَأَضَلوا فَوَيْل لَهُمْ وَلأَتْبَاعِهِمْ وَلأَشْيَاعِهِمْ.

وَمِمَّا اتَّفَقَ عَلَيْه الأَنْبِيَاءُ - عَلَيْهِمُ اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَحَرَّمَهُ مُنْكِرُوهُمْ وَصَارُوا لاَ نَصِيبَ لَهُمْ مِنْ هَذِه اَلدَّوْلة أَنَّهُمْ - عَلَيْهِمُ اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - قَائِلونَ بِنُزُول الْمَلاَئِكَة الكِرَام اَلذِينَ هُمْ مَعْصُومُونَ مُطْلَقًا مِنَ الآثَام وَلَيْسَ فِيهِمْ تَلَوُّثٌ وَتَعَلقٌ بِالأَنَام وَمُعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ أُمَنَاءُ الوَحْيِ وَحَمَلةُ كَلاَمِ اللهِ تَعَالى وَتَقَدَّسَ - يَعْنِي إِلى الأَنْبِيَاء العِظَام - فَكُل مَا يَقُولهُ هَؤُلاَء الأَكَابِرُ يَقُولونَهُ مِنَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَكُل مَا يُبَلغُونَ يُبَلغُونَهُ مِنْهُ تَعَالى، وَأَحْكَامُهِمْ اَلاجْتِهَادِيَّةُ أَيْضًا مُؤَيَّدَةٌ بِالوَحْيِ فَإِنْ وَقَعَتْ مِنْهُمْ زَلةٌ فَرْضًا تَدَارَكَهَا اَللهُ سُبْحَانَهُ فِي الحَال بِالوَحْيِ القَاطِعِ. وَرُؤَسَاءُ الْمُنْكِرِينَ اَلذِينَ يَدَّعُونَ الأُلوهِيَّةَ كُل مَا يَقُولونَ يَقُولونَهُ مِنْ قِبَل أَنْفُسِهِمْ وَيَحْسَبُونَهُ صَوَابًا بِوَاسِطَة زَعْمِ الأُلوهِيَّة، فَيَنْبَغِي الإِنْصَافُ لوْ أَنَّ شَخْصًا زَعَمَ نَفْسَهُ مِنْ كَمَال قِلة العَقْل إِلَهًا مُسْتَحِقًّا لِلعِبَادَة وَبِهَذَا اَلزَّعْمِ الفَاسِد يَرْتَكِبُ أَفْعَالاً قَبِيحَةً، أَيُّ اعْتِبَارٍ يَكُونُ فِي كَلاَمِه وَمَا البَاعِثُ وَالْمَدَارُ عَلى اتِّبَاعِه، (ع):

وَكُل إِنَاء بِاَلذِي فِيه يَنْضَحُ

وَإِيرَادُ أَمْثَال هَذِه الكَلمَات إِنَّمَا هُوَ لِزِيَادَة الإِيضَاحِ، وَإِلاَّ فَالحَقُّ مُمْتَازٌ عَنِ البَاطِل وَالنُّورُ مُبَايِنٌ وَمُغَايِرٌ لِلظُّلمَة: {جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِل إِنَّ البَاطِل كَانَ

زَهُوقًا}(١) اَللهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلى مُتَابَعَةِ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ - عَلَيْهِمُ اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - أَوَّلاً وَآخِرًا.

وَبَقِيَّةُ المَقْصُود أَنَّ جَنَابَكُمْ أَعْلَمُ بالسَّيِّد ميان بير كَمَال فَمَا الحَاجَةُ إلى الكتَابَة في هَذَا البَابِ وَلكِنْ نَكْتُبُ هَذَا القَدْرَ أَنَّ الفَقيرَ مَحْظُوظٌ بمَوَدَّته منْ مُدَّة أَزْمَان وَفيه اشْتيَاقُ تَقْبيل العَتَبَة العَلِيَّة منْ مُدَّة مَديدَة وَلكنَّ الآنَ طَرَأَ عَلَيْه اَلضَّعْفُ بحَسَب الأَبْدَان حَتَّى صَارَ صَاحبَ فرَاشٍ مُنْذُ أَزْمَان، وَبَعْدَ القيَامِ بتَوَجُّه نَحْوَ ذَلكَ الجَانبِ العَالي رَاجيًا العِنَايَةَ منْ حَضْرَتكُمْ مَحَطِّ الآمَال وَالأَمَانيِّ.

---

(١) ــ الآية: ٨١ من سورة الإسراء.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالسِّتُّونَ
إلى السَّيِّد النَّقيب الشَّيْخ فَريد
في بَيَانِ اللذَّة وَالأَلَم الجِسْمَانيَّيْن وَالرُّوحَانيَّيْن وَالتَّحْرِيضِ عَلى تَحَمُّل المَصَائب وَالآلامِ الجِسْمَانيَّة وَمَا يُناسبُ ذَلكَ

سَلمَكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ وَعَافَاكُمْ في الدَّارَيْن بحُرْمَة سَيِّد الثَّقَلَيْن - عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلوَاتُ والتَّسْليماتُ - وَاعلَمْ: أَنَّ لذَّةَ الدُّنْيَا وَأَلَمهَا عَلى قسْمَيْن: جسمَانيٌّ ورُوحَانيٌّ، وَكُل شَيْءٍ فيه لذَّةٌ للجسْمِ فيه أَلَمٌ للرُّوحِ وَكُل شَيْءٍ فيه أَلَمٌ للجسْمِ فيه التذاذٌ للرُّوحِ، فَالرُّوحُ وَالجسْمُ ضدَّان، وَفي هَذه النَّشْأَة التي تَنَزَّلَتْ الرُّوحُ فيهَا إلى مَقَام الجسْم وَتَعلقَتْ به اكْتَسَبَتْ حُكْمَ الجسْمِ فَصَارَتْ تَتَلذَّذُ بتَلذُّذه وَتَتأَلَّمُ بتَأَلُّمه، وَهَذَا هُوَ مَرْتَبَةُ العَوَامِّ كَالأَنْعَامِ وَقَوْلُه تَعَالى: {ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافلينَ}[(١)] صَادقٌ في شَأْنهمْ فَآهًا أَلفَ آهٍ لوْ لَمْ تَتَخلَصْ الرُّوحُ منْ هَذَا التَّعلقِ وَلَمْ تَرْجعْ إلى وَطَنهَا الأَصْليِّ. شعْرٌ.

وَمَرْتَبَةُ الإِنْسَان في آخرِ الوَرَى　　لذَلكَ منْ عـــزِّ الحُضُور تَأَخَّرَا

فَلوْ لَمْ يَعُـــدْ منْ بُعْده وَاغْترَابه　　فَلاَ شَيْءَ مَحْرُومٌ كَأُنْسٍ منَ الوَرَى

وَالرُّوحُ منْ مَرَضهَا تَزْعَمُ أَلَمهَا لَذَّةً وَتَظُنُّ لذَّتَهَا أَلَمًا وَمَثَلهَا مَثَل الصَّفْرَاويِّ حَيْثُ يَجدُ الحُلوَ بوَاسطَة علة الصَّفْرَاء مُرًّا، فَالفكْرُ في إزَالة هَذَا المَرَضِ لاَزمٌ للعُقَلاَء حَتَّى يَغْشَاهُمُ الفَرَحُ وَالسُّرُورُ في الآلاَمِ وَالمَصَائب الجسْمَانيَّتَيْن. شعْرٌ.

منْ أَجْلِ هَذَا العَيْشِ وَالمَعيشَة　　لاَ بُدَّ مَنْ شَقِّ المَرَائرِ يَا فَتَى

فَإنْ لوحظَ مُلاَحَظَةً جَيِّدَةً لتَبَيَّنَ أَنَّهُ لوْ لَمْ يَكُنْ الأَلَم وَالمُصيبَةُ وَالمَرَضُ في الدُّنْيَا لَمَا تَسَاوَى بشَعيرَةٍ ؛ فَإنَّ الوَقَائعَ وَالحَوَادثَ هِيَ التي تُزيل ظُلمَتَهَا، وَمَرَارَةُ الحَوَادث مَثَل مَرَارَة الدَّوَاء النَّافعِ المُزيل للمَرَضِ.

وَكَانَ مَحْسُوسًا للفَقيرِ أَنَّ كَثيرًا منَ النَّاسِ يُهَيِّئُونَ الطَّعَامَ لدَعْوَة عَامَّة وَلاَ يَقْدرُونَ أَنْ يُصَحِّحُوا النِّيَّةَ وَأَنْ يُخَلصُوهَا عَنْ شَائبَة الرِّيَاء وَالسُّمْعَة، فَيَشْرَعُ في ذَلكَ الأَثْنَاء طَائفَةٌ منَ الحَاضرينَ في ذَلكَ الجَمْعِ وَالآكلينَ منْ ذَلكَ الطَّعَام في ذَمِّ صَاحب الطَّعَامِ وَمَنْقَصَته وَمَنْقَصَة طَعَامه، فَيَحْصُل لصَاحب الطَّعَامِ انْكسَارُ القَلب منْ هَذه

---

(١) ــ الآية: ٥ من سورة التين.

الجهَة، وَبِهَذَا الانْكِسَارِ تَرْتَفِعُ ظُلمَةُ الطَّعَامِ التي طَرَأَتْ عَلَيْه مِنْ عَدَمِ خُلوصِ النِّيَّة، وَيَقَعُ فِي مَعْرِضِ القَبُول. فَإنْ لَمْ يَكُنْ شَكْوَى هَؤُلاَءِ الجَمَاعَة وَذَمُّهُمْ وَلَمْ يَحْصُل لِصَاحِبِ الطَّعَامِ انْكِسَارُ القَلْب بِسَبَبِه لكَانَ الطَّعَامُ مَمْلوءًا بِالظُّلْمَة وَالكَدُورَة، فَكَيْفَ المَسَاغُ لاحْتمَال القَبُول فِي هَذِه الصُّورَة. فَكَانَ مَدَارُ الأَمْرِ إذًا عَلَى الانْكسَارِ وَالعَجْز وَالافْتقَار. وَالأَمْرُ مُشْكل عَلى أَمْثَالنَا أَرْبَابَ التَّرْبِيَة وطَالِبي العَيْشِ الحَسَنِ وَالتَّنعُّمِ: {وَمَا خَلَقْتُ الجنَّ وَالإنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدُون}(١) نَصٌّ قَاطِعٌ.

وَالعِبَادَةُ عِبَارَةٌ عَنِ التَّذَلل وَالانْكسَار فَالمَقْصُودُ مِنْ خَلق الإنْسَان هُوَ التَّذَلل خُصُوصًا المُسْلمِينَ وَالمُتَدَيِّنينَ، فَإنَّ الدُّنْيَا سِجْنُهمْ وَطَلَبُ العَيْشِ الحَسَنِ فِي السِّجْنِ بعيدٌ مِنْ طَوْرِ العَقْل، فَلاَ بُدَّ إذًا للإنْسَان مِنْ تَحَمُّل المَشَقَّة وَالمحْنَة، وَلاَ مَنْدُوحَةَ لهُ فِي ذَلِكَ التَّحَمُّل. أَكْرَمَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ بِالاسْتقَامَة عَلى هَذَا المَعْنَى بِحُرْمَة جِدِّكُمْ الأَمْجَد عَلَيْه وَعَلى آله مِنَ الصَّلوَاتِ أَتَمُّهَا وَمِنَ التَّحِيَّات أَيْمَنُهَا.

---

(١) ــ الآية: ٥٦ من سورة الذاريات.

اَلْمَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالسِّتُّونَ

إِلى الخَانِ الأَعْظَمِ فِي اَلتَّأَسُّفِ وَالتَّلهُّفِ عَلى ضَعْفِ الإِسْلاَمِ وَعَجْزِ المُسْلمِينَ وَالتَّحْرِيضِ عَلى تَقْوِيَة أَهْلِ الإِسْلاَمِ وَالإِغْرَاء عَلى إِجْرَاء أَحْكَامِ اَلدِّين

أَيَّدَكُمْ اَللهُ سُبْحَانَهُ وَنَصرَكُمْ عَلى أَعْدَاءِ الإِسْلاَمِ فِي إِعْلاَءِ الأَحْكَامِ

قَال المُخْبِرُ اَلصَّادِقُ - عَلَيْه وَعَلى آله منَ اَلصَّلوَات أَفْضَلهَا وَمنَ اَلتَّسْليمات أَكْمَلهَا[١] ـــ: " الإِسْلاَمُ بَدأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدأَ فَطُوبَى للغُرَبَاء " وَقَدْ بَلغَتْ غُرْبَةُ الإِسْلاَمِ حَدًّا يَطْعَنُ الكُفَّارُ فِي الإِسْلاَمِ بَيْنَ مَلاَ وَيَذُمُّونَ المُسْلمِينَ وَيُجْرُونَ أَحْكَامَ الكُفْر بِلاَ تَحَاشٍ وَيَمْدَحُونَ أَهْلهُ فِي الأَزِقَّة وَالأَسْوَاق وَالمُسْلمُونَ عَاجزُون مَمْنُوعُونَ منْ إِجْرَاءِ أَحْكَامِ الإِسْلاَمِ وَمَطْعُونٌ فِيهِمْ فِي إِتْيَان أَحْكَامِ اَلشَّرَائِعِ عِنْدَ هَؤُلاَءِ الكَفَرَة اَللئَام. شِعْرٌ.

مَليحٌ عَديمُ المِثْل مَرْمِيٌّ وَضدُّهُ يُقَبَّل منْهُ الخَدُّ وَالعَيْنُ وَالفَمُ

سُبْحَانَ اَللهِ وَبِحَمْده وَقَدْ قيل: اَلشَّرْعُ تَحْتَ اَلسَّيْف وَجُعل رَوْنَقُ اَلشَّرْعِ اَلشَّرِيف مَرْبُوطًا بِالمُلوك وَالسَّلاَطِين، وَالآنَ قَدْ انْعَكَسَتْ القَضيَّةُ وَانْقَلبَتْ المُعَامَلةُ فِي هَذَا اَلزَّمَان وَاحسْرَتَا وَاندامتَا واوَايْلتَا. وَنَحْنُ اليَوْمَ نَعُدُّ وُجُودَكُمْ اَلشَّرِيفَ مُغْتَنَمًا وَلاَ نَدْرِي مَنِ المُبَارِز فِي هَذه المَعْرَكَة اَلضَّعِيفَة المُنْكَسرَة غَيْرَكُمْ، وَاَللهُ سُبْحَانَهُ يَكُونُ مُؤَيِّدَكُمْ وَنَاصِرَكُمْ بِحُرْمَة اَلنَّبِيِّ وَآله الأَمْجَاد عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ اَلصَّلوَاتُ وَالتَّسليماتُ وَالتَّحِيَّاتُ وَالبَرَكَاتُ. وَقَدْ وَرَدَ فِي الخَبَرِ " لنْ يُؤْمنَ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُقَال إِنَّهُ مَجْنُونٌ " وَهَذَا الجُنُونُ اَلذِي مَبْنَاهُ عَلى فَرْط غَيْرَة الإِسْلاَمِ مَحْسُوسٌ فِي شِيمَتِكُمْ فِي ذَلكَ الوَقْتِ وَالحَمْدُ لله عَلى ذَلكَ.

وَهَذَا اليَوْمُ يَوْمٌ يُقْبَل فِيه عَمَل قَليل بِالاعْتبَارِ اَلتَّامِّ عَلى أَجْرٍ جَزِيل وَلاَ يُعْلمُ وُقُوعُ عَمَل منْ أَصْحَاب الكَهْف سوَى هجْرَتهمْ وَفرَارِهمْ منَ الكُفَّار، مَعَ هَذَا اَلاعْتبَارُ فِيهِمْ وَالاشْتِهَارِ ؛ أَلاَ تَرَى أَنَّ العَسَاكرَ إِذَا صَدَرَتْ عَنْهُمْ خدْمَةٌ يَسِيرَةٌ وَإِقْدَامٌ قَليل

---

(١) ـــ (قوله الإسلام) الحديث رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه وابن ماجه عن ابن مسعود وأنس رضي الله عنه والطبراني عن سلمان وسهل بن سعد وابن عباس رضي الله عنهم اهـــ سند.

وَقْتَ غَلبَة الأَعْدَاءِ يَنَالونَ بهَا اعْتبَارَات كَثيرَةً وإنعامات جَزيلة، بخلاف وَقْت الأَمْنِ وَسُكُون الأَعْدَاء. وَهَذَا الجهَادُ القَوْليُّ اَلذي تَيَسَّرَ لكُمْ اليَوْمَ يَنْبَغي أَنْ تَغْتَنمَهُ وَتَقُول هَل منْ مَزيد مُعْتَقدًا أَنَّ هَذَا الجهَادَ القَوْليَّ أَفْضَل منْ جهَاد القَتْل، وَأَمْثَالنَا العَاجزُون المُقْعَدُونَ مَقْطُوعُوالَيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ مَحْرُومُون منْ هَذه اَلدَّوْلة. شعْرٌ.

هَنيئًا لأَرْبَابِ اَلنَّعيمِ نَعيمُهَا ... وَللعَاشقِ المِسْكينِ مَا يَتجرَّعُ

آخَرُ

وَأَبْدَيْتُ منْ كَنْزِ المَرَامِ عَلاَمَةً ... وَأَرْجُوكَ أَنْ تَحظَى به أَنْ تُحَاول

قَال حَضْرَةُ الخواجهْ عُبَيْدُ اَللهِ أَحْرَارٌ - قَدَّسَ اَللهُ سرَّهُ -: وَلَوْ كُنْتُ في مَقَام المَشْيَخَة وَالإِرْشَاد لَما وَجَدَ شَيْخٌ منْ شُيُوخِ العَالمِ مُريدًا وَلكنْ أُمرْتُ - يَعْني منْ عَالمِ الغَيْب - بأَمْرٍ آخرَ وَهُوَ تَرْويجُ اَلشَّريعَة وَتَأْييدُ الملة فَلاَ جَرَمَ اخْتَارَ صُحْبَةَ اَلسَّلاَطين وَجَعَلَهُمْ مُنْقَادينَ إليْه بتَصرُّفه وَرَوَّجَ اَلشَّريعَةَ بوَاسطَتهمْ وَقَدْ جَعَلَ اَللهُ سُبْحَانَهُ كَلاَمَكُمْ مُؤَثِّرًا وَأَوْدَعَ فيه تَأْثيرًا ببَرَكَة مَحَبَّتكُمْ لأَكَابر هَذه اَلطَّائفَة - قَدَّسَ اَللهُ أَسْرَارَهُمْ - وَظَهَرَتْ عَظَمَةُ إسْلاَميَّتكُمْ في نَظَرِ الأَقْرَان، فَالمُلتَمَسُ سَعْيُكُمْ في هَذَا البَاب وَلوْ لهَدْمِ أَكْبَرِ أَحْكَامِ الكُفْرِ اَلذي لهُ شُيُوعٌ تَامٌّ بَيْنَ أَهْلِ الإسْلاَم حَتَّى يَكُونَ أَهْلُ الإسْلاَم مَحفُوظينَ منْ تلكَ المُنْكَرَات جَزَاكُمْ اَللهُ عَنَّا وَعَنْ سَائرِ المُسْلمينَ خَيْرَ الجَزَاء. وَقَدْ فُهمَ العنَادُ للدِّينِ المُصْطَفَويِّ - عَلَيْه اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - في اَلسَّلطَنَة الأُولى وَليْسَ هَذَا العنَادُ ظَاهرًا في هَذه اَلسَّلطَنَة، فَإنْ كَانَ فَمَبْنيٌّ على عَدَمِ العلم، وَنَحْنُ في خَوْف منْ أَنْ يَنْجَرَّ الأَمْرُ هُنَا أَيْضًا إلى العنَاد فَتصيرُ المُعَامَلةُ ضَيِّقَةً عَلى المُسْلمينَ، (ع):

وَمَا خَوْفي لشَيْءٍ غَيْرَ ديني

ثَبَّتَنَا اَللهُ سُبْحَانَهُ وَإيَّاكُمْ عَلى مُتَابَعَة سَيِّد المُرْسَلينَ عَلَيْه وَعَلى آله اَلصَّلوَاتُ وَالتَّسْليماتُ.

وَالفَقيرُ قَدْ جئْتُ هُنَا بسَبَب منَ الأَسْبَاب وَلَمْ أَسْتَصْوبْ أَنْ لاَ أُطْلعُكُمْ عَلى مَجيء وَأَنْ لاَ أَكْتُبَ بَعْضَ كَلمَاتٍ نَافعَة وَأَنْ لاَ أُخبرَ عَنْ مَحبَّة مُتَعَلقَة بوَاحد منَ الأَعزَّة بحَسَب المُنَاسَبَة الفطْريَّة قَالَ - عَلَيْه اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - " مَنْ أَحَبَّ أَخَاهُ فَلْيُعْلمْ إيَّاهُ " وَالسَّلاَمُ عَليْكُمْ وَعَلى جَميعِ مَنِ اتَّبعَ الهُدَى.

المَكْتُوبُ اَلسَّادسُ وَالسُّتُّونَ
إلى المَذْكُور أيْضًا
فِي مَدْحِ اَلطَّرِيقَة العَلِيَّة النَّقْشَبَنْدِيَّة قَدَّسَ اَللهُ أَسْرَارَهُمْ وَبَيَان مُناسَبَة هَذَا اَلطَّرِيقِ بطَرِيقِ الأَصْحَاب الكِرَام وَبَيَانِ فَضِيلة الأَصْحَاب العظَامِ عَلى غَيْرِهِمْ وَلوْ كَانَ ذَلكَ الغَيْرُ أُوَيْسًا القَرْنِيَّ أَوْ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ العَزِيزِ المَرْوَانِيَّ

اَلحَمْدُ للهِ وَسَلاَمٌ عَلى عِبَاده اَلذينَ اصْطَفَى اعْلَمْ: أَنَّ اَلطَّرِيقَ حَضَرَات خواجكان - قَدَّسَ اَللهُ أَسْرَارَهُمْ - مَبْنِيٌّ عَلى اَنْدرَاجِ اَلنِّهَايَة قَال حَضْرَةُ الخواجهْ بَهَاءُ اَلدِّينِ النَّقْشَبَنْديُّ - قَدَّسَ اَللهُ سرَّهُ -: نَحْنُ نُدْرِجُ اَلنِّهَايَةَ فِي البدَايَة وَهَذَا اَلطَّرِيقُ هُوَ طَرِيقُ الأَصْحَاب الكرَام بعَيْنه فَإِنَّهُ كَانَ يَتَيَسَّرُ لَهُمْ فِي أَوَّل صُحْبَة اَلنَّبِيِّ - عَلَيْه اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - مَا يَتَيَسَّرُ لسَائرِ أَوْلِيَاء الأُمَّة نُبْذَةٌ منْهُ فِي نهايَة اَلنِّهَايَة، وَلِهَذَا كَانَ وَحْشِيٌّ قَاتل حَمْزَةَ ــ رَضِيَ اَللهُ عَنْهُ ــ أَفْضَل منْ أُوَيْسٍ القَرْنِيِّ اَلذي هُوَ خَيْرُ اَلتَّابعِينَ وَذَلكَ لتَشَرُّفه بشَرَف صُحْبَة سَيِّد الأَوَّلينَ وَالآخرِينَ فِي بدَايَة إِسْلاَمه مَرَّةً وَاحدَةً، وَمَا حَصَلَ لوَحْشِيٍّ فِي أَوَّل صُحْبَة خَيْرِ البَشَرِ عَلَيْه وَعَلى آله اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لَمْ يَتَيَسَّرْ لأُوَيْسٍ القَرْنِيِّ فِي اَلانْتهَاء بتلكَ الخُصُوصيَّة، فَلاَ جَرَمَ كَانَ خَيْرُ القُرُون قَرْنَ الأَصْحَاب - رِضْوَان اَللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ -، وَأَخَّرَتْ كَلمَةُ ثُمَّ أَمْرَ الآخرِينَ وَأَشَارَتْ إِلَيَّ بَعْدَمَا بَيْنَ اَلدَّرَجَتَيْنِ.

سُئل عَبْدُ اَللهِ بْنُ المُبَارَك أَيُّهمَا أَفْضَل مُعَاوِيَةُ أَوْ عُمَرُ بْنُ عَبْد العَزِيزِ ؟ قَال: الغُبَارُ اَلذي دَخَل أَنْفَ فَرَسِ مُعَاوِيَةَ مَعَ رَسُول اَللهِ ــ صَلى اَللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ــ خَيْرٌ منْ عُمَرَ بْنِ عَبْد العَزيز كَذَا مَرَّةً.

فَلاَ جَرَمَ كَانَتْ سلسلةُ هَؤُلاَءِ الأَكَابرِ سلسلةَ اَلذَّهَب. وَكَوْنُ مَزِيَّة هَذَا اَلطَّرِيقِ العَالِي عَلى سَائرِ اَلطُّرُق كَمَزِيَّة قَرْنِ الأَصْحَابِ عَلى سَائرِ القُرُون صَارَ مُبَرْهَنًا، وَالاطِّلاَعُ عَلى حَقيقَة جَمَاعَة ذَاقُوا فِي أَوَّل شُرْبٍ منْ ذَلكَ الجَام منْ كَمَال الفَضْل وَالكَرَمِ مُتَعَذِّرٌ منْ غَيْرِهِمْ، فَإِنَّ نِهَايَتَهُمْ فَوْقَ نهَايَة الآخَرِينَ (ع):

وَعَامُ الخِصْبِ يُعْلَمُ مِنْ رَبِيعِ

{ذَلِكَ فَضْلُ اَللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ}[1].

قَال حَضْرَةُ الخَوَاجهْ بَهَاءُ اَلدِّينِ النَّقْشَبَنْدِيُّ - قُدِّسَ سِرُّهُ -: نَحْنُ المُفَضَّلونَ جَعَلَنَا اَللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ مُحِبِّي هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ ومُتَابِعِي آثَارِهِمْ بِحُرْمَةِ اَلنَّبِيِّ القُرَشِي عَلَيْهِ وَعَلى آلهِ مِنَ اَلصَّلَوَاتِ أَفْضَلهَا وَمِنَ اَلتَّحِيَّاتِ أَكْمَلهَا.

(١) ــ الآية: ٢١ من سورة الحديد، والآية: ٤ من سورة الجمعة.

اَلمَكْتُوبُ اَلسَّابِعُ وَالسِّتُّونَ
إلى خَان خَانَان
فِي تَفْوِيضِ مُحْتَاجٍ

ثَبَّتَنَا اَللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَلى مُتَابَعَة سَيِّد المُرْسَلينَ - عَلَيْه وَعَلى آله اَلصَّلوَاتُ والتَّسْليماتُ - ظَاهرًا وَبَاطنًا وَيَرْحَمُ اَللهُ عَبْدًا قَال آمينا قَدْ اضْطَرَّني إلى تَصْديعكُم أمْرَانِ أهَمَّان: أَحَدُهُمَا إظْهَارُ رَفْعِ مَظِنَّة الأَذى بَل إظْهَارُ حُصُول المَوَدَّة وَالإخْلاَصِ، وَثَانيهمَا: الإيمَاءُ إلى احْتيَاجِ مُحْتَاجٍ مُتَحَلي بالفَضيلة وَالصَّلاَحِ وَمُتَزَيِّنٍ بالمَعْرفَة، وَالشُّهُودُ كَريمٌ منْ جهَة اَلنَّسَب شَريفٌ منْ جهَة الحَسَب. أَيُّهَا المَخْدُومُ: إنَّ في إظْهَار الحَقِّ نَوْعًا منَ المَرَارَة وَإنْ كَانَتْ مُتَفَاوتَةً بحَسَب اَلشِّدَّة وَالضَّعْف. فَيَا سَعَادَةَ مَنْ يَأْكُل هَذه المَرَارَةَ مثْل العَسَل وَيَقُول: هَل منْ مَزيد.

وتَلويناتُ الأَحْوَال منْ لوَازم صفَة الإمْكَان، حَتَّى إنَّ طَائفَةً بَلغُوا مَرْتَبَةَ اَلتَّمْكين لَمْ يَتَخلصُوا منَ اَلتَّلوين فَإنَّ اَلمُمْكنَ المسْكينَ لاَ يَخْلو إمَّا أَنْ يَكُونَ مَغْلوبَ سُلطَانَ اَلصِّفَات الجَلاَلَيَّة أَوْ يَكُونَ مَغْلوبَ اَلصِّفَات الجَمَاليَّة، أَوْ يَكُونَ وَقْتًا مَحلاً للقَبْضِ وَوَقْتًا مَوْطنًا للبَسْط، وَلكُل مَوْسمٍ أَحْكَامٌ عَلى حدَة كَانَ بالأَمْسِ ذَلكَ وَاليَوْمَ هَذَا " قَلبُ المُؤْمنِ بَيْنَ إصْبَعَيْنِ منْ أَصَابعِ الرَّحْمَنِ يُقلبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ "[١] وَالسَّلاَمُ.

---

(١) ـــ أخرج مسلم عن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن قلوب بنى آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يقلبها كيف يشاء مشكاة).

اَلْمَكْتُوبُ اَلثَّامِنُ وَالسِّتُّونَ
إلى الْمَذْكُورِ أَيْضًا
فِي بَيَانِ أَنَّ اَلتَّوَاضُعَ يُسْتَحْسَنُ مِنْ أَرْبَابِ الغِنَى وَالاسْتِغْنَاءُ مِنْ أَصْحَابِ الفَقْرِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

اَلْخَيْرُ فِيمَا صَنَعَ اَللهُ أَيُّهَا الْمَخْدُومُ. شِعْرٌ:

وَمَا هُوَ مِنْ شَرْطِ البَلاَغِ أَقُولُهُ فَخُذْ مِنْهُ نُصْحًا نَاصِحًا أَوْ مَلاَلَةْ

اَلتَّوَاضُعُ مُسْتَحْسَنٌ مِنْ أَرْبَابِ الغِنَى وَالاسْتِغْنَاءُ مِنْ أَصْحَابِ الفَقْرِ، لأَنَّ الْمُعَالَجَةَ إِنَّمَا تَكُونُ بِالأَضْدَادِ، وَلَمْ يُفْهَمْ مِنْ مَكَاتِيبِكُم اَلثَّلاَثَةِ شَيْءٌ غَيْرَ اَلاسْتِغْنَاءِ وَإِنْ كَانَ مَقْصُودُكُمْ اَلتَّوَاضُعَ وَكَانَ فِي الْمَكْتُوبِ الأَخِيرِ مَسْطُورًا بَعْدَ الحَمْدِ وَالصَّلاَةِ فَلْيُعْلَمْ إلخ: يَنْبَغِي أَنْ يُلاَحَظَ فِي هَذِهِ العِبَارَةِ مُلاَحَظَةً جَيِّدَةً حَتَّى يَظْهَرَ أَنَّهَا إِلَى أَيْنَ يُكْتَبُ وَإِلى مَنْ تُرْسَلُ. نَعَمْ، قَدْ خَدَمْتُمْ الفُقَرَاءَ كَثِيرًا، وَلكِنَّ رِعَايَةَ الأَدَبِ أَيْضًا ضَرُورِيَّةٌ لِتَتَرَتَّبَ اَلثَّمَرَةُ عَلَيْهَا وَبِدُونِهَا خَرْطُ القَتَادِ. نَعَمْ إِنَّ أَتْقِيَاءَ أُمَّتِهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ بَرِيئُونَ مِنَ اَلتَّكَلُّفِ وَلَكِنَّ اَلتَّكَبُّرَ مَعَ الْمُتَكَبِّرِينَ صَدَقَةٌ. قَالَ شَخْصٌ لِحَضْرَةِ الخواجه:إِنَّهُ مُتَكَبِّرٌ فَقَالَ فِي جَوَابِهِ: إِنَّ تَكَبُّرِي مِنْ كِبْرِيَائِهِ تَعَالَى لاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يَظُنَّ هَذِهِ اَلطَّائِفَةَ ذَلِيلِينَ حَقِيرِينَ " رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اَللهِ لأَبَرَّهُ "[١] حَدِيثٌ نَبَوِيٌّ – عَلَيْهِ اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ –، شِعْرٌ:

بَثَثْتُ قَلِيلاً مِنْ هُمُومِي وَخِفْتُ أَنْ تَمَلُّوا وَإِلاَّ فَالكَــلاَمُ كَثِير

وَيَنْبَغِي لِمُحِبِّيكُمْ الأَعِزَّةِ وَمُخْلِصِيكُمْ الأَجلة أَنْ يَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ الْمُلاَحَظَةِ الْمُطَابِقَةِ لِنَفْسِ الأَمْرِ، وَأَنْ يُبَلِّغُوا إِلَيْكَ كُلَّ مَا هُوَ وَاقِعٌ فِي نَفْسِ الأَمْرِ، وَأَنْ يَنْظُرُوا فِي كُلِّ مَشُورَةٍ إِلَى مَا فِيهِ صَلاَحُكُمْ لاَ إِلَى مَا فِيهِ صَلاَحُ أَنْفُسِهِمْ فَإِنَّهُ خِيَانَةٌ، وَلَقَدْ كَانَ مِنَ العِلَلِ الغَائِبَةِ لِهَذَا اَلسَّفَرِ إِفَادَةَ مَا فِيهِ بَعْضُ مَنَافِعِكُمْ وَلَكِنْ مَحْبُوكُمْ لَمْ يَتْرُكُونِي لأَنْ أُلاَقِيكُمْ فَلاَ تَنْسُبُوا اَلتَّقْصِيرَ إِلَى هَذَا اَلطَّرَفِ. وَهَذِهِ الْمُقَدِّمَاتُ وَإِنْ كَانَتْ مُرًّا فِي اَلظَّاهِرِ وَلَكِنَّ مَنْ يَمُدُّ حُكْمًا وَيَسْتَمِيلُكُمْ كَثِيرٌ، فَاكْتَفُوا بِهِمْ. وَالْمَقْصُودُ مِنْ مَوَدَّةِ الفُقَرَاءِ وَمَحَبَّتِهِمْ اَلاطِّلاَعُ عَلَى العُيُوبِ الْمَكْنُونَةِ وَظُهُورُ اَلرَّذَائِلِ الْمَخْزُونَةِ، وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ إِظْهَارَ أَمْثَالِ هَذِهِ الكَلِمَاتِ لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الإِيذَاءِ بَل عَلَى وَجْهِ اَلنَّصِيحَةِ وَحُرْقَةِ

---

(١) ــ مسلم وأحمد عن أبي هريرة بألفاظ مختلفة.

القَلب. وَأَيْقِنْ أَنَّ الخواجهْ مُحَمَّدَ صدِّيقِ لوْ تَقَدَّمُ يَوْمًا وَاحِدًا لأَوْصَل هَذَا الفَقِيرُ نَفْسَهُ إِلَيْكُمْ عَلى كُل حَال وَلكنَّهُ لقِيَ فِي أَثْنَاءِ طَرِيقِ سرهند.

فَالمَأمُول مُسَامَحَتُكُمْ.

اَلخَيْرُ فِيمَا صَنَعَ اَللهُ سُبْحَانَهُ.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالسِّتُّونَ
إلى المَذْكُورِ أَيْضًا
فِي بَيَانِ أَنَّ التَّوَاضُعَ مُوجِبٌ لِلرِّفْعَةِ فِي الدَّارَيْنِ وَأَنَّ النَّجَاةَ مَرْبُوطَةٌ بِمُتَابَعَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ الَّذِينَ هُمُ الفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ

اَلحَمْدُ للهِ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلى رَسُولِ اللهِ. وَصَلَ مَكْتُوبُكُمْ الشَّرِيفُ صُحْبَةَ الأَخِ مَوْلاَنَا مُحَمَّد صِدِّيق وَقَدْ أَكْرَمْتُمْ جَزَاكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ عَنَّا خَيْرًا الجَزَاءِ، وَحَيْثُ إِنَّكُمْ رَاعَيْتُمْ الأَدَبَ مَعَ الفُقَرَاءِ وَسُقْتُمْ الكَلاَمَ بِالتَّوَاضُعِ نَرْجُو أَنْ يَكُونَ هَذَا التَّنَزُّل بِحُكْمِ " مَنْ تَوَاضَعَ للهِ رَفَعَهُ اللهُ "[1] مُوجِبًا لِلرِّفْعَةِ الدِّينِيَّةِ والدُّنْيَوِيَّةِ بَل كَانَ كَذَلِكَ بُشْرَى لَكُمْ، وَحَيْثُ أَوْرَدْتُمْ الكَلاَمَ فِي البَيْنِ مِنَ الإِنَابَةِ وَالمُرَاجَعَةِ فَتَصَوَّرَ أَنَّ هَذِهِ الإِنَابَةَ قَدْ وَقَعَتْ عَلى يَدِ دَرْوِيشٍ مِنَ الدَّرَاوِيشِ، وَكُنْ مُتَرَصِّدًا لِنَتَائِجِهِ وَثَمَرَاتِهِ وَلكِنْ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تُرَاعِيَ حُقُوقَهُ مَهْمَا أَمْكَنَ وَايش نَكْتُبُ مِنَ الوَصَايَا وَالنَّصَائِحِ وَمَاذَا نُبَيِّنُ مِنَ العُلُومِ وَالمَعَارِفِ، فَإِنَّ العُلَمَاءَ المُجْتَهِدِينَ وَالصُّوفِيَّةَ المُحَقِّقِينَ شَكَرَ اللهُ سَعْيَهِمْ لَمْ يُقَصِّرُوا فِي بَسْطِ الكَلاَمِ وَتَفْصِيلِهِ. وَأَظُنُّ أَنَّ بَعْضَ الأَصْحَابِ أَوْصَلَ بَعْضَ مُسْوَدَّاتِ هَذَا الفَقِيرِ قَلِيلِ البِضَاعَةِ إِلى خِدْمَتِكُمْ وَلَعَلَ نَظَرَكُمْ الشَّرِيفَ وَقَعَ عَلَيْهِ.

وَبِالجُمْلَةِ: إِنَّ طَرِيقَ النَّجَاةِ هُوَ مُتَابَعَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ كَثَّرَهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ فِي الأَفْعَالِ وَالأَقْوَالِ وَفِي الفُرُوعِ وَالأُصُولِ ؛ فَإِنَّهُمْ هُمُ الفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ وَمَا سِوَاهُمْ مِنَ الفِرَقِ فَإِنَّهُمْ فِي مَعْرِضِ الزَّوَالِ وَشَرَفِ الهَلاَكِ عَلِمَهُ اليَوْمَ وَاحِدٌ أَوْ لَمْ يَعْلَمْ، وَأَمَّا غَدًا فَيَعْلَمُهُ كُل أَحَدٍ وَلاَ يَنْفَعُ. اَللهُمَّ نَبِّهْنَا قَبْلَ أَنْ يُنَبِّهَنَا المَوْتُ.

وَالسَّيِّدُ إِبْرَاهِيمُ مَنْسُوبٌ إِلى تِلْكَ العَتَبَةِ العَلِيَّةِ مِنْ قَدِيمِ الأَيَّامِ وَمُنْتَظِمٌ فِي سِلْكِ الدُّعَاةِ، فَاللاَّزِمُ لِذِمَّةِ الكِرَامِ أَنْ يُعِينُوهُ وَيَأْخُذُوا بِيَدِهِ حَتَّى يُخَلِّصُوهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الفَقْرِ وَالعَجْزِ لِيَحْصُلَ لَهُ فَرَاغُ الخَاطِرِ وَيَشْتَغِلَ بِدُعَاءِ سَلاَمَةِ الدَّارَيْنِ وَالسَّلاَمُ.

---

(١) ــ أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة قال العزيزي واسناده حسن.

المَكْتُوبُ اَلسَّبْعُونَ
إلى المَذْكُورِ أيْضًا
في بَيَان أنَّ جَامعيَّةَ الإنْسَان سَبَبٌ لبُعْده
كَمَا أنَّهَا سَبَبٌ لقُرْبه
وَمَا يُنَاسبُ ذَلكَ

ثَبَّتَكُمْ اَللهُ سُبْحَانَهُ عَلى جَادَّةِ اَلشَّرِيعَةِ المُصْطَفَوِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ رَحِمَ اَللهُ عَبْدًا قَال آمينا اعْلَمْ: أنَّ جَامعيَّةَ الإنْسَان كَمَا أنَّهَا سَبَبٌ لقُرْبه وَتَكْرِيمه وَتَفْضِيله كَذَلكَ هِيَ سَبَبٌ أيْضًا لبُعْده وَتَجْهيله وَتَضْليله، أمَّا قُرْبُهُ فَبِوَاسطَةِ أتَمِّيَّةِ مِرْآته وَقَابليَّته لظُهُور جَميعِ الأسْمَاءِ وَالصِّفَات بَلْ للتَّجَلِّيَات اَلذَّاتيَّة، وَمَا وَرَدَ منَ الحَديث القُدْسيِّ " لاَ يَسَعُني أرْضي وَلاَ سَمَائي وَلَكنْ يَسَعُني قَلْبُ عَبْدي المُؤْمن "(١) رَمْزٌ منْ هَذَا البَيَان. وَأمَّا بُعْدُهُ فَبِسَبَب احْتيَاجه إلى كُلِّ شَيْءٍ منْ جُزْئيَّات العَالَم " فَإنَّ لَهُ احْتيَاجًا إلى كُلِّ مَا في العَالَمِ {خَلَقَ لَكُمْ مَا في الأرْضِ جَميعًا}(٢) فَبِوَاسطَةِ هَذَا اَلاحْتيَاجِ لَهُ تَعَلُّقٌ بجَميعِ الأشْيَاءِ وَهَذَا اَلتَّعَلُّقُ هُوَ اَلذي صَارَ سَبَبًا لبُعْده وَضَلاَله. شعْرٌ.

وَمَرْتَبَةُ الإنْسَان في آخرِ الوَرَى لذَلكَ عَنْ عِزِّ الحُضُور تَأخَّرَا

فَإنْ لَمْ يَعُدْ منْ بُعْده وَاغْترَابه فَلاَ شَيْءَ مَحْرُومٌ كَأُنْسٍ منَ الوَرَى

فَكَانَ الإنْسَانُ أشْرَفَ المَوْجُودَات وَشَرَّ الكَائنَات أيْضًا إذْ منْهُ مُحَمَّدٌ حَبيبُ رَبِّ العَالَمينَ - عَلَيْه وَعَلى آله اَلصَّلوَاتُ وَالتَّسْليماتُ وَالتَّحيَّاتُ - وَمنْهُ أبُو جَهْل اَللعين عَدُوُّ رَبِّ الأرَضينَ وَالسَّمَوَات، فَلاَ جَرَمَ كَانَ الأمْرُ مُشْكلاً جدًّا مَا لَمْ يَتَيَسَّرْ اَلنَّجَاةُ منْ

---

(١) ـــ ذكر الغزالي في الإحياء بلفظ: " لم تسعنى أرضي ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن اللين الوادع) قال العراقى لم أجده بهذا اللفظ وللطبرانى من حديث أبي عنبسة الخولانى رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أن لله آنية من الأرض وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين) قال المخرج رواه الديلمى في مسند الفردوس عن أنس رضي الله وأخرج أحمد في الزهد عن وهب ابن منبه أن الله فتح لحزقيل حتى نظر العرش فقال (سبحانك ما أعظمك يا رب، فقال الله تعالى السموات والأرض ضعفن أن يسعنى ووسعنى قلب المؤمن الوادع اللين) قال شارح الإحياء بعد أن رد على من أنكر الصوفية روايتهم لهذا الحديث وبعد أن ذكر هذين الطريقين وهذا القدر يكفى للصوفى ولا يعترض عليه إذا عزاه إلى حضرة الرسالة والإنصاف من أوصاف المؤمنين اهـــ سند.

(٢) ـــ الآية: ٢٩ من سورة البقرة ٢.

جَميعِ التَّعلقات الشَّتَّى وَلَمْ يَحصُل تَعلقٌ بِوَاحِدٍ مُنَزَّهٍ عَنِ الوَحْدَة أَيْضًا وَلكِنْ بِمُقْتَضَى " مَا لاَ يُدْرَكُ كُلهُ لاَ يُتْرَكُ كُلهُ "

يَنْبَغِي أَنْ يَلتَزِمَ كَوْنَ المُعَامَلة وَالمَعِيشَة فِي أَيَّامٍ قَليلة عَلى وَفْقِ السُّنَّة وَاتِّبَاعِ صَاحِب الشَّرِيعَة عَليْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالتَّحِيَّةُ، فَإِنَّ التَّخَلصَ مِنْ عَذَاب الآخرَة وَالفَوْزَ بِالتَّنَعُّمَات السَّرْمَدِيَّة مَرْبُوطَةٌ بسَعَادَة هَذَا الاتِّبَاعِ، فَيَنْبَغِي أَدَاءُ الزَّكَاة مِنَ الأَمْوَال النَّامِيَة وَالأَنْعَامِ السَّائمَة كَمَا هُوَ حَقُّهَا وَأَنْ يَجْعَل ذَلكَ وَسيلةً لقَطْعِ التَّعَلق عَنِ الأَمْوَال وَالأَنْعَامِ، وَيَنْبَغِي أَنْ لاَ يَكُونَ حَظُّ النَّفْسِ مَلحُوظًا وَمَنْظُورًا إِليْه فِي أَكْل الأَطْعِمَة اللذِيذَة وَلبْسِ الأَلبسَة النَّفيسَة، بَل اللاَّئقُ فِي اسْتِعْمَال الأَطْعِمَة وَالأَشْرِبَة أَنْ لاَ يَنْوِيَ شَيْئًا غَيْرَ حُصُول القُوَّة لأَدَاء الطَّاعَات. وَفِي لبْسِ الثَّوْب النَّفيس يَنْبَغِي أَنْ يَنْوِيَ التَّزَيُّنَ المَأْمُورَ بِقَوْله تَعَالى: {خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُل مَسْجِد}(١) أَيْ عِنْدَ كُل صَلاَة، وَأَنْ لاَ يَشُوبَهُ نِيَّةٌ أُخْرَى. فَإِنْ لَمْ تَتَيَسَّرْ حَقيقَةُ النِّيَّة يَنْبَغِي أَنْ يَتَكَلفَ فيهَا " فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوْا "

وَأَنْ يَلتَجِئَ وَيَتَضَرَّعَ إِلى اللهِ سُبْحَانَهُ دائمًا لتَتَيَسَّرَ حَقيقَةُ النِّيَّة وَليَتَخَلصَ مِنَ التَّكَلف.

وَلعَل يَقْبَل دَمْعِيَ المُتَقَاطِرَ مَنْ كَانَ يَخْلقُ لؤْلؤًا مِنْ قَطْرَة

وَعَلى هَذَا القيَاسِ يَنْبَغِي أَنْ يُعَامَل فِي جَميعِ الأُمُور بِمُقْتَضَى فَتَاوَى العُلمَاء المُتَدَيِّنينَ الذينَ اخْتَارُوا العَزِيمَةَ وَاجْتَنَبُوا الرُّخْصَةَ، وَأَنْ يَعْتَقدَ ذَلكَ وَسيلةً للنَّجَاة الأَبَدِيَّة: {مَا يَفْعَل اللهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ}(٢).

---

(١) ـــ الآية: ٣١ من سورة الأعراف.

(٢) ـــ الآية: ١٤٧ من سورة النساء.

المَكْتُوبُ الحَادِيَ وَالسَّبْعُونَ

إلى الميرزا داراب بْن خَانَ خَانَان

فِي بَيَان أَنَّ شُكْرَ المُنْعِمِ وَاجِبٌ عَلى المُنْعَمِ عَلَيْه وَحُصُول الشُّكْرِ إِنَّمَا هُوَ بإِتْيَانِ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ لاَ غَيْرُ

أَيَّدَكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَنَصَرَكُمْ اعْلَمْ أَنَّ شُكْرَ المُنْعِمِ وَاجِبٌ عَلى المُنْعَمِ عَلَيْهِ عَقْلاً وَشَرْعًا وَمِنَ المَعْلُومِ أَنَّ وُجُوبَ الشُّكْرِ عَلى قَدْرِ وُصُولِ النِّعْمَة، فَكُلَّمَا كَانَ وُصُول النِّعْمَة أَكْثَرَ كَانَ وُجُوبُ الشُّكْرِ أَزْيَدَ وَأَوْفَرَ، فَكَانَ الشُّكْرُ عَلى الأَغْنِيَاء عَلى تَفَاوُت دَرَجَاتِهِمْ بأَضْعَاف مَا يَجبُ عَلى الفُقَرَاء، وَلهَذَا وَرَدَ في الخَبَرِ " إنَّ فُقَرَاءَ هَذِه الأُمَّة يَدْخُلونَ الجَنَّةَ قَبْل الأَغْنِيَاء بخَمْسمائَة عَام "(١).

وَالشُّكْرُ لله المُنْعِمِ تَعَالى وَتَقَدَّسَ إِنَّمَا يَكُونُ بتَصْحِيحِ العَقَائد أَوَّلاً عَلى مُقْتَضَى آرَاء ا قَة النَّاجيَة أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة، وَإِتْيَان الأَحْكَام الشَّرْعِيَّة العَمَلِيَّة ثانيًا عَلى وَفْق بَيَا تَهدي هَذه الفرْقَة العَليَّة، وَالتَّصْفيَة وَالتَّزْكيَة ثالثًا عَلى طبْق سُلوك الصُّوفيَّة العَلية منْ هَذه الفرْقَة النَّاجيَة السَّنِّيَّة، وَوُجُوبُ هَذه الرُّكْن الأَخير اسْتحْسَانيٌّ بخلاَف الرُّكْنَيْنِ السَّابقَيْن. فَإنَّ أَصْلَ الإسْلاَمِ مَرْبُوطٌ بذَيْنك الرُّكْنَيْنِ وَإِنَّمَا المَنُوطُ بالرُّكْنِ الأَخير هُوَ كَمَال الإِسْلاَمِ لاَ أَصْلُهُ، وَالعَمَلُ المُخَالفُ لهَذه الأَرْكَان الثَّلاثَة وَلوْ كَانَ منْ جنْسِ الرِّيَاضيَّات الشَّاقَّة وَالمُجَاهَدَة الشَّديدَة فَهُوَ دَاخِل في المَعْصيَة وَالبَغْيِ وَالطُّغْيَان عَلى المُنْعِمِ - جَل سُلطَانُهُ -. وَلَمْ يُقَصِّرْ بَرَاهِمَةُ الهنْد وَفَلاَسفَةُ اليُونَانِ في الرِّيَاضَات وَالمُجَاهَدَات شَيْئًا وَلَمْ يُفَوِّتُوا فيهَا دَقيقَةً، وَلكنْ لَمَّا لَمْ تَكُنْ تلكَ الرِّيَاضَاتُ وَالمُجَاهَدَاتُ عَلى وَفْقِ شَرَائعِ الأَنْبِيَاء - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - كَانُوا مَرْدُودينَ وَصَارُوا منَ النَّصيب الأُخْرَوِيِّ مَحْرُومينَ، فَعَلَيْكُمْ بمُتَابَعَة سَيِّدنَا وَمَوْلاَنَا وَشَفيعِ ذُنُوبنَا وَطَبيب قُلوبنَا مُحَمَّد رَسُول اللهِ صَلى اللهُ تَعَالى عَلَيْه وَعَلى آله وَسَلمَ وَمُتَابَعَة خُلفَائه الرَّاشدينَ المَهْدِيِّينَ رِضْوَانُ اللهِ تَعَالى عَلَيْهِمْ أَجْمَعينَ.

---

(١) — روى مسلم عن عبد الله ابن عمرو (وأن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفا) وروى ابن ماجة عن أبي سعيد بلفظ (أن الفقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة سنة) وما ذكره الإمام فهو في رواية الترمذى عن أبي هريرة (يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام مقدار نصف يوم) سند.

المَكْتُوبُ ٱلثَّانِي وَالسَّبْعُونَ
إِلَى الخواجهْ جهَانَ
فِي بَيَانِ أَنَّ جَمْعَ ٱلدِّينِ مَعَ ٱلدُّنْيَا مُتَعَسِّرٌ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

سَلَّمَكُمْ ٱللهُ سُبْحَانَهُ وَعَافَاكُمْ، (ع):

مَا أَحْسَنَ ٱلدِّينَ وَالدُّنْيَا لَوْ اجْتَمَعَا

وَالجَمْعُ بَيْنَ ٱلدِّينِ وَالدُّنْيَا مِنْ قَبِيلِ الجَمْعِ بَيْنَ الأَضْدَادِ، فَلاَ بُدَّ إِذًا لِطَالِبِ الآخِرَةِ مِنْ تَرْكِ ٱلدُّنْيَا. وَحَيْثُ كَانَ تَرْكُهَا حَقِيقَةً مُتَعَسِّرًا فِي هَذِهِ الأَوَانِ يَنْبَغِي أَنْ يَلتَزِمَ تَرْكَهَا حُكْمًا بِالضَّرُورَةِ. وَالتَّرْكُ الحُكْمِيُّ عِبَارَةٌ عَنْ أَنْ يَكُونَ مَحْكُومًا بِمُقْتَضَى حُكْمِ ٱلشَّرِيعَةِ الغَرَّاءِ فِي الأُمُورِ ٱلدِّينِيَّةِ، وَأَنْ يُرَاعِيَ حُدُودَ ٱلشَّرْعِ فِي المَطَاعِمِ وَالمَشَارِبِ وَالمَسَاكِنِ غَيْرَ مُجَوِّزٍ لِمُجَاوَزَتِهَا، وَأَنْ يُؤَدِّيَ ٱلزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ فِي الأَمْوَالِ ٱلنَّامِيَةِ وَالأَنْعَامِ ٱلسَّائِمَةِ. فَإِذَا تَيَسَّرَ ٱلتَّحَلِّي بِالأَحْكَامِ ٱلشَّرْعِيَّةِ فَقَدْ حَصَلَتْ ٱلنَّجَاةُ مِنْ مَضَرَّةِ ٱلدُّنْيَا وَاجْتَمَعَتْ ٱلدُّنْيَا حِينَئِذٍ بِالآخِرَةِ، وَمَنْ لَمْ يَتَيَسَّرْ لَهُ هَذَا القِسْمُ أَيْضًا مِنَ ٱلتَّرْكِ فَهُوَ خَارِجٌ مِنَ المَبْحَثِ وَحُكْمُهُ حُكْمُ المُنَافِقِ وَصُورَةُ الإِيمَانِ ٱلَّتِي فِيهِ لاَ تَنْفَعُهُ فِي الآخِرَةِ وَإِنَّمَا نَتِيجَتُهَا عِصْمَةُ ٱلدِّمَاءِ وَالأَمْوَالِ فِي ٱلدُّنْيَا. شِعْرٌ.

وَمَا هُوَ مِنْ شَرْطِ البَلاَغِ أَقُولُهُ ‏ ‏ ‏ ‏ فَخُذْ مِنْهُ نُصْحًا نَافِعًا أَوْ مَلاَلَةً

وَأَيُّ صَاحِبِ دَوْلَةٍ يَسْمَعُ الكَلِمَةَ الحَقَّةَ بِسَمْعِ القَبُولِ مَعَ هَذِهِ ٱلزَّمْزَمَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالخَدَمِ وَالحَشَمِ وَالأَطْعِمَةِ ٱللذِيذَةِ وَالأَلبِسَةِ الفَاخِرَةِ. شِعْرٌ.

فِي أُذْنِهِ مَنْ أَنْتَى صَمَمٌ فَلاَ ‏ ‏ ‏ ‏ يَرْضَى سَمَاعَ نَصِيحَتِي وَبُكَائِيَا

وَفَّقَنَا ٱللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ لِمُتَابَعَةِ ٱلشَّرِيعَةِ المُصْطَفَوِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا ٱلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ وَبَقِيَّةُ المَرَامِ: أَنَّ ٱلشَّيْخَ مَيَّانْ زَكَرِيَّا كَانَ سَابِقًا مُسْتَوْفِي الخَرَاجِ وَهُوَ عَالِمٌ وَفَاضِلٌ وَقَدْ مَضَتْ مُدَّةٌ مَدِيدَةٌ وَهُوَ مَحْبُوسٌ فِي ٱلسِّجْنِ بِشُؤْمِ أَعْمَالِهِ، وَقَدْ عَجَزَ الآنَ بِوَاسِطَةِ ضَعْفِ الهَرَمِ وَضِيقِ المَعِيشَةِ وَتَمَادَتْ مُدَّةُ حَبْسِهِ. وَقَدْ كَتَبَ إِلَى الفَقِيرِ يَطْلُبُ حُضُورِي فِي العَسْكَرِ فَأَسْعَى فِي تَخْلِيصِهِ، وَلَكِنَّ كَثْرَةَ مَسَافَةِ ٱلطَّرِيقِ كَانَتْ مَانِعَةً مِنْ ذَلِكَ. وَلَمَّا أَرَادَ أَخِي الخواجهْ مُحَمَّدُ صَادِق ٱلتَّوَجُّهَ إِلَى خِدْمَتِكُمْ كُنْتُ سَبَبًا لِلتَّصْدِيعِ بِتَحْرِيرِ كَلِمَاتٍ بِالضَّرُورَةِ فَالمَرْجُوُّ رِعَايَةُ ٱلتَّوَجُّهِ العَالِي فِي حَقِّ ذَلِكَ ٱلضَّعِيفِ فَإِنَّهُ عَالِمٌ وَشَيْخٌ كَبِيرٌ وَالسَّلاَمُ أَوَّلاً وَآخِرًا.

المَكْتُوبُ اَلثَّالِثُ وَالسَّبْعُونَ
إلى قليج اَلله ابْن قليج خَان
في مَذَمَّة اَلدُّنْيَا وَأَبْنَائهَا
وَتَرْك تَحْصيل العُلوم الغَيْر اَلنَّافعَة
وَالاَجْتنَاب عَنْ فُضُول المُبَاحَات
وَالتَّحْرِيضِ عَلى اَلخَيْرَات وَالأَعْمَال اَلصَّالحَة
وَمَا يُنَاسبُ ذَلكَ

رَزَقَنَا اَللهُ سُبْحَانَهُ اَلاسْتقَامَةَ عَلى جَادَّة اَلشَّرِيعَة المُصْطَفَويَّة عَلى صَاحبهَا اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ الأَبَديَّةُ اَلسَّرْمَديَّةُ أَيُّهَا الولَدَانُ: اَلدُّنْيَا مَحَل الاَمْتحَان وَالابْتلاَء ظَاهرُهَا مُمَوَّهٌ وَمُزَيَّنٌ بأَنْوَاعِ المُزخْرَفَات وَصُورَتُهَا مُنَقَّشَةٌ وَمُلوَّنَةٌ بالخَيلاَن وَالخُطُوط وَالذَّوائب وَالخُدُودُ المَوْهُومَةُ حُلوَةٌ في بَادي اَلنَّظَر مُتَخَيَّلَةٌ بالطَّرَاوَة وَالنَّضَارَة في البَصَر وَلكنَّهَا في الحَقيقَة جيفَةٌ مَرْشُوشٌ عَلَيْهَا العطْرُ وَمَزْبَلةٌ مَلآنَةٌ بالذُّبَاب وَالدُّود، سَرَابٌ يُرَى كَالشَّرَاب وَسُمٌّ في صُورَة سُكَّر بَاطنُهَا خرَابٌ وَأَبْتَرُ وَمُعَامَلتُهَا مَعَ أَبْنَائهَا مَعَ وُجُود هَذه اَلدَّمَامَة وَالوَقَاحَة شَرٌّ منْ جَميعِ مَا يُقَال وَيُذْكَرُ، عَاشقُهَا سَفيهٌ وَمَسْحُورٌ ومَفْتُونُها مَجْنُونٌ وَمَخْدُوعٌ، كُل مَن افْتُتنَ بظَاهرهَا فَقَدْ اتَّسَمَ بسيمَة الخَسَارَة الأَبَديَّة، وَكُل مَنْ نَظَرَ إلى حَلاَوَتها وَطَرَاوَتهَا كَانَ نَصيبُهُ اَلنَّدَامَةَ اَلسَّرْمَديَّةَ. قَال سَيِّدُ الكَائنَات حَبيبُ رَبِّ العَالمينَ عَليْه وَعَلى آله اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ " مَا اَلدُّنْيَا وَالآخرَةُ إلاَّ ضَرَّتَان إنْ رَضيَتْ إحْدَاهُمَا سَخطَتْ الأُخْرَى فَمَنْ أَرْضى اَلدُّنْيَا فَقَطْ أَسْخَطَ الآخرَةَ عَلى نَفْسه " فَلاَ جَرَمَ لاَ يَكُونُ لهُ نَصيبٌ منَ الآخرَة أَعَاذَنَا اَللهُ سُبْحَانَهُ وَإيَّاكُمْ منْ مَحبَّتها وَمَحَبَّة أَهْلهَا.

أَيُّهَا الوَلَدُ: هَل تَدْري مَا اَلدُّنْيَا، كُل مَا يَعُوقُك وَيَحْجُبُك عَن الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى منَ اَلنِّسَاء وَالأَوْلاَد وَالأَمْوَال وَالجَاه وَالرِّيَاسَة وَاللهْو وَاللعب وَالاشْتغَال بمَا لاَ يَعْني فَهُوَ دَاخل في اَلدُّنْيَا، وَالعُلومُ اَلتي لاَ دَخْل لهَا في أُمُور الآخرَة فهي أَيْضًا منَ اَلدُّنْيَا، فَلوْ نَفَعَ تَحْصيل علمِ اَلنُّجُومِ وَالمَنْطِقِ وَالهَنْدَسَةِ وَالحسَاب وَأَمْثَالهَا منَ العُلومِ اَلتي

لاَ طَائِل فِيهَا لِكَانَتْ الفَلاَسِفَةُ مِنْ أَهْلِ النَّجَاة قَال النَّبِيُّ - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - " عَلاَمَةَ إِعْرَاضه تَعَالى عَنِ العَبْد اشْتغَالهُ بِمَا لاَ يَعْنِيه "(١)، شعْرٌ.

مَنْ كَانَ في قَلْبه مِقْدَارُ خَرْدَلَة سوَى هَوَى الحَقِّ فَاعْلَمْ أَنَّهُ مَرَضٌ

وَمَا قَالوا مِنْ أَنَّ مَعْرِفَةَ عِلمِ النُّجُومِ لاَزِمَةٌ لِمَعْرِفَة أَوْقَات الصَّلاَة لَيسَ مَعْنَاهُ أَنَّ مَعْرِفَةَ أَوْقَات الصَّلاَة لاَ تُمْكنُ إلاَّ بِمَعْرِفَة علمِ النُّجُوم، بَل يَعْني أَنَّ عِلمَ النُّجُوم أَحَدُ طُرُق مَعْرِفَة الأَوْقَات وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاس لاَ خَبَرَ لَهُمْ مِنْ علمِ النُّجُومِ وَمَعَ ذَلكَ يَعْرِفُونَ أَوْقَاتَ الصَّلاَة أَزْيَدَ مِنْ عُلمَاء علمِ النُّجُوم، وَقَرِيبٌ مِنْ ذَلكَ الوُجُوهُ الَّتي ذَكَرُوهَا فِي تَحْصيل المَنْطقِ وَالحِسَاب وَأَمْثَالهمَا مِنَ العُلومِ الَّتي لَهَا دَخْل فِي الجُمْلَة فِي بَعْضِ العُلوم الشَّرْعيَّة.

وَبِالجُمْلَة لاَ يَظْهَرُ وَجْهُ جَوَاز الاشْتغَال بهَذه العُلوم إلاَّ بَعْد تَمَحُّلات كَثِيرَة، وَذَلكَ أَيْضًا بِشَرْط أَنْ لاَ يَكُونَ المَقْصُودُ مِنْهَا غَيْرَ مَعْرِفَة الأَحْكَام الشَّرْعيَّة وَتَقْوِيَة الأَدلَّة الكَلاَميَّة، وَإلاَّ فَلاَ يَجُوزُ الاشْتغَال بهَا أَصْلاً. يَنْبَغي الإنْصَافُ أَنَّ الأَمْرَ المُبَاح إذَا كَانَ الاشْتغَال به مُسْتَلزمًا لفَوَات أَمْر وَاجب هَل يَخْرُجُ مِنَ الإبَاحَة أَوْ لاَ، وَلاَ شَكَّ أَنَّ الاشْتغَال بهَذه العُلومِ مُسْتَلزمٌ لفَوَات الاشْتغَال بالعُلومِ الشَّرْعيَّة الضَّرُوريَّة.

أَيُّهَا الوَلَدُ، إنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ قَدْ رَزَقَكَ مِنْ كَمَال عنَايَته الَّتي لاَ غَايَةَ لَهَا التَّوْفِيقَ للتَّوْبَة فِي عُنْفُوَان الشَّبَاب وَوَفَّقَكَ للإنَابَة عَلى يَد وَاحد مِنْ دَرَاوِيش السِّلسلة النَّقْشَبَنْديَّة العَليَّة - قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَ أَهْلهَا - وَلاَ أَدْري هَل لكَ عَلى تلكَ التَّوْبَة ثَبَاتٌ أَوْ أَغْوَتْكَ عَنْهَا النَّفْسُ بأَنْوَاعِ المُزَخْرَفَات، وَأَرَى الاسْتقَامَةَ عَلَيْهَا مُشْكلَةً، فَإنَّ المَوْسمَ عُنْفُوَانُ الشَّبَاب وَمَتَاعُ الدُّنْيَا مُتَيَسِّرُ الأَسْبَاب وَأَكْثَرُ القُرَنَاء غَيْرُ مُنَاسب فِي هَذَا البَاب.

أَيُّهَا الوَلَدُ: إنَّ الأَمْرَ وَالحَزْمَ هُوَ الاجْتنَابُ عَنْ فُضُول المُبَاحَات وَالاكْتفَاء بقَدْر الضَّرُورَة، وَأَنْ يَكُونَ هُوَ أَيْضًا بنيَّة حُصُول القُوَّة وَالجَمْعيَّة لأَدَاء وَظَائف العُبُوديَّة، فَإنَّ المَقْصُودَ مِنَ الأَكْل مَثَلاً هُوَ حُصُول القُوَّة عَلى أَدَاء الطَّاعَة وَمِنْ لُبسِ اللبَاسِ سَتْرُ العَوْرَة وَدَفْعُ الحَرِّ وَالبَرْد، وَعَلى هَذَا القيَاس سَائرُ المُبَاحَات الضَّرُوريَّة.

وَاخْتَارَ أَكَابرُ النَّقْشَبَنْديَّة - قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمُ العَليَّةَ - العَمَل بالعَزِيمَة وَاجْتَنَبُوا

---

(١) ــ قال ابن حجر في شرح الأربعين من علامات أعراض الله تعالى عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه أنه من قول الحسن وروى الترمذى عن أبي هريرة مرفوعاً من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ورواه ابن ماجة وحسنه النووى بل وصححه ابن عبد البر قال المخرج ذكر على المتق في جوامع الكلم مرفوعا بلفظ الشيخ اهـ.

مِنَ الرُّخْصَةِ مَهْمَا أَمْكَنَ وَمِنْ جُمْلَةِ العَزَائِمِ الاكْتِفَاءُ بِقَدْرِ الضَّرُورَةِ فَإِنْ لَمْ تَتَيَسَّرْ هَذِهِ الدَّوْلَةُ يَنْبَغِي أَنْ لاَ يَخْرُجَ مِنْ دَائِرَةِ المُبَاحَاتِ إِلى حَدِّ المُشْتَبِهَاتِ وَالمُحَرَّمَاتِ، وَلَقَدْ أَبَاحَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِكَمَالِ كَرَمِهِ تَنَعُّماتٍ كَثِيرَةً عَلى الوَجْهِ الأَتَمِّ وَجَعَلَ دَائِرَةَ هَذِهِ التَّنَعُّماتِ وَاسِعَةً جِدًّا، وَمَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنْ هَذِهِ التَّنَعُّماتِ أَيُّ عَيْشٍ يُسَاوِي رِضَا مَوْلَى العَبْدِ بِأَفْعَالِهِ وَأَيُّ جَفَاءٍ يُشَبَّهُ بِسَخَطِ سَيِّدِهِ عَلَى أَعْمَالِهِ رِضَاءُ اللهِ فِي الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الجَنَّةِ وَسَخَطُ اللهِ فِي النَّارِ شَرٌّ مِنَ النَّارِ وَالإِنْسَانُ عَبْدٌ مَحْكُومٌ بِحُكْمٍ لَمْ يَجْعَلهُ المَوْلَى وَلَدَهُ وَلَمْ يَتْرُكْهُ سُدًى حَتَّى يَتَهَافَتَ عَلى كُلِّ مَا يَشَاءُ فَيَنْبَغِي التَّفَكُّرُ وَإِعْمَالُ القَلبِ، وَلاَ يَحْصُلُ غَدًا شَيْءٌ غَيْرُ النَّدَامَةِ وَالخَسَارَةِ، وَقْتُ العَمَلِ إِنَّمَا هُوَ عَهْدُ الشَّبَابِ، وَالعَاقِلُ مَنْ لاَ يُضَيِّعُ هَذَا الوَقْتَ وَيَغْتَنِمُ الفُرْصَةَ فَإِنَّ الأَمْرَ مُبْهَمٌ فَعَسَاهُ أَنْ لاَ يَبْقَى إِلى زَمَنِ الشَّيْخُوخَةِ وَلَئِنْ بَقِيَ فَلَعَلَّهُ لاَ تَتَيَسَّرُ لَهُ الجَمْعِيَّةُ وَلَئِنْ تَيَسَّرَتْ فَلَعَلَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَى العَمَلِ فِي أَوَانِ اسْتِيلاَءِ الضَّعْفِ وَالعَجْزِ. وَالحَالُ أَنَّ أَسْبَابَ الجَمْعِيَّةِ كُلَّهَا مُتَيَسِّرَةٌ الآنَ وَوُجُودُ الوَالِدَيْنِ أَيْضًا مِنْ إِنْعَامَاتِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ فَإِنَّهُمْ مَعِيشَتُكَ عَلَى ذِمَّتِهِمْ وَالمَوْسِمُ مَوْسِمُ الفُرْصَةِ وَزَمَانُ القُوَّةِ وَالاسْتِطَاعَةِ فَبِأَيِّ عُذْرٍ يُمْكِنُ أَنْ يُؤَخِّرَ شُغْلَ اليَوْمِ إِلى غَدٍ وَيَخْتَارَ التَّسْوِيفَ قَالَ – عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ –: " هَلَكَ المُسَوِّفُونَ " نَعَمْ إِذَا أَخَّرْتَ المُهِمَّاتِ الدُّنْيَوِيَّةَ الدَّنِيَّةَ إِلى غَدٍ لأَجْلِ الاشْتِغَالِ بِأُمُورِ الآخِرَةِ فِي اليَوْمِ يَكُونُ مُسْتَحْسَنًا جِدًّا كَمَا أَنَّ عَكْسَهُ مُسْتَقْبَحٌ جِدًّا، وَفِي هَذَا الوَقْتِ الَّذِي هُوَ عُنْفُوَانُ الشَّبَابِ وَوَقْتُ اسْتِيلاَءِ أَعْدَاءِ الدِّينِ مِنَ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ لِعَمَلٍ قَلِيلٍ مِنَ الاعْتِبَارِ مَا لَيْسَ ذَلِكَ فِي غَيْرِ هَذَا الوَقْتِ لأَضْعَافٍ مُضَاعَفَةٍ، كَمَا أَنَّ فِي القَاعِدَةِ العَسْكَرِيَّةِ لِلعَسَاكِرِ " الشُّجْعَانُ أَقْوِيَاءُ الجَنَانِ اعْتِبَارٌ زَائِدٌ وَقْتَ اسْتِيلاَءِ الأَعْدَاءِ حَتَّى يُعْتَبَرَ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ عَمَلٌ يَسِيرٌ وَثَبَاتٌ قَلِيلٌ وَيَكُونُ ذَلِكَ مَنْظُورًا، وَلاَ يَكُونُ مِثْلُ هَذَا الاعْتِبَارِ وَقْتَ الأَمْنِ مِنْ شَرِّ الأَعْدَاءِ.

أَيُّهَا الوَلَدُ، إِنَّ المَقْصُودَ مِنْ خَلْقِ الإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ خُلاَصَةُ المَوْجُودَاتِ لَيْسَ هُوَ اللَّهْوَ وَاللَّعِبَ وَلاَ الأَكْلَ وَالنَّوْمَ، وَإِنَّمَا المَقْصُودُ مِنْهُ أَدَاءُ وَظَائِفِ العُبُودِيَّةِ وَالذُّلِّ وَالانْكِسَارِ وَالعَجْزِ وَالافْتِقَارِ وَدَوَامِ الالْتِجَاءِ وَالتَّضَرُّعِ إِلى جَنَابِ قُدْسِ الغَفَّارِ – جَلَّ سُلْطَانُهُ – وَالعِبَادَاتُ الَّتِي الشَّرْعُ المُحَمَّدِيُّ نَاطِقٌ بِهَا المَقْصُودُ مِنْ أَدَائِهَا مَنَافِعُ العِبَادِ وَمَصَالِحُهُمْ وَلاَ يَعُودُ مِنْهَا شَيْءٌ إِلى جَنَابِ قُدْسِهِ عَزَّ شَأْنُهُ، فَيَنْبَغِي إِذًا أَدَاؤُهَا بِغَايَةِ المَمْنُونِيَّةِ وَأَنْ يَسْعَى وَيَجْتَهِدَ فِي انْقِيَادِ الأَوَامِرِ وَامْتِثَالِهَا وَالانْتِهَاءِ عَنِ المَنَاهِي وَامْتِنَاعِهَا

وَقَدْ أَكْرَمَ اَللهُ سُبْحَانَهُ عِبَادَهُ بِالأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي مَعَ وُجُودِ غِنَاهُ الْمُطْلَقِ، فَيَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَشْكُرَ عَلَى هَذِهِ اَلنِّعْمَةِ عَلَى الوَجْهِ الأَتَمِّ وَأَنْ نَجْتَهِدَ فِي اِمْتِثَالِ أَحْكَامِهَا بِكَمَالِ الْمَمْنُونِيَّةِ.

اِعْلَمْ أَيُّهَا الوَلَدُ، لَوْ أَنَّ وَاحِدًا مِنْ أَبْنَاءِ اَلدُّنْيَا اَلذِينَ تَحَقَّقُوا بِشَوْكَةٍ ظَاهِرِيَّةٍ وَجَاهٍ صُورِيٍّ أَنْعَمَ عَلَى وَاحِدٍ مِنْ مُتَعَلِّقِيهِ بِخِدْمَةٍ يَرْجِعُ مِنْهَا نَفْعٌ لِلآمِرِ بِهَا أَيْضًا كَيْفَ يَعُدُّهَا عَزِيزَةً وَيَقُولُ إِنَّ شَخْصًا عَظِيمَ القَدْرِ أَمَرَنِي بِهَذِهِ الخِدْمَةِ فَيَنْبَغِي لِي القِيَامُ بِهَا بِغَايَةِ الْمَمْنُونِيَّةِ، فَأَيُّ بَلاَءٍ نَزَلَ وَأَيُّ مُصِيبَةٍ أَصَابَتْ. هَلْ كَانَتْ عَظَمَةُ الحَقِّ جَلَّ شَأْنُهُ فِي اَلنَّظَرِ أَقَلَّ مِنْ عَظَمَةِ هَذَا الشَّخْصِ حَيْثُ لاَ يَجْتَهِدُ فِي اِمْتِثَالِ أَحْكَامِ الحَقِّ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَحِيَ وَأَنْ يَتَنَبَّهَ مِنْ نَوْمِ الأَرْنَبِ. وَعَدَمُ اِمْتِثَالِ أَوَامِرِ اَللهِ - جَلَّ سُلْطَانُهُ - لاَ يَخْلُو مِنْ أَمْرَيْنِ: إِمَّا أَنْ يُكَذِّبَ الإِخْبَارَاتِ اَلشَّرْعِيَّةَ، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ عَظَمَةُ أَمْرِ الحَقِّ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ أَحْقَرَ مِنْ عَظَمَةِ أَمْرِ أَبْنَاءِ اَلدُّنْيَا، فَيَنْبَغِي أَنْ يُلاَحِظَ شَنَاعَةَ هَذَيْنِ الأَمْرَيْنِ.

أَيُّهَا الوَلَدُ، لَوْ أَنَّ شَخْصًا قَدْ جُرِّبَ كَذِبُهُ مِرَارًا، أَخْبَرَ بِأَنَّ الأَعْدَاءَ فِي صَدَدِ الهُجُومِ بِاللَّيْلِ لاِسْتِيلاَءٍ تَامٍّ عَلَى قَوْمٍ كَذَا لاَجْتَهَدَ عُقَلاَءُ ذَلِكَ القَوْمِ فِي الْمُحَافَظَةِ وَفِكْرِ دَفْعِ تِلْكَ البَلِيَّةِ مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّ ذَلِكَ الْمُخْبِرَ مُتَّهَمٌ بِالكَذِبِ؛ لِكَوْنِ اَلاحْتِرَازِ عَمَّا يُتَوَهَّمُ فِيهِ الخَطَرُ لاَزِمًا. وَقَدْ أَخْبَرَ الْمُخْبِرُ اَلصَّادِقُ - عَلَيْهِ اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - - بِتَمَامِ الْمُبَالَغَةِ عَنْ عَذَابِ الآخِرَةِ وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَتَأَثَّرُوا مِنْهُ أَصْلاً، فَإِنَّهُمْ إِنْ تَأَثَّرُوا لاَنْزَعَجُوا وَتَفَكَّرُوا فِي دَفْعِهِ وَالحَالُ أَنَّهُمْ عَرَفُوا عِلاَجَ دَفْعِهِ بِبَيَانِ الخَبَرِ اَلصَّادِقِ - عَلَيْهِ اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ -، فَبِئْسَ اَلإِيمَانُ اَلذِي لاَ يَكُونُ لِخَبَرِ الْمُخْبِرِ الصَّادِقِ اِعْتِبَارٌ عِنْدَ صَاحِبِهِ مِثْلَ اِعْتِبَارِ خَبَرِ الكَاذِبِ. وَصُورَةُ الإِسْلاَمِ لاَ تَنْفَعُ مِنَ اَلنَّجَاةِ شَيْئًا بَلْ لاَ بُدَّ لِحُصُولِ اَلنَّجَاةِ مِنْ تَحْصِيلِ اليَقِينِ وَأَيْنَ اليَقِينُ بَلْ لاَ ظَنَّ وَلاَ وَهْمَ أَيْضًا ؛ فَإِنَّ العُقَلاَءَ يَعْتَبِرُونَ الوَهْمَ فِي أُمُورٍ فِيهَا خَطَرٌ وَخَوْفٌ وَكَذَلِكَ قَالَ اَللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْمَجِيدِ (وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) وَمَعَ ذَلِكَ إِنَّهُمْ يَعْمَلُونَ هَذِهِ الأَعْمَالَ القَبِيحَةَ وَالحَالُ أَنَّهُمْ لَوْ أَحَسُّوا اِطِّلاَعَ شَخْصٍ حَقِيرٍ عَلَى أَعْمَالِهِمْ لَمَا عَمِلُوا حِينَئِذٍ عَمَلاً شَنِيعًا أَصْلاً. فَحَالُ هَؤُلاَءِ لاَ يَخْلُو عَنْ أَحَدِ الحَالَيْنِ: إِمَّا أَنْ يُكَذِّبُوا خَبَرَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ، وَإِمَّا أَنْ لاَ يَعْتَبِرُوا اِطِّلاَعَهُ تَعَالَى. فَمِثْلُ هَذَا العَمَلِ هَلْ هُوَ مِنَ الإِيمَانِ أَوْ مِنَ الكُفْرِ فَيَلْزَمُ لِذَلِكَ الوَلَدَانِ يُجَدِّدُ الإِيمَانَ قَالَ - عَلَيْهِ اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - " جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ بِقَوْلِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اَللهُ "(١).

---

(١) ـــ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن الإيمان سيخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب فسلو الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم) الطبراني في الكبير كذا في الأمم

وأَنْ يُعيدَ تَوْبَةً نَصُوحًا منْ أُمُور لاَ يَرْضَى بهَا اَللهُ سُبْحَانَهُ وَأَنْ يَجْتَنبَ عَنْ أُمُور مُحَرَّمَة مَنْهيَّة عَنْهَا وَأَنْ يُؤَدِّيَ اَلصَّلَوَات الخَمْسَ مَعَ الجَمَاعَة فَإنْ تَيَسَّرَ قيَامُ اَللَيْل وَصَلاَةُ اَلتَّهَجُّد فَنعْمَتْ اَلسَّعَادَةُ، وَأَدَاءُ زَكَاة الأَمْوَال أَيْضًا منْ أَرْكَان الإسْلاَم فَلاَ بُدَّ منْ أَدَائهَا البَتَّةَ. وَأَسْهَل طُرُق أَدَائهَا أَنْ يَعْزل حَقَّ الفُقَرَاء منَ المَال في كُل سَنَة بنيَّة اَلزَّكَاة فَيَحْفَظُهُ عنْدَهُ وَيَصْرفُهُ في مَصَارف اَلزَّكَاة في تَمَام اَلسَّنَة، فَعَلى هَذَا اَلتَّقْدير لاَ يَلزَمُ تَجْديدُ نيَّة أَدَاء اَلزَّكَاة في كُل مَرَّة بَل تَكْفي اَلنِّيَّةُ وَقْتَ العَزْل مَرَّةً وَاحدَةً. وَمنَ المَعْلوم أَنَّهُ كَمْ يُصْرَفُ إلى الفُقَرَاء وَالمُسْتَحقِّينَ في جَميع اَلسَّنَة وَلكنْ لَمَّا لَمْ يَكُنْ بنيَّة أَدَاء اَلزَّكَاة لَمْ يَكُنْ مَحْسُوبًا منْهَا، وَفي اَلصُّورَة المَذْكُورَة تَسْقطُ اَلزَّكَاةُ منَ اَلذِّمَّة وَيَحْصُل اَلتَّخلصُ أَيْضًا منَ الحَرْج منْ غَيْر مُضَايقَة، فَإنْ لَمْ يَصْرفْ للفُقَرَاء في تَمَام اَلسَّنَة مقْدَارَ اَلزَّكَاة بَل بَقيَتْ منْهَا بَقيَّةٌ يَنْبَغي أَنْ يَحْفَظَهَا كَذَلكَ مَعْزُولةً عَنْ سَائر الأَمْوَال، فَإنَّ مثْل هَذَا العَمَل يَحْتَاجُ إلَيْه في كُل عَام، وَمَتَى كَانَ مَال الفُقَرَاء مُمْتَازًا وَمَعْزُولاً فَعَسَى أَنْ يَحْصُل اَلتَّوْفيقُ لإنْفَاقه غَدًا وَإنْ لَمْ يَحْصُل اليَوْمَ.

أَيُّهَا الوَلدُ، إنَّ اَلنَّفْسَ بَخيلةٌ بالذَّات وَهَاربَةٌ منَ امْتثَال الأَحْكَام الإلهيَّة – جَل سُلطَانُهُ –، فَلاَ جَرَمَ يَصْدُرُ الكَلاَمُ بالرِّفْق وَاللين وَإلاَّ فَالأَمْوَال وَالأَمْلاَكُ كُلهَا حَقُّ اَلله تَعَالى، فَأَيْنَ المَجَال للعَبْد في المُكْث وَالتَّوَقُّف فيه بَل يَنْبَغي أَدَاؤهَا بالمَمْنُونيَّة اَلتَّامَّة، وَكَذَلكَ يَنْبَغي أَنْ لاَ يَتَسَاهَل في أَدَاء العبَادَات باتِّبَاع هَوَى اَلنَّفْس وَأَنْ يَسْعَى في أَدَاء حُقُوق العبَاد سَعْيًا بَليغًا وَأَنْ يَبْذُل الجُهْدَ فيه حَتَّى لاَ يَبْقَى لأَحَد حَقٌّ في اَلذِّمَّة فَإنَّ أَدَاءَ الحَقِّ هُنَا – يَعْني في اَلدُّنْيَا – سَهْل بحَيْثُ يُمْكنُ تَحْصيلهُ بالمُلاَيمَة وَالتَّملق، وَأَمَّا في الآخرَة فَالأَمْرُ مُشْكل غَيْرُ قَابل للعلاَج.

وَيَنْبَغي اَلاسْتفْسَارُ عَنِ الأَحْكَام اَلشَّرْعيَّة وَالاسْتفْتَاءُ فيهَا منْ عُلمَاء الآخرَة فَإنَّ لكَلاَمهمْ تَأْثيرًا فَعَسَى أَنْ يَحْصُل اَلتَّوْفيقُ للعَمَل بهَا ببَرَكَة أَنْفَاسهمْ.

وَيَنْبَغي اَلاجْتنَابُ عَنْ عُلمَاء اَلدُّنْيَا اَلذينَ جَعَلوا العلمَ وَسيلةً للجَاه إلاَّ أَنْ لاَ يُوجَدَ العُلمَاءُ المُتَّقونَ فَيَرجعَ إليْهمْ بالضَّرُورَة بقَدْر اَلضَّرُورَة. وَالحَاجُّ مَيَّانُ مُحَمَّدُ الأَتْرة منَ العُلمَاء المُتَدَيِّنينَ هُنَاكَ وَالشَّيْخُ عَلى الأَتْرة منْ أَحْبَابكُمْ وَكُل منْ هَذَيْن اَلشَّخْصَيْن مُغْتَنَمٌ في تلكَ اَلنَّوَاحي وَالرُّجُوعُ إلَيْهمَا في تَحْقيق المَسَائل اَلشَّرْعيَّة أَنْسَبُ.

لإيقاظ الهمم للكوراني وفي رواية أحمد والحاكم في المستدرك بلفظ من قول لا إله إلا الله قال العزيزي إسناده صحيح.

أَيُّهَا الوَلَدُ، مَا لَنَا وَلأَبْنَاءِ اَلدُّنْيَا وَأَيَّةُ مُنَاسَبَةٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ حَتَّى نَتَكَلَّمَ فِي خَيْرِهِمْ وَشَرِّهِمْ، وَقَدْ وَرَدَتْ اَلنَّصَائِحُ اَلشَّرْعِيَّةُ فِي هَذَا البَابِ عَلَى الوَجْهِ الأَتَمِّ وَالأَكْمَلِ فَللهِ الحُجَّةُ البَالِغَةُ. وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ ذَلِكَ الوَلَدُ رَاجِعًا إِلَى الفُقَرَاءِ وَمَنْسُوبًا إِلَيْهِمْ مِنْ طَرِيقِ الإِنَابَةِ كَانَ لِلقَلْبِ تَوَجُّهٌ فِي أَكْثَرِ الأَوْقَاتِ إِلَى أَحْوَالِهِ، وَكَانَ هَذَا اَلتَّوَجُّهُ بَاعِثًا عَلَى القِيلِ وَالقَالِ. وَاعْلَمْ: أَنَّ أَكْثَرَ هَذِهِ اَلنَّصَائِحِ وَالمَسَائِلِ قَدْ بَلَغَهُ وَقَرَعَ سَمْعَهُ وَلَكِنَّ المَقْصُودَ هُوَ العَمَلُ لاَ مُجَرَّدُ العِلْمِ، أَلاَ تَرَى أَنَّ مَرِيضًا إِذَا كَانَ عَالِمًا بِدَاءِ مَرَضِهِ لاَ يَنْفَعُهُ عِلْمُهُ بِذَلِكَ اَلدَّوَاءِ وَلاَ يَحْصُلُ اَلشِّفَاءُ بِدُونِ أَكْلِ اَلدَّوَاءِ. وَكُلُّ هَذَا الإِبْرَامِ وَالمُبَالَغَةِ لأَجْلِ العَمَلِ ؛ فَإِنَّ العِلْمَ العَارِيَ عَنِ العَمَلِ يُقِيمُ الحُجَّةَ عَلَى صَاحِبِهِ قَالَ - عَلَيْهِ اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - " أَشَدُّ اَلنَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ اَللهُ بِعِلْمِهِ ".

وَلْيَعْلَمْ ذَلِكَ الوَلَدَانُ الإِنَابَةَ اَلسَّابِقَةَ وَإِنْ لَمْ تُثْمِرْ بِوَاسِطَةِ قِلَّةِ صُحْبَةِ أَرْبَابِ الجَمْعِيَّةِ وَلَكِنَّهَا تُنْبِئُ عَنْ نَفَاسَةِ جَوْهَرِ اسْتِعْدَادِهِ. وَالمَرْجُوُّ أَنْ يُوَفِّقَهُ اَللهُ سُبْحَانَهُ لِمَرْضِيَاتِهِ بِبَرَكَةِ تِلْكَ الإِنَابَةِ وَأَنْ يَجْعَلَهُ مِنْ أَهْلِ اَلنَّجَاةِ. وَعَلَى كُلِّ حَالٍ يَنْبَغِي أَنْ لاَ يَفْلِتَ حَبْلَ مَحَبَّةِ هَذِهِ اَلطَّائِفَةِ، وَأَنْ يَجْعَلَ اَلالتِجَاءَ وَالتَّضَرُّعَ إِلَى هَؤُلاَءِ القَوْمِ شِعَارًا وَأَنْ يَنْتَظِرَ تَشْرِيفَ اَلحَقِّ سُبْحَانَهُ بِمَحَبَّتِهِ بِسَبَبِ مَحَبَّةِ هَذِهِ اَلطَّائِفَةِ وَجَذْبِهِ إِلَيْهِ بِالتَّمَامِ وَتَخْلِيصِهِ مِنَ الأَدْنَاسِ وَالأَوْسَاخِ بِالكُلِّيَّةِ. شِعْرٌ.

مَا العِشْقُ إِلاَّ شُعْلَةٌ قَدْ أَحْرَقَتْ كُلَّ الوَرَى إِلاَّ الحَبِيبَ البَاقِي

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالسَّبْعُونَ
إلى المَرَاز بَديعِ الزَّمَان
في التَّحْرِيضِ عَلى مَحَبَّة الفُقَرَاء وَالتَّوَجُّه إلَيْهِمْ
وَعَلى اتِّبَاعِ صَاحِبِ الشَّرِيعَة عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ

قَدْ وَرَدَتْ الرُّقْعَةُ الشَّرِيفَةُ وَالنَّميقَةُ اللطيفَةُ حَمْدًا لله سُبْحَانَهُ حَيْثُ يُفْهَمُ مِنْ فَحْوَاهُ مَحَبَّةُ الفُقَرَاءِ وَالتَّوَجُّهُ إلى الدَّرَاوِيشِ الَّتِي هِيَ رَأْسُ مَال السَّعَادَة لأَنَّهُمْ جُلَسَاءُ الله سُبْحَانَهُ وَهُمْ قَوْمٌ لاَ يَشْقَى جَلِيسُهُمْ، وَكَانَ رَسُول الله ـــ صَلى اللهُ عَلَيْه وَسَلمَ ـــ يَسْتَفْتح بصَعَاليك المُهَاجرينَ، وَقَال - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - في شَأْنهِمْ " رَبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بالأَبْوَاب لَوْ أَقْسَمَ عَلى الله لأَبَرَّهُ " وَقَدْ انْدَرَجَتْ في الصَّحِيفَة الشَّرِيفَة فَقْرَةُ خديو النَّشْأَتَيْنِ وَهَذه لغَةٌ مَخْصُوصٌ إطْلاَقُهَا بحَضْرَة وَاجب الوُجُود - جَل سُلطَانُهُ -، وَكَيْفَ يَسُوغُ لعَبْد مَمْلوك لاَ يَقْدرُ عَلى شَيْءٍ أَنْ يَبْتَغِيَ المُشَارَكَةَ بالله جَل شَأْنُهُ بوَجْه منَ الوُجُوه، وَأَنْ يَسْعَى وَيَعْدُوَ في طَرِيق الاسْتقْلاَل خُصُوصًا في النَّشْأَة الأُخْرَوِيَّة الَّتي تَخْتَصُّ فيهَا المَالكيَّةُ وَالمَلكيَّةُ سَوَاءٌ كَانَتْ بطَرِيقِ الحَقِيقَة أَوْ بطَرِيقِ المَجَاز بمَالك يَوْمِ الدِّين، وَيَوْمئذ يُنَادي الحَقُّ سُبْحَانَهُ وَيَقُول " لمَنِ المُلكُ اليَوْمَ " يَقُول في جَوَابه بنَفْسه " لله الوَاحد القَهَّار "، وَلَيْسَ للعبَاد في ذَلكَ اليَوْمِ شَيْءٌ سوَى الهَوْل وَالدَّهْشَة وَالنَّدَم وَالحَسْرَة وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ في القُرْآن المَجيد عَنْ شدَّة ذَلكَ اليَوْمِ وَغَايَة اضْطرَاب الخَلاَئق حَيْثُ قَال تَبَارَكَ وَتَعَالى " إنَّ زَلزَلَةَ السَّاعَة شَيْءٌ عَظيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَل كُل مُرْضعَة عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُل ذَات حَمْل حَمْلهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بسُكَارَى وَلكنَّ عَذَابَ الله شَديدٌ "

شعْرٌ.

عَنِ الفعْل لاَ قَوْل بذَا اليَوْمَ تُسْأَل قُلوبُ ذَوِي الأَلبَاب تُشْوَى وَتَذْبُل
وَيُدهَـــشُ فيـــه الأَنْبيَاءُ جَميعُهمْ فَمَا عُذْرُ ذَنْب فيـــك أَمْ كَيْفَ تَفْعَل

وَبَقيَّةُ النُّصْح أَنَّهُ لاَ بُدَّ منَ اتِّبَاعِ صَاحب الشَّرِيعَة - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَالتَّحيَّةُ ؛ فَإنَّ النَّجَاةَ بدُونه مُحَال. وَيَنْبَغي أَنْ لاَ يُلتَفتَ إلى زَخَارف الدُّنْيَا وَأَنْ لاَ يُعْتَنَى بوُجُودهَا وَعَدَمهَا فَإنَّ الدُّنْيَا مَبْغُوضَةُ الله سُبْحَانَهُ لاَ قَدْرَ لَهَا عنْدَهُ تَعَالى،

فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَدَمُهَا خَيْرًا مِنْ وُجُودِهَا عِنْدَ العِبَادِ. وَعَدَمُ وَفَائِهَا وَسُرْعَةُ زَوَالِهَا مَشْهُورَةٌ بَل مَشْهُودَةٌ، فَاعْتَبِرُوا بِأَبْنَائِهَا ٱلذِينَ مَضَوْا مِنْ قَبْل. وَفَّقَنَا ٱللهُ وَإِيَّاكُمْ لِمُتَابَعَةِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالسَّبْعُونَ
إلى المِرْزَا بَدِيعِ الزَّمَانِ أَيْضًا
فِي التَّحْرِيضِ عَلى مُتَابَعَةِ سَيِّدِ الكَوْنَيْنِ
عَلَيْهِ وَعَلى آلهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ
بِتَصْحِيحِ العَقَائِدِ أَوَّلاً
وَتَعَلمِ الأَحْكَامِ الفِقْهِيَّةِ الضَّرُورِيَّةِ ثَانِيًا
وَمَا يُنَاسِبُهُ

سَلمَكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ وَعَافَاكُمْ اعْلَمْ أَنَّ نَقْدَ سَعَادَةِ الدَّارَيْنِ مَنُوطٌ بِمُتَابَعَةِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ - عَلَيْهِ وَعَلى آلهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ - عَلَى نَهْجٍ بَيَّنَهُ عُلمَاءُ أَهْلِ السُّنَّةِ شَكَرَ اللهُ سَعْيَهُمْ وَذَلكَ بِتَصْحِيحِ الاعْتِقَادِ أَوَّلاً عَلى مُقْتَضَى آرَاءِ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ، وَبِتَحْصِيلِ عِلمِ الحَلاَلِ وَالحَرَامِ وَالفَرْضِ وَالوَاجِبِ وَالسُّنَّةِ وَالمَنْدُوبِ وَالمُبَاحِ وَالمُشْتَبِهِ ثَانِيًا. وَلاَ بُدَّ مِنَ العَمَلِ بِمُقْتَضَى هَذَا العِلمِ. وَبَعْدَ حُصُولِ هَذَيْنِ الجَنَاحَيْنِ الاعْتِقَادِيِّ وَالعَمَلِيِّ إِذَا سَبَقَتْ العِنَايَةُ الأَزَلِيَّةُ بِحُصُولِ السَّعَادَةِ السَّرْمَدِيَّةِ يَتَيَسَّرُ الطَّيَرَانُ نَحْوَ عَالمِ القُدْسِ، وَبِدُونِهَا خَرْطُ القَتَادِ. وَالدُّنْيَا الدَّنِيَّةُ لَيْسَتْ مِمَّا يَخْفَى فِعْلهَا حَتَّى تُعَدَّ مِنَ المَطَالِبِ، وَيُظَنُّ حُصُولُ آمَالهَا وَجَاهِهَا مِنَ المَقَاصِدِ. يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَالِيَ الهِمَّةِ، فَإِنَّ الإِنْسَانَ كُلمَا يَجِدُ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ إِنَّمَا يَجِدُهُ بِالوَسِيلةِ، فَيَنْبَغِي إِذَا طَلبُ الوَسِيلةِ إِلَيْهِ تَعَالى، (ع):

هَذَا هُوَ الأَمْرُ والبَاقِي مِنَ العَبَثِ

وَحَيْثُ طُلبَتْ الهِمَّةُ مِنْ كَمَالِ الالتِفَاتِ فَبُشْرَى لكَ تَرْجِعُ سَالمًا وَغَانِمًا، لكِنْ لاَ بُدَّ مِنْ أَنْ تُرَاعِيَ شَرْطًا وَاحِدًا وَهُوَ تَوْحِيدُ قِبْلةِ التَّوَجُّهِ، فَإِنَّ جَعْلَ قِبْلةِ التَّوَجُّهِ مُتَعَدِّدَةً إِلقَاءُ السَّالكِ نَفْسَهُ إِلى التَّفْرِقَةِ. وَمِنَ الأَمْثَالِ المَشْهُورَةِ أَنَّ المُقِيمَ فِي مَحَلٍ فِي كُلِ مَحَلٍ، وَالمُتَرَدِّدَ بَيْنَ المَحَالِ لَيْسَ فِي مَحَلٍ أَصْلاً. رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ الاسْتِقَامَةَ عَلى جَادَّةِ الشَّرِيعَةِ المُصْطَفَوِيَّةِ عَلى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ، {وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[١] وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلى آلهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ.

---

(١) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ اَلسَّادِسُ وَالسَّبْعُونَ
إلى قليج خَانَ
فِي بَيَان أَنْ التَّرَقِّيَ مَرْبُوطٌ بالورَعِ وَالتَّقْوَى
وَفِي اَلتَّحْرِيضِ عَلَى تَرْك فُضُول المُبَاحَات
وَمَا يُنَاسِبُ ذَلكَ

عَصَمَكُمْ اَللهُ سُبْحَانَهُ عَمَّا يَصِمُكُمْ وَصَانَكُم عَمَّا شَانَكُمْ بحُرْمَة سَيِّد البَشَر المَنْفَى عَنْهُ زَيْغُ البَصَر عَلَيْه وَعَلى آله منَ اَلصَّلوَات أَكْمَلهَا وَمنَ التَّسْليمات أَفْضَلهَا. قَال اَللهُ تَعَالى " وَمَا آتَاكُمُ اَلرَّسُول فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُم عَنْهُ فَانْتَهُوا " فَكَانَ مَدَارُ اَلنَّجَاة عَلى جُزْأَيْن: امْتثَال الأَوَامر، وَالانْتهَاء عَنِ المَنَاهِي. وَمُعْظَمُ هَذَيْن الجُزْأَيْنِ هُوَ الجُزْءُ الأَخيرُ المُعَبَّرُ عَنْهُ بالوَرَعِ وَالتَّقْوَى. ذُكرَ رَجُل عنْدَ رَسُول اَلله ـــ صَلى اَللهُ عَلَيْة وَسَلمَ ـــ بعبَادَة وَاجْتهَاد فيهَا وَذُكرَ آخرُ برعَة فقَال اَلنَّبيُّ ـــ صَلى اَللهُ عَلَيْة وَسَلَمَ ـــ: " لاَ تَعْدلْ بالرِّعَةِ شَيْئًا " يَعْني الوَرَعَ وَقَال أَيْضًا عَلَيْه منَ اَلصَّلوَات أَتَمُّهَا وَمنَ التَّسْليمات أَكْمَلهَا: " ملاَكُ دينكُمْ الوَرَعُ " وَفَضيلةُ الإنْسَان عَلى المَلَك إنَّمَا هيَ بسَبَب هَذَا الجُزْء، وَالتَّرَقِّي في مَدَارج القُرْب أَيْضًا منْ هَذَا الجُزْء، فَإنَّ المَلاَئكَةَ أَيْضًا مُتَشَاركُونَ في الجُزْء الأَوَّل وَالتَّرَقِّي مَفْقُودٌ فيهمْ. فَكَانَتْ رعَايَةُ جُزْء الوَرَعِ وَالتَّقْوَى منْ أَهَمِّ مَهَامِّ الإسْلاَم وَأَشَدِّ ضَرُوريَّات اَلدِّين، وَرعَايَةُ هَذَا الجُزْء اَلذي مَدَارُه عَلَى اَلاجْتنَاب منَ المَحَارم إنَّمَا تَتَيَسَّرُ عَلَى وَجْه الكَمَال إذَا حَصَلَ اَلاجْتنَابُ عَنْ فُضُول المُبَاحَات وَاكْتَفَى منْهَا بقَدْر اَلضَّرُورَة فَإنَّ إرْخَاءَ عَنَان اَلنَّفْس في ارْتكَاب المُبَاحَات يَجُرُّ إلَى المُشْتَبهَات، وَالمُشْتَبَهُ قَريبٌ منَ المُحَرَّم وَمَنْ حَامَ حَوْلَ الحمَى يُوشكُ أَنْ يَقَعَ فيه، فَلاَ بُدَّ إذًا في حُصُولَ كَمَال الوَرَعِ وَالتَّقْوَى منَ اَلاكْتفَاء بقَدْر اَلضَّرُورَة منَ المُبَاحَات، وَهُوَ أَيْضًا مَشْرُوطٌ بنيَّة تَحْصيل القُوَّة عَلى أَدَاء وَظَائف العُبُوديَّة، وَإلاَّ فَهَذَا القَدْرُ أيضًا وَبَال وَلقَليله حُكْمُ الكَثير. وَلَمَّا كَانَ اَلاجْتنَابُ عَنْ فُضُول المُبَاحَات بالكُليَّة في جَميع الأَوْقَات خُصُوصًا في هَذَا اَلزَّمَان مُتَعَسِّرًا وَعَزيزَ الوُجُود، لزمَ اَلاجْتنَابُ عَن المُحَرَّمَات وَتَضْييقُ دَائرَة ارْتكَاب فُضُولَ المُبَاحَات مَهْمَا أَمْكَنَ، وَأَنْ يَكُونَ نَادمًا عَلى هَذَا اَلارْتكَاب وَمُسْتَغْفرًا منْهُ دَائمًا، وَأَنْ يَلتَجئَ وَيَتَضرَّعَ إلى اَلله تَعَالى في جَميع الأَوْقَات مُعْتَقدًا أَنَّ هَذَا الارْتكَابَ لفُضُولَ المُبَاحَات فَتْحُ بَابَ اَلدُّخُول حَوالي المُحَرَّمَات. فَعَسَى أَنْ تَقُومَ هَذه اَلنَّدَامَةُ وَالاسْتغْفَارُ وَالالتجَاءُ وَالتَّضَرُّعُ مَقَامَ اَلاجْتنَاب عَنْ فُضُول المُبَاحَات، وَأَنْ تَسُدَّ مَسَدَّهُ، وَأَنْ تَدْفَعَ آفَاتهَا وَتَحْفَظَ عَنْهَا. قَالَ وَاحدٌ منْ أَعزَّة الأَكَابر:

انْكِسَارُ العَاصِينَ أَحَبُّ إلى اَللهِ تَعَالى مِنْ صَوْلَةِ المُطِيعِينَ.

وَالاجْتِنَابُ عَنِ المُحَرَّمَات عَلى قِسْمَيْن: قِسْمٌ يَتَعَلقُ بِحُقُوق اَللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى، وَقِسْمٌ يَتَعلقُ بِحُقُوق العِبَاد. وَرِعَايَةُ القِسْمِ الثَّاني أَهَمُّ مِنْ رِعَايَة القِسْمِ الأَوَّل، فَإِنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ غَنيٌّ عَلى الإِطْلاَق وَأَرْحَمُ الرَّاحمِينَ، وَالعِبَادُ فُقَرَاءُ مُحْتَاجُونَ وَبُخلاَءُ وَلئَامٌ بالذَّات. قَال رَسُول اَللهِ ـــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ـــ " مَنْ كَانَتْ لهُ مَظْلمَةٌ لأَخِيه مِنْ عِرْضِه أَوْ شَيْءٍ فَليَتحَلله مِنْهُ اليَوْمَ قَبْل أَنْ لاَ يَكُونَ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ وَإِنْ كَانَ لهُ عَمَل صَالحٌ أُخذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلمَته وَإِنْ لمْ يَكُنْ لهُ حَسَنَاتٌ أُخذَ مِنْ سَيِّئَات صَاحِبه فَحُمل عَليْه " وَقَال أَيْضًا ـــ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ ـــ: " أَتَدْرُونَ مَنِ المُفْلس ؟ قَالُوا: المُفْلسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لهُ وَلاَ مَتَاعَ ! فَقَال: إِنَّ المُفْلسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَة بِصَلاَةٍ وَصِيَام وَزَكَاة وَيأْتي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَل مَال هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاته وَهَذَا مِنْ حَسَنَاته فَإِنْ فَنيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْل أَنْ يَقْضِيَ مَا عَليْه أُخذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَليْه ثُمَّ طُرِحَ فِي اَلنَّارِ " صَدَقَ رَسُول اَللهِ - صَلى اَللهُ عَليْه وَعَلى آله وَسَلمَ -.

وَنَقُول إِظْهارًا لمَحْمَدَتكُمْ وَشُكْرًا عَلى صَنِيعكُمْ: إِنَّ كَثيرًا مِنَ الأَحْكَام اَلشَّرْعيَّة صَارَ مُرَوَّجًا فِي بَلدَة هور بِوُجُودكُمْ فِي مثْل هَذَا اَلزَّمَان وَحَصَلتْ تَقْوِيَةُ اَلدِّينِ وَتَرْوِيجُ الملة فِي تلكَ البُقْعَة وَهَذه البَلدَة عِنْدَ الفَقِير بالنِّسْبَة إلى سَائر بلاَد الهنْد كَقُطْب الإِرْشَاد بالنِّسْبَة إلى سَائر اَلنَّاس، وَخَيْرُ هَذه البَلدَة وَبَرَكَاتُهَا سَارَ فِي جَمِيعِ بلاَد الهنْد فَإِذَا حَصَل هُنَاكَ تَرْوِيجٌ يَتَحَقَّقُ نَحْوٌ مِنَ اَلتَّرْوِيجِ فِي كُل مَحَل كَانَ اللهُ سُبْحَانَهُ مُؤَيِّدَكُمْ وَنَاصرَكُمْ.

قَال رَسُول اَللهِ ـــ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ ـــ: " لاَ يَزَال طَائفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلى الحَقِّ لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلهُمْ حَتَّى يأْتِيَ أَمْرُ اَللهِ وَهُمْ عَلى ذَلكَ"، وَلمَّا كَانَ حَبْل ارْتبَاطكُمْ الحُبِّي بحَضْرَة مَعْدن المَعَارِف شَيْخنَا وَقبْلتنَا - قُدِّسَ سرُّهُ - مُحْكَمًا قَوِيًّا، كُنْتُ بَاعِثًا عَلى تَحْرِيكِ ذَلكَ اَلارْتبَاط الحُبِّيِّ بتَسْوِيد الأَوْرَاق وَتَحْرِير بَعْضِ الكَلمَات، وَالزِّيَادَةُ عَلى ذَلكَ إِطْنَابٌ. وَحَامل رُقَيْمَة اَلدُّعَاء رَجُل صَالحٌ ذُو نَسَب طَيِّب وَقَدْ وَقَعَتْ لهُ حَاجَةٌ إلى جَنَابكُمْ فَالمَرْجُوُّ رِعَايَةُ اَلتَّوَجُّه اَلشَّرِيف فِي حَقِّه، وَإِنْجَاحُ حَاجَته. رَزَقَنَا اَللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ اَلدَّوْلةَ الحَقِيقيَّةَ وَالسَّعَادَةَ اَلسَّرْمَديَّةَ بحُرْمَة اَلنَّبيِّ وَآله الأَمْجَاد - عَليْه وَعَلى آله اَلصَّلوَاتُ وَالتَّسْليماتُ.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالسَّبْعُونَ
إلى جبارى خَانَ
فِي بَيَانِ أَنَّ عِبَادَةَ اللهِ الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ مَتَّى تَكُونُ مُيَسَّرَةً وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

الحَمْدُ للهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى: (شِعْرٌ):

وَمَا عَبَدُوا غَيْرَ الإِله فَبَاطِل　　فَيَا وَيْلِ مَنْ يَخْتَارُ مَا كَانَ بَاطِلاً

وَعِبَادَةُ اللهِ الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ إِنَّمَا تَتَيَسَّرُ إِذَا تَخلص العَبْدُ عَنْ رِقِّيَّة سِوَاهُ - جَل سُلْطَانُهُ - بِالتَّمَامِ، وَلَمْ تَبْقَ قِبْلَةُ التَّوَجُّه غَيْرَ الذَّاتِ الأُحَدِيَّة. وَمِصْدَاقُ هَذَا التَّوَجُّه اسْتِوَاءُ إِنْعَامِه وَإِيلَامِه تَعَالَى، بَل يَكُونُ الإِيلَامُ أَرْغَبَ فِيهِ مِنَ الإِنْعَامِ فِي ابْتِدَاءِ حُصُول هَذَا المَقَام، وَإِنْ انجرَّ الأَمْرُ أَخِيرًا إِلَى التَّفْوِيضِ وَكَانَ كُلمَا يَصل وَيَحْصُل هُوَ الأَوْلَى وَالأَنْسَبُ. وَالعِبَادَةُ الَّتِي مَنْشَؤُهَا الرَّغْبَةُ وَالرَّهْبَةُ فَتِلْكَ العِبَادَةُ هِيَ عِبَادَةُ النَّفْسِ فِي الحَقِيقَةِ، فَإِنَّ المَقْصُودَ مِنْهَا إِمَّا حُصُول نَجَاةِ النَّفْسِ أَوْ سُرُورُهَا. شِعْرٌ.

مَا دُمْتُ مَفْتُونًا بِنَفْسِك يَا خَلِيُّ　　دَعْوَى المَحَبَّة مِنْك دَعْوَى كَاذِب

وَحُصُول هَذِه الدَّوْلَة مَنُوطٌ بِالفَنَاءِ المُطْلَق. وَهَذَا التَّوَجُّهُ مِنْ نَتِيجَةِ المَحَبَّة الذَّاتِيَّة، وَمُقَدِّمَة ظُهُورِ الوِلَايَة الخَاصَّة المُحَمَّدِيَّة عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ. وَحُصُول هَذِه النِّعْمَة العُظْمَى مَوْقُوفٌ عَلَى كَمَال اتِّبَاعِ شَرِيعَتِه عَلَيْه مِنَ الصَّلَوَات أَتَمُّهَا وَمِنَ التَّحِيَّات أَكْمَلهَا فَإِنَّ شَرِيعَةَ كُل نَبِيٍّ الَّتِي أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهَا مِنْ طَرِيق النُّبُوَّة مُنَاسِبَةٌ لِوِلَايَتِه، فَإِنَّ التَّوَجُّهَ فِي الوِلَايَة إِلَى الحَقِّ بِالكُلِّيَّة، فَإِذَا نَزَل بِإِذْن اللهِ سُبْحَانَهُ إِلَى مَقَامِ النُّبُوَّة يَنْزِل بِذَلِكَ النُّور وَيَجْمَعُ ذَلِكَ الكَمَالَ مَعَ التَّوَجُّه إِلَى الخَلق. وَسَبَبُ حُصُول كَمَالات مَقَام النُّبُوَّة هُوَ ذَلِكَ النُّورُ أَيْضًا ؛ وَلهَذَا قِيل: وِلَايَةُ النَّبِيِّ أَفْضَل مِنْ نُبُوَّتِه، فَلاَ جَرَمَ تَكُونُ شَرِيعَةُ كُل نَبِيٍّ مُنَاسِبَةً لِوِلَايَتِه وَاتِّبَاعُ تِلْكَ الشَّرِيعَة مُسْتَلزِمٌ لِلوُصُول إِلَى تِلْكَ الوِلَايَة.

فَإِنْ قِيل: إِنَّ بَعْضَ مَنْ يَتْبَعُ شَرِيعَةَ نَبِيِّنَا - عَلَيْه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - لاَ نَصِيبَ لَهُ مِنْ وِلَايَتِه ـــ صَلى اللهُ عَلَيْة وَسَلمَ ـــ بَل هُوَ عَلَى قَدَمِ نَبِيٍّ آخَرَ وَلَهُ نَصِيبٌ مِنْ وِلَايَتِه. أُجِيبَ: إِنَّ شَرِيعَةَ نَبِيِّنَا - عَلَيْه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - جَامِعَةٌ لجَمِيعِ الشَّرَائِعِ، وَالكِتَابُ الَّذِي أُنْزِل إِلَيْه شَامِل لجَمِيعِ الكُتُب السَّمَاوِيَّة. فَاتِّبَاعُ هَذِه

اَلشَّرِيعَة كَأَنَّهُ اتِّبَاعٌ لِجَمِيعِ اَلشَّرَائِعِ، فَمَنْ لهُ مُنَاسَبَةٌ لنَبيٍّ مِنَ الأَنْبيَاءِ يَأْخُذُ نَصِيبًا مِنْ وِلاَيته عَلى قَدْرِ اسْتِعْدَاده وَلاَ مَحْذُورَ فيه. بَل أَقُول إنَّ ولاَيَتَهُ – عَلَيْه اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ – حَاوِيَةٌ لوِلاَيَات جَمِيعِ الأَنْبيَاء عَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ والتَّسْليماتُ. فَالوُصُول إلى وَاحِدَة مِنْ تلكَ الوِلاَيَات وُصُول إلى جُزْءٍ مِنْ أَجْزَاء هَذه الوِلاَيَة الخَاصَّة، وَسَبَبُ عَدَمِ الوُصُول إلى تلكَ الوِلاَيَة القُصُورُ في كَمَال مُتَابَعَته – عَلَيْه اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ – –، وَللقُصُور دَرَجَاتٌ.

فَلاَ جَرَمَ حَصَلَ اَلتَّفَاوُتُ في دَرَجَات الوِلاَيَة، وَلَوْ تَيَسَّرَ كَمَال الاتِّبَاعِ لأَمْكَنَ الوُصُول إلى تلكَ الوِلاَيَة، وَالاعْتِرَاضُ إنَّمَا يَردُ إذَا حَصَلَتْ الوِلاَيَةُ المُحَمَّدِيَّةُ لمُتابعي شَرَائِعِ الأَنْبيَاء الأُخَرِ عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ اَلصَّلَوَاتُ والتَّسْليماتُ وَالتَّحِيَّاتُ وَلَيْسَ فَلَيْسَ. الحَمْدُ لله اَلذي أَنْعَمَ عَلَيْنَا وَهَدَانَا إلى اَلصِّرَاط المُسْتَقِيم وَالدِّينِ القَويم. وَالصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ عبَارَةٌ عَنْ هَذَا اَلطَّرِيقِ المَتينِ وَالشَّرْعِ المُبين (إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) دَليل لهَذَا المَعْنَى رَزَقَنَا اَللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ كَمَال اتِّبَاعِ شَرِيعَته – عَلَيْه اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ – بحُرْمَة كَمَل أَتْبَاعه وَمُعْظَمِ أَوْليَائه رِضْوَانُ اَلله تَعَالى عَلَيْهِمْ أَجْمَعينَ آمينَ. وَحَامل رُقَيْمَة اَلدُّعَاء لَمَّا كَانَ في صَدَد اَلتَّوَجُّه إلى تلكَ الحُدُود صَارَ بَاعثًا عَلى تَحْرِيك سلسلة المَحَبَّة بتَحْرِيرِ كَلمَات. وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اَلله سُبْحَانَهُ لدَيْكُمْ.

المَكْتُوبُ اَلثَّامِنُ وَالسَّبْعُونَ
إِلى جبارى خَانَ أَيْضًا
فِي بَيَان مَعْنَى اَلسَّفَرِ فِي الوَطَنِ وَالسَّيْرِ الآفَاقِيِّ وَالأَنْفُسِيِّ وَأَنَّ حُصُول هَذه اَلدَّوْلَة مَوْقُوفٌ عَلى اتِّبَاعه ﷺ

رَزَقَنَا اَللهُ سُبْحَانَهُ الاسْتِقَامَةَ عَلى جَادَّة اَلشَّرِيعَة الحَقَّة عَلى مَصْدَرهَا اَلصَّلاَةُ وَالتَّحيَّةُ. قَدْ مَضَتْ مُدَّةٌ منَ العَوْد منْ سَفَرِ دهلى وَأرَهُ إِلى الوَطَنِ المَأْلوف وَنَقْدُ الوَقْت الآنَ حُبُّ الوَطَنِ منَ الإِيمَان فَإِنْ وَقعَ اَلسَّفَرُ بَعْدَ الوُصُول إِلى الوَطَنِ، فَهُوَ فِي نَفْسِ الوَطَنِ فَإِنَّ اَلسَّفَرَ فِي الوَطَنِ منَ الأُصُول المُقَرَّرَة عنْدَ أَكَابِر اَلطَّائفَة النَّقْشَبَنْدِيَّة العَليَّة قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمُ اَلسَّنِيَّة. وَيَحْصُلُ فِي هَذَا اَلطَّرِيقِ ذَوْقٌ منْ هَذَا اَلسَّفَرِ فِي اَلابْتدَاء بطَرِيقِ انْدرَاجِ اَلنِّهَايَة فِي البدَايَة، وَيَجْعَل جَمْعٌ منْ هَؤُلاَءِ اَلطَّائفَة مَجْذُوبِينَ سَالكينَ إِذَا أُرِيدَ ذَلكَ، وَيُرْمَوْنَ أَوَّلاً فِي اَلسَّيْرِ الآفَاقِيِّ ثُمَّ يُجْذَبُونَ إِلى اَلسَّيْرِ الأَنْفُسِيِّ بَعْدَ تَمَامِ اَلسَّيْرِ الآفَاقِيِّ. وَالسَّفَرُ فِي الوَطَنِ عِبَارَةٌ عَنْ هَذَا اَلسَّيْرِ الأَنْفُسِيِّ، (ع):

وَهَذِي سَعَادَاتٌ تَكُونُ نَصِيبَ مَنْ

آخَرُ:

هَنِيئًا لأَرْبَابِ اَلنَّعِيمِ نَعِيمُهَا

وَالوُصُول إِلى هَذه اَلنِّعْمَة العُظْمَى مَنُوطٌ باتِّبَاعِ سَيِّد الأَوَّلينَ وَالآخَرِينَ عَلَيْه وَعَلى آله منَ اَلصَّلَوَاتِ أَكْمَلهَا وَمنَ اَلتَّحيَّات أَفْضَلهَا. وَمَا لَمْ يُفْنِ اَلسَّالكُ نَفْسَهُ فِي اَلشَّرِيعَة وَلَمْ يَتَحَل بحُلاَ امْتثَال الأَوَامرِ وَالانْتهَاء عَنِ المَنَاهِي لاَ تَصل رَائحَةٌ منْ هَذه اَلدَّوْلَة إِلى مَشَامِّ رُوحه، فَإِنْ حَصَلَتْ لَهُ الأَحْوَال وَالمَوَاجيدُ فَرْضًا مَعَ وُجُود مُخَالَفَة اَلشَّرِيعَة، وَلَوْ مقْدَارَ شَعْرَة فهِى دَاخلَةٌ فِي اَلاسْتدْرَاجِ تَفْضَحُهُ أَخيرًا، وَلاَ إِمْكَانَ للخَلاَصِ بدُون اتِّبَاعِ مَحْبُوبِ رَبِّ العَالمينَ - عَلَيْه وَعَلى آله منَ اَلصَّلَوَات أَفْضَلهَا وَمنَ اَلتَّسْليمات أَكْمَلهَا -.

يَنْبَغِي للعَاقل أَنْ يَصْرِفَ حَيَاةَ أَيَّامٍ مَعْدُودَة فِي مَرْضِيَّات اَللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى، وَأَيُّ صَفَاء فِي عَيْشٍ وَأَيَّةُ لذَّة فِي مَعيشَة إِذَا لَمْ يَكُنْ مَوْلى العَبْد رَاضيًا عَنْ أَفْعَاله وَالحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى مُطَّلعٌ عَلى الأَحْوَال الكُليَّة وَالجُزْئيَّة وَحَاضرٌ وَنَاظرٌ،

فَيَنْبَغِي أَنْ يَسْتَحِيَ مِنْهُ سُبْحَانَهُ. فَإِنَّهُ لَوْ ظَنَّ اطِّلاَعَ مَخْلوق عَلى الغُيُوب وَالأَفْعَال القَبِيحَة لَمَا صَدَرَتْ حِينَئِذ قَبِيحَةٌ وَلاَ عَيْبٌ قَطْعًا وَلاَ يُرَادُ إِطْلاَعُهُ عَلى الغُيُوب البَتَّةَ، فَأَيُّ بَلاَءٍ وَقَعَ فَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَتَّقُونَ وَلاَ يَنقبضونَ وَلاَ يُبَالونَ مَعَ علمهمْ بِحُضُورِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ واطِّلاَعه عَلى الضَّمَائِرِ وَالسَّرَائِرِ فَأَيُّ إِسْلاَمٍ هَذَا حَيْثُ لاَ اعْتِبَارَ لِلحَقِّ عِنْدَهُمْ مِثْل اعْتِبَارِ هَذَا المَخْلوق. نُعُوذُ بِاَللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا فَبِحُكْم: جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ بقَوْل لاَ إِلهَ إِلاَّ اَللهُ. يَنْبغي أَنْ يُجَدِّدَ الإِيمَانَ فِي كُلِ آن بِهَذَا القَوْل العَظِيم الشَّأْن، وَأَنْ يَتُوبَ إِلى اَللهِ سُبْحَانَهُ مِنْ جَمِيعِ الأَفْعَال المَذْمُومَة وَيُنِيبَ إِلَيْه تَعَالى، فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي رُبَّمَا تَكُونُ الفُرْصَةُ لِلتَّوْبَة فِي وَقْت آخَرَ هَلَكَ المُسَوِّفُونَ. حَدِيثٌ نَبَوِيٌّ – عَلَيْه وَعَلى آله اَلصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ.

وَيَنْبَغِي أَنْ يَغْتَنِمَ الفُرْصَةَ وَيَصْرفَهَا فِي مَرْضَاته تَعَالى وَالتَّوْفِيقُ لِلتَّوْبَة مِنْ عِنَايَة الحَقِّ سُبْحَانَهُ. فَيَنْبَغِي أَنْ يَطْلبَ هَذَا المَعْنَى دَائِمًا، وَأَنْ يَطْلُبَ الهِمَّةَ مِنَ اَلدَّرَاوِيشِ اَلذينَ لَهُمْ قَدَمٌ رَاسِخٌ فِي اَلشَّرِيعَة وَمَعْرِفَةٌ تَامَّةٌ مِنْ عَالِمِ الحَقِيقَة، وَأَنْ يَسْتَمِدَّ مِنْهُمْ حَتَّى تَظْهَرَ عِنَايَةُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ مِنْ بَابِهِمْ فَتَجْذِبَ إِلى جَنَابِ قُدْسه تَعَالى بِالتَّمَامِ فَلاَ تَبْقَى حِينَئِذ مُخَالفَةٌ أَصْلاً، فَإِنَّهُ لَوْ وُجِدَتْ مِنْ مُخَالفَة اَلشَّرِيعَة مِقْدَارُ شَعْرَة فَالأَمْرُ فِي خَطَرٍ، فَلاَ بُدَّ مِنْ سَدِّ سُبُل المُخَالفَة بِالتَّمَام. شِعْرٌ.

وَمِنَ المُحَالِ المَشْيُ فِي طُرُقِ اَلصَّفَا يَا سَعْدَ مَنْ غَيْرِ اتِّبَاعِ المُصْطَفَى

صَلوَاتُ اَللهِ سُبْحَانَهُ عَلَيْه وَعَلى آله.

وَلاَ يَنْبَغِي اَلاعْتِرَاضُ عَلى أَهْلِ اَللهِ خُصُوصًا إِذَا تَحَقَّقَ فِي البَيْنِ اسْمُ المُرْشِدِيَّة والمُرِيدِيَّة، وَكَانَ طَرِيقُ الإِفَادَة وَالاسْتِفَادَة مَفْتُوحًا. وَيَنْبَغِي أَنْ يَعْتَقِدَهُ سُمًّا قَاتِلاً. وَالزِّيَادَةُ عَلى ذَلكَ إِطْنَابٌ.

وَقَدْ حَرَّرْتُ هَذه الكَلمَات بِسَبَب ارْتِبَاط المَحَبَّة وَالإِخْلاَص. فَالمَرْجُوُّ أَنْ لاَ تَكُونَ مُوجِبَةً لِلمَلاَل ثُمَّ إِنَّ المَلا عُمَرَ وَشَاهُ حُسَيْنًا كِليْهِمَا مِنْ أَوْلاَد الكِبَار يُرِيدَان مُلاَزَمَتَكُمْ، فَالمَرْجُوُّ إِدْخَالهمَا فِي زُمْرَة المُلاَزِمِيْن المَخْصُوصِينَ وَجَاءَ اَلشَّيْخُ إِسْمَاعِيل أَيْضًا بِهَذه الإِرَادَة وَلوْ كَانَ رَاجلاً فَالمَأْمُول أَنْ يَحْتَظ بِمَا يُنَاسِبُ حَالهُ. وَلنَكْتَفِ بِهَذَا القَدْرِ مِنْ زِيَادَة اَلتَّصْدِيعِ وَالسَّلاَمُ وَالإِكْرَامُ.

المَكْتُوبُ اَلتَّاسِعُ وَالسَّبْعُونَ

إلى المَذْكُور أيْضًا

في بَيَان أنَّ هَذه اَلشَّرِيعَةَ الغَرَّاءَ جَامعَةٌ للشَّرَائِعِ المُتقَدِّمَة وَالإِتْيَانُ بِمُقْتَضَى هَذه اَلشَّرِيعَة إِتْيَانٌ بِمُقْتَضَى اَلشَّرَائِع وَمَا يُنَاسِبُ ذَلكَ

رَزقَكُمْ اَللهُ سُبْحَانَهُ اَلثَّبَاتَ وَالاسْتِقَامَةَ عَلى جَادَّة اَلشَّرِيعَة المُصْطَفَوِيَّة عَلى صَاحِبهَا اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ وَجَعَلَكُمْ مُتَوَجِّهًا إلى جَنَاب قُدْسه بالكُلِّيَّة. وَقَدْ تَقرَّرَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُول اَلله ــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ــ جَامعٌ لجَمِيعِ الكَمَالات الأَسْمائيَّة والصِّفاتيَّة وَمَظْهَرُ جَميعِ الأَنْبيَاء عَلى سَبيل اَلاعْتدَال، وَالكِتَابُ اَلذي أُنْزِل إِليْه خُلاَصَةُ جَميعِ الكُتُب اَلسَّمَاوِيَّة المُنَزَّلة عَلى سَائرِ الأَنْبيَاء عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْهِمُ اَلصَّلوَاتُ والتسليماتُ، وَأَيْضًا إنَّ اَلشَّرِيعَةَ اَلتي أُعْطيهَا زُبْدَةُ اَلشَّرَائع المُتَقَدِّمَة، وَالأَعْمَال بمُقْتَضَى هَذه اَلشَّرِيعَة الحَقَّة مُنْتَخَبَةٌ منْ أَعْمَال اَلشَّرَائِع، بَل منْ أَعْمَال المَلائكَة أَيْضًا صَلوَاتُ اَلله عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعينَ. فَإِنَّ بَعْضَ المَلائكَة مَأْمُورُونَ بالرُّكُوعِ وَبَعْضَهمْ بالسُّجُود وَبَعْضَهمْ بالقيَام، وَكَذَلكَ الأُمَمُ اَلسَّابقَةُ كَانَ بَعْضُهمْ مَأْمُورينَ بصَلاَة اَلصُّبْحِ وَبَعْضُهم بصَلاَة أُخْرَى. وَوَرَدَ الأَمْرُ في هَذه اَلشَّرِيعَة بإِتْيَان الأَعْمَال المُنْتَخَبَة منْ خُلاَصَة أَعْمَال الأُمَمِ اَلسَّابقَة وَالمَلائكَة المُقَرَّبينَ وَزُبْدَتهَا. فَالتَّصْديقُ بهَذه اَلشَّرِيعَة تَصْديقٌ بجَميعِ الشَّرَائعِ وَالعَمَل بمُقْتَضَاهَا عَمَل بمُقْتَضَيَات تلكَ اَلشَّرَائعِ، فَلاَ جَرَمَ يَكُونُ مُصَدِّقُو هَذه اَلشَّرِيعَة خَيْرَ الأُمَمِ، وَكَذَلكَ تَكْذيبُ هَذه اَلشَّرِيعَة تَكْذيبٌ لجَميعِ اَلشَّرَائعِ وَتَرْكُ العَمَل بمُوجبهَا تَرْكُ العَمَل بمُوجب سَائرِ اَلشَّرَائعِ، وَكَذَلكَ إِنْكَارُ نَبيِّنَا ــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ــ إِنْكَارٌ لجَميعِ الكَمَالات الأَسْمائيَّة والصفاتيَّة، وَتَصْديقُه تَصْديقٌ بجَميعِ ذَلكَ، فَلاَ جَرَمَ يَكُونُ مُنْكرُهُ ــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ــ وَمُكَذِّبُ شَرِيعَته شَرَّ الأُمَمِ وَلهَذَا قَال اَللهُ تَعَالى " الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنفَاقًا " شعْرٌ.

مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الكَوْنَيْنِ منْ عَرَب تَعْسًا لمَنْ لمْ يَكُنْ في بَابه تَربًا

اَلحَمْدُ لله ذي الإِنْعَامِ وَالمنَّة قَدْ صَارَ حُسْنُ اَلاعْتقَاد وَحُسْنُ اَلظَّنِّ بالشَّرِيعَة وَصَاحبهَا - عَلَيْه اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ - مَشْهُودًا فيكَ بأَحْسَنِ الوُجُوه، وَكَانَتْ اَلنَّدَامَةُ عَلى الأَوْضَاعِ المَذْمُومَة مُمدَّتَك وَمُعينَتَك دَائمًا زَادَهُمَا اَللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى.

ثُمَّ إنَّ حَامل رُقَيْمَة اَلدُّعَاء اَلشَّيْخِ مَيَّانَ مُصْطَفَى منْ نَسْل القاضي شُرَيْحٍ وَقَدْ كَانَتْ أَسْلَافُهُ الأَكَابرُ منْ كُبَرَاء هَذه اَلدِّيَار وَكَانَتْ لَهُمْ وَظَائفُ كَثيرَةٌ وَأَسْبَابُ مَعيشَة وَافرَة، وَقَدْ تَوَجَّهَ الْمُشَارُ إلَيْه إلى العَسْكَر بسَبَب ضيق المَعيشَة وَمَعَهُ إسْنَادُهُ وَمَنْشُورُهُ. فَالمَرْجُوُّ حُصُول الجَمْعيَّة لَهُ بوَاسطَتكُمْ. وَالزِّيَادَةُ عَلى ذَلكَ مُوجبَةٌ للتَّصْديعِ، وَيَنْبَغي تَفْويضُ الْمُشَار إلَيْه إلى اَلصُّدُور العظَامِ عَلى نَهْجٍ يَتَيَسَّرُ لَهُ الأَمْرُ فَيَكُونُ سَبَبًا لجَمْعيَّة أَرْبَاب اَلتَّفرقَة وَالسَّلَامُ وَالإكْرَامُ.

المَكْتُوبُ اَلثَّمَانُون
إلى المَرْزَا فَتْح اَللهِ الحَكِيم
فِي بَيَانِ أَنَّ الفِرْقَةَ اَلنَّاجِيَةَ مِنْ بَيْنِ الفِرَقِ اَلثَّلاَث وَالسَّبْعِينَ فِرْقَةُ أَهْل اَلسُّنَّة وَالجَمَاعَة
وَفِي المَنْعِ مِنَ الالتِفَات إلى الفِرَقِ المُبْتَدِعَة وَالاخْتِلاَط مَعَهُمْ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

رَزَقَنَا اَللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ الاسْتِقَامَةَ عَلَى جَادَّةِ اَلشَّرِيعَةِ المُصْطَفَوِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ:

(ع):

هَذَا هُوَ الأَمْرُ والبَاقِي مِنَ العَبَث

وَكُل فِرْقَة مِنَ الفِرَقِ اَلثَّلاَث وَالسَّبْعِينَ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ مُتَّبِعُونَ لِلشَّرِيعَة وَيَجْزِمُونَ بِكَوْنِهِمْ نَاجِينَ " كُل حِزْب بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ " مِصْدَاقَ حَالِهِمْ وَنَقْدَ وَقْتِهِمْ، وَأَمَّا الدليل اَلذي بَيَّنَهُ اَلنَّبِيُّ اَلصَّادِقُ عَلَيْه مِنَ اَلصَّلَوَات أَكْمَلهَا وَمِنَ التسليمات أَفْضَلهَا عَلَى تَمْيِيز فِرْقَة نَاجِيَة مِنْ تلكَ الفِرَقِ المُتَعَدِّدَة فَهُوَ قَوْلُهُ ـــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ـــ: " اَلذينَ هُمْ عَلَى مَا أَنَا عَلَيْه وأَصْحَابِي " وَذِكْرُ الأَصْحَاب مَعَ وُجُود الكفَايَة بِذِكْرِ صَاحِب اَلشَّرِيعَة - عَلَيْه اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ - فِي ذَلكَ المَحَل يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ لِلإيذَان بِأَنَّ طَرِيقِي هُوَ طَرِيقُ الأَصْحَاب، وَطَرِيقُ اَلنَّجَاة مَنُوطٌ بِاتِّبَاعِ طَرِيقِهِمْ فَحَسْبُ. كَمَا قَال اَللهُ تَعَالى " وَمَنْ يُطِعِ الرَّسُول فَقَدْ أَطَاعَ اَللهَ " فَكَانَ إِطَاعَةُ اَلرَّسُول عَيْنَ إِطَاعَة اَللهِ تَعَالى وَخلاَفُ إِطَاعَته ـــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ـــ عَيْنُ مَعْصِيَته تَعَالى وَتَقَدَّسَ. وَقَدْ أَخْبَرَ اَللهُ سُبْحَانَهُ عَنْ حَال جَمَاعَة زَعَمُوا طَاعَتَهُ تَعَالى خلاَفَ طَاعَة اَلرَّسُول وَحُكمَ بِكُفْرِهِمْ حَيْثُ قَال سُبْحَانَهُ " يُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اَللهِ وَرَسُوله وَيَقُولونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ " الآيَةَ. فَدَعْوَى اتِّبَاعِ اَلنَّبِيِّ ـــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ـــ بِدُون اتِّبَاعِ طَرِيق الأَصْحَاب رِضْوَانُ اَللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ دَعْوَى بَاطِل، بَل ذَلكَ الاتِّبَاعُ فِي الحَقِيقَة عَيْنُ مَعْصِيَة اَلرَّسُول عَلَيْه اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

فَأَيْنَ المَجَال لطَمَعِ اَلنَّجَاة فِي ذَلكَ اَلطَّرِيق يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الكَاذِبُونَ " مُطَابِقَةٌ لحَالِهِمْ، وَلاَ شَكَّ أَنَّ الفِرْقَةَ المُلتَزِمَةَ لاتِّبَاعِ أَصْحَابه عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أَهْل اَلسُّنَّة وَالجَمَاعَة شَكَرَ اَللهُ سَعْيَهِمْ فَهُمُ الفِرْقَةُ اَلنَّاجِيَةُ،

فَإِنَّ الطَّاعِنِينَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ كَالشِّيعَةِ وَالخَوَارِجِ مَحْرُومُونَ مِنَ اتِّبَاعِهِمْ. وَلِلْمُعْتَزِلَةِ مَذْهَبٌ عَلَى حِدَةٍ مُحْدَثٌ وَرَئِيسُهُمْ وَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ حَسَنِ البَصْرِيِّ ثُمَّ اعْتَزَلَ مَجْلِسَهُ وَصَارَ يَقُولُ بِإِثْبَاتِ الوَاسِطَةِ بَيْنَ الكُفْرِ وَالإِيمَانِ. فَقَالَ الحَسَنُ: اعْتَزَلَ عَنَّا وَعَلَى هَذَا القِيَاسِ سَائِرُ الفِرَقِ. وَالطَّعْنُ فِي الأَصْحَابِ طَعْنٌ فِي رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فِي الحَقِيقَةِ. مَا آمَنَ بِرَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ مَنْ لَمْ يُوَقِّرْ أَصْحَابَهُ، فَإِنَّ خُبْثَهُمْ يَنْجَرُّ إِلَى خُبْثِ صَاحِبِهِمْ نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ هَذَا الاعْتِقَادِ السُّوءِ.

وَأَيْضًا إِنَّ أَحْكَامَ الشَّرِيعَةِ الَّتِي وَصَلَتْ إِلَيْنَا مِنْ طَرِيقِ القُرْآنِ وَالأَحَادِيثِ إِنَّمَا وَصَلَتْ بِتَوَسُّطِ نَقْلِهِمْ، فَإِذَا كَانَ هَؤُلَاءِ مَطْعُونًا فِيهِمْ يَكُونُ نَقْلُهُمْ أَيْضًا مَطْعُونًا فِيهِ. وَهَذَا النَّقْلُ لَيْسَ مَخْصُوصًا بِبَعْضٍ دُونِ بَعْضٍ، بَلْ كُلُّهُمْ فِي العَدَالَةِ وَالصِّدْقِ وَالتَّبْلِيغِ سَوَاءٌ. فَالطَّعْنُ فِي وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَيٍّ وَاحِدٍ كَانَ طَعْنًا فِي الدِّينِ وَالعِيَاذُ بِاللهِ سُبْحَانَهُ مِنْهُ.

فَإِنْ قَالَ الطَّاعِنُونَ فِي الأَصْحَابِ: نَحْنُ أَيْضًا نُتَابِعُهُمْ وَلَكِنْ لَا يَلْزَمُ فِي تَحَقُّقِ المُتَابَعَةِ مُتَابَعَةُ الجَمِيعِ بَلْ ذَلِكَ غَيْرُ مُمْكِنٍ لِتَنَاقُضِ آرَائِهِمْ وَاخْتِلَافِ مَذَاهِبِهِمْ. أُجِيبُ إِنَّ مُتَابَعَةَ البَعْضِ إِنَّمَا تَنْفَعُ إِذَا لَمْ يُوجَدْ إِنْكَارُ البَاقِينَ، وَمَتَى تَحَقَّقَ إِنْكَارُ البَعْضِ لَا يَتَحَقَّقُ مُتَابَعَةُ البَعْضِ الآخَرِ. فَإِنَّ عَلِيًّا ـ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـ كَانَ يُوَقِّرُ الخُلَفَاءَ الثَّلَاثَةَ وَيُعَظِّمُهُمْ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَبَايَعَهُمْ عَالِمًا بِاسْتِحْقَاقِهِمُ الاقْتِدَاءَ بِهِمْ. فَدَعْوَى مُتَابَعَتِهِ مَعَ وُجُودِ إِنْكَارِهِمُ افْتِرَاءٌ مَحْضٌ وَادِّعَاءٌ صِرْفٌ، بَلْ إِنْكَارُهُمْ إِنْكَارٌ فِي الحَقِيقَةِ لِسَيِّدِنَا عَلِيٍّ ـ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـ وَرَدٌّ صَرِيحٌ لِأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَتَجْوِيزُ احْتِمَالِ التُّقَاةِ فِي حَقِّ أَسَدِ اللهِ مِنْ غَايَةِ سَخَافَةِ العَقْلِ، فَإِنَّ العَقْلَ الصَّحِيحَ لَا يَجُوزُ إِضْمَارُ بُغْضِ الخُلَفَاءِ الثَّلَاثَةِ لِأَسَدِ اللهِ قَرِيبًا مِنْ مُدَّةِ ثَلَاثِينَ سَنَةً، وَإِظْهَارُ خِلَافِهِ وَصُحْبَتِهِ مَعَهُمْ عَلَى النِّفَاقِ أَصْلًا. فَإِنَّ مِثْلَ هَذَا النِّفَاقِ لَا يُتَصَوَّرُ مِنْ أَدْنَى أَهْلِ الإِسْلَامِ. فَيَنْبَغِي التَّأَمُّلُ وَالتَّفَكُّرُ فِي شَنَاعَةِ هَذَا الفِعْلِ فَإِنَّهُ يَسْتَلْزِمُ نِسْبَةَ ضَعْفٍ كَبِيرٍ وَوَهَنٍ كَثِيرٍ وَخَدِيعَةٍ شَنِيعَةٍ إِلَى أَسَدِ اللهِ عَلِيٍّ ـ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـ فَلَئِنْ جَوَّزْنَا التُّقَاةَ فِي حَقِّ أَسَدِ اللهِ عَلَى سَبِيلِ فَرْضِ المُحَالِ فَمَاذَا يَقُولُونَ فِي تَعْظِيمِ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ لِلْخُلَفَاءِ الثَّلَاثَةِ، وَتَوْقِيرِهِ إِيَّاهُمْ مِنَ الابْتِدَاءِ إِلَى الانْتِهَاءِ، فَإِنَّهُ لَا مَسَاغَ فِيهِ لِلتُّقَاةِ، لِأَنَّ تَبْلِيغَ مَا هُوَ الحَقُّ وَاجِبٌ عَلَى الرَّسُولِ

وَتَجْوِيزُ التُّقَاة هُنَاكَ يَنْجرُّ إلى الزَّنْدَقَة. قَال اَللهُ تَعَالى " يَا أَيُّهَا الرَّسُول بَلغْ مَا أُنْزِل إلَيْك مِنْ رَبِّكَ فَإنْ لَمْ تَفْعَل فَمَا بَلغْتَ رِسَالَتَهُ " قَال الكُفَّارُ: إنَّ مُحَمَّدًا يُظْهِرُ مِنَ الوَحْيِ مَا يُوَافقُهُ وَيُخْفِي مِنْهُ مَا يُخَالفُهُ وَمِنَ المُقَرَّر أَنَّ تَقْرِيرَ النَّبيِّ عَلى الخَطَأ غَيْرُ جَائز وَإلاَّ يَتَطَرَّقُ الخَلل إلى شَرِيعَته، فَإذَا لَمْ يَصْدُرْ مِنْهُ ـــ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ ـــ خلاَفُ تَعْظِيمِ الخُلفَاء الثَّلاَثَة، وَلَمْ يَظْهَرْ مَا يُنَافي تَوْقِيرَهُمْ، عُلمَ أَنَّ تَعْظِيمَهُ وَتَوْقِيرَهُ ـــ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ ـــ إيَّاهُمْ مَصُونٌ عَنِ الخَطَأ وَمَحْفُوظٌ عَنِ الزَّوَال.

وَلنَرْجعْ إلى أَصْل الكَلاَمِ وَنُبَيِّنُ جَوَابَ اعْتِرَاضِهِمْ يَعْنِي شُبْهَتَهُمْ. أَوْضَحَ ممَّا سَبَقَ وَأَنْقَحَ فَنَقُول: إنَّ مُتَابَعَةَ جَميعِ الأَصْحَاب وَاجبَةٌ في أُصُول الدِّين فَإنَّهُ لاَ اخْتلاَفَ بَيْنهمْ في الأُصُول وَإنَّمَا اخْتلاَفُهُمْ في الفُرُوعِ فَقَطْ، فَالذي يَطْعَنُ في بَعْضهمْ فَهُوَ مَحْرُومٌ منْ مُتَابَعَة جَميعهمْ وَكَلمَةُ الأَصْحَاب وَإنْ كَانَتْ في نَفْسهَا مُتَّفقَةً وَلكنَّ شُؤْمَ الإنْكَار لأَكَابر الدِّين يُخْرجُهَا منَ الاتِّفَاق إلى الاخْتلاَف، بَل يَجُرُّ إنْكَارُ القَائل إلى إنْكَار المَقُول، وَأَيْضًا إنَّ مُبَلغي الشَّرِيعَة جَميعُ الأَصْحَاب كَمَا مَرَّ، لأَنَّ الأَصْحَابَ كُلهمْ عُدُول وَبَلغ منْ كُل وَاحد شَيْءٌ منَ الشَّرِيعَة إليْنَا، وَكَذَلكَ جَمَعُوا القُرْآنَ أَخْذًا مَنْ كُل وَاحد منْهُمْ آيَةً فَمَا فَوْقَهَا. فَإنْكَارُ البَعْض إنْكَارٌ لمُبلغي القُرْآن، فَلاَ يَتَحَقَّقُ الإتْيَانُ بجَميعِ الشَّرِيعَة في حَقِّ المُنْكر، فَكَيْفَ النَّجَاةُ وَالفَلاَحُ. قَال اَللهُ تَعَالى " أَفَتُؤْمنُونَ ببَعْض الكتَاب وَتَكْفُرُونَ ببَعْض " الآيَة. مَعَ أَنَّا نَقُول: إنَّ جَامعَ القُرْآن عُثْمَانُ بَل أَبُو بَكْر الصِّدِّيقُ وَعُمَرُ الفَارُوقُ ـــ رَضيَ اللهُ عَنْهُمْ ـــ وَمَا جَمَعَهُ عَليٌّ ـــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـــ وَمَا حَوَاهُ فَهُوَ سوَى هَذَا القُرْآن. فَيَنْبَغي التَّأَمُّل وَالتَّفَكُّرُ، فَإنَّ إنْكَارَ هَؤُلاَء الأَكَابر يَنْجرُّ إلى إنْكَار القُرْآن في الحَقيقَة عيَاذًا باللهِ سُبْحَانَهُ منْهُ.

سَأل شَخصٌ مُجْتَهدٌ أَهْل التَّشَيُّع - يَعْني في زَعْمهمْ - أَنَّ القُرْآنَ جَمَعَهُ عُثْمَانُ. فَمَا اعْتقَادُك في حَقِّ هَذَا القُرْآن ؟ فَقَال:لاَ أَرَى المَصْلحَةَ في إنْكَاره فَإنَّ بإنْكَاره يَنْهَدمُ الدِّينُ بالتَّمَام وَأَيْضًا إنَّ العَاقل لاَ يُجَوِّزُ اجْتمَاعَ أَصْحَاب رَسُول الله ـــ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ ـــ عَلى أَمْر بَاطل قَبْل مُرُور يَوْم منْ رحْلته ـــ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ ـــ وَمنَ المُقَرَّر أَنَّ أَصْحَابَ رَسُول الله ـــ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ ـــ كَانُوا يَوْمَ رحْلته مقْدَارَ ثَلاَث وَثَلاَثينَ أَلفًا، وَبَايَعَ كُلهمْ الصِّدِّيقَ الأَكْبَرَ بالطَّوْعِ وَالاخْتيَار، وَاجْتمَاعُ جَميعِ أَصْحَاب رَسُول الله ـــ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ ـــ في

تلكَ الحَالة عَلى الضَّلاَلة مِنْ جُمْلة المُحَالاَت. وَقَدْ قَال النَّبيُّ ـ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ـ: "لاَ يَجْتَمعُ أُمَّتي عَلى الضَّلاَلة".

وَتَأَخَّرَ عَليٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـ يَعْني: منَ البَيْعَة ـ في الاَبْتدَاء لَيْسَ إلاَّ لعَدَم دَعْوَتهمْ إيَّاهُ إلى المَشُورَة كَمَا قَال بنَفْسه: مَا غَضبْنَا إلاَّ لتَأَخُّرنَا عَن المَشُورَة وَإلاَّ لنَعْلَمَ أَنَّ أَبَا بَكْر خَيْرٌ منَّا إلخ وَعَدَمُ دَعْوَتهم أَيَاه يُمْكنُ أَنْ يَكُونَ مَبْنيًّا عَلى مَصْلحَة كَتَسْليَة أَهْل البَيْت بقُعُوده عنْدَهُنَّ في الصَّدْمَة الأُولى منَ المُصيبَة أَوْ نَحْو ذَلكَ. وَالاخْتلاَفُ الوَاقعُ بَيْنَ الأَصْحَاب لَيْسَ مَنْشَأَهُ الهَوَى النَّفْسَانيُّ، فَإنَّ نُفُوسَهُمْ قَدْ تَزَكَّتْ وَتَخلصَتْ منْ أَنْ تَكُونَ أَمَارَةً بالسُّوء، وَصَارَتْ مُطْمَئنَّةً وَكَانَتْ أَهْوَاؤُهُمْ تَابعَةً للشَّريعَة، بَل كَانَ مَبْنَاهُ عَلى الاجْتهَاد وَإعْلاَء الحَقِّ، فَللمُخْطئ منْهُمْ دَرَجَةٌ وَاحدَةٌ عنْدَ الله وَللمُصيب عَشْرُ دَرَجَات. فَيَنْبَغي إذًا حفظُ اللسَان منْ أَذَاهُمْ وَجَفَاهُمْ وَأَنْ يَذْكُرَ كُلاً منْهُمْ بخَيْر. قَال الإمَامُ الشَّافعيُّ رَحمَهُ اللهُ تَعَالى: تلكَ دمَاءٌ طَهَّرَ اللهُ أَيْديَنَا عَنْهَا فَلنُطَهِّرْ عَنْهَا أَلسنَتَنَا. وَقَال أَيْضًا: اُضْطُرَّ النَّاسُ بَعْدَ رَسُول الله ـ صَلى اللهُ عَلَيْه وَسَلمَ ـ فَلمْ يَجدُوا تَحْتَ أَديم السَّمَاء خَيْرًا منْ أَبي بَكْر فَوَلَوْهُ رقَابَتَهمْ. وَهَذَا القَوْل تَصْريحٌ منْهُ بنَفْي التُّقَاة وَرضَاء عَليٍّ ـ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـ بَيْعَةَ الصِّدِّيق رَضيَ اللهُ عَنْهُ.

بَقيَّةُ المَقْصُود أَنَّ المَيَّانَ سَيِّد وَلد الشَّيْخ مَيَّان أَبي الخَيْر منْ أَوْلاَد الكبَار، وَقَدْ سَافَرَ إلى دَكْن في رفَاقَتكم فَيُرْجَى في حَقِّه التفَاتُكُمْ وَعنَايَتُكُمْ وَأَيْضًا أَنَّ مَوْلاَنَا مُحَمَّدًا عَارفٌ طَالبُ علم وَمنْ أَوْلاَد الكبَار وَكَانَ أَبُوهُ عَالمًا وَقَدْ جَاءَ لأَجْل الاسْتمْدَاد في أَمْر المَعَاش فَيُرْجَى التَّوَجُّهُ إلَيْه وَالسَّلاَمُ وَالإكْرَامُ.

المَكْتُوبُ الحَادِي وَالثَّمَانُونَ
إلى لا لا بك
فِي التَّحْرِيضِ عَلى تَرْوِيجِ الإِسْلاَمِ وَبَيَانِ حُصُولِ الوَهَنِ وَالضَّعْفِ للإِسْلاَمِ وَالمُسْلمِينَ وَاسْتِيلاَءِ الكُفَّارِ الأَشْرَارِ وَغَلَبَتِهِمْ

زَادنَا اَللهُ وَإِيَّاكُمْ حَمِيَّةَ الإِسْلاَمِ وَقَدْ بَلغَتْ غُرْبَةُ الإِسْلاَمِ مُنْذُ قَرْن وَاحد مَبْلغًا، وَغَايَةً لاَ يَرْضَى أَهْل الكُفْرِ بِمُجَرَّد إجْرَاءِ أَحْكَام الكُفْرِ فِي بلاَد الإِسْلاَم، بَل يُرِيدُونَ إِزَالةَ أَحْكَام الإِسْلاَم وَرَفْعَهَا بالكُلِّيَّة، وَيَجْتَهدُونَ فِي إِعْدَام أَثَرِ الإِسْلاَمِ وَالمُسْلمِينَ، وَبَلغَ الأَمْرُ حَدًّا لوْ أَظْهَرَ مُسْلمٌ شَيْئًا مِنْ شعَارِ الإِسْلاَمِ يُذِيقُونَهُ القَتْل. وَذَبْحُ البَقَرَة مِنْ أَعْظَمِ شَعَائِرِ الإِسْلاَمِ فِي بلاَد الهنْد، وَلعَل الكُفَّارَ يَرْضَوْنَ بأَدَاء الجزْيَة وَلاَ يَرْضَوْنَ بِذَبْحِ البَقَرَة أَصْلاً. فَإِنْ حَصَلَ الرَّوَاجُ وَالقُوَّةُ للإِسْلاَمِ وَالاعْتبَار للمُسْلمِينَ فِي ابْتدَاء السَّلطَنَة فَبِهَا، وَإِلاَّ فَالأَمْرُ مُشْكل فِي حَقِّ المُسْلمِينَ جدًّا الغيَاثَ الغيَاثَ ثُمَّ الغيَاثَ الغيَاثَ. وَيَا سَعَادَةَ مَنْ يَسْتَسْعدُ بِهَذه السَّعَادَة، وَيَا إِقْبَال بَازٍ يَصيدُ هَذه الدَّوْلةَ {ذَلكَ فَضْل اَللهِ يُؤْتِيه مَنْ يَشَاءُ وَاَللهُ ذُو الفَضْل العَظِيمِ}[1] ثَبَّتَنَا اَللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَلى مُتَابَعَة سَيِّد المُرْسَلينَ - عَليْه وَعَلى آله مِنَ الصَّلوَات أَفْضَلهَا وَمِنَ التَّسْليمات أَكْملهَا - وَالسَّلاَمُ.

---

(١) ـــ الآية: ٢١ من سورة الحديد، والآية: ٤ من سورة الجمعة.

المَكْتُوبُ اَلثَّانِي وَالثَّمَانُونَ

إلى إسكندر خَانَ اَللوْدَهِيِّ

في بَيَانِ أنَّ سَلاَمَةَ القَلبِ لاَ تُتَصَوَّرُ بِدُونِ نِسْيَانِ مَا سِوَى الحَقِّ جَلَّ وَعَلاَ وَهَذَا اَلنِّسْيَانُ مُعَبَّرٌ عَنْهُ بِالفَنَاءِ

جَعَلَكُمْ اَللهُ سُبْحَانَهُ مَعَهُ عَلى اَلدَّوَامِ وَلاَ يُتْرَكُ مَعَ غَيْرِهِ مِنَ الأَنَامِ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ البَشَرِ المُطَهَّرِ عَنْ زَيْغِ البَصَرِ - عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ اَلصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ -. وَمَا هُوَ اَللاَّزِمُ لِنَاوَلِكُمْ سَلاَمَةَ القَلبِ مِنْ غَيْرِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَهَذِهِ اَلسَّلاَمَةُ إِنَّمَا تَتَيَسَّرُ إِذَا لَمْ يَبْقَ لِغَيْرِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ مُرُورٌ وَخُطُورٌ عَلى القَلبِ، وَعَدَمُ مُرُورِ الغَيْرِ مَنُوطٌ بِنِسْيَانِ ذَلِكَ الغَيْرِ المُعَبَّرِ عَنْهُ بِالفَنَاءِ عِنْدَ هَذِهِ اَلطَّائِفَةِ العَلِيَّةِ. وَيَبْلُغُ ذَلِكَ اَلنِّسْيَانُ مَبْلَغًا لَوْ أَرَادُوا إِخْطَارَ الغَيْرِ بِالبَالِ وَإِيقَاعَهُ فِي القَلبِ بِالتَّكَلُّفِ فَرْضًا لاَ يَخْطُرُ أَبَدًا وَلاَ يَقَعُ سَرْمَدًا، وَمَا لَمْ يَبْلُغْ اَلنِّسْيَانُ هَذِهِ المَرْتَبَةَ فَسَلاَمَةُ القَلبِ مُحَالٌ. وَهَذِهِ اَلنِّسْبَةُ - يَعْنِي نِسْيَانَ اَلسِّوَى - بِهَذِهِ المَرْتَبَةِ صَارَتْ الآنَ كَعَنْقَاءِ المَغْرِبِ، بَل لاَ يُصَدَّقُ بِهَا إِنْ أَخْبَرَ عَنْهَا. شِعْرٌ.

هَنِيئًا لأَرْبَابِ اَلنَّعِيمِ نَعِيمُهَا … وَلِلعَاشِقِ المِسْكِينِ مَا يَتَجَرَّعُ

وَمَاذَا نَكْتُبُ أَزْيَدَ مِنْ ذَلِكَ اَلسَّلاَمِ أَوَّلاً وَآخِرًا.

المَكْتُوبُ اَلثَّالِثُ وَالثَّمَانُونَ
إِلى بهَادِرِ خَانَ
فِي اَلتَّحْرِيضِ عَلى الجَمْعِ بَيْنَ جَمْعِيَّتِي اَلظَّاهِرِ وَالبَاطِنِ مَعَ الاسْتِقَامَةِ عَلى اَلشَّرِيعَةِ وَالحَقِيقَةِ

رَزَقَكُمْ اَللهُ سُبْحَانَهُ اَلنَّجَاةَ مِنَّ تَعلقَات شَتَّى وَجَعَلَكُمْ مُقْبلاً عَلى جَنَاب قُدْسِه بالكُلِّيَّة بحُرْمَة سَيِّدِ المُرْسَلينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آله مِنَ اَلصَّلوَات أَكْمَلهَا وَمِنَ التسليمات أَفْضَلهَا. شعْرٌ.

مَنْ كَانَ فِي قَلبه مثْقَال خَرْدَلة سوَى هَوَى الحَقِّ فَاعْلمْ أَنَّهُ مَرَضٌ

وَتَحْلِيَةُ اَلظَّاهِرِ بالشَّرِيعَة الغَرَّاء، وَرَبْطُ البَاطِنِ عَلى اَلدَّوَامِ بِاللهِ أَمْرٌ عَظِيمٌ. أَيُّ صَاحب دَوْلة يَشْرَفُ بهَاتَيْنِ اَلنِّعْمَتَيْنِ العَظِيمَتَيْنِ وَالجَمْعُ بيْنَ هَاتَيْنِ اَلنِّسْبَتَيْنِ فِي هَذَا الوَقْت، بَل اَلاسْتقَامَةُ عَلى ظَاهِرِ اَلشَّرِيعَة عَزِيزُ الوُجُود جدًّا، بَل أَعَزُّ مِنَ الكِبْرِيت الأَحْمَر. رَزَقَ اللهُ سُبْحَانَهُ مِنْ كَمَال كَرَمه كَرَامَةَ اَلاسْتقَامَة عَلى مُتَابَعَة سَيِّدِ الأَوَّلينَ وَالآخَرِينَ عَلَيْه وَعَلى آله اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

المَكْتُوبُ اَلرَّابِعُ وَالثَّمَانُونَ
إلى اَلسَّيِّد أَحْمَدَ القَادريِّ
في بَيَان أَنَّ كُلاًّ منَ اَلشَّريعَة وَالحَقيقَة عَيْنُ الآخَر وَأَنَّ عَلاَّمَةَ الوُصُول إلى مَرْتَبَة حَقِّ اَليَقين مُطَابَقَةُ عُلوم ذَلكَ المَقَام وَمَعَارفهَا بالعُلومِ اَلشَّرْعيَّة وَمَعَارفهَا وَمَا يُناسبُ ذلكَ

رَزَقَكُمْ اَللهُ سُبْحَانَهُ الاسْتقَامَةَ عَلى جَادَّة اَلشَّريعَة وَجَعَل جَميعَ همَّتكُمْ اَلتَّوَجُّهَ إلى جَنَاب قُدْسه وَأَخذَكَ عنْدَهُ اَلتَّمَامَ وَيسَّرَ لك وَلَنا الإعْرَاضَ عَمَّا سوَاهُ بالكُليَّة بحُرْمَة سَيِّد البَشَر المُقدَّس عَنْ زَيْغ البَصَر عَلَيْه منَ اَلصَّلَوَات أَفْضَلهَا وَمنَ التسليمات أَكْمَلهَا وَعَلى آله وَأَصْحَابه أَجْمَعينَ آمينَ، (ع):

وَأَحْسَنُ مَا يُمْلَى حَديثُ الأَحبَّة

وَكُلمَا قيل عَنِ الحَبيب وَإنْ لَمْ يَكُنْ منْ كَلاَمه، وَلَكنْ لَمَّا كَانَ لهَذَا الكَلاَم نَوْعُ مُنَاسَبَة بجَنَابه تَعَالى وَتَقَدَّسَ نَغْتَنمُ هَذَا المَعْنَى المُنَاسبَ وَنَجْترئُ في إطَالَة اَللسَان في ذَلكَ البَاب المَقْصُود: إنَّ كُلاًّ منَ اَلشَّريعَة وَالحَقيقَة عَيْنُ الآخَر لاَ تَمَايُزَ بَيْنَهُمَا في الحَقيقَة غَيْرَ الإجْمَال وَالتَّفْصيل وَالاسْتدْلاَل وَالكَشْف وَالغَيْبَة وَالشَّهَادَة وَالتَّعَمُّل وَزَوَاله، فَإنَّ الأَحْكَامَ وَالعُلومَ اَلتي صَارَتْ مَعْلومَةً بمُوجب بَيَان اَلشَّريعَة الغَرَّاء تَنْكَشفُ تلكَ العُلومُ وَالأَحْكَامُ بعَيْنهَا تَفْصيلاً بَعْدَ اَلتَّحَقُّق بحَقيقَة حَقِّ اليَقين، وَتَخْرُجُ منَ الغَيْبَة إلى اَلشَّهَادَة وَيَرْتَفعُ تَجَشُّمُ الكَسْب وَتَمَحُّل العَمَل منَ البَيْن وَعَلاَمَةُ الوُصُول إلى مَرْتَبَة حَقِّ اليَقين، مُطَابَقَةُ عُلوم ذَلكَ المَقَام وَمَعَارفه بعُلوم اَلشَّريعَة وَمَعَارفهَا، فَلوْ بَقيَتْ المُخَالفَةُ مقْدَارَ شَعْرَة فَهُوَ دَليل عَلى عَدَم الوُصُول إلى حَقيقَة الحَقَائق

. وَكُلمَا وَقَعَ منْ مَشَائخ اَلطَّريقَة ممَّا يُخَالفُ اَلشَّريعَةَ منْ علم أَوْ عَمَل، فَهُوَ مَبْنيٌّ عَلى سُكْر الوَقْت. وَسُكْر الوَقْت لاَ يَقعُ إلاَّ في أَثْنَاء اَلطَّريق. وَحَال المُنْتَهينَ إلى نهَايَة اَلنِّهَايَة كُلهُ صَحْوٌ، وَالوَقْتُ مَغْلوبٌ فعَالهمْ وَالحَال وَالمَقَامُ تَابعَان لكَمالهم

شعْرٌ.

صُوفِيُّ ابْنِ القُوت آمدٌ في المثال كُل صَاف فَارِغ عَنْ كُل حَال

فَتَحَقَّقَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ مُخَالَفَةَ الشَّرِيعَةِ عَلاَمَةُ عَدَمِ الوُصُولِ إلى حَقِيقَةِ الأَمْرِ. وَوَقَعَ في عِبَارَةِ بَعْضِ المَشَايِخِ أَنَّ الشَّرِيعَةَ قِشْرُ الحَقِيقَةِ لبُّ الشَّرِيعَةِ، وَهَذَا الكَلاَمُ وَإِنْ كَانَ مُنْبِئًا عَنْ عَدَمِ اسْتِقَامَةِ قَائِلِه وَلكِنْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مُرَادُهُ بِه أَنَّ المُجْمَلَ حِكْمَةٌ بِالنِّسْبَةِ إلى المُفَصَّلِ كَحُكْمِ القِشْرِ بِالنِّسْبَةِ إلى اللبِّ، وَالاسْتِدْلاَلُ في جَنْبِ الكَشْفِ كَالقِشْرِ في جَنْبِ اللبِّ. وَأَمَّا الأَكَابِرُ المستقيمُو الأَحْوَالِ فَلاَ يُجَوِّزُونَ التَّكَلمَ بِأَمْثَالِ هَذِه العِبَارَةِ المُوهِمَةِ للمُخَالَفَةِ، وَلاَ يُثْبِتُونَ الفَرْقَ بَيْنَهُمَا غَيْرَ الإجْمَالِ وَالتَّفْصِيلِ وَالاسْتِدْلاَلِ وَالكَشْفِ. سَأَلَ سَائِلُ الخواجهْ بَهَاءَ الدِّينِ النَّقْشَبَنْدِيَّ - قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ الأَقْدَسَ - أَنَّهُ مَا المَقْصُودُ مِنَ السَّيْرِ وَالسُّلوكِ ؟ فَقَالَ: كَوْنُ المَعْرِفَةِ الإجْمَالِيَّةِ تَفْصِيلِيَّةً وَالاسْتِدْلاَلِيَّةِ كَشْفِيَّةً رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ الثَّبَاتَ وَالاسْتِقَامَةَ عَلى الشَّرِيعَةِ عِلمًا وَعَمَلاً صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلاَمُهُ عَلى صَاحِبِهَا. وَبَقِيَّةُ التَّصْدِيعِ: أَنَّ حَامِلَ رُقَيْمَةِ الدُّعَاءِ الشَّيْخُ مُصْطَفَى الشُّرَيْحِيُّ مِنْ نَسْلِ القَاضِي شُرَيْحٍ وَكَانَ آبَاؤُهُ وَأَجْدَادُهُ مِنَ الأَكَابِرِ وَأَصْحَابِ وَظَائِفَ وَفِيرَةٍ ومعائشَ كَثِيرَةٍ وَقَدْ تَوَجَّهَ إلى العَسْكَرِ بِسَبَبِ اضْطِرَارِه مِنْ فِقْدَانِ أَسْبَابِ المَعِيشَةِ، وَأَخَذَ مَعَهُ إِسْنَادَهُ وَمَنْشُورَهُ. وَالمَأْمُولُ التفاتُكُمْ وَتَوَجُّهَكُمْ إلى حَالِه عَلى نَهْجٍ يَكُونُ سَبَبًا لحُصُولِ الجَمْعِيَّةِ وَيَنْجُو مِنَ الاضْطِرَابِ وَالتَّفْرِقَةِ. وَلنَكْتَفِ بِهَذَا القَدْرِ مِنْ زِيَادَةِ التَّصْدِيعِ.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالثَّمَانُونَ
إلى المِرْزَا فَتْح اَللهِ الحَكِيم
فِي اَلتَّحْرِيضِ عَلَى إِتْيَانِ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ خُصُوصًا عَلَى أَدَاءِ اَلصَّلَوَاتِ بِالجَمَاعَةِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

وَفَّقَكُمْ اَللهُ سُبْحَانَهُ لِمَرْضِيَاتِهِ وَاعْلَمْ: أَنَّ الإِنْسَانَ كَمَا أَنَّهُ لاَ بُدَّ لَهُ مِنْ تَصْحِيحِ اَلاعْتِقَادَاتِ، كَذَلِكَ لاَ بُدَّ لَهُ مِنْ إِتْيَانِ الأَعْمَالِ اَلصَّالِحَاتِ. وَأَجْمَعُ العِبَادَاتِ وَأَقْرَبُ اَلطَّاعَاتِ هُوَ أَدَاءُ اَلصَّلاَةِ كَمَا قَالَ - عَلَيْهِ اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - - " اَلصَّلاَةُ عِمَادُ اَلدِّينِ فَمَنْ أَقَامَهَا فَقَدْ أَقَامَ اَلدِّينَ وَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ هَدَمَ اَلدِّينَ " وَمَنْ وُفِّقَ لِمُوَاظَبَةِ أَدَاءِ اَلصَّلاَةِ فَقَدْ امْتَنَعَ عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ وَقَوْلِهِ تَعَالَى:" إِنَّ اَلصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ " مُؤَيِّدٌ لِهَذَا الكَلاَمِ، وَالصَّلاَةُ اَلتِي لَيْسَتْ بِهَذِهِ المَثَابَةِ - يَعْنِي لَمْ تَمْنَعْ صَاحِبَهَا عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ - فَهِيَ صُورَةٌ وَالصَّلاَةُ لاَ حَقِيقَةَ لَهَا وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ لاَ تُتْرَكَ اَلصُّورَةَ إِلَى أَنْ تَحْصُلَ الحَقِيقَةُ فَإِنَّ مَا لاَ يُدْرَكُ كُلُّهُ لاَ يُتْرَكُ كُلُّهُ، وَلاَ يُسْتَبْعَدُ اعْتِبَارُ أَكْرَمِ الأَكْرَمِينَ اَلصُّورَةَ وَأَنْ يَقْبَلَهَا مَكَانَ الحَقِيقَةِ. فَعَلَيْكُمْ المُوَاظَبَةُ عَلَى أَدَاءِ اَلصَّلاَةِ مَعَ الجَمَاعَةِ وَمَعَ الخُشُوعِ وَالخُضُوعِ فَإِنَّهَا سَبَبُ اَلنَّجَاةِ وَالفَلاَحِ قَالَ اَللهُ تَعَالَى " قَدْ أَفْلَحَ المُؤْمِنُونَ اَلذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ.

وَالحَاصِل أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَعْمَلَ مَعَ وُجُودِ الخَطَرِ - يَعْنِي اَلرَّدَّ - أَلاَ تَرَى أَنَّ العَسَاكِرَ يَحْصُلُ لَهُمُ اعْتِبَارٌ كَثِيرٌ فِي مُقَابَلَةِ حَرَكَتِهِمُ اليَسِيرَةِ وَمُنَاضَلَتِهِمُ القَلِيلَةِ وَقْتَ غَلَبَةِ العَدُوِّ، وَإِنَّمَا يُعْتَبَرُ صَلاَحُ اَلشُّبَّانِ لأَنَّهُمُ اخْتَارُوا لِصَلاَحٍ وَكَلَّفُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَيْهِ مَعَ وُجُودِ غَلَبَةِ اَلشَّهْوَةِ اَلنَّفْسَانِيَّةِ فِيهِمْ، وَقَدْ نَالَ أَصْحَابُ الكَهْفِ جَمِيعَ تِلْكَ الحِشْمَةِ وَالعَظَمَةِ وَالرُّتْبَةِ عِنْدَ اَللهِ تَعَالَى بِسَبَبِ هِجْرَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ مُخَالِفِي اَلدِّينِ. وَوَرَدَ فِي الحَدِيثِ اَلنَّبَوِيِّ - عَلَيْهِ اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - " عِبَادَةٌ(فِي الهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ " فَكَانَ المُنَافِي عَيْنَ البَاعِثِ فِي الحَقِيقَةِ. وَمَاذَا نَكْتُبُ أَزْيَدَ مِنْ ذَلِكَ. وَصُحْبَةُ الفُقَرَاءِ غَيْرُ مَرْغُوبَةٍ فِيهَا لَدَى وَلَدِي بَهَاءِ اَلدِّينِ، بَل مَيْلُهُ وَانْجِذَابُهُ إِلَى أَهْلِ اَلثَّرْوَةِ وَالغِنَا وَأَرْبَابِ اَلتَّنَعُّمِ وَالاسْتِغْنَاءِ، وَلاَ يُدْرَى أَنَّ صُحْبَتَهُمْ سُمٌّ قَاتِل وَلُقْمَتُهُمُ اَلسَّمِينَةَ

- يَعْني أَطْعِمَتَهمْ اَللذيذَةَ - زَائدَةٌ في ظُلمَة البَاطنِ وقَسَاوَة القَلب. الحَذَرَ الحَذَرَ ثُمَّ الحَذَرَ الحَذَرَ منْهُمْ. وَوَرَدَ في الحَديث اَلصَّحيحِ عَلى مَصْدَره اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ " مَنْ تَوَاضَعَ للغَنيِّ لغَنَاهُ ذَهَبَ ثُلثَا دينه " فَوَيْل لمَنْ تَوَاضُعُهُمْ لغنَاهُمْ وَاللهُ سُبْحَانَهُ الْمُوَفِّقُ.

المَكْتُوبُ اَلسَّادِسُ وَالثَّمَانُونَ
إِلى شَخْصٍ مِنْ حُكَّامِ بَعْضِ القَصَبَةِ
فِي بَيَانِ سَلاَمَةِ القَلْبِ عَمَّا سِوَاهُ تَعَالى

رَزَقَكُمْ اَللهُ سُبْحَانَهُ الاسْتِقَامَةَ عَلى حَدِّ اَلاعْتِدَال وَمَرْكَزَ العَدَالة بِجَاه سَيِّد المُرْسَلِينَ - عَلَيْه وَعَلى آله مِنَ اَلصَّلَوَاتِ أَفْضَلهَا وَمِنَ التَّسْلِيماتِ أَكْمَلهَا -، وَمَا هُوَ اَللاَّزِمُ لنَا وَلَكُمْ سَلاَمَةُ القَلْب

مِنَ اَلتَّعَلق بِمَا سِوَى الحَقِّ تَعَالى. وَهَذه اَلسَّلاَمَةُ إِنَّمَا تَتَحَقَّقُ عَلى تَقْدير عَدَمِ بَقَاءِ خُطُورِ غَيْرِه تَعَالى فِي القَلْب بِحَيْثُ لَوْ امْتَدَّتْ الحَيَاةُ إِلى أَلفِ سَنَةٍ فَرْضًا لاَ يَقَعُ الغَيْرُ فِي القَلْبِ بِوَاسِطَة نِسْيَان مَا سِوَاهُ تَعَالى الحَاصل للقَلْب، (ع):

هَذَا هُوَ الأَمْرُ والباقي مِنَ الهَوَس

وَقَدْ قُلتُمْ وَقْتَ المُلاَقَاة عَلى وَجْه الكَرَمِ إِنَّهُ إِذَا وَقَعَ أَمْرٌ مُهِمٌّ لاَزِمٌ اَلرُّجُوعُ فِيه يَنْبَغِي أَنْ تَكْتُبُوهُ إِليْنَا فَبِنَاءً عَلى ذَلكَ أُجْتَرِئُ عَلى اَلتَّصْدِيعِ: إِنَّ اَلشَّيْخَ عَبْدَ اَللهِ اَلصُّوفِيَّ مِنَ اَلصُّلحَاءِ وَقَدْ رَكبَهُ اَلدَّيْنُ بِسَبَبِ أَدَاءِ بَعْضِ حَوَائِجِه فَالمَرْجُوُّ حُصُول المَدَدِ لهُ مِنْكُمْ فِي تَخْلِيصِ ذِمَّته وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ ٱلسَّابِعُ وَالثَّمَانُونَ
إِلى يهلوان مَحْمُود
فِي بَيَانِ سَعَادَةِ مَنْ قَبِلَهُ أَوْلِيَاءُ ٱللهِ تَعَالى

سَلمَكُمْ ٱللهُ وَثَبَّتَكُمْ عَلى جَادَّةِ ٱلشَّرِيعَةِ عَلى صَاحِبِهَا ٱلصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ. أَوَّل بِشَارَات جَمَاعَتِكُمْ قُدُومُ ٱلشَّيْخِ مَيَّان مُزَّمِّل وَمَاذَا أُبَيِّنُ مِنْ بَرَكَات صُحْبَتِه، وَأَيُّ سَعَادَة أَفْضَل مِنْ قَبُول أَوْلِيَاء ٱللهِ عَزَّ وَجَل شخصًا، فَكَيْفَ لوْ امْتَازَ بِمَحَبَّتِهِمْ وَقُرْبِهِمْ هُمْ قَوْمٌ لاَ يَشْقَى جَلِيسُهُمْ وَبِالجُمْلَة يَنْبَغِي اغْتِنَامُ صُحْبَتِهِمْ، حَتَّى تَكُونَ مُؤَثِّرَةً. وَمَاذَا نَكْتُبُ أَزْيَدَ مِنْ ذَلكَ وَالسَّلَامُ أَوَّلاً وَآخِرًا.

المَكْتُوبُ اَلثَّامِنُ وَالثَّمَانُونَ
إلى المَذْكُورِ أَيْضًا
فِي بَيَان فَضِيلَة اَلشَّيْب فِي الإِيمَان وَالصَّلاَحِ وَلزُومِ غَلَبَةِ الخَوْفِ فِي عَهْدِ اَلشَّبَاب وَالرَّجَاءِ فِي اَلشَّيْخُوخَة

جَعَلكُمْ اَللهُ سُبْحَانَهُ مَعَهُ عَلى اَلدَّوَام. أَيُّ نعْمَة أَعْظَمَ منَ اَلشَّيْبِ فِي الإِيمَان وَالصَّلاَحِ وَورَدَ فِي الحَدِيث النَّبَويِّ - عَلَيْه اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - " مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الإِسْلاَمِ غُفرَ لهُ " يَنْبَغِي بَعْدَ اَلشَّيْب أَنْ يُرَجِّحَ جَانبَ اَلرَّجَاءِ وَأَنْ يُغَلبَ ظَنَّ المَغْفرَة، فَإِنَّ الخَوْفَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ أَزْيَدَ فِي عَهْد اَلشَّبَاب، وَأَمَّا فِي سِنِّ اَلشَّيْخُوخَة فَلاَ يَنْبَغِي إلاَّ تَرْجِيحُ اَلرَّجَاءِ وَالسَّلاَمُ أَوَّلاً وَآخرًا.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالثَّمَانُونَ
إلى المِرْزَا عَلي جَان
في التَّعْزِيَة

رَزَقَكُمْ اَللهُ سُبْحَانَهُ الاسْتِقَامَةَ عَلى جَادَّة اَلشَّرِيعَة عَلى صَاحِبِهَا اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ وَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ بُدَّ للإنْسَان منَ المَوْت تَصْديقًا لقَوْله تَعَالى:" كُل نَفْسٍ ذَائقَةُ المَوْت " فَطُوبَى لمَنْ طَال عُمْرُهُ وَكَثُرَ عَمَلُهُ. وَالمَوْتُ هُوَ اَلذي يَتَسَلى به المُشْتَاقُونَ، وَجُعل وَسيلَةً لوُصُول الحَبيب إلى الحَبيب " مَنْ كَانَ يَرْجُو لقَاءَ اَللهِ فَإنَّ أَجَل اَللهِ لآت " نَعَمْ إنَّ أَحْوَال العَاجزينَ المَحْرُومينَ منْ دَوْلَة الحُضُور، وَالوُصُول إلى مَطْلَب الوَاصلينَ المُجَرَّدينَ منْ رقِّيَّة اَلسِّوَى خَرَابٌ وَأَبْتَرُ. وَقَدْ كَانَتْ المَرْحُومَةُ وَليَّةُ نعْمَتكُمْ مُغْتَنَمَةً لكُمْ في هَذه الآوَان جدًّا، وَاللاَّزمُ لكُمْ الآنَ مُكَافَأَةُ الإحْسَان بالإحْسَان، وَالإمْدَادُ بالدُّعَاء وَالصَّدَقَة سَاعَةً فَسَاعَةً، فَإنَّ المَيِّتَ كَالغَريق يَنْتَظرُ دَعْوَةً مُلحَقَةً منْ أَب أَوْ أُمٍّ أَوْ صَديق.

وَأَيْضًا يَنْبَغي لكُمْ أَنْ تَعْتَبرُوا منْ مَوْتهَا وَتَتَذَكَّرُوا مَوْتَكُمْ وَأَنْ تُقْبلوا عَلى مَرْضيَّات الحَقِّ سُبْحَانَهُ بالكُليَّة، وَأَنْ لاَ تَعُدُّوا الحَيَاةَ اَلدُّنْيَويَّةَ غَيْرَ مَتَاع الغُرُور، فَإنْ كَانَ للتَّمَتُّعَات الدُّنْيَويَّة مقْدَارُ شَعْرَة منَ الاعْتبَار لمَا مُنحَ بهَا الكُفَّارُ وَلمَا أُعْطيهَا الأَشْرَارُ. رَزَقَنَا اَللهُ سُبْحَانَهُ وَإيَّاكُمْ الإعْرَاضَ عَمَّا سوَى اَللهِ سُبْحَانَهُ وَالإقْبَال عَلى جَنَاب قُدْسه بحُرْمَة سَيِّد المُرْسَلينَ عَلَيْه وَعَلى آله منَ اَلصَّلوَات أَفْضَلهَا وَمنَ التسليمات أَكْمَلهَا وَالسَّلاَمُ وَالإكْرَامُ.

المَكْتُوبُ اَلتِّسْعُونَ

إلى الخواجهْ قَاسم

فِي اَلتَّحْرِيضِ عَلَى اَلتَّوَجُّه إلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ بِالكُلِّيَّة وَبَيَان أَنَّ حُصُول هَذه اَلدَّوْلَة مَوْقُوفٌ فِي هَذَا الوَقْت عَلَى الإِخْلاَصِ لِهَذه اَلطَّائفَة العَلِيَّة النَّقْشَبَنْدِيَّة قَدَّسَ اَللهُ أَسْرَاهُمْ وَالتَّوَجُّه إِلَيْهِمْ

جَعَلَ اَللهُ سُبْحَانَهُ اَلدُّنْيَا اَلدَّنِيَّةَ حَقِيرَةَ المِقْدَارِ عَدِيمَةَ اَلاعْتِبَارِ فِي نَظَرِ هِمَّتِكُمْ، وَجَعَلَ جَمَالَ الآخرَة مُحلى وَمُزَيَّنًا فِي مِرْآة بَصِيرَتِكُمْ بِحُرْمَة سَيِّد البَشَرِ المُطَهَّرِ عَنْ زَيْغِ البَصَرِ - عَلَيْه وَعَلَى آله منَ اَلصَّلَوَات أَفْضَلهَا وَمنَ اَلتَّسْليمات أَكْمَلهَا -. قَدْ وَصَلَ مَكْتُوبُكُمْ اَلشَّرِيفُ اَلمُرْسَل عَلَى وَجْه اَلالتفَات مَعَ الهدَايَة المُحْتَرَمَة جَزَاكُمْ اَللهُ سُبْحَانَهُ عَلَى كَرَمكُمْ خَيْرَ الجَزَاء. وَالنَّصيحَةُ اَلتي يَنْصَحُ بِهَا المُحبُّونَ وَالمُخْلصُونَ هُوَ اَلتَّرْغِيبُ فِي السَّعْي وَالاجْتهَاد فِي تَحْصِيل الإِقْبَال بِالكُلِّيَّة عَلَى جَنَاب قُدْسه تَعَالَى، وَالإِعْرَاضُ عَمَّا سوَاهُ عَزَّ شَأْنُهُ، (ع):

هَذَا هُوَ الأَمْرُ وَالبَاقِي منَ العَبَث

وَحُصُول هَذه اَلدَّوْلَة العُظْمَى مَوْقُوفٌ فِي هَذَا الوَقْت عَلَى الإِخْلاَصِ للطَّائفَة العَلِيَّة النَّقْشَبَنْدِيَّة وَالتَّوَجُّه إِلَيْهِمْ. فَإِنَّ اَلذي يَحْصُل فِي صُحْبَتِهِمُ الوَاحدَة لاَ يَتَيَسَّرُ بِالرِّيَاضَات اَلشَّديدَة وَالمُجَاهَدَات اَلشَّاقَّة فِي مُدَّة مَديدَة، وَذَلكَ لأَنَّ فِي طَرِيق هَؤُلاَء الأَكَابر انْدرَاجَ اَلنِّهَايَة فِي البدَايَة بِحَيْثُ يُعْطَى فِي أَوَّل صُحْبَتِهِمْ مَا يَقَعُ فِي يَد المُنْتَهِينَ فِي نِهَايَتِهِمْ. وَطَرِيقُ هَؤُلاَء الأَكَابر هُوَ طَرِيقُ الأَصْحَاب الكرَام فَإِنَّهُ كَانَ يَحْصُل لَهُمْ فِي أَوَّل صُحْبَة خَيْر البَشَر - عَلَيْه وَعَلَى آله اَلصَّلَوَاتُ وَالتَّسْليماتُ - مَا يَنْدُرُ حُصُولهُ لأَوْلِيَاء الأُمَّة فِي اَلنِّهَايَة، وَهَذَا طَرِيقُ انْدرَاج اَلنِّهَايَة فِي البدَايَة فَعَلَيْكُمْ بِمَحَبَّة هَؤُلاَء الأَكَابر فَإِنَّهَا ملاَكُ الأَمْر. وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى سَائرِ مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلَى آله اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الحادي وَالتِّسْعُونَ
إلى الشَّيْخِ الكَبِيرِ
في بَيَانِ أنَّ تَصْحِيحَ العَقَائِدِ وَإِتْيَانَ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ كِلَيْهِمَا جَنَاحَانِ للطَّيَرَانِ إلى عَالَمِ القُدْسِ
وَأنَّ المَقْصُودَ مِنْ أَعْمَالِ الشَّرِيعَةِ وَأَحْوَالِ الحَقِيقَةِ هُوَ تَزْكِيَةُ النَّفْسِ وَتَصْفِيَةُ القَلْبِ

رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ الاسْتِقَامَةَ عَلَى مُتَابَعَةِ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ وَاعْلَمْ: أنَّ الذي لاَ بُدَّ مِنْهُ هُوَ تَصْحِيحُ الاعْتِقَادِ أوَّلاً عَلَى وَفْقِ آرَاءِ عُلَمَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ الذينَ هُمُ الفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ: ثُمَّ العَمَلِ بِمُقْتَضَى الأَحْكَامِ الفِقْهِيَّةِ ثَانِيًا فَإِذَا حَصَلَ هَذَانِ الجَنَاحَانِ الاعْتِقَادِيُّ والعَمَلِيُّ يَنْبَغِي أَنْ يُقْصَدَ الطَّيَرَانُ إلى عَالَمِ القُدْسِ، (ع):

هَذَا هُوَ الأَمْرُ والباقِي مِنَ العَبَث

وَالمَقْصُودُ مِنْ أَعْمَالِ الشَّرِيعَةِ وَأَحْوَالِ الطَّرِيقَةِ وَالحَقِيقَةِ هُوَ تَزْكِيَةُ النَّفْسِ وَتَصْفِيَةُ القَلْبِ وَمَا لَمْ تَتَزَكَّ النَّفْسُ لاَ تَحْصُلِ السَّلاَمَةُ لِلقَلْبِ، وَلاَ يَحْصُلِ الإِيمَانُ الحَقِيقِيُّ الذي بِهِ نِيطَتْ النَّجَاةُ. وَسَلاَمَةُ القَلْبِ إِنَّمَا تُتَصَوَّرُ إِذَا لَمْ يَخْطُرْ مَا سِوَاهُ تَعَالَى في القَلْبِ أَصْلاً بِحَيْثُ لَوْ مَضَى أَلْفُ سَنَةٍ مَثَلاً لاَ يَقَعُ الغَيْرُ في القَلْبِ وَلاَ يَمُرُّ عَلَيْهِ قَطْعًا لأَنَّهُ قَدْ حَصَلَ لِلقَلْبِ حِينَئِذٍ نِسْيَانُ السِّوَى بِالكُلِّيَّةِ، بِحَيْثُ لَوْ ذَكَّرُوهُ بِالتَّكْلِيفِ لَمَا يَتَذَكَّرُ. وَهَذِهِ الحَالَةُ هِيَ المُعَبَّرُ عَنْهَا بِالفَنَاءِ وَأَوَّلُ قَدَمٍ في هَذَا الطَّرِيقِ وَالسَّلاَمُ أَوَّلاً وَآخِرًا.

المَكْتُوبُ اَلثَّانِي وَالتِّسْعُونَ
إلى المَذْكُور أَيْضًا
فِي بَيَانِ أَنَّ اطْمِئْنَانَ القَلْبِ إِنَّمَا هُوَ بِالذِّكْرِ لاَ بِالاَسْتِدْلاَلِ وَالنَّظَرِ

ثَبَّتَنَا اَللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَلَى اَلشَّرِيعَةِ المُصْطَفَوِيَّةِ عَلى صَاحِبِهَا اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ: {أَلاَ بِذِكْرِ اَللهِ تَطْمَئِنُّ القُلوبُ}(١).

وَطَرِيقُ اطْمِئْنَانِ القَلْبِ إِنَّمَا هُوَ ذِكْرُ اَللهِ تَعَالى دُونَ اَلنَّظَرِ وَالاِسْتِدْلاَلِ. شِعْرٌ.

أَقْدَامُ أَرْبَابِ الحِجَى كَالخَزَفِ وَمَا اَلذي تَمْكِينُه يَا أَسَفِي

فَإِنَّ فِي اَلذِّكْرِ اكْتِسَابَ المُنَاسَبَةِ بِجَنَابِ قُدْسِهِ تَعَالى وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مُنَاسَبَةٌ أَصْلاً - يَعْنِي فِي الحَقِيقَةِ - مَا لِلتُّرَابِ وَرَبِّ الأَرْبَابِ وَلَكِنْ يَحْصُلُ بَيْنَ اَلذَّاكِرِ وَالمَذْكُورِ نَوْعٌ مِنَ اَلارْتِبَاطِ وَالعَلاَقَةُ المُوجِبَةُ لِلمَحَبَّةِ، فَإِذَا اسْتَوْلَتْ المَحَبَّةُ عَلى اَلذَّاكِرِ فَلاَ شَيْءَ بَعْدَهُ سِوَى اَلاطْمِئْنَانِ أَصْلاً، وَإِذَا بَلَغَ الأَمْرُ اطْمِئْنَانَ القَلْبِ كَانَتْ اَلدَّوْلَةُ الأَبَدِيَّةُ نَقْدَ الوَقْتِ. شِعْرٌ.

عَلَيْكُمْ بِذِكْرِ الحَقِّ دَوْمًا فَإِنَّهُ جَلاَءُ القُلوبِ وَالغِذَاءِ لِلأَرْوَاحِ

وَالسَّلاَمُ أَوَّلاً وَآخِرًا.

---

(١) ــ الآية: ٢٨ من سورة الرعد.

المَكْتُوبُ اَلثَّالِثُ وَالتِّسْعُونَ
إلى اسكندر خَانَ اللودى
فِي اَلتَّحْرِيضِ عَلى صَرْفِ الأَوْقَاتِ إلى ذِكْرِ اَللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى

يَنْبَغِــي: صَرْفُ الأَوْقَات إلى ذكْرِ اَللهِ تَعَالى بَعْدَ أَدَاءِ اَلصَّلَوَات الخَمْسِ مَعَ الجَمَاعَة وَأَدَاءِ اَلسُّنَنِ اَلرَّوَاتب، وَأَنْ لاَ يَشْتَغل بغَيْره سَوَاءً كَانَ وَقْتَ الأَكْل أَوْ اَلنَّوْمِ أَوْ المَشْيِ. وَقَدْ بَيَّنَ لَكُمْ طَرِيقَ اَلذِّكْر، فَيَنْبَغِي اَلاشْتغَال به بِهَذَا اَلطَّرِيق المَعْهُود.

فَإِنْ طَرَأَ الفُتُورُ عَلى الجَمْعِيَّة يَنْبَغِي البَحْثُ عَنْ سَبَب ذَلكَ الفُتُور وَتَعْيِنُهُ وَتَشْخِيصُه أَوَّلاً، ثُمَّ اَلتَّشَبُّثُ بأَسْبَاب تَلاَفِي اَلتَّقْصير ثانيًا. وَيَنْبَغِي اَلتَّوَجُّهُ إلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ بالالتجَاء وَالتَّضَرُّعِ اَلتَّامِّ، وَأَنْ يَسْأَلهُ سُبْحَانَهُ دَفْعَ ظُلمَة الفُتُور وَالتَّقْصير وَأَنْ يَتَوَسَّل بِالشَّيْخِ اَلذِي أَخَذَ عَنْهُ اَلذِّكْرَ. وَاَللهُ سُبْحَانَهُ المُيَسِّرُ كُل عَسِيرٍ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالتِّسْعُونَ
إلى خُضَرِ خَانَ اللودى
في بَيَانِ أَنَّهُ لابُدَّ للإنْسَان مِنْ تَصْحِيحِ العَقَائد وَإتْيَانِ الأَعْمَالِ الصَّالحَة لِيَطيرَ بِهَذَيْنِ الجَنَاحَيْنِ إلى العَالَمِ الحَقِيقَة

رَزَقَكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ الاسْتِقَامَةَ عَلى جَادَّة الشَّرِيعَة المُصْطَفَوِيَّة عَلى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ. وَالذي لاَ بُدَّ مِنْهُ للإنْسَان هُوَ تَصْحِيحُ العَقَائِد أَوَّلاً عَلى مُقْتَضى آرَاءِ أَهْلِ السُّنَّة وَالجَمَاعَة الصَّائِبَة الذينَ هُمُ الفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ، وَإتْيَانُ الأَعْمَال الصَّالحَة ثَانيًا بمُوجب الأَحْكَام الفقْهيَّة. فَإنْ سَاعَدَ التَّوْفيقُ الإلهيُّ بَعْدَ تَعَلمِ أَحْكَامِ الفَرَائِضِ وَالسُّنَنِ وَالوَاجبَات وَالمُسْتَحَبَّات وَالحَلاَل وَالحَرَام وَالمُشْتَبِهَات وَحُصُول هَذَيْنِ الجَنَاحَيْنِ الاعْتِقَاديِّ والعمَليِّ، يُمْكِنُ الطَّيَرَانُ نَحْوَ عَالمِ الحَقيقَة، وَبدُونِ حُصُول هَذَيْنِ السَّاعدَيْنِ يَسْتَحيل الطَّيَرَانُ نَحوَهَا شعْرٌ.

وَمنَ المُحَال السَّيْرُ في طُرُق الصَّفَا يَا سَعْدُ مَنْ غَيْر اتِّبَاعِ المُصْطَفَى

ثَبَّتَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإيَّاكُمْ عَلى مُتَابَعَته عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ السَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالتِّسْعُونَ
إلى السَّيِّد بجواره
في بَيَان أَنَّ الإنْسَان نسخة جامعة وَقَلبُهُ أَيْضاً مَخْلوقٌ عَلى وَصْف الجَامعيَّة وَتَوْجيهَات أَقْوَال بَعْضِ المَشَايخِ الوَاقعَة حَالَةَ السُّكْرِ وَمَا يُنَاسبُ ذَلكَ

اعْلَمْ: أَنَّ الإِنْسَانَ نُسْخَةٌ جَامعَةٌ، وَكُل مَا هُوَ مَوْجُودٌ في جَميعِ الكَائنَات مُتَفَرِّقًا مَوْجُودٌ في الإنْسَان وَحْدَهُ، ولَكنْ منْ عَالمِ الإمْكَان بطَريق الحَقيقَة، وَمنْ مَرْتَبَة الوُجُوب بطَريق الصُّورَة " أَنَّ الله خَلقَ آدَمَ عَلى صُورَته "(١) وهذه الجامعية ثابتة لقَلب الإنْسَان؛ فَإنَّ جَميعَ مَا هُوَ في كُليَّة الإنْسَان فَهُوَ مَوْجُودٌ في القَلب وَحْدَهُ، وَلهَذَا يُقَال لهُ الحَقيقَةُ الجَامعَةُ. وَمنْ حَيْثيَّة هَذه الجَامعيَّة أَخْبَرَ بَعْضُ المَشَايخِ عَنْ وَسعَة القَلب بقَوْله: لوْ أُلقيَ العَرْشُ وَمَا فيه في زَاويَة قلب العَارف لمَا أَحَسَّ به أَصْلاً فَإنَّ القَلبَ جَامعٌ للعَنَاصر وَالأَفْلاك وَالعَرْشِ والكُرسيِّ. وَالعَقْل وَالنَّفْسِ وَشَامل للمَكَانيِّ والإمكَانيِّ فَلاَ جَرَمَ لاَ يَكُونُ للعَرْشِ مقْدَارٌ في جَنْب القَلب بوَاسطَة شُمُوله للإمْكَانيَّة لأَنَّ العَرْشَ وَمَا فيه مَعَ وُجُود الوَسعَة فيه دَاخل في دَائرَة الإمْكَان، والمَكَانيُّ وَإنْ كَانَ وَسيعًا في حَدِّ ذَاته لكنَّهُ ضَيِّقٌ في جَنْب الإمْكَانيِّ لاَ مقْدَارَ لهُ بالنِّسْبَة إليْه. وَلكنْ أَرْبَابَ الصَّحْوِ مِنَ المَشَايخِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ يَعْلمُونَ أَنَّ هَذَا الحُكْمَ مَبْنيٌّ عَلى السُّكْرِ وَمَحْمُول عَلى عَدَمِ التَّمْييز بَيْنَ حَقيقَة الشَيْء وَبَيْنَ أُنْمُوذَجه، فَإنَّ العَرْشَ المَجيدَ الذي هُوَ مَحَل الظُّهُور التَّامِّ أَجَل وَأَرْفَعُ منْ أَنْ يَكُونَ لهُ حُصُول في القَلب، وَالذي يُرَى في القَلب منَ العَرْشِ فَهُوَ أُنْمُوذَجُ العَرْشِ لاَ حَقيقَتُهُ، وَلاَ شَكَّ أَنَّهُ لاَ مقْدَارَ لهَذَا الأُنْمُوذَجِ في جَنْب القَلب، فَإنَّهُ جَامعٌ لأنمُوذَجات غَيْر مُتَنَاهيَة. وَلاَ يُقَال للمرْآة التي تَرَى فيهَا السَّمَوَات مَعَ هَذه الوَسعَة وَالكبَر بأَشْيَاءَ أُخَرَ إنَّهَا أَكْبَرُ منَ السَّمَوَات. نَعَمْ إنَّ تمْثَال السَّمَوَات الذي هُوَ في المرْآة أَصْغَرُ منَ المرْآة لاَ حَقيقَةَ السَّمَوَات.

وَلنُوَضِّحْ هَذَا المَبْحَثَ بمثَال وَهُوَ أَنَّ أَنمُوذَجًا منْ عُنْصُر كُرَة الأَرْضِ مَكْمُونٌ في بَدَنِ الإنْسَانِ، وَلاَ يُقَال: إنَّ بَدَنَ الإنْسَان أَكْبَرُ وَأَوْسَعُ منْ كُرَة الأَرْضِ

---

(١) ــ متفق عليه من حديث أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ بلفظ: " خلق الله آدم على صورته ".

نظرًا إلى جامعيَّة الإنْسَان، بَل لاَ مقْدَارَ لبَدَن الإنْسَان فِي جَنْب كُرَة الأَرْض أَصْلاً. وَمَنْشأُ هَذَا الحُكْم إنَّمَا هُوَ تَوَهُّمُ الجُزْء الحَقير للشَّيْء بَل الأُنْمُوذَجُ الحَقيرُ للشَّيْء نَفْسُ ذَلكَ الشَّيْء.

وَمنْ هَذَا القَبيل كَلاَمُ بَعْض المَشَايخ الَذي صَدَرَ عَنْهُمْ وَقْتَ غَلبَة السُّكْر كَقَوْلهم: إنَّ الجَمْعَ المُحَمَّديَّ أَجْمَعُ منَ الجَمْع الإلهيِّ - جَل سُلطَانُهُ - فَإنَّهُمْ لَمَّا زَعَمُوا أَنْ مُحمدًا - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - جَامعٌ لحَقيقَة الإمْكَان وَمَرْتَبَة الوُجُوب حَكَمُوا بأَنَّ جَامعيَّةَ مُحَمَّد عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أَجْمَعُ منْ جَامعيَّة الله تَعَالَى شَأْنُه، وَهُنَا أَيْضًا زَعَمُوا الصُّورَةَ حَقيقَةً فَحَكَمُوا بذَلكَ فَإنَّ مُحمدًا - عَلَيْه وَعَلَى آله الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْليماتُ - جَامعٌ لصُورَة مَرْتَبَة الوُجُوب دُونَ حَقيقَتهَا، وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَاجبُ الوُجُود عَلَى الحَقيقَة. فَلوْ فَرَّقُوا بيْنَ حَقيقَة الوُجُوب وَصُورَته لَمَا حَكَمُوا به حَاشَا وَكَلاً منْ أَمْثَال هَذه الأَحْكَام السُّكْريَّة. فَإنَّ مُحَمَّدًا ــ صَلى اللهُ عَلَيْة وَسَلَمَ ــ عَبْدٌ مَخْلوقٌ مُتَنَاه مَحْدُودٌ وَاللهُ سُبْحَانَهُ غَيْرُ مُتَنَاه وَغَيْرُ مَحْدُود.

وَيَنْبَغي أَنْ يُعْلمَ أَنَّ كُل مَا هُوَ منَ الأَحْكَام السُّكْريَّة فَهُوَ منْ مَقَام الولاَيَة، وَكُل مَا هُوَ منْ أَحْكَام الصَّحْو فَلهُ تَعَلقٌ بمَقَام النُّبُوَّة، ولكُمَّل أَتْبَاع الأَنْبيَاء عَلَيْهمُ الصَّلَوَاتُ والتسليماتُ نَصيبٌ منْ هَذَا المَقَام بوَاسطَة الصَّحْو بطَريقَة التَّبَعيَّة. والبسْطاميَّةُ يُفَضّلونَ السُّكْرَ عَلَى الصَّحْو ولهَذَا قَالَ الشَّيْخُ أَبُو يَزيدَ البسطاميُّ - قُدّسَ سرُّهُ -: لوائي أَرْفَعُ منْ لوَاء مُحَمَّد.

أَرَادَ بلوَائه لوَاءَ الولاَيَة وَبلوَاء مُحَمَّد - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - لوَاءَ النُّبُوَّة. وَيُرَجّحُ لوَاءَ الولاَيَة الَذي هُوَ نَاظرٌ إلَى السُّكْر عَلَى لوَاء النُّبُوَّة الَذي هُوَ نَاظرٌ إلَى الصَّحْو.

وَمنْ هَذَا القَبيل قَوْل بَعْضهمْ: الولاَيَةُ أَفْضَل منَ النُّبُوَّة وَذَلكَ لَمَا رَأَوْا منْ أَنَّ التَّوَجُّهَ في الولاَيَة إلى الحَقّ، وَفي النُّبُوَّة إلى الخلق. وَلاَ شَكَّ أَنَّ التَّوَجُّهَ إلَى الحَقّ أَفْضَل منَ التَّوَجُّه إلَى الخلق. وَقَال بَعْضُهمْ في تَوْجيه هَذَا الكَلاَم: إنَّ ولاَيَةَ النَّبيِّ أَفْضَل منْ نُبوَّته وَأَمْثَال هَذه الكَلمَات بَعيدَةٌ عَن الصَّوَاب عنْدَ هَذَا الفَقير، فَإنَّ التَّوَجُّهَ في النُّبُوَّة لَيْسَ إلَى الخَلق فَقَطْ، بَل فيهَا تَوَجُّهٌ إلَى الحَقّ أَيْضًا مَعَ وُجُود هَذَا التَّوَجُّه، فَإنَّ بَوَاطنَهُمْ مَعَ الحَقّ سُبْحَانَهُ وَظَوَاهرَهمْ مَعَ الخَلق. وَأَمَّا الَذينَ تَوَجُّهُهُمْ

إلى الخَلق فَقَطْ فَهُمْ مِنَ المُعْرِضِينَ المُدبِّرِينَ، وَالأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ اَلصَّلَوَاتُ والتسليماتُ أَفْضَل جَمِيعِ المَوْجُودَات، وَلَهُمْ مُسَلمُ أَفْضَل اَلدَّوْلاَت، وَالولاَيَةُ جُزْءٌ مِنَ اَلنُّبُوَّةِ وَمُنْدَرِجَةٌ فِيهَا وَالنُّبُوَّةُ كُل شَامِل لهَا، فَلاَ جَرَمَ تَكُونُ اَلنُّبُوَّةُ أَفْضَل مِنَ الوِلاَيَة سَوَاءً كَانَتْ ولاَيَةَ نَبيٍّ أَوْ ولاَيَةَ غَيْرِه؛ فَكَانَ اَلصَّحْوُ أَفْضَل مِنَ اَلسُّكْرِ، وَالسُّكْرُ مُنْدَرِجٌ فِي اَلصَّحْوِ انْدرَاجَ الوِلاَيَة فِي اَلنُّبُوَّة، وَالصَّحْوُ الخَالي عَنِ اَلسُّكْرِ اَلذي هُوَ للعَوَامِّ خَارِجٌ عَنِ المَبْحَث، وَلاَ مَعْنَى لتَرْجِيحِ ذَلكَ، وَالصَّحْوُ المُتَضَمِّنُ للسُّكْرِ أَفْضَل مِنَ اَلسُّكْرِ البَتَّةَ. وَالعُلومُ اَلشَّرْعِيَّةُ اَلتِي مَصْدَرُهَا اَلنُّبُوَّةُ نَاشِئَةٌ كُلهَا مِنْ كَمَال اَلصَّحْوِ وَمَا يُخَالفُهَا كَائنًا مَا كَانَ مِنَ اَلسُّكْرِ، وَصَاحِبُ اَلسُّكْرِ مَعْذُورٌ. وَمَا يَسْتَحِقُّ اَلتَّقْليدُ وَالاسْتِمْسَاكُ بِه هُوَ عُلومُ مَقَامِ اَلصَّحْوِ لاَ عُلومُ حَالة اَلسُّكْرِ. ثَبَّتَنَا اَللهُ سُبْحَانَهُ عَلَى تَقْليد العُلَومِ اَلشَّرْعِيَّة عَلى مَصْدَرِهَا اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ يَرْحَمُ اَللهُ عَبْدًا قَال آمينًا. وَمَا وَقَعَ فِي الحَدِيث القُدْسيِّ حَيْثُ وَرَدَ لاَ يَسَعُنِي أَرْضِي وَلاَ سَمَائِي وَلكِنَّ يَسَعُنِي قَلبُ عَبْدِي المُؤْمِنِ فَالمُرَادُ بِه وَاَللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلمُ بِمُرَاده سعَتُهُ صُورَةَ مَرْتَبَة الوُجُوب لاَ حَقيقَتُهَا، فَإِنَّ الحُلول مُحَال هُنَاكَ كَمَا تَقَدَّمَ، فَظَهَرَ أَنَّ شُمُول القَلب للإمْكَانيَّة باعْتبَارِ اَلصُّورَة لاَ الحَقيقَة حَتَّى لاَ يَكُونَ للعَرْشِ وَمَا حَوَاهُ مقْدَارٌ فِيه فَإِنَّ هَذَا الحُكْمَ مَخْصُوصٌ بِحَقيقَة اَللاَّمَكَانيَّة.

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالتِّسْعُونَ
إلى مُحَمَّد شَرِيف
في المَنْعِ وَالزَّجْرِ عَنِ التَّسْوِيفِ وَالتَّأْخِيرِ
وَفي التَّحْرِيضِ عَلى مُتَابَعَةِ الشَّرِيعَةِ
عَلى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالتَّحِيَّةُ
وَمَا يُنَاسِبُهُ

أَيُّهَا الوَلَدُ: هَذَا الوَقْتُ الذي هُوَ أَوَانُ الفُرْصَةِ وَتَيَسُّرِ أَسْبَابِ الجَمْعِيَّةِ كُلِّهَا لاَ مَجَالَ فيه للتَّسْوِيفِ وَالتَّأْخِيرِ أَصْلاً، يَنْبَغِي صَرْفُ أَشْرَفِ الأَوْقَاتِ الذي هُوَ زَمَانُ عُنْفُوَانِ الشَّبَابِ في أَفْضَلِ الأَعْمَالِ الذي هُوَ طَاعَةُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَعِبَادَتُه تَعَالى وَتَقَدَّسَ. وَيَنْبَغِي أَيْضًا أَنْ يَلتَزِمَ المُدَاوَمَةَ عَلى الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ مَعَ الجَمَاعَةِ مُجْتَنِبًا عَنِ المُحَرَّمَاتِ وَالمُشْتَبِهَاتِ الشَّرْعِيَّةِ.

وَأَدَاءُ الزَّكَاةِ عَلى تَقْدِيرِ وُجُودِ النِّصَابِ مِنْ ضَرُورِيَّاتِ الإِسْلَامِ أَيْضًا، فَيَنْبَغِي إِذًا أَدَاؤُهَا بِكَمَالِ الرَّغْبَةِ بَل بِقَبُولِ المِنَّةِ. وَقَدْ عَيَّنَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ بِكَمَالِ كَرَمِه للعِبَادَةِ في اليَوْمِ وَاللَيْلَةِ خَمْسَةَ أَوْقَاتٍ وَعَيَّنَ مِنَ الأَمْوَالِ النَّامِيَةِ وَالأَنْعَامِ السَّائِمَةِ رُبْعَ العُشْرِ تَحْقِيقًا وتقريبًا لأَجْلِ الفُقَرَاءِ، وَوَسَّعَ مَيْدَانَ تَصَرُّفِ المُبَاحَاتِ، وَالتَّكَاسُلُ في صَرْفِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ سَاعَةً في طَاعَةِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ، وَالبُخْلُ بِأَدَاءِ سَهْمٍ وَاحِدٍ مِنْ أَرْبَعِينَ سَهْمًا إلى الفُقَرَاءِ. وَوَضْعُ القَدَمِ في خَارِجِ دَائِرَةِ المُبَاحِ الوَسِيعَةِ الفَضَاءِ البَعِيدَةِ الأَرْجَاءِ وَالوُقُوعُ في المُحَرَّمَاتِ وَالمُشْتَبِهَاتِ مِنْ غَايَةِ عَدَمِ الإِنْصَافِ. وَفي مَوْسِمِ الشَّبَابِ الذي هُوَ أَوَانُ غَلَبَةِ سُلطَانِ النَّفْسِ الأَمَّارَةِ وَقَهْرَمَانُ الشَّيْطَانِ اللعِينِ يُعْطَى عَلى عَمَلٍ قَلِيلٍ أَجْرٌ جَزِيلٌ، فَإِذَا بَلَغَتْ غَدًا أَرْذَلَ العُمُرِ وَضَعُفَتْ الحَوَاسُّ وَالقُوَى وَتَشَتَّتَتْ أَسْبَابُ الجَمْعِيَّةِ، لاَ يَحْصُلُ غَيْرُ النَّدَامَةِ وَالتَّأَسُّفِ، وَرُبَّمَا لاَ تَبْقَى إلى غَدٍ فَلاَ تَتَيَسَّرُ فُرْصَةُ النَّدَامَةِ وَالتَّأَسُّفِ التي هِيَ نَوْعُ تَوْبَةٍ. وَالعَذَابُ الأَبَدِيُّ وَالعِقَابُ السَّرْمَدِيُّ الذي أَخْبَرَ بِهِ النَّبيُّ الصَّادِقُ عَلَيْهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلُهَا وَمِنَ التسليمات أَكْمَلُهَا وَحَذَّرَ عَنْهُ العُصَاةَ أَمَامَنَا لاَ يَتَخَلَّفُ أَبَدًا، وَفي هَذَا اليَوْمِ يُلقِي الشَّيْطَانُ اللعِينُ في التَّسْوِيفِ وَالغُرُورِ وَالمُدَاهَنَةِ بِإِظْهَارِ كَرَمِ اللهِ تَعَالى وَيَأْمُرُ بِالمَعَاصِي اتِّكَاءً بِعَفْوِهِ تَعَالى.

يَنْبَغي أَنْ يُتَنَبَّهَ وَيُعْلَمَ أَنَّ الدُّنْيَا الَّتي هِيَ دَارُ المحْنَة وَالبَلاَء امْتَزَجَ فيهَا الأَعْدَاءُ وَالأَحبَّاءُ وَاشْتَبَهَ الأَمْرُ، وَشَمَلتْ رَحْمَتُهُ تَعَالى الكُلَ كَمَا يُشْعرُ به قَوْله تَعَالى " وَرَحْمَتي وَسعَتْ كُل شَيْءٍ " وَأَمَّا يَوْمَ القيَامَة الَّذي هُوَ دَارُ الجَزَاء فَيمْتَازُ فيه الأَعْدَاءُ وَالأَحبَّاءُ كَمَا أَخبَرَ اللهُ تَعَالى عَنْهُ بقَوْله " وَامْتَازُوا اليَوْمَ أَيُّهَا المُجْرمُونَ " وَتَخرُجَ قَرْعَةُ الرَّحْمَة يَوْمئذ باسْم الأَحْبَاب، وَتُصَيِّرُ الأَعْدَاءَ مَحْرُومينَ مُطْلقًا وَمَلعُونينَ مُحقَّقًا كَمَا يَشْهَدُ به قَوْلُهُ تَعَالى " فَسَأَكْتُبُهَا للذين يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالذينَ هُمْ بآيَاتنَا يُؤْمنُونَ " فَخصَّ الكَرَمَ وَالرَّحْمَةَ في الآخرَة بالأَبْرَار وَأَهْل الإسْلاَم الأَخْيَار. نَعَمْ إنَّ لمُطْلق أَهْل الإسْلاَم نَصيبًا منَ الرَّحْمَة عَلى تَقْدير حُسْن الخَاتمَة وَنَجَاة منْ عَذَاب جَهَنَّمَ وَلوْ بَعْدَ أَزْمنَة مُتطَاولة، وَلكنْ كَيْفَ يَبْقَى نُورُ الإيمَان مَعَ تَرَاكُم ظُلمَات المَعَاصي، وَكَيْفَ يَتْرُكُ عَدَمَ المُبَالاَت بالأَحْكَام المُنَزَّلة منَ الله سُبْحَانَهُ أَنْ يَخرُجَ منَ الدُّنْيَا بالسَّلاَمَة، وَقَدْ قَال العُلمَاءُ: الإصْرَارُ عَلى الصَّغيرَة يُفْضي إلى الكَبيرَة وَالإصْرَارُ عَلى الكَبيرَة يُفْض إلى الكُفْر عياذًا بالله سُبْحَانَهُ. شعْرٌ.

بَثَثْتُ قليلاً منْ هُمومي وَخفْتُ أَنْ ... تَملُوا وَإلاَّ فَالكَلاَمُ كَثيرٌ

وَفَّقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ لمرْضيَاته بحُرْمَة مُحَمَّد رَسُول الله صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ.

وَبَقيَّةُ المَقْصُود أَنَّ حَامل الكتَاب مَوْلاَنَا إسْحَاقَ منْ أَحْبَاب الفَقير وَمُخْلصيه، وَلهُ حَقُّ الجوَار منَ القَديم فَإنْ احْتَاجَ إلى الإعَانَة وَالإمْدَاد يَنْبَغي رعَايَةُ التَّوَجُّه في حَقِّه، وَلهُ اطِّلاَعٌ عَلى فَنِّ الكتَابَة وَالإنْشَاء وَمُمَارَسَةٌ فيه بقَدْر الوُسْع وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ اَلسَّابِعُ وَالتِّسْعُونَ
إلى اَلشَّيْخ دَرْوِيش
فِي بَيَانِ أَنَّ المَقْصُودَ مِنَ العِبَادَةِ هُوَ تَحْصِيلُ اليَقِينِ وَمَا يُنَاسِبُهُ

شَرَّفَ اَللهُ سُبْحَانَهُ أَمْثَالَنَا المُفْلِسِينَ بِحَقِيقَةِ الإِيمَانِ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ مِنَ اَلصَّلَوَاتِ أَتَمُّهَا وَمِنَ التسليمات أَكْمَلُهَا. وَكَمَا أَنَّ المَقْصُودَ مِنْ خَلْقِ الإِنْسَانِ أَدَاءُ العِبَادَةِ المَأْمُورِ بِهَا، كَذَلِكَ المَقْصُودُ مِنْ أَدَاءِ العِبَادَةِ تَحْصِيلُ اليَقِينِ اَلذِي هُوَ حَقِيقَةُ الإِيمَانِ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: " وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقِينُ " رَمْزًا إلى هَذَا المَعْنَى، فَإِنَّ كَلِمَةَ (حَتَّى) كَمَا أَنَّهَا تَكُونُ لِلغَايَةِ تَكُونُ لِلعِلَّةِ أَيْضًا، أَيْ لِأَجْلِ أَنْ يَأْتِيَكَ وَكَانَ الإِيمَانُ المُتَقَدِّمُ عَلى أَدَاءِ العِبَادَةِ صُورَةَ الإِيمَانِ لاَ حَقِيقَتَهُ اَلتِي عَبَّرَ عَنْهَا بِاليَقِينِ قَالَ اَللهُ عَزَّ شَأْنُهُ:" يَا أَيُّهَا اَلذِينَ آمَنُوا آمِنُوا " أَيْ اَلذِينَ آمَنُوا صُورَةَ آمِنُوا حَقِيقَةً بِأَدَاءِ وَظَائِفِ العِبَادَةِ المَأْمُورِ بِهَا. وَالمَقْصُودُ مِنَ الفَنَاءِ وَالبَقَاءِ اَللذَيْنِ الوِلاَيَةُ عِبَارَةٌ عَنْ حُصُولِ هَاتَيْنِ اَلدَّوْلَتَيْنِ هُوَ هَذَا اليَقِينُ فَحَسْبُ، فَإِنْ أَرَادُوا بِالفَنَاءِ فِي اَللهِ وَالبَقَاءِ بِاللهِ مَعْنًى آخَرَ يُوهِمُ بِالحَالِيَّةِ وَالمَحَلِّيَّةِ، فَهُوَ عَيْنُ الإِلحَادِ وَالزَّنْدَقَةِ. وَيُظْهِرُ فِي أَثْنَاءِ غَلَبَةِ الحَالِ وَسُكْرِ الوَقْتِ شَيْئًا يَنْبَغِي أَنْ يُجَاوِزَهَا أَخِيرًا وَأَنْ يَسْتَغْفِرَ مِنْهَا، قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ شَيْبَانَ اَلذِي هُوَ مِنْ مَشَائِخِ اَلطَّبَقَاتِ قَدَّسَ اَللهُ أَرْوَاحَهُمْ: عِلْمُ الفَنَاءِ وَالبَقَاءِ يَدُورُ عَلى إِخْلاَصِ الوَحْدَانِيَّةِ وَصِحَّةِ العُبُودِيَّةِ وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَمَغَالِيطُ وَزَنْدَقَةٌ وَالحَقُّ أَنَّهُ صَادِقٌ فِي هَذَا القَوْلِ وَقَوْلِهِ هَذَا يُنْبِئُ عَنِ اسْتِقَامَتِهِ ؛ فَإِنَّ الفَنَاءَ فِي اَللهِ عِبَارَةٌ عَنِ الفَنَاءِ فِي مَرْضِيَّاتِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ.

وَعَلى هَذَا القِيَاسِ اَلسَّيْرُ إلى اَللهِ وَالسَّيْرُ فِي اَللهِ وَنَحْوُهَا.

وَبَقِيَّةُ المَرَامِ أَنَّ اَلشَّيْخَ مَيَّانَ اَللهِ بَخش رَجُلٌ مُتَّصِفٌ بِالصَّلاَحِ وَالتَّقْوَى وَالفَضِيلَةِ، وَقَدْ ارْتَبَطَ بِهِ جَمْعٌ كَثِيرٌ، فَإِنْ احْتَاجَ إلى المَعُونَةِ فِي مَادَّةٍ مِنَ المَوَادِّ فَالمَرْجُوُّ رِعَايَةُ اَلتَّوَجُّهِ اَلشَّرِيفِ فِي حَالِهِ. وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى.

المَكْتُوبُ اَلثَّامنُ وَالتِّسْعُونَ
إلى عَبْد القَادرِ وَلَد اَلشَّيْخ زَكَرِيَّا
فِي اَلتَّحْرِيضِ عَلَى اَلرِّفْقِ وَتَرْك العُنْف
بِإيرَاد الأَحَاديث عَلى مَصْدَرِهَا اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ

نَسْأَل اَللهَ الاسْتِقَامَةَ عَلى مَرْكَزِ العَدَالَة. وَلْنُوردَ أَحَاديثَ نَبَوِيَّةً عَليْه مِنَ اَلصَّلَوَات أَفْضَلَهَا وَمِنَ التسليمات أَكْمَلَهَا الوَارِدَةَ فِي بَابِ اَلتَّذْكِيرِ وَالوَعْظِ وَالنَّصِيحَة يَسَّرَ اَللهُ سُبْحَانَهُ العَمَل بِمُقْتَضَاهَا.

قَال رَسُول اَللهِ ـــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ـــ: إنَّ اَللهَ رَفِيقٌ يُحبُّ اَلرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلى اَلرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطي عَلى العُنْفِ وَمَا لاَ يُعْطِي عَلى مَا سِوَاهُ.

رَوَاهُ مُسْلمٌ. وَفي رِوَايَة لهُ قَال لعَائشَةَ ـــ رَضيَ اَللهُ عَنْهَا ـــ وَعَنْ أَبَوَيْهَا: عَلَيْك بالرِّفْق وَإيَّاكَ وَالعُنْفَ وَالفُحْشَ فَإنَّ اَلرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إلاَّ زَانَهُ وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إلاَّ شَانَهُ.

وَقَالَ عَليْهِ وَعَلى آله اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ أَيْضًا: مَنْ يُحْرَمُ اَلرِّفْقَ يُحْرَمُ الخَيْرَ.

وَقَال - عَليْهِ اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - أَيْضًا: إنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إليَّ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقًا.

وَقَال - عَليْه اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - أَيْضًا: مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ اَلرِّفْقِ أَعْطِيَ حَظَّه مِنَ اَلدُّنْيَا وَالآخرَة.

وَقَال - عَليْه اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ -: الحَيَاءُ مِنَ الإيْمَان وَالإيمَانُ فِي الجَنَّة، وَالبَذَاءُ مِنَ الجفَاء وَالجفَاءُ فِي اَلنَّارِ. إنَّ اَللهَ يَبْغَضُ الفَحْشَاءَ البَذيءَ أَلاَ أُخْبرُكُم بمَنْ يُحَرَّمُ عَلى اَلنَّار وَبمَنْ يُحَرَّمُ اَلنَّارُ عَليْه عَلى كُل هَيِّنٍ لَيِّنٍ قَرِيب سَهْل المُؤْمنُونَ هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ كَالجَمَل الأُنُف إنْ قيدَ انْقَادَ وَإنْ اُسْتُنيخَ عَلى صَخْرَةٍ اسْتَنَاخَ، مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَقْدرُ أَنْ يُنَفِّذَهُ دَعَاهُ اَللهُ عَلى رُءوسِ الخَلاَئق يَوْمَ القيَامَة حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الحُور شَاءَ، إنَّ رَجُلاً قَال للنَّبيِّ ـــ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ ـــ أَوْصِني. قَال: لاَ تَغْضَبْ فَرَدَّدَ مرَارًا. قَال: لاَ تَغْضَبْ أَلاَ أُخْبرُكُمْ بأَهْل الجَنَّة كُل ضَعيفٍ مُسْتَضْعَف لوْ أَقْسَمَ عَلى اَلله لأَبَرَّهُ. أَلاَ أُخبرُكُمْ بأَهْل اَلنَّار كُل عُتُوٍّ جَوَّاظ مُسْتَكْبرٍ إذَا غَضبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائمٌ فَليَجْلس فَإنْ ذَهَبَ عَنْهُ الغَضَبُ وَإلاَّ فَليَضْطَجعْ إنَّ الغَضَبَ ليُفْسدُ الإيْمَانَ كَمَا يُفْسِدُ الصَّبْرُ العَسَل مَنْ تَوَاضَعَ لله رَفَعَهُ اَللهُ فَهُوَ فِي

نَفْسه صَغِيرٌ وَفِي أَعْيُنِ النَّاسِ عَظِيمٌ وَمَنْ تَكَبَّرَ وَضَعَهُ اللهُ فَهُوَ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ صَغِيرٌ وَفِي نَفْسه كَبِيرٌ حَتَّى لَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِمْ مِنْ كَلب وَخنْزِير.

قَال مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ عَلى نَبِيِّنَا وَ عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ -: يَا رَبِّ مَنْ أَعَزُّ عِبَادك ؟ قَال: مَنْ إِذَا قَدَرَ غَفرَ وَقَال أَيْضًا - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ -: مَنْ خَزَنَ لِسَانَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ كَفَّ عَنْهُ اللهُ عَذَابَهُ يَوْمَ القِيَامَة وَمَنِ اعْتَذَرَ إِلى اللهِ قَبل اللهُ عُذْرَهُ.

وَقَال أَيْضًا: مَنْ كَانَتْ لهُ مَظْلمَةٌ لأَخيه مِنْ عِرْضه أَوْ شَيْءٌ فَيَتَحَلل مِنْهُ قَبْل أَنْ لاَ يَكُونَ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ إِنْ كَانَ لهُ عَمَل صَالحٌ أُخذَ بِقَدْرِ مَظْلمَته وَإِنْ لم يَكُنْ حَسَنَاتٌ أُخذَ مِنْ سَيِّئَات صَاحِبه فَحمل عَلَيْه وَقَال - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - أَيْضًا: أَتَدْرُونَ مَنِ المُفْلس ؟ قَالوا المُفْلسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لهُ وَلاَ مَتَاع. فَقَال: إِنَّ المُفْلسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يأتِي يَوْمَ القِيَامَة بِصَلاَة وَصِيَام وَزَكَاة، وَيأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَأَخَذَ مَال هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذًا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاته وَهَذَا مِنْ حَسَنَاته فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُه قَبْل أَنْ يَقْضِي مَا عَليْه أُخذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْه ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّار.

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ ـــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـــ أَنَّهُ كَتَبَ إِلى عَائِشَةَ ـــ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـــ: " أَنْ اكْتُبِي إِليَّ كِتَابًا تُوصِينِي فِيه وَلاَ تُكْثِري. فَكَتَبَتْ: سَلاَمٌ عَلَيْك. أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُول اللهِ ـــ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ ـــ يَقُول: مَنِ التَمَسَ رِضَا اللهِ بِسَخَط النَّاسِ كَفَاهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ وَمَنِ التَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَط اللهِ وَكَلهُ اللهُ إِلى النَّاسِ وَالسَّلاَمُ عَليْك صَدَقَ رَسُول اللهِ صَلى اللهُ تَعَالى عَلَيْه وَعَلى آله وَسَلمَ وَبَارَكَ رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ التَّوْفِيقَ للعَمَل بِمَا أَخْبَرَ به المُخْبرُ الصَّادقُ وَالسَّلاَمُ.

وَهَذه الأَحَادِيثُ وَإِنْ كُتِبَتْ بِدُون تَرْجَمَة وَلكِنْ تُفهَمُ مَعَانِيهَا بِالرُّجُوع إِلى الشَّيْخ جِيو. وَيَنْبَغِي السَّعْيُ وَالاجْتِهَادُ للعَمَل بِمُقْتَضَاهَا بَقَاءُ الدُّنْيَا قَلِيل جدًّا وَعَذَابُ الآخرَة شَدِيدٌ فِي الغَايَة وَدَائِمٌ ؛ فَعَلَيْكُمْ اسْتِعْمَال العَقْل وَالفكْر وَأَنْ لاَ يَغْتَرَّ بِطَرَاوَة الدُّنْيَا الخَالِيَة عَنِ الحَلاوَة، فَإِنْ كَانَتْ العِزَّةُ وَالأَفْضَليَّةُ بِسَبَب الدُّنْيَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الكُفَّارُ الذينَ لهُم حَظٌّ وَافرٌ مِنَ الدُّنْيَا أَعَزَّ وَأَفْضَل مِنَ الكُل، وَالانْخدَاعُ بِظَاهِرِ الدُّنْيَا مِنْ عَدَمِ العَقْل وَإِنَّمَا اللاَّئقُ بِالعَاقل أَنْ يَغْتَنمَ فُرْصَةَ أَيَّام قَليلة وَأَنْ يَجْتَهدَ فِي تِلكَ الفُرْصَة اليَسِيرَة فِي تَحْصِيل مَرْضَات اللهِ تَعَالى وَالإِحْسَان

إلى خلقِ اَللّٰه عزَّ وَجَل، فإنَّ اَلتَّعْظِيمَ لأَمْرِ اَللّٰه وَالشَّفَقَةَ على خلقِ اَللّٰه كليْهِما أَصْلاَن عَظِيمَان لأَجْلِ اَلنَّجاةِ منْ عَذابِ الآخرَة، وَكُل ما أخْبَرَ به اَلمُخْبَرُ اَلصَّادقُ فهُوَ مُطَابقٌ لنَفسِ الأَمْرِ ليْسَ بالهَزْلِ وَلاَ بالهَذَيَان، فإلى مَتَى يَمْتَدُّ نَوْمُ الغَفْلةِ وَالغُرُور ! أَليْسَ آخرُه وَعُقْبَاهُ إلى الفَضيحَة ؛ وَالحرْمَان قال اَللّٰه سُبْحَانَهُ: {أَفَحَسبْتُمْ أَنَّما خَلقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إليْنَا لا تُرْجعُونَ}، وَإنّي وَإنْ كُنْتُ أَعْلمُ أَنَّ وقْتَكَ لاَ يَقْتَضِي اسْتمَاعَ أَمْثَالِ هَذه الكَلمَاتِ لكَوْنكَ في عُنْفُوَانِ اَلشَّبَاب، والتَّنَعُّمَاتُ اَلدُّنْيَوِيَّةُ مُيَسَّرَةٌ وَالحُكُومَةُ وَالتَّسَلطُ عَلى الخَلْقِ حَاصلةٌ، وَلكنَّ اَلشَّفَقَةَ عَلى أَحْوَالكَ كَانَتْ بَاعثَةً عَلى هَذَا القيلِ وَالقَال، وَلمْ يَفُتْ إلى الآنَ شَيْءٌ منَ الفُرْصَة، وَالوَقْتُ قَابِل للتَّوْبَةِ وَالإِنَابَةِ وَالشَّرْطُ البَلاَغ، (ع):

كَفَى الحَرْفُ لوْ فِي دَاخِلِ البَيْتِ إِنْسَانٌ

اَلْمَكْتُوبُ اَلتَّاسِعُ وَالتِّسْعُونَ
إِلى الملا حَسَنِ الكَشْمِيرِيِّ
فِي جَوَابِ اِسْتِفْسَارِه عَنْ كَيْفِيَّةِ دَوَامِ الحُضُورِ وَاجْتِمَاعِه مَعَ اَلنَّوْمِ اَلذي هُوَ مَعْدَنُ الغفلة

قَدْ شَرَّفَ مَكْتُوبُكُمْ اَلشَّرِيفُ بِوُصُوله، وَمَا وَقَعَ فيه مِنَ اَلاسْتِفْسَارِ عَنْ كَيْفِيَّةِ دَوَامِ الحُضُورِ وَاجْتِمَاعه مَعَ حَالَةِ اَلنَّوْمِ اَلتي هِيَ حَالَةُ الغَفْلَة وَتُعَطُّلِ القُوَى وَالإِدْرَاك مِنْ أَوَّلها إِلى آخرِهَا، كَمَا أَخْبَرَ بَعْضُ أَكَابِرِ هَذه اَلطَّائفَة العَلِيَّة بِحُصُول هَذه اَلدَّوْلَة العَظِيمَة. أَيُّهَا المَخْدُومُ: إِنَّ حَل هَذَا المُشْكَلِ مَبْنِيٌّ وَمَوْقُوفٌ عَلى تَمْهِيد مُقَدِّمَة لاَ بُدَّ مِنْ بَيَانهَا. فَأَقُول: إِنَّ طَرِيقَ التَّرَقِّي وَالعُرُوجِ كَانَ مَسْدُودًا للرُّوحِ الإِنْسَانِيَّة قَبْل تَعَلقهَا بِهَذَا الجِسْمِ الهيولانى، وَكَانَتْ مُقَيَّدَةً وَمَحْبُوسَةً فِي حَبْسِ: وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَعْلومٌ وَلكِنْ كَانَتْ قَدْ أَوْدَعَتْ فِي طَبْعِهَا جَوْهَرَةً نَفِيسَةً وَهِيَ اَلاسْتِعْدَادُ للعُرُوجِ والترقِّي بِشَرْط اَلنُّزُول، وَكَانَتْ مَزِيَّتُهَا عَلى المَلك مُقَرَّرَةً مِنْ هَذه الجِهَة، فَجَمَعَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ مِنْ كَمَال كَرَمه ذَلكَ الجَوْهَرَ النُّورَانِيَّ بِهَذَا الجِسْمِ الظُّلمَانِي فَسُبْحَانَ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ اَلنُّورِ وَالظُّلمَة وَقَرَنَ الأَمْرَ بالخَلق. وَلَمَّا كَانَ كُل مِنْ هَذَيْنِ اَلشَّيْئَيْنِ وَاقعًا فِي مُقَابَلة الآخِرَة وَنَقِيضًا لهُ فِي الحَقِيقَة، أَعْطَى الحَكِيمُ المُطْلقُ - جَل سُلطَانُهُ - للرُّوحِ نسْبَةَ اَلتَّعَشُّقِ وَالتَّعَلق بِالنَّفْسِ تَحْقِيقًا لِهَذَا اَلاجْتِمَاعِ وَتَقْرِيرًا لهَذَا اَلانْتظَام، وَجَعْل هَذَا اَلتَّعَلقَ سَبَبًا للانْتظَام. وَفِي قَوْله تَعَالى " لقَدْ خَلقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَل سَافلينَ " رَمْزٌ إِلى هَذَا البَيَان، وَهَذَا اَلتَّنْزِيل للرُّوحِ وَتَعَلقهَا مِنْ قَبِيل المَدْحِ بِمَا يُشْبهُ اَلذَّمَّ فِي الحَقِيقَة، فَتَهَافَتَتْ اَلرُّوحُ إِلى عَالمِ اَلنَّفْسِ بالتَّمَامِ وَتَوَجَّهَتْ إِليْه بِكُليَّتهَا بِوَاسطَة تلكَ اَلنِّسْبَة الحُبِّيَّة وَجَعَلتْ نَفْسَهَا تَابعَةً لهَا، بَل نَسيَتْ نَفْسَهَا مَرَّةً وَاحدَةً وَصَارَتْ تُعَبِّرُ عَنْ نَفْسهَا بالنَّفْسِ الأَمَّارَة. وَهَذه لطَافَةٌ أُخْرَى للرُّوحِ حَيْثُ إِنَّهَا تَأْخُذُ حُكْمَ كُل شَيْءٍ تَتَوَجَّهُ إِليْه مِنْ كَمَال لطَافَته، فَإِذَا نَسيَتْ نَفْسَهَا فَلاَ جَرَمَ أَنَّهَا نَسيَتْ أَيْضًا حُضُورَهُ اَلسَّابقَ مَعَ مَرْتَبَة الوُجُوب تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ بالضَّرُورَة، وَتَوَغَّلتْ فِي الغَفْلة بِالتَّمَامِ وَأَخَذَ حُكْمَ اَلظُّلمَة، فَبَعَثَ اَللهُ مِنْ كَمَال كَرَمه وَشَفَقَته عَلى عِبَاده الأَنْبِيَاء - عَليْهِمُ اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَدَعَاهُمْ إِليْه سُبْحَانَهُ بِوَاسطَة هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ، وَأَمَرَهُمْ بِمُخَالفَة اَلنَّفْسِ

اَلتي هِيَ مَعْشُوقَةُ اَلرُّوحِ، فَمَنْ رَجَعَ القَهْقَرَى فَقَدْ فَازَ فوزًا عَظيمًا، وَمَنْ لَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ وَاخْتَارَ الخُلودَ إلى الأَرْضِ فَقَدْ ضَلّ ضَلالاً بَعيدًا.

هَذَا وَلنَرْجِعْ إلى الجَوَابِ عَنِ الإشْكَالِ وَنَقُول: إنَّهُ قَدْ فُهِمَ مِنْ هَذه المُقَدِّمَة مِنَ اجْتِمَاعِ اَلرُّوحِ بالنَّفْسِ، أَنَّ فَنَاءَ اَلرُّوحِ في اَلنَّفْسِ وَبَقَاءَهَا بهَا فَحَسْبُ، فَلاَ جَرَمَ تَكُونُ غَفْلَةُ اَلظَّاهِرِ عَيْنَ غَفْلَة البَاطِنِ مَا دَامَ هَذَا اَلاجْتِمَاعُ وَالانْتِظَامُ مَوْجُودًا، وَيَكُونُ اَلنَّوْمُ اَلذي هُوَ غَفْلَةُ اَلظَّاهِرِ عَيْنَ غَفْلَة البَاطِنِ. فَإذَا طَرَأَ الخَلَل عَلى هَذَا اَلانْتِظَامِ وَأَعْرَضَ البَاطنُ عَنْ مَحَبَّة اَلظَّاهِرِ وَأَقْبَل عَلى مَحَبَّة أَبْطَنِ البُطُون وَزَال الفَنَاءُ وَالبَقَاءُ اَللذَان كَانَا للرُّوحِ قَبْلُ، وَحَصَلَ لهَا الفَنَاءُ في البَاقي الحقيقيِّ وَالبَقَاء به تَعَالى وَتَقَدَّسَ، فَلاَ تُؤَثِّرُ غَفْلَةُ اَلظَّاهِرِ حينَئذ في حُضُورِ البَاطنِ. وَكَيْفَ تُؤَثِّرُ ؟ فَإنَّ البَاطنَ قَدْ أَدْبَرَ عَنِ اَلظَّاهِرِ بالتَّمَام، وَجَعَلَهُ خَلفَ ظَهْرِه وَلَمْ يَبْقَ للظَّاهِرِ سَبيل إلى البَاطنِ أَصْلاً فَيَجُوزُ حينَئذ أَنْ يَكُونَ اَلظَّاهِرُ غَافلاً وَالبَاطنُ حَاضرًا وَلاَ مَحْذُورَ فيه. أَلاَ تَرَى أَنَّ دُهْنَ اَللوْزِ مَثَلاً مَادَامَ مُمْتَزِجًا باللوْزِ حُكْمُهُ حُكْمُ اَللوْزِ فَإذَا مُيِّزَ عَنِ اَللوْزِ ظَهَرَ اَلتَّغَايُرُ وَالتَّمَايُزُ في الأَحْكَامِ. فَإذَا أَرَادَ اَللهُ سُبْحَانَهُ إرْجَاعَ مثْل صَاحب هَذه اَلدَّوْلَة إلى العَالمِ لتَخْليصِ أَهْله منَ اَلظُّلمَات اَلنَّفْسَانيَّة بتَوَسُّط شَريعَته اَلتي شَرَعَهَا، يَنْزِل إلى العَالمِ بطَريق اَلسَّيْرِ عَنِ اَللهِ باللهِ فَيَكُونُ تَوَجُّهُه إلى العَالمِ بالتَّمَامِ منْ غَيْرِ تَعَلق بهمْ ؛ لأَنَّهُ عَلى تَعَلقه اَلسَّابقِ - يَعْني بجَنَاب القُدْسِ - إنَّمَا أُورِدَ إلى هَذَا العَالمِ منْ غَيْرِ اخْتيَار منْهُ، فَهَذَا المُنْتَهَى لهُ شَرِكَةٌ صُوريَّةٌ مَعَ سَائرِ المُبْتَدئينَ في الإعْرَاضِ عَنْ جَنَاب قُدْسه تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَالإقْبَال عَلى الخَلقِ، وَلكنْ لاَ مُنَاسَبَةَ بَيْنَهُمَا في الحَقيقَة، فَإنَّ بَيْنَ اَلتَّعَلق وَعَدَمِ اَلتَّعَلق تَفَاوُتًا فَاحشًا.

وَأَيْضًا الإقْبَال عَلى الخَلقِ في حَقِّ هَذَا المُنْتَهَى بلاَ اخْتيَار منْهُ لاَ رَغْبَةَ لهُ فيه، وَإنَّمَا ذَلكَ لكَوْن رضَاء اَللهِ تَعَالى في ذَلكَ الإقْبَال وَفي حَقِّ المُبْتَدئِ ذاتيًّا، وَمَعَ اَلرَّغْبَة لهُ فيه وَلَيْسَ فيه رضَا الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى.

وَفَرْقٌ آخرُ أَنَّ المُبْتَدئَ يُمْكنُ لهُ الإعْرَاضُ عَنِ الخَلقِ وَالإقْبَال عَلى الحَقِّ تَعَالى وَتَقَدَّسَ، وَذَلكَ مُحَال في المُنْتَهَى ؛ فَإنَّ دَوَامَ الإقْبَال إلى الخَلقِ لاَزمٌ لمَقَامه وَمَرْتَبَته. إلاَّ أَنْ يَتمَّ أَمْرُ دَعْوَته وَارْتَحَل منْ دَارِ الفَنَاءِ إلى دَارِ البَقَاءِ، فَيَكُونُ نِدَاءُ اَللهُمَّ اَلرَّفيقَ الأَعْلى حينَئذ نَقْدَ وَقْته.

وَقَدِ اخْتَلفَ مَشَائخُ اَلطَّريقَة قَدَّسَ اَللهُ أَسْرَارَهُمْ في تَعْيينِ مَقَامِ اَلدَّعْوَة.

فَقَال جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ: إِنَّهُ مَقَامُ الجَمْعِ بَيْنَ اَلتَّوَجُّه إِلى الخَلق وَالتَّوَجُّه إِلى الحَقِّ، وَالاخْتِلاَفُ فِيه مَبْنِيٌّ عَلى اَلاخْتِلاَف فِي الأَحْوَال وَالمَقَامَات. وَقَدْ أَخْبَرَ كُل شَخْصٍ عَنْ مَقَامِه وَالأَمْرُ عِنْدَ اَللهِ تَعَالى. وَمَا قَال سَيِّدُ اَلطَّائفَة جُنَيْدٌ ـــ رَضِيَ اَللهُ تَعَالى عَنْهُ ـــ مِنْ أَنَّ اَلنِّهَايَةَ هِيَ اَلرُّجُوعُ إِلى البِدَايَة مُوَافِقٌ لمَقَام اَلدَّعْوَة اَلذي حُرِّرَ فِي هَذه المُسَوَّدَّة. فَإِنَّ الوَجْهَ وَالتَّوَجُّهَ فِي البِدَايَة إِلى الخَلق بِالتَّمَام. وَحَدِيثُ: تَنَامُ عَيْنَايَ وَلاَ يَنَامُ قَلبِي اَلذي حَرَّرْتُمُوهُ لَيسَ فِيه إِشَارَةٌ إِلى دَوَام الحُضُور، بَل هُوَ إِخْبَارٌ عَنْ عَدَمِ الغَفْلَة عَمَّا يَجْرِي عَلَيْه وَعَلى أُمَّته - عَلَيْه اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَعَمَّا يَصْدُرُ مِنْهُ ـــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ـــ مِنَ الأَحْوَال ؛ وَلهَذَا لمْ يَكُنْ نَوْمُه نَاقِضًا لوُضُوئه - عَلَيْه اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - - وَلمَا كَانَ اَلنَّبِيُّ مِثْل الراعِي فِي حِفْظ أُمَّته لمْ تَكُنْ الغَفْلةُ لاَئقَةً لمَنْصِب نُبُوَّته. وَحَدِيثُ لِي مَعَ اَللهِ وَقْتٌ لاَ يَسَعُنِي فِيه مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلاَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ إِشَارَةً إِلى اَلتَّجَلي البَرْقِيِّ الذَّاتِيِّ عَلى تَقْدِير صِحَّته. وَأَيْضًا إِنَّ هَذَا اَلتَّجَليَ لَيسَ بِمُسْتَلزِم للتَّوَجُّه إِلى جَنَاب الحَقِّ سُبْحَانَهُ، بَل هُوَ مِنْ ذَلكَ الجَانِبِ الأَقْدَسِ لاَ صُنْعَ فِيه للمُتَجَلى لهُ، بَل هُوَ مِنْ قَبِيل سَيْرِ المَعْشُوق فِي العَاشِقِ لشِبَعِ العَاشِقِ مِنَ اَلسَّيْر. شِعْرٌ.

لاَ الكَوْنُ فِي المِرْآة مِنْ حَرَكَاتها لكنَّهَا قَبلتْ لهُ لصَفَائهَا

وَيَنْبَغِي أَنْ يُعْلمَ أَنَّ الحُجُبَ المُرْتَفعةَ لاَ تَعُودُ عَلى تَقْدِيرِ اَلرُّجُوعِ، بَل مَعَ وُجُود اِرْتِفَاعِ الحُجُب يَكُونُ المُنْتَهَى مَشْغُولاً بِالخَلق لارْتِبَاط فَلاَحِ الخَلق بِه. وَمِثْل هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ كَمَثَل شَخْصٍ لهُ كَمَال اَلتَّقَرُّب مِنَ المَلك بِحَيْثُ لَيسَ بَيْنَهُمَا حَائل وَمَانِعٌ أَصْلاً لاَ صُورَةً وَلاَ مَعْنًى. وَمَعَ ذَلكَ شَغَلهُ المَلكُ بِقَضَاء حَاجَات أَرْبَاب الحَوَائجِ وَخِدْمَاتهِمْ، وَهَذَا فَرْقٌ آخَرُ أَيْضًا بَيْنَ المُبْتَدي وَالمُنْتَهِي المَرْجُوعِ. فَإِنَّ المُبْتَدِيَ مَحْجُوبٌ بِخِلاَفِ ذَلكَ المُنْتَهِي. وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلى سَائرِ مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى.

المَكْتُوبُ المِائَةُ
إلى الملا حَسَنِ الكَشْمِيرِيِّ
أَيْضًا فِي جَوَاب سُؤَاله عَنْ قَوْلِ الشَّيْخِ عَبْد الكَرِيمِ اليَمَنِيِّ:
" إنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ لَيْسَ بِعَالِمِ الغَيْب "

قَدْ شَرَّفَنَا المَكْتُوبُ بِوُصُوله وَاتَّضَحَ مَا انْدَرَجَ فيه بِأَبْوَابه وَفُصُوله وَفُرُوعه وَأُصُوله، وَممَّا انْدَرَجَ فِيه أَنَّ الشَّيْخَ عَبْدَ الكَبِيرِ اليُمْنَى قَال: إنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَيْسَ بِعَالِمِ الغَيْب.

أَيُّهَا المَخْدُومُ لاَ طَاقَةَ للفَقِيرِ باسْتِمَاعِ أَمْثَال هَذه الكَلمَات أَصْلاً، وَيَتَحَرَّكُ عِرْقِي الفَارُوقِيُّ منَ اسْتمَاعهَا بلاَ اخْتيَار، بِحَيْثُ لاَ يَبْقَى مَجَال التَّأَمُّل وَفُرصَةَ التَّأْوِيل وَالتَّوْجِيه، سَوَاءً كَانَ قَائلهَا الشَّيْخَ عَبْدَ الكَبِيرِ اليُمْنَى أَوْ الشَّيْخَ الأَكْبَرَ الشَّامِيَّ، وَإِنَّمَا اللاَّزِمُ لنَا اتِّبَاعُ كَلاَمِ مُحَمَّد العَرَبِيِّ - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - دُونَ كَلاَمِ مُحْيِي الدِّين بْنِ عَرَبِيٍّ وَصَدْرِ الدِّينِ القونوي[1] وَعَبد الرَّزَّاق الكَاشِيِّ نَحْنُ نَتَمَسَّكُ بالنُّصُوصِ لاَ بالفُصُوص، وَقَدْ أَغْنَانَا الفُتُوحَاتُ المَدَنِيَّة عَنِ الفُتُوحَات المَكِّيَّة، وَقَدْ وَصَفَ اللهُ سُبْحَانَهُ نَفْسَهُ فِي كَلاَمه المَجيد بعَالِمِ الغَيْب، وَأَطْلَقَهُ عَلَى نَفْسه. فَنَفْيُ علمِ الغَيْب عَنْهُ تَعَالَى مُسْتَقْبَحٌ وَمُسْتَكْرَهٌ جدًّا، بَل هُوَ تَكْذِيبٌ للحَقِّ سُبْحَانَهُ فِي الحَقِيقَة، وَإِرَادَةُ مَعْنًى آخَرَ مِنَ الغَيْب لاَ يُخرِجُ هَذَا الكَلاَمَ مِنَ الشَّنَاعَة " كَبُرَتْ كَلمَةً تَخْرُجُ منْ أَفْوَاههمْ ".

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَا حَمَلَهُمْ عَلَى التَّفَوُّه بِأَمْثَال هَذه الكَلمَات الصَّرِيحَة فِي خِلاَف الشَّرِيعَة.

وَابْنُ المَنْصُورِ مَعْذُورٌ فِي قَوْله: أَنَا الحَقُّ وَكَذَلكَ البِسْطَامِيُّ[2] فِي قَوْله: " سُبحاني " لكَوْنهمَا مَغْلُوبَي الحَال.

وَأَمَّا أَمْثَال هَذَا الكَلاَم فَلَيْسَ بِمَبْنِيَّة عَلَى غَلَبَة الأَحْوَال، بَل هِيَ صَادرَةٌ بِعَمَل عَنْ صَاحِبهَا وَمُسْتَندَةٌ إلَى التَّأْوِيل. فَلَيْسَتْ بِقَابلة للعُذْر، وَلاَ يُقْبَل فِي هَذَا المَقَامِ تَأْوِيل

---

(١) هو محمد بن إسحاق بن محمد بن يوسف بن علي القونوي الرومي (صدر الدين) صوفي مشارك في بعض العلوم، أخذ عن محي الدين بن عربي، وتوفي بقونية سنة ٦٧٢هـ من أهم مصنفاته: إعجاز البيان في كشف بعض أسرار أم القرآن، الفكوك في مستندات حكم الفصوص لابن عربي، اللمعة النورانية في حل مشكلات الشجرة النعمانية، وغير ذلك. انظر: السبكي: طبقات الشافعية: ١٩/٥، الصفدي: الوافي: ٢٠٠/٢، الزركلي: الأعلام: ٢٥٤/٦، كحالة: معجم المؤلفين ١٢٣/٣.

(٢) أبو يزيد البسطامي تقدمت ترجمته.

أَصْلاً، وَإِنَّمَا يُصْرَفُ عَنِ الظَّاهِرِ كَلاَمُ السُّكَارَى لاَ غَيْرُ. فَإِنْ كَانَ مَقْصُودُ المُتَكَلِّمِ مِنْ إِظْهَارِ هَذَا الكَلاَمِ مَلاَمَةَ الخَلقِ إِيَّاهُ وَنَفرَتَهُمْ عَنْهُ، فَهُوَ أَيْضًا مُسْتَكْرَهٌ وَمُسْتَهْجَنٌ ؛ فَإِنَّ طُرُقَ تَحْصِيلِ مَلاَمَةِ الخَلقِ كَثِيرَةٌ، فَأَيُّ ضَرُورَةٍ تَدْعُو إِلى أَنْ يَرْتَكِبَ مَا يُوصِلُ إِلى حَدِّ الكُفْرِ.

وَحَيْثُ تَكَلَّمْتُمْ فِي تَأْوِيلِ هَذَا الكَلاَمِ وَاسْتَفْسَرْتُمْ عَنْهُ فَبِحُكْمِ لِكُلِّ سُؤَالٍ جَوَابٌ نَتَكَلَّمُ فِي هَذَا البَابِ بِالضَّرُورَةِ: وَعِلمُ الغَيْبِ عِنْدَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَمَا قِيلَ: إِنَّ الغَيْبَ لاَ يَكُونُ إِلاَّ مَعْدُومًا وَالمَعْدُومُ لاَ يَكُونُ مَعْلومًا فَإِنَّ العِلمَ لاَ يَتَعَلَّقُ بِالمَعْدُومِ مَعْنَاهُ أَنَّ الغَيْبَ لَمَّا كَانَ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ مَعْدُومًا مُطْلَقًا وَلاَ شَيْئًا مَحْضًا مَعنًى لِتَعَلُّقِ العلمِ بِهِ، فَإِنَّ مَعْلومِيَّتَهُ تُخرِجُهُ عَنْ مَعدُومِيَّتِهِ المُطْلَقَةِ وَاللاَّشَيْئِيَّةِ المَحْضَةِ. أَلاَ تَرَى أَنَّهُ لاَ يُقَالُ: إِنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ عَالِمٌ بِشَرِيكِهِ، فَإِنَّ شَرِيكَهُ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ لَيْسَ بِمَوْجُودٍ أَصْلاً بَلْ هُوَ لاَ شَيْءَ صِرْفٌ. نَعَمْ يُمْكِنُ تَصَوُّرُ مَفْهُومِ الغَيْبِ وَالشَّرِيكِ، وَلَكِنَّ الكَلاَمَ لَيْسَ فِي مَفْهُومِهِمَا بَلْ فِي مِصْدَاقِهِمَا، وَمَثَلُ هَذَا حَالُ جَمِيعِ المُحَالاَتِ، فَإِنَّ مَفْهُومَاتِهَا مُمْكِنَةُ التَّصَوُّرِ وَمُصَادِقَهَا مُمْتَنِعَةُ التَّصَوُّرِ. فَإِنَّ المَعْلومِيَّةَ تَخْرُجُ عَنِ الاِسْتِحَالَةِ وَلاَ أَقَلَّ مِنْ إِعْطَائِهَا الوُجُودَ الذِّهْنِيَّ.

وَالاعْتِرَاضُ الَّذِي أَوْرَدْتُهُ عَلى تَوْجِيهِ مَوْلاَنَا مُحَمَّد الروجي(١) صَحِيحٌ؛ فَإِنَّ نَفْيَ النِّسْبَةِ العِلمِيَّةِ فِي مَرْتَبَةِ الأُحَدِيَّةِ المُجَرَّدَةِ مُسْتَلزِمٌ لِنَفْيِ مُطْلَقِ العَلمِ، وَلاَ وَجْهَ

---

(١) هو الشيخ شمس الدين محمد الروجي، ولد في روج وهي قرية على تسعة فراسخ من هراة ليلة نصف شعبان عام ٨٢٠ هـ، وكان لأمه ولد نجيب فمات وهوابن خمس سنين فحزنت عليه؛ فرأت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها لا تحزني فسوف يعطيك الله تعالى ولدا طويل العمر ذا دولة فأتاها هذا العزيز فكانت تقول له: أنت الذي بشرني بك النبي صلى الله عليه وسلم وكان يحب الخلوة في صغر سنه فسمع مرة من والدته أن من قرأ كذا يرى النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقرأ ونام، فرأى أنه على باب البيت وأمه على دكة الباب تقول له أين كنت فإني بانتظارك لأن النبي صلى الله عليه وسلم جاء إلى بيتي فهلم نذهب إليه، قال: فأخذت بيدي إليه صلى الله عليه وسلم فرأيته جالسا وحوله ناس قياما وقعود، وهو يبعث بالرسائل إلى البلدان، فقدمتني أمي إليه وقالت يا رسول الله هذا الذي وعدتني به أم غيره، فنظر إلي وتبسم وقال هو هذا، وأمر الكاتب فكتب لي ورقة نحو ثلاثة أسطر وتحتها أسماء الشهود وقرأها وأعطانيها، قال ثم أفقت فرأيت والدتي على الباب وبيدها شمعة فقالت لي هل رأيت شيئا ؟ قلت نعم رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت لي وأنا كذلك رأيت النبي صلى الله عليه وسلم بمثل ما رأيت، وقد تتلمذ الشيخ الروجي على الشيخ صدر الدين الرواسي،وغيره، وتوفي - رضي الله عنه سنة ٩٠٤ هـ. انظر: السنهوتي: الأنوار القدسية: ١٥٣، ١٥٤.

لتخصيص النَّفْي بعلم الغَيْب. والإشْكال الآخرُ على توْجيه موْلانا أنَّ النِّسْبَة العلميَّة وإنْ كانتْ مُنْتفيَةً في مرْتبَة الأحَديَّة المجرَّدَة ولكنَّ عالميَّتَهُ تعالى قائمَةٌ على حالها، فإنَّهُ تعالى عالمٌ بالذَّات لا بالصِّفات؛ لكوْن الصِّفات مُنْتفيَةً في تلك المرْتبَة. ألا ترى أنَّ نُفاة الصِّفات رأْسًا يقولون إنَّ الحقَّ سُبْحانَهُ عالمٌ مع سلبهم الصِّفات عنْهُ سُبْحانَهُ وتعالى. ويقولون إنَّ الانْكشاف الذي يترتَّبُ على الصِّفات يترتَّبُ على الذَّات. وكذا هُنا. والتَّوْجيهُ الذي بيَّنْتُمُوهُ منْ إرادَة غيْب الذَّات تعالتْ وتقدَّستْ بالغيْب وعدَم تجْويز تعلق العلم به فإنْ كانَ المرادُ بالعلم علمَ الواجب تعالى وتقدَّس فهُوَ أقْربُ التَّوْجيهات ولكنْ في عدَم جوَاز تعلق علم الواجب تعالى بذاته البحْثُ سُبْحانَهُ بحْثٌ للفقير، فإنَّ الوجْهَ الذي بيَّنْتُمُوهُ في عدَم الجواز هُوَ اقْتضاءُ حقيقَة العلم لإحاطَة المعْلوم، والذَّاتُ المطْلقَةُ تعالتْ مُقْتضيَةٌ لعدَم الإحاطَة فلا يجْتمعان في هذا التَّعلق وههُنا محَل خدْشَة فإنَّ هذا المعْنَى يعْني اقْتضاء حقيقَة العلم لإحاطَة المعْلوم إنَّما هُوَ في العلم الحُصُوليِّ لحُصُول صُورَة المعْلوم فيه في القُوَّة العلميَّة، وأمَّا في العلم الحضُوريِّ فلا يلزمُ هذا المعْنَى أصْلاً. والعلمُ فيما نحْنُ فيه حُضوريٌّ لا حُصُوليٌّ فلا محْذُور فإنَّ تعلقَ علم الواجب سُبْحانَهُ بذاته تعالى بطريق الحُضوريِّ لا بطْريق الحُصُوليِّ. واللهُ سُبْحانَهُ أعْلمُ بحقيقَة الحال. وصلى اللهُ على سيِّدنا مُحمَّد وآله الطَّاهرين وبارك وسلم والسَّلامُ أوَّلاً وآخرًا.

المَكْتُوبُ الحَادِي وَالمِائَةُ
إلى الملا حَسَنٍ الكَشْمِيرِيِّ أيْضًا
فِي الرَّدِّ عَلى جَمَاعَةٍ تَعَرَّضُوا لأَهْلِ الكَمَالِ وَأطَالُوا اللسَانَ فِي حَقِّهِ بِأنْوَاعِ المَقَالِ

أَحْسَنَ اللهُ سُبْحَانَهُ حَالَكُمْ وَأَصْلَحَ بَالَكُمْ قَدْ أَوْصَلَ مَوْلاَنَا مُحَمَّدُ صِدِّيق[١] المُفَاوَضَةَ الشَّرِيفَةَ حَمْدًا للهِ سُبْحَانَهُ حَيْثُ لَمْ تَنْسَوْا النَّائِينَ المَهْجُورِينَ وَالخِطَابَاتِ التِي صَدَرَتْ لِلنَّفْسِ بِحَسَبِ الظَّاهِرِ صَارَتْ وَاضِحَةً فِي الجُمْلَةِ. نَعَمْ كُلُ اعْتِرَاضٍ عَلى النَّفْسِ مُسَلمٌ وَقْتَ كَوْنِهَا أَمَّارَةً، وَأَمَّا بَعْدُ حُصُولِ الاطْمِئْنَانِ لَهَا فَلاَ مَجَالَ لِلاعْتِرَاضِ أَصْلاً ؛ فَإِنَّ النَّفْسَ فِي ذَلكَ المَوْطِنِ رَاضِيَةٌ عَنِ الحَقِّ وَالحَقُّ سُبْحَانَهُ رَاضٍ عَنْهَا فَهِيَ إذًا مَرْضِيَّةٌ وَمَقْبُولَةٌ، وَلاَ اعْتِرَاضَ عَلى المَرْضِيِّ المَقْبُول، وَكَيْفَ فَإِنَّ مُرَادَهَا حِينَئِذٍ مُرَادُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ. فَإِنَّ حُصُول هَذه الدَّوْلة إِنَّمَا هُوَ زَمَنُ التَّخلقِ بِأَخْلاَقِ اللهِ تَعَالَى، وَسَاحَةُ قُدْسِهُ أَعْلى وَأَجَل مِنَ اعْتِرَاضِ أَمْثَالِنَا وَضِيعِي الفِطْرَةِ وَعَدِيمِي القُدْرَةِ بَل كُل مَا نَقُول عَائِدٌ إِلَيْنَا.

شِعْرٌ.

مَنْ لَمْ يَكُنْ عَنْ نَفْسه ذَا خِبْرَة ... هَل يَقْدرُ الأَخْبَارَ عَنْ هَذَا وَذَا

وَمِنْ جَاهِلٍ يَتَصَوَّرُ النَّفْسَ المُطْمَئِنَّةَ مِنْ كَمَال جَهْله أَمَّارَةً وَيُجْرِي أَحْكَامَ الأَمَّارَة عَلى المُطمَئِنَّة كَمَا زَعَمَ الكُفَّارُ الأَشْرَارُ الأَنْبِيَاءَ - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - مِثْل سَائِرِ البَشَرِ، وَأَنْكَرُوا كَمَالات النُّبُوَّة أَعَاذَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ مِنْ إِنْكَارِ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ وَإِنْكَارِ مُتَابِعِيهِمْ عَلَيْهِ الصَّلوَاتُ وَالتَّحِيَّاتُ.

---

(١) **الملا محمد صديق:** تقدمت ترجمته.

المَكْتُوبُ الثَّاني وَالمائَةُ
إلى الملا مُظَفَّر
فِي بَيَانِ أَنَّ المُحرَّمَ فِي القَرْضِ مَعَ الفَيْضِ يَعْني الرِّبَا مَجْمُوعُ المَبْلغِ لاَ الزِّيَادَةُ فَقَطْ وَمَا يَتعَلقُ بذَلكَ

الحَمْدُ لله وَسَلاَمٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى:

قَدْ قُلتُمْ فِي ذَلكَ اليَوْمِ إنَّ الرِّبَا فِي القَرْضِ بالفَيْضِ هُوَ الفَضْل فَقَطْ، وَالمحَرَّمُ فِي قَرْضٍ عَشرَةِ دَرَاهمَ باثْنَيْ عَشَرَ درْهَمًا هُوَ الدِّرْهَمَان الزَّائدَان عَلى القَرْضِ. وَلَمَّا رَاجَعْتُ بَعْضَ الكُتُب الفقْهيَّة ظَهَرَ أَنَّ كُل عَقْد فيه فَضَل فَهُوَ رِبًا فِي الشَّرِيعَة، فَيَكُونُ هَذَا العَقْدُ مُحَرَّمًا بالضَّرُورَة. وَكُل مَا يُفْضِي إلى تَحْصيل المُحَرَّمِ يَكُونُ مُحَرَّمًا، فَتَكُونُ الدَّرَاهِمُ العَشَرَةُ أَيْضًا مُحَرَّمَةً. وَكَانَ المَقْصُودُ مِنْ إرْسَال كتَاب جَامع الرُّمُوزِ وَروَايَات كتَاب إبْرَاهيمَ الشاهى إظْهَارَ هَذَا المَعْنَى وَبَقِيَ صُورَةُ الاحْتيَاجِ.

أَيُّهَا المَخْدُومُ إنَّ حُرْمَةَ الرِّبَا ثَابتَةٌ بنَصٍّ قَطْعِيٍّ شَامل للمُحْتَاجِ وَغَيْرِ المُحْتَاجِ، فَاسْتثْنَاءُ المُحْتَاجِ منْ هَذَا الحُكْمِ نَسْخٌ لذَلكَ الحُكْمِ القَطْعِيِّ، وَروَايَةُ القنْيَة لَيْسَتْ فِي مَرْتَبَة تَنْسَخُ الحُكْمَ القَطْعِيَّ. وَقَدْ قَال مَوْلاَنَا جَمَال اللاهوري الذي هُوَ أَعْلَمُ عُلمَاء هور: إنَّ كَثيرًا منْ روَايَة القنْيَة لاَ يَسْتَحقُّ الاعْتمَادَ عَلَيْه لكَوْنهَا مُخَالفَةً لروَايَة الكُتُب المُعْتَبَرَة وَلَوْ سَلمَ صحَّةُ هَذه الرِّوَايَة يَنْبَغي أَنْ يَنْزل الاحْتيَاجُ إلى حَالة الاضْطِرَار وَالمَخْمَصَة ليَكُون مُخَصِّصَ ذَلكَ الحُكْمِ القَطْعِيِّ قَوْلُهُ تَعَالى: {فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَة} الآيَةَ، فَإنَّهُ مثْلهُ فِي القُوَّة، (ع):

وَقَاتَل رُسْتُمَ أَمْثَال رُسْتُمَ

وَأَيْضًا لوْ أَخذَ المُحْتَاجُ أَعَمَّ يَنْبَغي أَنْ يَكُونَ فِي مَحَل لاَ يَظْهَرُ فيه حُكْمُ حُرْمَة الرِّبَا ؛ وَإلاَّ فَكُل مَنْ يَقْبَل إعْطَاءَ الزِّيَادَة إنَّمَا يَقْبَل بعلة الاحْتيَاجِ البَتَّةَ، فَإنَّهُ لاَ يَقْدمُ أَحَدٌ عَلى ضَرَرِ نَفْسه منْ غَيْرِ احْتيَاجٍ، فَلاَ يَبْقَى لهَذَا الحُكْمِ المُنَزَّل منَ الحَكيمِ الحَميد مَزيدُ فَائدَة، تَعَالى كتَابُه العَزيزُ منْ أَمْثَال هَذَا التَّوَهُّمِ. وَلَوْ سَلمَ عُمُومُ الاحْتيَاجِ وَلَوْ عَلى سَبيل فَرْضِ المُحَال. فَأَقُول: إنَّ الاحْتيَاجَ منْ جُمْلة الضَّرُورَات، وَالضَّرُورَةُ تُقَدَّرُ بقَدْرِهَا، وَإطْعَامُ الطَّعَامِ النَّاسَ ممَّا اسْتَقْرَضَ بالفَيْضِ لَيْسَ بدَاخل

فِي الاحْتِيَاجِ فَإِنَّهُ لاَ تَعلقَ للضَّرُورَة به، وَلهَذَا يُستَثْنَى مِنْ تَرِكَة المَيِّت مَا يُحتَاجُ إِلَيْه فِي تَجْهِيزِهِ وَقَصَرُوهُ فِي الكَفَنِ وَالدَّفْنِ. وَلَمْ يَجْعَلوا إِطْعَامَ الطَّعَامِ لِرُوحِه دَاخلاً فِي الاحْتِيَاجِ مَعَ أَنَّهُ أَحْوَجُ إِلى الصَّدَقَة - يَعْني مِنَ الدَّفْنِ وَالكَفَنِ - فَيَنْبَغي المُلاَحَظَةُ فِي الصُّورَة المُتَنَازَعِ فِيهَا هَل المُسْتَقْرِضُونَ بِالفَيْضِ مُحْتَاجُونَ أَوْ لاَ، وَعَلى تَقْدِيرِ الاحْتِيَاجِ هَل يَحل لغَيْرِهِمُ الأَكْل مِنَ الطَّعَامِ الذي يَطْبُخُونَهُ لَهُمْ مِنْ ذَلكَ المَبْلَغِ أَوْ لاَ، وَجَعْل الضِّيَافَة وَإِجْرَاءُ الرَّسْمِ وَالعَادَة حيلةُ الاحْتِيَاجِ وَالقَرْضِ بِالفَيْضِ بِهَذه العلة، وَاعْتِقَادُ ذَلكَ جَائِزًا وَحَلالاً بَعيدٌ عَنِ التَّدَيُّنِ وَالدِّيَانَة. يَنْبَغي رِعَايَةُ الأَمْرِ بِالمَعْرُوف وَالنَّهْيِ عَنِ المُنكَرِ وَمَنْعِ جَمَاعَة ابْتُلوا بِهَذَا البَلاَءِ وَتَنْبِيهُهُمْ عَلى عَدَمِ صدْق هَذه الحيلة وَعَدَمِ جَوَازِهَا، وَكَيْفَ يَنْبَغي للإِنْسَان اخْتِيَارُ هَذَا القِسْمِ مِنَ الابْتلاَءِ بِارْتكَاب مَحْظُور، فَإِنَّ أَسْبَابَ المَعَاشِ كَثيرَةٌ لَيْسَتْ مَحْصُورَةً عَلى شَيْءٍ وَاحد. وَحَيْثُ إِنَّكُمْ مِنْ أَهْل الصَّلاَحِ وَالتَّقْوَى أَرْسَلنَا لكُمْ رِوَايَةَ الطَّيِّب فِي الأَكْل. وَكَتَبْتُمْ أَنَّ الخَالِيَ عَنِ الشُّبْهَة لاَ يُوجَدُ فِي هَذَا الزَّمَان، فَهَذَا الكَلاَمُ صَحيحٌ وَلكنْ يَنْبَغي الاحْتِرَازُ مِنَ الشُّبْهَة مَهْمَا أَمْكَنَ، وَقَدْ قيل إِنَّ الزِّرَاعَةَ بِلاَ طَهَارَة مُنَافيَةٌ للطَّيِّب، وَالاجْتنَابُ عَنْ ذَلكَ غَيْرُ مُمْكنٍ فِي بِلاَدِ الهنْد " لاَ يُكَلفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا " وَلَكنَّ تَرْكَ أَكْل طَعَام الرِّبَا فِي غَايَة السُّهُولَة، وَاعْتقَادُ الحَلال حلالاً وَالحَرَامِ حَرَامًا إِنَّمَا هُوَ فِي الحَلال وَالحَرَام القَطْعِيَّيْنِ الذينَ يَكْفُرُ جَاحدُهُمَا، وَفِي الظَّنِّيَّات لَيْسَ كَذَلكَ. وَكَمْ مِنْ أُمُورٍ مُبَاحَة عنْدَ الحَنَفيَّة غَيْرَ مُبَاحَة عنْدَ الشَّافعيَّة وَبِالعَكْسِ. فَفيمَا نَحْنُ فِيه إِذَا تَوَقَّفَ شَخْصٌ فِي حليَة القَرْضِ بِالفَيْضِ لِمَنْ يَشُكُّ فِي احْتيَاجه لكَوْنه مُخَالفًا فِي الظَّاهرِ حُكْمَ النَّصِّ القَطْعيِّ لاَ يَنْبَغي تَضْليله وَتَكْليفه بِاعْتقَاد حليَّته، بَل الرَّاجحُ أَنَّ الصَّوَابَ فِي جَانبه، بَل هَذَا مُتَيَقَّنٌ وَمُخَالفُهُ فِي خَطَرٍ.

وَنَقَل بَعْضُ أَصْحَابكُمْ أَنَّ مَوْلاَنَا عَبْدَ الفَتَّاحِ قَال يَوْمًا فِي حُضُورِكُمْ: لوْ وُجدَ قَرْضٌ بِلاَ فَيْضٍ فَهُوَ حَسَنٌ فَلمَاذَا يَسْتَقْرِضُ الإِنْسَانُ بِالفَيْضِ فَزَجَرْتُمُوهُ قَائلاً لاَ تُنْكرُ الحَلال.

أَيُّهَا المَخْدُومُ، إِنَّ أَمْثَال هَذه الكَلمَات لَهَا مَسَاغٌ وَمَجَال فِي الحَلال القَطْعيِّ، وَأَمَّا إِنْ كَانَ مَشْكُوكًا فِي حلَيِّته فَلاَ شَكَّ أَنَّ تَرْكَهُ أَوْلى.

وَأَهْل الوَرَعِ لاَ يَأْمُرُونَ بِالرُّخْصَة بَل يَدُلونَ عَلى العَزِيمَة، وَقَدْ أَفْتَى عُلمَاءُ

هور بالحليَة بعلة الاحْتيَاجِ وَذَيْل الاحْتيَاج وَاسعٌ بحَيْثُ لوْ مُدَّ لاَ يَبْقَى رِبًا أَصْلاً، وَيَكُونُ الحُكْمُ القَطْعِيُّ بحُرْمَة الرِّبَا عَبَثًا كَمَا سَبَقَ آنفًا، وَكَانَ يَنْبَغي لهُمْ مُلاحَظَة أَنَّ إطْعَامَ الغَيْر أَيُّ قسْم هُوَ منَ احْتيَاج المُسْتَقْرض بالفَيْض، وَروَايَةُ القنْيَة مُجَوِّزَةٌ للاسْتقْرَاض بالفَيْض بَعْدَ اللتَيَّا، وَالتي في حَقِّ المُحْتَاج نَفْسه فَقَطْ لاَ في حَقِّ الغَيْر.

فَإنْ قيل: يَجُوزُ أَنْ يَطْبُخَ المُحْتَاجُ هَذَا الطَّعَامَ للإطْعَام بنيَّة كَفَّارَة اليَمين أَوْ الظِّهَار أَوْ غَيْرهمَا وَلاَ شَكَّ أَنَّهُ مُحْتَاجٌ إلى أَدَاء هَذه الكَفَّارَات. أَقُول: إذَا لَمْ يَكُنْ فيه اسْتطَاعَةُ الإطْعَام يَصُومُ لهَا لاَ إنَّهُ يَسْتَقْرضُ بالفَيْض وَيُكَفِّرَ عَنْهَا. وَكُل مَا يَظْهَرُ منْ أَقْسَام الاحْتيَاج منْ هَذَا القَبيل يَنْدَفعُ بأَدْنَى تَأَمُّل وَتَوَجُّه ببَرَكَة التَّقْوَى " وَمَنْ يَتَّق الله يَجْعَل لهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ منْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسبُ " وَالزِّيَادَةُ عَلى ذَلكَ إطْنَابٌ وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلى مَن اتَّبَعَ الهُدَى.

المَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالمِائَةُ
إلى السَّـــيِّد فَرِيد
في بَيَان مَعْنَى العَافِيَة
وَطَلَبِ القَاضِي لِبَلدِ سَرهند

رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ العَافِيَةَ وَالمُرَادُ بِالعَافِيَة المَطْلُوبَة مَا كَانَ وَاحِدٌ مِنَ الأَعِزَّة يَدْعُو اللهَ سُبْحَانَهُ دَائِمًا وَيَتَمَنَّى مِنْهُ ــ عَزَّ وَجَلَ ــ عَافِيَةَ يَوْمٍ وَاحِد، فَسَأَلَهُ شَخْصٌ أَنَّ جَمِيعَ هَذه الأَوْقَات التي تَمُرُّ عَلَيْك أَلَيْسَتْ تَمُرُّ عَلَيْك عَلَى عَافِيَة؟ قَال: بَل أُرِيدُ أَنْ يَمُرَّ عَليَّ يَوْمٌ لاَ أَرْتَكِبُ فِيه مَعْصِيَةً مِنْ مَعَاصِي الله تَعَالى مِنَ الفَجْرِ إلى المَغْرِب، وَقَدْ مَضَتْ مُدَّةٌ وَلَيْسَ فِي سرهند قَاضٍ وَيَقَعُ إِجْرَاء بَعْضِ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّة بِهَذَا السَّبَب فِي التَّوَقُّف. مَثَلاً أَنَّ لِي ابْنَ أَخٍ وَبَقِيَ لهُ مِيرَاثٌ مِنْ أَبَوَيْه وَلَيْسَ لهُ وَصِيٌّ وَالتَّصَرُّفُ فِي ذَلكَ المَال بِلاَ إِذْنٍ شَرْعِيٍّ غَيْرُ جَائِز. فَإِنْ كَانَ هُنَا قَاضٍ لأَمْكَنَ التَّصَرُّفُ فِيه بِإِذْنه.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالمائَةُ
إلى قُضَاة بَعْضِ القَصَبَة
فِي التَّعْزِيَة

اعْلمُوا أَنَّ مُصيبَةَ فَوْتِ المَغْفُورِ لهُ وَإِنْ كَانَتْ شَديدَةً جدًّا وَمُسْتَصْعَبَةً وَلكنْ لاَ بُدَّ للعَبْد منَ الرِّضَا بفعْل الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى. فَإِنَّا لَمْ نُخْلَقْ للبَقَاءِ في الدُّنْيَا بَل للعَمَل فَيَنْبَغي السَّعْيُ فِي العَمَل، فَإِنْ ذَهَبَ المَرْحُومُ بعَمَله لاَ ضَيْرَ فيه بَل هُوَ مَلكُ المَوْت جسْرٌ يُوصِّل الحَبيبَ إلى الحَبيب ثَابتٌ في شَأْنه لَيْسَتْ المُصيبَةُ للفَوْت بَل لحَال القَادم إلى الحَبيب أَنَّهُ كَيْفَ يُعَامَل به، فَيَنْبَغي الإمْدَادُ بالدُّعَاء وَالاسْتغْفَار وَالتَّصدُّق قَال رَسُول الله ـ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ـ: مَا المَيِّتُ إلاَّ كَالغَريق المُتَغَوِّث يَنْتَظرُ دَعْوَةً تَلحَقُهُ منْ أَب أَوْ أُمٍّ أَوْ أَخ أَوْ صَديق فَإذَا لحقَتْهُ كَانَ أَحَبَّ إلَيْه منَ الدُّنْيَا وَمَا فيهَا وَإنَّ اللهَ تَعَالى ليُدْخل عَلى أَهْل القُبُور منْ دُعَاء أَهْل الأَرْض أَمْثَال الجبَال منَ الرَّحْمَة وَإنَّ هدَايَةَ الأَحْيَاء إلى الأَمْوَات اسْتغْفَارٌ لهُمْ.

وَبَلغَ المَكْتُوبُ الشَّريفُ وَالهَوَاءُ البَاردُ شَديدٌ عَلى الفُقَرَاء جدًّا وَإلاَّ مَا كُنْتُ أَتَأَخَّرُ وَكَتَبَ التَّفْويضَ مُؤَكَّدًا يَنْفَعُ إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالى. وَالزِّيَادَةُ عَلى ذَلكَ تَصْديعٌ وَالدَّعَوَاتُ الكَثيرَةُ مَبْذُولةٌ للقَاضي حَسَنٍ وَسَائر الأَعزَّة وَليَكُونُوا رَاضينَ بفعْل الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَشَاكرينَ عَلَيْه تَعَالى في جَميع الأُمُور.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالمائَةُ

إلى الحَكِيم عَبْد القَادِر

فِي بَيَانِ أَنَّ المَرِيضَ مَا لَمْ يَصِحَّ وَلَمْ يَبْرَأْ لاَ يَنْفَعُهُ غذَاءٌ أَصْلاً وَمَا يُنَاسِبُهُ

قَدْ تَقَرَّرَ عِنْدَ الحُكَمَاءِ أَنَّ المَرِيضَ مَا دَامَ مَرِيضًا لاَ يَنْفَعُهُ غذَاءٌ أَصْلاً وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعَزِّ الأَكْلِ وَأَحْسَنِهِ، بَلْ هُوَ مُقَوٍّ لِمَرَضِه، (ع):

الأَكْل مَا نَالَ العَلِيل عَلِيل

فَيَشْتَغِلونَ أَوَّلاً بِفِكْرِ إِزَالَة مَرَضِه ثُمَّ يَجْتَهِدُونَ فِي تَحْصِيلِ القُوَّة بِأَغْذِيَة مُنَاسِبَة لِمزَاجِه وَحَالِه بِالتَّدْرِيجِ، فَكَذَلِكَ الإِنْسَانُ مَا دَامَ مُبْتَلاً بِمَرَضِ القَلْبِ كَمَا قَال تَعَالَى " فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ " لاَ تَنْفَعُهُ عِبَادَةٌ وَطَاعَةٌ أَصْلاً بَل هِيَ مَضَرَّةٌ لَه " رُبَّ تَالٍ لِلقُرْآنِ وَالقُرْآنُ يَلعَنُهُ " حَدِيثٌ مَعْرُوفٌ " وَرُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ مِنْ صِيَامِه إِلاَّ الجُوعُ وَالظَّمأُ " خَبَرٌ صَحِيحٌ فَأَطَبَّاءُ القُلوبِ أَيْضًا يَأْمُرُونَ أَوَّلاً بِإِزَالَة المَرَضِ وَذَلِكَ المَرَضُ عِبَارَةٌ عَنْ تَعَلق القَلبِ بِغَيْرِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى بَل هُوَ تَعَلقُ الإِنْسَان بِنَفْسِه، فَإِنَّ الإِنْسَانَ كُلمَا يُحِبُّهُ وَيَطْلُبُهُ إِنَّمَا يُحِبُّهُ وَيَطْلُبُهُ لِنَفْسِه، فَإِنْ أَحَبَّ أَوْلاَدَه يُحِبُّهُمْ لِنَفْسِه وَكَذَلكَ الأَمْوَال وَالرِّيَاسَةُ وَالجَاهُ، فَمَعْبُودُه فِي الحَقِيقَة هُوَ نَفْسُه. فَمَا دَامَ الإِنْسَانُ لَمْ يَتَخَلصْ مِنْ هَذَا التَّعَلقِ وَالارْتِبَاط لاَ وَجْهَ لِرَجَاءِ النَّجَاة فَفِكْرُ إِزَالة هَذَا المَرَضِ لاَزِمٌ لِلعُلمَاءِ أُولِى الأَلبَابِ وَالحُكَمَاءِ ذَوِي الأَبْصَارِ، (ع):

وَيَكْفِي مَنْ لَه فَهْمٌ إِشَارَةٌ

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالمِائَةُ
إلى مُحَمَّد صَادق الكَشْميريِّ
فِي بَيَانِ أَنَّ مَحبَّةَ هَذه الطَّائفةِ المُتفرِّعَة عَلى مَعْرفتهمْ مِنْ أَجْلِ نِعَمِ اللهِ جَل شَأْنُهُ

قَدْ وَصَل المَكْتُوبُ المَرْغُوبُ المُنبئُ عَنْ فَرْط المَحبَّة وَكَمَال المَوَدَّة للهِ سُبْحَانَهُ المِنَّةُ عَلى ذَلكَ فإنَّ مَحبَّةَ هَذه الطَّائفَة التي هيَ مُتفرِّعَةٌ عَلى مَعْرفَتهمْ منْ أَجْل نعَم الله سُبْحَانَهُ، وَيَا سَعَادَةَ مَنْ يَتَشرَّفُ بهَا. قَال شَيْخُ الإسْلاَم الهَرَوِيُّ[1] - قُدِّسَ سرُّهُ -: إلهي مَا هَذَا الذي جَعَلتَ أَوْليَاءَك عَلى وَجْه مَنْ عَرَفَهُمْ وَجَدَك وَمَا لَمْ يَجدْك لَمْ يَعْرفْهُمْ، وَبُغضُ هَذه الطَّائفة سُمٌّ قَاتل وَالطَّعْنُ فيهمْ مُوجبٌ للحرْمَان الأَبَديِّ. نَجَّانَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإيَّاكُمْ منْ هَذَا الابْتلاَء. وَقَال شَيْخُ الإسْلاَمِ أَيْضًا: إلهي كُل مَنْ أَرَدْتَ سُقُوطَهُ فَأَسْقطْهُ عَليْنَا يَعْني أَوْقعْهُ بغَيْبَتنا وَمَلاَمَتنَا شعْرٌ

وَمَنْ لَمْ يَعْنه مُهَيْمنٌ وَخوَاصُّه ... الأَمْرُ في خطَرٍ وَلوْ هُوَ منْ مَلك

وَهَذه الإنَابَةُ التي أَنْعَمَ اللهُ عَليْك بتَجْديدهَا، يَنْبَغي لك أَنْ تَعْتَقدَهَا نعْمَةً عَظيمَةً وَأَنْ تَسْأَل اللهَ سُبْحَانَهُ الاسْتقَامَةَ عَليْهَا.

{وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[2] وَالتزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَليْه وَعَلى آله الصَّلوَاتُ والتَّسْليماتُ.

---

(١) ــ أبو إسماعيل الأنصاري الهروي شيخ الإسلام: أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي بن جعفر بن منصور الأنصاري الهروي، من نسل أبي أيوب الأنصاري، شيخ خراسان، قال الذهبي في سير أعلام النبلاء: " شيخ الإسلام الإمام القدوة الحافظ الكبير " وقال السيوطي: " وكان إماما متقنا قائما بنصر السنة ورد المبتدعة " من مصنفاته: ذم الكلام، منازل السائرين، والأربعين. انظر ترجمته في: الذهبي: سير أعلام النبلاء: ١٨/٥٠٣ - ٥١٨، السيوطي: طبقات الحفاظ ١/٤٤.

(٢) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالمائَةُ
إلى مُحَمَّد صَادق الكَشْمِيرِيِّ أيْضًا
في أجْوبَة أَسْئلته التي كَتَبَهَا إلَيْه
وَفيه فَوَائدُ ضَرُورِيَّةٌ نَافعَةٌ في التَّسْليم لهَذه الطَّائفَة

أَسْعَدَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ بسَعَادَة الإيمَان بهَذه الطَّائفَة. قَدْ وَصَل الكتَابُ الذي أَرْسَلتَهُ مُشْتَملاً عَلى أَسْئلة، وَالسُّؤَال الذي فيه رَائحَةُ التَّعَنُّت وَالتَّعَصُّب وَإنْ كَانَ لاَ يَسْتَحقُّ الجَوَابَ وَلكنْ نَتَصَدَّى عَلى جَوَابه عَلى سَبيل التَّنَزُّل فَإنْ لَمْ يَنْفَعْ شَخْصًا لعَلهُ يَنْفَعُ آخرَ.

السُّؤَال الأَوَّل مَا السَّبَبُ في كَثْرَة ظُهُور الكرَامَات وَخَوَارق العَادَات منَ الأَوْليَاء المُتَقَدِّمينَ وَقلة ظُهُورهَا منْ أَكَابر هَذَا الزَّمَان ؟ فَإنْ كَانَ المَقْصُودُ منْ هَذَا السُّؤَال نَفْيَ أَكَابر هَذَا الزَّمَان بوَاسطَة قلة ظُهُور الخَوَارق منْهُمْ، كَمَا هُوَ المَفْهُومُ منْ فَحْوَى العبَارَة فَالعيَاذُ بالله سُبْحَانَهُ منْ تَسْويلاَت الشَّيْطَان. فَإنَّ ظُهُورَ الخَوَارق لَيْسَ منْ أَرْكَان الولاَيَة وَلاَ منْ شَرَائطهَا بخلاَف المُعْجزَة منَ النَّبيِّ – عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ – فَإنَّهَا منْ شَرَائط مَقَام النُّبُوَّة، وَمَعَ ذَلكَ إنَّ ظُهُورَ الخَوَارق منْ أَوْليَاء الله تَعَالى شَائعٌ ذَائعٌ قَلمَا يَتَخَلفُ عَنْهُمْ. وَلكنَّ كَثْرَةَ ظُهُور الخَوَارق لاَ تَدُل عَلى الأَفْضَليَّة، فَإنَّ التَّفَاضُل هُنَاكَ باعْتبَار دَرَجَات القُرْب الإلهيِّ – جَل سُلطَانُهُ –، بَل يُمْكنُ أَنْ يَكُونَ ظُهُورُ الخَوَارق منَ الوَليِّ الأَقْرَب أَقَل وَمنَ الأَبْعَد أَكْثَرَ. أَلاَ تَرَى أَنَّ الخَوَارقَ التي ظَهَرَتْ منْ بَعْض أَوْليَاء هَذه الأُمَّة لَمْ يَظْهَرْ عُشْرُ عَشيرَة منَ الأَصْحَاب الكرَام رضْوَانُ الله عَليْهمْ أَجْمَعينَ مَعَ أَنَّ أَفْضَل الأَوْليَاء لاَ يَبْلُغُ مَرْتَبَةَ أَدْنَى الصَّحَابَة. فَالنَّظَرُ إلى ظُهُور الخَوَارق منْ قُصُور النَّظَر وَدَليل عَلى قُصُور الاسْتعْدَاد التَّقْليديِّ، وَالمُسْتَحقُّ لقَبُول فُيُوض النُّبُوَّة وَالولاَيَة جَمَاعَةٌ غَلبَ فيهمُ الاسْتعْدَادُ التَّقليديُّ عَلى قُوَّتهمُ النَّظَريَّة وَالصِّدِّيقُ الأَكْبَرُ ـــ رَضيَ اللهُ عَنْهُ ـــ بوَاسطَة قُوَّة اسْتعْدَاده التقليديِّ لَمْ يَحْتَجْ في تَصْديق النَّبيِّ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إلى قَوْل لَمْ أَصْلاً وَأَبُو جَهْل اللعينُ بوَاسطَة قُصُور هَذَا الاسْتعْدَاد فيه لَمْ يَتَشَرَّفْ بتَصْديق النُّبُوَّة مَعَ وُجُود ظُهُور آيَات بَاهرَة وَمُعْجزَات قَاهرَة وَقَال اللهُ في شَأْن هَؤُلاَء المُنْكرينَ المَحْرُومينَ " وَإنْ يَرَوْا كُل آيَة لاَ يُؤْمنُوا بهَا حَتَّى إذَا جَاؤكَ

يُجَادلونَك يَقُول الذينَ كَفَرُوا إنْ هَذَا إلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلينَ " عَلى أَنَّا نَقُول: إنَّ ظُهُورَ الخَوَارق لَمْ يُنْقَل مِنْ أَكْثَرِ المُتَقَدِّمينَ في طُول عُمْرِهِمْ أَزْيَدَ مِنْ خَمْسَة أَوْ ستَّة خَوَارقَ حَتَّى أَنَّ الجُنَيْدَ سَيِّدَ هَذه الطَّائفَة لَمْ يُدْرَ هَل نُقل عَنْهُ عَشَرَةُ خَوَارقَ أَوْ لاَ، وَلقَدْ أَخْبَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ عَنْ حَالَ كَليمه عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بقَوْله عَزَّ مِنْ قَائل " وَلقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تسْعَ آيَات بَيِّنَات " وَمنْ أَيْنَ يُعْلَمُ عَدَمُ ظُهُورأَمْثَال هَذه الخَوَارق منْ مَشَائخِ هَذَا الوَقْت بَل لأَوْليَاء الله تَعَالى مُتَقَدِّميهمْ وَمُتَأَخِّريهمْ في كُل سَاعَة ظُهُورُ خَوَارقَ يَعْرفُهَا المُدَّعي أَمْ لاَ. شعْرٌ.

مَا ضَرَّ شَمْسَ الضُّحَى فِي الأُفُقِ طَالعَةً أَنْ لاَ يَرَى ضَوْءَهَا مَنْ لَيْسَ ذَا بَصَرِ

وَالثَّاني أَنَّهُ هَل يَكُونُ لإلقَاء الشَّيْطَان دَخْل في كَشْف الطَّالبينَ الصَّادقينَ وَشُهُودهمْ فَإنْ كَانَ فَبمَاذَا يُعْلمُ وَيَتَّضحُ أَنَّهُ كَشْفٌ شَيْطَانيٌّ وَإنْ لَمْ يَكُنْ فَمَا السَّبَبُ في وُجُود الغَلط في بَعْضِ الأُمُور المُلهَمَة وَالجَوَابُ اللهُ أَعْلمُ بالصَّوَاب لاَ أَحَدَ مَحْفُوظٌ منْ إلقَاء الشَّيْطَان كَيْفَ وَإذَا كَانَ ذَلكَ مُتَصَوَّرًا في الأَنْبيَاء بَل مُتَحَقِّقًا فَبالطَّريقِ الأَوْلى أَنْ يَكُونَ في الأَوْليَاء وَمَنْ هُوَ الطَّالبُ الصَّادقُ بَعْدُ.

غَايَةُ مَا في البَاب أَنَّ الأَنْبيَاءَ يُنَبَّهُونَ عَلى هَذَا الإلقَاء وَيُمَيِّزُ البَاطل منَ الحَقِّ قَوْله تَعَالى (فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يَلقَى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكمُ اللهُ آيَاته) تَنْبيهٌ دَال عَلى هَذَا المَعْنَى وَلَيْسَ هَذَا التَّنْبيه بلاَزم في الأَوْليَاء فَإنَّهُمْ تَابعُونَ للنَّبيِّ فَكُلمَا وَجَدُوهُ عَلى خلاَف مَا جَاءَ به النَّبيُّ يَرُدُّونَهُ وَيَرَوْنَ بُطْلاَنَهُ وَأَمَّا في صُورَة سَكَتَتْ عَنْهَا الشَّريعَةُ وَلَمْ تَحْكُمْ بإثْبَاتهَا وَنَفْيهَا فَامْتيَازُ الحَقِّ عَن البَاطل فيهَا بطَريق القَطْع مُشْكل فَإنَّ الإلهَامَ ظَنِّيٌّ وَلَكنْ لاَ يَتَطَرَّقُ القَوْل إلى الولاَيَة بسَبَب عَدَم ذَلكَ الامْتيَاز أَصْلاً فَإنَّ إتْيَانَ أَحْكَام الشَّريعَة وَمُتَابَعَةَ النَّبيِّ مُتَكَفِّل بنَجَاة الدَّارَيْن وَالأَمْرُ المَسْكُوتُ عَنْهُ زَائدٌ عَلى الشَّريعَة وَنَحْنُ لَمْ نُكَلفْ بالأُمُور الزَّائدَة.

وَممَّا يَنْبَغي أَنْ يُعْلم: أَنَّ الغَلطَ في الكَشْف غَيْرُ مُنْحَصر في إلقَاء شَيْطَانيٍّ فَإنَّهُ رُبَّمَا يُتَخَيَّل أَحْكَامٌ غَيْرُ صَادقَة في القُوَّة المنحيلة لاَ مَدْخَل للشَّيْطَان فيهَا أَصْلاً وَمنْ هَذَا القَبيل رُؤْيَةُ النَّبيِّ ـــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ـــ في المَنَام وَالآخذُ عَنْهُ بَعْضَ الأَحْكَام ممَّا أَلحَقَ في الحَقيقَة خلاَفُ تلكَ الأَحْكَام وَالحَال أَنَّ إلقَاءَ الشَّيْطَان غَيْرُ مُتَصَوَّر في تلكَ الصُّورَة فَإنَّ مُخْتَارَ العُلمَاء أَنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَمَثَّل بصُورَة خَيْر البَشَر عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلى أَيِّ صُورَة يُرَى فَلَيْسَ في تلكَ الصُّورَة إلاَّ

تَصرُّفُ المُتخيِّلة بإلقَاء غَيْر الواقعيِّ وَاقعيًّا وَثَالثٌ أَنَّ التَّصرُّفَ بطَريق الكَرَامَة وَالتَّصرُّف بطَريقِ الاسْتدْرَاجِ مُتسَاويَان فِي بَادي النَّظَرِ فكَيْفَ يَعرفُ المُبْتَدي أَنَّ هَذَا وَليٌّ صَاحِبُ كَرَامَة وَذَاكَ مُدَّعٍ كَذَّابٌ صَاحِبُ اسْتدْرَاجٍ الجَوَابُ وَاللهُ أَعْلَمُ بالصَّوَاب أَنَّ الدَّليل فِي هَذه التَّفْرقَة وَاضحٌ للطَّالب المُبْتَدي وَهُوَ وجْدَانُهُ الصَّحيحَ فَإنَّهُ إنْ وَجدَ قَلبَهُ مَائلاً وَمُنْجذبًا إلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَحَاضرًا مَعَهُ تَعَالى فِي صُحْبَته فَليَعْلَمْ أَنَّهُ وَليٌّ صَاحِبُ كَرَامَة وَإنْ وَجدَ خلاَفَ ذَلكَ فَلْيَتيَقنْ أَنَّهُ مدَى كَذَّابٌ صَاحِبُ اسْتدْرَاجٍ فَإنْ كَانَ فِي ذَلكَ خَفَاءٌ فَإنَّمَا هُوَ النِّسْبَةُ إلى العَوَامِّ كَالأَنْعَامِ دُونَ الطَّالبِينَ وَالخَفَاءُ عَلى العَوَامِّ سَاقطٌ عَنْ حَيِّز الاعْتبَارِ عنْدَ الخَوَاصِّ فَإنَّ مَنْشَأَهُ مَرَضُ القَلب وَغشَاوَةُ البَصَر.وَكَمْ منْ شَيْءٍ خَفيَتْ عَلى العَوَامِّ علمُهَا أَشَدُّ ضَرُورَةً منْ إدْرَاك هَذه التَّفْرقَة وَلنَخْتمْ هَذَا المَكْتُوبَ ببَعْضِ المَعَارف الذي يَنْفَعُكَ فِي إزَالة مثْل هَذه الشُّكُوك وَالشُّبهَات اعْلمْ أَنَّ التَّخلقَ بأَخْلاَق الله الذي هُوَ مَأْخُوذٌ فِي الولاَيَة يَعْني دَاخلاً فيهَا هُوَ أَنْ يَحْصُل للأَوْليَاء صفَاتٌ مُنَاسبَةٌ لصفَات الوَاجب تَعَالى وَلكنْ تَكُونُ المُنَاسَبَةُ فِي الاسْمِ وَالمُشَارَكَةُ فِي عُمُوم الصِّفَات لاَ فِي خَوَاصِّ المَعَاني فَإنَّ ذَلكَ مُحَال وَمُسْتَلزمٌ لقَلب الحَقَائق قَال الخواجهْ مُحَمَّدُ بَارسَا - قُدِّسَ سرُّهُ - فِي تَحْقيقَاته فِي مَقَام بَيَان تَخلقُوا بأَخْلاَق الله: وَالصِّفَةُ الأُخْرَى المَلكُ وَيَعْني المَلكَ المُتَصرِّفَ فِي الكُل وَالسَّالكُ، وَإنْ كَانَ متَصرِّفًا فِي نَفْسه وقَادرًا عَلى قَهْرهَا وَكَانَ تَصرُّفُهُ نافذًا فِي القُلوب يَكُونُ مَوصوفًا بهَذه الصِّفَة وَالصِّفَةُ الأُخْرَى السَّميعُ فَإنَّ سَمعَ السَّالكُ الكَلاَمَ الحَقَّ وَقَبلَهُ مَنْ كُل أَحَد منْ غَيْر اسْتنْكَاف وَفَهمَ الأَسْرَارَ الغَيْبيَّةَ وَالحَقَائقَ الرَّبِّيَّة بسَمْعِ رُوحه يَكُونُ مَوْصُوفًا بهَذه الصِّفَة وَالصِّفَةُ الأُخْرَى البَصيرُ فَإنْ كَانَ بَصرُ بَصيرَة سَالكُ الطَّريق بَصيرا أَوْ رَأَى جَميعَ عُيُوب نَفْسه بنُور الفرَاسَة وَشَاهَدَ كَمَال غَيْره يَعْني اعْتَقَدَ أَنَّ كُل أَحَد أَفْضَل منْهُ وَكَانَ كَوْنُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ بَصيرًا مَنْظورًا فِي نَظَره بحَيْثُ يَعْمَل كُلمَا يَعْمَلهُ عَلى وَجْه يَكُونُ مُوجبًا لقَبُول الحَقِّ سُبْحَانَهُ يَكُونُ مَوْصُوفًا بهَذه الصِّفَة وَالصِّفَةُ الأُخْرَى المُحْيي فَإنْ قَامَ سَالكُ الطَّريق بإحْيَاء السُّنَّة المَتْرُوكَة يَكُونُ موصُوفًا بهَذه الصِّفَة وَالصِّفَةُ الأُخْرَى المُميتُ فَإنْ مَنعَ السَّالكُ البدْعَات التي اسْتَعْمَلوهَا مَكَانَ السُّنَّة يَكُونُ مَوْصُوفًا بهَذه الصِّفَة وَعَلى هَذَا القيَاس سَائرُ الصِّفَات.

وَفَهمَ العَوَامُّ فِي مَعْنَى تَخلقُوا بأَخْلاَق الله شَيْئًا آخرَ فَلاَ جرَمَ وَقَعُوا فِي تيه

الضَّلالة وَزَعَمُوا أَنَّ المَوْلى لاَ بُدَّ لهُ مِنْ إِحْيَاءِ الجَسَدِ المَيِّت وَأَنْ يَنْكَشِفَ لهُ أَكْثَرُ المُغَيَّبَات وَأَمْثَال ذَلكَ وَهُوَ كَمَا تَرَى مِنَ الظُّنُونِ الفَاسِدَةِ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَأَيْضًا أَنَّ الخَوَارِقَ غَيْرُ مُنْحَصِرَةٍ فِي الإِحْيَاءِ وَالإِمَاتَة فَإِنَّ العُلومَ وَالمَعَارِفَ الإِلهَامِيَّةَ مِنْ أَعْظَمِ الآيَاتِ وَأَرْفَعِ الخَوَارِق وَلهَذَا كَانَ مُعْجِزَةُ القُرْآنِ العَظِيمِ أَقْوَى وَأَبْقَى فِي سَائِرِ المُعجزَات يَنْبَغِي أَنْ يُمْعِنَ النَّظَرَ مِنْ أَيْنَ تَحْصُلُ هَذهِ العُلومُ وَالمَعَارِفُ التِي تُفَاضُ كَمَطَرِ الرَّبِيعِ وَهَذهِ العُلومُ مَعَ كَثْرَتِهَا مُوَافِقَةٌ للعُلومِ الشَّرْعِيَّةِ بِالتَّمَامِ لاَ مُخَالفَةَ بَيْنَهمَا مِقْدَارَ شَعْرَةٍ وَهَذهِ الخُصُوصِيَّةُ عَلاَمَةُ صِحَّةٍ وَقَدْ كَتَبَ حَضْرَةُ شَيْخنَا - قُدِّسَ سِرُّهُ - أَنَّ عُلومَكَ كُلهَا صَحِيحَةٌ وَلكِنْ مَا الفَائِدَةُ فَإِنَّ كَلاَمَ حَضْرَةِ شَيْخنَا لاَ يَكُونُ حُجَّةً عَلَيْكُمْ وَإِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ مُنْقَادُونَ إِلى الشَّيْخِ وَمَاذَا نَكْتُبُ أَزْيَدَ مِنْ ذَلكَ.

وأسئلتك هَذه وَإِنْ كَانَتْ ثَقِيلةً أَوَّلاً وَلكِنْ لمَّا كَانَتْ بَاعِثَةً عَلى ظُهُورِ هَذهِ العُلومِ وَالمَعَارِفِ كَانَتْ حَسَنَةً فِي الآخِرِ. شِعْرٌ.

هيج زشتى نيست كورا خوبئى همراه نيست زنكى شب رنك رادندان وَدَرَّ كَوَّ هَرَسَتْ

تَرْجَمَة

وَمَا مِنْ قَبِيحٍ لَيْسَ فِيه مَلاَحَةٌ أَلَمْ تَرَ سَنَّ الزِّنْجِ كَالشُّهُبِ فِي الدُّجَى

وَالعَجَبُ أَنَّكَ أَظْهَرْتَ فِي المَكْتُوبِ السَّابِقِ إِخْلاَصًا كَثِيرًا وَزَعَمْتَ أَنَّ سَبَبَهُ ظُهُورُ وَاقِعَتَيْنِ مُتَعَاقِبَتَيْنِ وَكَتَبْتَ أَنَّ أَثَرَهُمَا يُوجَدُ فِي الإِقَامَةِ أَيْضًا عَلى حَدٍّ تَحَقَّقَتْ النَّدَامَةُ عَلى الوَضْعِ السَّابِقِ بِالتَّمَامِ وَأَلجَأَتَا إِلى التَّوْبَةِ وَالإِنَابَةِ وَتَجْدِيدِ الإِيمَانِ وَلمْ يَمْضِ عَلى ذَلكَ شَهْرٌ وَاحِدٌ حَتَّى فُهِمَ مِنْكَ التَّغَيُّرُ عَنْ هَذَا الوَضْعِ وَحَصَلَ الانْتِقَال وَالتَّحَوُّل إِلى الوَضْعِ السَّابِقِ بِرُجُوعِ القَهْقَرَى حَتَّى صِرْتَ فِي أَبدأ وَجْهًا لهَاتَيْنِ الوَاقِعَتَيْنِ يَنْجَرُّ إِلى أَنَّهُمَا كَانَتَا بِإِلقَاءِ الشَّيْطَانِ أَوْ بِغَلطِ الكَشْفِ فَمَا ذَاكَ وَمَا هَذَا. شِعْرٌ.

تَقُول فُلاَنٌ يَفْعَلِ الشَّرَّ قُلتُ لاَ يَضُرُّ عَلَيْنَا بَل عَلَيْه وَبَالهُ

{وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}(١) وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلى آله الصَّلوَاتُ وَالتَّسْليمات.

---

(١) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ الثَّامنُ وَالمائَةُ
إلى السَّيِّد أَحْمَدَ
في بَيَان أَنَّ النُّبُوَّةَ أَفْضَل منَ الولاَيَة على عَكْسِ مَا قِيل إنَّ الولاَيَةَ أَفْضَل منَ النُّبُوَّة

ثَبَّتَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ وَجَميعَ المُسْلمينَ عَلى مُتَابَعَة سَيِّد المُرْسَلينَ - عَلَيْه وَعَلى آله منَ الصَّلَوَات أَفْضَلهَا وَمنَ التَّسْليمات أَكْمَلهَا - قَال بَعْضُ المَشَايخِ وَقْتَ السُّكْر: إنَّ الولاَيَةَ أَفْضَل منَ النُّبُوَّة وَأَرَادَ بَعْضُهمْ بهَذه الولاَيَة ولاَيَةَ النَّبيِّ ليَرْتَفعَ وَهْمُ أَفْضَليَّةُ الوَليِّ منَ النَّبيِّ وَلكنَّ الأَمْرَ عَلى العَكْسِ في الحَقيقَة فَإنَّ نُبُوَّةَ نَبيٍّ أَفْضَل منْ ولاَيَته وَفي الولاَيَة إنَّمَا لاَ يُمْكنُ التَّوَجُّهُ إلى الخَلق منْ ضيق الصَّدْر وَفي النُّبُوَّة تَمَامُ انْشرَاحِ الصَّدْر بحَيْثُ لاَ يَكُونُ التَّوَجُّهُ إلى الحَقِّ مَانعًا منَ التَّوَجُّه إلى الخَلق وَلاَ التَّوَجُّهُ إلى الخَالق مَانعًا منَ التَّوَجُّه إلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَلَيْسَ التَّوَجُّهُ في النُّبُوَّة إلى الخَلق فَقَطْ حَتَّى تَتَرَجَّحَ الولاَيَةُ بسَبَبه عَلَيْهَا لكَوْن التَّوَجُّه فيهَا إلى الحَقِّ عيَاذًا بالله سُبْحَانَهُ منْ هَذَا الكَلاَم فَإنَّ التَّوَجُّهَ إلَى الخَلق وَحْدَهُ مَرْتَبَةُ العَوَامِّ كَالأَنْعَام وَشَأْنُ النُّبُوَّة أَعْلى وَأَجَل منْ ذَلكَ وَفَهْمُ هَذَا المَعْنَى إنْ كَانَ عَسيرًا فَإنَّمَا هُوَ بالنِّسْبَة إلى أَرْبَابِ السُّكْرِ وَأَمَّا الأَكَابرُ مُستقيمو الأَحْوَال فَهُمْ مُمْتَازُونَ بمَعْرفَة ذَلكَ، (ع):

هَنيئًا لأَرْبَاب النَّعيم نَعيمُهَا

وَبَقيَّةُ المَقْصُود أَنَّ الشَّيْخَ مَيَّانَ عَبْد الله ابْنِ الشَّيْخِ مَيَّانَ عَبْد الرَّحيم لهُ قَرَابَةٌ قَريبَةٌ لهَذَا الفَقير وَكَانَ وَالدُهُ مُلاَزمًا لبهَادر خَانَ مُدَّةً كَثْرَةً وَلهُ احْتيَاجٌ وَهُوَ مَعْذُورٌ عَاجزٌ عَنِ الكَسْب لكَوْنه ضَريرًا وَقَدْ أَرْسَل ابْنَهُ ليَكُونَ عنْدَ بهَادر خَان فَإنْ صَدَرَتْ منْ ذَلكَ الجَانب أَيْضًا إشَارَةٌ في هَذَا البَاب لكَانَ حَسَنًا وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالمِائَةُ
إلى الحَكِيمِ صَدْر
في بَيَانِ سَلاَمَةِ القَلْب
وَنِسْيَانِه مَا دُونَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ

اعْلَمْ: أَنَّ أَهْلَ الله أَطِبَّاءَ الأَمْرَاضِ القَلْبِيَّة، وَإِزَالَة العِلَلِ البَاطِنيَّة مَنُوطَةٌ بِتَوَجُّه هَؤُلاَءِ الأَكَابِر، كَلاَمُهمْ دَوَاءٌ وَنَظَرُهمْ شِفَاءٌ هُمْ قَوْمٌ لاَ يَشْقَى جَلِيسُهُمْ وَهُمْ جُلَسَاءُ الله بِهِمْ يُمْطَرُونَ وَبِهِمْ يُرْزَقُونَ وَرَأْسُ الأَمْرَاضِ القَلْبِيَّة وَرَئِيسُ العِلَلِ البَاطِنيَّة هُوَ تَعَلقُ القَلْبِ وَارْتِبَاطُهُ بِمَا دُونَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى وَمَا لَمْ يَتَيَسَّرْ التَّخَلصُ مِنْ هَذَا التَّعَلقِ بِالتَّمَامِ فَالسَّلاَمَةُ مُحَال فَإِنَّهُ لاَ مَجَال لِلشَّرِكَة فِي جَنَابِ الحَقِّ - جَل سُلطَانُهُ - أَلاَ لله الدِّينُ الخَالِصُ فَكَيْفَ إذَا جَعَل الشَّرِيكَ غَالِبًا وَجَعَل مَحَبَّةَ غَيْرِ الحَقِّ غَالِبَةً عَلى مَحَبَّتِه تَعَالى عَلى نَهْجٍ تَكُونُ مَحَبَّتُه تَعَالى مَعْدُومَةً فِي جَنْبِهَا أَوْ مَغْلُوبَةً غَايَةَ الوَقَاحَة وَنِهَايَةَ عَدَمِ الحَيَاءِ وَلَعَل المُرَادَ مِنَ الحَيَاءِ فِي قَوْلِه عَلَيْه السَّلاَمُ " الحَيَاءُ مِنَ الإِيمَان " هُوَ هَذَا الحَيَاءُ وَعَلاَمَةُ عَدَمِ تَعَلقِ القَلْبِ بِمَا سِوَاهُ تَعَالى نِسْيَانُه إِيَّاهُ بِالكُلِّيَّة وَذُهُوله عَنْهُ

جُمْلَةً عَلى وَجْهٍ لوْ كُلفَ بِتَذَكُّرِ الأَشْيَاءِ لَمَا تَذَكَّرَ فَكَيْفَ يَكُونُ لِتَعَلقِ القَلْبِ بِالأَشْيَاءِ مَجَال فِي ذَلكَ المَوْطِنِ وَهَذه الحَالةُ مُعَبَّرَةٌ عَنْهَا عِنْدَ أَهْلِ الله بِالفَنَاءِ وَهُوَ أَوَّل قَدَمٍ يُوضَعُ فِي الطَّرِيقَة وَمَبْدَأُ ظُهُورِ أَنْوَارِ القِدَمِ وَمَنْشَأُ وُرُودِ المَعَارِفِ وَالحِكَمِ وَبِدُونِهَا خَرْطُ القَتَاد.

المَكْتُوبُ العَاشِرُ وَالمِائَةُ

إلى الشَّيْخ صَدْر الدِّين

في بَيَان أَنَّ المَقْصُودَ منْ خَلق الإنْسَان أَدَاءُ وَظَائف السُّلوك وَكَمَال الإقْبَال عَلَى جَنَاب الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى

بَلغَكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى إلى مُنْتَهى نهَايَة أَرْبَاب الكَمَال وَاعْلمْ أَنَّ المَقْصُودَ منْ خَلق الإنْسَان هُوَ أَدَاءُ وَظَائف العُبُوديَّة وَدَوَامُ الإقْبَال عَلى جَنَاب الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَهَذَا المَعْنَى لاَ يَتَيَسَّرُ بدُون التَّحَقُّق بكَمَال اتِّبَاع سَيِّد الأَوَّلين وَالآخرينَ عَليْه منَ الصَّلوَات أَكْمَلهَا وَمنَ التَّحيَّات أَيْمَنُهَا ظَاهرًا وَبَاطنًا رَزَقنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإيَّاكُمْ كَمَال مُتَابَعَته ـــ صَلى اللهُ عَلَيْه وَسَلمَ ـــ قَوْلاً وَفعْلاً ظَاهرًا وَبَاطنًا عَمَلاً وَاعْتقَادًا آمينَ يَا رَبَّ العَالمينَ. شعْرٌ.

وَمَا اتَّخَذُوا غَيْرَ الإله فَبَاطل فَتَعْسًا لمَنْ يَخْتَارُ مَا كَانَ بَاطلاً

وَكُل مَا هُوَ مَطْلوبٌ غَيْرَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَمَقْصُودٌ فَهُوَ مَعْبُودٌ وَإنَّمَا تَحْصُل النَّجَاةُ منْ عبَادَة غَيْر الحَقِّ سُبْحَانَهُ إذَا لمْ يَبْقَ غَيْرَ الحَقِّ مَقْصُودٌ - جَل وَعَلاَ - وَإنْ كَانَ ذَلكَ الغَيْرُ منَ المَقَاصد الأُخْرَويَّة وَتَنَعُّمَات الجَنَّة فَإنَّ المَقَاصدَ الأُخْرَويَّةَ وَإنْ كَانَتْ منَ الحَسَنَات لكنَّهَا عنْدَ المُقَرَّبينَ منْ جُمْلة السَّيِّئَات فَإذَا كَانَ حَال أُمُور الآخرَة عَلى هَذَا المنْوَال مَا تَقُول في الأُمُور الدُّنْيَويَّة فَإنَّ الدُّنْيَا مَبْغُوضَةُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ بحَيْثُ لمْ يَنْظُرْ إليْهَا مُنْذُ خَلقَهَا وَحُبُّهَا رَأْسُ كُل خَطيئَة وَطُلاَّبُهَا مُسْتَحقُّونَ للطَّرْد وَاللعْن: " الدُّنْيَا مَلعُونَةٌ وَمَلعُونٌ مَا فيهَا إلاَّ ذكْرَ اللهِ تَعَالى "[1] نَجَّانَا اللهُ تَعَالى منْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فيهَا بحُرْمَة حَبيبه مُحَمَّدٍ سَيِّد الأَوَّلينَ وَالآخرينَ عَليْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

---

(١) ـــ أخرجه الترمذى وحسنه وابن ماجه عن أبي هريرة وزاد وما والاه وعالم أو متعلم وأخرجه أبو نعيم والضياء المقدسى من حديث جابر بلفظ إلا ما كان منها لله عز وجل وإسناده حسن والأول رواه الطبراني أيضا من حديث ابن مسعود ولفظه عالما ومتعلما ورواه البزار أيضا من هذا الطريق بلفظ إلا أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر وذكر الله ورواه الطبراني في الكبير من حديث أبي الدرداء بلفظ إلا ما ابتغى به وجه الله قال منذر إسناده لا بأس به من شرح الإحياء مختصرا.

المَكْتُوبُ الحادي عَشَرَ وَالمائَةُ
إلى الشَّيْخ أَحْمَدَ السنبهلي
في بَيَانٍ أَنَّ التَّوْحيدَ عبارَةٌ عَنْ تَخْليصِ القَلب عَمَّا دُونَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى وَمَا يُناسبُهُ

الحَمْدُ لله وَسَلَامٌ عَلى عباده الذينَ اصْطَفَى اعْلَمْ أَنَّ التَّوْحيدَ عبارَةٌ عَنْ تَخْليصِ القَلب عَنِ التَّوَجُّه إلى مَا دُونَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَمَا دَامَ القَلبُ مُتَعَلقًا بمَا سوَاهُ تَعَالى وَإنْ كَانَ أَقَل قَليل لاَ يَكُونُ صَاحبُهُ منْ أَرْبَاب التَّوْحيد وَمُجَرَّدُ قَوْل التَّوْحيد وَاعْتقَادُ التَّوْحيدِ منَ الفُضُول عنْدَ أَرْبَاب الفَضَائل نَعَمْ لاَ بُدَّ منَ القَوْل بالتَّوْحيد وَاعْتقَادُ التَّوْحيد الذي هُوَ مُعْتَبَرٌ في التَّصْديق وَالإيمَانُ لكنَّهُ بمَعْنًى آخَرَ وَالفَرْقُ بَيْن لاَ مَعْبُودَ إلاَّ اللهُ وَبَيْنَ لاَ مَوْجُودَ إلاَّ اللهُ بَيِّنٌ وَتَصْديقُ الإيمَان علميٌّ وَالإدْرَاكُ الوجْدَانيُّ حَالةٌ وَالتَّكَلمُ به قَبْل حُصُول الحَال مَحْظُورٌ وَتَكَلمُ طَائفَة منَ المَشَايخِ في هَذَا البَاب لاَ يَخْلو عَنْ أَحَد أَمْرَيْنِ إمَّا أَنَّهُمْ في ذَلكَ مَعْذُورُونَ لكَوْنهمْ تَحْتَ غَلبَة الحَال مَسْتُورينَ أَوْ كَانَ مَقْصُودُهمْ منْ كتَابَة الأَحْوَال وَإظْهَارهَا كَوْنُهَا مَحَطًّا وَمعْيَارًا لأَحْوَال غَيْرِهمْ ليَعْرفُوا بهَا اسْتقَامَةَ أَحْوَالهمْ وَاعْوجَاجَهَا وَإلاَّ فَإنْشَاءُ الأَسْرَار بدُون حُصُول هَذه الدَّوْلة مَمْنُوعٌ جَعَل اللهُ سُبْحَانَهُ نُبْذَةً منْ أَحْوَال أَرْبَاب الكَمَال نَصيبًا لأَمْثَالنَا المُدْبرينَ وَرَزَقنَا الاسْتقَامَةَ عَلى مُتَابعَة السُّنَّة السَّنِيَّة المُصْطَفَويَّة عَلى مَصْدَرهَا الصلاةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ بحُرْمَة النَّبيِّ وَآله الأَمْجَاد عَلَيْه وَعَلَيْهمُ الصَّلوَاتُ والتسليماتُ.

وَبَقيَّةُ التَّصْديعِ أَنَّ حَامل رُقَيْمَة الدُّعَاء الشَّيْخَ الحَافظَ مَيَّانَ عَبْدَ الفَتَّاحِ منْ أَوْلَاد الكبَار وَكَثير العيَال خُصُوصًا البَنَاتَ وَاضْطَرَّتْهُ قلةُ أَسْبَاب المَعيشَة إلى أَنْ يُوصِّل نَفْسَهُ إلى بَاب الكرَام وَالمَرْجُوُّ وُصُوله إلى مَا قَصدَهُ وَرَامَ يَعْني بيُمْنِ التفَاتكُمْ الخَاصِّ بهِ وَالعَامِّ وَالزِّيَادَةُ عَنْ ذَلكَ تَصْديعٌ.

المَكْتُوبُ الثَّاني عَشَرَ وَالمِائَةُ
إِلى الشَّيْخِ عَبْد الجَلِيل
فِي بَيَانِ أَنَّ المَدَارَ فِي التَّحْقِيقِ عَلى عَقَائد أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ
... ... إلخْ

حَقَّقْنَا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى شَأْنُهُ وَأَمْثَالنَا المُفْلِسِينَ بِحَقِيقَة مُعْتَقَدَات أَهْل الحَقِّ يَعْنِي أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة وَجَعَل التَّوْفِيقَ للأَعْمَال المَرْضِيَة نَقْدُ الوَقْت وَأَنْعَمَ عَلَيْنَا بالأَحْوَال التِي هِيَ ثَمَرَاتُ هَذه الأَعْمَال وَجَذْبَةٌ إِلى جَنَاب قُدْسه بِالتَّمَامِ وَالكَمَال، (ع):

هَذَا هُوَ الأَمْرُ والباقي منَ البَعْث

فَإِنَّ الأَحْوَال وَالمَوَاجِيدَ الحَاصلَة بِدُون التَّحَقُّق بِمُعْتَقَدَات هَذه الفِرْقَة النَّاجِيَة لاَ أَعُدُّهَا شَيْئًا سِوَى الاسْتِدْرَاجِ وَمَا أَظُنُّهَا غَيْرَ الخِذْلاَن وَالحِرْمَان فَإِنْ أَعْطَيْنَا مَعَ دَوْلَة الاتِّبَاعِ لهَذه الفِرْقَة النَّاجِيَة شَيْئًا نَكُنْ مَمْنُونِينَ وَنَجْتَهِدُ فِي أَدَاء شُكْره وَإِنْ أَعْطِينَا هَذَا الاتِّبَاعَ فَقَطْ وَلَمْ نُعْطَ الأَحْوَال وَالمَوَاجِيدَ أَصْلاً لاَ نَغْتَمُّ وَلاَ نَحْزَنُ بَل نَرْضَى به وَنَقُول هَذَا أَوْلى وَأَحْسَنُ وَمَا ظَهَرَ مِنْ بَعْضِ المَشَايِخِ قَدَّسَ اللهُ أَرْوَاحَهُمْ وَقْتَ غَلَبَة الحَال وَالسُّكْرِ مِنْ بَعْضِ العُلومِ وَالمَعَارِف المُنَافِيَة لآرَاء أَهْل الحَقِّ الصَّائبَة لما كَانَ مَنْشَؤُهَا كَشْفًا فَهُمْ معذورنَ فِي ذَلكَ وَنَرجو أَنْ لاَ يُؤَاخَذُوا بِذَلكَ يَوْمَ القِيَامَة بَل لَهُمْ حُكْمُ المُجْتَهِد المُخْطِئ فَيَكُونُ لهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ وَالحَقُّ فِي جَانب عُلمَاء أَهْل الحَقِّ شَكَرَ اللهُ سَعْيَهُمْ فَإِنَّ عُلومَ العُلمَاء مُقْتَبَسَةٌ مِنْ مِشْكَاة النُّبُوَّة عَلَى صَاحِبهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ المُؤَيَّدَةُ بِالوَحْيِ القَطْعِيِّ وَمُسْتَنَدُ مَعَارِف الصُّوفِيَّة الكَشْفُ وَالإِلهَامُ اللذَان للخَطَأ سَبيل فِيهِمَا وَعَلاَمَةُ صِحَّة الكَشْف وَالإِلهَام مُطَابَقَتُهمَا بِعُلوم عُلمَاء أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة فَإِنْ وَقَعَتْ المُخَالَفَةُ وَلوْ مِقْدَار شَعْرَة فَخَارِجٌ مِنْ دَائرَة الصَّوَاب هَذَا هُوَ العِلمُ الصَّحِيحُ وَالحَقُّ الصَّرِيحُ فَإذَا بَعْدَ الحَقِّ إِلاَّ الضَّلال رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ الاسْتِقَامَةَ عَلى مُتَابَعَة سَيِّد المُرْسَلينَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا عَمَلاً وَاعْتِقَادًا عَلَيْه وَعَلى آله مِنَ الصَّلَوَاتِ أَكْمَلهَا وَمِنَ التسليمات أَفْضَلهَا وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلى مَنِ اتَّبعَ الهُدَى.

المَكْتُوبُ الثَّالث عَشَرَ وَالمائَةُ
إلى جَمَال الدِّين حُسَيْن
في بَيَان الفرَق بَيْنَ جَذْبَة المُبْتَدئ وَبَيْنَ جَذْبَة المُنْتَهي وَأَنَّ مَشْهُودَ المَجْذُوبينَ في الابْتِدَاء لَيْسَ إلاَّ الرُّوحَ التي هيَ فَوْقَ مَقَام القَلْب وَإنَّهُمْ يَتَخَيَّلونَ أَنَّ ذَلكَ الشُّهُودَ شُهُودُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ

الحَمْدُ لله وَسَلاَمٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى اعْلَمْ أَنَّ الانْجذَابَ وَالانْجرَارَ لاَ يَكُونُ إلاَّ إلى مَقَام هُوَ فَوْقَ مَقَام السَّالك لاَ إلى مَا فَوْقَ مَقَامه وَكَذَا الحَال في الشُّهُود وَنَحْوه فَلَيْسَ للمَجْذُوبينَ الذينَ لاَ سُلوكَ لَهُمْ بَعْدَ بَل لَهُمْ في مَقَام القَلْب انْجذَابٌ إلى مَقَام الرُّوح الذي فَوْقَ مَقَام القَلْب وَالانْجذَابُ الإلهيُّ إنَّمَا هُوَ في جَذْبَة المُنْتَهي التي لاَ مَقَامَ فَوْقَهَا وَأَمَّا جَذْبَةُ البدَايَة فَلَيْسَ المَشْهُودُ فيهَا إلاَّ الرُّوح المَنْفوخَ يَعْني في آدَمَ عَلَيْه السَّلاَمُ وَلَمَّا كَانَتْ الرُّوحُ مَخْلوقَةً عَلى صُورَة أَصْله إنَّ اللهَ خَلقَ آدَمَ عَلى صُورَته اعْتَقَدُوا شُهُودَ الرُّوح شُهُودَ الحَقِّ تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَحَيْثُ كَانَتْ للرُّوح مُنَاسَبَةٌ قَليلَةٌ مَعَ عَالم الأَجْسَام أَطْلقُوا عَلى ذَلكَ الشُّهُود أَحْيَانًا شُهُودَ الأَحَديَّة في الكَثْرَة وَأَحْيَانًا قَالوا بالمَعيَّة.

وَشُهُودُ الحَقِّ - جَل وَعَلاَ - لاَ يُتَصَوَّرُ بدُون حُصُول الفَنَاء المُطْلَق الذي يَتَحَقَّقُ في نهَايَة السُّلوك. شعْرٌ.

وَمَنْ لَمْ يَكُنْ في حُبِّ مَوْلاَهُ فَانيًا فَلَيْسَ لهُ في كبْريَاءَ سَبيل

وَلَيْسَ لهَذَا الشُّهُود مَسَاسٌ بالعلم أَصْلاً وَالفَرْقُ بَيْنَ الشُّهودَيْن أَنَّهُ لوْ كَانَتْ لهُ مُنَاسَبَةٌ بالعَالم بوَجْه منَ الوُجُوه فَلَيْسَ هُوَ شُهُودُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ فَإنْ انْتَفتْ المُنَاسَبَةُ أَصْلاً فَهُوَ عَلاَمَةُ الشُّهُود الإلهيِّ - جَل وَعَلاَ - وَإطْلاَقُ الشُّهُود هُنَا إنَّمَا هُوَ بوَاسطَة ضيق العبَارَة وَإلاَّ فَالنِّسْبَةُ لاَ مثْليَّةَ وَلاَ كَيْفيَّةَ كَالمُنْتَسب إليْه لاَ يَحْمل عَطَايَا المَلك إلاَّ مَطَايَاهُ.

المَكْتُوبُ الرَّابِعَ عَشَرَ وَالمِائَةُ
إلى الصُّوفِيِّ قُرْبَانَ
في التَّحْرِيضِ عَلَى مُتَابَعَةِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَوَاتُ والتسليماتُ

شَرَّفَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وأمثالنَا المُفْلِسِينَ العَاجِزِينَ المُقْعَدِينَ بِدَوْلَةِ اتِّبَاعِ سَيِّدِ الأَوَّلِينَ وَالآخَرِينَ الذي أَبْرَزَ كَمَالاتِهِ الأسمائيَّةَ والصفاتيَّةَ في طُفَيْلِ مَحَبَّتِهِ إلى عَرْصَةِ الظُّهُورِ وَجَعْلُهُ أَفْضَلَ جَمِيعِ الكَائِنَاتِ عَلَيْهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلُهَا وَمِنَ التسليمات أَكْمَلُهَا وَرَزَقَنَا الاسْتِقَامَةَ عَلَيْهِ فَإِنَّ ذَرَّةً مِنْ هَذِهِ المُتَابَعَةِ المَرْضِيَّةِ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ التلذذات الدُّنْيَوِيَّةِ والتَنَعُّمات الأُخْرَوِيَّةِ بِمَرَاتِبَ كَثِيرَةٍ وَالفَضِيلَةُ مَنُوطَةٌ بِمُتَابَعَةِ سُنَّتِهِ وَالمَزِيَّةُ مَرْبُوطَةٌ بِإِتْيَانِ شَرِيعَتِهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ وَالنَّوْمُ في نِصْفِ النَّهَارِ مَثَلاً الوَاقِعِ عَلَى وَجْهِ هَذِهِ المُتَابَعَةِ أَفْضَلُ مِنْ إِحْيَاءِ أُلُوفٍ مِنَ الليالي الوَاقِعِ عَلَى غَيْرِ وَجْهِ المُتَابَعَةِ وَكَذَلِكَ الإِفْطَارُ في يَوْمِ عِيدِ الفِطْرِ الَّذِي أَمَرَتْ الشَّرِيعَةُ بِهِ أَفْضَلُ مِنْ صِيَامِ أَبَدِ الآبَادِ الذي لَمْ يُؤْخَذْ مِنَ الشَّرِيعَةِ وَإِعْطَاءُ حَبْلٍ بِأَمْرِ الشَّارِعِ أَفْضَلُ مِنْ إِنْفَاقِ جَبَلٍ مِنَ الذَّهَبِ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ صَلَّى عُمَرُ ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ــ مَرَّةً صَلاَةَ الصُّبْحِ بِالجَمَاعَةِ ثُمَّ تَفَقَّدَ الأَصْحَابَ ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ــ فَلَمْ يَرَ فِيهِمْ شَخْصًا مِنْهُمْ فَسألهم عَنْهُ فَقِيلَ: إِنَّهُ يُحْيِي اللياليَ كُلَّهَا وَلَعَلَّ النَّوْمَ غَلَبَ عَلَيْهِ فِي هَذَا الوَقْتِ فَقَالَ: لَوْ نَامَ اللَّيْلَ كُلَّهُ وَصَلَّى صَلاَةَ الصُّبْحِ بِجَمَاعَةٍ لَكَانَ أَفْضَلَ أَلاَ تَرَى أَنَّ أَهْلَ الضَّلالة مَعَ ارْتِكَابِهِمُ الرِّيَاضَاتِ الكَثِيرَةَ وَالمُجَاهَدَاتِ الشَّدِيدَةَ لَيْسَ لَهُمُ اعْتِبَارٌ أَصْلاً بَلْ هُمْ أَذِلاَّءُ يَعْنِي عِنْدَ اللهِ تَعَالَى وَذَلِكَ لِعَدَمِ مُوَافَقَةِ أَعْمَالِهِمُ الشَّرِيعَةَ الحَقَّةَ فَإِنْ تَرَتَّبَ أَجْرٌ عَلَى تِلْكَ الأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ فَهُوَ مَقْصُورٌ عَلَى بَعْضِ المَنَافِعِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَمَا يَجْمَعُ الدُّنْيَا وَكُلُّهَا حَتَّى يَعْتَبِرَ بَعْضَهَا وَمِثْلُهُمْ مِثْلُ الكَنَّاسِ رِيَاضَتُهُ أَزْيَدُ مِنْ رِيَاضَةِ الكُلِّ وَأُجْرَتُهُ أَقَلُّ مِنْ أُجْرَةِ الكُلِّ وَمَثَلُ مُتَابِعِي الشَّرِيعَةِ مَثَلُ جَمَاعَةٍ يَعْمَلُونَ في الجَوَاهِرِ النَّفِيسَةِ بِالمَاسَاتِ لَطِيفَةً عَمَلُهُمْ في نِهَايَةِ القلة وَأَجْرُهُمْ في غَايَةِ الرِّفْعَةِ حَتَّى أَنَّ عَمَلَ سَاعَتِهِمْ يُسَاوِي أَجْرَ مِائَةِ أَلْفٍ وَالسِّرُّ فِي ذَلِكَ أَنَّ العَمَلَ إِذَا وَقَعَ موافقًا لِلشَّرِيعَةِ فَهُوَ مَرْضِيُّ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَخِلاَفُهَا غَيْرُ مَرْضِيِّهِ تَعَالَى

فَكَيْفَ يَكُونُ غَيْرُ المَرْضِيِّ مَحَلاً لِلثَّوَابِ بَل هُوَ مَوْقِعُ العِقَابِ وَالشَّاهِدُ لِهَذَا المَعْنَى فِي هَذَا العَالِمِ المَجَازِيِّ وَاضِحٌ يَظْهَرُ بِأَدْنَى التِفَاتِ شِعْرٌ.

كُل مَا نَالَ العَلِيل عِلَّةً وَالَّذِي نَالَ النَّبِيل مِلَّةً

فَرَأْسُ جَمِيعِ السَّعَادَاتِ وَأَصْلُهَا مُتَابَعَةُ السُّنَّة وَهَيُولى جَمِيعِ الفسادات وَمَادَّتها مُخَالفَةُ الشَّرِيعَة ثَبَّتَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَلى مُتَابَعَة سَيِّدِ المُرْسَلِينَ - عَلَيْهِ وَعَلى آلِه الصَّلوَاتُ والتَّسْلِيماتُ، وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الخَامِسَ عَشَرَ وَالمِائَةُ
إلى الشَّيْخِ عَبْدِ الحَقِّ الدهلوي
فِي بَيَانِ أَنَّ الطَّرِيقَ الذي نَحْنُ فِي صَدَدِ قَطْعِه كُله سَبْعَةُ أَقْدَامٍ

(ع):

وَأَحْسَنُ مَا يُمْلى حَيْثُ الأَحِبَّةُ

اعْلَمْ أَنَّ الطَّرِيقَ الذي نَحْنُ فِي صَدَد قَطْعه سَبْعَةُ أَقْدَام قَدَمَان فِي عَالِم الخَلق وَخَمْسَةُ أَقْدَام فِي عَالِم الأَمْرِ ففى أَوَّل قَدَمٍ تُوضَعُ فِي عَالِم الأَمْرِ يَظْهَرُ التَّجَلي الأفْعَاليُّ وَفِي الثَّانِيَة التَّجَلي الصِّفاتيُّ وَفي الثَّالثَة يَقَعُ الشُّرُوعُ فِي التَّجَلِيَات الذَّاتيَّة ثُمَّ وَتَمَّ عَلى تَفَاوُت دَرَجَات الكَمَالات كَمَا لاَ يَخْفَى عَلى أَرْبَابِهَا كُل ذَلكَ مَنُوطٌ بِمُتَابَعَة سَيِّد الأَوَّلِينَ وَالآخَرِينَ عَلَيْه منَ الصَّلوَات أَكْمَلهَا وَمنَ التسليمات أَفْضَلهَا وَمَا قيل إنَّ هَذَا الطَّرِيقَ خُطْوَتَان فَالمُرَادُ بهمَا عَالَمُ الخَلق وَعَالَمُ الأَمْرِ عَلى سَبِيل الإِجْمَال تَسْهِيلاً للأَمْرِ فِي نَظَرِ الطَّالبِينَ وَحَقِيقَةُ الأَمْرِ مَا حَقَّقْتُه بتَوْفِيق الله سُبْحَانَهُ هَذَا.

المَكْتُوبُ السَّادِسَ عَشَرَ وَالمائَةُ
إلى الملا عَبْد الوَاحد اللاهوري
في بَيَانِ أَنَّ سَلاَمَةَ القَلب مَوْقُوفَةٌ عَلى نسْيَان مَا سِوَاهُ تَعَالى وَزَوَاله منَ القَلب بالكُلّيَّة وَفي المَنْعِ منْ كَثْرَة الاشْتغَال بالدُّنْيَا الدَّنيَّة لئَلاَّ تَحْصُلَ الرَّغْبَةُ فيهَا

وَصَل مَكْتُوبُكُمْ المَرْغُوبُ وَاتَّضَحَ مَا انْدَرَجَ فيه منْ بَيَان سَلاَمَة القَلب نَعَمْ إنَّ سَلاَمَةَ القَلب مَوْقُوفَةٌ عَلى نسْيَان الغَيْر وَزَوَاله منَ القَلب عَلى حَدٍّ لوْ كُلفَ تَذْكرَةً لاَ يَتَذَكَّرُ فَعَلى هَذَا التَّقْدير لاَ مَعْنَى لخُطُور الغَيْر وَهَذه الحَالةُ مُعَبَّرٌ عَنْهَا بفَنَاء القَلب وَأَوَّل قَدَم تُوضَعُ في هَذَا الطَّريق وَمُبَشَّرَةٌ بكَمَالات مَرَاتب الولاَيَة عَلى تَفَاوُت دَرَجَات الاسْتعْدَادَات يَنْبَغي للعَاقل أَنْ يَكُونَ عَاليَ الهمَّة وَأَنْ لاَ يَقْنَعَ بالجَوْز والمَوْز إنَّ اللهَ يُحبُّ مَعَاليَ الهمَم وَفي كَثْرَة الاشْتغَال بأُمُور دُنيَويَّة خَوْفُ الرَّغْبَة في هَذه الأُمُور الدَّنيَّة وَلاَ تَغْتَرَّ بهَذَا القَدْر منْ سَلاَمَة القَلب فَإنَّ للرُّجُوع إمْكَانًا فَلاَ يَنْبَغي الإقْدَامُ عَلى الاشغالات الدُّنْيويَّة مَهْمَا أَمْكَنَ لئَلاَّ تَظْهَرَ الرَّغْبَةُ فيهَا فَتَقَعَ في الخَسَارَة عياذًا بالله سُبْحَانَهُ.

الكُنَاسَةُ في الفَقْر أَفْضَل منَ القُعُود في صَدْر المَجْلس في الغنَى يَنْبَغي صَرْفُ جَميع الهمَّة في أن يَخْتَارَ مَعيشَةَ أَيَّامٍ في الفَقْر وَالبَأْس فرَّ منَ الغنَى وَأَرْبَابه الكُثْر ممَّا تَفرُّ منَ الأَسَد وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ السَّابِعَ عَشَرَ وَالمائَةُ
إلى المَلاَ يار مُحَمَّد البدخشي القَدِيمِ
فِي أَنَّ القَلبَ تَابِعٌ للحسِّ فِي الابْتِدَاءِ
وَلاَ تَبْقَى تِلكَ التَّبَعِيَّةُ فِي الانْتِهَاءِ

لعَل مَوْلاَنَا يار مُحَمَّد لم يَنْسَ أَنَّ القَلبَ تَابِعٌ للحسِّ مُدَّةً فَلاَ جَرَمَ كُل مَا هُوَ بَعيدٌ عَنِ الحسِّ يَكُونُ بَعيدًا عَنِ القَلبِ وَحَديثُ مَنْ لَمْ يَمْلكْ عَيْنَهُ فَلَيْسَ القَلبُ عِنْدَهُ وَارِدٌ فِي هَذه المَرْتَبَة فَإِذَا لَمْ تَبْقَ تَبَعِيَّةُ القَلبِ للحسِّ فِي نِهَايَة الأَمْرِ لاَ يُؤَثِّرُ بُعْدُ الشَيْءِ عَنِ الحسِّ فِي بُعْدِه عَنِ القَلبِ بَل يَكُونُ الشَيْءُ قَرِيبًا بِحَسَبِ القَلبِ وإِنْ كَانَ بَعيدًا بِحَسَبِ الحسِّ وَلِهَذَا لَمْ يُجَوِّزْ مَشائِخُ الطَّرِيقَة مُفَارَقَةَ المُبْتَدئِ وَالمُتَوَسِّطِ صُحْبَةَ الشَّيْخِ الكَامِل المُكَمِّل وَبالجُمْلة بِحُكْمِ مَا لاَ يُدْرَكُ كُله لاَ يُتْرَكُ كُله يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ عَلى هَذَا الطَّرِيقِ وَأَنْ تَجْتَنِبَ عَنْ صُحْبَة غَيْرِ الجِنْسِ عَلى أَبْلغِ الوُجُوه وَأَنْ يَغْتَنِمَ صُحْبَةَ الشَّيْخِ مَيَّانَ مُزَّمِّل مُعْتَقَدًا قُدُومَه مُقَدِّمَةَ السَّعَادَةِ وَكُنْ فِي صُحْبَته فِي أَكْثَرِ الأَوْقَاتِ فَإِنَّهُ عَزِيزُ الوُجُودِ جِدًّا وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثّامِنُ عَشَرَ وَالمائَةُ
إلى الملا قَاسِمِ عَليٍّ البدخشي
فِي بَيَانِ خَسَارَةِ جَمَاعَةٍ يَعْتَرِضُونَ عَلى أَهْلِ اللهِ

قَدْ وَصَلَ الكِتَابُ الذي أَرْسَلَهُ مُحبُّنَا مَوْلاَنَا القَاسِمُ عَليٌّ وَاتَّضَحَ مَضْمُونُهُ قَال اللهُ تَعَالى (مَنْ عَمِل صَالِحًا فَلِنَفْسِه وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا) وَقَال الخواجهْ عَبْدُ اللهِ الأنْصارِيُّ: إلهي إذَا أَرَدْتَ أَنْ تُهْلكَ أَحَدًا فَأَطْرَحْهُ عَلَيْنَا. شعْرٌ.

أَخَافُ عَلى قَوْمٍ مِنَ القَوْمِ يَضْحَكُونَ أَنْ يُسْلَبَ الإِيمَانُ عَنْهُمْ وَيُطْرَدُوا

حَفظَ اللهُ سُبْحَانَهُ كَافَّةَ المُسْلمينَ منْ إنْكَارِ الفُقَرَاءِ وَالطَّعْنِ فِي الدَّرَاوِيشِ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ البَشَرِ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ التَّاسِعَ عَشَرَ وَالمِائَةُ
إِلى المِيرِ مُحَمَّد نُعْمَانَ
فِي التَّرْغِيبِ فِي صُحْبَةِ الشَّيْخِ المُقْتَدَى به وَبَيَانِ أَنَّ الكُمَلاَءَ يُجيزُونَ بَعْضَ مُرِيدِيهِمُ الناقصِينَ بتَعْلِيمِ الطَّرِيقَةِ أَحْيَانًا بِوَاسِطَةِ بَعْضِ نِيَّاتٍ صَالِحَةٍ وَأَغْرَاضٍ صَحِيحَةٍ

وَصَلَ المَكْتُوبُ مِنْ جَانِبِ خِدْمَةِ المَيْرِ هَذَا الطَّرِيقُ يُنَاسِبُ لَهُ الجُنُونُ وَقَدْ وَرَدَ فِي الخَبَرِ: "أَنْ يُؤْمِنَ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُقَالَ:إِنَّهُ مَجْنُونٌ"(١) فَمَا كَانَتْ جَنَّةٌ كَانَ فَارِغًا مِنْ تَدْبِيرِ أُمُورِ النَّاسِ وَالأَوْلاَدِ وَتَيَسَّرَتْ لَهُ الجَمْعِيَّةُ مِنَ التَّفَكُّرِ فِي كَذَا وَكَذَا وَهَذَا الجُنُونُ مُودَعٌ فِي جِبلتِكُمْ وَلَكِنَّكُمْ تَدْفِنُونَهُ وَتَكْتُمُونَهُ بِعَوَارِضَ لاَ طَائِلَ فِيهَا فَاذًا نَفْعَلُ وُيَفْهَمُ فِي هَذَا الكَسْبِ عَدَمُ المُنَاسَبَةِ جِدًّا يَنْبَغِي أَنَّ تَدَارَكَهُ سَرِيعًا وَأَنْ تَرْفَعَ البُعْدَ الصُّورِيَّ مُعْتَقِدًا عَدَمَ الاسْتِطَاعَةِ فَإِنَّ جَمْعِيَّةَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ وَرَاءَ جَمْعِيَّةِ سَائِرِ الخَلقِ وَأَسْبَابَ جَمْعِيَّةِ الخَلقِ بَاعِثَةٌ عَلَى تَفْرِقَةِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ فَيَنْبَغِي التَّشَبُّثُ بِأَسْبَابِ تَفْرِقَةِ الخَلقِ حَتَّى تَحْصُلَ الجَمْعِيَّةُ فَإِنْ أُعْطِيَتْ هَذِهِ الطَّائِفَةُ جَمْعِيَّةً فِي جَمْعِيَّةِ سَائِرِ الخَلقِ يَنْبَغِي أَنْ يَخَافَ مِنْهَا وَأَنْ يَلتَجِئَ إِلى جَنَابِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ لِئَلاَّ تَكُونَ تِلكَ الجَمْعِيَّةُ آفَةَ الرُّوحِ وَلاَ يَنْبَغِي القِيَاسُ عَلَى أَحْوَالِ فُلاَنٍ وَفُلاَنٍ فَإِنَّ قَبْلَ التَّمَامِ كُلِّهِ مَرَاتِبُ النُّقْصَانِ عَلَى تَفَاوُتِ دَرَجَاتِهَا، (ع):

وَلاَ تَسْتَقِلْ صَاحِ فِرَاقَ الأَحِبَّةِ

وَإِعْطَاءُ الإِجَازَةِ لِتَعْلِيمِ الطَّرِيقَةِ بَعْضَ المُرِيدِينَ قَبْلَ بُلُوغِ دَرَجَةِ الكَمَالِ مِنْ عَادَةِ مَشَائِخِ الطَّرِيقَةِ قَالَ الخواجهْ بَهَاءُ الدِّينِ النَّقْشَبَنْدِيُّ - قُدِّسَ سِرُّهُ - لِمَوْلاَنَا يَعْقُوبَ الجرخى بَعْدَ تَعْلِيمِ الطَّرِيقَةِ وَتَسْلِيكِهِ بَعْضَ المَنَازِلِ: يَا يَعْقُوبُ، كُل مَا وَصَلَ مِنَّا إِلَيْكَ أَوْصِلهُ إِلى الخَلقِ وَالحَالُ أَنَّهُ قَالَ لَهُ تَكُونُ بَعْدِي فِي خِدْمَةِ عَلاَءِ الدِّينِ وَاشْتَغَلَ هُوَ بِأَكْثَرَ أَمْرِهِ فِي خِدْمَةِ الخواجهْ عَلاَءِ الدِّينِ حَتَّى عَدَّهُ مَوْلاَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ الجَامِيُّ فِي النَّفَحَاتِ فِي عِدَادِ مُرِيدِي الخواجهْ عَلاَءِ الدِّينِ أَوَّلاً ثُمَّ نَسَبَهُ إِلى

---

(١) ــ قالوا لم يوجد بهذا اللفظ ولكن معناه صحيح، وقد ورد: " أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون " ولا يقال له مجنون إلا لمخالفته سائر الناس، ولا يخالفهم إلا لكمال إيمانه؛فصح أن كمال الإيمان منشأ لهذا القول، وقد ورد أيضا: " خيار أمتي أحداؤهم " الحديث، وهذا الكلام يكثر وقوعه في هذا الكتاب وقد نقل معناه عن بعض الأعزة في المكتوب وفسر الجنون فراجعه فإن فيه شفاء منه.

الخواجهْ النَّقْشَبَنْديِّ ثَانيًا وَبالجُمْلة إنَّ علاَجَ هَذه التَّفْرقَة هُوَ صُحْبَةُ أرْبَاب الجَمْعِيَّة وَقَدْ كَتَبُوا مُكَرَّرًا وَمُؤَكّدًا وَسَمعَنَا أَيْضًا أَنَّ مَوْلاَنَا مُحَمَّدَ صدِّيق اخْتَارَ العَسْكَرِيَّةَ وَتَرَكَ وَضْعَ الفُقَرَاء وَطَوْرَهمْ الوَيْل كُل الوَيْل لَمَنْ يَنْحَطُّ منْ أَعْلَى عليِّينَ إلى أسْفَل سَافلينَ وَحَاله لاَ يَخلو عَنْ أَحَد الأَمْرَيْنِ إمَّا أنْ يُعْطَى الجَمْعِيَّةَ فِي العَسْكَرِيَّة أَوْ لاَ فَإنْ أُعْطِيَهَا فَشَرٌّ وَإنْ لَمْ يُعْط فَأَشَدُّ

{رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلوبَنَا بَعْدَ إذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لنَا منْ لدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ}، وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ العِشْرُونَ وَالمائَةُ
إلى المِيْر مُحَمَّد نُعْمَانَ أَيْضًا
فِي التَّحْرِيضِ عَلى صُحْبَةِ أَرْبَابِ الجَمْعِيَّةِ

كَأَنَّهُ طَرَأَ النِّسْيَانُ عَلى المِيْرِ حَتَّى لاَ يَتَذَكَّرَ بِسَلاَمٍ وَتَحِيَّةٍ الفُرْصَةُ قَلِيلَةٌ وَصَرْفُهَا إلى أَهَمِّ المَهَامِّ ضَرُورِيٌّ وَهُوَ صُحْبَةُ أَرْبَابِ الجَمْعِيَّةِ لاَ تَعْدِلُ بِالصُّحْبَةِ شَيْئًا أَيًّامًا كَانَ أَلاَ تَرَى أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَبَارَكَ ـــ فُضِّلوا بِالصُّحْبَةِ عَلَى مَنْ عَدَاهُمْ سِوَى الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ وَإِنْ كَانَ أُوَيْسًا قَرْنِيًّا أَوْ عُمَرَ مَرْوَانِيًّا مَعَ بُلوغِهِمَا نِهَايَةَ الدَّرَجَاتِ وَوُصُولِهِمَا غَايَةَ الكَمَالاتِ سِوَى الصُّحْبَةِ فَلاَ جَرَمَ كَانَ خَطَأُ مُعَاوِيَةَ خَيْرًا مِنْ صَوَابِهِمَا بِبَرَكَةِ الصُّحْبَةِ وَسَهْوُ عَمْرِو بْنِ العَاصِ أَفْضَلَ مِنْ صَحْوِهِمَا لَمَّا أَنَّ إِيْمَانَ هَؤُلاَءِ الكُبَرَاءِ صَارَ شُهودِيًّا بِرُؤْيَةِ الرَّسُولِ وَحُضُورِ المَلَكِ وَشُهُودِ الوَحْيِ وَمُعَايَنَةِ المُعْجِزَاتِ وَمَا اتَّفَقَ لِمَنْ عَدَاهُمْ هَذِهِ الكَمَالاتُ الَّتِي هِيَ أُصُولُ سَائِرِ الكَمَالاتِ كُلِّهَا وَلَوْ عَلِمَ أُوَيْسٌ فَضِيلَةَ الصُّحْبَةِ بِهَذِهِ الخَاصِّيَّةِ لَمْ يَمْنَعْهُ مَانِعٌ مِنَ الصُّحْبَةِ وَمَا آثَرَ شَيْئًا مِنَ الأَشْيَاءِ عَلَى هَذِهِ الفَضِيلَةِ؛ {وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ}(١)، شِعْرٌ.

سكندر رانمى بنجشند أَبِي يزور وزر ميسر نيست اينكار

تَرْجَمَةٌ

وَذُو القَرْنَيْنِ لَمْ يَظْفَرْ بِمَاءٍ به المَحْيَا بِمَالٍ أَوْ بِقُوَّةٍ

اللهُمَّ وَإِنْ لَمْ تَخلقْنَا فِي هَذِهِ المُنْشَأَةِ فِي قَرْنِ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ فَاجْعَلْنَا فِي النَّشْأَةِ الآخِرَةِ مَحْشُورِينَ فِي زُمْرَتِهِمْ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّحِيَّاتُ والتسليماتُ وَالسَّلاَمُ.

---

(١) ـــ الآية: ٢١ من سورة الحديد، والآية: ٤ من سورة الجمعة.

المَكْتُوبُ الحَادِيَ وَالعِشْرُونَ وَالمِائَةُ
إلى المِيْرِ مُحَمَّد نُعْمَانَ أَيْضًا
في بَيَانِ أَنَّ هَذَا الطَّرِيقَ تَقَرَّرَ كُله عَلى سَبْعَة أَقْدَامٍ وَأَنَّهُ قَدْ وَصَلَ بَعْضُ أَصْحَابه إلى القَدَمِ السَّادسَة

ليَعْلَمَ خدْمَةُ المَيْرِ بَعْدَ مُطَالعَة الدَّعَوَات الوَافرَة أَنَّهُ قَدْ مَضَتْ مُدَّةٌ وَ لَمْ يَطَّلعْ عَلى أَحْوَاله وَ لَمْ يَسْتَخبرْ عَنْ أَحْوَال فُقَرَاء هَذه الجهَة لله سُبْحَانَهُ الحَمْدُ وَالمنَّةُ أَنَّ الفُقَرَاءَ مُرَفَّهُوَ الأَحْوَال وَلنُبَيِّنَ نُبْذَةً منْ أَطْوَارهمْ أَيُّهَا المُحبُّ الصَّادقُ إنَّ هَذَا الطَّرِيقَ تَقَرَّرَ كُله عَلى سَبْعَة أَقْدَام وَقَدْ أَوْصَل جَمْعٌ منَ الإخْوَان أَمْرَهُمْ إلى ستَّة أَقْدَامٍ وَالبَعْضُ الآخَرُ إلى خَمْسَة وَطَائفَةٌ إلى أَرْبَعَة وَفرْقَةٌ إلى ثَلاَثَة عَلى تَفَاوُت دَرَجَاتهمْ وَأَصْحَابُ الأَقْدَامِ الثَّلاَث أيضًا يُقَدِّرُونَ إفَادَةَ النَّاس يَعْني الطَّرِيقَة فَكَيْفَ جَمَاعَةً لَهُمْ سَبْقَةُ القَدَمِ يَنْبَغي للعَاقل أَنْ يَكُونَ عَاليَ الهمَّة دُونَ أَنْ يَكْتَفيَ بكُل حَقيرٍ] وَنَقيرٍ وَ لَمْ يَسَعْ الوَقْتُ الزِّيَادَةَ عَلى ذَلكَ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّانِيَ وَالعِشْرُونَ وَالمِائَةُ
إِلَى المُلا طَاهِرِ البَدَخْشِي
فِي التَّحْرِيضِ عَلَى عُلُوِّ الهِمَّة
وَعَدَمِ الاكْتِفَاءِ بِكَلِمَةٍ يَتَيَسَّرُ

أَنَّ مَوْلَانَا طَاهِرًا مَعْذُورٌ وَمَوْلَانَا يار مُحَمَّد يُبَيِّنُ وَجْهَ الانْتِقَال وَحَيْثُ إِنَّ إِرَادَةَ السَّفَرِ إِلَى جَانِبِ الهِنْد مُصَمَّمَةٌ فَلْيَذْهَبْ وَلْيَسْتَخْبِرْ عَنِ الأَهْلِ وَالعِيَال الباقي عِنْدَ التلاقي مِثْلَ مَشْهُورٌ وَدَوَامُ الحُضُور وَالاجْتِنَابُ عَنِ الاخْتِلَاط بِالأَغْيَارِ ضَرُورِيٌّ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَالِيَ الهِمَّة دُونَ أَنْ يَقْنَعَ بِكُلِّمَا يَتَيَسَّرُ. شِعْرٌ.

مَاز ى نوريكه بود مشرق أنوار   از مغربي وكوكب ومشكاة كذشتيم

تَرْجَمَةٌ

وَمِنْ أَجْلِ نُورِ مُشْرِقِ كُلِ أَنْوَرَ   تَجَاوَزَتْ مِشْكَاةٌ وَغَرْبًا وَكَوْكَبًا

وَأَكْثَرُ فُقَرَاءِ هَذَا الزَّمَانِ يُقِيمُونَ فِي مَقَامِ الرى وَالاكْتِفَاءُ يَعْنِي بِشَيْءٍ يَسِير فَصُحْبَتُهُمْ سُمٌّ قَاتِلٌ فِرَّ مِنْهُمْ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ وَكُنْ مُلَازِمًا لِهَذَا الطَّرِيقِ وَلَيْسَ لِلوَاقِعَاتِ كَثِيرًا اعْتِبَارٌ فَإِنَّ مَيْدَانَ التَّأْوِيلِ وَاسِعٌ فَلَا يَنْبَغِي الانْخِدَاعُ بِالمَنَامِ وَالخَيَال. شِعْرٌ.

كَيْفَ الوُصُول إِلَى سُعَادَ وَدُونَهَا   قُلَلُ الجِبَالِ وَدُونَهُنَّ حُيُوفُ

وَالسَّلَامُ.

المَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالعِشْرُونَ وَالمِائَةُ
إلى الملا طَاهِرِ البدخشي أَيْضًا
فِي بَيَانِ أَنَّ أَدَاءَ النَّفْلِ وَإِنْ كَانَ حَجًّا دَاخِل فِيمَا لاَ يَعْنِي إِذَا اسْتَلْزَمَ فَوْتَ فَرْضٍ مِنَ الفَرَائِضِ

قَدْ وَصَلَ مَكْتُوبُ أَخِي الأَرْشَد لاَزَال كَأْسُهُ طَاهِرًا عَنْ دَنَسِ التَّعلقات أَيُّهَا الأَخُ قَدْ وَرَدَ فِي الخَبَرِ عَلاَمَةُ إِعْرَاضِ اللهِ تَعَالى عَنِ العَبْد اشْتغَاله بِمَا لاَ يَعْنيه وَالاشْتغَال بنَفْل مِنَ النَّوَافل مَعَ الإِعْرَاضِ عَنْ فَرْضٍ مِنَ الفَرَائِضِ دَاخل فِيمَا لاَ يَعْنِي فَلزِمَكَ تَفْتيشُ أَحْوَالك لتَعْلمَ أَنَّ اشْتغَالك بِأَيِّ شَيْء بنَفْل أَوْ بِفَرْضٍ وَكَمْ مِنْ مَحْظُور يُرْتَكَبُ فِي أَدَاءِ الحَجِّ النَّفْل فَيَنْبَغِي أَنْ تُلاَحِظَ مُلاَحَظَةً جَيِّدَةً العَاقل تَكْفيه الإِشَارَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلى رُفَقَائكُمْ.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالعِشْرُونَ وَالمِائَةُ
إلى المَذْكُورِ أَيْضًا
في بَيَانِ أَنَّ الاسْتِطَاعَةَ شَرْطٌ لِوُجُوبِ الحَجِّ وَالحَجُّ مَعَ عَدَمِ الاسْتِطَاعَةِ دَاخِلٌ في تَضْيِيعِ الأَوْقَاتِ بِالنِّسْبَةِ إِلى تَحْصِيلِ المَطْلُوبِ

قَدْ وَصَلَ مَكْتُوبُ أَخي الخواجهْ مُحَمَّدُ طَاهِرِ البدخشي لله سُبْحَانَهُ الحَمْدُ وَالمِنَّةُ لَمْ يَتَطَرَّقْ الفُتُورُ إلى إِخْلاَصِه للفُقَرَاءِ وَمَحَبَّتِهِمْ مَعَ وُجُودِ تَمَادِي أَيَّامِ المُهَاجَرَةِ وَهَذِه عَلاَمَةُ سَعَادَةٍ عَظِيمَةٍ أَيُّهَا المُحِبُّ لَمَّا طَلَبْتَ الإِذْنَ يَعْني لِسَفَرِ الحَجِّ وَصَمَّمْتَ العَزْمَ للسَّفَرِ قَدْ ذَكَّرْتُكَ وَقْتَ الوَدَاعِ أَنَّهُ يُحْتَمَلُ أَنْ أَلحَقَكُمْ في هَذَا السَّفَرِ وَلَكِنْ كُلمَا قَصَدْتُ لَمْ تُوَافِقْ الاسْتِخَارَاتُ وَلَمْ يُفْهَمِ التَّجْوِيزُ في هَذَا البَابِ فَاخْتَرْتُ التَّقَاعُدَ بالضَّرُورَةِ وَلَمْ يَكُنْ فِي ذَهَابِكُمْ صَلاَحُ الفُقَرَاءِ مِنَ الأَوَّلِ وَلَكِنْ لَمَّا رَأَيْتُ شَوْقَكُمْ لَمْ أَمْنَعْ صَرِيحًا وَالاسْتِطَاعَةُ شَرْطُ الدُّخُولِ في الطَّرِيقِ يَعْني طَرِيقَ الحَجِّ وَبِدُونِ الاسْتِطَاعَةِ تَضْيِيعٌ للأَوْقَاتِ وَالاشْتِغَالِ بِأَمْرٍ غَيْرِ ضَرُورِيٍّ تَارِكًا للأَمْرِ الأَهَمِّ لَيْسَ بِمُنَاسِبٍ وَقَدْ كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ هَذَا المَضْمُونَ مُكَرَّرًا وَصَلَ إِلَيْكُمْ أَوَّلاً وَالقَوْلُ هُوَ هَذَا وَأَنْتُمْ المُخَيَّرُ.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالعِشْرُونَ وَالمِائَةُ
إلى المَيْرِ صَالِحِ النَّيسابُورِي
فِي بَيَانِ أَنَّ العَالَمَ كَبِيرَه وَصَغِيرَه مَظَاهِرُ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الإِلهِيَّةِ تَعَالَى شَأْنُه
وَلَيْسَ للعَالِمِ نِسْبَةٌ إليْه تَعَالَى أَصْلاً سِوَى المخلوقيَّة والمظهريَّة وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

اللهُمَّ أَرِنَا حَقَائِقَ الأَشْيَاء كَمَا هِيَ اعْلَمْ أَنَّ العَالَمَ كُله كَبِيرَه وَصَغِيرَه مَظَاهِرُ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الإِلهيَّة تَعَالَى شَأْنُه وَمَرَايَا شئونَاته وَكَمَالاته الذَّاتيَّة وَكَانَ عَزَّ سُلطَانُهُ كَنْزًا مَخفيًّا وَسِرًّا مَكْنُونًا فَأَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَعْرِضَ كَمَالاته مِنَ الخَلاءِ إلى المَلاءِ وَأَنْ يُورِدَهَا مِنَ الإِجْمَال إلى التَّفْصِيل فَخَلَقَ الخَلقَ عَلى نَهْجٍ يَكُونُ دَالاًّ بذَاته وَصِفَاته عَلى ذَاته وَصِفَاته تَعَالى وَتَقَدَّسَ فَلَيْسَ للعَالِم نِسْبَةٌ مَعَ صَانِعه أَصْلاً إلاَّ أَنَّهُ مَخْلوقُهُ تَعَالى وَدَال عَلى أَسْمَائه وشُئونَاته تَعَالى وَالحُكْمُ بالاتِّحَاد وَالعَيْنيَّة وَنسْبَة الإِحَاطَة وَالسَّرَيَان وَالمَعيَّة الذَّاتيَّات هُنَاكَ مِنْ غَلبَة الحَال وَسُكْر الوَقْت وَالأَكَابِرُ المستَقيمو الأَحْوَال الذينَ لهُمْ شُرْبٌ مَنْ قَدَحِ الصَّحْوِ لاَ يُثْبتُونَ للعَالِم نسْبَةً مَعَ صَانعه إلاَّ المخلوقيَّةَ وَالمَظْهَريَّةَ وَيَقُولونَ بالإِحَاطَة وَالسَّرَيَان وَالمَعيَّة العلميَّات عَلى طَبْقِ قَوْل عُلمَاء أَهْل الحَقِّ شَكَرَ اللهُ سَعْيَهُمْ وَالعَجَبُ مِنْ بَعْضِ الصُّوفيَّة حَيْثُ يُثْبتُونَ بَعْضَ النِّسْبَة الذَّاتيَّة كَالإِحَاطَة وَالمَعيَّة مَثَلاً مَعَ اعْتِرَافهِمْ بسَلب جَميعِ النَّسَب عَنِ الذَّات حَتَّى الصِّفَات الذَّاتيَّة فَهَل هَذَا إلاَّ تَنَاقُضٌ وَإِثْبَاتُ المَرَاتب في الذَّات لدَفْع هَذَا التَّنَاقُضِ تَكَلفٌ مثْل التَّدقيقات الفَلسَفيَّة وَأَرْبَابُ الكَشْف الصَّحيحِ لاَ يَشْهَدُونَ الذَّاتَ إلاَّ بَسيطًا حَقيقيًّا وَيَعُدُّونَ مَا وَرَاءَهُ كَائنًا مَا كَانَ دَاخلاً في الأَسْمَاء. شعْرٌ.

وَمَا قَل هجْرَانُ الحَبيب وَإِنْ غدَا   قَليلاً وَنصْفُ الشَّعْر في العَيْنِ ضَائرُ

وَلنُبَيِّنَ مثَالاً لتَحْقيق هَذَا المَبْحَث أَرَادَ عَالِم تَحْرير مُتَفَنِّن مَثَلاً إظْهَارَ كَمَالاته المَكْنُونَةَ وَإِبْرَازَهَا في عَرْصَة الظُّهُور فَأَوْجَدَ الحُرُوفَ وَالأَصْوَاتَ ليَجْلوَ كَمَالاته في حجَاب تلكَ الحُرُوف وَالأَصْوَات ففى تلكَ الصُّورَة لاَ نسْبَةَ لتلكَ الحُرُوفِ وَالأَصْوَاتِ الدَّوَال مَعَ تلكَ المُعَاني المَخْزُونَة إلاَّ أَنَّ هَذه الحُرُوفَ

وَالأَصْوَاتَ مَظَاهِرُ تلكَ المَعَالي الخَفيَّة وَمَرَايَا الكَمَالات المَخْزُونَة وَلاَ مَعْنَى لأَنْ يُقَال إنَّ الحُرُوفَ وَالأَصْوَاتَ عَيْنُ تلكَ المَعَاني المَخْفيَّة وَكَذَلكَ الحُكْمُ بالإحَاطَة وَالمَعيَّة في هَذه الصُّورَة غَيْرُ مُطَابق للوَاقع بَل المَعَاني صرَافتُه المَخْزُونَةُ لَمْ يَتطَرَّقْ التَّغيُّرُ إلَيْهَا لاَ في ذَاتهَا وَلاَ في صفَاتهَا أَصْلاً وَلكنْ لَمَّا كَانَ بَيْنَ تلكَ المَعَاني وَبَيْنَ الحُرُوف وَالأَصْوَات الدَّالة نَوْعُ مُنَاسَبَة منَ الدَّاليَّة وَالمَدْلوليَة يُتَخَيَّل منْهُ بَعْضُ المَعَاني الزَّائدَة وَتلكَ المَعَاني المَخْزُونَة مُنَزَّهَةٌ وَمُبَرَّأَةٌ في الحَقيقَة عَنْ تلكَ المَعَاني الزَّائدَة وَهَذَا هُوَ مُعْتَقَدُنَا في هَذه المَسْأَلة وَإثْبَاتُ الأَمْر الزَّائد عَلى المَظْهَريَّة والمرْآتيَّة منَ الاتِّحَاد وَالعَيْنيَّة وَالإحَاطَة وَالمَعيَّة منَ السُّكْر وَذَاتُه تَعَالى في الحَقيقَة مُعرَّاةٌ عَن النِّسْبَة وَمُبَرَّأَةٌ عَن المُنَاسَبَة مَا للتُّرَاب وَرَبِّ الأَرْبَاب وَبهَذَا القَدْر منْ مُنَاسَبَة الظَّاهريَّة وَالمَظْهَريَّة يُقَال بوَحْدَة الوُجُود أَوَّلاً بَل في الوَاقع وَجُودَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ لكنْ بطَريق الأَصَالة وَالظِّليَّة وَالظَّاهريَّة وَالمَظْهَريَّة لاَ إنَّ المَوْجُودَ وَاحدٌ وَمَا سوَاهُ أَوْهَامٌ وَخَيَالاَتٌ فَإنَّ هَذَا المَذْهَبَ بعَيْنه مَذْهَبُ السُّوفُسطَائيِّ وَإثْبَاتُ الحَقيقَة في العَالم لاَ يُخرجُهُ منْ كَوْنه أَوْهَامًا وَخَيَالاَت كَمَا هُوَ مَقْصُودُ السوفُسطَائيِّ (شعْرٌ) :

وَإذَا عَرَفْتَهُ أَنْتَ مَنْ هُـــوَ أَوَّلاً ... وَنَسَبْتَ نَفْسَكَ نَحْوَ حَضْرَته العُلى

وَعَلمْتَ أَنَّك ظل مَنْ يَا مَنْ دَرَى ... كُنْ فَارِغًا حَيــًا ومَيِّتــًا منْ مَــلاَ

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالعِشْرُونَ وَالمِائَةُ
إلى المِيْر صَالِحٍ النَّيسابُوريِّ أَيْضًا
فِي بَيَانِ أَنَّهُ يَنْبَغِي للطَّالِبِ الاهْتِمَامُ فِي نَفْيِ الآلهةِ البَاطِلةِ آفاقِيَّةً كَانَتْ أَوْ أَنْفُسِيَّةً وَإِثْبَاتُ المَعْبُودِ عَلى الحَقِّ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

أَيُّهَا السَّيِّدُ النَّقِيبُ يَنْبَغِي للطَّالِبِ الاهْتِمَامُ فِي نَفْيِ الألهة البَاطلة آفَاقِيَّةً كَانَتْ أَوْ أَنفسِيَّةً وَكُل مَا يَدْخُل فِي حَوْصَلَة الفَهْمِ وَحيطَة الوَهْمِ وَقْتَ إِثْبَاتِ المَعْبُودِ بالحَقِّ - جَل سُلطَانُهُ - يَنْبَغِي أَنْ يَدْخُلهُ تَحْتَ النَّفْيِ أَيْضًا وَأَنْ يُكْتَفَى بموجوديَّة المَطْلوب، (ع):

هُوَ المَوْجُودُ لاَ شَيْءَ سِوَاهُ

وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَسَاغٌ للوُجُود فِي ذَلكَ المَوْطِنِ أَيْضًا بَل يَنْبَغِي أَنْ يَطْلبَهُ مِنْ مَا وَرَاءَ الوُجُود وَلقَدْ أَحْسَنَ عُلمَاءُ أَهْل السُّنَّة شَكَرَ اللهُ سَعْيَهمْ فِي قَوْلهِمْ بزيَادَة وُجُود الوَاجب تَعَالى عَلى ذَاته سُبْحَانَهُ وَالقَوْل بعَيْنيَّة الوُجُود مَعَ الذَّات وَعَدَم إِثْبَات شَيْءٍ وَرَاءَ الوُجُود منْ قُصُور النَّظَر قَال الشَّيْخُ عَلاَءُ الدَّوْلة فَوْقَ عَالمِ الوُجُود عَالمُ المَلكِ الوَدُود وَلمَّا تَرَقَّى هَذَا الدَّرْويشُ منْ مَرْتَبَة الوُجُود كَانَ مَغْلوبُ الحَال أَوْقَاتًا وَوَجَدَ نَفْسَهُ عَلى وَجْه الذَّوْق وَالوجْدَان منْ أَرْبَاب التَّعْطيل وَلمْ يَحْكُمْ بوُجُود الوَاجب فَإِنَّهُ كَانَ تَرَكَ الوُجُودَ فِي الطَّريق وَلمْ يَجدْ للوُجُود مَجَالاً فِي مَرْتَبَة الذَّات وَكَانَ إِسْلاَمُهُ فِي ذَلكَ الوَقْت تَقْليديًّا لاَ تَحْقيقيًّا وَبالجُمْلة إِنَّ كُل مَا يَحْصُل فِي حَوْصَلة المُمْكنِ يَكُونُ مُمْكنًا بالطَّريق الأَوْلى فَسُبْحَانَ مَنْ لمْ يَجْعَل للخَلق إلى الله سَبيلاً إِلاَّ بالعَجْز عَنْ مَعْرفَته وَلاَ يَظُنَّنَّ أَحَدٌ منْ حُصُول الفَنَاء فِي الله وَالبَقَاء بالله إِنَّ المُمْكنَ يَصيرُ وَاجبًا حَاشَا منْ ذَلكَ فَإِنَّهُ مُحَال مُسْتَلزِمٌ لقَلب الحَقَائق فَإِذَا لمْ يَصر المُمْكنُ وَاجبًا لاَ يَكُونُ نَصيبُه غَيْرَ العَجْز شعْرٌ.

وَلاَ أَحَدَ يَصْطَادُ عَنْقَاءَ فَاطْرَحْ الفخَاخَ وَإِلاَّ دَامَ فِيكَ المَتَاعِبُ

وَعُلوُّ الهمَّة يَطْلبُ مَطْلبًا لاَ يَحْصُل منْهُ شَيْءٌ وَلاَ يَبْدُو منْهُ اسْمٌ وَلاَ رَسْمٌ وَطَائفَةٌ يَطْلبُونَ شَيْئًا يَجدُونَهُ عَيْنَهمْ وَيُثْبتُونَ لهُ قُرْبًا وَمَعيَّةً، (ع):

لكُل منَ الإِنْسَان شَأْنٌ يَخُصُّهُ

وَالسَّلاَمُ أَوَّلاً وَآخرًا.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالعِشْرُونَ وَالمِائَةُ
إلى الملا صَفر أَحْمَدَ الرُّومِيِّ
فِي بَيَانِ أَنَّ خِدْمَةَ الوَالِدَيْنِ ــ وَإِنْ كَانَتْ مِنَ الحَسَنَاتِ ــ وَلكِنَّهَا فِي جَنْبِ تَحْصِيلِ المَطْلَبِ الحَقِيقِيِّ لاَ شَيْءَ مَحْضٌ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

قَدْ وَصَلَ المَكْتُوبُ المَرْغُوبُ وَالعُذْرُ الذي ذَكَرْتَهُ فِي بَابِ التَّوَقُّفِ صَحِيحٌ يَنْبَغِي أَنْ تَفْعَلَ أَزْيَدَ مِمَّا وَقَعَ وَأَنْ تَعْتَقِدَ نَفْسَكَ مُقَصِّرًا قَالَ اللهُ تَعَالى {وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا} وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَيْضًا {أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ} وَيَنْبَغِي أَنْ تَعْتَقِدَ أَنَّ كُلَ ذَلِكَ فُضُول مَحْضٌ فِي جَنْبِ الوُصُولِ إلى المَطْلَبِ الحقيقيِّ بَل فِي جَنْبِ طَيِّ مَنَازِلِ السُّلُوكِ أَيْضًا تَعْطِيل صِرْفٌ وَقَدْ سَمِعْتُ أَنَّ حَسَنَاتِ الأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ المُقَرَّبِينَ. شِعْرٌ.

كُلمَا دُونَ هَوَى الحَقِّ وَلَوْ أَكْل قَنْد فَهُوَ سُمٌّ قَاتِل

وَحَقُّ اللهِ سُبْحَانَهُ مُقَدَّمٌ عَلى حُقُوقِ جَمِيعِ الخَلاَئِقِ فَإِنَّ أَدَاءَ حُقُوقِ الخَلائِقِ إِنَّمَا هُوَ لامْتِثَالِ أَمْرِه تَعَالى وَإِلاَّ لَمَنْ يَكُونُ مَجَال تَرْكِ خِدْمَته وَالاشْتِغَال بِخِدْمَةِ غَيْرِه فَخِدْمَةُ الخَلاَئِق بِهَذَا السَّبَبِ مِنْ جُمْلَةِ خِدْمَاتِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى وَلكِنَّ الفَرْقَ بَيْنَ خِدْمَة وَخِدْمَة كَثِيرٌ أَلاَ تَرَى أَنَّ أَرْبَابَ الحَرْث وَأَصْحَابَ الزَّرْعِ كُلهمْ فِي خِدْمَةِ السُّلطَانِ وَلكِنْ لاَ مُنَاسَبَةَ بَيْنَ خِدْمَتِهِمْ وَخِدْمَةِ المُقَرَّبِينَ حَتَّى إِنَّ إِجْرَاءَ اسْمِ الزِّرَاعَة وَالحِرَاثَة عَلى اللسَانِ هُنَاكَ مَعْصِيَةٌ وَأَجْرُ كُل أَمْرٍ عَلى مِقْدَارِ ذَلِكَ الأَمْرِ فَأَهْلُ الحِرَاثَة يَأْخُذُونَ دِرْهَمًا وَاحِدًا عَلى خِدْمَة يَوْم كَامِل مَعَ غَايَةِ المِحْنَة وَالمَشَقَّة وَالمُقَرَّبُونَ يَسْتَحِقُّونَ الأُلوفَ عَلى سَاعَة خِدْمَة الحُضُورِ وَمَعَ ذَلكَ لاَ تَعَلقَ لَهُمْ بِتِلكَ الأُلوفِ وَغَايَةُ مَرامِهِم إِنَّمَا هِيَ قُرْبُ السُّلطَانِ فَحَسْبُ شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا وَفَرْخ حُسَيْن مُوَفَّقٌ جِدًّا يَعْنِي لِلتَّرَقِّي وَالاجْتِهَادِ وَلْيَطْمَئِنَّ قَلْبُكَ مِنْ طَرَفِه مَاذَا أَكْتُبُ أَزْيَدَ مِنْ ذَلِكَ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالعِشْرُونَ وَالمِائَةُ
إلى الخواجهْ مُقيم
في التَّرْغيب في عُلوِّ الهمَّة وَعَدَمِ الاكْتفَاء بغَيْرِ المَطْلب الحَقيقيِّ

إنَّ الخواجهْ مُقيمَ لاَ يَنْسَى النَّائينَ المَهْجُورينَ بَل يَراهُمْ قَريبًا لاَ بَعيدًا المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ المَسْلكُ في غَايَة الطُّول وَالمَطْلبُ في كَمَال الرِّفْعَة وَالهمَمُ في نهَايَة النُّقْصَان وَالمَنَازل الوُسْطَانيَّةُ في شُبَه المَطْلب كَالسَّرَاب عياذا بالله سُبْحَانَهُ مَنْ ظَنَّ الوَسَطَ نهَايَةً وَغَيْرَ المَقْصد مَقْصدًا وَتَصَوَّرَ المثَاليَّ والكَيْفيَّ مُنَزَّهًا عَن المثَال وَالكَيْف وَالتَّوَقُّف منَ الوُصُول إلى المَطْلَب الحَقيقيِّ يَنْبَغي للعَاقل أَنْ يَكُونَ عَاليَ الهمَّة وَأَنْ لاَ يَقْنَعَ بكُل ما يحصُل وَيَتَيَسَّرُ وَأَنْ يَطْلبَ المَطْلوبَ ممَّا وَرَاءَ الوَرَاء وَحُصُول مثْل هَذه الهمَّة مَوْقُوفٌ عَلى تَوَجُّه الشَّيْخ المُقْتَدَى به وَتَوَجُّهُهُ إنَّمَا يَكُونُ عَلى قَدْر إخْلاَص المُريد المُقْتَدَى وَمَحَبَّته ذَلكَ فَضْل الله يُؤْتيه مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْل العَظيم.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالعِشْرُونَ وَالمائَةُ
إلى السَّيِّد نُظُم
في بَيَان أَنَّ جَامعيَّةَ الإنْسَان بَاعثَةٌ عَلى تَفْرِقَته
كَمَا أَنَّهَا سَبَبٌ لجَمْعيَّته كمَا أَنها سبب للمَحْبُوبينَ وَبَلاَءٌ للمَحْجُوبينَ

قَدْ وَصَل المَكْتُوبُ الشَّريفُ اعْلَمْ أَنَّ الإنْسَانَ أَجْمَعَ المَوْجُودَات وَلَهُ تَعَلقٌ وَارْتبَاطٌ بالمَوْجُودَات المُتكَثِّرَة بوَاسطَة كُل جُزْء منْ أجْزَائه فَكَانَتْ جَامعيَّته بَاعثَةً عَلى زيَادَة بُعْده منْ جنَاب قُدْس الحَقِّ - جَل سُلْطَانُهُ - عَلى بُعْد الكُل وتَعلقاته وَالمُتَعَدِّدَةُ كَانَتْ سَبَبًا لزيَادَة حرْمَانه عَلى حرْمَان مَا سوَاهُ فَإنْ جَمَعَ نَفْسَهُ منْ هَذه التَّعَلقات المُتَشَتِّتَة بتَوْفيق الله عَزَّ شَأْنُه وَرَجَعَ قَهْقَرَى فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظيمًا وَإلاَّ فَقَدَ ضَل ضَلالاً بَعيدًا فَكَمَا أَنَّ الإنْسَانَ أَفْضَل المَوْجُودَات بوَاسطَة الجَامعيَّة كَذَلكَ هُوَ شَرُّ المَخْلوقَات بوَاسطَة تلكَ الجَامعيَّة وَمرْآتُهُ أَتَمُّ بوَاسطَة تلكَ الجَامعيَّة فَإنْ جَعَل وَجْهَهَا نَحْوَ العَالم فَهيَ أَشَدُّ تَكَدُّرًا مَنْ كَل شَيْء وَإنْ وَجَّهَ وَجْهَهَا نَحْوَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ فَأَشَدُّ صَفَاءً وإراءةً منْ كُل شَيْء وَكَمَال حُرِّيَّة القَلب منْ هَذه التَّعَلقات منْ خَوَاصِّ مُحَمَّد رَسُول الله ــ صَلى اللهُ عَليْه وَسَلمَ ــ ثُمَّ بَقيَّة الأَنْبيَاء ثُمَّ الأَوْليَاء عَلى تَفَاوُت دَرَجَاتهمْ صَلوَاتُ الله وتسليماته عَلى نَبيِّنَا وَعَليْهمْ وَعَلى أَتْبَاعهمْ أَجْمَعينَ إلى يَوْم الدِّين رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإيَّاكُمْ النَّجَاةَ منْ هَذه التَّعَلقات بحُرْمَة النَّبيِّ المُصْطَفَى المَمْدُوح بقَوْله تَعَالَى (مَا زَاغَ البَصَرُ وَمَا طَغَى) عَليْه وَعَلى آله منَ الصَّلوَات أَتَمُّهَا وَمنَ التَّسْليمَات أَكْملهَا وَالزِّيَادَةُ عَلى ذَلكَ مُوجبَةٌ للمَلال وَالسَّلاَمُ وَالإكْرَامُ.

المَكْتُوبُ الثّلاثُونَ وَالمائَةُ
إلى جمَال الدِّين
في بَيَان أَنْ لاَ اعْتبَارَ بتلوينات الأَحْوَال
بَل يَنْبَغِي تَحْصِيل مَطْلَبٍ مُنزَّهٍ عَنِ الشُّبَهِ وَالمثَال

لَيْسَ لتلوينات الأَحْوَال كَثيرُ اعْتبَارٍ يَنْبَغِي عَدَمُ الالتفَات إلَيْهَا سَوَاءً كَانَ ذَهَابًا أَوْ مَجيئًا أَوْ تَكَلمًا أَوْ سَمَاعًا فَإنَّ المَقْصُودَ غَيْرُ ذَلكَ وَهُوَ مُبَرَّأٌ وَمُنَزَّهٌ عَنِ التَّكَلمِ وَالسَّمَاعِ وَالرُّؤْيَة وَالمَشْهُود وَإنَّمَا يُتَسَلى بجَوْز الحَال وموزه أَطْفَال الطَّرِيقَة يَنْبَغِي للعَاقل أَنْ يَكُونَ عَالِيَ الهمَّة فَإنَّ الأَمْرَ وَرَاءَ ذَلكَ وَكُل ذَلكَ مَنَامٌ وَخيَال وَمَنْ رَأَى نَفْسَه أَنَّهُ صَارَ سُلطَانًا فِي المَنَامِ لَيْسَ هُوَ فِي نَفْسِ الأَمْرِ كَذَلكَ وَلكنَّ هَذَا المَنَامَ يُورِثُ رَجَاءً وَطَمَعًا لصَاحبه لاَ اعْتبَارَ للوَقَائِعِ المناميَّة فِي الطَّرِيقَة النَّقْشَبَنْديَّة وَهَذَا البَيْتُ مَسْطُورٌ فِي كُتُبهِمُ العَليَّة. شعْرٌ.

وَإنِّي غُلامُ الشَّمْسِ أَرْوِي حَديثَهَا ... ومَالي وَلليْل فَأَرْوِي حَديثَهُ

فَإنْ حَصَلَ حَال منَ الأَحْوَال أَوْزَال فَليْسَ ذَلكَ بمَحَل للسُّرُور وَلاَ هَذَا بمُوجب للغَمِّ وَالانْفعَال بَل يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مُنْتَظرًا للمَقْصُود المُنَزَّه عَنِ الكَيْفِ وَالمثَال وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الحادي وَالثَّلاثُونَ وَالمائَةُ
إلى الخواجهْ مُحَمَّد أَشْرَفَ الكابلي
في بَيَان عُلوِّ شَأن طَرِيقَة حَضَرَات خواجكان قَدَّسَ اللهُ تَعَالي أَسْرَارَهُمْ وَالشِّكَايَةِ مِنْ جَمَاعَة أَحْدَثُوا فيهَا إحْداثات وَاعْتَقدُوهَا تَكْمِلةً لهَذه الطَّرِيقَة

الحَمْدُ لله رَبِّ العَالمينَ وَالصَّلاَةُ السَّلاَمُ عَلى سَيِّد المُرْسَلينَ وَآله الطَّاهرِينَ وَلْيَعْلَمَ أَخي الأَرْشَدُ الخواجهْ مُحَمَّدٌ أَشْرَفَ شَرَّفَه اللهُ سُبْحَانَهُ بتَشْريفَات أَوْلِيَائه الكرَام إنَّ طَرِيقَةَ حَضَرَات خواجكان قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ أَقْرَبُ الطُّرُق المُوَصِّلَة وَنهَايَةُ سَائر المَشَايخِ مُنْدَرجَةٌ في بدَايَة هَؤُلاَء الأَكَابرِ وَنسْبَتُهمْ فَوْقَ جَميعِ النِّسَب كُل ذَلكَ المَزَايَا لوُجُود التزام السُّنَّة السَّنِيَّة في هَذه الطَّرِيقَة العَلَيَّة وَالاجْتنَاب عَن البدْعَة الشَّنيعَة مَهْمَا أَمْكَنَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُجوِّزُونَ العَمَلَ بالرُّخْصَة وَإنْ وَجَدُوهَا نَافعَةً لأَمْرِ البَاطنِ في الظَّاهرِ وَلاَ يُفَارقُونَ العَمَلَ بالعَزِيمَة وَإنْ يَرَوْنَهَا مَضَرَّةً في السِّيَرَة بحَسَب الصُّورَة يَجْعَلونَ الأَحْوَال وَالمَوَاجيدَ تَابعَةً للأَحْكَام الشَّرْعيَّة وَيَعْتَقدُونَ أَنَّ الأَذْوَاقَ وَالمَعَارفَ خَادمَةٌ للعُلومِ الشَّرْعيَّة وَلاَ يُبَدِّلون جَوَاهرَ الشَّرِيعَة النَّفيسَةَ مثْل الأَطْفَال يُجَوِّزُ الوَجْدَ وَمَوْزَ الحَال وَلاَ يَغْتَرُّونَ بتُرَّهَات جَهَلَة الصُّوفيَّة وَلاَ يَفْتَتنُونَ بأَبَاطيلهِمْ وَلاَ يَتْرُكُونَ النُّصُوصَ بالفُصُوصِ وَلاَ يَلتَفتُونَ إلى الفُتُوحَات المَكِّيَّة تَارِكينَ للفُتُوحَات المَدَنيَّة حَالهمْ عَلى الدَّوَامِ وَوَقْتُهمْ مُسْتَمرٌّ وَمُسْتَدَامٌ وَالتَّجَلي الذَّاتيُّ البَرْقيُّ الذي هُوَ كَالبَرْق لغَيْرهِمْ دَائمٌ لهَؤُلاَء الأَكَابرِ وَالحُضُورُ الذي تَعْقُبُهُ الغَيْبَةُ سَاقطٌ عَنْ حَيِّز الاعْتبَار عنْدَ هَؤُلاَء الأَكَابر (رجَال لاَ تُلهيهمْ تجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذكْرِ الله) وَلكنْ لاَ يَصل فَهْمُ كُل أَحَد إلى مَذَاق هَؤُلاَء الأَكَابرِ بَل يَكَادُ يُنْكرُ قَاصرُوا هَذه الطَّرِيقَة عَلى بَعْض كمالاتهم. شعْرٌ.

لوْ عَابَهُمْ قَاصرٌ طَعْنًا بهمْ سَفَهًا بَرَّأْتُ سَاحَتَهُمْ عَنْ أَفْحَش الكَلم

نَعَمْ قَدْ أَحْدَثَ بَعْضُ مُتَأَخِّري هَذه الطَّرِيقَة إحداثات فيهَا وَضيعُ أَصْل سيرَة الأَكَابرِ وَزَعَمَ جَمْعٌ منْ مُرِيديه أَنَّهُمْ كَمَّلوا الطَّرِيقَةَ بتلكَ المُحْدَثَات حَاشَا وَكَلاَّ كَبُرَتْ كَلمَةً تَخرُجُ منْ أَفْوَاههِمْ بَل هُمْ سَعَوْا في تَخْرِيبهَا وَتَضْييعهَا يَا أَسَفَا كُل الأَسَفِ عَلى مَا أَحْدَثُوا في هَذه الطَّرِيقَة بَعْضَ بدَعٍ لاَ وُجُودَ لهُ في سَلاَسل

أُخرَ أَصْلاً حَيْثُ يُصَلونَ صَلاَةَ التَّهَجُّد بجَمَاعَة وَيَجْتَمعُ النَّاسُ منَ الأَطْرَاف وَالجَوَانب في ذَلكَ الوَقْت لصَلاَة التَّهَجُّد وَيُؤَدُّونَهَا بجَمْعيَّة تَامَّة وَهَذَا العَمَل مَكْرُوهٌ كَرَاهَةً تحريميَّةً وَالذينَ اشْتَرَطُوا التداعيَ لتَحقُّق الكَرَاهَة منَ الفُقَهَاء قَيَّدُوا جَوَازَ التَّنَفُّل بجَمَاعَة بأَدَائهَا في نَاحيَة المَسْجد وَاتَّفقُوا عَلى تَحقُّق الكَرَاهَة إنْ زَادُوا عَلى ثَلاَثَة وَأَيْضًا إنَّ هَؤُلاَء المُحْدَثينَ يَعْتَقدُونَ التَّهَجُّدَ بهَذَا الوَضْع ثَلاَثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً فَيُصَلُّونَ اثنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً قَائمينَ وَرَكْعَتَيْن قَاعدينَ زَاعمينَ أَنَّ لهُمَا حُكْمَ رَكْعَة وَاحدَة فَتَكُونُ بهَا ثَلاَثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً وَلَيْسَ الأَمْرُ كَمَا زَعَمُوا فَإنَّ نَبيَّنَا صَلى اللهُ عَلَيْه وَعَلَى آله وَسَلمَ كَانَ يُصَلي أَحْيَانًا ثَلاَثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً وَأَحْيَانًا إحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً وَأَحْيَانًا تسْعَ رَكَعَات وَأَحْيَانًا سَبْعًا وَالفَرْديَّةُ إنَّمَا عَرَضَتْ للتَّهَجُّد بصَلاَة الوَتْر لاَ إنَّهُ أَعْطَى لركعَتي القُعُود حُكْمَ رَكْعَة القيَام وَمَنْشَأُ أَمْثَال هَذَا العلم وَالعَمَل عَدَمُ تَتَبُّع السُّنَّة المُصْطَفَويَّة عَلى صَاحبهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ وَالعَجَبُ منْ رَوَاج أَمْثَال هَذه المُحْدَثَات في بلاَد العُلمَاء وَمَأْوَى المُجْتَهدينَ عَلَيْهمُ الرِّضْوَانُ مَعَ أَنَّ أَمْثَالنَا الفُقَرَاءَ يَسْتَفيضُونَ العُلومَ الإسْلاَميَّةَ منْ بَرَكَاتهمْ وَاللهُ سُبْحَانَهُ المُلهمُ للصَّوَاب. شعْرٌ.

بَثَثْتُ لدَيْكُمْ منْ هُمومي وَخفْتُ أَنْ ... تَملوا وَإلاَّ فَالكَلاَمُ كَثيِّر

وَالسَّلاَم.

المَكْتُوبُ الثَّانِي وَالثَّلاَثُونَ وَالمِائَةُ
إِلى الملا مُحَمَّد صِدِّيق البدخشي
فِي التَّحْذِيرِ عَنْ صُحْبَةِ أَرْبَابِ الغِنَى
وَالتَّرْغِيبِ فِي صُحْبَةِ الفُقَرَاءِ

رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قلوبَنَا بَعْد إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لنَا مِنْ لدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّك أَنْتَ الوَهَّابُ.

أَيُّهَا الأَخُ الظَّاهِرُ إِنَّك مَللتَ مِنْ صُحْبَة الفُقَرَاءِ وَاخْتَرْتَ صُحْبَةَ الأَغْنِيَاءِ وَلبِئْسَ مَا صَنَعْتَ فَإِنْ كَانَ عَيْنُك مُغْمضَةً اليَوْمَ سَتَنْكَشِفُ غَدًا فَلاَ تَرَى فَائِدَةً غَيْرَ النَّدَامَة، وَالشَّرْطُ الخَبَرُ أَيُّهَا المَهوسُ أَنَّ حَالك لاَ يَخْلو مِنْ أَحَد أَمْرَيْنِ إِمَّا أَنْ تَنَال الجَمْعِيَّةَ فِي مَجْلسِ الأَغْنِيَاء أَوْ لاَ فَإِنْ تَنَل فَشَرٌّ وَإِلاَّ فَأَشَدُّ شَرًّا فَإِنَّك إِنْ تَنلهَا فهِيَ اسْتِدْرَاجٌ عياذا بالله سُبْحَانَهُ مِنْ ذَلكَ وَإِنْ لَم تَنَل فَصَدَاقُ الحَال خَسرَ الدُّنْيَا وَالآخرَةَ كُنَاسَةُ الفُقَرَاء أَفْضَل مِنْ قُعُود الأَغْنِيَاء فِي الصَّدْرِ وَهَذَا الكَلاَمُ يَكُونُ مَعْقُولاً عِنْدَك اليَوْمَ أَوَّلاً وَأَمَّا فِي الآخرَة فَسَيَصِيرُ لك مَعْلومًا وَلكنَّهُ لاَ يُفِيدُ وَإِنَّمَا وَقْعُك فِي هَذَا البَلاَء اشْتِهَاءُ الأَطْعمَة اللذِيذَة وَالأَلبِسَة الفَاخِرَة وَلَمْ يَفُت الأَمْرُ الآنَ فَيَنْبَغِي التَّفَكُّرُ فِي أَصْل الأَمْرِ وَالقَرَارِ مِنْ كُل مَا يَكُونُ مَانعًا عَنِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَالحَذَر مِنْهُ مُعْتَقدًا بِأَنَّهُ عَدُوٌّ قَوْلهُ تَعَالَى (إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلاَدكُمْ عَدُوًّا لكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ) نَصٌّ قَاطِعٌ وَقَدْ اقْتَضَتْ رِعَايَةُ حُقُوق الصُّحْبَة أَنْ أَنْصَحَكَ مَرَّةً وَاحدَةً تَعْمَل بِهَا أَوْ لاَ وَقَدْ كُنْتُ عَرَفْتُ مِنْ أَوَّل الأَمْرِ حِينَ شَاهَدْتُ فُضُوليَّاتك أَنَّ الاِسْتِقَامَةَ عَلَى الفقْرِ عَسِيرَةٌ بِهَذَا الوَضْعِ. شعْرٌ.

قَدْ كَانَ مَا خفتَ أَنْ يَكُونَا * إِنَّا إِلى الله رَاجعُونَا**

{وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[1] وَالتزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى آله مِنَ الصَّلوَات أَتَمُّهَا وَمِنَ التسليمات أَكْملهَا وَقَدْ كُنْتُ مُتَوَقِّعًا مِنْ فطْرَتكَ وَاسْتِعْدَادك شَيْئًا آخرَ فَأَنْتَ رَميتَ الجَوْهَرَ النَّفِيسَ فِي السِّرْقِينِ إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْه رَاجعُونَ.

---

(١) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالثَّلاَثُونَ وَالمِائَةُ
إلى الملا مُحَمَّد صدِّيق أَيْضًا
في بَيَان اغْتِنَام الفُرْصَة
وَعَدَم تَضْيِيعِ الوَقْت

قَدْ وَصَلَ المَكْتُوبُ الذي أَرْسَلتَهُ يَنْبَغِي اغْتِنَامُ الفُرْصَة وَعَدَمُ تَضْيِيعِ الوَقْت وَلاَ يَحْصُل شَيْءٌ مِنَ الرُّسُومِ وَالعَادَات وَلاَ يَزِيدُ شَيْءٌ مِنَ التَّمَحُّل وَالتَّعَلل غَيْرَ الخَسَارَة وَقَدْ قَال المُخْبِرُ الصَّادِقُ عَلَيْهِ مِنَ الصَّلوَاتِ أَتَمُّها وَمِنَ التسليمات أَكْمَلهَا " هَلكَ المُسَوِّفُونَ "

وَصَرْفُ نَقْد العُمْرِ المُحقَّق المَوْجُود إلى الأَمْرِ المَوْهُوم وَحِفْظُ المَوْهُوم للمَوْجُود مُسْتَكْرَهٌ جدًّا فَإنَّ نَقْدَ الوَقْت يَنْبَغِي أَنْ يُصْرَفَ فِي الأَمْرِ الأَهَمِّ وَالنَّسْيَةُ تَسْتَدْعِي أَنْ تَدَّخرَ لِمَا لاَ يَعْنِي مِنَ المُزخرَفات رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ ذَرَّةً مِنْ لذَّة الطَّلب وَعَدَمَ القَرَارِ وَالسُّكُونَة حَتَّى تَتَيَسَّرَ النَّجَاةُ مِنَ السُّكُون إلى مَا سِوَاهُ تَعَالَي وَلاَ حَاصل فِي القيل وَالقَال وَإِنَّمَا المَطْلوبُ سَلاَمَةُ القَلبِ يَنْبَغِي الفِكْرُ فِي الأَصْل وَالإِعْرَاضُ عَمَّا لاَ يَعْنِي بالتَّمَام. شِعْرٌ.

كُل مَا دُونَ هَوَى الحَقِّ وَلوْ أَكل قَنْدٍ فَهُوَ سُمٌّ قَاتِل

{وَمَا عَلى الرَّسُول إلاَّ البَلاَغُ}(١).

---

(١) ـــ الآية: ٩٩ من سورة المائدة.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالثَّلاَثُونَ وَالمِائَةُ
إلى الملا مُحَمَّد صدِّيق أيْضًا
فِي المَنْعِ عَنِ التَّسْوِيف

رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عروجات غَيْرَ مُتَنَاهِيَة في مَدَارِجِ قُرْبه بحُرْمَة سَيِّد المُرْسَلينَ - عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْليماتُ - أَيُّهَا المُحبُّ إنَّ الوَقْتَ سَيْفٌ قَاطِعٌ وَلاَ يُدْرَى أَنَّهُ هَل تُعْطَى الفُرْصَةُ غَدًا أَوْ لاَ فَيَنْبَغي تَقْديمُ الأَهَمِّ في هَذَا اليَوْمِ وَتَأْخيرُ غَيْرِ الأَهَمِّ إلى غَد وَهَذَا حُكْمُ العَقْل وَمُقْتَضَاهُ وَلاَ أُريدُ بالعَقْل عَقْل المَعَاشِ بَل عَقْل المَعَاد وَمَاذَا أَكْتُبُ أَزْيَدَ مِنْ ذَلكَ.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالثَّلاثُونَ وَالمائَةُ
إلى المُخلص الصِّدِّيق مُحَمَّد صدِّيق
فِي بَيَانِ مَرَاتِبِ الوِلاَيَةِ عَامَّةً كَانَتْ أَوْ خَاصَّةً
مَعَ بَعْضِ خَوَاصِّ الخَاصَّةِ

اعْلَمْ أَنَّ الوِلاَيَةَ عِبَارَةٌ عَنِ الفَنَاءِ وَالبَقَاءِ وَهِيَ إِمَّا عَامَّةٌ وَإِمَّا خَاصَّةٌ وَتُعْنَى بالعَامَّة مُطْلَقَ الوِلاَيَةِ وَبِالخَاصَّةِ الوِلاَيَةَ المُحَمَّدِيَّةَ عَلَى صَاحِبِهَا أَفْضَلَ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ وَالتَّحِيَّةِ،

الفَنَاءُ فِيهَا أَتَمُّ وَالبَقَاءُ أَكْمَل وَمَنْ شَرُفَ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ العُظْمَى فَقَدْ لاَنَ جلدُهُ للطَّاعَةِ وَانْشَرَحَ صَدْرُهُ لِلإِسْلاَمِ وَاطْمَأَنَّتْ نَفْسُهُ فَرَضِيَتْ عَنْ مَوْلاَهَا وَرَضِيَ مَوْلاَهَا عَنْهَا وَسَلِمَ قَلْبُهُ لِمُقَلِّبِيهِ وَتَخلصَتْ رُوحُهُ كُلِّيَّةً إِلى مُكَاشَفَاتِ حَضْرَةِ صِفَاتِ اللاَّهُوتِ وَشَاهَدَ سِرُّهُ مَعَ مُلاَحَظَةِ الشئونِ وَالاعْتِبَارَاتِ وَفِي هَذَا المَقَامِ شَرَفٌ بِالتَّجلِيَاتِ الذَّاتِيَّةِ البَرْقِيَّةِ وَتَحَيَّرٌ خَفِيَّةٌ لِكَامِلِ التَّنَزُّهِ وَالتَّقَدُّسِ وَالكِبْرِيَاءِ، وَاتَّصَلَ أَخْفَاهُ اتِّصَالاً بِلاَ تَكَيُّفٍ وَضَرْبٍ مِنَ المِثَالِ هَذَا (ع):

هَنِيئًا لأَرْبَابِ النَّعِيمِ نَعِيمُهَا

وَممَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ الوِلاَيَةَ الخَاصَّةَ المُحَمَّدِيَّةَ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ مُتَمَيِّزَةٌ عَنْ سَائِرِ مَرَاتِبِ الوِلاَيَةِ فِي طَرَفِ العُرُوجِ وَالنُّزُول أَمَّا فِي طَرَفِ العُرُوجِ فَلأَنَ فَنَاءَ الأَخْفَى وَبَقَاءَهُ مُخْتَصَّانِ بِتِلْكَ الوِلاَيَةِ الخَاصَّةِ وَعُرُوجَ سَائِرِ الوِلاَيَاتِ إِلى الخَفَى فقطْ مَعَ تَفَاوُتِ دَرَجَاتِهَا يَعْنِي أَنَّ عُرُوجَ بَعْضِ أَرْبَابِ الوِلاَيَاتِ إِلى مَقَامِ الرُّوحِ وَعُرُوجَ البَعْضِ إِلى السِّرِّ وَعُرُوجَ البَعْضِ الآخَرِ إِلى الخَفَى وَهُوَ أَقْصَى دَرَجَاتِ الوِلاَيَةِ العَامَّةِ وَأَمَّا فِي طَرَفِ النُّزُول فَلأَنَّ لأَجْسَادِ الأَوْلِيَاءِ المُحَمَّدِيَّةِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ نَصِيبًا مِنْ كَمَالاتِ دَرَجَاتِ تِلْكَ الوِلاَيَةِ لَمَا أَنَّهُ ــ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ــ أُسْرَى بِهِ لَيْلَةَ المِعْرَاجِ بِالجَسَدِ إِلى مَا شَاءَ اللهُ وَعَرَضَ عَلَيْهِ الجَنَّةَ وَالنَّارَ وَأَوْحَى إِلَيْهِ مَا أَوْحَى وَشَرُفَ ثَمَّةَ بِالرُّؤْيَةِ البَصَرِيَّةِ وَهَذَا القِسْمُ مِنَ المِعْرَاجِ مَخْصُوصٌ بِهِ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَالأَوْلِيَاءُ المُتَابِعُونَ لَهُ كَمَالَ المُتَابَعَةِ السَّالِكُونَ تَحْتَ قَدَمِهِ لَهُمْ أَيْضًا نَصِيبٌ مِنْ هَذِهِ المَرْتَبَةِ المَخْصُوصَةِ، (ع):

وَللأَرْضِ مِنْ كَأْسِ الكِرَام نَصِيبٌ

غَايَةُ مَا فِي البَاب أَنَّ وُقُوعَ الرُّؤْيَة فِي الدُّنْيَا مَخْصُوصٌ به - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَالحَالةُ التي حَصَلتْ للأَوْلِيَاء الذينَ تَحْتَ قَدَمه لَيْسَتْ برُؤْيَة وَالفَرْقُ بَيْنَ الرُّؤْيَة وَتلكَ الحَالة كَالفَرْق بَيْنَ الأَصْل وَالفَرْعِ وَالشَّخْصِ وَالظِّل وَلَيْسَ أَحَدُهمَا عَيْنَ الآخَرِ.

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالثَّلاَثُونَ وَالمِائَةُ
إِلَى المُلا مُحَمَّد صِدِّيق أَيْضًا
فِي المَنْعِ عَنِ التَّسْوِيفِ وَالتَّأْخِيرِ
فِي تَحْصِيلِ المَطْلُوبِ الحَقِيقِيِّ

وَصَلَ المَكْتُوبُ المَرْغُوبُ وَحَيْثُ إِنَّ القَاصِدَ وَصَلَ فِي أَوَاخِرِ العَشْرِ المُتَبَرَّك كُنْتُ بَعْدَ مُضِيِّه مَشْغُولاً بِكِتَابَة جَوَابَات المَكَاتِيبِ وَقَدْ كَتَبَ جَوَابَ مَكْتُوب خَان خَانَان وَمَكْتُوبَ الخواجهْ عَبْد الله أَيْضًا وَأَرْسَلاَ إِلَيْهِمَا يَنْبَغِي مُطَالَعَتُهمَا بِالمُلاَحَظَة وَذَهَابُك إِلَى العَسْكَرِ فِي هَذه النَّوْبَة لَيْسَ بِمَعْقُول للفَقِير وَمَا الحِكْمَةُ فيه وَالأَمْرُ عِنْدَ الله سُبْحَانَهُ يَنْبَغِي المُلاَحَظَةُ فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَدْ أَعْطَاكَ قُوتَ اليَوْمِ مِنْ كَمَال كَرَمه فَاللاَّئِقُ بك التَّفَكُّرُ فِي أَمْرِك مُغْتَنِمًا ذَلِكَ دُونَ أَنْ تَجْعَلَهُ وَسِيلَةً إِلَى تَحْصِيل قُوت يَوْمٍ آخَرَ فَإِنَّ الأَمْرَ يَنْجَرُّ حِينَئِذٍ إِلَى التَّسَلْسُل وَطُول الأَمَل كُفْرٌ فِي طَرِيقِ الفَقْرِ وَالتَّخَلصُ مِنْ مُعَامَلَة القَرْضِ لاَ يُدْرَى أَنَّهُ يَحْصُلُ مِنْ طَرَف خواجكى أَوْ لاَ فَإِنْ كَانَ فِيه اشْتِبَاهٌ فَاكْتُبْ إِلَى خواجكى كِتَابًا مُنَقَّحًا صَرِيحًا فَإِنْ كَتَبَ فِي جَوَابه مُنَقَّحًا وَفُهِمَ مِنْهُ الوَعْدُ المُؤَكَّدُ فَاذْهَبْ بِهَذه النِّيَّة وَلَكنْ مَاذَا يَكُونُ عِلاَجُ التَّسويف وَالتَّأْخِيرِ وَكُل شَيْءٍ تَخْتَارُهُ وَتَفْعَلُهُ يَنْبَغِي لَك أَنْ تَسْتَعْجِل فيه فَإِنَّ الفُرْصَةَ غَنِيمَةٌ جدًّا.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالثَّلاَثُونَ وَالمائَةُ
إلى الحَاجِّ خَضِرِ الأَفْغَانِيِّ
فِي بَيَانِ عُلوِّ شَأْنِ الصَّلاَة المَنُوط كَمَالُهَا بالوُصُول إلى نِهَايَةِ النِّهَايَةِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

وَصَلَ المَكْتُوبُ المَرْغُوبُ وَاتَّضَحَ مَا فيه اعْلَمْ أَنَّ الالتذَاذَ بالعبَادَة وَارْتفَاعِ الكُلفَة فِي أَدَائهَا منْ أَجَل نعَمِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى خُصُوصًا فِي أَدَاءِ الصَّلاَة فَإِنَّهُ لاَ يَتَيَسَّرُ فيهَا لغَيْرِ المُنْتهي خُصُوصًا فِي أَدَاءِ الصَّلوَات الفَرْضيَّة فَإِنَّ الابْتدَاءَ لاَ التذَاذَ فيه إلاَّ بالنَّوَافل وَأَمَّا فِي النِّهَايَة فَتَكُونُ تلكَ النِّسْبَةُ مَنُوطَةً بالفَرَائض وَيُرَى فيهَا الاشْتغَال بالنَّوَافل تَعْطيلاً وَالأَمْرُ العَظيم للمُنْتَهَى هُوَ أَدَاءُ الفَرَائض فَقَطْ، (ع):

وَهَذى سعَادَاتٌ تَكُونُ نَصيبُ مَنْ

وَيَنْبَغي أَنْ يُعْلمَ أَنَّ الالتذَاذَ الذي يَحْصُل حينَ أَدَاءِ الصَّلاَة لاَ حَظَّ للنَّفسِ فيه أَصْلاً بَل هِيَ عَيْنُ ذَلكَ الالتذَاذ فِي البُكَاءِ وَالحُزْن سُبْحَانَ الله أَيُّ رُتْبَة هَذَا، (ع):

هَنيئًا لأَرْبَاب النَّعيم نَعيمُهَا

وَالتَّكَلمُ بمثْل هَذَا الكَلاَمِ وَسَمَاعُنَا إِيَّاهُ أَيْضًا غَنيمَةٌ لأَمْثَالنَا المَهْوُسينَ، (ع):

دَعَوْنَا نُسَلي بالأَمَانيِّ قُلوبُنَا

وَاعْلمْ أَيْضًا: أَنَّ رُتْبَةَ الصَّلاَة مثْل رُتْبَة الرُّؤْيَة فِي الآخرَة فَنهَايَةُ القُرْب فِي الدُّنْيَا إِنَّمَا هيَ فِي الصَّلاَة وَنهَايَةُ القُرْب فِي الآخرَة فِي عَيْنِ الرُّؤْيَة وَأَيْضًا إنَّ سَائرَ العبَادَات وَسَائل للصَّلاَة وَالصَّلاَةُ منَ المَقَاصد وَالسَّلاَمُ وَالإِكْرَامُ.

المَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالثَّلاَثُونَ وَالمائَةُ
إلى الشَّيْخ بَهَاءِ الدِّينِ السرهندي
فِي مَذَمَّةِ الدُّنْيَا وَالتَّحْذِيرِ مِنْ صُحْبَةِ أَرْبَابِهَا

لاَ يُكَوِّنَنَّ وَلدُ الأَرْشَد مَغْرُورًا وَمَسْرُورًا بهَذه الدَّنيَّة المَبْغُوض عَلَيْهَا وَلاَ يُضَيِّعَنَّ بضَاعَةَ الإقْبَال إلى جَنَاب قُدْس الحَقِّ - جَل سُلطَانُهُ - يَنْبَغي التَّفكُّرُ أَيُّ شَيْءِ يُبَاعُ وَأَيُّ شَيْءٍ يُشْتَرَى تَبْديل الآخرَة بالدُّنْيَا وَالامْتنَاعُ منْ طَلب الحَقِّ بالخَلق منَ السَّفَاهَة وَالجَهَالة وَالجَمْعُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالآخرَة منْ قَبيل الجَمْع بَيْنَ الأَضْدَاد، (ع):

مَا أَحْسَنَ الدِّينَ وَالدُّنْيَا لوْ اجْتَمعَا

فَاخْتَرْ أَيًّا شئْتَ منْ هَذَيْن الضِّدَّيْن وَبعْ نَفْسَك منْ أَيِّهمَا شئْتَ، عَذَابُ الآخرَة أَبَديٌّ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَليل وَالدُّنْيَا مَبْغُوضٌ عَلَيْهَا عنْدَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَالآخرَةُ مَرْضيَّةٌ لهُ تَعَالى وَتَقَدَّسَ. شعْرٌ.

عشْ مَا شئْتَ فَإنَّك مَيِّت وَالزَمْ مَا شئْتَ فَإنَّك مُفَارقٌ

وَلاَ بُدَّ منْ تَرْك العيَال وَالأَوْلاَد أَخيرًا وَتَفْويضهمْ إلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ فَيَنْبَغي لك أَنْ تَحْسبَ نَفْسَك اليَوْمَ مَيِّتًا وَأَنْ نُفَوِّضَهُمْ إلى الله تَعَالى إنَّ منْ أَزْوَاجكُمْ وَأَوْلاَدكُمْ عَدُوًّا لكُمْ نَصٌّ قَاطعٌ وَقَدْ سَمعْتُ مُكَرَّرًا أَنَّ نَوْمَ الأَرْنَب يَعْني الغَفْلة وَالغُرُورَ إلى مَتَى يَمْتَدُّ فَلاَ بُدَّ منَ التَّنَبُّه وَالتَّيَقُّظ وَاعْلمْ أَنَّ صُحْبَةَ أَهْل الدُّنْيَا وَالاخْتلاَطَ بهمْ سُمٌّ قَاتل وَقَتيل هَذَا السَّمِّ مَيِّتٌ بالمَوْت الأبديِّ العَاقل تكْفيه الإشَارَةُ فَكَيْفَ التَّصْريحُ مَعَ هَذه المُبَالغَة وَالتَّأْكيد وَطَعَامُ المُلوك وَإنْ كَانَ لذيذًا لكنَّهُ يَزيدُ مَرَضَ القَلب فَكَيْفَ يُرْجَى الفَلاَحُ وَالنَّجَاةُ الحَذَرَ الحَذَرَ الحَذَر. شعْرٌ.

وَمَا هُوَ منْ شَرْط البَلاَغ أَقُولهُ فَخُذْ منْهُ نُصْحًا خَالصًا أَوْ مَلاَلةً

فرَّ مَنْ صُحْبَتهمْ أَكْثَرَ ممَّا تَفرُّ منَ الأَسَد فَإنَّ الفرَارَ منْهُمْ وَإنْ أَوْجَبَ المَوْتَ الدنيويَّ وَلكنَّهُ قَدْ يُفيدُ في الآخرَة وَاخْتلاَطُ المُلوك يُوجبُ الهَلاَكَ الأبديَّ وَالخَسَارَ السرمديَّ فَإيَّاكَ وَصُحْبَتَهُمْ وَإيَّاكَ وَلقْمَتَهُمْ وَإيَّاكَ وَمَحَبَّتَهُمْ وَإيَّاكَ وَرُؤْيَتَهُمْ وَقَدْ وَرَدَ في الخَبَر الصَّحيح " مَنْ تَوَاضَعَ لغَنيٍّ لغنَاهُ ذَهَبَ ثُلثَا دينه "

يَنْبَغي لك المُلاَحَظَةُ أَنَّ كُل ذَلكَ التَّوَاضُع وَالمُلاَينَة هَل هُوَ منْ جهَة غنَاهُمْ أَوْ منْ جهَة شَيْءٍ آخَرَ وَلاَ شَكَّ في أَنَّهُ منْ جهَة غنَاهُمْ وَنَتيجَتُه ذَهَابُ ثُلثَيْ الدِّينِ

فَأَيْنَ أَنْتَ مِنَ الإِسْلاَمِ وَأَيْنَ أَنْتَ مِنَ النَّجَاة وَكُل هَذه المُبَالغَة وَالإِبْرَامِ لِيَعْلَمَ وَلدي أَنَّ لقْمَةَ غَيْرِ الجنْسِ وَصُحْبَتَهمْ مُحَجِّبٌ قَلبَهُ عَنْ تَذَكُّرِ المَوَاعظِ وَتَعَقُّل النَّصَائِحِ فَلاَ يَكَادُ يَتَأَثَّرُ مِنَ الكَلمَة وَالكَلاَمِ فَالحَذَرَ الحَذرَ منْ صُحْبَتهمْ وَالحَذَرَ الحَذَرَ منْ رُؤْيَتهمْ وَاللهُ سُبْحَانَهُ المُوَفِّقُ نَجَّانَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ عَمَّا لاَ يَرْضَى عَنْهُ رَبُّنَا المُتَعَالِي بحُرْمَة سَيِّد البَشَرِ المَمْدُوحِ بِمَا زَاغَ البَصَرُ - عَلَيْه وَعَلى آله منَ الصَّلوَات أَفْضَلهَا وَمنَ التَّسْليمات أَكْمَلهَا - وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالثَّلاثُونَ وَالمِائَةُ
إلى جَعْفَرِ بك التهاني
في بَيَانِ جَوَازِ هَجْوِ جَمَاعَةِ السُّفَهَاءِ الذينَ يَطْعَنُونَ في أَهْلِ اللهِ وَفِي اسْتِحْسَانِ ذَمِّهِمْ

قَدْ شَرَّفَ المَكْتُوبُ الشَّرِيفُ بِوُرُوده سَلمَكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى حَيْثُ تَتَفَقَّدُونَ أَحْوَالَ الفُقَرَاءِ وَتَعْتَقِدُونَ أَنَّ الحُضُورَ وَالغَيْبَةَ سِيَّان أَيُّهَا المَخْدُومُ إِنَّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ لَمَّا بَالغُوا فِي هجْوِ أَهْلِ الإِسْلاَمِ وَسَبِّهِمْ مِنْ غَايَة خذْلاَنهمْ وَكَمَال حرْمَانهمْ عَنِ السَّعَادَة أَمَرَ النَّبيُّ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بَعْضَ الشُّعَرَاء الإِسْلاَمِيَّة بِهَجْوِ الكُفَّارِ الأَشْرَارِ فَكَانَ الشَّاعِرُ المَأْمُورُ يَصْعَدُ المنْبَرَ فِي حُضُور النَّبِيِّ - عَلَيْه وَعَلى آله منَ الصَّلوَات أَفْضَلهَا وَمنَ التَّسْليمات أَكْمَلهَا - وَيَهْجُو الكُفَّارَ فِي مَلاَء بِإِنْشَاد الأَشْعَارِ وَكَانَ النَّبيُّ ــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ــ يَقُول " إِنَّ رُوحَ القُدُسِ مَعَهُ مَا دَامَ يَهْجُو الكُفَّارَ "

وَاعْلَمْ أَنَّ المَلاَمَةَ وَإِيذَاءَ الخَلق مِنْ مُغْتَنَمَات أَرْبَاب العشْقِ اللهُمَّ اجْعَلنَا مِنْهُمْ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ المُرْسَلينَ - عَلَيْهِ وَعَلى آله الصَّلوَاتُ والتَّسْليماتُ.

المَكْتُوبُ الأَرْبَعُونَ وَالمِائَةُ
إلى الملا مُحَمَّد مَعْصُوم الكابلي
فِي بَيَانِ أَنَّ الأَلَمَ وَالمِحْنَةَ مِنْ لوَازِمِ المَحَبَّة

أَيُّهَا المُحبُّ إنَّ الأَلَمَ وَالمِحْنَةَ مِنْ لوَازِمِ المَحَبَّةِ وَلاَ بُدَّ مِنَ الأَلَمِ وَالغَمِّ لِمَنِ اخْتَارَ الفَقْرَ شِعْرٌ.

أَلاَ إنَّ قَصْدِي مِنْ هَوَاكَ التَّأَلُّمُ وَإلاَّ فَأَسْبَابُ التَّنَعُّمِ وَافِرَةٌ

وَالمَحْبُوبُ يُرِيدُ وَلَهُ المُحبُّ بِهِ وَعَدَمُ سُكُونِهِ إلى مَنْ سِوَاهُ لِيَحْصُلَ الانْقِطَاعُ عَنْ غَيْرِهِ بِالكُلِّيَّةِ وَالاطْمِئْنَانُ هُنَا فِي عَدَمِ الاطْمِئْنَانِ وَاللذَّةُ فِي الحُرْقَةِ وَالقَرَارُ فِي عَدَمِ القَرَارِ وَالرَّاحَةُ فِي الجِرَاحَةِ وَطَلَبُ الفَرَاغَةِ فِي هَذَا المَقَامِ إلقَاءُ نَفْسِكَ إلى الفِتْنَةِ يَنْبَغِي تَفْوِيضُ نَفْسِكَ إلى المَحْبُوبِ بِالتَّمَامِ وَأَنْ يَرْضَى بِكُلِّ ما يَجِيءُ مِنْهُ وَأَنْ يَقْبَلَهُ مِنْ غَيْرِ إعْرَاضٍ وَاعْتِرَاضٍ وَهَذَا الوَضْعُ هُوَ طَرِيقُ المَعِيشَةِ وَعَلَيْكَ بِالاجْتِهَادِ فِي تَحْصِيلِ الاسْتِقَامَةِ بِقَدْرِ الوُسْعِ وَالطَّاقَةِ وَإلاَّ فَالفُتُورُ فِي القَفَا وَقَدْ كَانَ اشْتِغَالُكَ جَيِّدًا وَلَكِنَّهَا ضَعُفَتْ قَبْلَ حُصُولِ القُوَّةِ وَلَكِنْ لاَ بَأْسَ فِيهِ وَلاَ هُوَ مِمَّا يُغْتَمُّ بِهِ فَإنَّكَ لوْ تَشَبَّثْتَ بِأَسْبَابِ الجَمْعِيَّةِ مِنْ هَذِهِ التَّرَدُّدَاتِ يَكُونُ أَحْسَنَ مِنَ الأَوَّلِ يَنْبَغِي لكَ أَنْ تَعْتَقِدَ أَنَّ أَسْبَابَ هَذِهِ التَّفْرِقَةِ هِيَ عَيْنُ أَسْبَابِ الجَمْعِيَّةِ حَتَّى تَقْدِرَ أَنْ تَعْمَلَ شَيْئًا وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الحادِي وَالأَرْبَعُونَ وَالمِائَةُ
إلى الملا مُحَمَّد قلي
فِي بَيَانِ أَنَّ العُمْدَةَ فِي هَذَا الأَمْرِ المَحَبَّةُ وَالإِخْلاَصُ

أَنْعَمَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ بالتَّرَقِّيَات بحُرْمَة سَيِّد المُرْسَلِينَ - عَلَيْهِ وَعَلَى آله الصَّلوَاتُ والتَّسْليماتُ - أَيُّهَا المُحبُّ إِنَّكَ لاَ تَكْتُبُ مِنْ أَحْوَال القَلْب شَيْئًا فِي بَعْضِ الأَحْيَان حَتَّى نَطَّلعَ عَلى كَيْفيَّته وَلاَ بُدَّ لك منْ كتَابَة شَيْء منْ هَذَا البَاب أَيْضًا البَتَّةَ فَإِنَّهُ مُوجبٌ للتَّوَجُّه الغائبيِّ وَعُمْدَةُ هَذَا الأَمْر هيَ المَحَبَّةُ وَالإِخْلاَصُ وَلاَ غَمَّ إِنْ لَمْ يُفْهَم التَّرَقِّي فَإِنَّهُ إِذَا بَقِيَتْ الاسْتِقَامَةُ عَلى الإِخْلاَصِ تَيَسَّرَ أُمُورُ سِنِينَ فِي سَاعَات وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّاني وَالأَرْبَعُونَ وَالمائَةُ
إلى الملا عَبْد الغَفُور السمرقَنْديِّ
في بَيَانِ اسْتِكْثَارِ قَليل مِنْ نِسْبَة الأَكَابِرِ

وَصَل المَكْتُوبُ الشَّريفُ الذي أَرْسَلتَهُ عَلى وَجْه الالتفَات يَنْبَغي أَنْ يَعُدَّ مَحبَّةَ الفُقَرَاء منْ أَجَل نعَم الله تَعَالى والمسئول منَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَالمَرْجُوُّ منْهُ تَعَالى الاسْتقَامَةُ عَلَيْه وَوَصَلَتْ الهَديَّةُ المُرْسَلةُ إلى الفُقَرَاء أَيْضًا وَقَرَأَ فَاتحَةَ السَّلاَمَة وَالطَّريقَة التي أَخَذْتَهَا وَوَصَلتْ منْهَا نسْبَةٌ كَثيرَةٌ لمْ يُذْكَرْ شَيْءٌ منْ هَذه المَقُولة مَعَاذَ الله منْ تَطَرُّق الفُتُور إلَيْهَا. شعْرٌ.

خَيَالهُ طَرْفَةَ العَيْنِ لدَى نَظَري ... قَدْ فَاقَ وَصْلَ الغَواني مُدَّةَ العُمْرِ

فَإنْ حَصَل شَيْءٌ منْ نسْبَة هَؤُلاَء الأَكَابر يَنْبَغي أَنْ تَسْتَكْثرَهُ فَإنَّهُ لَيْسَ بقَليل لأَنَّ نهَايَةَ الآخَرينَ مُنْدَرجَةٌ في بدَايَتهمْ، (ع):

وَقسْ منْ حَال بُستاني رَبيعي

وَلكنْ يَنْبَغي أَنْ لاَ تَغْتَمَّ منْ هَذَا الفُتُور إذَا كَانَتْ مَحبَّةُ حَمَلة هَذه النِّسْبَة قَويَّةً وَقَدْ أَرْسَل الثَّوْبَ الذي كَانَ مَلبُوسًا مُكَرَّرًا فالبَسْهُ أَحْيَانًا وَاحْفَظْهُ بكَمَال الأَدَب فَإنَّهُ يُتَوقَّعُ منْهُ فَوَائدُ كَثيرَةٌ وَكُلمَا تَلبَسُهُ تَلبَسُه عَلى الوُضُوء وَتَشْتَغل بتَكْرَار الذِّكْر فَعَسَى أَنْ تَحْصُل الجَمْعيَّةُ التَّامَّةُ وَكُلمَا كَتَبْتَ شَيْئًا يَنْبَغي لك أَنْ تَكْتُبَ أَوَّلاً منْ أَحْوَال بَاطنكَ فَإنَّ أَحْوَال الظَّاهر بدُون أَحْوَال البَاطن سَاقطَةٌ عَنْ حَيِّز الاعْتبَار، (ع):

وَأَحْسَنُ مَا يُملَى حَديثُ الأَحبَّة

ثَبَّتَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإيَّاكُمْ عَلى مُتَابَعَة سَيِّد البَشَر المُطَهَّر عَنْ زَيْغ البَصَر عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ظَاهرًا وَبَاطنًا، (ع):

هَذَا هُوَ الأمرُ والبَاقي منَ العَبَث

المَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالأَرْبَعُونَ وَالمِائَةُ
إِلى المُلاَ شَمْسِ الدِّين
فِي بَيَانِ اغْتِنَامِ مَوْسِمِ الشَّبَاب
وَعَدَمِ صَرْفِهِ إِلى مَا لاَ يَعْنِي مِنَ اللهْوِ وَاللعِب

كَانَ مُحِبُّ الفُقَرَاءِ مَوْلاَنَا شَمْسُ الدِّينِ مُوَفَّقًا وَمُغْتَنِمًا لِمَوْسِمِ الشَّبَاب مُمْتَنِعًا مِنْ صَرْفِهِ فِي اللهْوِ وَاللعِبِ وَتَعْوِيضِهِ بِالجَوْزِ وَالمَوْزِ وَإِلاَّ لاَ يَحْصُلُ شَيْءٌ أَخِيرًا غَيْرَ النَّدَامَةِ وَالتَّأَسُّفِ وَلاَ يُجْدِي شَيْئًا وَالشَّرْطُ الإِخْبَارُ وَيَنْبَغِي أَدَاءُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ بِالجَمَاعَةِ وَتَمْيِيزُ الحَلالِ مِنَ الحَرَامِ وَطَرِيقُ النَّجَاةِ الأُخْرَوِيَّةِ هُوَ مُتَابَعَةُ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ - عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ - وَيَنْبَغِي أَنْ لاَ تَكُونَ التلذُّذَاتُ الفَانِيَةُ والتنعماتُ الهَالِكَةُ مَنْظُورًا إِلَيْهَا وَاللهُ سُبْحَانَهُ المُوَفِّقُ للخَيْرَات.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالأَرْبَعُونَ وَالمِائَةُ
إلى الحَافِظ مَحْمُود اللاهوري
فِي بَيَانِ مَعْنَى السَّيْرِ وَالسُّلوك
وَبَيَانِ السَّيْرِ إلى اللهِ وَالسَّيْرِ فِي اللهِ وَالسَّيْرَيْنِ الآخَرَيْنِ

رَزَقَكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ تَرْقِيَاتٍ غَيْرَ مُتَنَاهِيَةٍ فِي مَدَارِجِ الكَمَالاتِ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ البَشَرِ المُطَهَّرِ عَنْ زَيْغِ البَصَرِ - عَلَيْهِ وَعَلَى آله الصَّلَوَاتُ والتَّسْلِيماتُ -، (ع):

وَأَحْسَنُ مَا يُمَلَى حَدِيثُ الأَحِبَّة

اعْلَمْ أَنَّ: السَّيْرَ وَالسُّلوكَ عِبَارَةٌ عَنِ الحَرَكَةِ العِلميَّةِ التي هِيَ مِنْ مَقُولَةِ الكَيْفِ وَلاَ مَجَال هُنَا للحَرَكَةِ الأينيَّةِ فَالسَّيْرُ إلى اللهِ عِبَارَةٌ عَنِ الحَرَكَةِ العِلميَّةِ ذَاهِبًا مِنَ العِلمِ الأَدْنَى إلى العِلمِ الأَعْلَى وَمِنْ هَذَا إِلَى أَعْلَى آخَرَ وَهَكَذَا إلى أَنْ تَنْتَهِيَ إِلى عِلمِ الوَاجِبِ تَعَالَى بَعْدَ طَيِّ عُلومِ المُمْكِنَاتِ كُلِهَا وَزَوَالِهَا بِأَسْرِهَا وَهَذِهِ الحَالَةُ هِيَ المُعَبَّرُ عَنْهَا بِالفَنَاءِ.

وَالسَّيْرُ فِي اللهِ عِبَارَةٌ عَنِ الحَرَكَةِ العِلميَّةِ فِي مَرَاتِبِ الوُجُوبِ مِنَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ والشئونِ وَالاعْتِبَارَاتِ والتقديساتِ والتنزيهاتِ إلى أَنْ تَنْتَهِيَ إِلى مَرْتَبَةٍ لاَ يُمْكِنُ التَّعْبِيرُ عَنْهَا بِعِبَارَةٍ وَلاَ يُشَارُ إِلَيْهَا بِإِشَارَةٍ وَلاَ تُسَمَّى بَاسِمٍ وَلاَ يُكَنَّى عَنْهَا بِكِنَايَةٍ وَلاَ يَعْلَمُهَا عَالِمٌ وَلاَ يُدْرِكُهَا مُدْرِكٌ وَهَذَا السَّيْرُ يُسَمَّى بِالبَقَاءِ وَالسَّيْرُ عَنِ اللهِ بِاللهِ الَّذي هُوَ السَّيْرُ الثَّالِثُ أَيْضًا عِبَارَةٌ عَنِ الحَرَكَةِ العِلميَّةِ نَازِلاً مِنَ العِلمِ الأَعْلَى إِلى العِلمِ الأَدْنَى وَمِنَ الأَدْنَى إِلى الأَدْنَى وَهَكَذَا إِلى أَنْ يَرْجِعَ إِلى المُمْكِنَاتِ رُجُوعَ القَهْقَرَى وَيَنْزِل مِنْ عُلومِ مَرَاتِبِ الوُجُوبِ كُلِهَا وَهُوَ العَارِفُ الذي نَسِيَ اللهَ بِاللهِ وَرَجَعَ عَنِ اللهِ مَعَ اللهِ وَهُوَ الوَاجِدُ الفَاقِدُ وَالوَاصِل المَهْجُورُ وَهُوَ القَرِيبُ البَعِيدُ وَالسَّيْرُ الرَّابِعُ الذي هُوَ السَّيْرُ فِي الأَشْيَاءِ عِبَارَةٌ عَنْ حُصُول عُلومِ الأَشْيَاءِ شَيْئًا فَشَيْئًا بَعْدَ زَوَال تِلْكَ العُلومِ كُلِهَا فِي السَّيْرِ الأَوَّل فَالسَّيْرُ الرَّابِعُ مُقَابِل للسَّيْرِ الأَوَّل وَالسَّيْرُ الثَّالِثُ للثَّانِي كَمَا تَرَى وَالسَّيْرُ إلى اللهِ وَالسَّيْرُ فِي اللهِ لِتَحْصِيل نَفْسِ الوِلاَيَةِ التي هِيَ عِبَارَةٌ عَنِ الفَنَاءِ وَالبَقَاءِ وَالسَّيْرُ الثَّالِثُ وَالرَّابِعُ لِحُصُول مَقَامِ الدَّعْوَةِ الذي هُوَ مَخْصُوصٌ بِالأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ صَلَوَاتُ اللهِ وتسليماته عَلَى جَمِيعِهِمْ عُمومًا، وَعَلَى أَفْضَلِهِمْ خصوصًا، وَللمُتَابِعِينَ الكَامِلِينَ أَيْضًا نَصِيبٌ مِنْ مَقَامِ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ

عَلَيْهِ السَّلَامُ {قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي} الآيَةَ هَـٰذَا هُوَ حَدِيثُ البِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ وَالمَقْصُودُ مِنْ ذِكْرِهِ تَنْوِيهُ شَأْنِهِ وَتَشْوِيقُ الطُّلَّابِ إِلَيْهِ.

وَتَهَافَتُوا فِي سُكْرِيًّا أَهْلَ الصَّفْرَاءِ لِأَجْلِ تَغَافُلِ السَّوْدَاوِيِّ.

{وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[1] وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى - عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ.

---

(١) ـــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالأَرْبَعُونَ وَالمِائَةُ
إِلى المُفْتِي عَبْد الرَّحْمَن
فِي بَيَانِ أَنَّ مَشَائِخَ الطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ قَدَّسَ اللهُ تَعَالى أَسْرَارَهُمْ اخْتَارُوا ابْتِدَاءَ السَّيْرِ مِنْ عَالَمِ الأَمْرِ وَبَيَانِ سِرِّ عَدَمِ تَأَثُّرِ بَعْضِ مُبْتَدِئِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ بِسُرْعَةٍ

ثَبَّتَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَلى جَادَّةِ الشَّرِيعَةِ المُصْطَفَوِيَّةِ عَلى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ وَيَرْحَمُ اللهُ عَبْدًا قَال آمينا.

اعْلَمْ أَنَّ مَشَائِخَ الطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ اخْتَارُوا ابْتِدَاءَ السَّيْرِ مِنْ عَالَمِ الأَمْرِ وَصَارُوا يَقْطَعُونَ مَسَافَةَ عَالَمِ الخَلقِ فِي ضِمْنِه بِخِلاَفِ مَشَائِخِ سَائِرِ الطُّرُقَاتِ فَإِنَّ ابْتِدَاءَ سَيْرِهِمْ مِنْ عَالَمِ الخَلقِ وَبَعْدَ طَيِّ مَسَافَةِ عَالَمِ الخَلقِ يَضَعُونَ القَدَمَ فِي عَالَمِ الأَمْرِ وَيَصِلونَ إِلى مَقَامِ الجَذْبَةِ وَلِهَذَا كَانَ طَرِيقُ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ أَقْرَبَ الطُّرُقِ فَلاَ جَرَمَ صَارَتْ نِهَايَةُ الآخَرِينَ مُنْدَرِجَةً فِي بِدَايَتِهِمْ، (ع):

وَقِسْ مِنْ حَالِ بُسْتَانِي رَبِيعِي

وَمَعَ كَوْنِ ابْتِدَاءِ سَيْرِهِمْ مِنْ عَالَمِ الأَمْرِ لاَ يَتَأَثَّرُ بَعْضُ الطَّالِبِينَ مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ بِسُرْعَةٍ وَلاَ يَجِدُونَ

الحَلاَوَةَ وَلاَ التَّلَذُّذَ الذي هُوَ مِنْ مُقَدِّمَةِ الجَذْبَةِ بِالسُّهُولةِ وَوَجْهُ ذَلِكَ أَنَّ لطَائِفَ عَالَمِ الأَمْرِ ضَعِيفَةٌ فِيهِمْ بِالنِّسْبَةِ إِلى عَالَمِ الخَلقِ وَهَذَا الضَّعْفُ هُوَ الذي صَارَ سُدًّا فِي طَرِيقِ التَّأْثِيرِ وَالتَّأَثُّرِ وَامْتِدَادِ زَمَانِ بُطْءِ التَّأَثُّرِ إِلى أَنْ يُقَوِّيَ لطَائِفَ عَالَمِ الأَمْرِ فِيهِمْ وَتَغْلِبَ عَلى عَالَمِ الخَلقِ وَأَنْ يَنْعَكِسَ الأَمْرُ وَعِلاَجُ هَذَا الضَّعْفِ بِحَيْثُ يَكُونُ مُنَاسِبًا لِهَذِه الطَّرِيقَةِ هُوَ التَّصَرُّفُ التَّامُّ مِنْ صَاحِبِ التَّصَرُّفِ وَالعِلاَجُ المُنَاسِبُ لسَائِرِ الطُّرُقِ تَقْدِيمُ تَزْكِيَةِ النَّفْسِ وَالرِّيَاضَاتِ الشَّدِيدَةِ وَالمُجَاهَدَاتِ الشَّاقَّةِ الوَاقِعَةِ عَلى وَفْقِ الشَّرِيعَةِ عَلى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ وَيَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ بُطْءَ التَّأَثُّرِ لَيْسَ مِنْ عَلاَمَةِ نُقْصَانِ الاسْتِعْدَادِ وَكَمْ مِنْ طَائِفَةٍ تَامِّي الاسْتِعْدَادِ يُبْتَلوْنَ بِهَذَا البَلاَءِ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالأَرْبَعُونَ وَالمِائَةُ
إِلى شَرَفِ الدِّينِ حُسَيْن
فِي النَّصِيحَةِ بِتَكْرَارِ الذِّكْرِ

وَصَلَ مَكْتُوبُ وَلَدي شَرَفِ الدِّينِ حُسَيْنٍ للهِ سُبْحَانَهُ الحَمْدُ وَالمِنَّةُ عَلى أَنَّهُ مُسْتَسْعِدٌ بِسَعَادَةِ تَذَكُّرِ الفُقَرَاءِ وَلْيُعَمِّرِ الأَوْقَاتَ بِتَكْرَارِ الذِّكْرِ الذي أَخَذَهُ وَلاَ يُفَوِّتَنَّ الفُرْصَةَ مُنْخَدِعًا بِالشَّأْنِ وَالشَّوْكَةِ الفَانِيَةِ مُغْتَنِمًا للحَيَاةِ القَلِيلَةِ.

شِعْرٌ.

همه اندر زمن بتوا ينست   كه توطفلى وخانه رنكينست

وَنِعْمَ النِّعْمَةِ إِكْرَامُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ عَبْدَهِ بِتَوْفِيقِ التَّوْبَةِ فِي عُنْفُوَانِ الشَّبَابِ وَالإِنْعَامِ عَلَيْهِ بِالاسْتِقَامَةِ عَلَيْهَا يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ إِنَّ جَمِيعَ التَّنَعُّماتِ الدُّنْيَوِيَّةِ فِي جَنْبِ تِلْكَ النِّعْمَةِ لَهَا حُكْمُ النَّدَى فِي جَنْبِ البَحْرِ العَمِيقِ فَإِنَّ هَذِهِ النِّعْمَةَ مُوجِبَةٌ لِرِضَا المَوْلَى سُبْحَانَهُ الذي هُوَ فَوْقَ جَمِيعِ النِّعَمِ دُنْيَوِيَّةً كَانَتْ أَوْ أُخْرَوِيَّةً وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ.

{وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}(١) وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى - عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيماتُ - أَتَمُّهَا وَأَكْمَلُهَا.

---

(١) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالأَرْبَعُونَ وَالمائَةُ
إلى الخواجهْ أشْرَفَ الكابلي
في بَيَانِ أَنَّ الانْقِطَاعَ مُقَدَّمٌ عَلى الاتِّصَال وَبِالعَكْسِ

رَزَقنا اللهُ سُبْحَانَهُ وَأَيَاكُمْ التَّرْقِيَّات عَلى مَدَارِجِ الكَمَال بِحُرْمَة سَيِّد المُرْسَلينَ - عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلوَاتُ والتَّسْليماتُ - قَالتْ طَائفَةٌ مِنْ مَشَائخِ الطَّرِيقَة قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ بِتَقَدُّمِ الانْفصَال وَالانْقطَاعِ عَلى الاتِّصَال وَطَائفَةٌ أُخْرَى مِنْ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ قَدَّمُوا الاتِّصَال عَلى الانْقطَاعِ وَالانْفصَال وَتَوَقَّفَتْ طَائفَةٌ ثَالثَةٌ فيه قَال أَبُو سَعيد الخَرَّازُ - قُدِّسَ سرُّهُ - مَا لَمْ تَنْقَطِعْ لاَ تَجدُوا مَا لَمْ تَجدْ تنقطعْ وَلاَ أَدْرِي أَيُّهمَا أَقْدَمُ يَقُول رَاقمُ هَذه السُّطُور: إنَّ الانْقطَاعَ وَالاتِّصَال يَتَحَقَّقَان في آن وَاحد وَلاَ يَجُوزُ أَنْ يَنْفَكَّ الانْقطَاعُ عَنِ الاتِّصَال وَأَنْ يَحْصُل الاتِّصَال بِدُونِ الانْقطَاعِ وَالانْفصَال.

غَايَةُ مَا في البَاب أَنَّ الخَفَاءَ إنْ تَحَقَّقَ فَإنَّمَا هُوَ في التَّقَدُّمِ الذَّاتيِّ وَتَعَيَّنَ عَلَيْه أَحَدُهمَا للآخَرِ وَاخْتَارَ شَيْخُ الإسْلاَم الهَرَويُّ - قُدِّسَ سرُّهُ - المَذْهَبَ الثَّاني قَائلاً بِأَنَّ السَّبْقَةَ مِنْ ذَلكَ الطَّرَف أَحْسَنُ وَالذينَ يَقُولونَ بِتَقَدُّمِ الانْفصَال عَلى الاتِّصَال لاَ يُنْكرُونَ هَذه السَّبْقَةَ أَيْضًا وَمُرَادُهم منَ الاتِّصَال الظُّهُورُ التَّامُّ وَهُوَ لاَ يُنَافي الظُّهُورَ المُطْلقَ فَيَكُونُ الظُّهُورُ المُطْلقُ مُقَدَّمًا عَلى الانْفصَال وَالظُّهُورُ التَّامُّ مُؤَخَّرًا عَنْهُ فَعَلى هَذَا التَّحْقيق يَكُونُ نزَاعُهمْ رَاجعًا إلى اللفْظ وَلكنَّ نَظَرَ الطَّائفَة الأُولى عَال حَيْثُ لاَ يَعْتَبرُونَ القَليل وَيَنْبَغي أَنْ يُعْلمَ أَنَّ عَلى هَذَا التَّوْجيه قَدْ حَصَل التَّقَدُّمُ الزمَانيُّ أَيْضًا فَافْهَمْ وَاللهُ سُبْحَانَهُ المُلهمُ للصَّوَاب وَعَلى كُل حَال يَنْبَغي أَنْ يَكُونَ مَظْهَرًا للانْفصَال وَالاتِّصَال فَإنَّ مَرْتَبَةَ الولاَيَة مَنُوطٌ بِهَاتَيْنِ المَرْتَبَتَيْنِ وَبدُونهمَا خَرْطُ القَتَاد.

وَالمَرْتَبَةُ الأوْلى مَرْبُوطَةٌ بالسَّيْر إلى الله وَالثَّانيَةُ بالسَّيْر في الله وَبمَجْمُوعِ هَذَيْنِ السَّيْرَيْنِ يُوصِّل إلى المَرْتَبة الولاَيَة وَالكَمَالش عَلى تَفَاوُت دَرجَاتهَا وَالسَّيْرَان البَاقيَانِ لتَحْصيل مَرْتَبَة التَّكْميل وَالوُصُول إلى دَرَجَة الدَّعْوَة. شعْرٌ.

نَادَيْتُ غَيْرَ مَرَّة لوْ كَانَ في الأَحْيَاءِ حَيٌّ

المَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالأَرْبَعُونَ وَالمِائَةُ
المُلاَّ صَادِقٌ الكابلي
فِي بَيَانِ ذَمِّ صَاحِبِ الري
وَعَدَمِ الاغْتِرَارِ بِتَوَسُّطِ رُوحَانِيَّةِ المَشَايِخِ وَإِمْدَادَاتِهِمْ

وَصَلَ المَكْتُوبَانِ مُتَّصِلاً بَعْضُهُمَا بِبَعْضٍ كَانَ الأَوَّلُ مُنْبِئًا عَنِ الحُصُولِ والرِّيِّ وَالثَّانِي عَنِ العَطَشِ وَعَدَمِ الحُصُولِ الحَمْدُ للهِ سُبْحَانَهُ العِبْرَةُ بِالخَاتِمَةِ إِنْ صَاحِبَ الرى لَيْسَ لَهُ حَاصِلٌ وَالذي يَرَى نَفْسَه لاَ حَاصِلَ لَهُ فَهُوَ الوَاصِلُ وَقَدْ قِيلَ لك مُكَرَّرًا أَنْ لاَ تَغْتَرَّ بِتَوَسُّطِ رُوحَانِيَّةِ المَشَايِخِ وَإِمْدَادَاتِهِمْ فَإِنَّ صُوَرَ هَؤُلاَءِ المَشَايِخِ التي تَرَاهَا وَتُشَاهِدُهَا هِيَ لَطَائِفُ الشَّيْخِ المُقْتَدَى بِهِ فِي الحَقِيقَةِ ظَهَرَتْ بِهَذِهِ الصُّورَةِ وَتَوْحِيدُ قِبْلَةِ التَّوَجُّهِ مِنَ الشُّرُوطِ وَتَفْرِيقُ التَّوَجُّهِ مُوجِبٌ لِلخُسْرَانِ عِيَاذًا بِاللهِ سُبْحَانَهُ وَأَيْضًا إِنِّي كُنْتُ قُلْتُ لك مُكَرَّرًا وَمُؤَكَّدًا أَنْ قَلِّلِ الأَشْغَالَ لِيَحْصُلَ المَقْصُودُ بِسُرْعَةٍ فَإِنَّ تَرْكَ الأَمْرِ الضَّرُورِيِّ وَالاشْتِغَالَ بِمَا لاَ طَائِلَ فِيهِ بَعِيدٌ عَنْ طَوْرِ العَقْلِ وَلَكِنَّك مُعْتَقِدٌ لِرَأْيِ نَفْسِك قَلَّمَا يُؤَثِّرُ فِيك كَلاَمُ غَيْرِك وَأَنْتَ تَعْلَمُ {وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ البَلاَغُ}(١).

(١) ــ الآية: ٩٩ من سورة المائدة.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالأَرْبَعُونَ وَالمِائَةُ
إلى الملا صَادق الكابلي أَيْضًا
فِي بَيَانِ عَدَمِ قَصْرِ النَّظَرِ عَلى سَبَبٍ مُعَيَّنٍ

وَالعَجَبُ مِنْ أَخِي مَوْلاَنَا مُحَمَّد صَادق حَيْثُ سَلمَ نَفْسَهُ بالكُلّيَّة إلى عَالَمِ الأَسْبَاب وَأَنْ جَعَل مُسَبِّبَ الأسباب تَعَالى وَتَقَدَّسَ الأَشْيَاءَ مُرَتَّبَةً عَلى الأَسْبَاب وَلكِنْ مَا الحَاجَةُ إلى نُصْب العَيْنِ عَلى سَبَب مُعَيَّنٍ. شعْرٌ.

وَلاَ تَحْزَنْ إذَا مَا سُدَّ بَابٌ فَإِنَّ اللهَ يَفْتَحُ أَلفَ بَاب

وَهَذَا القِسْمُ مِنْ قُصُور النَّظَرِ يُنْبِئُ عَنْ غَايَة عَدَمِ المُنَاسَبَة وَمُسْتَهْجَنٌ مِنْ أَمْثَالك جدًّا يَنْبَغِي لك أَنْ تَتَفكَّرَ فِي حَالك سَاعَةً تَفْهَمُ هَذه الشَّنَاعَةَ وَكُل هَذَا الاضْطرَاب فِي كُسْوَة الفَقْر تَحْصيل مَا هُوَ مَبْغُوضٌ عَلَيْه لدَى الحَقِّ سُبْحَانَهُ مَا أَشَدَّهُ قَبَاحَةً وَبئسَ البَلاَءُ المُسْتَنْكَرُ وَالعَجَبُ أَنَّهُ كَيْفَ زُيِّنَ هَذَا الشَّيْءُ المُسْتَنْكَرُ فِي نَظَرِك يَنْبَغِي لك أَنْ تَسْعَى وَتَجْتَهدَ فِي تَحْصيل الأُمُور الضَّرُوريَّة بقَدْر الضَّرُورَة وَصَرْفُ جَميع الهمَّة إلَيْهمَا وَتَضْيِيعُ تَمَامِ العُمْرِ فِي تَحْصيلهَا سَفَاهَةٌ مَحْضَةٌ الفُرْصَةُ غَنيمَةٌ جدًّا وَالأَسَفُ كُل الأَسَف عَلى حَال مَنْ يَصرفُهَا إلى تَحْصيل عُلوم لاَ طَائل فيهَا وَالشَّرْطُ هُوَ الإخْبَارُ {وَمَا عَلى الرَّسُول إلاَّ البَلاَغُ}[1] وَلاَ تَحْزَنْ مِنْ مَقَالاَت النَّاسِ فيك فَإنْ نَسَبُوا إلَيْك شَيْئًا لَيْسَ فيك منْهَا شَيْءٌ فَلاَ غَمَّ نعمَتْ الدَّوْلَةُ أَنْ يَرَى النَّاسُ شَخْصًا شَرًّا وَهُوَ فِي الحَقيقَة مِنَ الأَخْيَارِ فَإنْ تَحقَّقَ عَكْسِ هَذه القَضيَّة فَقَدْ عَظُمَ الخَطَرُ وَالسَّلاَمُ.

(١) ــ الآية: ٩٩ من سورة المائدة.

المَكْتُوبُ الخَمْسُونَ وَالمائَةُ
إلى الخواجهْ مُحَمَّد قَاسم
فِي بَيَانِ أَنْ لاَ مُسْتَحِقَّ للمطلوبيَّة غَيْرَ الحَقِّ تَعَالى وَتَقَدَّسَ

وَصَل مَكْتُوبُ أَخينَا الخواجهْ مُحَمَّد القَاسم وَصَارَ مُوجبًا للفَرَحِ وَلاَ تَضيقُ صَدْرُك منْ تَشَتُّت الأَوْضَاعِ الدُّنْيَوِيَّة وَتُفَرُّق الأَحْوَال الصُّوريَّة فَإِنَّهَا لاَ تَسْتَحقُّ لذَلكَ لأَنَّ هَذه النَّشْأَةَ فِي مَعْرِضِ الفَنَاء بَل يَنْبَغِي السَّعْيُ فِي تَحْصيل مَرْضَاة الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سَوَاءً كَانَ فيهَا عُسْرٌ أَوْ يُسْرٌ وَلاَ مُسْتَحقَّ للمطلوبيَّة غَيْرَ ذَات الوَاجب الوُجُود جَل شَأْنُهُ خُصُوصًا لأَمْثَالكُمْ الأَعزَّة وَمَعَ ذَلكَ لوْ وَقَعَتْ الإِشَارَةُ بخدْمَةٍ وَأَمْرٍ نَجْتَهِدُ فِي تَحْصِيلهَا بالمنونيَّة وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الحادي وَالخَمْسُونَ وَالمائَةُ
إلى المَيرِ مُؤْمِنِ البلخيِّ
فِي بَيَانِ عُلوِّ شَأْنِ الطَّرِيقَةِ النَّقْشبَنْدِيَّةِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَ أَهْليهَا العَلِيَّةَ وَبَيَانِ مَعْنَى يادداشت المَخْصُوصِ بِهِمْ

(ع):

وَأَحْسَنُ مَا يُمْلي حَديثُ الأَحبَّة

اعْلَمْ أَنْ: "ياددداشت" عِبَارَةٌ فِي طَرِيقِ حَضَرَاتِ خواجكان قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ عَنْ حُضُورٍ بلا غَيْبة أَعْني دَوَامَ حُضُورِ حَضْرَةِ الذَّاتِ تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ مِنْ غَيْرِ تَخَلل الحُجُبِ الشئونيَّةِ وَالاعْتبَارِيَّةِ فَإنْ وُجدَ حُضُورٌ فِي وَقْت وَغَيْبَةٌ فِي وَقْت بِأَنْ تَرْتَفعَ الحُجُبُ فِي وَقْت بالتَّمَامِ وَانْسَدَلتْ فِي وَقْت آخَرَ كَمَا يَكُونُ فِي التَّجَلي البَرقيِّ الذَّاتيِّ حَيْثُ إنَّ الحُجُبَ تَرْتَفعُ فيه عَنْ حَضْرَةِ الذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ كَالبَرْق ثُمَّ تَحْتَجبُ بحُجُبِ الشُّئون وَالاعْتبَارَات بسُرْعَة فَهُوَ سَاقطٌ عَنْ حَيِّزِ الاعْتبَارِ عنْدَ هَؤُلاَءِ الأَكَابرِ فَعُلمَ منْ هَذَا أَنَّ حَاصل الحُضُور بلاَ غَيْبَة هُوَ دَوَامُ التَّجَلي البرقيِّ الذَّاتيِّ الذي هُوَ عبَارَةٌ عَنْ ظُهُور حَضْرَةِ الذَّات بدُون تَوَسُّط الشُّئون وَالاعْتبَارَات وَيَتَيَسَّرُ ذَلكَ فِي نهَايَة هَذَا الطَّريق وَيَثْبُتُ فِي هَذَا المَقَامِ الفَنَاءُ الأَكْمَل وَلاَ رُجُوعَ فيه للحُجُب أَصْلاً فَإنَّهَا لوْ رَجَعَتْ لتَبَدَّل الحُضُورُ بالغيبَة وَلاَ يُقَال لهُ يا دداشت فَتَحَقَّقَ أَنَّ شُهُودَ هَؤُلاَءِ الأَكَابرِ عَلى الوَجْه الأَتَمِّ وَالأَكْمَل وأَكْمَليَّةُ الفَنَاءِ وأَتَمِّيَّةُ البَقَاءِ عَلى قَدْرِ أَتَمِّيةِ الشُّهُود وأَكمليَّة، (ع):

وَتَسْ مِنْ حَالِ بُسْتَانِي رَبِيعِي

المَكْتُوب الثَّاني وَالخَمْسُونَ وَالمائَةُ

إلى السَّيِّد فَريد

فِي بَيَانِ أَنَّ إطَاعَةَ الرَّسُول عَيْنُ إطَاعَة الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلكَ

قَال اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُول فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ}(١) فَجَعَل اللهُ سُبْحَانَهُ إطَاعَةَ الرَّسُول عَيْنَ إطَاعَته فإطَاعَةُ الحَقِّ عَزَّ وَجَل بدُون إطَاعَة الرَّسُول لَيْسَ بإطَاعَة لهُ سُبْحَانَهُ وَلذَلكَ أَوْرَدَ كَلمَةَ قَدْ تَأْكيدًا لهَذَا المَعْنَى وَتَحْقيقًا لهُ لئَلاَّ يُفَرِّقَ مَهُوسٌ بَيْنَ هَاتَيْنِ الطَّاعَتَينِ وَيَخْتَارُ أَحَدَيْهِمَا دُونَ الآخرِ وَقَدْ وَبَّخَ اللهُ سُبْحَانَهُ في مَحَل آخرَ جَمَاعَةً فَرَّقُوا بَيْنَ هَاتَيْنِ الإطَاعَتَيْنِ حَيْثُ قَال سُبْحَانَهُ {يُريدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ الله وَرَسُوله} الآيَةَ، نَعَمْ قَدْ صَدَرَتْ منْ بَعْضِ المَشَايخ وَقْتَ غَلَبَة الحَال وَالسُّكْرِ كَلمَاتٌ مُؤْذنَةٌ بالتَّفْرقَة بَيْنَ هَاتَيْنِ الإطاعتَين وَمُشْعرَةٌ باخْتيَار مَحَبَّة أَحَدَيْهمَا عَلى الآخرِ كَمَا نُقل أَنَّ السُّلْطَانَ مَحْمُودًا الغَزْنَويَّ لَمَّا نَزَل مَرَّةً في أَيَّامِ سَلطَنَته في قُرْب قَرْيَة خَرْقَانَ أَرْسَل وَاحدًا منْ وُكَلاَئه إلى الشَّيْخ أَبي الحَسَن الخرقاني وَالتَمَسَ منْهُ الحُضُورَ عنْدَهُ وَقَال لرَسُوله إذَا فَهمتَ تَوَقُّفًا منَ الشَّيْخ فَاقْرَأْ هَذه الآيَةَ: { أَطيعُوا اللهَ وَأَطيعُوا الرَّسُول وَأُولي الأَمْرِ منْكُمْ } فَلمَّا فَهمَ الرَّسُول تَوَقُّفًا منَ الشَّيْخ قَرَأَ الآيَةَ المَذْكُورَةَ فَقَال لهُ الشَّيْخُ في جَوَابه: إنِّي مَشْغُول بإطَاعَة الله تَعَالى بحَيْثُ لمْ أَفْرُغْ منْهَا بَعْدُ لإطَاعَة رَسُول الله فَكَيْفَ لاَ طَاعَة أُولي الأَمْرِ فَجَعَل حَضْرَةُ الشَّيْخِ إطَاعَةَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ غَيْرَ إطَاعَة الرَّسُول وَهَذَا الكَلاَمُ بَعيدٌ عَنِ الاسْتقَامَة و المَشَايخِ المستقيمو الأَحْوَال يَتَحَاشَوْنَ منْ أَمْثَال هَذَا الكَلاَم وَيَعْلمُونَ أَنَّ إطَاعَةَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ في جَميعِ مَرَاتب الشَّريعَة وَالطَّريقَة وَالحَقيقَة، وَيَعْتَقدُونَ أَنَّ إطَاعَةَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ في غَيْرِ إطَاعَة رَسُوله عَيْنَ الضَّلالة وَنُقل أَيْضًا أَنَّ شَيْخَ بَلدَة مهْنَة الشَّيْخَ أَبَا سَعيد أَبَا الخَيْرِ عَقَدَ مَجْلسًا وَكَانَ في ذَلكَ المَجْلسِ وَاحدٌ منْ أَجلة سَادَات خُرَاسَانَ فَدَخَل في ذَلكَ الأَثْنَاء اتِّفَاقًا مَجْذُوبٌ مَغْلوبُ الحَال فَقَدَّمَهُ الشَّيْخُ عَلى السَّيِّد الأَجَل فَلمْ يَحْسُنْ ذَلكَ للسَّيِّد فَقَال الشَّيْخُ للسَّيِّد: إنَّ تَعْظيمَكَ بوَاسطَة مَحَبَّة رَسُول الله ــ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ ــ وَتَعْظيمَ هَذَا المَجْذُوب بوَاسطَة مَحَبَّة الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَالأَكَابرُ المُستقيمو الأَحْوَال لاَ يُجَوِّزُونَ أَيْضًا هَذَا القسْمَ منَ التَّفْرقَة

---

(١) ـــ الآية ٨٠ من سورة النساء.

وَيَرَوْنَ غَلبَةَ مَحَبَّة الحَقِّ سُبْحَانَهُ عَلى مَحَبَّة رَسُوله - عَلَيْه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - مِنْ سُكْرِ الحَال وَلَا يَعْتَقدُونَهَا شَيْئًا غَيْرَ الفُضُول ولكنْ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلمَ هَذَا القَدْرُ أَنَّ مَحَبَّةَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ غَالبَةٌ فِي مَقَامِ الكَمَال الذي هُوَ مَرْتَبَةُ الولَايَة وَمَحَبَّةُ الرَّسُول غَالبَةٌ فِي مَقَامِ التَّكْميل الذي فيه نَصيبٌ مِنْ مَقَامِ النُّبُوَّة ثَبَّتَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ عَلى إِطَاعَة الرَّسُول الَّتي هِيَ عَيْنُ إِطَاعَة الله سُبْحَانَهُ.

المَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالخَمْسُونَ وَالمائَةُ
إلى الشَّيْخ مَيَّانَ مُزَمِّل
فِي بَيَانِ الخَلَاصِ التَّامِّ مِنْ رِقِّيَّة مَا سِوَاهُ تَعَالى المَرْبُوط بِالفَنَاءِ المُطْلَقِ

وَصَلَ المَكْتُوبُ المُرْسَل الحَمْدُ لله ذى الإِنْعَامِ وَالمِنَّة قَدْ جَعَلَ طَالبيه فِي قَلق وَاضْطرَاب وَنَجَّاهُمْ بذَلكَ الاضْطرَاب مِنَ السُّكُون إلى غَيْره وَلكنَّ الخَلَاصَ التَّامَّ منْ رِقِّيَّة الأَغْيَار إِنَّمَا يَتَيَسَّرُ إذَا حَصَلَ التَّشَرُّفُ بالفَنَاء المُطْلق وَزَالتْ النُّقُوشُ الكَنْيَة منْ مرْآت القَلب بالكُلِّيَّة وَلَمْ يَبْقَ التَّعَلقُ العلميُّ وَالحُبيُّ بشَيْءٍ منَ الأَشْيَاء وَلَمْ يَكُنْ مَقْصُودٌ وَمُرَادٌ غَيْرَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى وَدُونَهُ خَرْطُ القَتَاد.

وَرُبَّمَا يُظَنُّ انْتفاءُ التَّعلق وَلكنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْني مِنَ الحَقِّ شَيْئًا، (ع):

وَهَذى سعَادَاتٌ تَكُونُ نَصيبُ مَنْ

وَالتَّعَلق بالأَحْوَال وَالمَقَامَات تَعَلقٌ بالغَيْرِ فَمَا تَقُول في التَّعَلق بأَشْيَاء أُخَرَ. شعْرٌ.

دَعْ مَا يَصُدُّك عَنْ وَصْل الحَبيب وَمَايُلهيك عَنْهُ قَبيحًا كَانَ أَوْ حَسَنًا

وَقَدْ انْجرَّتْ مُدَّةُ غُرْبَتك إلى التَّطْويل وَالفُرْصَةُ غَنيمَةٌ فَإِنْ كَانَ الأَصْحَابُ وَالأَحْبَابُ منْ أَهْل الرُّخْصَة فَمَا وَجْهُ التَّوَقُّف وَإِلاَّ فَمَا الحَاجَةُ إلى الرُّخْصَة.

يَنْبَغي أَنْ يُلاحَظَ مَرْضِيُّ الحَقِّ سُبْحَانَهُ، رَضِيَ اللهُ أَهْلَ العَالمِ أَمْ لَا ؟ وَمَاذَا يَكُونُ عَدَمُ رِضَاهُمْ، (ع):

وَكُل القَصْد مَنْ تَبَع الحَبيب

يَنْبَغي أَنْ تَعْتَقدَ: أَنَّ المَقْصُودَ هُوَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ فَإِنْ اجْتَمَعَ مَعَ مَحَبَّته شَيْءٌ فَنَافِعٌ وإلاَّ فضارٌّ، (ع):

أَترْنُو إلى وِرْدٍ وَذَا وَجْهِي زَاهِرُ

وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالخَمْسُونَ وَالمِائَةُ
إلى مَيَّانْ مُزَّمِّل أَيْضًا
في بَيَانِ ضَرُورِيَّةِ تَرْكِ النَّفْسِ وَالسَّيْرِ إلَيْهَا

جَعَلَنَا الحَقُّ سُبْحَانَهُ مَعَهُ وَلاَ يَتْرُكُ مَعَ غَيْرِه لَحْظَةً اللهُمَّ لاَ تَكِلنَا إلى نَفْسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ فَنَهْلكَ وَلاَ أَقَل منْهَا فَنَضيعَ وَكُل بَلاَءٍ وَقَعَ عَلى الإنْسَانِ إِنَّمَا هُوَ مِنَ التَّعَلق بالنَّفْسِ فَإِذَا حَصَلَ الخَلاَصُ منْ يَد النَّفْسِ فَقَدْ حَصَلَ الخَلاَصُ ممَّا دُونَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ حَتَّى إنَّ مَنْ يَعْبُدُ الأَصْنَامَ إِنَّمَا يَعْبُدُ نَفْسَه ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ (ع):

إذَا مَا تَرَكْتَ النَّفْسَ أَلفَيْتَ رَاحَةً

دَعْ نَفْسَك وَتَعَال وَكَمَا أَنَّ تَرْكَ النَّفْسِ وَالتَّجَاوُزَ منْهَا فَرْضٌ كَذَلكَ السَّيْرُ والمَشْيُ إلى النَّفْسِ لاَزمٌ فَإنَّ الوجْدَانَ إِنَّمَا هُوَ فيهَا وَلاَ وجْدَانَ في خَارجهَا. شعْرٌ.

وَلَسَوْفَ تَعْلَمُ أَنَّ سَيْرَك لَمْ يَكُنْ   إلاَّ إلَيْكَ إذَا بَلَغْتَ المَنْزِلاَ

السَّيْرُ الآفَاقِيُّ بُعْدٌ في بُعْد وَالسَّيْرُ الأَنْفُسِيُّ قُرْبٌ في قُرْب فَإنْ كَانَ شُهُودٌ فَهُوَ فِي النَّفْسِ وَإنْ كَانَ مَعْرفَةٌ فَهِي أَيْضًا في النَّفْسِ وَإنْ كَانَتْ حَيْرَةٌ فهي أَيْضًا فيهَا لاَ مَجَال للقَدَمِ في خَارجِ النَّفْسِ إلى أَيْنَ وَصَل الكَلاَمُ وَلاَ يَفْهَمَنَّ الأَبْلهُ منْ هَذَا الكَلاَمِ حُلولاً وَاتِّحَادًا فَيَقَعُ فِي وَرْطَة الضَّلالة فَإنَّ القَوْل بالحُلول كُفْرٌ وَكَذَلكَ الاتِّحَادُ وَالتَّفكُّرُ فيه قَبْل التَّحقُّق بهَذَا المَقَام مَمْنُوعٌ رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ الاسْتقَامَةَ عَلى الطَّرِيقَة المَرْضيَة عَلى صَاحبهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ وَيَنْبَغي لك أَنْ تَكْتُبَ منْ أَحْوَالك فَإنَّ لهُ دَخْلاً تَامًّا وَعَلَيْك أَنْ تَكُونَ حُرًّا مَعَ وُجُود العَلاَئق الصُّوريَّةِ وَأَنْ تَعْتَقِدَ وُجُودَهَا وَعَدَمَهَا سيَّان وَالسَّلاَمُ وَالإكْرَامُ.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالخَمْسُونَ وَالمِائَةُ
إِلى الشَّيْخِ مُزَّمِّل أَيْضًا
فِي التَّحْرِيضِ عَلى الرُّجُوعِ إِلى أَصْله

وَمَا عَبَدُوا غَيْرَ الإِله فَبَاطِل   فَبِئْسَ الذي يَخْتَارُ مَا كَانَ بَاطِلاً

قَدْ تَشَرَّفْتُ بزِيَارَة مَشَاهد دهلى في غُرَّة جُمَادَى الأُولى يَوْمَ الجُمُعَة وَمُحَمَّدٌ صَادقٌ مَعِيَ وَبَعْدَ إِقَامَة أَيَّامٍ هُنَا نَتَوجَّهُ إِلى طَرَف الوَطَنِ الأَصْلِيِّ إِنْ وَافقَتْ إِرَادَتُنَا إِرَادَةَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ حُبُّ الوَطَنِ منَ الإِيمَان خَبَرٌ مَشْهُورٌ أَيْنَ يَذْهَبُ العَاجزُ المِسْكِينُ وَنَاصيَتُه في يَده تَعَالى مَا منْ دَابَّة إِلاَّ هُوَ آخذٌ بنَاصيَتهَا إِنْ رَبِّي عَلى صِرَاط مُسْتَقيم وَأَيْنَ المَفَرُّ إِلاَّ أَنْ يَفرَّ منْهُ إِلَيْه قَائلاً فَفرُّوا إِلى اللهِ وَعَلى كُل حَال يَنْبَغي أَنْ يَعْتَقدَ الأَصْل أَصْلاً وَالفَرْعَ تَبعًا لهُ وَأَنْ يَتَوجَّهَ إِلى الأَصْل. شعْرٌ.

مَنْ كَانَ فِي قَلبه مثَال خَرْدَلة   سِوَى هَوَى الحَقِّ فَاعْلَمْ أَنَّهُ مَرَضٌ

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالخَمْسُونَ وَالمائَةُ
إلَى المَذْكُور أيْضًا
فِي التَّحْرِيضِ عَلى صُحْبَةِ أهْلِ اللهِ

وَصَل الكِتَابُ الذي أرْسَلتَه مَعَ قَاضِي زَاده الجالندرى فِي دهلى لله الحَمْدُ وَالمِنَّةُ عَلى مَا كَانَتْ مَحَبَّةُ الفُقَرَاء نَقْدَ الوَقْت وَإنَّهُ مَعَهُمْ بحُكْمِ المَرْء مَعَ مَنْ أحَبَّ وَشَهْرُ رَجَب وَإنْ كَانَ بِحَسَبِ الأَوْقَاتِ وَالأَزْمَانِ قَرِيبًا وَلَكِنَّهُ بَعِيدٌ جِدًّا.

شعْرٌ.

أَقُول لأَصْحَابي هِيَ الشَّمْسُ ضَوْءُها ... قَرِيبٌ وَلَكِنْ فِي تَنَاوُلها بُعْدٌ

وَحَيْثُ إنَّك اخْتَرْتَ هَذَا المَعْنَى الذي اخْتَرْتَ بوَاسطَة رِعَايَة حُقُوق أَرْبَاب الحُقُوق فَاسْتَقمْ عَليْه وَعَسَى الفَقيرُ أَنْ يَكُونَ أَيْضًا هُنَا إلى رَجَب وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بالصَّوَاب وَإلَيْه المَرْجعُ وَالمَآبُ وَعَلى كُل حَال يَنْبَغي أَنْ تَكُونَ مَعَ الفُقَرَاء فِي أَيَّام عُمْر قَصير(وَاصْبْرْ نَفْسَك مَعَ الذينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاة والعَشيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) نَصٌّ قَاطِعٌ فِي ذَلكَ حَيْثُ أَمَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ حَبيبَه ــ صَلى اللهُ عَلَيْه وَسَلمَ ــ وَقَال وَاحدٌ منَ الأَعزَّة: إلهي مَا هَذَا الذي جَعَلتَ أَوْلِيَاءَك عَلى وَجْه مَنْ عَرَفَهُمْ وَجَدَك وَمَنْ لَمْ يَجدْكَ لَمْ يَعْرِفْهُم رَزَقنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإيَّاكُم مَحَبَّةَ هَذه الطَّائفَة العَليَّة الشَّرِيفَة.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالخَمْسُونَ وَالمائَةُ

إلى الحَكِيمِ عَبْد الوَهَّاب

فِي بَيَانِ لزُومِ إظْهَارِ التَّوَاضُعِ وَالاحْتِيَاجِ عِنْد حُضُورِ الأَكَابِرِ وَبَيَان لزُومِ تَصْحِيحِ العَقَائِد

اعْلَمْ أَنَّك قَدْ جِئْتَ هُنَا وَآلَمْتَ قَدَمَك وَانْصَرَفْتَ مُسْرِعًا حَتَّى لَمْ تَجِدْ فُرْصَةً لأَدَاء بَعْضِ حُقُوق الصُّحْبَة وَالمَقْصُودُ مِنَ المُلاَقَاة وَالاجْتِمَاع إمَّا الإفَادَةُ وَإمَّا الاسْتِفَادَةُ فَإذَا خَلاَ المَجْلسُ مِنْ كلاَ هَذَيْنِ الخَصَالين فَهُوَ خَارِجٌ عَنِ الاعْتدَاد به وَيَنْبَغِي لمَنْ يَحْضُرُ عِنْدَ وَاحد مِنْ هَذه الطَّائفَة أَنْ يَحْضُرَ خَاليًا ليَرْجِعَ مَلآنَ وَأَنْ يُظْهِرَ عِنْدَهُمُ العَجْزَ وَالإفْلاَسَ ليَكُونَ مَحَلاً لشَفَقَتهِمْ وَمُسْتَحِقًّا لإفَاضَتهِمْ وَلاَ مَعْنَى فِي المَجِيءِ وَالانْصرَاف رَيَّانًا وَلاَ شَيْءَ فِي الامْتلاَء غَيْرَ العلة وَلاَ فِي الاسْتغْنَاء دُون الطُّغْيَان قَال الخَواجهْ بَهاءُ الدِّينِ النَّقْشَبَنْديُّ - قُدِّسَ سرُّهُ -: لاَ بُدَّ أَوَّلاً مِنْ تَضَرُّعِ المَرِيضِ وَانْكسَاره ثُمَّ بَعْدَهُ يَتَوَجَّهُ الخَاطرُ المُنْكسرُ فَكَانَ التَّضَرُّعُ وَالانْكسَارُ شَرِكَي التَّوَجُّه وَمَعَ ذَلكَ كُله جَاءَ فِي هَذه الأوان طَالبُ علمٍ وَالتَمسَ منِّي التَّفويضَ وَالتَّوْصيَةَ إلى ذَلكَ الجَانب فَوَقَعَ فِي الخَاطرِ أَنَّ مُجَرَّدَ مَجيئه أَيْضًا حَقٌّ منَ الحُقُوق فَيَنْبَغِي أَدَاءُ الحَقِّ منْ قبَلي مَهْمَا أَمْكَنَ فَلاَ جَرَمَ أَمْلَيْتُ بلسَان القَلمِ كَلمَات عَلَى مُقْتَضَى الوَقْت وَالحَال تَدَارُكًا لمَا مَضَى وَتَلاَفيًا لمَا سَبَقَ وَأَرْسَلْتُ إلى ذَلكَ الجَانب وَاللهُ سُبْحَانَهُ المُلهِمُ للصَّوَاب وَالمُوَفِّقُ للسَّدَاد أَيُّهَا المُوَفَّقُ للسَّعَادَة إنَّ مَا هُوَ اللاَّزمُ لنَا وَلكُمْ تَصْحيحُ العَقَائد عَلَى مُقْتَضَى الكتَاب وَالسُّنَّة عَلَى نَهْجٍ أَخَذَهَا عُلَمَاءُ أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة منَ الكتَاب وَالسُّنَّة بَعْدَ مَا فَهمُوهَا كَمَا يَنْبَغِي فَإنَّ فَهْمَنَا وَفَهْمَكُمْ سَاقطٌ عَنْ حَيِّز الاعْتبَار إذَا لَمْ يُوَافقْ فَهْمَ هَؤُلاَء الكبَار أَلاَ تَرَى أَنَّ كُل مُبْتَدعٍ وَضَال يَدَّعي أَخْذَ أَحْكَامه البَاطلة منَ الكتَاب وَالسُّنَّة وَفَهْمَهَا منْهُمَا وَالحَال أَنَّهُ لاَ يُغْني منَ الحَقِّ شَيْئًا ثُمَّ علمُ الأَحْكَامَ الشَّرِيعَة ثَانيًا منَ الحَلاَل وَالحَرَام وَالفَرْض وَالوَاجب ثُمَّ العَمَل ثَالثًا بمُقْتَضَى هَذَا العلمِ ثُمَّ السُّلوكُ رَابعًا طَرِيقُ التَّصْفيَة وَالتَّزْكيَة الذي خُصَّ بالصُّوفيَّة الكرَام قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ فَمَا لَمْ تُصَحَّحْ العَقَائدُ لاَ يَنْفَعُ العلمُ بالأَحْكَام الشَّرْعيَّة وَمَا لَمْ يَتَحقَّقْ كلاً هَذَيْن لاَ يُجْدي العَمَل شَيْئًا وَمَا لَمْ تَحْصُل الثَّلاَثَةُ كُلهَا فَحُصُول التَّصْفيَة وَالتَّزْكيَة مُحَال وَمَا سوَى هَذه الأَرْكَان الأَرْبَعَة ومُتَمِّمَاتها وَمُكَمِّلاَتهَا كَالسُّنَّة المُكَمِّلة للفَرْض كُله منَ الفُضُول دَاخل فِي دَائرَة مَا لاَ يَعْني وَمنْ حُسْنِ إسْلاَم المَرْء تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنيه وَاشْتغَاله بمَا يَعْنيه.

{وَالسَّلَامُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[1] وَالتَزَمَ بِمُتَابَعَةِ المُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

(١) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالخَمْسُونَ وَالمائَةُ
إلى الشَّيْخِ حُمَيْد البنكالي
فِي بَيَانِ تَفَاوتِ مَرَاتِبِ الكَمَالِ بِحَسَبِ تَفَاوُتِ الاسْتِعْدَادَات

اعْلَمْ أَنَّ مَرَاتِبَ الكَمَال مُتَفَاوِتَةٌ بحَسَب تَفَاوُت الاسْتِعْدَادَات وَالتَّفَاوُتُ فِي الكَمَال قَدْ يَكُونُ بحَسَب الكَمِّيَّة وَقَدْ يَكُونُ بحَسَب الكَيْفِيَّة وَقَدْ يَكُونُ بهمَا مَعًا فَكَمَال البَعْضِ مَثَلاً بالتَّجَلي الصِّفَاتِيِّ وَكَمَال بَعْضٍ آخرَ بالتَّجَلي الذَّاتِيِّ مَعَ تَفَاوُت فَاحِشٍ بَيْنَ أَفْرَاد ذَينك التجليين وَبَيْنَ أَرْبَابهمَا أَيْضًا فَكَمَال البَعْضِ سَلاَمَةُ القَلْبِ وَتَخَلصُ الرُّوحِ وَكَمَال الآخرِ بهمَا وَبالشُّهُود السِّرِّيِّ وَكَمَال الثَّالث بتلكَ الثَّلاَث وَبالحيرَة المَنْسُوبَة إلى الخَفَى وَكَمَال الرَّابعِ بتلكَ الأَرْبَعِ وَبالاتِّصَال المَنْسُوب إلى الأَخْفَى ذَلكَ فَضْلُ الله يُؤْتيه مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْل العَظيمِ وَبَعْدَ حُصُول الكَمَال فِي أيِّ مَرْتَبَة كَانَتْ مِنَ المَرَاتب المَذْكُورَة أَمَّا رُجُوعُ القَهْقَرَى وَأَمَّا ثَبَاتٌ وَاسْتقْرَارٌ فِي ذَلكَ المُوْطنِ وَالأَوَّل هُوَ مَقَامُ التَّكْميل والإرشاد وَرُجُوعٌ منْ طَرَف الحَقِّ إلى الخَلقِ للدَّعْوَةِ وَالثَّانِي هُوَ مَوْطِنُ الاسْتهْلاَكِ وَالعُزْلة مِنَ الخَلقِ وَالسَّلاَمُ أَوَّلاً وَآخرًا.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالخَمْسُونَ وَالمِائَةُ
إِلى شَرَفِ الدِّينِ حَسَنٍ البدخشي
فِي التَّعْزِيَةِ

اعْلَمْ أَنَّ الآلاَمَ وَالمَصَائِبَ وَإِنْ كَانَتْ مُرًّا فِي الظَّاهِرِ وَمُؤْلِمَةً للجسْمِ وَلكِنَّهَا حُلوٌ فِي البَاطِنِ وَمُورِّثَةٌ للذَّة الرُّوحِ وَذَلكَ لأَنَّ الرُّوحَ وَالجسْمَ كَأَنَّهُمَا وَقَعَا عَلى طرفَي النَّقيضِ فَأَلَمُ أَحَدهمَا يَسْتَلزمُ لذَّةَ الآخرِ فَالذي لاَ يَقْدرُ أَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَ هَذَيْنِ النَّقيضَيْنِ وَلوَازِمِهِمَا خَارِجٌ عَنِ البَحْثِ وَلاَ قَابليَّةَ فيهِ أُولئكَ كَالأَنْعَامِ بَل هُمْ أَضَل. شِعْرٌ.

مَنْ لَمْ يَكُنْ ذَا خبْرَةٍ عَنْ نَفْسه هَل يَقْدرُ الخَبَارَ عَنْ هَذَا وَذَا

وَمَنْ تَنَزَّلَتْ رُوحُهُ وَاسْتَقَرَّتْ فِي مَرْتَبَة الجسْمِ وَكَانَتْ لطَائفَة الأَمْرِيَّة تَابعَةً للطَّائفَة الخلقيَّة منْ أَنْ يَعْرِفَ سرَّ هَذَا المُعَمَّى وَمَا لَمْ تَرْجِعِ الرُّوحُ إِلى مَقَرِّهَا الأَصْليَّة قَهْقَرَى وَلَمْ يُمَيِّزْ الأَمْرَ منَ الخَلقِ لاَ يَنْجَلي الحجَابُ عَنْ جَمَال هَذه المَعْرِفَة وَحُصُول هَذه الدَّوْلة مَرْبُوطٌ بالمَوْت قَبْل حُلول الأَجَل المُسَمَّى وَوُقُوعه الذي عَبَّرَ عَنْهُ مَشَائخُ الطَّرِيقَة قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ بالفَنَاء. شعْرٌ.

وَكَانَ أَرْضًا لِيَنْبُتَ فيكَ وَرْدٌ فَإِنَّ الوَرْدَ مَنْبَتُه التُّرَابُ

وَمَنْ لَمْ يَمُتْ قَبْل مَوْته يَنْبَغي تَعْزِيَتُه لمُصيبَته وَقَدْ صَارَ خَبَرُ وَفَات وَالدكَ المَرْحُوم الذي كَانَ مُشْتَهِرًا بالخَيْر وَالصَّلاَحِ وَمُرَاعيًا لشيمَة الأَمْرِ بالمَعْرُوف وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَر جدًّا مُوجبًا لحُزْن المُسْلمينَ وَمُسْتَلزمًا لغَمِّهِمْ إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْه رَاجعُونَ فَيَنْبَغي للوَلَد الأَرْشَد أَنْ يَلزَمَ شيمَةَ الصَّبْرِ وَأَنْ يَمُدَّ الأَمْوَاتَ وَيُعَاونَهُمْ بالصَّدَقَة وَالاسْتغْفَار وَالدَّعَوَات فَإِنَّ المَوْتَى أَشَدُّ احْتيَاجًا إِلى مدَاد الأَحْيَاء وَقَدْ وَرَدَ في الحَديث النَّبَويِّ - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - مَا المَيِّتُ إِلاَّ كَالغَرِيق المُتَغَوِّث يَنْتَظرُ دَعْوَةً تَلحَقُهُ منْ أَب أَوْ أُمٍّ أَوْ أَخ أَوْ صَديق فَإِذَا لحقَتْهُ كَانَ أَحَبَّ إِلَيْه منَ الدُّنْيَا وَمَا فيهَا وَإِنَّ اللهَ ليُدْخلُ عَلى أَهْل القُبُورِ منْ دُعَاء أَهْل الأَرْضِ أَمْثَال الجبَال منَ الرَّحْمَة وَإِنَّ هَديَّةَ الأَحْيَاء إِلى الأَمْوَات الاسْتغْفَارُ وَبَقيَّةُ النُّصْحِ مُلاَزَمَةُ الذِّكْر وَالمُدَاوَمَةُ عَلى الفكْرِ فَإِنَّ الفُرْصَةَ قَليلَةٌ جدًّا يَنْبَغي أَنْ تَصرِفَهَا إِلى أَهَمِّ المَهَامِّ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ السِّتُّونَ وَالمِائَةُ

إلى أَقَل عَبيده أَعَني يار مُحَمَّد الجَديد البدخشي الطَّالقَانيّ في بَيانِ أَنَّ مَشَائخَ الطَّرِيقَة قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ ثَلاثَةُ طَوائفَ مَعَ شَرْحِ أَحْوَال كُل منْهَا كَمالاً وَنُقْصَانًا

اعْلَمْ أَنْ مَشَائِخَ الطَّرِيقَة قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ ثَلاَثَةَ طَوائف فَالطَّائفَةُ الأُولى قَائلونَ بِأَنَّ العَالَمَ مَوْجُودٌ في الخَارِجِ بِإيجَاد الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَكُلمَا فيه منْ أَوْصَاف الكَمَال وَالنُّقْصَان فَهُوَ بإيجَاد الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى وَلاَ يَعْتَقدُونَ أَنْفُسَهُمْ شَيْئًا سوَى شَبَحٍ بَل يَعْتَقدُونَ أَنَّ الشَّبَحيَّةَ أَيْضًا منْهُ سُبْحَانَهُ قَدْ غَرقُوا في بحَارِ العَدَمِ بحَيْثُ لاَ خَبَرَ لَهُمْ عَنِ العَالمِ وَلاَ عَنْ أَنْفُسهمْ مَثَلهمْ مَثَل شَخْصٍ لاَ ثَوْبَ لَهُ فَلَبِسَ ثَوْبُ شَخْصٍ عَلى طَرِيقِ العَارِيَة عَالمًا بأَنَّهُ عَارِيَةٌ وَغَلَبَ عَلَيْه علْمُ كَوْنه عَارِيَةً عَلى وَجْه يَرَى ذَلكَ الثَّوْبَ في يَد صَاحبه وَيَجدُ نَفْسَهُ عَارِيًا عَنْهُ فَإذَا خَرَجَ مثْل هَذَا الشَّخْصِ منْ عَدَمِ الشُّعُورِ وَالسُّكْرِ إلى الصَّحْوِ وَالشُّعُورِ وَتَشَرَّفَ بالبَقَاء بَعْدَ الفَنَاء فَإنَّهُ وَإنْ وُجدَ الثَّوْبُ حينَئذ في نَفْسه وَلكنَّهُ يَعْرفُ بيَقينٍ أَنَّهُ منَ الغَيْرِ فَإنَّ ذَلكَ الفَنَاءَ مُنْدَرِجٌ الآنَ في العلْمِ وَمَا بَقيَ شَيْءٌ منَ التَّعَلق الذي كَانَ بالثَّوْب أَصْلاً وَكَذَلكَ حَال مَنْ يَرَى أَوْصَافَه وَكَمَالاته كَالثَّوْب المُسْتَعَارِ وَلكنَّهُ يَرَى أَنَّ هَذَا الثَّوْبَ إنَّمَا هُوَ في الوَهْمِ فَقَطْ لاَ ثَوْبَ في الخَارِجِ أَصْلاً بَل هُوَ عَارٍ فيه وَيَغْلبُ عَلَيْه هَذه الرُّؤْيَةُ عَلى وَجْه لاَ يَرَى الثَّوْبَ أَصْلاً بَل يَجدُ نَفْسَهُ عُرْيَانًا وَبَعْدَ الإفَاقَة وَالصِّحَّة يَجدُ ذَاكَ الثَّوْبَ مَعَهُ أَيْضًا وَلكنَّ فَنَاءَ الشَّخْصِ الأَوَّل أَتَمُّ وَالبَقَاءَ المُتَرَتِّبَ عَلَيْه أَكْمَل كَمَا سَيَجيءُ عَنْ قَرِيب إنْ شَاءَ اللهُ وَهَؤُلاَءِ الأَكَابِرُ مُتَّفقُونَ مَعَ عُلمَاء أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة في جَميعِ المُعْتَقَدَات الكَلاَميَّة الثَّابتَة عَلى وَفْقِ الكتَاب وَالسُّنَّة وَإجْمَاعِ عُلمَاءِ الأُمَّة وَلاَ فَرْقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ المُتَكَلمينَ إلاَّ أَنَّ المُتَكَلمينَ يُدْرِكُونَ هَذَا المَعْنَى علمًا واستدلالاً وَهَؤُلاَءِ الأَكَابِرُ كَشْفًا وَذَوْقًا وَحَالاً وَأَيْضًا أَنَّ هَؤُلاَءِ الأَكَابرَ لاَ يُثْبتُونَ شَيْئًا منْ نَسَب العَالَمِ إلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ منْ غَايَة التَّنْزِيه بَل يَسْلبُونَ منْهُ سُبْحَانَهُ جَميعَ النِّسَب فَكَيْفَ العَيْنيَّةَ وَالجُزْئيَّةَ تَعَالى شَأْنه عَنْ ذَلكَ إلاَّ نسْبَةَ الرُّبُوبيَّة وَالعُبُوديَّة والصانعيَّة والمصنوعيَّة بَل يُضَيِّعُونَ هَذه النِّسْبَةَ أَيْضًا وَقْتَ غَلبَة الحَال فَحينَئذ يَتَشَرَّفُونَ بالفَنَاء الحَقيقيِّ وَتَحْصُل لَهُمُ القَابليَّةُ للتَّجليَات الذَّاتيَّة وَالمَظْهَرِيَّة لتَجليَات غَيْر مُتَنَاهيَة وَالطَّائفَةُ الثَّانيَةُ يَقُولونَ بأَنَّ العَالَمَ ظل الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَلكنَّهُمْ قَائلونَ بوُجُوده في الخَارِجِ بِطَرِيقِ الظِّليَّة لاَ بِطَرِيقِ الأَصَالَة وَأَنَّ وُجُودَ العَالمِ قَائمٌ

بوُجُود الحَقِّ سُبْحَانَهُ قيَامَ الظِّل بالأَصْل مَثَلاً إذَا امْتَدَّ الظِّل منْ شَخْصٍ وَجَعَل ذَلكَ الشَّخْصُ منْ كَمَال قُدْرَته صفَات نَفْسه مُنْعَكسَةً فيه كَالعلم وَالقُدْرَة وَالإرَادَة وَغَيْرهَا حَتَّى اللذَّةُ وَالأَلَمُ فَإنْ وَقَعَ ذَلكَ الظِّل في النَّار مَثَلاً وَتَأَلَمَ بهَا لاَ يُقَال عُرْفًا وَعَقْلاً إنَّ ذَلكَ الشَّخْصَ الذي هُوَ صَاحبُ الظِّل مُتَأَلِّمٌ كَمَا قَالتْ به الطَّائفَةُ الثَّالثَةُ وَعَلى هَذَا القيَاس جَميعُ ذمائم الأَفْعَال التي تَصْدُرُ منَ المَخلوقَات لاَ يُقَال أَنَّهَا فعْل الحَقِّ سُبْحَانَهُ كَمَا أَنَّ الظِّل إذَا تَحرَّكَ بإرَادَته لاَ يُقَال إنَّ الشَّخْصَ مُتحرِّكٌ ثمَّ يُقَال أَنَّ ذَلكَ أَثَرُ قُدْرَته وَإرَادَته يَعْني مَخْلوقَهُ وَمنَ المُقرَّر أَنَّ خَلقَ القَبيح لَيْسَ بقَبيحٍ بَل القَبيحُ فعْل القَبيح وَكَسْبُه وَالطَّائفَة الثَّالثَةُ قَائلونَ بوَحْدَة الوُجُود يَعْني أَنَّ في الخَارج مَوْجُودًا وَاحدًا فَقَطْ وَهُوَ ذَاتُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَلاَ تَحقُّقَ للعَالم في الخَارج أَصْلاً وَإنَّمَا لهُ الثُّبُوتُ العلميُّ وَيَقُولونَ إنَّ الأَعْيَانَ مَا شَمَّتْ رَائحَةَ الوُجُود وَهَذه الطَّائفَةُ وَإنْ قَالوا إنَّ العَالمَ ظل الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَلكنَّهُمْ يَقُولونَ إنَّ وُجودَهُ الظّليَّ إنَّمَا هُوَ في مَرْتَبَة الحسِّ فَقَطْ وَأَمَّا في نَفْس الأَمْر وَالخَارج فَمَعْدُومٌ مَحْضٌ وَيَقُولونَ إنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ مُتَّصفٌ بصفَات وُجوبيَّة وَإمْكَانيَّة وَيُثْبتُونَ مَرَاتبَ التنزلات، وَيَقُولونَ باتِّصَاف الذَّات الوَاحدَة في كُل مَرْتَبَة بأَحْكَامٍ لاَئقَة بتلكَ المَرْتَبَة ويُثْبتُونَ للذَّات التَّلذُّذَ وَالتَّأَلمَ وَلكنْ لاَ بالذَّات بَل في حُجُب هَذه الظِّلال المَحْسُوسَة المَوْهُومَة وَيَلزَمُ عَلى هَذَا مَحظُورَاتٌ كَثيرَةٌ شَرْعًا وَعَقْلاً وَهُمْ قَدْ ارْتَكَبُوا في جَوَابهَا تَمحُّلات كَثيرَة وتكلفات بَعيدَة وَهَؤُلاَء الطَّائفَةُ وَإنْ كَانُوا وَاصلينَ كَاملينَ عَلى تَفَاوُت دَرَجَاتٍ الوُصُول وَالكَمَال وَلكنَّ كَلاَمَهُمْ دَل الخَلقَ عَلى طَريق الضَّلالة وَالإلحَاد وأفضاهم إلى الزَّنْدَقَة بالقَوْل بالاتِّحَاد وَالطَّائفَةُ الأَوْلى أَكْمَل وَأَتَمُّ وَأَقْوَالهمْ أَوْفَقُ بالكتَاب وَالسُّنَّة وَأَسْلمُ أَمَّا الأَسلميَّةُ والأَوفقيَّةُ فَظَاهرٌ وَأَمَّا الأَتميَّةُ والأَكمليَّةُ فَمَبْنيَّةٌ عَلى أَنَّ بَعْضَ مَرَاتب الوُجُود الإنسانيِّ لهُ مُشَابَهَةٌ بالمَبْدَأ وَمُنَاسَبَةٌ تَامَّةٌ لهُ في غَايَة اللطَافَة وَالتَّجرُّدُ كَالخَفَى وَالأَخْفَى فَالذينَ لاَ يَقْدرُونَ عَلى تَمْييز هَذه المَرَاتب منَ المَبْدَأ مَعَ وُجُود الفَنَاء السِّرِّي فَيَنْفُوهَا بكَمَاله لاَ بَل يَبْقَى المَبْدَأُ عنْدَهُمْ مُمْتَزجًا وَمُتَشَابهًا وَيَجدُونَ أَنْفُسَهمْ حَقًّا يَعْني عَيْنَهُ قَالوا لَيْسَ في الخَارج إلاَّ الحَقُّ سُبْحَانَهُ فَقَطْ وَلَيْسَ لنَا وُجُودٌ أَصْلاً وَلكنْ لمَّا كَانَ تَعَدُّدُ الآثَار الخَارجيَّة مُتحَقِّقًا قَالوا بالثُّبُوت العلميِّ بالضَّرُورَة وَمنْ هَهُنَا قَالوا إنَّ الأَعْيَانَ برَازخُ بَيْنَ الوُجُود وَالعَدَم فَإنَّهُمْ لمَّا لَمْ يُميِّزُوا بَعْضَ مَرَاتب وُجُودَات المَخلوقَات منَ المَبْدَأ وَلَمْ يَقُولوا بوُجُوب

وَجُودِه صَرَّحُوا بِبَرْزَخِيَّتِه وَأَثْبَتُوا لِلمُمْكِنِ مَا لِلوَاجِبِ وَلَمْ يَدْرُوا أَنَّ الذي أَثْبَتُوهُ هُوَ مِنْ لَوَازِمِ المُمْكِنِ فِي نَفْسِ الأَمْرِ لكِنَّهُ مُشَابِهٌ بِالوَاجِبِ وَلَوْ فِي الصُّورَةِ وَالاسْمِ فَإِنْ فَرَّقُوا ذَلِكَ وَمَيَّزُوا المُمْكِنَ مِنَ الوَاجِبِ بِالتَّمَامِ لَمَا يَقُولُونَ بِاتِّحَادِ العَالَمِ بِالحَقِّ سُبْحَانَهُ وَعَيْنِيَّتِهِمَا بَل يَرَوْن العَالَمَ مُتَمَيِّزًا مِنَ الحَقِّ وَلَمَّا يَقُولُونَ بِوَحْدَةِ الوُجُودِ وَمَا دَامَ لَمْ يَزَل مَنْ شَخَصٍ أَثَرٌ لاَ يَرَى نَفْسَه حَقًّا وَأَنَّ زَعْمَ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْهُ أَثَرٌ وَهَذَا أَيْضًا مِنْ قُصُورِ نَظْرِه وَالطَّائِفَةُ الثَّانِيَةُ وَإِنْ فَرَّقُوا هَذه المَرَاتِبَ مِنَ المَبْدَأ وَأَدْخَلوهَا تَحْتَ كَلِمَة لاَ وَنَفوْهَا بِهَا وَلكِنْ بَقِيَ جُزْءٌ مِنْ بَقَايَا وُجُودِهَا ثَانيًا بِوَاسِطَة الظِّلِّيَّة وَالأَصَالة فَإِنَّ تَعلقَ رُتْبَة الظِّل وَارْتبَاطَهَا بالأَصْل قَوِيٌّ جدًّا وَهَذه النِّسْبَةُ لَمْ تَكُنْ مَمْحُوَّةً مِنْ نَزْرِهِمْ وَأَمَّا الطَّائِفَةُ الأُولى فَقَدْ فَرَّقُوا جَميعَ مَرَاتبِ المُمْكِنِ مِنَ الوَاجبِ كَمَالَ المُنَاسَبَة وَالمُتَابعَة لحَضْرَة خَاتَمِ الرِّسَالة عَلَيْه مِنَ الصَّلَوَات أَتَمُّهَا وَمِنَ التَّحيَّات أَكْمَلهَا وَنَفَوْا لكُل مِنْ أَوَّل الأَمْر بكَلمَة لاَ وَلَمْ يَرَوْا في المُمْكنِ مُنَاسَبَةً للوَاجب أَصْلاً وَلَمْ يُثْبتُوا للوَاجب نسْبَةً مَا قَطْعًا وَلَمْ يَعْتَقدُوا أَنْفُسَهمْ غَيْرَ المَخْلوق العَاجز شَيْئًا وَاعْتَقَدُوا الحَقَّ سُبْحَانَهُ خَالقَهمْ وَمَوْلاَهُمْ وَاعْتقَادُ شَخَص نَفْسَه عَيْنَ مَوْلاَهُ أَوْ ظلهُ ثَقيل عَلى هَؤُلاَء الأَكَابر جدًّا مَا للتُّرَاب وَرَبِّ الأَرْبَاب وَهَؤُلاَء الأَكَابر يُحبُّونَ الأَشْيَاءَ لكَوْنهَا مَخْلوقَةَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَكُونُ الأَشْيَاءُ مَحْبُوبَةً في نَظَرهمْ بهَذَا السَّبَب وَبهَذه الحَيْثيَّة أَعْني منْحَيْثيَّة كَوْن العَالم وَأَفْعَالهمْ مَصْنُوعَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَأَثَر أَفْعَاله وَإرَادَته وَقُدْرَته يَنْقَادُونَ وَيَسْتَسْلمُونَ للأَشْيَاء بالتَّمَام وَلاَ يَقْدرُونَ عَلى إنْكَار أَفْعَالهمْ إلاَّ بمُوجب الشَّريعَة فَكَمَا أَنَّ هَذَا النَّوْعَ منَ الانْقيَاد وَالاسْتسْلاَم وَالمَحَبَّة يَحْصُل لأَرْبَاب التَّوْحيد بسَبَب اعْتقَادهمُ الأَشْيَاءَ مَظْهَرَ الصِّفَات الحَقِّ بَل عَيْنَه تَعَالى كَذَلكَ يَحْصُل هَذَا النَّوْعُ لهَؤُلاَء الأَكَابر بمُجَرَّد مُلاَحَظَة كَوْن الأَشْيَاء مَخْلوقَةَ الحَقِّ وَمَصْنُوعَتَه تَعَالى، (ع):

وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ الطَّرِيقَيْنِ فَانْظُرُوا

فَإِنَّ نَفْسَ المَحْبُوبِ وَعَيْنَه يُمْكِنُ أَنْ يُحبَّ بِأَدْنَى شَيْءٍ مِنْ مُوجِبَاتِ المَحبَّة.

وَأَمَّا مَصْنُوعَاتُهُ وَمَخْلوقَاتُهُ وَعَبِيدُهُ فَلاَ يُمْكِنُ تَعَلقُ المَحَبَّة بِهِمْ، وَكَوْنُهُمْ مَحْبُوبِينَ بِدُونِ حُصُول كَمَال مَحَبَّة المَحْبُوب وَلهَذه الطَّائفَة العَليَّة حَظٌّ وَافرٌ منْ مَقَامِ العَبْديَّة التي هِيَ نِهَايَةُ مَقَامَاتِ الوِلاَيَة وَأَيُّ دَليل أَتَمَّ عَلى صحَّة حَال هَؤُلاَء

الأَصْفِيَاءِ مِنْ كَوْنِ كَشْفِهِمْ مُوَافِقًا لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَظَاهِرِ الشَّرِيعَةِ بِالتَّمَامِ بِحَيْثُ لَمْ يَتَطَرَّقْ إِلَيْهِ مِقْدَارُ شَعْرَةٍ مِنْ مُخَالَفَةِ ظَاهِرِ الشَّرِيعَةِ اللهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ مُحِبِّيهِمْ وَتَابِعِيهِمْ بِحُرْمَةِ مُحَمَّدٍ المُصْطَفَى ﷺ وَكَانَ هَذَا الدَّرْوِيشُ رَاقِمُ السُّطُورِ أَوَّلاً مُعْتَقِدَ التَّوْحِيدِ الوُجُودِ وَحَصَلَ لَهُ عِلْمُ هَذَا التَّوْحِيدِ مِنْ زَمَنِ الصِّبَا وَبَلَغَ مَرْتَبَةَ اليَقِينِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَالٌ وَلَمَّا دَخَلَ فِي هَذَا الطَّرِيقِ انْكَشَفَ لَهُ أَوَّلاً طَرِيقُ التَّوْحِيدِ يَعْنِي عَلَى وَجْهِ الحَالِ وَسَارَ مُدَّةً فِي مَرَاتِبِ هَذَا المَقَامِ وَفَاضَتْ عَلَيْهِ عُلُومٌ وَافِرَةٌ مُنَاسِبَةٌ لِهَذَا المَقَامِ وَصَارَتْ المُشْكِلاَتُ وَالوَارِدَاتُ التِي تَرِدُ لأَرْبَابِ التَّوْحِيدِ الوُجُودِيِّ كُلُّهَا مُنْكَشِفَةً وَأُفِيضَتْ عُلُومُ حَلِّهَا أَيْضًا وَبَعْدَ مُدَّةٍ غَلَبَتْ عَلَى هَذَا الدَّرْوِيشِ نِسْبَةٌ أُخْرَى وَتَوَقَّفَ فِي التَّوْحِيدِ الوُجُودِيِّ يَعْنِي فِي مُطَابَقَتِهِ لِلْوَاقِعِ وَعَدَمِهِ عِنْدَ غَلَبَتِهَا عَلَيْهِ وَلَكِنَّ هَذَا التَّوَقُّفَ كَانَ بِحُسْنِ الظَّنِّ لاَ بِالإِنْكَارِ وَبَقِيَ عَلَى ذَلِكَ التَّوَقُّفُ مُدَّةً ثُمَّ انْجَرَّ الأَمْرُ أَخِيرًا إِلَى الإِنْكَارِ وَأُلْهِمَ إِلَيْهِ أَنَّ هَذَا المَقَامَ مَقَامٌ سُفْلِيٌّ يَنْبَغِي التَّرَقِّي عَلَى مَقَامِ الظِّلِّيَّةِ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الإِنْكَارِ صَاحِبَ اخْتِيَارٍ وَلَمْ يَرْضَ أَنْ يُفَارِقَ هَذَا المَقَامَ بِسَبَبِ إِقَامَةِ المَشَايِخِ العِظَامِ فِيهِ وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى مَقَامِ الظِّلِّيَّةِ وَوَجَدَ نَفْسَهُ وَسَائِرَ العَالَمِ ظِلاً كَمَا قَالَ بِهِ الطَّائِفَةُ الثَّانِيَةُ تَمَنَّى عَدَمَ مُفَارَقَتِهِ ذَلِكَ لِظَنِّهِ أَنَّ الكَمَالَ فِي وَحْدَةِ الوُجُودِ وَلِهَذَا المَقَامِ يَعْنِي مَقَامَ الظِّلِّيَّةِ مُنَاسَبَةٌ بِذَاكَ المَقَامِ فِي الجُمْلَةِ ثُمَّ رَقُّوهُ مِنْ هَذَا المَقَامِ أَيْضًا اتِّفَاقًا مِنْ كَمَالِ العِنَايَةِ وَغَايَةِ اللُّطْفِ بِهِ عَلَى أَعْلَى مِنْهُ وَبَلَّغُوهُ مَقَامَ العَبْدِيَّةِ فَظَهَرَ حِينَئِذٍ كَمَالُ هَذَا المَقَامِ وَاتَّضَحَ عُلُوُّهُ فَصَارَ تَائِبًا مِنَ المَقَامَاتِ التَّحْتَانِيَّةِ وَمُسْتَغْفِرًا مِنْهَا فَإِنْ لَمْ يَسْلُكُوا بِهَذَا الدَّرْوِيشِ بِهَذَا الطَّرِيقِ وَلَمْ يُظْهِرُوا لَهُ فَوْقِيَّةَ بَعْضٍ بَعْضًا كَانَ قَدْ ظَنَّ تَرَقِّيَهُ عَلَى هَذَا المَقَامِ تَنَزُّلاً مِنْ ذَلِكَ المَقَامِ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَقَامٌ أَعْلَى مِنْ مَقَامِ التَّوْحِيدِ الوُجُودِيِّ وَاللهُ يُحِقُّ الحَقَّ وَهِيَ يَهْدِي السَّبِيلَ وَيَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ مَنْشَأَ تَفَاوُتِ العُلُومِ وَالمَعَارِفِ فِي المَكَاتِيبِ وَالرَّسَائِلِ الصَّادِرَةِ مِنْ هَذَا الدَّرْوِيشِ بَلْ مِنْ كُلِّ سَالِكٍ هُوَ حُصُولُ هَذِهِ المَقَامَاتِ المُتَفَاوِتَةِ فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ عُلُومًا وَمَعَارِفَ خَاصَّةً بِهِ وَلِكُلِّ حَالٍ قِيلاً وَقَالاً فَعَلَى هَذَا لاَ تَدَافُعَ فِي العُلُومِ وَلاَ تَنَاقُضَ بَيْنَهَا بَلْ ذَلِكَ مِثْلُ نَسْخِ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ فَلاَ تَكُنْ مِنَ المُمْتَرِينَ وَصَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

المَكْتُوبُ الحادِيَ وَالسِّتُّونَ وَالمائَةُ

إلى الملا صَالِحٍ البدخشي

فِي بَيَانِ أَنَّ المَقْصُودَ مِنْ طَيِّ مَنَازِلِ السُّلوك حُصُول الإِيمَانِ الحَقِيقيِّ المَوْقُوف عَلى اطْمِئْنَان النَّفْس

اعْلَمْ أَنَّ المَقْصُودَ مِنْ طَيِّ مَنَازِل السُّلوك حُصُول الإِيمَان الحَقيقيِّ الذي هُوَ مَرْبُوطٌ بِاطْمِئْنَان النَّفْسِ وَمَا لَمْ تَطْمَئِنَّ النَّفْسُ لاَ تَتَصوَّرُ النَّجَاةَ وَلاَ تَصل النَّفْسُ إلى مَرْتَبَة الاطْمِئْنَانَ مَا لَمْ تُسَلطْ عَلَيْهَا سِيَاسَةَ القَلْب وَسِيَاسَةُ القَلْب إِنَّمَا تَتَيَسَّرُ إذا كَانَ القَلَبُ فَارِغًا مِنْ جَمِيعِ مَا هُوَ مِنْ قِبَل النَّفْسِ وَحَصَلتْ لهُ السَّلاَمَةُ مِنَ التَّعَلق بِمَا سوَى الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَعَلاَمَةُ سَلاَمَته مِنْ ذَلكَ التَّعَلق نسْيَانُه مَا سوَى الله تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَمَا بَقِيَ مِقْدَارُ شَعْرَة مِنَ الشُّعُور بالغَيْر فَالسَّلاَمَةُ بَعيدَةٌ فَطُوبَى لِمَنْ سَلمَ قَلْبُهُ لرَبِّه وَالسَّعْيُ إِلى أَنْ تُشَرِّفَ القَلبَ بِالسَّلاَمَة وَيَنْجَرُّ الأَمْرُ إِلى اطْمِئْنَان النَّفْسِ لاَزِمٌ.

{ذَلكَ فَضْلُ الله يُؤْتيه مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْل العَظيمِ} وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّاني وَالسِّتُّونَ وَالمائَةُ
إلى الخواجهْ مُحَمَّد صدِّيق
في بَيَان فَضيلة شَهْر رَمَضَانَ
وَبَيَان مُنَاسَبَته للقُرْآن المَجيد وَمَا يُنَاسبُهُ

باسْمه سُبْحَانَهُ

اعْلَمْ أَنَّ شَأْنَ الكَلَامِ الذي هُوَ منْ جُمْلَة الشُّئونات الذَّاتيَّة جَامعٌ لجَميعِ الكَمَالات الذَّاتيَّة والشئونات الصِّفاتيَّة كَمَا ذُكرَ في العُلومِ السَّابقَة وَشَهْرُ رَمَضَانَ المُبَارَكُ جَامعٌ لجَميعِ الخَيْرَات وَالبَرَكَات وَكُل خَيْر وَبركَة فَهُوَ مُفَاضٌ منْ حَضْرَة الذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ وَنَتيجَةُ شئوناته سُبْحَانَهُ وَكُل شَرٍّ وَنَقْصٍ ظَهَرَ في عَرْصَة الوُجُود فَنَشْأَةُ الذَّات الحَادثَة وَالصِّفَات المُسْتَحْدَثَة (مَا أَصَابَك منْ حَسَنَة فَمنَ اللهِ وَمَا أَصَابَك منْ سَيِّئَة فَمنْ نَفْسكَ) نَصٌّ قَاطعٌ في ذَلكَ فَجَميعُ خَيْرَات هَذَا الشَّهْر وَبَرَكَاته نَتيجَةُ تلكَ الكَمَالات الذَّاتيَّة التي اسْتَجْمَعَتْ في شَأْن الكَلَامِ وَالقُرْآنُ المَجيدُ حَاصل تَمَام حَقيقَة ذَلكَ الشَّأْن الجَامعِ فَلهَذَا الشَّهْر المُبَارَك مُنَاسَبَةٌ تَامَّةٌ للقُرْآن المَجيد منْ جهَة كَوْن القُرْآن جَامعًا لجَميع الكَمَالات وَهَذَا الشَّهْرُ لجَميعِ الخَيْرَات التي هيَ نَتَائجُ تلكَ الكَمَالات وَثَمَرَاتُهَا وَهَذه المُنَاسَبَةُ كَانَتْ بَاعثَةً عَلى نُزُول القُرْآن في هَذَا الشَّهْر قَال اللهُ تَعَالى (شَهْرُ رَمَضَانَ الذي أُنْزل فيه القُرْآنُ) وَلَيْلَةُ القَدْر في هَذَا الشَّهْر خُلَاصَةُ هَذَا الشَّهْر وَزُبْدَتُهُ فَهُوَ بمَنْزلة اللبِّ وَهَذَا الشَّهْرُ بمَنْزلة قشْره فَمَنْ مَرَّ عَلَيْه هَذَا الشَّهْرُ وَهُوَ مُتَلَبِّسٌ بالجَمْعيَّة وَصَارَ مَحْظُوظًا منْ خَيْرَاته وَبَرَكَاته يَكُنْ مُوَفَّقًا لجَمْعيَّة تَمَام السَّنَة وَيَفُوزُ بالخَيْرَات وَالبَرَكَات فيهَا وَفَّقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ للخَيْرَات وَالبَرَكَات في مثْل هَذَا الشَّهْر المُبَارَك وَرَزَقَنا النَّصيبَ الأَعْظَمَ قَال حَضْرَةُ خَاتَم الرِّسَالة - عَلَيْه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحيَّةُ - "إذَا أَفْطَرَ أَحَدُكُمْ فَليُفْطرْ عَلى تَمْرَة فَإنَّهُ بَرَكَةٌ" وَأَفْطَرَ النَّبيُّ ﷺ بالتَّمْر وَكَوْنُ التَّمْر بَرَكَةً لأَنَّ شَجَرَتَهَا النَّخْلَةُ وَمَخْلوقَةٌ عَلى عُنْوَان الجَامعيَّة وَصفَات أَعْدَليَّة كَالإنْسَان وَلهَذَا سَمَّى النَّبيُّ ﷺ النَّخْلَةَ عَمَّةَ بَني آدَمَ لكَوْنهَا مَخْلوقَةً منْ بَقيَّة طينَة آدَمَ عَلَيْه السَّلَامُ كَمَا قَال - عَلَيْه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - "أَكْرمُوا عَمَّتَكُمْ النَّخْلةَ فَإنَّهَا خُلقَتْ منْ بَقيَّة طينَة آدَمَ عَلَيْه السَّلَامُ" وَتَسْميَتُهُ بَرَكَةً يُمْكنُ أَنْ تَكُونَ باعْتبَار هَذه الجَامعيَّة فَالإفْطَارُ بثَمَرتهَا التي

هِيَ التَّمْرَةُ تَكُونُ جُزْءًا مِنَ المُفْطِرِ بِهَا وَحَقِيقَتُهَا الجَامِعِيَّةُ تَكُونُ جُزْءًا مِنْ حَقِيقَتِهِ بِاعْتِبَارِ تِلْكَ الجُزْئِيَّةِ وَيَكُونُ آكِلُهَا جَامِعًا لِكَمَالاتٍ غَيْرِ مُتَنَاهِيَةٍ مُنْدَرِجَةٍ فِي حَقِيقَةِ التَّمْرِ الجَامِعَةِ بِذَلِكَ الاعْتِبَارِ وَهَذَا المَعْنَى وَإِنْ كَانَ حَاصِلاً فِي أَكْلِهِ مُطْلَقًا وَلَكِنَّهُ وَقْتَ الإِفْطَارِ الذي هُوَ أَوَانُ خُلُوِّ الصَّائِمِ عَنِ الشَّهَوَاتِ المَانِعَةِ وَاللَّذَّاتِ الفَانِيَةِ يَكُونُ تَأْثِيرُهُ أَزْيَدَ وَظُهُورُ هَذَا المَعْنَى فِيهِ يَكُونُ أَتَمَّ وَأَكْمَلَ وَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ نِعْمَ سُحُورُ المَرْءِ التَّمْرُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِاعْتِبَارِ أَنَّ فِي غِذَائِهِ الذي يَصِيرُ جُزْءًا مِنَ الآكِلِ تَكْمِيلَ حَقِيقَتِهِ لاَ تَكْمِيلَ حَقِيقَةِ الغِذَاءِ وَلَمَّا كَانَ هَذَا المَعْنَى مَفْقُودًا وَقْتَ الصَّوْمِ رَغَّبَ فِي التَّسَحُّرِ بِالتَّمْرِ تَلاَفِيًا لِهَذَا المَعْنَى وَكَانَ فِي أَكْلِهِ فَائِدَةُ أَكْلِ جَمِيعِ المَأْكُولاَتِ وَتَبْقَى بَرَكَتُهُ بِاعْتِبَارِ جَامِعِيَّتِهِ إِلَى وَقْتِ الإِفْطَارِ وَهَذِهِ الفَائِدَةُ الغِذَائِيَّةُ المَذْكُورَةُ إِنَّمَا تَتَرَتَّبُ إِذَا وَقَعَ ذَلِكَ الغِذَاءُ عَلَى وَجْهٍ شَرْعِيٍّ وَلَمْ يُجَاوِزْ حُدُودَ الشَّرْعِ مِقْدَارَ شَعْرَةٍ وَأَيْضًا إِنَّ حَقِيقَةَ هَذِهِ الفَائِدَةِ إِنَّمَا تَتَيَسَّرُ إِذَا كَانَ آكِلُهُ قَدْ جَاوَزَ الصُّورَةَ وَبَلَغَ المَعْنَى وَالحَقِيقَةَ وَاطْمَئَنَّ عَنِ الظَّاهِرِ بِالبَاطِنِ فَحِينَئِذٍ يَكُونُ ظَاهِرُ الغِذَاءِ مُمِدًّا لِظَاهِرِهِ وَبَاطِنُهُ مُكَمِّلاً لِبَاطِنِهِ وَإِلاَّ فَفَائِدَتُهُ مَقْصُورَةٌ عَلَى الإِمْدَادِ الظَّاهِرِيِّ وَآكِلُهُ فِي عَيْنِ القُصُورِ. شِعْرٌ.

اجْتَهِدْ فِي جَعْلِ أَكْلٍ جَوْهَرًا ثُمَّ كُلْ مِنْ بَعْدِ ذَا مَا تَشْتَهِي

وَهَذَا أَعْنِي تَكْمِيلَ الغِذَاءِ لآكِلِهِ هُوَ سِرُّ تَعْجِيلِ الإِفْطَارِ وَتَأْخِيرِ السَّحُورِ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالسِّتُّونَ وَالمِائَةُ
إلى السَّيِّد النَّقِيب الشَّيْخ فَرِيد
في بَيَان أَنَّ كُلاًّ مِنَ الإِسْلاَمِ وَالكُفْرِ ضِدُّ الآخَرِ وَاجْتِمَاعُهُمَا مُحَال وَإِعْزَازَ أَحَدِهِمَا مُسْتَلزِمٌ لإِذْلال الآخَرِ إلخ

الحَمْدُ للهِ الذي أَنْعَمَ عَلَيْنَا وَهَدَانَا إِلى الإِسْلاَمِ وَجَعَلَنَا مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

اعْلَمْ أَنَّ نَقْدَ سَعَادَةِ الدَّارَيْنِ مَرْبُوطٌ باتِّبَاعِ سَيِّدِ الكونَيْنِ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - فَحَسْبُ وَالاتِّبَاعُ إِنَّمَا هُوَ بإِتْيَانِ أَحْكَامِ الإِسْلاَمِ وَإِجْرَائِهَا بَيْنَ الأَنَامِ وَرَفْعِ رُسُومِ الكُفْرِ وَإِبْطَالِهَا وَدَفْعِهَا عَنِ الخَاصِّ وَالعَامِّ فَإِنَّ الكُفْرَ وَالإِسْلاَمَ ضِدَّان لا يَجْتَمِعَان إِلى قِيَامِ السَّاعَةِ وَسَاعَةِ القِيَامِ فَإِثْبَاتُ أَحَدِهِمَا مُوجِبٌ لِرَفْعِ الآخَرِ وَإِعْزَازُ أَحَدِهِمَا مُسْتَلزِمٌ لإِذْلالِ الآخَرِ وَقَدْ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ خِطَابًا لِنَبِيِّهِ وَحَبِيبِهِ ﷺ {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الكُفَّارَ وَالمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ}[1] فَإِذَا أَمَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ رَسُولَه الذي هُوَ مَوْصُوفٌ بِالخُلُقِ العَظِيمِ يُجَاهِدُ الكُفَّارَ وَالغِلظَةُ عَلَيْهِ عُلِمَ أَنَّ الغِلظَةَ عَلَيْهِمْ دَاخِلٌ فِي الخُلُقِ العَظِيمِ فَعِزَّةُ الإِسْلاَمِ فِي مَذَلَّةِ الكُفْرِ وَأَهْلِهِ فَمَنْ أَعَزَّ أَهْلَ الكُفْرِ فَقَدْ أَذَلَّ أَهْلَ الإِسْلاَمِ وَالإِعْزَازُ لَيْسَ هُوَ عِبَارَةً عَنْ تَعْظِيمِهِم وإِجلالِهِم فِي الصَّدْرِ البَتَّةَ بَلْ إِدْخَالُهُمْ فِي المَجَالِسِ وَمُصَاحَبَتُهُمْ وَالتَّكَلُّمُ مَعَهُمْ بِلُغَاتِهِمْ كُلُّ ذَلِكَ دَاخِلٌ فِي الإِعْزَازِ فَإِنَّ اللاَّئِقَ بِهِمْ إِبْعَادُهُمْ مِثْلَ الكِلاَبِ فَإِنْ تَعَلَّقَ بِهِمْ غَرَضٌ مِنَ الأَغْرَاضِ الدُّنْيَوِيَّةِ بِحَيْثُ لاَ يَكَادُ يَتَيَسَّرُ بِدُونِهِمْ فَحِينَئِذٍ يَنْبَغِي أَنْ يَخْتَلِطَ بِهِمْ بِقَدْرِ الضَّرُورَةِ مُرَاعِيًا شِيمَةَ عَدَمِ الالتِفَاتِ إِلَيْهِمْ والاعتِدَادِ بِهِمْ وَكَمَالُ الإِسْلاَمِ فِي تَرْكِ هَذَا الغَرَضِ بِالكُلِّيَّةِ وَعَدَمُ الالتِفَاتِ إِلَيْهِمْ وَالاخْتِلاَطِ بِهِمْ وَقَدْ سَمَّى اللهُ سُبْحَانَهُ أَهْلَ الكُفْرِ فِي كَلاَمِهِ المَجِيدِ عَدُوَّهُ وَعَدُوَّ رَسُولِهِ فَالاخْتِلاَطُ بِأَعْدَاءِ اللهِ وَأَعْدَاءِ رَسُولِهِ مِنْ أَعْظَمِ الجِنَايَاتِ وَأَقَلُّ ضَرَرِ المُخَالَطَةِ بِهَؤُلاَءِ الأَعْدَاءِ وَالمُصَاحَبَةِ مَعَهُمْ حُصُولُ الوَهَنِ وَالضَّعْفِ فِي قُدْرَةِ إِجْرَاءِ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَرَفْعِ رُسُومِ الكُفْرِ الشَّنِيعَةِ لِمَانِعِ حَيَاءِ المُؤَانَسَةِ بِهِمْ وَهَذَا الضَّرَرُ عَظِيمٌ جِدًّا فَإِنَّ المَوَدَّةَ وَالأُلفَةَ مَعَ أَعْدَاءِ اللهِ يَنْجَرُّ إِلى عَدَاوَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَاوَةِ رَسُولِهِ ﷺ وَرُبَّمَا يَزْعُمُ الإِنْسَانُ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ

---

(١) ــ الآية: ٧٣ من سورة التوبة.

وَإِنَّهُ مُؤْمِنٌ بِاللهِ وَرَسُولِه وَلٰكِنَّهُ لاَ يَدْرِي أَنَّ أَمْثَال هٰذِه الأَعْمَال الشَّنِيعَة يُذْهِبُ دَوْلَةَ الإِسْلاَمِ عَنْهُ بِالتَّمَامِ نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَات أَعْمَالنَا شِعْرٌ.

تُحِبُّ عَدُوِّي ثُمَّ تَزْعَمُ أَنَّنِي　　أُحِبُّكَ إِنَّ العَقْلَ مِنْكَ لَعَازِبُ

وَشُغْل هٰؤُلاَء المَلاَعِين أَعْدَاء الدِّينِ الاسْتِهْزَاء بِالإِسْلاَمِ وَالسُّخْرِيَة بِأَهْلِه مُنْتَظِرِينَ بِأَنَّهُمْ إِنْ وَجَدُوا فُرْصَةً يُخْرِجُونَنَا مِنَ الإِسْلاَمِ أَوْ يَقْتُلونَنَا جَمِيعًا فَيَنْبَغِي لأَهْل الإِسْلاَمِ أَيْضًا الاسْتِحْيَاءُ وَالحَمِيَّةُ فَإِنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإِيمَان وَالحَمِيَّةُ الإِسْلاَمِيَّةُ ضَرُورِيَّةٌ فَاللاَّئِقُ بِأُولِي الأَمْرِ أَنْ يَكُونُوا فِي إِذْلاَل هٰؤُلاَء المُخَوَّلِينَ دَائِمًا وَقَدْ ارْتَفَعَتْ الجِزْيَةُ مِنْ أَهْل الكُفْرِ فِي بِلاَد الهِنْد رَأْسًا وَبِالذَّات وَذٰلِكَ بِوَاسِطَة شَآمَة مُصَاحَبَة أَهْل الكُفْرِ مَعَ سَلاَطِينَ هٰذِه الدِّيَار وَالمَقْصُودُ الأَصْلِيُّ مِنْ أَخْذ الجِزْيَة مِنْهُمْ هُوَ إِذْلاَلُهُمْ وَهٰذَا الإِذْلاَل يَكُونُ عَلَى حَدٍّ لاَ يَقْدِرُونَ لِبْسَ الثِّيَاب النَّفِيسَة خَوْفًا مِنْ أَخْذ الجِزْيَة وَلاَ يَقْدِرُونَ عَلَى التَّجَمُّل بَل يَكُونُونَ خَائِفِينَ وَجِلِينَ مِنْ أَخْذ أَمْوَالهِمْ عَلَى الدَّوَامِ وَكَيْفَ يَتَجَاسَرُ السَّلاَطِينُ عَلَى المَنْع مِنْ أَخْذ الجِزْيَة وَالحَال أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ وَضَعَ الجِزْيَةَ ذُلاً لَهُم وَالمَقْصُودُ مِنْ أَخْذهَا فَضِيحَتُهُمْ وَمَذَلَّتهمْ وَغَلَبَةُ أَهْل الإِسْلاَمِ وَعِزَّتهُمْ، (ع):

وَفِي إِذْلاَل كُفْر عِزُّ الإِسْلاَمِ

وَعَلاَمَةُ حُصُول دَوْلَة الإِسْلاَمِ بُغْضُ أَهْل الكُفْرِ وَكَرَاهَتهمْ وَقَدْ سَمَّاهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ فِي كَلاَمه المَجِيد نَجِسًا وَفِي مَحَل رِجْسًا فَيَنْبَغِي إِذًا أَنْ يَكُونَ أَهْل الكُفْرِ فِي نَظَرِ أَهْل الإِسْلاَمِ نَجِسًا وَرِجْسًا فَإِذَا رَأَوْهُمْ كَذٰلِكَ فَلاَ جَرَمَ يَجْتَنِبُونَ عَنْ صُحْبَتِهِمْ وَيَسْتَكْرِهُونَ مُجَانَسَتَهِمْ وَالرُّجُوعُ إِلَى هٰؤُلاَء الأَعْدَاء فِي شَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاء وَالعَمَل بِمُقْتَضَى رَأْيِهِمْ وَحُكْمِهِمْ مِنْ كَمَال إِعْزَازِهِمْ فَمَا يَكُونُ حَال مَنْ يَطْلبُ مِنْهُمُ الهِمَّةَ وَيَتَوَسَّل بِهِمْ وَقَدْ قَال اللهُ سُبْحَانَهُ فِي كَلاَمه المَجِيد ﴿ وَمَا دُعَاءُ الكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَل ﴾ فَدُعَاءُ هٰؤُلاَء الأَعْدَاء بَاطِل عَار عَنِ الحَاصِل فَأَنَّى يَكُونُ احْتِمَال الإِجَابَة فِيه بَل يَسْتَلزِمُ ذٰلِكَ فَسَادًا كَبِيرًا مِنْ إِعْزَاز هٰؤُلاَء الكِلاَب وَلَئِنْ بَاشَرَ هٰؤُلاَء المُخَوَّلُونَ الدُّعَاء يَتَوَسَّلُونَ بِأَصْنَامِهِمْ فَيَنْبَغِي التَّفَكُّرُ إِلَى أَيْنَ يَنْجَرُّ الأَمْرُ بَل لاَ تَبْقَى رَائِحَةٌ مِنَ الإِسْلاَمِ قَال وَاحِدٌ مِنَ الأَعِزَّة: مَا لَمْ يَصِل أَحَدُكُمْ إِلَى حَدِّ الجُنُون لاَ يَصِل إِلَى الإِسْلاَمِ وَالجُنُونُ عِبَارَةٌ عَنْ عَدَم الالتِفَات إِلَى نَفْع نَفْسه وَضَرَره وَعَدَمُ المُبَالاَة بِحُصُول شَيْءٍ وَفَوْته فِي إِعْلاَءِ كَلِمَة الإِسْلاَمِ وَالمُسْلِمِينَ فَإِذَا حَصَل

الإِسْلاَمُ فَقَدْ حَصَلَ رِضَا الحَقِّ وَرِضَا رَسُوله - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَلاَ دَوْلَةَ أَعْظَمَ مِنْ رِضَا المَوْلَى سُبْحَانَهُ رَضِينَا بِاللهِ رَبًّا وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - نَبِيًّا وَرَسُولاً وَأَحْيِنَا يَا رَبُّ عَلَى ذَلِكَ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ - عَلَيْه وَعَلَى آله مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلهَا وَمِنَ التَّسْلِيمات أَكْمَلهَا - وَالسَّلاَمُ أَوَّلاً وَآخِرًا فَقَدْ كَتَبْتُ مَا هُوَ ضَرُورِيٌّ وَمَا لاَ بُدَّ مِنْهُ عُجَالَةَ الوَقْت بِطَرِيق الإِجْمَال وأَرْسلته فَإِنْ كَنَّ التَّوْفِيقُ رَفِيقًا بَعْدَ ذَلِكَ أَكْتُبُ مُفَصَّلاً وَأَرْسِلهُ وَكَمَا أَنَّ الإِسْلاَمَ ضِدُّ الكُفْرِ كَذَلِكَ الآخِرَةُ ضِدُّ الدُّنْيَا لاَ تَجْتَمِعُ إِحْدَاهُمَا بِالأُخْرَى وَتَرْكُ الدُّنْيَا عَلَى نَوْعَيْنِ تَرْكُهَا مَعَ جَمِيعِ مباحاتها إِلاَّ قَدْرَ الضَّرُورَةِ وَهَذَا القِسْمُ أَعْلَى نَوْعَيْ تَرْك الدُّنْيَا وَالآخرُ الاجْتِنَابُ عَنْ مُحَرَّمَاتِهَا ومشتبهاتها مَعَ التَّنَعُّمِ بمباحاتها وَهَذَا القِسْمِ أَيْضًا عَزِيزُ الوُجُود جدًّا خُصُوصًا فِي هَذه الأَزْمَان. شعْرٌ.

إِذَا قِسْنَا السُّمَا بِالعَرْشِ يَنْحطُّ وَمَا أَعْلاَهُ إِنْ قِسْنَا بِأَرْضِ

فَلاَ بُدَّ مِنَ الضَّرُورَةِ مِنَ الاجْتِنَاب عَن اسْتِعْمَال الذَّهَب وَالفِضَّة وَلُبْس الحَرِير وَأَمْثَالهَا مِمَّا هُوَ مُحَرَّمٌ فِي الشَّرِيعَة المُصْطَفَوِيَّة عَلَى مَصْدَرهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ فَإِنْ حَفِظْتَ أَوَانِيَ الذَّهَب وَالفِضَّة لِلتَّجَمُّل وَزِينَة البَيْت فَلاَ بَأْسَ به بَل لَهُ مُسَاغٌ فِي الجُمْلَة وَلكنَّ اسْتِعْمَالهَا بِأَيِّ وَجْه كَانَ مِنْ شُرْب مَاء وَأَكْل طَعَام فِيهَا وَوَضْعِ العطْر وَاتِّخَاذ المُكْحُلَة مِنْهَا وَغَيْر ذَلِكَ حَرَامٌ وَالحَاصِلُ أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ وَسَّعَ دَائِرَةَ المُبَاحِ جدًّا حَتَّى إِنَّ التَّنعمات وَالتَّمَتُّعات بِهَا أَزْيَدَ مِنْهَا بِالأُمُورِ المُحَرَّمَة مَعَ أَنَّ فِي اسْتِعْمَال المُبَاحَات رِضَا الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَفِي اسْتِعْمَال المُحَرَّمَات سَخَطُه تَعَالَى وَالعَقْلَ السَّلِيمُ لاَ يُجَوِّزُ أَصْلاً اخْتِيَارَ لذَّة فَانِيَة فِيهَا عَدَمُ رِضَا مَوْلاَهُ مَعَ أَنَّ مَوْلاَهُ جوَّزَ لَهُ بَدَل تلكَ اللذَّة المُحَرَّمَة اللذَّةَ المُبَاحَةَ رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ الاسْتِقَامَةَ عَلَى مُتَابَعَة صَاحِب الشَّرِيعَة عَلَيْه وَعَلَى آله الصَّلاَةُ وَالتَّحِيَّةُ.

وَيَنْبَغِي الرُّجُوعُ فِي المُعَامَلَة إِلى العُلَمَاء المُتَوَرِّعِينَ دَائمًا وَالاسْتِفْسَارُ مِنْهُمْ وَالعَمَل بِمُقْتَضَى فَتْوَاهُمْ فَإِنَّ طَرِيقَ النَّجاة هُوَ الشَّرِيعَةُ وَمَا عَدَا الشَّرِيعَةَ كُلهُ بَاطل لاَ اعْتِبَارَ لَهُ فَمَاذَا بَعْدَ الحَقِّ إِلاَّ الضَّلال وَالسَّلاَمُ أَوَّلاً وَآخِرًا.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ والسِّتُّونَ وَالمائَةُ
إلى الحَافظ بَهَاء الدِّين السرهندي
فِي بَيَانِ أَنَّ فَيْضَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَارِدٌ عَلى الخَوَاصِّ وَالعَوَامِّ عَلى الدَّوَامِ
وَالتَّفَاوُتُ إِنَّمَا هُوَ بِقَبُولِهِ وَعَدَمِ قَبُولِهِ مِنْ طَرَفِ العَبْدِ

رَزَقَكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ الاسْتِقَامَةَ عَلى جَادَّةِ الشَّرِيعَةِ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

اعْلَمْ أَنَّ فَيْضَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ مِنْ قِسْمِ الأَوْلادِ وَالأَمْوَالِ وَالهِدَايَةِ وَالرُّشْدِ وَإِنْ كَانَ وَارِدًا عَلى الدَّوَامِ مِنْ غَيْرِ تَفْرِقَةٍ بَيْنَ الخَوَاصِّ وَالعَوَامِّ وَالكِرَامِ وَاللِّئَامِ وَلكِنَّ التَّفَاوُتَ نَاشِئٌ مِنْ هَذَا الطَّرَفِ فَبَعْضٌ يَقْبَلُ الفُيُوضَ وَآخَرُ لاَ يَقْبَلُهَا: {وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}[1] أَلاَ تَرَى أَنَّ الشَّمْسَ تُشْرِقُ عَلى القَصَّارِ وَالثَّوْبِ بِالسَّوِيَّةِ وَمَعَ ذَلِكَ تُسَوِّدُ وَجْهَ القَصَّارِ وَتُبَيِّضُ الثَّوْبَ وَعَدَمُ قَبُولِ فَيْضِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ إِنَّمَا هُوَ بِسَبَبِ الإِعْرَاضِ عَنْ جَنَابِ قُدْسِهِ – جَل سُلْطَانُهُ – فَإِنَّ الإِدْبَارَ لاَزِمٌ لِلمُعْرِضِ وَالحِرْمَانُ مِنَ النِّعْمَةِ وَاجِبٌ عَلَيْهِ لاَ يُقَالُ إِنَّ كَثِيرًا مِنَ المُعْرِضِينَ مُتَنَعِّمُونَ بِتَنَعُّمَاتٍ عَاجِلَةٍ وَلَمْ يَكُنْ إِعْرَاضُهُمْ سَبَبًا لِحِرْمَانِهِمْ لأَنَّا نَقُولُ إِنَّ تِلْكَ نِقْمَةٌ ظَهَرَتْ فِي صُورَةِ نِعْمَةٍ عَلى سَبِيلِ الاسْتِدْرَاجِ لِطُغْيَانِهِمْ لِيَنْهَمِكُوا فِي الإِعْرَاضِ وَالضَّلالَةِ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى (أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الخَيْرَاتِ بَل لاَ يَشْعُرُونَ) فَالدُّنْيَا وَتَنَعُّمَاتُهَا مَعَ وُجُودِ الإِعْرَاضِ عَيْنُ الاسْتِدْرَاجِ الحَذَرَ الحَذَرَ.

---

(١) ـــ الآية: ٣٣ من سورة النحل.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالسِّتُّونَ وَالمِائَةُ
إِلى السَّيِّد النَّقيب السَّيخ فَرِيد
فِي التَّرْغيب فِي مُتَابَعَة صَاحب الشَّرِيعَة
عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالتَّحيَّةُ
وَبُغْض مُخالفي الشَّرِيعَة وَعَدَاوتِهِمْ وَالغلظَة عَلَيْهِمْ

شَرَّفَكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ بِتَشْرِيف المِيرَاث المَعنويِّ مِنَ النَّبيِّ الأمِّيِّ القُرشيِّ الهَاشميِّ - عَلَيْهِ وَعَلى آله مِنَ الصَّلوَات أَفْضَلهَا وَمِنَ التَّسْليمات أَكْمَلهَا - كَمَا شَرَّفَكُمْ بِتَشْرِيف المِيرَاث الصُّوريِّ وَيَرْحَمُ اللهُ عَبْدًا قَال آمينا وَميرَاثُهُ الصوريُّ يَتَعَلقُ بعَالم الخَلق وَميرَاثُه المَعنويُّ بعَالم الأَمْرِ الذي هُوَ مَقرُّ الإيمَان وَالمَعْرفَة وَمَحَل الرُّشْد وَالهدَايَة وَشُكْرُ نعْمَة المِيرَاث الصوريِّ هُوَ التحلي بالمِيرَاث المَعنويِّ وَلاَ يَتَيَسَّرُ ذَلكَ إلاَّ بكَمَال الاتِّبَاعِ المُصْطَفويِّ - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - فَعَلَيْكُمْ باتِّبَاعه فِي أَوَامره وَنَوَاهيه وَالمُتَابَعَةُ فَرْعُ كَمَال مَحَبَّته عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، (ع):

إِنَّ المُحبَّ لمَنْ يُحبُّ مُطيعٌ

وَعَلاَمَةُ كَمَال المَحَبَّة كَمَال بُغْضِ أَعْدَائه ﷺ وَإِظْهَارُ العَدَاوَة لمُخالفي شَرِيعَته - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَلاَ سَبيل للمُدَاهنَة فِي المَحَبَّة فَإِنَّ المُحبَّ وَالهٌ بالمَحْبُوب هَائمٌ به لاَ يُطيقُ مُخالفَتَه وَلاَ أَنْ يَميل إلى مُخَالفيه وَلاَ أَنْ يَلينَ لهُمْ بوَجْه منَ الوُجُوه وَلاَ يَجْتَمعُ مَحَبَّةُ المُتَبَاينينَ فَإنَّ الجَمْعَ بَيْنَ الضِّدَّيْنِ مُحَال بَل مَحَبَّةُ أَحَدهمَا تَسْتَلزمُ عَدَاوَةَ الآخر يَنْبَغي أَنْ يُتَأَمَّل تَأَمُّلاً جَيِّدًا وَأَنْ يُتَدَارَكَ ما مَضَى قَبْل فَوْتَ الفُرْصَة فَإِنَّهُ إذَا فَاتَتْ الفُرْصَةُ لاَ يَحْصُل شَيْءٌ غيرَ النَّدَامَة. شعْرٌ.

وَحينَ الصُّبْحُ تَبْدُو كَالنَّهَارِ حَقيقَةُ مَنْ هَوَيْته فِي الظَّلاَمِ

غَيْرُهُ:

سَوْفَ تَرَى إذَا انْجَلى الغُبَارُ أَفَرسٌ تحتَك أَمْ حمَارٌ

وَمَتَاعُ الدُّنْيا مَتَاعُ الغُرُور وَتَرَتَّبَتْ عَلَيْه المُعَامَلةُ الأُخْرَوِيَّةُ وَالأَبَديَّةُ فَإِنْ تَيَسَّرَتْ مُتَابعَةُ سَيِّد الأَوَّلينَ وَالآخرينَ فِي هَذه الأَيَّامِ المَعْدُودَة فَالنَّجَاةُ الأَبَديَّةُ مَرْجُوَّةٌ وَإلاَّ فَخَسَارَةٌ فِي خَسَارَة كَائنًا مَنْ كَانَ وَأَيُّ عَمَل عَملهُ منَ الخَيْر. شعْرٌ.

مُحَمَّدٌ سَيِّد الكَوْنَينِ منْ عَربٍ خَابَ الذي لمْ يَكُنْ فِي بَابه التُّربَا

وَحُصُول دَوْلَة تلكَ المُتَابَعَة العُظْمَى لَيْسَ بِمَوْقُوف عَلَى تَرْك الدُّنْيَا بالكُلِّيَّة حَتَّى يَكُونَ عَسيرًا بَلْ إذَا أَدَّيْتَ الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ مَثَلاً فَلَهُ حُكْمُ التَّرْك في عَدَم وُصُول المَضَرَّة فَإِنَّهُ لاَ ضَرَرَ فِي المَال المُزَكَّى فَمُعَالجَةُ دَفْع الضَّرَر عَن المَال الدُّنيويِّ إخْرَاجُ الزَّكَاة وَإِنْ كَانَ التَّرْكُ الكُليُّ أَوْلَى وَأَفْضَل منْهُ وَلكنَّ أَدَاءَ الزَّكَاة يَقُومُ مَقَامَه. شعْرٌ.

إذَا قسْنَا السُّمَا بالعَرْشِ يَنْحطُّ وَمَا أَعْلاَهُ إنْ قسْنَا بأَرْضٍ

فَيَنْبَغي صَرْفُ جَميعِ الهمَّة في إتْيَان أَحْكَام الشَّريعَة وَتَعْظيم أَهْلهَا منَ العُلمَاءِ وَالصُّلحَاء وَالاجْتهَاد في تَرْويجهَا وَإِذْلال أَهْل الأَهْوَاء وَالبدَع فَإنَّ مَنْ وَقَّرَ صَاحبَ بدْعَة فقَدْ أَعَانَ عَلى هَدْم الإِسْلاَم وَمُعَادَاة الكُفَّار الذينَ هُمْ أَعْدَاءُ الله وَأَعْدَاء رَسُوله ﷺ وَالسَّعْيِ في إهَانَتهمْ وَتَحْقيرهمْ وَعَدَم إعْزَازهمْ بوَجْه منَ الوُجُوه وَعَدَمِ إِدْخَالهمْ في المَجَالسِ أَصْلاً وَعَدَمِ الأُنْسِ بهمْ وَسُلوك طَريق الغلْظَة وَالشِّدَّة عَلَيْهمْ وَعَدَم الرُّجُوعِ إلَيْهمْ في أَمْر منَ الأُمُور مَهْمَا أَمْكَنَ فَإنْ اضْطَرَّتْ الضَّرُورَةُ فَرْضًا إلى الرُّجُوعِ إلَيْهمْ يَنْبَغي قَضَاءُ تلكَ الحَاجَة منْهُمْ بكُرْةٍ وَاضْطرَارُ مثْل قَضَاء الحَاجَة الإِنْسَانيَّة الطَّريقُ الذي يُوصِّل إلى جَنَاب قُدْسِ جَدِّكُمْ المُعَظَّم هُوَ هَذَا وَمَنْ لَمْ يَمْشِ منْ هَذَا الطَّريقِ فَالوُصُول إلى ذَلكَ الجَنَابِ المُقَدَّسِ مُشْكل هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ. شعْرٌ.

كَيْفَ الوُصُول إلى سُعَادَ وَدُونَهَا قُلل الجبَال وَدُونَهُنَّ حُيُوفُ

مَاذَا نَكْتُبُ أَزْيَدَ منْ هَذَا. شعْرٌ.

بَثَثْتُ لدَيْكُمْ منْ هُمومي وَخفْتُ أَنْ تَمَـلوا وَإلاَّ فالكَـلامُ كَـثيرٌ

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالسِّتُّونَ وَالمِائَةُ
إلى المُلا مُحَمَّد أَمِين
فِي عَدَمِ الاغْتِرَارِ بِالحَيَاةِ اليَسِيرَةِ
وَالجُهْدِ فِي إِزَالَةِ المَرَضِ القَلبِيِّ بِالذِّكْرِ الكَثِيرِ

أَيُّهَا المَخْدُومُ إلامَ تَحنُّ إلى نَفْسك كَالأُمِّ الشَّفيقَة وَختَام تَتجَرَّعُ الغُصَصَ مِنْ أَجْلهَا وَتَغْتَمُّ عَلَيْهَا كَالأُخْت الشَّقيقَة يَنْبَغي أَنْ تَفرضَ الكُل مَيِّتًا وَجَمَادًا خَاليًا عَلَى الحسِّ وَالحَرَكَة إِنَّك مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ نَصٌّ قَاطِعٌ فِي هَذَا المَعْنَى وَفكْرُ إِزَالة المَرَضِ القَلبِيِّ بالذِّكْرِ الكَثيرِ فِي هَذه الفُرْصَة اليَسيرَة مَنْ أَهَمِّ المُهمَّات وَمُعَالجَةُ العلة المَعْنويَّة بذكْرِ الرَّبِّ الجَليل فِي هَذَا الوَقْت القَليل مِنْ أَعْظَمِ المَقَاصد وَأَجَل القُرُبَات القَلبُ الذي هُوَ مُتعَلقٌ بالغَيْر كَيْفَ يُتوَقَّعُ منْهُ الخَيْرُ وَالرُّوحُ التي هِيَ مَائلةٌ إلى الشَّرِّ النَّفسُ الأَمَّارَةُ أَفضَل منْهَا وَأَخيرُ المَطْلوبُ مِنَّا هُنَاكَ كُله سَلامَةُ القَلب وَتَخَلصُ الرُّوحِ وَصَفَاؤُهَا وَنَحْنُ القَاصرُونَ فِي فكْرِ تَحْصِيل أَسْبَاب تَعَلقِ الرُّوحِ وَالقَلب دَائمًا هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ وَمَاذَا نَصْنَعُ {وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهمْ يَظْلِمُونَ}[١] وَلاَ يَنْبَغي أَنْ تَغْتَمَّ مِنْ جِهَة الضَّعْف الظاهرِيِّ عَسَى أَنْ يَتَبَدَّل صحَّةً وَعَافيَةً إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالى وَلاَ تَشْوِيشَ فِي خَاطرِ هَذَا الجَانب مِنْ تلكَ الجهَة وَقَدْ طَلَبْتُمْ الثَّوْبَ الذي لبسَهُ الفَقيرُ فَأَرْسَلتُ قَميصًا فَيَنْبَغي أَنْ تَلبَسَهُ مُتَرصِّدًا لنَتَائجه وَثَمَرَاته فَإنَّهُ كَثيرُ البَرَكَة، شعْرٌ:

خَابَ الذي قَدْ غَدَا فِي قَلبه مَرَضٌ ... وَفَازَ مَنْ كَانَ فِي حدَّة البَصَرِ

{وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[٢] وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى - عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلوَاتُ وَالتَّسْليماتُ.

---

(١) ــ الآية: ٣٣ من سورة النحل.
(٢) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالسِّتُّونَ وَالمِائَةُ
إلى هَرْدَى رَامِ الهِنْد وَالذي أَظْهَرَ الإِخْلاصَ لهَذه الطَّائِفَة العَلِيَّة فِي التَّحْرِيضِ عَلى عِبادهِ الله تَعَالى وَالتَّحْذيرِ عَنْ عِبَادَةِ الآلِهَة البَاطِلة

قَدْ وَصَل إلَيْنَا مِنْكُمْ مَكْتُوبَان وَفُهِمَ مِنْ كُل مِنْهُمَا مَحَبَّةُ الفُقَرَاء وَالالتِجَاءُ إلى هَذِهِ الطَّائفة العَلِيَّة نِعْمَ النِّعْمَةُ إنْ مُنَّ عَلى شَخْصٍ بِهَذه الدَّوْلة. شعْرٌ.

وَمَا هُوَ مِنْ شَرْطِ البَلاَغِ أَقُولهُ ... فَخُذْ مِنْهُ نُصْحًا خَالِصًا أَوْ مَلالةً

اعْلَمْ وَتَنَبَّهَ أَنَّ رَبَّنَا وَرَبَّكُمْ بَل رَبَّ العَالمِينَ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرضِينَ وَالعَلوِيِّينَ وَالسُّفْلِيِّينَ وَاحِدٌ لَيْسَ كَمِثْله شَيْءٌ مُنَزَّهٌ عَنِ الشَّبَه وَالمِثَال مُبَرَّأٌ عَنِ الشَّكْل وَكُل مَا يَمُرُّ عَلى الخَيَال وَكُل مِنَ الأُبُوَّة وَالبُنُوَّة فِي حَقِّه مُحَال وَلَيْسَ لِلكَفَاءَة وَالتِّمْثَال فِي حَضْرَته مَجَال وَزَعْمُ شَائِبَة الاتِّحَاد وَالحُلول مُسْتَهْجَنٌ فِي حَضْرَة أُنْسه وَمَظِنَّةُ الكُمُون وَالبُرُوز مُسْتَقْبَحٌ فِي جَنَاب قُدْسه لَيْسَ بِزَمَانِيٍّ فَإنَّ الزَّمَانَ مَخْلوقهُ تَعَالى وَلَيْسَ بِمَكَانِيٍّ فَإنَّ المَكَانَ مَصنوعُه سُبْحَانَهُ لاَ بِدَايَةَ لوُجُوده وَلاَ نِهَايَةَ لبَقَائه وَكُل خَيْر وَكَمَال ثَابِتٌ لهُ سُبْحَانَهُ وَكُل نَقْصٍ وَزَوَال مَسْلوبٌ عَنْ جَنَابه المُتَعَال فَيَكُونُ مُسْتَحِقَّ العِبَادَة هُوَ تَعَالى ورام وكرشن وَأَمْثَالهمَا مِنْ آلهَة الهُنُود كُلهَا مِنْ أَحْقَر مَخلوقَاته تَعَالى مُتولدات مِنَ المَخْلوقِينَ فَإنَّ رَامَ وَلدُ جَسرَتْ وَأَخُو لكهْمَنَ وَزَوْج سِيتَا فَإذَا كَانَ رَام غَيْرُ قَادر عَلى حِفْظ زَوْجَته فَكَيْفَ يَمُدُّ الغَيْرَ يَنْبَغي اسْتِعْمَال العَقْل لاَ اتِّبَاعُ هَؤُلاَء وَتَقْليدُهُمْ فَعَارٌ عَلى شَخْصٍ أَلفَ عَار اعْتِقَادُ أَنَّ رَبَّ العَالمِينَ هُوَ رَام وَكرشن وَذكره تَعَالى بِهِمَا وَمِثْله مِثْل شَخْصٍ يَذْكُرُ السُّلطَانَ المُعَظَّمَ بِاسم أَرْذَل الكَنَّاسِينَ وَزَعْمُ اتِّحَاد رَام وَرَحْمَن مِنْ نِهَايَة عَدَم العَقْل فَإنَّ الخَالقَ لاَ يَتَّحِدُ بِالمَخْلوق وَقَبْل خَلق را وَكَرشْنَ مَا كَانَ أَحَدٌ يَذْكُرُ رَبَّ العَالمِينَ بِاسْم رَام وَكَرشْنَ فَلأَيِّ شَيْء يُطْلقُ اسْمُهمَا عَليْه سُبْحَانَهُ وَتَعَالى بَعْدَ ظُهُورهِمَا وَيَعْتَقدُونَ أَنَّ ذكْرَهُمَا ذكْرُ رَبِّ العَالمِينَ حَاشَا وَكَلاَّ ثُمَّ حَاشَا وَكَلاَّ وَلقَدْ مَضَى مِنْ أَنْبِيَائنَا عَليْهِمُ الصَّلوَاتُ والتسليماتُ مِائَةُ أَلف وَأَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ أَلفَ تَقْرِيبًا كُلهمْ دَعَوْا الخَلقَ إلى عِبَادَة الخَالق وَرَغَّبُوهُمْ فِيهَا وَمَنَعُوهُمْ عَنْ عِبَادَة غَيْره وَاعْتَقَدُوا أَنْفُسَهمْ عَبِيدًا عَاجِزِين وَكَانُوا خَائفِينَ وَوَجلينَ مِنْ هَيْبَته وَعَظَمته تَعَالى

وَآلهَةُ الهُنُود رَغَّبُوا الخَلقَ في عِبَادَتهِمْ وَاعْتَقَدُوا أَنْفُسَهمْ آلهَةً فَإِنَّهُمْ وَإِنْ كَانُوا قَائلينَ بوُجُود رَبِّ العَالَمينَ وَلكنَّهُمْ أَثْبَتُوا لهُ سُبْحَانَهُ الحُلول فيهمْ وَاتِّحَاده بهِمْ فَدَعَوْا الخَلقَ إلى عِبَادَتهِمْ منْ هَذه الجهَة وَأَمَرُوهُمْ بأَنْ يَقُولوا لهُمْ آلهَةً وَوَقَعُوا في المُحرَّمَات منْ غَيْر تَحَاشٍ زَعْمًا منْهُمْ أَنَّ الإلهَ لاَ يَكُونُ مَمْنُوعًا منْ شَيْء أَصْلاً بَل يَتَصرَّفُ في خَلقه كَيْفَ يَشَاءُ وَأَقْسَامُ هَذه التَّخيُّلاَت الفَاسدَة كَثيرَةٌ فَهُمْ ضَلوا فَأَضَلوا بخلاَف أَنْبَيائنَا عَليْهمُ الصَّلوَاتُ والتَسليمات فَإِنَّهُمْ امْتَنَعُوا عَنْ كُل مَا مَنَعُوا الخَلقَ منْهُ عَلى الوَجْه الأَتَمِّ وَالأَكْمَل وَاعْتَقَدُوا أَنْفُسَهمْ بَشَرًا مثْل سَائر البَشَر، (ع):

وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ الطَّرِيقَيْنِ فَانْظُرُوا

المَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالسِّتُّونَ وَالمائَةُ
إلى الخواجهْ مُحَمَّد القَاسِم بْن الخواجكي الأمكنكي
في مَدْحِ الطَّرِيقَة النَّقْشَبَنْدِيَّة
وَذَمِّ مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا

الحَمْدُ لله رَبِّ العَالمِينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلى سَيِّد المُرْسَلِينَ وَآله الطَّاهرِينَ أَجْمَعِينَ وَبَعْدَ تَبْلِيغِ دَعَوَات مَوْفُورَة وَتَحيَّات غَيْر مَحْصُورَة إلى الجَنَاب العَالي سُلالة المَشَايِخِ الكِرَامِ نَتيجَةَ الأَوْلِيَاء العظَامِ حَضْرَة المَخْدُوم زَاده المُسْتَقيمِ عَلى الجَادَّة سَلمَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَأَبْقَاهُ وَإظْهَار اشْتِيَاق رُؤْيَته وَتَمَنِّي لقَائه. شعْرٌ.

كَيْفَ الوُصُول إلى سُعَادَ ودُونَهَا   قُلل الجبَال وَدُونَهُنَّ خُيُوفُ

لِيَكُنْ مَعْلومًا لجَنَابه العَالي أَنَّ عُلوَّ هَذه الطَّرِيقَة العَلِيَّة وَرِفْعَةَ الطَّبَقَة النَّقْشَبَنْدِيَّة إنَّمَا هِيَ بوَاسطَة التزَام السُّنَّة السَّنِيَّة وَالاجْتنَاب عَنِ البدْعَة الشَّنيعَة وَلهَذَا اجْتَنَبَ أَكَابِرُ هَذه الطَّرِيقَة العَلِيَّة عَنْ ذكْرِ الجَهْرِ وَأَمَرُوا بالذِّكْرِ القَلبيِّ وَمَنَعُوا منَ السَّمَاعِ وَالرَّقْصِ وَالوَجْد وَالتَّوَاجُد وَغَيْر ذَلكَ ممَّا لَمْ يَكُنْ في عَصْره - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَعَصْر الخُلفَاء الرَّاشدينَ عَلَيْهِمُ الرِّضْوَانُ وَاخْتَارُوا الخَلوَةَ في الجَلوه بَدَل خَلوَة الأَرْبَعينَ لعَدَمِ كَوْنهَا في الصَّدْر الأَوَّل فَلاَ جَرَمَ تَرَتَّبَتْ عَلى ذَلكَ الالتزَامِ نَتَائجُ عُظْمَى وَتَفرَّعَتْ عَلى ذَاكَ الاجْتنَاب ثَمرَاتٌ كَثيرَةٌ وَمنْ هَاهُنَا كَانَتْ نهَايَةُ غَيْرهمْ مُنْدَرجَةً في بدَايَتهمْ وَكَانَتْ نسْبَتُهمْ فَوْقَ جَميعِ النِّسَب كَلاَمُهمْ دَوَاءُ الأَمْرَاضِ القَلبيَّة وَنَظَرُهمْ شفَاءُ العلل المَعْنَويَّة تَوَجُّهُمُ الوَجيهُ يُنَجِّي الطَّالبينَ منْ تَعَلقِ الكونَيْنِ وَهمَّتُهمْ الرَّفيعَةُ الشَّأْن تَرْفَعُ المُريدينَ إلى ذُرْوَة الوُجُوب منْ حَضيضِ الأَمَاكنِ. شعْرٌ.

مَا أَحْسَنَ النَّقْشبنديِّينَ سيرَتَهم   يَمْشُونَ بالرَّكْب مُخفيين للحرَمِ
تُزيل وَسْوَسَةَ الخَلوَات صُحبَتُهمْ   عَنْ قَلب أَصْحَابهمْ بأَحْسَنِ ذَا الكرَمِ

وَلكنْ قَدْ صَارَتْ هَذه النِّسْبَةُ الشَّرِيفَةُ في هَذه الآوَان كَعَنْقَاء المَغْرب وَتَوَجَّهَتْ نَحْوَ الاسْتتَار تَحْتَ الحُجُب حَتَّى سَلكَ جَمَاعَةٌ منْ هَذه الطَّبَقَة منْ عَدَم وجْدَان هَذه الدَّوْلَة العُظْمَى وَفقْدَان تلكَ النِّعْمَة القُصْوَى كُل مَسْلَك وَفَرحُوا بنَيْل قطْعَات خَزَف بَدَلاً منَ الجَوَاهر النَّفيسَة وَاطْمَأَنَّتْ قُلوبُهمْ بالجَوْز وَالمَوْز مثْل الأَطْفَال حَتَّى أَنَّهُمْ منْ غَايَة الاضْطرَار وَالتَّحيُّر تَرَكُوا طَريقَةَ أَكَابرهمْ وَصَارُوا يَطْلُبُونَ التَّسلي أَحْيَانًا بذكْرِ الجَهْرِ وَآونَةً يَرُومُونَ الاطْمئْنَانَ بالرَّقْصِ وَالسَّمَاعِ

وَالدَّوْرَ وَلَمَّا لَمْ تَيَسَّرَ لَهُمُ الخَلوَةُ فِي الجَلوَة اخْتَارُوا الأَرْبَعينات وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلكَ زَعْمُهمْ هَذه البِدْعَات الشَّنيعَة مُتَمِّمَةً وَمُكَمِّلَةً لهَذه النِّسْبَة الشَّريفَة وَعَدُّهُمْ هَذَا التَّخْريبَ عَيْنَ التَّعْمير أَعْطَاهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى الإِنْصَافَ وَأَوْصَلَ شَمَّةً مِنْ كَمَالات أَكَابِرِ هَذه الطَّرِيقَة إلى مشامِّ أَرْوَاحهمْ حَتَّى يَتْرُكُوا الاعْتِسَافَ بِالنُّون وَالصَّاد وَبحُرْمَةِ النَّبيِّ وَآله الأَمْجَاد عَلَيْه وَعَلَيْهمُ الصَّلوَاتُ والتسليماتُ وَلَمَّا شَاعَتْ هَذه المُحْدَثَاتُ في تلكَ الدِّيَار وَبَلَغَ شُيُوعُهَا إلى حَدٍّ أُخْتَفَى أَصْلُ طَرِيقِ الأَكَابِر وَاخْتَارَ الوَضيعُ وَالشَّرِيفُ هَذَا الوَضْعَ المُحْدَثَ الجَديدَ هُنَاكَ وَأَعْرَضُوا عَنْ طَرِيقِ الأَصْل وَالقَديم خَطَرَ في الخَاطِرِ أَنْ أُظْهِرَ نُبْذَةً مِنْ هَذه البَليَّة لخدْمَة عَتَبَته العَليَّة وَأَنْ أُفْرِغَ القَلبَ مِنَ الأَلَم بهَذه الوَسيلة وَلاَ أَدْري مِنْ أَيِّ طَائفَة أَنيسُ المُدَوَّم زَادَهُ فِي مَجْلسه الشَّرِيف وَمِنْ أَيِّ فِرْقَة مُؤْنسَة في مَحْفله المَنيف. شعْرٌ.

مِنْ مُقْلتي طَارَ المَنَامُ تَفَكُّرًا ... مَنْ كَانَ نُدَمَاؤهُ وَضَجيعُهُ

وَالمَسْئُول مِنَ الله سُبْحَانَهُ أَنْ يَعْصمَ جَنَابَ قُدْسكُمْ عَنْ عُمُوم هَذه البَلوَى وَأَنْ يَحْفَظَ عَتَبَةَ شَرَفكُمْ عَنْ شُمُول هَذَا الابْتلاَء أَيُّهَا المَخْدُومُ المُكَرَّمُ قَدْ رَوَّجُوا المُحْدَثَات وَالمُبْتَدَعَات في هَذه الطَّرِيقَة بحَيْثُ لَوْ قَال المُخالفُونَ إنَّ في هَذه الطَّرِيقَة التزَامَ البدْعَة وَالاجْتنَابَ عَنِ السُّنَّة لَسَاغَ لَهُمْ ذَلكَ فَإنَّهُمْ يُصَلونَ صَلاَةَ التَّهَجُّد بجَمْعيَّة تَامَّة وَيُرَوِّجُونَ هَذه البدْعَةَ وَيُزَيِّنُونَهَا في عُيُون العَامَّة بأَدَائهَا في المَسْجد مثْل سُنَّة التَّرَاويح وَيَزْعُمُونَ عَمَلهمْ ذَلكَ حَسَنًا وَيُرَغِّبُونَ النَّاسَ فيه وَالحَال أَنَّ الفُقَهَاءَ شَكَرَ اللهُ سَعْيَهمْ قَالوا إنَّ أَدَاءَ النَّوَافل بالجَمَاعَة مَكْرُوهٌ أَشَدَّ الكَرَاهَة وَالذينَ اشْتَرَطُوا التداعيَ لكَرَاهَة الجَمَاعَة في النَّفْل منَ الفُقَهَاء قَيَّدُوا جَوَازَ الجَمَاعَة فيه بأَدَائه في نَاحيَة المَسْجد وَاتَّفَقُوا عَلى كَرَاهته إذَا زَادَتْ الجَمَاعَةُ عَلى ثَلاَثَة أَنْفَار وَأَيْضًا إنَّ هَؤُلاَء يَزْعُمُونَ صَلاَةَ التَّهَجُّد بهَذَا الوَضْع ثَلاَثَةَ عَشْرَةَ رَكْعَةً وَيُصَلونَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً قَائمينَ وَرَكْعَتَيْن قَاعدينَ زَعْمًا منْهُمْ أَنَّهُمَا في حُكْم رَكْعَة وَاحدَة آخذينَ ذَلكَ منْ قَوْلهمْ إنَّ ثَوَابَ القَاعد نصْفُ ثَوَاب القَائم وَهَذَا العلمُ وَالعَمَلُ أَيْضًا مُخَالفٌ للسُّنَّة عَلى صَاحبهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ فَإنَّ النَّبيَّ ﷺ إنَّمَا صَلى التَّهَجُّدَ ثَلاَثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً مَعَ الوَتْر وَالفَرْديَّةُ في التَّهَجُّد إنَّمَا جَاءَتْ منْ فَرْديَّة رَكَعَات الوَتْر لاَ كَمَا زَعَمَ هَؤُلاَء. شعْرٌ.

بَثَثْتُ لَدَيْكُمْ مِنْ هُمومي وَخفْتُ أَنْ ... تَملوا وَإلاَّ فَالكَلاَمُ كَثيرُ

وَالعَجَبُ مِنْ رَوَاجِ أَمْثَالِ هَذِهِ البِدْعَاتِ فِي بِلَادِ مَنْ وَرَاءَ النَّهْرِ الَّتِي هِيَ مَأْوَى عُلَمَاءِ أَهْلِ الحَقِّ وَكَيْفَ شَاعَتْ فِيهَا أَمْثَالُ هَذِهِ المُخْتَرَعَاتِ وَالحَالُ إِنَّمَا نَسْتَفِيدُ العُلُومَ الشَّرْعِيَّةَ مِنْ بَرَكَاتِهِمْ وَاللهُ سُبْحَانَهُ المُلْهِمُ لِلصَّوَابِ ثَبَّتَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَلَى جَادَّةِ الشَّرِيعَةِ المُصْطَفَوِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ وَيَرْحَمُ اللهُ عَبْدًا قَالَ آمِينًا.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالسِّتُّونَ وَالمِائَةُ
إلى الشَّيْخِ عَبْد الصَّمَد السُّلطَان يُورَى
فِي جوَاب سُؤَاله عَنْ قَوْل مَنْ قَال لشَيْخه: "لوْ دَخَلتَ بَيْنِي وَبَيْنَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ فِي وَقْت خَاصٍّ بِي مَعَهُ تَعَالَى أَقْطَعُ رَأْسَكَ" وَاسْتَحْسَنَهُ الشَّيْخُ مِنْهُ

الحَمْدُ لله رَبِّ العَالمِينَ وَالصَّلاَةُ السَّلاَمُ عَلى سَيِّد المُرْسَلِينَ وَآله الطَّاهِرِينَ أَجْمَعِينَ وَصَل المَكْتُوبُ الشَّرِيفُ المُرْسَل عَلى وَجْه الكَرَم وَصَارَ مُوجبًا للفَرَحِ وَأَمَّا جَوَابُ الاسْتفْسَارِ فَاعْلَمْ أَيُّهَا المَخْدُومُ أَنَّ المَقْصدَ الأَقْصَى وَالمَطْلبَ الأَسْنَى هُوَ الوُصُول إلى جَنَاب قُدْسِ الحَقِّ - جَل سُلطَانُهُ - وَلكنْ لمَّا كَانَ الطَّالبُ فِي الابْتدَاء فِي غَايَة التَّدَنُّسِ وَالتَّنَزُّل بسَبَب تَعلقات شَتَّى وَجَنَاب قُدْسه تَعَالى فِي غَايَة الرِّفْعَة وَالتَّنَزُّه كَانَتْ المُنَاسَبَةُ التي هِيَ سَبَبُ الإفَاضَة وَالاسْتفَاضَة مَسْلوبَةً بَيْنَ الطَّالب بالكُلِّيَّة فَلاَ جَرَمَ لمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ شَيْخٍ عَالمٍ بالطَّرِيق وَبَصِير به وَقَابل للبرزخيَّة نَائل للحَظِّ الوَافر مِنَ الطَّرَفَيْنِ ليَكُونَ وَاسطَةً فِي وُصُول الطَّالب إلى المَطْلوب وَكُلمَا يَحْصُل شَيْءٌ مِنَ المُنَاسَبَة بَيْنَ الطَّالب وَالمَطْلوب يَجُرُّ الشَّيْخُ نَفْسَه بهَذَا القَدْرِ مِنَ البَيْنِ بالتَّمَام فَإنَّهُ قَدْ أَوْصَل الطَّالبَ إلى المَطْلوب فَلمْ يَبْقَ الاحْتيَاجُ إلى التَّوَسُّط فَشَاهدَةُ المَطْلوب فِي الابْتدَاء وَالتَّوَسُّط مِنْ غَيْر وَسَاطَة الشَّيْخِ غَيْرُ مُمْكنَة وَفِي الانْتهَاء يَتَجلى جَمَال المَطْلوب بدُون وَسَاطَته وَيَحْصُل فيه الوَصْل العُرْيَانُ وَالذي يَقُول إنَّ الشَّيْخَ لوْ حَضَرَ فِي ذَلكَ الوَقْت أَحُزُّ رَأْسَهُ إنَّمَا يَقُول ذَلكَ مِنْ جُنُونه فَإنَّ مثْل هَذَا الكَلاَمِ لاَ يُظْهِرُ مِنْ أَرْبَاب الاسْتقَامَة فَإنَّهُمْ لاَ يَسْلكُونَ طَرِيقَ إسَائَة الأَدَب بَل يَطْلبُونَ المُرَادَات مِنْ بَرَكَات الشَّيْخِ.

المَكْتُوبُ السَّبْعُونَ وَالمِائَةُ
إلى الشَّيْخِ نُور
في بَيَانِ لزُومِ مُرَاعَاة حُقُوق الخَلقِ وَمُوَاسَاتِهِمْ كَمُرَاعَاة حُقُوقه تَعَالى

الحَمْدُ لله وَسَلَامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى أَيُّهَا الأَخُ الأَرْشَدُ كَمَا أَنَّ الإِنْسَانَ لاَ بُدَّ لهُ منَ امْتثَال أَوَامر الحَقِّ – جَل وَعَلاَ – وَالانْتهَاء عَنْ مَنَاهيه كَذلكَ لاَ بُدَّ لهُ منْ مُرَاعَاة أَدَاء حُقُوق الخَلق وَمُوَاسَاتهمْ التَّعْظيمَ لأَمْر الله وَالشَّفقَة عَلى خَلق الله بَيَانٌ لأَدَاء هَذَيْن الحَقَّيْن وَدَال عَلى لزُوم مُرَاعَاة هَذَيْن الشَّرْطَيْن فَالاقْتصَارُ عَلى أَحَدهمَا وَالاكْتفَاءُ عَن الكُل بالجُزْء قُصُورٌ وَبَعيدٌ عَن الاتِّصَاف بالكَمَال فَكَانَ تَحَمُّل إِيذَاء الخَلق ضَرُوريًّا وَحُسْنُ مُعَاشَرَتهمْ وَاجبًا وَلاَ يُحْسنُ عَدَمُ التَّفكُّر وَلاَ يَليقُ عَدَمُ الالتفَات وَقلةُ المُبَالاَة.

شعْرٌ.

وَلاَ يَسْتَقيمُ الغَنجُ منْ كُل عَاشق ... وَلوْ أَنَّهُ مَحْبُوبُ كُل الخَلاَئق

وَحَيْثُ تَشَرَّفْتُ بصُحْبَة الفُقَرَاء مُدَّةً كَثيرَةً وَسَمعْتُ منَ المَوَاعظ وَالنَّصَائح نُبْذَةً يَسيرَةً أَعْرَضْنَا عَنْ إِطَالة الكَلاَم وَاقْتَصَرْنَا عَلى فقْرَات يَسيرَة في إِفَادَة المَرَام ثَبَّتَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَلى جَادَّة الشَّريعَة المُصْطَفَويَّة عَلى صَاحبهَا الصَّلاَةُ السَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ.

المَكْتُوبُ الحادِي وَالسَّبْعُونَ وَالمائَةُ
إلى الشَّيْخِ طَاهِرِ البدخشي
فِي بَيَانِ فَضِيلَة اخْتِيَارِ الذُّلِّ وَالانْكِسَارِ وَأَدَاءِ وَظَائِفِ العُبُودِيَّة وَالمُحَافَظَة عَلى حُدُود الشَّرِيعَة وَاتِّبَاعِ السُّنَّة السَّنِيَّة وَخَشْيَة الله تَعَالى وَمَا يُنَاسِبُهُ

الحَمْدُ لله رَبِّ العَالمِينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلى سَيِّدِ المُرْسَلِينَ وَآله الطَّاهِرِينَ اعْلَمْ أَنَّ اللاَّزِمَ لأَمْثَالنَا الفُقَرَاء اخْتِيَارُ الذُّل وَالافْتِقَار وَالتَّضَرُّعِ وَالالتجَاء إلى الحَقِّ وَالانْكسَارِ دَائمًا وَأَدَاء وَظَائف العُبُوديَّة وَالمُحافَظَة عَلى حُدُود الشَّرِيعَة وَمُتَابَعَة السُّنَّة السَّنِيَّة عَلى صَاحِبهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ وَتَصْحِيحِ النِّيَّات فِي تَحْصِيل الخَيْرَات وَتَخْلِيصِ البَوَاطِنِ وَتَسْلِيم الظَّوَاهِر وَرُؤْيَة العُيُوب وَمُشَاهَدَة اسْتِيلاَء الذُّنُوب وَالخَوْف مِنَ انْتِقَام عَلاَّمِ الغُيُوب وَاسْتِقْلاَل الحَسَنَات وَإِنْ كَانَتْ كَثِيرَةً وَاسْتِكْثَار السَّيِّئَات وَإِنْ كَانَتْ يَسِيرَةً وَكَرَاهَةَ الشُّهْرَة وَقَبُول الخَلْقِ قَال - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - "بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يُشَارَ إِلَيْه بِالأَصَابِعِ فِي دِينٍ أَوْ دُنْيَا إلاَّ مَنْ عَصَمَهُ اللهُ".

وَاتِّهَامِ النِّيَّات وَالأَفْعَال وَإِنْ كَانَتْ صَحِيحَةً مِثْل فَلَقِ الصُّبْحِ وَعَدَمِ الاعْتِنَاء بِالأَحْوَال وَالمَوَاجِيد وَإِنْ كَانَتْ مُطَابِقَةً للوَاقِعِ وَعَدَمِ الاعْتِمَاد عَلَيْه وَلاَ يَنْبَغِي أَيْضًا اسْتِحْسَانُ مُجَرَّد تَأْيِيد الدِّين وَتَقْوِيَة الملة وَتَرْوِيجِ الشَّرِيعَة وَدَعْوَة الخَلق إلى الحَقِّ - جَل وَعَلاَ - فَإِنَّ هَذَا القِسْمَ مِنَ التَّأْيِيد قَدْ يَكُونُ أَحْيَانًا مِنَ الكُفَّارِ وَالفُجَّارِ وَقَال - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - إِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ وَكُلمَا يَجِيءُ مُرِيدٌ لِطَلَب الطَّرِيقَة وَإِرَادَة الإِنَابَة يَنْبَغِي أَنْ يُرَى فِي النَّظَرِ مِثْل النَّمِرِ وَالأَسَد وَأَنْ يَخَافَ مِنْ أَنْ يُرَادَ بِه مَكِيدَةٌ وَاسْتِدْرَاجٌ فَإِنْ وُجِدَ الفَرَحُ وَالسُّرُورُ فِي النَّفْسِ عِنْدَ قُدُومِ المُرِيد يَنْبَغِي أَنَّ يَعْتَقِدَهُ شِرْكًا وَكُفْرًا وَإِنْ يَتَدَارَكَهُ بِالنَّدَامَة وَالاسْتِغْفَارِ إلى أَنْ لاَ يَبْقَى أَثَرٌ مِنْ هَذَا السُّرُور بَل إلى أَنْ يَجِيءَ مَحَل السُّرُورِ وَالفَرَحِ الخَوْفُ وَالحُزْنُ وَيَنْبَغِي أَنْ يجْتَنِبَ غَايَةَ الاجْتِنَاب عَنْ ظُهُور الطَّمَعِ وَالتَّوَقُّعِ فِي مَال المُرِيد وَمَنَافعه الدُّنْيَوِيَّة فَإِنَّهُ مَانِعٌ لِرُشْدِ المُرِيدِ وَبَاعِثٌ عَلى كَوْنِ الشَّيْخِ خَرَابًا فَإِنَّ المَطْلُوبَ هُنَاكَ

كُله الدِّينُ الخَالصُ ألاَ للهِ الدِّينُ الخَالصُ لاَ مَجَال للشَّرِكَة في جَنَاب الحَضْرَة الإلهيَّة بوَجْه منَ الوُجُوه واعْلمْ أنَّ كُل ظُلمَة وَكُدُورَة تَطرأ عَلَى القَلب فَإزَالتُهَا تَتَيَسَّرُ بالتَّوْبَة وَالاسْتغْفَار وَالنَّدَامَة وَالالتجَاء إلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى بأَسْهَل الوُجُوه إلاَّ ظُلمَةً طَرَأَتْ عَلى القَلب منْ طَرِيق مَحَبَّة الدُّنْيَا الدَّنيَّة فَإنَّهَا تَجْعَل القَلبَ خَرَابًا وَإزَالتُهَا في غَايَة التَّعَسُّر بَل في نهَايَة التَّعَذُّر صَدَقَ رَسُول الله ﷺ حَيْثُ قَال "حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُل خَطيئَة" نَجَّانَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإيَّاكُمْ منْ مَحَبَّة الدُّنْيَا وَمَحَبَّة أَبْنَائهَا وَأَرْبَابهَا وَالاخْتلاَط بهمْ وَالمُصَاحَبَة مَعَهَا فَإنَّهَا سُمٌّ قَاتل وَمَرَضٌ مُهْلكٌ وَبلاَءٌ عَظيمٌ وَدَاءٌ عَميمٌ وأَخُونا الأَرْشَدُ الشَّيْخُ حُمَيْدٌ مُتَرَدِّدٌ في تلكَ الحُدُود بأَحْسَنِ الوُجُوه فَيَنْبَغي اغْتنَامُ اسْتمَاعِ الكَلمَات الجَديدَة الطَّرِيَّة منْهُ والبَاقي عنْدَ التلاقي.

المَكْتُوبُ الثَّاني وَالسَّبْعُونَ وَالمائَةُ
إلى الشَّيْخِ بَديعِ الدِّينِ
فِي بَيَانِ بَعْضِ الأَسْرَارِ الخَاصَّةِ بِه
وَمَا يُناسِبُ ذَلِكَ

بَعْدَ الحَمْدِ وَالصَّلاَةِ لِيَكُنْ مَعْلومًا للأَخِ الأَعَزِّ أَنَّ للشَّرِيعَةِ صُورَةً وَحَقِيقَةً فَصُورَتُهَا مَا تَكَفَّلَ بَيَانَهَا عُلَمَاءُ الظَّاهِرِ وَحَقِيقَتُهَا مَا امْتَازَ بِهَا الصُّوفِيَّةُ العَلِيَّةُ وَنِهَايَةُ عُرُوجِ صُورَةِ الشَّرِيعَةِ إلى نِهَايَةِ سِلسلة المُمْكِنَات فَإِنْ وَقَعَ السَّيْرُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي مَرَاتِبِ الوُجُوبِ تَكُونُ الصُّورَةُ مُمْتَزِجَةً بالحَقِيقَةِ وَمُعَامَلَةُ هَذَا الامْتِزَاجِ إلى العُرُوجِ عَلَى شَأْنِ العلمِ الذي هُوَ مَبْدَأُ تَعَيُّنِ سَيِّدِ البَشَرِ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - فَإِنْ وَقَعَ التَّرَقِّي بَعْدَ ذَلِكَ يُودَعُ فيه الصُّورَةُ وَالحَقِيقَةُ كِلتَاهُمَا وَتَقَعُ مُعَامَلَةُ العَارِفِ فِي شَأْنِ الحَياةِ وَلاَ مُنَاسَبَةَ بَيْنَ هَذَا الشَّأْنِ العَظِيمِ الشَّأْنِ وَبَيْنَ العلمِ أَصْلاً بَل هُوَ مِنَ الشُّئُونَاتِ الحَقِيقِيَّةِ التي لَمْ تَمَسَّهُ يَدُ الإِضَافَةِ أَصْلاً حَتَّى يَحْصُلَ لَهُ تَعَلُّقٌ بالعَالَمِ وَهَذَا الشَّأْنُ هُوَ دِهْلِيزُ المَقْصُودِ، وَمُقَدِّمَةُ المَطْلُوبِ، وَيَجِدُ العَارِفُ نَفْسَهُ فِي ذَلِكَ المَوْطِنِ خَارِجًا مِنْ دَائِرَةِ الشَّرِيعَةِ وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ مَحْفُوظًا بِعِنَايَةِ اللهِ لاَ يَفُوتُ دَقِيقَةً مِنْ دَقَائِقِ الرِّبْعَةِ وَالذينَ تَشَرَّفُوا بِهَذِهِ الدَّوْلَةِ العُظْمَى أَقَلُّ قَلِيلٍ فَإِنْ بُيِّنَ عَدَدُهُمْ فَلَعَلَّهُ لاَ يَقْبَلُهُ إِلاَّ أَقَلُّ قَلِيلٍ وَلَمَّا وَصَلَ جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنَ الصُّوفِيَّةِ إلى ظِلِّ هَذَا المَقَامِ فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ عَالٍ ظِلاً تَحْتَهُ زَعَمُوا أَنَّهُمْ خَرَجُوا مِنْ دَائِرَةِ الشَّرِيعَةِ وَتَرَقَّوْا مِنَ القِشْرِ وَوَصَلُوا إلى اللبِّ وَهَذَا المَقَامُ بَيْنَ الصُّوفِيَّةِ مِنْ مَزَالِ الأَقْدَامِ حَتَّى إِنَّ طَائِفَةً مِنْ نَاقِصِي سَالِكِي هَذَا الطَّرِيقِ صَارُوا زَنَادِقَةً وَمَلاَحِدَةً وَأَخْرَجُوا رُءوسَهم مِنْ رِبْقَةِ الشَّرِيعَةِ الغَرَّاءِ ضَلوا فَأَضَلوا وَجَمَاعَةٌ مِنَ الكَمَلَةِ الذينَ تَشَرَّفُوا بِدَرَجَةٍ مِنَ الوِلاَيَةِ وَحَصَّلُوا هَذِهِ المَعْرِفَةَ فِي ظِلٍّ مِنْ ظِلاَلِ هَذَا المَقَامِ العَالِي وَإِنْ لَمْ يَصِلُوا إلى أَصْلِ هَذَا المَقَامِ وَلَكِنَّهُمْ مَحفوظُونَ لاَ يُجَوِّزُونَ تَرْكَ أَدَبٍ مِنْ آدَابِ الشَّرِيعَةِ وَإِنْ لَمْ يَعْرِفُوا سِرَّ هَذِهِ المَعْرِفَةِ وَلَمْ يَفْهَمُوا حَقِيقَةَ المُعَامَلةِ وَلَمَّا انْكَشَفَ سِرُّ هَذَا المُعَمَّى لِهَذَا الفَقِيرِ بِعِنَايَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى وَبِرْكَةِ حَبِيبِه - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَاتَّضَحَتْ حَقِيقَةُ الحَالِ كَمَا يَنْبَغِي أَرَدْتُ أَنْ أُورِدَ نُبْذَةً مِنْهَا فِي مَعْرِضِ البَيَانِ لَعَلَّهَا تُرْشِدُ النَاقِصِينَ إلى سَوَاءِ الطَّرِيقِ وَتَكْشِفُ للكَامِلِينَ عَنْ وَجْهِ حَقِيقَةِ المُعَامَلةِ وَيَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ

التَّكْليفَات الشَّرْعيَّةَ مَخْصُوصَةٌ بالقَالب وَالقَلب فَإنَّ تَزْكيَةَ النَّفس مُتَفرِّعَةٌ عَلَيْه وَالذي يَضَعُ القَدَمَ منَ اللطَائف في خَارج دَائرَة الشَّريعَة هُوَ مَا هُوَ مَا سوَى هَذه اللطَائف المَذْكُورَة يَعْني القَالبَ وَالقَلبَ فَالذي هُوَ مُكَلفٌ بالشَّريعَة مُكَلفٌ بهَا دَائمًا وَمَا هُوَ غَيْرُ مُكَلف بهَا مُكَلفٌ بهَا أَصلاً غَايَةُ مَا في البَاب أَنَّ اللطَائفَ كَانَتْ قَبْل السُّلوك بَعْضُهَا مُمْتَزجًا ببَعْض وَلَم تَكُنْ مُمْتَازَةً عَن القَلب وَلَمَّا مَيَّزَ السِّرَّ وَالسُّلوكَ بَعْضَهَا عَنْ بَعْض وَأَوْصَل كُلاًّ منْهَا إلى مَقَرِّه الأَصليِّ تَبَيَّنَ أَنَّ أَيًّا منْهَا كَانَ مُكَلفًا وَأَيًّا منْهَا لَمْ يَكُنْ مُكَلفًا.

فَإنْ قيل: إنَّ العَارفَ قَدْ يَجدُ في ذَلكَ المَقَام قَالبَهُ وَقَلبَهُ أَيْضًا في خَارج دَائرَة الشَّريعَة فَمَا وَجْهُ ذَلكَ ؟

أُجيبُ أَنَّ هَذَا الوجْدَانَ ليْسَ بتحقيقيٍّ بَل تَخَيُّليٌّ وَمَنْشَأُ التَّخَيُّل هُوَ انْصبَاغ القَلب وَالقَالب بلوْن أَلطَف اللطَائف التي وَضَعَتْ الأَقْدَامَ في خَارج دَائرَة الشَّريعَة.

فَإنْ قيل: إنَّ صُورَةَ التَّكْليفَات الشَّرْعيَّة وَإنْ كَانَتْ مَخْصُوصَةً بالقَلب وَالقَالب وَلَكنْ لحَقيقَة الشَّريعَة مَجَال فيمَا وَرَاءَ القَلب أَيْضًا فَمَا مَعْنَى وَضْع القَدَم في خَارج مُطْلق الشَّريعَة ؟

أُجيبُ أَنَّ حَقيقَةَ الشَّريعَة وَإنْ كَانَ لهَا مَجَال فيمَا وَرَاءَ القَلب وَلَكنَّهَا لاَ تَتَجَاوَزُ وَلاَ تَتَعَدَّى الرُّوحَ وَالسِّرَّ وَلاَ تَصل إلى الخَفَى وَالأَخْفَى وَالذي يَضَعُ الأَقْدَامَ في الخَارج هُوَ الخَفَى وَالأَخْفَى في الحَقيقَة وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بحَقيقَة الحَال ثَبَّتَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَجَميعَ المُسْلمينَ عَلى مُتَابَعَة سَيِّد المُرْسَلينَ - عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلوَاتُ وَالتَّسْليماتُ - أَتَمُّهَا وَأَكْملهَا.

المَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالسَّبْعُونَ وَالمائَةُ
إِلى الميرِ مُحَمَّد نُعْمَانَ
فِي جَوَابِ سُؤَالٍ سَأَلَهُ
مَعَ بَيَانِ أَسْرَارٍ غَرِيبَةٍ مُتَعَلِّقَةٍ بِالنَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ

بَعْدَ الحَمْدِ وَالصَّلَاةِ لِيَكُنْ مَعْلُومُ جَنَابِ السَّيِّدِ أَنَّكَ قَدْ سُئِلتَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ نَفْيُ كُلِّ مَا يَكُونُ مَحْسُوسًا بِالبَصَرِ أَنَّ مُدْرَكًا بِالخَيَالِ بِكَلِمَةِ لاَ ضَرُورِيَّةَ لِكَوْنِ المَطْلُوبِ المُثْبَتِ وَرَاءَ الحِسِّ وَالخَيَالِ يَلزَمُ عَلى هَذَا أَنْ يَكُونَ مَشْهُودَ مُحَمَّدٌ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُسْتَحِقًّا لِلنَّفْيِ وَيَكُونُ المَطْلُوبُ المُثْبَتُ وَرَاءَ ذَلِكَ المَشْهُودِ أَيُّهَا الأَخُ إِنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللهِ ﷺ مَعَ كَمَالِ عُلُوِّ شَأْنِهِ كَانَ بَشَرًا وَمُتَّسِمًا بِسِمَةِ الحُدُوثِ وَالإِمْكَانِ فَمَاذَا يُدْرِكُ البَشَرُ مِنْ خَالِقِ البَشَرِ وَمَاذَا يَنَالُ المُمْكِنُ الأَحْقَرُ مِنَ الوَاجِبِ الأَكْبَرِ أَمْ كَيْفَ يُحِيطُ الحَادِثُ بِالقَدِيمِ الوَارِثِ جَلت عَظَمَتُه لاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلمًا نَصٌّ قَاطِعٌ فِي ذَلِكَ قَالَ الشَّيْخُ فَرِيدُ الدِّينِ العَطَّارُ.

أَلاَ تَرَى سَيِّدَ الكَوْنَيْنِ مَا بَلَغَا   لَكِنَّهُ فَقْرٌ فَدَعْ عَنْ نَفْسِكَ التَّعَبَا

أَيُّهَا الأَخُ الأَعَزُّ إِنَّ هَذَا المَقَامَ يَسْتَدْعِي تَفْصِيلاً يَنْبَغِي اسْتِمَاعُهُ بِأُذُنِ القَلبِ اعْلَمْ أَنَّ لِلكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ مَقَامَيْنِ أَعْنِي بِهِمَا النَّفْيَ وَالإِثْبَاتَ وَلِكُلٍّ مِنَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ اعْتِبَارٌ.

إِنَّ الاعْتِبَارَ الأَوَّلَ نَفْيُ اسْتِحْقَاقِ عِبَادَةِ الإِلهَةِ البَاطِلَةِ وَإِثْبَاتُ اسْتِحْقَاقِ العِبَادَةِ لِلمَعْبُودِ بِالحَقِّ وَالاعْتِبَارُ الثَّانِي أَنْ يَكُونَ النَّفْيُ مُتَعَلِّقًا بِمَقْصُودَاتٍ غَيْرِ مَقْصُودَةٍ وَمُتَعَلِّقَاتٍ غَيْرِ مَطْلُوبَةٍ وَأَنْ لاَ يَكُونَ مُتَعَلِّقُ الإِثْبَاتِ غَيْرُ المَطْلُوبِ الحَقِيقِيِّ وَوَرَاءَ المَقْصُودِ الأَصْلِيِّ وَالكَمَالُ فِي الاعْتِبَارِ الأَوَّلِ فِي الابْتِدَاءِ هُوَ أَنْ يَكُونَ كُلَّمَا هُوَ مَعْلُومٌ وَمَشْهُودٌ دَاخِلاً تَحْتَ كَلِمَةِ لاَ وَمَنْفِيًّا بِهَا وَأَنْ لاَ يَكُونَ شَيْءٌ مَا مَلحُوظًا فِي جَانِبِ الإِثْبَاتِ غَيْرَ التَّكَلُّمِ بِالمُسْتَثْنَى يَعْنِي لَفْظَةَ الجَلالَةِ وَبَعْدَ مُرُورِ أَزْمَانٍ تَحْصُلُ الحِدَّةُ لِبَصَرِ البَصِيرَةِ وَيَكْتَحِلُ بِكُحْلِ غُبَارِ طَرِيقِ المَطْلُوبِ فَحِينَئِذٍ يَكُونُ المُسْتَثْنَى أَيْضًا مَشْهُودًا مِثْلَ المُسْتَثْنَى مِنْهُ وَمَعَ ذَلِكَ يَجِدُ السَّالِكُ نَفْسَهُ مُتَعَلِّقًا بِمَا وَرَاءَ ذَلِكَ المَشْهُودِ وَيَطْلُبُ المَطْلُوبَ مِنْ خَارِجِهِ وَوَجْهُ ذَلِكَ أَنَّ كُلَّمَا كَانَ

دَاخلاً تَحْتَ كَلمَة لاَ في ابْتداء هَذَا الكَمَال كَانَ بتَمَامه منْ دَائرَة المُمْكنَات لَمْ يَكُنْ لَهُ اسْتحْقَاقُ العبَادَة أَصْلاً وَصَارَ مُتَميِّزًا منَ المَعْبُود المُسْتحقِّ للعبَادَة المُثْبت بكَلمَة إلاَّ ببركة هذه الكَلمَة الطَّيِّبَة وَلكنَّ السَّالكَ بسَبَب ضَعْف بَصيرَته لَمْ يَرَ مَرْتَبَةَ الوُجُوب المُسْتَحقِّ العبَادَة المُثْبَتَة بكَلمَة إلاَّ وَلَمْ يَكُن لَهُ نَصيبٌ منْ ذَلكَ المَقَام غَيْرَ التَّكَلم بكَلمَة المُسْتَثْنَاة وَلَمَّا حَصَلَتْ القُوَّةُ للبَصيرَة صَارَ المُسْتَثْنَى أَيْضًا مَشْهُودًا مثْل المُسْتَثْنَى منْهُ وَلَمَّا كَانَتْ مَرْتَبَةُ الوُجُوب جَامعَةً للأَسْمَاء وَالصِّفَات الإلهيَّة - جَلَ سُلطَانُهُ - وَمُتَعَلقُ همَّة السَّالك هُوَ الأَحَديَّةُ المُجَرَّدَةُ بَقيَ اسْتحْقَاقُ العبَادَة أَيْضًا في ذَلكَ المَوْطن مثْل عَدَم الاسْتحْقَاق في الطَّريق فَلاَ جَرَمَ يَطْلبُ السَّالكُ مَقْصُودَهُ فيمَا وَرَاءَ الأَسْمَاء وَالصِّفَات وَيَتَحَاشَى عَن التَّعَلق بمَا سوَاهُ.

إذَا سَكَنَ الفُؤَادُ إلى حَبيب ... فَهَل يُبْغَى منَ الغَيْر الوصَالاَ
وَضَعَ عنْدَ البَلاَبل أَلفَ نَبْت ... سوَى أزهَار وَرْد قُلنَ لاَ لاَ
وَذَا نيلُوا فَرَّ عُشَّاقُ شَمْس ... فَهَل يُرْضيه رؤيتُهُ الهلاَلاَ
وَهَل يُجْدي شَرابُ سُكْري ... لظمآنَ بَغى مَاءً زُلاَلاً

وَالكَمَال في الاعْتبَار الثَّاني الذي فيه المَقْصُودُ نَفْيُ المَقْصُودَات الغَيْر المَقْصُودَة هُوَ أَنْ يَكُونَ شُهُودُ مَرْتَبَة الوُجُوب أَيْضًا دَاخلاً تَحْتَ كَلمَة لاَ مثْل شُهُود مَرَاتب الإمْكَان وَأَنْ لاَ يَكُونَ شَيْءٌ مَا مَلحُوظًا في جَانب الإثْبَات غَيْرَ التَّفَوُّه بالكَلمَة المُسْتَثْنَاة.

وَمَا أُبديكَ منْ طَيْري عَلاَمَهْ ... وَقَدْ أَضْحَى كعنقَاءَ وَهَامَهْ
وللعنقَاء بَيْن النَاس اسْم ... وَلَمْ يَكُ لاسْم طَيْري اسْتدَامَهْ

وَالحَقُّ أَنَّ الفطْرَةَ العُليَا وَالهمَّةَ القُصْوَى تَطلبُ مَطْلبًا لاَ يَحْصُل منْهُ شَيْءٌ بَل يَصل غُبَارُ الإدْرَاك إلى ذَيْله أَصْلاً وَالرُّؤْيَةُ الأُخْرَويَّةُ حَقٌّ وَلكنَّ تَصَوُّرَهَا وَتَمَنِّيَهَا يُزْعجُنَا عَنْ مَحَل القَرَار وَمَرْكَز الاصْطبَار وَالنَّاسُ مَسرورُونَ وَمَحْظُوظُونَ بوَعْد الرُّؤْيَة الأُخْرَويَّة وَلَيْسَ تَعلقي وتَعشُّقي إلاَّ بغَيْب الغَيْب وَأُريدُ بجَميع الهمَّة أَنْ لاَ يَخْرُجَ شَيْءٌ منَ المَطْلوب منَ الغَيْب إلى الشَّهَادَة وَأَنْ لاَ تُبدَّل المُرَاسَلَةُ بالوَاصلة وَأَنْ لاَ يَحْمل حُمُول الأَمْر منَ العلم إلى العَيْن مَاذَا نَصْنَعُ قَدْ جُبلتُ عَلى ذَلكَ، (ع):

لكُل منَ الإنْسَان شَأْنٌ يَخصُّهُ

وَإنْ كَانَ لي في هَذَا المَقَام أَنْوَاعٌ منَ الجُنُون وَلكنْ لاَ أَقْدرُ أَنْ أُحَرِّكَ

شَفَتَيَّ مِنَ الأَدَبِ (ع):

جُنونِي مِنْ حَبِيبٍ ذِي فُنونٍ

عُمْرِي مَشَى وَحَدِيثُ وَجْدِي مَا انْقَضَى   وَاللَّيْل قَدْ بَلَغَ الْمَدَى فَاقْنَعْ بِذَا

{وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى}[1] وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَتَمُّ الصَّلَوَاتِ وَأَكْمَلُ التسليمات.

(١) ـــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالسَّبْعُونَ وَالمائَةُ

إلى الخواجهْ أَشْرَفَ الكابلي

فِي بَيَانِ أَنَّ وَاهِي هَذَا الطَّرِيقِ لاَ يَتَسَلوْنَ بهَذه المَعِيَّة وَلاَ يَطْمَئنُّونَ بهَذَا البُعْد المُشَابه بالقُرْب بَل يَطْلبُونَ قُرْبًا يُشْبهُ البُعْدَ وَوَصْلاً يُشْبهُ الهَجْرَ وَبَيَان وَاقعَته التي رَآهَا إلخ.

قَدْ وَصَل مَكْتُوبُ أَخينَا الأعَزِّ وَحَيْثُ كَانَ مُنْبئًا عَنْ مَحَبَّة الفُقَرَاء وَالالتجَاء إلى هَذه الطَّائفَة صَارَ مُوجبًا للفَرَحِ المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ نَقْدُ الوَقْت وَمِصْدَاقُ الحَال وَلَكنْ يَنْبَغي أَنْ يُعْلمَ أَنَّ وَاهي هَذَا الطَّرِيق لاَ يَتَسلوْنَ بهَذه المَعيَّة وَلاَ يَطمَئنُّون بهَذَا البُعْد المُشَابه بالقُرْب بَل يَطْلبُونَ قُرْبًا يُشْبهُ البُعْدَ وَوَصْلاً يُشْبهُ الهَجْرَ لاَ يُجَوِّزُونَ التَّسْوِيفَ وَالتَّأْخيرَ وَيَجْتَنبُونَ التَّعْطيل وَالتَّأْجيل وَلاَ يَصْرفُونَ نَقْدَ وَقْتهمْ إلى مُزخرفات بَاطلة وَلاَ يُتْلفُونَ رَأْسَ مَال عُمْرهمْ في مُمَوِّهَات عَاطلة وَلاَ يَكْتَفُونَ منَ الشَّريف بالخَسيس وَلاَ يَلتَفتُونَ إلى المَغْضُوب عَلَيْه تَاركِينَ للمَرَض النَّفيس وَلاَ يَبيعُونَ أَنْفُسَهمْ بلقَيْمَات سَمينَة لذيذَة وَلاَ يُبَدِّلُون حَظَّ العُبُوديَّة بأَلبسَة رَقيقَة مُزَيَّنَة وَيَروْنَ تَلويثَ تَخت السَّلطَنَة بقَاذُورَات التَّعلقات عَارًا وَيَتَحَاشَوْنَ منْ إشْرَاك اللاَّت وَالعُزَّى في مُلك الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَيَعُدُّونَهُ شَنَارًا أَيُّهَا الأَخُ إنَّ المَطْلوبَ كُله هُنَا هُوَ الدِّينُ الخَالصُ أَلاَ لله الدِّينُ الخَالصُ لاَ يُجَوِّزُونَ فيه ذَرَّةً منَ الشَّركَة لئنْ أَشْرَكْتَ ليَحْبَطَنَّ عَمَلك فَيَنْبَغي أَنْ تَتَأَمَّل سَاعَةً في أَحْوَالك فَإنْ تَيَسَّرَ هَذَا الدِّينُ الخَالصُ فَبشيء لك وَإلاَّ فَيَنْبَغي تَفكُّرُ علاَجِ الوَاقعَة وَتَدْبيرهَا قَبْل وُقُوعهَا وَالوَاقعَةُ التي كَتَبْتَهَا هيَ منْ ظُهُور الشَّيْطَان وَتَصَرُّفه بالبَاطل وَهَذَا القسْمُ منْ ظُهُوره وَتَصَرُّفه كَثيرُ الوُقُوع بَيْنَ الطَّالبينَ وَلاَ بَأْسَ فيه إنَّ كَيْدَ الشَّيْطَان كَانَ ضَعيفًا فَإنَّ ظَهَرَ ثَانيًا يَنْبَغي دَفْعُ ذَلكَ المُفْسد بتَكْرَار كَلمَة التَّمْديد لاَ حَوْل وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ بالله العَليِّ العَظيم.

{وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبعَ الهُدَى}(١) وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى آله أَتَمُّ الصَّلوَاتِ وَأَكْمَل التسليمات.

---

(١) ـــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالسَّبْعُونَ وَالمائَةُ
إلى الحَافظ مَحْمُود
في بَيَان تلوينات الأَحْوَال
وَحُصُول التَّمْكِين وَمَعْنَى لي مَعَ الله وَقْتٌ

وَصَل المَكْتُوبُ الشَّرِيفُ مِنَ الأَخِ العَزِيزِ وَقَدْ انْدَرَجَ فِيه نُبْذَةٌ مِنْ تلوينات أَحْوَاله.

اعْلَمْ أَنَّ السَّالكَ لاَ بُدَّ لَهُ مِنْ تلوينات الأَحْوَال لاَ فِي البدَايَة وَلاَ فِي النِّهَايَة غَايَةُ مَا فِي البَاب أَنَّ التَّلوينَ إذَا كَانَ فِي القَلب فَالسَّالكُ مِنْ أَرْبَاب القُلوب وَمُسَمًّى بابْنِ الوَقْت وَذَا تَخلصُ القَلب مِنَ التَّلوينِ وَخَرَجَ مِنْ رقِّيِّ أَحْوَاله إلى الحُرِّيَّة وَوَصَل إلى مَقَامِ التَّمْكِين فَحِينَئذ يَكُونُ وُرُودُ الأَحْوَال المُتَلوِّنَة عَلى النَّفْسِ التِي جَلسَتْ مَقَامَ القَلبِ خلال عَنْهُ وَهَذَا التَّلوينُ إنَّمَا هُوَ بَعْدَ حُصُول التَّمْكِين.

فَإنْ قِيل لصَاحِب هَذَا التَلوين: أَبَا الوَقْت، لجَازَ فَإنْ تَخلصَتْ النَّفْسُ أَيْضًا مِنْ هَذه التلوينات بمَحْضِ فَضْل الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَوَصَلتْ إلى مَقَام التَّمْكين وَالاطْمئْنَان فَحِينَئذ يَكُونُ وُرُودُ التلوينات عَلى القَالب الذي تَرَكَّبَ مِنْ أَجْزَاء مُخْتَلفَة وَهَذَا التَّلوِينُ يَعْنِي تَلوينَ القَالب دَائميٌّ فَإنَّ التَّمْكينَ لاَ يُتصَوَّرُ فِي حَقِّ القَالبِ وَإنْ كَانَ مُنصبغًا بلوْن أَلطَف اللطَائف فَإنَّ التَّمْكينَ الوَارِدَ مِنْ طَرِيق هَذَا الانْصبَاغِ بطَرِيقِ التَّبَعيَّة وَوُرُود الأَحْوَال المُتَلوِّنَة بطَرِيق الأَصَالة وَالعبْرَةُ بالأَصْل لاَ بالتَّبَعِ وَصَاحِبُ هَذَا المَقَامِ مِنْ أَخصِّ الخَوَاصِّ وَيُمْكنُ أَنْ يَكُونَ هُوَ أَبَا الوَقْت فِي الحَقيقَة وَمَعْنَى حَديث لي مَعَ الله وَقْتٌ الذي رُوِيَ عَنِ النَّبيِّ - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَأَرَادَ جَمَاعَةٌ مِنَ الوَقْتَ المُسْتَمرِّ وَطَائفَةُ الوَقْت النَّادرِ يَكُونُ رَاجعًا إلى هَذَا البَيَان فَإنَّهُ بالنِّسْبَة إلى بَعْضِ اللطَائف مُسْتَمرٌّ وَبالنِّسْبَة إلى بَعْضِ آخَرَ نَادرٌ فَلاَ خلاَفَ وَبالجُمْلة يَنْبَغي تَحْليَةُ الظَّاهِرِ بالشَّرِيعَة الغَرَّاء وَالمُدَاوَمَة عَلى تَكْرَارِ ذكْرِ القَلبِ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاء.

فَى ذَلكَ البَحْرِ العَميقِ كَضُفْدَعٍ   كُنْ طَالبًا مَا تَبْتَغِي مِنْ ذَا وَذَا

وَأَخُونَا مَوْلاَنَا مُحَمَّد صدِّيق فِي آكَرَه فَلتَغْتَنمْ مُلاَقَاته.

المَكْتُوبُ السَّادسُ وَالسَّبْعُونَ وَالمائَةُ
إلى الملا مُحَمَّد صدِّيق
في بَيَانِ أَنَّ حِفْظَ الأَوْقَاتِ مِنْ ضَرُورِيَّاتِ هَذَا الطَّرِيقِ

الحَمْدُ لله وَسَلاَمٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى اعْلَمْ أَنَّ منْ حُسْنِ إسْلاَم المَرْء اشْتغَاله بمَا يَعْنيه وَإعْرَاضه عمَّا لاَ يَعْنيه فَلاَ بُدَّ إذًا منْ حفْظ الأَوْقَات لئَلاَّ تَتْلفَ في أُمُور لاَ طَائل فيهَا يَنْبَغي أَنْ تَعْتَقدَ أَنَّ إنْشَادَ الشِّعْر وَحكَايَةَ القصَصِ نَصيبُ الأَعْدَاء وَأَنَّ تَشْتَغلَ بالسُّكُوت وَحفْظ نسْبَة البَاطنِ وَاجْتمَاعُ الأَصْحَاب في هَذَا الطَّرِيق إنَّمَا هُوَ لجَمْعيَّة البَاطنِ لاَ لتَشْتيت الخَاطر وَلهَذَا اخْتَارُوا الخَلطَةَ عَلى الخَلوَة وَطَلَبُوا الجَمْعيَّةَ منَ الاجْتمَاعِ وَمَتَى كَانَ الاجْتمَاعُ سَبَبًا للتَّفْرقَة يَلزَمُ التحاشي منْهُ وَالتَّبَاعُدُ عَنْهُ وَكُل شَيْءٍ يَجْتَمعُ مَعَ الاجْتمَاعِ فَهُوَ مُبَارَكٌ وَإلاَّ فَمشؤمٌ وَغَيْرُ مُبَارَك وَيَنْبَغي للسَّالك أَنْ يَعيشَ عَلى وَجْه تَحْصُل الجَمْعيَّةُ للطَّالبينَ في صُحْبَته لاَ أَنَّهُ يُلقيهمْ وَيَرْميهمْ إلى التَّفْرقَة وَيَنْبَغي أَنَّ يَقْلبَ أَيْضًا أَوْرَاقَ نَفْسه وَأَنْ يُبَدِّل الكَلاَمَ بالسُّكُوت الوَقْتُ لَيْسَ وَقْتَ المَشَاعرِ وَلاَ حينَ المُحَاوَرَة، (ع):

وَمَا الوَقْتُ وَقْتَ الدَّرْسِ أَوْ كَشْفِ كَشَّافِ

وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالسَّبْعُونَ وَالمِائَةُ
إلى جَمَال الدِّين حُسَيْنِ البدخشي
فِي التَّحْرِيضِ عَلى تَصْحِيحِ العَقَائد بمُقْتَضَى آرَاءِ أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة الصَّائِبَة شَكَرَ اللهُ سَعْيَهُمْ

لِيَغْتَنِمْ الخواجهْ جَمَال الدِّين حُسَيْنٌ عُنْفُوَانَ الشَّبَاب وَلِيَصْرِفْهُ فِي مَرْضِيَّات الحَقِّ سُبْحَانَهُ مَهْمَا أَمْكَنَ يَعْنِي يُلزِمُ نَفْسَه أَوَّلاً تَصْحِيحَ العَقَائد بمُقْتَضَى آرَاء أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة الصَّائِبَة شَكَرَ اللهُ سَعْيَهُمْ وَثَانِيًا العَمَل بمُوجب الأَحْكَام الشَّرْعِيَّة الفقْهيَّة وَثَالثًا سُلوكُ الطَّرِيقَة العَلِيَّة وَالمَنْسُوبَة إلى الصُّوفيَّة الصَّافِيَة قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ فَمَنْ وُفِّقَ لهَذَا فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا وَمَنْ تَخَلفَ عَنْ هَذَا فَقَدْ خَسرَ خُسْرَانًا مُبينًا وَلْيُعدَّ خدْمَةَ أَوْلَاد الخواجهْ مُحَمَّد صَالحٍ منَ السَّعَادَة العُظْمَى فَإِنَّ هَذه الخدْمَةَ إمْدَادٌ وَإِعَانَةٌ للخواجهْ المُشَار إليْه فِي الحَقِيقَة الذي هُوَ منَ المَقْبُولينَ، (ع):

أَبْرَزْتُ منْ كَنْزِ المَرَامِ علَامَةً

وَالسَّلَامُ.

المَكْتُوب الثَّامِنُ وَالسَّبْعُونَ وَالمائَةُ
إِلَى المِرْزَا مُظَفَّرٍ
فِي تَفْوِيضِ شَخْصٍ إِلَيْهِ
وَتَرْغِيبِهِ فِي اتِّبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ

عَظَّمَ اللَّهُ أَجْرَكُمْ وَرَفَعَ قَدْرَكُمْ وَيَسَّرَ أَمْرَكُمْ وَشَرَحَ صَدْرَكُمْ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَمَا الحَاجَةُ إِلَى دَلَالَةِ المُتَخَلِّقِينَ بِالأَخْلَاقِ النَّبَوِيَّةِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - عَلَى الإِحْسَانِ وَحُسْنِ المُعَاشَرَةِ بَلْ يَكَادُ تَكُونُ تِلْكَ الدَّلَالَةُ دَاخِلَةً فِي سُوءِ الأَدَبِ غَايَةُ مَا فِي البَابِ أَنَّ الإِنْسَانَ قَدْ يَتَشَبَّثُ وَقْتَ الاحْتِيَاجِ بِكُلِّ حَقِيرٍ وَنَقِيرٍ وَيَطْلُبُ تَسْلِيَةً مِنْ كُلِّ ضَعِيفٍ وَنَحِيفٍ فَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ تُرْتَكَبُ التَّصْدِيعَ لِتَسْلِيَةِ أَرْبَابِ المَسْأَلَةِ أَيُّهَا المَخْدُومُ المُكَرَّمُ إِنَّ الإِحْسَانَ مَحْمُودٌ فِي كُلِّ مَحَلٍّ خُصُوصًا إِلَى جَمَاعَةٍ لَهُمْ قُرْبُ الجِوَارِ فَقَدْ بَالَغَ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَدَاءِ حُقُوقِ الجِوَارِ عَلَى وَجْهٍ ظَنَّ الأَصْحَابُ الكِرَامُ مِنْ تِلْكَ المُبَالَغَةِ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُ الجِيرَانَ المثنوى.

ون نين بايكد يكر همسايه ايم　　تو و خورشيدى وما ون سايه ايم
ه بدى أي مايهء بى ماي كان　　كرنكه دارى حق همسايه كَانَ

وَالسَّلَام.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالسَّبْعُونَ وَالمائَةُ
إلى المَيْرِ عَبْدِ اللهِ بْنِ المَيْرِ نُعْمَانَ
فِي النَّصِيحَةِ

لِيَغْتَنِمْ الوَلَدُ الأَعَزُّ لاَ زَالَ مُوَفَّقًا كَاسْمه مَوْسِمَ الشَّبَاب وَلْيَشْتَغل بتَحْصِيل العُلومِ الشَّرْعيَّة وَالعَمَل بمُقْتَضَاهَا ولْيَهْتَمَّ في أَنْ لاَ يَصْرِفَ هَذَا العُمْرَ العَزِيزَ فيمَا لاَ يَعْنِي وَأَنْ لاَ يُتْلفَهُ باللهْو وَاللعب وَوَالدُكُمْ المُكَرَّمُ يَلحَقُكُمْ بَعْدَ أَيَّامٍ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالى وَكُنْ مُسْتَخبِرًا عَنْ أَحْوَال المُتَعَلقَات إلى أَنْ يَصل إِلَيْكُمْ، (ع):

وَمَنْ يُشَابِهُ أَبَهُ فَمَا ظَلَمَ

المَكْتُوبُ الثَّمَانُونَ وَالمائَةُ
إِلى الخواجهْ أَبِي القَاسم بْنِ الخواجكى الأمكنكى
فِي الاسْتِفْسَارِ عَنْ أَسَامِي بَعْضِ مشائخه
الذِي وَقَعَ فِيهِ التَّرَدُّدُ

أَيُّهَا المَخْدُومُ المُكَرَّمُ إِنَّ الذي بَلغَنَا مِنْ حَضْرَةِ شَيْخنَا أَعَنِي الخواجهْ مُحَمَّد البَاقِي عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ فِي تَحْقِيقِ أَسَامِي المَشَايخِ هُوَ أَنَّ مَا بَيْنَ مَوْلاَنَا الخواجكى الأمكنكى وَبَيْنَ حَضْرَةِ الخواجهْ أَحْرَارِ اثْنَان أَحَدُهمَا حَضْرَةُ مَوْلاَنَا أَعَنِي مَوْلاَنَا دَرْوِيش مُحَمَّد وَالثَّانِي مَوْلاَنَا مُحَمَّدَ زَاهد خَال مَوْلاَنَا دَرْوِيش مُحَمَّد وَقَدْ قَدَّمَ هَذه الحُدُودَ فِي هَذه الأَوَان مَوْلاَنَا الخواجهْ خاوند مَحْمُود وَجَرَى الكَلاَمُ فِي أَوَّلِ المُلاَقَاة فِي مَوْلاَنَا المَذْكُورِ وَقَال إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَجَازًا مِنْ أَحَد وَلهَذَا مَا كَانَ يَأْخُذُ المُرِيدَ فِي الأَوَائِل ثُمَّ شَرَعَ فِي التَّكَلمِ فِي أَوَاخرِ عُمْرِه فَقُلنَا لهُ إِنَّهُ كَانَ مِنْ كُبَرَاءِ زَمَانه وَسَلمْ جَمِيعَ سُكَّان مَا وَرَاءَ النَّهْرِ لفَضْلة وَكَمَاله وَعُلوِّ شَأْنه وَحَاله وَلاَ يَجُوزُ العَقْلَ أَنَّهُ يَأْخُذُ المُرِيدَ مِنْ غَيْرِ إجَازَة سَوَاءً كَانَ فِي أَوَائل عُمْرِه أَو آخره فَإِنَّ مثل هَذَا دَاخل فِي الخيَانَة بَعِيدٌ عَنِ الدِّيَانَة لاَ يُظَنُّ صُدُورَ ذَلكَ مِنْ أَدْنَى مُسْلمٍ فَكَيْفَ مِنْ أَكَابرِ الدِّينِ فَقَال الخواجهْ خاوند مَحْمُود بَعْدَ ذَلكَ: جَاءَ مَوْلاَنَا مَرَّةً عنْد الخواجهْ كلان الدهبيدى وَكَانَ هُوَ يَأْكُل الخربزَةَ فَأَظْهَرَ مَوْلاَنَا طَلبَ الطَّرِيقَة فَقَال لهُ الخواجهْ كلان إِنْ خربزتَك قَدْ تَمَّ أَمْرُهَا وَكَمُل نُضْجُهَا فَقَال مَوْلاَنَا أَنْتَ تَشْهَدُ أَنَّ خربزتي قَدْ كَمُلتْ فَقَال: أَشْهَدُ أَنَّ خربزتك تَامَّةٌ كَاملةٌ فَشَرَع مَوْلاَنَا فِي أَخْذ المُرِيد مِنْ هَذَا الوَقْت وَهَذَا النَّقْل أَيْضًا يُرَى مُسْتَبْعَدًا جدًّا فَإِنَّ مَوْلاَنَا كَيْفَ يَعْتَقدُ نَفْسَه شَيْخًا بمُجَرَّد هَذَا القَوْل وَيَشْرَعُ فِي أَخْذ المُرِيد ثُمَّ قَال حَضْرَةُ الخواجهْ خاوند مَحْمُود إِنَّ تَسْمِيَةَ هَذَيْنِ الشَّيْخَيْنِ المَذْكُورَيْنِ بَيْنَ حَضْرَة مَوْلاَنَا وَبَيْنَ حَضْرَة الخواجهْ أَحْرَارِ بهَذَيْنِ الاسْمَيْنِ وَاعْتقَادَ أَنَّهمَا مُسَمَّيَا هَذَيْنِ الاسْمَيْنِ خَطَأٌ ذَكَرُوهُمَا بغَيْرِ اسْمهمَا وَقَال أَيْضًا أَنَّ دَرْوِيش مُحَمَّد لاَ نسْبَةَ لهُ مِنْ خَاله يَعْنِي لاَ انْتسَابَ لهُ إِليْه بَل انْتسَابُه إلى غَيْرِه فَحَصَل تَعَجُّبٌ كَثيرٌ مِنْ كَلمَاته هَذه فَارْتَكَبْنَا التَّصْدِيعَ بالضَّرُورَة لتَكْتُبُوا لنَا اسْمَي الشَّيْخَيْنِ المَذْكُورَيْنِ عَلى وَجْه التَّحْقِيق لئَلاَّ يَبْقَى لأَحَدٍ مَجَال الكَلاَمِ فِي سلسلتنَا وَمَا الحَاجَةُ إلى كتَابَة حَدِيث الإجَازَة فَإِنَّ

عَظَمَتَهُ وَعُلوَّ شَأْنه شَاهدُ عَدْل وَمَعَ ذَلكَ إنْ كَتَبَ كَانَ قَطْعًا للسَان الطَّاعتَيْن وَلَمْ يَدْرِ مَاذَا كَانَ مَقْصُودُ الخواجهْ خاوند منْ هَذه الكَلمَات المُشَتَّتَة فَإنْ كَانَ مَقْصُودُه نَفْيَ هَؤُلاَء الفُقَرَاء الذينَ لاَ بضَاعَةَ لَهُمْ بأَبْلغِ الوُجُوه فَإنَّ نَفْيَ الشَّيْخِ مُسْتَلزمٌ لنَفْي المُريد بآكَد الوُجُوه فطُرُق نَفْي هَؤُلاَء عَديمي البضَاعَة كَثيرَةٌ فَمَا الحَاجَةُ إلى نَفْي الأَكَابرِ لهَذَا الغَرَضِ وَإنْ كَانَ مَقْصُودُه نَفْيَ الأَكَابرِ بالأَصَالة وَلَمْ يَكُنْ لَهُ غَرَضٌ سوَاءً فَهَذَا أَيْضًا غَيْرُ مُسْتَحْسَنٍ كَمَا لاَ يَخْفَى عَلى مَنْ لَهُ أَدْنَى درَايَة رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلوبَنَا بَعْد ذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لنَا منْ لدُنْكَ رَحْمَةً إنَّك أَنْتَ الوَهَّابُ بحُرْمَة سَيِّد المُرْسَلينَ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلوَاتُ والتَّسْليماتُ.

{وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[1].

(١) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ الحَادي وَالثَّمَانُونَ وَالمائَةُ
إلى حَضْرَةِ المَخْدُومِ زَادَهُ مَيَّانَ مُحَمَّد صَادق
في جَوَابِ اسْتِفْسَارِهِ عَنْ سَبَبِ مُشَاهَدَةِ بَعْضِ المَشَايِخِ
في مَقَامٍ أَعْلَى مِنْ مَقَامَاتِهِمْ
وَبَعْضِهِمْ فِي أَدْنَى مِنْ مَقَامَاتِهِمْ
وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

قَدْ سَأَلَ وَلَدِي الأَرْشَدُ مُحَمَّدُ صَادق عَنْ سَبَبِ انفهامِ كَوْن طَائفَة مِن المَشَايِخِ فِي دَرَجَات عُلْيَا مِنْ مَقَامِ الزُّهْد وَالتَّوَكُّل وَالتَّرْك وَالصَّبْر وَالرِّضَا مَعَ أَنِّي أَرَى وَأُشَاهِدُ أَنَّ لَهُمْ دَرَجَةً أَدْنَى فِي مَرَاتِبِ القُرْبِ الإلهِيِّ - جَل سُلطَانُهُ - وَرُؤْيَة طَائفَة أُخْرَى مِنَ المَشَايِخِ فِي دَرَجَة سُفْلَى مِنْ مَقَامَات الزُّهْد وَالتَّوَكُّل وَغَيْرِهِمَا مَعَ أَنَّهُمْ يُرَى لَهُمْ دَرَجَاتٌ عُلْيَا فِي مَقَامِ القُرْب وَمِنَ المُقَرَّرِ أَنَّ أَكمليَّةَ هَذه المَقَامَات باعْتبَارِ أَتَمِّيَّة اليَقِين وأَتَمِّيَّةُ اليَقِين بسَبَب الأَقربيَّة إلى جَناب قُدْس الحَقِّ جَل شَأْنُهُ فَالمَقَامُ لاَ يَخلو هُنَا عَنْ أَحَد أُمُور مَا تَطَرُّقَ الخَطَأُ إلى النَّظَرِ فَرَأَى القَريبَ بَعيدًا وَالبَعيدَ قَريبًا أَوْ أَنَّ سَبَبَ أَكمليَّة هَذه المَقَامَات أَمْرٌ وَرَاءَ اليَقِين أَوْ أَنَّ تَرَتُّبَ اليَقِين لَيْسَ عَلَى القُرْب فَأَقُول فِي الجَوَاب إنَّ تَرَتُّبَ اليَقِين عَلَى القُرْب فَإِذَا كَانَ القُرْبُ أَكْثَرَ فَاليَقِينُ أَزْيَدُ وَأَوْفَرُ وَسَبَبُ أَكمليَّة هَذه المَقَامَات أَيْضًا أَتَميَّةٌ لاَ أَمْرٌ آخَرُ وَالنَّظَرُ الكَشْفيُّ أَيْضًا صَحيحٌ غَايَةُ مَا فِي البَاب أَنَّ حُصُول القُرْب إنْ هُوَ لالطَفُ اللطَائف فَيَكُونُ اليَقِينُ أَيْضًا نَصيبَهُ وَحَيْثُ كَانَتْ أَكمليَّةُ المَقَامَات مُتَرَتِّبَةً عَلى أَتميَّة اليَقِين تَكُونُ تلكَ الأَكمليَّةُ أَيْضًا حَاصلةً فَيُمْكنُ أَنْ يَحْصُل رَجُل مِنَ الأَكَابرِ إقَامَةً فِي مَقَامٍ مِنْ مَقَامَات أَلطَف اللطَائف مَعَ وُجُود قلة قُرْبه وَلَمْ يَرْجعْ بَعْدُ إلَى أَكْثَف اللطَائف وَيَكُونُ فِي المَقَامَات المَذْكُورَة أَكْمَل ممَّنْ لَهُ زيَادَةُ قُرْب وَقَدْ رَجَعَ إلى أَكْثَف اللطَائف أَعْني لطيفَةَ القَالب وَحَيْثُ إنَّ لطيفَةَ القَالب مَحْرُومَةٌ مِنْ ذَلكَ القُرْبِ لاَ يَكُونَ اليَقِينُ أَيْضًا نَصيبًا لَهَا فَمنْ أَيْنَ تَحْصُل لَهَا أَكْمليَّةُ تلكَ المَقَامَات وَالذي رَجَعَ إلى هَذه اللطيفَة أَخَذَ حُكْمَهَا وَكَانَتْ يَقينَاتُ لطَائف البَاقيَة التي قَدْ حَصَلَتْ لَهَا سَابقًا وَمَسْتُورَةً بخلاَف مَنْ لَيسَ لَهُ رُجُوعٌ إلى القَالب فَإنَّ حُكْمَهُ حُكْمُ أَلطَفِ اللطَائفِ وَالقُرْبُ وَاليَقِينُ عَلى كَمالهمَا فِي حَقِّه وَلَمْ يَسْتَترَا بَعْدُ فَلاَ

جَرَمَ يَكُونُ فِي المَقَامَاتِ المَذْكُورَةِ أَتَمَّ وَأَكْمَل وَلكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ صَاحِبَ الرُّجُوعِ كَمَا أَنَّهُ أَكْمَل فِي القُرْبِ وَاليَقِينِ كَذَلِكَ هُوَ أَكْمَل فِي المَقَامَاتِ أَيْضًا

وَلكِنْ قَدْ سُتِرَتْ كَمَالاتُه تلكَ وَجَعَل ظَاهِرُهُ مثْل ظَاهِرِ عَوَامِّ النَّاسِ لِحُصُول المُنَاسَبَة بَيْنَهُ وَبَيْنَ الخَالقِ التي هِيَ سَبَبُ الإفَادَة وَالاسْتفَادَة فيَكُونُ مُسْتَحقًّا لدَعْوَة الخَلقِ إِلى الحَقِّ وَهذَا المَقَامُ مَقَامُ الأَنْبيَاء المُرْسَلينَ عَلَيْهِمُ الصَّلوَاتُ والتَسليماتُ بالأَصَالة وَلهذَا طَلبَ إبْرَاهيمُ الخَليل عَلى نَبيِّنَا وَعَليْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ اطْمئْنَانَ القَلب وَاحْتَاجَ فِي حُصُول اليَقين إلى الرُّوِيَّة البَصَريَّة مثْل عَوَامِّ النَّاسِ وَقَال عُزَيْرٌ عَلى نَبيِّنَا وَعَليْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: أَنَّى يُحْيِي هَذه اللهُ بَعْدَ مَوْتهَا وَالذي لَمْ يَرْجعْ أَخْبَرَ عَنْ يَقينه بقَوْله لوْ كُشفَ الغطَاءُ مَا ازْدَدْتُ يَقينًا فَإنْ ثَبتَ صُدُورُ هَذَا الكَلاَمِ عَنْ سَيِّدنَا عَليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَه يَنْبَغِي حَمْلهُ عَلى أَنَّهُ قَال ذَلكَ قَبْل حُصُول الرُّجُوعِ فَإنَّ صَاحبَ الرُّجُوعِ مُحْتَاجٌ إلى الدَّلاَئل وَالبَرَاهين في حُصُول اليَقين بَعْدَ الرُّجُوعِ مثْل عَوَامِّ النَّاسِ وَقَدْ كَانَتْ المَسَائل الكَلاَميَّةُ كُلهَا بَديهيَّةً لهَذَا الدَّرْوِيش قَبْل الرُّجُوعِ وَكُنْت أَجدُهَا أَشَدَّ يَقينًا منَ المَحْسُوسَات وَأَمَّا بَعْدَ الرُّجُوعِ فَقَدْ اسْتَتَرَ ذَلكَ اليَقينُ وَصرْتُ مُحْتَاجًا إلى الدَّلاَئل وَالبَرَاهين مثْل عَوَامِّ النَّاسِ، (ع):

عَلى مقْدَارِ مَا رَبَّوني أَنْمُو

وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّاني وَالثَّمانُونَ وَالمائَة
إلى الملا صَالِح الكولابي
في بَيَانِ كَوْنِ الخَوَاطِرِ وَالوَسَاوِسِ مِنْ كَمَالِ الإيمَانِ كَمَا وَرَدَ في بَعْضِ الأَحَادِيث

كَانَ طَائِفَةٌ مِنَ الدَّرَاوِيشِ يَوْمًا مِنَ الأَيَّامِ قَاعِدِينَ مُجْتَمِعِينَ فَجَرَى الكَلاَمُ فِي خَطَرَاتِ الطَّالِبِينَ وَوَسَاوِسِهِمْ فَذُكِرَ فِي ذَلِكَ الأَثْنَاء حَدِيثٌ نَبوِيٌّ وَهُوَ أَنَّ بَعْضَ الأَصْحَابِ شَكَا إِلى النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الخَوَاطِرِ الرَّدِيئَة وَقَال إِنَّا نَجدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا لَوْ أَنَّ أَحَدَنَا خَرَّ عَلى رَأْسِه لكَانَ خَيْرًا لهُ مِنْ أَنْ يَتَكَلمَ فَقَال - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - "أَوْجَدْتُمْ ذَلكَ ذَاكَ مِنْ كَمَالِ الإيمَان أَوْ مِنْ صَرِيحِ الإِيمَان" فَوَقَعَ فِي خَاطِرِ هَذه الفَقيرِ فِي ذَلكَ الوَقْت فِي تَأْوِيل هَذَا الحَدِيث وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بحَقيقَة الحَالِ أَنَّ كَمَالَ الإِيمَان عِبَارَةٌ عَنْ كَمَال اليَقِين وَكَمَالَ اليَقِين مُرَتَّبٌ عَلى كَمَال القُرْب فَإِذَا حَصَلَ للقَلب وَمَا فَوْقَهُ مِنَ اللطَائف زِيَادَةُ القُرْب الإلهيِّ جَل شَأْنُهُ يَكُونُ الإيمَانُ وَاليَقِينُ أَزْيَدَ وَيَكُونُ عَدَمُ تَعَلق القَلْب وَسَائرُ اللطَائف بِالبَدَن أَكْثَرُ فَيَكُونُ ظُهُورُ الخَطَرَات فِي القَالب أَزْيَدَ وَأَوْفَرَ وَالوَسَاوِسُ غَيْرُ اللاَّئقَة فيه أَظْهَرُ فَلاَ جَرَمَ يَكُونُ سَبَبُ الخَطَرَات الرَّدِيئَة كَمَالَ الإيمَان بالضَّرُورَة فَعَلى هَذَا كُلمَا كَانَتْ الخَطَرَاتُ أَزْيَدَ فِي المُنْتَهى إلى نهَايَة النِّهَايَة تَكُونُ أَكْمَليَّةُ الإيمَان فيه أَشَدَّ فَإنَّ كَمَال الإيمَان يَقْتَضِي عَدَمَ المُنَاسَبَة بَيْنَ أَلطَف اللطَائف وَبَينَ لطِيفَة القَالب وَكُلمَا كَانَ عَدَمُ المُنَاسَبَة المَذْكُورَة أَكْثَرَ كَانَ القَالبُ أَشَدَّ خُلوًّا وَأَقْرَبَ إلى الظُّلمَة وَالكُدُورَة وَيَكُونُ وُرُودُ الخَوَاطر إلَيْه أَزْيَدَ وَأَوْفَرَ بخلاَف المُبْتَدِئ وَالمُتَوَسِّط فَإنَّ مثل هَذه الخَوَاطِر سُمٌّ قَاتل بالنِّسْبَة إلَيهمَا وَسَبَبٌ لازْديَاد مَرَضِهمُ البَاطِنِ فَلاَ تَكُنْ مِنَ القَاصِرِينَ وَهَذه المَعْرفَةُ مِنَ المَعَارِف الغَامضَة المُخْتَصَّة بهَذَا الفَقير.

{وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[1] وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

---

(١) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالثَّمَانُونَ وَالمِائَةُ
إِلى المِلا مَعْصُومٍ الكابلي
فِي النَّصِيحَةِ

رَزَقَكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ الاسْتِقَامَةَ عَلى جَادَّةِ الشَّرِيعَةِ المُصْطَفَوِيَّةِ عَلى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ وَجَعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مُتَوَجِّهِينَ إِلى جَنَابِ قُدْسِهِ بِالكُلِّيَّةِ وَشَغَلَنَا بِهِ عَنْ غَيْرِهِ حَتَّى لَا نَتَوَجَّهَ إِلى الاثْنَيْنِيَّةِ وَالمَأْمُولُ أَنْ لَا تَكُونَ التَّعَلُّقَاتُ الشَّتَّى وَالتَّوَجُّهَاتُ المُتَفَرِّقَةُ التي اسْتَوْلَتْ عَلى الظَّاهِرِ مَانِعَةً عَنِ النِّسْبَةِ البَاطِنِيَّةِ وَمَعَ ذَلِكَ يَنْبَغِي السَّعْيُ وَالاجْتِهَادُ فِي تَحْقِيقِ التَّفْرِقَةِ الظَّاهِرِيَّةِ وَالتَّفَحُّصِ عَنْهَا لِئَلَّا تَسْرِيَ فِي البَاطِنِ فَتَمْنَعَ عَنِ الوُصُولِ إِلى المَطْلَبِ الحَقِيقِيِّ عِيَاذًا بِاللهِ سُبْحَانَهُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا تَسْتَحِقُّ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا لِأَنْ تَصْرِفَ بِضَاعَةَ العُمْرِ العَزِيزِ فِي تَحْصِيلِهَا الشَّرْطُ هُوَ الإِخْبَارُ وَإِلى مَتَى يَمْتَدُّ مَنَامُ الأَرْنَبِ.

وَمَا القَصْرُ وَالبُسْتَانُ إِلَّا مَحَابِسَ ... وَمَا المَالُ وَالأَمْلَاكُ إِلَّا مَصَائِبَ

فَإِنْ حَصَلَ العَمَلُ قَبْلَ المَوْتِ فَبِهَا وَإِلَّا فَخُسْرَانٌ فِي خُسْرَانٍ يَنْبَغِي أَنْ يَعُدَّ ذِكْرَ القَلْبِ وَمَشْغُولِيَّةَ البَاطِنِ عَزِيزًا وَأَنْ يَتَّخِذَ كُلَّمَا يُنَافِيهِ عَدُوًّا.

كُلَّمَا دُونَ هَوَى الحَقِّ وَلَوْ ... أَكْلُ قَنْدٍ فَهُوَ سُمٌّ قَاتِلِ

وَمَا عَلى الرَّسُولِ إِلى البَلَاغِ.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالثَّمَانُونَ وَالمائَةُ
فِي التَّحْرِيضِ عَلى مُتَابَعَة سَيِّد المُرْسَلِينَ ﷺ
أَرْسَلَهُ إِلى فَتْحِ الله

وَصَل مَكْتُوبُ الوَلَد الأَعَزِّ المَكْتُوبُ عَلى وَجْه المَحَبَّة وَالخُلوصِ أَوْصَلَهُ الخواجهْ فَصَارَ مُوجِبًا لفَرَحٍ جَعَل اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى التَّوْفِيقَ لمَرْضِيَّاته رَفيقَنا بحُرْمَة النَّبِيِّ وَآله الأَمْجَاد عَلَيْه وَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَيُّهَا الوَلَدُ: إِنَّ الذي يَنْفَعُ الإِنْسَانَ غَدًا هُوَ مُتَابَعَةُ صَاحِب الشَّرِيعَة - عَلَيْه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ - فَإِنْ اجْتَمَعَتْ الأَحْوَال وَالمَوَاجيدُ وَالعُلومُ وَالمَعَارِفُ وَالإِشَارَاتُ وَالرُّمُوزُ مَعَ تلكَ المُتَابَعَة فبهَا وَنَعمَتْ وَإِلاَّ فَلاَ شَيْءَ سوَى الخذْلَان وَالاسْتدْرَاجِ رَأَى شَخْصٌ سَيِّدَ الطَّائفَة الجُنَيْدَ بَعْدَ وَفَاته فَسَأَلهُ عَنْ حَاله فَقَال لهُ الجُنَيْدُ فِي جَوَابه: طَاحَتْ العبَارَاتُ وَفَنِيَتْ الإِشَارَاتُ وَمَا نَفَعَنَا إِلاَّ رُكَيْعاتٌ رَكَعْنَاهَا فِي جَوْف اللَيْل فَعَلَيْكُمْ بمُتَابَعَته وَمُتَابَعَة خُلفَائه الرَّاشدينَ عَلَيْه وَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَإِيَّاكُمْ وَمُخَالفَةَ شَرِيعَته قَوْلاً وَعَمَلاً وَاعْتقَادًا فَإِنَّ الأُولى يُمْنٌ وَبَرَكَةٌ وَالثَّانيَةَ شُؤْمٌ وَهَلَكَةٌ هَذَا وَالرِّسَالَةُ التي أَرْسَلتهَا قَدْ وَصَلَتْ وَطَالعْتُ بَعْضَ المَوَاضعِ منْهَا فَرَأَيْته حَسَنًا وَلكنَّ الأَهَمَّ أَمْرٌ آخَرُ دُونَ التَّصْنيفِ وَالاشْتغَال بالأَمْرِ الأَهَمِّ أَنْسَبُ وَأَوْلى وَالسَّلَامُ.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالثَّمَانُونَ وَالمائَةُ
إلى مَنْصُور عَرَب
في تَفْوِيضِ شَخْصٍ إِلَيْه

رَزَقَكُمْ اللهُ الاسْتِقَامَةَ عَلى جَادَّة الشَّرِيعَة المُصْطَفَوِيَّة عَلى صَاحِبهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ وَجَعَلَ جَمِيعَ هِمَّتِكُمْ التَّوَجُّهَ إلى جَنَاب قُدْسه وَمَا هُوَ اللاَّزِمُ لنَا وَلكُمْ هُوَ سَلاَمَةُ القَلب مِنَ التَّعَلق بمَا سوَى الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَهَذه السَّلاَمَةُ إنَّمَا تَتَيَسَّرُ إلاَّ لَمْ يَبْقَ لغَيْرِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ خُطُورٌ في القَلب بحَيْثُ لوْ تَيَسَّرَتْ حَيَاةُ أَلف سَنَةٍ فَرْضًا لاَ يَقَعُ الغَيْرُ في القَلب بوَاسطَة نسْيَان القَلب مَا سوَاهُ تَعَالى (ع):

هَذَا هُوَ الأَمْرُ وَالبَاقِي خَيَالاَتٌ

بَقِيَّةُ المَرَامِ أَنَّ مَوْلاَنَا الفَاضل السرهندي الذي هُوَ قَائمٌ بخدْمَتكُمْ العَليَّة أَبُوه في سرهند وَيَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مَسْرُورًا وَمُبْتَهجًا بمُلاَقَاة وَلده وَقْتَ ضَعْفه وَشَيْخُوخَته فَبنَاءً عَلى ذَلكَ جَعَلَ الفَقيرُ وَسيلَةً إلى التَّصْديعِ وَالأَمْرُ عنْدَكُمْ بَل كُلّ منْ عنْد الله وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالثَّمانُونَ وَالمائَةُ
إِلى الخواجهْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ المُفْتي الكَابلي
في الحَثِّ عَلى مُتَابَعَة السُّنَّة
وَالاجْتنَاب عَنِ البدْعَة
وَأَنَّ كُل بدْعَة ضَلالَةٌ

أَسْأَل اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى بالتَّضَرُّعِ وَالاعْتذَارِ وَالالتجَاء وَالافْتقَارِ وَالتَّذَلل وَالانْكسَارِ في السِّرِّ وَالجهَارِ أَنْ لاَ يَبْتَليَ هَذَا الضَّعيفَ مَعَ مَنْ هُمْ مُجْتَمعُونَ لدَيْه أَوْ مُسْتَندُونَ إليْه بفعْل كُل عَمَل مُحْدَث وَمُبْتَدَعٍ في الدِّين ممَّا لَمْ يَكُنْ في زَمَنِ خَيْرِ البَشَرِ وَزَمَنِ خُلفَائه الرَّاشدينَ عَليْه وَ عَليْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَإِنْ كَانَ ذَلكَ العَمَل مثْل فَلق الصُّبْحِ في الوُضُوحِ وَأَنْ لاَ يَفْتنَنَا بحُسْنِ ذَلكَ المُبْتَدَعِ بحُرْمَة السَّيِّد المُخْتَارِ وَآله الأَبْرَارِ عَليْه وَ عَليْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

قَال بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ البدْعَةَ عَلى نَوْعَيْنِ حَسَنَة وَسَيِّئَة فَالحَسَنَةُ هيَ كُل عَمَل صَالحٍ حَدَثَ بَعْدَ زَمَنِ نَبيِّنَا وَزَمَنِ خُلفَائه الرَّاشدينَ عَليْه وَعَليهِمُ الصَّلاَةُ السَّلاَمُ وَلَمْ يَكُنْ رَافعًا للسُّنَّة وَالسَّيِّئَةُ مَا تَكُونُ رَافعَةً للسُّنَّة وَهَذَا الفَقيرُ لاَ يُشَاهدُ في شَيْءٍ منَ البدْعَة شَيْئًا منَ الحُسْنِ وَالنُّورَانيَّة وَلاَ يُحسُّ فيهَا شَيْئًا سوَى الظُّلمَة وَالكُدُورَة وَمَنْ رَأَى اليَوْمَ فَرْضًا طَرَاوَةً وَنَضَارَةً في الأَمْرِ المُبْتَدَعِ بسَبَب ضَعْف البَصيرَة وَلكنْ سَيَعْلمُ غَدًا بَعْدَ حُصُول الحدَّة في بَصَره أَنْ ليْسَ لهُ شَيْءٌ منْ نَتيجَة غَيْرَ النَّدَامَة وَالخسَارَة.

وَوَقْتُ الصُّبْحِ يَبْدُو كَالنَّهَارِ حَقيقَةُ مَنْ هَويته في الظَّلاَمِ

قَال سَيِّدُ البَشَرِ - عَليْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - مَنْ أَحْدَثَ في أَمْرِنَا هَذَا مَا ليْسَ منْهُ فَهُوَ رَدٌّ.

فَإذَا كَانَ الشَيْءُ مَرْدُودًا فَمنْ أَيْنَ يَجيءُ لهُ الحُسْنُ وَقَال - عَليْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - أَمَّا بَعْدُ فَإنَّ خَيْرَ الحَديث كتَابُ الله وَخَيْرَ الهَدْي هَدْيُ مُحَمَّد وَشَرَّ الأُمُور مُحْدَثَاتُهَا وَكُل مُحْدَثَة بدْعَةٌ وَكُل بدْعَة ضَلالَةٌ وَقَال - عَليْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - أُوصيكُمْ بتَقْوَى الله وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَة وَإنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشيًّا فَإنَّهُ مَنْ يَعش منْكُمْ بَعْدي فَسَيَرَى اخْتلاَفًا كَثيرًا فَعَليْكُمْ بسُنَّتي وَسُنَّة الخُلفَاء الرَّاشدينَ المَهْديِّينَ تَمسَّكُوا بهَا وَعَضُّوا عَليْهَا بالنَّوَاجذ وَإيَّاكُمْ وَمُحْدَثَات الأُمُورِ فَإنَّ كُل مُحْدَث بدْعَةٌ وَكُل بدْعَة ضَلالَةٌ.

فَإِذَا كَانَ كُل مُحَدَّث بدْعَةً وَكُل بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ فَمَا يَكُونُ مَعْنَى الحُسْنِ في البدْعَةِ وَأَيْضًا المَفْهُومُ مِنَ الأَحَادِيثِ أَنَّ كُل بِدْعَةٍ رَافِعَةٌ للسُّنَّةِ وَالرَّفْعُ غَيْرُ مُخْتَصٍّ بَالبَعْضِ فَيَكُونُ كُل بِدْعَةٍ سَيِّئَةً قَالَ ـ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ـ مَا أَحْدَثَ قَوْمٌ بِدْعَةً إلاَّ رُفِعَ مِثْلها مِنَ السُّنَّةِ.

فَالتَّمَسُّكُ بِالسُّنَّةِ خَيْرٌ مِنْ إِحْدَاثِ البِدْعَةِ وَعَنْ حَسَّانَ أَنَّهُ قَال: مَا ابْتَدَعَ قَوْمٌ بِدْعَةً فِي دِينِ إلاَّ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ سُنَنِهِم مِثْلَهَا ثُمَّ لاَ يُعِيدُهَا إِلَيْهِمْ إِلى يَوْمِ القِيَامَةِ.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ بَعْضَ البِدَعِ الذي عَدَّهُ العُلَماء وَالمَشَايخ مِنَ البِدْعَةِ الحَسَنَةِ إِذَا لوحظَ فِيهِ كَمَال المُلاَحَظَةِ يُعْلَمُ أَنَّهُ رَافِعٌ للسُّنَّةِ وَمِنْ ذَلكَ أَنَّ تَعْمِيمَ المَيِّت مَثَلاً عَدُّوهُ مِنَ البِدْعَةِ الحَسَنَةِ مَعَ أَنَّهُ رَافِعٌ للسُّنَّةِ لأَنَّهُ زِيَادَةٌ عَلى العَدَدِ المَسْنُونِ فِي الكَفَنِ وَهُوَ كَوْنُهُ ثَلاثَةَ أَثْوَابٍ وَالزِّيَادَةُ نَسْخٌ وَالنَّسْخُ هُوَ عَيْنُ الرَّفْعِ وَكَذَلِكَ اسْتَحْسَنَ المَشَايِخ يَعْنِي بَعْضَهمْ إِرْسَال ذَنَب العَمَامَة مِنْ طَرَف اليَسَار مَعَ أَنَّ السُّنَّةَ إِرْسَاله مِمَّا بَيْنَ الكَتِفَيْنِ وَكَوْنُ ذَلك رَافِعاً لهَذِهِ السُّنَّةِ ظَاهِرٌ لاَ سُتْرَةَ فِيهِ وَكَذَلِكَ اسْتَحْسَنَ العُلَماءُ يَعْنِي بَعْضَهمْ فِي نِيَّةِ الصَّلاَةِ النُّطْقَ بِاللسَانِ مَعَ إِرَادَةٍ قَلْبِيَّةٍ وَالحَال أَنَّهُ لمْ يَثْبُتْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَلاَ عَنْ أصحابه الكِرَام وَلاَ عَنِ التَّابِعِينَ العِظَامِ فِي النِّيَّةِ النُّطْقُ بِاللسَانِ لاَ فِي رِوَايَةٍ صَحِيحَةٍ وَلاَ فِي رِوَايَةٍ ضَعِيفَةٍ بَل كَانُوا يُكَبِّرُونَ للتحريمة عَقِبَ القِيَام فَيَكُونُ النُّطْقُ بِدْعَةً وَقَالوا إِنَّ ذَلكَ بِدْعَةٌ حَسَنَةٌ وَيَقُول هَذَا الفَقِيرُ إِنَّ هَذِهِ البِدْعَة رَافِعَةٌ للفَرْضِ فَضْلاً عَنِ السُّنَّة فإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ يَكْتَفُونَ عَلى هَذَا التَّقْدِيرِ بِالنُّطقِ بِاللسَان يَعْنِي مِنْ غَيْرِ اسْتِحْضَارِ النِّيَّةِ بالجِنَانِ وَمِنْ غَيْرِ مُبَالاَة بِالغَفْلَةِ القَلْبِيَّةُ وَعَنْ هَذَا الشَّأْنِ فَحِينَئِذٍ يَكُونُ فَرْضٌ مِنْ فَرَائِضِ الصَّلاَةِ وَهُوَ النِّيَّةُ القَلْبِيَّةِ وَمَتْرُوكًا بَالكُلِّيَّةِ وَيُفْضِي إِلى فَسَادِ الصَّلاَةِ وَعَلى هَذَا القِيَاسِ سَائِرُ المُبْتَدَعَاتِ وَالمُحْدَثَاتِ فَإِنَّها زِيَادَاتٌ عَلى السُّنَّةِ وَلَوْ بِوَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ وَالزِّيَادَةُ نَسْخٌ وَالنَّسْخُ رَفْعٌ فَعَلَيْكُمْ بِالاقْتِصَارِ عَلى مُتَابَعَة سُنَّةِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالاكْتِفَاءِ بَالاقْتِدَاءِ بأَصْحَابِهِ الكِرَام فَإِنَّهُمْ كَالنُّجوم بأَيِّهِمْ اهْتَدَيْتُم اقْتَدَيْتُمْ وَأَمَّا القِيَاسُ بِالاجْتِهَادِ فَلَيْسَ مِنَ البِدْعَةِ بَشَيْءٍ فَإِنَّهُ مُظْهِرٌ لمَعْنَى النُّصُوصِ لاَ أَنَّهُ مُثْبِتٌ لأَمْرٍ زَائِدٍ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولي الأَبْصَارِ.

﴿وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾[1] وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفى عَلَيْهِ وَعَلى آلِه أَفضَل الصَّلَوَاتِ وَأَكْمَل التسليماتِ.

---

(١) ـ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالثَّمَانُونَ وَالمِائَةُ
إلى الخواجهْ أَشْرَفَ الكابلي
في أَفْضَلِيَّةِ طَرِيقِ الرَّابِطَةِ عَلى الذِّكْرِ بِالنِّسْبَةِ إلى المُرِيدِ

قَدْ وَقَعَ النَّظَرُ عَلى الكِتَاب الذي كَتَبْتُهُ إلى الأَصْحَاب وَاطَّلَعْتُ عَلى الأَحْوَال المَسْطُورَة فيه اعْلَمْ أَنَّ حُصُول رَابطَة الشَّيْخ للمُرِيد بلاَ تَكَلف وَتَعمُّل عَلاَمَة المُنَاسَبَة التَّامَّة بَيْنَ المُرْشد وَالمُرِيد التي هِيَ سَبَبُ الإفَادَة وَالاسْتفَادَة وَلاَ طَرِيقَ أَقْرَبَ منْ طَرِيقِ الرَّابطَة أَصْلاً فَيَا سَعَادَةَ مَنِ اسْتَسْعَدَ بهَذه الدَّوْلَة أَوْ رَدَّ حَضْرَةَ الخواجهْ أَحْرَار - قُدِّسَ سرُّهُ - في الفقْرَات أَنَّ ظل الدَّليل أَوْلى منْ ذكْرِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ باعْتبَارِ النَّفْع يَعْني أَنَّ ظل الدَّليل أَوْلَى للمُرِيد منَ اشْتغَاله بالذِّكْر فَإِنَّهُ لَمْ تَحْصُل بَعْدُ للمُرِيد مُنَاسَبَةٌ كَاملَةٌ بالمَذْكُورِ - جَل وَعَلاَ - حَتَّى يَنْتَفِعَ مِنْ طَرِيقِ الذِّكْرِ انْتفَاعًا تَامًّا وَالسَّلاَمُ أولاً وَآخرًا.

المَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالثَّمَانُونَ وَالمِائَةُ
إِلى الخواجهْ مُحَمَّد صدِّيقِ البدخشي
فِي حَل إِشْكَال المَسَائِل التِي سَأَل عَنْهَا

وَصَل مَكْتُوبُ الأَخِ الأَعَزِّ وَقَدْ سُئِل عَنْ أُمُورٍ ثَلاَثَة أَيُّهَا المُحِبُّ أَنَّ اخْتِفَاءَ بَعْضِ اللطَائِف فِي مَرْتَبَة القَلْب مَقْصُورٌ عَلى لطَائِفَ تَضَمَّنَهَا القَلْبُ لاَ أَنَّهُ جَارٌ فِي لطَائِفَ مُتَحَقِّقَةٍ فيمَا وَرَاءَ القَلْب فَإِنَّهُ لاَ مَعْنَى لاخْتِفَائِهَا فِي مَقَامِ القَلْب الثَّانِي أَنَّ مَنْ كَانَ اسْتِعْدَادُه إِلى مَرْتَبَة القَلْب أَوْ الرُّوحِ يَقْدِرُ الشَّيْخُ صَاحِبُ التَّصَرُّف عَلى إِيصَاله إِلى مَرْتَبَة فَوْقَانِيَّة لكِنَّ هُنَا دَقِيقَةٌ بَيَانُهَا مَوْقُوفٌ عَلى الحُضُور لعُسْرِ تَحْرِيره الثَّالثُ أَنَّ الظَّاهِرَ إِذَا انْصَبَغَ بلوْنِ البَاطِنِ وَانْصَبَغَ البَاطِنُ بلوْنِ الظَّاهِرِ لاَ عُسْرَةَ حِينَئِذٍ فِي ظُهُورِ أَحْكَامِ الظَّاهِرِ فِي البَاطِنِ وَبَدْوِ أَحْوَال البَاطِنِ فِي الظَّاهِرِ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالثَّمَانُونَ وَالمائَةُ
إلى شَرَف الدِّين حُسَيْن
فِي بَيَان فَضْل تَذَكُّرِ الفُقَرَاء مَعَ كَثْرَة الاشْتغَال وَالتَّحْذير عَنِ الانْخدَاعِ بمَتَاعِ الدُّنْيَا وَتَعْظيمِ ذِكْرِ القَلب

الحَمْدُ لله رَبِّ العَالمينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلى سَيِّد المُرْسَلينَ وَآله الطَّاهرينَ أَجْمَعينَ وَصَل مَكْتُوبُ الوَلَد الأَنْجَب الأَعَزِّ الأَرْشَد شَرَف الدِّينَ حُسَيْن وَصَارَ مُوجبًا للفَرْحَة وَبَاعثًا عَلى البَهْجَة نعْمَتَ النِّعْمَةُ عَدَمُ نسْيَان الفُقَرَاء الذينَ لاً بضَاعَة لهُمْ مَعَ وُجُود تعلقات شَتَّى وَهَذَا التَّذَكُّرُ يُنْبِئُ عَنْ أَشَدِّ المُنَاسَبَة التي هيَ سَبَبُ الإِفَادَة وَالاسْتفَادَة وَبَعْضُ الوَقَائعِ التي انْدَرَجَ بَيَانُه فيه حَسَنٌ وَأَصيل وَأَدَل دَليل عَلى الارْتبَاط المعنويِّ أَيُّهَا الوَالدُ إِيَّاكَ وَالانْخدَاعَ بطَرَاوَة الدُّنْيَا الدَّنيَّة وَالافْتتَانَ بمُزخْرفاتها الشَّنيعَة التي لاَ مَعْنَى فيهَا فَإِنَّ الدُّنْيَا لَيْسَ لَهَا مَدَارٌ وَلاَ اعْتبَارٌ وَلاَ هيَ مَحَل قَرَارٍ وَهَذَا المَعْنَى وَإِنْ لَمْ يَكُنْ اليَوْمَ مَعْلومًا لكُمْ وَلكنَّهُ سَيَكُونُ غدًا مَعْقُولاً البَتَّةَ وَلكنْ لاَ يَنْفَعُ.

فى أُذُنه مَنْ أَنْتَ صَمَمٌ فَلاَ ... يَرْضَى سَمَاعُ نصيحَتي وَبُكَائيَا

وَيَنْبَغي لك أَنْ تَكُونَ مُولعًا وَحَريصًا بتَكْرَار ذكْر القَلب مُعْتَقدًا أَنَّهُ منْ أَجْل نعَم الله جَل شَأْنُهُ وَأَنْ تُصَليَ الصَّلوَات الخَمْسَ مَعَ الجَمَاعَة منْ غَيْر تَكَاسُل وَفُتُور وَأَنْ تُؤَدِّيَ زَكَاةَ الأَمْوَال إلى الفُقَرَاء وَالمَسَاكين بنَشَاط القَلْب وَأَنْ تجْتَنبَ المُحرَّمَات وَالمُشْتَبهَات وَأَنْ تَكُونَ مُشْفقًا عَلى الخَلق وَهَذَا هُوَ طَريقُ النَّجَاة وَالخَلاَص وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ التِّسْعُونَ وَالمِائَةُ
إِلى وَاحد منْ أَوْلَاد المِيْر مُحَمَّد نُعْمَانَ البدخشي
فِي ٱلتَّحْرِيضِ عَلَى المُدَاوَمَة عَلى الذِّكْرِ
وَاخْتِيَارِ الطَّرِيقَة النَّقْشَبَنْدِيَّة
مَعَ بَيَانِ كَيْفِيَّة الذِّكْرِ

الحَمْدُ لله رَبِّ العَالمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلى سَيِّد المُرْسَلينَ وَعَلى آله الطَّاهرينَ أَجْمَعينَ اعْلمْ وَتَنَبَّهْ أَنَّ سَعادتَك بَل سَعَادَةَ جَميعِ بَني آدَمَ وَفَلَاحَهِمْ وَخَلَاصَهِمْ كُلّ ذَلكَ فِي ذكْرِ مَوْلَاهُمْ - جَل سُلطَانُهُ - فَيَنْبَغي اسْتغْرَاقُ جَميعِ الأَوْقَات بالذِّكْرِ الإلهيِّ جَل شَأْنُهُ بقَدْرِ الإمْكَان وَأَنْ لاَ يَجُوزَ الغَفْلَةُ لَحْظَةً وَاحدَةً وَلله سُبْحَانَهُ الحَمْدُ وَالمنَّةُ أَنَّ دَوَامَ الذِّكْرِ يَتَيَسَّرُ فِي طَرِيقَة خواجكان قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ فِي الابْتدَاء وَيَحْصُل ذَلكَ فيهَا عَلى طَرِيق انْدرَاجِ النِّهَايَة فِي البدَايَة فَاخْتيَارُ هَذه الطَّرِيقَة كَانَ للطَّالب أَوْلى وَأَنْسَبَ بَل يَكُونُ وَاجبًا عَلَيْهِمْ وَلَازمًا فَعَلَيْك إذَا صَرفَ التَّوَجُّهُ عَنْ جَميعِ الجهَات وَالإقْبَال بالكُلّيَّة عَلى جَانب أَكَابرِ هَذه الطَّرِيقَة العَليَّة وَطَلب الهمَّة منْ بَوَاطنهمُ الشَّرِيفَة وَلاَ بُدَّ منَ الذِّكْرِ فِي الابْتدَاء فَيَنْبَغي أَنْ تَتَوَجَّهَ إلى القَلْبِ الصَنُوبرِيِّ الشَّكْل فَإِنَّ تلكَ المُضْغَةَ كَالحُجْرَة للقَلب الحَقيقيِّ وَأَنْ تُجْرِيَ الاسْمَ المُبَارَكَ الله عَلى هَذَا القَلب وَلاَ تُحَرِّكْ عُضْوًا منْ أَعْضَائك فِي هَذَا الوَقْت بالقَصْد وَاقْعُدْ مُتَوَجِّهًا إلى القَلب بالكُلّيَّة وَلاَ تَخيَّل صُورَةَ القَلبَ بالقُوَّة المُتَخيِّلة أَصْلاً وَلاَ تَلتَفتْ إليْهَا قَاطعًا إنَّ المَقْصُودَ التَّوَجُّهُ إلى القَلب لاَ تَصَوُّرُ صُورَته وَيَنْبَغي أَنْ تُلاَحظَ مَعْنَى اللفْظَ المُبَارَك الله بليَسَ كَمثْله شَيْءٌ وَأَنْ لاَ تَضُمَّ إليْهَا شَيْئًا منْ مُلاَحَظَة الصِّفَات حَتَّى الحَاضرِيَّة وَالنَاظرِيَّة لئَلاَّ تَنْزل منْ ذُرْوَة حَضْرَة الذَّات إلى حَضيضِ الصِّفَات فَتَقَعَ منْهَا إلى شُهُود الوَحْدَة فِي الكَثْرَة وَتَطْمئنَّ بشُهُود المثَاليِّ منَ التَّعَلق بمَنْ تَنَزَّهَ عَنِ المثَال وَالتَّوَجُّه إليْه فَإنَّ كُلمَا يَظْهَرُ فِي مرْآة المثَالي لاَ يَكُونَ مصْدَاقًا لليَسِ كَمثْله شَيْءٌ وَكُلمَا يُشَاهدُ فِي الكَثْرَة لاَ يَكُونَ وَاحدًا حَقيقيًّا البَتَّةَ يَنْبَغي للعَاقل أَنْ يَطْلبَ المُنَزَّهَ عَنِ المثَال فيمَا وَرَاءَ المثَاليِّ وَأَنْ يَلتَمسَ البَسيطَ الحَقيقيَّ فِي خَارِجِ حيطَة الكَثْرَة فَإنْ ظَهَرَتْ صُورَةُ المُرْشد وَقْتَ الذِّكْرِ منْ غَيْرِ تَكَلف يَنْبَغي أَنْ تَذْهَبَ بهَا إلى القَلب وَأَنْ تَشْتَغل بالذِّكْرِ

حَافظًا - جَل سُلطَانُهُ - وتَجدَ منْهُ مَدَدًا وَإعَانَةً في هَذَا الطَّرِيقِ ومُجرَّدُ لبْسِ الكَلاَّهُ وَالخرْقَة وَأَخْذ الشَّجَرَة وَغَيْرِهَا ممَّا صَارَ عُرْفًا وَرَسْمًا بَيْنَ النَّاسِ كُلهَا خَارِجَةٌ عَنْ حَقيقَة المُرشديَّة والمريديَّة وَدَاخلَةٌ في الرُّسُومِ وَالعَادَات إلاَّ أَنَّ الخِرْقَةَ إنْ حَصَلَتْ منَ الشَّيْخِ الكَاملِ المُكَمِّل وَعَامَلتُ بالاعْتقَاد وَالإخْلاَصِ فَاحْتمَال حُصُول الثَّمرَات وَالنَّتَائج قَويٌّ في هَذه الصُّورَة وَاعْلَمْ أَنَّ المَنَامَات وَالوَاقعَات لاَ اعْتمَادَ عَلَيْهَا وَلاَ اعْتبَارَ لهَا فَإنَّ الإنْسَانَ لاَ يَكُونُ سُلطَانًا أَوْ قُطْبَ الوَقْت في الحَقيقَة كُلمَا ظَهَرَ منَ الأَحْوَال وَالمَوَاجيد في الصَّحْو وَالإفَاقَة فَفيه مَجَال للاعْتمَاد عَلَيْه وَإلاَّ فَلاَ وَاعْلَمْ أَنَّ نَفْعَ الذِّكْرِ وَتَرَتُّبَ الأَثَرِ عَلَيْه مَرْبُوطٌ بإتْيَان أَحْكَام الشَّرِيعَة فَيَنْبَغي حُسْنُ الاحْتيَاط في أَدَاء الفَرَائضِ وَالسُّنَنِ وَاجْتنَابُ المُحَرَّم وَالمُشْتَبَه وَالرُّجُوعُ إلى العُلمَاء في القَليل وَالكَثيرِ وَالعَمَل بمُقْتَضَى فَتْوَاهُمْ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الحادي وَالتِّسْعُونَ وَالمائَةُ
إلى خَان خَانَان
في الحَثِّ عَلى اتِّبَاعِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ وَأَنَّهُ لاَ عُسْرَ فِي التَّكَالِيفِ الشَّرْعِيَّة

الحَمْدُ لله الذي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لنهتديَ لوْلاَ أنْ هَدَانَا اللهُ لقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بالحَقِّ.

اعْلَمْ أَنَّ السَّعَادَةَ الأَبَدِيَّةَ وَالنَّجَاةَ السَّرْمَدِيَّةَ مَرْبُوطَةٌ بمُتَابَعَة الأَنْبِيَاء - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - عُمُومًا وَعَلى أَفْضَلِهِمْ خُصُوصًا فَإِنْ تَيَسَّرَتْ عِبَادَةُ أَلف سَنَةٍ فَرْضًا مَعَ الرِّيَاضَات الشَّاقَّة وَالمُجَاهَدَات الشَّدِيدَة لاَ تَعْدل تلكَ العبَادَات بنصْفِ شَعيرَةٍ وَلاَ تُسَاوِي تلكَ الرِّيَاضَات بالنَّوْمِ وَقْتَ الظَّهِيرَة اقْتدَاءً بصَاحب الشَّرِيعَة مَعَ كَوْنه غَفْلَةً منَ الأَوَّل إلى الآخرِ مَا لَمْ تَكُنْ مُنوَّرَةً بنُور اتِّبَاعِ هَؤُلاَء الأَكَابرِ في الأُمُورِ الخَطيرَة وَالحَقيرَة بَل هيَ كَسَرَاب بقيعَة وَمنْ كَمَال عنَايَة الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى رعَايَةُ نهَايَة اليُسْر وَغَايَة السُّهُولة في جَميع التَّكَاليف الشَّرْعيَّة وَالأَحْكَام الدِّينيَّة حَيْثُ أَمَرَ مَثَلاً بسَبْعَ عَشْرَةَ رَكْعَةً منَ الصَّلاَة في اللَّيْل وَالنَّهَار لاَ يَبْلغُ مَجْمُوعُ أَوْقَات أَدَائهَا سَاعَةً وَاحدَةً وَمَعَ ذَلكَ اكْتَفَى في قرَاءَتهَا بمَا تَيَسَّرَ وَجَوَّزَ القُعُودَ عنْدَ تَعَذُّرِ القيَام وَالاضْطجَاعَ عنْدَ تَعَذُّر القُعُود وَأَمَرَ بالإِيمَاء عنْدَ تَعَذُّرِ الرُّكُوعِ وَالسُّجُود وَجَعَل التَّيَمُّمَ خلفَ الوُضُوء وَقْتَ العَجْزِ عَنِ اسْتعْمَال المَاء وَعَيَّنَ للفُقَرَاء وَالمَسَاكين حصَّةً وَاحدَةً منْ أَرْبَعينَ حصَّةً في زَكَاة الأَمْوَال وَقَدْ افْتَرَضهَا أَيْضًا يَكُونُ الأَمْوَال نَاميَةً وَالأَنْعَامَ سَائمَةً وَفَرَضَ في جَميعِ العُمْر حَجًّا وَاحدًا وَمَعَ ذَلكَ جَعَلهُ مَشْرُوطًا بالقُدْرَة عَلى الزَّاد وَالرَّاحلة وَأَمْنِ الطَّريق وَوَسَّعَ دَائرَةَ المُبَاحِ حَيْثُ أَبَاحَ نكَاحَ أَرْبَعَة منَ النِّسَاء وَمقْدَارَ مَا يَمْلكُهُ وَيَقْدرُ عَلَيْه منَ السراريِّ وَجَعَل الطَّلاَقَ وَسيلةً لتَبْديل النِّسَاء جَعَل أَكْثَرَ الأَطْعمَة وَالأَشْرِبَة وَالأَقْمشَة مُبَاحًا وَجَعَل المُحرَّمَ منْهَا قَليلاً وَتَحْرِيمَ أَيضًا بوَاسطَة مَصَالح العبَاد وَإِنْ حَرَّمَ شَرَابًا وَاحدًا مُرًّا كَثيرَ الضَّرَرِ وَلكنَّهُ أَبَاحَ عو ا عَنهُ كَثيرًا منَ الأَشْربَة اللذيذَة السَّائغَة الكَثيرَة النَّفْع أَلاَ تَرَى أَنَّ عرْقَ القَرَنْفُل وَعرْقَ الدَّار صينيٍّ مَعَ سُهُولة شُرْبهمَا وَطيب رَائحَتهمَا مُشْتَملاَن عَلى مَنَافع كَثيرَة وَفَوَائدَ جزيلة لاَ يُمْكنُ

تَحْرِيرُهَا فَأَيُّ فَائِدَة في تَرْكِهِمَا وَاخْتِيَارِ شَيْءٍ مُرٍّ كَرِيهِ الطَّعْمِ وَكَرِيهِ الرَّائِحَة سَاتِرَ العَقْلِ عَظِيمَ الخَطَرِ شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا وَمَعَ ذَلكَ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ آخَرُ طَارَ مِنْ جِهَة الحِلِّيَة وَالحُرْمَة فَإِنَّهُ أَمْرٌ آخَرُ وَالتَّمَيُّزُ العَارِضُ مِنْ حَيْثِيَّة رِضَائه تَعَالَى وَعَدَم رِضَائه شَيْءٌ عَلَى حِدَة فَإِنْ حَرَّمَ بَعْضَ أَلبسَة الإبرسيم فَمَا الضَّرَرُ فيه حَيْثُ أَحَلَ عِوَضَه كَثيرًا مِنَ الأَلبسَة المُلوَّنَة المُنَقَّشَة وَالأَقْمشَة المُزَيَّنَة وَلبَاسُ الصُّوف الذي أُبيحَ مُطْلَقًا أَفْضَل مِنْ أَلبسَة الإبرسيم بمَرَاتبَ وَمَعَ ذَلكَ قَدْ أُبيحَ لبَاسُ الإبرسيم للنِّسَاء وَمَنَافعُهُ عَائدَةٌ إلى الرِّجَال وَهَكَذَا حَال الذَّهَب وَالفضَّة فَإِنَّ حُليَّ النِّسَاء لأَجْل تَمَتُّع الرِّجَال فَمَن اعْتَقَدَ الأَحْكَامَ الشَّرْعيَّةَ مَعَ هَذه السُّهُولَة وَاليُسْر مِنْ عَدَم الإنْصَاف مُتَعَسِّرَةً وَمُتَعَذِّرَةً فَهُوَ مُبْتَلى بمَرَض قلبيٍّ وَعلة بَاطنيَّة وَكَمْ مِنْ أُمُور يَسيرَة للأَصحَّاء مُتَعَسِّرَةٌ للضُّعَفَاء عُسْرَةً تَامَّةً وَمَرَضُ القَلْب هُوَ عبَارَةٌ عَنْ عَدَم يَقين القَلْب بالأَحْكَام المُنَزَّلَة مِنَ السَّمَاء وَتَصْديقهم بهَذه الأَحْكَام إنَّمَا هُوَ صُورَةُ التَّصْديق لأَحَقِّيَّته وَعَلامَةُ حُصُول حَقيقَة التَّصْديق ثُبُوتُ اليُسْر وَالخفَّة وَالنَّشَاط في إتْيَان الأَحْكَام الشَّرْعيَّة وَبدُونهَا خَرْطُ القَتَاد وَقَال اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى {كَبُرَ عَلَى المُشْرِكينَ مَا تَدْعُوهُمْ إلَيْه اللهُ يَجْتَبي إلَيْه مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدي إلَيْه مَنْ يُنيبُ}[(١)].

{وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[(٢)] وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلَى آله أَتَمُّ الصَّلَوَات وَأَكْمَل التسليمات.

---

(١) ــ الآية: ١٣ من سورة الشورى.

(٢) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ الثَّانِي وَالتِّسْعُونَ وَالمِائَةُ
إِلى الشَّيْخِ بَدِيعِ الدِّينِ السهارنفوري
فِي جَوَابِ اسْتِفْسَارِه

اسْتَفْسَرَ الأَخُ الأَعَزُّ الأَرْشَدُ الشَّيْخُ بَدِيعُ الدِّينِ أَنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي العَرِيضَةِ الحَادِيَةَ عَشْرَةَ المَكْتُوبَةِ إِلى حَضْرَةِ الخواجهْ يَعْنِي الشَّيْخَ مُحَمَّدَ البَاقِيِّ - قُدِّسَ سِرُّهُ - وَتَيَسَّرَ الوُصُول إِلى مَقَامٍ مُزَيَّنٍ أَعْلَى مِنْ مَقَامِ الصِّدِّيقِ الأَكْبَرِ ﷺ فَمَا يَكُونُ مَعْنَى هَذَا الكَلَامِ؟

اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لاَ نُسَلِمُ أَنَّ هَذه العِبَارَةَ مُوهِمَةٌ لِلتَّفْضِيل مَعَ أَنَّ لفظَ أَيْضًا وَاقِعٌ فِيهَا أَيْضًا وَلوْ سَلمَ فَأَقُول إِنَّ هَذَا الكَلَامَ وَغَيْرَه فِي هَذه العَرِيضَة مِنْ جُمْلة الوَاقِعَات المَكْتُوبَة إِلى شَيْخِي وَالمَعْرُوضَة عَلَيْه وَمِنَ المُقَرَّر عِنْدَ هَؤُلَاء الطَّائفَة أَنَّ كُلمَا يَحْصُل للسَّالك مِنَ الوَاقِعَة يُظْهِرُهُ لشَيْخه بلاَ تَحَاشٍ صَحِيحًا كَانَ أَوْ سَقِيمًا فَإِنَّ فِي غَيْرِ الصَّحِيحِ أَيْضًا احْتِمَال التَّأْوِيل وَالتَّعْبِير فَلاَ يَكُونُ إِذَا بُدٌّ مِنْ إِظْهَاره فَفِيمَا نَحْنُ فِيه لاَ يَلزَمُ مَحْظُورٌ عِنْدَ مُلاَحَظَة هَذَا المَعْنَى وَالحَل الثَّانِي أَنَّهُ قَدْ جُوِّزَ تَحَقُّقُ فَضْلٍ فِي جُزْئِيٍّ مِنَ الجُزْئِيَّات لغَيْرِ نَبِيٍّ عَلى نَبِيٍّ وَلَمْ يَرَوْا فِيه بَأْسًا كَمَا وَقَعَتْ الزِّيَادَةُ فِي شَأْن الشُّهَدَاء لَيْسَتْ هِيَ فِي الأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ مَعَ أَنَّ الفَضْلَ الكُلِّيَّ للأَنْبِيَاء - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - فَعَلى هَذَا التَّقْدِير لوْ وَقَعَ سَيْرُ غَيْرِ النَّبِيِّ فِي كَمَالاَت ذَلكَ الجُزْئِيِّ وَوَجَدَ السَّالكُ نَفْسَهُ فِي ذَلكَ المَقَام أَعْلى لكَانَ مُجَوَّزًا وَإِنْ كَانَ حُصُول الوُصُول لهُ إِلى ذَلكَ المَقَام بِوَاسطَة مُتَابَعَة النَّبِيِّ وللنَّبِيِّ أَيْضًا نَصِيبٌ تَامٌّ مِنْ ذَلكَ المَقَامِ بِحُكْمِ حَدِيث "**مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً**" الحَدِيثَ، فَإِنْ كَانَ تَحَقُّقُ الفَضْلِ الجُزْئِيِّ لغَيْرِ النَّبِيِّ عَلى النَّبِيِّ مُجَوَّزًا فَعَلى غَيْرِ النَّبِيِّ يَكُونُ مُجَوَّزًا بِالطَّرِيقِ الأَوْلى فَلاَ إِشْكَال أَصْلاً وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالتِّسْعُونَ وَالمِائَةُ
إلى السَّيِّد فَرِيد
فِي الحَثِّ عَلى تَصْحِيحِ العَقَائِد عَلى وَفْقِ آرَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ وَتَعلمِ الأَحْكَامِ الفِقْهِيَّةِ وَالشِّكَايَةِ مِنْ غُرْبَةِ الإِسْلَامِ وَالإِغْرَاءِ عَلى تَرْوِيجِهِ وَتَأْيِيدِه

كَانَ اللهُ نَاصِرَكُمْ وَمُعِينَكُمْ عَلى كُل مَا يَعِيبُكُمْ وَيَشِينُكُمْ أَعْلى، إِنَّ أَوَّلَ الضَّرُورِيَّات الوَاجِبَة عَلى أَرْبَاب التَّكْلِيف تَصْحِيحُ العَقَائِد عَلى وَفْقِ آرَاءِ عُلَمَاءِ أَهْلِ السُّنَّة وَالجَمَاعَة شَكَرَ اللهُ تَعَالَى سَعْيَهمْ فَإِنَّ النَّجَاةَ الأُخْرَوِيَّة مَرْبُوطَةٌ بِاتِّبَاعِ آرَاءِ هَؤُلَاءِ الأَكَابِرِ وَهُمْ وَأتْبَاعُهُمْ هُمُ الفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ فَإِنَّهُمْ عَلى طَرِيقِ النَّبِيِّ وَطَرِيقِ أَصْحَابِه صَلَوَاتُ اللهِ وتسليماتُه عَلَيْه وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَالمُعْتَبَرُ مِنَ العُلوم المُسْتَفَادَةِ مِنَ الكِتَاب وَالسُّنَّة هُوَ مَا أَخذَهُ وَاسْتَنْبطَهُ مِنْهُمَا هَؤُلَاءِ الأَكَابِرُ فَإِنَّ كُل مُبْتَدِعٍ وَضَالٍ يَأْخُذُ عَقِيدَتَهُ الفَاسِدَةَ مِنَ الكِتَاب وَالسُّنَّة بِزَعْمِه الفَاسِد فَلا يَكُونُ كُل مَعْنًى مَفْهُومٍ مِنْ مُعَانِي الكِتَاب وَالسُّنَّة مُعْتَبَرًا وَرِسَالَةُ الإِمَامِ الأَجَل التَّوْرِشتِي مُنَاسِبَةٌ جِدًّا لأَجْل تَصْحِيحِ العَقَائِد وَأَقْرَبُ إِلى الفَهْمِ وَلكِنْ حَيْثُ إِنَّ الرِّسَالَةَ المَذْكُورَةَ مُشْتَمِلَةٌ عَلى الاستدلالات مَعَ التَّطْوِيل وَالبَسْط يَعْسُرُ الأَخْذُ عَنْهَا فَلوْ كَانَتْ رِسَالةُ غَيْرِهَا مُتَضَمِّنَةً لِلمَسَائِل الصِّرْفَة لكَانَ أَوْلى وَأَنْسَبَ وَقَدْ وَقَعَ فِي خَاطِرِي أَيْضًا فِي هَذِه الأَثْنَاء أَنْ أَكْتُبَ فِي هَذِه الرِّسَالة مُتَضَمِّنَةً لِعَقَائِد أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة وَتَكُونُ سَهْلَةَ المَأْخَذ فَإِنْ تَيَسَّرَ ذَلِكَ نُرْسِلهَا إِلى الخِدْمَة بَعْدَ كِتَابَتِهَا وَبَعْدَ تَصْحِيحِ هَذِه العَقَائِد لا بُدَّ مِنْ تَعَلم عَلى الحَلَال وَالحَرَامِ وَالفَرْضِ وَالوَاجِبِ وَالسُّنَّة وَالمَنْدُوبِ وَالمَكْرُوه وَغَيْرِهَا مِمَّا تَكَفَّل بِه عِلمُ الفِقْه.

وَالعَمَل بِمُقْتَضَى هَذَا العلم أَيْضًا ضَرُورِيٌّ فَيَنْبَغِي أَمْرُ بَعْضِ الطَّلَبَة بِقِرَاءَةِ بَعْضِ كُتُب الفِقْه بِعِبَارَةٍ فَارِسِيَّة مِثْل مَجْمُوعَة الخَانِي وَعُمْدَةِ الإِسْلَامِ فَإِنْ وَقَعَ عِيَاذًا بِاللهِ سُبْحَانَهُ خَلل عَلى مَسْأَلةٍ مِنَ المَسَائِل الاعْتِقَادِيَّة الضَّرُورِيَّة فَقَدْ تَحَقَّقَ الحِرْمَانُ مِنَ النَّجَاة الأُخْرَوِيَّة بِخِلَافِ العَمَلِيَّات فَإِنَّهَا إِذَا وَقَعَتْ المُسَاهَلَةُ فِيهَا يُرْجَى العَفْوُ وَالتَّجَاوُزُ عَنَّا وَلوْ بِلاَ تَوْبَةٍ وَلئِنْ أُخذَ بِهَا وَإِنَّ النَّجَاةَ مُتَحَقِّقَةٌ فِي آخِرِ الأَمْرِ فَعُمْدَةُ

الأَمْر تَصْحِيحُ العَقَائد وَنُقل عَنْ حَضْرَة الخواجهْ أَحْرَار - قُدِّسَ سِرُّهُ - أَنَّهُ قَالَ: لوْ أُعْطِينَا الأَحْوَال وَالمَوَاجِيدَ كُلها وَ لَمْ تَكُنْ حَقِيقَتُنَا مُحَلاَّةً وَمُتَزَيِّنَةً بِعَقَائد أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة لاَ نَعْتَقِدُ تلكَ الأَحْوَال شَيْئًا غَيْرَ الخذْلاَن وَلئنْ اجْتَمَعَ فِينَا القُصُورُ وَالنُّقصَانُ وَحَقِيقَتُنَا مُسْتَقِيمَةٌ عَلى عَقَائد أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة لاَ نَرَى بَأْسًا فِي ذَلكَ ثَبَّتَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَلى طَرِيقَتهمُ المَرْضِيَة بِحُرْمَة سَيِّد البَشَرِ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَقَدْ قَدمَ وَاحدٌ منَ الدَّرَاوِيشِ منْ طَرَف هور وَقَالَ: إنَّ الشَّيْخَ جيو كَانَ قَدْ حَضَرَ فِي مَسْجد النَّخَّاسِ القَديم لصَلاَة الجُمْعَة فَقَال مَيَّانُ رَفِيعُ الدِّينِ بَعْدَ التفَات الشَّيْخِ إِلَيْه: إنَّ نُوَّابَ الشَّيْخِ جيو قَدْ بَنَى مَسْجدًا جَامعًا فِي قُرْب بَيْته الحَمْدُ للهِ عَلَى ذَلكَ رَزَقَه اللهُ سُبْحَانَهُ مَزِيدَ التَّوْفِيق وَسَمَاعُ أَمْثَال هَذه الأَخْبَار السَّارَّة يَكُونُ بَاعثًا عَلى حُصُول غَايَة السُّرُور وَنهَايَة الابْتهَاجِ أَيُّهَا السَّيِّدُ إنَّ الإسْلاَمَ غَرِيبٌ فِي هَذَا الزَّمَان جدًّا فَصَرْفُ فَلسٍ وَاحدٍ فِي تَقْوِيَة الإسْلاَمِ فِي هَذَا الزَّمَان يُسَاوِي صَرْفَ أُلــوف مــن

الدِّرْهَمِ وَالدِّينَار فَيَا سَعَادَةَ مَنْ تَشَرَّفَ بِهَذه الدَّوْلَة العُظْمَى وَتَرْوِيجُ الدِّينِ وَتَقْوِيَةُ الملة وَإِنْ كَانَ حَسَنًا وَمَرْغُوبًا فيه فِي جَمِيعِ الأَوْقَات منْ جَمِيعِ الأَشْخَاصِ وَلكنَّ صُدُورَهُ فِي هَذَا الوَقْت الذي هُوَ أَوَانُ غُرْبَة الإسْلاَمِ منْ أَمْثَالكُمْ أَصْحَابَ المُرُوءَة وَالهمَّة وَالفُتُوَّة وَأَهْل بَيْت النُّبُوَّة أَحْسَنُ وَأَجْمَل فَإنَّ هَذه الدَّوْلَةَ مُنْتَشرَةٌ منْ طَائفَتكُمْ العَليَّة فهى ذَاتيَّةٌ فيكُمْ وَعَرَضيَّةٌ فِي غَيْركُمْ وَحَقِيقَةُ الورَاثَة النَّبَويَّة عَلَيْه وعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِنَّمَا هِيَ فِي تَحْصِيل هَذَا الأَمْرِ العَظِيم القَدْرِ قَال النَّبيُّ ﷺ للأَصْحَاب:"إِنَّكُمْ فِي زَمَانٍ مَنْ تَرَكَ عُشْرَ مَا أُمرَ به هَلكَ ثُمَّ يَأْتِي زَمَانٌ مَنْ عَمل بِعُشْرِ مَا أُمرَ به نَجَا"

وَهَذَا هُوَ ذَلكَ الوَقْتُ وَهَذَا القَوْمُ هُوَ ذَلكَ القَوْمُ شعْرٌ.

هَلمُّوا أَيُّهَا الأَبْطَال نَحْوَ الــ ــغَنَائمِ مَا لهَا أَصْلاً مُدَافعُ

وَقَدْ حَسُنَ قَتْل الكَافرِ اللعين كوبنددال فِي هَذَا الوَقْت وَكَانَ هَذَا الفعْل بَاعثًا عَلى كَسْرٍ عَظِيمٍ فِي الهنْد المَرْدُودَة بِأَيِّ نيَّة كَانَ قَتْله وَبِأَيِّ غَرَضٍ كَانَ إهْلاَكُه فَإِنَّ مَذَلةَ الكُفَّار نَقْدُ وَقْت أَهْل الإسْلاَمِ وَقَدْ رَأَى هَذَا الفَقيرُ فِي المَنَامِ قَبْلَ قَتْل ذَلكَ الكَافرِ أَنَّ سُلطَانَ الوَقْت قَدْ كَسَرَ رَأْسَ رَئِيسِ أَهْل الشِّرْك وَالحَقُّ أَنَّ ذَلكَ الكَافرَ كَانَ رَئِيسَ أَهْل الشِّرْك وَإِمَامَ أَهْل الكُفْر خَذَلَهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَقَدْ دَعَا النَّبيُّ

- عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - - عَلى أَهْلِ الشِّرْكِ في بَعْضِ أَدْعِيَته بِهَذِه العبارَةِ اللهُمَّ شَتِّتْ شَمْلهُمْ وَفَرِّقْ جَمْعَهُمْ وَخرِّبْ بُنْيَانَهُمْ وَخُذْهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ.

وَعِزَّةُ الإِسْلاَمِ وَأَهْله إِنَّمَا هِيَ فِي مَذَلة الكُفْرِ وَأَهْله وَالمَقْصُودُ مِنْ أَخْذ الجِزْيَة هُوَ إِذْلال الكُفَّارِ وَإِهَانَتُهُمْ وَتَحْصُلُ المَذَلَةُ لأَهْلِ الإِسْلاَمِ بِقَدْرِ مَا تَحْصُلُ العِزَّةُ لأَهْلِ الكُفْرِ فَيَنْبَغِي حُسْنُ التَّنَبُّه عَلى هَذَا الأَمْرِ وَقَدْ ضَيَّعَهُ أَكْثَرُ النَّاسِ وخَرَّبَ دِينَهُ بِشُؤْمِه وَجَعَلَهُ هَبَاءً مَنْثُورًا قَال اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الكُفَّارَ وَالمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ}(١)

فَجِهَادُ الكُفَّارِ وَالغلظَةُ عَلَيْهِمْ مِنْ ضَرُورِيَّاتِ الدِّينِ وَبَقَايَا رُسُومِ الكُفْرِ التِي ظَهَرَتْ فِي القَرْنِ السَّابِقِ تَثْقُلُ عَلى قُلوبِ المُسْلِمِينَ جدًّا وَلَمْ يَبْقَ لسلطَان الوَقْت تَوَجُّهٌ إِلى أَهْلِ الكُفْرِ فِي هَذَا الوَقْت فَاللاَّزِمُ لِمَنْ يَقْدرُ مِنَ المُسْلِمِينَ إِعْلاَمَ السُّلطَان بِقُبْحِ رُسُومِ هَؤُلاَءِ الأَشْرَارِ وَالاجْتِهَادَ فِي دَفْعِهَا وَإِزَالتهَا فَإِنَّ بَقَاءهَا يُحْتَمَل أَنْ يَكُونَ مَبْنِيًّا عَلى عَدَمِ علمِ السُّلطَان بِقُبْحِهَا وَبالجُمْلة إِذَا وَجَدْتَ مُسَاعَدَةَ الوَقْت يَنْبَغِي إِخْبَارُ بَعْضِ عُلمَاءِ أَهْلِ الإِسْلاَمِ بِأَنْ يَجِيئُوا وَيَعْلمُوا بِشَنَاعَة رُسُومِ أَهْلِ الكُفْرِ فَإِنَّهُ لاَ حَاجَةَ لِتَبْليغِ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّة إِلى إِظْهَارِ الخَوَارِقِ والعَادَات وَالكَرَامَات.

وَالاعْتذَارُ بِعَدَمِ التَّصَرُّف لاَ يُسْمَعُ يَوْمَ القِيَامَة فِي القُعُود عَنْ تَبْليغِ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّة وَقَدْ بَلغَ الأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ الذِينَ هُمْ أَفْضَلُ المَوْجُودَات الأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ فَإِذَا طَلبُوا مِنْهُمُ المُعجزَات وَالآيَات كَانُوا يَقُولونَ: إِنَّمَا الآيَاتُ وَالمُعْجزَاتُ عنْدَ اللهِ وَمَا عَليْنَا إِلاَّ البَلاَغُ المُبِينُ وَلعَل اللهَ سُبْحَانَهُ يُحْدثُ فِي تلكَ الأَثْنَاء أَمْرًا يَكُونُ بَاعثًا عَلى ظُهُورِ حَقِيقَة هَؤُلاَءِ الجَمَاعَة وَعَلى كُل حَال الاطِّلاَعُ عَلى حَقِيقَة المَسَائل الشَّرْعِيَّة ضَرُورِيٌّ فَإِنْ وَقَعَ الإِهْمَال فِي ذَلكَ فَالعُهْدَةُ عَلى ذِمَّة العُلمَاء وَمُقَرَّبِي السُّلطَان فَإِنْ حَصَلتْ الأَذِيَّةُ فِي هَذَا القيل وَالقَال لِبَعْضِ النَّاسِ يَنْبَغِي أَنْ يَعُدَّهَا سَعَادَةً عَظِيمَةً أَلاَ تَرَى أَنَّ الأَنْبِيَاءَ - عَلَيْهِم الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - مَاذَا رَأَوْا مِنَ الأَذِيَّة وَكَمْ تَحَمَّلوا مِنَ المحْنَة حَتَّى قَال أَفْضَلهمْ - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - مَا أُوذِيَ نَبِيٌّ قَطُّ مثْل مَا أُوذِيتُ. شعْرٌ.

عُمْرِي مَضَى وَحَديثُ وَجْدِي مَا انْقضَى ... وَاللَيْل قَدْ بَلغَ المَدَى فَاقْنَعْ بِذَا

وَالسَّلاَمُ وَالإِكْرَام.

---

(١) ـــ الآية: ٧٣ من سورة التوبة.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالتِّسْعُونَ وَالمائَةُ
إلى صَدْرِجهَان
في التَّحْرِيضِ عَلى تَرْوِيجِ الملة وَتَأْيِيدِ الدِّينِ وَمَا يَتعَلقُ بذَلكَ

سَلمَكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ وَعَافَاكُمْ إنَّ سَمَاعَ أخْبَارِ تَرْوِيجِ الأَحْكَامِ الشَّرْعيَّة وَإذْلال أَعْدَاء الملة المُصْطَفَويَّة عَلى صَاحِبهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ يُورِثُ الفرَحَ للمُسْلمينَ المَغْمُومينَ وَيُزْفي نَشَاطَ أَرْوَاحهمُ الحَمْدُ لله سُبْحَانَهُ وَالمنَّةُ عَلى ذَلكَ والمسئول منَ الله سُبْحَانَهُ المَلك القَديرِ ازْديَادُ هَذَا الأَمْرِ الخَطيرِ بحُرْمَة النَّبيِّ البَشيرِ النَّذيرِ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَنَحْنُ عَلى يَقينٍ بكَوْن كُبرَاء أَهْل الإسْلاَمِ منَ السَّادَات العظَام وَالعُلمَاء الكرَام مُتَصَدِّينَ في الخَلاَء وَالملاَء لازْديَاد تَقْويَة الدِّينِ المُبينِ وَتَكْميل الصِّرَاط المُسْتَقيم وَمَاذَا يُظْهرُ عَديمُ الطَّاقَة وَفَاقدُ الاسْتطَاعَة في هَذَا البَاب وَقَدْ سَمعْنَا أَنَّ سُلطَانَ الإسْلاَمِ منْ حُسْن اسْتعْدَاده الإسلاميِّ طَالبٌ للعُلمَاء وَرَاغبٌ فيهمُ الحَمْدُ لله عَلى ذَلكَ وَمنَ المَعْلوم أَنَّ كُل فَسَاد ظَهَرَ في القَرْن السَّابق كَانَ ذَلكَ منْ شآمة عُلمَاء السُّوء فَيَنْبَغي رعَايَةُ التَّتَبُّع التَّامِّ في هَذَا البَاب وَانْتخَابُ العُلمَاء المُتَديِّنين فَإنَّ عُلمَاءَ السُّوء لصُوصُ الدِّينِ مَطْلَبُهمْ الجَاهُ وَالرِّيَاسَةُ وَالمَنْزلَةُ عنْدَ الخَلق وَالعيَاذُ بالله سُبْحَانَهُ مَنْ فتْنَتهمْ نَعَمْ إنَّ أَفْضَلهُمْ أَفْضَل الخَلاَئق حَتَّى يُوزَنَ مدادُهم يَوْمَ القيَامَة بدَمِ الشُّهَدَاء في سَبيل الله فَيَتَرَجَّحُ مدادُهم شَرُّ النَّاس شرَارُ العُلمَاء وَخَيْرُ النَّاسِ خيَارُ العُلمَاء وَالمُلتَمَسُ ثَانيًا أَنَّ بَعْضَ النِّيَّات قَدْ اضْطَرَّ أَنْ أُوَصِّل نَفْسي إلى العَسْكَر وَوَقَعَ التَّوَقُّفُ في دهلي بسَبَب دُخُول شَهْرِ رَمَضَانَ المُبَارَك وَبَعْد مُضيِّ هَذَا الشَّهْرِ المُبَارَك نَصل إلى خدْمَة الأَعزَّة إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالى.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالتِّسْعُونَ وَالمائَةُ
إلى المَذْكُورِ أَيْضًا
في الحَثِّ عَلى تَرْوِيجِ الشَّرِيعَةِ
وَإظْهَارِ الأَسَفِ عَلى ضَعْفِ الإسْلَامِ

سَلمَكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ وَأَبْقَاكُمْ وَحَيْثُ إنَّ إحْسَانَ السَّلَاطِين حَاصلةٌ لِكَافَّة الخَلقِ فَبِحُكْمِ جُبِلتْ القُلوبُ عَلى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِليْهِمْ قُلوبُ الخَلَائقِ مَائلةٌ إلى جَانبِ المُحْسِنينَ بالضَّرُورَة فَلاَ جَرَمَ كَانَتْ أَخْلَاقُ السَّلَاطِين وَأَوْضَاعُهمْ سَارِيَةً إلى جَمِيعِ الخَلائَق بواسطَة هَذَا الارْتبَاط الحُبِّيِّ عَلى تَفاوُت دَرَجَات الإحْسَان وَكَأَنَّهُ لِذَلكَ قِيلَ النَّاسُ عَلى دِينِ مُلوكِهِمْ وَأَحْوَال القَرْن السَّابقِ مصْدَاقُ هَذَا الكَلَام وَلمَّا وَقعَ الآنَ الانْقلاَبُ فِي الدُّوَل وَانْكَسرَتْ سُورَةُ عنَاد أَهْلِ الملل لزِمَ لأئمَةَ أَهْلِ الإسْلاَمِ منَ الصُّدُور العظَامِ وَالعُلمَاء الكرَام صَرْفُ جَميعِ الهمَّة في تَرْوِيجِ الشَّرِيعَة الغَرَّاء وَتَقْويم أَرْكَان الإسْلاَم المُنْهَدمَة وَأَحْكَامهَا في بدَايَة الأَمْرِ فَإنَّ التَّأْخيرَ لَيْسَ فيه خَيْرٌ وَقُلوبُ الغُرَبَاء في غَايَة الاضْطرَاب منْ هَذَا التَّأْخير في هَذَا البَاب وَشَدَائدُ القَرْن السَّابق مُتَمَكِّنَةٌ في قُلوب المُسْلمينَ فَهُمْ خَائفُونَ منْ فَوْت تَلاَفي ذَلكَ فَتَنْجَرُّ غُرْبَةُ الإسْلاَمِ إلى الطُّول فَإذَا لَمْ يَكُنْ في السَّلاَطين شَوْقُ تَرْوِيجِ السُّنَّة السَّنِيَّة يَتسَاهَل مُقَرَّبُوهُمْ في هَذَا البَاب أَيْضًا وَيَعُدُّونَ حَيَاةَ أَيَّام مَعْدُودَة غَنيمَةً يَكُونُ الأَمْرُ ضَيِّقًا عَلى فُقرَاءِ أَهْل الإسْلاَمِ وَمُظْلمًا جدًّا إنَّا لله وَإنَّا إلَيْه رَاجعُونَ أَنْشَدَ وَاحدٌ منَ الأَعِزَّة. شِعْرٌ.

ان ه ازمن كم شدة كراز سليمان كم شدى   هُمْ سليمان هم رى هم اهر من بكر يستى

آخَرُ.

صُبَّتْ عَليَّ مَصَائبُ لوْ أَنَّهَا   صُبَّتْ عَلى الأَيَّامِ صِرْنَ لياليا

وَمنْ جُمْلة شَعَائر الإسْلاَم تَعْيينُ القُضَاة في بلاَد الإسْلاَم وَقَدْ انْمَحَى أَثَرُهُ في القَرْن السَّابقِ وَبَلدُ سرهند الذي هُوَ أَعْظَمُ بلاَد الإسْلاَم وَلَيْسَ فيه قَاضٍ مُنْذُ سنينَ وَكَانَ آبَاءُ حَامل رَقَميَّة الدُّعَاء القَاضي يُوسُفَ قُضَاةٌ فيه مُنْذُ بنَائه كَمَا هُوَ مَعْلومٌ مَنْ إسْنَاد السَّلاَطين في يُدَوِّ وَالمُشَارُ إليْه مُحَلى بالصَّلاَحِ وَالتَّقْوَى فَفَوِّضُوا هَذَا الأَمْرَ العَظِيمَ القَدْرِ إليْه إنْ عَلمتُمْ فيه الصَّلاَحَ ثَبَّتَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإيَّاكُمْ عَلى جَادَّة الشَّرِيعَة الحَقَّة عَلى مَصْدَرِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ.

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالتِّسْعُونَ وَالمِائَةُ
إلى مَنصُور عَرَب
فِي بَيَانِ أَنَّ هَذَا الطَّرِيقَ الذي نَحْنُ فِي صَدَدِ قَطْعِه سَبْعَةُ أَقْدَامٍ وَمَا يُنَاسِبُهُ

وَرَدَتْ صَحِيفَةُ المَرْحَمَة ورُقَيْمة المَكْرَمَة في أعَزِّ الأَمْكنَة لله سُبْحَانَهُ الحَمْدُ وَالمِنَّةُ عَلى أَنَّ الخَوَاصَّ لَيْسُوا بفَارِغينَ مِنْ تَذَكُّرِ العَوَامِّ وَلَمْ يَخْلُ الأَكَابِرُ مِنْ تَفَقُّدِ أحْوَال الأَصَاغِرِ جَزَاكُمْ اللهُ عَنَّا خَيْرَ الجَزَاء أَيُّهَا المَخْدُومُ (ع):

وَأَحْسَنُ مَا يُمَلى حَديثُ الأَحبَّة

إنَّ هَذَا الطَّريقَ الذي نَحْنُ في صَدَد قَطْعه كُله سَبْعَةُ أَقْدَام قَدَمَان منْهَا يَتَعَلقَان بعَالَمِ الخَلق وَخَمْسَةٌ منْهَا تَتَعلقُ بعَالَم الأَمْر فَإذَا وَضَعَ السَّالكُ قَدَمَهُ في عَالَمِ الأَمْرِ يَظْهَرُ فِي أَوَّل القَدَم التَّجَلي الأفْعَاليُّ وَفي القَدمِ الثَّاني التَّجَلي الصفاتيُّ وَفي الثَّالث يَقَعُ الشُّرُوعُ فِي التَّجَلّيَات الذَّاتيَّة ثُمَّ وَثُمَّ عَلى تَفَاوُت دَرَجَاتهَا كَمَا لاَ يَخفَى عَلى أَرْبَابهَا كُل ذَلكَ مَنُوطٌ بمُتَابَعَة سَيِّد الأَوَّلينَ وَالآخَرينَ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَمَا قيل مِنْ أَنَّ هَذَا الطَّريقَ خُطْوَتَان فَالمُرَادُ بهمَا عَالَمُ الأَمْرِ وَعَالَمُ الخَلقِ عَلى سَبيل الإجْمَال تيسيرًا للأَمْرِ فِي نَظَرِ الطَّالبينَ وَفِي كُل قَدَمٍ منْ هَذه الأَقْدَامِ يَقَعُ السَّالكُ بَعيدًا عَنْ نَفْسه وَقَريبًا منَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَبَعْد طَيِّ هَذه الأَقْدَام يَحْصُلُ الفَنَاءُ الأَتَمُّ الذي يَتَرَتَّبُ عَلَيْه البَقَاءُ الأَكْمَل وَيَحْصُل هَذَا الفَنَاءُ وَالبَقَاءُ حُصُول الولاَيَة المُحَمَّديَّة عَلى صَاحبهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ (ع):

وَهَذي سَعَادَاتٌ تَكُونُ نَصيبَ مَنْ

وَأَيُّ مُنَاسَبَة لأَمْثَالنَا الفُقَرَاء بهَذه الكَلمَات غَيْرَ أَنَّا نَبُل أَفْوَاهَنَا بزُلاَل حَال أَهْل الكَمَال وَنُطَيِّبُهَا به.

شعْرٌ.

كرنداريم ازشكر جزنام بَهَر　　　اين بسى خوشتركه اندركام زَهْر

غَيْرُه

إذَا قسْنَا السَّمَا بالعَرْشِ يَنحَطُّ　　　وَمَا أَعْلاَهُ إنْ قسْنَا بأَرْضٍ

وَالسَّلاَمُ أَوَّلاً وَآخرًا.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالتِّسْعُونَ وَالمائَةُ
إلى بَهْلوَانَ مُحَمَّد
فِي مَدْحِ مَنْ تَبَرَّدَ قَلبُهُ مِنَ الدُّنْيَا وَتَأَثَّرَ مِنْ مَحَبَّةِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ إلخْ

ثَبَّتَكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ عَلى جَادَّةِ الشَّرِيعَةِ اعْلَمْ أَنَّ السَّعِيدَ مَنْ تَبَرَّدَ قَلبُهُ مِنَ الدُّنْيَا وَتَأَثَّرَ مِنْ حَرَارَةِ مَحَبَّةِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ، وَمَحَبَّةُ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَتَرْكُهَا رَأْسُ جَمِيعِ العِبَادَاتِ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَبْغُوضَةُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ بِحَيْثُ لَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهَا مُنْذُ خَلقِهَا وَاتَّسَمَتْ هِيَ وَأَهْلُهَا بِسِمَةِ الطَّرْدِ وَاللعْنِ كَمَا وَرَدَ فِي الخَبَرِ الدُّنْيَا مَلعُونَةٌ وَمَلعُونٌ مَا فِيهَا إِلاَّ مَا فِيهِ ذِكْرُ اللهِ تَعَالى وَحَيْثُ كَانَ الذَّاكِرُونَ بَل كُلُّ ذَرَّةٍ مِنْ ذَرَّاتِهِم مَمْلوئِينَ بِذِكْرِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى كَانُوا خَارِجِينَ مِنْ هَذَا الوَعِيدِ وَهُمْ لَيْسُوا فِي عِدَادِ أَهْلِ الدُّنْيَا فَإِنَّ الدُّنْيَا هِيَ التِي تَمْنَعُ القَلبَ عَنِ الاشْتِغَالِ بِذِكْرِ الحَقِّ وَتَشْغَلُهُ بِغَيْرِهِ سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ أَمْوَالاً وَأَسْبَابًا أَوْ جَاهًا وَرِيَاسَةً أَوْ عَارًا وَحَمِيَّةً فَأَعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلى عَنْ ذِكْرِنَا نَصٌّ قَاعِدٌ فِي ذَلِكَ وَكَمَا هُوَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ بَلاَءُ الرُّوحِ وَأَهْلُ الدُّنْيَا فِي تَفْرِقَةٍ وَظُلمَةٍ فِي هَذِهِ النَّشْأَةِ دَائِمًا وَفِي الآخِرَةِ مِنْ أَهْلِ النَّدَامَةِ وَالحَسْرَةِ وَحَقِيقَةُ تَرْكِهَا عِبَارَةٌ عَنْ تَرْكِ الرَّغْبَةِ فِيهَا وَتَرْكُ الرَّغْبَةِ فِيهَا إِنَّمَا يَتَحَقَّقُ إِذَا كَانَ وُجُودُهَا وَعَدَمُهَا مُتَسَاوِيَيْنِ وَحُصُول هَذَا المَعْنَى بِدُونِ صُحْبَةِ أَرْبَابِ الجَمْعِيَّةِ مُتَعَسِّرٌ فَإِنْ تَيَسَّرَتْ صُحْبَةُ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ يَنْبَغِي أَنْ تَعُدَّهَا غَنِيمَةً وَأَنْ تَصْرِفَ الهِمَّةَ وَالعِنَايَةَ إِلَيْهَا وَصُحْبَةُ الشَّيْخِ مِيَانَ مُزَّمِّل وَإِنْ كَانَتْ غَنِيمَةً لَكُمْ فَإِنَّهُ وَأَمْثَالَهُ مِنَ الأَعِزَّةِ العَزِيزِي الوُجُودِ أَعَزُّ مِنَ الكِبْرِيتِ الأَحْمَرِ وَلَكِنْ شِيمَةُ أَهْلِ الكَرَمِ الإِيثَارُ يَعْنِي تَقْدِيمَ حَاجَةِ الغَيْرِ عَلى حَاجَةِ أَنْفُسِهِمْ فَإِنْ أَذِنْتُمْ لِلشَّيْخِ مِيَّانَ مُزَّمِّل أَيَّامًا لَكَانَ فِي مَحَلِّهِ وَبَعْدَ الفَرَاغِ مِنْ شُغْلِهِ يَرْجِعُ إِلَيْكُمْ ثَانِيًا إِنْ شَاءَ اللهُ العَزِيزُ وَالإِخْلاَصُ الغَائِبِيُّ يَنُوبُ مَنَابَ الحُضُورِ فِي حُصُولِ المَأْمُولِ لَكُمْ وَالزِّيَادَةُ عَلى ذَلِكَ تَصْدِيعٌ رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ الاسْتِقَامَةَ عَلى مُتَابَعَةِ سَيِّدِ البَشَرِ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ أَتَمُّ الصَّلَوَاتِ وَأَكْمَلُ التسليمات وَالسَّلاَمُ وَالإِكْرَامُ.

المَكْتُوب الثَّامِنُ وَالتِّسْعُونَ وَالمِائَةُ
إلى خَان خَانَان
في بَيَانِ أنَّ المَوَدَّةَ بَيْنَ الفُقَرَاءِ وَالأَغْنِيَاءِ مُتَعَسِّرَةٌ في هَذَا الزَّمَانِ جدًّا

كَانَتْ الفُتُوحَاتُ المَكِّيَّةُ مِفْتَاحًا للفُتُوحَات المَدَنِيَّة بحُرْمَة النَّبيِّ وَآله الأَمْجَاد عَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ والتسليماتُ وَصَل المَكْتُوبُ المَرْغُوبُ المُرْسَل باسْمِ الفُقَرَاء فَصَارَ بَاعِثًا عَلى زِيَادَة المَحَبَّة بُشْرَى لكُمْ ثُمَّ بُشْرَى لكُمْ أيُّها المَخْدُومُ إنَّ حُصُول المَوَدَّة بَيْنَ الفُقَرَاء وَالأَغْنِيَاء مُتَعَسِّرٌ جدًّا في هَذَا الزَّمَان فَإنَّ الفُقَرَاءَ لوْ اخْتَارُوا في المُحَاوَرَات سُلوكَ طَرِيقِ التَّوَاضُعِ وَحُسْنِ الخُلق اللذَيْنِ هُمَا مِنْ لوَازِمِ الفَقْرِ لزَعَمَ القَاصِرُونَ مِنْ سُوءِ ظَنِّهِمْ بهِمْ أنَّهُمْ طَامِعُونَ مُحْتَاجُونَ فَلاَ جَرَمَ أنَّهُمْ يَصِيرُونَ بزَعْمِهِمْ ذَلكَ مِصْدَاقًا خَسرَ الدُّنْيَا وَالآخرَةَ وَيُحْرَمُونَ بَرَكَات هَؤُلاَء الأَكَابر وَإنْ اخْتَارُوا سُلوكَ طَرِيقِ الاسْتِغْنَاء الذي هُوَ أيْضًا مَنْ لوزَام الفَقْرِ لظَنَّ الناقصونَ مِنْ سُوءِ خُلقهِمْ أنَّهُمْ مُتَكَبِّرُونَ وَسَيِئُوا الأَخْلاَق وَمَا أدْرَاهُمْ أنَّ الاسْتِغْنَاءَ أيْضًا مِنْ لوَازِمِ الفَقْرِ فَإنَّ الجَمْعَ بَيْنَ الضِّدَّيْنِ قَدْ خَرَجَ مِنْ حَدِّ الاسْتِحَالة فِي هَذَا المحَال قَال أبُو سَعِيد الخراز:

عَرَفْتُ اللهَ تَعَالى بجَمْعِ الأَضْدَاد وَلاَ ضَرَر فِي عَدَمِ تَصْدِيقِ أهْلِ النَّظَرِ هَذه المُقَدِّمَة وَعَدِّهِمْ إيَّاهَا مُحَالاً فَإنَّ طَوْرَ الوِلاَيَة وَرَاءَ طَوْرِ نَظَرِ العَقْلِ وباقِي الأَحْوَال يَعْرِضُهَا مَوْلاَنَا المير بالتَّفْصِيل.

{وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[1].

---

(١) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالتِّسْعُونَ وَالمائَةُ
إلى الملا مُحَمَّد أَمِينَ الكابلي
في بَيَانِ قَبُول مَا الْتَمَسَهُ مِنَ الوِرْدِ

وَرَدَتْ الصَّحِيفَةُ الْمُنبِئَةُ عَنْ فَرْطِ المَحَبَّةِ وَالإِخْلَاصِ الْمُشْعِرَةُ بِكَمَالِ المَوَدَّةِ وَالاخْتِصَاصِ فَصَارَتْ مُوجِبَةً لِلفَرَحِ عَافَاكَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَقَدْ أَظْهَرْتَ فِيهَا طَلَبَ وِرْدٍ مِنَ الأَوْرَادِ فَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ أَرْسَلْتُ الأَخَ الأَرْشَدَ مَوْلَانَا مُحَمَّد صِدِّيق لِيُعَلِّمَ ذِكْرًا مِنْ أَذْكَارِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ العَلِيَّةِ فَيَنْبَغِي السَّعْيُ البَلِيغُ فِي امْتِثَالِ أَمْرٍ بِهِ فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مُثْمِرًا لِلنَّتَائِجِ وَلَمَّا لَمْ يَكْفِ فِي ذَلِكَ مُجَرَّدُ الكِتَابَةِ وَتُوقِّفَ الأَمْرُ عَلَى الحُضُورِ فِي الصُّحْبَةِ كُنْت بَاعِثًا عَلَى تَصْدِيعِ الأَخِ الْمُشَارِ إِلَيْهِ وَالسَّلَامُ.

اَلْمَكْتُوبُ الْمُوَفِّى الْمِائَتَيْنِ
إِلَى الْمُلاَّ شكيبي الأصفهانيِّ
فِي حَلِّ بَعْضِ عِبَارَاتِ اَلنَّفَحَاتِ
اَلَّتِي طَلَبَ شَرْحَهَا مِنْهُ قَدَّسَ سِرَّهُ

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ اَلطَّاهِرِينَ أَجْمَعِينَ أَيُّهَا الأَخُ إِنَّكُمْ سَأَلْتُمْ أَنْ أَشْرَحَ لَكُمْ بَعْضَ عِبَارَاتِ اَلنَّفَحَاتِ اَلَّذِي فِيهِ إِغْلاَقٌ فَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ اجْتَرَأْتُ عَلَى تَحْرِيرِ كَلِمَاتٍ أَيُّهَا الْمَخْدُومُ إِنَّ عَيْنَ الْقُضَاةِ الهمْدَانِيَّ - قُدِّسَ سِرُّهُ - قَالَ فِي بَيَانِ حَالِ جَمَاعَةٍ سَلَكُوا طَرِيقًا غَيْرَ مَسْلُوكٍ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ فَبَعْضُهُمْ حَفَظَتْهُ مغلوبَتُه فِي كَنَفِ حِمَايَتِهَا وَكَانَ اَلسُّكْرُ ظِلاًّ عَلَى رَأْسِهِ وَاَلَّذِي كَانَ مِنْهُمْ صَاحِبَ تَمْيِيزٍ قَطَعُوا رَأْسَهُ يَعْنِي أَهْلَكُوهُ الْمُرَادُ بِالطَّرِيقِ الْمَسْلُوكِ وَاَللَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ طَرِيقٌ مَسْلُوكٌ بِطَيٍّ الْمَقَامَاتِ الْعَشَرَةِ الْمَشْهُورَةِ بِالتَّرْتِيبِ وَالتَّفْصِيلِ وَتَزْكِيَةُ اَلنَّفْسِ مُقَدَّمَةٌ فِي هَذَا اَلطَّرِيقِ عَلَى تَصْفِيَةِ الْقَلْبِ وَالْإِنَابَةُ فِيهِ شَرْطُ الوِلاَيَةِ وَالْهِدَايَةِ وَالطَّرِيقُ الغَيْرُ الْمَسْلُوكِ عِبَارَةٌ عَنْ طَرِيقِ الْجَذْبَةِ وَالْمَحَبَّةِ وَطَرِيقُ اَلاجْتِبَاءِ وَهُوَ غَيْرُ مَشْرُوطٍ بِالْإِنَابَةِ وَتُقَدَّمُ فِيهِ اَلتَّصْفِيَةُ عَلَى اَلتَّزْكِيَةِ وَهَذَا اَلطَّرِيقُ هُوَ طَرِيقُ الْمَحْبُوبِينَ وَالْمُرَادِينَ بِخِلاَفِ اَلطَّرِيقِ الأَوَّلِ فَإِنَّهُ طَرِيقُ الْمُحِبِّينَ وَالْمُرِيدِينَ وَالْبَعْضُ اَلَّذِي كَانَ لَهُ قُوَّةُ الْجَذْبَةِ مِنْهُ وَاسْتِيلاَءُ الْمَحَبَّةِ اَلَّذِي المغلوبِيَّةِ وَالسُّكْرُ عِبَارَةٌ عَنْهُ بَقِيَ مَحْفُوظًا مِنْ شَرِّ اَلشَّيَاطِينِ الآفَاقِيَّةِ والأنفسيَّةِ وَمَصُونًا مِنْ إِغْوَائِهِمْ وإضلالهم فَهُمْ وَإِنْ لَمْ يَتَّخِذُوا دَلِيلاً لأَنْفُسِهِمْ وَلَكِنْ كَانَ فَضْلُ اَللَّهِ - جَلَّ سُلْطَانُهُ - هَادِيًا لَهُمْ إِلَى اَلطَّرِيقِ وَأَوْصَلَهُمْ إِلَى الْمَطْلُوبِ الْحَقِيقِيِّ وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ صَاحِبَ تَمَيُّزٍ يَعْنِي لَمْ يَكُنْ لَهُ قُوَّةُ الْجَذْبَةِ وَكَانَ اسْتِيلاَءُ الْمَحَبَّةِ مَفْقُودًا فِي حَقِّهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ دَلِيلٌ أَضَلَّتْهُ أَعْدَاءُ اَلدِّينِ عَنِ اَلطَّرِيقِ وَأَهْلَكُوهُ وَأَذَاقُوهُ شَرْبَةَ الْمَوْتِ الأَبَدِيِّ وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ الْمَغْلُوبِينَ هَذَانَ اَلشَّخْصَانِ مِنَ التراكمة اَللَّذِينِ حَكَى عَنْهُمَا الْحُسَيْنُ الْقَصَّابُ بِرَمْزٍ وَإِشَارَةٍ حَيْثُ قَالَ: كُنْتُ فِي سَفَرٍ مَعَ قَافِلَةٍ عَظِيمَةٍ فَخَرَجَ اثْنَانِ مِنَ التراكمة مِنْ بَيْنِ الْقَافِلَةِ وَسَلَكَا طَرِيقًا غَيْرَ مَسْلُوكٍ إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ الْمُرَادُ بِالطَّرِيقِ اَلَّذِي سَلَكَهُ الْقَافِلَةُ اَلطَّرِيقُ الْمَسْلُوكُ اَلَّذِي يَحْصُلُ بِقَطْعِ الْمَقَامَاتِ الْعَشَرَةِ الْمَشْهُورَةِ بِالتَّرْتِيبِ وَالتَّفْصِيلِ فَإِنَّ أَكْثَرَ الْمَشَايِخِ خُصُوصًا الْمُتَقَدِّمِينَ

مِنْهُمْ وَصَلُوا إِلَى مَقَاصِدِهِمْ مِنْ هَذَا اَلطَّرِيقِ وَالْمُرَادُ بِالطَّرِيقِ الْغَيْرِ الْمَسْلُوكِ اَلَّذِي اخْتَارَهُ هَذَانِ اَلشَّخْصَانِ مِنَ التراكمة وَتَبِعَهُمَا الْحُسَيْنُ الْقَصَّابُ فِي اخْتِيَارِ هَذَا اَلطَّرِيقِ هُوَ طَرِيقُ الْجَذْبَةِ وَالْمَحَبَّةِ اَلَّذِي هُوَ أَقْرَبُ إِلَى الْوُصُولِ مِنْ ذَاكَ اَلطَّرِيقِ الْمَسْلُوكِ الْمَعْهُودِ وَمُقَدِّمَةُ هَذَا اَلطَّرِيقِ اَلْاِلْتِذَاذُ وَالسُّكُونُ اَلَّذِي هُوَ سَبَبُ الْغَيْبَةِ عَنِ الْحِسِّ وَبَاعِثٌ عَلَى اَلذُّهُولِ عَنِ اَلشُّعُورِ وَكَنَّى عَنْ هَذِهِ الْحَالَةِ بِاللَّيْلِ وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الْغَيْبَةُ عَنِ الْخَلْقِ مُتَضَمِّنَةً لِلْحُضُورِ وَالشُّعُورِ بِالْخَالِقِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ أَشَارَ إِلَى هَذَا الْحُضُورِ وَالشُّعُورُ بِالْبَدْرِ وَهَذَا الْمَقَامِ يَقْتَضِي بَيَانًا يَنْبَغِي أَنْ يَسْمَعَهُ بِسَمْعِ الْعَقْلِ اعْلَمْ أَنَّ مُدِيرَ الْجَسَدِ هُوَ اَلرُّوحُ وَمُرَبِّي الْقَالِبِ الْقَلْبُ وَالْقُوَى الْجُسْمَانِيَّةُ مُكْتَسَبَةٌ مِنَ الْقُوَّةِ اَلرُّوحَانِيَّةِ وَالْحَوَاسُّ الْقَالَبِيَّةُ مُسْتَفَادَةٌ مِنَ اَلنُّورَانِيَّةِ الْقَلْبِيَّةِ فَبِالضَّرُورَةِ يَتَطَرَّقُ الْفُتُورُ فِي مَبَادِي الْحَالِ اَلَّتِي هِيَ أَوَانُ اَلنَّقْصِ وَالضَّعْفِ إِلَى تَدْبِيرِ الْجَسَدِ وَتَرْبِيَةِ الْقَالَبِ حِينَ تَوَجَّهَ الْقَلْبُ وَالرُّوحُ إِلَى جَنَابِ قُدْسِ الْحَقِّ جَلَّ شَأْنُهُ اَلَّذِي هُوَ لاَزِمُ طَرِيقِ الْجَذْبَةِ فَيَكُونُ ذَلِكَ الْفُتُورُ سَبَبًا لِتَعَطُّلِ الْحِسِّ وَالذُّهُولِ عَنِ الإِحْسَاسِ وَيُفْضِي إِلَى ضَعْفِ الْقُوَى وَالْجَوَارِحِ وَالسُّقُوطِ عَلَى الأَرْضِ بِلاَ اخْتِيَارٍ وَعَبَّرَ اَلشَّيْخُ الأَجَلُّ مُحْيِي اَلدِّينِ بْنُ عَرَبِيٍّ - قُدِّسَ سِرُّهُ - فِي الْفُتُوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ عَنْ هَذِهِ الْحَالَةِ بِالسَّمَاعِ الروحيِّ وَقَالَ لِلسَّمَاعِ اَلَّذِي يَكُونُ بِالرَّقْصِ وَالْحَرَكَةِ اَلدَّوْرِيَّةِ سَمَاعًا جَسَدِيًّا وَبَالَغَ فِي الْمَنْعِ مِنْهُ فَتَحَقَّقَ مِنْ هَذَا الْبَيَانِ أَنَّ هَذِهِ الْغَيْبَةَ اَلصُّورِيَّةَ مُتَضَمِّنَةٌ لِلْحُضُورِ المعنويِّ وَذَاكَ اَلذُّهُولَ الروحيُّ مُشْتَمِلٌ عَلَى اَلشُّعُورِ الروحيِّ اَلَّذِي يُنَاسِبُهُ اَلتَّعْبِيرُ عَنْهُ بِالْبَدْرِ وَلْنَرْجِعْ إِلَى أَصْلِ الْكَلاَمِ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ اسْتِتَارَ وَجْهِ الْبَدْرِ بِالْغَيْمِ الأَسْوَدِ كِنَايَةٌ عَنْ ظُهُورِ اَلصِّفَاتِ الْبَشَرِيَّةِ اَلَّتِي يَحْصُلُ الْحُضُورُ وَالشُّعُورُ لِلْمُبْتَدِئِينَ بِاسْتِتَارِهَا وَهَذَا اَلاسْتِتَارُ يَمْتَدُّ إِلَى أَوَاسِطِ الأَحْوَالِ فَإِنَّ الْمُتَوَسِّطِينَ لَيْسَ لَهُمْ هَذَا اَلاسْتِتَارُ وَإِنْ لَمْ يَخْلُ عَنْ نَحْوٍ مِنَ اَلاسْتِتَارِ وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ أَنَّهُ لِهَذَا الْمَعْنَى قَالَ وَلَمَّا كَانَ نِصْفُ اَللَّيْلِ ظَهَرَ الْبَدْرُ مِنَ الْغَيْمِ ثَانِيًا فَوَجَدْتُ أَثَرَ قَدَمِ هَذَيْنِ اَلشَّخْصَيْنِ فَإِنَّ اَلطَّرِيقَ يَتَّضِحُ حَالَةَ الْبَسْطِ اَلَّتِي هِيَ أَوَانُ الْحُضُورِ وَالشُّعُورِ وَيَكُونُ قَطْعُ الْمَسَافَةِ أَزْيَدَ وَلَمَّا طَلَعَ الفَجْرُ يَعْنِي زَالَتْ تِلْكَ الْغَيْبَةُ وَالذُّهُولُ وَقَوِيَ ذَلِكَ الْحُضُورُ وَالشُّعُورُ وَاجْتَمَعَ مَعَ اَلتَّوَجُّهِ إِلَى الْخَلْقِ وَكَنَّى عَنْ هَذَا الْحُضُورِ بِطُلُوعِ اَلشَّمْسِ. وَالْجَبَلُ عِبَارَةٌ عَنْ وُجُودِ الْبَشَرِيَّةِ اَلَّذِي ظَهَرَ لَهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ فَإِنَّ تَزْكِيَةَ اَلنَّفْسِ إِنَّمَا هِيَ بَعْدَ تَصْفِيَةِ الْقَلْبِ فِي هَذَا اَلطَّرِيقِ وَلَمَّا كَانَتْ بِهَذَيْنِ اَلشَّخْصَيْنِ مِنَ

التراكمة قُوَّةُ الجَذْب وَاسْتيلاءَ المَحَبَّة فَلاَ جَرَمَ وَضَعَا أَقْدَامَهُمَا عَلَى ذُرْوَة الجَبَلِ بالسُّرْعَة وَالسُّهُولَة وَطَلَعَا فَوْقَهُ فِي سَاعَة وَاحدَة وَتَشَرَّفَا بنَحْوٍ منَ الفَنَا وَلَمَّا لَمْ تَكُنْ لحُسَيْنِ القَصَّاب هذه القُوَّةُ طَلَعَ فَوْقَ ذَلكَ الجَبَل بمحْنَة كَثيرَة وَهَذَا أَيْضًا إِنْ تَيَسَّرَ لَهُ ببَرَكَة مُتَابَعَته لهَذَيْنِ الشَّخْصَيْنِ وَإِلاَّ لقطعَ رَأْسَهُ وَالْمُعَسْكَرُ عبارَةٌ عَنِ الأَعْيَان الثَّابتَة الَّتِي هِيَ جَامعَةٌ لتعيُّنات الحَقَائق الإِمْكَانيَّة وَالتَّعَيُّنُ الوجُوبيُّ وَالْخيَّامُ الغَيْرُ المُتَنَاهيَة كنَايَةٌ عَنْ تلْكَ التعينات وَالْخَيْمَةُ الكَبيرَةُ فيمَا بَيْنَهُمَا إشَارَةٌ إلَى التَّعَيُّنِ العلميِّ الوجوبيِّ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَلذَا قيلَ لَهُ إنَّهَا خَيْمَةٌ سُلْطَانيَّةٌ وَلَمَّا سَمعَ الحُسَيْنُ القَصَّابُ أَنَّهَا خَيْمَةٌ سُلْطَانيَّةٌ تَخَيَّلَ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ المَطْلَبَ فَأَرَادَ أَنْ يَنْزلَ منْ مَرْكَب السُّكْرِ الَّذي لاَ يَتَيَسَّرُ قَطْعُ مَسَافَة هَذَا الطَّريق بدُون مَدده وَرَامَ أَنْ يَسْتَريحَ بالْوُصُول إلَى المَطْلُوب وَلَمَّا أَخْرَجَ رجْلَه اليُمْنَى الَّتي هيَ عبَارَةٌ عَنِ الرُّوحِ فَإِنَّ السَّيْرَ إنَّمَا يَكُونُ فِي هَذَا الطَّريق الغَيْر المَسْلُوك بقدَم الرُّوح وَالْقَلْب لاَ بقَدَم العلْمِ وَالْعَمَلِ فَإنَّهُ مُنَاسبٌ للطُّرُق المَسْلُوك وَأَوَّلُ شَيْءٍ يَنْزلُ منْ مَرْكَب السُّكْرِ هُوَ الرُّوحُ ثُمَّ بَعْدَهُ القَلْبُ الَّذي عَبَّرَ عَنْهُ بالرِّجْلِ اليُسْرَى منَ الرِّكَاب وَصَلَ خطَابٌ الهامي إلَى سَمْع قَلْبه أَنَّ السُّلْطَانَ لَيْسَ فِي الخَيْمَة وَالْحَقُّ أَنَّهُ كَذَلكَ وَلَكنْ لَمَّا لَمْ تَكُنْ فِي الحُسَيْنِ القَصَّاب قُوَّةُ الجَذْب نَزَلَ منَ السُّكْرِ ببشَارَة قَليلَة وَأَمَّا هَذَانِ الشَّخْصَان فَإنَّهُمَا لَمَّا كَانَ بهمَا جَذْبٌ قَويٌّ لَمْ يَغْتَرَّا بأَمْثَال هَذه المُبَشِّرَات بَلْ طَلَعَا الفوْقَ مثْلَ الشُّجْعَان فَإنْ انْتَظَرَ الحُسَيْنُ القَصَّابُ هُنَالكَ أَلْفَ سَنَة مَثَلاً لَمَا وَجَدَ السُّلْطَانَ فِي الخَيْمَة أَصْلاً فَإنَّهُ تَعَالَى وَرَاءَ الوَرَاء قَوْلُه بَلْ هُوَ قَعَدَ يَصْطَادُ يَعْني قَعَدَ عَلَى المُجَالَى وَالْمَظَاهر الجميلَة وَشَرَعَ فِي صَيْد قُلُوب العُشَّاق وَهَذَا النِّدَاءُ المُتَضَمِّنُ لهَذَا المَعْنَى إنَّمَا كَانَ عَلَى مقْدَار اسْتعْدَاد الحُسَيْنِ القَصَّاب وَحَوْصَلَة فَهْمه وَدرَايَته تَكَلَّمُوا مَعَهُ بطَريق التَّنَزُّل وَإلاَّ فَلاَ مَعْنَى للْقُعُود فيمَا فيه هُوَ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ. شعْرٌ.

وَكَمْ منْ سَائرٍ سَارُوا وَطَارُوا فَعَادُوا صفْرَ جَيْب وَالْيَدَيْنِ

وَيَخْطُرُ عَلَى الخَاطر الفَاتر منْ هَذه العبَارَة مَعْنًى آخَرُ مُنَاسبٌ لمَقَام التَّفَرُّد وَالْكبْرِيَاء وَإنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا المَعْنَى أَيْضًا لاَئقًا لجَنَاب قُدْسه - جَلَّ سُلْطَانُهُ - وَلَكنَّهُ أَوْلَى وَأَنْسَبُ منَ المَعَاني الأُخَر وَهُوَ أَنَّهُ قَعَدَ عَلَى الوَحْدَة الَّتي هيَ التَّعَيُّنُ الأَوَّلُ وَفَوْقَ مَرْتَبَة الواحديَّة وَلَمَّا كَانَ فِي مَرْتَبَة الوَحْدَة اضْمحْلاَلُ التعينات العلْميَّة وَالْعَيْنيَّة وَاسْتهْلاَكُهَا وَالاصْطيَادُ سَبَبٌ لهَلاَك الوُحُوش وَالطُّيُور قيلَ شَرَعَ فِي

اَلاصْطِيَاد لِمُنَاسَبَتِه لِهَذَا الْمَقَامِ وَالشَّيْخُ مُحَمَّدُ مَعْشُوق الطُّوسِيُّ وَالْأَمِيرُ عُبُورٌ وَصَلا إِلَى مَحَلِّ اصْطِيَادِ اَلسُّلْطَان وَصَارَا مِنْ صَيْدِه وَأَمَّا الْمَعْشُوقُ الطوسِيُّ فَهُوَ أَقْدَمُ وَأَقْرَبُ وَبَقِيَ الْحُسَيْنُ اَلقصَّابُ فِي خَيْمَة الواحديَّة رجَاء أَنْ يَرْجِعَ اَلسُّلْطَانُ إِلَيْهَا وَاَللَّهُ أَعْلَمُ بحَقِيقَة الْمُرَاد وَمَا فيه مِنَ الصَّوَاب وَالسَّدَاد أَيُّهَا الْمَخْدُومُ إِنَّ أَكَابِرَ الطَّرِيقَة النَّقْشَبَنْدِيَّة قَدَّسَ اَللَّهُ أَسْرَارَهُمْ اخْتَارُوا هَذَا الطَّرِيقَ الْغَيْرَ الْمَسْلُوك وَصَارَ هَذَا الطَّرِيقُ عِنْدَهُمْ طَرِيقًا مَسْلُوكًا مَعْهُودًا وَهُمْ يُوصِلُونَ خَلْقَ الْعَالَمِ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ إِلَى الْمَطْلُوب بِالتَّوَجُّه.

وَالتَّصَرُّفُ وَالْوُصُولُ لاَزِمٌ لِهَذَا الطَّرِيقِ إِذَا رَعَى فِيه آدَابَ الشَّيْخِ الْمُقْتَدَى بِه وَالشَّيْخُ وَالشَّابُّ مُتَسَاوِيَان فِي هَذَا الطَّرِيقِ فِي الْوُصُول وَالنِّسْوَانُ وَالصِّبْيَانُ مُتَسَاهِمَان فِيه بَلْ الْمَوْتَى رَاجُونَ مِنْ هَذِه الدَّوْلَة قَالَ حَضْرَةُ الْخواجهْ بَهَاءُ الدِّين النَّقْشَبَنْدِيُّ - قُدِّسَ سِرُّهُ -: طَلَبْتُ مِنَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ طَرِيقًا يَكُونُ مُوصِّلاً أَلْبَتَّة وَأَنْشَدُ الشَّيْخُ عَلاَءُ الدِّينِ العَطَّارُ - قُدِّسَ سِرُّهُ - الَّذي هُوَ أَوَّلُ خُلَفَائه فِي هَذَا الْمَعْنَى. شعْرٌ

لَوْمَا خَشِيتُ مَلاَلَ قَلْب الخَازِن ... لَفَتَحْتُ أَقْفَالَ العَوَالِمِ كُلِّهَا

ثَبَّتَنَا اَللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى طَرِيقَة هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الحادي وَالمائَتان
إلى كوك بيكْ الحصاري
في جوَاب استْفسَاره

الحَمْدُ لله وَسَلاَمٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى قَدْ سَأَل جَنَابُ كوجك بيــكْ الحصاري أنَّ شَخْصًا يَقُول: إنَّ جَميعَ العُلومِ مُنْدَرجَةٌ في حَرْفَيْنِ أَوْ ثَلاثَة أحْــرُف فَهَل يَكُونُ هَذَا الكَلاَمُ صَادقًا أَمْ لاَ فَنَقُول في الجَوَاب الظَّاهرِ إنَّ هَذَا الشَّخْصَ إنَّمَا قَال هَذَا الكَلاَمَ عَلى وَجْه العلمِ وَالسَّمَاعِ وَمُطَالعَة الكُتُب وَقَدْ صَدَرَ أَمْثَال هَــذا الكَلاَمِ منَ السَّلف قَال أميرُ المُؤْمنينَ عَليٌّ ــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ــ إنَّ جَميعَ العُلــومِ مُنْدَرجَةٌ في بَاءِ بسْمِ الله بَل في نُقْطَة بَائه فَإنْ ادَّعَى هَذَا الشَّخْصُ الكَشْفَ في هَذَا الكَلاَم لاَ يَخْلو حَاله منْ أَحَد الأمرينِ فَإنْ قَال إنَّهُ قَدْ انْكَشَفَ لي أَنَّ جَميعَ العُلومِ مُنْدَرجَةٌ في حَرْفَيْنِ أَوْ ثَلاثَة أَحْرُف أَعَمَّ منْ أَنْ تَكُونَ تلكَ العُلومُ المُنْدَرجَةُ فيهمَــا أَوْ فيهَا عُلومُ نَفْسه أَوْ غَيْره يَحْتَملُ الصِّدْقَ وَإنْ قَال قَدْ انْكَشَفَ لي جَميعُ العُلــوم وَأَنَا أُطَالعُهَا في صَفْحَة حَرْفَيْنِ أَوْ ثَلاَثَة أَحْرُف فَهُوَ مُدَّعٍ كَذَّابٌ لاَ يَنْبَغي تَصْديقُ كَلامه.

{وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}(١) وَالتزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى آله أَتَمُّ الصَّلَوَاتِ وَأَكْمَل التسليمات.

(١) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ الثَّاني وَالمائَتَان

إلى المِرْزَا فَتْح الله الحَكِيم

في ذَمِّ جَمَاعَة دَخَلوا في الطَّرِيقَة ثُمَّ خَرَجُوا مِنْهَا بلاَ مُوجِب

ثَبَّتَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَلى الطَّرِيقَة المُسْتَقِيمَة المَرْضِيَة المُصْطَفَوِيَّة عَلى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ اعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ جَرَى يَوْمًا كَلاَمٌ فِي غَيْرَة المَشَايِخ النَّقْشَبَنْدِيَّة قَدَّسَ اللهُ تَعَالى أَسْرَارَهُمُ السَّنِيَّةَ وَذُكِرَ فِي أَثْنَاء ذَلِكَ الكَلاَم أَنَّهُ كَيْفَ يَكُونُ حَال جَمَاعَة انْسَلكُوا فِي سلك إرَادَة هَؤُلاَء الأَكَابِر وَجَعَلوا أَنْفُسَهمْ تَابعين لَهُمْ وَقَبْلهُمْ هَؤُلاَء الأَكَابِرُ ثُمَّ انْقَطَعُوا عَنْ هَؤُلاَء الأَكَابِر بَعْدَ ذَلكَ وَتَرَكُوا صُحْبَتَهُمْ منْ غَيْرِ سَبَب مُوجب لذَلكَ فيمَا هُنَالكَ وَتَشَبَّثُوا بأَذْيَال الآخَرينَ بالظَّنِّ وَالتَّخْمين وَذُكِرَ فِي ضِمْنِ ذَلكَ اسْمُكُمْ وَاسْمُ قَاضِي سَنَام وَلاَ أَدْرِي امْتَدَّتْ هَذه المُذَاكَرَةُ إلى لَمْحَة أَوَّلاً وَمَعَ ذَلكَ كَانَتْ تلكَ المُذَاكَرَةُ مَبْنِيَّةً عَلى سَبَب وَسِيَاق كَلاَم وَبَعْدَ ذَلكَ لاَ يُقَدِّرُ اللهُ سُبْحَانَهُ إرَادَةَ الفَقِير أَذِيَّةَ مُسْلم أَوْ أَنْ يَحْقدَ عَلَيْه فِي قَلبه فَلْيَطبْ خَاطِرُكُمْ الشَّرِيفُ منْ هَذه الجهَة وَقَدْ صَارَ مَعْلومًا لكُمْ أَنَّ طَرِيقَنَا لَيْسَ طَرِيقَ دَعْوَة الأَسْمَاء بَل اخْتَارَ أَكَابِرُ هَذه الطَّرِيقَة الاسْتهْلاَكَ فِي مُسَمَّى هَذه الأَسْمَاء ابْتدَاءَ تَوَجُّههمْ إلى الأَحَدِيَّة الصِّرْفَة لاَ يَطْلبُونَ شَيْئًا منَ الاسْمِ وَالصِّفَات غَيْرَ الذَّات فَلاَ جَرَمَ انْدَرَجَ نِهَايَةُ غَيْرِهمْ فِي بدَايَتهمْ، (ع):

وَقسْ مَنْ حَال بُستاني ربيعي

وَلَمَّا عَرَضَتْ الآنَ لتلكَ المُذَاكَرَة بسَبَب تَعَدُّد النُّقُول وَتَدَاوُل الأيدي هَيْئَةً أُخْرَى وَصَارَتْ بحَيْثُ يَنْشَأُ منْ ذَلكَ الجَانب توهماتٌ أُخَرُ أَقْدَمْتُ عَلى تَحْرِير كَلمَات لدَفْع ذَلكَ التَّوَهُّم.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ يَزِيدُ لنَا منْ مَوَدَّتكُمْ وَلاَ يَنْقُصُ عَنَّا شَيْءٌ منْ عَدَمِ مَوَدَّتكُمْ وَإِنَّمَا المَلحُوظُ وَالمَنْظُورُ إرَادَةُ الخَيْر لكُمْ وَلكنَّ الرَّاضِيَ بالضَّرَر لاَ يَسْتَحقُّ النَّظَرَ مَثَل مَشْهُورٌ وَتَيَقَّنَ أَنَّ الفَقيرَ لَمْ يُرِدْ ضَرَرَكُمْ وَلاَ يُرِيدُهُ إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى وَكَانَ ذَلكَ كَلاَمٌ عَلى طَرِيقِ الغَيْرَة التي تَكُونُ للدَّرَاوِيش وَقيل مَا قيل بمُنَاسَبَة سيَاق كَلاَمٍ فَلاَ يَثْقُل عَلى خَاطِرِكُمْ وَاعْلَمْ ثَانِيًا أَنَّ حَال شَخْصٍ يَرَى نَفْسَه أَفْضَل منْ أَبي بَكْرٍ الصِّدِّيق لاَ يَخْلو عَنْ أَحَد الأَمْرَيْنِ أَمَّا زِنْدِيقٌ مَحْضٌ أَوْ جَاهل صرْفٌ وَقَدْ كَتَبَ لكُمْ هَذَا الفَقيرُ قَبْل هَذَا بسنينَ مَكْتُوبًا فِي بَيَان الفرْقَة النَّاجيَة الذينَ هُمْ أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة وَالعَجَبُ منْ تجويزِكُم أَمْثَال هَذه الكَلمَات بَعْدَ مُطَالعَة ذَلكَ

المَكْتُوب فَإِذَا كَانَ مَنْ يَقُولُ بِأَفْضَلِيَّةِ عَلِيّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَلَى أَبِي بَكْر الصِّديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَارِجًا مِنْ دَائِرَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُ مَنْ رَأَى نَفْسه أَفْضَلَ مِن الصِّديق وَمِنَ المُقَرَّرِ عِنْدَ هؤلاَءِ القَوْم أَنَّ السَّالِكَ لَوْ رَأَى نَفْسَه أَفْضَلَ مِنَ الكِلاَبِ وَالذُّبَابِ فَهُوَ مَحْرُومٌ مِنْ كَمَالاَتِ هَؤلاَءِ الأكَابِرِ وَقَد انْعَقَدَ إِجْمَاعُ السَّلَف عَلَى أَفْضَلِيَّةِ الصِّديق عَلى جَمِيعِ البَشَرِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِم أَفْضَلُ الصَّلاَة وَالسَّلاَم فَمَا أَشَدَّ حَمَاقَة مَنْ يَتَوَهَّم خَرْق هَذَا الإِجْمَاع وَكَتب هَذَا الفَقِير فِي كُتُبِهِ وَرَسَائِلِهِ أَنَّ الوَحْشِي قَاتَل حَمْزَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ الذِي نَالَ صُحْبَةَ خَيْرِ البَشَرِ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ الصَّلاَة وَالسَّلاَم مَرَّة وَاحِدَة أَفْضَل مِنْ أُوَيْس القَرَنِي الذِي هوَ خَيْر التَّابِعِين فَتَخَيُّل أَمْثَالَ هذِهِ الخَيَالاَت فِي حَقّ مِثْل هذَا الشَّخْص بَعِيد عَنِ العَقْلِ السَّلِيم يَنْبَغِي أَن تَرْجع إِلى العِبَارَةِ التِي اخْتَرَع النَّاس هَذَا التَّوَهُّم مِنْهَا تطلِع عَلَى حَقِيقَةِ المُعَامَلَةِ وَأَيّ مُنَاسَبة فِي التَّقْلِيدِ المُجَرَّدِ لأَرْبَابِ الحَسَدِ مَعَ أَنَّ المَشَائِخَ صَدَرَ عَنْهُمْ وَقْتَ غَلَبَةِ السُّكْرِ كَلِمَات غَيْرِ مُنَاسِبَة مِثْلَ قَوْلِ أَبِي يَزِيد البِسْطَامِي لِوائي أَرْفَع مِنْ لِوَاء مُحَمَّد وَلاَ يَجُوزُ أَنْ يَذْهَب الوَهْمُ مِنْ هَذِهِ العِبَارَةِ إِلى دَعْوَى الأَفْضَلِيَّةِ فَإِنَّها زَنْدَقَة حَاشَا وَكَلاً أَنْ يذْكر أَمْثَال هَذا فِي عِبَارَة الفَقِيرِ والسَّلاَم.

المَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالمائتَان
إلى الملا حُسَيْن
في التَّحْرِيضِ عَلى مَحَبَّةِ هَذه الطَّائفَة وَبَيَانِ نُبْذَةٍ مِنْ مَدْحِهِمْ

أَحْسَنَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَحْوَالكُمْ وَأَصْلحَ سُبْحَانَهُ أَعْمَالكُمْ وَلَمَّا كَانَ المَكْتُوبُ الشَّرِيفُ مُشْعِرًا بمَحَبَّة الفُقَرَاء حَصَلَ بوُصُوله فَرَحٌ وَافرٌ زَادَ اللهُ سُبْحَانَهُ مَحَبَّةَ هَذه الطَّائفَة العَلِيَّة يَوْمًا فَيَوْمًا وَجَعَلَ التَّوَاضُعَ لَهُمْ وَالالتجَاءَ إلَيْهِمْ رَأْسَ مَالِ العُمْرِ وَبحُكْمِ المَرْءِ مَعَ مَنْ أَحَبَّ مُحِبُّهُمْ مَعَهُمْ وَهُمُ الذينَ جَليسُهُمْ مَحْفُوظٌ منَ الشَّقَاوَة وَقَدْ وَرَدَ في الحَديث النَّبَويِّ عَلَيْه منَ الصَّلَوَات أَتَمُّهَا وَمنَ التَّحيَّات أَكْمَلُهَا إنَّ لله مَلائكَةً سوَى الكرَامِ الكَاتبينَ يَطُوفُونَ في الطُّرُق وَالسِّكَك وَيَطْلُبُونَ أَهْلَ الذِّكْر فَإذَا وَجَدُوا الذَّاكرينَ يُنَادي بَعْضُهمْ بَعْضًا أَنْ هَلمُّوا إلى حَاجَتكُمْ فيحفُّوهم بأَجْنحَتهمْ حَتَّى يَملئُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاء فَإذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا إلى السَّمَاء فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَ وَهُوَ أَعْلَمُ بحَال عبَاده كَيْفَ وَجَدْتُمْ عبَاديَ ؟ فَيَقُولُونَ: إلَهنَا جئْنَاهُمْ يَحْمَدُونَك وَيُثْنُونَ عَلَيْكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ ويسبِّحونك فَيَقُول اللهُ عَزَّ وَجَل وَهَل رَأَوْني ؟ فَيَقُولون لاَ أَيْ رَبِّ فَيَقُول كَيْفَ لوْ رَأَوني فَيَقُولون ليَحْمَدُونَك وَيُمَجِّدُونَك وَيُكَبِّرُونَك أَكْثَرَ وَأَوْفَرَ فَيَقُول اللهُ مَا يَطْلُبُونَ منّي فَيَقُولوا يَطْلُبُونَ منْك الجَنَّةَ فَيَقُول وَهَل رَأَوْا جَنَّتي فَيَقُولوا لاَ فَيَقُول كَيْفَ لوْ رَأَوْهَا فَيَقُولون يَطْلُبُونَ أَكْثَرَ وَيَزيدُ حرْصُهمْ ثُمَّ يَقُول المَلاَئكَةُ يَا رَبِّ إنَّ هَذه الطَّائفَةَ يَخَافُونَ منَ النَّار وَيَسْتَجيرُونَك منْهَا فَيَقُول هَل رَأَوْا نَاري فَيَقُولون: لاَ فَيَقُول كَيْفَ لوْ رَأَوْهَا فَيَقُولونَ لاَسْتَجَارُوكَ منْهَا كَثيرًا وَيَخْتَارُونَ طَريقَ الفرَار منْهَا أَزْيَدَ فَيَقُول اللهُ سُبْحَانَهُ للمَلاَئكَة اشْهَدُوا أَنّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ جَميعًا فَيَقُول المَلاَئكَة يَا رَبِّ إنْ فيهمْ فُلاَنًا لَمْ يَحْضُرْ مَعَهُمْ للذِّكْر بَل جَاءَ لحَاجَة دُنيوية فَيَقُول اللهُ سُبْحَانَهُ هُمُ الجُلَسَاءُ يَعْني هُمْ جُلسائي بحُكْمِ أَنَا جَليسُ مَنْ ذَكَرَني وَهُمْ قَوْمٌ لاَ يَشْقَى جَليسُهُمْ.

فَتَبَيَّنَ منْ هَذَا الحَديث وَالحَديث السَّابق أَنَّ مُحبِّي هَذه الطَّائفَة يَكُونُون مَعَهُمْ وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ لاَ يَكُونُ شَقيًّا ثَبَّتَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإيَّاكُمْ عَلى مَحَبَّة هَؤُلاَء الكرَام بحُرْمَة النَّبيِّ الأميِّ الهَاشميِّ - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - - كُلمَا ذَكَرَهُ الذَّاكرُونَ وَغَفَل عَنْ ذكْره الغَافلونَ وَمَا ذَكَرْتُمْ منْ أَحْوَالكُمْ في مَكْتُوب الشَّيْخ

مَيَّانَ الهَدَاد فَاعْلَمْ أَنَّ أَمْثَال هَذه العدَمَات وَالشَّدَائد كَثيرَةُ الوُقُوعِ عَلى الطَّالبِينَ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ عَالِيَ الهِمَّةَ دُونَ أَنْ تَقْنَعَ بِكُل مَا يَتَيَسَّرُ شِعْرٌ.

بس بى رنك ست يارد لخواه أي دل ‏ ‏ ‏ ‏ قانع نشوى برنك نَاكَاهُ أَيْ دَل

تَرْجَمَةٌ

بخيا لكُمْ إنْ كَانَ غَيْرِي يَكْتَفي ‏ ‏ ‏ ‏ فَأَنَا الذي لاَ يُكْتَفَى بوصَاله

وَصُحْبَةُ هَذه الطَّائفَة منْ جُمْلَة ضَرُوريَّات الدِّينِ جَعَلَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ في صُحْبَتِهِمْ. شعْرٌ.

إنْ طُفْتَ حَوْل السَّكَارَى نلتَ عُرْفَهُمْ ‏ ‏ ‏ ‏ إنْ لَمْ تَنَلْهُ فَقَدْ يَكْفيك رُؤْيَتُهمْ

وَعَلَيْك بالمُدَاوَمَة عَلى الطَّرِيق الذي تَلَقَّنْتَهُ منْ حَضْرَة قَبلتنَا يَعْني الشَّيْخ مُحَمَّدَ البَاقِيَّ بأَنْ تُجْرِيَ الاسْمَ المُبَارَكَ اللهَ عَلى القَلب ملاحظًا مَعْنَاهُ بلاَ مثْليَّة وَلاَ كَيْفيَّة بَعْدَ التَّوَجُّه إلى القَلب بالكُليَّة منْ غَيْرِ أَنْ تَتَصَوَّرَهُ بمَعْنَى الحاضرية والناظرية وَأَنْ تُلاَحظَ مَعَهُ صفَةً منَ الصِّفَات أَصْلاً بَل اللاَّزِمُ اسْتحْضَارُ هَذَا الاسْمِ المُبَارَك في القَلب دَائمًا بَعْدَ التَّوَجُّه المَذْكُور وَإفَادَةُ بَعْض الأُمُور الضَّرُوريَّة مَنُوطَةٌ بالحُضُور وَالصُّحْبَة فَإنْ تَيَسَّرَتْ المُلاَقَاةُ يَذْكُرُ إنْ شَاءَ اللهُ وَيَنْبَغي أَنْ تَكْتُبَ الأَحْوَال المُتَجَدِّدَةَ إلى زَمَنِ المُلاَقَاة فَإنَّ مُطَالعَتَهَا تَكُونُ بَاعثَةً عَلى التَّوَجُّه الغائبيِّ وَالسلاَمُ.

المَكْتُوبُ الرَّابِع وَالمائَتَان
إلى المِيْرِ مُحَمَّد نُعْمَانَ البدخشي
فِي النَّهْي عَنِ التَّأَثُّرِ مِنْ تعرضات المُعَانِدِينَ وَالحَاسِدِينَ وَالتَّحْرِيضِ عَلى الاشْتِغَال بِمَا هُوَ مَشْغُول به

لاَ يَكُنْ حَضْرَةُ المِيْرِ نُعْمَانَ مُتَأَلِّمًا وَمُتَأَذِّيًا مِنْ كَلِمَات أَهْلِ الخُسْرَان قُل كُل يَعْمَل عَلى شَاكلته وَاللاَّئقُ بحَالك أَنْ لاَ تَتَعَرَّضَ لَهُمْ بالْمُكَافَأَة وَالمحَازَاة فَإنَّهُ لاَ نُورَ للبُهْتَان وَالزُّورِ وَسَتَكُونُ كَلمَاتُهم المُتَنَاقضَةُ بَاعثَةً عَلى كَسَاد سُوقهمْ وَمَنْ لَمْ يَجْعَل اللهُ لهُ نُورًا فَمَا لهُ منْ نُور يَنْبَغي لك أَنْ تَسْعَى وَتجْتَهدَ في إجْرَاء الشَّغْل الذي أَنْتَ مَأْمُورٌ به قُل اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ في خَوْضهِمْ يَلعَبُونَ وَقَدْ وَصَلَ أَخُونَا الشَّيْخُ مُحَمَّدُ صَادق في أَوَانه وَقَعَدَ عُشْرَ الاعْتكَاف بالاتِّفَاق وَتَشَرَّفَ بالفُتُوحَات وَالوَارِدَات المُتَجَدِّدَة وَالحَمْدُ لله سُبْحَانَهُ وَأَوْقَاتُ سَائر الأَحبَّة مَقْرُونَةٌ بالجَمْعيَّة وَالتَّرَقِّيَات المُتَوَاليَة ذَلكَ فَضْلُ الله يؤتيه مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْل العَظيم.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالمائَتَان
إِلى الخَواجهْ مُحَمَّد أَشْرَفَ الكَابلي
فِي بَيَانِ أَنَّ مِلاَكَ الأَمْرِ مُتَابَعَةُ النَّبِيِّ ﷺ

شَرَّفَكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ بِكَمَالِ المُتَابَعَةِ المُصْطَفَوِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ فَإِنَّهَا مِلاَكُ الأَمرِ وَمَنِيَّةُ الصِّدِّيقِينَ وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَأَوْهَامٌ بَاطِلَةٌ وَخَيَالاَتٌ فَاسِدَةٌ نَجَّانَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَنْهَا.

{وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[1] وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى، عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ دَائِمًا.

(١) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ السَّادسُ وَالمائَتَان
إلى المُلاَ عَبْد الغَفُور السمرقنديّ
في مَذَمَّة الدُّنْيَا
وَتَرْك الالتفَات إلى تنعُماتها

اللهُمَّ نَبِّهْنَا قَبْل أَنْ يُنَبِّهَنَا المَوْتُ بحُرْمَة سَيِّد المُرْسَلينَ عَلَيْه وَعَلى آله أَتَمُّ الصَّلوَات وَأَفْضَل التسليمات وَصَل المَكْتُوبُ الشَّريفُ المَخْصُوصُ باسْم هَذَا الحَقير المُقْعَد في بَاديَة البُعْد وَالهجْرَان وَصَارَ وُصُوله سَبَبًا للابْتهَاج وَالسُّرُور جزَاكُمْ اللهُ عَنَّا خَيْرَ الجَزَاء أَيُّهَا الأَخُ إنَّ الإنْسَانَ مَا قَدمَ عَلى الدُّنْيَا لأَجْل اللقْمَة السَّمينَة اللذيذَة وَالأَلبسَة المُزَيَّنَة النَّفيسَة وَلَمْ يُخلقْ للتَّمتُّع وَالتَّنعُّم وَاللهْو وَاللعب وَإنَّمَا المَقْصُودُ منْ خَلقه تَذَلُّله وَانْكسَارُه وَعَجْزُه وَافْتقَارُه التي هيَ حَقيقَةُ العُبُوديَّة وَلكنْ يَنْبَغي أَنْ يَكُونَ ذَلكَ الانْكسَارُ وَالافْتقَار ممَّا أَذنَتْ به الشَّريعَةُ المُصْطَفَويَّةُ عَلى صَاحبهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ فَإنَّ رياضَات أَهْل البَاطن وَمُجاهَدَاتهمْ التي لا تُوافقُ الشَّريعَةَ الغَرَّاءَ لاَ يَحْصُل منْهَا شَيْءٌ غَيْرَ الخَسَارَة وَالخذْلاَن وَالنَّدَامَة وَالحرْمَان وَبَعْد التحلي وَالتَّزَيُّن بالأَحْكَام الشَّرْعيَّة عَمَلاً وَاعْتقَادًا عَلى وَفْق رَأْي عُلمَاء أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة شَكَرَ اللهُ تَعَالى سَعْيَهمْ يَنْبَغي تَعْميرُ البَاطن بذكْر الله - جَل سُلطَانُهُ - خُصُوصًا بتَكْرَار الذِّكْر الذي تَلقَّنْتَهُ في الطَّريقَة النَّقْشَبَنْديَّة العَليَّة قَدَّسَ اللهُ تَعَالى أَسْرَارَهُمُ السَّنيَّةَ فَإنَّ في طَريق هَؤلاَء الأَكَابر انْدرَاجَ النِّهَايَة في البدَايَة وَنسْبَتُهمْ فَوْقَ جَميع النِّسَب يُصَدِّقُ القَاصرُونَ هَذَا الكَلاَم أَو لاَ وَالمَقْصُودُ أَنمَا هُوَ تَرْغيبُ الأَحْبَاب وَتَشْويقُ الأَصْحَاب وَالمُخَالفُونَ خَارجُونَ منَ المَبْحَث، شعْرٌ:

قَدْ خَابَ منْ خَال ذَا هُزُوًا وَهَذْرَمَةً وَفَازَ مَنْ كَانَ فيه حدَّةُ البَصَر

وَبالجُمْلة قَدْ جُعل الفَلاَّحُ الأخرويُّ مَرْبُوطًا بالذِّكْر الكَثير وَاذْكُرُوا اللهَ كَثيرًا لعَلكُمْ تُفْلحُونَ شَاهدٌ لهَذَا المَعْنَى فَيَنْبَغي الاشْتغَال بالذِّكْر الكَثير وَبُغْض كُل مَا يُنافيه وَعلاَجُ الخَلاَص هُوَ هَذَا {مَا عَلى الرَّسُول إلاَّ البَلاَغ}[1]، شعْرٌ:

أَلاَ فَأَكْثرُوا ذكْرَ الإله فَإنَّهُ جَلاَءُ صَدَا القَلب غذَاءٌ لأَرْوَاح

أَلاَ بذكْر الله تَطْمَئنُّ القُلُوبُ نَصٌّ قَاطعٌ المسئول منَ الله سُبْحَانَهُ التَّوْفيقُ لذَلكَ وَالثَّبَاتُ وَالاسْتقَامَةُ عَلى مَا هُنَالكَ فَإنَّهُ ملاَكُ الأَمْر.

---

(١) ــ الآية: ٩٩ من سورة المائدة.

{وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[1] وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلى آله أَتَمُّ الصَّلوَات وَأَفْضَل التسليمات وَأَرْسَلتُ الثَّوْبَ الذي تَكَرَّرَ لبْسُه في الأَوْقَات الطَّيِّبَة يَنْبَغي أَنْ تَلبَسَهُ جعَل اللهُ سُبْحَانَهُ عَوَاقبَ جَميعِ الأُمُورِ خَيْرًا بِالنَّبيِّ وَآله الأَمْجَادِ عَلَيْه وعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

(١) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالمائتَان
إلى المَرْزَا حُسَامِ الدِّينِ أَحْمَدَ
في بَيَان تَأْثِيرِ القُرْبِ الجسمانيِّ في القُرْبِ الروحانيِّ وَذَمِّ الأَحْوَالِ الغَيْرِ المُوَافِقَة للشَّرْعِ

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى قَدْ مَضَتْ مُدَّةٌ مَديدَةٌ وَلَمْ يَصِل إلَيْنَا أَخْبَارُ السَّلامَة مِنْ جَنَابكُمْ وَحَضَرَات المخاديم وولدي المَيَان جَمَال الدِّينِ حُسَيْنٍ وَسَائِرِ الأعِزَّة وَخِدْمَة العَتَبَة العَلِيَّة خُصُوصًا الشَّيْخَ الهَدَادَ وَالشَّيْخَ هِدَايَةَ وَلا أخَال المَانِعَ مِنْ ذَلِكَ سِوَى نِسْيَان النَّائِينَ المَهْجُورِينَ نَعَمْ إنَّ لِقُرْبِ الأَبْدَان تَأْثِيرًا عَظِيمًا فِي قُرْبِ القُلوبِ وَلهَذَا لنْ يَبْلغَ وَلِيٌّ مِنَ الأَوْلِيَاء مَرْتَبَةَ الصحابيِّ حَتَّى إنَّ أُوَيْسًا القرنيَّ مَعَ رِفْعَة شَأْنه مَا بَلغَ مَرْتَبَةَ أَدْنَى الصَّحَابَة لعَدَم وُصُوله إلى صُحْبَة خَيْرِ البَشَرِ - عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْليماتُ - سُئِلَ عَبْدُ الله بْنُ المُبَارَك ﷺ أَيُّهمَا أَفْضَل مُعَاوِيَةُ أَمْ عُمَرُ بْنُ عَبْد العَزيز فَقَال الغُبَارُ الذي دَخَل أَنْفَ فَرَسِ مُعَاوِيَة مَعَ رَسُول الله ﷺ خَيْرٌ مِنْ عُمَرَ بْنِ عَبْد العَزيز كَذَا مَرَّةً وَأَحْوَال فُقَرَاء هَذه الحُدُود مَعَ اللوَاحِق وَالتَّوَابِعِ مَقْرُونَةٌ بالعَافِيَة لله سُبْحَانَهُ المِنَّةُ عَلى ذَلكَ بَل عَلى جَميعِ النَّعْمَاء وَالآلاء خُصُوصًا عَلى نِعْمَة الإسْلام وَمُتَابَعَة سَيِّد الأَنَام عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ فَإنَّهُ مَلاكُ الأَمْر وَمَدَارُ النَّجَاة وَمَنَاطُ الفَوْز بالسَّعَادَات الدُّنْيَوِيَّة وَالأُخْرَوِيَّة ثَبَّتَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإيَّاكُمْ عَلى ذَلكَ بحُرْمَة سَيِّد المُرْسَلينَ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، (ع):

هَذَا هُوَ الأَمْرُ وَالبَاقي منَ العَبَث

وَمَاذَا يُفْتَحُ مِنْ تُرَّهَات الصُّوفيَّة وَمَاذَا يَزيدُ مِنْ أَحْوَالهِمْ لاَ يُشْتَرَى الوَجْدُ وَالحَال هُنَاكَ بنِصْف شَعِيرَة مَا لَمْ يُوزَنْ بميزَان الشَّرْعِ وَلاَ تُسَاوِي الإلهامَاتُ نِصْفَ شَعْرَة مَا لَمْ تُعْرَضْ لمحَكِّ الكِتَاب وَالسُّنَّة وَالمَقْصُودُ مِنْ سُلوك طَرِيقِ الصُّوفيَّة ازْديَادُ اليَقِينِ بالمُعْتَقَدَات الشَّرْعيَّة التي هُوَ حَقيقَةُ الإيمَان وَحُصُول اليُسْر أَيْضًا في أَدَاء الأَحْكَامِ الفقْهيَّة لاَ إنَّهُ أَمْرٌ آخَرُ وَرَاءَ ذَلكَ فَإنَّ الرُّؤْيَةَ الأُخْرَوِيَّةَ إنَّمَا هِيَ فِي الآخرَة وَلَيْسَتْ بوَاقعَة فِي الدُّنْيَا البَتَّةَ وَالمُشَاهَدَاتُ وَالتَّجَليَاتُ التي الصُّوفيَّةُ مَسْرُورُونَ بهَا سُكُونٌ إلى الظِّلاَم وَاطْمئْنَانٌ بهَا وَتَسَلٍّ بالشَّبَه وَالمثَال وَهُوَ تَعَالى وَرَاءَ الوَرَاء وَيَا عَجَبًا مِنْ هَذه المُعَامَلة لوْ قيلَ لهُمْ حَقيقَةُ المُشَاهَدَات وَالتَّجَليَات كَمَا هِيَ لَيَخَافَ مِنْ وُقُوعِ الفُتُورِ فِي طَلَب مُبْتَدئ هَذَا الطَّرِيقِ وَحُصُول القُصُورِ فِي شَوْقهِمْ وَإنْ

سَكْتَ عَنْهَا مَعَ وُجُودِ العلمِ بِهَا يَخَافُ أَيْضًا مِنَ التبَاسِ الحَقِّ بالبَاطل يَا دَليل المُتَحَيِّرِينَ دُلني بِحُرْمَة مَنْ جَعَلَتَهُ رَحْمَةً للعَالَمِينَ - عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلوَاتُ والتَّسْليماتُ - فَإِنْ أَخْبَرْتُمْ بكَيْفيَّات الأَحْوَال أَحْيَانًا لكَانَ مُوجبًا لازْدِيَاد المَحَبَّة.

{وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[1] وَالتزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى آله أَفْضَل الصَّلوَاتِ وَأَكْمَل التسليمات وَأَجْزَل التَّحيَّات.

(١) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالمائَتَان

إلى الشَّيْخ مُحَمَّد صَادق وولده الأَرْشَد

فِي جوَاب سُؤاله عَنْ رُؤْيَة السَّالك نَفْسَه أَحْيَانًا فِي مَقَامَات الأَنْبِيَاء عَلَيْهم السَّلاَمُ وَأَحْيَانًا فوْقَ ذَلكَ

قَدْ سَأَل وَلدي أَنَّ بَعْض سالكي هَذَا الطَّرِيق يَجدُ نَفْسَه أَحْيَانًا فِي مَقَامَات العُرُوجِ فِي مَقَامَات الأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ الصَّلوَاتُ والتسليماتُ بَل يُحسُّ فِي بَعْضِ الأَوْقَات أَنَّهُ عَرَجَ إِلَى مَا فَوْقَ هَذَا المَقَام فَمَا سرُّ هَذَا المَعْنَى وَالحَال أَنَّ منَ المُقَرَّر وَالمُجْمَعِ عَلَيْه أَنَّ الفَضْل للأَنْبياء - عَلَيْهم الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَالأَوْلِيَاءُ إِنَّمَا يَجدُون مَا يَجدُونَ وَإِلَى كَمَالات الوِلاَيَة يَصلونَ بسَبَب مُتَابعَتهمْ وَالجَوَابُ أَنَّ تلكَ المَقَامَات التي هيَ للأَنْبيَاء عليهم السَّلاَمُ لَيْسَتْ هيَ نِهَايَةُ مَقَامَات عروجاتهم بَل كَانَ عُرُوجُ هَؤُلاَء العظَام إِلَى مَا فَوْقَ تلكَ المَقَامَات بمَرَاتبَ فَإِنَّ تلكَ المَقَامَات عبَارَاتٌ عَنِ الأَسْمَاء الإِلهيَّة - جَل سُلطَانُهُ - التي هيَ مَبَادئُ تعيناتهم وَوَسَائل فَيضَان الفيُوضِ منْ حضرات الذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ فَإِنَّهُ لاَ مُنَاسبَةَ بَيْنَ حَضْرَة الذَّات وَالعَالم بدُون تَوَسُّط الأَسْمَاء أَصْلاً وَلاَ نسْبَةَ بَيْنَهُمَا سوَى الاسْتغْنَاء وَالاحْتيَاجِ قَطْعًا إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ العَالمينَ وَاللهُ الغَنيُّ وَأَنْتُمْ الفُقَرَاءُ شَاهدٌ لهَذَا المَعْنَى فَإِذَا نَزَل هَؤُلاَء الأَكَابرُ منْ مَرَاتب العُرُوجِ مُقْتَبسينَ الأَنْوَارَ الفَوْقَانيَّة إِلَى هَذه الأَسْمَاء التي لهَا شَبَهٌ بإحيازهم الطَّبيعَةَ فِي مَرَاتب العُرُوجِ عَلَى تَفَاوُت دَرَجَاتهمْ ويتوطَّنون فيهَا وَلهَذَا لوْ طَلَبَهُمْ شَخْصٌ بَعْدَ اسْتقْرَارهمْ يَجدُهُمْ فِي تلكَ الأَسْمَاء فَعَلى الاسْتعْدَاد المُتَوَجّه نَحْوَ حَضْرَة الذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ لاَ بُدَّ لَهُ منْ أَنْ يَصل إِلَى تلكَ الأَسْمَاء وَقْتَ العُرُوجِ وَأَنْ يُجَاوزَهَا إِلَى مَا فَوْقَهَا ثُمَّ وَثُمَّ إِلَى مَا شَاءَ اللهُ تَعَالَى وَلكنْ إِذَا نَزَل هَذَا السَّالكُ منْ فَوْق وَوُصُول إِلَى الاسْمِ الذي هُوَ مبدأُ تَعَيُّنِ وَجُوده يَكُونُ ذَلكَ الاسْمُ أَسْفَل منَ الأَسَامي التي هيَ مَقَامَات الأَنْبيَاء - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - أَلْبَتَّةَ وَهَهُنَا يَظْهَرُ تَفَاوُتُ المَقَامَات التي هيَ مَنَاطُ الأَفْضَليَّة فَكُل منْ كَانَ مَقَامُه أَعْلى فَهُوَ أَفْضَل وَمَا لَمْ يَرْجعِ السَّالكُ إِلَى اسْمه وَلَمْ يَجدْ اسْمَه أَسْفَل منْ أَساميهم لاَ يَعْرفُ أَفْضَليَّتَهمْ بطَرِيق الذَّوْق وَالحَال بَل يَقُول بِأَفْضَليَّتهمْ بالتَّقْليد وَيَحْكُمُ بِأَوْلويَّتهمْ باليَقين السَّابق وَلَكنَّ وجْدَانَهُ مُكَذّبٌ لحُكْمه وَفي هَذَا الوَقْت يَلزَمُ الالتجَاءُ وَالتَّضَرُّعُ إِلَى الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَإِظْهَارُ العَجْز وَالانْكسَار لَهُ تَعَالَى ليَظْهَرَ لَهُ مَا هُوَ حَقيقَةُ الحَال وَهَذَا المَقَامُ منْ مَزَال أَقْدَام السَّالكينَ وَلنُوَضّحَ هَذَا

الجَوَابَ بمثَال قَال أَرْبَابُ المَعْقُول إنَّ الدُّخَانَ مُركَّبٌ منَ الأَجْزَاء الأَرْضيَّة وَالأَجْزَاء النَّاريَّة فَإذَا صَعدُ الدُّخَان تَصْعَدُ الأَجْزَاءُ الأَرْضيَّةُ بمُصَاحَبَة الأَجْزَاء النَّاريَّة إلى الجهَة الفوْقَانيَّة وَتَعرُجُ منْ مَحلهَا بحُصُول قسْر قَاسر قَالوا: إذَا كَانَ الدُّخَانُ قَويًّا يَكُونُ عُرُوجُه إلى كُرَة النَّار وَتَصل الأَجْزَاءُ الأَرْضيَّةُ في هَذَا الصُّعُود إلى مَقَامَات الأَجْزَاء المَائيَّة وَالهَوَائيَّة التي لهَا التَّفوُّقُ عَليْهَا بالطَّبْع ثُمَّ تَعرُجُ منْهَا صَاعدَةً إلى مَا فَوْقَهَا ففى هَذه الصُّورَة لاَ يُمْكنُ أَنْ نَقُول إنَّ رُتْبَةَ الأَجْزَاء الأَرْضيَّة أَعْلى منْ رُتْبَة الأَجْزَاء الهَوَائيَّة فَإنَّ ذَلكَ التَّفوُّقَ وَالاسْتعْلاَءَ إنَّمَا كَانَ باعْتبَار قَسْر القَاسر لاَ باعْتبَار الذَّات فَإذَا هَبَطَتْ تلكَ الأَجْزَاءُ الأَرْضيَّةُ بَعْدَ وُصُولهَا إلى كُرَة النَّار وَاسْتَقرَّتْ في مَرْكَزهَا الطبيعيِّ يَكُونُ مَقَامُهَا أَسْفَل منْ مَقَام المَاء وَالهَوَاء أَلبَتَّةَ ففيمَا نَحْنُ فيه إنَّ عُرُوجَ هَذَا السَّالك منْ تلكَ المَقَامَات كَانَ باعْتبَار قَسْر القَاسر وَذَلكَ القَاسرُ هُوَ إفْرَاطُ حَرَارَة المَحبَّة وَقُوَّةُ جَذْب العشْق وَأَمَّا باعْتبَار الذَّات فَمَقَامُه تَحْتَ تلكَ المَقَامَات وَهَذَا الجَوَابُ الذي ذَكَرْنَاهُ مُنَاسبٌ لحَال المُنْتَهى وَأَمَّا إذَا وَقَع هَذَا التَّوَهُّمُ في الابْتدَاء وَوَجَدَ السَّالكُ نَفْسَه في مَقَامَات الأَكَابر فَوَجْهُهُ أَنَّ لكُل مَقَام ظلاً وَمثَالاً في الابْتدَاء وَالتَّوَسُّط فَإذَا وَصَل المُبْتَدئُ أَوْ المُتَوَسِّطُ إلى ظلالهَا يَتَخَيَّل أَنَّهُ قَدْ وَصَل إلى حَقيقَة تلكَ المَقَامَات وَلاَ يَقْدرُ أَنْ يُفرِّقَ بَيْنَ الظّلال وَالحَقَائق وَكَذَا الشُّبَهُ وَالمثَال فَإذَا وَجَدَ الأَكَابرُ في ظلال مَقَامَاتهمْ يَتَخَيَّل لهُ أَنَّهُ قَدْ حَصَل الشَّركَةُ مَعَ الأَكَابر في المَقَامَات وَلَيْسَ كَذَلكَ بَل فيه اشْتبَاهُ ظل شَيْء بنَفْس الشَيْء اللهُمَّ أَرنَا الحَقَائقَ كَمَا هيَ وَجَنِّبْنَا عَن الاشْتغَال بالمَلاَهي بحُرْمَة سَيِّد الأَوَّلينَ وَالآخرينَ عَليْه وَعَلى آله أَتَمُّ الصَّلوَات وَأَكْمَل التسليمات.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالمائَتَان
إلى المير مُحَمَّد نُعْمَانَ البدخشي
في حَل بَعْضِ عبَارَات رِسَالة المَبْدَأ وَالمَعَاد المُغْلقَة
وَبَعْضِ عبَارَات أُخرَ جَوَابًا لمَكْتُوبه وَبَيَانًا بِضَرُوريَّات الطَّريقَة

الحَمْدُ لله رَبِّ العَالمينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلى سَيِّد المُرْسَلينَ وَآله الطَّاهِرينَ أجْمَعينَ:

المَطْلوبُ كَوْنُ الأخِ الأعَزِّ السَّيِّد مُحَمَّد نُعْمَانَ عَلى الجَمْعيَّة وَأَحْوَال هَذه الحُدُود مُسْتَوْجبَةٌ للحَمْد، وَقَدْ كُنْتُ سَأَلتَ أنْتَ وَأخي الخواجة مُحَمَّد أشْرَفَ وَقْتَ الوَدَاعِ فِي سَرَايَة فَرْخ عَنْ مَعْنَى هَذه العبَارَة الوَاقعَة في رِسَالة المَبْدَأ وَالمَعَاد وَلَمَّا لَمْ تَكُنْ في الوَقْت سعَةٌ وَمُسَاعَدَةٌ بَقيَ الجَوَابُ مَوْقُوفًا، وَالآنَ قَدْ وَقَعَ فِي الخَاطر أنْ أكْتُبَ فِي حَل تلكَ العبَارَة شَيْئًا يَكُونُ مُوجبًا لتَشَفِّي صُدُور الأحْبَاب وَالعبَارَةُ هيَ هَذه، وَبَعْدَ ألف سَنَة وَبضْع سنينَ منْ رحْلة النَّبيِّ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَجيءُ زَمَانٌ تَعرُجُ فيه الحَقيقَةُ المُحَمَّديَّةُ عَنْ مَقَامهَا وَتَتَّحدُ بحَقيقَة الكَعْبَة فَحينَئذ يَحْصُل للحَقيقَة المُحَمَّديَّة اسْمُ الحَقيقَة الأحْمَديَّة وَتَصيرُ مَظْهَرًا للذَّات الأحَدِ - جَل سُلطَانهَا - وَكُل منَ الاسْمَيْن المُبَارَكَيْن يَتَحَقَّقُ بالمُسَمى، وَيَبْقَى المَقَامُ السَّابقُ خَاليًا عَن الحَقيقَة المُحَمَّديَّة إلى زَمَنِ نُزُول عيسَى عَلى نَبيِّنَا و عَليْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَيَعْمَل بالشَّريعَة المُحَمَّديَّة ففي ذَلكَ الوَقْت تَعرُجُ الحَقيقَةُ العيسويَّةُ عَنْ مَقَامهَا وَتَسْتَقرُّ في مَقَام الحَقيقَة المُحَمَّديَّة الذي بَقيَ خَاليًا اهـ.

يَنْبَغي أَنْ يُعْلمَ أَنَّ حَقيقَةَ شَخْص، عبَارَةٌ عَن التَّعَيُّن الوجوبي الذي تَعَيَّنَ ذَلكَ الشَّخْصُ الإمكانيُّ ظل ذَلكَ التَّعَيُّن، وَذَلكَ التَّعَيُّنُ الوجوبيُّ اسْمٌ منَ الأسْمَاء الإلهيَّة - جَل شَأْنُهُ - كَالعَليم وَالقَدير وَالمُريد وَالمُتَكلمِ وَأَمْثَالهَا، وَذَلكَ الاسْم الإلهيُّ رَبُّ ذَلكَ الشَّخْصِ وَمَبْدَأُ فَيَضَان وُجُوده وَتَوَابعِ وَجُوده، وَلهَذَا الاسْمِ بالنِّسْبَة إلى حَضْرَة الذَّات مَرَاتبُ شَتَّى، حَيْثُ يُطْلَقُ هَذَا الاسْمُ في مَرْتَبَة الصِّفَة التي وُجُودُهَا زَائد عَنْ وُجُود الذَّات، وَيُصدَّقُ أيْضًا في مَرْتَبَة الشَّأْن الذي زيَادَتُه عَنِ الذَّات بمُجَرَّد الاعْتبَارِ وَالفَرْقُ بَيْنَ الصِّفَة وَالشَّأْن قَدْ ذُكرَ بالتَّفْصيل في المَكْتُوب الذي حُرِّرَ في بَيَان السُّلوك وَالجَذْبَة فَإنْ كَانَ فيه خَفَاءٌ وَاشْتبَاهٌ فَليُرَاجَعْ هُنَاكَ.

وَلاَ شَكَّ أَنَّ حُصُول الشَّأْن وَلوْ كَانَ مُجَرَّدَ اعْتبَارِ وَلكنْ يَقْتَضي أنْ يَكُونَ فَوْقَهُ مَعْنَى آخرُ زَائدٌ مُنَاسبٌ لهَذَا الشَّأْن، يَكُونُ مَبْدَأً لوُجُوده الاعتباريِّ فَيَحْصُل

أَيْضًا، وَلكِنْ القُوَّةُ البَشَرِيَّةُ عَاجِزَةٌ عَنْ ضَبْطه، وَهَذَا الفَقِيرُ قَليل البضَاعَة قَدْ تَجَاوَزَ إِلى مَرْتَبَة أُخْرَى وَلكِنْ لاَ نَصِيبَ لَهُ مِمَّا فَوْقَهَا غَيْرَ الاسْتِهْلاَكِ وَالاضْمِحْلال وَفَوْقَ كُل ذي عِلمٍ عَلِيمٌ. شعْرٌ.

هَنيئًا لأَرْبَاب النَّعيم نَعيمُهَا وَللعَاشق المسْكين مَا يَتَجرَّعُ

وَتَفَاضُل أَقْدَامِ أَهْلِ الله بَعْضهَا عَلى بَعْضٍ، وَتَفَاوُتُهَا إِنَّمَا هُوَ بِاعْتِبَارِ طَيِّ هَذه المَرَاتب الشَّتَّى عَلى تَفَاوُت الاسْتعْدَادَات وَالقَابليَّات، وَالوَاصِلونَ إِلى نَفْسِ الاسْمِ قَليلونَ منَ الأَوْليَاء فَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ وَاصلونَ إِلى ظل منْ ظلال ذَلكَ الاسْم بَعْدَ أَنْ عَرَجُوا منَ المَرَاتب الإمْكَانيَّة بِأَسْرهَا بطَريق السَّيْر وَالسُّلوك التفصيليِّ، وَقَدْ يُتَوَهَّمُ الوُصُول إِلى ذَلكَ الاسْم في طَريق الجَذْبَة الصِّرْفَة أَيْضًا لَكنَّهُ لاَ يُعْتَبَرُ وَلاَ يُعْتَدُّ به، وَالذينَ عَرَجُوا منْ ذَلكَ الاسْم وَقَطَعُوا المَرَاتبَ المُتَفَاوتَةَ قلتْ أَوْ كَثُرَتْ فَهَؤُلاَء أَقَل قَليل منْهُمْ.. وَلنَرْجعْ إِلى أَصْل الكَلاَم وَنَقُول كَمَا أَنَّ حَقيقَةَ الشَّخْص تُطْلقُ عَلى التَّعَيُّن الوجوبيِّ كَذَلكَ يُطْلقُ عَلى تَعَيُّنه الإمكانيِّ. فَإذَا عَلمْتَ هَذه المُقَدِّمَات أَقُول إنَّ مُحَمَّدًا رَسُول الله ﷺ مُرَكَّبٌ منْ عَالمِ الخَلقِ وَعَالمِ الأَمْرِ كَتَرَكُّب كَافَّة الأَنَام منْهُمَا، وَالاسْمُ الإلهيُّ الذي هُوَ رَبٌّ عَالم خَلقه شَأْنُ العَليم، وَالذي يُرَبِّي عَالمَ أَمْره المَعْنَى الذي هُوَ مَبْدَأُ وُجُود ذَلكَ الشَّأْن الاعتباريِّ كَمَا مَرَّ.. وَالحَقيقَةُ المُحَمَّديَّةُ عبَارَةٌ عَنْ شَأْن العَليم، وَالحَقيقَةَ الأَحْمَديَّةُ كنَايَةٌ عَنْ ذَلكَ المَعْنَى - الذي هُوَ مَبْدَأُ ذَلكَ الشَّأْن - وَحَقيقَةُ الكَعْبَة السبحَانية هيَ أَيْضًا عبَارَةٌ عَنْ ذَلكَ المَعْنَى، وَالنُّبُوَّةُ التي كَانَتْ حَاصلةً لنَبيِّنَا قَبْل خَلق آدَمَ - عَلَيْهمَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - كَمَا أَخْبَرَ عَنْهَا النَّبيُّ ﷺ حَيْثُ قَال: كُنْتُ نبيًا وَآدَمُ بَيْنَ المَاء وَالطِّين. كَانَتْ باعْتبَار الحَقيقَة الاحمدية التي لهَا تَعَلقٌ بعَالم الأَمْر وَبهَذَا الاعْتبَار بَشَّر عيسَى عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ حَيْثُ كَانَ كَلمَةً لله تَعَالى وَكَانَتْ مُنَاسَبَتُه بعَالم الأَمْر أَزْيَدَ بقُدُوم نَبيِّنَا - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - بَاسم أَحْمَدَ حَيْثُ قَال: {وَمُبَشِّرًا برَسُول يَأْتي منْ بَعْدي اسْمُهُ أَحْمَدُ}.

وَالنُّبُوَّةُ التي لهَا تُعَلقُ بالنَّشْأَة العُنْصُريَّة إنَّمَا هيَ باعْتبَار الحَقيقَة المُحَمَّديَّة بَل باعْتبَار الحَقيقَتَيْنِ وَرَبُّهُ في هَذه المَرْتَبَة ذَاكَ الشَّأْنُ وَمَبْدَؤُهُ. وَلهَذَا كَانَتْ دَعْوَةُ هَذه المَرْتَبَة أَتَمَّ منَ المَرْتَبَة السَّابقَة فَإنَّ دَعْوَتَهُ في تلكَ المَرْتَبَة كَانَتْ مَخْصُوصَةً بعَالم أَمْره، وَتَرْبيَتُهُ كَانَتْ مَقْصُورَةً عَلى الرُّوحَانيِّينَ وَفي هَذه المَرْتَبَة دَعْوَتُه شَاملةٌ للخلق

وَالأَمْر، وَتَرْبِيَته مُشْتَملةٌ عَلى الأَرْوَاحِ وَالأَجْسَامِ غَايَةُ مَا فِي البَاب أَنَّ نَشْأَتَهُ العُنْصُرِيَّةَ كَانَتْ فِي هَذه النَّشْأَة غَالبَةً عَلى نَشْأَته المَلكيَّة - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَذَلكَ لتَحْصُل زِيَادَةُ الُمنَاسَبَة بالخَلاَئق - التي هِيَ سَبَبُ الإِفَادَة وَالاسْتفَادَة - فَإِنَّ جَانبَ البَشَرِيَّة غَالبٌ فيهِمْ، وَلهَذَا أَمرَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ حَبيبَه الأَكْرَمَ ﷺ بإظْهَار بَشَرِيَّته بآكَد الوُجُوه حَيْثُ قَال: {قُل إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مثْلكُمْ} - الآيَة - وَإِتْيَانُ لفْظ مثْلكُمْ لتَأْكيد البَشَرِيَّة وَبَعْدَ ارْتحَاله ﷺ منَ النَّشْأَة العُنْصُرِيَّة غَلبَ جَانبُهُ الروحانيُّ، وَأَخذَتْ مُنَاسَبَتُه البَشَرِيَّةُ فِي النُّقْصَانِ وَظَهرَ التَّفَاوُتُ فِي نُورَانيَّة الدَّعْوَة، قَال بَعْضُ الأَصْحَاب الكرَامِ: "وَجَدْنَا التَّفَاوُتَ فِي قُلوبنَا وَلمْ نَفْرَغْ بَعْدُ منْ دَفْنه ﷺ" نَعمْ قَدْ تَبَدَّل الإِيمَانُ الشهوديُّ بالإِيمَان الغيبيِّ، وَانْجَرَّتْ المُعَامَلةُ منَ العيَان إِلى السَّمَاعِ وَلمَّا مَضَتْ منْ رِحْلته ﷺ أَلفُ سَنَة وَهيَ مُدَّةٌ مَديدَةٌ وَأَزْمنَةٌ مُتَطَاولةٌ يَعْني وَلهَا تَأْثيرٌ فِي تَغَيُّر الأُمُور العظَام وَتَبَدُّلهَا. غَلبَ جَانب رُوحَانيَّته عَلى نَهْجٍ جَعَل جَانبَ بَشَرِيَّته مُتَلوِّنًا بلوْنه بالتَّمَام، وَصُيِّرَ عَالمُ الخَلق مُنْصَبغًا بصَبْغ عَالمِ الأَمْر، فَمَا كَانَ منْ عَالمِ خَلقه ﷺ رَاجعًا إِلى حَقيقَته، يَعْني الحَقيقَةَ المُحَمَّديَّةَ عَرَّجَ إِلى الحَقيقَة الأَحْمَديَّة وَالتَحَقَ بهَا بالضَّرُورَة وَاتَّحَدَتْ الحَقيقَةُ المُحَمَّديَّةُ بالحَقيقَة الأَحْمَديَّة. وَالمُرَادُ بالحَقيقَة الأَحْمَديَّة وَالحَقيقَة المُحَمَّديَّة هُنَا تَعَيُّنُهُ الخُلقيُّ والأَمريُّ الإِمْكَانيَّان لاَ الوجوبيُّ الذي تَعَيُّنُهُ الإِمكَانيُّ ظلهُ فَإِنَّهُ لاَ مَعْنَى لعُرُوجِ التَّعَيُّنِ الوجوبيِّ وَلاَ يَتَعَلقُ الاتِّحَادُ بذَلكَ التَّعَيُّنِ فَإِذَا نَزَل - عيسَى عَلى نَبيِّنَا وَ عَليْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَاتَّبَعَ شَرِيعَةَ خَاتَمِ الرُّسُل - عَليْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - يَعْرُجُ عَنْ مَقَام نَفْسه وَيَصل إِلى مَقَام الحَقيقَة المُحَمَّديَّة بالتَّبَعيَّة وَيُقَوي دينَهُ - عَليْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ -.

وَمنْ هَهُنَا يُنْقَل عَنْ شَرَائعِ مَنْ قَبْلنَا أَنَّهُ كُلمَا تَقَادَمَ العَهْدُ برَسُول منَ الرُّسُل أُولي العَزْمِ بأَنْ قَضَى أَلفَ سَنَة منَ ارْتحَاله، كَانَ يَبْعَثُ منَ الأَنْبيَاء الكرَامِ وَالرُّسُل العظَام مَنْ يُقَوي شَرِيعَةَ ذَلكَ النَّبيِّ وَيُعْلي كَلمَتَه. فَإِذَا تَمَّتْ دَوْرَةُ دَعْوَته كَانَ يَبْعَثُ غَيْرَهُ منْ أُولي العَزْمِ وَيُجَدِّدُ شَرِيعَةَ نَفْسه، وَلمَّا كَانَتْ شرِيعَة خَاتَمِ الرُّسُل عَليْه وَ عَليْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مَحْفُوظَةً منَ النَّسْخِ وَالتَّبْديل أُعْطيَ عُلمَاء أُمَّته حُكْمَ الأَنْبيَاء وَفَوَّضَ إِليْهمْ أَمْرَ تَقْويَة الشَّرِيعَة وَتَأْييد الملة، وَمَعَ ذَلكَ تُرَوَّجُ شَرِيعَتُه بجَعْل وَاحد منَ الرُّسُل أُولي العَزْمِ مُتَّبعًا لهُ قَال اللهُ تَعَالى: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لهُ لحَافظُونَ".

اعْلَمْ أَنَّ الأَوْلِيَاءَ الذينَ يُظْهرُونَ منْ أُمَّته ﷺ بَعْد مُضي أَلف سَنَة منَ ارْتحَاله ﷺ يَكُونُونَ أَكْمَل. وإنْ كَانُوا أَقَل ليَحْصُل تَقْوِيَةُ الشَّريعَة عَلَى الوَجْه الأَتَمِّ، وَلهَذَا يَكُونُ مجيءُ المَهْدي الذي بَشَّرَ خَاتَمُ الرُّسُل عَلَيْه وَ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بقُدُومه المُبَارَك بَعْد مُضي أَلف سَنَة وَكَذَلكَ عيسَى - عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - يَنْزل بَعْدَ أَلف سَنَة. وَبالجُمْلة إنَّ كَمَالات أَوْليَاء هَذه الطَّبَقَة شَبيهَةٌ بكَمَالات الأَصْحَاب الكرَامِ عَلَيْهِمُ الرِّضْوَانُ وَإنْ كَانَ الفَضْل بَعْدَ الأَنْبيَاء - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - للأَصْحَاب الكرَام وَلكنْ يَكَادُ لاَ يُفَضَّل أَحَدُهمَا عَلَى الآخَرِ منْ كَمَال التَّشَابُه. وَلعَل النَّبيَّ ﷺ قَال لأَجْل هَذَا: "أُمَّتي مثْل المَطَرِ لاَ يُدْرَى أَوَّله خَيْرٌ أَمْ آخرُه".

وَلَمْ يَقُل: لاَ أَدْري أَوَّلهمْ خَيْرٌ أَمْ آخرُهمْ، لعلمه بحَال كُل منَ الفَريقَيْنِ وَلهَذَا قَال: "خَيْرُ القُرُون قَرْني" وَلكنْ لَمَّا كَانَ منْ كَمَال التَّشَابُه مَحَل تَرَدُّد يَعْني في تَفْضيل أَحَدهمَا عَلى الآخَرِ بالنِّسْبَة إلى غَيْره ﷺ قَال: "لاَ يُدْرَى".

فَإنْ قيلَ: قَدْ حَكَمَ النَّبيُّ ﷺ بخَيْريَّة قَرْن التَّابعينَ بَعْدَ قَرْن الصَّحَابَة، وَخَيْريَّة قَرْن تَبَع التَّابعينَ بَعْدَ قَرْن التَّابعينَ، فَتَكُونُ خَيْرِيَّةُ هَذَيْن القَرْنَيْنِ منْ هَذه الطَّبَقَة أَيْضًا مُتَيَقنَةً فَمَا يَكُونُ تَشَابُهُ هَذه الطَّبَقَة بالأَصْحَاب الكرَام في الكَمَالات أُجيبُ يُمْكنُ أَنْ تَكُونَ خَيْريَّةُ هَذَيْن القَرْنَيْن منْ هَذه الطَّبَقَة باعْتبَار كَثْرَة ظُهُور أَوْليَاء الله تَعَالى وَقلة وُجُود أَهْل البدْعَة وَنُدْرَة أَرْبَاب الفسْق وَالمَعْصيَة فيهمَا وَهَذَا لاَ يُنَافي كَوْنَ الأَفْرَاد منْ أَوْليَاء هَذه الطَّبَقَة خَيْرًا منْ أَفْرَاد أَوْليَاء ذينك القَرْنَيْنِ كَحَضْرَة المَهْديِّ مَثَلاً. شعْرٌ.

لوْ نَال منْ فَيْضِ رُوحِ القُدُس من مدد غيْر المَسيحِ ليَصْنَعَ مثْل مَا صَنَعَا

وَلكنْ قَرْنُ الأَصْحَاب خَيْرٌ منْ جميعِ الوُجُوه وَالتَّكَلمُ فيه منَ الفُضُول فَإنَّ السَّابقينَ سَابقُونَ في جَنَّات النَّعيم وَهُمُ المُقَرَّبُونَ، لاَ يَبْلغُ أَنْفَاقَ غَيْرِهمْ مثْل جَبَل ذَهَبًا إنْفَاقُهمْ مُدَّ شَعير وَاللهُ يَخْتَصُّ برَحْمَته مَنْ يَشَاءُ.

وَيَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ اتَّضَحَ منَ البَيَان السَّابق مَعْنَى عبَارَة رسَالة المَبْدَأ وَالمَعَاد، التي سَطَّرْتُ فيهَا فَوْقَ العبَارَة المَذْكُورَة منْ أَنَّ حَقيقَةَ الكَعْبَة الرَّبَّانيَّة صَارَتْ مسجودًا إلَيْهَا للحَقيقَة المُحَمَّديَّة، فَإنَّ حَقيقَةَ الكَعْبَة الرَّبَّانيَّة هِيَ بعَيْنهَا

الحَقِيقَةُ الأَحْمَدِيَّةُ التي الحَقِيقَةُ المُحَمَّدِيَّةُ ظِلهَا فِي الحَقِيقَة، فَتَكُونُ مَسْجُودًا إِلَيْهَا للحَقِيقَة المُحَمَّدِيَّة بالضَّرُورَة.

فإنْ قِيل: إنَّ الكَعْبَةَ قَدْ تَذْهَبُ لطَوَاف أَوْلِيَاء الأُمَّة وَتَتَبَرَّكُ بهِمْ، فَكَيْفَ يَكُونُ لحَقِيقَتهَا تَقدُّمٌ عَلى الحَقِيقَة المُحَمَّدِيَّة وَكَيْفَ يَجُوزُ هَذَا المَعْنَى. أُجِيبُ أَنَّ الحَقِيقَةَ المُحَمَّدِيَّةَ نِهَايَةُ مَقَامَات نُزُول مُحَمَّد ﷺ منْ أَوْجِ التَّنْزِيه وَذرْوَة التَّقْديس، وَحَقِيقَةُ الكَعْبَة نِهَايَةُ مَقَامَات عُرُوجِ الكَعْبَة، وَأَوَّل مَرْتَبَة تَعْرُجُ إِلَيْهَا الحَقِيقَةُ المُحَمَّدِيَّةُ منْ مَرَاتب التَّنْزِيه هِيَ حَقِيقَةُ الكَعْبَة وَلاَ اطِّلاَعَ عَلى نِهَايَة مَرَاتب عُرُوجهَا لأَحَد غَيْرِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ، وَحَيْثُ كَانَ لكَمَل أَوْلِيَاء أُمَّته - عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - نَصِيبٌ تَامٌّ منْ عروجاته ﷺ فَمَا العَجَبُ أَنْ تَمَنَّتْ الكَعْبَةُ منْ بَرَكَات هَؤُلاَء الأَكَابر. شعْرٌ.

عَلاَ فَوْقَ السَّمَاء وَليدُ أَرْض ... وَخَلفَ خَلفه زَمَنًا وَأَرْضًا

وَانْحَلتْ أَيْضًا عبَارَةٌ أُخْرَى منْ هَذه الرِّسَالة الوَاقعَة فِي هَذَا المَقَامِ وَهِيَ هَذه كَمَا أَنَّ صُورَةَ الكَعْبَة مَسْجُودٌ إِلَيْهَا لصُوَر الأَشْيَاء.. كَذَلكَ حَقِيقَةُ الكَعْبَة مَسْجُودٌ إِلَيْهَا لحَقَائق الأَشْيَاء فَإِنَّهُ قَدْ عُلمَ منَ المُقَدِّمَات السَّابقَة أَنَّ حَقَائقَ الأَشْيَاء عبَارَاتٌ منَ الأَسْمَاء الإلهيَّة - جَل سُلطَانُهُ - التي هِيَ مَبَادي فَيَضَان وُجُودهمْ، وَتَوَابِع وُجُودهمْ، وَحَقِيقَةُ الكَعْبَة فَوْقَ تلكَ الأَسْمَاء. فَلاَ جَرَمَ تَكُونُ حَقِيقَةُ الكَعْبَة مَتْبُوعَةً لحَقَائق الأَشْيَاء أَلبَتَّةَ. نَعَمْ إذَا وَقَعَ سَيْرُ كَمَل الأَوْلِيَاء فَوْقَ حَقِيقَة الكَعْبَة ثُمَّ نَزَلوا إلى مَرَاتب حَقَائقهمُ الشَّبِيهَة بإحيازهم الطَّبِيعيَّة فِي مَرَاتب العُرُوجِ مُقْتَبسينَ للأَنْوَار الفَوْقَانيَّة تَتَوَقَّعُ الكَعْبَةُ منْهُمُ البَرَكَاتُ كَمَا مَرَّ آنفًا.

وَأَيْضًا قَدْ حَرَّرْتُ فِي رِسَالة المَبْدَأ وَالمَعَاد فقْرَات فِي بَيَان أَفْضَليَّة الأَنْبِيَاء أُولي العَزْمِ صَلوَاتُ الله وتسليماته تَعَالى عَلَيْهِمْ وَمَعْنَى أَفْضَليَّة بَعْضهم عَلى بَعْض، وَلمَّا كَانَ مَبْنَاهَا عَلى الكَشْف وَالإلهَامِ اللذَيْن يُفيدَان الظَّنَّ كُنْت نَادمًا عَلى كتَابتي إيَّاهَا، وَالتَّفْرقَة وَالتَّحَكُّمِ فِي التَّفَاضُل، وَمُسْتَغْفرًا منْهَا، فَإِنَّ التَّكَلمَ فِي هَذَا البَاب بلاَ دَليل قطعيٍّ لاَ يَجُوزُ. أَسْتَغْفرُ الله وَأَتُوبُ إلى الله منْ جَميع مَا كَرهَ اللهُ قَوْلاً وَفعْلاً وَكَتَبْتُ فِي مَكْتُوبك بأَنِّي كُنْتُ سُئلتُ فِي سراى فَرْخ أَنَّ تَعْليمَ الطَّرِيقَة للطَّالبينَ هَل هُوَ مَرْضيٌّ بالنِّسْبَة إليَّ أَوْ لاَ. فَقُلتُ فِي الجَوَاب لاَ آهـ مَا بَقيَ فِي خَاطرِ الفَقيرِ صُدُورُ النَّفْيِ بَل قُلتُ مَشْرُوطٌ بالشَّرَائط ليْسَ بمَرْضيٍّ مُطْلقًا. وَالآنَ

يَنْبَغي أن تَعْلمَهَا عَلى ذَلكَ الوَجْه المَذْكُور، وَيَنْبَغي أَنْ تَحْتَاطَ فِي رِعَايَة الشُّـــرُوط وَرِعَايَة الاحْتيَاط دُونَ المُسَاهَلة، وَمَا لَمْ يَحْصُل اليَقينُ فِي التَّعْليم بِالاسْـــتخَارَات لاَ يَنْبَغي الإِقْدَامُ عَلى التَّعْليم وَدَل أَخَانَا وَمَوْلاَنَا يار مُحَمَّد القَديم عَلـــى هَـــذَا وَأَكّدَ عَلَيْه فِي تَرْكِ الاسْتعْجَال فِي تَعْليمِ الطَّرِيقَة لَيْسَ المَقْصُودُ تَوْسيعَ الدُّكَّان، بَل يَنْبَغي مُلاَحَظَةُ مَرْضِيِّ الحَقِّ سُبْحَانَهُ، وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الاخْتبَارُ. وَأَيْضًا أَنَّـــك كُنْـــت مُتَأَذِّيًا مِنْ مُسْتَرْشَديك وَمُنْحَرِفًا عَنْهُمْ يَنْبَغي لك التأذِّي وَالانْحرَافُ مِنْ وَضْـــعك وَصُنْعك، فَإِنَّك تُعَاشرُهُمْ عَلى نَهْجٍ تَكُونُ عَاقبَتُهَا أَذيَّةً ألبتة وَقَدْ قَـــالوا: "يَنْبَغـــي للشَّيْخِ أَنْ يَتَحَمَّل للمُرِيد لاَ أَنَّهُ يَفْتَحُ بَابَ الاخْتلاَط وَيَسْلكُ طَرِيقَ المُصَاحَبَة بِإِيراد الحكَايَات وَالقصَصِ" وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ العَاشِرُ وَالمائَتَان
إلى المَلاَ شكيبي الأصفهاني
في حَل بَعْضِ عبَارَات النَّفَحَات
وَبَعْضِ النَّصَائِحِ الضَّرُورِيَّة التي أَلتَمسُهَا

قَدْ تَشَرَّفْتُ بِمُطَالَعَة المَكْتُوب الشَّرِيف الذي أَرْسَلْتَهُ إلى هَذَا الحَقير القَليل البضَاعَة عَلى وَجْه الشَّفَقَة وَالمَرْحَمَة وَصِرْتُ مُبْتَهجًا وَمَسْرُورًا بالسَّلاَمَة وَمُتُّ بالسَّلاَمَة وَمَا عشْتُ تَعشْ عَلى مَحَبَّة الفُقَرَاء وَإذَا مُتُّ تَكُنْ مَحَبَّتُهمْ رَأْسَ مَالكَ وَأَصْل بِضَاعَتك وَإذَا حُشرْتَ تُحْشَرْ عَلى مَحَبَّتهمْ بحُرْمَة مَن افْتَخَرَ بالفَقْر وَآثَرَهُ عَلى الغنا عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَرَقَّمْتُ عَلى وَجْه الكَرَم أَنَّهُ مَا حَقيقَةُ مُعَامَلة الحكَايَة المَذْكُورَة في النَّفَحَات منْ أَنَّ مُريدَ الشَّيْخ ابْن سُكَيْنَةَ - قُدِّسَ سرُّهُ - دَخَل يَوْمًا الدِّجْلَةَ لأَجْل الاغْتسَال وَخَاضَ في المَاء وَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَه رَأَى نَفْسَه في النِّيْل فَخَرَجَ منَ المَاء وَدَخَل مصْرَ وَتَزَوَّجَ فيه وَوَلَدَ لَهُ أَوْلاَدٌ وَأَقَامَ بمصْرَ سَبْعَ سنينَ فَدَخَل يَوْمًا النِّيل اتِّفَاقًا للاغْتسَال وَخَاضَ في المَاء فَلمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ رَأَى نَفْسَه في الدِّجْلة وَرَأَى جَميعَ أَثْوَابه التي كَانَ وَضَعَهَا في أَوَّل مَرَّة بسَاحل الدِّجْلة عَلى حَالهَا فَلبسَ ثيَابَهُ وَجَاءَ مَنْزِله فَقَالتْ لهُ امْرَأَتُه: الطَّعَامُ الذي أَمَ بطَبْخه للضُّيُوف حَاضرٌ إلى آخر القصَّة.

أَيُّهَا المَخْدُومُ المُكَرَّمُ إنَّ أَشْكَال هَذه الحكَايَة لَيْسَ منْ جهَة حُصُول أُمُور سنينَ في سَاعَة وَاحدَة فَإنَّ أَمْثَال هَذه المُعَامَلة كَثيرَةُ الوُقُوع وَمنْ جُمْلتهَا معْرَاجُ خَاتَم الرُّسُل ﷺ فَإنَّهُ حينَ رَجَعَ إلى مَكَانه بَعْد طَيِّ مَعَارج العُرُوج وَقَطع مَسَافَة مَنَازل الوُصُول الذي يَتَيَسَّرُ في أُلوف منَ السِّنينَ، يَعْني عَادَةً رَأَى أَنَّ حَرَارَةَ فرَاشه بَاقيَةٌ عَلى حَالهَا وَلَمْ يَسْكُنْ المَاءُ الذي مَلاَهُ في الأبريق للوُضُوء عَنْ حَرَكته وَوَجْهُهُ مَا ذَكَرَهُ في النَّفَحَات منْ أَنَّهُ منْ قَبيل بَسْط الزَّمَان وَإنَّمَا أَشْكَال هَذه الحكَايَة منْ جهَة كَوْن هَذه المُدَّة آنًا وَاحدًا في بَغْدَادَ وَيَحْصُل لهَذَا الآن امْتدَادٌ بمصْرَ إلى سَبْع سنينَ. فَإذَا كَانَ التَّاريخُ الهجري بالنِّسْبَة إلى أَهْل بَغْدَادَ مَثلاً ثَلثمائة وَستِّينَ سَنَةً في ذَلكَ الوَقْت يَنْبَغي أَنْ يَكُونَ بالنِّسْبَة إلى أَهْل مصْرَ في عَيْن ذَلكَ الوَقْت ثَلثمائة وَسَبْع وَستِّينَ سَنَةً وَهَذَا المَعْنَى ممَّا لاَ يُجَوِّزُهُ العَقْل وَلاَ يَسَعُهُ النَّقْل وَهَذه المُعَامَلةُ وَإنْ كَانَتْ مُجَوَّزَةً بالنِّسْبَة إلى شَخْص أَوْ شَخْصَيْن وَلَكنَّهَا بالنِّسْبَة إلى بلاَد مُخْتَلفَة وَأَمْكنَة مُتَعَدِّدَة مَحَال.

وَمَا يَخْطُرُ فِي خَاطِرِ هَذَا الحَقِيرِ الكَلِيلِ هُوَ أَنَّ هَذِهِ الحِكَايَةَ مَا وَقَعَتْ فِي عَالَمِ اليَقَظَةِ بَلْ هِيَ مِنْ قَبِيلِ الرُّؤْيَا وَالوَاقِعَاتِ وَاشْتَبَهَ الرُّؤْيَا بِالرُّؤْيَةِ لِلْمُسْتَمِعِ وَالتَبَسَ لَهُ النَّوْمُ بِاليَقَظَةِ، وَهَذَا القِسْمُ مِنَ الاشْتِبَاهِ كَثِيرُ الوُقُوعِ بَلْ مِنْ مَظَانِّ الاشْتِبَاهِ كَوْنُ رُؤْيَتِهِ وَقِصَّتِهِ عَلَى شَيْخِهِ وَمَجِيئِهِ بِأَوْلَادِهِ إِلَيْهِ فِي المَنَامِ وَالحِكَايَةِ الَّتِي نَقَلَهَا عَنِ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ بْنِ عَرَبِيٍّ – قُدِّسَ سِرُّهُ – بَعْدَ هَذِهِ الحِكَايَةِ هِيَ أَيْضًا مِنْ هَذَا القَبِيلِ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الحَالِ وَاللهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الأُمُورِ كُلِّهَا. وَالتَمَسْتَ أَيْضًا شَرْحَ هَذِهِ العِبَارَةِ أَنَّ مُرَبِّيَ الجَسَدِ هُوَ الرُّوحُ، وَمُرَبِّيَ القَالِبِ هُوَ القَلْبُ. أَيُّهَا المَخْدُومُ إِنَّ مُؤَدَّى هَاتَيْنِ العِبَارَتَيْنِ وَاحِدٌ وَهُوَ بَيَانُ حُصُولِ التَّرْبِيَةِ لِعَالَمِ الخَلْقِ الإِنسَانِي مِنْ عَالَمِهِ الأَمْرِي، وَلَمَّا كَانَ وُقُوعُ لَفْظِ الجَسَدِ مَقْرُونًا

بِلَفْظِ الرُّوحِ فِي الإِطْلَاقَاتِ وَالمُحَاوَرَاتِ وَوَقَعَتْ المُنَاسَبَةُ اللَّفْظِيَّةُ بَيْنَ القَالِبِ وَالقَلْبِ وَقَعَ اخْتِيَارُ تَعْيِينِ العِبَارَةِ لِجَمْعِ كُلٍّ بِمَا يُنَاسِبُهُ. وَصَدَرَ أَيْضًا طَلَبُ النَّصَائِحِ أَيُّهَا المَخْدُومُ يَمْنَعُنِي الحَيَاءُ مِنْ أَنْ أَكْتُبَ شَيْئًا مِنْ هَذَا البَابِ مَعَ وُجُودِ جَمِيعِ الخَرَابَاتِ وَالتَّعَلُّقَاتِ وَالتلوثاتِ وَقِلَّةِ البِضَاعَةِ وَعَدَمِ الحَاصِلِ وَأَنْ أُرَقِّمَ مِنْ هَذِهِ المَقُولَةِ حَرْفًا بِالتَّصْرِيحِ أَوْ بِالإِشَارَةِ، وَلَكِنْ أَخَافُ مِنْ أَنْ أُنْسَبَ إِلَى الخِسَّةِ وَالدَناءَةِ وَالضَّنِّ وَالبُخْلِ لَوْ أَمْسَكْتُ عَنِ القَوْلِ المَعْرُوفِ وَصُنْتُ نَفْسِي عَنْ ذَلِكَ فَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ أَجْتَرِئُ عَلَى تَحْرِيرِ كَلِمَاتٍ.

أَيُّهَا المَخْدُومُ: إِنَّ بَقَاءَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ جِدًّا وَقَدْ تَلِفَ الأَكْثَرُ مِنْ هَذَا القَلِيلِ أَيْضًا وَزَالَ وَبَقِيَ الأَقَلُّ. وَمُدَّةُ الآخِرَةِ بَاقِيَةٌ وَدَائِمَةٌ وَجُعِلَتْ مُعَامَلَةُ الأَبَدِ وَالخُلُودِ وَمَرْبُوطَةً بِبَقَاءِ أَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ وَبَعْدَهَا إِمَّا تَنَعُّمٌ أَبَدِيٌّ أَوْ عَذَابٌ سَرْمَدِيٌّ. أَخْبَرَ بِذَلِكَ المُخْبِرُ الصَّادِقُ لَيْسَ فِيهِ احْتِمَالُ التَّخَلُّفِ فَيَنْبَغِي اسْتِعْمَالُ العَقْلِ المُتَفَكِّرِ أَيُّهَا المَخْدُومُ قَدْ مَضَى أَشْرَفُ العُمْرِ فِي الهَوَى وَالهَوَسِ وَضَاعَ فِي تَحْصِيلِ مَرَاضِي أَعْدَاءِ اللهِ جَلَّ شَأْنُهُ وَبَقِيَ أَرْذَلُ العُمْرِ فَإِنْ لَمْ نَصْرِفْهُ اليَوْمَ فِي مَرْضِيَّاتِ الحَقِّ – جَلَّ سُلْطَانُهُ – وَلَمْ نَتَلَافَ الأَشْرَفَ وَلَمْ نَتَدَارَكْهُ وَلَوْ بِالأَرْذَلِ وَلَمْ نَجْعَلِ المِحْنَةَ القَلِيلَةَ وَسِيلَةً إِلَى الرَّاحَةِ الأَبَدِيَّةِ وَلَمْ نُكَفِّرْ السَّيِّئَاتِ الكَثِيرَةَ بِحَسَنَاتٍ يَسِيرَةٍ فَبِأَيِّ وَجْهٍ نَذْهَبُ غَدًا عِنْدَ اللهِ تَعَالَى ؟.. وَبِأَيِّ حِيلَةٍ نَتَمَسَّكُ ؟.. وَإِلَى مَتَى يَمْتَدُّ نَوْمُ الأَرْنَبِ ؟ وَحَتَّى مَتَى يَكُونُ قُطْنُ الغَفْلَةِ هَذِهِ كُلُّهَا فِي الآذَانِ، وَسَتُرْفَعُ الغِشَاوَةُ عَنْ أَبْصَارِ

البَصِيرَة البَتَّةَ، وَيُزَال قُطْنُ الغَفْلة عَنِ السَّامعَة لاَ مَحَالَةَ، وَلكِنْ لاَ يَنْفَعُ ذَلكَ هُنَالكَ وَلاَ يَكُونُ نَقْدُ الوَقْت غَيْرَ الحَسْرَة وَالنَّدَامَة عَلَى ذَلكَ فَيَنْبَغي العَمَل لنَفْسك قَبْل وُرُود المَوْت وَالتَّوَسُّد بِرَمْسك ثُمَّ المَوْتُ قَائلاً وَا شَوْقَاهُ. وَلاَ بُدَّ أَوَّلاً مِنْ تَصْحيح الاعْتقَاد وَتَصْديق مَا عُلمَ منَ الدِّين بالضَّرُورَة، ثُمَّ العلمُ وَالعَمَل بمَا تَكَفَّل بِبَيَانه علْمُ الفقْه أَيْضًا ضَرُوريٌّ ثُمَّ سُلوكُ طَريق الصُّوفيَّة أَيْضًا مَطْلوبٌ، لاَ لأَجْل مُشَاهَدَة الصُّوَر وَالأَشْكَال الغَيْبيَّة وَمُعَايَنَة الأَنْوَار وَالأَلْوَان الريبية، فَإِنَّ هَذَا دَاخل في اللهْو وَاللعب وَأَيُّ نُقْصَان في الصُّوَر وَالأَنْوَار الحسِّيَّة، حَتَّى يَتْرُكَهَا الإنْسَانُ وَيَشْتَاقَ إلى الصُّوَر وَالأَنْوَار الغَيْبيَّة، وَيَقْصدَهَا بارْتكَاب الرِّيَاضَات وَالمُجَاهَدَات، وَهَذه الصُّوَرُ وَالأَنْوَارُ، وَتلكَ الصُّوَرُ وَالأَنْوَارُ كُلهَا مَخْلوقَةٌ للحَقِّ سُبْحَانَهُ وَآيَاتٌ دَالَّةٌ عَلى صَانعيته تَعَالى وَلنُور الشَّمْس وَالقَمَر اللذَيْن في عَالم الشَّهَادَة مَزيَّةٌ عَلى الأَنْوَار التي تُشَاهَدُ في عَالم المثَال... وَلكنْ لَمَّا كَانَتْ رُؤْيَتهمَا دَائمَةً وَاشْتَرَكَ فيهَا الخَوَاصُّ وَالعَوَامُّ أَسْقَطُوهَا عَنْ نَظَر الاعْتبَار وَاشْتَاقُوا إلى مَا يَى في عَالم الغَيْب منَ الأَنْوَار، شعْرٌ:

وَلاَ قَدْرَ للمَاء الذي دَامَ جَاريًا   عَلى بَاب إنْسَان وَإنْ كَانَ كَوْثَرَا

بَل المَقْصُودُ منْ سُلوك طَريق الصُّوفيَّة تَحْصيل ازْديَاد اليَقين بالمُعْتَقَدَات الشَّرْعيَّة حَتَّى تَخرُجَ منْ مَضيق الاسْتدْلال إلى فَضَاء الكَشْف وَمنَ الإجْمَال إلى التَّفْصيل.. مَثَلاً إنَّ وُجُودَ الوَاجب الوُجُود تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَوَحْدَتُهُ سُبْحَانَهُ إذَا كَانَ أَوَّلاً مَعْلومًا بطَريق الاسْتدْلال أَوْ التَّقْليد وَحَصَل اليَقينُ به عَلى مقْدَارهمَا، فَإِذَا تَيَسَّرَ سُلوكُ طَريق الصُّوفيَّة يَتَبَدَّل ذَلكَ الاسْتدْلال وَالتَّقْليدُ كَشْفًا وَشُهُودًا وَيَحْصُل اليَقينُ الأَكْمَل. وَعَلى هَذَا القيَاس سَائرُ الاعتقاديات وَالمَقْصُودُ منْهُ أَيْضًا تَحْصيل اليُسْر في أَدَاء الأَحْكَام الفقْهيَّة، وَإِزَالةُ العُسْر الذي يَحْصُل منْ جهَة النَّفْس الأَمَّارَة .يَقينُ هَذَا الفَقير أَنَّ طَريقَ الصُّوفيَّة خَادمٌ للعُلوم الشَّرْعيَّة، لأَنَّهُ أَمْرٌ مُبَاينٌ لهَا وَقَدْ حقَّقْتُ هَذَا في كتبي ورسائلي وَاختيَارُ طَريق النَّقْشبَنْديَّة منْ بَيْن سَائر الطُّرُق لأَجْل حُصُول هَذَا الغَرَض أَولى وَأَنْسَبُ، فَإِنَّ هَؤُلاء الأَكَابرَ التَزَمُوا مُتَابَعَةَ السُّنَّة .اجْتنَاب البدْعَة وَلهَذَا تَرَاهُمْ يَفْرَحُونَ وَيَسْتَبْشرُونَ بحُصُول دَوْلَة المُتَابَعَة لهُمْ وَإنْ لَمْ يَحْصُل لهُمْ شَيْءٌ منَ الأَحْوَال وَإِذَا أَحَسُّوا فُتُورًا في المُتَابَعه مَعَ وُجُود الأَحْوَال لاَ

يَقْبَلُونَ تِلْكَ الأَحْوَالَ. قَالَ حَضْرَةُ الخواجهْ أَحْرَارٌ - قُدِّسَ سِرُّهُ -:"لَوْ أُعْطِيتُ جَمِيعَ الأَحْوَالِ وَالمَوَاجِيدِ وَلَمْ تُوَافِقْ حَقِيقَتِي بِاعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ مَثَلاً لاَ أَرَى تِلْكَ الأَحْوَالَ غَيْرَ الشَّقَاوَةِ وَالخِذْلاَنِ وَإِنْ أُعْطِيتُ اعْتِقَادَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ وَحُرِمْتُ الأَحْوَالَ بِأَسْرِهَا فَلاَ تَغْتَمَّ عَلَى ذَلِكَ".

وَأَيْضًا إِنَّ فِي هَذَا الطَّرِيقِ انْدِرَاجَ النِّهَايَةِ فِي البِدَايَةِ فَيَجِدُ أَهْلُ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ فِي أَوَّلِ قَدَمٍ مَا يَجِدُهُ غَيْرُهُمْ فِي النِّهَايَةِ، وَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ فَإِنَّمَا هُوَ بِالإِجْمَالِ وَالتَّفْصِيلِ وَالشُّمُولِ وَعَدَمِ الشُّمُولِ، وَهَذِهِ النِّسْبَةُ هِيَ نِسْبَةُ الأَصْحَابِ الكِرَامِ بِعَيْنِهَا فَإِنَّهُمْ - عَلَيْهِمُ الرِّضْوَانُ - كَانُوا يَجِدُونَ فِي أَوَّلِ صُحْبَةِ خَيْرِ البَشَرِ مَا لاَ يُدْرَى أَنَّهُ يَتَيَسَّرُ لأَوْلِيَاءِ الأُمَّةِ سِوَاهُمْ فِي النِّهَايَةِ أَوْ لاَ، وَلِهَذَا لَمْ يَصِلْ أُوَيْسٌ القَرنِيُّ الَّذِي هُوَ أَفْضَلُ التَّابِعِينَ إِلَى مَرْتَبَةِ وَحْشِيٍّ قَاتِلِ حَمْزَةَ ﷺ لِنَيْلِهِ مَرَّةً وَاحِدَةً صُحْبَةَ خَيْرِ البَشَرِ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - فَإِنَّ فَضِيلَةَ الصُّحْبَةِ فَوْقَ جَمِيعِ الفَضَائِلِ وَالكَمَالاتِ فَإِنَّ إِيمَانَهُمْ شُهُودِيٌّ، وَلَمْ تَتَيَسَّرْ هَذِهِ الدَّوْلَةُ لِغَيْرِهِمْ أَصْلاً، (ع):

هَلِ المَسْمُوعُ يُشْبِهُ قَطُّ بِمَرئِيٍّ

وَلِهَذَا كَانَ إِنْفَاقُ مُدٍّ شَعِيرٍ مِنْهُمْ أَفْضَلَ مِنْ إِنْفَاقِ جَبَلِ ذَهَبٍ مِنْ غَيْرِهِمْ وَجَمِيعُ الأَصْحَابِ مُتَسَاوُونَ فِي هَذِهِ الفَضِيلَةِ فَيَنْبَغِي تَعْظِيمُ جَمِيعِهِمْ وَذِكْرُ كُلِّهِمْ بِالخَيْرِ فَإِنَّ الصَّحَابَةَ كُلَّهُمْ عُدُولٌ وَكُلُّهُمْ مُتَسَاوُونَ فِي قَبُولِ رِوَايَتِهِمْ وَتَبْلِيغِ الأَحْكَامِ مَزِيَّةٌ لِرِوَايَةِ أَحَدِهِمْ عَلَى رِوَايَةِ الآخَرِ مِنْهُمْ وَهُمْ حَمَلَةُ القُرْآنِ المَجِيدِ وَمِنْهُمْ جُمِعَتِ الآيَاتُ المُتَفَرِّقَاتُ مِنْ هَذَا آيَتَانِ وَمِنْ هَذَا ثَلاَثُ آيَاتٍ وَأَزْيَدُ وَأَنْقَصُ اعْتِمَادًا عَلَى عَدَالَتِهِمْ، فَمَنْ جَرَحَ وَاحِدًا مِنَ الأَصْحَابِ فَذَلِكَ الجَرْحُ رَاجِعٌ إِلَى القُرْآنِ المَجِيدِ فَإِنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ حَامِلَ بَعْضِ الآيَاتِ ذَلِكَ المَجْرُوحُ وَالمَطْعُونُ فِيهِ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَصْرِفَ المُخَالَفَاتِ وَالمُنَازَعَاتِ الوَاقِعَةَ بَيْنَ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ إِلَى مَحَامِلَ صَحِيحَةٍ وَأَنْ يُبْعِدَهُمْ وَيُنَزِّهَهُمْ عَنِ الهَوَى وَالتَّعَصُّبِ. قَالَ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - وَهُوَ أَعْلَمُ بِأَحْوَالِ الصَّحَابَةِ عَلَيْهِمُ الرِّضْوَانُ - "تِلْكَ دِمَاءٌ طَهَّرَ اللهُ عَنْهَا أَيْدِيَنَا فَلْنُطَهِّرْ عَنْهَا أَلْسِنَتَنَا". وَنُقِلَ مِثْلُ هَذِهِ المَقُولَةِ أَيْضًا عَنِ الإِمَامِ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ ﷺ وَالسَّلاَمُ أَوَّلاً وَآخِرًا.

المَكْتُوبُ الحَادي عَشَرَ وَالمائَتَان
إلى الملا يار مُحمَّد قَديم البدخشي
في جَوَاب سُؤَاله
وَبَيَان بَعْضِ لوَازِم مَقَام التَّكْميل وَالإرْشَاد

وَصَل المَكْتُوبُ المَرْغوبُ منَ الأخ الأعَزِّ مَوْلانَا يار مُحمَّد القَديم وَصَارَ مُوجَبًا للفَرَحِ بَلغَ اللهُ سُبْحَانَهُ ذُرْوَةَ الكَمَال وَالتَّكْميل بحُرْمَة النَّبيِّ المُخْتَار وَآله الأَمْجَاد وَالأَبْرَارِ عَلَيْه وَ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَقَدْ سُئلتُ عَنْ مَقَالة المولوي عَلَيْه الرَّحْمَةُ حَيْثُ قَال: "إنَّ المَليحَ الذي كَانَ يَجْتَبي كَانَ حَقًّا فَهَل يَجوزُ هَذَا الكَلاَمُ أَمْ لاَ". اعْلَمْ أَنَّ أَمْثَال هَذَا الأَمْر تَقَعُ كَثيرًا في هَذَا الطَّريق وَتَجْري عَلى اللسَان، وَهَذَا النَّوْعُ منَ المُعَامَلة يُقَال لهُ التَّجلي الصوريُّ وَيَظُنُّ صَاحبُ المُعَامَلة تلكَ الصُّورَةَ المُتَجلى بهَا حَقًّا - تَعَالى شَأْنه - وَالكَلاَمُ إنَّمَا هُوَ مَا قَال الشَّيْخُ الأَجَل الإمَامُ الرَّبَّانيُّ حَضْرَةُ الخواجهْ يُوسُفُ الهمداني - قُدِّسَ سرُّهُ - حَيْثُ قَال: "**تلكَ خيَالاَتُ تُربَّى بهَا أَطْفَال الطَّريقَة**". ثُمَّ اعْلمْ أَنَّهُ لَمَّا صَدَرَ لكُمْ نَوْعُ إجَازَة تَعْليم الطَّريقَة، أَرَدْتُ أَنْ أَكْتُبَ بَعْضَ الفَوَائد في هَذَا البَاب يَنْبَغي اسْتمَاعُهَا بأُذُن العَقْل وَالعَمَل بهَا. اعْلمْ أَنَّهُ إذَا جَاءَ عنْدَكَ طَالبٌ بإرَادَة الطَّريقَة يَنْبَغي لك أَنْ تَتَأَمَّل وَتَتَأَنَّى كَثيرًا في تَعْليم الطَّريقَة إيَّاهُ خَوْفًا منْ أَنَّ يُرَادَ عَلَيْك الاسْتدْرَاجُ في هَذَا الأَمْرِ وَمنْ أَنْ يَكُونَ المَنْظُورُ فيه خرابيتك، خُصُوصًا إذَا ظَهَرَ الفَرَحُ وَالسُّرُورُ منْ مَجيء المُريد فَيَنْبَغي سُلوكُ طَريق الالتجَاء وَالتَّضَرُّعِ في هَذَا اللبَاب، وَالاسْتخَارَات المُتَعَدِّدَة إلى أَنْ يَصل اليَقينُ بكَوْن تَعْليم الطَّريقَة إيَّاهُ مَرْضيًّا وَأَنَّهُ لاَ يُرَادُ به الاستدارجُ وَالإضْلاَل، لأَنَّ التَّصَرُّفَ في عبَاد الله تَعَالى وَتَضْييع الوَقْت في تَرْبيَتهمْ غَيْرُ مُجَوَّزٍ بلاَ إذْن الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَفي قَوْله تَعَالى "لتُخْرجَ النَّاسَ منَ الظُّلمَات إلى النُّور بإذْن رَبِّهمْ" دَلالَةٌ عَلى هَذَا المَعْنَى. حُكيَ أَنَّهُ لَمَّا تَوَفِّي وَاحدٌ منَ الأَعزَّة جَاءَ الخطَابَ بأَنَّهُ أَنْتَ الذي لبسَ الدِّرْعَ في ديني عَلى عبادي. قَال: بَلى قَال: هَلاَّ، وَكَّلتَ خَلقي إليَّ وَأَقْبَلتَ بقَلبك عَليَّ، وَالإجَازَةُ التي صَدَّرَتْ لك وَلغَيْرك مَشْرُوطَةٌ بالشُّرُوط وَمَنُوطَةٌ بحُصُول العلم بمَرْضَاة تَعَالى، فَإنَّهُ مَا جَاءَ بَعْدَ وَقْت الإجازَة المُطْلَقَة. فَيَنْبَغي رعَايَةُ تلكَ الشُّرُوط إلى وُرُود ذَلكَ الوَقْت وَالشَّرْطُ هُوَ الإخْبَارُ وَحَرَّرَ هَذَا المَعْنَى أَيْضًا إلى المَيْر نُعْمَانَ، فَيَنْبَغي الاسْتعْلاَمُ أَيْضًا منْ هُنَاكَ وَبالجُمْلة يَنْبَغي السَّعْيُ حَتَّى يَجيءَ ذَلكَ الوَقْتُ وَيَتَيَسَّرَ التَّخَلصُ منْ مضائق الشَّرَائط وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّانِي عَشَرَ وَالمِائَتَان
إِلَى مَوْلاَنَا مُحَمَّد صِدِّيق البدخشي
فِي جَوَابِ بَعْضِ أَسْئِلَتِه وَحَلِّ وَاقِعَةٍ رَآهَا

وَصَلَ المَكْتُوبَانِ المَرْغُوبَانِ مُتَتَابِعَيْنِ فَازْدَادَ فَرَحًا عَلَى فَرَحٍ أَكْرَمَكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِتَرَقِّيَاتٍ غَيْرِ مُتَنَاهِيَةٍ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَسَأَلْتُ أَنَّهُ هَل يَقْدرُ الشَّيْخُ صَاحِبُ التَّصَرُّفِ أَنْ يُوصِّلَ المُرِيدَ المُسْتَعِدَّ بِتَصَرُّفِه إِلَى مَرَاتِبَ فَوْقَ اسْتِعْدَادِه أَوْ لاَ ؟ بَلَى يَقْدرُ أَنْ يُوصِّلَهُ، وَلكِنْ إِلَى مَرَاتِبَ تُنَاسِبُ اسْتِعْدَادَه، لاَ إِلَى مَرَاتِبَ تُبَايِنُ اسْتِعْدَادَهُ مَثَلاً إِذَا كَانَ فِي مُرِيدٍ اسْتِعْدَادُ الوِلاَيَةِ المُوسَوِية وَنِهَايَةُ قُوَّةِ اسْتِعْدَادِه مَا يَقْدرُ الوُصُولَ بِهَا إِلَى نِصْفِ طَرِيقِ هَذِه الوِلاَيَةِ، فَالشَّيْخُ صَاحِبُ التَّصَرُّفِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُوصِّلَهُ بِتَصَرُّفِه إِلَى أَقْصَى دَرَجَاتِ هَذِه الوِلاَيَةِ، وَأَمَّا أَنَّهُ يُخْرِجُهُ مِنَ الوِلاَيَةِ المُوسَوِية إِلَى الوِلاَيَةِ المُحَمَّدِيَّةِ وَيَمْنَحُهُ هُنَاكَ التَّرَقِّيَاتِ فَهُوَ لَيْسَ بِمَعْلُومِ الوُقُوعِ. وَسَأَلْتَ أَيْضًا أَنَّهُ أَيُّ مَرْتَبَةٍ يَحْصُلُ فِيَا لِلأَخْفَى الذِي هُوَ أَلطَفُ اللطَائِفِ الإِنْسَانِيَّةِ حُكْمُ النَّفْسِ الأَمَّارَةِ وَتَحْصُلُ لَهُ المُشَابَهَةُ فِي الخِسَّةِ وَالدَّنَاءَةِ ؟ لِيَعْلَمَ الأَخُ أَنَّ الأَخْفَى وَإِنْ كَانَ أَلطَفَ اللطَائِفِ وَلَكِنَّهُ دَاخِلٌ فِي دَائِرَةِ الإِمْكَانِ وَمُتَّسِمَةٌ بِسِمَةِ الحُدُوثِ فَإِذَا وَضَعَ السَّالِكُ قَدَمَهُ فِي خَارِجِ دَائِرَةِ الإِمْكَانِ وَوَقَعَ سَيْرُهُ عَلَى مَرَاتِبِ الوَاجِبِ وَتَرَقَّى مِنْ ظِلاَلِ الوُجُوبِ إِلَى أُصُولِهَا وَتَخَلصَ مِنَ التَّقَيُّدِ بِالصِّفَةِ وَالشَّأْنِ، فَلاَ جَرَمَ يَكُونُ المُمْكِنُ حِينَئِذٍ فِي نَظَرِه ذَلِيلاً حَقِيرًا عَدِيمَ الاعْتِبَارِ، وَيَرَى أَخَسَّهُ وَأَلطَفَهُ مُسَاوِيَيْنِ فِيهَا وَيَتَخَيَّلُ النَّفْسَ وَالأَخْفَى فِي هَذَا المَقَامِ كَأَنَّهُمَا تَوْأَمَان.

وَكَتَبْتُ أَيْضًا أَنَّهُ سُمِعْتُ مِنْكَ بِوَاسِطَةٍ أَوْ بِلاَ وَاسِطَةٍ أَنَّ عِبَادَةَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ مُعْتَقِدًا بِأَنَّهُ تَعَالَى حَاضِرٌ وَقْتَ العِبَادَةِ مُوجِبٌ لِتَنَزُّلِه تَعَالَى، يَنْبَغِي العِبَادَةُ مِثْلَ العَبِيدِ، فَإِنَّ العِبَادَةَ لَهُ تَعَالَى مُعْتَقِدًا بِأَنَّهُ حَاضِرٌ سُوءُ أَدَبٍ. أَيُّهَا المُحِبُّ إِنَّ صُدُورَ أَمْثَالِ هَذِه المَقَالَةِ مِنْ هَذَا الفَقِيرِ لَيْسَ بِمَعْلُومٍ وَلَعَلَّكَ رَأَيْتَه فِي مَحَلٍّ آخَرَ. وَالوَاقِعَةُ التِي رَأَيْتَهَا وَرَأَيْتَ فِيهَا حَضْرَةَ آدَمَ - عَلَى نَبِيِّنَا وَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَحَسَنَةٌ جِدًّا وَأَصِيلَةٌ وَالمَاءُ كِنَايَةٌ عَنِ العِلْمِ، وَإِدْخَالُ اليَدِ فِيهِ حُصُولُ القُدْرَةِ فِي

العلم، وَمُشَارَكَةُ آدَمَ - عَلى نَبِيِّنَا وَ عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - مُؤَكِّدَةٌ لِهَذَا الحُصُول، فَإِنَّ آدَمَ عَلَيْه السَّلاَمُ تلميذُ الرَّحْمَنِ، {وَعَلَمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَهَا}.

غَايَةُ مَا فِي البَاب: أَنَّ المُرَادَ بالعلم فِي هَذه الوَاقعَة علمُ البَاطن، بَل نَوْعٌ مِنْ عِلمِ البَاطِنِ لهُ مُنَاسَبَةٌ لنِسْبَة أَهْل البَيْتِ - عَلَيْهِمُ الرِّضْوَان - والبَاقِي عِنْدَ التلاقي وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّالِثَ عَشَرَ وَالمِائَتَانِ
إِلى السَّيِّد فَرِيد
فِي المَوَاعِظ وَالنَّصَائِح
بِالتَّرْغِيب فِي اتِّبَاعِ عُلَمَاء أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة
وَالتَّحْذِيرِ عَنْ مُصَاحَبَة عُلَمَاء السُّوء إلخ

عَصَمَكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ عَمَّا لاَ يَلِيقُ بِجَنَابِكُمْ بِحُرْمَة جَدّكُمْ الأَمْجَد عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ قَال اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى: {هَل جزَاءُ الإحْسَان إلاَّ الإحْسَانُ}. وَلاَ أَدْري بِأَيِّ إِحْسَان أُكَافِئُ إِحْسَانَكُمْ، سوَى أَنْ أَكُونَ رَطْبَ اللسَان بِدُعَاء سَلاَمَتكُمْ فِي الدَّارَيْنِ فِي الأَوْقَات الشَّرِيفَة. الحَمْدُ لله سُبْحَانَهُ وَالمنَّةُ إنَّ هَذَا المَعْنَى مُيَسَّرٌ منْ غَيْرِ اخْتيَار. وَالإحْسَانُ الآخَرُ الذي تَلِيقُ المُكَافَأَةُ به التَّذْكرَةُ وَالمَوْعظَةُ فَيَا لَهَا منْ نعْمَة إنْ وَقَعَتْ في مَعْرِض القَبُول. أَيُّهَا النَّقِيبُ النَّجِيبُ إنَّ خُلاَصَةَ المَوَاعظ وَزُبْدَةَ النَّصَائح وَالاخْتلاَط وَالانْبسَاط مَعَ أَصْحَاب الدِّيَانَة وَأَرْبَاب التشرع، وَكُل منَ التَّدَيُّن والتشرُّع مَرْبُوطٌ بسُلوك طَرِيقَة أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة الحَقَّة، الذينَ هُمُ الفرْقَةُ النَّاجيَةُ منْ بَيْن سَائر الفرَق الإسْلاَمِيَّة، وَالنَّجاةُ بدُون مُتَابَعَة هَؤُلاَء الأَكَابر مُحَال، وَالفَلاحُ منْ غَيْر اتِّبَاع آرَائهم مُمْتَنعٌ، وَالدَّلاَئل النَّقْليَّةُ وَالعقْليَّةُ وَالكَشْفيَّةُ شَاهدَةٌ لهَذَا المَعْنَى، لاَ تَحْتَمل التَّخَلفَ أَصْلاً فَإذَا عُلمَ خُرُوجُ شَخْص مقْدَارَ خَرْدَلَة منْ طَرِيق هَؤُلاَء الأَكَابر الذي هُوَ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ، يَنْبَغي أَنْ تَعْتَقدَ أَنَّ صُحْبَتَهُ سُمٌّ قَاتل، وَأَنْ تَرَى مُجَالسَته كَمُجَالسَة الأَفْعَى، وَطَلَبَةُ العلم الذينَ لاَ مُبَالاَةَ فيهمْ فَهُمْ لصُوصُ الدِّين منْ أَيِّ فرْقَة كَانُوا، وَالاجْتنَابُ عَنْ صُحْبَتهمْ أَيْضًا منَ الضَّرُوريَّات. وَجَميعُ هَذه الفتْنَة وَالمَفْسَدَة الوَاقعَة في الدِّين منْ شآمة هَؤُلاَء الجَمَاعَة الذينَ جَعَلوا آخرَتَهُمْ هَبَاءً في جَميع حُطَام الدُّنْيَا. {أُولئكَ الذينَ اشْتَرَوُا الضَّلاَلَةَ بالهُدَى فَمَا رَبحَتْ تجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدينَ}. رَأَى شَخْصٌ إبْليسَ اللعينَ قَاعدًا مُسْتَريحًا فَارغَ البَال منَ الاشْتغَال بالإغْوَاء وَالإضْلال فَسَأَلَهُ عَنْ سرِّ ذَلكَ فَقَال اللعينُ: "إنَّ عُلَمَاءَ السُّوء في هَذَا الوَقْت قَدْ كَفَوْا أَمْري وَتَكَفَّلوا لي بالإغْوَاء وَالإضْلال".

وَمَوْلاَنَا عُمَرُ مَوْصُوفٌ بِحُسْنِ السِّيرَةِ وَالطَّوِيَّةِ مِنْ بَيْنِ الطَّلَبَةِ المَوْجُودِينَ الآنَ هُنَاكَ بِشَرْطِ أَنْ تُقَوُّوا قَلْبَه وَتُعَاوِنُوهُ عَلى إِظْهَارِ الحَقِّ.

وَالحَافِظُ الإِمَامُ فِيهِ أَيْضًا جُنُونُ الإِسْلاَمِ وَلاَ بُدَّ مِنْ ذَاكَ الجُنُونِ فِي الإِسْلاَمِ، "**لَنْ يُؤْمِنَ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُقَالَ إِنَّهُ مَجْنُونٌ**". مَعْلُومٌ لِجَنَابِكُمْ، وَهَذَا الفَقِيرُ لَمْ يُقَصِّرْ فِي القَوْلِ وَالكِتَابَةِ فِي التَّحْرِيضِ عَلى الصُّحْبَةِ الحَسَنَةِ وَلَمْ أُرَخِّصْ لِنَفْسِي أَنْ تَتْرُكَ المُبَالَغَةَ فِي التَّحْذِيرِ عَنِ المُصَاحَبَةِ السُّوءِ وَأَرَى ذَلِكَ أَصْلاً عَظِيمًا وَالقَبُولُ مِنْ عِنْدِكُمْ فَطُوبَى لِمَنْ جُعِلَ مَظْهَرًا لِلخَيْرِ، وَتَذَكُّرُ حَسَانَاتِكُمْ يُورِدُنِي عَلى هَذَا القِيلِ وَالقَالِ وَيُنْسِينِي مُلاَحَظَةَ التَّصْدِيعِ وَالإِمْلاَلِ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الرَّابِعَ عَشَرَ وَالمِائَتَان

إِلَى خَان خَانَان فِي بَيَان أَنَّ الدُّنْيَا مَزْرَعَةُ الآخِرَةِ وَفِي سِرِّ تَأْبِيدِ عَذَابِ الكُفَّارِ وَتَفْوِيضِ وَاحِدٍ مِنْ أَرْبَابِ الافْتِقَارِ

طُوبَى لِمَنْ جَعَلَهُ اللهُ مَظْهَرًا للخَيْرِ، وَقَدْ جَعَلَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ الدُّنْيَا مَزْرَعَةَ الآخِرَةِ؛ فَيَا شَقَاوَةَ مَنْ أَكَلَ البَذْرَ بِالتَّمَامِ وَلَمْ يَزْرَعْهُ فِي أَرْضِ الاسْتِعْدَادِ، وَلَمْ يَجْعَلِ الحَبَّةَ الوَاحِدَةَ سَبْعمائَةَ حَبَّة، وَلَمْ يُهَيِّئْهُ ذَخِيرَةً لِيَوْمٍ يَفِرُّ فِيهِ الأَخُ مِنْ أَخٍ وَالأُمُّ مِنْ وَلَد خَسَارَةُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ نَقْدُ وَقْتِه وَحَسْرَةُ الدَّارِينَ وَنَدَامتُهما فِي كَفٍّ يَدِه لَمَّا كَانَ مُعَرَّضًا لِغَضَبِ رَبِّه وَمَقْتِه وَأَصْحَابُ الدَّوْلَةِ هُمُ الذِينَ يَغْتَنِمُونَ الفُرْصَةَ فِي الدُّنْيَا، لاَ بِمَعْنَى أَنَّهُمْ يَتَنَعَّمُونَ فِيهَا وَيَتَلَذَّذُونَ بِهَا فَإِنَّهُ لاَ مَدَارَ عَلَى ذَلِكَ وَلاَ ثَبَاتَ لَمَا هُنَالِكَ. وَمَعَ ذَلِكَ إِنَّهَا مُعَدَّاتُ المِحَنِ وَالعَقَبَاتُ بَلْ بِمَعْنَى أَنَّهُمْ يَعْمَلُونَ فِيهَا وَيَزْرَعُونَ لآخِرَتِهِمْ، وَيَحْصُلُونَ مِنْ حَبَّةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ العَمَلِ بِحُكْمِ: {اللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ}[1] مَرَاتٌ غَيْرُ مُتَنَاهِيَة. وَمِنْ هَهُنَا كَانَ جَزَاءُ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ تنعماتٌ مُخَلَّدَةٌ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ.

فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ تَضَاعُفَ الأَجْرِ إِنَّمَا هُوَ فِي الحَسَنَاتِ دُونَ السَّيِّئَاتِ فَإِنَّ الجَزَاءَ فِيهَا بِالمِثْلِ فَكَيْفَ يَجُوزُ تَأْبِيدُ عَذَابِ الكُفَّارِ بِوَاسِطَةِ سَيِّئَاتٍ مَعْدُودَة ؟ أُجِيبُ إِنَّ مُمَاثَلَةَ الجَزَاءِ لِلعَمَلِ مُفَوَّضَةٌ إِلَى عِلْمِ الوَاجِبِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَعِلْمُ المُمْكِنِ قَاصِرٌ عَنْ إِدْرَاكِهَا. أَلاَ تَرَى أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ أَمَرَ فِي قَذْفِ المُحْصَنَاتِ بِجَلْدِ ثَمَانِينَ جَزَاءً مُمَاثِلاً وَفِي حَدِّ السَّرِقَةِ بِقَطْعِ اليَمِينِ وَفِي حَدِّ الزِّنَا فِي البِكْرِ مَعَ البِكْرِ بِمِائَةِ جَلْدَةٍ وَتَغْرِيبِ عَامٍ وَفِي الشَّيْخِ وَالشَّيْخَةِ حَكَمَ بِالرَّجْمِ..! وَعِلْمُ السِّرِّ هَذِهِ الحُدُودِ وَالتَّقْدِيرَاتِ خَارِجٌ مِنْ طَوْقِ البَشَرِ ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ، وَحَيْثُ حَكَمَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِالعَذَابِ المُخَلَّدِ عَلَى الكُفْرِ المُوَقَّتِ جَزَاءً وِفَاقًا، عُلِمَ أَنَّ الجَزَاءَ المُمَاثِلَ عَلَى الكُفْرِ المُوَقَّتِ هُوَ ذَلِكَ العَذَابُ المُخَلَّدُ. وَمَنْ أَرَادَ تَطْبِيقَ جَمِيعِ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ عَلَى عَقْلِه وَجَعَلَهَا مَعْقُولَ نَفْسِه وَتَسْوِيَتَهَا بِأَدِلَّةٍ عَقْلِيَّةٍ، فَهُوَ مُنْكِرٌ لِطَوْرِ النُّبُوَّةِ عَلَيْهِ مَا يَسْتَحِقُّ وَالتَّكَلُّمُ مَعَهُ مِنْ عَدَمِ العَقْلِ، شِعْرٌ:

مَنْ لَمْ يُصَدِّقْ بِالكِتَابِ وَسُنَّةٍ … فَجَوَابُه أَنْ لاَ تُجِيبَ وَتَسْكُتَا

---

(١) ــ الآية ٢٦١ من سورة البقرة.

وَبَقِيَّةُ المَرَامِ أَنَّ رَافِعَ رُقَيمة الفُقَرَاءِ الشَّيْخ مَيَّانَ أَحْمَدَ وَلَدَ المَغْفُور لهُ الشَّيْخ سُلطَان التهانيسري تَوَجَّهَ إلى الخدْمَة العَلِيَّة مُتَوَسِّلاً بهَذَا الفَقِير مُلاَحظًا لألطافكم وإحسانَاتكم إلى وَالده المَاجد، وَمِنْ جُمْلة أَلطَافكُمْ إليْه أَنَّهُ كَانَ مَوْضعًا في قَضَاء اندرى وَكُنْتُمْ أَكْرَمْتُمُوهُ بإعْطَائه إِيَّاهُ وَالأَمْرُ عنْدَكُمْ بَل كُل منْ عنْد الله. وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلى سَائِرِ مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى وَالتزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الخَامِسَ عَشَرَ وَالمائَتَان
إلى المَرْزَا داراب
في مَذَمَّة الدُّنْيَا

وَصَل المَكْتُوبُ الشَّرِيفُ الذي أَرْسَلَه بالتَّوَاضُعِ التَّامِّ مِنْ حُسْنِ نَشْأَة الاسْتِعْدَاد الفطريِّ إلى الفُقَرَاء معدومي البضَاعَة. جَزَاكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ عَنَّا خَيْرَ الجَزاء بحُرْمَة حَبِيبه عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ. أَيُّهَا الولدَانُ أَرْبَابَ الدُّنْيَا وَأَصْحَابَ الغنا مُبْتَلونَ ببَلاَءِ عَظيم، فَإِنَّ الدُّنْيَا مَبْغُوضَةُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَقَدْ زَيَّنَ في نَظَرِهِمْ أَقْبَحَ جَمِيعِ النَّجَاسَاتِ كَنَجَاسَة مُمَوَّهَة بالذَّهَب، وَسَمٌّ مُغلف بالسُّكَّر. وَمَعَ ذَلكَ لقَدْ اهْتَدَى العَقْل السَّليمُ إلى شَنَاعَة هَذه الدَّنيَّة، وَدَل عَلى قَبَاحَة هَذه الغَيْر المَرْضيَة. وَلهَذَا قَال العُلَمَاءُ: "لوْ أَوْصَى شَخْصٌ بمَاله لأَعْقَل أَهْل زَمَانه يُعْطى للزُّهَّاد". فَإِنَّهُمْ رَاغبُونَ عَنِ الدُّنْيَا وَرَغْبَتُهِمْ عَنْهَا منْ كَمَال عَقْلهِمْ. وَمَعَ ذَلكَ لَمْ يَكْتَفِ الحَقُّ سُبْحَانَهُ منْ كَمَال رَحْمَته بشَهَادَة العَقْل وَحْدَهُ، بَل ضَمَّ إلَيْه شَاهدًا آخرَ منَ النَّقْل وَاطَّلَعَ عَلَى حَقيقَة ذَاكَ المَتَاعِ الكَاسد عَلى أَلسنَة الرُّسُل - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - الذينَ هُمْ رَحْمَةٌ للعَالمِينَ - وَمَنَعَ عَنْ مَحَبَّة تلكَ القَحْبَة وَالتَّعَلق بهَا مَنْعًا بَليغًا. وَمَعَ وُجُود هَذَيْنِ الشَّاهدَيْنِ العَدْلَيْنِ إِذَا أَكَل شَخْصٌ السُّمَّ بطَعم السُّكَّرِ المَوْهُوم، وَاخْتَارَ النَّجَاسَةَ برَجَاء الذَّهَب المُتَخَيَّل، فَهُوَ سَفيهٌ مَحْضٌ وَبَليدٌ بالطَّبْعِ بَل هُوَ مُنْكرٌ لأَخْبَارِ الرُّسُل عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ في الحَقيقَة، وَحُكْمُه حُكْمُ المُنَافق الذي فيه صُورَةُ الإيمَان، وَهيَ لاَ تَنْفَعُ في الآخرَة وَلاَ نَتيجَةَ لهَا غَيْرَ عصْمَة الدِّمَاء وَالأَمْوَال الدُّنْيَويَّة. فَيَنْبَغي رَفْعُ قُطْنِ الغَفْلَة اليَوْمَ منَ الأُذُن، وَإلاَّ لاَ يَحْصُل شَيْءٌ غَدًا سوَى الحَسْرَة وَالنَّدَامَة وَالشَّرْطُ الإخْبَارُ، شعْرٌ:

إنمـــا هـــذه الدنيـــا متاع ... الغُرُور الغُرُور مَنْ يَصْطَفيهَا
مَا مَضَى فَاتَ وَالمُؤَمَّل غَيْبٌ ... وَلك الســـاعةُ التي أَنْتَ فيهَا

المَكْتُوبُ السَّادِسَ عَشَرَ وَالمائَتَان
إلى المِرْزَا حُسَام الدِّين
فِي بَيَانِ سرِّ كَثْرَة ظُهُور الخَوَارِق للعَادَات منْ بَعْضِ الأَوْلِيَاء وَقلة ظُهُورهَا منْ بَعْضٍ آخَرَ وَبَيَان أَتَمِّية مَقَام التَّكْميل وَالإرْشَاد وَمَا يُنَاسبُ ذَلكَ

الحَمْدُ لله رَبِّ العَالمينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلى سَيِّد المُرْسَلينَ وَآله الطَّاهرينَ أَجْمَعينَ قَدْ يَقَعُ في الخَاطرِ الفَاترِ أَنَّهُ لَمَّا حَال البُعْدُ الصوريُّ بيني وَبَيْنَ الأَحبَّة وَصَارَتْ المُلاَقَاةُ الظَّاهريَّةُ كَعَنْقَاء المَغْرب، كَانَ المُنَاسبُ أَنْ أَكْتُبَ إليْهِمْ بَعْضَ العُلومِ وَالمَعَارِف أَحيَانًا فَبنَاءً عَلَى ذَلكَ أَكْتُبُ منْ هَذَا القسْمِ شَيْئًا في بَعْضِ الأَوْقَات، وَالمَرْجُوُّ أَنْ لاَ يَكُونَ ذَلكَ مُنْجَرٌّ إلى المَلاَل. أَيُّهَا المَخْدُومُ لَمَّا كَانَ مَبْحَثُ الولاَيَة فيمَا بَيْنَنَا وَنَظَرُ عَوَامِّ الخَلاَئق، إلى ظُهُور الخَوَارِق، أَذْكُرُ منْ هَذه المَقُولة كَلمَات يَنْبَغي استمَاعُهَا. اعْلمْ أَنَّ الوِلاَيَةَ عبَارَةٌ عَنِ الفَنَاء وَالبَقَاء وَالخَوَارقُ وَالكُشُوفُ منْ لوَازمها قلتْ أَوْ كَثُرَتْ، وَلكنْ ليْسَ كُل مَنْ تَكُونُ خَوَارقُه أَكْثَرَ تَكُونُ ولاَيَتُهُ أَتَمَّ وَحَظُّه أَوْفَرَ، بَل كَثيرًا مَا يَكُونُ ظُهُورُ الخَوَارق قَليلاً وَتَكُونُ الولاَيَةُ أَكْمَل مَدَارُ كَثْرَة ظُهُور الخَوَارِق عَلى أَمْرَيْن. كَوْن العُرُوجِ إلى الفَوْق أَكْثَرَ في وَقْت العُرُوجِ وَكَوْن النُّزُول إلى السُّفْل أَقَل في وَقْت النُّزُول، بَل الأَصْل العَظيمُ في كَثْرَة ظُهُور الخَوَارِق هُوَ قلةُ النُّزُول عَلى أَيِّ كَيْفيَّة كَانَ جَانبُ العُرُوجِ، فَإنَّ صَاحبَ النُّزُول يُنْزل إلى عَالَمِ الأَسْبَاب وَيَجدُ وُجُودَ الأَشْيَاء مَرْبُوطًا بالأَسْبَاب وَيَرَى فعْل مُسبِّب الأَسْبَاب منْ وَرَاءِ أَسْتَارِ الأَسْبَاب وَالذي لَمْ يَنْزل أَوْ نَزَل، وَلكنْ لَمْ يَصل بَعْدُ إلى الأَسْبَاب فَنَظرُه مَقْصُورٌ عَلى فعْل مُسَبِّب الأَسْبَاب فَقَطْ، لأَنَّ الأَسْبَابَ قَدْ ارْتَفَعَتْ عَنْ نَظَره بالتَّمَامِ وَقَصُرَ نَظَرُهُ عَلى فعْل مُسبِّب الأَسْبَاب فَلاَ جَرَمَ يُعَامل الحَقّ سُبْحَانَهُ كُلاً منْهُمَا مُعَامَلةً عَلى حدَة بمُقْتَضَى ظَنِّ كُل منْهُمَا فَيَكل أَمْرَ مَنْ يَرَى الأَسْبَابَ إلى الأَسْبَاب، وَالذي لاَ يَرَى الأَسْبَاب يُهَيِّئُ أَمْرَهُ بدُون تَوَسُّط الأَسْبَاب، وَحَديثُ "أَنَا عنْدَ ظَنِّ عبدي بي" شَاهدٌ لهَذَا المَعْنَى، وَقَدْ اخْتَلجَ في الخَاطرِ مُدَّةً كَثيرَةً أَنَّهُ مَا الوَجْهُ في عَدَمِ ظُهُورِ الخَوَارِق منْ أَحَد منْ كَمِ أَوْليَاءِ هَذه الأُمَّة مَعَ كَثْرَتهمْ فيمَا مَضَى مثْل مَا ظَهَرَ منْ حَضْرَة السَّيِّدُ مُحْيي الدِّين عَبْد القَادرِ الجيلاَنيِّ – قُدِّسَ سِرُّهُ – فَأَظْهَرَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ آخرَ الأَمْرِ سرَّ هَذَا المُعمي.

وَاعْلَمْ أَنَّ عُرُوجَ السَّيِّد محيي الدِّينِ الجيلانيِّ - قُدِّسَ سِرُّهُ - كَانَ أَعْلَى مِنْ عُرُوجِ أَكْثَرِ الأَوْلِيَاء، وَنَزَل وَفِي جَانِبِ النُّزُول إِلى مَقَامِ الرُّوحِ فَقَطْ الذي هُوَ فَوْقَ عَالَمِ الأَسْبَاب، وَحكَايَةُ الحَسَنِ البصريِّ وَحَبِيب العجميِّ مُنَاسِبَةٌ لهَذَا، يَعْني مُؤَيِّدَةً وَمُقَوِّيَةً لَمَا سَبَقَ نُقل عَنِ الحَسَنِ البصريِّ "أَنَّهُ كَانَ يَوْمًا وَاقِفًا بِسَاحِل النَّهْرِ مُنْتَظِر السَّفينَة لِيَعْبُرَ النَّهْرَ فَجَاءَ حَبِيبٌ العجميُّ فِي أَثْنَاء ذَلِكَ فَسَأَلَهُ عَنْ سَبَب وُقُوفه، فَقَال: أَنْتَظِرُ السَّفِينَةَ. فَقَال الحَبِيبُ: مَا الحَاجَةُ إِلى سَفِينَة أَلَيْسَ فيك يَقِينٌ ؟ فَقَال الحَسَنُ: أَلَيْسَ لكَ علمٌ ؟ فَعَبَرَ الحَبِيبُ النَّهْرَ يَعْنِي مَاشِيًا عَلى المَاء بلاَ اسْتِعَانَة سَفِينَة وَبَقِيَ الحَسَنُ وَاقِفًا مُنْتَظِرًا لِلسَّفِينَة". وَكَانَ الحَسَنُ البصريُّ قَدْ نَزَل إِلى عَالَمِ الأَسْبَاب. فَعُومِل بِتَوَسُّط الأَسْبَابِ وَكَانَ الحَبِيبُ العجميُّ قَدْ طَرَحَ الأَسْبَابَ وَأَزَاحَهَا عَنْ نَظَرِه بِالتَّمَامِ، فَعُومِل مِنْ غَيْرِ تَوَسُّطِ الأَسْبَاب. وَلكنَّ الفَضْل لِلحَسَنِ لأَنَّهُ صَاحِبُ العلمِ وَجَمَع بَيْنَ عَيْنِ اليَقِينِ وَعلمِ اليَقِينِ وَعلمِ الأَشْيَاء كَمَا هِيَ فَإِنَّ القُدْرَةَ جُعِلَتْ فِي نَفْسِ الأَمْرِ مَسْتُورَةً فِيمَا وَرَاءَ الحِكْمَة وَحَبِيبٌ العجميُّ صَاحِبُ سُكْر، لهُ يَقِينٌ بِالفَاعِل الحَقِيقِيِّ مِنْ غَيْرِ مدخليَّة الأَسْبَاب وَهَذِه الرُّؤْيَةُ لَيْسَتْ بِمُطَابِقَة لِنَفْسِ الأَمْرِ لأَنَّ تَوَسُّطَ الأَسْبَاب كَائِنٌ بِحَسَب الوَاقِع.

وَأَمَّا مُعَامَلَةُ التَّكْمِيل وَالإِرْشَاد فهي عَلى عَكْسِ مُعَامَلَة ظُهُور الخَوَارِق، فَإِنَّ فِي مَقَامِ الإِرْشَاد كُلمَا كَانَ النُّزُول أَكْثَرَ يَكُونُ الإِرْشَادُ أَكْمَل وَأَوْفَرَ، فَإِنَّ حُصُول المُنَاسَبَة بَيْنَ المُرْشِد وَالمُسْتَرْشِد لاَزِمٌ فِي الإِرْشَاد وَهُوَ مَنُوطٌ بِالنُّزُول وَاعْلَمْ أَنَّ التَّفَوُّقَ كُلمَا كَانَ أَكْثَر يَكُونُ النُّزُول أَكْثَرَ فِي الأَغْلَب، وَلِهَذَا كَانَ عُرُوجُ النَّبِيِّ ﷺ فَوْقَ الكُل وَنَزَل وَقْتَ النُّزُول أَسْفَل مِنَ الكُل، وَلِذَا كَانَتْ دَعْوَتُه أَتَمَّ وَكَانَ مُرْسَلاً إِلى كَافَّة الأَنَام. لأَنَّهُ قَدْ حَصَلَتْ لهُ ﷺ مُنَاسَبَةٌ بِالكُل بِوَاسِطَة نِهَايَة النُّزُول وَكَانَ طَرِيقُ إِفَادَته أَتَمَّ، وَكَثِيرًا مَا تَقَعُ إِفَادَةُ الطَّالِبِينَ مِنْ متوسطي هَذَا الطَّرِيق مَا لاَ يَتَيَسَّرُ مِنَ المُنْتَهِينَ غَيْرِ المَرْجُوعِينَ، فَإِنَّ فِي المُتَوَسِّطِينَ زِيَادَةَ مُنَاسَبَة لِلمُبْتَدئِينَ بِالنِّسْبَة إِلى المُنْتَهِينَ غَيْرِ المَرْجُوعِينَ. وَمِنْ هَهُنَا قَال شَيْخُ الإِسْلاَم الهرويُّ - قُدِّسَ سِرُّهُ -: "لَوْ كَانَ الخرقانيُّ وَمُحَمَّدٌ القَصَّابُ فِي مَحَل وَاحد لأَرْسَلْتُكُمْ إِلى مُحَمَّد القَصَّاب لاَ إِلى الخرقانيِّ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ لكُمْ مِنَ الخرقانيِّ". يَعْنِي كَانَ الخرقانيُّ مُنْتَهِيًا، فَيَكُونُ احتظاظُ المُرِيد مِنْهُ قَلِيلاً. يَعْنِي مُنْتَهِيًا غَيْرَ مَرْجُوعٍ لاَ مُنْتَهِيًا مُطْلَقًا، فَإِنَّ عَدَمَ الإِفَادَة التَّامَّة غَيْرُ وَاقِعٍ فِي حَقِّه فَإِنَّ مُحَمَّدًا رَسُول الله ﷺ أَزْيَدَ انْتِهَاءً مِنَ الكُل وَالحَال أَنَّ

إفَادَتَهُ كَانَتْ أَزْيَدَ مِنَ الكُل فَكَانَ مَدَارُ زِيَادَة الإفَادَة وَنُقصَانهَا عَلى الرُّجُوعِ وَالهُبُوط لأَعْلى الانْتهَاء وَعَدَمه. وَههُنَا دَقِيقَةٌ يَنْبَغي أَنْ يُعْلم كَمَا أَنَّ في حُصُول نَفْسِ الوِلاَيَة لاَ يُشْتَرَطُ لصَاحِبهَا العلمُ بولاَيَة نَفْسه كَمَا هُوَ مَشْهُورٌ، كَذَلكَ لاَ يُشْتَرَطُ العلمُ بوُجُود خوَارِق العَادَات. بَل كَثيرًا مَا يَنْقُل النَّاسُ عَنْهُ خوَارِقَ وَلاَ يَكُونُ لهُ عَلى تلكَ الخَوَارِق اطِّلاَعٌ أَصْلاً وَالأَوْليَاءُ الذينَ هُمْ أَصْحَابُ العلم وَالكَشْف يَجُوزُ أَنْ لاَ يَكُونَ لَهُمُ اطِّلاَعٌ عَلى خوارقهم. بَل تَظْهَرُ صُوَرُهُمُ المثَاليَّةُ في أَمْكنَة مُتَعَدِّدَة، وَتَظْهَرُ منْ تلكَ الصُّوَر أُمُورٌ عَجيبَةٌ وَحَالاَتٌ غَرِيبَةٌ في مَسَافَاتٍ بَعيدَةٍ وَلاَ اطِّلاَعَ لصَاحب تلكَ الصُّوَر عَلى ذَلكَ أَصْلاً، (ع):

وَمَا الفعْل إلاَّ منْهُ، وَالغَيْرُ مُظْهَرٌ

قَال حَضْرَةُ مخدومي وَقبْلتي - قُدِّسَ سرُّهُ - يَعْني شَيْخَه قَال وَاحدٌ منَ الأَعزَّة: "يَا للعَجَب يَجيءُ النَّاسُ منَ الأَطْرَاف وَالجَوَانب. فيَقُول بَعْضُهمْ: رَأَيْنَاك في مَكَّةَ المُعَظَّمَة وَكُنْتَ حَاضرًا في مَوْسم الحَجِّ وَحَجَجْنَا مَعًا. وَيَقُول بَعْضُهمْ: رَأَيْتُك في بَغْدَادَ وَيُظهرُونَ المَحبَّةَ وَالمَوَدَّةَ. وَأَنَا لمْ أَخرُجْ منْ بيتي أَصْلاً، وَلمْ أَرَ أَمْثَال هَؤُلاَء النَّاسِ فَأَيّ تُهْمَة يتهمونني بهَا". وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلمُ بحَقَائق الأُمُور كُلهَا وَالزِّيَادَةُ عَلى ذَلكَ إطْنَابٌ. فَإنْ كَانَ تَعَطُّشكُمْ مَعْلومًا أَكْتُبُ سَرِيعًا أَزيدَ منْ ذَلكَ إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالى.

المَكْتُوبُ السَّابِعَ عَشَرَ وَالمائَتَان
إلى الملا طَاهِر البدخشيّ
في بَيَانِ أَنَّ نسبَةَ البَاطِنِ كُلمَا تَنْجَرُّ إلى الجَهَالَة وَالحَيْرَة تَكُونُ أَحْسَنَ وَبَيَانِ سَبَب وُقُوعِ الغَلط في بَعْضِ الكُشُوف وَالفرْق بَيْنَ القَضَاء المُعَلق وَالمُبْرَم وَأَنَّ المُعَوَّل عَلَيْه هُوَ الكتَابُ وَالسُّنَّةُ وَأَنَّ إجَازَةَ تَعْليمِ الطَّرِيقَة لاَ يَدُل عَلَى الكَمَال وَالتَّكْميل مُطْلَقًا

الحَمْدُ لله رَبِّ العَالمينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلى سَيِّد المُرْسَلينَ وَعَلى آله الطَّاهرَيْنِ أَجْمَعينَ لَمْ تطلعوني عَلى أَحْوَالكُمْ وَأَوْضَاعكُمْ منْ مُدَّة مَديدَة، وَالاسْتقَامَةُ مَطْلُوبَةٌ عَلى كُل حَال فَعَلَيْكُمْ بالسَّعْيِ وَالاجْتهَاد لئَلاَّ يَقَعَ خلاَفُ الشَّرِيعَة مقْدَارَ شَعْرَة اعْتقَادًا وَعَملاً. وَالمُحَافَظَةُ عَلى النِّسْبَة البَاطنيَّة منْ أَهَمِّ المُهمَّات، وَكُلمَا تَنْجَرُّ النِّسْبَةُ إلى جَانب الجَهَالة تَكُونُ أَحْسَنَ وَكُلمَا تَذْهَبُ إلى طَرَف الحَيْرَة تَكُونُ أَفْضَل. وَالكُشُوفَاتُ الإلهيَّةُ والظهوراتُ الأسمائيةُ إنَّمَا هيَ في أَثْنَاء الطَّرِيق، وَأَمَّا بَعْدَ الوُصُول فَكُل ذَلكَ يَقْصُرُ هُنَالكَ لاَ يَبْقَى فيه غَيْرُ الجَهَالة وَعَدَمُ وجْدَان المَطْلوب. وَمَاذَا أَكْتُبُ منَ الكُشُوف الكَوْنيَّة فَإنَّ مَجَال الخَطَأ فيهَا كَثيرٌ، وَمَظنَّةُ الغَلط غَالبَةٌ، فَيَنْبَغي اعْتقَادُ أن وَجُودَهَا وَعَدَمَهَا سيَّان.

فَإنْ قيل: مَا السَّبَبُ في وُقُوعِ الغَلط في بَعْضِ الكُشُوف الكَوْنيَّة – التي يَصْدُرُ عَنْ أَوْليَاء الله تَعَالى – وَظُهُور خلافهَا ؟ أُخبرَ مَثَلاً أَنَّ فُلاَنًا يَمُوتُ بَعْدَ شَهْر أَوْ يَرْجعُ منْ سَفَره إلى وَطَنه وَلَمَّا مَضَى ذَلكَ الشَّهْرُ لَمْ يَقَعْ شَيْءٌ ممَّا أُخْبرَ به أُجيبُ أَنَّ حُصُول هَذَا الأَمْر المَكْشُوف المُخبَر عَنْ وُقُوعه كَانَ مَشْرُوطًا بشَرَائطَ وَصَاحبُ الكَشْف لَمْ يَطَّلعْ عَلى تَفَاصيلهَا وَقْتَ الإخْبَار به فَحَكَمَ بحُصُوله مُطْلقًا، أَوْ نَقُول إنَّ حُكْمًا منَ الأَحْكَام المَسْطُورَة في اللوْح المَحْفُوظ ظَهَرَ لعَارف وَكَانَ ذَلكَ الحُكْمُ قَابلاً في نَفْسه المَحْوَ الرَّفْعَ وَكَانَ منْ قَبيل القَضَاء المُعَلق، وَلَكنْ لَمْ يَكُنْ للعَارف خَبَرٌ منْ كَوْنه مُعَلقًا وَقَابليَّتَهُ للمَحْوِ وَالرَّفْعِ. فَإذَا أَخْبَرَ في هَذه الصُّورَة بمُقْتَضَى علمه وَحَكَمَ بوُقُوعه يَكُونُ فيه احْتمَال التَّخلف أَلبَتَّة نُقل "أَنَّ جبْرِيل – عَلَيْه السَّلاَمُ – أَتَى النَّبيَّ ﷺ وَأَخبَرَهُ بمَوْت شَابٍّ عَلى الصَّبَاحِ فَترَحَّمَ

النَّبِيُّ ﷺ لحَاله فَسَأَلهُ عَمَّا يَتمَنَّاهُ منَ الدُّنْيَا فَقَال: نكَاحُ بكْرٍ، وَأَكْل حَلوَى فَأَمَرَ بإحْضَارهمَا حَالاً فَبيْنَمَا الشَّابُّ قَاعدٌ في الليْل مَعَ أَهْله في خَلوَته وَطَبَقُ الحَلوَى بيْن أَيْديهمَا إذْ جَاءَ سَائل اتِّفَاقًا عنْدَ البَاب وَسأل شَيْئًا لله فَنَاوَلهُ الشَّابُّ الحَلوَى كَمَا هُوَ بطَبَقه فَلمَّا أَصْبَحَ النَّبيُّ ﷺ قَعَدَ مُنْتَظرًا لمَجيء خَبَر مَوْت الغُلاَم فَلمَّا تَأَخَّرَ الخَبَرُ قَال: أخبروني عَنْ حَال ذَاكَ الغُلاَم. فَأَخْبَرُوهُ بأَنَّهُ في سُرُور وَفَرَح فَبَقيَ مُتَحَيِّرًا فَجَاءَهُ جبْريل - عَلَيْه السَّلاَمُ - فَقَال: إنَّهُ تَصدَّقَ بالحَلوَى فَدَفَعَ ذَلكَ عَنْهُ البَلوَى. فَوَجَدَتُ تَحْتَ وسَادَته حَيَّةً عَظيمَةً مَيِّتَةً وَبَطْنُهَا مَحْشُوٌّ بالحَلوَى وَمُمْتَلئٌ به بحَيْثُ مَاتَتْ منْ كَثْرَته"، وَأَنَا لاَ أَقْبَل هَذَا النَّقْل، وَلاَ أُجَوِّزُ الخَطَأَ عَلى جبْريل فَإنَّهُ حَامل الوَحيي القَطْعيِّ وَأَرَى احْتمَال الخَطَأ منْ حَامل الوَحَي مُسْتَقْبَحًا اللهُمَّ إلاَّ أَنْ نَقُول إنَّ عصْمَتَهُ وَعَدَمَ احْتمَال الخَطَأ منْهُ مَخْصُوصَةٌ بالوَحْي الذي هُوَ تَبْليغٌ منْ قبَل الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَهَذَا الخَبَرُ ليْسَ منْ قسْم الوَحْي بَل هُوَ إخْبَارٌ مَنْ علم مُسْتَفَاد منَ اللوْح المَحْفُوظ الذي هُوَ مَحَل المَحْو وَالإثْبَات فَيَكُونُ للخَطَأ مَجَال في هَذَا الخَبَر بخلاَف الوَحْي الذي هُوَ مُجَرَّدُ تَبْليغ فَافْتَرَقَا كَالفَرْق بيْنَ الشَّهَادَة الإخْبَار فَإنَّ الأُولى مُعْتَبَرَةٌ في الشَّرْع لاَ الثَّاني اعْلمْ أَيَّدَك اللهُ تَعَالى أَنَّ القَضَاءَ عَلى قسْمَيْن قَضَاء مُعَلق وَقَضَاء مُبْرَم وَاحْتمَال التَّبْديل وَالتَّغْيير إنَّمَا هُوَ في القَضَاء المُعَلق وَأَمَّا القَضَاءُ المُبْرَمُ فَلاَ مَجَال فيه للتَّبْديل وَالتَّغْيير قَال اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى: {مَا يُبَدَّلُ القَوْل لدَيَّ} هَذَا في القَضَاء المُبْرَم وَقَال في القَضَاء المُعَلق {يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبتُ وَعنْدَهُ أُمُّ الكتَاب} قَال حَضْرَةُ قبْلتي - قُدِّسَ سرُّهُ - يَعْني شَيْخَه كَتَبَ حَضْرَةُ السَّيِّد محيي الدِّين عَبْد القَادر الجيلاني - قُدِّسَ سرُّهُ - في بَعْض رَسَائله لاَ مَجَال لأَحَد في تَبْديل القَضَاء المُبْرَم إلاَّ لي فَإنِّي أَتَصرَّفُ فيه أَيْضًا إنْ أَرَدْتُ ذَلكَ وَكَثيرًا مَا كَانَ يَتعَجَّبُ منْ هَذَا الكَلاَم وَيَسْتَبْعدُهُ وَكَانَ هَذَا النَّقْل مُدَّةً مَديدَةً في خزَانَة ذهْن هَذَا الفَقير إلى أَنْ شَرَّفني اللهُ سُبْحَانَهُ بهَذه الدَّوْلة العُظْمى حَيْثُ كُنْتُ يَوْمًا في صَدَد دَفْع بَليَّة مُتَوجِّهَة إلى بَعْض الأَحبَّة وَكَانَ لي في ذَلكَ الوَقْت التجَاءٌ وَتَضرُّعٌ وَابْتهَال وَخُشُوعٌ تَامٌّ إلى الله تَعَالى فَظَهَرَ أَنَّ قَضَاءَ هَذَا الأَمْر ليْسَ بمُعَلق بأَمْر آخَرَ في اللوْح المَحْفُوظ وَلاَ بمَشْرُوط بشَرْط فَحَصَل بَعْدَ هَذَا نَوْعُ يَأْس وَحرْمَان فَخَطَرَ في ذَلكَ الوَقْت قَوْل السَّيِّد عَبْد القَادر الجيلاني - قُدِّسَ سرُّهُ - فَالتَجَأْتُ إليْه تَعَالى وَتَضرَّعْتُ مَرَّةً ثَانيَةً وَتَوجَّهْتُ إليْه سَالكًا طَريقَ إظْهَار العَجْز

وَالانْكسَار فَأَظْهَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِأَنَّ القَضَاءَ المُعلَقَ عَلى نَوْعَيْنِ قَضَاءٌ ظَهَرَ تَعْليقهُ فِي اللوْحِ المَحْفُوظ وَأَطْلعَ عَليْه المَلاَئكَة وَقضَاءٌ تَعْليقهُ عِنْدَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ فَقط وَهُوَ عَلى صُورَة القَضَاءِ المُبْرَم فِي اللوْحِ المَحْفُوظ وَفِي القسْمِ الأَخير مِنَ القَضَاءِ المُعَلق احْتمَال التَّبْديل مثْل الأَوَّل فَصَارَ مَعْلومًا مِنْ هُنَاكَ أَنَّ كَلاَمَ السَّيِّد الجيلاَنِيِّ مَصْرُوفٌ إِلى القسْمِ الأَخيرِ الذي لهُ صُورَةُ القَضَاء المُبْرَم لاَ إِلى قَضَاءٍ هُوَ مُبْرَمٌ حَقيقَةً فَإِنَّ التَّصرُّفَ وَالتَّبْديل فيه مُحَالاَن شرْعًا وَعَقْلاً كَمَا لاَ يَخْفَى وَالحَقُّ أَنَّ لأَفْرَاد قَليلة اطِّلاَعًا عَلى حَقيقَة ذَلكَ القَضَاء فَكَيْفَ التَّصرُّفُ هُنَاكَ وَوَجَدْتُ البَليَّةَ المُتوَجِّهَةَ إِلى الأَخ المَذْكُور مِنَ القسْمِ الأَخير وَصَارَ مَعْلومًا أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ دَفْعَهَا عَنْهُ وَالحَمْدُ لله سُبْحَانَهُ عَلى ذَلكَ حَمْدًا كَثيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فيه مُبَارَكًا عَليْه كَمَا يُحبُّ رَبُّنَا وَيَرْضى وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ عَلى سَيِّد الأَوَّلينَ وَالآخرينَ وَخَاتَمِ الأَنْبيَاء وَالمُرْسَلينَ الذي أَرْسَلهُ رَحْمَةً للعَالمينَ وَعَلى آله وَأَصْحَابه وَعَلى جَميعِ إِخْوَانه منَ النَّبيِّيْنِ وَالصِّدِّيقينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالحينَ وَالمَلاَئكَة المُقَرَّبينَ أَجْمَعينَ اللهُمَّ اجْعَلنَا منْ مُحبِّيهِمْ ومتابعي آثَارهِمْ ببَرَكَة هَؤُلاَءِ الأَكَابِر وَيَرْحَمُ اللهُ عَبْدًا قَال آمينا وَلنَرْجِعْ إِلى أَصْل الكَلاَمِ وَنَقُول: إِنَّ سَبَبَ وُقُوعِ الخَطَأ فِي بَعْضِ العُلومِ الإِلهَاميَّة فِي بَعْضِ الأَوْقَات هُوَ أَنَّ بَعْضَ المُقدمَات المُسلمَة الثَّابتَة عنْد صَاحب الإِلهَامِ الكَاذبَة فِي نَفْسِ الأَمْرِ تَلتَبسُ وَتَختَلطُ مَعَ العُلومِ الإِلهَاميَّة بحَيْثُ لاَ يَقْدرُ صَاحبُ الإِلهَامِ عَلى التَّمْييز بَل يَظُنُّ جَميعَ تلكَ العُلوم إِلهَاميَّةً فَلاَ جَرمَ يَقعُ الخَطَأُ فِي المَجْمُوعِ بسَبَب الخَطَأ فِي بَعْضِ أَجْزَائهَا وَأَيْضًا قَدْ يَرَى فِي بَعْضِ الأَحْيَان أُمُورًا غَيْبيَّةً فِي الكُشُوف وَالوَاقعَات وَيُخَيِّل الرأيُ أَنَّهَا مَحْمُولةٌ عَلى ظَاهرهَا وَمَقْصُورَةٌ عَلى صُورَتهَا فَيَحْكُمُ عَلى مقْدَار خَيَاله فَيَقعُ الخَطأُ وَلاَ يَرَى أَنَّ تلكَ الأُمُور مَصْرُوفَةٌ عَنْ ظَاهرهَا وَمَحْمُولةٌ عَلى التَّأْويل وَالتَّعْبير وَهَذَا المَقَامُ أَيْضًا منْ جُمْلة مَقَامَات الأَغْلاَط الكَشْفيَّة وَبالجُمْلة إِنَّ مَا هُوَ القَطْعيُّ الحَقيقُ بالاعْتمَاد هُوَ الكتَابُ وَالسُّنَّةُ فَإِنَّهُمَا ثَبَتَا بالوَحْيِ القَطْعيِّ وَتَقرَّرَا بنُزُول المَلك وَإِجْمَاعِ العُلمَاء وَاجْتهَاد المُجْتَهدينَ يَعْني القيَاسَ رَاجعَان إِلى هَذَيْنِ الأَصْليْن وَمَا وَرَاءَ هَذه الأُصُول الأَرْبَعَة كَائنًا مَا كَانَ إِنْ كَانَ مُوَافقًا لوَاحد منْ هَذه الأُصُول فَهُوَ مَقْبُول وَإِلاَّ فَلاَ وَإِنْ كَانَ منْ عُلومِ الصُّوفيَّة وَمَعَارفهِمْ البَهيَّة وَمنَ الإِلهَام وَالكُشُوفَات السَّنيَّة فَإِنَّ الوَجْدَ وَالحَال لاَ يُشْترَى هُنَاكَ بنصْف شَعيرةٍ مَا لمْ يُوزَنْ بميزَان الشَّريعَة وَالإِلهَامُ وَالكُشُوفُ لاَ يُقبَل

عَلى نصْف دَانَقٍ مَا لَمْ يُجرَّبْ بمحَكِّ الكُتَّاب وَالسُّنَّة وَالمَقْصُودُ منْ سُلوك طَريق الصُّوفيَّة حُصُول ازْدياد اليَقين بحَقيَة المُعْتَقدَات الشَّرْعيَّة الذي هُوَ حَقيقَةُ الإيمَان وَحُصُول اليُسْرِ في أَدَاء الأَحْكَام الشَّرْعيَّة لاَ أَمْرَ آخرَ وَرَاءَ ذَلكَ فَإنَّ الرُّؤْيَةَ مَوْعُودَةٌ في الآخرَة لَيْسَتْ بوَاقعَة في الدُّنْيَا وَالمُشَاهَدَاتُ وَالتَّجليَاتُ التي الصُّوفيَّةُ مَسْرُورُونَ بهَا اطْمئْنَانٌ بالظِّلاَل أَوْ تَسَلٍّ بالشَّبَه وَالمثَال وَهُوَ تَعَالى وَرَاءَ الوَرَاء فَإنْ كَشَفْتَ عَنْ حَقيقَة هَذه المُشَاهَدَات وَالتَّجلَيَات كَمَا هيَ أَخَافُ منْ وُقُوعِ الفُتُورِ في طَلب مبتدئي هَذَا الطَّريق وَتَطَرُّقُ القُصُورِ إلى شَوْقهمْ وَإنْ سَكَت عَنْ ذَلكَ مَعَ وُجُود العلم به أَخَافُ منْ أَنْ أَكُونَ مُجَوِّزا لالتبَاسِ الحَقِّ بالبَاطل فَبالضَّرُورَة أَرَدْت أَنْ أُظْهرَ هَذَا القَدْرَ وَهُوَ أَنَّ تَجليَات هَذَا الطَّريق وَمُشَاهَدَاته يَنْبَغي أَنْ تَعْرضَ عَلى محَكِّ تَجَلي كَليم الله مُوسَى - عَلى نَبيّنَا وَعَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَشُهُوده فَإنْ لَمْ تَصحَّ يَعْني لَمْ تُطَابقْهُ بَل خَالفَتْهُ يَنْبَغي أَنْ يُحْكَمَ عَليْهَا بكَوْنهَا منْ جُمْلة التَّجلَيَات الظِّلاليَّة وَالمثَاليَّة بالضَّرُورَة وَلاَ يَجُوزُ أَنْ تَصحَّ يَعْني تُطَابقُ أَلْبَتَّةَ فَإنَّ الدَّكَّ وَالفَكَّ مَفْقُودٌ وَلاَ بُدَّ منْهُ في الدُّنْيَا سَوَاءً تَجلى للبَاطنِ أَوْ للظَّاهرِ فَإنَّهُ يَلزَمُهُ الدَّكُّ وَالفَكُّ أَلبَتَّةَ وَخَاتَمُ الأَنْبيَاء عَليْه وَ ليْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لكَوْنه مُبَرَّأً منْ هَذه الوَصْمَة تَيَسَّرَتْ لهُ الرُّؤْيَةُ في الدُّنْيَا وَلمْ يَذْهَبْ عَنْ مَكَانه مقْدَارَ شَعْرَة وَلاَ تَكُونُ هيَ بلاَ حجَاب ظل منَ الظِّلال لكَمَل تَابعيه ﷺ منَ الذينَ لَهُمْ نَصيبٌ منْ هَذَا المَقَامِ فَهمَهُ صَاحبُ التَّجَلي أَوَّلاً فَإذَا وَقعَ الصَّعْقُ لكَليمِ الله مُوسَى عَليْه السَّلاَمُ منْ مُشَاهَدَة هَذَا الحَال فَقطْ منْ غَيْرِ وُقُوعِ التَّجلي لهُ مَاذَا يَقعُ لغَيْره ثُمَّ اعْلمْ أَنَّ المَقْصُودَ منْ إجَازَة بَعْضِ المُخْلصينَ هُوَ أَنْ يَكُونَ ذَلكَ المَجَازُ دَليلاً وَهَاديًا إلى طَريق الحَقِّ - جَل وَعَلاَ - بجَمَاعَة في مثْل هَذَا الزَّمَان الذي فَشَتْ فيه الضَّلاَلةُ وَعَمَّتْ وَيَشْتَغل هُوَ أَيْضًا باتِّفَاق هَؤُلاَءِ الطَّلَبَة وَيَترَقَّى وَيَسْعَى مُحَافظًا عَلى هَذه النِّسْبَة وَيَجْتَهدُ لأَنْ يَكُونَ المُسْتَرْشدُونَ أَيْضًا مُتَشَرِّفينَ بهَذه الدَّوْلة لاَ أَنَّ الإجَازَةَ تُوقعُهُ في تَوَهُّمِ الكَمَال وَالتَّكْميل وَتَمْنَعُهُ منَ المَقْصُودِ مَا عَلى الرَّسُول إلى البَلاَغِ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّامِنَ عَشَرَ وَالمِائَتَان
إِلى المُلا دَاوُدَ
فِي بَيَانِ لزُومِ رِعَايَةِ آدَاب شَيْخِ الطَّرِيقَة

وَصَل المَكْتُوبُ الشَّرِيفُ مِنَ الأَخِ الأَعَزِّ المُلا دَاوُدَ وَصَارَ مُوجِبًا للابْتِهَاجِ جَعَلَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ ظَاهِرَه وَبَاطِنَه مُتَحلِيًّا وَمُتَزَيِّنًا بِمَرْضِيَّاتِه بِحُرْمَةِ النَّبِيِّ وَآلِه الأَمْجَاد عَلَيْه وَ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

المَطْلوبُ عَدَمُ وُقُوعِ الفُتُورِ فِي تَكْرَارِ ذِكْرِ القَلْب وَالاسْتِقَامَة عَلى طَرِيقَة الأَكَابِرِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ بِسَبَب تَوَجُّهَات شَتَّى فَمَتَى طَرَأَتْ الظُّلْمَةُ وَالكُدُورَةُ فَرْضًا فَعِلاَجُهَا الالتِجَاءُ وَالتَّضَرُّعُ وَالابْتِهَالُ وَالانْكِسَارُ إِلى جَنَاب قُدْسِ الحَقِّ - جَل سُلطَانُهُ - وَالتَّوَجُّهُ التَّامُّ إِلى مُرَبِّيه فَإِنَّهُ هُوَ الوَسِيلَةُ إِلى حُصُول هَذه الدَّوْلَة فَيَنْبَغِي رِعَايَةُ آدَاب وَسَائِل هَذه الدَّوْلَة العُظْمى كَمَا هُوَ حَقُّهَا فِي الحُضُورِ وَالغَيْبَة وَأَنْ يَجْعَل رِضَاءَ هَؤُلاَء الأَكَابِرِ وَسِيلةً إِلى تَحْصِيل رِضَاء الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَهَذَا هُوَ طَرِيقُ النَّجَاةِ وَالفَلاَحِ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ التَّاسِعَ عَشَرَ وَالمِائَتَان

إلى المِرْزَا ايرج

فِي بَيَان أَنَّ اشْتِغَال الإنْسَان بِمَا لاَ يَعْنيه وَتَرْكَهُ مَا يَعْنيه وَيُهِمُّهُ مِنْ جَهْله وَغَفْلَته

عَصَمَكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ عَمَّا يَصِمُكُمْ وَصَانَكُمْ عَمَّا شَانَكُمْ بِحُرْمَة سَيِّد الأَوَّلِينَ وَالآخَرِينَ عَلَيْه وَعَلَى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أَيُّهَا السَّعيدُ النَّجيبُ إنَّ الإنْسَانَ إذَا طَرَأَ عَلَيْه مَرَضٌ منَ الأَمْرَاضِ الظَّاهِرَة أَوْ عَرَضَتْ لعُضْوٍ منْ أَعْضَائه آفَةٌ يَسْعَى سَعْيًا بَليغًا حَتَّى يَنْدَفعَ عَنْهُ ذَلكَ المَرَضُ وَتَزُول عَنْهُ تلكَ الآفَةُ وَقَدْ اسْتَوْلَى عَلَيْه المَرَضُ القَلبيُّ الذي هُوَ عبَارَةٌ عَنْ تَعَلق القَلب بمَا دُونَ الحَقِّ - جَل وَعَلاَ - عَلَى نَهْج كَادَ يُوقعُهُ في المَوْت الأبديِّ وَيُلقيه في العَذَاب السرمديِّ وَهُوَ لاَ يَتَفَكَّرُ بَعْدُ في إزَالَته أَصْلاً وَلاَ يَسْعَى في دَفْعه قَطْعًا فَإنْ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ هَذَا التَّعَلقَ مَرَضٌ فَهُوَ سَفيهٌ مَحْضٌ وَإنْ عَلمَ وَمَعَ ذَلكَ لاَ يُبَالي به فَهُوَ بَليدٌ صرْفٌ وَلأَجْل إدْرَاك هَذَا المَرَض لاَ بُدَّ منْ عَقْل المَعَاد فَإنَّ عَقْل المَعَاش لقُصُور فكْره مَقْصُورٌ عَلَى إدْرَاك الظَّاهِر لاَ يَتَعَدَّاهُ إلى بَوَاطنِ الأُمُور فَكَمَا أَنَّ عَقْل المَعَاشِ لاَ يُدْركُ المَرَضَ المعنويَّ أَوْ لاَ يَرَاهُ مَرَضًا بوَاسطَة ابْتلاَئه بالتلذذات الفَانيَة وَانْغمَاسه فيهَا كَذَلكَ عَقْل المَعَاد لاَ يُحس الأَمْرَاضَ الصُّوريَّةَ وَلاَ يَعُدُّهَا أَمْرَاضًا بسَبَب رَجَائه المُثَوِّبَات الأُخْرَويَّة عَقْل المَعَاش قَصيرُ النَّظَر وَعَقْل المَعَاد حَديدُ البَصَر عَقْل المَعَاد نَصيبُ الأَنْبيَاء وَالأَوْليَاء - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَعَقْل المَعَاشِ مَرْغُوبُ الأَغْنيَاء وَأَرْبَاب الدُّنْيَا شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا.

وَالأَسْبَابُ المُحَصِّلَةُ لعَقْل المَعَاد ذكْرُ المَوْت وَتَذَكُّرُ أَحْوَال الآخرَة وَمُجَالسَةُ قَوْمٍ تَشَرَّفُوا بدَوْلَة فكْر الآخرَة. شعْرٌ.

دَلَلتُك يَا هَذَا عَلَى كَنْزِ مُقْصد فَإنْ أَنَا لَمْ أَبْلغْ لعَلك تَبْلغُ

يَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ: كَمَا أَنَّ مَرَضَ الظَّاهر مُوجبٌ للعُسْرَة وَالتَّعَب في أَدَاء الأَحْكَام الشَّرْعيَّة كَذَلكَ مَرَضُ البَاطنِ أَيْضًا مُسْتَلزمٌ لذَلكَ قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالى {كَبُرَ عَلَى المُشْرِكينَ مَا تَدْعُوهُمْ إلَيْه } وَقَال سُبْحَانَهُ وَتَعَالى {وَإنَّهَا لكَبيرَةٌ} وَالمُسْتَلزمُ لذَلكَ العُسْرِ في الظَّاهِر ضَعْفُ القُوَى وَالجَوَارِح وَفي البَاطنِ ضَعْفُ اليَقينِ وَنَقصُ الإيمَان وَإلاَّ فَلَيْسَ في التَّكَاليف الشَّرْعيَّة عُسْرٌ أَصْلاً بَل فيهَا كُلهَا تَخْفيفٌ وَتَمَامُ اليُسْرِ وَالسُّهُولة وَقَوْله تَعَالى {يُريدُ اللهُ بكُمُ اليُسْرَ وَلاَ يُريدُ بكُم

العُسْرَ } وَقَوْله تَعَالى: {يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَـــعِيفًا } شَاهِدَان عَدْلاَن لِهَذَا المَعْنَى شِعْرٌ.

مَا ضَرَّ شَمْسَ الضُّحَى فِي الأُفُقِ طَالِعَةً   أَنْ لاَ يَرَى ضَوْءَهَا مَنْ لَيْسَ ذَا بَصَرِ

فَكَانَ فِكْرُ إِزَالَة هَذَا المَرَضِ لاَزِمًا وَالالتِجَاءُ إِلى الأَطِبَّاءِ الحُذَّاقِ فَرْضًا {مَا عَلَى الرَّسُول إِلاَّ البَلاَغُ}[1] وَالسَّلاَمُ وَالإِكْرَامُ.

---

(١) ـــ الآية: ٩٩ من سورة المائدة.

المَكْتُوبُ العِشْرُونَ وَالمائَتَان
إلى الشَّيْخ حُمَيْد البَنْكَاليّ
فِي بَيَان بَعْض أَغْلاَط الصُّوفيَّة
وَبَيَان مَنْشَأ غلطَاتهمْ

الحَمْدُ لله ربِّ العَالمينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلى سَيِّد المُرْسَلينَ وَعَلى آله وَأَصْحَابه أَجْمَعينَ.

اعْلمْ أَنَّ أَحْوَال فُقَرَاء هَذَا الجَانب وأَوْضَاعَهُمْ مُوجبَةٌ لازْديَاد الشُّكْر يَوْمًا فَيَوْمًا وَنَتَوَقَّعُ ذَلكَ في حَقِّ الأَحْبَاب النَّائينَ أَيُّهَا العَزيزُ إنَّ مَزَلةَ أَقْدَام السَّالكينَ في هَذَا الطَّريق الذي هُوَ طَريقُ غَيْب الغَيْب كَثيرَةٌ يَنْبَغي للسَّالك أَنْ يَعيشَ مُحَافظًا عَلى حَبْل الشَّريعَة في الاعتقاديات وَالعَمَليَّات وَهَذَا نصيحتي في الحُضُور وَالغَيْبَة عَلى فَرْض وُقُوع الغَفْلة وَهَا أَنَا أَكْتُبُ بَعْضَ أَغْلاَط هَذَا الطَّريق وَأُعَيِّنُ مَنْشَأَ الغَلط يَنْبَغي مُلاَحَظَتُه بنَظَر الاعْتبَار وَيَعْمَل فيمَا وَرَاءَ الجُزْئيَّات المَذْكُورَة بمقْيَاسهَا.

اعْلمْ أَنَّ بَعْضًا منْ أَغْلاَط الصُّوفيَّة هُوَ أَنَّ السَّالكَ يَجدُ نَفْسَه أَحْيَانًا في مَقَامَات العُرُوج فَوْقَ قَوْمٍ ثَبَتَتْ أَفْضَليَّتُهُمْ عَلَيْه بإجْمَاع العُلَمَاء وَمَقَامُهُ دُونَ مَقَامَات هَؤُلاَء الأَكَابر في الحَقيقَة يَقينًا بَل رُبَّمَا يَكُونُ هَذَا الاشْتبَاه بالنِّسْبَة إلى الأَنْبيَاء عَلَيْهمُ السَّلاَمُ الذينَ هُمْ أَفْضَل الخَلاَئق قَطْعًا عياذًا بالله سُبْحَانَهُ منْ هَذَا الاشْتبَاه وَمَنْشَأُ غلط هؤُلاَء الجَمَاعَة هُوَ أَنَّ نهَايَةَ عُرُوج الأَنْبيَاء وَالأَوْليَاء أَوَّلاً إلى أَسْمَاء آلهيَّة هيَ مَبَادي تعينَات وُجُودهمْ وَبهَذَا العُرُوج يَتَحَقَّقُ اسْمُ الولاَيَة وَيَسْتَحقُّهُ السَّالكُ وَالعُرُوجُ ثَانيًا في تلكَ الأَسْمَاء ثُمَّ منْ تلكَ الأَسْمَاء إلى مَا شَاءَ اللهُ تَعَالَى وَلكنْ مَأْوَى كُل وَاحد منْهُمْ وَمَرْجعُهمْ وَمَنْزلهمْ مَعَ وُجُود هَذَا العُرُوج هُوَ ذَلكَ الاسْمُ الذي هُوَ مَبْدَأُ تَعَيُّن وُجُوده وَلهَذَا إذَا طَلَبَهُمْ سَالكٌ في مَقَامَات العُرُوج يَجدُهُمْ في تلكَ الأَسْمَاء فَإنَّ مَكَانَ هَؤُلاَء الأَكَابر الطبيعيِّ في مَرَاتب العُرُوج هُوَ هَذه الأَسْمَاءُ وَالعُرُوجُ وَالهُبُوطُ منْهَا بوَاسطَة العَوَارض فَالسَّالكُ العَالي الفطْرَة إذَا وَقَعَ سَيْرُه فَوْقَ الأَسْمَاء لاَ جَرَمَ يَتَرَقَّى عَلى أَعْلى منَ الأَسْمَاء التي هيَ مَبَادي تعينَات الأَنْبيَاء وَسَائر الأَوْليَاء الكبَار فَحينَئذ يَظْهَرُ ذَلكَ التَّوَهُّمُ عياذا بالله سُبْحَانَهُ منْ أَنْ يُزيل ذَلكَ التَّوَهُّمُ اليَقينَ السَّابقَ وَيُورثَ الاشْتبَاه في أَفْضَليَّة الأَنْبيَاء عَلَيْهمُ السَّلاَمُ وَأَوْلويَّةَ الأَوْليَاء ـــ رَضيَ اللهُ عَنْهُمْ ـــ وَقَدْ ثَبَتَ أَفْضَليَّتهمْ وَأَوْلويَّتهمْ

بالإجْمَاعِ وَهَذَا المَقَامُ مِنْ مَزَال أَقْدَام السَّالكِينَ وَلاَ يَدْرِي السَّالكُ فِي ذَلكَ الوَقْت أَنَّ هَؤُلاَء الأَكَابرَ قَدْ عَرَجُوا مِنْ تلكَ الأَسْمَاء عروجات غَيْرَ مُتَنَاهيَة وَبَلغُوا مَحَلاً لاَ يُمكنُ العُرُوجُ فَوْقَهُ وَلَمْ يَعْرفْ أَنَّ تلكَ الأَسْمَاءَ أَمْكنَتُهمْ الطَّبيعيَّةُ وَلَهُ أَيْضًا مَكَانٌ طبيعيٌّ هُنَاكَ أَدْوَنُ مِنْ تلكَ الأَسْمَاء وَأَنْزَل فَإنَّ أَفْضَليَّةَ كُل شَخْص باعْتبَار أَقْدَميَّة الاسْمِ الذي كَانَ مَبْدَأً لتَعَيُّنه وَمِنْ هَذَا القَبيل مَا قَال بَعْضُ المَشَايخِ إنَّ العَارفَ لاَ يَجدُ البرزخيَّةَ الكُبْرَى حَائلَةً فِي مَقَامَات العُرُوجِ أَحْيَانًا وَيَتَرَقَّى مِنْ غَيْر وَسَاطَتهَا قَال حَضْرَةُ شَيْخنَا إنَّ رَابعَةَ كَانَتْ منْ هَذه الجَمَاعَة أَيْضًا وَهَؤُلاَء الجَمَاعَةُ لَمَّا تَجَاوَزُوا وَقْتَ العُرُوجِ الاسْمَ الذي هُوَ مَبْدَأُ تَعَيُّنِ البرزخيَّة الكُبْرَى إلى مَا فَوْقَهُ تَوَهَّمُوا أَنْ البرزخيةَ الكُبْرَى لَمْ تَبْقَ حَائلةً فِي البَيْنِ وَأَرَادُوا بالبرزخية الكُبْرَى حَقيقَةَ خَاتَمِ الرِّسَالة عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَحَقيقَةُ المُعَامَلة هيَ أَنَّهُمْ قَدْ جَاوَزُوهَا إلى مَا فَوْقَهَا وَمَنْشَأُ غَلط طَائفَة أُخْرَى هُوَ أَنْ سَيْرَ السَّالك إذَا وَقَعَ عَلى اسْمٍ هُوَ مَبْدَأُ تَعَيُّنه وَذَلكَ الاسْمُ جَامعٌ لجَميعِ الأَسْمَاء عَلى سَبيل الإجْمَال فَإنَّ جَامعيَّةَ الإنْسَان إنَّمَا هيَ بسَبَب جَامعيَّة ذَلكَ الاسْمِ فَبالضَّرُورَة يَقْطَعُ فِي ضِمْنِ ذَلكَ الاسْمِ الأَسْمَاءَ التي كَانَتْ مَبَادي تعينات مَشَائخَ أُخَرَ بالسَّيْرِ الإجماليِّ وَيَتَجَاوَزُ كُل وَاحد منْهَا حَتَّى يَنْتَهيَ سَيْرُه إلى مُنْتَهَى ذَلكَ الاسْمِ فَيَتَوَهَّمُ حينَئذ تَفَوُّقَهُ إيَّاهم وَلاَ يَدْرِي أَنَّ مَا يَرَاهُ منْ مَقَامَات المَشَايخِ التي تَعَدَّاهَا إنَّمَا هيَ أُنْمُوذَجُ مَقَامَاتهمْ لاَ حَقيقَتُهَا وَحَيْثُ إنَّهُ وَجَدَ نَفْسَه جَامعًا وَظَنَّ الآخرينَ أَجْزَاءَهُ فَلاَ جَرَمَ يُورثُ ذَلكَ تَوَهُّمَ أَوْلويَّته.

وَقَال شَيْخُ بسطَامٍ فِي هَذَا المَقَام منْ غَلبَة السُّكْر: لوائي أَرْفَعُ مِنْ لوَاء مُحَمَّد وَلَمْ يَدْرِ أَنْ أرفعيةَ لوَائه لَيْسَتْ هيَ بالنِّسْبَة إلى لوَاء مُحَمَّد ﷺ بَل بالنِّسْبَة إلى أُنْمُوذَجه الذي صَارَ مَشْهُودًا لهُ فِي ضِمْنِ حَقيقَة اسْمه وَمنْ هَذَا القَبيل مَا قَالهُ هُوَ أَيْضًا مُخْبرًا عَنْ وَسَعَة قَلبه إذَا أُلقيَ العَرْشُ وَمَا فيه فِي زَاويَة قَلب العَارف لاَ يَكُونُ مَحْسُوسًا أَصْلاً وَهُنَا أَيْضًا اشْتبَاهُ الأُنْمُوذَجِ بالحَقيقَة وَإلاَّ فَالعَرْشُ الذي قَال الحَقُّ سُبْحَانَهُ فِي حَقّه إنَّهُ عَظيمٌ أَيُّ اعْتبَار وَأَيُّ مقْدَار لقَلب العَارف فِي جَنْبه وَالظُّهورُ الذي فِي العَرْشِ ليْسَ فِي القَلب عُشْرُ عَشيرَة وَلَوْ كَانَ ذَلكَ القَلبُ قَلبَ عَارف وَالرُّؤْيَةُ الأُخرَويَّةُ تَتَحَقَّقُ بالظُّهور العرشيِّ يَعْني تَكُونُ مثْلهُ وَهَذَا الكَلاَمُ وَإنْ كَانَ اليَوْمَ ثَقيلاً عَلى بَعْضِ الصُّوفيَّة وَلكنَّهُ يَكُونُ مَعْلومًا لَهُمْ فِي الآخر

وَلنُوَضِّحَ هَذَا المَبحَثَ بمثَال وَهُوَ أَنَّ الإنْسَانَ جَامعٌ لمَا في عَالم العَنَاصر وَالأَفْلَاك فَإذَا وَقَعَ نَظَرُهُ عَلى جَامعيَّة نَفْسه وَرَأَى العَنَاصرَ وَالأَفْلَاكَ أَجْزَاءَ نَفْسه وَغَلبَ عَلَيْه هَذه الرُّؤْيَةُ فَلاَ يَبْعُدُ أَنَّ يَقُول إنِّي أَكبَرُ منْ كُرَة الأَرْض وَأَعْظَمُ منَ السَّموَات لفي هَذَا الوَقْت يَفهَمُ العُقَلاَءُ أَكبَريَّته وأعظميته بالنِّسْبَة إلى أَجْزَاء نَفْسه فَإنَّ الكُل أَعْظَمُ منَ الجُزْء وَأُكر الأَرْض وَالسَّموَات لَيسَتْ منْ أَجْزَائه في الحَقيقَة بَل جُعلتْ أَنموذجاتُه أَجْزَاءَهُ وَأَكبَريَّتُهُ إنَّمَا هيَ بالنَّظَر إلى تلكَ الأنموذجاتش التي هيَ أَجْزَاؤُهُ بالنَّظَر إلى أُكر الأَرْض وَالسَّموَات وَبسَبَب هَذَا الاشْتبَاه يَعْني اشْتبَاهَ أُنْمُوذَج شَيْءٍ بحَقيقَته قَال صَاحبُ الفُتُوحَات المَكيَّة إنَّ الجَمْعَ المُحَمَّديَّ أَجْمَعُ منَ الجَمْع الإلهيِّ فَإنَّ الجَمْعَ المُحَمَّديَّ مُشْتَمل عَلى الحَقَائق الكَوْنيَّة وَالإلهيَّة فَيَكُونُ أَجْمَعَ وَلَمْ يَدْر أَنَّ ذَلكَ اشْتمَال ظل منْ ظلاَل مَرْتَبَة الأُلوهيَّة وَأُنْمُوذَج منْ أنموذجاتها لاَ أَنَّهُ مُشْتَمل عَلى حَقيقَة تلكَ المَرْتَبَة المُقَدَّسَة فَإنَّهُ لاَ مقْدَارَ للجَمْع المُحَمَّديِّ بالنِّسْبَة إلى تلكَ المَرْتَبَة المُقَدَّسَة التي العَظَمَةُ وَالكبْريَاءُ منْ لَوَازمهَا مَا للتُّرَاب وَرَبِّ الأَرْبَاب وَأَيْضًا إنَّ في هَذَا المَقَام الذي يَقَعُ فيه سَيْرُ السَّالك عَلى اسْم هُوَ رَبُّهُ يَظُنُّ أَحْيَانًا أَنَّ بَعْضَ الأَكَابر الذينَ هُمْ أَفْضَل منْهُ يَقينًا قَدْ وَصَلوا بتَوَسُّطه إلى بَعْض الدَّرَجَات الفَوْقَانيَّة وَتَرَقَّوْا بتَوَسُّله وَهَذَا أَيْضًا منْ مَزَال أَقْدَام السَّالكينَ عياذا بالله سُبْحَانَهُ منْهُ حَيْثُ يَرَى نَفْسَه أَفْضَل بهَذَا الكَمَال وَيَقَعُ في الخَسَارَة وَأَيُّ عَجَب وَأَيَّةُ فَضيلة إذَا سَارَ السُّلطَانُ عَظيمَ الشَّأنَ تَامَّ البُرْهَان تَحْتَ نُصْرَة وَاحد منْ وُزَرائه الذي هُوَ تَحْتَ حُكُومَته وَطَاعَته وَوَصَل بتَوَسُّط ذَلكَ الوَزير إلى بَعْض المَحَلاَّت وَفَتَحَ بتَوَسُّله بَعْضَ البلاَد وَالمَوَاضع.

غَايَةُ مَا في البَاب: أَنَّ هُنَا احْتمَال فَضْل جُزئيٍّ وَهُوَ خَارجٌ عَن المَبْحَث فَإنَّ كُل حَجَّام وَحَائك لهُ فَضْل منْ بَعْض وُجُوه مَخْصُوص به عَلى عَالم ذي فُنون وَحَكيم حَاذق وَلكنَّ ذَاكَ الفَضْل خَارجٌ منْ حَيِّز الاعْتبَار وَالمُعْتَبَرُ إنَّمَا هُوَ الفَضْل الكُليُّ الذي هُوَ ثَابتٌ للعَالم وَالحَكيم وَقَدْ وَقَعَ لهَذَا الدَّرْويش منْ هَذه الاشتبهات كَثيرٌ وَنَشَأَ منْهَا تَخَيُّلاَتٌ كَثيرَةٌ وَكَانَتْ تلكَ الحَالةُ فيه مُدَّةً كَثيرَةً وَمَعَ ذَلكَ كَانَ حفْظُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ شَامل حَاله فَلمْ يَطْرأْ عَلى يَقينه السَّابق مقْدَارُ شَعْرَة منَ التَّذَبْذُب وَلَمْ يَتطَرَّقْ الفُتُورُ إلى الاعْتقَاد المَجْمَع عَلَيْه لله سُبْحَانَهُ المنَّةُ عَلى ذَلكَ وَعَلى جَميع نعْمَائه وَمَا ظَهَرَ عَلى خلاَف المُجْمَع عَلَيْه اسقطه عَنْ حَيِّز الاعْتبَار وَصَرَّفْهُ إلى مَحَامل حَسَنَة وَعلم بالعلم الإجماليِّ هَذَا القَدْرُ أَنَّ هَذه الزِّيَادَةَ المَشْهُودَةَ

فِي الكَشْفِ تَكُونُ رَاجِعَةً عَلَى تَقْدِيرِ صِحَّتِهِ إِلَى الفَضْلِ الجُزْئِيِّ وَإِنْ تُعَارِضُ ذَلِكَ وَسْوَسَةُ أَنَّ مَدَارَ الفَضْلِ عَلَى القُرْبِ الإِلَهِيِّ - جَلَّ سُلْطَانُهُ - وَهَذِهِ الزِّيَادَةُ مِنْ ذَلِكَ القُرْبِ فَكَيْفَ تَكُونُ فَضْلاً جُزْئِيًّا وَلَكِنْ صَارَتْ هَذِهِ الوَسْوَسَةُ فِي جَنْبِ اليَقِينِ السَّابِقِ هَبَاءً مَنْثُورًا وَلَمْ يَبْقَ لَهَا اعْتِبَارٌ أَصْلاً بَلِ التَجَأَ إِلَيْهِ تَعَالَى بِالتَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ وَالإِنَابَةِ وَالانْكِسَارِ وَدَعَا لَهُ سُبْحَانَهُ بِالتَّضَرُّعِ وَالابْتِهَالِ لِئَلاَّ يَظْهَرَ لَهُ مِثْلُ هَذِهِ الكُشُوفِ وَكَيْلاَ يَنْكَشِفَ لَهُ مَا يُخَالِفُ مُعْتَقَدَاتِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ مِقْدَارَ شَعْرَةٍ وَقَدْ غَلَبَ يَوْمًا خَوْفُ المُوآخذة بِهَذِهِ الكُشُوفِ وَالمَسْئُولِيَّةِ عَنْ هَذِهِ التوهُّمات وَأَزَالَتْ غَلَبَةُ هَذَا الخَوْفِ عَنِّي القَرَارَ وَأورثَتني القَلَقَ وَالاضْطِرَابَ فَصَارَ الالتجاءُ وَالتَّضَرُّعُ إِلَى جَنَابِ قُدْسِ الحَقِّ - جَلَّ سُلْطَانُهُ - أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَامْتَدَّتْ تِلْكَ الحَالَةُ إِلَى مُدَّةٍ مَدِيدَةٍ فَأَنْفَقَ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ مُرُورِي عَلَى قَبْرِ وَاحِدٍ مِنَ الأَعِزَّةِ فَاسْتَمْدَدْتُ بِهِ وَاسْتَعَنْتُ فِي هَذِهِ المُعَامَلَةِ فأدركَتْنِي فِي تِلْكَ الأَثْنَاءِ عِنَايَةُ الحَقِّ جَلَّ شَأْنُهُ وَانْكَشَفَتْ حَقِيقَةُ المُعَامَلَةِ كَمَا يَنْبَغِي وَحَضَرَتْ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ رُوحَانِيَّةُ خَاتَمِ الرِّسَالَةِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ الذِي هُوَ رَحْمَةٌ لِلعَالَمِينَ فَسَلَّى الخَاطِرَ الحَزِينَ وَصَارَ مَعْلُومًا لِي تَشْرِيفُ النِّعَمِ أَنَّ القُرْبَ الإِلَهِيَّ مُوجِبٌ لِلفَضْلِ الكُلِّيِّ وَلَكِنَّ هَذَا القُرْبَ الذِي حَصَلَ لَكَ قُرْبُ ظِلٍّ مِنْ ظِلاَلِ مَرَاتِبِ الأُلُوهِيَّةِ مَخْصُوصٌ بِاسْمٍ هُوَ رَبُّكَ فَلاَ يَكُونُ ذَلِكَ القُرْبُ مُوجِبًا لِلفَضْلِ الكُلِّيِّ وَانْكَشَفَتْ صُورَةُ هَذَا المَقَامِ المِثَالِيَّةُ عَلَى نَهْجٍ لَمْ يَبْقَ مَحَلٌ لِلرَّيْبِ فَزَالَ التَّوَهُّمُ بِالكُلِّيَّةِ وَقَدْ كَتَبَ هَذَا الدَّرْوِيشُ فِي كُتُبِهِ وَرَسَائِلِهِ بَعْضَ العُلُومِ التِي فِيهَا مَحَلُ اشْتِبَاهٍ وَفِيهَا مَجَالٌ لِلتَّأْوِيلِ وَالتَّوْجِيهِ فَلَمَّا صِرْتُ مُبَشَّرًا بِذَلِكَ أَرَدْتُ أَنْ أَكْتُبَ مَنْشَأَ أَغْلاَطِ تِلْكَ العُلُومِ عَلَى وَفْقِ مَا لاَحَ لِي بِمَحْضِ فَضْلِ الحَقِّ جَلَّ شَأْنُهُ وَأَنْشُرُهُ فَإِنَّ الذَّنْبَ المُشْتَهِرَ لاَ بُدَّ لَهُ مِنَ اشْتِهَارِ التَّوْبَةِ لِئَلاَّ يَفْهَمُ النَّاسُ مِنْ تِلْكَ العُلُومِ خِلاَفَ الشَّرِيعَةِ فَيَقَعُوا بِالتَّقْلِيدِ عَلَى الضَّلاَلَةِ وَكَيْلاَ يَسْلُكُوا مَسْلَكَ التَّضْلِيلِ وَالتَّجْهِيلِ بِالتَّعَصُّبِ وَالتَّكَلُّفِ فَإِنَّ أَمْثَالَ هَذِهِ الأَزْهَارِ تَتَفَتَّقُ كَثِيرًا فِي هَذَا الطَّرِيقِ الذِي هُوَ طَرِيقُ غَيْبِ الغَيْبِ فَجَمَاعَةٌ تُؤَدِّيهِم إِلَى الهِدَايَةِ وَطَائِفَةٌ تؤديهم إِلَى الضَّلاَلَةِ وَقَدْ سَمِعْتُ وَالِدِي المَاجِدَ - قُدِّسَ سِرُّهُ - يَقُولُ: إِنَّ مَنْشَأَ ضَلاَلَةِ أَكْثَرِ المُبْتَدِعِينَ مِنَ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَخُرُوجَهُمْ عَنِ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ هُوَ أَنَّهُمْ دَخَلُوا فِي طَرِيقِ الصُّوفِيَّةِ وَلَمْ يَقِفُوا عَلَى حَقِيقَةِ الأَمْرِ وَلَمْ يُتِمُّوا السُّلُوكَ فَغَلَطُوا وَضَلُّوا وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الحادي وَالعِشْرُونَ وَالمائَتَان

إلى السَّيِّد حُسَيْن المانبوري

في خَصَائِص الطَّرِيقَة النَّقْشَبَنْدِيَّة وَأَفْضَلِيَّتِهَا عَلى سَائِر الطُّرُق وَمَدْحِ أَهْلِهَا وَمَا يُنَاسِبُهُ

الحَمْدُ لله رَبِّ العَالمينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلى سَيِّد المُرْسَلينَ وَآله الطَّاهِرينَ أَجْمَعِينَ لعَل الأَخَ الأَعَزَّ مَعْدنَ السِّيَادَة المَيْرَ حُسَيْنٍ لَمْ يَنْسَ النَّائينَ المَهْجُورينَ وَعَسَاهُ لَمْ يُضَيِّعْ رعَايَةَ آدَاب هَذه الطَّرِيقَة العَلِيَّة التي هِيَ مُمْتَازَةٌ منْ بَيْن سَائِر طُرُق المَشَايخ الكرَام منْ وُجُوه وَقَدْ كَانَ مُدَّةُ مُلاقَاتكُمْ وَفُرْصَةُ صُحْبَتكُمْ قَليلَةً جدًّا فَبنَاءً عَلى ذَلكَ أَرَدْتُ أَنْ أُحَرِّرَ بَعْضَ خَصَائص هَذه الطَّرِيقَة العَلِيَّة وَكَمَالاتهَا في ضمْن عُلوم عَاليَة وَمَعَارفَ سَاميَة وَإنْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ إدْرَاكَ هَذَا القسْمَ منَ العُلوم وَالمَعَارف بالفعْل بَعيدٌ عَنْ أذهان المُسْتَمعينَ وَلكنَّ إظْهَارَ أَمْثَال هَذه المَعَارف مَبْنيٌّ عَلى مُلاَحَظَة أَمْرَيْن أَحَدهما أَنَّ في المُسْتَمعينَ اسْتعْدَادًا لهَذه العُلوم وَأَنْ تُرى بَعيدَةً عَنْ شَأْنهمْ بالفعْل وَثَانيَتُهمَا أَنَّ المُخَاطَبَ وَإنْ كَانَ وَاحدًا مُعَيَّنًا في الظَّاهر وَلكنَّ المُخَاطَبَ في الحَقيقَة شَخْصٌ هُوَ مُحَرِّمٌ لهَذه المُعَامَلة السَّيْفُ للضَّارب مَثَل مَشْهُورٌ.

أَيُّهَا الأَخُ إنَّ رَأْسَ سلسلة هَذه الطَّريقَة السَّنيَّة وَرَئيسَ أَهْلهَا هُوَ الصِّدِّيقُ الأَكْبَرُ ﷺ الذي هُوَ أَفْضَل جَميع بَني آدَمَ بَعْدَ الأَنْبيَاء عَلَيْهمُ السَّلاَمُ عَلى التَّحْقيق وَبهَذَا الاعْتبَار وَقَعَ في عبَارَة أَكَابر هَذه الطَّريقَة أَنَّ نسْبَتَنَا فَوْقَ جَميع النِّسَب فَإنَّ نسْبَتَهُمُ التي هيَ عبَارَةٌ عَن الحُضُور وَالشُّعُور الخَاصِّ هيَ بعَيْنهَا نسْبَةُ الصِّدِّيق وَحُضُورُه الذي فَوْقَ جَميع الحُضُور وَفي هَذَا الطَّريق انْدرَاجُ النِّهَايَة في البدَايَة قَال الخواجهْ بَهَاءُ الدِّين النَّقْشَبَنْدِيُّ قُدِّسَ سرُّهُ -: نَحْنُ نُدْرجُ النِّهَايَةَ في البدَايَة، (ع):

وَقسْ مَنْ حَال بُستاني ربيعي

فَإنْ قيل: إذَا كَانَتْ نهَايَةُ غَيْرهمْ مُنْدَرجَةً في نهَايَتهمْ فَمَا تَكُونُ نهَايَتُهُمْ وَأَيْضًا إذَا كَانَتْ نهَايَةُ غَيْرهمُ الوُصُول إلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ فَإلى أَيْنَ يَكُونُ سَيْرُهمْ منَ الحَقِّ لَيْسَ وَرَاءَ عَبَّادَانَ قَرْيَةٌ مَثْل مَشْهُورٌ أُجيبُ أَنَّ نهَايَةَ هَذه الطَّريقَة إنْ تَيَسَّرَتْ هيَ الوَصْل العُرْيَانُ الذي عَلاَمَةُ حُصُوله حُصُول اليَأْس منْ حُصُول المَطْلُوب فَافْهَمْ فَإنَّ كَلاَمَنَا إشَارَةٌ لاَ يُدْركُهَا إلاَّ الأَقَل منَ الخَوَاصِّ بَل منْ أَخَصِّ الخَوَاصِّ وَإنَّمَا ذَكَرْنَا عَلاَّمَةَ حُصُول تلْكَ الدَّوْلَة العُظْمى فَإنَّ جَمْعًا منْ هَذه الطَّائفَة بَاحُوا

بالوَصْل العُرْيَان وَطَائِفَةٌ أُخْرَى قَالوا باليَأْسِ مِنْ حُصُول المَطْلُوب وَأَذْعَنُوا بالحِرْمَان وَلكنْ إذَا عُرِضَ عَلَيْه الجَمْعُ بَيْنَ هَاتَيْنِ الدَّوْلَتَيْنِ يَكَادُون يَظُنُّونَهُ جَمْعًا بَيْنَ الضِّدَّيْنِ وَيَعُدُّونَهُ مِنَ المُحَالاَت وَالذينَ يَدَّعُونَ الوَصْل يَرَوْنَ اليَأْسَ حِرْمَانًا وَالذينَ يَدَّعُونَ اليَأْسَ يَظُنُّونَ الوَصْل عَيْنَ الفَصْل وَهَذَا كُله عَلاَمَةُ عَدَمِ الوُصُول إلى تلكَ المَنْزِلة العُلْيَا.

غَايَةُ مَا في البَاب: أَنَّهُ قَدْ أَشْرَقَ عَلى بَوَاطنهِمْ شُعَاعٌ مِنْ ذَاكَ المَقَامِ العَالي فَظَنَّه جَمْعٌ وَصْلاً وَجَمْعٌ آخَرُ يَأْسًا وَهَذَا التَّفَاوُتُ نَشَأَ مِنْ جِهَة اسْتعْدَاد كُل مِنْهُمْ فإنَّ المُنَاسَبَ لاسْتعْدَاد طَائفَة وَصْل وَالمُوافقَ لاسْتعْدَاد طَائفَةٌ أُخْرَى يَأْسٌ وَاسْتعْدَادُ اليَأْسِ أَحْسَنُ عنْدَ الفَقيرِ منَ اسْتعْدَاد الوَصْل وَإِنْ كَانَ كُل منَ الوَصْل وَاليَأْسِ هُنَاكَ مُلاَزمًا للآخرِ وَجَوَابُ الاعْتراضِ الثَّاني أَيْضًا صَارَ لائحًا منْ هَذَا الجَوَاب فَإنَّ الوَصْلَ المُطْلَقَ غَيْرُ الوَصْل العُرْيَان شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا ونعني بالوَصْل العُرْيَان رَفْعَ الحُجُب كُلهَا وَزَوَال المَوَانع بأَسْرهَا وَلَمَّا كَانَ أَعْظَمَ الحُجُب وَأَقْوَاهَا هيَ التَّجليَاتُ المُتَنَوِّعَةَ والظهوراتُ المُخْتَلفَةُ لاَ بُدَّ منْ أَنْ تنقضيَ وَتُتَمِّمَ تلكَ التَّجليَاتُ والظهوراتُ بتَمَامهَا سَوَاءٌ كَانَ التَّجَلي وَالظُّهُورُ في المَرَايَا الإمْكَانيَّة أَوْ المُجَالى الوجوبية فَإنَّهُمَا في حُصُول الحُجُب بهمَا سيَّان وَإنْ كَانَ بَيْنَهُمَا تَفَاوُتٌ بالشَّرَف وَالرُّتْبَة فَإنَّهُ خَارجٌ منْ نَظَر الطَّالب.

فَإنْ قيل: يَلزَمُ منْ هَذَا البَيَان أَنْ يَكُونَ للتَّجليَات نهَايَةٌ وَقَدْ صَرَّحَ المَشَايخ بأَنَّهُ لاَ نهَايَةَ للتَّجليَات أُجيبُ أَنَّ عَدَمَ نهَايَة التَّجليَات إنَّمَا هُوَ عَلى تَقْدير وُقُوع السَّيْر في الأَسْمَاء وَالصِّفَات بالتَّفْصيل وَعَلى هَذَا التَّقْدير لاَ يَتَيَسَّرُ الوُصُول إلى حَضْرَة الذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ وَلاَ يَحْصُل الوَصْل العُرْيَانُ فَإنَّ الوُصُول إلى حَضْرَة الذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ مَنُوطٌ بطيِّ الأَسْمَاء وَالصِّفَات عَلى سَبيل الإجْمَال فَتَكُونُ إذًا للتَّجليَات نهَايَةٌ.

فَإنْ قيل: قَدْ قيل بعَدَم نهَايَة التَّجليَات الذَّاتيَّة أَيْضًا كَمَا صَرَّحَ به مَوْلاَنَا العَارفُ الجَاميُّ في شَرْح اللمُعَات فَكَيْفَ يَسْتَقيمُ القَوْل بنهَايَة التَّجليَات أُجيبُ أَنَّ تلكَ التَّجليَات الذَّاتيَّةَ لَيْسَتْ بلاَ مُلاَحَظَة الشئون وَالاعْتبَارَات أَيْضًا فَإنَّ التَّجَلي لاَ يُمْكنُ بدُون مُلاَحَظَتهَا وَمَا نَحْنُ في صَدَد بَيَانه أَمْرٌ يَكُونُ فيمَا وَرَاءَ التَّجليَات صفَاتيَةً كَانَتْ تلكَ التَّجليَاتُ أَوْ ذَاتيَّةً فَإنَّ إطْلاَقَ التَّجَلي غَيْرُ جَائزٍ في ذَلكَ المَوْطنِ

أَيُّ تَجلٍ كَانَ لأَنَّ التَّجلِيَ عِبارَةٌ عَنْ ظُهُورِ شَيْءٍ فِي مَرْتَبَةٍ ثَانِيَةٍ أَوْ ثَالِثَةٍ أَوْ رَابِعَةٍ إِلى مَا شَاءَ اللهُ تَعَالى وَقَدْ سَقَطَتِ المَرَاتِبُ هُنَا بِأَسْرِهَا وَطُوِيتِ المَسَافَةُ بِتَمامِهَا.

فَإِنْ قِيل: فَبِأَيِّ اعْتِبَارٍ قِيل لِتِلكَ التَّجَلِيَاتِ ذَاتِيَّةٌ أُجِيبُ أَنَّ التَّجَلِيَاتِ إِنْ كَانَتْ بِمُلاحَظَةِ مَعَانٍ زَائِدَةٍ يَعْنِي عَلَى الذَّاتِ فَهِيَ التَّجَلِيَاتُ الصفاتية وَإِنْ كَانَتْ بِمُلاحَظَةِ مَعَانٍ غَيْرِ زَائِدَةٍ فَهِي التَّجَلِيَاتُ الذَّاتِيَّةُ وَلِهَذَا قِيل لِمَرْتَبَةِ الوَحْدَةِ التي هِيَ التَّعَيُّنُ الأَول وَلَيْسَتْ بِزَائِدَةٍ عَلى الذَّاتِ تَجَلِيًا ذَاتِيًا وَمَطْلبُنَا حَضْرَةُ الذَّاتِ تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ وَلاَ مَجَال لِمُلاحَظَةِ المَعَانِي فِي ذَلكَ المَوْطِنِ أَصْلاً سَوَاءٌ كَانَتِ المَعَانِي زَائِدَةً أَوْ لاَ فَإِنَّ المَعَانِيَ قَدْ طُوِيَتْ بِالكُلِّيَّةِ بِطَرِيقِ الإِجْمَال وَتَيَسَّرَ الوُصُول إِلى حَضْرَةِ الذَّاتِ المُقَدَّسَةِ المُتَعَال يَنْبَغِي أَنْ يُعْلمَ أَنَّ الوُصُول فِي ذَلكَ المَوْطِنِ مُنَزَّهٌ عَنِ الكَيْفِ وَالمِثَال كَالمَطْلبِ وَالاتِّصَال الذي يُدْرِكُهُ العَقْل وَيَفْهَمُهُ خَارِجًا عَنِ المَبْحَثِ وَغَيْرَ لاَئِقٍ بِذَلكَ الجَنَابِ المُقَدَّسِ فَإِنَّهُ لاَ سَبِيل لِلمثالي إِلى المُنَزَّهِ عَنِ المِثَال لاَ يَحْمِل عَطَايَا المَلكِ إِلاَّ مَطَايَاهُ قَال فِي المثنوى. شِعْرٌ.

إِنَّ لِلرَّحْمَنِ مَعَ أَرْوَاحِ نَاسٍ ... اتِّصَالاً دُون كَيْفٍ أَوْ قِيَاسٍ

وَلمْ يُخْبِرْ أَحَدٌ مِنْ مَشَائِخِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ العَلِيَّةِ عَنْ نِهَايَةِ طَرِيقَةٍ وَقَدْ أَخْبَرُوا عَنِ ابْتِدَاءِ طَرِيقِهِمْ حَيْثُ قَالوا إِنَّ فِيهِ انْدِرَاجَ النِّهَايَةِ فِي البِدَايَةِ فَإِذَا كَانَتْ بِدَايَتُهِمْ مُمْتَزِجَةً بِالنِّهَايَةِ فَنِهَايَتُهمْ أَيْضًا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ مُنَاسِبَةً لِبِدَايَتِهِمْ وَتِلكَ النِّهَايَةُ هِيَ مَا امْتَازَ الفَقِيرُ بِإِظْهَارِهَا. شِعْرٌ.

فَإِذَا أَتَى بَابَ العَجُوزِ خَليفَةٌ ... إِيَّاكَ يَا صَاحِ وَنَتْفَ سبالكا

للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى الحَمْدُ وَالمِنَّةُ عَلى ذَلكَ أَيُّهَا الأَخُ إِنَّ الوَاصِلينَ إِلى هَذِهِ النِّهَايَةِ مِنْ أَرْبَابِ هَذَا الطَّرِيقِ الذينَ هُمْ أَقَل مِنَ القَليل بِالنِّسْبَةِ إِلى أَصْحَابِ طُرُقٍ أُخَرَ لوْ عَدَدْتَ أَفْرَادَهُمْ يَكَادُ المُقَرَّبُونَ يَطْلبُونَ التَّبَاعُدَ وَيَسْتَبْعِدُهُ المُبْعَدُونَ بِالإِنْكَارِ وَالتَّعَانُدِ وَأَيُّ اسْتِبْعَادٍ هُنَاكَ فَإِنَّ كُل ذَلكَ لِكَمَال الوُصُول إِلى نِهَايَةِ النِّهَايَةِ يَتَفَضَّل حَبِيبُهُ - عَليْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَمِنْ جُمْلةِ خَصَائِصِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ العَليَّةِ السَّفَرُ فِي الوَطَنِ الذي هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ السَّيْرِ الأَنْفُسِيِّ وَالسَّيْرُ الأَنْفُسِيُّ وَإِنْ كَانَ ثَابِتًا فِي طَرِيقِ جَمِيعِ المَشَايِخِ وَلكِنَّهُ يَتَيَسَّرُ فِي طَرِيقِهِمْ فِي النِّهَايَةِ بَعْدَ قَطْعِ السَّيْرِ الآفَاقِيِّ بِخِلاَفِ هَذَا الطَّرِيقِ فَإِنَّ الابْتِدَاءَ فِيهِ مِنْ هَذَا السَّيْرِ وَالسَّيْرُ الآفَاقِيُّ إِنَّمَا يُقْطَعُ فِي ضِمْنِهِ وَمَنْشَأُ حُصُول هَذَا السَّيْرِ فِي الابْتِدَاءِ هُوَ انْدِرَاجُ النِّهَايَةِ فِي البِدَايَةِ وَخَاصَّةٌ أُخْرَى لِهَذَا الطَّرِيقِ الخَلوَةُ فِي الجَلوَةِ التي هِيَ مُتَفَرِّعَةٌ عَلى تَيَسُّرِ السَّفَرِ فِي الوَطَنِ فَيُسَافِرُ

فِي بَيْتِ الخَلوَةِ الوطنيِّ فِي عَيْنِ تَفرقَة الخَلوَة وَلاَ يَتطَرَّقُ تَفرقَةُ الآفاق إلى حُجْرَةِ الأَنْفُسِ وَهَذه الخَلوَةُ وَإِنْ كَانَتْ مُتَيَسِّرَةً لِمُنْتَهى طُرُق أُخَرَ وَلكنْ لمَّا تَيَسَّرَتْ فِي هَذَا الطَّرِيق فِي الابْتِدَاء صَارَتْ مِنْ خَوَاصِّ هَذَا الطَّرِيق وَيَنْبَغي أَنْ يُعْلم أَنَّ الخَلوَةَ فِي الجَلوَة إِنَّمَا هِيَ عَلَى تَقْدِير غَلق أَبْوَاب بَيْت الخَلوَة الوطنيِّ وَسَدِّ طَاقاته يَعْنِي لاَ يُلتَفتُ فِي تَفرقَة الجَلوَة إلى أَحَد وَلاَ يَكُونُ مُخَاطبًا فيهَا وَلاَ مُتَكلمًا لاَ أَنَّهُ يُغْمضُ عَيْنَيْه وَيُعطِّل بالتَّكَلف حَوَاسَّه فَإِنَّ ذَلكَ مُنَاف لهَذَا الطَّرِيق أَيُّهَا الأَخُ إِنَّ كُل هَذَا التَّمَحُّل وَالتَّكَلف إِنَّمَا هُوَ فِي الابْتِدَاء وَالوَسَط وَأَمَّا فِي الانْتِهَاء فَلاَ شَيْءَ يَلزَمُ فيه منْ هَذه التمحلات بَل فيه جُمَيْعَةٌ فِي عَيْنِ التَّفْرقَة وَحُضُورٌ فِي نَفْسِ الغَفْلة وَلاَ يَتَوهَّمُ أَحَدٌ منْ هَذَا أَنَّ التَّفْرقَةَ وَعَدَمَ التَّفرقَة مُتَسَاوِيَتَان فِي حَقِّ المُنْتَهي مُطلقًا فَإِنَّ الأَمْرَ لَيْسَ كَذَلكَ بَل المُرَادُ أَنَّ التَّفرقَة وَعَدَمَ التَّفْرقَة مُتَسَاوِيَتَان فِي حُصُول نَفْسِ جَمْعيَّة البَاطنِ وَمَعَ ذَلكَ لوْ جَمعَ الظَّاهرَ مَعَ البَاطنِ وَدُفعَتْ التَّفَرقَةُ أَيْضًا عَنِ الظَّاهرِ لكَانَ أَوْلى وَأَنسَبَ قَال اللهُ سُبْحَانَهُ إِرْشَادًا لنَبيِّه ﷺ: {وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّك وَتَبَتَّل إِليْه تَبْتيلاً}[1].

وَيَنْبَغي أَنْ يُعْلمَ أَنَّهُ لاَ يَكُونُ فِي بَعْضِ الأَوْقَات بُدٌّ منْ تَفْرقَة الظَّاهر لتُؤَدَّى حُقُوقُ الخَلق فَصَارَتْ تَفْرقَةُ الظَّاهرِ مُسْتَحْسَنَةً أَيْضًا فِي بَعْضِ الأَوْقَات وَأَمَّا تَفرقَةُ البَاطنِ فَليْسَتْ بجَائزَة فِي وَقْت منَ الأَوْقَات أَصْلاً فَإِنَّهُ خَالصٌ للحَقِّ سُبْحَانَهُ فَكَانَتْ ثَلاَثَةَ حصَصٍ منَ العبَاد المُسْلمينَ للحَقِّ سُبْحَانَهُ تَمَامُ البَاطنِ وَنصْفُ الظَّاهرِ وَالنِّصْفُ الثَّاني منْهُ بَقيَ لأَدَاء حُقُوق الخَلق وَلكنْ لمَّا كَانَ فِي أَدَاء تلكَ الحُقُوق امْتثَال أَوَامر الحَقِّ سُبْحَانَهُ كَانَ ذَلكَ النِّصْفُ الآخَرُ أَيْضًا رَاجعًا إلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ إِليْه يَرْجعُ الأَمْرُ كُله فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّل عَليْه وَمَا رَبُّك بغَافل عَمَّا تَعْلمُونَ وَفي هَذَا الطَّرِيق تَقَدُّمُ الجَذْبَة عَلى السُّلوك وَابْتدَاءُ السَّيْر منْ عَالمِ الأَمْر لاَ منْ عَالمِ الخَلق بخلاَف أَكْثَر طُرُق أُخَرَ وَقَطْعُ مَنَازل السُّلوك مُنْدَرجٌ فيه فِي ضمْنِ طيِّ مَعَارجِ الجَذْبَة. وَسَيْرُ عَالمِ الخَلق مُيَسَّرٌ فِي ضمْنِ سَيْر عَالمِ الأَمْر فَبهَذَا الاعْتبَار لوْ قيل إِنَّ فِي هَذَا الطَّرِيق انْدرَاجَ النِّهَايَة فِي البدَايَة لسَاغَ فَعُلم منَ البَيَان السَّابق آنفًا أَنَّ سَيْرَ الابْتدَاء مُنْدَرجٌ فِي هَذَا الطَّرِيق فِي سَيْر الانْتهَاء لأَنَّهُمْ يَنْزلونَ منْ سَيْر الابْتدَاء إلى سَيْر الانْتهَاء وَيَسيرُونَ فِي البدَايَة بَعْد تَمَام سَيْرِ النِّهَايَة فَبطَل زَعْمُ مَنْ قَال إِنَّ نهَايَة هَذَا الطَّرِيقِ بدَايَةُ طُرُق سَائرِ المَشَايخِ.

---

(١) ـــ الآية: ٨ من سورة المزمل.

فَإِنْ قِيل: قَدْ وَقَعَ فِي عِبَارَة بَعْضِ مَشَائخ هَذه الطَّرِيقَة أَنَّ سَيْرَهُمْ فِي الأَسْمَاء وَالصِّفَات يَقَعُ بَعْد تَمَام نِسْبَتهمْ فَصَحَّ أَنَّ نِهَايَتَهُمْ بدَايَةُ غَيْرِهِمْ فَإِنَّ السَّيْرَ فِي الأَسْمَاءِ وَالصِّفَات فِي الابْتدَاء بالنِّسْبَة إِلى السَّيْرِ فِي التَّجَلِيَات الذَّاتيَّة أُجِيبُ أَنَّ السَّيْرَ فِي الأَسْمَاء وَالصِّفَات لَيْسَ هُوَ بَعْدَ السَّيْرِ فِي التَّجَلِيَات الذَّاتِيَّة بَل يَقَعُ ذَاكَ السَّيْرُ يَعْنِي السَّيْرَ فِي الأَسْمَاء وَالصِّفَات فِي ضِمْنِ هَذَا السَّيْرِ يَعْنِي السَّيْرَ فِي التَّجَلِيَات الذَّاتيَّة غَايَةُ مَا فِي البَاب أَنَّ السَّيْرَ الأسمائيَّ والصفاتيَّ كُلمَا ظَهَرَ بِسَبَب عُرُوضِ بَعْضِ العَوَارِضِ يَسْتَترُ سيرُ التَّجَلِيَات الذَّاتيَّة وَيُتَخيَّل أَنَّهُ قَدْ تَمَّ وَشَرَعَ فِي التَّجَلِيَات الأسمائية والصفاتية وَلَيْسَ كَذَلكَ نَعَم قَدْ يَقَعُ الرُّجُوعُ إِلى العَالَمِ بَعْد تَمَام السَّيْرِ فِي مَدَارِجِ الوِلاَيَة لدَعْوَة الخَلقِ إِلى الحَقِّ - جَل وَعَلاَ - فَإِنَّ زَعْمَ ذَلكَ الرُّجُوعِ نِهَايَتُهمْ وَتَخَيُّلهُ بدَايَته فَلَيْسَ ذَلكَ ببَعيد وَلكنَّهُ مَا يَقُول فِي مشائخه فَإِنَّ لَهُمْ أَيْضًا هَذَا الرُّجُوعَ فِي النِّهَايَة وَأَيْضًا إِنَّ المُرَادَ بالبدَايَة وَالنِّهَايَة بدَايَةُ الوِلاَيَة وَنِهَايَتُهَا وَسيرُ هَذَا الرُّجُوع لاَ تَعَلقَ لهُ بالوِلاَيَة بَل هُوَ نَصيبٌ منْ مَرْتَبَة الدَّعْوَة وَالتَّبْليغِ وَهَذَا الطَّرِيقُ أَقْرَبُ الطُّرُق وَمُوصِّلٌ أَلبَتَّةَ قَال الخواجهْ بَهَاءُ الدِّين النَّقْشبَنْديُّ - قُدِّسَ سرُّهُ -: إِنَّ طَرِيقَنَا أَقْرَبُ الطُّرُق وَقَال سَأَلتُ الحَقَّ سُبْحَانَهُ طَرِيقًا يَكُونُ مُوَصِّلاً البَتَّةَ وَصَارَ سُؤَاله هَذَا مَقْرُونًا بالإِجَابَة كَمَا نَقَلهُ فِي الرشحات عَنِ الخواجهْ أَحْرَارِ - قُدِّسَ سرُّهُ - وَكَيْفَ لاَ يَكُونُ أَقْرَبَ وَمُوصِّلاً وَقَدْ انْدَرَجَ الانْتهَاءُ فِي ابْتدَائه فَيَا شَقَاوَةَ مَنْ يَدْخُل فِي هَذَا الطَّرِيقِ ثُمَّ لاَ يَقْدرُ عَلى الاسْتقَامَة عَلَيْه وَيَبْقَى بلاَ نَصيب منْهُ. شعْرٌ.

مَا ضَرَّ شَمْسَ الضُّحَى فِي الأُفُقِ طَالعَةً　　أَنْ لاَ يَرَى ضَوْءَهَا مَنْ لَيْسَ ذَا بَصَرِ

نَعَمْ إِذَا وَقَعَ الطَّالبُ فِي يَد النَّاقصِ فَمَا ذَنْبُ الطَّرِيق وَمَا تَقْصيرُ الطَّالب فَإِنَّ المُوصِّل فِي الحَقيقَة دَليل هَذَا الطَّرِيق لاَ نَفْسُ هَذَا الطَّرِيق وَفِي ابْتدَاء هَذَا الطَّرِيق حَلاَوَةٌ وَوِجْدَانٌ وَفِي انْتهَائه مَرَارَةٌ وَفقْدَانٌ وَهُوَ منْ لوَازِم اليَأْس بخلاَف طُرُق أخَرَ فَإِنَّ فِي ابْتدَائهَا مَرَارَةً وَفَقْدَانًا وَفِي انْتهَائهَا حَلاَوَةً وَوجْدَانًا وَأَيْضًا فِي ابْتدَاء هَذَا الطَّرِيق قُرْبٌ وَشُهُودٌ وَفِي انْتهَائه بُعْدٌ وَحرْمَانٌ بخلاَف طُرُق سَائر المَشَايخ الكرَامِ يَنْبَغي أَنْ يَقيسَ تَفَاوُتَ الطُّرُق منْ هُنَا وَأَنْ يَعْرِفَ عُلُوَّ هَذَا الطَّرِيق العَالي لأَنَّ القُرْبَ وَالشُّهُودَ وَالحَلاَوَةَ وَالوجْدَانَ كُل ذَلكَ بخَبَرٍ عَنِ البُعْد وَالحرْمَان بخلاَف المَرَارَة وَالفقْدَان فَإِنَّهُمَا يُنبئَان عَنْ نهَايَة القُرْب فَهمَ مَنْ فَهمَ وَلنَكْشفَ فِي شَرْحِ هَذَا السِّرِّ هَذَا القَدْرَ وَهُوَ أَنَّهُ لاَ أَقْرَبَ إِلى أَحَدٍ منْ نَفْسه وَنسْبَةُ القُرْب

وَالشُّهُودِ وَالحَلاَوَةِ وَالوِجْدَان مَفْقُودَةٌ فِي حَقِّ نَفْسِه وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِي حَقِّ غَيْرِه مَعَ أَنَّ بَيْنَهُمَا مُبَايَنَةً وَالعَاقِل تَكْفِيه الإِشَارَةُ وَأَكَابِرُ هَذه الطَّرِيقَة العَلِيَّة جَعَلوا الأَحْوَال وَالمَوَاجِيدَ تَابِعَةً للأَحْكَام الشَّرْعِيَّة وَاعْتَقَدُوا أَنَّ الأَذْوَاقَ وَالمَعَارِفَ خَادِمَةً للعُلُوم لاَ يُعَوِّضُونَ الجَوَاهِرَ النَّفِيسَةَ الشَّرْعِيَّةَ بِجَوْز الوَجْد وَمَوْز الحَال مِثْل الأَطْفَال وَلاَ يَغْتَرُّونَ بِتُرَّهَات الصُّوفِيَّة وَلاَ يَقْبَلونَ الأَحْوَال التي تَحْصُل بِارْتِكَاب المَحْظُورَات الشَّرْعِيَّة وَخِلاَف السُّنَّة السَّنِيَّة وَلاَ يُرِيدُونَ وَلهَذَا لاَ يُجَوِّزُونَ السَّمَاعَ وَالرَّقْصَ وَلاَ يَقْبَلونَ عَلَى ذِكْر الجَهْر حَالهمْ عَلَى الدَّوَام وَوَقْتهمْ مُسْتَمِرٌّ وَمُسْتَدَامٌ التَّجَلي الذَّاتِيُّ الذي هُوَ كَالبَرْق لِغَيْرِهِمْ دائميٌّ فِي حَقِّهِمْ وَالحُضُورُ الذي فِي قَفَاهُ غَيْبَةٌ سَاقِطٌ عَنْ حَيِّز الاعْتبَار عِنْدَ هَؤُلاَءِ الأَكَابِر بَل مُعَامَلتُهمْ فَوْقَ الحُضُور وَالتَّجلي كَمَا مَرَّتْ الإِشَارَةُ إِلَيْهَا قَال حَضْرَةُ الخَواجه أَحْرَارٌ - قُدِّسَ سِرُّهُ - إِنَّ أَكَابِرَ هَذه السِّلسلة العَلِيَّة لاَ يُقَاسُونَ عَلَى كُل زُرَاق وَرَقَّاصٍ فَإِنَّ مُعَامَلَتَهُمْ وَنِسْبَتَهُمْ عَالِيَةٌ جدًّا وَالمَشْيَخَةُ والمريدِيةُ فِي هَذَا الطَّرِيق بِتَعْلِيم الطَّرِيقَة وَتَعلمها لاَ بِالكَلاَه وَالشَّجَرَة كَمَا أَنَّ ذَلكَ صَارَ رَسْمًا فِي طُرُق أَكْثَر المَشَايخ حَتَّى أَنَّ مُتَأَخِّرِيهِمْ جَعَلوا المَشْيَخَةَ والمريدِيةَ مُنْحَصِرَةً فِي الكَلاَه وَالشَّجَرَة وَمِنْ هَهُنَا لاَ يُجَوِّزُونَ تَعَدُّدَ الشَّيْخ وَيُسَمُّونَ مُعَلمَ الطَّرِيقَة مُرْشدًا لاَ شَيْخًا وَلاَ يُرَاعُونَ آدَابَ المَشَايخ مَعَهُ حَقَّ رِعَايَتهَا وَهَذَا مِنْ كَمَال جَهَالتهمْ وَنُقْصَان عُقُولهمْ أَوَلاَ يَعْلمُونَ أَنْ مشائخهم قَالوا لِشَيْخ التَّعْلِيمِ وَشَيْخ الصُّحْبَة أَيْضًا شَيْخًا وَجَوَّزُوا تَعَدُّدَ الشَّيْخِ بَل قَالوا إِذَا رَأَى الطَّالبُ رُشْوَةً فِي مَحَل آخرَ جَازَ لهُ أَنْ يَخْتَارَ شَيْخًا آخرَ وَلوْ فِي حَيَاة شَيْخه الأَوَّل بِلاَ إِنْكَارٍ عَلَيْه وَقَدْ أَخَذَ الخواجهْ النَّقْشَبَنْدِيُّ فَتْوَى صَحِيحًا مِنْ عُلَمَاء بُخَارَى فِي تَجْوِيزِ هَذَا المَعْنَى نَعَمْ إِذَا لبسَ مِنْ شَيْخ خِرْقَةَ الإِرَادَة لاَ يَلبَسُهَا مِنْ غَيْرِه وَأَمَّا خِرْقَةُ التَّبَرُّك فَلاَ مَانعَ مَنْ لبْسهَا وَلاَ يَلزَمُ مِنْ ذَلكَ أَنْ لاَ يَتَّخذَ شَيْخًا آخرَ أَصْلاً بَل يَجُوزُ أَنْ يَلبَسَ خِرْقَةَ الإِرَادَة مِنْ شَيْخٍ وَأَنْ يَتَعَلمَ الطَّرِيقَةَ مِنْ آخرَ وَأَنْ يَصْحَبَ ثَالثًا وَلكِنْ إِنْ تَيَسَّرَتْ هَذه الدُّوَل الثَّلاَثُ مِنْ وَاحد فَهِي نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ وَيَجُوزُ أَنْ يَسْتَفِيدَ التَّعْلِيمَ مِنْ مَشَايخَ مُتَعَدِّدَة وَكَذَلكَ لهُ أَنْ يَصْحَبَ مَشَائخَ مُتَعَدِّدَةً وَيَنْبَغِي أَنْ يَعْلمَ أَنَّ الشَّيْخَ هُوَ مَنْ يُرِي المُرِيدَ طَرِيقَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى وَهَذَا المَعْنَى مَلحُوظٌ وَمَوْجُودٌ فِي تَعْليمِ الطَّرِيقَة بَل أَزْيَدَ وَأَوْضَح وَشَيْخُ التَّعْلِيمِ هُوَ أُسْتَاذُ الشَّرِيعَة وَدَليل الطَّرِيقَة أَيْضًا بِخِلاَف شَيْخ الخِرْقَة فَيَنْبَغِي إِذًا رِعَايَةُ آدَاب شَيْخ التَّعْلِيم حَقَّ رِعَايَتهَا وَأَنْ يَكُونَ هُوَ أَحَقَّ بَاسم الشَّيْخُوخَة وَالرِّيَاضَاتُ وَالمُجَاهَدَاتُ فِي هَذَا الطَّرِيق إِنَّمَا

هيَ بإِتْيَان الأَحْكَام الشَّرْعيَّة وَالتزام مُتَابَعة السُّنَّة السَّنِيَّة عَلى صَاحبهَا الصَّلاةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ فَإِنَّ المَقْصُودَ منْ إرْسَال الرُّسُل وَإِنْزَال الكُتُب رَفْعُ أَهْوَاء النَّفْس الأَمَّارَة التي انْتَصَبَتْ لمُعَادَاة مَوْلاَهَا - جَل سُلطَانُهُ - فَصَارَ رَفْعُ أَهْوَاء النَّفْس مَرْبُوطًا بإتيَان الأَحْكَام الشَّريعَة وَكُل مَنْ كَانَ أَرْسَخَ في إتْيَان الأَحْكَام الشَّرْعيَّة يَكُونُ أَبْعَدَ عَنْ هَوَاء النَّفْس الشَّقيَّة فَإذَا لا يَكُونُ شَيْءٌ أَشَقَّ عَلى النَّفْس الأَمَّارَة منَ امْتثَال الأَوَامر الشَّرْعيَّة وَاجْتنَاب مناهيها وَلاَ يُتَصَوَّرُ انْكسَارٌ بدُون تَقْليد صَاحب الشَّريعَة وَمَا يَخْتَارُونَ منَ الرِّيَاضَات وَالمُجَاهَدَات وَرَاءَ تَقْليد السُّنَّة فَلَيْسَتْ هيَ بمُعْتَبَرَة فَإنَّ جوكية الهُنُود وبراهمهم وَفَلاَسفَةَ اليُونَان شُرَكَاءُ في ذَلكَ الأَمْر وَلا يَزيدُ الرِّيَاضَاتُ في حَقِّهمْ شَيْئًا غَيْرَ الضَّلالَة وَالخَسَارَة وَتَسْليكُ الطَّالب في هَذَا الطَّريق مَرْبُوطٌ بتَصَرُّف الشَّيْخ المُقْتَدَى به لاَ يَفْتَحُ الأَمْرَ بدُون تَصَرُّفه فَإنَّ انْدرَاجَ النِّهَايَة في البدَايَة أَثَرٌ منْ آثَار تَوَجُّهه الشَّريف وَحُصُول المَعْنَى المُنَزَّه عَن الكَيْف وَالمَثَل نَتيجَةُ كَمَال تَصَرُّفه المَنيف وَكَيْفيَّةُ الغَيْبَة وَالذُّهُول التي اعْتَبَرُوهَا طَريقًا مَخْفيًّا لَيْسَ حُصُولهَا في اخْتيَار المُبْتَدئ وَالتَّوَجُّهُ العاري عَن الجهَات السِّتِّ لَيْس وُجُوده في حَوْصَلة الطَّالب. شعْرٌ:

مَا أَحْسَنَ النقشبندبين سيرَتُهمْ يَمْشُونَ بالرَّكْب مُخْفَين للحَرَم

وَكَمَا أَنَّ في هَؤُلاَء الأَكَابر قُدْرَةً كَاملةً عَلى إعْطَاء النِّسْبَة حَيْثُ إنَّهُمْ يَمْنَحُونَ الطَّالبَ الصَّادقَ بالحُضُور وَالشُّعُور في مُدَّة قَليلة كَذَلكَ فيهمْ قُدْرَةٌ تَامَّةٌ عَلى سَلب تلكَ النِّسْبَة فَهُمْ يَجْعَلونَ صَاحبَ النِّسْبَة مُفْلسًا بتَرْك أَدَب وَاحد نَعَمْ إنَّ الذينَ يُعْطُونَ يَأْخُذُونَ أَعَاذَنَا الله سُبْحَانَهُ منْ غَضَبه وَمَنْ غَضب أَوْليَائه وَأَكْثَرُ الإفَادَة وَالاسْتفَادَة في هَذَا الطَّريق بالسُّكُوت وَقَالوا مَنْ لمْ يَنْتَفعْ بسُكُوتنَا كَيْفَ يَنْتَفعُ بكَلاَمنَا وَهَذَا السُّكُوتُ لمْ يَخْتَارُوهُ بالتَّكَلف بَل هُوَ منْ لوَازم

طَريقهمْ فَإنَّ ابْتدَاءَ تَوَجُّه هَؤُلاَء الأَكَابر إلى الأُحَديَّة المُجَرَّدَة لا يُريدُونَ بالاسْم وَالصِّفَة غَيْرَ الذَّات وَمَعْلومٌ أَنَّ المُنَاسَبَةَ وَالمُلائمَ لهَذَا المَقَام هُوَ السُّكُوتُ وَالخَرَسُ مَنْ عَرَفَ الله كَل لسَانه وَمصْدَاقٌ لهَذَا الكَلاَم وَلنَخْتمْ هَذه المَقَالة بحَمْد الله سُبْحَانَهُ وَبصَلاَة حَبيبه الحَمْدُ لله رَبِّ العَالمينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلى سَيِّد المُرْسَلينَ وَآله الطَّاهرينَ أَجْمَعينَ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّانِي وَالعشْرُونَ وَالمِائَتَانِ
إلى الخواجهْ مُحَمَّد أَشْرَفَ الكابلي
في بَيَان سُوءِ الأَحْوَال
وَرُؤْيَة القُصُور في الأَعْمَال
وَاتِّهامِ النِّيَّات في الحَسَنَات
وَمَا يُنَاسبُهُ

اللهُمَّ وَفِّقْنَا لمَرْضَاتك وَثَبِّتْنَا عَلى طَاعَتك بحُرْمَة سَيِّد المُرْسَلينَ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَقَال وَاحدٌ منَ الكُبَرَاء إنَّ المُريدَ الصَّادقَ مَنْ لاَ يَكْتُبُ عَلَيْه كَاتبُ شمَاله شَيْئًا مُدَّة عشْرينَ سَنَةً وَهَذَا الفَقيرُ المَمْلوءُ بالتَّقْصير يَجدُ نَفْسَه بالذَّوْق وَالوجْدَان بحَيْثُ لاَ يُدْري أَنَّ كَاتبَ يَمينه وَجَدَ لَهُ حَسَنَةً يُدْرجُهَا في صَحيفَة أَعْمَاله مُنْذُ عشْرينَ سَنَةً عَلمَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ لاَ يَقُول هَذَا الكَلاَمَ بالتَّصَنُّع وَيَجدُ بالذَّوْق أَيْضًا أَنَّ كُفَّارَ الإفْرنْج أَفْضَل منْهُ بمَرَاتبَ فَإنْ سُئل عَنْ لميَّته لاَ يَعْجزُ عَنِ الجَوَاب وَيَرَى نَفْسَه أَيْضًا بطَريق الذَّوْق مُحَاطًا بالخَطيئَات وَمَشْمُولاً بالسَّيِّئَات وَمَا وَجَدَ فيه منَ الحَسَنَات يَرَى أَنَّ كَاتبَ شمَاله أَحَقُّ بكتَابَته وَيَرَى أَنَّ كَاتبَ شمَاله مَشْغُول أَبَدًا وَكَاتبَ يَمينه مُعَطَّل وَفَارغٌ سَرْمَدًا وَيَعْلَمُ أَنَّ صَحيفَة يَمينه خَاليَةٌ وَصَحيفَةَ شمَاله مَمْلوءَةٌ لاَ رَجَاءَ لهُ سوَى الرَّحْمَة وَلاَ مُمدَّ لهُ سوَى المَغْفرَة دُعَاءُ اللهُمَّ مَغْفرَتُك أَوْسَعُ منْ ذنوبي وَرَحْمَتُك أَرْجَى عندي منْ عملي مُوَافقٌ حَاله وَالعَجَب أَنَّ الفُيُوضَات الإلهيَّةَ وَالوَاردَات الرحمانية فَائضَةٌ عَلى الدَّوَام في مَدَارج الكَمَال وَالتَّكْميل وَتلكَ الوَاردَاتُ تُؤَيِّدُ رُؤْيَةَ القُصُور المَذْكُورَة وَتُقَوِّي مُشَاهَدَةَ العُيُوب المَسْطُورَة وَتَزيدُ مَكَانَ العَجَب مَنْقَصَةً وَمَحَل التَّرَفُّع تَوَاضُعًا وَتَنَزُّلاً ففي آن وَاحد مُشْرف بكَمَالات الولاَيَة وَفي ذَلكَ الآن مُتَّصفٌ أَيْضًا برُؤْيَة القُصُور وَالنُّقْصَان وَكُلَّمَا يَعْرجُ وَتَفُوقُ يَرَى نَفْسَه أَسْفَل بَل يَكُونُ عُرُوجُه وَتَفَوُّقه سَبَبًا لرُؤْيَة مَنْزلة وَتَسَفُّله يُصَدِّقُ الظُّرَفَاءُ ذَلكَ أَمْ لاَ فَإنْ اطَّلعُوا عَلى سرِّه فَلَعَلَهُمْ يُصَدِّقُون.

فَإنْ قيل: مَا سرُّ اجْتمَاع هَذَيْن المُتَنَافيَيْن وَكَيْفَ يَكُونُ وُجُودُ أَحَد المُتَنَافيَيْن سَبَبًا لوُجُود الآخر الجَوَابُ أَنَّ اسْتحَالَةَ اجْتمَاع المُتَنَافيَيْن مَشْرُوطَةٌ باتِّحَاد

المَحَل وَفِيمَا نَحْنُ فيه المَحَل مُتَعَدِّدٌ فَإِنَّ الذَّاهِبَ إِلى فَوْق لطَائف عَالَمِ الأَمْر منَ الإِنْسَان الكَامِل وَالنَّازِل إِلى تَحْت لطَائف عَالَم الخَلق مِنْهُ فَإِنَّهُ كُلمَا يَذْهَبُ عَالَمُ الأَمْر إِلى فَوْق يَكُونُ مُنَاسَبَتَهُ لعَالَم الخَلق أَقَل وَأَنْقَص وَتَقَلل تلكَ المُنَاسَبَةُ وَتَنَقُّصُهَا يَكُونُ سَبَبًا لتَنَزُّل عَالَم الخَلق وَكُلمَا يَتَنَزَّل عَالَمُ الخَلق وَيَتَسَفَّل يَجْعَل السَّالكَ فَاقدَ الحَلاَوَة وَيَزِيدُهُ رُؤْيَةَ العُيُوب وَالنَّقَائص وَلهَذَا يَتَمَنَّى المُنْتَهُونَ الالتذَاذَ الذي كَانَ مُيَسَّرًا لهُمْ في الابْتدَاء ثُمَّ زَال عَنْهُمْ في الانْتهَاء وَعَرَضَ مَكَانَهُ فقْدَانُ الالتذَاذ وَعَدَمُ الحَلاَوَة وَلهَذَا أَيْضًا يَرَى العَارفُ أَنَّ كُفَّارَ الإفرَنْج أَفْضَل منْهُ لأَنَّ في الكَافر نُورَانيَّةً بسَبَب امْتزَاج عَالَم الأَمْر فيه بعَالَم الخَلق وَهَذَا الامْتزَاجُ مَفْقُودٌ في العَارف بَل بَقيَ فيه عَالَمُ الخَلق الذي يَقَعُ لفْظُ أَنَا منَ العَارف عَلَيْه وَحْدَهُ وَهُوَ مَمْلوءٌ منْ ظُلمَة وَكُدُورَة منَ الرَّأْس إِلى القَدَم وَلطَائفُ عَالَم الأَمْر منْهُ وَإِنْ نَزَلتْ إِلى تَحْت بطَريق الرُّجُوع لكنْ لاَ يَكُونُ لهَا اخْتلاَطٌ وَامْتزَاجٌ بعَالَم الخَلق كَمَا كَانَ ذَلكَ بَيْنَهُمَا في الابْتدَاء وَوَصَل المَكْتُوبُ المُرْسَل صُحْبَةَ أَخي الخواجهْ مُحَمَّد طَاهر وَحُصُول الرَّبْطَة التي هيَ مَبْنيَّةٌ عَلى المُنَاسَبَة التَّامَّة في زَمَان الغَيْبَة يَنْبَغي أَنْ تَعُدَّهَا منْ نعَم عَظيمَة وَليَكْتَف بقُرْب القُلوب إِلى أَنْ تَرْتَفعَ المَوَانعُ وَمَعَ وُجُود هَذَا القُرْب يَنْبَغي أَنْ لاَ يَخْرُجَ تَمَنِّي قُرْب الأَبْدَان منَ القَلب فَإِنَّ تَمَامَ النِّعْمَة مَرْبُوطٌ بهَذَا القُرْب أَلاَ تَرَى أَنَّ أُوَيْسًا القرنيَّ مَعَ وُجُود قُرْب القُلوب فيه لَمْ يَبْلغْ مَرْتَبَةَ أَدْنَى الجَمَاعَة التي حَصَلتْ لهُمْ قُرْبُ الأَبْدَان لعَدَم حُصُول ذَلكَ لهُ وَلهَذَا لاَ يُسَاوي إِنْفَاقُ جَبَل ذَهَب منْهُ إِنْفَاقَ مُدِّ شَعير منْهُمْ فَلاَ تَعْدل بالصُّحْبَة شَيْئًا كَائنًا مَا كَانَ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالعشْرُونَ وَالمائَتَان
إلى الخواجهْ جَمَال الدِّين حُسَيْنِ الكولابي
فِي التَّحْرِيضِ عَلى إِظْهَارِ الأَحْوَال لشَيْخه

لَمْ يُخبِرْ الأَخُ الخواجهْ جَمَال الدِّين حُسَيْنٌ مُنْذُ مُدَّة عَنْ كَيْفيَّات أَحْوَاله أَلَمْ يَسْمَعْ أَنْ مَشَايِخَ الكبروية إِذَا لَمْ يَعْرِضْ المُرِيدُ عَلى شَيْخه أَحْوَالهُ إلى ثَلاَثَة أَيَّام يُؤَدِّبُونَهُ مَضَى مَا مَضَى فَلاَ يَفْعَل ثَانيًا كَذَلكَ بَل ليَكْتُبْ كُلَمَا يَظْهَرُ وَلَيَغْتَنم قُدُومَ الأَخِ الأَعَزِّ وَلَيَجْتَهدْ فِي الخدْمَة وَاسْتمَالة خَاطره وَلَيَعْتَقدْ أَنَّ صُحْبَتَهُ شَيْءٌ عَزِيزٌ(ع):

للتُك يَا هَذَا عَلى كَنْزٍ مُقْصَد

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالعِشْرُونَ وَالمِائَتَان
إِلى المِيرِ مُحَمَّد نُعْمَانَ البدخشيِّ
فِي بَيَانِ رِعَايَةِ الآدَابِ وَدَفْعِ التَّوَهُّم وَالأَمْرِ بِالاحْتِيَاطِ فِي تَعْلِيمِ الطَّرِيقَةِ وَالتَّحَمُّلِ عَلَى شَدَائِدِ الفَقْرِ وَبَعْضِ النَّصَائِحِ وَالتَّنْبِيهَاتِ المَكْتُوبَةِ إلى يار مُحَمَّد القَدِيمِ فِي ظَهْرِ هَذَا المَكْتُوب

وَصَلَ مَكْتُوبُ الأَخِ الأَرْشَدِ المِيرِ مُحَمَّد نُعْمَانَ وَاتَّضَحَ مَضْمُونُ المُقَدِّمَاتِ التي رَتَّبَهَا وَفَحْوَى التشكيكات التي أَظْهَرَهَا يَقُول بَعْضُ النَّاسِ فِي حَقِّكُمْ إِنَّهُ أَعْقَلُ أَهْلِ زَمَانِه وَمَا مَعْنَى إِيرَاد أَمْثَال هَذِه الكَلِمَات بَيْنَك وَبَيْنَ مَنْ لاَ بُدَّ مِنْهُ وَلاَ مَهْرَبَ عَنْهُ وَلاَ تَقْدرُ عَلى مُقَاطَعَته وَلاَ يُمْكنُك طَلَبُ مُفَارَقَته وَأَيُّ مُنَاسَبَة فِي ذَلكَ وَمَعَ ذَلكَ لاَ يُخَيَّل لك وُصُول غُبَار مِنْ أَمْثَال هَذه الكَلِمَات إِلى خَاطِر هَذَا الجَانب حَتَّى يُؤَدِّي إِلى الإِيذَاء والتأذي فَضْلاً عَنْ أَنْ يَنْجَرَّ الأَمْرُ إِلى التبرِّي فَإِنَّ مَحَاسنَكُمْ مَنْصُوبَةٌ لدَى الأَنْظَارِ وَزَلاَّتكُمْ سَاقطَةٌ عَنْ حَيِّز الاعْتبَار فَلاَ تُشَوِّشْ خَاطرَك أَصْلاً وَلاَ تَتَصَوَّرْ حُصُول الأَذيَّة إِلى هَذَا الجَانب قَطْعًا فَإِنَّ الأَذيَّةَ غَيْرُ وَاقعَة بوَجْه من الوُجُوه وَكَيْفَ تَتَصَوَّرُ الأَذيَّةَ مَعَ انْتفَاء مُوجَب الأَذيَّة وَالأُمُورُ التي تَظْهَرُ بِالسَّهْو وَالنِّسْيَان بِمُقْتَضَى البَشَرِيَّة لَيْسَتْ بِلاَئقَة للمُؤَاخذَة بهَا فَأَزِحْ تَوَهُّمَ التأذي عَنْ لَوْحِ الخَاطرِ وَكُنْ مَشْغُولاً بِتَعْلِيمِ الطَّرِيقَة وَإِفَادَة الطَّلَبَة مِنَ الأَكَابرِ وَالأَصَاغرِ.

وَالأَمْرُ بالاسْتخَارَة أنمَا هُوَ لتَأْكيد هَذَا الأَمْرِ لاَ لنَفْيه فَإِنَّ العَدُوَّ اللعينَ وَالنَّفْسَ التي الشَّرُّ لَهَا قَرِينٌ لَمَّا كَانَ فِي كَمِين هَذَا المسْكين دَائمًا لاَ بُدَّ مِنَ الاحْتيَاط وَالتَّأْكيد لئَلاَّ تَنْقَلبَ عَلَيْنَا الأَحْوَال وَكَيْلاَ تَظْهَرَ السيئاتُ لعُيُوننَا فِي صُوَرِ الحَسَنَات بِالتَّمْوِيهَات وَالتَّسْوِيلاَت لأَجْل الإِضْلال قيل إِنَّ الشَّيْطَانَ اللعينَ إِذَا جَاءَ مِنْ طَرِيق الطَّاعَة وَصُورَة النَّصِيحَة فَدَفْعُهُ مُتَعَسِّرٌ فَيَنْبَغِي لنَا إِذًا أَنْ نَلتَجئ وَنَتَضَرَّعَ إِلى الحَقِّ ا‍ـهُ دَائمًا وَأَنْ نَطْلُبَ مِنْهُ تَعَالى بالانْكسَار وَالبُكَاء أَنْ لاَ يُرَادَ مِنْ هَذه الجِهَة خذْلاَنُنَا وَاسْتدْرَاجُنَا وَطَرِيقُ الاسْتقَامَة هُوَ الدَّلاَلةُ عَلى السَّعَادَة الأَبَديَّة ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ الفَقْرَ وَالفَاقَةَ جَمَال هَذه الطَّائفَة العَليَّة وَفي اخْتيَاره اقْتدَاءٌ بِسَيِّد الكونين - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَقَدْ تَكَفَّلَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ مِنْ كَمَال كَرَمه برزْق عبَاده وَجَعَلنَا وَإِيَّاكُمْ فَارغينَ منْ هَذَا التَّرَدُّد كُلمَا تَكُونُ النُّفُوسُ أَكْثَرَ يَكُونُ وُصُول الأَرْزَاق أَوْفَرَ فَيَنْبَغِي التَّوَجُّهُ إِلى مَرْضيَّات الحَقِّ تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَإِحَالةُ غَمِّ المُتَعلقَات عَلى

كَرَمِه سُبْحَانَهُ والبَاقي عِنْد التلاقي وَقَدْ أَخبَرَ بَعْضُ الأَصْحَاب الوَارِدِينَ مِنْ هُنَاكَ أَنَّ تَوَهُّمَ حُصُول التأذي مُتَمَكِّنٌ في خَاطِر المَيْر إلى الآن فَبنَاءً عَلَى ذَلكَ كَتَبْنَا بالمُبَالغَة وَالتَّأْكِيد فِي رَفْعِ تَوَهُّمِ الأَذيَّة وَأَيْضًا كُنَّا حَرَّرْنَا إلى المُلاَ يار مُحَمَّد القَديم كِتَابًا مُشْتَمِلاً عَلَى النَّصائحِ وَالمَوَاعِظ وَالظَّاهِرُ أَنَّ مَضْمُونَه لَمْ يُلاَئِمْ طَبِيعَتَهُ حَيْثُ لَمْ يُرْسِل جَوَابَهُ بَل لَمْ يَسْمَحْ بإِرْسَال الدُّعَاء وَمَاذَا أَصْنَعُ إِنْ لَمْ يُلائِمْ طَبِيعَتَهُ فَإِنْ لَمْ أُبَيِّنْ مَظَانَّ غَلط جَمَاعَة مَنْسُوبَة إلى هَذَا الحَقِير وَمَوَادَّ خَطئِهِمْ وَلَمْ أُمَيِّزْ الحَقَّ مِنَ البَاطِل فَكَيْفَ أَخرُجُ مِنَ العُهْدَة وَبِأَيٍّ وَجْه أَذْهَبُ إلى الآخر. شعْرٌ.

وَمَا هُوَ مِنْ شَرْط البَلاَغِ أَقُولهُ فَخُذْ مِنْهُ نُصْحًا خَالصًا أَوْ مَلالَةً

اعْلَمْ أَنَّ مَقَامَ المَشْيَخَة وَالإِرْشَاد وَدَعْوَةَ الخَلق إلى الحَقِّ وَطَرِيقَ الرَّشَاد مَقَامٌ عَال جدًّا وَلعَلكُمْ سَمعْتُمْ الشَّيْخَ فِي قَوْمه كَالنَّبيِّ فِي أُمَّته فَأَيُّ مُنَاسَبَة بِهَذه المَنْزلة العَليَّة لكُل قَاصر وَعَاجز، شعْرٌ:

هَل كُل مَنْ خلتُ رَجُلاً رَجُل مَيْدَان أَوْ كُل مَنْ صَارَ ذَا مُلك سُليْمَان

فَإِنَّ العلمَ بتَفَاصيل الأَحْوَال وَالمَقَامَات وَمَعْرفَة حَقَائق المُشَاهَدَات وَالتَّجَليَات وَحُصُول الكُشُوف والإلهامات وَظُهُور تَعْبِير الوَاقعَات كُل ذَلكَ مِنْ لوَازِمِ هَذَا المَقَامِ العَالي وَبدُونهَا خَرْطُ القَتَاد غَايَةُ مَا فِي البَابِ أَنَّ أَكَابرَ الطَّرِيقَة قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ يُجيزُونَ بَعْضَ مُرِيديهِمْ بنَوْعِ إجَازَة قَبْل وُصُوله إلى مَقَام المَشْيَخة بمُلاَحَظَة بَعْضِ المَصَالِحِ وَيُجوِّزُونَ فِي حَقِّه تَعْلِيمَ الطَّرِيقَة للطَّالبينَ فِي الجُمْلَة لِيَطَّلعَ عَلَى الأَحْوَال وَالوَاقعَات وَيُلزمُ الشَّيْخُ المُقْتَدَى به فِي هَذَا النَّوْعِ مِنَ التَّجْوِيز أَنْ يَأْمُرَ ذَلكَ المُرِيدَ المَجَازَ بالاحْتيَاط وَكَشْف مَوَادِّ الغَلط بالتَّأْكِيد وَإطْلاَعه عَلَى نَقْصه دَائمًا وَإظْهَارَ عَدَمِ تماميته وَكَماله بالمُبَالغَة فَإِنْ تَسَاهَل الشَّيْخُ فِي إظْهَار الحَقِّ فِي هَذه الصُّورَة يَكُونُ خَائنًا وَإِنْ سَاءَ ذَلكَ المُرِيدُ يَكُونُ مَخْذُولاً أَمَا يَعْلَمُ أَنَّ رِضَا الحَقِّ - جَل وَعَلاَ - مَنُوطٌ برضَا الشَّيْخ وَسَخَطَهُ تَعَالى مَرْبُوطٌ بسَخَطه مَا هَذه المُصيبَةُ وَأيُّ بَلاَء وَقَعَ أَمَا فَهمُوا أَنَّ الانْقطَاعَ عَنَّا إلى أَيْنَ يَنْجرُّ فَإِنْ يَنْقَطعُوا عَنَّا إلى مَنْ يَتَّصلونَ فَإِنْ تَطَرَّقَ إلى خَاطره عيَاذا بالله سُبْحَانَهُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا القسْم فَقُل لهُ مِنْ غَيْر تَوَقُّف ليَتُبْ وَليَسْتَغْفرِ اللهَ وَليَلتَجئْ وَليَتَضرَّعْ إليْه سُبْحَانَهُ أَنْ لاَ يَبْتَليَه بهَذَا الابْتلاَء العَظِيمِ وَأَنْ لاَ يُوقعَهُ فِي هَذَا البَلاَء الخَطير لله سُبْحَانَهُ الحَمْدُ وَالمنَّةُ لَمْ يَقعْ غُبَارٌ فِي خَاطرِ هَذَا الجَانب مَعَ عَدَمِ مبَالاَت الإخْوَان ذَلكَ

وَاضْطِرَابَاتُهِمْ هَذه كُلهَا وَالمَرْجُوُّ مِنْ ذَلكَ أَنْ يَمُرَّ عَوَاقِبُ الأُمُور بالخَيْرِ وباقي الأَحْوَال وَالأَوْضَاعِ يَذْكُرُهُ الأَخُ الأَرْشَدُ مَوْلاَنَا مُحَمَّدٌ صَالحٍ بِالتَّفْصِيل وَبَعْضُ مَحَال الاشْتبَاه يُتَعْلَمُ مِنْهُ.

{وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[1] وَالتزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلى آله أَتَمُّ الصَّلاَةِ وَأَفْضَل التسليمات.

(١) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالعِشْرُونَ وَالمِائَتَان
إلى الملا طَاهِرِ اللاهوري
فِي بَيَانِ أَنَّ فِي بِدَايَةِ هَذَا الطَّرِيقِ يَحْصُلُ مَا يَحْصُلُ فِي نِهَايَةِ سَائِرِ الطُّرُق بِطَرِيقِ انْدِرَاجِ النِّهَايَةِ فِي البِدَايَةِ إلخ

الحَمْدُ لله وَنُصلي عَلى نَبيِّه وَنُسَلمُ عَلَيْه وَعَلى آله الكرَام وَصَلت المكتوباتُ الشَّرِيفَةُ مُتَوَالِيَةً وَقَدْ انْدَرجَ فِيهَا بَيَانُ سَعْيِ الطَّالبِينَ وَاجْتِهَادِهِمْ فِي الاشْتغَال والتذاذهم به وَاجْتمَاعِهِمْ عَلَيْه فَزَادَتْ فَرَحًا عَلى فَرَحٍ غَايَةُ مَا فِي البَاب أَنَّ هَذَا الطَّرِيقَ لَمَّا كَانَ فيه انْدرَاجُ النِّهَايَة فِي البدَايَة صَارَ يَقَعُ وَيَحْصُل لمبتدئي هَذَا الطَّرِيق العَالِي فِي الابْتدَاء أَحْوَال شَبِيهَةٌ بِأَحْوَال المُنْتَهِينَ بحَيْثُ لاَ يُمْكنُ التَّمْييزُ وَالتَّفْرِيقُ بَيْنَ هَذَيْنِ النَّوْعَيْنِ منَ الأَحْوَال إلاَّ لعَارِف لهُ حدَّةُ النَّظَر فَعَلى هَذَا التَّقْدير لاَ يَنْبَغِي إجَازَةُ تَعْلِيمِ الطَّرِيقَة لأَصْحَاب تلكَ الأَحْوَال اعْتمَادًا عَلى حُصُولهَا فَإنَّ ضَرَرَ أَصْحَاب الأَحْوَال فِي هَذه الصُّورَة فَوْقَ ضَرَر مسترشديهم لاحتمَال الامْتنَاعِ عَنِ التَّرَقِّي بتَخَيُّل البُلوغِ مَرْتَبَةَ الكَمَال بَل يُمْكنُ أَنْ يُوقعَهُ حُصُول الجَاه وَالرِّيَاسَة الذي هُوَ منْ لوَازمِ مَقَامِ الإرْشَاد فِي بَلاَءِ عَظِيم فَإنَّ نَفْسَه الأَمَّارَةَ بَاقيَةٌ عَلى كُفْرهَا لَمْ تَحْصُل لهَا التَّزْكيَةُ بَعْد مُضيٍّ مَا مَضَى وَالذينَ أجَزْتَهُمْ يَنْبَغِي لك أَنَّ تُفْهِمَهُمْ بالملايَمة أَنَّ هَذَا النَّوْعَ منَ الإجَازَة لَيْسَ مَبْنيًّا عَلى الكَمَال بَل أَمَامَهُمْ أُمُورٌ كَثيرَةٌ وَأَنَّ هَذه الأَحْوَال الحَاصلةَ فِي الابْتدَاء إنَّمَا هيَ منْ قَبيل انْدرَاجِ النِّهَايَة فِي البدَايَة وَأَنْ تَنْصَحَهُمْ بالنَّصَائحِ المُنَاسبَة وَأَنْ تُطْلعَهُمْ عَلى مَنْقصَتهمْ وَحَيْثُ أَجَزْتَهم لاَ تَمْنَعْهُمْ منْ تَعْليمِ الطَّرِيقَة وَعَسَاهُمْ يَبْلغُونَ حَقيقَةَ مَقَامِ الإرْشَاد ببَرَكَة أنفاسكم ثُمَّ إنَّكُمْ حَيْثُ شَرَعْتُمْ فِي هَذَا الأَمْرِ يَكُونُ مُبَارَكًا فَيَنْبَغِي السَّعْيُ وَالاهْتمَامُ وَالاجْتهَادُ وَالاغْتنَامُ ليَكُونَ ذَلكَ بَاعثًا عَلى سَعْيِ الطَّالبينَ وَاجْتهَادهمْ وَشَوْقهمْ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالعِشْرُونَ وَالمائَتَان
إلى أَخيه الحَقيقيِّ الشَّيْخ مَيَّان مُحَمَّد
في بَيَان اغْتِنَام الفُرْصَة

وَصَل مَكْتُوبٌ أُخرَى الأَعزِّ فَصَارَ مُوجبًا للفَرَحِ أَيُّهَا الأَخُ وَفَّقَنَا اللهُ وَإيَّاكَ إنَّ فُرْصَةَ الحَيَاة قَليلةٌ جدًّا وَالعَذَابُ الابَديُّ مُتَفرِّعٌ عَلَيْهَا يَا أَسفَا عَلى مَنْ يَصْرِفُ هَذه الفُرْصَةَ اليَسيرَةَ في تَحْصيل أُمُورٍ لاَ طَائل فيهَا وَيَلتَزمُ الآلاَمَ المُخَلدَةَ أَيُّهَا الأَخُ إنَّ النَّاسَ منَ الأَجَانب يَجْتَمعُونَ منَ الأَطْرَاف وَالجَوَانب أَمْثَال النَّمْل وَالجَرَاد تَاركينَ الأَسْبَابَ الدُّنْيَويَّةَ وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ وَتُعدُّونَ بالذَّوْق وَالحرْص في طَلب الدُّنْيَا الدَّنيَّة وَتَتَمَنَّوْنَ بالشَّوْق حُصُولَهَا جَاهلينَ لقَدْرِ دَوْلَة كَائنَة في الدَّار الحَيَاءُ شُعْبَةٌ منَ الإيمَان حَديث نَبويٌّ عَلَيْه منَ الصَّلَوَات أَفْضَلهَا وَمنَ التَسليمات أَكْمَلهَا أَيُّهَا الأَخُ إنَّ هَذَا النَّوْعَ منَ اجْتمَاعِ أَهْل الله وَهَذَا القسْمُ منَ الجَمْعيَّة لله في الله الذي هُوَ اليَوْمَ في سرهند لاَ يَدْري أَيُحَصِّل عُشْرَ عَشير هَذه الدَّوْلة عنْدَ طَوْف أَطْرَاف العَالم أَمْ لاَ وَأَنْتم ضَيَّعْتُمْ مثْل هَذه الدَّوْلة مَجَّانًا وَاسْتَبْدَلْتُم الجَوَاهرَ النَّفيسَةَ بالجَوْز وَالمَوْز مثْل الأَطْفَال، (ع):

فَذَا عَارٌ عَلَيْكُمْ أَلفَ عَارِ

أَيُّهَا الأَخُ: لعَلك لاَ تُعْطى الفُرْصَةَ في وَقْت آخَرَ وَلئنْ أُعْطيتَ فَلعَلَهُ لاَ يَبْقَى هَذَا الاجْتمَاعُ قَائمًا فَمَا العلاَجُ إذًا وَكَيْفَ يُمْكنُ التَّدَارُكُ وَبأَيِّ شَيْءٍ يَحْصُل التلافي غَلطْتَ وَأَخْطَأْتَ في الفَهْم إيَّاك وَأَنْ تُفْتَنَ بلقْمَة سَمينَة لذيذَة وَإيَّاكَ وَأَنْ تَغْتَرَّ بألبسة مُزَيَّنَة نَفيسَة فَإنَّهَا لاَ نَتَائجَ لَهَا في الدُّنْيَا وَالآخرَة غَيْرَ الخَسَارَة وَالنَّدَامَة وَإلقَاء نَفْسك إلَى البَلاَء وَاخْتيَار العَذَاب الأخرويِّ بوَاسطَة طَلب رضَا الأَهْل وَالعيَال بَعيدًا عَنِ العَقْل السَّليم المُدْرك المُتَفَكِّر لعَوَاقب الأُمُور رَزَقَكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ العَقْل وَالتَّنَبُّهَ أَيُّهَا الأَخُ إنَّ الدُّنْيَا يُمَثَّل بهَا في عَدَم الوَفَاء وَأَهْلهَا مَشْهُورُونَ بالخسَّة وَالدَّنَاءَة وَالجَفَاء أَليْسَ منَ الخَسَارَة أَنَّ تَصرفَ عُمْرَكَ العَزيزَ النَّفيسَ في طَلب عَديم الوَفَاء وَالخَسيس {مَا عَلى الرَّسُول إلاَّ البَلاَغُ}[1] وَالسَّلاَمُ.

---

(١) ــ الآية: ٩٩ من سورة المائدة.

المَكْتُوبُ السَّابِعَ وَالعِشْرُونَ وَالمِائَتَان
إلى الملا طَاهِرِ اللاهوري
فِي بَعْضِ النَّصَائِحِ وَالمَوَاعِظِ التِي تَتَعَلَّقُ بِمَقَامِ المَشْيَخَة

الحَمْدُ لله وَسَلاَمٌ عَلى عِبَادِه الذينَ اصْطَفَى وَصَل المَكْتُوبُ الشَّرِيفُ وَصَارَ مُوجبًا للفَرَحِ وَقَدْ كَتَبْتُمْ منَ التذَاذ الأَصْحَاب وَحُصُول الحَلاَوَة لَهُمْ فَزَادَ ذَلكَ فَرَحًا عَلى فَرَحٍ أَيُّهَا الأَخُ إِنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ حَيْثُ أَكْرَمَك بِهَذَا المَنْصب يَنْبَغِي لك أَدَاءُ شُكْرِ هَذه النِّعْمَة عَلى الوَجْه الأَتَمِّ وَالاحْترَازِ عَنْ صُدُورِ أَمْرٍ يَكُونُ بَاعثًا عَلى نَفْرَة الخَلق فَإِنَّهُ وَبَال عَظِيمٌ وَتَنْفيرُ الخَلق مُنَاسبٌ لحَال المَلامتيِّ لاَ تَعَلقَ لهُ بالمَشْيَخَة وَمَقَامُ الدَّعْوَة بَل مَقَامُ المَلامتيِّ نَقيضُ مَقَامِ المَشْيَخَة فَإِيَّاكَ وَالغَلطَ فِي هَذَيْنِ المَقَامَيْنِ أَفَتَتَمَنَّى المَلامتيَّةَ فِي مَقَامِ المَشْيَخَة وَهُوَ ظُلْمٌ عَظِيمٌ وَيَنْبَغِي لك أَنْ تُجَمِّل نَفْسَك فِي نَظَرِ المُرِيدِينَ وَأَنْ لاَ تُفَرِّطَ فِي الاخْتلاَط والموآنسة بالمُسْتَرْشدِينَ فَإِنَّ ذَلكَ بَاعثٌ عَلى الاسْتخْفَاف المُنَافي للإفَادَة وَالاسْتفَادَة وَعَلَيْك برعَايَة حفْظ الحُدُود الشَّرْعيَّة حَقَّ رعَايَتهَا أَوْ إِيَّاكَ وَتَجْوِيزَ العَمَل بالرُّخْصَة مَهْمَا أَمْكَنَ فَإِنَّهُ مُنَاف لهَذه الطَّرِيقَة العَليَّة وَمُنَاقضٌ لدَعْوَى مُتَابَعَة السُّنَّة السَّنِيَّة قَال وَاحدٌ منَ الأَعزَّة رِيَاءُ العَارِفُونَ خَيْرٌ منْ إِخْلاَصِ المُرِيدِينَ فَإِنَّ رِيَاءَهُمْ إِنَّمَا هُوَ لانْجذَاب قُلُوب الطَّالبِينَ إِلى جَنَاب قُدْسِ الحَقِّ - جَل سُلطَانُهُ - فَيَكُونُ أَفْضَل منْ إِخْلاَصِ المُرِيدِينَ بالضَّرُورَة وَأَيْضًا إِنَّ أَعْمَال العَارِفِينَ أَسْبَابٌ وَوَسَائطُ لتَقْليد الطَّالبِينَ لَهُمْ فِي إِتْيَان الأَعْمَال فَإِنْ لمْ يَعْمَل العَارِفُونَ يَبْقَى الطَّالبُونَ مَحْرُومِينَ منَ العَمَل فَصُدُورُ الرِّيَاء منَ العَارِفِينَ إِنَّمَا هُوَ ليَقْتَدي بهمُ الطَّالبُونَ وَهَذَا الرِّيَاءُ عَيْنُ الإِخْلاَصِ بَل أَفْضَل منْهُ لأَنَّ نَفْعَهُ مَقْصُورٌ عَلى صَاحبه وَذَاكَ مُتَعَدٌّ وَلاَ يَتَوَهَّمُ المُتَوَهِّمُ منْ ذَلكَ أَنَّ أَعْمَال العَارِفِينَ إِنَّمَا هيَ لمَحْضِ تَقْليد الطَّالبِينَ وَأَنَّهُ لاَ احْتيَاجَ لَهُمْ إِلى الأَعْمَال عياذا بالله سُبْحَانَهُ منْ ذَلكَ فَإِنَّهُ عَيْنُ الإِلحَاد وَالزَّنْدَقَة بَل العَارفُ وَالطَّالبُ سيَّان فِي لزُوم إِتْيَان الأَعْمَال لاَ غنا لأَحَد عَنْهُ غَايَةُ مَا فِي البَاب أَنَّ فِي أَعْمَال العَارِفِينَ يَكُونُ نَفْعُ الطَّالبِينَ الذي مَرْبُوطٌ بالتَّقْليد مَلحُوظٌ أَيْضًا أَحْيَانًا وَبِهَذَا الاعْتبَارِ يُسَمُّونَهَا رِيَاءً وَبالجُمْلَة يَنْبَغِي التَّحَفُّظُ الكَامل وَالتَّيَقُّظُ

الشَّامل في القَوْل وَالفعْل فَإِنَّ أَكْثَرَ الخَلق في هَذه الأَوَان في شَوْق الطَّلب فَلاَ يَقَعُ أَمْرٌ يَكُونُ مُنَافيًا لِهَذَا المَقَام وَبَاعثًا عَلَى طَعْن الجُهَّال في الأَكَابر الكرَام وَعَلَيْك بطَلب الاسْتقَامَة منَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَقَدْ كَتَبْت أَيْضًا حُصُول نَسَب المَشَايخ وَقَدْ ذُكرَ وَجْهُ ذَلكَ لك مُكَرَّرًا بالمُشَافَهَة فَلاَ تَفْهَمْ وَرَاءَ ذَلكَ شَيْئًا فَإِنَّهُ ممَّا لاَ خَيْرَ فيه وَمَاذَا أَكْتُبُ أَزْيَدَ منْ ذَلكَ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّامنَ وَالعشْرُونَ وَالمِائَتَان
إلى المَيْر مُحَمَّد نُعْمَانَ
فِي بَعْضِ النَّصَائِحِ المُتَعَلِّقَةِ بمَقَامِ التَّكْمِيل وَتَعْلِيمِ الطَّرِيقَة وَمَا يُنَاسِبُهُ

وصَلَ مَكْتُوبُ الأَخِ مَعْدِنِ السِّيَادَةِ وَصَارَ مُوجبًا للفَرَحِ أَيُّهَا الأَخُ قَدْ قِيلَ لكَ مُكَرَّرًا إنَّ مَدَارَ هَذَا الطَّرِيقِ عَلَى أَصْلَيْنِ الاسْتِقَامَةِ عَلَى الشَّرِيعَةِ عَلَى حَدٍّ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يَرْضَى بتَرْكِ أَدْنَى آدَابِهَا وَرُسُوخِ مَحَبَّةِ شَيْخِ الطَّرِيقَةِ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهَا وَالإِخْلاَصِ عَلَى نَهْجٍ لاَ يَبْقَى مَجَالُ الاعْتِرَاضِ عَلَيْهِ أَصْلاً بَل يَكُونُ جَمِيعُ حَرَكَاته وَسَكَنَاته مُسْتَحْسَنَةً وَمَحْبُوبَةً فِي نَظَرِ المُرِيد وَنَعُوذُ بالله سُبْحَانَهُ مِنْ وُقُوعِ خَلَلٍ فِي أَمْرٍ مِنَ الأُمُورِ المُتَعَلِّقَةِ بهَذَيْنِ الأَصْلَيْنِ فَإِنَّ هَذَيْنِ الأَصْلَيْنِ إِذَا كَانَا عَلَى الاسْتِقَامَةِ بعِنَايَةِ الله سُبْحَانَهُ فَسَعَادَةُ الدُّنْيَا وَالآخرَةِ نَقْدُ الوَقْتِ وَقَدْ قَرَعَ سَمْعَكُمْ نَصَائِحُ وَوَصَايَا أُخَرُ فَيَنْبَغِي الاحْتِيَاطُ فِي مُرَاعَاتِهَا وَتَلاَفِي التقصيرات بالتَّضَرُّعِ وَالابْتِهَال وَأَنْ تَعْتَكِفَ فِي عَشْرِ ذي الحجَّة هَذه بنِيَّةِ قَضَاءِ الاعْتِكَافِ العُشْرِ الأَخِيرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَان عَلَى تَقْدِيرِ تَرْكِه مِنَ الشَّهْرِ المَذْكُورِ فَبِهَذِه النِّيَّةِ تَصِيرُ عَامِلاً السُّنَّةَ وَيَنْبَغِي فِي هَذَا الاعْتِكَافِ الاعْتِذَارُ إِلى الله سُبْحَانَهُ مِنَ التقصيرات بالتَّضَرُّعِ وَالانْكِسَارِ وَالفَقِيرُ أَيْضًا يَكُونُ مُمِدًّا لكُمْ فِي ذَلكَ إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالى وَمَا المَقْصُودُ مِنْ هَذه المُبَالغَة وَالإِلحَاحِ كُلهَا فِي تَحْرِيرِ الإِجَازَة وَقَدْ صَدَرَتْ لك إِجَازَةُ تَعْلِيمِ الطَّرِيقَة فَإِنْ لَمْ تَكْفِ هِيَ فَمَا نَفْعُ تَحْرِيرِ الإِجَازَة وَلاَ يَلزَمُ السَّعْيُ وَالاجْتِهَادُ فِي تَحْصِيل كُلمَا يَقَعُ فِي الخَاطِرِ وَقَدْ يَقَعُ أَشْيَاءُ تَرْكُهَا أَوْلى وَأَنْسَبُ وَالنَّفْسُ اللجُوجَةُ إِذَا وَلعَتْ بأَشْيَاءَ تُرِيدُ أَنْ تُحَصِّلهَا وَتُتِمَّهَا وَلاَ تُلاَحِظُ فِي حقِّيتها وَبُطْلاَنهَا وَلقَدْ حَرَّرْتُ فِي حَقِّكُمْ كَلمَات كَثِيرَةً نَفعَكَ اللهُ سُبْحَانَهُ بهَا يَنْبَغِي لك أَنْ تَكُونَ فِي فكْرِ نَفْسك وَتَدْبِيرِ أَمْرِك حَتَّى تَذْهَبَ بسَلاَمَةِ الإِيمَان وَمَاذَا تَنْفَعُ الإِجَازَةُ وَالمُرِيدُونَ فَإِذَا جَاءَ طَالبٌ صَادِقٌ حِينَ اشْتِغَالك بشَأْنك فَحِينَئذ تُعَلمُهُ الطَّرِيقَةَ لاَ إِنَّك تَجْعَل تَعْلِيمَ الطَّرِيقَة أَصْلَ الأَمْرِ وَمَقْصُودًا بالذَّات وَتَجْعَلَ مُعَامَلتك تَابعَةً لهُ وَمَقْصُودًا بالعَرَضِ فَإِنَّ ذَلكَ ضَرَرٌ مَحْضٌ وَخُسْرَانٌ صِرْفٌ.

المَكْتُوبُ التَّاسِعَ وَالعِشْرُونَ وَالمِائَتَان
إلى المَرْزَا حُسَامِ الدِّينِ أَحْمَدَ
في دَفْعِ تَوَهُّم تَغْيِيرِ الطَّرِيقَةِ بِضَرْبِ المَثَل

الحَمْدُ لله وَسَلاَمٌ عَلَى عِبَادِهِ الذينَ اصْطَفَى وَصَلَتْ المكتوباتُ الشَّرِيفَةُ المُرْسَلَةُ مُتَوَالِيَةً فَصَارَتْ مُوجِبَةً للفَرَحِ وَبَاعِثَةً عَلَى إِفْرَاطِ المَحَبَّةِ جَزَاكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ عَنَّا خَيْرَ الجَزَاءِ وَقَدْ انْدَرَجَ فِيهَا بَعْضُ الشُّبُهَاتِ وَالشُّكُوكِ عَلَى سَبِيلِ الإِجْمَالِ اعْلَمْ أَنَّ طَرِيقَنَا هَذَا هُوَ طَرِيقُ حَضْرَةِ شَيْخِنَا قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ الأَقْدَسَ وَالنِّسْبَةُ هِيَ تِلْكَ النِّسْبَةُ الشَّرِيفَةُ المُخْتَصَّةُ بِحَضْرَتِهِ أَيُّ طَرِيقٍ وَأَيَّةُ نِسْبَةٍ أَوْلَى وَأَنْسَبُ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ العَالِي وَالنِّسْبَةِ العَلِيَّةِ حَتَّى يَخْتَارَهُمَا الإِنْسَانُ غَايَةُ مَا فِي البَابِ أَنَّ تَكْمِيلَ الصِّنَاعَةِ وَتَتْمِيمَ كُلِ نِسْبَةٍ إِنَّمَا هُوَ بِتَلاَحُقِ الأَفْكَارِ وَتَعَاقُبِ الأَنْظَارِ أَلاَ تَرَى أَنَّ النَّحْوَ الذي كَانَ فِي زَمَنِ سِيبَوَيْهِ قَدْ زَادَ بِتَلاَحُقِ أَفْكَارِ المُتَأَخِّرِينَ بِهِ أَضْعَافَ أَمْثَالِهِ وَصَارَ مُحَرَّرًا وَمُنَقَّحًا وَمَعَ ذَلِكَ هُوَ ذَلِكَ النَّحْوُ الذي كَانَ فِي زَمَنِ سِيبَوَيْهِ لَمْ يَزِدْ فِيهِ تَلاَحُقُ أَفْكَارِ المُتَأَخِّرِينَ غَيْرَ تَهْذِيبِهِ وَتَنْقِيحِهِ أَلَمْ تَسْمَعْ مَقُولَةَ الشَّيْخِ عَلاَءِ الدَّوْلَةِ – قُدِّسَ سِرُّهُ – حَيْثُ قَالَ كُلَّمَا كَانَتْ الوَسَائِطُ أَزْيَدَ وَأَكْثَرَ يَكُونُ الطَّرِيقُ أَقْرَبَ وَأَنْوَرَ وَهَذَا القِسْمُ مِنَ الزِّيَادَةِ التي حَصَلَتْ لِهَذِهِ النِّسْبَةِ العَلِيَّةِ بِطَرِيقِ التَّهْذِيبِ وَالتَّنْقِيحِ وَأُورِدَتْ فِي مَعْرَضِ القَالِ وَالتَّصْرِيحِ أَوْقَعَتْ جَمَاعَةً فِي التَّخَيُّلاَتِ وَحَقِيقَةُ المُعَامَلَةِ هِيَ هَذَا مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ وَتَصَنُّعٍ أُنْظُرُوا إِلَى مكتوبات الفَقِيرِ وَرَسَائِلِهِ حَيْثُ أَثْبَتَ فِيهَا أَنَّ هَذَا الطَّرِيقَ هُوَ طَرِيقُ الأَصْحَابِ الكِرَامِ عَلَيْهِمُ الرِّضْوَانُ وَبَرْهَنْتُ كَوْنَ هَذِهِ النِّسْبَةِ فَوْقَ جَمِيعِ النِّسَبِ وَمَدَحْتُ هَذَا الطَّرِيقَ العَالِيَ وَأَكَابِرَهُ عَلَى نَهْجٍ لَمْ يُوَفَّقْ أَحَدٌ مِنْ خُلَفَاءِ هَذِهِ الجَمَاعَةِ العَظِيمَةِ لإِيرَادِ عُشْرِ عَشِيرِهِ وَأَيْضًا إِنَّ الفَقِيرَ أُرَاعِي آدَابَ هَذَا الطَّرِيقِ عَلَى الوَجْهِ الأَتَمِّ فِي جَمِيعِ الأَوْقَاتِ وَأَيَّامِ الشَّدَائِدِ وَوَقْتَ القُعُودِ وَالقِيَامِ وَلاَ أُجَوِّزُ مُخَالَفَتَهَا وَالأَحْدَاثُ فِيهِ مِقْدَارُ شَعْرَةٍ وَالعَجَبُ أَنَّ هَذِهِ الصَّنَائِعَ كُلَّهَا بَقِيَتْ مَسْتُورَةً عَنِ النَّظَرِ فَإِنْ وَقَعَ فَرْضًا كَلاَمٌ غَيْرُ مُلاَئِمٍ فِي أَيَّامِ الأَذِيَّةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى بَعْضِ الأَصْحَابِ أَثْنَاءَ المُكَالَمَةِ وَالمُعَاتَبَةِ كَانَ ذَلِكَ مَنظورًا إِلَيْهِ لَدَيْكُمْ فَالعَجَبُ بَلْ أَعْجَبُ تَصْدِيقُكُمْ أَمْثَالَ هَذِهِ الكَلِمَاتِ وَانْزِعَاجُكُمْ بِمُجَرَّدِ سَمَاعِهَا فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مَبْنِيًّا عَلَى حُسْنِ الظَّنِّ فَلِمَ تُخَصِّصُونَ بِهِ تِلْكَ الجَمَاعَةَ أَلَسْتُ أَنَا قَابِلاً لِحُسْنِ الظَّنِّ وَبِالجُمْلَةِ لَوْ كَانَ المَدَارُ عَلَى القِيلِ وَالقَالِ لاَ يُتَصَوَّرُ الخَلاَصُ مِنْ يَدِ النَّمَّامِينَ وَالمُفْتَرِينَ وَلاَ يُتَوَقَّعُ الخَلاَصُ فَيَنْبَغِي تَرْكُ القِيلِ

وَالقَال وَمُجَاوَزَتُهُ وَعَدَمُ تَذَكُّر الأُمُور المَاضِيَة حَتَّى يُتَصَوَّرَ الإِخْلَاصُ وَتَرْتَفِعَ الكُلفَةُ الأُولي وَكَتَبْتُمْ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ وَقْتُ تَرْبِيَة أَوْلَاد حَضْرَة شَيْخنَا بَل كَادَ أَنْ يَفُوتَ وَذَكَرْتُمْ وَصِيَّةَ حَضْرَةَ شَيْخنَا - قُدِّسَ سِرُّهُ - أَيُّهَا المَخْدُومُ المُكَرَّمُ مَا أَعْظَمَ سَعَادَةَ مَنْ يَقُومُ بخدْمَة مخاديمهم وَلَكنِّي عَذَرْتُ نَفْسي في هَذه المُدَّة عَن الخدْمَة الظَّاهريَّة بوَاسطَة المَوَانع المَعْلومَة وَأَنَا مُنْتَظرٌ لظُهُور زَمَان يُمْكنُ فيه إجْرَاءُ الوَصيَّة العَليَّة فَإنْ عَلمْتُمْ الآنَ عَدَمَ المَانع وَأَنَّ طَريقَ القيل وَالقَال صَارَ مَسْدُودًا فَأَشيرُوا به إليَّ حَتَّى أَذْهَبَ وَأَشْتَغل بهَذه الخدْمَة أَيَّامًا وَلَكنْ إذَا لوحظَ في ذَلكَ الأَمْر حَقَّ المُلاحَظَة يُعْلمُ أَنْ مباشرتي لذَلكَ الأَمْر إنَّمَا تَلزَمُ بمُجَرَّد امْتثَال الأَمْر وَإلاَّ فَتَرْبيَتُكُم إيَّاهُمْ ظَاهرًا وَبَاطنًا كَافيَةُ احْتيَاج إلى آخرَ وَقَدْ أخبرني أَخُونَا مَوْلاَنَا عَبْدُ اللطيف أَنَّ الميَّان مُحَمَّدَ قليج أَخَذَ المَخْدُومَ الأَكْبَرَ للتَّعْليم وَالتَّرْبيَة الظَّاهريَّة وَإنَّكُمْ جَوَّزْتُمْ ذَلكَ أَيْضًا فأورثني سَمَاعُ هَذَا الخَبَر تَعَجُّبًا فَإنَّ المَذْكُورَ وَإنْ تَخَيَّل شَيْئًا منْ قُصُور إدْرَاكه وَلَكنْ كَيْفَ تُجَوِّزُونَهُ ذَلكَ وَأَنَا أَخَافُ منْ سرَايَة أَذيَّة مُحَمَّد قليج إلى مَحَل آخرَ.

المَكْتُوبُ الثَّلاَثُونَ وَالمائتَان
إلى الشَّيْخِ يُوسُفَ البركي
في عُلوِّ الهمَّة
وَعَدَمِ الاكْتفاء بِكُل مَا يَحْصُلَ وَالاجْتِهَاد فِي التَّرَقِّي
وَمَا يُناسبُهُ

الحَمْدُ لله وَسَلاَمٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى أَظْهَرَ المَيَانُ بابو نُبْذَةً منْ أَحْوَالكُمْ الكَرِيمَة بِأَمْرِكُمْ وَاسْتَفْسَرَ عَنْ حَقيقَتهَا فَبناءً عَلى ذَلكَ تُحرِّرُ كَلمَات أَيُّهَا المَخْدُومُ إنَّ أَمْثَالَ هَذه الأَحْوَال يَظْهَرُ لمُبْتَدِئ هَذَا الطَّرِيق كَثيرًا فِي أَوَائِل الأَقْدَامِ وَهُمْ لاَ يَعْتَبرُونَهَا أَصْلاً بَل يَنْفُونَهَا وَأَيْنَ الوَصْل وَأَيْنَ النِّهَايَةُ. شعْرٌ.

كَيْفَ الوُصُول إلى سُعَادَ دُونَهَا قُلَل الجبَال وَدُونَهُنَّ حُيُوفُ

وَاللهُ سُبْحَانَهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الكَيْف وَالمثَال وَكُلمَا هُوَ دَاخل تَحْت الرُّؤْيَة وَالإِدْرَاك وَالشُّهُود وَالمُكَاشَفَة فَهُوَ غَيْرُهُ سُبْحَانَهُ وَهُوَ تَعَالى وَرَاءَ الوَرَاء فَلاَ تَغْتَرُّوا أَصْلاً بِجَوْزِ هَذَا الطَّرِيقِ وَمَوْزِه مثْل الأَطْفَال وَلاَ تَتَخَيَّلوا الوُصُول إلى النِّهَايَة وَلاَ تُظْهِرُوا الوَقَائِعَ لشُيُوخٍ نَاقصين فَإِنَّهُمْ يَسْتَكْثرُونَ القَليل بمقْيَاسِ وجْدَاهمْ وَيَزْعُمُونَ البدَايَةَ نهَايَةً فَلاَ جَرَمَ يَقَعُ الطَّالبُ المُسْتَعدُّ فِي زَعْمِ الكَمَال وَيَتَطَرَّقُ الفُتُورُ إلى طَلَبه يَنْبَغي للعَاقل طَلَبُ شَيْخٍ كَامل وَالتمَاسُ علاَجِ الأَمْرَاضِ البَاطنيَّة منْهُ وَمَا لَمْ يَلقَ شَيْخًا كَاملاً يَنْبَغي نَفْيُ تلكَ الأَحْوَال بحَرْف لاَ وَإِثْبَاتُ المَعْبُود بالحَقِّ المُنَزَّه عَن الكَيْف وَالمثَال قَال الخواجهْ بَهاءُ الدِّينِ النَّقْشَبَنْديُّ - قُدِّسَ سرُّهُ - كُل مَا يَكُونُ مَرْئيًّا أَوْ مَسْمُوعًا أَوْ مُدْرَكًا فَهُوَ غَيْرُهُ تَعَالى يَنْبَغي نَفْيُهُ بحَقيقَة كَلمَة لاَ فَعَلَيْك نَفْيُ مَا يَظْهَرُ فِي الأَكْثَر وَهُوَ تَعَالى وَرَاءَ الوَرَاء وَلاَ يَتَخَيَّل فِي جَانبِ الإِثْبَات غَيْرُ التَّكَلمِ بكَلمَةِ المُسْتَثْنَى أَصْلاً وَهَذَا هُوَ طَرِيقُ أَكَابِر هَذه الطَّرِيقَة.

{وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}(١) وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى آله أَتَمُّ الصَّلاَةِ وَأَكْمَل التسليمات.

---

(١) ـــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ الحادي وَالثَّلاَثُونَ وَالمائَتَان
إلى المِيرِ مُحَمَّد النُّعْمَان
فِي بَيَانِ الفرق بَيْنَ الوُصُول وَالحُصُول
وَأَنَّ مَبَادِيَ تعينات الأَنْبِيَاء هَل تَكُونُ مَبَادي تعينات الأَوْلِيَاء أَمْ لاَ
وَالفَرْقُ بَيْنَ ذِكْرِ الجَهْرِ وَغَيْرِه مِنَ المُحْدَثَات
حَيْثُ يَمْنَعُ مِنَ الأَوَّل دُونَ الثَّانِي

نَحْمَدُهُ وَنُصَلِّي وَنُسَلِّمُ عَلَى نَبِيِّه وَعَلَى آلِه الكِرَامِ وَصَلَ المَكْتُوبَانِ الشَّرِيفَانِ مُتَعَاقِبَانِ المَكْتُوبُ الأَوَّل وَإِنْ كَانَ مُنْبِئًا عَنِ الحُزْنِ وَاضْطِرَاب وَلكِنَّ المَكْتُوبَ الثَّانِيَ كَانَ فِي غَايَةِ المُلاَيِمَة وَمُشْعِرًا بِالشَّوْق وَالحَرَارَة أَيُّهَا المُحِبُّ إِنَّ المِيرَ سَعْدَ الدِّينِ لَمَّا أَرَادَ السَّفَرَ طَلَبَ الكُتَّابَ وَكُنْتَ حِينَئِذ مَرِيضًا وَمُنْقَبِضًا عَلَى حَدٍّ مَا كُنْتُ أَقْدِرُ عَلَى الكِتَابَة بِخَطِّي فَأَمَرْتُ يار مُحَمَّد القَدِيم بِتَحْرِيرِ الكِتَاب قَائِلاً إِنَّهُ إِذَا انْدَرَجَ فِيه كَلِمَةٌ غَيْرُ مُلاَيِمَة وَقْتَ المَرَضِ أَكُونُ مَعْذُورًا مَعَ أَنَّهُ لاَ يَنْبَغِي الانْحِرَافُ وَتَخْرِيبُ المُعَامَلَة بِشَيْءٍ يَسِيرٍ لاَ قَدَّرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وُقُوعُ الأَذِيَّة بَيْنَنَا وَأَنْ أَكْتُبَ شَيْئًا بِقَصْدِ الأَذِيَّة وَالإِعْرَاضِ فَإِنْ حُرِّرَ شَيْءٌ بِإِرَادَة النَّصِيحَة يَنْبَغِي أَنْ تَفْرَحَ بِه وَقَدْ جعلني مَكْتُوبُكَ الثَّانِي مَسْرُورًا مَحْظُوظًا الحَرَارَةُ لاَزِمَةٌ فِي كُلِّ أَمْرٍ يَعْنِي الحَزْمَ وَلْيَكُنْ الكَسَلَ وَالعَجْزَ نَصِيبَ الأَعْدَاء وَكَتَبْتُمْ أَنَّهُ لاَ يُمْكِنُ فَهْمُ الفَرْقِ بَيْنَ الحُصُولِ وَالوُصُولِ أَيُّهَا الأَخُ إِنَّ الحُصُولَ مُتَصَوَّرٌ مَعَ وُجُودِ البُعْدِ وَالوُصُولَ مُتَعَذِّرٌ يَعْنِي مَعَهُ أَلاَ تَرَى أَنَّ العَنْقَاءَ بِتَصَوُّرِه بِصُورَتِه المَخْصُوصَة بِه فَيُمْكِنُ أَنْ نَقُولَ إِنَّ العَنْقَاءَ حَاصِلٌ فِي مُدْرِكَتِنَا يَعْنِي بِوُجُودِه الذِّهْنِيِّ وَأَمَّا الوُصُولُ إِلَى العَنْقَاء فَلَيْسَ ذَلِكَ بِمُتَحَقِّقٍ أَصْلاً لأَنَّ الظِّلِّيَّةَ الَّتِي هِيَ عِبَارَةُ ظُهُورِ شَيْءٍ فِي مَرْتَبَة ثَانِيَة لَيْسَتْ بِمُنَافِيَة لِحُصُولِ ذَلِكَ الشَّيْءِ وَأَمَّا الوُصُولُ إِلَى ذَلِكَ الشَّيْءِ فَهُوَ لاَ يَجْتَمِعُ مَعَ الظِّلِّيَّة فَافْتَرَقَا وَسُئِلْتُ أَيْضًا أَنَّ الأَسْمَاءَ الَّتِي هِيَ مَبَادِي تعينات الأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ هَل تَكُونُ تِلْكَ الأَسْمَاءُ بِعَيْنِهَا مبادئَ تعينات الأَوْلِيَاء أَمْ لاَ فَإِنْ كَانَتْ فَمَا الفَرْقُ بَيْنَهُمَا؟

أَيُّهَا الأَخُ المُعَزَّزُ إِنَّ مَبَادي تعينات الأَنْبِيَاء – عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ – هِيَ كُلِّيَّاتُ **الأَسْمَاءِ وَمَبَادِي تعينات** الأَوْلِيَاءِ جُزْئِيَّاتُهَا المُنْدَرِجَةُ تَحْتَ تِلْكَ الكُلِّيَّاتِ

وَالمُرَادُ بجُزْئيَّات الأَسْمَاء نَفْسُ تلكَ الأَسْمَاء المَأْخُوذَة بقَيْد منَ القُيُود كَالإرَادَة المُطْلَقَة وَالإرَادَة المُقَيَّدَة بالشَيْء وَإذَا وَقَعَ التَّرَقّي للأَوْلَيَاء بوَاسطَة مُتَابَعَة الأَنْبيَاء عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ يَرْتَفعُ القَيْدُ المَذْكُورُ وَيَلتَحقُ المُقَيَّدُ بالمُطْلق وَقَدْ ذَكَّرْتُ هَذَا الفَرْقَ في بَعْض المَكَاتيب بالتَّفْصيل فَليُرَاجعْ إلَيْه وَليُلاحظْ فيه وَسُئلتُ أَيْضًا أَنَّهُ مَا سَبَبُ المَنْع عَنْ ذكْر الجَهْر بعلة البدْعَة مَعَ أَنَّهُ مُوَرِّثٌ للذَّوْق وَالشَّوْق وَلم لاَ يُمْنَعُ منْ أُمُورٍ أُخْرَى لَمْ تَكُنْ في زَمَن النَّبيِّ ﷺ مثْل لبْس الفرجيِّ وَالشَّال وَالسَّرَاويل ؟

أَيُّهَا المَخْدُومُ إنَّ فعْلَهُ ﷺ عَلى نَوْعَيْن فعْل عَلى سَبيل العبَادَة وَفعْل عَلى طَريق العُرْف وَالعَادَة فَالفعْل الذي صَدَرَ عَنْهُ عَلى سَبيل العبَادَة نَعْتَقدُ خلاَفَهُ بدْعَةً مُنْكَرَةً وَنُبَالغُ في المَنْع عَنْهُ لكَوْنه إحْدَاثًا في الدِّين وَهُوَ مَرْدُودٌ وَالفعْل الذي صَدَرَ عَنْهُ ﷺ عَلى طَريق العُرْف وَالعَادَة لاَ نَعْتَقدُ خلاَفَه بدْعَةً مُنْكَرَةً وَلاَ نُبَالغُ في المَنْع عَنْهُ لعَدَم تَعَلقه بالدِّين بَل وَجُودُهُ وَعَدَمُه مَبْنيَّان عَلى العُرْف وَالعَادَة لاَ عَلى الدِّين وَالملة فَإنَّ عُرْفَ بَعْض البلاَد عَلى خلاَف عُرْف بَعْض بلاَد أُخْرَى وَكَذَلكَ يَقَعُ التَّفَاوُتُ في العُرْف في بَلدَة وَاحدَة بحَسَب تَفَاوُت الأَزْمنَة وَمَعَ ذَلكَ إذَا رُوعيَتْ السُّنَّةُ العَاديَّةُ تَكُونُ مُثْمرَةً للنَّتَائج وَمُنْتجَةً للسَّعَادَات ثَبَّتَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإيَّاكُمْ عَلى مُتَابَعَة سَيِّد المُرْسَلينَ عَلَيْه وَعَلَيْهمْ وَعَلى تابعي كُل منَ الصَّلوَات أَفْضَلهَا وَمنَ التسليمات أَكْمَلهَا وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّاني وَالثَّلَاثُونَ وَالمِائَتَانِ
إلى خَان خَانَان
في بَيَان حَقيقَة الدُّنْيَا وَقُبْحِ زَخْرَفَاتِهَا الرَّدِيَّة وَعِلَاجِ إزَالَة مَحَبَّة تلكَ الدَّنِيَّة وَمَا يُنَاسِبُ ذَلكَ

جَعَل الحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى حَقيقَةَ الدُّنْيَا الدَّنِيَّة وَقُبْحَ مزخرفاتها وَمُمَوَّهَاتهَا الرَّدِيَّةَ مُنْكَشفَةً في نَظَرِ البَصيرَة وَأَجْلَى حُسْنَ الآخرَة وَجَمَالَهَا مَعَ طَرَاوَة الجَنَّات وَأَنْهَارِهَا وَمَعَ زِيَادَة لقَاء رَبِّ العَالمينَ - جَل سُلطَانُهُ - فيهَا بحُرْمَة سَيِّد المُرْسَلينَ عَلَيْه وَعَلى آله منَ الصَّلَوَات أَفْضَلَهَا وَمنَ التسليمات أَكْمَلَهَا حَتَّى تَحْصُلَ النَّفْرَةُ عَنْ هَذه القَبيحَة سَرِيعَة الزَّوَال وَعَدَمُ الرَّغْبَة فيهَا وَيَتَيَسَّرُ التَّوَجُّهُ بالكُلِّيَّة إلى عَالَم البَقَاء الذي هُوَ مَحَل رضَاء المَوْلى المُتَعَال وَمَا لَمْ يَظْهَرْ قُبْحُ هَذه الدَّنِيَّة فَالخَلَاصُ منْ أَسْرِهَا مُحَال وَمَا لَمْ يَحْصُل الخَلَاصُ فَالفَلَاحُ وَالنَّجَاةُ الأُخْرَوِيَّةُ مُتَعَسِّرٌ حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُل خَطيئَة قَضيَّةٌ مُكَرَّرَةٌ وَحَيْثُ إنَّ المُعَالجَةَ تَكُونُ بالأَضْدَاد كَانَ علَاجُ إزَالَة مَحَبَّة هَذه الدَّنِيَّة مَنُوطًا بالرَّغْبَة في أُمُورِ الآخرَة وَإتْيَان الأَعْمَال الصَّالحَة عَلى وَفْقِ أَحْكَامِ الشَّرِيعَة الغَرَّاء وَقَدْ جَعَل الحَقُّ سُبْحَانَهُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا مُنْحَصرَةً في خَمْسَة أَشْيَاءَ بَل في أَرْبَعَة أَشْيَاءَ حَيْثُ قَال تَعَالى (إنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَهْوٌ وَلَعبٌ وَزينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ في الأَمْوَال وَالأَوْلَاد) فَإذَا اشْتَغَل الإنْسَانُ بالأَعْمَال الصَّالحَة يَشْرَعُ اللعبُ وَاللهْوُ اللذَان هُمَّا جُزْآهَا الأعظمان في النُّقْصَان بالضَّرُورَة وَإذَا حَصَل الاجْتنَابُ وَالاحْترَازُ عَنْ لبْس الحَرير وَاسْتعْمَال الذَّهَب وَالفضَّة التي هيَ عُمْدَةٌ في تَحْصيل الزِّينَة يَشْرَعُ جُزْؤُهَا الثَّاني الذي هُوَ الزِّينَةُ في الزَّوَال وَمَتَى حَصَل اليَقينُ بأَنَّ الفَضيلَةَ وَالكَرَامَةَ عنْدَ الله عَزَّ وَجَل بالوَرَعِ وَالتَّقْوَى لَا بالحَسَب وَالنَّسَب يَمْتَنعُ منَ التَّفَاخُرِ أَلْبَتَّةَ وَإذَا عُلمَ أَنَّ الأَمْوَال وَالأَوْلَادَ مَانعٌ عَنْ ذكْر الحَقِّ سُبْحَانَهُ عَائقَة عَنِ التَّوَجُّه إلى جَنَاب قُدْسه تَعَالى يَخْتَارُ التَّقَاعُدَ عَنِ التَّكَاثُر فيهَا بالضَّرُورَة وَبَعْدَ تَزَايُدهَا منَ المعائب وَبالجُمْلَة وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُول فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا لئلاَّ يَضُرَّكُمْ شَيْءٌ. شعْرٌ.

دَلَلتُك يَا هَذَا عَلى كَنْزِ مُقْصَد فَإنْ أَنَا لَمْ أَبْلغ لَعَلك تَبْلغُ

وَبَقِيَّةُ المَرَامِ أَنَّ الشَّيْخَ مِيَّانَ عَبْدَ المُؤْمِنِ مِنْ أَوْلَادِ الكِبَارِ مَشْغُول بِسُلوك الطَّرِيقَة الصُّوفِيَّة بَعْدَ فَرَاغه مِنْ تَحْصِيل العُلوم وَيُشَاهِدُ فِي ضِمْنِ سُلوكه أَحْوَالاً غَرِيبَةً وَالضَّرُورَةُ البَشَرِيَّةُ مِنْ قِبَل الأَهْل وَالعِيَال تَضْطَرُّهُ بِلاَ اخْتِيَار وَهَذَا الفَقِيرُ دَللتُه عَلَى جَنَابِكُمْ لِدَفْعِ هَذَا الاضْطِرَار مِنْ دَقِّ بَاب الكَرِيم يَفْتَحُ وَالسَّلَامُ.

المَكْتُوبُ الثَّالثُ وَالثَّلاثُونَ وَالمائَتَان
إلى العَالي الجَنَاب الشَّيْخ فَرِيد
فِي بَعْضِ النَّصَائِحِ بِحُسْنِ الأَدَاءِ

ثَبَّتَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَلى مَا جَاءَ به جَدُّكُمْ الأَمْجَدُ عَلَيْه وَعَلى آله وَأَصْحَابه منَ الصَّلوَات أَفْضَلهَا وَمنَ التسليمات أَكْملهَا وَلَمَّا جئْتُ دهلى في أَيَّامِ عُرْسِ حَضْرَة الخواجهْ - قُدِّسَ سرُّهُ - وَقَعَ في الخَاطرِ أَنْ أَتَشَرَّفَ بحُضُور المَجْلسِ العَالي أَيْضًا فَشَاعَ في أَثْنَاء ذَلكَ خَبَرُ الرِّحْلة فَبالضَّرُورَة كُنْت بَاعثًا عَلى التَّصْديعِ بتَحْرِيرِ كَلمَات غَيْرِ مُرْتَبطَة بالتَّوَقُّف هُنَا وَالمَسْئُول بجَميعِ الهمَّة سَوَاءً كَانَ في الحُضُورِ أَوْ فِي الغَيْبَة سَلامَتُكُمْ عَمَّا لاَ يَليقُ بكُمْ وَلاَ يَنْبَغي وتوردني غَلبَةُ إرَادَة الخَيْر في بَعْضِ الأَوْقَات اخْتيَارًا منِّي جَسَارَتَكُمْ أَنْ أَمنَعَ وَأَحْمي عتْبَتَكُمْ العَليَّة عَمَّا لاَ يَليقُ بهَا بالتَّأْكيد وَالمُبَالغَة وَأَنْ لاَ أَتْرُكَ في المَجْلسِ الشَّريف مَنْ لَيْسَ بأَهْل لَهُ وَلكنْ اعْلَمْ أَنَّ جَميع التمنِّي لاَ يَتَيَسَّرُ فَبالضَّرُورَة أَكُونُ رَطْبَ اللسَان بالدُّعَاء منْ ظَهْرِ الغَيْب وَعَسَى أَنْ يَقَعَ في مَعْرِضِ القَبُول قَال الخواجهْ أَحْرَارٌ - قُدِّسَ سرُّهُ -: وَإنْ كَانَ جَعْل شَخْصٍ نَفْسَه عَظيمًا بحَيْثُ يَلزَمُ منْ خَرَابه خَرَابُ جَميعِ العَالَمِ شرْكًا وَكُفرًا وَلكنْ جعلوني عظيمًا بلاَ صُنْعٍ منِّي وَمثْل هَذه العَظَمَة كَادَ أَنْ يُصَدَّقَ اليَوْمَ في حَقِّكُمْ فَإنَّ في رَفَاهيَتكُمْ رَفَاهيَةَ الخَلائق وَبالعَكْسِ وَلهَذَا كَانَ دُعَاءُ النَّاس لكُمْ بالخَيْر كَطَلب المَطَر في شُمُول نَفْعه لعَامَّة الخَلق فَيَكُونُ منْ تلكَ العَظَمَة وَالجَلالة بَقَاءُ مقْدَار بَذْرَة الخَشْخَاش وَمَحَل الأُنْمُلة مَحْرُومًا وَبَالاً وَثقْلاً عَظيمًا عَلى قُلوب الأَحْبَاب وَالنَّاصحينَ فَيَنْبَغي التَّخْفيفُ عَنْهُمْ عَلى وَجْه الكَرَمِ وَهَذَا النَّاصحُ لمْ يَكْتُبْ منْ هَذه المَقُولَة شَيْئًا منْ مُدَّة مَديدَة خَوْفًا منْ كَوْن المُبَالغَة ثَقيلةً. شعْرٌ.

وَكُل لطيف الجسْمِ يُؤْذيه كُلمَا ... يَمُرُّ به كَالوَرْد يَطْرَحُهُ الصَّبَا

وَلكنْ أَرَى اخْتيَارَ التَّقَاعُد وَالسُّكُوتَ بمُلاَحَظَة حُصُول الثِّقَل عَلى الخَاطرِ بَعيدًا عَنِ المَوَدَّة. شعْرٌ.

وَظيفَتُك الدُّعَاءُ فَحَسْبَ صَاحِ ... وَلَيْسَ لك التَّفَكُّرُ في قَبُوله

وَقَدْ وَقَعَتْ فِي الخَاطِرِ دَاعِيَةُ زِيَارَةِ الحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ حَرَسَهُمَا اللّٰهُ عَنِ الآفَاتِ مُنْذُ أَوْقَاتٍ وَالبَاعِثُ عَلَى هَذَا السَّفَرِ هُوَ هَذِهِ الدَّاعِيَةُ وَلَمَّا كَانَ هَذَا المَعْنَى مَنُوطًا بِمُشَاوَرَتِكُمْ وَاسْتِرْضَائِكُمْ أَوْقَعَ خَبَرُ الرِّحْلَةِ هَذِهِ الدَّاعِيَةَ إِلَى التَّسْوِيفِ الخَيْرُ فِيمَا صَنَعَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الرَّابعُ وَالثَّلاثُونَ وَالمائَتَان
إِلى المَخْدُومِ الأَعْظَمِ الشَّيْخ مُحَمَّد صَادق قُدِّسَ سرُّهُ
في بَيَانِ حَقيقَة الوَاجب الوُجُود وَحقَائقِ المُمكنَات
وَمَعْنَى: "مَنْ عرَفَ نَفْسَه"
وَمَعْنَى: "التَّجَلي الذَّاتيِّ"
وَمَعْنَى: "اللّٰهُ نُورُ السَّمَوَات"
وَمَا يُنَاسبُ ذَلكَ منَ الأَسْئلة وَالأَجْوبَة

بسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحيمِ أَمَّا بَعْدُ حَمْدًا لله المُنَزَّه عَنِ المثَال وَصَلاَةُ نَبيِّه الهادي فَلْيَعْلَمْ الوَلَدُ الأَرْشَدُ أَنَّ حَقيقَة الحَقِّ سُبْحَانَهُ وُجُودٌ صرفٌ لَمْ يَنْضَمّ إليْه شَيْءٌ غَيْرُه أَصْلاً وَذَلكَ الوُجُودُ الصِّرْفُ الذي هُوَ حَقيقَةُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ مَنْشأٌ لجَميعِ الخَيْرِ وَالكَمَال وَمَبْدَأٌ لكُل حَسَنٍ وَجَمَال وجُزئيٌّ حقيقيٌّ بَسيط لَمْ يَتَطَرَّقْ إليْه تَرْكيبٌ أَصْلاً لاَ ذهْنًا وَلاَ خَارجًا وَمُمْتَنعُ التَّصَوُّر بحَسَب الحَقيقَة وَمَحْمُول عَلى الذَّات تَعَالتْ مُوَاطَأَةً لاَ اشْتقَاقًا وَإنَّ لَمْ يَكُنْ لنسْبَة الحَمْل في ذَلكَ المَوْطنِ مَجَال لأَنَّ جَميعَ النِّسَب سَاقطَةٌ هُنَاكَ وَالوُجُودُ العَامُّ المُشْتَرَكُ منْ ظلال ذَلكَ الوُجُود الخَاصِّ وَهَذَا الوُجُودُ الظليُّ مَحْمُول عَلى ذَاته تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَعَلى سَائرِ الأَشْيَاء عَلى سَبيل التَّشْكيك اشْتقَاقًا لاَ مُوَاطَأَةً وَالمُرَادُ بكَوْن هَذَا الوُجُود ظلاً لذَلكَ ظُهُورُ حَضْرَة الوُجُود يَعْني الخَاصَّ في مَرَاتب التنزلات وَالفَرْدُ الأُولي وَالأَقْدَمُ وَالأَشْرَفُ منْ أَفْرَاد ذَلكَ الظِّل مَحْمُول عَلى ذَاته تَعَالى اشْتقَاقًا ففي مَرْتَبَة الأَصَالة يُمْكنُ أَنْ نَقُول اللّٰهُ وُجُودٌ لاَ أَنْ نَقُول اللّٰهُ مَوْجُودٌ وَفي مَرْتَبَة الظِّل يَصْدُقُ اللّٰهُ مَوْجُودٌ لاَ اللّٰهُ وجوديٌّ وَلَمَّا قَال الحُكَمَاءُ وَطَائفَةٌ منَ الصُّوفيَّة بعَيْنيَّة الوُجُود وَلَمْ يَطَّلعُوا عَلى حَقيقَة هَذَا الفَرْق وَلَمْ يُمَيِّزُوا الأَصْل منَ الظِّل أَثْبَتُوا كُلاً منَ الحَمْل المَوَاطئ وَالحَمْل الاشتقاقيِّ في مَرْتَبَة وَاحدَة فَاحْتَاجُوا في تَصْحيحِ الحَمْل الاشتقاقيِّ إلى تَمَحُّل وَتَكَلف وَالحَقُّ مَا حَقَّقْتُ بإلْهَام الله سُبْحَانَهُ وَهَذه الأَصَالةُ وَالظِّليَّة كَأَصَالة سَائرِ الصِّفَات الحَقيقيَّة وَظليَّتهَا فَإنَّ حَمْل تلكَ الصِّفَات في مَرْتَبَة الأَصَالة التي هيَ مَوْطنُ الإجْمَال وَغَيْبُ الغَيْب بطَريق المُوَاطَأَة لاَ بطَريقَ الاشْتقَاق فَيُمْكنُ أَنْ يُقَال اللّٰهُ علمٌ وَلاَ يُمْكنُ أَنْ يُقَال اللّٰهُ عَالمٌ لأَنَّ الحَمْل الاشتقاقيَّ لاَ بُدَّ فيه منْ حُصُول

المُغَايَرَة وَلَوْ بِالاعْتِبَار وَهِيَ مَفْقُودَةٌ فِي ذَلِكَ المَوْطِنِ رَأْسًا إِذْ التَّغَايُرُ لاَ يَكُونُ إِلاَّ فِي مَرَاتِب الظِّلِّيَّةِ وَلاَ ظِلِّيَّةَ ثَمَّةَ لأَنَّهُ فَوْقَ التَّعَيُّنِ الأَوَّل بِمَرَاحِل لأَنَّ النِّسَب مَلحُوظَةٌ بِطَرِيق الإِجْمَال فِي ذَلِكَ التَّعَيُّنِ وَلاَ مُلاحَظَةَ لِشَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاء بِوَجْه مِنَ الوُجُوه فِي ذَلِكَ المَوْطِنِ وَالحَمْلِ الاشتقاقيُّ صَادِقٌ فِي مَرْتَبَة الظِّل التِي هِيَ تَفْصِيل ذَلِكَ الإِجْمَال دُونَ الحَمْل بِالمُوَاطَأَة وَلكِنْ عَيْنِيَّةُ تِلْكَ الصِّفَة فِي تِلْكَ المَرْتَبَة فَرْعُ عَيْنِيَّة وُجُوده تَعَالَى الذِي هُوَ مَبْدَأُ جَمِيعِ الخَيْرِ وَالكَمَال وَمَنْشَأُ كُل حَسَنٍ وَجَمَال وَكُل مَحَل مِنْ كُتُب هَذَا الفَقِير وَرَسَائِله فِيه نَفْيُ عَيْنِيَّة الوُجُود يَنْبَغِي أَنْ يُرَادَ بِه الوُجُودُ الظليُّ الذِي هُوَ مُصَحِّحُ الحَمْل الاشتقاقِيِّ وَهَذَا الوُجُودُ الظليُّ أَيْضًا مَبْدَأٌ لِلآثَار الخَارِجِيَّة فَالمَاهِيَّاتُ التِي تَتَّصِفُ بِذَلِكَ الوُجُود يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ فِي كُل مَرْتَبَة مِنَ المَرَاتِب مَوْجُودَاتٌ خَارِجِيَّةٌ فَافْهَمْ فَإِنَّهُ يَنْفَعُك فِي كَثِيرٍ مِنَ المَوَاضِعِ فَتَكُونُ الصِّفَاتُ الحَقِيقِيَّةُ أَيْضًا مَوْجُودَات خَارِجِيَّةً وَتَكُونُ المُمكِنَاتُ أَيْضًا مَوْجُودَات فِي الخَارِجِ أَيُّهَا الوَلَدُ اسْمَعْ سِرًّا غَامِضًا إِنَّ الكَمَالات الذَّاتِيَّةَ فِي مَرْتَبَة حَضْرَة الذَّات تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ عَيْنُ حَضْرَة الذَّات فَصِفَةُ العِلمِ مَثَلاً فِي ذَلِكَ المَوْطِنِ عَيْنُ حَضْرَة الذَّات وَكَذَلِكَ القُدْرَةُ وَالإِرَادَةُ وَسَائِرُ الصِّفَات وَأَيْضًا إِنَّ حَضْرَةَ الذَّات فِي ذَلِكَ المَوْطِنِ بِتَمَامِهَا عِلمٌ وَكَذَلِكَ بِتَمَامِهَا قُدْرَةٌ لاَ أَنَّ بَعْضَ حَضْرَة الذَّات عِلمٌ وَبَعْضًا آخَرَ مِنْهَا قُدْرَةٌ فَإِنَّ التَّبَعُّضَ وَالتَّجزيَ مُحَال هُنَاكَ وَهَذه الكَمَالاتُ كَأَنَّهَا مُنْتَزِعَاتٌ مِنْ حَضْرَة الذَّات وَعَرَضَ لَهَا التَّفْصِيل فِي حَضْرَة العِلمِ وَحَصَل بَيْنَهَا التَّمْيِيزُ مَعَ بَقَاء حَضْرَة الذَّات تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ عَلَى تِلْكَ الصِّرَافَة الإِجْمَالِيَّة الوَحْدَانِيَّة وَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ فِي ذَلِكَ المَوْطِنِ غَيْرَ دَاخِل فِي ذَلِكَ التَّفْصِيل وَغَيْرَ مُمَيَّزٍ بَل جَمِيعُ الكَمَالات التِي كَانَ كُل وَاحِد مِنْهَا عَيْنَ الذَّات وَرَدَ إِلَى مَرْتَبَة العِلمِ وَاكْتَسَبَتْ هَذه الكَمَالاتُ التِي كَانَ كُل وَاحِد مِنْهَا عَيْنُ الذَّات وَرَدَ إِلَى مَرْتَبَة العِلمِ وَاكْتَسَبَتْ هَذه الكَمَالاتُ المُفَصَّلَةُ فِي مَرْتَبَة ثَانِيَة وُجُودًا ظِليًّا وَسُمِّيَتْ بِاسْمِ الصِّفَات وَحَصَل لَهَا القِيَامُ بِحَضْرَة الذَّات التِي هِيَ أَصْلُهَا وَالأَعْيَانُ الثَّابِتَةُ عِنْد صَاحِب الفُصُوص عِبَارَةٌ عَنْ تِلْكَ الكَمَالات المُفَصَّلَة التِي اكْتَسَبَتْ وُجُودًا عِلمِيًّا فِي مَوْطِنِ العِلمِ وَحَقَائِقُ المُمَكِّنَات عِنْدَ الفَقِير العَدَمَاتُ التِي هِيَ مَبَادِئُ جَمِيع الشَّرِّ وَالنَّقْص مَعَ تِلْكَ الكَمَالات التِي انْعَكَسَتْ عَلَيْهَا وَهَذَا الكَلامُ يَسْتَدْعِي تَفْصِيلاً يَنْبَغِي الاسْتِمَاعُ لَهُ بِأُذُن العَقْل أَرْشَدَكَ اللهُ إِنَّ العَدَمَ مُقَابِل لِلوُجُود وَنَقِيضٌ لَهُ فَيَكُونُ مَنْشَأً جَمِيع الشَّرِّ وَالنَّقْصِ بِالذات بَل عَيْنُ جَمِيعِ الشَّرِّ وَالفَسَاد كَمَا أَنَّ الوُجُودَ فِي مَرْتَبَة

الإِجْمَال عَيْنُ كُل خَيْرٍ وَكَمَال وَكَمَا أَنَّ الوُجُودَ فِي مَوْطِنِ أَصْل الأَصْل غَيْرُ مَحْمُول عَلى الذَّات بطَرِيق الاشْتقَاق كَذَلكَ العَدَمُ المُقَابل لذَلكَ الوُجُود غَيْرُ مَحْمُول عَلى مَاهيَّة العَدَم بطريق الاشْتقَاق وَلا يُمْكنُ أَنْ يُقَال لتلكَ المَاهيَّة في تلكَ المَرْتَبَة إنَّهَا مَعْدُومَةٌ بَل هيَ عَدَمٌ مَحْضٌ وَفي مَرَاتب التَّفْصيل العلميِّ المُتَعلق بتلكَ المَاهيَّة العَدَميَّة تَتَّصفُ جُزْئيَّاتُ تلكَ المَاهيَّة بالعَدَم وَيَصْدُقُ عَلَيْهَا العَدَمُ بالحَمْل الاشتقاقيِّ وَمَفْهُومُ العَدَم الذي هُوَ كَالمُنْتَزَعِ منَ المَاهيَّة العَدَميَّة الإجْمَاليَّة وَكَالظِّل لهَا يُحْمَل عَلى جَميع أَفْرَادهَا المُفصَّلة بطَريق الاشْتقَاق كَمَا سيَجيءُ وَلَمَّا كَانَ ذَلكَ العَدَمُ في مَرْتَبَة الإجْمَال عَيْنَ كُل شَرٍّ وَفَسَاد وَامْتَازَ كُل فَرْد منْ أَفْرَاد الشَّرِّ وَالفَسَاد في علم الله سُبْحَانَهُ عَنْ فَرْد آخرَ كَمَا أَنَّ في جَانب الوُجُود كَانَ حَضْرَةُ الوُجُود في مَرْتَبَة الإجْمَال عَيْنَ كُل خَيْر وَكَمَال وَفي مَرْتَبَة التَّفْصيل العلميِّ امْتَازَ كُل فَرْد منْ أَفْرَاد الكَمَال وَالخَيْر منْ فَرْدٍ آخرَ انْعَكَسَ كُل فَرْد منْ أَفْرَاد تلكَ الكَمَالاتِ الوُجُوديَّة عَلى كُل فَرْد منْ أَفْرَاد الكَمَال وَالخَيْر منْ فَرْدٍ آخرَ انْعَكَسَ كُل فَرْد منْ أَفْرَاد تلكَ الكَمَالات الوُجُوديَّة عَلى كُل فَرْدٍ منْ أَفْرَاد تلكَ النَّقَائص العَدَميَّة التي هيَ في مُقَابلتهَا في مَرْتَبَة العلم وَامْتَزَجَتْ صُوَرُ كُل منْهُمَا العلميَّة بالأُخْرَى وَتلكَ العدَمَاتُ التي هيَ عبَارَةٌ عَن الشُّرُور وَالنَّقَائص مَعَ تلكَ الكَمَالات المُنْعَكسَة عَلَيْهَا اللتَان حَصَلاَ لهُمَا في مَرْتَبَة حَضْرَة العلم التَّفْصيل العلميُّ مَاهيَّاتُ المُمكّنَات

غَايَةُ مَا في البَاب أَنَّ تلكَ العدَمَات كَأُصُول تلكَ المَاهيَّات وَمَوَادِّهَا وَتلكَ الكَمَالاتُ كَالصُّوَر الحَالة فيهَا فَالأَعْيَانُ الثَّابتَةُ عنْدَ هَذَا الحَقير عبَارَةٌ عَنْ تلكَ العدَمَات وَتلكَ الكَمَالات اللتَيْن امْتَزَجَتْ كُل منْهُمَا بالأُخْرَى وَالقَادرُ المُخْتَارُ - جَل سُلطَانُهُ - صَبَغَ تلكَ المَاهيَّةَ العَدَميَّةَ مَعَ لوَازمهَا وَمَعَ الكَمَالات الظِّلاليَّة الوُجُوديَّة المُنْعَكسَة عَلَيْهَا في حَضْرَة العلم المُسَمَّاة بمَاهيَّة المُمكّنَات بصَبْغ الوُجُود الظليِّ في وَقْت إرَادَة وَجَعَلهَا مَوْجُودَات خَارجيَّةً وَمَبْدَأً للآثَار الخَارجيَّة يَنْبَغي أَنْ يُعْلَم أَنْ جَعْل الصُّوَر العلميَّة التي هيَ عبَارَةٌ عَن الأَعْيَان الثَّابتَة المُمْكنَة وَمَاهيَّاتهَا مُنْصبغَةً يَعْني بالوُجُود لاَ بمَعْنَى خُرُوج الصُّوَر العلميَّة منْ مَوْطن العلم وَحُصُول الوُجُود الخَارجيِّ لهَا فَإنَّ ذَلكَ مُحَال لاسْتلزَامه الجَهْل لَهُ سُبْحَانَهُ تَعَالى اللهُ عَنْ ذَلكَ عُلوًّا كَبيرًا بَل بمَعْنَى أَنَّ المُمكّنَات عَرَضَ لهَا الوُجُودُ في الخَارج عَلى طبْق تلكَ الصُّوَر العلميَّة وَرَاءَ الوُجُود العلميِّ كَمَا أَنَّ النَّجَّارَ يَتَصَوَّرُ في ذهْنه صُورَةَ السَّرير

ثُمَّ يَخْتَرِعُهَا فِي الخَارِجِ ففى هَذه الصُّورَة لاَ تَخرُجُ تلكَ الصُّورَةُ الذِّهْنِيَّةُ السريرية التي هِيَ بِمَثَابَة المَاهِيَّة للسَّرِيرِ مِنْ علمِ النَّجَّار بَل عَرَضَ للسَّرِيرِ وُجُودٌ فِي الخَارِجِ عَلى طِبْقِ تلكَ الصُّورَة الذِّهْنِيَّة فَافْهَمْ، اعْلَمْ أَنَّ كُل عَدَم لَمَّا انْصَبَغ بظِل مِنْ ظِلال الكَمَالات الوُجُودِيَّة المُقَابلة لهَا وَالمُنْعَكسَة عَلَيْهَا عَرَضَ لَهُ وُجُودٌ وَزِينَةٌ فِي الخَارِجِ بخلاَف العَدَم الصِّرْف فَإِنَّهُ لَمْ يَتَأَثَّرْ بِهَذه الظِّلال وَلَمْ يَقْبَل لوْنًا وَصِبْغًا وَكَيْفَ يَقْبَل اللوْنَ وَالصَّبْغَ فَإِنَّهُ لَيْسَ مُقَابلاً لهَذه الظِّلال فَإِنْ كَانَتْ لهُ مُقَابَلَةٌ فهي بحَضْرَة الوُجُود الصِّرْف تَعَالى وَتَقدَّسَ فَالعَارِفُ التَّامُّ المَعْرِفَة إِذَا نَزَل إِلى مَقَام العَدَمِ الصِّرْف بَعْدَ تَرَقِّيه عَلى حَضْرَة الوُجُود الصِّرْف يَحْصُل لهَذَا العَدَم أَيْضًا بتَوَسُّله انْصبَاغٌ بحَضْرَة الوُجُود وَتَزَيُّنٌ به وَحُسْنٌ فَحينَئذ يَحْصُل لجَميعِ مَرَاتب إِعْدَام هَذَا العَارِف التي هِيَ فِي الحَقيقَة مَرَاتبُهُ الذَّاتيَّةُ الحُسْنُ وَالخَيْرِيَّةُ إِجْمَالاً وَتَفصيلاً وَيَحْصُل لها الجَمَال وَالكَمَال وَهَذه الخَيْرِيَّةُ السَّارِيَةُ فِي جَميعِ المَرَاتب الذَّاتيَّة مَخْصُوصَةٌ بمثل هَذَا العَارِف فَإِنْ سَرَتْ الخَيْرِيَّةُ فِي غَيْرِه فهى إِمَّا مَقْصُورَةٌ عَلى بَعْضِ المَرَاتب التَّفْصيليَّة مِنْ إِعْدَامه الذَّاتيَّة أَوْ سَارِيَةٌ فِي جَميعِ مَرَاتبها التَّفْصيليَّة عَلى تَفَاوُت الدَّرَجَات وَهَذَا القسْمُ الأَخيرُ أَيْضًا نَادرُ الوُجُود وَأَمَّا مَرْتَبَةُ إِجْمَال العَدَمِ الذي هُوَ عَيْنُ كُل شَرٍّ وَنَقْصٍ فَلَمْ تَحْصُل فيهَا رَائحَةٌ منَ الخَيْرِيَّة لأَحَد سوَى العَارِف المَذْكُور وَلاَ نَوْعٌ منَ الحُسْنِ فَيَحْصُل لشَيْطَان هَذَا العَارِف المُتَّصف بالخَيْرِيَّة التَّامَّة أَيْضًا حُسْنُ الإِسْلاَمِ وَتَصيرُ نَفْسُه الأَمَّارَةُ مُطمَئنَةً وَرَاضيَةً عَنْ مَوْلاَهَا وَمنْ هَهُنَا قَال سَيِّدُ المُرْسَلينَ عَليْه وَعَليْهِمُ الصَّلوَاتُ والتسليماتُ إِلاَّ أَنَّ شيطاني قَدْ أَسْلَمَ فَإِذَا كَانَ كَذَلكَ فَلاَ يَسْبقُهُ غَازٍ فِي عزْوَة أَصْلاً وَلاَ يَدُل مثْل الشَّيْطَان عَلى الخَيْرِ أَبَدًا سُبْحَانَ الله إِنَّ المَعَارِفَ التي تَظْهَرُ منْ هَذَا الحَقيرِ منْ غَيْرِ اخْتيَارِ لوْ اجْتَمَعَ الجَمُّ الغَفيرُ وَاجْتَهَدُوا فِي تَصَوُّرِهَا لاَ يُدْرَى يَتَيَسَّرُ أَوْ لاَ وَيُشْبهُ أَنْ يَكُونَ الحَظُّ الوَافرُ منْ هَذه المَعَارِف نَصيبَ حَضْرَة المَهْديِّ المَوْعُود عَليْه الرِّضْوَان. شعْرٌ.

وَمَتَى أَتَى بَابَ العَجُوزِ خَليفَةٌ * إِيَّاكَ يَا صَاحِ وَنَتْفَ سبالكا**

فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالقينَ وَالحَمْدُ لله رَبِّ العَالمينَ فَتَكُونُ ذَوَاتُ المُمَكّنَات عَدَمَات انْعَكَسَتْ عَلَيْهَا ظلال الكَمَالات الوُجُوديَّة وَزِينَتُهَا فَلاَ جَرَمَ تَكُونُ المُمَكّنَاتُ مَأْوَى كُل شَرٍّ وَفَسَاد وَمَلاَذَ كُل سُوءٍ وَنَقْصٍ وَعنَاد وَمَا فيهَا منَ الخَيْرِ وَالكَمَال فَهُوَ عَاريَةٌ منْ حَضْرَة الوُجُود الذي هُوَ خَيْرٌ مَحْضٌ وَمُفَاضٌ عَلَيْهَا منْهُ مَا أَصَابَك منْ حَسَنَة فَمنَ الله وَمَا أَصَابَك منْ سَيِّئَة فَمنْ نَفْسك شَاهدٌ لهَذَا المَعْنَى فَإِذَا

اسْتَوْلَتْ رُؤْيَةُ كَوْنه عَارِيَةً عَلى السَّالك بفضْل الله - جَل سُلطَانُهُ - وَرَأى كَمَالاته منْ ذَلكَ الطَّرَف يَجدُ نَفْسَه شرًّا مَحْضًا وَنَقْصًا خَالصًا وَلاَ يُشاهدُ في نَفْسه كَمَالاً أَصْلاً وَلَوْ بطَريق الانْعكَاس وَيَكُونُ كَعُرْيَان لبسَ ثَوْبَ العَاريَة وَاسْتَوْلتْ عَلَيْه رُؤْيَةُ كَوْنه عَاريَةً غَايَةَ الاسْتيلاَء عَلى نَهْج يُعْطي الثَّوبَ لصَاحبه بالكُليَّة في التَّخيُّل فَحينَئذ يَجدُ نَفْسَه بالذَّوْق عَاريًا ألبتةً وَإنْ كَانَ مُتَلبِّسًا بثَوْب العَاريَة وَصَاحبُ هَذه الرُّؤْيَة مُشَرَّفٌ بمَقَام العَبْديَّة الذي هُوَ فَوْقَ جَميع كَمَالات الولاَيَة وَاجْتمَاع الخَيْر وَالشَّرِّ وَالكَمَال وَالنَّقْص الذي هُوَ اجْتمَاعُ الوُجُود وَالعَدَم في الحَقيقَة لَيْسَ منْ قَبيل اجْتمَاع النَّقيضَيْن الذي يُعَدُّ مُحَالاً فَإنَّ نَقيضَ الوُجُود الصِّرْف هُوَ العَدَمُ الصِّرْفُ وَهَذه المَرَاتبُ الظِّلِّيَّةُ كَمَا أَنَّهَا تَنَزَّلتْ في جَانب الوُجُود منْ ذُرْوَة الأَصْل إلى حَضيض التنزلات كَذَلكَ تَرَقَّتْ في جَانب العَدَم منْ حَضيض صرَافَة العَدَم بَل اجْتمَاعهَا منْ قَبيل اجْتمَاع العَنَاصر المُتَضَادَّة المُجْتَمعَة بَعْدَ كَسْر السَّوْرَة المُضَادَّة منْ كُل منْهَا فَسُبْحَان منْ جَمد دُونَ مصْدَاقه فَأَيُّ فَسَاد في اتِّصَاف فَرْد منْ أَفْرَاد العَدَم بالوُجُود كَمَا قَال أَرْبَابُ المَعْقُول في الوُجُود بطَريق الاسْتشْكَال إنَّ الوُجُودَ لاَ يَنْبَغي أَنْ يَكُونَ عَيْنَ ذَات وَاجب الوُجُود تَعَالى وَتَقَدَّسَ لأَنَّ الوُجُودَ منَ المَعْقُولاَت الثَّانيَة التي لاَ وُجُودَ لَهَا في الخَارج وَذَاتُ وَاجب الوُجُود تَعَالى مَوْجُودَةٌ في الخَارج فَلاَ يَكُونُ عَيْنَهَا وَقَالوا في جَوَابه إنَّ مَا هُوَ منَ المَعْقُولاَت الثَّانيَة هُوَ مَفْهُومُ الوُجُود لاَ جُزْئيَّاتُهُ فَلاَ يَكُونُ جُزْءٌ منْ جُزْئيَّاته مُنَافيًا للوُجُود الخَارجيِّ بَل يُمْكنُ أَنْ يَكُونَ مَوْجُودًا في الخَارج فَإنْ قُلتَ قَدْ عُلمَ منَ التَّحْقيق السَّابق أَنَّ وُجُودَ الصِّفَات الحَقيقيَّة إنَّمَا هُوَ في مَرْتَبَة الظِّلاَل وَأَمَّا في مَرْتَبَة الأَصْل فَلاَ وُجُودَ لَهَا فيهَا وَهَذَا الكَلاَمُ مُخَالفٌ لرَأي أَهْل الحَقِّ شَكَرَ اللهُ سَعْيَهُمْ فَإنَّهُمْ لاَ يُجَوِّزُونَ انْفكَاكَ الصِّفَات عَن الذَّات أَصْلاً وَيَقُولونَ بامْتنَاع انْفكَاكهَا عَنْهَا ؟

أجيب لاَ يَلزَمُ منْ هَذَا البَيَان جَوَازُ الانْفكَاك فَإنَّ ذَلكَ الظِّل لاَزمُ الأَصْل فَلاَ انْفكَاكَ غَايَةُ ما في البَاب أَنَّ العَارفَ الذي قبْلةُ تُوَجُّهه أُحَديَّةُ الذَّات تَعَالتْ وَتَقدَّسَتْ لاَ يَكُونُ لهُ شَيْءٌ منَ الأَسْمَاء وَالصِّفَات مَلحُوظًا أَصْلاً فَيَجدُ الذَّاتَ في ذَلكَ المَوْطن ألبتة بلاَ يَكُونُ شَيْءٌ منَ الصِّفَات مَلحُوظًا لهُ أَصْلاً لاَ أَنَّ الصِّفَات لَيْسَتْ بحَاصلة في ذَلكَ الوَقْت فَانْفكَاكُ الصِّفَات منْ حَضْرَة الذَّات إنْ ثَبتَ ثَبتَ باعْتبَار مُلاَحَظَة العَارف لاَ باعْتبَار نَفْس الأَمْر حَتَّى يَكُونَ مُخَالفًا لمَا عَليْه أَهْل

السُّنَّة وَقَدْ لاَحَ مِنْ هَذَا البَيَان مَعْنَى مَنْ عَرَفَ نَفْسَه فَقَدْ عَرَفَ رَبَّه فَإِنَّ الشَّخْصَ إِذَا عَرَفَ نَفْسَه بالشَّرِّ وَالنَّقْص وَعَرَفَ أَنَّ مَا فِيه منَ الخَيْر وَالكَمَال وَالحُسْن وَالجَمَال مُسْتَعَارٌ مِنْ وَاجب الوُجُود المُقَدَّس المُتَعَال فَقَدْ عَرَفَ الحَقّ سُبْحَانَهُ بالخَيْر وَالكَمَال وَالحُسْن وَالجَمَال بالضَّرُورَة وَاتَّضَحَ مِنْ هَذه التَّحْقيقَات المَعْنَى التَأويليُّ لقَوْله تَعَالى اللهُ نُورُ السَّمَوَات وَالأَرْض لأَنَّهُ قَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ المُمكنَات بأَسْرهَا عَدَمَاتٌ وبإجمعها شَرٌّ وَظُلمَاتٌ وَمَا فيهَا منَ الخَيْر وَالكَمَال وَالحُسْن وَالجَمَال مُفَاضٌ مِنْ حَضْرَة الوُجُود الذي هُوَ عَيْنُ حَضْرَة الذَّات تَعَالتْ وَتَقدَّسَتْ وَعَيْنُ كُل خَيْر وَكَمَال فَيَكُونُ نُورُ السَّمَوَات وَالأَرْضينَ هُوَ حَضْرَةُ الوُجُود الذي هُوَ حَقيقَةُ الوَاجب تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَلَمَّا كَانَ ذَلكَ النُّورُ في السَّمَوَات وَالأَرْض بتَوَسُّط الظِّلال أَوْرَدَ تَمْثيلاً لذَلكَ النُّور لرَفْع تَوَهُّم مَنْ عَسَى يَتَوَهَّمُ أَنَّهُ بلاَ تَوَسُّط حَيْثُ قَالَ تَعَالى {مَثَل نُوره كَمشْكَاة فيهَا مصْبَاحٌ } الآيَةَ أيذانا بثُبُوت الوَسَائط وَتَفْصيل تَأْويل هَذه الآيَة الكَريمَة يُثْبتُ إنْشَاءَ اللهُ تَعَالى في مَحَل آخرَ فَإِنَّ المَجَال للكَلاَم كَثيرٌ هُنَاكَ وَهَذَا المَكْتُوبُ لاَ يَسعَ تَفْصيله وَإنَّمَا قُلنَا المَعْنَى التأويليُّ لقَوْله تَعَالى لأَنَّ المَعْنَى التفسيريَّ مَشْرُوطٌ بالنَّقْل وَالسَّمَاع وَلَعَلك سَمعْتَ مَنْ فَسَّرَ القُرْآن برَأْيه فَقَدْ كَفرَ وَفي التَّأْويل يَكْفي مُجَرَّدُ الاحْتمَال بشَرْط عَدَم مُخَالفَته الكتَابَ وَالسُّنَّةَ فَتَقرَّرَ أَنَّ ذَوَاتَ المُمكنَات وَأُصُولهَا عَدَمَاتٌ وَصفَاتهمْ النَّقَائصُ وَالرَّذَائل التي هيَ مُقْتَضَيَاتُ تلكَ العَدَمَات وُجدَتْ بإيجَاد القَادر المُخْتَار - جَل سُلطَانُهُ - وَالصِّفَاتُ الكَاملَةُ فيهمْ مُسْتَعَارَةٌ منْ ظلاَل كَمَالات حَضْرَة الوُجُود تَعَالى وَتَقَدَّسَ ظَهَرَتْ فيهمْ بطَريق الانْعكَاس وَوُجدَتْ بإيجَاد القَادر المُخْتَار أَيْضًا وَمصْدَاقُ حُسْن الأَشْيَاء وَقُبْحهَا هُوَ أَنَّ كُلمَا هُوَ نَاظرٌ إلى الآخرَة وَمُعَدٌّ لهَا فَهُوَ حَسَنٌ وَإنْ لَم يَكُنْ مُسْتَحْسَنًا في الظَّاهر وَكُلمَا هُوَ نَاظرٌ إلى الدُّنْيا وَمُعَدٌّ لأَجْلهَا فَهُوَ قَبيحٌ وَإنْ كَانَ حَسَنًا في الظَّاهر وَظَاهرًا بالحَلاَوَة وَالطَّرَاوَة كالمزخرفات الدُّنْيَويَّة وَلهَذَا مُنع في الشَّريعَة المُصْطَفَويَّة عَلى صَاحبهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ منَ النَّظَر وَالمَيْل إلى حُسْن المُرْد وَالنِّسَاء الأَجْنبيَّات وَتَمَنِّي المزخرفات الدَّنيَّة فَإِنَّ ذَلكَ الحُسْنَ وَالطَّرَاوَةَ منْ مُقْتَضَيَات العَدَم الذي هُوَ مَأْوَى كُل شَرٍّ وَفَسَادٌ فَلوْ كَانَ مَنْشَأ هَذَا الحُسْن وَالجَمَال الكَمَالات الوُجُوديَّة لَمَا يَمْنَعُ عَنْهُ إلاَّ منْ جهَة كَوْن التَّوَجُّه إلى الظِّل مَعَ وُجُود الأَصْل مُسْتَهْجَنًا وَمُسْتَقْبَحًا وَهَذَا المَنْعُ مَنْعٌ استحسانيٌّ لاَ وجوبيٌّ بخلاَف المَنْع السَّابق فَالحُسْنُ الظَّاهرُ في الظَّاهر الجَميلة الدُّنْيَويَّة لَيْسَ هُوَ منْ ظلاَل حُسْنه

تَعَالى بَل هُوَ مِنْ لوَازِمِ العَدَمِ اكْتَسَبَهُ فِي الظَّاهِرِ بوَاسطَة مُجَاوَرَته الحُسنَ وَإلاَّ فَهُوَ فِي الحَقِيقَة قَبيحٌ نَاقِصٌ كَسُمٍّ مَدْسُوسٍ في السُّكَّرِ وَنَجَاسَة مَطْلِيَّة بالذَّهَب

وَإنَّمَا جُوِّزَ التَّمَتُّعُ بالنِّسَاء الجَميلة المَنْكُوحَة وَالإمَاء الجَميلة المَمْلوكَة بوَاسطَة تَحْصيل الأَوْلاَد وَإبْقَاء النَّسْل المَطْلُوب لبَقَاء نظَام العَالَمِ فَمَا ابْتَلِيَ به بَعْضُ الصُّوفيَّة منَ المَظَاهرِ الجَميلة وَالنَّغَمَات المُسْتَحْسَنَة بتَخَيُّل أَنَّ هَذَا الحُسْنَ وَالجَمَال مُسْتَعَارٌ منْ كَمَالات حَضْرَة وَاجب الوُجُود تَعَالى وَتَقَدَّسَ ظَهَرَ في هَذه المَظَاهرِ وَزَعْمُهمْ هَذَا الابْتلاَء حَسَنًا وَمُتَحَسَّنًا بَل تَصَوُّرهمْ إيَّاهُ طَريقَ الوُصُول ثَبَتَ عنْدَ هَذَا الحَقير خلاَفُهُ كَمَا مَرَّتْ نُبْذَةٌ فيمَا سَبَقَ وَالعَجَبُ أَنَّ بَعْضهمْ يُوردُ هَذَا القَوْل إيَّاكُمْ وَالمُرْدَ فَإنَّ فيهمْ لوْنًا كَلوْن الله سَنَدُ المَطْلبه وَكَلمَة كَلوْن الله تُوقعُهُمْ في الاشْتبَاه وَلاَ يَدْرُون أَنَّ هَذَا القَوْلَ مُنَاف لمَطْلبهمْ وَمُؤَيِّدٌ لمَعْرفَة هَذَا الدَّرْويشِ لأَنَّهُ وَرَدَ فيه كَلمَةُ التَّحْذير مَنْعًا عَنِ التَّوجُّه إلَيْهمْ وَبَيَّنَ مَنْشَأَ الغَلَط بأَنَّ حُسْنَهُمْ مُشَابهٌ لحُسْنِ الحَقِّ وَجَمَاله سُبْحَانَهُ لأَحْسَنه تَعَالى لئَلاَّ يَقَعُوا في الغَلَط قَال - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - - مَا الدُّنْيَا وَالآخرَةُ إلاَّ ضَرَّتَان إنْ رَضيَتْ إحْدَاهُمَا سَخطَتْ الأُخْرَى وَفي الحَديث أَيْضًا تَصْريحٌ بوُجُود المُبَاينَة وَالمُنَاقضَة بَيْنَ حُسْن الآخرَة وَحُسْنِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ جَمَاليهمَا وَمنَ المُقرَّرِ أَنَّ الحُسْنَ الدنيويَّ غَيْرُ مَرْضيٍّ وَالحُسْنَ الأخرويَّ مَرْضيٌّ فَيَكُونُ الشَّرّ لاَزمَ الحُسْنِ الدنيوي وَالخَيْرَ لاَزمُ الحُسْنِ الأخرويِّ فَبالضَّرُورَة يَكُونُ مَنْشَأُ الأَوَّل عَدَمًا وَمَنْشَأُ الثَّاني وُجُودًا نَعَمْ إنَّ بَعْضَ الأَشْيَاء لهُ وَجْهٌ إلى الدُّنْيَا وَوَجْهٌ إلى الآخرَة فَهَذَا قَبيحٌ منَ الوَجْه الأَوَّل وَحَسَنٌ منَ الوَجْه الثَّاني وَتَمْييزُ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ الوَجْهَيْنِ وَفَرْقُ مَا بَيْنَ حُسْنه وَقُبْحه مُفَوَّضٌ إلى علمِ الشَّريعَة قَال اللهُ تَعَالى {وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُول فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} وَقَدْ وَرَدَ في الخَبَرِ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَنْظُرْ إلى الدُّنْيَا مُنْذُ خَلقَهَا لكَوْنهَا مَبْغُوضًا عَلَيْهَا عنْدَهُ سُبْحَانَهُ وَكُل ذَلكَ بوَاسطَة قُبْحهَا وَشَرِّهَا وَفَسَادهَا التي هيَ منْ مُقْتَضَيَات العَدَمِ الذي هُوَ مَأْوَى جَميعِ الفَسَاد وَحُسْنُ الدُّنْيَا وَجَمَالهَا وَحَلاَوَتُهَا وَطَرَاوَتُهَا كُل منْهَا كَالمَطْرُوحِ في الطَّريقِ لاَ يَسْتَحقُّ النَّظَرَ إلَيْه وَالمُسْتَحقُّ للنَّظَرِ إنَّمَا هُوَ جَمَال الآخرَة فَإنَّهُ مَرْضيُّ الحَقِّ سُبْحَانَهُ قَال اللهُ سُبْحَانَهُ شكَايَةً منْ حَالهمْ يُريدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُريدُ الآخرَةَ اللهُمَّ صَغِّرْ الدُّنْيَا في أَعْيُننَا وَكَبِّر الآخرَةَ في قُلوبنَا بحُرْمَة مَن افْتَخَرَ بالفَقْرِ وَتَجَنَّبَ عَنِ الدُّنْيَا عَلَيْه وَعَلى آله أَتَمُّ الصَّلوَات وَأَكْمَل التسليمات وَالشَّيْخُ الأَجَل مُحيي الدِّينِ بْنُ عَرَبيٍّ - قُدِّسَ سرُّهُ - لَمَّا لَمْ يَقَعْ نَظَرُهُ عَلى حَقيقَةِ شَرِّ المُمْكنَات

وَنَقْصِهَا وَقُبْحِهَا جعَل حَقَائِقَ المُمْكنَات الصُّورَةَ العلميَّةَ الإلهيَّة - جَل وَعَلاَ - وَقَال إنَّ تلكَ الصُّوَرَ انْعَكَسَتْ عَلى مِرْآة حَضْرَة الذَّات التي لاَ يَقُول بوُجُود شَيْء غَيْرهَا في الخَارج فَحَصَلَتْ لهَا بسَبَب ذَلكَ الانْعكَاس نُموُّهُ يَعْني ظُهُورٌ خارجٌ وَلاَ يَرَى هَذه الصُّوَرَ العلميَّةَ غَيْرَ صُوَر شئون الوَاجب وَصفَاته - جَل سُلطَانُهُ - فَلاَ جَرَمَ حَكَمَ بوَحْدَة الوُجُود وَقَال بعَيْنيَّة وُجُود المُمْكنَات بوُجُود الوَاجب تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَقَال بنسْبيَّة الشَّرِّ وَالنَّقْص وَنَفْي الشَّرِّ المُطْلق وَالنَّقْص المَحْض وَمنْ هَهُنَا لاَ يَقُول بوُجُود قَبيح بالذَّات حَتَّى إنَّهُ يَقُول إنَّ قُبْحَ الكُفْر وَالضَّلالة إنَّمَا هُوَ بالنِّسْبَة إلى الإيمَان وَالهدَايَة لاَ بالنِّسْبَة إلى ذَاتهمَا بَل يَرَاهُمَا عَيْنَ الخَيْر وَالصَّلاَح وَيحْكُمُ باسْتقَامَتهمَا بالنِّسْبَة إلى أَرْبَابهمَا وَيَجْعَل قَوْله تَعَالى مَا منْ دَابَّة إلى هُوَ آخذٌ بنَاصيَتهَا إنَّ رَبِّي عَلى صرَاط مُسْتَقيم شَاهدًا لهَذَا المَعْنَى نَعَمْ إنَّ مَنْ يَحْكُمُ بوَحْدَة الوُجُود لاَ يتحاشى منْ أَمْثَال هَذه الكَلمَات وَمَا ظَهَرَ لهَذَا الفَقير أَنَّ مَاهيَّات المُمكنَات عَدَمَاتٌ مَعَ الكَمَالات الوُجُوديَّة المُنْعَكسَة عَلَيْهَا وَالمُمْتَزجَة بهَا كَمَا مَرَّ مُفَصَّلاً وَاللهُ سُبْحَانَهُ يُحقُّ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدي السَّبيل أَيُّهَا الوَلَدُ إنَّ هَذه العُلومَ وَالمَعَارفَ التي لَمْ يَتَكَلَّمْ بهَا أَحَدٌ منْ أَهْل الله لاَ صَريحًا وَلاَ إشَارَةً منْ أَشْرَف المَعَارف وَأَكْمَل العُلوم بَرَزَتْ في مَنَصَّة الظُّهُور بَعْدَ أَلف سَنَة وَكَشَفَتْ عَنْ وَجْه حَقيقَة الوَاجب تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَحَقَائق المُمْكنَات النِّقَاب كَمَا يَنْبَغي وَيُحْرَى بحَيْثُ لاَ مُخَالفَةَ فيهَا للكتَاب وَالسُّنَّة وَلاَ مُبَاينَةَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَقْوَال أَهْل الحَقِّ وَكَانَ المُرَادُ وَالمَقْصُودُ منْ دُعَاء النَّبيِّ ﷺ لذي يُشْبهُ أَنْ يَكُونَ صُدُورُه عَنْهُ لتَعْليم الأُمَّة حَيْثُ قَال اللهُمَّ أَرنَا حَقَائقَ الأَشْيَاء كَمَا هيَ هُوَ هَذه الحَقَائقُ المُبَيَّنَةُ في ضمْن هَذه العُلوم المُنَاسبَة لمَقَام العُبُوديَّة الدَّالة عَلى الذُّل والانكسَار المُلاَئم لحَال العَبيد وَأَيُّ كَمَال وَخَيْر في رُؤْيَة العَبْد نَفْسَه عَيْنَ مَوْلاَهُ القَادر بَل هيَ تُنْبئُ عَنْ كَمَال فَقْد الأَدَب أَيُّهَا الوَلَدُ إنَّ هَذَا الوَقْتَ لوَقْت كَانَ في الأُمَم السَّابقَة يُبْعَثُ في مثْل هَذَا الوَقْت المَمْلوء بالظُّلمَة نَبيٌّ منَ الأَنْبيَاء أُولي العَزْم لإحْيَاء الشَّريعَة وَتَجْديدهَا وَفي هَذه الأُمَّة التي هيَ خَيْرُ الأُمَم وَنَبيّهمْ خَاتَمُ الرُّسُل - عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلوَاتُ وَالتَّسْليمَاتُ - أَعْطي العُلمَاءُ مَرْتَبَةَ أَنْبيَاء بَني إسْرَائيل وَاكْتَفَى بوُجُود العُلمَاء منْ وُجُود الأَنْبيَاء وَلهَذَا يَتَعَيَّنُ عَلى رَأْس كُل مائَة] مُجَدِّدٌ منْ عُلمَاء هَذه الأُمَّة لإحْيَاء الشَّريعَة وَعَلى الخُصُوص بَعْد مُضيِّ أَلف سَنَة فَإنَّهُ وَقْتُ بعْثَة نَبيٍّ منَ الأَنْبيَاء أُولي العَزْم في الأُمَم السَّابقَة وَمَا كَانَ يُكْتَفَى فيه بأَيِّ نَبيٍّ كَانَ ففي مثْل هَذَا الوَقْت يَلزَمُ

أَنْ يَكُونَ عَالِمٌ عَارِفٌ تَامُّ المَعْرِفَةِ لِيَكونَ قَائِمًا مَقَامَ نَبِيٍّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ أُولِي العَزْمِ مِنَ الأُمَمِ السَّابِقَة. شِعْرٌ.

لَوْ جَاءَ مِنْ فَيْضِ رُوحِ القُدُسِ مِنْ مَدَدٍ خَلاَ المَسِيحِ لِيَصْنَعْ مِثْلَ مَا صَنَعَا

أَيُّهَا الوَلَدُ إِنَّ المُقَابِلَ لِلوُجُودِ الصِّرْفِ هُوَ العَدَمُ الصِّرْفُ وَقَدْ سَبَقَ أَنْ الوُجُودَ الصِّرْفَ حَقِيقَةُ وَاجِبِ الوُجُودِ تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَإِنَّهُ عَيْنُ كُلِ خَيْرٍ وَكَمَالٍ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِمُلاَحَظَةِ هَذِهِ العَيْنِيَّةِ هُنَاكَ مَجَالٌ وَلَوْ عَلى سَبِيلِ الإِجْمَالِ لِوُجُودِ شَائِبَةِ الظِّلِّيَّةِ فِيهَا وَالعَدَمُ الصِّرْفُ الذي هُوَ مُقَابِلُ الوُجُودِ الصِّرْفِ لَمْ يَتَطَرَّقْ إِلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ النِّسْبَةِ وَالإِضَافَةِ وَعَيْنُ كُلِ شَرٍّ وَنَقْصٍ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِهَذِهِ العَيْنِيَّةِ فِيهِ أَيْضًا مَجَالٌ لِوُجُودِ رَائِحَةِ الإِضَافَةِ فِيهَا وَمِنَ المَعْلُومِ أَنَّ ظُهُورَ الشَيْءِ عَلى الوَجْهِ الأَتَمِّ إِنَّمَا يُتَصَوَّرُ فِي مُقَابِلِهِ الحَقِيقِيِّ وَالأَشْيَاءُ إِنَّمَا تَتَبَيَّنُ بِضِدِّهَا فَبِالضَّرُورَةِ يَحْصُلُ ظُهُورُ الوُجُودِ عَلى الأَتَمِّ فِي مِرْآةِ العَدَمِ الصِّرْفِ وَمِنَ المُقَرَّرِ أَنَّ النُّزُولَ عَلى قَدْرِ العُرُوجِ فَمَنْ تَحَقَّقَ عُرُوجُهُ بِعِنَايَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ إِلى حَضْرَةِ الوُجُودِ يَكُونُ نُزُولُهُ بِالضَّرُورَةِ إِلى العَدَمِ المُقَابِلِ لَهُ لَكِنَّ وَقْتَ العُرُوجِ الذي فِيهِ اسْتِهْلاَكُ العَارِفِ الجَهْلُ لاَزِمٌ لَهُ وَوَقْتَ النُّزُولِ الذي هُوَ مُتَحَقِّقٌ بِالصَّحْوِ يَكُونُ مُتَّصِفًا بِالعِلْمِ وَالمَعْرِفَةِ لِكَوْنِهِ مَقَامَهُ وَفِي مَقَامِ الصَّحْوِ يَتَشَرَّفُ بِالتَّجَلِي الذَّاتِيِّ الذي هُوَ مُبَرَّأٌ عَنْ شَائِبَةِ الظِّلِّيَّةِ وَمُنَزَّهٌ عَنْ مُلاَحَظَةِ الشئونِ وَالاعْتِبَارَاتِ الذَّاتِيَّةِ وَيَكُونُ مَعْلومًا لَهُ أَنَّ جَمِيعَ التَّجَلِيَاتِ التي قَبْلَهُ كَانَتْ فِي حُجُبِ ظِلٍ مِنْ ظِلاَلِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ والشئونِ وَالاعْتِبَارَاتِ وَإِنْ اعْتَقَدَ العَارِفُ أَنَّهَا بِلاَ مُلاَحَظَةِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَالشئونِ وَالاعْتِبَارَاتِ وَعَدَّهَا تَجَلِيَاتٍ وُجُودِيَّةً صِرْفَةً سُبْحَانَ اللهِ إِنَّ هَذَا العَدَمَ الذي هُوَ مَأْوَى كُلِ شَرٍّ وَنَقْصٍ قَدْ اكْتَسَبَ الحُسْنَ بِوَاسِطَةِ ظُهُورِ حَضْرَةِ الوُجُودِ فِيهِ ظُهُورًا تَامًّا وَنَالَ مَا لَمْ يَنَلْهُ أَحَدٌ وَصَارَ القَبِيحُ لِذَاتِهِ بِوَاسِطَةِ الحُسْنِ العَارِضِ مُسْتَحْسَنًا وَالنَّفْسُ الأَمَّارَةُ الإِنْسَانِيَّةُ التي هِيَ مَائِلَةٌ بِالذَّاتِ إِلى الشَّرِّ فِيهَا مُنَاسَبَةٌ مِنْ بَيْنِ الكُلِ لِهَذَا العَدَمِ وَلِهَذَا صَارَتْ فَائِقَةً عَلى الكُلِ فِي التَّجَلِي الخَاصِّ وَسَابِقَةً لِلكُلِ فِي التَّرَقِّي وَالاخْتِصَاصِ، (ع):

أَحَقُّ الخَلْقِ بِالكَرَمِ العُصَاةُ

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ العَارِفَ التَّامَّ المَعْرِفَةِ إِذَا نَزَلَ بَعْدَ طَيِّ مَقَامَاتِ العُرُوجِ وَمَرَاتِبِ النُّزُولِ تَفْصِيلاً إِلى مَقَامِ العَدَمِ الصِّرْفِ وَحَصَلَتْ لَهُ مِرآتِيةُ حَضْرَةِ الوُجُودِ يَظْهَرُ فِيهِ جَمِيعُ الكَمَالاَتِ الأَسْمَائِيَةِ والصفاتِيةِ وَيَظْهَرُ جَمِيعُهَا تَفْصِيلاً مَعَ لَطَائِفَ

يَظْهَرُ فيه جَميعُ الكَمَالات الأسمائية والصفاتية وَيَظْهَرُ جَميعهَا تَفْصيلاً مَعَ لطَائفَ كَانَ مَقَامُ الإجْمَال مُتضمّنًا لهَا * وَهَذه الدَّوْلَةُ لاَ تَتَيَسَّرُ لغَيْره وَتلكَ المرآتيةُ لبَاسٌ فاخرٌ مَخيطٌ عَلى مقْدَار قَدّه وَصُوَرُ هَذَا التَّفْصيل وَإنْ كَانَتْ ثَابتَةً في خزَانَة الحَضْرَة العلميَّة وَلكنَّهَا مرآتيةٌ في حَضْرَة العلم ومرآتيةُ هَذَا العَارف في مَرْتَبَة الخَارج حَيْثُ أَظْهَرَ جَميعَ الكَمَالات في الخَارج.

فإنْ قيل: مَا مَعْنَى كَوْن العَدَم مرآةً فَإنَّهُ لاَ شَيْءَ مَحْضٌ فَبأَيِّ اعْتبَار قيل لهُ إنَّهُ مرآةٌ للوُجُود أُجيبُ أَنَّ العَدَمَ باعْتبَار الخَارج لاَ شَيْءَ مَحْضٌ وَأَمَّا في العلم فَقَدْ عَرَضَ لهُ فيه امْتيَازٌ بَل حَصَل لهُ وُجُودٌ علميٌّ أَيْضًا عنْدَ مثبتي الوُجُود الذهنيِّ وَقيل لهُ مرآةُ الوُجُود باعْتبَار أَنَّ كُلمَا يَثْبُتُ منَ الشَّرِّ وَالنَّقْص في مَرْتَبَة العَدَم يَكُونُ مَسْلوبًا عَن الوُجُود الذي هُوَ نَقيضُهُ ألبتة وَكُل كَمَال يَكُونُ مَسْلوبًا عَنْ مَرْتَبَة العَدَم يَكُونُ مُثْبتًا في حَضْرَة الوُجُود فَلاَ جَرَمَ كَانَ العَدَمُ سَبَبًا لظُهُور الكَمَالات الوُجُوديَّة وَلاَ مَعْنَى للمرآتية إلاَّ هَذَا فَافْهَمْ فَإنَّهُ يَنْفَعُكَ وَاللهُ سُبْحَانَهُ المُلهَمُ أَيُّهَا الوَلَدُ إنَّ هَذه المَعَارفَ المُحَرَّرَةَ نَرْجُو أَنْ تَكُونَ منَ الإلهامات الرحمانية التي لاَ يَكُونُ للوَسَاوس الشَّيْطَانيَّة فيهَا مَجَال وَالدَّليل عَلى صدْق هَذَا المَعْنَى أَنّي لمَّا كُنْتُ مُتَصَدِّيًا لتَحْرير هَذه العُلوم مُلتَجئًا إلى جَنَاب قُدْسه تَعَالَى رَأَيْتُ كَأَنَّ المَلائكَةَ الكرَامَ عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَطْرُدُونَ الشَّيَاطينَ وَيَدْفَعُونَهُم عَنْ نواحي هَذَا المَقَام وَلاَ يَتْرُكُونَهُمْ يَحُومُونَ حَوْل هَذَا المَكَان وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بحَقيقَة الحَال وَلمَّا كَانَ إظْهَارُ النِّعَم الجزيلة منْ أَعْظَم المَحَامد الجَميلة تَجَاسَرَتْ عَلى إظْهَار هَذه النِّعْمَة العُظْمى وَالمَرْجُوُّ أَنْ يَكُونَ مُبرَّأً منْ مَظنَّة العَجَب وَكَيْفَ يَكُونُ فيه للعَجَب مَجَال وَالحَال أَنْ نقصي وَقُبْحي الذَّاتيَّيْن نُصْبَ العَيْن في كُل وَقْت بعنَايَة الله سُبْحَانَهُ وَالكَمَالاتُ كُلهَا مَنْسُوبَةٌ إلَيْه تَعَالى الحَمْدُ لله رَبِّ العَالمينَ أَوَّلاً وَآخرًا وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلى رَسُوله دَائمًا وَسَرْمَدًا وَعَلى آله الكرَام وَأَصْحَابه العظَام وَالسَّلاَمُ عَلى سَائر مَن اتَّبعَ الهُدَى وَالتزَمَ مُتَابعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالثَّلاثُونَ وَالمائَتَان
إِلى الملا عَبْد الغَفُور السَّمَرْقَنْديِّ وَحَاجِي بيكْ الفَرْكَتِيِّ والخواجهْ أَشْرَفَ الكَابليِّ فِي بَيَانِ أَنَّ مَحَبَّةَ هَذِهِ الطَّائفَةِ رَأْسُ كُل سَعَادَةٍ دُنْيَوِيَّةٍ وَأُخْرَوِيَّة وَمَا يُنَاسِبُهُ

بَعْدَ الحَمْدِ للهِ وَالصَّلَوَاتِ وَتَبْلِيغِ الدَّعَوَاتِ:

لِيَكُنْ مَعْلومًا للأَحْبَابِ الحَقِيقِيِّينَ وَالمُشْتَاقِينَ التَّحْقِيقِيِّينَ أَنَّهُ قَدْ حَصَلَ السُّرُورُ وَالابْتِهَاجُ بِوُصُولِ المَكَاتِيبِ الشَّرِيفَةِ المُنْبِئَةِ عَنْ فَرْطِ المَحَبَّةِ وَالاشْتِيَاقِ ثَبَّتَكُمْ اللهُ - سُبْحَانَهُ - عَلى هَذِهِ المَحَبَّةِ وَيَنْبَغِ لكُمْ أَنْ تَسْأَلوا اللهَ - سُبْحَانَهُ - الثَّبَاتَ وَالاسْتِقَامَةَ عَلَيْهَا مُعْتَقِدِينَ بِأَنَّهَا رَأْسُ سَعَادَةٍ دُنْيَوِيَّةٍ وَأُخْرَوِيَّةٍ.

وَالتَّوْفِيقُ لإِتْيَانِ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ نَتِيجَةُ هَذِهِ المَحَبَّةِ وَتَحْصِيلِ جُمَيْعَةِ البَاطِنِ ثَمَرَةُ هَذِهِ المَوَدَّةِ وَلوْ صُبَّتْ جَمِيعُ ظُلمَاتِ العَالمِ وَكُدُورَاتِه فِي البَاطِنِ وَهَذِهِ المَحَبَّةُ قَائِمَةٌ يَنْبَغِي أَنْ لاَ يُغْتَمَّ أَصْلاً بَل يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ رَاجِيًا وَلوْ أُفِيضَتْ أَمْثَالُ الجِبَالِ مِنَ الأَنْوَارِ وَالأَحْوَالِ عَلى البَاطِنِ وَقَدْ زَالتْ مِقْدَارُ شَعْرَةٍ مِنْ هَذِهِ المَحَبَّةِ يَنْبَغِي أَنْ لاَ يَعْتَقِدَ ذَلكَ شَيْئًا غَيْرَ الخِذْلاَنِ.

وَيَنْبَغِي أَنْ يَعُدَّهُ اسْتِدْرَاجًا وَعَلَيْكُمْ بالتَّوَجُّهِ إِلى شُغْلكُمْ مُتَمَسِّكِينَ بِحَبْلِ هَذِهِ المَحَبَّةِ تَمَسُّكًا شَدِيدًا دُونَ أَنْ تُضَيِّعُوا العُمْرَ العَزِيزَ بِأُمُورٍ لاَ طَائِلَ فِيهَا شِعْرٌ.

وَإِيَّاكُمْ وَالاغْتِرَارَ بِزُخْرُفٍ ... سَرِيعِ انْتِقَالٍ لنْ تَرَوْا نَفْعَهُ أَصْلاً

{وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}(١) وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى - عَلَيْهِ وَعَلى آله مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلُهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا.

---

(١) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالثَّلاثُونَ وَالمائَتَان
إِلَى المَخْدُومِ زَادَهُ الشَّيْخِ مَيَّانَ مُحَمَّد صَادِقٍ قُدِّسَ سِرُّهُ
فِي بَيَانِ بَعْضِ الأَسْرَارِ

بَعْدَ الحَمْدِ وَالصَّلَوَاتِ لِيَكُنْ مَعْلومًا لِلوَلَدِ الأَرْشَدِ أَنَّهُ قَدْ فُهِمَ مِنْ مَكْتُوبِكُمْ **المُحَرَّرِ فِي** شَرْحِ الأَحْوَالِ أَنَّهُ قَدْ حَصَلَتْ لَكُمْ مُنَاسَبَةٌ بِالوِلَايَةِ الخَاصَّةِ المُحَمَّدِيَّةِ **عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ** وَالتَّحِيَّةُ فَشَكَرْتُ اللهَ - سُبْحَانَهُ - عَلَى ذَلِكَ حَقَّ شُكْرِهِ وَكُنْتُ مُتَمَنِّيًا **لِحُصُولِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ لَكُمْ** مِنْ مُدَّةٍ مَدِيدَةٍ فَحِينَئِذٍ كُنْتُ مُتَوَجِّهًا بِرَجَاءِ جَذْبِكُمْ إِلَى هَذِهِ **الدَّوْلَةِ وَبَيْنَا أَنَا فِي** هَذَا الطَّلَبِ إِذْ وَجَدْتُكَ دَاخِلاً فِي الوِلَايَةِ المُوسَوِيَّةِ اتِّفَاقًا فَأَدْخَلْتُكَ **فِي الوِلَايَةِ** الخَاصَّةِ جَاذِبًا لَكَ مِنْ هُنَاكَ للهِ - سُبْحَانَهُ - الحَمْدُ وَالمِنَّةُ عَلَى ذَلِكَ وَحَيْثُ أَدْخَلْتُكَ فِي هَذِهِ الوِلَايَةِ قَسْرًا صِرْتُ أُرَبِّيكَ أَخْذًا فِي كَنَفِي وَقَدْ مَرَّ عَلَى ذَلِكَ أَزْيَدُ مِنْ عِشْرِينَ يَوْمًا وَلَعَلَّهُ لَمْ يَكُنْ مَعْلومًا لَكَ مِنْ ضَعْفِ هَذِهِ النِّسْبَةِ.

وَحَيْثُ حَصَلَتْ لَهَا الآنَ قُوَّةٌ يُرْجَى أَنْ يَكُونَ مَعْلومًا لَكَ أَيْضًا وَمَاذَا أَكْتُبُ مِنْ إِنْعَامَاتِ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - الفَائِضَةِ عَلَى التَّوَاتُرِ وَالتَّوَالِي فِي حَقِّ هَذَا العَاصِي شِعْرٌ:

كَأَنِّي بُقْعَةٌ فِيهَا سَحَابُ الـــ　　　رَّبِيعِ مُمْطِرٌ مَاءً زُلالاً
فَلَوْلَى أَلْفُ سَنَةٍ وَأَثْنِي　　　بِهَا مَا ازْدَدْتُ إِلاَّ انْفِعَالاً

ثُمَّ إِنَّ الوَلَدَ الأَعَزَّ مُحَمَّدَ سَعِيد كَانَ قَدْ أَظْهَرَ أَحْوَالَهُ فِي مَكْتُوبِهِ فَرَأَيْتُهَا أَصِيلَةً جِدًّا لَمْ تَحْصُلْ بِهَذِهِ الخُصُوصِيَّةِ خَلاَ أُنَاسٍ قَلِيلِينَ مِنَ الأَصْحَابِ.

وَالمَرْجُوُّ أَنْ يُشَرِّفَهُ الحَقُّ - سُبْحَانَهُ - أَيْضًا بِالوِلَايَةِ الخَاصَّةِ **وَوَلَدِي** مُحَمَّدُ مَعْصُومٍ قَابِلٌ لِهَذِهِ الدَّوْلَةِ بِالذَّاتِ بِفَضْلِ اللهِ تَعَالَى أَخْرَجَهُ اللهُ - سُبْحَانَهُ - **مِنَ** القُوَّةِ إِلَى الفِعْلِ بِحُرْمَةِ حَبِيبِهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالثَّلاَثُونَ وَالمِائَتَان
إلى الملا مُحَمَّد طَالب
في التَّرْغيب في مُتَابَعَة السُّنَّة السَّنِيَّة
وَمَدْح الطَّرِيقَة العَلِيَّة النَّقْشَبَنْدِيَّة
قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمُ السَّنِيَّةَ

ثَبَّتَنَا اللهُ - سُبْحَانَهُ - عَلى جادَّةِ الشَّرِيعَةِ المُصْطَفَوِيَّةِ عَلى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ السَّلاَمُ وَعَلى آله الكِرَامِ وَأَصْحَابه العظَام

أَيُّهَا الأَخُ الأَرْشَدُ: إنَّ أَكَابِرَ الطَّرِيقَة العَلِيَّة النَّقْشَبَنْدِيَّة قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمُ التَزَمُوا مُتَابَعَةَ السُّنَّة السَّنِيَّة وَاخْتَارُوا العَمَلَ بالعَزِيمَة فَإِنْ تَشَرَّفُوا بالأَحْوَال **وَالمَوَاجِيد** مَعَ هَذَا الالتِزَامِ وَالاخْتِيَارِ يَعُدُّونَهَا نِعْمَةً عَظِيمَةً وَإِنْ أُعْطُوا **الأَحْوَال وَالمَوَاجِيدَ** وَوَجَدُوا في هَذَا الالتِزَامِ وَالاخْتِيَارِ فُتُورًا لاَ يَقْبَلُونَ تِلْكَ الأَحْوَال وَلاَ يَبْغُونَ تِلْكَ المَوَاجِيدَ وَلاَ يَرَوْنَ في تِلْكَ الفُتُورِ شَيْئًا سِوَى الخِذْلاَنِ فَإِنَّ بَرَاهِمَةَ الهُنُود وجُوكيَّتهم وَفَلاَسِفَةَ اليُونَان لَهُمْ عُلُومٌ كَثِيرَةٌ مِنْ قِسْمِ التَّجَلِّيَات الصُّورِيَّة وَالمُكَاشَفَات المِثَالِيَّة وَلكِنْ لَيْسَتْ لَهَا نَتِيجَةٌ غَيْرُ الفَضِيحَةِ وَالخِذْلاَنِ وَلَيْسَ لَهُمْ مِنْ نَقْدِ الوَقْتِ سِوَى المَقْتِ وَالحِرْمَانِ.

وَحَيْثُ دَخَلَ ذَلكَ الأَخُ بفَضْلِ الله - سُبْحَانَهُ - في سلك إرَادَة هَؤُلاَء الأَكَابِرِ فَلاَ بُدَّ مِنَ التِزَامِ مُتَابَعَتِهِمْ وَاجْتِنَاب مُخَالفَتِهِمْ وَلَوْ مِقْدَارَ شَعْرَةٍ حَتَّى تَكُونَ مُنْتَفِعًا وَمُسْتَفِيدًا مِنْ كَمالاَتهم فَاللاَّزِمُ أَوَّلاً تَصْحِيحُ العَقَائِدِ عَلى وَفْقِ مُعْتَقَدَاتِ أَهْلِ السُّنَّة وَالجَمَاعَة كَثَّرَهمُ اللهُ - سُبْحَانَهُ -.

ثُمَّ تَحْصِيلُ عِلمِ الفَرْضِ وَالوَاجِبِ وَالسُّنَّة وَالمَنْدُوبِ وَالحَلال وَالحَرَامِ وَالمَكْرُوه وَالمُشْتَبَه مِمَّا ذُكِرَ في عِلمِ الفِقْه، وَالعَمَلُ بِمُقْتَضَى هَذه العُلُومِ.

ثَانيًا: ثُمَّ تَصل النَّوْبَةُ إلى عُلومِ التَّصَوُّف.

ثَالثًا: وَمَا لَمْ يَصِحْ هَذَانَ الجَنَاحَان فَالطَّيَرَانُ إلى عَالَمِ القُدْسِ مُحَال.

فَإِنْ حَصَلَتْ الأَحْوَال وَالمَوَاجِيدُ بِدُونِ حُصُول هَذَيْنِ الجَنَاحَيْنِ يَنْبَغِي أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ هَلاَكَكَ فِيهَا وَأَنْ تَتَبَرَّأَ وَتَسْتَعِيذَ مِنْهَا، (ع):

هَذَا هُوَ الأَمْرُ والبَاقِي خَيَالاَتٌ

{وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إلاَّ البَلاَغُ}[1].

وَقَدَّمَ أَخِي الشَّيْخُ مِيَّانُ دَاوُدُ هُنَاكَ يَنْبَغِي اغْتِنَامُ صُحْبَتِهِ وَالانْقِيَادُ لَهُ فِيمَا يَنْصَحُ بِهِ أَوْ يَدُلُّ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ كَثِيرُ الصُّحْبَةِ بِمُرِيدِي هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ وَتَعْلَمُ طَرِيقَتَهُمْ وَسِيرَتَهُمْ كَمَا يَنْبَغِي.

وَلْيَغْتَنِمْ الأَصْحَابُ المَوْجُودُونَ هُنَاكَ الدَّاخِلُونَ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ بِوَاسِطَةِ المِيرِ نُعْمَانَ صُحْبَةَ المُشَارِ إِلَيْهِ لِيَكُنِ اجْتِمَاعُهُمْ وَجُلُوسُهُمْ فِي حَلْقَةٍ وَاحِدَةٍ فَانِيًا كُلُّ وَاحِدٍ فِي الآخَرِ حَتَّى تَحْصُلَ الجَمْعِيَّةُ وَتَتَرَقَّى المُعَامَلَةُ.

وَيَنْبَغِي أَيْضًا التِزَامُ مُطَالَعَةِ المَكْتُوبَاتِ فَإِنَّهَا نَافِعَةٌ (ع):

دَلَلْتُكَ يَا هَذَا عَلَى كَنْزِ مَقْصَدِ.

{وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[2] وَالتِزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَأَكْمَلُ التَّسْلِيمَاتُ.

---

(١) ـــ الآية: ٩٩ من سورة المائدة.

(٢) ـــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالثَّلاثُونَ وَالمائَتَان
إلى المَيْرِ مُحَمَّد نُعْمَانَ
في الحَثِّ عَلى تَكْثيرِ الإخْوَان
وَالتَّحْذيرِ عَنِ العَجَبِ مِنْ أَحْوَالِ المُريدِينَ
وَبَيَانِ ضَرَرِهِ وَمَا يُنَاسِبُهُ

الحَمْدُ لله رَبِّ العَالمِينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلى سَيِّدِ المُرْسَلينَ وَعَلى آلِه الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ أَجْمَعِينَ.

وَصَلَ المَكْتُوبُ الشَّرِيفُ المُرْسَل صُحْبَةَ كَسٍّ خواجهْ الرَّحْمي وَصَارَ مُوجبًا لفَرَحٍ وَافِرٍ وَحَيْثُ انْدَرَجَ فيهِ أَحْوَال مُسْتَرْشِديكُمْ وَمُرِيديكُمْ بِالتَّفْصِيل زَادَ الفَرَحُ فَإِنَّ فِي الإِكْثَارِ مِنَ الإِخْوَان بِمُوجَب: أَكْثِرُوا إِخْوَانَكُمْ فِي الدِّينِ رَخَاءً كَثِيرًا.

وَقَوْلُهُ تَعَالى: {سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ}[1] مُؤَيِّدٌ لهَذَا المَعْنَى أَيْضًا وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَطْمَحُ النَّظَرِ وَمَوْقِعُهُ أَحْوَالَ نَفْسِكَ وَأَعْمَالكَ وَالملحُوظُ سُكُونُكَ وَحَرَكَتُكَ لِئَلاَّ تَكُونَ تَرَقِّيَاتُ المُرِيدِينَ بَاعِثَةً عَلى تَوَقُّفِ الشُّيُوخِ.

وَحَرَارَةُ المُسْتَرْشِدِينَ مُوَرِّثَةٌ لِلبُرُودَةِ فِي طَلَبِ المُرْشِدِينَ؛ وَلِهَذَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ خَائِفًا وَوَجِلاً مِنْ هَذَا المَعْنَى وَأَنْ تَرَى أَحْوَالَ المُرِيدِينَ وَمَقَامَاتِهِمْ كَالنَّمِرِ وَالأَسَد فَضْلاً عَنِ المُفَاخَرَةِ وَالمُبَاهَاة بِهَا لِئَلاَّ يُفْتَحَ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ أَبْوَابُ العَجَبِ بَل يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ تَرَقِّيَاتُ المُرِيدِينَ بِحُكْمِ الحَيَاءِ شُعْبَةً مِنَ الإِيمَانِ بَاعِثَةً عَلى الحَيَاءِ والخَجالة.

وَالانْفِعَال وَحَرَارَةُ طَلَبِ الطَّالبِينَ مُوجِبَةٌ لِلغَيْرَةِ وَالعَبْرَةِ وَزِيَادَةِ الاشْتِغَال.

وَيَنْبَغِي أَيْضًا: أَنْ يَكُونَ رُؤْيَةُ قُصُورِ الأَعْمَال وَاتِّهَامُ النِّيَّات لاَزِمَ الوَقْت، وَأَنْ يَكُونَ لِسَانُ الحَال مَرْطُوبًا مِنْ كَلِمَة هَل مِنْ مَزِيد وَإِنْ كَانَ المُتَوَقَّعُ مِنْ أَوْضَاعِكُمْ المَحْمُودَةِ المَقْبُولة أَمْثَال هَذه المُعَامَلاَت وَلَكِنْ صَدَرَ التَّأْكِيدُ وَالمُبَالغَةُ بِمُلاَحَظَة مَكِيدَة أَعْدَاءِ الدِّينِ الأَمَّارَة وَاللعين فَلاَ تَقَعُ البُرُودَةُ فِي حَرَارَةِ التَّوَجُّه إِلى الطَّالبِينَ؛ لأَنَّ المَقْصُودَ الجَمْعُ بَيْنَ هَاتَيْنِ الدَّوْلَتَيْنِ وَالاقْتِصَارُ عَلى أَحَدِيهِمَا قُصُورٌ.

---

(١) ـــ الآية ٣٥ من سورة القصص.

وَيَنْبَغِي أَنْ يَحْضُرَ الخواجهْ الرَّحْمِيِّ وَالسَّيِّدُ أَحْمَدُ مَجْلسَكُمْ وَعَلَيْكُمْ أَيْضًا رِعَايَةُ التَّوَجُّه فِي شَأْنِهِمَا عَلى الوَجْه الأَتَمِّ فَإِنْ وُفِّقَ المَيْرُ عَبْدُ اللطيف أَيْضًا للتَّوْبَة يَنْبَغِي أَنْ تَمُدَّهُ لِتَحْصُلَ لهُ الاسْتِقَامَةُ.

وَكَتَبْتُ أَيْضًا أَنَّ بَعْضَ الطَّالبِينَ يُرِيدُونَ الطَّرِيقَةَ القَادِرِيَّةَ يَنْبَغِي أَنْ لاَ تُعْلمَ أَحَدًا أَصْلاً طَرِيقَةً غَيْرَ الطَّرِيقَة النَّقْشَبَنْدِيَّة حَتَّى لاَ يَكُونَ خَلطٌ بَيْنَ الطَّرِيقَتَيْن.

وَأَمَّا لوْ طَلبُوا الكَلاَةَ وَالشَّجَرَةَ فَلكَ أَخْذُ المُرِيد وَلكنْ مُرْهُمْ بِالصُّحْبَة وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلى سَائرِ أَصْحَابكُمْ وَأَحْبَابكُمْ وَعَلى سَائرِ مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالثَّلاَثُونَ وَالمِائَتَانِ
إلى الملا حَمَدَ البَرْكِيِّ
فِي جَوَابِ اسْتِفْسَارَاتِه

الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلى سَيِّدِ المُرْسَلِينَ وَآله وَأَصْحَابه الطَّاهِرِينَ أَجْمَعِينَ:

قَدْ صِرْتُ مُبْتَهِجًا وَمَسْرُورًا بِمُطَالَعَة مَضَامِين الصَّحِيفَة الكَرِيمَة المُرْسَلَة عَلى وَجْه الشَّفَقَة وَالرَّأْفَة وَقَدْ كَتَبْتُ فِيهَا أَنَّ عَرَضَ الأَحْوَال إِنَّمَا هِيَ عَلى تَقْدِيرِ حُصُول الأَحْوَال إلخ.

أَيُّهَا المَخْدُومُ: إنَّ المَقْصُودَ مِنْ حُصُول الأَحْوَال التَّعَلقُ وَالارْتِبَاطُ بِمُحَوِّل الأَحْوَال فإذَا حَصَلَ هَذَا التَّعَلقُ فَلاَ ضَرَرَ مِنْ عَدَمِ حُصُول الأَحْوَال.

وَكَتَبْتُ أَيْضًا أَنَّهُ قَدْ ذُكِرَ فِي الحُضُورِ أَنِّي أَكْثَرْتُ مِنْ إلقَاء البُذُور فِي حَقِّكُمْ إلخ (أَيُّهَا المَخْدُومُ، الوَاقِعُ كَذَلكَ لكِنَّ حُصُول الثَّمَرَات مَنُوطٌ بِمُرُورِ الدُّهُورِ وَالأَوْقَات حَال الحَيَات وَبَعْدَ المَمَات أَبْشِرْ وَلاَ تَعْجَل.

وَكَتَبْتُ أَيْضًا مِنْ مَقَالة مَوْلاَنَا مُحَمَّد صَالحٍ وَلَمْ يَكُنْ مَوْلاَنَا المَذْكُورُ حَاضِرًا حَتَّى يَتَفَهَّمَ مُرَادَه فَلاَ نَتَعَرَّضُ لها وَلكِنَّهُ خَيْرٌ لاَ يَخْطُرُ مِنْهُ شَيْءٌ فِي الخَاطِر.

وَكَتَبْتُ أَيْضًا مِنْ صُدُورِ سُوءِ الأَدَبِ: زَلاَّتُ المُخْلصِينَ مَعْفُوٌّ عَنْهَا لاَ يَقَعُ غُبَارٌ فِي الخَاطِرِ وَطَلَبْتُ البَحْثَ وَالتَّفْتِيشَ مِنْ أَحْوَالكَ لله - سُبْحَانَهُ - الحَمْدُ وَالمِنَّة قَدْ كُنْتُ مِنَ المَقْبُولينَ قَبْل مِنْ قَبْل بِلاَ علة.

وَكَتَبْتُ أَيْضًا أَنَّهُ حَضَرَ اثْنَان مِنْ أَوْلاَد المَشَايِخ لتَلقِّي الذِّكْرِ إلخ (أَيُّهَا المَخْدُومُ،، إنَّ الاسْتِخَارَةَ مَسْنُونَةٌ فِي جَمِيعِ الأُمُورِ وَمُبَارَكَةٌ وَلكِنْ لاَ يَلزَمُ أَنْ يَظْهَرَ بَعْدَ الاسْتِخَارَة شَيْءٌ فِي المَنَامِ أَوْ فِي الوَاقِعَة أَوْ فِي اليَقْظَة يَدُل عَلى الفعْلِ وَالتَّرْك بَل يَنْبَغِي الرُّجُوعُ بَعْدَ الاسْتِخَارَة إلى القَلب فَإنْ كَانَ المَيْل وَالإقْبَال إلى الأَمْرِ المَطْلوب أَزْيَدَ مِنَ الأَوَّل فَفِيه دَلالَةٌ عَلى الفعْل وَإنْ كَانَ مِثْل مَا كَانَ سَابقًا بِلاَ زِيَادَة وَلاَ نُقْصَان فَلاَ مَنْعَ فِي هَذه الصُّورَة أَيْضًا.

وَتَكَرُّرُ الاسْتِخَارَة فِي هَذه الصُّورَة إلى أَنْ تُفْهَمَ الزِّيَادَةُ فِي الإقْبَال وَنِهَايَةُ تَكْرَارِ الاسْتِخَارَة إلى سَبْع مَرَّات.

وَمَتَى فُهِمَ النُّقْصَانُ فِي الإِقْبَال بَعْدَ أَدَاءِ الاسْتِخَارَةِ فَهُوَ دَلِيل عَلَى المَنْعِ وَلاَ بَأْسَ فِي تَكْرَارِ الاسْتِخَارَةِ فِي هَذِه الصُّورَةِ أَيْضًا بَل التَّكْرَارُ أَوْلى وَأَنْسَبُ فِي جَمِيعِ التقادِيرِ وَأَحْوَطُ فِي الإِقْدَامِ وَالإِحْجَامِ.

وَسَأَلتَ عَنْ مَعْنَى عِبَارَةِ رِسَالَةِ المَبْدَأ وَالمَعَادِ وَالمُحَرَّرَةِ فِي بَيَانِ الجَسَدِ المُكْتَسَبِ مِنَ الرُّوحِ.

أَيُّهَا المَخْدُومُ: إِنَّ مُبَاشَرَةَ الرُّوحِ للأَفْعَالِ المُنَاسِبَةِ للأَجْسَامِ إِنَّمَا هِيَ بِوَاسِطَةِ ذَاكَ الجَسَدِ المُكْتَسَبِ مِنَ الرُّوحِ وَمِنْ هَذَا القَبِيلِ الإِمْدَادَاتُ الصَّادِرَةُ مِنْ رُوحَانِيَّةِ الأَكَابِرِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمُ المُنَاسِبَةِ للأَجْسَامِ كَإِهْلاَكِ الأَعْدَاءِ وَنُصْرَةِ الأَحِبَّاءِ بِوُجُوهٍ مُخْتَلِفَةٍ وَأَنْحَاءٍ شَتَّى.

وَصَدَرَ طَلَبُ الأَمَانِ مِنْ فِتْنَةِ الظُّلْمَةِ قَدْ جَعَلَكَ اللهُ بَل تِلكَ البُقْعَةَ مَحْفُوظًا مِنْ شَرِّ تِلكَ الظُّلْمَةِ فَكُونُوا مُتَوَجِّهِينَ إِلى جَنَابِ قُدْسِه تَعَالى وَتَقَدَّسَ بِفَرَاغِ الخَاطِرِ وَنَرْجُو أَنْ لاَ يَكُونَ ذَلِكَ الحِفْظُ مُوَقَّتًا بِوَقْتٍ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ المَغْفِرَةِ.

وَلكِنْ يَنْبَغِي نَصِيحَةُ أَهْلِ تِلكَ الدِّيَارِ وَتَحْذِيرُهِمْ عَنْ تَغْيِيرِ وَضْعِ الصَّلاَحِ وَإِرَادَةِ الخَيْرِ للمُسْلِمِينَ قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ - (إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الأَرْبَعُونَ وَالمائَتَان
إلى الشَّيْخِ يُوسُفُ البَرْكيِّ
في بَيَان عَدَمِ نِهَايَة هَذَا الطَّرِيق
وَبَعْضِ فَوَائِدِ كَلِمَةِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ

الحَمْدُ لله وَسَلاَمٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى:

وَصَلتْ الرِّسَالةُ المُشْتَمِلةُ عَلَى أَحْوَالكُمْ الخَيْرِ فَصَارَتْ مُطَالعَتُهَا بَاعِثَةً عَلى المَسَرَّةِ (ع):

وَكَمْ في العشْقِ منْ عَجَب عَجِيب

وَلكنْ يَنْبَغي التَّرَقِّي منَ الأَحْوَالَ وَالوُصُول إلى مُحَوِّل الأَحْوَال وَهُنَاكَ كُلهُ جَهَالةٌ وَنَكَارَةٌ فَإِنْ تَيَسَّرَ التَّشَرُّفُ بَعْدَ ذَلكَ بالمَعْرِفَة فَحَبَّذَت الدَّوْلةُ وَبالجُمْلة إنَّ كُلمَا يَدْخُل تَحْتَ الرُّؤْيَة وَالخَيَال فَهُوَ قَابل للنَّفْي وَإِنْ كَانَ ذَلكَ شُهُودَ الوَحْدَةَ في الكَثْرَة فَإِنَّ الكَثْرَةَ لاَ تَسَعُ تلكَ الوَحْدَةَ وَالذي يَرَى فَهُوَ شَبْحُ تلكَ الوَحْدَةَ وَمثَالهُ لاَ هِيَ نَفْسُهَا فَالمُنَاسِبُ لحَالكُمْ في هَذَا الوَقْتِ تَكْرَارُ كَلمَةِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ عَلى وَجْه لاَ تَتْرُكُ شَيْئًا يَدْخُل تَحْتَ العلمِ وَالإِدْرَاك وَيَنْجَرُّ الأَمْرُ إلى الحَيْرَة وَالجَهَالة وَتَنْتَهِي المُعَامَلةُ إلى حَدِّ الفَنَاء وَمَا لَمْ يَنْجَرَّ الأَمْرُ إِلى الحَيْرَةِ وَالجَهْل لاَ نُصِيبُ مِنَ الفَنَاءِ وَمَا حَسبْتَهُ فَنَاءً فَهُوَ مُعَبَّرٌ عَنْهُ بالعَدَمِ لاَ الفَنَاء.

فَإِذَا تَيَسَّرَ الوُصُول إلى الجَهْل وَحَصَل الفَنَاءُ يُوضَعُ القَدَمُ عَلى هَذَا الطَّرِيقِ وَأَيْنَ الوَصْل وَإلى مَنِ الاتِّصَال، شعْرٌ.

كَيْفَ الوُصُول إلى سُعَادَ وَدُونَهَا قُلل الجبَال وَدُونَهُنَّ حُيُوفُ

وَأَحْوَالك صَحِيحَةٌ وَلكنَّ التَّعَدِّيَ والتَّرَقِّيَ عَنْهَا لاَزِمٌ.

{وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[1] وَبَقيَّةُ النُّصْحِ الاسْتقَامَةُ عَلى الشَّرِيعَة وَتَطْبِيقُ الأَحْوَال عَلى الأُصُول الشَّرْعِيَّةِ فَإِنْ ظَهَرَ عياذًا بِاللهِ - سُبْحَانَهُ - خِلاَفُ

---

(١) ـــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

الشَّرِيعَة قَوْلاً وَفعْلاً يَنْبَغِي أَنْ تَعْتَقِدَ أَنَّ فِيهِ هَلاَكَكَ وَهَذَا هُوَ طَرِيقُ أَرْبَابِ الاِسْتِقَامَةِ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الحادي وَالأَرْبَعُونَ وَالمِائَتَانِ
إلى مَوْلاَنَا مُحَمَّد صَالِحٍ
فِي بَيَانِ تَرَقِّي بَعْضِ الأَصْحَابِ

بَعْدَ الحَمْدِ وَالصَّلاَةِ لِيَكُنْ مَعْلومًا لأَخِي الأَرْشَدِ أَنَّ أَحْوَالَ هَذه الحُدُود مُسْتَوْجَبَةٌ للحَمْد وَالأَصْحَابُ المَوْجُودُونَ هُنَا فِي فَرَحٍ وَسُرُورٍ خُصُوصًا مَوْلاَنَا مُحَمَّدَ صدِّيق فَإِنَّهُ تَشَرَّفَ فِي هَذه الأَيَّام بعنَايَة الله - سُبْحَانَهُ - بالولاَيَة الخَاصَّة وَالتَّحقُّقِ بالاسْمِ الكُلي مُتَرَقِّيًا منَ الاسْمِ الجُزْئِيِّ وَنَظَرُهُ مَعَ ذَلكَ إلى فَوْق.

وَعَسَاهُ أَنْ يَميلَ إلى الرُّجُوعِ بَعْدَ تَحْصيل نَصيب وَافرٍ منْ هُنَاكَ وَالله يَخْتَصُّ برَحْمَته مَنْ يَشَاءُ وَيَنْبَغِي لك أَنْ تَكْتُبَ أَحْوَالكَ وَأَحْوَالَ الأَصْحَابِ الذينَ دَخَلوا فِي الطَّرِيقَة وَالذينَ يَدْخُلونَ الآنَ وَأَنْ تُقيمَ هُنَاكَ أَيَّامًا وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّانِي وَالأَرْبَعُونَ وَالمِائَتَانِ
إلى الملا بَديعِ الدِّين
في جَوَاب أَسْئلته

وَبَعْدَ الحَمْدِ وَالصَّلَوَاتِ وَتَبْلِيغِ الدَّعَوَاتِ لِيَكُنْ مَعْلومًا لأَخِي الأَعَزِّ أَنَّ الدَّرْوِيشَ كَمَال بَلغَ الصَّحِيفَةَ الشَّرِيفَةَ فَصَارَتْ مُوجِبَةً للفَرَحِ وَانْدَرَجَ فِيهَا بَيَانُ رُؤْيَةِ القُصُورِ وَاتِّهَامُ النِّيَّاتِ فِي الأَعْمَال فَاتَّضَحَ ذَلكَ وَالمَسْئُول مِنَ الله - سُبْحَانَهُ - مَزِيدُ هَذه الرُّؤْيَةِ وَالمَطْلوبُ مِنْهُ تَعَالى إِتْمَامُ هَذَا الاتِّهَامِ فَإِنَّ كَلاَ هَذَيْنِ الأَمْرَيْنِ مِنْ مِلاَكِ الأُمُورِ فِي هَذَا الطَّرِيق.

وَسُئلتُ أَيْضًا أَنَّ الاشْتغَال بذكْرِ اسْمِ الذَّاتِ إِلى مَتَى وَكَمْ حُجُبٌ تَرْتَفِعُ مِنَ المُدَاوَمَةِ عَلى هَذَا الاسْمِ وَنِهَايَةُ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ إِلى أَيِّ حَدٍّ وَمَاذَا يَحْصُلُ مِنْ ثَمَرَاتِ هَذه الكَلمَةِ وَكَمْ حُجُبٌ تَرْتَفِعُ بِهَا.

اعْلَـــــمْ: أَنَّ الذِّكْرَ عِبَارَةٌ عَنْ طَرْدِ الغَفْلة وَلَمَّا كَانَ الظَّاهِرُ لاَ بُدَّ لهُ مِنَ الغَفْلة فِي الابْتدَاءِ وَالانْتهَاء كَانَ الظَّاهِرُ مُحْتَاجًا إِلى الذِّكْرِ فِي جَمِيعِ الأَوْقَاتِ بالضَّرُورَةِ غَايَةُ مَا فِي البَابِ أَنَّ الأَنْفعَ فِي بَعْضِ الأَوْقَاتِ ذِكْرُ اسْمِ الذَّاتِ.

وَالأَنْسَبُ فِي وَقْتٍ آخرَ ذِكْرُ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ بَقِيَتْ مُعَامَلةُ البَاطِنِ فَهُنَاكَ أَيْضًا لاَ بُدَّ مِنَ الذِّكْرِ إِلى أَنْ تَرْتَفِعَ الغَفْلةُ بِالكُلِّيَّةِ وَالفَرْقُ بَيْنَ المُبْتَدى وَالمُنْتَهَى فِي لزُومِ الذِّكْرِ هُوَ أَنَّ هَذَيْنِ الذِّكْرَيْنِ مُتَعَيِّنَانِ فِي الابْتدَاءِ وَأَمَّا فِي التَّوَسُّطِ وَالانْتهَاء فَلاَ بَل إِذَا حَصَلَ طَرْدُ الغَفْلة بتلاَوَةِ القُرْآنِ أَوْ أَدَاءِ الصَّلاَةِ جَازَ الاكْتفَاءُ بِهِمَا وَلَكنَّ تلاَوَةَ القُرْآنِ مُنَاسِبَةٌ لحَالِ المُتَوَسِّطِينَ وَأَدَاءَ صَلاَةِ النَّوَافلِ مُنَاسِبٌ لحَالِ المُنْتَهِينَ.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَـــــمَ: أَنَّ حُضُورَ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - إِنْ كَانَ بِمُلاَحَظَة الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ فَهُوَ دَاخلٌ فِي الغَفْلة عِنْدَ المُتَوَجِّهِينَ إِلى الأَحَدِيَّة المُجَرَّدَة وَإِنْ كَانَ ذَلكَ الحُضُورُ دَائمًا فَيَنْبَغِي طَرْدُ هَذه الغَفْلة أَيْضًا وَالسَّيْرُ إِلى مَا وَرَاءَ الوَرَاءِ شِعْرٌ.

وَلاَ تَسْتَقِل هَجْرَ الحَبِيبِ وَإِنْ غَدَا ... قَليلاً وَنصفُ الشِّعْرِ فِي العَيْنِ ضَائرُ

وَكَتَبْتُ مَا ظَهَرَ مِنَ الوَقَائعِ وَقَدْ كُنْتُ كَتَبْتُ قَبْلَ هَذَا أَنَّ أَمْثَال ذَلكَ مُبَشِّرَاتٌ وَمَا جَاءَ وَقْتُ ظُهُورِهَا بَعْدُ فَانْتَظِرْ وَاشْتَغِلْ شِعْرٌ:

كَيْفَ الوُصُول إِلى سُعَادَ وَدُونَهَا ... قُلَلُ الجِبَال وَدُونَهُنَّ حُيُوفُ

وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالأَرْبَعُونَ وَالمِائَتَانِ
إِلى المُلا أَيُّوبَ المُحْتَسِب
فِي التَّرْغِيبِ فِي الطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ العَلِيَّة

بَعْدَ الحَمْدِ وَالصَّلَوَاتِ وَتَبْلِيغِ الدَّعَوَاتِ لِيَكُنْ مَعْلُومًا لأَخِي الأَعَزِّ أَنَّكَ قَدْ طَلَبْتَ النَّصَائِحَ دُفُعَاتٍ فِي مَكَاتِيبَ مُتَعَدِّدَةٍ وَلَكِنْ لَمْ يَقْدِمْ هَذَا الحَقِيرُ عَلَى إِجَابَةِ ذَلِكَ المَسْئُولِ نَظَرًا إِلَى قُبْحِ أَحْوَالِ نَفْسِهِ وَحَيْثُ تَكَرَّرَ الطَّلَبُ أَرَدْتُ أَنْ أَكْتُبَ بِالضَّرُورَةِ فِقْرَاتٍ غَيْرَ مُرْتَبِطَةٍ.

فَاسْتَمِعْ وَاعْلَمْ أَنَّ اللاَّزِمَ لِلإِنْسَانِ الذِي لاَ بُدَّ مِنْهُ وَالمُكَلَّفِ بِهِ امْتِثَالُ الأَوَامِرِ وَالانْتِهَاءُ عَنِ المَنَاهِي {وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} شَاهِدٌ لِهَذَا المَعْنَى حَيْثُ كَانَ مَأْمُورًا بِالإِخْلاَصِ كَمَا قَالَ تَعَالَى {أَلاَ للهِ الدِّينُ الخَالِصُ} وَهُوَ لاَ يُتَصَوَّرُ بِدُونِ الفَنَاءِ وَالمَحَبَّةِ الذَّاتِيَّةِ فَلاَ جَرَمَ كَانَ سُلُوكُ طَرِيقِ الصُّوفِيَّةِ المُحَصِّلَةِ لِلفَنَاءِ أَيْضًا ضَرُورِيًّا لِتَتَحَقَّقَ حَقِيقَةُ الإِخْلاَصِ وَحَيْثُ كَانَتْ طُرُقُ التَّصَرُّفِ فِي مَرَاتِبِ الكَمَالِ وَالتَّكْمِيلِ مُتَفَاوِتَةً كَانَ الأَوْلَى وَالأَنْسَبُ لِلاخْتِيَارِ طَرِيقًا يَكُونُ مُلتَزِمًا لِمُتَابَعَةِ السُّنَّةِ وَأَوْفَقَ بِإِتْيَانِ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَذَلِكَ الطَّرِيقُ هُوَ طَرِيقُ أَكَابِرِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمُ العَلِيَّةَ. فَإِنَّ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرَ التَزَمُوا فِي هَذَا الطَّرِيقِ السُّنَّةَ وَاجْتَنَبُوا البِدْعَةَ بِحَيْثُ لاَ يُجَوِّزُونَ العَمَلَ بِالرُّخْصَةِ مَهْمَا أَمْكَنَ وَإِنْ وَجَدُوهَا نَافِعَةً فِي الظَّاهِرِ وَالبَاطِنِ وَلاَ يَتْرُكُونَ العَمَلَ بِالعَزِيمَةِ وَإِنْ عَلِمُوا أَنَّهَا مُضِرَّةٌ بِالصُّورَةِ فِي السِّيرَةِ وَإِنَّهُمْ جَعَلُوا الأَحْوَالَ وَالمَوَاجِيدَ تَابِعَةً لِلأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَاعْتَقَدُوا الأَذْوَاقَ وَالمَعَارِفَ خَادِمَةً لِلعُلُومِ الدِّينِيَّةِ الأُصُولِيَّةِ وَالفَرْعِيَّةِ لاَ يَسْتَبْدِلُونَ الجَوَاهِرَ النَّفِيسَةَ الدِّينِيَّةَ بِجَوْزِ الوَجْدِ وَمَوْزِ الحَالِ مِثْلَ الأَطْفَالِ وَلاَ يَغْتَرُّونَ بِتُرَّهَاتِ الصُّوفِيَّةِ وَلاَ يُفْتَنُونَ وَلاَ يَعْدِلُونَ مِنَ النُّصُوصِ إِلَى الفُصُوصِ وَلاَ يَلتَفِتُونَ إِلَى الفُتُوحَاتِ المَكِّيَّةِ تَارِكِينَ لِلفُتُوحَاتِ المَدَنِيَّةِ وَمِنْ هَهُنَا كَانَ حَالُهُمْ عَلَى الدَّوَامِ وَوَقْتُهُمْ عَلَى الاسْتِمْرَارِ وَتَلاَشَتْ نُقُوشُ السِّوَى فِي لُجَّةِ بَوَاطِنِهِمْ عَلَى نَهْجٍ لَوْ تَكَلَّفُوا فِي اسْتِحْضَارِ السِّوَى أَلْفَ سَنَةٍ لاَ يَتَيَسَّرُ. وَالتَّجَلِّي الذَّاتِيُّ الذِي هُوَ لِغَيْرِهِمْ كَالبَرْقِ دَائِمِيٌّ لِهَؤُلاَءِ الكُبَرَاءِ وَالحُضُورُ الذِي فِي قَفَاهُ غَيْبَةٌ وَغَفْلَةٌ سَاقِطٌ عِنْدَهُمْ عَنْ حَيِّزِ الاعْتِبَارِ {رِجَالٌ لاَ تُلهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ}.

بَيَانٌ لِحَالِهِمْ وَمَعَ ذَلِكَ كُله إنَّ طَرِيقَهُمْ أَقْرَبُ الطُّرُق وَمُوصِّل أَلبَتَّةَ وَنِهَايَةُ غَيْرِهِمْ مُنْدَرِجَةٌ فِي بِدَايَتِهِمْ وَنسبَتهمُ التِي هِيَ مَنْسُوبَةٌ إلى الصِّدِّيق ﷺ فَوْقَ جَمِيعِ نَسَبِ المَشَايِخِ وَلكِنْ لاَ يُدْرِكُ فَهْمُ كُل أَحَد مَذَاقَ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ بَل يَكَادُ القَاصِرُونَ مِنْ هَذه الطَّرِيقَة العَلِيَّة أَيْضًا يُنْكِرُونَ عَلَى بَعْضِ كَمالاتِهِم شعْرٌ.

إنْ عَابَهُمْ قَاصِرٌ طَعْنًا بِهِمْ سَفَهًا بَرَّأْتُ سَاحَتَهُمْ مِنْ أَفْحَشِ الكَلِمِ

قَال شَاعِرُ العَرَب يَعْنِي الفَرَزْدَقَ:

أُولَئِكَ آبائِى فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ إِذَا جَمَعَتْنَا يَا جَرِيرُ المَجَامِعُ

قَال الخواجهْ أَحْرَارُ - قُدِّسَ سِرُّهُ - إنَّ كُبَرَاءَ هَذه السِّلسلة العَلِيَّة قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ لاَ يُقَاسُونَ عَلى كُل زُرَاق وَرَقَّاصٍ فَإِنَّ مُعَامَلَتَهُمْ عَالِيَةٌ جدًّا شعْرٌ.

لسْتُ أَبْغِي شَرْحَهُ للخَلقِ بَل حَقٌّ أَنْ يَخْفَى كَعِشْقٍ فِي المَثَل

غَيْرَ أَنِّي صِفَتُهُ كَي يَرْغَبُوا فِيه قَبْلَ الفَـوْت كَيْلاً يَحْـزَنُوا

فَلوْ حَرَّرْتَ دَفَاتِرَ فِي بَيَان خَصَائِصِ هَؤُلاَءِ الكُبَرَاءِ وَكَمالاَتِهِم لكَانَ لَها حُكْمُ قَطْرَةٍ فِي جَنْبِ بَحْرٍ لاَ نِهَايَةَ لهُ، (ع):

دَللتُك يَا هَذَا عَلى كَنْزِ مُقْصَد

{وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[1] وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى - عَلَيْه وَعَلى آله مِنَ الصَّلوَاتِ أَفْضَلهَا وَمِنَ التَّسْليمَاتِ أَكْمَلهَا.

---

(١) ـــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالأَرْبَعُونَ وَالمِائَتَان
إِلَى المُلا مُحَمَّد صَالِحٍ الكُولَابِيِّ
فِي جَوَابِ كِتَابِهِ

وَصَلَ المَكْتُوبُ مِنْ أَخِي الأَرْشَد الخواجهْ مُحَمَّد صَالِحٍ وَكَتَبَ فِيهِ مِنْ خَرَابِيَة أَحْوَاله المَرْجُوِّ أَنْ تَكُونَ الأَحْوَال أَشَدَّ خَرَابًا مِنْ ذَلِكَ وَنِهَايَةُ تلكَ الخَرابِيَّة مُنْدَرِجَةٌ فِي مَكْتُوب مُحَرَّر بَاسمِ وَلَدِي الأَرْشَد فِي هَذه الأَيَّام يَنْبَغِي الاطِّلاَعُ عَلَيْهَا طَلَبًا مِنْهُ فَإِنْ تَبَيَّنَ لكُمْ أَنَّ إِقَامَتَكُمْ هُنَاكَ أَيَّامًا تَكُونُ سَبَبًا لِجَمْعِيَّة الأَصْحَاب يَنْبَغِي مُكْثُ أَيَّامٍ أُخرَ هُنَاكَ إِنْ عَلمْتُمْ فِيه خَيْرًا أَوْ صَلاَحًا وَهَذَا الفَقِيرُ أَيْضًا يُرِيدُ فِي هَذه الأَوْقَات سَفَرَ دهلى وَالاسْتخَارَاتُ وَالتَّوَجُّهَاتُ بَوَاعثُ عَلَى هَذَا السَّفَر وَفَوِّضَ هَذَا المَحَل إِلى وَلدِي الأَرْشَد عنَايَةً لَهُ، وَجُعل فِي قَبْضَة ولاَيَته وَالفَقِيرُ قَاعدٌ هُنَاكَ كَالمُسَافر الغَرِيب فِي ولاَيَته وَالأَصْحَابُ الذينَ دَخَلوا فِي الطَّرِيقَة مَخْصُوصُونَ بالدَّعَوَات المُتَوافرَة خُصُوصًا السَّيِّد مُرْتَضَى وَمَوْلاَنَا شُكْرَ الله وَالسَّيِّدَ نظَامَ وَيَبْلغُ وَلَدِي الخواجهْ مُحَمَّدَ صَادقٍ وَسَائرَ الإِخْوَان إِيَّاكُمْ وَسَائرَ الإِخْوَان الدُّعَاءَ.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالأَرْبَعُونَ وَالمِائَتَانِ
إلى الملا صَالِحٍ
فِي جَوَابِ اسْتِفْسَارَاتِهِ

بَعْدَ الحَمْدِ وَالصَّلَوَاتِ وَتَبْلِيغِ الدَّعَوَاتِ لِيَعْلَمِ الأَخُ أَنَّ المَكْتُوبَ الشَّرِيفَ المُرْسَلَ صُحْبَةَ القَاصِدِ وَصَلَ وَصَارَ مُوجِبًا لِلفَرَحِ وَكَتَبْتُ أَنَّ ذِكْرَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ قَدْ بَلَغَ وَاحِدًا وَعِشْرِينَ وَلَكِنْ لاَ تَحْصُلُ المُدَاوَمَةُ وَرُبَّمَا تَظْهَرُ الغَيْبَةُ وَالاسْتِغْرَاقُ.

أَيُّهَـــا المُحِبُّ: الظَّاهِرُ إِنَّ شَرْطًا مِنْ شَرَائِطِ الذِّكْرِ مَفْقُودٌ حَيْثُ لَمْ تَتَرَتَّبِ النَّتِيجَةُ عَلَيْهِ نَسْتَفْسِرُ عَنْهُ بِالمُشَافَهَةِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى وَاسْتَفْسَرْتُ أَيْضًا عَنْ مَعْنَى هَذَا القَوْلِ الذي كَتَبْتُه قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ بَعْدَ إِتْمَامِ أَمْرِهِ: ذِكْرُ اللِّسَانِ لَقْلَقَةٌ وَذِكْرُ القَلْبِ وَسْوَسَةٌ وَذِكْرُ الرُّوحِ شِرْكٌ وَذِكْرُ السِّرِّ كُفْرٌ.

اعْلَمْ أَنَّ: الذِّكْرَ لَمَّا كَانَ مُنْبِئًا عَنِ الذَّاكِرِ، وَالمَذْكُورُ أَيُّ ذِكْرٍ كَانَ وَالمَقْصُودُ فَنَاءُ الذَّاكِرِ وَالذِّكْرُ فِي المَذْكُورِ فَلاَ جَرَمَ قَالَ الذَّاكِرُ لَقْلَقَةً وَوَسْوَسَةً وَشِرْكًا وَكُفْرًا شِعْرٌ.

دَعْ مَا يَصُدُّكَ عَنْ وَصْلِ الحَبِيبِ وَمَا ... يُلهِيكَ عَنْهُ قَبِيحًا كَانَ أَوْ حَسَنًا

وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يُرَى عُرُوضُ هَذِهِ الأَسَامِي لِلذِّكْرِ قَبْلَ حُصُولِ الفَنَاءِ وَالبَقَاءِ فَإِنَّ وُجُودَ الذَّاكِرِ وَثُبُوتَ الذِّكْرِ لَهُ بَعْدَ حُصُولِ الفَنَاءِ لَيْسَ بِمَذْمُومٍ فَإِنْ بَقِيَ خَفَاءٌ فِي هَذَا المَعْنَى يُسْتَفْسَرُ عَنْهُ فِي الحُضُورِ فَإِنَّ حَوْصَلَةَ الكِتَابَةِ ضَيِّقَةٌ فَنِسْبَةُ هَذَا القَوْلِ إِلَى الصِّدِّيقِ خُصُوصًا بَعْدَ إِتْمَامِ أَمْرِهِ غَيْرُ مُسْتَحْسَنَةٍ.

وَاسْتَفْسَرْتَ أَيْضًا عَنْ مَعْنَى مَا كَتَبْتَ أَنَّ الشَّيْخَ أَبَا سَعِيدٍ أَبَا الخَيْرِ طَلَبَ مِنَ الشَّيْخِ أَبِي عَلِيٍّ بْنِ سِينَا دَلِيلاً عَلَى المَقْصُودِ فَكَتَبَ فِي جَوَابِهِ:

أَنْ أُدْخُلْ فِي الكُفْرِ الحَقِيقِيِّ وَاخْرُجْ مِنَ الإِسْلاَمِ المَجَازِيِّ فَكَتَبَ الشَّيْخُ أَبُو سَعِيدٍ إِلَى عَيْنِ القُضَاةِ أَنِّي لَوْ عَبَدْتُ اللهَ أَلْفَ أَلْفِ سَنَةٍ لَمَا حَصَلَ مِنْهَا مَا حَصَلَ مِنْ كَلِمَةِ أَبِي عَلِيٍّ بْنِ سِينَا هَذِهِ فَكَتَبَ عَيْنُ القُضَاةِ: أَنْ لَوْ فَهِمُوا لَكَانُوا مِثْلَ ذَلِكَ المِسْكِينِ مَلُومِينَ مَطْعُونًا فِيهِمْ.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الكُفْرَ الحَقِيقِيَّ عِبَارَةٌ عَنْ رَفْعِ الأُثْنَيْنِيَّةِ وَاسْتِتَارِ الكَثْرَةِ بِالتَّمَامِ الذي هُوَ مَقَامُ الفَنَاءِ وَفَوْقَ ذَلِكَ الكُفْرِ الحَقِيقِيِّ مَقَامُ الإِسْلاَمِ الحَقِيقِيِّ الذي هُوَ مَوْطِنُ البَقَاءِ وَفِي الكُفْرِ الحَقِيقِيِّ مَنْقَصَةٌ تَامَّةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الإِسْلاَمِ الحَقِيقِيِّ.

وَعَدَمُ دَلالة ابْن سِينَا إلى الإسْلَامِ الحَقِيقيِّ مِنْ قُصُورِ نَظَرِه وَفي الحَقِيقَة لَمْ يَكُنْ لهُ نَصِيبٌ مِنَ الكُفْرِ الحَقِيقيِّ أَيْضًا بَل قَال مَا قَال وَكَتَبَ مَا كَتَبَ عَلى وَجْه العلمِ وَالتَّقْليد بَل لَمْ يَأْخُذْ هُوَ حَظًّا وَافرًا مِنَ الإسْلاَمِ المَجَازِيِّ أَيْضًا بَل بَقِيَ فِي الخُرَافَات الفَلسَفيَّة حَتَّى كَفَّرَهُ الإمَامُ الغزَاليُّ.

وَالحَقُّ أَنَّ أُصُولَهُ الفَلسَفيَّةَ مُنَافيَةٌ للأُصُول الإسْلاَميَّة وَأَيْضًا إنَّ زَمَانَ الشَّيْخ أَبي سَعيد مُقَدَّمٌ عَلى زَمَان عَيْنِ القُضَاة بكَثير فَكَيْفَ يَكْتُبُ إليْه فَإنْ بَقيَتْ شَائبَةُ الاشْتبَاه يُسْتَفْسَرُ عَنْهُ فِي الحُضُورِ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالأَرْبَعُونَ وَالمِائَتَانِ

إِلى المِيْرِ مُحَمَّد نُعْمَانَ

فِي بَيَانِ حُصُولِ مَقَامٍ كَانَ يَتَوَقَّعُهُ وَيَتَرَصَّدُهُ

فِي بَيَانِ مَرَاتِبِ الكَمَالِ وَالتَّكْمِيلِ

وَبَيَانِ وَجْهِ فِقْدَانِ التَّوْفِيقِ الذي يَطْرَأُ فِي بَعْضِ الأَوْقَاتِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلى سَيِّدِ المُرْسَلِينَ وَآلِهِ وَأَصْحَابِهِ الطَّاهِرِينَ أَجْمَعِينَ أَوْرَثَتْ الصَّحَائِفُ الشَّرِيفَةُ الوَاصِلَةُ مُتَوَالِيَةً وَمُتَوَاتِرَةً أَفْرَاحًا مُتَوَافِرَةً وَلَمْ يُوجَدْ مَنْ يَتَوَجَّهُ إِلى تِلْكَ الحُدُودِ حَتَّى نَكْتُبَ جَوَابَ كُلٍ مِنْهَا عَلى حِدَةٍ فَالمَرْجُوُّ مُسَامَحَتُكُمْ وَبَعْدَ وُصُولِ مَكْتُوبِ صُحْبَةِ المِيْرِ دَادَ كُنْتُ يَوْمًا قَاعِدًا فِي حَلْقَةٍ مَعَ الأَصْحَابِ بَعْدَ صَلاَةِ الصُّبْحِ فَظَهَرَ تُوَجُّهٌ مِنِّي إِلى جَانِبِكُمْ بِلاَ قَصْدٍ وَصِرْتُ فِي صَدَدِ رَفْعِ بَقَايَا الآثَارِ التِي وَقَعَ النَّظَرُ عَلَيْهَا وَكُنْتُ مُشْتَغِلاً بِكَمَالِ الاهْتِمَامِ بِدَفْعِ الظُّلمَاتِ وَالكُدُورَاتِ المَحْسُوسَةِ حَتَّى صَارَ هِلال كَمَالِكُمْ بَدْرَ التَّمَامِ وَانْعَكَسَ عَلى ذَلكَ البَدْرِ مَا أُودِعَ فِي شَمْسِ الهِدَايَةِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ فِي جَانِبِ الكَمَالِ شَيْءٌ مُتَوَقَّعٌ وَمُنْتَظَرٌ إِلاَّ أَنْ تَتَّسِعَ الأَطْرَافُ بَعْدَ ذَلكَ وَيَأْخُذَ بِقَدْرِ سَعَتِهِ شَيْئًا فَشَيْئًا وَأَدَمْتُ النَّظَرَ إِلى صُورَةِ هَذَا المَعْنَى المِثَالِيَّةِ زَمَانًا طَوِيلاً إِلى أَنْ حَصَلَ اليَقِينُ بِصِدْقِهِ الحَمْدُ للهِ - سُبْحَانَهُ - عَلى ذَلكَ.

وَحُصُولُ هَذِهِ الدَّوْلَةِ هُوَ تَأْوِيلُ تِلْكَ الوَاقِعَةِ التِي رَأَيْتُهَا وَسُئِلتُ حُصُولَهَا بِالمُبَالغَةِ وَالتَّأْكِيدِ للهِ - سُبْحَانَهُ - الحَمْدُ وَالمِنَّةُ قَدْ حَصَلَ مَقْصُودُكُمْ بِالتَّمَامِ وَنُجِّزَ المَوْعُودُ وَوُفِيَ بِالعُهُودِ وَنَرْجُو أَنَّ يَحْصُلَ التَّكْمِيلُ عَلى مِقْدَارِ هَذَا الكَمَالِ وَيُنَوِّرَ أَطْرَافُ تِلْكَ الحُدُودِ مِنْ وُجُودِكُمْ الشَّرِيفِ.

وَكَتَبْتُ شِكَايَةً مِنْ فِقْدَانِ التَّوْفِيقِ وَالظَّاهِرُ أَنَّ سَبَبَهُ قَبْضٌ مُفْرِطٌ وَحَيْثُ كَانَ قَبْضُكُمْ مُفْرِطًا وَطَوِيلَ الذَّيْلِ يَكُونُ مُسَبَّبُهُ أَيْضًا طَوِيلاً عَلى قَدْرِ سَبَبِهِ وَمَعَ ذَلكَ يَنْبَغِي أَنْ تُكَلِّفَ نَفْسَكَ بِإِتْيَانِ الأَعْمَالِ وَأَدَاءِ العِبَادَاتِ وَأَنْ تَكُونَ عَلى ذَلكَ بِالتَّعَمُّلِ.

وَقَدْ صَدَرَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عُلُومٌ عَالِيَةٌ وَمَعَارِفُ سَامِيَةٌ اسْتَصْحَبَ مَوْلاَنَا مُحَمَّدٌ أَمِينٌ مَنْ جُمْلَتِهَا مُسَوَّدَتَيْنِ أَحَدُهُمَا فِي حَلِ شَرْحِ بَعْضِ رُبَاعِيَّاتِ شَيْخِنَا - قُدِّسَ سِرُّهُ - كَتَبْتُهُ حِينَ قِرَاءَةِ الأَصْحَابِ الفَيْرُوزِ آبَادِيِّينَ إِيَّاهَا وَانْدَرَجَ فِي هَذِهِ

الرِّسَالة عُلومُ التَّوْحيد بمُنَاسَبَة مَا انْدَرَجَتْ في تلكَ الرُّبَاعيَّات وَحَصَل فيهَا التَّطْبيقُ بَيْنَ مَا ذَهَبَ إلَيْه العُلمَاءُ وَمَا حَقَّقَهُ الصُّوفيَّةُ القَائلونَ بوَحْدَة الوُجُود وَحَرَّرْتُ هَذه المَسأَلة عَلى نَهْجٍ كَانَ نزَاعُ الفَريقَيْنِ رَاجعًا إلى نزَاعٍ لَفْظيٍّ وَثَانيَتُهمَا منْ تينك المُسَوَّدَتَيْنِ مَكْتُوبٌ حُرِّرَ إلى وَلَدي الأَرْشَد بالبَسْط وَالإطْنَاب يُعْرَفُ عُلوُّ دَرَجَة تلكَ العُلومِ وَقْتَ المُطَالعَة فإنْ بَقيَ أَمْرٌ منْهُ يُسْتَفْسَرُ عَنْهُ.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالأَرْبَعُونَ وَالمِائَتَان
إلى العَارِف المِرْزَا حُسَام الدِّين أَحْمَدَ
فِي بَيَان أَنَّ الدَّلِيل عَلى وُجُود الحَقِّ سُبْحَانَهُ هُوَ عَيْنُ وُجُود الحَقِّ سُبْحَانَهُ لاَ غَيْرُ، وَمَا يُنَاسِبُهُ

عَرَفْتُ رَبِّي بِفَسْخِ العَزَائِمِ لاَ بَل عَرَفْتُ فَسْخَ العَزَائِم برَبِّي - جَل وَعَلاَ - فَإِنَّهُ - سُبْحَانَهُ - الدَّلِيل عَلى مَا سِوَاهُ لاَ العَكْسُ فَإِنَّ الدَّلِيل أَظْهَرُ مِنَ المَدْلُول وَأَيُّ شَيْءٍ أَظْهَرُ مِنْهُ - سُبْحَانَهُ -؛ لأَنَّ الأَشْيَاءَ إِنَّمَا ظَهَرَتْ بِه وَمِنْهُ سُبْحَانُهُ وَتَعَالى فَهُوَ الدَّلِيل عَلى نَفْسه وَعَلى مَا سِوَاهُ فَلاَ جَرَمَ عَرَفْتُ رَبِّي بِرَبِّي وَعَرَفْتُ الأَشْيَاءَ بِه تَعَالى فَالبُرْهَانُ ههنا لمي وَزَعَمَ الأَكْثَرُ أَنَّهُ إِنِّي وَالتَّفَاوُتُ بتَفَاوُت النَّظَر وَالاخْتلاَفُ باخْتلاَف النَّظَر بَل لاَ مَجَال للاسْتدْلال وَالبُرْهَان ثَمَّةَ إذْ لاَ خَفَاءَ فِي وُجُوده - سُبْحَانَهُ - وَلاَ رَيْبَ فِي ظُهُوره تَعَالى فَهُوَ أَجْلى البَديهيَّات وَمَا خَفِيَ ذَلكَ عَلى أَحَد إلاَّ لمَرَض فِي قَلبه وَغشَاوَة عَلى بَصَره وَالأَشْيَاءُ مَحْسُوسَةٌ بالحَوَاسِّ الظَّاهِرَة وَمَعْلُومٌ أَنَّ وُجُودَهَا مِنْهُ تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَفقْدَانُ هَذَا العلم فِي البَعْض بوَاسطَة عُرُوض المَرَض لاَ يَضُرُّ فِي المَطْلُوب وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلى سَائر مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّامنُ وَالأَرْبَعُونَ وَالمِائَتَان
إلى العالي الجَنَاب المِرْزَا حُسَام الدِّين أَحْمَدَ أَيْضًا
في بَيَان أَنْ لكَمال اتِّبَاعِ الأَنْبيَاء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ نَصيبًا من جَميعِ كَمالاتِهم بالتَّبعيَّة وَأَنَّهُ لاَ يَبْلغ وَلِيٌّ قَطُّ دَرَجَةَ نَبيٍّ من الأَنْبيَاء وَبَيَانُ مَعْنَى قَوْلِهمْ: إِنَّ التَّجَلِيَ الذاتيَّ مَخْصُوصٌ بنَبيِّنَا عَلَيْه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَغَيْره

الحَمْدُ لله الذي هَدَانَا لهَذَا وَمَا كُنَّا لنهتديَ لوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللهُ **لقَدْ جاءَتْ** رُسُل رَبِّنَا بالحَقِّ صَلوَاتُ الله وَسَلاَمُه - سُبْحَانَهُ - عَلَيْهِمْ **وَعَلى أَتْبَاعِهِمْ وَأَعْوَانِهِمْ** وَخَزِينَة أَسْرَارِهِمْ.

اعْلَمْ إِنْ كَمال اتِّبَاعِ الأَنْبيَاء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يَجْذِبُونَ إِلى أَنْفُسِهِمْ منْ جهَة كَمَال المُتَابَعَة وَفَرْط المَحَبَّة بَل بمَحْضِ العنَايَة وَالمَوْهبَة جَميعَ كَمَالاَت أَنْبيَائِهِمُ المَتْبُوعينَ وينصبغون بلوْنهِمْ بالكُلِّيَّة حَتَّى لاَ يَبْقى فَرْقٌ بَيْنَ المَتْبُوعِ وَالتَّابعِ إِلاَّ بالأَصَالة وَالتَّبَعيَّة وَالأَوَّليَّة والآخريَّة وَمَعَ ذَلكَ لاَ يَبْلغُ تَابعٌ نَبيًّا قَطُّ وَإِنْ كَانَ منَ اتِّبَاعِ أَفْضَل الرُّسُل مَرْتَبَةً نَبيٍّ أَصْلاً وَلوْ كَانَ مَنْ أَدْوَن الأَنْبيَاء وَلهَذَا يَكُونُ رَأْسُ الصِّدِّيقِ ﷺ الذي هُوَ أَفْضَل البَشَرِ بَعْدَ الأَنْبيَاء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ تَحْتَ قَدَمِ نَبيٍّ أَسْفَل منْ جَميعِ الأَنْبيَاء دَائمًا وَمنْ هَهُنَا كَانَتْ مَبَادي تَعَيُّنَات الأَنْبيَاء وَأَرْبَابهِمْ منْ مَقَامِ الأَصْل وَمَبَادي تَعَيُّنَات الأُمَمِ مَنَّ الأَعَالي وَالأَسَافل وَأَرْبَابهِمْ منْ مَقَامَات ظلال ذَلكَ الأَصْل عَلى تَفَاوُت الدَّرَجَات فَكَيْفَ تُتَصَوَّرُ المُسَاوَاةُ بَيْنَ الأَصْل وَالظِّل قَال اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالى {وَلقَدْ سَبَقَتْ كَلمَتُنَا لعبَادنَا المُرْسَلينَ إِنَّهُمْ لهُمُ المَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنْدَنَا لهُمُ الغَالبُونَ}

وَمَا قيل إِنَّ التَّجَليَ الذاتيَّ مَخْصُوصٌ منْ بَيْنِ الأَنْبيَاء بخَاتَمِ الرُّسُل عَلَيْه وَ - **عَلَيْهِمُ** الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَلكَمَال اتِّبَاعه ﷺ نَصيبٌ منْ ذَلكَ التَّجَلي ليْسَ مَعْنَاهُ أَنَّ التَّجَلِّيَ الذاتيَّ لاَ نَصيبَ منْهُ للأَنْبيَاء سوَاهُ وَإِنَّ منْهُ نَصيبًا لكَمال اتِّبَاعه بالتَّبَعيَّة حَاشَا وَكَلاَّ منْ أَنْ يُتَصَوَّرَ هَذَا المَعْنَى فَإِنَّ فيه إِثْبَاتَ المَزيَّة للأَوْليَاء عَلى الأَنْبيَاء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بَل مَعْنَاهُ أَنَّ حُصُول التَّجَلي لغَيْره ﷺ بتَطَفُّله وَتَبَعيَّته عَلَيْه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ **فَحُصُوله** للأَنْبيَاء بتَطَفُّله ﷺ وَلكَمَال اتِّبَاعه بتَبَعيَّته عَلَيْه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

فَالأَنْبِيَاءُ جُلَسَاؤُهُ عَلَيْهِ وَ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - عَلَى خُوَانِ هَذِهِ النِّعْمَةِ العُظْمَى المَخْصُوصَةِ بِهِ بِتَطَفُّلِهِ ﷺ.

وَالأَوْلِيَاءُ خُدَّامُهُ النَّائِلُونَ لِلحِصَّةِ مِنْهَا وَشَتَّانَ بَيْنَ الجُلَسَاءِ المُتَطَفِّلِينَ وَالخَادِمِينَ النَّائِلِينَ لِلحِصَّةِ وَهَذَا المَقَامُ مِنْ مَزَالِ الأَقْدَامِ وَقَدْ ذَكَرْتُ فِي مَكَاتِيبِي وَرَسَائِلِي فِي تَحْقِيقِ هَذِهِ الشُّبْهَةِ وُجُوهًا شَتَّى وَالحَقُّ مَا حَقَّقْتُ فِي هَذِهِ المُسَوَّدَةِ بِفَضْلِ اللهِ وَكَرَمِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَاعْلَمْ أَنَّ سَائِرَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَإِنْ كَانَ لَهُمْ نَصِيبٌ وَافِرٌ مِنْ هَذَا التَّجَلِّي بِتَطَفُّلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَلَكِنْ يَظْهَرُ أَنَّ هَذِهِ الوِلَايَةَ الخَاصَّةَ لَمْ تَسرِ إِلَى أَوْلِيَاءِ أُمَمِهِمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ حَظٌّ وَافِرٌ مِنْ هَذَا التَّجَلِّي فَإِنَّ حُصُولَ هَذِهِ الدَّوْلَةِ لِأُصُولِهِمْ إِذَا كَانَ بِطَرِيقِ التَّطَفُّلِ وَالانْعِكَاسِ فَمَاذَا يَحْصُلُ لِلفُرُوعِ بِطَرِيقِ عَكْسِ العَكْسِ وَمِصْدَاقُ هَذَا المَعْنَى الكَشْفُ الصَّرِيحُ لَا الاسْتِدْلَالُ العَقْلِيُّ وَمَا ذُكِرَ سَابِقًا مِنْ أَنَّ كُمَّالَ الأَتْبَاعِ يَجْذِبُونَ كَمَالَاتِ المَتْبُوعِينَ بِالتَّمَامِ فَالمُرَادُ بِهِ الكَمَالَاتُ الأَصْلِيَّةُ لِلمَتْبُوعِينَ لَا مُطْلَقًا حَتَّى يَتَحَقَّقَ التَّنَاقُضُ بَلْ هُمْ مُحْتَظُونَ مِنْ وِلَايَةٍ مَخْصُوصَةٍ بِنَبِيِّهِمْ بِالتَّبَعِيَّةِ وَهَذِهِ الأُمَّةُ مَخْصُوصَةٌ مِنْ بَيْنِ الأُمَمِ بِهَذَا التَّجَلِّي بِالتَّبَعِيَّةِ مُشَرَّفٌ بِهَذِهِ الدَّوْلَةِ العُظْمَى وَلِهَذَا كَانَتْ خَيْرَ الأُمَمِ وَكَانَ عُلَمَاؤُهَا كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَكْتُبَ نُبْذَةً مِنْ فَضَائِلِ هَذِهِ الوِلَايَةِ الخَاصَّةِ وَخَصَائِصِهَا وَلَكِنْ لَمْ يُسَاعِدِ الوَقْتُ ذَلِكَ لِضِيقِهِ وَلَمْ يَفِ الوَرَقُ.

وَيُفَاضُ العُلُومُ وَالمَعَارِفُ بِعِنَايَةِ اللهِ - سُبْحَانَهُ - مِثْلَ مَطَرِ الرَّبِيعِ وَيَحْصُلُ الاطِّلَاعُ عَلَى عَجَائِبَ وَغَرَائِبَ وَمَحَارِمِ هَذِهِ الأَسْرَارِ.

أَوْلَادِي الكِرَامُ: عَلَى قَدْرِ الاسْتِعْدَادِ وَبَقِيَّةُ الأَصْحَابِ أَيَّامًا فِي الحُضُورِ وَأَيَّامًا فِي الغَيْبَةِ وَلِذَا قِيلَ: الوَلِيُّ وَإِنْ كَانَ وَلِيًّا لَا يَبْلُغُ مَرْتَبَةَ صَحَابِيٍّ، وَشَوْقُ نَيْلِ المُلَازَمَةِ فَوْقَ الحَدِّ وَقَدْ تَشَرَّفْتُ بِوُرُودِ الصَّحِيفَةِ الكَرِيمَةِ المُرْسَلَةِ إِلَى هَذَا الحَقِيرِ.

اعْلَمْ أَنَّ رُؤْيَةَ القُصُورِ فِي الأَعْمَالِ مِنْ أَجَلِّ النِّعَمِ وَأَمَّا الاقْتِصَادُ فِي الأَحْوَالِ فَمَحْمُودٌ فِي جَمِيعِ الأُمُورِ وَالأَفْعَالِ وَالإِفْرَاطُ كَالتَّفْرِيطِ خَارِجٌ عَنْ حَدِّ الاعْتِدَالِ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى سَائِرِ مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالأَرْبَعُونَ وَالمِائَتَانِ
إِلى المِرْزَا دَارَابَ
فِي فَضَائِلِ اتِّبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ
وَمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ

الحَمْدُ للهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الذينَ اصْطَفَى اعْلَمْ أَنَّ الخَلَاصَ الأُخْرَوِيَّ وَالفَلَاحَ السَّرْمَدِيَّ مَنُوطٌ بِمُتَابَعَةِ سَيِّدِ الأَوَّلِينَ وَالآخَرِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَتَمُّ الصَّلَوَاتِ وَأَكْمَلُ التَّسْلِيمَاتِ وَلِذَا يُوصَلُ بِمُتَابَعَتِهِ إِلى مَقَامِ المحبوبِيَّةِ لِلحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَبِهَا يَتَشَرَّفُ بِالتَّجَلِّي الذاتِيِّ وَبِهَا يَمْتَازُ بِمَرْتَبَةِ العَبْدِيَّةِ التِي هِيَ فَوْقَ جَمِيعِ مَرَاتِبِ الكَمَالِ،

وَحُصُولُهَا بَعْدَ حُصُولِ مَقَامِ المَحبوبِيةِ وَبِهَا جُعِلَ كَمَالُ اتِّبَاعِهِ مِثْلَ أَنْبِيَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَيَتَمَنَّى الأَنْبِيَاءُ أُولو العَزْمِ مُتَابَعَتَهُ لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا فِي زَمَنِهِ مَا وَسِعَهُ إِلاَّ اتِّبَاعُهُ.

وَقِصَّةُ نُزُولِ رُوحِ اللهِ وَمُتَابَعَتِهِ حَبِيبَ اللهِ مَعْلُومَةٌ وَمَشْهُودَةٌ وَصَارَتْ أُمَّتُه بِوَاسِطَةِ مُتَابَعَتِهِ خَيْرَ الأُمَمِ وَأَكْثَرَ أَهْلِ الجَنَّةِ وَبِسَبَبِ مُتَابَعَتِهِ يَدْخُلونَ الجَنَّةَ غَدًا قَبْلَ جَمِيعِ الأُمَمِ وَيَتَنَعَّمُونَ فِيهَا كَذَا وَكَذَا ثُمَّ كَذَا وَكَذَا فَعَلَيْكُمْ بِمُتَابَعَتِهِ وَالتِزَامِ سُنَّتِهِ وَإِتْيَانِ شَرِيعَتِهِ عَلَيْهِ وَعَلَى جَمِيعِ إِخْوَانِهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلُهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا وَبَقِيَّةُ المَرَامِ أَنِّي فَوَّضْتُ إِلَيْكَ الشَّيْخَ إِسْمَاعِيلَ وَهُوَ مِنْ أَحْبَابِ صَاحِبِ المَعَارِفِ الحَاجِّ عَبْدِ الحَقِّ وَالسَّلَامُ.

المَكْتُوبُ الخَمْسُونَ وَالمِائَتَان
إلى الملا أَحْمَدَ البَرْكِيِّ
في حَل بَعْضِ اسْتِفْسَارَاتِه
بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَعْدَ الحَمْدِ وَالصَّلَوَاتِ وَتَبْلِيغِ الدَّعَوَاتِ أُنْهِيَ أَنَّ أَحْوَالَ فُقَرَاءِ هَذِهِ الحُدُودِ وَأَوْضَاعَهُمْ مُسْتَوْجَبَةٌ للحَمْدِ والمَسئول مِنَ اللهِ - سُبْحَانَهُ - عَافِيَتُكُمْ وَالصَّحِيفَةَ الشَّرِيفَةَ قَدْ وَصَلَتْ وَكَتَبْتُ فِيهَا أَنَّ الذَّوْقَ وَالفَرَحَ الذي كُنْتُ أَجِدُهُ أَوَّلاً لا أَجِدُهُ الآنَ وَأَظُنُّ ذَلِكَ مِنْ تَنَزُّلِي وانْحِطَاطِي.

اعْلَمْ أَيُّهَا الأَخُ أَنَّ الحَالَةَ الأُولى كَانَتْ مِنْ قَبِيلِ حَالَةِ أَهْلِ الوَجْدِ وَالسَّمَاعِ التي للجَسَدِ دَخْلٌ تَامٌّ فِيهَا وَأَمَّا الحَالَةُ التي تَيَسَّرَتْ الآنَ فَالجَسَدُ قَلِيلُ النَّصِيبِ مِنْهَا بَلْ تَعَلُّقُهَا بِالقَلْبِ وَالرُّوحِ أَزْيَدُ وَبَيَانُ هَذِهِ المُعَامَلَةِ يَسْتَدْعِي تَفْصِيلاً وَبِالجُمْلَةِ إِنَّ الحَالَةَ الثَّانِيَةَ فَوْقَ الحَالَةِ الأُولى بِمَرَاتِبَ وَعَدَمُ وِجْدَانِ الذَّوْقِ وَفِقْدَانُ فُرْصَةِ الفَرَحِ فَوْقَ وِجْدَانِ الذَّوْقِ وَالفَرَحِ؛ لأَنَّ النِّسْبَةَ كُلَّمَا تَنْجَرُّ إِلى الجَهَالَةِ وَتَنْتَهِي إِلى الحَيْرَةِ وَتَتَبَاعَدُ عَنِ الجَسَدِ تَكُونُ أَصِيلَةً وَأَقْرَبَ إِلى حُصُولِ المَطْلُوبِ فَإِنَّهُ لاَ مَجَالَ فِي ذَلِكَ المَوْطِنِ لِغَيْرِ العَجْزِ وَالجَهْلِ وَيُعَبَّرُ عَنْ ذَلِكَ الجَهْلِ بِالمَعْرِفَةِ وَيُسَمَّى هَذَا العَجْزُ إِدْرَاكًا.

وَكَتَبْتَ أَيْضًا أَنَّ تَأْثِيرَ تِلْكَ النِّسْبَةِ الذي كَانَ أَوَّلاً لَمْ يَبْقَ الآنَ:

نَعَمْ لَمْ يَبْقَ التَّأْثِيرُ الجَسَدِيُّ وَأَمَّا التَّأْثِيرُ الرُّوحِيُّ فَقَدْ زَادَ وَإِنْ لَمْ يُدْرِكْهُ كُلُّ أَحَدٍ وَقَدْ كَانَتْ مُدَّةُ صُحْبَتِكُمْ بِهَذَا الفَقِيرِ قَلِيلَةً جدًّا، وَذِكْرُ العُلُومِ وَالمَعَارِفِ أَيْضًا كَانَ قَلِيلاً فَإِنْ كَانَ اللهُ - سُبْحَانَهُ - أَرَادَ ثُبُوتَ الصُّحْبَةِ تَحْصُلِ المُصَاحَبَةُ أَيَّامًا وَاسْتَفْسَرْتَ أَيْضًا عَنْ فَرْضِيَّةِ الحَجِّ وَالذَّهَابِ إِلى مَكَّةَ مَعَ وُجُودِ الزَّادِ وَالرَّاحِلَةِ فِي هَذَا الزَّمَانِ وَعَدَمِه.

أَيُّهَا المَخْدُومُ: إِنَّ فِي الرِّوَايَاتِ الفِقْهِيَّةِ اخْتِلَافَاتٌ كَثِيرَةٌ فِي هَذَا البَابِ وَالمُخْتَارُ فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ فَتْوَى الفَقِيهِ أَبِي اللَّيْثِ حَيْثُ قَالَ: فَإِنْ كَانَ الغَالِبُ الأَمْنَ وَعَدَمَ الهَلَاكِ فِي الطَّرِيقِ فَالفَرْضِيَّةُ ثَابِتَةٌ وَإِلاَّ فَلاَ وَلَكِنَّ هَذَا الشَّرْطَ شَرْطُ وُجُوبِ الأَدَاءِ لاَ شَرْطُ نَفْسِ الوُجُوبِ كَمَا هُوَ الصَّحِيحُ فَتَكُونُ الوَصِيَّةُ بِالإِحْجَاجِ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ وَاجِبَةً وَلَمَّا لَمْ يُسَاعِدِ الوَقْتُ جَوَابَ اسْتِفْسَارَاتِكُمْ الأُخْرَى أَخَّرْنَاهُ إِلى وَقْتٍ آخَرَ وَالسَّلَامُ.

المَكْتُوبُ الحادِي وَالخَمْسُونَ وَالمائَتَان
إلى مَوْلَانَا الأَشْرَف
فِي بَيَان فَضَائِل الخُلفَاء الرَّاشدينَ خُصُوصًا الشَّيْخَيْنِ وَتَعْظِيمِ سَائِر الأَصْحَاب الكِرَام عَلَيْهِمُ الرِّضْوَانُ وَالكَفِّ عَنْ ذِكْرِ مَسَاوِيهِمْ

بَعْدَ الحَمْد وَالصَّلاَة وَتَبْليغِ الدَّعَوَات ليَعْلَمْ الأَخُ الأَرْشَدُ الخواجهْ أَشْرَفُ أَنِّي أُريدُ أَنْ أَكْتُبَ العُلومَ الغَرْبِيَّةَ وَالأَسْرَارَ العَجيبَةَ وَالمَوَاهبَ اللطيفَةَ وَالمَعَارِفَ الشَّرِيفَةَ عَلى قَدْرِ الفَهْمِ القَاصرِ وَأَكْثَرُهَا يَتَعلقُ بفَضَائل الشَّيْخَيْنِ وَذي النُّورَيْنِ وَأَبِي الحَسَنَيْنِ وَكَمالاَتِهم ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ــ أَجْمَعينَ يَنْبَغِي الاسْتِمَاعُ وَالإِصْغَاءُ إِلَيْهَا بِسَمْعِ العَقْلِ.

اعْلَمْ أَنَّ حَضْرَةَ الصِّدِّيق وَحَضْرَةَ الفَارُوق ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ــ مَعَ وُجُود حُصُول الكَمَالاَت المُحَمَّدِيَّة فيهِمَا وَبُلوغهِمَا أَقْصَى دَرَجَات الوِلاَيَة المُصطفوية فيهِمَا مُنَاسَبَةٌ فِي طَرَف الوِلاَيَة مِنْ بَيْنِ الأَنْبِيَاءِ المُتَقَدِّمِينَ لسَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

وَفِي طَرَف الدَّعْوَة التي هِيَ مُنَاسِبَةٌ لمَقَامِ النُّبوَّة بهِمَا مُنَاسبَةٌ لسَيِّدنَا مُوسَى عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وبذِي النُّورَيْنِ مُنَاسبَةٌ فِي كِلاَ الطَّرَفَيْنِ لسَيِّدنَا نُوحٍ صَلوَاتُ اللهِ وتسليماتُه عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْه وَبِسَيِّدنَا عَلِيٍّ ــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ــ مُنَاسبَةٌ فِي كِلاَ الطَّرَفَيْنِ لسَيِّدنَا عيسَى عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَحَيْثُ كَانَ عيسَى رُوحَ اللهِ وَكَلِمَتَهُ كَانَ طَرَفُ وِلاَيَته غَالبًا عَلى جَانب نُبُوَّتِه وَطَرَفُ الوِلاَيَة غَالبٌ أَيْضًا فِي عَلِيٍّ ــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ــ بِهَذه المُنَاسَبَة.

وَمَبَادِي تَعَيُّنات الخُلفَاء الأَرْبَعَة صِفَةُ العِلم عَلى اخْتِلاَف الجِهَات إِجْمَالاً وَتَفْصيلاً.

وَهَذه الصِّفَةُ باعْتِبَارِ الإجْمَال رَبُّ مُحَمَّد وَباعْتِبَارِ التَّفْصيل رَبُّ الخَليل وَباعْتِبَار البَرْزَخيَّة بَيْنَ الإجْمَال وَالتَّفْصيل رَبُّ نُوحٍ - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - كَمَا أَنَّ رَبَّ مُوسَى صِفَةُ الكَلاَمِ وَرَبَّ عِيسَى صِفَةُ القُدْرَةِ وَرَبَّ آدَمَ صِفَةُ التَّكْوِينِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ.

وَلنَرْجعْ إلى أَصْلِ الكَلامِ وَنَقُول: إنَّ الصِّدِّيقَ وَالفَارُوقَ هُمَا حَاملاَ ثقل النُّبوَّة المُحَمَّديَّة عَلى اختلاَف المَرَاتب وَعَليًّا ــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ــ بوَاسطَة مُنَاسَبته لعيسَى وَغلبَة جَانب ولاَيَته حَامل ثقَل النُّبوَّة تكُونُ مُنَاسبَتُهمَا بمُوسَى - عَلَيْه السَّلاَمُ - أَزْيَدَ؛ لأَنَّ مَقَامَ الدَّعْوَة التي هيَ نَاشئَةٌ منْ مَرْتَبَة النُّبُوَّة أَتَمُّ وَأَكْمَل فيه منْ بَيْنِ الأَنْبيَاء بَعْدَ نَبيِّنَا عَلَيْه وَ - عَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَكتَابُهُ أَفْضَل الكُتُب المُنَزَّلة بَعْدَ القُرْآن المَجيد وَلهَذَا تَكُونُ أُمَّتُهُ أَكْثَر مَنْ يَدْخُلونَ الجَنَّةَ منْ بَيْنِ الأُمَم المُتَقَدِّمينَ وإنْ كَانَتْ شَريعَةُ إبْرَاهيمَ وَملتَهُ أَفْضَل منْ جَميعِ الشَّرَائعِ وَالملل وَلهَذَا أُمرَ أَفْضَل الرُّسُل بمُتَابَعَة ملته {ثُمَّ أَوْحَيْنَا إلَيْك أَن اتَّبعْ ملة إبْرَاهيمَ حَنيفًا} شَاهدٌ لهَذَا المَعْنَى وَالمَهْديُّ المَوْعُودُ أَيْضًا رَبُّهُ صفَةُ العلمِ وَبه مُنَاسَبَةٌ لعيسَى مثْل عَليٍّ وَكَانَ إحْدَى قَدَميْ عيسَى عَلى رَأْسِ عَليٍّ وَالأُخْرَى عَلى رَأْسِ المَهْديِّ.

اعْلَمْ أَنَّ ولاَيَةَ مُوسَى وَقَعَتْ عَلى يَمينِ الولاَيَة المُحَمَّديَّة وَالولاَيَةَ العيَسويَّةَ عَلى يَسَارهَا وَلَمَّا كَانَ عَليٌّ المُرْتَضَى حَامل ثقَل الولاَيَة كَانَ أَكْثَرَ سَلاَسل الأَوْليَاء مُنْتَسبًا إليْه وَظَهَرَتْ كَمَالاَتُه لأَكْثَرِ الأَوْليَاء العظَام المُخْتَصِّينَ بكَمَالاَت الولاَيَة أَزْيَدَ وَأَكْثَرَ منْ كَمَالاَت الشَّيْخَيْنِ فلولاَ إجْمَاعُ أَهْل السُّنَّة عَلى أَفْضَليَّة الشَّيْخَيْنِ لحَكَمَ كَشْفُ أَكْثَرِ الأَوْليَاء العظَام بأَفْضَليَّة عَليٍّ المُرْتَضَى؛ لأَنَّ كَمَالاَتَ الشَّيْخَيْنِ تُشْبهُ كَمَالاَت الأَنْبيَاء - عَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ -.

وَإدْرَاكُ أَرْبَاب الولاَيَة قَاصرٌ عَنِ الوُصُول إلى ذَيْلِ هَذه الكَمَالاَت وَكَشْفُ أَرْبَاب الكُشُوف بوَاسطَة عُلوِّ دَرَجَاتهمْ بَاق في الطَّريقِ غَيْرُ وَاصل إليْهمْ. وَكَمَالاَتُ الولاَيَة كَالمَطْرُوحِ في الطُّرُق في جَنْب هَذه الكَمَالاَت إنَّمَا هيَ مَدَارجُ وَمَعَارجُ للعُرُوجِ إلى كَمَالاَت النُّبُوَّة فَكَيْفَ يَكُونُ للمُقَدِّمَات خَبَرٌ عَنِ المَقَاصد وَمَاذَا يَكُونُ شُعُورُ المَبَادي بالمَطَالب وَهَذَا الكَلاَمُ وَإنْ كَانَ ثَقيلاً عَلى الأَكْثَرينَ بوَاسطَة بَعْدَ عَهْد النُّبُوَّة وَبَعيدًا عَنِ القَبُول وَلكنْ مَاذَا نَصْنَعُ شعْرٌ:

قَدْ أَمْسَكُوني وَرَى المَرْأَى كدرهم ... أَقُول مَا قَال لي أُستاذي الأَزَليُّ

وَلكنْ لله - سُبْحَانَهُ - الحَمْدُ وَالمنَّةُ إنِّي مُتَّفقٌ في هَذَا القيل وَالقَال مَعَ عُلمَاء أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة شَكَرَ اللهُ تَعَالى سَعْيَهمْ وَقَوْلي مُوَافقٌ بإجْمَاعهمْ وَجَعْل اسْتدْلالهم كَشْفيًّا لي وإجماليِّهم تَفْصيليًّا وَهَذَا الفَقيرُ مَا لَمْ يَصل إلى كَمَالاَت مَقَام النُّبُوَّة بمُتَابَعَة نَبيِّه وَلَمْ يَحْصُل لهُ نَصيبٌ تَامٌّ منْ تلكَ الكَمَالاَت لَمْ يَطَّلعْ عَلى فَضَائل الشَّيْخَيْنِ بطَريقِ الكَشْف وَلَمْ يَهْتَد إلى سَبيل غَيْرِ التَّقْليد الحَمْدُ لله الذي

هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللهُ {لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالحَقِّ} قَالَ شَخْصٌ يَوْمًا: قَدْ كُتِبَ فِي الكُتُبِ أَنَّ اسْمَ عَلِيٍّ المُرْتَضَى مَكْتُوبٌ عَلَى بَابِ الجَنَّةِ فَوَقَعَ فِي الخَاطِرِ أَنَّهُ مَاذَا يَكُونُ لِحَضْرَةِ الشَّيْخَيْنِ مِنْ خَصَائِصِ ذَلِكَ المَوْطِنِ فَظَهَرَ بَعْدَ التَّوَجُّهِ التَّامِّ أَنَّ دُخُولَ هَذِهِ الأُمَّةِ إِلَى الجَنَّةِ إِنَّمَا يَكُونُ بِإِذْنِ هَذَيْنِ الشَّيْخَيْنِ الجَلِيلَيْنِ وَتَجْوِيزِهِمَا وَكَانَ الصِّدِّيقُ قَائِمًا عَلَى بَابِ الجَنَّةِ وَيَأْذَنُ لِلنَّاسِ بِالدُّخُولِ إِلَى الجَنَّةِ وَالفَارُوقُ يُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ آخِذًا بِأَيْدِيهِمْ وَكَانَ مَشْهُودًا أَنَّ الجَنَّةَ بِتَمَامِهَا مَمْلُوءَةٌ بِنُورِ الصِّدِّيقِ وَفِي نَظَرِ هَذَا الحَقِيرِ إِنَّ لِلشَّيْخَيْنِ شَأْنًا عَلَى حِدَةٍ فِيمَا بَيْنَ الأَصْحَابِ وَدَرَجَةً مُمْتَازَةً مُنْفَرِدَةً كَأَنَّهَا لَمْ يُشَارِكْهُمَا فِيهَا أَحَدٌ وَكَانَ الصِّدِّيقُ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَإِنْ كَانَ التَّفَاوُتُ فَإِنَّمَا هُوَ بِالعُلُوِّ وَالسُّفْلِ وَالفَارُوقُ أَيْضًا مُشَرَّفٌ بِهَذِهِ الدَّوْلَةِ بِتَطَفُّلِ الصِّدِّيقِ وَنِسْبَةُ سَائِرِ الصَّحَابَةِ إِلَيْهِ ﷺ نِسْبَةُ المُسَاكَنَةِ فِي خَانٍ وَاحِدٍ أَوْ فِي بَلْدَةٍ وَاحِدَةٍ فَمَا يَكُونُ حَظُّ سَائِرِ أَوْلِيَاءِ الأُمَّةِ، (ع):

حَسْبِي إِذَا جَاءَ مِنْ بَعْدٍ صَدَا جَرْسِهِ

فَمَاذَا يَجِدُ هَؤُلاَءِ مِنْ كَمَالاَتِ الشَّيْخَيْنِ وَكِلاَ هَذَيْنِ الشَّيْخَيْنِ مَعْدُودَانِ فِي عِدَادِ الأَنْبِيَاءِ فِي العَظَمَةِ وَجَلاَلَةِ القَدْرِ وَمَحْفُوفَانِ بِفَضَائِلِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "**كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ عُمَرُ**".

وَذَكَرَ الإِمَامُ الغَزَالِيُّ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ قَالَ فِي أَيَّامِ مُصِيبَةِ الفَارُوقِ فِي مَحْضَرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ مَاتَ تِسْعَةُ أَعْشَارِ العِلْمِ وَلَمَّا أَحَسَّ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ تَوَقُّفًا فِي فَهْمِ مَعْنَى هَذَا الكَلاَمِ قَالَ: المُرَادُ بِالعِلْمِ العِلْمُ بِاللهِ لاَ عِلْمُ الحَيْضِ وَالنِّفَاسِ وَمَاذَا يُقَالُ فِي الصِّدِّيقِ الَّذِي جَمِيعُ حَسَنَاتِ عُمَرَ حَسَنَتُهُ الوَاحِدَةُ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ المُخْبِرُ الصَّادِقُ وَيُحِسُّ أَنَّ انْحِطَاطَ عُمَرَ الفَارُوقِ مِنَ الصِّدِّيقِ أَكْثَرُ وَأَزْيَدُ مِنَ انْحِطَاطِ الصِّدِّيقِ مِنَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فَقِسْ عَلَى هَذَا انْحِطَاطَ البَاقِينَ مِنَ الصِّدِّيقِ.

وَالشَّيْخَانِ لَمْ يُفَارِقَا النَّبِيَّ ﷺ بَعْدَ المَوْتِ أَيْضًا وَسَيَكُونُ حَشْرُهُمَا أَيْضًا مَعَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ كَمَا وَرَدَ ذَلِكَ فَتَكُونُ الأَفْضَلِيَّةُ بِوَاسِطَةِ الأَقْرَبِيَّةِ لَهُمَا وَمَاذَا يَقُولُ هَذَا الحَقِيرُ قَلِيلُ البِضَاعَةِ مِنْ كَمَالاَتِهِمْ وَمَاذَا يُبَيِّنُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ مِنْ كَمَالاَتِهِمْ وَأَيْنَ لِلذَّرَّةِ قُدْرَةُ التَّكَلُّمِ مِنَ الشَّمْسِ وَأَيْنَ لِلقَطْرَةِ مَجَالُ التَّحَدُّثِ مِنْ بَحْرِ عُمَانَ وَالأَوْلِيَاءُ المَرْجُوعُونَ لِدَعْوَةِ الخَلْقِ المُحْتَظُونَ مِنْ كِلاَ طَرَفَيِ الوِلاَيَةِ.

وَالدَّعْوَةُ بحظٍّ تامٍّ وَالعُلَمَاءُ المُجْتَهِدُونَ مِنَ التَّابعينَ وَتابعِ التَّابعينَ لَمَّا أَدْرَكُوا كَمَالاَتِ الشَّيْخَيْنِ بنُورِ الكَشْفِ الصَّحيحِ وَالفِرَاسَةِ الصَّادِقَةِ وَالأَخْبَارِ المُتَتَابِعَةِ في الجُمْلَةِ وَوَجَدُوا نُبْذَةً مِنْ فَضَائِلِهِمَا حَكَمُوا بأَفْضَلِيَّتِهِمَا بالضَّرُورَةِ وَأَجْمَعُوا عَلَى ذَلِكَ وَمَا ظَهَرَ عَلى خِلاَفِ هَذَا الإجْمَاعِ مِنَ الكَشْفِ حَمَلوهُ عَلَى عَدَمِ الصِّحَّةِ وَلَمْ يَعْتَبِرُوهُ كَيْفَ وَقَدْ صَحَّحَ في الصَّدْرِ الأَوَّلِ أَفْضَلِيَّتَهِمَا كَمَا رَوَى البُخَارِيُّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ــ قَالَ: كُنَّا في زَمَنِ النَّبيِّ ﷺ لاَ نَعْدِلُ بأَبي بَكْرٍ أَحَدًا ثُمَّ عُمَرَ ثُمَّ عُثْمَانَ ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبيِّ ﷺ لاَ نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ وَفي رِوَايَةٍ لأَبي دَاوُدَ: كُنَّا نَقُولُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ حَيٌّ: أَفْضَلُ أُمَّةِ النَّبيِّ ﷺ بَعْدَهُ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عُثْمَانُ ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ــ وَمَنْ قَالَ إنَّ الوِلاَيَةَ أَفْضَلُ مِنَ النُّبُوَّةِ فَهُوَ مِنْ أَرْبَابِ السُّكْرِ وَمِنَ الأَوْلِيَاءِ غَيْرِ المَرْجُوعِينَ الذينَ لَيْسَ لَهُمْ نَصيبٌ وَافِرٌ مِنْ كَمَالاَتِ مَقَامِ النُّبُوَّةِ كَمَا مَرَّ آنفًا وَمِنَ المَعْلُومِ أَنَّ سِلْسِلَةَ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ مُنْتَسِبَةٌ مِنْ بَيْنِ سَلاَسِلِ سَائِرِ الأَوْلِيَاءِ إلى الصِّدِّيقِ ﷺ فَتَكُونُ نِسْبَةُ الصَّحْوِ غَالِبَةً فيهِمْ وَتَكُونُ دَعْوَتُهُمْ أَتَمَّ وَتَظْهَرُ كَمَالاَتُ الصِّدِّيقِ لَهُمْ أَكْثَرَ وَأَزْيَدَ وَتَكُونُ نِسْبَتُهُمْ فَوْقَ نِسَبِ سَائِرِ السَّلاَسِلِ بالضَّرُورَةِ فَمَاذَا يُدْرِكُ غَيْرُهُمْ مِنْ كَمَالاَتِهِمْ وَمَاذَا يُحِسُّونَ مِنْ حَقيقَةِ مُعَامَلَتِهِمْ وَلاَ أَقُولُ إنَّ جَميعَ مَشَائِخِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ سَوَاسِيَةٌ في هَذِهِ المُعَامَلَةِ كَيْفَ بَلْ لَوْ وُجِدَ مِنْ أُلُوفٍ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ يَكُونُ غَنيمَةً وَأَظُنُّ المَهْدِيَّ المَوْعُودَ الذي بأَكْمَلِيَّةِ الوِلاَيَةِ مَعْهُودٌ يَكُونُ عَلى هَذِهِ النِّسْبَةِ وَيُتِمُّ هَذِهِ السِّلْسِلَةَ العَلِيَّةَ وَيُكْمِلُهَا فَإنَّ نِسْبَةَ جَميعِ الوِلاَيَاتِ دُونَ هَذِهِ النِّسْبَةِ العَلِيَّةِ؛ لأَنَّ سَائِرَ الوِلاَيَاتِ قَليلَةُ النَّصيبِ مِنْ كَمَالاَتِ مَرْتَبَةِ النُّبُوَّةِ وَهَذِهِ الوِلاَيَةُ لَهَا حَظٌّ وَافِرٌ مِنْهَا بوَاسِطَةِ الانْتِسَابِ إلى الصِّدِّيقِ كَمَا مَرَّ آنفًا، (ع):

وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ الطَّرِيقَيْنِ يَا خَلِيُّ

أَيُّهَــــا الأَخُ: إنَّ الإمَامَ عَلِيًّا ــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ــ لَمَّا كَانَ حَامِلاً لِثِقَلِ الوِلاَيَةِ المُحَمَّدِيَّةِ عَلى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ كَانَ تَرْبيَةُ مَقَامِ الأَقْطَابِ وَالأَوْتَادِ وَالأَبْدَالِ الذينَ هُمْ مِنْ أَوْلِيَاءِ العُزْلَةِ وَغَلَبَ فيهِمْ جَانِبُ كَمَالاَتِ الوِلاَيَةِ مُفَوَّضَةً إلى إمْدَادِهِ وَإعَانَتِهِ وَرَأْسُ قُطْبِ الأَقْطَابِ الذي هُوَ قُطْبُ المَدَارِ تَحْتَ قَدَمِهِ وَيَجْرِي أَمْرُهُ وَيَحْصُلُ مُهِمَّةٌ بحِمَايَتِهِ وَرِعَايَتِهِ وَيَخْرُجُ بهِ عَنْ عُهْدَةِ مَدَارِيَّتِهِ وَالسَّيِّدَةُ فَاطِمَةُ وَابْنَاهَا الإمَامَانِ ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ــ هُمْ أَيْضًا شُرَكَاؤُهُ في هَذَا المَقَامِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ عليه وَعَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـــ: كُلهمْ كُبَرَاءُ عُظَمَاءُ؛ يَنْبَغِي أَنْ يُذْكَرَ كُلُّهُمْ بِالتَّعْظِيمِ.

رَوَى الخَطِيبُ عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَى اللهُ وَسَلَمَ: إِنَّ اللهَ اخْتَارَنِي وَاخْتَارَ لِي أَصْحَابًا وَاخْتَارَ لِي مِنْهُمْ أَصْهَارًا وَأَنْصَارًا فَمَنْ حَفِظَنِي فِيهِمْ حَفِظَهُ اللهُ وَمَنْ آذَانِي فِيهِمْ آذَاهُ اللهُ.

وَرَوَى الطَّبرانِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـــ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ.

وَرَوَى ابْنُ عَدِيٍّ عَنْ عَائِشَةَ ـــ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـــ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ شِرَارَ أُمَّتِي أَجْرَؤُهُمْ عَلَى أَصْحَابِي وَمَا وَقَعَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْمُنَازَعَاتِ وَالْمُحَارَبَاتِ يَنْبَغِي صَرْفُهَا وَحَمْلُهَا عَلَى مُحَامِلَ حَسَنَةٍ وَإِبْعَادُهُمْ عَنِ الهَوَى وَالتَّعَصُّبِ فَإِنَّ تِلْكَ الْمُخَالفَاتِ كَانَتْ مَبْنِيَّةً عَلَى الاجْتِهَادِ وَالتَّأْوِيلِ لَا عَلَى الهَوَى وَالهَوَسِ كَمَا أَنَّ جُمْهُورَ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى ذَلكَ.

وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ مُخَالفِي الإِمَامِ عَلِيٍّ ﷺ كَانُوا عَلَى الخَطَأِ وَكَانَ الحَقُّ فِي جَانِبِهِ وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ هَذَا الخَطَأُ خَطَأً اجْتِهَادِيًّا كَانَ صَاحِبُهُ بَعِيدًا عَنِ المَلَامَةِ وَمَرْفُوعًا عَنْهُ الْمُؤَاخَذَةُ كَمَا نَقَل شَارِحُ المَوَاقِفِ عَنِ الآمِدِيِّ أَنَّ وَقْعَةَ الجَمَلِ وَالصِّفِّينِ كَانَتْ عَلَى وَجْهِ الاجْتِهَادِ.

وَصَرَّحَ الشَّيْخُ أَبُو شَكُورٍ السَّالمِيُّ فِي التَّمْهِيدِ أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ ذَاهِبُونَ إِلى أَنَّ مُعَاوِيَةَ مَعَ طَائِفَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ الذينَ كَانُوا مَعَهُ كَانُوا عَلَى الخَطَأِ وَكَانَ خَطَؤُهم اجْتِهَادِيًّا وَقَالَ الشَّيْخُ ابْنُ حَجَرٍ فِي الصَّوَاعِقِ: إِنَّ مُنَازَعَةَ مُعَاوِيَةَ لِعَلِيٍّ ـــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـــ كَانَتْ عَلَى وَجْهِ الاجْتِهَادِ.

وَجُعِل هَذَا القَوْل مِنْ مُعْتَقَدَاتِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَمَا قَال شَارِحُ المَوَاقِفِ مِنْ أَنَّ كَثِيرًا مِنْ أَصْحَابِنَا ذَهَبُوا إِلى أَنَّ تِلْكَ الْمُنَازَعَةَ لَمْ تَكُنْ عَلى وَجْهِ الاجْتِهَادِ فَمُرَادُهُ مِنَ الأَصْحَابِ أَيُّ طَائِفَةٍ هُوَ فَإِنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ حَاكِمُونَ بِخِلَافِ ذَلِكَ كَمَا مَرَّ، وَكُتُبُ القَوْمِ مَشْحُونَةٌ بِالقَوْلِ بِالخَطَأِ الاجْتِهَادِيِّ كَمَا صَرَّحَ بِهِ الغَزَالِيُّ والقَاضِي أَبُو بَكْرٍ وَغَيْرُهُمَا فَلَا يَجُوزُ تَفْسِيقُ مُخَالفِي الإِمَامِ عَلِيٍّ وَتَضْلِيلِهِمْ.

قَال القَاضِي فِي الشِّفَاءِ قَال مَالِكٌ ﷺ: "مَنْ شَتَمَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ أَوْ مُعَاوِيَةَ أَوْ عَمْرِو بْنَ العاصِ ـــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ـــ

فَإِنْ قَالَ: كَانُوا عَلَى ضَلَال وَكُفْرِ قُتل وَإِنْ سَبَّهُمْ بغَيْرِ هَذَا مِنْ مُشَاتَمَة هَذَا مِنْ مُشَاتَمَة النَّاسِ نُكِّل نَكَالاً شَدِيدًا فَلاَ يَكُونُ مُحَارِبُو عَلِيٍّ كَفَرَةً كَمَا زَعَمَتْ الغُلاَةُ مِنَ الرَّفَضَة وَلاَ فَسَقَةً كَمَا زَعَمَ البَعْضُ وَنسبَةُ شَارِحِ المُوَافِق إِلى كَثير مِنْ أَصْحَابه كَيْفَ وَقَدْ كَانَتْ الصِّدِّيقَةَ وَطَلحَةَ وَالزُّبَيْرَ مِنَ الصَّحَابَة مِنْهُمْ وَقَدْ قُتل طَلحَةُ وَالزُّبَيْرُ فِي قتَال الجَمَل مَعَ ثَلاَثَةَ عَشَرَ أَلفًا مِنَ القَتْلى قَبْل خُرُوجِ مُعَاوِيَةَ فَتَضْليلهمْ وَتَفْسيقُهم ممَّا لاَ يَجْترِئُ عَلَيْه مُسْلمٌ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ فِي قَلبه مَرَضٌ وَفِي بَاطنه خَبَثٌ وَمَا وَقَعَ فِي عبَارَة بَعْضِ الفُقَهَاء مِنْ إِطْلاَق لفظ الجَوْر فِي حَقِّ مُعَاوِيَةَ حَيْثُ قَال: كَانَ مُعَاوِيَةُ إِمَامًا جَائرًا فَمُرَادُهُ بِالجَوْر عَدَمُ حَقيَّة خلافَته فِي زَمَن خلاَفَة عَليٍّ لاَ الجَوْرُ الذي مَآله فسْقٌ وَضَلالَةٌ ليَكُونَ مُوَافقًا لأَقْوَال أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة وَمَعَ ذَلكَ يَجْتَنبُ أَرْبَابُ الاسْتقَامَة إِتْيَانَ الأَلفَاظ المُوهِمَة خلاَفَ المَقْصُود وَلاَ يَجُوزُ الزِّيَادَةُ عَلَى القَوْل بالخَطَأ كَيْفَ يَكُونُ جَائرًا وَقَدْ صَحَّ أَنَّهُ كَانَ إِمَامًا عَادلاً فِي حُقُوق الله - سُبْحَانَهُ - وَحُقُوق المُسْلمينَ كَمَا فِي الصَّوَاعق وَقَدْ زَادَ مَوْلاَنَا عَبْدُ الرَّحْمَن الجَاميُّ - قُدِّسَ سرُّهُ - فِي قَوْله خَطًا مُنْكَرًا يَعْني زَادَ عَلى مَا عَلَيْه الجُمْهُورُ وَكُلما زَادَ عَلى لفظ الخَطَأ فَهُوَ خَطَأٌ وَمَا قَال بَعْدَهُ فَإِنْ كَانَ هُوَ مُسْتَحقًّا للعْن إِلخ فَهُوَ أَيْضًا غَيْرُ مُنَاسب لهُ أَيْنَ مَحَل التَّرْديد وَأَيْنَ مَحَل الاشْتبَاه فَإِنْ قَال هَذَا الكَلاَمَ فِي حَقِّ يَزيدَ فَلهُ وَجْهٌ وَمَسَاغٌ وَأَمَّا قَوْلُهُ ذَلكَ فِي حَقِّ مُعَاوِيَةَ فَشَنيعٌ وَقَدْ وَرَدَ فِي الأَحَاديث النَّبَويَّة بأَسَانيد الثِّقَات أَنَّ النَّبيَّ ﷺ دَعَا لمُعَاوِيَةَ اللهُمَّ عَلمْهُ الكتَابَ وَالحسَابَ وَقه العَذَابَ.

وَقَال فِي مَحَل آخَرَ مِنْ دُعَائه: اللهُمَّ اجْعَلهُ هَاديًا مَهْديًّا.

وَدُعَاؤُهُ عَليْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مَقْبُول وَالظَّاهرُ أَنَّ هَذَا الكَلاَمَ إِنَّمَا صَدَرَ عَنْ مَوْلاَنَا بطَريق السَّهْوِ وَالنِّسْيَان وَأَيْضًا أَنَّهُ لمْ يُصَرِّحْ باسْم أَحَد فِي تلكَ الأَبْيَات بَل قَال وصحَابيٌّ آخرُ وَهَذه العبَارَةُ أَيْضًا تُنبئُ عَنِ الشَّنَاعَة رَبَّنَا لاَ تُؤَاخذْنَا إِنْ نَسينَا أَوْ أَخْطَأْنَا.

وَمَا نُقل عَنِ الإِمَامِ الشَّعْبيِّ مِنْ ذَمِّ مُعَاوِيَةَ وَأَنَّهُ بَالغَ فِي مَذَمَّته وَأَوْصَلهَا إِلى مَا فَوْقَ الفسْق لمْ يَبْلغْ مَرْتَبَةَ الثُّبُوت وَالإِمَامُ الأَعْظَمُ مِنْ تَلاَمذَته فَعَلى تَقْدير صدْق هَذَا القَوْل لكَانَ هُوَ أَحَقَّ بنَقْله.

وَحَكَمَ الإِمَامُ مَالكٌ الذي هُوَ مِنْ تَبع التَّابعينَ وَمُعَاصره بقَتْل شَاتم مُعَاوِيَةَ وَعَمْرَو بْنَ العاصِ كَمَا مَرَّ آنفًا فَإِنْ كَانَ هُوَ مُسْتَحقًّا للشَّتْمِ فَلمَ حَكَمَ بِقَتْل شَاتمه

فَعُلِمَ أَنَّهُ اعْتَقَدَ شَتْمَهُ مِنَ الكَبَائِرِ فَحَكَمَ بِقَتْلِ شَاتِمِهِ وَأَيْضًا أَنَّهُ جَعَلَ شَتْمَهُ كَشَتْمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ كَمَا مَرَّ سَابِقًا فَلاَ يَكُونُ مُعَاوِيَةُ مُسْتَحِقًّا لِلشَّتْمِ وَالذَّمِّ.

أَيُّهَا الأَخُ، إِنَّ مُعَاوِيَةَ لَيْسَ وَحْدَهُ فِي هَذِهِ المُعَامَلَةِ بَلْ كَانَ نِصْفُ الأَصْحَابِ الكِرَامِ تَخْمِينًا شَرِيكًا لَهُ فِيهَا فَإِنْ كَانَ مُحَارِبُو عَلِيٍّ كَفَرَةً أَوْ فَسَقَةً زَالَ الاعْتِمَادُ عَنْ شَطْرِ الدِّينِ الذِي بَلَغَنَا مِنْ طَرِيقِ تَبْلِيغِهِمْ وَلاَ يُجَوِّزُ ذَلِكَ إِلاَّ زِنْدِيقٌ مَقْصُودُهُ إِبْطَالُ الدِّينِ.

أَيُّهَا الأَخُ، إِنَّ مَنْشَأَ إِثَارَةِ هَذِهِ الفِتْنَةِ هُوَ قَتْلُ عُثْمَانَ ﷺ وَطَلَبُ القِصَاصِ مِنْ قَتَلَتِهِ فَإِنَّ طَلْحَةَ وَزُبَيْرًا إِنَّمَا خَرَجَا أَوَّلاً مِنَ المَدِينَةِ بِسَبَبِ تَأْخِيرِ القِصَاصِ وَوَافَقَتْهُمُ الصِّدِّيقَةُ فِي هَذَا الأَمْرِ فَوَقَعَ حَرْبُ الجَمَلِ التِي قُتِلَ فِيهَا ثَلاَثَةَ عَشَرَ أَلفًا مِنَ الصَّحَابَةِ وَقُتِلَ فِيهَا طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ اللذَانِ هُمَا مِنَ العَشَرَةِ المُبَشَّرَةِ ثُمَّ خَرَجَ مُعَاوِيَةُ مِنَ الشَّامِ وَصَارَ شَرِيكًا لَهُمْ فَوَقَعَ حَرْبُ الصِّفِّينِ.

صَرَّحَ الإِمَامُ الغَزَالِيُّ أَنَّ تِلْكَ المُنَازَعَةَ لَمْ تَكُنْ لأَمْرِ الخِلاَفَةِ بَلْ كَانَتْ لاسْتِيفَاءِ القِصَاصِ فِي بَدْءِ خِلاَفَةِ عَلِيٍّ وَعَدَّ ابْنُ حَجَرٍ هَذَا القَوْلَ مِنْ مُعْتَقَدَاتِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو شَكُورٍ السَّالِمِيُّ الذِي هُوَ مِنْ أَكَابِرِ عُلَمَاءِ الحَنَفِيَّةِ أَنَّ مُنَازَعَةَ مُعَاوِيَةَ لِعَلِيٍّ كَانَتْ فِي أَمْرِ الخِلاَفَةِ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِمُعَاوِيَةَ: إِذَا مَلَكْتَ النَّاسَ فَارْفُقْ بِهِمْ.

فَحَصَلَ لِمُعَاوِيَةَ الطَّمَعُ فِي الخِلاَفَةِ مِنْ هَذَا الكَلاَمِ وَلَكِنْ كَانَ هُوَ مُخْطِئًا فِي هَذَا الاجْتِهَادِ وَعَلِيٌّ مُحِقٌّ فِيهِ فَإِنَّ الوَقْتَ كَانَ وَقْتَ خِلاَفَةِ عَلِيٍّ وَالتَّوْفِيقُ بَيْنَ هَذَيْنِ القَوْلَيْنِ هُوَ أَنَّ مَنْشَأَ المُنَازَعَةِ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ أَوَّلاً تَأْخِيرُ القِصَاصِ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَقَعُ فِي طَمَعِ الخِلاَفَةِ وَعَلَى كُلِّ الاجْتِهَادُ وَاقِعٌ فِي مَحَلِّهِ فَإِنَّ مُخْطِئًا فَدَرَجَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ الثَّوَابِ وَلِلْمُحِقِّ دَرَجَتَانِ بَلْ عَشْرُ دَرَجَاتٍ.

أَيُّهَا الأَخُ إِنَّ الطَّرِيقَ الأَسْلَمَ فِي هَذَا المَوْطِنِ السُّكُوتُ عَنْ ذِكْرِ مُشَاجَرَاتِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالإِعْرَاضُ عَنْ ذِكْرِ مُنَازَعَتِهِمْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِيَّاكُمْ وَمَا شَجَرَ بَيْنَ أَصْحَابِي.

وَقَالَ أَيْضًا: إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا.

وَقَالَ أَيْضًا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: اللهَ اللهَ فِي أَصْحَابِي لاَ تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا.

يَعْني احْذَرُو اللهَ وَاتَّقوهُ فِي حَقِّ أَصْحَابِي وَلاَ تَجْعَلوهُمْ هَدَفًا لِسَهْمِ مَلاَمَتِكُمْ وَطَعْنِكُمْ.

قَالَ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ وَهُوَ مَنْقُول عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ أَيْضًا: تِلْكَ دِمَاءٌ طَهَّرَ اللهُ عَنْهَا أَيْدِينَا فَنُطَهِّرُ عَنْهَا أَلسنَتَنَا.

وَيُفْهَمُ مِنْ هَذه العِبَارَة أَنَّهُ لاَ يَنْبَغِي إِجْرَاءُ خَطئهم عَلى اللسَان أَيْضًا وَأَنْ يَذْكُرَهُمْ بغَيْرِ الخَيْرِ هَذَا وَيَزِيدُ البَعِيدُ عَنِ السَّعَادَة مِنْ زُمْرَة الفَسَقَة وَالتَّوَقُّفُ في لَعْنه إِنَّمَا هُوَ عَلى الأَصْل المُقَرَّرِ عنْدَ أَهْل السُّنَّة منْ أَنَّهُ لاَ يَجُوزُ اللعْنُ عَلى شَخْصٍ مُعَيَّنٍ.

وَلَوْ كَانَ كَافرًا لاَ أَنْ يُعْلمَ مَوْتُهُ عَلى الكُفْرِ يَقِينًا كَأَبي لَهَب الجُهَنَّمِيِّ وَامْرَأَته لاَ أَنَّهُ غَيْرُ مُسْتَحِقٍّ للعْنِ {إِنَّ الذينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولهُ لعَنَهُمُ اللهُ في الدُّنْيَا وَالآخِرَة}

اعْلَمْ أَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ في هَذَا الزَّمَان لَمَّا اشْتَغَلوا بِبَحْث الإِمَامَة وَجَعَلوا التَّكَلمَ في الخلاَفَة وَمُنَازَعَات الصَّحَابَة عَلَيْهِمُ الرِّضْوَان نُصْبَ العَيْنِ دَائمًا وَصَارُوا لاَ يَذْكُرُونَ الأَصْحَابَ الكرَامَ بالخَيْرِ تقليدًا لجَهَلة الرَّفَضَة وَمَرَدَة أَهْل البدْعَة وَيَنْسُبُونَ إِلى جَنَابهِمْ أُمورًا غَيْرَ مُنَاسبَةٍ كَتَبْتُ نُبْذَةً ممَّا كَانَ مَعْلومًا لي بالضَّرُورَة وَأَرْسَلتُهَا إِلى الأَحْبَاب.

قَالَ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: إِذَا ظَهَرَ الفتَنُ أَوْ قَال البدَعُ وَسُبَّتْ أَصْحَابِي فَليُظْهِرِ العَالمُ علمَهُ فَمَنْ لمْ يَفْعَل فَعَليْه لعْنَةُ الله وَالمَلاَئكَة وَالنَّاس أَجْمَعينَ لاَ يَقْبَل اللهُ لهُ صَرْفًا وَلاَ عَدْلاً وَلكنْ لله - سُبْحَانَهُ - الحَمْدُ وَالمنَّةُ أَنَّ سُلطَانَ الوَقْت يَعُدُّ نَفْسَهُ حَنَفيَّ المَذْهَب وَمنْ أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة وَإِلاَّ فَقَدَ كَانَ الأَمْرُ ضَيِّقًا عَلى المُسْلمينَ جدًّا فَيَنْبَغي أَدَاءُ شُكْر هَذه النِّعْمَة العُظْمَى كَمَا يَنْبَغي وَأَنْ يُجْعَل مَدَارُ الاعْتقَاد عَلى مُعْتَقَدَات أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة وَأَنْ لاَ يُصْغَى إِلى أَقْوَال زَيْد وَعَمْرو فَإِنَّ جَعْل مَدَار الأَمْر عَلى الخُرَافَات الكَاذبَة تَضْييعُ الإِنْسَان نَفْسَهُ وَتَقْليدُ الفرْقَة النَّاجيَة ضَرُوريٌّ حَتَّى يَحْصُل رَجَاءُ النَّجَاة وَبدُونه خَرْطُ القَتَاد وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلى سَائرِ مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّانِي وَالخَمْسُونَ وَالمِائَتَان
إِلى الشَّيْخِ بَدِيعِ الدِّينِ
فِي جَوَابِ اسْتِفْسَارَاتِه

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عِبَادِه الذِينَ اصْطَفَى وَصَل مَكْتُوبُ الأَخِ الأَرْشَدِ فَأَوْرَثَ فَرَحًا وَافِرًا وَانْدَرَجَ فيه اسْتِفْسَارَاتٌ فَاعْلَمْ أَنَّ مَبْدًا تَعُيُّنِ سَيِّدِنَا نُوحٍ وَسَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلامُ وَصِفَةُ العِلْمِ كَمَا أَنَّ مَبْدَأَ التَّعَيُّنِ المُحَمَّدِيِّ عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ هُوَ هَذه الصِّفَةُ أَيْضًا وَالتَّفَاوُتُ إِنَّمَا هُوَ بِالجِهَاتِ وَالاعْتِبَارَاتِ فَإِنَّ لِهَذه الصِّفَةِ وَجْهًا إِلى العَالَمِ وَوَجْهًا آخَرَ إِلى المَعْلُومِ وَالوَجْهُ الأَوَّل مُنَاسِبٌ لِلوَحْدَة.

وَالثَّانِي لِلكَثْرَة وَلِهَذه الصِّفَةِ أَيْضًا إِجْمَال تَفْصِيل وَكُل وَاحِد مِنْ هَذه الاعْتِبَارَات كَانَ مَبْدًا تَعَيُّنِ وَاحِد مِنَ الكُبَرَاء وَالمَعَارِفُ التِي تَتَعَلَقُ بِتَحَمُّل ثِقَل النُّبُوَّة وَالوِلاَيَةِ مُنْدَرِجَةٌ فِي المَكْتُوبِ الذِي حُرِّرَ إِلى الخواجه مُحَمَّد أَشْرَفَ تَفْصِيلاً فَلَمْ أَكْتُبْهَا الآنَ فَتَطَلَبَ مِنْهُ وَأَرَدْتُ أَنْ أَكْتُبَ جَوَابَ الاسْتِفْسَارِ عَنِ الفَرْقِ بَيْنَ الغَوْث وَالقُطْبِ وَالخَلِيفَةِ وَلَكِنْ مَا وَجَدْتُ الإِذْنَ بِالكِتَابَةِ فَأَخَّرْنَاهُ إِلى وَقْتٍ آخَرَ وَالسَّلامُ.

المَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالخَمْسُونَ وَالمائَتان
إِلى الشَّيْخِ إِدْرِيسَ السَّامَانِيِّ
في بَيَان جَوَاب أسْئلته
وَتَفْصِيل بَعْضِ مَقَامَاتِ الطَّرِيقِ وَمَنَازِله عَلَى طَرِيقِ الرَّمْزِ وَالإِجْمَال

بَعْدَ الحَمْدِ وَالصَّلَوَاتِ وَتَبْلِيغِ الدَّعَوَاتِ أُنْهِيَ أَنَّ أَحْوَال فُقَرَاءِ هَذِه الحُدُودِ وَأَوْضَاعَهُمْ مُسْتَوْجَبَةٌ للحَمْدِ.

المَسْئُول مِنَ اللهِ - سُبْحَانَهُ - سَلاَمَتُكُمْ وَاسْتِقَامَتُكُمْ عَلى الطَّرِيقَة المَرْضِيَة المُصطفَوِيَّة عَلى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ، وَبَيَان الأَحْوَال وَالمَوَاجِيد الذي أُحيل عَلى مَوْلاَنَا عَبْد المُؤْمِنِ وَاسْتَفْسَرْتُ عَنْهَا بَيَّنَهَا مَوْلاَنَا كُلهَا بالتَّفْصِيل وَقَال إِنَّهُ يَقُول: إِذَا نَظَرْتُ إِلى جَانبِ الأَرْضِ لاَ أَجدُ الأَرْضَ وَإِذَا رَمَيْتُ نَظَرِي إِلى جَانب السَّمَاءِ لاَ أَجدُهَا أَيْضًا وَإِذَا أَتَيْتُ شَخْصًا لاَ أَجدُ لهُ وُجُودًا أَيْضًا وَكَذَلكَ لاَ أَجدُ للعَرْشِ وَالكُرْسِيِّ وَالجَنَّة وَالنَّارِ أَيْضًا وُجُودًا وَلاَ أَرَى لنَفْسِي أَيْضًا وُجُودًا.

وَوُجُودُ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - غَيْرُ مُتَنَاه لَمْ يَجدْ أَحَدٌ لهُ نهَايَةً وَتَكَلمَ الأَكَابِرُ أَيْضًا إِلى هَذَا المَقَام فَقَطْ وَمَتَى وَصَلوا إِلَيْه عَجَزُوا عَنِ السَّيْرِ وَلَمْ يَقْدرُوا عَلى الزِّيَادَة عَلى ذَلكَ فَإِنْ كَانَ هَذَا كَمَالاً عنْدَكُمْ أَيْضًا وَكُنْتُمْ في هَذَا المَقَام فَلأَيِّ شَيْءٍ أَحْضُرُ عنْدَكُمْ وَلمَاذَا أَتْعَبُ وَأُتْعبُ وَإِنْ كَانَ وَرَاءَ هَذَا الكَمَال أَمْرٌ آخَرُ فَأَطْلعُونِي عَلَيْه حَتَّى أَذْهَبَ إِلى دِيَارٍ يَكْثُرُ فِيهَا أَلَمُ الطَّلَبِ وَكَانَ سَبَبُ التَّوَقُّف مِنَ المَصِيرِ إِلَيْكُمْ مُنْذُ سنينَ حُصُول هَذَا التَّرَدُّد.

أَيُّهَا المَخْدُومُ، إِنَّ هَذه الأَحْوَال وَأَمْثَالهَا مِنْ تَلوينَاتِ القَلبِ وَيَكُونُ مَشْهُودًا أَنَّ صَاحبَ هَذه الأَحْوَال لَمْ يَطْوِ بَعْدُ مِنْ مَقَامَات القَلبَ أَزْيَدَ مِنَ الرُّبْعِ فَيَلزَمُهُ طَيُّ ثَلاَثَة أَرْبَاعٍ أُخْرَى منْهَا حَتَّى يُطْوَى مُعَامَلةُ القَلب بالتَّمَامِ وَبَعْدَ القَلب رُوحٌ وَبَعْدَ الرُّوحِ سِرٌّ وَبَعْدَ السِّرِّ خَفَى وَبَعْدَ الخَفَى أَخْفَى وَلكُل وَاحدَة مِنْ هَذه اللطَائف الأَرْبَعِ البَاقيَة أَحْوَال وَمَوَاجِيدُ عَلى حدَة وَيَلزَمُ طَيُّ كُل وَاحدَة منْهَا مُنْفَرِدَةً مُنْفَرِدَةً، وَالتَّحَلي بكَمَالاَت كُل منْهَا وَبَعْدَ مُجَاوَزَة هَذه الخَمْسَة الأَمْرِيَّة وَطَيُّ أُصُولهَا مَرْتَبَةً بَعْدَ مَرْتَبَة، وَقَطْعُ مَدَارِجِ ظلال الأَسْمَاءِ وَالصِّفَات التي هِيَ أُصُول تلكَ الأُصُول دَرَجَةً بَعْدَ دَرَجَة تَجَليَاتُ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَظُهورَاتُ الشُّئُون وَالاعْتبَارَات وَبَعْدَ هَذه التَّجَليَات تَجَليَاتُ الذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ فَتَقَعُ المُعَامَلةُ حِينَئِذٍ عَلى اطْمِئْنَان النَّفْسِ وَيَتَيَسَّرُ حُصُول رِضَا الحَقِّ - جَل وَعَلاَ -

وَالكَمَالاَتُ التي تَحْصُل فِي هَذَا المَوْطِنِ حُكْمُ الكَمَالاَت السَّابقَة في جَنْبهَا كَحُكْمِ القَطْرَة فِي جَنْب البَحْرِ المُحيطِ الذي لاَ قَعْرَ لَهُ وَهُنَا يَتَيَسَّرُ شَرْحُ الصَّدْرِ وَيَتَّصِفُ بِالإِسْلاَمِ الحَقِيقِيِّ، (ع):

هَذَا هُوَ الأَمْرُ والبَاقي خَيَالاَتٌ

وَمَا يُتَوَهَّمُ أَنَّهُ منْ تَجليَات الأَسْمَاء وَالصِّفَات قَبْل قَطْعِ مَنَازِل هَذه الخَمْسَة الأَمْرِيَّة مَعَ الأُصُول وَأُصُول الأُصُول فَهُوَ ظُهُورَاتُ بَعْضِ خَوَاصِّ عَالمِ الأَمْرِ وَلَهُ نَصيبٌ مِنَ اللاَّمِثْليِّ والكَيفيِّ وَمِنَ المَكَانيِّ وَلَيْسَ بِتَجلَيَاتِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ قَال وَاحِدٌ مِنَ السَّالكِينَ فِي هَذَا المَقَامِ:

عَبَدْتُ الرُّوحَ ثَلاَثِين سَنَةً عَلى ظَنٍّ أَنَّهَا الحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى فَأَيْنَ الوُصُول وَإِلى مَنِ السَّيْر، شِعْرٌ:

كَيْفَ الوُصُول إِلى سُعَادَ وَدُونَهَا   قُلل الجِبَال وَدُونَهُنَّ حُيُوفُ.

وَلَمَّا طَلَبْتُمْ الكَشْفَ عَنْ حَقيقَة هَذَا الطَّرِيق عَلى وَجْه الالتفَات كَتَبْتُ نُبْذَةً مِنْهُ عَلى وَجْهِ الإِجْمَال وَالأَمْرُ عِنْدَ اللهِ - سُبْحَانَهُ - وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلى مَنْ لَدَيْكُمْ.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالخَمْسُونَ وَالمائَتَان
إلى الملا أَحْمَدَ البَرْكِيِّ
في جَوَابِ بَعْضِ أَسْئِلته

الحَمْدُ لله وَسَلَامٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى قَدْ كَتَبْتُ أَنَّ بَعْضَ الأَكَابِرِ قَالَ: إنَّ الإنْسَانَ يَنْبَغي لهُ أَنْ يَعْمَلَ مَا يَعْمَلهُ بِأَمْرِ صَاحب الزَّمَان حَتَّى تَتَرَتَّبَ عَلَيْه النَّتيجَةُ وَلوْ كَانَ أَمْرًا مَشْرُوعًا فَإنْ كَانَ هَذَا الكَلامُ صَحيحًا نَرْجُو الإذْن وَالأَمْرَ في جَميع المَشْرُوعَات.

أَيُّهَا المَخْدُومُ،، إنَّ كَلامَ الأَكَابِر صَحيحٌ وَالإذْنَ لك حَاصِل وَأَنْتَ مَأْذُونٌ وَلكنْ يَنْبَغي أَنْ يُعْلمَ أَنَّ المُرَادَ بالنَّتيجَة نَتيجَةٌ مُعْتَدٌّ بهَا لا مُطْلقًا.

وَكَتَبْتُ أَيْضًا أَنَّهُ قَدْ حُرِّرَ في رِسَالة أَنَّ الخواجهْ أَحْرَارَ - قُدِّسَ سرُّهُ - قَال: إنَّ القُرْآنَ في الحَقيقَة منْ مَرْتَبَة عَيْنِ الجَمْعِ يَعْني منْ أُحْديَّة الذَّات تَعَالتْ وَتَقدَّسَتْ فَمَا يَكُونُ مَعْنًى مَا حُرِّرَ في رِسَالة المَبْدَأ وَالمَعَاد أَنَّ حَقيقَةَ الكَعْبَة الرَّبَّانيَّة فَوْقَ الحَقيقَة القُرْآنيَّة.

أَيُّهَا المَخْدُومُ، ليْسَ المُرَادُ بِأُحْديَّة الذَّات هُنَاكَ الأُحْديَّةُ المُجَرَّدَةُ التي لاَ يَكُونُ فيهَا شَيْءٌ منَ الصِّفَة وَالشَّأْن مَلحُوظًا؛ لأَنَّ حَقيقَةَ القُرْآن نَاشئَةٌ منْ صفة الكَلامِ التي هيَ إحْدَى صفَات الثَّمَانيَة وَحَقيقَةُ الكَعْبَة نَاشئَةٌ عَنْ مَرْتَبَة مُنَزَّهَة عَنْ تَلوينَات الصِّفَات والشُّئونات فَيَكُونُ التَّفَوُّقُ لهَا.

وَكَتَبْتُ أَيْضًا أَنَّهُ قَدْ ذُكرَ في بَعْضِ التَّفَاسير لوْ قَال شَخصٌ: أَنَا أَسْجُدُ للكَعْبَة يَكْفُرُ فَإنَّ السَّجْدَةَ يَنْبَغي أَنْ تَكُونَ إلى طَرَف الكَعْبَة لاَ للكَعْبَة.

وَذُكرَ في مَوْضعٍ آخَرَ كَانُوا في أَوَّل الإسْلامِ يَقُولونَ في السَّجْدَة لك سَجَدْتُ وَمَدْلول الضَّمير نَفْسُ الذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ فَمَا يَكُونُ مَعْنًى مَا حُرِّرَ في رِسَالة المَبْدَأ وَالمَعَاد منْ أَنَّ صُورَةَ الكَعْبَة كَمَا أَنَّهَا مَسْجودةُ صُوَرِ الأَشْيَاء كَذَلكَ حَقيقَةُ الكَعْبَة مَسجودةُ حَقَائق الأَشْيَاء.

أَيُّهَا المَخْدُومُ: إنَّ هَذَا منْ مُسَامَحَات العبَارَات كَمَا يُقَال: إنَّ آدَمَ مَسْجُودُ المَلائكَة مَعَ أَنَّ السَّجْدَةَ للخَالق - جَل سُلطَانُهُ - لاَ لمَخْلوقه ومَصْنُوعه أَيُّ مَخْلوق كَانَ وَالسَّلامُ عَليْكُمْ وَعَلى أَصْحَابكُمْ وَأَحْبَابكُمْ وَعَلى الملا بَابَنْدَهْ وَالمُلاَّ حَسَنٍ.

فهـــــرس المجلد الأول

من المكتـــوباب

فهرس المكتوبات

مقدمة الكتاب ٥

المكتوب الأول: في بيان الأحوال التي لها مناسبة بالاسم الظاهر.. ... ... ١٥

المكتوب الثاني: في بيان حصول الترقيات والمباهات بعنايات الحق ١٩

المكتوب الثالث: في بيان توقف الأصحاب في مقام مخصوص ٢١

المكتوب الرابع: في بيان فضائل شهر رمضان المبارك ٢٢

المكتوب الخامس: في تفويض الخواجه برهان الذي هو واحد من المخلصين... . ٢٤

المكتوب السادس: في بيان حصول الجذبة والسلوك ٢٥

المكتوب السابع: في بيان بعض أحواله الغريبة ٢٨

المكتوب الثامن: في بيان الأحوال المتعلقة بمرتبة البقاء والصحو ٣١

المكتوب التاسع: في بيان الأحوال المناسبة لمقام النزول... ... ... ٣٤

المكتوب العاشر: في حصول القرب والبعد بمعان غير متعارفة ٣٧

المكتوب ١١ : في بيان بعض الكشوف وحصول مقام رؤية قصور النفس ٣٩

المكتوب ١٢: في بيان حصول الفناء والبقاء ٤٧

المكتوب ١٣: في بيان عدم نهاية الطريق ومطابقة علوم الحقيقة بعلوم الشريعة... ٤٨

المكتوب ١٤: في بيان حصول الوقائع التي عرضت في أثناء الطريق... ... . ٥٠

المكتوب ١٥: في بيان الأحوال التي لها مناسبة لمقام الهبوط والنزول... ... . ٥٣

المكتوب ١٦: في بيان أحوال الخروج والنزول وغيرها... ... ... ٥٥

المكتوب ١٧: في الأحوال المتعلقة بالعروج والنزول... ... ... ٥٨

المكتوب ١٨: في التمكين الذي يحصل بعد التلوين... ... ... ٥٩

المكتوب ١٩: في تفويض بعض أرباب الحوائج... ... ... ٦٥

المكتوب ٢٠: في تفويض بعض أرباب الحوائج... ... ... ٦٦

المكتوب ٢١: في بيان درجات الولاية لا سيما الولاية المحمدية ٦٧
المكتوب ٢٢: في بيان وجه التعلق بين الروح والنفس ٦٩
المكتوب ٢٣: في جواب كتابه في المنع عن أخذ الطريق من الناقص ٧١
المكتوب ٢٤: في بيان أن الصوفي كائن بائن وأن تعلق القلب لا يكون بأكثر من واحد ٧٤
المكتوب ٢٥: في التحريض على متابعة سيد المرسلين ومتابعة الخلفاء الراشدين.. ٧٦
المكتوب ٢٦:فى بيان أن الشوق يكون للأبرار دون المقربين مع علوم تناسب هذا المقام... ... ... ٧٧
المكتوب ٢٧: في بيان مدح الطريقة النقشبندية وعلو نسبة هؤلاء الأكابر ٧٩
المكتوب ٢٨ : في بيان علو الحال لكن بعبارة موهمة للتترل والتباعد... ... ... ٨١
المكتوب ٢٩ : في الترغيب في أداء الفرائض ورعاية السنن والآداب... ... ... ٨٢
المكتوب ٣٠ : في بيان الشهود الآفاقي والأنفسي... ... ... ٨٥
المكتوب ٣١ : في بيان ظهور حقيقة التوحيد الوجودي... ... ... ٩٠
المكتوب ٣٢ : في بيان الكمال المخصوص بالأصحاب الكرام... ... ... ٩٦
المكتوب ٣٣ : في بيان مذمة علماء السوء الذين هم في أسر محبة الدنيا... ... . ١٠٠
المكتوب ٣٤ : في بيان الجواهر الخمسة الأمرية بطريق البسط والتفصيل مهما أمكن... ... ... ١٠٤
المكتوب ٣٥ : في بيان المحبة الذاتية التي يستوي في هذا المقام الإنعام والإيلام.. ١٠٧
المكتوب ٣٦ : في بيان أن الشريعة متكفلة بجميع السعادات الدينية والدنيوية.. ١٠٨
المكتوب ٣٧ : في التحريض على متابعة السنة السنية... ... ... ١١٠
المكتوب ٣٨ : في بيان التعلق بالذات البحت تعالت وتقدست... ... ... ١١١
المكتوب ٣٩ : في بيان أن مدار الأمر على القلب... ... ... ١١٥
المكتوب ٤٠ : في بيان تحصيل الإخلاص... ... ... ١١٦
المكتوب ٤١ : في التحريض على متابعة السنة السنية المصطفوية... ... ... ١١٧

المكتوب ٤٢ : في بيان أن أفضل المصاقيل لإزالة صداء محبة ما سوى الحق... . ١٢١
المكتوب ٤٣ : في بيان أن التوحيد على قسمين شهودي ووجودي... ... ... ١٢٢
المكتوب ٤٤ : في مدح خير البشر... ... ... ١٢٧
المكتوب ٤٥ : إظهارا لشكر تقويته الظاهرية أمور فقراء الخانقاه بعد ارتحال شيخه ١٣٠
المكتوب ٤٦ : في بيان أن وجود الواجب بديهي غير محتاج إلى فكر ودليل... ١٣٤
المكتوب ٤٧ : في الشكاية من ضعف اهل الإسلام وغلبة الكفار... ... . ١٣٦
المكتوب ٤٨ : في التحريض على تعظيم العلماء وطلبة العلوم... ... ... ١٣٨
المكتوب ٤٩ : في التحريض على الجمع بين دولتي تحلية الظاهر وتخلية الباطن.. ١٤٠
المكتوب ٥٠ : في مذمة الدنيا الدنية... ... ... ١٤١
المكتوب ٥١ : في الترغيب في ترويج الشريعة الغراء... ... ... ١٤٢
المكتوب ٥٢ : في مذمة النفس الأمارة وبيان مرضها الذاتي... ... ... ١٤٣
المكتوب ٥٣ : في بيان أن اختلاف علماء السوء موجب لفساد العالم... ... . ١٤٦
المكتوب ٥٤ : في بيان أن الاجتناب من صحبة المبتدع لازم... ... . ١٤٨
المكتوب ٥٥ : في إظهار المحبة... ... ... ١٥٠
المكتوب ٥٦ : في تفويض شخص من السادات... ... ... ١٥١
المكتوب ٥٧ : في النصيحة... ... ... ١٥٢
المكتوب ٥٨ : في بيان أن هذا الطريق كله سبع خطوات... ... ... ١٥٣
المكتوب ٥٩ : في بيان أن حصول النجاة لا يتصور بدون اتباع أهل السنة والجماعة ١٥٦
المكتوب ٦٠ : في بيان نفي الخواطر ودفع الوساوس الكلية... ... ... ١٥٩
المكتوب ٦١ : في التحريض على صحبة الشيخ الكامل المكمل... ... ... ١٦١
المكتوب ٦٢ : في بيان أن الجذبة التي هي قبل السلوك ليست من المقاصد... .. ١٦٣
المكتوب ٦٣ : في بيان أن الأنبياء متفقون في أصول الدين... ... ... ١٦٤

المكتوب ٦٤ : في بيان اللذة والألم الجسمانيين والروحانيين... ... ... ١٦٧
المكتوب ٦٥ : في التأسف والتلهف على ضعف الإسلام وعجز المسلمين... .. ١٦٩
المكتوب ٦٦ : في مدح الطريقة العلية النقشبندية... ... ... ١٧١
المكتوب ٦٧ : في تفويض محتاج... ... ... ١٧٣
المكتوب ٦٨ : في بيان أن التواضع يستحسن من أرباب الغنى... ... ... ١٧٤
المكتوب ٦٩ : في بيان أن التواضع موجب للرفعة في الدارين... ... ... ١٧٦
المكتوب ٧٠ : في بيان أن جامعية الإنسان سبب لبعده كما أنها سبب لقربه... ١٧٧
المكتوب ٧١ : في بيان أن شكر المنعم واجب على المنعم عليه... ... ... ١٧٩
المكتوب ٧٢ : في بيان أن جمع الدين مع الدنيا متعسر... ... ... ١٨٠
المكتوب ٧٣ : في مذمة الدنيا وأبنائها وترك تحصيل العلوم الغير النافعة... ... . ١٨١
المكتوب ٧٤ : في التحريض على محبة الفقراء والتوجه إليهم... ... ... ١٨٧
المكتوب ٧٥ : في التحريض على متابعة سيد الكونين... ... ... ١٨٩
المكتوب ٧٦ : في بيان أن الترقي مربوط بالورع والتقوى... ... ... ١٩٠
المكتوب ٧٧ : في بيان أن عبادة الله متى تكون ميسرة ١٩٢
المكتوب ٧٨ : في بيان معنى السفر في الوطن والسير الآفاقي والأنفسي... ... ١٩٤
المكتوب ٧٩ : في بيان أن هذه الشريعة الغراء جامعة للشرائع المتقدمة... ... . ١٩٦
المكتوب ٨٠ : في بيان أن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة... ... ... ١٩٨
المكتوب ٨١ : في التحريض على ترويج الإسلام... ... ... ٢٠٢
المكتوب ٨٢ : في بيان أن سلامة القلب لا تتصور بدون نسيان ما سوى الحق. ٢٠٣
المكتوب ٨٣ : في التحريض على الجمع بين جمعيتي الظاهر والباطن... ... ... ٢٠٤
المكتوب ٨٤ : في بيان أن كلا من الشريعة والحقيقة عين الآخر... ... ... ٢٠٥
المكتوب ٨٥ : في التحريض على إتيان الأعمال الصالحة... ... ... ٢٠٧
المكتوب ٨٦ : في بيان سلامة القلب عما سواه تعالى... ... ... ٢٠٩
المكتوب ٨٧ : في بيان سعادة من قبله أولياء الله تعالى... ... ... ٢١٠

المكتوب ٨٨ : في بيان فضيلة الشيب في الإيمان والصلاح... ... ... ٢١١
المكتوب ٨٩ : في التعزية... ... ... ٢١٢
المكتوب ٩٠ : في التحريض على التوجه إلى الحق سبحانه بالكلية... ... . ٢١٣
المكتوب ٩١ : في بيان أن تصحيح العقائد وإتيان الأعمال الصالحة جناحان.. ٢١٤
المكتوب ٩٢ : في بيان أن اطمئنان القلب بالذكر لا بالاستدلال والنظر... ... ٢١٥
المكتوب ٩٣ : في التحريض على صرف الأوقات إلى ذكر الله... ... ... ٢١٦
المكتوب ٩٤ : في بيان أنه لابد للإنسان من تصحيح العقائد... ... ... ٢١٧
المكتوب ٩٥ : في بيان أن الإنسان نسخة جامعة وقلبه أيضا مخلوق على وصف الجامعية... ... ... ٢١٨
المكتوب ٩٦ : في المنع والزجر عن التسويف والتأخير... ... ... ٢٢١
المكتوب ٩٧ : في بيان أن المقصود من العبادة هو تحصيل اليقين... ... ... ٢٢٣
المكتوب ٩٨ : في التحريض على الرفق وترك العنف بإيراد الأحاديث... ... . ٢٢٤
المكتوب ٩٩ : في كيفية دوام الحضور واجتماعه مع النوم الذي هو معدن الغفلة... ... ... ٢٢٧
المكتوب ١٠٠ : أيضا في جواب سؤاله عن قول الشيخ عبد الكريم اليمني: "إن الحق سبحانه ليس بعالم الغيب" ٢٣٠
المكتوب ١٠١ : في الرد على جماعة تعرضوا لأهل الكمال... ... ... ٢٣٣
المكتوب ١٠٢ : في بيان أن المحرم في القرض مع الفيض مجموع المبلغ... ... .. ٢٣٤
المكتوب ١٠٣ : في بيان معنى العافية وطلب القاضي لبلد سرهند... ... . ٢٣٧
المكتوب ١٠٤ : في التعزية... ... ... ٢٣٨
المكتوب ١٠٥ : في بيان أن المريض ما لم يصح و لم يبرأ لا ينفعه غذاء أصلا... ٢٣٩
المكتوب ١٠٦ : في بيان أن محبة هذه الطائفة المتفرعة على معرفتهم... ... ... ٢٤٠
المكتوب ١٠٧ : وفيه فوائد ضرورية نافعة في التسليم لهذه الطائفة... ... . ٢٤١
المكتوب ١٠٨ : في بيان أن النبوة أفضل من الولاية... ... ... ٢٤٥

المكتوب ١٠٩ : في بيان سلامة القلب ونسيانه ما دون الحق سبحانه... ... .. ٢٤٦
المكتوب ١١٠ : في بيان أن المقصود من خلق الإنسان أداء وظائف السلوك... ٢٤٧
المكتوب ١١١ : في بيان أن التوحيد عبارة عن تخليص القلب عما دون الحق... ٢٤٨
المكتوب ١١٢ : في بيان أن المدار في التحقيق على عقائد أهل السنة والجماعة. ٢٤٩
المكتوب ١١٣ : في بيان الفرق بين جذبة المبتدئ وبين جذبة المنتهي... ... ... ٢٥٠
المكتوب ١١٤ : في التحريض على متابعة سيد المرسلين ٢٥١
المكتوب ١١٥ : في بيان أن الطريق الذي نحن في صدد قطعه كله سبعة أقدام.. ٢٥٣
المكتوب ١١٦ : في بيان أن سلامة القلب موقوفة على نسيان ما سواه تعالى... ٢٥٤
المكتوب ١١٧ : في أن القلب تابع للحس في الابتداء ولا تبقى تلك التبعية في الانتهاء... ... ... ٢٥٥
المكتوب ١١٨ : في بيان خسارة جماعة يعترضون على أهل الله... ... ... ٢٥٦
المكتوب ١١٩ : في الترغيب في صحبة الشيخ المقتدى به... ... ... ٢٥٧
المكتوب ١٢٠ : في التحريض على صحبة أرباب الجمعية... ... ... ٢٥٩
المكتوب ١٢١ : في بيان أن هذا الطريق تقرر كله على سبعة أقدام... ... ... ٢٦٠
المكتوب ١٢٢ : في التحريض على علو الهمة... ... ... ٢٦١
المكتوب ١٢٣ : في بيان أن أداء النفل وإن كان حجا داخل فيما لا يعني... .. ٢٦٢
المكتوب ١٢٤ : في بيان أن الاستطاعة شرط لوجوب الحج... ... ... ٢٦٣
المكتوب ١٢٥ : في بيان أن العالم كبيره وصغيره مظاهر الأسماء والصفات الإلهية... ... ... ٢٦٤
المكتوب ١٢٦ : في بيان أنه ينبغي للطالب الاهتمام في نفي الآلهة الباطلة... ... ٢٦٦
المكتوب ١٢٧ : في بيان أن خدمة الوالدين في جنب تحصيل المطلب الحقيقي لا شيء... ... ... ٢٦٧
المكتوب ١٢٨ : في الترغيب في علو الهمة ٢٦٨
المكتوب ١٢٩ : في بيان أن جامعية الإنسان باعثة على تفرقته... ... ... ٢٦٩

المكتوب ١٣٠ : في بيان أن لا اعتبار بتلوينات الأحوال... ... ... ٢٧٠
المكتوب ١٣١ : في بيان علو شأن طريقة حضرات خواجكان... ... ... ٢٧١
المكتوب ١٣٢ : في التحذير عن صحبة أرباب الغنى والترغيب في صحبة الفقراء... ... ... ٢٧٣
المكتوب ١٣٣ : في بيان اغتنام الفرصة وعدم تضييع الوقت... ... ... ٢٧٤
المكتوب ١٣٤ : في المنع عن التسويف... ... ... ٢٧٥
المكتوب ١٣٥ : في بيان مراتب الولاية عامة كانت أو خاصة... ... ... ٢٧٦
المكتوب ١٣٦ : في المنع عن التسويف والتأخير في تحصيل المطلوب الحقيقي... ٢٧٨
المكتوب ١٣٧ : في بيان علو شأن الصلاة المنوط كمالها بالوصول إلى نهاية النهاية... ... ... ٢٧٩
المكتوب ١٣٨ : في مذمة الدنيا والتحذير من صحبة أربابها... ... ... ٢٨٠
المكتوب ١٣٩ : في بيان جواز هجو جماعة السفهاء... ... ... ٢٨٢
المكتوب ١٤٠ : في بيان أن الألم والمحنة من لوازم المحبة... ... ... ٢٨٣
المكتوب ١٤١ : في بيان أن العمدة في هذا الأمر المحبة والإخلاص... ... . ٢٨٤
المكتوب ١٤٢ : في بيان استكثار قليل من نسبة الأكابر... ... ... ٢٨٥
المكتوب ١٤٣ : في بيان اغتنام موسم الشباب... ... ... ٢٨٦
المكتوب ١٤٤ : في بيان معنى السير والسلوك... ... ... ٢٨٧
المكتوب ١٤٥ : في بيان أن مشائخ النقشبندية اختاروا ابتداء السير من عالم الأمر... ... ... ٢٨٩
المكتوب ١٤٦ : في النصيحة بتكرار الذكر... ... ... ٢٩٠
المكتوب ١٤٧ : في بيان أن الانقطاع مقدم على الاتصال وبالعكس... ... ... ٢٩١
المكتوب ١٤٨ : في بيان ذم صاحب الرأي وعدم الاغترار بتوسط روحانية المشايخ... ... ... ٢٩٢
المكتوب ١٤٩ : في بيان عدم قصر النظر على سبب معين... ... ... ٢٩٣

المكتوب ١٥٠ : في بيان أن لا مستحق للمطلوبية غير الحق... ... ... ٢٩٤
المكتوب ١٥١ : في بيان علو شأن الطريقة النقشبندية... ... ... ٢٩٥
المكتوب ١٥٢ : في بيان أن إطاعة الرسول عين إطاعة الحق ٢٩٦
المكتوب ١٥٣ : في بيان الخلاص التام من رقية ما سواه تعالى... ... ... ٢٩٨
المكتوب ١٥٤ : في بيان ضرورية ترك النفس والسير إليها... ... ... ٢٩٩
المكتوب ١٥٥ : في التحريض على الرجوع إلى أصله... ... ... ٣٠٠
المكتوب ١٥٦ : في التحريض على صحبة أهل الله... ... ... ٣٠١
المكتوب ١٥٧ : في بيان لزوم إظهار التواضع والاحتياج عند حضور الأكابر.. ٣٠٢
المكتوب ١٥٨ : في بيان تفاوت مراتب الكمال بحسب تفاوت الاستعدادات.. ٣٠٤
المكتوب ١٥٩ : في التعزية... ... ... ٣٠٥
المكتوب ١٦٠ : في بيان أن مشائخ الطريقة قدس الله أسرارهم ثلاثة طوائف... ٣٠٦
المكتوب ١٦١ : في بيان أن المقصود من طي منازل السلوك حصول الإيمان الحقيقي... ... ... ٣١٠
المكتوب ١٦٢ : في بيان فضيلة شهر رمضان... ... ... ٣١١
المكتوب ١٦٣ : في بيان أن كلا من الإسلام والكفر ضد الآخر... ... . ٣١٣
المكتوب ١٦٤ : في بيان أن فيض الحق سبحانه وتعالى وارد على الخواص والعوام... ... ... ٣١٦
المكتوب ١٦٥ : في الترغيب في متابعة صاحب الشريعة... ... ... ٣١٧
المكتوب ١٦٦ : في عدم الاغترار بالحياة اليسيرة... ... ... ٣١٩
المكتوب ١٦٧ : في التحريض على عباده الله تعالى والتحذير عن عبادة الآلهة الباطلة... ... ... ٣٢٠
المكتوب ١٦٨ : في مدح الطريقة النقشبندية... ... ... ٣٢٢
المكتوب ١٦٩ : في قول من قال: "لو دخلت بيني وبين الحق سبحانه في وقت خاص بي معه تعالى أقطع رأسك" ٣٢٥

المكتوب ١٧٠ : في بيان لزوم مراعاة حقوق الخلق ومواساهم كمراعاة حقوقه تعالى... ... ... ٣٢٦
المكتوب ١٧١ : في بيان فضيلة اختيار الذل والانكسار وأداء وظائف العبودية. ٣٢٧
المكتوب ١٧٢ : في بيان بعض الأسرار الخاصة به... ... ... ٣٢٩
المكتوب ١٧٣ : في بيان أسرار غريبة متعلقة بالنفي والإثبات... ... ... ٣٣١
المكتوب ١٧٤ : في بيان أن والهي هذا الطريق لا يتسلون بهذه المعية... ... .. ٣٣٤
المكتوب ١٧٥ : في بيان تلوينات الأحوال وحصول التمكين... ... ... ٣٣٥
المكتوب ١٧٦ : في بيان أن حفظ الأوقات من ضروريات هذا الطريق... ... ٣٣٦
المكتوب ١٧٧ : في التحريض على تصحيح العقائد... ... ... ٣٣٧
المكتوب ١٧٨ : في تفويض شخص إليه... ... ... ٣٣٨
المكتوب ١٧٩ : في النصيحة... ... ... ٣٣٩
المكتوب ١٨٠ : في الاستفسار عن أسامي بعض مشائخه الذي وقع فيه التردد. ٣٤٠
المكتوب ١٨١ : في سبب مشاهدة بعض المشايخ في مقام أعلى من مقاماهم.. ٣٤٢
المكتوب ١٨٢ : في بيان كون الخواطر والوساوس من كمال الإيمان... ... ... ٣٤٤
المكتوب ١٨٣ في النصيحة... ... ... ٣٤٥
المكتوب ١٨٤ : في التحريض على متابعة سيد المرسلين... ... ... ٣٤٦
المكتوب ١٨٥ : في تفويض شخص... ... ... ٣٤٧
المكتوب ١٨٦ : في الحث على متابعة السنة والاجتناب عن البدعة... ... ... ٣٤٨
المكتوب ١٨٧ : في أفضلية طريق الرابطة على الذكر بالنسبة إلى المريد... ... . ٣٥٠
المكتوب ١٨٨ : في حل إشكال المسائل التي سأل عنها... ... ... ٣٥١
المكتوب ١٨٩ : في بيان فضل تذكر الفقراء مع كثرة الاشتغال... ... ... ٣٥٢
المكتوب ١٩٠ : في التحريض على المداومة على الذكر... ... ... ٣٥٣
المكتوب ١٩١ : في الحث على اتباع الأنبياء... ... ... ٣٥٥
المكتوب ١٩٢ : في جواب استفسار... ... ... ٣٥٧

المكتوب ١٩٣ : في الحث على تصحيح العقائد على وفق آراء أهل السنة والجماعة... ... ... ٣٥٨
المكتوب ١٩٤ : في التحريض على ترويج الملة تأييد الدين ٣٦١
المكتوب ١٩٥ : في الحث على ترويج الشريعة وإظهار الأسف على ضعف الإسلام... ... ... ٣٦٢
المكتوب ١٩٦ : في بيان أن هذا الطريق الذي نحن في صدد قطعه سبعة أقدام.. ٣٦٣
المكتوب ١٩٧ : في مدح من تبرد قلبه من الدنيا وتأثر من محبة الحق... ... ... ٣٦٤
المكتوب ١٩٨ : في بيان أن المودة بين الفقراء الأغنياء متعسرة في هذا الزمان جدا... ... ... ٣٦٥
المكتوب ١٩٩ : إلى الملا محمد أمين الكابلي... ... ... ٣٦٦
المكتوب ٢٠٠ : في حل بعض عبارات النفحات... ... ... ٣٦٧
المكتوب ٢٠١ : إلى كوك بيك الحصاري في جواب استفساره... ... ... ٣٧١
المكتوب ٢٠٢ : في ذم جماعة دخلوا في الطريقة ثم خرجوا منها بلا موجب... ٣٧٢
المكتوب ٢٠٣ : في التحريض على محبة هذه الطائفة وبيان نبذة من مدحهم... ٣٧٤
المكتوب ٢٠٤ : في النهي عن التأثر من تعرضات المعاندين والحاسدين... ... . ٣٧٦
المكتوب ٢٠٥ : في بيان أن ملاك الأمر متابعة النبي ٣٧٧
المكتوب ٢٠٦ : في مذمة الدنيا وترك الالتفات إلى تنعماتها... ... ... ٣٧٨
المكتوب ٢٠٧ : في بيان تأثير القرب الجسماني في القرب الروحاني... ... ... ٣٨٠
المكتوب ٢٠٨ : في جواب سؤال عن رؤية السالك نفسه أحيانا في مقامات الأنبياء ٣٨٢
المكتوب ٢٠٩ : في حل بعض عبارات رسالة المبدأ والمعاد المغلقة... ... . ٣٨٤
المكتوب ٢١٠ : في حل بعض عبارات النفحات وبعض النصائح الضرورية... ٣٩٠
المكتوب ٢١١ : في بيان بعض لوازم مقام التكميل والإرشاد... ... ... ٣٩٤
المكتوب ٢١٢ : في جواب بعض أسئلته وحل واقعة رآها... ... ... ٣٩٥

المكتوب ٢١٣ : في المواعظ والنصائح بالترغيب في اتباع علماء أهل السنة والجماعة... ... ... ٣٩٧
المكتوب ٢١٤ : في بيان أن الدنيا مزرعة الآخرة... ... ... ٣٩٩
المكتوب ٢١٥ : في مذمة الدنيا... ... ... ٤٠١
المكتوب ٢١٦ : في بيان سر كثرة ظهور الخوارق للعادات من بعض الأولياء.. ٤٠٢
المكتوب ٢١٧ : في بيان أن نسبة الباطن كلما تنجر إلى الجهالة والحيرة تكون أحسن ٤٠٥
المكتوب ٢١٨ : في بيان لزوم رعاية آداب شيخ الطريقة... ... ... ٤٠٩
المكتوب ٢١٩ : في بيان أن اشتغال الإنسان بما لا يعنيه من جهله وغفلته... .. ٤١٠
المكتوب ٢٢٠ : في بيان بعض أغلاط الصوفية وبيان منشأ غلطاهم... ... ... ٤١٢
المكتوب ٢٢١ : في خصائص الطريقة النقشبندية وأفضليتها على سائر الطرق.. ٤١٦
المكتوب ٢٢٢ : في بيان سوء الأحوال ورؤية القصور في الأعمال... ... . ٤٢٣
المكتوب ٢٢٣ : في التحريض على إظهار الأحوال لشيخه... ... ... ٤٢٥
المكتوب ٢٢٤ : في بيان رعاية الآداب ودفع التوهم... ... ... ٤٢٦
المكتوب ٢٢٥ : في بيان أن في بداية هذا الطريق يحصل ما يحصل في نهاية الطرق... ... ... ٤٢٩
المكتوب ٢٢٦ : في بيان اغتنام الفرصة... ... ... ٤٣٠
المكتوب ٢٢٧ : في بعض النصائح والمواعظ التي تتعلق بمقام المشيخة... ... .. ٤٣١
المكتوب ٢٢٨ : في بعض النصائح المتعلقة بمقام التكميل... ... ... ٤٣٣
المكتوب ٢٢٩ : في دفع توهم تغيير الطريقة بضرب المثل... ... ... ٤٣٤
المكتوب ٢٣٠ : في علو الهمة وعدم الاكتفاء بكل ما يحصل والاجتهاد في الترقي... ... ... ٤٣٦
المكتوب ٢٣١ : في بيان الفرق بين الوصول والحصول... ... ... ٤٣٧
المكتوب ٢٣٢ : في بيان حقيقة الدنيا وقبح زخرفاها الردية... ... ... ٤٣٩

المكتوب ٢٣٣ : في بعض النصائح بحسن الأداء ٤٤١
المكتوب ٢٣٤ : في بيان حقيقة الواجب الوجود وحقائق الممكنات ٤٤٣
المكتوب ٢٣٥ : في بيان أن محبة هذه الطائفة رأس كل سعادة دنيوية وأخروية ٤٥٣
المكتوب ٢٣٦ : في بيان بعض الأسرار ٤٥٤
المكتوب ٢٣٧ : في الترغيب في متابعة السنة السنية ٤٥٥
المكتوب ٢٣٨ : في الحث على تكثير الإخوان والتحذير عن العجب من أحوال المريدين ٤٥٧
المكتوب ٢٣٩ : في جواب استفسارات ٤٥٩
المكتوب ٢٤٠ : في بيان عدم نهاية هذا الطريق ٤٦١
المكتوب ٢٤١ : في بيان ترقي بعض الأصحاب ٤٦٣
المكتوب ٢٤٢ : إلى الملا بديع الدين في جواب أسئلته ٤٦٤
المكتوب ٢٤٣ : في الترغيب في الطريقة النقشبندية العلية ٤٦٥
المكتوب ٢٤٤ : إلى الملا محمد صالح الكولابي في جواب كتابه ٤٦٧
المكتوب ٢٤٥ : إلى الملا صالح في جواب استفساراته ٤٦٨
المكتوب ٢٤٦ : في بيان حصول مقام كان يتوقعه ويترصده ٤٧٠
المكتوب ٢٤٧ : في بيان أن الدليل على وجود الحق هو عين وجود الحق لا غير ٤٧٢
المكتوب ٢٤٨ : في بيان أن لكمال اتباع الأنبياء نصيبا من جميع كمالاتهم بالتبعية ٤٧٣
المكتوب ٢٤٩ : في فضائل اتباع النبي ٤٧٥
المكتوب ٢٥٠ : إلى الملا أحمد البركي في حل بعض استفساراته ٤٧٦
المكتوب ٢٥١ : في بيان فضائل الخلفاء الراشدين خصوصا الشيخين ٤٧٧
المكتوب ٢٥٢ : إلى الشيخ بديع الدين في جواب استفساراته ٤٨٥
المكتوب ٢٥٣ : في تفصيل بعض مقامات الطريق ومنازل على طريق الرمز والإجمال ٤٨٦
المكتوب ٢٥٤ : إلى الملا أحمد البركي في جواب بعض أسئلته ٤٨٨

المكتوبات الربانية

للإمام الرباني أحمد بن عبد الأحد
السرهندي الفاروقي النقشبندي
المتوفى ١٠٣٤ هـ

جمعها
يار محمد الجديد البدخشي الطالقاني

علق عليها ووضع حواشيها
مصطفى حسنين عبد الهادي

المجلد الثاني

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
DKi
بيروت - لبنان

المكتوبات الربانية

للإمام الرباني أحمد بن عبد الأحد
السرهندي الفاروقي النقشبندي
المتوفى ١٠٣٤هـ

جمعها

يار محمد الجديد البدخشي الطالقاني

علق عليها ووضع حواشيها

مصطفى حسنين عبد الهادي

الجزء الثاني

دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

الكتاب: المكتوبات الربانية

Title : AL-MAKTUBĀT AR-RABBĀNIYYA

التصنيف: تصوف

Classification: Sufism

المؤلف: الإمام أحمد بن عبد الأحد السرهندي الفاروقي النقشبندي (ت 1034هـ)

Author : Al-Imam Ahmad ben Abdul-Ahad As-Sarhandi
Al-Farouqi An-Naqshabandi (D.1034H.)

المحقق: مصطفى حسنين عبد الهادي

Editor : Mustafa Hasanayn Abdul-Hadi

الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

Publisher: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

Pages (3 Volumes)	1472	عدد الصفحات (3 مجلدات)
Size	17x24 cm	قياس الصفحات
Year	2015 A.D - 1436H.	سنة الطباعة
Printed in: Lebanon		بلد الطباعة: لبنان
Edition: 2nd		الطبعة: الثانية

Exclusive rights by © Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut-Lebanon No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à © Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beyrouth-Liban Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت-لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.O.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

ISBN-13: 978-2-7451-4111-8
ISBN-10: 2-7451-4111-2

بسم الله الرحمن الرحيم

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالخَمْسُونَ وَالمِائَتَانِ
إِلى الملا طَاهِرِ اللاهوري
فِي التَّحْرِيضِ عَلى إِحْيَاءِ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ وَرَفْعِ البِدْعَةِ الغَيْرِ مَرْضِيَّةِ

الحَمْدُ للّٰهِ وَسَلامٌ عَلى عِبَادِهِ الذينَ اصْطَفَى وَصَل المَكْتُوبُ الشَّرِيفُ المُرْسَل مَعَ الحَافِظِ بَهاءِ الدِّين وَأَوْرَثَ فَرَحاً وَافِرًا حَبَّذَا النِّعْمَة تَوَجُّه المُحِبِّينَ وَالمُخْلِصينَ بِجَمِيعِ هِمَّتِهِمْ إِلى إِحْيَاءِ سُنَّة مِنَ السُّنَنِ المُصْطَفَوِيَّة عَلى صَاحِبِهَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالتَّحِيَّةُ وَإِرَادَتُهُمْ بِكُلِّيَتِهِمْ رَفْعَ بِدْعَةٍ مِنَ البِدَعِ غَيْرِ المَرْضِيَّةِ فَإِنَّ كُلاً مِنَ السُّنَّةِ وَالبِدْعَةِ ضِدُّ الأُخْرَى وَوُجُودُ إِحْدَاهما مُسْتَلْزِمٌ الأُخْرى، فَوُجُود السُّنَّة مُسْتَلْزمُ البِدْعَةِ وَبِالعَكْسِ فَكَيْفَ تَصِحُ تَسْمِيَةُ البَدْعَةِ حَسَنَةً مَعَ كَوْنِهَا مُسْتَلْزِمَةً لِرَفْعِ السُّنَّةِ إِلاّ أَنْ يُرَادَ بِالحَسَنِ الحَسَنُ النِّسْبِيُّ فَإِنَّهُ لاَ مَجَال للحَسَنِ المُطْلَق هُنَا؛ لأَنَّ جَمِيعَ السُّنَنِ مَرَاضِي الحَقّ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - وَأَضْدَادُهَا مَرْضِيَّاتُ الشَّيْطَانِ وَهَذَا الكَلامُ وَإِنْ كَانَ اليَوْمَ ثَقِيلاً عَلى الأَكْثَرِين بِوَاسِطَةِ شُيُوعِ البِدْعَةِ وَلَكِنَّهُمْ سَيَعْلَمُونَ غَدًا أَنَّنَا عَلى الهِدَايَةِ أَوْ إِيَّاهُمْ وَوَرَدَ أَنَّ المَهْدِيَّ المَوْعُودَ إِذَا أَرَادَ تَرْوِيجَ الدِّين وَإِحْيَاءَ السُّنَّة في زَمَانِ سَلطَنَتِهِ بِقَوْل عَالم المَدِينَةِ الذي اعْتَادَ عَلى العَمَلِ بِالبِدْعَةِ وَظَنَّهَا حَسَنَةً وَأَلْحقَهَا بِالدِّينِ بِهَذَا الظَّنِّ مُتَعَجِّبًا أَنَّ هَذَا الرَّجُل يُرِيدُ رَفْعَ دِينِنا وَإِزَالَةَ ملتنَا فَيَأْمُرُ المَهْدِيُّ بِقَتْلِهِ وَيَرى مَا اعْتَقَدَ أَنَّهُ حَسَنٌ سَيِّئًا ذَلِكَ فَضْل اللّٰهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللّٰهُ ذُو الفَضْل العَظِيمِ وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَعَلى سَائِرِ مَنْ لَدَيْكُمْ.

وَقَدْ غَلَبَ النِّسْيَانُ عَلى الفَقِيرِ حَتَّى لاَ أَعْلَمَ الآنَ إِلى مَنْ فَوَّضْتُ مَكْتُوبَكُمْ فَأَكْتُبُ جَوابَ الاسْتِفْسَارَاتِ فَيُرْجَى مُسَامَحَتُكُمْ وَالشَّيْخُ مِيَانُ أَحْمَدُ الغَزْمَلِيُّ مِنَ المُحِبِّينَ وَحَيْثُ إِنَّهُ وَاقِعٌ فِي جِوارِكُمْ يَنْبَغِي رِعَايَةُ الالتِفَاتِ وَالتَّوَجُّه فِي حَقِّه.

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالخَمْسُونَ وَالمائَتَان
إلى الشَّيْخ بَديعِ الدِّين
فِي جَوَابِ سُؤَالِه عَنِ القُطْبِ وَقُطْبِ الأَقْطَابِ وَالغَوْثِ وَالخَلِيفَة وَمَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ

الحَمْدُ لله وَالسَّلَامُ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى وَصَل المَكْتُوبُ الشَّرِيفُ المُرْسَل صُحْبَةَ الدَّرْوِيشِ فَأَوْرَثَ فَرَحًا وَافرًا وَسُئِلتُ عَنْ مَعْنَى القُطْبِ وَقُطْبِ الأَقْطَاب وَالغَوْث وَالخَلِيفَة وَعَنْ خدْمَة كُل مِنْهُمْ وَوَظِيفَته وَأَنَّهُ هَل لهُمْ اطِّلَاعٌ عَلى خدْمَتِهِمْ أَمْ لاَ وَالبِشَارَة بِقُطْبِيَّة الأَقْطَابِ التي تَجيءُ مِنْ عَالِمِ الغَيْبِ هَل لهَا أَصْل أَوْ هِيَ مِنَ اخْتِرَاعِ الخَيَال وَالوَهْمِ.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنْ كَمَال اتِّبَاعِ نَبيٍّ عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذَا أَتَمُّوا بِالتَّبَعِيَّة مَقَامَ النُّبُوَّة يُشَرَّفُ بَعْضُهمْ بِمَنْصِبِ الإمَامَة وَبَعْضُهمْ يَكْتَفِي بِمُجَرَّد حُصُول ذَلكَ الكَمَال وَهَذَانَ المُعَظَّمَان مُتَسَاوِيَان فِي نَفْسِ حُصُول ذَلكَ الكَمَال وَإِنَّمَا التَّفَاوُتُ فِي حُصُول المَنْصِب وَعَدَمه وَفِي أُمُور تَتَعَلَّقُ بِذَلكَ المَنْصِب وَإِذَا أَتَمَّ الاتِّبَاعَ الكَمَال كَمَالَات الوِلَايَة يُشَرَّفُ بَعْضُهمْ بِمَنْصِب الخلَافَة وَيَكْتَفي بَعْضُهمْ بِمُجَرَّد حُصُول تلكَ الكَمَالَاتِ كَمَا مَرَّ آنِفًا وَكُل مِنْ هَذَيْنِ المَنْصِبَيْنِ يَتَعَلَّقُ بِالكَمَالَات الأَصْلِيَّة.

وَأَمَّا فِي الكَمَالَات الظِّلِّيَّة فَالمُنَاسِبُ لمَنْصِب الإمَامَة يَعْنِي لأَنْ يَكُونَ حذَاءَهُ وَظلهُ هُوَ مَنْصِبُ قُطْبِ الإرْشَاد وَالمُنَاسِبُ لمَنْصَبِ الخلَافَة مَنْصِبُ قُطْبِ المَدَارِ وَكَأَنَّ هَذَيْنَ المَقَامَيْنِ التَّحْتَانِيَّيْنِ ظلَال ذَيْنِكَ المَقَامَيْنِ الفَوْقَانِيَّيْنِ.

وَالغَوْثُ عنْدَ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ بْنِ عَرَبِيٍّ - قُدِّسَ سرُّهُ - هُوَ قُطْبُ المَدَارِ المَذْكُور وَلَيْسَتْ الغَوْثِيَّة عنْدَهُ مَنْصِبًا عَلى حدَة وَمُمْتَازَة عَنْ مَنْصب القُطْبِيَّة وَمَا هُوَ مُعْتَقَدُ الفَقير أَنَّ الغَوْثَ غَيْرُ قُطْبِ المَدَار بَل هُوَ مُمدُّهُ وَمُعَاوِنُهُ فِي أُمُورِه وَشُئُونه.

وَقُطْبُ المَدَارِ يُسْتَمَدُّ مِنْهُ فِي بَعْضِ الأُمُور،

وَفِي تَعْيِين مَنَاصب الأَبْدَال وَنَصْبِهِمْ لهُ دَخْل أَيْضًا وَيُقَال للقُطْب بِاعْتِبَارِ الأَعْوَان وَالأَنْصَارِ قُطْبُ الأَقْطَاب أَيْضًا؛ لأَنَّ أَعْوَانَ قُطْبِ الأَقْطَابِ وَأَنْصَارَه حُكَّامٌ وَمِنْ هُنَا قَال صَاحِبُ الفُتُوحَات المَكِّيَّة:

مَا مِنْ قَرْيَةٍ مُؤْمِنَةٍ كَانَتْ أَوْ كَافِرَةٍ إِلاَّ وَفِيهَا قُطْبٌ.

وَاعْلَمْ أَنَّ صَاحِبَ المَنْصِبِ صَاحِبُ عِلم البَتَّةَ وَأَمَّا الذي فيه كَمَال ذَلكَ المَنْصِبِ دُونَ نَفْسِ المَنْصِبِ فَلاَ يَلزَمُ كونُهُ مِنَ أَرْبَابِ العِلمِ وَكَوْنُهُ مُطلعًا عَلى خِدْمَاتِهِ.

وَالبِشَارَةُ التي تَصِل مِنْ عَالم الغَيْبِ هِيَ بِشَارَةُ حُصُول كَمَالاَتِ ذَلكَ المَقَامِ لاَ بِشَارَةُ حُصُول مَنصِبِ ذَلكَ المَقَام التِي هِيَ مَنُوطَةٌ بِالعِلم.

وَسَأَلتَ أَيْضاً أَنَّهُ مَا المُرَادُ بَالإيمَانِ الوَاقِع فِي حَدِيثِ (لَوْ وُزِنَ إِيمَانُ أَبِي بَكر بَإِيمَانِ أُمَّتِي لرَجَحَ) وَمَا سَبَبُ رُجْحَانِ الإِيمَانِ بِوَاسِطَةِ رُجْحَانِ المُؤمِنِ بِهِ وَحَيْثُ كَانَ مُتَعَلقُ إِيمَانِ أَبِي بَكرٍ مُتَعلقَاتِ إِيمَانِ الأُمَّة يَكُونُ رَاجِحًا أَلبَتَّةَ.

أَيُّهَا المَخْدُومُ: إِنَّ مُعَامَلَةَ السَّالكِ قَدْ تَبْلغُ فِي عُرُوجَاتِهِ مَبْلغًا لوْ تَفُوقُ مِنْهُ مِقْدَارَ نُقْطَةٍ تَكُونُ الكَمَالاَتُ التي تَحْصُل بِسَبَبِ هَذَا العُرُوجِ وَالتَّفَوُّقِ أَزْيَدَ مِنْ جَمِيعِ الكَمَالاَتِ السَّابِقَةِ؛ لأَنَّ تِلكَ النُّقْطَةَ أَزْيَدُ مِنْ جَمِيعِ مَا تَحْتَهَا وَكَذَلكَ حَال النُّقْطَةِ التِي فَوْقَ هَذِهِ النُّقْطَةِ فَإِنَّ هَذِهِ النُّقْطَةَ حَقِيرَةٌ فِي جَنْبِهَا وَعَلى هَذَا القِيَاسِ فَمَنْ كَانَ مُتَعَلقُ إِيمَانِهِ كَمَالَ الفَوْقِ وَغَايَتَهُ يَكُونُ رَاجِحًا البَتَّةَ عَلى جَميع مَا تَحْتَهُ.

وَمِنْ هُنَا قَالوا: تَبْلغُ مُعَامَلةُ العَارِف مَبْلغًا يُكْتَسَبُ فِي طَرْفَةِ العَيْنِ مِثْل جَمِيعِ كَمَالاَتِهِ المُتَقَدِّمَةِ وَعَلى مِقْيَاسِ تَحْقِيقِ الفَقِيرِ يَحْصُل فِي لَمْحَةٍ أَزْيَدُ مِنْ جَمِيعِ الكَمَالاَت المُتَقَدِّمَة ﴿ذَلكَ فَضْل اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾[1].

وَسَأَلتَ أَيْضًا أَنَّهُ ذَكَرَ الشَّيْخ ابْنُ عَرَبِيٍّ وَأَتْبَاعُهُ: إِنَّ الأَطْفَال الذينَ قُتِلوا بِسَبَبِ مُوسَى ـ عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ـ انْتَقَلت اسْتِعْدَادَاتُ كُلهِمْ إِلى مُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ فَنَرْجُو تَحْرِيرَ حَقِيقَةِ هَذَا الكَلاَم بِالتَّفْصِيل؟

اعْلمْ أَنَّ هَذَا الكَلاَمَ أَصِيل؛ لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ بِالتَّحْقِيقِ فَكَمَا أَنَّ شَخْصًا وَاحِدًا يُجْعَل سَبَبًا لحُصُولِ الكَمَالاَتِ لجَمَاعَةٍ كَذَلكَ تُجْعَلُ الجَمَاعَة سَبَبًا لحُصُول الكَمَالاَتِ لشَخْصٍ وَاحدٍ فَإِنَّ الشَّيْخَ وَإِنْ كَانَ سَبَبًا لحُصُولِ الكَمَالاَتِ للمُرِيدِينَ وَلكِنَّ لِلمُرِيدِينَ أَيْضًا أَسْبَابًا لِحُصُول الكَمَالاَتِ للشَّيْخ وَهَذَا الفَقِيرُ أَحَسَّ هَذَا المَعْنَى فِي المَأكُولاَتِ وَالمَشْرُوبَاتِ التي صَارَتْ أَجْزَاءَ بَدَنِه بِحَيْثُ كُلمَا تَنَاوَلهُ مِن طَعَام أَوْ شَرَاب صَارَ ذَلكَ سَبَبًا لجَامِعِيَّةِ اسْتِعْدَادِهِ وَظَهَرَتْ بِهِ قَابِلِيَّةٌ أُخْرَى فَإِذَا قَصَدَ فِي بَعْضِ الأَوْقَاتِ تَرْكَ المَأكُولاَتِ اللذِيذَة مُنِعَ مِنْ ذَلكَ

---

(١) ـ الآية: ٢١ من سورة الحديد، والآية: ٤ من سورة الجمعة.

بِوَاسِطَةِ تَحْصِيلِ هَذِهِ الجَامِعِيَّةِ وَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ تَرْكُ ذَلِكَ الطَّعَامِ اللَّذِيذِ بِسَبَبِ حُصُولِ تلك القَابِلِيَّةِ وَكَمْ من اسْتِعْدَادٍ انْتَقَلَ مِنْ شَخْصٍ إِلى آخَرَ كُلاً أَوْ بَعْضًا وَصَارَ مَحْسُوسًا أَنَّ ذَلِكَ الشَّخْصَ بَقِيَ خَالِيًا وَحَصَّلَ الآخَرُ جَمْعِيَّهُ.

وَسَأَلْتَ أَيْضًا أَنَّ الشَّيْخَ نَجْمَ الدِّينِ الكُبْرِي أَرْسَلَ واحِدًا مِنْ مُرِيدِيهِ عِنْدَ وَاحِدٍ مِنَ الأَعِزَّةِ لِيَسْتَفْهِم مِنْهُ أَنَّهُ تَحْتَ قَدَمِ أَيِّ نَبِيٍّ فَقال لَهُ الشَّيْخُ المُرْسَل إِلَيْهِ: فِي أَيِّ شُغْلٍ جُهُودُك؟

فَفَهِمَ الشَّيْخُ نَجْمُ الدِّينِ مِنْ هَذَا الكَلاَمِ أَنَّهُ تَحْتَ قَدَمِ مُوسَى ـ عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ـ بِأَيِّ وَجه يُفْهَمُ هَذَا المَعْنَى مِنْ هَذِهِ العِبَارَةِ.

اعْلَمْ أَنَّ الجُهُودَ يُطْلَقُ عَلى اليَهُودِ وَهُمْ مِنْ أُمَّةِ مُوسَى ـ عَلَيْه السَّلاَمُ ـ.

وَسَأَلْتَ أَيْضًا أَنَّهُ كُتِبَ فِي النَّفَحَاتِ أَنَّ وِلاَيَةَ جَمِيعِ الأَوْلِيَاءِ تُسْلبُ بَعْدَ المَوْتِ إِلاَّ وِلاَيَةَ أَرْبَعَةٍ مِنْهُمْ.

اعْلَمْ أَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مُرَادُهُ بِالوِلاَيَةِ التَّصَرُّفَاتِ وَظُهُورَ الكَرَامَاتِ لاَ أَصْلَ الوِلاَيَة التي هِيَ عِبَارَةٌ عَنْ قُرْبٍ إِلهِيٍّ ـ جَل سُلْطَانُهُ ـ وَأَنْ يَكُونَ مُرَادُه بِالسَّلْبِ أَيْضًا سَلبَ كَثْرَةِ ظُهُورِ الكَرَامَاتِ لاَ سَلبَ أَصْلِ الظُّهُورِ مَعَ أَنَّ هَذَا الكَلاَمَ كَشْفِيٌّ ومَجَال الخَطَأ كَثِيرٌ فِي الكَشْفِ فَلاَ يُدْرَى مَاذَا رَأَى وَمَاذَا فَهِمَ.

وَطَلَبْتَ ظُهُورَ بَعضِ كَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ فَكُنْ مُنْتَظِرًا سَيَجْعَل الله بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا.

وَسَأَلتَ أَنَّهُ قَال فِي تَفْسِيرِ النَّيسَابُورِيِّ: إِنَّ شَانِيك هُوَ الأَبْتَرُ بِاليَاء فَمَا التَّحْقِيقُ فِيهِ بِاليَاءِ أَوْ بِالهَمْزَةِ؟

اعْلَمْ أَنَّهُ بِالهَمْزَةِ وَالذِي كُتِبَ بِاليَاءِ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ قِرَاءَةً غَيْرَ مَشْهُورَةٍ.

وَكَتَبْتَ أَنَّ بَعْضَ النِّسَاءِ يَطْلُبْنَ الاشْتِغَال بَالطَّرِيقَةِ فَإِنْ كُنَّ مَحَارِمَ فَمَا المَانِعُ وَإِلاَّ يَقْعُدْنَ وَرَاءَ الحِجَابِ وَيَأْخُذْنَ الطَّرِيقَةَ.

وَسَأَلْتَ أَنَّ أَرْبَابَ الحَدِيثِ أَثْبَتُوا فِي كُل شَهْرٍ أَيَّامًا مَنْهِيَّةً وَنَقَلُوا الحَدِيثَ فِي هَذَا البَابِ فَمَاذَا نَفْعَل.

قَالَ وَالِدُ الفَقِيرِ ـ قُدِّسَ سِرُّهُ ـ: إِنَّ الشَّيْخَ عَبْدَ اللَّهِ وَالشَّيْخَ رَحْمَةَ الله اللَّذَيْنِ كَانَا مِنْ أَكَابِرِ المُحَدِّثِينَ وَلَقَّبَا فِي الحَرَمَيْنِ بِالشَّيْخَيْنِ وَرَدَا إِلى الهِنْد وَقَالاَ: إِنَّ هَذَا الحَدِيثَ نَقَلَهُ الكَرْمَانِيُّ شَارِحُ البُخَارِيِّ لكِنَّهُ ضَعِيفٌ.

وَالحَدِيثُ الصَّحِيحُ فِي هَذَا البَابِ الأَيَّامُ أَيَّامُ اللَّهِ وَالعِبَادُ عِبَادُ اللَّهِ

وَقَالاَ أَيْضًا: إِنَّ نُحُوسَةَ الأَيَّام زَالَتْ وَارْتَفَعَتْ بِوِلاَدَةِ مَنْ أُرْسِلَ رَحْمَةً لِلعَالَمِينَ عَلَيْهِ وعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ وَكَانَتْ نُحُوسَةُ الأَيَّامِ بِالنِّسْبَةِ إِلى الأُمَمِ المَاضِيَةِ.

وَعَمَل الفَقِيرِ أَيْضًا عَلى ذَلكَ لاَ أُرَجِّحُ يَوْمًا عَلى يَوْمٍ أَصْلاً مَا لَمْ يُعْلَمْ تَرْجِيحُه مِنَ الشَّارِعِ كَيَوْم الجُمْعَةِ وَأَيَّام رَمَضَانَ وَنَحْوِهِمَا.

وَكَتَبْتَ أَيْضًا بَأَنِّي مَا وَجَدْتُ المَعَارِفَ المُتَعَلقَةَ بِتَحمُّل ثِقَل النُّبُوَّةِ فِي مَكْتُوب الخواجهْ مُحَمَّدِ أَشْرَفَ مِنْ أَيْنَ تَجِدُهُ فَإِنَّهُ حَرَّرَ فِي هَذِه الأَيَّام وَلَمْ يَبْلغْكَ ثِقَلهُ وَالمَكْتُوبُ طَوِيل عَرِيضٌ يَزِيدُ عَلى كُرَّاسَةٍ وَقَدْ أَمَرْتُ بِإِرْسَالَ نَقْله إِلَيْكُمْ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالخَمْسُونَ وَالمائَتَان
إلى المِيْرِ نُعْمَانَ
فِي بَيَانِ الطُّرُقِ عَلَى طَرِيقِ الإجْمَال

بَعْدَ الحَمْدِ وَالصَّلوَات وَتَبْلِيغِ الدَّعَوَات أُنْهِيَ أَنَّ المَكْتُوبَ الشَّرِيفَ المُرْسَلَ صُحْبَةَ الشَّيْخِ أَحْمَدَ الفَرْمَلِيِّ قَدْ وَصَلَ وَأَوْرَثَ بِوُصُولِه فَرَحًا وَافِرًا وَطَلَبْتَ رِسَالَةً فِي بَيَانِ الطَّرِيقِ قَدْ حَرَّرْتُ المُسَوَّدَات فيه فَإذَا نَقَلْتُ إلى البَيَاضِ بِتَوْفِيقِ الله أَرْسَلهَا وَالآنَ أَكْتُبُ فِقْرَات فِي بَيَانِ الطَّرِيقِ بِطَرِيقِ الإجْمَال يَنْبَغِي اسْتِمَاعُهَا بِسَمْعِ العُقَل.

أَيُّهَا السَّيِّدَانِ الطَّرِيقُ الذي اخْتَرْنَاهُ نَحْنُ ابْتِدَاءَ مَسِيرُه مِنَ القَلْبِ الذي هُوَ مِنْ عَالَمِ الأَمْرِ وَبَعْدَ القَلْبِ يَقَعُ السَّيْرُ فِي مَرَاتِبِ الرُّوحِ التي فَوْقَهُ وَبَعْدَ الرُّوحِ تَكُونُ هَذه المُعَامَلَةُ بِالسِّرِّ الذي فَوْقَهَا وَهَكَذَا الحَال فِي الخَفِيِّ وَالأَخْفَى وَبَعْدَ طَيِّ مَنَازِل هَذه اللطَائِفِ الخَمْسِ وَحُصُول العُلُومِ المُتَعَلِّقَة بِكُلٍّ مِنْهَا عَلَى حِدَة.

وَحُصُول المَعَارِف كَذَلِكَ وَبَعْدَ تَحَقُّقِ الأَحْوَال وَالمَوَاجِيد المَخْصُوصَة بِكُل وَاحِد مِنْ هَذه الخَمْسِ مُنْفَرِدَةً مُنْفَرِدَةً يَقَعُ السَّيْرُ فِي أُصُول هَذه الخَمْسِ التي هِيَ فِي العَالَمِ الكَبِيرِ فَإنَّ كُلمَا هُوَ فِي العَالَمِ الصَّغِيرِ أَصْلُهُ فِي العَالَمِ الكَبِيرِ وَالمُرَادُ بِالعَالَمِ الصَّغِيرِ الإنْسَانُ وَبِالعَالَمِ الكَبِيرِ سَائِرُ الكَائِنَات وَشُرُوعُ السَّيْرِ فِي أُصُول هَذه الخَمْسِ مِنَ العَرْشِ المَجِيد الذي هُوَ أَصْلُ قَلْبِ الإنْسَان وَفَوْقَهُ أَصْلُ الرُّوحِ الإنْسَانِيَّة وَفَوْقَهُ أَصْلُ السِّرِّ وَفَوْقَهُ أَصْلُ الخَفِيِّ وَفَوْقَهُ أَصْلُ الأَخْفَى فَإذا طُوِيَ سَيْرُ هَذه الأُصُول الخَمْسَة مِنَ العَالَمِ الكَبِيرِ بِالتَّفْصِيل وَانْتَهَى إلى نُقْطَة أَخِيرَة فَقَدْ أَتَمَّ سَيْرَ دَائِرَة الإمْكَان وَوَضَعَ القَدَمَ عَلى أَوَّل مَنْزِل مِنْ مَنَازِل الفَنَاءِ فَإنْ وَقَعَ التَّرَقِّي بَعْدَ ذَلكَ يَكُونُ السَّيْرُ فِي ظِلال الأَسْمَاء وَالصِّفَات الإلهيَّة - جَل سُلْطَانُهُ - وَهَذه الظِّلال كَالبَرَازِخِ بَيْنَ الوَاجِب وَالإمْكَان وَأُصُول لِتِلْكَ الأُصُول الخَمْسَة التي فِي العَالَمِ الكَبِيرِ وَيَكُونُ السَّيْرُ فِي هَذه الظِّلال أَيْضًا عَلى التَّرْتِيب المَذْكُورِ فِي فُرُوعِهَا فَإنْ طَوَى بِفَضْلِ الله - سُبْحَانَهُ - المَنَازِل المُتَكَثِّرَة مِنْ هَذه الظِّلال وَانْتَهَى إلى نُقْطَتِهَا الأَخِيرَة يَكُونُ شُرُوعًا فِي أَسْمَاء الوَاجِب وَصِفَاته - جَل سُلْطَانُهُ - وَتَقَعُ تَجَلِّيَاتُ الأَسْمَاء وَالصِّفَات وظُهوراتُ الشُّئُون وَالاعْتِبَارَات فَعِنْدَ ذَلكَ يَكُونُ قَدْ أَتَمَّ مُعَامَلَةَ اللطَائِف الخَمْسِ الأَمْرِيَّة وَأَدَّى حَقَّهَا فَإنْ وَقَعَ التَّرَقِّي بِفَضْلِ الله - سُبْحَانَهُ - بَعْدَ ذَلكَ مِنْ هَذَا المَقَامِ تَقَعُ المُعَامَلَةُ عَلى اطْمِئْنَانِ النَّفْسِ وَيَتَيَسَّرُ حُصُول

مَقَام الرِّضَا الذي هُوَ نِهَايَةُ مَقَامَات السُّلوكِ وَيَحْصُل فِي هَذَا المَقَامِ شَرْحُ الصَّدْرِ وَيَتَشَرَّفُ فيه بالإِسْلاَمِ الحَقِيقِيِّ.

وَالكَمَالاَتُ التي تَحْصُل فِي هَذَا المَوْطنِ حُكْمُ الكَمَالاَت المُتَعلقة بعَالمِ الأَمْرِ فِي جَنْبِهَا كَحُكْمِ القَطْرَة فِي جَنْب البَحْرِ المُحيط وكُل هَذه الكَمَالاَت المَذْكُورَة مُتَعلقةٌ باسْمِ الظَّاهِرِ وَالكَمَالاَتُ المُتَعلقَةَ باسْمِ البَاطنِ هِيَ غَيْرُهَا وَلَهَا مُنَاسَبَةٌ بالاسْتتَارِ وَالتَّبَطُّنِ فَإِذَا حَصَلتْ كَمَالاَتُ هَذَيْن الاسْمَيْنِ المُبَارَكَيْن بتَمَامهَا يَتَيَسَّرُ للسَّالكِ جَنَاحَان للطَّيَرَان ليَطيرَ بقُوَّتهمَا إِلى عَالمِ القُدْسِ وَتَحْصُل لَهُ تَرْقيَاتٌ خَارِجَةٌ عَنِ القِيَاسِ وَتَفْصِيل هَذه المُعَامَلة مُحَرَّرٌ فِي المُسَوَّدَاتِ وَوَلَدِي الأَرْشَدُ مُجدٌّ فِي جَمْعه.

وَيَنْبَغِي لك أَنْ تَجيءَ بنَفْسك هُنَا مَرَّةً وَاحدَةً إِنْ تَيَسَّرَ لكنْ بشَرْط أَنْ لاَ تَتْرُكَ مَقَامَكَ خَاليًا حَتَّى لاَ تَضيعَ المُعَامَلةُ بَل تَجيءُ وَحْدَكَ وَتَجعَل مُقْتَدَى تلكَ الجَمَاعَة منْ تَعلمِ أَنَّهُ أَسْبَقُ قَدَمًا ثُمَّ تَتَوَجَّهُ إِلى هَذه الحُدُود فَإِنَّهُ لاَ يُدْرَى هَل تُعْطَى الفُرْصَةُ فِي وَقْت آخَرَ أَوْ لاَ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالخَمْسُونَ وَالمِائَتَان
إلى شَرِيف خَان
فِي بَيَانِ أَقْرَبِيَّتِه تَعَالى وَتَقَدَّسَ

الحَمْدُ لله وَسَلاَمٌ عَلى عِبَادِه الذينَ اصْطَفَى قَدْ حَصَلَ الابْتِهَاجُ وَالسُّرُورُ بوُرُودِ الصَّحِيفَةِ الشَّرِيفَةِ المَسْطُورَةِ إلَى فُقَرَاءِ هَذِهِ الحُدُودِ عَلى وَجْهِ الكَرَمِ جزَاكُمْ اللهُ - سُبْحَانَهُ - خَيْرَ الجَزَاء.

أَيُّهَا المَخْدُومُ، إنَّ أَقربِيَّةَ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - إلَيْنَا منَّا وَإِنْ كَانَتْ ثَابتَةً بنَصٍّ قَاطِعٍ وَلكِنْ مَاذَا نَصْنَعُ إنَّهُ - سُبْحَانَهُ - وَرَاءَ وَرَاءَ عُقُولنَا وَأَفْهَامنَا وَوَرَاءَ وَرَاءِ عُلومنَا وَإِدْرَاكَاتنَا مَعَ أَنَّا نَعْرِفُ أَنَّ هَذِه الوَرَائِيَّةَ فِي جَانب القُرْب لاَ فِي جَانب البُعْد فَإِنَّهُ - سُبْحَانَهُ - أَقْرَبُ مِنْ كُل قَرِيب حَتَّى أَنَّا نَجدُ أُحَدِيَّةَ ذَاته - سُبْحَانَهُ - أَقْرَبَ منَ الصِّفَات التي نَحْنُ منْ آثَار تلْكَ الصِّفَات وَهَذه المَعْرفَةُ وَرَاءَ نَظَرِ العَقْل وَطَوْره فَإِنَّ العَقْلَ لاَ يَقْدرُ أَنْ يَتَصَوَّرَ شَيْئًا أَقْرَبَ إلَيْه منْ نَفْسه وَالمثَال الذي يُوَضِّحُ هَذَا المَبْحَثَ لَمْ يُوجَدْ مَعَ كَثْرَة التَّتَبُّع وَمُسْتَنَدُ هَذه المَعْرفَة نَصٌّ قَطْعِيٌّ وَكَشْفٌ صَحيحٌ وَقَدْ تَكَلَّمَ مشَائخُ الطَّرِيقَة فِي التَّوْحيد وَالاتِّحَاد وَمُسْتَنَدُ هَذه المَعْرفَة نَصٌّ قَطْعِيٌّ وَكَشْفٌ صَحيحٌ وَقَدْ تَكَلَّمَ مشَائخُ الطَّرِيقَة في التَّوْحيد وَالاتِّحَاد وَبَيَّنُوا القُرْبَ وَالمَعيَّةَ وَاخْتَارُوا السُّكُوتَ فِي أقربيَّته تَعَالى وَلَمْ يُوجَدْ منْهُمْ بَيَانٌ شَافٍ في هَذَا البَاب وَالعَجَبُ أَنَّ أقربيَّته تَعَالى صَارَتْ سَبَبًا لاَ بُعْديَّتنَا هَذَا إلى أَنْ يَبْلغَ الكتَابُ أَجلَهُ فَافْهَمْ فَإِنَّ كُلاً منَّا إشَارَاتٌ وَبشَارَاتٌ وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلى سَائر مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى آله منَ الصَّلاة أَتَمُّهَا وَمنَ التَّسْليمَات أَكْمَلُهَا.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالخَمْسُونَ وَالمائَتَان
إِلى المَخْدُومِ زَادَهْ الخواجهْ مُحَمَّد سَعِيد قُدِّسَ سِرُّهُ
فِي بَيَان فَوَائد إِرْسَال الرُّسُلِ
وَعَدَم اسْتِقْلال العَقْل فِي مَعْرِفَته تَعَالى
وَبَيَانِ الحُكْمِ الخَاصِّ فِيمَنْ نَشأَ فِي شَاهِقِ الجَبَل ومُشْرِكِي زَمَنِ الفَتْرَةِ
وَأَطْفَال مُشْرِكي دَار الحَرْب
وَتَحْقِيقِ بَعْثَةِ الأَنْبِيَاءِ فِي أَرْضِ الهِنْد منَ الهِنْد سَابِقًا وَمَا يُنَاسِبُهُ

الحَمْدُ لله الذي هَدَانَا لهَذَا وَمَا كُنَّا لنَهْتَديَ لوْلاَ أنء هَدَانَا اللهُ لقَدْ جَاءتْ رُسُل رَبِّنَا بالحَقِّ بأيِّ لسَان يُؤَدِّي شُكْرَ نعْمَة إرْسَال الرُّسُل عَلَيْهمُ الصَّلاَةُ والتَّسْليمَاتُ وَبأيِّ قَلب يَعْتَقِدُ المُنْعمُ بهَا وَأَيْنَ للجَوَارِحِ أَنْ تُكَافئَهَا بالأعْمَال الحَسَنَة فلوْلاَ هَؤُلاَءِ الكُبَرَاءُ مَنْ كَانَ يَدُل أَمْثَالنَا القَاصرينَ على وُجُود الصَّانِعِ وَوَحْدَتِه - جَل سُلطَانُهُ - وَلَمْ يَهْتَد قُدَمَاءُ فَلاَسفَة اليُونَان إلى وُجُود الصَّانِعِ - جَل شَأْنُهُ - مَعَ وُجُودِ الذَّكَاوَة فيهمْ حَتَّى نَسبُوا إِيجَادَ الكَائنَات إلى الدَّهْرِ وَلَمَّا سَطَعَ أَنْوَارُ دَعْوَة الأَنْبيَاء - عَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - يَوْمًا فَيَوْمًا رَدَّ مُتَأخِّرُوهُمْ ببَركَة تلكَ الأَنْوَارِ مَذْهَبَ قُدَمَائِهمْ وَقَالوا بوُجُود الصَّانِعِ - جَل شَأْنُهُ - وَأَثْبَتُوا وَحْدَانيَّته تَعَالى فعُقُولنَا بمَعْزِل عَنْ إِدْرَاك هَذَا المَطْلب العَالي بلاَ تَأْييد منْ أَنْوَارِ النُّبُوَّة وَأَفْهَامُنَا بَعيدَةٌ عَنِ الوُصُول إلى هَذه المُعَامَلة بدُون وَسَاطَة وُجُود الأَنْبيَاء عَلَيْهمُ الصَّلوَاتُ وَالتَّحيَّاتُ يَا ليْتَ شعْري مَاذَا أَرَادَ أَصْحَابُنَا المَاتريديَّةُ منْ قَوْلهمْ باسْتقْلال العَقْل في بَعْضِ الأُمُور كَإِثْبَات وُجُود الصَّانعِ تَعَالى وَوَحْدَانيَّته - سُبْحَانَهُ - فَكَلفُوا مَنْ نَشَأَ في شَاهق الجَبَل وَعَبَدَ الصَّنَمَ بهمَا وَإِنْ لمْ تَبْلغْهُ دَعْوَةُ الرَّسُول وَحَكَمُوا بتَرْك النَّظَر فيهمَا بكُفْره وَخُلوده في النَّار وَنَحْنُ لاَ نَفْهَمُ الحُكْمَ بالكُفْرِ وَالخُلود فِي النَّارِ إلاَّ بَعْدَ البَلاَغِ المُبين وَالحُجَّة البَالغَة المَنُوطَة بإِرْسَال الرُّسُل.

نَعَمْ العَقْل حُجَّةٌ منْ حُجَجِ الله تَعَالى وَلكنَّهُ ليْسَ بحُجَّةٍ بَالغَةٍ فِي المَحجَّة حَتَّى يَتَرَتَّبَ عَليْه أَشَدُّ العَذَاب.

فَإنْ قُلتَ: فَإِنْ لمْ يَكُنْ مَنْ نَشَأَ فِي شَاهقِ الجَبَل وَعَبَدَ الصَّنَمَ مُخلدًا في النَّارِ يَكُونُ فِي الجَنَّة بالضَّرُورَة وَذَا غَيْرُ جَائزٍ فَإِنَّ دُخُول المُشْرِكينَ الجَنَّةَ حَرَامٌ

وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ قَال اللهُ تَعَالى حَاكِيًا عَنْ عيسَى عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْه الجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ. وَالوَاسطَةُ بَيْنَ الجَنَّة وَالنَّار غَيْرُ ثَابتَة وَأَصْحَابُ الأَعْرَاف يَدْخُلونَ الجَنَّةَ بَعْدَ مُدَّة فَالخُلودُ إِمَّا في الجَنَّة وَإِمَّا في النَّار.

قُلتُ: إنَّ هَذَا السُّؤَال مُسْتَصْعبٌ جدًّا وَولدي الأَرْشَدُ يَعْرِفُ أَنَّهُ كَرَّرَ هَذَا السُّؤَال إلى هَذَا الفَقير منْ مُدَّة كَثيرَة وَلَمْ يَجدْ لَهُ جَوَابًا شَافيًا وَمَا قَال صَاحبُ الفُتُوحَات المَكِّيَّة فِي حَل هَذَا السُّؤَال منْ إِثْبَات بعْثَة نَبيٍّ يَوْمَ القيَامَة لأَجْل دَعْوَة هَؤُلاَء القَوْم.

وَالحُكْمُ بدُخُول الجَنَّة وَالنَّار عَلى حَسَب إِنْكَارهمْ وَإِقْرَارهمْ غَيْرُ مُسْتَحْسَن عنْدَ هَذَا الفَقير؛ لأَنَّ الآخرَةَ دَارُ الجَزَاء لاَ دَارُ التَّكْليف حَتَّى يُبْعَثَ فيهَا نَبيٌّ وَبَعْدَ مُدَّة مَديدَة كَانَتْ عنَايَةُ الحَقِّ - جَل سُلطَانُهُ - دليلاً وَهَاديًا وَانْحَل هَذَا المُعَمَّى وَكُشفَ أَنَّ تلكَ الجَمَاعَةَ لاَ يُخلَدُونَ لاَ فِي الجَنَّة وَلاَ فِي النَّار بَل يُعَذَّبُونَ وَيُعَاقَبُونَ بَعْدَ البَعْث وَالإِحْيَاء في الآخرَة عَلى قَدْر جَريمَتهمْ في مَقَام الحسَاب وَتُسْتَوْفَى منْهُمُ الحُقُوقُ ثُمَّ يُجْعَلونَ بَعْدَ ذَلكَ مَعْدُومًا مُطْلقًا وَلاَ شَيْئًا مَحْضًا مثْل حَيَوَانَات غَيْر مُكَلفَة فَلمَنْ يَكُونُ الخُلودُ وَمَنْ يَكُونُ مُكَلفًا.

وَلمَّا عُرضَتْ هَذه المَعْرفَةُ الغَريبَةُ فِي مَحْضَر منَ الأَنْبيَاء - عَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - صَدَّقَهَا جَميعُهُمْ وَقَبلوهَا وَالعلمُ عنْدَ الله - سُبْحَانَهُ - وَتَعَالى وَالحُكْمُ بإخْلاَد الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَتَعَالى عَبْدَهُ فِي النَّار وَتَأْييدُ عَذَابه بمُجَرَّد العَقْل الذي مَجَال الخَطإ وَالغَلط كَثيرًا فيه جدًّا منْ غَيْر بَلاَغ بَيِّن بوَسَاطَة الأَنْبيَاء - عَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - مَعَ كَمَال رَأْفَته وَرَحْمَته تَعَالى يَثْقُل عَلى هَذَا الفَقير جدًّا كَمَا يَثْقُل الحُكْمُ بالخُلود فِي الجَنَّة مَعَ وُجُود الشِّرْك كَمَا يَلزَمُ ذَلكَ عَلى مَذْهَب الأَشْعَريِّ لعَدَم القَوْل بالوَاسطَة بَيْنَ الجَنَّة وَالنَّار فَالحَقُّ مَا أُلهمْتُ به منْ إِعْدَامه بَعْدَ اسْتيفَاء مُحَاسَبَة يَوْم الحَشْر كَمَا مَرَّ وَهَذَا هُوَ حُكْمُ أَطْفَال مُشْركي دَار الحَرْب عنْدَ الفَقير.

أَيْضًا قَال فَإِنَّ دُخُول الجَنَّة مَنُوطٌ بالإيمَان إِمَّا بالأَصَالة وَإِمَّا بالتَّبَعيَّة وَإِنْ كَانَتْ تَبَعيَّةُ دَار الإِسْلاَم كَمَا هُوَ فِي أَطْفَال أَهْل الذِّمَّة وَالإيمَانُ مَفْقُودَةٌ فِي حَقِّهمْ مُطْلقًا فَلاَ يُتَصَوَّرُ دُخُولهمْ الجَنَّةَ وَدُخُول النَّار وَالخُلودُ فيهَا مَرْبُوطٌ بالشِّرْك بَعْدَ ثُبُوت التَّكْليف وَهَذَا أَيْضًا مَفْقُودٌ فِي حَقِّهمْ فَحُكْمُهمْ حُكْمُ البَهَائم منَ الإِعْدَام بَعْدَ البَعْث وَالنُّشُور للحسَاب وَاسْتيفَاء الحُقُوق وَهَذَا هُوَ الحُكْمُ أَيْضًا فِي مُشْركي

زَمَنِ فَتْرَةِ الرُّسُلِ الذينَ لَمْ تَبْلغْهُمْ دَعْوَةُ نَبيٍّ منَ الأَنْبِيَاءِ.

أَيُّهَا الوَلَدُ، إنَّ هَذَا الفَقيرَ كُلمَا يُلاَحظُ وَيُجيل النَّظَرَ لاَ يَجدُ مَحَلاً لَمْ تَبْلغْهُ دَعْوَةُ نَبيِّنَا عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بَل يَكُونُ مَحْسُوسًا أَنَّ نُورَ دَعْوَته ﷺ بَلغَ كُل مَحَل مثْل نُور الشَّمْسِ حَتَّى اليَأْجُوجَ والمَأْجُوجَ الذينَ حَال بَيْنَهُمُ السَّدُّ وَأَنْ أُلاَحظَ في الأُمَمِ السَّابقَة لاَ أَجدُ بُقْعَةً لَمْ يُبْعَثْ فيهَا نَبيٌّ حَتَّى في أَرْضِ الهنْد التي تُرَى بَعيدَةً عَنْ هَذه المُعَامَلة أَجدُ أَنْبيَاءَ كَانُوا مَبْعُوثينَ منْ أَهْل الهنْد وَدَعَوْا إلى الحَقِّ - جَلَ شَأْنُهُ - وَيُشَاهَدُ في بَعْضِ بلاَد الهنْد أَنْوَارُ الأَنْبيَاء - عَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - في ظُلمَات الشِّرْك كَالمَشَاعل المُسرَّجَة فَإنْ شئْتَ عَيَّنْتَ تلكَ البلاَدَ وَأَرَى نَبيًّا لَمْ يُصَدِّقْهُ أَحَدٌ وَلَمْ يَقْبل دَعْوَتَهُ وَنبيًّا آخرَ آمَنَ به شَخصٌ وَآخرُ صَدَّقَهُ شَخْصَان وَصَدَّقَ البَعْضَ ثَلاَثَةٌ وَلاَ يَقَعُ النَّظَرُ عَلى أَزْيَدَ منْ ثَلاَثَة آمَنُوا بنَبيٍّ في الهنْد وَلاَ أَرَى نَبيًّا آمَنَ به وَاتَّبَعَهُ أَرْبَعَةٌ وَمَا كَتَبَهُ رُؤَسَاءُ كَفَرَة الهُنُود منْ وُجُود الوَاجب وَصفَاته وَمنْ تَنزيهاته وتقديساته كُل ذَلكَ مُقْتَبَسٌ منْ أَخْوَار مشْكَاة النُّبوَّة؛ لأَنَّهُ مَضَى في كُل عَصْرٍ منَ الأُمَمِ السَّابقَة نَبيٌّ منَ الأَنْبيَاء وَأَخْبَرُوا عَنْ وُجُود الوَاجب وَصفَاته الثبوتيَّة وَمنْ تَنْزيهاته وتقديساته - سُبْحَانَهُ - وَتَعَالى.

فَلوْلاَ وُجُودُ هَؤُلاَء الكُبَرَاء كَيْفَ كَانَ هَؤُلاَء المَخْذُولونَ بعُقُولهمُ القَاصرَة العَمْيَاء المُتَلوِّثَة بظُلمَات الكُفْرِ وَالمَعَاصي مُهْتَدينَ إلى هَذه الدَّوْلة وَعُقُول هَؤُلاَء المَخْذُولينَ النَّاقصَة حَاكمَةٌ في حَدِّ ذَاتهَا بالوهيَّتهمْ وَلاَ يُثْبتُونَ إلهًا سوَاهُمْ كَمَا قَال فرْعَوْنُ مصْرَ (مَا عَلمْتُ لكُمْ منْ إلهٍ غَيْري) وَقَال أيضًا: لاَئن اتَّخَذْتَ إلهًا غَيْري لأَجْعَلنَّكَ منَ المَسْجُونينَ.

وَلمَّا عَلمُوا بأَخْبَار الأَنْبيَاء - عَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - أَنَّ للعَالم صَانعًا وَاجبَ الوُجُود اطَّلعَ بَعْض هَؤُلاَء المَخْذُولينَ عَلى قُبْحِ ادِّعَائه وَأَثْبَتَ الصَّانعَ الوَاجبَ الوُجُود بالتَّقْليد وَالتَّستُّر وَزَعَمَ أَنَّهُ سَارَ فيه مُتَّحدًا به وَدَعَا الخَلقَ إلى عبَادَته بهَذه الحيلة تَعَالى اللهُ عَمَّا يَقُول الظَّالمُونَ عُلوًّا كَبيرًا.

وَلاَ يَعْتَرضُ القَاصرُ هُنَا أَنَّهُ لوْ بُعثَ الأَنْبيَاءُ في أَرْضِ الهنْد لبَلغَنَا خَبَرُ بعْثَته البَتَّةَ بَل كَانَ يُنْقَل ذَلكَ الخَبَرُ بالتَّوَاتُر لتَوفُّر الدَّوَاعي وَليْسَ فَليْسَ.

لأَنَّا نَقُول: إنَّ دَعْوَةَ هَؤُلاَء الأَنْبيَاء لَمْ تَكُنْ عَامَّةً بَل كَانَتْ دَعْوَةُ بَعْضهمْ مَخْصُوصَةً بقَوْمٍ وَدَعْوَةُ بَعْضهمْ بقَرْيَة أَوْ ببَلدَة وَيُمْكنُ أَنْ يُشَرِّفَ اللهُ - سُبْحَانَهُ - شَخْصًا في قَوْمٍ أَوْ قَرْيَة بهَذه الدَّوْلة فَيَدْعُوهُمْ إلى مَعْرفَة الصَّانعِ وَيَمْنَعُهُمْ عَنْ عبَادَة

غَيْره تَعَالى فَيُكَذِّبُونَهُ وَيَنسُبُونَهُ إلى الجَهَالة وَالضَّلالة فإذَا انْتَهى إنْكَارُهمْ وَتَكْذِيبُهمْ إيَّاهُمْ إلى نهَايَته وَغَايَته يُهْلكُهُمُ الله - جَل وَعَلاَ - غَيْرَةً لنَبيِّه وَكَذَلكَ يُمْكنُ أنْ يُبْعَثَ نَبيٌّ آخرُ بَعْدَ مُدَّة إلى قَوْم أَوْ قَرْيَة فَيُعَاملهُمْ كَمَا عَامَل الأَوَّل قَوْمَهُ فَيفْعَل بهمْ كَمَا فَعَل بأوَائلهمْ وَهَكَذَا إلى مَا شَاءَ اللّهُ تَعَالى وَآثَارُ هَلاَك القُرَى وَالبلاَد كَثيرَةٌ في أَرْض الهنْد وَهَؤُلاَء القَوْمُ وَإنْ هَلكُوا وَلكنْ كَلمَةُ تلكَ الدَّعْوَة بَاقيَةٌ فيمَا بَيْنَ أَقْرَانهمْ وَجَعَلهَا كَلمَةً بَاقيَةً في عَقبه لعَلهُمْ يَرْجعُونَ.

وَخَبَرُ نُبُوَّة الأَنْبيَاء المَبْعُوثَة إنَّمَا يَبْلغُنَا إذَا صَدَّقَهُمْ جَمْعٌ كَثيرٌ وَقَوَّى أَمْرَهُ وَأَمَّا إذَا جَاءَ شَخْصٌ وَدَعَا أَيَّامًا فَمَضَى وَلَمْ يَقْبَل دَعْوَتَهُ أَحَدٌ ثُمَّ جَاءَ آخَرُ وَفعَل مثْل مَا فَعَل الأَوَّل فَصَدَّقَهُ شَخْصٌ وَاحدٌ وَصَدَّقَ الآخَرَ اثْنَان أَوْ ثَلاَثَةٌ فَمنْ أَيْنَ يَنْتَشرُ الخَبَرُ وَكَانَ الكُفَّارُ كُلهمْ في مَقَام الإنْكَار وَكَانُوا يَرُدُّون عَلى مَنْ كَانَ يُخَالفُ دينَ آبَائهمْ فَمَنْ يَكُونُ النَّاقل وَإلى مَنْ يَنْقُل.

وأيضًا إنَّ أَلفَاظَ الرِّسَالة وَالنُّبُوَّة ويغمبر منْ لغَات العَرَب وَالفَارس بوَاسطَة اتِّحَاد دَعْوَة نَبيِّنَا - عَليْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَعُمُومهَا وَلَمْ تَكُنْ هَذه الأَلفَاظُ في لغَة الهنْد حَتَّى يُقَال للأَنْبيَاء المَبْعُوثينَ منَ الهنْد رسُولاً أَوْ نَبيًّا أَوْ يغمبر أَوْ يُذْكَرُونَ بهَذه الأَسَامي.

وأيضًا نَقُول في جَوَاب هَذَا السُّؤَال بطَريق المُعَارَضَة: إنَّهُ لوْ لَمْ تُبْعَث الأَنْبيَاءُ في الهنْد وَلَمْ يَدْعُوهُمْ بلسَانهمْ لكَانَ حُكْمُ هَؤُلاَء القَوْم حُكْمَ مَنْ نَشَأَ في شَاهق الجَبَل فَلاَ يَدْخُلونَ النَّارَ مَعَ وُجُود التَّمَرُّد وَدَعْوَى الأُلوهيَّة وَلاَ يَكُونُ لَهُمُ العَذَابُ المُخَلدُ وَهَذَا ممَّا لاَ يَرْتَضيه العَقْل السَّليمُ وَلاَ يُسَاعدُهُ الكَشْفُ الصَّحيحُ فَإنَّا نُشَاهدُ بَعْضَ مَرَدَتهمْ في وَسَط الجَحيم وَالله - سُبْحَانَهُ - أَعْلمُ بحَقيقَة الحَال.

المَكْتُوبُ السِّتُّونَ وَالمِائَتَان
إِلَى المَخْدُومِ زَادَهْ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ صَادِق قُدِّسَ سِرُّهُ
فِي بَيَانِ الطَّرِيقَةِ المُخْتَصَّةِ بِهِ
وَبَيَانِ الوِلاَيَاتِ الثَّلاَثِ الصُّغْرَى وَالكُبْرَى وَالعُلْيَا
وَبَيَانِ أَفْضَلِيَّةِ النُّبُوَّةِ مِنَ الوِلاَيَةِ مُطْلَقًا
وَبَيَانِ اللطَائِفِ العَشْرِ الإِنْسَانِيَّةِ التِي خَمْسٌ مِنْهَا مِنْ عَالَمِ الأَمْرِ وَخَمْسٌ مِنْ عَالَمِ الخَلقِ مَعَ كَمَالاَتٍ مَخْصُوصَةٍ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا
وَبَيَانِ أَفْضَلِيَّةِ عَالَمِ الخَلقِ مِنْ عَالَمِ الأَمْرِ مَعَ بَيَانِ كَمَالاَتٍ مَخْصُوصَةٍ بِعُنْصُرِ التُّرَابِ وَبَيَانِ العُلومِ وَالمَعَارِفِ المُنَاسَبَةِ لِكُلِّ مَقَامٍ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ
بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمِينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى سَيِّدِ المُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ وَعَلَى آلِه وَأَصْحَابِه الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ.

اعْلَمْ أَيُّهَا الوَلَدُ أَسْعَدَكَ اللهُ - سُبْحَانَهُ - وَتَعَالى أَنَّ لطَائِفَ عَالمِ الأَمْرِ الخَمْسِ أَعْنِي القَلبَ وَالرُّوحَ وَالسِّرَّ والخَفيَّ وَالأَخْفَى التِي هِيَ مِنْ أَجْزَاءِ العَالمِ الصَّغِيرِ أَعْنِي الإِنْسَانَ، أُصُولهَا فِي العَالمِ الكَبِيرِ كَالعَنَاصِرِ الأَرْبَعَةِ التِي هِيَ أَجْزَاءُ الإِنْسَانِ فَإِنَّ أُصُولهَا فِي العَالمِ الكَبِيرِ.

وَظُهُورُ أُصُولِ الخَمْسِ فَوْقَ العَرْشِ حَيْثُ يُوصَفُ باللاَّمَكَانِيَّةِ وَمِنْ هَهُنَا يُقَالُ لعَالمِ الأَمْرِ: لاَ مَكَانيًّا تَتِمُّ دَائِرَةٌ إلاَّ مَكَانَ خَلقِه وَأَمْرِه وَصَغِيرِه وَكَبِيرِه بالوُصُولِ إِلى نِهَايَةِ تلكَ الأُصُولِ وَإِلى هَذَا المَوْطِنِ يَنْتَهِي امْتِزَاجُ العَدَمِ بالوُجُودِ الذِي هُوَ مَنْشَأُ الإِمْكَانِ فَإِذَا طَوَى السَّالكُ الرَّشِيدُ مُحَمَّدِيُّ المُشْرَّبُ هَذِه الخَمْسَ مِنْ عَالمِ الأَمْرِ بالتَّرْتِيبِ وَشَرَعَ فِي السَّيْرِ فِي أُصُولهَا مِنْ عَالمِ الكَبِيرِ وَطَوَى كُلهَا بالتَّرْتِيبِ وَالتَّفْصِيلِ بعُلوِّ الفِطْرَةِ بَل بمَحْضِ فَضْلِ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَانْتَهَى إِلى النُّقْطَةِ الأَخِيرَةِ فَلاَ جَرَمَ يَكُونُ قَدْ أَتَمَّ دَائِرَةَ الإِمْكَانِ بالسَّيْرِ إِلى اللهِ وَصَارَ مُسْتَحقًّا لأَنْ يُطْلَقَ عَليْهِ اسْمُ الفَنَاءِ يَعْنِي لأَنْ يُوصَفَ بِه وَشَرَعَ فِي الوِلاَيَةِ الصُّغْرَى التِي هِيَ وِلاَيَةُ الأَوْلِيَاءِ فَإِنْ وَقَعَ السَّيْرُ بَعْدَ ذَلكَ فِي ظِلاَلِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الوُجُوبِيَّةِ التِي هِيَ أَصْلُ الخَمْسَةِ التِي فِي العَالمِ الكَبِيرِ فِي الحَقِيقَةِ وَلمْ يَتَطَرَّقْ إِليْهَا شَائِبَةُ العَدَمِ وَطَوَى كُلهَا بفَضْلِ اللهِ - سُبْحَانَهُ - بطَرِيقِ السَّيْرِ فِي اللهِ وَبَلغَ نِهَايَتَهَا فَقَدْ أَتَمَّ دَائِرَةَ ظِلاَلِ الأَسْمَاءِ الوَاجِبِيَّةِ أيضًا وَحَصَلَ لهُ الوُصُولُ إِلى مَرْتَبَةِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ

الوَاجِبيَّة وَنِهَايَة عُرُوجِ الولاَيَة الصُّغْرَى إلى هَذَا المَقَامِ وَفي هَذَا المَوْطِنِ يَتَحَقَّقُ الشُّرُوعُ في حَقِيقَة الفَنَاء وَبوَضْع القَدَمِ فِي بِدَايَة الوِلاَيَة الكُبْرَى التِي هِيَ وِلاَيَةُ الأَنْبِيَاء - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ -.

وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ هَذه الدَّائِرَةَ الظِّلاليَّةَ مُتَضَمِّنَةٌ لمَبَادي تَعَيُّنَات الخَلاَئِق سِوَى الأَنْبيَاء الكرَام وَالمَلاَئكَة العظَام - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ -.

وَظل كُل اسْمٍ مَبْدَأُ تَعَيُّنِ شَخْصٍ منَ الأَشْخَاص حَتَّى أَنَّ مَبْدًا تَعَيُّنِ الصِّدِّيق الأَكْبَر الذي هُوَ أَفْضَل البَشَر بَعْدَ الأَنْبيَاء - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - النُّقْطَةُ الفَوْقَانيَّةُ منْ هَذه الدَّائرَة وَمَا قيل إنَّ السَّالكَ إذَا انْتَهَى إلى اسْمٍ هُوَ مَبْدَأُ تَعَيُّنه فَقَدْ أَتَمَّ السَّيْرَةَ إلى الله يَنْبَغي أَنْ يَكُونَ المُرَادُ به ظل الاسْم الإلهيِّ - جَل شَأْنُهُ - وَجُزْئِيًّا منْ جُزْئيَّاته لاَ أَصْلَهُ وَعَيْنَهُ وَهَذه الدَّائرَةُ الظِّلاليَّةُ تَفْصِيل مَرْتَبَة الأَسْمَاء وَالصِّفَات في الحَقيقَة فَإنَّ العلمَ مَثلاً صفَةٌ حَقيقيَّةٌ وَلهَا جُزْئيَّاتٌ.

وَتَفْصيل تلكَ الجُزْئيَّات ظلال هَذه الصِّفَة التي لهَا مُنَاسَبَةٌ بالإجْمَال وَكُل جُزْئيٍّ منْ تلكَ الجُزْئيَّات مَبْدَأُ تَعَيُّنِ شَخْصٍ منَ الأَشْخَاص غَيْر الأَنْبيَاء الكرَامِ وَالمَلاَئكَة الفخَام - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ -. وَمَبَادي تَعَيُّنَات الأَنْبيَاء باعْتبَارَات مُخْتَلفَة وَذَلكَ أَنَّ مَبْدًا تَعَيُّنِ خَاتَم الرُّسُل مَثلاً شَأْنُ العلم وَهَذه الصِّفَةُ كَانَتْ مَبْدًا تَعَيُّنِ إبْرَاهيمَ - عَلَيْه السَّلاَمُ - باعْتبَار آخرَ وَهيَ مَبْدَأُ تَعَيُّنِ نُوحٍ - عَلَيْه السَّلاَمُ - أَيْضًا باعْتبَار آخرَ وَتَعَيُّنُ تلكَ الاعْتبَارَات مَذْكُورٌ في مَكْتُوب الخواجهْ مُحَمَّد أَشْرَفَ وَمَا قَال بَعْضُ المَشَايخ منْ أَنَّ الحَقيقَةَ المُحَمَّديَّةَ هيَ التَّعَيُّنُ الأَوَّل الذي هُوَ حَضْرَةُ الإجْمَال وَمُسَمَّى بالوَحْدَة فَمُرَادُه به عَلى مَا ظَهَرَ لهَذَا الفَقير منْ عَالمِ الغَيْب وَالله - سُبْحَانَهُ - أَعْلَمُ.

مَرْكَزُ هَذه الدَّائرَة الظِّلاليَّةُ قَدْ ظَنَّ هَذه الدَّائرَةَ الظِّلاليَّةَ تَعَيُّنًا أَوْ ل وَتَخَيَّل مَرْكَزَهَا إجْمَالاً وَسَمَّاهُ وَحَدَةً وَزَعَمَ تَفْصيل ذَلكَ المَرْكَز الذي هُوَ مُحيطُ تلكَ الدَّائرَة وَأُحَديَّةٌ وَتَصَوَّرَ مَا فَوْقَ دَائرَة الظِّلال الذي هُوَ دَائرَةُ الأَسْمَاء وَالصِّفَات ذَاتًا مُنَزَّهَةً وَمَبْرَأَةً عَن التَّعَيُّنِ وَلَيْس الأَمْرُ كَذَلكَ بَل أَقُول:

إنَّ مَرْكَزَ هَذه الدَّائرَة الظِّلاليَّة ظَل مَرْكَزَ الدَّائرَة الفَوْقَانيَّة التي هيَ أَصْلهَا وَمُسَمَّاةٌ بدَائرَة الأَسْمَاء وَالصِّفَات والشُّئون وَالاعْتبَارَات.

وَالحَقيقَةُ المُحَمَّديَّةُ هيَ مَرْكَزُ هَذه الدَّائرَة الأَصْليَّة في الحَقيقَة التــي هــيَ إجْمَال الأَسْمَاء والشُّئونَات وَتَفْصيل الأَسْمَاء إنَّمَا هُوَ في هَذه الدَّائرَة التــي هــيَ مَرْتَبَةُ الوَاحديَّة وَإطْلاَقُ الوَحْدَة وَالأَحديَّة عَلَى مَرْتَبَة ظلال الأَسْمَاء مَبْنــيٌّ عَلَــى

اشْتِبَاه الظِّلِّ بالأَصْلِ وَمِنْ هَذَا القَبيل إِطْلَاقُ السَّيْرِ فِي اللهِ فِي ذَلِكَ المَوْطِنِ فَإِنَّ السَّيْرَ فِي ذَلِكَ المَوْطِنِ دَاخِلٌ فِي الحَقِيقَةِ فِي السَّيْرِ إِلى اللهِ هَذَا.

فَإِنْ وَقَعَ العُرُوجُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلى دَائِرَةِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ التي هِيَ أَصْلُ دَائِرَةِ الظِّلَالِ بطَرِيقِ السَّيْرِ فِي اللهِ يَكُونُ ذَلِكَ شُرُوعًا فِي كَمَالَاتِ الوِلَايَةِ الكُبْرَى وَهَذِهِ الوِلَايَةُ الكُبْرَى مَخْصُوصَةٌ بِالأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - بِالأَصَالَةِ وَوَصَلَ أَصْحَابُهمْ الكِرَامُ أيضًا إِلى هَذِهِ الدَّوْلَةِ بِالتَّبَعِيَّةِ.

وَالنِّصْفُ الأَسْفَلُ مِنْ هَذِهِ الدَّائِرَةِ مُتَضَمِّنٌ لِلأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الزَّائِدَةِ وَنِصْفُهَا الأَعْلَى مُشْتَمِلٌ عَلَى الشُّئُونِ وَالاعْتِبَارَاتِ الذَّاتِيَّةِ وَنِهَايَةُ عُرُوجِ لِطَائِفِ عَالَمِ الأَمْرِ الخَمْسِ إِلى نِهَايَةِ هَذِهِ الدَّائِرَةِ يَعْنِي دَائِرَةَ الأَسْمَاءِ وَالشُّئُونَاتِ.

فَإِنْ وَقَعَ التَّرَقِّي بَعْدَ ذَلِكَ بِمَحْضِ فَضْلِ الحَقِّ - جَلَّ شَأْنُهُ - مِنْ مَقَامِ الصِّفَاتِ وَالشُّئُونَاتِ يَكُونُ السَّيْرُ فِي دَائِرَةِ أُصُولِ تِلْكَ الصِّفَاتِ وَالشُّئُونَاتِ وَبَعْدَ المُجَاوَزَةِ وَالعُبُورِ عَنْ دَائِرَةِ تِلْكَ الأُصُولِ دَائِرَةَ أُصُولِ تِلْكَ الأُصُولِ وَبَعْدَ طَيِّ هَذِهِ الدَّائِرَةِ يَظْهَرُ مِنَ الدَّائِرَةِ الفَوْقَانِيَّةِ قَوْسٌ يَنْبَغِي قَطْعُهُ أيضًا. وَحَيْثُ لَمْ يَظْهَرْ مِنْ هَذِهِ الدَّائِرَةِ الفَوْقَانِيَّةِ غَيْرُ القَوْسِ اقْتَصَرْنَا عَلَى ذَلِكَ القَوْسِ وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ هُنَا سِرٌّ وَلَمْ أَطَّلِعْ عَلَيْهِ بَعْدُ.

وَهَذِهِ الأُصُولُ الثَّلَاثَةُ المَذْكُورَةُ لِلأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ مُجَرَّدُ اعْتِبَارَاتٍ فِي حَضْرَةِ الذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ كَانَتْ مَبَادِئُ الصِّفَاتِ وَالشُّئُونَاتِ وَحُصُولُ كَمَالَاتِ هَذِهِ الأُصُولِ الثَّلَاثَةِ مَخْصُوصَةٌ بِالنَّفْسِ المُطْمَئِنَّةِ وَيَتَيَسَّرُ حُصُولُ الاطْمِئْنَانِ لَهَا فِي ذَلِكَ المَوْطِنِ وَفِي هَذَا المَقَامِ يَحْصُلُ شَرْحُ الصَّدْرِ وَفِيهِ يَتَشَرَّفُ السَّالِكُ بِالإِسْلَامِ الحَقِيقِيِّ وَهَذَا هُوَ ذَاكَ المَوْطِنُ الذي تَجْلِسُ المُطْمَئِنَّةُ فيه عَلَى تَخْتِ الصَّدْرِ وَتَرْتَقِي فِي مَقَامِ الرِّضَا وَهَذَا المَوْطِنُ هُوَ نِهَايَةُ الوِلَايَةِ الكُبْرَى التِي هِيَ وِلَايَةُ الأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -.

وَلَمَّا انْتَهَى بِي السَّيْرُ إِلى هَذَا المَقَامِ تَوَهَّمَ لِي أَنَّ الأَمْرَ قَدْ تَمَّ فَنُودِيتُ فِي سِرِّي أَنَّ كُلَّ ذَلِكَ كَانَ تَفْصِيلَ الاسْمِ الظَّاهِرِ الذي هُوَ أَحَدُ جَنَاحَيِ الطَّيَرَانِ وَالاسْمُ البَاطِنُ أَمَامَكَ بَعْدُ وَهُوَ الجَنَاحُ الثَّانِي لِلطَّيْرِ أَنَّ إِلى عَالَمِ القُدْسِ فَإِذَا أَتْمَمْتَهُ بِالتَّفْصِيلِ فَقَدْ حَصَّلْتَ جَنَاحَيْنِ لِلطَّيَرَانِ فَلَمَّا تَمَّ سَيْرُ الاسْمِ البَاطِنِ بِعِنَايَةِ اللهِ - سُبْحَانَهُ - تَيَسَّرَ الجَنَاحَانِ لِلطَّيَرَانِ.

الحَمْدُ للهِ الذي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالحَقِّ.

أَيُّهَا الوَلَدُ، مَاذَا أَكْتُبُ مِنَ السَّيْرِ فِي البَاطِنِ وَالمُنَاسِبُ لِحَالِ ذَلِكَ السَّيْرِ الاِسْتِتَارُ وَالتَّبَطُّنُ وَلِنَكْشِفْ نَبْذًا يَسِيرًا مِنْ هَذَا المَقَامِ:

إِنَّ السَّيْرَ فِي الاِسْمِ الظَّاهِرِ سَيْرٌ فِي الصِّفَاتِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُلاَحِظَ الذَّاتَ فِي ضِمْنِهَا.

وَالسَّيْرُ فِي الاسْمِ البَاطِنِ وَإِنْ كَانَ سَيْرًا فِي الأَسْمَاءِ وَلَكِنَّ الذَّاتَ مَلحُوظَةٌ فِي ضِمْنِهَا وَتِلكَ الأَسْمَاءُ كَالحُجُبِ سَاتِرَةٌ لِوَجْهِ حَضْرَةِ الذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ فَإِنَّ الذَّاتَ فِي صِفَةِ العِلمِ مَثَلاً لَيْسَتْ مَلحُوظَةً أَصْلاً وَفِي اسْمِ العَلِيمِ المَلحُوظِ هُوَ الذَّاتُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِ الصِّفَاتِ؛ لأَنَّ العَلِيمَ ذَاتٌ ثَبَتَ لَهَا العِلمُ فَالسَّيْرُ فِي العِلمِ سَيْرٌ فِي الاسْمِ الظَّاهِرِ وَالسَّيْرُ فِي العَلِيمِ سَيْرٌ فِي الاسْمِ البَاطِنِ وَقِسْ عَلَى هَذَا سَائِرَ الصِّفَاتِ وَالأَسْمَاءِ وَهَذِهِ الأَسْمَاءُ المُتَعَلِّقَةُ بِالاسْمِ البَاطِنِ مَبَادِئُ تَعَيُّنَاتِ المَلاَئِكَةِ المَلاِ الأَعْلَى عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّحِيَّاتُ.

وَالشُّرُوعِ فِي السَّيْرِ فِي هَذِهِ الأَسْمَاءِ وَضْعُ القَدَمِ فِي الوِلاَيَةِ العُلْيَا الَّتِي هِيَ وِلاَيَةُ المَلاِ الأَعْلَى وَالفَرْقُ المَذْكُورُ بَيْنَ العِلمِ وَالعَلِيمِ عِنْدَ بَيَانِ الاسْمِ الظَّاهِرِ. وَالاسْمُ البَاطِنُ لاَ تَتَخَيَّلْهُ شَيْئًا يَسِيرا وَلاَ تَظُنُّ أَنَّ مِنَ العِلمِ إِلَى العَلِيمِ مَسَافَةً قَلِيلَةً لاَ بَل فَرْقُ مَا بَيْنَ مَرْكَزِ الأَرْضِ وَمُحَدَّبِ العَرْشِ لَهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى هَذَا الفَرْقِ حُكْمُ القَطْرَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى البَحْرِ المُحِيطِ وَهُوَ قَرِيبٌ فِي التَّكَلمِ بَعِيدٌ فِي الحُصُولِ وَمِنْ هَذَا القَبِيلِ ذِكْرُ المَقَامَاتِ المُبَيَّنَةِ عَلَى سَبِيلِ الإِجْمَالِ كَمَا قُلنَا مَثَلاً فَإِذَا طَوَى هَذِهِ الخَمْسَ مِنْ عَالَمِ الأَمْرِ وَشَرَعَ فِي السَّيْرِ فِي أُصُولِهَا فَقَدْ أَتَمَّ دَائِرَةَ الإِمْكَانِ فَقَدْ ذَكَرَ فِي هَذِهِ العِبَارَةِ السَّيْرَ إِلَى اللهِ بِالتَّمَامِ وَقَدْ قَدَّرُوا مُدَّةَ حُصُولِ هَذَا السَّيْرِ بِخَمْسِينَ أَلفَ سَنَةٍ وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى {تَعْرُجُ المَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلفَ سَنَةٍ} رَمْزٌ إِلَى هَذَا المَعْنَى.

غَايَةُ مَا فِي البَابِ أَنَّ جَذْبَ عِنَايَةِ الحَقِّ - جَل سُلطَانُهُ - يَكَادُ يُيَسِّرُ أَمْرَ هَذِهِ المُدَّةِ المَدِيدَةِ فِي طَرْفَةِ العَيْنِ، (ع):

لاَ عُسْرَ فِي أَمْرٍ مَعَ الكِرَامِ

وَكَذَلِكَ قُلنَا فَإِذَا طَوَى دَائِرَةَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَالشُّئُونِ وَالاعْتِبَارَاتِ وَوَقَعَ السَّيْرُ فِي أُصُولِهَا إلخ طَيُّ جَمِيعِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ سَهْلٌ فِي التَّلَفُّظِ، وَلَكِنْ مُشْكِلٌ عِنْدَ الطَّيِّ وَأَيُّ مُشْكِلٍ، وَمِنْ صُعُوبَةِ هَذَا الطَّيِّ قَالَ المَشَايِخُ: مَنَازِلُ الوُصُولِ لاَ تَنْقَطِعُ أَبَدًا لآبِدِينَ وَمَنَعُوا تَمَامِيَّةَ السَّيْرِ يَعْنِي انْتِهَاءً فِي هَذِهِ المَرَاتِبِ، شِعْرٌ:

وَلَيْسَ لِحُسْنِه حَـدٌّ وَغَايَةٌ وَلاَ لِمَدِيحِه السَّعْدِيِّ نِهَايَةٌ
يَمُوتُ مِنَ التَّعَطُّشِ مُسْتَقِيه وَيَبْقَى البَحْرُ بَحْرًا كَالبِدَايَةِ

وَلاَ تَظُنَّ أَنَّهُمْ إِنَّمَا قَالُوا بِعَدَمِ انْقِطَاعِ مَرَاتِبِ الوُصُولِ بِاعْتِبَارِ التَّجَلِّيَاتِ الذَّاتِيَّةِ لاَ بِاعْتِبَارِ التَّجَلِّيَاتِ الصِّفَاتِيَّةِ وَأَرَادُوا بِالحُسْنِ الحُسْنَ الذَّاتِيَّ لاَ الحُسْنَ الصِّفَاتِيَّ .

لأَنَّا نَقُول: إِنَّ التَّجَلِّيَات الذَّاتِيَّةَ لَيْسَتْ هِيَ بِدُون مُلاَحَظَةِ الشُّئُون وَالاعْتِبَارَات وَلاَ ظُهُورِ الحُسْنِ الذَّاتِيِّ مِنْ غَيْرِ احْتِجَابٍ بِحُجُبِ الصِّفَاتِ الجَمَالِيَّةِ؛ لأَنَّهُ لاَ مَجَالَ لِلقِيلِ وَالقَالِ فِي ذَلِكَ المَوْطِنِ بِدُونِ تَوَسُّطِ الحُجُبِ وَالاسْتِتَارِ مَنْ عَرَفَ اللهَ كُلَّ لِسَانُه وَالتَّجَلِّي يَسْتَدْعِي نَحْوًا مِنَ الظِّلِّيَّةِ فَلاَ بُدَّ فِي ذَلِكَ المَقَامِ مِنْ مُلاَحَظَةِ الشُّئُون فَصَارَتْ مَنَازِلُ الوُصُولِ وَمَرَاتِبُ الحُسْنِ دَاخِلَةً فِي دَائِرَةِ الأَسْمَاءِ وَالشُّئُونَاتِ وَالحَالُ أَنَّ انْقِطَاعَهَا مُتَعَسِّرٌ عِنْدَهُمْ وَالأَمْرُ الذِي ظَهَرَ لِهَذَا الدَّرْوِيشِ فَهُوَ وَرَاءُ التَّجَلِّيَاتِ وَغَيْرُ الظُّهُورَاتِ سَوَاءٌ كَانَ تَجَلِّيًا ذَاتِيًّا أَوْ تَجَلِّيًا تَجَلِّيًا صِفَاتِيًّا وَوَرَاءَ الحُسْنِ وَالجَمَالِ سَوَاءٌ كَانَ حُسْنًا ذَاتِيًّا أَوْ حُسْنًا صِفَاتِيًّا وَبِالجُمْلَةِ قَدْ نَظَمْتُ المَطَالِبَ العَالِيَةَ وَالمَقَاصِدَ السَّامِيَةَ فِي سِلْكِ عِبَارَاتٍ مُحْتَقَرَةٍ مُخْتَصَرَةٍ بِطَرِيقِ الإِجْمَالِ وَمَلاَتُ البِحَارَ العَدِيمَةَ النِّهَايَةِ فِي كِيزَانٍ مَعْدُودَةٍ فَلاَ تَكُنْ مِنَ القَاصِرِينَ.

وَلنَرْجِعْ إِلَى أَصْلِ الكَلاَمِ فَنَقُولَ: إِنَّهُ لَمَّا تَيَسَّرَ الطَّيَرَانُ وَوَقَعَتْ العُرُوجَاتُ بَعْدَ حُصُولِ جَنَاحَيِ الاسْمِ الظَّاهِرِ وَالبَاطِنِ عُلِمَ أَنَّ هَذِه التَّرَقِّيَات بِالأَصَالَةِ نُصِيبُ العُنْصُرَ النَّارِيَّ وَالعُنْصُرَ الهَوَائِيَّ وَالعُنْصُرَ المَائِيَّ التِي لِلمَلاَئِكَةِ الكِرَامِ - عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ -.

أَيْضًا نُصِيبُ مِنْهَا كَمَا وَرَدَ أَنَّ بَعْضَ المَلاَئِكَةِ مَخْلُوقٌ مِنَ النَّارِ وَالثَّلجِ، تَسْبِيحُهُ سُبْحَانَ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ النَّارِ وَالثَّلجِ وَأُرِيتُ فِي الوَاقِعَةِ فِي أَثْنَاءِ هَذَا السَّيْرِ كَأَنِّي مَاشٍ عَلَى طَرِيقٍ وَقَدْ حَصَلَتْ لِي غَايَةُ الإِعْيَاءِ مِنْ كَثْرَةِ المَشْيِ وَصِرْتُ أَلتَمِسُ خَشَبَةً أَوْ عَصًى لِلاتِّكَاءِ رَجَاءَ حُصُولِ قُدْرَةٍ عَلَى المَشْيِ بِمَدَدِهَا فَلَمْ يَتَيَسَّرْ فَصِرْتُ أَتَمَسَّكُ وَأَتَشَبَّثُ بِكُلِّ حَشِيشٍ مُتَمَنِّيًا تَقْوِيَتَهُ عَلَى المَشْيِ وَلاَ أَجِدُ بُدًّا مِنَ المَشْيِ وَلَمَّا سِرْتُ بِهَذَا الحَالِ ظَهَرَ فِنَاءُ بَلَدَةٍ فَدَخَلْتُ البَلَدَةَ بَعْدَ طَيِّ مَسَافَةِ ذَلِكَ الفِنَاءِ وَأُعْلِمْتُ أَنَّ تِلكَ البَلَدَةَ عِبَارَةٌ عَنِ التَّعَيُّنِ الأَوَّلِ الذِي هُوَ جَامِعٌ لِجَمِيعِ مَرَاتِبِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَالشُّئُونِ وَالاعْتِبَارَاتِ.

وَجَامِعٌ أَيْضًا لأُصُولِ تِلكَ المَرَاتِبِ وَلأُصُولِ تِلكَ الأُصُولِ.

وَمُنْتَهَى الاعْتِبَارَات الذَّاتيَّة التي تُمَايزُهَا يَعْني تُمَايزُ بَعْضَهَا عَـنْ بَعْـضٍ مُنَاسِبٌ للعلمِ الحُصُوليِّ فإنْ وَقعَ السَّيْرُ بَعْدَ ذَلكَ يَكُونُ مُناسِبًا للعلمِ الحُضُوريِّ.

أَيُّهَا الوَلَدُ، إنَّ إطْلاَقَ العلمِ الحُصُوليِّ والحُضُوريِّ في تلكَ الحَضْرَةِ إِنَّمَا هُوَ باعْتِبَارالتَّمْثيل وَالتَّنْظير فَإنَّ الصِّفَات التي وَجَدُوهَا زَائدٌ عَلى وُجُود الذَّات تَعَالَـتْ وَتَقَدَّسَتْ علمُهَا مُنَاسِبٌ بالعلم الحُصُوليِّ وَالاعْتبَارَاتُ الذَّاتيَّةُ التي لاَ تُتَصوَّرُ زِيَادتُهَا عَلى الذَّات أَصْلاً علمُهَا مُنَاسِبٌ بالعلمِ الحُضُوريِّ وَإلاَّ فَلَيْسَ ثَمَّةَ إلاَّ تَعَلقُ العلـمِ بالمَعْلومِ منْ غَيْر أَنْ يَحْصُل منَ المَعْلومِ فيه شَيْءٌ فَأَفْهَمْ.

وَهَذَا التَّعَيُّنُ الأَوَّل الذي تلكَ البَلدَةُ الجَامعَةُ كنَايَةٌ عَنْـهُ جَـامعٌ لجَميـعِ ولاَيَات الأَنْبيَاء الكرَامِ وَالمَلاَئكَة العظَامِ - عَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَمُنْتَهَى الوِلاَيَة العُلْيَا التي هيَ مَخْصُوصَةٌ بالمَلاَ الأَعْلى بالأَصَالة وَلوحظَ في هَذَا المَقَـامِ أَنَّ هَـذَا التَّعَيُّنَ الأَوَّل هَل هُوَ الحَقيقَةُ المُحَمَّديَّةُ أوْ لاَ ثُمَّ نُبَيِّنُ أَنَّ الحَقيقَةَ المُحَمَّديَّةَ هيَ التـي ذُكرَتْ فيمَا سَبَقَ وَإطْلاَقُ التَّعيُّنِ الأَوَّل عَليْهَا أَنَّ ذَلكَ المَرْكَزَ ظل هَذَا التَّعَيُّنِ الأَوَّل باعْتِبَارِ جَامعيَّته للأَسْمَاء وَالصِّفَات والشُّئون وَالاعْتبَارَات.

وَالسَّيْرُ الوَاقعُ فَوْقَ ذَلكَ البَلد يَكُونُ شُرُوعًا في الكَمَالاَت وَالنُّبوَّة.

وَحُصُول تلكَ الكَمَالاَت مَخْصُوصٌ بالأَنْبيَاء - عَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَنَاسٍ منْ مَقَامِ النُّبُوَّة وَلكَمَال اتِّبَاعِ الأَنْبيَاء أَيْضًا نَصيبٌ منْ تلكَ الكَمَالاَت بالتَّبعيَّة وَالحَظُّ الوَافرِ منْ تلكَ الكَمَالاَت بالأَصَالة منْ بَيْنِ اللطَـائف الإنْسَـانيَّة للعُنْصُـرِ التُّرابيِّ.

وَسَائرُ الأَجْزَاء الإنْسَانيَّة سَوَاءٌ كَانَتْ منْ عَالمِ الأَمْر أَوْ منْ عَـالمِ الخَلْـقِ كُلهَا تَابعَةٌ في هَذَا المَقَام لذَلكَ العُنْصرِ التُّرابيِّ وَمُشَرَّفَةٌ بهَذه الدَّوْلَة يَتَطفَّله وَلَمَّا كَانَ هَذَا العُنْصرُ مَخْصُوصًا بالبَشَر كَانَ خَوَاصُّ البَشَر أَفْضَل مـنْ خَـوَاصِّ المَلاَئكَـة بالضَّرُورَة؛ لأنَّهُ لم يَتَيَسَّرْ لأَحَد مَا تَيسَّرَ لهَذَا العُنْصُرِ وَبَعْدَ الدُّنُوِّ يَظْهَرُ في هَذَا المَقامِ حَقيقَةُ التَّدَلي وَهُنَا يَنْكَشفُ سرُّ قَابَ قَوْسَيْن أَوْ أَدْنَى.

وَيُرَى في هَذَا السَّيْر أَنَّ كَمَالاَت جَميع الوِلاَيَات سَوَاءٌ كَانَتْ صُغْرَى أَوْ كُبْرَى أَوْ عُلْيَا كُلهَا ظلال كَمَالاَت مَقَام النُّبُوَّة وَإنَّهَا أَشْبَاحٌ وَأَمْثَال لحَقيقَة هَـذه الكَمَالاَت وَيَلوحُ فيه أَنَّ النُّقْطَةَ التي تُقْطَعُ في ضمْنِ هَذَا السَّيْر أَزْيَدُ مـنْ جَميـعِ كَمَالاَت الوِلاَيَة فَيَنْبَغي أَنْ يُتَأَمَّل أَنَّهُ مَاذَا يَكُونُ عَلى هَذَا القيَاس حُكْمُ الكَمَـالاَتِ المُتَقدِّمَة بالنِّسْبَة إلى جَميعِ هَذه الكَمَالاَت وَللقَطْرَة نسْبَةٌ إلى البَحْرِ المُحيط وَهَـذه

النِّسْبَةُ مَفْقُودَةٌ هَاهُنَا إلاَّ أَنِّي أَقُول إنَّ نسْبَةَ الوِلاَيَة إلى مَقَامِ النُّبُوَّةِ كَنسْبَة المُتَنَاهِي إلى غَيْر المُتَنَاهِي - سُبْحَانَ الله -.

وَقَدْ يَقُول الجَاهل بهَذَا السِّرِّ: إنَّ الوِلاَيَةَ أَفْضَل منَ النُّبُوَّة وَيَقُول الآخَرُ في تَوْجيه هَذه العبَارَة غَافلاً عَنْ هَذه المُعَامَلة: إنَّ ولاَيَةَ النَّبيِّ أَفْضَل منْ نُبُوَّته {كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخرُجُ منْ أَفْوَاههِم} وَلَمَّا أَتْمَمْتُ هَذَا السَّيْرَ أَيْضًا بعنَايَة الله - سُبْحَانَهُ - وَبَرَكَة حَبيبه عَلَيْه وَعَلَى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَشُوهدَ لِي أَنَّهُ لوْ زدْتُ فَرْضًا خُطْوَةً وَاحِدَةً فِي السَّيْرِ لاَقَعُ فِي عَدَم مَحْض إذْ لَيْسَ وَرَاءَهُ إلاَّ العَدَمُ المَحْضُ.

أَيُّهَا الوَلدُ، إيَّاكَ وَالوُقُوعَ فِي التَّوَهُّمِ منْ هَذه المُعَامَلة إنَّ العَنْقَاءَ قَدْ وَقَعَ فِي الشَّرْك وَالسِّيمرغ قَدْ تَعلَقَ فِي الشَّبَكَة.

شعْرٌ.

هَيْهَاتَ عَنْقَاءَ أَنْ يَصْطَادَهُ أَحَدُ فَاتْرُكْ عَنَاكَ وَكُنْ منْ ذَاكَ فِي دَعَةِ

وَهُوَ سُبْحَانَهُ وَرَاءَ الوَرَاء ثُمَّ وَرَاءَ الوَرَاء.

وَذَا إيوَانُ الاسْتعْلاَء عَال فَإيَّاكُمْ وَطَمَعًا فِي الوصَال

وَهَذه الوَرَائيَّةُ لَيْسَتْ باعْتبَار وُجُود الحُجُب؛ لأَنَّ الحُجُبَ صَارَتْ مُرْتَفعَةً بالكُلِّيَّة بَل باعْتبَار ثُبوت العَظَمَة وَالكبْريَاء بالمَانعَة للإدْرَاك المُنَافيَة للوجْدَان فَهُوَ سُبْحَانَهُ أَقْرَبُ فِي الوُجُود وَأَبْعَدُ عَنِ الوجْدَان نَعَمْ قَدْ يَكُونُ بَعْضُ الكَمَال منَ المُرَادينَ فَيُعْطَوْنَ مَحَلاً منْ سُرَادقَات العَظَمَة وَالكبْريَاء وَيَجْعَلونَ منْ مَحَارم خَيْمَة الجَلاَل بتَطَفُّل الأَنْبيَاء - عَلَيْهم الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - فَيُعَامَل مَعَهُمْ مَا عُومل مَعَهُمْ.

أَيُّهَا الوَلَدُ، إنَّ هَذه المُعَامَلةَ مَخْصُوصَةٌ بالهَيْئَة الوَحْدَانيَّة الإنْسَانيَّة النَّاشئَة منْ مَجْمُوع عَالَم الخَلق وَعَالَمِ الأَمْر وَمَعَ ذَلكَ الرَّئيسُ فِي هَذَا المَوْطن هُوَ العُنْصُرُ التُّرابيُّ وَإنَّمَا قُلتُ لَيْسَ وَرَاءَهُ إلاَّ العَدَمُ المَحْضُ؛ لأَنَّ بَعْدَ تَمَام مَرَاتب الوُجُود الخَارجيِّ الوُجُودُ العلميُّ لَيْسَ إلاَّ حُصُول العَدَم الذي نُقَيِّضُهُ وَذَاتُ الله - سُبْحَانَهُ - وَرَاءَ هَذَا الوُجُود وَالعَدَم وَكَمَا أَنَّهُ لاَ سَبيل إلَيْهَا للعَدَم كَذَلكَ لاَ مَجَال فيهَا للوُجُود؛ لأَنَّ الوُجُودَ الذي قَامَ العَدَمُ بنقَاضَته كَيْفَ يَليقُ بحَضْرَته - جَل سُلطَانُهُ - فَلئنْ أَطْلقْنَا الوُجُودَ فِي هَذه المَرْتَبَة لضَيق العبَارَة يُرَادُ به وُجُودٌ لاَ يَكُونُ للعَدَم مَجَال مُنَاقَضَته وَمَا كَتَبَ هَذَا الفَقيرُ فِي بَعْض مَكَاتيبه أَنَّ حَقيقَةَ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وُجُودٌ مَحْضٌ فَهُوَ منْ عَدَم الاطِّلاَع عَلَى حَقيقَة هَذه المُعَامَلة وَمنْ هَذَا القَبيل بَعْضُ المَعَارف التي حَرَّرْتُهَا فِي التَّوْحيد الوُجُوديِّ وَغَيْره وَسرُّه عَدَمُ الاطِّلاَع وَلَمَّا كُنْتُ وَاقفًا وَمُتَنَبِّهًا عَلى حَقيقَة المُعَامَلة كُنْتُ مُتَنَدِّمًا عَلى مَا كَتَبْتُهُ أَوْ قُلْتُهُ فِي الابْتدَاء

وَالوَسَطِ وَكُنْتُ مُسْتَغْفِرًا مِنْهُ أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَى اللهِ مِنْ جَمِيعِ مَا كَرِهَ اللهُ - سُبْحَانَهُ - وَتَعَالَى.

وَلاَحَ مِنْ هَذَا البَيَانِ أَنَّ كَمَالاَتِ النُّبُوَّةِ فِي مَرَاتِبِ الصُّعُودِ وَأَنَّ الوَجْهَ فِي عُرُوجَاتِ النُّبُوَّةِ إِلَى الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - لاَ كَمَا زَعَمَهُ الكَثِيرُونَ مِنْ أَنَّ الوَجْهَ فِي الوِلاَيَةِ إِلَى الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَتَعَالَى وَفِي النُّبُوَّةِ إِلَى الخَلْقِ وَأَنَّ الوِلاَيَةَ فِي مَرَاتِبِ العُرُوجِ وَالنُّبُوَّةَ فِي مَدَارِجِ النُّزُولِ وَمِنْ هُنَا تَوَهَّمُوا أَنَّ الوِلاَيَةَ أَفْضَلُ مِنَ النُّبُوَّةِ نَعَمْ إِنَّ لِكُلٍّ مِنَ الوِلاَيَةِ وَالنُّبُوَّةِ عُرُوجًا وَهُبُوطًا وَفِي العُرُوجِ الوَجْهُ إِلَى الحَقِّ فِي كِلَيْهِمَا وَفِي الهُبُوطِ إِلَى الخَلْقِ غَايَةُ مَا فِي البَابِ أَنَّ الوَجْهَ فِي مَرْتَبَةِ هُبُوطِ النُّبُوَّةِ إِلَى الخَلْقِ بِالكُلِّيَّةِ بِخِلاَفِ هُبُوطِ الوِلاَيَةِ فَإِنَّ الوَجْهَ فِيهَا لَيْسَ إِلَى الخَلْقِ بِالكُلِّيَّةِ بَلْ بَاطِنَةٌ بِالحَقِّ وَظَاهِرَةٌ بِالخَلْقِ وَسِرُّهُ أَنَّ صَاحِبَ الوِلاَيَةِ نَازِلٌ قَبْلَ إِمَامِ مَقَامَاتِ العُرُوجِ فَلاَ جَرَمَ يَكُونُ النَّظَرُ إِلَى الفَوْقِ مُنَازِعَهُ فِي جَمِيعِ الأَوْقَاتِ وَمَانِعَهُ مِنَ التَّوَجُّهِ بِكُلِّيَّتِهِ إِلَى الخَلْقِ بِخِلاَفِ صَاحِبِ النُّبُوَّةِ فَإِنَّهُ هَبَطَ بَعْدَ إِمَامِ مَقَامَاتِ العُرُوجِ وَلِهَذَا يَكُونُ مُتَوَجِّهًا بِكُلِّيَّتِهِ إِلَى دَعْوَةِ الخَلْقِ إِلَى الحَقِّ - جَلَّ وَعَلاَ - فَافْهَمْ فَإِنَّ هَذِهِ المَعْرِفَةَ الشَّرِيفَةَ وَأَمْثَالَهَا مِمَّا لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهَا أَحَدٌ.

وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ العُنْصُرَ التُّرَابِيَّ كَمَا أَنَّهُ يَتَفَوَّقُ عَلَى الكُلِّ فِي مَرَاتِبِ العُرُوجِ كَذَلِكَ يَنْزِلُ فِي مَنَازِلِ الهُبُوطِ أَسْفَلَ مِنَ الكُلِّ وَكَيْفَ لاَ فَإِنَّ مَكَانَهُ الطَّبِيعِيَّ أَسْفَلُ مِنَ الكُلِّ فَإِذَا ثَبَتَ أَنَّهُ يَنْزِلُ أَسْفَلَ مِنَ الكُلِّ تَكُونُ دَعْوَةُ صَاحِبِهِ أَتَمَّ بِالضَّرُورَةِ وَإِفَادَتُهُ أَكْمَلَ.

اعْلَمْ أَيُّهَا الوَلَدُ أَنَّ ابْتِدَاءَ السَّيْرِ فِي الطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ لَمَّا كَانَ مِنَ القَلْبِ الَّذِي هُوَ مِنْ عَالَمِ الأَمْرِ افْتَتَحْنَا الكَلاَمَ بِعَالَمِ الأَمْرِ بِخِلاَفِ طُرُقِ سَائِرِ المَشَايِخِ الكِرَامِ فَإِنَّهُمْ يَشْرَعُونَ أَوَّلاً فِي تَزْكِيَةِ النَّفْسِ وَتَطْهِيرِ القَالَبِ ثُمَّ يَشْرَعُونَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي عَالَمِ الأَمْرِ وَيَعْرُجُونَ فِيهَا إِلَى مَا شَاءَ اللهُ وَلِهَذَا انْدَرَجَتْ فِي بِدَايَةِ هَؤُلاَءِ الكُبَرَاءِ نِهَايَةُ مَنْ سِوَاهُمْ وَصَارَ هَذَا الطَّرِيقُ أَقْرَبَ الطُّرُقِ؛ لأَنَّ حُصُولَ التَّزْكِيَةِ وَالتَّطْهِيرِ مُيَسَّرٌ فِي ضِمْنِ هَذَا السَّيْرِ عَلَى أَحْسَنِ الوُجُوهِ فَقَصُرَتْ المَسَافَةُ بِذَلِكَ فَلاَ جَرَمَ اعْتَقَدَ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرُ سَيْرَ عَالَمِ الخَلْقِ قَصْدًا عَبَثًا وَعَدُّوهُ تَعْطِيلاً لاَ بَلْ تَيَقَّنُوا أَنَّهُ مُضِرٌّ وَمَانِعٌ عَنِ الوُصُولِ إِلَى المَطْلَبِ وَذَلِكَ؛ لأَنَّ سَالِكِي الطَّرِيقِ يُقَدِّمُ التَّزْكِيَةَ وَالرِّيَاضَاتِ الشَّاقَّةَ وَالمُجَاهَدَاتِ الشَّدِيدَةَ إِذَا شَرَعُوا فِي سَيْرِ عَالَمِ الأَمْرِ بَعْدَ قَطْعِ بَوَادِي صُورَةِ عَالَمِ الخَلْقِ وَوَقَعُوا فِي الانْجِذَابِ القَلْبِيِّ وَالالْتِذَاذِ الرُّوحِيِّ كَثِيرًا مَا يَقْنَعُونَ بِهَذَا الانْجِذَابِ وَيَكْتَفُونَ بِهَذَا الالْتِذَاذِ وَمَظِنَّةٌ لِإِمْكَانِيَّةِ عَالَمِ الأَمْرِ تَكُونُ

مُمَدَّةٌ لَهُمْ فِي تِلْكَ المُعَامَلَة وَشَائبَةُ لاَ مِثْلِيَّةِ هَذَا العَالَمِ تَمْنَعُهُمْ عَنِ اللاَّمِثْلِيِّ الحَقِيقِيِّ حَتَّى قَالَ وَاحِدٌ مِنَ السَّالِكِينَ فِي هَذَا المَقَامِ: عَبَدْتُ الرُّوحَ ثَلاثِينَ سَنَة مُعْتَقِدًا بِأَنَّهُ الحَقُّ - سُبْحَانَهُ - وَتَعَالَى.

وَقَالَ آخَرُ: إِنَّ سِرَّ الاسْتِوَاءِ وَظُهُورَ تَنْزِيهِ مَا فَوْقَ العَرْشِ مِنَ المَعَارِفِ الغَامِضَةِ وَقَدْ عُلِمَ مِنَ البَيَانِ السَّابِقِ أَنَّ ذَلِكَ التَّنْزِيهَ دَاخِلٌ فِي دَائِرَةِ الإِمْكَانِ بَلْ هُوَ تَشْبِيهٌ فِي الحَقِيقَةِ فِي صُورَةِ التَّنْزِيهِ بِخِلاَفِ أَكَابِرِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ العُلْيَا فَإِنَّهُمْ يَشْرَعُونَ مِنْ مَقَامِ الجَذْبَةِ وَيَتَرَقَّوْنَ بِمَدَدِ الالْتِذَاذِ وَهَذَا الانْجِذَابُ وَالالْتِذَاذُ فِي حَقِّهِمْ بِمَثَابَةِ الرِّيَاضَاتِ وَالمُجَاهَدَاتِ فِي حَقِّ غَيْرِهِمْ فَمَا هُوَ مَانِعٌ عَنِ الوُصُولِ لِغَيْرِهِمْ مُمِدٌّ وَمُعَاوِنٌ لِهَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ وَهُمْ يَتَصَوَّرُونَ لإِمْكَانِيَّةِ عَالَمِ الأَمْرِ عَيْنَ المُكَاتَبَةِ فَيَتَوَجَّهُونَ مِنْهُ إِلَى المَكَانِيِّ الحَقِيقِيِّ وَيَعْتَقِدُونَ لاَ مِثْلِيَّةَ ذَلِكَ العَالَمِ عَيْنَ المِثْلِيَّةِ وَيَرْتَقُونَ مِنْهُ إِلَى اللاَّمِثْلِيِّ الحَقِيقِيِّ فَلاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ لاَ يَفْتَتِنُونَ بِغُرُورِ الوَجْدِ وَالحَالِ وَلاَ يَغْبَنُونَ بِجَوْزِ هَذَا الطَّرِيقِ وَمَوْزِ الأَشْبَاهِ وَالأَمْثَالِ كَالأَطْفَالِ وَلاَ يُبَاهُونَ بِتُرَّهَاتِ الصُّوفِيَّةِ وَلاَ يَفْتَخِرُونَ بِشَطَحِيَّاتِ المَشَايِخِ بَلْ هُمْ مُتَوَجِّهُونَ إِلَى الأَحَدِيَّةِ الصِّرْفَةِ لاَ يَبْغُونَ مِنَ الاسْمِ وَالصِّفَةِ غَيْرَ الذَّاتِ المُقَدَّسَةِ.

وَيَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ هَذَا العُرُوجَ الذِي مَرَّ ذِكْرُهُ مَخْصُوصٌ بِمُحَمَّدِيٍّ المَشْرَبِ التَّامِّ الاسْتِعْدَادِ لَهُ نَصِيبٌ كَامِلٌ مِنْ كَمَالاَتِ الجَوَاهِرِ الخَمْسِ التِي فِي عَالَمِ الأَمْرِ صَغِيرِهِ وَكَبِيرِهِ وَكَذَلِكَ لَهُ حَظٌّ وَافِرٌ مِنْ أُصُولِ هَذِهِ الخَمْسِ - أَعْنِي ظِلاَلَ الأَسْمَاءِ الوُجُوبِيَّةِ -، وَكَذَلِكَ مِنْ أُصُولِ هَذِهِ الظِّلاَلِ أَعْنِي مَقَامَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

وَإِنَّمَا قُلْتُ التَّامَّ الاسْتِعْدَادِ؛ لأَنَّهُ كَثِيرًا مَا يَكُونُ فِي الظَّاهِرِ مُحَمَّدِيَّ المَشْرَبِ وَيَكُونُ لَهُ نَصِيبٌ مِنْ كَمَالاَتِ الأَخْفَى الذِي هُوَ نِهَايَةُ مَرَاتِبِ عَالَمِ الأَمْرِ وَلَكِنَّهُ لاَ يُتِمُّ مُعَامَلَةَ الأَخْفَى وَلاَ يَنْتَهِ إِلَى نُقْطَتِهِ الأَخِيرَةِ بَلْ يَبْقَى فِي ابْتِدَائِهِ أَوْ وَسَطِهِ فَإِذَا كَانَ لَهُ قُصُورٌ فِي الأَخْفَى يَكُونُ لَهُ قُصُورٌ فِي أُصُولِهِ أَيْضًا بِمِقْدَارِهِ فَلاَ يَتَمَكَّنُ مِنْ إِتْمَامِ مُعَامَلَتِهِ وَكَذَلِكَ الحُكْمُ فِي الأَرْبَعِ البَاقِيَةِ مِنْ عَالَمِ الأَمْرِ حَيْثُ إِنَّ تَامِّيَّةَ الاسْتِعْدَادِ فِي كُلِّ مَرْتَبَةٍ مَرْبُوطَةٌ بِالوُصُولِ إِلَى النُّقْطَةِ الأَخِيرَةِ وَمِنْ تِلْكَ المَرْتَبَةِ، وَالوُقُوفُ فِي الابْتِدَاءِ وَالوَسَطِ يُنْبِئُ عَنِ النُّقْصَانِ وَلَوْ كَانَ القُصُورُ فِي الوُصُولِ إِلَى نِهَايَةِ مِقْدَارِ شَعْرَةٍ.

شِعْرٌ

وَمَا قَلَّ هِجْرَانُ الحَبِيبِ وَإِنْ غَدَا قَلِيلاً وَنِصْفُ الشَّعْرِ فِي العَيْنِ ضَائِرُ

وَيَسْرِي هَذَا القُصُورُ إِلى الأُصُول وَأُصُول الأُصُول وَيَكُونُ مَانعًا عَنِ الوُصُول إِلى المَطْلَب.

وَإِنَّمَا قُلْتُ إِنَّ هَذَا العُرُوجَ مَخْصُوصٌ بمُحَمَّديِّ المَشْرَب؛ لأَنَّ غَيْرَ مُحَمَّديِّ المَشْرَب منْهُمْ مَنْ يَكُونُ كَمَاله مَقْصورًا عَلى الدَّرَجَة الأَولى مِنْ دَرَجَات الولاَيَة، وَالمُرَادُ بالدَّرَجَة الأُولى مَرْتَبَةُ القَلب وَمنْهُمْ مَنْ تَكُونُ نهَايَةُ عُرُوجِ كَمَاله إِلى الدَّرَجَة الثَّانيَة منْ دَرَجَات الولاَيَة التي هِيَ مَقَامُ الرُّوحِ وَمِنْهُم مَنْ يَكُونُ كَمَالُهُ مَقْصُورًا عَلَى الدَّرَجَة الثَّالثَة أَعْني مَقَامَ السِّرِّ.

وَمنْهُمْ مَنْ تَكُونُ نهَايَةُ عُرُوجِ كَمَاله إلى الدَّرَجَة الرَّابعَة أَعْني مَقَامَ الخَفيِّ.

وَالدَّرَجَةُ الأُولى لَهَا مُنَاسَبَةٌ بتَجَلي صفَات الأَفْعَال وَللدَّرَجَة الثَّانيَة بتَجَلي الصِّفَات الثُّبُوتيَّة وَللدَّرَجَة الثَّالثَة بتَجَلي الشُّئونِ وَالاعْتبَارَاتِ الذَّاتيَّة وَللدَّرَجَة الرَّابعَة بالصِّفَات السَّلبيَّة التي هِيَ مَقَامُ التَّنْزيه وَالتَّقْديس.

وَكُل دَرَجَة منْ دَرجَات الوَلاَيَة تَحْتَ قَدَم نَبيٍّ منَ الأَنْبيَاء أُولي العَزْمِ فَالدَّرَجَةُ الأُولى منْهَا تَحْتَ قَدَم آدَمَ عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَرَبُّهُ صفَةُ التَّكْوينِ التي هِيَ مَنْشَأُ صُدُورِ الأَفْعَال.

وَالدَّرَجَةُ الثَّانيَةُ تَحْتَ قَدَم إِبْرَاهيمَ وَيُشَاركُهُ في هَذَا المَقَامِ نُوحٌ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ وَرَبُّهُمَا صفَةُ العَلمِ التي هِيَ أَجْمَعُ الصِّفَات الذَّاتيَّة.

وَالدَّرَجَةُ الثَّالثَةُ تَحْتَ قَدَمِ مُوسَى - عَلَيْه السَّلاَمُ - وَرَبُّهُ منْ مَقَامَات الشُّئونَات شَأْن الكَلاَم.

وَالدَّرَجَةُ الرَّابعَةُ تَحْتَ قَدَمِ عيسَى - عَلَيْه السَّلاَمُ - وَرَبُّهُ منَ الصِّفَات السَّلبيَّة لاَ منَ الثُّبُوتيَّة فَإِنَّهَا مَوْطنُ التَّقْديس وَالتَّنْزيه وَأَكْثَرُ المَلاَئكَة الكرَام يُشَاركُونَ عيسَى عَلى نَبيِّنَا وعَلَيْه السَّلاَمُ في هَذَا المَقَامِ وَالشَّأْن العَظيمِ حَاصلٌ لَهُمْ في هَذَا المَقَامِ.

وَالدَّرَجَةُ الخَامسَةُ تَحْتَ قَدَمِ خَاتَمِ الرُّسُل عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَرَبُّهُ ﷺ رَبُّ الأَرْبَاب الذي هُوَ جَامعُ جَميعِ الصِّفَات والشُّئونات والتَّقديسَات والتَّنزيهات وَمَرْكَز دَائرَة هَذه الكَمَالاَت وَيُنَاسبُ التَّعْبيرَ عَنْ هَذَا الشَّأْن الجَامعِ في مَرْتَبَة الصِّفَات والشُّئونَات بشَأْن العلم لكَوْن هَذَا الشَّأْن عَظيمَ الشَّأْن جَامعًا لجَميعِ الكَمَالاَت وَبهَذه المُنَاسَبَة صَارَتْ ملتُهُ ﷺ ملةَ إِبْرَاهيمَ - عَلَيْه السَّلاَمُ - وَقبْلَتُهُ قبلَتَهُ.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنْ تُفَاضُلَ الأَقْدَامِ فِي الوِلاَيَةِ لَيْسَ بِاعْتِبَارِ تَقَدُّمِ الدَّرَجَاتِ وَتَأَخُّرِهَا حَتَّى يَكُونَ صَاحِبُ الأَخْفَى أَفْضَلَ مِنْ غَيْرِهِ وَعَلَى هَذَا القِيَاسِ بَلْ بِاعْتِبَارِ القُرْبِ مِنَ الأَصْلِ وَالبُعْدِ عَنْ وَطْءِ مَنَازِلِ دَرَجَاتِ الظِّلاَلِ كَثْرَةً وَقِلَّةً فَعَلَى هَذَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ صَاحِبُ القَلْبِ بِاعْتِبَارِ القُرْبِ مِنَ الأَصْلِ أَفْضَلَ مَنْ صَاحِبِ الأَخْفَى الذي لَمْ يَحْصُلْ لَهُ القُرْبُ مِنْ لأَصْلِ كَيْفَ وَوِلاَيَةُ النَّبِيِّ التي فِي الدَّرَجَةِ الأَخِيرَةِ مِنْ دَرَجَاتِ الوِلاَيَةِ أَفْضَلَ قَطْعًا مِنْ وِلاَيَةِ الوَلِيِّ التي فِي الدَّرَجَةِ الفَوْقَانِيَّةِ.

وَلاَ يَخْفَى أَنَّ سُلوكَ اللطَائِفِ بِالتَّرْتِيبِ المَذْكُورِ أَعْنِي الانْتِقَالَ مِنَ القَلْبِ إِلى الرُّوحِ وَمِنَ الرُّوحِ إِلى السِّرِّ وَمِنَ السِّرِّ إِلى الخَفِيِّ وَمِنَ الخَفِيِّ إِلى الأَخْفَى مَخْصُوصٌ أَيْضًا بِمُحَمَّدِيِّ المَشْرَبِ فَإِنَّهُ يَتِمُّ سَيْرُ هَذِهِ الخَمْسِ مِنْ عَالَمِ الأَمْرِ بِالتَّرْتِيبِ ثُمَّ يَسِيرُ فِي أُصُولِهَا وَيَتِمُّ السُّلوكُ بَعْدَ السَّيْرِ فِي أُصُولِ الأُصُولِ مُرَاعِيًا لِهَذَا التَّرْتِيبِ وَهَذَا الطَّرِيقُ بِالتَّرْتِيبِ المَذْكُورِ طَرِيقٌ سُلْطَانِيٌّ لِلوُصُولِ وَصِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ لِمُتَوَجِّهِي الأَحَدِيَّةِ بِخِلاَفِ وِلاَيَاتٍ أُخَرَ وَكَانَ فِيهَا نَقَبْتُ نَقْبَةً مِنْ كُلِ دَرَجَةٍ إِلى أَنْ يَصِلَ إِلى المَطْلُوبِ مَثَلاً نَقَّبْتُ نَقْبَةً مِنْ مَقَامِ القَلْبِ إِلى أَنْ تَصِلَ إِلى صِفَاتِ الأَفْعَالِ التي هِيَ أَصْلُ أَصْلِهِ وَكَذَلِكَ نَقَّبْتُ نَقْبَةً مِنْ مَقَامِ الرُّوحِ إِلى الصِّفَاتِ الذَّاتِيَّةِ وَعَلَى هَذَا القِيَاسِ وَلاَ شَكَّ أَنَّ أَفْعَالَهُ تَعَالى وَصِفَاتِهِ لَيْسَتْ مُنْفَكَّةً عَنْ ذَاتِهِ تَعَالى فَإِنَّ كُلَ الانْفِكَاكِ فَهُوَ فِي الظِّلاَلِ فَفِي ذَلِكَ المَوْطِنِ لِلوَاصِلِينَ إِلى الأَفْعَالِ وَالصِّفَاتِ نَصِيبٌ مِنْ تَجَلِيَاتِ الذَّاتِ المُنَزَّهَةِ عَنِ المِثَالِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ أَيْضًا كَمَا تَتَيَسَّرُ هَذِهِ الدَّوْلَةُ لِصَاحِبِ الأَخْفَى بَعْدَ إِتْمَامِ الأَمْرِ وَإِنْ كَانَ التَّفَاوُتُ بِاعْتِبَارِ العُلُوِّ وَالسُّفْلِ بَاقِيًا. وَادِّعَاءُ صَاحِبِ القَلْبِ المُسَاوَاةَ لِصَاحِبِ الأَخْفَى غَيْرُ مُوَجَّهٍ.

وَلاَ تَغْلطَنَّ فِي هَذَا المَقَامِ وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا التَّفَاوُتَ إِنَّمَا هُوَ مُتَصَوَّرٌ فِيمَا بَيْنَ الأَوْلِيَاءِ؛ لأَنَّ صَاحِبَ الوِلاَيَةِ القَلْبِيَّةِ أَدْوَنُ مِنْ صَاحِبِ الوِلاَيَةِ الأَخْفَوِيَّةِ بَعْدَ وُصُولِ كِلَيْهِمَا إِلى مَرْتَبَةِ الكَمَالِ وَأَمَّا فِيمَا بَيْنَ الأَوْلِيَاءِ وَالأَنْبِيَاءِ فَمَفْقُودٌ؛ لأَنَّ وِلاَيَةَ نَبِيٍّ وَلَوْ كَانَتْ نَاشِئَةً مِنْ مَقَامِ القَلْبِ أَفْضَلَ مِنْ وِلاَيَةِ وَلِيٍّ وَلَوْ كَانَتْ نَاشِئَةً مِنْ مَقَامِ الأَخْفَى وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ مِمَّنْ أَتَمَّ الأَمْرَ.

وَسِرُّ ذَلِكَ أَنَّ صَاحِبَ الوِلاَيَةِ تَحْتَ قَدَمِ نَبِيٍّ تِلكَ الوِلاَيَةِ دَائِمًا أَيَّ وِلاَيَةٍ كَانَتْ.

قَالَ اللهُ تَعَالى {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا المُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ المَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الغَالِبُونَ}

نَعَمْ إنَّ هَذَا التَّفَاوُتَ فِيَا بَيْنَ الأَنْبِيَاء بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ مُتَصَوَّرٌ وَصَاحِبُ العُلْيَا مِنْهُمْ أَفْضَل مِنْ صَاحِبِ السُّفْلى وَلكِنَّ هَذَا التَّفَاوُتَ فِيمَا بَيْنَ الأَنْبِيَاء - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - أَيْضًا إلى آخرِ دَوَائِر كَمَالَاتِ عَالِم الأَمْرِ وَلَيْسَ التَّفَاضُل بَعْدَهُ مَرْبُوطًا بِالعُلوِّ وَالسُّفْل بَل يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ صَاحِبُ السُّفْلِ فِي ذَلِكَ المَوْطِنِ أَفْضَل مِنْ صَاحِبِ العُلوِّ كَمَا شَاهَدْنَا التَّفَاوُتَ فِي ذَلِكَ المَوْطِنِ بَيْنَ مُوسَى وَعِيسَى عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِمَا الصَّلاَةُ وَالسَّلَامُ فَإنَّ مُوسَى جَسِيمٌ ثَمَّةَ ذُو شَأْن عَظِيمٍ لَيْسَ لعيسى فيه تلكَ الجَسَامَةُ وَالشَّأنُ فَعَلِمْنَا أَنَّ التَّفَاوُتَ فِي ذَلِكَ المَوْطِنِ بِأَمْرٍ آخَرَ وَرَاءَ ذَلِكَ العُلوِّ وَالسُّفْل وَسَأُبَيِّنُهُ بَعْدُ مُفصَّلاً - إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالى - بِحُسْنِ تَوْفِيقِه وَكَمَال مَنِّه وَكَرَمِه تَعَالى وَكَذَلكَ وَجَدْنَا فيه التَّفَاوُتَ بَيْن خَليل الرَّحْمَنِ وَبَيْنَ سَائرِ الأَنْبيَاء غَيْرِ خَاتَمِ الرُّسُل عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلَامُ فِي الكَمَالاَت التِي لاَ تُعَلقُ بِحَقِيقَةِ الكَعْبَةِ الرَّبَّانِيَّة التي هِيَ فَوْقَ جَمِيعِ الحَقَائِق البَشَرِيَّة وَالمَلَكِيَّة فَإنَّ للخَليل ثَمَّةَ شَأْنًا عَظِيمًا وَمَرْتَبَةً رَفِيعَةً لَمْ يَتَيَسَّرْ لأَحَدٍ ذَلكَ الشَّأْنُ وَالرُّتْبَة.

وَفِي ذَلكَ المَقَامِ العَالِي المُنَاسب لِمَقَام ظُهُور سُرَادقَات العَظَمَة وَالكِبْرِيَاء كَمَالاَتُ مَرْكَزِ ذَلكَ المَقَامِ الذي هُوَ مَقَامُ الإجْمَال نَصِيبُ خَاتَمِ الرُّسُل وَالبَاقي المُفصَّل كُلهُ مُسَلمٌ للخَليل وَكُل مَنْ سواهُ منَ الأَنْبيَاء وَكَمَال الأَوْلِيَاء طُفَيْلِيَّةٌ هُنَاكَ.

وَكَانَ النَّبيُّ ﷺ طَلبَ تَفْصِيل ذَلكَ الإجْمَال حَيْثُ سَأَلَ صَلاَةً وَبَرَكَةً مُشَابِهَتَيْنِ بِصَلاَة إبْرَاهِيمَ عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلَامُ وَبركَته.

وَقَدْ ظَهَرَ لِهَذَا الفَقير أَنَّ ذَلكَ التَّفْصِيل قَدْ تَيَسَّرَ لَهُ أَيْضًا بَعْد مُضيِّ أَلف سَنَة وَاسْتُجيبَ مَسْئوله وَالحَمْدُ لله عَلى ذَلكَ وَعَلى جَمِيعِ نِعْمَائه وَكَمَالاَتُ ذَلكَ المَقَامِ العَالِي فَوْقَ كَمَالاَت الولاَيَة وَفَوْقَ كَمَالاَت النُّبُوَّة وَالرِّسَالَة وَكَيْفَ لاَ تَكُونُ فَوْقَهَا فَإنَّ تلكَ الحَقيقَةَ مَسْجُودٌ إلَيْهَا للأَنْبيَاء الكرَام وَالمَلاَئكَة العظَام عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَمَا كَتَبَهُ هَذَا الفَقيرُ في رِسَالَة المَبْدَأ وَالمَعَاد أَنَّ الحَقيقَةَ المُحَمَّدِيَّة عَرجَتْ منْ مَقَامهَا وَانْتَهَتْ إلى حَقيقَةِ الكَعْبَة التي فَوْقَهَا وَاتَّحدَتْ بهَا وَعَرَضَ للحَقيقَة المُحَمَّدِيَّة اسْمُ الحَقيقَة الأَحْمَدِيَّة كَانَتْ تلكَ الحَقيقَةُ أَعْني حَقيقَةَ الكَعْبَة ظلاً منْ ظلاَل هَذه الحَقيقَة قَدْ ظُنَّ قَبلَ ظُهُور هَذه الحَقيقَة حَقيقَةً وَيَقَعُ هَذَا الاشْتبَاهُ كَثيرًا وَيَظُنُّ الظِّلَ قَبْلَ ظُهُورِ الأَصْل أَصْلاً وَيُسَمَّى حَقيقَةً.

وَمِنْ هَهُنَا يَظْهَرُ المَقَامُ الوَاحِدُ مَرَّات وَسِرُّهُ أَنَّ ظُهُورات ذَلِكَ المَقَام باعْتِبَارِ ظِلال ذَلِكَ المَقَامِ وَحَقِيقَةُ ذَلِكَ المَقَامِ فِي الحَقِيقَةِ هِيَ مَا ظَهَرَتْ فِي المَرْتَبَةِ الأَخِيرَةِ.

فَإِنْ قِيلَ: مِنْ أَيْنَ يُعْلَمَ أَنَّ هَذِهِ المَرْتَبَةَ هِيَ المَرْتَبَةُ الأَخِيرَةُ مِنْ مَرَاتِبِ ظُهورَاتِه حَتَّى يُعْلَمَ أَنَّهَا هِيَ الحَقِيقَةُ.

قُلتُ: إنَّ حُصُول العلمِ بظِلِّيَّة الظُّهورات السَّابقَة شَاهِدُ عَدْل لآخريَّة هَذَا الظُّهُورِ فَإِنَّ هَذَا العلمَ لَمْ يَكُنْ حَاصِلاً وَقْتَ الظُّهورات السَّابقَة بَل كَانَ يَرَى كُل ظُهُورِ حَقِيقَة وَمَا كَانَ يُظَنُّ شَيْءٌ مِنْهَا ظِلاً أَصْلاً وَإِنْ لَمْ يُعْلَمْ أَنَّ اخْتِلافَ هَذِهِ الحَقَائقِ مِنْ أَيْنَ جَاءَ فَافْهَمْ.

أَيُّهَا الوَلدُ، قَدْ عُلم مِنَ المَعَارِف السَّابقَة أَنَّ الكَمَالاَت المُتَعَلقَة بعَالَمِ الأَمْرِ مَقَامَاتٌ وَمَعَارِجُ للكَمَالاَت المُتَعلقَة بعَالَمِ الخَلق وَالكَمَالاَت الأَولى لَيْسَتْ بخَالِيَة عَنِ الظِّلِّيَّة وَمَخْصُوصَةٌ بمَقَامَات الوِلاَيَة وَالكَمَالاَت الثَّانيَة مُبَرَّأَةٌ عَنْ شَائبَة الظِّلِّيَّة المُنَاسبَة لظُهورات هَذه النَّشْأَة الدُّنْيَويَّة وَفيهَا نَصيبٌ كَامِل مِنْ مَقَامَات النُّبُوَّة فَتَكُونُ الطَّرِيقَةُ وَالحَقِيقَةُ اللتَان مَرْبُوطَان بالوِلاَيَة خَادمَتَيْنِ للشَّرِيعَةِ التي هِيَ نَاشِئَةٌ مِنْ مَقَامِ النُّبُوَّة وَتَكُونُ الوِلاَيَةُ سُلمًا لعُرُوجِ النُّبُوَّة.

فَعُلمَ مِنْ هَذَا البَيَان أَنَّ السَّيْرَ الذي اخْتَارَهُ الأَكَابِرُ النَّقْشَبَنْدِيَّةُ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمُ العَلِيَّةَ الذي ابْتِدَؤُهُ مِنْ عَالَمِ الأَمْرِ أَوْلى وَأَنْسَبُ؛ لأَنَّ التَّرَقِّيَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مِنَ الأَدْنَى الذي هُوَ عَالَمُ الأَمْرِ إِلى الأَعْلى الذي هُوَ عَالِي الخَلق لاَ مِنَ الأَعْلى إِلى الأَدْنَى وَمَا العلاَجُ فَإِنَّ هَذَا المُعَميَّ لَمْ يَنْكَشِفْ لكُل أَحَد بَل نَظَرَ الأَكْثَرُونَ إِلى الصُّورَة وَظَنُّوا عَالَمَ الخَلقِ أَدْنَى فَشَرَعُوا فِي الارْتِقَاءِ مِنَ الأَدْنَى إِلى الأَعْلى الصُّورِيَّيْنِ وَلَمْ يَدْرُوا أَنَّ حَقِيقَةَ الحَال عَلى عَكْسِ هَذَا المَنْوَال وَأَنَّ مَا ظَنُّوهُ أَدْنَى فِي الحَقِيقَة هُوَ الأَعْلى وَمَا زَعَمُوهُ أَعْلى هُوَ أَدْنَى نَعَمْ إِنَّ النُّقْطَةَ الأَخِيرَةَ التي هِيَ عَالَمُ الخَلق وَقَعَتْ قَرِيبَةً مِنَ النُّقْطَة الأُولى التي هِيَ أَصْلُ الأَصْل وَهَذَا القُرْبُ لَمْ يَتَيَسَّرْ لنُقْطَة أُخْرَى، (ع):

أَحَقُّ الخَلقِ بالكَرَم العُصَاةُ

وَهَذه المُشَاهَدَةُ مُقْتَبَسَةٌ مِنْ مشْكَاة النُّبُوَّة وَأَرْبَابُ الوِلاَيَة قَليلو النَّصيب مِنْ هَذه المَعْرِفَة وَشُرُوعُ الأَنْبيَاء - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - كَانَ مِنْ عَالَمِ الأَمْرِ وَأَنَّهُمْ وَرَدُوا مِنَ الحَقِيقَة إِلى الشَّرِيعَة، غَايَةُ مَا فِي البَاب أَنَّ فِي كَمَال الأَوْليَاء الذينَ وَقَعَ سَيْرُهُمْ مُوَافقًا لسَيْرِ الأَنْبيَاءِ فِي الابْتِدَاءِ صُورَةَ الشَّرِيعَة وَفِي الوَسَطِ الطَّرِيقَةُ

وَالحَقِيقَةُ المُتَعَلِّقَتَانِ بِالوِلاَيَةِ المُنَاسِبَتَانِ لِعَالَمِ الأَمْرِ وَفِي النِّهَايَةِ حَقِيقَةُ الشَّرِيعَةِ التِي هِيَ ثَمَرَةُ النُّبُوَّةِ.

فَتَقَرَّرَ مِنْ هَذَا أَنَّ حُصُولَ الطَّرِيقَةِ مُقَدَّمٌ عَلَى حُصُولِ حَقِيقَةِ الشَّرِيعَةِ فَكَانَتْ بِدَايَةُ الأَوْلِيَاءِ الكَامِلِينَ وَبِدَايَةُ الأَنْبِيَاءِ المُرْسَلِينَ مِنَ الحَقِيقَةِ وَنِهَايَةُ كُلٍّ مِنْهُمَا إِلَى الشَّرِيعَةِ فَلاَ مَعْنَى لِقَوْلِ مَنْ قَالَ: إِنَّ بِدَايَةَ الأَوْلِيَاءِ نِهَايَةُ الأَنْبِيَاءِ وَأَرَادَ بِبِدَايَةِ الأَوْلِيَاءِ وَنِهَايَةِ الأَنْبِيَاءِ الشَّرِيعَةَ الغَرَّاءَ.

نَعَمْ إِنَّ هَذَا المِسْكِينَ لَمَّا لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى حَقِيقَةِ الحَالِ تَكَلَّمَ بِهَذَا الشَّطْحِ وَلَمْ يُبَالِ.

وَهَذِهِ المَعَارِفُ وَإِنْ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهَا أَحَدٌ بَلْ ذَهَبَ الأَكْثَرُونَ إِلَى عَكْسِهَا وَاسْتَبْعَدُوهَا عَنِ الإِدْرَاكِ وَلَكِنْ إِذَا لاَحَظَ مُنْصِفٌ جَانِبَ عَظِيمَةِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ وَاسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ عَظَمَةُ الشَّرِيعَةِ يُحْتَمَلُ أَنْ يَقْبَلَ هَذِهِ المَعَارِفَ الغَامِضَةَ وَيَجْعَلَ هَذَا القَبُولَ وَسِيلَةً إِلَى زِيَادَةِ إِيمَانِهِ.

أَيُّهَا الوَلَدُ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ اقْتَصَرُوا دَعْوَتَهُمْ عَلَى عَالَمِ الخَلْقِ بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ، الحَدِيثُ صَرِيحٌ فِي هَذَا وَلَمَّا كَانَتْ مُنَاسَبَةُ القَلْبِ بِعَالَمِ الخَلْقِ أَزْيَدَ دَعْوَةً أَيْضًا بِالتَّصْدِيقِ وَلَمْ يَتَكَلَّمُوا فِيمَا وَرَاءَ القَلْبِ بَلْ جَعَلُوهُ كَالمَطْرُوحِ فِي الطَّرِيقِ وَلَمَّا يَعُدُّوهُ مِنَ المَقَاصِدِ نَعَمْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ فَإِنَّ تَنَعُّمَاتِ الجَنَّةِ وَآلاَمَ النَّارِ وَدَوْلَةَ الرُّؤْيَةِ وَالحِرْمَانَ عَنْهَا كُلُّهَا مَرْبُوطَةٌ بِعَالَمِ الخَلْقِ لاَ تَعَلُّقَ لِشَيْءٍ مِنْهَا بِعَالَمِ الأَمْرِ أَصْلاً.

وَأَيْضًا إِنَّ إِتْيَانَ العَمَلِ الفَرْضِ وَالوَاجِبِ وَالسُّنَّةِ مُتَعَلِّقٌ بِالقَلْبِ الذِي هُوَ مِنْ عَالَمِ الخَلْقِ وَمَا هُوَ نَصِيبُ عَالَمِ الأَمْرِ مِنَ الأَعْمَالِ هُوَ النَّافِلَةُ وَالقُرْبُ الذِي هُوَ ثَمَرَةُ أَدَاءِ الأَعْمَالِ إِنَّمَا يَكُونُ عَلَى مِقْدَارِ الأَعْمَالِ التِي هُوَ ثَمَرَتُهَا فَلاَ جَرَمَ يَكُونُ القُرْبُ الذِي هُوَ ثَمَرَةُ أَدَاءِ الفَرَائِضِ نَصِيبُ عَالَمِ الخَلْقِ، وَالقُرْبُ الذِي هُوَ ثَمَرَةُ أَدَاءِ النَّوَافِلِ نَصِيبُ عَالَمِ الأَمْرِ وَلاَ شَكَّ أَنَّهُ إِلاَّ اعْتِدَادٌ بِالنَّفْلِ وَلاَ اعْتِبَارَ لَهُ بِالقِيَاسِ عَلَى الفَرْضِ وَلَيْتَ لَهُ حُكْمُ القَطْرَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى البَحْرِ المُحِيطِ بَلْ هَذِهِ النِّسْبَةُ لِلنَّفْلِ بِالقِيَاسِ عَلَى السُّنَّةِ وَإِنْ كَانَتْ نِسْبَةُ مَا بَيْنَ السُّنَّةِ وَالفَرْضِ كَنِسْبَةِ القَطْرَةِ إِلَى البَحْرِ فَيَنْبَغِي أَنْ يَقِيسَ تَفَاوُتَ مَا بَيْنَ القُرْبَيْنِ عَلَى هَذَا وَأَنْ يُعْلَمَ مَزِيَّةَ عَالَمِ الخَلْقِ عَلَى عَالَمِ الأَمْرِ مِنْ هَذَا التَّفَاوُتِ وَأَكْثَرُ الخَلاَئِقِ لَمَّا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ هَذَا المَعْنَى صَارُوا يُخَرِّبُونَ الفَرَائِضَ وَيَجْتَهِدُونَ فِي تَرْوِيجِ النَّوَافِلِ وَالصُّوفِيَّةُ النَّاقِصُونَ يَعْتَقِدُونَ الذِّكْرَ وَالفِكْرَ مِنْ أَهَمِّ المُهِمَّاتِ وَيَتَسَاهَلُونَ فِي إِتْيَانِ الفَرَائِضِ وَالسُّنَنِ

وَيَخْتَارُونَ الأَرْبَعينَات تَارِكينَ للجُمَعِ وَالجَمَاعَاتِ وَلاَ يَعْلمُونَ أَنَّ أَدَاءَ فَرْضٍ وَاحِدٍ مَعَ الجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ أُلوف مِنْ أَرْبَعينَاتهم.

نَعَمْ إنَّ الذِّكْرَ وَالفكْرَ مَعَ مُرَاعَاة الآدَاب الشَّرْعيَّة أَفْضَل وَأَهَمُّ وَالعُلمَاءُ القَاصرُونَ أَيْضًا يَسْعَوْنَ في تَرْويجِ النَّوَافل وَيُخرِّبُونَ الفَرَائضَ وَيُضَيِّعُونَهَا وَمنْ ذَلكَ صَلاَةُ العَاشُورَاء مَثَلاً وَلَمْ يَصحَّ.

عَنِ النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يُصَليهَا مَعَ الجَمَاعَة وَالجَمْعيَّة التَّامَّة وَالحَال أَنَّهمْ يَعْلمُونَ أَنَّ الرِّوَايَات الفقْهيَّةَ نَاطقَةٌ بكَرَاهَة الجَمَاعَة في النَّافلَة وَهُمْ يَتَكَاسَلونَ في أَدَاء الفَرَائضِ عَلى حَدٍّ قَلمَا يُوجَدُ منْهُمْ مَنْ يُؤَدِّي الفرْضَ في وَقْته المُسْتَحبِّ بَل رُبَّمَا يُفَوِّتُونَهُ عَنْ أَصْل وَقْته وَلاَ يَتَقَيَّدُونَ بالجَمَاعَة كَثيرَ تَقيُّد وَيَقْنَعُونَ في الجَمَاعَة بشَخْصٍ أَوْ بشَخْصَيْنِ بَل رُبَّمَا يَكْتَفُونَ بالانْفرَاد فَإذَا كَانَتْ مُعَامَلةُ مُقْتَدي أَهْل الإسْلاَم هَذه فَمَا تَقُول في غَيْرِهمْ منَ العَوَامِّ وَمنْ شُؤْم هَذه الأَفْعَال وَسُوء الأَعْمَال ظَهَرَ الضَّعْفُ في الإسْلاَمِ وَمنْ ظُلمَة هَذهِ المُعَامَلة وَكُدُورَةَ الأَحْوَال ظَهرَتْ البدْعَةُ بَيْنَ الأَنَام. شعْرٌ.

بَثَثْتُ لدَيْكُمْ منْ هُمُومي وَخفْتُ أَنْ تَمَلُّوا وَإلاَّ فَالكَلاَمُ كَثيرٌ

وَأَيْضًا إنَّ أَدَاءَ النَّوَافل إنَّمَا يُعْطي قُرْبَ ظل منَ الظِّلاَل وَأَدَاءَ الفَرَائضِ يُعْطي قُرْبَ الأَصْل الذي لَيْسَ فيه شَائبَةُ الظِّليَّة إلاَّ أَنَّ النَّفْل إذَا أُدِّي لأَجْل تَكْميل الفَرَائضِ فَحينَئذ يَكُونُ ذَلكَ أَيْضًا مُمدًّا وَمُعَاوِنًا لحُصُول قُرْب الأَصْل وَمُلحَقًا بالفَرَائضِ فَيَكُونُ أَدَاءُ الفَرَائضِ بالضَّرُورَة مُنَاسبًا لعَالمِ الخَلقِ الذي هُوَ مُتَوَجِّهٌ وَنَاظرٌ إلى الأَصْل.

وَأَدَاءُ النَّوَافل مُنَاسبٌ لعَالمِ الأَمْرِ الذي هُوَ نَاظرٌ إلى الظِّل وَالفَرَائضِ وَإنْ كَانَتْ كُلهَا مُوَرِّثَةً للقُرْب وَلكنَّ أَفْضَلهَا وَأَكْمَلهَا الصَّلاَةُ وَلعَلك سَمعْتَ أَنَّ الصَّلاَةَ معْرَاجُ المُؤْمنِ وَأَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ منَ الرَّبِّ في الصَّلاَة وَالوَقْتَ الخَاصٌّ الذي كَانَ للنَّبيِّ ﷺ حَيْثُ عَبَّرَ عَنْهُ بقَوْله لي مَعَ الله وَقْتَ الحَديث هُوَ عنْدَ الفَقير في الصَّلاَة الصَّلاَةُ هيَ المُكفِّرَةُ للسَّيِّئَات وَالصَّلاَةُ هيَ التي تَنْهي عَنِ الفَحْشَاء وَالمُنْكَرَات وَالصَّلاَةُ هيَ التي كَانَ النَّبيُّ عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَطْلبُ رَاحَتَهُ فيهَا حَيْثُ كَانَ يَقُول أَرحْني يَا بلال وَالصَّلاَةُ هيَ التي عمَادُ الدِّينِ وَالصَّلاَةُ هيَ التي صَارَتْ فَارقَةً بَيْنَ الإسْلاَم وَالكُفْر.

وَلنَرْجعْ إلى أَصْل الكَلاَمِ وَلنَقُل منْ مَزيَّة عَالمِ الخَلقِ عَلى عَالمِ الأَمْرِ.

اعْلَمْ أَنَّ عَالَمَ الأَمْرِ قَدْ نَال هُنَا يَعْنِي هُنَا فِي النَّشْأَة الدُّنْيَا حَظًّا وافرًا وَحَصَل المُشَاهَدَةُ وَسَتَقَعُ المُعَامَلَةُ غَدًا فِي الجَنَّة عَلى عَالَمِ الخَلقِ وَتَتَيَسَّرُ لهُ رُؤْيَةٌ بلاَ كَيْفٍ وَمَعَ ذَلكَ أَنَّ مُتَعلقَ المُشَاهَدَة ظِل فِي ظِلال الوُجُوب.

وَالمَرْئِيُّ فِي الآخرَة وَاجبُ الوُجُود فَالفَرْقُ الذي بَيْنَ المُشَاهَدَة وَالرُّؤْيَة وَالظِّلِّيَّة وَالأَصَالة هُوَ فَرْقُ مَا بَيْنَ عَالَمِ الخَلق وَعَالمِ الأَمْرِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ المُشَاهَدَةَ ثَمَرَةُ الوِلاَيَةِ وَالرُّؤْيَة ثَمَرَةُ النُّبُوَّة وَتَتَيَسَّرُ لعَامَّة أَتْبَاعِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم.

وَمِنْ هَهُنَا يُعْرَفُ التَّفَاوُتُ بَيْنَ الوِلاَيَة وَالنُّبُوَّة أَيْضًا. تَنْبِيهٌ: كُل عَارف مُنَاسَبَتُهُ لعَالمِ الأَمْرِ أَزْيَدُ يَكُونُ قَدَمُهُ فِي كَمَالاَت الوِلاَيَة أَزْيَدَ وَالذي مُنَاسَبَتُهُ لعَالَمِ الخَلق أَكْثَرُ فَقَدَمُهُ فِي كَمَالاَت النُّبوَّة أَوْفَرُ وَمِنْ هَهُنَا كَانَ لعِيسَى - عَلَيْه السَّلاَمُ - قَدَمٌ أَزْيَدُ فِي الوِلاَيَة وَلمُوسَى - عَلَيْه السَّلاَمُ - قَدَمٌ أَزْيَدُ فِي النُّبُوَّة فَإنَّ جَانبَ الأَمْرِ غَالبٌ فِي عِيسَى - عَلَيْه السَّلاَمُ - وَلهَذَا صَارَ مُلحَقًا بالرُّوحَانِيِّينَ وَجَانبُ الخَلق غَالبٌ فِي مُوسَى - عَلَيْه السَّلاَمُ - وَلهَذَا لمْ يَكْتَف بالمُشَاهَدَة بَل طَلبَ رُؤْيَةَ بَصَر.

وَهَذَا هُوَ سَبَبُ تَفَاوُت أَقْدَام الأَنْبيَاء عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ فِي كَمَالاَت النُّبُوَّة الذي كُنْتُ وَعَدْتُ بَيَانَهُ فيمَا تَقَدَّمَ لاَ عُلوَّ بَعْضِ اللطَائف وَسُفْلهُ الذي هُوَ مُعْتَبَرٌ فِي تَفَاوُت كَمَالاَت الوِلاَيَة وَاللهُ - سُبْحَانَهُ - المُلهِمُ للصَّوَاب.

أَيُّهَا الوَلدُ، إنَّ تَعَلقَ عُلومِ النُّبُوَّة التي هِيَ الشَّرَائعُ وَالأَحْكَامُ بالقَلب لمَّا كَانَ أَزْيَدَ وَكَانَتْ مُنَاسَبَةُ الأَنْبيَاء عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم لعَالمِ الخَلق أَكْثَرَ وَأَوْفَرَ ظَنُّوا مِنْ ذَلكَ أَنَّ النُّبُوَّةَ عِبَارَةٌ عَنِ النُّزُول إلى دَعْوَة الخَلق بَعْدَ العُرُوجِ إلى مَقَامَات القُرْب التي تَتَعَلقُ بالوِلاَيَة وَلمْ يَعْلمُوا أَنَّ نهَايَةَ العُرُوجِ وَغَايَةَ القُرْبِ فِي هَذَا المَوْطنِ وَالقُرْبَ الحَاصِل فِيمَا سَبَقَ كَانَ ظِلاً مِنْ ظِلال هَذَا القُرْبِ الذي يُتَصَوَّرُ بصُورَة البُعْد.

وَالعُرُوجُ الذي تَيَسَّرَ أَوَّلاً كَانَ عَكْسًا مِنْ عكوس هَذَا العُرُوجِ الذي يُرَى فِي الظَّاهِر نُزُولاً أَلاَ تَرَى أَنَّ مَرْكَزَ الدَّائرَة أَبْعَدُ النُّقْطَة بالنِّسْبَة إلى مُحيط الدَّائرَة وَالحَال أَنَّهُ لاَ نُقْطَةَ فِي الحَقيقَة أَقْرَبُ إلَى المُحيط مِنْ نُقْطَة المَرْكَزِ؛ لأَنَّ المُحيطَ تَفْصِيل تلكَ النُّقْطَة الإجْمَاليَّة وَهَذه النِّسْبَةُ لمْ تَتَيَسَّرْ لنُقْطَة أُخْرَى.

وَالعَوَامُّ الذينَ اقْتَصَرَ نَظَرُهُمْ عَلى الصُّورَة لاَ يَقْدرُونَ عَلى وِجْدَان هَذَا القُرْب وَإدْرَاكه فَيَحْكُمُونَ بأَبْعَديَّة تلكَ النُّقْطَة وَيَزْعُمُونَ الحُكْمَ بأقربيَّتها جَهْلاً مُرَكَّبًا وَيُحَمِّقُونَ الحَاكمَ بهَذَا الحُكْمِ وَيُجَهِّلونَهُ وَاللهُ المُسْتَعَانُ عَلى مَا يَصِفُونَ.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ المُطْمَئِنَةَ تَعْرُجُ عَنْ مَقَامِهَا بَعْدَ حُصُول شَرْحِ الصَّدْرِ الذي هُوَ مِنْ لَوَازِمِ كَمَالاَتِ الوِلاَيَةِ الكُبْرَى وَتَرْتَقِي إلى تَحْتِ الصَّدْرِ وَيَحْصُلُ لَهَا هُنَاكَ التَّمْكِينُ وَالسَّلْطَنَةُ وَتَسْتَوْلِي عَلَى مَمَالِكِ القَلْبِ وَتَخْتِ الصَّدْرِ هَذَا فِي الحَقِيقَةِ فَوْقَ جَمِيعِ مَقَامَاتِ عُرُوجِ مَرْتَبَةِ الوِلاَيَةِ الكُبْرَى وَيَنْفُذُ نَظَرُ الصَّاعِدِ إلى هَذَا التَّخْتِ إلى أَبْطَنِ البُطُونِ وَيَسْرِي إلى غَيْبِ الغَيْبِ نَعَمْ إِنَّ الشَّخْصَ إِذَا صَعِدَ إلى أَرْفَعِ الأَمْكِنَةِ يَنْفُذُ بَصَرُهُ إلى أَبْعَدِ الأَبْعَادِ وَبَعْدَ تَمْكِينِ هَذِهِ المُطْمَئِنَّةِ يُخْرِجُ العَقْلَ أَيْضًا مِنْ مَقَامِهِ وَيَلْحَقُ بِهَا وَيَنْضَمُّ إِلَيْهَا وَيَعْرِضُ لَهُ حِينَئِذٍ اسْمُ عَقْلِ المَعَادِ وَتَتَوَجَّهُ كِلاَهُمَا بِالاتِّفَاقِ بَل بِالإِتِّحَادِ إلى شُغْلِهِمَا.

أَيُّهَا الوَلَدُ، إِنَّ هَذِهِ المُطْمَئِنَّةَ لاَ يَبْقَى فِيهَا إِمْكَانُ المُخَالَفَةِ وَمَجَالُ الطُّغْيَانِ بَل هِيَ مُتَوَجِّهَةٌ إلى المَطْلُوبِ بِكُلِّيَّتِهَا وَمَشْغُوفَةٌ بِالمَقْصُودِ بِتَمَامِيَّتِهَا لاَ هِمَّةَ لَهَا غَيْرُ تَحْصِيلِ رِضَا رَبِّهَا وَلاَ مَطْلُوبَ لَهَا سِوي طَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ تَعَالَى سُبْحَانَ اللهِ.

إِنَّ الإِمَارَةَ التي كَانَتْ أَوَّلاً شَرَّ جَمِيعِ الخَلاَئِقِ صَارَتْ بَعْدَ الاطْمِئْنَانِ وَحُصُولِ رِضَاءِ حَضْرَةِ الرَّحْمَنِ رَئِيسَ لَطَائِفِ عَالَمِ الأَمْرِ وَرَأْسَ كَافَّةِ الأَقْرَانِ نَعَمْ قَدْ قَالَ المُخْبِرُ الصَّادِقُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ "**خِيَارُكُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الإِسْلاَمِ إِذَا فَقِهُوا**".

فَإِنْ وَقَعَتْ بَعْدَ ذَلِكَ صُورَةُ الخِلاَفِ وَالبَغْيِ فَمَنْشَؤُهَا اخْتِلاَفُ طَبَائِعِ العَنَاصِرِ الأَرْبَعَةِ التي أَجْزَاءُ القَالَبِ فَإِنْ كَانَتْ قُوَّةٌ غَضَبِيَّةٌ فَنَاشِئَةٌ مِنْ هُنَاكَ وَإِنْ كَانَتْ شَهَوِيَّةٌ فَهِيَ أَيْضًا نَاشِئَةٌ مِنْ هُنَاكَ وَأَنَّ حِرْصَهَا وَشَرَّهَا فَقَائِمَانِ مِنْ هُنَاكَ وَأَنَّ خِسَّةً وَدَنَاءَةً فَمُنْبَعِثَتَانِ مِنْ هُنَاكَ أَلاَ تَرَى أَنَّ سَائِرَ الحَيَوَانَاتِ لَيْسَتْ فِيهِنَّ هَذِهِ النَّفْسُ الأَمَّارَةُ وَمَعَ ذَلِكَ فِيهِنَّ هَذِهِ الأَوْصَافُ الرَّذِيلَةُ بِالوَجْهِ الأَتَمِّ وَالأَكْمَلِ فَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ المُرَادُ بِالجِهَادِ الأَكْبَرِ حَيْثُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "**رَجَعْنَا مِنَ الجِهَادِ الأَصْغَرِ إلى الجِهَادِ الأَكْبَرِ**" الجِهَادُ مَعَ القَالَبِ لاَ الجِهَادُ مَعَ النَّفْسِ كَمَا قِيلَ؛ لأَنَّ النَّفْسَ قَدْ بَلَغَتْ حَدَّ الاطْمِئْنَانِ وَصَارَتْ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَلاَ تَتَصَوَّرُ مِنْهَا صُورَةَ المُخَالَفَةِ وَالبَغْيِ حَتَّى يَحْتَاجَ إلى الجِهَادِ وَصُورَةُ الخِلاَفِ وَالبَغْيِ مِنْ أَجْزَاءِ القَالَبِ عِبَارَةٌ عَنْ إِرَادَةِ تِلْكَ الأُولَى وَارْتِكَابِ الأُمُورِ المُرَخَّصَةِ وَتَرْكِ العَزِيمَةِ لإِرَادَةِ ارْتِكَابِ المُحَرَّمَاتِ وَتَرْكِ الفَرَائِضِ وَالوَاجِبَاتِ فَإِنَّ هَذِهِ الأَشْيَاءَ صَارَتْ فِي حَقِّهَا نَصِيبَ الأَعْدَاءِ.

أَيُّهَا الوَلَدُ، إِنَّ كَمَالاَتِ العَنَاصِرِ الأَرْبَعَةِ وَإِنْ كَانَتْ فَوْقَ كَمَالاَتِ المُطْمَئِنَّةِ كَمَا مَرَّ وَلَكِنْ بِوَاسِطَةِ مُنَاسَبَتِهَا لِمَقَامِ الوِلاَيَةِ وَصَيْرُورَتِهَا مُلْحَقَةً بِعَالَمِ الأَمْرِ صَاحِبَةُ سُكْرٍ وَفِي مَقَامِ الاسْتِغْرَاقِ فَلاَ جَرَمَ لاَ يَبْقَى فِيهَا مَجَالُ المُخَالَفَةِ وَحَيْثُ

كَانَتْ مُنَاسَبَةُ العَنَاصِرِ بِمَقَامِ النُّبُوَّةِ أَزْيَدَ كَانَ الصَّحْوُ غَالِبًا فِيهَا فَبِالضَّرُورَةِ تَبْقَى فِيهَا صُورَةُ المُخَالَفَةِ لِأَجْلِ تَحْصِيلِ بَعْضِ المَنَافِعِ وَالفَوَائِدِ المَرْبُوطَةِ بِهَا فَافْهَمْ.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ مَنْصِبَ النُّبُوَّةِ كَانَ مَخْتُومًا بِخَاتَمِ الرُّسُلِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَلَكِنْ لِأَتْبَاعِهِ ﷺ نَصِيبٌ كَامِلاً مِنْ كَمَالَاتِ ذَلِكَ المَنْصِبِ بِالتَّبَعِيَّةِ وَهَذِهِ الكَمَالَاتُ كَانَتْ فِي طَبَقَةِ الأَصْحَابِ أَزْيَدَ مِنْهَا فِي غَيْرِهَا وَسَرَتْ هَذِهِ الدَّوْلَةُ أَيْضًا عَلَى سَبِيلِ القِلَّةِ إِلَى التَّابِعِينَ وَتَبَعِ التَّابِعِينَ ثُمَّ شَرَعَتْ بَعْدَهُمْ فِي الاخْتِفَاءِ وَالاسْتِتَارِ وَانْتَشَرَتْ كَمَالَاتُ الوِلَايَةِ الظِّلِّيَّةِ وَغَلَبَتْ وَشَاعَتْ وَلَكِنَّ المَرْجُوَّ أَنْ تَتَجَدَّدَ هَذِهِ الدَّوْلَةُ المُسْتَتِرَةُ بَعْدَ مُضِيِّ الأَلْفِ وَيَحْصُلَ لَهَا الغَلَبَةُ وَالشُّيُوعُ وَأَنْ تَظْهَرَ الكَمَالَاتُ الأَصْلِيَّةُ وَتَسْتَتِرَ الظِّلِّيَّةُ وَأَنْ يَكُونَ المَهْدِيُّ عَلَيْهِ الرِّضْوَانُ مُرَوِّجَ هَذِهِ النِّسْبَةِ العَلِيَّةِ.

أَيُّهَا الوَلَدُ، إِنَّ التَّابِعَ الكَامِلَ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذَا أَتَمَّ كَمَالَاتِ مَقَامِ النُّبُوَّةِ بِالتَّبَعِيَّةِ فَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ المَنَاصِبِ يَشْرُفُ بِمَنْصِبِ الإِمَامَةِ وَإِذَا أَتَمَّ كَمَالَاتِ الوِلَايَةِ الكُبْرَى فَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ المَنْصِبِ يَشْرُفُ بِمَنْصِبِ الخِلَافَةِ وَالمُنَاسِبُ لِمَنْصِبِ الإِمَامَةِ فِي مَقَامِ الكَمَالَاتِ الظِّلِّيَّةِ مَنْصِبُ قُطْبِ الإِرْشَادِ وَالمُنَاسِبُ لِمَنْصِبِ الخِلَافَةِ مَنْصِبُ قُطْبِ المَدَارِ وَكَأَنَّ هَذَيْنِ المَقَامَيْنِ التَّحْتَانِيَّيْنِ ظِلُّ ذَيْنِكَ المَقَامَيْنِ الفَوْقَانِيَّيْنِ وَالغَوْثُ عِنْدَ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ بْنِ عَرَبِيٍّ - قُدِّسَ سِرُّهُ - هُوَ عَيْنُ قُطْبِ المَدَارِ وَلَيْسَتْ الغَوْثِيَّةُ عِنْدَهُ مَنْصِبًا عَلَى حِدَةٍ وَمَا هُوَ مُعْتَقَدُ الفَقِيرِ أَنَّ الغَوْثَ غَيْرُ قُطْبِ المَدَارِ وَالقُطْبُ يَسْتَمِدُّ مِنْهُ فِي بَعْضِ الأُمُورِ وَلَهُ دَخْلٌ أَيْضًا فِي نَصْبِ مَنَاصِبِ الإِبْدَالِ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ.

تَذْيِيلٌ: إِنَّ العُلُومَ وَالمَعَارِفَ المُنَاسِبَةَ لِمَقَامِ النُّبُوَّةِ وَوِلَايَتِهَا شَرَائِعُ الأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَلَمَّا كَانَ فِي النُّبُوَّةِ تَفَاوُتُ أَقْدَامِ الأَنْبِيَاءِ ظَهَرَ الاخْتِلَافُ أَيْضًا فِي الشَّرَائِعِ بِمِقْدَارِ ذَلِكَ التَّفَاوُتِ وَالمَعَارِفُ المُنَاسِبَةُ لِمَقَامِ وِلَايَةِ الأَوْلِيَاءِ شَطْحِيَّاتُ المَشَايِخِ وَالعُلُومُ المُخْبِرَةُ عَنِ التَّوْحِيدِ وَالاتِّحَادِ المُنْبِئَةُ عَنِ الإِحَاطَةِ وَالسَّرَيَانِ المُورِثَةُ لِعَلَامَةِ القُرْبِ وَالمَعِيَّةِ المُشْعِرَةِ بِالمِرْآتِيَّةِ وَالظِّلِّيَّةِ المُثْبِتَةِ لِلشُّهُودِ وَالمُشَاهَدَةِ وَبِالجُمْلَةِ إِنَّ مَعَارِفَ الأَنْبِيَاءِ كِتَابٌ وَسُنَّةٌ وَمَعَارِفَ الأَوْلِيَاءِ نُصُوصٌ وَفُتُوحَاتٌ مَكِّيَّةٌ، (ع):

وَقِسْ مِنْ حَالِ بُسْتَانِي رَبِيعِي

وِلَايَةٌ تَطْلُبُ قُرْبَ الحَقِّ وَوِلَايَةُ الأَنْبِيَاءِ تُبْدِي أَقْرَبِيَّتَهُ تَعَالَى.

وِلاَيَةُ الأَوْلِيَاءِ تَدُل عَلى الشُّهُودِ وَوِلاَيَةُ الأَنْبِيَاءِ تُثْبِتُ النِّسْبَةَ المَجْهُولَةَ الكَيْفِيَّةِ.

وِلاَيَةُ الأَوْلِيَاء لاَ تَعرِفُ الأَقْرَبِيَّةَ أَنَّهَا مَا هِيَ وَلاَ تَدْرِي الجَهَالَةَ وَالحَيْرَةَ أَنَّهَا أَيُّ شَيْءٍ هِيَ وَوِلاَيَةُ الأَنْبِيَاءِ مَعَ وُجُودِ الأَقْرَبِيَّةِ تَرَى القُرْبَ عَيْنَ البُعْدِ وَتَعُدُّ الشُّهُودَ عَيْنَ الغَيْبِ، (ع):

يَطُول إِذَا مَا قُلتُ تَفْصِيل شَرْحه

أَيُّهَا الوَلَدُ: قَدْ أَطْنَبْتَ فِي بَيَان كَمَالاَتِ النُّبُوَّةِ وَمَزِيَّتِهَا عَلى وِلاَيَة، وَالفَرْقُ بَيْنَ الوِلاَيَات الثَّلاَث أَعْنِي الصُّغْرَى وَالكُبْرَى وَالعُلْيَا وَبَيَانُ المَعَارِف المُنَاسِبَة لِكُل مِنْهَا وَالمَحَال المُتَعلقَة بِكُل مِنْهَا وَأَدْرَجْتُ فِي بَيَان هَذَا المَعْنَى فِقْرَات مُكَرَّرَةً وَمُتَكَثِّرَةً وَأَطَلتُ فِي ذَلكَ ذَيْل الكَلاَمِ رَجَاء أَنْ يَخرُجَ عَنِ اسْتِبْعَاد الأَفْهَامِ مِنْ كَمَال غرَابَته وَأَنْ يَتخَلصَ مِنْ مَظَانِّ الإِنْكَارِ، وَهَذِهِ العُلومُ كَشْفِيَّةٌ ضَرُورِيَّةٌ لاَ اسْتِدْلاَلِيَّةٌ وَنَظَرِيَّةٌ.

وَذِكْرُ بَعْضِ المُقَدمَات إِنَّمَا هُوَ للتَّنْبِيهِ وَالتَّقْرِيبِ إِلى أَفْهَامِ العَوَامِّ بَل للتَّشْرِيحِ وَالتَّوْضِيحِ لأَجْل إِدْرَاكِ خَوَاصِّ الأَنَامِ.

هَذَا هُوَ الطَّرِيقُ الذِي جَعَل الحَقُّ - سُبْحَانَهُ - وَتَعَالى هَذَا الحَقِيرَ مُمْتَازًا بِه مِنْ بِدَايَته إِلى نِهَايَة أَسَاسه.

النِّسْبَةُ النَّقْشَبَنْدِيَّة المُتَضَمِّنَةُ لانْدِرَاجِ النِّهَايَة فِي البِدَايَة قَدْ بُنِيَتْ عَلى هَذَا الأَسَاسِ عمَارَاتٌ وَقُصُورٌ فَإِنْ لَم يَكُنْ هَذَا الأَسَاسُ لَمَا زَادَتْ المُعَامَلةُ وَمَا انْتَهتْ إِلى هُنَا قَدْ أَتَوْا بالبَذْرِ الذِي أَصْلهُ مِنْ تُرَاب يَثْرِبَ وَبَطْحَاءَ مِنْ بُخَارَا وَسَمَرْقَنْدَ وَزَرَعُوهُ فِي أَرْضِ الهِنْد وَسَقَوْهُ بمَاء الفَضْل سِنِينَ وَرَبَّوْهُ بتَرْبِيَةِ الإِحْسَانِ فَلمَّا أَدْرَكَ ذَلكَ الزَّرْعُ وَبَلغَ كَمَالهُ أَثْمَرَ هَذه العُلومَ وَالمَعَارِفَ.

الحَمْدُ لله الذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لنَهْتَدِيَ لوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللهُ لقَدْ جَاءَتْ رُسُل رَبِّنَا بالحَقِّ.

وَيَنْبَغِي أَنْ يُعْلمَ أَنَّ سُلوكَ هَذَا الطَّرِيقِ العَالِي بِرَابطَة المَحَبَّة للشَّيْخِ المُقْتَدَى به الذِي سَارَ فِي هَذَا الطَّرِيق بالسَّيْر المُرَادِيِّ وَانْصَبَغ بقُوَّة الجَذْبَة بهذه الكَمَالاَت وَصَاحب هَذه الكَمَالاَت إِمَام الوَقْت وَخَليفَة الزَّمَان نَظَرُهُ شفَاءُ الأَمْرَاضِ القَلبيَّة وَتَوَجُّهُهُ رَافعُ العلل المَعْنَويَّة، الأَقْطَابُ وَالبُدَلاَءُ فَرحُونَ بظلاَل مَقَامَاته وَالأَوْتَادُ وَالنُّجَبَاءُ قَانعُونَ بقَطْرَة مِنْ بحَار كَمَالاَته نُورُ هدَايَته وَإِرْشَاده فَائضٌ عَلى جَميع الأَشْخَاصِ كَنُورِ الشَّمْسِ بلاَ إِرَادَتِه فَكَيْفَ إِذَا أَرَادَ وَإِنْ لَم تَكُنْ إِرَادَتُهُ فِي اخْتِيَارِهِ

فَإِنَّهُ كَثِيرًا مَا يَطْلُبُ الإِرَادَةَ وَلَكِنْ لاَ تَحْصُلُ لَهُ تِلْكَ الإِرَادَةُ وَلاَ يَلْزَمُ أَنْ يُعْلَمَ هَذَا المَعْنَى وَيَطَّلِعَ عَلَيْهِ مَنْ يَهْتَدُونَ بِنُورِهِ وَيَسْتَرْشِدُونَ بِتَوَسُّلِهِ بَلْ رُبَّمَا لاَ يَعْلَمُونَ أَصْلَ هِدَايَتِهِمْ وَرُشْدِهِمْ أَيْضًا كَمَا يَنْبَغِي وَمَعَ ذَلِكَ يَتَحَقَّقُونَ بِكَمَالاَتِ الشَّيْخِ المُقْتَدَى بِهِ وَيُهْدُونَ العَالَمَ فَإِنَّ العِلْمَ بِالأَحْوَالِ لاَ يُعْطَاهُ كُلُّ أَحَدٍ وَمَعْرِفَةُ تَفْصِيلِ سَيْرِ المَقَامَاتِ لاَ يُمْنَحُهَا جَمِيعُ الأَشْخَاصِ.

نَعَمْ، إِنَّ الشَّيْخَ الذِي نِيطَ بِوُجُودِهِ الشَّرِيفِ مَدَارُ بِنَاءِ طَرِيقٍ مَخْصُوصٍ مِنْ طُرُقِ الوُصُولِ صَاحِبُ عِلْمٍ أَلْبَتَّةَ وَصَاحِبُ شُعُورٍ بِتَفَاصِيلِ السَّيْرِ وَيَكْتَفِي غَيْرُهُ بِعِلْمِهِ وَيَصِلُونَ بِتَوَسُّطِهِ إِلَى مَرْتَبَةِ الكَمَالِ وَالتَّكْمِيلِ وَيَتَشَرَّفُونَ بِالفَنَاءِ وَالبَقَاءِ.

شِعْرٌ.

لَيْسَ عَلَى اللهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ العَالَمَ فِي وَاحِدِ

إِفَادَتُنَا وَاسْتِفَادَتُنَا انْعِكَاسِيَّةٌ وَانْصِبَاغِيَّةٌ يَنْصَبِغُ المُرِيدُ بِصَبْغِ الشَّيْخِ المُقْتَدَى بِهِ سَاعَةً فَسَاعَةً بِوَاسِطَةِ مَحَبَّتِهِ لَهُ وَيَتَنَوَّرُ بِأَنْوَارِهِ بِطَرِيقِ الانْعِكَاسِ فَلأَيِّ شَيْءٍ يَحْتَاجُ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ إِلَى العِلْمِ بِالأَحْوَالِ فِي الإِفَادَةِ وَالاسْتِفَادَةِ أَلاَ تَرَى أَنَّ الخَرِيزَةَ تُدْرِكُ بِحَرَارَةِ الشَّمْسِ سَاعَةً فَسَاعَةً وَتَبْلُغُ مَرْتَبَةَ الكَمَالِ بِمُرُورِ الأَيَّامِ فَمِنْ أَيْنَ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ لَهَا عِلْمٌ بِإِدْرَاكِهَا وَمِنْ أَيْنَ يَلْزَمُ لِلشَّمْسِ أَنْ تُعْلَمَ بِأَنَّهَا سَبَبُ إِدْرَاكِهَا.

نَعَمْ، إِنَّ العِلْمَ لأَجْلِ السُّلُوكِ وَالتَّسْلِيكِ الاخْتِيَارِيِّ لاَزِمٌ وَلَكِنَّهُ مَرْبُوطٌ بِسَلاَسِلَ أُخَرَ.

وَأَمَّا فِي طَرِيقَتِنَا التِي هِيَ طَرِيقَةُ الأَصْحَابِ الكِرَامِ عَلَيْهِمُ الرِّضْوَانُ فَالعِلْمُ بِالسُّلُوكِ وَالتَّسْلِيكِ لَيْسَ بِلاَزِمٍ أَصْلاً وَإِنْ كَانَ الشَّيْخُ المُقْتَدَى بِهِ الذِي هُوَ رَاعِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ مَوْصُوفًا بِكَمَالِ العِلْمِ وَمُتَحَقِّقًا بِوُفُورِ المَعْرِفَةِ فَلاَ جَرَمَ يَكُونُ الأَحْيَاءُ وَالأَمْوَاتُ وَالصِّبْيَانُ وَالأَشْيَاخُ وَالشُّبَّانُ وَالكُهُولُ مُتَسَاوِينَ فِي هَذَا الطَّرِيقِ العَالِي فِي حَقِّ الوُصُولِ لأَنَّهُمْ يَصِلُونَ إِلَى مُنْتَهَى المَقَاصِدِ إِمَّا بِرَابِطَةِ المَحَبَّةِ أَوْ بِتَوَجُّهِ صَاحِبِ دَوْلَةٍ، ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ.

وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ المُنْتَهَى وَإِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبَ عِلْمٍ وَلَكِنْ لاَ بُدَّ لَهُ مِنْ ظُهُورِ الخَوَارِقِ وَرُبَّمَا لاَ يَكُونُ لَهُ اخْتِيَارٌ فِي ذَلِكَ الظُّهُورِ بَلْ كَثِيرًا مَا لاَ يَكُونُ لَهُ عِلْمٌ بِظُهُورِهَا بَلْ يَرَى النَّاسُ مِنْهُ الخَوَارِقَ وَلَيْسَ لَهُ اطِّلاَعٌ عَلَيْهَا.

وَمَا قُلْتُ إِنَّ المُنْتَهَى وَإِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبَ عِلْمٍ، المُرَادُ بِعَدَمِ العِلْمِ عَدَمُ عِلْمِ بِتَفْصِيلِ الأَحْوَالِ لاَ عَدَمُ العِلْمِ مُطْلَقًا بِحَيْثُ لاَ يَفْهَمُ أَحْوَالَهُ أَصْلاً كَمَا مَرَّتْ الإِشَارَةُ إِلَيْهِ، وَنُورُ هِدَايَتِهِ المَذْكُورُ يَسْرِي إِلَى مُرِيدِيهِ بِلاَ وَاسِطَةٍ أَوْ بِوَاسِطَةٍ أَوْ

بوَسَائطَ مَا لَمْ تُلوَّثْ طَرِيقَتُهُ المَخصُوصَةُ بلوْث التَّغَيُّرَات وَالتَّبْديلاَت وَلَمْ تُخَرَّبْ بِالحَاق المُختَرَعَاتِ وَالمُبْتَدعَات بهَا {إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}.

وَالعَجَبُ منْ قَوْم يَزْعُمُونَ هَذه التَّبْديلاَت تَكْميلات هَذه الطَّرِيقَة وَيَتَصَوَّرُونَ تلكَ الإِلحَاقَات تَتْميمات هَذه النِّسْبَة وَلاَ يَعْلَمُونَ أَنَّ تَكْميل هَذَا الأَمْرِ وَتَتْميمَهُ لَيْسَ لكُل قَاصر وَنَاقص.

وَالإِلحَاقُ وَالاخْتِرَاعُ لَيْسَ فِي حَوْصَلَة كُل خَالي الظَّرْف.

شعْرٌ

هزار نكته باريكترزموا ينجاسات   نه هركه سربتراشد قندرى داند

قَدْ سُترَ، وَأَنْوَارُ السُّنَّيَّة بظُلُمَات البدَع وَضَيَّعُوا رَوْنَقَ الملة المُصْطَفَويَّة عَلى صَاحبهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ بكُدُورَات الأُمُور المُخْتَرَعَة وَأَعْجَبُ منْ هَذَا ظَنَّ قَوْمٌ هَذه المُحْدَثَات أُمُورًا مُسْتَحسَنَةً وَزَعْمُهمْ تلكَ المُبْتَدعَات حَسَنَات مُسْتَمْلحَة فَيَطْلُبُونَ بهَا تَكْميلَ الدِّينِ وَتَتْميمَ الملة وَيُرَغِّبُونَ في إِتْيَان تلكَ الأُمُور تَرْغيبًا كَثيرًا هَدَاهُمُ اللّهُ - سُبْحَانَهُ - سَوَاءَ الصِّرَاط أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الدِّينَ كَانَ كَاملاً قَبْل هَذه المُحْدَثَات وَكَانَ النِّعْمَةُ تَامَّةً وَكَانَ رضَاءُ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - حَاصلاً كَمَا قَال اللّهُ تَعَالى {اليَوْمَ أَكْمَلتُ لكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَليكُمْ نعْمَتي وَرَضِيتُ لكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا}.

فَطَلبُ كَمَال الدِّينِ منْ هَذه المُحْدَثَات إِنْكَارٌ فِي الحَقيقَة عَلى مُقْتَضَى هَذه الآيَة الكَرِيمَة.

شعْرٌ.

بَثَثْتُ لدَيْكُمْ منْ هُمُومي وَخفْتُ أَنْ   تَملُوا وَإِلاَّ فَالكَلاَمُ كَثيرٌ

وَقَدْ أَظْهَرَ العُلمَاءُ المُجْتَهدُونَ أَحْكَامَ الدِّينِ لاَ إِنَّهُمْ أَحْدَثُوا فيه مَا لَيْسَ منْهُ فَلاَ تَكُونُ الأَحْكَامُ الاجْتهَاديَّةُ منَ الأُمُورِ المُحْدَثَة بَل منْ أُصُول الدِّينِ؛ لأَنَّ الأَصْل الرَّابعَ هُوَ القيَاسُ.

أَيُّهَا الوَلدُ: إِنِّي قَدْ كُنْتُ كَتَبْتُ المَعْرِفَةَ المُتَعَلقَةَ بقُطْب الإِرْشَاد في بَاب الإِفَادَة وَالاسْتفَادَة منْ رِسَالة المَبْدَأ وَالمَعَاد وَلكنْ لمَّا كَانَتْ لهَا مُنَاسَبَةٌ بهَذَا المَقَام وَمُفيدَةٌ فيه نَاسَبَ كتَابَتُهَا في هَذَا المَكْتُوب أَيْضًا فَليُعْتَبَرْ منْ هُنَا أَنَّ قُطْبَ الإِرْشَاد الذي يَكُونُ جَامعًا لكَمَالاَت الفَرْديَّة أَيْضًا عَزِيزُ الوُجُود جدًّا يَظْهَرُ مثْل هَذَا الجَوْهَرِ بَعْدَ قُرُونٍ كَثيرَة وَأَزْمنَة مُتَطَاولة وَيُنَوِّرُ العَالمَ الظُّلمَانيَّ بنُورِ ظُهُوره.

وَنُورُ هِدَايَتِه وَإِرْشَادِه شَامِل لجَمِيعِ العَالَمِ كُل مَنْ يَحْصُل لهُ الرُّشْدُ وَالهِدَايَةُ وَالإِيمَانُ وَالمَعْرِفَةُ مِنْ مُحِيط العَرْشِ إلى مَرْكَز الفَرْشِ إنَّمَا يَحْصُل مِنْ طَرِيقه وَيُسْتَفَادُ مِنْهُ لاَ تَتَيَسَّرُ هَذه الدَّوْلَةُ لأَحَد بِدُون تَوَسُّطه، نُورُهُ مُحِيطٌ لجَمِيعِ العَالَمِ مِثْل البَحْرِ المُحِيط مَثَلاً وَهَذَا البَحْرُ كَأَنَّهُ مُنْجَمِدٌ لاَ يَتَحَرَّكُ أَصْلاً فَالطَّالِبُ الذي مُتَوَجِّهٌ إلَيْه وَمُخْلِصٌ لهُ أَوْ هُوَ مُتَوَجِّهٌ إلى الطَّالِب كَأَنَّهُ تفْتَحُ وَقْتَ التَّوَجُّه رَوْزَنَةٌ إلى قَلْبِ الطَّالِب فَيَصِيرُ بِهَذَا الطَّرِيقِ رَيَّانًا مِنْ ذَلكَ البَحْرِ عَلى قَدْرِ تَوَجُّهه وَإِخْلاَصِه وَكَذَلكَ مَنْ كَانَ مُتَوَجِّهًا إلى ذِكْرِ الله تَعَالى وَمُقْبِلاً عَلَيْه وَلَمْ يَكُنْ مُتَوَجِّهًا إلى ذَلكَ القُطْب أَصْلاً لاَ مِنْ جِهَةِ الإنْكَارِ عَلَيْه بَل لعَدَمِ مَعْرفَته بِه أَصْلاً يَحْصُل لَهُ مِثْل هَذه الإفَادَة لكنَّهَا في الصُّورَةِ الأُولى أَزْيَدُ مِنْهَا في الصُّورَةِ الثَّانِيَة.

وَأَمَّا مَنْ كَانَ مُنْكِرًا عَلَيْه أَوْ هُوَ مُتَأَذٍّ مِنْهُ فَهُوَ وَإِنْ كَانَ مَشْغُولاً بِذِكْرِ الله تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَلكنَّهُ مَحْرُومٌ مِنْ حَقِيقَةِ الرُّشْدِ وَالهِدَايَة وَإِنْكَارُهُ هَذَا وَأَذِيَّتُهُ يَصِيرُ سُدَّةً في طَرِيقِ فَيْضه وَحَقِيقَةُ الهِدَايَة مَفْقُودَةٌ فِيه مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَوَجَّهَ القُطْبُ العَظِيمُ الشَّأْن إلى عَدَمِ إِفَادَته وَمَنْعِ اسْتِفَادَته وَقَصْدِ ضَرَرِه بَل فِيه صُورَةُ الرُّشْد فَقَطْ وَالصُّورَةُ الخَالِيَةُ عَنِ المَعْنَى قَلِيلَةُ النَّفْعِ وَالجَدْوَى وَالَّذِينَ فِيهِمْ مَحَبَّةُ ذَلكَ القُطْب وَإِخْلاَصُهُ وَإِنْ خَلَوْا عَنِ التَّوَجُّه المَذْكُورِ وَذِكْرِ الله تَعَالى يَصِل إلَيْهِمْ نُورُ الهِدَايَة وَالرُّشْدِ بِوَاسِطَة مَحَبَّتِهِمْ فَقَطْ وَلتَكُنْ هَذه المَعْرِفَةُ آخرَ المَكْتُوب، شِعْرٌ :

أَكْتَفِي إِذْ ذَاكَ يَكْفِي الأَذْكِيَا　　　صَحَّتْ مَرَّاتٌ لمَنْ أَصْغَى النِّدَا

الحَمْدُ لله رَبِّ العَالمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَوَّلاً وَآخرًا وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلى رَسُوله مُحَمَّدٍ وَآله وَصَحْبه دَائمًا وَسَرْمَدًا.

المَكْتُوبُ الحَادِي وَالسِّتُّونَ وَالمائَتَان
إِلى المَيْرِ نُعْمَانَ
فِي بَيَانِ فَضَائِلِ الصَّلاَةِ وَالكَمَالاَتِ المَخْصُوصَةِ بِهَا فِي ضِمْنِ مَعَارِفَ عَالِيَةٍ وَحَقَائِقَ سَامِيَةٍ

بَعْدَ الحَمْدِ وَالصَّلَوَاتِ وَتَبْلِيغِ الدَّعَوَاتِ لِيَكُنْ مَعْلُومُ الأَخِ الأَعَزِّ أَرْشَدَهُ اللهُ - سُبْحَانَهُ - أَنَّ الصَّلاَةَ رُكْنٌ ثَانٍ مِنَ الأَرْكَانِ الخَمْسَةِ للإِسْلاَمِ وَجَامِعَةُ العِبَادَاتِ وَهِيَ وَإِنْ كَانَتْ جُزْئِيَّةً وَلكِنْ حَصَلَتْ لَهَا حُكْمُ الكُلِّيَّةِ مِنَ الجَامِعِيَّةِ وَصَارَتْ فَوْقَ جَمِيعِ مُقَرِّبَاتِ الأَعْمَالِ وَدَوْلَةَ الرُّؤْيَةِ التِي كَانَتْ مُيَسَّرَةً لِسَيِّدِ العَالَمِينَ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لَيْلَةَ المِعْرَاجِ فِي الجَنَّةِ كَانَتْ مُيَسَّرَةً لَهُ بَعْدَ النُّزُولِ إِلى الدُّنْيَا فِي الصَّلاَةِ مُنَاسَبَةً لِهَذِه النَّشْأَةِ وَلِهَذَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ "**الصَّلاَةُ مِعْرَاجُ المُؤْمِنِ**" وَقَالَ أَيْضًا "**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنَ الرَّبِّ فِي الصَّلاَةِ**" وَلِكَمَالِ اتِّبَاعِه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فِي هَذِه النَّشْأَةِ حَظٌّ وَافِرٌ مِنْ تِلْكَ الدَّوْلَةِ فِي الصَّلاَةِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ رُؤْيَةً فَإِنَّ هَذِه النَّشْأَةَ لاَ تُطِيقُهَا فَإِنْ لَمْ يَأْمُرْ اللهُ - سُبْحَانَهُ - بِالصَّلاَةِ فَمَنْ كَانَ يَكْشِفُ النِّقَابَ عَنْ وَجْهِ المَقْصُودِ وَمَنْ كَانَ يَدُلُّ الطَّالِبَ نَحْوَ المَطْلُوبِ مُوَرِّثُ اللَّذَّةِ لِلمَغْمُورِينَ هُوَ الصَّلاَةُ وَمُوجِبُ الرَّاحَةِ لِلمَرْضَى يَعْنِي مِنْ أَلَمِ البُعْدِ وَالفِرَاقِ هُوَ الصَّلاَةُ "**أَرِحْنِي يَا بِلالُ**" أَشَارَ إِلى هَذَا المَعْنَى وَقُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاَةِ رَمْزٌ مِنْ هَذَا المُتَمَنَّى وَمَا تَيَسَّرَ مِنَ الأَذْوَاقِ وَالمَوَاجِيدِ وَالعُلُومِ وَالمَعَارِفِ وَالأَحْوَالِ وَالمَقَامَاتِ وَالأَنْوَارِ وَالأَلْوَانِ وَالتَّلْوِينَاتِ وَالتَّمْكِينَاتِ وَالتَّجَلِّيَاتِ وَالمُتَكَيِّفَةِ وَغَيْرِ المُتَكَيِّفَةِ وَالظُّهُورَاتِ وَالمُتَلَوِّنَةِ وَغَيْرِ المُتَلَوِّنَةِ فِي خَارِجِ الصَّلاَةِ وَمِنْ غَيْرِ شُعُورٍ بِحَقِيقَةِ الصَّلاَةِ مَنْشَؤُهَا كُلُّهَا ظِلاَلٌ وَأَمْثَالٌ بَلْ نَاشِئَةٌ عَنِ الوَهْمِ وَالخَيَالِ وَالمُصَلِّي الذِي لَهُ شُعُورٌ بِحَقِيقَةِ الصَّلاَةِ كَأَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ هَذِه النَّشْأَةِ الدُّنْيَا وَقْتَ أَدَاءِ الصَّلاَةِ وَيَدْخُلُ فِي النَّشْأَةِ الأُخْرَى فَلاَ جَرَمَ يَنَالُ فِي هَذَا الوَقْتِ نَصِيبًا وَافِرًا مِنْ دَوْلَةٍ مَخْصُوصَةٍ بِالآخِرَةِ وَيُحَصِّلُ حَظًّا مِنَ الأَصْلِ بِلاَ شَائِبَةِ الظِّلِّيَّةِ؛ لأَنَّ النَّشْأَةَ الدُّنْيَا مَقْصُورَةٌ عَلى الكَمَالاَتِ.

الظِّلِّيَّةُ وَالمُعَامَلَةُ الخَارِجَةُ الخَالِيَةُ عَنِ الظِّلِّيَّةِ مَخْصُوصَةٌ بِالآخِرَةِ فَلاَ بُدَّ عَلى هَذَا مِنَ المِعْرَاجِ وَهُوَ الصَّلاَةُ فِي حَقِّ المُؤْمِنِينَ وَهَذِه الدَّوْلَةُ مَخْصُوصَةٌ بِهَذِه الأُمَّةِ

فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا شُرِّفُوا بِهَذِهِ الدَّوْلَةِ واسْتَسْعَدُوا بِهَذِهِ السَّعَادَةِ تَبَعًا لِنَبِيِّهِمْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وَقَدْ تَشَرَّفَ هُوَ بِدَوْلَةِ الرُّؤْيَةِ حَيْثُ خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا إِلى الآخِرَةِ وَدَخَلَ الجَنَّةَ لَيْلَةَ المِعْرَاجِ اللهُمَّ اجْزِهِ عَنَّا مَا هُوَ أَهْلُهُ وَاجْزِهِ عَنَّا أَفْضَلَ مَا جَازَيْتَ نَبِيًّا عَنْ أُمَّتِهِ وَاجْزِ الأَنْبِيَاءَ كُلَّهُمْ خَيْرًا فَإِنَّهُمْ دُعَاةُ الخَلْقِ إِلى الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَهُدَاتُهُمْ إِلى لِقَاءِ اللهِ.

وَالذينَ لَمْ يَطَّلِعُوا عَلى حَقِيقَةِ الصَّلَاةِ مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ وَلَمْ يَقِفُوا عَلَى الكَمَالَاتِ المَخْصُوصَةِ بِهَا صَارُوا يَطْلُبُونَ مُعَالَجَةَ أَمْرَاضِهِمْ مِنْ أُمُورٍ أُخَرَ وَيَلْتَمِسُونَ حُصُولَ مُرَادَاتِهِمْ مِنْ أَشْيَاءَ شَتَّى بَل زَعَمَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمُ الصَّلَاةَ بَعِيدَةً عَنِ الحَالِ وَجَعَلوا مَبْنَاهَا عَلى المُغَايَرَةِ وَالمُبَايَنَةِ وَغَيْرِ ذَلكَ مِنَ المُحَالِ وَزَعَمُوا أَنَّ الصَّوْمَ أَفْضَلُ مِنَ الصَّلَاةِ قَالَ صَاحِبُ الفُتُوحَاتِ المَكِّيَّةِ: إِنَّ فِي الصَّوْمِ الذي هُوَ تَرْكُ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ تَحَقُّقًا بِصِفَةِ الصَّمْدَانِيَّةِ وَفِي الصَّلَاةِ خُرُوجٌ إِلى المُغَايَرَةِ وَالمُبَايَنَةِ وَإِشْعَارٌ بِالعَابِدِيَّةِ وَالمَعْبُودِيَّةِ وَهُوَ كَمَا تَرَى مَبْنِيٌّ عَلى مَسْأَلَةِ التَّوْحِيدِ الوُجُودِيِّ الذي هُوَ مِنْ أَحْوَالِ السُّكَارَى وَمِنْ عَدَمِ الشُّعُورِ بِحَقِيقَةِ الصَّلَاةِ وَفَقْدِ الخَبَرِ عَنْهُ صَارَ الجَمُّ الغَفِيرُ مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ يَطْلُبُونَ تَسْكِينَ اضْطِرَابِهِمْ مِنَ السَّمَاعِ وَالنَّغَمَاتِ وَالوَجْدِ وَالتَّوَاجُدِ وَطَفِقُوا يَطَّلِعُونَ مَطْلُوبَهُمْ مِنْ وَرَاءِ حُجُبِ النَّغَمَاتِ فَلَا جَرَمَ جَعَلوا الرَّقْصَ وَالحَرَكَةَ دَيْدَنَهُمْ مَعَ أَنَّهُمْ سَمِعُوا حَدِيثَ "**وَمَا جَعَلَ اللهُ شِفَاءَكُمْ فِيمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ**"

نَعَـــــمْ: الغَرِيقُ يَتَعَلَّقُ بِكُلِ حَشِيشٍ وَحُبُّ الشَيْءِ يَعْمِي وَيَصِمُّ فَلَوْ انْكَشَفَتْ لَهُمْ نُبْذَةٌ مِنْ حَقِيقَةِ الصَّلَاةِ وَوَصَلَتْ إِلى مَشَامِّ أَذْوَاقِهِمْ شَمَّةٌ مِنْهَا لَمَا مَالوا إِلى السَّمَاعِ وَالنَّغْمَةِ أَصْلًا وَلَمَا رَكَنُوا إِلى الوَجْدِ وَالتَّوَاجُدِ قَطْعًا.

شِعْرٌ.

وَإِذَا لَمْ يَهْتَدُوا نَهْجَ الـــ ـــحَقَائِقِ قَارَفُوا هَزْوًا

أَيُّهَا الأَخُ بِقَدْرِ مَا يَكُونُ مِنَ الفَرْقِ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالنَّغَمَاتِ تَتَفَاوَتُ الكَمَالَاتُ التِي مَنْشَؤُهَا الصَّلَاةُ وَالكَمَالَاتُ التِي مَنْشَؤُها النَّغَمَاتُ العَاقِلَ تَكْفِيهِ الإِشَارَةُ وَهَذَا كَمَالٌ وَجْدٌ بَعْدَ أَلْفِ سَنَةٍ.

وَآخِرِيَّةٌ ظَهَرَتْ عَلى صِفَةِ الأَوَّلِينَ وَلَوْنِهِمْ وَلَعَلَ النَّبِيَّ ﷺ لِذَلكَ قَالَ لَا يَدْرِي أَوَّلُهُمْ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُمْ وَلَمْ يَقُلْ أَمْ أَوْسَطُهُمْ حَيْثُ رَأَى المُنَاسَبَةَ بَيْنَ الآخِرِ

وَالأَوَّل أَزْيَدَ مِنْهَا بَيْنَ الأَوْسَط وَالأَوَّل فَصَارَ ذَلكَ مَحَل تَرَدُّد وَقَال عَلَيْه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي حَدِيث آخَرَ "**أَفْضَل أُمَّتِي أَوَّلاً وَآخرهُمْ وَبَيْنَهُمَا كَدَرٌ**"

نَعَمْ إنَّ مُتَأَخِّرِي هَذه الأُمَّة وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ عُلُوُّ النِّسْبَة وَلكنَّ أَصْحَابَهَا قَليلونَ بَل أَقَل، وَفِي المُتَوَسِّطِينَ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ النِّسْبَةُ بِهَذَا العُلوِّ لكنَّ أَصْحَابَهَا كَثيرُونَ بَل أَكْثَرُ وَلكُل وُجْهَة كَمِّيَّةٌ وَكَيْفيَّةٌ وَلكنْ أَقَليَّةُ هَذه النِّسْبَة بَلغَتْ المُتَأَخِّرِينَ إِلَى الدَّرَجَات العُلَى وَأَوْرَثَتْهُمُ المُنَاسَبَةَ بِالسَّابِقِينَ وَجَعَلتْهُمُ المُبَشَّرِينَ قَال صَلَى اللهُ عَلَيْه وَعَلَى آله وَسَلمَ: "**الإِسْلَامُ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ فَطُوبَى للغُرَبَاء**" الحَدِيثَ وَشُرُوعُ آخرِيَّة هَذه الأُمَّة مِنْ بدَايَة الأَلف الثَّانِي مِنَ ارْتحَال النَّبيِّ ﷺ فَإِنَّ لمُضِيِّ الأَلف خَاصيَّةً عَظِيمَةً فِي تَغَيُّر الأُمُور وَتَأْثِيرٌ فِي تَبَدُّل الأَشْيَاء وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ فِي ملة هَذه الأُمَّة وَسيرَتهَا نَسْخٌ وَتَبْديل ظَهَرَتْ نسْبَةُ السَّابقِيْنِ بطَرَاوَتهَا القَدِيمَة وَنَضَارَتهَا السَّابقَة فِي المُتَأَخِّرِينَ بِالضَّرُورَة وَحَصَل تَأْيِيدُ الشَّرِيعَة وَتَجْدِيدُ الملة فِي الأَلف الثَّانِي وَالشَّاهِدُ العَدْل لصدْق هَذه الدَّعْوَة عِيسَى – عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ –.

وَالمَهْديُّ عَلَيْه الرِّضْوَانُ يَعْنِي وُجُودَهُمَا فِي هَذَا الأَلف.

شِعْرٌ.

لوْ جَاءَ مِنْ فَيْضِ رُوحِ القُدُسِ مِنْ مَدَدٍ لغَيْرِ عِيسَى ليَصْنَعُ مِثْل مَا صَنَعَا

أَيُّهَا الأَخُ، إنَّ هَذَا الكَلَامَ وَإِنْ كَانَ اليَوْمَ ثَقيلاً عَلَى أَكْثَرِ الخَلَائق وَبَعيدًا عَنْ أَفْهَامِهِمْ وَلكنَّهُمْ إِذَا أَنْصَفُوا وَقَاسُوا المَعَارِفَ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ وَلَاحَظُوا صحَّةَ الأَقْوَال وَسَقَمهَا بمُطَابَقَتهَا العُلومَ الشَّرْعيَّةَ وَعَدَم مُطَابقَتهَا إِيَّاهَا وَرَأَوْا أَنَّ تَعْظِيمَ الشَّرِيعَة النَّبويَّة وَتَوْقيرَهَا فِي أَيَّتهَا أَكْثَرُ لعَلهُمْ يَتَخَلصُونَ عَنْ وَرْطَة الاسْتبْعَاد أَلَا يَرَوْنَ أَنَّ الفَقيرَ قَدْ كَتَبَ فِي كُتُبه وَرَسَائله أَنَّ الطَّرِيقَةَ وَالحَقيقَةَ خَادمَتَان للشَّرِيعَة وَأَنَّ النُّبوَّةَ أَفْضَل مِنَ الوِلَايَة وَلَوْ كَانَتْ وِلَايَةَ نَبيٍّ. وَكَتَبَ أَيْضًا أَنَّهُ لَا مقْدَارَ لكَمَالَات الوِلَايَة فِي جَنْبِ كَمَالَات النُّبُوَّة أَصْلاً وَلَيْتَ لَهَا حُكْمَ القَطْرَة بِالنِّسْبَة إِلَى البَحْرِ المُحِيط.

وَكَتَبَ أَمْثَال ذَلكَ كَثيرًا خُصُوصًا فِي مَكْتُوب كُتبَ باسْمِ وَلدي فِي بَيَان الطَّرِيقَة فَليُلَاحظُوا هُنَاكَ وَالمَقْصُودُ مِنْ هَذَا القيل وَالقَال إظْهَارُ نعْمَة الحَقِّ – سُبْحَانَهُ – وَتَرْغِيبُ طُلَّاب هَذه الطَّرِيقَة لَا تَفْضِيل نَفْسِي عَلَى الآخَرِينَ.

وَمَعْرِفَةُ اللهِ سُبْحَانَهُ حَرَامٌ عَلى مَنْ يَرَى نَفْسَهُ أَفْضَل مِنْ كُفَّارِ الإِفْرِنْجِ فَكَيْفَ مِنْ أَكَابِرِ الدِّينِ شعْرٌ

خَليلي سَيِّدي أَعْلي مَقَامِي ... فَفُقْتُ به نُجُومًا وَالهلالاَ
كَأَنِّي بُقْعَةٌ فِيهَا سَحَابُ الـ ... ـرَّبِيعِ مَطَـر مَاءً زُلالاَ
فَلوْ لِي أَلفُ أَلسنَة وَأَثْني ... بهَا مَا ازْدَدْتُ إلاَّ الانْفعَالاَ

فَإِنْ ظَهَرَ فيكُمْ بَعْدَ مُطَالعَة هَذَا المَكْتُوب شَوْقُ تَعَلم أَسْرَارِ الصَّلاَة وَتَحْصِيل بَعْضِ كمَالاَتهَا المَخْصُوصَة وَجَعَلكُمْ هَذَا الشَّوْقَ مُضْطَرِبًا تَتَوَجَّهُ نَحْوَ هَذهِ الحُدُودِ بَعْدَ الاسْتِخَارَات وَتَصْرِفُ شَطْرًا مِنَ العُمُرِ فِي تَعَلمِ الصَّلاَة، ــ يَعْني: أَسْرَارَهَا وَاللهُ سُبْحَانَهُ - الهَادب إلى سَبيل الرَّشَاد.

{وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[1] وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

---

(١) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ الثَّاني وَالسِّتُّونَ وَالمائَتَان

إلى مَوْلاَنَا مُحبّ عَليّ

فِي بَيَانِ أَنَّ ارْتبَاطَ النَّقْشَبَنْديَّة حبِّيَّةٌ وَنِسْبَتَهُمُ العكَاسيَّةٌ وَمَا يُنَاسبُهُ

الحَمْدُ لله وَسَلاَمٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى حَصَل الابْتهَاجُ بوُرُود الصَّحيفَة الشَّريفَة المَرْقُومَة عَلى وَجْه الالتفَات وَحَيْثُ كَانَتْ مُنْبئَةً عَنْ فَرْط المَحبَّة وَكَمَال الاخْتصَاصِ أَوْرَثَتْ ازْديادَ الفَرَحِ وَالسُّرُورِ وَقَدْ انْدرَجَ فيهَا الكَلاَمُ عَنِ العَهْد السَّابق.

أَيُّهَا المَخْدُومُ، إنَّك عَلى أيِّ وَضْعٍ كُنْتَ منَ الأَوْضَاعِ الشَّرْعيَّة ليْسَ بمَحَل للمُضَايَقَة وَلاَ مُسْتَحقًّا به للمُعَاتَبَة بشَرْط أَنْ لاَ يَنْقَطعَ حَبْل المَحبَّة بَل يَتَقوَّى يَوْمًا فَيَوْمًا وَبشَرْط أَنْ لاَ تَبْرُدَ نَائرَةُ الاشْتيَاق بَل تَزَايَدَ سَاعَةً فَسَاعَةً فَإنَّ ارْتبَاطَنَا حُبِّيٌّ وَنسْبَتَنَا انْعكَاسيَّةٌ وانْصبَاغيَّةٌ لاَ تَتَفَاوَتُ بالقُرْب وَالبُعْد إلاَّ بحَسْب السُّرْعَة وَالبُطْء وَالعلم ببَعْضِ خُصُوصيَّات الطَّريق وَعَدَم العلم به وَتَطَلَب تَحْقيق هَذَا المَعْنَى منْ خَاتمَة مَكْتُوب حَرَّرْتُهُ باسْمِ وَلَدي الأَرْشَد في بَيَان الطَّريق وَقَدْ جَاءَ أَصْحَابُ أَخينَا المَيْرِ مُحَمَّد نُعْمَانَ يَنْقُل ذَلكَ المَكْتُوبَ فَتَطْلُبُهُ منْ هُنَاكَ وَمَاذَا أَطْلبُ زِيَادَةً عَلى ذَلكَ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالسِّتُّونَ وَالمائَتَان
إلى جَنَاب صَاحِب المَعَارِف الشَّيْخ تَاج الدِّين
في بَيَان مَعَارِفَ تَتَعَلَّقُ بالكَعْبَة الرَّبَّانيَّة
وَبَيَان الفَضَائل الصَّلاَتيَّة وَمَا يُنَاسبُ ذَلكَ

الحَمْدُ لله وَسَلاَمٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى وَقَدْ أَوْرَثَ خَبَرُ القُدُوم الذي هُوَ للمَسرَّة مَلزُومٌ فَرَحًا وَافرًا للمُشْتَاقينَ لله - سُبْحَانَهُ - الحَمْدُ وَالمنَّةُ عَلى ذَلكَ، شعْرٌ:

أَنصفُ أَيَا فَلك زَاه مَصَابيحُهُ ... وَأَيُّ هَذَيْن قَدْ عَمَّتْ تَفَاريحُهُ
شَمْسٌ بهَا عَالَمٌ تَمَّتْ مَصَالحُهُ ... أَمْ بَدْرِيُّ البَاد منْ شَام لوَائحه

وَحَيْثُ التَزَمْتَ القُدُومَ فَعَلَيْك أَنْ تُشرَّفَ بالسُّرْعَة فَإنَّ المُشْتَاقينَ تَحْتَ ثقَل الانْتظَار يَتَمَنَّوْنَ سَمْعَ أَخْبَار بَيْت الله وَعنْدَ الفَقير كَمَا أَنَّ صُورَةَ الكَعْبَة الرَّبَّانيَّة مَسْجُودٌ إلَيْهَا لصُوَر الخَلاَئق بَشَرًا كَانُوا أَوْ مَلَكًا كَذَلكَ حَقيقَتُهَا مَسْجُودٌ إلَيْهَا لحَقَائق تلكَ الصُّوَر فَلاَ جَرَمَ كَانَتْ تلكَ الحَقيقَةُ فَوْقَ جَميع الحَقَائق وَالكَمَالاَت المُتَعَلّقَة بهَا صَارَتْ فَوْقَ الكَمَالاَت المُتَعَلّقَة بسَائر الحَقَائق وَكَأَنَّ هَذه الحَقيقَةَ بَرْزَخٌ بَيْنَ الحَقَائق الكَوْنيَّة وَالحَقَائق الإلَهيَّة وَالمُرَادُ بالحَقَائق الإلَهيَّة سُرَادقَات العَظَمَة وَالكبْريَاء التي لَمْ يَصل إلى ذَيْل قُدْسهَا لوْنٌ وَلاَ كَيْفٌ وَلَمْ يَتَطَرَّقْ إلَيْهَا ظلّيَّةٌ أَصْلاً وَنهَايَةُ العُروجَات الدُّنْيَويَّة وَظُهورَاتها إلى مُنْتَهَى الحَقَائق الكَوْنيَّة وَالنَّصيبُ منَ الحَقَائق الإلَهيَّة مَخْصُوصٌ بالآخرَة لاَ حَظَّ منْهَا في الدُّنْيَا إلاَّ في الصَّلاَة التي هيَ معْرَاجُ المُؤْمن وَكَأَنَّ في هَذَا المعْرَاج خُرُوجًا منَ الدُّنْيَا إلى الآخرَة وَيَتَيَسَّرُ فيه حَظُّ مَا يَتَيَسَّرُ في الآخرَة وَأَظُنُّ أَنَّ حُصُول هَذه الدَّوْلَة في الصَّلاَة لتَوَجُّه المُصَلي فيهَا إلى جهَة الكَعْبَة التي هيَ مَوْطنُ ظُهورات الحَقَائق الإلَهيَّة فَالكَعْبَةُ أُعْجُوبَةٌ في الدُّنْيَا فَإنَّهَا بصُورَتهَا منَ الدُّنْيَا وَبالحَقيقَة منَ الآخرَة وَأَخَذَتْ هَذه النِّسْبَةَ الصَّلاَةُ أَيْضًا بتَوَسُّطهَا وَصَارَتْ بصُورَتهَا وَحَقيقَتهَا جَامعَةً للدُّنْيَا وَالآخرَة وَقَدْ بَلغَ مَرْتَبَةَ التَّحْقيق أَنَّ الحَالَةَ المُتَيَسِّرَةَ في أَدَاء الصَّلاَة فَوْقَ جَميع الكَمَالاَت الحَاصلة في خَارج الصَّلاَة؛ لأَنَّ تلكَ الحَالَةَ لَيْسَتْ بخَارجَة منْ دَائرَة الظِّل وإنْ حَصَل لَهَا العُلوُّ بخلاَف هَذه الحَالة فَإنَّ لَهَا نَصيبًا منَ الأَصْل وَبقَدْر الفَرْق بَيْنَ الأَصْل وَالظِّل يَكُونُ الفَرْقُ بَيْنَ تلكَ الحَالة وَهَذه الحَالة وَيُشَاهدَان الحَالَةَ التي تَحْصُل عنْدَ المَوْت بعنَايَة الله تَعَالى

تَكُونُ فَوْقَ حَالة الصَّلاَة فَإِنَّ المَوْتَ مِنْ مُقَدِّمَات أَحْوَال الآخرَة وَكَمَا هُوَ أَقْرَبُ إِلى الآخِرَةِ أَتَمُّ وَأَكْمَل؛ لأَنَّ هُنَا ظُهُورَ الصُّورَة وَهُنَاكَ ظُهُورَ الحَقِيقَة شَتَّان مَا بَيْنَهُمَا.

وَكَذَلكَ الحَالَةُ التِي تَتَيَسَّرُ بِكَرَم الله - جَل سُلطَانُهُ - فِي البَرْزَخِ الصَّغير تَكُونُ فَوْقَ الحَالة الحَاصلة وَقْتَ المَوْت وَعَلى هَذَا القِيَاسِ الحَالةُ المُتَيَسِّرَةُ فِي البَرْزَخ الكَبِيرِ الذي هُوَ عَرَصَاتُ القِيمَة بِالنِّسْبَة إِلى حَالة البَرْزَخ الصَّغِير فَإِنَّ المَشْهُودَ هُنَاكَ أَتَمُّ وَأَكْمَل وَلمَشْهُود جَنَّات النَّعيم أَتَمِّيَّتُهُ وَأَكْمَلِيَّتُهُ بِالنِّسْبَة إِلى مَشْهُود البَرْزَخ الكَبِيرِ وَفَوْقَ جَمِيعِ تلكَ المَذْكُورَات مَوْطنُ المُخبر عَنْهُ المُخْبِر الصَّادق عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ حَيْثُ قَال: "**إِنَّ لله جَنَّةً لَيْسَ فِيهَا حَوْرٌ وَلاَ قُصُورٌ يَتَجَلى فِيهَا رَبُّنَا ضَاحِكًا**" فَأَدْنَى جَمِيعِ مُوَاطِن الظُّهورَات دُنْيَا وَمَا فيهَا وَأَعْلى جَمِيعهَا تلكَ الجَنَّةُ المَذْكُورَةُ بَل الدُّنْيَا لَيْسَتْ مِنْ مَوْطِنِ الظُّهُور أَصْلاً. وَظُهورَاتُ الظِّلاَل وَمِرْآتِيَّةُ المِثَال التِي هِيَ مَخْصُوصَةٌ بِالدُّنْيَا مَعْدُودَةٌ عِنْدَ الفَقِيرِ مِنَ الأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّة وَدَاخلةٌ فِي الحَقِيقَة فِي دَائرَة الإِمْكَان سَوَاءً قِيل لتلكَ الظُّهُورَات تَجَليَات الأَسْمَاء أَوْ تَجَليَات الصِّفَات أَوْ تَجَليَات الذَّات تَعَالى الله عَمَّا يَقُولون عُلوًّا كَبِيرًا وَأَنَّ الفَقِيرَ مَتَى أُلاَحِظُ الدُّنْيَا بِالتَّمَام أَجِدُهَا خَالِيَةً مَحْضَةً وَلاَ يَصِل مِنْهَا إِلى مَشَامِّي رَائحَةُ المَطْلُوب غَايَةُ مَا فِي البَاب أَنَّهَا مَزْرَعَةُ الآخرَة فَطَلَبُ المَطْلُوب فِيهَا إِتْعَابُ النَّفْسِ وَإِهْلاَكُهَا عَلى العَبَث أَوْ زَعَمَ غَيْرُ المَطْلُوب مَطْلُوبًا وَالأَكْثَرُونَ مُبْتَلوْنَ بِذَلكَ وَمُطْمَئنُّونَ بِالمَنَامِ وَالخَيَال وَالذي فِيه شَيْءٌ مِنَ الأَصْل وَمَا يُعْطَى رَائِحَةً مِنَ المَطْلُوبِ فِي هَذَا المَوْطِنِ الصَّلاَةُ وَدُونَهَا خَرْطُ القَتَاد.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالسِّتُّونَ وَالمِائَتَانِ
إِلَى السَّيِّد السَّهَارَنْفُورِيِّ
فِي بَيَانِ لزُومِ جَرِّ المُعَامَلَة نَحْوَ الحَيْرَة وَالجَهَالَة وَعَدَمِ الاعْتِمَاد عَلَى الأَحْوَال وَالكُشُوف
وَذِكْرِ وَاقِعَةِ بَعْضِ مَشَائِخِ النَّوَاحِي الَّتِي كَانَ حَكَاهَا لَهُ وَتَعْبِيرِهَا فِي ضِمْنِ ذَلِكَ

الحَمْدُ لله وَسَلَامٌ عَلَى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى قَدْ أَوْرَثَتْ الصَّحِيفَةُ الشَّرِيفَةُ الصَّادِرَةُ عَنْ فَرْط المَحَبَّة وَكَمَال الاشْتِيَاق فَرَحًا وَافِرًا وَعَلَيْكُمْ بِالتَّوَجُّه وَالإِقْبَال عَلَى الأَمْرِ الذي يَقْتَضيه الحَال وَالاشْتغَال بذكْر اسْم الذَّات منْ غَيْر مُلاحَظَة الأَسْمَاء وَالصِّفَات حَتَّى تَنجرَّ المُعَامَلَةُ إِلَى الجَهَالَة وَيَنْتَهِي الأَمْرُ إِلَى الحَيْرَة فَإِنَّ مُلاحَظَةَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَات كَثيرًا مَا تَكُونُ بَاعِثَةً عَلَى ظُهُورِ الأَحْوَال وَوَاسِطَةً للوَجْد وَالتَّوَاجُد وَلَعَلَكَ سَمِعْتَ أَنَّ احْتمَال الخَطَأ فِي الأَحْوَال وَالمَوَاجيد كَثيرٌ وَاشْتِبَاهُ الحَقِّ بِالبَاطِل فِي ذَلكَ المَوْطِنِ وَافِرٌ وَقَدْ أَرْسَلَ وَاحِدٌ مِنْ مَشَائخِ النَّوَاحِي قَاصِدًا إِلَى هَذَا الفَقِير فِي هَذه الأَيَّام مُظْهِرًا أَحْوَالَهُ وَقَالَ: قَدْ بَلَغَ الفَنَاءُ وَالاضْمحْلال مَرْتَبَةً كُلَّ شَيْءٍ نَظَرْتُ إِلَيْه لاَ أَجِدُهُ أَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ وَالأَرْضِ فَلا أَجِدُهُمَا وَلاَ أَجدُ العَرْشَ وَلاَ الكُرْسِيَّ وَأُلاحِظُنِي فَلاَ أَجدُ أَصْلاً وَأَذْهَبُ عِنْدَ شَخْصٍ فَلاَ أَجِدُهُ وَالله - سُبْحَانَهُ - لاَ نهَايَةَ لَهُ وَمَا وَجَدَ أَحَدٌ نهَايَتَهُ وَقَدْ اعْتَقَدَ المَشَايخُ هَذَا الحَال كَمَالاً فَإِنْ كُنتَ أَنْتَ أَيْضًا تَعْتَقدُ كَذَلكَ فَلأَيِّ شَيْءٍ أَجِيءُ عنْدَكَ لطَلَب الحَقِّ - جَل وَعَلاَ - وَإِنْ كُنتَ تَعْرِفُ أَمْرًا كَمَالاً غَيْرَهُ فَاكْتُبْ لِي كتَابًا فَكَتَبْتُ فِي جَوَابه أَنَّ هَذه الأَحْوَال منْ تَلوينَات القَلب وَالقَلبُ أَوَّل دَرَجَة منْ دَرَجَاتِ هَذَا الطَّرِيق وَصَاحبُ هَذه الأَحْوَال طَوَى رُبْعًا وَاحدًا منْ أَحْوَال القَلب وَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَطْوِيَ ثَلاثَ أَرْبَاعه البَاقيَة وَبَعْدَ ذَلكَ يَنْبَغِي أَنْ يَعْرُجَ إِلَى الدَّرَجَة الثَّانيَة التي هيَ عبَارَةٌ عَنِ الرُّوح ثُمَّ إِلَى مَا شَاءَ اللهُ وَبَعْدَ مُدَّة منْ هَذه الكتَابَة قَدمَ وَاحدٌ منَ الأَصْحَاب الفَقيرُ وَكَانَ مُتَوَجِّهًا إِلَى وَطَنه بَعْدَ أَخْذ الطَّرِيقَة وَلَمَّا بَيَّنَ أَحْوَالَهُ صَارَ مَعْلومًا لِي أَنَّ حَالَهُ مُوَافقٌ لحَال ذَلكَ الشَّيْخ المُسْتَفْسر بَل هُوَ أَسْبَقُ قَدَمًا منْهُ وَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى حَاله وَأَمْعَنْتُ النَّظَرَ ظَهَرَ لِي أَنَّ فَنَاءَهُ وَاضْمحْلالَهُ فِي عُنْصُرِ الهَوَاء الذي هُوَ مُحيطٌ لجَميع ذَرَّة منَ الذَّرَّات وَلَيْسَ المَشْهُودُ غَيْرَ الهَوَاء وَقَدْ زَعَمَهُ إِلهًا لاَ نِهَايَةَ لَهُ تَعَالَى اللهُ - سُبْحَانَهُ - عَنْ ذَلكَ عُلوًّا كبيرًا وَلَمَّا فَتَّشْتُ عَنْ

أَحْوَاله مَرَّةً ثَانيَةً أَيْقَنْتُ أَنَّ ابْتلاَءَهُ لَيْسَ أَمْرًا آخرَ غَيْرَ الهَوَاء فَأَطْلَعْتُهُ أَيْضًا عَلى هَذَا المَعْنَى وَلَمَّا رَجعَ هُوَ إِلى وِجْدَانه عَلمَ أَنَّ حَاصلَهُ لَيْسَ غَيْرَ الهَوَاءِ فَاسْتَغْفَرَ مِنْ هَذه الأَحْوَال وَرَفَعَ قَدَمَهُ فَوْقَ هَذَا الحَال.

اعْلَمْ أَنَّ القَلْبَ بَرْزَخٌ بَيْن عَالِم الخَلق الذي هُوَ عَالمُ العَنَاصرِ الأَرْبَعَة وَبَيْن عَالِم الأَرْوَاحِ وَفيه وَصْفٌ وَلوْنٌ منْ كلاَ العَالمِينَ فَكَانَ نصْفُ القَلْب مِنْ عَالِم الخَلق وَنصْفُهُ الآخرُ منْ عَالِم الأَرْوَاحِ فَإِذَا نَصَّفْنَا نصْفَهُ النَّاظرَ إِلى عَالِم الخَلق تَقعُ المُعَامَلَةُ عَلى عُنْصُرِ الهَوَاء فَيَكُونُ رُبْعُ القَلْب عبَارَةً عَنْ مَقَامِ الهَوَاءِ الذي تَضَمَّنَهُ القَلْبُ فَمَا ظَهَرَ ثَانيًا مُوَافقٌ للجَوَابِ الأَوَّل وَبَيَانٌ لكَشْف حَقيقَته.

الحَمْدُ لله الذي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لنَهْتَديَ لوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللهُ، لقَدْ جَاءتْ رُسُل رَبِّنَا بالحَقِّ وَلَمْ يَسَعْ الوَقْتُ زِيَادَةً عَلى ذَلكَ وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى - عَلَيْهِ وَعَلى آله مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلهَا وَمِنَ التَّسْليمَاتِ أَكْمَلهَا.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالسِّتُّونَ وَالمِائَتَانِ
إلى الشَّيْخِ عَبْدِ الهَادي
فِي التَّحْذِيرِ عَنْ تَضْيِيعِ حُقُوقِ المُسْلِمِينَ بِالعُزْلَةِ وَبَيَانِ الحُقُوقِ اللاَّزِمَةِ رِعَايَتُهَا وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

بَعْدَ الحَمْدِ وَالصَّلاَةِ وَتَبْلِيغِ الدَّعَوَاتِ أُنْهِيَ أَنَّ مَكْتُوبَ الأَخِ الأَرْشَدِ قَدْ وَصَلَ فَأَوْرَثَ فَرَحًا وَافِرًا لله سُبْحَانَهُ الحَمْدُ وَالمِنَّةُ؛ عَلى مَا لَمْ يُؤْثِرْ تَمَادِيَ أَيَّامِ المُفَارَقَةِ فِي المَحَبَّةِ وَالإِخْلاَصِ وَالمَوَدَّةِ وَالاخْتِصَاصِ وَمَعَ ذَلِكَ لَوْ أَتَى بِنَفْسِهِ لَكَانَ أَنْسَبُ الخَيْرِ فِيمَا صَنَعَهُ اللهُ - سُبْحَانَهُ - وَقَدْ تَمَنَّى العُزْلَةَ نَعَمْ إِنَّ العُزْلَةَ مُنْيَةُ الصِّدِّيقِينَ وَلَكِ الخِيَارُ فِي العُزْلَةِ وَالانْزِوَاءِ وَنَرْجُو أَنْ تَكُونَ مُبَارَكَةً وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ لاَ تَضِيعَ مُرَاعَاتُ حُقُوقِ المُسْلِمِينَ قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ "**حَقُّ المُسْلِمِ عَلى المُسْلِمِ خُمْسٌ رَدُّ السَّلاَمِ وَعِيَادَةُ المَرِيضِ وَاتِّبَاعُ الجَنَائِزِ وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ وَتَشْمِيتُ العَاطِسِ**" وَلَكِنْ فِي إِجَابَةِ الدَّعْوَةِ شَرَائِطُ فِي الإِحْيَاءِ ،

وَيَمْتَنِعُ مِنَ الإِجَابَةِ إِنْ كَانَ الطَّعَامُ طَعَامَ شُبْهَةٍ وَفِي المَوْضِعِ مُنْكَرٌ مِنْ فَرْشِ دِيبَاجٍ وَأَوَانِي فِضَّةٍ وَتَمَاثِيلَ عَلى سَقْفٍ أَوْ سَمَاعِ شَيْءٍ مِنَ المَزَامِيرِ وَالمَلاَهِي أَوْ التَّشَاغُلِ بِنَوْعٍ مِنَ اللهْوِ وَاللعِبِ وَلِكَ ذَلِكَ مِمَّا يَمْنَعُ الإِجَابَةَ وَيُوجِبُ تَحْرِيمَهَا وَكَرَاهَتَهَا وَكَذَلِكَ إِنْ كَانَ الدَّاعِي ظَالِمًا أَوْ مُبْتَدِعًا أَوْ فَاسِقًا أَوْ شِرِّيرًا أَوْ مُتَكَلِّفًا طَالِبًا لِلمُبَاهَاةِ وَالفَخْرِ وَفِي شِرْعَةِ الإِسْلاَمِ وَلاَ يُجِيبُ إِلى طَعَامٍ صُنِعَ رِيَاءً وَسُمْعَةً فِي المُحِيطِ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يَقْعُدَ عَلى مَائِدَةٍ إِذَا كَانَ عَلَيْهَا لَعِبٌ وَغِنَاءٌ أَوْ قَوْمٌ يَغْتَابُونَ أَوْ يَشْرَبُونَ الخَمْرَ كَذَا فِي مَطَالِبِ المُؤْمِنِينَ فَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ المَوَانِعُ كُلُّهَا مَفْقُودَةً لاَ بُدَّ حِينَئِذٍ مِنَ الإِجَابَةِ وَإِنْ كَانَ فِقْدَانُ هَذِهِ المَوَانِعِ عَسِيرًا فِي هَذَا الزَّمَانِ.

وَأَيْضًا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ العُزْلَةَ إِنَّمَا تَكُونُ مِنَ الأَغْيَارِ لاَ مِنَ الأَحْبَابِ فَإِنَّ الصُّحْبَةَ مِنْ مَحَارِمِ الأَسْرَارِ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ العَلِيَّةِ قَالَ الخواجه النَّقْشَبَنْدِيُّ - قُدِّسَ سِرُّهُ -: طَرِيقُنَا طَرِيقُ الصُّحْبَةِ فَإِنَّ فِي الخَلْوَةِ شُهْرَةً وَفِي الشُّهْرَةِ آفَةً وَالمُرَادُ بِالصُّحْبَةِ صُحْبَةُ أَهْلِ الطَّرِيقِ لاَ صُحْبَةُ المُنْكِرِينَ وَالمُخَالِفِينَ لأَنَّهُمُ اشْتَرَطُوا نَفْيَ كُلٍ مِنَ المُصَاحِبِينَ نَفْسَهُ وَفَنَاءَهُ فِي الآخَرِ وَهَذَا لاَ يَتَيَسَّرُ بِدُونِ المُوَافَقَةِ.

وَعِيَادَةُ المَرِيضِ سُنَّةٌ إِنْ كَانَ لِلمَرِيضِ مُتَعَهِّدٌ وَمُمَرِّضٌ وَالأَفْعَى وَاجِبَةٌ كَمَا ذُكِرَ فِي حَاشِيَةِ المِشْكَاةِ وَيَنْبَغِي أَنْ يَحْضُرَ صَلاَةَ الجَنَازَةِ وَأَنْ يُشَيِّعَ الجَنَازَةَ وَلَوْ خُطُوَاتٍ لِيُؤَدِّيَ حَقَّ المَيِّتِ.

وَحُضُورُ الجُمَعِ وَالجَمَاعَاتِ فِي الأَوْقَاتِ الخَمْسَةِ وَصَلاَةِ العِيدَيْنِ مِنْ ضَرُورِيَّاتِ الإِسْلاَمِ لاَ بُدَّ مِنْهَا ثُمَّ صَرَفَ بَقِيَّةَ الأَوْقَاتِ إِلى ذِكْرِ المَوْلَى بِالتَّبَتُّلِ وَالانْقِطَاعِ وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يُصَحِّحَ النِّيَّةَ أَوَّلاً وَأَنْ يُلَوِّثَ العُزْلَةَ بِلَوْثِ غَرَضٍ مِنَ الأَغْرَاضِ العَاجِلَةِ أَصْلاً وَأَنْ لاَ يَكُونَ مَقْصَدٌ غَيْرَ تَحْصِيلِ جَمْعِيَّةِ البَاطِنِ بِذِكْرِ اللهِ - جَلَّ سُلطَانُهُ - وَالإِعْرَاضِ عَنِ الاشْتِغَالِ بِمَا لاَ طَائِلَ فِيهِ وَجَمِيعِ المَلاَهِي قَطْعًا. وَيَنْبَغِي أَنْ يُحْتَاطَ فِي تَصْحِيحِ النِّيَّةِ غَايَةَ الاحْتِيَاطِ لِئَلاَّ يَخْتَفِيَ وَيَتَكَمَّنَ فِي ضِمْنِهَا غَرَضٌ نَفْسَانِيٌّ وَأَنْ يَلتَجِئَ وَيَتَضَرَّعَ إِلى اللهِ تَعَالَى فِي هَذَا التَّصْحِيحِ كَثِيرًا وَأَنْ يَكُونَ فِي مَقَامِ العَجْزِ وَالانْكِسَارِ فَحِينَئِذٍ يُحْتَمَلُ أَنْ تَتَحَقَّقَ حَقِيقَةُ النِّيَّةِ وَالحَاصِلُ يَنْبَغِي أَنْ يَخْتَارَ العُزْلَةَ بِنِيَّةٍ صَادِقَةٍ صَحِيحَةٍ بَعْدَ تَكْرَارِ الاسْتِخَارَةِ سَبْعَ مَرَّاتٍ فَيُرْجَى حِينَئِذٍ أَنْ تَتَرَتَّبَ عَلَيْهِ ثَمَرَاتٌ عَظِيمَةٌ وَبَقِيَّةُ الأَحْوَالِ أَخَّرْنَا خَبَرَهَا إِلى وَقْتِ المُلاَقَاةِ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالسِّتُّونَ وَالمِائَتَان
إلى المَخْدُومِينَ المُكَرَّمِينَ أَعْني ابْنَيْ شَيْخه
الخواجهْ عَبْد الله والخواجهْ عُبَيْد الله
في بَيَانِ بَعْضِ المَسَائل الكَلاَمِيَّة عَلى وَفْق آراء أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة
وَقَدْ ظَهَرَتْ لَهُ عَلَى طَرِيقِ الكَشْفِ وَالإِلْهَامِ
لأَعْلى وَجْه الظُّنُونَ وَالأَوْهَامُ
وَالرَّدِّ عَلى الفَلاَسفَة وَأَتْبَاعهمْ المُتَفَلسفة
وَعَلى الزَّنَادقَة وَالمَلاَحدَة المُتَشَبِّهِينَ بالصُّوفيَّة
وَبَيَان بَعْضِ المَسَائل المُتَعَلقَة بالصَّلاَة وَمَدْحِ الطَّرِيقَةَ النَّقْشَبَنْدِيَّة
وَالمَنْعِ مِنْ سَمَاعِ الغناء وَحُضُورِ مَجْلَسِ الرَّقْصِ وَمَا يُنَاسبُ ذَلِكَ

بَعْدَ الحَمْد وَالصَّلوَات وَتَبْليغ الدَّعَوَات ليَعْلَمْ المَخَاديمُ الكرَامُ أَنَّ هَذَا الفَقيرَ مُسْتَغْرقٌ منَ القَدَم إلى الرَّأْس في إحْسَان وَالدكُمْ المَاجد حَيْثُ تَعَلمْتُ دَرْسَ أَلف باقي هَذَا الطَّريق منْهُ وَأَخَذْتُ عَنْهُ سَائرَ تَهَجِّي حُرُوف هَذَا الطَّرِيق وَحَصَلتْ ببَرَكَة صُحْبَته دَوْلَةُ انْدرَاجِ النِّهَايَة في

البدَايَة وَبصدْق خدْمَته وَجَدْتُ السَّفَرَ في المَوَاطن وَتَوَجُّهُهُ الشَّريفُ بَلغَ هَذَا الفقيرَ عَدمَ القَابليَّة إلى النِّسْبَة النَّقْشَبَنْديَّة في مُدَّة شَهْرَيْن وَنصف وَمَنَحَهُ الحُضُورَ الخَاصَّ بهَؤُلاَء الأَكَابر وَكَيْفَ أَشْرَحُ أَمْ كَيْفَ أُبَيِّنُ تفصيل مَا حَصَل في هَذه المُدَّة القَليلة منَ التَّجليَات والظُّهورات وَالأَنْوار وَالأَلوَان واللالونيَّة وَاللاَّكَيْفيَّة بتَطَفُّله وَلَمْ يَبْقَ بتَوَجُّهه الشَّريف دَقيقَةٌ منْ دَقَائق مَعَارف التَّوْحيد وَالاتِّحَاد وَالقُرْب وَالإحَاطَة وَالسَّرَيَان غَيْرَ مُنْكَشفَة لهَذَا الفقير وَغَيْرَ مُطَّلع هُوَ عَلَيْهَا وَمَاذَا يَكُونُ شُهُودُ الوَحْدَة في الكَثْرَة وَمُشَاهَدَةُ الكَثْرَة في الوَحْدَة فَإنَّهُمَا منْ مُقَدِّمَات هَذه المَعَارف وَمَبَاديهَا وَإجْرَاءُ اسْم هَذه المَعَارف عَلى اللسَان في جَنْب نسْبَة النَّقْشَبَنْديَّة وَالحُضُور الخَاصّ بهَؤُلاَء الأَكَابر وَبَيَان عَلاَمَة هَذَا الشُّهُود وَالمُشَاهَدَة كُل ذَلكَ منْ قُصُور النَّظَر. وَمُعَامَلةُ هَؤُلاَء الأَكَابر عَاليَةٌ جدًّا لاَ نسْبَةَ لَهَا بكُل زُرَاق وَرَقَّاص فَإذَا نلتَ مثْل هَذه الدَّوْلَة العُظْمَى منْ حَضْرَة شَيْخنَا لاَ يُمْكنُ لي أَدَاءُ حَقِّ شَيْءٍ منْهَا وَلَوْ مَسَحْتُ رَأْسي مُدَّةَ عُمْري عَلى أَقْدَام خُدَّام عتَبَتكُمْ العَليَّة فَمَاذَا أَعْرضُ عَلَيْكُمْ منْ تَقْصيرَاتي وَمَاذَا أُظْهرُ لكُمْ منَ انْفعالاَتي وَلَكنْ جزى الله - سُبْحَانَهُ - عَنَّا الخواجهْ حُسَامَ الدِّين أَحْمَدَ خَيْرَ الجزَاء حَيْثُ كَفَانَا المُؤْنَةَ وَشَدَّ نطَاقَ الهمَّة في خدْمَة خُدَّامِ العَتَبَة العَليَّة وَخلص أَمْثَالنَا القَاصرينَ منْ ذَلكَ، شعْرٌ:

فَلوْ أَنَّ لِي فِي كُل مَنْبَت شَعْرَةً لسَانًا يَبُثُّ الشُّكْرَ كُنْتُ مُقصِّرًا

وَقَدْ تَشرَّفْتُ بتَقْبيل عَتَبَة شَيْخنَا ثَلاَثَ مَرَّات وَقَال للفَقير في المَرَّة الأَخيرَة: إنَّهُ قَدْ غَلبَ الضَّعْفُ عَلى بَدَني وَرَجَاءُ الحَيَاة قَليل يَنْبَغي لك الاسْتخْبَارُ عَنْ أَحْوَال الأَطْفَال وَأَمَرَ بإحْضَاركُمْ لدَيْه وَكُنْتُمْ وَقْتئذ في حُجُور المُرْضعَات وَأَمَرَ الفقيرَ بالتَّوَجُّه إلَيْكُمْ فَتَوَجَّهْتُ إلَيْكُمْ في حُضُوره امْتثَالاً لأَمْره حَتَّى ظَهَرَ أَثَرُ ذَلكَ التَّوَجُّه في الظَّاهر ثُمَّ قَال: تَوَجَّهْ إلى وَالدَاتهمْ أَيْضًا بالتَّوَجُّه الغَائبيِّ فَتَوَجَّهْتُ إلَيْهنَّ أَيْضًا حَسَبَ الأَمْر المَرْجُوّ أَنْ يَكُونَ ذَلكَ التَّوَجُّهُ مُثْمرًا للنَّتَائج ببَرَكَة حُضُوره الشَّريف وَلاَ تَحْسَبَنَّ أَنَّهُ قَدْ وَقَعَ الذُّهُول عَنْ أَمْره الوَاجب الامْتثَال أَوْ طَرَأَ التَّغَافُل عَنْ وَصيَّته اللاَّزمَة الإجْرَاء عَلى كُل حَال كَلاَّ بَل انْتَظَرَ الإشَارَةَ وَالإذْنَ.

وَأَرَدْتُ الآنَ أَنْ أَكْتُبَ فقْرَات بطَريق النَّصيحَة يَنْبَغي اسْتمَاعُهَا بسَمْع العَقْل.

أَسْعَدَكُمْ اللهُ - سُبْحَانَهُ - أَنَّ أَوَّل مَا افْتَرَضَ عَلى العُقَلاَء تَصْحيحَ العَقَائد بمُوجب آرَاء أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة شَكَرَ اللهُ تَعَالى سَعْيَهُمْ فَإنَّهُمْ هُمُ الفرْقَةُ النَّاجيَةُ وَلَنُبَيِّنَ بَعْضَ المَسَائل الاعْتقَاديَّة التي فيهَا نَوْعُ خفَار.

يَجبُ أَنْ يُعْلمَ أَنَّ اللهَ تَعَالى مَوْجُودٌ بذَاته المُقَدَّسَة وَالأَشْيَاءُ كُلهَا مَوْجُودَةٌ بإيجَاده تَعَالى وَأَنَّهُ تَعَالى وَاحدٌ في ذَاته و صفَاته وَأَفْعَاله لاَ شَركَةَ لأَحَد مَعَهُ تَعَالى في الحَقيقَة في أَمْر منَ الأُمُور أَصْلاً لاَ في الوُجُود وَلاَ في غَيْره وَالمُنَاسَبَةُ الاسْميَّةُ وَالمُشَارَكَةُ اللفْظيَّةُ خَارجَةٌ عَن المَبْحَث وَصفَاته وَأَفْعَاله تَعَالى مُنَزَّهَةٌ عَن المثَل وَالكَيْف كَذَاته تَعَالى لاَ مُنَاسَبَةَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ صفَات المُمْكنَات وَأَفْعَالهَا فَإنَّ صفَةَ العلم مَثلاً لهُ تَعَالى صفَةٌ قَديمَةٌ بَسيطَةٌ حَقيقيَّةٌ لمْ يَتطَرَّقْ إلَيْهَا تَعَدُّدٌ وَتَكَثُّرُ أَصْلاً وَلوْ باعْتبَار تَعَدُّد التَّعَلقَات؛ لأَنَّ هُنَاكَ انْكشَافٌ وَاحدٌ بَسيطٌ انْكشَفَتْ به المَعْلومَاتُ الأَزَليَّةُ وَالأَبَديَّةُ وَعُلمَ به جَميعُ الأَشْيَاء بأَحْوَالهَا المُتَنَاسبَة وَالمُتَضَادَّة وَكُليَّاتهَا وَجُزْئيَّاتهَا مَعَ الأَوْقَات المَخْصُوصَة بكُل وَاحد منْهَا في آن وَاحد بَسيط عَلى وَجْه يَعْلمُ زَيْدًا مَثَلاً في ذَلكَ الآنَ مَوْجُودًا وَمَعْدُومًا وَجَنينًا وَصَبيًّا وَشَابًّا وَشَيْخًا وَحَيًّا وَمَيِّتًا وَقَائمًا وَقَاعدًا وَمُسْتَندًا وَمُضْطَجعًا وَضَاحكًا وَبَاكيًا وَمُتَلذِّذًا وَمُتَأَلمًا وَعَزيزًا وَذَليلاً وَفي البَرْزَخ وَفي الحَشْر وَفي الجَنَّة وَفي التَّلذُّذَات فَيَكُونُ تَعَدُّدُ التَّعَلق أَيْضًا مَفْقُودًا في ذَلكَ المَوْطن فَإنَّ تَعَدُّدَ التَّعَلقَات يَسْتَدْعي تَعَدُّدَ الآنَات وَتَكَثُّرَ الأَزْمنَةَ وَلَيْسَ ثَمَّةَ إلاَّ آنٌ وَاحدٌ بَسيطٌ منَ الأَزَل إلَى الأَبَد لاَ تَعَدُّدَ فيه أَصْلاً إذْ لاَ يَجْري عَلَيْه تَعَالى زَمَانٌ وَلاَ تَقَدُّمٌ وَلاَ تَأَخُّرٌ فَإذَا أَثْبَتْنَا لعلمه تَعَالى تَعَلقًا بالمَعْلومَات يَكُونَ

ذَلِكَ تَعَلقٌ وَاحِدٌ وَيَصِيرُ بِه مُتَعَلقًا بِجَمِيعِ المَعْلومَاتِ وَذَلِكَ التَّعَلقُ أَيْضًا مَجْهُول الكَيْفِيَّةِ وَمُنَزَّهٌ عَنِ المِثَالِ وَالكَيْف كَصفَة العلم.

وَلِنَدْفَعَ اسْتِبْعَادَ هَذَا التَّصْوِيرِ بِضَرْبِ مَثَل وَأَقُول: إِنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُعْلَمَ شَخْصُ الكَلِمَةِ مَعَ أَقْسَامِهَا المُتَبَايِنَة وَأَحْوَالهَا المُتَغَايِرَة وَاعْتِبَارَاتِهَا المُتَضَادَّة فِي وَقْت وَاحِد فَيُعْلَمُ الكَلِمَةُ فِي ذَلِكَ الوَقْت اسْمًا وَفِعْلاً وَحَرْفًا وَثُلاَثيًا وَرُبَاعيًّا وَمُعْرَبًا وَمَبْنيًّا وَمُتَمَكِّنًا وَغَيْرَ مُتَمَكِّنٍ وَمُنْصَرِفًا وَغَيْرَ مُنْصَرِف وَمُعَرَّفَةً وَنَكِرَةً وَمَاضِيًا وَمُسْتَقْبَلاً وَأَمْرًا وَنَهْيًا بَلِ يَجُوزُ أَنْ يَقُول ذَلِكَ الشَّخْصُ إِنِّي أَرَى هَذِه الأَقْسَامَ وَالاعْتِبَارَات فِي مَرَاتِب الكَلِمَة فِي وَقْت وَاحِد بِالتَّفْصِيل فَإِذَا كَانَ جَمْعُ الأَضْدَاد مُتَصَوَّرًا فِي عِلْمِ المُمْكِنِ كَيْفَ يَكُونُ مُسْتَبْعَدًا فِي علمِ الوَاجِب وَلله المَثَل الأَعْلَى.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ هُنَا وَإِنْ كَانَ جَمْعُ الضِّدَّيْنِ صُورَةً وَلَكِنَّ الضِّدِّيَّةَ مَفْقُودَةٌ بَيْنَهَا فِي الحَقِيقَة فَإِنَّهُ تَعَالى وَإِنْ عَلمَ زَيْدًا مَوْجُودًا وَمَعْدُومًا فِي آن وَاحِد وَلَكِنَّهُ تَعَالى عَلمَ فِي ذَلكَ الآن أَنَّ وَقْتَ وُجُوده مَثَلاً بَعْدَ أَلف سَنَة منَ الهجْرَة وَوَقْتَ عَدَمه السَّابق قَبْل تلكَ السَّنَة المُعَيَّنَة وَوَقْتَ عَدَمه اللاَّحق بَعْدَ أَلف وَمائَة سَنَة فَلاَ تَضَادَّ بَيْنهمَا فِي الحَقِيقَة لتَغَايُرِ الزَّمَانِ وَعَلى هَذَا القيَاسِ سَائرُ الأَحْوَال فَافْهَمْ.

فَاتَّضَحَ منْ هَذَا التَّحْقيق أَنَّ علمَهُ تَعَالى لاَ يَتَطَرَّقُ إِلَيْه شَائبَةُ التَّغَيُّر بتَعَلقه بالجُزْئيَّات المُتَغَيِّرَة وَلاَ تُتَوَهَّمُ مَظَنَّةُ الحُدُوث فيه كَمَا زَعَمَتْ الفَلاَسفَةُ فَإِنَّ التَّغَيُّرَ إِنَّمَا يُتَصَوَّرُ عَلى تَقْدير تَعَلق علمه تَعَالى بوَاحد بَعْدَ الآخر وَأَمَّا إِذَا تَعَلقَ علمُهُ تَعَالى بالكُل فِي آن وَاحد فَلاَ يُتَصَوَّرُ فيه التَّغَيُّرُ وَالحُدُوثُ فَلاَ حَاجَةَ حينَئذ إِلى إِثْبَات تَعَلقَات مُتَعَدِّدَة لهُ حَتَّى يَكُونَ التَّغَيُّرُ وَالحُدُوثُ رَاجعًا إِلى تلكَ التَّعَلقَات لاَ إِلى صفَة العلم كَمَا فَعَلهُ بَعْضُ المُتَكَلمينَ لدَفْع شُبْهَة الفَلاَسفَة نَعَمْ إِذَا أَثْبَتْنَا تَعَدُّدَ التَّعَلقَات فِي جَانب المَعْلومَات فَلهُ مَسَاغٌ وَكَذَلكَ كَلاَمُهُ تَعَالى وَاحدٌ بَسيطٌ وَهُوَ تَعَالى مُتَكَلمٌ بهَذَا الكَلاَم الوَاحد منَ الأَزَل إِلى الأَبَد فَإِنْ أَمْرًا فَنَاشئٌ منْ هُنَاكَ وَإِنْ نَهْيًا فَنَاشئٌ أَيْضًا منْ هُنَاكَ وَإِنْ إِعْلاَمًا فَمَأْخُوذٌ أَيْضًا منْ هُنَاكَ وَإِن اسْتعْلاَمًا فَمنْ هُنَاكَ وَإِنْ تَمَنِّيًا فَمُسْتَفَادًا منْ هُنَاكَ وَإِنْ تَرَجِّيًا فَمنْ هُنَاكَ أَيْضًا وَجَميعُ الكُتُب المُنَزَّلة وَالصُّحُف المُرْسَلة وَرَقَةٌ منْ ذَلكَ الكَلاَم البَسيط فَإِنْ تَوْرَاةً فَهيَ مُنْتَسخَةٌ منْهُ وَإِنْ إِنْجيلاً فَمنْ هُنَاكَ أُخذَ صُورَةُ الأَلفَاظ وَإِنْ زَبُورًا فَمَنْ هُنَاكَ مَسْطُور وَإِنْ قُرْآنًا فَمُنَزَّل منْ هُنَاكَ شعْرٌ:

لكَلاَمُ مَوْلاَنَا الإِله وَاحدٌ حَقًّا وَلكنْ فِي النُّزُول تَعَدُّدَا

وَكَذَلِكَ فِعْلُهُ تَعَالَى وَاحِدٌ وَجَمِيعُ المَصْنُوعَات مَوْجُودَةٌ بِهَذَا الفِعْلِ الوَاحِد وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالبَصَرِ) إِشَارَةٌ إِلى هَذَا المَعْنَى وَالإِحْيَاءُ وَالإِمَاتَةُ مَرْبُوطَان بِهَذَا الفِعْلِ وَالإِيلاَمُ وَالإِنْعَامُ مَنُوطَان أَيْضًا بِهَذَا الفِعْلِ وَكَذَلِكَ الإِيجَادُ وَالإِعْدَامُ نَاشِئَان مِنْ هَذَا الفِعْلِ فَلاَ يَثْبُتُ تَعَدُّدُ التَّعَلقَات فِي فِعْلِه تَعَالى أَيْضًا بَل المَخْلُوقَاتُ المَاضِيَةُ وَالآتِيَةُ مَوْجُودَةٌ فِي أَوْقَاتِهَا المَخْصُوصَة بِوُجُودِهَا بِتَعَلقٍ وَاحِد وَهَذَا التَّعَلقُ أَيْضًا مَجْهُولُ الكَيْفِيَّة وَمَعْدُومُ المِثْلِيَّة كَنَفْسِ فِعْلِه تَعَالى فَإِنَّهُ لاَ سَبِيل إِلَى المُنَزَّه عَنِ الكَيْفِ لِلمُكَيَّفِ بِالكَيْفِيَّة لاَ يَحْمِلَ عَطَايَاهُ إِلاَّ مَطَايَاهُ وَلَمَّا لَمْ يَطَّلِعِ الأَشْعَرِيُّ عَلى حَقِيقَة فِعْلِ الحَقِّ - جَلَ سُلطَانُهُ - قَال بِحُدُوث التَّكْوِين وَحُدُوثِ أَفْعَالِه تَعَالى وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ هَذِهِ الحَادِثَات آثَارُ فِعْلِه تَعَالى الأَزَلِيٌ لاَ نَفْسُ أَفْعَاله.

وَمِنْ هَذَا القَبِيل مَا أَثْبَتَهُ بَعْضُ الصُّوفِيَّة مِنْ تَجَلي الأَفْعَال حَيْثُ لَمْ يُرَ فِي ذَلكَ المَوْطِنِ فِي مِرْآة أَفْعَال المُمْكِنَات غَيْرُ فِعْلِ الفَاعِل الحَقِيقِيِّ - جَل سُلطَانُهُ - وَذَلكَ التَّجَلي فِي الحَقِيقَة تَجَلي آثَارِ فِعْلِ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - لاَ تَجَلي فِعْله تَعَالى فَإِنَّ فِعْلَهُ تَعَالى الذي هُوَ مُنَزَّهٌ عَنِ المِثَال وَالكَيْف وَقَدِيمٌ وَقَائِمٌ بِذَاته تَعَالى وَيُقَال لَهُ التَّكْوِينُ لاَ تَسعُهُ مَرَايَا المُحْدَثَات وَلاَ ظُهُورَ لهُ فِي مَظَاهِرِ المُمْكِنَات شِعْرٌ:

درتنكناى صورت معنى جكونه كنجد در كلبهء كدايان سلطان جه كاردارد

وَتَجَلي الأَفْعَال وَالصِّفَات بِدُون تَجَلي الذَّات غَيْرُ مُتَصَوَّرٍ عِنْدَ الفَقِير فَإِنَّهُ لاَ انْفِكَاكَ لِلأَفْعَال وَالصِّفَات عَنْ حَضْرَة الذَّات أَصْلاً حَتَّى يُتَصَوَّرَ تَجَليهَا بِدُون تَجَلي الذَّات وَمَا هُوَ مُنْفَكٌّ عَنِ الذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ ظِلاَل الأَفْعَال وَالصِّفَات فَيَكُونُ تَجَلي ذَلكَ المُنْفَكِّ تَجَلي ظِلاَل الأَفْعَال وَالصِّفَات لاَ تَجَلي الأَفْعَال وَالصِّفَات وَلكِنْ لاَ يُدْرِكُ فَهْمُ كُل أَحَدٍ هَذَا الكَمَال ذَلكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيه مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْل العَظِيم.

وَلنَرْجِعَ إِلى أَصْل الكَلاَمِ وَنَقُول: إِنَّهُ تَعَالى لاَ يَحل فِي شَيْءٍ وَلاَ يَحل فِي شَيْءٍ وَلكِنَّهُ تَعَالى مُحِيطٌ بِالأَشْيَاء وَلهُ سُبْحَانُهُ قُرْبٌ مِنْهَا وَمَعِيَّةٌ بِهَا وَلَيْسَتْ تِلكَ الإِحَاطَةُ وَالقُرْبُ وَالمَعِيَّةُ التِي نُدْرِكُهَا بِأَفْهَامنَا القَاصرَة فَإِنَّهَا لاَ تَليقُ بِجَانِب قُدْسه تَعَالى وَكُل شَيْءٍ يُدْرَكُ بِالكَشْف وَالشُّهُود فَهُوَ تَعَالى مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلكَ أَيْضًا، فَإِنَّهُ لاَ نَصِيبَ لِلمُمْكِنِ مِنْ حَقِيقَة ذَاته، وَصِفَاتُهُ وَأَفْعَالهُ تَعَالى غَيْرُ الجَهْل وَالحَيْرَة يَنْبَغِي الإِيمَانُ بِالغَيْب وَنَفْيُ مَا يَكُونُ مُنْكَشِفًا وَمَشْهُودًا بِكَلمَة لاَ، شِعْرٌ:

هَيْهَاتَ عَنْقَاءُ أَنْ يَصْطَادَهُ أَحَدٌ فَدَعْ عَنَاكَ وَكُنْ مِنْ ذَاكَ فِي دَعَة

وَبَيْتُ مَثْنَوِي حَضْرَة شَيْخنَا مُنَاسِبٌ لهَذَا المَقَامِ حَيْثُ قَال (شِعْرٌ):

وَذَا إيوَانُ الاسْتِغْنَاء عَال فَإيَّاكُمْ وَطَمَعًا في الوِصَال

فَنُؤمِنُ بأَنَّهُ تَعَالى مُحِيطٌ بالأَشْيَاءِ وَقَرِيبٌ مِنْهَا وَأنَّهُ مَعَهَا وَلكِنْ لاَ نَعْرِفُ مَعْنَى إحَاطَته وَقُرْبه وَمَعِيَّته إنَّهُ مَا هُوَ.

وَالقَوْل بالإحَاطَة وَالمَعِيَّة العلميَّيْن منْ تَأْويلاَت المُتَشَابه وَنَحْنُ لسْنَا بقَائلينَ بتَأْويله وَأَنَّهُ تَعَالى لاَ يَتَّحدُ بشَيْءٍ أَصْلاً وَلاَ يَتَّحدُ به شَيْءٌ أَصْلاً وَمَا يُفهَمُ منْ عبَارَات بَعْضِ الصُّوفيَّة منْ مَعْنَى الاتِّحَاد فَهُوَ خلاَفُ مُرَادهمْ؛ لأَنَّ مُرَادَهُمْ بهَذَا الكَلاَمِ المُوهِمِ للاتِّحَاد أَعْني قَوْلهمْ إذَا تَمَّ الفَقْرُ فَهُوَ اللهُ هُوَ أَنَّ الفَقْرَ إذَا تَمَّ وَحَصَلَ الاضْمحْلاَل الصِّرْفُ وَالطَّمْسُ المَحْضُ لاَ يَبْقَى إلاَّ اللهُ - سُبْحَانَهُ - وَتَعَالى لاَ أَنَّ ذَلكَ الفَقيرَ يَتَّحدُ بالله وَيَصيرُ إلهًا فَإنَّهُ كُفْرٌ وَزَنْدَقَةٌ تَعَالى اللهُ - سُبْحَانَهُ - عَمَّا يَتَوَهَّمُ الظَّالمُونَ عُلوًّا كَبيرًا.

قَال حَضْرَةُ شَيْخنَا - قُدِّسَ سرُّهُ -: ليْسَ مَعْنَى عبَارَة أَنَا الحَقُّ بأَنِّي حَقٌّ بَل مَعْنَاهُ أَنَا مَعْدُومٌ وَالمَوْجُودُ هُوَ الحَقُّ - سُبْحَانَهُ - وَلاَ سَبيلَ للتَّغَيُّر وَالتَّبَدُّل إلى ذَاته وَصفَاته وَأَفْعَاله تَعَالى فَسُبْحَانَ مَنْ لاَ يَتَغَيَّرُ بذَاته وَلاَ بصفَاته وَلاَ بأَفْعَاله بحُدُوث الأَكْوَان وَمَا أَثْبَتَهُ الصُّوفيَّةُ الوُجُوديَّةُ منَ التَّنَزُّلاَت الخَمْسَة فَليْسَ هيَ منْ قَبيل التَّبَدُّل وَالتَّغَيُّر في مَرْتَبَة الوُجُوب فَإنَّ القَوْلَ به وَإثْبَاتَهُ كُفْرٌ وَضَلاَلةٌ بَل اعْتَبَرُوا هَذه التَّنْزيلاَت في مَرَاتب ظُهورات كَمَاله تَعَالى منْ غَيْرِ أَنْ يَتَطَرَّقَ إلى ذَاته وَصفَاته وَأَفْعَاله تَعَالى تَغَيُّرٌ وَتَبَدُّلٌ.

وَأَنَّهُ تَعَالى غَنيٌّ مُطْلَقٌ لاَ يَحْتَاجُ إلى شَيْءٍ أَصْلاً لاَ في ذَاته وَلاَ في صفَاته وَلاَ في أَفْعَاله في أَمْرٍ منَ الأُمُور فَكَمَا أَنَّهُ تَعَالى غَيْرُ مُحْتَاجٍ في الوُجُود كَذَلكَ هُوَ غَيْرُ مُحْتَاجٍ في الظُّهُور وَمَا يُفْهَمُ منْ عبَارَات بَعْضِ الصُّوفيَّة منْ أَنَّهُ تَعَالى مُحْتَاجٌ إليْنَا في ظُهُور كَمَالاَته الأَسْمَائيَّة وَالصِّفَاتيَّة هَذَا الكَلاَمُ ثَقيلٌ عَلى الفَقير جدًّا وَاعْتقَادي أَنَّ المَقْصُودَ منْ خَلق الخَلاَئق وَإيجَاد المَوْجُودَات حُصُول الكَمَالاَت لهُمْ لاَ حُصُول كَمَال عَائد إلى جَنَاب قُدْسه تَعَالى وَتَقَدَّسَ.

وَقَوْلهُ تَعَالى (وَمَا خَلَقْتُ الجنَّ وَالإنْسَ إلاَّ ليَعْبُدُون) أَيْ ليَعْرفُون، مُؤَيِّدٌ لهَذَا المَعْنَى فَالمَقْصُودُ منْ خَلق الجنِّ وَالإنْس حُصُول المَعْرفَة لهُمُ التي هيَ كَمَالهُمْ لاَ أَمْرٌ يَكُونُ عَائدًا إلى جَنَاب قُدْس الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَمَا وَرَدَ في الحَديث القُدْسيِّ منْ قَوْله ﷺ: "**فَخَلقْتُ الخَلْقَ لأُعْرَفَ**" فَالمُرَادُ هُنَا أَيْضًا مَعْرفَتُهمْ لاَ أَنَّهُ يَكُونُ الحَقُّ - سُبْحَانَهُ - مَعْرُوفًا وَيَحْصُل لهُ الكَمَال بمَعْرفَتهمْ إيَّاهُ تَعَالى اللهُ عَنْ ذَلكَ عُلوًّا كَبيرًا.

وإِنَّهُ تَعَالى مُنَزَّهٌ وَمُبَرَّأٌ عَنْ جَمِيعِ صِفَاتِ النَّقْصِ وَسِمَاتِ الحُدُوث وَلَيسَ بجِسْمٍ وَلاَ جِسْمَانيٍّ وَلاَ مَكَانيٍّ لاَ زَمَانيٍّ وَلَهُ تَعَالى جَمِيعُ صِفَاتِ الكَمَال ثَمَانيَةٌ مِنْهَا وُجُودُهَا زَائدٌ عَلى وُجُود الذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ وَهيَ الحَيَاتُ وَالعلمُ وَالقُدْرَةُ وَالإِرَادَةُ وَالبَصَرُ وَالسَّمْعُ وَالكَلاَمُ وَالتَّكْوِينُ وَهَذه الصِّفَاتُ الثَّمَان مَوْجُودَةٌ في الخَارِجِ لاَ إِنَّهَا مَوْجُودَةٌ في العلمِ بوُجُود زَائدٍ عَلى وُجُودِ الذَّات وَفي الخَارِجِ عَيْنُهَا كَمَا ظَنَّهُ بَعْضُ الصُّوفيَّة وَقَال: شعْرٌ.

وَصِفَاتُ حَقٌّ في التَّعَقُّل غَيْرُ ذَا ـــت الحَقِّ لكنَّ في التَّحَقُّق عَيْنَهَا

فَإِنَّ هَذَا في الحَقِيقَة نَفْيُ الصِّفَات فَإِنَّ نُفَاةَ الصِّفَات مثْل الْمُعْتَزلة وَالفَلاَسفَة أَيْضًا قَائلونَ بالتَّغَايُر العلميِّ وَالاتِّحَاد الخَارجيِّ وَلَمْ يُنْكرُوا التَّغَايُرَ العلميَّ وَلَمْ يَقُولَوا إِنَّ مَفْهُومَ العلمِ عَيْنُ مَفْهُومِ الذَّات أَوْ عَيْنُ مَفْهُوم القُدْرَة وَالإِرَادَة بَل قَالوا بالعَيْنيَّة باعْتبَار الوُجُود الخَارجيِّ فَمَا لَمْ يَعْتَبرُوا تَغَايُرَ الوُجُود الخَارجيِّ لاَ يَخرُجُونَ منْ زُمْرَة نُفَاة الصِّفَات وَالقَوْل بالتَّغَايُرِ الاعْتبَاريِّ أَعْني بحَسَب المَفْهُومِ وَالتَّعَقُّل لاَ يُجْديهم نَفْعًا كَمَا عَرَفْتَ.

وَإِنَّهُ تَعَالى قَديمٌ أَزَليٌّ لَيسَ لغَيْره تَعَالى قدَمٌ وَلاَ أَزَليَّةٌ أَجْمَعَ جَميعُ المِلِّيينَ عَلى هَذَا الحُكْم فَمَا قَال بقدَم غَيْر الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَأَزَليَّته فَقَدْ كَفرَ وَمنْ هذه الحَيْثيَّة كَفَّرَ الإِمَامُ الغَزَاليُّ رَحمَهُ اللهُ ابْنَ سينَا والفَارَابيَّ وَغَيْرَهُمَا فَإِنَّهُمْ قَائلونَ بقدَمِ العُقُول وَالنُّفُوس وَقدَم الهَيُولى وَالصُّورَة وَقَال أَيْضًا بقدَم السَّمَوَات بمَا فيهَا وَقَال حَضْرَةُ شَيْخنَا - قُدِّسَ سرُّهُ -: إنَّ الشَّيْخَ مُحْيي الدِّين ابْنَ عَرَبيٍّ قَائل بقدَم أَرْوَاح الكُمَّال فَيَنْبَغي صَرْفُ هَذَا الكَلاَم عَنْ ظَاهره وَأَنْ يَجْعَلَهُ مَحْمُولاً عَلى التَّأْويل لئلاَ يَكُونَ مُخَالفًا لإجْمَاع أَهْل الملل.

وَإِنَّهُ تَعَالى قَادرٌ مُخْتَارٌ مُنَزَّهٌ عَنْ شَائبَة الإِيجَاب وَمُبَرَّأٌ عَنْ مَظنَّة الاضْطرَار، وَالفَلاَسفَةُ الحَمْقَاءُ نَفَوْا الاخْتيَارَ منَ الوَاجب تَعَالى وَأَثْبَتُوا الإِيجَابَ لَهُ - سُبْحَانَهُ - زَعْمًا منْهُمْ أَنَّ الكَمَال في الإِيجَاب وَهَؤُلاَء السُّفَهَاءُ قَدْ جَعَلوا الوَاجبَ تَعَالى مُعَطَّلاً ومُهْمَلاً وَلَمْ يَقُولوا بصُدُور غَيْر مَصْنُوع وَاحد عَنْ خَالق السَّمَوَات وَالأَرْض وَهُوَ أَيْضًا صَادرٌ عنْدَهُمْ بالإِيجَاب وَنَسَبُوا وُجُودَ المُحْدَثَات إِلى العَقْل الفَعَّال الذي لَمْ يُثْبتْ وُجُودَهُ في غَيْر تَوَهُّمهمْ وَلاَ شُغْل لَهُمْ وَلاَ تَعَلقَ بالحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَتَعَالى في زَعْمهمُ الفَاسد أَصْلاً فَيلزَمُهُمْ بالضَّرُورة أَنْ يَلتَجئُوا وَقْتَ الاضْطرَار إِلى العَقْل الفَعَّال وَأَنْ لاَ يَرْجعُوا إِلى الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَتَعَالى أَصْلاً فَإِنَّهُ لاَ مَدْخَل لَهُ تَعَالى في وُجُودِ الحَوَادث عَلى زَعْمهمْ بَل القَائمُ بإِيجَاد الحَوَادث هُوَ العَقْل الفَعَّال بَل

يَنْبَغي أَنْ لاَ يَرْجعُوا إلى العَقْل الفعَّال وَأَيْضًا؛ لأَنَّهُ لاَ اخْتيَارَ لَهُ أَيْضًا فِي دَفْع بَليَّاتهمْ بزَعْمهمْ وَهَؤُلاَء الأَشْقيَاء أَسْبَقُ قَدَمًا في الخَبْط والبَلاَهَة منْ جَميع الفرَق الضَّالة فَإنَّ الكُفَّارَ يَلتَجئونَ إلى الله تَعَالى وَيَطْلُبُونَ منْهُ دَفْعَ البَليَّة بخلاَف هَؤُلاَء السُّفَهَاء وَفيهمْ شَيْئَان زَائدَان عَلى مَا فرَق الضَّالة أَرْبَاب البَلاَهَة أَحَدُهَمَا كُفرُهُمْ بالأَحْكَام المُنَزَّلَة وَإنْكَارُهُمْ عَلَيْهَا وَمُعَانَدَتُهُمْ وَمُعَادَاتُهمْ للأَخْبَار المُرْسَلة وَثَانيهمَا تَرْتيبُ المُقَدِّمَات الفَاسدَة وَتَلبيسُ الدَّلاَئل وَالشَّوَاهد البَاطلة في إثْبَات مَقَاصدهمْ وَمَطَالبهمُ الوَاهيَة وَالخَبْط الذي صَدَرَ عَنْهُمْ في إثْبَاتَ مَقَاصدهمْ لَمْ يَصْدُرْ منْ سَفيه أَصْلاً حَيْثُ جَعَلوا مَدَارَ الأَمْر عَلى حَرَكَات السَّمَوَات وَالكَوَاكب وَأَوْضَاعهَا مَعَ أَنَّهَا مُتَحَيِّرَاتٌ وَمُضْطَربَاتٌ في جَميع الأَوْقَات وَغَمَّضُوا عُيُونَهُمْ عَنْ خَالق السَّمَوَات وَمُوجد الكَوَاكب وَمُحَرِّكهَا وَمُدير أُمُورهمْ وَاسْتَبْعَدُوا إسْنَادَ الحَوَادث إلَيْه تَعَالى بالذَّات وَأَبَوْا عَنْهُ مَا أَبْعَدَهُمْ عَن العَقْل مَا أَخذَلَهُمْ وَمَا أَحْرَمَهُمْ منَ السَّعَادَة أَشَدَّ مُتَّهَم سَفَهًا وَأَكْثَر حَمَاقَةً مَنْ يَزْعُمُهُمْ أَذْكيَاءَ وَأَرْبَابَ فَطَانَة وَمنْ عُلومهمُ المُنْتَظمَة علمُ الهَنْدَسَة وَهُوَ لاَ يُغْني شَيْئًا وَلاَ طَائل فيه أَصْلاً في أَيِّ شَيْء يَلزَمُ وَمَاذَا يُفيدُ مُسَاوَاةُ الزَّوَايَا الثَّلاَث القَائمَة منَ الشَّكْل المُثَلث وَأَيُّ غَرَض مَرْبُوط بالشَّكْل العَرُوسيِّ وَالشَّكْل المَأْمُونيِّ اللذَيْن هَمًّا بمَثَابَة أَرْوَاحهمْ، وَعلم الطِّبِّ وَعلم النُّجُوم وَعلم تَهْذيب الأَخْلاَق التي هيَ أَشْرَفُ عُلومهمْ كُل منْهَا مَسْرُوقٌ منْ كُتُب الأَنْبيَاء المُتَقَدِّمينَ عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ رَوَّجُوا بهَا أَبَاطيلهُمْ كَمَا صَرَّحَ به الإمَامُ الغَزَاليُّ في المُنْقذ عَن الضَّلال وَلاَ ضَرَرَ أَنَّ غَلطَ أَهْل المللَة وَاتِّبَاع الأَنْبيَاء عَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ في الدَّلاَئل وَالبَرَاهين؛ لأَنَّ مَدَار أَمْرهمْ عَلى مُتَابَعَة الأَنْبيَاء عَلَيْهمُ السَّلاَمُ وَإنَّمَا يُوردُونَ البَرَاهينَ وَالدَّلاَئل في إثْبَات مَطَالبهمُ العَاليَة عَلى سَبيل التَّبَرُّع وَإلاَّ يَكْفيهمْ تَقْليدُهُمْ إيَّاهُم وَهَؤُلاَء الأَشْقيَاءُ أَخرَجُوا رقَابَهُمْ عَنْ ربْقَة التَّقْليد وَصَارُوا في صَدَد الإثْبَات بالدَّلاَئل فَضَلُّوا وَأَضَلوا.

وَلَمَّا وَصَلتْ دَعْوَةُ عيسَى - عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - إلى أَفْلاَطُونَ وَكَانَ هُوَ أَكْبَرُ هَؤُلاَء الخَذَلَة قَال نَحْنُ قَوْمٌ مَهْديُّونَ لاَ حَاجَةَ بنَا إلى مَنْ يَهْدينَا مَا أَسْفَهَهُ وَمَا أَشْقَاهُ حَيْثُ أَدْرَكَ شَخْصًا يُحْيي الأَمْوَاتَ وَيُبرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ كُل ذَلكَ خَارجٌ عَنْ طَوْر حُكُومَتهمْ وَمَعَ ذَلكَ أَجَابَهُ بهَذَا الجَوَاب منْ غَيْر رُؤْيَته وَتَفَطّن أَحْوَاله وَمُلاَحَظَة سيرَته وَذَلكَ منْ كَمَال العنَاد وَالسَّفَاهَة، شعْرٌ:

الفَلسَفَةُ سَفَهٌ أَكْثَرُهَا وَكَذَا ... مَجوَّعُهَا إذْ لكُل حُكْمٍ أَكْثَرُهُ

نَجَّانَا اللهُ - سُبْحَانَهُ - عَنْ ظُلمَات مُعْتَقَدَاتهمُ السُّوء وَقَدْ أَتَمَّ وَلَدي مُحَمَّدُ مَعْصُومٍ مَبْحَثَ الجَوَاهر منْ شَرْح المَوَاقف في هَذه الأَيَّام وَاتَّضَحَ قَبَائحَ

هَؤُلَاءِ السُّفَهَاءِ فِي أَثْنَاءِ دَرْسِهِ وَتَرَتَّبَ عَلَى ذَلِكَ فَوَائِدُ، الحَمْدُ للهِ الذي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالحَقِّ. وَعِبَارَاتُ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ بْنِ عَرَبِيٍّ - قُدِّسَ سِرُّهُ - أَيْضًا نَاظِرَةٌ إِلَى الإِيجَابِ وَلَهُ مُوَافَقَةٌ لِلفَلَاسِفَةِ فِي مَعْنَى القُدْرَةِ حَيْثُ لَا يَجُوزُ صِحَّةُ التَّرْكِ لِلقَادِرِ المُخْتَارِ بَلْ يُعْتَقَدُ لُزُومُ جَانِبِ الفِعْلِ وَالعَجَبُ أَنَّ الشَّيْخَ يَرَى فِي النَّظَرِ يَعْنِي نَظَرَ الكَشْفِ مِنَ المَقْبُولِينَ، وَأَكْثَرُ عُلُومِهِ التي تُخَالِفُ آرَاءَ أَهْلِ الحَقِّ تُظْهِرُ خَطأً غَيْرَ صَوَابٍ وَلَعَلَّهُ كَانَ مَعْذُورًا فِي الخَطَأِ الكَشْفِيِّ وَارْتَفَعَتْ عَنْهُ المَلَامَةُ عَلَيْهِ مِثْلَ الخَطَأِ الاجْتِهَادِيِّ وَهَذَا اعْتِقَادٌ خَاصٌّ بِالفَقِيرِ فِي حَقِّ الشَّيْخِ اعْتَقَدَهُ مِنَ المَقْبُولِينَ أَرَى عُلُومَهُ المُخَالِفَةَ خَطَأً وَمَضَرَّةً.

وَقَوْمٌ مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ يَطْعَنُونَ فِي الشَّيْخِ يُخَطِّئُونَهُ فِي جَمِيعِ عُلُومِهِ، وَجَمَاعَةٌ أُخْرَى مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ يَخْتَارُونَ تَقْلِيدَ الشَّيْخِ وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ مُصِيبٌ فِي جَمِيعِ عُلُومِهِ وَيُثْبِتُونَ حَقِّيَّتَهَا بِالدَّلَائِلِ وَالشَّوَاهِدِ وَلَا شَكَّ أَنَّ كِلَا هَذَيْنِ الفَرِيقَيْنِ اخْتَارُوا جَانِبَ التَّفْرِيطِ وَالإِفْرَاطِ فِي حَقِّهِ وَفَارَقُوا تَوَسُّطَ الأَحْوَالِ وَبَعُدُوا عَنْهُ كَيْفَ يُرَدُّ الشَّيْخُ الذي هُوَ مِنَ الأَوْلِيَاءِ المَقْبُولِينَ بِسَبَبِ الخَطَأِ الكَشْفِيِّ وَكَيْفَ تُقْبَلُ عُلُومُهُ البَعِيدَةُ عَنِ الصَّوَابِ المُخَالِفَةُ لِآرَاءِ أَهْلِ الحَقِّ بِمَحْضِ التَّقْلِيدِ فَالحَقُّ هُوَ التَّوَسُّطُ الذي وَفَّقَنِي اللهُ - سُبْحَانَهُ - لَهُ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ نَعَمْ إِنَّ الجَمَّ الغَفِيرَ مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ مُشَارِكُونَ لِلشَّيْخِ فِي مَسْأَلَةِ وَاحِدَةِ الوُجُودِ وَإِنْ كَانَ لِلشَّيْخِ فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ طِرَازٌ خَاصٌّ أَيْضًا وَلَكِنَّهُمْ يُشَارِكُونَهُ فِي أَصْلِ الكَلَامِ وَهَذِهِ المَسْأَلَةُ وَإِنْ كَانَتْ أَيْضًا مُخَالِفَةً لِمُعْتَقَدَاتِ أَهْلِ الحَقِّ وَلَكِنَّهَا قَابِلَةٌ لِلتَّوْجِيهِ وَصَالِحَةٌ لِلجَمْعِ بِهَا وَقَدْ طَبَّقَ هَذَا الفَقِيرُ بِعِنَايَةِ اللهِ تَعَالَى فِي شَرْحِ رُبَاعِيَّاتِ حَضْرَةِ شَيْخِنَا هَذِهِ المَسْأَلَةَ عَلَى مُعْتَقَدَاتِ أَهْلِ الحَقِّ وَجَمَعَ بَيْنَهُمَا وَأَعَادَ نِزَاعَ الفَرِيقَيْنِ إِلَى اللَّفْظِ وَحَلَّ شُكُوكَ الطَّرَفَيْنِ وَشُبُهَاتِهِمَا عَلَى نَهْجٍ لَمْ يُبْقِ فِيهَا مَحَلَّ رَيْبٍ وَاشْتِبَاهٍ أَصْلًا كَمَا لَا يَخْفَى عَلَى النَّاظِرِ فِيهِ.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ المُمْكِنَاتِ بِأَسْرِهَا جَوَاهِرِهَا وَأَعْرَاضِهَا وَأَجْسَامِهَا وَعُقُولِهَا وَنُفُوسِهَا وَأَفْلَاكِهَا وَعَنَاصِرِهَا مُسْتَنِدَةٌ إِلَى إِيجَادِ القَادِرِ المُخْتَارِ الذي أَخْرَجَهَا مِنْ كَتْمِ العَدَمِ إِلَى عَرْصَةِ الوُجُودِ وَكَمَا أَنَّهَا مُحْتَاجَةٌ إِلَيْهِ تَعَالَى فِي الوُجُودِ كَذَلِكَ هِيَ مُحْتَاجَةٌ إِلَيْهِ - سُبْحَانَهُ - فِي البَقَاءِ أَيْضًا.

وَإِنَّمَا جَعَلَ اللهُ - سُبْحَانَهُ - وُجُودَ الأَسْبَابِ وَالوَسَائِطِ نِقَابًا لِوَجْهِ فِعْلِهِ وَجَعَلَ الحِكْمَةَ قِبَابًا لِقُدْرَتِهِ لَا بَلْ جَعَلَ الأَسْبَابَ دَلَائِلَ لِثُبُوتِ فِعْلِهِ وَالحِكْمَةَ وَسِيلَةً

إلى وُجُود قُدْرَته فَإنَّ أَرْبَابَ الفَطَانَة الذينَ بَصَائرُهـمْ مُكْتَحلَةٌ بِكُحْل مُتَابَعَة الأَنْبيَاء عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم يَعْلَمُونَ أَنَّ الأَسْبَابَ وَالوَسَائل التي هيَ مُحْتَاجَةٌ في الوُجُود إلَيْه تَعَالى وَلَهَا ثُبُوتٌ وَقيَامٌ منْهُ وَمَعَهُ تَعَالى وَتَقَدَّسَ في الحَقيقَة جَمَادَاتٌ مَحْضَةٌ كَيْفَ تُؤَثِّرُ في شَيْءٍ آخَرَ مثْلهَا وَتُحَدِّثُهُ وَتَخْتَرعُهُ بَل وَرَاءَ تلْكَ الأَسْبَاب قَادرٌ يُوجدُ ذَلكَ الشَّيْءَ وَيُعْطيه الكَمَالاَت اللاَّئقَة به أَلاَ تَرَى أَنَّ العُقَلاَءَ إذَا رَأَوْا فعْلاً منْ جَمَاد مَحْض مَثَلاً يَنْتَقل منْهُ ذهْنُهُمْ إلى فَاعله وَمُحَرِّكه لأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ يَقينًا أَنَّ هَذَا الفعْلَ لَيْسَ في حَوْصَلَة حَاله بَل وَرَاءَهُ فَاعلٌ مُوجدٌ لهَذَا الفعْل فَلَمْ يَكُنْ فعْل الجَمَاد عنْدَ العُقَلاَء نقَابًا لوَجْه فعْل الفَاعل الحَقيقيِّ بَل كَانَ ذَلكَ الفعْل نَظَرًا إلى جَمَاديَّة مَصْدَره دَليلاً عَلى وُجُود الفَاعل الحَقيقيِّ فَكَذَا هَذَا.

نَعَمْ إنَّ فعْل الجَمَاد نقَابٌ لوَجْه فعْل الفَاعل الحَقيقيِّ في نَظَر الأَبْله حَيْثُ يَزْعُمُ الجَمَادَ المَحْضَ منْ كَمَال غَبَاوَته بوَاسطَة صُدُور ذَلكَ الفعْل عَنْهُ صَاحب قُدْرَة وَيَكْفُرُ بالفَاعل الحَقيقيِّ: يُضل به كَثيرًا وَيَهْدي به كَثيرًا) وَهَذه المَعْرفَةُ مُقْتَبَسَةٌ منْ مشْكَاة النُّبُوَّة لاَ يُدْركُهَا فَهْمُ كُل أَحَد وَلهَذَا تَرَى طَائفَةً يَعْتَقدُونَ الكَمَال في رَفْع الأَسْبَاب وَدَفْعها وَيَنْسبُونَ الأَشْيَاءَ إلى الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - ابْتدَاءً منْ غَيْر تَوَسُّط الأَسْبَاب وَلاَ يَدْرُونَ أَنَّ رَفْعَ الأَسْبَاب رَفْعُ الحكْمَةَ التي في ضمْنهَا مَصَالحُ لاَ تُحْصَى رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطلاً كَيْفَ وَالأَنْبيَاءُ - عَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - كَانُوا يُرَاعُونَ الأَسْبَابَ وَمَعَ تلْكَ المُرَاعَاة كَانُوا يُفَوِّضُونَ أُمُورَهُمْ إلى الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَتَعَالى كَمَا قَال يَعْقُوبُ عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَصيَّةً لبَنيه مُلاَحظًا لإصَابَة العَيْن {يَا بَنيَّ لاَ تَدْخُلوا منْ بَاب وَاحد وَادْخُلوا منْ أَبْوَاب مُتَفَرِّقَة} الآيَةَ.

وَمَعَ وُجُود هَذه المُرَاعَاة قَال تَفْويضًا أَمْرَهُ إلى الله تَعَالى (وَمَا أُغْني عَنْكُمْ منَ الله منْ شَيْءٍ إن الحُكْمُ إلاَّ لله عَلَيْه تَوَكَّلتُ وَعَلَيْه فَليَتَوَكَّل المُتَوَكِّلونَ) وَاسْتَصْوَبَ - سُبْحَانَهُ - هَذه المَعْرفَةَ منْهُ وَاسْتَحْسَنَهَا وَنَسَبَهَا إلى نَفْسه حَيْثُ قَال بَعْدَ ذَلكَ {وَإنَّهُ لذُو علم لما عَلَمناه } الآيَةَ.

وَأَشَارَ الحَقُّ - سُبْحَانَهُ - في القُرْآن المَجيد فيمَا خَاطَبَ به نَبيَّنَا ﷺ إلى تَوَسُّط الأَسْبَاب وَقَال {يَا أَيُّهَا النَّبيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَن اتَّبَعَكَ منَ المُؤْمنينَ }.

بَقيَ الكَلاَمُ في تَأْثير الأَسْبَاب وَيَجُوزُ أَنْ يَخْلقَ اللهُ - سُبْحَانَهُ - في بَعْض الأَوْقَات تَأْثيرًا في الأَسْبَاب فَتَكُونُ مُؤَثِّرَةً وَيَجُوزُ أَنْ لاَ يَخلقَ التَّأْثير فيهَا في بَعْض الأَوْقَات فَلاَ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا أَثَرٌ أَصْلاً بالضَّرُورَة كَمَا أَنَّا نُشَاهدُ هَذَا المَعْنَى فَإنَّ بَعْضَ الأَسْبَاب يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا وُجُودُ المُسَبَّبَات أَحْيَانًا وَفي بَعْض الأَوْقَات لاَ يَظْهَرُ منْهَا أَثَرٌ

مَا أَصْلاً فَالإِنْكَارُ عَلَى تَأْثِيرِ الأَسْبَاب مُطْلَقًا مُكَابَرَةٌ يَنْبَغِي أَنْ يَقُول بِالتَّأْثِير وَيَنْبَغِي أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ وُجُودَ ذَلِكَ التَّأْثِيرِ كَوُجُود نَفْسِ السَّبَب بِإِيجَاد اللهِ - سُبْحَانَهُ - هَذَا هُوَ رَأْيُ الفَقِيرِ فِي هَذه المَسْأَلَة وَاللهُ - سُبْحَانَهُ - أَعْلَمُ.

فَلاَحَ مِنْ هَذَا البَيَانِ أَنَّ التَّمَسُّكَ بِالأَسْبَاب لَيْسَ بِمُنَافٍ لِلتَّوَكُّل كَمَا ظَنَّ النَّاقِصُونَ بَل فِي التَّمَسُّك بِالأَسْبَاب كَمَالَ التَّوَكُّل فَإِنَّ يَعْقُوبَ - عَلَيْه السَّلاَمُ - أَطْلَقَ التَّوَكُّلَ عَلَى مُرَاعَاة الأَسْبَاب مَعَ تَفْوِيض الأَمْرِ إِلَى الحَقِّ - جَلَ وَعَلاَ - حَيْثُ قَال: ﴿ عَلَيْه تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْه فَلْيَتَوَكَّل المُتَوَكِّلُونَ ﴾.

وَأَنَّهُ تَعَالَى مُرِيدُ الخَيْرِ وَالشَّرِّ وَخَالِقُ كُل مِنْهُمَا وَلَكِنَّهُ رَاضٍ بِالخَيْر وَغَيْرُ رَاضٍ بِالشَّرِّ وَبَيْنَ الرِّضَا وَالإِرَادَة فَرْقٌ دَقِيقٌ هَدَى اللهُ - سُبْحَانَهُ - أَهْلَ السُّنَّة إِلَى هَذَا الفَرْق وَبَقِيَ سَائِرُ الفِرَق فِي الضَّلاَلَة لِعَدَم اهْتِدَائِهِمْ إِلَى هَذَا الفَرْق وَمِنْ هَهُنَا قَالَتْ المُعْتَزِلَةُ: إِنَّ العَبْدَ خَالِقٌ لأَفْعَاله وَنَسَبُوا إِيجَادَ الكُفْر وَالمَعَاصِي إِلَيْه وَيُفْهَمُ مِنْ كَلاَم الشَّيْخ مُحْيِي الدِّين وَاتْبَاعه أَنَّ الإِيمَانَ مَرْضِيٌّ الاسْم الهَادِي وَكَذَا الأَعْمَال الصَّالِحَةُ وَالكُفْرُ مَرْضِيٌّ الاسْمِ المُضِل وَكَذَا المَعَاصِي وَهَذَا الكَلاَمُ أَيْضًا مُخَالِفٌ لِمَا عَلَيْه أَهْل الحَقِّ وَفِيه مَيْل إِلَى الإِيجَاب لِكَوْنِه مَنْشأً لِلرِّضَا كَمَا يُقَال: الإِشْرَاقُ مَرْضِيٌّ الشَّمْسِ يَعْنِي لاَزِمُهَا.

وَقَدْ أَعْطَى الحَقُّ - سُبْحَانَهُ - عِبَادَهَ قُدْرَةً وَإِرَادَةً يَكْتَسِبُونَ بِهِمَا الأَفْعَال بِاخْتِيَارِهِمْ فَخَلَقُ الأَفْعَال مَنْسُوبٌ إِلَى اللهِ - سُبْحَانَهُ - وَكَسْبُهَا إِلَى العِبَاد وَعَادَةُ اللهِ - سُبْحَانَهُ - جَارِيَةٌ عَلَى أَنَّ العَبْدَ إِذَا قَصَدَ فِعْل شَيْءٍ مِنْ أَفْعَاله وَتَشَبَّثَ بِأَسْبَابه يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ الفِعْل خَلْقُهُ - سُبْحَانَهُ - وَتَعَالَى فَإِذَا كَانَ صُدُورُ الفِعْل مِنَ العَبْد بِقَصْده وَاخْتِيَارِه يَكُونُ مُتَعَلَقُ المَدْح وَالذَّمِّ وَالثَّوَاب وَالعِقَاب بِالضَّرُورَة وَمَا قِيل إِنَّ اخْتِيَارَ العَبْد ضَعِيفٌ فَإِنْ كَانَ المُرَادُ بِه أَنَّهُ ضَعِيفٌ بِالنِّسْبَة إِلَى إِرَادَة اللهِ تَعَالَى فَمُسَلمٌ وَإِنْ كَانَ أَنَّهُ غَيْرُ كَافٍ فِي أَدَاء الفِعْلَ المَأْمُور بِه فَغَيْرُ صَحِيح فَإِنَّ اللهَ - سُبْحَانَهُ - لاَ يُكَلفُ العَبْدَ بِمَا لَيْسَ فِي وُسْعه بَل يُرِيدُ اليُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ العُسْرَ غَايَةُ مَا فِي البَاب أَنَّ حِكْمَةَ الجَزَاء المُخَلد عَلَى الفِعْلَ المُوَقَّت مُفَوَّضَةٌ إِلَى تَقْدِير الحَقِّ وَعِلمه تَعَالَى وَقَدْ قَال فِي حَقِّ الجَزَاء المُخَلد عَلَى الكُفْر المُوَقَّت (جَزَاءً وِفَاقًا) وَجَعَل التَّلَذُّذَات الدَّائِمَةَ مُسَبَّبَةٌ مِنَ الإِيمَان المُوَقَّت وَمُتَرَتِّبَةٌ عَلَيْه ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيم وَلَكِنْ نَعْرِفُ بِتَوْفِيق اللهِ - سُبْحَانَهُ - أَنَّ اخْتِيَارَ الكُفْر بِالنِّسْبَة إِلَى الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَتَعَالى الذي هُوَ مَوْلَى النِّعَم الظَّاهِرَة وَالبَاطِنَة وَمُوجِدُ السَّمَوَات وَالأَرْضِ وَمَا مِنْ عَظَمَة وَكَمَال إِلاَّ هُوَ ثَابِتٌ لَهُ تَعَالَى يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ جَزَاءُ ذَلِكَ الكُفْرِ مِنْ أَشَدِّ العُقُوبَاتِ

وَهُوَ الخُلودُ في عَذَابِ النَّارِ وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ بالغَيْبِ بمِثْلِ هَذَا المُنْعِمِ العَظِيمِ الشَّأْن وَتَصْديقه مَعَ وُجُود مُزَاحَمَةِ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ وَمُمَانَعَةِ سَائِرِ الأَكْوَانِ يَسْتَدْعِي أَنْ يَكُونَ جَزَاؤُهُ مِنْ أَفْضَلِ الجزَاءِ وَهُوَ الخُلودُ في التَّنَعُّمَاتِ وَالتَّلَذُّذَاتِ في الجنَان.

قَالَ بَعْضُ المَشَايِخِ: إِنَّ دُخُولَ الجَنَّةِ مَرْبُوطٌ في الحَقِيقَةِ بفَضْلِ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَإِنَّمَا جُعِلَ مَنُوطًا بالإِيمَانِ بنَاءً عَلَى أَنَّ كُلمَا يَكُونُ جَزَاءَ الأَعْمَالِ يَكُونُ أَلَذَّ وَعِنْدَ الفَقِيرِ أَنَّ دَخُولَ الجَنَّةِ في الحَقِيقَةِ مَرْبُوطٌ بالإِيمَانِ وَلَكِنَّ الإِيمَانَ فَضْلٌ مِنَ المَنَّانِ وَعَطِيَّةٌ مِنْ ذِي الجُودِ وَالإِحْسَانِ وَدُخُولُ النَّارِ مَرْبُوطٌ بالكُفْرِ وَالكُفْرُ نَاشِئٌ مِنْ هَوَى النَّفْسِ وَالطُّغْيَانِ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ جَعْلَ دُخُولِ الجَنَّةِ مَرْبُوطًا بالإِيمَانِ في الحَقِيقَةِ تَعْظِيمُ الإِيمَانِ بَلْ تَعْظِيمُ المُؤْمِنِ به حَيْثُ تَرَتَّبَ عَلَيْهِ مِثْلُ هَذَا الأَجْرِ العَظِيمِ القَدْرِ وَكَذَلِكَ جَعْلُ دُخُولِ النَّارِ مَرْبُوطًا بالكُفْرِ تَحْقِيرٌ للكُفْرِ وَتَنْقِيصٌ لمَنْ وَقَعَ هَذَا الكُفْرُ بالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ فَتَرَتَّبَ مِثْلُ هَذِهِ العُقُوبَةِ الدَّائِمَةِ عَلَيْهِ بخِلاَفِ مَا قَالَ به بَعْضُ المَشَايِخِ فَإِنَّهُ خَالٍ عَنْ هَذِهِ الدَّقِيقَةِ وَأَيْضًا إِنَّ هَذَا الوَجْهَ لاَ يَتَمَشَّى في دُخُولِ النَّارِ الذي هُوَ عَدِيلُهُ فَإِنَّ دُخُولَ النَّارِ في الحَقِيقَةِ مَرْبُوطٌ بالكُفْرِ وَاللهُ - سُبْحَانَهُ - المُلْهِمُ للصَّوَابِ.

هَذَا وَيَرَى المُؤْمِنُونَ الحَقَّ - سُبْحَانَهُ - في الآخِرَةِ في الجَنَّةِ مِنْ غَيْرِ جِهَةٍ وَلاَ كَيْفٍ وَلاَ شِبْهٍ وَلاَ مِثَالٍ وَأَنْكَرَ عَلَى ذَلِكَ جَمِيعُ الفِرَقِ مِلِّيُّهِمْ وَغَيْرُ مِلِّيِّهِمْ خَلاَ أَهْلِ السُّنَّةِ فَإِنَّهُمْ لاَ يُجَوِّزُونَ الرُّؤْيَةَ بلاَ جِهَةٍ وَلاَ كَيْفٍ حَتَّى إِنَّ نَسْخَ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ بْنُ عَرَبِيٍّ تَنزلِ الرُّؤْيَةُ الأُخْرَوِيَّةُ إِلَى التَّجَلِّي الصُّورِيِّ وَلاَ يَجُوزُ غَيْرُ التَّجَلِّي.

نَقَلَ حَضْرَةُ شَيْخِنَا يَوْمًا عَنِ الشَّيْخِ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ المُعْتَزِلَةَ لَوْ لَمْ يُقَيِّدُوا الرُّؤْيَةَ بمَرْتَبَةِ التَّنْزِيهِ وَقَالُوا بالتَّشْبِيهِ أَيْضًا وَتَصَوَّرُوا الرُّؤْيَةَ عَيْنَ هَذَا التَّجَلِّي لَمَا أَنْكَرُوا الرُّؤْيَةَ أَصْلاً وَلَمَا اسْتَحَالوهَا يَعْنِي أَنَّ إِنْكَارَهُمْ عَلَيْهَا إِنَّمَا هُوَ مِنْ حَيْثِيَّةِ كَوْنِهَا بلاَ جِهَةٍ وَلاَ كَيْفٍ مِمَّا هُوَ مَخْصُوصٌ بمَرْتَبَةِ التَّنْزِيهِ بخِلاَفِ هَذَا التَّجَلِّي فَإِنَّ الجِهَةَ وَالكَيْفَ مَلحُوظَانِ فيه.

لاَ يَخْفَى أَنَّ تَنْزِيلَ الرُّؤْيَةِ الأُخْرَوِيَّةِ إِلَى التَّجَلِّي الصُّورِيِّ إِنْكَارٌ عَلَيْهَا في الحَقِيقَةِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ التَّجَلِّيَ الصُّورِيَ وَإِنْ كَانَ مُغَايِرًا للتَّجَلِّيَاتِ الصُّورِيَّةِ الدُّنْيَوِيَّةِ ـ: لَيْسَ هُوَ رُؤْيَةَ الحَقِّ تَعَالَى، (نَظْمٌ شِعْرٌ):

يَرَاهُ المُؤْمِنُونَ بغَيْرِ كَيْفٍ وَإِدْرَاكٍ وَضَرْبٍ مِنْ مِثَالِ

وَبَعْثَةُ الأَنْبِيَاء - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - رَحْمَةٌ للعَالمينَ فَلوْ لَمْ تَكُنْ وَسَاطَةُ هَؤُلاَءِ الكُبَرَاء مَنْ كَانَ يَدُلنَا عَلى مَعْرِفَة ذَات وَاجب الوُجُود وَصِفَاته وَمَنْ كَانَ يُمَيِّزُ لَنا مَرْضِيَّات مَوْلاَنَا - جَل شَأْنُهُ - عَنْ غَيْرِ مَرْضِيَّاته فَإنَّ عُقُولنَا النَّاقِصَةَ بمَعْزِل عَنْ هَذَا المَعْنَى بدُون تَأْييد نُور دَعْوَتهِمْ وَأَفْهَامُنَا القَاصِرَةُ مَخْبُولةٌ في هَذه المُعَامَلة منْ غَيْر تَقْليد هَؤُلاَءِ الأَكَابرِ نَعَمْ، إنَّ العَقْل وَإنْ كَانَ حُجَّةً وَلكنَّهُ غَيْرُ تَامٍّ في الحُجِّيَّة وَغَيْرُ بَالغٍ مَرْتَبَةَ البُلوغِ وَالحُجَّةُ البَالغَةُ إنَّمَا هِيَ بَعْثَةُ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ وَالعَذَابُ وَالثَّوَابُ الأُخْرَوِيَّان مَنُوطَان بهَا.

فَإنْ قِيلَ: إذَا كَانَ العَذَابُ الدَّائِمِيُّ الأُخْرَوِيُّ مَنُوطًا بِالبعْثَة فَبأَيٍّ مَعْنًى تَكُونُ البَعْثَةُ رَحْمَةً للعَالمينَ ؟

أُجيبُ أَنَّ البَعْثَةَ عَيْنُ الرَّحْمَة لأَنَّهَا سَبَبٌ لمَعْرِفَة ذَات وَاجب الوُجُود وَصِفَاته تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَهِيَ مُتَضَمِّنَةٌ لسَعَادَة دُنْيَويَّة وَأُخْرَوِيَّة وَبدَوْلة البَعْثَة امْتَازَ مَا هُوَ اللاَّئقُ بجَانب قُدْسه تَعَالى عَمَّا هُوَ غَيْرُ لاَئق به فَإنَّ عُقُولنَا العَرْجَا العَميَّة التي هِيَ مُتَّسمَةٌ بسِمَةِ الإمْكَان وَالحُدُوث كَيْفَ تَعْرِفُ وَكَيْفَ تُدْركُ مَا هُوَ مُنَاسبٌ لحَضْرَة الوُجُوب الذي منْ لوَازمه القدَمُ منَ الأَسْمَاء وَالصِّفَات وَمَا لاَ يُنَاسبُهُ منْهَا حَتَّى يُطْلقَ عَلَيْه ذَاكَ وَيُجْتَنَبَ منْ هَذَا بَل هُوَ كَثيرًا مَا يَزْعُمُ منْ نَقْصه الكَمَال نُقْصَانًا وَالنَّقْصَ كَمَالاً وَهَذَا التَّمْييزُ عنْدَ الفَقير فَوْقَ جَميع النِّعَم الظَّاهرَة وَالبَاطنَة وَأَشَدُّ المَحْرُومينَ منَ السَّعَادَة مَنْ يَنْسُبُ إلى جَنَاب قُدْسه تَعَالى أُمُورًا غَيْرَ مُنَاسبَة وَأَشْيَاءَ غَيْرَ لاَئقَة به تَعَالى وَالذي مَيَّزَ الحَقَّ عَن البَاطل هُوَ البَعْثَةُ وَالذي فَرَّقَ بَيْنَ المُسْتَحقِّ للعبَادَة وَبَيْنَ غَيْر المُسْتَحقِّ لهَا هُوَ البَعْثَةُ وَبوَاسطَتهَا يَدْعي العبَادَ إلى طَريق الحَقِّ - جَل وَعَلاَ - وَبهَا يَصلونَ إلى سَعَادَة قُرْب المَوْلَى وَوَصْله - جَل سُلطَانُهُ - وَبسَبَب البَعْثَة يَتَيَسَّرُ الاطِّلاَعُ عَلى مَرْضيَّات المَوْلى جَل شَأْنُهُ كَمَا مَرَّ وَبهَا يَتَمَيَّزُ جَوَازُ التَّصرُّف في ملكه تَعَالى عَنْ عَدَم جَوَازه وَأَمْثَال هَذه الفَوَائد في البعْثَة كَثيرَةٌ فَتقَرَّرَ أَنَّ البَعْثَةَ رَحْمَةٌ وَمَنْ كَانَ مُنْقَادًا للنَّفْس وَأَنْكَرَ البَعْثَةَ تَبَعًا لحُكْم الشَّيْطَان اللعين وَلَمْ يَعْمَل بمُقْتَضَى حُكْمِ البَعْثَة فَمَا ذَنْبُ البَعْثَة فيه وَكَيْفَ لاَ تَكُونُ البَعْثَةُ رَحْمَةً بسَبَب خذْلاَنه.

فَإنْ قِيلَ: سَلمْنَا أَنَّ العَقْل نَاقصٌ غَيْرُ تَامٍّ في حَدِّ ذَاته في حَقِّ مَعْرِفَة الأَحْكَامِ الإلهيَّة - جَل شَأْنُهُ - وَلكنْ لمَ لاَ يَجُوزُ أَنْ يَحْصُل للعَقْل بَعْدَ حُصُول التَّصْفيَة وَالتَّزْكيَة لهُ مُنَاسبَةٌ وَاتِّصَال بلاَ كَيْف بمَرْتَبَة الوُجُوب تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ

فَيأْخُذُ الأَحْكَامَ مِنْ هُنَاكَ بِتلكَ المُنَاسَبَةِ وَالاتِّصَال فَلاَ يَحْتَاجُ حِينَئذٍ إلى البَعْثَة التي هِيَ بِوَاسطَة المُلك.

أُجِيبُ أَنَّ العَقْل وَإنْ حَصَل لهُ تلكَ المُنَاسَبَةُ وَالاتِّصَال وَلكنْ لاَ يَزُول عَنْهُ التَّعَلقُ بِهَذَا الجسْمِ الهيُولاَنِيِّ بالكُلِّيَّة وَلاَ يَحْصُل لهُ التَّجَرُّدُ التَّامُّ فَتَكُونُ القُوَّةُ الوَهْمِيَّةُ فِي عَقَبه دَائمًا وَلاَ تَتْرُكُ القُوَّةُ المُتخَيِّلةُ ذَيْل خَيَاله أَصْلاً وَتَكُونُ القُوَّةُ الغَضَبِيَّةُ وَالشَّهَوِيَّةُ مُصَاحِبَتَيْنِ لهُ فِي جَمِيعِ الأَزْمَان وَتَكُونُ رَذِيلةُ الحرْصِ وَالشَّرَه نَدِيمَيْه فِي كُل أَوَان وَلاَ يَنفَكُّ عَنْهُ الشَّهْوَةُ وَالنِّسْيَانُ اللذَان هُمَا مِنْ لوَازِم نَوْعِ الإنْسَان دَائمًا وَلاَ يُفَارِقُهُ الخطَأُ وَالغَلطُ اللذَان هُمَا مِنْ خَوَاصِّ هَذه النَّشْأَة أَبَدًا فَلاَ يَكُونُ العَقْل إذًا حَقِيقًا وَحَرِيًّا بِالاعْتِمَاد وَلاَ تَكُونُ الأَحْكَامُ المَأْخُوذَةُ بِوَاسطَته مَصُونَةً مِنْ سُلطَان الوَهْمِ وَتَصرُّفِ الخَيَال وَلاَ مَحْفُوظَةً مِنْ شَائبَة الخطَأ وَمَظنَّة النِّسْيَان بِخلاَف المَلك فَإنَّهُ مُنزَّهٌ عَنْ هَذه الأَوْصَاف مُبرَّأٌ عَنْ هَذه الرَّذَائل فَيَكُونُ مُسْتَحقًّا للاعْتمَاد وَتَكُونُ الأَحْكَامُ المُتلقَّاةُ مِنْهُ مَصُونَةً مِنْ شَائبَة الوَهْمِ وَالخَيَال وَمَظنَّة الخطَأ وَالنِّسْيَان وَقَدْ يُحسُّ فِي بَعْضِ الأَوْقَات أَنَّ الأَحْكَامَ المَأْخُوذَةَ بلقَاء الرُّوحَانِيِّينَ وَالمَعَارفَ المُتلقَّاةَ مِنْهُمْ يَنْضَمُّ إِلَيْهَا فِي أَثْنَاء تَبْليغهَا بِالقُوَى وَالحَوَاسِّ بَعْضُ المُقَدِّمَات المُسلمَة غَيْر الصَّادقَة الحَاصلة مِنْ طَرِيقِ الوَهْمِ وَالخَيَال أَوْ غَيْرهِمَا بِلاَ اخْتيَار بِحَيْثُ لاَ يُمكنُ تَمْيِيزُهَا فِي ذَلكَ الوَقْت عَنْ تلكَ الأَحْكَامِ وَرُبَّمَا يَحْصُل ذَلكَ التَّمْيِيزُ فِي وَقْت آخَرَ وَرُبَّمَا لاَ يَحْصُل فَلاَ جَرَمَ يُعَرضُ لهَذه العُلومِ بِوَاسطَة مُخَالطَة تلكَ المُقَدِّمَات هَيْئَةُ الكَذب فَتَخرُجُ به عَنْ أَنْ تَكُونَ مُعْتَمدًا عَلَيْهَا.

أَوْ نَقُول: إنَّ حُصُول التَّزْكيَة وَالتَّصْفيَة مَنُوطٌ بِإتْيَانِ الأَعْمَال الصَّالحَة التي هِيَ مَرْضِيَّاتُ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَتَعَالَى.

وَمَعْرِفَةُ ذَلكَ مَوْقُوفَةٌ عَلى البَعْثَة كَمَا مَرَّ فَلاَ يَتَيَسَّرُ حُصُول حَقِيقَة التَّصْفيَة وَالتَّزْكيَة بِدُون البَعْثَة وَالصَّفَاء الحَاصل للكفَّار وَالفُسَّاق هُوَ صَفَاءُ النَّفْسِ لاَ صَفَاءُ القَلبِ وَصَفَاءُ النَّفْسِ لاَ يَزِيدُ شَيْئًا غَيرَ الضَّلالة وَلاَ يُورِثُ شَيْئًا غَيْرَ الخَسَارَة وَكَشْفُ بَعْضِ الأُمُورِ الغَيْبِيَّة الذي يَحْصُل للكُفَّار وَالفُسَّاق وَقْتَ صَفَاء نُفُوسهمْ اسْتدْرَاجٌ فِي حَقِّهِمْ يُقْصَدُ بِه هَلاَكُهُمْ وَخَسَارتُهمْ نَجَّانَا اللهُ - سُبْحَانَهُ - مِنْ هَذه البَليَّة بِحُرْمَة سَيِّد المُرْسَلينَ - عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ -.

واتَّضَحَ مِنْ هَذَا التَّحْقِيق أَنَّ التَّكَاليفَ الشَّرْعيَّةَ الثَّابتَة مِنْ طَرِيق البَعْثَة أَيْضًا رَحْمَةٌ لاَ كَمَا زَعَمَهُ المُنْكرُونَ عَلَيْهَا مِنَ المَلاَحدَة وَالزَّنَادقَة مِنَ اعْتقَادهَا كُلفَةً وَغَيْرَ مَعْقُولةٍ حَتَّى قَالوا: أَيُّ شَفَقَةٍ فِي تَكْليفِ العِبَاد بِأُمُورٍ شَاقَّةٍ ثُمَّ يُقَال لهُمْ: مَنْ عَلمَ

بمُقْتَضَى هَذَا التَّكْلِيف يَدْخُل الجَنَّةَ وَمَن ارْتَكَبَ خلاَفَهُ يَدْخُل النَّارَ كَيْفَ لاَ يُكلفُونَ بَل يُتْرُكُونَ يَأْكُلون وَينَامُونَ وَيَمْشُونَ عَلى طَوْرِ عُقُولهِمْ وَمُقْتَضَى طَبَائعهِمْ أَمَا يَعْلَمُ هَؤُلاَء الخُبَثَاء الخَائبُونَ أَنَّ شُكْرَ المُنْعِم وَاجبٌ عَقْلاً وَهَذه التَّكْليفَاتُ الشَّرْعيَّةُ بَيَانُ كَيْفيَّة أَدَاء ذَلكَ الشُّكْرِ فَيكُونُ التَّكْليفُ وَاجبًا بالعَقْل وَأَيْضًا إنَّ نظَامَ هَذَا العَالمِ وَانْتظَامَ أَمْره مَنُوطٌ بهَذَا التَّكْليف فَإنَّهُ إذَا تُرِكَ كُل أَحَد عَلى طَوْره وَخَلى عَلى طَبْعه لاَ يَظْهَرُ فيه غَيْرُ الشَّرِّ وَالفَسَاد وَيَعْتَدي كُل مَهْوُسٍ عَلى نَفْسِ الآخَرِ وَمَاله وَيَتَغَلَبُ عَلَيْه بالخُبْث وَالفَسَاد فَيُضَيِّعُ نَفْسَهُ عنْدَ عَدَمِ الزَّوَاجرِ الشَّرْعيَّة وَمَوَانعهَا وَيُضَيِّعُ غَيْرَهُ عيَاذًا بالله - سُبْحَانَهُ - وَتَعَالى وَلَكُمْ فِي القصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولي الأَلْبَاب، شعْرٌ:

لَوْلاَ الأَميرُ الذي نَخْشَى بَوَادرَهُ لَقَاءَتْ الزِّنْجُ في بُحْبُوحَة الحَرَم

أَوْ نَقُول: إنَّ اللهَ تَعَالى مَالكٌ عَلى الإطْلاَق وَالعبَادُ كُلهُمْ مَماليكُهُ - سُبْحَانَهُ - فَكُل حُكْمٍ وَتَصَرُّف يُجْريه عَلَيْهمْ فَهُوَ عَيْنُ الخَيْرِ وَالصَّلاَحِ لهُمْ وَهُوَ مُنَزَّهٌ وَمُبَرَّأٌ عَنْ شَائبَة الظُّلم وَالفَسَاد في ذَلكَ لاَ يُسْأَل عَمَّا يَفْعَل (شعْرٌ):

مَنْ ذَا الذي في فعْله يَتَكَلمُ دُونَ الرِّضَا يَا صَاحِ وَالتَّسْليم

فَإنْ أَدْخَل الجَميعَ إلى النَّارِ وَعَذَّبَهُمْ بالعَذَاب الأَبَديِّ فَلَيْسَ ذَلكَ منْهُ بمَحَل الاعْترَاض وَلَيْسَ تَصَرُّفًا في ملك الغَيْر حَتَّى تَكُونَ فيه شَائبَةُ الجَوْرِ بخلاَف تَصَرُّفنَا في أَمْلاَكنَا التي كُلهَا أَمْلاَكُهُ تَعَالى في الحَقيقَة.

وَجَميعُ التَّصَرُّفَات منَّا فيهَا عَيْنُ الظُّلم فَإنَّ صَاحبَ الشَّرْعِ إنَّمَا نَسَبَ هَذه الأَمْلاَكَ إلَيْنَا بسَبَب بَعْضِ المَصَالحِ وَإلاَّ فَهيَ في الحَقيقَة أَمْلاَكُهُ تَعَالى فَجَوَازُ تَصَرُّفنَا فيهَا مَقْصُورٌ عَلى القَدْرِ الذي جَوَّزَهُ لنَا المَالكُ عَلى الإطْلاَق وَأَبَاحَهُ.

وَجَميعُ مَا أَخْبَرَ به هَؤُلاَء الأَكَابرُ - عَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - بأَعْلاَم الحَقِّ - جَل وَعَلاَ - وَمَا بَيَّنُوا منَ الأَحْكَام كُلهَا صَادقَةٌ وَمُطَابقَةٌ للوَاقعِ وَإنْ جَوَّزَ العُلمَاءُ الخَطَأَ في أَحْكَامهمُ الاجْتهَاديَّة وَلَكنَّهُمْ لمْ يُجَوِّزُوا تَقْريرَهُمْ عَلى الخَطَأ بَل قَالوا: إنَّهُمْ يُنَبَّهُونَ عَلَيْه بلاَ تَأْخير فَيَتَدَارَكُونَهُ بالصَّوَاب فَلاَ اعْتدَادَ بذَلكَ الخَطَأ.

وَعَذَابُ القَبْرِ للكَافرينَ وَلبَعْضِ عُصَاة المُؤْمنينَ حَقٌّ قَدْ أَخْبَرَ به المُخبرُ الصَّادقُ وَسُؤَال مُنْكَر وَنَكير للمُؤْمنينَ وَالكَافرينَ في القَبْر أَيْضًا حَقٌّ وَالقَبْرُ بَرْزَخٌ بَيْن الدُّنْيَا وَالآخرَة وَعَذَابُهُ أَيضًا منْ وَجْه مُنَاسبٌ لعَذَاب الدُّنْيَا فَيَقْبَل الانْقطَاعَ وَمنْ وَجْه مُنَاسبٌ لعَذَاب الآخرَة بَل هُوَ منْ عَذَاب الآخرَة في الحَقيقَة وَقَوْلهُ تَعَالى (النَّار يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشيًّا) نَزَل في عَذَاب القَبْرِ وَكَذَلكَ رَاحَةُ القَبْرِ لهَا

جهتَان وَالسَّعيدُ مَنْ يَغفرُ زَلاَّتَهُ وَمَعَاصيَهُ بكَمَال الكَرَم وَالرَّأفَة وَلاَ يُؤَاخذُ فَإنْ يُؤَاخذْ إنَّمَا يُؤَاخذُ بآلاَم الدُّنْيَا وَمحنهَا وَيَكُون ذَلكَ كَفَّارَةً لذُنُوبه منْ كَمَال الرَّحْمَة فَإنْ بَقيَتْ منْهَا بَقيَّةٌ تُكَفَّرُ بضَغْطَة القَبْر وَالمحَن المُهَيَّأة لذَلكَ المَوْطن حَتَّى يُبْعَثَ في المَحْشَر طَاهرًا وَمُطَهَّرًا وَمَنْ لَمْ يُعَامَل به هَذه المُعَامَلَةَ بَل أُخرَتْ مُؤَاخَذَتُهُ إلى الآخرَة فَهُوَ عَيْنُ العَدْل وَلكنْ وَيْل للعَاصينَ وَالخَاطئينَ وَأَمَّا مَنْ كَانَ مَنْ أَهْل الإسْلاَم فَمَآلهُ إلى الرَّحْمَة وَمَحْفُوظٌ منَ العَذَاب الأَبَديِّ وَذَلكَ أَيْضًا نعْمَةٌ عَظيمَةٌ رَبَّنَا أَتْممْ لنَا نُورَنَا وَاغفرْ لنَا إنَّكَ عَلى كُل شَيْءٍ قَديرٌ بحُرْمَة سَيِّد المُرْسَلينَ - عَلَيْه وَعَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ -.

وَيَوْمَ القيَامَة حَقٌّ وَتَكُونُ السَّمَوَاتُ وَالكَوَاكبُ وَالأَرْضُ وَالجبَال وَالبحَارُ وَالحَيَوَانَاتُ وَالنَّبَاتَاتُ وَالمَعَادنُ مَعْدُومَةً وَمُتَلاَشيَةً وَيَوْمئذ تَنْشَقُّ السَّمَوَاتُ وَتَنْتَثرُ الكَوَاكبُ وَيَكُونُ الأَرْضُ وَالجبَال هَبَاءً مَنْثُورًا وَهَذَا الإعْدَامُ وَالإفْنَاءُ يَتَعَلقُ بالنَّفْخَة الأُولى وَبالنَّفْخَة الثَّانيَة يَقُومُ الخَلاَئقُ منْ قُبُورهمْ وَيَذْهَبُونَ إلى المَحْشَر.

وَالفَلاَسفَةُ لاَ يُجَوِّزُونَ إعْدَامَ السَّمَوَات وَالكَوَاكب وَالفَنَاء وَالفَسَاد لهَا وَيَقُولونَ بأَزَليَّتهَا وَأَبديَّتهَا وَمَعَ ذَلكَ يَجْعَل المُتَأَخِّرُونَ منْهُمْ أَنْفُسَهُمْ منْ زُمْرَة أَهْل الإسْلاَم وَيَأْتُونَ ببَعْض أَحْكَام الإسْلاَم يَعْني يَعْمَلونَ بهَا وَالعَجَبُ منْ بَعْض أَهْل الإسْلاَم أَنَّهُ كَيْفَ يُصَدِّقُ منْهُمْ هَذَا المَعْنَى وَيَعْتَقدُهُمْ مُسْلمينَ منْ غَيْر تَحَاش.

وَأَعْجَبُ منْ ذَلكَ أَنَّ بَعْضَ المُسْلمينَ يَعْتَقدُ إسْلاَمَ بَعْض منْ هَذه الجَمَاعَة كَاملاً وَيَظُنُّ طَعْنَهُمْ وَتَشْنيعَهمْ مُنْكَرًا وَالحَال أَنَّهُمْ مُنْكرُونَ عَلى النُّصُوص القَطْعيَّة وَإجْمَاع الأَنْبيَاء - عَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - قَال اللهُ تَعَالى (إذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ) وَقَال تَعَالى (إذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ وَأَذنَتْ لرَبِّهَا وَحُقَّتْ) وَقَال تَعَالى (وَفُتحَت السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا) أَيْ شُقَّتْ وَأَمْثَال ذَلكَ في القُرْآن كَثيرَةٌ أَوَلاَ يَعْلمُونَ أَنَّ مُجَرَّدَ التَّفَوُّه بكَلمَة الشَّهَادَة غَيْرُ كَاف في الإسْلاَم بَل لاَ بُدَّ منْ تَصْديق جَميع مَا عُلمَ مَجيئُهُ منَ الدِّين بالضَّرُورَة وَالتَّبَرِّي منَ الكُفْر وَلوَازمه أَيْضًا حَتَّى يُتَصَوَّرَ الإسْلاَمُ وَبدُونه خَرْطُ القَتَاد.

وَالصِّرَاطُ حَقٌّ وَالميزَانُ حَقٌّ وَالحسَابُ حَقٌّ قَدْ أَخْبَرَ بكُل منْهَا المُخبرُ الصَّادقُ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

وَاسْتبْعَادُ بَعْض الجَاهلينَ بطَوْر النُّبُوَّة وُجُودُ هَذه الأُمُور سَاقطٌ عَنْ حَيِّز الاعْتبَار فَإنَّ طَوْرَ النُّبُوَّة وَرَاءَ طَوْر العَقْل وَتَطْبيقُ جَميع أَخْبَار الأَنْبيَاء الصَّادقَة عَلى نَظَر العَقْل وَالتَّوْفيق بَيْنَهُمَا إنْكَارٌ في الحَقيقَة عَلى طَوْر النُّبُوَّة وَالمُعَامَلةُ هُنَاكَ إنَّمَا هيَ بالتَّقْليد أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ طَوْرَ النُّبُوَّة مُخَالفٌ لطَوْر العَقْل بَل لاَ يَقْدرُ العَقْل أَنْ

يَهْتَدِيَ إلى تلكَ المَطَالِب العَالِيَة بدُون تَأْييد تَقْليد الأَنْبيَاء - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَالمُخَالفَةُ غَيْرُ عَدَمِ الإدْرَاك فَإِنَّ المُخَالفَةَ إنَّمَا تُتَصوَّرُ بَعْدَ الإدْرَاك.

وَالجَنَّةُ وَالنَّارُ مَوْجُودَتَان تَدْخُل طَائفَةٌ الجَنَّةَ بَعْدَ المُحَاسَبَة يَوْمَ القيامَة وَطَائفَةٌ تَدْخُل النَّارَ وَثَوَابُ أَهْل الجَنَّة وَعقَابُ أَهْل النَّار أَبَديَّان لاَ يَنْقَطعَان كَمَا دَلتْ عَلَيْه النُّصُوصُ القَطْعيَّةُ المُؤَكَّدَةُ قَال صَاحبُ الفُصُوص: مَآل الكُل إلى الرَّحْمَة إنَّ رَحْمَتي وَسعَتْ كُل شَيْء وَثَبتَ العَذَابُ للكُفَّار إلى ثُلثه أَحْقَابًا وَيَقُول ثُمَّ تَصيرُ النَّارُ في حَقِّهمْ بَرْدًا وَسَلاَمًا كَمَا كَانَتْ للخَليل عَلَى نَبيِّنَا وَعَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَيَجُوزُ الخُلفُ في وَعيده - سُبْحَانَهُ - وَيَقُول: لَمْ يَذْهَبْ أَحَدٌ منْ أَرْبَاب القُلوب إلى خُلود الكُفَّار في عَذَاب النَّار وَهُوَ قَدْ وَقَعَ في هَذه المَسْأَلة أَيْضًا بَعيدًا عَن الصَّوَاب لَمْ يَدْرِ أَنَّ سَعَةَ الرَّحْمَة وَعُمُومَهَا في حَقِّ المُؤْمنينَ وَالكَافرين مَخْصُوصَةٌ بالدُّنْيَا وَأَمَّا في الآخرَة فَلاَ تَصل رَائحَةُ الرَّحْمَة إلى مَشَامِّ الكُفَّار كَمَا قَال اللهُ تَعَالى {إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ منْ رَوْحِ الله إلاَّ القَوْمُ الكَافرُونَ} وَقَال تَعَالى بَعْد قَوْله - سُبْحَانَهُ — {وَرَحْمَتي وَسعَتْ كُل شَيْء}، {فَسأَكْتُبُهَا للذين يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالذينَ هُمْ بآيَاتنَا يُؤْمنُونَ} وَكَأَنَّ الشَّيْخَ قَرَأَ أَوَّل الآيَة وَتَرَكَ آخرَهَا وَلَيْسَ في قَوْله تَعَالى {وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلفَ وَعْده رُسُلَهُ } دَلالَةٌ عَلَى خُصُوصيَّة عَدَم الجَوَاز بخُلف الوَعْد؛ لأَنَّهُ لاَ يَجُوزُ الاقْتصَارُ هُنَا عَلى عَدَم خُلف الوَعْد بنَاءً عَلَى أَنَّ المُرَادَ منَ الوَعْد هُنَا الوَعْدُ بتَصرُّف الرُّسُل وَتَسلطهمْ عَلى الكُفَّار وَغلَبَتهمْ عَلَيْهمْ وَهُوَ مُتَضَمِّنٌ للوَعْد وَالوَعيد جَميعًا وَعْدٌ للرُّسُل وَوَعيدٌ للكُفَّار فَدَلتْ هَذه الآيَةُ عَلى انْتفَاء خُلف الوَعْد وَخُلف الوَعيد جَميعًا فَالآيَةُ مُسْتَشْهَدٌ بهَا عَلَيْه لاَلَه وَأَيْضًا أَنَّ الخُلفَ في الوَعيد كَالخُلف في الوَعْد مُسْتَلزمٌ للكَذب وَمَا لاَ يَليقُ به - سُبْحَانَهُ -؛ لأَنَّ حَقيقَةَ هَذَا القَوْل أَنَّ اللهَ تَعَالى عَلمَ في الأَزَل أَنَّهُ لاَ يَخْلدُ الكُفَّارُ في عَذَاب النَّار وَمَعَ ذَلكَ أَخْبَرَ بخلاَف علمه رعَايَةً لمَصْلحَة وَقَال: أُعَذِّبُهُمْ بالعَذَاب المُخلد وَفي تَجَوُّزي هذا المَعْنَى شَنَاعَةٌ تَامَّةٌ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العزَّة عَمَّا يَصفُونَ وَسَلاَمٌ عَلى المُرْسَلينَ.

إجْمَاعُ أَرْبَاب القُلوب عَلى عَدَم خُلود الكُفَّار في عَذَاب النَّار منْ كَشْفيَّات الشَّيْخ وَمَجَال الخَطأ في الكَشْف كَثيرٌ فَلاَ اعْتدَادَ به مَعَ كَوْنه مُخَالفًا لإجْمَاع المُسْلمينَ.

وَالمَلاَئكَةُ عبَادُ الله - سُبْحَانَهُ - مَعْصُومُونَ منَ العصْيَان وَمَحفُوظُونَ منَ الخَطَأ وَالنِّسْيَان لاَ يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلونَ مَا يُؤْمَرُونَ لاَ يَأْكُلونَ وَلاَ

يَشْرَبُونَ لاَ يُوصَفُونَ بِذُكُورَةٍ وَلاَ أُنُوثَة فَهُمْ مُبَرَّؤُنَ عَنْهُمَا وَمُنَزَّهُونَ وَتَذْكِيرُ الضَّمَائِرِ الرَّاجِعَة إِلَيْهِمْ فِي القُرْآن المَجِيدِ إِنَّمَا هُوَ بِاعْتِبَار شَرَف صِنْفَ الذُّكُورِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى صِنْفِ الإِنَاث كَمَا أَوْرَدَ الحَقُّ - سُبْحَانَهُ - الضَّمَائِرَ الرَّاجِعَةَ إِلَى نَفسه مُذَكَّرَةً وَقد اصْطَفَى الحَقُّ - سُبْحَانَهُ - بَعْضَهُمْ لِلرِّسَالة كَمَا شَرَّفَ بَعْضَ الإِنْسَانَ بِهَذِه الدَّوْلَة اللهُ يَصْطَفِي مِنَ المَلاَئِكَة رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ.

وَجُمْهُورُ عُلَمَاء أَهْلِ الحَقِّ عَلَى أَنَّ خَوَاصَّ البَشَرِ أَفْضَل مِنْ خَوَاصِّ المَلاَئِكَة وَقَال الإِمَامُ الغَزَالِيُّ وَإِمَامُ الحَرَمَيْنِ وَصَاحِبُ الفُتُوحَات المَكِّيَّة بِأَفْضَلِيَّة خَوَاصِّ المَلاَئِكَة مِنْ خَوَاصِّ البَشَر وَمَا ظَهَرَ لِهَذَا الفَقِيرِ إِنَّ وِلاَيَةَ المَلك أَفْضَل مِنْ وِلاَيَة الأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم وَلكِنْ فِي النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالة دَرَجَةٌ لِلأَنْبِيَاء لَمْ يَبْلُغْهَا مَلكٌ قَطُّ وَهَذه الدَّرَجَةُ نَاشِئَةٌ مِنْ جِهَة العُنْصُرِ التُّرَابِيِّ الَّذي هُوَ مَخْصُوصٌ بِالبَشَرِ وَظَهَرَ أَيْضًا لِهَذَا الفَقِير أَنَّ كَمَالاَتِ الوِلاَيَة لاَ اعْتِدَادَ بِهَا بِالنِّسْبَة إِلَى كَمَالاَت النُّبُوَّة وَلَيْتَ لَهَا حُكْمَ القَطْرِ. بِالنِّسْبَة إِلَى البَحْرِ المُحِيط فَالمَزِيَّةُ النَّاشِئَةُ مِنْ طَرِيقِ النُّبُوَّة تَكُونُ زَائِدَةً بِأَضْعَاف مُضَاعَفَة عَلَى المَزِيَّةِ النَّاشِئَةَ مِنْ طَرِيقِ الوِلاَيَة فَالأَفْضَلِيَّةُ عَلَى الإِطْلاَقِ ثَابِتَةٌ لِلأَنْبِيَاء - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَالفَضْلُ الجُزْئِيُّ لِلمَلاَئِكَة الكِرَامِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ فَالصَّوَابُ مَا قَالهُ الجُمْهُورُ مِنَ العُلَمَاءِ الأَعْلاَمِ شَكَرَ اللهُ سَعْيَهُمْ يَوْمَ القِيَامِ.

فَلاَحَ مِنْ هَذَا التَّحْقِيقِ أَنَّهُ لاَ يَبْلغُ وَلِيٌّ قَطُّ دَرَجَةَ نَبِيٍّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ بَل يَكُونُ رَأْسُ الوَلِيِّ تَحْتَ قَدَمِ نَبِيٍّ عَلَى الدَّوَامِ.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَم أَنَّهُ مَا مِنْ مَسْأَلة اخْتَلفَ فِيهَا العُلَمَاءُ وَالصُّوفِيَّةُ إِلاَّ إِذَا لوحِظَ فِيهَا حَقُّ المُلاَحَظَة يُوجَدُ الحَقُّ فِيهَا فِي جَانِب العُلَمَاء وَسِرُّ ذَلِكَ أَنَّ نَظَرَ العُلَمَاء بِوَاسِطَة مُتَابَعَة الأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ نَافِذٌ إِلَى كَمَالاَت النُّبُوَّة وَعُلومِهَا، وَنَظَرُ الصُّوفِيَّة مَقْصُورٌ عَلَى كَمَالاَتِ الوِلاَيَة وَمَعَارِفِهَا فَلاَ جَرَمَ يَكُونُ العِلمُ المَأْخُوذُ مِنْ مِشْكَاة النُّبُوَّة أَصْوَبَ وَأَصَحَّ مِنَ العِلمِ المَأْخُوذ مِنْ مَرْتَبَة الوِلاَيَة.

وَتَحْقِيقُ بَعْضِ هَذه المَعَارِف مُنْدَرِجٌ فِي المَكْتُوبِ المَسْطُورِ بِاسْمِ وَلدِي الأَرْشَد فَإِنْ بَقِيَ هُنَا شَيْءٌ مِنَ الخُلفَاء فَليُرَاجِعْ هُنَاكَ.

وَالإِيمَانُ عِبَارَةٌ عَنْ تَصْدِيقٍ قَلبِيٍّ بِمَا بَلغَنَا مِنَ الدِّينِ بِطَرِيقِ الضَّرُورَة وَالتَّوَاتُرِ وَقَالوا: الإِقْرَارُ اللسَانِيُّ أَيْضًا رُكْنٌ مِنَ الإِيمَان مُحْتَمِل لِلسُّقُوط وَعَلاَمَةُ هَذَا التَّصْدِيقِ التَّبَرِّي مِنَ الكُفْر وَالتَّجَنُّبُ عَنْ لَوَازِمه وَخَصَائِصه وَكُلمَا هُوَ مِنْ فِعْل الكُفَّارِ كَشَدِّ الزِّنَّاد وَأَمْثَاله فَإِنْ لَمْ يَتَبَرَّأْ مِنَ الكُفْر عِيَاذًا بِالله - سُبْحَانَهُ - مَعَ دَعْوَى التَّصْدِيقِ ظَهَرَ أَنَّهُ مُتَّسِمٌ بِسِمَةِ الارْتِدَاد وَحُكْمُهُ فِي الحَقِيقَة حُكْمُ المُنَافِق لاَ

إلى هَؤُلاَءِ وَلاَ إلى هَؤُلاَءِ فَلاَ بُدَّ إذًا في تَحَقُّق الإيمَان مِنَ التَّبَرِّي مِنَ الكُفْرِ وَأَدْنَى هَذَا التَّبَرِّي قَلبيٌّ وَأَعْلاَهُ التَّبَرِّي بحَسَب القَلب وَالقَالِب.

والتَّبَرِّي عِبَارَةٌ عَنْ مُعَادَاة أَعْدَاء الحَقِّ - جَل وَعَلاَ - سَوَاءٌ كَانَتْ هَذه المُعَادَاةُ بالقَلب فَقَطْ كَمَا إذَا خِيفَ مِنْ ضَرَرِهِمْ أَوْ بالقلب وَالقَالب مَعًا إذَا لَمْ يَكُنْ ضَرَرُ الخَوْف وَقَوْلُهُ تَعَالى (يَا أَيُّهَا النَّبيُّ جَاهد الكُفَّار وَالمُنَافقينَ وَاغْلظْ عَلَيْهِمْ) مُؤَيِّدٌ لهَذَا المَعْنَى فَإنَّ مَحَبَّةَ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَمَحَبَّةَ رَسُوله عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لاَ تُتَصَوَّرُ بدُون مُعَادَاة أَعْدَاء الله وَرَسُوله، (ع):

وَلَيْسَ مُحُبِّي مَنْ يُحِبُّ أَعَادِيَا

وَإجْرَاءُ الشِّيعَة الشَّنيعَة هَذه القَضيَّةَ في مُوَالاَة أَهْل البَيْت وَجَعْلهمُ التَّبَرِّيَ منَ الخُلفَاء الثَّلاَثَة وَغَيْرهمْ منَ الصَّحَابَة شَرْطًا لَهَا غَيْرُ مُنَاسب فَإنَّ التَّبَرِّيَ الذي هُوَ منْ شَرْط مُوَالاَةَ الأَحْبَاب هُوَ التَّبَرِّي مِنَ الأَعْدَاء لاَ مُطْلَقُ التَّبَرِّي عَمَّنْ سوَاهُمْ لاَ يُجَوِّزُ عَاقل مُنْصفٌ كَوْنَ أَصْحَاب النَّبيِّ - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - أَعْدَاءً فَإنَّ هَؤُلاَءِ الأَكَابرَ بَذَلوا أَمْوَالَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ في مَحَبَّته عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَتَرَكُوا الجَاهَ وَالرِّيَاسَةَ فَكَيْفَ يَجُوزُ نسْبَةُ عَدَاوَة أَهْل البَيْت إلَيْهمْ وَلزُومُ مَحَبَّة أَهْل بَيْته - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - ثَابتٌ بالنَّصِّ القَطْعيِّ وَجُعلَتْ مَحَبَّتُهُمْ أُجْرَةَ الدَّعْوَة (قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْه أَجْرًا إلاَّ المَوَدَّةَ في القُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرفْ حَسَنَةً نَزدْ لهُ فيهَا حُسْنَى) وَإبْرَاهيمُ الخَليل - عَلَى نَبيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - إنَّمَا نَال منَ الدَّرَجَة القُصْوَى وَصَارَ أَصْل شَجَرَة النُّبُوَّة بوَاسطَة تَبَرِّيه منْ أَعْدَائه تَعَالى قَال الله تَعَالى (لَقَدْ كَانَ لكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ في إبْرَاهيمَ وَالَّذينَ مَعَهُ إذْ قَالُوا لقَوْمهمْ إنَّا بُرَآءُ منْكُمْ وَممَّا تَعْبُدُونَ منْ دُون الله كَفَرْنَا بكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ العَدَاوَةُ وَالبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمنُوا بالله وَحْدَهُ)

وَلاَ عَمَل منَ الأَعْمَال في نَظَر هَذَا الفَقير أَفْضَل منْ هَذَا التَّبَرِّي في حُصُول رضَا الحَقِّ - جَل وَعَلاَ - وَإنَّ للحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَتَعَالى عَدَاوَةً ذَاتيَّةً مَعَ الكُفْر وَالكَفَرَة وَالآلهَة البَاطلة الآفَاقيَّة مثْل اللاَّت وَالعُزَّى، وَعَبَدَتُهَا أَعْدَاءُ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - بالذَّات وَالخُلودُ في النَّار جَزَاءُ هَذَا العلم الشَّنيع وَهَذه الحَالةُ مَفْقُودَةٌ في الآلهَة البَاطلة الأَنْفُسيَّة وَسَائر الأَعْمَال السَّيِّئَة فَإنَّ العَدَاوَةَ وَالغَضَبَ بالنِّسْبَة إلى هَذه المَذْكُورَات لَيْسَتْ بذَاتيَّة فَإنْ كَانَ هُنَاكَ غَضَبٌ فَهُوَ رَاجعٌ إلى الصِّفَات وَإنْ كَانَ عقَابٌ أَوْ عتَابٌ فَهُوَ رَاجعٌ إلى الأَفْعَال وَلهَذَا لَمْ يَكُنْ الخُلودُ في النَّار جَزَاءَ هَذه السَّيِّئَات بَل جَعَل الحَقُّ - سُبْحَانَهُ - مُغْفرَتَهُمْ مَنُوطَةً بمَشيئَته.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّهُ لَمَّا تَحَقَّقَ العَدَاوَةُ الذَّاتِيَّةُ فِي حَقِّ الكُفْرِ وَالكُفَّارِ وَامْتَنَعَ أَنْ تَشْمَلَ الرَّحْمَةُ وَالرَّأْفَةُ اللتَان هُمَا مِنْ صِفَاتِ الجَمَالِ فِي الآخِرَةِ الكُفَّارَ وَأَنْ تَرْفَعَ صِفَةُ الرَّحْمَةِ العَدَاوَةَ الذَّاتِيَّةَ فَإِنَّ المُتَعَلِّقَ بِالصِّفَةِ فَمُقْتَضَى الصِّفَاتِ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يُبَدِّلَ وَيُغَيِّرَ مُقْتَضَى الذَّاتِ وَمَا وَرَدَ فِي الحَدِيثِ القُدْسِيِّ سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي فَالمُرَادُ بِالغَضَبِ فِيهِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الغَضَبَ الصِّفَاتِيَّ الذِي هُوَ مَقْصُورٌ عَلَى عُصَاةِ المُؤْمِنِينَ لاَ الغَضَبَ المَخْصُوصَ بِالمُشْرِكِينَ.

فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ لِلكُفَّارِ نَصِيبًا مِنَ الرَّحْمَةِ فِي الدُّنْيَا كَمَا حَقَّقْتُه فِيمَا سَبَقَ فَكَيْفَ تَكُونُ صِفَةُ الرَّحْمَةِ فِي الدُّنْيَا رَافِعَةً لِلعَدَاوَةِ الذَّاتِيَّة ؟

أُجِيبُ أَنَّ حُصُولَ الرَّحْمَةِ لِلكَافِرِينَ فِي الدُّنْيَا إِنَّمَا هُوَ بِاعْتِبَارِ الظَّاهِرِ وَالصُّورَةِ وَأَمَّا فِي الحَقِيقَةِ فَهُوَ اسْتِدْرَاجٌ وَمَكِيدَةٌ فِي حَقِّهِمْ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (أَيَحْسَبُونَ أَنَّ مَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الخَيْرَاتِ بَل لاَ يَشْعُرُونَ) وَقَوْلُهُ تَعَالَى (سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ) شَاهِدٌ لِهَذَا المَعْنَى فَلْيُفْهَمْ.

فَائدَةٌ جَليلَةٌ

إنَّ عَذَابَ النَّارِ الأَبَديَّ جَزَاءُ الكُفْرِ.

فَإنْ قِيلَ: إنَّ شَخْصًا مَعَ وُجُودِ الإيمَانِ يُجْرِي رُسُومَ الكُفْرِ وَيُعَظِّمُ مَرَاسِمَ أَهْلِ الكُفْرِ وَيَحْكُمُ العُلَمَاءُ بِكُفْرِهِ وَيَعُدُّونَهُ مِنْ أَهْلِ الارْتِدَادِ بِفِعْلِهِ كَمَا أَنَّ أَكْثَرَ مُسْلِمِي الهُنُودِ مُبْتَلَوْنَ بِهَذِهِ البَلِيَّةِ فَيَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ الشَّخْصُ مُعَذَّبًا فِي الآخِرَةِ بِالعَذَابِ الأَبَدِيِّ بِمُقْتَضَى فَتْوَى العُلَمَاءِ وَالحَالُ أَنَّهُ قَدْ وَرَدَ فِي الأَخْبَارِ الصِّحَاحِ أَنَّ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الإيمَانِ يَخْرُجُ مِنَ النِّيرَانِ وَلاَ يَخْلُدُ فِي العَذَابِ فَمَا تَحْقِيقُ هَذِهِ المَسْأَلَةِ عِنْدَكَ ؟

أَقُـــــولُ: إنْ كَانَ كَافِرًا مَحْضًا فَنَصِيبُهُ العَذَابُ المُخَلَّدُ أَعَاذَنَا اللهُ – سُبْحَانَهُ – مِنْهُ وَإنْ كَانَ فِيهِ مِقْدَارُ ذَرَّةٍ مِنَ الإيمَانِ مَعَ وُجُودِ إتْيَانِ مَرَاسِمِ الكُفْرِ يُعَذَّبُ فِي النَّارِ وَلَكِنَّ المَرْجُوَّ خُلاَصَةٌ مِنَ الخُلودِ فِي النَّارِ بِبَرَكَةِ تِلْكَ الذَّرَّةِ مِنَ الإيمَانِ وَنَجَاتُهُ مِنْ دَوَامِ الاسْتِقْرَارِ فِي عَذَابِ النِّيرَانِ وَقَدْ ذَهَبْتُ مَرَّةً لِعِيَادَةِ شَخْصٍ قَدْ قَرُبَ مِنَ الاحْتِضَارِ وَلَمَّا كُنْتُ مُتَوَجِّهًا إلَى حَالِهِ رَأَيْتُ قَلْبَهُ فِي ظُلُمَاتٍ شَدِيدَةٍ وَكُلَّمَا كُنْتُ مُتَوَجِّهًا لِرَفْعِ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ لَمْ تُرْفَعْ

فَعُلِمَ بَعْدَ تَوَجُّهٍ كَثِيرٍ أَنَّ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ نَاشِئَةٌ مِنْ صِفَةِ الكُفْرِ الَّتِي هِيَ مَكْنُونَةٌ فِيهِ وَمَنْشَأُ تِلْكَ الكُدُورَاتِ هُوَ مُوَالاَتُهُ أَهْلَ الكُفْرِ وَبَانَ لِي أَنَّهُ لاَ يَنْبَغِي التَّوَجُّهُ لِدَفْعِ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ فَإنَّ تَنْقِيَتَهُ مِنْهَا مَرْبُوطَةٌ بِعَذَابِ النَّارِ الَّذِي هُوَ جَزَاءُ الكُفْرِ.

وَعُلِمَ أَيْضًا أَنَّ فِيهِ مِقْدَارَ ذَرَّةٍ مِنَ الإيمَانِ وَلَمَّا شَاهَدْتُ فِيهِ هَذَا الحَالَ وَقَعَ فِي خَاطِرِي أَنَّهُ هَلْ يَجُوزُ أَنْ يُصَلَّى عَلَيْهِ أَوْ لاَ ؟

فَظَهَرَ بَعْدَ التَّوَجُّهِ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُصَلَّى عَلَيْهِ فَالمُسْلِمُونَ الَّذِينَ يُجْرُونَ رُسُومَ أَهْلِ الكُفْرِ مَعَ وُجُودِ الإيمَانِ وَيُعَظِّمُونَ أَيَّامَهُمْ يَنْبَغِي أَنْ يُصَلَّى عَلَيْهِمْ وَلاَ يَنْبَغِي إلْحَاقُهُمْ بِالكُفَّارِ كَمَا هُوَ عَمَلُ اليَوْمِ وَيَنْبَغِي أَنْ يُرْجَى نَجَاتُهُمْ مِنَ العَذَابِ الأَبَدِيِّ آخِرَ الأَمْرِ فَعُلِمَ مِمَّا ذَكَرْنَا أَنَّهُ لاَ عَفْوَ عَنْ أَهْلِ الكُفْرِ وَلاَ مَغْفِرَةَ لَهُمْ إنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ) فَإنْ كَانَ كَافِرًا صِرْفًا فَجَزَاءُ كُفْرِهِ العَذَابُ الأَبَدِيُّ وَإنْ كَانَ فِيهِ مَعَ فُجُورِهِ مِقْدَارُ ذَرَّةٍ مِنَ الإيمَانِ أَيْضًا فَجَزَاؤُهُ العَذَابُ المُوَقَّتُ وَفِي سَائِرِ الكَبَائِرِ إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى غَفَرَهُ وَإنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَعِنْدَ الفَقِيرِ إنَّ عَذَابَ النَّارِ مَخْصُوصٌ بِالكُفْرِ وَصِفَاتُ الكُفْرِ سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ العَذَابُ مُؤَقَّتًا أَوْ مُخَلَّدًا أَوْ مُؤَبَّدًا كَمَا سَيَجِيءُ تَحْقِيقُهُ.

وَصِفَاتُ الكُفْرِ سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ العَذَابُ مُؤَقَّتًا أَوْ مُخلدًا أَوْ مُؤَبَّدًا كَمَا سَيَجِيءُ تَحْقِيقُه.

وَأَمَّا أَهْلُ الكَبَائِرِ الذينَ لَمْ يُوَفَّقُوا لِلتَّوْبَةِ فَيَغْفِرُ بِهَا ذُنُوبَهُمْ وَلَمْ يَنَالُوا الشَّفَاعَةَ وَمُجَرَّدُ العَفْوِ وَالإِحْسَانِ وَلَمْ تُكَفَّرْ كَبَائِرُهُمْ أَيْضًا بِآلاَمِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَمِحَنِهَا أَوْ بِشَدَائِدِ سَكَرَاتِ المَوْتِ فَالمَرْجُوُّ أَنْ يَكْتَفِيَ فِي تَعْذِيبِ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ بِعَذَابِ القَبْرِ وَفِي أُخْرَى مِنْهُمْ مَعَ وُجُودِ مِحَنِ القَبْرِ بِأَهْوَالِ يَوْمِ القِيَامَةِ وَشَدَائِدِهَا وَأَنْ لاَ تَبْقَى ذُنُوبُهُمْ حَتَّى يَحْتَاجَ إِلى عَذَابِ النَّارِ وَقَوْلُهُ تَعَالى {الذينَ آمَنُوا وَلَمْ يُلبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ} الآيَةَ، مُؤَيِّدٌ لِهَذَا المَعْنَى فَإِنَّ المُرَادَ بِالظُّلْمِ هُنَا الشِّرْكُ وَاللهُ – سُبْحَانَهُ – أَعْلَمُ بِحَقَائِقِ الأُمُورِ كُلِّهَا.

فَإِنْ قِيلَ: قَدْ وَرَدَ الوَعِيدُ بِعَذَابِ النَّارِ فِي جَزَاءِ بَعْضِ السَّيِّئَاتِ غَيْرِ الكُفْرِ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ وَمَنْ يَقْتُل مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ﴾ وَوَرَدَ فِي الأَخْبَارِ مَنْ قَضَى صَلاَةً وَاحِدَةً مُتَعَمِّدًا بَقِيَ فِي النَّارِ حُقُبًا فَلَمْ يَكُنْ عَذَابُ النَّارِ مَخْصُوصًا بِالكُفَّارِ.

أَقُولُ: مَا وَرَدَ فِي القَاتِلِ فَهُوَ مَخْصُوصٌ بِمُسْتَحِلِّ القَتْلِ وَمُسْتَحِلُّ القَتْلِ كَافِرٌ كَمَا ذَكَرَهُ المُفَسِّرُونَ وَمَا وَرَدَ فِي السَّيِّئَاتِ غَيْرُ الكُفْرِ مِنَ الوَعِيدِ بِعَذَابِ النَّارِ فَلاَ تَخْلُوا تِلْكَ السَّيِّئَاتُ مِنْ شَائِبَةِ صِفَةِ التَّكَفُّرِ مِثْلِ اسْتِخْفَافِ تِلْكَ السَّيِّئَةِ وَاسْتِصْغَارِهَا وَعَدَمِ المُبَالاَةِ بِإِتْيَانِهَا وَاسْتِحْقَارِ الأَوَامِرِ الشَّرْعِيَّةِ وَنَوَاهِيهَا وَقَدْ وَرَدَ فِي الخَبَرِ: شَفَاعَتِي لأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي.

وَقَالَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ: أُمَّتِي أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ لاَ عَذَابَ عَلَيْهَا فِي الآخِرَةِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالى ﴿ الذينَ آمَنُوا وَلَمْ يُلبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ} الآيَةَ، مُؤَيِّدٌ لِهَذَا المَعْنَى كَمَا مَرَّ وَأَحْوَالُ أَطْفَالِ المُشْرِكِينَ وَمَنْ نَشَأَ فِي شَاهِقِ الجَبَلِ وَمُشْرِكِي زَمَنِ الفَتْرَةِ مَسْطُورَةٌ فِي المَكْتُوبِ الذي كَتَبْتُهُ لِوَلَدِي مُحَمَّد سَعِيد بِالتَّفْصِيلِ فَلْيُرَاجَعْ هُنَاكَ.

وَفِي زِيَادَةِ الإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ وَعَدَمِهِمَا اخْتِلاَفٌ بَيْنَ العُلَمَاءِ قَالَ الإِمَامُ الأَعْظَمُ أَبُو حَنِيفَةَ ﷺ: الإِيمَانُ لاَ يَزِيدُ وَلاَ يَنْقُصُ.

وَقَالَ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ ﷺ: يَزِيدُ وَيَنْقُصُ. وَلاَ شَكَّ أَنَّ الإِيمَانَ عِبَارَةٌ عَنْ تَصْدِيقٍ وَيَقِينٍ قَلبِيٍّ وَلاَ يُتَصَوَّرُ فِيهِ الزِّيَادَةُ وَالنُّقْصَانُ وَالذي يَقْبَلُ الزِّيَادَةَ وَالنُّقْصَانَ فَهُوَ دَاخِلٌ فِي دَائِرَةِ الظَّنِّ لاَ اليَقِينِ.

غَايَةُ مَا فِي البَابِ أَنَّ إِتْيَانَ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ يُورِثُ جَلاَءَ ذَلِكَ اليَقِينِ وَصَفَاءَهُ وَإِتْيَانُ الأَعْمَالِ غَيْرِ المَرْضِيَّةِ يُكَدِّرُهُ وَيَظْلِمُ ضِيَاءَهُ فَالزِّيَادَةُ وَالنُّقْصَانُ

بحَسَب إتْيَان الأَعْمَال الصَّالحَة وَضدِّهَا رَاجعَان إلى جَلاَء اليَقين لاَ إلى النَّفْس اليَقين وَلَمَّا وَجَدَ طَائفَةٌ جَلاَءً وَصَفَاءً في يَقينهمْ قَالوا بزيَادَته بالنِّسْبَة إلى يَقين لَيْسَ فيه ذَلكَ الجَلاَءُ وَالصَّفَاءُ وَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا اليَقينَ الذي لاَ جَلاَءَ فيه يَقينًا بَل اعْتَقَدُوا أَنَّ اليَقينَ هُوَ اليَقينُ الذي لهُ جَلاَءٌ فَقَطْ دُونَ غَيْره فَقَالوا لذَاكَ نَاقصًا.

وَأَمَّا الذينَ فيهمْ حدَّةُ النَّظَر فَلمَّا رَأَوْا أَنَّ تلكَ الزِّيَادَةَ وَالنُّقْصَانَ رَاجعَان إلى وَصْف اليَقين لاَ إلى نَفْس اليَقين لَمْ يَقُولوا بزيَادَة اليَقين وَنُقْصَانه بالضَّرُورَة وَمثْل ذَلكَ كَمَثَل المرْآتَيْن المُسَاويَتَيْن في الصِّغَر وَالكبَر المُتَفَاوتَتَيْن بحَسَب الجَلاَء وَالنُّورَانيَّة فرَآهُمَا شَخْصٌ وَقَال للتي جَلاَؤُهَا أَكْثَرُ إنَّهَا أَزْيَدُ وَأَكْبَرُ منَ الأُخْرَى التي لَيْسَ فيهَا ذَلكَ الجَلاَءُ وَقَال شَخْصٌ آخرُ: المرْآتَان مُتَسَاويَتَان لاَ زيَادَةَ لأَحَدَيْهمَا عَلَى الأُخْرَى وَلاَ نُقْصَانَ وَالتَّفَاوُتُ إنَّمَا هُوَ في الجَلاَء وَالإرَاءَة اللذَيْن هُمَا منْ صفَات المرْآة فَنَظَرُ الشَّخْص الثَّاني صَائبٌ وَنَافذٌ إلى حَقيقَة الشَّيْء وَنَظَرُ الأَوَّل مَقْصُورٌ عَلَى الظَّاهر لَمْ يُجَاوزْ منَ الصِّفَات إلى الذَّات ﴿ يَرْفَعُ اللهُ الذينَ آمَنُوا منْكُمْ وَالذينَ أُوتُوا العلمَ دَرَجَات ﴾

وَبهَذَا التَّحْقيق الذي وُفِّقَ هَذَا الفَقيرُ لإظْهَاره انْدَفَعَ اعْترَاضَاتُ المُخَالفينَ عَلَى القَوْل بعَدَم زيَادَة الإيمَان وَنُقْصَانه وَلَمْ يَلزَمْ كَوْنَ إيمَان عَامَّة المُؤْمنينَ مُمَاثلاً وَمُسَاويًا لإيمَان الأَنْبيَاء عَلَيْهمُ السَّلاَمُ منْ جَميع الوُجُود فَإنَّ إيمَانَ الأَنْبيَاء عَلَيْهمُ السَّلاَمُ لهُ جَلاَءٌ تَامٌّ وَنُورَانيَّةٌ وَلهُ ثَمرَاتٌ وَنَتَائجُ زَائدَةٌ بأَضْعَاف مُضَاعَفَة عَلَى إيمَان عَامَّة المُؤْمنينَ الذي فيه ظُلمَاتٌ وَكُدُورَاتٌ عَلَى تَفَاوُت دَرَجَاتهمْ. وَكَذَا يَنْبَغي أَنْ يَكُونَ المُرَادُ بزيَادَة إيمَان أَبي بَكْر ﷺ في الوَزْن عَلى إيمَان هَذه الأُمَّة زيَادَتَهُ باعْتبَار الجَلاَء وَالنُّورَانيَّة بإرْجَاع الزِّيَادَة إلى الصِّفَة الكَاملة أَلاَ تَرَى أَنَّ الأَنْبيَاءَ عَلَيْهمُ السَّلاَمُ وَعَامَّةَ النَّاس مُتَسَاوُونَ في نَفْس الإنْسَانيَّة وَالكُل مُتَّحدُونَ في الحَقيقَة وَالذَّات.

وَالتَّفَاضُل فيمَا بَيْنَهُمْ إنَّمَا هُوَ باعْتبَار الصِّفَات الكَاملة وَالذي لَيْسَ لهُ صفَةٌ كَاملةٌ كَأَنَّهُ خَارجٌ منْ نَوْع الإنْسَان وَمَحْرُومٌ منْ فَضَائله وَمَعَ وُجُود هَذَا التَّفَاوُت لَمْ يَتَطَرَّقْ الزِّيَادَةُ وَالنُّقْصَانُ إلى نَفْس الإنْسَانيَّة وَلاَ يَصحُّ أَنْ يُقَال: إنَّ الإنْسَانيَّةَ في أَفْرَاد الإنْسَان قَابلةٌ للزِّيَادَة وَالنُّقْصَان وَاللهُ - سُبْحَانَهُ - المُلهمُ للصَّوَاب.

وَأَيْضًا إنَّهُمْ قَالوا إنَّ التَّصْديقَ الإيمَانيَّ عنْدَ البَعْض هُوَ التَّصْديقُ المَنْطقيُّ الذي هُوَ شَامل للظَّنِّ وَاليَقين فَعَلى هَذَا التَّقْدير يُمْكنُ الزِّيَادَةُ وَالنُّقْصَانُ في نَفْس

الإِيمَان لكنَّ الصَّحِيحَ أَنَّ المُرَادَ بِالتَّصْدِيقِ هُنَا اليَقِينُ وَالإِذْعَانُ القَلبِيُّ لاَ المَعْنَى العَامُّ الشَّامِلِ للظَّنِّ وَالوَهْمِ.

قَال الإِمَامُ الأَعْظَمُ: أَنَا مُؤْمِنٌ حقًّا وَقَال الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ: أَنَا مُؤْمِنٌ إِنْ شَاءَ اللهُ.

وَنزَاعُهُمَا فِي الحَقِيقَة لفظِيٌّ مَذْهَبُ الأَوَّل باعْتِبَارِ الزَّمَان الحَال وَمَذْهَبُ الثَّاني باعْتِبَارِ المَآل وَعَاقِبَة الأَحْوَال وَلكِنَّ التَّحَاشِي مِنْ صُورَةِ الاِسْتِثْنَاء أَوْلى وَأَحْوَطُ كَمَا لاَ يَخْفَى عَلى المُنْصف.

وَكَرَامَاتُ أَوْلِيَاء اللهِ تَعَالَى حَقٌّ وَمنْ كَثْرَةِ وُقُوعِ خَوَارِقِ العَادَات مِنْهُمْ صَارَ هَذَا المَعْنَى عَادَةً مُسْتَمِرَّةً لَهُمْ وَمُنْكِرُهَا مُنْكِرٌ عَلى العلمِ العَادِيِّ وَالضَّرُورِيِّ وَلاَ اشْتِبَاهَ بَيْنهَا وَبَيْنَ مُعْجزَةِ النَّبِيِّ فَإِنَّ مُعْجزَةَ النَّبِيِّ مَقْرُونَةٌ بدَعْوَى النُّبُوَّة،

وَكَرَامَاتُ الوَلِيِّ خَالِيَةٌ عَنْ هَذَا المَعْنَى بَل هِيَ مَقْرُونَةٌ بِالإِقْرَارِ وَالاعْتِرَافِ بِمُتَابَعَةِ نَبِيٍّ فَأَنَّى الاشْتِبَاهُ بَيْنَهُمَا كَمَا زَعَمَهُ المُنْكِرُونَ.

وَتَرْتِيبُ الأَفْضَلِيَّة بَيْنَ الخُلفَاء الرَّاشدِينَ عَلى تَرْتِيبِ خلاَفَتهِمْ وَلكنْ أَفْضَلِيَّةُ الشَّيْخَيْنِ ثَابِتَةٌ بِإِجْمَاعِ الصَّحَابَة وَالتَّابعينَ كَمَا نَقلَتْهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَكَابِرِ أَئِمَّة الدِّين أَحَدُهمْ الإِمَامُ الشَّافعِيُّ ﷺ قَال الشَّيْخُ الإِمَامُ أَبُو الحَسَنِ الأَشْعَرِيُّ:

إِنَّ فَضْلَ أَبِي بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرَ عَلى بَقِيَّة الأُمَّة قَطْعِيٌّ قَال الذَّهَبِيُّ: وَقَدْ تَوَاتَرَ عَنْ عَلِيٍّ فِي خلاَفَته وَكُرْسِيِّ مَمْلكَته، وَبَيْنَ الجَمِّ وَالغَفير منْ شيعَته أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ أَفْضَلَ الأُمَّة. ثُمَّ قَال وَرَوَاهُ عَنْ عَلِيٍّ ـــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـــ نَيِّفٌ وَثَمَانُونَ نَفْسًا وَعَدَّ منْهُمْ جَمَاعَةً ثُمَّ قَال: فَقَبَّحَ اللهُ الرَّوَافضَ مَا أَجْهَلهُمْ وَرَوى البُخَارِيُّ عَنْهُ أَنَّهُ قَال: خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّ - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ رَجُلٌ آخرُ فَقَال ابْنُهُ مُحَمَّدُ ابْنُ الحَنَفيَّة ثُمَّ أَنْتَ فَقَال إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنَ المُسْلمِينَ وَصَحَّحَ الذَّهَبِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ عَلِيٍّ أَنَّهُ قَال: أَلاَ وَإِنَّهُ بَلغَنِي أَنَّ رِجَالاً يُفَضِّلونَنِي عَليْهِمَا وَمَنْ وَجَدْتُهُ يُفَضِّلنِي عَليْهِمَا فَهُوَ مُفْتَرٍ عَليْه مَا عَلى المُفْتَرِي.

وَأَمْثَال ذَلكَ مِنْهُ وَمنْ غَيْره منَ الصَّحَابَة مُتَوَاترَةٌ بحَيْثُ لاَ مَجَال فِيهَا لإِنْكَارِ أَحَد حَتَّى قَال عَبْدُ الرَّزَّاق عَنْ أَكَابِر الشِّيعَة: أَفْضَلَ الشَّيْخَيْنِ لتَفْضِيل عَلِيٍّ إِيَّاهُمَا عَلى نَفْسه وَإِلاَّ لمَا فَضَّلتُهُمَا كَفَة بِي وِزْرًا أَنْ أُحِبَّهُ ثُمَّ أُخَالفَهُ كُل ذَلكَ مُسْتَفَادٌ منَ الصَّوَاعق وَأَمَّا تفْضِيل عُثْمَانَ عَلى عَلِيٍّ ـــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـــ فَأَكْثَرُ عُلمَاء أَهْل السُّنَّة عَلى أَنَّ الأَفْضَل بَعْدَ الشَّيْخَيْنِ عُثْمَانُ ثُمَّ عَلِيٌّ وَمَذْهَبُ الأَئِمَّة الأَرْبَعَةِ المُجْتَهدِينَ أَيْضًا هُوَ هَذَا وَالتَّوَقُّفُ المَنْقُول عَنِ الإِمَامِ مَالكٍ فِي أَفْضَلِيَّة عُثْمَانَ

عَلى عَلِيٍّ فَقَدْ قَال القَاضِي عِيَاضٌ: إِنَّهُ رَجَعَ عَنْ هَذَا التَّوَقُّفِ إِلى تَفْضِيل عُثْمَانَ وَقَال القُرْطُبِيُّ:

وَهُوَ الأَصَحُّ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالى وَكَذَلِكَ التَّوَقُّفُ المَفْهُومُ مِنْ عِبَارَةِ الإِمَامِ الأَعْظَمِ أَعْنِي قَوْلَهُ مِنْ عَلاَمَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ تَفْضِيل الشَّيْخَيْنِ وَمَحَبَّةُ الخَتَنَيْنِ وَلاخْتِيَارِهِ هَذِهِ العِبَارَةَ عِنْدَ الفَقِيرِ مَحْمَل آخَرُ وَهُوَ أَنَّهُ لَمَّا كَثُرَ ظُهُورُ الفِتَنِ وَالاخْتِلاَل فِي أُمُورِ النَّاسِ فِي زَمَنِ خِلاَفَةِ الخَتَنَيْنِ وَحُدُوثِ الكُدُورَاتِ مِنْ هَذِهِ الجِهَةِ فِي قُلُوبِ النَّاسِ اخْتَارَ الإِمَامُ لَفْظَ المَحَبَّةِ فِي حَقِّهِمَا مُلاَحِظًا لِهَذَا المَعْنَى وَجَعَل مَحَبَّتَهُمَا مِنْ عَلاَمَاتِ أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُلاَحِظَ فِيهَا شَائِبَةَ التَّوَقُّفِ كَيْفَ وَكُتُبُ الحَنَفِيَّةِ مَشْحُونَةٌ بِأَنَّ أَفْضَلِيَّتَهُمْ عَلى تَرْتِيبِ خِلاَفَتِهِمْ وَبِالجُمْلَةِ إِنَّ أَفْضَلِيَّةَ الشَّيْخَيْنِ يَقِينِيَّةٌ وَأَفْضَلِيَّةَ عُثْمَانَ دُونَهُمَا وَلَكِنَّ الأَحْوَطَ أَنْ لاَ نُكَفِّرَ مُنْكِرًا فَضْلِيَّةَ عُثْمَانَ بَل أَفْضَلِيَّةَ الشَّيْخَيْنِ بَل نَقُول:

إِنَّهُ مُبْتَدِعٌ وَضَال فَإِنَّ لِلعُلَمَاءِ اخْتِلاَفًا فِي تَكْفِيرِهِ وَفِي قَطْعِيَّةِ هَذَا الإِجْمَاعِ قِيل وَقَال وَذَلِكَ المُنْكِرُ قَرِينُ يَزِيدَ الخَائِبِ المَخْذُول وَقَدْ تَوَقَّفُوا فِي لَعْنِهِ احْتِيَاطًا وَالإِيذَاءُ الذِي يُصِيبُ النَّبِيَّ ﷺ مِنْ جِهَةِ إِيذَاءِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ كَالإِيذَاءِ الذِي أَصَابَهُ ﷺ مِنْ جُمْلَةِ إِيذَاءِ سِبْطَيْهِ قَال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: اللهَ اللهَ فِي أَصْحَابِي لاَ تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا مِنْ بَعْدِي فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهَ وَمَنْ آذَى اللهَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

وَمَا عَدَّهُ مَوْلاَنَا سَعْدُ الدِّينِ التَّفْتَازَانِيُّ فِي شَرْحِ عَقَائِدِ النَّسَفِيِّ إِنْصَافًا فِي هَذِهِ الأَفْضَلِيَّةِ بَعِيدٌ عَنِ الإِنْصَافِ وَالتَّرْدِيدِ الذِي ذَكَرَهُ فِيهِ لاَ حَاصِل فِيهِ؛ لأَنَّ المُقَرَّ عِنْدَ العُلَمَاءِ أَنَّ المُرَادَ بِالأَفْضَلِيَّةِ هُنَا بِاعْتِبَارِ كَثْرَةِ الثَّوَابِ عِنْدَ اللهِ – جَل وَعَلاَ – لاَ الأَفْضَلِيَّةُ التِي هِيَ بِمَعْنَى كَثْرَةِ ظُهُورِ المَنَاقِبِ وَالفَضَائِل مَا لَمْ يُنْقَل مِثْلُهُ عَنْ صَحَابِيٍّ غَيْرِهِ حَتَّى قَال الإِمَامُ أَحْمَدُ: مَا جَاءَ لأَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنَ الفَضَائِل مَا جَاءَ لِعَلِيٍّ وَمَعَ ذَلِكَ حَكَمَ هُوَ بِأَفْضَلِيَّةِ الخُلَفَاءِ الثَّلاَثِ فَعُلِمَ مِنْ هَذَا أَنَّ وَجْهَ الأَفْضَلِيَّةِ شَيْءٌ آخَرُ وَرَاءَ هَذِهِ الفَضَائِل وَالمَنَاقِبِ وَالاطِّلاَعُ عَلَيْهَا إِنَّمَا يَتَيَسَّرُ لِمَنْ أَدْرَكُوا زَمَانَ الوَحْيِ وَشَاهَدُوهُ حَتَّى عَلِمُوهَا بِالتَّصْرِيحِ أَوْ بِالقَرَائِنِ وَهُمْ أَصْحَابُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فَمَا قَال شَارِحُ العَقَائِدِ النَّسَفِيَّةِ إِنَّهُ لَوْ كَانَ المُرَادُ بِالأَفْضَلِيَّةِ كَثْرَةَ الثَّوَابِ فَلِلتَّوَقُّفِ جِهَةٌ سَاقِطٌ عَنِ الاعْتِبَارِ؛ لأَنَّهُ إِنَّمَا يَكُونُ لِلتَّوَقُّفِ مَجَال لَوْ لَمْ يُعْلَمِ الأَفْضَلِيَّةُ مِنْ قِبَل صَاحِبِ الشَّرْعِ صَرَاحَةً أَوْ دَلاَلَةً وَحَيْثُ عُلِمَ فَعَلى مَا يَتَوَقَّفُ وَإِنْ

لَمْ يَعْلَمْ فَلَمْ يَحْكُمْ بالأَفْضَلِيَّة وَالذي يَرَى الكُل مُتَسَاوِيَةً وَيَزْعُمُ تَفْضِيل أَحَدِهِمْ عَلَى الآخَرِ فُضُولاً فَهُوَ فُضُولِيٌّ أَيُّ فُضولِيٍّ حَيْثُ يَزْعُمُ إجْمَاعَ أَهْل الحَقِّ فُضُولاً وَلَعَل لفظَ الفَضْل هُوَ الذي أَوْرَدَهُ في مَوَارِدِ الفُضُولِيِّ.

وَمَا قَال صَاحِبُ الفُتُوحَاتِ المَكِّيَّة إنَّ سَبَبَ خلافَتهمْ مُدَّةَ أَعْمَارِهِمْ لَيْس فيه دَلالَةٌ عَلى مُسَاوَاتهمْ في الفَضْليَّة؛ لأَنَّ أَمْرَ الخلافَة غَيْرُ أَمْر الأَفْضَليَّة وَلَوْ سُلم فَهَذَا وَأَمْثَالُهُ منْ شَطْحيَّاته غَيْرُ لائق بالتَّمَسُّك وَأَكْثَرُ كَشْفيَّاته التي تُخَالفُ عُلومَ أَهْل السُّنَّة بَعيدَةٌ عَن الصَّوَاب فَلاَ يُتَابعُهَا أَحَدٌ إلاَّ مَريضَ القَلْب أَوْ مُقلدَ صِرْف.

وَمَا وَقَع بَيْنَ الأَصْحَاب منَ المُنَازعَات وَالمُشَاجرَات يَجبُ حَمْلهَا عَلى مَحَامل حَسَنَة وَيَنْبَغي تَبْريئَتُهُمْ عَنِ الهَوَى وَالتَّعَصُّب قَال التَّفْتَازانيُّ مَعَ إفْرَاطه في حُبِّ عَليٍّ ــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ــ: وَمَا وَقَعَ منَ المُخَالفَات وَالمُحَارَبَات لَمْ يَكُنْ عَنْ نزَاعٍ في الخلاَفَة بَل عَنْ خطَأ في الاجْتهَاد.

وَفي حَاشيَة الخيَاليِّ عَلَيْه: فَإنَّ مُعَاويَةَ وَأَحْزَابَهُ بَغَوْا عَنْ طَاعَته مَعَ اعْترَافهمْ بأَنَّهُ أَفْضَل أَهْل زَمَانه وَأَنَّهُ الأَحَقُّ بالإمَامَة منْهُ بشُبْهَةٍ هيَ تَرْكُ القصَاص عَنْ قَتَلَة عُثْمَانَ رَضيَ اللهُ عَنْهُ.

وَنُقل في حَاشيَة قُرَّةُ كَمَال عَنْ عَليٍّ ــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ــ أَنَّهُ قَال: إخْوَانُنا بَغَوْا عَلَيْنَا وَلَيْسُوا بكَفَرَة وَلاَ فَسَقَة لمَا لَهُمْ منَ التَّأْويل.

وَلاَ شَكَّ أَنَّ الخَطَأَ الاجْتهَاديَّ بَعيدٌ عَن المَلاَمَة عَلَيْه وَالطَّعْنُ وَالتَّشْنيعُ مَرْفُوعَان عَنْ صَاحبه يَنْبَغي أَنْ يُذْكَرَ جَميعُ الأَصْحَاب الكرَام بالخَيْر مُرَاعَاةً لحُقُوق صُحْبَة خَيْر البَشَر عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلوَاتُ وَالتَّحيَّاتُ وَأَنْ يُحبَّهُمْ بحُبِّ النَّبيِّ - عَلَيْه السَّلاَمُ - قَال - عَلَيْه السَّلاَمُ - مَنْ أَحَبَّهُمْ فَبحُبِّي أَحَبَّهُمْ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَببُغْضي أَبْغَضَهُمْ.

يَعْني أَنَّ المَحَبَّةَ التي تَتَعَلقُ بأَصْحَابي هيَ عَيْنُ المَحَبَّة التي تَتَعَلقُ بي وَكَذَلكَ البُغْضُ الذي يَتَعَلقُ بهمْ عَيْنُ البُغْض الذي يَتَعَلقُ بي وَلاَ غَرَضَ لنَا منْ مَحَبَّة مُحَاربي عَليٍّ ــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ــ أَصْلاً بَل يَحقُّ لنَا أَنْ نَتَأَذَّى منْهُمْ وَلكنْ حَيْثُ كَانُوا أَصْحَابَ النَّبيِّ ﷺ وَكُنَّا مَأْمُورينَ بمَحَبَّتهمْ وَمَمْنُوعينَ عَنْ بُغْضهمْ وَإيذَائهمْ فَلاَ جَرَمَ نُحبُّ كُلهُمْ بحُبِّ النَّبيِّ ﷺ وَنَحْترَزُ عَنْ بُغْضهمْ وَإيذَائهمْ لكَوْنهمَا مُنْجَرَّينَ إلَيْه ﷺ وَلكنْ نَقُول للمُحقِّ مُحقًّا وَللمُبْطل مُبْطلاً كَانَ عَليٌّ عَلى الحَقِّ وَمُخَالفُوهُ عَلى الخَطَأ.

وَالزِّيَادَةُ عَلى ذَلكَ منَ الفُضُول وَتَحْقيقُ هَذَا المَبْحَث مَذْكُورٌ تَفْصيلاً في المَكْتُوب الذي كَتَبْتُهُ إلى الخواجه مُحَمَّد أَشْرَفَ فَإنْ بَقيَ هُنَا خَفَاءٌ فَلْيُرَاجعْ هُنَاكَ.

وَلاَ بُدَّ بَعْدَ تَصْحِيحِ العَقَائِد مِنْ تَعَلم أَحْكَام الفِقْه وَلاَ مَنْدُوحَةَ مِنْ تَعَلم علم الفَرْضِ وَالوَاجب وَالحَلاَل وَالحَرَام وَالسُّنَّة وَالمَنْدُوب وَالمُشْتَبَه وَالمَكْرُوه وَالعَمَل بِمُقْتَضَى هَذَا العلم أَيْضًا ضَرُورِيٌّ يَنْبَغي أَنْ يُعَدَّ مُطَالَعَةُ كُتُب الفقْه منَ الضَّرُوريَّات وأَنْ يُرَاعَى السَّعْيُ البَليغُ في إتيان الأَعْمَال الصَّالحَة لنُوردَ هُنَا شيمَةً منْ فَضَائل الصَّلاَة وَأَرْكَانهَا فَإنَّهَا عمَادُ الدِّين فَيَنْبَغي اسْتمَاعُهَا لاَ بُدَّ أَوَّلاً منْ إسْبَاغ الوُضُوء وَمنْ غَسْل كُل عُضْو ثَلاَثًا ثَلاَثًا عَلَى وَجْه التَّمَام وَالكَمَال ليَكُونَ مُؤَدًّى عَلى وَجْه السُّنَّة وَيَنْبَغي الاسْتيعَابُ في مَسْح الرَّأس وَالاحْتيَاطُ في مَسْح الأُذُنَيْن وَالرَّقَبَة وَوَرَدَ تَخْليل أَصَابع الرِّجْل بخنْصَر يَد اليُسْرَى منَ الأَسْفَل فَيَنْبَغي مُرَاعَاتُهُ أَيْضًا وَلاَ يَنْبَغي المُسَاهَلَةُ في إتْيَان المُسْتَحَبِّ فَإنَّهُ مَحْبُوبُ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَمَرْضيُّهُ تَعَالَى فَإنْ عُلمَ في جَميع الدُّنْيَا فعْل وَاحدٌ مَرْضيٌّ وَمَحْبُوبٌ عنْدَ الحَقِّ - جَل سُلْطَانُهُ - وَتَيَسَّرَ العَمَل بمُقْتَضَاهُ يَنْبَغي أَنْ يَغْتَنمَهُ وَحُكْمُهُ كَحُكْم جَوَاهرَ نَفيسَة اشْتَرَاهَا شَخْصٌ بقُطْعَان خَزَف أَوْ رُوح نَالهَا ببَذْل جَمَاد لاَ طَائل فيه وَبَعْدَ الطُّهْر الكَمَال وَإسْبَاغ الوُضُوء يَنْبَغي قَصْدُ الصَّلاَة التي هيَ معْرَاجُ المُؤْمن وَيَنْبَغي الاهْتمَامُ في أَدَاء الفَرْض مَعَ الجَمَاعَة بَل يَنْبَغي أَنْ لاَ يَتْرُكَ التَّكْبيرَةَ مَعَ الإمَام وَيَنْبَغي أَيْضًا أَدَاءُ الصَّلاَة في الوَقْت المُسْتَحَبِّ وَمُرَاعَاةُ القَدْر المَسْنُون في القرَاءَة وَلاَ بُدَّ منَ الطُّمَأْنينَة في الرُّكُوع وَالسُّجُود فَإنَّهَا إمَّا فَرْضٌ أَوْ وَاجبٌ عَلى القَوْل المُخْتَار وَيَنْبَغي أَنْ يَسْتَويَ قَائمًا عَلى الكَمَال في القَوْمَة عَلى نَهْج يَرْجعُ كُل عُضْو إلى مَحله وَيَسْتَقرُّ في مَقَرِّه وَالطُّمَأْنينَةُ لاَزمَةٌ أَيْضًا بَعْدَ الاسْتوَاء قَائمَةً فَإنَّهَا هُنَا إمَّا فَرْضٌ أَوْ وَاجبٌ أَوْ سُنَّةٌ عَلى اخْتلاَف الأَقْوَال وَهَكَذَا في الجَلْسَة التي هيَ بَيْنَ السَّجْدَتَيْن يَلزَمُ فيهَا الطُّمَأْنينَةُ بَعْدَ الاسْتقْرَار كَمَا في القَوْمَة وَأَقل تَسْبيحَات الرُّكُوع وَالسُّجُود ثَلاَثَ مَرَّات وَأَكْثَرُهَا إلى سَبْع مَرَّات أَوْ أَحَدَ عَشَرَ مَرَّةً عَلى اخْتلاَف الأَقْوَال وَتَسْبيحُ الإمَام يَنْبَغي أَنْ يَكُونَ عَلى قَدْر حَال المُقْتَدينَ وَيَنْبَغي أَنْ يَسْتَحيَ الإنْسَانُ منَ اقْتصَار التَّسْبيحَات عَلى أَقَل مَرْتَبَتهَا في حَال الانْفرَاد وَوَقْت قُوَّة الاسْتطَاعَة بَل يَقُومُ خَمْسًا أَوْ سَبْعًا وَوَقْتَ قَصْد السَّجْدَة يَضَعُ عَلى الأَرْض أَوَّلاً مَا هُوَ أَقْرَبُ إلى الأَرْض فَيَضَعُ أَوَّلاً رُكْبَتَيْه ثُمَّ يَدَيْه ثُمَّ أَنْفَهُ ثُمَّ جَبْهَتَهُ وَيَنْبَغي الابْتدَاءُ منَ اليَمين وَقْتَ وَضْع يَدَيْه وَرُكْبَتَيْه وَحينَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ منَ السَّجْدَة يَنْبَغي أَنْ يَرْفَعَ أَوَّلاً مَا هُوَ أَقْرَبُ إلى السَّمَاء فَيَنْبَغي الابْتدَاءُ برَفْع الجَبين وَيَنْبَغي أَنْ يَنْظُرَ في القيَام إلى مَوْضع سُجُوده وَفي الرُّكُوع إلى ظَهْر قَدَمَيْه وَفي السُّجُود إلى رَأْس أَنْفه وَفي القُعُود إلى يَدَيْه فَإنَّهُ إذَا نَصَبَ البَصَرَ عَلى المَوَاضع المَذْكُورَة وَمَنَعَ النَّظَرَ

منَ التَّفرقَة تَتيَسَّرُ الصَّلاَةُ بالجَمْعيَّة وَيَحصُل فيهَا الخُشوعُ كَمَا هُوَ المَنقُول عَن النَّبيِّ ﷺ وَكَذَلكَ تَفريجُ الأَصَابع في الرُّكُوع وَضَمِّهَا في السُّجُود سُنَّةٌ فَيَنْبَغي مُرَاعَاتُهَا وَتَفريجُ الأَصَابع وَضَمُّهَا لَيسَا بلاَ فَائدَة بَل فيهمَا فَوائدُ كَثيرَةٌ أَمَرَ الشَّارعُ بإتْيَانهمَا بمُلاَحظَة تلكَ الفَوَائد وَلَيسَ لَنَا فَائدَةٌ أَصْلاً تُسَاوي مُتَابَعَةَ صَاحب الشَّريعَة عَلَيه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالتَّحيَّةُ وَكُل هَذه الأَحْكَام مَذْكُورَةٌ في كُتُب الفقْه بالتَّفصيل وَالإيضَاح وَالمَقصُودُ هُنَا التَّرغيبُ في الأَعْمَال بمُقتَضَى علم الفقْه وَفَّقَنَا اللهُ - سُبْحَانَهُ - وَإيَّاكُمْ للأَعْمَال الصَّالحَة وَالمُوَافقَة للعُلوم الشَّرْعيَّة بَعْدَ أَنْ وَفَّقْنَا لتَصْحيح العَقَائد اليَقينيَّة بحُرْمَة سَيِّد المُرسَلينَ عَلَيه وَعَليهمْ وَعَلى آل كُل منَ الصَّلَوَات أَفْضَلَهَا وَمنَ التَّسْليمَات أَكْمَلَهَا فَإنْ وَجَدْتُمْ في أَنْفُسكُمْ شَوْقًا إلى فَضَائل الصَّلاَة وَالاطِّلاَع عَلى كَمَالاَتهَا المَخْصُوصَة بهَا يَنْبَغي المُرَاجَعَةُ إلى ثَلاَثَة مَكَاتيبَ المُتَّصل بَعْضُهَا ببَعْض وَمُطَالعَتُهَا الأَوَّل مَكْتُوبٌ باسْم وَلَدي مُحَمَّد صَادق وَالثَّاني باسْم المِير مُحَمَّد نُعْمَانَ وَالثَّالثُ باسْم الشَّيْخ تَاج الدِّين.

وَبَعْدَ تَحْصيل جَنَاحَي الاعْتقَاد وَالعَمَل إذَا كَانَ تَوْفيقُ الحَقِّ رَفيقًا وَدَليلاً يَنْبَغي سُلوكُ طَريقَة الصُّوفيَّة العَليَّة لاَ لغَرَض تَحْصيل شَيْءٍ زَايد عَلى ذَلكَ الاعْتقَاد وَالعَمَل وَنَيل أَمْر جَديد سوَاهُمَا فَإنَّ ذَلكَ منْ طُول الأَمَل المُفْضي إلى الزَّلَل بَل المَقْصُودُ منْهَا حُصُول اليَقين وَالاطْمئْنَان في المُعْتَقَدَات بحَيْثُ لاَ تَزُول بتَشْكيك مُشَكِّك وَلاَ تَبْطُل بإيرَاد شُبْهَة فَإنَّ قَدَمَ الاسْتدْلال لاَ ثَبَاتَ لَهَا وَلاَ قَرَارَ لخَزَف مَعْمُول منْ طين وَالمُسْتَدل لَيسَ لَهُ تَمْكينٌ أَلاَ بذكْر الله تَطْمَئنُّ القُلوبُ.

وَحُصُول اليُسْر وَالسُّهُولة في إتْيَان الأَعْمَال وَزَوَال الكَسَالة وَالعنَاد وَالتَّعَنُّت النَّاشئَة منَ النَّفْس الأَمَّارَة وَلَيْسَ المَقْصُودُ منْ سُلوك طَريق الصُّوفيَّة أَيْضًا مُشَاهَدَةُ الصُّوَر وَالأَشْكَال الغَيْبيَّة وَمُعَايَنَةُ الأَلوَان وَالأَنْوَار اللاَّكَيْفيَّة فَإنَّ ذَلكَ دَاخل في اللهْو وَاللعب وَأيُّ نُقْصَان في الأَنْوَار وَالصُّوَر الحسيَّتَيْن حَتَّى يَتْرُكَهَا شَخْصٌ وَيَتمَنَّى الصُّوَرَ وَالأَنْوَارَ الغَيْبيَّتَيْن بارْتكَاب الرِّيَاضَات وَالمُجَاهَدَات فَإنَّ هَذه الصُّوَرَ وَالأَنْوَارَ وَتلكَ الصُّوَرَ وَالأَلوَانَ كُلهَا مَخْلوقَةُ الحَقِّ - جَل وَعَلاَ - وَمنَ الآيَات الدَّالة عَلى وُجُوده تَعَالى.

وَاخْتيَارُ الطَّريقَة النَّقْشَبَنْديَّة منْ بَيْن سَائر طُرُق الصُّوفيَّة أَوْلَى وَأَنْسَبُ؛ لأَنَّ هَؤُلاَء الأَكَابرَ قَدْ التَزَمُوا السُّنَّةَ السَّنيَّةَ وَاجْتنَابَ البدْعَة الشَّنيعَة وَلهَذَا تَرَاهُمْ يَفْرَحُونَ وَيَسْتَبْشرُونَ إذَا كَانَ فيهمْ دَوْلَةُ المُتَابعَة وَإنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَيْءٌ منَ الأَحْوَال وَمَتَى أَحَسُّوا فُتُورًا في المُتَابَعَة مَعَ وُجُود الأَحْوَال لاَ يَقْبَلونَ تلكَ الأَحْوَال وَلاَ تَبْغُونَهَا وَمنْ هَهُنَا لَمْ يُجَوِّزُوا الرَّقْصَ وَالسَّمَاعَ وَلَمْ يَقْبَلوا الأَحْوَالَ المُتَرَتِّبَةَ عَلَيْه باتِّفَاق منْهُمْ

وَإِجْمَاعِ بَلِ اعْتَقَدُوا ذِكْرَ الجَهْرِ بِدْعَةً وَمَنَعُوا أَصْحَابَهُمْ عَنْهُ وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى ثَمَرَاتٍ تَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ كُنْتُ يَوْمًا فِي مَجْلِسِ الطَّعَامِ مَعَ حَضْرَةِ شَيْخِنَا فَقَالَ الشَّيْخُ كَمَالٌ الذي هُوَ مِنْ مُخْلِصِي حَضْرَةِ شَيْخِنَا بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ جَهْرًا حِينَ شَرَعَ فِي الأَكْلِ فَلَمْ يُنَاسِبْ ذَلِكَ مِنْهُ لِحَضْرَةِ شَيْخِنَا حَتَّى قَالَ بِالزَّجْرِ البَلِيغِ امْنَعُوهُ لاَ يَحْضُرُ مَجْلِسَ طَعَامِنَا.

وَسَمِعْتُ حَضْرَةَ شَيْخِنَا يَقُولُ: إِنَّ الخواجهْ النَّقْشَبَنْدِيَّ - قُدِّسَ سِرُّهُ - جَمَعَ عُلَمَاءَ بُخَارَا وَجَاءَ بِهِمْ إِلَى خَانَقَاهْ شَيْخِهِ الأَمِيرِ كَلاَل لِيَمْنَعُوهُمْ مِنْ ذِكْرِ الجَهْرِ فَقَالَ العُلَمَاءُ لِلأَمِيرِ: إِنَّ ذِكْرَ الجَهْرِ بِدْعَةٌ فَلاَ تَفْعَلُوهُ فَقَالَ فِي جَوَابِهِمْ: لاَ أَفْعَلُ فَإِذَا صَدَرَ مِنْ أَكَابِرِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ مِثْلُ هَذِهِ المُبَالَغَةِ فِي المَنْعِ عَنْ ذِكْرِ الجَهْرِ فَمَاذَا نَقُولُ فِي السَّمَاعِ وَالرَّقْصِ وَالوَجْدِ وَالتَّوَاجُدِ وَالأَحْوَالِ وَالمَوَاجِيدِ التي تَتَرَتَّبُ عَلَى أَسْبَابٍ غَيْرِ مَشْرُوعَةٍ فَهِيَ مِنْ قَبِيلِ الاسْتِدْرَاجَاتِ عِنْدَ الفَقِيرِ فَإِنَّ الأَحْوَالَ وَالأَذْوَاقَ قَدْ تَحْصُلُ لأَهْلِ الاسْتِدْرَاجِ أَيْضًا وَيَظْهَرُ لَهُمْ فِي مَرَايَا صُورَةِ العَالَمِ كَشْفُ التَّوْحِيدِ وَالمُكَاشَفَةِ وَالمُعَايَنَةِ وَفَلاَسِفَةُ اليُونَانِ وَجُوكِيَّةُ الهُنُودِ وَبَرَاهِمَتُهُمْ شُرَكَاءُ فِي تِلْكَ الأُمُورِ وَعَلاَمَةُ صِدْقِ الأَحْوَالِ مُوَافَقَتُهَا لِلْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ مَعَ الاجْتِنَابِ مِنَ ارْتِكَابِ الأُمُورِ المُحَرَّمَةِ وَالمُشْتَبِهَةِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّقْصَ وَالسَّمَاعَ دَاخِلٌ فِي الحَقِيقَةِ فِي اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ} الآيَةَ، نَازِلٌ فِي شَأْنِ المَنْعِ عَنِ الغِنَاءِ كَمَا قَالَ مُجَاهِدٌ الذي هُوَ تِلْمِيذُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ أَنَّ المُرَادَ بِلَهْوِ الحَدِيثِ الغِنَاءُ فِي المَدَارِكِ لَهْوُ الحَدِيثِ السَّمَرُ وَالغِنَاءُ وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ مَسْعُودٍ ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ــ يَحْلِفَانِ أَنَّهُ الغِنَاءُ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَالذينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ}(١) أَيْ: لاَ يَحْضُرُونَ الغِنَاءَ وَحُكِيَ عَنْ إِمَامِ الهُدَى أَبِي مَنْصُورٍ المَاتُرِيدِيِّ(٢) مَنْ قَالَ لِمُقْرِئِي زَمَانِنَا: أَحْسَنْتَ عِنْدَ قِرَاءَتِهِ يَكْفُرُ وَبَانَتْ مِنْهُ امْرَأَتُهُ وَأَحْبَطَ اللهُ كُلَّ حَسَنَاتِهِ وَحُكِيَ عَنْ أَبِي نَصْرٍ الدَّبُوسِيِّ عَنِ القَاضِي ظَهِيرِ الدِّينِ الخُوَارِزْمِيِّ: مَنْ سَمِعَ الغِنَاءَ مِنَ المُغَنِّي وَغَيْرِهِ أَوْ يَرَى فِعْلاً مِنَ الحَرَامِ فَيُحَسِّنُ ذَلِكَ بِاعْتِقَادٍ أَوْ بِغَيْرِ اعْتِقَادٍ يَصِيرُ مُرْتَدًّا فِي الحَالِ بِنَاءً عَلَى أَنَّهُ أَبْطَلَ حُكْمَ الشَّرِيعَةِ وَمَنْ أَبْطَلَ حُكْمَ

---

(١) ــ الآية: ٧٢ من سورة الفرقان.

(٢) هو **محمد بن محمد بن محمود الماتريدي** السمرقندي (أبو منصور) متكلم، أصولي، من أهم مصنفاته: شرح الفقه الأكبر المنسوب للإمام أبو حنيفة، تأويلات أهل السنة. توفي سنة ٣٣٣هـ. انظر: تاج التراجم لابن قطلوبغا ٤٣، مفتاح السعادة لطاش كوبرى زادة ٢/٢١، معجم المؤلفين لكحالة ٣/٦٩٢.

الشَّرِيعَة فَلاَ يَكُونُ مُؤْمِنًا عِنْدَ كُل مُجْتَهِد وَلاَ يَقْبَل اللهُ طَاعَتَهُ وَأَحْبَطَ اللهُ كُل حَسَنَاته أَعَاذَنَا اللهُ - سُبْحَانَهُ - مِنْ ذَلكَ وَالآيَاتُ وَالأَحَاديثُ وَالرِّوَايَاتُ الفقْهيَّةُ في حُرْمَة الغنَاء كَثيرَةٌ جدًّا عَلى حَدٍّ يَعْذُرُ إحْصَاؤُهَا وَمَعَ هَذه كُلهَا الوَاوُ وَرَدَّ شَخْصٌ حَديثًا مَنْسُوخًا أَوْ روَايَةً شَاذَّةً في إبَاحَة الغنَاء لاَ يَنْبَغي اعْتبَارُهُ منْهُ فَإنَّهُ لَمْ يَفُتْ فَقيهٌ في وَقْت منَ الأَوْقَات بإبَاحَة الغنَاء وَلَمْ يُجَوِّزْ الرَّقْصَ وَالضَّرْبَ بالأَرْجُل كَمَا هُوَ مَذْكُورٌ في مُلتَقط الإمَام الهُمَام ضيَاء الدِّين الشَّامي.

وَعَمَل الصُّوفيَّة لَيْسَ بسَنَد في الحل وَالحُرْمَة أَمَا يَكْفيهمْ أَنْ نَعْذُرَهُمْ وَلاَ نَلومَهُمْ وَنُفَوِّضَ أَمْرَهُمْ إلى الله تَعَالَى وَالمُعْتَبَرُ هُنَا قَوْل الإمَام أَبي حَنيفَةَ وَالإمَام أَبي يُوسُفَ وَالإمَام مُحَمَّد رَحمَهُمُ اللهُ لاَ عَمَل الشِّبْلي وَأَبي الحُسَيْن النُّوري وَقَدْ جَعَلت الصُّوفيَّةُ القَاصرُونَ اليَوْمَ السَّمَاعَ وَالرَّقْصَ دينَهُمْ وَملتَهُمْ مُسْتَندينَ إلى عَمَل مَشَائخهمْ وَاتَّخَذُوهُ طَاعَتَهمْ وَعبَادَتَهمْ أُولئكَ الذينَ اتَّخَذُوا دينَهُمْ لَهْوًا أَوْ لعبًا.

وَقَدْ عُلمَ منَ الرِّوَايَة السَّابقَة أَنَّ مَن اسْتَحْسَنَ الفعْلَ الحَرَامَ فَقَدْ خَرَجَ منْ زُمْرَة أَهْل الإسْلاَم وَصَارَ مُرْتَدًّا فَيَنْبَغي التَّأَمُّل مَاذَا يَكُونُ شَنَاعَةُ تَعْظيم مَجْلس السَّمَاع وَالرَّقْص بَل اتِّخَاذُهُ طَاعَةً وَعبَادَةً وَلله - سُبْحَانَهُ - الحَمْدُ وَالمنَّةُ لَمْ يُبْتَل مَشَائخُنَا بهَذَا الأَمْر وَخَلصُوا أَمْثَالنَا المُقَلدينَ منْ تَقْليد هَذَا الأَمْر وَقَدْ نَسْمَعُ أَنَّ المَخَاديمَ يَميلونَ إلى السَّمَاع وَيَعْقدُونَ مَجْلسَ السَّمَاع وَقرَاءَةَ القَصَائد في لَيَالي الجُمْعَة وَأَكْثَرُ الأَصْحَاب يُوَافقُونَهُمْ في ذَلكَ الأَمْر وَالعَجَبُ أَلفَ عَجَب أَنَّ مُريدي السَّلاَسل الآخَر إنَّمَا يَرْتَكبُونَ هَذَا الأَمْرَ مُسْتَدلينَ إلى عَمَل مَشَائخهمْ وَيَدْفَعُونَ الحُرْمَةَ الشَّرْعيَّةَ بعَمَلهمْ وَإنْ لَمْ يَكُونُوا مُحقِّينَ في هَذَا الأَمْر في الحَقيقَة وَمَا مَعْذرَةُ أَصْحَابنَا في ارْتكَاب هَذَا الأَمْر وَفيه ارْتكَابُ الحُرْمَة الشَّرْعيَّة منْ طَرَف وَارْتكَابُ مُخَالفَة مَشَائخ طَريقهمْ منْ طَرَف آخَرَ فَلاَ أَهْل الشَّرْعيَّة رَاضُونَ عَنْ هَذَا الفعْل وَلاَ أَهْل الطَّريقَة فَلوْ لَمْ يَكُنْ فيه ارْتكَابُ الحُرْمَة الشَّرْعيَّة لكَانَ مُجَرَّدُ إحْدَاث أَمْر في الطَّريقَة شَنيعًا فَكَيْفَ إذَا اجْتَمَعَ مَعَهُ ارْتكَابُ الحُرْمَة الشَّرْعيَّة.

وَاليَقينُ أَنَّ جَنَابَ المير زَاجيُو لاَ يَرْضَى بهَذَا الأَمْر وَلَكنْ لاَ يُصَرِّحُ بالمَنْع أَيْضًا رعَايَةً للأَدَب مَعَكُمْ وَلاَ يَنْهَى الأَصْحَابُ عَنْ هَذَا الاجْتمَاع أَيْضًا وَالفَقيرُ لَمَّا أَحْسَسْتُ تَوَقُّفًا في مَجيئي كَتَبْتُ هَذه الفقْرَات وَأَرْسَلتُهَا إلَيْكُمْ فَيَنْبَغي قرَاءَتُهَا منْ أَوَّلهَا إلى آخرهَا عنْدَ الميرزا جيو وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالسِّتُّونَ وَالمائَتَان
إلى الميرْزَا حُسَامِ الدِّينِ أَحْمَدَ
في بَيَان أَنَّ الأَسْرَارَ وَالدَّقَائِقَ التي امْتَازَ بهَا لاَ يُمْكنُ إظْهَارُ نُبْذَة منْهَا بَل لاَ يُمْكنُ التَّكَلمُ عَنْهَا بالرَّمْزِ وَالإشَارَة وَإنَّهَا مُقْتَبَسَةٌ منْ مشْكَاة النُّبُوَّة وَيَشْتَرِكُ فِيهَا المَلاَ الأَعْلَى أَيْضًا وَمَا يُنَاسبُهُ

بَعْدَ الحَمْد وَالصَّلوَات وَتَبْليغ الدَّعَوَات ليَعُمَّ أَنَّ الصَّحيفَةَ الشَّرِيفَةَ التي أَرْسَلتُهَا باسْمِ هَذَا الحَقير عَلى وَجْه الكَرَم قَدْ وَصَلتْ وَتَشَرَّفْتُ بمُطَالعَتهَا جزَاكُمْ اللهُ - سُبْحَانَهُ - خَيْرَ الجَزَاء وَمَاذَا أَكْتُبُ منْ إنْعَامَات الحَقِّ - جَل سُلطَانُهُ - وَكَيْفَ أُؤَدِّي شُكْرَهَا وَمَا يُفَاضُ منَ العُلومِ وَالمَعَارف يَكْتُبُ أَكْثرَهَا وَيُحَرِّرُ بتَوْفيق الله - تَعَالى - وَيُوَصِّلُ إلى سَمْعِ أَهْلهَا وَلكنَّ الأَسْرَارَ وَالدَّقَائقَ التي كُنْتُ مُمْتَازًا بهَا فَلاَ يُمْكنُ إيرَادُ نُبْذَة منْهَا في عَرْصَة الظُّهُورِ بَل لاَ يُمْكنُ التَّكَلمُ منْ تلكَ المَقُولة بالرَّمْزِ وَالإشَارَة حَتَّى أَنَّهُ لاَ يُوردُ رَمْزٌ منْ هَذه الأَسْرَارِ وَالدَّقَائق بَيْني وَبَيْنَ وَلدي الأَعَزِّ الذي هُوَ مَجْمُوعَةُ مَعَارفي وَنُسْخَةُ مَقَامَات السُّلوك وَالجَذْبَة بَل اجْتَهَدَ في سَتْرِهَا منْهُ بالشُّحِّ التَّامِّ مَعَ أَنِّي أَعْلمُ أَنَّهُ منْ مَحَارمِ الأَسْرَار وَمَحْفُوظٌ منَ الغَلط وَالخَطَأ وَلكنْ مَاذَا أَصْنَعُ يَأْخُذُ دقَّةَ المَعَاني باللسَان يَعْني تَمَنُّعَهُ وَيَرْبطُ منْ لطَافَة الأَسْرَارِ الشَّفَتَان فَنَقْدُ الوَقْت تَكْرَارٌ يَضيقُ صَدْري وَلاَ يَنْطَلقُ لسَاني وَليْسَتْ تلكَ الأَسْرَارُ منْ قَبيل مَا لاَ يَنْبَغي إيرَادُهَا في البَيْنِ بَل لاَ يَسَعُهَا نطَاقُ البَيَان، شعْرٌ:

خَليلي مَا هَذَا بهَزْل وَإنَّمَا عَجيبُ الأَحَاديث غَريبُ البَدَائع

وَهَذه الدَّوْلةُ التي نَحْنُ نَجْتَهدُ في سَتْرِهَا مُقْتَبَسَةٌ منْ مشْكَاة نُبُوَّة الأَنْبيَاء - عَليْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَالمَلاَ الأَعْلى شُرَكَاءُ في هَذه الدَّوْلة وَلك مَنْ يُشَرَّفُ بهَا منَ اتِّبَاعِ الأَنْبيَاء - عَليْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - قَال أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ: "**أَخَذْتُ عَنْ رَسُول الله ﷺ وعَاءَيْن**" يَعْني منَ العلمِ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَقَدْ بَثَثْتُهُ وَأَمَّا الآخَرُ فَلوْ بَثَثْتُهُ قَطَعَ هَذَا البُلعُومَ وَذَلكَ العلمُ الآخَرُ هُوَ علمُ الأَسْرَارِ وَلاَ يُدْرِكُهُ كُل أَحَد {ذَلكَ فَضْلُ الله يُؤْتيه مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْل العَظيم}[(١)].

ثُمَّ المَعْرُوضُ أَنَّ الكُتَّابَ الذي كَتَبْتُهُ إلى أَوْلاَد شَيْخنَا يَنْبَغي أَنْ تُطَالعَهُ.

---

(١) ـــ الآية: ٢١ من سورة الحديد، والآية: ٤ من سورة الجمعة.

أَيُّهَا المَخْدُومُ المُكَرَّمُ إِنَّ إِحْدَاثَ شَيْءٍ فِي الطَّرِيقَةِ لَيْسَ هُوَ عِنْدَ الفَقِيرِ بِأَقَلَّ مِنْ إِحْدَاثِ بِدْعَةٍ فِي الدِّينِ، وَبَرَكَاتُ الطَّرِيقَةِ إِنَّمَا تُفَاضُ وَتَعُودُ عَلَى أَهْلِهَا مَا لَمْ يَحْدُثْ فِيهَا مُحْدَثٌ فَإِذَا حَدَثَ فِيهِ مُحَدَثٌ يَنْسَدُّ طَرِيقُ الفُيُوضِ وَالبَرَكَاتِ فَحِفْظُ الطَّرِيقَةِ مِنَ المُحْدَثَاتِ مِنْ أَهَمِّ المُهِمَّاتِ.

وَالاجْتِنَابُ عَنْ مُخَالَفَةِ الطَّرِيقَةِ مِنَ الضَّرُورِيَّاتِ فَكُلُّ مَوْضِعٍ رَأَيْتُ فِيهِ مُخَالَفَةَ الطَّرِيقَةِ يَنْبَغِي زَجْرُهُ وَمَنْعُهُ بِالمُبَالَغَةِ وَالاجْتِهَادِ فِي تَرْوِيجِ الطَّرِيقَةِ وَتَقْوِيَتِهَا وَالسَّلَامُ.

المَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالسِّتُّونَ وَالمِائَتَان

إِلَى خَان خَانَان

فِي بَيَانِ العِلمِ المَوْرُوث مِنَ الأَنْبِيَاء وَبَيَانِ المُرَاد بِالعُلَمَاء فِي حَدِيث "عُلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاء بَنِي إِسْرَائِيل" وَأَنَّ العِلمَ المَوْرُوثَ مِنَ الأَنْبِيَاء لَيْسَ هُوَ الأَسْرَارُ الَّتِي تَكَلَّمَ بِهَا الأَوْلِيَاءُ مِنَ التَّوْحِيدِ الوُجُودِيِّ وَالإِحَاطَةِ وَالسَّرَيَانِ وَمَا يُشَاكِلُهَا بَل غَيْرُهَا

الحَمْدُ للهِ وَسَلاَمٌ عَلَى عِبَادِهِ الذِينَ اصْطَفَى وَبَعْدُ.

فَاعْلَمْ أَنَّ أَحْوَالَ فُقَرَاءِ هَذِهِ الحُدُودِ وَأَوْضَاعَهُمْ مُسْتَوْجَبَةٌ لِلحَمْدِ وَالمَسْئُول مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ سَلاَمَتُكُمْ وَعَافِيَتُكُمْ وَثَبَاتُكُمْ وَاسْتِقَامَتُكُمْ.

وَلَمَّا كَانَ مَبْحَثُ عِلمِ الوِرَاثَةِ فِي البَيْنِ أَرَدْتُ أَنْ أَكْتُبَ كَلِمَاتٍ مِنْ تِلكَ المَقُولَةِ عَلَى حَسَبِ مُقْتَضَى الوَقْتِ وَقَدْ وَرَدَ فِي الأَخْبَارِ "**العُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاء**".

وَالعِلمُ الذِي بَقِيَ مِنَ الأَنْبِيَاء - عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ - نَوْعَانِ عِلمُ الأَحْكَامِ وَعِلمُ الأَسْرَارِ فَالعَالِمُ الوَارِثُ مَنْ يَكُونُ لَهُ سَهْمٌ مِنْ نَوْعَيِّ العِلمِ لاَ مَنْ يَكُونُ لَهُ نَصِيبٌ مِنْ نَوْعٍ وَاحِدٍ فَقَطْ فَإِنَّ ذَلِكَ مُنَافٍ لِلوِرَاثَةِ فَإِنَّ الوَارِثَ مَنْ يَكُونُ لَهُ نَصِيبٌ مِنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِ تَرِكَةِ المُوَرِّثِ لاَ مِنْ بَعْضٍ دُونَ بَعْضٍ وَالذِي لَهُ نَصِيبٌ مِنَ البَعْضِ العَيْنُ فَهُوَ دَاخِلٌ فِي الغُرَمَاءِ حَيْثُ يَتَعَلَّقُ نَصِيبُهُ بِجِنْسِ حَقِّهِ وَكَذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - "**عُلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاء بَنِي إِسْرَائِيل**".

وَالمُرَادُ بِالعُلَمَاءِ هُنَا عُلَمَاءُ الوِرَاثَةِ لاَ الغُرَمَاءُ الذِينَ يَأْخُذُونَ نَصِيبَهُمْ مِنْ بَعْضِ التَّرِكَةِ فَإِنَّ الوَارِثَ يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ لَهُ: إِنَّهُ كَالمُوَرِّثِ بِوَاسِطَةِ القُرْبِ وَالجِنْسِيَّةِ بِخِلاَفِ الغَرِيمِ فَإِنَّهُ خَالٍ عَنْ هَذِهِ العَلاَقَةِ فَمَنْ لَمْ يَكُنْ وَارِثًا لاَ يَكُونُ عَالِمًا إِلاَّ أَنْ نُقَيِّدَ عِلمَهُ بِنَوْعٍ وَاحِدٍ وَنَقُولَ إِنَّهُ عَالِمٌ بِعِلمِ الأَحْكَامِ مَثَلاً وَالعَالِمُ المُطْلَقُ هُوَ الذِي يَكُونُ وَارِثًا وَيَكُونُ لَهُ حَظٌّ وَافِرٌ وَنَصِيبٌ تَامٌّ مِنْ كِلاَ نَوْعَيِ العِلمِ.

وَقَدْ زَعَمَ الأَكْثَرُونَ أَنَّ عِلمَ الأَسْرَارِ عِبَارَةٌ عَنْ عُلُومِ التَّوْحِيدِ الوُجُودِيِّ وَشُهُودُ الوَحْدَةِ فِي الكَثْرَةِ وَمُشَاهَدَةُ الكَثْرَةِ فِي الوَحْدَةِ وَأَنَّهُ كِنَايَةٌ عَنْ مَعَارِفِ الإِحَاطَةِ وَسَرَيَانِ وُجُودِهِ - تَعَالَى - وَقُرْبِهِ وَمَعِيَّتِهِ - سُبْحَانَهُ - عَلَى النَّهْجِ الذِي صَارَتْ مُنْكَشِفَةً وَمَشْهُودَةً لِأَرْبَابِ الأَحْوَالِ حَاشَا وَكَلاَّ ثُمَّ حَاشَا وَكَلاَّ مِنْ أَنْ

تَكُونَ هَذه العُلومُ وَالمَعَارِفُ مَنْ علمِ الأَسْرَارِ وَلاَئقَةً بِمَرْتَبَة النُّبوَّة فَإِنَّ مَبْنَى تلكَ المَعَارِف السُّكْرُ وَغلَبَةُ الحَال التي هِيَ مُنَافيَةٌ للصَّحْوِ وَعلمُ الأَنْبِياء كُلُّهُ سَوَاءٌ كَانَ علم الأَحْكَامِ أَوْ علمَ الأَسْرَارِ نَاشٍ منْ غَايَة الصَّحْوِ الذي مَا امْتَزَجَتْ فيه ذَرَّةٌ منَ السُّكْرِ بَل هَذه المَعَارِفُ مُنَاسبَةٌ لمَقَام الوِلاَيَة التي لَهَا قَدَمٌ رَاسخٌ فِي السُّكْرِ فَتَكُونُ هَذه العُلومُ منْ أَسْرَارِ الوِلاَيَة لاَ منْ أَسْرَارِ النُّبوَّة.

وَالوِلاَيَةُ وَإِنْ كَانَتْ هِيَ أَيْضًا ثَابتَةً وَلكنَّ أَحْكَامَهَا مَغْلوبَةٌ وَفِي جَنْبِ أَحْكَامِ النُّبوَّة مُتَلاَشيَةٌ وَمُضْمَحلةٌ، شعْرٌ:

وَمَتَى بَدَتْ أَنْوَارُ بَدْرٍ فِي الدُّجَا مَا للسُّهَى منْ حيلة سوَى الاخْتفَا

وَقَدْ كَتَبْتُ فِي كُتُبِي وَرَسَائلي وَحَقَّقْتُ أَنَّ كَمَالاَت النُّبُوَّة لَهَا حُكْمُ البَحْرِ المُحيط وَكَمَالاَتَ الوِلاَيَة فِي جَنْبهَا قَطْرَةٌ مُحقَّرَةٌ وَلكنْ مَاذَا نَفْعَل وَقَدْ قَال جَمَاعَةٌ منْ عَدَمِ إِدْرَاكهمْ لكَمَالاَت النُّبوَّة: إِنَّ الوِلاَيَةَ أَفْضَل منَ النُّبوَّة وَقَال طَائفَةٌ أُخْرَى فِي تَوْجيه هَذَا الكَلاَمِ إِنَّ المُرَادَ به أَنَّ وِلاَيَة نَبِيٍّ أَفْضَل منْ نُبوَّته وَكُل منْ هَذَيْنِ الفَرِيقَيْنِ قَدْ حَكَمُوا عَلى الغَائب منْ غَيْرِ علمٍ بحَقيقَة النُّبوَّة وَقَرِيبٌ منْ هَذَا الحُكْمِ الحُكْمُ بتَرْجيحِ السُّكْرِ عَلى الصَّحْوِ فَإِنْ عَرَفُوا حَقيقَةَ الصَّحْوِ لعَرَفُوا أَنَّ السُّكْرَ لاَ نِسْبَةَ لهُ إِلى الصَّحْوِ أَصْلاً، (ع):

مَا نسْبَةُ الفَرْشيِّ بالعَرْشيِّ

وَكَأَنَّهُمْ شَبَّهُوا صَحْوَ الخَوَاصِّ بصَحْوِ العَوَامِّ وَزَعَمُوا وُجُودَ المُمَاثَلة بَيْنَهُمَا فَرَجَّحُوا السُّكْرَ عَليْه وَليْتَهُمْ إِذْ زَعَمُوا وُجُودَ المُمَاثَلة بَيْنَ صَحْوِ الخَوَاصِّ وَصَحْوِ العَوَامِّ لَمْ يَجْتَرِئُوا عَلى هَذَا الحُكْمِ فَإِنَّ منَ المُقَرَّرِ عنْدَ العُقَلاَءِ أَنَّ الصَّحْوَ أَفْضَل منَ السُّكْرِ مُطْلَقًا وَهَذَا الحُكْمُ دَائميٌّ عنْدَهُمْ سَوَاءٌ كَانَ السُّكْرُ وَالصَّحْوُ مَجَازِيَّيْنِ أَوْ حَقيقيَّيْنِ وَتَفْضيل الوِلاَيَة عَلى النُّبوَّة وَتَرْجيحُ السُّكْرِ عَلى الصَّحْوِ شَبيهٌ بتَرْجيحِ الكُفْرِ عَلى الإِسْلاَمِ وَتَفْضيل الجَهْل عَلى العلمِ فَإِنَّ كُلاً منَ الكُفْرِ وَالجَهْل مُنَاسبٌ لمَقَام الوِلاَيَة وَكُلاً منَ الإِسْلاَمِ وَالعلمِ مُنَاسبٌ لمَرْتَبَة النُّبوَّة قَال الحُسَيْنُ بْنُ مَنْصُورٍ الحَلاَّجُ، شعْرٌ:

كَفَرْتُ بدينِ الله وَالكُفْرُ وَاجبٌ لَدَيَّ وَعنْدَ المُسْلمينَ قَبيحٌ

وَمُحَمَّدٌ رَسُول الله ﷺ اسْتَعَاذَ منَ الكُفْرِ قُل كُل يَعْمَل عَلى شَاكلته فَكَمَا أَنَّ الإِسْلاَمَ فِي عَالمِ المَجَازِ أَفْضَل منَ الكُفْرِ كَذَلكَ يَنْبَغِي أَنْ يُعْتَقَدَ أَنَّهُ فِي الحَقيقَة أَفْضَل منَ الكُفْرِ فَإِنَّ المَجَازَ قَنْطَرَةُ الحَقيقَة.

فَإِنْ قِيل: كَمَا أَنَّ الكَفْرَ وَالسُّكْرَ وَالجَهْل ثَابتٌ فِي مَرْتَبَة الجَمْعِ مِنْ مَقَامَات الولاَيَة كَذَلكَ الإِسْلاَمُ وَالصَّحْوُ وَالمَعْرِفَةُ مُتَحقِّقٌ فِي مَرْتَبَة الفَرْق بَعْدَ الجَمْعِ مِنْهَا فَكَيْفَ يَصحُّ القَوْل بمُنَاسَبَة الكُفر وَالسُّكْر وَالجَهْل فَقطْ لمَقَام الولاَيَة.

أَقُول: إنَّ إِثْبَاتَ الصَّحْوِ وَأَمْثَالهُ فِي مَرْتَبَة الفَرْق إِنَّمَا هُوَ بالنِّسْبَة إِلى مَرْتَبَة الجَمْعِ التِي لَيسَ فِيهَا غَيْرُ السُّكْرِ وَالمَحْوِ وَإِلاَّ فَصَحْوُ مَرْتَبَة الفَرْق أَيْضًا مُمْتَزِجٌ بالسُّكْرِ وَإِسْلاَمُهَا مُخْتَلطٌ بالكُفْرِ وَمَعْرِفَتُهَا مَشُوبَةٌ بالجَهْل فَلوْ وَجَدْتُ مَجَالاً للكتَابَة لذَكَرْتُ أَحْوَال مَقَام الفَرْق وَمَعارفه بالتَّفْصيل وَبَيَّنْتُ امْتزَاجَ السُّكْرِ وَأَمْثَالهُ فِيهَا بالصَّحْوِ وَأَمْثَاله وَلعَل أَرْبَابَ الفَطَانَة يَجدُونَ هَذَا المَعْنَى بالتَّفرُّسِ أَيْضًا وَالعَجَبُ كُل العَجَب أَلمْ يَفْهَمُوا أَنَّ الأَنْبيَاءَ - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - إِنَّمَا نَالوا مَا نَالوا مِنْ هَذه العَظَمَة وَالجَلالة كُلهَا مِنْ طَرِيق النُّبُوَّة لاَ مِنْ طَرِيق الولاَيَة،

وَغَايَةُ شَأْن الولاَيَة إِنَّمَا هِيَ الخَادميَّةُ للنُّبُوَّة فَلوْ كَانَتْ للولاَيَة مَزيَّةٌ عَلى النُّبُوَّة لكَانَ المَلاَئكَةُ الذينَ ولاَيَتُهمْ أَكْمَل مِنْ سَائر الولاَيَات أَفْضَل مِنَ الأَنْبيَاء - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَلَمَّا قَالتْ طَائفَةٌ مِنْ هَؤُلاَءِ القَوْم بأَفْضَليَّة الولاَيَة مِنَ النُّبُوَّة وَرَأَوْا ولاَيَةَ المَلاَئكَة المَلاَ الأَعْلى أَفْضَل مِنْ ولاَيَة الأَنْبيَاء - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - قَالوا بالضَّرُورَة أَنَّ المَلاَئكَةَ أَفْضَل مِنَ الأَنْبيَاء - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَفَارَقُوا فِي ذَلكَ جُمْهُورَ أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة وَكُل ذَلكَ لعَدَمِ الاطِّلاَعِ عَلى حَقيقَة النُّبُوَّةَ وَلَمَّا كَانَتْ كَمَالاَتُ النُّبُوَّة خَفيَّةً فِي نَظَر النَّاسِ فِي جَنْب كَمَالاَت الولاَيَة بوَاسطَة بَعْد عَهْد النُّبُوَّة بَسَّطْنَا الكَلاَمَ فِي هَذَا الكَلاَمِ البَابَ بالضَّرُورَة وَكَشَفْنَا شمَّةً مِنْ حَقيقَة المُعَامَلة رَبَّنَا اغْفرْ لنَا ذُنُوبَنَا وإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلى القَوْمِ الكَافرينَ.

وَحَيْثُ كَانَ أَخِي الأَرْشَدُ الشَّيْخُ مَيَّانُ دَاوُدُ مِنَ المُتَرَدِّدينَ فِي تلكَ الحُدُود كَانَ بَاعِثًا عَلى هَذَا التَّصْديعِ.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالسِّتُّونَ وَالمِائَتَان
إلى مُرْتَضَى خَانَ
فِي التَّرْغِيبِ فِي إِيصَالِ الإِهَانَةِ إِلى أَعْدَاءِ الدِّينِ وَتَخْرِيبِ آلِهَتِهِمُ البَاطِلَةِ وَتَوْهِينِهَا وَإِظْهَارِ تَمَنِّيهِ هَذَا الأَمْرَ العَظِيمَ القَدْرِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ.

الحَمْدُ للهِ وَسَلَامٌ عَلى عِبَادِهِ الذِينَ اصْطَفَى.

اعْلَمْ أَنَّ لِكُلِ شَخْصٍ تَمَنَّى أَمْرًا مِنَ الأُمُورِ وَتَمَنَّى هَذَا الفَقِيرُ التَّشْدِيدَ عَلى أَعْدَاءِ اللهِ - جَل وَعَلاَ - وَأَعْدَاءِ رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ وَسَلمَ وَإِيصَالِ الإِهَانَةِ لِهَؤُلاَءِ الخَائِبِينَ وَاحْتِقَارِ آلِهَتِهِمُ البَاطِلَةِ وَاعْلَمْ يَقِينًا أَنْ لاَ عَمَلَ أَرْضَى عَنِ الحَقِّ - جَل وَعَلاَ - مِنْ هَذَا العَمَلِ وَلِهَذَا نُرَغِّبُكُمْ فِي هَذَا العَمَلِ المَرْضِيِّ مُكَرَّرًا وَأَرَى إِتْيَانَ هَذَا العَمَلِ مِنْ أَهَمِّ مُهِمَّاتِ الإِسْلَامِ وَحَيْثُ وُفِّقْتُ لِلتَّشْرِيفِ هُنَاكَ وَتَعَيَّنْتُ لِتَحْقِيرِ تِلْكَ البُقْعَةِ الكَثِيفَةِ وَإِهَانَةِ أَهْلِهَا يَنْبَغِي أَوَّلاً أَدَاءُ شُكْرِ هَذِهِ النِّعْمَةِ فَإِنَّهُ كَانَ يَذْهَبُ جَمْعٌ كَثِيرٌ لِتَعْظِيمِ ذَلِكَ المَقَامِ وَتَوْقِيرِ أَهْلِهِ للهِ - سُبْحَانَهُ - الحَمْدُ وَالمِنَّةُ وَعَلى مَا لَمْ يَبْتَلِنَا بِهَذِهِ البَلِيَّةِ وَبَعْدَ أَدَاءِ شُكْرِ هَذِهِ النِّعْمَةِ العُظْمَى يَنْبَغِي تَقْدِيمُ السَّعْيِ البَلِيغِ فِي تَحْقِيرِ هَؤُلاَءِ الخَائِبِينَ الخَاسِرِينَ وَتَوْهِينِ آلِهَتِهِمُ البَاطِلَةِ وَالاجْتِهَادِ فِي تَخْرِيبِ تِلْكَ الجَمَاعَةِ سِرًّا وَجَهْرًا مَهْمَا أَمْكَنَ وَتَيَسَّرَ وَإِيصَالِ أَنْوَاعِ الإِهَانَةِ لَنَا حَتَّى الأَصْنَامِ القَاصِرِينَ وَعَسَى أَنْ يَتَلاَفَى وَيُتَدَارَكَ بِهَذَا العَمَلِ بَعْضُ المُدَاهَنَاتِ الوَاقِعَةِ فِي حَقِّهِمْ وَيَكُونُ ذَلِكَ كَفَارَةً لِتِلْكَ وَيَمْنَعُنِي ضَعْفُ البَدَنِ وَشِدَّةُ البَرْدِ مِنَ الوُصُولِ هُنَاكَ وَإِلاَّ لَوَصَلْتُ إِلى خِدْمَتِكُمْ لِلتَّرْغِيبِ فِي هَذَا الأَمْرِ وَرَمَيْتُ بِهَذِهِ المُنَاسَبَةِ بُزَاقًا عَلى ذَلِكَ الحَجَرِ وَجَعَلْتُهُ رَأْسَ بِضَاعَةِ السَّعَادَةِ وَمَاذَا أُبَالِغُ أَزْيَدَ مِنْ ذَلِكَ.

المَكْتُوبُ السَّبْعُونَ وَالمائَتَان
إِلى الشَّيْخ نُور مُحَمَّد
فِي بَيَانِ تَرْجِيحِ بَعْضِ الصُّحْبَةِ عَلى العُزْلَةِ

الحَمْدُ للهِ وَسَلاَمٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى قَدْ نَسِيَ أَخِي نُورُ مُحَمَّد النَّائِينَ المَهْجُورِينَ عَلى نَهْجٍ لاَ يَذْكُرُهُمْ بِسَلاَمٍ وَلاَ بِكَلاَمٍ وَكَانَ مُتَمَنَّاكُمْ العُزْلَةً وَالانْزِوَاءَ فَقَدْ تَيَسَّرَ ذَلكَ وَلكنْ بَعْضُ الصُّحْبَةِ يُرَجَّحُ وَيُفَضَّلُ عَلى العُزْلة وَكَفَى حَالَ أُوَيْسٍ القَرْنِيِّ أَنْ يَكُونَ مقْيَاسًا حَيْثُ اخْتَارَ العُزْلَةَ وَلَمْ يَنَل صُحْبَةَ خَيْرِ البَشَرِ عَلَيْهِ وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فَلَمْ يَجدْ حَظًّا منْ كَمَالاَت الصُّحْبَة وَصَارَ منَ التَّابعينَ وَتَأَخَّرَ منَ الدَّرَجَة الأُولى منْ دَرَجَات الخَيْرِ إِلى الدَّرَجَة الثَّانيَة وَفي كُل يَوْم طَرْزٌ آخَرُ منَ الصُّحْبَة بعنَايَة الله - تَعَالى - مَنِ اسْتَوَى يَوْمَاهُ فَهُوَ مَغْبُونٌ وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلى سَائِرِ مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلَوَاتُ وَالتَّحِيَّاتُ.

المَكْتُوبُ الحَادِي وَالسَّبْعُونَ وَالمِائَتَان
إِلى الشَّيْخِ حَسَنٍ البَرْكِيِّ
فِي حَل اسْتِفْسَارِهِ عَنِ الوَاقِعَةِ التِي رَآهَا

الحَمْدُ للهِ وَعَلى عِبَادِهِ الذِينَ اصْطَفَى وَصَل مَكْتُوبُ أَخِي الأَعَزِّ الشَّيْخِ حَسَنٍ أَحْسَنَ اللهُ حَالَهُ وَبَلغَهُ كَمَالَهُ وَاتَّضَحَتْ الوَاقِعَةُ المَسْطُورَةُ التِي ظَهَرَتْ ظُهُورًا بَيِّنًا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ رَاجِيًا وَأَنْ تَجْتَهِدَ فِي إِتْيانِ مَا أَنْتَ مَأْمُورٌ بِهِ بِبَذْلِ الرُّوحِ وَأَنْ لاَ تَجُوزَ تَجَاوُزَ الحُدُودِ الشَّرْعِيَّةِ مِقْدَارَ شَعْرَةٍ وَأَنَّ تَتَحَلى بِمُعْتَقَدَاتِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ الحَقَّةِ، (ع):

هَذَا هُوَ الأَمْرُ والبَاقِي خَيَالاَتٌ

فَإِنْ أَجَازَ وَالدُكُمْ وَرَضِيَ الإِخْوَانُ يَنْبَغِي أَنْ يُغْتَنَمَ سَيْرُ بِلاَدِ الهِنْدِ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّانِي وَالسَّبْعُونَ وَالمِائَتَانِ
إِلَى السَّيِّد مُحِبِّ الله المَانِكْبُورِيِّ
فِي بَيَانِ الإِيمَانِ الغَيْبِيِّ وَالإِيمَانِ الشُّهُودِيِّ
وَبَيَانِ التَّوْحِيد الوُجُودِيِّ وَالتَّوْحِيد الشُّهُودِيِّ
وَأَنَّ الضَّرُورِيَّ فِي تَحَقُّقِ الفَنَاء هُوَ الشُّهُودِيُّ
وَأَنَّ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ التَّوْحِيدَ الوُجُودِيَّ صَاحِبُ الفُتُوحَاتِ المَكِّيَّة
وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

بَعْدَ الحَمْد وَالصَّلَوَاتُ لِيَعْلَمَ الأَخُ الأَعَزُّ المِيْرُ مُحِبُّ الله أَنَّ الإِيمَانَ بِالغَيْب بِوُجُود الوَاجِب - تَعَالَى - وَسَائِرِ صِفَاته نَصِيبُ الأَنْبِيَاء وَأَصْحَابِهِمْ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَنَصِيبُ الأَوْلِيَاء الذِينَ ثَبَتَ لَهُمُ الرُّجُوعُ الكُلِّيَّةُ وَنِسْبَتُهُمْ نِسْبَةُ الأَصْحَاب وَإِنْ كَانَ هَؤُلَاءِ قَلِيلِينَ بَل أَقَل وَنَصِيبُ العُلَمَاء وَنَصِيبُ عَامَّة المُؤْمِنِينَ أَيْضًا وَالإِيمَانُ الشُّهُودِيُّ نَصِيبُ عَامَّة الصُّوفِيَّة سَوَاءً كَانُوا مِنْ أَرْبَاب العُزْلَة أَوْ مِنْ أَصْحَاب العِشْرَة فَإِنَّ أَصْحَابَ العِشْرَة وَإِنْ كَانُوا مَرْجُوَّ عَيْنٍ لَكِنَّهُمْ مَا رَجَعُوا بِالكُلِّيَّة بَل بَاطِنُهُمْ مُسْتَشْرِفٌ إِلَى الفَوْق وَمُنْجَذِبٌ إِلَيْه دَائِمًا فَهُوَ بِالظَّاهِرِ مَعَ الخَلق وَبِالبَاطِنِ مَعَ الحَقِّ - جَل سُلْطَانُهُ - فَالإِيمَانُ الشُّهُودِيُّ نَصِيبُهُمْ دَائِمًا وَالأَنْبِيَاءُ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - لَمَّا كَانُوا مَرْجُوعِينَ بِالكُلِّيَّة وَمُتَوَجِّهِينَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا إِلَى دَعْوَة الخَلقِ بِالحَقِّ - جَل وَعَلَا - كَانَ الإِيمَانُ الغَيْبِيُّ نَصِيبَهُمْ بِالضَّرُورَة وَقَدْ حَقَّقَ هَذَا الفَقِيرُ فِي بَعْضِ رَسَائِله أَنَّ التَّوَجُّهَ نَحْوَ الفَوْق مَعَ وُجُود الرُّجُوعِ مِنْ عَلَامَة النَّقْصِ وَعَدَمِ الوُصُول إِلَى نِهَايَة الأَمْرِ وَالرُّجُوعُ بِالكُلِّيَّة عَلَامَةُ الوُصُول إِلَى نِهَايَة النِّهَايَات وَالصُّوفِيَّةُ زَعَمُوا أَنَّ الكَمَال إِنَّمَا هُوَ فِي الجَمْعِ بَيْنَ التَّوَجُّهَيْنِ وَعَدُّوا الجَامِعَ بَيْنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّنْزِيه مِنَ الكَمَال، (ع):

وَلِلنَّاسِ فِيمَا يَعْشَقُونَ مَذَاهِبُ

فَإِذَا فَرَغَ الأَنْبِيَاءُ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - مِنْ وَظِيفَة الدَّعْوَة وَتَوَجَّهُوا نَحْوَ عَالَمِ البَقَاء وَتَمَّتْ مَصْلَحَةُ الرُّجُوعِ يَكُونُونَ مُتَوَجِّهِينَ بِكُلِّيَّتِهِمْ إِلَى الحَقِّ - جَل شَأْنُهُ - قَائِلِينَ بِتَمَام الشَّوْق الرَّفِيقَ الأَعْلَى مُتَبَخْتِرِينَ فِي مَرَاتِب القُرْب شِعْرٌ:

هَنِيئًا لِأَرْبَابِ النَّعِيمِ نَعِيمُهَا ... وَلِلعَاشِقِ المِسْكِينِ مَا يَتَجَرَّعُ

وَالكَمَال عِنْدَ الفَقِير هُوَ أَنْ تَرْتَفِعَ الكَثْرَةُ وَقْتَ العُرُوجِ عَنِ النَّظَرِ بِالكُلِّيَّة حَتَّى لاَ تَكُونَ الأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ أَيْضًا مَلحُوظَةً وَلاَ يَكُونُ غَيْرُ الأُحَدِيَّة المُجَرَّدَة مَشْهُودًا ثُمَّ يُعَامَلِ مَعَهُ مَا يُعَامَل مَعَهُ وَأَنْ يَقَعَ النَّظَرُ وَقْتَ الرُّجُوعِ إِلى الكَثْرَة بِالتَّمَامِ وَلاَ يَكُونُ مَشْهُودَةً كَعَامَّة المُؤْمنِينَ غَيْرَ الخَلقِ وَلاَ يَكُونُ شَغْلُهُ غَيْرَ أَدَاء الطَّاعَة وَدَعْوَى الخَلقِ إِلى الحَقِّ - جَل وَعَلاَ - فَإِذَا تَمَّ أَمْرُ الدَّعْوَة وَوَدَّعَ العَالَمَ الفَانِي يَتَوَجَّهُ بِكُلِّيَّته إِلى جَنَاب قُدْسه - تَعَالى - وَيُحَوِّل رَحْلَهُ مِنَ الغَيْب إِلى الشَّهَادَة وَيُبَدِّل المُعَامَلَةَ المُرَاسَلَة بِمُعَامَلَة المُعَانَقَة ذَلكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيه مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْل العَظِيم.

وَلاَ يَتَخَيَّلَنَّ النَّاقصُ أَنَّ الرُّجُوعَ الكُليَّ نَقْصٌ وَلاَ يَزْعَمَنَّ أَنَّ التَّوَجُّهَ بِالبَاطِن إِلى الحَقِّ - جَل وَعَلاَ - أَفْضَل مِنَ التَّوَجُّه إِلى الخَلق لِدَعْوَتِهِمْ وَتَكْمِيلِهِمْ فَإِنَّ صَاحِبَ الرُّجُوعِ مَا جَاءَ إِلى مَقَامِ الرُّجُوعِ بِاخْتِيَارِ نَفْسِه بَل نَزَل مِنْ أَعْلى إِلى أَسْفَلَ بِإِرَادَة الحَقِّ - جَل سُلطَانُهُ - وَرَضِيَ لِنَفْسه بِالهَجْرِ عَنِ الوُصُول فَصَاحِبُ الرُّجُوعِ قَائِمٌ بِمُرَاد الحَقِّ - جَل شَأْنُهُ - وَفَانٍ عَنْ مُرَاد نَفْسه وَصَاحِبُ التَّوَجُّه مَحْفُوظٌ بِالوَصْل وَالشُّهُود وَمَسْرُورٌ بِالقُرْب وَالمَعِيَّة، شِعْرٌ:

إِذَا أُرْضِي مِنَّا قَلبِي بُعَــادِي　　　فَهَذَا الهَجْرُ أَحْظَى مِنْ وِصَالي
لأَنِّي فِي الوِصَال عَبِيدُ نَفْسِي　　　وَفِي الهَــجْرِ أَنَّ مَوْلى للمَوَالي
وَشُغْــلي بِالحَبِيب بِكُل حَال　　　أَحَبُّ إِليَّ مِنْ شُغْــلي بِحَــالي

وَفَضَائل الرُّجُوعِ وَكَمَالاتُهُ كَثِيرَةٌ وَصَاحِبُ التَّوَجُّه بِالنِّسْبَة إِلى صَاحِب الرُّجُوعِ قَطْرَةٌ بِالنِّسْبَة إِلى البَحْرِ المُحِيط وَهَذَا الرُّجُوعُ مِنْ فَضَائل النُّبُوَّة وَذَاكَ التَّوَجُّهُ مِنْ آثَارِ الوِلاَيَة شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا وَلَكنْ لاَ يُدْرِكُ هَذَا الكَمَال فَهْمُ كُل أَحَد - ذَلكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيه مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْل العَظِيم -.

وَقَال بَعْضُ الجَامعِينَ بَيْنَ التَّشْبِيه وَالتَّنْزِيه أَنَّ الإِيمَانَ بِالتَّنْزِيه حَاصل لجَمِيعِ المُؤْمنِينَ وَالعَارِفُ هُوَ الذي يَجْمَعُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الإِيمَان بِالتَّشْبِيه وَيَرَى الخَلقَ ظُهُورَ الخَالقِ وَالكَثْرَةَ كُسْوَةَ الوَحْدَة وَيُطَالعُ الصَّانعَ فِي صُنْعه وَبِالجُمْلَة إِنَّ التَّوَجُّهَ إِلى التَّنْزِيه الصِّرْف نَقْصٌ عِنْدهمْ وَشُهُودُ الوَحْدَة بِلاَ مُلاَحَظَة الكَثْرَة عَيْبٌ وَهَذه الجَمَاعَةُ يُعدُّونَ المُتَوَجِّهينَ إِلى الأُحَدِيَّة الصِّرْفَة نَاقصِينَ وَيَظُنُّونَ مُلاَحَظَةَ الوَحْدَة بِلاَ مُطَالعَة الكَثْرَة تَحْدِيدًا أَوْ تَقْيِيدًا سُبْحَانَ الله وَبِحَمْده أَمَا دَرَوْا أَنَّ دَعْوَةَ الأَنْبِيَاء - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - كُلهَا إِلى تَنْزِيهٍ صِرْف وَالكُتُبُ السَّمَاوِيَّةُ نَاطقَةٌ بِالإِيمَان

التَّنْزِيهِيِّ وَالأَنْبِيَاءُ - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - يَنْفُونَ الآلِهَةَ البَاطِلَةَ الآفَاقِيَّةَ والأَنْفُسِيَّةَ وَيَدْعُونَ الخَلْقَ إلى إبْطَالِهَا وَيَدُلُّونَ عَلَى وَحْدَةِ وَاجِبِ الوُجُودِ المُنَزَّهِ عَنِ التَّشْبِيهِ وَالتَّكْيِيفِ هَل سَمِعْتَ قَطُّ أَنَّ نَبِيًّا دَعَا إِلَى الإِيمَانِ التَّشْبِيهِيِّ وَقَالَ: إنَّ الخَلْقَ ظُهُورُ الخَالِقِ وَجَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ مُتَّفِقُونَ عَلَى تَوْحِيدِ وَاجِبِ الوُجُودِ - تَعَالَى - وَتَقَدَّسَ وَنَفَى أَرْبَابٌ غَيْرَهُ - تَعَالَى - قَالَ اللهُ - تَعَالَى - {قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}

وَهَؤُلاَءِ الجَمَاعَةُ يُثْبِتُونَ أَرْبَابًا غَيْرَ مُتَنَاهِيَةٍ وَيَتَخَيَّلُونَ كُلَّهُمْ ظُهُورَاتِ رَبِّ الأَرْبَابِ وَمَا يَسْتَشْهِدُونَ بِهِ فِي إِثْبَاتِ مَطَالِبِهِمْ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَيْسَ فِيهِ اسْتِشْهَادٌ أَصْلاً أَمَّا الكِتَابُ فَقَوْلُهُ - تَعَالَى - {هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ} {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى} {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} وَأَمَّا السُّنَّةُ فَقَوْلُهُ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - اللهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ.

فَإِنَّ جَمِيعَ الحَصْرِ فِي هَذِهِ العِبَارَاتِ لِنَفْيِ كَمَالِ الوُجُودِ عَمَّا سِوَاهُ - تَعَالَى - بِأَبْلَغِ الوُجُوهِ لاَ نَفْيِ أَصْلِ الوُجُودِ كَمَا قَالَ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - لاَ صَلاَةَ إِلاَّ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ.

وَقَالَ أَيْضًا: لاَ إِيمَانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ.

وَأَمْثَالُ ذَلِكَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كَثِيرَةٌ وَهَذَا التَّوْجِيهُ لَيْسَ مِنْ قَبِيلِ تَأْوِيلِ النُّصُوصِ كَمَا زَعَمُوا بَلْ هُوَ حَمْلُ النُّصُوصِ عَلَى كَمَالِ البَلاَغَةِ كَمَا أَنَّ فِي العُرْفِ إِذَا وَقَعَ الاهْتِمَامُ بِرِسَالَةِ شَخْصٍ وَنِيَابَتِهِ يُقَالُ: إِنَّ يَدَهُ يَدِيَّ وَالمَقْصُودُ هُنَا لَيْسَ الحَقِيقَةَ بَلِ المَجَازُ الَّذِي هُوَ أَبْلَغُ مِنَ الحَقِيقَةِ فَإِذَا كَانَ وُقُوعُ الفِعْلِ أَكْثَرَ وَأَزْيَدَ بِالنَّظَرِ إِلَى مِقْدَارِ قُدْرَةِ الفَاعِلِ الَّذِي هُوَ عَبْدٌ مَمْلُوكٌ لِصَاحِبِ القُدْرَةِ الكَامِلَةِ وَكَانَ التِفَاتُ ذَلِكَ القَادِرِ المَالِكِ وَتَوَجُّهُهُ إِلَى ذَلِكَ الفِعْلِ مَرْعِيًّا لِلفِعْلِ مَرْعِيًّا يَصِحُّ لِلمَالِكِ أَنْ يَقُولَ أَنَا فَعَلْتُ هَذَا الفِعْلَ لاَ أَنْتَ وَلاَ دَلاَلَةَ لِهَذَا الكَلاَمِ أَصْلاً عَلَى اتِّحَادِ الفِعْلِ وَلاَ عَلَى اتِّحَادِ الذَّاتِ مَعَاذَ اللهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِعْلُ العَبْدِ المَمْلُوكِ عَيْنَ فِعْلِ المَالِكِ المُقْتَدِرِ أَوْ يَكُونَ ذَاتُهُ عَيْنَ ذَاتِهِ أَلَمْ تَفْهَمْ هَذِهِ الجَمَاعَةُ مَذَاقَ الأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ

وَالسَّلَامُ - فَإِنَّ مَدَارَ دَعْوَتِهِمْ عَلى إِثْبَاتِ الأَثْنِينِيَّةِ وَوُجُودِ المُغَايَرَةِ يَعْنِي بَيْنَ الخَلْقِ وَالخَالِقِ.

وَتَنْزِيل عِبَارَاتِهِمْ عَلى التَّوْحِيد وَالاتحَاد مِنَ التَّكَلُّفَات البَارِدَة فَإِنْ كَانَ المَوْجُودُ وَاحِدًا فِي الحَقِيقَة وَكَانَ مَا سِوَاهُ ظُهُورَاته وَكَانَ عِبَادَةُ مَا سِوَاهُ عِبَادَتَهُ كَمَا زَعَمَ هَؤُلَاءِ الجَمَاعَةُ لَمْ مَنَعَ الأَنْبِيَاءُ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - عَنْهَا بِالمُبَالَغَة وَالتَّأْكِيد وَلَمْ خَوَّفُوا بِالعُقُوبَاتِ الأَبَدِيَّة عَلى عِبَادَة مَا سِوَاهُ وَلَمْ قَالُوا العَابِدِيَّةُ أَعْدَاءُ اللهِ وَلَمْ لَمْ يُطْلِعُوهُمْ عَلى مَنْشَأ غَلَطِهِمْ وَلَمْ يُزِيلُوا عَنْهُمْ رُؤْيَةَ المُغَايَرَةِ النَّاشِئَةِ عَنِ الجَهْلِ فِيهِمْ وَلَمْ يُفْهِمُوهُمْ أَنَّ عِبَادَةَ مَا سِوَاهُ عَيْنُ عِبَادَته - جَل وَعَلاَ -.

قَال بَعْضُ هَؤُلَاءِ الجَمَاعَة: إِنَّ الأَنْبِيَاءَ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - إِنَّمَا أَخفَوْا أَسْرَارَ التَّوْحِيد الوُجُودِيِّ عَنِ العَوَامِّ وَبَنَوْا أَمْرَ الدَّعْوَة عَلى إِثْبَات المُغَايَرَة وَأَخفَوْا الوَحْدَةَ وَدَلوا عَلى الكَثْرَة بِسَبَب قُصُورِ فَهْمِ العَوَامِّ عَنْ ذَلكَ وَهَذَا القَوْل غَيْرُ مَسْمُوعٍ منْهُ كَمَا لاَ يُسْمَعُ القَوْل بِالتُّقَاة منَ الشِّيعَة فَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - أَحَقُّ بِتَبْلِيغِ مَا هُوَ مُطَابِقٌ لنَفْسِ الأَمْرِ فَإِنْ كَانَ الوُجُودُ فِي نَفْسِ الأَمْرِ وَاجبَ الوُجُود وَصِفَاته وَأَفْعَاله - تَعَالى - وَتَقَدَّسَ فَإِنَّهُمْ أَحِقَّاءُ بِإِعْلَانِهَا وَإِظْهَارِهَا وَإِنْ كَانَ قَاصِرُ النَّظَر قَاصِرًا عَنْ إِدْرَاكِهَا وَعَاجِزًا عَنْ فَهْمِهَا فَضْلاً عَنِ العَوَامِّ أَلاَّ تَرَى أَنَّ المُتَشَابِهَات القُرْآنِيَّةَ وَمَا وَرَدَ فِي الأَحَادِيث النَّبَوِيَّة منَ المُتَشَابِهَات يَعْجَزُ الخَوَاصُّ عَنْ فَهْمِهَا فَضْلاً عَنِ العَوَامِّ وَمَعَ ذَلكَ لَمْ يَمْنَعُوا وَلَمْ يَعُقْهُمْ تَوَهُّمُ غَلط العَوَامِّ منْ إِبْدَائِهَا وَهَؤُلَاءِ الجَمَاعَةُ يُسَمُّونَ مَنْ يَقُول بِتَعَدُّد الوُجُود وَالمَوْجُود وَيَتَنَزَّهُ عَنْ عِبَادَة مَا سِوَى المَعْبُود - تَعَالى - وَتَقَدَّسَ مُشْرِكًا وَيَقُولونَ لمَنْ يَقُول بِوَحْدَة الوُجُود مُوَحِّدًا وَلوْ كَانَ يَعْبُدُ أَلفَ صَنَم بِتَخَيُّل إِنَّهَا ظُهُورَاتُ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَأَنَّ عِبَادَتَهَا عِبَادَتُهُ - سُبْحَانَهُ - يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَمَّل بِالإِنْصَاف أَيُّ صِنْف منْ هَذَيْنَ الصِّنْفَيْنِ مُشْرِكٌ وَأَيُّ صِنْف منْهُمَا مُوَحِّدٌ وَالأَنْبِيَاءُ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - مَا دَعَوُا الخَلقَ إِلى وَحْدَةِ الوُجُود وَلَمْ يَقُولوا لمَنْ قَال بِتَعَدُّد الوُجُود مُشْرِكًا بَل كَانَتْ دَعْوَتُهم إِلى وَحْدَة المَعْبُود - جَل سُلطَانُهُ - وَأَطْلَقُوا الشِّرْكَ عَلى عِبَادَة مَا سِوَاهُ - تَعَالى - فَإِنْ لَمْ يَعْرِفْ الصُّوفِيَّةُ الوُجُودِيَّة مَا سِوَاهُ - تَعَالى - بِعُنْوَان الغَيْرِيَّة لاَ يَتَخلصُونَ منَ الشِّرْك وَمَا سِوَاهُ - تَعَالى - هُوَ مَا سِوَاهُ - تَعَالى - عَرَفُوا ذَلكَ أَوَّلاً وَبَعْضُ المُتَأَخِّرِينَ منْهُمْ قَال: إِنَّ العَالمَ لَيسَ عَيْنَ الحَقِّ - جَل سُلطَانُهُ - وَيَتَحَاشَى منَ القَوْل بِالعَيْنِيَّةِ وَيَطْعَنُ فِي القَائِلينَ بِهَا وَشَنَّعَهُمْ وَيُنْكرُ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ بْنُ

عَرَبيٍّ وَاتِّبَاعُهُ منْ هَذَا الوَجْه وَيُذَكِّرُهُمْ بسُوءٍ وَمَعَ ذَلكَ لاَ يَقُول بمُغَايَرَة العَالَمِ للحَقِّ - سُبْحَانَهُ - بَل يَقُول إنَّهُ لَيسَ عَيْنَ الحَقِّ وَلاَ غَيْرَ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَهَذَا الكَلاَمُ بَعيدٌ عَنِ الصَّوَاب فَإنَّ الاثْنَيْنِ مُتَغَايرَان قَضيَّةٌ مُقَرَّرَةٌ وَمُنْكرُ المُغَايرَة بَيْنَ الإثْنَيْنِ مُصَادمٌ لبَديهَة العَقْل غَايَةُ مَا في البَاب أنَّ المُتَكَلمينَ قَالوا في صفَات الوَاجب إنَّهَا لاَ هُوَ وَلاَ غَيْرُهُ وَأرَادُوا بالغَيْر الغَيْرَ المُصْطَلح وَرَاعَوْا جَوَازَ الانْفكَاك في المُتَغَايرَيْنِ فَإنْ صفَاتَ الوَاجب لَيْسَتْ مُنْفَكَّةً عَنِ الذَّات وَجَوَازُ الانْفكَاك بَيْنَ الذَّات وَالصِّفَات القَديمَة غَيْرُ مُتَصَوَّرٍ فَقَوْل لاَ هُوَ وَلاَ غَيْرُهُ صَادقٌ في الصِّفَات القَديمَة بخلاَف العَالم فَإنَّ تلكَ النِّسْبَةَ مَفْقُودَةٌ فيه كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ شَيْءٌ.

فَنَفْيُ العَيْنيَّة وَالغَيْريَّة مَعًا منَ العَالم بعيدٌ عَنِ الصِّدْق لغَةً وَاصْطلاَحًا وَهَؤُلاَء الجَمَاعَةُ إنَّمَا زَعَمُوا العَالمَ وَتَصَوَّرُوهُ كَالصِّفَات القَديمَة وَأثْبَتُوا لهُ الحُكْمَ المَخْصُوصَ بهَا منْ قُصُورهمْ وَعَدَم وُصُولهمْ وَحَيْثُ قَالتْ هَؤُلاَء الجَمَاعَةُ بنَفْيِ الجَمَاعَة بنَفْي عَيْنيَّة العَالم كَانَ اللاَّزمُ لَهُمْ أنْ يَقُولوا بغَيْريَّته أيْضًا حَتَّى يَخْرُجُوا منْ زُمْرَة أرْبَاب التَّوْحيد الوُجُوديِّ وَيَحْكُمُوا بتَعَدُّد الوُجُود وَفي التَّوْحيد الوُجُوديِّ لاَ بُدَّ منَ القَوْل بالعَيْنيَّة كَمَا قَال بهَا الشَّيْخُ مُحْيي الدِّين بْنُ عَرَبيٍّ وَأتْبَاعُهُ وَالقَوْل بالعَيْنيَّة لاَ بمَعْنَى أنَّ العَالَمَ مُتَّحدٌ بالصَّانع مَعَاذَ الله منْ ذَلكَ بَل بمَعْنَى أنَّ العَالم مَعْدُومٌ وَالمَوْجُودُ هُوَ وَاجبُ الوُجُود - تَعَالى - وَتَقَدَّسَ كَمَا حَقَّقَ هَذَا الفَقيرُ هَذَا المَعْنَى في بَعْضِ رَسَائله.

فَإنْ قيل: إنَّ الصُّوفيَّةَ الوُجُوديَّةَ إنَّمَا يَقُولونَ لمَنْ يَقُول بتَعَدُّد الوُجُود مُشْركًا باعْتبَار أنَّهُ يَرَى وَيُشَاهدُ الاثْنَيْنِ وَمُشَاهدُ الاثْنَيْنِ هُوَ مُشْركُ الطَّريقَة ؟

أُجيبُ أنَّ رُؤْيَةَ الاثْنَيْنِ التي هيَ شرْكُ الطَّريقَة تَنْدَفعُ بالتَّوْحيد الشُّهُوديِّ وَلاَ حَاجَةَ إلى التَّوْحيد الوُجُوديِّ في ذَلكَ المَوْطن بَل يَنْبَغي أنْ لاَ يَكُونَ مَشْهُودُ السَّالك وَمَلحُوظُهُ غَيْرَ الذَّات الأحَد المُقَدَّسَة حَتَّى يَتَحقَّقَ الفَنَاءُ وَيَنْدَفعَ شرْكُ الطَّريقَة كَمَا إذَا رَأى شَخصٌ الشَّمْسَ في النَّهَار وَالمَقْصُودُ هُوَ كَوْنُ المَشْهُود هُوَ الشَّمْسُ وَحْدَهَا سَوَاءٌ كَانَتْ النُّجُومُ مَوْجُودَةً أوْ مَعْدُومَةً بَل أقُول: إنَّ كَمَال الفَنَاء إنَّمَا هُوَ في صُورَة تَكُونُ الأشْيَاءُ مَوْجُودَةً وَمَعَ ذَلكَ لاَ يَلتَفتُ السَّالكُ منْ كَمَال تَعَلقه وَشَغَفه بالمَطْلُوب الحَقيقيِّ إلى شَيْءٍ أصْلاً بَل لاَ يُشَاهدُ شَيْئًا وَلاَ يَقَعُ نَظَرُ بَصيرَته إلى شَيْءٍ قَطْعًا فَإنْ لَمْ تَكُنْ الأشْيَاءُ مَوْجُودَةً فَمنْ أيِّ شَيْءٍ يَتَحقَّقُ الفَنَاءُ وَعَمَّنْ يَكُونُ فَانيًا وَذَاهلاً وَنَاسيًا.

وَأَوَّل مَنْ صَرَّحَ بالتَّوْحيد الوُجُوديِّ هُوَ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّين بْنُ عَرَبيٍّ وَعبَارَاتُ المَشَايخِ المُتَقدِّمينَ وَإنْ كَانَتْ مُشْعرَةً بالتَّوْحيد وَمُنْبئَةً عَنِ الاتِّحَاد وَلكنَّهَا قَابلَةٌ للحَمْل عَلَى التَّوْحيد الشُّهُوديِّ فَإنَّهُ لَمَّا لَمْ يُرَ غَيْرُ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - قَال بَعْضُهُمْ: لَيْسَ في جبَّتي سوَى الله وَقَال بَعْضُهمْ: سُبْحَاني وَبَعْضُهمْ لَيْسَ في الدَّار غَيْري وَهَذه كُلهَا أَزْهَارٌ تَفتَّقَتْ مَنْ غُصْنِ رُؤْيَة الوَاحد لاَ دَلالَةَ في وَاحد منْهَا عَلَى التَّوْحيد الوُجُوديِّ وَالذي بَوَّبَ مَسْأَلَةَ وَحْدَة الوُجُود وَفَصْلهَا وَدَوَّنَهَا تَدْوينَ النَّحْوِ وَالصَّرْف هُوَ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّين بْنُ العَرَبيِّ وَخَصَّصَ بَعْضَ المَعَارف الغَامضَةَ بَيَّنَ هَذَا المَبْحَث بنَفْسه حَتَّى قَال: إنَّ خَاتَمَ النُّبوَّة يَأْخُذُ بَعْضَ العُلوم وَالمَعَارف عَنْ خَاتِمِ الولاَيَة وَأَرَادَ بخَاتَمِ الولاَيَة المُحمَّديَّة نَفْسَهُ وَقَال الشُّرَّاحُ في تَوْجيهه: إنَّ السُّلطَانَ إذَا أَخذَ منْ خَازنه شَيْئًا فَأَيُّ نُقْصَان فيه وَبالجُمْلة لاَ حَاجَةَ في تَحْصيل الفَنَاء وَالبَقَاء وَحُصُول الولاَيَة الصُّغْرَى وَالكُبْرَى

إلى التَّوْحيد الوُجُوديِّ بَل لاَ بُدَّ في تَحقُّق الفَنَاء وَحُصُول نسْيَان السِّوَى منَ التَّوْحيد الشُّهُوديِّ بَل يُمْكنُ أَنْ يَسيرَ السَّالكُ منَ البدَايَة إلى النِّهَايَة وَلاَ يَظْهَرُ لَهُ شَيْءٌ منْ عُلوم التَّوْحيد الوُجُوديِّ وَمَعَارفهَا أَصْلاً بَل يَكَادُ يُنْكرُ هَذه العُلومَ وَعنْدَ هَذَا الفَقير أَنَّ الطَّريقَ الذي يَتَيَسَّرُ سُلوكُهُ بدُون ظُهُورِ هَذه المَعَارف أَقْرَبُ منَ الطَّريق الذي هُوَ مُتَضَمِّنٌ لظُهُور هَذه المَعَارف.

وَأَيْضًا إنَّ أَكْثَرَ سَالكي هَذه الطَّريق يَصلونَ إلى المَطْلوب وَأَكْثَرُ سَائري ذَاكَ الطَّريق يَبْقَوْنَ في الطَّريق وَيَرْوُونَ منَ البَحْرِ بقَطْرَة وَيُبْتَلوْنَ بتَوَهُّم اتِّحَاد الظِّل بالأَصْل وَيُحْرَمُونَ بذَلكَ الوَصْل وَعَملتُ هَذَا المَعْنَى بتَجاريبَ مُتَعَدِّدَة وَاللهُ - سُبْحَانَهُ - المُلهِمُ للصَّوَاب وَسَيْرُ الفَقيرِ وَإنْ كَانَ منَ الطَّريق الثَّاني وَوَجَدَ حَظًّا وَافرًا مَنْ ظُهُورات عُلومِ التَّوْحيد الوُجُوديِّ وَمَعَارفه وَلكنْ لَمَّا كَانَتْ عنَايَةُ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - شَاملَةً لحَاله وَكَانَ سَيْرُهُ السَّيْرَ المَحْبُوبيَّ طَوَى بَوَاديَ الطَّريق وَمَفاويزَهَ بأَمْداد فَضْله وَعنَايَته - تَعَالى - وَجَاوَزَ مَرَاتبَ الظِّلال وَوَصَل إلى الأَصْل بتَوْفيق الله - تَعَالى - وَعَوْنه. وَلَمَّا وَقَعَتْ المُعَامَلةُ عَلى المُسْتَرْشدينَ رَأَى أَنَّ الطَّريقَ الآخَرَ أَقْرَبُ إلى الوُصُول وَأَسْهَل منْ حَيْثُ الحُصُول الحَمْدُ لله الذي هَدَانَا لهَذَا وَمَا كُنَّا لنَهْتَديَ لوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللهُ، لقَدْ جَاءَتْ رُسُل رَبِّنَا بالحَقِّ.

تَنْبيهٌ: قَدْ عُلمَ منَ التَّحْقيق السَّابق أَنَّ المَوْجُودَات وَإنْ كَانَتْ مُتَعَدِّدَةً وَمَا سوَاهُ - تَعَالى - كَانَ مَوْجُودًا جَازَ أَنْ يَتحقَّقَ الفَنَاءُ وَالبَقَاءُ وَتَحْصُل الولاَيَة

الصُّغْرَى وَالكُبْرَى فَإِنَّ الفَنَاءَ هُوَ نِسْيَانُ السِّوَى لاَ إِعْدَامُهُ وَاسْتِئْصَالُهُ وَمَا هُوَ اللاَّزِمُ فِيهِ أَنْ تَكُونَ رُؤْيَةُ السِّوَى مَفْقُودَةً لاَ أَنْ يَكُونَ السِّوَى مَعْدُومًا وَلاَ شَيْئًا مَحْضًا.

وَهَذَا الكَلاَمُ مَعَ ظُهُورِهِ قَدْ خَفِيَ عَلَى أَكْثَرِ الخَوَاصِّ وَمَاذَا نَقُولُ مِنَ العَوَامِّ وَجَعَلُوا مَعْرِفَةَ وَحْدَةِ الوُجُودِ مِنْ شَرَائِطِ الطَّرِيقِ بِتَخَيُّلِ أَنَّ التَّوْحِيدَ الشُّهُودِيَّ هُوَ عَيْنُ التَّوْحِيدِ الوُجُودِيِّ وَزَعَمُوا القَائِلَ بِتَعَدُّدِ الوُجُودِ ضَالاً وَمُضِلاً حَتَّى تَخَيَّلَ الكَثِيرُونَ مِنْهُمْ أَنَّ مَعْرِفَةَ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - مُنْحَصِرَةٌ فِي مَعَارِفِ التَّوْحِيدِ الوُجُودِيِّ وَتَصَوَّرُوا أَنَّ شُهُودَ الوَحْدَةِ فِي مَرَايَا الكَثْرَةِ مِنْ تَمَامِ الأَمْرِ حَتَّى صَرَّحَ بَعْضُهُمْ أَنَّ نَبِيَّنَا ﷺ كَانَ بَعْدَ حُصُولِ كَمَالاَتِ النُّبُوَّةِ فِي مَقَامِ الشُّهُودِ وَالوَحْدَةِ فِي الكَثْرَةِ وَأَنَّ فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى - {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ} إِشَارَةٌ إِلَى ذَلِكَ المَقَامِ وَيُؤَوِّلُ العِبَارَةَ هَكَذَا {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ} شُهُودَ الوَحْدَةِ فِي الكَثْرَةِ وَكَأَنَّهُ فَهِمَ هَذِهِ الإِشَارَةَ مِنْ تَوَسُّطِ الوَاوِ بَيْنَ حُرُوفِ الكَثْرِ حَاشَا مَقَامُ النُّبُوَّةِ مِنْ أَنْ يَلِيقَ بِمِثْلِ هَذِهِ المَعَارِفِ وَكَلاَّ فَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - إِنَّمَا دَعَوْا إِلَى اللهِ المُنَزَّهِ عَنِ المُمَاثَلَةِ وَالمُشَابَهَةِ وَالَّذِي يَكُونُ لَهُ مُتَّسَعٌ فِي مَرَايَا المِثَالِي لَيْسَ لَهُ نَصِيبٌ مِنَ المِثَالِيِّ بَلْ هُوَ مُتَّسِمٌ بِسِمَةِ الكَيْفِ وَالمِثَالِ رَزَقَهُمُ اللهُ - سُبْحَانَهُ - الإِنْصَافَ وَكَأَنَّهُمْ يَزِنُونَ الأَنْبِيَاءَ - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - بِمِيزَانِ كَمَالاَتِهِمْ وَيَزْعُمُونَ كَمَالاَتِهِمْ مُمَاثِلَةً لِكَمَالاَتِهِمْ {كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ}، شِعْرٌ:

وَلَيْسَ لِشَيْءٍ كَامِنٍ جَوْفَ صَخْرَةٍ ... سِوَاهَا سَمَوَاتٌ لَدَيْهِ وَلاَ أَرْضُ

وَأَحْقَرُ أُمَّتِهِ ﷺ فِي اسْتِغْفَارٍ وَنَدَامَةٍ مِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ المَعْرِفَةِ الَّتِي حَصَلَتْ لَهُ فِي أَوَائِلِ حَالِهِ وَبِنَفْيِ ذَلِكَ الشُّهُودِ مِنْ جَانِبِ قُدْسِهِ - تَعَالَى - كَحَوْلِ النَّصَارَى قَالَ الخَواجه النَّقْشَبَنْدِيُّ - قُدِّسَ سِرُّهُ -: كُلَّمَا يَكُونُ مَرْئِيًّا وَمَسْمُوعًا أَوْ مُتَخَيَّلاً أَوْ مَوْهُومًا فَهُوَ غَيْرُهُ - تَعَالَى - يَنْبَغِي نَفْيُهُ بِحَقِيقَةِ كَلِمَةِ لاَ فَكَانَ شُهُودُ الوَحْدَةِ فِي الكَثْرَةِ أَيْضًا مُسْتَحِقًّا لِلنَّفْيِ فَهُوَ مُنْتَفٍ مِنْ جَانِبِ قُدْسِهِ وَكَلاَمُ الخَواجه هَذَا هُوَ الَّذِي أَخْرَجَنِي مِنْ هَذَا الشُّهُودِ وَأَنْجَانِي مِنَ التَّعَلُّقَاتِ بِالمُشَاهَدَةِ وَالمُعَايَنَةِ،

وَحَوَّلَ الرَّحْلَ مِنَ العِلْمِ إِلَى الجَهْلِ وَمِنَ المَعْرِفَةِ إِلَى الحَيْرَةِ جَزَاهُ اللهُ - سُبْحَانَهُ - خَيْرَ الجَزَاءِ وَأَنَا بِهَذَا الكَلاَمِ الوَاحِدِ مُرِيدُ الخَواجه بَهَاءِ الدِّينِ النَّقْشَبَنْدِيِّ - قُدِّسَ سِرُّهُ - وَمُقَرْطَقُ الأُذُنِ بِكَلاَمِهِ هَذَا.

وَالحَقُّ أَنَّ قيلاً منَ الأَوْلِيَاء تَكلَّمَ بهَذه العبَارَة وَنَفَى جَميعَ المُشَاهَدَات وَالمُعَايَنَات عَلى هَذَا النَّهج وَقَال هُوَ - يَعْني الخَواجهْ النَّقْشَبَنْديَّ - في هَذَا المَقَام الذي هُوَ مَقَامُ الحَقيقَة: مَعْرِفَةُ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالى - حَرَامٌ عَلى بَهَاء الدِّين لوْ لَمْ تَكُنْ بدَايَتُهُ نهَايَةَ أَبي يَزيدَ فَإنَّ أَبَا يَزيدَ مَعَ عظَم شَأْنه وَجَلالَة قَدْره مَا جَاوَزَ الشُّهُودَ وَالمُشَاهَدَةَ وَلَمْ يَضَعْ قَدَمَهُ خَارِجَ مَضيق سُبْحَاني بخلاَف الخواجهْ النَّقْشَبَنْديِّ فَإنَّهُ نَفَى جَميعَ مُشَاهَدَاته بكَلمَة وَاحدَة يَعْني كَلمَةَ لاَ، وَجَعَل الكُل غَيْرَ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَتَنْزِيهَ البسْطَاميِّ تَشْبيهٌ عنْدَ الخواجهْ وَلاَ مثَاليَّةَ مثَاليٍّ، وَكَمَالهُ نَقْصٌ فَلاَ جَرَمَ تَكُونُ نهَايَتُهُ التي لَمْ تَتَجَاوَز التَّشْبيهَ بدَايَةً. الخواجهْ،

فَإنَّ البدَايَةَ تَكُونُ منَ التَّشْبيه وَالنِّهَايَةَ تَكُونُ إلى التَّنْزيه وَلَعَلهُ حَصَل الاطِّلاَعُ لأَبي يَزيدَ في آخر الحَال عَلى هَذَا النَّقْص حَيْثُ قَال قُبَيْل الاحْتضَار: إلهي مَا ذَكَرْتُكَ إلاَّ عَنْ غَفْلة وَلاَ خَدَمْتُكَ إلاَّ عَنْ فَتْرَة فَعرَفَ في ذَلكَ الحَال أَنَّ حُضُورَ السَّابق كَانَ غَفْلةً فَإنَّهُ مَا كَانَ حُضُورَ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - بَل كَانَ حُضُورَ ظل منَ الظِّلاَل وَظُهُورًا منَ الظُّهُورَات فَيَكُونُ غَافلاً عَنْهُ - تَعَالى - بالضَّرُورَة فَإنَّهُ - سُبْحَانَهُ - غَيْرُ الظِّلاَل وَالظُّهُورَات وَوَرَاءَ الوَرَاء وَالظِّلاَل وَالظُّهُورَات إنَّمَا هيَ مَبَاد وَمُقَدِّمَاتٌ وَمَعَارِجُ وَمُعَدَّاتٌ وَمَا قَال الخواجهْ - قُدِّسَ سرُّهُ -: نَحْنُ نُدرجُ النِّهَايَةَ في البدَايَة، مُطَابقٌ للوَاقع فَإنَّ ابْتدَاءَ تَوَجُّهِهُمْ إلى الأُحَديَّة الصِّرْفَة يُريدُونَ منَ الاسْم وَالصِّفَة غَيْرَ الذَّات وهذَا الحَال تَحْصُل للمُبْتَدئينَ الرَّشيدينَ منْ هَذه الطَّائفَة بطَريق الانْعكَاس منْ شَيْخٍ مُقْتَدًى به مُشَرَّف بهَذَا الكَمَال عَرَفُوا أَوْ لَمْ يَعْرِفُوا فَتَكُونُ نهَايَةُ الكَمَال مُنْدَرِجَةً في بدَايَة هَؤُلاَء الأَكَابر.

غَايَةُ مَا في البَاب أَنَّ هَذَا التَّوَجُّهَ إلى الأُحَديَّة لوْ غَلبَ فيهمْ وَنَمَى وَجَعل الظَّاهرُ أَيْضًا مُنْصَبغًا بلوْن البَاطن يَكُونُ السَّالكُ حينَئذ مُتَخَلصًا منْ رقِّيَّة مُشَاهَدَة السُّفْليِّ وَشُهُود الأَدْنَى الذي يَظْهَرُ في مَرَايَا المُمْكنَات وَهَاربًا منَ المَعَارِف التَّشْبيهيَّة وَإنْ لَمْ يَغْلبْ هَذَا التَّوَجُّهُ بَل كَانَ مَقْصُورًا عَلى البَاطن فَكَثيرًا مَا يَكُونُ الظَّاهرُ مُلتَذًّا بشُهُود الوَحْدَة في الكَثْرَة وَمُحْتَظًّا بالتَّوْحيد وَالاتِّحَاد وَلكنَّ هَذَا الشُّهُودَ مَقْصُورٌ في حَقِّهمْ عَلى الظَّاهر غَيْرَ سَار إلى البَاطن بَل بَاطنُهُمْ مُتَوَجِّهٌ إلى الأُحَديَّة الصِّرْفَة وَظَاهرُهُمْ مُشَاهدٌ للوَحْدَة في الكَثْرَة بَل رُبَّمَا لاَ يَكُونُ تَوَجُّهُ البَاطن بوَاسطَة غَلبَة نسْبَة الظَّاهر مَعْلومًا وَلاَ يَكُونُ شَيْءٌ سوَى الشُّهُود الظَّاهريِّ مَفْهُومًا كَمَا كَانَ ذَلكَ في أَوَائل أَحْوَال مُحَرِّرِ هَذه السُّطُور فَإنَّهُ لَمْ يَكُنْ لهُ شُعُورٌ منْ

تُوَجِّه البَاطِنِ إلى الأُحَدِيَّة الصِّرْفَة بوَاسطَة غَلَبَة نسْبَة الظَّاهِر، وَوَجَدَ نَفْسَهُ مُتَوَجِّهًا بالكُلِّيَّة إلى شُهُود الوَحْدَة في الكَثْرَة ثُمَّ رَزَقَهُ الحَقُّ - سُبْحَانَهُ - بَعْدَ مُدَّة الاطِّلاَعَ عَلى تَوَجُّه البَاطِنِ وَنَصْرَ البَاطِنِ عَلى الظَّاهِرِ وَأَوْصَل المُعَامَلَة إلى هُنَا الحَمْدُ لله - سُبْحَانَهُ - عَلى ذَلكَ وَمنْ هَذَا القَبيل مَا صَدَرَ منْ بَعْض خُلَفَاء هَذه الطَّائفَة العَلِيَّة منَ المَعَارف ظَاهرًا وَبَاطنًا بخلاَف غَيْرهم حَيْثُ إنَّهُمْ مُبْتَلوْنَ بهَذَا الشُّهُود ظَاهِرًا أَوْ بَاطنًا وَيَزْعُمُونَ هَذَا الشُّهُودَ جَمْعًا بَيْنَ التَّشْبيه وَالتَّنْزيه وَيَعُدُّونَهُ منَ الكَمَال وَإنْ كَانَ لَهُمْ في البَاطِنِ إيمَانٌ بالتَّنْزيهِ الصِّرْف فَإنَّ الابْتلاَءَ غَيْرُ الإيمَان وَالحَال غَيْرُ العلم.

وَأَمَّا الذينَ لاَ إيمَانَ لَهُمْ بالتَّنْزيه الصِّرْف وَلاَ يَعْتَقدُونَ شَيْئًا غَيْرَ المُشَاهَدَة السُّفْليَّة فَهُمُ المَلاَحدَةُ وَهُمْ خَارجُونَ عَنِ المَبْحَث وَشُهُود الحَقِّ - جَل وَعَلاَ - في مَرَايَا المُمْكنَات الذي يَعُدُّهُ جَمَاعَةٌ منَ الصُّوفيَّة كَمَالاً وَيَزْعُمُونَهُ جَمْعًا بَيْنَ التَّشْبيه وَالتَّنْزيهَ لَيْسَ هُوَ عنْدَ الفَقيرِ شُهُودَ الحَقِّ - جَل وَعَلاَ - وَلَيْسَ المَشْهُودُ فيهَا غَيْرَ مُتَخَيَّلهمْ وَمَنْحُوتهمْ وَلاَ مَا يَرَوْنَهُ في المُمْكنِ وَاجبًا وَلاَ مَا يَجدُونَهُ في الحَادث قَديمًا وَلاَ مَا يَظْهَرُ في التَّشْبيه تَنْزيهًا وَإيَّاكَ وَالافْتتَانَ بتُرَّهَات الصُّوفيَّة وَاعْتقَادَ غَيْر الحَقِّ حَقًّا وَهَذه الجَمَاعَةُ وَإنْ كَانُوا مَعْذُورينَ في خُصُوصهمْ بغَلَبَة الحَال وَمَحْفُوظينَ منَ المُؤَاخذَة بذَلكَ كَالمُجْتَهد المُخْطئِ وَلكنْ لاَ نَدْري مَاذَا تَكُونُ المُعَامَلَةُ بمُقَلديهمْ ليْتَهُمْ يَكُونُوا كَمُقَلدي المُجْتَهد المُخْطئِ وَإلاَّ فَالأَمْرُ مُشْكل وَالقيَاسُ الاجْتهَاديُّ أَصْل منَ الأُصُول الشَّرْعيَّة وَنَحْنُ مَأْمُورُونَ بتَقْليده بخلاَف الكَشْف وَالإلهَام فَإنَّا لمْ نُؤْمَرْ بتَقْليده.

وَالإلهَامُ لَيْسَ بحُجَّة للغَيْر، وَالحُكْمُ الاجْتهَاديُّ حُجَّةٌ للغَيْر فَيَجبُ إذًا تَقْليدُ العُلمَاء المُجْتَهدينَ وَيَنْبَغي طَلَبُ أُصُول الدِّين مُوَافَقَةً لآرَائهمْ وَمَا يَقُولهُ الصُّوفيَّةُ أَوْ يَفْعَلونَهُ مُخَالفًا لآرَاء العُلمَاء المُجْتَهدينَ لاَ يَنْبَغي تَقْليدُهُ بَل يَنْبَغي السُّكُوتُ عَنْ طَعْنهمْ بحُسْنِ الظَّنِّ بهمْ وَأَنْ يَعُدَّهُ منْ شَطيحَاتهمْ وَأَنْ يَصْرفَهُ عَنْ ظَاهره.

وَالعَجَبُ أَنَّ كَثيرًا منَ الصُّوفيَّة يَدُلونَ العَوَامَّ عَلى الإيمَان بأُمُورهمُ الكَشْفيَّة كَوَحْدَة الوُجُود مَثَلاً وَيَدْعُونَهُمْ إليْه وَيُرَغِّبُونَهُمْ في تَقْليدهمْ فيهَا وَيُهَدِّدُونَهُمْ عَلى عَدَم الإيمَان بهَا وَليْتَهُمْ يَدُلونَهُمْ عَلى عَدَمِ الإنْكَارِ عَلى هَذه الأُمُورِ وَيُهَدِّدُون المُنْكرِينَ فَإنَّ الإيمَانَ غَيْرُ عَدمِ الإنْكَار.

وَالإِيمَانُ بِهَذِهِ الأُمُورِ لَيْسَ بِلاَزِمٍ وَلَكِنْ يَنْبَغِي الاجْتِنَابُ وَالاحْتِرَازُ عَنِ الإِنْكَارِ لِئَلاَّ يَنْجَرَّ إِنْكَارُ هَذِهِ الأُمُورِ إِلَى إِنْكَارِ أَرْبَابِهِمْ فَيُؤَدِّي إِلَى بُغْضِ أَوْلِيَاءِ الحَقِّ - جَلَّ وَعَلاَ - وَعَدَاوَتِهِمْ فَاللاَّزِمُ لِلإِنْسَانِ العَمَلُ عَلَى وَفْقِ آرَاءِ عُلَمَاءِ أَهْلِ الحَقِّ وَالسُّكُوتُ عَنْ كَشْفِيَّاتِ الصُّوفِيَّةِ بِحُسْنِ الظَّنِّ وَعَدَمِ الجَسَارَةِ بِلاَ وَنَعَمْ هُوَ الحَقُّ المُتَوَسِّطُ بَيْنَ الإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ وَاللهُ - سُبْحَانَهُ - المُلْهِمُ لِلصَّوَابِ.

وَمِنْ أَعْجَبِ العَجَبِ أَنَّ جَمَاعَةً مِنْ مُدَّعِي هَذَا الطَّرِيقِ لاَ يَقْنَعُونَ بِهَذَا الشُّهُودِ وَالمُشَاهَدَةِ بَلْ يَزْعُمُونَ هَذَا الشُّهُودَ تَنْزِيلاً وَيَقُولُونَ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ بِالرُّؤْيَةِ البَصَرِيَّةِ يَقُولُونَ نَرَى ذَاتَ وَاجِبِ الوُجُودِ المُنَزَّهِ عَنِ المِثَالِ وَيَقُولُونَ إِنَّ هَذِهِ الدَّوْلَةَ الَّتِي كَانَتْ مُيَسَّرَةً لِلنَّبِيِّ ﷺ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي لَيْلَةِ المِعْرَاجِ تَتَيَسَّرُ لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ وَيُشَبِّهُونَ النُّورَ المَرْئِيَّ لَهُمْ بِإِسْفَارِ الصُّبْحِ وَيَزْعُمُونَ ذَلِكَ النُّورَ المَرْتَبَةَ اللاَّكَيْفِيَّةَ يَتَخَيَّلُونَ ظُهُورَ ذَلِكَ النُّورِ نِهَايَةَ مَرَاتِبِ العُرُوجِ تَعَالَى اللهُ - سُبْحَانَهُ - عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

وَأَيْضًا إِنَّهُمْ يُثْبِتُونَ المُكَالَمَةَ مَعَهُ - تَعَالَى - وَيَقُولُونَ: أَمَرَنَا اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بِكَذَا وَكَذَا وَيَنْقُلُونَ عَنْهُ - سُبْحَانَهُ - أَحْيَانًا وَعِيدًا فِي حَقِّ أَعْدَائِهِمْ وَمُبَشِّرُونَ أَحْيَانًا أَحْبَابَهُمْ وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ كَلِمَةَ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - بَقِيَّةَ ثُلُثِ اللَّيْلِ وَأَرْبَعَةً إِلَى صَلاَةِ الصُّبْحِ وَسَأَلْتُهُ عَنْ كُلِّ بَابٍ وَوَجَدْتُ مِنْهُ الجَوَابَ، لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا وَيُفْهَمُ مِنْ كَلِمَاتِ هَؤُلاَءِ الجَمَاعَةِ أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ ذَلِكَ النُّورَ المَرْئِيَّ عَيْنَ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَعَيْنَ ذَاتِهِ - تَعَالَى - لأَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّهُ ظُهُورٌ مِنْ ظُهُورَاتِهِ - تَعَالَى - وَظِلٌّ مِنْ ظِلاَلِهِ وَلاَ شَكَّ أَنَّ اعْتِقَادَ ذَلِكَ النُّورِ ذَاتَ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - افْتِرَاءٌ مَحْضٌ وَإِلْحَادٌ صِرْفٌ وَزَنْدَقَةٌ خَالِصَةٌ وَمِنْ نِهَايَةِ تَحَمُّلِهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - عَدَمُ اسْتِعْجَالِهِ فِي عُقُوبَةِ أَمْثَالِ هَؤُلاَءِ المُفْتَرِينَ وَتَعْذِيبِهِمْ بِأَنْوَاعِ العَذَابِ وَعَدَمُ اسْتِئْصَالِهِمْ سُبْحَانَكَ عَلَى حِلْمِكَ بَعْدَ عِلْمِكَ سُبْحَانَكَ عَلَى عَفْوِكَ بَعْدَ قُدْرَتِكَ وَقَدْ هَلَكَ قَوْمُ مُوسَى - عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - بِمُجَرَّدِ طَلَبِ الرُّؤْيَةِ وَسَمِعَ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - نِدَاءَ لَنْ تَرَانِي بَعْدَ طَلَبِ الرُّؤْيَةِ وَخَرَّ صَعِقًا وَتَابَ مِنْ ذَلِكَ الطَّلَبِ وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ الَّذِي هُوَ مَحْبُوبُ رَبِّ العَالَمِينَ وَأَفْضَلُ المَوْجُودَاتِ وَسَيِّدُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ مَعَ كَوْنِهِ مُشَرَّفًا بِدَوْلَةِ المِعْرَاجِ البَدَنِيِّ وَتَجَاوُزُهُ العَرْشَ وَالكُرْسِيَّ وَعُلُوُّهُ عَلَى الزَّمَانِ وَالمَكَانِ يَعْنِي خُلُوَّهُ وَخُرُوجَهُ مِنْهُمَا لِلعُلَمَاءِ اخْتِلاَفٌ فِي رُؤْيَتِهِ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - مَعَ وُجُودِ الإِشَارَةِ القُرْآنِيَّةِ

إِلَيْهَا وَأَكْثَرُهُمْ قَائلونَ بعدَمِهَا قَال الإِمَامُ الغَزَالِيُّ: الأَصَحُّ إِنَّهُ - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - مَا رَأَى رَبَّهُ لَيْلَةَ المِعْرَاجِ وَهَؤُلاَء القَاصِرُونَ يَرَوْنَ اللهَ - سُبْحَانَهُ - كُل يَوْم بزَعْمِهِمُ البَاطل مَعَ وُجُودِ القيل وَالقَال بَيْنَ العُلَمَاءِ فِي رُؤْيَة مُحَمَّد رَسُول الله ﷺ مَرَّةً وَاحِدَةً فَقَبَّحَهُمُ اللهُ - سُبْحَانَهُ - مَا أَجْهَلهُمْ.

وَأَيْضًا يُعْلَمُ مِنْ كَلمَات هَؤُلاَء الجَمَاعَة أَنَّ نسْبَةَ الكَلاَمِ الذي يَسْمَعُونَهُ إِلى الله - سُبْحَانَهُ - عنْدَهُمْ كَنسْبَة الكَلاَمِ إِلى المُتَكَلم وَهَذَا عَيْنُ الإِلحَاد مَعَاذَ اللهُ - سُبْحَانَهُ - منْ أَنْ يَصْدُرَ عَنْهُ كَلاَمٌ بطَرِيقِ تَكَلمٍ فيه تَرْتيبُ الحُرُوف وَالتَّقدمُ وَالتَّأَخُّرُ فَإِنَّ ذَلكَ منْ عَلاَمَات الحُدُوث وَالذي أَوْقَعَهُمْ فِي الأُغْلوطَات هُوَ كَلمَاتُ المَشَايِخِ الكبَار فَإِنَّهُمْ أَيْضًا أَثْبَتُوا لهُ - سُبْحَانَهُ - الكَلاَمَ وَالمُكَالمَةَ.

وَلَكنْ يَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ: المَشَايخ لاَ يَقُولونَ إِنَّ نسْبَةَ الكَلاَم إِلَيْه - تَعَالى - كَنسْبَته إِلى المُتَكَلمِ بَل يَقُولونَ إِنَّهُ كَنسْبَة المَخْلوق إِلى الخَالق يَقينًا وَلاَ مَحْذُورَ في ذَلكَ أَصْلاً فَإِنَّ مُوسَى - عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - سَمعَ منَ الشَّجَرَة كَلاَمَ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالى - وَنسْبَةُ هَذَا الكَلاَم إِلى الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - كَنسْبَة المَخْلوق إِلى الخَالقِ لاَ كَنسْبَة الكَلاَمِ إِلى المُتَكَلمِ وَكَذَلكَ الكَلاَمُ الذي كَانَ يَسْمَعُهُ منْ جبْرِيل - عَلَيْه السَّلاَمُ - نسْبَتُهُ إِلى الحَقِّ كَنسْبَة المَخْلوق إِلى الخَالق.

غَايَةُ مَا فِي البَاب أَنَّ ذَلكَ الكَلاَمَ أَيْضًا كَلاَمُ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَمُنْكرُهُ كَافرٌ وَزِنْديقٌ وَكَأَنَّ كَلاَمَ الحَقِّ مُشْتَركٌ بَيْنَ الكَلاَمِ النَّفْسيِّ وَالكَلاَمِ اللفْظيِّ الذي يُوجدُهُ الحَقُّ - سُبْحَانَهُ - منْ غَيْرِ تَوَسُّط أَمْرٍ مَا فَيَكُونُ الكَلاَمُ اللفْظيُّ أَيْضًا في الحَقيقَة كَلاَمَ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالى - فَيَكُونُ مُنْكرُهُ كَافرًا بالضَّرُورَة فَافْهَمْ فَإِنَّ هَذَا التَّحْقيقَ يَنْفَعُكَ في كَثيرٍ منَ المَوَاضعِ وَاللهُ - سُبْحَانَهُ المُوَفِّقُ -.

وَيَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الوُجُودَ الذي نُثْبتُهُ في المُمْكنَات هُوَ وُجُودٌ ضَعيفٌ كَسَائرِ صفَات المُمْكنَات وَمَا مقْدَارُ علمِ المُمْكن في جَنْب علمِ الوَاجب - تَعَالى - وَأَيُّ اعْتبَارٍ للقُدْرَة الحَادثَة في جَنْب القُدْرَة القَديمَة وَكَذَلكَ وُجُودُ المُمْكنِ في جَنْب وُجُود الوَاجب لاَ شَيْءٌ مَحْضٌ فَكَيْفَ يَقَعُ النَّاظرُ في الشَّكِّ منْ تَفَاوُت مَرَاتب هَذَيْنِ الوُجُودَيْنِ أَنَّ إِطْلاَقَ الوُجُود عَلى هَذَيْنِ الفَرْدَيْنِ هَل هُوَ بطَرِيقِ الحَقيقَة أَوْ عَلى أَحَدهمَا بطَرِيقِ الحَقيقَة وَعَلى الآخَر بطَرِيقِ المَجَاز أَلاَ تَرَى أَنَّ الجَمَّ الغَفيرَ منَ الصُّوفيَّة يُتْقنُوا بالشِّقِّ الثَّاني وَقَالوا: إِنَّ إِطْلاَقَ الوُجُود عَلى وُجُود المُمْكنِ إِنَّمَا هُوَ بطَرِيقِ المَجَازِ وَلاَ يُثْبتُ الوُجُودَ للمُمْكنَات إِلاَّ العَوَامُّ وَأَخَصُّ

الخَوَاصِّ وَالمُرَادُ بِأَخَصِّ الخَوَاصِّ الأَنْبِيَاءُ - عَلَيْهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَمَنْ كَانَ مُشَرَّفًا بِولَايَتِهِمُ الأَصْلِيَّة مِنْ أُمَمِهِمْ وَطَوَى دَائِرَةَ الظِّلَال بالتَّمَام فَأَمَّا العَوَامُّ فَنَظَرُهُمْ مَقْصُورٌ عَلَى الظَّاهِرِ فَيَزْعُمُونَ أَنَّ وُجُودَ الوَاجِب وَوُجُودَ المُمْكِنِ قِسْمَانِ مِنَ الوُجُودِ المُطْلَقِ وَيَظُنُّونَ كِلَيْهِمَا مَوْجُودَيْن.

وَأَمَّا أَخَصُّ الخَوَاصِّ فَأَبْصَارُهُمْ حَدِيدَةٌ فَيَجِدُونَ كِلاَ الوُجُودَيْنِ مِنْ أَفْرَادِ الوُجُودِ المُطْلَقِ وَيُعِدُّونَ تَفَاوُتَ مَرَاتِبِ أَفْرَادِ الوُجُودِ المُطْلَقِ رَاجِعًا إِلَى صِفَاتِ الوُجُودِ وَاعْتِبَارَاتِه لاَ إِلَى حَقِيقَتِه وَذَاتِه حَتَّى يَكُونَ فِي أَحَدِهِمَا حَقِيقَةٌ وَفِي الآخَرِ مَجَازًا وَأَمَا المُتَوَسِّطُونَ الذِينَ وَضَعُوا أَقْدَامَهُمْ فَوْقَ رُتْبَةِ العَوَامِّ وَقَصَرُوا عَنْ إِدْرَاكِ كَمَالاَتِ أَخَصِّ الخَوَاصِّ فَعَسِيرٌ عَلَيْهِمْ أَنْ يَقُولُوا بِوُجُودِ المُمْكِنَاتِ وَأَنْ يُطْلِقُوا لَفْظَ الوُجُودِ عَلَى وُجُودِ المُمْكِنِ بِطَرِيقِ الحَقِيقَةِ.

وَمُشْكِل وَمِنْ هَهُنَا قَالُوا: إِنَّ المُمْكِنَ إِنَّمَا يُقَال لَهُ مَوْجُودًا بِعَلَاقَة أَنَّ لَهُ نِسْبَةً إِلَى الوُجُودِ كَمَا يُقَال: مَاءُ الشَّمْسِ لاَ إِنَّ الوُجُودَ قَائِمٌ بِه حَتَّى يَكُونَ مَوْجُودًا حَقِيقَةً. وَبَعْضُ هَؤُلاَءِ الجَمَاعَة سَاكِتٌ عَنْ وُجُودِ المُمْكِنِ غَيْرُ مُصَرِّحٍ بِنَفْيِه وَإِثْبَاتِه وَبَعْضُهُمْ يَنْفِي الوُجُودَ عَنِ المُمْكِنِ وَلاَ يَرَى مَوْجُودًا غَيْرَ الوَاجِب - تَعَالَى -.

وَبَعْضُهُمْ لاَ يَقُول بِغَيْرِيَّةِ وُجُودِ المُمْكِنِ لِوُجُودِ الوَاجِب كَمَا لاَ يَقُول بِعَيْنِيَّتِه لَهُ وَيُصَرِّحُ بَعْضُهُمْ أَنَّ المُمْكِنَ مَوْجُودٌ بِعَيْنِ الوُجُودِ الذِي بِه الوَاجِبُ - تَعَالَى - مَوْجُودٌ وَهَذِه العِبَارَةُ أَيْضًا تَنْفِي الوُجُودَ عَنِ المُمْكِنِ وَبِالجُمْلَة يُحْتَاجُ فِي إِثْبَاتِ وُجُودِ المُمْكِنِ إِلَى حِدَّةِ النَّظَرِ حَتَّى يُمْكِنَ رُؤْيَتُهُ حِينَ يُشَعْشِعُ أَنْوَارُ وُجُودِ الوَاجِب - تَعَالَى - كَمَا أَنَّ مَنْ لَهُمْ حِدَّةُ البَصَرِ يَرَوْنَ النُّجُومَ فِي النَّهَارِ مَعَ وُجُودِ تَشَعْشُعِ نُورِ الشَّمْسِ وَالذِينَ لَيْسَ لَهُمْ حِدَّةُ البَصَرِ لاَ يَقْدِرُونَ رُؤْيَتَهَا فَوُجُودُ المُمْكِنَاتِ فِي جَنْبِ وُجُودِ الوَاجِب كَوُجُودِ الكَوَاكِبِ فِي النَّهَارِ مَنْ كَانَ فِيه حِدَّةُ البَصَرِ يَقْدِرُ رُؤْيَتَهُ وَمَنْ هُوَ ضَعِيفُ البَصَرِ لاَ يَقْدِرُهَا

وَلَيْسَ لَهُ مِنْهَا نَصِيبٌ وَلاَ سَهْمٌ

فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ يَرَى العَوَامُّ وُجُودَ المُمْكِنَات مَعَ وُجُود ضَعْفِ البَصَرِ وَعَمَى البَصِيرَةِ فِيهِمْ وَالحَال أَنَّ تَشَعْشُعَ أَنْوَارِ وُجُودِ الوَاجِب مَانِعٌ عَنْ رؤيتِه يَعْنِي الضِّعَافَ البَصَرِ ؟

أُجِيبُ أَنَّ العَوَامَّ أَرْبَابُ العِلمِ لاَ أَرْبَابُ الرُّؤْيَة، وَكَلاَمُنَا فِي أَرْبَابِ الرُّؤْيَة لاَ فِي أَرْبَابِ العِلمِ فَإِنَّهُمْ خَارِجُونَ عَنِ المَبْحَثِ فَكَانَ ظُهُورُ أَنْوَارِ الوَاجِب - تَعَالَى

- مَفْقُودًا فِي حَقِّهِمْ فَلاَ يَكُونُ مَانِعًا عَنْ رُؤْيَةِ وُجُودِ المُمْكِنَاتِ فِي حَقِّهِمْ أَوْ نَقُول: إِنَّ ظُهُورَ أَنْوَارِ الوَاجِبِ إِنَّمَا هُوَ مَانِعٌ عَنْ شُهُودِ وُجُودِ المُمْكِنَاتِ لاَ إِنَّهُ مَانِعٌ عَنِ العِلْمِ بِوُجُودِ المُمْكِنَاتِ فَإِنَّ العِلْمَ كَثِيرًا مَا يَحْصُلُ بِالسَّمَاعِ وَالتَّقْلِيدِ وَالنَّظَرِ وَالاسْتِدْلاَلِ كَمَا أَنَّ العِلْمَ بِوُجُودِ الكَوَاكِبِ فِي النَّهَارِ حَاصِلٌ لِضِعَافِ البَصَرِ أَيْضًا مَعَ وُجُودِ ظُهُورِ الشَّمْسِ وَفِي العَوَامِّ العِلْمُ بِوُجُودِ المُمْكِنَاتِ لاَ شُهُودِهِ فَإِنَّ الشُّهُودَ مِنْ صِفَةِ البَصِيرَةِ وَبَصِيرَةُ العَوَامِّ مَطْمُوسَةٌ سَوَاءٌ كَانَ المَشْهُودُ مَلَكًا أَوْ مَلَكُوتًا أَوْ جَبَرُوتًا أَوْ لاَهُوتًا.

أَيُّهَا الأَخُ الأَعَزُّ، إِنَّ العَوَامَّ كَمَّا أَنَّهُمْ مُشَارِكُونَ لأَخَصِّ الخَوَاصِّ فِي هَذَا المَبْحَثِ كَذَلِكَ لَهُمْ مُشَارَكَةٌ فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ وَمِنْ هَهُنَا كَانَتْ مُعَامَلَةُ الأَنْبِيَاءِ وَمُعَاشَرَتُهُمْ - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَحْكَامِ كَمُعَامَلَةِ العَوَامِّ وَمَعَائِشِهِمْ - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَحْكَامِ كَمُعَامَلَةِ العَوَامِّ وَمَعَائِشِهِمْ وَمُعَاشَرَتِهِمْ مَعَ أَهْلِهِمْ وَعِيَالِهِمْ وَكَانَ خَيْرُ البَشَرِ ﷺ يُعَامِلُ أَهْلَهُ وَعِيَالَهُ مِثْلَ مُعَامَلَتِهِمْ وَحُسْنُ مُعَاشَرَتِهِ ﷺ مَشْهُورٌ، نُقِلَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَبَّلَ يَوْمًا الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ ـــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـــ وَأَظْهَرَ لَهُمَا تَمَامَ الانْبِسَاطِ فَقَالَ شَخْصٌ مِنَ الحَاضِرِينَ: إِنَّ لِي أَحَدَ عَشَرَ ابْنًا وَلَمْ أُقَبِّلْ وَاحِدًا مِنْهُمْ أَصْلاً فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ هَذِهِ الرَّحْمَةَ أَعْطَاهَا اللهُ - سُبْحَانَهُ - لِعِبَادِهِ مِنْ رَحْمَتِهِ.

وَحَيْثُ كَانَتْ لأَخَصِّ الخَوَاصِّ مُشَارَكَةٌ مَعَ العَوَامِّ فِي بَعْضِ الأَوْصَافِ وَإِنْ كَانَتْ صُورَةً كَانَ العَوَامُّ مَحْرُومِينَ مِنْ أَكْثَرِ كَمَالاَتِهِمْ بِسَبَبِ نُقْصَانِهِمْ وَقُصُورِ إِدْرَاكِهِمْ وَتَخَيُّلِهِمْ إِيَّاهُمْ كَأَنْفُسِهِمْ وَالذِينَ فَارَقُوهُمْ فِي الأَوْصَافِ وَالخِصَالِ تَرَاهُمْ يُعَظِّمُونَهُمْ وَيُوَقِّرُونَهُمْ وَلِهَذَا يُفَضِّلُونَ أَوْصَافَ الأَوْلِيَاءِ وَأَخْلاَقَهُمْ عَلَى مَا سِوَاهَا مِنَ الأَوْصَافِ الَّتِي تُشَابِهُ أَوْصَافَهُمْ وَأَخْلاَقَهُمْ لِكَوْنِهَا مُغَايِرَةً لأَوْصَافِهِمْ وَأَخْلاَقِهِمْ، وَإِنْ كَانَتْ تِلْكَ الأَخْلاَقُ مَوْجُودَةً فِي الأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ -.

نُقِلَ عَنِ المَخْدُومِ الشَّيْخِ فَرِيد كنج شُكْر أَنَّهُ لَمَّا تُوُفِّيَ وَاحِدٌ مِنْ أَوْلاَدِهِ وَبَلَغَهُ خَبَرُ وَفَاتِهِ لَمْ يَطْرَأْ عَلَيْهِ تَغَيُّرٌ أَصْلاً وَقَالَ: مَاتَ جَرْوُ الكَلْبِ فَأَخْرِجُوهُ وَلَمَّا تُوُفِّيَ وَلَدُ سَيِّدِ البَشَرِ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - بَكَى عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَحَزِنَ وَقَالَ: إِنَّا بِفِرَاقِكَ لَمَحْزُونُونَ. وَبَيَّنَ حُزْنَهُ بِالتَّأْكِيدِ مُبَالَغَةً فَانْظُرْ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ الشَّيْخُ فَرِيد كنج شُكْر أَمْ سَيِّدُ البَشَرِ ﷺ ؟

وَعِنْدَ العَوَامِّ الذينَ هُمْ كَالأَنْعَام بَل أَضَل مُعَامَلةُ الأَوَّل أَوْلى وَأَفضَل فإنَّهُمْ يَعُدُّونَهَا مِنْ عَدَم التَّعَلق بالسِّوَى وَيَزْعُمُونَ الثَّاني عَيْنَ التَّعَلق بالفَاني - أَعَاذَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ - مِنْ مُعْتَقَدَاتِهِمُ السُّوءِ وَحَيْثُ إِنَّ هَذه الدَّارَ دَارُ امْتِحَانٍ وَابْتِلاءٍ فَإلقَاءُ العَوَامِّ فِي الاشْتِبَاه وَالشُّبْهَة عَيْنُ الحكْمَة وَالمَصْلَحَة اللهُمَّ أَرِنَا الحَقَّ حَقًّا وَارْزُقْنَا اتِّبَاعَهُ وَأَرِنَا البَاطِلَ بَاطلاً وَارْزُقْنَا اجْتِنَابَهُ بحُرْمَة سَيِّد البَشَر - عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ -.

وَلنَرْجعْ إلى أَصْل الكَلاَم وَنَقُول: إنَّ إيمَانَ الأَنْبيَاء - عَلَيْهم السَّلاَمُ - وَأَصْحَابه الكرَام وَالأَوْليَاء المُلحقينَ بالأَصْحَاب العظَام بَعْدَ الشُّهُور قَدْ تَقرَّرَ كَوْنُهُ بالغَيْب بوَاسطَة الرُّجُوع إلى الدَّعْوَة كَمَا أَنَّ شَخصًا رَأَى الشَّمْسَ في النَّهَار وَوَجَدَ فيه الإيمَانَ الشُّهُوديَّ بوُجُود الشَّمْس فَإذَا جَاءَ اللَيْلِ يَتَبَدَّل إيمَانُهُ الشُّهُوديُّ وإيمَانُ العُلمَاء وَإنْ كَانَ غَيْبًا وَلكنْ غَيْبُهُمْ عَرَضٌ لهُ حُكْمُ الحَدْس بوَاسطَة نُور مُتَابعَة الأَنْبيَاء - عَلَيْهمُ السَّلاَمُ - وَخرَجَ منْ كَوْنه نَظَريًا وَاسْتدْلاليًّا وَالمُرَادُ بالعُلمَاء هُنَا عُلمَاءُ الآخرَة فَإنَّ عُلمَاءَ الدُّنْيَا دَاخلونَ في عَامَّة المُؤْمنينَ وَأَفْضَل أَقْسَام الإيمَان الغَيْبيِّ المَنْسُوب إلى عَامَّة المُؤْمنينَ إيمَانٌ مَرْبُوطٌ بتَقْليد الأَنْبيَاء - عَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَمَنُوطٌ بقَال اللهُ وَقَالَ رَسُول الله صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ.

فإنْ قيل: قَال العُلمَاءُ: إنَّ الإيمَانَ الاسْتدْلاليَّ أَفْضَل منَ الإيمَان التَّقْليديِّ حَتَّى إنَّ كَثيرًا منَ العُلمَاء عَدُّوا الاسْتدْلال منْ شَرَائط الإيمَان وَلمْ يَعْتَبرُوا الإيمَانَ التَّقْليديَّ وَأَنْتَ تَقُول: إنَّ الإيمَانَ التَّقْليديَّ أَفْضَل ؟

أُجيبَ: إنَّ الإيمَانَ الحَاصل بتَقْليد الأَنْبيَاء - عَلَيْهمُ السَّلاَمُ - إيمَانٌ اسْتدْلاليٌّ فَإنَّ صَاحبَ التَّقْليد يَعْرفُ بالدَّليل أَنَّ الأَنْبيَاءَ - عَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - صَادقُون في تَبْليغ الرِّسَالة منَ الله - تَعَالى - فَإنَّ الشَّخْصَ الذي صَدَّقَهُ اللهُ - سُبْحَانَهُ - بالمُعجزَة صَادقٌ أَلبَتَّةَ وَالأَنْبيَاءُ - عَلَيْهمُ السَّلاَمُ - كُلهُمْ مُؤَيَّدُون بالمُعجزَات فَيَكُونُ كُلهُمْ صَادقينَ وَالتَّقْليدُ الغَيْرُ المُعْتَبر هُوَ تَقْليدُ الآبَاء في الإيمَان فَقَطْ وَلاَ يَكُونُ صدْقُ الأَنْبيَاء - عَلَيْهمُ السَّلاَمُ - وَحَقّيَّةُ تَبْليغهمْ مَنْظُورًا إلَيْه أَصْلاً وَهَذَا الإيمَانُ غَيْرُ مُعْتَبَر عنْدَ كَثير منَ العُلمَاء بَقيَ الإيمَانُ الاسْتدْلاليُّ الحَاصلُ منْ تَرْتيب مُقَدِّمَات أَرْبَاب النَّظَر منَ الصُّغْرَى وَالكُبْرَى فَهُوَ اسْتدْلال قَريبٌ منَ الأَمَاكن بَعيدٌ عَن الوُقُوع وَلاَ يُعْلمُ مَضَى أَحَدٌ منْ أَرْبَاب النَّظَر في مَقَام الاسْتدْلال عَلى إثْبَات الوَاجب مثْل مَوْلاَنَا جَلال الدِّين الدَّوَانيِّ فَإنَّهُ مُحَقّقٌ وَمُتَأَخّرُ الزَّمَان وَقَدْ سَعَى هُوَ في إثْبَات الوَاجب سَعْيًا بَليغًا وَمَعَ ذَلكَ لاَ يُوجَدُ مُقَدِّمَةٌ منْ مُقَدِّمَات اسْتدْلالاَته مُسَلمَةً منَ النَّقْض وَالمُعَارَضَة وَالمَنْع وَالدَّخْل المُوَجَّهُ التي أَوْرَدَهَا مَحْشُوٌّ رسَالته وَيْل لصَاحب اسْتدْلال يَحْصُلُ الإيمَانُ بمُجَرَّد الاسْتدْلال وَلاَ يَكُونُ تَقْليدُ الأَنْبيَاء مُسْتَندَةً

وَمُعْتَمدَة رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلت وَاتَّبعْنَا الرَّسُول فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهدين.

المَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالسَّبْعُونَ وَالمائَتَان
إلى المرْزَا حُسَام الدِّين أَحْمَدَ
فِي بَيَانِ أَنَّهُ يَنْبَغِي للسَّالك أَنْ يَكُونَ ثَابتًا وَمُسْتَقيمًا عَلى طَرِيقِ شَيْخه غَيْرَ مُلتَفت إلى طُرُق أُخَرَ وَأَنْ لاَ يَعْتَبرَ الوَقَائِعَ التي تَظْهَرُ عَلى خلاَفه فَإنَّهَا منَ الشَّيْطَان العَدُوِّ وَمَا يُنَاسبُ ذَلكَ

الحَمْدُ لله الذي هَدَانَا لهَذَا وَمَا كُنَّا لنَهْتَديَ لوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللهُ لقَدْ جَاءَتْ رُسُل رَبِّنَا بالحَقِّ عَلَيْهِمْ منَ الصَّلوَات أَتَمُّهَا وَمنَ التَّسْليمَات أَكْمَلهَا قَدْ حَصَل السُّرُورُ وَالابْتهَاجُ بوُصُول صَحيفَة الالتفَاف المُرْسَلة باسْم هَذَا الحَقير عَلى وَجْه الكَرَم جزَاكُمْ اللهُ - سُبْحَانَهُ - خَيْرَ الجَزَاء وَقَدْ انْدرَجَ فيهَا أَنَّهُ لوْ كَانَتْ المُبَالغَةُ في مَنْع السَّمَاع مُتَضَمِّنَةً للمَنْعِ عَنْ سَمَاع المَوْلد الذي هُوَ عبَارَةٌ عَنْ قرَاءَة القَصَائد النَّعْتيَّة وَالأَشْعَارُ غَيْرُ النَّعْتيَّة يَعْسُرُ تَرْكُ اسْتمَاعِ المَوْلد عَلى الأَخِ الأَعَزِّ المَير مُحَمَّد نُعْمَانَ وَبَعْضُ الأَصْحَاب المَوْجُودينَ هُنَا لأَنَّهُمْ رَأَوْا النَّبيَّ ﷺ في الوَاقعَة وَهُوَ ﷺ رَاضٍ عَنْ مَجْلسِ المَوْلد جدًّا وَيَصْعُبُ عَلَيْهِمْ تَرْكُ ذَلكَ جدًّا.

أَيُّهَا المَخْدُومُ، لوْ كَانَ للوَقَائعِ اعْتبَارٌ وَعَلى المَنَامَات اعْتمَادٌ لاَ يَحْتَاجُ المُريدُونَ إلى الشُّيُوخِ وَيَكُونُ اخْتيَارُ طَريقٍ منَ الطُّرُق عَبَثًا فَإنَّ كُل مُريد يَعْمَل حينَئذ بمَا يُوَافقُ وَقَائعَهُ وَيُطَابقُ لمَنَامَاته سَوَاءً كَانَتْ تلكَ الوَقَائعُ وَالمَنَامَاتُ مُوَافقَةً لطَرِيقَة شَيْخه أَوْ لاَ، وَسَوَاءً كَانَتْ مَرْضيَّةً عنْدَهُ أَوْ لاَ فَعَلى هَذَا التَّقْدير تَبْطُل سلسلَةُ الشَّيْخُوخَة والمُريديَّة وَكُل ذي هَوَسٍ يَسْتَقل بوَضْعه وَيَسْتَبدُّ بطَوْره وَالمُريدُ الصَّادقُ لاَ يَكُونُ عنْدَهُ لأَلف وَاقعَة صَادقَة مقْدَارُ نصْف شَعيرَة منَ الاعْتبَار مَعَ وُجُود شَيْخه وَتَكُونُ المَنَامَاتُ عنْدَ الطَّالب الرَّشيد مَعَ دَوْلَة حُضُور المُرْشد مَعْدُودَةً منْ أَضْغَاث أَحْلاَمٍ وَلاَ يُلتَفَتُ إلى شَيْءٍ منْهَا أَصْلاً الشَّيْطَانُ عَدُوٌّ قَويٌّ لاَ يَأْمَنُ المُنْتَهُونَ منْ كَيْده وَلاَ يَزَالونَ خَائفينَ وَجلينَ منْ مَكْره فَمَاذَا نَقُول في حَقِّ المُبْتَدئينَ وَالمُتَوَسِّطينَ.

غَايَةُ مَا فِي البَابِ أَنَّ المُنْتَهِينَ مَحْفُوظُونَ وَمِنْ سُلطَانِ الشَّيْطَانِ مَصُونُونَ بِخِلاَفِ المُبْتَدِئِينَ وَالمُتَوَسِّطِينَ فَلاَ تَكُونُ وَقَائِعُهُم مُسْتَحِقَّةً لِلاعْتِمَادِ وَمَحْفُوظَةً عَنْ مَكْرِ عَدُوٍّ شَدِيدِ العِنَادِ.

فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ الوَاقِعَةَ التِي يُرَى فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ صَادِقَةٌ وَمَحْفُوظَةٌ مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ وَمَكْرِهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَمَثَّلُ بِصُورَتِهِ كَمَا وَرَدَ فَتَكُونُ وَقَائِعُ مَا نَحْنُ فِيهِ صَادِقَةً وَمَحْفُوظَةً مِنْ مَكْرِ الشَّيْطَانِ.

أُجِيبُ أَنَّ صَاحِبَ الفُتُوحَاتِ المَكِّيَّةِ جَعَلَ عَدَمَ تَمَثُّلِ الشَّيْطَانِ مَخْصُوصًا بِصُورَتِهِ ﷺ الخَاصَّةِ بِهِ المَدْفُونَةِ فِي المَدِينَةِ وَلاَ يَجُوزُ الحُكْمُ بِعَدَمِ تَمَثُّلِهِ مُطْلَقًا عَلَى أَيِّ صُورَةٍ كَانَ وَلاَ شَكَّ أَنَّ تَشْخِيصَ تِلْكَ الصُّورَةِ عَلَى صَاحِبِهَا - الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - خُصُوصًا فِي المَنَامِ مُتَعَسِّرٌ جِدًّا فَكَيْفَ تَكُونُ مُسْتَحِقَّةَ الاعْتِمَادِ فَإِنْ لَمْ نَجْعَلْ عَدَمَ تَمَثُّلِ الشَّيْطَانِ مَخْصُوصًا بِصُورَتِهِ ﷺ الخَاصَّةِ بِهِ وَجَوَّزْنَا عَدَمَ تَمَثُّلِهِ بِهِ عَلَى أَيِّ صُورَةٍ كَانَ كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ العُلَمَاءِ وَمُنَاسِبٌ أَيْضًا لِرِفْعَةِ شَأْنِهِ ﷺ نَقُولُ: إِنَّ أَخْذَ الأَحْكَامِ عَنْ تِلْكَ الصُّورَةِ وَإِدْرَاكَ المَرْضِيِّ وَغَيْرِ المَرْضِيِّ لَهُ مِنَ المُشْكِلاَتِ فَإِنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ العَدُوُّ اللعِينُ مُتَوَسِّطًا فِي البَيْنِ وَمُرِيئًا لِخِلاَفِ الوَاقِعِ وَاقِعِيًّا وَمُوقِعًا لِلرَّائِي فِي الاشْتِبَاهِ وَالالتِبَاسِ بِتَلْبِيسِ عِبَارَتِهِ وَإِشَارَتِهِ بِعِبَارَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَإِشَارَتِهِ كَمَا رُوِيَ أَنَّ سَيِّدَ البَشَرِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ كَانَ يَوْمًا جَالِسًا وَكَانَ عِنْدَهُ صَنَادِيدُ قُرَيْشٍ وَرُؤَسَاءُ أَهْلِ الكُفْرِ وَكَثِيرٌ مِنَ الأَصْحَابِ أَيْضًا فَقَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِمْ سُورَةَ النَّجْمِ وَلَمَّا بَلَغَ ذِكْرَ آلِهَتِهِمْ البَاطِلَةِ ضَمَّ الشَّيْطَانُ اللعِينُ كَلِمَاتٍ فِي مَدْحِ آلِهَتِهِمْ البَاطِلَةِ إِلَى قِرَاءَتِهِ ﷺ عَلَى نَهْجٍ ظَنَّهَا الحَاضِرُونَ مِنْ قِرَاءَتِهِ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَلَمْ يَجِدُوا إِلَى تَمَيُّزِهِ سَبِيلاً أَصْلاً فَفَرِحَ الكَافِرُونَ وَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا صَالِحَنَا وَمَدَحَ آلِهَتَنَا وَتَحَيَّرَ مِنْهُ الحَاضِرُونَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ أَيْضًا وَلَمْ يَطَّلِعْ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى كَلاَمِ الشَّيْطَانِ اللعِينِ هَذَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَا الوَاقِعَةُ فَعَرَضَ الأَصْحَابُ الكِرَامُ عَلَيْهِ ﷺ أَنَّ هَذِهِ الفِقْرَاتِ قَدْ ظَهَرَتْ فِي أَثْنَاءِ كَلاَمِكَ فَحَزِنَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى ذَلِكَ فَجَاءَ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - بِالوَحْيِ لِبَيَانِ أَنَّ ذَلِكَ الكَلاَمَ كَانَ إِلقَاءً شَيْطَانِيًّا وَذَلِكَ قَوْلُهُ - تَعَالَى - {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَتِهِ} الآيَاتُ الأَرْبَعُ فَإِذَا أَلْقَى الشَّيْطَانُ كَلاَمَهُ البَاطِلَ فِي أَثْنَاءِ قِرَاءَتِهِ ﷺ فِي زَمَانِ حَيَاتِهِ وَفِي حَالَةِ يَقْظَتِهِ وَفِي مَحْضَرِ الصَّحَابَةِ بِحَيْثُ لاَ يَمْتَازُ مِنْ قِرَاءَتِهِ ﷺ فَمِنْ أَيْنَ يُدْرَى أَنَّ تِلْكَ الوَاقِعَةَ مَحْفُوظَةٌ مِنْ تَصَرُّفِ

الشَّيْطَان وَمَصُونَةٌ مِنْ تَلبِيسه مَعَ كَوْنهَا بَعْدَ وَفَاته ﷺ وَفي حَالَة المَنَامِ التي هِيَ حَالَةُ تَعْطِيل الحَوَاسِّ وَمَحَل الاشْتبَاه وَالالتِبَاسِ وَوُجُود انْفرَادِ الرَّأْيِ عَنْ سَائِرِ النَّاسِ.

أَوْ نَقُول: إنَّ كَوْنَهُ ﷺ رَاضيًا بهَذَا العَمَل كَمَا يَرْضَى المَمْدُوحُ عَنِ المَادحينَ لَمَا كَانَ مُتَمَكّنًا في أَذْهَان قَارئ القَصَائد وَسَامعهَا وَمُنْتَقشًا في مُتَخَيّلاَتهم جَازَ أَنْ تَكُونُ تلكَ الصُّورَةُ المَرْئيَّةُ في الوَاقعَة هيَ الصُّورَةُ المُنْتَقشَةُ في مُتَخَيّلاَتهمْ منْ غَيْر أَنْ تَكُونَ لتلكَ الوَاقعَة حَقيقَةٌ وَتَمَلقٌ شَيْطَانيٌّ وَأَيْضًا إنَّ الوَاقعَات وَالرُّؤْيَا قَدْ تَكُونُ مَحْمُولَةً عَلَى ظَاهرهَا وَحَقيقَتهَا وَهيَ التي يَرَاهَا الرَّائي بعَيْنهَا كَمَا إذَا رَأَى مَثَلاً صُورَةَ زَيْد في المَنَامِ وَكَانَ المُرَادُ بهَا هُوَ عَيْنُ حَقيقَة زَيْد وَقَدْ تُصْرَفُ عَنِ الظَّاهرِ وَتُحْمَل عَلَى التَّأْويل وَالتَّعْبير كَمَّا إذَا رَأَى صُورَةَ زَيْد مَثَلاً في المَنَامِ وَأُريدَ بهَا عُمَرَ وَمَثَلاً بعَلاَقَة المُنَاسَبَة بَيْنَهُمَا فَمنْ أَيْنَ يُعْلَمُ أَنَّ وَاقعَةَ الأَصْحَاب مَحْمُولَةٌ عَلَى الظَّاهرِ غَيْرُ مَصْرُوفَة عَنْهُ وَلمَ لاَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ المُرَادُ بهَا الوَقَائعَ المُحْتَاجَةَ إلَى التَّعْبير وَأَنْ تَكُونَ كنَايَةً عَنْ أُمُور أُخْرَى منْ غَيْر أَنْ يَكُونَ لتُمَثّل الشَّيْطَان فيهَا مَجَال وَبالجُمْلَة يَنْبَغي أَنْ لاَ يَكُونَ مَدَارُ الاعْتبَار عَلَى الوَاقعَة فَإنَّ الأَشْيَاءَ مَوْجُودَةٌ في الخَارجِ فَيَنْبَغي السَّعْيُ حَتَّى تُرَى الأَشْيَاءُ في الخَارجِ فَإنَّ ذَلكَ هُوَ اللاَّئقُ بالاعْتمَاد وَلَيْسَ فيه مَجَال التَّعْبير وَمَا يُرَى في الخَيَال فَهُوَ مَنَامٌ وَخَيَال وَأَصْحَابُنَا هُنَاكَ يُعَامَلونَ بوَضْعهمْ وَرَأْيهمْ منْ مُدَّة مَديدَة وَزمَامُ الاخْتيَار بأَيْديهمْ وَأَمَّا المَيْرُ مُحَمَّدُ نُعْمَانَ فَمَا المُخَلصُ لَهُ غَيْرَ الانْقيَاد فَإنْ تَوَقَّفُوا عَنِ الامْتنَاعِ فَرْضًا لَمحَةً بَعْدَ المَنْع عيَاذًا بالله – سُبْحَانَهُ – فَنَنْظُرُ إلى مَنْ يَفرُّونَ وَبمَنْ يَلوذُونَ.

وَمُبَالغَةُ الفَقير إنَّمَا هيَ بسَبَب مُخَالفَة طَريقَته سَوَاءٌ كَانَتْ المُخَالفَةُ بالسَّمَاعِ وَالرَّقْصِ أَوْ بقرَاءَة المَوَالد وَإنْشَاء القَصَائد وَلكُل طَريقٍ وُصُول إلى مَطْلب خَاصٍّ به وَالوُصُول إلى المَطْلب الخَاصِّ بهَذَا الطَّريق المُتَوَسِّط مَنُوط بتَرْك هَذه الأُمُور فَكُل مَنْ فيه طَلَبَ مَطْلَبَ هَذَا الطَّريق يَنْبَغي أَنْ يُجتَنَبَ عَنْ مُخَالفَة هَذَا الطَّريق وَأَنْ لاَ تَكُونَ مَطَالبُ طُرُق أُخرَ مَنْظُورَةً في نَظَره قَال الخواجهْ بَهَاءُ الدِّين النَّقْشَبَنْديُّ – قُدِّسَ سرُّهُ –: مانه اين كَار ميكينم وَنه انكار ميكنيم. يَعْني نَحْنُ مَا نَفْعَل هَذَا الأَمْرَ لكَوْنه مُخَالفًا للطَّريق الخَاصِّ بنَا وَلاَ نُنْكرُهُ أَيْضًا لكَوْنه مَعْمُولاً عنْدَ مَشَائخَ أُخرَ وَلكُل وُجْهَة هُوَ مُوَليهَا فَإذَا حَدَثَ أَمْرٌ مُخَالفٌ لهَذه الطَّريقَة العَليَّة في

فَيْرُوزآبادَ الذي هُوَ مَلجأٌ وَمَلاَذٌ لأَمْثَالنَا الفُقَرَاء وَمَقَرٌّ قُدْوَة أَرْبَاب الْمُتَابَعَة الضُّعَفَاء لاَ جَرَمَ يَكُونُ مُوجبًا لاضْطرَاب أَمْثَالنَا الفُقَرَاء أَلْبَتَّةَ.

وَالمَخَاديمُ الكرَامُ أَحقَّاءُ بالقيَام بحفْظ طَريق وَالدهمُ المَاجد كَمَا أَنَّ أَوْلاَدَ الخواجهْ أَحْرَار - قُدِّسَ سرُّهُ - قَامُوا بحفْظ الطَّريق الأَصْل بَعْدَ عُرُوض التَّغَيُّر لطَريق وَالدهمُ المَاجد بَعْدَ وَفَاته وَجَادَلوا المُغَيِّرينَ كَمَا أَنَّهُ وَصَل إلى سَمْعكُمْ الشَّريف أَيْضًا إنْ شَاءَ اللهُ وَكَتَبْتُمْ شَيْئًا منْ مَشْرَب شَيْخنَا القَويِّ العَذْب نَعَمْ إنَّهُ تَسَاهَل في أَوَائل حَاله في بَعْض الأُمُور مَيْلاً منْهُ إلى مَذْهَب المَلاَمَتيِّ وَاختيَارًا لَهُ وَارْتَكَبَ تَرْكَ العَزيمَة في بَعْض الأَشْيَاء، تَرْجيحًا لذَلكَ المَذْهَب وَلكنَّهُ اجْتَنَبَ عَنْ هَذه الأُمُور في الآخر وَلَمْ يَذْكُرْ الملا مَتيه أَصْلاً ليَنْظُرُوا بنَظَر الإنْصَاف وَليَتَفَكَّرُوا أَنَّ شَيْخنَا إذَا كَانَ فَرْضًا حَيًّا في الدُّنْيَا في هَذه الأَوَان وَانْعَقَدَ هَذَا المَجْلسُ وَالاجْتمَاعُ هَل يَحْسَبُونَ أَنَّهُ يَرْضَى عَنْ هَذَا الأَمْر وَيَسْتَحْسنُ هَذَا الاجْتمَاعَ أَوْ لاَ وَيَقينُ الفقير أَنَّهُ مَا كَانَ ليَجُوزَ هَذَا المَعْنَى بَل يُنْكرُهُ وَكَانَ مَقْصُودُ الفَقير الإعْلاَمَ تَقْبَلُون أَوْ لاَ تَقْبَلون لاَ مُضَايَقَةَ أَصْلاً وَلاَ مَجَال للمُشَاجرَة قَطْعًا فَلئنْ اسْتَمَرَّ المَخَاديمُ وَالأَصْحَابُ المَوْجُودُونَ هُنَاكَ عَلى ذَلكَ الوَضْع واسْتَدامُوا فَلاَ نَصيبَ لنَا غَيْرَ الحرْمَان منْ صُحْبَتهمْ وَمَاذَا أَكْتُبُ أَزْيَدَ منْ ذَلكَ وَالسَّلاَمُ أَوَّلاً وَآخرًا.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالسَّبْعُونَ وَالمِائَتَان
إِلَى الشَّيْخِ يُوسُفَ البَرْكِيِّ
فِي الحَثِّ عَلَى عُلوِّ الهِمَّةِ وَعَدَمِ الالتفات إِلَى الشُّهُودَاتِ السُّفْلِيَّةِ المُتَعَلِّقَةِ بِمَرَايَا الكَثْرَةِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

بَعْدَ الحَمْدِ وَالصَّلَوَاتِ وَتَبْلِيغِ الدَّعَوَاتِ لِيُعْلَمَ أَنَّ رَسَائِلكُمْ الثَّلَاثَ المُرْسَلَةَ قَدْ وَصَلَتْ وَاتَّضَحَ مَا انْدَرَجَ فِيهَا مِنْ بَيَانِ وَقَائِعِ الأَحْوَالِ وَالكَرَامَاتِ وَالحَالِ الذِي بَيَّنْتُهُ فِي آخِرِ شُهُودِ الوَحْدَةِ فِي الكَثْرَةِ بِهَذِهِ العِبَارَةِ،

وَالانْتِهَاءُ الثَّانِي هُوَ أَنْ يَكُونَ عَلَى الحَالِ الأَوَّلِ وَأَنْ يغيبَ الغَيْبَةَ يَعْنِي أَنَا عَبْدٌ وَخَلقٌ وَمِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ المُصْطَفَى ﷺ فَهَذَا الحَالُ أَصِيلٌ وَفَوْقَ الأَحْوَالِ المَذْكُورَةِ وَلَكِنَّ الانْتِهَاءَ غَيْرُهُ وَالنِّهَايَةَ بَعِيدَةٌ عَنْهُ بِمَرَاحِلَ، شِعْرٌ:

وَذَا إِيوانُ الاسْتِغْنَاءِ عَالٍ فَهَيْهَاتَ التَّفَكُّرَ فِي الوِصَالِ

وَكَانَ المَقْصُودُ مِنْ تَكْرَارِ الكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ حَيْثُ كُنْتُ أَمَرْتُك بِهِ فِي المَكْتُوبِ السَّابِقِ هُوَ نَفْيُ هَذَا الشُّهُودِ المُتَعَلِّقِ بِالكَثْرَةِ للهِ - سُبْحَانَهُ - الحَمْدُ وَالمِنَّةُ قَدْ زَالَ ذَلِكَ الشُّهُودُ عَنْكَ بِبَرَكَةِ تَكْرَارِ هَذِهِ الكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ عَالِيَ الهِمَّةِ وَأَلَّا تَكْتَفِي بِجَوْزِ هَذَا الطَّرِيقِ وَمَوْزِهِ فَإِنَّ اللهَ - سُبْحَانَهُ - يُحِبُّ مَعَالِيَ الهِمَمِ وَلَقَدْ تَخَلصْتُ مِنْ سِكَّةِ التَّوْحِيدِ الوُجُودِيِّ الضَّيِّقَةِ إِلَى الطَّرِيقِ السُّلْطَانِيِّ فَيَا لَهَا مِنْ نِعْمَةٍ لَوْ لَمْ تَتَذَكَّرْ الأَحْوَالَ السَّابِقَةَ وَلَمْ تَتَفَكَّرْ لِذَّاتَ شُهُودِ الوَحْدَةِ فِي الكَثْرَةِ وَصَرْفَ العُمْرِ بِالاسْتِقَامَةِ فِي السَّعْيِ وَالاجْتِهَادِ فِي هَذَا الطَّرِيقِ وَلَقَدْ رَأَيْنَا كَثِيرًا مِنَ الخَشْخَاشِيِّينَ تَرَكُوا شُرْبَ الخَشْخَاشِ وَاطَّلَعُوا عَلَى قُبْحِهِ وَاسْتَمَرُّوا عَلَى ذَلِكَ مُدَّةً ثُمَّ جَرَّهُمْ تَذَكُّرُ الأَحْوَالِ المُتَرَتِّبَةِ عَلَى شُرْبِ الخَشْخَاشِ وَتَفَكُّرِ لِذَاتِ تِلْكَ الأَحْوَالِ اتِّفَاقًا إِلَى الحَالَةِ القَدِيمَةِ.

أَيُّهَا المَخْدُومُ: إِنَّ الشُّهُودَ الذِي يَتَعَلَّقُ بِمَرَايَا الكَثْرَةِ مُوجِبٌ لِلذَّةِ، وَالشُّهُودُ التَّنْزِيهِيُّ الذِي هُوَ نَاظِرٌ إِلَى الجَهْلِ الالتذاذيَّةِ مُتَعَسِّرٌ بَعِيدٌ وَالسَّيْرُ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ إِمْدَادِ شَيْخٍ مُقْتَدًى بِهِ مُتَعَذِّرٌ أَلَا تَرَى أَنَّ أَخَانَا الأَعَزَّ مَوْلَانَا أَحْمَدَ البَرْكِيَّ يَعُدُّهُ العَوَامُّ مِنْ عُلَمَاءِ الظَّاهِرِ وَهُوَ بِنَفْسِهِ أَيْضًا لَا يَعْلَمُ أَحْوَالَهُ وَأَحْوَالَ أَصْحَابِهِ وَسِرُّ ذَلِكَ أَنَّ بَاطِنَهُ مُتَوَجِّهٌ إِلَى الشُّهُودِ التَّنْزِيهِيِّ الذِي هُوَ مَوْطِنُ الجَهْلِ وَإِيمَانُهُ مِثْلُ

ذَلكَ أَنَّ بَاطنَهُ مُتَوَجِّهٌ إلى الشُّهُود التَّنْزيهيِّ الذي هُوَ مَوْطنُ الجَهْل وَإيمَانُهُ مثل العُلمَاء إيمَانٌ بالغَيْب وَبَاطنه منْ عُلوِّ الفطْرَة غَيْرُ مُلتَفت إلى شُهُود مُمْتَزج بالكَثْرَة وَظَاهرُهُ غَيْرُ مَفْتُون وَغَيْرُ مَغْرُور بتُرَّهَات الصُّوفيَّة وَوُجُودُهُ الشَّريفُ مُغْتَنَمٌ في تلكَ النَّواحي وَهَذه الحَالَةُ التي أَخبَرْتُ بحُصُولهَا قَدْ اتَّصَفَ بهَا مَوْلاَنَا المَذْكُورُ وَتَحَقَّقَ منْ مُنْذُ أَزْمَان عَلمَ أَوْ لَمْ يَعْلَمْ وَعنْدَ الفَقير أَنَّ مَدَارَ تلكَ البُقْعَة عَلى وُجُود مَوْلاَنَا وَالعَجَبُ كَيْفَ خَفيَ هَذَا المَعْنَى عَلى أَهْل الكَشْف في تلكَ النَّوَاحي وَجَلاَلةُ قَدْر مَوْلاَنَا ظَاهرَةٌ وَبَاهرَةٌ في علم الفَقير كَوُجُود الشَّمْس وَمَاذَا أَزيدُ عَلى ذَلكَ وَالمَأْمُول الدُّعَاءُ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالسَّبْعُونَ وَالمِائَتَان إِلَى المُلا أَحْمَدَ البَرْكِيِّ فِي جَوَاب اسْتِفْسَارَاته وَالتَّحْرِيضِ عَلَى تَعْلِيمِ العُلومِ الشَّرْعِيَّة وَنَشْرِ الأَحْكَامِ الفِقْهِيَّة وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

وَبَعْدَ الحَمْد وَالصَّلَوَات وَتَبْلِيغِ الدَّعَوَات أُنْهِيَ أَنَّهُ قَدْ وَصَلَتْ الصَّحِيفَتَان المُرْسلتان صُحْبَةَ الشَّيْخِ حَسَنٍ وَغَيْرِه وَأَوْرَثَتَا فَرَحًا وَافِرًا وَقَدْ بَيَّنْتُ فِي إِحْدَاهُمَا أَحْوَال الخواجهْ وَبَسّ وَاسْتَفْسَرْتُ فِي الأُخْرَى عَنْ قَبُولِكَ فَتَوَجَّهْتُ فِي تِلْكَ الأَثْنَاء إِلَى حَالِكَ فَرَأَيْتُ أَنَّ سُكَّانَ تِلْكَ النَّوَاحِي يَعْدُونَ إِلَى جَانِبِكَ وَيَلْتَجِئُونَ إِلَيْك فَعُلِمَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّك قَدْ جَعَلتَ مَدَارَ تِلْكَ البُقْعَة وَجَعَلتَ أُنَاسَ تِلْكَ الحُدُود مَرْبُوطَةً بك لله - سُبْحَانَهُ - الحَمْدُ وَالمِنَّةُ عَلَى ذَلِكَ وَلاَ تَظُنَّنَّ أَنَّ هَذه المُعَامَلَةَ مِنْ جُمْلَة الوَاقِعَات التِي هِيَ مَظَانُّ الرِّيَب وَالاشْتِبَاه بَل عَدُّهَا مِنَ المَحْسُوسَات وَالمَشْهُودات وَالعُمْدَةُ لك فِي تَحْصِيل هَذه الدَّوْلَة تَعْلِيمُ العُلومِ الشَّرْعِيَّة وَنَشْرُ الأَحْكَام الفِقْهِيَّة فِي مَوَاضِعَ تَمَكَّنَ فِيهَا الجَهْل وَرَسَخَتْ البِدْعَةُ وَمَحَبَّتُك لأَوْلِيَاء الله - سُبْحَانَهُ - وَإِخْلاَصُك لَهُمْ وَقَدْ مَنحَكَهُمَا اللهُ - تَعَالَى - بِمَحْضِ فَضْله فَعَلَيْكُمْ بِتَعْلِيم العُلومِ الدِّينِيَّة وَنَشْرِ الأَحْكَامِ الفِقْهِيَّة مَا اسْتَطَعْتُمْ فَإِنَّهَا مِلاَكُ الأَمْرِ وَمَنَاطُ الارْتِقَاء وَمَدَارُ النَّجَاة وَعَلَيْكُمْ شَدُّ نِطَاق الهِمَّة وَإِحْكَامُهُ لأَنْ تَكُونُوا فِي عِدَاد العُلَمَاءِ وَدَلالَة الخَلقِ إِلَى طَرِيقِ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - بالأَمْرِ بالمَعْرُوف وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ قَالَ اللهُ - تَعَالَى - {إِنَّ هَذه تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّه سَبِيلاً} وَالذِّكْرُ القَلبِيُّ الذِي أَجَزْتُمْ به أَيْضًا مُؤَيِّدٌ لإِتْيَان الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّة وَدَافِعٌ لعِنَاد النَّفْسِ الأَمَّارَة فَيَنْبَغِي إِجْرَاءُ هَذَا الطَّرِيقِ أَيْضًا وَأَنْ لاَ تَحْزَنَ عَلَى عَدَمِ الاطِّلاَعِ عَلَى أَحْوَالك وَأَحْوَال أَصْحَابك وَأَنْ لاَ تَجْعَلَهُ دَلِيلاً عَلَى عَدَمِ الحَاصِل فِيكَ وَأَحْوَال الأَصْحَاب كَافِيَةٌ للمِرْآتِيَّة لكُمَا لأَنَّك وَمَا ظَهَرَ فِي الأَصْحَاب إِنَّمَا هُوَ أَحْوَالُكَ ظَهَرَتْ فِيهِمْ بِطَرِيقِ الانْعِكَاس. وَالشَّيْخُ حَسَنٌ أَحَدُ أَرْكَان دَوْلَتك وَمُعَاوِنٌ لك فِي مُعَامَلَتك فَإِنْ وَقَعَ فِي خَاطِرِكَ إِرَادَةُ سَفَرِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ أَوْ مَمَالِك الهِنْد فَرْضًا فَالنَّائِبُ مِنَّا بك هُنَاكَ هُوَ الشَّيْخُ حَسَنٌ فَيَنْبَغِي أَنْ تُرَاعِيَ الالتِفَاتَ وَالتَّوَجُّهَ فِي حَقِّهِ وَالاجْتِهَادَ البَلِيغَ لِيَتَفَرَّغَ مِنْ تَعلم

العُلومَ الدِّينيَّةَ الضَّرُورِيَّةَ سَرِيعًا وَكَانَ سَفَرُهُ هَذَا إلى الهِنْد مُغْتَنَمًا في حَقِّه وَحَقِّكَ وَأَيْضًا رَزَقَنَا اللهُ - سُبْحَانَهُ - وَإيَّاكُمْ الاسْتِقَامَةَ عَلَى مِلة الإسْلاَمِ عَلى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

وَكَتَبْتَ أَيْضًا أَنْ وَاحِدًا مِنَ الأَصْحَاب حَصَلَ لهُ تَرَقٌّ مِنْ مُدَّة ستَّة أَشْهُر وَمَا كَانَ يَظْهَرُ لهُ في حَالة الغَيْبَة وَعَدَمِ الشُّعُورِ مِنَ الأَرْوَاحِ الطَّيِّبَاتِ يَرَاهُ الآنَ في حَالة الإفَاقَة ؟

أَيُّهَا المَخْدُومُ: لاَ دَلالةَ في هَذه الرُّؤْيَة عَلى التَّرَقِّي سَوَاءٌ كَانَتْ في الشُّعُور أَوْ في غَيْره وَالقَدَمُ الأَوَّل في هَذَا الطَّرِيقِ أَنْ لاَ يُرَى غَيْرُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ أَصْلاً وَأَنْ لاَ يَبْقَى في فكْرَته مَا سوَاهُ تَعَالى قَطْعًا لاَ بمَعْنَى أَنَّهُ لاَ يَرَى الأَشْيَاءَ غَيْرَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَلاَ يَعْلَمُهَا بعُنْوَان السِّوَى فإنَّ هَذَا عَيْنُ رُؤْيَة الكَثْرَة بَل لاَ يُرَى غَيْرَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ أَصْلاً وَلاَ يُحسُّ به قَطْعًا وَهَذه الحَالةُ مُعَبَّرٌ عَنْهَا بالفنَاء وَالمَنْزِل الأَوَّل منْ مَنَازل هَذَا الطَّرِيق وَدُونَهُ خَرْطُ القَتَاد، شعْرٌ:

وَمَنْ لَمْ يَكُنْ في حُبِّ مَوْلاَهُ فَانيًا فَلَيْسَ لهُ في كبْرِيَاهُ سَبيل

والمَكْتُوبَاتُ المَسْطُورَةُ في هَذه الأَيَّامِ عَزيزَةُ الوُجُود جدًّا وَقَدْ انْدَرَجَتْ فيهَا فَوَائدُ كَثيرَةٌ وَقَدْ أَخَذَ الشَّيْخُ حَسَنٌ نَقْلهَا مَعَهُ فَيَنْبَغي مُطَالعَتُهَا بكَمَال المُلاَحَظَة وَقَدْ التَمَسْتُ الدُّعَاءَ لوَالدَتك المَرْحُومَة فَأَجَبْنَاهُ وَقبلنَاهُ وَبَقيَّةُ أَحْوَال هَذه الحُدُود بَيَّنَهَا الشَّيْخُ حَسَنٌ بالتَّفْصيل.

{وَالسَّلاَمُ عَلى مَن اتَّبعَ الهُدَى}[1] وَالتزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالفَقيرُ وَأَوْلاَدُهُ يَلتَمسُ الدُّعَاءَ بحُسْن الخَاتمَة وَالسَّلاَمُ.

---

(١) ـــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالسَّبْعُونَ وَالمائَتَان
إلى الشَّيْخ بَديعِ الدِّين
فِي بَيَان مُحْكَمَات القُرْآن وَمُتَشَابِهَاته
وَبَيَان العُلمَاء وَكمَالاته
وَمَا يُناسبُ ذَلكَ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلى سَيِّد المُرْسَلين وَعَلَيْهِمْ وَعَلى آله وَأَصْحَابه الطَّاهِرِينَ أَجْمَعِينَ جَعَلنَا اللهُ - سُبْحَانَهُ - وَإِيَّاكُمْ مِنَ الرَّاسِخِينَ فِي العلمِ.

أَيُّهَا الأَخُ إِنْ اللهَ - سُبْحَانَهُ - قَسَمَ كِتَابَهُ المَجِيدَ عَلى قِسْمَيْنِ مُحْكَمَات وَمُتَشَابِهَات.

فَالقِسْمُ الأَوَّل مُنْشَأٌ لعلمِ الشَّرَائِعِ وَالأَحْكَام.

وَالقِسْمُ الثَّاني مُخزَّنٌ عَلى الحَقَائق وَالأَسْرَار وَمَا وَرَدَ فِي القُرْآن وَفِي الحَديث مِنَ اليَد وَالوَجْه وَالقَدَم وَالأَصَابعِ وَالأَنَامل كُلهَا منَ المُتَشَابِهَات وَكَذَا مُقَاطَعَاتُ الحُرُوف الوَارِدَة فِي أَوَائل السُّوَر القُرْآنيَّة أَيْضًا منَ المُتَشَابهَات التي لَمْ يَطَّلعُ عَلَيْهَا إِلاَّ العُلَمَاءُ الرَّاسِخُونَ وَلاَ تَتَخَيَّل أَنَّ التَّأْويل عبَارَةٌ عَنِ القُدْرَة التي عُبِّرَتْ عَنْهَا باليَد وَعَن الذَّات التي عَبَّرَ عَنْهَا بالوَجْه بَل تَأْويلهَا منَ الأَسْرَار الغَامضَة التي انْكَشَفَتْ لأَخصِّ الخَوَاصِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ منَ الحُرُوف المُقَطَّعَات القُرْآنيَّة فَإِنَّ كُل حَرْف منْهَا بَحْرُ مواجٍ منَ الأَسْرَارِ الخَفِيَّة بَيْنَ العَاشقِ وَالمَعْشُوقِ وَرَمْزٌ غَامضٌ منَ الرُّمُوزِ الدَّقيقَة بَيْنَ المُحبِّ وَالمَحْبُوب.

وَالمُحْكَمَاتُ وَإِنْ كُنَّ أُمَّهَات الكتَاب وَلكنَّ نَتَائجَهُنَّ وَثَمرَاتهنَّ التي هِيَ المُتَشَابهَاتُ منْ مَقَاصد الكتَاب وَلَيْسَتْ الأُمَّهَاتُ إِلاَّ وَسَائل لحُصُول النَّتَائجِ فَلبُّ الكتَاب هُوَ المُتَشَابهَاتُ وَقشْرُ ذَلكَ اللبِّ مُحْكَمَاتُ الكتَاب وَالمُتَشَابهَاتُ هِيَ التي تُبَيِّنُ الأَصْل بالرَّمْزِ وَالإِشَارَة وَتُنبئُ عَنْ حَقيقَة مُعَامَلة تلكَ المَرْتَبَة العَاليَة الشَّأْن بخلاَف المُحْكَمَات وَالمُتَشَابهَات هِيَ الحَقَائقُ وَالمُحْكَمَاتُ بالنِّسْبَة إِلى المُتَشَابهَات صُوَرُ تلكَ الحَقَائق وَالعَالمُ الرَّاسخُ هُوَ الذي يَقْدرُ عَلى الجَمْع بَيْنَ اللبِّ وَالقشْر وَالحَقيقَة وَالصُّورَة عُلمَاءُ القشْر مَسْرُورُونَ بالقشْر وَمُكْتَفُونَ بالمُحْكَمَات وَالعُلَمَاء

الرَّاسِخُونَ يَحْصُلُونَ المُحكَمَات وَيَنَالُونَ حَظًّا وَافِرًا مِنْ تَأْوِيل المُتَشَابهَات وَيَجْمَعُونَ بَيْنَ الحَقيقَة وَالصُّورَة أَعْني المُتَشَابهَ وَالمُحْكَمَ وَأَمَّا مَنْ طَلَبَ تَأْوِيل المُتَشَابهَات منْ غَيْرِ علم المُحْكَمَات وَمِنْ غَيْرِ عَمَل بمُقْتَضَاهَا وَتَرَكَ الصُّورَةَ وَسَلَكَ طَرِيقَ فكْرِ الحَقيقَة فَهُوَ جَاهلٌ وَلَيْسَ لَهُ خَبَرٌ عَنْ جَهْله وَضَالٌ وَلَيْسَ لَهُ شُعُورٌ بضَلالته وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ هَذه النَّشْأَةَ مُرَكَّبَةٌ منَ الصُّورَة وَالحَقيقَة وَمَا دَامَتْ هَذه النَّشْأَةُ مَوْجُودَةً لا تَنفكُّ الحَقيقَةُ عَنِ الصُّورَة أَصْلاً.

قَالَ اللهُ تَعَالَى {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقِينُ} أَيْ المَوْتُ؛ كَمَا قَالَ المُفَسِّرُونَ جَعَلَ اللهُ تَعَالَى غَايَةَ العبَادَة وَنهَايَتَهَا زَمَانَ حُلُول المَوْت الذي هُوَ مُنْتَهَى هَذه النَّشْأَة لأَنَّ مَنْ مَاتَ فَقَدْ قَامَتْ قيَامَتُهُ وَإِنَّمَا يَحْصُل انفكَاكُ الصُّوَر منَ الحَقَائق في النَّشْأَة الأُخْرَوِيَّة التي هيَ مَحَل ظُهُور الحَقَائق فَكُل منَ النَّشْأَتَيْنِ لَهَا حُكْمٌ عَلَى حدَة لاَ يَخْتَلطُ حُكْمُ إحْدَاهُمَا بالأُخْرَى إلاَّ جَاهلٌ أَوْ زِنْديقٌ مَقْصُودُهُ إِبْطَال الشَّرَائع فَإِنَّ كُل حُكْم شَرْعيٍّ ثَابتٌ للمُبْتَدي فَهُوَ ثَابتٌ أَيْضًا للمُنْتَهي وَعَامَّةُ المُؤْمنينَ وَأَخصُّ الخَوَاصِّ منَ العَارفينَ سَوَاسيَةٌ في هَذَا المَعْنَى مُتَسَاوِيَةُ الأَقْدَام فيه لاَ فَرْقَ بَيْنَ شَخْص وَشَخْص وَالمُتَصَوِّفَةُ القَاصرُونَ وَالمَلاَحدَةُ الخَائبُونَ في صَدَد إِخْرَاج رقَابهمْ منْ ربْقَة الشَّرِيعَة مُتَخَيِّلينَ بأَنَّ الأَحْكَامَ الشَّرْعيَّةَ مَخْصُوصَةٌ بالعَوَامِّ وَأَمَّا الخَوَاصُّ فَهُمْ مُكَلفُونَ بالمَعْرِفَة فَقَطْ كَمَا أَنَّهُمْ يَعْتَقدُونَ منْ جَهْلهمْ أَنَّ الأُمَرَاءَ وَالسَّلاَطينَ لَيْسُوا مُكَلفينَ بغَيْرِ العَدْل وَالإِنْصَاف وَيَقُولُونَ إِنَّ المَقْصُودَ منْ إِتْيَان الشَّرِيعَة حُصُول المَعْرِفَة فَإِذَا حَصَلَتْ المَعْرِفَةُ سَقَطَتْ التَّكَاليفُ الشَّرْعيَّةُ وَيَسْتَشْهدُونَ في إِثْبَات مُدَّعَاهُمْ بقَوْله - تَعَالَى - {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقِينُ} أَيْ بالله كَمَا قَالَ سَهْل التُّسْتَرِيُّ يَعْني انْتهَاءَ العبَادَة حُصُول مَعْرِفَة الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَالظَّاهرُ أَنَّ مُرَادَ مَنْ فَسَّرَ اليَقينَ بكَوْنه بالله هُوَ كَوْنُ انْتهَاء الكُلفَة في العبَادَة حُصُول مَعْرِفَة الحَقِّ - جَل وَعَلاَ - لاَ انْتهَاءَ نَفْس العبَادَة فَإِنَّ ذَلكَ مُفْض إِلَى الإِلحَاد وَالزَّنْدَقَة وَهُمْ يَزْعُمُونَ أَيْضًا أَنَّ عبَادَةَ العَارفينَ ريَائيَّةٌ فَإِنَّهُمْ يَعْمَلُونَ مَا يَعْمَلُونَ منَ الطَّاعَة وَالعبَادَة ليُقْتَدَى بهمْ في ذَلكَ المُبْتَدئُونَ وَأَتْبَاعُهُمْ لاَ لكَوْنهمْ مُحْتَاجينَ إِلَيْهَا وَيَنْقُلُونَ في تَأْييد هَذَا القَوْل أَقْوَالاً عَنِ المَشَايخ حَيْثُ قَالُوا مَا لَمْ يَكُنْ الشَّيْخُ مُنَافقًا وَمُرَائيًا لاَ يَنْتَفعُ به المُريدُ خَذَلَهُمُ اللهُ - سُبْحَانَهُ - مَا أَجْهَلَهُمْ وَاحْتيَاجُ العَارفينَ إِلَى العبَادَة عَلَى نَهْج لَيْسَ في المُريدينَ عشْرَةٌ فَإِنَّ عُرُوجَاتهمْ مَرْبُوطَةٌ بالعبَادَة وَتَرَقِّيَاتهمْ مَنُوطَةٌ بإِتْيَان الأَحْكَام الشَّرْعيَّة وَمَا يَتَوَقَّعُ للعُلُوم غَدًا منْ

ثَمَرَات العبَادَة فَهُوَ حَاصل للعَارفِينَ اليَوْمَ فَهُمْ إذًا أَحقَّاء بالعبَادَة وَأَحْوَجُ إلى إتْيَانِ الأَحْكَام الشَّرْعيَّة منْ غَيرهِمْ.

يَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الشَّرِيعَةَ عبَارَةٌ عَنْ مَجْمُوعِ الصُّورَة وَالحَقيقَة فَالصُّورَةُ ظَاهرُ الشَّرِيعَة وَالحَقيقَةُ بَاطنُ الشَّرِيعَة فَالقشْرُ وَاللبُّ كلاهُمَا منْ أَجْزَاء الشَّرِيعَة وَالمُحْكَمُ وَالمُتَشَابهُ منْ أَفْرَادهمَا وَعُلَمَاءُ الظَّاهرِ اكْتَفَوْا بقشْرهَا وَالعُلَمَاءُ الرَّاسخُونَ جَمَعُوا بَيْنَ اللبِّ وَالقشْرِ وَنَالوا حَظًّا وَافرًا منْ مَجْمُوعِ الصُّورَة وَالحَقيقَة فَيَنْبَغي أَنْ يُتَصَوَّرَ الشَّرِيعَةُ كَشَخْصٍ مُرَكَّب منَ الصُّورَة وَالحَقيقَة وَقَدْ تَعَلقَ جَمَاعَةٌ بصُورَتهَا وَشَغفُوا بهَا وَأَنْكَرُوا حَقيقَتَهَا وَلَمْ يَعْرِفُوا لَهُمْ شَيْخًا يَقْتَدُونَ به غَيْرَ الهدَايَة وَالبَزْدَويّ وَهَؤُلاَء الجَمَاعَةُ هُمْ عُلمَاءُ القشْرِ وَجَمَاعَةٌ أُخْرَى افْتَتَنُوا بحَقيقَتهَا وَلكنْ لَمْ يَعْتَقدُوهَا حَقيقَةَ الشَّرِيعَة بَل زَعَمُوا الشَّرِيعَةَ مَقْصُورَةً عَلى الصُّورَة وَالقشْرِ وَتَصَوَّرُوا اللبَّ وَالحَقيقَةَ وَرَاؤُهَا وَمَعَ ذَلكَ لَمْ يَمْتَنعُوا منْ إتْيَان الأَحْكَام الشَّرْعيَّة وَلَمْ يَتَخَلفُوا عَنْهَا مقْدَارَ شَعْرَة وَلَمْ يُضَيِّعُوا الصُّورَةَ وَعَدُّوا تَارِكَ حُكْم منْ أَحْكَامِ الشَّرِيعَة بَطَّالاً وَضَالاً وَهَؤُلاَء أَوْليَاءُ الله - جَل سُلطَانُهُ - وَقَدْ انْقَطَعُوا عَمَّا سوَى الله تَعَالى بمَحَبَّته سُبْحَانَهُ.

وَدُونَ هَؤُلاَء جَمَاعَةٌ أُخْرَى وَهُمُ الذينَ اعْتَقَدُوا الشَّرِيعَةَ مُرَكَّبَةً منَ الصُّورَة وَالحَقيقَة وَتَيَقَّنُوا أَنَّهَا مَجْمُوعُ القشْرِ وَاللبِّ وَحُصُول صُورَة الشَّرِيعَة بدُون تَحْصيل الحَقيقَة سَاقطٌ عنْدَهُمْ عَنْ حَيِّز الاعْتبَار وَحُصُول حَقيقَتهَا بدُون إثْبَات الوَرَّة نَاقصٌ غَيْرُ تَامٍّ بَل لاَ يُعدُّونَ حُصُول الصُّورَة بدُون ثُبوت الحَقيقَة منَ الإسْلاَم المُوجب للنَّجَاة كَمَا هُوَ حَال عُلمَاء الظَّاهر وَعَامَّة المُؤْمنينَ وَيَتَصَوَّرُونَ حُصُول الحَقيقَة بدُون ثُبوت الصُّورَة منْ جُمْلة المُحَالاَت وَيُسَمُّونَ القَائل به زنْديقًا وَضَالاً.

وَبالجُمْلة إنَّ الكَمَالاَت الصُّوريَّة وَالمَعْنَويَّة مُنْحَصرَةٌ عنْدَ هَؤُلاَء الأَكَابر في الكَمَالاَت الشَّرْعيَّة وَالعُلوم وَالمَعَارف اليَقينيَّة مَقْصُورَةٌ عَلى العَقَائد الكَلاَميَّة الثَّابتَة بآرَاء أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة لاَ يَسْتَوي عنْدَهُمْ أُلوفٌ منَ الشُّهُود وَالمُشَاهَدَة وَمَسْأَلَةٌ وَاحدَةٌ منَ المَسَائل الكَلاَميَّة في تنزيهات الحَقِّ - جَل وَعَلاَ - وَلاَ يَشْتَرُونَ الأَحْوَال وَالمَوَاجيدَ وَالتَّجَليَات وَالظُّهُورَات المُخَالفَةَ لحُكْم منَ الأَحْكَام الشَّرْعيَّة بنصْف شَعيرَة بَل يَعُدُّونَ ظُهُورَ أَمْثَال هَذه المَذْكُورَات منْ مَظَانِّ الاسْتدْرَاج أُولئكَ الذينَ هَدَى اللهُ فَبهُدَاهُمُ اقْتَدهْ وَهُمُ العُلَمَاءُ الرَّاسخُونَ وَهُمُ المُنْعَمُ عَلَيْهِمُ الاطِّلاَعُ عَلى

حَقِيقَة المُعَامَلة وَالمُوصِّل بهِمْ بسَبَب رِعَايَتهِمُ الآدَاب الشَّرْعِيَّة إلى حَقِيقَة الشَّرِيعَة بخلاَف الفرْقَة الثَّانيَة فإنَّهَمْ وَإنْ كَانُوا مُتَوَجِّهِينَ إلى الحَقِيقَة وَمَفْتُونينَ بهَا وَلَمْ يُجَاوِزُوا الحَدَّ في إتْيَان الأَحْكَام الشَّرْعِيَّة مقْدَارَ شَعْرَة مَهْمَا أَمْكَنَ وَلكنَّهُمْ لَمَّا اعْتَقَدُوا تلكَ الحَقِيقَةَ وَرَاءَ الشَّرِيعَة وَتَصَوَّرُوا الشَّرِيعَةَ قشْرَهَا تَنَزَّلوا بالضَّرُورَة إلى ظل منْ ظلاَل تلكَ الحَقِيقَة وَلَمْ يَجدُوا للوُصُول إلى حَقِيقَة تلكَ المُعَامَلة سَبيلاً فَلاَ جَرَمَ كَانَ وِلاَيَتهمْ ظليَّةً وَقُرْبُهُمْ صفَاتيًا بخلاَف العُلَمَاء الرَّاسخينَ فَإنَّ ولاَيَتَهُمْ أَصْليَّةٌ وَإنَّهُمْ وَجَدُوا للوُصُول إلى الأُصُول سَبيلاً وَجَاوَزُوا حَجْبَ الظِّلاَل بالتَّمَام فلاَ جَرَمَ كَانَتْ ولاَيَتُهُمْ ولاَيَةَ الأَنْبيَاء - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَولاَيَةُ هَؤُلاَء الأَوْليَاء ظل ولاَيَة الأَنْبيَاء وَكَانَ هَذَا الفقيرُ مُتَوَقِّفًا في تَأْويل المُتَشَابهَات وَمُفَوِّضًا إيَّاهُ إلى علم الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - مُدَّةً مَديدَةً وَلَمْ أجدْ للعُلَمَاء الرَّاسخينَ نَصيبًا منْهَا غَيْرَ الإيمَان بهَا وَالتَّأْويلاَت التي بَيَّنَهَا عُلَمَاءُ الصُّوفيَّة لَمْ أَرَهَا لاَئقَةً وَمُنَاسبَةً بشَأْن تلكَ المُتَشَابهَات وَلَمْ أَرَ للأَسْرَار القَابلَة للاسْتتَار تَأْويلاَت كَمَا قَال عَيْنُ القُضَاة في تَأْويل بَعْض المُتَشَابهَات مَثَلاً في أ لم أَرَادَ به الأَلَمَ اللاَّزمَ للعشْق وَالمَحَبَّة وَأَمْثَالهَا.

وَلَمَّا أَظْهَرَ لِي اللهُ - سُبْحَانَهُ - بمَحْض فَضْله شمَّةً منْ تَأْويل المُتَشَابهَات وَفَتَحَ جَدْوَلاً منْ ذَاكَ البَحْر المُحيط وَمُدَّةَ الأَرْض اسْتعْدَادُ هَذَا المسْكين عَلمْتُ أَنَّ للعُلَمَاء الرَّاسخينَ أَيْضًا نَصيبًا وَافرًا منْ تَأْويلاَت المُتَشَابهَات الحَمْدُ لله الذي هَدَانَا لهَذَا وَمَا كُنَّا لنَهْتَديَ لوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللهُ لقَدْ جَاءَتْ رُسُل رَبِّنَا بالحَقِّ وَأَحلنَا تَعْبيرَات الوَقَائع المَطْلوبَة المَسْطُورَة عَلى الحُضُور وَلَمْ نَكْتُبْ منْ تلكَ المَقُولة شَيْئًا مَاذَا أَفْعَل قَدْ جَرَى القَلَمُ بمَعَارفَ أُخرَ وَاسْتَقْبَلَتْ مُعَامَلةَ غَيْرهَا هيَ بالتَّسْطير أَحْرَى وَالمَسْئول مُسَامَحَتُكُمْ وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلى سَائر مَن اتَّبَعَ الهُدَى وَالتَزَمَ مُتَابَعَة المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى آله وَعَلى إخْوَانه الصَّلوَاتُ وَالتَّسْليمَاتُ العُلى.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالسَّبْعُونَ وَالمِائَتَان
إلى المَلا عَبْد الحَيِّ
في بَيَان علم اليَقِين وَعَيْن اليَقِين وَحَقِّ اليَقِين
وَهَذَا منَ العُلوم المُنَاسبَة لوَسَط الحَال
وَنِهَايَةُ الشُّهُود هُنَا هُوَ الشُّهُودُ الأَنْفُسِيُّ
بَل شُهُودُ مَا وَرَاءَ الأَنْفُس
بَل نَفسُ الشُّهُود لَيسَ بشَيْء بالنِّسْبَة إلى الوُصُول
كَمَا يُلوحُ ذَلكَ منْ سَائر مَكْتُوبَاته وَرَسَائله

اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ أَنَّ علمَ اليَقين بذَات الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - عبَارَةٌ عَنْ شُهُود الآيَات الدَّالة عَلى قُدْرَته - تَعَالى وَتَقَدَّسَ - وَيُقَال لذَلكَ الشُّهُود سَيْرًا آفَاقيًّا وَأَمَّا الشُّهُودُ وَالحُضُورُ الذَّاتيَّيْن فَليْسَ شَيْءٌ منْهُمَا بمَنْصُورٍ في غَيْر السَّيْر الأَنْفُسيِّ وَهُوَ لاَ يَكُونُ في غَيْر نَفْس السَّالك، شعْرٌ:

فَلسَوْفَ تَعْلمُ أَنَّ سَيْرَكَ لمْ يَكُنْ   إلاَّ إليْك إذَا بَلغْتَ المَنْزِلاَ

وَمَا يُشَاهدُهُ في خَارجه فَهُوَ منْ قَبيل مُشَاهَدَة الآثَار وَالدَّلاَئل عَلى ذَاته - تَعَالى - لاَ مُشَاهَدَتُهُ عَزَّ سُلطَانُهُ قَال قُطْبُ المُحَقِّقينَ سَيِّدُ العَارفينَ نَاصرُ الدِّين الخواجهْ عُبَيْدُ الله - قُدِّسَ سرُّهُ -: إنَّ السَّيْرَ عَلى نَوْعَيْن سَيْرٌ مُسْتَطيل وَسَيْرٌ مُسْتَديرٌ فَالسَّيْرُ المُسْتَطيل بُعْدٌ في بُعْد وَالسَّيْرُ المُسْتَديرُ قُرْبٌ في قُرْب وَالسَّيْرُ المُسْتَطيل طَلبُ المَقْصُود منْ خَارج دَائرَة نَفْسه وَالسَّيْرُ المُسْتَديرُ الدَّوَرَانُ حَوْل قَلبه وَطَلبُ المَقْصُود منْ نَفْسه فَالتَّجَليَاتُ الكَائنَةُ في الصُّوَر الحسِّيَّة وَالمثَاليَّة وَكَذَلكَ التَّجَليَاتُ الكَائنَةُ في حُجُب الأَنْوَار دَاخلةٌ في علم اليَقين أَيُّ صُورَة كَانَتْ وَأَيُّ نُور كَانَ وَسَوَاءٌ كَانَ النُّورُ مُكَيَّفًا وَمُلوَّنًا أَوْ مُتَنَاهيًا أَوْ لاَ مُحيطًا كَانَ الكَائنَاتُ أَوْ لاَ قَال مَوْلاَنَا المَخْدُومُ عَبْدُ الرَّحْمَن الجَاميُّ قَدَّسَ اللهُ سرَّهُ السَّاميَّ في شَرْح اللمَعَات عنْدَ بَيَان مَعْنَى هَذَا البَيْت، شعْرٌ:

يَا مَنْ طَلبْتُهُ منْ جَميع مَكَان   وَسَألتُ عَنْهُ أَقَاصيًا وَأَدَاني

إنَّ هَذَا إشَارَةٌ إلى المُشَاهَدَة الآفَاقيَّة التي تُفيدُ علمَ اليَقين وَحَيْثُ إنَّهَا لاَ تُخبرُ عَن المَقْصُود وَلاَ تُعْطي حُضُورَهُ لاَ جَرَمَ تَكُونُ كَشُهُود الدُّخَان وَالحَرَارَة

الدَّالِّيْنِ عَلَى ذَاتِ النَّارِ فَلاَ يَخْرُجُ ذَلِكَ الشُّهُودُ مِنْ دَائِرَةِ العِلمِ وَلاَ يَكُونُ مُفِيدَ العَيْنِ اليَقِينِ وَمُفْنِيًا لِوُجُودِ السَّالِكِ.

وَعَيْنُ اليَقِينِ عِبَارَةٌ عَنْ شُهُودِ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - بَعْدَ أَنْ كَانَ مَعْلومًا بِالعِلمِ اليَقِينِيِّ وَهَذَا الشُّهُودُ مُسْتَلزِمٌ لِفَنَاءِ السَّالِكِ وَعِنْدَ غَلَبَةِ هَذَا الشُّهُودِ يَكُونُ تَعَيُّنُهُ مُتَلاَشِيًا بِالكُلِّيَّةِ وَلاَ يَبْقَى أَثَرٌ مِنْهُ فِي عَيْنِ شُهُودِهِ وَيَكُونُ فَانِيًا وَمُسْتَهْلَكًا فِي الشُّهُودِ وَهَذَا الشُّهُودُ مُعَبَّرٌ عَنْهُ عِنْدَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ العَلِيَّةِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ بِالإِدْرَاكِ البَسِيطِ وَيُقَالُ لهُ أَيْضًا مَعْرِفَةٌ وَالعَوَامُّ يُشَارِكُونَ الخَوَاصَّ فِي هَذَا الإِدْرَاكِ وَلَكِنَّ الفَرْقَ بَيْنَهُمَا هُوَ أَنَّ شُهُودَ الخَلقِ لاَ يَكُونُ مُزَاحِمًا فِي الخَوَاصِّ لِشُهُودِ الحَقِّ - جَلَ وَعَلاَ - بَل لَيْسَ المَشْهُودُ بِعُيُونِ شُهُودِهِمْ غَيْرَ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَأَمَّا العَوَامُّ فَهُوَ مُزَاحِمٌ لهُ فِيهِمْ وَلِهَذَا فِيهِمْ ذُهُولٌ تَامٌّ عَنْ هَذَا الشُّهُودِ وَلَيْسَ لَهُمْ خَبَرٌ عَنْ هَذَا الإِدْرَاكِ، وَعَيْنُ اليَقِينِ هَذَا حِجَابُ عِلمِ اليَقِينِ كَمَا أَنَّ عِلمَ اليَقِينِ حِجَابُهُ وَعِنْدَ تَحَقُّقِ هَذَا الشُّهُودِ لاَ يُدْرَكُ شَيْءٌ غَيْرُ الحَيْرَةِ وَالجَهَالَةِ لاَ مَجَالَ لِلعِلمِ فِي ذَلِكَ المَوْطِنِ أَصْلاً.

قَالَ بَعْضُ الكُبَرَاءِ قَدَّسَ اللهُ - تَعَالَى - سِرَّهُ: عِلمُ اليَقِينِ حِجَابُ عَيْنِ اليَقِينِ وَعَيْنُ اليَقِينِ حِجَابُ عِلمِ اليَقِينِ.

وَقَالَ أَيْضًا: وَعَلاَمَةُ مَنْ عَرَفَ حَقَّ المَعْرِفَةِ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَى سِرِّهِ فَلاَ يَجِدُ عِلمًا بِهِ فَذَلِكَ الكَامِلُ فِي المَعْرِفَةِ الَّتِي لاَ مَعْرِفَةَ وَرَاءَهَا.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ أَيْضًا قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمُ العَلِيَّةَ: أَعْرَفُهُمْ بِاللهِ أَشَدُّهُمْ تَحَيُّرًا فِيهِ.

وَحَقُّ اليَقِينِ عِبَارَةٌ عَنْ شُهُودِهِ - سُبْحَانَهُ - بَعْدَ ارْتِفَاعِ التَّعَيُّنِ وَاضْمِحْلاَلِ المُتَعَيِّنِ وَشُهُودُهُ هَذَا لِلحَقِّ بِالحَقِّ - سُبْحَانَهُ - لاَ بُدَّ لاَ يَحْمِلُ عَطَايَا المَلِكِ إِلاَّ مَطَايَاهُ وَذَلِكَ يَتَصَوَّرُ فِي البَقَاءِ بِاللهِ الَّذِي هُوَ مَقَامُ بِي يَسْمَعُ وَبِي يُبْصِرُ الَّذِي يَهَبُ الحَقُّ - سُبْحَانَهُ - فِيهِ لِلسَّالِكِ وُجُودًا مِنْ عِنْدِهِ بِمَحْضِ عِنَايَتِهِ بَعْدَ تَحَقُّقِهِ بِالفَنَاءِ المُطْلَقِ الَّذِي هُوَ الفَنَاءُ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - وَيُخْرِجُهُ مِنَ السُّكْرِ وَالغَيْبَةِ إِلَى الصَّحْوِ وَالإِفَاقَةِ وَيُقَالُ لِهَذَا الوُجُودِ الوُجُودُ المَوْهُوبُ الحَقَّانِيُّ وَفِي ذَلِكَ المَوْطِنِ لاَ يَكُونُ العِلمُ حِجَابًا لِلعَيْنِ وَلاَ العَيْنُ حِجَابًا لِلعِلمِ بَل يَكُونُ فِي عَيْنِ الشُّهُودِ عَالِمًا وَفِي عَيْنِ العِلمِ مُشَاهِدًا وَهَذَا التَّعَيُّنُ هُوَ الَّذِي يَجِدُهُ العَارِفُ فِي ذَلِكَ المَوْطِنِ عَيْنَ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - لاَ التَّعَيُّنَ الكَوْنِيُّ فَإِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْهُ أَثَرٌ فِي نَظَرِ

شُهُودِه وَلأَنَّهُ مِنَ التَّجَلِّيَاتِ الصُّورِيَّةِ التِي هِيَ أَنْ يَجِدَ السَّالِكُ التَّعَيُّنَاتِ وَالصُّوَرَ عَيْنَ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَهِيَ تَعَيُّنَاتٌ كَوْنِيَّةٌ لَمْ يَتَطَرَّقْ إِلَيْهَا الفَنَاءُ أَصْلاً، فَأَيْنَ أَحَدُهُمَا عَنِ الآخَرِ مَا لِلتُّرَابِ وَرَبِّ الأَرْبَابِ وَظَاهِرُ العِبَارَةِ وَإِنْ كَانَ عِنْدَ العَوَامِّ مُوهِمًا لِعَدَمِ الفَرْقِ بَيْنَ التَّجَلِّي الصُّورِيِّ الذِي هُوَ وَجَدَ أَنَّ السَّالِكَ نَفْسَهُ عَيْنُ الحَقِّ وَبَيْنَ حَقِّ اليَقِينِ الذِي هُوَ أَيْضًا وُجْدَانُهُ نَفْسَهُ عَيْنُ الحَقِّ لَكِنْ فِي الحَقِيقَةِ فَرْقٌ بَيْنَهُمَا وَهُوَ أَنَّ التَّعْبِيرَ بِأَنَّا فِي التَّجَلِّي الصُّورِيِّ يَقَعُ عَلَى الصُّورَةِ فِي حَقِّ اليَقِينِ عَلَى الحَقِيقَةِ وَأَيْضًا أَنَّ السَّالِكَ يَرَى الحَقَّ - سُبْحَانَهُ - فِي التَّجَلِّي الصُّورِيِّ بِنَفْسِه وَفِي هَذَا المَوْطِنِ يَرَى الحَقَّ بِالحَقِّ - سُبْحَانَهُ - لاَ بِنَفْسِه فَإِنَّهُ لاَ يُمْكِنُهُ فِيهِ رُؤْيَةَ نَفْسِه فَإِطْلاَقُ الشُّهُودِ فِي التَّجَلِّي الصُّورِيِّ عَلَى سَبِيلِ التَّجَوُّزِ فَإِنَّهُ لاَ يُمْكِنُ رُؤْيَةَ الحَقِّ بِغَيْرِ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَهِيَ فِي مَرْتَبَةِ حَقِّ اليَقِينِ التِي تَتَحَقَّقُ فِيهَا حَقِيقَةُ الشُّهُودِ.

وَبَعْضُ شُيُوخِ الزَّمَانِ لَمَّا لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى هَذَا الفَرْقِ وَلَمْ يَعْلَمْ تُعَيُّنًا سِوَى التَّعَيُّنِ الكَوْنِيِّ أَطَالَ لِسَانَ الطَّعْنِ فِي الأَكَابِرِ قَدَّسَ اللهُ - تَعَالَى - أَسْرَارَهُمْ فِي تَفْسِيرِهِمْ حَقَّ اليَقِينِ عَلَى النَّهْجِ الذِي قَرَّرْتُهُ وَزَعَمَ أَنَّ هَذَا اليَقِينَ قَدْ يَحْصُلُ فِي التَّجَلِّي الصُّورِيِّ الذِي هُوَ أَوَّلُ القَدَمِ فِي السُّلُوكِ وَهُمْ فَسَّرُوا بِه حَقَّ اليَقِينِ الذِي هُوَ نِهَايَةُ الأَقْدَامِ فَكَيْفَ يَسْتَقِيمُ بَلْ حَكَمَ أَنَّ الحَقَّ اليَقِينَ الذِي حَصَلَ لَهُمْ فِي النِّهَايَةِ يَحْصُلُ لَنَا فِي التَّجَلِّي الصُّورِيِّ الذِي هُوَ أَوَّلُ أَقْدَامِنَا وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّامنُ وَالسَّبْعُونَ وَالمائتَان
إلى الملا عَبْد الكَرِيم السَّنَاميِّ
فِي بَيَان أَنَّهُ لاَ بُدَّ لِكُل إنْسَان بَعْدَ تَصْحِيح العَقَائد وَالعَمَل بمُقْتضَى الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّة تُحْصِي سَلاَمَةَ القَلب عَمَّا دُونَ الحَقِّ جَل وَعَلاَ وَمَدْحِ الطَّرِيقَة النَّقْشبَنْديَّة العَليَّة وَفِي التَّحْرِيضِ عَلَى إمْدَادِ المَوْتَى وَإِعَانَتِهِمْ وَمَا يُنَاسِبُهُ

الحَمْدُ لله وَعَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى وَصَل مَكْتُوبُ الأَخِ وَصَارَ مُوجبًا للفَرَحِ وَالنَّصِيحَة التي لاَ زلتُ أَنْصَحُ بهَا الأَصْحَاب وَلاَ أَزَال أَنْصَحُ بهَا إلى انْقضَاء عُمْري بَعْدَ تَصْحِيحِ العَقَائد عَلى وَفْق مَا بُيِّنَ في الكُتُب الكَلاَمِيَّة المَخْصُوصَة بأَهْل السُّنَّة وَالجمَاعَة شَكَرَ اللهُ سَعْيَهُمْ وَبَعْدَ إتْيَان الأَحْكَام الفقْهيَّة منَ الفَرْضِ وَالوَاجب وَالسُّنَّة وَالمَنْدُوب وَالحَلال وَالحَرَام وَالمَكْرُوه وَالمُشْتَبَه امْتثَالاً، وَانْتهَاءُ تَحْصِيل سَلاَمَة القَلب عَنِ التَّعَلقِ بمَا سوَى الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَهيَ إنَّمَا تَتَيَسَّرُ إذَا لَمْ يَخْطُرْ في القَلب مَا سوَاهُ - تَعَالى - بحَيْثُ لوْ تَيَسَّرَتْ حَيَاةُ أَلف سَنَة فَرْضًا لاَ يَخْطُرُ في القَلب غَيْرُ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالى - لاَ بمَعْنَى أَنَّ الأَشْيَاءَ تَخْطُرُ في البَال وَلكنْ لاَ يَعْرِفُهَا صَاحِبُهُ بعُنْوَان غَيْرِ الحَقِّ - جَل وَعَلاَ - فَإنَّ هَذَا المَعْنَى مُيَسَّرٌ أَيْضًا في بدَايَة مُرَاقبِي التَّوْحِيد بَل بمَعْنَى أَنَّ الأَشْيَاءَ لاَ تَخْطُرُ فِي القَلب أَصْلاً وَمَبْنَى هَذَا وَمَدَارُهُ عَلى نسْيَان القَلب مَا دُونَ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - عَلى نَهْجٍ لوْ ذُكِّرَ بالأَشْيَاء بالتَّكْليف لاَ يَتَذَكَّرُ وَهَذه الحَالةُ مُعَبَّرٌ عَنْهَا بالفَنَاء القَلبيِّ وَأَوَّل قَدَمٍ فِي هَذَا الطَّرِيقِ ، وَسَائرُ كَمَالاَتِ الوِلاَيَة مُتَفَرِّعَةٌ عَلى هَذه الدَّوْلة، شعْرٌ:

وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِي حُبِّ مَوْلاَهُ فَانيًا فَليْسَ لهُ فِي كبْرِيَاء سَبيل

وَأَقْرَبُ الطُّرُق لأَجْل الوُصُول إلى هَذه الدَّوْلة العُظْمَى هُوَ الطَّرِيقَةُ العَليَّةُ النَّقْشبَنْديَّةُ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَ أَرْبَابهَا فَإنَّ هَؤُلاَء الأَكَابرَ اخْتَارُوا الابْتدَاءَ منْ علمِ الأُمُور وَطَلبُوا منَ القَلب طَرِيقًا إلى مَقْلب القَلب وَلَهُمْ عوَضًا عَنْ رِيَاضَات الآخَرِينَ وَمُجَاهَدَاتهمْ التزَامَ السُّنَّة وَاجْتنَابَ البدْعَة.

قَال الخوَاجهْ بَهَاءُ الدِّين النَّقْشبَنْديُّ - قُدِّسَ سرُّهُ -: طَرِيقُنَا أَقْرَبُ الطُّرُق وَلكنَّ التزَامَ السُّنَّة أَمْرٌ مُشْكل جدًّا فَطُوبَى لمَنْ تَوَسَّل بهمْ وَاقْتَدَى بهمْ لمَوْلاَنَا الجَامِيِّ قُدِّسَ سرُّهُ شعْرٌ.

مَا أَحْسَنَ النَّقْشَبَنْدِيِّينَ إِنَّهُمْ   يَمْشُونَ بِالرَّكْبِ مُخَفِّينَ لِلْحَرَمِ
تُزِيلُ وَسْوَسَةَ الخَلَوَاتِ صُحْبَتُهُمْ   عَنْ قَلْبِ صَحْبِهِمْ يَا نِعْمَ مُغْتَنَمِ
لَوْ عَابَهُمْ قَاصِرٌ طَعْنًا بِهِمْ سَفَهًا   بَرَّأْتُ سَاحَتَهُمْ عَنْ أَفْحَشِ الكَلِمِ
هَلْ يَقْطَعُ الثَّعْلَبُ المُحْتَالُ سِلْسِلَةً   قَيَّدَتْ بِهَا أَسَدَ الدُّنْيَا بِأَسْرِهِمْ

وَالمَعْرُوضُ ثَانِيًا أَنَّ صَحِيفَةَ مُحِبِّنَا القَاضِي مُحَمَّد شَرِيف قَدْ وَصَلَتْ وَحَيْثُ كَانَتْ مُنْبِئَةً عَنْ مَحَبَّةِ الفُقَرَاءِ صَارَتْ مُوجِبَةً لِلفَرَحِ فَبَلِّغْهُ دُعَاءَ الفَقِيرِ.

وَثَالِثًا: قَدْ وَصَلَ مَكْتُوبُ أَخِينَا الشَّيْخِ حَبِيبِ اللهِ وَقَدْ كَتَبَ خَبَرَ فَوْتِ وَالِدِهِ المَرْحُومِ إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ فَالمَرْجُوُّ تَبْلِيغُ الدُّعَاءِ مِنْ جَانِبِ الفَقِيرِ وَأَدَاءُ مَرَاسِمِ التَّعْزِيَةِ وَلْيَمُدَّ وَالِدَهُ المَرْحُومَ بِالدُّعَاءِ وَلْيُعِنْهُ بِقِرَاءَةِ الفَاتِحَةِ وَالصَّدَقَاتِ وَالاسْتِغْفَارِ فَإِنَّ المَيِّتَ كَالغَرِيقِ يَنْتَظِرُ دَعْوَةً تَلْحَقُهُ مِنْ وَلَدٍ أَوْ أَبٍ أَوْ أَخٍ أَوْ صَدِيقٍ.

وَرَابِعًا: إِنَّ المَكْشُوفَ أَنَّ الشَّيْخَ أَحْمَدَ اخْتَارَ طَرِيقَةَ هَؤُلَاءِ الأَكَابِرِ وَتَأَثَّرَ مِنْهَا رَزَقَهُ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - الاسْتِقَامَةَ عَلَيْهَا وَحَيْثُ كَانَ المُشَارُ إِلَيْهِ قَرِيبَ عَهْدٍ بِالإِسْلَامِ يَنْبَغِي أَنْ تُعَلِّمَهُ العَقَائِدَ الكَلَامِيَّةَ المَذْكُورَةَ فِي الكُتُبِ الفَارِسِيَّةِ وَالأَحْكَامَ الفِقْهِيَّةَ كَذَلِكَ حَتَّى يَعْرِفَ الفَرْضَ وَالوَاجِبَ وَالسُّنَّةَ وَالمَنْدُوبَ وَالحَلَالَ وَالحَرَامَ وَالمَكْرُوهَ وَالمُشْتَبَهَ وَيَعْمَلَ بِمُقْتَضَاهَا وَتَعَلُّمُ كِتَابِ كلستان وَبُسْتَانَ وَتَعْلِيمُهُمَا دَاخِلٌ فِيهَا لَا يَعْنِي وَالسَّلَامُ.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالسَّبْعُونَ وَالمِائَتَان
إلى الملا حَسَنٍ الكَشْمِيرِيِّ
فِي أَدَاءِ شُكْرِ نِعْمَةِ دَلالته إِيَّاهُ عَلى الطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ العَلِيَّةِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

الحَمْدُ للهِ وَسَلَامٌ عَلى عِبَادِهِ الذينَ اصْطَفَى بَلغَنَا مَهْدِيُّ عَلِيٌّ صَحِيفَتَكُمْ الشَّرِيفَةَ الصَّادِرَةَ بِاسْمِ هَذَا الفَقِيرِ عَلى وَجْهِ الكَرَمِ وَالالتِفَاتِ فَصَارَتْ مُوجِبَةً لِلفَرَحِ الوَافِرِ سَلَمَكُمْ اللهُ - سُبْحَانَهُ - وَقَدْ وَقَعَ الاسْتِفْسَارُ عَنْ عِبَارَةِ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ ابْنِ عَرَبِيٍّ - قُدِّسَ سِرُّهُ - هَذِهِ أَنَّ سَبَبَ تَرْتِيبِ خِلافَةِ الخُلَفَاءِ الأَرْبَعَةِ ـــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ـــ مُدَّةَ أَعْمَارِهِمْ أَنَّهَا فِي أَيِّ كِتَابٍ وَقَعَتْ مِنْ مُصَنَّفَاتِهِ ؟

أَيُّهَا المَخْدُومُ، إِنِّي كُنْتُ رَأَيْتُ هَذِهِ العِبَارَةَ فِي الفُتُوحَاتِ المَكِّيَّةِ وَلَمْ تَتَيَسَّرْ الآنَ تَعْيِينُ المَوْضِعِ مَعَ كَمَالِ التَّفَحُّصِ فَإِنْ وَقَعَ النَّظَرُ عَلَيْهَا مَرَّةً ثَانِيَةً نُخْبِرُ بِهِ إِنْ شَاءَ اللهُ - تَعَالى -.

وَالمَعْرُوضُ أَنَّ الفَقِيرَ مُعْتَرِفٌ بِالقُصُورِ فِي أَدَاءِ شُكْرِ نِعْمَةِ دَلالَتِكُمْ وَقُرْبًا لِعَجْزٍ فِي مُكَافَأَةِ إِحْسَانِكُمْ وَكَيْفَ لا فَإِنَّ هَذِهِ الأُمُورَ كُلَّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلى تِلْكَ النِّعْمَةِ وَهَذِهِ الأَحْوَالِ بِأَسْرِهَا مَرْبُوطَةٌ بِذَلِكَ الإِحْسَانِ وَقَدْ أُعْطِيتُ بِحُسْنِ وَسَاطَتِكُمْ مَا لَمْ يَرَهُ إِلاَّ القَلِيلُونَ وَمُنِحْتُ بِيُمْنِ وَسِيلَتِكُمْ مَا لَمْ يَذُقْهُ إِلاَّ الأَقَلُّونَ أُعْطِيتُ مِنْ خَوَاصِّ العَطَايَا مَا لَمْ يَتَيَسَّرْ لِلأَكْثَرِينَ مِنْ عُلُومِ تِلْكَ العَطَايَا وَجُعِلَتْ لِي الأَحْوَالُ وَالمَقَامَاتُ وَالأَذْوَاقُ وَالمَوَاجِيدُ وَالعُلُومُ وَالمَعَارِفُ وَالتَّجَلِّيَاتُ وَالظُّهُورَاتُ كُلُّهَا مَعَارِجَ العُرُوجِ فَوَصَلْتُ مِنْهَا بِعِنَايَتِهِ - سُبْحَانَهُ - إِلى مَدَارِجِ القُرْبِ وَمَنَازِلِ الوُصُولِ.

وَاخْتِيَارُ لَفْظِ القُرْبِ وَالوُصُولِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ ضِيقِ مَيْدَانِ العِبَارَةِ وَلاَ فَلاَ قُرْبَ ثَمَّةَ وَلاَ وُصُولَ وَلاَ عِبَارَةَ وَلاَ إِشَارَةَ وَلاَ شُهُودَ وَلاَ مُشَاهَدَةَ وَلاَ حُلُولَ وَلاَ اتِّحَادَ وَلاَ كَيْفَ وَلاَ أَيْنَ وَلاَ زَمَانَ وَلاَ مَكَانَ وَلاَ إِحَاطَةَ وَلاَ سَرَيَانَ وَلاَ عِلْمَ وَلاَ مَعْرِفَةَ وَلاَ جَهْلَ وَلاَ حَيْرَةَ، شِعْرٌ:

وَمَا أَيْدِيكَ مِنْ طَيْرِي عَلامَةٌ ... وَقَدْ أَضْحَى كَعَنْقَـــاءَ وَهَامَةْ
وَلِلعَنْقَاءِ بَيْنَ النَّاسِ اسْمٌ ... وَلَيْسَتْ لاِسْمِ طَيْرِي اسْتِدَامَةْ

وَلَمَّا كَانَ إِظْهَارُ إِحْسَانِ اللهِ - تَعَالَى - وَإِنْعَامِهِ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ التِي ظُهُورُهَا مُتَرَتِّبٌ فِي عَالَمِ الأَسْبَابِ عَلَى نِعْمَتِكُمُ المَذْكُورَةِ مُتَضَمِّنًا لِشُكْرِهَا أَدْرَجْتُهَا فِي ضِمْنِ فِقْرَاتٍ وَقَيَّدْتُهَا بِقَيْدِ الكِتَابَةِ رَجَاءَ أَنْ تُؤَدِّيَ بِذَلِكَ نُبْذَةً مِنْ شُكْرِ نِعْمَتِكُمُ المَسْطُورَةِ وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى سَائِرِ مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ.

المَكْتُوبُ الثَّمانُونَ وَالمِائَتَان
إلى الحَافظ مَحْمُود
في بَيَانِ أنَّ مَحَبَّةَ هَذه الطَّائفَة رَأْسُ مَال السَّعَادَة وَمَا يُنَاسِبُ ذَلكَ

بَعْدَ الحَمْد وَالصَّلَوَات وَتَبْليغِ الدَّعَوَات ليَعُمَّ أَنَّ المَكْتُوبَ الشَّرِيفَ المَصْحُوبَ بجَنَاب مَوْلَانَا مَهْديٍّ عَليٍّ قَدْ وَصَل وَصَارَ مُوجبًا للفَرَحِ لله - سُبْحَانَهُ - الحَمْدُ عَلى رُسُوخِ مَحَبَّة الفُقَرَاء التي هيَ رَأْسُ مَال السَّعَادَة الدُّنْيَوِيَّة وَالأُخْرَوِيَّة رُسُوخًا مَا بَحَثَ لَمْ يُؤَثِّرْ فيهَا تَمَادَى أيَّامَ المُفَارَقَة.

وَاعْلَمْ أَنَّ المُحَافَظَةَ عَلى شَيْئَيْنِ وَالثَّبَاتَ عَلَيْهِمَا منَ اللوَازم مُتَابَعَةُ صَاحب الشَّريعَة عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحيَّةُ وَمَحَبَّةُ الشَّيْخِ المُقْتَدَى به مَعَ الإخْلَاصِ لهُ وَكُل شَيْءٍ يَحْصُل مَعَ وُجُود هَذَيْن الشَّيْئَيْن فَهُوَ نعْمَةٌ زَائدَةٌ وَإِنْ لَم يَحْصُل شَيْءٌ مَعَ وُجُود هَذَيْن الشَّيْئَيْن فَلاَ غَمَّ أَصْلاً فَإِنَّهُ سَيَحْصُل غَيْرُهُمَا فيمَا بَعْدُ وَإنْ تَطَرَّقَ عيَاذًا بالله - سُبْحَانَهُ - خَلل عَلى وَاحد منْ هَذَيْن وَبَقيَتْ الأَحْوَال وَالأَذْوَاقُ عَلى حَالهَا يَنْبَغي أَنْ يَعْتَقدَ ذَلكَ منَ اسْتدْرَاجٍ وَأَنْ يَعُدَّهُ منَ الخذْلَانَ وَهَذَا هُوَ طَرِيقُ الاسْتقَامَة وَاللهُ سُبْحَانَهُ المُوَفِّقُ.

المَكْتُوبُ الحَادِي وَالثَّمَانُونَ وَالمائَتَان
إلى المَيْر مُحَمَّد نُعْمَانَ
فِي بَيَان شُكْرِ نعْمَة الانْتِسَاب إلى سلسلة الطَّرِيقَة النَّقْشَبَنْدِيَّة العَلِيَّة وبَيَان بَعْضِ خَصَائِص هَذَا الطَّرِيقِ وَمَا يَلزَمُ فِيه مِنَ الآدَاب

الحَمْدُ لله وَسَلَامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى بَأَيٍّ لسَان نُؤَدِّي شُكْرَ هَذه النِّعْمَة العُظْمَى حَيْثُ شَرَّفَنَا الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالى - بَعْدَ تَصْحِيحِ العَقَائد بمُوجب آرَاء أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة شَكَرَ الله سَعْيَهُمْ بسُلوك الطَّرِيقَة النَّقْشَبَنْدِيَّة العَلِيَّة وَجَعَلنَا منْ مُرِيدي هَذه الطَّائفَة العَظِيمَة الشَّأْن وَمُنْتَسبيهمْ وَعنْدَ الفَقير أَنَّ الخُطْوَةَ الوَاحدَةَ في هَذَا الطَّرِيق أَفْضَل منْ سَبْع خُطُوَات في طُرُق أُخَرَ وَالطَّرِيقُ الذي يَفْتَحُ وَيُوصِّل إلى كَمَالَات النُّبُوَّة بطَرِيق التَّبَعيَّة وَالورَاثَة مَخْصُوصٌ بهَذَا الطَّرِيق العَالي وَمُنْتَهَى طُرُق أُخَرَ إلى حُصُول كَمَالَات الولَايَة لَمْ يَفْتَحْ منْهَا طَرِيقٌ مُوصِّل إلى كَمَالَات النُّبُوَّة وَمنْ هَهُنَا كَتَبْتُ في كُتُبي وَرَسَائلي أَنَّ طَرِيقَ هَؤُلَاء الأَكَابر طَرِيقُ الأَصْحَاب الكرَام عَلَيْهمُ الرِّضْوَانُ وَكَمَا أَنَّ الأَصْحَابَ نَالوا منْ تلكَ الكَمَالَات بطَرِيق الورَاثَة حَظًّا وَافرًا كَذَلكَ مُنْتَهبُو هَذَا الطَّرِيق يَجدُونَ منْهَا نَصيبًا كَاملًا بطَرِيق التَّبَعيَّة وَالمُبْتَدئُونَ وَالمُتَوَسِّطُونَ المُلتَزمُونَ لهَذَا الطَّرِيق المُتَصفُونَ بكَمَال مَحَبَّة المُنْتَهبينَ منْ أَهْل هَذَا الطَّرِيق فَهُمْ أَيْضًا رَاجُونَ ذَلكَ المَرْأُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ بشَارَةً للمَهْجُورِينَ.

وَالخَائبُ في هَذَا الطَّرِيق وَالخَاسرُ فيه شَخْصٌ يَدْخُل فيه وَلَا يُرَاعي آدَابَهُ وَيَخْتَرِعُ فيه أُمُورًا مُحْدَثَةً وَيَعْتَمدُ عَلى مَنَامَاته وَوَقَائعه المُخَالفَة لهَذَا الطَّرِيق فَمَا ذَنْبُ الطَّرِيق عَلى هَذَا التَّقْدير بَل هُوَ مَاشٍ عَلى مُقْتَضَى مَنَامَاته وَوَاقعَاته مُتَوَجِّهٌ إلى طَرَف تُرْكسْتَانَ مُنْحَرفًا عَنْ طَرِيق الكَعْبَة باخْتيَاره، شعْرٌ:

أَلَا هَلْ يَبْلُغَنْ أُمَّ القُرَى مَنْ غَدَا يَمْشي إلى صَوْب العرَاق

وَلَا أَسْتَحْسنُ أَنْ أُشَوِّشَ طَرِيقَكُمْ هَذَا هُنَاكَ مَعَ وُجُود جَمْعيَّة الأَصْحَاب وَاجْتهَاد الطَّالبينَ فَإنْ وَقَعَتْ الإشَارَةُ بالسَّفَر إلى هَذه الحُدُود قَبْل هَذَا كَانَ ذَلكَ مَشْرُوطًا بشُرُوط وَالآنَ أَيْضًا مَشْرُوطٌ بالشُّرُوط فَإنْ تَتَوَجَّهْ إلى هَذه الحُدُود بَعْدَ اسْتخَارَة مُكَرَّرَة وَانْشرَاح صَدْرٍ بلَا تَرَدُّد وَشُبْهَة وَإجْلَاسِ شَخْصٍ مَكَانَكَ عَلى

نَهْجٍ لاَ يَتَطَرَّقُ فُتُورٌ أَصْلاً إِلى الوَضْعِ السَّابِقِ فَلكَ ذَلكَ وَبدُون هَذه الشَّرَائط لاَ يَنْبَغِي تَضْيِيعُ المُعَامَلةِ هُنَاكَ وَإِيقَاعُ الفُتُورِ فِي جَمْعِيَّةِ الطَّالبِينَ وَمَاذَا أُبَالغُ أَزْيَدَ مِنْ ذَلكَ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّانِي وَالثَّمَانُونَ وَالمِائَتَانِ

إلى الملا بَديعٍ

فِي بَيَانِ مُلاَقَاةِ الخَضِرِ وَإلْيَاسَ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ وَبَيَانِ نُبْذَةٍ مِنْ أَحْوَالِهِمَا

الحَمْدُ للهِ وَسَلاَمٌ عَلَى عِبَادِهِ الذِينَ اصْطَفَى قَدْ مَضَتْ مُدَّةٌ مِنَ اسْتِفْسَارِ الأَصْحَابِ عَنْ أَحْوَالِ الخَضِرِ - عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ لِلفَقِيرِ اطِّلاَعٌ عَلَى أَحْوَالِهِ كَمَا يَنْبَغِي كُنْتُ مُتَوَقِّفًا فِي الجَوَابِ فَرَأَيْتُ اليَوْمَ فِي حَلَقَةِ الصُّبْحِ أَنَّ الإِلْيَاسَ وَالخَضِرَ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ حَضَرَا فِي صُورَةِ الرُّوحَانِيِّينَ فَقَالَ الخَضِرُ بِالإِلْقَاءِ الرُّوحَانِيِّ نَحْنُ مِنْ عَالَمِ الأَرْوَاحِ قَدْ أَعْطَى الحَقُّ - سُبْحَانَهُ - أَرْوَاحَنَا قُدْرَةً كَامِلَةً بِحَيْثُ تَتَشَكَّلُ وَتَتَمَثَّلُ بِصُوَرِ الأَجْسَامِ وَيَصْدُرُ عَنْهَا مَا يَصْدُرُ عَنِ الأَجْسَامِ مِنَ الحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ الجِسْمَانِيَّةِ وَالطَّاعَاتِ وَالعِبَادَاتِ الجَسَدِيَّةِ فَقُلْتُ لَهُ فِي تِلْكَ الأَثْنَاءِ: أَنْتُمْ تُصَلُّونَ الصَّلاَةَ بِمَذْهَبِ الإِمَامِ الشَّافِعِيِّ ؟ فَقَالَ: نَحْنُ لَسْنَا مُكَلَّفِينَ بِالشَّرَائِعِ وَلَكِنْ لَمَّا كَانَتْ كَافِيَةُ مُهِمَّاتِ قُطْبِ المَدَارِ مَرْبُوطَةً بِنَا وَهُوَ عَلَى مَذْهَبِ الإِمَامِ الشَّافِعِيِّ نُصَلِّي نَحْنُ أَيْضًا وَرَاءَهُ بِمَذْهَبِ الإِمَامِ الشَّافِعِيِّ ﷺ فَعُلِمَ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ أَنَّهُ لاَ يَتَرَتَّبُ الجَزَاءُ عَلَى طَاعَتِهِمْ بَل تَصْدُرُ عَنْهُمُ الطَّاعَةُ وَالعِبَادَةُ مُوَافِقَةً لأَهْلِ الطَّاعَةِ وَمُرَاعَاةً لِصُورَةِ العِبَادَةِ.

وَعُلِمَ أَيْضًا أَنَّ كَمَالاَتِ الوِلاَيَةِ مُوَافِقَةٌ لِفِقْهِ الشَّافِعِيِّ وَلِكَمَالاَتِ النُّبُوَّةِ مُوَافِقَةٌ لِفِقْهِ الحَنَفِيِّ فَعُلِمَ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ حَقِيقَةُ كَلاَمِ الخَوَاجِهْ مُحَمَّد بَارسَا - قُدِّسَ سِرُّهُ - حَيْثُ ذَكَرَ فِي الفُصُولِ السِّتَّةِ نَقْلاً أَنَّ عِيسَى - عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - يَعْمَلُ بَعْدَ نُزُولِهِ بِمَذْهَبِ الإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ ﷺ فَوَقَعَ فِي الخَاطِرِ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ أَنْ نَسْتَمِدَّ بِهِمَا وَأَنْ نَطْلُبَ مِنْهُمَا الدُّعَاءَ فَقَالَ إِذَا كَانَتْ عِنَايَةُ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - شَامِلَةً لِحَالِ شَخْصٍ فَلاَ مَدْخَلَ لَنَا هُنَاكَ وَكَأَنَّهُمْ أَخَذُوا أَنْفُسَهُمْ مِنَ البَيْنِ.

وَأَمَّا إِلْيَاسُ، عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ـــ: فَلَمْ يَتَكَلَّمْ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ أَصْلاً وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالثَّمَانُونَ وَالمائَتَان
إلى الصُّوفِيِّ قُرْبَانَ
فِي بَيَانِ أَنَّ رُؤْيَةَ النَّبِيِّ ﷺ رَبَّهُ لَيْلَةَ المِعْرَاجِ كَانَتْ فِي مَوْطِنِ الآخِرَةِ لاَ فِي مَوْطِنِ الدُّنْيَا

قَدْ سُئلتُ أَنَّ إجْمَاعَ أَهْلِ السُّنَّة وَالجَماعَة مُنْعَقِدٌ عَلى أَنَّ الرُّؤْيَةَ غَيْرُ وَاقعيَّة فِي الدُّنْيَا حَتَّى مَنَعَ أَكْثَرُ عُلماءِ أَهْلِ السُّنَّةِ رُؤْيَةَ خَاتَمِ الرُّسُلِ وَالرِّسَالة عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لَيْلةَ المعْرَاجِ.

قَال حُجَّةُ الإسْلاَم: وَالأَصحُّ أَنَّهُ - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - مَا رَأَى رَبَّهُ لَيْلةَ المعْرَاجِ وَقَدْ اعْتَرَفْتَ أَنْتَ فِي رَسَائلك بِوُقُوعِ رُؤْيَته ﷺ رَبَّهُ فِي الدُّنْيَا فَمَا يَكُونُ وَجْهُ ذَلكَ ؟

أُجيبُ أَنَّ رُؤْيَتَهُ ﷺ رَبَّهُ لَيْلةَ المعْرَاجِ مَا وَقَعَتْ فِي الدُّنْيَا بَل وَقَعَتْ فِي الآخرَة فَإنَّهُ ﷺ لَمَّا خَرَجَ لَيْلةَ المعْرَاجِ منْ دَائرَة المَكَان وَالزَّمَان وَتَخلص عَنْ مَضيق الإمْكَان وَجَدَ الأَزَل وَالأَبَدَ آنًا وَاحدًا وَرَأَى البدَايَةَ وَالنِّهَايَةَ نُقْطَةً وَاحدَةً وَرَأَى أَهْلَ الجَنَّة الذينَ يَدْخُلونَهَا بَعْدَ أُلوف منَ السِّنينَ فِي الجَنَّة حَتَّى أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْف ﷺ الذي يَدْخُل الجَنَّةَ بَعْدَ خَمْسمائَة سَنَة منْ فُقَرَاء الأَصْحَاب رِضْوَانُ الله عَليْهمْ أَجْمَعينَ رَآهُ قَدْ دَخَل الجَنَّةَ بَعْدَ مُضيِّ تلْكَ المُدَّة، وَسَأَلهُ عَنْ سرِّ تَوَقُّفه فَالرُّؤْيَةُ الوَاقعَةُ فِي ذَلكَ المَوْطنِ تَكُونُ دَاخلةً فِي الرُّؤْيَة الأُخْرَويَّة فَلاَ تَكُونُ مُنَافيَةً للإِجْمَاعِ عَلى عَدَمِ وُقُوعهَا.

وَإطْلاَقُ الرُّؤْيَة الدُّنْيَويَّة عَليْهَا مَحْمُول عَلى التَّجَوُّزِ وَمَبْنيٌّ عَلى الظَّاهرِ وَالله - سُبْحَانَهُ - أَعْلمُ بحَقَائقِ الأُمُورِ كُلهَا.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالثَّمَانُونَ وَالمِائَتَان
إلى الملا عَبْد القَادِر الأَنْبَالِيّ
فِي بَيَانِ أَنَّ الأَحْوَال المَوَاجِيدَ نَصِيبُ عَالَمِ الأَمْرِ وَالعلمَ بالأَحْوَال نَصِيبُ عَالَمِ الخَلق وَهَذه المَعْرِفَةُ من المَعَارِف السَّابقَة وَحَقِيقَةُ المُعَامَلة هِيَ التِي حُرِّرَتْ فِي مَكْتُوبِ المَخْدُومِ الأَكْبَرِ عَلَيْه الرَّحْمَةُ فِي بَيَانِ الطَّرِيق

اعْلَمْ أَنَّ الإِنْسَانَ مُرَكَّبٌ منْ عَالَمِ الخَلق الذي هُوَ ظَاهِرُهُ وَعَالَمِ الأَمْرِ الذي هُوَ بَاطِنُهُ فَالأَحْوَال وَالمَوَاجِيدُ وَالمُشَاهَدَاتُ وَالتَّجَليَاتُ التي تَظْهَرُ فِي الابْتدَاء وَالوَسَطِ نَصِيبُ عَالَمِ الأَمْرِ الذي هُوَ بَاطِنُ الإِنْسَان وَكَذَلكَ الحَيْرَةُ وَالجَهَالَةُ وَالعَجْزُ وَاليَأْسُ التي تَحْصُلُ فِي الانْتِهَاءِ أَيْضًا نَصِيبُ عَالَمِ الأَمْرِ الذي هُوَ بَاطِنُ الإِنْسَانِ وَللظَّاهِرِ بِحُكْمٍ، (ع):

وَللأَرْضِ منْ كَأْسِ الكرَام نَصِيبٌ

أَيْضًا نَصِيبٌ منْ تلكَ المُعَامَلة عنْدَ وُجُودِ القُوَّة فِيه وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ ثَبَاتٌ وَاسْتِقَامَةٌ وَلكنْ يَكْتَسبُ نَوْعًا منَ الانْصبَاغ.

وَالأَمْرُ الذي يَتَعَلَّقُ بالظَّاهِر بالأَصَالة هُوَ العلمُ بتلكَ الأَحْوَال فَإِنَّ البَاطِنَ لَهُ حُصُول الأَحْوَال لاَ العلمُ بهَا فَإِنْ لَمْ يَكُنْ الظَّاهِرُ لَمَا يَفْتَحُ طَرِيقَ العلمِ وَالتَّمييز.

وَظُهُورُ الصُّوَر المِثَاليَّة وَمَعَارِجِ المَقَامَات إِنَّمَا هُوَ لإِدْرَاك الظَّاهِرِ فَالحَال للبَاطِنِ وَالعلمُ بالحَال للظَّاهِرِ فَعُلمَ منْ هَذَا البَيَان أَنَّ الأَوْلِيَاءَ الذينَ هُمْ أَصْحَابُ العلمِ وَالذينَ لاَ نُصِيبَ لَهُمْ منَ العلم يَعْني بالأَحْوَال لاَ فَرْقَ بَيْنَهُمْ فِي نَفْسِ حُصُول الأَحْوَال فَإِنْ كَانَ الفَرْقُ فَإِنَّمَا هُوَ منْ جهَة العلم بتلكَ الأَحْوَال وَعَدَم العلم بهَا كَمَا إِذَا طَرَأَتْ عَلَى شَخْصٍ مَثَلاً حَالَةُ الجُوعِ وَشَوَّشَتْ أَحْوَالَهُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ هَذه الحَالَةَ يُسَمُّونَهَا جُوعًا وَشَخْصٌ آخرُ طَرَأَ عَلَيْه تلكَ الحَالَةُ أَيْضًا وَلكنَّهُ لاَ يَعْلَمُ أَنَّ هَذه الحَالَة مُعَبَّرٌ عَنْهَا بالجُوعِ فَكُل منْ هَذَيْنِ الشَّخْصَيْنِ مُسَاوٍ للآخَرِ فِي نَفْسِ تلكَ الحَالَة وَلاَ فَرْقَ إلاَّ بحَسَب العلم وَعَدَم العلم.

يَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الجَمَاعَةَ الذينَ لاَ علمَ لَهُمْ بالأَحْوَال عَلى قسْمَيْنِ فَطَائفَةٌ منْهُمْ لَيْسَ لَهُمْ علمٌ بنَفْسِ حُصُول الأَحْوَال وَلاَ وُقُوفَ لَهُمْ عَلَى تَلوينَاتهَا أَصْلاً.

وَطَائِفَةٌ أُخْرَى مِنْهُمْ لَهُمْ خَبَرٌ عَنْ تَلوينَات الأَحْوَال وَلَكنَّهُمْ لاَ يَقْدرُونَ عَلَى تَشْخيصِ الأَحْوَال وَهَذه الطَّائفَةُ دَاخلونَ في أَرْبَاب العلمِ وَإنْ لَمْ يَقْدرُوا عَلى تَشْخيصِ الأَحْوَال وَمُسْتَحقُّونَ للمَشْيَخَة وَتَشْخيص الأَحْوَال لَيْسَ هُوَ وَظيفَةَ كُل شَيْخٍ بَل تَظْهَرُ هَذه الدَّوْلَةُ بَعْدَ أَزْمنَة مُتَطَاولة حَتَّى يَتَشَرَّفَ بهَا وَاحدٌ وَيُحَال الآخَرُونَ عَلَى علمه وَيُجْعَلونَ منْ مُتَطَفِّليه كَمَا أَنَّ الأَنْبيَاءَ أُولي العَزْم صَلوَاتُ الله وتسليماتُهُ عَلَيْهمْ كَانُوا يُبْعَثُونَ بَعْدَ مُدَّة مَديدَة وَكَانَ كُل منْهُمْ يَخْتَصُّ بأَحْكَامٍ مُتَمَايزَةٍ وَكَانَ بَقيَّةُ الأَنْبيَاءِ يُؤمَرُونَ باتِّبَاعهمْ وَيَكْتَفُونَ بالدَّعْوَة بتلكَ الأَحْكَامِ، شعْرٌ:

لَيْسَ عَلى الله بِمُسْتَنْكَرٍ ... أَنْ يَجْمَعَ العَالَمَ فِي وَاحِدِ

وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالثَّمَانُونَ وَالمِائَتَان
إلى السَّيِّد مُحبِّ الله المَانْكَبُوريِّ
في بَيَانِ أَحْكَامِ السَّمَاعِ وَالوَجْد وَالرَّقْصِ
وَبَعْضِ المَعَارِف المُتَعَلقَة بالرُّوحِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى.

اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ إلى طَرِيقِ السَّدَاد وَأَلهمَكَ الرَّشَادَ أَنَّ السَّمَاعَ وَالوَجْدَ نَافعٌ لجَمَاعَة مُتَّصِفُونَ بتَقَلب الأَحْوَال وَمُتَّسمُونَ بتَبَدُّل الأَوْقَات فَفي وَقْت حَاضرُونَ وَفي وَقْت غَائبُونَ وَأَحْيَانًا وَاجدُونَ وَأَحْيَانًا فَاقدُونَ وَهُمْ أَرْبَابُ القُلوبِ يَنْتَقلونَ فِي مَقَام التَّجَليَات الصِّفَاتيَّة عَنْ صفَة إلى صفَة وَيَتَحَللونَ منَ اسْمٍ إلى اسْمٍ، تَلوُّنُ الأَحْوَال نَقْدُ وَقْتهمْ وَتَشَتُّتُ الآمَال حَاصلُ مَقَامهمْ وَدَوَامُ الحَال مُحَال في حَقِّهمْ وَاسْتمْرَارُ الوَقْت مُمْتَنعٌ في شَأْنهمْ فزَمَانٌ في القَبْضِ وَزَمَانٌ في البَسْط فَهُمْ أَبْنَاءُ الوَقْت وَمَغْلوبُوهُ فَمرَّةً يَعْرُجُونَ وَمرَّةً يَهْبطُونَ وَأَمَّا أَرْبَابُ التَّجَليَات الذَّاتيَّة الذينَ تَخَلصُوا منْ مَقَام القَلب بالتَّمَام وَاتَّصَلوا بمُقَلب القَلب وَرَجَعُوا بكُليَّتهمْ منْ رُقْيَة الأَحْوَال إلى مُحَوِّل الأَحْوَال فَهُمْ ليْسُوا مُحْتَاجينَ إلى الوَجْد وَالسَّمَاعِ فَإنَّ وَقْتَهُمْ دَائميٌّ وَحَالهُمْ سَرْمَديٌّ بَل لاَ وَقْتَ لهُمْ وَلاَ حَال فَهُمْ آبَاءُ الوَقْت وَأَرْبَابُ التَّمْكين وَهُمُ الوَاصلونَ الذينَ لاَ رُجُوعَ لهُمْ أَصْلاً وَلاَ فَقْدَ لهُم قَطْعًا فَمَنْ لاَ فَقْدَ لهُ لاَ وَجْدَ لهُ نَعَمْ إنَّ طَائفَةً منَ المُنْتَهينَ يَنْفَعُهُمُ السَّمَاعُ أَيْضًا مَعَ وُجُود اسْتمْرَارِ الوَقْت وَسَيُحَرَّرُ بَيَانُهُ بالتَّفْصيل في آخر هَذَا المَبْحَث إنْ شَاءَ اللهُ - تَعَالى -.

فَإنْ قيل: قَال خَاتَمُ الرُّسُل وَالرِّسَالة عَليْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالتَّحيَّةُ: لي مَعَ الله وَقْتٌ لاَ يَسَعُني فيه مَلكٌ مُقَرَّبٌ وَلاَ نَبيٌّ مُرْسَل.

فَيُفْهَمُ منْ هَذَا الحَديث أَنَّ الوَقْتَ لاَ يَكُونُ دَائمًا ؟

أُجيبُ بَعْدَ تَسْليم صحَّة هَذَا الحَديث أَنَّ بَعْضَ المَشَايخِ قَدْ أَرَادَ بالوَقْتِ الوَاقعِ فِي الحَديثِ وَقْتًا مُسْتَمرًا أَيْ لي مَعَ الله وَقْتٌ مُسْتَمرٌّ فَلاَ إشْكَال.

وثانيًا: إنَّ الوَقْتَ المُسْتَمرَّ قَدْ تَعْرُضُ فيه أَحْيَانًا كَيْفِيَّةٌ خَاصَّةٌ فَيُمْكنُ أَنْ يَكُونَ المُرَادُ بالوَقْت الوَقْتَ النَّادرَ وَيَكُونَ المُرَادُ به هَذه الكَيْفِيَّةَ النَّادرَةَ فَعلَى هَذَا يَرْتَفعُ الإشْكَال أَيْضًا.

فَإنْ قيل: يُمْكنُ أَنْ يَكُونَ لاسْتمَاعِ النَّغْمَة مَدْخَل في تَحْصيل تلكَ الكَيْفيَّة النَّادرَة فَصَارَ المُنْتَهي أَيْضًا مُحْتَاجًا إلى السَّمَاعِ في تَحْصيل تلكَ الكَيْفيَّة.

أُجيبُ أَنَّ تَحَقُّقَ تلكَ الكَيْفيَّة غَالبًا في حين أَدَاء الصَّلاَة فَإنْ ظَهَرَتْ في خَارجِ الصَّلاَة أَحْيَانًا فَهُوَ أَيْضًا منْ نَتَائجهَا وَثَمَرَاتهَا وَيُمْكنُ أَنْ يَكُونَ في حَديث "**وَقُرَّةُ عَيْني في الصَّلاَة**" إشَارَةٌ إلى هَذه الكَيْفيَّة النَّادرَة.

وَوَرَدَ أيضًا في الخَبَر: أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ منَ الرَّبِّ في الصَّلاَة، وَقَال الله - تَعَالى - {وَاسْجُدْ وَاقْتَربْ} وَلاَ شَكَّ أَنَّ كُل وَقْت يَكُونُ القُرْبُ الإلهيُّ فيه أَزْيَدَ يَكُونُ مَجَال الغَيْر فيه أَشَدَّ انْتفاءً فَفُهمَ منْ هَذَا الحَديث وَهَذه الآيَة أَيْضًا أَنَّ ذَلكَ الوَقْتَ في الصَّلاَة وَالدَّليل عَلَى اسْتمْرَار الوَقْت وَدَوَام الوَصْل اتِّفَاقُ المَشَايخ قَال ذُو النُّون المصْريُّ: مَا رَجَعَ مَنْ رَجَعَ إلاَّ منَ الطَّريق وَمَنْ وَصَل لاَ يَرْجعُ وَكَوْن ياد داشت عبَارَةٌ عَنْ دَوَام الحُضُور مَعَ جَنَاب قُدس الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - أَمْرٌ مُقَرَّرٌ في طَريقَة خواجكان قَدَّسَ اللهُ أَرْوَاحَهُمْ بالجُمْلَة إنَّ الإنْكَارَ عَلَى دَوَام الوَقْت عَلاَمَةُ عَدَمِ الوُصُول وَمَا قَالهُ شرْذمَةٌ قَليلةٌ منَ المَشَايخ كَابْن العَطَاء وَأَمْثَاله منْ جَوَاز رُجُوعِ الوَاصل إلى الصِّفَات البَشَريَّة فَيُفْهَمُ منْهُ عَدَمُ دَوَام الوَقْت فَهُوَ خلاَفٌ في جَوَاز الرُّجُوعِ لاَ في الوُقُوعِ فَإنَّ الرُّجُوعَ غَيْرُ وَاقعٍ أَلبَتَّةَ كَمَا لاَ يَخْفَى عَلَى أَرْبَابه فَثَبَتَ إجْمَاعُ المَشَايخِ عَلَى عَدَمِ رُجُوعِ الوَاصل وَكَانَ خلاَفُ البَعْضِ رَاجعًا إلى جَوَاز الرُّجُوعِ هَذَا.

وَطَائفَةٌ منَ المُنْتَهينَ تَحْصُل لَهُمْ بُرُودَةٌ قَويَّةٌ في الوُصُول إلى مُشَاهَدَة الجَمَال اليز إلى بُعْد وُصُولهمْ إلى دَرَجَة منْ دَرَجَات الكَمَالاَت وَتُحَصُل لَهُمْ نسْبَةٌ تَامَّةٌ تَمْنَعُهُمْ عَنِ العُرُوجِ إلى مَنَازل الوُصُول وَأَمَا مُهمٌّ دَرَجَات مَنَازل الوُصُول لَمْ يَقْطَعُوهَا بَعْدُ وَلَمْ تَنْقَطعْ مَدَارجُ القُرْب بالانْتهَاء إلى غَايَته وَفيهمْ مَعَ وُجُود البُرُودَة مَيْل إلى العُرُوجِ وَتَمَنّب كَمَال القُرْب فَالسَّمَاعُ مُفيدٌ في حَقِّهمْ عَلَى تَقْدير هَذه الصُّورَة وَمُوجَبٌ للحَرَارَة وَيَتَيَسَّرُ لَهُمْ في كُل وَقْت بمَدَد السَّمَاعِ العُرُوجُ إلى مَنَازل القُرْب وَبَعْدَ التَّسْكين يَهْبطُونَ منْ تلكَ المَنَازل وَلكنَّهُمْ يَسْتَصْحبُونَ مَعَهُمْ لوْنًا وَوَصْفًا منْ مَقَامَات ذَلكَ العُرُوجِ وَيَنْصَبغُونَ به وَهَذَا الوَجْدُ لَيْسَ هُوَ بَعْدَ

الفَقْدِ فَإِنَّ الفقْدَ مَفقُودٌ فِي حَقِّهِمْ بَل هُوَ لأَجْلِ التَّرَقِّي إِلى مَنَازِلِ الوُصُول مَعَ وُجُودِ دَوَامِ الوَصْلِ وَمِنْ هَذَا القَبِيلِ سَمَاعُ المُنْتَهِينَ وَالوَاصِلينَ وَوَجْدُهُمْ نَعَمْ إِنَّهُمْ وَإِنْ مُنِحُوا الجَذْبَةَ بَعْدَ الفَنَاءِ وَالبَقَاءِ وَلَكِنْ لَمَّا عَرَضَتْ لَهُمْ بُرُودَةٌ قَوِيَّةٌ لَمْ يَكْتَفُوا بِهَا فِي تَحْصِيلِ التَّرَقِّيَاتِ إِلى مَنَازِلِ الوُصُولِ وَالعُرُوجِ وَاحْتَاجُوا إِلى السَّمَاعِ.

وَطَائِفَةٌ مِنَ المَشَايِخِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ تَهبطُ نُفُوسُهُمْ إِلى مَقَامِ العُبُودِيَّةِ بَعْدَ وُصُولِهِمْ إِلى دَرَجَةِ الوِلاَيَةِ وَأَرْوَاحُهُمْ مُتَوَجِّهَةٌ إِلى جَنَابِ القُدْسِ فِي مَقَامِهَا الأَصْلِيِّ بِلاَ مُزَاحَمَةِ النُّفُوسِ وَكُلَمَا يَصِلُ إِلى الرُّوحِ مَدَدٌ مِنْ مَقَامِ النَّفْسِ المُطْمَئِنَّةِ التِي صَارَتْ مُتَمَكِّنَةً وَرَاسِخَةً فِي مَقَامِ العُبُودِيَّةِ تَحْصُلُ لِلرُّوحِ بِوَاسِطَةِ ذَلِكَ الإِمْدَادِ مُنَاسَبَةٌ خَاصَّةٌ بِالمَطْلُوبِ وَاطْمِئْنَانُ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ فِي العِبَادَةِ وَتَسْكِينُهُم فِي أَدَاءِ حُقُوقِ العُبُودِيَّةِ وَالطَّاعَةِ وَمَيْلُ العُرُوجِ مَفْقُودٌ فِي طِبَاعِهِمْ وَشَوْقُ الصُّعُودِ قَلِيلٌ فِي بَوَاطِنِهِمْ جَبِينُهُمْ لاَمِعٌ بِنُورِ مُتَابَعَةِ المِلَّةِ وَعُيُونُ بَصِيرَتِهِمْ مُكْتَحِلَةٌ بِكُحْلِ اتِّبَاعِ السُّنَّةِ فَلاَ جَرَمَ كَانَتْ أَبْصَارُهُمْ حَدِيدَةً يُبْصِرُونَ مِنْ بَعْدَمَا يَعْجزُ الأَقْرَبُونَ عَنْ رُؤْيَتِهِ وَإِنْ كَانَ عُرُوجُهُمْ قَلِيلاً وَلَكِنَّهُمْ نُورَانِيُّونَ مُنَوَّرُونَ بِنُورِ الأَصْلِ وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ المَقَامِ شَأْنٌ عَظِيمٌ وَجَلاَلَةُ القَدْرِ فَلاَ احْتِيَاجَ لَهُمْ إِلى السَّمَاعِ وَالوَجْدِ بَل تُعْطِيهِم العِبَادَةُ مَا لِلسَّمَاعِ وَتَكْفِيهِمْ نُورَانِيَّتُهِمْ بِنُورِ الأَصْلِ عَنِ العُرُوجِ.

وَالجَمَاعَةُ المُقَلِّدُونَ مِنْ أَهْلِ السَّمَاعِ وَالوَجْدِ الذِينَ لاَ وُقُوفَ لَهُمْ عَلى عِظَمِ شَأْنِ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ يَحْسَبُونَ أَنْفُسَهُمْ عُشَّاقًا وَيُسَمُّونَهُمْ زُهَّادًا وَكَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ العِشْقَ وَالمَحَبَّةَ مُنْحَصِرَانِ فِي الرَّقْصِ وَالوَجْدِ.

وَمِنَ المُنْتَهِينَ طَائِفَةٌ يُمْنَحُونَ بَعْدَ قَطْعِ مَسَالِكِ السَّيْرِ إِلى اللهِ وَالتَّحَقُّقِ بِالبَقَاءِ بِاللهِ جَذْبًا قَوِيًّا فَيَنْجَرُّونَ بِسِلْسِلَةِ الجَذْبَةِ جَرًّا جَرًّا، وَسِرَايَةُ البُرُودَةِ مَمْنُوعَةٌ هُنَاكَ وَالتَّسْلِيَةُ غَيْرُ جَائِزَةٍ لاَ يَحْتَاجُونَ فِي العُرُوجِ إِلى أُمُورٍ غَرِيبَةٍ وَلَيْسَ لِلسَّمَاعِ وَالرَّقْصِ إِلى مَضِيقِ خَلْوَتِهِمْ سَبِيلُ الدُّخُولِ وَلاَ الوَجْدُ وَالتَّوَاجُدُ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ مَقْبُولٌ بَل يَصِلُونَ بِهَذَا العُرُوجِ الانْجِذَابِيِّ إِلى نِهَايَةِ المَرْتَبَةِ المُمْكِنَةِ الوُصُولِ وَيَنَالُونَ بِوَاسِطَةِ مُتَابَعَةِ النَّبِيِّ ﷺ نَصِيبًا مِنْ مَقَامِهِ المَخْصُوصِ بِهِ وَهَذَا النَّوْعُ مِنَ الوُصُولِ مَخْصُوصٌ بِطَائِفَةِ الأَفْرَادِ لاَ نَصِيبَ مِنْ هَذَا المَقَامِ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - إِلى العَالَمِ،

وَأُحِيلَ عَلَيْهِ تَرْبِيَةُ المُسْتَعِدِّينَ تَهْبطُ نَفْسُهُ إِلى مَقَامِ العُبُودِيَّةِ وَرُوحُهُ مُتَوَجِّهَةٌ إِلى جَنَابِ المُقَدَّسِ بِلاَ نَفْسٍ وَهُوَ الجَامِعُ لِلكَمَالاَتِ الفَرْدِيَّةِ وَالحَاوِي لِلتَّكْمِيلاتِ

القُطْبيَّة وَأَعْني بالقُطب هَهُنَا قُطبَ الإرْشَاد لاَ قُطبَ الأَوْتَاد وَعُلومُ المَقَامَات الظِّلِّيَّة وَمَعَارِفُ المَدَارِجِ الأَصْلِيَّة مُيسَّرَةٌ لهُ بَل لاَ ظِل في المَقَام الذي هُوَ فيه وَلاَ أَصْل فإنَّهُ قَدْ جَاوَزَ الظِّل وَالأَصْل وَمثْل هَذَا الكَامل المُكَمِّل عَزيزُ الوُجُود جدًّا حَتَّى أَنَّهُ لوْ ظَهَرَ بَعْدَ قُرُون مُتطَاولة وَأَزْمنَة مُتبَاعدَة فَهُوَ أَيْضًا مُغْتَنَمٌ يُنَوِّرُ به العَالَمُ نَظَرُهُ شفَاء الأَمْرَاضِ القَلبيَّة وَتَوَجُّهُهُ دَافعُ الأَخْلاَف الرَّديَّة الغَيْر المَرْضيَّة وَهُوَ الذي أَتَمَّ مَدَارجَ العُرُوجِ وَنَزَل إلى مَقَامِ العُبُوديَّة وَاطْمَئَنَّ بالعبَادَة وَآنَسَ بهَا وَتَنْتَخبُ بَعْضُ هَذه الطَّائفَة لمَقَامِ العَبْديَّة الذي لاَ مَقَامَ فَوْقَهُ منْ مَقَامَات الولاَيَة وَيَشْرُفُ به.

وَقَابليَّةُ مَنْصب المَحْبُوبيَّة أَيْضًا مُسلمَةٌ إليْه فَهُوَ جَامعٌ لجَميعِ كَمَالاَت مَرْتَبَة الولاَيَة وَحَاوٍ لتَمَامِ مَقَامَات دَرَجَة الدَّعْوَة وَمُحْتَظ منَ الولاَيَة الخَاصَّة بمَقَامِ النُّبُوَّة وَبالجُمْلة إنَّ هَذَا المَصْرَعَ صَادقٌ في حَقِّه، (ع):

قَدْ اجْتَمعَتْ فيه المَحَاسنُ كُلهَا

هَذَا وَالسَّمَاعُ وَالوَجْدُ مُضرٌّ للمُبْتَدي وَمُنَاف لعُرُوجه وَإنْ وَقَعَ بالشَّرَائط وَسَيُحرِّرُ نُبْذَةٌ منْ شَرَائط السَّمَاعِ في آخر هَذه الرِّسَالة إنْ شَاءَ اللهُ - تَعَالَى - وَوَجْدُ المُبْتَدي مَعْلول وَحَالهُ وَبَال وَحَرَكَتُهُ طَبيعيَّةٌ وَتَحرُّكُهُ مَشُوبٌ بالهَوَى النَّفْسَانيِّ وَأَعْني بالمُبْتَدي مَنْ ليْسَ منْ أَرْبَاب القُلوب وَأَرْبَابُ القُلوب مُتوَسِّطُونَ بَيْنَ المُبْتَدي وَالمُنْتَهي وَالمُنْتَهي هُوَ الفَاني في الله وَالبَاقي بالله وَهُوَ الوَاصل الكَامل وَللانْتهَاء دَرَجَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ وَللوُصُول مَرَاتبُ لاَ يُمْكنُ قَطْعُهَا أَبَدَ الآبدينَ.

وَبالجُمْلة إنَّ السَّمَاعَ نَافعٌ للمُتوَسِّطينَ وَطَائفَةٌ منَ المُنْتَهينَ أَيْضًا كَمَا مَرَّ آنفًا وَلكنْ يَنْبَغي أَنْ يُعْلمَ أَنَّ السَّمَاعَ لاَ يَحْتَاجُ إليْه أَرْبَابُ القُلوب أَيْضًا مُطْلقًا بَل جَمَاعَةٌ منْهُمْ لمْ يَشرَّفُوا بَعْدُ بدَوْلة الجَذْبَة وَيُريدُونَ قَطْعَ المَسَافَة بالرِّيَاضَات وَالمُجَاهَدَات الشَّاقَّة فَالسَّمَاعُ وَالوَجْدُ مُمدٌّ وَمُعَاونٌ لهَؤلاَء الجَمَاعَة في هَذه الصُّورَة وَأَمَّا إذَا كَانَ أَرْبَابُ القُلوب منَ المَجْذُوبينَ فَقَطَعَ مَسَالكَ سَيْرهمْ بمَدَد الجَذْبَة وَليْسُوا مُحْتَاجينَ إلى السَّمَاعِ.

يَنْبَغي أَيْضًا أَنْ يُعْلمَ أَنَّ نَفْعَ السَّمَاعِ لأَرْبَاب القُلوب الغَيْر المَجْذُوبينَ ليْسَ عَلى إطْلاَقه بَل الانْتفَاعُ به مَشْرُوطٌ بالشَّرَائط وَبدُونهَا خَرْطُ القَتَاد فَمنْ جُمْلة الشَّرَائط عَدَمُ الاعْتقَاد لكَمَال نَفْسه فلوْ كَانَ مُعْتَقدُ التَّماميَّة نَفْسُهُ فَهُوَ مَحْبُوسٌ نَعَم قَدْ يُورثُهُ السَّمَاعُ أَيْضًا منَ العُرُوجِ وَلكنَّهُ يَهْبطُ منْ مَقَامِ عُرُوجٍ إليْه وَقْتَ السَّمَاعِ

بَعْدَ التَّسْكِينِ وَالشَّرَائِطُ المُبَيَّنَةُ فِي كُتُبِ الأَكَابِرِ مُسْتَقِيمِي الأَحْوَالِ كَعَوَارِفِ المَعَارِفِ أَكْثَرُهَا مَفْقُودَةٌ فِي سَمَاعِ أَبْنَاءِ هَذَا الزَّمَانِ بَلْ مِثْلِ هَذَا السَّمَاعِ الذي شَاعَ فِي هَذَا الزَّمَانِ وَهَذَا الاجْتِمَاعِ الذي صَارَ مُتَعَارَفًا فِي هَذِهِ أَلاَ وَإِنَّ لاَ شَكَّ فِي أَنَّهُ مَحْضٌ وَمُنَافٍ صِرْفٌ لاَ طَعْمَ لِلعُرُوجِ فِيهِ وَلاَ يُتَصَوَّرُ الصُّعُودُ وَالتَّرَقِّي بِهِ وَإِمْدَادُ السَّمَاعِ مَفْقُودٌ فِي هَذَا المَحَلِ وَالمَضَرَّةُ مَوْجُودَةٌ فِي ذَلِكَ المَحْفَلِ.

تَنْبِيهٌ: إِنَّ السَّمَاعَ وَإِنْ كَانَ مُفِيدًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى بَعْضِ المُنْتَهِينَ وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ أَمَامَهُمْ مَرَاتِبُ العُرُوجِ فَهُمْ مِنَ الأَوْسَاطِ وَمَا لَمْ تَطْوِ مَرَاتِبَ العُرُوجِ المُمْكِنَةَ الحُصُولِ بِالتَّمَامِ فَحَقِيقَةُ الانْتِهَاءِ مَفْقُودَةٌ فِيهِمْ وَإِطْلاَقُ النِّهَايَةِ إِنَّمَا هُوَ بِاعْتِبَارِ نِهَايَةِ السَّيْرِ إِلَى اللهِ وَهَذَا السَّيْرُ إِلَى اسْمٍ إِلَهِيٍّ كَانَ السَّالِكُ مُظْهِرَهُ وَالسَّيْرُ بَعْدَ ذَلِكَ يَكُونُ فِي ذَلِكَ الاسْمِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ فَإِذَا جَاوَزَهُ وَمَا يَتَعَلَّقُ مِمَّا يَنْكَشِفُ لأَرْبَابِهِ وَوَصَلَ إِلَى الاسْمِ الحَقِيقِيِّ وَحَصَلَ لَهُ هُنَاكَ فَنَاءٌ وَبَقَاءٌ فَهُوَ حِينَئِذٍ يَكُونُ مُنْتَهِيًا حَقِيقِيًّا وَنِهَايَةُ السَّيْرِ إِلَى اللهِ فِي الحَقِيقَةِ يَتَحَقَّقُ فِي ذَلِكَ المَحَلِ وَقَدْ عَدُّوا النِّهَايَةَ الأُولَى التِي هِيَ انْتِهَاءُ السَّيْرِ إِلَى الاسْمِ مِنْ نِهَايَةِ السَّيْرِ إِلَى اللهِ وَاعْتَبَرُوهَا مِنْهَا أَيْضًا وَبِاعْتِبَارِ حُصُولِ الفَنَاءِ وَالبَقَاءِ فِي تِلْكَ المَرْتَبَةِ أَطْلَقُوا اسْمَ الوِلاَيَةِ أَيْضًا.

وَمَا قِيلَ مِنْ أَنَّ لاَ نِهَايَةَ لِلسَّيْرِ فِي اللهِ فَهَذَا السَّيْرُ فِي حِينِ البَقَاءِ وَبَعْدَ طَيِّ مَنَازِلِ العُرُوجِ وَمَعْنَى عَدَمِ نِهَايَةِ ذَلِكَ السَّيْرِ هُوَ أَنَّ السَّيْرَ إِذَا وَقَعَ فِي ذَلِكَ الاسْمِ بِالتَّفْصِيلِ وَتَخَلَّقَ بِالشُّئُونَاتِ المُنْدَرِجَةِ فِيهِ لاَ يَصِلُ إِلَى نِهَايَتِهِ أَصْلاً فَإِنَّ كُلَ اسْمٍ مُشْتَمِلٌ عَلَى شُئُونَاتٍ غَيْرِ مُتَنَاهِيَةٍ وَأَمَّا إِذَا أُرِيدَ تَرَقِّيَةٌ مِنْ ذَلِكَ الاسْمِ وَقْتَ العُرُوجِ فَيُمْكِنُ أَنْ يُطْوَى ذَلِكَ بِقَدَمٍ وَاحِدٍ وَيَصِلُ إِلَى نِهَايَةِ النِّهَايَةِ ثُمَّ إِنْ اسْتُهْلِكَ هُنَاكَ فَيَا لَهَا مِنْ شَرَافَةٍ وَإِنْ أُرْجِعَ لِتَرْبِيَةِ الخَلْقِ فَيَا لَهَا مِنْ فَضِيلَةٍ وَكَرَامَةٍ وَلاَ تَظُنَّنَّ أَنَّ الوُصُولَ إِلَى ذَلِكَ الاسْمِ أَمْرٌ سَهْلٌ بَلْ لاَ بُدَّ مِنْ بَذْلِ الرُّوحِ حَتَّى يُشَرَّفَ بِتِلْكَ الدَّوْلَةِ وَمَنْ ذَا الذي يَخْتَصُّ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ القُصْوَى مِنْ بَيْنِ أَقْرَانِهِ وَيَمْتَازُ بِهَا وَمَا تَتَخَيَّلُهُ تَنْزِيهًا وَتَقْدِيسًا رُبَّمَا يَكُونُ عَيْنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّنْقِيصِ بَلْ أَكْثَرُ المَرَاتِبِ الذي تَتَخَيَّلُهُ تَنْزِيهًا أَسْفَلَ وَأَدْوَنَ مِنْ مَقَامِ الرُّوحِ وَالتَّنْزِيهُ الذي يُخَيَّلُ لَكَ فَوْقَ العَرْشِ فَهُوَ أَيْضًا دَاخِلٌ فِي دَائِرَةِ التَّشْبِيهِ وَذَلِكَ المَكْشُوفُ المُنَزَّهُ مِنْ عَالَمِ الأَرْوَاحِ فَإِنَّ العَرْشَ مُحَدِّدُ الجِهَاتِ وَمُنْتَهَى الأَبْعَادِ وَعَالَمِ الأَرْوَاحِ وَرَاءَ عَالَمِ الجِهَاتِ وَالأَبْعَادِ فَإِنَّ الرُّوحَ لاَ مَكَانِيَّةَ لاَ يَسَعُهَا المَكَانُ. وَإِثْبَاتُ الرُّوحِ فِيمَا وَرَاءَ العَرْشِ يُوهِمُكَ أَنَّهَا بَعِيدَةٌ عَنْكَ وَالمَسَافَةُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا طَوِيلَةٌ فَإِنَّ الأَمْرَ لَيْسَ كَذَلِكَ لأَنَّ نِسْبَةَ الرُّوحِ

مَعَ وُجُود لاَ مَكَانِيَّتِهَا مُسَاوِيَةٌ إِلى جَمِيعِ الأَزْمِنَة وَالقَوْل بِأَنَّهَا وَرَاءَ العَرْشِ لَهُ مَعْنًى آخَرُ لاَ تَعْرِفُهُ حَتَّى تَبْلغَ هُنَاكَ.

وَطَائِفَةٌ مِنَ الصُّوفِيَّة لَمَّا وَصَلوا إلى التَّنْزِيه الرُّوحِيِّ وَوَجَدُوهَا فَوْقَ العَرْشِ تَخَيَّلُوهُ تَنْزِيهًا إلهيًّا - جَل شَأْنُهُ - وَظَنُّوا عُلومَ ذَلكَ المَقَام وَمَعَارِفَهُ مِنْ غَوَامِضِ العُلومِ وَحَلوا أَسْرَارَ الاسْتِوَاء في هَذَا المَقَامِ وَالحَقُّ أَنَّ ذَلكَ النُّورَ نُورُ الرُّوحِ وَقَدْ عُرِضَ للفَقيرِ أَيْضًا مِثْل هَذَا الاشْتبَاه عِنْدَ حُصُول ذَلكَ المَقَامِ وَلكِنْ لَمَّا أَدْرَكَتْني عِنَايَةُ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَرَقَّتْنِي مِنْ تِلكَ الوَرْطَة عَلمْتُ أَنَّ ذَلكَ النُّورَ كَانَ نُورَ الرُّوحِ لاَ النُّورَ الإِلهِيَّ.

الحَمْدُ للهِ الذي هَدَانَا لهَذَا وَمَا كُنَّا لنَهْتَديَ لوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللهُ، وَحَيْثُ كَانَتْ الرُّوحُ لاَ مَكَانِيَّةً وَمَخْلوقَةً عَلى صُورَةٍ لاَ مِثَاليَّة فَلاَ جَرَمَ تَكُونُ مَحَل اشْتبَاهٍ وَاللهُ يُحِقُّ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدي السَّبِيل.

وَجَمَاعَةٌ مِنْهُمْ يَنْزلونَ آخذينَ ذَلكَ النُّورَ يَعْني نُورَ الرُّوحِ التي فَوْقَ العَرْشِ وَيَحْصُل لَهُمُ البَقَاءُ بِه فَيَظُنُّونَ أَنْفُسَهُمْ جَامعينَ بَيْنَ التَّشْبيه وَالتَّنْزيه فَإِنْ وَجَدُوا ذَلكَ النُّورَ مُنْفَكًّا عَنْهُمْ يَتَصَوَّرُونَ ذَلكَ مَقَام الفَرْق بَعْدَ الجَمْعِ وَأَمْثَال هَذه المُغَالطَة فيمَا بَيْنُ الصُّوفيَّة كَثيرَةٌ وَهُوَ سُبْحَانَهُ العَاصِمُ عَنْ مَظَانِّ الأَغْلاَط وَمَحَل الاحْتيَاط.

وَيَنْبَغي أَنْ يُعْلمَ أَنَّ الرُّوحَ وَإِنْ كَانَتْ بِالنِّسْبَة إِلى العَالمِ لاَ مِثْليَّةً وَلكنَّهَا بِالنِّسْبَة إِلى اللاَّمِثْليِّ الحَقيقيِّ دَاخلَةٌ في دَائرَة المِثْليِّ وَكَأَنَّهَا بَرْزَخٌ بَيْنَ العَالمِ المِثْليِّ وَبَيْنَ جَنَاب القُدْسِ الحَقيقيِّ فَفيهَا وَصْفُ الطَّرَفَيْنِ وَكلاَ الاعْتبَارَيْنِ صَحيحٌ فيهَا بخلاَف اللاَّمِثْليِّ الحَقيقيِّ فَإنّه لاَ سَبيل للمثْليِّ إِلَيْه أَصْلاً فَمَا لَمْ يَعْرُجْ السَّالكُ مِنْ جَميعِ مَقَامَات الرُّوحِ لاَ يَصِل إِلى ذَلكَ الاسْمِ فَيَنْبَغي أَوَّلاً أَنْ يَتَجَاوَزَ جَميعَ طَبَقَات السَّمٰوَات حَتَّى العَرْشِ وَالخُرُوجُ منْ لوَازمِ المَكَان بِالتَّمَام ثُمَّ يَلزَمُ ثَانيًا طَيُّ مَرَاتبَ لاَ مَكَانيَّة عَالمِ الأَرْوَاحِ فَيَصل في ذَلكَ الوَقْت إِلى ذَلكَ الاسْمِ، شعْرٌ:

وَيَظُنُّ مَوْلاَنَا بِأَنَّهُ وَاصِل   مَا آنَ لَهُ غَيْرُ الظُّنُون حَاصِل

فَهُوَ سُبْحَانُهُ وَرَاءَ الوَرَاء فَإِنَّ وَرَاءَ عَالمِ الخَلق هَذَا عَالمُ الأَمْر وَوَرَاءَ عَالمِ الأَمْرِ مَرَاتبُ الأَسْمَاء وَالشُّئُونَات ظلاً وَأَصَالةً وَإِجْمَالاً وَتَفْصيلاً فَيَنْبَغي طَلبُ المَطْلوب الحَقيقيِّ فيمَا وَرَاءَ هَذه المَرَاتب الظِّليَّة وَالأَصْليَّة وَالكَوْنيَّة وَالإِلهيَّة وَالإِجْمَاليَّة وَالتَّفْصيليَّة فَمَنْ ذَا الذي يَنْعَمُ به عَليْه وَأَيُّ صَاحب دَوْلة يَشْرُفُ بِهَذه الدَّوْلة - ذَلكَ فَضْل الله يُؤْتيه مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْل العَظيمِ -.

يَنْبَغِي للعَاقِل أَنْ يَكُونَ عَالي الهمَّة وَأَنْ لاَ يَقْنَعَ بِكُلمَا يَتَيَسَّرُ فِي الطَّرِيقِ وَأَنْ يَطْلبَ المَطْلوبَ فِي مَا وَرَاءَ الوَرَاء، شِعْرٌ:

كَيْفَ الوُصُول إلى سُعَادَ وَدُونَهَا   قُلل الجبَال وَدُونَهُنَّ حُيُوفُ

تَنْبِيــــــهٌ آخَــــرُ

اعْلَمْ أَنَّ دَوَامَ الوَقْت وَاسْتمْرَارَهُ مُسَلمٌ لشَخْص تَشَرَّفَ بالبَقَاء بالله بَعْدَ تَحَقُّقه بالفَنَاء المُطْلق وَتَبَدَّل عِلْمُهُ الحُصُولِيُّ حُضُوريًّا وَلنُوَضِّحَ هَذَا المَبْحَث بِبَيَان.

اعْلَمْ أَنَّ كُل علمٍ يَحْصُل للعَالم منْ وَرَاء ذَاته فَطَرِيقُ حُصُوله لَهُ هُوَ حُصُول صُورَةِ المَعْلومِ فِي ذِهْنِ العَالِمِ وَكُل علمٍ لاَ يَحْتَاجُ فِي حُصُوله إلى حُصُول الصُّورَة وَهُوَ علمُ الإنْسَان بذَاته فَهُوَ علمٌ حُضُوريٌّ فَإنَّ الذَّاتَ حَاضرَةٌ عنْدَ العَالمِ بنَفْسهَا وَمَا دَامَتْ صُورَةُ المَعْلوم حَاصلةً فِي العلم الحُصُولِي فَهُوَ مَعْلومٌ فِي ذهْنِ المُتَوَجِّه فَإذَا زَالتْ الصُّورَةُ عَنِ الذِّهْنِ زَال ذَلكَ التَّوَجُّهُ الذِّهْنِيُّ فَدَوَامُ التَّوَجُّه فِي العلمِ الحُصُوليِّ مُحَال عَاديٌّ بخلاَفه في العلمِ الحُضُوريِّ فَإنَّ الغَفْلَةَ عَنِ المَعْلوم غَيْرُ مُتَصَوَّرَة هُنَاكَ فَإنَّ مَنْشَأَ تُحقّق ذَلكَ العلمِ حُضُورُ ذَات العَالِمِ وَحَيْثُ كَانَ ذَلكَ الحُضُورُ دَائميًّا فَالعلمُ بالذَّات أَيْضًا يَكُونُ دَائميًّا وَزوَال التَّوَجُّه إلى ذَاته غَيْرُ مُمْكنٍ وَفِي البَقَاء بالله علمٌ حُضُوريٌّ لاَ يُتَصَوَّرُ زَوَالُهُ.

وَلاَ تَظُنَّنَّ أَنَّ البَقَاءَ بالله عبَارَةٌ عَنْ أَنْ يَجدَ السَّالكُ نَفْسَهُ عَيْنَ الحَقِّ كَمَا عَبَّرَ البَعْضُ منْ هَذه الطَّائفَة عَنْ حَقِّ اليَقين بهَذه العبَارَة فَإنَّهُ لَيْسَ كَذَلكَ فَإنَّ البَقَاءَ بالله الذي تَيَسَّرَ بَعْدَ الفَنَاء المُطْلق لاَ يُنَاسبُهُ أَمْثَال هَذه العُلومِ وَحَقُّ اليَقين الذي قَالَهُ البَعْضُ مُنَاسبٌ لبَقَاء يَحْصُل فِي الجَذْبَة وَالبَقَاءُ الذي هُوَ مَقْصُودُنَا غَيْرُ ذَلكَ، شعْرٌ:

فَوَالله لاَ تَدْرِي لذِي الخَمْرِ لذَّةً   وَلاَ نَشْوَةً حَتَّى تَذُوقَ وَتَسْكَرَا

فَاسْتمْرَارُ التَّوَجُّه وَدَوَامُ الحُضُورِ إنَّمَا ثَبَتَا فِي البَقَاء بالله وَلاَ إمْكَانَ لدَوَام التَّوَجُّه قَبْلَ التَّحَقُّقِ بالبَقَاء بالله وَإنْ تُوُهِّمَ ذَلكَ المَعْنَى لكَثيرينَ قَبْلَ الوُصُول إلى هَذَا المَقَام خُصُوصًا فِي الطَّرِيقَة العَليَّة النَّقْشَبَنْديَّة قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَ أَهْلهَا وَالحَقُّ مَا حَقَّقْتُ وَالصَّوَابُ مَا أُلهمْتُ وَاللهُ - سُبْحَانَهُ - أَعْلَمُ بالصَّوَاب وَإليْه المَرْجعُ وَالمَآبُ الحَمْدُ لله رَبِّ العَالمينَ أَوَّلاً وَآخرًا وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى رَسُوله دائمًا وَسَرْمَدًا.

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالثَّمَانُونَ وَالمائَتَان
إلى مَوْلانَا أَمَان الله الفقيه
في بَيَان أَنَّ الاعْتِقَادَ الصَّحِيحَ هُوَ المَأْخُوذُ منَ الكتَاب وَالسُّنَّة على وَفْقِ آرَاء أَهْل السُّنَّة وَالجمَاعَة
وَفي رَدِّ مَنْ يَسْتَنْبطُ منَ الكتَاب وَالسُّنَّة خلافَ مُعْتَقَدَات أَهْل السُّنَّة وَالجمَاعَة وَأَدْرَكُوا بالكَشْف خلافَ مَا عَلَيْه أَهْل الحَقِّ
بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَن الرَّحِيم

اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ وَأَلهمَكَ سَوَاءَ الصِّرَاط أَنَّ منْ جُمْلة ضَرُوريَّات الطَّرِيق للسَّالك الاعْتقَادُ الصَّحِيحُ الذي اسْتَنْبَطَهُ عُلمَاءُ أَهْل السُّنَّة وَالجمَاعَة منَ الكتَاب وَالسُّنَّة وَآثَار السَّلف وَحَمْل الكتَاب وَالسُّنَّة على المَعَاني التي فَهمَهَا جُمْهُورُ أَهْل الحَقِّ يَعْني عُلمَاءَ أَهْل السُّنَّة وَالجمَاعَة منْهُمَا أَيْضًا ضَرُوريٌّ فَإنْ ظَهَرَ فَرْضًا بطَريق الكَشْف وَالإلهَام مَا يُخَالفُ تلكَ المَعَاني المَفْهُومَة يَنْبَغي أَنْ لاَ يَعْتَبرَهُ وَأَنْ يَسْتَعيذَ منْهُ مثْل الآيَات وَالأَحَاديث التي يُفْهَمُ منْ ظَوَاهرهَا التَّوْحيدُ الوُجُوديُّ وَكَذَلكَ الإحَاطَةُ وَالسَّرَيَانُ وَالقُرْبُ وَالمَعيَّةُ الذَّاتيَّةُ وَلَمْ يَفْهَمْ عُلمَاءُ أَهْل الحَقِّ منْ تلكَ الآيَات وَالأَحَاديث هَذه المَعَاني فَإنْ انْكَشَفَ للسَّالك في أَثْنَاء الطَّريق هَذه المَعَاني بأَنْ لاَ يَرَى غَيْرَ مَوْجُود وَاحد أَوْ بأَنْ يُدْركَ أَنَّ اللهَ - تَعَالى - مُحيطٌ بالذَّات أَوْ وَجَدَهُ قَريبًا بالذَّات فَهُوَ وَإنْ كَانَ مَعْذُورًا في ذَلكَ بسَبَب غَلبَة الحَال وَسُكْر الوَقْت فيمَا هُنَالكَ وَلكنْ يَنْبَغي لهُ أَنْ يَكُونَ مُلتَجئًا إلى الله - تَعَالى - وَمُتَضَرِّعًا إلَيْه دَائمًا لأَنْ يُخلصَهُ منْ هَذه الوَرْطَة وَأَنْ يَكْشفَ لهُ أُمُورًا مُطَابقَةً لآرَاء عُلمَاء أَهْل الحَقِّ وَأَنْ لاَ يَظْهَرَ لهُ مَا يُخَالفُ مُعْتَقَدَاتهمُ الحَقَّةَ وَلَوْ مقْدَارَ شَعْرَة.

وَبالجُمْلة يَنْبَغي أَنْ يَجْعَل المَعَانيَ التي كَانَتْ مَفْهُومَةً لعُلمَاء أَهْل الحَقِّ مصْدَاقَ الكَشْف وَأَنْ لاَ يَجْعَل مَحكَّ الإلهَام غَيْرَهَا فَإنَّ المَعَانيَ المُخَالفَةَ للمَعَاني المَفْهُومَة لهُمْ سَاقطَةٌ عَنْ حَيِّز الاعْتبَار لأَنَّ كُل مُبْتَدع ضَال يَزْعُمُ أَنَّ مُقْتَدَى مُعْتَقَدَاته وَمَأْخَذَهَا الكتَابُ وَالسُّنَّةُ فَإنَّهُ يُفْهَمُ منْهُمَا بحَسَب إفْهَامه الرَّكيكَة مَعَان غَيْرُ مُطَابقَة يُضل به كَثيرًا وَيَهْدي به كَثيرًا وَإنَّمَا قُلتُ إنَّ المُعْتَبَرَ هُوَ المَعَاني المَفْهُومَةُ لعُلمَاء أَهْل الحَقِّ وَأَنَّ مَا سوَاهَا ممَّا يُخَالفُهَا غَيْرُ مُعْتَبَرَة بنَاءً على أَنَّهُمْ أَخَذُوا تلكَ المَعَانيَ منْ تَتَبُّع آثَار الصَّحَابَة وَالسَّلف الصَّالحينَ رضْوَانُ الله - تَعَالى - عَلَيْهمْ

أَجْمَعِينَ وَاقْتَبَسُوهَا مِنْ أَنْوَارِ نُجُومِ هِدَايَتِهِمْ وَلِهَذَا صَارَتْ النَّجَاةُ الأَبَدِيَّةُ مَخْصُوصَةً بِهِمْ وَالفَلاَحُ السَّرْمَدِيُّ نَصِيبًا لَهُمْ أُولئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ المُفْلِحُونَ.

فَإِنْ تَدَاهَنَ بَعْضُ العُلَمَاءِ فِي الفَرْعِيَّات وَارْتَكَبُوا التَّقْصِيرَات فِي العَمَلِيَّات مَعَ وُجُود حَقِّيَّة الاعْتِقَاد لاَ يَنْبَغِي بِسَبَب ذَلِكَ أَنْ يُنْكِرَ العُلَمَاءَ مُطْلَقًا وَأَنْ يَطْعَنَ فِيهِمْ كُلِّيًا فَإِنَّ ذَلِكَ مَحْضُ عَدَمِ الإِنْصَاف وَصِرْفُ المُكَابَرَة بَل إِنْكَارُ أَكْثَرِ ضَرُورِيَّات الدِّينِ فَإِنَّ نَاقِلِي تِلْكَ الضَّرُورِيَّات هُمُ العُلَمَاءُ وَنَاقِدِي جَيِّدِهَا عَنْ رَدِيئِه العُلَمَاءُ فَلَوْلاَ نُورُ هِدَايَتِهِمْ لَمَا اهْتَدَيْنَا وَلَوْلاَ تَمْيِيزُهُمُ الصَّوَابَ عَنِ الخَطَإِ لَغَوَيْنَا وَهُمُ الذِينَ بَذَلُوا جُهْدَهُمْ فِي إِعْلاَءِ كَلِمَةِ الدِّينِ القَوِيمِ وَسَلَكُوا بِأُنَاسٍ كَثِيرَةٍ إِلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ فَمَنْ تَابَعَهُمْ نَجَا وَأَفْلَحَ وَمَنْ خَالَفَهُمْ ضَلَّ وَأَضَلَّ مِنَ الطَّرِيقِ الأَوْضَحِ.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ مُعْتَقَدَات الصُّوفِيَّة بِالأُخْرَى أَعْنِي بَعْدَ تَمَامِ مَنَازِلِ السُّلُوكِ وَالوُصُول إِلى أَقْصَى دَرَجَات الوِلاَيَة هِيَ عَيْنُ مُعْتَقَدَات أَهْلِ الحَقِّ لِلعُلَمَاءِ بِالنَّقْلِ وَالاسْتِدْلاَل وَلِلصُّوفِيَّة بِالكَشْف وَالإِلهَام وَإِنْ ظَهَرَ لِبَعْضِ الصُّوفِيَّة فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيق بِوَاسِطَة السُّكْرِ وَغَلَبَة الحَال مَا يُخَالِفُ تِلْكَ المُعْتَقَدَات وَلَكِنْ إِذَا جَاوَزَ تِلْكَ المَقَامَات وَبَلَغ نِهَايَةَ الأَمْرِ تَكُونُ تِلْكَ المُخَالَفَةُ هَبَاءً مَنْثُورًا وَإِلاَّ فَيَبْقَى عَلى تِلْكَ المُخَالَفَة وَلَكِنَّ المَرْجُوَّ أَنْ لاَ يُؤَاخَذَ بِهَا فَإِنَّ حُكْمَهُ حُكْمُ المُجْتَهِد المُخْطِئِ وَالمُجْتَهِدُ مُخْطِئٌ فِي الاسْتِنْبَاط وَهُوَ فِي الكَشْف وَمِنْ جُمْلَة مُخَالَفَات هَذِه الطَّائِفَة الحُكْمُ بِوَحْدَة الوُجُود وَالإِحَاطَة وَالقُرْب وَالمَعِيَّة الذَّاتِيَّات كَمَا مَرَّ وَكَذَلِكَ إِنْكَارُهُمْ وُجُود الصِّفَات السَّبْعَة أَوْ الثَّمَانِيَة فِي الخَارِج بِوُجُود زَائِد عَلى ذَات الحَقِّ - جَل شَأْنُهُ - فَإِنَّ عُلَمَاءَ أَهْلِ السُّنَّة ذَاهِبُونَ إِلى وُجُودِهَا فِي الخَارِجِ بِوُجُودٍ زَايِدٍ عَلى وُجُود الذَّات.

وَمَنْشَأُ إِنْكَارِهِمْ هُوَ أَنَّ مَشْهُودَهُم فِي ذَلِكَ الوَقْت هُوَ الذَّاتُ فِي مِرْآةِ الصِّفَات وَمَعْلومٌ أَنَّ المِرْآةَ تَكُونُ مُخْتَفِيَةً مِنْ نَظَرِ الرَّائِي فَحَكَمُوا بِعَدَمِ وُجُودِهَا فِي الخَارِجِ بِوَاسِطَة ذَلِكَ الاخْتِفَاء وَظَنُّوا أَنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَوْجُودًا لَكَانَتْ مَشْهُودَةً وَحَيْثُ لاَ شُهُودَ فَلاَ وُجُودَ وَطَعَنُوا فِي العُلَمَاء بِسَبَب حُكْمِهِمْ بِوُجُود الصِّفَات بَل حَكَمُوا بِالكُفْرِ وَالثَّنَوِيَّة أَعَاذَنَا اللهُ - سُبْحَانَهُ - مِنَ الجَرَاءَة عَلى الطَّعْنِ فَإِنْ تَيَسَّرَ

لَهُمُ التَّرَقِّي مِنْ هَذَا المَقَامِ وَخَرَجَ شُهُودُهُمْ مِنْ هَذَا الحِجَابِ وَزَالَ حُكْمُ المَرَاتِبِ لَرَأَوْا الصِّفَاتِ مُغَايِرَةً لِلذَّاتِ وَلَمَا أَنْكَرُوهَا وَلَمَا انْجَرَّ أَمْرُهُمْ إِلَى طَعْنِ أَكَابِرِ العُلَمَاءِ.

وَمِنْ جُمْلَةِ مُخَالَفَاتِهِمْ حُكْمُهُمْ بِبَعْضِ أُمُورٍ يَسْتَلْزِمُ كَوْنَهُ - تَعَالَى - فَاعِلاً بِالإِيجَابِ فَإِنَّهُمْ وَإِنْ لَمْ يُطْلِقُوا لَفْظَ الإِيجَابِ وَأَثْبَتُوا الإِرَادَةَ لَكِنَّهُمْ يَنْفُونَ الإِرَادَةَ فِي الحَقِيقَةِ وَهُمْ يُخَالِفُونَ جَمِيعَ أَهْلِ المِلَلِ فِي هَذَا الحُكْمِ فَمِنْ جُمْلَةِ هَذِهِ الأُمُورِ حُكْمُهُمْ بِأَنَّ اللهَ - تَعَالَى - قَادِرٌ بِقُدْرَةٍ بِمَعْنَى إِنْ شَاءَ فَعَلَ وَإِنْ شَاءَ لَمْ يَفْعَلْ وَيَقُولُونَ بِأَنَّ الشَّرْطِيَّةَ الأُولَى وَاجِبَةُ الصِّدْقِ وَالثَّانِيَةَ مُمْتَنِعَةُ الصِّدْقِ وَهَذَا قَوْلٌ بِالإِيجَابِ بَلْ إِنْكَارُ القُدْرَةِ بِالمَعْنَى المُقَرَّرِ عِنْدَ أَهْلِ المِلَلِ فَإِنَّ القُدْرَةَ عِنْدَهُمْ بِمَعْنَى صِحَّةِ الفِعْلِ وَالتَّرْكِ وَاللاَّزِمُ لِقَوْلِهِمْ وُجُوبُ الفِعْلِ وَامْتِنَاعُ التَّرْكِ فَأَيْنَ أَحَدُهُمَا مِنَ الآخَرِ وَمَذْهَبُهُمْ فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ هُوَ بِعَيْنِهِ مَذْهَبُ الفَلاَسِفَةِ وَإِثْبَاتُ الإِرَادَةِ مَعَ القَوْلِ بِوُجُوبِ صِدْقِ الأُولَى وَامْتِنَاعِ صِدْقِ الثَّانِيَةِ، وَامْتِيَازُهُمْ عَنِ الفَلاَسِفَةِ بِهَذَا الإِثْبَاتِ غَيْرُ نَافِعٍ فَإِنَّ الإِرَادَةَ هِيَ تَخْصِيصُ أَحَدِ المُتَسَاوِيَيْنِ فَحَيْثُ لاَ تَسَاوِيَ لاَ إِرَادَةَ وَهَهُنَا التَّسَاوِي مَعْدُومٌ لِلْوُجُوبِ وَالامْتِنَاعِ فَافْهَمْ.

وَمِنْ جُمْلَةِ تِلْكَ الأُمُورِ بَيَانُهُمْ فِي مَسْأَلَةِ القَضَاءِ وَالقَدَرِ عَلَى نَهْجٍ ظَاهِرُهُ إِثْبَاتُ الإِيجَابِ فَمِنْ جُمْلَةِ عِبَارَاتِهِمْ فِي هَذَا المَبْحَثِ هَذِهِ العِبَارَةُ: الحَاكِمُ مَحْكُومٌ وَالمَحْكُومُ حَاكِمٌ وَجَعْلُ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - مَحْكُومَ أَحَدٍ وَإِثْبَاتُ حَاكِمٍ عَلَيْهِ مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنْ إِثْبَاتِ الإِيجَابِ مُسْتَقْبَحٌ جِدًّا إِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ القَوْلِ وَزُورًا. وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِنَ المُخَالَفَاتِ كَثِيرَةٌ كَقَوْلِهِمْ بِعَدَمِ إِمْكَانِ رُؤْيَةِ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - إِلاَّ بِالتَّجَلِّي الصُّورِيِّ وَهَذَا القَوْلُ مُسْتَلْزِمٌ لإِنْكَارِ رُؤْيَةِ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَالرُّؤْيَةُ الَّتِي جَوَّزُوهَا بِالتَّجَلِّي الصُّورِيِّ لَيْسَتْ هِيَ فِي الحَقِيقَةِ رُؤْيَةَ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - بَلْ هِيَ ضَرْبٌ مِنَ الشُّبَهِ وَالمِثَالِ، شِعْرٌ:

يَرَاهُ المُؤْمِنُونَ بِغَيْرِ كَيْفٍ وَإِدْرَاكٍ وَضَرْبٍ مِنْ مِثَالِ

وَكَقَوْلِهِمْ بِقِدَمِ أَرْوَاحِ الكُمَّالِ وَأَزَلِيَّتِهَا وَهَذَا القَوْلُ أَيْضًا مُخَالِفٌ لِمَا عَلَيْهِ أَهْلُ الإِسْلاَمِ فَإِنَّ عِنْدَهُمُ العَالَمُ بِجَمِيعِ أَجْزَائِهِ مُحْدَثٌ وَالأَرْوَاحُ مِنْ جُمْلَةِ العَالَمِ لأَنَّ العَالَمَ لِجَمِيعِ مَا سِوَى اللهِ - تَعَالَى - فَافْهَمْ.

فَيَنْبَغِي لِلسَّالِكِ قَبْلَ بُلُوغِهِ كُنْهَ الأَمْرِ وَحَقِيقَتَهُ أَنْ يَعُدَّ تَقْلِيدَ عُلَمَاءِ أَهْلِ الحَقِّ لاَزِمًا لِنَفْسِهِ مَعَ وُجُودِ مُخَالَفَةِ كَشْفِهِ وَإِلْهَامِهِ وَأَنْ يَعْتَقِدَ العُلَمَاءَ مُحِقِّينَ وَنَفْسَهُ مُخْطِئًا لأَنَّ مُسْتَنَدَ العُلَمَاءِ تَقْلِيدُ الأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ -

المُؤَيَّدِينَ بِالوَحْيِ القَطْعِي المَعْصُومَيْنِ عَنِ الخَطَأ وَالغَلط، وَكَشْفُهُ وَإِلْهَامُهُ عَلَى تَقْدِير مُخَالفَتِه للأَحْكَامِ الثَّابتَة خَطَأٌ وَغَلطٌ فَتَقْدِيمُ الكَشْف عَلَى أَقْوَال العُلمَاء تَقْدِيمٌ لهُ فِي الحَقِيقَة عَلى الأَحْكَامِ القَطْعِيَّة المُنَزَّلة وَهُوَ عَيْنُ الضَّلالة وَمَحْضُ الخَسَارَة.

وَكَمَا أَنَّ الاعْتقَادَ بمُوجب الكتَاب وَالسُّنَّة ضَرُوريٌّ كَذَلكَ العَمَل بمُقْتَضَاهَا عَلى نَهْج اسْتَنْبَطَهُ الأَئِمَّةُ المُجْتَهدُونَ منْهُمَا وَاسْتَخْرَجُوا الأَحْكَامَ عَنْهُمَا منَ الحَلال وَالحَرَامِ وَالفَرْضِ وَالوَاجب وَالسُّنَّة وَالمُسْتَحَبِّ وَالمَكْرُوه وَالمُشْتَبه، وَالعلمُ بهَذه الأَحْكَامِ أَيْضًا ضَرُوريٌّ وَلاَ يَجُوزُ للمُقَلد أَخْذُ الأَحْكَام منَ الكتَاب وَالسُّنَّة عَلى خلاَف رَأْي المُجْتَهد وَأَنْ يَعْمَل بهَا وَيَنْبَغي أَنْ يَختَارَ فِي العَمَل القَوْلَ المُختَارَ فِي مَذْهَب مُجْتَهده الذي قَلدَهُ وَتَبعَهُ وَأَنْ يَعْمَل بالعَزيمَة مُجْتَنبًا عَنِ البدَع وَأَنْ يَسْعَى فِي جَمْعِ أَقْوَال المُجْتَهدينَ مَهْمَا أَمْكَنَ ليَقعَ العَمَل عَلى القَوْل المُتَّفَق عَليْه مَثَلاً أَنَّ الإِمَامَ الشَّافعيَّ اشْتَرَطَ النِّيَّةَ فِي الوُضُوء فَلاَ يَتَوَضَّأُ بلاَ نيَّة وَكَذَلكَ قَال بفَرْضيَّة التَّرْتيب فِي غَسْل الأَعْضَاء فَيَلتَزمُ التَّرْتيبَ وَافْتَرَضَ الإِمَامُ مَالكٌ الدَّلكَ فِي غَسْل الأَعْضَاء فَيُدَلكُ أَلبَتَّةَ وَكَذَلكَ قَالوا يُنْقضُ الوُضُوءُ بمَسِّ النِّسَاء وَالذَّكَر فَيُجَدِّدُ الوُضُوءَ إنْ مَسَّ أَحَدَهُمَا وَعَلى هَذَا القيَاس فِي سَائِر الأَحْكَام الخلاَفيَّة وَبَعْدَ حُصُول هَذَيْنِ الجَنَاحَيْنِ الاعْتقَاديِّ وَالعَمَليِّ يَكُونُ مُتَوَجِّهًا نَحْوَ العُرُوجِ إِلى مَدَارِجِ القُرْب الإِلهيِّ - جَل سُلطَانُهُ - وَطَالبًا لقَطْعِ المَنَازل الظُّلمَانيَّة وَالمَسَالك النُّورَانيَّة وَلكنْ يَنْبَغي أَنْ يُعْلمَ أَنَّ ذَلكَ العُرُوجَ وَقَطْعَ المَنَازل مَرْبُوطٌ بتَوَجُّه شَيْخٍ كَامل مُكَمِّل عَالم بالطَّريق بَصير به هَاد إِليْه، نَظَرُهُ شفَاءُ الأَمْرَاض القَلبيَّة وَتَوَجُّهُهُ دَافعُ الأَخْلاَق الرَّديَّة الغَيْر المَرْضيَة فَليَطْلُبْ أَوَّلاَ الشَّيْخَ فَإنْ عَرَفَهُ بمَحْض فَضْل الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - فَليَلزَمْهُ مُعْتَقدًا أَنَّ مَعْرفَتَهُ إِيَّاهُ نعْمَةٌ عُظْمَى وَليَكُنْ مُنْقَادًا لهُ فِي تَصَرُّفَاته بكُليَّته قَال شَيْخُ الإِسْلاَم الهَرَويُّ: إِلهي مَا هَذَا الذي جَعَلتَ أَوْليَاءَك بحَيْثُ مَنْ عَرَفَهُمْ وَجَدَكَ وَمَا لمْ يَجدْكَ لمْ يَعْرفْهُم وَيَفْنَى اخْتيَارُهُ فِي اخْتيَار شَيْخه بالكُليَّة وَيُخلي نَفْسَهُ عَنْ جَميعِ المُرَادَات وَيَشُدُّ نطَاقَ الهمَّة فِي خدْمَته وَيَسْعَى سَعْيًا بَليغًا فِي امْتثَال جَميعِ مَا يَأْمُرُ به شَيْخُهُ مُعْتَقدًا بأَنَّ رَأْسَ مَال سَعَادَته فيه،

فَإِنْ رَأَى الشَّيْخُ المُقْتَدَى به أَنَّ المُنَاسبَ لاسْتعْدَاده الذِّكْرَ يَأْمُرُهُ به وَإِنْ رَأَى أَنَّ المُنَاسبَ التَّوَجُّهُ وَالمُرَاقَبَةُ يُشيرُ بهمَا أَيْضًا فيمَا هُنَالكَ وَإِنْ لحَلمَ الكفَايَة بمُجَرَّد الصُّحْبَة يَأْمُرُهُ أَيْضًا بذَلكَ.

وَبِالجُمْلَة إنَّ الاحْتِيَاجَ إلى الذِّكْرِ مَعَ وُجُود صُحْبَة الشَّيْخِ لَيسَ شَرْطًا مِنْ شَرَائِط الطَّرِيق أَصْلاً بَل يَأْمُرُ الشَّيْخُ بِكُل مَا يرَاهُ مُنَاسِبًا لِحَال الطَّالب فَإِنْ وَقَعَ مِنْهُ تَقْصِيرٌ فِي بَعْضِ شَرَائِطِ الطَّرِيقِ يَتلافَاهُ بِصُحْبَةِ الشَّيْخِ فَيَكُونُ تَوَجُّهُهُ جَابِرًا لِنُقْصَانِه.

وَمَنْ لَمْ يَتشَرَّفْ بِصُحْبَة مِثْل هَذَا الشَّيْخِ فَإِنْ كَانَ مِنَ المَرَادِينَ بِجَذْبه الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَيَجْتَبِيه إِلَيْه وَيَكْفِيه أَمْرَهُ بِمَحْض عِنَايَته التي لاَ غَايَةَ لهَا وَلاَ نهَايَةَ وَيُعَلمُهُ كُل شَرْط وَأَدَب لاَزِمٍ لَهُ وَيجْعَل رُوحَانيَّةَ بَعْضِ الأَكَابِرِ وَسَائِل طَرِيقه وَدَليله فِي قَطْعِ مَنَازِل السُّلوك فَإِنَّ تَوَسُّطَ رُوحَانيَّات المَشَايخِ فِي قَطْعِ طَرِيقِ السُّلوك لاَزِمٌ بِطَرِيقِ جَرَى عَادَةَ الله - سُبْحَانَهُ - وَإِنْ كَانَ مِنَ المُرِيدِينَ فَأَمْرُهُ مِنْ غَيْرِ تَوَسُّط شَيْخٍ مُقْتَدًى بِه مُشْكِل فَيَنْبَغِي أَنْ يَلتجِئَ إِلَى الله - سُبْحَانَهُ - دائمًا إِلَى أَنْ يَصِل إِلَى شَيْخٍ مُقْتَدًى بِه.

وَيَنْبَغِي أَيضًا أَنْ يَعُدَّ رِعَايَةَ شَرَائط الطَّرِيق لاَزِمَةً وَقَدْ بَيَّنْتُ تلكَ الشَّرَائطَ فِي كُتُب المَشَايخِ تَفْصِيلاً فَيَنْبَغِي مُرَاجعَتُهَا وَمُلاَحَظَةُ مَا فِيهَا وَرِعَايَتُهَا بَعْدَ ذَلكَ وَمُعْظَمُ شَرَائط الطَّرِيق مُخَالفَةُ النَّفْسِ وَهِيَ مَوْقُوفَةٌ عَلى رِعَايَة مَقَامِ الوَرَعِ وَالتَّقوَى الذي هُوَ الانْتِهَاءُ مِنَ المَحَارِمِ وَالانْتِهَاءُ مِنَ المَحَارِمِ لاَ يُتَصَوَّرُ إلاَّ بَعْدَ الاجْتنَاب مِنْ فُضُول المُبَاحَات فَإِنَّ إرْخَاءَ العنَان فِي ارْتكَاب المُبَاحَات يُفْضِي إلى ارْتِكَاب المُشْتَبِهَات وَالمُشْتَبَهُ قَرِيبٌ مِنَ المُحَرَّمِ وَاحْتِمَال الوُقُوعِ فِيه أَقْوَى وَمَنْ حَامَ حَوْلَ الحِمَى يُوشكُ أَنْ يَقعَ فيه.

فَاجْتنَابُ المُحَرَّمَات كَانَ مَوْقُوفًا عَلى اجْتنَاب فُضُول المُبَاحَات فَلاَ بُدَّ فِي تَحقُّقِ الوَرَعِ مِنَ اجْتنَابِ فُضُول المُبَاحَات وَلاَ بُدَّ للتَّرَقِّي وَالعُرُوجِ مِنْ تَحقُّقِ الوَرَعِ فَإِنَّهُ مَرْبُوطٌ بِه.

وَبَيَانُهُ أَنَّ للأَعْمَال جُزْأَيْنِ امْتثَال الأَوَامِر وَالانْتِهَاءَ عَنِ المَنَاهِي وَالامْتثَال يُشَارِكُ فِيه القُدْسيُّونَ فَإِنْ وَقَعَ التَّرَقِّي بالامْتثَال فَقَطْ لوَقَعَ للقُدْسيِّينَ أَيْضًا، وَالانْتهَاءُ عَنِ المَنَاهِي خَاصٌّ بالإِنْسيِّينَ لَيسَ هُوَ فِي القُدْسيِّينَ فَإِنَّهُمْ مَعْصُومُونَ بالذَّات لَيْس فِيهِمْ مَجَال المُخَالفَة حَتَّى يُنْهَوْنَ عَنْهَا فَلزم كَوْنُ التَّرَقِّي مَرْبُوطًا بِهَذَا الجُزْءِ وَهَذَا الاجْتنَابُ هُوَ عَيْنُ مُخَالفَة النَّفْسِ فَإِنَّ الشَّرِيعَةَ إِنَّمَا وَرَدَتْ لرَفْعِ الأَهْوَاء النَّفْسَانيَّة وَدَفْعِ الرُّسُومِ الظُّلمَانيَّة فَإِنَّ مُقْتَضَى طَبِيعَة النَّفْسِ إمَّا ارْتكَابُ المُحَرَّم أَوْ ارْتكَابُ الفُضُول المُفْضِي أَخيرًا للمُحَرَّم فَاجْتنَابُ الفُضُول هُوَ عَيْنُ مُخَالفَة النَّفْسِ.

فَإِنْ قِيلَ: إنَّ في امْتِثَال الأَوَامر أَيْضًا مُخَالفَةَ النَّفْسِ فَإِنَّ النَّفْسَ لاَ تُرِيدُ الاشْتِغَال بالعبَادَة فَيَكُونُ الامْتِثَال أَيْضًا مُسْتَلزمًا للتَّرَقِّي وَفي المَلاَئكَة لَمَّا كَانَتْ مُخَالفَةُ الامْتِثَال مَفْقُودَةً لَمْ يَكُنْ سَبَبًا لتَرَقِّيهِمْ فَالقيَاسُ مَعَ الفَارِق قُلتُ: إنَّ عَدَمَ إرَادَة النَّفْسِ العبَادَةَ وَعَدَمَ رضَاهَا بهَا إنَّمَا هُوَ بسَبَب كَوْنهَا طَالبَةً لفَرَاغهَا بحَيْثُ لاَ تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مُقَيَّدَةً وَمَشْغُولةً بشَيْء وَهَذَا الفَرَاغ وَعَدَمُ الاشْتِغَال أَيْضًا دَاخلاَن في المُحَرَّم وَالفُضُول فَجَاءَتْ مُخَالفَةُ النَّفْسِ في امْتِثَال الأَوَامر منْ طُرُق اجْتنَاب المَرْحُوم وَالفُضُول لاَ منْ طَرِيق أَدَاء الأَوَامر يَعْني المَأْمُورَات فَقَطْ حَتَّى يُقَال: إنَّهُ مَوْجُودٌ في المَلاَئكَة أَيْضًا فَالقيَاسُ صَحيحٌ.

فَكُل طَرِيق مُخَالفَةُ النَّفْسِ فيه أَكْثَرُ فَهُوَ أَقْرَبُ الطُّرُق وَلاَ شَكَّ أَنَّ رعَايَةَ مُخَالفَة النَّفْسِ في طَرِيقَة النَّقْشبَنْديَّة أَكْثَرُ منْهَا في سَائر الطُّرُق فَإنَّ هَؤُلاَء الأَكَابرَ اخْتَارُوا العَمَل بالعَزِيمَة وَالاجْتنَاب عَن الرُّخْصَة وَمنَ المَعْلوم أَنَّ كُلاً منَ اجْتنَاب المُحَرَّم فَقَط.

فَإِنْ قِيلَ: يُمْكنُ أَنْ يَكُونَ المُخْتَارُ عنْدَ أَرْبَاب سَائر الطُّرُق أَيْضًا العَزِيمَةَ.

قُلتُ: إنَّ في أَكْثَر الطُّرُق سَمَاعًا وَرَقْصًا وَيَبْلُغ الأَمْرُ فيه حَدَّ الرُّخْصَة بَعْدَ تَمَحُّل كَثير وَأَيْنَ فيه المَجَال للعَزِيمَة بَعْد وَكَذَلكَ ذكْرُ الجَهْر لاَ يُتَصَوَّرُ فيه مَا فَوْقَ الرُّخْصَة وَقَدْ أَحْدَثَ مَشَائخُ سَائر الطُّرُق أُمُورًا مُحْدَثَةً في طُرُقهمْ لبَعْض نيَّات صَحيحَة، نهَايَةُ التَّصَحُّح في تلكَ الأُمُور الحُكْمُ بالرُّخْصَة بخلاَف أَكَابر هَذه السِّلسلة العَليَّة فَإنَّهُمْ لاَ يُجَوِّزُونَ مقْدَارَ شَعْرَة منْ مُخَالفَة السُّنَّة فَتَكُونُ مُخَالفَةُ النَّفْس في هَذَا الطَّرِيق أَتَمَّ فَيَكُونُ أَقْرَبَ الطُّرُق فَيَكُونُ اخْتيَارُ هَذَا الطَّرِيق للطَّالب أَوْلى وَأَنْسَبَ لأَنَّ الطُّرُقَ في نهَايَة الأَقْرَبيَّة وَالمَطْلَبَ في كَمَال الرِّفْعَة.

وَقَدْ تَرَكَ جَمَاعَةٌ منْ مُتَأَخِّري خُلفَائهمْ أَوْضَاعَ هَؤُلاَء الأَكَابر وَأَحْدَثُوا في هَذَا الطَّرِيق بَعْضَ الأُمُور وَاخْتَارُوا السَّمَاعَ وَالرَّقْصَ وَالجَهْرَ وَمَنْشَأُ ذَلكَ عَدَمُ الوُصُول إلى حَقيقَة نيَّات أَكَابر هَذه الطَّرِيقَة العَليَّة فَخَالوا أَنَّهُمْ يُكْملونَ وَيُتَمِّمُونَ هَذه الطَّرِيقَةَ بهَذه المُحَادَثَات وَالمُبْتَدعَات وَلَمْ يَدْرُوا أَنَّهُمْ يَسْعَوْنَ بهَا في تَخْرِيبهَا وَيَجْتَهدُونَ في إضَاعَتهَا وَاللهُ يُحقُّ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدي السَّبيل.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالثَّمَانُونَ وَالمِائَتَان
إِلَى أَخِيهِ الحَقِيقِيِّ مَنْبَعِ الحَقَائِقِ وَمَيَّان غُلَامِ مُحَمَّدٍ
فِي بَيَانِ الجَذْبَةِ وَالسُّلُوكِ
وَبَيَانِ المَعَارِفِ المُنَاسِبَةِ لِهَذَيْنِ المَقَامَيْنِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ الذي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالحَقِّ وَخَتَمَهُمْ بِأَفْضَلِهِمْ وَأَكْمَلِهِمْ مُحَمَّدٍ الذي جَاءَ بِالصِّدْقِ صَلَوَاتُ اللهِ - سُبْحَانَهُ - وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ وَعَلَى مَنْ تَابَعَهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ آمِينَ.

وَلَقَدْ رَأَيْتُ الطَّالِبِينَ يَنْزِلُونَ المَسْلَكَ الطَّوِيلَ وَالمَطْلَبَ الرَّفِيعَ بِوَاسِطَةِ دَنَاءَةِ الهِمَّةِ وَخِسَّةِ الفِطْرَةِ وَعَدَمِ وُجْدَانِ صُحْبَةِ الشَّيْخِ الكَامِلِ المُكَمِّلِ إِلَى مَنْزِلَةِ طَرِيقٍ قَصِيرٍ وَمَقْصِدٍ وَضِيعٍ وَيَقْنَعُونَ بِكُلِّمَا يَتَيَسَّرُ لَهُمْ فِي الطَّرِيقِ مِنْ حَقِيرٍ وَخَطِيرٍ وَيَظُنُّونَ ذَلِكَ مَقْصِدًا وَيَزْعُمُونَ أَنْفُسَهُمْ بِحُصُولِهِ كَمَلَةً وَأَرْبَابَ نِهَايَةٍ وَيُطَبِّقُونَ مِنْ خِسَّةِ الفِطْرَةِ وَاسْتِيلَاءِ قُوَاهُمُ المُتَخَيِّلَةِ أَحْوَالَهُمُ النَّاقِصَةَ عَلَى الأَحْوَالِ الكَامِلَةِ الَّتِي بَيَّنَهَا الكَمَلَةُ الوَاصِلُونَ مِنْ تَمَامِ أَمْرِهِمْ وَنِهَايَةِ سَيْرِهِمْ كَمَا قِيلَ، (ع):

وَصَارَ الفَأْرُ فِي رُؤْيَاهُ نَاقَةً

وَيَكْتَفُونَ مِنَ البَحْرِ المُحِيطِ بِقَطْرَةٍ بَلْ بِصُورَةِ قَطْرَةٍ وَمِنْ بَحْرِ عُمَانَ بِرَشْحَةٍ بَلْ بِصُورَةِ رَشْحَةٍ وَيَتَصَوَّرُونَ المِثَالِيَّ غَيْرَ المِثَالِيِّ وَيَسْكُنُونَ عَنْ غَيْرِ المُكَيَّفِ بِالمُكَيَّفِ وَيَتَخَيَّلُونَ المِثْلِيَّ لَا مِثْلِيًّا وَيَنْخَدِعُونَ عَنِ اللَّامِثْلِيِّ غَيْرِ المِثَالِيِّ بِالمِثْلِيِّ، وَأَحْوَالُ جَمَاعَةٍ آمَنُوا بِاللَّامِثْلِيِّ بِالتَّقْلِيدِ وَاعْتَقَدُوهُ أَفْضَلُ مِنْ أَحْوَالِ هَؤُلَاءِ الطَّالِبِينَ الذينَ لَمْ يَتِمَّ سُلُوكُهُمْ وَالظَّامِئِينَ القَانِعِينَ بِالسَّرَابِ بِمَرَاتِبَ فَإِنَّهُ فَرْقٌ كَثِيرٌ بَيْنَ المُحِقِّ وَالمُبْطِلِ وَالمُصِيبِ وَالمُخْطِئِ فَوَيْلٌ لِلطَّالِبِينَ القَاصِرِينَ المُنْقَطِعِينَ عَنِ المَطْلَبِ الذينَ يَظُنُّونَ المُحْدَثَ قَدِيمًا وَيَزْعُمُونَ المِثَالِيَّ لَا مِثَالِيًّا إِنْ لَمْ يَكُونُوا مَعْذُورِينَ بِالخَطَأِ فِي الكَشْفِ وَيُؤَاخَذُونَ بِهَذَا الخَطَأِ وَالغَلَطِ، رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا.

وَهَذَا كَمَا إِذَا كَانَ شَخْصٌ مَثَلًا طَالِبَ كَعْبَةٍ وَتَوَجَّهَ إِلَيْهَا بِكَمَالِ الشَّوْقِ فَاسْتَقْبَلَهُ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ اتِّفَاقًا بَيْتٌ شَبِيهٌ بِالكَعْبَةِ وَلَوْ بِحَسَبِ الصُّورَةِ فَخَالَهُ كَعْبَةً وَصَارَ مُعْتَكِفًا هُنَاكَ وَشَخْصٌ آخَرُ لَهُ عِلْمٌ بِخَوَاصِّ الكَعْبَةِ بِالأَخْذِ عَنِ الوَاصِلِينَ

إِلَيْهَا وَصَدَّقَ بِوُجُودهَا بِحَسَب علمه فَهَذَا الشَّخْصُ وَإِنْ لَمْ يَخطُ خَطْوَةً فِي طَلَب الكَعْبَة وَلَكِنَّهُ لَمْ يَعْتَقِدْ غَيْرَ الكَعْبَة كَعْبَةً وَمُحقٌّ فِي تَصْدِيقه فَحَالُهُ أَفْضَل مِنْ حَال الطَّالِب المَذْكُور المُخْطِئ نَعَمْ إِذَا لَمْ يَعْتَقِدْ الطَّالِبَ الغَيْرَ الوَاصل إِلى المَطْلَب غَيْرَ المَطْلَب مَطْلَبًا فَحَالُهُ أَفْضَل مِنْ حَال مُقَلد مُحقٌّ لَمْ يَضَعْ قَدَمَهُ فِي طَرِيق المَطْلَب فَإِنَّهُ مَعَ وُجُود حَقِّيَّة تَصْدِيقه بِالمَطْلُوب قَاطِعٌ لِمَسَافَة طَرِيق المَطْلُوب وَلَوْ فِي الجُمْلَة فَلَهُ تَتَحَقَّقُ المَزِيَّة.

وَطَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَيْضًا جَعَلوا أَنْفُسَهُمْ بِهَذَا الكَمَال وَالخَيَال وَالوصَال الوَهْمِيِّ فِي مُسْنَد المَشْيَخَة وَدَعْوَة الخَلق وَضَيَّعُوا بِعلة مُنْقَصَتهِمْ اسْتعْدَادَ كَثِير مِنَ المُسْتَعِدِّينَ للكَمَالاَت وَأَزَالوا بِشُؤْم بُرُودَة صُحْبَتهِمْ حَرَارَةَ طَلَب الطَّالِبِينَ ضَلوا فَأَضَلوا ضَاعُوا فَأَضَاعُوا وَتَخيُّل هَذه الكَمَالاَت وَتَوَهُّمَ الوِصَال فِي المَجْذُوبِينَ غَيْر السَّالكِينَ أَكْثَرَ مِنْهُ فِي السَّالكِينَ المَجْذُوبِينَ للغَيْر الوَاصِلِينَ فَإِنَّ المُبْتَدِيَ وَالمُنْتَهِيَ مُتَشَابِهَان فِي صُورَة الجَذْبَة وَمُتَسَاوِيَان فِي العشْق وَالمَحَبَّة فِي الظَّاهِر وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا مُنَاسَبَةٌ فِي الحَقِيقَة وَكَانَتْ أَحْوَال كُل مِنْهُمَا مُغَايِرَةً لأَحْوَال الآخَر وَمُمْتَازَةً عَنْهَا، (ع):

مَا نِسبَةُ الفَرْشيِّ بِالعَرْشيِّ

فَإِنَّ كُل شَيْءٍ يُوجَدُ فِي البِدَايَة فَهُوَ مَعْلول وَإِلى غَرَض مَا مَحْمُول وَحَيْثُ كَانَ مَا فِي الانْتِهَاء بِالحَقِّ فَهُوَ للحَقِّ وَسَيُذْكَرُ تَفْصِيل هَذَا الكَلاَم عَنْ قَرِيب إِنْ شَاءَ اللهُ - تَعَالَى - وَتَكُونُ هَذه المُشَابَهَةُ الصُّورِيَّةُ وَالمُنَاسَبَةُ الضَّرُورِيَّةُ بَاعثَةً عَلى ذَلكَ التَّخيُّل وَحَيْثُ كَانَتْ الجَذْبَةُ مُقَدَّمَةً عَلى السُّلوك فِي طَرِيقَة النَّقْشَبَنْدِيَّة العَلِيَّة كَثُرَ هَذَا القسْمُ مِنَ التَّخيُّل وَالتَّوَهُّم فِي مَجَاذب هَذَا الطَّرِيق الذينَ لَمْ يُشَرَّفُوا بَعْدُ بِدَوْلَة السُّلوك وَقَدْ يَحْصُل لجَمَاعَة مِنْهُمْ تَقلبَاتٌ فِي مَقَام الجَذْبَة وَتَنَقُّلاَتٌ عَنْ حَال إِلى حَال فَيَظُنُّونَ ذَلكَ قَطْعَ مَنَازِل السُّلوك وَطَيَّ مَسَالك السَّيْر إِلى الله وَيَزْعُمُونَ أَنْفُسَهُمْ بِتلكَ التَّقلبَات مِنَ المَجْذُوبِينَ السَّالكِينَ فَتَقَرَّرَ فِي الخَاطِر الفَاتِر أَنْ أَكْتُبَ فِقْرَات فِي بَيَان حَقِيقَة السُّلوك وَالجَذْبَة.

وَبَيَانُ الفَرْق مَا بَيْنَ هَذَيْنِ المَقَامَيْن مَعَ ذكْر بَعْض خَوَاصٍّ مُمَيِّزَة لكُل وَاحد مِنْهُمَا عَنِ الآخَر وَبَيَانُ الفَرْق بَيْنَ جَذْبَة المُبْتَدي وَجَذْبَة المُنْتَهِي وَحَقِيقَة مَقَام التَّكْمِيل وَالإِرْشَاد وَعُلوم أُخَرَ مُنَاسِبَةً لذَلكَ المَقَام لِيُحقَّ الحَقَّ وَيُبْطل البَاطل وَلَوْ كَرِهَ المُجْرِمُونَ.

فَشَرَعْتُ فيه بحُسْنِ تَوْفيقه - سُبْحَانَهُ - وَهُوَ سُبْحَانَهُ يَهْدي السَّبيل وَهُوَ نعْمَ المَوْلى وَنعْمَ الوَكيل وَهَذَا المَكْتُوبُ مُشْتَمل عَلى مَقْصدَيْنِ وَخَاتمَةٌ المَقْصد الأَوَّل في بَيَانِ مَعَارِفَ مُتَعَلقَة بمَقَامِ الجَذْبَة وَالمَقْصد الثَّاني في بَيَان مَا يَتَعَلقُ بالسُّلوك وَالخَاتمَة في بَعْضِ العُلومِ وَالمَعَارف التي عَملهَا كَثيرُ المَنْفعَة للطَّالبينَ.

المَقصدُ الأَوَّل: اعْلمْ أَنَّ المَجْذُوبَ غَيْرُ تَامِّ السُّلوك وَإنْ كَانَ لهُ جَذْبٌ قَويٌّ دَاخل في زُمْرَة أَرْبَاب القُلوب منْ أَيِّ طَرِيق كَانَ مُنْجَذبًا فَإنَّهُ لاَ يُمْكنُ لهُ تَجَاوُزُ مَقَامِ القَلب وَالاتِّصَال بمُقَلب القَلب منْ غَيْر سُلوك وَتَزْكيَة نَفْسٍ فَإنَّ انْجذَابَهُمْ قَلبيٌّ وَحُبَّهُمْ عَرَضيٌّ لاَ ذَاتيٌّ وَلاَ أَصْليٌّ فَإنَّ النَّفْسَ مُمْتَزجَةٌ بالرُّوح في هَذَا المَقَام، وَالظُّلمَةَ مُخْتَلطَةٌ بالنُّور في هَذَا المُعَامَلة وَلاَ يُتَصَوَّرُ الخُرُوجُ عَنْ مَضيق مَقَامِ القَلب بالكُلِّيَّة وَالاتِّصَال بمُقَلب وَحُصُول الانْجذَاب الرُّوحيِّ نَحْوَ المَطْلوب بدُون تَخَلصِ الرُّوحِ منَ النَّفْسِ لأَجْلِ التَّوَجُّه إلى المَطْلوب، وَانْفكَاكُ النَّفْسِ عَنِ الرُّوحِ وَنُزُولهَا إلى مَقَامِ العُبُوديَّة وَمَا دَامَ هَذَان مُجْتَمعَيْنِ في الحَقيقَة لاَ يُتَصَوَّرُ الانْجذَابُ الرُّوحيُّ الخَالصُ فَإنَّ لحَقيقَةَ الجَامعَةَ القَلبيَّةَ قَائمَةٌ مُسْتَحْكمَةٌ، وَتَخَلصُ الرُّوحِ عَنِ النَّفْسِ إنَّمَا يُتَصَوَّرُ بَعْدَ قَطْعِ مَنَازِل السُّلوك وَطَيِّ مَسَالك السَّيْرِ إلى الله وَتَحَقق السَّيْر في الله بَل بَعْدَ حُصُول مَقَامِ الفَرْقِ بَعْدَ الجَمْعِ الذي يَتَعَلقُ بالسَّيْرِ عَنِ الله بالله، شعْرٌ:

هَل كُل ذي ذكْرٍ يَحْويه مُعْتَرَكٌ   أَوْ كُل مَنْ نَال منْ مُلك سُليْمَانَ

فَظَهَرَ الفَرْقُ بَيْنَ جَذْب المُنْتَهي وَجَذْب المُبْتَدي، وَشُهُودُ المَجْذُوبينَ أَرْبَاب القُلوب منْ وَرَاء حجَاب الكَثْرَة عَلمُوا هَذَا المَعْنَى أَوَّلاً وَليْسَ مَشْهُودُهُم إلاَّ عَالمَ الأَرْوَاحِ الذي هُوَ شَبيهٌ في اللطَافَة وَالإحَاطَة وَالسَّرَيَان بمَوْجُوده صُورَةً فَإنَّ اللهَ خَلقَ آدَمَ عَلى صُورَته وَبهَذه المُنَاسَبَة يَزْعُمُونَ شُهُودَ الرُّوح شُهُودَ الحَقِّ - تَعَالى وَتَقَدَّسَ - وَعَلى هَذَا القيَاسِ الإحَاطَةُ وَالسَّرَيَانُ وَالقُرْبُ وَالمَعيَّةُ فَإنَّ نَظَرَ السَّالك لاَ يَنْفذُ إلاَّ إلى المَقَامِ الفَوْق لاَ إلى مَقَام فَوْقَ الفَوْق وَالمَقَامُ الذي فَوْقَ مَقَامهمْ هُوَ مَقَامُ الرُّوحِ فَلاَ يَنْفُذُ نَظَرُهُمْ إلى مَا فَوْقَ مَقَامِ الرُّوحِ وَلاَ يَكُونُ مَشْهُودُهُم شَيْئًا غَيْرَ الرُّوحِ وَالنَّظَرُ إلى مَا فَوْقَ مَقَام الرُّوحِ مَوْقُوفٌ عَلى الوُصُول إلى مَقَامِ الرُّوحِ وَحَال المَحَبَّة وَالانْجذَاب أَيْضًا كَحَال الشُّهُود وَشُهُود الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - بَل مَحَبَّتُهُ وَالانْجذَابُ إليْه - تَعَالى - مَرْبُوطٌ بحُصُول الفَنَاءِ المُعَبَّر عَنْهُ بنهَايَة السَّيْرِ إلى الله، شعْرٌ:

وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِي حُبِّ مَوْلَاهُ فَانِيًا فَلَيْسَ لَهُ فِي كِبْرِيَاءِ سَبِيل

وَإِطْلَاقُ الشُّهُودِ فِي هَذَا المَقَامِ مِنْ ضِيقِ مَيْدَانِ العِبَارَةِ وَإِلَّا مُعَامَلَةُ هَؤُلَاءِ الأَكَابِرِ مُتَعَارَفَةٌ بِمَا وَرَاءَ وَرَاءِ الشُّهُودِ وَكَمَا أَنَّ مَقْصَدَهُمْ لَا مِثْلِيٌّ وَلَا كَيْفِيٌّ كَذَلِكَ اتِّصَالُهُمْ أَيْضًا لَا مِثْلِيٌّ وَلَا كَيْفِيٌّ لَا سَبِيلَ لِلمِثَالِيِّ إِلَى المِثَالِيِّ لَا يَحْمِلُ عَطَايَا المَلِكِ إِلَّا مَطَايَاهُ، شِعْرٌ:

إِنَّ لِلرَّحْمَنِ مَعَ أَرْوَاحِ نَاس اتِّصَالاً دُونَ كَيْفٍ وَقِيَاس

وَإِحَاطَتُهُ - تَعَالَى - وَسَرَيَانُهُ وَقُرْبُهُ وَمَعِيَّتُهُ عِنْدَ المُحَقِّقِينَ أَرْبَابِ السُّلُوكِ الوَاصِلِينَ إِلَى نِهَايَةِ الأَمْرِ كُلُّهَا عِلْمِيَّةٌ وَهُمْ مُوَافِقُونَ لِعُلَمَاءِ أَهْلِ الحَقِّ شَكَرَ اللهُ سَعْيَهُمْ وَالحُكْمُ بِالقُرْبِ الذَّاتِيِّ وَأَمْثَالِهِ عِنْدَهُمْ مِنْ عَدَمِ الحَاصِلِ وَالبُعْدِ وَالمُقَرَّبُونَ لَا يَحْكُمُونَ بِالقُرْبِ قَالَ وَاحِدٌ مِنَ الكُبَرَاءِ: مَنْ قَالَ أَنَا قَرِيبٌ فَهُوَ بَعِيدٌ وَمَنْ قَالَ أَنَا بَعِيدٌ فَهُوَ قَرِيبٌ وَهَذَا هُوَ التَّصَوُّفُ وَالعِلْمُ المُتَعَلِّقُ بِالتَّوْحِيدِ الوُجُودِيِّ مَنْشَؤُهُ المَحَبَّةُ وَالانْجِذَابُ القَلْبِيُّ.

وَأَرْبَابُ القُلُوبِ الذِينَ لَا جَذْبَةَ لَهُمْ بَل يَقْطَعُونَ المَنَازِلَ بِطَرِيقِ السُّلُوكِ لَا مُنَاسَبَةَ لِهَذَا العِلْمِ بِهِمْ وَكَذَلِكَ المَجْذُوبُونَ المُتَوَجِّهُونَ بِالسُّلُوكِ مِنَ القَلْبِ إِلَى مُقَلِّبِ القَلْبِ بِالكُلِّيَّةِ يَتَبَرَّءُونَ مِنْ هَذِهِ العُلُومِ وَيَسْتَغْفِرُونَ مِنْهَا.

وَبَعْضُ المَجْذُوبِينَ وَإِنْ سَلَكُوا طَرِيقَ السُّلُوكِ وَطَوَوْا المَنَازِلَ وَلَكِنْ لَا يَنْقَطِعُ نَظَرُهُمْ عَنِ المَقَامِ المَأْلُوفِ وَلَا يَقْدِرُونَ التَّوَجُّهَ إِلَى الفَوْقِ فَلَا يَتْرُكُ أَمْثَالُ هَذِهِ العُلُومِ أَذْيَالَهُمْ وَلَا يَقْدِرُونَ الخُرُوجَ مِنْ هَذِهِ الوَرْطَةِ وَالتَّخَلُّصَ مِنْهَا؛ وَلِهَذَا يَكُونُ فِيهِمْ ضَعْفٌ وَعُرُوجٌ فِي العُرُوجِ إِلَى مَدَارِجِ القُرْبِ وَالصُّعُودِ إِلَى مَعَارِجِ القُدْسِ {رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ القَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا}.

وَعَلَامَةُ الوُصُولِ إِلَى نِهَايَةِ المَطْلَبِ التَّبَرِّي مِنْ هَذِهِ العُلُومِ فَإِنَّهُ كَمَا تَحْصُلُ زِيَادَةُ المُنَاسَبَةِ بِالتَّنْزِيهِ يُوجَدُ عَدَمُ مُنَاسَبَةِ العَالَمِ بِالصَّانِعِ أَزْيَدَ وَلَا مَعْنَى حِينَئِذٍ فِي اعْتِقَادِ أَنَّ العَالَمَ عَيْنُ الصَّانِعِ أَوْ فِي ظَنٍّ أَنَّ الصَّانِعَ مُحِيطٌ بِالعَالَمِ بِالذَّاتِ مَا لِلتُّرَابِ وَرَبِّ الأَرْبَابِ.

مَعْرِفَةٌ: قَالَ الخَوَاجَهْ بَهَاءُ الدِّينِ النَّقْشَبَنْدِيُّ قَدَّسَ اللهُ - تَعَالَى - سِرَّهُ الأَقْدَسَ: نَحْنُ نُدْرِجُ النِّهَايَةَ فِي البِدَايَةِ وَمَعْنَى هَذِهِ العِبَارَةِ هُوَ أَنَّ الانْجِذَابَ وَالمَحَبَّةَ

اللذَيْن يَتَيَسَّرَان لِلْمُنْتَهِينَ في الانْتِهَاء مُنْدَرِجَان في هَذَا الطَّرِيق في الانْجذَاب وَالمَحَبَّة اللذَيْن يَحْصُلاَن في الابْتِدَاء فَإِنَّ انْجذَابَ المُنْتَهي رُوحِيٌّ وَفي المُبْتَدي جَذْبٌ قَلبيٌّ وَمِنْ حَيْثُ إِنَّ القَلبَ بَرْزَخٌ بَيْنَ الرُّوحِ وَالنَّفْسِ يَحْصُل في ضِمْن الجَذْبِ القَلبيِّ الذَّبُّ لِلرُّوحِ أَيْضًا وَتَخْصِيصُ هَذَا الانْدرَاج بِهَذَا الطَّرِيق مَعَ أَنَّهُ حَاصِل في جَمِيع الجَذْبَات بِهَذَا المَعْنَى مَبْنِيٌّ عَلى أَنَّ أَكَابِرَ هَذه الطَّرِيقَة وَضَعُوا طَرِيقًا خَاصًّا لِحُصُول هَذَا المَعْنَى وَعَيَّنُوا مَسْلَكًا مَخْصُوصًا لِلوُصُول إلى هَذَا المَطْلب وَيَحْصُل هَذَا المَعْنَى لِغَيْرِهِمْ عَلى سَبِيل الاتِّفَاق وَلَيْسَ لَهُمْ في ذَلكَ ضَابِطَةٌ.

وَأَيْضًا إِنْ لهَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ شَأْنًا خَاصًّا في مَقَام الجَذْبَة لَيسَ هُوَ لِغَيْرِهِمْ فَإِنْ كَانَ فَنَادِرٌ وَلهَذَا يَحْصُل لِبَعْضِهِمْ في هَذَا المَقَامِ مِنْ غَيْر قَطْع مَنَازِل السُّلُوك فَنَاءٌ وَبَقَاءٌ شَبِيهَان بِفَنَاء أَرْبَاب السُّلُوك وَبَقَائِهِمْ وَيَتَيَسَّرُ لَهُمْ شُرْبٌ مِنْ مَقَام التَّكْمِيل شَبِيهٌ بِمَقَامِ السَّيْر عَنِ الله بِالله يُرَبُّونَ بِه المُسْتَعِدِّينَ وَسَيَجِيءُ تَحْقِيقُ هَذَا المَبْحَث عَنْ قَرِيبٍ إِنْ شَاءَ اللهُ - تَعَالى -.

وَهَهُنَا دَقِيقَةٌ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الرُّوحَ كَانَ لَهَا قَبْل تَعَلقهَا بِالبَدَن نَحْوٌ مِنَ التَّوَجُّه إلى المَقْصُود فَلمَّا تَعَلقَتْ بِالبَدَن زَال عَنْهَا ذَلكَ التَّوَجُّهُ وَأَكَابِرُ هَذه السِّلسِلة العَلِيَّة وَضَعُوا طَرِيقًا لِظُهُور ذَلكَ التَّوَجُّه وَلكِنْ لَمَّا كَانَتْ الرُّوحُ مُتَعَلقَةً بِالبَدَن انْتَقل ذَلكَ التَّوَجُّهُ إلى القَلب فَيَحْصُل لَهُمْ فِيه تَوَجُّهٌ قَلبِيٌّ جَامِعٌ لِتَوَجُّه النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَلاَ شَكَّ أَنَّ التَّوَجُّهَ الرُّوحِيَّ مُنْدَرِجٌ في التَّوَجُّه القَلبيِّ وَأَمَّا التَّوَجُّهُ الرُّوحِيُّ في المُنْتَهِينَ فَهُوَ بَعْدُ فَنَاء الرُّوحِ وَبَقَائه بِالوُجُود الحَقَّانِيِّ المُعَبَّر عَنْهُ بِالبَقَاء بِالله، وَالتَّوَجُّه الرُّوحِيِّ الذي هُوَ ضِمْنُ التَّوَجُّه القَلبيِّ بَل تَوَجُّهُ الرُّوحِ الذي كَانَ قَبْل تَعَلقهَا بِالبَدَن فَهُوَ تُوَجُّهٌ مَعَ وُجُود وُجُود الرُّوحِ لَمْ يَتَطَرَّقْ الفَنَاءُ إِلَيْهَا أَصْلاً وَالفَرْقُ بَيْنَ تَوَجُّه الرُّوحِ مَعَ وُجُود وُجُودهَا وَبَيْنَ تَوَجُّهِهَا مَعَ فَنَائهَا كَثِيرٌ فَإِطْلاَقُ النِّهَايَة عَلى ذَلكَ التَّوَجُّه الرُّوحِيِّ المُنْدَرِج إِنَّمَا هُوَ بِاعْتِبَارِ تَوَجُّهِهَا الذي يَبْقَى في النِّهَايَة هُوَ فَقَطْ فَالمُرَادُ بِانْدرَاجِ النِّهَايَة في البِدَايَة انْدرَاجُ صُورَة النِّهَايَة في البدَايَة لاَ حَقِيقَتُهَا فَإِنَّ انْدرَاجَهَا في البِدَايَة مُحَال وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ عَدَمُ إِتْيَان لَفْظ الصُّورَة لأَجْل التَّرْغِيب في طَلب هَذَا الطَّرِيق وَالحَقُّ مَا حَقَّقْتُ بِعَوْن الله - تَعَالى - وَالسَّابِقُونَ الذينَ انْجذَابُهُمْ مِنْ غَيْر تَعَمُّل وَكَسْب بَل بِتَوَجُّه وَحُضُور فَذَلكَ الانْجذَابُ أَيْضًا قَلبِيٌّ وَأَثَرٌ مِنْ تَوَجُّه الرُّوح السَّابِقَ فَإِنَّهُ لَمْ يَزَل بِالكُلِّيَّة بِوَاسِطَة تَعَلقهَا بِالبَدَن وَالكَسْب وَالتَّعَمُّل لِظُهُورِ الوَجْه السَّابِقِ إِنَّمَا هُوَ لجَمْعِه نَسَوْا التَّوَجُّهَ السَّابِقَ بِوَاسِطَة ذَلكَ التَّعَلق وَكَأَنَّ

الكَسْبَ لأَجْلِ التَّنْبِيه عَلى التَّوَجُّه السَّابِق وَالتَّذْكير لتلكَ الدَّوْلة الغَائبَة الضَّائعَة وَلكنَّ استْعْدَادَ النَّاسينَ للتَّوَجُّه السَّابق أَلْطَفُ منَ استْعْدَاد السَّابقينَ المَذْكُورينَ فَإنَّ نسْيَانَ التَّوَجُّه السَّابق بالكُلِّيَّة يُخْبرُ عَن التَّوَجُّه الكُلِّيِّ إلى المُتَوَجَّه إلَيْه بالفعْل وَعَنِ الفَنَاء فيه بخلاَف عَدَم نسْيَان التَّوَجُّه السَّابق فَإنَّهُ لَيْسَ كَذَلكَ.

غَايَةُ مَا في البَاب أَنَّ السَّابقينَ يَحْصُل لَهُمْ ذَلكَ التَّوَجُّهُ عَلى سَبيل الشُّمُول لكُلِّيَّتهِمْ وَالسَّرَيَانِ فِيهَا وَيَأْخُذُ بَدَنُهُمْ أَيْضًا حُكْمَ رُوحِهِمْ كَمَا هُوَ شَأْنُ المَحْبُوبينَ المُرَادينَ.

وَالفَرْقُ بَيْنَ شُمُول المُحبِّينَ وَشُمُول السَّابِقينَ كَالفَرْقِ بَيْنَ حَقيقَة الشَّيْء وَصُورَته كَمَا هُوَ الظَّاهِرُ لأَرْبَابه.

نَعَمْ إنَّ هَذَا النَّوْعَ منَ الشُّمُول مُتَحَقِّقٌ أَيْضًا في المُحبِّينَ وَالوَاصلينَ وَالمُريدينَ الكَاملينَ وَلكنَّهُ كَالبَرْقِ فِيهِمْ لَيْسَ بِدَائِمِيٍّ وَالتَّوَجُّهُ الدَّائِمِيُّ إنَّمَا هُوَ منْ خَاصَّة المَحْبُوبينَ.

مَعْرِفَةٌ: إنَّ المَجْذُوبينَ أَرْبَابَ القُلوب إذَا حَصَل لَهُمْ تَمَكُّنٌ وَرُسُوخٌ في مَقَام القَلبِ وَتَيَسَّرَ لَهُمْ مَعْرِفَةٌ وَصَحْوٌ مُنَاسبٌ لذَلكَ المَقَام يَقْدرُونَ عَلى إيصَال الفَائدَة إلى الطَّالبينَ وَيَحْصُل للطَّالبينَ في صُحْبَتهمُ انْجذَابٌ وَمَحَبَّةٌ قَلبيَّةٌ وَإنْ لَمْ يَبْلُغُوا منْ جهَتهمْ مَرْتَبَةَ الكَمَال فَإنَّهُمْ لَمْ يَبْلغُوا بَعْدُ بأَنْفُسهمْ حَدَّ الكَمَال فَلاَ يَقْدرُونَ عَلى أَنْ يَكُونُوا وَاسطَةً لِحُصُول الكَمَال لغَيْرهمْ وَمَشْهُورٌ أَنَّ النَّاقصَ لاَ يَجيءُ منْهُ كَامل، وَإفَادَتُهُمْ عَلى كُل حَال أَزْيَدُ منْ إفَادَة أَرْبَاب السُّلوك وإنْ بَلغُوا نهَايَةَ السُّلوك وَحَصَل لَهُمْ جَذْبُ المُنْتَهينَ وَلكنَّهُمْ لَمْ يَنْزلوا إلى مَقَام القَلب بطَريق السَّيْر عَنِ الله بالله فَإنَّ المُنْتَهيَ غَيْر المَرْجُوعِ لَيْسَ لهُ مَرْتَبَةُ التَّكْميل وَالإفَادَة لأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ فيه مُنَاسَبَةٌ بالعَالَم وَتَوَجُّهٌ إلَيْه حَتَّى يَقْدرَ عَلى الإفَادَة وَإطْلاَقُ البَرْزَخ عَلى الشَّيْخ المُقْتَدَى به إنَّمَا هُوَ باعْتبَار نُزُوله إلى مَقَام البَرْزَخيَّة الذي هُوَ مَقَامُ القَلب وَأَخْذُهُ منْ كلاَ جهَتَي الرُّوح وَالنَّفْس حَظًّا وَافرًا فَمنْ جهَة الرُّوحِ يَسْتَفيدُ منَ الفَوْق وَمنْ جهَة النَّفْسِ يُفيدُ مَنْ دُونَهُ لأَنَّهُ اجْتَمَعَ فيه التَّوَجُّهُ إلى الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - بالتَّوَجُّه إلى الخَلق بحَيْثُ لاَ يَكُونُ أَحَدُهُمَا حجَابًا للآخَر فَالإفَادَةُ وَالاسْتفَادَةُ حَاصلتَان لهُ مَعًا وَبَعْضُ المَشَايخِ أَرَادَ ببَرْزَخيَّة الشَّيْخ برْزَخيَّتَهُ بَيْنَ الحَقِّ وَالخَلق.

وَقَالَ الشَّيْخُ: البَرْزَخُ جَامِعًا بَيْنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّنْزِيهِ وَلاَ يَخْفَى أَنَّ مِثْلَ هَذِهِ البَرْزَخِيَّةِ التِي بَنَاهَا عَلَى السُّكْرِ غَيْرُ لاَئِقَةٍ بِمَقَامِ المَشْيَخَةِ الذِي بَنَاهُ عَلَى الصَّحْوِ فَإِنَّ نُفُوسَهُمْ فِي هَذَا المَقَامِ مُنْدَرِجَةٌ فِي غَلَبَاتِ أَنْوَارِ الرُّوحِ وَذَلِكَ الانْدِرَاجُ هُوَ الذِي صَارَ مَنْشَأً لِلسُّكْرِ وَفِي مَقَامِ بَرْزَخِيَّةِ القَلْبِ يَتَفَرَّقُ كُلٌ مِنَ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَيَمْتَازُ عَنِ الآخَرِ فَلاَ يَكُونُ فِيهِ مَجَالٌ لِلسُّكْرِ بِالضَّرُورَةِ بَلْ فِيهِ كُلُّهُ صَحْوٌ فَإِنَّهُ هُوَ المُنَاسِبُ لِمَقَامِ الدَّعْوَةِ هَذَا.

فَإِذَا نَزَلَ الشَّيْخُ الكَامِلُ إِلَى مَقَامِ القَلْبِ تَحْصُلُ لَهُ المُنَاسَبَةُ بِالعَالَمِ بِوَاسِطَةِ البَرْزَخِيَّةِ وَيَكُونُ وَاسِطَةً لِحُصُولِ الكَمَالاَتِ لِمُسْتَعِدِّي الكَمَالاَتِ وَحَيْثُ كَانَ المَجْذُوبُ المُتَمَكِّنُ أَيْضًا فِي مَقَامِ القَلْبِ لَهُ مُنَاسَبَةٌ بِالعَالَمِ لاَ يَبْخَلُ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى أَهْلِ العَالَمِ وَقَدْ اكْتَسَبَ نَصِيبًا مِنَ الانْجِذَابِ وَحَصَلَ المَحَبَّةُ وَإِنْ كَانَا قَلْبِيَّيْنِ فَلاَ جَرَمَ انْكَشَفَ لَهُ طَرِيقُ الإِفَادَةِ بَلْ أَقُولُ: إِنَّ كَمِّيَّةَ إِفَادَةِ المَجْذُوبِ المُتَمَكِّنِ أَزْيَدُ مِنْ كَمِّيَّةِ إِفَادَةِ المُنْتَهِي المَرْجُوعِ وَكَيْفِيَّةَ إِفَادَةِ المُنْتَهِي المَرْجُوعِ أَزْيَدُ مِنْ كَيْفِيَّةِ إِفَادَةِ المَجْذُوبِ فَإِنَّ المُنْتَهِيَ المَرْجُوعَ وَإِنْ حَصَلَتْ لَهُ المُنَاسَبَةُ بِالعَالَمِ لَكِنَّهَا فِي الصُّورَةِ فَقَطْ وَفِي الحَقِيقَةِ هُوَ مُفَارِقَةٌ وَمُنْصَبِغٌ بِلَوْنِ الأَصْلِ وَبَاقٍ بِهِ وَمُنَاسَبَةُ هَذَا المَجْذُوبِ بِالعَالَمِ فِي الحَقِيقَةِ وَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ إِفَادَةِ العَالَمِ وَبَاقٍ بِالبَقَاءِ الذِي بِهِ بَقَاءُ العَالَمِ فَبِوَاسِطَةِ المُنَاسَبَةِ الحَقِيقِيَّةِ تَكُونُ اسْتِفَادَةُ الطَّالِبِينَ مِنْهُ أَكْثَرَ بِالضَّرُورَةِ وَمِنَ المُنْتَهِي المَرْجُوعِ أَقَلَ وَلَكِنَّ إِفَادَةَ كَمَالِ مَرَاتِبِ الوِلاَيَةِ مَخْصُوصَةٌ بِالمُنْتَهِي فَلاَ جَرَمَ يَكُونُ المُنْتَهِي فِي كَيْفِيَّةِ الإِفَادَةِ أَرْجَحَ وَأَيْضًا لَيْسَ فِي المُنْتَهِي هِمَّةٌ وَتَوَجُّهٌ فِي الحَقِيقَةِ وَالمَجْذُوبُ صَاحِبُ هِمَّةٍ وَتَوَجُّهٍ فَيُقَدِّمُ أُمُورَ الطَّالِبِينَ وَيُرَقِّيهِمْ بِالهِمَّةِ وَالتَّوَجُّهِ وَإِنْ لَمْ يُبَلِّغْهُمْ حَدَّ الكَمَالِ.

وَأَيْضًا إِنَّ نِهَايَةَ التَّوَجُّهِ الذِي يَحْصُلُ لِلطَّالِبِينَ مِنَ المَجْذُوبِينَ هِيَ ذَلِكَ التَّوَجُّهُ السَّابِقُ لِلرُّوحِ الذِي نَسَوْهُ فَيَتَذَكَّرُونَهُ فِي صُحْبَتِهِمْ وَيَحْصُلُ ثَانِيًا بِطَرِيقِ الانْدِرَاجِ فِي التَّوَجُّهِ القَلْبِيِّ بِخِلاَفِ التَّوَجُّهِ الحَاصِلِ فِي صُحْبَةِ المُنْتَهِينَ فَإِنَّهُ تَوَجُّهٌ حَادِثٌ لَمْ يَكُنْ مَوْجُودًا قَبْلَ ذَلِكَ أَصْلاً وَكَانَ مَوْقُوفًا عَلَى فَنَاءِ الرُّوحِ بَلْ عَلَى بَقَائِهَا بِالوُجُودِ الحَقَّانِيِّ فَلاَ بُدَّ وَأَنْ يَكُونَ التَّوَجُّهُ الأَوَّلُ سَهْلَ الحُصُولِ وَالتَّوَجُّهُ الثَّانِي مُتَعَسِّرَ الوُجُودِ وَكُلَّمَا هُوَ أَسْهَلُ فَهُوَ أَزْيَدُ وَكُلَّمَا هُوَ مُتَعَسِّرٌ فَهُوَ أَقَلُ وَمِنْ هُنَا قَالُوا: إِنَّ الشَّيْخَ المُقْتَدَى بِهِ لَيْسَ بِوَاسِطَةٍ فِي تَحْصِيلِ جِهَةِ الجَذْبَةِ فَإِنَّ تِلْكَ النِّسْبَةَ كَانَتْ حَاصِلَةً أَوَّلاً أَوْ وَصَارَ مُحْتَاجًا إِلَى التَّنْبِيهِ وَالتَّعْلِيمِ بِوَاسِطَةٍ وَلِهَذَا يُقَالُ

لمثْل هَذَا الشَّيْخ شَيْخُ التَّعْليم لاَ شَيْخُ التَّرْبيَة وَفي جهَة السُّلوك لاَ بُدَّ منْ شَيْخٍ مُقْتَدًى به لقَطْع مَنَازل السُّلوك وَتَرْبيَتُهُ ضَرُوريَّةٌ فيهَا لاَ يَجُوزُ لشَيْخٍ مُقْتَدًى به أَنْ يَأْذَنَ لمثْل هَذَا المَجْذُوب المُتمَكّن بالإجَازَة العَامَّة وَأَنْ يُجْلسَهُ في مَقَام التَّكْميل وَالمَشْيَخَة فَإنَّ بَعْضَ الطَّالبينَ يَكُونُ اسْتعْدَادُهُمْ عَاليًا جدًّا وَتَكُونُ قَابليَّتُهُمْ للكَمَال وَالتَّكْميل عَلَى الوَجْه الأَتَمِّ، فَإنْ وَقَعَ مثْل هَذا الطَّالب في صُحْبَة ذَلكَ المَجْذُوب يُحْتَمَل أَنْ يَضيعَ ذَلكَ الاسْتعْدَادُ فيهَا وَأَنْ تَزُول عَنْهُ تلكَ القَابليَّةُ كَمَا إذَا كَانَتْ للأَرْض مَثَلاً قَابليَّةٌ تَامَّةٌ لزرَاعَة البُرِّ فيهَا فَإنْ زَرَعُوا فيهَا بَذْرًا جَيِّدًا منَ الحنْطَة تُنْبتُ زَرْعًا جَيِّدًا عَلَى قَدْر اسْتعْدَادهَا وَأَنْ يَزْرَعُوا فيهَا بَذْرَ قَمْحٍ رَديءٍ أَوْ بَذْرَ حمَّصٍ تَكُونُ مَسْلوبَ القَابليَّة فَضْلاً عَن الإنْبَات.

فَإنَّ لأَيِّ الشَّيْخ المُقْتَدَى به فَرْضًا مَصْلَحَةً في رُخْصَته وَإجَازَته وَوَجَدَ فيه صَلاَحيَّةَ الإفَادَة يَنْبَغي أَنْ يُقَدِّرَ إفَادَتَهُ وَإجَازَتَهُ ببَعْض القُيُود مثْل ظُهُور مُنَاسَبَة الطَّالب لطَريق إفَادَته وَعَدَم إضَاعَة اسْتعْدَاده في صُحْبَته وَعَدَم طُغْيَان نَفْسه بتلكَ الرِّيَاسَة وَاقْتدَاء النَّاس به فَإنَّ هَوَى النَّفْس مَازَال عَنْهُ بَعْدُ لعَدَم تَزْكيَة النَّفْس فيه فَإذَا عُلمَ أَنَّ الطَّالبَ قَدْ بَلَغَ نهَايَةَ الاسْتفَادَة منْهُ وَغَايَةَ إفَادَته إيَّاهُ وَفي اسْتعْدَاد الطَّالب قَابليَّةٌ للتَّرَقِّي يَنْبَغي أَنْ يَظْهَرَ لَهُ هَذَا المَعْنَى وَأَنْ يَأْذَنَ لَهُ ليَتمَّ أَمْرَهُ منْ شَيْخٍ آخَرَ وَلاَ يَظْهَرُ لَهُ أَنَّهُ مُنْتَه لئَلاَّ يَكُونَ قَاطعًا لطَريق النَّاس بهَذه الحيلة.

وَالحَاصلُ يُذْكَرُ لَهُ منْ أَمْثَال هَذه الشَّرَائط مَا يُعْلَمُ أَنَّهُ مُنَاسبٌ لوَقْته وَحَاله وَيَأْذَنُ لَهُ بعَدِّه وَصيَّةً تَامَّةً بهَا.

وَأَمَّا المُنْتَهي المَرْجُوعُ فَلاَ يُحْتَاجُ في إفَادَته وَتَكْميله إلَى أَمْثَال هَذه القُيُود فَإنَّ لَهُ بوَاسطَة جَامعيَّته مُنَاسَبَةً بجَميع الطُّرُق وَالاسْتعْدَادَات يُمْكنُ أَنْ يَسْتَفيدَ منْهُ كُل شَخْصٍ عَلَى قَدْر اسْتعْدَاده وَمُنَاسَبَته وَإنْ كَانَ التَّفَاوُتُ بالسُّرْعَة وَالبَطيء بوَاسطَة قُوَّة المُنَاسَبَة وَضَعْفهَا مُتَصَوَّرًا في صُحْبَة الشُّيُوخ المُقْتَدَى بهمْ أَيْضًا وَلَكنَّهُمْ مُتَسَاوُو الأَقْدَام في أَصْل الإفَادَة.

وَالالتجَاءُ إلَى جَانب الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَالاعْتصَامُ بحَبْله المَتين لاَزمٌ للشَّيْخ المُقْتَدَى به حينَ إفَادَة الطَّالب خَوْفًا منْ مَكْره - سُبْحَانَهُ - في ضمْن هَذَا الاشْتهَار بَل يَنْبَغي لَهُ أَنْ يَنْفَكَّ عَنْ هَذَا الالتجَاء في جَميع الأُمُور التي يَمْنَحُهُ اللهُ

- سُبْحَانَهُ - إِيَّاهَا فِي وَقْت مِنَ الأَوْقَات وَفِي جَمِيعِ الأَحْوَال وَالأَفْعَال فَضْلاً عَنْ هَذَا الأَمْر - ذَلكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيه مَنْ يَشَاءُ وَالله ذُو الفَضْل العَظِيمِ -.

المَقْصدُ السُّلوك فِي بَيَان مَا يَتَعلقُ بالسُّلوك.

اعْلَمْ أَنَّ الطَّالبَ إذَا كَانَ مُتوَجِّهًا إلى فَوْق بطَرِيق السُّلوك فَمَتَى بَلغَ اسْمًا هُوَ رَبُّهُ وَصَارَ فَانِيًا وَمُسْتَهْلكًا فيه يَصحُّ إطْلاَقُ الفَنَاء عَلَيْه وَبَعْدَ البَقَاء بهَذَا الاسْم يَسْلمُ إطْلاَقُ البَقَاء عَلَيْه وَبهَذَا الفَنَاء وَالبَقَاء يُشَرَّفُ بأَوَّل مَرْتَبَة مِنْ مَرَاتب الوِلاَيَة وَلكِنَّ هَهُنَا تَفْصيل وَبَسْطُ الكَلاَمِ فيه ضَرُورِيٌّ.

تَمْهِيدٌ: إنَّ الفَيْضَ الوَارِدَ مِنْ ذَات الحَقِّ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالى - وَتَقَدَّسَ عَلى نَوْعَيْنِ نَوْعٍ يَتَعَلقُ بالإِيجَاد وَالإِبْقَاء وَالتَّخْليق وَالتَّرْزِيق وَالإِحْيَاء وَالإِمَاتَة وَأَمْثَالهَا وَنَوْعٍ آخرَ يَتَعلقُ بالإِيمَان وَالمَعْرفَة وَسَائِر كَمالاَت الوِلاَيَة وَالنُّبُوَّة.

وَالنَّوْعُ الأَوَّل مِنَ الفَيْضِ بتَوسُّط الصِّفَات فَقَطْ وَالنَّوْعُ الثَّاني فَعَلى البَعْضِ بتَوسُّط الصِّفَات وَعَلى البَعْضِ الآخَرِ بتَوسُّط الشُّئُونَات وَالفَرْقُ بَيْنَ الصِّفَات وَالشُّئُونَات دَقِيقٌ جدًّا لاَ يَظْهَرُ إلاَّ عَلى آحَاد مِنَ الأَوْلِيَاء المُحَمَّديِّ المَشْرَب وَلَمْ يُعْلمْ أَنَّهُ تَكلمَ به أَحَدٌ وَبالجُمْلة إنَّ الصِّفَات مَوْجُودَةٌ فِي الخَارِج بوُجُود زَائد عَلى وُجُود الذَّات، وَالشُّئُونَات مُجَرَّدُ اعْتبَارَات فِي الذَّات وَلنُوضِّحَ هَذَا المَبْحَثَ بمثَال وَهُوَ أَنَّ المَاءَ مَثَلاً يَنْزِل مِنْ فَوْق إلى تَحْت بالطَّبْعِ وَهَذَا الفعْل الطَّبِيعِيُّ يُوهِمُ اعْتبَارَ الحَيَاة وَالعلمِ وَالقُدْرَة وَالإِرَادَة فيه فَإنَّ أَرْبَابَ العلمِ يَنْزلونَ مِنْ أَعْلى إلى أَسْفَل بوَاسطَة ثقَلهِمْ وَبمُقْتَضَى علمهِمْ وَلاَ يَتَوجَّهُونَ إلى جهَة الفَوْق.

وَالعلمُ تَابعٌ للحَيَاة، وَالإِرَادَةُ تَابعٌ للعلم.

وَالقُدْرَةُ أَيضًا ثَابتَةٌ فَإنَّ الإِرَادَةَ تَخْصيصُ أَحَد المَقْدُورِينَ وَهَذه الاعْتبَارَاتُ المُثْبَتَةُ يَعْني المَوْهُومَةَ فِي ذَات المَاء بمَنْزلة الشُّئُونَات فَلوْ أُثْبتَتْ صفَاتٌ زَائدَةٌ لذَات المَاء مَعَ وُجُود هَذه الاعْتبَارَات لكَانَتْ بمَنْزلة الصِّفَات المَوْجُودَة بوُجُود زَائد وَلاَ يَصحُّ أَنْ يُقَال للمَاء بالاعْتبَار الأَوَّل أَنَّهُ حَيٌّ عَالمٌ قَادرٌ مُرِيدٌ بَل لاَ بُدَّ لصحَّة إطْلاَق هَذه الأَسَامي منْ ثُبُوت صفَات زَائدَة فَمَا وَقَعَ فِي عبَارَة بَعْضِ المَشَايخ منْ إطْلاَق الأَسَامي المَذْكُورَة عَلى المَاء مَبْنِيٌّ عَلى عَدَمِ الفَرْق بَيْن الشُّئُون وَالصِّفَات وَكَذَلكَ الحُكْمُ بنَفْي وُجُود تلكَ الصِّفَات أَيْضًا مَحْمُول عَلى عَدَمِ ذَلكَ الفَرْق.

وَالفَرْقُ الآخَرُ بَيْن الشُّئُون وَالصِّفَات هُوَ أَنَّ مَقَامَ الشُّئُون مُوَاجهٌ لذِي الشَّأْن وَمَقَام الصِّفَات لَيسَ كَذَلكَ.

وَمُحَمَّدٌ رَسُول اللهِ ﷺ وَالأَوْلِيَاءُ الذينَ عَلَى قَدَمه رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وُصُول الفَيْضِ الثَّاني إلَيْهِمْ بوَاسطَة الشُّئُونَات وَسَائِرُ الأَنْبِيَاء - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - وَالأَوْلِيَاء الذينَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ وَصُول هَذَا الفَيْضِ بَل الفَيْضُ الأَوَّل أَيْضًا إلَيْهِمْ بِوَاسطَة الصِّفَات.

فَأَقُول: إنَّ الاسْمَ الذي هُوَ رَبُّهُ ﷺ وَوَاسطَةُ وَصُول الفَيْضِ الثَّاني إلَيْه ظل شَأْن العلمِ وَهَذَا الشَّأْنُ جَامِعٌ لجَميعِ الشُّئُون الإجْمَاليَّة، وَظلهُ عبَارَةٌ عَنْ قَابليَّة الذَّات تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ لذَلكَ الشَّأْن بَل لجَميعِ الشُّئُونِ الإجْمَاليَّة وَالتَّفْصِيليَّة وَلكِنْ باعْتبَارِ شُمُول شَأْن العلم لَهَا يَعْني لاَ بالذَّات.

يَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ هَذه القَابليَّة وَإنْ كَانَتْ بَرْزَخًا بَيْنَ الذَّات وَبَيْنَ شَأْن العلمِ وَلكِنْ لَمَّا كَانَتْ إحْدَى جهَتَيْهَا لاَ لوْنيَّةً وَهيَ جهَةُ الذَّات لاَ يَظْهَرُ لوْنُهَا في البَرْزَخِ فَذَلكَ البَرْزَخُ مُنْصَبِغٌ بلوْن جهَة أُخْرَى وَهيَ جهَةُ شَأْن العلمِ فَلاَ جَرَمَ قُلْنَا إنَّهَا ظل ذَلكَ الشَّأْن وَأَيْضًا إنَّ ظل الشَّيْء عبَارَةٌ عَنْ ظُهُور الشَّيْء وَلَوْ شَبَهًا وَمثَالاً في مَرْتَبَة ثَانيَة وَحَيْثُ كَانَ حُصُول البَرْزَخِ بَعْدَ حُصُول الطَّرَفَيْنِ لاَ جَرَمَ يَنْكَشفُ هَذَا البَرْزَخُ وَقْتَ المُكَاشَفَة تَحْتَ ذَلكَ الشَّأْن فَنَاسَبَ إطْلاَقَ الظّل باعْتبَارِ هَذَا الظُّهُورِ بالضَّرُورَة.

وَالأَسْمَاءُ التي هيَ أَرْبَابُ طَائفَة منَ الأَوْلِيَاء الذينَ عَلَى قَدَمه ﷺ في وُصُول الفَيْضِ الثَّاني ظلاَل تلكَ القَابليَّة الجَامعَة وَكَالتَّفَاصيل لذَلكَ الظّل المُجْمَل.

وَأَرْبَابُ سَائرِ الأَنْبِيَاء - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَوَاسطَةُ وَصُول الفَيْضِ الأَوَّل وَالثَّاني إلَيْهِمْ قَابليَّاتُ اتِّصَاف الذَّات بالصِّفَات المَوْجُودَة الزَّائدَة.

وَأَرْبَابُ طَائفَة منَ الأَوْلِيَاء الذينَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ في حَقِّ وُصُول الفَيْضِ الأَوَّل وَالثَّاني صفَاتٌ وَوَاسطَةُ وَصُول الفَيْضِ الأَوَّل إلَيْه ﷺ قَابليَّةُ اتِّصَاف الذَّات بجَميعِ الصِّفَات وَكَأَنَّ القَابليَّات التي هيَ وَسَائل فَيَضَان الفُيُوضِ لسَائرِ الأَنْبِيَاء - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - ظلاَل هَذه القَابليَّة الجَامعَة وَكَالتَّفَاصيل لذَلكَ الجَامعِ المُجْمَل وَوَسَائط وَصُول الفَيْضِ الأَوَّل إلَى طَائفَة هُمْ عَلَى قَدَمه ﷺ أَيْضًا عَلَى حدَة.

فَإنَّهَا صفَاتٌ فَكَأَنَّ وَسَائل وُصُول الفَيْضِ الأَوَّل في مُحَمَّديِّ المَشَارب مُغَايِرَةٌ لوَسَائط وَصُول الفَيْضِ الثَّاني بخلاَف غَيْرِهِمْ فَإنَّهَا وَاحدَةٌ فيهِمْ وَبَعْضُ

المَشَايِخِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ جَعَلَ رَبَّهُ ﷺ مُنْحَصِرًا فِي قَابِلِيَّةِ الاتِّصَافِ وَمَنْشَؤُهُ عَدَمُ الفَرْقِ بَيْنَ الشُّئُونِ وَالصِّفَاتِ بَلْ عَدَمُ العِلْمِ بِمَقَامِ الشُّئُونِ وَاللهُ يُحِقُّ الحَقَّ وَهُوَ يُهْدِي السَّبِيلَ.

فَتَحَقَّقَ أَنَّ رَبَّهُ ﷺ رَبُّ الأَرْبَابِ فِي مَقَامِ الشُّئُونِ وَفِي مَوْطِنِ الصِّفَاتِ وَوَاسِطَةٌ لِوُصُولِ كِلاَ الفَيْضَيْنِ.

وَعُلِمَ أَيْضًا أَنَّ وُصُولَ فَيْضِ مَرَاتِبِ كَمَالاَتِ وِلاَيَتِهِ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - مِنَ الذَّاتِ مِنْ غَيْرِ تَوَسُّطِ أَمْرٍ زَائِدٍ؛ لأَنَّ الشُّئُونَ عَيْنُ الذَّاتِ وَاعْتِبَارُ الزِّيَادَةِ فِيهَا مِنْ مُنْتَزَعَاتِ العَقْلِ وَلِهَذَا كَانَ التَّجَلِّي الذَّاتِيُّ مَخْصُوصًا بِهِ ﷺ وَلَمَّا أَخَذَ كَمَالُ تَابِعِيَّةِ الفَيْضِ مِنْ طَرِيقَةٍ حَصَلَ لَهُمْ أَيْضًا شُرْبٌ مِنْ هَذَا المَقَامِ وَالآخَرُونَ لَمَّا كَانَتْ فِي وُصُولِ الفَيْضِ إِلَيْهِمْ وَسَاطَةُ الصِّفَاتِ فِي البَيْنِ وَالصِّفَاتُ مَوْجُودَةٌ بِوُجُودٍ زَائِدٍ وَقَعَ فِي البَيْنِ حَاجِزٌ حَصِينٌ وَكَانَ التَّجَلِّي الصِّفَاتِيُّ مُتَعَيِّنًا لَهُمْ.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ قَابِلِيَّةَ الاتِّصَافِ وَإِنْ كَانَتْ اعْتِبَارِيَّةً وَلَيْسَ لَهَا وُجُودٌ زَائِدٌ وَالصِّفَاتُ مَوْجُودَةٌ دُونَ قَابِلِيَّاتِهَا وَلَكِنْ لَمَّا كَانَتْ القَابِلِيَّاتُ كَالبَرَازِخِ بَيْنَ الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ بَلْ بَيْنَ الشُّئُونِ وَالصِّفَاتِ وَمِنْ شَأْنِ البَرْزَخِ أَنْ يَأْخُذَ لَوْنَ طَرَفَيْهِ أَخَذَتْ القَابِلِيَّاتُ أَيْضًا لَوْنَ الصِّفَاتِ وَحَصَلَتْ الحَائِيَّةُ، شِعْرٌ:

وَمَا قَلَّ هِجْرَانُ الحَبِيبِ وَإِنْ غَدَا   قَلِيلاً وَنِصْفُ الشَّعْرِ فِي عَيْنٍ ضَائِرُ

فَلاَحَ مِنْ هَذَا البَيَانِ أَنَّ ظُهُورَ الذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ مِنْ غَيْرِ حِجَابٍ لَيْسَ بِمُنَافٍ لِلتَّجَلِّي الشُّهُودِيِّ وَلَكِنَّهُ مُنَافٍ لِلتَّجَلِّي الوُجُودِيِّ وَلِهَذَا لَمْ يَكُنْ فِي جَانِبِ وُصُولِ فَيْضِ كَمَالاَتِ الوِلاَيَةِ إِلَيْهِ ﷺ حَائِلٌ وَفِي جَانِبِ وُصُولِ الفَيْضِ الوُجُودِيِّ حَصَلَ الحَائِلُ فِي البَيْنِ وَهُوَ قَابِلِيَّةُ الاتِّصَافِ كَمَا مَرَّ.

لاَ يُقَالُ: لَمَّا كَانَتْ الشُّئُونُ وَقَابِلِيَّاتُهَا مِنَ الاعْتِبَارَاتِ العَقْلِيَّةِ ثَبَتَ لَهَا الوُجُودُ الذِّهْنِيُّ فَلَزِمَ مِنْهُ الحِجَابُ العِلْمِيُّ،

غَايَةُ مَا فِي البَابِ أَنَّ حُجُبَ الصِّفَاتِ خَارِجِيَّةٌ وَحُجُبَ الشُّئُونِ عِلْمِيَّةٌ لأَنَّا نَقُولُ: إِنَّ المَوْجُودَ الذِّهْنِيَّ لاَ يَكُونُ حِجَابًا بَيْنَ المَوْجُودَيْنِ الخَارِجِيَّيْنِ فَإِنَّ حِجَابَ المَوْجُودِ الخَارِجِيِّ لاَ يَكُونُ إِلاَّ مَوْجُودًا خَارِجِيًّا وَلَوْ سُلِّمَ فَالحِجَابُ العِلْمِيُّ يُمْكِنُ ارْتِفَاعُهُ مِنَ البَيْنِ بِحُصُولِ بَعْضِ المَعَارِفِ بِخِلاَفِ الخَارِجِيِّ فَإِنَّهُ لاَ يُمْكِنُ زَوَالُهُ.

فَإِذَا عَلِمْتَ هَذِهِ المُقَدِّمَاتِ فَاعْلَمْ أَنَّ السَّالِكَ إِذَا كَانَ مُحَمَّدِيَّ المَشْرَبِ فَمُنْتَهَى سَيْرِهِ المُسَمَّى بِالسَّيْرِ إِلَى اللهِ إِلَى ظِلِّ الشَّأْنِ الذِي هُوَ اسْمُهُ يَعْنِي رَبَّهُ وَبَعْدَ

الفَنَاء في ذَلكَ الاسْمِ يُشرَّفُ بالفَنَاء في الله وَإذَا صَارَ بَاقيًا به تَيَسَّرَ لهُ البَقَاءُ بالله أَيْضًا وَبهَذَا الفَنَاء وَالبَقَاء يَكُونُ دَاخلاً في أَوَّل مَرْتَبَة منَ الوِلاَيَة الخَاصَّة المُحَمَّديَّة عَلى صَاحبهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ فَإنْ لم يَكُنْ مُحَمَّديَّ المَشْرَب يَصل إلى قَابليَّة صفَة أَوْ نَفْس صفَة هيَ رَبُّهُ فَإذَا كَانَ فَانيًا في هَذَا الاسْمِ يَعْني الصِّفَة أَوْ القَابليَّة التي وَصَلَ إلَيْهَا لاَ يُطْلَقُ عَلَيْهَا الفَاني في الله وَكَذَلكَ لاَ يَكُونُ بَاقيًا بالله عَلى تَقْدير بَقَائه بهَا فَإنَّ اسْمَ الله عبَارَةٌ عَنْ مَرْتَبَة جَامعَة لجَميع الشُّئُون وَالصِّفَات وَحَيْثُ كَانَتْ الزِّيَادَةُ في جهَة الشُّئُون اعْتبَاريَّةً كَانَتْ الشُّئُونُ عَيْنَ الذَّات وَبَعْضُهَا عَيْنُ البَعْض الآخَر فَالفَنَاءُ في اعْتبَار وَاحد فَنَاءٌ في جَميع الاعْتبَارات بَل فَنَاءٌ في الذَّات وَكَذَلكَ البَقَاءُ باعْتبَار وَاحد بَقَاءٌ بجَميع الاعْتبَارَات فَإطْلاَقُ الفَاني في الله وَالبَاقي بالله يَصحُّ في هَذه الصُّورَة بخلاَفهَا في جَانب الصِّفَات فَإنَّهَا مَوْجُودَةٌ بوُجُود زَائد عَلى الذَّات وَمُغَايَرتُهَا للذَّات وَمُغَايرَةُ بَعْضهَا للبَعْض الآخَر تَحْقيقيَّةٌ فَالفَنَاءُ في صفَة وَاحدَة لاَ يَسْتَلزمُ الفَنَاءَ في جَميعهَا وَهَكَذَا الحَال في البَقَاء فَلاَ جَرَمَ لاَ يُقَال لهَذَا الفَاني فَانيًا في الله وللبَاقي بَاقيًا بالله بَل يَصحُّ أَنْ يُقَال لهُ الفَاني وَالبَاقي مُطْلَقًا أَوْ مُقَيَّدًا بصفَة يَعْني الفَانيَ في صفَة العلم وَالبَاقيَ بتلكَ الصِّفَة فَيَكُونُ فَنَاءُ المُحَمَّديِّينَ أَتَمَّ بالضَّرُورَة وَبَقَاؤُهُمْ أَكْمَل وَأَيْضًا لمَّا كَانَ عُرُوجُ المُحَمَّدي إلى جَانب الشُّئُون وَلاَ مُنَاسَبَةَ بَيْنَ الشُّئُون وَالعَالم أَصْلاً لأَنَّ العَالمَ ظل الصِّفَات لاَ ظل الشُّئُون لزمَ أَنْ يَكُونَ فَنَاءُ السَّالك في شَأْن مُسْتَلزم للفَنَاء المُطْلَق عَلى نَهْجٍ لاَ يَبْقَى منْ وُجُود السَّالك وَلاَ منْ أَثَره شَيْءٌ أَصْلاً.

وَهَكَذَا عَلى تَقْدير البَقَاء يَكُونُ بَاقيًا بتَمَامه وَكُليَّته بذَلكَ الشَّأْن بخلاَف الفَاني في الصِّفَات فَإنَّهُ يَنْخَلعُ عَنْ نَفْسه بالتَّمَام وَلاَ يَزُول أَثَرُهُ لأَنَّ وُجُودَ السَّالك أَثَرُ تلكَ الصِّفَة وَظلهَا فَظُهُورُ الأَصْل لاَ يَكُونُ مَاحيًا لوُجُود الظِّل بالكُليَّة وَالبَقَاء عَلى مقْدَار الفَنَاء فَالمُحَمَّديُّ يَكُونُ أَمينًا عَن الرُّجُوع إلى الصِّفَات البَشَريَّة وَمَحْفُوظًا منْ خَوْف الرَّدِّ إلى مَرْتَبَة البَهيميَّة لأَنَّهُ مُنْخَلعٌ عَنْ نَفْسه بالكُليَّة وَصَارَ بَاقيًا به - سُبْحَانَهُ - فَيَكُونُ العَوْدُ مَمْنُوعًا عَلى هَذَا التَّقْدير بخلاَفه في صُورَة الفَنَاء الصِّفَاتيِّ فَإنَّ العَوْدَ هُنَاكَ مُمْكنٌ لبَقَاء أَثَر وُجُود السَّالك وَيُمْكنُ أَنْ يَكُونَ وُقُوعُ الاخْتلاَف بَيْنَ المَشَايخ في جَوَاز رُجُوع الوَاصل وَعَدَم جَوَازه منْ هَذه الجهَة وَالحَقُّ هُوَ أَنَّهُ إنْ كَانَ مُحَمَّديًا فَمَحْفُوظٌ منَ العَوْد وَإلاَّ فَفي الخَطَر وَكَذَلكَ

الاخْتِلاَفُ الوَاقِعُ فِي زَوَال أَثَر وُجُود السَّالك بَعْدَ فَنَائه حَيْثُ قَال بَعْضُهمْ بزَوَال العَيْنِ وَالأَثَر وَالبَعْضُ الآخرُ لَمْ يُجوِّزْ زوَال الأَثَر وَالحَقُّ فِي هَذَا البَاب أَيْضًا تَفْصيل فَإِنْ كَانَ مُحَمَّديًّا يُزُول عَنْهُ العَيْنُ وَالأَثَرُ كلاَهُمَا وَإلاّ فَلاَ يَزُول عَنْهُ الأَثَرُ لأَنَّ أَصْل الصِّفَة التِي هيَ أَصْلُهُ بَاق فَلاَ يُمْكنُ زَوَال ظله رَأْسًا.

وَهَهُنَا دَقيقَةٌ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ المُرَادَ بزَوَال العَيْنِ وَالأَثَر الزَّوَال الشُّهُوديُّ لاَ الوُجُوديُّ فَإِنَّ القَوْلَ بالزَّوَال الوُجُوديِّ مُسْتَلزمٌ للإلحَاد وَالزَّنْدَقَة وَجَمَاعَةٌ مِنْ هَذه الطَّائفَة تَصَوَّرُوا الزَّوَال زَوَالاً وُجُوديًّا فَهَرَبُوا مِنْ زَوَال أَثَر المُمْكنِ وَتَيَقَّنُوا أَنَّ القَوْل به إلحَادٌ وَزَنْدَقَةٌ وَالحَقُّ مَا حَقَّقْتُ بإعْلاَمه - سُبْحَانَهُ - وَالعَجَبُ أَنَّهُمْ مَعَ قَوْلهمْ بالزَّوَال الوُجُوديِّ قَالوا بزَوَال العَيْنِ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ القَوْل بزَوَال عَيْنِ الوُجُود كَالحُكْمِ بزَوَال الأَثَر مُسْتَلزم للإلحَاد وَالزَّنْدَقَة وَبالجُمْلَة إنَّ الزَّوَال الوُجُوديَّ مُحَال في العَيْنِ، وَالأَثَرُ والشُّهُوديُّ مُمْكنٌ في كليْهمَا بَل وَاقعٌ وَلكنَّهُ مَخْصُوصٌ بمُحَمَّديِّ المَشْرَب فَالمُحَمَّديُّونَ يَنْخَلعُونَ عَنِ القَلْب بالتَّمَام وَيَتَّصلونَ بمُقَلب القَلب وَهُمْ مُتَخَلصُونَ عَنْ تَقَلب الأَحْوَال وَمُحَرَّرُونَ عَنْ رُؤْيَة السِّوَى بالكُلِّيَّة وَلَمَّا كَانَ وُجُودُ الآثَار لاَزمًا لغَيْرهمْ وَتَقَلبُ الأَحْوَال نَقْدَ وَقْتهمْ لَيْسَ لهُمْ مُخَلصٌ منْ مَقَام القَلب لأَنَّ تَقَلبَ الأَحْوَال وَوُجُودَ الآثَار منْ شعْب الحَقيقَة الجَامعَة القَلبيَّة فَيَكُونُ شُهُودُ غَيْرهمْ في الحجَاب دَائمًا فَإِنَّ حجَابَ المَطْلوب إنَّمَا يَكُونُ عَلى مقْدَار ثُبُوت بَقَايَا وُجُود السَّالك وَحَيْثُ كَانَ الأَثَرُ بَاقيًا فَالحجَابُ هُوَ ذَلكَ الأَثَرُ.

مَعْرفَةٌ: إذَا وَصَل السَّالكُ منْ طَريق سُلوك غَيْر مُتَعَارَف إلى مَرْتَبَة منْ مَرَاتب فَوْقَ اسْم هُوَ رَبُّهُ وَصَارَ فَانيًا وَمُسْتَهْلكًا في تلكَ المَرْتَبَة منْ غَيْر أَنْ يَصل إلى ذَلكَ الاسْم فَإطْلاَقُ الفَنَاء في الله في هَذه الصُّورَة أَيْضًا جَائزٌ وَكَذَلكَ البَقَاءُ بتلكَ المَرْتَبَة فَتَخْصيصُ الفَنَاء في الله بذَلكَ الاسْم اعْتبَاريٌّ لكَوْنه أَوَّل مَرْتَبَة منْ مَرَاتب الفَنَاء.

مَعْرفَةٌ: إنَّ السُّلوكَ عَلى أَنْوَاعٍ فَسُلوكُ البَعْضِ منْ غَيْر تَقَدُّم الجَذْبَة وَفي البَعْض الجَذْبَةُ مُقَدَّمَةٌ عَلى سُلوكهمْ وَجَمَاعَةٌ تَحْصُل لهُمُ الجَذْبَةُ في أَثْنَاء قَطْع مَنَازل السُّلوك وَطَائفَةٌ يَتَيَسَّرُ لهُمْ طَيُّ مَنَازل السُّلوك وَلكنَّهُمْ لاَ يَصلونَ إلى حَدِّ الجَذْبَة فَتَقَدُّمُ الجَذْبَة للمَحْبُوبينَ وَبَاقي الأَقْسَام مُتَعَلقَةٌ بالمُحبِّينَ وَسُلوكُ المُحبِّينَ تَحْصُل خُلاَصَةُ المَقَامَات العَشْرَة لاَ حَاجَةَ لهُمْ إلى التَّرْتيب وَالتَّفْصيل، وَالعلمُ بوَحْدَة الوُجُود منَ الإحَاطَة وَالسَّرَيَان وَالمَعيَّة الذَّاتيَّة كُل ذَلكَ مَرْبُوطٌ بالجَذْبَة المُتَقَدِّمَة أَوْ

المُتَوَسِّطَةِ وَلَيْسَ لِلسُّلوكِ الخَاصِّ وَجَذْبَةِ المُنْتَهِينَ مُنَاسَبَةٌ بِأَمْثَالِ هَذِهِ العُلُومِ وَلاَ مُنَاسَبَةَ أَيْضًا بَيْنَ حَقِّ اليَقِينِ المَخْصُوصِ بِالمُنْتَهِينَ وَبَيْنَ العُلومِ المُنَاسِبَةِ بِالتَّوْحِيدِ الوُجُودِيِّ ففى كُلِ مَوْضِعٍ بُيِّنَ فيه حَقُّ اليَقِينِ المَخْصُوصِ بِمَقَامِ المَجْذُوبِينَ مُنَاسبًا لَمقَامِ أَرْبَابِ التَّوْحِيدِ الوُجُودِيِّ فَهُوَ حَقُّ اليَقِينِ المَخْصُوصِ بِالمَجْذُوبِ المُبْتَدِي أَوْ المُتَوَسِّطِ.

مَعْرِفَةٌ: قَال بَعْضُ المَشَايِخِ: إذَا بَلَغَ شُغْل الطَّالِب الجَذْبَةَ فَدَليلهُ بَعْدَ ذَلكَ هُوَ تلكَ الجَذْبَةُ فَحَسْبُ يَعْني أَنَّهُ لاَ يَحْتَاجُ إلى تَوسُّط دَليل آخرَ بَل تلكَ الجَذْبَةُ كَافِيَةٌ لهُ فَإِنْ أَرَادَ بِهَذه الجَذْبَة جَذْبَةَ السَّيْرِ في اللهِ فَنَعْمَ إنَّهَا كَافيَةٌ وَلكنْ لفْظُ الدَّليل مُنَاف لهَذه الإرَادَة لأَنَّهُ لاَ مَسافَةَ بَعْدَ السَّيْرِ في اللهِ حَتَّى يُحْتَاجَ في قَطْعهَا إلى دَليل وَكَذَلكَ الجَذْبَةُ المُتَقَدِّمَةُ يَعْني عَلى السُّلوك أَيْضًا لَيسَتْ بمُرَادَة هُنَا كَمَا هُوَ مَعْلومٌ منَ العبَارَة فَيَكونُ المُرَادُ بِهَا بِالضَّرُورَة جَذْبَةَ المُتَوَسِّطِ وَكفَايَتُهَا في الوُصُول إلى المَطْلوب لَيسَ بمَعْلوم فَإنَّ كَثيرًا منَ المُتَوَسِّطينَ قَدْ تَوَقَّفُوا وَتَقَاعَدُوا منَ العُرُوجِ إلى فَوْق عنْد حُصُول هَذه الجَذْبَة وَزَعَمُوا تلكَ الجَذْبَةَ جَذْبَةَ النِّهَايَة فَإنْ كَانَتْ كَافيَةً لَمَا كَانَتْ تَتْرُكُهُمْ في أَثْنَاء الطَّريق نَعَمْ إذَا كَانَتْ الجَذْبَةُ المُتَقَدِّمَةُ المُتَعَلقَةُ بِالمَحْبُوبينَ كَافيَةً فَلهَا مَجَال يُمْكنُ أَنْ تَجُرَّ المَحْبُوبينَ بسلسلة العنَايَة وَلاَ تَتْرُكَهُمْ في أَثْنَاء الطَّريق وَلكنْ كَوْنُ هَذه الكفَايَة في حَقِّ جَميع الجَذْبَات المُتَقَدِّمَة مَمْنوعٌ أَيْضًا بَل الجَذْبَةُ إذَا آل أَمْرُهَا إلى السُّلوك فَكَافيَةٌ وَإلاَّ فَمَجْذُوبٌ أَبْتَرُ وَلَيْسَ منَ المَحْبُوبينَ.

الخَاتمَةُ: قَالتْ طَائفَةٌ منَ المَشَايخِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ: إنَّ التَّجَلي الذَّاتيَّ مُزيل للشُّعُور وَمُعَطِّل للحسِّ وَقَدْ أَخْبَرَ بَعْضُهُمْ عَنْ حَاله بأَنَّهُ سَقَطَ وَوَقَعَ عَلى الأَرْضِ عنْدَ ظُهُور هَذَا التَّجَلي الذَّاتي وَبَقيَ مُدَّةً مَديدَةً منْ غَيْر حسٍّ وَحَرَكَة حَتَّى ظَنَّ النَّاسُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ، وَبَعْضُهُمْ مَنَعَ الكَلاَمَ وَغَيْرَه في التَّجَلي الذَّاتيِّ وَحَقيقَةُ هَذَا الكَلاَمِ أَنَّ التَّجَليَ هُوَ حجَابُ اسْمٍ منَ الأَسْمَاء وَبَقَاءُ الحجَاب بوَاسطَة بَقَايَا أَثَر وُجُود صَاحب التَّجَلي يَعْني المُتَجَلى لَهُ وَعَدَمُ الشُّعُور أَيْضًا بوَاسطَة تلكَ البَقيَّة فَإنْ كَانَ فَانيًا بالتَّمَام وَشُرِّفَ بالبَقَاء باللهِ لاَ يَسْلبُ التَّجَلي عَنْهُ الشُّعُورَ أَصْلاً، شعْرٌ:

يُحْرَقُ بِالنَّارِ مَنْ يَمَسُّ بِهَا وَمَنْ هُوَ النَّارُ كَيْفَ يَحْتَرِقُ

بَل أَقُول: إنَّ التَّجَلِيَ الذي فِي الحجَاب لَيْسَ هُوَ تجليًا ذَاتيًّا بَل دَاخل فِي التَّجَلي الصِّفَاتِيِّ وَالتَّجلي المَخْصُوص به ﷺ بلاَ حجَاب.

وَعَلاَمَةُ وُجُود الحجَاب فقْدَانُ الشُّعُور وَفقْدَانُ الشُّعُورِ مِنَ البُعْد وَعَلاَمَةُ عَدَمِ الحِجَاب وُجُودُ الشُّعُورِ وَالشُّعُورُ فِي كَمَال الحُضُور.

وَقَدْ أَخْبَرَ وَاحدٌ منَ الأَكَابِرِ عَلَيْه الرَّحْمَةُ وَالغُفْرَانُ عَنْ حَال صَاحِب هَذَا التَّجَلي بِالأَصَالة وَالاسْتقْلاَل حَيْثُ قَال (شعْرٌ):

وَأُغْمِيَ مُوسَى مِنْ تَجَلي صَافَته وَأَنْتَ تَرَى ذَاتَ الآله وَتَبَسَّم

وَهَذَا التَّجَلي الذَّاتِيُّ الذي لاَ حَجَابَ فيه دَائمِيٌّ للمَحْبُوبينَ وَبَرْقِيٌّ للمُحبِّينَ فَإِنَّ أَبْدَانَ المَحْبُوبينَ أَخَذَتْ حُكْمَ أَرْوَاحهِمْ وَسَرَتْ تلكَ النِّسْبَةُ فِي كُلِّيَّتِهِمْ وَهَذه السِّرَايَةُ فِي المُحبِّينَ عَلى سَبيل النُّدْرَة وَمَا وَقعَ فِي الحَديث النَّبَوِيِّ مِنْ قَوْله - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - لِي مَعَ الله وَقْتٌ. لَيْسَ المُرَادُ بالوَقْت هَذَا التَّجَلي البَرْقِيُّ فَإِنَّ هَذَا التَّجَليَ فِي حَقِّه - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - الذي هُوَ رَئِيسُ المُرَادينَ دَائمِيٌّ بَل هُوَ نَوْعٌ مِنْ خُصُوصيَّات هَذَا التَّجَلي الدَّائمِيُّ وَاقعٌ عَلى سَبيل النُّدْرَة وَالقِلة كَمَا لاَ يَخْفَى عَلى أَرْبَابه.

مَعْرفَةٌ: إنَّ المَشَايخ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ فِي حَديث لِي مَعَ الله وَقْتَ لاَ يَسَعُنِي فيه مَلَكٌ مُقرَّبٌ وَلاَ نَبِيٌّ مُرْسَل عَلى قسْمَيْن فَطَائفَةٌ أَرَادُوا بالوَقْت الوَقْتَ المُسْتَمِرَّ وَطَائفَةٌ أُخْرَى قَالوا بنُدْرَة الوَقْت وَالحَقُّ أَنَّ الوَقْتَ النَّادرَ مَعَ وُجُود اسْتمْرَارِ الوَقْت مُتَحَقِّقٌ أَيْضًا كَمَا مَرَّتْ الإشَارَةُ إلَيْه آنفًا وَتَحقَّقَ هَذَا الوَقْتُ النَّادرُ عنْدَ هَذَا الحَقيرِ هُوَ فِي حِين أَدَاء الصَّلاَة وَكَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَشَارَ بقَوْله وَقُرَّةُ عَيْني فِي الصَّلاَة. إلى ذَلكَ وَأَيْضًا قَال ﷺ: "**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنَ الرَّبِّ فِي الصَّلاَة**" وَقَال تَبَارَكَ وتَعَالى {وَاسْجُدْ وَاقْتَربْ}.

وَكُل وَقْت فيه القُرْبُ الإلَهِيُّ أَزْيَدُ فَمَجَال الغَيْر فيه أَشَدُّ انْتفَاءً وَمَا قَال بَعْضُ المَشَايخ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ مُخبِرًا عَنْ حَاله وَوَقْته وَاسْتمْرَاره حَالِي فِي الصَّلاَة كَحَال قَبْل الصَّلاَة يُنَافِي الأَحَاديثَ المَذْكُورَةَ بَل النَّصُّ المَذْكُورُ يَنْفِي المُسَاوَاةَ وَالاسْتمْرَار.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الاسْتمْرَارَ الوَقْتَ مُتَحَقِّقٌ وَالكَلاَمَ إنَّمَا هُوَ فِي أَنَّ الحَالةَ النَّادرَةَ مَعَ وُجُود اسْتمْرَارِ الوَقْت هَل هيَ مُتَحقِّقَةٌ أَوْ لاَ وَالذي لَمْ يَطَّلعُوا عَلى نُدْرَة الوَقْت قَالوا بنَفْيهَا وَالذي لَهُمْ حَظٌّ مِنْ ذَلكَ المَقَام اعْتَرَفُوا بهَا.

وَالحَقُّ أَنَّ الذينَ أُعْطُوا الجَمْعِيَّةَ في الصَّلاةِ بِتَبَعِيَّتِهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامَ وَاحْتَظَوْا بِدَوْلَةِ قُرْبِ ذَلِكَ الشُّرْبِ أَقَلُّ قَليلٍ رَزَقَنَا اللهُ - سُبْحَانَهُ - بِكَمَالِ كَرَمِهِ نَصِيبًا مِنْ هَذَا المَقَامِ بِحُرْمَةِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ.

مَعْرِفَةٌ: إِنَّ المُنْتَهِينَ مِنْ أَرْبَابِ الصِّفَاتِ قَرِيبُونَ مِنَ المَجْذُوبِينَ في العُلُومِ وَالمَعَارِفِ وَكِلا الطَّائِفَتَيْنِ عَلَى وَصْفٍ وَاحِدٍ في الشُّهُودِ فَإِنَّ كِلَيْهِمَا مِنْ أَرْبَابِ القُلُوبِ غَايَةُ مَا في البَابِ أَنَّ أَرْبَابَ الصِّفَاتِ مُطَّلِعُونَ عَلَى التَّفَاصِيلِ بِخِلافِ المَجْذُوبِينَ وَأَيْضًا إِنَّ أَرْبَابَ الصِّفَاتِ فِيهِمْ بِوَاسِطَةِ السُّلُوكِ وَالعُرُوجِ إِلى فَوْقِ زِيَادَةُ قُرْبِ النِّسْبَةِ إِلى المَجْذُوبِينَ الذينَ لا عُرُوجَ لَهُمْ وَلَكِنَّ مَحَبَّةَ الأَصْلِ آخِذَةٌ بِيَدِ المَجْذُوبِينَ وَإِنْ كَانَ في البَيْنِ حُجُبٌ وَلا عَجَبَ لَوْ اُعْتُبِرَ في المَجْذُوبِينَ بِحُكْمِ المَرْءِ مَعَ مَنْ أَحَبَّ قُرْبُ الأَصْلِ وَمَعِيَّتُهُ فَالمَجْذُوبُونَ لَهُمْ مُنَاسَبَةٌ بِالمَحْبُوبِينَ في المَحَبَّةِ فَإِنَّ الحُبَّ الذَّاتِيَّ وَلَوْ مَعَ الحُجُبِ مُتَحَقِّقٌ في المَجْذُوبِينَ أَيْضًا.

مَعْرِفَةٌ: قَدْ وَقَعَ في عِبَارَةِ البَعْضِ مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ أَنَّ لِلأَقْطَابِ تَجَلِّي الصِّفَاتِ وَلِلأَفْرَادِ تَجَلِّي الذَّاتِ وَفي هَذَا الكَلامِ مَجَالٌ لِلتَّأَمُّلِ فَإِنَّ القُطْبَ مُحَمَّدِيُّ المَشْرَبِ وَالمُحَمَّدِيُّونَ لَهُمُ التَّجَلِّي الذَّاتِيُّ نَعَمْ إِنَّ في هَذَا التَّجَلِّي أَيْضًا تَفَاوُتًا كَثِيرًا فَإِنَّ القُرْبَ الذي لِلأَفْرَادِ لَيْسَ لِلأَقْطَابِ وَلَكِنْ لِكِلَيْهِمَا نَصِيبٌ مِنَ التَّجَلِّي الذَّاتِيِّ إِلاَّ أَنْ نَقُولَ: إِنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مُرَادُهُ مِنَ القُطْبِ قُطْبَ الأَوْتَادِ الذي هُوَ عَلَى قَدَمِ إِسْرَافِيلَ - عَلَيْهِ السَّلامُ - لا عَلَى قَدَمِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

مَعْرِفَةٌ: إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ وَاللهُ - تَعَالَى - مُنَزَّهٌ عَنِ الشِّبْهِ وَالمِثَالِ وَخَلَقَ رُوحَ آدَمَ التي هِيَ خُلاصَتُهُ عَلَى صُورَةٍ لا شِبْهِيَةٍ وَلا مِثْلِيَّةٍ فَكَمَا أَنَّ الحَقَّ - سُبْحَانَهُ - لا مَكَانِيٌّ كَانَتِ الرُّوحُ أَيْضًا لا مَكَانِيَّةً وَنِسْبَةُ الرُّوحِ إِلى البَدَنِ كَنِسْبَتِهِ - تَعَالَى - وَتَقَدَّسَ إِلى العَالَمِ لا دَاخِلَةٌ فِيهِ وَلا خَارِجَةٌ عَنْهُ وَلا مُتَّصِلَةٌ بِهِ وَلا مُنْفَصِلَةٌ عَنْهُ لا نَفْهَمُ فِيَا نِسْبَةً سِوَى القَيُّومِيَّةِ وَمُقَوِّمُ كُلِّ ذَرَّةٍ مِنْ ذَرَّاتِ البَدَنِ هُوَ الرُّوحُ كَمَا أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَيُّومُ العَالَمِ وَقَيُّومِيَّتُهُ - تَعَالَى - لِلْبَدَنِ بِوَاسِطَةِ الرُّوحِ وَكُلُّ فَيْضٍ يَرِدُ مِنْهُ - سُبْحَانَهُ - عَلَى البَدَنِ فَمَحَلُّ وُرُودِهِ ابْتِدَاءً هُوَ الرُّوحُ ثُمَّ يَصِلُ ذَلِكَ الفَيْضُ بِوَاسِطَةِ الرُّوحِ إِلى البَدَنِ وَلَمَّا كَانَتِ الرُّوحُ مَخْلُوقَةً عَلَى صُورَةٍ لا شِبْهِيَةٍ وَلا مِثْلِيَّةٍ لا جَرَمَ كَانَ فِيهَا مَجَالٌ لِلشِّبْهِيِّ وَالمِثَالِيِّ الحَقِيقِيِّ لا يَسَعُنِي أَرْضِي وَلا سَمَائِي وَلَكِنَّ يَسَعُنِي قَلْبُ عَبْدِي المُؤْمِنِ إِنَّ الأَرْضَ وَالسَّمَاءَ لَمَّا

كَانَا مَعَ وُجُود الوَسَعَة فيهمَا دَاخليْنِ في دَائرَة المَكَان وَمُتَّسميْن بسمَة الشَّبَه وَالمثَال لَيْسَ فيهمَا مَجَال المَكَانيِّ المُقَدَّسِ عَنِ الشَّبَه وَالمثَال فَإِنَّ اللاَّمَكَانيَّ لاَ يَسَعُهُ المَكَانيُّ وَالمثَاليُّ لاَ يَتَمَكَّنُ في المثَاليِّ فَلاَ جَرَمَ تَحَقُّقُ السَّعَة وَالمَجَال في قَلب عَبْده المُؤْمن الذي هُوَ لاَ مَكَانَ وَمُنَزَّهٌ عَنِ الشَّبَه وَالمثَال.

وَالتَّخْصيصُ بقَلب المُؤْمنِ مَبْنيٌّ عَلى أَنَّ قَلبَ غَيْرِ المُؤْمنِ هَابطٌ عَنْ أَوْجِ المَكَانيِّ وَمَأْسُورٌ للشَّبَهيِّ وَالمثَاليِّ وَآخذٌ حكْمَةً وَلَمَّا كَانَ دَاخلاً في دَائرَة المَكَانيِّ بسَبَب ذَلكَ النُّزُول وَالأَسْر وَاكْتَسَبَ المثَاليَّةَ ضَيَّعَ تلكَ القَابليَّةَ أُولئكَ كَالأَنْعَام بَل هُمْ أَضَل وَكُل مَنْ أَخْبَرَ عَنْ وَسعَة قَلبه منَ المَشَايخ فَمُرَادُهُ لاَ مَكَانيَّةُ القَلب فَإِنَّ المَكَانيَّ وَإِنْ كَانَ وَسيعًا ضَيِّقٌ أَلاَ تَرَى أَنَّ العَرْشَ مَعَ وُجُود عَظَمَته وَوُسْعَته لَمَّا كَانَ مَكَانيًّا كَانَ حكْمَةً في جَنْب المَكَانيِّ الذي هُوَ الرُّوحُ كَحُكْم الخَرْدَلة بَل أَقَل بَل أَقُول: إنَّ هَذَا القَلبَ لَمَّا كَانَ مَحَل تَجَلي أَنْوَار القدَم بَل وُجدَ بَقَاءً بالقدَم لوْ وَقَعَ فيه العَرْشُ وَمَا فيه لصَارَ مُضْمَحلاً وَمُتَلاَشيًا بحَيْثُ لاَ يَبْقَى منْهُ أَثَرٌ كَمَا قَال سَيِّدُ الطَّائفَة في هَذَا المَقَام: إنَّ المُحدَثَ إذَا قُورنَ بالقَديم لَمْ يَبْقَ لَهُ أَثَرٌ وَهَذَا لبَاسٌ مُتَفَرِّدٌ مَخيطٌ عَلى قَدْرِ الرُّوحِ خَاصَّةً وَلَيْسَتْ هَذه الخُصُوصيَّةُ للمَلاَئكَة أَيْضًا فَإِنَّهُمْ دَاخلونَ في دَائرَة المَكَانيِّ وَمُتَّصفُونَ بالمثَاليِّ فَلاَ جَرَمَ كَانَ الإنْسَانُ خَليفَةَ الرَّحْمَنِ وَلاَ عَجَبَ فيه فَإِنَّ صُورَةَ الشَّيْءِ خَليفَةُ الشَّيْءِ وَمَا لَمْ يُخْلَقْ عَلى صُورَة شَيْءٍ لاَ يَليقُ بخلاَفَة الشَّيْءِ وَمَا لَمْ يَكُنْ لاَئقًا بالخلاَفَة لاَ يَقْدرُ أَنْ يَتَحَمَّل ثقَل أَمَانَة أَصْله لاَ يَحْمل عَطَايَا المَلك إلاَّ مَطَايَاهُ قَال تَبَارَكَ وتَعَالى {إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلى السَّمَوَات وَالأَرْضِ وَالجبَال فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْملنَهَا وَأَشْفَقْنَ منْهَا وَحَمَلَهَا الإنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلومًا جَهُولاً} كَثيرُ الظُّلم عَلى نَفْسه بحَيْثُ لاَ يُبْقي منْ وُجُوده وَلاَ منْ تَوَابعِ وُجُوده أَثَرًا وَلاَ حُكْمًا كَثيرَ الجَهْل حَتَّى لاَ يَكُونَ لَهُ إِدْرَاكٌ، وَالاعْترَافُ بالجَهْل مَعْرفَةُ أَكْثَرِهمْ مَعْرفَةً بالله أَكْثَرُهُمْ تَحَيُّرًا فيه.

تَنْبيهٌ: فَإِنْ وَقَعَ في بَعْض العبَارَات لفْظٌ مُوهمٌ بالظَّرْفيَّة وَالمَظْرُوفيَّة في شَأْنه ــ تَعَالى وَتَقَدَّسَ ــ يَنْبَغي أَنْ يَحْملهُ عَلى ضيق مَيْدَان العبَارَة وَأَنْ يَجْعَل المُرَادَ وَالمَقْصُودَ منَ الكَلاَم مُطَابقًا لآرَاء أَهْل السُّنَّة.

مَعْرفَةٌ: إنَّ العَالَمَ صَغيرَهُ وَكَبيرَهُ مَظَاهرُ الأَسْمَاء وَالصِّفَات الإلهيَّة - جَل شَأْنُهُ - وَمَرَايَا الشُّئُونَات وَالكَمَالاَت الذَّاتيَّة وَهُوَ سُبْحَانَهُ كَانَ كَنْزًا مَكْنُونًا وَسرًّا مَخْزُونًا فَأَرَادَ أَنْ يَعْرِضَ نَفْسَهُ منَ الخَلاَء إلى المَلأ وَأَنْ يُوردَ الإجْمَال عَلى التَّفْصيل

فَخلَقَ العَالَمِ لِيَدُل عَلى أَصْله وَلِيَكُونَ عَلاَمَةً لحَقيقَته وَلاَ نِسْبَةَ بَيْنَ العَالَمِ وَالصَّانِعِ سِوَى أَنَّ العَالَمَ مَخلُوقَةٌ وَدَليل عَلى كَمَالاَته المَخْزُونَة - تَعَالى - وَتَقَدَّسَ وَكُل حُكْمٍ وَرَاءَ ذَلكَ مِنْ جنْسِ الاتِّحَاد وَالعَيْنِيَّة وَالإحَاطَة وَالمَعيَّة مِنَ السُّكْرِ وَغَلبَة الحَال وَالأَكَابرُ المُسْتَقيمُو الأَحْوَال الذينَ ذَاقُوا شَرَابًا مَنْ قَدَحِ الصَّحْوِ وَالوصَال يَتَبَرَّءُونَ منْ هَذه العُلومِ وَيَسْتَغْفرُونَ مَنْ مثْل هَذَا الحَال وَإنْ حَصَل لبَعْضهمْ هَذه العُلومُ في أَثْنَاء الطَّرِيقِ وَلكنَّهُمْ يُجَاوزُونَهَا بالأُخْرَى وَيُمْنَحُونَ عُلومًا أَزليَّةً مُطَابقَةً لعُلومِ الشَّرِيعَة وَلنُبَيِّنَ لتَحْقيق هَذَا المَبْحَث مثَالاً إنَّ العَالمَ التَّحْرِيرَ ذَا فُنُون مَثَلاً أَرَادَ أَنْ يُبْرِزَ كَمَالاَته المَخْزُونَةَ إلى عَرْصَة الظُّهُور وَأَنْ يُجَليَ فُنُونَهُ المَكْنُونَةَ إلى المَلاَ فَأَوْجَدَ الحُرُوفَ وَالأَصْوَاتَ ليَظْهَرَ في حُجُب تلكَ الحُرُوف وَالأَصْوَات كَمَالاَتُهُ المَخْزُونَةُ وَفُنُونُهُ المَكْنُونَةُ ففى هَذه الصُّورَة لاَ مُنَاسَبَةَ بَيْنَ تلكَ الحُرُوف وَالأَصْوَات وَبَيْنَ المَعَاني المَخزُونَة بَل بَيْنَ العَالمِ المُوجد لَهَا أَصْلاً إلاّ أَنَّ العَالمَ مُوجدُهَا وَهيَ دَالَّةٌ عَلى كَمَالاَته المَخْزُونَة وَلاَ مَعْنَى في القَوْل بأَنَّ تلكَ الحُرُوفَ وَالأَصْوَاتَ عَيْنُ ذَلكَ العَالمِ المَوْجُود أَوْ عَيْنُ تلكَ المَعَاني وَكَذَلكَ الحُكْمُ بالإحَاطَة وَالمَعيَّة غَيْرُ وَاقعٍ في تلكَ الحَادثَة بَل المَعَاني عَلى صرَافَتهَا المَخْزُونَة نَعَمْ حَيْثُ تَحَقَّقَ بَيْنَ المَعَاني وَصَاحِبهَا وَبَيْنَ الحُرُوف وَالأَصْوَات مُنَاسَبَةُ الدَّاليَّة وَالمَدْلوليَّة رُبَّمَا يَحْدُثُ في التَّخَيُّل بَعْضُ المَعَاني الزَّائدَة وَالأَوْهَام الغَيْر الوَاقعَة وَالعَالمُ وَمَعَانيه المَخْزُونَةُ مُنَزَّهَان وَمُبَرَّآن بالحَقيقَة عَنْ تلكَ النِّسْبَة الزَّائدَة وَهَذه الحُرُوفُ وَالأَصْوَاتُ مَوْجُودَةٌ في الخَارِجِ لاَ إنَّ العَالمَ وَالمَعَانيَ مَوْجُودٌ فَقَطْ وَالحُرُوفُ وَالأَصْوَاتُ أَوْهَامٌ وَخيَالاَتٌ فَكَذَلكَ العَالمُ الذي هُوَ عبَارَةٌ عَمَّا سوَاهُ - تَعَالى - مَوْجُودٌ في الخَارِجِ بالوُجُود الظِّليِّ وَالكَوْنُ الطَّبيعيُّ لاَ إنَّهُ أَوْهَامٌ وَخيَالاَتٌ فَإنَّ هَذَا المَذْهَبَ هُوَ عَيْنُ مَذْهَب السُّوفُسْطَائيِّ حَيْثُ يَقُولونَ: إنَّ العَالمَ أَوْهَامٌ وَخيَالاَتٌ وَإثْبَاتُ الحَقيقَة للعَالمِ لاَ يُخْرجُهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ أَوْهَامًا وَخيَالاَت بَل تَكُونُ الحَقيقَةُ مَوْجُودَةً لاَ العَالمُ فَإنَّ العَالمَ وَرَاءَ تلكَ الحَقيقَة المَفْرُوضَة.

تَنْبِيهٌ: إنَّ المُرَادَ بمَظْهَرِيَّة العَالمِ وَمِرْآتيَّته للأَسْمَاء وَالصِّفَات كَوْنُهُ مَظْهَرًا ومرْآةً لصُوَرِ الأَسْمَاء وَالصِّفَات لاَ لأَعْيَان الأَسْمَاء وَالصِّفَات فَإنَّ الاَسْمَ كَالمُسَمَّى لاَ يَكُونُ مُحَاطًا بالمرْآة أَصْلاً وَالصِّفَة كَالمَوْصُوف لاَ تَكُونُ مُقَيَّدَةً بمَظْهَرٍ قَطْعًا، شعْرٌ:

وَجَل اسْمُهُ سُبْحَانَهُ مِثْل ذَاته كَذَا وَصْفُهُ مِنْ أَنْ يُحَاطَا بِمَظْهَر

مَعْرِفَةٌ: إنَّ كَمَال أَتْبَاعه ﷺ وَإِنْ كَانَ لَهُمْ بوَاسطَة اتِّبَاعه ﷺ نَصيبٌ منَ التَّجَلي الذَّاتيِّ الذي هُوَ منْ خَصَائصه ﷺ بالأَصَالة وَلسَائر الأَنْبيَاء - عَلَيْهمُ السَّلاَمُ - تَجَلي الصِّفَات وَتَجَلي الذَّات أَشْرَفُ مَنْ تَجَلي الصِّفَات وَلَكنْ يَنْبَغي أَنْ يُعْلَم أَنَّ للأَنْبيَاء - عَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - في تَجَلي الصِّفَات منْ مَرَاتب القُرْب مَا لَيْسَ لكَمَال التَّابعينَ منْ هَذه الأُمَّة مَعَ وُجُود تَجَلي الذَّات بطَريق التَّبَعيَّة وَهَذَا كَمَا أَنَّ شَخْصًا مَثَلاً إذَا وَصَل إلَى الشَّمْس بطَيِّ مَدَارج العُرُوج مَحبَّةً لجَمَالهَا حَتَّى لَمْ يَبْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْس غَيْرُ حَائل رَقيق وَشَخْصٌ آخَرُ مَعَ وُجُود مَحبَّته لذَات الشَّمْس عَاجزٌ عَن العُرُوج إلَى تلكَ المَرَاتب وَإنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْس حَائل أَصْلاً فَلاَ شَكَّ أَنَّ الشَّخْصَ الأَوَّل أَقْرَبُ إلَى الشَّمْس وَأَعْلَمُ بكَمَالاَتهَا الدَّقيقَة فَكُل مَنْ فيه القُرْبُ أَزْيَدُ وَمَعْرفَتُهُ أَكْثَرُ فَهُوَ أَفْضَل وَكَمَالُهُ أَوْفَرُ فَلاَ يَبْلغُ وَليٌّ منْ أَوْليَاء هَذه الأُمَّة التي هيَ خَيْرُ الأُمَم مَعَ وُجُود أَفْضَليَّة نَبيِّهمْ مَرْتَبَةَ نَبيٍّ منَ الأَنْبيَاء وَإنْ حَصَل بمُتَابعَة نَبيِّه نَصيبٌ منْ مَقَام به الأَفْضَليَّةُ وَالفَضْل الكُليِّ إنَّمَا هُوَ للأَنْبيَاء - عَلَيْهمُ السَّلاَمُ - وَالأَوْليَاءُ طُفَيْليُّونَ وَلْيَكُنْ هَذَا آخرُ الكَلاَم وَالحَمْدُ لله - سُبْحَانَهُ - عَلى ذَلكَ وَعَلى جَميع نعْمَائه وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلى أَفْضَل أَنْبيَائه وَعَلى جَميع الأَنْبيَاء وَالمُرْسَلينَ وَالمَلاَئكَة المُقَرَّبينَ وَعَلى الصِّدِّيقينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالحينَ.

المَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالثَّمَانُونَ وَالمائَتَان
إلى السَّيِّد أَنْبِيَا المَانْكَبُوريِّ
في المَنْعِ عَنْ أَدَاء صَلاَة النَّفْلِ بالجَمَاعَة كَصَلاَة لَيْلَة العَاشُورَاء وَالبَرَاءَة وَغَيْرِهَا وَمَا يُنَاسِبُ ذَلكَ

الحَمْدُ لله الذي شَرَّفَنَا بمُتَابعَة سَيِّد المُرْسَلينَ وَجَنَّبَنَا عَنِ ارْتكَاب المُبْتَدَعَات في الدِّين، وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلى مَنْ قَمَعَ بُنْيَانَ الضَّلالة وَرَفَعَ أَعْلاَمَ الهدَايَة وَعَلى آله الأَبْرَارِ وَصَحْبه الأَخْيَار يَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ لأَكْثَرِ النَّاسِ في هَذَا الزَّمَان منَ الخَوَاصِّ وَالعَوَامِّ اهْتمَامًا تَامًّا في أَدَاء النَّوَافل وَلكنَّهُمْ يَتَسَاهَلُونَ في أَدَاء المَكْتُوبَات وَلاَ يُرَاعُونَ فيهَا السُّنَنَ وَالمُسْتَحَبَّات إلاَّ قَليلاً يَرَوْنَ النَّوَافل عَزيزَةً وَالفَرَائضَ حَقيرَةً وَذَليلةً قلمَا يُؤَدُّونَ الفَرَائضَ في أَوْقَاتهَا المُسْتَحَبَّة لاَ يَهْتَمُّونَ لإِدْرَاك تَكْبيرِ التَّحْرِيمَة مَعَ الجَمَاعَة بَل لاَ يُبَالونَ بفَوْت نَفْس الجَمَاعَة أيضًا وَإِنَّمَا يَغْتَنمُونَ أَدَاءَ نَفْسِ الفَرَائضِ بالتَّكَاسُل وَالتَّسَاهُل وَيُؤَدُّونَ النَّوَافل بالجَمْعيَّة التَّامَّة وَرعَايَة كَمَال الاهْتمَام في يَوْمِ عَاشُورَاءَ لَيْلة البَرَاءَة وَاللَّيْلة السَّابعَة وَالعشْرينَ منْ رَجَب وَلَيْلة أَوَّل جُمُعَة منْهُ وَهيَ التي يُسَمُّونَهَا لَيْلَةَ الرَّغَائب وَيَظُنُّونَ فعْلَهُمْ هَذَا حَسَنًا وَمُسْتَحْسَنًا وَلاَ يَدْرُونَ أَنَّهُ منْ تَسْويلاَت الشَّيْطَان الذي يَرَى السَّيِّئات في صُورَة الحَسَنَات قَال شَيْخُ الإسْلاَمِ مَوْلاَنَا عَاصمُ الدِّينِ اللاهوري في حَاشيَة شَرْحِ الوقَايَة: إنَّ التَّطْويعَ بالجَمَاعَة وَتَرْكَ الفَرْض بالجَمَاعَة منْ تَسْويلاَت الشَّيْطَان.

يَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ أَدَاءَ النَّوَافل بالجَمَاعَة منَ البدَعِ المَذْمُومَة وَالمَكْرُوهَة وَمنْ جُمْلَة البدَعِ التي قَال خَاتَمُ الرِّسَالَة - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - في شَأْنهَا "**مَنْ أَحْدَثَ في ديننا هَذَا فَهُوَ رَدٌّ**".

وَاعْلَمْ أَنَّ أَدَاءَ النَّوَافل بالجَمَاعَة مَكْرُوهٌ مُطْلَقًا في بَعْضِ الرِّوَايَات الفقْهيَّة وَفي بَعْضٍ آخَرَ الكَرَاهَةُ مَشْرُوطَةٌ بالتَّدَاعي وَالجَمْعيَّة فَعَلى هَذَا لَوْ صَلى اثْنَان النَّفْل في نَاحيَة المَسْجد منْ غَيْر تَدَاعٍ يَجُوزُ بلاَ كَرَاهَة وَفي الثَّلاَثَة اخْتلاَفُ المَشَايخ وَالأَرْبَعَةُ مَكْرُوهَةٌ بالاتِّفَاق في بَعْضِ الرِّوَايَات وَفي البَعْضِ الآخَرِ الأَصَحُّ أَنَّهَا

مَكْرُوهَةٌ فِي الفَتَاوَى السِّرَاجِيَّة كَرِهَ التَّطَوُّعَ بِالجَمَاعَة بِخِلاَف التَّرَاوِيحِ وَصَلاَةِ الكُسُوف وَفِي الفَتَاوَى الغِيَاثِيَّة قَالَ الشَّيْخُ الإِمَامُ السَّرَخْسِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

التَّطَوُّعُ بِجَمَاعَة خَارِجِ رَمَضَانَ إِنَّمَا يُكْرَهُ إِذَا كَانَ عَلَى سَبِيل التَّدَاعِي أَمَّا إِذَا اقْتَدَى وَاحِدٌ أَوْ اثْنَان لاَ يُكْرَهُ وَفِي الثَّلاَث اخْتِلاَفٌ وَفِي الأَرْبَعِ يُكْرَهُ بِلا خِلاَف وَذُكِرَ فِي الخُلاَصَة أَنَّ التَّطَوُّعَ بِجَمَاعَة إِذَا كَانَ عَلَى سَبِيل التَّدَاعِي يُكْرَهُ وَأَمَّا إِذَا صَلَّوْا بِجَمَاعَة بِغَيْرِ أَذَان وَإِقَامَة فِي نَاحِيَة المَسْجد لاَ يُكْرَهُ وَقَال شَمْسُ الأَئمَّة الحَلوَانِيُّ: إِذَا كَانَ سِوَى الإِمَام ثَلاَثَةٌ لاَ يُكْرَهُ بِالاتِّفَاق وَفِي الأَرْبَع اخْتِلاَفٌ وَالأَصَحُّ أَنَّهُ يُكْرَهُ وَفِي الفَتَاوَى الشَّافِيَة: وَلاَ يُصَلي التَّطَوُّعَ بِالجَمَاعَة إِلاَّ فِي شَهْر رَمَضَانَ وَذَلكَ إِنَّمَا يُكْرَهُ إِذَا كَانَ عَلَى سَبِيل التَّدَاعِي يَعْنِي بِإِذان وَإِقَامَة مَا لَوْ اقْتَدَى وَاحِدٌ وَاثْنَان لاَ عَلَى سَبِيل التَّدَاعِي فَلاَ يُكْرَهُ وَإِذَا اقْتَدَى ثَلاَثَةٌ اخْتَلَفَ المَشَايِخُ رَحِمَهُمُ اللهُ - تَعَالى - وَإِنْ اقْتَدَى أَرْبَعَةٌ كُرِهَ اتِّفَاقًا وَأَمْثَال هَذه الرِّوَايَات كَثِيرَةٌ وَالكُتُبُ الفِقْهِيَّةُ بِهَا مَمْلوءَةٌ فَإِنْ وَجَدْتَ رِوَايَةً مُجَوِّزَةً لأَدَاء النَّفْل بِالجَمَاعَة مُطْلَقًا سَاكِتَةً عَنْ ذِكْرِ العَدَد يَنْبَغِي حَمْلهَا عَلى المُقَيَّد الوَاقِعِ فِي رِوَايَة أُخْرَى وَأَنْ يُرَادَ بِالمُطْلَق المُقَيَّد وَأَنْ يَقْصُرَ الجَوَازُ عَلى اثْنَيْنِ أَوْ ثَلاَث لأَنَّ العُلَمَاءَ الحَنَفِيَّةَ وَإِنْ كَانُوا يُجْرُونَ المُطْلَقَ عَلَى إِطْلاَقه فِي الأُصُول وَلاَ يَحْملونَهُ عَلى المُقَيَّد وَلَكِنَّهُمْ يُجَوِّزُونَ حَمْلَ المُطْلق عَلى المُقَيَّد فِي الرِّوَايَات بَل عَدُّوهُ لاَزِمًا فَإِنْ لَمْ يُحْمَل عَلى طَرِيقِ فَرْضِ المُحَال وَيُجْرَى عَلى إِطْلاَقه لكَانَ هَذَا المُطْلَقُ مُعَارِضًا عَلى ذَلكَ المُقَيَّد إِذَا تَسَاوَيَا فِي القُوَّة.

وَالمُسَاوَاةُ فِي القُوَّة مَمْنُوعَةٌ فَإِنَّ رِوَايَةَ الكَرَاهَة مَعَ وُجُود كَثْرَتِهَا مُخْتَارَةٌ وَمُفْتًى بِهَا بِخِلاَف رِوَايَة الإِبَاحَة وَلوْ سُلمَ مُسَاوَاتُهَا أَقُول: إِنَّ التَّرْجِيحَ عَلى تَقْدِير تَعَارُضِ أَدلة الكَرَاهَة وَأَدلة الإِبَاحَة فِي جَانب الكَرَاهَة فَإِنَّ فيه رِعَايَةَ الاحْتِيَاط كَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ عِنْدَ أَهْل أُصُول الفقْه فَالذينَ يُصَلونَ صَلاَةَ النَّفْل يَوْمَ عَاشوراءَ وَلَيْلَةَ البَرَاءَة وَلَيْلَةَ الرَّغَائب بِجَمَاعَة عَظِيمَة بِحَيْثُ يَجْتَمعُ فِي المَسَاجد مائَتَان أَوْ ثَلثمائَة رَجُل وَيَسْتَحْسِنُونَ تلكَ الصَّلاَةَ بِمثْل ذَلكَ الاجْتمَاع وَالجَمَاعَةَ مُرْتَكبُونَ أَمْرًا مَكْرُوهًا بِاتِّفَاق الفُقَهَاء، وَاسْتحْسَانُ القَبَائح مِنْ أَعْظَم القَبَائح فَإِنَّ اعْتقَادَ الحَرَام مُبَاحًا مُنْجَرٌّ إِلى الكُفْر وَظَنَّ المَكْرُوه حَسَنًا أَقَل منْهُ بِمَرْتَبَة وَاحدَة فَيَنْبَغِي مُلاَحَظَةُ شَنَاعَة هَذَا الفِعْل.

كَمَال المُلاَحَظَة وَاعْتمَادُهُمْ فِي دَفْعِ الكَرَاهَة عَلى عَدَمِ التَّدَاعِي نَعَمْ إِنَّ

عَدَمَ التَّدَاعِي يَدْفَعُ الكَرَاهَةَ عَلى بَعْضِ الرِّوَايَاتِ وَلكِنَّهُ مَخْصُوصٌ بِمُقْتَدٍ وَاحِدٍ وَاثْنَيْنِ وَهُوَ أَيْضًا مَشْرُوطٌ بِكَوْنِه في نَاحِيَةِ المَسْجِد وَبِدُونِه خَرْطُ القَتَادِ مَعَ أَنَّ التَّدَاعِيَ عِبَارَةٌ عَنْ إِعْلاَمِ بَعْضًا آخَرَ لِأَدَاءِ صَلاَةِ النَّفْلِ وَهَذَا المَعْنَى مُتَحَقِّقٌ في تِلْكَ الجَمَاعَةِ فَإِنَّهُمْ يُعَلِمُونَ بَعْضَهُمْ بَعْضًا قَبِيلَةً قَبِيلَةً في يَوْمِ عَاشُورَاءَ وَغَيْرِه وَيَقُولُونَ يَنْبَغِي أَنْ نَذْهَبَ إلى مَسْجِد الشَّيْخِ الفُلاَنِيِّ أَوْ العَالِمِ الفُلاَنِيِّ وَأَنْ نُؤَدِّيَ الصَّلاَةَ هُنَاكَ بِالجَمْعِيَّةِ وَهُمْ قَدْ اعْتَبَرُوا هَذَا الفِعْلَ فَمِثْلُ هَذَا الإِعْلاَمِ أَبْلَغُ مِنَ الأَذَانِ وَالإِقَامَةِ فَثَبَتَ التَّدَاعِي أَيْضًا وَإِذَا جَعَلْنَا التَّدَاعِيَ مَخْصُوصًا بِالآذَانِ وَالإِقَامَةِ كَمَا وَقَعَ في بَعْضِ الرِّوَايَاتِ وَأَرَدْنَا بِهِمَا حَقِيقَةَ الأَذَانِ وَالإِقَامَةِ فَالجَوَابُ هُوَ مَا مَرَّ آنِفًا مِنْ أَنَّ عَدَمَ الكَرَاهَةِ مَخْصُوصٌ بِوَاحِدٍ وَاثْنَيْنِ مَعَ شَرْطٍ آخَرَ عَلى مَا مَرَّ ذِكْرُهُ.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ بِنَاءَ أَدَاءِ النَّفْلِ عَلى الإِخْفَاءِ وَالسَّتْرِ لِكَوْنِه مَظِنَّةَ رِيَاءٍ وَسُمْعَةٍ وَالجَمَاعَةُ مُنَافِيَةٌ لَهُ وَالمَطْلُوبُ في أَدَاءِ الفَرْضِ الإِظْهَارُ وَالإِعْلاَنُ لِأَنَّهُ مُبَرَّأٌ عَنْ شَائِبَةِ الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ فَيَكُونُ المُنَاسِبُ أَنْ يُؤَدَّى بِالجَمَاعَةِ أَوْ نَقُولُ: إِنَّ كَثْرَةَ الاجْتِمَاعِ مَظِنَّةُ حُدُوثِ الفِتْنَةِ وَلِهَذَا اشْتَرَطُوا في أَدَاءِ صَلاَةِ الجُمْعَةِ حُضُورَ السُّلْطَانِ أَوْ نَائِبِه حَتَّى يَتَحَقَّقَ الأَمْنُ مِنْ حُدُوثِ الفِتْنَةِ وَفي تِلْكَ الجَمَاعَاتِ المَكْرُوهَاتِ احْتِمَالُ إِيقَاظِ الفِتْنَةِ القَوِيَّةِ أَيْضًا فَلاَ يَكُونُ هَذَا الاجْتِمَاعُ مَعْرُوفًا بَل يَكُونُ مُنْكَرًا وَفي الحَدِيثِ النَّبَوِيِّ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمِ "**الفِتْنَةُ نَائِمَةٌ لَعَنَ اللهُ مَنْ أَيْقَظَهَا**" فَاللاَّزِمُ لِوُلاَةِ الأُمُورِ وَقُضَاةِ الإِسْلاَمِ وَأَهْلِ الاحْتِسَابِ مَنْعُ هَذَا الاجْتِمَاعِ وَمُرَاعَاةُ الزَّجْرِ بِأَبْلَغِ الوُجُوهِ في هَذَا البَابِ حَتَّى يَتَحَقَّقَ اسْتِيصَالُ هَذِه البِدْعَةِ المُنْجَرَّةِ إلى الفِتْنَةِ وَاللهُ يُحِقُّ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالثَّمَانُونَ وَالمِائَتَان

إِلى مَوْلاَنَا بَدْرِ الدِّين

فِي بَيَانِ أَسْرَارِ القَضَاءِ وَالقَدَرِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ الذي كَشَفَ سِرَّ القَضَاءِ وَالقَدَرِ على الخَوَاصِّ مِنْ عِبَادِهِ وَسَتَرَ عَنِ العَوَامِّ لِمَكَانِ الضَّلَالِ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ وَاقْتِصَادِهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ أَكْمَلَ بِهِ الحُجَّةَ البَالِغَةَ وَقَطَعَ بِهِ إِعْذَارَ العُصَاةِ الهَالِكَةِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ البَرَرَةِ الأَتْقِيَاءِ الذينَ آمَنُوا بِالقَدَرِ وَرَضُوا بِالقَضَاءِ وَالقَدَرِ مِمَّا قَدْ كَثُرَ فِيهِ الحَيْرَةُ وَالضَّلَالُ غَلَبَ عَلَى أَكْثَرِ نَاظِرِيهَا بَاطِلِ الوَهْمِ وَالخَيَالِ حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ بِمَحْضِ الجَبْرِ فِيمَا يَصْدُرُ عَنِ العَبْدِ بِالاخْتِيَارِ وَنَفَى بَعْضُهُمْ نِسْبَتَهُ إِلى الوَاحِدِ القَهَّارِ وَأَخَذَ طَائِفَةٌ بِطَرَفِ الاقْتِصَادِ فِي الاعْتِقَادِ الذي هُوَ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ وَالمَنْهَجُ القَوِيمُ وَلَقَدْ وُفِّقَ لِهَذَا الطَّرِيقِ الفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ الذينَ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ــ وَعَنْ أَسْلَافِهِمْ وَأَخْلَافِهِمْ فَتَرَكُوا الإِفْرَاطَ وَالتَّفْرِيطَ وَاخْتَارُوا الوَسَطَ وَالبَيْنَ رُوِيَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ ﷺ أَنَّهُ سَأَلَ جَعْفَرًا الصَّادِقَ ﷺ فَقَالَ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ هَلْ فَوَّضَ اللهُ الأَمْرَ إِلى العِبَادِ فَقَالَ اللهُ - تَعَالَى - أَجَلُ مَنْ أَنْ يُفَوِّضَ الرُّبُوبِيَّةَ إِلى العِبَادِ فَقَالَ لَهُ هَلْ جَبَرَهُمْ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ اللهُ - تَعَالَى - أَعْدَلُ مِنْ أَنْ يَجْبُرَهُمْ عَلَى ذَلِكَ ثُمَّ يُعَذِّبَهُمْ فَقَالَ وَكَيْفَ ذَلِكَ فَقَالَ بَيْنَ بَيْنَ لاَ جَبْرَ وَلاَ تَفْوِيضَ وَلاَ كُرْهَ وَلاَ تَسْلِيطَ لِهَذَا قَالَ أَهْلُ السُّنَّةِ: إِنَّ الأَفْعَالَ الاخْتِيَارِيَّةَ لِلعِبَادِ مَقْدُورَةَ اللهِ - تَعَالَى - مِنْ حَيْثُ الخَلْقُ وَالإِيجَادُ وَمَقْدُورَةُ العِبَادِ عَلَى وَجْهٍ آخَرَ مِنْ تَعَلُّقٍ يُعَبَّرُ عَنْهُ بِالاكْتِسَابِ فَحَرَكَةُ العَبْدِ بِاعْتِبَارِ نِسْبَتِهَا إِلى قُدْرَتِهِ - تَعَالَى - تُسَمَّى خُلْقًا وَبِاعْتِبَارِ نِسْبَتِهَا إِلى قُدْرَةِ العَبْدِ كَسْبًا لَهُ غَيْرَ أَنَّ الأَشْعَرِيَّ مِنْهُمْ ذَهَبَ إِلى أَنْ لاَ مَدْخَلَ لاخْتِيَارِ العِبَادِ فِي أَفْعَالِهِمْ أَصْلاً إِلاَّ أَنَّ اللهَ - سُبْحَانَهُ - أَوْجَدَ الأَشْيَاءَ عَقِيبَ اخْتِيَارِهِمْ بِطَرِيقِ جَرْيِ العَادَةِ إِذْ لاَ تَأْثِيرَ لِلقُدْرَةِ الحَادِثَةِ عِنْدَهُ وَهَذَا المَذْهَبُ مَائِلٌ إِلى الجَبْرِ وَلِهَذَا يُسَمَّى بِالجَبْرِ المُتَوَسِّطِ قَالَ الأُسْتَاذُ أَبُو إِسْحَاقَ الإِسْفَرَائِينِيُّ بِتَأْثِيرِ القُدْرَةِ الحَادِثَةِ فِي أَصْلِ الفِعْلِ وَحُصُولِ الفِعْلِ بِمَجْمُوعِ القُدْرَتَيْنِ وَقَدْ جَوَّزَ اجْتِمَاعَ المُؤَثِّرَيْنِ عَلَى أَثَرٍ وَاحِدٍ بِجِهَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ وَقَالَ القَاضِي أَبُو بَكْرٍ البَاقِلاَّنِيُّ بِتَأْثِيرِ القُدْرَةِ الحَادِثَةِ فِي وَصْفِ الفِعْلِ بِأَنْ تَجْعَلَ الفِعْلَ مَوْصُوفًا بِمِثْلِ كَوْنِهِ طَاعَةً وَمَعْصِيَةً وَالمُخْتَارَةُ عِنْدَ العَبْدِ الضَّعِيفِ تَأْثِيرُ القُدْرَةِ الحَادِثَةِ فِي أَصْلِ الفِعْلِ وَفِي وَصْفِهِ مَعًا إِذْ لاَ مَعْنَى لِلتَّأْثِيرِ

فِي الوَصْفِ بِدُونِ التَّأْثِيرِ فِي الأَصْلِ إِذْ الوَصْفُ أَثَرُهُ المُتَفَرِّعُ عَلَيْهِ لَكِنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى تَأْثِيرٍ زَائِدٍ عَلَى تَأْثِيرِ أَصْلِ الفِعْلِ إِذْ وُجُودُ الوَصْفِ زَائِدٌ عَلَى وُجُودِ الأَصْلِ وَلَا مَحْذُورَ فِي القَوْلِ بِالتَّأْثِيرِ وَإِنْ كَبُرَ ذَلِكَ عَلَى الأَشْعَرِيِّ إِذَا التَّأْثِيرُ فِي القُدْرَةِ أَيْضًا بِإِيجَادِ اللهِ - سُبْحَانَهُ - كَمَا أَنَّ نَفْسَ القُدْرَةِ بِإِيجَادِهِ - تَعَالَى - وَالقَوْلُ بِتَأْثِيرِ القُدْرَةِ هُوَ الأَقْرَبُ إِلَى الصَّوَابِ وَمَذْهَبُ الأَشْعَرِيِّ دَاخِلٌ فِي دَائِرَةِ الجَبْرِ فِي الحَقِيقَةِ إِذْ لَا اخْتِيَارَ عِنْدَهُ حَقِيقَةً وَلَا تَأْثِيرَ لِلْقُدْرَةِ الحَادِثَةِ عِنْدَهُ أَصْلًا إِلَّا أَنَّ الفِعْلَ الاخْتِيَارِيَّ عِنْدَ الجَبْرِيَّةِ لَا يُنْسَبُ إِلَى الفَاعِلِ حَقِيقَةً بَلْ مَجَازًا وَعِنْدَ الأَشْعَرِيِّ يُنْسَبُ إِلَى الفَاعِلِ حَقِيقَةً وَإِنْ لَمْ يَكُنْ الاخْتِيَارُ ثَابِتًا لَهُ حَقِيقَةً لِأَنَّ الفِعْلَ يُنْسَبُ إِلَى قُدْرَةِ العَبْدِ حَقِيقَةً سَوَاءً كَانَتْ القُدْرَةُ مُؤَثِّرَةً وَلَوْ فِي الجُمْلَةِ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ غَيْرِ الأَشْعَرِيِّ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ أَوْ مَدَارًا مَحْضًا كَمَا هُوَ مَذْهَبُهُ وَبِهَذَا يَتَمَيَّزُ مَذْهَبُ أَهْلِ الحَقِّ عَنْ مَذْهَبِ أَهْلِ البَاطِلِ.

وَنَفْيُ الفِعْلِ عَنِ الفَاعِلِ حَقِيقَةً وَإِثْبَاتُهُ لَهُ مَجَازًا كَمَا هُوَ مَذْهَبُ الجَبْرِيَّةِ كُفْرٌ مَحْضٌ وَإِنْكَارٌ عَلَى الضَّرُورِيِّ قَالَ صَاحِبُ التَّمْهِيدِ: وَمِنَ الجَبْرِيَّةِ مَنْ قَالَ بِأَنَّ الفِعْلَ مِنَ العَبْدِ ظَاهِرًا وَمَجَازًا إِمَّا فِي الحَقِيقَةِ لَا اسْتِطَاعَةَ لَهُ وَالعَبْدُ كَالشَّجَرَةِ إِذَا حَرَّكَتْهَا الرِّيحُ تَحَرَّكَتْ فَكَذَلِكَ العَبْدُ مَجْبُورٌ كَالشَّجَرَةِ وَهَذَا كُفْرٌ، وَمَنِ اعْتَقَدَ هَذَا يَصِيرُ كَافِرًا وَقَالَ أَيْضًا فِي مَذْهَبِ الجَبْرِيَّةِ: قَوْلُهُمْ أَنْ لَيْسَ لِلْعَبْدِ أَفْعَالٌ عَلَى الحَقِيقَةِ لَا فِي الخَيْرِ وَلَا فِي الشَّرِّ وَمَا يَفْعَلُهُ العَبْدُ فَالفَاعِلُ هُوَ اللهُ - سُبْحَانَهُ - وَهَذَا كُفْرٌ.

فَإِنْ قُلتَ: إِذَا لَمْ يَكُنْ لِقُدْرَةِ العَبْدِ تَأْثِيرٌ فِي الأَفْعَالِ وَلَمْ يَكُنْ الاخْتِيَارُ لَهُ حَقِيقَةً فَمَا مَعْنَى نِسْبَةِ الأَفْعَالِ إِلَى العَبْدِ حَقِيقَةً عِنْدَ الأَشْعَرِيِّ

قُلتُ: إِنَّ القُدْرَةَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا تَأْثِيرٌ فِي الأَفْعَالِ إِلَّا أَنَّهُ - سُبْحَانَهُ - جَعَلَهَا مَدَارًا لِوُجُودِ الأَفْعَالِ بِأَنْ يَخْلُقَ اللهُ - تَعَالَى - الأَفْعَالَ عَقِبَ صَرْفِ قُدْرَتِهِمْ وَاخْتِيَارِهِمْ إِلَى الأَفْعَالِ بِطَرِيقِ جَرْيِ العَادَةِ وَكَأَنَّ القُدْرَةَ عِلَّةٌ عَادِيَّةٌ لِوُجُودِ الأَفْعَالِ فَيَكُونُ لِلْقُدْرَةِ مُدْخَلٌ فِي صُدُورِ الأَفْعَالِ عَادَةً لِأَنَّهَا لَمْ تُوجَدْ بِدُونِ عَادَةٍ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا تَأْثِيرٌ فِي الأَفْعَالِ فَبِاعْتِبَارِ العِلَّةِ العَادِيَّةِ تُنْسَبُ إِلَى العِبَادِ أَفْعَالُهُمْ حَقِيقَةً هَذَا هُوَ النِّهَايَةُ فِي تَصْحِيحِ مَذْهَبِ الأَشْعَرِيِّ وَالكَلَامُ بَعْدَ مَحَلِّ تَأَمُّلٍ.

اعْلَمْ أَنْ أَهْلَ السُّنَّة وَالجَمَاعَة آمَنُوا بالقَدَر بأَنَّ القَدَرَ خَيْرَه وَشَرَّهُ وَحُلْوَهُ وَمُرَّهُ منَ الله - سُبْحَانَهُ - لأَنَّ مَعْنَى القَدَرِ هُوَ الإِحْدَاثُ وَالإِيجَادُ وَمَعْلومٌ أَنْ لاَ مُحْدثَ وَلاَ مُوجدَ إلاَّ اللهُ - سُبْحَانَهُ - لاَ إِلهَ إلاَّ هُوَ خَالقُ كل شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَالمُعْتَزلَةُ وَالقَدَريَّةُ أَنْكَرُوا القَضَاءَ وَالقَدَرَ وَزَعَمُوا أَنَّ أَفْعَال العبَاد حَاصلَةٌ بقُدْرَة العَبْد وَحْدَهَا قَالوا: لوْ قَضَى اللهُ الشَّرَّ ثُمَّ عَذَّبَهُمْ عَلى ذَلكَ لكَانَ ذَلكَ جَوْرًا منْهُ - سُبْحَانَهُ - وَهَذَا جَهْل منْهُمْ لأَنَّ القَضَاءَ لاَ يَسْلبُ القُدْرَةَ وَالاخْتيَارَ عَنِ العَبْد لأَنَّهُ قَضَى بأَنَّ العَبْدَ يَفْعَلهُ أَوْ يَتْرُكُهُ باخْتيَاره.

غَايَةُ مَا في البَاب: أَنَّهُ يُوجدُ الاخْتيَارَ وَهُوَ مُحَقّقٌ للاخْتيَار لاَ مُنَاف لهُ وَأَيْضًا إنَّهُ مَنْقُوضٌ بأَفْعَال البَاري - تَعَالى - لأَنَّ فعْلهُ - سُبْحَانَهُ - بالنَّظَر إلى القَضَاء إمَّا وَاجبٌ أَوْ مُمْتَنعٌ لأَنَّهُ إنْ تَعلق القَضَاءُ بالوُجُود فَيَجبُ أَوْ بالعَدَم فَيمْتَنعُ فَإنْ كَانَ وُجُوبُ الفعْل بالاخْتيَار مُنَافيًا لهُ لمْ يَكُنْ البَاري - تَعَالى - مُخْتَارًا وَهَذَا كُفْرٌ وَلاَ يَخْفَى أَنَّ القَوْل باسْتقْلال قُدْرَة العَبْد في إيجَاد أَفْعَاله مَعَ كَمَال ضَعْفه في غَايَة السَّخَافَة وَمَنْشَأ نهَايَة السَّفَاهَة وَلهَذَا بَالغَ مَشَائخُ مَا وَرَاءَ النَّهْر شَكَرَ اللهُ - تَعَالى - سَعْيَهُمْ في تَضْليلهمْ في هَذه المَسْأَلة حَتَّى قَالوا: إنَّ المَجُوسَ أَسْعَدُ حَالاً منْهُمْ حَيْثُ لمْ يُثْبتُوا إلاَّ شَريكًا وَاحدًا.

وَالمُعْتَزلَةُ أَثْبَتُوا شُرَكَاءَ لاَ تُحْصَى وَزَعَمَتْ الجَبْريَّةُ أَنَّهُ لاَ فعْل للعَبْد أَصْلاً وَأَنَّ حَرَكَاته بمَنْزلة حَرَكَات الجَمَادَات لاَ قُدْرَةَ لهُمْ أَصْلاً وَلاَ اخْتيَارَ وَزَعَمُوا أَنَّ العبَادَ لاَ يُثَابُونَ بالخَيْر وَلاَ يُعَاقَبُونَ بالشَّرِّ.

وَالكُفَّارُ وَالعُصَاةُ مَعْذُورُونَ غَيْرُ مَسْئُولينَ لأَنَّ الأَفْعَال كُلهَا منَ الله - تَعَالى - وَالعَبْدُ مَجْبُورٌ في ذَلكَ وَهَذَا كُفْرٌ وَهَؤُلاَء المُرْجئَةُ المَلعُونُونَ الذينَ يَقُولونَ بأَنَّ المَعْصيَةَ لاَ تَضُرُّ وَالمَعَاصي لاَ يُعَاقَبُ وَرُويَ عَنِ النَّبيِّ صَلى اللهُ عليَة وَسَلمَ أَنَّهُ قَال "**لعنَت المُرْجئَة عَلى لسَان سَبْعينَ نَبيًّا**"

وَمَذْهَبُهُمْ بَاطل بالضَّرُورَة للفَرْق الظَّاهر بَيْنَ حَرَكَة البَطْش وَحَرَكَة الارْتعَاش وَنَعْلمُ قَطْعًا أَنَّ الأَوَّل باخْتيَاره دُونَ الثَّاني وَالنُّصُوصُ القَطْعيَّةُ تَنْفي هَذَا المَذْهَبَ أَيْضًا كَقَوْله - تَعَالى - {جَزَاءً بمَا كَانُوا يَعْملونَ}(١) وَقَوْله سُبْحَانَهُ {فَمَنْ شَاءَ فَليُؤْمنْ وَمَنْ شَاءَ فَليَكْفُرْ}(٢) إلى غَيْر ذَلكَ.

---

(١) ــ الآية: ١٤ من سورة الأحقاف.

(٢) ــ الآية: ٢٩ من سورة الكهف.

وَاعْلَمْ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لِضَعْفِ هِمَمِهِمْ وَقُصُورِ نِيَّاتِهِمْ يَطْلُبُونَ الاعْتِذَارَ وَدَفْعَ السُّؤَالِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ فَيَمِيلُونَ إِلَى مَذْهَبِ الأَشْعَرِيِّ بَلْ إِلَى مَذْهَبِ الجَبْرِيِّ فَتَارَةً يَقُولُونَ بِأَنْ لاَ اخْتِيَارَ لِلعَبْدِ حَقِيقَةً وَنِسْبَةُ الفِعْلِ إِلَيْهِ مَجَازٌ وَتَارَةً يَقُولُونَ بِضَعْفِ الاخْتِيَارِ المُسْتَلْزِمِ لِلإِجْبَارِ وَمَعَ ذَلِكَ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ بَعْضِ الصُّوفِيَّةِ فِي هَذَا المَقَامِ مِنْ أَنَّ الفَاعِلَ وَاحِدٌ لَيْسَ إِلاَّ هُوَ وَأَنْ لا تَأْثِيرَ لِقُدْرَةِ العَبْدِ فِي الأَفْعَالِ أَصْلاً وَأَنَّ حَرَكَاتِهِ بِمَنْزِلَةِ حَرَكَاتِ الجَمَادَاتِ بَلْ وُجُودُ العَبْدِ ذَاتًا وَصِفَةً كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ، وَأَمْثَالَ هَذَا الكَلاَمِ زَادَهُمْ جَرَاءَةً عَلَى المُدَاهَنَةِ وَالمُسَاهَلَةِ فِي الأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ فَنَقُولُ فِي تَحْقِيقِ هَذَا الكَلاَمِ وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ المَرَامِ: إِنَّ الاخْتِيَارَ لَوْ لَمْ يَكُنْ ثَابِتًا لِلعَبْدِ حَقِيقَةً كَمَا هُوَ مَذْهَبُ الأَشْعَرِيِّ لَمَا نَسَبَ اللهُ - تَعَالَى - الظُّلْمَ إِلَى العِبَادِ إِذْ لاَ اخْتِيَارَ لَهُمْ وَلاَ تَأْثِيرَ لِقُدْرَتِهِمْ وَإِنَّمَا هِيَ مَدَارٌ مَحْضٌ عِنْدَهُ وَقَدْ نَسَبَ اللهُ - سُبْحَانَهُ - الظُّلْمَ إِلَيْهِمْ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ المَجِيدِ وَمُجَرَّدُ المَدَارِيَّةِ بِدُونِ التَّأْثِيرِ وَلَوْ فِي الجُمْلَةِ لاَ يُوجِبُ الظُّلْمَ مِنْهُمْ.

نَعَمْ إِنَّ الإِيلاَمَ وَالتَّعْذِيبَ لِلعِبَادِ مِنْهُ - تَعَالَى - مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ الاخْتِيَارُ ثَابِتًا لَهُمْ لَيْسَ بِظُلْمٍ أَصْلاً إِذْ هُوَ - سُبْحَانَهُ - مَالِكٌ عَلَى الإِطْلاَقِ يَتَصَرَّفُ فِي مُلْكِهِ كَيْفَ يَشَاءُ أَمَّا نِسْبَةُ الظُّلْمِ إِلَيْهِمْ فَمُسْتَلْزِمٌ لِثُبُوتِ الاخْتِيَارِ لَهُمْ وَاحْتِمَالُ المَجَازِ فِي هَذِهِ النِّسْبَةِ خِلاَفُ المُتَبَادِرِ فَلاَ يُرْتَكَبُ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ وَأَمَّا القَوْلُ بِضَعْفِ الاخْتِيَارِ فَلاَ يَخْلُو إِمَّا يُرَادُ بِهِ الضَّعْفُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى اخْتِيَارِهِ - تَعَالَى - فَمُسَلَّمٌ وَلاَ نِزَاعَ فِيهِ لأَحَدٍ وَكَذَا الضَّعْفُ بِمَعْنَى عَدَمِ الاسْتِقْلاَلِ فِي صُدُورِ الأَفْعَالِ أَيْضًا مُسَلَّمٌ.

وَأَمَّا الضَّعْفُ بِمَعْنَى عَدَمِ المَدْخَلِيَّةِ لِلاخْتِيَارِ فِي الأَفْعَالِ فَمَمْنُوعٌ وَهُوَ أَوَّلُ المَسْأَلَةِ وَسَنَدُ المَنْعِ قَدْ مَرَّ مُفَصَّلاً.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ اللهَ - تَعَالَى - كَلَّفَ عِبَادَهُ بِقَدْرِ طَاقَتِهِمْ وَاسْتِطَاعَتِهِمْ وَخَفَّفَ فِي التَّكْلِيفِ لِضَعْفِ خَلْقِهِمْ قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى {يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا}[1] كَيْفَ وَهُوَ سُبْحَانَهُ حَكِيمٌ رَءُوفٌ رَحِيمٌ وَلاَ يَلِيقُ بِالرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ وَالحِكْمَةِ تَكْلِيفُ مَا لاَ يَسْتَطِيعُ لَهُ العَبْدُ فَلَمْ يُكَلِّفْ بِرَفْعِ الصَّخْرَةِ

---

(١) ـــ الآية: ٢٨ من سورة النساء.

العَظِيمَة التِي لاَ يَقْدرُ عَلى رَفْعِهَا العَبْدُ بَل كَلفَ بِمَا هُوَ يَسِيرٌ عَلى العَبْد مِنَ الصَّلاَة وَالمُشْتَمِلة عَلى القِيَام وَالرُّكُوعِ وَالسُّجُود وَالقِرَاءَة المُيَسَّرَة وَكُل ذَلكَ يَسِيرٌ غَايَة اليُسْر وَكَذَا الصَّوْمُ مَثَلاً فِي نِهَايَة السُّهُولة وَالزَّكَاةُ أَيْضًا كَذَلكَ إِذْ قَدَّرَ بِرُبْعِ العُشْر وَلَمْ يُقَدِّرْ بالكُل وَالنِّصْف مَثَلاً لئَلاَّ يَثْقُل عَلى العِبَاد وَمِنْ كَمَال الرَّأْفَة جَعَل للمَأْمُور به خَلفًا إِنْ تَعَسَّرَ الأَصْل فَجَعَل للوُضُوءِ خَلفًا هُوَ التَّيَمُّمُ وَكَذَا أَحْكَمَ بِأَنَّ مَنْ لَمْ يَقْدرْ عَلى القِيَام صَلى قَاعِدًا وَإِنَّ مَنْ لَمْ يَقْدرْ عَلى القُعُود صَلى مُضْطَجعًا وَكَذَا مَنْ لَمْ يَقْدرْ عَلى الرُّكُوعِ وَالسُّجُود صَلى مُومِيًا إِلى غَيْر ذَلكَ مِمَّا يَخْفَى عَلى النَّاظِر فِي الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّة بِنَظَر الاعْتبَار وَالإِنْصَاف فَيَجدُ تَمَامَ التَّكْليفَات الشَّرْعِيَّة فِي غَايَة اليُسْر وَنِهَايَة السُّهُولة وَيُطَالعُ كَمَال الرَّحْمَة مِنْهُ - سُبْحَانَهُ - بالعِبَاد فِي صَفَحَات التَّكْليفَات، وَمِصْدَاقُ تَخْفِيف التَّكْليفَات تَمَنِّي العَوَامِّ فِي زِيَادَة التَّكْليف مِنَ المَأْمُورَات فَإِنَّ بَعْضَهُمْ يَتَمَنَّى الزِّيَادَةَ فِي الصَّوْم المَفْرُوضِ وَبَعْضَهُمْ فِي الصَّلَوَات المَفْرُوضَات وَعَلى هَذَا القِيَاسِ وَمَا هَذَا التَّمَنِّي إِلاَّ لكَمَال التَّخْفِيف.

وَعَدَمُ وُجْدَان اليُسْر فِي أَدَاءِ الأَحْكَام للبَعْضِ مَبْنِيٌّ عَلى وُجُود ظُلمَات نَفْسَانِيَّة وَكُدُورَات طَبِيعِيَّة نَاشِئَة عَنْ هَوَى النَّفْسِ الأَمَّارَة المُنْتَصِبَة لمُعَادَاة الله - سُبْحَانَهُ - قَال اللهُ - سُبْحَانَهُ -: {كَبُرَ عَلى المُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِليْه}(١). وَقَال - تَعَالى - {وَإِنَّهَا لكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلى الخَاشِعِينَ}(٢) فَكَمَا أَنَّ مَرَضَ الظَّاهِرِ مُوجبُ العُسْرِ فِي أَدَاءِ الأَحْكَامِ كَذَلكَ مَرَضُ البَاطِنِ أَيْضًا مُوجبٌ لذَلكَ العُسْرِ وَقَدْ وَرَدَ الشَّرْعُ الشَّرِيفُ لإِبْطَال رُسُومِ النَّفْسِ الأَمَّارَة وَرَفْعِ هَوَاجِسهَا فَهَوَى النَّفْسِ وَمُتَابَعَةُ الشَّرِيعَة عَلى طَرَفِي نَقِيضٍ فَلاَ جَرَمَ يَكُونُ وُجُودُ ذَلكَ العُسْرِ دَليل وُجُود هَوَى النَّفْسِ فَيُقَدَّرُ وُجُودُ الهَوَى بِقَدْر العُسْر فَإِذَا انْتَفَى الهَوَى كُليَّةً انْتَفَى العُسْرُ رَأْسًا وَأَمَّا كَلاَمُ بَعْضِ الصُّوفِيَّة المَذْكُورُ سَابقًا فِي نَفْي الاخْتيَار وَضَعْفه فَاعْلمْ أَنَّ كَلاَمَهُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ مُطَابقًا لأَحْكَام الشَّرِيعَة فَلاَ اعْتبَارَ لَهُ أَصْلاً فَكَيْفَ يَصْلحُ للحُجَّة وَالتَّقْليد وَإِنَّمَا الصَّالحُ للحُجَّة وَالتَّقْليد أَقْوَال العُلمَاءِ مِنْ أَهْل السُّنَّة فَمَا وَافَقَ أَقْوَالهُمْ مِنْ كَلاَمِ الصُّوفِيَّة يُقْبَل وَمَا خَالفَهُمْ لاَ يُقْبَل عَلى أَنَّا نَقُول: إِنَّ الصُّوفِيَّةَ المُسْتَقِيمَةَ الأَحْوَال لاَ يَتَجَاوَزُونَ الشَّرِيعَةَ أَصْلاً لاَ فِي الأَحْوَال وَلاَ فِي الأَعْمَال وَلاَ فِي الأَقْوَال وَلاَ فِي العُلومِ وَلاَ فِي المَعَارِفِ وَيَعْلمُونَ أَنَّ بَقِيَّةَ الخِلاَفِ مَعَ الشَّرِيعَة

(١) ــ الآية: ١٣ من سورة الشورى.

(٢) ــ الآية: ٤٥ من سورة البقرة.

نَاشِيَةٌ عَنْ سَقَمٍ فِي الحَال وَخَلل فيه وَلوْ صَدَقَ الحَال مَا خَالفَ الشَّرِيعَةَ الحَقَّةَ وَبالجُمْلة خلافُ الشَّرِيعَة دَليل الزَّنْدَقَة وَعَلامَةُ الإلحَاد.

غَايَةُ مَا فِي البَاب: أَنْ الصُّوفِيَّ لوْ تَكَلمَ بكَلام مُخَالف للشَّرِيعَة نَاشٍ عَنِ الكَشْف فِي غَلبَة الحَال وَسُكْرِ الوَقْت فَهُوَ مَعْذُورٌ وَكَشْفُهُ غَيْرُ صَحيح وَغَيْرُ صَالح للتَّقْليد بَل يَنْبَغِي أَنْ يُحْمل كَلامُهُ وَيُصْرَفَ عَنْ ظَاهره فَإنَّ كَلامَ السُّكَارَى يُحْمَل وَيُصْرَفُ عَنِ الظَّاهر هَذَا مَا تَيَسَّرَ لِي فِي هَذَا المَقَام بِعَوْن الله سُبْحَانَهُ وَحُسْنِ تَوْفيقه تَعَالى الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى.

المَكْتُوبُ التِّسْعُونَ وَالمائَتَان

إِلى الملا مُحَمَّد هَاشِم

فِي بَيَانِ الطَّرِيقِ الذِي خَصَّهُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِهِ فِي أَوَائِلِ حَالِهِ وَوَفَّقَهُ لِتَسْلِيكِ الطَّالِبِينَ إِلَيْهِ وَبَيَانِ الطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ العَلِيَّةِ وَبَيَانَ انْدِرَاجِ النِّهَايَةِ فِي البِدَايَةِ وَبَيَانِ الحُضُورِ المُعْتَبَرِ عِنْدَ أَكَابِرِ هَذَا الطَّرِيقِ المُعَبَّرِ عَنْهُ بِالنِّسْبَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ مَعَ ذِكْرِ بَعْضِ الأَحْوَالِ وَالأَذْوَاقِ وَالمَعَارِفِ الحَاصِلَةِ لَهُ فِي الطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ وَغَيْرِهَا وَبَيَانَ جَذَبَاتِ هَؤُلَاءِ الأَكَابِرِ وَمَا يُنَاسِبُهُ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ المُرْسَلِينَ وَآلِهِ وَأَصْحَابِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ اعْلَمْ أَنَّ الطَّرِيقَ الذِي هُوَ أَقْرَبُ وَأَسْبَقُ وَأَوْفَقُ وَأَوْثَقُ وَأَسْلَمُ وَأَحْكَمُ وَأَصْدَقُ وَأَدَلُّ وَأَعْلَى وَأَجَلُّ وَأَرْفَعُ وَأَكْمَلُ هُوَ الطَّرِيقَةُ النَّقْشَبَنْدِيَّةُ العَلِيَّةُ قَدَّسَ اللهُ أَرْوَاحَ أَهَالِيهَا وَأَسْرَارَ مَوَالِيهَا وَكُلُّ عَظَمَةِ هَذَا الطَّرِيقِ وَعُلُوُّ شَأْنِ هَؤُلَاءِ الأَكَابِرِ بِوَاسِطَةِ التِزَامِ مُتَابَعَةِ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ وَاجْتِنَابُ البِدْعَةِ الغَيْرِ المَرْضِيَّةِ وَهُمُ الذِينَ انْدَرَجَتْ نِهَايَةُ الأَمْرِ فِي بِدَايَتِهِمْ كَالأَصْحَابِ الكِرَامِ عَلَيْهِمُ الرِّضْوَانُ مِنَ المَلِكِ المَنَّانِ وَكَانَ شُعُورُهُمْ وَحُضُورُهُمْ عَلَى سَبِيلِ الدَّوَامِ وَصَارَ فَوْقَ شُعُورِ الآخَرِينَ بَعْدَ الوُصُولِ إِلَى دَرَجَةِ الكَمَالِ.

أَيُّهَا الأَخُ، أَرْشَدَكَ اللهُ إِلَى سَوَاءِ الطَّرِيقِ لَمَّا ظَهَرَ فِي هَذَا الدَّرْوِيشِ هَوَسُ هَذَا الطَّرِيقِ وَصَارَتْ عِنَايَةُ الحَقِّ - جَلَّ وَعَلَا - هَادِيَتَهُ وَأَوْصَلَتْهُ إِلَى صَاحِبِ الوِلَايَةِ وَمَعْدِنِ الحَقِيقَةِ هَادِي طَرِيقِ انْدِرَاجِ النِّهَايَةِ فِي البِدَايَةِ وَإِلَى السَّبِيلِ المُوَصِّلِ إِلَى دَرَجَاتِ الوِلَايَةِ مُؤَيِّدِ الدِّينِ الرَّضِيِّ شَيْخِنَا وَإِمَامِنَا مُحَمَّدٍ البَاقِي قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ أَحَدِ كِبَارِ خُلَفَاءِ طَائِفَةِ حَضَرَاتِ الأَكَابِرِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ فَعَلَّمَ هَذَا الدَّرْوِيشَ ذِكْرَ اسْمِ الذَّاتِ وَتَوَجَّهَ بِالطَّرِيقِ المَعْهُودِ حَتَّى ظَهَرَ فِي التِذَاذٌ تَامٌّ وَعَرَضَ لِي البُكَاءُ مِنْ كَمَالِ الشَّوْقِ ثُمَّ ظَهَرَ بَعْدَ يَوْمٍ وَاحِدٍ كَيْفِيَّةُ الذُّهُولِ وَعَدَمُ الشُّعُورِ المُعْتَبَرَةِ عِنْدَ هَؤُلَاءِ الأَكَابِرِ المُسَمَّاةِ بِالغَيْبَةِ فَرَأَيْتُ فِي تِلْكَ الغَيْبَةِ بَحْرًا مُحِيطًا وَوَجَدْتُ صُوَرَ العَالَمِ وَأَشْكَالَهُ كَالظِّلِّ فِي ذَلِكَ البَحْرِ وَاسْتَوْلَتْ هَذِهِ الغَيْبَةُ شَيْئًا فَشَيْئًا وَامْتَدَّتْ وَصَارَتْ تَمْتَدُّ أَحْيَانًا إِلَى سَاعَتَيْنِ مِنْ نَهَارٍ وَأَحْيَانًا إِلَى أَرْبَعِ سَاعَاتٍ وَكَانَتْ فِي بَعْضِ الأَوْقَاتِ تَسْتَوْعِبُ اللَّيْلَ وَلَمَّا عَرَضْتُ هَذِهِ الوَاقِعَةَ عَلَى حَضْرَةِ

الشَّيْخِ قَالَ: قَدْ حَصَلَ نَحْوٌ مِنَ الفَنَاءِ وَمَنْعٌ عَنِ الذِّكْرِ وَأَمَرَ بِحِفْظِ ذَلِكَ الحُضُورِ وَبَعْدَ يَوْمَيْنِ حَصَلَ لِي الفَنَاءُ المُصْطَلَحُ فَعَرَضْتُهُ عَلَى حَضْرَةِ الشَّيْخِ فَقَالَ: عَلَيْكَ بِالاشْتِغَالِ بِشَأْنِكَ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ حَصَلَ فَنَاءُ الفَنَاءِ فَعَرَضْتُهُ عَلَيْهِ فَقَالَ: هَل تَجِدُ تَمَامَ العَالَمِ فِي مَحَلٍ وَاحِدٍ وَمُتَّصِلاً بَعْضُهُ بِبَعْضٍ قُلتُ: نَعَمْ فَقَالَ: إِنَّ المُعْتَبَرَ فِي حُصُولِ فَنَاءِ الفَنَاءِ هُوَ حُصُولُ عَدَمِ الشُّعُورِ مَعَ وُجُودِ رُؤْيَةِ هَذَا الاتِّصَالِ فَحَصَلَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ فَنَاءُ الفَنَاءِ بِتِلْكَ الصِّفَةِ فَعَرَضْتُهُ عَلَيْهِ وَعَرَضْتُ مَا حَصَلَ بَعْدَ الفَنَاءِ مِنَ الحَالَةِ وَقُلْتُ: إِنِّي أَجِدُ عِلْمِي بِالنِّسْبَةِ إِلَى الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - حُضُورِيًّا وَأَجِلُ الأَوْصَافَ التِي كَانَتْ مَنْسُوبَةً إِلَى الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ ظُهُورُ نُورٍ مُحِيطٍ بِجَمِيعِ الأَشْيَاءِ فَظَنَنْتُهُ الحَقَّ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - وَكَانَ لَوْنُ ذَلِكَ النُّورِ سَوَادًا فَعَرَضْتُهُ عَلَيْهِ فَقَالَ الحَقُّ - جَل وَعَلاَ - مَشْهُودٌ وَلَكِنَّ ذَلِكَ الشُّهُودَ فِي حِجَابِ النُّورِ وَقَالَ: إِنَّ هَذَا الانْبِسَاطَ الذِي يُرَى فِي ذَلِكَ النُّورِ هُوَ فِي العِلْمِ وَإِنَّمَا يُرَى مُنْبَسِطًا كَذَلِكَ بِوَاسِطَةِ تَعَلقِ ذَاتِ الحَقِّ - جَل وَعَلاَ - بِالأَشْيَاءِ المُتَعَدِّدَةِ الوَاقِعَةِ أَعْلَى وَأَدْنَى فَيَنْبَغِي نَفْيُ الانْبِسَاطِ ثُمَّ شَرَعَ ذَلِكَ النُّورُ الأَسْوَدُ المُنْبَسِطُ فِي الانْقِبَاضِ وَالتَّضَايُقِ حَتَّى صَارَ كَنُقْطَةٍ فَقَالَ: يَنْبَغِي نَفْيُ تِلْكَ النُّقْطَةِ أَيْضًا حَتَّى يَنْجَرَّ الأَمْرُ إِلَى الحَيْرَةِ فَفَعَلتُ كَذَلِكَ حَتَّى زَالَتْ تِلْكَ النُّقْطَةُ المَوْهُومَةُ أَيْضًا مِنَ البَيْنِ وَانْجَرَّ الأَمْرُ إِلَى الحَيْرَةِ التِي هُنَاكَ شُهُودُ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - لِنَفْسِهِ بِنَفْسِهِ فَلَمَا عَرَضْتُهُ عَلَيْهِ قَالَ: هَذَا الحُضُورُ هُوَ الحُضُورُ المُعْتَبَرُ عِنْدَ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ وَنِسْبَتُهُمْ عِبَارَةٌ عَنْ هَذَا الحُضُورِ وَيُقَالُ لِهَذَا الحُضُورِ حُضُورًا بِلاَ غَيْبَةٍ أَيْضًا وَانْدِرَاجُ النِّهَايَةِ فِي البِدَايَةِ يُتَصَوَّرُ فِي ذَلِكَ المَوْطِنِ وَحُصُولُ هَذِهِ النِّسْبَةِ لِلطَّالِبِ فِي هَذَا الطَّرِيقِ كَأَخْذِ الطَّالِبِ فِي سَلاَسِلِ أُخَرَ الأَذْكَارَ وَالأَوْرَادَ مِنْ شَيْخِهِ لِيَعْمَلَ بِهَا وَيَصِلَ إِلَى مَقْصُودِهِ، (ع):

وَقِسْ مِنْ حَالِ بُسْتَانِي رَبِيعِي

وَكَانَ حُصُولُ هَذِهِ النِّسْبَةِ العَزِيزَةِ الوُجُودِ لِهَذَا الدَّرْوِيشِ بَعْدَ مُضِيِّ شَهْرَيْنِ وَبِضْعَةِ أَيَّامٍ مِنَ ابْتِدَاءِ تَعْلِيمِ الذِّكْرِ وَبَعْدَ تَحَقُّقِ هَذِهِ النِّسْبَةِ حَصَلَ فَنَاءٌ آخَرُ يُقَالُ لَهُ الفَنَاءُ الحَقِيقِيُّ وَحَصَلَ لِلقَلبِ مِنَ الوُسْعَةِ مَا لَيْسَ لِتَمَامِ العَالَمِ مِنَ العَرْشِ إِلَى مَرْكَزِ الفَرْشِ قَدْرٌ فِي جَنْبِهِ مِقْدَارُ خَرْدَلَةٍ وَبَعْدَ ذَلِكَ رَأَيْتُ نَفْسِي وَكُل فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ العَالَمِ بَل كُل ذَرَّةٍ مِنْهُ الحَقُّ - جَلَ وَعَلاَ - وَبَعْدَ ذَلِكَ رَأَيْتُ كُل ذَرَّةٍ فُرَادَى فُرَادَى عَيْنَ نَفْسِي وَرَأَيْتُ نَفْسِي عَيْنَ جَمِيعِ الذَّرَّاتِ حَتَّى وَجَدْتُ تَمَامَ العَالَمِ

مُضْمَحلاً فِي ذَرَّة وَاحدَة ثُمَّ بَعْدَ ذَلكَ رَأَيْتُ نَفْسِي بَل جَمِيعَ ذَرَّة مُنْبَسطًا وَوَسِيعًا بحَيْثُ يَسَعُ تَمَامَ العَالَمِ وَأَضْعَافَهُ بَل وَجَدْتُ نَفْسِي وَكُل ذَرَّة نُورًا مُنْبَسطًا سَارِيًا فِي كُل ذَرَّة، وَصُوَرُ العَالِمِ وَأَشْكَالُهُ مُضْمَحل فِي ذَلكَ النُّور وَمُتَلَاش فيه بَل وَجَدْتُ كُل ذَرَّة مُقَوِّمًا لتَمَامِ العَالِمِ وَلَمَّا عَرَضْتُ ذَلكَ قَال: إنَّ مَرْتَبَةَ حَقِّ اليَقِينِ فِي التَّوْحِيد هِيَ ذَلكَ وَجَمْعُ الجَمْعِ عبَارَةٌ عَنْ هَذَا المَقَامِ ثُمَّ وَجَدْتُ صُوَرَ العَالِمِ وَأَشْكَالَهُ التِي كُنْتُ وَجَدْتُهَا أَوَّلاً عَيْنَ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - مَوْهُومَةً فِي ذَلكَ الوَقْت وَمَا كُنْتُ وَجَدْتُهُ منَ الذَّرَّات عَيْنَ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَجَدْتُ جَمِيعَهَا منْ غَيْر تَفَاوُت وَتَمْييز مَوْهُومَةً فَعَرَضَتْ لِي حينَئذ غَايَةُ الحَيْرَة فَتَذَكَّرْتُ فِي ذَلكَ الوَقْت عبَارَةَ الفُصُوصِ التِي كُنْتُ سَمعْتُهَا منْ وَالدي المَاجد عَلَيْه الرَّحْمَةُ حَيْثُ قَال: إنْ شئْتَ قُلتَ إنَّهُ أَيُّ العَالِمِ حَقٌّ وَإِنْ شئْتَ قُلتَ: إنَّهُ خَلقٌ وَإِنْ شئْتَ قُلتَ: إنَّهُ منْ وَجْه حَقٌّ وَمنْ وَجْه خَلقٌ وَإِنْ شئْتَ قُلتَ بالحَيْرَة لعَدَم تَمْييز بَيْنهمَا فَصَارَتْ هَذه العبَارَةُ مُسَكِّنَةً لذَلكَ الاضْطرَاب فِي الجُمْلَة وَبَعْدَ ذَلكَ أَتَيْتُ مُلَازَمَةَ شَيْخنَا وَعَرَضْتُ عَلَيْه حَالِي فَقَال مَا كَانَ حُضُورُكَ صَافيًا بَعْدَ عَلَيْك بالاشْتغَال بأَمْرك حَتَّى يَظْهَرَ تَمَيُّزُ المَوْجُود منَ المَوْهُوم فَقَرَأْتُ عَلَيْه عبَارَةَ الفُصُوصِ المُشْعرَةَ بَعْدَ التَّمْييز فَقَال: إنَّ الشَّيْخَ مَا بَيْنَ حَال الكَامل وَعَدَم التَّمْييز أَيْضًا ثَابتٌ بالنِّسْبَة إِلَى البَعْضِ فَكُنْتُ مَشْغُولاً حَسَبَ الأَمْرِ فَأَظْهَرَ الحَقُّ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بَعْدَ يَوْمَيْنِ بمَحْضِ تَوَجُّه حَضْرَة شَيْخنَا تَمْييزًا بَيْنَ المَوْجُود وَالمَوْهُوم حَتَّى وَجَدْتُ المَوْجُودَ الحَقيقيَّ مُمْتَازًا منَ المَوْهُومِ المُتَخَيَّل وَرَأَيْتُ الصِّفَات وَالأَفْعَال وَالآثَارَ التِي تُرَى منَ المَوْهُومِ صَادرَةً عَنِ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَوَجَدْتُ تلكَ الصِّفَات وَالأَفْعَال أَيْضًا مُوهمَةً وَلَمْ أَرَ فِي الخَارِجِ مَوْجُودًا غَيْرَ ذَات وَاحدَة وَلَمَّا عَرَضْتُ ذَلكَ قَال: هَذَا هُوَ مَرْتَبَةُ الفَرْق بَعْدَ الجَمْعِ وَنهَايَةُ السَّعْيِ إِلَى هُنَا وَبَعْدَ ذَلكَ يَظْهَرُ مَا اسْتُودعَ فِي قَابليَّة كُل شَخْصٍ وَاسْتعْدَاده وَقَال مَشَائخُ الطَّرِيقَة لهَذَا المَرْتَبَة مَقَامُ التَّكْميل.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ هَذَا الدَّرْوِيشَ لَمَّا نَظَرْتُ إِلَى كُل ذَرَّة منْ ذَرَّاتي بَعْدَمَا أُخرِجْتُ فِي المَرَّة الأُولَى منَ السُّكْرِ إِلَى الصَّحْو وَبَعْدَ مَا شُرِّفْتُ بَعْدَ الفَنَاء بالبَقَاء لَمْ أَجدْ غَيْرَ الحَقِّ وَوَجَدْتُ جَميعَ الذَّرَّات مرْآةً لشُهُوده - سُبْحَانَهُ - ثُمَّ أُخْرِجْتُ منْ ذَلكَ المَقَامِ إِلَى الحَيْرَة وَلَمَّا رَجعْتُ إِلَى نَفْسِي يَعْنِي صَحَوْتُ منَ الحَيْرَة وَجَدْتُ الحَقَّ - سُبْحَانَهُ - مَعَ كُل ذَرَّة منْ ذَرَّات وُجُودي لَا فيهَا وَكَانَ المَقَامُ السَّابقُ فِي النَّظَرِ أَسْفَل وَأَدْنَى منْ هَذَا المَقَامِ الثَّانِي ثُمَّ أُخْرِجْتُ إِلَى الحَيْرَة وَلَمَّا أَفَقْتُ وَجَدْتُ الحَقَّ -

سُبْحَانَهُ - فِي تِلْكَ المَرَّة لاَ مُتَّصلاً بالعَالَمِ وَلاَ مُنْفَصلاً عَنْهُ وَلاَ دَاخل العَالَمِ وَلاَ خَارِجَهُ وَصَارَتْ نِسْبَةُ المعيَّة وَالإحَاطَة وَالسَّرَيَان عَلَى نَهْجٍ كُنْتُ وَجَدْتُهَا أَوَّلاً مُنْتَفيَةً بالكُلِّيَّة وَمَعَ ذَلكَ كَانَ مَشْهُودًا بتلْكَ الكَيْفيَّة بَل كَأَنَّهُ مَحْسُوسٌ وَكَأَنَّ العَالَمَ أَيْضًا مَشْهُودًا فِي ذَلكَ الوَقْت وَلكنْ لَمْ يَكُنْ للحَقِّ - سُبْحَانَهُ - شَيْءٌ منْ تلكَ النِّسَب المَذْكُورَة ثُمَّ وَقَعْتُ فِي الحَيْرَة وَلَمَّا أُخْرِجْتُ إلَى الصَّحْوِ صَارَ مَعْلومًا أَنَّ للحَقِّ - سُبْحَانَهُ - نسْبَةً بالعَالَم وَرَاءَ النِّسَب المَذْكُورَة وَهَذه النِّسْبَةُ مَجْهُولَةُ الكَيْفيَّة وَكَانَ - تَعَالَى - مَشْهُودًا بالنِّسْبَة المَجْهُولَة الكَيْفيَّة ثُمَّ أُخْرِجْتُ إلَى الحَيْرَة وَعُرِضَ لي فِي تلْكَ المَرْتَبَة نَحْوٌ منَ القَبْضِ وَلَمَّا رَجَعْتُ إلَى نَفْسي صَارَ الحَقُّ - سُبْحَانَهُ - مَشْهُودًا بغَيْر تلكَ النِّسْبَة المَجْهُولة الكَيْفيَّة عَلى طَوْرٍ لاَ نسْبَةَ لَهُ بالعَالَمِ أَصْلاً لاَ مَعْلومَةَ الكَيْفيَّة وَلاَ مَجْهُولَةَ الكَيْفيَّة وَكَانَ العَالَمُ مَشْهُودًا فِي ذَلكَ الوَقْت بتلكَ الخُصُوصيَّة وَحَصَلَ لي فِي ذَلكَ الوَقْت علمٌ خَاصٌّ عنَايَةً منَ الله - سُبْحَانَهُ - وَبسَبَب هَذَا العلمِ لَمْ يَبْقَ بَيْنَ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَالخَلق مُنَاسَبَةٌ أَصْلاً مَعَ وُجُود كلاَ الشُّهُودَيْنِ وَصَارَ مَعْلومًا فِي ذَلكَ الوَقْت أَنَّ هَذَا المَشْهُودَ مَعَ هَذه الصِّفَة وَمَعَ هَذَا التَّنْزيه لَيسَ هُوَ ذَاتَ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - عَنْ ذَلكَ بَل هُوَ صُورَةٌ مثَاليَّةٌ لتَعَلق تَكْوينه - تَعَالَى - الذي هُوَ وَرَاءَ التَّعلقَات الكَوْنيَّة سَوَاءٌ كَانَ ذَلكَ التَّعَلقُ مَعْلومَ الكَيْفيَّة أَوْ مَجْهُول الكَيْفيَّة هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، شعْرٌ:

كَيْفَ الوُصُول إلَى سُعَادَ وَدُونَهَا قُلَل الجبَال وَدُونَهُنَّ حُيُوفُ

أَيُّهَا الأَخُ الأَعَزُّ إنِّي إنْ أَجْرَيْتُ القَلَمَ فِي تَفْصيل الأَحْوَال وَتَبَيُّنِ المَعَارف لاَنجَرَّ إلَى التَّطْويل وَالإطْنَاب وَعَلى الخُصُوصِ لَوْ بَيَّنْتُ مَعَارِفَ التَّوْحيد الوُجُوديِّ وَعُلومَ ظلِّيَّة الأَشْيَاء لعَلمَ الذينَ مَضَى عُمْرُهُمْ فِي التَّوْحيد الوُجُوديِّ أَنَّهُمْ لَمْ يَنَالوا قَطْرَةً منْ ذَلكَ البَحْرِ الذي لاَ نهَايَةَ لَهُ وَالعَجَبُ أَنَّ تلكَ الجَمَاعَةَ لاَ يَظُنُّونَ هَذَا الدَّرْويشَ منْ أَرْبَاب التَّوْحيد الوُجُوديِّ بَل يَعُدُّونَهُ منَ العُلمَاء المُنْكرينَ للتَّوْحيد الوُجُوديِّ وَيَزْعُمُونَ منْ قُصُور النَّظَر أَنَّ الإصْرَارَ عَلَى المَعَارف التَّوْحيديَّة منَ الكَمَال وَالتَّرَقِّي منْ ذَلكَ المَقَام نَقْصٌ أَوْ مُحَال، شعْرٌ:

كَمْ منْ بَليد غُفُول عَنْ مَعَائبه يَسْتَحْسنُ العَيْبَ زَعْمًا أَنَّهُ حَسَنٌ

وَمُسْتَشْهَدُ هَؤُلاَء الجَمَاعَة فِي هَذَا الأَمْر أَقْوَال المَشَايخ المُتَقَدِّمينَ التي صَدَرَتْ فِي التَّوْحيد الوُجُوديِّ رَزَقَهُمُ اللهُ - سُبْحَانَهُ - الإنْصَافَ منْ أَيْنَ عَلمُوا أَنَّ هَؤُلاَء المَشَايخ لَمْ يَحْصُل لَهُمْ تَرَقٍّ منْ ذَلكَ المَقَام وَبَقُوا مَحْبُوسينَ فيه وَلَيسَ الكَلاَمُ

فِي حُصُول المَعَارِف التَّوْحيديَّة فَإنَّهُ وَاقعٌ أَلبَتَّةَ وَإنَّمَا الكَلامُ فِي التَّرَقِّي مِنْ ذَلكَ المَقَامِ فَإِنْ قَالوا: صَاحِبُ التَّرَقِّي مُنْكِرٌ للتَّوْحيد وَاصْطَلحُوا عَلَى ذَلكَ فَلاَ مُنَاقَشَةَ فيه.

وَلنَرْجعْ إلى أَصْل الكَلاَمِ وَنَقُول: إنَّهُ لَمَّا كَانَ فِي القَليل دَلالَةٌ عَلَى الكَثير وَفِي القَطْرَة إشَارَةٌ إلى البَحْرِ الغَزير اكْتَفَيْتُ بالقَطْرَة وَاقْتَصَرْتُ عَلى القَليل.

أَيُّهَا الأَخ، إنَّ شَيْخَنَا لَمَّا حَكَمَ لي بالكَمَال وَالتَّكْميل أَجَازَ لي بتَعْليم الطَّرِيقَة وَأَحَال عَلَى جَمَاعَة منَ الطَّالبينَ كَانَ لي فِي ذَلكَ الوَقْت تَرَدُّدٌ فِي كَمَالي وَتَكْميلي فَقَال: لَيْسَ هَذَا مَحَل التَّرَدُّد فَإنَّ المَشَايخ العظَامَ قَالوا لهَذَا المَقَام مَقَامُ الكَمَال وَالتَّكْميل فَلوْ جَازَ تَرَدُّدٌ فِي هَذَا المَقَامِ يَلزَمُهُ تَرَدُّدٌ فِي كَمَاليَّة هَؤُلاَء المَشَايخ الكرَام فَشَرَعْتُ فِي تَعْليمِ الطَّرِيقَة حَسَب الأَمْر وَرَاعَيْتُ التَّوَجُّهَات فِي أَحْوَال الطَّالبينَ فَصَارَتْ الآثَارُ العظَامُ مَحْسُوسَةً فِي المُسْتَرْشدينَ حَتَّى تَقَرَّرَ عَلَى السَّاعَات أَمْرُ السِّنينَ وَاشْتَغَلتُ بهَذه الأَشْغَال أَوْقَاتًا ظَهَرَ آخرَ الأَمْر العلمُ يَنْقضي وَظَهَرَ لي أَنَّ التَّجَلِيَ البَرْقِيَّ الذي قَال المَشَايخُ فيه أَنَّهُ نهَايَةُ الأَمْر لَمْ يَظْهَرْ لي فِي هَذَا الطَّرِيق أَصْلاً وَلَمْ يَعْلمْ السَّيْرَ إلى الله وَالسَّيْرَ فِي الله أَيْضًا إنَّهُمَا مَا هُمَا وَلاَ بُدَّ منْ تَحْصيل هَذه الكَمَالاَت وَصَارَ العلمُ بنَقْصي مُبَرْهَنًا فِي ذَلكَ الوَقْت فَجَمَعْتُ الطَّالبينَ الذينَ حَوْلي وَحَدَّثْتُهُمْ حَديث نَقْصي وَوَدَّعْتُ جَميعَهُمْ وَلكنَّ الطَّالبينَ حَمَلوا هَذَا المَعْنَى عَلَى التَّوَاضُع وَهَضْمِ النَّفْس وَلَمْ يَرْجعُوا عَمَّا هُمْ كَانُوا عَلَيْه فَرَزَقَ الحَقُّ - سُبْحَانَهُ - الأَحْوَال المُنْتَظَرَةَ بحُرْمَة حَبيبه عَلَيْه وَعَلَى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

اعْلمْ أَنَّ حَاصل طَرِيقَة حَضْرَة خواجكَانَ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ اعْتقَادُ أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة وَاتِّبَاعُ السُّنَّة السَّنِيَّة المُصْطَفَويَّة عَلى صَاحبهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ وَاجْتنَابُ البدْعَة الرَّديَّة وَالأَهْوَاء النَّفْسَانيَّة وَالعَمَل بالعَزيمَة مَهْمَا أَمْكَنَ وَالاحْترَازُ عَن العَمَل بالرُّخْصَة وَالاسْتهْلاَك وَالاضْمحْلال أَوَّلاً فِي جهَة الجَذْبَة وَعَبَّرُوا عَنْ هَذَا الاسْتهْلاَك بالعَدَم.

وَالبَقَاءُ الذي يَحْصُل فِي هَذه الجهَة بَعْدَ الاسْتهْلاَك مُعَبَّرٌ عَنْهُ بوُجُود العَدَم يَعْني وُجُودَ بَقَاء مُتَرَتّب عَلَى العَدَم الذي هُوَ الاسْتهْلاَكُ وَهَذَا الاسْتهْلاَكُ وَالاضْمحْلال لَيْسَ هُوَ عبَارَةٌ عَن الغَيْبَة عَن الحسِّ بَل قَدْ تَتَّفقُ الغَيْبَةُ عَن الحسِّ للبَعْضِ مَعَ هَذَا الاسْتهْلاَك وَقَدْ لاَ تَقَعُ للبَعْضِ الآخر وَصَاحبُ هَذَا البَقَاء يُمْكنُ أَنْ يَرْجعَ إلى الصِّفَات البَشَريَّة وَأَنْ يَعُودَ إلى الأَخْلاَق النَّفْسَانيَّة بخلاَف البَقَاء الذي هُوَ

مُتَرَتِّبٌ عَلى الفَنَاء فَإِنَّ العَوْدَ مِنْهُ غَيْرُ جَائِز يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مَعْنَى مَا قَال الخواجهْ النَّقْشَبَنْديُّ قَدَّسَ اللهُ - تَعَالى - سِرَّهُ الأَقْدَسَ: إِنَّ وُجُودَ العَدَمِ يَعُودُ إِلى وُجُود البَشَرِيَّة وَأَمَّا وُجُودُ الفَنَاء فَلاَ يَعُودُ إِلى وُجُود البَشَرِيَّة أَصْلاً فَإِنَّ البَاقِيَ بِالبَقَاء الأَوَّل هُوَ فِي الطَّرِيقِ بَعْدُ وَالرُّجُوعُ عَنِ الطَّرِيقِ مُمْكِنٌ وَالثَّاني وَاصِل مُنْتَه وَلاَ رُجُوعَ للوَاصِل قَال وَاحِدٌ مِنَ الأَكَابِر: مَا رَجَعَ مَنْ رَجَعَ إِلاَّ مِنَ الطَّرِيقِ وَمَنْ وَصَلَ لاَ يَرْجِعُ.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ صَاحِبَ وُجُود العَدَمِ وَإِنْ كَانَ فِي الطَّرِيقِ وَلَكِنْ لَهُ بِحُكْمِ انْدرَاجِ النِّهَايَة فِي البِدَايَة شُعُورٌ بِنِهَايَة الأَمْرِ وَمَا هُوَ مُيَسَّرٌ للمُنْتَهِي فِي الآخرِ حَاصِل لَهُ خُلاَصَتُهُ مِنْ هَذه الجِهَة إِجْمَالاً وَهَذه النِّسْبَةُ لَمَّا كَانَتْ فِي المُنْتَهِي بِطَرِيقِ الشُّمُول وَعُمُومِ السَّرَيَان صَارَتْ حَاصِلةً فِي رُوحَانِيَّته وجسْمَانِيَّته البَتَّةَ وَفِي صَاحِب وُجُود العَدَمِ مَقْصُورٌ عَلى خُلاَصَة القَلْب وَلَوْ فِي الجُمْلَة وَعَلى سَبِيل الإِجْمَال فَلاَ جَرَمَ كَانَ المُنْتَهِي صَاحِبَ تَفْصِيل وَرُجُوعُهُ إِلى صِفَات الجِسْمَانِيَّة مُمْتَنِعًا فَإِنَّ سَرَيَان تِلْكَ النِّسْبَة فِي مَرَاتِب جِسْمَانِيَّته خَلعَهُ عَنْ صِفَاتِهَا وَجَعَلَهُ فَانِيًا وَهَذَا الفَنَاءُ مَوْهِبَةٌ مَحْضَةٌ وَالرُّجُوعُ عَنِ المَوْهِبَة المَحْضَة لاَ يَلِيقُ بِجَنَاب قُدْسه - تَعَالى - وَتَقَدَّسَ بِخِلاَف صَاحِب وُجُود العَدَمِ فَإِنَّ تِلْكَ السِّرَايَةَ مَفْقُودَةٌ فِي حَقِّه.

غَايَةُ مَا فِي البَاب أَنَّ هَذه المَرَاتِبَ لَمَّا كَانَتْ تَابِعَةً للقَلْب كَانَتْ تِلْكَ النِّسْبَةُ أَيْضًا سَارِيَةً فِيهَا وَكَسَرَتْ سُورَتَهَا وَجَعَلَتْهَا مَغْلوبَةً وَلَكِنَّهَا مَا بَلَغَتْ حَدَّ الفَنَاء وَالزَّوَال فَيُمْكِنُ الرُّجُوعُ عَنْهُ إِذَا المَغْلوبُ قَدْ يَغْلِبُ بِعُرُوضِ بَعْضِ العَوَارِضِ وَلُحُوقِ بَعْضِ المَوَانِعِ وَالزَّائِل لاَ يَعُودُ كَمَا مَرَّ.

وَاعْلَمْ أَنَّ بَعْضَ المَشَايِخ مِنْ هَذه السِّلسلة العَلِيَّة قَدَّسَ اللهُ أَرْوَاحَهُمْ قَدْ أَطْلقُوا الفَنَاءَ وَالبَقَاءَ عَلى الاسْتِهْلاَك وَالاضْمِحْلاَل المَذْكُورِ وَالبَقَاء الذي يَتَرَتَّبُ عَلَيْه وَأَثْبَتُوا التَّجَلِيَ وَالشُّهُودَ الذَّاتِيَّيْنِ أَيْضًا فِي تِلْكَ المَرْتَبَة وَقَالوا لهَذَا البَاقِي وَاصِلاً وَقَالوا بِتَحَقُّقِ يَادداشت الذي هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ دَوَام الحُضُورِ مَعَ جَنَاب الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - فِي هَذَا المَقَام أَيْضًا وَكُل ذَلِكَ بِاعْتِبَارِ انْدرَاجِ النِّهَايَة فِي البِدَايَة وَإِلاَّ فَالفَنَاءُ وَالبَقَاءُ لاَ يَكُونَان إِلاَّ للمُنْتَهِي الذي هُوَ الوَاصِل وَالتَّجَلي الذي مَخْصُوصٌ بِه وَدَوَامُ الحُضُور مَعَ الله - سُبْحَانَهُ - لاَ يَكُونُ إِلاَّ للمُنْتَهِي الوَاصِل إِذْ هُوَ الذي لاَ رُجُوعَ لَهُ أَصْلاً وَأَمَّا الإِطْلاَقُ الأَوَّل فَهُوَ أَيْضًا صَحِيحٌ بِالاعْتِبَارِ المَذْكُورِ وَمُبْتَنٍ عَلى وَجْه وَجِيه وَمِنْ هَذَا القَبِيل مَا وَقَعَ فِي كِتَاب الفِقْرَات لِحَضْرَة الخواجهْ عُبَيْد

اللهِ أَحْرَارٍ قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ الأَقْدَسَ مِنْ إِطْلاَقِ الفَنَاءِ وَالبَقَاءِ وَالتَّجَلِّي وَالشُّهُودِ الذَّاتِيَّيْنِ وَالوَصْلِ وَدَوَامِ الحُضُورِ.

قَالَ وَاحِدٌ مِنَ الأَعِزَّةِ: إِنَّ مَبْنَى ذَلِكَ الكِتَابِ الذي عِبَارَةٌ عَنْ مكتوبات وَرَسَائِلَ مُرْسَلَةٍ إِلَى بَعْضِ مُخْلِصِيهِ عَلَى دِرَايَةِ مَنْ أَرْسَلْتَ إِلَيْهِ وَمَعْرِفَتِهِ وَكَلِّمُوا النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ مُرَاعًى فِيهِ وَمِنْ هَذَا القَبِيلِ أَيْضًا رِسَالَةُ سِلْسِلَةِ الأَحْرَارِ الوَاقِعَةِ عَلَى طَرِيقِ كَلاَمِ حَضْرَةِ الخواجهْ أَحْرَارٍ وَالرُّبَاعِيَّاتِ المَشْرُوحَةِ التي كَتَبَهَا حَضْرَةُ شَيْخِنَا مُؤَيِّدِ الدِّينِ الرَّضِيِّ مَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ البَاقِي سَلَّمَهُ اللهُ - تَعَالَى - وَهَذَا البَقَاءُ بَلْ جَمِيعُ مَا هُوَ وَاقِعٌ فِي طَرَفِ الجَذْبَةِ نَاظِرٌ إِلَى تَوْحِيدِ الوُجُودِ وَلِهَذَا بَيَّنَ بَعْضُ المَشَايِخِ حَقَّ اليَقِينِ عَلَى نَهْجٍ مَآلُهُ إِلَى التَّوْحِيدِ الوُجُودِيِّ وَهَذَا البَيَانُ أَوْقَعَ البَعْضَ فِي اشْتِبَاهِ أَنَّ حَقَّ اليَقِينِ الذي هُوَ مَنْسُوبٌ إِلَيْهِمْ وَمُخْتَصٌّ بِهِمْ عِبَارَةٌ عَنِ التَّجَلِّي الصُّورِيِّ وَانْجَرَّ ذَلِكَ إِلَى الطَّعْنِ وَالتَّشْنِيعِ وَالحَقُّ أَنَّ هَذَا حَقُّ اليَقِينِ المَنْسُوبِ إِلَيْهِمُ الذي بَيَّنَهُ بَعْضُ المَشَايِخِ حَاصِلٌ فِي جِهَةِ الجَذْبَةِ وَهَذِهِ المَعْرِفَةُ مُنَاسِبَةٌ لِهَذَا المَقَامِ وَالتَّجَلِّي الصُّورِيُّ شَيْءٌ آخَرُ كَمَا لاَ يَخْفَى عَلَى أَرْبَابِهِ وَأَطْلَقُوا دَوَامَ الحُضُورِ عَلَى مَرْتَبَةِ شُهُودِ الوَحْدَةِ فِي مِرْآةِ الكَثْرَةِ عَلَى نَهْجٍ تَكُونُ المِرْآةُ مُخْتَفِيَةً بِالتَّمَامِ وَلاَ يَبْقَى المَشْهُودُ غَيْرَ الوَجْهِ البَاقِي أَصْلاً لِرُؤْيَتِهِمْ هَذَا المَقَامَ مُنَاسِبًا ليادداشت يَعْنِي دَوَامَ الحُضُورِ وَيَقُولُونَ لِهَذَا الشُّهُودِ تَجَلِّيًا ذَاتِيًّا أَيْضًا وَشُهُودًا ذَاتِيًا وَيُقَالُ لِهَذَا المَقَامِ مَقَامَ الإِحْسَانِ وَعَبَّرُوا عَنْ ذَلِكَ الاسْتِهْلاَكَ وَالاضْمِحْلاَلَ بِالوَصْلِ، (ع):

أَنْتَ غِبٌّ فيه وَذَا عَيْنُ الوِصَالِ

وَهَذَا الاصْطِلاَحُ مَخْصُوصٌ بِحَضْرَةِ نَاصِرِ الدِّينِ الخواجهْ عُبَيْدِ اللهِ أَحْرَارٍ - قُدِّسَ سِرُّهُ - وَلَمْ يَتَكَلَّمْ بِهَذَا الاصْطِلاَحِ أَحَدٌ مِنَ المَشَايِخِ المُتَقَدِّمِينَ مِنْ هَذِهِ السِّلْسِلَةِ، (ع):

وَجَمِيعُ مَا فَعَلَ المَلِيحُ مَلِيحُ

وَمِنْ كَلِمَاتِهِ القُدْسِيَّةِ أَنَّ اللِّسَانَ مِرْآةُ القَلْبِ وَالقَلْبَ مِرْآةُ الرُّوحِ وَالرُّوحُ مِرْآةُ الحَقِيقَةِ الإِنْسَانِيَّةِ وَالحَقِيقَةَ الإِنْسَانِيَّةَ مِرْآةُ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَالحَقَائِقُ الغَيْبِيَّةُ تَصِلُ إِلَى اللِّسَانِ مِنْ غَيْبِ الذَّاتِ بِقَطْعِ هَذِهِ المَسَافَةِ البَعِيدَةِ وَمِنْهُ تُقْبِلُ صُورَةُ اللَّفْظِ وَتَصِلُ إِلَى مَسَامِعِ المُسْتَعِدِّينَ لِلحَقَائِقِ وَقَالَ أَيْضًا: كُنْتُ فِي مُلاَزَمَةِ بَعْضِ الأَكَابِرِ مُدَّةً فَأَنْعَمَ عَلَيَّ بِشَيْئَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنَّ كُلَّمَا أَكْتُبُهُ يَكُونُ جَدِيدًا لاَ قَدِيمًا.

وَثَانيهمَا أَنَّ كُلمَا أَقول يَكُونُ مَقْبُولاً لاَ مَرْدُودًا وَيُفْهَمُ مِنْ كَلمَاته القُدْسيَّة هَذه جَلالَةُ شَأْنه وَعُلوُّ مَنْزلة مَعَارفه وَاتَّضحَ أَيْضًا أَنَّهُ لَيْسَ فِي البَيْنِ فِي هَذه الكَلمَات يَعْني لاَ مَدْخَل لهُ فِي صُدُورهَا عَنْهُ وَإِنَّمَا ظَهَرَتْ مِنْهُ بطَريق الانْعكَاس وَلَيْسَ وَظيفَتُهُ وَدَخْلُهُ فيهَا غَيْرَ المرْآتيَّة لَهَا وَاللهُ - سُبْحَانَهُ - أَعْلَمُ بحَقيقَة الحَال وَمَا عنْدَهُ منْ عُلوِّ درَجَة وَمَنْزلة الكَمَال وَأَنْشَدَ هذه المَثْنويَّات، شعْرٌ:

كَانَ كُل النَّاسِ أَصْحَابي عَلى ظَنِّهِمْ وَالقلبُ بالسِّرِّ اخْتَلى

لَمْ يَكُنْ سرِّي بَعيدًا منْ أنيـــ ــني وَلكنْ أَيْنَ فَهْمٌ للـــدُّنَى

وَسَيَكْتُبُ هَذَا الحَقيرُ نُبْذَةً مِنْ حَقيقَة عُلومه وَمَعَارفه فِي آخرِ هَذَا المَكْتُوب عَلى مقْدَار فَهْمه القَاصر وَالأَمْر عنْدَ الله - سُبْحَانَهُ -.

وَإِذَا شَرَّفَ الحَقُّ - سُبْحَانَهُ - بكَمَال عنَايَته بَعْدَ حُصُول الجَذْبَة وَتَمَام تلكَ الجهَة بنعْمَة السُّلوك يُمْكنُ أَنْ يَقْطَعَ بمَدَد الجَذْبَة المَسَافَةَ البَعيدَةَ التي قَدَّرُوهَا بخَمْسينَ أَلفَ سَنَة وَفي قَوْله {تَعْرُجُ المَلائكَةُ وَالرُّوحُ إليْه فِي يَوْمٍ كَانَ مقْدَارُهُ خَمْسينَ أَلفَ سَنَة}[1] رَمْزٌ إلى هَذَا التَّقْدير فِي مُدَّة قَليلة وَأَنْ يَصل إلى حَقيقَة الفَنَاء في الله وَالبَقَاء بالله وَمُنْتَهى السُّلوك وُصُول السَّالك إلى نهَايَة السَّيْر إلى الله الذي هُوَ مُعَبَّرٌ عَنْهُ الفَنَاءُ المُطْلقُ وَبَعْدَ ذَلكَ أَيْضًا مَقَامُ الجَذْبَة الذي عَبَّرُوا عَنْهُ بالسَّيْر في الله، وَالبَقَاءُ بالله وَالسَّيْرُ إلى الله عبَارَةٌ عَن السَّيْر إلى الاسْم الذي السَّالكُ مَظْهَرُهُ وَالسَّيْرُ فِي الله سَيْرٌ فِي ذَلكَ الاسْم فَإنَّ كُل اسْم جَامعٌ لأَسْمَاء غَيْر مُتَنَاهيَة فَيَكُونُ السَّيْرُ فيه أَيْضًا غَيْرُ مُتَنَاه وَلهَذَا الدَّرْويش في هَذَا المَقَام مَعْرفَةٌ خَاصَّةٌ وَسَتُذْكَرُ إنْ شَاءَ الله - تَعَالى - عَنْ قَريبٍ وَهَذَا الاسْمُ في مَرَاتب العُرُوج فَوْقَ العَيْن الثَّابتَة فَإنَّ العَيْنَ الثَّابتَةَ للسَّالك ظل ذَلكَ الاسْم وَصُورَتُهُ العلميَّةُ وَالجَمَاعَةُ المَخْصُوصَةُ بفَضْل الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - يَعْرُجُونَ منْ هَذَا الاسْم أَيْضًا وَيَتَرَقَّوْنَ إلى مَا شَاءَ الله بلاَ نهَايَة، شعْرٌ:

وَمنْ بَعْد هَذَا يَدقُّ بَيَانُهُ وَمَا كَتَمَهُ أَحْظَى لدَيَّ وَأَجْمَل

وَالوَاصلونَ منْ سَائر أَرْبَاب السُّلوك وَإنْ كَانُوا مُشَاركينَ لَهُمْ في الجهَة الثَّانيَة وَمُتَحَقِّقُونَ بالفَنَاء في الله وَالبَقَاء بالله وَلكنَّ المَسَافَةَ التي يَقْطَعُهَا أَرْبَابُ السُّلوك بالرِّيَاضَات وَالمُجَاهَدَات وَيَصلونَ إلى مُنْتَهَاهَا في أَزْمنَة طَويلة يَقْطَعُهَا أَكَابرُ

---

(١) ـــ الآية: ٤ من سورة المعارج.

هَذه السِّلسلة العَلِيَّة بالتذَاذ دَوْلة الشُّهُود وَذَوْق وُجْدَان المَقْصُود في أزْمنَة قَليلة وَيَصلونَ إلى كَعْبَة المَطْلوب ثُمَّ بَعْدَ الوُصُول يَحْصُل لَهُمْ تَرَقِّيَاتٌ غَيْرُ مُتَنَاهيَةٍ وَالْمُنْتَهُونَ منْ أَرْبَاب السُّلوك قَليلو النَّصيب منْ ذَلكَ التَّرَقِّي وَالقُرْب فَإنَّ تَقدُّمَ الجَذْبَة عَلى السُّلوك يَسْتَدْعي نَحْوًا منَ المَحْبُوبيَّة فَإنَّهُ مَا لَمْ يَكُنْ مُرَادًا لاَ يَحْصُل لَهُ جَذْبٌ فَإذَا انْجَذَبَ يَقعُ أَقْرَبَ أَلبَتَّةَ وَيَحْصُل لَهُ زيَادَةُ القُرْب وَالفَرْقُ بَيْنَ المُرَاد وَغَيْر المُرَاد كَثيرٌ {ذَلكَ فَضْل الله يُؤْتيه مَنْ يَشَاءُ وَالله ذُو الفَضْل العَظيمُ}[١] مَثْنَوِيٌّ، شِعْرٌ:

عشْقُ عُشَّـاق بطَبْل ونفـير　　　عشْقُ مَعْشُوق خَفيٌّ وَستِّيرٍ
عشْقُ مَعْشُوق مَزيد في السِّمَن　　　غَيْرَ أنَّ الثَّاني مُضْنٍ للبَدَن

فَإنْ قيل: إنَّ المُرَادينَ منْ سَائر السَّلاَسل أَيْضًا شُرَكَاءُ لَهُمْ في هَذَا التَّرَقِّي وَالقُرْب فَإنَّ الجَذْبَةَ مُقَدَّمَةٌ عَلى سُلوكهمْ فَمَا يَكُونُ مَزيَّةُ هَذَا الطَّريق عَلى غَيْره منَ الطُّرُق وَلأَيِّ شَيْءٍ يُقَال لَهُ إنَّهُ أَقْرَبُ الطُّرُق ؟

أُجيبَ: إنَّ سَائرَ الطُّرُق لَيْسَتْ بمَوْضُوعَة لحُصُول هَذَا المَعْنَى بَل تَحْصُل هَذه الدَّوْلةُ لبَعْضهمْ عَلى سَبيل الاتِّفَاق وَهَذَا الطَّريقُ مَوْضُوعٌ لحُصُول هَذَا المَعْنَى ويَادداشت الذي يَقَعُ في عبَارَات أَكَابر هَذه السِّلسلة العَلِيَّة يُتَصوَّرُ بَعْدَ تَحَقُّق كلاَ جهَتي الجَذْبَة وَالسُّلوك، وَإطْلاَقُ النِّهَايَة عَلَيْه باعْتبَار نهَايَة مَرَاتب الشُّهُود وَالحُضُور وَإلاَّ فالنِّهَايَةُ المُطْلقَةُ وَرَاءَ الوَرَاء.

وَتَفْصيلهُ أنَّ الشُّهُودَ إمَّا في مرْآة الصُّورَة أَوْ في مرْآة المَعْنَى أَوْ فيمَا وَرَاءَ الصُّورَة وَالمَعْنَى وَقَالوا لهَذَا الشُّهُود العَاري عَن الحجَاب يَعْني حجَابَ الصُّورَة وَالمَعْنَى برْقيًّا يَعْني أَنَّ حُصُول هَذَا الشُّهُود كَالبَرْق ثُمَّ يَكُونُ في الحجَاب فَإذَا حَصَل لهَذَا الشُّهُود بمَحْض فَضْل الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - دَوَامٌ وَخَرَجَ عَنْ مَضيق الحُجُب بالتَّمَام يُعَبِّرُونَ عَنْهُ حينَئذ بيادداشت الذي هُوَ حُضُورٌ بلاَ غَيْبَة فَإنَّ الشُّهُودَ مَادَامَ يَحْتَجبُ وَلَمْ يَحْصُل لهُ دَوَامُ عَدَم الاحْتجَاب لاَ يُطْلَقُ عَلَيْه اسْمُ يادداشت.

وَهَهُنَا دَقيقَةٌ يَنْبَغي أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ كُل وَاصل لاَ رُجُوعَ لَهُ حُضُورُهُ دَائميٌّ وَلكنَّ سَرَيَانَ تلكَ النِّسْبَة في كُليَّته كَالبَرْق بخلاَف المَحْبُوبينَ الذينَ جَذْبَتُهُمْ مُقَدَّمَةٌ عَلى سُلوكهمْ فَإنَّ هَذَا السَّرَيَانَ دَائميٌّ فيهمْ وَكُليَّتُهُمْ آخذَةٌ لحُكْم السِّرِّ وَعَاملةٌ عَمَل السِّرِّ كَمَا مَرَّتْ الإشَارَةُ إلَيْه لاَنَتْ أَجْسَادُهُمْ كَمَا لاَنَتْ أَرْوَاحُهُمْ

(١) ــ الآية: ٢١ من سورة الحديد، والآية: ٤ من سورة الجمعة.

حَتَّى صَارَتْ ظَوَاهِرُهُمْ بَوَاطِنَهُمْ وَبَوَاطِنُهُمْ ظَوَاهِرَهُمْ فَلاَ جَرَمَ لاَ يَكُونُ فِي حُضُورِهِمْ لِلغَيْبَةِ مَجَال فَتَكُونُ هَذِهِ النِّسْبَةُ فَوْقَ جَمِيعِ النِّسَبِ عَلَى كُل حَال وَهَذِهِ العِبَارَةُ شَائِعَةٌ فِي كُتُبِهِمْ وَرَسَائِلِهِمْ لِهَذَا المَعْنَى فَإِنَّ النِّسْبَةَ عِبَارَةٌ عَنِ الحُضُورِ، وَنِهَايَةُ مَرَاتِبِ الحُضُورِ هِيَ أَنْ يَكُونَ الحُضُورُ بِلاَ حِجَاب وَدَائِمًا وَتَخْصِيصُ مشائخ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ هَذِهِ النِّسْبَةَ بِأَنْفُسِهِمْ بِاعْتِبَارِ وَضْعِ الطَّرِيقِ لِحُصُول هَذِهِ الدَّوْلَة كَمَا مَرَّ وَإِلاَّ فَإِنْ تَيَسَّرَتْ لِبَعْضِ أَكَابِرَ طُرُقٌ آخَرُ أَيْضًا فَجَائِزٌ بَل وَاقِعٌ وَقَدْ أَظْهَرَ قُدْوَةُ أَكَابِرِ أَهْلِ اللهِ الشَّيْخُ أَبُو سَعِيد أَبُو الخَيْرِ قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ رَمْزًا مِنْ هَذَا الحُضُورِ وَطَلَبَ تَحْقِيقَهُ مِنْ أُسْتَاذِهِ حَيْثُ سَأَلَهُ هَل يَكُونُ هَذَا الحَدِيثُ دَائِمِيًّا ؟

فَقَالَ الأُسْتَاذُ فِي جَوَابِهِ: لاَ يَكُونُ فَأَعَادَ الشَّيْخُ المَسْأَلَةَ ثَانِيًا وَوَجَدَ الجَوَابَ الأَوَّل ثُمَّ كَرَّرَ السُّؤَال ثَالِثًا فَقَال أُسْتَاذُهُ فِي جَوَابِهِ: فَإِنْ كَانَ فَنَادِرٌ فَرَقَصَ الشَّيْخُ وَقَال هَذَا مِنْ تِلكَ النَّوَادِرِ.

وَمَا قُلتُ مِنْ أَنَّ النِّهَايَةَ المُطْلَقَةَ وَرَاءَ الوَرَاءِ فَبَيَانُهُ أَنَّهُ إِذَا وَقَعَ العُرُوجُ بَعْدَ تَحَقُّقِ هَذَا الحُضُورِ يَقَعُ السَّالِكُ فِي لُجَّةِ الحَيْرَةِ وَيَخْلُفُ هَذَا الحُضُورَ وَرَاءَ ظَهْرِهِ كَسَائِرِ مَرَاتِبِ العُرُوجِ وَهَذِهِ الحَيْرَةُ هِيَ المُسَمَّاةُ بِالحَيْرَةِ الكُبْرَى المَخْصُوصَةِ بِالأَكَابِرِ كَمَا وَقَعَ فِي كُتُبِ القَوْمِ قَال وَاحِدٌ مِنَ الأَكَابِرِ فِي هَذَا المَقَامِ، شِعْرٌ:

حسن تومرا كرد جنان زبر وزبر كزخال وخط وزلف توام نيست خبر

مَضْمُونُهُ:

نَسِيتُ اليَوْمَ مِنْ عِشْقٍ صَلاَتِي فَلاَ أَدْرِي غَدَائِي مِنْ عَشَائِي

وَقَال الآخَرُ:

تَعَالَى العِشْقُ عَنْ كُفْرٍ وَدِين كَذَاكَ عَنِ التَّشَكُّك وَاليَقِين
رَأَيْتُ العَقْــل مَقْرُونًا بِكُــفْرٍ وَذِي دِينٍ وَشَكٌّ وَاليَقِــين
فَجُزْتُ عَوَالِمَا مِنْ غَيْرِ عَقْل فَلَمْ أَرَ بَعْدُ مِــنْ كُفْرٍ وَدِينٍ
وَكُل الكَوْن سَدَّكَ فِي طَرِيقٍ أَرَى ذَا سَدّ يَأْجُــوجَ بِعَيْنٍ

وَقَال الآخَرُ مِنَ الأَعِزَّة

وَقَدْ سَارُوا وَطَارُوا نَحْوَ أَوْجٍ فَعَادُوا صِفْرَ جَيْبٍ وَاليَدَيْن

وَبَعْدَ حُصُول هَذِهِ الحَيْرَةِ مَقَامُ المَعْرِفَةِ وَمَنْ ذَا يَتَشَرَّفُ بِهَذِهِ الدَّوْلَة وَمَنْ ذَا يَحْتَظِي بِالإِيمَانِ الحَقِيقِيِّ بَعْدَ الكُفْرِ الحَقِيقِيِّ الذي هُوَ مَقَامُ الحَيْرَةِ وَنِهَايَةُ مَطْلُوب

المُحققين في هَذَا الإيمَان وَمَقَامُ الدَّعْوَة وَكَمَال مُتَابَعَة سَيِّد المُرْسَلينَ - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - عَلَى وَفْق قَوْله - تَعَالَى - {أَدْعُو إلَى الله عَلَى بَصيرَة أَنَا وَمَن اتَّبعَني} في هَذَا المَقام وَكَانَ ﷺ يَطْلبُ هَذَا الإيمَانَ حَيْثُ قَال في دُعَائه "**اللهُمَّ أَعْطني إيمَانًا صَادقًا وَيَقينًا لَيْسَ بَعْدَهُ كُفْرٌ**" وَكَانَ يَسْتَعيذُ منَ الكُفْر الحَقيقيِّ الذي هُوَ مَقَامُ الحَيْرَة حَيْثُ قَال "**أَعُوذُ بكَ منَ الكُفْر وَالفقْر**"

وَهَذه المَرْتَبَةُ نهَايَةُ مَرَاتب حَقِّ اليَقين وَهَهُنَا لَيسَ العلمُ وَالعَيْنُ بَعْضُهما حجَابًا عَنْ بَعْض، شعْرٌ:

هَنيئًا لأَرْبَاب النَّعيم نَعيمُهَا ... وَللعَاشق المسْكين مَا يَتجَرَّعُ

وَاعْلَمْ أَرْشَدَكَ الله أَنَّ جَذْبَةَ هَؤُلاَء الأعزَّة عَلَى نَوْعَيْن النَّوْعُ الأَوَّل: وَاصل منَ الصِّدِّيق الأَكْبَر ﷺ وبهَذَا الاعْتبَار يُنْسَبُ طَريقُهُمْ إلَيْه ﷺ وَحُصُول هَذَا النَّوْع بالتَّوَجُّه إلى الوَجْه الخَاصِّ الذي هُوَ قَيُّومُ جَميع المَوْجُودَات وَالاسْتهْلاَك وَالاضْمحْلاَل فيه.

وَالنَّوْعُ الثَّاني: مَبْدَأُ ظُهُوره في هَذَا الطَّريق حَضْرَةُ الخواجهْ بَهَاء الدِّين النَّقْشَبَنْديِّ وَهُوَ يَنْبَعثُ منْ طَريق المَعيَّة الذَّاتيَّة وَوَصَلَتْ تلكَ الجَذْبَةُ منْ حَضْرَة الخواجهْ إلى أَوَّل خُلفَائه الخواجهْ عَلاَء الدِّين وَلَمَّا كَانَ هُوَ قُطْبُ الإرْشَاد في وَقْته وَقَعَ طَريقًا أَيْضًا لحُصُول هَذه الجَذْبَة وَذَلكَ الطَّريقُ مَشْهُورٌ فيمَا بَيْنَ خُلفَاء هَذه السِّلسلة بالعَلاَئيِّ وَرُبَّمَا يَقَعُ في عبَارَاتهمْ أَنَّ أَقْرَبَ الطُّرُق الطَّريقَةُ العَلاَئيَّةُ وَأَصْلُ هَذه الجَذْبَة وَإنْ كَانَ منَ الخواجهْ النَّقْشَبَنْديِّ وَلَكنَّ وَضْعَ الطَّريق لتَحْصيلهَا مَخْصُوصٌ بالخواجهْ عَلاَء الدِّين قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمَا وَالحَقُّ أَنَّ هَذَا الطَّريقَ كَثيرُ البَرَكَة وَقَليلُهُ أَنْفَعُ منْ كَثير طُرُق الآخَرينَ وَخُلفَاءُ مشائخ العَلاَئيَّة وَالأَحْرَاريَّة مُشْرفُونَ وَمُحْتَظُونَ بهَذه الدَّوْلَة العُظْمَى وَيُرَبُّونَ الطَّالبينَ بهَذَا الطَّريق نَال الخواجهْ أَحْرَارٌ هَذه الدَّوْلَةَ العُظْمَى منْ مَوْلاَنَا يَعْقُوبَ الجَرْخيِّ عَلَيْهمَا الرِّضْوَانُ وَهُوَ منْ خُلفَاء الخواجهْ عَلاَء الدِّين.

وَالنَّوْعُ الأَوَّل منَ الجَذْبَة الذي هُوَ مَنْسُوبٌ إلى الصِّدِّيق الأَكْبَر ﷺ وُضعَ لحُصُوله طَريقًا عَلَى حدَة وَذَلكَ الطَّريقُ هُوَ الوُقُوفُ العَدَديُّ وَالسُّلوكُ الذي يَتَحَقَّقُ بَعْدَ هَذه الجَذْبَة أَيْضًا عَلَى نَوْعَيْن بَل عَلَى أَنْوَاع نَوْع بَلغَ الصِّدِّيقَ ﷺ مَقْصُودَه منْ هَذَا الطَّريق، وَخَاتَمُ الرِّسَالة - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - أَيْضًا وَصَل منْ مَوْطن الجَذْبَة بهَذَا الطَّريق وَلَمَّا كَانَ الصِّدِّيقُ ﷺ مُتَخَلقًا بكَمَال الأَخْلاَق الذي كَانَ فيه

ﷺ وَفَانيًا فيه خُصَّ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الأَصْحَاب رِضْوَانُ الله - تَعَالى - عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ بِخُصُوصيَّة هَذَا الطَّرِيق وَهَذه النِّسْبَة أَعْني نسْبَةَ الجَذْبَة وَالسُّلوك المَذْكُورَيْن الآنَ وَصَلَتْ إلى الإِمَامِ جَعْفَرِ الصَّادق بِهَذه الخُصُوصيَّة وَلَمَّا كَانَتْ وَالدَةُ الإمَامِ مِنْ بَنَات أَوْلَاد الصِّدِّيق ﷺ قَال الإِمَامُ بِمُلَاحَظَة كلا الاعْتِبَارَيْنِ ولدني أَبو بَكْرٍ مَرَّتَيْن وَحَيْثُ كَانَ الإِمَامُ أَخَذَ نسْبَةً عَلى حدَة مِنْ آبَائه الكرَام صَارَ جَامعًا كلا هَذَيْنِ الطَّرَفَيْنِ وَجَمَعَ تلكَ الجَذْبَةَ مَعَ سُلوكهِمْ وَوَصَلَ إلى المَقْصُود بِهَذَا السُّلوك وَالفرْقُ بَيْنَ هَذَيْنِ السُّلوكَيْنِ هُوَ أَنَّ سُلوكَ الإمَام عَليٍّ يَقْطَعُ بِالسَّيْرِ الآفَاقيِّ وَسُلوكُ الصِّدِّيقِ لاَ يَتَعلقُ بالآفَاق كَثيرًا وَيُشَبَّهُ بنَقْب نُقْبَة منْ مَوْطنِ الجَذْبَة إلى أَنْ تَصل إلى المَقْصُود.وَفي السُّلوك الأَوَّل تَحْصُل المَعَارفُ وَفي الثَّاني غَلبَةُ المَحَبَّة فلاَ جرَمَ كَانَ الإمَامُ عَليٌّ بَابَ مَدينَة العلم وَكَانَ للصِّدِّيق قَابليَّةٌ خَلته عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلام قَال عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم "**لوْ كُنْتُ مُتَّخذًا خَليلاً لاَتَّخذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَليلاً**" وَحَصَل الإمَامُ بِاعْتبَار جَامعيَّته للجَذْبَة التي مَبْنَاهَا المَحَبَّةُ

وَجهَةُ السُّلوك الآفَاقيِّ الذي هُوَ مَنْشَأُ العُلوم وَالمَعَارف نَصيبًا وَافرًا منَ المَحَبَّة وَالمَعْرفَة ثُمَّ فَوَّضَ الإمَامُ هَذه النِّسْبَةَ المُرَكَّبَةَ بطَريق الوَديعَة إلى سُلطَان العَارفينَ وَكَأَنَّهُ حَمَل ثقَل هَذه الأَمَانَة عَلى ظَهْره ليُسلمهَا إلى أَهْلهَا بِالتَّدْريج وَوَجَّهَ عنَانَ تَوَجُّهه إلى جَانب آخَرَ لَمْ تَكُنْ لهُ مُنَاسَبَة بتلكَ النِّسْبَة قَبْل تَحَمُّل تلكَ الأَمَانَة وَفي هَذَا التَّحْميل أَيْضًا حكَمٌ كَثيرَةٌ وَإنْ كَانَ نَصيبُ الحَاملينَ منْهَا قَليلاً وَلكنْ لهَا نَصيبٌ وَافرٌ منْ أَنْوَار هَؤُلاَء الأَكَابر كَمَا أَنَّ نَوْعًا منَ السُّكْر مَثَلاً الذي هُوَ مُنْدَمجٌ وَمُمْتَزجٌ فيهَا منْ آثَار أَنْوَار سُلطَان العَارفينَ وَهَذَا السُّكْرُ يَجْعَل المُبْتَدئَ غَائبًا عَن الحسِّ وَيُورثُهُ عَدَمَ الشُّعُور ثُمَّ يَسْتَترُ بَعْدَ ذَلكَ بالتَّدْريج باعْتبَار غَلبَة الصَّحْو تَكُونُ هَذه النِّسْبَةُ مُنْدَمجَةً في مَرَاتب الصَّحْو ففى الظَّاهر صَحْوٌ وَفي البَاطن سُكْرٌ وَهَذَا البَيْتُ في بَيَان حَالهمْ، شعْرٌ:

بقَلبكَ صَاحبْنَا وَجَانب بظَاهر وَذَا السَّيْر في الدُّنْيَا قَليل النَّظَائر

وَعَلى هَذَا القيَاس أَخَذَتْ منْ كُل وَاحد منَ الأَكَابر نُورًا وَوَصَلتْ إلى أَهْلهَا وَهُوَ العَارفُ الرَّبَّانيُّ الخواجهُ عَبْدُ الخَالق الغجدواني رَأْسُ حَلقة سلسلة خوجكان قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ ففى ذَلكَ الوَقْت حَصَلتْ لتلكَ النِّسْبَة طَرَاوَةٌ كُليَّةٌ وَبَرَزَتْ في عَرْصَة الظُّهُور ثُمَّ صَارَ جَانبُ السُّلوك الآفَاقيِّ مُخْتَفيًا بَعْدَهُ في هَذه السِّلسلة وَصَارُوا يَسْلكُونَ طُرُقًا آخَرَ بَعْدَ حُصُول الجَذْبَة وَيَعْرُجُونَ منْهَا وَلَمَّا جَاء

حَضْرَةُ الخواجهْ بَهاءِ الدِّينِ النَّقْشَبَنْدِيُّ قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ الأَقْدَسَ إلى عَالَمِ الظُّهُورِ ظَهَرَتْ تلكَ النِّسْبَةُ ثَانِيًا بتلكَ الجَذْبَةِ وَالسُّلوكِ الآفاقِيِّ وَصَارَ هُوَ بِهَذَيْنِ الجِهَتَيْنِ جَامِعًا لِكَمَالِ المَعْرِفَةِ وَالمَحَبَّةِ وَمَعَ وُجُودِ ذَلِكَ القِسْمِ الوَاحِدِ مِنَ الجَذْبَةِ أُعْطِيَ قِسْمًا آخَرَ مِنْهَا أَيْضًا مُنْبَعِثًا مِنْ طَرِيقِ المَعِيَّةِ كَمَا مَرَّ وَحَصَلَ مِنْ كَمَالاتِهِ نَصِيبٌ وَافِرٌ لِنَائِبِ مَنَابِهِ أَعْنِي حَضْرَةَ الخواجهْ عَلاءِ الحَقِّ وَالدِّينِ وَتَشَرَّفَ بِدَوْلَةِ عَلا الجَذْبَتَيْنِ وَالسُّلوكِ الآفَاقِيِّ وَبَلَغَ مَقَامَ قُطْبِيَّةِ الإِرْشَادِ وَكَذَلِكَ الخواجهْ مُحَمَّدُ بَارسا - قُدِّسَ سِرُّهُ - حَازَ حَظًّا وَافِرًا مِنْ كَمَالاتِهِ قَالَ حَضْرَةُ الخواجهْ في آخرِ حَيَاتِهِ في حَقِّهِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيَّ فَلْيَنْظُرْ إلى مُحَمَّدٍ وَنُقِلَ عَنْهُ أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ: المَقْصُودُ مِنْ مَوْجُودِ بَهَاءِ الدِّينِ وُجُودُ مُحَمَّدٍ وَمَعَ وُجُودِ هَذِهِ الكَمَالاتِ في خواجَهْ بَارسَا مَنَحَهُ الخواجهْ عَارِفُ الدِّيكِ كرانى في آخرِ حَيَاتِهِ نِسْبَةَ الفَرْدِيَّةِ وَهَذِهِ النِّسْبَةُ صَارَتْ مَانِعَةً لَهُ مِنَ المَشْيَخَةِ وَتَكْمِيلِ الطَّلَبَةِ وَإِلاَّ كَانَ لَهُ في الكَمَالِ وَالتَّكْمِيلِ دَرَجَةٌ عَلِيًّا قَالَ حَضْرَةُ الخواجهْ في شَأْنِهِ: لَوْ رَبَّهُ هُوَ المُرِيدينَ لَيُنَوِّرَ العَالَمَ مِنْهُ وَوَجَدَ مَوْلاَنَا عَارِفٌ هَذِهِ النِّسْبَةَ أَعْنِي نِسْبَةَ الفَرْدِيَّةِ مِنْ وَالِدِ زَوْجَتِهِ مَوْلاَنَا بَهَاءِ الدِّينِ يَعْنِي القشلاقى.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ وَجْهَ الفَرْدِيَّةِ إلى الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - بِالتَّمَامِ لاَ تَعَلُّقَ لَهُ بِالمَشْيَخَةِ وَالتَّكْمِيلِ وَالدَّعْوَةِ فَإِنْ اجْتَمَعَتْ تلكَ النِّسْبَةُ مَعَ نِسْبَةِ قُطْبِيَّةِ الإِرْشَادِ التي هِيَ مَقَامُ دَعْوَةِ الخَلْقِ وَتَكْمِيلِهِمْ يَنْبَغِي أَنْ يُنْظَرَ فَإِنْ كَانَتْ نِسْبَةُ الفَرْدِيَّةِ غَالِبَةً فَطَرَفُ الإِرْشَادِ وَالتَّكْمِيلِ ضَعِيفٌ وَمَغْلُوبٌ عَلَى هَذِهِ التَّقْدِيرِ وَإِلاَّ فَصَاحِبُ هَاتَيْنِ النِّسْبَتَيْنِ في حَدِّ الاعْتِدَالِ ظَاهِرُهُ مَعَ الخَلْقِ بِالتَّمَامِ وَبَاطِنُهُ مَعَ الحَقِّ - تَعَالى - وَتَقَدَّسَ بِالكُلِّيَّةِ، وَالدَّرَجَةُ العَلِيَّا في مَقَامِ دَعْوَةِ الخَلْقِ لِصَاحِبِ هَاتَيْنِ النِّسْبَتَيْنِ.

وَنِسْبَةُ قُطْبِيَّةِ الإِرْشَادِ وَإِنْ كَانَتْ وَحْدَهَا كَافِيَةً في الدَّعْوَةِ وَلَكِنْ لِهَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ في هَذَا المَقَامِ مَرْتَبَةٌ عَلَى حِدَةٍ، نَظَرُهُمْ شِفَاءُ الأَمْرَاضِ القَلْبِيَّةِ وَصُحْبَتُهُمْ دَافِعَةٌ لِلأَخْلاَقِ الغَيْرِ المَرْضِيَّةِ وَكَانَ سَيِّدُ الطَّائِفَةِ جُنَيْدٌ مُسْتَسْعِدًا بِهَذِهِ الدَّوْلَةِ وَمُشَرَّفًا بِهَذِهِ المَنْزِلَةِ حَصَلَتْ لَهُ نِسْبَةُ القُطْبِيَّةِ مِنْ شَيْخِهِ السَّرِّيِّ السَّقَطِيِّ وَنِسْبَةُ الفَرْدِيَّةِ مِنَ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ القَصَّابِ وَمِنْ كَلِمَاتِهِ القُدْسِيَّةِ أَنَّ النَّاسَ يَزْعُمُونَنِي مُرِيدَ السَّرِيِّ أَنَا مُرِيدُ مُحَمَّدٍ القَصَّابِ جَعَلَ نِسْبَةَ الفَرْدِيَّةِ غَالِبَةً وَنَسِيَ نِسْبَةَ القُطْبِيَّةِ وَرَآهَا مَعْدُومَةً في جَنْبِهَا.

وَبَعْدَ خُلَفَاءِ الخواجهْ النَّقْشَبَنْدِيِّ كَانَ سِرَاجُ هَذِهِ الطَّائِفَةِ العَلِيَّةِ حَضْرَةَ

الخواجهْ عُبَيْدَ الله أَحْرَارِ - قُدِّسَ سِرُّهُ - تَوَجَّهَ إِلى السَّيْرِ الآفَاقِيِّ بَعْدَ إِتْمَامِ جَذْبَة خواجكان قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ وَأَوْصَلَ السَّيْرَ إِلى الاسْمِ وَحَصَلَ لهُ الاسْتِهْلاَكُ وَالفَنَاءُ فيه قَبْل دُخُوله إِلى الاسْمِ ثُمَّ عَادَ إِلى مَوْطِنِ الجَذْبَة وَحَصَلَ لهُ فِي تلكَ الجِهَةُ اسْتِهْلاَكٌ وَاضْمِحْلال خَاصٌ وَوَجَدَ البَقَاء أَيْضًا فِي تلكَ الجِهَة وَبالجُمْلَة كَانَ لهُ شَأْنٌ عَظِيمٌ فِي تلكَ الجِهَة وَمَا تَيَسَّرَ مِنَ العُلوم وَالمَعَارِف مِنَ الفَنَاء وَالبَقَاء تَيَسَّرَ لهُ فِي هَذَا المَقَامِ وَإِنْ كَانَ فِي العُلومِ تَفَاوُتٌ بِوَاسِطَة تَغَايُر الجِهَتَيْنِ وَمِنَ التَّفَاوُت إِثْبَاتُ تَوْحِيد الوُجُود وَعَدَمُهُ وَكَذَلكَ إِثْبَاتُ أُمُورِ مُنَاسِبَة للتَّوْحِيد المَذْكُور مِنَ الإِحَاطَة وَالسَّرَيَان وَالمَعِيَّة الذَّاتيَّات وَشُهُود الوَحْدَةَ فِي الكَثْرَة مَعَ اكْتِفَاء الكَثْرَة بِالكُلِّيَّة بِحَيْثُ لاَ يُرَجِّعُ كَلمَةَ أَنَا إِلى السَّالكِ أَصْلاً وَأَمْثَال ذَلكَ بِخلاَف العُلوم التي تَتَرَتَّبُ عَلى البَقَاء الذي بَعْدَ الفَنَاء المُطْلق فَإِنَّهَا لَيْسَتْ كَذَلكَ بَل هِيَ مُطَابِقَةٌ لعُلومِ الشَّرِيعَة حَقِيقَةً غَيْرَ مُحْتَاجَة إِلى التَّمَحُّلاَت وَالتَّكلفَات وَالأَسْئلة وَالأَجْوبَة وَبالجُمْلة إِنَّ البَقَاءَ فِي جهَة الجَذْبَة أَيَّ جَذْبَة كَانَتْ لاَ يُخرِجُ السَّالكَ مِنَ السُّكْرِ وَلاَ يُدْخلهُ فِي الصَّحْوِ وَلهَذَا لا يَرْجعُ أَنَا إِلى السَّالك الباقي مَعَ وُجُود البَقَاء وَلاَ تَقَعُ الإِشَارَةُ عَليْه لأَنَّ فِي الجَذْبَة غَلبَةَ المَحَبَّة، وَغَلبَةُ المَحَبَّة يَلزَمُهَا السُّكْرُ لاَ يَنْفَكُّ عَنْهَا بِوَجْه مِنَ الوُجُوه وَلهَذَا تَكُونُ عُلومُهَا مُمْتَزِجَةً بِالسُّكْرِ يَعْنِي بِالمَعَارِف السُّكْرِيَّة كَالقَوْل بِوَحْدَة الوُجُود فَإِنَّ مَبْنَاهَا عَلى السُّكْرِ وَغَلبَة المَحَبَّة بِحَيْثُ لاَ يَبْقَى فِي نَظَرِ المُحبِّ سِوَى المَحْبُوب فَيَحْكُمُ بِنَفْي مَا سِوَاهُ فَإِنْ خَرَجَ مِنَ السُّكْرِ إِلى الصَّحْوِ لاَ يَكُونُ شُهُودُ المَحْبُوب مَانعًا عَنْ شُهُود مَا سِوَاهُ فَلاَ يَحْكُمُ بِوَحْدَة الوُجُود وَالبَقَاء الذي بَعْدَ الفَنَاء المُطْلق وَنهَايَةُ السُّلوك فَهُوَ مَنْشَأُ الصَّحْوِ وَمَبْدَأُ المَعْرِفَة لاَ مَدْخَل للسُّكْرِ فِي ذَلكَ المَوْطن وَمَا غَابَ عَنِ السَّالك فِي حَالة الفَنَاء يَرْجعُ إِليْه كُلهُ وَلكنْ مُنْصَبغًا بِصَبْغِ الأَصْل وَهُوَ المَعْنَى بِالبَقَاء بِالله فَبِالضَّرُورَة لاَ يَكُونُ للسُّكْر مَجَال فِي عُلومِ أَرْبَاب هَذَا البَقَاء فَتَكُونُ عُلومُهُمْ مُطَابَقَةً لعُلومِ الأَنْبيَاء عَليْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ

وَأَيْضًا إِنِّي سَمعْتُ وَاحدًا مِنَ الأَعزَّة يَقُول: إِنَّ حَضْرَةَ الخواجهْ أَحْرَار - قُدِّسَ سِرُّهُ - حَصَلَ أَيْضًا نِسْبَةً مِنْ آبَائه وَأَجْدَاده مِنْ طَرَف أُمِّه وَقَدْ كَانُوا أَصْحَابَ أَحْوَال غَرِيبَة وَجَذَبَات قَوِيَّة وَكَانَ لحَضْرَة الخواجهْ أَحْرَارَ نَصِيبٌ وَافرٌ مِنْ مَقَامِ الأَقْطَاب الإِثْنَى عَشَرَ الذينَ تَأْيِيدُ الدِّين كَانَ مَرْبُوطًا بِهِمْ وَلهُمْ شَأْنٌ عَظيمٌ فِي المَحَبَّة وَحَصَلَ لهُ تَأْييدُ الشَّرِيعَة وَنُصْرَةُ الدِّين مِنْ هَذه الجِهَة وَقَدْ ذَكَرْتُ ثَمَّةَ مِنْ

أَحْوَاله فِيمَا سَبَقَ ثُمَّ تَحَقَّقَ إِحْيَاءُ طَرِيقَة هَؤُلاَء الأَكَابِر وإِشَاعَةُ آدَاب هَؤُلاَء الأَعِزَّة بَعْدَهُ خُصُوصًا فِي مَمَالكِ الهِنْدِ التي كَانَ أَهْلُهَا مَحْرُومِينَ مِنْ كَمَالاَتهِمْ بِظُهُور مَعْدِن الإِرْشَاد.

وَمَنِيعُ المَعَارف مُؤَيِّدُ الدِّين الرَّضِيُّ شَيْخُنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّد البَاقي سَلمَهُ اللهُ وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَذْكُرَ نُبْذَةً مِنْ كَمَالاَته أَيْضًا فِي هَذَا المَكْتُوبِ وَلَكنْ لَمَّا لَمْ يُفْهَمْ رِضَاؤُهُ فِي هَذَا البَابِ تَرَكْتُ الجَرَاءَةَ عَلَيْه.

المَكْتُوبُ الحَادِي وَالتِّسْعُونَ وَالمائَتَان
إلى مَوْلاَنَا عَبْد الحَيِّ
في بَيَانِ مَرَاتِب التَّوْحِيد الوُجُوديِّ والشُّهُودِيِّ
وَمَا يَتَعَلقُ بِهِمَا مِنَ المَعَارِف
بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالِمينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلى سَيِّدِ المُرْسَلينَ وَعَلى آله وَأَصْحَابه أَجْمَعينَ.

اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ تَعَالى أَنَّ مَنْشَأَ التَّوْحيد الوُجُوديِّ في جَمَاعَة كَثْرَةُ مُمَارَسَته مُرَاقَبَات التَّوْحيد وَمُلاَحَظَة مَعْنَى لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ بلاَ مَوْجُود إلاَّ اللهُ وَتَعَقُّلُهُ كَذَلكَ وَظُهورُ هَذَا القَسْمِ منَ التَّوْحيد بَعْدَ التَّمَحُّل وَالتَّأَمُّل وَالتَّخَيُّل بوَاسطَة اسْتيلاَء سُلْطَان الخَيَال فَإنَّ منْ كَثْرَة مُزَاوَلة مَعْنَى التَّوْحيد تَنْتَقشُ هَذه المَعْرِفَةُ في المُتَخَيَّلة وَحَيْثُ كَانَتْ مَجْعُولَةً بجَعْل الجَاعل تَكُونُ مَعْلومَةً البَتَّةَ وَلَيْسَ صَاحبُ هَذَا التَّوْحيد منْ أَرْبَاب الأَحْوَال فَإنَّ أَرْبَابَ الأَحْوَال أَرْبَابُ القُلوب وَلاَ خَبَرَ لَهُ في ذَلكَ الوَقْت عَنْ مَقَامِ القَلْب بَل هُوَ علميٌّ لاَ غَيْرُ بَل للعلم دَرَجَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ وَمَنْشَأُ التَّوْحيد الوُجُوديِّ في جَمَاعَة أُخْرَى الانْجذَابُ وَالمَحَبَّةُ القَلبيَّةُ حَيْثُ اشْتَغَلوا ابْتدَاءً بالأَذْكَارِ وَالمُرَاقبَات خَاليَةً عَنْ تَخيُّل مَعْنَى التَّوْحيد وَبَلغُوا بالجَدِّ وَالجَهْد أَوْ بمُجَرَّد سَبْق العنَايَة مَقَامَ القَلْب وَحَصَّلوا الجَذْبَ فَإنْ ظَهَرَ لَهُمْ في هَذَا المَقَامِ جَمَال التَّوْحيد الوُجُوديِّ فَسَبَبُهُ يَنْبَغي أَنْ يَكُونَ غَلبَةَ مَحَبَّة المَجْذُوب فَإنَّهَا جَعَلَتْ مَا سوَى المَحْبُوب مُخْتَفيًا عَنْ نَظَرهمْ وَمَسْتُورًا فَإذَا لَمْ يَرَوْا مَا سوَى المَحْبُوب وَلَمْ يَجدُوهُ فَلاَ جَرَمَ لاَ يَعْلمُونَ مَوْجُودًا غَيْرَ المَحْبُوب وَهَذَا القسْمُ منَ التَّوْحيد منَ الأَحْوَال وَمُنَزَّهٌ وَمُبَرَّأٌ عَنْ علة التَّخَيُّل وَشَائبَة التَّوَهُّم وَالانْتقَاش في الخَيَال فَإنْ رَجَعَتْ هَذه الجَمَاعَةُ الذينَ هُمْ منْ أَرْبَاب القُلوب منْ ذَلكَ المَقَام إلى العَالَمِ يُشَاهدُونَ مَحْبُوبَهُمْ في كُل ذَرَّة منْ ذَرَّات العَالَم وَيَرَوْنَ المَوْجُودَات مَرَايَا حُسْن المَحْبُوب وَمَجَالي جَمَاله فَإنْ تَوَجَّهُوا بمَحْضِ فَضْل الحَقِّ - جَل سُلطَانُهُ - منْ مَقَامِ القَلْب إلى جَنَاب قُدْسِ مُقَلب القَلب تَشْرَعُ هَذه المَعْرِفَةُ التَّوْحيديَّةُ الحَاصلةُ في مَقَامِ القَلْب في الزَّوَال وَكُلمَا صَعدُوا في مَعَارِجِ العُرُوجِ يَجدُونَ أَنَّ فيهمْ غَيْرَ

مُنَاسب لتلكَ المَعْرفَة حَتَّى تَبْلغَ جَمَاعَةٌ منْهُمْ حَدَّ الإنْكَار وَالطَّعْنِ في أَرْبَاب تلكَ المَعْرفَة مثْل شَيْخِ رُكْنِ الين أَبُو المَكَارِمِ عَلَاءِ الدَّوْلة السِّمْنَانِيِّ وَلَا يَبْقَى لبَعْضٍ آخَرَ شَغْل بنَفْيِ تلكَ المَعْرِفَة وَإِثْبَاتهَا.

وَكَاتبُ هَذه السُّطُور يَتَحَاشَا منْ إنْكَار أَرْبَاب هَذه المَعْرفَة وَيُبْعدُ نَفْسَهُ عَنْ طَعْنهمْ فَإِنَّهُ إنَّمَا يَكُونُ للإنْكَار وَالطَّعْنِ مَجَال إذَا كَانَ لأَرْبَاب ذَلكَ الحَال حينَ ظُهُوره قَصْدٌ وَاخْتيَارٌ وَهَذَا المَعْنَى ظَهَرَ فيهمْ منْ غَيْر إرَادَة وَصُنْع منْهُمْ فَهُمْ مَغْلوبُونَ لذَلكَ الحَال فَيَكُونُونَ مَعْذُورينَ البَتَّة وَلَا رَدَّ وَلَا طَعْنَ للمُضْطَرِّ المَعْذُور وَلَكنِّي أَعْلَمُ أَنَّ فَوْقَ هَذه المَعْرفَة مَعْرفَةٌ أُخْرَى وَوَرَاءَ هَذَا الحَال حَالَةً أُخْرَى وَالمَحْبُوسُونَ في هَذَا المَقَامِ مَمْنُوعُونَ عَنْ كَمَالات كَثيرَة وَمَحْرُومُونَ منْ مَقَامَات عَديدَة وَقَدْ فُتحَ لهَذَا الفَقير قَليل البضَاعَة بَابُ هَذه المَعْرفَة منْ غَيْر مُمَارَسَة مَعْنَى التَّوْحيد في ضمْنِ المُرَاقَبَات وَالأَذْكَار بَل منْ غَيْرِ جَدٍّ وَجُهْد بفَضْل الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - في مُلَازَمَة مَنْبَع الهدَايَة وَالإفَاضَة.

وَمَعْدنُ الحَقَائق وَالمَعَارف المُسْتَفَاضَة مُؤَيِّدُ الدِّينِ الرَّضيُّ شَيْخُنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٌ البَاقيُّ - قَدَّسَ اللهُ تَعَالَى سرَّهُ الأَقْدَسَ - بَعْدَ تَعْليمِ الذِّكْر وَتَوَجُّهه وَالتفَاته وَإيصَاله إلَى مَقَام القَلْب وَأُعْطيتُ في هَذَا المَقَام عُلومًا غَزيرَةً وَمَعَارفَ كَثيرَةً وَانْكَشَفَتْ دَقَائقُ هَذه المَعَارف وَبَقيتُ مُدَّةً مَديدَةً في هَذَا المَقَام ثُمَّ أَخْرَجْتُ آخرَ الأَمْر منْ مَقَام القَلْب بيُمْنِ عنَايَته لعَبْده وَتَوَجَّهَتْ هَذه المَعَارفُ في ضمْنِ ذَلكَ نَحْوَ الزَّوَال حَتَّى صَارَتْ بالتَّدْريج مَعْدُومَةً وَالمَقْصُودُ منْ إظْهَار الأَحْوَال ليُعْلَمَ أَنَّ مَا هُوَ المَسْطُورُ وَالمَرْقُومُ مُحَرَّرٌ عَلى وَجْه الذَّوْق وَالكَشْف لَا عَلى وَجْه الظَّنِّ وَالتَّقْليد وَمَا ظَهَرَ منْ بَعْضِ أَوْليَاء الله تَعَالَى منَ المَعَارف التَّوْحيديَّة لعَلهَا ظَهَرَتْ منْهُمْ في ابْتدَاء أَحْوَالهمْ منْ مَقَام القَلْب فَلَا يَلحَقُهُمْ حينَئذ نَقْصٌ منْ هَذه الجهَة أَصْلاً وَقَدْ كَتَبَ هَذَا الفَقيرُ أَيْضًا رَسَائل في المَعَارف التَّوْحيديَّة وَلَمَّا نَشَرَ بَعْضُ الأَصْحَاب تلكَ الرَّسَائل تَعَسَّرَ جَمْعُهَا فَتُركَتْ عَلى حَالهَا وَإنَّمَا يَلزَمُ النَّقْصُ إذَا لَمْ يُجَاوزُوا هَذَا المَقَامَ.

وَطَائفَةٌ أُخْرَى منْ أَرْبَاب التَّوْحيد الذينَ حَصَل لهُمُ الاسْتهْلَاكُ وَالاضْمحْلَال في مَشْهُودهمْ عَلى الوَجْه الأَتَمِّ وَجُل همَّتهمْ أَنْ يَكُونُوا مُضْمَحلينَ وَمَعْدُومينَ في مَشْهُودهمْ دَائمًا وَأَنْ لَا يُرَى أَثَرٌ منْ لوَازمِ وُجُودهمْ وَيَرَوْنَ رُجُوعَ أَنَا إلى أَنْفُسهمْ كُفرًا.

وَنِهَايَةُ الأَمْرِ عِنْدَهُمُ الفَنَاءُ وَالانْعِدَامُ حَتَّى يَرَوْنَ المُشَاهَدَةَ أَيْضًا تَعَلقًا.

قَالَ بَعْضُهُمْ: أَشْتَهِي عَدَمًا لاَ أَعُودُ أَبَدًا وَهُمْ قَتْلى المَحَبَّة، وَحَدِيثُ "**مَنْ قَتَلتْهُ مَحَبَّتِي فَأَنَا دِيَتُهُمْ**" صَادِقٌ فِي حَقِّهِمْ وَمُتَحَقِّقٌ فِي شَأْنِهِمْ وَهُمْ تَحْتَ ثِقَلِ الوُجُودِ لَيْلاً وَنَهَارًا لاَ يَسْتَرِيحُونَ لَمْحَةً فَإِنَّ الرَّاحَةَ فِي الغَفْلَةِ وَلاَ مَجَالَ لِلغَفْلَةِ عَلى تَقْدِيرِ دَوَامِ الاسْتِهْلاَك.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ الهَرَوِيُّ: مَنْ أَغْفَلنِي عَنِ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - سَاعَةً أَرْجُو أَنْ يَغْفِرَ لهُ جَمِيعَ ذُنُوبِهِ وَالغَفْلةُ لاَزِمَةٌ لِلوُجُودِ البَشَرِيَّةِ وَجَعَلَ الحَقَّ - سُبْحَانَهُ - وَتَعَالى ظَاهِرَ كُلٍ مِنْهُمْ مَنْ كَمَالِ كَرَمِهِ مَشْغُولاً بِأُمُورٍ مُسْتَلزِمَةٍ لِلغَفْلةِ عَلى قَدْرِ اسْتِعْدَادِهِ لِيُخَفِّفَ عَنْهُمْ أَثْقَالَ الوُجُودِ فِي الجُمْلةِ.

أَلفَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمُ السَّمَاعَ وَالرَّقْصَ وَجَعَلَ طَائِفَةً مَشْغُولةً بِتَصْنِيفِ الكُتُبِ وَتَحْرِيرِ العُلومِ وَالمَعَارِفِ وَشُغِلَ بَعْضُهُمْ بِأُمُورٍ مُبَاحَةٍ كَانَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللهِ الإِصْطَخْرِيُّ يَذْهَبُ إِلى الصَّحْرَاءِ وَمَعَهُ كِلاَبٌ يَصْطَادُ بِهِنَّ فَسَأَلَ شَخْصٌ وَاحِدٌ مِنَ الأَعِزَّةِ عَنْ سِرِّهِ فَقَالَ: لِيَتَخَلصَ عَنْ ثِقَلِ الوُجُودِ لَحْظَةً وَرُوحِ بَعْضِهِمْ بِعُلومِ التَّوْحِيدِ الوُجُودِيِّ وَشُهُودِ الوَحْدَةِ فِي الكَثْرَةِ لِيَسْتَرِيحَ مِنْ تِلكَ الأَثْقَالِ سَاعَةً وَمِنْ هَذَا القَبِيلِ مَا ظَهَرَ مِنْ بَعْضِ أَكَابِرِ مَشَائِخِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ - قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمُ العَلِيَّةَ - مِنَ المَعَارِفِ التَّحِيدِيَّةِ فَإِنَّ نِسْبَتَهُمْ تَجُرُّ إِلى التَّنْزِيهِ الصِّرْفِ لاَ تَعَلقَ لهَا بِالعَالِمِ وَشُهُودُ العَالِمِ وَمَا كَتَبَهُ مَعْدِنُ الإِرْشَادِ وَمَنْبَعُ الحَقَائِقِ وَالمَعَارِفِ نَاصِرُ الدِّينِ الخَواجَهْ عُبَيْدُ اللهِ أَحْرَارُ مِنَ المَعَارِفِ المُنَاسَبَةِ بِعُلومِ التَّوْحِيدِ الوُجُودِيِّ، وَشُهُودُ الوَحْدَةِ فِي الكَثْرَةِ مِنَ القِسْمِ الأَخِيرِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَكِتَابُ الفِقْرَاتِ لهُ مُشْتَمِلٌ عَلى بَعْضِ عُلومِ التَّوْحِيدِ وَغَيْرِهَا مَنْشَأُ عُلومِ ذَلكَ الكِتَابِ.

وَالمَقْصُودُ مِنْ تِلكَ المَعَارِفِ اسْتِينَاسُهُ وَأُلفَتُهُ بِالعَالِمِ وَكَذَلكَ مَعَارِفُ شَيْخِنَا المُحَرَّرَةِ فِي بَعْضِ الرَّسَائِلِ عَلى طِبْقِ كَلاَمِ كِتَابِ الفِقْرَاتِ وَليْسَ مَنْشَأُ هَذِهِ العُلومِ التَّوْحِيدِيَّةِ الجَذْبَةَ وَلاَ غَلبَةَ المَحَبَّةِ وَلاَ نِسْبَةَ لِمَشْهُودِهِمْ بِالعَالِمِ وَمَا يُرَى لهُمْ فِي مِرْآةِ العَالِمِ إِنَّمَا هُوَ شَبَهُ مَشْهُودِهِمْ وَمِثَالُهُ لاَ مَشْهُودُهُمُ الحَقِيقِيُّ كَمَا أَنَّ شَخْصًا إِذَا كَانَ عَاشِقًا لِجَمَالِ الشَّمْسِ وَمِنْ كَمَالِ المَحَبَّةِ أَفْنَى نَفْسَهُ فِي الشَّمْسِ بِحَيْثُ لمْ يَتْرُكْ مِنْ نَفْسِهِ اسْمًا وَلاَ رَسْمًا فَإِذَا أُرِيدَ تَسْليَتُهُ وَأُنْسُهُ وَأُلفَتُهُ بِمَا سِوَى الشَّمْسِ لِيَتَنَفَّسَ مِنْ غَلبَةِ تُشَعْشِعُ أَنْوَارَهَا لَمْحَةً وَيَسْتَرِيحُ مِنْهَا لَحْظَةً يُرَى لهُ الشَّمْسُ فِي مَجَالِي هَذَا العَالِمِ وَيَحْصُلُ لهُ بِتِلكَ العَلاَقَةِ أُنْسٌ وَأُلفَةٌ بِهَذَا العَالِمِ وَيُقَالُ لهُ أَحْيَانًا: إِنَّ هَذَا العَالِمَ

عَيْنُ الشَّمْسِ وَلاَ مَوْجُودَ غَيْرَهَا أَصْلاً وَأَحْيَانًا يُرَى لهُ جَمَال الشَّمْسِ فِي مِرْآةِ ذَرَّات العَالَمِ.

لاَ يُقَال: إنَّ العَالَمَ إذَا لَمْ يَكُنْ عَيْنَ الشَّمْسِ فِي نَفْسِ الأَمْرِ يَكُونُ الإخْبَارُ بِأَنَّهُ عَيْنُ الشَّمْسِ خلافَ الوَاقِعِ لأَنَّا نَقُول: إنَّ لبَعْضِ أَفْرَاد العَالَمِ مَعَ بَعْضٍ آخَرَ اشْتِرَاكًا فِي بَعْضِ الأُمُور وَامْتِيَازًا فِي بَعْضٍ آخَرَ وَالحَقُّ - سُبْحَانَهُ - بِكَمَال قُدْرَته يُخْفِي عَنْ نَظَرِ هَؤُلاَء الأَكَابر الأُمُورَ البَاعثَةَ عَلَى الامْتِيَاز بِوَاسطَة بَعْضِ الحكَمِ وَالمَصَالِحِ وَيَبْقَى الأَجْزَاءُ المُشْتَرَكَةُ فَقَطْ مَشْهُودَةً فَيَحْكُمُونَ باتِّحَاد بَعْضهَا لبَعْضٍ بالضَّرُورَة فَتَجدُ الشَّمْسَ فيمَا نَحْنُ فيه بهَذه العَلاَقَة عَيْنَ العَالَمِ وَكَذَلكَ الحَقُّ - سُبْحَانَهُ - وَإنْ لَمْ يَكُنْ لهُ مُنَاسَبَةٌ بالعَالَمِ فِي الحَقيقَة أَصْلاً وَلكنَّ المُشَابَهَةَ الاسْميَّةَ قَدْ تَصيرُ مُصَحِّحَةً لهَذَا الاتِّحَاد فَإنَّ الحَقَّ - سُبْحَانَهُ - مَثَلاً مَوْجُودٌ وَالعَالَمَ أَيْضًا مَوْجُودٌ وَإنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الوُجُودَيْنِ فِي الحَقيقَة مُنَاسَبَةٌ أَصْلاً وَكَذَلكَ هُوَ تَعَالَى عَالمٌ وَسَميعٌ وَبَصيرٌ وَحَيٌّ وَقَادرٌ وَمُريدٌ وَبَعْضُ أَفْرَاد العَالَمِ أَيْضًا مُتَّصفٌ بهَذه الصِّفَات وَإنْ كَانَ صفَاتُ كُل منْهُمَا مُغَايرَةً لصفَات الآخَرِ وَلكنْ لَمَّا كَانَتْ خُصُوصيَّةُ الوُجُود الإمْكَانيِّ وَنَقَائصُ المُحْدَثَات مَسْتُورَةً عَنْ نَظَرِهمْ سَاغَ لَهُمْ لوْ حَكَمُوا بالاتِّحَاد وَهَذَا القسْمُ الأَخيرُ منَ التَّوْحيد أَعْلَى أَقْسَامِ التَّوْحيد بَل لَيْسَ أَرْبَابُ هَذه المَعْرفَة فِي الحَقيقَة مَغْلوبي هَذَا الوَارد وَلَمْ يَكُنْ البَاعثُ عَلَى هَذه المَعْرفَة سُكْرَهُمْ بَل أُورِدَ عَلَيْهمْ هَذَا الوَاردُ لأَجْل مَصْلَحَة مَا وَأُريدَ إخْرَاجُهُمْ منَ السُّكْرِ إلَى الصَّحْو بسَبَب هَذه المَعْرفَة وَتَسْليَتهمْ بهَا كَمَا تَتَسَلَّى جَمَاعَةٌ بالسَّمَاعِ وَالرَّقْصِ وَطَائفَةٌ بالاشْتغَال ببَعْضِ أُمُورٍ مُبَاحَة.

يَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ هَؤُلاَء المَذْكُورينَ منْ هَذه الطَّوَائف يَشْتَغلونَ ببَعْضِ أُمُورٍ مُغَايرَةٍ لمَشْهُودهمْ وَيَتَسَلَّوْنَ بهَا عَلَى مَا عَرَفْتَ بخلاَف هَؤُلاَء الأَكَابر فَإنَّهُمْ لاَ يَلتَفتُونَ إلَى أَمْرٍ مُغَايرٍ لمَشْهُودهمْ وَلاَ يَتَسَلَّوْنَ به فَلاَ جَرَمَ قَدْ يُرَى لَهُمُ العَالَمُ عَيْنَ مَشْهُودهمْ أَوْ يَظْهَرُ لَهُمْ مَشْهُودُهُمْ فِي مرْآة العَالَمِ ليَخفَّ عَنْهُمْ ذَلكَ الثِّقَل سَاعَةً وَمَنْشَأُ هَذَا القسْمِ الأَخير منَ التَّوْحيد لَمْ يَكُنْ مَعْلومًا لهَذَا الحَقير بطَريق الكَشْف وَالذَّوْق بَل المَعْلومُ هُوَ الجهَتَان السَّابقَتَان وَهَذَا القسْمُ ظَنِّيٌّ وَلهَذَا لَمْ أَكْتُبْ فِي كُتُبي وَرَسَائلي إلاَّ هَاتَيْن الجهَتَيْن بَل الجهَةَ الثَّانيَةَ فَقَطْ وَجَعَلتُ التَّوْحيدَ الوُجُوديَّ مُنْحَصرًا فيهَا وَلكنْ لَمَّا وَقَعَ المُرُورُ ببَلدَة دَهْلي المَحْرُوسَة بَعْدَ رحْلَة مُرْشدي وَقبْلتي بنيَّة زيَارَة قَبْره الشَّريف إنْفَاقًا وَذَهَبْتُ لزيَارَة قَبْره الشَّريف يَوْمَ عيدٍ ظَهَرَ فِي أَثْنَاء

التَّوَجُّه إلى مَزَاره المُتَبَرَّك منْ رُوحَانيَّته المُقَدَّسَة التفَاتٌ تَامٌّ وَمُنْحَنًى منْ كَمَال أَلطَافه وَإشْفَاقه للغُرَبَاء نسْبَتُهُ الخَاصَّةُ المَنْسُوبَةُ إلى الخواجهْ أَحْرَارَ - قُدِّسَ سرُّهُ - وَلَمَّا وَجَدْتُ تلكَ النِّسْبَةَ في نَفْسٍ وَجَدْتُ حَقيقَةَ تلكَ العُلوم وَالمَعَارف بطَريق الذَّوْق بالضَّرُورَة وَعَلمْتُ أَنَّ مَنْشَأَ التَّوْحيد الوُجُوديِّ فيهمَا لَيْسَ هُوَ الانْجذَابُ القَلبيُّ وَغَلبَةُ المَحَبَّة بَل المَقْصُودُ منْ تلكَ المَعْرفَة تَخْفيفُ تلكَ المَحَبَّة وَلَمْ أَرَ إظْهَارَ هَذَا المَعْنَى مُنَاسبًا إلى مُدَّة مَديدَة وَلَكنْ لَمَّا كَانَ ذَلكَ الوَجْهَان السَّابقَان مَذْكُورَيْن في بَعْض الرَّسَائل وَقَعَ منْ ذَلكَ أُنَاسٌ قَليلو الدِّرَايَة في تَوَهُّم أَنَّهُ يَلزَمُ منْ هَذَا البَيَان تَنْقيصُ هَذَيْن الشَّيْخَيْن الجَليلَيْن بأَنَّ طَريقَهُمَا طَريقُ أَرْبَاب التَّوْحيد وَأَطَالوا بهَذَا السَّبَب لسَانَ الفتْنَة حَتَّى صَارَ ذَلكَ التَّوَهُّمُ في بَعْض الطُّلاَّب القَليلي الإخْلاَص وَاليَقين بَاعثًا عَلَى فُتُور أَحْوَالهمْ فَرَأَيْتُ المَصْلَحَةَ في إظْهَار هَذَا القسْم منَ التَّوْحيد بالضَّرُورَة وَرَأَيْتُ المُنَاسبَ ذكْرَ تلكَ الوَاقعَة للاسْتشْهَاد فَحَرَّرْتُهَا لذَلكَ.

نَقَل دَرْويشٌ منْ مُخْلصي شَيْخنَا عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: إنَّ النَّاسَ يَزْعُمُونَ بأَنَّا نَكْتَسبُ النِّسْبَةَ منْ مُطَالعَة كُتُب أَرْبَاب التَّوْحيد وَلَيْسَ كَذَلكَ بَل المَقْصُودُ أَنْ تُغْفَلَ أَنْفُسَنَا سَاعَةً وَهَذَا الكَلاَمُ مُؤَيِّدٌ للكَلاَم السَّابق.

وَنَقَل مَعْدنُ الفَضيلة الشَّيْخُ عَبْدُ الحَقِّ الذي هُوَ منْ مُخْلصي شَيْخنَا عَنْهُ أَنَّهُ قَال قُبَيْل أَيَّام رحْلته:

قَدْ صَارَ مَعْلومًا لنَا بيَقين يَقين أَنَّ التَّوْحيدَ الوُجُوديَّ سكَّةٌ ضَعيفَةٌ وَالطَّريقُ السُّلطَانيُّ غَيْرُهُ وَإنْ كُنْتُ أَعْلَمَ ذَلكَ قَبْل ذَلكَ وَلكنَّ الآنَ قَدْ ظَهَرَ هَذَا القسْمُ منَ اليَقين به وَيُفْهَمُ منْ هَذَا الكَلاَم أَيْضًا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لمَشْرَبه مُنَاسَبَةٌ بالتَّوْحيد الوُجُوديِّ في آخر الأَمْر وَإنْ كَانَ قَدْ ظَهَرَ مثْل هَذَا التَّوْحيد في ابْتدَاء الحَال فَلَيْسَ ذَلكَ بضَائر بَل قَدْ ظَهَرَ مثْل هَذَا التَّوْحيد لكَثير منَ المَشَايخ في ابْتدَاء أَمْرهمْ ثُمَّ انْقَلعُوا عَنْهُ في الآخر.

وَأَيْضًا: إنَّ بَيْنَ طَريق الخواجهْ النَّقْشَبَنْديِّ وَطَريق الخواجهْ أَحْرَارَ فَرْقًا وَمُغَايَرَةً بَعْدَ الوُصُول إلى مَقَام الجَذْبَة النَّقْشَبَنْديَّة وَكَذَلكَ بَيْنَ عُلومهمَا وَمَعَارفهمَا أَيْضًا فَرْقٌ وَغَالبُ تَوَجُّه الخواجهْ أَحْرَارَ بَعْدَ ذَلكَ إلى نسْبَة أَجْدَاده منْ طَرَف أُمِّه وَكَانُوا كُبَرَاءَ بَطْنًا بَعْدَ بَطْنٍ وَهَذَا الفَنَاءُ وَالانْعدَامُ الذي ذُكرَ فيمَا سَبَقَ منْ لَوَازم نسْبَة هَؤُلاَء الأَكَابر وَهَذَا الفَقيرُ اخْتَارَ لتَرْبيَة الطَّالبينَ طَريقَ حَضْرَة الخواجهْ النَّقْشَبَنْديِّ لمَصْلحَة أَبْنَاء هَذَا الوَقْت وَرَأَيْتُ المُنَاسبَ ظُهُورَ عُلوم هَذَا الطَّريق

وَمَعَارفه التي هيَ أَكْثَرُ مُنَاسَبَةً بعُلوم الشَّريعَة في مثْل هَذَا الزَّمَان الفَاسد الذي ظَهَرَ فيه ضَعْفٌ تَامٌّ في أَرْكَان الشَّريعَة فَعَيَّنْتُ هَذَا الطَّريقَ لإفَادَة الطَّالبينَ فَلَوْ أَرَادَ الحَقُّ - سُبْحَانَهُ - تَرْويجَ الطَّريقَة الأَحْرَاريَّة بوَاسطَة هَذَا الحَقير لنُور العَالَم بأَنْوَارهَا فَإنِّي قَدْ أَعْطَيْتُ أَنْوَارَ كُل منْ هَذَيْن الشَّيْخَيْن المُعَظَّمَيْن عَلَى وَجْه الكَمَال وَكُشفَ عَنْ طَريق تَكْميل كُل منْهُمَا أَنَّ الفَضْلَ بيَد الله يُؤْتيه مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْل العَظيم، شعْرٌ:

مَليكٌ منْ عنَايَته وَلطْفه　　　لاَعْطي للفَقير العَالمينَا

آخَرُ

فَإذَا أَتَى بَابَ العَجُوز خَليفَةٌ　　　إيَّاكَ يَا صَاح وَنَتْفَ سَبَالكَا

وَقَدْ أَوْرَدْتُ بَعْضَ الأَسْرَار الخَفيَّة بحُكْم {وَأَمَّا بنعْمَة رَبِّكَ فَحَدِّثْ} في مَعْرض الظُّهُور نَفعَ الحَقُّ - سُبْحَانَهُ - الطَّالبينَ بهَا وَإنِّي وَإنْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهَا لاَ تَزيدُ المُنْكرينَ غَيْرَ الإنْكَار وَلكنَّ المَقْصُودَ إفَادَةُ الطَّالبينَ وَالمُنْكرُونَ خَارجُونَ عَن المَبْحَث وَمُبْعَدُونَ عَنْ مَطْمَح النَّظَر {يُضلُّ به كَثيرًا وَيَهْدي به كَثيرًا} وَلاَ يَخْفَى عَلَى أَرْبَاب البَصيرَة أَنَّ اخْتيَارَ طَريق منَ الطُّرُق لأَجْل مَصْلحَة لاَ يَسْتَلزمُ أَفْضَليَّةَ هَذَا الطَّريق عَلَى طَريق آخَرَ وَلاَ يَلزَمُ منْهُ تَنْقيصُهُ، شعْرٌ:

وَيُمْكنُ غَلقُ أَبْوَاب الحُصُون　　　وَلَكنْ لاَ نَجَاةَ منَ الكَلاَم

المَكْتُوبُ الثَّاني وَالتِّسْعُونَ وَالمائَتَان
إلى الشَّيْخِ حُمَيْد البنْكَاليّ
في بَيَانِ الآدَاب الضَّرُوريَّة للمُرِيدينَ
وَدَفْعِ بَعْضِ الشُّبَه

بسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحيم الحَمْدُ لله الذي أَدَّبَنَا بالآدَاب النَّبويَّة وَهَذَّبَنَا بالأَخْلاَق المُصْطَفَويَّة عَلَيْه وَعَلى آله أَفْضَل الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَأَزْكَى التَّحيَّة.

اعْلَمْ أَنَّ سَالكي هَذَا الطَّرِيق لاَ يَخْلون عَنْ أَحَد الحَاليْن إمَّا أَنْ يَكُونُوا مُريدينَ وَإمَّا أَنْ يَكُونُوا مُرَادينَ فَإنَّ كَانُوا مُرَادينَ فَطُوبَى لَهُمْ يُوصَل بهِمْ إلى المَطْلَب الأَعْلَى منْ طَرِيق الانْجذَاب وَالَمحَبَّة منْ غَيْر اخْتيَار وَيَعْمَلونَ كُلَ أَدَب لاَزم بوَاسطَة أَوْ بلاَ وَاسطَة فَإنْ صَدَرَتْ عَنْهُمْ زَلةٌ يُنَبَّهُونَ عَلَيْهَا سَرِيعًا وَلاَ يُؤَاخَذُونَ بهَا فَإنْ احْتَاجُوا إلى شَيْخٍ ظَاهر يَهْتَدُونَ إليْه منْ غَيْر سَعْيٍ عَنْهُمْ وَبالجُمْلة إنَّ العنَايَةَ الأَزَليَّةَ مُتَكَلفَةٌ لحَال هَؤُلاَء الأَكَابرِ وَلاَ بُدَّ منْ حُصُول أَمْرِهمْ بسَبَبٍ أَوْ بلاَ سَبَب وَاللهُ يَجْتَبي إليه مَنْ يَشَاءُ.

وَإنْ كانُوا مُريدينَ فَأَمْرُهُمْ منْ غَيْر شَيْخٍ كَامل مُكَمِّل وَالشَّيْخُ يَنْبَغي أَنْ يَكُونَ مُشَرَّفًا بدَوْلة الجَذْبَة وَالسُّلوك وَمُسْتَسْعدًا بسَعَادَة الفَنَاء وَالبَقَاء وَأَنْ يَكُونَ قَدْ أَتَمَّ السَّيْرَ إلى الله وَالسَّيْرَ في الله وَالسَّيْرَ عَنِ الله بالله وَالسَّيْرَ في الأَشْيَاء بالله فَإنْ كَانَتْ جَذْبَتُهُ مُقَدَّمَةً عَلى سُلوكه وَتَرَبَّى بتَرْبيَة المُرَادينَ فَهُوَ كبْريتٌ أَحْمَرُ وَكَلاَمُهُ دَوَاءٌ وَنَظَرُهُ شفَاءٌ، إحْيَاءُ القُلوب الَميِّتَة مَنُوطٌ بتَوَجُّهه الشَّرِيف وَتَزْكيَةُ النُّفُوس العَاتيَة مَرْبُوطَةٌ بالتفَاته اللطيف فَإنْ لَمْ يُوجَدْ صَاحبُ دَوْلة مثْل ذَلكَ فَالسَّالكُ المَجْذُوبُ أَيْضًا مُغْتَنمٌ يَحْصُل منْهُ تَرْبيَةُ النَّاقصينَ وَيَصلونَ بوَسَاطَته إلى دَوْلة الفَنَاء وَالبَقَاء، شعْرٌ:

مَتى قسْنَا السَّمَا بالعَرْش يَنْحطُّ وَمَا أَعْلاَهُ إنْ قسْنَا بأَرْضٍ

فَإنْ اهْتَدَى الطَّالبُ بعنَايَة الحَقِّ - جَل سُلطَانُهُ - إلى مثْل هَذَا الشَّيْخِ الكَامل المُكَمِّل وَوَصَل إليْه يَنْبَغي أَنْ يَغْتَنمَ وُجُودَهُ وَأَنْ يُفَوِّضَ نَفْسَهُ إليْه بالتَّمَام وَأَنْ يَعْتَقدَ سَعَادَتَهُ في مَرْضيَّاته وَشَقَاوَته في خلاَف مَرْضيَّاته وَبالجُمْلة يَنْبَغي أَنْ

يَجْعَل هَوَاهُ تَابعًا لرِضَاهُ وَفي الخَبَر النَّبَويِّ - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - - **"لَنْ يُؤْمِنَ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَابعًا لِمَا جِئْتُ به"**

اعْلَمْ أَنَّ رِعَايَةَ آدَاب الصُّحْبَة وَمُرَاعَاةَ شَرَائطهَا منْ ضَرُوريَّات هَذَا الطَّريق حَتَّى يَكُونَ طَريقُ الإفَادَة وَالاسْتفَادَة مَفْتُوحًا وَبدُونهَا لاَ نَتيجَةَ للصُّحْبَة وَلاَ ثَمَرَةَ للمُجَالسَة وَلنُوردَ بَعْضَ الآدَاب وَالشَّرَائط الضَّرُوريَّة في مَعْرض البَيَان يَنْبَغي اسْتمَاعُهَا بسَمْع العَقْل

اعْلَمْ أَنَّهُ يَنْبَغي للطَّالب أَنْ يَعْرضَ بقَلبه عَنْ جَميع الجهَات وَأَنْ يَتَوَجَّهَ إلى شَيْخه وَأَنْ لاَ يَشْتَغل بالنَّوَافل وَالأَذْكَار مَعَ وُجُود الشَّيْخ بلاَ إذْنه وَلاَ يَلتَفتَ في حُضُوره إلى غَيْره بَل يَجْلسُ لدَيْه مُتَوَجِّهًا بكُليَّته إليْه حَتَّى لاَ يَشْتَغل عَنْهُ بالذِّكْر أَيْضًا إلاَّ أَنْ يَأْمُرَهُ به وَلاَ يُصَلي في حُضُوره غَيْرَ الفَرَائض وَالسُّنَن.

وَنُقل عَنْ سُلطَان هَذَا الوَقْت أَنَّ وَزيرَهُ كَانَ قَائمًا عنْدَهُ فَالتَفَتَ الوَزيرُ في ذَلكَ الوَقْت اتِّفَاقًا إلى ثَوْبه وَأَصْلحَ أَزْرَارَهُ بيَده فَوَقَعَ نَظَرُ السُّلطَان عَلَيْه في هَذَا الحَال فَرَآهُ مُتَوَجِّهًا إلى غَيْره فَقَال لهُ بلسَان العتَاب: أَنَا لاَ أَقْدرُ أَنْ أَهْضمَ هَذَا الفعْل تَكُونُ وَزيري وَتَلتَفتُ في حُضُوري إلى غَيْري وَتَشْتَغل بإصْلاَح أَزْرَار ثَوْبكَ فَيَنْبَغي التَّأَمُّل إذَا كَانَتْ رِعَايَةُ الآدَاب الدَّقيقَة لاَزمَةً في وَسَائل الدُّنْيَا الدَّنيَّة تَكُونُ رِعَايَةُ الآدَاب لاَزمَةً عَلَى الوَجْه الأَتَمِّ في وَسَائل الوُصُول إلى الله وَمَهْمَا أَمْكَنَ لاَ يَقُومُ في مَحَل يَقَعُ ظلهُ عَلَى ثَوْب شَيْخه أَوْ عَلَى ظله وَلاَ يَضَعُ رَحْلهُ في مُصَلاَّهُ وَلاَ يَتَوَضَّأُ في مُتَوَضَّاهُ وَلاَ يَسْتَعْمل ظُرُوفَهُ الخَاصَّةَ به وَلاَ يَشْرَبُ مَاءً وَلاَ يَأْكُل طَعَامًا وَلاَ يُكَلمُ أَحَدًا في حُضُوره بَل لاَ يَكُونُ مُتَوَجِّهًا إلى أَحَد وَلاَ يَمُدُّ رجْلهُ عنْدَ غَيْبَة شَيْخه إلى جَانب هُوَ فيه وَلاَ يَرْمِي بُزَاقَهُ إلى ذَلكَ الجَانب وَكل شَيْء يَصْدُرُ عَنْ شَيْخه يَعْتَقدُهُ صَوَابًا وَإنْ لَمْ يَرَ صَوَابًا في الظَّاهر فَإنَّهُ يَفْعَل مَا يَفْعَلهُ بطَريق الإلهَام وَالإذْن فَلاَ يَكُونُ للاعْترَاض مَجَال عَلَى هَذَا التَّقْدير وَإنْ تَطَرَّقَ الخَطَأُ إلى إلهَامه في بَعْض الصُّوَر فَإنَّ الخَطَأَ الإلهَاميَّ كَالخَطَأ الاجْتهَاديِّ لاَ يَجُوزُ فيه المَلاَمَةُ وَالاعْترَاضُ وَأَيْضًا إنَّ المُريدَ لاَ بُدَّ منْ أَنْ يَحْصُل لهُ مَحَبَّةُ الشَّيْخ وَكل مَا يَصْدُرُ عَن المَحْبُوب يَكُونُ مَحْبُوبًا في نَظَر المُحبِّ فَلاَ يَكُونُ للاعْترَاض مَجَال وَليَقْتَد بشَيْخه في الكُليِّ والجُزْئيِّ سَوَاءً كَانَ في الأَكْل وَالشُّرْب أَوْ اللبْس أَوْ النَّوْم أَوْ الطَّاعَة وَيَنْبَغي أَنْ يُصَليَ الصَّلاَةَ عَلى طَرْز صَلاَته وَأَنْ يَأْخُذَ الفقْهُ مَنْ عَمَله، شعْرٌ:

مَنْ كَانَ فِي قَصْرِهِ الحَسْنَاءُ قَدْ فَرَغَا   مِنَ التَّنَزُّهِ فِي البُسْتَانِ وَالمَرْجِ

وَلاَ يَتْرُكُ فِي نَفْسِهِ مَجَالاً لِلاعْتِرَاضِ عَلَى حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ أَصْلاً وَإِنْ كَانَ الاعْتِرَاضُ مِقْدَارَ حَبَّةِ خَرْدَلَةٍ فَإِنَّهُ لاَ نَتِيجَةَ لِلاعْتِرَاضِ غَيْرَ الحِرْمَانِ وَأَشْقَى جَمِيعِ الخَلاَئِقِ وَأَبْعَدُهُمْ عَنِ السَّعَادَةِ الذينَ يَرَوْنَ عُيُوبَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ نَجَّانَا اللهُ - سُبْحَانَهُ - مِنْ هَذَا البَلاَءِ العَظِيمِ وَلاَ يَطْلُبُ مِنْ شَيْخِهِ الكَرَامَاتِ وَخَوارِقَ العَادَاتِ وَإِنْ كَانَ هَذَا الطَّلَبُ بِطَرِيقِ الخَوَاطِرِ وَالوَسَاوِسِ فَهَلْ سَمِعْتَ قَطُّ أَنَّ مُؤْمِنًا طَلَبَ مِنْ نَبِيِّهِ مُعْجِزَةً وَإِنَّمَا طَلَبَهَا الكُفَّارُ وَأَهْلُ الإِنْكَارِ شِعْرٌ.

المُعْجِزَاتُ مُفِيدَةٌ قَهْرَ العِدَا   وَنَتِيجَةُ التَّقْلِيدِ ذَاكَ الاقْتِدَا

مَا المُعْجِزَاتُ مُفِيدَةَ الإِيمَانِ بَلْ   قَدْ يَجْذِبُ التَّقْلِيدُ نَحْوَ الاهْتِدَا

فَإِنْ عُرِضَتْ لِخَاطِرِهِ شُبْهَةٌ يَعْرِضُهَا عَلَى شَيْخِهِ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّفٍ فَإِنْ لَمْ تَنْحَلَّ فَلْيَرَ التَّقْصِيرَ مِنْ نَفْسِهِ وَلاَ يَجُوزُ عَوْدُ مَنْقَصَةٍ أَصْلاً إِلَى جَانِبِ شَيْخِهِ فَإِنْ وَقَعَتْ عَلَيْهَا وَاقِعَةٌ لاَ يَكْتُمُهَا عَنْ شَيْخِهِ وَيَطْلُبُ تَعْبِيرَ الوَقَائِعِ مِنْهُ وَيَعْرِضُ عَلَيْهِ أَيْضًا مَا انْكَشَفَ لَهُ مِنَ التَّعْبِيرِ وَيَطْلُبُ مِنْهُ تَمْيِيزَ صَوَابِهِ عَنْ خَطَئِهِ وَلاَ يَعْتَمِدُ عَلَى كُشُوفِهِ أَصْلاً فَإِنَّ الحَقَّ مُمْتَزِجٌ بِالبَاطِلِ فِي هَذِهِ الدَّارِ وَالصَّوَابُ مُخْتَلِطٌ بِالخَطَأِ وَلاَ يُفَارِقُهُ بِلاَ ضَرُورَةٍ وَلاَ إِذْنٍ مِنْهُ فَإِنَّ اخْتِيَارَ الغَيْرِ وَتَفْضِيلَهُ عَلَيْهِ مُنَافٍ لِلإِرَادَةِ وَلاَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَوْقَ صَوْتِهِ وَلاَ يَتَكَلَّمُ مَعَهُ بِرَفْعِ صَوْتِهِ فَإِنَّهُ سُوءُ أَدَبٍ وَكُلُّ فَيْضٍ وَفُتُوحٍ يَرِدُ عَلَيْهِ فَلْيَعْتَقِدْ أَنَّهُ بِوَاسِطَةِ شَيْخِهِ فَإِنْ رَأَى فِي الوَاقِعَةِ أَنَّ الفَيْضَ يَرِدُ عَلَيْهِ مِنْ مَشَائِخَ أُخَرَ فَلْيَرَهُ أَيْضًا مِنْ شَيْخِهِ وَلْيَعْلَمْ أَنَّ الشَّيْخَ لَمَّا كَانَ جَامِعًا لِلكَمَالاتِ وَالفُيُوضَاتِ وَصَلَ إِلَيْهِ مِنْهُ فَيْضٌ خَاصٌّ مُنَاسِبٌ لاسْتِعْدَادِهِ الخَاصِّ المُلاَئِمِ لِكَمَالِ شَيْخٍ مِنَ الشُّيُوخِ أَعْنِي الذي ظَهَرَتْ مِنْهُ صُورَةُ الإِفَاضَةِ لِطِيفَةً مِنْ لَطَائِفِ شَيْخِهِ لَهَا مُنَاسَبَةٌ بِذَلِكَ الفَيْضِ ظَهَرَتْ فِي صُورَةِ ذَلِكَ الشَّيْخِ فَتَخَيَّلَ المُرِيدُ تِلْكَ اللطِيفَةَ بِوَاسِطَةِ الابْتِلاَءِ شَيْخًا وَظَنَّ أَنَّ الفَيْضَ مِنْهُ وَهَذِهِ مَغْلَطَةٌ عَظِيمَةٌ حَفِظَنَا اللهُ مِنْ زَلَّةِ الأَقْدَامِ وَرَزَقَنَا الاسْتِقَامَةَ عَلَى اعْتِقَادِ الشَّيْخِ وَمَحَبَّتِهِ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ البَشَرِ - عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَبِالجُمْلَةِ الطَّرِيقُ كُلُّهُ آدَابٌ مِثْلٌ مَشْهُورٌ لاَ يَصِلُ العَارِي عَنِ الآدَابِ إِلَى اللهِ تَعَالَى فَإِنْ رَأَى المُرِيدُ نَفْسَهُ مُقَصِّرًا فِي رِعَايَةِ بَعْضِ الآدَابِ وَلَمْ يَبْلُغْ حَدَّ أَدَائِهَا كَمَا يَنْبَغِي وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَخْرُجَ عَنْ عُهْدَتِهَا بِالسَّعْيِ فَهُوَ مَعْفُوٌّ عَنْهُ وَلَكِنْ

لاَ بُدَّ مِنَ الاعْتِرَاف بِالتَّقْصِير فَإِنْ لَمْ يُرَاعِ الآدَابَ عِيَاذًا بِاللهِ - سُبْحَانَهُ - وَلَمْ يَرَ نَفْسَهُ مُقَصِّرًا فَهُوَ مَحْرُومٌ مِنْ بَرَكَات هَؤُلاَءِ الأَكَابِر، شِعْرٌ:

وَمَنْ لَمْ يَكُنْ نَحْوَ السَّعَادَةِ مُقْبِلاً فَشُهُودُهُ وَجْهَ النَّبِيِّ لاَ يَنْفَعُهُ

نَعَمْ إِذَا وَصَلَ المُرِيدُ بِبَرَكَة تُوَجُّه الشَّيْخ وَهِمَّته إِلَى مَرْتَبَة الفَنَاء وَالبَقَاء وَظَهَرَ لَهُ طَرِيقُ الإِلْهَام وَالفِرَاسَة وَسَلَّمَ لَهُ الشَّيْخُ ذَلِكَ وَصَدَّقَهُ وَشَهِدَ لَهُ بِالكَمَال وَالإِكْمَال فَحِينَئِذ يَسُوغُ لمثْل هَذَا المُرِيد أَنْ يُخَالفَ شَيْخَهُ فِي بَعْض الأُمُور الإِلْهَامِيَّة وَأَنْ يَعْمَل بِمُقْتَضَى إِلْهَامه وَإِنْ تَحَقَّقَ عِنْدَ الشَّيْخ خلاَفُهُ فَإِنَّ المُرِيدَ قَدْ خَرَجَ حِينَئِذ عَنْ رِبْقَة التَّقْلِيد وَالتَّقْلِيدُ خَطَأٌ فِي حَقّه أَلاَ تَرَى أَنَّ الأَصْحَابَ الكرَامَ خَالَفُوا رَأْيَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الأُمُور الاجْتِهَادِيَّة وَالأَحْكَام الغَيْر المُنَزَّلَة وَظَهَرَ الصَّوَابُ فِي بَعْض الأَوْقَات فِي جَانب الأَصْحَاب كَمَا لاَ يَخْفَى عَلَى أَرْبَاب العِلْم أُولِي الأَلْبَاب فَعُلمَ أَنَّ مُخَالَفَةَ الشَّيْخ بَعْدَ الوُصُول إِلَى مَرْتَبَة الكَمَال وَالإِكْمَال مُجَوَّزٌ وَعَنْ سُوء الأَدَب مُبَرَّأٌ بَل الأَدَبُ هُنَا هُوَ هَذه المُخَالَفَةُ وَإِلاَّ فَأَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ كَانُوا مُؤَدَّبِينَ بِكَمَال الأَدَب لَمْ يَفْعَلُوا شَيْئًا بِلاَ تَقْلِيد وَتَقْلِيدُ أَبِي يُوسُفَ أَبَا حَنِيفَةَ رَحِمَهُمَا اللهُ تَعَالَى بَعْدَ بُلُوغه مَرْتَبَةَ الاجْتِهَاد خَطَأٌ وَالصَّوَابُ إِنَّمَا هُوَ مُتَابَعَة رَأْيه لاَ رَأْ أَبِي حَنِيفَةَ وَقَدْ اُشْتُهرَ عَن الإِمَام أَبِي يُوسُفَ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ قَالَ: نَازَعْتُ أَبَا حَنِيفَةَ فِي مَسْأَلَة خَلق القُرْآن ستَّةَ أَشْهُر.

وَلَعَلَّكَ سَمعْتَ أَنَّ تَكْمِيلَ الصِّنَاعَة بِتَلاَحُق الأَفْكَار فَإِنَّهَا لَوْ بَقِيَتْ عَلَى فِكْر وَاحد لَمَا حَصَلَتْ فِيهَا الزِّيَادَةُ أَلاَ تَرَى أَنَّ النَّحْوَ الذي كَانَ فِي زَمَن سِيبَوَيْه حَصَلَ لَهُ اليَوْمَ بِاخْتلاَف الآرَاء وَتَلاَحُق الأَفْكَار وَالأَنْظَار زِيَادَةُ مِائَة أَمْثَاله وَبَلَغَ نِهَايَةَ كَمَاله وَلَكنْ لَمَّا كَانَ هُوَ وَاضعَ بنَائه وَمُؤَسّسَ أَسَاسه كَانَ الفَضْلُ لَهُ فَضْل المُتَقَدِّمِينَ وَلَكنَّ الكَمَال لهَؤُلاَء المُتَأَخِّرِينَ "**مَثَل أُمَّتِي مَثَل المَطَر لاَ يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ**" حَدِيثٌ نَبَوِيٌّ عَلَيْه وَعَلَى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

تَنْبِيـــــهٌ: لرَفْع شُبْهَة بَعْض المُرِيدِينَ اعْلَمْ أَنَّهُمْ قَالُوا: الشَّيْخُ يُحْيِي وَيُمِيتُ، الإِحْيَاءُ وَالإِمَاتَةُ منْ لَوَازم مَقَام المَشْيَخَة وَالمُرَادُ بِالإِحْيَاء الإِحْيَاءُ الرُّوحِيُّ لاَ الجِسْمِيُّ وَكَذَلكَ المُرَادُ بِالإِمَاتَة الرُّوحِيَّةُ لاَ الجِسْمِيَّةُ وَالمُرَادُ بِالحَيَاة وَالمَوْت الفَنَاءُ وَالبَقَاءُ اللذَان يُوصلاَن إِلَى مَقَام الوِلاَيَة وَالكَمَال، وَالشَّيْخُ المُقْتَدَى به مُتَكَفّل بِهَذَيْن الأَمْرَيْن بِإِذْن اللهِ - سُبْحَانَهُ - فَلاَ بُدَّ إِذًا للشَّيْخ منْ هَذَيْن فَمَعْنَى يُحْيِي وَيُمِيتُ يُبْقِي وَيُفْنِي وَلاَ دَخْلَ للإِحْيَاء وَالإِمَاتَة فِي مَقَام المَشْيَخَة، وَحُكْمُ الشَّيْخ المُقْتَدَى به

كَحُكْمِ كَهْرُبَاء كُل مَنْ لهُ مُنَاسَبَةٌ به يَعْدُو مِنْ وَرَائه وَيَنْجَذبُ إلَيْه كَالحَشيشِ بالنِّسْبَة إلى كَهْرُبَا وَيَنَال منْهُ نُصيبَهُ مُسْتَوْفَى وَلَيْسَتْ الكَرَامَاتُ وَخَوَارِقُ العَادَات لجَذْب المُرِيدينَ فَإنَّ المُرِيدينَ يَتَجَذَّبُونَ إلَيْه بالمُنَاسَبَة المَعْنَوِيَّة.

وَأَمَّا الذينَ لاَ مُنَاسَبَةَ لَهُمْ بهَؤُلاَءِ الأَكَابر فَهُمْ مَحْرُومُونَ مَنْ نعَم كَمَالاَتهمْ وَإنْ شَاهَدُوا أُلوفًا منْ كَرَامَاتهمْ يَنْبَغي أَنْ يُسْتَشْهَدَ لهَذَا المَعْنَى بِأَبِي جَهْل وَأَبي لَهَب.

قَال اللهُ سُبْحَانَهُ في حَقِّ الكُفَّار: {وَإنْ يَرَوْا كُل آيَة لاَ يُؤْمنُوا بهَا حَتَّى إذَا جَاءُوكَ يُجَادِلونَك}[1] يَقُول الذينَ كَفَرُوا إنْ هَذَا إلاَّ أَسَاطيرُ الأَوَّلينَ. وَالسَّلاَمُ.

(١) ـــ الآية: ٢٥ من سورة الأنعام.

المَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالتِّسْعُونَ وَالمِائَتَانِ
إِلى الشَّيْخ مُحَمَّد البُحْتَرِيِّ
فِي جَوَابِ سُؤَاله عَنْ قَوْله عَلَيْه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "لِي مَعَ الله وَقْتٌ" وَقَالهُ أَبُو ذَرٍّ الغفَاريُّ أَيْضًا وَعَنْ قَوْل الشَّيْخ عَبْد القَادر الجيلَانيِّ قُدِّسَ سرُّهُ: "قَدَمي هَذه عَلى رَقَبَة كُل وَليٍّ" وَقَوْل غَيْره أَيْضًا: "وَهَل المُرَادُ بكُل وَليٍّ أَوْليَاءُ عَصْره أَوْ مُطْلَقًا" وَمَا يُنَاسبُهُ

الحَمْدُ لله وَسَلَامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى قَدْ صرْتُ مُبْتَهجًا وَمَسْرُورًا بوُرُود الصَّحيفَة الشَّرِيفَة التي أَرْسَلتَهَا يَا لهَا منْ نعْمَة يَذْكُرُ أَوْليَاءَ الله تَعَالى المُنْقَطعينَ المَهْجُورينَ وَقَدْ انْدَرَجَ فيهَا أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال لي مَعَ الله وَقْتٌ وَقَال أَبو ذَرٍّ الغفَاريُّ رضي الله عنه أَيْضًا مثْل ذَلكَ وَقَال الشَّيْخُ مُحْيي الدِّين عَبْدُ القَادر الجيلَانيُّ - قُدِّسَ سرُّهُ -: قَدَمي هَذه عَلى رَقَبَة كُل وَليٍّ، وَقَال آخَرُ مثْل ذَلكَ وَقَدْ تَكُونُ في هَذَيْن الكَلَامَيْن مُنَازَعَةٌ في بَعْض الأَحْيَان فَنَرْجُو منْ عنَايَتكُمْ كتَابَةَ مَا انْطَوَى في هَذَيْن الكَلَامَيْن منَ المَعْنَى وَالفَرْقَ بَيْنَهُمَا وَأَرْسَالهُ إلَيْنَا وَلتَكُن الكتَابَةُ بالتَّوَجُّه التَّامِّ مُشْتَملَةً مَا لهَا وَمَا عَلَيْهَا منَ الكَلَام وَوَاضحَةً لتَكُونَ قَريبَةً منْ فَهْم هَذَا الغَريب.

أَيُّهَا المَخْدُومُ: إنَّ هَذَا الفَقيرَ قَدْ كَتَبَ في رَسَائله أَنَّ رَسُول الله ﷺ كَانَ لهُ وَقْتٌ نَادرٌ مَعَ وُجُود اسْتمْرَار الوَقْت وَأَنَّ ذَلكَ الوَقْتَ النَّادرَ كَانَ في حين أَدَاء الصَّلَاة وَلعَلك سَمعْتَ: الصَّلَاةُ معْرَاجُ المُؤْمن وَأَرحْني بهَا يَا بلَال، شَاهدٌ عَدْل في إثْبَات هَذه المَطْلَب وَيُمْكنُ أَنْ يَكُونَ أَبُو ذَرٍّ الغفَاريُّ أَيْضًا مُشَرَّفًا بهَذه الدَّوْلَة بطَريق الورَاثَة وَالتَّبَعيَّة فَإنَّ لكَمَال تَابعيَّة - عَلَيْه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - - نَحيبًا وَافرًا وَحَظًّا كَاملًا منْ جَميع كَمَالَاته ﷺ بطَريق الورَاثَة.

وَأَمَّا مَا قَال حَضْرَةُ الشَّيْخ عَبْدُ القَادر الجيلَانيِّ - قُدِّسَ سرُّهُ -: قَدَمي هَذه عَلى رَقَبَة كُل وَليِّ الله أَوْ جَميع الأَوْليَاء فَقَدْ جَعَل صَاحبُ العَوَارف الذي هُوَ مُريدُ الشَّيْخ أَبي النَّجيب السَّهْرُورَديُّ وَمُرَبَّاهُ وَكَانَ منْ مَحَارم الشَّيْخ عَبْد القَادر وَمُصَاحبيه هَذه الكَلمَةَ منَ الكَلمَات التي صَدَرَتْ عَن المَشَايخ في بدَايَة الأَحْوَال بوَاسطَة بَقَايَا السُّكْر، وَنُقل في النَّفَحَات عَن الشَّيْخ حَمَّادٍ الذي هُوَ منْ شُيُوخ

حَضْرَةِ الشَّيْخِ عَبْدِ القَادِرِ الجِيلاَنِيِّ أَنَّهُ قَالَ بِطَرِيقِ الفِرَاسَةِ: إِنَّ لِهَذَا العَجَمِيِّ قَدَمًا تَكُونُ فِي وَقْتِهِ عَلَى رَقَبَةِ جَمِيعِ الأَوْلِيَاءِ وَيَكُونُ مَأْمُورًا أَلْبَتَّةَ بِأَنْ يَقُولَ: قَدَمِي هَذِهِ عَلَى رَقَبَةِ كُلِّ وَلِيِّ اللهِ وَيَقُولُ ذَلِكَ البَتَّةَ وَيَضَعُ الأَوْلِيَاءُ جَمِيعُهُمْ رِقَابَهُمْ يَعْنِي تَوَاضُعًا وَتَخَضُّعًا وَعَلَى كُلِّ حَالٍ إِنَّ حَضْرَةَ الشَّيْخِ مُحِقٌّ فِي هَذَا الكَلاَمِ سَوَاءٌ صَدَرَ عَنْهُ مِنْ بَقَايَا السُّكْرِ أَوْ حَالَةِ الصَّحْوِ وَسَوَاءٌ كَانَ مَأْمُورًا بِإِظْهَارِهِ أَوْ لاَ فَإِنَّ قَدَمَهُ كَانَتْ عَلَى رِقَابِ جَمِيعِ الأَوْلِيَاءِ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ وَكَانَ أَوْلِيَاءُ ذَلِكَ الوَقْتِ جَمِيعُهُمْ تَحْتَ قَدَمِهِ وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ هَذَا الحُكْمَ مَخْصُوصٌ بِأَوْلِيَاءِ ذَلِكَ الوَقْتِ دُونَ الأَوْلِيَاءِ المُتَقَدِّمِينَ عَلَيْهِ وَالمُتَأَخِّرِينَ عَنْهُ فَإِنَّهُمْ خَارِجُونَ عَنْ هَذَا الحُكْمِ كَمَا يُفْهَمُ مِنْ كَلاَمِ الشَّيْخِ حَمَّاد أَنَّ قَدَمَهُ تَكُونُ فِي وَقْتِهِ عَلَى رَقَبَةِ جَمِيعِ الأَوْلِيَاءِ وَأَيْضًا أَنَّهُ كَانَ فِي بَغْدَادَ غَوْثٌ فَذَهَبَ الشَّيْخُ عَبْدُ القَادِرِ وَابْنُ السَّقَّا وَعَبْدُ اللهِ لِزِيَارَتِهِ فَقَالَ ذَلِكَ الغَوْثُ بِطَرِيقِ الفِرَاسَةِ فِي حَقِّ الشَّيْخِ: كَأَنِّي أَرَاكَ تَصْعَدُ المِنْبَرَ فِي بَغْدَادَ وَتَقُولُ: قَدَمِي هَذِهِ عَلَى رَقَبَةِ كُلِّ وَلِيِّ اللهِ وَأَرَى أَوْلِيَاءَ وَقْتِكَ يَضَعُونَ رِقَابَهُمْ وَيَخْفِضُونَهَا إِجْلاَلاً لَكَ وَإِكْرَامًا.

وَيُفْهَمُ مِنْ كَلاَمِ هَذَا الغَوْثِ أَيْضًا أَنَّ هَذَا الحُكْمَ كَانَ مَخْصُوصًا بِأَوْلِيَاءِ ذَلِكَ الوَقْتِ فَإِذَا أَعْطَى الحَقُّ - سُبْحَانَهُ - فِي هَذَا الوَقْتِ أَيْضًا شَخْصًا بَصَرًا بَصِيرًا يَرَى مِثْلَ مَا رَأَى ذَلِكَ الغَوْثُ أَنَّ رِقَابَ أَوْلِيَاءِ ذَلِكَ الوَقْتِ تَحْتَ قَدَمِهِ وَأَنَّ هَذَا الحُكْمَ لاَ يَتَجَاوَزُ إِلَى غَيْرِ أَوْلِيَاءِ ذَلِكَ الوَقْتِ وَكَيْفَ يَجُوزُ هَذَا الحُكْمُ فِي الأَوْلِيَاءِ المُتَقَدِّمِينَ فَإِنَّ فِيهِمُ الأَصْحَابَ الكِرَامَ عَلَيْهِمُ الرِّضْوَانُ وَهُمْ أَفْضَلُ مِنْ حَضْرَةِ الشَّيْخِ بِيَقِينٍ وَكَيْفَ يَتَمَشَّى أَيْضًا فِي المُتَأَخِّرِينَ فَإِنَّ فِيهِمُ المَهْدِيَّ الَّذِي بَشَّرَ النَّبِيُّ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - بِقُدُومِهِ وَوُجُودِهِ وَقَالَ إِنَّهُ خَلِيفَةُ اللهِ وَكَذَلِكَ عِيسَى - عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - الَّذِي هُوَ مِنَ الأَنْبِيَاءِ أُولِي العَزْمِ مِنَ السَّابِقِينَ وَمُلْحَقٌ بِأَصْحَابِ خَاتَمِ الرُّسُلِ بِمُتَابَعَةِ شَرِيعَتِهِ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَلَعَلَّ وَجْهَ مَا قَالَهُ النَّبِيُّ ﷺ لاَ يُدْرَى أَوَّلُهُمْ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُمْ هُوَ جَلاَلَةُ شَأْنِ مُتَأَخِّرِي هَذِهِ الأُمَّةِ.

وَبِالجُمْلَةِ: إِنَّ لِحَضْرَةِ الشَّيْخِ عَبْدِ القَادِرِ فِي الوِلاَيَةِ شَأْنًا عَظِيمًا وَدَرَجَةً عُلْيَا أَوْصَلَ الوِلاَيَةَ الخَاصَّةَ المُحَمَّدِيَّةَ مِنْ طَرِيقِ السِّرِّ إِلَى النُّقْطَةِ الأَخِيرَةِ وَصَارَ رَأْسَ حَلْقَةِ تِلْكَ الدَّائِرَةِ.

لاَ يُتَوَهَّمُ هُنَا أَنَّ الشَّيْخَ إِذَا كَانَ رَأْسَ حَلقَةِ دَائِرَةِ الوِلاَيَةِ المُحَمَّدِيَّةِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ أَفْضَلَ مِنْ جَمِيعِ الأَوْلِيَاءِ فَإِنَّ الوِلاَيَةَ المُحَمَّدِيَّةَ فَوْقَ جَمِيعِ وِلاَيَاتِ الأَنْبِيَاءِ - عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - لأَنَّا نَقُولُ: إِنَّهُ رَأْسُ حَلقَةِ الوِلاَيَةِ المُحَمَّدِيَّةِ الحَاصِلَةِ مِنْ طَرِيقِ السِّرِّ كَمَا مَرَّ لاَ رَأْسُ حَلقَةِ تِلْكَ الوِلاَيَةِ مُطْلَقًا حَتَّى يَلزَمَ الأَفْضَلِيَّةُ أَوْ نَقُولُ: إِنَّ كَوْنَ رَأْسِ حَلقَةِ الوِلاَيَةِ المُحَمَّدِيَّةِ مُطْلَقًا لَيْسَ بِمُسْتَلزِمٍ للأَفْضَلِيَّةِ لأَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ غَيْرُهُ أَسْبَقَ قَدَمًا مِنْهُ فِي كَمَالاَتِ النُّبُوَّةِ المُحَمَّدِيَّةِ بِطَرِيقِ التَّبَعِيَّةِ وَالوِرَاثَةِ فَتَثْبُتُ الأَفْضَلِيَّةُ لَهُ مِنْ جِهَةِ تِلْكَ الكَمَالاَتِ وَفِي جَمَاعَةٍ مِنْ مُرِيدِي حَضْرَةِ الشَّيْخِ عَبْدِ القَادِرِ غُلُوٌّ كَثِيرٌ فِي حَقِّهِ وَتَجَاوُزٌ إِلَى جَانِبِ الإِفْرَاطِ فِي المَحَبَّةِ مِثْلِ مُحِبِّي عَلِيٍّ ـــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـــ المُفْرِطِينَ فِيهِ، وَيُفْهَمُ مِنْ فَحْوَى كَلاَمِ هَؤُلاَءِ الجَمَاعَةِ وَكَلِمَاتِهِمْ أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ الشَّيْخَ أَفْضَلَ مِنْ جَمِيعِ الأَوْلِيَاءِ المُتَقَدِّمِينَ وَالمُتَأَخِّرِينَ وَلاَ يُعْلَمُ أَنَّهُمْ يُفَضِّلُونَ عَلَيْهِ أَحَدًا غَيْرَ الأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَهَذَا مِنْ إِفْرَاطِ المَحَبَّةِ.

فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ الكَرَامَاتِ وَخَوَارِقَ العَادَاتِ التِي ظَهَرَتْ مِنْ حَضْرَةِ الشَّيْخِ لَمْ تَظْهَرْ مِنْ وَلِيٍّ أَصْلاً فَيَكُونُ الفَضْلُ لَهُ ؟

قُلتُ: إِنَّ كَثْرَةَ ظُهُورِ الخَوَارِقِ لاَ دَلاَلَةَ فِيهَا عَلَى الأَفْضَلِيَّةِ بَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الذِي لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ خَارِقٌ أَصْلاً أَفْضَلَ مِنَ الذِي ظَهَرَتْ مِنْهُ خَوَارِقُ وَكَرَامَاتٌ قَالَ شَيْخُ الشُّيُوخِ فِي العَوَارِفِ بَعْدَ ذِكْرِ الكَرَامَاتِ وَخَوَارِقِ الشَّيْخِ للعَادَاتِ: وَكُلُّ هَذِهِ مَوَاهِبُ اللهِ تَعَالَى وَقَدْ يُكَاشَفُ بِهَا قَوْمٌ وَيُعْطِيَ وَقَدْ يَكُونُ فَوْقَ هَؤُلاَءِ مَنْ لاَ يَكُونُ لَهُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا؛ لأَنَّ هَذِهِ كُلَّهَا تَقْوِيَةُ اليَقِينِ وَمَنْ مُنِحَ صَرْفَ اليَقِينِ لاَ حَاجَةَ لَهُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ هَذَا فَكُلُّ هَذِهِ الكَرَامَاتِ دُونَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ تُجَوْهُرِ الذِّكْرِ فِي القَلبِ وَجَعْلُ كَثْرَةِ ظُهُورِ الخَوَارِقِ دَلِيلاً عَلَى الأَفْضَلِيَّةِ كَجَعْلِ كَثْرَةِ فَضَائِلِ عَلِيٍّ ـــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـــ وَمَنَاقِبِهِ دَلِيلاً عَلَى أَفْضَلِيَّتِهِ عَلَى الصِّدِّيقِ ﷺ فَإِنَّهُ لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ هَذَا القَدْرُ مِنَ الفَضَائِلِ وَالمَنَاقِبِ.

اسْمَعْ أَيُّهَا الأَخُ: إِنَّ خَوَارِقَ العَادَاتِ عَلَى نَوْعَيْنِ، النَّوْعُ الأَوَّلُ: العُلُومُ وَالمَعَارِفُ الإِلَهِيَّةُ التِي تَتَعَلَّقُ بِذَاتِ الوَاجِبِ - جَلَّ وَعَلاَ - وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَرَاءَ طَوْرِ نَظَرِ العَقْلِ وَخِلاَفُ المُتَعَارَفِ المُعْتَادِ وَجَعَلَ الحَقُّ - سُبْحَانَهُ - عِبَادَهُ الخَاصَّةَ مُمْتَازِينَ بِهَا وَالنَّوْعُ الثَّانِي: كَشْفُ صُوَرِ المَخْلُوقَاتِ وَالأَخْبَارِ عَنِ المُغَيَّبَاتِ التِي تَتَعَلَّقُ بِالعَالَمِ وَالنَّوْعُ الأَوَّلُ مَخْصُوصٌ بِأَهْلِ الحَقِّ وَأَرْبَابِ المَعْرِفَةِ وَالنَّوْعُ الثَّانِي

شَامل للمُحقِّ وَالمُبْطل فَإنَّهُ حَاصل لأَهْل الاسْتدْرَاج أَيْضًا وَالنَّوْعُ الأَوَّل لهُ شَرَافَةٌ وَاعْتبَارٌ عنْدَ الحَقِّ - جَل وَعَلاَ - لكَوْنه مَخْصُوصًا بأَوْليَائه وَعَدَم مُشَارَكَة أَعْدَائه فيه.

وَالنَّوْعُ الثَّاني مُعْتَبَرٌ عنْدَ عَوَامِّ الخَلاَئق وَمُعَزَّزٌ وَمُكَرَّمٌ عنْدَ أَنْظَارهمْ حَتَّى لوْ ظَهرَ ذَلكَ منْ أَهْل الاسْتدْرَاج يَكَادُون يَعْبُدُونَهُ مَنْ جَهْلهمْ وَيُطيعُونَهُ وَيَنْقَادُون لهُ فيمَا يَأْمُرُهُمْ به منْ رَطْبٍ وَيَابسٍ وَيَنْهَاهُمْ بَل المَحْجُوبُونَ لاَ يَعُدُّون النَّوْعَ الأَوَّل منَ الخَوَارق.

وَالكَرَامَاتُ وَالخَوَارقُ مُنْحَصرَةٌ عنْدَهُمْ في النَّوْع الثَّاني وَالكَرَامَاتُ مَخْصُوصَةٌ عنْدَهُمْ بكَشْف صُوَر المَخْلوقَات وَالأَخْبَار عَن المُغَيَّبَات مَا أَبْعَدَهُمْ عَن العَقْل أَيُّ شَرَافَة وَأَيُّ كَرَامَة في علم يَتَعلقُ بأَحْوَال المَخْلوقَات حَاضرَةً كَانَتْ أَوْ غَائبَةً بَل الأَليَقُ وَالأَنْسَبُ أَنْ يُبَدَّل مثْل هَذَا العلم جَهْلاً ليَحْصُل نسْيَانُ المَخْلوقَات وَأَحْوَالهَا.

وَاللاَّئقُ بالشَّرَافَة وَالكَرَامَة هُوَ مَعْرفَةُ الحَقِّ تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَهيَ المُسْتَحقَّةُ للإعْزَاز وَالاحْترَام.

شعْرٌ.

وَمَليحَةٌ مَهْـــجُورَةٌ وَدَميمَةٌ مَقْبُولةٌ منْ أَجْل ذَا عَقْليٍّ عَطل

غَيْرُهُ

وَرُبَّ مَليحٍ لاَ يُحبُّ وَضدُّهُ يُقَبِّل منْهُ العَـــيْنُ وَالخَـــدُّ وَالفَـــمُ

وَقَريبٌ ممَّا ذَكَرْنَا مَا قَال شَيْخُ الإسْلاَم الهَرَويُّ وَالإمَامُ الأَنْصَاريُّ في مَنَازل السَّائرينَ وَشَارحه وَالذي ثَبتَ عنْدي بالتَّجْربَة أَنَّ فرَاسَةَ أَهْل المَعْرفَة إنَّمَا هيَ في تَمَيُّزهمْ مَنْ يَصْلحُ لحَضْرَة الله - جَل وَعَلاَ - ممَّنْ لاَ يَصْلحُ وَيَعْرفُونَ أَهْل الاسْتعْدَاد الذينَ اشْتَغلوا بالله - سُبْحَانَهُ - وَوَصَلوا إلى حَضْرَة الجَمْع وَهَذه فرَاسَةُ أَهْل المَعْرفَة وَأَمَّا فرَاسَةُ أَهْل الرِّيَاضَة بالجُوع وَالخَلوَة وَتَصْفيَة البَاطن منْ غَيْر وَصْله إلى جَانب الحَقِّ تَعَالى فَلهُمْ فرَاسَةُ كَشْف الصُّوَر وَالإخْبَار بالمُغَيَّبَات المُخْتَصَّة بالخَلق فَإنَّهُمْ لاَ يُخبرُونَ إلاَّ عَن الخَلق لأَنَّهُمْ مَحْجُوبُونَ عَن الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَأَمَّا أَهْل المَعْرفَة فَلاشْتغَالهمْ بمَا يَردُ عَليْهمْ منْ مَعَارف الحَقِّ تَعَالى لاَ يَكُونُ إخْبَارُهُمْ إلاَّ عَن الحَقِّ تَعَالى وَلمَّا كَانَ العَالمُ أَكْثَرُهُمْ أَهْل انْقطَاعٍ عَن الله - سُبْحَانَهُ - وَاشْتغَال

بالدُّنْيَا مَالتْ قُلوبُهُمْ إلى أَهْلِ كَشْفِ الصُّوَرِ وَالأَخْبَارِ عَمَّا غَابَ مِنْ أَحْوَالِ المَخْلوقَاتِ فَعَظَّمُوهُمْ وَاعْتَقَدُوا أَنَّهُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ وَأَعْرَضُوا عَنْ كَشْفِ أَهْلِ الحَقِيقَةِ وَاتَّهَمُوهُمْ فيمَا يُخبرُونَ عَنِ اللهِ - سُبْحَانَهُ - وَقَالوا: لوْ كَانَ هؤُلاَءِ أَهْلَ الحَقِّ كَمَا يَزْعُمُونَ لأَخْبَرُونَا عَنْ أَحْوَالنَا وَأَحْوَالِ المَخْلوقَاتِ وَإذَا كَانُوا لاَ يَقْدرُونَ عَلى كَشْفِ أَحْوَالِ المَخْلوقَاتِ فَكَيْفَ يَقْدرُونَ عَلى كَشْفِ أُمُورٍ أَعْلى مِنْ هَذه وَكَذَّبُوهُمْ بِهَذَا القِيَاسِ الفَاسدِ وَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الأَنْبَاءُ الصَّحِيحَةُ وَلَمْ يَعْلمُوا أَنَّ اللهَ تَعَالى قَدْ حَمَى هَؤُلاَءِ عَنْ مُلاَحَظَةِ الخَلقِ وَخَصَّهُمْ وَشَغَلهُمْ عَمَّا سوَاهُ حمَايَةً لهُمْ وَغَيْرَةً عَليْهِمْ وَلوْ كَانُوا ممَّنْ يَتَعَرَّضُ لأَحْوَالِ الخَلقِ مَا صَلحُوا للحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَقَدْ رَأَيْنَا أَهْلَ الحَقِّ إذَا التَفَتُوا أَدْنَى التفَاتٍ إلى كَشْفِ الصُّوَرِ أَدْرَكُوا منْهَا مَا لاَ يَقْدرُ غَيْرُهُمْ عَلى إدْرَاكه بالفرَاسَةِ التي يُثْبتُهَا أَهْلُ المَعْرفَة وَهِيَ الفرَاسَةُ فيمَا يَتَعَلقُ بالحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَمَا يَقْرُبُ منْهُ وَأَمَّا فرَاسَةُ أَهْلِ الصَّفَاءِ الخَارجينَ المُتَعَلقينَ بالخَلقِ فَلاَ يَتَعَلقُ بجَنَابِ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَلاَ مَا يَقْرُبُ منْهُ وَيَشْتَرِكُ المُسْلمُونَ وَالنَّصَارَى وَاليَهُودُ وَسَائرُ الطَّوَائفِ فيهَا لأَنَّهَا ليْسَتْ شَرِيفَةً عنْدَ اللهِ سُبْحَانَهُ فَيَخْتَصُّ بهَا أَهْلهُ.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالتِّسْعُونَ وَالمائَتَان
إلى المَخْدُومِ جَامِعِ العُلومِ الظَّاهِرِيَّة وَالأَسْرَارِ البَاطِنيَّة
مَجْد الدِّين الخواجهْ مُحَمَّد مَعْصُوم سَلمَهُ اللهُ تَعَالى
في بَيَان مَا يَتَعلَقُ بِصفَات الحَقِّ سُبْحَانَهُ الثَّمَان
وَفي تَحْقيق مَبَادي تَعَيُّنَات الأَنْبيَاء عَلَيْهمُ السَّلاَمُ
وَمَبَادي تَعَيُّنَات سَائِرِ الخَلاَئق وَمَا يَتَعلَقُ بذَلكَ
وَفي الفرْق بَيْنَ تَجَليَات الأَنْبيَاء وَالأَوْلِيَاء وَشُهُودهمْ
وَتَحْقيقِ الوَصْل العُرْيَانِ لكَمَال الأَتْبَاعِ مَعَ وُجُودِ وَسَاطَة الأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ
وَفي تَحْقيقِ أَلفَاظ المَحْوِ وَالاضْمحْلال الوَاقعَة في عبَارَة المَشَايِخِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ وَمَا يُنَاسبُ ذَلكَ

اعْلَمْ أَنَّ صفَات وَاجب الوُجُود تَعَالى وَتَقَدَّسَ الثَّمَان الحَقيقيَّة التي أَوَّلَها الحَيَاةُ وَآخرُهَا التَّكْوينُ عَلَى ثَلاَثَة أَقْسَام قسْمٍ تَعلقُهُ بالعَالَم أَغْلَبُ وَإِضَافَتُهُ إلى الخَلق أَكْثَرُ كَالتَّكْوينِ وَمنْ هَهُنَا أَنْكرَ جَمَاعَةٌ منْ أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة وُجُودَهَا وَقَالوا: إِنَّهَا منَ الصِّفَات الإِضَافيَّة وَالحَقُّ أَنَّهَا منَ الصِّفَات الحَقيقيَّة الغَالبَة عَلَيْهَا الإِضَافَةُ، وَقسْمٌ آخرُ مَا فيه الإِضَافَةُ وَلكنَّهَا أَقَل بالنِّسْبَة إلى القسْم السَّابقِ كَالعلمِ وَالقُدْرَة وَالإِرَادَة وَالسَّمْعِ وَالبَصَرِ وَالكَلاَم.

وَالقسْمُ الثَّالثُ هُوَ أَعْلَى الأَقْسَام الثَّلاَثَة لاَ تَعَلقَ لهُ بالعَالَم بوُجُوه منَ الوُجُوه وَلَيْسَ فيه رَائحَةٌ منَ الإِضَافَة كَالحَيَاة وَهَذه الصِّفَةُ أَجْمَعُ الصِّفَات وَأَصْل الكُل وَأَسْبَقُهَا وَأَقْرَبُ إِليْهَا صفَةُ العلمِ التي هيَ مَبْدَأُ تَعَيُّنِ خَاتَم الرُّسُل - عَلَيْه وَعَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَبَقيَّةُ الصِّفَات مَبَادي تَعَيُّنَات خَلاَئقَ أُخَرَ وَلَمَّا كَانَ لكُل صفَة باعْتبَار تَعلقَات مُتَعَدِّدَة جُزْئيَّاتٌ فَإِنَّ التَّكْوينَ مَثَلاً لهُ باعْتبَار تَعلقَات شَتَّى جُزْئيَّاتٌ وَهيَ التَّخْليقُ وَالتَّرْزيقُ وَالإِحْيَاءُ وَالإِمَاتَةُ كَانَتْ تلكَ الجُزْئيَّاتُ مثْل كُليَّاتهَا مَبَادئَ تَعَيُّنَات الخَلاَئق وَكُل مَنْ كَانَ مَبْدَأَ تَعَيُّنه كُليًّا تَكُونُ أَرْبَابُ تَعَيُّنَات مَبَاديهَا جُزْئيَّات ذَلكَ الكُلي اتِّبَاعًا لذَلكَ الشَّخْصِ وَمُعَاشرينَ تَحْتَ قَدَمه وَمنْ هَهُنَا تَسْمَعُهُمْ يقُولونَ: إنَّ فُلاَنًا تَحْتَ قَدَم مُحَمَّدٍ وَفُلاَنًا تَحْتَ قَدَمِ مُوسَى وَفُلاَنًا

تَحْتَ قَدَم عيسَى عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَإِذَا حَصَل لتلكَ الجُزْئيَّات تَرقٍّ بطَرِيقِ السُّلوكِ تَكُونُ مُلحَقَةً بكُلِّيَّاتهَا وَيَكُونُ شُهُودُ الجزئيَّات شُهُودَ الكُلِّيَّات وَيَكُونُ الفَرْقُ بالأَصَالة وَالتَّبعيَّة وَالامْتيَاز بوُجُود التَّوسُّط وَعَدَمه فَإِنَّ مَا يَجدُهُ التَّابعُ وَيرَاهُ لاَ يُمْكنُ أَنْ يَكُونَ بدُون تَوسُّط الأَصْل وَرُبَّمَا لاَ يَعْلَمُ التَّابعُ منْ قُصُوره الأَصْل مُتَوَسِّطًا وَلك الأَصْل حَائل في الحَقيقَة بَيْنَ التَّابعِ وَمَشْهُوده لاَ أَنَّهُ حَائل مَانعٌ عَن الشُّهُود بَل هُوَ بَاعثٌ عَلَى الشُّهُود كَالمَنْظَرِ الصَّافي وَلاَ يَجُوزُ أَنْ يَترَقَّى جُزْئيَّاتُ كُليٍّ إلى غَيْره بأَنْ تَخرُجَ منْهُ وَتَدْخُل تَحْتَ كُليٍّ آخرَ وَيَكُونُ مَشْهُودُها مَشْهُودَ ذَلكَ الكُليِّ الآخَرِ مثْل أَنْ يَنْتَقل الذينَ كَانُوا تَحْتَ قَدَم مُوسَى مَثَلاً إلى تَحْت قَدَم عيسَى وَلكنْ يُمْكنُ أَنْ يَدْخُلوا تَحْتَ قَدَم مُحَمَّد بَل هُمْ تَحْتَ قَدَمه ﷺ دَائمًا.

فَإِنَّ رَبَّ مُحَمَّد رَبُّ الأَرْبَاب وَأَصْل جَميعِ تلكَ الكُلِّيَّات فَيَكُونُ بالنِّسْبَة عَلَى تلكَ الجُزْئيَّات أَصْلَ الأَصْل وَكَأَنَّ هَذَا التَّرَقِّيَ إلى أَصْل الأَصْل لاَ إلى أَصْل مُبَاينٍ لأَصْلهَا.

وَالفَرْقُ حينَئذ بَيْنَ الجُزْئيَّات وَبَيْنَ كُليَّاتهَا هُوَ أَنَّ الجُزْئيَّ حَائلان أَحَدُهُمَا أَصْلهُ الذي هُوَ كُليٌّ لَهُ وَثَانيهمَا أَصْل الأَصْل وَالكُليُّ الذي هُوَ أَصْل ذَلكَ الجُزْئيِّ حجَابُهُ أَصْل الأَصْل فَقَطْ فَعُلمَ منْ هَذَا أَنَّ شُهُودَ مُحَمَّد رَسُول الله صَلى اللهُ عَلَيْه وَعَلى آله وَسَلمَ بلاَ حجَاب التَّعيُّنَات وَشُهُود غَيْره في حُجُب التَّعيُّنَات وَلاَ أَقَل منْ أَنْ يَكُونَ في حجَاب التَّعيُّنِ المُحَمَّديِّ وَمنْ هَهُنَا قَالوا: إنَّ تَجَليَ الذَّات منْ خَاصَّة مُحَمَّد رَسُول الله ﷺ وَتَجَلي غَيْره في حَجْب الصِّفَات وَلاَ أَقَل منْ أَنْ يَكُونَ في حجَاب رَبِّ الأَرْبَاب فَإِنَّ رَبَّ مُحَمَّد فَوْقَ جَميعِ الأَسْمَاء وَالصِّفَات سوَى صفَة الحَيَاة.

فَإِنْ قيل: يَلزَمُ عَلى هَذَا البَيَان أَنَّ شُهُودَ سَائر الأَنْبيَاء- عَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - في حجَاب مَبْدَأ التَّعيُّنِ المُحَمَّديِّ الذي هُوَ البَيَانُ أَنَّ شُهُودَ سَائر الأَنْبيَاء- عَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - في حجَاب مَبْدَأ التَّعيُّنِ المُحَمَّديِّ الذي هُوَ رَبُّهُ وَشُهُودُ أَوْليَاء أُمَّته الذينَ هُمْ تَحْتَ قَدَمه ﷺ بالأَصَالة أَيْضًا في حجَاب رَبِّ الأَرْبَاب كَشُهُود سَائر الأَنْبيَاء فَمَا الفَرْقُ بَيْنَ شُهُود سَائر الأَنْبيَاء وَبَيْنَ شُهُود أَوْليَاء أُمَّته عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ؟

قُلتُ: إنَّ للأَنْبيَاء - عَلَيْهمُ السَّلاَمُ - شُهُودًا آخرَ غَيْرَ هَذَا الشُّهُود الذي هُوَ في حجَاب الحَقيقَة المُحَمَّديَّة حَصَل لهُمْ ذَلكَ الشُّهُودُ منْ طَرِيقِ مَبَادي تَعيُّنَاتهمْ

يُشَاهِدُونَ مِنْهُ غَيْبَ الغَيْبِ بِالأَصَالة وَاضعِينَ مَنَاظِرَهُمُ المَخْصُوصَةَ بِهِمْ عَلَى أَبْصَارِ بَصَائِرِهِمْ.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ حُصُول هَذَيْنِ الشُّهُودَيْنِ لَيْسَ هُوَ بِمَعْنَى أَنَّهُمَا يَتَحَقَّقَانِ مَعًا بَل بِمَعْنَى أَنَّ التَّرَقِّيَ إِذَا بَلغَ أَصْل الأَصْل فَشُهُودُهُ فِي حِجَاب الحَقِيقَة المُحَمَّدِيَّة كَعِيسَى - عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - حَيْثُ أَنَّهُ يُشَرَّفُ بِهَذه الدَّوْلة بَعْدَ نُزُوله وَهَذَا التَّرَقِّي مُتَعَسِّرٌ جدًّا بَل قَرِيبٌ مِنَ الاسْتِحَالة لاَ بُدَّ مِنَ الفَضْلِ العَظِيمِ مِنْ طَرَفِ الله تَعَالى وَفِي عَالمِ الأَسْبَاب لاَ بُدَّ مِنْ شَفَقَة الشَّيْخِ المُحَمَّدِيِّ المَشْرَب فَإِنْ لَمْ يَتَرَقَّ مَنْ أَصْله وَلَمْ يَنْفَكَّ مِنْ حَقِيقَتِه وَلَمْ يَصِل إِلى حَقِيقَة الحَقَائِق فَشُهُودُهُ إِنَّمَا هُوَ حَقِيقَتُهُ المَخْصُوصَةَ به.

اعْلَمْ وَتَنَبَّهَ كَمَا أَنَّ إِلى حَضْرَة ذَات الحَقِّ تَعَالى وَتَقَدَّسَ طَرِيقًا مِنْ حَقِيقَة الحَقَائِق يُوصَل مِنْهُ إِلَيْه تَعَالى بَعْدَ مَنَازِل كَثِيرَة كَذَلكَ مِنْ سَائِر الحَقَائِق الكُلِّيَّات أَيْضًا طَرِيقٌ إِلَيْهَا يَحْصُلَ الوُصُول مِنْهُ إِلَيْه تَعَالى وَتَقَدَّسَ بَعْد طَيٍّ مَرَاحل مُتَكَثِّرَة.

غَايَةُ مَا فِي البَاب أَنَّ فِي طَرِيق حَقِيقَة الحَقَائِق الوَصْل العُرْيَانَ وَفِي سَائِر الطُّرُق وَإِنْ تَيَسَّرَ وَصْل الذَّات وَلكِنَّ الحِجَابَ الرَّقِيقَ كَالغلالة مِنْ مُنْتَهَى أُصُول حَقِيقَة الحَقَائِق العَالِيَة التي هِيَ الحَقِيقَةُ المُحَمَّدِيَّةُ حَائِل فِي البَيْنِ وَهُوَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ حَاجزًا حَصِينًا وَمَانعًا مَتِينًا وَلكِنْ صَارَتْ حَاجزِيَّتُهُ مَانعَةً عَنْ إِطْلاَق التَّجَلي الذَّاتِيِّ وَإِلاَّ فَسَائِرُ الأَنْبِيَاء - عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ - أَيْضًا نَصِيبٌ مِنَ الذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ بِالأَصَالة وَلكَمَال أُمَمِهِمْ أَيْضًا بِتَبَعِيَّتِهِمْ.

فَإِنْ قِيل: إِذَا كَانَتْ صِفَةُ الحَيَاة فَوْقَ صِفَة العلم كَانَ تَعَيُّنُ صِفَة الحَيَاة فِي طَرِيق حَقِيقَة الحَقَائِق أَيْضًا حَائلاً فَكَيْفَ يَكُونُ فِيه الوَصْل العُرْيَانُ وَكَيْفَ يَكُونُ فِيه التَّجَلي الذَّاتِيُّ ؟

أُجِيـــب: أَنَّ ذَلكَ التَّعَيُّنَ كَلاَ تَعَيُّن؛ لأَنَّهُ يَصِيرُ مَمْحُوًّا وَمُتَلاَشِيًا فِي المَرْتَبَة الفَوْقَانِيَّة وَلاَ يَبْقَى لهُ اعْتبَارٌ فِي مَرْتَبَة الذَّات أَصْلاً وَسَائِرُ الصِّفَات وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لهَا أَيْضًا اعْتبَارٌ فِي مَرْتَبَة الذَّات وَلكنَّهَا قَبْل وُصُولهَا إِلى مَرْتَبَة الذَّات تَتَلاَشَى بِنَوْعٍ مَا بخلاَف صفَة الحَيَاة فَإِنَّهَا تَصِل إِلى مَرْتَبَة الذَّات ثُمَّ تَتَلاَشَى فِيهَا وَلهَذَا كَانَ تَعَيُّنُ الحَقِيقَة المُحَمَّدِيَّة وَسَائِرُ تَعَيُّنَات الخَلاَئِق دَائمًا وَصَار زَوَالهَا فِي مَرْتَبَةٍ مِن المَرَاتب مُحَالاً.

نَعَمْ، إنَّ الوُصُول إلى شَيْءٍ غَيْرِ الاضْمحْلال فيه وَمَا وَقَعَ في عبارَة بَعْض المَشَايِخ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ منْ لفْظ المَحْو وَالاضْمحْلال فَالمُرَادُ به المَحْوُ النَّظَريُّ لاَ المَحْوُ العَيْنيُّ، يَعْني يَرْتَفعُ تَعيُّنُ السَّالك عَنْ نَظَره لاَ أَنَّهُ يَصيرُ مَمْحُوًّا في نَفْس الأَمْر فَإنَّهُ إلحَادٌ وَزَنْدَقَةٌ، وَحَمَلَ بَعْضُ نَاقصي أَرْبَاب هَذَا الطَّريق هَذه الأَلفَاظَ المُوهمَةَ عَلَى المَحْو وَالاضْمحْلال العَيْنيِّ وَوَصَلوا به إلى الزَّنْدَقَة وَأَنْكَرُوا الثَّوَابَ وَالعَذَابَ الأُخْرَويَّيْن وَتَخَيَّلوا أَنَّهُمْ يَعُودُونَ منَ الكَثْرَة إلى الوَحْدَة مَرَّةً أُخْرَى كَمَا وَرَدُوا منَ الوَحْدَة إلى الكَثْرَة أَوَّلَ مَرَّة وَزَعَمُوا أَنَّ تلكَ الكَثْرَةَ تَصيرُ مُضْمَحلَّةً في الوَحْدَة وَخَال بَعْضُ هَؤُلاَء الزَّنَادقَة ذَلكَ الانْمحَاءَ وَالاضْمحْلال قيَامَةً كُبْرَى وَأَنْكَرَ الحَشْرَ وَالنَّشْرَ وَالحسَابَ وَالصِّرَاطَ وَالميزَانَ ضَلوا فَأَضَلوا كَثيرًا منَ النَّاس وَرَأَيْتُ شَخْصًا منْ هَؤُلاَء الجَمَاعَة يَسْتَشْهدُ لمَطْلَبه بشعْر مَوْلاَنَا عَبْد الرَّحْمَن الجَامي - قُدِّسَ سرُّهُ - هَذَا شعْرٌ.

جامى معادو مبدأ مَا وحد تست وبس ما در ميانه كثيرة موهوم والسلام

تَرْجَمَةٌ.

مَا مَبْدَأٌ وَلاَ مَعَادٌ ... صَاحِ إلاَّ وَحْدَةً
مَا نَحْنُ في ذَا البَيْنِ إلاَّ ... كَثْرَةً مُوهمَةً

وَلَمْ يَعْلمُوا أَنَّ مُرَادَ مَوْلاَنَا الجَاميِّ بهَذَا البَيْت العَوْدُ وَالرُّجُوعُ إلى الوَحْدَة باعْتبَار النَّظَر وَالشُّهُود يَعْني لاَ يَبْقَى المَشْهُودُ غَيْرَ الذَّات الأَحَد وَتَخْتَفي الكَثْرَةُ عَن النَّظَر بالتَّمَام لاَ الرُّجُوع العَيْنيِّ وَالعَوْد الوُجُوديِّ وَلعَل بهمْ عَمًى أَمَا يَرَوْنَ أَنَّهُ لَمْ يَزَل العَجْزُ وَالنَّقْصُ وَالاحْتيَاجُ عَنْ كَامل أَصْلاً فَمَا يَكُونُ مَعْنَى الرُّجُوع الوُجُوديِّ إلى الوَحْدَة فَإنْ تَخَيَّلوا أَنَّ هَذَا الرُّجُوعَ إنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ المَوْت فَهُمْ كُفَّارٌ وَزَنَادقَةٌ حَيْثُ يُنْكرُونَ العَذَابَ الأُخْرَويَّ وَيُبْطلونَ دَعْوَةَ الأَنْبيَاء - عَلَيْهمُ السَّلاَمُ -.

فَإنْ قيل: أَنْتَ قَدْ كَتَبْتَ في بَعْض رَسَائلك أَنَّ فَنَاءَ الأَخْفَى مَخْصُوصٌ بالولاَيَة المُحَمَّديَّة فَمَا مَعْنَى هَذَا الكَلاَم ؟

أُجيبَ: قَدْ عُلمَ منَ التَّحْقيق السَّابق أَنَّ الوَصْل العُرْيَانَ مَخْصُوصٌ بالولاَيَة المُحَمَّديَّة وَأَنَّ مَا سوَاهَا وَإنْ ارْتَفَعَتْ فيهَا الحُجُبُ وَلكنْ لاَ بُدَّ منْ حَيْلولة حجَاب رَقيق كَالغلالة حَاصل منْ تَوَسُّط الحَقيقَة المُحَمَّديَّة كَمَا مَرَّ فَالأَخْفَى الذي هُوَ نهَايَةُ المَرَاتب الإنْسَانيَّة في العُلوِّ تَبْقَى منْهُ بَقيَّةٌ على قَدْر تلكَ الحَيلولة فَلاَ يَجُوزُ إطْلاَقُ الفَنَاء المُطْلَق فيه بمُلاَحَظَة تلكَ البَقيَّة وَمَنَ الذي يَجدُ بَقَاءَ تلكَ البَقيَّة غَيْرِ المُحَمَّديِّ

المَشْرَب بَل إنَّ حَصَلتْ حدَّةُ النَّظَر هَذه لوَاحد منْ أُلوف منَ المُحَمَّديِّ المَشْرَب فَهُوَ أَيْضًا مُغْتَنَمٌ فَإنَّ مَشَائخَ الطَّبَقَات تَكَلَّمَ أَكْثَرُهمْ إلى الرُّوح وَالسِّرِّ لاَ يُدْرَى هَل تَكَلَم أَحَدٌ عَنِ الخَفيِّ أَوْ لاَ فَكَيْفَ عَنِ الأخْفَى وَالذي خَاضَ في بَحْر الأَخْفَى وَأَدْرَكَ كُل ذرَّة منْ ذرَّاته وَاطَّلعَ عَلَيْهَا فَهُوَ كَبْريتٌ أَحْمَرُ {ذَلكَ فَضْل الله يُؤْتيه مَنْ يَشَاءُ وَالله ذُو الفَضْل العَظيم}[١].

فَإنْ قيل: إنَّ اعْتقَادَكَ هُوَ أَنَّ كُلمَا يَحْصُل للنَّبيِّ - عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - منَ الكَمَالات يَكُونُ منْهَا نَصيبٌ لكَمال أَتْبَاعه أَيْضًا بطَريق التَّبعيَّة فَيلزَمُ منْهُ أَنْ يَكُونَ منَ الوَصْل العُرْيَان نَصيبٌ لَهُمْ أَيْضًا وَالحَالَ أَنَّ النَّبيَّ - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - حَائل في البَيْن.

أُجيبَ: إنَّ حَيْلولَةَ النَّبيِّ لاَ تَضرُّ في الوَصْل العُرْيَان فَإنَّ ذَلكَ الوَصْل بالتَّبعيَّة لاَ بالأَصَالَة فَالحَيْلولةُ تَكُونُ مُؤَكِّدَةٌ للتَّبعيَّة لاَ مُنَافيَةٌ لَهَا فَإنَّ مَعْنَى التَّبعيَّة تَحقُّقُ المُتوَسِّط لاَ ارْتفاعُهُ فَإنَّهُ مُناسبٌ للأَصَالَة فَتُثْبتُ الحَيْلولةَ وَيَحْصُل الوَصْل العُرْيَانُ أَيْضًا بالتَّبعيَّة فَافْهَمْ.

فَإنْ قيل: مَا وَجْهُ إطْلاَق الوَصْل العُرْيَان وَالتَّجلي الذَّاتيِّ في مَادَّة كَمَال أَتْبَاعه صَلى الله عَلَيْه وَسَلمَ.

وَعَدَمُ تَجْويز هَذَا الإطْلاَق في حَقِّ سَائر الأَنْبيَاء - عَلَيْهمُ السَّلاَمُ - وَمَا الفَرْقُ بَيْنَهُمَا مَعَ أَنَّ حَيْلولة نَبيِّنَا ﷺ حَاصلةٌ في كَلاَ المَادَّتَيْن.

أُجيبَ: إنَّ تَجْويزَ هَذَا الإطْلاَق في مَوادِّ كَمَال الأَتْبَاع باعْتبَار التَّبعيَّة فَإنَّ تَوَسُّطَ نَبيٍّ لَيْسَ بمُنَاف لهَذَا الإطْلاَق كَمَا مَرَّ بخلاَف سَائر الأَنْبيَاء - عَلَيْهمُ السَّلاَمُ - فَإنَّهُ لوْ جُوِّزَ هَذَا الإطْلاَقُ في حَقِّهمْ يَكُونُ باعْتبَار الأَصَالة فَإنَّ هَؤُلاَء الأَكَابرَ قَطَعُوا المَنَازل بالأَصَالة وَوَصَلوا إلى حَضْرَة الذَّات تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ وَلاَ شَكَّ أَنَّ حُصُول المُتَوَسِّط وَتَحقُّقَهُ في صُورَة الأَصَالَة يَكُونُ مُنَافيًا لذَلكَ الإطْلاَق فَصَارَ الفَرْقُ وَاضحًا.

يَنْبَغي أَنْ يُعلَمَ أَنَّ فَرْقَ الأَصَالة وَالتَّبعيَّة فيمَا بَيْنَ الأَنْبيَاء المُتَقَدِّمينَ وَكَمَال أَوْليَاء هَذه الأُمَّة مُوجبٌ لأفْضَليَّة الأَنْبيَاء - عَلَيْهمُ السَّلاَمُ - فَإنَّ الأَصْل مَقْصُوديٌّ وَالتَّابعَ طُفَيْليٌّ وَإنْ صَحَّ إطْلاَقُ الوَصْل العُرْيَان وَالتَّجلي الذَّاتيِّ في مَادَّة الاتِّبَاع وَلَمْ

---

(١) ـــ الآية: ٢١ من سورة الحديد، والآية: ٤ من سورة الجمعة.

يَصِحَّ ذَلِكَ الإِطْلَاقُ فِي الْمَتْبُوعِينَ يَعْنِي الأَنْبِيَاءَ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - وَلكِنْ مَا قُدِّرَ طُفَيْلِيٌّ فِي جَنْبِ الْمَقْصُودِيِّ حَتَّى يُدَّعَى التَّسَاوِي لَهُ وَكَيْفَ يُتَصَوَّرُ الْمُسَاوَاةُ فَإِنَّ تِلْكَ الدَّوْلَةَ فِي الأَصْلِ عَلَى الوَجْهِ الأَتَمِّ وَالأَكْمَلِ وَفِي التَّابِعِ عَلَى وَجْهِ الاسْمِ وَالرَّسْمِ وَلكِنَّ هَذِهِ الْمُنَاسَبَةَ تُصَحِّحُ النِّسْبَةَ وَتَجْعَلُ التَّابِعَ كَالْمَتْبُوعِ وَلِهَذَا قَالَ خَاتَمُ الرُّسُلِ - عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - "**عُلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيل**"

فَلَاحَ مِنْ هَذَا البَيَانِ وَاتَّضَحَ أَنَّ حُصُولَ التَّجَلِّي الذَّاتِيِّ لِأَوْلِيَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ لَا يَكُونُ مُوهِمًا لِفَضْلِهِمْ عَلَى الأَنْبِيَاءِ الذِينَ لَيْسَ فِيهِمُ التَّجَلِّي الذَّاتِيُّ فَافْهَمْ فَإِنَّهُ مِنْ مَزَلَّةِ الأَقْدَامِ وَأَنْصَفَ فَإِنَّ هَذِهِ العُلُومَ مِمَّا اسْتَأْثَرَ اللهُ - سُبْحَانَهُ - هَذَا العَبْدَ بِهَا بِحُرْمَةِ حَبِيبِهِ مُحَمَّدٍ - عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -.

فَإِنْ قِيلَ: الْمُقَرَّرُ أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ خَلْقِ العَالَمِ هُوَ خَاتَمُ الرُّسُلِ - عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - غَيْرُهُ طُفَيْلِيٌّ فِي نَفْسِ الوُجُودِ وَفِي حُصُولِ الكَمَالَاتِ وَيَصِلُونَ إِلَى الدَّرَجَاتِ العُلَى بِتَبَعِيَّتِهِ وَلِهَذَا يَكُونُ آدَمُ وَمَنْ دُونَهُ تَحْتَ لِوَائِهِ وَأَنْتَ تَقُولُ إِنَّ دَوْلَةَ الوُصُولِ لِسَائِرِ الأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - بِطَرِيقِ الأَصَالَةِ لَا بِطَرِيقِ التَّبَعِيَّةِ فَمَا وَجْهُ ذَلِكَ ؟

قُلْتُ: كَمَا أَنَّ لِمُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ طَرِيقًا مِنْ حَقِيقَتِهِ إِلَى حَضْرَةِ الذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ كَذَلِكَ لِسَائِرِ الأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - أَيْضًا مِنْ حَقَائِقِهِمْ طُرُقٌ إِلَى حَضْرَةِ الذَّاتِ تَعَالَى شَأْنُهَا لَا تَبَعِيَّةَ فِيمَ فِي هَذَا الوُصُولِ بِخِلَافِ الأُمَمِ فَإِنَّهُمْ يَصِلُونَ إِلَى الْمَطْلَبِ بِتَبَعِيَّةِ الأَنْبِيَاءِ مِنْ طَرِيقِ حَقَائِقِهِمُ الْمُنَاسِبِ لِاسْتِعْدَادِ كُلٍّ مِنْهُمْ وَالأَصَالَةُ مَفْقُودَةٌ فِي حَقِّهِمْ.

غَايَةُ مَا فِي البَابِ: أَنَّ وُصُولَ سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - وَإِنْ كَانَ بِالأَصَالَةِ وَلكِنَّهُ لَيْسَ بِوَصْلٍ عُرْيَانَ فَإِنَّ حَقِيقَةَ خَاتَمِ الرُّسُلِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - صَارَتْ حِجَابًا رَقِيقًا عَنِ الْمَطْلُوبِ فَكُلُّ فَيْضٍ وَارِدٍ يَتَّصِلُ بِهَذِهِ الحَقِيقَةِ أَوَّلًا بِالضَّرُورَةِ ثُمَّ يَصِلُ بِتَوَسُّطِهَا إِلَى الآخَرِينَ وَمَعْنَى التَّبَعِيَّةِ حُصُولُ هَذَا التَّوَسُّطِ فَتِلْكَ الأَصَالَةُ لَا تُنَافِي لِهَذِهِ التَّبَعِيَّةِ يَنْبَغِي حُسْنُ التَّأَمُّلِ إِنَّ التَّبَعِيَّةَ التِي ثَبَتَتْ فِي حَقِّهِمْ وَرَاءَ تِلْكَ التَّبَعِيَّةِ فَإِنَّهَا مُنَافِيَةٌ لِلأَصَالَةِ كَمَا مَرَّ غَيْرَ مَرَّةٍ فَافْتَرَقَا.

فَإِنْ قِيلَ: هَلْ فِي مَرَاتِبِ العُرُوجِ نَصِيبٌ لِلْكُمَّلِ مِنْ مَرْتَبَةِ صِفَةِ الحَيَاةِ أَوْ لَا ؟

قُلْتُ: نَعَمْ.

فَإِنْ قِيل: قَدْ مَرَّ أَنَّ نِهَايَةَ هَذه الصِّفَة اضْمحْلال وَتَلاَش في حَضْرَة الذَّات تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ فَمَا يَكُونُ نَصيبُ الكَمَال مِنْ مَقَام المَحْو والتَّلاَشي وَقَدْ قُلتُ فيمَا سَبَقَ: إنَّ تَعَيُّنَات الحَقَائق لَيْسَ لَهَا اضْمحْلال عَيْنيٌّ فَإِنْ كَانَ فَنَظَرِيٌّ فَإِنَّ القَوْل بالاضْمحْلال العَيْنيِّ مُفْض إلى الزَّنْدَقَة.

قُلتُ: منْ أَيْنَ يَلزَمُ في حُصُول النَّصيب منْهَا الاضْمحْلال العَيْنيُّ بَل الاضْمحْلال النَّظَريُّ كَاف فيه وَإِنْ كَانَتْ المَرَاتبُ مُتَفَاوِتَةً في ذَلكَ الاضْمحْلال فَافْهَمْ وَاللهُ - سُبْحَانَهُ - أَعْلَمُ بحَقيقَة الحَال.

{وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[1] وَالتزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى آله مِنَ الصَّلوَاتِ أَتَمُّهَا وَمنَ التَّسْليمَات أَكْمَلهَا.

---

(١) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالتِّسْعُونَ وَالمائتَان

إِلى الحَاجِّ يُوسُف الكشميرى

فِي بَيَانِ النَّظَرِ عَلى القَدَمِ وَهَوْشٍ دردم وَالسَّفَرِ فِي الوَطَنِ وَالخَلوَةِ فِي الجَلوَةِ التي هيَ أُصُول الطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّة العَلِيَّة قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَ أَهْلِيهَا

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنْ وَاحِدًا مِنَ الأُصُول المُقَرَّرَة فِي الطَّرِيقَة النَّقْشَبَنْدِيَّة ــ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَار مَشَائخهَا ــ النَّظَر عَلى القَدَمِ، وَلَيْسَ المُرَاد بِالنَّظَر عَلى القَدَمِ أَنَّهُ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يَتجَاوَزَ النَّظَر القَدَم وَأَنْ يَميل إِلى الفَوْق قَبْل القَدَم؛ فَإِنَّهُ خِلاَفُ الوَاقِعِ؛ فَإِنَّ النَّظَرَ يَتفَوَّقُ القَدَمَ وَيَتَقَدَّمُ عَلَيْه دَائمًا وَيَجْعَل القَدَمَ رَدِيفَهُ، فَإِنَّ العُرُوجَ عَلى مَدَارِجِ العُلى يَكُونُ أَوَّلاً بِالنَّظَر، ثُمَّ يَصْعَدُ بَعْدَ ذَلكَ بِالقَدَم، فَإِذَا وَصَلَتْ القَدَم إِلى مَرْتَبَة النَّظَر يَتفَوَّقُ النَّظَر مِنْهَا إِلى دَرَجَة فَوْقَانِيَّة وَتَصْعَدُ القَدَمُ أَيْضًا بِتَبَعِيَّته، ثُمَّ يَتَرَقَّى النَّظَرُ بَعْدَ ذَلكَ مِنْ ذَلكَ المَقَام، ثُمَّ تَتْبَعُهُ القَدَم وَعَلى هَذَا القِيَاسِ فَإِنْ كَانَ المُرَاد بِه أَنَّهُ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يَتَرَقَّى النَّظَر إِلى مَقَامٍ لاَ يَكُونُ للقَدَمِ فيه مَجَال فَهُوَ أَيْضًا غَيْر وَاقِعٍ؛ فَإِنَّهُ لوْ لَمْ يَنْفَرِدِ النَّظَرُ بَعْد تَمَامِ السَّيْرِ القَدَمِيِّ يَفُوتُ كَثِيرٌ مِنْ مَرَاتب الكَمَال.

بَيَانُهُ: أَنَّ نِهَايَةَ القَدَمِ إِلى نِهَايَة اسْتِعْدَاد السَّالك بَل إِلى نِهَايَة اسْتِعْدَاد نَبيٍّ السَّالك عَلى قَدَمه، لكنَّ القَدَمَ الأَوَّل بِالأَصَالة وَالقدَمَ الثَّانِيَ بِالتَّبَعِيَّة، وَلاَ قَدَمَ لَهُ فَوْقَ مَرَاتب ذَلكَ الاسْتِعْدَاد وَلكنْ لَهُ فيه نَظَر فَإِنْ حَصَلَت الحِدَّة لِذَلكَ النَّظَر فَمُنْتَهَاهُ نِهَايَة مَرَاتب نَظَرِ ذَلكَ النَّبيِّ الذي السَّالك عَلى قَدَمه؛ فَإِنَّ لكُمَّل أَتْبَاعِ نَبيٍّ نَصيبًا مِنْ جَميعِ كَمَالاَته، وَلكنَّ القَدَمَ وَالنَّظَرَ يَتَوَافَقَان إِلى نِهَايَة مَرَاتبَ اسْتِعْدَاد السَّالك بِالأَصَالة وَبِالتَّبَعِيَّة، وَبَعْدَ ذَلكَ يَعْجزُ القَدَمُ وَيَصْعَدُ النَّظَر وَحْدَهُ وَيَتَرَقَّى إِلى نِهَايَة مَرَاتب نَظَرِ ذَلكَ النَّبيِّ.

فَعُلِمَ: أَنَّ نَظَرَ الأَنْبيَاء ــ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ــ أَيْضًا يَصْعَدُ فَوْقَ أَقْدَامِهِمْ وَأَنَّ لكُمَّل أَتْبَاعِهِمْ أَيْضًا نَصيبًا مِنْ مَقَامَات أَنْظَارِهِمْ، كَمَا أَنَّ لَهُمْ نَصيبًا مِنْ مَقَامَات أَقْدَامِهِمْ وَفَوْقَ أَقْدَامِهِمْ وَفَوْقَ قَدَم خَاتَم الرُّسُل ــ عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم ــ مَقَام الرُّؤْيَة التي هيَ مَوْعُودَةٌ لغَيْره فِي الآخرَة فَمَا هُوَ نسْبَة لغَيْرِه نَقْد لَهُ، وَلكُمَّل أَتْبَاعه مِنْ هَذَا المَقَامِ نَصيب وَأَنْ لَمْ يَكُنْ رُؤْيَةً، شِعْرٌ:

خَليليَّ مَا هَذَا بهزْل وَإنَّمَا عَجيبُ الأَحَاديث بَديعُ الغَرَائب

وَلنَرْجعَ إلى أَصْل الكَلاَمِ وَنَقُول: فَإنْ كَانَ المُرَاد به أَنَّهُ يَنْبَغي أَنْ يَتخَلفَ القَدَم عَنِ النَّظرِ عَلى وَجْه لاَتَّصل إلى مَقَام النَّظر في وَقْت منَ الأَوْقَات فَحَسَن؛ فَإنَّ هَذَا المَعْنَى لَيْسَ بمَانعٍ للتَّرَقّي، وَكَذلكَ إذَا كَانَ المُرَاد بالنَّظر وَالقَدَم النَّظرُ وَالقَدَمُ الظَّاهريَّان فَلهُ مَجَال؛ فَإنَّ النَّظرَ تَحصُل لهُ التَّفرْقَة وَقْتَ المَشْي وَيَتَشَتَّتُ بالوُقُوعِ عَلى مَحْسُوسَات مُتلوِّنَة فَإنَّ نَصْبَ النَّظر إلى القَدَمِ يَكُونُ أَقْرَب إلى الجَمْعيَّة وَهَذَا المُرَاد مُنَاسبٌ لمَعْنَى كَلمَةٍ هِيَ قَرينَةٌ وَهِيَ هَذه: **"هوش دردم"** يَعْني: العَقْل في النَّفْس.

غَايَةُ مَا في البَاب: أَنَّ الكَلمَة الأُولى: لدَفْعِ تَفرقَة مُنْبَعثَة عَنِ الآفَاق.

وَالكَلمَةَ الثَّانيَةَ: لدَفْعِ التَّفرقَة الأَنْفُسيَّة.

وَالكَلمَةَ الثَّالثَةَ: التي هِيَ قَرينُ هَاتَيْنِ الكَلمَتَيْنِ كَلمَة: **"السَّفَرُ في الوَطَنِ"**.

وَهِيَ عبَارَةٌ عَنِ السَّيْر في الأَنْفَس الذي هُوَ مَنْشَأ حُصُول انْدرَاج النِّهَايَة في البدَايَة الذي هُوَ مَخْصُوصٌ بهَذه الطَّريقَة العَليَّة، وَالسَّيْر في الأَنْفُسِ وَإنَّ كَانَ في جَميعِ الطُّرُق وَلكنَّهُ في سَائر الطُّرُق بَعْدَ حُصُول السَّيْر الآفَاقي بخلاَف هَذَا الطَّريق؛ فَإنَّ فيه الشُّرُوعَ منْ هَذَا السَّيْر وَالسَّيْر الآفَاقي مُنْدَرج في ضمْنه، فَلوْ قُلنَا: إنَّ في هَذَا الطَّريق انْدرَاجَ البدَايَة في النِّهَايَة بهَذَا الاعْتبَار أَيْضًا لسَاغَ.

وَالكَلمَةَ الرَّابعَة التي هِيَ قَرينٌ هَذه الكَلمَات الثَّلاَث كَلمَة: **"الخَلوَة في الجَلوَة"**.

وَمَتَى تَيَسَّرَ السَّفَرُ في الوَطَنِ يُسَافرُ في خَلوَة الوَطَنِ أَيْضًا في نَفْسِ الجَلوَة، وَلاَ تَتَطرَّقُ تَفرقَة الآفَاق إلى حُجْرَة الأَنْفُس، وَهَذَا أَيْضًا عَلى تَقْدير غَلق أَبْوَاب الحُجْرَة وَسَدِّ جَميع رَوْزَنَتهَا وَكُوَّتهَا فَيَنْبَغي أَنْ لاَ يَكُونَ في جَلوَة التَّفرقَة مُتَكلمًا وَلاَ مُخَاطبًا وَلاَ مُلتَفتًا إلى أَحَد، وَكُل هَذه التَّمحُّلاَت وَالتَّكلفَات في البدَايَة وَالوَسَط وَأَمَّا في النِّهَايَة فَلاَ شَيْء يُلزمُ منْهَا أَصْلاً؛ فَإنَّ المُنْتَهَى مُتَّصفٌ بالجَمْعيَّة في نَفْسِ التَّفْرقَة وَبالحُضُور في عَيْن الغَفْلة.

وَلاَ يُظَنُّ منْ هُنَا: أَنَّ التَّفرقَةَ وَعَدَمَ التَّفْرقَة مُتَسَاويَان في حَقِّ جَمْعيَّة المُنْتَهي مُطْلقًا؛ فَإنَّهُ لَيْسَ كَذلكَ، بَل المُرَاد أَنَّهُمَا مُتَسَاويَان في جَمْعيَّة البَاطنِ، وَمَعَ

ذَلكَ لوْ جَمَعَ ظَاهَرُهُ مَعَ بَاطنه وَدَفَعَ التَّفْرقَة عَنْ ظَاهِره أَيْضًا يَكُونُ أُوْلى وَأَنْسَبَ؛ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى لِنَبِيِّه ـــ عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم ـــ: {وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّك وَتَبَتَّل إلَيْه تَبْتيلاً}.

يَنْبَغــي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّهُ لاَبُد فِي بَعْضِ الأَوْقَات مِنْ تَفْرقَة الظَّاهِر لأَدَاء حُقُوق الحَقِّ فَتَكُونُ تَفرقَة الظَّاهر فِي بَعْضِ الأَوْقَات مُسْتَحْسَنَةً أَيْضًا.

وَأَمَّا تَفْرقَةُ البَاطِن: فَلَيْسَتْ بِمُسْتَحْسَنَة فِي وَقْت مِنَ الأَوْقَات؛ فَإِنَّهُ خَالصُ حَقِّ اللهِ سُبْحَانَهُ فَيَكُونُ ثَلاَث حِصَص مِنَ العَبْد المُسْلِمِ لأَجْل الحَقِّ سُبْحَانَهُ تَمَام البَاطِنِ وَنِصْف الظَّاهِرِ وَبَقِيَ النِّصْفُ الآخَرُ مِنَ الظَّاهِرِ لأَدَاء حُقُوق الخُلق وَلَمَّا كَانَ فِي أَدَاء تلكَ الحُقُوق امْتثَال أَوَامِر الحَقِّ سُبْحَانَهُ صَارَ ذَلكَ النِّصْف أَيْضًا رَاجعًا إِلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى: {إِلَيْه يَرْجِعُ الأَمْرُ كُله} فَاعْبُدْهُ.

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالتِّسْعُونَ وَالمِائَتَان
إلى المَخْدُومِ الخواجهْ مُحَمَّد سَعِيد قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ
فِي بَسَاطَة صِفَاتِ الحَقِّ جَلَ وَعَلاَ
وَنَفْيِ تَعَدُّدِ تَعَلقِهَا بِالأشْيَاءِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمِينَ، وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلى سَيِّدِ المُرْسَلِينَ، وَآله الطَّاهِرِيْنِ أجْمَعِينَ:

اعْلَمْ: أنَّ صِفَات الوَاجب تَعَالى وَتَقَدَّسَ كَذَاته تَعَالى مُنَزَّهَة عَنِ الشُّبْه وَالمِثَال وَبَسَائط حَقِيقيَّة؛ مَثَلاً: إنَّ صفَةَ العلمِ انْكشَاف وَاحد بَسِيط تَنْكَشِفُ المَعْلومَات الأَزَليَّة وَالأَبَديَّة بهَذَا الانْكشَاف الوَاحد، وَكَذَلكَ قُدْرَة وَاحدَة كَاملة بَسِيطَة تُوجدُ المَقْدُورَات الأَزَليَّةَ وَالأَبَديَّةَ بوَاسطَتهَا، وَكَذَلكَ كَلاَمٌ وَاحدٌ بَسيطٌ وَهُوَ سُبْحَانَهُ مُتَكَلمٌ بهَذَا الكَلاَمِ منَ الأَزَل إلى الأَبَد، وَعَلى هَذَا القيَاسِ فِي سَائِر الصِّفَات الحَقيقيَّة وَالتَّعَدُّد الحَاصل منْ تَعَلق العلمِ وَالقُدْرَة بالمَعْلومَات وَالمَقْدُورَات أَيْضًا مَفْقُودٌ فِي تلكَ المَرْتَبَة، وَالأشْيَاء مَعْلومَةَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَمَقْدُورَتُهُ، وَلكنْ لاَ تَعَلقَ لصفَة العلمِ وَالقُدْرَة بهَا أَصْلاً، وَهَذه المَعْرفَة وَرَاءَ طَوْر نَظَر العَقْل.

وَأَرْبَاب العُقُول لاَ يُجوِّزُون مثْل هَذَا المَعْنَى أَصْلاً وَيَعدُونَ عَدَم تَعَلق العلمِ وَالقُدْرَة بالأَشْيَاءِ مَعَ كَوْنهَا مَعْلومَةَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَمَقْدُورَتَهُ مُحَالاً، أَلمْ يَعْلمُوا أَنَّ الأَزَل وَالأَبَد حَاضر فِي تلكَ المَرْتَبَة ؟! بَل لاَ مَجَال للآن فيهَا أَيْضًا سوَى التَّعْبِير به لكَوْنه أَقْرَبَ الشَّيْء وَأَوْفَقَهُ بهَا، وَمَعْلومَات الأَزَل وَالأَبَد حَاضرَة فِي ذَلكَ الآن وَفِي ذَلكَ الآن الحَاضر يَعْلمُ الحَقَّ سُبْحَانَهُ زَيْدًا مَثَلاً مَعْدُومًا وَمَوْجُودًا وَجَنينًا وَصَبيًّا وَشَابًّا وَشَيْخًا وَحَيًّا وَمَيِّتًا وَكَائنًا فِي البَرْزَخِ وَالحَشْر وَالنَّارِ وَالجَنَّة، وَمَعْلوم أَنَّهُ لاَ تَعَلقَ لذَلكَ الآن بهَذه الأَطْوَارِ أَصْلاً؛ فَإنَّهُ لوْ حَصَل لهُ تَعَلق لخَرَجَ عَنْ كَوْنه آنًا وَيُسَمَّى زَمَانًا وَيَصيرُ مَاضيًا وَمُسْتَقْبَلاً فَهَذه الأَطْوَار ثَابتَة فِي ذَلكَ الآن وَغَيْر ثَابتَة.

فَعَلى هَذَا: لوْ ثَبَتَ انْكشَافٌ بَسيطٌ حَقيقيٌّ لاَ يَكُونُ لهُ تَعَلقٌ بوَاحد منَ المَعْلومَات وَيَكُونُ جَميع المَعْلومَات مُنْكَشفَة بهَذَا الانْكشَاف الوَاحد، فَأَيّ عَجَب فيه فَإنَّ اسْتحَالةَ جَمْع الضِّدَّيْنِ مَفْقُودَة فِي ذَلكَ المَوْطنِ؛ فَإنَّهَا مَشْرُوطَة باتِّحَاد

الزَّمَان وَالجهَة، وَلاَ مَجَال هُنَا للزَّمَان؛ إذْ لاَ يَجْرِي عَلَيْه سُبْحَانَهُ زَمَان، وَاتِّحَاد الجهَة أَيْضًا مَفقُود للفَرْق بالإجْمَال وَالتَّفْصِيل، وَهَذَا كَمَنْ يَقُول أَنَا أَرَى الاسْمَ وَالفعْل وَالحَرْفَ التي كَل وَاحد منْهَا قَسِيم للآخَر مُتَّحدًا بَعْضهَا ببَعْضٍ في مَرْتَبَة الكَلمَة في آن وَاحد، وَأَجدُ المُنْصَرَفَ غَيْرَ مُنْصَرِف، وَالمَبْنيَّ عَيْنَ مُعْرَب، وَيَقُول: وَمَعَ وُجُود هَذه الجَامعيَّة لاَ تَعَلقَ للكَلمَة بوَاحد منْ هَذه الأَقْسَام وَمُسْتَغْنيَة عَنْهَا بالتَّمَام لاَ يُنْكرُ أَحَد منَ العُقَلاَء عَلى هَذَا الشَّخْص وَلاَ يَسْتَبْعدُونَ كَلاَمَهُ، فَلمَ يَسْتَبْعدُونَ مَا نَحْنُ فيه ؟! وَيَتَوَقَّفُونَ عَنْ قَبُوله ؟! وَلله المَثَل الأَعْلَى.

فَإنْ قيل: لَمْ يُقل أَحَدَ مُثْل هَذَا الكَلاَم:

قُلت: مَا الضَّرَرُ فيه ؟! فَإنَّهُ وَإنْ لَمْ يَقُل به أَحَد وَلَكنَّهُ لَيْسَ بمُخَالف لكَلاَمِ الآخَرِينَ وَلَيْسَ أَيْضًا ممَّا لاَ يُنَاسبُ لمَرْتَبَة الوُجُود تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ، (ع):

كُل أَنْتَ خَرِيزَةً وَالغَيْرُ فَلوْذَجًا

وَالمثَال الذي يُمْكنُ أيرَادُهُ في المَخْلوقَات لتَوْضيح هَذه المَعْرفَة: هُوَ أَنَّهُمْ قَالوا: إنَّ العلمَ بالعَلة مُسْتَلزَمٌ للعلم بالمَعْلوم، وَالمَدْرَكَةُ مُتَوَجِّهَةَ في هَذه الصُّورَة بالأَصَالَة إلَى العلة وَمُتَعَلقَة بهَا، وَيَحْصُل العلمُ بالمَعْلول بتَبَعيَّة العلم بالعلة منْ غَيْر تَجَدُّد تَعَلق آخَر به، وَلكنْ أَرْبَاب المَعْقُول لاَ يُجَوِّزُونَ مَعْلوميَّة المَعْلول في هَذه الصُّورَة أَيْضًا منْ غَيْر تَعَلق العلم بالمَعْلول في مَرْتَبَة ثَانيَة وَإنْ لَمْ يَكُنْ ذَلكَ التَّعَلق بالأَصَالَة وَلكنْ لاَ يُعْلَمُ وُجُودُ مثَال أَقْرَبَ منْ هَذَا المثَال، وَالمَقْصُود التَّوْضيح لاَ الإثْبَاتُ، وَالله تَعَالَى أَعْلم بحَقَائق الأُمُور كُلهَا {وَالسَّلاَم عَلى مَنِ اتَّبعَ الهُدَى} وَالتَزَمَ مُتَابعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلَوَات وَالتَّحيَّات المُبَارَكَات.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالتِّسْعُونَ وَالمِائَتَان
إلى مَوْلاَنَا بَدْرِ الدِّين
فِي تَحْقِيقِ إِحَاطَةِ الحَقِّ وَسَرَيَانه سُبْحَانَهُ وَتَعَالى وَتَوْضِيح ذَلِكَ بِأَمْثلة وَبَيَان رِعَايَة حِفْظ المَرَاتِب الوُجُودِيَّة وَالإِمْكَانِيَّة

اعْلَـــــمْ: أَنَّ إِحَاطَةَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ بالأَشْيَاء وَسَرَيَانَهُ فيهَا كَإِحَاطَةِ المُجْمَل بالمُفَصَّل، وَسَرَيَانُهُ فيه كَالكَلِمَة مَثَلاً سَارِيَةٌ فِي جَمِيعِ أَقْسَامِهَا مِنَ الاسْمِ وَالفعْل وَالحَرْف وَكَذَا فِي أَقْسَامِ الأَفْعَال منَ المَاضِي وَالمُضَارِعِ وَالأَمْرِ وَالنَّهْي وَالمَصْدَر وَاسْمِ الفَاعِل وَاسْمِ المَفْعُول وَالمُسْتَثْنَى المُنْقَطِع وَالمُتَّصِل وَالحَال وَالتَّميُّز وَالثُّلاَثِيِّ وَالرُّبَاعِيِّ وَالخُمَاسِيِّ وَالحُرُوف الجَارَّة وَالنَّاصِبَة وَالحُرُوف المُخْتَصَّة بالأَفْعَال وَالحُرُوف المُخْتَصَّة بالأَسْمَاء وَالحُرُوف الدَّاخلة عَلَيْهِمَا إلى غَيْرِ ذَلكَ منَ الأَسْمَاء الحَاصلة منَ التَّقْسِيمَات الغَيْر المُتَنَاهيَة؛ فَهَذه الأَقْسَام كُلهَا لَيْسَتْ غَيْرَ الكَلمَة، بَل هَذه اعْتبَارَات مُنْدَرِجَة تَحْتَ الكَلمَة مَا زَادَ فِي تَفْصِيلهَا وَتَمْيِيزهَا عَنِ الكَلمَة وَتَمْيِيز بَعْضهَا عَنْ بَعْضٍ شَيْءٌ إلاَّ اعْتبَارُ العَقْل، وَفِي الخَارِجِ لَيْسَتْ إلاَّ الكَلمَة؛وَلهَذَا صَحَّ الحَمْل وَلَكِنْ لكُل مَرْتَبَة منَ المَرَاتب اسْم يَخْتَصُّ هُوَ بهَا وَأَحْكَام لاَ تُوجَدُ فِي غَيْرِهَا؛ مَثَلاً: الدَّالة عَلَى المَعْنَى بالاسْتقْلاَل منَ الاقْترَان بالزَّمَان فعْل وَبغَيْرِ الاقْترَان اسْمٌ وَغَيْر الدَّالة عَلى المَعْنَى بالاسْتقْلاَل حَرْفٌ وَكَذَا المُقْتَرِنُ بالزَّمَان المَاضِي فعْل مَاضٍ، وَبالزَّمَان الحَال وَالاسْتقْبَال مُضَارِعٌ، وَمَا وُجدَ فيه علتَان منَ العلل التِّسْعَة المَشْهُورَة فَغَيْرُ مُنْصرف، وَإلاَّ فَمُنْصَرف، وَحُرُوفٌ عَمَلهَا الجَرُّ جَارَّةٌ، وَحُرُوفٌ عَمَلهَا النَّصْبُ نَاصبَةٌ؛ فَإطْلاَق اسْمِ مَرْتَبَة عَلى مَرْتَبَة أُخْرَى، وَإجْرَاءُ أَحْكَام إحْدَاهُمَا عَلى الأُخْرَى كَإطْلاَق الفعْل المَاضِي عَلى المُضَارِعِ، وَالمُنْصَرف عَلى غَيْرِ المُنْصَرف، وَالجَارَّة عَلى النَّاصبَة، مَعَ كَوْن المَرَاتب كُلهَا لَيْسَتْ إلاَّ الكَلمَة ـــ: ضَلاَلةٌ وَخُرُوجٌ عَن الصِّرَاط السَّوِيِّ.

فَنَقُول وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَم: إنَّ لكُل مَرْتَبَة منْ مَرَاتبَ تَنَزُّل الوُجُود اسْمًا مُخْتَصًّا بهَا وَأَحْكَامًا لاَ تُوجَدُ إلاَّ فيهَا؛ فَالوُجُوب الذَّاتيُّ وَالاسْتغْنَاءُ الذَّاتيُّ مُخْتَصَّان بمَرْتَبَة الجَمْعِ، والألوهية وَالإمْكَان الذَّاتيِّ وَالافْتقَارُ الذَّاتيُّ مُخْتَصَّان بمَرْتَبَة الكَوْنِ وَالفرْق، وَالمَرْتَبَةُ الأُولى مَرْتَبَةُ الرُّبُوبيَّة وَالخَالقيَّة، وَالمَرْتَبَةُ الثَّانيَةُ مَرْتَبَةُ

العُبُودِيَّة وَالمَخْلوقيَّة؛ فَلوْ أُطلقَ أَسَامِيٍّ إحْدَاهُمَا عَلى الأُخْرَى وَأُجْرِيَ الأَحْكَامُ المُخْتَصَّةُ بِمُرَتَّبَة عَلى مَرْتَبَة أُخْرَى لكَانَ زَنْدَقَةً وَكُفرًا مَحْضًا.

وَالعَجَبُ مِنْ بَعْضِ المَلاَحدَة وَالزَّنَادقَة إِنَّهُمْ كَيْفَ يَخْلطُونَ المَرَاتب وَيَجْرُونَ أَحْكَامَ مَرْتَبَة عَلى مَرْتَبَة أُخْرَى فَيَصفُونَ المُمْكنَ بصفَات الوَاجب، وَالوَاجبَ بصفَات المُمْكنِ مَعَ علمهِمْ بتَمَايُز صفَات المُمْكنِ الذي هُوَ مَرْتَبَةٌ وَاحدَةٌ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ وَاخْتلاَف أَحْكَامهم وَعلمهِمْ بعَدَم زَوَال تَمَايُزهِمْ وَاخْتلاَف أَحْكَامهِمْ أَصْلاً مَعَ اتِّحَادهِمْ في المَرْتَبَة الكَوْنيَّة، فَإِنَّهُمْ يَعْلمُونَ بالبَدَاهَة مَثَلاً أَنَّ الحَرَارَةَ وَالإشْرَاقَ منْ صفَات النَّار المُخْتَصَّة بهَا لَيْسَتْ وَاحدَة منْهَا في المَاء.وَلاَ يُوصَفُ بهَا المَاء، وَكَذَا البُرُودَة التي اخْتَصَّتْ بالمَاء لَيْسَتْ في النَّار، وَكَذَا يُمَيِّزُونَ بالضَّرُورَة بَيْنَ أَزْوَاجهِمْ وَأُمَّهَاتهم، وَيَحْكُمُونَ بتَفْرقَة أَحْكَامهنَّ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ الهَادي إِلى سَبيل الرَّشَاد {وَالسَّلَامُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}.

المَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالتِّسْعُونَ وَالمِائَتَان
إلى السَّيِّد مُحبّ الله المانكبوري
فِي بَيَان الوُصُول إلى نِهَايَة الأَمْرِ بطَريق الإشَارَة وَلطيف العبَارَة وَلَمْ يَطَّلعْ عَلى سرٍّ هَذَا المُعَمَّى أَحَدٌ غَيْرُ المَخْدُومِ الأَكْبَر عَلَيْه الرَّحْمَةُ وَالرِّضْوَانُ

اعْلَـــمْ ــ أَرْشَدَكَ اللهُ ــ: لَمَّا كَانَ السَّيْرُ مُدَّةً مَديدَةً في الظِّلال وَجَدْتُ الوُصُول إلى الظِّل عَيْنَ الحُصُول، وَالآنَ لَمَّا تَيَسَّرَ الوُصُول إلى الأَصْل: لَيْسَ الحُصُول غَيْرَ الظِّل كَالمرْآة الكَائنَة في يَد شَخْص الوَاصلة إلَيْه لاَ نُصيبُ لَهُ منَ الشَّخْص إلاَّ ظلّهُ فَافْهَمْ فَإنَّ كَلاَمَنَا إشَارَة.

وَاعْلَـــمْ: أَنَّ العبَّارَةَ المُنَاسبَةَ لبَيَان الطَّريق التي حَرَّرْتُ بطَريق الرَّمْز وَالإشَارَة رَأَيْتُهَا مُنَاسبَةً لهَذَا المَقَام وَجَعَلْتُهَا مُنْدَرجَةً في هَذَا المَكْتُوب أَيْضًا.

يَنْبَغي أَنْ يفهما ذكْر كَثير مَأْخُوذ منْ شَيْخ صَاحب عرْفَان المُدَاوَمَة عَلَيْه الرُّجُوع إلى فَضْل الرَّحْمَن الوَصْل العُرْيَان وَالبَاقي كُلهمْ حُسْبَان، {وَالسَّلاَمُ عَلى مَن اتَّبَعَ الهُدَى} وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى آله منَ الصَّلَوَات أَتَمّهَا وَمنَ التَّسْليمَات أَكْملهَا.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالتِّسْعُونَ وَالمِائَتَان
إلى الشَّيْخ فَرِيد الراهولي
فِي التَّعْزِيَة وَالدَّلالة عَلى الرِّضَا بالقَضَاء
وَبَيَان فَضِيلة المَوْت بالطَّاعُون
وَأَنَّ الفِرَارَ مِنْهُ كَبِيرَةٌ كَالفِرَارِ يَوْمَ الزَّحْفِ

بَعْدَ الحَمْدِ وَالصَّلَوَاتِ وَتَبْلِيغِ الدَّعَوَات:

لِيُعْلَمَ أَنَّ المَكْتُوبَ الشَّرِيفَ قَدْ وَصَلَ وَقَدْ بُيِّنَ فِيه المصيباتُ: {إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}، يَنْبَغِي الصَّبْرُ وَالتَّحَمُّلُ وَالرِّضَاءُ بالقَدْرِ (شِعْر):

إِنْ كُنْت تُؤْذِينِي فَلَسْت بِمُعْرِضٍ   وَقَدْ اسْتَنْبَطْتَ مِنَ الأَعِزَّة ذلتي

قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ}، وَقَالَ تَعَالَى: {ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ}، وَقَدْ هَلَكَ فِي هَذَا الوَبَاءِ مِنْ شُؤْمِ أَعْمَالِنَا البَقَرَات لِكَثْرَة اخْتِلاَطِهَا بِنَا وَمَاتَتْ النِّسَاءُ أَكْثَرَ مِنَ الرِّجَالِ، فَإِنَّ تَعَلقَ بَقَاءِ نَوْعِ الإِنْسَانِ بِوُجُودِهِنَّ أَكْثَرُ، وَالذي فَرَّ مِنَ المَوْتِ فِي هَذَا الوَبَاءِ وَسَلِمَ فَالتُّرَاب عَلَى حَيَاتِه وَالذي لَمْ يَهْرُبْ وَمَاتَ فَطُوبَى لَهُ وَبُشْرَى لَهُ بِالشَّهَادَة، وَقَدْ جَزَمَ شَيْخ الإِسْلاَم ابْن حَجَرٍ فِي كِتَاب بِذَلِكَ: "**المَاعُون فِي فَضْل الطَّاعُون**" بِأَنَّ المَيِّتَ بِالطَّعْنِ لاَ يُسْأَلُ؛ لأَنَّهُ نَظِيرُ المَقْتُولِ فِي المَعْرَكَة، وَبِأَنَّ الصَّابِرَ فِي الطَّاعُون مُحْتَسِبًا يَعْلَمُ أَنَّهُ مَا يُصِيبُهُ إِلاَّ مَا كُتِبَ لَهُ إِذَا مَاتَ فِيه بِغَيْرِ الطَّعْنِ لاَ يُفْتَنُ أَيْضًا؛ لأَنَّهُ نَظِيرُ المُرَابِط، كَذَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ الأَجَل السُّيُوطِيُّ فِي كِتَاب: "**شَرْحُ الصُّدُورِ بِشَرْحِ أَحْوَالِ المَوْتَى وَالقُبُورِ**"، وَقَالَ: وَهُوَ حُجَّةٌ جِدًّا.

وَالذي لَمْ يَهْرُبْ وَلَمْ يَمُتْ مِنْ جُمْلَة الغُزَاتِ وَالمُجَاهِدِينَ وَمِنْ زُمْرَة الصَّابِرِينَ وَالمُبْتَلِينَ وَلِكُل شَخْصٍ أَجَل مُسَمًّى لاَ تَقْدِيمَ فِيه وَلاَ تَأْخِيرَ، وَسَلاَمَةُ أَكْثَرِ الهَارِبِينَ إِنَّمَا هِيَ لِعَدَمِ مَجِيءِ أَجَلِهِمْ، لاَ أَنَّ الفِرَارَ نَجَّاهُمْ مِنَ المَوْت، وَهَلاَك أَكْثَرِ الصَّابِرِينَ إِنَّمَا هُوَ لِبُلُوغِ أَجْلِهِمْ فَلَيْسَ الفِرَار يُنْجِي وَلاَ الاسْتِقْرَارُ يُهْلِكُ، وَهَذَا الفِرَار ــ كَالفِرَارِ يَوْمَ الزَّحْف ــ مَعْصِيَةٌ كَبِيرَةٌ وَمِنْ مَكْرِ اللهِ سُبْحَانَهُ؛ حَيْثُ يُسْلِمُ الهَارِبِينَ وَيُهْلِكُ الصَّابِرِينَ: {يُضِل بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا}، وَقَدْ سَمِعْنَا صَبْرَكُمْ وَتَحَمُّلَكُمْ وَإِمْدَادَكُمْ وَإِعَانَتَكُمْ لِلْمُسْلِمِينَ ــ جَزَاكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ خَيْرًا ــ وَلاَ

يَضِيقَنَّ قَلبُكُمْ فِي مَرْتَبَة الأَطْفَال وَتَحَمُّل أَذَاهُمْ؛ فَإِنَّ المَرْجُوَّ تَرَتُّبُ أَجْرٍ جَزِيل عَلَيْهِ، وَمَاذَا أَكْتُبُ أَزْيَدَ مِنْ ذَلكَ ؟! وَالسَّلَامُ.

المَكْتُوب المُوفي ثَلاثَمائَة
إلى المَخْدُوم زاده جَامِعِ العُلومِ العَقْلِيَّة وَالنَّقْلِيَّة
مَجْد الدِّين مُحَمَّد مَعْصُوم سَلمَهُ اللهُ تَعَالى
فِي بَيَانِ الأَسْرَارِ الغَامِضَة وَالمَعَارِف الغَرِيبَة بلِسَانِ الرَّمْزِ وَالإشَارَة
وَانْدَرَجَ فِيهِ أَيْضًا إِيمَاءٌ مِنْ: {قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى}

الحَمْدُ لله وَسَلَام عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى:

إِذَا حَصَلَ للإنْسَان الكَامِل اسْمُ الجَامعيَّة بَعْدَمَا طَوَى مَرَاتِبَ الأَسْمَاء وَالصِّفَات بالسَّيْر التَّفْصِيليِّ وَصَارَ مِرْآةً لكَمَالاَت الأَسْمَاء وَالصِّفَات الإلهيَّة جُل سُلطَانه وَاخْتَفَى عَدَمه الذَّاتيّ الذي هُوَ مِرْآة تلكَ الكَمَالاَت بالتَّمَامِ وَلَمْ يَكُنْ فيه شَيْء غَيْر تلكَ الكَمَالاَت ظَاهِرًا فَفِي هَذَا الزَّمَان يَتشَرَّفُ بالبَقَاء الخَاصِّ الذي هُوَ مَنُوطٌ بتلكَ الكَمَالاَت بَعْدَ حُصُول الفَنَاء التَّامِّ الذي هُوَ مَرْبُوطٌ باخْتفَاء عَدَمه وَيُصَدِّقُ عَلَيْه اسْم الوِلاَيَة وَبَعْدَ ذَلكَ إذَا كَانَتْ العنَايَة الأَزَليَّة شَامِلة لحَالة يُمْكِنُ أَنْ تَنْعَكسَ تلكَ الكَمَالاَت التي كَانَ العَارِف بَاقيًا بهَا مَرَّة ثَانيَة في مِرْآة حَضْرَة الذَّات وَأَنْ تَظْهَرَ فيهَا وَفي هَذَا الوَقْت يَظْهَرُ سِرُّ قَابَ قَوْسَيْن.

يَنْبَغِـــي: أَنَّ يُعْلَمَ أَنَّ ظُهُورَ شَيْء فيهَا في هَذَا المَوْطنِ كنَايَةٌ عَنْ حُصُول نسْبَة مَجْهُولَة للشئ بتلكَ المرْآة، لاَ أَنَّ فيه حَقيقَةَ المرْآة، وَحُصُول الشَّيْء فيهَا — وَلله المَثَل الأَعْلى — فَإذَا صَارَتْ تلكَ الكَمَالاَتُ التي كَانَ العَارِف بَاقيًا بهَا مُنْعَكسَةً في مِرْآة جَنَاب القُدْس بطَرِيقِ الحَقيقَة وَالأَصَالة وَظَهَرَتْ فيهَا وَحَصَلَتْ لهَا فيهَا النِّسْبَةَ المَجْهُولةَ الكَيْفيَّةَ فَلاَ جَرَمَ يُطْلَقُ حينَئذ عَلَيْهَا أَنَا الذي كَانَ مُتَعَلقًا بالعَارِف وَتَرَى نَفْسهَا عَيْن تلكَ الكَمَالاَت الظَّاهِرَةَ وَنهَايَة عُرُوج **"أَنَا"** في مَقَام قَاب قَوْسَيْنِ إلى هُنَا.

اسْمَعْ أَيُّهَا الوَلَدُ: إنَّ مِرْآة الصُّورَة التي يَنْعَكسُ فيهَا الحُسْن وَالجَمَال لوْ حَصَلَ لهَا فَرْضًا الحَيَاةُ وَالعلمُ، يَعْني لوْ أَدْرَكَتْ ظُهُورَ الحُسْنِ وَالجَمَال فيهَا لكَانَتْ بالضَّرُورَة مُتَلذِّذَةً به وَمُحْتَظَةً بحَظٍّ أَوْفَرَ، وَفي مِرْآة الحَقيقَة وَإنْ كَانَتْ اللذَّةُ وَالأَلمُ مَفْقُودَيْنَ لكَوْنهمَا منْ صفَات الإمْكَان، وَلَكنَّ الأَمْرَ اللاَئقَ بتلكَ المَرْتَبَة العُلْيَا المُبَرَّأ عَنْ سمَات النَّقْص وَالحُدُوث كَائن وَثَابت فيهَا، (شعْر):

خَليليٌّ مَا هَذَا بهَزْلٍ وَإنَّمَا ... حَديثٌ عَجيبٌ منْ غَريبِ البَدَائِعِ

وَهَذه الكَمَالاَت الظَّاهرَة التي حَصَلتْ لَهَا في تلكَ المَرْتَبَة النِّسْبَةُ المَجْهُولةُ الكَيْفيَّة حُكْمهَا كَحُكْمِ عَالَمِ الخَلق الإنْسَانيِّ بالنِّسْبَة إلى عَالَمِ الأَمْرِ وَسرِّ "**مَنْ عَرفَ نَفْسه فَقَدْ عَرفَ رَبَّهُ**" مَوْجُودٌ وَحَاصِل هُنَا وَلَمَّا حَصَلتْ لهَذه الكَمَالاَت الظَّاهرَة التي هِيَ تَفْصيل إجْمَال حَضْرَة الذَّات ـــ تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ ـــ نسْبَة مَجْهُولة الكَيْفيَّة بحَضْرَة الإجْمَال وَتَيَسَّر لَهَا اتِّصَال بلاَ كَيْفَ وَصَارَتْ مرْآةً لحَضْرَة الإجْمَال ظَهَرَ في حَضْرَة الإجْمَال التَّفْصيل أَيْضًا بالضَّرُورَة بمُجَرَّد الاعْتبَار وَبمَحْضِ التَّوَهُّمِ وَصَارَ سَبَبًا لعُرُوجٍ: "**أَنَا**" العَارِف وَهَذَا الكَمَال مَرْبُوط بمَقَامٍ أَوْ أَدْنَى (ع):

بَلغَ اليَرَاع إلى هُنَا فَتَكَسَّرَا

وَهَذَا هُوَ بَيَان نهَايَة النِّهَايَة وَغَايَة الغَايَة الذي فَهْمُهُ بَعيدٌ عَنْ إدْرَاك الخَوَاصِّ بمَرَاحل، فَمَاذَا تَقُول منَ العَوَامِّ ؟! وَالذي اهْتَدَى إلى هَذه الدَّوْلة وَالمَعْرفَة منْ أَخَصِّ الخَوَاصّ أَيْضًا أَقَل قَليل (شعْر):

وَإذَا أَتَى بَابَ العَجُوز خَلِيفَةٌ ... إيَّاكَ يَا صَاحِ وَنَتْفَ سبَالكَا

وَهَذه النِّهَايَة باعْتبَارِ الظُّهُورَات وَالتَّجليَات لاَ يَتَصَوَّرُ بَعْدَ ذَلكَ تَجل وَلاَ ظُهُور (شعْر):

وَمنْ بَعْد هَذَا مَا يَدقُّ صفَاته ... وَمَا كَتْمُهُ أَحْظَى لَدَيَّ وَأَجْمَل

{وَالسَّلاَم عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهدىٰ} وَالتزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى آله وَعَلى جَميعِ الأَنْبيَاء وَالمُرْسَلينَ، وَعَلى آل كَل وَالمَلاَئكَة المُقَرَّبينَ منَ الصَّلَوَات أُتمُّهَا وَأَوْلاَهَا وَمنَ التَّسْليمَات أَكْمَلهَا وَأَعْلاَهَا وَمنَ التَّجليَات أَدْوَمُهَا وَأَبْقَاهَا، وَمنَ البَرَكَات أَعَمُّهَا وَأَشْمَلهَا.

المَكْتُوبُ الحَادِي وَالثَّلاثَمِائَة
إلى مَوْلانَا أَمَان الله
في بَيَان قُرْبَ النُّبُوَّة وَقُرْبَ الولايَة وَالطُّرُق المُوصِّلة إلى قُرْبِ النُّبُوَّة

بَعْدَ الحَمْد وَالصَّلوَات:

لِيَعْلَمْ وَلَدي أَمَانُ الله أَنَّ النُّبُوَّةَ عِبَارَةٌ عَنِ القُرْب الإلهيِّ ــ جَل سُلطَانه ــ الذي لَيْسَ فيه شَائبَة الظِّلِّيَّة وَعُرُوجُهُ نَاظرٌ وَمُتَوجِّهٌ إلى الحَقِّ وَنُزُولهُ إلى الخُلق، وَهَذَا القُرْب نَصِيبَ الأَنْبِيَاء ــ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم ــ بالأَصَالة، وَهَذَا المَنْصب مَخْصُوص بِهَؤُلاَءِ الأَكَابر ــ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ ــ وَخَاتَم هَذَا النَّصْب سَيِّدُ البَشَر ﷺ وَيَكُونُ عِيسَى ــ عَلَيْه السَّلاَمُ ــ بَعْدَ نُزُوله تَابعًا لشَرِيعَة خَاتَمِ الرُّسُل.

غَايَةُ مَا في البَاب: أَن للأَتْبَاعِ وَالخُدَّام نَصيبًا مِنْ دَوْلَة المَتْبُوعِينَ وَالمَخَادِيم وَحصَّتهِمْ فَيَكُونُ لكُمَّل الأَتْبَاع أَيْضًا نَصِيبٌ مِنْ قُرْب الأَنْبِيَاء ــ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم ــ وَيَكُونُ مِنْ عُلومٍ ذَلكَ المَقَام وَمَعَارفه كَمَالاَته أَيْضًا نُصيبُ لَهُمْ بِطَرِيق الوِرَاثَة (ع):

وَللأَرْض منْ كَأْس الكرَام نُصيبُ

فَحُصُول كَمَالاَت النُّبُوَّة للأَتْبَاعِ بطَرِيق التَّبعِيَّة وَالورَاثَة بَعْدَ بعْثَة خَاتَمِ الرُّسُل ــ عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم ــ لَيْسَ بِمُنَافٍ لِخَاتميَّته ﷺ **{فَلاَ تَكُنْ مِنَ المُمْتَرِينَ}**.

اعْلَمْ ــ أَسْعَدَكَ اللهُ ــ: أَنَّ الطَّرِيقَ المُوصل إلى كَمَالاَت النُّبُوَّة اثْنَان:

طَرِيق مَرْبُوط بطَيِّ كَمَالاَت مَقَام الوِلاَيَة مُفصَّلة، وَمَنُوطٌ بحُصُول التَّجلِيَات الظِّلِّيَّة وَالمَعَارِف السُّكْرِيَّة التي هِيَ مُنَاسبَةٌ بقُرْب الوِلاَيَة وَبَعْدَ طَيٍّ هَذه الكَمَالاَت وَحُصُول التَّجلِيَات بوَضْعِ القَدَمِ فِي كَمَالاَت النُّبُوَّة وَفِي هَذَا المَقَامِ وُصُول بالأَصْل وَالالتفَات إلى الظِّل ذَنْب.

وَالطَّرِيق الثَّاني: هُوَ الذي يَتَيَسَّرُ فيه الوُصُول إلى كَمَالاَت النُّبُوَّة بدُون تَوَسُّط حُصُول كَمَالاَت الوِلاَيَة وَهَذَا الطَّرِيق الثَّاني طَرِيقٌ سُلطَانِيٌّ وَأَقْرَبُ إلى الوُصُول، وَكُل مَنْ وَصَل إلى كَمَالاَت النُّبُوَّة ــ إلاَّ شَاءَ اللهُ ــ وَصَل مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ العِظَامِ وَالصَّحَابَة الكِرَامِ بِتَبَعِيَّتهِمْ وَورَاثَتهِمْ.

وَالطَّرِيقُ الأَوَّل بعيدٌ وَطَويل وَعَسيرُ الحُصُول وَمُتَعَذِّرُ الوُصُول وَقَدْ تَخَيَّل طَائفَةٌ منَ الأَوْليَاء في مَقَام الولاَيَة الذينَ تَشرَّفُوا بشَرَف النُّزُول أَنَّ الكَمَالاَت التي تَتعَلقُ بمَقَام النُّزُول هيَ كَمالاَتُ النُّبُوَّة، وَظَنُّوا التَّوَجُّه إلى الخُلق الذي هُوَ مُنَاسبٌ لمَقَام الدَّعْوَة أَنَّهُ منْ خَصَائص مَقَام النُّبوَّة وَليْسَ كَذَلكَ، بَل هَذَا النُّزُول كَالعُرُوج منْ مَقَام الولاَيَة وَفَوْق مَقَام الولاَيَة عُرُوج وَنُزُول غَيْر ذَيْنكَ يَتَعَلقَان بالنُّبوَّة، وَهَذَا التَّوَجُّه إلى الخَلق غَيْر ذَاكَ التَّوَجُّه إلى الخَلق الذي هُوَ مُنَاسبٌ لمَقَام النُّبوَّة، وَهَذه الدَّعْوَة غَيْر تلكَ الدَّعْوَة التي عَدُّوهَا منْ كَمَالاَت النُّبوَّة وَمَاذَا يَصنَعُونَ فَإنَّهُمْ لَمْ يَضعُوا أَقْدَامَهُمْ في خَارج دَائرَة الولاَيَة وَلَمْ يُدْركُوا حَقيقَة كَمَالاَت النُّبُوَّة وَظَنُّوا نصْف الولاَيَة الذي هُوَ جَانبٌ العُرُوج تَمَام الولاَيَة وَزَعَمُوا نصْفهَا الآخر الذي هُوَ جَانبٌ النُّزُول مَقَام النُّبوَّة، (شعْر):

وَليْسَ لشَيْء كَامنٍ جَوْفَ صَخْرَة   سوَاهَا سَموَاتٌ لدَيْه وَلاَ أَرْضُ

وَيُمْكنُ أَنْ يَتَيسَّرَ الوُصُول لشَخْص بالطَّريق الأَوَّل وَيَجْمَعَ كَمَالاَت الولاَيَة وَالنُّبوَّة المُفصَّلة وَيَحْصُل لهُ تَمْييزُ مَا بَيْنَ كَمَالاَت هَذَيْن المَقَامَيْن كَمَا يَنْبَغي، وَيَفْرُقُ بَيْنَ عُرُوج كُل منْهُمَا وَنُزُولهمَا وَيَحْكُمُ أَنَّ نُبُوَّةَ نَبيٍّ أَفضَل منْ ولاَيَته.

يَنْبَغــي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ كَمَالاَت مَقَام الولاَيَة المُفصَّلة وَإنْ لَمْ تَكُنْ حَاصلة بَعْدَ الوُصُول بالطَّريق الثَّاني وَلكنْ زُبْدَةَ الولاَيَة وَخُلاَصَتهَا مُيسَّرَةٌ بأَحْسَن الوُجُوه بحَيْثُ يُمْكنُ أَنْ يُقَال: إنَّ أَهْل الولاَيَة حَصَّلوا منْ كَمَالاَت الولاَيَة قشْرهَا، وَهَذَا الوَاصل حَازَ لُبَّهَا.

نَعَــــمْ: إنَّ هَذَا الوَاصل قَليل النَّصيب منْ بَعْض العُلوم السُّكْريَّة وَالظُّهُورَات الظِّليَّة التي حَاصلة لأَرْبَاب الولاَيَة، وَهَذَا المَعْنَى ليْسَ بمُوجب للمَزيَّة، بَل هَذه العُلوم وَالظُّهُورَات عَيْبٌ وَعَارٌ عَلى ذَلكَ الوَاصل، بَل تَليقُ بأَنْ تَعُدَّهَا ذَنْبًا وَسُوءَ أَدَب، نعَمَ: إنَّ وَاصل الأَصْل مُنْقَبضٌ وَمُسْتَغْفرٌ منْ ظلال ذَلكَ الأَصْل وَالتَّعلق بالظِّل إنَّمَا هُوَ حين عَدَمُ الوُصُول إلى أَصْل ذَلكَ الظِّل، وَالتَّعلق به بَعْدَ الوُصُول إلى أَصْله منْ عدَم الحَاصل وَالتَّوَجُّه إليْه سُوء الأَدَب.

أَيُّهَا الوَلَدُ: إنَّ حُصُول كَمَالاَت النُّبَوَّة مَرْبُوطٌ بمَوْهبَة مَحْضَة وَمَنُوطٌ بتَكْرمَة صرْفَة لاَ مَدْخَل للتَّمَحُّل وَتَجَشُّم الكَسْب فيه أَصْلاً، أَيُّ عَمَل وَأَيُّ كَسْب يَكُونُ مُنْتجًا لهَذه الدَّوْلة العُظْمَى وَأَيُّ ريَاضَة وَأَيَّةُ مُجَاهَدَة تَكُونُ مُثْمرَةً لهَذه النِّعْمَة

الأَسْنَى، بخلاَف كَمَالاَت الولاَيَة؛ فَإنَّ مَباديها وَمُقَدِّمَاتها كَسْبيَّة وَحُصُولها مَرْبُوط بالرِّيَاضَة وَالمُجَاهَدَة وَإنْ جَازَ أَنْ يَكُونَ بَعْض الأَشْخَاص مُشَرَّفًا بهَذه الدَّوْلة أَيْضًا منْ غَيْر تَجَشُّم كَسْب وَمُبَاشَرَة عَمَل، وَالفَنَاء وَالبَقَاء اللذَان الولاَيَةُ عبَارَةٌ عَنْهُمَا أَيْضًا منَ المَوْهبَة يَشْرُفُ بهمَا بَعْدَ كَسْب المُقَدّمَات بالفَضْل وَالكَرَم كُل مَنْ أُريدَ لَه ذَلكَ، وَريَاضَاتُ رَسُول الله ﷺ وَمُجَاهَدَاتُهُ قَبْل البَعْثَة وَبُعْدهَا لَمْ تَكُنْ لتَحْصيل هَذه الدَّوْلة، بَل كَانَ المَنْظُورُ مَنَافعَ وَفَوَائدَ أُخَرُ مثْل قلة الحسَاب وَكَفَّارَة الزّلاّت البَشَريَّة وَارْتفَاع الدَّرَجَات وَمُرَاعَاة صُحْبَة المَلك المُرْسَل الذي هُوَ بَريء منَ الأَكْل وَالشُّرْب وَكَثْرَة ظُهُور الخَوَارق المُنَاسبَة لمَقَام النُّبوَّة.

يَنْبَغي أَنْ يُعْلَم: أَنَّ حُصُول هَذه المَوْهبَة في حَقِّ الأَنْبيَاء ــ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ ــ بلاَ تَوَسُّط وَفي حَقِّ أَصْحَابهمُ الذينَ تَشَرَّفُوا بهَذه الدَّوْلة بالتَّبَعيَّة وَالوراثَة إنَّمَا هُوَ بتَوَسُّط الأَنْبيَاء ــ عَلَيْهمُ السَّلاَمُ ــ وَبَعْدَ الأَنْبيَاء وَأَصْحَابهمْ قَل مَنْ تَشَرَّفَ بهَذه الدَّوْلة وَإنْ كَانَ تَشَرُّفُهُمْ بهَا جَائزًا، (شعْر):

لَوْ جَاءَ منْ فَيْض رُوح القُدْس منْ مَدَد ... غَيْر المَسيح ليَصْنَعُ مثْل مَا صَنَعَا

وَأَظُنُّ أَنَّ هَذه الدَّوْلَةَ أَلقَتْ الظِّل في كبَار التَّابعينَ وَأَكَابر تَبع التَّابعينَ أَيْضًا ثُمَّ أَسْتَتَرَتْ بَعْدَ ذَلكَ حَتَّى إذَا بَلَغَتْ النَّوْبَةُ الأَلفَ الثَّاني منْ بعْثَته عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم بَرَزَتْ هَذه الدَّوْلةُ في هَذَا الوَقْت أَيْضًا بالتَّبَعيَّة وَالوراثَة وَجَعَلَتْ الآخرَ مُشَابهًا بالأَوَّل (شعْر):

فَإذَا أَتَى بَابَ العَجُوز خَليفَة ... إيَّاكَ يَا صَاحَ وَنَتفَ سبالكا

﴿ وَالسَّلاَم عَلَى مَن اتَّبعَ الهُدَى ﴾ وَالتزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلَى آله أَتَمّ الصَّلَوَات وَأَكْمَل التَّحيَّات.

المَكْتُوب الثَّانِي وَالثَّلاَثمائَة
إِلى المَخْدُوم زاده جَامِعِ العُلوم الظَّاهِرِيَّةِ وَالبَاطِنِيَّةِ مَجْدِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ مَعْصُوم سَلمَهُ الله تَعَالَى
فِي بَيَانِ فِرَق الولاَيَةِ الثَّلاَثِ وَأَنَّ النُّبُوَّةَ أَفضَل مِنَ الولاَيَةِ وبَعْض خصَائِص مَقَام النُّبُوَّة وَمَا يُنَاسِبُ ذلكَ

اعْلَمْ ـ أَرْشَدَكَ اللَّهُ تَعَالَى ـ: أَنَّ الوِلاَيَةَ عِبَارَةٌ عَنْ قُرْبٍ إِلهِيٍّ لاَ يُتَصَوَّرُ بِلاَ شَائِبَةِ الظِّليَّة وَلاَ يَحْصُل بِدُون حَيْلولة الحُجُبِ فَإِنْ كَانَتْ وِلاَيَة الأَوْلِيَاءِ فَمُتَّسِمَة بسِمَة الظِّليَّة أَلْبَتَّة ووِلاَيَةِ الأَنْبِيَاءِ وَإِنْ كَانَتْ خَارِجَة عَن الظِّلَّةِ وَلَكِنَّهَا غَيْرُ مُتَحَقِّقَة بدُونِ حَيْلُولة حُجُبِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَوِلاَيَة المَلاَ الأَعْلَى وَإِنْ كَانَتْ فَوْقَ حَجْبِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَلَكِنَّهَا الأَبَدُ لهَا مِنْ حُجُبِ الشُّئُونِ وَالاعْتِبَارَاتِ وَالتي لَمْ يَتَطَرَّقْ عَلَيْهَا شَائبَة الظِّليَّة وَتَركَتْ حُجُب الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ فِي الطَّرِيقِ إِنَّمَا هِيَ النُّبُوَّةُ وَالرِّسَالَة فَتَكُونُ النُّبُوَّة أَفْضَل مِنَ الوَلاَيَةِ بِالضَّرُورَةِ وَيَكُونُ قُرْبُ النُّبُوَّةِ ذَاتِيًّا وَأَصْلِيًّا، وَمَنْ لَمْ يطَّلعْ عَلى حَقِيقَتهِمَا حَكَمَ بِالعَكْسِ وَجَزَمَ بِالقَلبِ، فَيَكُونُ الوُصُول فِي مَرْتَبَةِ النُّبُوَّةِ وَالحُصُول فِي مَقَامِ الوِلاَيَةِ؛ فَإِنَّ الحُصُول لاَ يُتَصَوَّرُ بِدُون مُلاَحَظَة الظِّليَّة بِخِلافِ الوُصُول.

وَأَيْضًا: إِنَّ فِي كَمَال الحُصُول رَفْعَ الاثْنينيَّة، وَفِي كَمَال الوُصُول بَقَاءَ الاثْنَيْنِيَّة؛ فَرَفْعُ الاثْنَيْنِيَّة يَكُونُ مُنَاسِبًا لمَقَامِ الوِلاَيَةِ، وَبَقَاء الاثْنَيْنِيَّة مُلاَئِمًا لمَرْتَبَةِ النُّبُوَّةِ، فَإِذَا كَانَ رَفْعُ الاثْنَيْنِيَّة مُنَاسِبًا لمَقَام الوِلاَية يَكُونُ السُّكرُ فِي جَمِيعِ الوقْت لازِمًا لِمَقَامِ الوِلاَيَةِ بِالضَّرُورَةِ وَحَيْثُ كَانَ مَرْتَبَة النُّبُوَّة بَقَاء الاثْنَيْنِيَّة يَكُونُ الصَّحْوُ مِنْ خَوَاصِّ تِلكَ المَرْتَبَةِ.

وَأَيْضًا: إِنَّ حُصُول التَّجَلِّيَاتِ سَوَاءَ كَانَ فِي كُسْوَة الصوَر وَالأَشْكَال أَوْ فِي حُجُب الأَلوَان وَالأَنْوَارِ كُله فِي مَقَامَاتِ الوِلاَيَةِ وفِي طَيِّ مُقَدِّمَاتِهَا وَمَبَادِيهَا بِخِلاَفِ مَرْتَبَةِ النُّبُوَّة؛ فَإِنَّ فِي ذَلكَ المَوْطِنِ وُصُولاً إِلى الأَصْل وَاسْتِغْنَاء عَنِ التَّجليَاتِ وَالظُّهورَات التِي كُلهَا ظِلال ذَلكَ الأَصْل، وَكَذَلكَ الاحْتِيَاج إِلى تِلك

التَّجلِّيات وَقْتَ طَيِّ مُقَدِّمَات تلكَ المَرْتَبَة وَمَبَاديهَا إلاَّ أَنْ يَقَعَ العُرُوج مِنْ طَرِيقِ الوِلاَيَة فَحِينَئِذ حُصُول تلكَ التَّجَلِّيَات بِوَاسِطَةِ الوِلاَيَةِ لاَ بِوَاسِطَة طَيٍّ مَسَافَة طَرِيقِ الوُصُول إلى كَمَالاَت النُّبُوَّة.

وَبالجُمْلَـــــة: إنَّ التَّجَلِّيَات وَالظُّهُورَات تُنْبِئُ عَنِ الظِّلاَل، وَالذي تَخَلصَ عَنِ التَّعَلقِ بِالظِّلاَل تَخَلصَ عَنِ التَّجَلِّيَاتِ يَنْبَغِي أَنْ يَطْلبَ سرَّ: ﴿ مَا زَاغَ البَصَرُ ﴾ مِنْ هَهُنَا.

أَيُّهَـــــا الوَلَـــــدُ: إنَّ اضْطِرَاب العشْق وَطَنْطَنَةَ المَحَبَّة وَالنِّيَاحَ المُهَيِّجَةَ للشَّوْقِ وَالصِّيَاح المُمْتَزِجَة بالتَّأَلم وَالذَّوْق وَالوَجْد وَالرَّقْص ــ: كُلهَا فِي مَقَامَات الظِّلاَل وَفِي أَوَان الظُّهُورَات وَالتَّجَليَات الظِّلِّيَّة وَبَعْدَ الوُصُول إلى الأَصْل لاَ يُتَصَوَّرُ حُصُول هَذه الأُمُور، وَالمَحَبَّةَ فِي ذَلكَ المَوْطنِ بمَعْنَى إرَادَة الطَّاعَة كَمَا قَال العُلمَاء لاَ إنَّهَا مَعْنًى زَائدٌ عَليْهَا مَنْشَأٌ للشَّوْق وَالذَّوْق كَمَا ظَنَّ بَعْضَ الصُّوفِيَّة.

اسْمَـــعْ أَيُّهَـــا الوَلَـــدُ: وَحَيْثُ كَانَ رَفْع الإثْنَينيَّة مَطْلوبًا فِي مَقَام الوِلاَيَة يَسْعَى الأَوْلِيَاءُ فِي إزَالة الإرَادَة بِالضَّرُورَة؛ قَال الشَّيْخ البسطام: "**أُرِيدُ أَنْ لاَ أُرِيدُ**"، وَحَيْثُ كَانَ رَفْعُ الإثْنينيَّة غَيْرَ مَنْظُور فِي مَرْتَبَة النُّبُوَّة لمْ يَكُنْ زَوَال نَفْسِ الإدَارَة مَطْلوبًا وَكَيْفَ يَكُونُ مَطْلوبًا؛ فَإنَّ الإرَادَةَ صِفَة كَامِلة فِي حَدِّ ذَاتهَا فَإنْ تَطرَّقَ النَّقصُ إليْهَا فَإنَّمَا هُوَ بوَاسطَة خُبْث مُتَعَلقَاتهَا؛ فَيَنْبَغي أَنْ لاَ يَكُونَ مُتَعَلقُهَا أَمْرًا خَبيثًا وَغَيْرَ مَرْضِيٍّ، بَل يَكُونَ جَمِيعَ المُرَادَات مَرْضِيَّ الحَقِّ سُبْحَانَهُ، وَكَذَلكَ يَجْتَهدُونَ فِي مَقَامِ الوِلاَيَة فِي نَفْيِ جَمِيعِ الصِّفَات البَشَرِيَّة، وَالمَطْلوب فِي مَرْتَبَة النُّبُوَّة نَفْيُ المُتَعَلقَات السُّوء لهَذه الصِّفَات لاَ نَفْيُ أَصْل هَذه الصِّفَات؛ فَإنَّهَا كَامِلة فِي حَدِّ ذَاتهَا؛ مَثلاً: إنَّ صِفَةَ العِلمِ مِنَ الصِّفَات الكَامِلة فَإنْ تَطرَّقَ إليْهَا نَقْصٌ فَإنَّمَا هُوَ مِنْ جهَة سُوء مُتَعَلقهَا فَكَانَ الضَّرُورِيُّ نَفْيَ سُوء المُتَعَلقِ لاَ نَفْيَ أَصْلهَا، وَعَلى هَذَا القِيَاسِ: فَالذي وَصَل إلى مَقَام النُّبُوَّة مِنْ طَرِيقِ الوِلاَيَة لاَبُد لهُ مِنْ نَفْي أَصْل الصِّفَات فِي أَثْنَاء الطَّرِيق، وَالذي وَصَل إليْه بدُون تَوَسُّط الوِلاَيَة لاَ حَاجَةَ لهُ إلى نَفْي أَصْل الصِّفَات، بَل يَنْبَغِي لهُ نَفْيُ المُتَعَلقَات السُّوء لهَذه الصِّفَات.

يَنْبَغِـــي أَنْ يُعْلمَ: أَنَّ المُرَادَ بهَذه الوِلاَيَة المَذْكُورَة الوِلاَيَةُ الظِّلِّيَّةُ الَّتي يُعَبَّرُ عَنْهَا بالوِلاَيَة الصُّغْرَى وَوِلاَيَة الأَوْلِيَاء، وَأَمَّا وِلاَيَةُ الأَنْبِيَاء التي جَاوَزَتْ الظِّل فَهِيَ غَيْرُهَا وَالمَطْلوب فِيهَا نَفْيُ المُتَعَلقَات السُّوء للصِّفَات البَشَرِيَّة لاَ نَفْيُ أَصْل تلكَ الصِّفَات، فَإذَا حَصَل نَفْيُ المُتَعَلقَات السُّوء للصِّفَات حَصَلتْ وِلاَيَةُ الأَنْبِيَاء ــ

عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم ـــ فَإنْ وَقَعَ العُرُوجُ بَعْدَ ذَلكَ يَكُونُ مُتَعلقًا بكَمَالاَت النُّبوَّة فَلاَح منْ هَذَا البَيَان أَنَّهُ لاَبد للنُّبوَّة منْ أَصْل الولاَيَة؛ فَإنَّ الولاَيَةَ منْ مَبَاديهَا وَمُقَدّمَاتهَا، وَأَمَّا الولاَيَةُ الظّلّيَّة فَلاَ حَاجَةَ إلَيْهَا في الوُصُول إلى كَمَالاَت النُّبوَّة، بَل تَتَّفقُ للبعْض وَلاَ يَقَعُ العُبُور عَلَيْهَا للبَعْض الآخر فَإنَّهُمْ وَلاَ شَكَّ أَنَّ نَفْيَ أَصْل الصّفَات مُتَعَسّر بالنّسْبَة إلى مُتَعلقَاتها السُّوء فَيَكُونُ حُصُول كَمَالاَت النُّبوَّة أَهْوَنُ وَأَيسَرُ وَأَقْرَبُ بالنّسْبَة إلى حُصُول كَمَالاَت الولاَيَة، وَهَذَا التَّفَاوُت بالسَّيْر وَالقُرْب جَار في كُل أَمْر لهُ وَصُول إلى الأَصْل بالنّسْبَة إلى أُمُور مُفَارقَة للأَصْل؛ أَلاَ تَرَى أَنَّ كيمْيَاءَ الأَصْل مُيَسَّر بسُهُولة العَمَل وَحَاصل بأَقْرَب الطُّرُق، وَالذي فَارَقَ أَصْلَهُ في محْنَة وَتَعبَ بحَيْثُ يَفْنَى عُمْرُهُ في تَحْصيله وَمَعَ ذَلكَ لاَ حَاصل لهُ غَيْر الحرْمَان وَمَا حَصَّلَهُ بَعْد اللتيا واللتي لهُ شباهة بالأَصْل وَكَثيرًا مَا تَزُول عَنْهُ تلكَ الشَّبَاهَةُ العَارضَة وَيَعُود إلى أَصْله وَيَؤُول إلى الدَّنَاءَة وَالخَبَاثَة بخلاَف أَصْل أَصْله فَإنَّهُ مَعَ وُجُود سُهُولة العَمَل وَقُرْب الطَّريق أَمين منْ خَوْف الزُّيُوفَة وَالخَبَاثَة.

وَلَما وَصَل جَمَاعَةٌ منْ سُلاَّك هَذَا الطَّريق بالرّيَاضَة الشَّاقَّة وَالمُجَاهدَة الشَّديدَة إلى ظل منَ الظّلال ظَنُّوا أَنَّ الوُصُول إلى المَطْلَب مَنُوطٌ بالرّيَاضَات الشَّاقَّة وَالمُجَاهَدَات الشَّديدَة، وَلم يَعْلمُوا أَنَّ لهُ طَريقًا آخرَ أَقْرَب منْ هَذَا الطَّريق وَمُوصل إلى نهَايَة النّهَايَة وَهُوَ طَريق الاجْتبَاء الذي هُوَ مَنُوطٌ بمُجَرَّد الفَضْل وَالكَرَم وَالطَّريق الذي اخْتَارَهُ هَؤُلاَء الجَمَاعَةَ هُوَ طَريق الإنَابَة مَرْبُوط بالمُجَاهدَة وَالوَاصلون منْ هَذَا الطَّريق أَقَل قَليل وَالوَاصلونَ منْ طَريق الاجْتبَاء جَمٌّ غَفيرٌ، الأَنْبيَاء ـــ عَلَيْهم السلام ـــ كُلهمْ سَارُوا عَلى طَريق الاجْتبَاء وَأَصْحَابهمْ ـــ رضْوَان الله عَلَيْهمْ أَجْمَعينَ ـــ أَيْضًا وَصَلوا منْ طَريق الاجْتبَاء بالتَّبَعيَّة وَالورَاثَة وَريَاضَات أَرْبَاب الاجْتبَاء إنَّمَا هيَ لأَدَاء شُكْر نعْمَة الوُصُول؛ قَال ـــ عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ـــ في جَوَاب السَّائل عَنْ وَجْه ريَاضَاته الشَّديدَة مَعَ كَوْن ذُنُوبه المُتَقدّمَة وَالمُتَأَخّرَة مَغْفُورَة **"أَفَلاَ أَكُونُ عبداً شكوراً"** وَمُجَاهدَات أَهْل الإنَابَة لأَجْل حُصُول الوُصُول شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا وَطَريق الاجْتبَاء الحَمْل وَالجَذْب عَلى الطَّريق، وَطَريق الإنَابَة السَّيْر عَلى الطَّريق وَبَيْنَ الجَذْب وَالسَّيْر فَوْقٌ عَظيمٌ يَجْذبُ سَريعًا وَيُوَصّل به بَعيدًا، وَالسَّائر يَسيرُ بَطيئًا، وَرُبَّمَا يَبْقَى في الطَّريق؛قَال حَضْرَة الخواجهْ بَهَاء الدّين النَّقْشَبَنْديُّ ـــ قُدّسَ سرُّهُ ـــ: **"نَحْنُ المُفَضّلونَ"**، نَعمَ: لوْلاَ الفَضْل كَيْفَ يُمْكنُ أَنْ تَكُونَ نهَايَة

غَيْرِهِمْ مُنْدَرِجَة فِي بِدَايَتِهِمْ ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾.

وَلْنَرْجِعْ إِلى أَصْلِ الكَلاَمِ وَنَقُول: إِنَّ هَذَا الفَقِيرَ قَدْ كَتَبَ فِيمَا كَتَبَ إِلى شَيْخِهِ المُعَظَّمِ مِنَ العَرَائِضِ أَنَّهُ قَد ارْتَفَعَتْ جَمِيع المُرَادَاتِ، وَلَكِنَّ نَفْسَ الإِرَادَةِ بَاقِيَةٌ عَلى حَالِهَا، ثُمَّ كَتَبَ بَعْدَ مُدَّةٍ: أَنَّ الإِرَادَةَ أَيْضًا صَارَتْ مُرْتَفِعَةً مِثْلَ المُرَادَاتِ، وَلَما شَرَّفَهُ الحَقّ سُبْحَانَهُ بِورَاثَةِ الأَنْبِيَاء ـ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ـ عَلِمَ أَنَّهُ كَانَ ارْتِفَاعُ المُتَعَلقِ بِالسُّوءِ لِتِلْكَ الإِرَادَةِ وَزَوَالِهِ لاَ ارْتِفَاعَ نَفْسِ الإِرَادَةِ فَإِنَّهُ لاَ يَلزَمُ ارْتِفَاع المُتَعَلقِ بِالسّوء لِتِلكَ الإِرَادَة وَزَوَاله لارْتِفاع نفْس الإِرَادَة فإِنّهُ لا يَلزَم ارْتِفَاع أَصْل الإِرادَة فِي حُصُول ارْتِفَاع المتَعلق السُّوءَ عَلى الوَجْهِ الأَتَمِّ وَالأَكْمَلِ بَل الشَّيْء كَثِيرًا مَا يَتَيَسَّرُ بِمُجَرَّدِ الفَضْل وَلاَ يَتَيَسَّرُ عَشر عُشَيْرِهِ بِالتَّعَمُّلِ وَالتَّكلفِ.

أَيُّهَا الوَلَدُ: يَنْبَغِي فِي مَقَام الوِلاَيَةِ اليَأْسُ وَالإِعْرَاضُ الكُليُّ عَنِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَنْ يُعَدَّ التَّعَلقُ بِالآخِرَةِ كَالتَّعَلقِ بِالدُّنْيَا، وَأَنْ يَرى شَوْق الآخِرَةِ كَشَوْق الدُّنْيَا غَيْر مَحْمُودَةٍ؛ قَال الإِمَام دَاوُد الطَّائِيّ: «**إِنْ أَرَدْتَ السَّلاَمَةَ سَلِّمْ عَلى الدُّنْيَا، وَإِنْ أَرَدْتَ الكَرَامَةَ كَبِّرْ عَلى الآخِرَةِ**».

وَقَالَ غَيْره مِنْ هَذِه الطَّائِفَةِ: «إِنَّ فِي قَوْلِه تَعَالى: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةِ﴾ الآيَة شِكَايَةٌ مِنَ الفَرِيقَيْنِ.

وَبِالْجُمْلَةِ: إِنَّ الفَنَاءَ الذِي هُوَ عِبَارَة عَنْ نِسْيَان مَا سوَى الحَقِّ سُبْحَانَهُ شَامِل للدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَالفَنَاءِ وَالبَقَاءِ كِلاَهُمَا مِنْ أَجْزَاءِ الوِلاَيَةِ فَلاَ بُدَّ إِذاً فِي الوِلاَيةِ مِنْ نِسْيَانِ الآخِرَةِ، وَالتَّعلق بِالآخِرَةِ إِنَّمَا هُوَ مَحْمُودٌ فِي كَمالاَت النُّبُوَّةِ وَشَوْق الآخِرَةِ إِنَّمَا هُوَ مَرْضِيٌّ فِيهَا، بَل الشَّوْق وَالخَوْف فِي ذَلكَ المَوْطِنِ هُوَ شَوْقُ الآخِرَة وَخَوْف والتَّعَلقُ بالآخِرَةِ قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خوفاً وطمعاً﴾، وَقَوْله تَعَالى: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ عَذَابه﴾، وَقَوْله تَعَالَى: ﴿وَالذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالغَيْبِ وَالذِينَ هُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ أَوْصَاف أَرْبَابِ هَذَا المَقَامُ بُكَاؤُهُمْ وَأَنِينُهُمْ مَنْ تَذَكَّرَ أَحْوَال الآخِرَةِ وَحُزْنهمْ مِنْ خَوْفَ أَهْوَال يَوْمَ القِيامَةِ، يَسْتَعِيذُونَ مِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ عَلى الدَّوَام، وَيَخَافُونَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، ويلْتَجؤن مِنْهُ إِلى المَلك الجَبَّارِ بِالتَّضَرُّعِ التَّامِّ، شَوْق الحَقّ جَل وَعَلاَ عِنْدَهُمْ هُمْ شَوْقَ الآخِرَة، وَمَحَبَّتهمْ مَحَبَّة الآخِرَةِ؛ فَإِنَّ اللقَاءَ مَوْعِد فِي الآخِرَةِ وَكَمَال الرِّضَا أَيْضًا مَوْقُوف عَلى الآخِرَةِ الدُّنْيا مَبْغُوضَة الحَقّ وَعَلاَ وَالآخِرَة مَرْضِيَّتُهُ وَلاَ يُمْكِنُ جَعْلِ المَرْضِيَّة مُسَاوِيَة للمَبْغُوضَةِ فِي وَقْتٍ مِنَ الأَوْقَاتِ؛ فَإِنَّ المَبْغُوضَةَ مستحقة لِلإِعْرَاضِ وَالمَرْضِيَّةُ

مُسْتحقَّة للإقْبَال، وَالإعْرَاضُ عَنِ المَرْضيَّة عَيْنُ السُّكْرِ وَخلاَف مَدْعُوِّه تَعَالى المَرْضِيِّ؛ وَقَوْله تَعَالى: {وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ} شَاهِدٌ لِهَذَا المَعْنَى، وَاللهُ سُبْحَانَهُ يُرَغِّبُ فِي الآخرَة بالمُبَالغَة وَالتَّأْكيد فَالإعْرَاضُ عَنِ الآخرَة مُعَارَضَة الحَقِّ سُبْحَانَهُ فِي الحَقِيقَة وَسَعْيٌ فِي رَفْعِ مَرْضيِّه، وَحَيْثُ كَانَ لِدَاوُدَ الطَّائِيِّ قَدَم رَاسِخ فِي الوِلاَيَة قَال مَعَ جَلالَة شَأْنه فِي حَقِّ تُرْك الآخرَة إنَّهُ كَرَامَةٌ، أَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ الأَصْحَاب الكِرَامَ عَلَيْهِمُ الرِّضْوَانُ ــ كُلهمْ كَانُوا مُبْتَلِينَ بفكْر الآخرَة وَخَائفينَ وَجلينَ مِنْ عَذَابِهَا، "مَرَّ عُمَرُ ﷺ بدَار إنْسَان فَسَمعَ قَارئاً يَقْرَأُ قَوْله تَعَالى: {إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ} فَسَقَطَ مِنْ سَمَاعِ هَذه الآيَة مِنْ دَابَّته عَلى الأَرْضِ مَغْشيًّا عَلَيْه فَحَمَلوهُ إِلى بَيْته فَبَقيَ مِنْ أَلَمِ ذَلكَ مَرِيضًا إِلى مُدَّة مَديدَة حَتَّى كَانَ النَّاس يَعُودُونَهُ".

نَعَــــمْ: يَتَيَسَّرُ نسْيَانُ الدُّنْيَا وَالآخرَة فِي أَوَاسط الأَحْوَال فِي مَقَام الفَنَاء وَيَرَى فيه التَّعَلقَ بالآخرَة كَالتَّعَلق بالدُّنْيَا، وَأَمَّا إذَا تَيَسَّرَ التَّشَرُّفُ بالبَقَاء وَبَلغَ الأَمْرُ نهَايَتَهُ وَأَلقَتْ كَمَالاَت النُّبُوَّة ظلهَا فَحينَئذ كَل الهَمِّ هَمُّ الآخرَة وَالاسْتعَاذَة مِنَ النَّار وَتَمَنِّي الجَنَّة لاَ مُنَاسَبَةَ لأَشْجَار الجَنَّة وَأَنْهَارهَا وَحُورهَا وَغلمَانهَا بالأَشْيَاء الدُّنْيَويَّة بَل هَؤُلاَء فِي طَرَفَي النَّقيضِ مثْل نُقَاضَة الغَضَب وَالرِّضَا، وَأَشْجَار الجَنَّة وَأَنْهَارهَا وَجَميع مَا فيهَا نَتَائج الأَعْمَال الصَّالحَة وَثَمَرَاهَا قَال رَسُول الله ﷺ: "**إِنَّ الجَنَّةَ قيعَانٌ وَإِنَّ غرَاسَهَا قَوْلك سُبْحَانَ الله وَالحَمْد لله وَلاَ إلَهَ إلاَّ الله وَالله أَكْبَرُ**".

وَقَال: "**مَنْ قَال سُبْحَانَ الله العَظيم وَبحَمْده غُرسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ في الجَنَّة**".

فَصَارَتْ شَجَرَة الجَنَّة نَتيجَة التَّسْبيح وَكَمَا أَنَّ الكَمَالاَت التَّنْزيهيَّة في هَذه الكَلمَة مُنْدَرجَة فِي كُسْوَة الحُرُوف وَالأَصْوَات، كَذَلكَ فِي الجَنَّة تُعبَّأُ تلكَ الكَمَالاَت فِي كُسْوَة الأَشْجَار.

عَلى هَذَا القيَاس: جَميع مَا فِي الجَنَّة مِنْ نَتَائجِ الأَعْمَال الصَّالحَة وَمَا انْدَرَجَ فِي ضمْنِ كُسْوَة صَلاَح قَوْليٍّ أَوْ فعْليٍّ مِنَ الكَمَالاَت الوُجُوديَّة تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ يَظْهَرُ فِي الجَنَّة فِي حُجُب اللذَّات وَالتَّنَعُّمَات فَيَكُونُ ذَلكَ التَّلَذُّذُ وَالتَّنَعُّمُ مَقْبُولاً وَمَرْضيًّا بالضَّرُورَة، وَوَسيلة للقَاء وَالوُصُول فَإنَّ كَانَتْ رَابعَةُ المسْكينَة وَاقفَة عَلى هَذَا السِّرِّ لَمَا خَطَرَ فِي قَلبهَا فكْرُ إحْرَاق الجَنَّة وَلَمَا تَرَى التَّعَلق بهَا غَيْر التَّعَلق بالحَقِّ سُبْحَانَهُ بخلاَف التَّلَذُّذ وَالتَّنَعُّم الدُّنْيَوِيِّ؛ فَإِنَّ مَنْشَأَهُ الخُبْث وَنَتيجَتُهُ الحرْمَان فِي

الآخرَة أَعَاذَنَا الله سُبْحَانَهُ منْهُ فَإِنْ كَانَ التَّلذُّذ الدُّنْيَوِيُّ مُبَاحًا شَرْعِيًّا فَالْمُحَاسَبَة أَمَامَنَا فَوَيْل أَلفَ وَيْل إِنْ لَمْ تَأْخُذ الرَّحْمَةُ الإلهيَّةُ بِأَيْدِينَا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُبَاحًا شَرْعِيًّا فَهُوَ مَوْرِد الوَعِيد الشَّدِيد: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنْ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾

فَكَيْفَ يَكُونُ لِهَذَا التَّلذُّذِ مُنَاسِبَة بِذَلِكَ التَّلذُّذِ فَإِنَّ هَذَا سُمٌّ قَاتِل وَذَاكَ تِرْيَاقٌ نَافِعٌ فَهُمْ الآخِرَة.

أَمَّا نَصِيب عَوَامِّ المُؤْمِنِينَ وَأَمَّا نَصِيب أَخَصِّ الخَوَاصِّ وَأَمَّا الخَوَاصُّ فَهُمْ يَتَبَرَّأُونَ مِنْ هَذَا الهَمِّ وَيَرَوْنَ الكَرَامَةَ فِي خلافه (ع):

وَلِلنَّاسِ فِيمَا يَعْشَقُونَ مَذَاهِب

المَكْتُوب الثَّالث وَالثَّلاثِمَائة
إِلى الحَاجِّ يُوسُف الكشميري
فِي بَيَانِ مَعَانِي كَلمَات الأَذَان

بَعْدَ الحَمْدِ وَالصَّلوَاتِ:

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ كَلِمَاتِ الأَذَانِ سَبْعَةٌ: «الله أَكْبَرُ، أَي: الله أَكْبَرُ أَنَّ يَكُونَ لهُ حَاجَةٌ إِلى عِبَادَةِ عَابِدٍ، كُرِّرَتْ هَذه الكَلِمَةُ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ لِتَأْكِيدِ هَذا المَعْنَى المُهِمِّ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، أَيْ: أَشْهَدُ أَنَّهُ مَعَ كِبْرِيَائِهِ وَاسْتِغْنَائِهِ عَنِ العِبَادَةِ لَيْسَ المُسْتَحِقُّ للعِبَادَةِ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُول اللَّهِ، أَيْ: أَشْهَدُ أَنَّهُ ـ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ـ رَسُولُه سُبْحَانَهُ وَمُبَلِّغٌ عَنْهُ تَعَالى طَرِيقَ العِبَادَةِ؛ فَلاَ تَكُونُ العِبَادَة اللاَّئِقَةِ بِجَنَاب قُدُسه تَعَالى إِلاَّ مَا هِيَ مَأْخُوذَةٌ مِنْ جِهَةِ تَبْلِيغِهِ وَرِسَالتِهِ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالتَّحِيَّةُ، حَيَّ عَلى الصَّلاَة حَيَّ عَلى الفَلاَحِ: كَلِمَتَانِ لطَلبِ المُصَلي إِلى أَدَاءِ الصَّلاَةِ المُؤَدِّيَةِ إِلى الفَلاَحِ، الله أَكْبَرُ: أَي: أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يَلِيقَ بِجَنَاب قُدُسِهِ تَعَالى عِبَادَةُ أَحَدٍ، لاَ إِلهَ إِلاَّ الله: أَي: إِنَّهُ تَعَالى لاَ مَحَالَةَ هُوَ المُسْتَحِقُّ للعِبَادَةِ وَإِنْ لَمْ تَصْدُرِ العِبَادَةُ مِنْ أَحَدٍ مَا لاَئِقَةً بَجَنَابِ قُدُسِهِ تَعَالى.

يَنْبَغِي: إِدْرَاكُ عَظَمَةِ شَأْنِ الصَّلاَةِ مِنْ عَظَمَةِ شَأْنِ هَذِهِ الكَلِمَاتِ المَوْضُوعَةِ للإِعْلاَمِ بِوَقْتِ الصَّلاَةِ (ع):

وَعَام الرُّخْص يُعْلَمُ مِنْ رَبِيع

اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ المُصَلينَ المُفْلِحينَ، بِحُرْمَةِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَتَمّ الصَّلوَاتِ وَأَكْمَل التَّحِيَّاتِ.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالثَّلاَثُمِائَة

إلى مَوْلاَنَا عَبْد الحَيِّ

في بَيَان الأَعْمَال الصَّالحَة التي نيطَ بهَا وَعَدَد دُخُول الجَنَّة في أَكْثَر الآيَات القُرْآنيَّة وَفي بَيَان أَدَاء الشُّكْر وَبَيَان بَعْض مَعَاني الصَّلاَة وَأَسْرَارهَا

بَعْدَ الحَمْد وَالصَّلوَات:

اعْلَمْ ــ أَسْعَدَكَ اللهُ تَعَالى ــ: أَنَّهُ كَانَ لي تَرَدُّدٌ منْ مُدَّة مَديدَة في أَنَّ المُرَادَ بالأَعْمَال الصَّالحَة التي جَعَل اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى وَعْدَ دُخُول الجَنَّة مَرْبُوطًا بهَا في أَكْثَر الآيَات القُرْآنيَّة هَل هُوَ جَميعُ الأَعْمَال الصَّالحَة أَوْ بَعْضهَا، فَإنْ كَانَ الجَميعُ فَذَلكَ مُتَعَسِّرٌ؛ فَإنَّهُ قَل مَنْ يَكُونُ مُوَفَّقًا لإتْيَان الجَميع، وَإنْ كَانَ البَعْضُ فَمَجْهُول غَيْرُ مُتَعَيِّنٍ فَأُفيضَ في الخَاطر أَخيرًا بمَحْض فَضْل الحَقِّ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ: لعَل المُرَادَ بتلكَ الأَعْمَال الصَّالحَة أَرْكَانُ الإسْلاَم الخَمْسَةُ التي بُنيَ الإسْلاَمُ عَلَيْهَا، فَإذَا أُدِّيَتْ هَذه الأُصُول الخَمْسَةُ عَلى وَجْه الكَمَال فَالمَرْجُوُّ أَنْ تَكُونَ النَّجَاةُ وَالفَلاَحُ نَقْدَ الوَقْت فَإنَّ هَذه الخَمْسَةَ في حَدِّ ذَاتهَا أَعْمَال صَالحَةٌ وَمَوَانعُ للسَّيِّئَات وَالمُنْكَرَات؛ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَن الفَحْشَاء وَالمُنْكَر ﴾ شَاهدٌ لهَذَا المَعْنَى وَإذَا تَيَسَّرَ إتْيَان هَذه الخَمْسَة يُرْجَى حُصُول أَدَاء الشُّكْر، فَإذَا حَصَل أَدَاءُ الشُّكْر حَصلت النَّجَاةُ منَ العَذَاب: ﴿ مَا يَفْعَل اللهُ بعَذَابكُمْ إنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ ﴾.

فَيَنْبَغي للإنْسَان أَنْ يَجْتَهدَ في إتْيَان هَذه الخَمْسَة غَايَةَ الاجْتهَاد؛ خُصُوصًا في إقَامَة الصَّلاَة التي هيَ عمَاد الدِّين، وَإنْ لاَ يَرْضَى بتَرْك أَدْنَى أَدَب منْ آدَابهَا مَهْمَا أَمْكَنَ؛ فَمَنْ أَتَمَّ الصَّلاَةَ فَقَدْ حَصَّل أَصْلاً عَظيمًا منْ أُصُول الإسْلاَم وَحَازَ وَنَال حَبْلاً مَتينًا لأَجْل الخَلاَص وَفَازَ وَاللهُ سُبْحَانَهُ المُوَفِّق.

اعْلَــــمْ: أَنَّ التَّكْبيرَة الأُولى في الصَّلاَة إشَارَة إلى اسْتغْنَائه وَكبْريَائه تَعَالى منْ عبَادَة العَابدينَ وَصَلاَة المُصَلينَ، وَسَائر التَّكْبيرَات التي بَعْدَ كُل رُكْنٍ منَ الأَرْكَان إشَارَاتٌ وَرُمُوزٌ إلى عَدَم ليَاقَة أَدَاء كُل رُكْنٍ لأَنْ يَكُونَ عبَادَةً لجَنَاب قُدُسه تَعَالى، وَحَيْثُ كَانَ مَعْنَى التَّكْبير مَلحُوظًا في تَسْبيح الرُّكُوع لَمْ يَشْرَعْ التَّكْبيرُ بَعْدَ الرُّكُوع بخلاَف السَّجْدَتَيْن؛ فَإنَّهُمَا مَعَ وُجُود التَّسْبيحَات فيهمَا شُرعَ التَّكْبيرُ في أَوَّلهمَا وَآخرهمَا وَذَلكَ لئَلاَّ يَتَوَهَّمَ أَحَدٌ أَنَّ السُّجُودَ لَمَّا كَانَ نهَايَة

الانْحطَاط وَغَايَةَ الانْخفَاض وَكَمَال التَّذَلل وَالانْكسَار قَدْ أُدِّيَ فيه حَقُّ العبَادَة وَلأَجْل دَفْع هَذَا التَّوَهُّم أَيْضًا اُخْتيرَ في تَسْبيح السُّجُود لفْظُ: "**أَعْلى**" وَسُنَّ تَكْرَارُ التَّكْبير، وَلَمَّا كَانَت الصَّلاَةُ معْرَاجَ المُؤْمن شُرعَ في آخرهَا قرَاءَةُ كَلمَات شُرِّفَ بهَا رَسُول الله ﷺ لَيْلَةَ المعْرَاج؛ فَيَنْبَغي للمُصلى أَنْ يَجْعَل صَلاَتَهُ معْرَاجَهُ، وَأَنْ يَطْلُبَ فيهَا غَايَةَ القُرْب؛ قَال ـــ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ـــ: "**أَقْرَب مَا يَكُونُ العَبْد منَ الرَّبِّ في الصَّلاَة**".

وَلَمَّا كَانَ المُصَلي مُنَاجيَ رَبِّه وَمَشَاهدَ عَظَمَته وَجَلاله حُقَّ أَنْ يَظْهَرَ فيه رُعْبٌ وَهَيْبَةٌ وَقْتَ أَدَاء الصَّلاَة فَلأَجْل تَسْليَته شُرعَ خَتْمُ الصَّلاَة بالتَّسْليمَتَيْن، وَمَا وَرَدَ عَن النَّبيِّ ﷺ منَ "التَّسْبيح وَالتَّحْميد وَالتَّكْبير وَالتَّهْليل مائَةَ مَرَّةٍ بَعْدَ أَدَاء الصَّلاَة الفَرْض" سرُّهُ في علم الفَقير أَنْ يَتَلاَفَى بالتَّسْبيح وَالتَّكْبير مَا وَقَعَ في أَدَاء الصَّلاَة منَ القُصُور وَالتَّقْصير، وَالاعْترَافُ بعَدَم ليَاقَة تلْكَ العبَادَة وَعَدَم تَماميَّتهَا، وَحَيْثُ كَانَ أَدَاءُ العبَادَة مُيَسَّرًا بتَوْفيق الله تَعَالى لزمَ أَدَاءَ شُكْر تلْكَ النِّعْمَة بالتَّحْميد وَأَنْ لاَ يَرَى مُسْتَحقَّ العبَادَة غَيْرَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى، فإذَا كَانَ أَدَاء الصَّلاَة مَقْرُونًا بالشَّرَائط وَالآدَاب وَحَصَل بَعْدَ ذَلكَ تَلاَفي التَّقْصيرَات وَشُكْرُ نعْمَة التَّوْفيق وَنَفْيُ اسْتحْقَاق العبَادَة عَنْ غَيْره تَعَالى منْ صَميم القَلب بهَذه الكَلمَات الطَّيِّبَة فَالمَرْجُوُّ أَنْ تَكُونَ هَذه الصَّلاَةُ لاَئقَةً بقَبُوله تَبَارَكَ وَتَعَالى وَأَنْ يَكُونَ صَاحبُهَا مُصَليًا مُفْلحًا، اللهُمَّ اجْعَلني منَ المُصَلينَ المُفْلحينَ بحُرْمَة سَيِّد المُرْسَلينَ عَلَيْه وَعَلَيْهمْ وَعَلى آله الصَّلوَاتُ وَالتَّسْليمَات.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالثَّلاثمِائَة

إلى المير مُحبِّ الله المانكبوري

في بَيَانِ أَسْرَارِ الصَّلاَة

وَالفَرْقِ بَيْنَ صَلاَةِ المُبْتَدِئِ وَالعَامِّيِّ وَبَيْنَ صَلاَةِ المُنْتَهِي

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

الحَمْدُ للهِ وَسَلاَمٌ عَلى عِبَادِهِ الذينَ اصْطَفَى:

اعْلَمْ ــ أَرْشَدَكَ اللهُ تَعَالَى ــ: أَنْ تَمَامِيَّةَ الصَّلاَةِ وَكَمَالَهَا عِنْدَ الفَقِيرِ عِبَارَةٌ عَنْ إِتْيَانِ فَرَائِضِهَا وَوَاجِبَاتِهَا وَسُنَنِهَا وَمُسْتَحَبَّاتِهَا التي كُلُّهَا مُبِينَةٌ فِي الكُتُبِ الفِقْهِيَّةِ بِالتَّفْصِيلِ، وَلَيْسَ وَرَاءَ هَذِهِ الأُمُورِ الأَرْبَعَةِ أَمْرٌ آخَرُ لَهُ مُدْخَلٌ فِي تَمَامِيَّةِ الصَّلاَةِ؛ فَإِنَّ الخُشُوعَ فِي الصَّلاَةِ مُنْدَرِجٌ أَيْضًا فِي هَذِهِ الأَرْبَعَةِ، وَخُضُوعَ القَلْبِ أَيْضًا مَنُوطٌ بِهَا.

وَاكْتَفَى جَمَاعَةٌ بِعِلْمِ هَذِهِ الأُمُورِ وَاخْتَارُوا المُسَاهَلَةَ وَالمُدَاهَنَةَ فِي العَمَلِ بِهَا؛ فَلاَ جَرَمَ قَلَّ نَصِيبُهُمْ مِنْ كَمَالاَتِ الصَّلاَةِ وَاهْتَمَّ جَمَاعَةٌ بِحُضُورِ القَلْبِ مَعَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَقَلَّ التِفَاتُهُمْ إلى آدَابِ أَعْمَالِ الجَوَارِحِ، وَاقْتَصَرُوا عَلَى الفَرَائِضِ وَالسُّنَنِ، وَهَذِهِ الجَمَاعَةُ أَيْضًا لَمْ يَتَنَبَّهُوا عَلَى حَقِيقَةِ الصَّلاَةِ وَلَمْ يَعْرِفُوهَا، وَطَلَبُوا كَمَالَ الصَّلاَةِ مَنْ غَيْرِهَا وَلَمْ يَعُدُّوا حُضُورَ القَلْبِ مِنْ جُمْلَةِ أَحْكَامِ الصَّلاَةِ، وَمَا وَرَدَ فِي الخَبَرِ مِنْ أَنَّهُ "**لاَ صَلاَةَ إِلاَّ بِحُضُورِ القَلْبِ**" يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ المُرَادُ بِالحُضُورِ حُضُورَ القَلْبِ مَعَ هَذِهِ الأُمُورِ الأَرْبَعَةِ لِئَلاَّ يَقَعُ فُتُورٌ فِي إِتْيَانِ أَمْرٍ مِنْ هَذِهِ الأُمُورِ، وَلاَ يَقَعُ فِي ذِهْنِ الفَقِيرِ حُضُورٌ وَرَاءَ هَذَا الحُضُورِ.

فَإِنْ قِيلَ: إِذَا كَانَ تَمَامِيَّةُ الصَّلاَةِ وَكَمَالُهَا مَرْبُوطًا بِهَذِهِ الأُمُورِ الأَرْبَعَةِ وَلَمْ يَكُنْ أَمْرٌ آخَرُ وَرَاءَهُ مَلْحُوظًا فِي كَمَالِهَا ــ: مَاذَا يَكُونُ الفَرْقُ بَيْنَ صَلاَةِ المُبْتَدِئِ وَبَيْنَ صَلاَةِ المُنْتَهِي ؟! بَل بَيْنَ صَلاَةِ العَامِّيِّ التي تَكُونُ مَقْرُونَةً بِإِتْيَانِ هَذِهِ الأُمُورِ ؟!

قُلْتُ: إِنْ الفَرْقَ مِنْ جِهَةِ العَامِلِ لاَ مِنْ جِهَةِ العَمَلِ؛ فَإِنَّ أَجْرَ عَمَلٍ وَاحِدٍ يَتَفَاوَتُ بِوَاسِطَةِ تَفَاوُتِ عَامِلَيْنِ بِحَيْثُ يَكُونُ أَجْرُه إِذَا وَقَعَ مِنْ عَامِلٍ مَقْبُولاً مَحْبُوبًا أَضْعَافَ مُضَاعَفِ ذَلِكَ الأَجْرِ إِذَا وَقَعَ مِنْ غَيْرِهِ؛ لأَنَّ العَامِلَ كُلَّمَا يَكُونُ عَظِيمَ القَدْرِ يَكُونُ عَمَلُهُ جَزِيلَ الأَجْرِ؛ وَمِنْ هَهُنَا قَالُوا: إِنْ العَمَلَ المَقْرُونَ بِالرِّيَاءِ مِنَ العَارِفِ أَفْضَلُ مِنْ عَمَلِ المُرِيدِ بِالإِخْلاَصِ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ عَمَلُ العَارِفِ مَقْرُونًا بِالإِخْلاَصِ، وَلِهَذَا كَانَ الصِّدِّيقُ الأَكْبَرُ ﷺ يَطْلُبُ سَهْوَ النَّبِيِّ ﷺ مُعْتَقِدًا أَنَّ سَهْوَهُ

أَفْضَل مِنْ صَوَابه، وَعَمْدَهُ حَيْثُ قَال: "**يَا لَيْتَنِي كُنْت سَهْوَ مُحَمَّد**" مُتَمَنِّيًا أَنْ يَكُونَ بِكُلِّيَّته سَهْوَهُ عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم، وَمُعْتَقدًا أَنَّ أَعْمَالهُ التَّامَّةَ وَأَحْوَالهُ الكَاملة أَنْقَصُ مِنْ سَهْوِه ﷺ فِي العَمَل فَسَأَل بِتَمَامِ التَّمَنِّي أَنْ تَكُونَ دَرَجَةَ تَمَاميَّة حَسَنَاته كَدَرَجَة سَهْوِه ـــ عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم ـــ وَسَهْوُهُ ﷺ مثْل سَلاَمه عَلى رَأْسِ رَكْعَتَيْنِ مِنْ رُبَاعِيِّ الفَرْض بطَرِيق السَّهْو كَمَا رُوِيَ، فَصَلاَةُ المُنْتَهِي مَعَ وُجُود النَّتَائِجِ وَالثَّمَرَات الدُّنْيَوِيَّة فِيهَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا أَجْر جَزِيل فِي الآخِرَة بخِلاَف صَلاَة المُبْتَدئ وَالعَامِّيّ، (ع):

مَا نسْبَة الفَرْشِي بالعَرْشي

وَلنَذْكُرْ نُبْذَةً مِنْ خَصَائص صَلاَة المُنْتَهِي ليُقَاسَ عَلَيْهَا غَيْرُهَا:

إنَّ المُنْتَهِيَ يَجدُ لسَانَهُ أَحْيَانًا عنْدَ قرَاءَة القُرْآن وَإتْيَان التَّسْليمَات وَالتَّكْبيرَات كَشَجَرَة مُوسَوِيَّة وَلاَ يَرَى قُوَاهُ وَجَوَارِحَهُ غَيْرَ الآلاَت وَالوَسَائط، وَيَجدُ أَحْيَانًا أَنَّ تَعَلقٍ بَاطنه وَحَقيقَته قَد انْقَطَعَ عَنْ ظَاهره وَصُورَته بالتَّمَام، وَصَارَ مُلحَقًا بعَالمِ الغَيْبِ، وَحَصَّل نسْبَةً بِالغَيْبِ مَجْهُولة الكَيْفيَّة، وَإذَا فَرَغَ منَ الصَّلاَة يَرْجِعُ ثَانياً.

أَوْ نَقُول: فِي جَوَاب أَصْل السُّؤَال: إنَّ إتْيَانَ الأُمُور الأَرْبَعَة المَذْكُورَة عَلى وَجْه الكَمَال إنَّمَا هُوَ نَصيب المُنْتَهِي، وَالمُبْتَدئُ وَالعَامِّيُّ بَعيدَان عَنْ أَنْ يَكُونَا مُوَفَّقَيْنِ لإتْيَانهَا عَلى وَجْه الكَمَال، وَإنْ كَانَ مُمْكنًا فَإنَّهَا لَكَبيرَة إلاَّ عَلى الخَاشعِينَ، {وَالسَّلاَم عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}.

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالثَّلاثُمائة

إلى مَوْلانَا صَالِح

فِي ذِكْرِ بَعْضِ مَنَاقِبِ المَخْدُومِ زَادَهْ الأَكْبَرِ الخواجهْ مُحَمَّد صادق عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ وَالغُفْرَانُ وَكَمَالاته

وَالمَخْدُومَيْنِ الأَصْغَرَيْنِ الخواجهْ مُحَمَّد فَرْخ وَمُحَمَّد عِيسَى رَحِمَهُمُ اللهُ

وَبَيَان فَنَاء أَرْبَاب الولاَيَة

وَعَدَمِ الاحْتِيَاجِ إِلَيْهِ فِي قُرْبِ النُّبُوَّة وَمَا يُنَاسِبُ ذَلكَ

﴿ الحَمْدُ لله وَسَلاَمٌ عَلَى عِبَادِه الذينَ اصْطَفَى ﴾:

وَلعَل أَخَانَا مُلاًّ صَالحٍ سَمِعَ وَاقِعَات أَهْل سَرهَنْدَ وَقَد اخْتَارَ وَلدي الأَعْظَمُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَعَ أَخوَيْه الأَصْغَرَيْنِ مُحَمَّد فَرْخ وَمُحَمَّد عِيسَى أَيْضًا سَفَرَ الآخرَة ﴿ إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْه رَاجعُونَ ﴾ حَمْدًا لله سُبْحَانَهُ أَوَّلاً عَلَى مَا أَعْطَى البَاقينَ القُوَّةَ وَالصَّبْرَ، وَثَانيًا عَلَى مَاجَعَل فِي البَلِيَّة سرًّا وَنعْمَ مَا قيل (شعْرٌ).

إنْ كُنْتَ تُؤْذِينِي فَلَسْتُ بِمُعْرِضٍ   وَقَد اسْتَطَبْتُ مِنَ الأَعِزَّة ذلتِي

كَانَ وَلدي المَرْحُومُ آيَةً من آيَات الله وَرَحْمَةً منْ رَحمَات رَبِّ العَالمينَ، وَقَدْ نَال فِي سنِّ أَرْبَعٍ وَعشْرينَ مَا لم يَنلْهُ إلاَّ الأَقلوْنَ، وَبَلغَ رُتْبَةَ المَوْلويَّة وَمَلكَة تَدْرِيسِ العُلومِ العَقْليَّة وَالنَّقْليَّة حَدَّ الكَمَال حَتَّى إنَّ تَلاَمذَتَهُ يَشْتَغلونَ بدَرْسِ البَيْضَاوِيِّ وَشَرْحِ المَوَاقف وَأَمْثَالهمَا بالقُدْرَة التَّامَّة، وَحكَايَاتُ مَعْرفَته وَعرْفَانه وَقصَصُ شُهُوده وَكُشُوفه مَسْتَغْنيَةٌ عَنِ البَيَان وَمَعْلومُكُمْ أَنَّهُ فِي سنِّ ثَمَان كَانَ مَغْلوبَ الحَال عَلَى نَهْجٍ عَالجَهُ حَضْرَةُ شَيْخنَا ــ قُدِّسَ سرُّهُ ــ لتَسْكين حَاله بطَعَام السُّوق الذي هُوَ مَشْكُوكٌ فيه وَمُشْتَبهٌ.

وَقَال: إنَّ مَحَبَّتي لمُحَمَّد صَادق لَيسَتْ هيَ لأَحَد وَكَذَلكَ مَحَبَّتُهُ لنَا لَيْسَتْ هيَ لأَحَد غَيْرنَا ليُعلمَ جَلالَةُ شَأْنه منْ هَذَا الكَلاَمِ، وَقَدْ بَلغَ الولاَيَةَ المُوسَويَّةَ إلى النُّقْطَة الأَخيرَة، وَكَانَ يُبَيِّنُ عَجَائبَ تلكَ الولاَيَة وَغرَائبَهَا، وَكَانَ دَائمًا خَاضعًا وَخَاشعًا وَمُلتَجأً وَمُتَضرِّعًا وَمُتَذَللاً وَمُنْكَسرًا وَكَانَ يَقُول: إنَّ كُلاً منْ أَوْليَاء الله تَعَالَى طَلبَ شَيْئًا منَ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَتَعَالى وَأَنَا طَلبْتُ الالتجَاءَ وَالتَّضرُّعَ وَمَا أَكْتُبُ منْ مُحَمَّد فَرْخ قَدْ كَانَ ابْنَ إحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً وَكَانَ مَشْغُولاً بطَلب العلمِ وَكَانَ يَقْرَأُ الكَافيَةَ بالشُّعُور وَكَانَ مُشْفقًا منْ عَذَاب الآخرَة عَلى الدَّوَامِ وَكَانَ يَدْعُو بأَنْ يُفَارقَ الدُّنْيَا الدَّنيَّةَ فِي سنِّ الطُّفُوليَّة ليَتخَلصَ منْ عَذَاب الآخرَة وَشَاهَدَ

مِنْهُ بَعْضُ الأَصْحَابِ الذينَ كَانُوا يُمَرِّضُونَهُ فِي مَرَضِ مَوْتِه غَرَائِبَ وَعَجَائِبَ وَمَا أَكْتُبُ مِنْ خَوَارِق مُحَمَّد عِيسَى وَكَرَامَاته التي رَآهَا النَّاسُ قَبْلَ بُلوغه سَنَةً وَبالجُمْلة كَانُوا جَوَاهِرَ نَفِيسَةً مُفَوَّضَةً إلى عَلَى سَبِيل الوَدِيعَة لله - سُبْحَانَهُ - الحَمْدُ وَالمِنَّةُ سَلَمْتُ الأَمَانَةَ إلى أَهْلِهَا بلاَ كُرْه وَلاَ إكْرَاه، اللهُ لاَ تَحْرِمْنَا أَجْرَهُمْ وَلاَ تُفْتِنَّا بَعْدَهُمْ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ المُرْسَلينَ عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالتَّسْليمَاتُ، (ع):

وَأَحْسَنُ مَا يُمَلى حَدِيثُ الأَحِبَّة

اعْلَمْ أَنَّ المَقْصُودَ مِنَ الفَنَاء الذي هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ نِسْيَان مَا سِوَى الحَقِّ تَعَالى هُوَ زَوَال تَعَلق المَحَبَّة بِمَا دُونَ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - فَإِنَّهُ إِذَا زَالتْ ذَوَاتُ الأَشْيَاء وَصِفَاتُهَا وَأَفْعَالهَا عَنِ النَّظَرِ وَالإدْرَاك يَزُول تَعَلقُ المَحَبَّة بِهَا بالضَّرُورَة وَلاَ بُدَّ فِي طَرِيقِ الوِلاَيَة مِنْ نِسْيَان السِّوَى لِيَزُول التَّعَلقُ بِمَا دُونَ الحَقِّ - جَل وَعَلاَ - فِي مَدَارِجِ قُرْب النُّبُوَّة لاَ حَاجَةَ فِي زَوَال التَّعَلق بالأَشْيَاء إلى نِسْيَان الأَشْيَاء أَصْلاً فَإنَّ فِي قُرْب النُّبُوَّة لاَ يَبْقَى التَّعَلقُ بالأَصْل الذي هُوَ حَسَنٌ وَجَميل فِي حَدِّ ذَاته اسْمًا وَلاَ رَسْمًا عَنِ التَّعَلق بالأَشْيَاء التي هِيَ قَبِيحَةٌ لاَ حُسْنَ فِيهَا فِي نَفْسِهَا سَوَاءٌ نَسِيَتْ الأَشْيَاءَ أَوْ لاَ فَإنَّ صِفَةَ الذَّمِّ إِنَّمَا عَرَضَتْ للعلم بالأَشْيَاء بِوَاسطَة قُبْحِ التَّعَلق بِهَا لِكَوْنه مُسْتَلزمًا للإعْرَاضِ عَنْ جَنَاب قُدْسه تَعَالى فَإذَا زَال التَّعَلقُ بالأَشْيَاء زَالتْ صِفَةُ الذَّمِ عَنِ العلم بِهَا فَلَمْ يَبْقَ مَذْمُومًا وَكَيْفَ يَكُونُ العلمُ بالأَشْيَاء مَذْمُومًا فَإنَّ الأَشْيَاءَ كُلهَا مَعلومَاتُ الحَقِّ - جَل سُلْطَانُهُ - وَعلمُهُ بِهَا مِنْ صِفَاته الكَامِلة.

فَإِنْ قِيــــــل: إذَا لَمْ يَكُنْ العلمُ بِمَا دُونَ الحَقِّ ــ جَل وَعَلاَ ــ زَائلاً فَكَيْفَ يَجْتَمعُ العلمُ بالحَقِّ تَعَالى مَعَ العلمِ بِمَا سِوَاهُ – سُبْحَانَهُ – فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ فَلاَ مَنْدُوحَةَ؛ إذًا مِنْ نِسْيَان مَا سِوَاهُ تَعَالى؟

قُلتُ: أَنَّ العَلمَ المُتَعَلقَ بالأَشْيَاء مِنْ قَبِيل العلم الحُصُوليِّ وَالعلمَ المُتَعَلقَ بحَضْرَة الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَتَعَالى مُشَابَهٌ بالعلم الحُضُوريِّ فَكلاَ العلمَيْن يَجْتَمعَان فِي وَقْت وَاحد وَلاَ يَلزَمُ مِنْهُ مَحْذُورٌ أَصْلاً وَإِنَّمَا يَلزَمُ المَحْذُورُ إذَا كَانَ كلاَ العلمَيْنِ حُصُوليَّيْن.

وَإِنَّمَا قُلنَا مِنْ قَبِيل العلم الحُصُوليِّ وَمُشَابَهٌ بالعلم الحُضُوريِّ فَإِنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ حَقِيقَةُ الحُصُول وَلاَ مَجَال للحُضُور وَعلمُه تَعَالى مُشَابَهٌ بالعلم الحُضُوريِّ فَإِنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ حَقِيقَةُ الحُصُول وَلاَ مَجَال للحُضُورِ وَعَلمُهُ تَعَالى المُتَعَلقُ بالأَشْيَاء لَيْسَ

حُصُولِيًّا فَإِنَّهُ لاَ حُلول للحَوَادث في ذَاته تَعَالى وَصفَاته وَلاَ حُصُول وَعلمُ مثْل هَذَا العَارف ظل منْ ذَلكَ العلم وَالعلمُ المُتَعَلقُ بحَضْرَة الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - لاَ يُمْكنُ أَنْ يُقَال إِنَّهُ حُضُوريٌّ فَإِنَّهُ تَعَالى أَقْرَبُ إلى المُدْركَة منْ نَفْس المُدْركَة أَيْضًا وَالعلمُ الحُضُوريُّ بالنِّسْبَة إلى ذَلكَ العلم كَالعلم الحُصُولي بالنِّسْبَة إلى العلم الحُضُوريِّ وَهَذه المَعْرفَة وَرَاءَ طَوْر العَقْل وَالفكْر مَنْ لَمْ يَذُقْ لَم يَدر فَتَقَرَّرَ أَنَّ العلمَ بالأَشْيَاء لَيْسَ بمُنَاف للعلم بالحَقِّ فَلاَ يَكُونُ نسْيَانُ الأَشْيَاء لاَزمًا أَصْلاً بخلاَف طَريق الولاَيَة فَإنَّ زَوَال عَلاَقَة الأَشْيَاء هُنَاكَ غَيْرُ مُتَصَوَّر بدُون نسْيَان الأَشْيَاء فَإنَّ في الولاَيَة تَعَلقًا بالظِّلال وَلَيْسَ في ذَلكَ التَّعَلق قُدْرَةٌ إزَالة التَّعَلق بالأَشْيَاء مَعَ وُجُود العلم بهَا فَلاَ بُدَّ فيهَا أَوَّلاً منْ نسْيَان الأَشْيَاء حَتَّى تَزُول التَعَلقَاتُ بهَا وَهَذه مَعْرفَةٌ مَخْصُوصَةٌ بهَذَا الدَّرْويش لَمْ يَتَكَلمْ بهَا أَحَدٌ، الحَمْدُ لله الذي هَدَانَا لهَذَا وَمَا كُنَّا لنَهْتَديَ لوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللهُ لقَدْ جَاءَتْ رُسُل رَبِّنَا بالحَقِّ.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالثَّلاَثُمِائَة
إلى مَوْلاَنَا عَبْد الوَاحد اللاهوري
في بَيَانِ مَعْنَى الكَلِمَةَ الطَّيِّبَة سُبْحَانَ الله وَبحَمْده وَمَا يُنَاسبُ ذَلكَ
بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَعْدَ الحَمْد وَالصَّلاَة يَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ مَا يَجدُهُ العَابدُ وَقْتَ العبَادَة منَ الحُسْنِ وَالكَمَال في عبَادَته كُل ذَلكَ رَاجعٌ إلى تَوْفيق الله - جَل سُلطَانُهُ - وَمنْ حُسْنِ تَرْبيَته وَإحْسَانه تَعَالَى وَمَا يَجدُهُ منَ النُّقْصَان وَالقُصُور في العبَادَة كُل ذَلكَ عَائدٌ إلى نَفْسِ العَابد نَاش منْ خُبْثهَا الجَبَليِّ وَلاَ شَيْءَ منْهَا رَاجعٌ إلى جَنَاب قُدْسه تَعَالَى أَصْلاً بَل هُنَاكَ مَحْضُ الخَيْرِ وَالكَمَال وَكَذَلكَ كُلمَا يَقَعُ في العَالَم حُسْنُهُ وَكَمَالهُ رَاجعٌ إلى جَنَاب قُدْسه تَعَالى وَسره، وَنَقْصُهُ عَائدٌ إلى دَائرَة المُمْكنَات التي لَهَا قَدَمٌ رَاسخٌ في العَدَمِ الذي هُوَ مَنْشَأُ جَميعِ الشَّرِّ وَالنَّقْصِ، وَالكَلمَةُ الطَّيِّبَةُ سُبْحَانَ الله وَبحَمْده مُبَيِّنَةٌ لهَذَيْنِ الأَمْرَيْنِ بأَبْلَغِ الوُجُوه وَمُنَزِّهَةٌ له - سُبْحَانَهُ - وَمُقَدِّسَةٌ إيَّاهُ تَعَالى عَمَّا لاَ يَليقُ بجَنَاب قُدْسه تَعَالى منَ الشُّرُورِ وَالنَّقَائصِ كَمَال التَّنْزيه وَالتَّقْديسِ وَبعبَارَة الحَمْد الوَاقعَة فيهَا يُؤَدِّي الشُّكْرَ عَلَى صفَاته الحَميدَة وَأَفْعَاله الجَميلة وَعَلَى إنْعَامَاته العَديدَة وَإحْسَانَاته الجَزيلة لكَوْنه رَأْسَ كُل شُكْرٍ وَلهَذَا وَرَدَ في الحَديث النَّبويِّ: إنَّ مَنْ قَال هَذه الكَلمَةَ الطَّيِّبَةَ في يَوْمٍ أَوْ ليْلة مائةً مَرَّة لاَ يُسَاويه أَحَدٌ في العَمَل في ذَلكَ اليَوْمِ أَوْ الليْلة إلاَّ مَنْ قَال هَذه الكَلمَةَ الطَّيِّبَةَ مثْلهُ وَكَيْفَ يُساويه فَإنَّ كُل عَمَل وَعبَادَة أَدَاءُ شُكْر مَنْ شُكْره تَعَالى وَقَدْ أَدَّى بجُزْء وَاحد منْ هَذه الكَلمَة وَبَقيَ الجُزْءُ الأَخيرُ منْهَا الذي هُوَ لبَيَان تَنْزيهه وَتَقْديسه - سُبْحَانَهُ - زَائدًا عَلَيْه فَعَلَيْكُمْ بإتْيَان هَذه الكَلمَة كُل يَوْمٍ وَلَيْلة مائَة مَرَّة وَاللهُ - سُبْحَانَهُ - المُوفَقُ.

فَإنْ قيل: قَدْ وَرَدَ في الحَديث النَّبويِّ ﷺ سُبْحَانَ الله وَبحَمْده عَدَدَ خَلقه وَرضَاءَ نَفْسه وَزنَةَ عَرْشه وَمدَادَ كَلمَاته.

وَوَرَدَ أَيْضًا سُبْحَانَ الله ملءَ الميزَان.

وَوَرَدَ أيْضًا أضْعَافَ مَا حَمدَهُ جَميعُ خَلقه وَلَمْ يَقُل القَائل غَيْرَ مَرَّة وَاحدَة وَلَمْ يَقَعْ العَدَدُ غَيْرَ فَرْد وَاحد فبأيِّ اعْتبَار يُقَال عَدَدَ خلقه وَمَا يَكُونُ مَعْنَى رضَاء نَفْسه وَكَيْفَ يَكُونُ زنَةَ عَرْشه وَكَيْفَ يَصحُّ أنْ يُقَال مدَادَ كَلمَاته وَكَيْفَ يُمْلأ به الميزَانُ وَبأيِّ مَعْنًى يُقَال إنَّهُ أضْعَافُ مَا حَمدَهُ جَميعُ خَلقه ؟

قُلتُ: إنَّ الإنْسَانَ جَامعُ عَالم الخَلق وَعَالم الأمْر وَكُلمَا هُوَ في عَالم الخَلق وَالأمْر فَهُوَ في الإنْسَان مَعَ شَيْء زَائد عَليْه وَهُوَ هَيْئَتُهُ الوَحْدَانيَّةُ التي نَشَأتْ منْ تَرَكُّب الخَلق وَالأمْر وَهَذه الهَيْئَةُ الوَحْدَانيَّةُ لَمْ تَتَيَسَّرْ لشَيْء غَيْره وَهيَ أُعْجُوبَةٌ غَريبَةٌ وَأُنْمُوذَجيَّةٌ بَديعَةٌ فَالحَمْدُ الذي يَقَعُ منَ الإنْسَان يَكُونُ أضْعَافَ حَمْد جَميع الخَلائق وَعَلى هَذَا القيَاس سَائرُ الأسْئلة فَيَنْبَغي أنْ يَكُونَ المُرَادُ بجَميع الخَلق مَا سوَى الإنْسَان وَلئنْ أدْخَلنَا فيه الإنْسَانَ أيْضًا أجْزَأ نَفْسَهُ وَيَرَى نَفْسَهُ كُلاً للكُل فَعَلى هَذَا التَّقْدير يَجدُ حَمْدَ نَفْسه أضْعَافَ حَمْد نَفْسه وَأضْعَافَ حَمْد جَميع أفْرَاد الإنْسَان أيْضًا.

{وَالسَّلامُ عَلى مَن اتَّبَعَ الهُدَى}[1] وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَليْه وَعَلى آله أفْضَل الصَّلوَات وَأكْمَل التَّحيَّات.

---

(١) ـــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ الثَّامنُ وَالثَّلاَثُمائة
إلى مَوْلاَنَا فَيْضِ الله البَانيِّ يتي
في بَيَان مَعْنَى قَوْله ﷺ: "كَلمَتَان خَفيفَتَان عَلَى اللسَان ثَقيلَتَان في المِيزَان حَبيبَتَان إلى الرَّحْمَنِ سُبْحَانَ الله وَبحَمْده سُبْحَانَ الله العَظيمِ"

اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ تَعَالَى قَال - عَلَيْه وَعَلَى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ -: "كَلمَتَان خَفيفَتَان عَلَى اللسَان ثَقيلَتَان في الميزَان حَبيبَتَان إلى الرَّحْمَن سُبْحَانَ الله وَبحَمْده سُبْحَانَ الله العَظيمِ" وَجْهُ خفتهمَا عَلَى اللسَان ظَاهرٌ لقلة الحُرُوف وَأَمَّا وَجْهُ ثقلهمَا في الميزَان وَكَوْنهمَا حَبيبَتَيْنِ إلى الرَّحْمَنِ فَلأَنَّ الجُزْءَ الأَوَّل منَ الكَلمَة الأُولى يُفيدُ تَنْزيهَهُ تَعَالى وَتَقْديسَهُ - سُبْحَانَهُ - عَمَّا لاَ يَليقُ بجَنَاب قُدْسه - عَزَّ وَجل - وَإبْعَادَ جَنَاب كبْريَائه عَنْ صفَات النَّقْصِ وَسمَات الحُدُوث وَالزَّوَال.

وَالجُزْءُ الثَّاني منْ تلكَ الكَلمَة يُفيدُ إثْبَاتَ صفَات الكَمَال وشئونَات الجَمَال لهُ تَعَالى سَوَاءٌ كَانَتْ الصِّفَاتُ وَالشُّئونَاتُ منَ الفَضَائل أَوْ منَ الفَوَاضل وَجعْل الإضَافَةَ للاسْتغْرَاق في الجُزْءَيْن يُفيدُ ثُبوتَ جَميع التَّنْزيهَات وَالتَّقْديسَات وَثُبوتُ جَميعِ صفَاتَ الكَمَال وَالجَمَال لهُ تَعَالى فَحَاصل الجُزْءَيْن منَ الكَلمَةَ الأُولى إرْجَاعُ جَميعِ التَّنْزيهَات وَالتَّقْديسات لله - سُبْحَانَهُ - وَإثْبَاتُ جَميعِ صفَات الكَمَال وَالجَمَال لهُ - عَزَّ وَجَل -، وَحَاصل جُزْءَي الكَلمَة الثَّانيَة إثْبَاتُ جَميعِ التَّنْزيهَات وَالتَّقْديسَات لهُ تَعَالى مَعَ إثْبَات العَظْمَة وَالكبْرِيَاء لهُ - عَزَّ وَجَل - وَفيهَا إشَارَةٌ إلى أَنَّ سَلبَ النَّقَائصِ عَنْهُ تَعَالى لَيْسَ إلاَّ لأَجْل عَظَمَته وَكبْرِيَائه - سُبْحَانَهُ - فَلاَ جَرَمَ تَكُونُ الكَلمَتَان ثَقيلَتَيْنِ في الميزَان حَبيبَتَيْنِ إلى الرَّحْمَنِ وَأَيْضًا إنَّ التَّسْبيحَ مفْتَاحُ التَّوْبَة بَل زيَادَةُ التَّوْبَة وَخُلاَصَتُهَا كَمَا حَقَّقْتُ في بَعْضِ المَكَاتيب فَيَكُونُ التَّسْبيحُ وَسيلَةً إلى مَحْو الذُّنُوب وَعَفْو السَّيِّئات فَلاَ جَرَمَ يَكُونُ ثَقيلاً في الميزَان وَمُرَجِّحًا لكفَّة الحَسَنَات وَحَبيبًا إلى الرَّحْمَن لأَنَّهُ - سُبْحَانَهُ - يُحبُّ العَفْوَ.

وَأَيْضًا إنَّ المُسَبِّح الحَامدَ لَمَا نَزَّهَ جَنَابَ قُدْسه عَمَّا لاَ يَليقُ به وَأَثْبَتَ صفَات الكَمَال وَالجَمَال لهُ تَعَالى فَالمَرْجُوُّ منَ الكَريم الوَهَّاب - جَل شَأْنُهُ - أَنْ يُنَزِّهَ المُسَبِّحَ عَمَّا لاَ يَليقُ به وَيُوجَدَ في الحَامد صفَةَ الكَمَال كَمَا قَال تَعَالى {هَل جَزَاءُ الإحْسَان إلاَّ الإحْسَانُ} فَلاَ جرَمَ تَكُونُ الكَلمَتَان ثَقيلَتَيْنِ في الميزَان لمَحْو السَّيِّئات بتَكْرَارهمَا وَحَبيبَتَيْنِ إلى الرَّحْمَنِ لوُجُود الأَخْلاَق الحَميدَة بوَاسطَتهمَا وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالثَّلاثُمِائَة
إلى مَوْلانَا الحَاجِّ مُحَمَّد الفَرْكَتِيِّ
في بَيَان المُحَاسَبَة اليَوْمِيَّة واللَيْلِيَّة
كَمَا وَرَدَ حَاسِبُوا إلخ

بَعْدَ الحَمْد وَالصَّلَوات وَتَبْليغ الدَّعَوات أُنْهِيكُمْ أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ المَشَايِخ الكِرَامِ قَدَّسَ اللهُ تَعَالى أَسْرَارَهُمُ اخْتَارُوا طَرِيقَ المُحَاسَبَة وَكَانُوا في كُل لَيْلَة يُطَالِعُونَ قُبَيْلَ النَّوْمِ دفْتَرَ أَعْمَالهمْ وَأَقْوَالهمْ وَحَرَكَاتهمْ وَسَكَنَاتهمُ اليَوْمِيَّة وَيُدْرِكُونَ حَقِيقَةَ كُل مِنْهَا بالتَّفْصيل وَيَتَدَارَكُونَ تَقْصيرَاتهمْ وَسَيِّئَاتهمْ بالتَّوْبَة وَالاسْتغْفَار وَالالتجَاء وَالتَّضَرُّع إلى العَزيزِ الغَفَّار وَيَشْتَغلونَ بحَمْد الله تَعَالى وَشُكْرِه عَلى أَعْمَالهمُ الصَّالحَة وَيَرْجعُونَ بهَا إلى تَوْفيقه تَعَالى.

كَانَ صَاحبُ الفُتُوحَات المَكِّيَّة - قُدِّسَ سرُّهُ - مِنَ المُحَاسبينَ وَقَال: أَنَا زِدْتُ في مُحَاسَبَتي عَلى مَشَائخ آخرَ حَتَّى حَاسَبْتُ خَطَرَاتي وَنِيَّاتي وَللتَّسْبيح وَالتَّحْميد وَالتَّكْبير مائَةُ مَرَّة قُبَيْلَ النَّوْم عَلى نَهْجٍ ثَبَتَ عَن المُخْبر الصَّادق - عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - حُكْمُ المُحَاسَبَة عنْدَ الفَقير وَكَانَ المُسَبِّحُ يَعْتَذرُ منْ تَقْصيرَاته وسَيِّئَاته بتَكْرَار كَلمَة التَّسْبيح التي هيَ مفْتَاحُ التَّوْبَة وَيُنَزِّهُ جَانبَ قُدْسه تَعَالى وَيُقَدِّسُهُ عَمَّا عَادَ إلَيْه منَ ارْتكَاب السَّيِّئات فَإنَّ مُرْتَكبَ السَّيِّئات إذَا كَانَ عَظَمَةُ جَنَاب قُدْسِ الآمرِ وَالنَّاهي وَكبْرِيَائه مَلحُوظَةً وَمَنْظُورَةً إلَيْه مَا كَانَ يُبَادرُ إلى تَرْك امْتثَال أَمْره تَعَالى وَلَمَّا بَادَرَ عُلمَ أَنَّهُ لاَ اعْتدَادَ وَلاَ اعْتبَارَ عنْدَهُ لأَمْره وَنَهْيه تَعَالى أَعَاذَنَا اللهُ - سُبْحَانَهُ - منْ ذَلكَ فَبتَكْرَار كَلمَة التَّنْزيه بتَلافي هَذَا التَّقْصير يَنْبَغي أَنْ يُعْلمَ أَنَّ في الاسْتغْفَار طَلَبَ سَتْر الذَّنْب وَفي تَكْرَار كَلمَة التَّنْزيه طَلَبَ اسْتيصَال الذَّنْب أَيْنَ هَذَا منْ ذَاكَ سُبْحَانَ الله كَلمَةٌ عَجيبَةٌ أَلفَاظُهَا في غَايَة القلة وَمَعَانيهَا وَمَنَافعُهَا في غَايَة الكَثْرَة وَبتَكْرَار كَلمَة التَّحْميد يُؤَدَّى شُكْرُ نعْمَة تَوْفيقه وَسَائر نعَمه تَعَالى وَتَكْرَارُ كَلمَة التَّكْبير إشَارَةٌ إلى أَنَّ جَنَاب قُدْسه تَعَالى أَعْلى وَأَجَل منْ أَنْ يَكُونَ هَذَا الاعْتذَارُ وَالشُّكْرُ لائقًا بحَضْرَته - سُبْحَانَهُ - فَإنَّ اعْتذَارَ البُعْد وَاسْتغْفَارًا مُحْتَاج إلى اعْتذَارَات واستغفارات كَثيرَة وَحَمْدُهُ رَاجعٌ إلَيْه سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العزَّة عَمَّا يَصفُونَ وَسَلاَمٌ عَلى المُرْسَلينَ وَالحَمْدُ لله رَبِّ العَالمينَ.

الْمُحَاسَبُونَ يَكْتَفُونَ بِالاسْتِغْفَارِ وَالشُّكْرِ رَبَّنَا تَقَبَّل مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ وَصَلى اللهُ عَلى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الطَّاهِرِينَ وَسَلمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

المَكْتُوبُ العَاشِرُ وَالثَّلاثُمائة
إلى مَوْلاَنَا مُحَمَّد هَاشِمٍ
فِي بَيَان جَامعيَّة الإِنْسَانِ
مَعَ بَعْضِ الأَسْرَارِ الغَامضَة المُتَعلقَة بهَذَا المَقَامِ
وَمَا يُنَاسِبُ ذَلكَ

بَعْدَ الحَمْد وَالصَّلوَات ليُعْلمَ أَنَّ جَميعَ مَا في الإِنْسَان منَ الكَمَالات مُسْتَفَادَةٌ منْ مَرْتَبَة الوُجُوب تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ فَإِنْ علمًا فَمُسْتَفَادٌ منْ علمِ تلكَ المَرْتَبَة وإنْ قُدْرَةً فَمَأْخُوذَةٌ منْ قُدْرَة تلكَ المَرْتَبَة وَعَلى هَذَا القيَاس.

وَأَمَّا كَمَال كُل مَرْتَبَة فَعَلى مقْدَار تلكَ المَرْتَبَة فَحُكْمُ علمِ الإِنْسَان في جَنْب علم الوَاجب كَحُكْم المَيِّت الذي هُوَ لاَ شَيْءَ مَحْضٌ بالنِّسْبَة إلى حَيٍّ بحَيَاة أَبَديَّة وَكَذَلكَ قُدْرَةُ العَبْد في جَنْب قُدْرَة الوَاجب تَعَالى وَتَقَدَّسَ لَهَا حُكْمُ وَقُدْرَةُ العَنْكَبُوت الذي يَنْسجُ بَيْتَهُ بالنِّسْبَة إلى قُدْرَة شَخْصٍ تَصيرُ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُونَ وَالجبَال وَالبحَارُ دَكًّا دَكًّا وَهَبَاءً مَنْثُورًا بنَفْخَته الوَاحدَة يَنْبَغي أَنْ يَقيسَ الكَمَالات الأُخَرَ عَلى ذَلكَ وَهَذَا التَّفَاوُتُ إِنَّمَا يُقَال منْ ضيقِ العبَارَة وَإلاَّ فَمَا النِّسْبَةُ بَيْنَهُمَا، (ع):

مَا نسْبَةُ الفَرْشيِّ بالعَرْشيِّ

فَصَارَتْ كَمَالاتُ الإِنْسَانِ في صُورَة كَمَالات مَرْتَبَة الوُجُوب تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ وَلَمْ يَحْصُل لهَذه الكَمَالات منْ كَمَالات تلكَ المَرْتَبَة غَيْرُ المُشَارَكَة في الاسْمِ وَمنْ هَهُنَا وَرَدَ أَنَّ اللهَ خَلقَ آدَمَ عَلى صُورَته وَمَعْنَى مَنْ عَرفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ يَلوحُ منْ هَذَا البَيَان فَإنَّ جَميعَ مَا في نَفْسِ الإِنْسَان وَإنْ كَانَ صُورَةً هُوَ الذي حَقيقَتُهُ حَاصلةٌ في مَرْتَبَة الوُجُوب تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ وَمنْ هَهُنَا يُعْرَفُ سرُّ خلاَفَة الإِنْسَان فَإنَّ صُورَةَ الشَّيْء خَليفَةُ الشَّيْء وَفي هَذَا المَقَام ظَنَّتْ الزَّنَادقَةُ وَالمُجَسِّمَةُ أَنَّ اللهَ - عَزَّ وَجَل - في صُورَة الإِنْسَان وَأَثْبَتُوا القُوَى وَالجَوَارحَ الإِنْسَانيَّةَ في حَضْرَته - جَل سُلطَانُهُ - منْ عَدَم العَقْل ضَلوا فَأَضَلوا وَلَمْ يَعْلمُوا أَنَّ إطْلاَقَ الصُّورَة وَأَمْثَالهَا في تلكَ الحَضْرَة منْ قَبيل التَّشْبيه وَالتَّمْثيل لاَ عَلى سَبيل التَّحْقيق وَالتَّثْبيت فَإنَّ حَقيقَةَ الصُّورَة تَقْتَضي التَّبَعُّضَ وَالتَّرَكُّبَ والتَّجَزِّيَ وَكُل ذَلكَ مُنَافٍ للوُجُوبِ وَمَانعٌ للقدَمِ.

وَالْمُتَشَابِهَاتُ القُرْآنِيَّةُ أَيْضًا مَصْرُوفَاتٌ عَنِ الظَّوَاهِرِ وَمَحْمُولاَتٌ عَلى التَّأْوِيل قَال اللهُ تَعَالى {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلى اللهُ} يَعْني لاَ يَعْلَمُ تَأْوِيل الْمُتَشَابه إلاَّ اللهُ فَعُلِمَ مِنْ هَذَا أَنَّ الْمُتَشَابهَ مَحْمُول عَلى التَّأْوِيل عِنْدَ الله تَعَالى أَيْضًا وَمَصْرُوفٌ عَنِ الظَّاهِرِ وَأَنَّهُ تَعَالى يُعْطِي العُلَمَاءَ الرَّاسِخِينَ أَيْضًا نَصِيبًا مِنْ عِلم هَذَا التَّأْوِيل كَتَأْوِيل اليَد بِالقُدْرَة وَالوَجْه بِالذَّات حَاشَا وَكَلاَّ بَل إِنَّ هَذَا التَّأْوِيل مِنَ الأَسْرَارِ التي يَمْنَحُ اللهُ علمَهَا أَخَصَّ الخَوَاصِّ.

وَيَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ صَاحِبَ الفُتُوحَات الْمَكِّيَّة وَاتِّبَاعَهُ يَقُولونَ إِنَّ صِفَات الوَاجِب تَعَالى وَتَقَدَّسَ كَمَا أَنَّهَا عَيْنُ الذَّات كَذَلِكَ بَعْضُهَا عَيْنُ البَعْضِ الآخَرِ مَثَلاً العِلمُ كَمَا أَنَّهُ عَيْنُ الذَّات كَذَلِكَ هُوَ عَيْنُ القُدْرَة وَعَيْنُ الإِرَادَة وَعَيْنُ السَّمْعِ وَعَيْنُ البَصَرِ وَعَلى هَذَا القِيَاسِ سَائِرُ الصِّفَات وَهَذَا الكَلاَمُ عِنْدَ الفَقِير بَعِيدٌ عَنِ الصَّوَاب فَإِنَّ هَذَا الكَلاَمَ مَبْنِيٌّ عَلى نَفْيِ وُجُود الصِّفَات الزَّائِدَة وَهُوَ خِلاَفُ مَذْهَب أَهْلِ السُّنَّة وَالجَمَاعَة فَإِنَّ الصِّفَات الثَّمَان أَوْ السَّبْعَ عَلى وَفْقِ آرَاء هَؤُلاَء الأَكَابِرِ مَوْجُودَةٌ فِي الخَارِجِ وَلَعَل تَوَهُّمَ الذَّات وَالصِّفَات الوَاجِبِيَّة نَشَأَ فِيهِمْ مِنْ تَخَيُّلِهِمْ تَغَايُرَ مَا فِي ذَاكَ الْمَوْطِنِ وَتَبَايُنَهُ كَتَغَايُر مَا فِي هَذَا الْمَوْطِنِ وَتَبَايُنه وَلَمَّا لَمْ يَجِدُوا فِي ذَاكَ الْمَوْطِنِ تَغَايُرًا وَتَبَايُنًا كَتَغَايُر هَذَا الْمَوْطِنِ لاَ جَرَمَ حَكَمُوا بِنَفْيِ التَّغَايُر وَالتَّمَايُزِ وَقَالوا بِعَيْنِيَّة بَعْضِهَا بَعْضًا وَلَمْ يَدْرُوا أَنَّ تَمَايُزَ ذَلِكَ الْمَوْطِنِ وَتَغَايُرَهُ مِثْل ذَات الوَاجِب وَصِفَاته تَعَالى لاَ كَيْفِيٌّ وَلاَ مِثْلِيٌّ وَلاَ مُنَاسَبَةَ بَيْنَ ذَاكَ التَّمَايُزِ وَبَيْنَ هَذَا التَّمَايُزِ إِلاَّ بِحَسَب الصُّورَة وَالاسْم فَيَكُونُ التَّمَايُزُ وَالتَّبَايُنُ مُتَحَقِّقًا فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ وَنَحْنُ عَاجِزُونَ عَنْ إِدْرَاكه لاَ إِنَّا نَنْفِي كُل مَا لاَ نُدْرِكُهُ وَنُخَالِفُ بِذَلِكَ أَهْلَ التَّحْقِيقِ وَاللهُ – سُبْحَانَهُ – الْمُلهِمُ للصَّوَاب.

المَكْتُوبُ الحَادِي عَشَرَ وَالثَّلاَثُمِائَة
إلى المَخْدُومِ ذَادَهْ الخواجهْ مُحَمَّد سَعِيد
فِي بَيَانِ الأَسْرَارِ الغَامِضَةِ وَالحَقَائِقِ النَّادِرَةِ المُتَعلِّقَةِ بِالحُرُوفِ المُقَطَّعَاتِ التي هِيَ مِنَ المُتَشَابِهَاتِ القُرْآنِيَّة
التي لِلعُلَمَاءِ الرَّاسِخِينَ اطِّلاَعٌ عَلَيْهَا بِطَرِيقِ الرَّمْزِ وَالإِشَارَة

شِعْرٌ:

هاى دوجشمى ست مربي   همجو ألف رب حبيب خدا

لام مربي خليل الله ست   ميم ز تدبير كليم آكله ست

مَبْدَأُ أَمْرِ الكَلِيمِ - عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - حَقِيقَةُ الأَلِف وَمَبْدَأُ مُعَامَلَة هَذَا الحَقِيرِ أَيْضًا بِتَبَعِيَّتِه وَوِرَاثَتِه حَقِيقَةُ الأَلِف وَلكِنَّ رُجُوعَ الكَلِيمِ - عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ - إلى حَقِيقَةِ المِيمِ وَرُجُوعَ الحَقِيرِ إلى حَقِيقَةِ الهَاءِ ذَاتُ عَيْنَيْنِ وَمَرْجِعِي وَمَلاَذِي الآنَ هُوَ حَقِيقَةُ الهَاءِ وَهَذِه الحَقِيقَةُ هِيَ التي يُعَبَّرُ عَنْهَا بِغَيْبِ الهُوَى وَهَذِه الحَقِيقَةُ خَزِينَةُ الرَّحْمَةِ وَمُسْتَقَرُّ الرَّحْمَةِ الوَاحِدَةِ التي وَسِعَتْ كُلَ شَيْءٍ فِي الدُّنْيَا وَمُسْتَوْدَعُ التِّسْعَةِ وَالتِّسْعِينَ رَحْمَةً التي أُدْخِرَتْ لِلعُقْبَى كُلِهَا هُوَ هَذِه الحَقِيقَةُ كَأَنَّ إِحْدَى عَيْنِهَا مَخْزَنُ رَحْمَةِ الدُّنْيَا وَالأُخْرَى خَزِينَةُ رَحْمَةِ الأُخْرَى وَصِفَةُ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ تَتَشَعَّبُ مِنْ هَذِه الحَقِيقَةِ وَفِي ذَلِكَ المَوْطِنِ ظُهُورُ جَمَالِ صِرْفٍ لَمْ يَتَطَرَّقْ إِلَيْه شَائِبَةٌ مِنَ الجَلاَلِ وَجَمِيعُ مَا يُصِيبُ الأَوْلِيَاءَ فِي الدُّنْيَا مِنَ المِحْنَةِ وَالغَمِّ وَالسُّرُورِ فِي الدُّنْيَا ظُهُورُ جَلاَلِ مُورِي بِالجَمَالِ هَذَا هُوَ المَكْرُ الإِلهِيُّ - جَلَ سُلْطَانُهُ - يُضِلُ بِه كَثِيرًا وَيَهْدِي بِه كَثِيرًا وَمَبْدَأُ أَمْرِ خَاتَمِ الرُّسُلِ - عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - حَقِيقَةٌ فَوْقَ حَقِيقَةِ الأَلِفِ وَكَذَلِكَ مَبْدَأُ أَمْرِ الخَلِيلِ أَيْضًا هُوَ هَذِه الحَقِيقَةُ الفَوْقَانِيَّةُ.

غَايَةُ مَا فِي البَابِ أَنَّ حَقِيقَةَ مَبْدَأ خَاتَمِ الرُّسُلِ إِجْمَالُ تِلْكَ الحَقِيقَةِ وَحَقِيقَةَ مَبْدَأ الخَلِيلِ تَفْصِيلُهَا وَمَرْجِعُ خَاتَمِ الرُّسُلِ - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - حَقِيقَةُ الأَلِف وَمَرْجِعُ الخَلِيلِ عَلَيْه السَّلاَمُ حَقِيقَةُ اللاَّمِ وَذَلِكَ؛ لأَنَّ مُنَاسَبَةَ الإِجْمَالِ لِلوَحْدَةِ أَكْثَرُ فَلاَ جَرَمَ تَيَسَّرَ الرُّجُوعُ إلى الأَلِفِ الذي هُوَ قَرِيبٌ مِنَ الوَحْدَةِ وَمُنَاسَبَةُ التَّفْصِيلِ لِلكَثْرَةِ أَزْيَدُ فَبِالضَّرُورَةِ كَانَ رُجُوعُهُ إلى اللاَّمِ الذي هُوَ قَرِيبٌ مِنَ الكَثْرَةِ فَإِبْرَاهِيمُ - عَلَى نَبِيِّنَا وَ عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - كَانَ كَثِيرَ البَرَكَةِ فِي المَبْدَأ وَفِي المَعَادِ وَالمَرْجِعِ وَمِنْ هَهُنَا سَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ صَلاَةً وَبُكْرَةً مُمَاثِلَتَيْنِ لِصَلاَةِ الخَلِيلِ وَبَرَكَتِه عَلَيْه السَّلاَمُ وَرَبُّ خَاتَمِ الرُّسُلِ فِي أَسْمَاءِ اللهِ الحُسْنَى التي رُتْبَتُهَا فَوْقَ رُتْبَةِ الصِّفَاتِ

الاسْمُ المُبَارَكُ اللهُ تَعَالى شَأْنُهُ وَرَبُّ هَذَا الحَقِيرِ الاسْمُ المُبَارَكُ الرَّحْمَنُ - جَلَّ وَعَلاَ - وَحَيْثُ كَانَ لهَذَا الحَقِيرِ مُنَاسَبَةٌ للكَلِيمِ فِي المَبْدَأ وَصَلَ مِنْهُ إلَيْهِ بَرَكَاتٌ كَثِيرَةٌ وَإنْ لَمْ تَكُنْ وِلاَيَةُ هَذَا الحَقِيرِ وِلاَيَةً مُوْسَوِيَّةً وَلَكِنَّهُ مَمْلُوءٌ مِنْ بَرَكَاتِ تِلْكَ الوِلاَيَةِ وَحَصَلَ لَهُ تَرَقِّيَاتٌ كَثِيرَةٌ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ.

وَالاسْتِفَادَةُ التِي حَصَلَتْ لهَذَا الحَقِيرِ مِنْ تِلْكَ الوِلاَيَةِ مِنْ طَرِيقِ إجْمَالِ تِلْكَ الوِلاَيَةِ وَاسْتِفَادَةُ وَلِدِي الأَعْظَمِ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ مَنْ طَرِيقِ تَفْصِيلِهَا وَوِلاَيَةُ هَذَا الفَقِيرِ المُسْتَفَادَةُ مِنَ الوِلاَيَةِ المُوسَوِيَّةِ شَبِيهَةٌ بِوِلاَيَةِ رَجُلٍ مُؤْمِنٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ وَوِلاَيَةُ وَلِدِي الأَعْظَمِ شَبِيهَةٌ بِوِلاَيَةِ سَحَرَةِ فِرْعَوْنَ الذِينَ آمَنُوا.

المَكْتُوبُ الثَّاني عَشَرَ وَالثَّلاثُمائَة
إلى المير مُحَمَّد نُعْمَانَ
في أَجْوبَة أَسْئلته
مِنْ جُمْلَتِهَا السُّؤَال عَنْ تَحْقِيق الإِشَارَة في التَّشَهُّد عِنْدَ الحَنَفيَّة

الحَمْدُ لله رَبِّ العَالمينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلى سَيِّد المُرْسَلينَ وَعَلى إخْوَانه منَ الأَنْبيَاء وَالمُرْسَلينَ وَالمَلاَئكَة المُقَرَّبينَ وَعبَاد الله الصَّالحينَ وَصَلتْ الصَّحيفَةُ الشَّريفَةُ المُرْسَلةُ مَعَ مُلاَّ مَحْمُود فَأَوْرَثَتْ فَرحًا وَافرًا وَسَأَلتُ أَنَّ العُلمَاء يَقُولونَ إنَّ بُقْعَةَ الرَّوْضَة المُتَبَرِّكَة المَدَنيَّة - عَلى صَاحبهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ - أَعْظَمُ يَعْني قَدْرًا منْ مَكَّةَ المُعَظَّمَة وَكَيْفَ تَكُونُ بُقْعَةُ الرَّوْضَة المُتَبَرِّكَة أَعْظَمَ منْهَا مَعَ كَوْن صُورَة الكَعْبَة وَحَقيقَتهَا مَسْجُودًا إليْهمَا للصُّورَة وَالحَقيقَة المُحَمَّديَّتَيْن عَليْه الصَّلاَةُ وَالتَّحيَّةُ ؟

أَيُّهَا المَخْدُومُ: إنَّ مَا ثَبتَ عنْدَ الفَقير هُوَ أَنَّ خَيْرَ البقَاع الكَعْبَةُ المُعَظَّمَةُ ثُمَّ بَعْدَهَا الرَّوْضَةُ المُقَدَّسَةُ النَّبويَّةُ المَدَنيَّةُ عَلى صَاحبهَا الصَّلاَةُ وَالتَّحيَّةُ ثُمَّ بَعْدَهَا أَرْضًا للحَرَم المَكِّيِّ حَرَسَهَا اللهُ تَعَالى عَن الآفَات فَإنْ قَالَ العُلمَاءُ بأَفْضَليَّة الرَّوْضَة المُتَبَرِّكَة عَلى مَكَّةَ المُعَظَّمَة يَنْبَغي أَنْ يَكُونَ مُرَادُهُمْ بذَلكَ مَا سوَى أَرْض الكَعْبَة المُقَدَّسَة.

وَسَأَلتُ أَنَّ مُلاَزمي مَوْلاَنَا المَرْحُومَ أَعْلمَ اللهُ كَتَبُوا رسَالةً في مَادَّة تَجْويز الإشَارَة بالسَّبَّابَة وَقَدْ أَرْسَلتُ الرِّسَالةَ المَذْكُورَةَ فَبمَ تُشيرُ في هَذَا البَاب ؟

أَيُّهَا المَخْدُومُ: إنَّ الأَحَاديثَ النَّبويَّةَ في بَاب تَجْويز الإشَارَة بالسَّبَّابَة كَثيرَةٌ جدًّا وَوَرَدَ بَعْضُ الرِّوَايَات الفقْهيَّة الحَنَفيَّة أيضًا في هَذَا البَاب كَمَا أَوْرَدَهَا مَوْلاَنَا في رسَالته وَإذَا لوحظَتْ الكُتُبُ الفقْهيَّةُ الحَنَفيَّةُ مُلاَحَظَةً جَيِّدَةً يُعْلمُ أَنَّ روَايَات جَوَاز الإشَارَة غَيْرُ روَايَات الأُصُول وَغَيْرُ ظَاهر المَذْهَب وَمَا قَالَ الإمَامُ مُحَمَّدٌ الشَّيْبَانيُّ رَحمَهُ اللهُ كَانَ رَسُول الله ﷺ يُشيرُ وَنَصْنَعُ كَمَا يَصْنَعُ رَسُول الله ﷺ ثُمَّ قَالَ: وَهَذَا قَوْلي وَقَوْل أَبي حَنيفَةَ ﷺ منْ روَايَات النَّوَادر لاَ منْ روَايَات الأُصُول في الفَتَاوَى الغَرَائب في المُحيط هَل يُشيرُ بإصْبَعه السَّبَّابَة منْ بَدْء اليُمْنَى لمْ يَذْكُرْ مُحَمَّدٌ هَذه المَسْأَلةَ في الأَصْل وَقَدْ اخْتَلفَ المَشَايخ فيهَا منْهُمْ مَنْ قَال لاَ يُشيرُ وَمنْهُمْ مَنْ قَال يُشيرُ وَذَكَرَ مُحَمَّدٌ في غَيْر الأُصُول حَديثًا عَن النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يُشيرُ ثُمَّ قَال فيهَا هَذَا مَا ذَكَرُوا وَالتَّصْحيحُ أَنَّ الإشَارَةَ حَرَامٌ وَفي السِّرَاجيَّة: وَيُكْرَهُ أَنْ يُشيرَ بالسَّبَّابَة في الصَّلاَة عنْدَ قَوْله أَشْهَدُ أَنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ هُوَ المُخْتَارُ

وَفي الكُبْرَى وَعَلَيْه الفَتْوَى؛ لأَنَّ مَبْنَى الصَّلاَة عَلى السُّكُون وَالوَقَار وَفي الغَيَائيَّة منَ الفتَاوَى لاَ يُشيرُ بالسَّبَّابَة عنْدَ التَّشَهُّد هُوَ المُخْتَارُ وَعَلَيْه الفَتْوَى وَفي جَامع الرُّمُوز لاَ يُشيرُ وَلاَ يَعْقدُ وَهُوَ ظَاهرُ أُصُول أَصْحَابنَا كَمَا في الزَّاهديِّ وَعَلَيْه الفَتْوَى كَمَا في المُضْمَرَات والوَلوَالجيِّ وَالخُلاَصَة وَغَيْرهَا وَعَنْ أَصْحَابنَا جَميعًا أَنَّهُ سُنَّةٌ في خزَانَة الرِّوَايَات منَ التَّتَارْخَانيَّة ثُمَّ إذَا أَخَذَ في التَّشَهُّد وَانْتَهَى إلَى قَوْله أَشْهَدُ أَنْ لاَ إلَهَ إلاَّ اللهُ هَل يُشيرُ وَفي الكُبْرَى وَعَلَيْه الفَتْوَى وَمنْهُمْ مَنْ قَال يُشيرُ وَفيٌّ الغَيَائيَّة وَلاَ يُشيرُ بالسَّبَّابَة عنْدَ التَّشَهُّد هُوَ المُخْتَارُ اهـ.

وَحَيْثُ ذَكَرْتُ حُرْمَةَ الإشَارَة في الرِّوَايَات المُعْتَبَرَة وَأَفْتَوْا بكَرَاهَتهَا وَنَهَوْا عَنْهَا وَقَالوا: إنَّهَا ظَاهرُ أُصُول أَصْحَابنَا لاَ يَجُوزُ لأَمْثَالنَا المُقَلدينَ الجَرَاءَةُ عَلى الإشَارَة عَمَلاً بمُقْتَضَى الأَحَاديث وَارْتكَابُ أَمْر مُحَرَّم أَوْ مَكْرُوه أَوْ مَنْهيٍّ عَنْهُ بفَتَاوَى كَثير منَ العُلَمَاء المُجْتَهدينَ وَمُرْتَكبُ هَذَا الأَمْر منَ الحَنَفيَّة لاَ يَخْلو منْ أَحَد الحَالَيْن إمَّا أَنْ لاَ يَثْبُتُ للعُلَمَاء المُجْتَهدينَ علمُ الأَحَاديث المَعْرُوفَة الوَاردَة في جَوَاز الإشَارَة وَإمَّا أَنْ يَقُول بعَدَم عَمَل هَؤُلاَء الأَكَابر بمُقْتَضَى هَذه الأَحَاديث مَعَ عَملهمْ بوُرُودهَا وَثُبوتهَا عنْدَهُمْ وَيَظُنُّ أَنَّهُمْ حَكَمُوا بالحُرْمَة وَالكَرَاهيَة عَلى خلاَف الأَحَاديث بمُقْتَضَى آرَائهمْ وَللك منْ هَذَيْن الشِّقَّيْن فَاسدٌ لاَ يُجَوِّزُهَا إلاَّ سَفيهٌ وَمُعَاندٌ.

وَمَا قَال في تَرْغيب الصَّلاَة أَنَّ رَفْعَ أُصْبُع الشَّهَادَة في التَّشَهُّد سُنَّةُ العُلَمَاء المُتَقَدِّمينَ وَأَمَّا العُلَمَاءُ المُتَأَخِّرُونَ فَقَدْ نَهَوْا عَنْهَا وَذَلكَ لأَنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْا غَلوَّ الرَّوَافض فيهَا تَرَكُوهَا خَوْفًا منْ تُهْمَة السُّنِّيِّ بالرَّفْض مُخَالفٌ لروَايَات الكُتُب المُعْتَبَرَة فَإنَّ ظَاهرَ أُصُول أَصْحَابنَا عَدَمُ الإشَارَة وَعَدَمُ العَقْد فَكَأَنَّ عَدَمَ الإشَارَة سُنَّةُ العُلَمَاء المُتَقَدِّمينَ وَلَمْ يَكُنْ وَجْهُ التُّرْك نَفْيَ التُّهْمَة وَحُسْنُ ظَنّنَا بهَؤُلاَء الأَكَابر هُوَ أَنَّهُمْ إنْ لَمْ يَظْهَرْ لَهُمْ في هَذَا البَاب دَليل الحُرْمَة وَالكَرَاهَة لَمَا حَكَمُوا بهمَا وَحَيْثُ قَالوا بَعْدَ ذكْر سُنّيَّة الإشَارَة واسْتحبَابيَّتها هَذَا مَا ذَكَرُوا وَالصَّحيحُ أَنَّ الإشَارَةَ حَرَامٌ عُلمَ أَنَّ أَدلةَ سُنّيَّة الإشَارَة واسْتحْبَابيَّتها لَمْ تَبْلغْ عنْدَ هَؤُلاَء الأَكَابر مَرْتَبَةَ الصِّحَّة بَل صَحَّتْ خلاَفُهَا.

غَايَةُ مَا في البَاب أَنَّهُ لاَ دَليل لَنَا عَلى ذَلكَ وَهَذَا لاَ يَسْتَلزمُ القَدْحَ في هَؤُلاَء الأَكَابر.

فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ لَنَا دَلِيلاً عَلَى خِلاَفِ ذَلِكَ.

قُلْنَا: إِنَّ عِلْمَ المُقَلِّد غَيْرُ مُعْتَبَرٍ فِي إِثْبَاتِ الحل وَالحُرْمَة وَإِنَّمَا المُعْتَبَرُ فِي هَذَا البَابِ هُوَ ظَنُّ المُجْتَهِد وَالقَوْلُ فِي حَقِّ أَدِلَة المُجْتَهِد أَنَّهَا أَوْهَنُ مِنْ بَيْتِ العَنْكَبُوت جَرَاءَةٌ عَظِيمَةٌ وَتَرْجِيحٌ لِعَلَهُ عَلَى عِلمِ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ وَإِبْطَال لِظَاهِرِ أُصُولِ أَصْحَابِنَا الحَنَفِيَّة وَتَخْرِيبٌ لِلرِّوَايَاتِ المُفْتَى بِهَا وَهَؤُلاَءِ الأَكَابِرُ حَكَمُوا بِشُذُوذ هَذه الأَحَادِيث فَإِنَّهُمْ لِقُرْبِ عَهْدِهِمْ وَوُفُورِ عِلمِهِمْ وَحُصُولِ الوَرَعِ وَالتَّقْوَى لَهُمْ أَعْلَمُ بِهَا مِنْ أَمْثَالِنَا العَاجِزِينَ وَأَعْرَفُ مِنَّا بِصِحَّتِهَا وَسَقَمِهَا وَنَسْخِهَا وَعَدَمِ نَسْخِهَا وَلَهُم فِي تَرْكِ العَمَلِ بِمُقْتَضَى هَذه الأَحَادِيث وَجْهٌ مُوَجَّهٌ أَلْبَتَّةَ وَبَلَغَ عِلمُ أَمْثَالِنَا قَاصِرِي الفَهْمِ أَنَّ بَيْنَ رُوَاة الأَحَادِيث اخْتِلاَفًا كَثِيرًا فِي كَيْفِيَّةِ الإِشَارَةِ وَالعَقْد، وَكَثْرَةُ اخْتِلاَفِهِمْ هَذه أَوْرَثَتْ اضْطِرَابًا فِي نَفْسِ الإِشَارَة فَمِنْ بَعْضِ الرِّوَايَاتِ يُفْهَمُ ثُبُوتُ الإِشَارَةِ بِلاَ عَقْد.

وَمَنْ قَالَ بِالإِشَارَةِ مَعَ العَقْد فَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ جُعِل العَقْدُ ثَلاَثَةً وَخَمْسِينَ وَفِي بَعْضِهَا عَقْدُ ثَلاَثَة وَعِشْرِينَ وَبَعْضُهُمْ رَوَى بِقَبْضِ الخِنْصَرِ وَالبِنْصر وَحَلَق الإِبْهَامِ وَالوُسْطَيّ وَالإِشَارَةَ بِالسَّبَّابَة وَفِي رِوَايَة بِمُجَرَّد وَضْعِ الإِبْهَامِ عَلَى الوُسْطَيّ وَوَرَدَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ أَنَّهُ يُشِيرُ بِوَضْعِ اليَدِ اليُمْنَى عَلَى ظَهْرِ يَدِه اليُسْرَى وَالرُّسْغِ عَلَى الرُّسْغِ وَالسَّاعِد عَلَى السَّاعِد وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ أَنَّهُ يُشِيرُ بِقَبْضِ جَمِيعِ الأَصَابِعِ وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَة أَنَّهَا مِنْ غَيْرِ تَحْرِيك السَّبَّابَة وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ بِإِثْبَاتِ التَّحْرِيك وَالوَاقِعُ فِي بَعْضِ الرِّوَايَة أَنَّهَا وَقْتَ قِرَاءَة التَّشَهُّد مِنْ غَيْرِ تَعْيِين وَفِي بَعْضِهَا أَنَّهَا وَقْتَ التَّكَلمِ بِكَلِمَةِ الشَّهَادَة وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَة مُقَيَّدَةٌ بِوَقْتِ الدُّعَاءِ أَعْنِي: يَا مُقَلبَ القُلُوب ثَبِّتْ قَلبِي عَلَى دِينِكَ.

وَلَمَّا رَأَى العُلَمَاءُ الحَنَفِيَّةُ اضْطِرَابَ الرُّوَاة فِي كَيْفِيَّةِ الإِشَارَة لَمْ يُثْبِتُوا فِعْلاً زَائِدًا فِي الصَّلاَة عَلَى خِلاَفِ القِيَاسِ وَهُوَ أَنَّ بِنَاءَ الصَّلاَة عَلَى السُّكُونِ وَالوَقَار وَأَيْضًا أَنَّ تَوْجِيهَ الأَصَابِعِ نَحْوَ القِبْلَة مَهْمَا أَمْكَنَ سُنَّةٌ كَمَا قَال - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - - وَلِيُوَجِّهْ مِنْ أَعْضَائِه القِبْلَةَ مَا اسْتَطَاعَ.

فَإِنْ قِيل: إِنَّ كَثْرَةَ الاخْتِلاَف إِنَّمَا يُورِثُ الاضْطِرَابَ إِذَا لَمْ يُمْكِنْ التَّوْفِيقُ بن الرِّوَايَاتِ وَالتَّوْفِيقُ فِيمَا نَحْنُ فِيه مُمْكِنٌ فَإِنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَفْعَل جَمِيعَ مَا وَرَدَ فِي جَمِيعِ الرِّوَايَاتِ فِي أَوْقَاتٍ مُخْتَلفَة.

قُلْنَا: قَدْ وَقَعَ فِي أَكْثَرِ الرِّوَايَاتِ لَفْظُ كَانَ وَهُوَ عِنْدَ غَيْرِ المَنْطِقِيِّينَ مِنَ

الأَدَوَات الكُلِّيَّة فَلاَ يُمْكنُ التَّوْفيقُ وَمَا نُقل عَنِ الإِمَامِ الأَعْظَمِ منْ قَوْله إِذَا وَجَدْتُم حَديثًا مُخَالفًا لقَوْلي فَاتْرُكُوا قَوْلي وَاعْمَلوا بالحَديث بالمُرَاد بهَذَا الحَديث حَديثٌ لَمْ يَبْغِ الإِمَامُ وَحُكمَ بخلاَفه بنَاءً عَلى عَدَم علمه به وَأَحَاديثُ الإِشَارَة لَيْسَتْ منْ هَذَا القَبيل فَإِنَّهَا أَحَاديثُ مَعْرُوفَةٌ لَيسَ فيهَا احْتمَال عَدَم العلم.

فَإِنْ قيل: إِنَّ العُلمَاءَ الحَنَفيَّةَ قَدْ أَفْتَوْا بجَوَازِ الإِشَارَة أَيْضًا فَيَنْبَغي أَنْ يَجُوزَ العَمَل بكُل منْهُمَا عَلى مُقْتَضَى الفَتَاوَى المُتَعَارضَة.

قُلنَا: إِذَا وَقَعَ التَّعَارُضُ بَيْنَ الجَوَاز وَعَدَم الجَوَاز وَبَيْنَ الحل وَالحُرْمَة فَالتَّرْجيحُ في جَانب عَدَم الجَوَاز وَعَدَم الحُرْمَة وَأَيْضًا قَال الشَّيْخُ ابْنُ الهَمَّام في أَحَاديث رَفْع اليَدَيْن أَنَّهَا مُعَارضَةٌ لأَحَاديث عَدَم الرَّفْع فَتَرَجَّحُ أَحَاديثُ عَدَم الرَّفْعِ بالقيَاسِ فَإِنَّ مَبْنَى الصَّلاَة عَلى السُّكُونِ وَالخُشُوعِ الذي هُوَ مَطْلوبٌ وَمَرْغُوبٌ فيه بالإِجْمَاع.

وَالعَجَبُ منَ الشَّيْخِ ابْن الهَمَّامِ أَنَّهُ قَال وَعَنْ كَثيرٍ منَ المَشَايخ عَدَمُ الإِشَارَة وَهُوَ خلاَفُ الرِّوَايَة وَالدِّرَايَة كَيْفَ نُسبَ الجَهْل إِلى العُلمَاء المُجْتَهدينَ المُتَمَسِّكينَ بالقيَاسِ الذي هُوَ الأَصْل الرَّابعُ منْ أَدلة الشَّرْعِ وَهُوَ ظَاهرُ المَذْهَب الرِّوَايَة عَنْ أَبي حَنيفَةَ وَهَذَا الشَّيْخُ قَدْ ضَعَّفَ حَديثَ القُلتَيْن.

الاضْطرَابُ الحَاصل منْ كَثْرَة اخْتلاَف الرِّوَايَة.

وَيَكْتُبُ وَلدي الأَرْشَدُ مُحَمَّدُ سَعيد رسَالةً في هَذَا البَاب.

فَإِذَا نُقلتْ إِلى البَيَاضِ نُرْسلهَا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالى.

وَكَتَبْتُ إِنَّ منْ طَالبي الطَّريقَة جَمَاعَةً في كُل طَرَف وَلمْ أَتَجَاسَرْ عَلى إِجَازَة أَحَد منْهُمْ بتَعْليم الطَّريقَة في مَحَل أَصْلاً فَنَنْظُرُ بمَا تَكُونُ الإِشَارَةُ.

فَاعْلَمْ أَنَّ كُل مَنْ تَرَوْنَهُ مُنَاسبًا يَكُونُ رَئيسَ حَلقَة جَمَاعَة وَهَذَا الأَمْرُ مُفَوَّضٌ إِلى رَأْيكُمْ وَليَصْدُرِ الأَمْرُ بَعْدَ الاسْتخَارَة وَالتَّوَجُّه وَالسَّلاَمُ عَليْكُمْ وَعَلى مَنْ لدَيْكُمْ.

المَكْتُوبُ الثَّالثَ عَشَرَ وَالثَّلاَثُمائَة
إلى الخواجهْ مُحَمَّد هَاشم
في حَل أَسْئلة كَتَبهَا وَهيَ سَبْعَةٌ
وَأَمَر خَتْم هَذَا المُجلد منَ المَكْتُوبَات بهَذَا المَكْتُوب
لمُوَافقَة عَدَدهَا لعَدَد الأَنْبيَاء المُرْسَلينَ وَعَدَد أَصْحَاب بَدْر
وَأَمَرَ بكتَابَة عَرَائض المَخْدُوم زَادَهُ الأَعْظَم عَلَيْه الرَّحْمَةُ في آخر هَذه المَكْتُوبات
ليَذْكُرَهُ النَّاظرُونَ بالدُّعَاء وَقرَاءَة الفَاتحَة لرُوحه

بَعْدَ الحَمْد وَالصَّلَوَات وَتَبْليغ الدَّعَوَات ليَعْلَمَ أَخُونَا الخواجهْ مُحَمَّدُ هَاشم أَنَّ الأَسْئلَةَ التي انْدَرجَتْ في مَكْتُوب المَيْر مُحبٍّ الله وَطَلَبْتَ حَلهَا نَكْتُبُ في جَوَابهَا مَا هُوَ مَعْلومٌ لنَا وَنُرْسلهُ.

حَاصل السُّؤَال الأَوَّل أَنَّ القُرْبَ الإلهيَّ - جَل سُلطَانُهُ - بحَسَب الفَنَاء وَالبَقَاء وَطَيِّ جَميع مَقَامَات الجَذْبَة وَالسُّلوك.

وَالأَصْحَابُ الكرَامُ قَدْ فُضِّلوا عَلى جَميع أَوْليَاء الأُمَّة بصُحْبَة خَيْر الأَنَام - عَليْه وَعَليْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - مَرَّةً وَاحدَةً فَهَل هَذَا السَّيْرُ وَالسُّلوكُ وَالفَنَاءُ وَالبَقَاءُ حَصَلتْ لَهُمْ في تلكَ الصُّحْبَة الوَاحدَة وَكَانَتْ أَفْضَل منْ جَميع السَّيْر وَالسُّلوك وَالفَنَاء وَالبَقَاء.

وَأَيْضًا هَل حَصَل لَهُمُ الفَنَاءُ وَالبَقَاءُ بتَوَجُّهه وَتَصَرُّفه - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - - أَوْ بمُجَرَّد دُخُولهمْ في الإسْلاَم وَأَيْضًا هَل كَانَ لَهُمْ علمٌ بالسُّلوك وَالجَذْبَة حَالاً وَمَقَامًا أَوْ لاَ.

فَإنْ كَانَ فَبأَيِّ اسْم سَمَّوْهُ وَإنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ طَريقُ السُّلوك وَالجَذْبَة فَيُمْكنُ أَنْ نَقُول لهَذَا بدْعَةً حَسَنَةً.

اعْلَمْ أَنَّ حَل هَذَا المُشْكل مَنُوطٌ بالصُّحْبَة وَمَوْقُوفٌ عَلى الخدْمَة فَإنَّ الكَلاَمَ الذي لَمْ يَتَكلمْ به أَحَدٌ في هَذه المُدَّة كَيْفَ يَكُونُ مَفْهُومًا وَمَعْقُولاً لكُمْ بكتَابَة وَاحدَة وَلكنْ لمَّا سَأَلتُمْ لاَ بُدَّ منَ الجَوَاب وَمنْ حله عَلى وَجْه الإجْمَال بالضَّرُورَة فَيَنْبَغي الإصْغَاءُ إلَيْه.

اعْلَمْ أَنَّ القُرْبَ الذي هُوَ مَنُوطٌ بالفَنَاء وَالبَقَاء وَالسُّلوك وَالجَذْبَة هُوَ قُرْبُ الولاَيَة الذي تَشَرَّفَ به أَوْليَاءُ الأُمَّة وَالقُرْبُ الذي تَيَسَّرَ للأَصْحَاب الكرَام في

صُحْبَة خَيْرِ الأَنَامِ عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ هُوَ قُرْبُ النُّبُوَّة حَصَلَ لَهُمْ بطَرِيقِ التَّبَعِيَّة وَالوِرَاثَة وَلاَ فَنَاءَ فِي هَذَا القُرْب وَلاَ بَقَاءَ وَلاَ جَذْبَةَ وَلاَ سُلوكَ وَهَذَا القُرْبُ أَفْضَلَ مِنْ قُرْب الوِلاَيَة وَأَعْلى مِنْهُ بمَرَاتِبَ فَإِنَّ هَذَا القُرْبَ قُرْبُ الأَصْلِ وَذَلِكَ القُرْبَ قُرْبُ الظِّلاَل شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا وَلَكِنْ لاَ يُدْرِكُ كُل أَحَد مَذَاقَ هَذه المَعْرِفَة كَادَ الخَوَاصُّ أَنْ يُشَارِكُوا العَوَامَّ فِي عَدَمِ فَهْمِ هَذه المَعْرِفَة، شِعْرٌ:

كربو عَلى نواى قلندر نواختى ‌ ‌ ‌ صوفى بدى هرآنكه بعالم قلندرست

نَعَمْ: إِذَا وَقَعَ العُرُوجُ إِلى ذُرْوَة كَمَالات قُرْب النُّبُوَّة مِنْ طَرِيقِ الوِلاَيَة فَلاَ مَنْدُوحَةَ حِينَئِذ مِنَ الفَنَاء وَالبَقَاء وَالجَذْبَة وَالسُّلوك فَإِنَّ هَذه مَبَاد وَمُعِدَّاتٌ لِذَلِكَ القُرْب وَأَمَّا إِذَا لَمْ يَكُنْ السَّيْرُ مِنْ هَذَا الطَّرِيق بَل وَقَعَ الاخْتِيَارُ عَلى الطَّرِيقِ السُّلطَانِيِّ لِقُرْب النُّبُوَّة فَلاَ حَاجَةَ حِينَئِذ إِلى الفَنَاء وَالبَقَاء وَالجَذْبَة وَالسُّلوك وَسَيْرِ الأَصْحَاب الكرَام مِنْ طَرِيقِ قُرْب النُّبُوَّة السُّلطَانِيِّ فَلَمْ يَحْتَاجُوا إِلى الجَذْبَة وَالسُّلوك وَالفَنَاء وَالبَقَاء وَلْيُطْلَبْ بَيَانُ هَذه المَعْرِفَة مِنَ المَكْتُوب المُحَرَّر بَاسم أَمَانَ الله وَمَا كَتَبَهُ الفَقِيرُ فِي مَوَاضِعَ مِنْ مَكْتُوبَاته وَرَسَائله مِنْ أَنَّ مُعَامَلتي فِيمَا وَرَاءَ السُّلوك وَالجَذْبَة وَوَرَاء الظُّهُورَات وَالتَّجليَات المُرَادُ به هُوَ هَذَا القُرْبُ فَإِنِّي حِينَ كُنْتُ فِي مُلاَزَمَة حَضْرَة شَيْخنَا - قُدِّسَ سرُّهُ - أَخَذَتْ هَذه الدَّوْلَةَ فِي الظُّهُور فَعَرَضْتُهَا عَلَيْه بهَذه العبَارَة قَدْ ظَهَرَ لِي أَمْرُ السَّيْرِ الأَنْفُسِيِّ بالنِّسْبَة إِلى هَذَا الأَمْر كَالسَّيْرِ الآفَاقِيِّ بالنِّسْبَة إِلى السَّيْرِ الأَنْفُسِيِّ وَلَمْ أَجدْ حِينَئِذ فِي نَفْسِي قُدْرَةَ التَّعْبِيرِ عَنْ هَذه الدَّوْلَة بأَزْيَدَ مِنْ هَذه العبَارَة وَلَمَّا صَارَتْ هَذه المُعَامَلةُ العَجِيبَةُ بَعْدَ سنِينَ مُنَقَّحَةً وَمُحَرَّرَةً حَرَّرْتُهَا بعبَارَة مُجْمَلة الحَمْدُ لله الذي هَدَانَا لهَذَا وَمَا كُنَّا لنَهْتَدِيَ لوْلاَ أَنْ هَدَانَا الله لَقَدْ جَاءَتْ رُسُل رَبِّنَا بالحَقِّ فَتَكُونُ عبَارَاتُ الفَنَاء وَالبَقَاء وَالجَذْبَة وَالسُّلوك مُحْدَثَةً وَمِنْ مُخْتَرَعَات المَشَايِخِ ذَكَرَ المَوْلَوِيُّ الجَامِيُّ فِي النَّفَحَات أَنَّ أَوَّلَ مَنْ تَكَلمَ عَنِ الفَنَاء وَالبَقَاء أَبو سَعِيد الخَرَّازُ - قُدِّسَ سرُّهُ -.

وَحَاصل السُّؤَال الثَّانِي أَنْ فِي الطَّرِيقَة النَّقْشَبَنْدِيَّة العَلِيَّة التزَامُ اتِّبَاعِ السُّنَّة السَّنِيَّة النَّبوِيَّة وَالحَال أَنَّهُ - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ - صَدَرَ عَنْهُ رِيَاضَاتٌ عَجِيبَةٌ وَمُجَاهَدَاتٌ شَدِيدَةٌ كَالجُوعِ الشَّدِيد وَفِي هَذَا الطَّرِيق يَمْنَعُونَ عَنِ الرِّيَاضَة بَل يَرَوْنَهَا بوَاسطَة ظُهُورِ الكُشُوفَات الصُّورِيَّة بهَا مَضَرَّةٌ وَالعَجَبُ أَنَّهُ كَيْفَ يُتَصَوَّرُ احْتِمَال الضَّرَرِ فِي اتِّبَاعِ السُّنَّة ؟

أَيُّهَا المُحبُّ: مَنْ قَال إنَّ الرِّيَاضَةَ مَمْنُوعَةٌ فِي هَذَا الطَّرِيقِ وَمِنْ أَيْنَ سُمِعَ أَنَّهُمْ يَرَوْنَ الرِّيَاضَةَ مَضَرَّةً وَفِي هَذَا الطَّرِيقِ دَوَامُ المُحَافَظَة عَلى اتِّبَاعِ السُّنَّة السَّنِيَّة - عَلى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ - وَالسَّعْيِ فِي سَتْرِ الأَحْوَال وَاخْتِيَار تَوَسُّط الحَال وَرِعَايَة حَدِّ الاعْتِدَال فِي المَطَاعِمِ وَالمَلاَبِسِ وَسَائِرِ الأَفْعَال كُل ذَلِكَ مِنَ الرِّيَاضَات الشَّاقَة وَالمُجَاهَدَات الشَّدِيدَة.

غَايَةُ مَا فِي البَاب أَنَّ العَوَامَّ كَالأَنْعَام لاَ يَعُدُّونَ هَذه الأُمُورَ مِنَ الرِّيَاضَات وَلاَ يَرَوْنَهَا مِنَ المُجَاهَدَات بَل الرِّيَاضَةُ وَالمُجَاهَدَةُ مُنْحَصِرَةٌ عِنْدَهُمْ فِي الجُوعِ وَكَثْرَةُ الجُوعِ عَظِيمُ القَدْرِ فِي نَظَرِهِمْ فَإِنَّ الأَكْل عِنْدَ هَؤُلاَءِ المُتَّصِفِينَ بِصِفَات البَهَائِمِ مِنْ أَهَمِّ المَهَامِّ وَأَعْظَمِ المَقَاصِد فَلاَ جَرَمَ يَكُونُ تَرْكُهُ مِنَ الرِّيَاضَة الشَّاقَّة وَالمُجَاهَدَة الشَّدِيدَة عِنْدَهُمْ بِخِلاَف المُحَافَظَة عَلى السُّنَّة وَالتزَام مُتَابَعَتِهَا وَأَمْثَالِهَا فَإِنَّ هَذه الأُمُورَ لاَ قَدْرَ لَهَا عِنْدَ العَوَامِّ وَلاَ اعْتِدَادَ بِهَا حَتَّى يَرَوْنَ تَرْكَهَا مِنَ المُنْكَرَات وَتَحْصِيلَهَا مِنَ الرِّيَاضَات فَاللاَّزِمُ لأَكَابِرِ هَذه الطَّرِيقَة أَنْ يَجْتَهِدُوا فِي سَتْرِ الأَحْوَال وَتَرْك الرِّيَاضَة التِي هِيَ عَظِيمَةُ القَدْرِ عِنْدَ العَوَامِّ وَبَاعِثَةٌ عَلى قَبُول الأَنَامِ وَمُسْتَلْزِمَةٌ لِلشُّهْرَة المُتَضَمِّنَة عَلى الآفَات العِظَام قَال - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - - "بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ إلاَّ مَنْ عَصَمَهُ اللهُ أَنْ يُشِيرَ النَّاسُ إِلَيْه بِالأَصَابِعِ فِي دِينه وَدُنْيَاهُ"

وَعِنْدَ الفَقِيرِ الجُوعُ الكَثِيرُ أَسْهَل وَأَيْسَرُ جِدًّا مِنْ مُرَاعَاة حَدِّ الاعْتِدَال فِي المَأْكُولاَت.

وَرِيَاضَةُ رِعَايَة تَوَسُّط الحَال مُسْتَحِقَّةٌ لأَنْ تَكُونَ أَزْيَدَ وَأَفْضَل مِنْ رِيَاضَة كَثْرَة الجُوعِ.

قَال حَضْرَةُ وَالدي المَاجد - قُدِّسَ سِرُّهُ -:

رَأَيْتُ فِي عِلْمِ السُّلُوك رِسَالَةً وَرَأَيْتُ فِيهَا أَنَّ رِعَايَةَ حَدِّ الاعْتِدَال فِي المَأْكُولاَت وَالمُحَافَظَةَ عَلى الحَدِّ الوَسَط فِيهَا كَافِيَةٌ فِي الوُصُول إِلى المَطْلُوب لاَ حَاجَةَ مَعَ هَذه المُرَاعَاة إِلى الذِّكْرِ وَالفِكْرِ وَالحَقُّ أَنَّ تَوْسِيطَ الحَال فِي المَطَاعِمِ وَالمَلاَبِسِ بَل جَمِيعِ الأُمُورِ حَسَنَةٌ وَجَمِيلَةٌ جِدًّا. شِعْرٌ.

إِيَّاكَ وَالأَكْل حَتَّى يَحْدُثَ الثِّقَل   وَلاَ تُجَوِّعَنَّ إِلى يَضْعُفُ البَدَنُ

وَقَدْ أَعْطَيَ الحَقُّ - سُبْحَانَهُ - نَبِيَّنَا - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - قُوَّةَ أَرْبَعِينَ رَجُلاً فَكَانَ ﷺ يَتَحَمَّل بِهَذه القُوَّة ثِقَل الجُوعِ.

وَالأَصْحَابُ الكِرَامُ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ كَانُوا يَتَحَمَّلُونَ هَذَا الثِّقَل

بَرَكَةِ صُحْبَةِ خَيْرِ البَشَرِ - عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَلَمْ يَقَعْ فُتُورٌ وَخَلل فِي أَعْمَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ أَصْلاً وَكَانَتْ قُدْرَتُهُمْ عَلَى مُحَارَبَةِ الأَعْدَاءِ مَعَ وُجُودِ الجُوعِ عَلَى نَهْجٍ لاَ تَبْلغ قُدْرَةُ أَهْلِ الشِّبَعِ عُشْرَهَا وَمِنْ هَهُنَا غَلَبَ العِشْرُونَ مِنَ الصَّابِرِينَ عَلَى مِائَتَيْنِ مِنَ الكُفَّارِ وَمِائَةٌ مِنْهُمْ عَلَى أَلفٍ مِنْهُمْ وَأَهْلُ الجُوعِ مِنْ غَيْرِ الصَّحَابَةِ يَكَادُونَ يَعْجَزُونَ عَنْ إِتْيَانِ الآدَابِ وَالسُّنَنِ بَلْ رُبَّمَا يَخْرُجُونَ عَنْ عُهْدَةِ الفَرَائِضِ بِالتَّكَلفِ فَتَقْلِيدُ الصَّحَابَةِ فِي هَذَا الأَمْرِ بِلاَ قُدْرَةٍ تَعَرُّضٌ للعَجْزِ عَنْ إِتْيَانِ السُّنَنِ وَالفَرَائِضِ.

نُقِل عَنِ الصِّدِّيقِ الأَكْبَرِ ﷺ أَنَّهُ اخْتَارَ صَوْمَ الوِصَالِ تَقْلِيدًا لِلنَّبِيِّ ﷺ فَسَقَطَ مِنَ الضَّعْفِ وَعَدَمِ القُوَّةِ عَلَى الأَرْضِ مِنْ غَيْرِ اخْتِيَارٍ فَقَال - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - عَلَى سَبِيلِ الاِعْتِرَاضِ "أَنَا لسْتُ كَأَحَدِكُمْ أَبِيتُ عِنْدَ رَبِّي فَيُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي".

فَلَمْ يَسْتَحْسِنْ التَّقْلِيدَ بِلاَ قُدْرَةٍ وَأَيْضًا إِنَّ الأَصْحَابَ الكِرَامَ كَانُوا مَحْفُوظِينَ وَمَأْمُونِينَ مِنَ المَضَرَّاتِ المُتَوَلدَةِ مِنْ كَثْرَةِ الجُوعِ بِبَرَكَةِ صُحْبَةِ خَيْرِ الأَنَامِ - عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَليْسَ ذَلكَ مُيَسَّرًا لغَيْرِهِمْ.

بَيَانُــــهُ: إِنَّ كَثْرَةَ الجُوعِ مُوَرِّثَةٌ للصَّفَاءِ أَلبَتَّةَ تُورِثُ طَائِفَةً صَفَاءَ القَلبِ وَجَمَاعَةً صَفَاءَ النَّفْسِ، وَصَفَاءُ القَلبِ يَزِيدُ الهِدَايَةَ وَيُورِثُ النُّورَ وَصَفَاءُ النَّفْسِ يَسْتَتْبِعُ الضَّلاَلةَ وَيَزِيدُ الظُّلمَةَ أَلاَ تَرَى أَنَّ فَلاَسِفَةَ اليُونَانِ وَبَرَاهِمَةَ الهُنُودِ وَجُوكِيَّتَهُمْ أَوْرَثَتْ الرِّيَاضَةُ كُلهُمْ صَفَاءَ النَّفْسِ وَدَلتْهُمْ بِذَلكَ عَلَى طَرِيقِ الضَّلاَلةِ وَجَرَّتْهُمْ إِلى الخَسَارَةِ حَتَّى اعْتَمَدَ أَفْلاَطُونُ الأَحْمَقُ عَلَى صَفَاءِ نَفْسِهِ وَجَعَل الصُّوَرَ الكَشْفِيَّةَ الخَيَاليَّةَ مُقْتَدَاهُ فَأُعْجِبَ بِنَفْسِهِ وَلمْ يُصَدِّقْ عِيسَى - عَلَى نَبِيِّنَا وَعَليْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَكَانَ مَبْعُوثًا فِي زَمَنِهِ وَقَال: نَحْنُ قَوْمٌ مَهْدِيُّونَ لاَ حَاجَةَ بِنَا إِلى مَنْ يَهْدِينَا فَإِنْ لمْ يَكُنْ فِيهِ هَذَا الصَّفَاءُ المُوجِبُ لزِيَادَةِ الظُّلمَةِ لمَا كَانَتْ الصُّوَرُ الكَشْفِيَّةُ الخَيَاليَّةُ سُدَّةً فِي طَرِيقِهِ وَمَانِعَةً لهُ عَنِ الوُصُولِ إِلى المَطْلبِ وَقَدْ وَجَدَ هُوَ نَفْسَهُ بِسَبَبِ هَذَا الصَّفَاءِ نُورَانِيًّا وَلمْ يَعْلمْ أَنَّ ذَلكَ الصَّفَاءَ لمْ يُجَاوِزْ القِشْرَ الرَّقِيقَ مِنْ نَفْسِهِ الأَمَّارَةِ وَإِنَّهَا عَلَى خُبْثِهَا وَنَجَاسَتِهَا وَلمْ يَزِدْ فِيَا شَيْئًا سِوَى أَنَّ تِلكَ كَنَجَاسَةٍ مُغَلظَةٍ مُغْلفَةٍ بِغِلاَفٍ رَقِيقٍ مِنَ السُّكَّرِ.

وَالقَلبُ الذِي هُوَ نُورَانِيٌّ فِي حَدِّ ذَاتِهِ وَطَاهِرٌ وَإِنَّمَا قَعَدَ عَلَى وَجْهِهِ غُبَارٌ مِنْ مُجَاوَرَتِهِ النَّفْسَ الظُّلمَانِيَّةَ يَرْجِعُ إِلى حَالهِ الأَصْليِّ بِقَلِيلٍ مِنَ التَّصْفِيَةِ وَيَصِيرُ

نُورَانِيًّا بِخِلاَفِ النَّفْسِ فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ فِي حَدِّ ذَاتِهَا وَالظُّلْمَةُ مِنْ صِفَاتِهَا الذَّاتِيَّة وَمَا لَمْ تُزَكَّ وَلَمْ تُطَهَّرْ بِسِيَاسَةِ القَلْبِ بَل بِاتِّبَاعِ السُّنَّة وَالتِزَامِ الشَّرِيعَة - عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ - بَل بِمَحْضِ فَضْلِ الله - سُبْحَانَهُ - لاَ يَزُول عَنْهَا خُبْثُهَا الذَّاتِيُّ وَلاَ يُتَصَوَّرُ عَنْهَا الفَلاَحُ وَالخَيْرُ وَأَفْلاَطُونُ قَدْ ظَنَّ صَفَاءَهُ الذي تَعَلَّقَ بِنَفْسِه الأَمَّارَة كَصَفَاءِ القَلْبِ العِيسَوِيِّ فَتَخَيَّل نَفْسَهُ بِالضَّرُورَةِ مُهَذَّبًا وَمُطَهَّرًا مِثْلَهُ وَحُرِمَ مِنْ دَوْلَة مُتَابَعَتِه عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَصَارَ مُتَّسِمًا بِسِمَةِ الخَسَارَةِ الأَبَدِيَّة أَعَاذَنَا اللهُ - سُبْحَانَهُ - مِنْ هَذَا البَلاَءِ، وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ المَضَرَّةُ مُضْمَرَةً وَمَكْمُونَةً فِي طَبِيعَة الجُوعِ تَرَكَ أَكَابِرُ هَذِهِ الطَّرِيقَة قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ رِيَاضَةَ الجُوعِ وَاخْتَارُوا رِيَاضَةَ الاعْتِدَالِ فِي المَطْعُومَاتِ وَمُجَاهَدَةَ رِعَايَةِ الاقْتِصَادِ فِي سَائِرِ الحَالاَتِ وَتَرَكُوا مَنَافِعَ الجُوعِ لاحْتِمَالِ الضَّرَرِ العَظِيمِ وَتَرَتُّبِ الآفَاتِ، وَالآخَرُونَ لاَحَظُوا مَنَافِعَهُ وَأَغْمَضُوا عَنْ مَضَارِّهِ فَرَغِبُوا فِيهِ وَمِنَ المُقَرَّرِ عِنْدَ العُقَلاَءِ أَنَّهُ يَتْرُكُ المَنَافِعَ الكَثِيرَةَ لاحْتِمَالِ المَضَرَّةِ اليَسِيرَةِ وَقَرِيبٌ مِنْ هَذِهِ المَقَالَة مَا قَالَهُ العُلَمَاءُ شَكَرَ اللهُ سَعْيَهُمْ: إِنَّ الأَمْرَ إِذَا دَارَ بَيْنَ السُّنَّةِ وَالبِدْعَةِ الأَفْضَلُ تَرْكُ هَذَا الأَمْرِ لاحْتِمَالِ كَوْنِه بِدْعَةً دُونَ إِتْيَانِه بِسَبَبِ احْتِمَالِ كَوْنِه سُنَّةً يَعْنِي أَنَّ فِي احْتِمَالِ كَوْنِه بِدْعَةً احْتِمَالَ الضَّرَرِ وَفِي احْتِمَالِ كَوْنِه سُنَّةً تَوَقُّعَ المَنَافِعِ فَيَنْبَغِي تَرْكُهُ تَرْجِيحًا لاحْتِمَالِ الضَّرَرِ عَلَى تَوَقُّعِ المَنَافِعِ فَلاَ عَجَبَ لَوْ عُرِضَ الضَّرَرُ فِي إِتْيَانِ السُّنَّة مِنْ طَرِيقٍ آخَر.

وَحَقِيقَةُ هَذَا الكَلاَمِ هِيَ أَنَّ هَذِهِ السُّنَّةَ كَأَنَّهَا كَانَتْ مُوَقَّتَةً بِذَلِكَ القَرْنِ وَلَمَّا لَمْ يَجِدْ جَمَاعَةٌ كَوْنَهَا مُوَقَّتَةً بِوَاسِطَةِ الدِّقَّة وَالخَفَاءِ بَادَرُوا عَلَى فِعْلِهَا بِالتَّقْلِيد وَجَمَاعَةٌ لَمَّا وَجَدُوهَا مُوَقَّتَةً تَرَكُوا التَّقْلِيدَ فِيهَا وَاللهُ - سُبْحَانَهُ - أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الحَالِ.

وَالسُّؤَالُ الثَّالِثُ قَدْ ذُكِرَ فِي كُتُبِ أَكَابِرِ هَذِهِ الطَّرِيقَة أَنَّ نِسْبَتَنَا مَنْسُوبَةٌ إِلَى الصِّدِّيقِ رضي الله عنه بِخِلاَفِ سَائِرِ الطُّرُق فَإِنْ قَالَ مُدَّعٍ: إِنَّ أَكْثَرَ الطُّرُقِ وَاصِل إِلَى الإِمَامِ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ وَهُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى الصِّدِّيقِ فَلِمَ لاَ نَنْسُبُ بَقِيَّةَ الطُّرُقِ أَيْضًا إِلَى الصِّدِّيقِ؟

الجَوَابُ: إِنَّ الإِمَامَ نِسْبَةٌ مِنَ الصِّدِّيقِ وَنِسْبَةٌ مِنْ عَلِيٍّ ـــ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى ـــ عَنْهُمَا وَكَمَالاَتُ كُل وَاحِدَة مِنْ هَاتَيْنِ النِّسْبَتَيْنِ مَعَ وُجُودِ اجْتِمَاعِهِمَا فِي الإِمَامِ عَلَى حِدَة وَمُتَمَيِّزٌ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ فَأَخَذَتْ طَائِفَةٌ عَنْهُ النِّسْبَةَ الصِّدِّيقِيَّةَ بِوَاسِطَةِ المُنَاسَبَةِ الصِّدِّيقِيَّة وَانْتَسَبُوا إِلَى الصِّدِّيقِ وَأَخَذَتْ جَمَاعَةٌ عَنْهُ أَيْضًا النِّسْبَةَ

العُلَوِيَّة بِالمُنَاسَبَة العُلَوِيَّة وَانْتَسَبُوا إِلَى عَلِيٍّ ــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ــ وَقَدْ كُنْتُ ذَهَبْتُ بَلْدَةَ بَنَارِسَ لِحَاجَة مَا وَهُنَاكَ يَجْتَمِعُ نَهْرُ كنك مَعَ نَهْر جن وَمَعَ هَذَا الاجْتمَاعِ يُشَاهَدُ أَنَّ نَهْرَ كنك غَيْرُ مُخْتَلط بنَهْرِ جمن بَل مُتَمَايِزٌ عَنْهُ بحَيْثُ تُوهِّم أَنَّ بينَهما بَرْزَخًا يَمْنَعُ اخْتلاطَ أَحَدهمَا بالآخَر، وَالذينَ هُمْ في طَرَف نَهر كنك يَشْرَبُونَ منْ نَهَر كنك وَالذينَ هُمْ عَلَى طَرَف نَهْر جمن يَشْرَبُونَ منْ مَاء نَهر جمن.

فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ الخَوَاجَةَ مُحَمَّدَ بَارْسَا – قُدِّسَ سرُّهُ – قَدْ حَقَّقَ في رسَالته التَّقَدُّسيَّة أَنَّ الإمَامَ عَليًّا كَلمَ اللهِ وَجْهَهُ كَمَا أَنَّهُ وَجدَ التَّرْبيَةَ منْ خَاتَم الرِّسَالَة – عَلَيْه وَعَلَى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ – وَالتَّحيَّةُ كَذَلكَ وَجدَ التَّرْبيَةَ منَ الصِّدِّيق ﷺ فَتَكُونُ نسْبَةُ عَليٍّ عَيْنَ نسْبَة الصِّدِّيق فَمَاذَا يَكُونُ الفَرْقُ بَيْنَهمَا ؟

قُلْنَا: أَنَّ خُصُوصيَّات المَحَال مَعَ وُجُود اتِّحَاد النِّسْبَة بَاقيَة عَلى حَالهَا وَقَدْ يَعْرضُ لمَاء وَاحد بوَاسطَة تَعَدُّد المَحَال خُصُوصيَّاتٌ مُتَميِّزَةٌ فَيَجُوزُ أَنْ يُنْسَبَ إلَى كُل منْهُمَا طَرِيقٌ بالنَّظَر إلى خُصُوصيَّة كُل منْهُمَا.

وَحَاصل السُّؤَال الرَّابع: هُوَ أَنَّهُ قَدْ حُرِّرَ في مَكْتُوب مُلاَّ مُحَمَّد صدِّيق أَنَّهُ إذَا كَانَ لشَخْص اسْتعْدَادُ الولاَيَة المُوسَويَّة لاَ يُدْرَى أَنَّ صَاحبَ تَصَرُّف هَل يَقْدرُ عَلى إخْرَاجه إلَى الولاَيَة المُحَمَّديَّة أَوْ لاَ، وَحُرِّرَ في مَكْتُوب المَخْدُوم زَادَهْ الأَكْبَر ــ قُدِّسَ سرُّهُ ــ بأَنِّي أَخْرَجْتُكَ منَ الولاَيَة المُوسَويَّة إلى الوِلاَيَة المُحَمَّديَّة فَمَا وَجْهُ التَّوْفيق.

الجَوَابُ: إنَّ الوَاقعَ في مَكْتُوب مُلاَّ مُحَمَّد صدِّيق هُوَ أَنَّ الإخْرَاجَ منَ الولاَيَة المُوسَويَّة إلى الولاَيَة المُحَمَّديَّة لَيسَ بمَعْلُوم الوُقُوع وَلَمْ يَكُنْ في ذَلكَ الوَقْت علمٌ بوُقُوعِ هَذَا الأَمْرِ وَلَمَّا صَارَ مَعْلومًا بَعْدَ ذَلكَ وَحَصَلَتْ قُدْرَةُ التَّغْيير وَالتَّبْديل كَتَبْتُ بأَنِّي أَخْرَجْتُكَ منْ هَذه الولاَيَة إلى تلكَ الولاَيَة فَلَمْ يَجد اتِّحَادُ الزَّمَان حَتَّى يُتَصوَّرَ التَّنَاقضُ.

وَحَاصل السُّؤَال الخَامس: أَنَّ الصُّوفيَّةَ هُنَا يَلبَسُونَ قَميصًا مَشْقُوقَ الجَيْب عَلَى الصَّدْر، وَيَقُولونَ: "**إنَّ السُّنَّةَ هيَ هَذَا**"، وَأَصْحَاب المير يَلبَسُونَ قَميصًا مُدَوَّرَ الجَيْب فَمَا تَحْقيقُ ذَلكَ ؟

اعْلَـــم: أَنَّا نَحْنُ أَيْضًا في التَّرَدُّد في هَذَا البَاب؛فَإنَّ العَرَبَ يَلبَسُونَهُ مَشْقُوقًا عَلَى الصَّدْر وَيُرُونَهُ سُنَّةً، وَيُفْهَمُ منْ بَعْض الكُتُب الحَنَفيَّة أَنَّهُ لاَ يَنْبَغي للرِّجَال لبْسُ قَميص مَشْقُوق الصَّدْر لكَوْنه لبَاسَ النِّسَاء؛ رَوَى الإمَامُ أَحْمَدُ وَأَبو

دَاوُد عَنْ أَبي هُرَيْرَة أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: "لعنَ رَجُل يَلبَسُ لِبْسَ المرْآة وَلعنَت المرْأَةُ تلبسُ لِبْسَ الرَّجُل" وَفي مَطَالب المُؤمنينَ: "وَلاَ تَتَشَبَّهُ المَرْأَةُ بالرِّجَال وَلاَ يَتَشَبَّهُ الرَّجُل بالنِّسَاء؛ فإنَّ كلاَ الفريقَيْنِ مَلعُونٌ".

بَل يُفْهَمُ أَنَّ القَميصَ المَشْقُوقَ الصَّدْر لَيْسَ مِنْ لبَاس أَهْل الدِّين وَأَهْل العلمِ؛ وَلهَذَا جَوَّزُوهُ لأَهْل الذِّمَّة في جَامعِ الرُّمُوز نَقْلاً عَنِ المُحيط؛ فَلاَ يَلبسُ، أَيُّ: الذِّمِّيِّ، مَا يَختَصُّ بأَهْل الدِّينِ وَالعلمِ كَالرِّدَاءِ وَالعمَامَةِ بَل قَميصًا خَشِنًا مِنَ الكِرْبَاسِ جَيْبُهُ عَلى صَدْره كَالنِّسَاء.

وَأَيْضًا إنَّ مَشْقُوقَ الجَيْب عَلى الصَّدْر لَيس قَميصًا عَلى قَوْل بَعْضِ العُلمَاء بَل هُوَ درْعٌ وَإنَّمَا القَميصُ عِنْدَهُمْ مَا يَكُونُ مَشْقُوقَ الجَيْبِ عَلى المَنْكبَيْنِ في جَامعِ الرُّمُوزِ في بَيَان كَفَن المَرْأَة وَفي الهِدَايَة بَدَل القَميص الدِّرْع.

وَفُرِّقَ بَيْنَهُمَا أَنَّ شَقَّهُ إلى الصَّدْر وَالقَميصُ إلى المَنْكب، وَقَالوا بالتَّرَادُف:

وَالصَّوَاب عِنْدَ الفَقيرِ هُوَ: أَنَّهُ لَمَّا كَانَ الرِّجَال مَمْنُوعينَ عَنِ التَّشَبُّه بالنِّسَاء، تَوَقَّفَ الحُكْمُ عَلى مَعْرفَة عَادَة النِّسَاء، فَنَنْظُرُ إذَا كَانَ في مَحَل تَلبَسُ فيه النِّسَاءُ قَميصًا شَقُّهُ عَلى الصَّدْر يَنْبَغي أَنْ يُتْرَكَ الرِّجَال لبْسَهُ لِئَلاَّ يَتَشَبَّهُوا بالنِّسَاء، وَأَنْ يَلبَسُوا قَميصًا شَقُّهُ عَلى المَنْكب، وَإذَا كَانَ في مَحَل تَلبَسُ فيه النِّسَاءُ قَميصًا شَقُّهُ عَلى المَنْكب يَختَارُ الرِّجَال قَميصًا شَقُّهُ عَلى الصَّدْر فَفي بلاَد العَرَب تَلبَسُ النِّسَاءُ قَميصًا مُدَوَّرَ الجَيْب فَيَلبَسُ الرِّجَال مَا شَقُّهُ عَلى الصَّدْر بالضَّرُورَة، وَفي مَا وَرَاءَ النَّهرِ وَالهنْد تَلبَسُ النِّسَاءُ قَميصًا شَقُّهُ عَلى الصَّدْرِ، فَيَختَارُ الرِّجَال قَميصًا شَقُّهُ عَلى المَنْكب بالضَّرُورَة.

قَال الشَّيْخ ميان عَبْدُ الحَقّ: كُنْتُ في مَكَّة فَرَأَيْتُ وَاحدًا مِنْ مُريدي الشَّيْخِ نظَام النَّارِ نُولي يَطُوفُ بالبَيْت لاَبسًا قَميصًا مُدَوَّرَ الجَيْب وَصَارَ جَمْعٌ مِنَ العَرَب يَتَعَجَّبُونَ مِنْ قَميصه قَائلينَ: إنَّهُ لبسَ قَميصَ النِّسَاء فَباعْتبَار العُرْف وَالعَادَة يَكُونُ عَمَل كُل مِنَ العَرَبِ وَالهنْد وَأَهْل مَا وَرَاءَ النَّهْر صَوَابًا: ﴿ وَلكُل وُجْهَةٌ هُوَ مُوَليهَا ﴾ فَلوْ ثَبَتَتْ سُنِّيَّةُ لبْس القَميصِ المَشْقُوق عَلى الصَّدْرِ لَمَا جَوَّزَ عُلمَاءُ الحَنَفيَّة لبْسَهُ لأَهْل الذِّمَّة وَلَمَا جَعَلوا خلاَفَهُ مَخصُوصًا بأَهْل العلمِ وَالدِّين، وَلَمَّا كَانَت النِّسَاءُ أَقْدَمَ وَأَسْبَقَ في هَذَا اللبَاسِ مِنَ الرِّجَال جَعَلوا لبَاسَ الرِّجَال هُنَا تَابعًا للبَاسِ النِّسَاء.

وَحَاصل السُّؤَال السَّادس: هُوَ أَنَّ تَوَجُّهُ الطَّالب في هَذَا الطَّريق لَمَّا كَانَ إلى الأُحَديَّة الصِّرْفَة مِنَ ابْتدَاءِ الأَمْرِ كَانَ اللاَّزِمُ أَنْ لاَ يَجتَمِعَ هَذَا التَّوَجُّهُ مَعَ النَّفْي

وَالإِثْبَات؛ فَإِنَّ التَّوَجُّهَ وَقْتَ النَّفْيِ إِلى الغَيْرِ.

الجَوَابُ: إِنَّ التَّوَجُّهَ إِلى الغَيْرِ إِنَّمَا هُوَ لتَقْوِيَة التَّوَجُّه إِلى الأُحَدِيَّة وَتَرْبِيَته، وَالمَقْصُودُ مَنْ نَفْيِ الغَيْرِ حُصُول دَوَام ذَلِكَ التَّوَجُّه منْ غَيْرِ مُزَاحمَة الأَغْيَارِ، فَالتَّوَجُّهُ إِلى نَفْيِ الغَيْرِ لَيْسَ بمُنَاف للتَّوَجُّه إِلى الأُحَدِيَّة وَإِنَّمَا المُنَافي لَهُ التَّوَجُّهُ إِلى الغَيْرِ لاَ التَّوَجُّهُ إِلى نَفْيِ الغَيْرِ، شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا.

وَحَاصل السُّؤَال السَّابِعِ: هُوَ أَنَّ كُل ذكر يُسْتَعْمَل باللسَان يَسْتَعْملهُ المُبْتَدئُونَ في هَذه الطَّريقَة بالقَلب؛ فَالنَّفْي وَالإِثْبَات هَل يُسْتَعْمَل جَميعُهُ بالقَلب أَوْ لاَ بَل بَعْضه بالقَلب وَبَعْضه بغَيْرِه ؟ فَإِنْ كَانَ المُسْتَعْمَل بالقَلب جَميعَهُ فَكَيْفَ يَسْتَقيمُ مُدلاً إِلى فَوْق وَصَرْفُهُ إِلى يَمين.

الجَوَابُ: مَا النُّقْصَانُ إِنْ كَانَ المُسْتَعْمَل بالقَلب جَميعَهُ فَإِنْ لاَ يَمُدُّ بالقَلب إِلى فَوْق وَيُصْرَفُ إِلى يَمين وَيَجُرُّ إِلاَّ الله نَحْوَهُ أَي القَلبَ مَعَ أَنَّ النَّفْيَ وَالإِثْبَاتَ في هَذَا الطَّرِيق بالتَّخَيُّل لاَ دَخْل فيه للسَان وَالحَنَك أَصْلاً حَتَّى يُشْتَرَط مُوَاطَأَةُ القَلب وَالقَوْل، وَهَذَان السُّؤَالاَن الأَخيرَان منْ قَبيل تَشْكيكَات الفَخْرِ الرَّازِيِّ، فَلئنْ تَأَمَّلتُمْ فيهمَا تَأَمُّلاً جَيِّدًا لاَنْدَفَعَا.

بَقيَّةُ المَرَام: أَنَّ بَعْضَ الأَصْحَاب المَوْجُودينَ هُنَاكَ قَدْ كَتَبَ مُكَرَّرًا أَنَّ المير قَليل الالتفَات إِلى أَحْوَال الطَّالبينَ في هَذه الأَيَّامِ وَمَشْغُول بالعمَارَة وَيَصْرِفُ مَبْلغ الفُتُوحِ في خَرَجَ العمَارَة وَيَبْقَى الفُقَرَاءُ مَحْرُومينَ، وَكَتَبُوا هَذه المُقَدِّمَات عَلى نَهْجٍ يُفْهَمُ منْهُ شَائبَة الاعْترَاض وَتَفُوحُ رَائحَةُ الإِنْكَار.

فَليَعْلَمُوا: أَنَّ إِنْكَارَ هَذه الطَّائفَة سُمٌّ قَاتل، وَالاعْترَاضَ عَلى أَفْعَال هَؤُلاَءِ الأَكَابرِ وَأَقْوَالهمْ سُمُّ الأَفْعَى يُؤَدِّي إِلى المَوْت الأَبَديِّ، وَيُفْضي إِلى الهَلاَك السَّرْمَديِّ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ هَذَا الإِنْكَار وَالاعْترَاضُ رَاجعًا إِلى الشَّيْخِ وَكَانَ سَبَبًا لإِيذَائه، وَمُنْكرُ هَذه الطَّائفَة مَحْرُومٌ منْ بَرَكَاتهمْ وَالمُعْترضُ عَلَيْهمْ خَائبٌ وَخَاسرٌ في جَميعِ الأَوْقَات، وَمَا لَمْ يَكُنْ جَميعُ حَرَكَات الشَّيْخِ وَسَكَنَاته مُسْتَحْسَنَةً في نَظَرِ المُريد لاَ يَنَال نَصيبًا منْ كَمَالاَته، فَإِنْ نَال يَكُونُ اسْتدْرَاجًا وَيَكُونُ عَاقبَتُهُ هَلاَكًا وَبَوَارًا وَفَضيحَةً وَدَمَارًا، فَإِنْ وُجدَ المُريد في نَفْسه مَجَال الاعْترَاض عَلى الشَّيْخِ مقْدَارَ شَعْرَة مَعَ وُجُود كَمَال مَحَبَّته وَإِخْلاَصه لَهُ فَليَتَيَقَّنْ أَنَّ ذَلكَ لَيْسَ إِلاَّ خَيْبَتَهُ وَخَسَارَتَهُ وَحرْمَانَهُ منْ كَمَالاَت الشَّيْخِ أَوْ رَذَالَته، فَإِنَّ خَطَرَ في قَلب المُريد فَرْضًا شُبْهَة في فعْل منْ أَفْعَال الشَّيْخِ وَلَمْ تَنْدَفعْ فليستفسره عَنْهُ عَلى نَهْجٍ يَكُونُ

خَالِيًا عَنْ شَائِبَة الاعْتِرَاض وَمُبَرَّأً عَنْ مَظَنَّة الإنْكَار، وَحَيْثُ كَانَ المُحقُّ وَالمُبْطل مُمْتَزِجَان وَمُلتَبِسَان فِي هَذَا الزَّمَان فَلوْ ظَهَرَ مِنَ الشَّيْخِ أَمْرٌ مُخَالفٌ للشَّرِيعَة أَحْيَانًا يَنْبَغِي للمُرِيدِينَ أَنْ لاَ يُقلدُوهُ فيه بَل يَطْلبُونَ لهُ مَحْمَلاً بحُسْنِ الظَّنِّ مَهْمَا أَمْكَنَ، وَيَبْتَغُونَ وَجْهَ صِحَّتِه، فَإِنْ لمْ يَظْهَرْ وَجْهُ الصِّحَّة يَنْبَغِي أَنْ يَلتَجِئُوا وَيَتَضَرَّعُوا إِلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ فِي دَفْعِ هَذَا الابْتِلاءِ عَنْهُمْ، وَيَطْلبُوا مِنْهُ تَعَالى سَلاَمَةَ الشَّيْخِ وَعَافِيَته بالبُكَاءِ وَالابْتِهَال، فَإِنْ عَرَض للمُرِيد شُبْهَة فِي حَقِّ الشَّيْخ لارْتِكَابه الأَمْر المُبَاح لاَ تُعْتَبَرُ تلكَ الشُّبْهَةَ وَلاَ يَعْبأُ بهَا؛ فَإِنَّهُ إذَا لمَّ يَمْنَعْ مَالكُ الأُمُور ــ جَل سُلطَانه ــ عَنْ إتْيَان المُبَاح وَلمْ يَعْتَرِضْ عَلى فَاعله كَيْفَ يَسُوغُ لغَيْره سُبْحَانَهُ أَنْ يَعْتَرِضَ عَلَيْه مِنْ قِبَل نَفْسه، وَكَمْ مِنْ مَوَاضِعَ يَكُونُ فيه تَرْكُ الأَوْلى أَوْلَى مِنْ إتْيَانه، وَقَدْ وَرَدَ فِي الحَدِيث: "أَنَّ اللهَ تَعَالى يُحبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخصَةُ كَمَا يُحبُّ أَنْ تُؤْتَى عَزَائمُهُ"، وَحَيْثُ كَانَ فِي الشَّيْخ المير قَبْضٌ مُفرطٌ كَيْفَ يَسُوغُ الاعْتِرَاضُ عَليْه أَنْ لمْ يَلتَفتْ إلى أَحْوَال المُرِيد وَلمْ يَشْتَغل بهِمْ، وَطَلَب تَسْليَة مِنْ بَعْضِ الأُمُورِ المُبَاحَة، وَكَانَ عَبْد الله الإصْطَخْرِيُّ يَذْهَبُ إلى الصَّحْرَاءِ مَعَ كلاَب الصَّيْد لتَسْليَة نَفْسه، وَبَعْض المَشَايخ كَانُوا يَطْلُبُونَ تَسليَهُمْ فِي السَّمَاعِ وَأَصْوَاتِ النَّغْمَة، ﴿ وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبعَ الهُدَى ﴾ وَالتزمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَليْه وَعَلى آله أَتَمُّ الصَّلوَاتِ وَأَكْمَل التَّسْليمَات.

العَرِيضَةُ الأُولى
مِنَ العَرَائِضِ التِي كَتَبَهَا المَخْدُوم زَادَهُ الأَعْظَم عَليْه الرَّحْمَة وَالغُفْرَان

عَرِيضَةُ أَقَل العَبيد مُحَمَّد صَادق أُنْهِيَ إلى العَرْضِ الأَشْرَف أَنَّ أَحْوَال هَذه الحُدُود وَأَوْضَاعَهَا عَلى الجَمْعيَّة الصُّورِيَّة وَالمَعْنَوِيَّة بيَمين التَّوَجُّهَات العَليَّة، وَقَدْ كَانَ الخَاطِر مُتَفرِّقًا وَمُتَشَتِّتًا مُنْذُ مُدَّة مِنْ طَرَف خدْمَة الحَضْرَة فَقَدَّمَ الميَان بَدْرُ الدِّين يَوْمَ تَحْرِيرِ العَرِيضَة وَبَلغَ خَبَرَ العَافيَة الكَاملة فَحَصَل فَرَحٌ غَيْرُ مَحْدُودٍ وَسُرُورٌ غَيْرُ مَحْصُورٍ، الحَمْد لله عَلى ذَلكَ حَمْدًا كثيراً.

وَيَا قبلتِي أَنَّ الحَافظَ بَهَاء الدِّين خَتَمَ القُرْآنَ المَجيدَ فِي الليْلة الثَّالثَةَ عَشْرَةَ وَشَرَعَ الحَافظُ مُوسَى فِي الليْلة الرَّابعَةَ عَشْرَةَ وَقرَأَ فِي كُل ليْلةٍ خَمْسَةَ أَجْزَاءٍ وَيَخْتِمُ الليْلة الآتيَة التِي هِيَ التَّاسعَةَ عَشْرَةَ.

وَتَقرَّرَ الحَافظُ بَهَاءُ الدِّين للخَتْمِ فِي العَشْرِ الأَخيرِ.

المَقْصُود سَلاَمَةُ الحَضْرَة، وَبَيْنَمَا الحَافظُ يَقْرَأُ القُرْآنَ لَيْلَةً في التَّرَاوِيح ظَهَرَ مَقَام وَسِيعٌ كَثِيرُ النُّورَانيَّة كَأَنَّهُ كَانَ مَقَامُ الحَقِيقَة القُرْآنيَّة وَإِنْ لَمْ يُمْكِنْ الجَرَاءَة عَلى ادِّعَاء ذَلِكَ، وَصَارَ مَعْلومًا أَنَّ الحَقِيقَةَ المُحَمَّدِيَّةَ ـ عَلى صَاحبهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّة ـ إجْمَال هَذَا المَقَام وَكَأَنَّهَا بَحْر كَبير مُلئَ في كُوز، وَفي هَذَا المَقَامِ تَفْصِيل الحَقِيقَة المُحَمَّدِيَّة وَلأَكْثَرِ الأَنْبيَاء وَكُمَّل الأَوْلِيَاء نَصِيبٌ مِنْ بَعْضِ هَذَا المَقَامِ عَلى قَدْرِ اسْتِعْدَادَاتهِمْ وَلاَ يُدْرَى حُصُول نَصِيبٍ مِنْ تَمَامِ ذَلِكَ لِغَيْرِ نَبيِّنَا عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلام.

وَهَذَا الحَقِير أَيْضًا نَال مِنْهُ نَصِيبًا ـ رَزَقَنَا الله سُبْحَانَهُ نَصِيبًا كَاملاً مِنْهُ ببَرَكَة التَّوَجُّه العَالي ـ وَذَلكَ المَقَام لَمْ يَتَّضِحْ إلى الآنَ كَمَا يَنْبَغي وَبَقيَّة الأَحْوَال عَلى الجَمْعيَّة وَيُفْهَمُ في هَذَا الشَّهْر حُصُول بَرَكَة كَثيرَة وَأَوْضَاع أَخي مُحَمَّد سَعيد طَيِّبَة وَأَوْقَاتُهُ مَصْرُوفَةٌ بالجَمْعيَّة وَالذِّكْر وَأَهْل البَلَد أَيْضًا يَحْضُرُونَ بالذَّوْق التَّامِّ وَقَدْ حَفظَ الفَقيرُ إلى الآنَ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ وَشَيْئًا فَوْقَهَا، وَيَحْفَظُ إلى يَوْمِ العيد خَمْسَةَ أَجْزَاء تَخْمينًا وَالعُبُوديَّة.

العَرِيضَــــةُ الثَّانِيَــــةُ

عَرِيضَةُ أَقَل العَبيد مُحَمَّد صَادق: أُنْهِيَ إِلى ذُرْوَة العرضِ أَنَّ أَحْوَال هَذه الحُدُود وَأَوْضَاعَهَا مُسْتَوْجَبَةٌ للشُّكْرِ، وَالمَطْلوبُ وَالمَسْئُول خَيْرِيَّةُ ذَلكَ الجَناب مَعَ جَميعِ الخُدَّام وَالأَصْحَاب، وَقَدْ حَصَلَ الابْتهَاجُ بمُطَالعَة النَّميقَة الأَنيقَة وَالصَّحيفَة الشَّرِيفَة المُرْسَلة مَعَ إِسْمَاعيل مَدَّ الله سُبْحَانَهُ ظلال عُطُوفَة حَضْرَة القبْلة عَلى كَافَّة أَهْل الإِسْلاَمِ وَأَبْقَاهَا بحُرْمَة النَّبيِّ وَآله الأَمْجَاد عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

وَيَا قبْلتي مَاذَا كَسَبَ منْ سُوء الأَحْوَال لاَ بضَاعَةَ لي غَيْرُ الحَسْرَة وَالنَّدَامَة عَلى صُدُور سُوء الأَعْمَال وَتَضْييع الأَحْوَال الحَاصلة في المَاضي وَالحَال وَالمُتَمَنِّي أَنْ لاَ تَفوتَ لَحْظَةٌ وَلاَ سَاعَةٌ في خلاَف رِضَائه تَعَالى وَهُوَ لاَ يَتَيَسَّرُ إِلاَّ أَنْ يَمُدَّ خُدَّام ذَلكَ الجَنَاب وَيَأْخُذُوا بيَدي، (ع):

لاَ عُسْرَ في أَمْرٍ منَ الكرَامِ

لله المنَّةُ عَلى نعْمَة الاسْتقَامَة إِلى الآنَ عَلى طَرِيق أَمَرْتُمْ به وَلَمْ يَتطَرَّقْ إِلَيْه فُتُورٌ بيُمْنِ الدَّوْحَة الشَّرِيف بَل نَرْجُو التَّرَقِّيَ وَالتَّزَايُدَ يَوْمًا فَيَوْمًا وَتَنْعَقدُ الصُّحْبَة بَعْدَ الفَجْرِ وَالظُّهْر وَالحَافظ بهَا إِذَا فَرَغَ منَ التَّرَدُّدَات وَوَجَدَ الفُرْصَةَ يَشْتَغل بقرَاءَة القُرْآن، وَالفَقيرُ مَقْبُوضٌ مَرَّةً وَمَبْسُوطٌ أُخْرَى، وَالقَبْض وَالبَسْط وَالتَّوَجُّه وَالذَّوْق وَالسُّكُون وَغَيْرهَا تَتَعَلقُ بالبَدَن فَقَطْ لاَ تَتَجَاوَزُهُ إِلى غَيْره وَاللطَائف السِّتَّة لَيْسَتْ مُتَوَجِّهَةً وَلاَ غَاملة فَإِنْ كَانَتْ مُتَوَجِّهَة فَتَوَجُّهُهَا مثْل العلم الحُضُور عَيْنَهُ.

وَأَرَى التَّوَجُّه وَالذَّوْق وَأَمْثَالهمَا دَاخلة في الظِّلاَل لاَ أَجدُهَا مُجَاوَزهَا وَكَانَتْ اللطَائف أَوَّلاً مُخْتَلطَة بالبَدَن وَلَمْ يَكُنْ أَمْر سوَى البَدَن مَفْهُومًا في نَظَر البَصيرَة كَمَا كَانَتْ عَرْضَتُهُ في الحُضُور المَوْفُور السُّرُور وَالآنَ أَجدُهَا مُمْتَازَة عَن البَدَن وَأَرَى ذَلكَ المَقَام مَقَام البَقَاء عَرَضَ أَيْضًا نَوْعٌ منَ الفَنَاء للطَّائف وَفُهمَ أَنَّ الأَمْرَ لاَ يَتمُّ بدُون هَذَا الفَنَاء الذي يَكُونُ بَعْدَ البَقَاء مَقْبُوض مُنْذُ أَيَّام، وَمُعَامَلة السُّرُور قَليلة نَنْظُرُ مَاذَا يَظْهَرُ بَعْدَ ذَلكَ.

وَإِلى الآنَ لَمْ يَحْصُل التَّوَجُّه إِلى العَالَم وَحَيْثُ كَانَ عَرْضُ الأَحْوَال ضَرُورِيًّا تَجَاسَرْنَا بتَحْرِير كَلمَات وَيَا قبْلتي أَرَى الحَضَرَ في المَنَامِ في كُل لَيْلة إِلاَّ مَا شَاءَ اللهُ وَمَاذَا أَكْتُبُ أَزَيد منْ ذَلكَ فَإِنَّ الزِّيَادَةَ دَاخلة في التَّكْليفَات الرَّسْميَّة وَالسَّلاَمُ وَالعُبُوديَّةُ.

العَرِيضَةُ الثَّالِثَةُ

عَرِيضَة أَقَل العَبِيد مُحَمَّد صَادِق: أُنْهِيَ إِلى مَوْقِف العَرْضَ أَنَّ هَذَا الحَقِيرَ كَانَ مَقْبُوضًا وَمَغْمُومًا مِنْ مُدَّة فَأَدْرَكَتْ العِنَايَة الإِلهيَّة آخِرَ الأَمْرِ بِمَحْضِ التَّوجُّه الأَقْدَسِ وَحَصَل بَسْطٌ عَظِيمٌ وَصَارَ مَعْلومًا فِي ذَلكَ البَسْط أَنَّ الذِّكْرَ وَالتَّوجُّهَ مَثلاً كَانَا أولاً مِنْ جَانب هَذَا الشَّخْصِ وَالآنَ كُل شَيْء مِنْ جَانبه تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَلاَ أَجدُ فِي نَفْسِي غَيْرَ قَابليَّة لقَبُول مَا يَردُ مِنْ جَانبه تَعَالى كَمرْآة تَطْلعُ عَلَيْهَا الشَّمْس فَاحْتَرَقَ بذَلكَ الطُّلوعِ كُل ظُلمَة وَكُدُورَة فِي البَدَن وَاللطَائف وَحَصَل لهَا نُور وَبَرَكَة كَمَا يَنْبَغِي؛ فَانْشَرَحَ الصَّدْرُ وَاتَّسعَ القَلْبُ وَصَارَ البَدَن كَالنُّور مُضيئًا أُلطَفْ مِنَ الرُّوحِ وَالسِّرِّ اللذَيْنِ كَانَا قَبْل ذَلكَ، وَوَجَدَتْ التَّجَلي الأَكْمَل مِنْ بَيْنِ اللطَائف للقَلب فَلمَّا نَظَرَتْ إِلى القَلب ظَهَرَ أَنَّ فِي القَلب قَلبًا آخرَ وَالتَّجَليَ لهُ، فَلما نَظَرَتْ إِلى قَلب القَلب ظَهَرَ أَنَّ فِي ذَلكَ القَلب قَلبًا آخرَ وَهَكَذَا إِلى غَيْرِ النِّهَايَة فَلمْ يَظْهَرْ قَلبٌ بَسِيطٌ إِلاَّ وَفِيه قَلبٌ آخرُ وَلكنْ يَتَوَهَّمُ الآنَ أَنَّهُ انْتَهَى إِلى قَلب بَسِيط وَلَيْسَ ذَلكَ بمُتَّقِينَ وَعُلمَ أَنَّ الحَالاَت المُتَقَدِّمَةَ عَلى هَذه الحَالَة بالنِّسْبَة إِليْهَا كَانَتْ كُلهَا تَكَلفَات صِرْفَةً، وَقَدْ كَانَ خَطَرَ لي اسْم هَذَا المَقَام وَلكنْ كَتَبْتُهُ تَحَاميًا عَنْ سُوءِ الأَدَبِ فَيَا قَبْلتِي أَنَّ هَذه كُلهَا أَثَر يَسِير مِنْ آثَارِ التَّوجُّه الأَطْهَر (شعْر):

فَلوْ أَنَّ لي فِي كُل مَنْبَت شَعْرَة لسَانًا أَبثُّ الشُّكْرَ كُنْتُ مُقصِّرًا

وَالمَرْجُوّ سَلاَمَةُ الحَضْرَة، وَكَيْفَ أَكْتُبُ تَمَنِّيَ نَيْل مُلاَزمَة خُدَّامِ الجَنَاب ؟! وَكَيْفَ أَشْرَحُهُ وَالتَّصْوِير ليْلاً وَنَهَار فِي كُل سَاعَة إِنَّهُ فِي أَيِّ وَقْت وَمَسْعُود فِي أَيِّ سَاعَة سَعْيُهُ حَصَل المَطْلبُ الأَعْلى وَالمَقْصُودُ الأَعَزُّ وَلاَ تَمَنِّيَ لي غَيْرُ هَذَا التَّمَنِّي يَسَّرَ اللهُ سُبْحَانَهُ هَذه الدَّوْلَةَ العُظْمَى بأَحْسَنِ الوُجُوه وَأَوْفَق الطُّرُق بِحُرْمَة النَّبيِّ وَآله الأَمْجَاد عَليْه وَعَليْهِمْ مِنَ الصَّلوَات أَتَمُّهَا وَأَكْملُهَا وَالعُبُوديَّة.

الْمَكْتُوبُ الرَّابِعَ عَشَرَ بَعْدَ الثَّلاثمائَة
إِلَى الشَّيْخِ عَبْدِ العَزِيزِ الجونفوري
فِي بَيَانِ تَحْرِيرِ مَذْهَبِ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ بْنِ عَرَبِيٍّ(1) ــ قُدِّسَ سِرُّهُ ــ فِي مَسْأَلَةِ وَحْدَةِ الوُجُود
وَمَا هُوَ مُخْتَارُ حَضْرَةِ شَيْخِنَا سَلَمَهُ اللهُ تَعَالَى فِيهَا

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ الذي جَعَلَ الإِمْكَانَ مِرْآةً لِلوُجُوب، وَصَيَّرَ العَدَمَ مَظْهَرًا لِلوُجُود. وَالوُجُوبُ وَالوُجُودُ وَإِنْ كَانَا صِفَتَيْ كَمَالِهِ سُبْحَانَهُ فَهُوَ تَعَالَى وَرَاءَ جَمِيعِ الأَسْمَاءِ، وَالصِّفَاتِ، وَوَرَاءَ الشُّئُونِ، وَالاعْتِبَارَاتِ، وَوَرَاءَ الظُّهُورِ، وَالبُطُونِ، وَوَرَاءَ البُرُوزِ، وَالكُمُونِ، وَوَرَاءَ التَّجَلِّيَاتِ(2) وَالظُّهُورَاتِ، وَوَرَاءَ الْمُشَاهَدَاتِ(3)، وَالْمُكَاشَفَاتِ(4)، وَوَرَاءَ كُلِّ مَحْسُوسٍ، وَمَعْقُولٍ، وَوَرَاءَ كُلِّ مَوْهُومٍ، وَمُتَخَيَّلٍ.

---

١ ــ **محيي الدين ابن عربي**: الشيخ الأكبر محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الطائي الحاتمي المرسي المعروف بابن عربي، حكيم، صوفي، متكلم، فقيه، مفسر، أديب، شاعر، مشارك في علوم أخرى، ولد في مرسية بالأندلس في رمضان، وانتقل إلى إشبيلية، وسمع من ابن بشكوال، ورحل إلى مصر والحجاز وبغداد والموصل وبلاد الروم، أنكر عليه أهل مصر آراءه؛ فعمل بعضهم على إراقة دمه، وحبس فسعى في خلاصه علي بن الفتح البجائي فنجا واستقر بدمشق وتوفي بها في ٢٢ ربيع الآخر سنة [٦٣٨هـ ــ ١٢٤٠م ، ودفن بسفح قاسيون.

(٢) ــ **التجلي**: ما يظهر للقلوب من أنوار الغيوب.(معجم مصطلحات الصوفية للكاشاني ص١٧٣)

(٣) ــ **المشاهدة**: لغة: المعاينة (لسان العرب / شهد) أما في اصطلاح الصوفية؛ فقد عرفها ابن عربي بأنها: رؤية الأشياء بدلائل التوحيد، وعرفها الكاشاني بأنها شهود الذات بارتفاع الحجاب مطلقا.، وذكر بأن صورته في البدايات: إعتقاد حضور الحق بذاته لكل شيء، والإيمان بذلك؛ لقوله تعالى: " أو لم يكف بربك أنه على كل شيئ شهيد "، وفي المعاملات: إيقان كون الأعمال كلها لوجه الله، وفي **الأخلاق**: تيقن أن الكمالات الخلقية كلها لله، **وفي الأصول**: تحقيق أن سيره كله ليس إلا إلى الله، وفي الله، وبالله، ووجهه مسلم لله إلى الله.،وفي الأودية: إدراك الحق بنور البصيرة المكحلة بنوره، **وفي الأحوال**: شهود تجليات أنوار الجمال، وخلوص الحب للجميل، **وفي الولايات**: كشف سبحات الجلال عن جمال الذات. انظر: ابن عربي: اصطلاحات الصوفية: ٢٩١.، الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية: ٣٤٧.

(٤) ــ المكاشفة لغة: مصدر كاشف، والأصل فيها الكشف، وهو: رفع الشيئ عما يواريه، ويغطيه، يقال:

فَهُوَ سُبْحَانَهُ وَرَاءَ الوَرَاء، ثُمَّ وَرَاءَ الوَرَاء، ثُمَّ وَرَاءَ الوَرَاء، (شعر):

وَمَا أُبْدِيكَ مِنْ طَيْرِي عَلامَةْ   وَأَضْحَى مِثْلَ عَنْقَاءَ وَهَامَةْ

وَلِلعَنْقَاءِ بَيْنَ النَّاسِ إِسْمٌ   وَلَيْسَتْ لاسْمِ طَيْرِي اسْتِدَامَةْ

فَلا يَصِلُ حَمْدُ حَامِدٍ إِلَى جَنَابِ قُدْسِ ذَاتِه؛ بَلْ مُنْتَهِي جَمِيعِ المَحَامِدِ دُونَ سُرَادِقَاتِ عِزَّتِه؛ فَهُوَ الذي أَثْنَي عَلَى نَفْسِه، وَحَمِدَ ذَاتَهُ بِذَاتِه.

فَهُوَ سُبْحَانَهُ الحَامِدُ والمَحْمُودُ، وَمَا سِوَاهُ عَاجِزٌ عَنْ أَدَاءِ الحَمْدِ المَقْصُودِ، وَقَدْ عَجَزَ عَنْ حَمْدِه سُبْحَانَهُ مَنْ هُوَ حَامِلُ لِوَاءِ الحَمْدِ يَوْمَ القِيَامَة، تَحْتَهُ آدَمُ، وَمَنْ دُونَهُ، وَهُوَ أَفْضَلُ البَرَايَا، وَأَكْمَلُهُمْ ظُهُورًا، وَأَقْرَبُهُم مَنْزِلَةً، وَأَجْمَعُهُمْ كَمَالاً، وَأَشْمَلُهُمْ جَمَالاً، وَأَتَمُّهُمْ بَدْرًا، وَأَرْفَعُهُمْ قَدْرًا، وَأَعْظَمُهُمْ أُبَّهَةً وَشَرَفًا، وَأَقْوَمُهُمْ دِينًا، وَأَعْدَلُهُمْ مِلَّةً، وَأَكْرَمُهُم حَسَبًا، وَأَشْرَفُهُمْ نَسَبًا، وَأَعْرَفُهُم بَيْتًا.

لَوْلاهُ لَمَا خَلَقَ اللهُ سُبْحَانَهُ الخَلقَ، وَلَمَا أَظْهَرَ الرُّبُوبِيَّةَ. وَكَانَ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ المَاءِ وَالطِّينِ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَة كَانَ هُوَ إِمَامَ النَّبِيِّينَ، وَخَطِيبَهُمْ، وَصَاحِبَ شَفَاعَتِهِمُ الذي قَالَ: " نَحْنُ الآخِرُونَ، وَنَحْنُ السَّابِقُونَ يَوْمَ القِيَامَة، وَإِنِّي قَائِلٌ قَوْلا غَيْرَ فَخْرٍ، وَأَنَا حَبِيبُ الله، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَلا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بُعِثُوا، وَأَنَا قَائِدُهُمْ إِذَا وَفَدُوا، وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا أَنْصَتُوا، وَأَنَا مُسْتَشْفِعُهُمْ إِذَا حُبِسُوا، وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا يَئِسُوا، وَالمَفَاتِيحُ يَوْمَئِذٍ بِيَدَيَّ "(١).

كشف فلان الأمر يكشفه كشفا: أى أظهره، انظر: ابن منظور: لسان العرب: كشف.، والمراد بالمكاشفة عند الصوفية: شهود الأعيان وما فيها من الأحوال في عين الحق؛ فهو التحقيق الصحيح بمطالعة تجليات الأسماء الإلهية.، وذكر الكاشاني: أن صورتها في **البدايات**: الإيمان بحقائق الأسماء الإلهية، وفي **الأبواب**: إنفعال القو النفسانية عن معاني الأسماء الإلهية، وفي **المعاملات**: التهدي للعمل بمقتضاها،وإجابة دواعيها.، وفي **الأخلاق**: الوقوف على كيفية التخلق بالأخلاق الإلهية.، وفي **الأصول**: الشعور بأنوار التجليات الإلهية الباعثة على السلوك المطلقة على شهود التجليات الأسمائية.، وفي **الأحوال**: تلألؤ لأنوار الوجود الأسمائية المهيجة للمحبة الصادقة الجاذبة للسالك إلى حضرة العندية.، وفي **الولايات**: إنكشاف الحجب بصفاء صفات السالك فيها..، انظر: الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية:٣٤٦

(١) ــ أوله أخرجه البخاري: ك:التوحيد: ب: قول الله تعالى: " يريدون أن يبدلوا كلام الله " ح ٧٠٧٥ عن أبي هريرة ﷺ بلفظ " نحن الآخرون السابقون يوم القيامة "، وبقيته أخرجه الدارمي في سننه: ح ٤٨، عن أنس بن مالك ﷺ، وعزاه السيوطي لابن مردويه عن أنس (الدر المنثور جـ٨ تفسير سورة الإنسان، تفسير قوله تعالى " إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤ منثورا.... ")

در قافله كه اوست دانم نرسم ‏ ‏ ‏ ‏ اين بسكه رسدز دور بانك جرسم

تَرْجَمَـــةٌ:

كَيْفَ اللحَاقُ بِرَكْبٍ وَهْوَ قَائِدُهُمْ ‏ ‏ ‏ ‏ يَا نعْمَ إنْ جَاءَ منْ بَعْد صَدٌّ جَرْسُهُ

صَلَوَاتُ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَتَسْلِيمَاتُهُ تَعَالى، وَتَحِيَّاتُهُ عَزَّ شَأْنُه، وَبَرَكَاتُهُ جَل بُرْهَانُهُ عَلَيْه، وَعَلى جَميعِ إخْوَانه منَ النَّبِيِّينَ، وَالمُرْسَلِينَ، وَالملائكَة المُقَرَّبِينَ، وَعَلى أَهْلِ الطَّاعَة أَجْمَعينَ، صَلاةً، وَسَلامًا، وَتَحيَّةً، وَبَرَكَةً، هُوَ لَهَا أَهْلٌ، وَهُمْ لَهَا أَهْلٌ؛ كُلمَا ذَكَرَهُ الذَّاكِرُونَ، وَكُلمَا غَفَلَ عَنْ ذكْره الغَافلونَ،

وَبَعْدَ الحَمْد، وَالصَّلَوَات وَتَبْليغ الدَّعَوَات، وَإرْسَال التَّحيَّات.

ليُعْلَـــمَ: أَنَّ الصَّحيفَةَ الشَّرِيفَةَ المُرْسَلَةَ إلى هَذَا الفَقيرِ[١] بَلغَهَا أَخي الأَعَزُّ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ طَاهر فَطَابَ الوَقْتُ، وَحَصَلَ السُّرُورُ. وَحَيْثُ كَانَتْ مُتَضَمِّنَةً لحَقَائق أَرْبَاب الكَشْف[٢] وَالشُّهُود[٣]، وَمَعَارِفهِمْ زَادَت الفَرَحَ عَلى الفَرَحِ، جَزَاكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ؛ فَصَارَ الفَقيرُ أَيْضًا بَاعثًا عَلى التَّصْديعِ بإيرَاد كَلمَاتٍ في البَيْنِ منْ أَذْوَاق[٤] هَذه الطَّائفَة العَليَّة، وَمَذَاقهِمْ، عَلى وَفْق مَا في صَحيفَتكُمْ.

أَيُّهَا المَخْدُومُ: إنَّ منَ المَعْلومِ أَنَّ الوُجُودَ مَبْدَأُ كُل خَيْرٍ وَكَمَال، وَالعَدَمَ مَنْشَأُ كُل نَقْصٍ وَشَرٍّ وَزَوَال؛ فَيَكُونُ الوُجُودُ ثَابتًا للوَاجب. وَالعَدَمُ يَكُونُ نَصيبَ

---

(١) ــ **الفقير**: يعني بذلك نفسه؛ فالصوفية يطلقون على أنفسهم لفظ " الفقراء" لكي يروا دائماً جميع أعمالهم وأحوالهم امتنانا وفضلا من الله عز وجل.، والفقر لغة: نقيض الغنى (ينظر لسان العرب / فقر)، وأما في اصطلاح أهل التصوف؛ فقد قال الكاشاني، بأن أصله: " **الرجوع إلى العدم الأصلي، حتى يرى العبد وجوده وعمله وحاله ومقامه، كلها فضلا من الله وامتنانا محضا.، وذكر له صورا متعددة؛ فصورته في الأبواب: تجريد النفس من التعلق بالدنيا والميل إليها، وفي الأخلاق: الشكر عند وجود الدنيا وعدمها، والمواساة بما رزق منها.، وفي الأحوال: رؤية نفسه ملك الحق بتصرف فيها كيف يشاء** ". انظر: الكاشاني: معجم إصطلاحات الصوفية: ٢٧٩، ٢٨٠، وعرفه ابن العلاء: " بأن لا يكون لك، فإذا كان لك فلا يكون لك حتى تؤثر، انظر: السهروردي عوارف المعارف: ٣٤٣

(٢) ــ راجع تعريف المكاشفة ص.

(٣) ــ عرفه الكاشاني في معجمه فقال: هو رؤية الحق بالحق. ا.هـ.، انظر:الكاشاني:معجم اصطلاحات الصوفية: ١٧١.

(٤) ــ الذوق: هوأول درجات شهود الحق بالحق في أثناء البوارق المتوالية عند أدنى لبث من التجلي البرقي.، كذا عرفه الكاشاني.، وقال السهروردي: الذوق إيمان. ا. هـ.، وعرفه ابن العربي بأنه: أولى مبادئ التجليات الإلهية.،انظر: الكاشاني:معجم اصطلاحات الصوفية:١٨١.، السهروردي: عوارف المعارف: ٣٦٩.

المُمْكِنِ؛ حَتَّى يَكُونَ جَمِيعُ الخَيْرِ وَالكَمَال عَائِدًا إِلَيْهِ تَعَالى، وَكُل نَقْصٍ وَشَرٌ رَاجِعًا إِلى المُمْكِنِ.

وَإِثْبَاتُ الوُجُود للمُمْكِنِ، وَإِرْجَاعُ الخَيْرِ وَالكَمَال إِلَيْهِ إِشْرَاكُهُ فِي الحَقِيقَة بِه سُبْحَانَهُ فِي ملكه وَمُلكُهُ جَل سُلطَانُهُ.

وَكَذَلكَ القَوْل بعَيْنيَّة المُمْكن للوَاجب تَعَالى شَأْنُهُ، وَجعْل صفَاته وَأَفْعَاله عَيْنَ صفَاته وَأَفْعَاله سُبْحَانَهُ إِسَاءَةُ أَدَب، وَإِلحَادٌ في أَسْمَائه وَصفَاته تَعَالى، وَأَيْنَ المَجَال للكَنَّاس الخَسيس المُتَّسم بالنَّقْص، وَالخُبْث الذَّاتيِّ أَنْ يَتَصَوَّرَ نَفْسَهُ عَيْنَ سُلطَانٍ ذي شَأْن مَنْشَإِ كُل خَيْرَات وَكَمَالات؟!

وَيَتَوَهَّمَ صفَاته وَأَفْعَالهُ الذَّميمَةً عَيْنَ صفَاته وَأَفْعَاله الجَميلة.

وَعُلمَاءُ الظَّاهرِ أَثْبَتُوا للمُمْكنِ[1] وُجُودًا، وَجعَلوا وُجُودَ الوَاجِبِ[2] تَعَالى وَوُجُودَ المُمْكنِ منْ أَفْرَاد مُطْلقِ الوُجُود.

وَغَايَةُ مَا فِي البَاب: أَنَّهُمْ قَالوا بأَقْدَميَّة وُجُود الوَاجب، وَأَوْلويَّته بنَاءً عَلى قَضيَّة التَّشْكيك[3]، وَهَذَا المَعْنَى مُوجبٌ لتَشْرِيك المُمْكنِ للوَاجب تَعَالى فِي الكَمَالات

---

(١) ـ قال الغزالي في تعريف الممكن: هو ما يجوز أن يوجد، ويجوز أن لا يوجد.، وقال ابن سينا: هو الذي متى فرض غير موجود أو موجوداً لم يعرض منه محال، والممكن الوجود: هو الذي لا ضرورة فيه بوجه، أي: لا في وجوده ولا في عدمه.، انظر: المعجم الفلسفي:١٦٨.

(٢) ـ **الواجب**: بطلق عند الفلاسفة ويراد به الله تعالى.، انظر: المعجم الفلسفي:١٨٢.

(٣) ـ **التشكيك**: عند الفلاسفة والمتكلمين يعني: إتفاق من وجه واختلاف من وجوه.، وهو على أنواع:

تشكيك بالنسبة:وه يدل على صفة في كثيرين،أحدهم حد أصيل حاصل عليها بالمطابقة،والآخرون منسوبون إليها لعلاقة ما، كقولنا: هواء صحي، وغذاء صحي، ومترل صحي،وما إلى ذلك مما هو علة او وسيلة أو أثر للصحةالتي هي للحيوان بالمطابقة، وداخلة في تعريف سائر الحدود الثانوية.

تشكيك بالتناسب: وهو يدل على مشاركة حقيقية من كثيرين مختلفين بالماهية في صفة ما، ولكن لاختلافهم بالماهية تجيئ المشاركة في الصفة مختلفة في كل نوع منهم، من حيث أن الصفة يجب أن تكون في الموجود على قدره، وتبعا لماهيته، كما لو أطلقنا لفظ العارف على الله وعلى الإنسان والحيوان، فلا شك أن المعرفة في كل على حسب ماهيته لا على نحو واحد.

تشكيك بالأولوية: وهو إختلاف الأفراد في الأولوية وعدمها كالوجود فإنه في الواجب أتم وأثبت وأقوى عنه في الممكن.

وَالفَضَائِل النَّاشِئَة مِنَ الوُجُود ـــ تَعَالى اللهُ عَنْ ذَلكَ عُلوًّا كَبيرًا ـــ وَقَدْ وَرَدَ في الحَديث القُدُسيِّ: " الكبْرِيَاءُ ردَائي، وَالعَظَمَةُ إزَاري "[١] فَلوْ كَانَ لعُلمَاء الظَّاهر تَنَبُّهٌ لهَذَا المَعْنَى لَمَا أَثْبَتُوا للمُمْكنِ وُجُودًا أَصْلا، وَلَمَا أَعْطَوْا لهُ الخَيْرَ وَالكَمَالَ اللذَيْنِ هُمَا مُخْتَصَّان به سُبْحَانَهُ باعْتبَارِ اخْتِصَاصِ الوُجُود به تَعَالى ﴿ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخذْنَا إنْ نَسينَا أَو أَخْطَأْنَا ﴾[٢].

وأَكْثَرُ الصُّوفيَّة ـــ خُصُوصًا المُتَأَخِّرِين منْهُمْ ـــ يَعْتَقدُونَ أَنَّ المُمْكنَ عَيْنُ الوَاجب تَعَالى، وَيَزْعُمُونَ صفَاته وَأَفْعَالهُ عَيْنَ صفَاته وَأَفْعَاله تَعَالى، وَيَقُولونَ [رباعي]:

همسايه وهمنشين وَهَمْره هَمّه اوست   درداق كداواطلس شه همه اوست

درانجمن فرق ونهان خانهء جمع   بالله همه اوست ثم بالله همه اوست

تَرْجَمَةٌ:

الجَارُ والصَّحْبُ وَالرُّكْبَانُ كُلهُ هُوْ   في كُسْوَة الفَقْر وَالسُّلطانُ كُلهُ هُوْ

في جَلوَة الفَرْق أَوْ في خَلوَة الجَمْع هُوْ   بالله كُلهُ هُوْ وَالله كُلهُ هُوْ

وَهَؤُلاء الأَكَابرُ: وَإنْ تَنَزَّهُوا، وَتَخَلصُوا عَنِ الإشْرَاك في الوُجُود، وَهَرَبُوا منَ الإثْنينيَّة[٣]؛ وَلكنَّهُمْ وَجَدُوا غَيْر الوُجُود، وَاعْتَقَدُوا النَّقَائصَ كَمَالات، وَقَالوا: " لاَ شَيْءَ منَ النَّقْصِ وَالشَّرِّ الذَّاتيَّيْنِ أَصْلا، وَإنْ كَانَ فَنسْبيٌّ، وَإضَافيٌّ.

تشكيك بالتقدم والتأخر: وهو أن يكون حصول معناه في بعضها متقدما على حصوله في البعض، كالوجود أيضا؛ فإن حصوله في الواجب قبل حصوله في الممكن.

تشكيك بالشدة والضعف: وهو أن يكون حصول معناه في بعضها أشد من البعض كالوجود أيضا؛ فإنه في الواجب أشد من الممكن. انظر المعجم الفلسفي: ٤٢.

(١) المسند للإمام أحمد: جـ٢ مسند أبي هريرة، سنن أبي داود، ك: اللباس، ب: ما جاء في الكبر ح ٤٠٩٠.عن أبي هريرة ﷺ، سنن ابن ماجه ك ك: الزهد، ب: البراءة من الكبر والتواضع.، ح ٤١٧٤.عن أبي هريرة ﷺ، والحديث صححه السيوطي في الجامع الصغير ح ٦٠٣٣.

(٢) البقرة: ٢٨٦

(٣) ـــ **الإثنينية:** مذهب يقول بمبدأين يدبران العالم، أو يدبره احدهما ويفسده الآخر.، وعرفها التهانوي في كشافه فقال: "هي كون الطبيعة ذات وحدتين، ويقابلها كون الطبيعة ذات وحدة واحدة أو وحدات."

ويرجع هذا المذهب إلى أوائل عهد الفلسفة، قال أنكساغوراس: إن المادة كانت مختلطة مضطربة فنظمها العقل أى الإله العاقل.، وقال أفلاطون مثل ذلك.، والمانويون ثنائيون،لكن الفرق عندهم بين المبدأين ليس الفرق بين العقل وعدم العقل، وإنما هو الفرق بين الخير والشر، وكلهم يأبون التسليم بحدوث

فالسُّمُّ القَاتل: فيه شرٌّ وَقُبحٌ بالنِّسْبَة إلى الإنْسَان مَثلا؛ لكَوْنه مُزيلا لحَيَاته.

وَأمَّا بالنِّسْبَة إلى الحَيَوان الذي فيه سُمٌّ؛ فَمَاءُ الحَيَاة، وَالتِّرْيَاقُ النَّافعُ.

وَمُقْتَدَاهُمْ فِي هَذَا الأمْر، وَمُسْتَنَدُهُمْ فِي الكَشْف وَالشُّهُود؛ فَإنَّهُمْ وَجَدُوا عَلَى قَدْر مَا ظَهَرَ لَهُمْ منْ عَالم الغَيْب.

اللهُمَّ أرنَا حَقَائقَ الأشْيَاء كَمَا هيَ، وَهَا نَحْنُ نُبَيِّنُ أوَّلا مَذْهَبَ الشَّيْخ مُحْيي الدِّين ابْن العَرَبيِّ ــ قُدِّسَ سرُّهُ ــ؛ فَإنَّهُ إمَامُ مُتَأخِّري الصُّوفيَّة، وَمُقْتَدَاهُمْ في هَذه المَسْألَة.

ثُمَّ نُحَرِّرُ مَا ظَهَرَ لنَا في هَذَا البَاب وَانْكَشَفَ؛ ليَحْصُل الفَرْقُ بَيْنَ المَذْهَبَيْن عَلى الوَجْه الأتَمِّ، وَلا يَخْتَلطَ أحَدُهُمَا بالآخَر منَ الدِّقَّة.

قَال الشَّيْخُ مُحْيي الدِّين بْنُ العَرَبيِّ وَأتْبَاعُهُ: " إنَّ أسْمَاءَ الوَاجب وَصفَاته ــ جَل وَعَلا ــ عَيْنُ ذَات الوَاجب سُبْحَانَهُ وَكَذَلكَ بَعْضُهَا عَيْنُ بَعْض الآخَر.

مَثَلا: العلمُ وَالقُدْرَةُ: كَمَا أنَّهُمَا عَيْنُ ذَاته تَعَالى، كَذَلكَ كُل منْهُمَا عَيْنُ الآخَر أيْضًا، فَلا يَكُونُ في ذَلكَ المَوْطن اسْمُ التَّعَدُّد وَالتَّكَثُّر وَرَسْمُهُ أصْلا، وَلا التَّمَايُزُ وَالتَّبَايُنُ قَطْعًا ".

غَايَةُ مَا في البَاب: أنَّ تلكَ الأسْمَاءَ وَالصِّفَات وَالشُّئُونَ وَالاعْتبَارَات ــ: حَصَلَ لَهَا التَّمَايُزُ وَالتَّبَايُنُ في حَضْرَة العلم إجْمَالا وَتَفْصيلا.

فَإنْ كَانَ التَّمَايُزُ إجْمَاليًّا يُعَبَّرُ عَنْهُ بالتَّعَيُّن[1] الأوَّل، وَإنْ كَانَ تَفْصيليًّا يُسَمِّيَ بالتَّعَيُّن الثَّاني، وَيُسَمُّوْنَ الأوَّل وَحْدَةً، وَيَرَوْنَهُ الحَقيقَةَ المُحَمَّديَّةَ، وَيَقُولونَ للتَّعَيُّن الثَّاني وَاحديَّةً[2]، وَيَظُنُّونَ حَقَائقَ سَائر المُمْكنَات، وَيُسَمُّونَ حَقَائقَ المُمْكنَات أعْيَانًا ثَابتَةً، وَيُثْبتُونَ هَذَيْن التَّعَيُّنَيْن العلميَّيْن في مَرْتَبَة الوُجُوب، وَيَقُولونَ: " إنَّ تلكَ الأعْيَانَ مَا شَمَّتْ رَائحَةً منَ الوُجُود الخَارجيِّ، وَلا مَوْجُودَ في الخَارج غَيْرُ الأحَديَّة المُجَرَّدَة أصْلا، وَهَذه الكَثْرَةُ التي تُرَى في الخَارج، إنَّمَا هيَ عَكْسُ تلكَ الأعْيَان

الناقص عن الكامل، ويفضلون اشتراك مبدأين،لكل منهما معلولات من جنسه. انظر: المعجم الفلسفي: ٣، زكي نجيب محمود: الموسوعة الفلسفية المختصرة:١٢٣.

(١) ــ **التعين**: هو ما به امتياز الشيئ عن غيره، بحيث لا يشاركه فيه غيره.انظر: الجرجاني:التعريفات:٨٧.

(٢) ــ **الواحدية**: إعتبار الذات من حيث انتشاء الاسماء منها، وواحديتها بها مع تكثرها بالصفات.الكاشاني: معجم إصطلاحات الصوفية: ٧٣.

الثَّابِتَة، انْعَكَسَتْ فِي مِرْآةِ ظَاهِرِ الوُجُودِ[١] الذي لاَ مَوْجُودَ فِي الخَارِجِ غَيْرُهُ، وَعَرَضَ لَهَا الوُجُودُ التَّخَيُّلِيُّ[٢]؛ كَمَا أَنَّ صُورَةَ شَخْصٍ إِذَا انْعَكَسَتْ فِي المِرْآةِ يَعْرِضُ لَهَا وُجُودٌ تَخَيُّلِيٌّ فِي المِرْآة ":

وَهَذِهِ الصُّورَةُ المُنْعَكِسَةُ لَيْسَ لَهَا وُجُودٌ إلا فِي التَّخَيُّلِ، وَلَمْ يَتَحَلل فِي المرآة، وَلَمْ يَنْتَقِشْ فِي وَجْهِهَا شَيْءٌ أَصْلاً.

فَإِنْ كَانَ الانْتِقَاشُ، فَهُوَ فِي التَّخَيُّلِ؛ حَيْثُ يُتَوَهَّمُ أَنَّهُ فِي وَجْهِ المِرْآة، وَحَيْثُ كَانَ هَذَا المُتَخَيَّلُ المُتَوَهَّمُ صُنْعَ الحَقِّ ـــ جَل سُلْطَانُهُ ـــ الذي لهُ إِتْقَانٌ تَامٌّ، لاَ يَرْتَفِعُ بِرَفْعِ الوَهْمِ وَالخَيَال، وَيَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ الثَّوَابُ وَالعَذَابُ الأَبَدِيَّان.

وَهَذِهِ الكَثْرَةُ المَوْهُومَةُ المُتَخَيَّلَةُ فِي الخَارِجِ مُنْقَسِمَةٌ عَلَى ثَلاثَة أَقْسَامٍ:

القِسْمُ الأَوَّل: التَّعَيُّنُ الرُّوحِيُّ.

- وَالثَّانِي: التَّعَيُّنُ المِثَالِيُّ.
- وَالثَّالِثُ: التَّعَيُّنُ الجَسَدِيُّ، وَلَهُ تَعَلقٌ بِالشَّهَادَة.

وَيَقُولونَ لِهَذِهِ التَعَيُّنَات الثَّلاثَة: تَعَيُّنَاتٌ خَارِجِيَّةٌ، وَيُثْبِتُونَهَا فِي مَرْتَبَةِ الإِمْكَان.

وَالتَّنَزُّلاتُ الخَمْسَةُ: عِبارَةٌ عَنْ هَذِه التَعَيُّنَاتِ الخَمْسَةِ، وَيَقُولونَ لِهَذِه التَّنَزُّلاتِ الخَمْسَةِ: "الحَضَرَاتُ الخَمْسُ[٣]".

---

(١) ـــ **مرآة الوجود**: هي التعينات المنسوبة إلى الشئون الباطنة التي صورها الأكوان؛ فإن الشئون باطنة، والوجود المتعين بتعيناتها ظاهر، فمن هذا الوجه كانت الشئون مرايا للوجود الواحد المتعين بصورها. الكاشاني: ١٠٢.

(٢) ـــ الوجود التخيلي: هو وجود الخيال في عالم الطبيعة، ويمثلون له بقصة الجوهري وما كان من أمره أنه: " خرج بالعجين من بيته إلى الفرن وكانت عليه جنابة فجاء إلى شط النيل ليغتسل، فرأى ـــ وهو في الماء ـــ مثل ما يرى النائم كأنه في بغداد وقد تزوج وأقام مع المراة ست سنين، وأولدها أولادا غاب عني عددهم، ثم رد إلى نفسه وهو في الماء، ففرغ من غسله وخرج ولبس ثيابه وجاء إلى الفرن وأخذ الخبز، وجاء إلى بيته وأخبر أهله بما أبصره في واقعته، فلما كان بعد أشهر، جاءت تلك المرأة التي رأى أنه تزوجها في الواقعة، تسأل عن داره، فلما اجتمعت به عرفها وعرف الأولاد وما أنكرهم، وقيل له متى تزوج؟ فقال: منذ ست سنين، وهؤلاء أولادها مني. فخرج بالحس ووقع في الخيال. ابن عربي: الفتوحات المكية: /٨٢

(٣) ـــ انظر: الكاشاني:رشح الذلال في شرح الألفاظ المتداولة بين أرباب الأذواق والأحوال:٥٢

وَلَمَّا لَمْ يَثْبُتْ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ فِي العلم، وَلا فِي الخَارِجِ؛ غَيْرُ ذَاتِ الوَاجِبِ تَعَالَى، وَغَيْرُ صِفَاته أَسْمَائه ــ جَل سُلطَانُهُ ــ التي هِيَ عَيْنُ ذَاته ــ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ ــ وَتَوَهَّمُوا أَنَّ الصُّورَةَ العَلَمِيَّةَ عَيْنُ تلكَ الصُّورَة، لاَ شَبَحُهَا وَمثَالُهَا، وَكَذَلكَ تَصَوَّرُوا صُورَةَ الأَعْيَان الثَّابتَة التي صَارَتْ مُنْعَكسَةً فِي مرْآة ظَاهر الوُجُود عَيْنَ تلكَ الأَعْيَانِ لاَ شَبَحُهَا، حَكَمُوا بالاتِّحَاد[١] ضَرُورَةً، وَقَالوا: " الكُل هُوَ ".

هَذَا هُوَ بَيَانُ مَذْهَبِ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّين بْنِ العَرَبِيِّ فِي مَسْأَلة وَحْدَة الوُجُودِ عَلَى وَجْه الإِجْمَال، وَهَذه العُلومُ، وَأَمْثَالهَا هِيَ التِي يَزْعُمُهَا الشَّيْخُ مَخْصُوصَةً بِخَاتَمِ الوِلاَيَة[٢] وَيَقُولُ: " إِنَّ خَاتَمَ النُّبُوَّة يَأْخُذُ هَذه العُلومِ مِنْ خَاتَمِ الوِلاَيَة "

وَلشُرَّاحِ الفُصُوصِ تَكَلفَاتٌ فِي تَوْجِيه هَذَا الكَلاَم.

وَبِالجُمْلَة: لمْ يَتَكَلمْ أَحَدٌ مِنْ هَذه الطَّائفَة بِهَذه العُلومِ وَالأَسْرَار قَبْلَ الشَّيْخِ أَصْلاً، وَلمْ يُبَيِّنْ هَذَا الحَدِيثُ عَلَى هَذَا النَّهْجِ قَطْعًا، وَإِنْ ظَهَرَ مِنْهَا كَلمَاتٌ مُشْعِرَةٌ بِالتَّوْحِيدِ[٣] وَالاتِّحَادِ فِي غَلبَاتِ السُّكْرِ[١]، وَقَالوا: " أَنَا الحَقُّ سُبْحَانِي "،

---

(١) ــ **الإتحاد**: هو شهود الوجود الحق الواحد المطلق الذي الكل به موجود بالحق، فيتحد به من حيث كون كل شيئ موجودا به معدوما بنفسه، لا من حيث أن له وجودا خاصا اتحد به فإنه محال.انظر: الكاشاني:معجم إصطلاحات الصوفية: ٤٩، رشح الزلال:٢٣٧.، المعجم الفلسفي: ١.

(٢) ــ المراد بالخاتم عند الصوفية: الذي قطع المقامات بأسرها، وبلغ نهاية الكمال، وخاتم الولاية عندهم هو الذي يبلغ به صلاح الدنيا والآخرة نهاية الكمال، ويختل بموته نظام العالم، وهو المهدي الموعود في آخر الزمان. الكاشاني: معجم إصطلاحات الصوفية: ١٧٨.، و يرى الحكيم الترمذي أن للنبوة ختم وللأنبياء خاتم، وللولاية ختم وللأولياء خاتم، وختم النبوة هو بمثابة المركز الذي تدور حوله النبوة والمبدأ الذي تصدر عنه، والغاية التي تتحقق فيه كمالاتها، فخاتم الانبياء ليس فقط هو آخر الأنبياء، مبعثا أ و ظهورا، بل هو أسماهم مقاما وأرفعهم ذكرا أوأبعدهم صوتاً، وكذلك الشأن بالنسبة للولاية والأولياء.، ويرى كذلك أن من يختصه الله عز وجل بختم الولاية يكون حجة الله يوم القيامة على سائر الأولياء، كما أن النبي ﷺ يكون حجة الله يوم القيامة على سائر الأنبياء؛ لأنه اختصه الله بختم النبوة. الحكيم الترمذي:كتاب ختم الأولياء: ١١٢،٣٤٤.، بتحقيق: عثمان إسماعيل يحي.

(٣) ــ **التوحيد في اللغة**: هو الإيمان بالله وحده لا شريك له. (لسان العرب / وحد.).

أما عند الصوفية: فهو شهادة المؤمن يقينا أن الله تعالى هو الأول في كل شيئ، وأقرب من كل شيئ، وهو المعطي المانع، لا معطي ولا مانع ولا ضار ولا نافع إلا هو.، وذكر الكاشاني: أن صورته في **البدايات**: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأحد الصمد، الذي لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد.

وَلكِنَّهُمْ لَمْ يُبَيِّنُوا وَجْهَ الاتِّحَاد، وَلَمْ يَجِدُوا مَنْشَأَ التَّوْحِيدِ؛ فَصَارَ الشَّيْخُ بُرْهَان مُتَقَدِّمِ هَؤُلاءِ الطَّائِفَة، وَحُجَّةَ مُتَأَخِّرِيهِمْ.

وَمَعَ ذَلِكَ: بَقِيَ فِي هَذِه المَسْأَلة دَقَائِقُ كَثِيرَةٌ مُخْتَفِيَةٌ، وَمَا جَاءَت الأَسْرَارُ الغَامِضَةُ مِنْ هَذَا البَاب فِي مَنصَّة الظُّهُور، فَوُفِّقَ هَذَا الفَقِيرُ بِإِظْهَارِهَا، وَبُشِّرَ بِتَحْرِيرِهَا ﴿ وَاللهُ يُحِقُّ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيل ﴾(٢).

أَيُّهَا المَخْدُومُ: إِنَّ صِفَات الوَاجِب ــ تَعَالى وَتَقَدَّسَ ــ الثَّمَانِيَة التِي هِيَ مَوْجُودَةٌ فِي الخَارِجِ عِنْدَ أَهْل الحَقِّ ــ شَكَرَ اللهُ تَعَالى سَعْيَهُمْ ــ تَكُونُ مُتَمَيِّزَةً عَنْ ذَاته ــ تَعَالى وَتَقَدَّسَ ــ فِي الخَارِجِ بالضَّرُورَة تَمَيُّزًا لاَ كَيْفِيًّا، وَلا مِثْلِيًّا.

وَكَذَلِكَ بَعْضُ تِلكَ الصِّفَات مُتَمَيِّزٌ عَنْ بَعْضٍ آخَرَ مِنْهَا بِتَمَيُّزٍ لاَ كَيْفِيٍّ؛ بَل التَّمَيُّزُ اللا كَيْفِيُّ ثَابِتٌ أَيْضًا فِي مَرْتَبَة الذَّات ــ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ ــ؛ لأَنَّهُ الوَاسِعُ بِالوُسْعِ المَجْهُول الكَيْفِيَّة، وَالتَّمَيُّزُ الذِي يَحْصُل فِي حَوْصَلة فَهْمِنَا وَإِدْرَاكِنَا مَسْلُوبٌ عَنْ جَنَاب قُدْسه تَعَالى؛ فَإِنَّ التَّجَزِّيَ وَالتَّبَعُّضَ غَيْرُ مُتَصَوَّرٍ فِيه، وَالتَّحَلل وَالتَّرَكُّبَ لاَ سَبِيل لَهُمَا إِلى تِلكَ الحَضْرَة جَل سُلْطَانُهَا، وَلا مَجَال هُنَاكَ لِلحَالِيَّة وَالمَحَلِّيَّة.

وفي **الأبواب**: تصديق الجنان بهذا المعنى، بحيث لايخالجه شك ولا شبهة ولا حيرة.

وفي **المعاملات**: العمل بالأركان المبني على اليقين الوجداني، وإسقاط الأ سباب، بحيث لا نزاع فيه للحق، ولاتعلق فيه بالشواهد، ولا يرى صاحبه لغير الحق تأثيرا ولا فعلا.

وفي الأ خلاق: رؤية الملكات والهيئات ومصادر الأفعال كلها لله.

وفي الأصول:رؤية القصد والعزم والسير لله، وفي الله، وبالله.

وفي الأحوال: شهود الحب من الحق بالحق للحق ذوقاً.

وفي **الولايات**: الفناء عن رسوم الصفات في الحضرة الواحدية، وشهود الحق بأسمائه وصفاته لا غير.

الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية:٣٧٨، ٣٧٩.

(١) ــ **السكْر**: لغة نقيض الصحو، والسكران خلاف الصاحي (لسان العرب / سكر).

أما عند الصوفية فهو: حيرة بين الفناء والوجود في مقام المحبة الواقعة بين أحكام الشهود والعلم، إذ الشهود يحكم بالفناء، والعلم يحكم بالوجود.، وله صور متعددة، فصورته في **الأبواب**: التردد بين الخوف والرجاء. وصورته في **المعاملات**: الحيرة بين رعاية الأعمال والأحوال.

وفي **الأخلاق**: سكر الإ نبساط.، وفي **الأصول**: الحيرة بين أنوار القرب، والأنس، مع الجد في السلوك الدال على البعد والإستيحاش.، وفي **الأودية**: الحيرة بين الحكمة والقدرة.، وفي **الأحوال**: الحيرة بين التجلي والإستيثار.، وفي **الولايات**: السكر بين حسن الصفات وجمال الذات. الكاشاني:معجم إصطلاحات الصوفية:٣٥٦،٣٥٥.

(٢) ــ الآية: ٤ من سورة الأحزاب.

وَبِالجُمْلَةِ: كُل مَا هُوَ مِنْ صِفَات الْمُمْكِنِ وَلَوَازِمه مَسْلُوبٌ عَنْ ذَلِكَ الجَنَاب الْمُقَدَّسِ {لَيْسَ كَمِثْله شَيْءٌ}(١) لاَ فِي الذَّات، وَلا فِي الصِّفَات، وَلا فِي الأَفْعَال، وَمَعَ وُجُود هَذَا التَّمَيُّز اللامثْليِّ وَالوُسْعَة اللا كَيْفِيَّة عَرَضَ للأَسْمَاء وَالصِّفَات تَفْصِيل وَتَمَيُّزٌ فِي مَوْطِنِ العلمِ أَيْضًا، وَصَارَتْ مُنْعَكِسَةً.

وَلكُل اسْمٍ وَصِفَة مُتَمَيِّزَة مُقَابِل وَنَقِيضٌ فِي مُرْتَبَة العَدَمِ؛

مَثَلاً: لصفة العلمِ مُقَابلٌ وَنَقيضٌ فِي مَرْتَبَة العَدَم، وَهُوَ عَدَمُ العلم الْمُعَبَّرُ عَنْهُ بِالجَهْل، وَلصفَة القُدْرَة مُقَابل، هُوَ العَجْزُ الذي عَدَمُ القُدْرَة، عَلَى هَذَا القِيَاسُ فِي بَقِيَّة الصِّفَات.

وَعَرَضَ لهَذه العَدَمَات الْمُقَابلة أَيْضًا تَفْصِيل وَتَمَيُّزٌ فِي علمِ الوَاجب ــ جَل شَأْنُهُ ــ، وَصَارَتْ مَرَايَا الأَسْمَاء وَالصِّفَات الْمُتَقَابلة لهَا، وَكَانَتْ مَجَالي ظُهُور عُكُوسهَا، وَتلكَ العَدَمَاتُ مَعَ عُكُوسِ تلكَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَات حَقَائقُ الْمُمْكِنَات عِنْدَ الفَقير.

غَايَةُ مَا فِي البَاب: أَنَّ تلكَ العَدَمَات كَأُصُول تلكَ المَاهيَّات وَمَوَادِّهَا، وَتلكَ العُكُوسُ بِمَثَابَة الصُّوَر الحَالَة فِي تلكَ الْمَوَادِّ.

فَحَقَائقُ الْمُمْكِنَات عِنْدَ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ: هِيَ تلكَ الأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ الْمُتَمَيِّزَةُ فِي مَرْتَبَة العلمِ.

وَعِنْدَ الفَقير: حَقَائقُ الْمُمْكِنَات العَدَمَاتُ التي هِيَ نَقَائضُ الأَسْمَاء وَالصِّفَات، مَعَ عُكُوسِ تلكَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَات التي ظَهَرَتْ فِي مَرَايَا تلكَ العَدَمَات فِي مَوْطِنِ العلم، وَامْتَزَجَتْ بِهَا، وَمَتَى أَرَادَ الْمُخْتَارُ جَل سُلْطَانُهُ أَنْ يَجْعَل مَاهيَّةً مِنْ تلكَ المَاهيَّات الْمُمْتَزِجَة مُتَّصِفَةً بِالوُجُود الظِّلِّيِّ الذي هُوَ ظِل مِنْ ظِلال حَضْرَة الوُجُود، وَأَنْ يَجْعَلهَا مَوْجُودَةً خَارِجِيَّةً ــ: يُلقِي إِلَيْهَا ظلا مِنْ ظِلال حَضْرَة الوُجُود وَيُصَيِّرُهَا مَبْدَأً للآثَار الخَارِجِيَّة، فَوُجُودُ الْمُمْكِنِ فِي العلمِ وَالخَارِج كَسَائر صِفَاته ظِل مِنْ ظِلال حَضْرَة الوُجُود، وَمِنْ كَمَالاته التَّابِعَة لَهُ، مَثَلا: علمُ الْمُمْكِنِ ظِل مِنْ علم الوَاجب ــ تَعَالى وَتَقَدَّسَ ــ الذي انْعَكَسَ فِي مُقَابله، وَقُدْرَةُ الْمُمْكِنِ ظِل مِنَ القُدْرَة الْمُنْعَكِسَة فِي العَجْزِ الذي هُوَ مُقَابلهَا؛ فَكَذَلكَ وُجُودُ الْمُمْكِنِ ظِل مِنْ ظِلال حَضْرَة الوُجُودِ الذي انْعَكَسَ فِي مرْآة العَدَمِ الذي هُوَ مُقَابلُهُ، (شعر):

---

(١) ــ الشورى: ١١.

وَمَا جِئْتُ مِنْ ملكِي بِشَيْءٍ وَإِنَّمَا وَهَبْتُ الذِي عِنْدِي وَذَاتِي وَأَوْصَافِي

وَلكنْ: ظِل شَيْءٍ لِيْسَ عَيْنَ شَيْءٍ عِنْدَ الفَقِيرِ؛ بَل شَبَحُ ذَلكَ الشَّيْءِ وَمِثَالُه، وَحَمْل أَحَدِهِمَا عَلى الآخَر مُمْتَنِعٌ.

فَعِنْدَ الفَقِيرِ: لَمْ يَكُن المُمْكِنُ عَيْنَ الوَاجِبِ؛ فَإِنَّ حَقِيقَةَ المُمْكِنِ عَدَمٌ، وَالعَكْسُ الذِي انْعَكَسَ فِيهِ مِنَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ شَبَحُ تِلكَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَمِثَالُها، لاَ عَيْنُهَا؛ فَلاَ يَصِحُّ: «كُلهُ هُوَ»؛ بَل: «كُلهُ مِنْهُ»؛ لأَنَّ مَا هُوَ ذَاتِيٌّ[١] للمُمْكِنِ العَدَمُ الذِي هُوَ مَنْشَأٌ للشَّرِّ وَالنَّقْصِ وَالخَبَاثَة، وَكُل مَا هُوَ فِي المُمْكِنِ مِنْ جِنْسِ الكَمَالاتِ ـ مِنَ الوُجُودِ وَتَوَابِعِهِ ـ كُلهُ مُسْتَفَادٌ مِنْ تِلكَ الحَضْرَةِ جَل ـ سُلْطَانُهَا ـ، وَظِل مِنْ كَمَالاَتِهِ الذَّاتِيَّة ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ؛ فَيَكُونُ هُوَ سُبْحَانَهُ نُورَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بِالضَّرُورَةِ وَمَا وَرَاءَهُ تَعَالى يَكُونُ كُلهُ ظُلمَة[٢]، كَيْفَ لا: وَالعَدَم فَوْقَ جَمِيعِ الظُّلمَاتِ؟!

وَتَحْقِيقُ هَذَا المَبْحَثِ مَسْطُورٌ فِي المَكْتُوبِ الذِي حُرِّرَ إِلى وَلدِي الأَعْظَم المَرْحُومِ فِي بَيَانِ حَقِيقَةِ الوُجُودِ، وَتَحْقِيقِ مَاهِيَّاتِ المُمْكِنَات؛ فَليُطْلَبْ مِنْ هُنَاكَ.

فَالعَالمُ بِأَسْرِهِ عِبَارَةٌ عِنْدَ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ عَنِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ التِي عَرَضَ لَها تَمَيُّزٌ فِي مَرْتَبَةِ العَلم، وَظُهُورٌ فِي مِرْآةِ ظَاهِرِ الوُجُودِ.

عِنْدَ الفَقِيرِ: العَالمُ عِبَارَةٌ عَنِ العَدَمَاتِ التِي انْعَكَسَتْ عَلَيْهَا أَسْمَاءُ الوَاجِبِ وَصِفَاتُهُ فِي مَوْطِنِ العِلم وَوُجِدَتْ تلكَ العَدَمَاتُ مَعَ تلكَ العُكُوسِ فِي الخَارِجِ بِإِيجَادِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ بِوُجُودٍ ظِليٍّ؛ فَظَهَرَ فِي العَالم الخَبَاثَةُ الذَّاتِيَّةُ، وَالشَّرُّ الجبلي، وَكَانَ الخَيْرُ وَالجَمَال كُلُه عَائِدًا إِلى جَانِبِ قُدْسِهِ ـ جَلَّ وَعَلا ـ؛ وَقَوْلهُ تَعَالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَة فَمِن اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾[٣] مُؤَيِّدٌ لِهَذِه المَعْرِفَةِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ المُلهِمُ.

فَعُلمَ مِنْ هَذَا التَّحْقِيقِ: أَنَّ العَالَم مَوْجُودٌ فِي الخَارِجِ بِوُجُودٍ ظِليٍّ؛ كَمَا أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ مَوْجُودٌ فِي الخَارِجِ بِوُجُودٍ أَصْلِيٍّ؛ بَل بِذَاتِهِ.

---

(١) ـ الذاتي: هو ما يفتقر إليه الموضوع في ماهيته، ويكون داخلاً في ماهيته جزء منها. المعجم الفلسفي: ٧٨.

(٢) ـ قال الكاشاني: كل ظلمة هي عبارة عن عدم النور عما من شأنه أن يتنور، وقال: الظلمة بإزاء النور هو العدم. الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية: ١٨٤.

(٣) النساء: ٧٩.

غَايَةُ مَا فِي البَاب: أَنَّ هَذَا الخَارِجَ أَيْضًا ظِل ذَلِكَ الخَارِجِ، مِثْل الوُجُود وَالصِّفَات، فَلا يُمْكِنُ أَنْ يُقَال للعَالَم: " إِنَّهُ عَيْنُ الحَق جَل وَعَلا "، وَلا يَجُوزُ حَمْل أَحَدهمَا عَلَى الآخَر؛ فَإِنَّهُ لاَ يُمْكِنُ أَنْ يُقَال لظِل شَخَص: " إِنَّهُ عَيْنُ الشَّخْصِ ؛ لِوُجُودِ التَّغَايُرِ بَيْنَهُمَا فِي الخَارِجِ؛ لأَنَّ الاثْنَيْنِ مُتَغَايِرَان.

فَإِنْ قَال شَخَصٌ لظِل شَخَص: إِنَّهُ عَيْنُ ذَلِكَ الشَّخْص.

إِنَّمَا يَقُول ذَلِكَ عَلَى سَبِيل التَّسَامُحِ وَالتَّجوُّز، وَهُوَ خَارِجٌ عَنِ المَبْحَث.

فَإِنْ قِيل: إِنَّ الشَّيْخَ مُحْيِيَ الدِّينِ، وَتَوَابِعَهُ أَيْضًا يَقُولُونَ: " إِنَّ العَالَمَ ظِل الحَقِّ تَعَالى فَمَا يَكُونُ الفَرْقُ

قُلنَا: إِنَّهُمْ لاَ يَرَوْنَ وُجُودَ ذَلِكَ الظِّل [1] فِي غَيْرِ الوَهْمِ، وَلا يُجَوِّزُونَ وُصُول رَائِحَةً مِنَ الوُجُود الخَارِجِيِّ إِلَيْه.

وَبِالجُمْلة: إِنَّهُمْ يُعَبِّرُونَ عَنِ الكَثْرَةِ المَوْهُومَة بِظِل الوَحْدَةِ المَوْجُودَة، وَيَرَوْنَ المَوْجُودَ وَاحِدًا فِي الخَارِجِ، شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا!!

فَصَارَ مَنْشَأُ حَمْل الظِّل عَلى الأَصْل وَعَدَمُ ذَلِكَ الحَمْل هُوَ إِثْبَاتُ الوُجُود الخَارِجِيِّ للظِّل وَعَدَمُ إِثْبَاته، وَهُمْ ـــ لَمَّا لَمْ يُثْبِتُوا للظِّل وُجُودًا خَارِجِيًّا ـــ حَمَلوهُ عَلى الأَصْل بِالضَّرُورَة.

وَحَيْثُ يَرَى هَذَا الفَقِيرُ الظِّل مَوْجُودًا فِي الخَارِجِ، لاَ يُبَادِرُ إِلى الحَمْل، وَالفَقِيرُ مُتَّفِقٌ مَعَهُمْ فِي نَفْيِ الوُجُود الأَصْلِيِّ عَنِ الظِّل، وَمُتَّفِقٌ أَيْضًا فِي إِثْبَات الوُجُود الظِّلِّيِّ؛ وَلكِنَّ هَذَا الفَقِيرَ يُثْبِتُ الوُجُودَ الظِّلِّيَّ فِي الخَارِجِ، وَهُمْ يَظُنُّونَ الوُجُودَ الظِّلِّيَّ فِي الوَهْمِ وَالتَّخَيُّل، وَلا يَقُولونَ بوُجُود مَوْجُود فِي الخَارِجِ غَيْرِ الأَحَدِيَّة المُجَرَّدَة، وَلا يُثْبِتُونَ الصِّفَات الثَّمَانيَة التِي ثَبَتَ وُجُودُهَا فِي الخَارِج عَلى آرَاءِ أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة ـــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ـــ فِي غَيْرِ مَوْطِنِ العلمِ؛ فَوَقَعَ العُلَمَاءُ

---

(١) ـــ الظل: هو الوجود الإضافي الظاهر بتعينات الأعيان الممكنة، وأحكامها التي هي معدومات، ظهرت باسمه النور الذي هو الوجود الخارجي المنسوب إليها فيستر ظلمة عدميتها النور الظاهر بصورها صار ظلا لظهور الظل بالنور وعدميته في نفسه.، قال تعالى: " ألم تر إلى ربك كيف مد الظل " أي بسط الوجود الإضافي على الممكنات، فالظلمة بإزاء هذا النور هو العدم، وكل ظلمة فهو عبارة عن عدم النور عما من شاته أن يتنور؛ ولهذا سمي الكفر ظلمة؛ لعدم نور الإيمان عن قلب الإنسان الذي من شأنه أن يتنور به. الكاشاني: معجم إصطلاحات الصوفيثة: ١٨٤.

الظَّاهِرِيَّةُ وَهَؤُلاءِ الأَكَابِرُ ـــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ـــ فِي طَرَفَيْ الاقْتِصَادِ، وَكَانَ الحَقُّ الْمُتَوَسِّطُ نَصِيبَ هَذَا الفَقِيرِ، وَوُفِّقَ بِهِ.

فَإِنْ عَرَفَ هَؤُلاءِ الأَكَابِرُ أَنَّ هَذَا الخَارِجَ ظِل ذَلِكَ الخَارِجِ لَمَا أَنْكَرُوا وُجُودَ العَالَمِ فِي الخَارِجِ، وَلَمْ يَقْتَصِرُوا عَلَى الوَهْمِ وَالخَيَالِ، وَلا أَنْكَرُوا أَيْضًا وُجُودَ صِفَاتِ وَاجِبِ الوُجُودِ فِي الخَارِجِ.

وَلَئِنْ تَنَبَّهَ العُلَمَاءُ أَيْضًا لَمَا أَثْبَتُوا لِلمُمْكِنِ وُجُودا أَصْلِيًّا؛ بَل اكْتَفَوْا بِالوُجُودِ الظِّلِيِّ، وَمَا كَتَبَهُ الفَقِيرُ فِي بَعْضِ مَكْتُوبَاتِه: أَنَّ إِطْلاَقَ الوُجُودِ عَلى الْمُمْكِنِ بِطَرِيقِ الحَقِيقَةِ لاَ بِطَرِيقِ الْمَجَازِ، لَيْسَ بِمُنَافٍ لِهَذَا التَّحْقِيقِ؛ فَإِنَّ الْمُمْكِنَ مَوْجُودٌ فِي الخَارِجِ بِوُجُودٍ ظِلِّيٍّ بِطَرِيقِ الحَقِيقَةِ لاَ عَلَى سَبِيلِ التَّخَيُّلِ وَالتَّوَهُّمِ كَمَا زَعَمُوا.

فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ صَاحِبَ الفُتُوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ قَال بِأَنَّ: الأَعْيَانَ الثَّابِتَةَ بَرْزَخٌ بَيْنَ الوُجُودِ وَالعَدَمِ؛ فَصَارَ العَدَمُ دَاخِلا فِي حَقَائِقِ الْمُمْكِنَاتِ عَلَى طَرِيقِهِ وَطَوْرِهِ أَيْضًا، فَمَا يَكُونُ الفَرْقُ بَيْنَ التَّحْقِيقِ وَبَيْنَ هَذَا القَوْلِ؟

قُلْنَا: إِنَّهُ إِنَّمَا قَالَ: "لَهُ بَرْزَخٌ" بِاعْتِبَارِ أَنَّ لِلصُّوَرِ العِلمِيَّةِ وَجْهَيْنِ: وَجْهٌ إِلى الوُجُودِ بِوَاسِطَةِ ثُبُوتِ العِلمِ، وَوَجْهٌ إِلى العَدَمِ بِوَاسِطَةِ الخَارِجِ.

وَإِنَّ الأَعْيَانَ مَا شَمَّتْ رَائِحَةَ الوُجُودِ الخَارِجِيِّ عِنْدَهُ، وَالعَدَمُ الذي انْدَرَجَ فِي هَذَا التَّحْقِيقِ لهُ حَقِيقَةٌ أُخْرَى، وَكَذَا الْمُرَادُ بِمَا وَقَعَ فِي عِبَارَةِ بَعْضِ الأَعِزَّةِ ـــ مِنْ إِطْلاَقِ العَدَمِ عَلى الْمُمْكِنِ ـــ هُوَ العَدَمُ الخَارِجِيُّ، لاَ العَدَمُ الذي حُقِّقَ فِي مَا سَبَقَ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى وَرَاءَ تِلكَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الْمُفَصَّلةِ الْمُتَمَيِّزَةِ فِي مَوْطِنِ العِلمِ، التِي انْعَكَسَتْ فِي مَرَايَا العَدَمَاتِ، وَصَارَتْ حَقَائِقَ الْمُمَكِّنَاتِ؛ فَلا يَكُونُ بَيْنَهُ سُبْحَانَهُ وَبَيْنَ العَالَمِ مُنَاسَبَةٌ بِوَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ أَصْلا: {إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ}[1]

وَجَعْلُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ عَيْنَ العَالَمِ، وَمُتَّحِدًا بِهِ؛ بَل نِسْبَتُهُ إِلى العَالَمِ ثَقِيلٌ عَلى هَذَا الفَقِيرِ جِدًّا، (ع):

وَلِلنَّاسِ فِيمَا يَعْشَقُونَ مَذَاهِبُ

(١) العنكبوت: ٧٠

{سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلى الْمُرْسَلِينَ وَالحَمْدُ لله رَبِّ العَالمِينَ}(١)، وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَعَلى مَنْ لدَيْكُمْ.

(١) الصافات: ١٨٠

المَكْتُوبُ الخَامِسَ عَشَرَ بَعْدَ الثَّلاثمائة
إلى المير شَمْسِ الدِّينِ الخلخالي
فِي بَيَانِ أَنَّ مَرْتَبَةَ ذَات الحَقِّ ــ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ ــ وَمَرْتَبَةَ صفَاته سُبْحَانَهُ فَوْقَ اعْتِبَارِ الوُجُودِ وَالوُجُوب

الحَمْدُ لله، وَسَلامٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى:

قَدْ حَصَلَ الفَرَحُ وَالابْتِهَاجُ بِوُصُول الصَّحِيفَةِ الشَّرِيفَةِ الصَّادِرَةِ عَلى وَجْهِ المَحَبَّةِ وَالإِخْلاصِ.

كَثْرَةُ إِخْوَان الدِّين سَبَبُ الرَّجَاءِ فِي الآخرَة، اللهُمَّ كَثِّرْ إِخْوَانَنَا في الدِّين، وَثَبِّتْنَا وَإِيَّاهُمْ عَلى مُتَابَعَة سَيِّد المُرْسَلِينَ ــ عَلَيْه وَعَلَيْهِمْ مِنَ الصَّلوَاتُ أَفْضَلهَا وَمِنَ التَّسْليمَات أَكْمَلهَا، (ع):

وَأَحْسَنُ مَا يُمْلى حَديثُ الأَحِبَّة

أَيُّهَا المُحبُّ: إِنَّ صفَات وَاجب الوُجُود السَّبْعَة ــ أَو الثَّمَانيَة عَلى اخْتلاف الآرَاء ــ صفَاتٌ حَقيقيَّةٌ مَوْجُودَةٌ في الخَارِج، ولَمْ يَقُل أَحَدٌ منَ الفرَق المُخَالفَة بوُجُود صفَات وَاجب الوُجُود ــ تَعَالى وَتَقَدَّسَ ــ غَيْرُ أَهْل الحَقِّ ــ شَكَرَ اللهُ تَعالى سَعْيَهُمْ ــ حَتَّى أَنَّ المُتَأَخِّرِينَ منَ الصُّوفيَّة منْهُمْ أَنْكَرُوا وُجُودَ الصِّفَات؛ بَل جعَلوا زِيَادَةَ الصِّفَات رَاجعَةً إِلى العلم فَقَطْ، وَقَالوا: (شعر)

وَصِفَاتُ حَقٍّ فِي التَّعَقُّلِ غَيْرُ ذَا ... ت الحَقِّ لكنْ فِي التَّحَقُّق عَيْنُهَا

وَالحَقُّ: أَنَّ كَلامَ أَهْل الحَقِّ حَقٌّ، وَمُقْتَبَسٌ مِنْ مِشْكَاة النُّبُوَّة، وَمُؤَيَّدٌ بِنُورِ الكَشْف وَالفرَاسَة.

غَايَةُ مَا فِي البَاب: إِنَّ الإِشْكَال الذي أَوْرَدَهُ المُخَالفُونَ فِي وُجُود الصِّفَات قَويٌّ[١]؛ لأَنَّ الصِّفَاتِ لوْ كَانَتْ مَوْجُودَةً؛ فَلا تَخْلو: إِمَّا أَنْ تَكُونَ مُمْكِنَةً، أَوْ وَاجبَةً.

وَالإِمْكَانُ: مُسْتَلزِمٌ للحُدُوث؛ لأَنَّ كُل مُمْكِنٍ حَادِثٌ عِنْدَهُمْ، وَالقَوْل بتَعَدُّد الوَاجب مُنَاف للتَّوْحيد.

وَأَيْضًا: عَلى تَقْدير الإِمْكَان يُلزَمُ جَوَازُ انْفكَاك الصِّفَات عَن الذَّات ــ تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ ــ وَهَذَا مُوجِبٌ لجَوَازِ الجَهْل وَالعَجْزِ للوَاجب سُبْحَانَهُ.

وَحَــلُّ هَــذَا الأَشْــكَالِ عَلى مَا ظَهَرَ لِهَذَا الفَقِيرِ: أَنَّ حَضْــرَةَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ مَوْجُودٌ بِذَاتِه؛ لاَ بِوُجُود يَكُونُ عَيْنًا لَهَا، أَوْ زَائِدًا عَلَيْهَا، وَصِــفَاتُهُ ـــ تَعَالَى ـــ مَوْجُودَةٌ بِذَاتِه ـــ تَعَالَى ـــ لاَ بِوُجُودٍ؛ فَإِنَّهُ لاَ مَجَالَ لِلوُجُودِ فِــي ذَلِــكَ المَوْطِنِ.

وَقَدْ أَشَارَ الشَّيْخُ رُكْنُ الدِّينِ أَبو المَكَارِمِ عَلاءُ الدَّوْلَة السِّمْنَانِيُّ[1] ـــ قُدِّسَ سِرُّهُ ـــ إِلى هَذَا المَقَامِ؛ حَيْثُ قَالَ: " فَوْقَ عَالَمِ الوُجُود عَالَمُ المَلِكِ الوَدُود".

فَلا تَكُونُ نِسْبَةُ الإِمْكَانِ والوُجُوبِ أَيْضًا مُتَصَوَّرَةً فِي ذَلِكَ المَوْطِنِ؛ فَــإِنَّ كُلا مِنَ الإِمْكَانِ والوُجُوبِ نِسْبَةٌ بَيْنَ المَاهِيَّةِ والوُجُودِ؛ فَحَيْثُ لاَ وُجُودَ، لاَ إِمْكَانَ، وَلا وُجُوبَ.

وَهَذه المَعْرِفَةُ وَرَاءَ طَوْرِ النَّظَرِ وَالفِكْرِ، وأيَّ شَيْءٍ يَجِدُ المُقَيَّــدُونَ بِعِقَــالِ العَقْلِ مِنْ هَذه المَعْرِفَةِ، ومَا يَكُونُ نَصِيبُهُمْ مِنْهَا غَيْرَ الإِنْكَارِ؛ إِلا مَنْ عَصَــمَهُ اللهُ ـــ سُبْحَانَهُ وتَعَالى؟!

وَبَاقِي المَرَامِ: أَنَّ السَّيِّدَ مُحِبَّ اللهِ أَقَامَ هُنَا مُدَّةً، وَالآنَ صَارَ مُتَوَجِّهًــا إِلى تِلْكَ الجِهَاتِ والحُدُودِ؛ فَلْيُغْتَنَمْ صُحْبَتُهُ، والسَّلامُ عَلَيْكُمْ، وعَلى مَنْ لَدَيْكُمْ.

---

(١) ـــ **الشيخ علاء الدولة السمناني**: هو الشيخ ركن الدين، علاء الدولة محمد بن أحمد السمناني، المالكي، المتوفى سنة: ٧٣٦ هـــ ـــ ١٣٣٦ م، عالم مشارك في عدة علوم، سكن تبريز وبغداد، محدِّث؛ سمع صحيح مسلم، وأجاز له جماعة، اختصر شرح السنة للبغوي، له مصنفات كثيرة في التفسير والتصوف وغيرها حتى قيل: إنها تزيد على الثلاثمائة، من مؤلفاته: آداب الخلوة، فوائد العقائد، المدارك والمعارج، المكاشفات، نجم القراءة في تأويلات القرآن. انظر في ترجمته: الحافظ ابن حجر: الدرر الكامنة: ١/ ٢٥٠ ـــ ٢٥١، ابن العماد: شذرت الذهب: ٦/ ١٢٥، حاجي خليفة: كشف الظنون: ٤٢، ١٢٩٩، ١٦٤٠، ١٨١١، ١٩٣٠، البغدادي: إيضاح المكنون: ١/ ٢٠٥.

الْمَكْتُوبُ السَّادِسَ عَشَرَ بَعْدَ الثَّلاثِمائة

إِلى المَحْدُود زَادَهْ، مَعْدن الحَقَائِق، وَمَنْبَع المَعَارِف اللا مُتَنَاهِيَة، وَمَظْهَر الفُيُوضَات الإلهِيَّة الخواجه مُحَمَّد سَعِيد سَلَمَهُ اللهُ تَعَالَى

فِي بَيَان أَنَّ مُعَامَلَةَ الآفَات والأَنْفُس دَاخِلَةٌ فِي دَائِرَة الظِّلال وَبَيَان الوِلايَة الصُّغْرَى والكُبْرَى(١) وَكَمَالات النُّبُوَّة وَتَحْقِيق حَقِيقَة تَجَلي الأَفْعَال الذي ظَهَرَ لبَعْض الصُّوفِيَّة وَأَنَّهُ ظِل فِعْل الحَقِّ لاَ عَيْنُ فِعْله تَعَالَى

الحَمْدُ لله، وَسَلامٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى:

اعْلَمْ أَنَّ: كُل مَا يَظْهَرُ فِي مَرَايَا الأَفَاق وَالأَنْفُس فَهُوَ مُتَّسِمٌ بِسِمَة الظِّلِّيَّة؛ فَيَكُونُ مُسْتَحقًّا للنَّفْي؛ لِيَحْصُل الإِثْبَاتُ.

وَلَمَّا جَاوَزَت المُعَامَلةُ حَدَّ الآفَاق وَالأَنْفُس تَخلصَتْ عَنْ قَيْد الظِّلِّيَّة وَتَيَسَّرَ الشُّرُوعُ فِي تَجَلي الفعْل وَالصِّفَة، وَعُلمَ أَنَّ كَل تَجَل ظَهَرَ قَبْل ذَلكَ فِي السَّيْرِ الآفَاقِيِّ وَالأَنْفُسيِّ ـــ وَإِن اعْتَقَدُوهُ تَجليًا ذَاتيًّا ـــ كَانَ مُتَعَلقًا بظِلال الفعْل وَالصِّفَة؛ لاَ بنَفْس الفعْل وَالصِّفَة؛ فَضْلا عَنْ كَوْنه مُتَعَلقًا بالذَّات؛ فَإِنَّ دَائرَةَ الظِّلِّيَّة تَنْتَهي بِنِهَايَة الأَنْفُس، فَكُل مَا يَظْهَرُ فِي الأَفَاق وَالأَنْفُس يَكُونُ دَاخلا فِي تلكَ الدَّائرَة.

وَالفعْل وَالصِّفَةُ: وَإِنْ كَانَا فِي الحَقيقَة منْ ظلال حَضْرَة الذَّات تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ؛ وَلكنَّهُمَا دَاخلان فِي دَائرَة الأَصْل، وَوِلايَةُ تلكَ المَرْتَبَة وِلايَةٌ أَصْليَّةٌ؛ بخلاف وِلايَة المَرْتَبَة السَّابقَة التي تَتَعَلقُ بالآفَاق وَالأَنْفس؛ فَإِنَّهَا وِلاَيَةٌ ظليَّةٌ.

وَالتَّجَلي البَرْقِيُّ الذي نَاشئٌ منْ مَرْتَبَة الأَصْل مُيَسَّرٌ لمُنْتَهِي دَائِرَة الظِّل؛ فَإِنَّهُمْ يَتَخلصُونَ سَاعَةً وَاحدَةً منْ قَيْد الأَفَاق وَالأَنْفُس.

وَالذينَ جَاوَزُوا دَائرَةَ الآفَاق وَالأَنْفُس، وَتَرَقَّوْا عَنْهَا، وَخَلفُوا الظِّل وَرَاءَهُمْ، وَلحقُوا بالأَصْل؛ فَالتَّجَلي البَرْقيُّ دَائميٌّ فِي حَقِّهِمْ؛ فَإِنَّ مَسْكَنَ هَؤُلاء الأَكَابر وَمَأْوَاهُم دَائرَةُ الأَصْل التي منْهَا يَنْشَأُ التَّجَلي البَرْقيُّ؛ بَل مُعَامَلةُ هَؤُلاء الأَكَابِر فَوْقَ التَّجليَات وَالظُّهُورَات؛ فَإِنَّ كُل تَجَل وَظُهُور بأَيِّ مَرْتَبَة يَتَعَلقُ لاَ

---

(١) ـــ يأتي بيان حقيقتها في كلام المصنف بعد، فهو يعني بالولاية الكبرى ولاية الأنبياء ن وبالولاية الصغرى ولاية الأولياء.

يَخْلوَا عَنْ شَائِبَة الظِّلِّيَّة، وَقَدْ جَعَلَهُمُ التَّعَلقُ بِأَصْل الأَصْل فَارِغِينَ عَنِ الظِّـــل، وَخَلصَهُمْ عَنْ زَيْغِ البَصَر.

وَنهَايَةُ الكَمَال فِي الوِلاَيَة الظِّلِّيَّة؛ التي هِيَ الوِلاَيَةُ الصُّغْرَى: إِنَّمَا تَحْصُلُ بالتَّجَلي البَرْقِيِّ، وَهَذَا التَّجَلي البَرْقِيُّ قَدَمٌ أَوَّل فِي الوِلاَيَة الكُبْرَى التِي هِيَ ولاَيَةُ الأَنْبيَاءِ ــ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ــ.

وَالوِلاَيَةُ الصُّغْرَى: هِيَ وِلاَيَةُ الأَوْلِيَاءِ ــ قَدَّسَ اللهُ تَعَالى أَسْرَارَهُمْ ــ.

وَمِنْ هَاهُنَا يُعْرَفُ التَّفَاوُتُ بَيْنَ وِلاَيَة الأَوْلِيَـــاء وَوِلاَيَـــة الأَنْبيَـــاء ــ صَلوَاتُ الله وَتَسْليمَاتُهُ عَلَيْهِمْ ــ فَإِنَّ بدَايَةَ تلْكَ الوِلاَيَة نهَايَةُ هَذه الوِلاَيَة، وَمَاذَا نُقول منْ كَمَالاَت نُبُوَّة الأَنْبيَاء عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ؟! فإن بداية النبوة نهايـــة هذه الولاية، وَلعَل حَضْرَةَ الخَواجه بَهَاءَ الدِّينِ النَّقْشَبَنْديَّ[١] ــ قَدَّسَ اللهُ ســـرَّهُ ــ نَال نَصيبًا وَافرًا منْ وِلاَيَة الأَنْبيَاء ــ عَلَيْهِمُ الصَّلوَاتُ وَالتَّحيَّاتُ ــ بِالتَّبَعيَّة وَالوِرَاثَة؛ فَإِنَّهُ قَالَ: " نَحْنُ نُدْرِجُ النِّهَايَةَ فِي البدَايَة ".

وَمَبْلغُ علم هَذَا الفَقير: أَنَّ النِّسْبَةَ النَّقْشَبَنْديَّةَ وَحُضُورَهَا إِذَا بَلغَ حَـــدَّ الكَمَال يَتَّصلاَن بالوِلاَيَة الكُبْرَى وَيَحْصُل لهُمْ حَظٌّ وَافرٌ منْ كَمَـــالاَت تلْـــكَ الوِلاَيَة بخلاَف طُرُق غَيْرهمْ؛ فَإِنَّ نهَايَةَ كَمَالهمْ حُصُولَ التَّجَلي البَرْقِيُّ.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ السَّيْرَ الذي يَتَيَسَّرُ بَعْدَ سَيْر الآفَاق وَالأَنْفُس هُوَ سَيْرٌ فِي أَقْرَبيَّة الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى؛ فَإِنَّ فعْلَهُ تَعَالى أَيْضًا أَقْرَبُ إِلَيْنَا منَّا، وَكَـــذَلكَ صفَتُهُ تَعَالى أَقْرَبُ إِلَيْنَا منَّا وَمَنْ فعْلَهُ تَعَالى أَيْضًا وَذَاتُهُ تَعَالى أَقْرَبُ إِلَيْنَا منَّا، وَمَنْ فعْلَهُ وَصفَتُهُ تَعَالى، وَالسَّيْرُ فِي هَذه المَرَاتب هُوَ السَّيْرُ فِي الأَقْرَبيَّة.

وَحَقيقَةُ تَجَلي الفعْل وَتَجَلي الصِّفَة وَتَجَلي الذَّات[٢] تَتَحَقَّقُ فِي هَـــذَا المَوْطنِ، وَيَحْصُل النَّجَاةُ هُنَا منْ سَلطَنَة الوَهْمِ وَدَائرَة الخَيَال؛ فَإِنَّـــهُ لاَ سَـــلطَنَةَ

---

(١) ــ **بهاء الدين النقشبندي**: محمد بن خواجه أحمد الظهوري الفاروقي العارف بالله الشيخ بهاء الدين النقشبندي الصوفي ولد سنة ٧٢٨ هـ وتوفي سنة ٧٩١ هـ، من تصانيفه: الأوراد البهائية، سلك الأنوار في التصوف، هداية السالكين وتحفة الطالبين في التصوف. انظر ترجمته في: إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين: ١٧٣/٦، كحالة: معجم المؤلفين: ٧١/٣.

(٢) ــ **التجلي الذاتي**: هو تجلي الذات وحدها لذاتها، وهي الحضرة الأحدية التي لا نعت فيها ولا رسم، إذ الذات التي هي وجود الحق المحض وحدته عينه؛ لأن ما سوى الوجود من حيث هو وجود

لِسُلْطَانِ الوَهْمِ وَالخَيَالِ فِي خَارِجِ دَائِرَةِ الآفَاقِ وَالأَنْفُسِ، وَنِهَايَةُ تَصَرُّفِ الوَهْمِ نِهَايَةُ دَائِرَةِ الظِّلِّ؛ فَحَيْثُ لاَ ظِلَ لاَ وَهْمَ، فَالتَّخَلصُ عَنْ قَيْدِ الوَهْمِ فِي الوِلاَيَةِ الظِّلِّيَّةِ إِنَّمَا يَحْصُلُ بَعْدَ الَموْتِ؛ فَإِنَّ الوَهْمَ يَنْعَدِمُ بِالَموْتِ.

وَفِي الوِلاَيَةِ الأَصْلِيَّةِ التِي هِيَ الوِلاَيَةُ الكُبْرَى: الخَلاصُ عَنْ قَيْدِ الوَهْمِ وَالخَيَالِ مُيَسَّرٌ فِي هَذِهِ النَّشْأَةِ وَمَعَ وُجُودِ الوَهْمِ فِيهَا خَلاصٌ عَنْ قَيْدِ الوَهْمِ، وَمَا أُجِّلَ لِلطَّائِفَةِ الأُوَلَى فِي الآخِرَةِ يَتَيَسَّرُ لِلطَّائِفَةِ الأُخْرَى فِي هَذِهِ النَّشْأَةِ، وَفِي الوِلاَيَةِ الظِّلِّيَّةِ لاَ يَحْصُلُ شَيْءٌ مِنَ المَطْلُوبِ فِي هَذِهِ النَّشْأَةِ غَيْرُ مَنْحُوتِ الوَهْمِ وَالخَيَالِ.

وَفِي الوِلاَيَةِ الأَصْلِيَّةِ: المَطْلُوبُ مُنَزَّهٌ وَمُبَرَّأٌ عَنْ علة نَحْتِ الوَهْمِ، وَكَأَنَّ مَوْلاَنَا الرُّومِيَّ تَضَايَقَ مِنْ حَيْطَةِ الوَهْمِ وَقَيْدِ الخَيَالِ فَتَمَنَّى المَوْتَ لِيَنَالَ المَطْلُوبَ عَارِيًا عَنْ لِبَاسِ الوَهْمِ وَالخَيَالِ وَمَنَعَ مِنْ أَنْ يَقُولَ عَافَاكَ اللهُ فِي مَبَادِئِ المَوْتِ وَقَالَ:

من شوم عريان زتن اوزخيال تأخرامم در نهاية الوصال

تَرْجَمَةٌ:

أُعْرُوا مِنَ الأَشْبَاحِ وَهْوَ مِنَ الخَيَالِ كَيْمَا تَبَخْتَرُ فِي نِهَايَاتِ الوِصَالِ

وَمَا قُلتُ: مِنْ أَنَّ فِي الآفَاقِ وَالأَنْفُسِ تَجَلِيَاتُ ظِلالِ الأَسْمَاءِ وَالسِّمَاتِ، لاَ تَجَلِيَاتُ نَفْسِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ:

بَيَانُهُ هُوَ: أَنَّ التَّكْوِينَ مِنَ الصِّفَاتِ الحَقِيقِيَّةِ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ العُلَمَاءِ المَاتُرِيدِيَّةِ ـ شَكَرَ اللهُ سَعْيَهُمْ ـ لاَ مِنَ الصِّفَاتِ الإِضَافِيَّةِ ـ كَمَا زَعَمَتَ الأَشْعَرِيَّةُ ـ وَحَيْثُ كَانَتِ الإِضَافَةُ غَالِبَةً فِي هَذِهِ الصِّفَةِ ظَنُّوهَا مِنَ الصِّفَاتِ الإِضَافِيَّةِ نَظَرًا إِلى صِفَاتٍ أُخْرَى وَلَيْسَ كَذَلِكَ، بَل هِيَ مِنَ الصِّفَاتِ الحَقِيقِيَّةِ امْتَزَجَ بِهَا وَصْفُ الإِضَافَةِ، وَهَذِهِ الصِّفَةُ تَحْتَ جَمِيعِ الصِّفَاتِ وَفِيهَا لَوْنُ جَمِيعِ الصِّفَاتِ التِي فَوْقَهَا:

مَثَلاً: لَهَا نَصِيبٌ مِنَ العِلمِ وَالحَيَاةِ، وَحَظٌّ مِنَ القُدْرَةِ وَالإِرَادَةِ أَيْضًا، وَلَهَا جُزْئِيَّاتٌ هِيَ فِي الحَقِيقَةِ ظِلاَلُهَا مِثْل: التَّرْزِيقِ وَالتَّخْلِيقِ وَالإِحْيَاءِ وَالإِمَاتَةِ

ليس إلا العدم المطلق، وهو اللا شيئ المحض، فلا يحتاج في أحديته إلى وحدة و تعين يمتاز به عن شيئ،إذلا عين غيره، فوحدته عين ذاته.الكاشاني: معجم إصطلاحات الصوفية: ١٧٣.

وَالإِنْعَامِ وَالإِيلامِ، وَهَذه الجُزْئِيَّاتُ دَاخلَةٌ فِي الأَفْعَالِ التِي هِيَ فِي الحَقِيقَة ظِلالُ تلكَ الصِّفَة خَارِجَةٌ عَنْ دَائرَة الصِّفَاتِ الحَقِيقيَّة

وَلِهَذَا الفعْلِ وَجْهَانِ: وَجْهٌ نَحْوَ الفَاعِلِ، وَوَجْهٌ إِلى المَفْعُولِ، وَهَذَانِ الوَجْهَانِ مُتَمَايِزَانِ فِي النَّظَرِ الكَشْفِيِّ؛ يُرَى الوَجْهُ الأَوَّلُ عَالِيًا، وَالثَّانِي سَافلا، وَأَيْضًا: يُرَى الوَجْهُ الأَوَّلُ فِي النَّظَرِ الأَصْلِ، وَالوَجْهُ الثَّانِي مِثْلِ ظِلِ ذَلِكَ الأَصْلِ.

وَأَيْضًا: الوَجْهُ الأَوَّلُ فيه لوْنٌ منَ الوُجُوب، وَالوَجْهُ الثَّانِي لَهُ لوْنٌ مِنَ الإِمْكَانِ، وَهَذَا الوَجْهُ الثَّانِي مَبَادِئُ تَعَيُّنَاتِ غَيْرِ الأَنْبِيَاءِ ــ عَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ ــ مِنَ الأَوْلِيَاءِ الكِرَامِ وَسَائِرِ الأَنَامِ.

وَحَيْثُ كَانَ لِهَذَا الفعْلِ باعْتبَارِ الجِهَتَيْنِ لوْنٌ مِنَ الوُجُوبِ وَلوْنٌ مِنَ الإِمْكَانِ: يَكُونُ مُمْكِنًا بِالضَّرُورَةِ؛ فَإِنَّ المُرَكَّبَ مِن الواجِبِ والممكِنِ ـ: مُمْكِنٌ.

وَأَيْضًا: إِنَّ هَذَا الفعْلِ حَيْثُ كَانَ لَهُ وَجْهٌ إِلى القِدَمِ باعْتبَارِ الجِهَة الفَوْقَانِيَّة، وَقِدَمٌ فِي الحُدُوثِ باعْتبَارِ الجِهَة التَّحْتَانِيَّة يَكُونُ حَادِثًا بِالضَّرُورَةِ؛ فَإِنَّ المُرَكَّبَ مِنَ القَدِيمِ وَالحَادِثِ حَادِثٌ.

فَالَّذِينَ قَالُوا بِقِدَمِ فِعْلِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ: إِنَّمَا نَظَرُوا إِلى الجِهَة الأَوْلَى، وَالَّذِينَ ذَهَبُوا إِلى حُدُوثِه فَمَنْظُورُهُمْ هُوَ الجِهَةُ الأُخْرَى، وَنَظَرُ الطَّائفَة الأُولى عَالٍ، وَنَظَرُ الثَّانِيَة سَافِلٌ وَإِنْ وَقَعَ كِلا الفَرِيقَيْنِ فِي طَرَفَيِ الحَقِّ المُتَوَسِّطِ وَهُوَ الذي امْتَازَ بِهِ هَذَا الفَقِيرُ؛ {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ}[1].

وَوَقَعَ مِثْلِ هَذَا التَّحْقِيقِ فِي بَعْضِ المَكَاتِيبِ فِي شَأْنِ الصِّفَاتِ الحَقِيقيَّة أَيْضًا فَلْيُطْلَبْ.

يَنْبَغِي: أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الوَجْهَ الثَّانِيَ فِي الفعْلِ عِبَارَةٌ عَنِ الخَلْقِ الخَاصِّ الذي مُتَعَلِّقٌ بِزَيْد مَثَلا؛ فَخَلْقُ زَيْد كَأَنَّهُ جُزْئِيٌّ مِنْ جُزْئِيَّاتِ مُطْلَقِ الخَلْقِ مَثَلا، وَهَذَا الخَلْقُ الخَاصُّ الذي تَعَلَّقَ بِزَيْد لَهُ جُزْئِيَّاتٌ أَيْضًا كَخَلْقِ ذَاتِ زَيْد وَخَلْقِ صِفَاتِه وَأَفْعَاله، وَهَذه الجُزْئِيَّاتُ كَالظِّلالِ لِخَلْقِ زَيْدٍ وَهُوَ كَالكُلِّيِّ لَهَا، وَالخَلْقِ

---

(١) الحديد: ٢١

فعْل زَيْد أَيْضًا ظل وَمَظْهَرٌ وَهُوَ كَسْبُ زَيْد الذي تَعَلقَ بالفعْل؛ فَإِنَّ هَذا الكَسْبَ مَا جاء به زَيْدٌ منْ بَيْت أَبيه، بَل هُوَ ظل منْ خلق الحَقِّ جَل وَعَلا.

فَعُلمَ منْ هَذه المَعَارف: أَنَّ الفعْل ظل التَّكْوين، وَأَنَّ الوَجْهَ الثاني من الفعْل ظل الوَجْه الأَوَّل منْهُ كَمَا حُقِّقَ، وَأَنَّ للوَجْه الثَّاني أَيْضًا ظلا هُوَ خَلقُ زَيْد مَثلاً، وَلخَلقِ زَيْد أَيْضًا ظلاً هُوَ خَلقُ فعْل زَيْد، وَلهَذَا الظِّل أَيْضًا ظل هُوَ كَسْبُ زَيْد.

فَإِذَا عَرَفْتَ هَذه العُلومَ فَاعْلَمْ: أَنَّ نسْبَةَ كَسْب زيد إلى زَيد مَثَلا إِذَا انْتَفَتْ في نَظَر السَّالك[١] وَقْتَ السُّلوك عَنْ زَيْد وَارْتَفعَتْ إِضَافَتُهُ إِلى زَيْد يَرَى فَاعل ذَلكَ الفعْل هُو الحَقَّ سُبْحَانَهُ، بَل يَجدُ الأَفْعَال المُتَكَثِّرَةَ المُتَبَاينَةَ للخَلائق فعْل فَاعل وَاحد فَيَظُنُّونَ ظُهُورَ هَذَا المَعْنَى تجليًا فعْليًّا.

يَنْبَغي: أَنْ يُنْصفَ: هَل هَذَا التجلي هُوَ تَجَلي فعْل الحَقِّ أَوْ تَجَلي ظل منْ ظلال ذَلكَ الفعْل الذي تَنْزل بمراتب كَثيرَة وَعَرَض لهُ اسْم الظِّلِّيَّة؟

وَيَنْبَغي: أَنْ يَقيسَ التَّجَلِيَات الأُخْرَى عَلى التَّجَلي الفعْليِّ؛ فَإِنَّهُمْ اكْتَفَوْا فيهَا أَيْضًا بظل منَ الظِّلال وَظَنُّوهُ أَصْل الأَصْل وَاطْمَئَنُّوا بالجَوْز وَالمَوْز.

يَنْبَغي أَنْ يُعْلمَ: أَنَّ وُجُوبَ الوُجُود حَيْثُ كَانَ منَ النِّسَب الإِضَافَات يُوجَدُ في مَرْتَبَة الفعْل بالضَّرُورَة، وَلمَّا لمْ يَكُنْ لهَذه النِّسْبَة مُنَاسبَةٌ بالعلم، بَل هيَ مَخْصُوصَةٌ بصَانع العَالم تَعَالى وَتَقَدَّس ـ: كَانَتْ مُنَاسبَةً بالوَجْه الأَوَّل منَ الفعْل الذي مَرَّ ذكْرُهُ:

فَإِنْ قيل: يَلزَمُ منْ هَذَا البَيَان أَنْ لاَ يَكُونَ الوُجُوبُ ثَابتًا في مَرْتَبَة الذَّات وَالصِّفَات، وَلا يُقَال لذَاته وَصفَاته ـ تَعَالى وَتَقَدَّسَ ـ وَاجبَةٌ، فَيَكُونُ الوُجُوبُ مَسْلوبًا عَنْ حَضْرَة الذَّات وَالصِّفَات، كَمَا أَنَّ الإِمْكَانَ وَالامْتنَاعَ مَسْلوبَان عَنْهُ تَعَالى، فَظَهَرَ قسْمٌ رَابعٌ منَ المَفْهُوم سوَى الوُجُوب[٢] وَالإِمْكَان[١] وَالامْتنَاع[٢]، وَالحَال: أَنَّ انْحصَارَ المَفْهُوم في هَذه الثَّلاثَة كَانَ ثَابتًا بالحَصْر العَقْليِّ:

(١) ـ **السالك**: هو الذي مشى على المقامات بحاله لا بعلمه وتصوره، فكان العلم الحاصل له من طريق الخبر والإستدلال، في مسافة ترقيه عينا يأبى عن ورود الشبه المضلة عليه. الكاشاني: رشح الزلال: ٤٣.

(٢) ـ الواجب: يدل على الضرورة، أى على ما يجب أن يحدث، ويدل كذلك على الأفضل وعندئذ يكون في مقابل ما هو كائن، أو ما يجب ألا يكون، مثل الخير أفضل من الشر. المعجم الفلسفي: ١٨٢

قُلنَا: إنَّ هَذَا الانْحصَارَ إنَّما هُوَ للمَاهيَّة بالنِّسْبَة إلى الوُجُود؛ فَحَيْثُ لاَ نسْبَةَ للمَاهيَّة إلى الوُجُود لاَ انْحصَارَ كَمَا في ذَات الوَاجب تَعَالى وَصفَاته سُبْحَانَهُ؛ فَإنَّ ذَاتَهُ تَعَالى مَوْجُودٌ بذَاته لاَ بالوُجود عَيْنًا كَانَ أوْ زَائدًا، وَصفَاتُهُ تَعَالى مَوْجُودَةٌ بذَاته تَعَالى منْ غَيْرِ أَنْ يَتَخَلل فيهَا وُجودٌ، فَذَاتُهُ تَعَالى وَصفَاتُهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ هَذه الثَّلاثَة المُنْحَصرَة، غَايَة مَا في البَاب إذَا تُصوِّرَ ذَاتُهُ تَعَالى وَتَعَلقَتْ صفَاتُهُ سُبْحَانَهُ بالوُجُود وَالاعْتبَارَات إذْ لاَ سَبيل إلى الكُنْه ـ: يَعْرِضُ لذَاته سُبْحَانَهُ في الوُجُود التَّصَوُّريِّ الظِّليِّ ـ الوُجُوبُ، كَمَا هُوَ المُنَاسبُ وَاللائقُ بذَاته تَعَالى، وَيَعْرِضُ لصفَاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالى ـ الوُجُودُ الذِّهْنيُّ الإمْكَان، لمَا هُوَ المُنَاسبُ لهَا لاحْتيَاجهَا إلى الذَّات؛ فَذَاتُهُ تَعَالى وَصفَاتُهُ سُبْحَانَهُ في حَدِّ أنْفُسهَا فَوْقَ مَرْتَبَة الوُجُود وَالإمْكَان، بَل فَوْقَ مَرْتَبَة الوُجُود أيْضًا، وَباعْتبَار الوُجُود: التَّصَوُّرُ الظِّليُّ الوُجُوب يُنَاسبُ الذَّات، وَالإمْكَانُ يُنَاسبُ الصِّفَات؛ فَالصِّفَاتُ منْ حَيْثُ الوُجُودُ الخَارجيُّ لاَ وَاجبَةٌ وَلا مُمْكنَةٌ، بَل هيَ فَوْقَ الوُجُوب وَالإمْكَان، وَباعْتبَار الوُجُود الذِّهْنيِّ مُمْكنًا وَلا يَلزَمُ منْ هَذَا الإمْكَان الحُدُوثُ لمَا أنَّهُ لَيْسَ لذَوَاتهَا كَمَا للمُمْكنَات، بَل لوُجُودَاتهَا الظِّليَّة.

وَيُنَاسبُ هَذه المَعْرفَةَ: مَا قَالهُ أرْبَابُ المَعْقُول منْ أنَّ الكُليَّةَ وَالجُزْئيَّةَ تَعْرضَان للمَاهيَّة باعْتبَار خُصُوصيَّة الوُجُود الذِّهْنيِّ، فَلا تُوصَفُ بهمَا المَاهيَّةُ حَال الوُجُود الخَارجيِّ؛ فَزَيْدٌ المَوْجُودُ في الخَارج مَثَلا قَبْل التَّعَقُّل لَيْسَ بجُزْئيٍّ كَمَا أنَّهُ لَيْسَ بكُليٍّ، بَل يَعْرضُ لهُ الجُزْئيَّةُ بَعْدَ الوُجُود الذِّهْنيِّ الظِّليِّ.

بَل نَقُول: جَميعُ النِّسَب وَالإضَافَات وَالأحْكَام وَالاعْتبَارَات التي تُحْمَل عَليْه تَعَالى كَالأُلوهيَّة وَالأزَليَّة ـ ممَّا هيَ غَيْرُ الصِّفَات الثَّمَانيَة المَوْجُودَة ـ إنَّمَا تَصْدُقُ عَليْه سُبْحَانَهُ باعْتبَار التَّصَوُّر وَالتَّعَقُّل، وَإلا فَالذَّاتُ ـ منْ حَيْثُ هيَ ـ: غَيْرُ مُتَّصفَة بصفَة وَلا مُسَمَّاة باسْم وَلا مَحْكُوم عَليْهَا بحُكْم، فَصَاحبُ الشَّرْع تَعَالى إنَّمَا أطْلقَ عَلى ذَاته أسْمَاءً وَأحْكَامًا باعْتبَار التَّنَاسُب وَالتَّشَابُه لتَكُونَ قَريبَةً منْ أفْهَام

---

(١) ـ الممكن من جهة المنطق: مالا ينطوي على تناقض، ومن جهة الأخلاق: مالا يتعارض مع المعايير الأخلاقية، وعند فلاسفة اليونان: يعني الوجود بالقوة في مقابل الوجود بالفعل. المعجم الفلسفي: ١٦٧.

(٢) ـ الممتنع: بينه وبين الواجب غاية الخلاف، لكنهما يتفقان في معنى الضرورة، فالواجب ضروري الوجود، والممتنع: ضروري العدم. المعجم الفلسفي: ١٦٧.

المَخْلوقَات، وَيَكُونَ التَّكَلمُ مَعَهُمْ عَلى قَدْرِ عُقُولهِمْ؛ كَمَا يُقَال لزَيْد المَوْجُود في الخَارِج ـ بدُون مُلاحَظَة وَجُوده الذِّهْنيِّ ـ: " إنَّهُ جُزْئيٌّ " عَلى سَبيل التَّشْبيه وَالتَّنْظير، وَيَكُونُ حُكْمُهُمْ بجُزْئيَّته أنْسَبَ وَأشْبَهَ منْ حُكْمهمْ بأنَّهُ كُليٌّ؛ فَكَذَلكَ الحُكْمُ بالوُجُوب وَالوُجُود عَلى الذَّات الغَنيِّ العَليِّ أوْلى وَأنْسَبَ منَ الحُكْم بالإمْكَان وَالامْتنَاع، وَإلا فَلا يَصل إلى جَنَاب قُدُسه تَعَالى وُجُوبٌ وَلا وُجُودٌ، كَمَا لاَ يَليقُ بجَنَاب تَنْزيهه تَعَالى إمْكَانٌ وَامْتنَاعٌ، فَافْهَمْ هَذه المَعْرفَةَ الشَّريفَةَ القُدُسيَّةَ؛ فَإنَّهَا أَسَاسُ الدِّين.

وَخُلاصَةُ علمِ الصِّفَات وَالذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ وَمَا تَكَلمَ بهَا أَحَدٌ منَ العُظَمَاء وَلا وَاحدٌ منَ الكُبرَاء اسْتَأْثَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ هَذَا العَبْدَ بهَذه المَعْرفَة ﴿وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى﴾(١)

(١) طـه: ٤٧

المَكْتُوبُ السَّابِعَ عَشَرَ بَعْدَ الثَّلاَثمائَة
إلى المير مُحَمَّد نُعْمَان
فِي بَيَانِ أَنَّ علمَ اليَقين(١) وَعَيْنَ اليَقين(٢) وَحقَّ اليَقين(٣) التي قَرَّرَهَا بَعْضُ الصُّوفيَّة شَطْرَان في الحَقيقَة منْ أقْسَام علم اليَقين الثَّلاثَة وَالقسْمُ الثَّالثُ منْهُ لَمْ يَحْصُل بَعْدُ فَضْلاً عَن الوُصُول إلى عَيْن اليَقين وَبَيَان أَنَّ صَاحبَ هَذه العُيُون مُجَدِّدُ الأَلف الثَّاني

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلَى عبَاده الذينَ اصْطَفَى:

قَدْ مَضَتْ مُدَّةٌ وَلَيْسَ لَنَا اطِّلاعٌ عَلَى أَحْوَالكُمُ المَحْمُودَة المَآل، المَسْئُول مِنَ الله سُبْحَانَهُ سَلامَتُكُمْ وَاسْتقَامَتُكُمْ:

اعْلَمْ أَنَّ: علمَ اليَقين عبَارَةٌ عَنْ شُئُون آيَات تُفيدُ اليَقينَ العلميَّ، وَهَذَا الشُّهُودُ في الحَقيقَة استدْلال بالأَثَر عَلَى المُؤَثِّر؛ فَكُل مَا يُرَى وَيُشَاهَدُ منَ الظُّهُورَات وَالتَّجليَات في مَرَايَا الآفَاق وَالأَنْفُس منْ قَبيل الاسْتدْلال بالأَثَر عَلَى المُؤَثِّر، وَإنْ سَمَّوْا تلْكَ التَّجليَات تَجليَات ذَاتيَّة وَقَالوا لتلْكَ الظُّهُورَات: " ظهورات لاَ كَيْفيَّة "؛ فَإنَّ ظُهُورَ شَيْء في المرْآة حُدُوثُ أَثَر منْ آثَاره، لاَ حُصُول عَيْن ذَلكَ الشَّيْء، فَلا يَكُونُ قَدمُ السَّيْر الآفَاقيِّ وَالأَنْفُسيِّ خَارجًا عَنْ دَائرَة علم اليَقين بالتَّمَام

---

(١) ــ **علم اليقين**: هو مما أعطاه الدليل الذي لا يقبل الشبهة فيكون له استقرار في النفس من غير مزاحمة نقيضه /ولذلك أضيف إلى اليقين، الذي هو الإستقرار، إذ ليس لكل علم وعين وحق إستقرار. الكاشاني: رشح الزلال: ٩٠.

(٢) ــ **عين اليقين**: هو ما أعطته المشاهدة، وهي رؤية ذوات الأشياء وحقائقها بالحق والكشف، وهو تحقيق خواصها، وأحكامها ولوا زمها الباطنة، والظاهرة ن والتابعة، والمتبوعة بالحق أيضاً.الكاشاني: رشح الزلال: ٩٠.

(٣) ــ **حق اليقين**: هو ما حصل من العلم بما اريد له ذلك المشهود من الخصوصيات، والأحكام والحكم، فمن سمع خبرا أو بلغ ذلك له حد التواتر، علمه علم اليقين، ومن رأى ذلك عيانا،فوجد الخبر قد طابق العيان، وأفاده علما ذوقيا لم يكن عنده، علمه عين اليقين، ومن انتهى في عيانه إلى أحاط بما أريد به ذلك المشهود، علمه حق اليقين. الكاشاني: رشح الزلا ل: ٩١.

وَلا يَكُونُ لَهُ نَصِيبٌ غَيْرُ الاسْتِدْلال بالأَثَر عَلى المُؤَثِّر؛ قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالى {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ}(١).

وَاعْتَقَدَ بَعْضُهُمْ أَنَّ السَّيْرَ الآفَاقِيَّ مِنْ عِلمِ اليَقِينِ وَأَثْبَتُوا عَيْنَ اليَقِينِ وَحَقَّ اليَقِينِ فِي السَّيْرِ الأَنْفُسِيِّ، وَلَمْ يَقُولوا بِسَيْرٍ فِي خَارِجِ الأَنْفُسِ، (ع):

وَلِلنَّاسِ فِيمَا يَعْشَقُونَ مَذَاهِبُ

وَاعْلَمْ: أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ أَقْرَبُ إِلى العَبْدِ مِنَ العَبْدِ نَفْسِه؛ فَمِنَ العَبْدِ إِلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ سَيْرٌ آخَرُ فِي جَانِبِ الأَقْرَبِيَّة، وَالوُصُول مَنُوطٌ بِقَطْعِه، وَهَذَا السَّيْرُ الثَّالِثُ أَيْضًا مُثْبِتٌ لِعلمِ اليَقِينِ فِي الحَقِيقَة؛ فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ خَارِجًا عَنْ دَائِرَةِ الظِّلِّيَّة وَلَكِنَّهُ لَيْسَ بِمُبَرَّإٍ مِنْ شَائِبَةِ الظِّلِّيَّة؛ فَإِنَّ أَسْمَاءَ الوَاجِب وَصِفَاتِهُ سُبْحَانَهُ ظِلال حَضْرَةِ الذَّاتِ فِي الحَقِيقَة ــ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ ــ وَكُل مَوْضِعٍ فيه شَوْبُ الظِّلِّيَّة دَاخِل فِي الآثَار وَالآيَات، فَهُمْ خَصَّصُوا بِعلمِ اليَقِينِ سَيْرًا وَاحِدًا مِنْ سَيْرِه الثَّلاثَة وَجَعَلوا سَيْرَهُ الثَّانِيَ مُحَصِّلا لِعينِ اليَقِينِ وَحَقِّ اليَقِينِ وَلَمْ يُحَرِّكُوا شِفَاهَهُمْ بِالسَّيْرِ الثَّالِث أَصْلا حَتَّى يَتِمَّ بِه دَائِرَةُ علمِ اليَقِينِ وَأَيْنَ بَعْدَ عَيْنِ اليَقِينِ وَحَقِّ اليَقِينِ [ع]

وَقِسْ مِنْ حَالِ بُسْتَانِي رَبِيعِي

وَمَاذَا أَقُول مِنْ عَيْنِ اليَقِينِ وَحَقِّ اليَقِينِ وَمَنْ يَفْهَمُهُ إِنْ قُلتُ وَمَنْ يُدْرِكُ؟! فَإِنَّ هَذِه المَعَارِفَ خَارِجَةٌ مِنْ حَيْطَةِ الوِلايَة، وَأَرْبَابَ الوِلايَة عَاجِزُونَ عَنْ إِدْرَاكِهَا مِثْل عُلَمَاءِ الظَّاهِر، وَقَاصِرُونَ فِي دَرْكِهَا.

وَهَذِه العُلومُ مُقْتَبَسَةٌ مِنْ مِشْكَاةِ أَنْوَارِ النُّبُوَّة ــ عَلى صَاحِبِهَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالتَّحِيَّةُ ــ حَصَلَتْ لَهَا النَّضَارَةُ بَعْدَ تَجَدُّدِ الأَلفِ الثَّانِي وَظَهَرَتْ بِالطَّرَاوَة، وَصَاحِبُ هَذِه العُلومِ وَالمَعَارِف مُجَدِّدُ هَذَا الأَلف كَمَا يَخْفَى عَلى النَّاظِرِيْنَ فِي عُلومِه وَمَعَارِفِه التِي تَتَعَلقُ بِالذَّاتِ وَالصِّفَاتِ وَالأَفْعَال، وَتَتَلَبَّسُ بِالأَحْوَال(٢) وَالمَوَاجِيد(٣) وَالتَّجَلِّيَات وَالظُّهُورَات، فَيَعْلَمُونَ أَنَّ هَذِه المَعَارِفَ وَالعُلومَ وَرَاءَ عُلومِ

---

(١) فصلت: ٥٣

(٢) ــ الحال:هو ما يرد على القلب الآخذ في السير إلى الله تعالى من غير تعمد ولا إجتلاب. الكاشاني: رشح الزلال: ٤٩

(٣) ــ **الوجد**: هو ما يصادف القلب من الأحوال المعنية، أي من الأحوال التي تأخذه عن شهود نفسه، وعن شهود الحاضرين، وما يلاقيه من الكون، ويفجأ القلب بالوصف المذكور، وهو وجد صحيح، وعلامة صحته أن تعقبه فائدة، ومزيد علم ذوقي. الكاشاني: رشح الزلال: ٧٤

العُلَمَاء وَوَرَاءَ مَعَارِف الأَوْلِيَاء، بَل عِلوم هَؤُلاء بالنِّسْبَة إِلى تلكَ العُلوم قشْرٌ وَتلكَ المَعَارِفُ لُبُّ ذَلكَ القشْرِ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ الهَادي.

وَاعْلَمْ: أَنَّهُ قَدْ مَرَّ عَلى رَأْسِ كُل مائَة مُجَدِّدٌ وَمَضَى، وَلكنَّ مُجَدِّدَ المائَة لَيْسَ كَمُجَدِّد الأَلف، بَل الفَرْقُ بَيْنَ مُجَدِّد المائَة وَمُجَدِّد الأَلف كَالفَرْق بَيْنَ المائَة وَالأَلف، بَل أَزْيَد منْهُ، وَالمُجَدِّدُ هُوَ الذي بتَوَسُّطه يَردُ عَلى الأُمَّة في تلكَ المُدَّة مَا يَرِدُ منَ الفُيُوض، وَإِنْ كَانُوا أَقْطَابَ[١] ذَلكَ الوَقْت وَأَوْتَادَهُ[٢] وَأَبْدَالَهُ[٣] وَنُجَبَاءَهُ[٤]، (شعر):

لَيْسَ عَلى اللهِ بِمُسْتَنْكَرٍ ... أَنْ يَجْمَعَ العَالَمَ فِي وَاحِد

---

(١) ــ **الأقطاب**: جمع قطب، والمرا د به عند الصوفية: الواحد الذي هو موضع نظر الله تعالى من العالم في كل زمان وهو على قلب إسرافيل عليه السلام. الكاشاني: معجم إصطلاحات الصوفية: ١٦٢.

(٢) ــ **الأوتاد**: المراد بهم عند الصوفية أربعة رجال من إلزام القطب، وأركان دولته في ولاية التدبير،منازلهم على منازل الأربعة أركان من العالم شرقا وغربا وشمالا وجنوبا،مقام كل واحد منهم مقام تلك الجهة، بمعنى أن يكون كل رجل منهم مورد الفيض الوارد من عندية الحق إلى عندية الغوث اللائق بتلك الجهة،والوافي لما فيها من أصناف الخلائق، لا بمعنى أن يكون كل منهم بنفسه في جهة تعينت له بالمناسبة الإلهية والروحانية والطبيعية، وتوزيع هذه الأقسام من أركان الكعبة، فإنها مطمح قرار القطب.وإن تشرف أو تقرب، فإنها اسم جامع مستند إلى اسم الله، والكعبة قلب الأرض، والقطب قلب الكون، فجمع القلب بين القلبين بالنسبة الذاتية. الكاشاني: رشح الزلال:٦٣.

(٣) ــ **النجباء**: المراد بهم عند الصوفية أربعون مشتغلون بحمل أثقال الخلق.، أثقالهم ما تنشأ من فوقية الحق من التجليات الذاتية القهرية، أو من شبح الطبيعة الغاسقة من المشقات الملمة الميسرة، وهي من حيث الجملة: كل حادث لا تفي القوة البشرية بحمله،وحمله عنهم، تلقيهم إياه بسريانهم ونفوذهم في قابلياتهم بقوة تجردهم، وتروحنهم، فإن الأرواح في باطن محل التدبير يتعاضد بعضها في حمل الأثقال في البعض تعاضد الأجساد في ظاهره، وذلك لتوفيتهم حق الفتوة واختصاصهم بموفور الشفقة والرحمة النظرية فلا يتفرقون إلا في حق العز، إذ لا مزيد لهم في ترقياتهم إلا من هذا الباب.،ولما اقتضى حمل الأثقال كمال القوة،اختصت جملتها بشعر وعدد وكمال قوتهم الموهوبة، وذلك أربعون، فإنه مستوى قوة العز. الكاشاني: رشح الزلال:٦٦.

(٤) ــ **الأبدال**: المراد بهم عند الصوفية: سبعة رجال من القطب، من سافر منهم من موضع، أي موضع كان، وترك جسدا على صورته حيا بحياته ظاهرا بأعمال أصله، بحيث لا يعرف أحد أنه فقد. الكاشاني: رشح الزلال: ٦٤.

وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى وَالتزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْليمَاتُ العُلاَ وَجَميعِ إخْوَانه منَ الأَنْبيَاءِ وَالْمُرْسَلينَ وَالْمَلاَئكَة الْمُقَرَّبينَ وَعِبَادِ اللهِ الصَّالحينَ أَجْمَعينَ.

المَكْتُوب الثَّامِنَ عَشَرَ بَعْدَ الثَّلاَثمائة
إلى المير شَمْسِ الدِّين عَليٍّ الخلخالي
في بَيَان أَنَّ لصفَات الحَقِّ سُبْحَانَهُ اعْتبَارَيْنِ
الأَوَّل: حُصُولهَا في أَنْفُسهَا
وَالثَّاني: قيَامُهَا بذَات الحَقِّ سُبْحَانَهُ
وَكلا الاعْتبَارَيْنِ مُتميِّزَان في الخَارِجِ

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى:

أَيُّهَا المَخْدُومُ: إنَّ لصفَات الوَاجب التي هيَ موْجُودَةٌ وَقَائمَةٌ بذَاته تَعَالى اعْتبَارَيْن:

الاعْتبَارُ الأَوَّل: ثُبُوتُهَا في حَدِّ ذَاتهَا.

وَالاعْتبَارُ الثَّاني: قيَامُهَا بذَات الوَاجب تَعَالى وَتَقَدَّسَ.

وَلَهَا بالاعْتبَارِ الأَوَّل مُنَاسبَةٌ بالعَالم وَبه صَارَتْ مَبَادئُ التَعيُّنَات، وَبالاعْتبَار الثَّاني مُسْتَغْنيَةٌ عَنِ العَالم ليْسَ لَهَا تَوَجُّهٌ إلى العَالم وَمَا فيه أَصْلاً.

وَأَيْضًا: أَنَّهَا بالاعْتبَار الأَوَّل ترى في النظر الكشفي منفكة عن الذات تعالت وتقدست ونثبت الذات ورائها.

وَبالاعْتبَار الثَّاني: ليْسَ كَذَلكَ: بَل لاَ يُتَصوَّرُ الانْفكَاكُ وَأَيْضًا أَنَّهَا بالاعْتبَارِ الأَوَّل حَجْبٌ للذَّات وَبالاعْتبَار الثَّاني الاحْتجَابُ[1] مُرْتَفعٌ كَالبَيَاض القَائم بالثَّوْب؛ فَإنَّهُ ليْسَ بحجَاب للثَّوْب، غَايَةُ مَا في البَاب: أَنَّ البَيَاضَ بكلا الاعْتبَارَيْنِ ــ أَعْني حُصُولهُ في نَفْسه وَقيَامَهُ بالثَّوْب ــ ليْسَ بحجَاب لذَات الثَّوْب؛ فَإنَّهُ وَإنْ كَانَ المَحْسُوسُ هُوَ ذَلكَ البَيَاضَ وَلكنَّ الحجَابيَّةَ مُرْتَفعَةٌ بخلاف صفَات الوَاجب تَعَالى وَتَقَدَّسَ؛ فَإنَّهَا بالاعْتبَار الأَوَّل حَاجبَةٌ وَبالاعْتبَار الثَّاني غَيْرُ حَاجبَة وَإيَّاكَ وَتَخيُّل فَرْق مَا بَيْنَ الاعْتبَارَيْنِ شَيْئًا يَسيرًا؛ فَإنَّ هَذَا الفَقيرَ مَعَ وُجُود جَذْب[2] قَويٍّ وَسُرْعَة سَيْرٍ قَطَعَ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ الاعْتبَارَيْنِ قَريبًا منْ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَلَمْ يَهْتَد

---

(١) ــ **الحجاب**: يعني إنطباع الصور الكونية في القلب المانعة لقبول تجلي الحقائق. الكاشاني: المعجم ٨١.، الرشح: ١٣٦.

(٢) ــ **الجذب**: يعني تقريب العبد بمقتضى العناية الإلهية المهيئة له كل ما يحتاج إليه في طي المنازل إلى الحق بلا كلفة وسعي منه. الكاشاني: المعجم: ٦٥.

العُلَمَاءُ المُتَقَدِّمُونَ إلى فَرْق مَا بَيْنَ هَذَيْنِ الاعْتبَارَيْنِ، وَقالوا: إنَّ حُصُول العَرَضِ فِي نَفسه هُوَ عَيْنُ حُصُوله القِيَامي فِي الجَوْهَر[١].

وَبَعْضُ العُلَمَاء المُتَأَخِّرِينَ تَنَبَّهَ عَلَى هَذَا الفَرْق وَحَقَّقَ أَنَّ حُصُولَهُ فِي نَفْسه غَيْرُ حُصُوله القِيَامِيَّ لأَنَّ العَرَضَ يُقَال فِي حَقِّه: " إنَّهُ وُجدَ فقَامَ " فَالوُجُودُ غَيْرُ القِيَام، وَتَحْقيقُ ذَلكَ البَعْضِ فِي العَرَضِ كَانَ مُرْتَقَى العُرُوجِ لي وَوَسيلةً لمَعْرِفَةٍ مُحْتَاجٍ إلَيْهَا.

وَقَد أَمَدَّ فِي هَذَا السَّيْرِ وَالسُّلوك[٢] كَثيرٌ مِنَ التَّحْقيقَات الكَلامِيَّة وَالتَّدْقيقَات الفَلسَفيَّة وَصَارَتْ وَاسطَةً للمَعَارف الإلهيَّة جَل سُلطَانُهُ، {وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[٣] وَالتَزَمَ مُتَابعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلَى آله وَأَصْحَابه مِنَ الصَّلَوَاتُ أَتَمُّهَا وَمِنَ التَسْليمَات أَكْمَلهَا.

---

(١) ــ **الجوهر**: ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضوع، وهو مختصر في خمسة: هيولي، وصورة، وجسم، ونفس، وعقل، لأنه إما أن يكون مجردا أو غير مجرد، فالأول أي المجرد: إما أن يتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف، أو لا يتعلق، والأول أي ما يتعلق: العقل، والثاني أي ما لا يتعلق: النفس. والثاني: وهو أن يكون غير مجرد، إما أن يكون غير مجرد، وإما أن يكون مركبا أولا، فالمركب: هو الجسم، وغير المركب: إما حال وإما محل، فالحال ك هي الصورة، والحل: هو الهيولي. وهذه تسمى الحقيقة الجوهرية في اصطلاح أ هل الله. الجرجاني: التعريفات: ١٠٩، ١٠٨.

(٢) ــ السير والسلوك في الحقيقة شيئ واحد، يقع التغاير بينهما بحسب الإعتبارات فقط، **فالسير** مخصوص بالباطن، **والسلوك**: مخصوص بالظاهر، والسالك هو السائر إلى الله تعالى، ومرتبته وسط بين المريد والمنتهي، ما دام في السير. الحكيم الترمذي: خاتم الأولياء: ٥٠٣.

(٣) طــه: ٤٧

المَكْتُوبُ التَّاسِعَ عَشَرَ بَعْدَ الثَّلاثِمائَةِ إلى المَخْدُوم زاده جَامِعِ العُلوم العقْلِيَّةِ وَالنَّقْلِيَّةِ الخَوَاجَهْ مَجْدِ الدِّينِ مُحَمَّد مَعْصُوم في بَيَانِ بَعْضِ الأَسْرَارِ الغَامِضَةِ وَيُفْهَمُ مِنْهَا وَجْهُ كَوْنِهِ ﷺ مَأمُورًا بَاتِّبَاعِ مِلةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ

الحَمْدُ للَّهِ وَسَلاَمٌ عَلى عِبَادِهِ الذين اصْطَفَى:

أَظُنُّ أَنَّ المَقْصُودَ مِنْ خَلْقِي هُوَ أَنْ تَكُونَ الوِلاَيَةُ المُحَمَّدِيَّةُ مُنْصبِغَةً بِالوِلاَيَةِ الإِبْرَاهِيمِيَّة عَلَيهِمَا الصَّلاةُ وَالتَّحِيَّةُ.

وَأَنْ يَمْتَزِجَ حُسْنُ مَلاحَة هِذه الوِلايَةِ بَجمَال صَبَاحَةِ تِلكَ الوِلاَيَةِ، قَدْ وَرَدَ في الحَدِيث: «أخِي يُوسُفُ أَصْبَحُ وَأَنَا أَمْلَحُ».

وَأَنْ يَبْلغَ مَقَامُ المَحْبُوبِيَّة المُحَمَّدِيَّةِ بِهَذَا الانْصِبَاغِ دَرَجَةً عُليَا.

وَيُشْبهُ أَنْ يَكُونَ المَقْصُودُ مِنَ الأَمْرِ باتِّبَاعِ مِلةِ إِبْرَاهِيمَ ـ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ـ حُصُول هَذِهِ الدَّوْلة العُظْمَى، وَأَنَّ طَلبَ الصَّلَوَات وَالبَرَكَاتِ المُمَاثِلتَيْنِ لصَلَواتِ إِبْرَاهِيمَ وبَرَكَاتِهِ ـ عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلاَمُ ـ إِنَّمَا هُوَ لأَجْلِ هَذَا الغَرَضِ، وَالمَلاَحَة وَالصَّبَاحَة كِلتَاهُمَا مُنبِئَانِ عَنْ حُسْنِ الذَّاتِ تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ مِنْ غَيْرِ مَزْجِ الصِّفَاتِ، وَلكِنَّ حُسْنَ الصِّفَاتِ وَالأَفْعَال وَالآثَارِ كُلهَا ـ: مُسْتَفَادٌ مِنْ حُسْنِ الصَّبَاحَةِ الكَثِيرَةِ البَرَكَةِ، وَحُسْنُ المَلاَحَة أَنْسَبُ بِحَضْرَةِ الإِجْمَال، وَكَأَنَّ المَلاحَةَ مَرْكَزٌ للحُسْنِ وَالصَّبَاحَة دَائِرَةُ ذَلكَ المَرْكَزِ.

وَكَمَا أَنَّ فِي حَضْرَةِ الذَّاتِ بَسَاطَة كَذَلِكَ فِيهَا وَسَعَة أَيْضاً وَلَيْسَتْ تِلكَ البَسَاطَة وَالوَسَعَةُ ممَّا يَجِيءُ فِي فَهْمنا وَمَا ذَلِكَ الإِجْمَال وَالتَّفْصِيل مِمَّا يُدْرَكُ بِإِدْرَاكِنَا ﴿لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَار وَهُوَ اللطِيفُ الخَبِيرُ﴾[١].

وَالبَسَاطَةُ وَالوسعَةُ اللتَان نُثْبِتُهُمَا فِي حَضْرَةِ الذَّاتِ كُل وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مُتَمَايِزَةٌ عَنِ الأُخْرَى لاَ أَنَّهَا عَيْنُ الأُخْرَى كَمَا ظَنَّ الذِي هُوَ ثَابت فِي تِلكَ المَرْتَبَةِ بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ فَهُوَ خَارِجٌ عَنْ حَيْطَةِ إِدْرَاكِنَا وَبَعِيدٌ عَنْ دَائِرةِ

---

(١) الأنعام: ١٠٣.

أَفْهامنَا فَتَكُونُ الصَّبَاحَةُ وَالمَلاحَةُ أَيْضًا مُتَمَايِزَتَان فِي تِلكَ المَرْتَبَةِ وَتَكُونُ أَحْكَامُ كُل وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مُغَايِرَةً لأَحْكَامِ الأُخْرَى.

فَعُلِمَ أَنَّ: المَقصُودَ الذي كُنْتُ فَهِمْتُهُ مِنْ خَلقِي قَدْ حَصَلَ وَمَسْئُول أَلف سَنَة صَارَ مَقْرُونًا بالإجَابَة.

الحَمْدُ للهِ الذي جَعَلَنِي صِلةً بَيْنَ البَحْرَيْنِ وَمُصْلِحًا بَيْنَ الفِئَتَيْنِ أَكْمَل الحَمْد عَلَى كُل حَال، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلى خَيْرِ الأَنَامِ وَعَلى إِخْوَانِه الكِرَامِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالمَلائكَة العِظَام.

وَلَمَّا صَارَت الصَّبَاحَةُ أَيْضًا مُتَلوِّنَةً بلوْن المَلاحَة ـــ لاَ جَرَمَ حَصَلت الوُسْعَةُ لِمَقَامِ الخُلة الإِبْرَاهِيمِيَّة أَيْضًا، وَنَال المُحيطُ حُكْمَ المَرْكَز أَيْضًا.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ لِمَقَامِ المَحَبَّة مُنَاسَبَةً بِمَرْتَبَة المَلاحَة، وَلِمَقَامِ الخُلة بِمَرْتَبَة الصَّبَاحَة، وَفِي المَحَبَّة كَانَت المَحْبُوبِيَّةُ الصِّرْفَةُ نَصِيبَ خَاتَمِ الرُّسُل ـــ عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ـــ وَالمَحَبَّةُ الخَالصَةُ مَخْصُوصَةً بِكَلِيمِ الله ـــ عَلَيْه الصَّلاة وَالسَّلامُ ـــ وَفِي الخَليل ـــ عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ـــ نِسْبَةُ الجَلِيسِيَّة وَالنَّدِيمِيَّة، وَكُل مِنَ المُحبِّ وَالمَحْبُوب غَيْرُ الجَليسِ وَالنَّدمِ وَلِكُل وَاحد مِنْهَا نسْبَةٌ عَلى حدَة.

وَلَمَّا كَانَ هَذَا الفَقِيرُ مُرَبَّى بِالولايَة المُحَمَّدِيَّة وَالولايَة المُوسَوِيَّة ـــ عَلى صَاحِبَيْهَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالتَّحِيَّةُ ـــ كَانَ لهُ مَوْطِنٌ وَمَسْكَنٌ فِي مَقَامِ المَلاحَة وَنسْبَةُ المَحْبُوبِيَّة غَالبَةٌ فيه بوَاسطَة مَحَبَّته للولايَة المُحَمَّدِيَّة ـــ عَلى صَاحِبهَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالتَّحِيَّةُ ـــ وَنسْبَةُ المَحَبِّيَّة مَسْتُورَةٌ وَمَغْلوبَةٌ.

أَيُّهَا الوَلَدُ: اعْلمْ أَنَّهُ مَعَ وُجُود هَذه المُعَامَلة التي هِيَ مَرْبُوطَةٌ بِخلقَتِي، أُحيلتْ عَلَيَّ مُعَامَلةٌ أُخْرَى أَيْضًا عَظِيمَةٌ، وَلَيْسَ المَقْصُودُ مِنْ وُجُودِي المَشْيَخَة وَالمُرِيدِيَّة[1] وَتَكْمِيل الخَلق وَإِرْشَادَهُمْ، وَهَذه المُعَامَلةُ غَيْرُ تِلكَ المُعَامَلة، وَفِي ضِمْنِ هَذه المُعَامَلة يَأْخُذُ الفَيْضَ كُل مَنْ لهُ مُنَاسَبَةٌ وَإِلا لا.

وَمُعَامَلةُ التَّكْمِيل وَالإِرْشَاد بِالنِّسْبَة إِلى هَذه المُعَامَلة ـــ: كَأَنَّهَا أَمْرٌ مَطْرُوحٌ

(١) ـــ **المريد**: هو من انقطع إلى الله تعالى عن نظر واستبصار، وتجرد عن إرادته، إذ علم أنه ما يقع في الوجود إلا ما أراده الله تعالى، لاما يريده غيره، فيمحو إرادته في إرادته، فلا يريد إلا ما يريده الحق، كان ما كان على الإجمال.، أو **هو**: من تعلقت إرادته بالحق المشهود له فيصح له الإنتقال في سيره إلى الله تعالى من تجل إلى تجل ن ومن اسم إلى اسم. الكاشاني: رشح الزلال: ٤٠، ٤١.

في الطَّرِيقِ وَلدَعْوَة الأَنْبِيَاءِ ــ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ بالنِّسْبَة إلى مُعَامَلاتِهِمُ البَاطِنِيَّة هَذَا الحُكْمُ بِعَيْنِه، وَمَنْصِبُ النُّبُوَّةِ وَإِنْ كَانَ مَخْتُومًا وَلكِنْ لكُمَّل تَابعي الأَنْبِيَاءِ ــ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ نَصِيبٌ مِنْ كَمَالاتِ النُّبُوَّةِ وَخَصَائِصِهَا بِطَرِيقِ التَّبَعِيَّةِ وَالوِرَاثَة.

المَكْتُوبُ العِشْرُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائَة
إلى الفَقِيرِ الحَقِيرِ عَبْد الحَيِّ
جَامعِ هَذه المَكْتُوبَات الشَّرِيفَة
فِي بَيَانِ مَرَاتب الخُمْسِ: المَحَبِّيَّة وَالمَحَبَّة وَالحُبِّ وَالرِّضَا[1] وَمَرْتَبَة أُخْرَى فَوْقَهَا وَخُصُوصِيَّةِ كُلِ وَاحد منْهَا بِنَبِيٍّ منَ الأَنْبيَاء وَمَا يُنَاسبُ ذَلِكَ

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى.

اعْلَمْ: أَرْشَدَكَ اللهُ تَعَالى، أَنَّ فِي المَحَبَّة الذَّاتِيَّة التِي هِيَ مَحَبَّتُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى لذَاته بذَاته ـــ: ثَلاثَ اعْتِبَارَات:

- المَحْبُوبيَّة
- وَالمَحبِّيَّة
- وَالمَحَبَّة:

وَظُهُورُ كَمَالات المَحْبُوبيَّة الذَّاتيَّة مُسَلمٌ لخَاتَمِ الرُّسُل ـــ عَلَيْه وَعَلى آلِه وَعَلَيْهمُ الصَّلوَاتُ والتسْليمَاتُ ـــ غَايَةُ مَا في البَاب: أَنَّ في جَانب المَحْبوبيَّة كَمَالَيْن: فعْليٌّ وَانْفعَاليٌّ، وَالفعْليُّ أَصْل والانْفعَاليُّ تَابعٌ لَهُ وَلكنَّ الانْفعَاليَّ علةٌ غَائيَّةٌ للفعْليِّ فَهُوَ وَإنْ كَانَ مُتَأَخِّرًا في الوُجُود لكنَّهُ مُتَقدِّمٌ في التَّصَوُّر.

وَظُهُورُ كَمَالات المَحَبَّة نَصيبُ كَليم الله عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ.

وَالاعْتبَارُ الثَّالثُ الذي هُوَ نَفْسُ المَحَبَّة: كَانَ أَبُو البَشَر آدَمُ ـــ عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ـــ مَشْهُودًا فيه أَوَّلاً، ثُمَّ إبْرَاهيمُ ـــ عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ـــ ثَانيًا، ثُمَّ نُوحٌ ـــ عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ـــ ثَالثًا، وَالأَمْرُ إلى الله سُبْحَانَهُ.

وَحَضْرَةُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ كَمَا أَنَّهُ يُحبُّ ذَاتَهُ تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ ـــ: كَذَلكَ يُحبُّ كَمَالاته الأَسْمَائيَّةَ وَالصِّفَاتيَّةَ وَالأَفْعَاليَّةَ، وَظُهُورُ هَذه المَحَبَّة الذَّاتيَّة يَعْني مَحَبَّتَهُ

---

(١) ـــ **الرضا**: أصله الرضا عن الله تعالى في كل ما قضى وقدر، وهو نتيجة رضا الله تعالى عن العبد.

وصورته في **البدايات**: الرضا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا.

وفي **الأبواب**: وقوف العبد حيث ما وفقه الله تعالى من الحدود الشرعية، لا يطلب ال'تداء منها، ولا يميل إلى الرخص فيها. وفي **المعاملات**: طوع النفس فيها وبذل الوسع بلا كره منها.، وفي **الأصول**: أن يرى قصد السلوك وعزم السير وإرادة الحق من الله تعالى لا من نفسه، وفي **الأحوال**: أنلا يرضى إلا بحب الله وحده.، وفي **الولايات**: فناء إرادته في إرادة الحق بالكلية، والإنخلاع عن جميع صفاته عن البقية. الكاشاني: المعجم: ٢٤٩،٢٤٨.

تَعَالَى بذَاته لأَسْمَائه وَصفَاته ـ: أَتَمُّ فِي الخَليل ـ عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ـ وَظُهُورُ المَحْبُوبيَّة الأَسْمَائيَّة والصِّفَاتيَّة والأَفْعَاليَّة مُتَحَقِّقٌ فِي سَائِرِ الأَنْبيَاء ـ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ـ كَظُهُور مَحَبَّتهَا.

وَلَمَّا كَانَ للأَسْمَاء وَالصِّفَات وَالأَفْعَال ظلال كَانَ ظُهُورُ مَحْبُوبيَّة تلكَ الظِّلال بتَوَسُّط أُصُولهَا ـ: نَصيبَ الأَوْلِيَاء المُرَادينَ المَحْبُوبينَ، كَمَا أَنَّ مَحَبَّةَ تلكَ الظِّلال كَانَتْ نَصيبَ الأَوْلِيَاء المُريدينَ المُحبِّينَ.

وَفَوْقَ مَقَامِ المَحَبَّة الذَّاتيَّة مَقَامُ الحُبِّ: الذي هُوَ جَامعٌ للاعْتبَارَات الثَّلاثَة وَإِجْمَالهَا.

وَمَقَامُ الرِّضَا فَوْقَ مَقَام المَحَبَّة وَالحُبِّ؛ فَإِنَّ مَرْتَبَةَ الرِّضَا فَوْقَ مَرْتَبَة المَحَبَّة؛ فَإِنَّ فِي المَحَبَّة وُجُودَ النِّسْبَة إِجْمَالا وَتَفْصيلا وَفِي مَقَامِ الرِّضَا حَذْفَ النِّسْبَة وَهُوَ مُنَاسبٌ لحَضْرَة الذَّات تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ.

وَلَيْسَ فَوْقَ مَقَام الرِّضَاء قَدَمٌ إلا مَا أَخْبَرَ النَبيُّ ﷺ عَنْ ذَلكَ المَقَامِ حَيْثُ قَالَ: " لِي مَعَ اللهِ وَقْتٌ لاَ يَسَعُنِي فيه مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلا نَبيٌّ مُرْسَل "(١).

وَكَأَنَّ فِي الحَديث القُدُسيِّ إِشَارَةً إِلَى هَذه الخُصُوصيَّة حَيْثُ وَرَدَ: " يَا مُحَمَّدُ، أَنَا وَأَنْتَ، وَمَا سوَاكَ خَلَقْتُ لأَجْلكَ، فَقَالَ مُحَمَّدٌ ـ عَلَيْه وَعَلَى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ـ: "اللَهُمَّ أَنْتَ وَمَا أَنَا وَمَا سوَاكَ تَرَكْتُ لأَجْلكَ" ومنْ أَيْنَ يُدْرَكُ عَظَمَةُ مُحَمَّد رَسُول اللهِ ﷺ فِي هَذَا اليَوْم وَكَيْفَ يُعْرَفُ جَلالَةُ قَدْره ـ عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ـ فِي هَذه النَّشْأَة؛ فَإِنَّ الحَقَّ مُمْتَزجٌ فِي هَذه الدَّار بالمُبْطل، وَالحَقُّ مُخْتَلطٌ بالبَاطل لكَوْنهَا دَارَ ابْتلاء، وَسَيُعْلَمُ عَظَمَةُ شَأْنه يَوْمَ القيَامَة؛ فَإِنَّهُ يَكُونُ فيه إِمَامَ

---

(١) أورده السيوطي في الجامع الصغير، ولم يعزه إلى أحد، قال: وروي عنه عليه السلام:" لي مع الله وقت.... الحديث " الجامع الصغير ح ٤٣٤٧، وأورده المناوي في فيض القدير ح ٤٣٧٧ في شرح حديث " رأيت ربي عز وجل في أحسن صورة ". وقال العجلوني: تذكره الصوفية كثيرا، وهو في رسالة القشيري بلفظ لي وقت لا يسعني فيه غير ربي، ويقرب منه ما رواه الترمذي في شمائله وابن راهويه في مسنده عن علي في حديث كان ﷺ إذا أتى مترله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء جزءا لله وجزءا لأهله وجزءا لنفسه ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس كذا في اللآلئ، وزاد فيها ورواه الخطيب بسند قال فيه الحافظ الدمياطي أنه على رسم الصحيح،وقال القاري: بعد إيراده الحديث قلت ويؤخذ منه أنه أراد بالملك المقرب جبريل وبالنبي المرسل أخاه الخليل انتهى فليتأمل، ثم قال القاري: وفيه إيماء إلى مقام الاستغراق باللقاء المعبر عنه بالسكر والمحو والفناء انتهى. كشف الخفاء للعجلوني: ح ٢١٥٩.

الأَنْبِيَاء وَصَاحِبَ شَفَاعَتِهِمْ، وَيَكُونُ آدَمُ وَمَنْ دُونَهُ تَحْتَ لِوَائِهِ عَلَيْهِ وَعَلَى جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ مِنَ الصَّلَوَاتُ أَفْضَلهَا وَمِنَ التَسْلِيمَات أَكْمَلهَا.

وَيَجُوزُ أَنْ يُعْطَى خَادِمٌ مِنْ خُدَّامِهِ الآكِلِينَ فَضْلَةَ طَعَامِهِ النَّائِلِينَ عِنَايَةَ إِكْرَامِهِ مَحَلا فِي ذَلِكَ المَوْطِنِ الخَاصِّ الذي هُوَ فَوْقَ مَقَامِ الرِّضَاءِ بِطَرِيقِ الوِرَاثَةِ وَالتَّبَعِيَّةِ وَأَنْ يُجْعَل مُحَرَّمًا لِذَلِكَ الجَنَابِ بِتَطَفُّلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ [ع]

لاَ عُسْرَ فِي أَمْرٍ مَعَ الكِرَام

وَهَذَا المَعْنَى لَيْسَ بِمُسْتَلْزِمٍ لِمَزِيَّةِ غَيْرِ الأَنْبِيَاءِ عَلَى الأَنْبِيَاءِ ــ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ ــ؛ فَإِنَّهُ كَيْفَ تُتَصَوَّرُ المُسَاوَاةُ بَيْنَ الخَادِمِ وَبَيْنَ أَمْثَالِ هَؤُلَاءِ المَخَادِيمِ؟! وَأَيُّ نِسْبَةٍ بَيْنَ التَّابِعِ وَبَيْنَ أَمْثَالِ هَؤُلَاءِ المَتَابِيعِ، الأَصْلُ مَقْصُودٌ وَالتَّابِعُ طُفَيْلِيٌّ، وَنِهَايَةُ مُعَامَلَةِ التَّابِعِ تَكُونُ مُنْجَرَّةً إِلَى فَضْلٍ جُزْئِيٍّ وَلَا مَحْذُورَ فِيهِ؛ أَلَا تَرَى أَنَّ لِكُلِّ حَائِكٍ وَحَجَّامٍ فَضْلًا عَلَى عَالِمٍ ذِي فُنُونٍ بِاعْتِبَارِ صَنْعَتِهِ المُخْتَصَّةِ بِهِ وَهُوَ سَاقِطٌ عَنْ حَيِّزِ الاعْتِبَارِ.

كَلَامُنَا إِشَارَاتٌ وَرُمُوزٌ وَبِشَارَاتٌ وَكُنُوزٌ لَا نَصِيبَ مِنْهَا لِلأَكْثَرِ إِلا أَنْ يُؤْمِنُوا بِهَا فَيُنْتِجُ إِيمَانُهُمْ ثَمَرَاتٍ تَنْفَعُهُمْ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ المُوَفِّقُ، {والسلام على من اتبع الهدى}(١) وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى جَمِيعِ إِخْوَانِهِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ وَالمَلَائِكَةِ المُقَرَّبِينَ مِنَ الصَّلَوَاتُ أَفْضَلهَا وَمِنَ التَسْلِيمَات أَكْمَلهَا.

---

(١) طــه: ٤٧

المَكْتُوبُ الحَادِي والعِشْرُونَ بَعْدَ الثَّلاثَمائَة
إلى الخَان خَانَان
فِي بَيَانِ الفرق بَيْنَ إِيمَانِ أَخَصِّ الخَوَاصِّ بالغَيْبِ وَإِيمَانِ العَوَامِّ وَإِيمَانِ المُتَوَسِّطِينَ

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عِبَادِهِ الذينَ اصْطَفَى:

(ع):

وَأَحْسَنَ مَا يُمْلِي حَدِيثُ الأَحِبَّة

قَال اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالى: {وَإِذَا سَأَلكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ}[١]، وَقَال تَعَالى: {مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إلا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إلا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلكَ وَلا أَكْثَرُ إلا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا}[٢].

وَقُرْبُهُ وَمَعِيَّتُهُ تَعَالى مُنَزَّهَانِ كَذَاتِهِ سُبْحَانَهُ عَنِ الكَيْفِ وَالمِثَالِ؛ فَإِنَّهُ لاَ سَبِيلَ للكَيْفِ إلى اللاكَيْفِيِّ؛ فَكُل مَا يُدْرَكُ مِنْ مَعْنَى القُرْبِ وَالمَعِيَّةِ بِفَهْمِنَا وَعَقْلنَا أَوْ يَدْخُل فِي حَيْطَةِ كَشْفِنَا وَشُهُودِنا فَهُوَ تَعَالى مُنَزَّهٌ وَمُبَرَّأٌ عَنْ ذَلكَ المَعْنَى الذي لهُ قَدَمٌ فِي مَذْهَبِ المُجَسِّمَةِ، وَنُؤْمِنُ أَنَّهُ تَعَالى قَرِيبٌ مِنَّا، وَأَنَّهُ تَعَالى مَعَنَا، لاَ نَدْرِي مَعْنَى القُرْبِ وَالمَعِيَّةِ أَنَّهُ مَا هُوَ، وَنِهَايَةُ نَصِيبِ الكُمَّلِ فِي هَذِهِ النَّشْأَةِ هِيَ الإِيمَانُ بالغَيْبِ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ تَعَالى.

وَمَا فَاهَ أَرْبَابُ النُّهَى وَالحِجَى بِمَا سِوَى أَنَّهُ المَوْجُودُ لاَ رَبَّ غَيْرُهُ

وَالإِيمَانُ بالغَيْبِ ــ الذي هُوَ نَصِيبُ أَخَصِّ الخَوَاصِّ ــ لَيْسَ كَإِيمَانِ العَوَامِّ بالغَيْبِ؛ فَإِنَّ إِيمَانَ العَوَامِّ بالغَيْبِ إِنَّمَا يَحْصُل بالسَّمَاعِ أَوْ بالاسْتِدْلالِ، وَأَخُصُّ الخَوَاصِّ حَصَّل إِيمَانَ الغَيْبِ بِمُطَالَعَةِ غَيْبِ الغَيْبِ فِي حُجُبِ ظِلالِ الجَمَالِ[٣] وَالجَلالِ[١]، وَوَرَاءَ سُرَادِقَاتِ الظُّهُورَاتِ وَالتَّجَلِّيَاتِ.

---

(١) البقرة: ١٨٦

(٢) المجادلة: ٧

(٣) ــ **الجمال**: هو تجليه بوجهه لذاته، فلجماله المطلق جلال هو قهاريته للكل عند تجليه بوجهه فلم يبق أحد حتى يراه، وهو علو الجمال،وله دنو يدنو به منا، وهو ظهوره في الكل.، ولما كان في الجمال

وَأَمَّا الْمُتَوَسِّطُونَ: فَهُمْ مَسْرُورُونَ بالإيمَان الشُّهُوديِّ ظَانِّينَ الظِّلال أَصْلا وَالتَّجَلّيَات عين الْمُتَجَلي، وَالإيمَانُ بالغَيْب نَصِيبُ الأَعْدَاءِ فِي حَقِّهِمْ يَعْنِي: عِنْدَهُمْ: {كُل حزْب بمَا لدَيْهمْ فرحُونَ}[٢].

وَالبَاعثُ عَلَى التَّصْديع أَنَّ مَوْلانَا عَبْدَ الغفُور وَمَوْلانَا الحَاجَّ مُحَمَّدًا مِنَ الأَصْحَاب المَخْصُوصينَ؛ فَكُل إحْسَانٍ منْ كُل يَقَعُ فِي حَقِّ الْمُشَارِ إلَيْهِمَا مُوجبٌ لامْتنَانِ الفَقير (ع):

لاَ عُسْرَ فِي أَمْرٍ مَعَ الكِرَامِ

وَالسَّلامُ.

ونعوته معني الدنو لزمه اللطف والرحمة والعطف من الحضرة الإلهية والأنس منا. الكاشاني: المعجم: ٦٦.

(١) ــ **الجلال**: هو احتجاب اللحق سبحانه عنا بعزته أمن نعرفه بحقيقته وهويته كما يعرف هو ذاته،فإن ذاته سبحانه لا يراها أحد على ما هي عليه إلا هو.، ولم كان في الجلال ونعوته معن الإحتجاب والعزة لزمه العلو والقهر من الحضرة الإلهية، والخضوع والهيبة منا. الكاشاني: المعجم: ٦٦.

(٢) المؤمنون: ٥٣

المَكْتُوبُ الثَّاني وَالعشْرُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائَة
إلى المُلا عَارِف الخَتَنيٍّ
فِي بَيَانِ فَضَائِل الكَلمَة الطَّيِّبَة " لاَ إلهَ إلا اللهُ "
وَتحْقيق مُقَام التَّنْزيه
وَبَيَانِ أَنَّ الإِيمَانَ بالغَيب إنَّمَا يَتحقَّقُ إذَا انْتهَت المُعَامَلةُ إلى الأَقْرَبيَّة فَإنَّ تلكَ المُعَامَلَةَ خَارِجَةٌ عَنْ حَيْطَة الوَهْمِ وَالخَيَال

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى:

ليَنْف مَوْلاَنَا عَارِفٌ الخَتَنيّ أَوَّلا الآلهَةَ البَاطلةَ، وَليُثْبتْ ثَانيًا المَعْبُودَ بالحَقِّ جَل سُلطَانُهُ وَكُل مَا هُوَ مُتَّسمٌ بسمَة الكَيْف وَالكَمِّ يَنْبَغي إدْخَالهَا تَحْتَ كَلمَة: "لاَ".

وَتَحْصيل الإِيمَان بأَنَّهُ مُنزَّهٌ عَن الكَيْف وَالمثَال وَأَتَمُّ العبَارَات في النَّفْي وَالإِثْبَات الكَلمَةُ الطَّيِّبَةُ: " لاَ إلهَ إلا اللهُ "؛ قَالَ النَبيُّ ــ عَليْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ: " أَفْضَل الذِّكْر لاَ إلهَ إلا اللهُ "(١).

وَقَال ــ عَليْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ حَاكيًا عَن الله سبحانه: " لوْ أَنَّ السَّمَوَات السَّبْعَ وَعَامرَهُنَّ غَيْري وَالأَرَضينَ السَّبْعَ وُضعْنَ في كفَّة وَ: "لاَ إلهَ إلا اللهُ " في كفَّة، لَمَالتْ بهنَّ: لاَ إلهَ إلا اللهُ"(٢).

وَكَيْفَ لاَ تَكُونُ أَفْضَل وَكَيْفَ لاَ تَكُونُ أَرْجحَ؟! فَإنَّ كَلمَةً منْهَا تَنْفي جَميعَ مَا سوَاهُ تَعَالى، سَوَاءٌ أَكَانَ سَمَوَات أَوْ أَرَضينَ أَوْ عَرْشًا أَوْ كُرْسيًّا أَوْ لوْحًا أَوْ قَلمًا أَوْ عَالمًا أَوْ آدَمًا، وَكَلمَةٌ أُخرَى منْهَا تُثْبتُ المَعْبُودَ بالحَقِّ جَل بُرْهَانُهُ الذي هُوَ خَالقُ السَّمَوَات وَالأَرَضينَ، وَمَا سوَى الحَقِّ جَل وَعَلا منَ الآفَاق وَالأَنْفُس كُلهُ مُتَّسمٌ بسمَة الكَيْف وَالكَمِّ؛ فَكُل مَا يَتَجَلي في مَرَايَا الآفَاق وَالأَنْفُس يَكُونُ كَيْفيًّا

---

(١) سنن الترمذي: ك: أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ باب: ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة.، ح ٣٤٤٣. عن جابر ﷺ مرفوعا، وقال: حسن غريب.، سنن ابن ماجه، ك: الأدب، ب: فضل الحامدين.ح ١٨٠٠.عن جابر ﷺ مرفوعاً.

وأخرجه النسائي في عمل الليوم والليلة .، في ثواب التسبيح، وصححه الحاكم، وأقره الذهبي.انظر: المناوي: فيض القدير: ح ١٢٥٣. وصححه السيوطي في الجامع الصغير ح ١٢٥٣.

(٢) أخرجه النسائي بسند صحيح عن أبي سعيد. انظر: فتح الباري ١١/ كتَاب الدَّعَوَات باب فَضْلِ التَّسْبيحِ)

وكَمِّيًّا بالضَّرُورَة فَيَكُونُ مُسْتَحقًّا للنَّفْي؛ فمَعْلومُنَا وَمَوْهُومُنَا وَمَشْهُودُنَا وَمَحْسُوسُنَا كُلهَا مُتَّصفَةٌ بالكَيْف وَالمثَال وَمُكْتَنفَةٌ بعُيُوب الحُدُوث وَالإمْكَان؛ فَإنَّ مَعْلومَنَا وَمَحْسُوسَنَا مَنْحُوتٌ وَمَجْعُول، وَالتَّنْزيهُ الذي يَتَعلقُ علمُنَا به عَيْنُ تَشْبيه، وَالكَمَال الذي هُوَ عَلى مقْدَار فَهْمنَا عَيْنُ نَقْص، كُل مَا يَكُونُ مُتَجَليًا لنَا أَوْ مَكْشُوفًا أَوْ مَشْهُودًا فَهُوَ غَيْرُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى وَهُوَ تَعَالى وَرَاءَ الوَرَاء؛ قَال اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالى حكَايَةً عَنِ الخَليل ــ عَلَيْه السَّلامُ ــ: {أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحتُونَ وَاللهُ خَلقَكُمْ وَمَا تَعْملونَ}(١)، وَمَنْحُوتُنَا كُلهُ مَخلوقُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى، سَوَاءٌ نَحتْنَاهُ بأَيْدينَا أَوْ بعُقُولنَا وَأَوْهَامنَا لَيْسَ بمُسْتَحقٌ للعبَادَة، وَالمُسْتَحقُّ للعبَادَة إنَّمَا هُوَ الإلهُ المُنَزَّهُ عَنِ الكَيْف وَالمثَال الذي يَدُ وَهْمنَا قَاصرَةٌ عَنِ الوُصُول إلى ذَيْل إدْرَاكه، وَعُيُونُ كَشْفنَا وَشُهُودنَا مُتَحَيِّرَةٌ وَعَاجزَةٌ عَنْ شُهُود عَظَمَته وَجَلاله تَعَالى.

فَالإيمَانُ بمثْل هَذَا الإله المُنَزَّه عَنِ الكَيْف وَالمثَال لاَ يَتَيَسَّرُ إلا بطَريق الغَيْب؛ فَإنَّ الإيمَانَ الشُّهُوديَّ لَيْسَ إيمَانًا به تَعَالى، بَل هُوَ إيمَانٌ بمَنْحُوت نَفْسه الذي هُوَ منْ مَخْلوقَاته تَعَالى، وَإشْرَاكُ الإيمَان بغَيْره بالإيمَان به تَعَالى، بَل إيمَانٌ بغَيْره تَعَالى فَقَطْ، أَعَاذَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ منْ ذَلكَ، وَإنَّمَا يَتَيَسَّرُ الإيمَان بالغَيْب إذَا لم يَبْقَ للوَهْم السَّريع السَّيْر مَجَال فيه وَلَمْ يَنْتَقشْ منْهُ شَيْءٌ في المُتَخَيَّلة، وَهَذَا المَعْنَى مُتَحَقِّقٌ في الأَقْرَبيَّة التي هيَ خَارجَةٌ عَنْ حَيْطَة الوَهْم وَالخَيَال؛ فَإنَّ الشَّيْءَ كُلمَا يَكُونُ أَبْعَدَ يَكُونُ مَجَال الوَهْم فيه أَزْيَدَ وَأَوْسَعَ، وَيَكُونُ في الدُّخُول تَحْتَ سَلطَنَة الخَيَال أَقْرَبَ وَأَسْرَعَ.

وَهَذه الدَّوْلَةُ مَخْصُوصَةٌ بالأَنْبيَاء ــ عَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ ــ وَالإيمَانُ بالغَيْب نَصيبُ هَؤُلاء الأَكَابر ــ عَلَيْهمُ الصَّلوَاتُ وَالتَسْليمَاتُ ــ بالأَصَالة، وَقَدْ يَتَشَرَّفُ به كُل مَنْ أُريدَ في حَقّه ذَلكَ بطَريق التَّبَعيَّة لَهُمْ وَالورَاثَة منْهُمْ، وَالإيمَانُ الغَيْبيُّ الذي هُوَ حَاصل لعَوَامِّ المُؤْمنينَ لَيْسَ بخَارجٍ عَنْ حَيْطَة الوَهْم؛ فَإنَّ وَرَاءَ الوَرَاء في حَقِّ العَوَامِّ في جَانب البُعْد الذي فيه مَجَال للوَهْم، وَوَرَاءَ الوَرَاء عنْدَ هَؤُلاء الأَكَابر في جَانب القُرْب الذي لاَ مَجَال فيه للوَهْم، وَمَا دَامت الدُّنْيَا قَائمَةً وَالحَيَاةُ الدُّنْيَويَّةُ مَوْجُودَةً لاَ بُدَّ منَ الإيمَان بالغَيْب؛ فَإنَّ الإيمَانَ بالمَشْهُود مَعْلول هُنَا، وَإذَا كَانَت النَّشْأَةُ الأُخْرَويَّةُ وَانْكَسَرَتْ سُورَةُ الوَهْم وَالخَيَال يَكُونُ الإيمَانُ الشُّهُوديُّ مَقْبُولا وَمُبَرًّا عَنْ علة الجَعْل وَالنَّحْت، وَأَظُنُّ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُول الله ﷺ لَمَّا

---

(١) الصافات: ٩٥

كَانَ فِي دَارِ الدُّنْيَا مُشَرَّفًا بِدَوْلَةِ الرُّؤْيَةِ لَوْ أَثْبَتْنَا الإِيمَانَ الشُّهُودِيَّ فِي حَقِّهِ هُنَا لَكَانَ مَحْمُودًا وَمُنَزَّهًا عَنْ عِلَّةِ الجَعْلِ وَالنَّحْتِ؛ فَإِنَّ الَّذِي هُوَ مَوْعُودٌ لِغَيْرِهِ فِي الآخِرَةِ مُيَسَّرٌ لَهُ ﷺ هُنَا {ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ}(١).

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ كَلِمَةَ النَّفْيِ قَدْ أَتَمَّهَا الخَلِيلُ ــ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ وَلَمْ يَتْرُكْ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الشِّرْكِ غَيْرَ مَسْدُودٍ أَصْلًا وَلِهَذَا صَارَ إِمَامَ الأَنْبِيَاءِ وَأَسْبَقَهُمْ قَدَمًا؛ فَإِنَّ ظُهُورَ نِهَايَةِ الكَمَالِ فِي النَّشْأَةِ الدُّنْيَاوِيَّةِ مَنُوطٌ بِإِتْمَامِ هَذَا النَّفْيِ، وَظُهُورُ كَمَالاتِ كَلِمَةِ الإِثْبَاتِ مَوْقُوفٌ عَلَى نَشْأَةِ الآخِرَةِ، غَايَةُ مَا فِي البَابِ أَنَّ خَاتَمَ الرُّسُلِ ــ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ لَمَّا تَشَرَّفَ فِي هَذِهِ النَّشْأَةِ بِدَوْلَةِ الرُّؤْيَةِ وَجَدَ نَصِيبًا وَافِرًا مِنْ كَمَالاتِ كَلِمَةِ الإِثْبَاتِ فِي هَذِهِ النَّشْأَةِ أَيْضًا حَتَّى يُمْكِنَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ كَلِمَةَ الإِثْبَاتِ قَدْ تَمَّتْ بِبَعْثَتِهِ ــ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ بِمِقْيَاسِ هَذِهِ النَّشْأَةِ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ إِثْبَاتُ التَّجَلِّي الذَّاتِيِّ فِي حَقِّهِ ﷺ فِي هَذِهِ النَّشْأَةِ لِهَذَا المَعْنَى وَوَعْدٌ فِي حَقِّ الآخَرِينَ، {والسلام على من اتبع الهدى}(٢) وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِنَ الصَّلَوَاتُ أَفْضَلُهَا وَمِنَ التَسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا.

---

(١) الحديد: ٢٩

(٢) طـه: ٤٧

المَكْتُوبُ الثَّالثُ وَالعِشْرُونَ بَعْدَ الثَّلاثِمائَة

إلى أخيه الحَقيقيِّ ميان مُحَمَّد مَوْدُود

فِي بَيَانِ أَنَّ كُل ظُهُورٍ لاَ يَكُونُ بِدُون شَائِبَة الظِّلِّيَّة بِخِلاَفِ ظُهُورِ مَا فَوْقَ العَرْشِ[1]

وَأَنَّ القَلبَ إِذَا انْتَهَى إلى نِهَايَتِه يَقْتَبِسُ لَمْعَةً مِنْ أَنْوَارِ العَرْشِ

قَال الشَّيْخُ أَبو يَزيدَ البِسْطَامِيُّ: " لوْ أَنَّ العَرْشَ وَمَا حَوَاهُ فِي زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَا قَلب العَارِف[2] مَا أَحَسَّ بِه " يَعْنِي: مَنْ وُسْعَة قَلبه.

وَأَيَّدَ الشَّيْخُ الجُنَيْد هَذَا القَوْل وَأَثْبَتَهُ بدَليل وَقَال: " إنَّ الحَادثَ إِذَا اقْتَرَنَ بالقَديمِ لاَ يَبْقَى مِنْهُ أَثَرٌ " يَعْنِي: أَنَّ العَرْشَ وَمَا فيه حَادثٌ فَإِذَا اقْتَرَنَ ذَلكَ الحَادثُ بِقَلب العَارِف ــ الذي هُوَ مَحَل ظُهُورِ أَنْوَارِ القِدَمِ ــ يَصيرُ مُضْمَحلا وَمُتَلاشيًا، فَكَيْفَ يَكُونُ مَحْسُوسًا؟! وَالعَجَبُ أَلفَ عَجَبٍ مِنْ صُدُورِ مِثْلِ هَذَا الكَلامِ عَنْ رُؤَسَاءِ الصُّوفيَّة: سُلطَان العَارِفينَ وَسَيِّد الطَّائفَة؛ حَيْثُ لاَ يَجْعَلونَ للعَرْشِ المَجيد اعْتبَارًا فِي جَنْب قَلب العَارِفِ أَصْلا، وَيَرَوْنَ العَرْشَ حَادثًا خَاليًا مِنْ ظُهُورِ أَنْوَارِ القِدَمِ وَيُسَمُّونَ القَلبَ قَديمًا بِوَاسِطَةِ ظُهُورِ أَنْوَارِ القِدَمِ فيه، فَمَاذَا أَقُول مِنْ غَيْرِهِمْ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟!

وَعِنْدَ **الفَقير**: الذي هُوَ مُرَبَّى الجَذَبَات الإلهيَّة هُوَ: أَنَّ قَلبَ العَارِف إِذَا انْتَهَى إلى نِهَايَة النِّهَايَة بِمُقْتَضَى اسْتعْدَاده الخَاصِّ وَحَصَّل الكَمَال الذي لاَ يُتَصَوَّرُ شَيْءٌ فَوْقَهُ يَحْصُل لهُ حينَئذ قَابليَّةُ فَيَضَانِ لَمْعَة مِنْ لَمَعَات ظُهُورِ أَنْوَارِ العَرْشِ التي لاَ نِهَايَةَ لهَا وَتَكُونُ تلكَ اللمْعَةُ[3] بالنِّسْبَة إلى لَمَعَات العَرْشِ قَطْرَةً بالنِّسْبَة إلى البَحْرِ المُحيط، بَل أَقَل وَالعَرْشُ هُوَ الذي سَمَّاهُ اللهُ سُبْحَانَهُ عَظيمًا وَأَثْبَتَ فيه سِرَّ الاسْتوَاءِ وَيُقَال لقَلبِ العَارِفِ بِوَاسِطَةِ جَامعيَّتِه عَلى سَبيل التَّمْثيل وَالتَّشْبيه عَرْشٌ لله يَعْني:

---

(١) **العرش**: هو الجسم المحيط بجميع الأجسام، سمي به لارتفاعه، أو للتشبيه بسرير الملك في تمكنه عليه عند الحكم، لنزول أحكام قضائه وقدره منه، ولا صورة ولا جسم ثمة. انظر: الجرجاني: التعريفات: ١٩٢.

(٢) ــ **العارف**: هو من أشهده الله تعالى ذاته وصفاته وأسماءه وأفعاله، فالمعرفة حال تحدث من شهوده.الكاشاني: المعجم: ١٢٤.

(٣) ــ **اللوامع**: هي ما يثبت من أنوار التجلي وغيره، واللوامع إنما تثبت وقتين، وقريبا من ذلك، لأن الوقت الأ ول لظهورها، والوقتالثاني لإفادة ما أتت به من العلوم الإلهية، ولا تعلق لها بالعلوم الكونية أصلا. الكاشاني: رشح الزلال: ١٠٨. الفتوحات المكية: جـ ١٣ / ٧٤،٤٨.

كَمَا أَنَّ العَرْشَ المَجِيدَ بَرْزَخٌ بَيْنَ عَالَمِ الخَلْقِ وَعَالَمِ الأَمْرِ فِي العَالَمِ الكَبِيرِ وَجَامِعٌ لِكِلا طَرَفَيِ الخَلْقِ وَالأَمْرِ كَذَلِكَ القَلْبُ بَرْزَخٌ بَيْنَ عَالَمِ الخَلْقِ وَعَالَمِ الأَمْرِ فِي العَالَمِ الصَّغِيرِ وَجَامِعٌ لِكِلا طَرَفَيِ الخَلْقِ وَالأَمْرِ فِي ذَلِكَ العَالَمِ الصَّغِيرِ فَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ لِلْقَلْبِ أَيْضًا عَرْشًا عَلَى سَبِيلِ التَّمْثِيلِ

اسْمَعْ: إِنَّ قَابِلِيَّةَ ظُهُورِ أَنْوَارِ القِدَمِ التِي هِيَ مُنَزَّهَةٌ وَمُبَرَّأَةٌ عَنْ شَائِبَةِ الظِّلِّيَّةِ مَخْصُوصَةٌ بِالعَرْشِ المَجِيدِ لَيْسَتْ تِلْكَ القَابِلِيَّةُ لِشَيْءٍ مِنْ عَالَمِ الخَلْقِ وَلا مِنْ عَالَمِ الأَمْرِ وَلا مِنَ العَالَمِ الكَبِيرِ وَلا مِنَ العَالَمِ الصَّغِيرِ غَيْرَ العَرْشِ المَجِيدِ وَيَقْتَبِسُ قَلْبُ العَارِفِ الكَامِلِ مِنْ تِلْكَ الأَنْوَارِ بِوَاسِطَةِ عَلاقَةِ الجَامِعِيَّةِ وَالبَرْزَخِيَّةِ وَيَغْتَرِفُ غُرْفَةً مِنْ ذَلِكَ البَحْرِ وَكُلُّ ظُهُورٍ بَعْدَ العَرْشِ، وَقَلْبُ العَارِفِ التَّامِّ المَعْرِفَةِ مُتَّسِمٌ بِسِمَةِ الظِّلِّيَّةِ لَمْ يَجِدْ رَائِحَةً مِنَ الأَصْلِ، فَإِنْ قَالَ أَبُو يَزِيدَ كَذَلِكَ مِنَ السُّكْرِ فَلَهُ ذَلِكَ وَلَكِنَّ صُدُورَهُ مِنَ الجُنَيْدِ الذِي هُوَ مُدَّعٍ لِلصَّحْوِ[1] لَيْسَ بِحَسَنٍ وَمَاذَا يَصْنَعُونَ؛ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَنْتَبِهُوا لِحَقِيقَةِ المُعَامَلَةِ وَلَمْ يَخْرُجُوا مِنْ لُجَّةِ بَحْرِ الظِّلِّيَّةِ إِلَى السَّاحِلِ وَهَذَا الكَلامُ وَإِنْ كَانَ اليَوْمَ مُسْتَبْعَدًا فِي نَظَرِ أَكْثَرِ الخَلْقِ وَلَكِنَّ الغَدَ قَرِيبٌ مِنَ اليَوْمِ فَلا يَسْتَعْجِلُوا: {أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}[2] {والسلام على من اتبع الهدى}[3] وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ وَعَلَى جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ وَعَلَى المَلائِكَةِ المُقَرَّبِينَ وَعَلَى سَائِرِ عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ وَعَلَى المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ أَجْمَعِينَ.

---

(١) ـــ **الصحو**: لغة: نقيض السكر. انظر: ابن منظور: لسان العرب / صحا.، فإذا كان السكر عند الصوفية: هو إستيلاء سلطان الحال، فإن الصحو هو العودة إلى ترتيب الأفعال، وتهذيب الأقوال.

وصورته في **الأبواب**: السلو عن الخوف والرجاء.، وفي **المعاملات**: السلو عن اغلتدبير وحظوظ النفس للإشتغال بالرعاية والمراقبة.، وفي **الاخلاق**: ذكاء اللنفس وصفاء القلب.، وفي **الأصول**: السلو عن الخلق للتوجه إلى الحق، والإنجذاب إلى جنابه لشدة الأنس.، وفي **الأودية**: صفاء العقل لتنوره بنور القدس.، وفي **الأحوال**: صفاء الحال بقوة الحب، والسلو عما سوى المحبوب، وفي **الولايات**: صفاء الوقت بالسرور بوصل المعشوق.، وفي **النهايات**: صفاء العشق والذوق بأحدية الجمع والفرق. انظر: الكاشاني: المعجم: ٣٥٧،٣٥٨.

(٢) النحل: ١

(٣) طـــه: ٤٧

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالعِشْرُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائَة
إِلى المَخْدُومِ زَادَهْ مَعْدن الحَقَائِقِ وَالمَعَارِف اللا مُتَنَاهِيَة
وَمَظْهَرِ الفُيُوضَات الإِلهيَّة
مَجْد الدِّينِ الخَوَاجَهْ مُحَمَّد مَعْصُوم
في بَيَان بَعْض خَصَائص ظُهُور مَا فَوْقَ العَرْش
وَمَعْنَى قَوْله تعَالَى: {اللهُ نُورُ السَّمَوَات وَالأَرْضِ}(١) التَّأْويليِّ
وَبَعْضِ خوَاصِّ كَمَالاتِ الإِنْسَانِ وَفَضَائِل الجُزْءِ الأَرْضِيِّ مِنْهُ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلكَ

نَحْمَدُهُ وَنُصَلِّي عَلَى عَبْده وَعَلَى آله الكرَام:

اعْلَـــــمْ: أَنَّ العَالَمَ الكَبِيرَ مَعَ وُجُود الوَسْعَة وَالتَّفْصِيل فيه لَمَّا لَمْ يَكُنْ فيه الهَيْئَةُ الوَحْدَانيَّةُ لَيْسَتْ فيه قَابليَّةُ ظُهُورِ البَسِيط الحَقِيقيِّ المُجَرَّد عَنِ النِّسَبِ وَالاعْتبَارَاتِ المُعَرَّى عَنْ تَفَاصِيل الشُّئُون وَالصِّفَات، وَأَشْرَفُ أَجْزَاء العَالَمِ الكَبِيرِ عَرْشُ الرَّحْمَنِ الذي هُوَ مَحَل ظُهُورِ أَنْوَارِ حَضْرَة الذَّات المُسْتَجْمعَة لجَميع الصِّفَات وَمَا وَرَاءَ العَرْشِ المَجِيد منَ العَالَمِ الكَبِيرِ لاَ تَخْلو الظُّهُورَاتُ فيه عَنْ شَائبَة الظِّلِّيَّة كَائنًا مَا كَانَ وَلهَذَا خَصَّصَ رَبُّ العَالمينَ سرَّ الاسْتوَاء ممَّا بَيْنَ أَجْزَاء العَالَمِ الكَبِيرِ بالعَرْشِ المَجِيد لكَوْنه أَفْضَل أَجْزَاء ذَلكَ العَالَمِ؛ فَإِنَّ ظُهُورَ ظل منَ الظِّلاَل لَيْسَ هُوَ ظُهُورَهُ تَعَالى في الحَقِيقَة حَتَّى يُعَبَّرَ عَنْهُ بعبَارَة الاسْتوَاء وَأَيْضًا إِنَّ الظُّهُورَ الذي فيه دَائميٌّ منْ غَيْرِ تَخَلل الاسْتتَار وَإِنْ كَانَ نُورُ السَّمَوَات وَالأَرْضِ هُوَ الحَقَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى وَلكنَّ ذَلكَ النُّورَ مَقْرُونٌ بحُجُب الظِّلاَل لاَ ظُهُورَ لَهُ تَعَالى فيهَا منْ غَيْرِ تَوَسُّط الظِّلِّيَّة وَجَميعُ تلكَ الظُّهُورَات مُقْتَبَسَةٌ منْ أَنْوَارِ الظُّهُورِ العَرْشِيِّ ظَهَرَتْ مُحْتَجبَةً بحجَاب ظل منَ الظِّلاَل كَماءِ البَحْرِ المُحيط يُحْمَل بتَوَسُّط الظُّرُوف إلى الجَوَانب وَالأَطْرَاف وَكَمَشْعَل عَظيمٍ تُشْعل منْهُ المَشَاعل الصِّغَارُ وَيُسْتَضَاءُ بهَا الآفَاقُ وَالأَكْنَافُ وَكَأَنَّ في قَوْله تَعَالى: {اللهُ نُورُ السَّمَوَات وَالأَرْضِ مَثَل نُوره كَمشْكَاة فيهَا مصْبَاحٌ}(٢) الآيَةَ إِيمَاءٌ إلى هَذه المَعَارف؛ فَإِنَّ التَّمْثيل في هَذه الآيَة الكَرِيمَة إِنَّمَا أُخْتيرَ لئَلا يَنْفهم ظُهُورُ ذَلَ النُّور منْ غَيْرِ تَوَسُّط وَلئَلا يَشْتَبهَ الأَصْلُ بالظِّل وَليُعْلَمَ أَنَّ نُورَ الظِّل مُوقَدٌ مُقْتَبَسٌ وَمَأْخُوذٌ منَ الأَصْل: {يَهْدي اللهُ لنُوره مَنْ

(١) النور: ٣٥

(٢) النور: ٣٥

يَشَاءُ}[١] الآيَةَ الكَرِيمَةُ مَحْمُولَةٌ عَلى مُرَاد الله تَعَالى وَنَحْنُ أوَّلنا بتَأْويل كُشفَ لنَا فَنَقُول بعَوْن الله تَعَالى وَحُسْنِ تَوْفيقه سُبْحَانَهُ:

{اللهُ نُورُ السَّمَوَات وَالأَرْضِ}[٢] النور هُوَ الذي تُشْرقُ به الأَشْيَاءُ وَتَسْتَضيءُ وَالسَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إنَّمَا أَشْرَقَتْ به تَعَال؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَخْرَجَهَا منْ ظُلمَات العَدَمِ وَجَعَلهَا مُتَّصفَةً بالوُجُود وَتَوَابعه وَنَوَّرَهَا، يَنْبَغي أَنْ يُتَصَوَّرَ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضَ التي أَشْرَقَتْ بذَلكَ النُّور مثْل المشْكَاة وَأَنْ يُعْلمَ ذَلكَ النُّورُ بمَثَابَة المصباح الذي هُوَ مُودَعٌ في تلكَ المشْكَاة، وَدُخُول كَاف التَّمْثيل عَلى المشْكَاة لاشْتمَالهَا عَلى المصباح وينْبَغي أَنْ يُلاحَظَ الزُّجَاجَة حجب الأَسْمَاء وَالصِّفَات؛ فَإِنَّ ذَلكَ النُّورَ مُتَلَبِّسٌ بالأَسْمَاء وَالصِّفَات وَلَيْسَ بمُعَرًّى عَنِ الشُّئُون وَالاعْتبَارَات وَزُجَاجَةُ الصِّفَات كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌ منْ حُسْنِ الوُجُوب وَجَمَال القدَم وَذَلكَ المصْبَاحُ المُودَعُ في تلكَ المشْكَاة مُوقَدٌ منْ شَجَرَة مُبَارَكَة زَيْتُونَة وَهيَ كنَايَةٌ عَنِ الظُّهُور الجَامعِ العَرْشيِّ الذي الاسْتوَاءُ رَمْزٌ منْ ذَلكَ الظُّهُور؛ فَإِنَّ الظُّهُورَات التي تَتَعَلقُ بالسَّمَوَات وَالأَرْضِ بمَثَابَة الأَجْزَاء لذَلكَ الظُّهُور الجَامعِ وَحَيْثُ كَانَ ذَلكَ الظُّهُورُ الجَامعُ لاَ مَكَانيًّا وَلاَ جهَتيًّا جَازَ أَنْ يُقَال: إنَّهُ: {لاَ شَرْقيٌّ وَلا غَرْبيٌّ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ}[٣] صفَةٌ مَادحَةٌ لتلكَ الشَّجَرَة المُبَارَكَة التي هيَ مُمَثَّل بهَا وَبَيَانٌ لصَفَاء زَيْتهَا وَتَلأْلئه.

{نُورٌ عَلى نُورٍ}[٤] يَعْني: أَنَّ حجَابَ الزُّجَاجَة لصَفَائه وَإشْرَاقه ازْدَادَ في ذَلكَ النُّور وَزَادَ في حُسْنه وَجَمَاله لأَنَّهُ اجْتَمَعَتْ كَمَالاتُ الصِّفَات مَعَ كَمَال الذَّات وَاقْتَرَنَ حُسْنُ الصِّفَات بجَمَال الذَّات مَعَ وُجُود تَضَاعُف النُّور وَكَمَال الظُّهُور.

{يَهْدي اللهُ لنُوره مَنْ يَشَاءُ}[٥]:

بَلى: {مَنْ لَمْ يَجْعَل اللهُ لهُ نُورًا فَمَا لهُ منْ نُورٍ}[٦].

---

(١) النور: ٣٥

(٢) النور: ٣٥

(٣) النور: ٣٥

(٤) النور: ٣٥

(٥) النور: ٣٥

(٦) النور: ٤٠

وَهَذَا الظُّهُورُ الجَامِعُ الذي انْتَسَبَ إلى العَرْشِ مُنْتَهَى الْمُشَاهَدَات وَالْمُعَايَنَات[١] وَالْمُكَاشَفَات وَنِهَايَةُ التَّجَلِيَات وَالظُّهُورَات سَوَاءٌ كَانَتْ تَجَلِيَات ذَاتِيَّةً أَوْ صِفَاتِيَّةً وَبَعْدَ ذَلكَ تَتَقَرَّرُ الْمُعَامَلَةُ عَلَى الجَهْل كَمَا سَيَأْتِي نُبْذَةٌ منْ بَيَان ذَلكَ إنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَهَذَا الظُّهُورُ الجَامِعُ وَإِنْ كَانَ مَقْرُونًا بالصِّفَات وَلَكنَّ الصِّفَات لَيْسَتْ في هَذَا الْمَوْطِنِ حجَابًا للذَّات وَحجَابيَّةُ الصِّفَات للذَّات مَخْصُوصَةٌ بالظُّهُورَات الظِّلِّيَّة التِي في مَرْتَبَة العلمِ وَظُهُورُ الأَصْل في مَقَامِ العَيْنِ فَالصِّفَاتُ حجَابٌ للذَّات في العلمِ لاَ في العَيْنِ أَلا تَرَى أَنَّ زَيْدًا إِذَا تَعَقَّلْتَهُ في مَرْتَبَة العلمِ يَكُونُ ظُهُورُهُ في العلمِ بالصِّفَات كَالطَّويل أَو القَصير أَوْ العَالمِ أَو الجَاهل أَو الصَّغير أَو الكَبير أَو الشَّاعر أَو الكَاتب وَكُل تلكَ الصِّفَات التي تَعْقلهَا حجَابٌ لذَاته وَجَميعُ تلكَ التقييدات الكُلِّيَّة لاَ تَكُونُ مُفيدَةً لتَشَخُّصه فَإِذَا خَرَجَ زَيْدٌ منَ العلمِ إلى العَيْنِ وَصَارَ مَشْهُودًا مَعَ وُجُود الصِّفَات وَانْتَقلت الْمُعَامَلَةُ منَ الظِّلِّيَّة وَتَقَرَّرَتْ عَلَى الأَصَالة؛ فَإِنَّ الصُّوَرَ العلميَّةَ لزَيْد ظلُ زَيْد الْمَوْجُود في الخَارِجِ وَهُوَ أَصْلُهُ فَحينَئذ لاَ تَكُونُ الصِّفَاتُ حجَابًا لذَاته وَيَكُونُ الْمَحْسُوسُ شَخْصًا مُسْتَجْمعًا لجَميع الصِّفَات وَكَذَلكَ مُفَارَقَةُ الصِّفَات لحَضْرَة الذَّات تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ إنَّمَا هيَ في مَرَاتب الظِّلال وَالتَّصَوُّرَات المثَاليَّة وَأَمَّا إذَا تَيَسَّرَ الوُصُول إلى الأَصْل لاَ تُوجَدُ الصِّفَاتُ مُنْفَكَّةً عَنِ الذَّات وَلا يَكُونُ شُهُودُ الذَّات مُنْفَكًّا عَنْ شُهُود الصِّفَات وَتَجَلي الصِّفَات الذي مَيَّزُوهُ عَنْ تَجَلي الذَّات وَأَثْبَتُوا تَجَليَ الأَفْعَال عَلَى حدَة كُل ذَلكَ في مَقَامَات الظِّلال وَبَعْدَ الوُصُول إلى الأَصْل لَيْسَ إلا تَجَل وَاحدٌ مُتَضَمِّنٌ للتَّجَليَات الثَّلاثَة مَثَلا: زَيْدٌ الذي

(١) ـــ **المعاينة**: في اللغة: تعني المواجهة، يقال: لقيتهة معاينة أى مواجهة (لسان العرب / عين) أما عند الصوفية فهي: عيان الحق ذاته بلا شبهة. وصورتها في **البدايات**: إعتقاد معاينة الحق فى الآخرة بالبصر، كما في الخبر من قوله عليه الصلا ة والسلام: " سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته "، وفي **الأبواب**: رؤيته في صورة نورية خيالية.، وفي **المعاملات**: إعتقاد كونه مرئيا بنور البصيرة.، وفي **الأخلاق**: العلم بكونه وجودا خاصا ممتازا عن جميع الموجودات، بكونه غير عارض لماهية، بل وجوده عن حقيقته غير معقول من حيث خصوصيته.، وفي **الأصول**: معاينة شواهد الوصول في السلوك.، وفي **الأودية**: معاينة وجه الحق بنور البصيرة. مطلقا ومقيدا في كل شيئ، وهي معاينة بشواهد العلم.، وفي **الأحوال**: معاينة عين الروح عيانا محضا غير مستمر، فيهيج الحب والشوق.، وفي **الولايات**: معاينة وجه الحق بعين الحق في حضرة الواحدية، عند الغتصاف بصفات الحق، وفي **النهايات**: معاينة الحق ذاته بذاته على الإستمرار اللازم للتمكين في عين الجمع عند محق الرسم في عين الأزلية بالكلية. انظر: الكاشاني ك المعجم ك ٣٤٨، ٣٤٩.

يَكُونُ مَشْهُودًا لاَ يَكُونُ شُهُودُ ذَاته مُنْفَكًّا عَنْ شُهُود صِفَاته، بَل المُشَاهِدُ لَهُ يَجِدُهُ حِينَ شُهُوده عَالمًا فَاضلا فَكَمَا أَنَّ علمَهُ وَفَضْلَهُ لَيْسَا بِحجَاب لرُؤْيَته كَذَلكَ لَيْسَا بِمُنْفَكَّيْنِ عَنْهُ أَيْضًا، نَعَمْ: إذَا كَانَ زَيْدٌ مُتَعَقَّلا وَمُدْرَكًا بِالصُّورَة الظِّلِّيَّة تَكُونُ صِفَاتُهُ مُنْفَكَّةً عَنْ ذَاته وَحِجَابًا لَهُ كَمَا مَرَّ؛ أَلا تَرَى أَنَّ المَرْئِيَّ فِي الآخرَة هُوَ الذَّاتُ المُسْتَجْمعَةُ للصِّفَات لاَ الذَّاتُ المُعَرَّاةُ عَنِ الأَسْمَاء وَالصِّفَات؛ فَإِنَّ ذَلكَ مُجَرَّدُ الاعْتبَار لأَنَّهُ لاَ تَجَرُّدَ للذَّات عَنِ الصِّفَات أَصْلا وَلَيْسَت الصِّفَاتُ مُنْفَكَّةً عَنِ الذَّات قَطْعًا وَالتَّجَرُّدُ إِنَّمَا يُقَال باعْتبَار أَنَّ العَارِفَ الكَامل إذَا اسْتَوْلَى عَلَيْه التَّعَلُّقُ بالذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ تَسْقُطُ عَنْ نَظَره مُلاحَظَةُ الأَسْمَاء وَالصِّفَات وَلاَ يَبْقَى مَشْهُودُهُ غَيْرُ أَحَديَّة الذَّات أَصْلا فَتُجَرِّدُ الذَّات عَنِ الصِّفَات إِنَّمَا كَانَ باعْتبَار نَظَر العَارف لاَ باعْتبَار الخَارجِ وَنَفْسِ الأَمْر كَمَا سَيَجِيءُ تَحْقيقُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

وَأَيْضًا: إِنَّ هَذَا الظُّهُورَ الجَامعَ مُنْتَهَى المِثَاليَّة وَالكَمَال الذي يَحْصُل بَعْدَ ذَلكَ لاَ يُمْكنُ كَوْنُهُ مُتَصَوَّرًا في مرْآة المثَال؛ فَإِنَّ التَّصَوُّرَ في المثَال إِنَّمَا يَكُونُ لأَمْر لَهُ مُشَابَهَةٌ مُنَاسبَةٌ بمَا في الخَارج وَإِنْ كَانَتْ تلكَ المُشَابَهَةُ في الاسْم فَقَطْ وَأَمَّا الأَمْرُ الذي لاَ مُشَابَهَةَ لَهُ بشَيْءٍ في الخَارج بوَجْه منَ الوُجُوه فَتَصْويرُهُ في المثَال مُحَال وَالكَمَالاتُ الفَوْقَانيَّةُ منْ هَذَا القَبيل لأَنَّهَا لاَ شَيْءَ يُشَابهُهَا بوَجْه منَ الوُجُوه حَتَّى يُمْكنَ تَصْويرُهَا في المثَال وَمنْ هَهُنَا كَانَ الجَهْل منْ لَوَازم ذَلكَ المَوْطنِ في جَميعِ الأَوْقَات وَصَارَ عَدَمُ الإدْرَاك فيه عَلامَةَ الإدْرَاك، وَفي هَذه النَّشْأَة وَإِنْ لَمْ يَحْصُل منْ ذَلكَ المَقَامِ شَيْءٌ غَيْرُ الجَهْل وَعَدَمِ الوجْدَان وَلكنَّ المَرْجُوَّ أَنْ يَحْصُل في الآخرَة قُوَّةٌ وَقَلبٌ لاَ يَتَلاشَى فِي تَشَعْشُعِ النُّورِ وَيَكُونُ خَبيرًا عَنْ حَقيقَة المُعَامَلَة.

أَلا أَعْطني قَلبًا تَرَى منْ جَسَارَة الـ ... أُسُود وَإِنْ أَلفَيْتَني قَبْل تَغْلبَا

وَلا يُوقعَنَّكَ بَيَانُ ظُهُور مَا فَوْقَ العَرْشِ في تَوَهُّم أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُسْتَقرٌّ فَوْقَ العَرْشِ وَثَابتٌ لَهُ تَعَالَى المَكَانُ وَالجهَةُ تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلكَ عُلوًّا كَبيرًا وَعَمَّا لاَ يَليقُ بجَنَاب قُدُسه تَعَالَى؛ فَإِنَّ ظُهُورَ صُورَة زَيْد في المرْآة لاَ يَسْتَلزمُ اسْتقْرَارَ زيد في المرْآة وَإِنْ وَقَعَ القَاصرُونَ في التَّوَهُّم وَللهِ المَثَل الأَعْلَى أَلا تَرَى أَنَّ المُؤْمنينَ يَرَوْنَ الحَقَّ تَعَالَى في الآخرَة في الجَنَّة مَعَ أَنَّ الجَنَّةَ وَغَيْرَهَا سيَّان بالنِّسْبَة إِلَيْه تَعَالَى وَالكُل مَخْلوقَةُ تَعَالَى وَالتَّجَلي الوَاقعُ في جَبَل الطُّور لَيْسَ فيه شَائبَةُ الحَاليَّة وَالمَحَليَّة غَايَةُ مَا في البَاب أَنَّ بَعْضَ المَحَال فيه قَابليَّةُ الظُّهُور وَبَعْضٌ آخرُ لَيْسَتْ فيه

تلكَ القَابليَّةُ ألا تَرَى أَنَّ المرْآةَ فيهَا قَابليَّةٌ لظُهُورِ الصُّوَرِ وَلَيْسَتْ تلكَ القَابليَّةُ لنعَالِ الدَّوَابِّ مَعَ أَنَّ كُلا منْهُمَا منَ الحَديد فَالتَّفَاوُتُ إِنَّمَا هُوَ فِي المَظْهَرِ لاَ فِي الظَّاهِرِ وَجَميعُ المَظَاهرِ قَابلَةٌ أَوْ غَيْرَ قَابلة سَوَاسيَةٌ بالنِّسْبَة إلى الظَّاهرِ وَكَذَلكَ الأَلْفَاظُ التي تُوهمُ الكُلِّيَّةَ وَالجُزْئِيَّةَ وَيُفْهَمُ منْهَا الحَاليَّةُ وَالمَحَليَّةُ مَصْرُوفَةٌ عَنِ الظَّاهرِ لَيْسَتْ بلائقَة بِجَنَاب قُدُسه تَعَالى وَإِنَّمَا يُرْتَكَبُ إِيرَادُ هَذه الأَلْفَاظ منْ ضيق العبَارَة [شعْرٌ]:

أَيْنَ قَاعدَة ياد دار كاتجاكه خداست ته جزؤونه كل ونه ظروف

ونه مظروف

تَرْجَمَةٌ

تَعَالى اللهُ عَنْ جُزْء وَكُل وَمَظْرُوف وَظَرْف أَوْ حُلول

وَلَمَّا كَانَ قَلبُ الإنْسَان عَرْشَ العَالم الصَّغيرِ وَمُشَابهًا بعَرْشِ العَالَمِ الكَبيرِ وَكَانَ التَّجَلي هُنَاكَ بدُون شَائبَة الظِّلِّيَّة كَانَتْ لُمَعٌ منْ ذَلكَ التَّجَلي بدُون تلكَ الشَّائبَة نَصيبَ ذَلكَ القَلب وَإِنْ كَانَ للسَّمَوَات وَالأَرْضِ نَصيبٌ منْ ذَلكَ التَّجَلي وَلكنَّهُ في حجَاب ظل منَ الظِّلال بخلاف القَلب؛ فَإِنَّهُ مُبَرَّأٌ عَنْ شَائبَة الظِّلِّيَّة مثْل العَرْشِ وَإِنْ كَانَ الظُّهُورُ مُتَفَاوِتًا باعْتبَارِ الصِّغَرِ وَالكبَرِ.

[ع]:

وَيَبْدُو عَلى قَدْرِ المَرَايَا جَمَالُهُ

فالتَّجَلي بدُونِ شَائبَة الظِّلِّيَّة بَعْدَ العَرْشِ المَجيد نَصيبُ قَلب كُمَّلِ الإِنْسَانِ وَحَاصِلِ غَيْرِهِمُ الظِّلِّيَّةُ.

يَنْبَغي: أَنْ يُعْلمَ أَنَّ الظُّهُورَ العَرْشِيَّ وَإِنْ كَانَ مُبَرَّأً عَنْ شَائبَة الظِّلِّيَّة وَلكنَّ الصِّفَات مُمْتَزجَةٌ هُنَاكَ بالذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ والشُّئُونُ وَالاعْتبَارَاتُ ثَابتَةٌ في الذَّات والشُّئُونُ وَالصِّفَاتُ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ حجَابًا للذَّات في تلكَ المَرْتَبَة وَلكنَّهَا مُشَارِكَةٌ في المُشَاهَدَة وَالإِدْرَاك وَمُسَاهمَةٌ في المَحَبَّة وَالعَلاقَة وَأُسَارَى مَحَبَّة الأَحَديَّة المُجَرَّدَة تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ لاَ يَرْضَوْنَ بشَرِكَة أَمْرٍ وَبحُكْمِ: {أَلا لله الدِّينُ الخَالصُ}(١) يَطْلُبُونَ الدِّينَ الخَالصَ.

وَعَدَمُ شَرِكَة الصِّفَات عَلَى تَفَاوُت الدَّرَجَات نَصيبُ الهَيْئَة الوَحْدَانيَّة الإِنْسَانيَّة وَنَصيبُ هَيْئَة وَحْدَانيَّة قَلب الإِنْسَان وَنَصيبُ الجُزْء الأَرْضيِّ للإِنْسَانِ وَفَوْقَ كُل ذَلكَ هَيْئَةُ وَحْدَانِيَّة الإِنْسَان كَائنَةٌ بمَثَابَة جُزْئه الأَرْضيِّ وَآخذَةٌ حُكْمَهُ،

---

(١) الزمر: ٣

وَبالجُمْلَة: إنَّ العُمْدَةَ في هَذه المُعَامَلة هِيَ الجُزْءُ الأَرْضيُّ وَبَقيَّةُ الأُمُور يَعْني الأَجْزَاءَ كَالمُحَسِّنَات الزَّائدَة وَفي الإنْسَان شَيْئَان لَيسَ شَيْءٌ منْهُمَا في العَرْش وَلا نَصيبَ منْهُمَا للعَالَمِ الكَبير فيه جُزْءٌ أَرْضيٌّ لَيْسَ هُوَ في العَرْشِ وَفيه هَيْئَةٌ وَحْدَانيَّةٌ لَيْسَتْ هِيَ في العَالَمِ الكَبير وَالشُّعُورُ المُتَعلقُ بالهَيْئَة الوَحْدَانيَّة فَهُوَ نُورٌ عَلى نُور وَمَخصُوصٌ بالعَالَمِ الأَصْغَرِ فَالإنْسَانُ أُعْجُوبَةٌ حَصَّلَ لبَاقَةَ الخلافَة وَتَحمَّل ثقَلَ الأَمَانَة.

وَاسْتَمعْ: مَا يُتْلى عَلَيْكَ منَ الخَصَائص الغَريبَة الإنْسَانيَّة أَنَّ مُعَامَلَةَ الإنْسَان تَبْلغُ مَرْتَبَةً تُحَصِّل لهُ قَابليَّةَ مرْآتيَّة الأَحَديَّة المُجَرَّدَة وَيَصيرُ مَظْهَرُ الذَّات الأَحَد منْ غَيْر اقْتِرَان الصِّفَات وَالشُّئُونَات، وَالحَالَ أَنَّ حَضْرَةَ الذَّات تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ مُسْتَجْمعَةٌ لجَميع الصِّفَات وَالشُّئُونَات في جَميعِ الأَوْقَات لاَ انْفكَاكَ بَيْنَهُمَا أَصْلا في وَقْت منَ الأَوْقَات.

وَبَيَانُـــــهُ: أَنَّ الإنْسَانَ الكَامل إذَا تَخلصَ منْ أَسْر مَا سوَى الذَّات الأَحَديَّة تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ يَحْصُل لهُ التَّعَلقُ بالذَّات الأَحَد وَلا يَكُونُ شَيْءٌ منَ الصِّفَات والشُّئُون مَلحُوظًا وَمَنْظُورًا وَمَقْصُودًا أَوْ مَطْلوبًا لَهُ وَبحُكْم: "المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ" يَحْصُل لَهُ نَوْعٌ منَ الاتِّصَال المَجْهُول الكَيْفيَّة بحَضْرَة الأَحَديَّة المُجَرَّدَة وَذَلكَ التَّعَلقُ الذي كَانَ لَهُ بالذَّات الأَحَد يُثْبتُ لَهُ نسْبَةَ القُرْب المَجْهُولة الكَيْفيَّة بالذَّات المُنَزَّهَة عَنِ الكَيْف فَيَكُونُ الإنْسَانُ الكَامل في ذَلكَ الوَقْت مرْآةً للذَّات الأَحَد بحَيْثُ لاَ يَكُونُ شَيْءٌ منَ الصِّفَات وَالشُّئُونَات مَشْهُودًا وَمَرْئيًّا فيه، بَل تَكُونُ الأَحَديَّةُ المُجَرَّدَةُ تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ ظَاهرَةً وَمُتَجَليَةً فيه سُبْحَانَ الله العَظيم إنَّ الذَّاتَ التي لَمْ يَكُنْ منْ شَأْنهَا الانْفكَاكُ عَن الصِّفَات أَصْلاً كَانَتْ ظَاهرَةً وَمُتَجَليَةً في مرْآة مثْل هَذَا الإنْسَان الكَامل بحَيْثيَّة التَّجَرُّد وَصَارَ الحُسْنُ الذَّاتيُّ مُتَميِّزًا عَن الحُسْن الصِّفَاتيِّ وَلَمْ تَتَيسَّرْ هَذه المرْآتيَّة لأَحَد غَيْر الإنْسَان الكَامل بلا اقْتِرَان الصِّفَات وَالشُّئُونَات وَالعَرْشُ المَجيدُ إنَّمَا كَانَ مَظْهَرَ الحَضْرَة الذَّات المُسْتَجْمعَة لجَميع الصِّفَات في العَالَم الكَبير وَالإنْسَانُ الكَامل صَارَ مَظْهَرًا للذَّات الأَحَد المُجَرَّدَة عَنِ الاعْتبَارَات في العَالَم الصَّغير وَهَذه المرْآتيَّة منْ أُعْجُوبَات الإنْسَان وَالله سُبْحَانَهُ المُعْطي لاَ مَانعَ لمَا أَعْطَاهُ

وَلا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَهُ {والسلام على من اتبع الهدى}[١] وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلى آلهِ وَأَصْحَابِهِ الصَّلوَاتُ والتَسْليمَاتُ العُلى.

(١) طــه: ٤٧

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالعِشْرُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائَة
إلى أخيه الحَقيقيِّ الميان غُلام مُحَمَّد
فِي بَيَان أَنَّ المَلكَ وَإنْ كَانَ مُشَاهَدًا للأَصْلِ وَشُهُودُ الإنْسَان في مرْآة الأَنْفُسِ وَلكِنْ جُعلتْ تلكَ الدَّوْلَةُ فيه كَالجُزْء منْهُ وَتَرَتُّبَ البَقَاءُ عَلَيْه وَمَا يُنَاسبُهُ

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى:

اعْلَـــمْ: أَنَّ المَلائكَةَ الكرَامَ عَلَى نَبيِّنَا وَعَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ مُشَاهدُونَ للأَصْلِ وَمُتَوَجِّهُونَ إلَيْه وَمُتَعَلقُونَ به وَشَائبَةُ الظِّلِّيَّة مَفْقُودَةٌ في حَقِّهمْ وَالإنْسَانُ المسْكينُ العَاجزُ قَلمَا يَضَعُ قَدَمَهُ في خَارِجِ الظِّلِّيَّة في هَذه النَّشْأَة وَيُحَصِّل شُهُودًا دَائميًّا بدُون وَسَاطَة مَرَايَا الآفَاق وَالأَنْفُسِ وَبَعْدَ الوُصُول إلَى الأَصْل يَتَجلي في مرْآة قَلبه لَمْعَةٌ منْ تَشَعْشُعِ أَنْوَار الأَصْل وَيَرْجعُ إلَى العَالمِ وَيُحَال فيه عَلَيْه تَرْبيَةُ النَّاقصينَ وَفي هَذَا الرُّجُوعِ تَرْبيَةٌ نَفْسه وَتَرْبيَةُ غَيْره؛ فَإنَّ تلكَ اللمْعَةَ التي جُعلتْ كَالجزْء منْهُ تَجْعَل أَجزَاءَهُ الأُخَرَ مُنْصبغَةً بصبْغهَا في مُدَّة رُجُوعه مُتَلوِّنَةً بلوْنهَا كَمَا أَنَّهُ يُخْرجُ غَيْرَهُ منْ مَضيق النَّقْصِ إلَى فَضَاء الكَمَال وَيَدُلهُمْ منَ الغَيْب[1] إلى الشُّهُود فَإذَا تَمَّتْ مُدَّةُ الدَّعْوَة وَالرُّجُوعِ وَبَلغَ الكتَابُ أَجَلهُ يَظْهَرُ فيه شَوْقُ الأَصْل وَيَقُومُ منْ بَاطنه ندَاءُ الرَّفيقِ الأَعْلى وَيَتَخلصُ منْ تَعلقَات شَتَّى وَيَنْقُل حُمُولهُ منَ الغَيْبِ إلى الشَّهَادَة وَتَخْرُجُ مُعَامَلتُهُ منَ المُرَاسَلة إلَى المُعَانَقَة وَيَصْدُقُ هُنَا المَوْتُ جسْرًا يُوصِل الحَبيبَ إلَى الحَبيب.

---

(١) ـــ الغيب: لغة من غاب الشي في الشيئ غيابة وغيوبا وغيابا وغيبة. راجع: ابن منظور: لسان العرب / غيب. أما عند الصوفية فهي: غيبة القلب عن علم ما يجرى من أحوال الخلق لشغل الحس بما ورد عليه. انظر: ابن العربي: اصطلاحات الصوفية: ٢٨٨.، وقيل هي: غيبة السالك عن رسوم العلم، لقوة نور الكشف.، وصورتما ف لا **البدايات**: الغيبة عن تمتعات الدنيا ولذاتها، والميل إلى زخارفها ومشتهياتها.، وفي **المعاملات**: الغيبة عن الخلق وأفعالهم، والنظر إلى أمورهم وأقوالهم.، وفي **الأخلاق**: الغيبة عن النفس وأهوائها، وعن صفاتها ودواعيها وآرائها.، وفي **الأصول**: الغيبة عن القصد عما سوى المقصود.، وفي **الأ ودية**: الغيبة عن ظلمات عالم النفس بالإستغراق في نور القدس.، **وفي الأحوال**: الغيبة عما يحول بينه وبين المحبوب في تباريق تجلي المطلوب، وفي **الحقائق**: الغيبة عن الأكوان والإمكان لشهود نور الازل بالعيان. انظر: الكاشاني: المعجم: ٣٤٢.

يَنْبَغِـــي: أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ المَلَكَ وَإِنْ كَانَ مُشَاهِدَ الأَصْلِ وَشُهُودُ الإِنْسَانِ فِي مِرْآةِ الأَنْفُسِ وَلَكِنْ جُعِلَتْ تِلْكَ الدَّوْلَةُ فِي الإِنْسَانِ كَالجُزْءِ مِنْهُ وَأُعْطِيَ البَقَاءَ[1] بِهَا وَجُعِلَ مُتَحَقِّقًا بِهَا بِخِلافِ المَلَكِ؛ فَإِنَّ تِلْكَ الدَّوْلَةَ مَا جُعِلَتْ فِيهِ كَالجُزْءِ مِنْهُ وَأُعْطِيَ البَقَاءَ بِهَا وَجُعِلَ مُتَحَقِّقًا بِهَا بِخِلافِ المَلَكِ؛ فَإِنَّ تِلْكَ الدَّوْلَةَ مَا جُعِلَتْ فِيهِ كَالجُزْءِ مِنْهُ، بَلْ لَهُمُ النَّظَّارَةُ مِنَ الخَارِجِ وَلَيْسَ لَهُمْ بَقَاءٌ وَتَحَقُّقٌ بِهَا وَلَيْسَ فِيهِمْ ذَلِكَ الانْصِبَاغُ وَالتَّلَوُّنُ بِلَوْنِ الأَصْلِ الذي يَتَيَسَّرُ لِلإِنْسَانِ وَالاخْتِصَاصُ الذي حَصَلَ لِلفَرْشِيِّينَ لَيْسَ هُوَ لِلقُدْسِيِّينَ؛ فَإِنَّ تَفَاوُتَ مَا بَيْنَ البَاطِنِ وَالخَارِجِ كَثِيرٌ وَإِنْ كَانَتِ الدَّوْلَةُ البَاطِنَةُ كَالجُزْءِ وَالدَّوْلَةُ الخَارِجِيَّةُ كَالكُلِ وَلَكِنَّ البَاطِنَ بَاطِنٌ وَالخَارِجَ خَارِجٌ.

كَلامُنَا إِشَارَةٌ وَبِشَارَةٌ وَلِهَذَا صَارَتْ خَوَاصُّ البَشَرِ أَفْضَلَ مِنْ خَوَاصِّ المَلائِكَةِ وَمَعَ جَمِيعِ ذَلِكَ حَصَلَ اسْتِحْقَاقُ الخِلافَةِ {وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ}[2] [شِعْرٌ]:

زمين زاده برآسمان تاخته ... زمين وزمانرا؟ــس انداخه

تَرْجَمَةٌ:

عَلا فَوْقَ السَّمَاءِ وَلِيدُ أَرْضٍ ... وَخَلفَ خَلفَهُ زَمَنًا وَأَرْضًا

وَهَذِهِ الدَّوْلَةُ إِنَّمَا تَيَسَّرَتْ لِلإِنْسَانِ بِوَاسِطَةِ جُزْئِهِ الأَرْضِيِّ وَالقَلْبُ الذي صَارَ عَرْشَ اللهِ إِنَّمَا هُوَ بِدَوْلَةِ العُنْصُرِ التُّرَابِيِّ الذي جَامَعَ لِلكُلِ وَمَرْكَزُ دَائِرَةِ الإِمْكَانِ، نَعَمْ: إِنَّمَا نَالَتِ الأَرْضُ كُلِ هَذَا العُلوِّ وَالرِّفْعَةِ مِنَ الضِّعَةِ وَعَدَمِ التَّرَفُّعِ وَجَعَلَهَا التَّوَاضُعُ عَالِيَةً مَنْ تَوَاضَعَ للهِ سُبْحَانَهُ رفعه الله، فَإِذَا رَجَعَ الإِنْسَانُ إِلى

---

(١) **البقاء:** هو بقاء ما لم يزل حقا بشهود فناء ما لم يكن شيئا، حتى يقبل محقا.

وصورته في **البدايات:** بقاء الخلق المعدوم بذاته بوجود الحق حتى يقوم بالعبودية.

وفي **الأبواب:** توهم الوجود الخيالي الإضافي القائم بالأفعال. وفي المعاملات: بقاء الذوات والصفات عند المريد بعد فناء الأفعال والتأثيرات.

وفي **الأخلاق:** بقاء الذوات بعد فناء الهيئات والصفات.

وفي **الأصول:** بقاء وجود السالك في السير، والإنتقال بعد فناء الموانع النفسانية عند الإقبال.

وفي **الأودية:** بقاء أنوار القدسية والحقائق بعد فناء الظلمات الحسية والعوائق.

وفي **الأحوال:** بقاء لوامع القدم، وأنوار الوجه الباقي، بعد فناء آثار الحدث،وزوال الظل الفاني.

وفي **الولايات:** بقاء الأسماء والصفات الإلهية بعد فناء السمات الخلقية.

وفي **الحقائق:** بقاء المشهود بفناء الشاهد. انظر: الكاشاني:معجم اصطلاحات الصوفية: ٣٦٧.

(٢) البقرة: ١٠٥

الأَصْل بَعْد تَمَام مُدَّة رُجُوعه وَدَعْوَته، وَبَعْدَ انْصباغه بِصَبْغِ الأَصْل وَصَارَ مُتَوَجِّهًا إلى جَنَاب القُدْس فَاليَقِينُ أَنَّ الاخْتِصَاصَ وَالانْبِسَاطَ الذي يَتَيَسَّرُ لهُ هُنَاكَ لاَ يَكُونُ هُوَ لغَيْره وَقُرْبُ المَنْزِلة الذي يَحْصُلُ لهُ فيه لَيْسَ لغَيْره؛ فَإِنَّهُ صَارَ وَاصلا فَانيًا وَحَصَلَ لهُ البَقَاءُ بالأَصْل وَصَارَ مُنْصَبغًا بِصَبْغِ الأَصْل فَأَيْنَ المَجَال لغَيْره حَتَّى يَدَّعُوا المُسَاوَاةَ لهُ؛ فَإِنَّ انْصبَاغَ الغَيْر وَإِنْ كَانَ لاعْتبَار التَّجَرُّد[1] وَالتَّنَزُّه أَكْمَلَ وَأَتَمَّ وَلَكنَّهُ نَاشئٌ منْ خَارِجٍ فَحُكْمُهُ حُكْمٌ عَارِضِيٌّ وَحَيْثُ كَانَ انْصبَاغُ الإنْسَان بَاطنيًّا كَانَ حُكْمُهُ حُكْمَ الذَّاتِيِّ شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا وَهَذَا الكَمَال مَخْصُوصٌ بالأَنْبيَاء صَلَوَاتُ الله تَعَالى وتَسْليمَاتُهُ عَلَيْهمْ أَجْمَعينَ وَهُمُ المُرَادُونَ بخَوَاصِّ البَشَر وَمَنْ يُبَشِّرُ بهَذه الدَّوْلَة العُظْمَى بالورَاثَة وَالتَّبَعيَّة وَكَانَ حُصُول هَذه الدَّوْلَة في أَصْحَاب الأَنْبيَاء عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ببَرَكَة الصُّحْبَة أَكْثَرَ وَأَزْيَدَ وَيَتَشَرَّفُ بهَا غَيْرُ الأَصْحَاب أَيْضًا وَإِنْ كَانَ قَليلا، بَل أَقَلّ، (شعْرٌ):

وَإِذَا أَتَى بَابَ العَجُوز خَليفَةٌ ... إِيَّاكَ يَا صَاحِ وَنَتْفَ سبَالكَ

{رَبَّنَا أَتْممْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ}[2] بحُرْمَة سَيِّد المُرْسَلينَ عَلَيْه وَعَلَيْهمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّحيَّاتُ والتَسْليمَاتُ.

---

(١) التجريد لغة: التقشير والتعرية (انظر: لسان العرب / جرد).

والمراد به عند الصوفية: أن يتجرد العبد عن الأغراض فيما يفعله، فلا يأتي بما يأتي به نظرا إلى الأغراض في الدنيا والآخرة، بل ما كوشف به من حق العظمة يؤديه حسب جهده عبودية وانقيادا.

وصورته في **البدايات**: التجريد عن المخالفات واللذات الطبيعية، والمألوفات والزخارف الدنيوية،والطيبات

وفي **الأبواب**: تجريد النفس عن الميل إلى شهولت الدنيا ودعوات الهوى.

وفي **المعاملات**: تجريد النفس عن رؤية تأثير الكائنات، ونسبة الأفعال إلى المخلوقات.

وفي **الأخلاق**: تجريد النفس عن الهيئات النفسانية، والملكات الردية الشيطانية.

وفي **الأصول**: التجريد عن الفتور في السير، والإلتفات إلى الغير.

وفي **الأحوال**: التجريد عن محبة السوى، والإصطبار مع النوى.

وفي **الولايات**: التجريد عن الأسماء والصفات، وعن رسوم جميع الكائنات. انظر: الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية: ٣٧٣. ٣٧٤.

(٢) التحريم: ٨

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالعِشْرُونَ بَعْدَ الثَّلاَثمائة
إلى المِرْزَا شَمْسِ الدِّين
فِي جَوَاب كِتَابه وَبَيَان أَنَّ نَصِيبَ عُلمَاء الظَّاهِرِ وَنَصِيبَ الصُّوفيَّة العَليَّة وَنَصِيبَ العُلمَاءِ الرَّاسِخِينَ الذينَ هُمْ وَرَثَةُ الأَنْبيَاءِ مَا هُوَ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلكَ

بَعْدَ الحَمْدِ لله وَالصَّلَوَاتُ وَتَبْليغِ الدَّعَوَات:

يُعْلَـــم: أَنَّ الصَّحيفَةَ الشَّرِيفَةَ الصَّادرَةَ عَلى وَجْه الكَرَم قَدْ بَلغَهَا أَخِي الأَعَزُّ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ طَاهِر فَحَصَل بوُرُودهَا الفَرَحُ وَالسُّرُورُ وَقَد انْدَرَجَ فِيهَا التِمَاسُ النَّصَائِحِ بوَاسطَة المَكَاتيب إلى زَمَنِ المُلاقَاة.

أَيُّهَا المَخْدُومُ المُكَرَّم: إنَّ النَّصِيحَةَ هيَ الدِّينُ وَمُتَابَعَةُ سَيِّدِ المُرْسَلينَ عَليْه وَعَلى آله منَ الصَّلوَاتُ أَفْضَلهَا وَمنَ التَّحيَّات أَكْملهَا.

وَنَصِيبُ عُلمَاء الظَّاهر منَ الدِّين وَمُتَابَعَة سَيِّد المُرْسَلينَ بَعْدَ تَصْحيح العَقَائدِ هُوَ عِلمُ الشَّرَائعِ وَالأَحْكَامِ وَالعَمَل بمُقْتَضَى ذَلكَ العلم.

وَنَصِيبُ الصُّوفِيَّةِ ــ مَعَ مَا هُوَ للعُلمَاءِ ــ الأَحْوَال وَالمَوَاجيدُ وَالعُلومُ وَالمَعَارِفُ.

وَنَصِيبُ العُلمَاء الرَّاسخِيْنِ الذينَ هُمْ وَرَثَةُ الأَنْبيَاء ــ عَليْهمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ مَعَ مَا هُوَ لعُلمَاء الظَّاهر وَمَعَ مَا امْتَازَ به الصُّوفيَّةُ ــ: هُوَ الأَسْرَارُ وَالدَّقَائقُ التِي جَرَى الرَّمْزُ وَالإشَارَةُ إليْهَا في المُتَشَابهَات القُرْآنيَّة، وَانْدَرجَتْ فيهَا عَلى سَبيل التَّأْويل؛ فَهُمُ الكَاملونَ في المُتَابعَة، وَالمُتَحَقّقُونَ بالورَاثَة، وَهُمْ شُرَكَاءُ في دَوْلة الأَنْبيَاء ــ عَليْهمُ السَّلامُ ــ الخَاصَّةُ بهمْ، وَمَحَارمُ المَخْدَعِ الخَاصِّ، وَحَبيب رَبِّ العَالمينَ ــ عَليْه وَعَلى جَميعِ الأَنْبيَاء وَالمُرْسَلينَ وَالمَلائكَة المُقَرَّبينَ وَأَهْل الطَّاعَة أَجْمَعينَ الصَّلوَاتُ وَالتَّحيَّاتُ علمًا وَعَملا وَوَجْدًا ــ لتَكُونَ وَسيلةً إلى حُصُول الورَاثَةِ التِي هِيَ نِهَايَةُ دَرَجَاتِ السَّعَادَة.

الْمَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالعِشْرُونَ بَعْدَ الثَّلاثِمائَةِ
إِلى مَوْلانَا أَحْمَدَ البركي
فِي جَوَابِ اسْتِفْسَارِهِ أَنَّ صَاحِبَ المَنْصِبِ هَل يَكُونُ صَاحِبَ عِلمٍ أَلبَتَّةَ أَوْ لا وَعَنْ سَبَبِ عَدَمِ الاطِّلاعِ عَلى الأَحْوَالِ
بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ وَسَلامٌ عَلى عِبَادِهِ الذينَ اصْطَفَى:

وَصَلت الصَّحِيفَتَان مُتَتَابِعَتَيْنِ، وَقَدْ كَتَبْتَ خَبَرَ الْمُصِيبَةِ ــ إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ــ لِيُكَرِّرِ الأَصْحَابُ وَالأَحْبَابُ كَلِمَةَ: " لاَ إِلهَ إِلا اللهُ " سَبْعِينَ أَلفَ مَرَّةً لِرُوحِ المَرْحُومِ خَوَاجَهْ مُحَمَّد صَادِق، وَسَبْعِينَ أَلفَ مَرَّةً لِرُوحِ أُخْتِهِ المَرْحُومَةِ أُمِّ كُلثُوم، وَلِيُهْدُوا ثَوَابَ كُل مِنْهُمَا لِرُوحَانِيَّةِ كُل مِنهُمَا؛ فَإِنَّ الدُّعَاءَ مَأْمُول مِنَ الأَحْبَابِ وَالفَاتِحَةُ مَسْئُولةٌ مِنْهُمْ.

وَكَتَبْتَ أَيْضًا: أَنَّهُ قَدْ ذُكِرَ فِي المَكْتُوبَاتِ أَنَّ صَاحِبَ المَنْصِبِ صَاحِبُ عِلمٍ:

أَيُّهَا المَخْــدُومُ: إِنَّ قُطبَ الأَقْطَابِ صَاحِبُ عِلمٍ يَعْنِي بِمَنْصِبِهِ، وَأَقْطَابُ البِقْعَاتِ كَأَجْزَائِهِ وَيَدِهِ وَرِجْلِهِ يَكُونُ لِبَعْضِهِمُ العِلمُ بِمَدَارِيَّتِهِ وَلِبَعْضِهِمْ لا.

وَكَتَبْتَ أَيْضًا: أَنَّ الفَنَاءَ فِي اللهِ وَالبَقَاءَ بِاللهِ لَمْ يَحْصُلا إِلى الآنِ، مَاذَا نَفْعَل؟!

كُنْتَ أَنْتَ فِي الصُّحْبَةِ قَلِيلا وَلَمْ تَمْكُثْ مِقْدَارَ مَا نَطَّلِعُ عَلى حُصُولِ بَعْضِ أَحْوَالِكَ، وَأَنَا الآنَ أُشَاهِدُ مِنْ بِلادِ الهِنْدِ فَنَاءَك وَبَقَاءَك، وَأُحِسُّ هَذَيْنِ الكَمَالَيْنِ المَذْكُورَيْنِ فِيكَ وَأَنْتَ تُنْكِرُ ذَلِكَ، وَبَيْنَنَا مَسَافَةٌ بَعِيدَةٌ، وَمَا لَمْ تَتَيَسَّرْ المُلاقَاةُ الصُّورِيَّةُ فَالاطِّلاعُ عَلى الأَحْوَالِ المَكْنُونَةِ مُتَعَسِّرٌ.

وَمَا تَكَلمَ بِهِ المَشَايِخُ فِي الفَنَاءِ وَالبَقَاءِ: كُلهُ رَمْزٌ وَإِشَارَةٌ، فَمَاذَا يَجِدُ الإِنْسَانُ مِنْ قَبْل، وَلا يُعْطِي الحَقُّ سُبْحَانَهُ الكُل عِلمًا وَأَحْوَالا، بَل يُعْطِي الشَّخْصَ عِلمًا بِأَحْوَالِهِ وَيَجْعَلهُ مُقْتَدًى بِهِ، وَيَرْبُطُ الجَمْعَ بِهِ فَيُبَلغُهُمْ مَرْتَبَةَ الكَمَال وَالتَّكْمِيل، (شِعْرٌ)

لَيْسَ عَلى اللهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ العَالَمَ فِي وَاحِدِ

يَا لَيْتَنِي كُنْتُ أَمْسَكْتُ الشَّيْخَ حَسَنًا أَيَّامًا أُخَرَ، وَأَطْلَعْتُهُ عَلَى بَعْضِ أَحْوَالِكُمْ ثُمَّ أَرْسَلْتُهُ إِلَى خِدْمَتِكُمْ، وَمَجِيئُكَ مُشْكِلٌ؛ فَيَا حَبَّذَا لَوْ جَاءَ مِنْ أَصْحَابِكَ شَخْصٌ رَشِيدٌ قَابِلٌ فَهِيمٌ وَأَقَامَ هُنَا أَيَّامًا حَتَّى نُخْبِرَهُ بِأَخْبَارٍ ضَرُورِيَّةٍ، وَالمَقْصُودُ هُوَ حُصُولُ الأَحْوَالِ وَالاطِّلاعُ عَلَى الأَحْوَالِ هُوَ أَمْرٌ آخَرُ وَالبَاقِي عِنْدَ التَّلاقِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى البَاقِي.

وَالسَّلامُ وَالنَّصِيحَةُ التِي لاَ بُد مِنْهَا هِيَ أَنْ تَجْتَهِدَ فِي الدَّرْسِ مِنْ غَيْرِ فُتُورٍ، وَأَنْ لاَ تَسْمَحَ نَفْسُكَ بِتَرْكِه، فَإِنْ أَمْكَنَكَ اسْتِغْرَاقُ جَمِيعِ أَوْقَاتِكَ بِالدَّرْسِ لاَ تُهَوِّسَنَّ فِي الذِّكْرِ وَالفِكْرِ؛ فَإِنَّ سَاعَاتِ اللَيَالِي كَافِيَةٌ لِلذِّكْرِ وَلْيَشْتَغِلِ الشَّيْخُ حَسَنٌ أَيْضًا بِالدَّرْسِ وَالتَّعَلمِ وَلا تَتْرُكَنَّهُ مُعَطَّلا وَحَيْثُ كَانَتْ تِلْكَ الحُدُودُ قَلِيلَةَ النَّصِيبِ مِنَ العِلْمِ كَانَ إِحْيَاءُ العُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ فِيهَا ضَرُورِيًّا، وَمَاذَا أُبَالِغُ أَزْيَدَ مِنْ ذَلِكَ؟!

وَوَصَلَتِ الأَوْرَاقُ المُنْدَرِجُ فِيهَا بَيَانُ أَحْوَالِ الخَوَاجَهْ وِيس وَنَظَرْتُ فِي أَكْثَرِ مَوَاضِعِهَا فَوَجَدْتُهَا مُبَشِّرَاتٍ فَلْيَكُنْ رَاجِيًا مِنَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ حَتَّى تَخْرُجَ مِنَ القُوَّةِ إِلَى الفِعْلِ، وَالسَّلامُ.

المَكْتُوبُ الثَّامنُ وَالعشْرُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائَة
إلى سَادَات بَلدَة سامانه وَقُضَاتهَا وَمَوَاليهَا وَسَائر أهَاليهَا
فِي ذَمِّ خَطِيب تَرَكَ ذكْرَ الخُلفَاء الرَّاشدينَ فِي خُطْبَة عِيد الأَضْحَى وَتَقْرِيعِهِمْ عَلى اسْتِمَاعِهَا وَمَا يُنَاسِبُ ذَلكَ

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى:

البَاعثُ عَلى تَصْديعِ خُدَّامِ ذَوِي الاحْتَرَام السَّادَات العظَامِ وَالقُضَاة وَالأَهَالِي وَالمَوَالِي الكرَام فِي بَلدَة سامانه ـــ: هُوَ أَنَّا سَمعْنَا أَنَّ خَطِيبَ ذَلكَ المَقَام تَرَكَ ذكْرَ الخُلفَاء الرَّاشدينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ فِي خُطْبَة عِيدِ الأَضْحَى وَلَمْ يَذْكُرْ أَسَامِيَّهُمْ المُتبَرَّكَة.

وَسَمعْنَا أَيْضًا: أَنَّهُ لَمَّا تَعَرَّضَ لهُ جَمَاعَةٌ منَ الحَاضرينَ لم يَعْتَرِفْ بسَهْوه وَلَمْ يَعْتَذرْ عَنْ نسْيَانه وَذَنْبه، بَل قَابَلهُمْ بِالتَّمَرُّدِ وَالعنَادِ وقال: أَيْشٍ يَلزَمُ أَنْ لَمْ يَذْكُرْ أَسَامِيَّ الخُلفَاء الرَّاشدينَ؟!

وَسَمعْنَا أَيْضًا: أَنَّ أَكَابرَ ذَلكَ المَقَامِ وَأَهَاليَهُ تَسَاهَلوا فِي هَذَا البَابِ وَلَمْ يُقَابِلوا ذَلكَ الخَطيبَ عَدِيمَ الإِنْصَافِ وَالآدَاب بالشِّدَّة وَالغلظَة، (ع):

فَآهًا أَلفَ آه دُونَ مَرَّه

وَذكْر الخُلفَاء الرَّاشدينَ وَإنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ شَرَائط الخُطْبَة وَلكنَّهُ منْ شعَائر أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة ـــ شَكَرَ اللهُ تَعَالى سَعْيَهُمْ ـــ لا يَتْرُكُهُ عَمْدًا وَتَمَرُّدًا إلا مَنْ قَلبُهُ مَرِيضٌ وَبَاطنُهُ خَبيثٌ

وَلئـــنْ فَرَضْنَا أَنَّهُ لَمْ يَتْرُكْ بالتَّعَصُّب وَالعنَاد فَمَاذَا يَقُول فِي جَوَاب وَعيد: "مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ"(١) وَكَيْفَ يَتَخَلصُ مِنْ مَظَانِّ التُّهَمِ وَقَدْ وَرَدَ: "اتَّقُوْا

---

(١) سُنَنُ أَبِي دَاوُد، كتاب اللباس: باب: في لبس الشهرة. ح٤٠٣١ عن ابن عمر.

* وقال الزيلعي في نصب الراية: قد روي من حديث ابن عمر، ومن حديث حذيفة، ومن حديث أبي هريرة، ومن حديث أنس.

- فحديث ابن عمر: أخرجه أبو داود في "سننه - في اللباس" عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن حسان بن عطية عن أبي منيب الجرشي عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: "من تشبه بقوم فهو منهم" انتهى. وابن ثوبان ضعيف.

مَوَاضِعَ التُّهَمِ"(١) فَإِنْ كَانَ مُتَوَقِّفًا فِي تَقْدِيمِ الشَّيْخَيْنِ وَتَفْضِيلِهِمَا فَهُوَ رَافِضٌ لِطَرِيقِ

- وحديث حذيفة: رواه البزار في "مسنده" عن علي بن غراب ثنا هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي عبيدة بن حذيفة مرفوعاً، نحوه سواء، وقال: وقد رواه غير علي بن غراب، فوقفه، انتهى.

- وحديث أبي هريرة: أخرجه البزار أيضاً عن صدقة بن عبد الله عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً نحوه، وقال: لم يتابع صدقة على روايته هذه، وغيره يرويه عن الأوزاعي مرسلاً، انتهى.

- وأما حديث أنس: فرواه أبو نعيم في "تاريخ أصبهان - في ترجمة أحمد بن محمود" فقال: حدثنا الحجاج بن يوسف بن قتيبة ثنا بشر بن الحسين الأصبهاني ثنا الزبير بن عدي عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ "بعثت بين يدي الساعة" وفي آخره: "ومن تشبه بقوم فهو منهم"، انتهى. وهو في أحاديث "الكشاف.

* وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: أخرجه أبو داود بسند حسن.انظر: فتح الباري: كتاب اللباس. باب القَبَاءِ وَفَرُّوجِ حَرِيرٍ. كتاب اللباس. باب القَبَاءِ وَفَرُّوجِ حَرِيرٍ.

وصححه السيوطي في الجامع الصغير ح ٨٥٩٣.

وقال المناوي: فيه عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان وهو ضعيف، وقال السخاوي: سنده ضعيف لكن له شواهد، وقال ابن تيمية: سنده جيد، وقال ابن حجر في الفتح: سنده حسن، قال الحافظ العراقي: سنده ضعيف، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط وفيه علي بن غراب وثقه غير واحد وضعفه جمع وبقية رجاله ثقات اهـ. وبه عرف أن سند الطبراني أمثل من طريق أبي داود. (انظر: فيض القدير للمناوي ح٨٥٩٣.

*وقال العجلوني: رواه أحمد وأبو داود والطبراني في الكبير عن ابن عمر رفعه وفي سنده ضعيف كما في اللآلئ والمقاصد لكن قال العراقي سنده صحيح وله شاهد عند البزار عن حذيفة وأبي هريرة وعند أبي نعيم في تاريخ أصبهان عن أنس، وعند القضاعي عن طاووس مرسلا وصححه ابن حبان وتقدم في: إنما العلم بالتعلم في أثر عن الحسن قلما تشبه رجل بقوم إلا كان منهم، وقال النجم قلت روى العسكري عن حميد الطويل قال كان الحسن يقول إذا لم تكن حليما فتحلم وإذا لم تكن عالما فتعلم فقلما تشبه رجل بقوم إلا كان منهم. (كشف لبخفاء للعجلوني ح ٢٤٣٦.)

* وقال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: كتاب الحج: الباب الثاني: في ترتيب الأفعال الظاهرة.

أخرجه أبو داود من حديث ابن عمر بسند صحيح.

(١) **لا أصل له.**، قال الحافظ العراقي: لم أجد له أصلا. انظر: تخريج أحاديث الإحياء: كتاب شرح عجائب القلب. لم أجد له أصلا.

وقال العجلوني: ذكره في الإحياء وقال العراقي: في تخريج أحاديثه لم أجد له أصلا لكنه بمعنى قول عمر " من سلك مسالك الظن اتهم "، ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق مرفوعا بلفظ " من أقام نفسه مقام التهم فلا يلومن من أساء الظن به "، وروى الخطيب في المتفق والمفترق عن سعيد

أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ وَإِنْ كَانَ مُتَرَدِّدًا فِي مَحَبَّةِ الخَتَنَيْنِ فَهُوَ أَيْضًا خَارِجٌ مِنْ زُمْرَةِ أَهْلِ الحَقِّ وَلا يَبْعُدُ أَنْ يَأْخُذَ ذَلِكَ الخَطِيبُ الذي لاَ حَقِيقَةَ لَهُ المَنْسُوبُ إلى كشمرية هَذَا الخُبْثَ مِنْ مُبْتَدعِي كَشْمِيرَ فَيَنْبَغِي تَعْلِيمُهُ وَتَفْهِيمُهُ أَنَّ أَفْضَلِيَّةَ الشَّيْخَيْنِ ثَابِتَةٌ بِإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ كَمَا نَقَلَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَكَابِرِ أَئِمَّةِ الدِّينِ وَاحِدٌ مِنْهُمُ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ ﷺ.

قَالَ الشَّيْخُ الإِمَامُ أَبُو الحَسَنِ الأَشْعَرِيُّ: " إِنَّ تَفْضِيلَ أَبِي بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرَ عَلَى بَقِيَّةِ الأُمَّةِ قَطْعِيٌّ، وَقَدْ تَوَاتَرَ عَنْ عَلِيٍّ ﷺ فِي خِلافَتِهِ وَكُرْسِيِّ مَمْلَكَتِهِ وَبِهِ الجَمُّ الغَفِيرُ مِنْ شِيعَتِهِ " أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ أَفْضَلُ الأُمَّةِ".

قَالَ الذَّهَبِيُّ: ثُمَّ قَالَ: " رَوَاهُ عَنْ عَلِيٍّ ﷺ نَيِّفٌ وَثَمَانُونَ نَفْسًا "، وَعَدَّ مِنْهُمْ جَمَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: " فَقَبَّحَ اللهُ الرَّافِضَةَ، مَا أَجْهَلَهُمْ! "

وَرَوَى البُخَارِيُّ الذي كِتَابُهُ أَصَحُّ الكُتُبِ بَعْدَ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى عَنْ عَلِيٍّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: " خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّ ــ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ ابْنُهُ مُحَمَّدُ ابْنُ الحَنَفِيَّةِ: ثُمَّ أَنْتَ؟! فَقَالَ: إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ "

وَأَمْثَالُ ذَلِكَ عَنْهُ وَعَنْ غَيْرِهِ مِنْ أَكَابِرِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ كَثِيرَةٌ شَهِيرَةٌ لاَ يُنْكِرُهَا إِلا جَاهِلٌ أَوْ مُعَانِدٌ.

وَيَنْبَغِي أَنْ نَقُولَ لِذَلِكَ المُنْخَلِعِ عَنْ لِبَاسِ الإِنْصَافِ: إِنَّنَا مَأْمُورُونَ بِمَحَبَّةِ جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَمْنُوعُونَ عَنْ بُغْضِهِمْ وَإِيذَائِهِمْ وَحَضَرَاتُ الخَتَنَيْنِ مِنْ أَكَابِرِ الصَّحَابَةِ وَمِنْ أَقَارِبِهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ فَيَكُونَانِ أَحَقَّ بِالمَحَبَّةِ وَالمَوَدَّةِ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: {قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى}(١).

وَقَالَ النَّبِيُّ ــ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ: " اللهَ اللهَ فِي أَصْحَابِي، وَلا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا مِنْ بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهَ، وَمَنْ آذَى اللهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ "(٢)

بن المسيب قال وضع عمر بن الخطاب ﷺ ثماني عشرة كلمة، كلها حكم – وذكر منها -:ومن عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن. انظر: كشف الخفاء للعجلوني: ح ٨٣

(١) الشورى: ٢٣

(٢) **حسن غريب**: سنن الترمذي: كتاب المَنَاقِب عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، باب (ما جاء في فضل من رأى النبي ﷺ وصحبه ح ٣٩٥٤ــ عن عبدِ الرَّحْمَنِ بنِ زِيَادٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مُغَفَّلٍ، وقال: هَذا حديثٌ

وَمِثْل هَذَا الزَّهْرِ الكَرِيه الرَّاحَة لَمْ يُعْلَمْ تَفَتُّقُهُ فِي بِلاد الهِنْد مِنَ ابْتِدَاء الإِسْلامِ إِلَى هَذَا الوَقْت، وَيَكَادُ يُتَّهَمُ جَمِيعُ أَهْلِ البَلَد مِنْ هَذِه المُعَامَلَة، بَل يَكَادُ يَرْتَفِعُ الاعْتِمَادُ مِنْ جَمِيعِ بِلادِ الهِنْد، وَسُلْطَانُ الوَقْت ـــ نَصَرَهُ اللهُ ـــ عَلَى جَمِيعِ أَعْدَاءِ الإِسْلامِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّة وَحَنَفِيُّ المَذْهَب، وَابْتِدَاعُ مِثْل هَذَا الأَمْرِ فِي زَمَانِه نِهَايَةُ الجَرَاءَة، بَل هُوَ مُنَازَعَتُهُ فِي الحَقِيقَة وَخُرُوجٌ مِنْ طَاعَة أُولي الأَمْر.

وَالعَجَبُ مِنْ سُكُوت المَخَادِيم العِظَام الكَائِنِينَ فِي ذَلِكَ المَقَامِ فِي هَذِه الوَاقِعَة وَمُسَاهَلَتِهِمْ مَعَ صُدُورِ جَمِيعِ المَذْكُورَات؛ قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي ذَمِّ أَهْلِ الكِتَاب: {لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ}(١)، وَقَال تَعَالَى أَيْضًا: {كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ}(٢)

وَاخْتِيَار التَّغَافُل فِي مِثْل هَذِه الوَاقِعَة مُوجِبٌ لجَسَارَة المُبْتَدِعِينَ وَتَوْهِينٌ للدِّين، وَمِنْ مَثَلِ هَذِه المُسَاهَلات تَدْعُو الجَمَاعَةُ المَهْدَوِيَّةُ مَلأَ أَهْلِ الحَقِّ هُنَاكَ إِلَى بَاطِلِهِمْ، وَيَخْتَطِفُونَ أَمْثَال الذُّبَاب وَاحِدًا وَاثْنَيْنِ فِي مُدَّةٍ قَلِيلَةٍ مِنْ أَيْدِي الثَّعَالِب، وَمَاذَا أَكْتُبُ أَزْيَدَ مِنْ ذَلِكَ؟!

وَحَيْثُ كَانَ اسْتِمَاعُ هَذَا الخَبَرِ المُوحِشِ بَاعِثًا عَلَى الاضْطِرَاب وَمُحَرِّكًا لِعِرْقِيَ الفَارُوقِيِّ ـــ: صِرْتُ مُضْطَرًّا إِلَى الإِقْدَامِ عَلَى تَحْرِيرِ كَلِمَات، وَالمَرْجُوُّ مُسَامَحَتُكُمْ وَعُذْرُكُمْ.

وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى سَائِرِ مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلَى آلِه الصَّلَوَاتُ وَالتَسْلِيمَاتُ وَالتَّحِيَّاتُ وَالبَرَكَات.

حَسَنٌ غَرِيبٌ لاَ نَعْرِفُهُ إِلاّ مِنْ هذا الوَجْهِ.، مسند أحمد: مسند البصريين، وحسنه السيوطي في الجامع الصغير ح ١٤٤٢.

(١) المائدة: ٦٣

(٢) المائدة: ٧٩

المَكْتُوبُ التاسع وَالعشْرُونَ بَعْدَ الثَّلاثَمائَة
إلى الشَّيْخِ بَديعِ الدِّينِ السَّهارَنْفُورِيِّ
فِي جَوَاب اسْتِفْسَارَاته
وَفِي بَيَانِ عَجَائِب أَحْوَال البَرْزَخ[1] الصَّغيرِ وَغَرَائِبِهَا
وَفَضِيلَة المَوْت بالطَّاعُون

الحَمْدُ للهِ وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى:

قَدْ وَصَلَت الصَّحِيفَةُ الشَّرِيفَةُ، وَقَد انْدرَجَ فِيهَا أَنَّهُ: " قَدْ ظَهَرَتْ فِي هَذهِ الحُدُود حَوَادثُ قَوِيَّةٌ:

الأُولى: الطَّاعُونُ.

وَالثَّانِيَةُ: القَحْطُ، أَعَاذَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَنِ البَلِيَّات.

وَحَرَّرْتَ أَيْضًا أَنَّهُ مَعَ وُجُود هَذه الفتَنِ يُصْرَفُ الليْل وَالنَّهَارُ فِي العبَادَة وَالمُرَاقَبَة وَالبَاطنُ مَعْمُورٌ، للهِ سُبْحَانَهُ الحَمْدُ وَالمنَّةُ عَلى ذَلكَ.

وَجَوَابُ الأَسْئلة المُنْدَرجَة فيهَا: يُقْرَأُ فِي السُّنَنِ فِي أَكْثَرِ الأَوْقَات: {قُل يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ}[2]، وَ {قُل هُوَ اللهُ أَحَدٌ}[3]، وَالمُعَوِّذَتَان.

وَالكَفَنُ المَسْنُونُ للرِّجَال: ثَلاثَةُ أَثْوَاب، وَالعمَامَةُ زَائدَةٌ فَنَقْتَصرُ عَلى المَسْنُون، وَلا تَكْتُب الجَوَابَ نامه لاحْتمَال التَّلوُّث بالقَاذُورَات، وَلَمْ يَثْبُتْ بسَنَد صَحِيحٍ، وَعَمَل عُلمَاءِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ عَلى ذَلكَ، فَإِنْ جُعل القَمِيصُ المُتَبَرَّكُ بَدَلَ قَميصِ الكَفَنِ جَازَ.

وَأَكْفَانُ الشُّهَدَاء هيَ أَثْوَابُهُمْ.

وَوَصَّى الصِّدِّيقُ الأَكْبَرُ ﷺ بِتَكْفِينه فِي ثَوْبه حَيْثُ قَالَ: " كَفِّنُونِي فِي ثَوْبَيَّ هَذَيْنِ "[4].

---

(١) البرزخ: هو الحائل بين الشيئين، ويعبر به عن عالم المثال، يعني: الحاجز بين الأجساد الكثيفة وعالم الأرواح المجردة. انظر: الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية: ٣.

(٢) الكافرون: ١

(٣) الإخلاص: ١

(٤) مسند الإمام أحمد. حديث السيدة عائشة رضي الله عنها.

وَلَمَّا كَانَ البَرْزَخُ الصَّغِيرُ مِنْ مُوَاطِنِ الدُّنْيَا مِنْ وَجْه جَازَ أَنْ يَكُونَ فيه مَجَال للتَّرَقِّي، وَأَحْوَال هَذَا المَوْطنِ فيهَا تَفَاوُتٌ فَاحِشٌ بِالنَّظَرِ إلى أَشْخَاص مُتَفَاوِتَة، وَلعَلك سَمِعْتَ أَنَّ الأَنْبيَاءَ يُصَلُّونَ فِي القُبُورِ " وَلَمَّا مَرَّ نَبِيُّنَا عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ بِقَبْرِ مُوسَى عَلَيْه السَّلامُ، لَيْلَةَ المِعْرَاجِ ــ: رَآهُ يُصَلي فِي قَبْرِه، وَلَمَّا رُقِّيَ إلى السَّمَاءِ فِي تلكَ اللحْظَة وَجَدَ الكَليمَ هُنَاكَ "(١).

وَفي مُعَامَلة هَذَا المَوْطنِ عَجَائبُ وَغَرَائِبُ، وَحَيْثُ إِنَّنَا نُكْثِرُ النَّظَرَ فِي هَذه الأَيَّامِ إِلى ذَلكَ المَوْطنِ مِنْ أَجْلِ المَرْحُومِ وَلَدي الأَعْظَم، تَظْهَرُ فيه أَسْرَارٌ غَرِيبَةٌ بِحَيْثُ إِنْ ذَكَرْتُ نُبْذَةً مِنْهَا تَكُونُ بَاعِثَةً عَلى الفتَنِ، وَسَقْفُ الجَنَّة وَإِنْ كَانَ عَرْشًا مَجيدًا وَلكنَّ القَبْرَ أَيْضًا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّة، وَإِنْ كَانَ العَقْلُ القَاصِرُ عَاجِزًا عَنْ تَصْوِيرِه.

وَالنَّاظِرُ إلى تلكَ الأُعْجُوبَات هُوَ عَيْنٌ أُخْرَى، وَمُجَرَّدُ الإِيمَان ــ وَإِنْ كَانَ مُنْجيًا بَعْدَ اللتَيَّا وَالتي ــ وَلكنَّ رَفْعَ الكَلمَة الطَّيِّبَة مَرْبُوطٌ بِالعَمَلِ الصَّالِحِ وَالفرَارُ منَ المَوْت كَبِيرَةٌ كَالفرَارِ يَوْمَ الزَّحْف، وَمَنْ ثَبَتَ فِي أَرْضِ الوَبَاءِ صَبْرًا وَمَاتَ فَهُوَ منَ الشُّهَدَاءِ وَمَأْمُونٌ مِنْ فتْنَة القَبْرِ، وَالذي صَبَرَ وَلَمْ يَمُتْ فَهُوَ منَ الغُزَاة.

فَإِنْ قَالَ لي مُتْ مُتُّ سَمْعًا وَطَاعَةً   وَقُلتُ لدَاعي المَوْت أَهْلا وَمَرْحَبًا

وَقَدْ أَعْجَزَنِي البَلغَمُ وَالسُّعَال مُنْذُ أَيَّامٍ، وَبَلغَ ضَعْفُ البَدَنِ نهَايَتَهُ، فَاقْتَصَرْنَا عَلى الأَجْوِبَة بِالضَّرُورَة ،،، ،،، ،،، ،،، وَالسَّلامُ.

وعزاه الزيلعي للإمام أحمد في الزهد.، عبد الرزاق في المصنف عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة.انظر: نصب الراية: كتاب الصلاة. باب الجنائز. فصل في التكفين. ح٣

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: أحاديث عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف

عن بن جريج عن عمرو بن دينار عن بن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ مر بقبر موسى عليه السلام وهو يصلي في قبره .

المَكْتُوبُ الثَّلاثُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائة
إلى المِرْزَا حُسَامِ الدِّينِ أَحْمَدَ
فِي بَيَانِ أَنَّ مُصِيبَاتِ هَذَا العَالَمِ وَإِنْ كَانَتْ فِي الظَّاهِرِ جِرَاحَات وَلَكِنَّهَا مَرَاهِمُ فِي الحَقِيقَةِ وَبَاعِثَةٌ لِتَرَقِّيَاتٍ كَثِيرَةٍ وَفِي فَضِيلَةِ مَوْتِ الطَّاعُونِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

وَبَعْدَ الحَمْدِ وَالصَّلَوَاتُ وَتَبْلِيغِ الدَّعَوَات:

لِيُعْلَـــمَ: إنَّ الصَّحِيفَةَ الشَّرِيفَةَ المُرْسَلَةَ مَعَ الشَّيْخِ مُصْطَفَى فِي بَابِ التَّعْزِيَةِ والمُصِيبَاتِ قَدْ تَشَرَّفْتُ بِمُلاحَظَةِ مَضْمُونِهَا، " إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ "، وَهَذِهِ المُصِيبَاتُ جِرَاحَاتٌ فِي الظَّاهِرِ، وَلَكِنَّهَا مَرَاهِمُ فِي الحَقِيقَةِ وَمُوجِبَةٌ لِلتَّرَقِّيَاتِ وَالثَّمَرَاتِ، وَالنَّتَائِجِ المُرَتَّبَةِ عَلَيْهَا بِعِنَايَةِ اللهِ تَعَالَى عُشْرُ عُشَيْرِ تِلْكَ الثَّمَرَاتِ المُتَوَقَّعَةِ المَأْمُولَةِ بِعِنَايَةِ اللهِ تَعَالَى فِي الآخِرَةِ؛ فَوُجُودُ الأَوْلادِ عَيْنُ الرَّحْمَةِ حَيْثُ إِنَّ فِي حَيَاتِهِمْ مَنَافِعُ وَفَوَائِدُ، وَفِي مَمَاتِهِمْ أَيْضًا تَرْتِيبُ الثَّمَرَاتِ وَالنَّتَائِجِ.

ذَكَرَ الإِمَامُ الأَجَلُ مُحْيِي السُّنَّةِ فِي حِلْيَةِ الأَبْرَارِ: أَنَّهُ وَقَعَ الطَّاعُونُ فِي زَمَنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ــ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، وَمَاتَ فِي ذَلِكَ الطَّاعُونِ ثَلاثَةٌ وَثَمَانُونَ ابْنًا لأَنَسٍ ﷺ خَادِمِ نَبِيِّنَا ــ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ ــ وَقَدْ دَعَا لَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِالبَرَكَةِ، وَمَاتَ أَرْبَعُونَ ابْنًا لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

فَإِذَا عُومِلَ بِأَصْحَابِ خَيْرِ الأَنَامِ ــ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ هَذِهِ المُعَامَلَةُ، فَأَيُّ حِسَابٍ لأَمْثَالِنَا العَاصِينَ؟!

وَقَدْ وَرَدَ فِي الخَبَرِ: أَنَّ الطَّاعُونَ كَانَ عَذَابًا لِلأُمَمِ السَّابِقَةِ، وَهُوَ شَهَادَةٌ لِهَذِهِ الأُمَّةِ ".

وَالحَقُّ أَنَّ الذينَ يَمُوتُونَ فِي هَذَا الوَبَاءِ يَذْهَبُونَ حَاضِرِينَ مُتَوَّجِينَ عَلَى وَجْهٍ يُقْضَى مِنْهُ العَجَبُ حَتَّى يَتَمَنَّى الإِنْسَانُ اللحَاقَ فِي هَذِهِ الأَيَّامِ بِهَؤُلاءِ الجَمَاعَةِ أَرْبَابِ البَلاءِ وَنَقْلِ الحُمُولِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الآخِرَةِ، وَهَذَا البَلاءُ فِي هَذِهِ الأَيَّامِ بِهَؤُلاءِ الجَمَاعَةِ أَرْبَابِ البَلاءِ ـــ: غَضَبٌ فِي الظَّاهِرِ رَحْمَةٌ فِي البَاطِنِ.

وَقَال الشَّيْخُ طَاهِرٌ " رَأَيْتُ شَخْصًا فِي هُورَ فِي أَيَّامِ الطَّاعُونِ يَقُول: مَنْ لَمْ يَمُتْ فِي هَذه الأَيَّامِ فَهُوَ مُتَحَسِّرٌ "

نَعَـــمْ: إِذَا أُجِيل النَّظَرُ فِي أَحْوَال هَؤُلاءِ المَاضِينَ تُشَاهدُ أَحْوَالاً غَرِيبَةً وَمُعَامَلات عَجِيبَةً لاَ يَمْتَازُ بِهَذِهِ الخَصَائِصِ غَيْرُ الشُّهَدَاءِ فِي سَبِيلِ اللهِ، يَعْنِي: لاَ يَنَالهَا غَيْرُهُمْ.

أَيُّهَا المَخْـــدُومُ: إِنَّ مُفَارَقَةَ وَلَدي الأَعَزِّ ــ قُدِّسَ سِرُّهُ ــ مِنْ أَعْظَمِ المَصَائِبِ، لاَ يُعْلَمُ كَوْنُ شَخْصٍ مُصَابًا بِمثْلِ هَذه المُصِيبَة.

وَأَمَّا الصَّبْرُ وَالشُّكْرُ اللذَان رَزَقَهُمَا اللهُ سُبْحَانَهُ لهَذَا الضَّعِيف فِي هَذه المُصِيبَة فَمنْ أَجَل إِحْسَانه وَأَعْظَم إِنْعَامه سُبْحَانَهُ وَتَعَالى، وَأَسْأَل اللهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يُؤَخِّرَ جَزَاءَ هَذه المُصِيبَة إِلَى الآخرَة، وَأَنْ يَكُونَ مُعَدًّا لَهَا، وَأَنْ لاَ يَظْهَرَ شَيْءٌ منْهُ فِي الدُّنْيَا، وَإِنْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ هَذه المَسْأَلَةَ منْ ضِيقِ الصَّدْرِ وَإِلا فَهُوَ تَعَالى وَاسِعُ الرَّحْمَة {فَلله الآخرَةُ وَالأُولى}(١).

المَسْئُول منَ الإِخْوَان: الإِمْدَادُ وَالإِعَانَةُ، وَدُعَاءُ سَلامَة الخَاتمَة، وَالعَفْوُ عَنِ الزَّلات اللازمَة للبَشَرِيَّة، وَالتَّجَاوُزُ عَنِ التقصيرات النَّاشئَة منَ البَشَرِيَّة، {رَبَّنَا اغْفرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَانْصُرْنَا عَلى القَوْمِ الكَافرِينَ}(٢)، {وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَسَائِرِ مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}(٣).

---

(١) ــ الآية: ٢٥ من سورة النجم.

(٢) البقرة:٢٨٦

(٣) طـــه: ٤٧

المَكْتُوبُ الحَادِي الثَّلاثُونَ بَعْدَ الثَّلاثِمائَةِ
إلى الشَّيْخ جَمَال الدِّين الناكوري
في بَيَانِ نَصِيبِ عُلمَاءِ الظَّاهِرِ وَنَصِيبِ العُلمَاءِ الرَّاسِخِينَ وَنَصِيبِ الصُّوفِيَّةِ وَجَوَابِ التماسه

الحَمْدُ للهِ وَسَلامٌ عَلى عِبَادِه الذينَ اصْطَفَى:

" العُلمَاءُ وَرَثَةُ الأنْبيَاءِ " كَافٍ فِي مُدْحَةِ العُلمَاءِ، وَعِلمُ الوِرَاثَةِ هُوَ عِلمُ الشَّرِيعَةِ؛ فَإنَّهُ هُوَ الذي بَقِيَ مِنَ الأنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلوَاتُ والتَّسْلِيمَاتُ.

وَلعلمِ الشَّرِيعَةِ صُورَةٌ وَحَقِيقَةٌ:

وَصُورَتُـــــهُ: هِيَ نَصِيبُ عُلمَاءِ الظَّاهِرِ ــ شَكَرَ اللهُ تَعَالى سَعْيَهُمْ ــ وَهِيَ التِي تَتَعَلقُ بِمُحْكَمَاتِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَحَقِيقَتُـــــهُ: هِيَ نَصِيبُ العُلمَاءِ الرَّاسِخِينَ ــ رَضِيَ اللهُ تَعَالى عَنْهُمْ ــ وَهِيَ التِي تَتَعَلقُ بِمُتَشَابِهَاتِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَالمُحْكَمَاتُ وَإنْ كُنَّ أُمَّ الكِتَابِ وَلكِنَّ ثَمرَاته وَنَتَائِجَهُ المُتَشَابِهَات اللائِي هُنَّ مَقَاصِدُ الكِتَابِ، وَلَيْسَ الأُمَّهَاتُ سِوَى أَنْ يَكُنَّ وَسَائِل لِحُصُول نَتَائِجَ فَكَانَ فِي الكِتَابِ المُتَشَابِهَاتُ وَالمُحْكَمَاتُ قِشْر ذَلِكَ اللبِّ، وَالمُتَشَابِهَاتُ هِيَ التِي تُبَيِّنُ الأَصْلَ بِالرَّمْزِ وَالإشَارَةِ، وَتَكْشِفُ عَنْ وَجْهِ حَقِيقَةِ تِلكَ المُعَامَلةِ.

وَالعُلمَاءُ الرَّاسِخُونَ جَمَعُوا بَيْنَ القِشْرِ وَاللبِّ، وَحَازُوا مَجْمُوعَ صُورَةِ الشَّرِيعَةِ وَحَقِيقَتِهَا، وَالكُبَرَاءُ تَصَوَّرُوا الشَّرِيعَةَ كَشَخْصٍ يَكُونُ قِشْرُهُ وَلُبُّهُ مِنْ صُورَةِ الشَّرِيعَةِ وَحَقِيقَتِهَا، وَوَجَدُوا عِلمَ أَحْكَامِ الشرائِعِ صُورَةَ الشَّرِيعَةِ وَعِلمَ الحقائِقِ وَالأَسْرَارِ حَقِيقَةَ الشَّرِيعَةِ، وَصَارَتْ طَائِفَةٌ مَفْتُونَةً بِصُورَةِ الشَّرِيعَةِ، وَأَنْكَرُوا حَقِيقَتَهَا وَلَمْ يَعْرِفُوا لأَنْفُسِهِمْ شَيْخًا وَمُقْتَدًى بِه غَيْرَ الهِدَايَةِ وَالبَزْدَوِيِّ وَطَائِفَةٌ أُخْرَى، وَإنْ حَصَلَتْ لهُمْ عَلاقَةٌ بِتِلكَ الحَقِيقَةِ وَلكِنَّهُمْ لمَّا لمْ يَعْرِفُوهَا حَقِيقَةً لشَّرِيعَةِ، بَل زَعَمُوا الشَّرِيعَةَ مَقْصُورَةً عَلى الصُّورَةِ وَظَنُّوهَا قِشْرًا فَقَطْ وَتَصَوَّرُوا اللبَّ وَرَاءَهَا ــ: فَلا جَرَمَ لمْ يُدْرِكُوا حَقِيقَةَ تِلكَ الحَقِيقَةِ، وَلَمْ يَنَالوا نَصِيبًا مِنَ المُتَشَابِهَاتِ، وَالعُلمَاءُ الرَّاسِخُونَ هُمُ الوَارِثُونَ فِي الحَقِيقَةِ، جَعَلنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإيَّاكُمْ مِنْ مُحِبِّيهِمْ وَمُقْتَفِي آثَارِهِمْ.

ثُمَّ إنَّ أخِي الشَّيْخَ ميان نُور مُحَمَّد أَظْهَرَ مِنْ جَانبكُمْ بأَنَّكُمْ قُلتُمْ: إنَّ لنَا إجَازَات مِنْ مشائخ السَّلاسل الأُخَر، وَنُرِيدُ من جَانب النَّقْشَبَنْدِيَّة أَيْضًا إجَازَةً:

أَيُّهَا المَخْدُومُ المُكَرَّمُ: إنَّ المَشْيَخَةَ وَالمُرِيدِيَّةَ في الطَّرِيقَة[1] النَّقْشَبَنْدِيَّة العَلِيَّة بتَعليم الطَّرِيقَة وَتَعلمهَا، لاَ بالكَلاء وَالشَّجَرَة كَمَا هُوَ مُتَعَارَفٌ في سَلاسل أُخَرَ، وَطَرِيقُ هَؤُلاءِ الأَكَابِرِ صُحْبَةٌ، وَتَرْبيَتُهُمْ انْعكَاسيَّةٌ، فَلا جَرَمَ انْدَرَجَتْ في بدَايَتهمْ نهَايَةُ الآخرينَ، وَصَارَ طَرِيقُهُمْ أَقْرَبَ الطُّرُق، وَنَظَرُهُمْ شفَاءَ الأَمْرَاضِ القَلبيَّة، وَتَوَجُّهُهُمْ دَافعَ العلل المَعْنَويَّة، شعْـــرٌ:

مَا أَحْسَنَ النَّقْشَبَنْدِيِّينَ سِيرَتَهُمْ يَمْشُونَ بِالرَّكْبِ مُخْفِيِّينَ للحَرَمِ

وَالمَرْجُوُّ مُسَامَحَتُكُمْ، (ع):

وَالعُذْرُ عِنْدَ كِرَامِ النَّاسِ مَقْبُول

وَالسَّلامُ.

---

(١) - الطريقة: هي السيرة المختصة بالسالكين إلى الله من قطع المنازل والترقي في المقامات. انظر: الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية: ٨٥

المَكْتُوبُ الثَّاني وَالثَّلاثُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائَة
إلى المير مُحبِّ الله
في التَّحْرِيضِ عَلى اتِّبَاعِ السُّنَّة السَّنِيَّة وَالتَّحْذيرِ مِنَ ارْتِكَابِ البِدْعَة الغَيْرِ المَرْضِيَة وَمَا يُناسِبُ ذلكَ

بَعْدَ الحَمْدِ وَالصَّلَوَاتِ وَتَبْلِيغِ الدَّعَوَاتِ:

لِيُعْلَمَ أخِي الأعَزُّ السَّيِّدُ مُحِبُّ الله: أَنَّ أحْوَالَ فُقَرَاءِ هَذه الحُدُود وَأوْضَاعَهُمْ مُسْتَوْجِبَةٌ للحَمْد، وَالمَسْئُولَ مِنَ الله سُبْحَانَهُ سَلامَتُكُمْ وَثَبَاتُكُمْ وَاسْتِقَامَتُكُمْ، وَلَمْ يُطَّلَعْ فِي هَذِهِ المُدَّةِ عَلى أَحْوَالِ فُقَرَاءِ تلكَ الحُدُودِ؛ فَإنَّ بُعْدَ المَسَافَةِ مِنَ المَوَانِعِ.

النَّصِيحَةُ هِيَ الدِّينُ وَمُتَابَعَةُ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، وَإتْيَانُ السُّنَّة السَّنِيَّة وَالاجْتنَابُ عَنِ البِدْعَة الغَيْرِ المَرْضِيَّة، وَإنْ كَانَت البِدْعَةُ تُرَى مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، لَكنَّهَا لاَ نُورَ لَهَا في الحَقِيقَة وَلا ضِيَاء، وَلا للعَلِيل مِنْهَا شفَاءٌ، وَلا للدَّاءِ منْهَا دَوَاءٌ، كَيْفَ وَالبدْعَةُ إمَّا رَافعَةٌ للسُّنَّة أَوْ سَاكتَةٌ عَنْهَا؟! وَالسَّاكِتَةُ لاَ بُدَّ وَأَنْ تَكُونَ زَائدَةً عَلى السُّنَّة فَتَكُونُ نَاسِخَةً لَهَا في الحَقِيقَة أَيْضًا، لاَ الزِّيَادَةُ عَلى النَّصِّ نَسْخٌ لهُ؛ فَالبدْعَةُ كَيْفَ كَانَتْ تَكُونُ رَافعَةً للسُّنَّة نَقيضَةً لَهَا؛ فَلا خَيْرَ فيهَا وَلا حُسْنَ، فَيَا لَيْتَ شعْرِي منْ أَيْنَ حَكَمُوا بِحُسْنِ البدْعَة المُحْدَثَة في الدِّينِ الكَامل وَالإسْلامِ المَرْضِيِّ بَعْدَ إتْمَامِ النِّعْمَة؟! أَوَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الإحْدَاثَ بَعْدَ الإكْمَال وَالإتْمَامِ وَحُصُول الرِّضَاء بمَعْزِل عَنِ الحُسْنِ؟! فَمَاذَا بَعْدَ الحَقِّ إلا الضَّلال؟!

وَلَوْ عَلمُوا أَنَّ الحُكْمَ بحُسْنِ المُحْدَث في الدِّينِ الكَامل مُسْتَلزِمٌ لعَدَمِ كَمَاله وَمُنْبِئٌ عَنْ عَدَمِ تَمَامِ النِّعْمَة، لَمَا اجْتَرَأُوا عَلَيْه {رَبَّنَا لاَ تُؤَاخذْنَا إنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا}(١) وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَعَلى مَنْ لدَيْكُمْ.

---

(١) البقرة: ٢٨٦

المَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالثَّلاثُون بَعْدَ الثَّلاثمائَة
إلى مَوْلانَا مُحَمَّد طَاهِرِ البَدَخْشِيِّ
في فَضَائِل الصَّلاة
وَالتَّحْرِيضِ فِي تَعْدِيل الأَرْكَان وَتَكْمِيل الشَّرَائِط وَالآدَاب كَمَا يَنْبَغِي وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

الحَمْدُ لله وَالسَّلامُ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى:

وَصَلَ المَكْتُوبُ الشَّرِيفُ المُرْسَل مِنْ نَوَاحِي جونفور، وَحَيْثُ كَانَ مُتَضَمِّنًا لخَبَرِ الضَّعْف، صَارَ بَاعِثًا عَلى الاضْطِرَاب وَالتَّشْوِيش؛ فَنَحْنُ الآنَ مُتَرَصِّدُون لخَبَرِ الصِّحَّة فَأَرْسِلوهُ مَعَ الوَارِدِينَ، وَاكْتُبُوا كَيْفِيَّات الأَحْوَال

أَيُّهَا المُحِبُّ: إنَّ هَذه الدَّارَ لَمَّا كَانَتْ دَارَ العَمَل ــ وَدَارُ الجَزَاء هِيَ دَارُ الآخِرَة ــ يَنْبَغِي السَّعْيُ فِي إتْيَان الأَعْمَال الصَّالحَة، وَأَفْضَل الأَعْمَال وَأَحْسَنُ العِبَادَات هِيَ إقَامَةُ الصَّلاة التي هِيَ عِمَادُ الدِّين وَمِعْرَاجُ المُؤْمِنينَ، فيَنْبَغي رِعَايَةُ جَانب الاهْتِمَامِ التَّامِّ فِي أَدَائهَا، وَالاحْتِيَاطُ فيهَا حَتَّى يُؤَدَّى كُل وَاحد مِنْ أَرْكَانهَا وَشَرَائطهَا وَسُنَنهَا وَآدَابهَا كَمَا يَنْبَغِي وَيَليقُ، ويَنْبَغي المُبَالغَةُ مُكَرَّرَةً في رِعَايَة الطُّمَأْنِينَة وَتَعْديل الأَرْكَان، وَوَرَدَ فِي حَقِّ هَؤُلاء الجَمَاعَة وَعِيدٌ كَثِيرٌ وَتَهْدِيدٌ شَديدٌ، فَإذَا صَحَّت الصَّلاةُ وَكَمُلَتْ فقَدْ تَيَسَّرَ رَجَاءٌ عَظِيمٌ لأَجْل النَّجَاة؛ لأَنَّ الدِّينَ كَانَ قَائمًا حِينَئذ وَبَلغَ مِعْرَاجَ العُرُوجِ عَلى التَّمَام.

وَعَلَيْكُمُ بالسُّكْرِ يَا أَهْل صُفْرَا   عَلى رَغْمِ ذَوِي السَّوْدَاء

وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَعَلى سَائرِ مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلَوَاتُ وَالتَسْليمَاتُ العُلى.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالثَّلاَثُونَ بَعْدَ الثَّلاَثمائَة
إلى الشَّيْخ مُحَمَّد صدِّيقِ المُلقَّب بالهِدَايَة
فِي بَيَان أَنَّ المُرَادَ بالقَلب الوَاقِع في الحَدِيثِ القُدُسيِّ " لاَ يَسعُني أَرْضي " إلخ هُوَ المُضغَةُ لاَ الحَقِيقَةُ الجَامعَةُ التي أَخْبَرَ بَعْضُ المشائخِ عَنْ وُسْعَتِهَا وَمَا يَتعَلقُ بذَلكَ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى:

قَدْ كَتَبْتَ مَا بكَ، ذَكَرْتَ في مَكْتُوبَاتكَ وَرَسَائلكَ بأَنَّ الظُّهُورَ القلبيَّ لمْعَةٌ منَ الظُّهُورِ العَرْشيِّ وَالفَضْل الكُليَّ إنَّمَا هُوَ للظُّهُور العَرْشيِّ، وَقَدْ وَرَدَ في الحَديث القُدُسيِّ: " لاَ يَسَعُني أَرْضي وَلا سَمَائي وَلكنْ وَسعَني قَلبُ عَبْدي المُؤْمن"[١].

وَيَلزَمُ منْ هَذَا الحَديث أنْ يَكُونَ الظُّهُورُ القَلبيُّ أَتَمَّ وَأَنْ يَكُونَ الفَضْل لهُ.

أَيُّهَا المُحِبُّ: إنَّ حَل هَذَا السؤال مَبْنيٌّ عَلى مُقَدِّمَة:

اعْلَمْ: أَنَّ أَرْبَابَ الولاَيَة يَقُولونَ: " قَلبًا "، وَيُريدُونَ به الحَقيقَةَ الجَامعَةَ الإنْسَانيَّةَ، التي هيَ منْ عَالمِ الأَمْر، وَالقَلبُ في لسَان النُّبُوَّة ـ عَلى صَاحبهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ ـ عبَارَةٌ عَنِ المُضْغَة التي صَلاحُ البَدَن مَرْبُوطٌ بصَلاحهَا،

(١) **لا أصل له**: قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: لم أر له أصلا.، وقال السيوطي في زيادة الجامع الصغير: لا أصل له.، وكذا قال المناوي في فيض القدير.

وحكى العجلوني عن ابن تيمية: أنه مذكور في الإسرائيليات وليس له إسناد معروف عن النبي ﷺ.

وقال صاحب المقاصد تبعا لشيخه في اللآلئ: ليس له إسناد معروف عن النبي ﷺ ومعناه وسع قلبه الإيمان بي ومحبتي ومعرفتي. وإلا فمن قال إن الله يحل في قلوب الناس فهو أكفر من النصارى الذين خصوا ذلك بالمسيح وحده وكأنه أشار بما في الإسرائيليات إلى ما أخرجه أحمد في الزهد عن وهب بن منبه قال إن الله فتح السماوات لحزقيل حتى نظر إلى العرش فقال حزقيل سبحانك ما أعظمك يا رب فقال الله إن السماوات والأرض ضعفن عن أن يسعنني ووسعني قلب عبدي المؤمن الوادع اللين،

ونقل عن خط الزركشي أن بعض العلماء قال إنه حديث باطل وأنه من وضع الملاحدة وأكثر ما يرويه المتكلم على رؤوس العوام علي بن وفا لمقاصد يقصدها ويقول عند الوجد والرقص طوفوا بيت ربكم. (كشف الخفاء ح٢٢٥٦.) وبنحو قول ابن تيمية – رحمه الله – قال الفتني في تذكرة الموضوعات: كتاب العلم. باب إن القلب بيت الرب ووسيعه وإن الأرواح جنود.

وَفَسَادُ البَدَنِ مَنُوطٌ بِفَسَادِهَا، كَمَا وَرَدَ فِي الحَدِيثِ النَّبَوِيِّ ـــ عَلَيْهِ وَعَلَى آله الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ ـــ: " إِنَّ فِي جَسَدِ ابْنِ آدَمَ لَمُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلحَ الجَسَدُ كُلهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلهُ أَلا وَهِيَ القَلبُ"[1] وَوَسَعَةُ القَلبِ لازِمٌ لإِطْلاقِ الأَوَّلِ، وَمِنْ هَهُنَا أَخْبَرَ أَبُو يَزِيدَ وَالجُنَيْدُ عَنْ وُسْعَةِ القَلبِ، وَظَنُّوا العَرْشَ وَمَا فِيهِ مُحَقَّرًا فِي جَنْبِ عَظَمَةِ القَلبِ.

وَضِيقُ القَلبِ لازِمُ الإِطْلاقِ الثَّانِي، وَضِيقُ القَلبِ فِي هَذَا المَقَامِ عَلَى نَهْجٍ لاَ مَجَالَ فِيهِ لِلجُزْءِ الذِي لاَ يَتَجَزَّئُ الذِي هُوَ أَحْقَرُ الأَشْيَاءِ وَأَصْغَرُهَا، وَإِذَا نُسِبَ ضِيقُ القَلبِ فِي بَعْضِ الأَوْقَاتِ إِلَى الجُزْءِ الذِي لاَ يَتَجَزَّئُ وَقِيسَ عَلَيْهِ يَظْهَرُ ذَلِكَ الجُزْءُ المُحَقَّرُ فِي النَّظَرِ مِثْلَ طَبَقَاتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَهَذِهِ المُعَامَلةُ وَرَاءَ طَوْرِ نَظَرِ العَقْلِ؛ فَلا تَكُنْ مِنَ المُمْتَرِينَ

هَذَا فَإِذَا عَلِمْتَ هَذِهِ المُقَدِّمَةَ فَاعْلمْ أَنَّ: الظُّهُورَ الذِي هُوَ مَرْبُوطٌ بِالحَقِيقَةِ الجَامِعَةِ لاَ شَكَّ أَنَّهُ لُمْعَةٌ[2] بِالنِّسْبَةِ إِلَى لظُّهُورِ العَرْشِيِّ التَّامِّ، وَالفَضْلُ الكُليُّ فِي هَذَا المَقَامِ لِلعَرْشِ.

وَمَا قَال الشَّيْخُ أَبُو يَزِيدَ وَالشَّيْخُ جُنَيْدٌ مِنْ أَنَّ القَلبَ أَوْسَعُ مِنَ الكُلِ وَتَخَيَّلا العَرْشَ وَمَا فِيهِ شَيْئًا مُحَقَّرًا فِي جَنْبِهِ ـــ: فَهُوَ مِنْ قَبِيلِ اشْتِبَاهِ الشَّيْءِ بِأُنْمُوذَجِ الشَّيْءِ حَيْثُ إِنَّهُمَا لمَّا رَأَيَا أُنْمُوذَجَاتِ العَرْشِ وَمَا فِيهِ مُحَقَّرًا فِي جَنْبِ جَامِعِيَّةِ[3] القَلبِ حَكَمُوا عَلَى حَقَائِقِ العَرْشِ وَمَا فِيهِ.

وَقَدْ كَتَبَ هَذَا الفَقِيرُ مَنْشَأَ هَذَا الاشْتِبَاهِ فِي كُتُبِهِ وَرَسَائِلِهِ مُكَرَّرًا، وَمَا وَرَدَ فِي الحَدِيثِ القُدُسِيِّ مُوَافِقٌ لِلسَانِ الأَنْبِيَاءِ ـــ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ـــ وَالمُرَادُ بِهِ هُوَ المُضْغَةُ، وَلا شَكَّ أَنَّ الظُّهُورَ الأَتَمَّ هُوَ هُنَا، وَمِرْآتِيَّةُ أَحَدِيَّةِ الذَّاتِ المُجَرَّدَةِ مُسَلمَةٌ لهُ،

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الإيمان. باب: فضل من استبرأ لدينه. ح ٥٢.، ومسلم: ك: المساقاة، ب: أخذ الحلال وترك الشبهات. ح١٠٧.

(٢) اللمعة مفرد لوامع، وهي: الأنوار الساطعة التي تلمع لأهل البدايات من أرباب النفوس الضعيفة الطاهرة، فتنعكس من الخيال إلى الحس المشترك، فتصير مشاهدة بالحواس الظاهرة، فيتراءى لهم أنوا ر كأنوار الشهب والشمس والقمر فتضيئ ما حولهم. وهي إما من غلبة أنوار القهر والوعيد على النفس فتضرب إلى الحمرة، إما من غلبة أنوار اللطف والوعد فتضرب إلى الخضرة والفقوع. انظر: الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية: ٩٢.

(٣) الجمعية: هي إجتماع الهم في التوجه إلى الله والإشتغال به عما سواه، وبإزائها التفرقة، وهي: توزع الخاطر للإشتغال بالخلق.انظر: الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية:٦٧.

وَالعَرْشُ ــ وَإِنْ كَانَ لَهُ مِنَ الظُّهُورِ التَّامِّ الذي هُوَ ظُهُورُ الأَصْلِ نَصِيبٌ وَافِرٌ ــ وَلكِنْ فِي ذَلِكَ المَوْطِنِ امْتِزَاجُ الصِّفَات، وَحَيْثُ كَانَتِ الصِّفَاتُ ظِلال حَضْرَةِ الذَّاتِ فِي الحَقِيقَةِ لاَ يَكُونُ ذَلِكَ الظُّهُورُ خَالِيًا عَنْ شَائِبَةِ الظِّلِّيَّةِ، وَمِنْ هَهُنَا لِلعَرْشِ تَوَقُّعَاتٌ مِنَ الظُّهُورِ الإِنْسَانِيِّ الذي يَتَعَلَّقُ بِالأَصْلِ الصِّرْفِ، وَمَرْكَزُ هَذِهِ المُعَامَلَةِ هُوَ الإِنْسَانُ.

فَــإِنْ قِيــــــل: المَفْهُومُ مِنَ الحَدِيثِ وُسْعَةُ القَلبِ وَأَنْتَ تَقُول: إِنَّهُ ضَيِّقٌ جِدًّا:

أُجِيـــــبَ: أَنَّ كَوْنَهُ ضَيِّقًا إِنَّمَا هُوَ بِاعْتِبَارِ عَدَمِ اتِّسَاعِهِ لِمَا سِوَى الحَقِّ سُبْحَانَهُ، وَوُسْعَتُهُ بِاعْتِبَارِ ظُهُورِ أَنْوَارِ القِدَمِ فِيهِ؛ فَلا مُنَافَاةَ.

وَهَذَا الفَقِيرُ عَبَّرَ عَنْ ذَلِكَ القَلبِ فِي بَعْضِ رَسَائِلِهِ بِهَذِهِ العِبَارَةِ: " الضَّيِّقُ الأَوْسَعُ البَسِيطُ الأَبْسَطُ وَالأَقَل الأَكْثَرُ ".

فَــإِنْ قِيــــــل: إِنَّ المُسْتَحِقَّ لِلفَضِيلَةِ هُوَ الحَقِيقَةُ الجَامِعَةُ لِكَوْنِهَا مِنْ عَالَمِ الأَمْرِ، وَالمُضْغَةَ مِنْ عَالَمِ الخَلقِ وَمُرَكَّبٌ مِنَ العَنَاصِرِ، فَمِنْ أَيْنَ نَال هَذِهِ الفَضِيلَةَ؟!

أُجِيـــــبَ: أَنَّ لِعَالَمِ الخَلقِ مَزِيَّةً عَلَى عَالَمِ الأَمْرِ يَقْصُرُ عَنْ إِدْرَاكِهَا أَفْهَامُ العَوَامِّ؛ بَل لاَ يُدْرِكُهَا أَكْثَرُ الخَوَاصِّ، وَهَذَا الفَقِيرُ قَدْ أَوْضَحَ هَذَا المَعْنَى فِي المَكْتُوبِ الذي حُرِّرَ لِوَلَدِي الأَعْظَمِ المَرْحُومِ فِي بَيَانِ الطَّرِيقِ فَإِنْ بَقِيَ تَرَدُّدٌ فَلْيُطْلَبِ التَّشَفِّي مِنْ هُنَاكَ.

وَاسْتَمِعِ الآنَ بَيَانَ حَقِيقَةِ هَذِهِ المُضْغَةِ وَاعْلَمْ أَنَّهَا لِلعَوَامِّ مُضْغَةٌ حَاصِلَةٌ مِنْ تَرَكُّبِ العَنَاصِرِ الأَرْبَعَةِ، وَلِلخَوَاصِّ، بَل لأَخَصِّ الخَوَاصِّ ــ: مُضْغَةٌ مُصَوَّرَةٌ مِنْ تَرَكُّبِ الأَجْزَاءِ العَشْرَةِ بَعْدَ:

- السُّلوك.
- وَالجَذْبَة.
- وَبَعْدَ التَّصْفِيَة(١).
- وَالتَّزْكِيَة.
- وَبَعْدَ تَمْكِينِ القَلبِ.
- وَاطْمِئْنَانِ النَّفْسِ.

---

(١) **التصفية**: هي مجاهدة العبد نفسه في تصفية الأخلاق الدنيئة مثل الشح والرغبة والمذمة، والحقد والجفوة، وغيرذلك. انظر: الحكيم الترمذي: ختم الأولياء: ١٣٢.

بَل بِمَحْضِ فَضْلِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَكَرَمِهِ جَل سُلطَانُهُ أَرْبَعَةُ أَجْزَاءٍ مِنَ العَنَاصِرِ، وَوَاحِدٌ مِنَ النَّفسِ المُطْمَئِنَّةِ، وَخَمْسَةُ أَجْزَاءٍ مِنْ عَالَمِ الأَمْرِ، وَمَعَ وُجُودِ التَّضَادِّ[١] وَالتَّبَايُنِ[٢] بَيْنَ تِلْكَ الأَجْزَاءِ زَالَتْ صُورَةُ التَّضَادِّ وَالتَّبَايُنِ مِنْ بَيْنِهَا بِقُدْرَةِ وَاجِبِ الوُجُودِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ، وَاجْتَمَعَتْ وَحَصَلَتْ مِنَ اجْتِمَاعِهَا هَيْئَةٌ وَحْدَانِيَّةٌ أُعْجُوبَةٌ، وَالجُزْءُ الأَعْظَمُ فِي هَذِهِ المُعَامَلَةِ هُوَ العُنْصُرُ التُّرَابِيُّ، وَهَذِهِ الهَيْئَةُ الوَحْدَانِيَّةُ أَيْضاً شَابَهَت الجُزْءَ الأَرْضِيَّ وَاسْتَقَرَّ فِي التُّرَابِ.

كُنْ أَرْضاً فَيَنْبُتْ فيكَ وَرْدٌ ... فَإِنَّ الوَرْدَ مَنْبَتُهُ

أَيُّهَا الأَخُ: إِنَّ يَدَ أَرْبَابِ الوِلاَيَةِ لاَ تَصِل إِلى هَذِهِ العُلومِ وَالمَعَارِفِ؛ فَإِنَّهَا مُقْتَبَسَةٌ مِنْ مِشْكَاةِ أَنْوَارِ النُّبُوَّةِ ـ عَلى صَاحِبِهَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالتَّحِيَّةُ ـ ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾[٣] وَالقَلْبُ الذِي سَأَلَ الخَلِيلُ ـ عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ـ اطْمِئْنَانَهُ هُوَ هَذِهِ المُضْغَةُ؛ فَإِنَّ حَقِيقَتَهُ الجَامِعَةَ كَانَتْ مُتَمَكِّنَةً، وَنَفْسُهُ مُطْمَئِنَّةٌ؛ فَإِنَّ التَّمْكِينَ وَالاطْمِئْنَانَ يَحْصُلانِ فِي مَرْتَبَةِ الوِلاَيَةِ التِي هِيَ مَدْرَجَةُ النُّبُوَّةِ عَلى أَرْبَابِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ.

وَالمُنَاسِبُ لِشَأْنِ النُّبُوَّةِ هُوَ تَقَلُّبُ المُضْغَةِ وَاضْطِرَابُهَا لاَ تَقَلُّبُ الحَقِيقَةِ الجَامِعَةِ؛ فَإِنَّهُ نَصِيبُ العَوَامِّ، وَالمُرَادُ بِثَبَاتِ القَلبِ الذِي طَلَبَهُ خَاتَمُ الرِّسَالَةِ ـ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلاَمُ ـ حَيْثُ قَالَ: «اللهُمَّ يَا مُقَلِّبَ القُلوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلى طَاعَتِكَ»[٤] هُوَ ثَبَاتُ هذِهِ المُضْغَةِ وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِالقَلْبِ الوَارِدِ فِي بَعْضِ

---

(١) التضاد: يكون بين معنيين مجردين يندرجان تحت جنس واحد، وبينهما غاية الخلاف. انظر: المعجم الفلسفي: ٤٤.

(٢) التباين: هو أن ينسب أحد الشيئين إلى الآخر فلا يصدق أحدهما على شيء مما يصدق عليه الآخر. المعجم الفلسفي: ٣٤.

(٣) ـ الآية ٢١ من سورة الحديد.

(٤) سنن الترمذي: ك: أبوابُ القدرِ عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ القُلوبَ بينَ إِصبُعي الرَّحمٰنِ ح ٢٢٢٦. وقال حديث حسن، وأحمد في المسند: مسند أنس بن مالك، وفي مسند الشاميين ح النواس بن سمعان، وفي حديث السيدة عائشة، وفي حديث أم سلمة، والطبراني في المعجم الكبير عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(*) وقال المناوي بعد أن عزاه للطبراني في الأوسط: حكم ابن الجوزي بوضعه وقال فيه معارك بن عباد متروك منكر الحديث قال المصنف وفيه نظر انتهى، ولم يوجهه بشيء وفي الميزان معارك قال البخاري وغيره منكر الحديث ضعفه وشيخه واهٍ ثم ساق من مناكيره هذا الخبر ثم قال: وهذا حديث باطل قد يحتج به الأزارقة الذين لو قيل لأحدهم أنت مسيلمة الكذاب لقال إن شاء الله انتهى وذكر الحافظ في

الأَحَادِيث فِي بَاب تُقَلب القَلبِ مَعْنًى شَامِل للحَقِيقَة الجَامِعَة وَالمُضْغَة نَظرًا إلى أَحْوَال الأُمَّة.

فَإِنْ قِيـل: إِنَّ هَذه المُضْغَةَ إذَا تَشَرَّفَتْ بشَرَف: " يَسَعُني قَلبُ عَبْدي المُؤمنِ " وَاسْتَحقَّتْ مرْآتيَّةَ حَضْرَةِ الذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ، كَيْفَ يُتَصَوَّرُ فيهَا التَّقلبُ وَالاضْطرَابُ وَلأَيْش تَحْتَاجُ إلى الاطْمئْنَان؟!:

أُجيـب: إنَّ الظُّهُورَ كُلمَا كَانَ أَتَمَّ وَتَخَلص عَنْ شَائبَة الشُّئُون وَالصِّفَات يَكُونُ الجَهْل وَالحَيْرَةُ أَكْثَرَ وَعَدَمُ الإدْرَاك وَالوجْدَان أَزْيَدَ وَأَوْفَرَ، وَمَعَ وُجُود هَذَا الظُّهُورِ وَمَعَ هَذه الوَسْعَة كَثيرًا مَا يُطْلَبُ الدَّليل عَلَى وُجُود الصَّانِع منْ كَمَال الجَهْل وَالحَيْرَة بحَيْثُ لاَ يَحْصُل اليَقِينُ بوُجُود الصَّانِع دُونَ الاسْتدْلال بَعْدَ الرُّجُوعِ، وَقَدْ عُلمَ فِي هَذَا المَقَامِ أَنَّهُ يُحْتَاجُ إلى الدَّليل فِي عَيْنِ الحُصُول وَالوُصُول، وَهَذَا المَقَامُ مُوَافقٌ لحَال كَمَالات مَرْتَبَة النُّبوَّة ــ عَلى صَاحبهَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالتَّحيَّةُ ــ وَذَلكَ المَقَامُ مُنَاسبٌ لحَال الوَلايَة، فَإذَا وَقَعَ لصَاحب هَذَا القَلب رُجُوعٌ إلى العَالَمِ للدَّعْوَة يَكُونُ قَلقُ قَلبه وَاضْطرَابُهُ وَتَقَلبُهُ وَتَلوُّنُهُ أَزْيَدَ وَأَكْثَرَ، فَإذَا كَانَ في عَيْنِ الوُصُول مُحْتَاجًا إلى الدَّليل بوَاسطَة الجَهْل وَالحَيْرَة يَكُونُ فِي زَمَان الفُرْقَة مُحْتَاجًا إلى الاسْتدْلال بالأَوْلى ليُحَصِّل بوَاسطَة الاسْتدْلال اطْمئْنَانًا فِي الجُمْلة.

أَوْ نَقُـول: إنَّهُ لَمَّا اخْتَفَتْ عَنْهُ الدَّوْلةُ أَيَّامًا، وَاتَّسَمَ بسمَة فُرْقَتهَا حُقَّ لَهُ أَنْ يَكُونَ قَلقًا وَمُضْطَرِبًا دَائمًا وَأَنْ يَكُونَ مَغْمُومًا وَمَحْزُونًا عَلى الدَّوَام؛ " كَانَ رَسُول الله ﷺ مُتَوَاصل الحُزْن دَائمَ الفكْر "(١).

وَلنُبَيِّنَ بَعْضَ الوُجُوه الفَارِقَة بَيْنَ هَذَيْنِ الإطلاقَيْنِ يَنْبَغِي اسْتِمَاعُهُ بِسَمْعِ العَقْل:

اللسان مثله وقال لهيثمي عقب عزوه للطبراني فيه عبد الله بن سعيد بن أبي سعيد وهو ضعيف. (فيض القدير: ح ٢٤٨٦)

وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط وفيه نهشل بن سعيد وهو متروك.(مجمع الزوائد كتاب الصلاة. أبواب العيدين.. باب الدعاء يوم العيد. ح ٣٢٢٦، وفي ح١١٩١١قال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه المعلى بن الفضل قال ابن عدي: في بعض ما يرويه نكرة،وبقية رجاله وثقوا وفيهم خلاف.، وفي ح١٧٣٨٢ قال: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح، وحسنه السيوطي في الجامع الصغير ح ٦٨٢٢.

(١) **لم أقف عليه بهذا اللفظ**: ويؤيده حديث: " كان لا ينبعث في الضحك " عزاه السيوطي للطبراني عن جابر بن سمرة ورمز لحسنه. (فيض القدير: ح٦٩٢٢)

اعْلَـــــمْ: أَنَّ الحَقِيقَةَ الجَامِعَةَ التي هِيَ مِنْ عَالَمِ الأَمْرِ يَتَيَسَّرُ لَهَا بَعْدَ التَّزْكِيَةِ وَالتَّصْفِيَةِ تَمْكِينٌ تَامٌّ بِوَصْفِ الدَّوَامِ، بِخِلافِ المُضْغَةِ؛ فَإِنَّ اطْمِئْنَانَهَا مَرْبُوطٌ بِإِدْرَاكِ الحَوَاسِّ، وَمَا لَمْ تُدْرِكِ الشَّيْءَ بِالحَوَاسِّ لاَ تَخْرُجْ مِنَ القَلَقِ؛ وَلِذَا قَالَ الخَلِيلُ ــ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ: {رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي المَوْتَى}(١)

وَالفَــارِقُ الثَّــانِي: هُوَ أَنَّ الحَقِيقَةَ الجَامِعَةَ تَتَأَثَّرُ بِالذِّكْرِ، وَإِذَا بَلَغَ الذِّكْرُ كَمَالَهُ تَتَّحِدُ بِالذِّكْرِ وَتَتَجَوْهَرُ بِهِ؛ قَالَ صَاحِبُ العَوَارِفِ ــ قُدِّسَ سِرُّهُ ــ لِهَذَا المَقَامِ: " المَقْصَدُ الأَسْنَى"، وَعَبَّرَ عَنْهُ بِذِكْرِ الذَّاتِ تَعَالَتْ، بِخِلافِ المُضْغَةِ؛ فَإِنَّهُ لاَ سَبِيلَ إِلَيْهَا لِلذِّكْرِ، فَأَيْنَ التَّأَثُّرُ وَأَيْنَ التَّجَوْهُرُ بَعْدُ؟! بَلْ فِيهَا ظُهُورُ المَذْكُورِ بِالأَصَالَةِ لاَ بِالظِّلِّيَّةِ، وَنِهَايَةُ عُرُوجِ الذِّكْرِ إِلَى دِهْلِيزِ المَذْكُورِ.

وَالفَـــرْقُ الثَّالِـــثُ: أَنَّ الحَقِيقَةَ الجَامِعَةَ إِذَا بَلَغَتْ نِهَايَةَ النِّهَايَةِ وَنَالَتْ مِنَ الوِلايَةِ الخَاصَّةِ(٢) نَصِيبًا وَافِرًا؛ حَصَلَتْ حِينَئِذٍ مِرْآتِيَّةٌ لِلْمَطْلُوبِ يَكُونُ الظَّاهِرُ فِي ظِلِّ المَكْتُوبِ لاَ عَيْنِهِ كَالمِرْآةِ الظَّاهِرَةِ؛ فَإِنَّ الظَّاهِرَ فِيهَا شَبَحُ الشَّخْصِ لاَ عَيْنُهُ بِخِلافِ المُضْغَةِ؛ فَإِنَّ الظَّاهِرَ فِيهَا عَيْنُ المَطْلُوبِ لاَ ظِلُّهُ عَلَى خِلافِ المِرْآةِ الظَّاهِرَةِ وَلِهَذَا قَالَ: " يَسَعُنِي قَلْبُ عَبْدِي المُؤْمِنِ "، وَهَذِهِ المُعَامَلَةُ وَرَاءَ طَوْرِ نَظَرِ الفِكْرِ، وَإِيَّاكَ وَتَخَيُّلَ الحُلُولِ(٣) وَالتَّمَكُّنِ هُنَا؛ فَإِنَّهُ كُفْرٌ وَزَنْدَقَةٌ، وَإِنْ لَمْ يُصَدِّقْ عَقْلُ المَعَاشِ بِأَنَّ عَيْنَ شَيْءٍ يَظْهَرُ فِي شَيْءٍ وَلا يَكُونُ لَهُ فِيهِ حُلُولٌ وَلا تَمَكُّنٌ، وَهَذَا مِنْ قُصُورِ العَقْلِ وَقِيَاسِ الغَائِبِ عَلَى الشَّاهِدِ فَلا تَكُنْ مِنَ القَاصِرِينَ.

وَالفَـــرْقُ الرَّابِـــعُ: أَنَّ الحَقِيقَةَ الجَامِعَةَ مِنْ عَالَمِ الأَمْرِ وَالمُضْغَةَ مِنْ عَالَمِ الخَلْقِ، بَلْ كُلٌّ مِنْ عَالَمِ الخَلْقِ وَالأَمْرِ جُزْءٌ بِهَا: الخَلْقُ جُزْؤُهَا الأَعْظَمُ، وَالأَمْرُ جُزْؤُهَا الأَصْغَرُ، وَمِنَ اجْتِمَاعِ هَذَيْنِ الجُزْئَيْنِ حَصَلَتْ لَهَا هَيْئَةٌ وَحْدَانِيَّةٌ، وَصَارَتْ أُعْجُوبَةَ الدَّهْرِ، وَهَذِهِ الأُعْجُوبَةُ وَإِنْ كَانَتْ مُغَايِرَةً لِعَالَمِ الخَلْقِ وَالأَمْرِ وَلَيْسَ لَهَا تَنَاسُبٌ وَتَشَابُهٌ بِوَاحِدٍ مِنْهُمَا بِوَاسِطَةِ الهَيْئَةِ التَّرْكِيبِيَّةِ وَلَكِنَّهَا مَعْدُودَةٌ مِنْ عَالَمِ الخَلْقِ؛ لأَنَّ الجُزْءَ الأَرْضِيَّ هُوَ العُمْدَةُ فِي هَذِهِ المُعَامَلَةِ، وَتَوَاضُعُ التُّرَابِ بَاعِثٌ عَلَى رِفْعَتِهِ.

---

(١) ــ الآية ٢٦٠ من سورة البقرة.

(٢) راجع تعريف الولاية والولي في معجم مصطلحات الصوفية للكاشاني ص٧٩، وراجع التعريف بالولاية اللعامة والخاصة في كتاب ختم الأولياء للحكيم الترمذي ص١٠٦.

(٣) **الحلول**: يعني ظهور الباري – سبحانه في صورة شخص. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. انظر: المعجم الفلسفي: ٦٨.

وَالفَرْقُ الخَامسُ: أَنَّ وُسْعَةَ الحَقيقَة الجَامعَة باعْتبَار ظُهُور صُورَة الأَشْيَاء فيهَا وَوُسْعَةَ المُضْغَة التي تَنْكَشفُ بَعْدَ تَضَيُّقهَا باعْتبَار سَعَتهَا للمَطْلُوب الذي هُوَ غَيْرُ مَحْدُود وَغَيْرُ مُتَنَاه، وَذَلكَ التَّضْييقُ دهْليزُ تَضَيُّقهَا؛ حَيْثُ إنَّهُ مَانعٌ لدُخُول مَا سوَى المَطْلُوب، حَتَّى لاَ يَتْرُكَ الذِّكْرَ أَنْ يَدْخُلَ في سُرَادقَات المَذْكُور، وَلا يَبْقَى شَائبَةُ الظِّلِّيَّة أَنْ تَحُومَ حَوْلَ ذَلكَ الحَريم المُقَدَّس.

وَأَيْضًا: إنَّ وَسعَةَ الأُولى ـ لَمَّا كَانَتْ فيهَا شَائبَةُ الكَيْف ـ لاَ تَليقُ أَنْ تَكُونَ مرْآةً للكَيْفيِّ، وَحَيْثُ كَانَ للثَّانيَة نَصيبٌ منَ الكَيْفيِّ لاَ تَسَعُ الكَيْفيَّ، وَالعَجَبُ أَنَّهُ يَطْرَأُ عَلى هَذَا القَلب بَعْدَ الرُّجُوع للدَّعْوَة ظُلمَةٌ وَغَيْنٌ؛ وَمنْ هُنَا قَال سَيِّدُ البَشَر ـ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلَوَاتُ وَالتَسْليمَاتُ ـ: "**إنَّهُ لَيُغَانُ عَلى قَلبي**"(١)، وَإلى مَتَى أُبَيِّنُ الفَرْقَ مَا للتُّرَاب وَرَبِّ الأَرْبَاب.

أَيُّهَا الأَخُ: إيَّاكَ وَتَخيُّل هَذه المُضْغَة قطْعَةَ لَحْم لاَ يُعْبَأُ بهَا؛ فَإنَّهَا جَوْهَرَةٌ نَفيسَةٌ، مَخْزُونَةٌ فيهَا خزَائنُ عَالم الخَلق وَأَسْرَارُهُ، وَمَدْفُونَةٌ فيهَا دَفَائنُ عَالَم الأَمْر وَخَفَايَاهُ، مَعَ زيَادَة مُعَامَلة خَاصَّة مَنُوطَة بهَيْئَتهَا الوَحْدَانيَّة، جُعلتْ أَجْزَاؤُهَا العَشْرَةُ أَوَّلا بالتَّصْفيَة وَالتَّزْكيَة وَالجَذْبَةً وَالسُّلُوك وَالفَنَاء وَالبَقَاء مُزَكَّاةً وَمُطَهَّرَةً، وَحُرِّرَتْ عَنْ دَنَس التَعلقَات بالسِّوَى مَثَلا، تَخَلصَ القَلبُ منَ التَّقَلب، وَبَلغَ مَرْتَبَةَ التَّمْكين(٢)، وَخَرَجَت النَّفسُ منْ أَنْ تَكُونَ أَمَّارَةً إلى فَضَاء الاطْمئْنَان، وَامْتَنَعَ الجُزْء

---

(١) صحيح مسلم. كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار. باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه ح ٢٧٠٢.، سنن أبي داوود: جماع أبواب فضائل القرآن:ب: في الإستغفار ح١٥١٥.مسند أحمد، مسند الشاميين، حديث الأغر المزني.

(٢) **التمكن**: هواستقرار السالك في مقام الولاية باجتماعصحة الإنقطاع عما سوى الحق مع نور الكشف، وصفاء الحال عن العلم، ولا يفارقه الحال، ولا يزاحمه الغير، ولا يسلب عنه الشوق.

وصورته في **البدايات**: التمكن من الوفاء بعهد التوبة، والمداومة على العبادة بدون الفترة.

وفي **الأبواب**: دوام التبتل إلى الله بدون الركون إلى الغير.

وفي **المعاملات**: دوام الإستقامة إلى الله بلا تلفت، والثقة به، وبحوله وقوته من غير توسل.

وفي **الأخلاق**: التخلق بأخلاق الحق من غير تكلف، والتدين بدينه برؤية الفضل منه بلا تعمل، ولا تعسف.

وفي **الأصول**: التمكن في السير به فيه بلا رؤية سعيه، والتثبت في الجد والطلب مع نفسه.

وفي **الأودية**: التمكن من الحكمة والإلهام في الحب بلا سلو، والإستمساك بالعروة الوثقى من غير تصور دنو وقرب.

النَّارِيُّ مِنَ البَغْيِ وَالعِنَاد وَالطُّغْيَان، وَارْتَفعَ العُنْصُرُ التُّرَابِيُّ مِنَ الضِّعَة وَخسَّة الفطْرَة، وَعَلى هَذَا القِيَاسِ تَخلَصَ كُل جُزْء مِنْ أَجزَائهَا مِنْ صفَة الإفْرَاط وَالتَّفرِيط، وَحَصَل لهُ وَصْفُ الاعْتدَال وَالتَّوسُّط، وَبَعْدَ ذَلكَ كُله رُكِّبَتْ تلكَ الأَجْزَاءُ بمَاء مَحْض الفَضْل وَالكَرَم، وَجُعلتْ شَخْصًا مُعَيَّنًا، وَسُمِّيَ ذَلكَ الشَّخْصُ إنْسَانًا كَاملا، وَعُبِّرَ عَنْ قَلب ذَلكَ الشَّخْصِ الذي هُوَ خُلاصَةُ مَرْكَز وَجُوده بالمُضْغَة، هَذَا هُوَ حَقيقَةُ المُضْغَة ظَهَرَتْ في كُسْوَة القيل وَالقَال عَلى مقْيَاسِ العبَارَة وَالأَمْرُ إلى الله سُبْحَانَهُ.

فَإنْ قِيل: نَاقصٌ أَنَّ كُل إنْسَان مُرَكَّبٌ مِنْ تلكَ الأَجْزَاءِ العَشْرَة، وَأَنَّ لهُ هَيْئَةً وَحْدَانيَّةً مَنْ تَرَكُّب تلكَ الأَجْزَاء:

نَقُول: نَعَمْ إنَّهُ مُرَكَّبٌ مِنْ تلكَ الأَجْزَاء، وَلكنَّ تلكَ الأَجْزَاءَ لَمْ تَكُنْ مُزَكَّاةً وَمُطَهَّرَةً، وَلَمْ تَتخَلصْ عَنْ دَنَسِ تَعلقَات السِّوَى[1] بالجَذْبَة وَالسُّلوك، بخلاف أَجْزَاء الإنْسَان الكَامل؛ فَإنَّهَا صَارَتْ طَاهرَةً وَنَظيفَةً بالفَنَاء وَالبَقَاء كَمَا مَرَّ، وَحَيْثُ كَانَتْ تلكَ الأَجْزَاءُ مُتَبَاينَةً وَمُتَمَايزَةً في كُل إنْسَان وَلكُل جُزْء مِنْهَا أَجْزَاءٌ مُتَمَايزَةٌ وَأَحْوَال مُتغَايرَةٌ ـ: لاَ يَكُونُ لهُ نَصيبٌ مِنَ الهَيْئَة الوَحْدَانيَّة بالضَّرُورَة، فَإنْ كَانَتْ لهُ هَيْئَةٌ فهيَ اعْتبَاريَّةٌ لاَ حَقيقيَّةٌ، بخلاف أَجْزَاء الإنْسَان الكَامل؛ فَإنَّهَا صَارَتْ مُمْتَزِجَةً وَمُخْتَلطَةً بَعْدَ مَا خَرَجَتْ مِنْ وَصْف التَّمَايُز وَالتَّبَايُن، وَتَقَرَّرَتْ عَلى حكَم وَاحد بَعْدَ مَا زَالتْ عَنْهَا الأَحْكَامُ المُتَمَايزَةُ وَالأَحْوَال المُتغَايرَةُ، فَتَكُونُ الهَيْئَةُ الوَحْدَانيَّةُ فيه حَقيقَةً بالضَّرُورَة لاَ اعْتبَاريَّةٌ كَمَعْجُون يُجْعَل مِنَ الأَدْويَة المُخْتَلفَة؛ فَإنَّهُ بَعْدَ سَحْق أَجْزَائه وَخَلط بَعْضه ببَعْضٍ تَثْبُتُ لهُ هَيْئَةٌ وَحْدَانيَّةٌ وَتَزُول عَنْهُ الأَحْكَامُ المُتَبَاينَةُ وَيَعْرِضُ لهُ حكَمٌ وَاحدٌ، فَافْهَمْ، وَالله سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ.

أَيُّهَا الأَخ: إنَّ كُل هَذه الكَمَالات التي أُثْبتَتْ للمُضْغَة إنَّمَا هيَ في مَقَام قَابَ قَوْسَيْن، وَقَدْ يُتَوهَّمُ هُنَا في الظَّاهر وُصْفٌ منَ المَظْهَر وَإنْ كَانَ الظَّاهرُ هُنَا هُوَ الأَصْل، لاَ الظِّل الذي هُوَ الصُّورَةُ، وَلكنَّ الشَّخْصَ الظَّاهرَ في المرْآة لَيْسَ بطَاهرٍ وَمُبَرَّأٍ عَنْ وَصْف المرْآة؛ فَيَثْبتُ القَوْسَان.

وَوَرَاءَ هَذَا المَقَام مَقَامُ: "**أَوْ أَدْنَى**" وَهُوَ الذي لَمْ يَأْخُذْ فيه الظَّاهرُ وَصْفًا منَ المَظْهَرِ وَلا يُتَخيَّل هُنَاكَ أَمْرٌ زَائدٌ فَيَكُونُ القَوْسَان فيه مَفْقُودَيْن، وَلا يُتَصَوَّرُ فيه غَيْرُ

وفي **الحقائق**: الإنفصال عن السوى من غير رؤيته، والتبرؤ عن رسمه وأنيته. انظر: الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية: ٣٤٣، ٣٤٤.

(١) **السوى**: هو الغير، وهي الأعيان من حيث تعينالها. انظر: الكاشاني: رشح الزلال ١٤١.

وَصْفٍ وَاحِدٍ؛ فَإِنَّهُ الْمُنَاسِبُ لِمَقَامِ: "**أَوْ أَدْنَى**" مُعَامَلَةُ هَذَا الْمَقَامِ مُغَايِرَةٌ لِمُعَامَلَةِ مَقَامِ قَابَ قَوْسَيْنِ، يَنْبَغِي تَقْلِيبُ تَمَامِ الأَوْرَاقِ حَتَّى يُحْمَلَ الْحُمُولُ مِنْ: "**قَابَ قَوْسَيْنِ**" إِلَى: "**أَوْ أَدْنَى**".

كَلامُنَا إِشَارَاتٌ وَرُمُوزٌ وَبِشَارَاتٌ وَكُنُوزٌ، وَاللهُ الْمُلْهِمُ وَصَلَى اللهُ تَعَالَى عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالثَّلاثُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائَة
إلى مَوْلانَا مُحَمَّد صَادق الكَشْمِيرِيِّ
فِي بَيَانِ تَشَرُّف بَلدَة سَرهَنْدَ بِبَرَكَة حَضْرَة الشَّيْخِ سَلمَهُ اللهُ وَفَضِيلتِهَا عَلى أَكْثَرِ البلاد
وَمُشَاهَدَة نُور لمْ يَتطَرَّقْ إليْه غُبَارٌ منَ الصِّفَة فِي أَرْضٍ هُوَ سَاكِنٌ فِيهَا وَكَوْنِ ذَلكَ الأَرْضِ مَدْفنًا للمَخْدُومِ وَالأَعْظَمِ المَرْحُومِ الخَوَاجَة مُحَمَّد صَادق قُدِّسَ سِرُّهُ

الحَمْدُ للهِ وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى:

اعْلَــــمْ: أَنَّ بَلدَةَ سَرهَنْدَ كَأَنَّهَا أَرْضٌ أَحْيَيْتُهَا بعنَايَة الله سُبْحَانَهُ، وَأَلطَاف حَبِيبِه الأَكْرَمِ ــ صَلى اللهُ عَلَيْه وَعَلى آله وَسَلمَ ــ وَكَأَنَّ البئرَ العَمِيقَةَ المُظْلمَةَ مُلئتْ وَجُعلتْ صفَةً عَاليَةً لي، وَصَارَتْ مُرْتَفعَةً منْ أَكْثَرِ البلاد وَالبقَاعِ وَأُودعَ فِي تلكَ الأَرْضِ نُورٌ مُقْتَبَسٌ منْ نُور لاَ وَصْفِيٌّ وَلا كَيْفِيٌّ كَنُورٍ سَاطِعٍ لامِعٍ منْ أَرْضِ حَرَمِ الله المُقَدَّسَة، وَقَدْ ظَهَرَ ذَلكَ النُّورُ لهَذَا الدَّرْوِيشِ قَبْلَ ارْتحَال وَلدي الأَعْظَمِ المَرْحُومِ بِأَشْهُرٍ، وَبَدَا بزَاوِيَة أَرْضٍ فِيهَا مَسْكَنُ الفَقيرِ وَكَانَ نُورًا سَاطعًا لمْ يَتطَرَّقْ إليْه غُبَارٌ منَ الصِّفَة وَالشَّأْن، وَكَانَ مُبرَّأً وَمُنَزَّهًا عَنِ الكَيْفيَّات، وَكَانَ مُتَمَنَّايَ أَنْ تَكُونَ تلكَ البُقْعَةُ مَدْفَنًا لي، وَأَنْ يَكُونَ ذَلكَ النُّورُ لامعًا عَلى رَأْسِ قَبْرِي، وَأَظْهَرْتُ هَذَا المَعْنَى لوَلدي الأَعْظَمِ الذي كَانَ صَاحبَ سرِّي، وَأَطْلعْتُهُ عَلى ذَلكَ النُّورِ المُتَمَنَّى، فَسبَقَنِي وَلدي المَرْحُومُ إلى هَذه الدَّوْلة اتِّفَاقًا وَصَارَ مُسْتَغْرِقًا فِي بَحْرِ النُّورِ وَوَرَاءَ حجَاب التُّرَاب.

هَنيئًا لأَرْبَاب النَّعِيمِ نَعِيمُهَا وَللعَاشقِ المسْكينِ مَا يَتجَرَّعُ

وَمنْ شَرَافَة هَذه البَلدَة المُعَظَّمَة دُفنَ فِيهَا مثْل وَلدي الأَعْظَمِ الذي هُوَ منْ أَكَابرِ أَوْليَاء الله تَعَالى وَاسْترَاحَ، ثُمَّ ظَهَرَ بَعْدَ مُدَّة أَنَّ ذَلكَ النُّورَ المُودَعَ فِيهَا لمْعَةٌ منْ أَنْوَارِ قَلب هَذَا الفَقيرِ أُودعَ فِيهَا مُقْتَبَسًا منْ هُنَا كَسرَاج يَشْتَعل منْ مَشْعَلة: {قُل كُل منْ عنْد الله}(١)، {اللهُ نُورُ السَّموَات وَالأَرْضِ}(٢)، {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العزَّة عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلى المُرْسَلينَ وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمينَ}(٣).

---

(١) النساء: ٧٨

(٢) النور: ٣٥

(٣) الصافات: ١٨٠

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالثَّلاَثُونَ بَعْدَ الثَّلاَثمِائَة
إلى المَخْدُومِ زَادَهْ الخَوَاجَهْ مُحَمَّد عَبْد الله
سَلمَهُ اللهُ تَعَالى وَأَبْقَاهُ وَأَوْصَلهُ إلى غَايَة مَا يَتمَنَّاهُ
في بَيَان أَنَّ عُمْدَةَ الأَمْرِ هِيَ اتِّبَاعُ السُّنَّة السَّنِيَّة
وَالاجْتنَاب عَنِ البدْعَة الغَيْرِ المَرْضيَّة
وَبَيَان أَنَّ مَزِيَّةَ الطَّرِيقَة النَّقْشبَنْديَّة العَليَّة عَلى سَلاَسِل أُخْرَى
إِنَّمَا هِيَ بِسَبَب اتِّبَاعِ صَاحِب الشَّرِيعَة عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالتَّحِيَّةُ
وَالعَمَل بِالعَزِيمَة وَفي مَدْحِ هَذه الطَّرِيقَة العَلِيَّة
وَمَا يُنَاسِبُ ذَلكَ
بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله وَسَلاَمٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى:

اعْلَـــــمْ أَنَّ: النَّصِيحَةَ التي أَنْصَحُ بهَا وَلَدِي الأَعَزَّ ـــ سلمَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَصَانَهُ عَمَّا لاَ يَليقُ بجَنَابه وَسَائرَ أَحْبَابه ـــ اتِّبَاعُ السُّنَّة السَّنيَّة ـــ عَلى صَاحبهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ ـــ وَالاجْتنَابُ عَنِ البدْعَة الغَيْرِ المَرْضيَّة، وَحَيْثُ طَرَأَت الغُرْبَةُ عَلى الإِسْلاَمِ في هَذَا الأَوَان وَصَارَ المُسْلمُونَ غُرَبَاء، وَكَذَلكَ تَزِيدُ غُرْبَتُهُمْ مَعَ مُرُورِ الزَّمَان إلى أَنْ يَبْقَى عَلى وَجْه الأَرْضِ مَنْ يَقُول: " اللهُ "، وَتَقُومُ السَّاعَةُ عَلى شرَارِ النَّاسِ، فَالسَّعيدُ مَنْ يُحْيِي سُنَّةً مِنَ السُّنَنِ المَتْرُوكَة، وَيُميتُ بِدْعَةً مِنَ البِدَعِ المُسْتَعْمَلة.

وَهَذَا الزَّمَانُ قَدْ مَضَى منْ بَعْثَة خَيْرِ البَشَرِ ـــ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ـــ أَلفُ سَنَة، وَظَهَرَتْ منْ عَلاَمَات القيَامَة وَأَشْرَاط السَّاعَة أَمَارَاتٌ، وَاسْتَتَرَت السُّنَّةُ بوَاسطَة بُعْد عَهْد النُّبوَّة، وَجَلت البدْعَةُ بعلة فُشُوِّ الكَذب، وَاحْتيجَ إلى بَازٍ يَنْصُرُ السُّنَّةَ وَيَهزِمُ البدْعَةَ، وَتَرْويجُ البدْعَة مُوجبٌ لتَخْريب الدِّينِ، وَتَعْظيمُ المُبْتَدعِ بَاعثٌ عَلى هَدْمِ الإِسْلاَمِ، وَلَعَلكَ سَمعْتَ: " مَنْ وَقَّرَ صَاحبَ بِدْعَة فَقَد

أعَانَ عَلى هَدْمِ الإِسْلامِ"(١) فَيَنْبَغِي التَّوَجُّهُ بِجَمِيعِ الهِمَّة وَتَمَامِ النُّهْمَة لِتَرْوِيجِ سُنَّة مِنَ السُّنَنِ، وَرَفْعِ بِدْعَة مِنَ البِدَعِ، وَإِقَامَةُ مَرَاسِمِ الإِسْلامِ فِي جَمِيعِ الأَوْقَاتِ ــ خُصُوصًا فِي هَذِهِ الأَوَانِ الَّتِي فِيهَا ضَعُفَ الإِسْلامُ ــ: مَنُوطَةٌ بِتَرْوِيجِ السُّنَّة وَتَخْرِيبِ البِدْعَة.

وَكَأَنَّ السَّابِقِينَ رَأَوْا الحُسْنَ فِي البِدْعَةِ حَيْثُ اسْتَحْسَنُوا بَعْضَ أَفْرَادِهَا، وَلكِنَّ الفَقِيرَ لاَ يُوَافِقُهُمْ فِي هَذِه المَسْأَلَة وَلا أَدْرِي فِي فَرْدٍ وَاحِد مِنْ أَفْرَاد البِدْعَة حُسْنًا، وَلا أُحِسُّ فِيه شَيْئًا غَيْرَ الظُّلْمَةِ وَالكُدُورَة؛ قَالَ ــ عَلَيْهِ وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ ــ: " كُل بِدْعَة ضَلالَةٌ"(٢).

وَأَجِدُ السَّلاَمَةَ ــ فِي هَذِه الغُرْبَة وَضَعْف الإِسْلام ــ مَنُوطَةً بِإِتْيَان السُّنَّة، وَالهَلاَكُ مَرْبُوطٌ بِتَحْصِيلِ البِدْعَة أَيَّةَ بِدْعَة كَانَتْ، وَأَرَى البِدْعَةَ كَمِعْوَلٍ يُهَدُّ بِه مَبَانِي الإِسْلامِ، وَأَجِدُ السُّنَّةَ مِثْل كَوْكَبٍ مُشْرِقٍ يُهْتَدَى بِه فِي دَيْجُورِ الضَّلالَة، وَفَّقَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ عُلَمَاءَ الوَقْت لِعَدَمِ التَّفَوُّهِ بِحُسْنِ بِدْعَة أَصْلا وَلِعَدَمِ الإِفْتَاءِ بِإِتْيَانِهَا وَإِنْ كَانَتْ تِلْكَ البِدْعَة جَلِيَّةً فِي نَظَرِهِمْ مِثْل فَلَقِ الصُّبْحِ؛ فَإِنَّ لِتَسْوِيلاتِ الشَّيْطَان سُلطَانًا عَظِيمًا فِيمَا وَرَاءَ السُّنَّة.

وَحَيْثُ كَانَ لِلإِسْلامِ قُوَّةٌ فِي الأَزْمِنَة المَاضِيَة تَحَمَّلَ ظُلمَاتِ البِدَعِ بِالضَّرُورَة، وَلَعَل بَعْضَ تِلْكَ الظُّلمَات خُيِّلَ نُورَانِيًّا فِي تَشَعْشُعِ نُورِ الإِسْلامِ وَصَارَ ذَلِكَ التَّخَيُّل بَاعِثًا عَلى الحُكْم بِحُسْنِه وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الحَقِيقَة نُورَانِيَّةٌ وَحُسْنٌ أَصْلا، بِخِلاف هَذَا الوَقْت؛ فَإِنَّهُ وَقْتُ ضَعْف الإِسْلامِ؛ لاَ يُتَصَوَّرُ فِيه تَحَمُّل ظُلمَات

(١) **شديد الضعف**: أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: باب: معاذ بن جبل الأنصاري " خالد بن معدان عن معاذ بن جبل الأنصاري "وأورده الفتني في تذكرة الموضوعات:ك: التوحيد.، وقال: ضعيف أو موضوع.

* وقال الحافظ العراقي: رواه ابن عدي من حديث عائشة، والطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في الحلية من حديث عبد الله بن يسر بأسانيد ضعيفة قال ابن الجوزي: كلها موضوعة (تخريج أحاديث الإحياء: الباب الخامس: في شفقة التاجر على دينه.) وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبيروفيه بقية وهو ضعيف.(مجمع الزوائد ك: العلم: باب:في البدع والأهواء ح ٨٩٧.

* وضعفه السيوطي في الجامع الصغير ح ٩٠٨٢.

(٢) سنن ابن ماجه: ك: فضائل الصحابة: ب: اتباع سنة الخلفاء الراشدين.ح٤٢.، أحمد في المسند: مسند الشاميين: حديث العرباض بن سارية.، سنن الدارمي: باب: اتباع السنة.ح٩٥.، الطبراني في الكبير ح عبد الله بن مسعود الهذلي.، وحديث العرباض بن سارية، والفتني في تذكرة الموضوعات: كتاب:التوحيد، وقال:في سنده ضعف لكن له شواهد معنى.

البِدَعِ، وَلا يَنْبَغِي هُنَا تَمْشِيَةُ فَتْوَى الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ؛ فَإِنَّ لِكُلِّ وَقْتٍ أَحْكَامًا عَلَى حِدَةٍ، وَيَظْهَرُ العَالَمُ فِي النَّظَرِ فِي هَذَا الوَقْتِ مِنْ كَثْرَةِ ظُهُورِ البِدْعَةِ مِثْلَ بَحْرِ الظُّلْمَةِ، وَيُحَسُّ نُورُ السُّنَّةِ مِنْ غُرْبَتِهَا وَنُدْرَتِهَا مِثْلَ المَشَاعِلِ فِي ذَلِكَ البَحْرِ، وَعَمَلُ البِدْعَةِ يَزِيدُ تِلْكَ الظُّلْمَةَ وَيُقَلِّلُ نُورَ السُّنَّةِ، وَعِلْمُ السُّنَّةِ يَكُونُ بَاعِثًا عَلَى تَقْلِيلِ تِلْكَ الظُّلْمَةِ وَتَكْثِيرِ ذَلِكَ النُّورِ؛ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُكَثِّرْ ظُلْمَةَ البِدْعَةِ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكَثِّرْ نُورَ السُّنَّةِ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكَثِّرْ حِزْبَ الشَّيْطَانِ {أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الخَاسِرُونَ}(١)، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكَثِّرْ حِزْبَ اللهِ: {أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الغَالِبُونَ}(٢).

وَلَوْ أَنْصَفَ صُوفِيَّةُ الوَقْتِ وَلاحَظُوا ضَعْفَ الإِسْلامِ وَفُشُوَّ الكَذِبِ، لَزِمَهُمْ أَنْ لاَ يُقَلِّدُوا شُيُوخَهُمْ فِيمَا وَرَاءَ السُّنَّةِ، وَأَنْ لاَ يَجْعَلُوا الأُمُورَ المُخْتَرَعَةَ ــ بِعُذْرِ عَمَلِ شُيُوخِهِمْ بِهَا ــ دَيْدَنَهُمْ؛ فَإِنَّ اتِّبَاعَ السُّنَّةِ مُنْجٍ أَلْبَتَّةَ وَمُثْمِرٌ لِلْخَيْرَاتِ وَالبَرَكَاتِ، وَفِي تَقْلِيدِ غَيْرِ السُّنَّةِ خَطَرٌ فِي خَطَرٍ، {وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلا البَلاغُ}(٣).

جَزَى اللهُ سُبْحَانَهُ عَنَّا أَشْيَاخَنَا خَيْرَ الجَزَاءِ؛ حَيْثُ لَمْ يَدُلُّوا أَمْثَالَنَا العَاجِزِينَ عَلَى إِتْيَانِ الأُمُورِ المُبْتَدَعَةِ، وَلَمْ يُلْقُونَا فِي ظُلُمَاتٍ مُهْلِكَةٍ بِتَقْلِيدِهِمْ، وَلَمْ يَهْدُونَا إِلَى مَا دُونَ مُتَابَعَةِ السُّنَّةِ وَغَيْرِ اتِّبَاعِ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ ــ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالتَّحِيَّةُ ــ وَسِوَى العَمَلِ بِالعَزِيمَةِ؛ فَلا جَرَمَ كَانَتْ دَعَائِمُ طَرِيقَتِهِمْ مُحْكَمَةَ الأَسَاسِ، وَإِيوَانُ وُصُولِهِمْ مُرْتَفِعَ البِنَاءِ وَمُشْرِقَ النِّبْرَاسِ، وَهُمُ الذِينَ جَعَلُوا الرَّقْصَ وَالسَّمَاعَ تَحْتَ أَرْجُلِهِمْ، وَشَقُّوا الوَجْدَ وَالتَّوَاجُدَ نِصْفَيْنِ بِمِسْبَحَتِهِمْ، وَمَكْشُوفُ الآخَرِينَ وَمَشْهُودُهُمْ دَاخِلٌ عِنْدَ هَؤُلاءِ الأَكَابِرِ فِي السِّوَى وَالأَغْيَارِ، وَمَعْلُومُهُمْ وَمُتَخَيَّلُهُمْ قَابِلٌ وَمُسْتَحِقٌّ لِلنَّفْيِ لاَ لِلإِشْهَارِ، وَمُعَامَلَةُ هَؤُلاءِ الأَكَابِرِ فِيمَا وَرَاءَ المُشَاهَدَةِ وَالإِدْرَاكِ وَفِيمَا وَرَاءَ المَعْلُومَاتِ وَالمُتَخَيَّلاتِ وَفِيمَا وَرَاءَ التَّجَلِّيَاتِ وَالظُّهُورَاتِ وَفِيمَا وَرَاءَ المُكَاشَفَاتِ وَالمُعَايَنَاتِ ــ: اهْتِمَامُ الآخَرِينَ فِي الإِثْبَاتِ.

وَهَمُّ هَؤُلاءِ الأَكَابِرِ فِي نَفْيِ السِّوَى، وَالآخَرُونَ يُكَرِّرُونَ كَلِمَةَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ لِتَوْسِيعِ دَائِرَةِ الإِثْبَاتِ، وَلِيَنْكَشِفَ لَهُمُ العَالَمُ الذِي هُوَ ظَاهِرٌ بِعُنْوَانِ الغَيْرِيَّةِ

(١) المجادلة: ١٩

(٢) المجادلة ٢٢ والصواب " ألا إن حزب الله هم المفلحون " وفي المائدة: ٥٦ " فإن حزب الله هم الغالبون ".

(٣) ــ الآية ٩٩ من سورة المائدة.

بعُنْوَان الحَقِّيَّة وَالعَيْنيَّة فَيَرَوْنَ الكُل وَيَجدُونَهُ حَقًّا تَعَالى وَتَقَدَّسَ بخلاف هَؤُلاء الكُبَرَاء؛ فَإنَّ مَقْصُودَهُمْ منْ تَكْرَار الكَلمَة الطَّيِّبَة: " لاَ إلهَ إلا اللهُ " هُوَ اتِّسَاعُ دَائرَة النَّفْي ليَكُونَ جَميعُ المَكْشُوفات وَالمَشْهُودَات وَالمَعْلومَات دَاخلةً تَحْتَ كَلمَة: " لاَ " وَفي جَانب الإثْبَات لا يَكُونُ شَيْءٌ مَنْظُورًا وَمَلحُوظًا، فَإنْ ظَهَرَ ــ فَرْضًا ــ أَمْرٌ في جَانب الإثْبَات يَنْبَغي إرْجَاعُهُ إلى النَّفْي، وَلا يَكُونُ في جَانب الإثْبَات نَصيبٌ أَصْلا غَيْرُ التَّكَلم بكَلمَة المُسْتَثْنَى فَيَكُونُ ذكْرُ النَّفْي وَالإثْبَات في طَرْق الآخَرينَ مُنَاسبًا لحَال المُبْتَدئينَ، وَذكْرُ الله الذي هُوَ كَلمَةُ الإثْبَات المَحْض يَكُونُ مُنَاسبًا بَعْدَ ذَلكَ ليَحْصُل بتَكْرَار كَلمَة الإثْبَات اسْتقْرَارٌ وَاسْتمْرَارٌ للمُثْبَت المَكْشُوف، بخلاف طَريق هَؤُلاء الأَكَابر؛ فَإنَّهُ عَلى عَكْس ذَلكَ لأَنَّ فيه إثْبَاتًا أَوَّلا وَنَفْيَ ذَلكَ الإثْبَات ثَانيًا، فَيَكُونُ ذكْرُ اسْم الله في هَذَا الطَّريق مُنَاسبًا في الابْتدَاء ثُمَّ يُسْتَعْمَل بَعْدَهُ النَّفْيُ وَالإثْبَاتُ.

فَإنْ قَال نَاقصٌ: عَلى هَذَا التَّقْدير لاَ يَكُونُ لأَكَابر هَذَا الطَّريق نَصيبٌ منْ مَقَام الإثْبَات وَلا تَكُونُ بضَاعَتهُمْ غَيْرَ النَّفْي:

أُجيبَ: إنَّ إثْبَاتَ الآخَرينَ حَاصل في أَوَائل حَال هَؤُلاء الأَكَابر، وَلكنَّهُمْ منْ عُلوِّ الهمَّة لاَ يَلتَفتُونَ إليْه، بَل يَرَوْنَهُ مُسْتَحقًّا للنَّفْي فَيَنْفُونَهُ وَيَعْتَقدُونَ المَطْلوبَ المُثْبَتَ وَرَاءَهُ، فَإثْبَاتُ الآخَرينَ مُيَسَّرٌ لهُمْ، وَنَفْيُ ذَلكَ الإثْبَات الذي هُوَ مُنَاسبٌ لمَقَام الكبْريَاء أَيْضًا حَاصل لهُمْ، لاَ سَبيل لكُل نَاقص إلى أَشْغَالهمْ وَأَحْوَالهمْ، وَلا شُعُورَ لكُل مَهُوسٍ بحَقيقَة مُعَامَلتهمْ وَأَفْعَالهمْ، وَجَميعُ مَا ذُكرَ هُوَ نُبْذَةٌ منْ عَدَم حُصُول هَؤُلاء الأَكَابر الذي هُوَ عَيْنُ الحُصُول في ذَلكَ المَوْطن؛ فَإنَّ بَيْنَ حُصُول أَكَابر الأَكَابر للحق الخَوَاصُّ بالعَوَامِّ، وَاخْتَارَ المُنْتَهُونَ تَعَلمَ أَلف بأَمْثَل المُبْتَدئينَ الأَصَاغر، (شعْرٌ):

خَليليَّ مَا هَذَا بهَزْل وَإنَّمَا　　　حَديثٌ عَجيبٌ منْ بَديع الغَرَائب

وَمُرَاقَبَةُ الذَّات التي اخْتَارَهَا الآخَرُونَ سَاقطَةٌ عنْدَهُمْ عَنْ حَيِّز الاعْتبَار، وَدَاخلةٌ فيمَا لاَ حَاصل فيه، وَليْسَت المُرَاقَبَةُ هُنَاكَ لغَيْر ظل منَ الظِّلال ــ تَعَالى اللهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلوًّا كَبيرًا ــ فَإنَّ ذَاتَهُ تَعَالى وَتَقَدَّسَ، بَل أَسْمَاؤُهُ وَصفَاتُهُ سُبْحَانَهُ خَارجَةٌ عَنْ حَيْطَة فكْرنَا وَمُرَاقَبَتنَا، لاَ نَصيبَ منْ هَذَا المَقَام غَيْرُ الجَهْل وَالحَيْرَة، وَليْسَ المُرَادُ بهَذَا الجَهْل وَالحَيْرَة مَا يَعْرفُهُ النَّاسُ جَهْلا وَحَيْرَةً؛ فَإنَّهُمَا مَذْمُومَان، بَل جَهْل هَذَا المَوْطن وَحَيْرَتُهُ عَيْنُ المَعْرفَة وَالاطْمئْنَان، وَليْسَ المُرَادُ بهَذه المَعْرفَة

وَالاطْمِئْنَان مَا يَدْخُل فِي حَيْطَة فَهْمِ الإِنْسَان؛ فَإِنَّهُ مِنْ مَقُولَة الكَيْف لاَ نَصِيبَ لَهُ مِنَ الكَيْفِيِّ، وَكُل شَيْء تُثْبتُهُ فِي ذَلكَ المَوْطنِ يَكُونُ لاَ كَيْفِيًا، سَوَاءٌ عَبَّرْنَا عَنْهُ بِالجَهْل أَوِ المَعْرِفَة مَنْ لَمْ يَذُقْهُ لَمْ يَدْرِ.

وَأَيْضًا: إِنَّ تَوَجُّهَ هَؤُلاء الكُبَرَاء إِلى الأَحَدِيَّة[1] ـ تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ ـ لاَ يُرِيدُونَ مِنَ الاسْمِ وَالصِّفَة غَيْرَ الذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ، وَلا يَنْزِلُونَ مِنَ الذَّاتِ إِلى الصِّفَات كَغَيْرِهِمْ، وَلا يَقَعُونَ مِنَ الذِّرْوَة إِلى الحَضِيضِ.

وَالعَجَبُ أَنَّ جَمْعًا مِنْ هَذه الطَّائفَة اخْتَارُوا ذِكْرَ اسْمِ الله، ثُمَّ لَمْ يَكْتَفُوا به بَل تَنَزَّلُوا إِلى الصِّفَات وَصَارُوا يُلاحِظُونَ السَّمِيعَ وَالبَصِيرَ وَالعَلِيمَ ثُمَّ يَذْهَبُونَ مِنَ العَلِيمِ وَالبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ إِلى اسْمِ الله عَلى سَبِيل العُرُوجِ[2]!! لَم لاَ يَكْتَفُون باسْمِ الله وَحْدَهُ وَيَجْعَلونَ قِبْلَةَ التَّوَجُّه غَيْرَ أَحَدِيَّة الذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَت: {أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ}[3] نَصٌّ قَاطِعٌ فِي هَذَا المُدَّعَى وَ: {قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ}[4] مُؤَيِّدٌ لِهَذَا المَعْنَى.

وَبِالجُمْلَة: إِنَّ نَظَرَ هِمَمِ أَكَابِرِ هَذه الطَّرِيقَة عَالٍ جدًّا لاَ نسْبَةَ لكُل زَرَّاق وَرَقَّاص إِلَيْهِمْ؛ وَلِهَذَا صَارَتْ نِهَايَةُ الآخَرِين مُنْدَرِجَةً فِي بدَايَتهِمْ، وَنَال مُبْتَدِئُ طَرِيقَتهِمْ حُكْمَ مُنْتَهَى طُرُق أُخرَ، وَتَقَرَّرَ سَفَرُهُمْ فِي الوَطَن مِنَ ابْتدَاء الأَمْر، وَحَصَلَتْ لَهُمُ الخَلوَةُ[5] فِي الجَلوَة[6]، وَكَانَ دَوَامُ الحُضُور نَقْدَ وَقْتهِمْ وَرَأْسَ بِضَاعَتهِمْ، وَهُمُ الذِينَ صَارَتْ تَرْبِيَةُ الطَّالبِينَ مَرْبُوطَةً بِصُحْبَتهِمُ العَلِيَّة، وَكَانَ تَكْمِيل النَّاقِصِينَ مَنُوطًا بِتَوَجُّهَاتهِمُ الشَّرِيفَة، نَظَرُهُمْ شِفَاءُ الأَمْرَاضِ القَلبِيَّة، وَالتفَاتُهُمْ دَافِعٌ للعلَل المَعْنَوِيَّة، وَيَعْمَل تَوَجُّهُهُمُ الوَاحدُ عَمَل مِائَة مِنَ الأَرْبَعِينَ، وَالتفَاتُهُمُ الوَاحدُ يُسَاوِي رِيَاضَةَ السِّنِينَ.

مَا أَحْسَنَ النَّقْشَبَنْدِيِّينَ سِيرَتَهُمْ ... مْشُونَ بِالرَّكْبِ مَخْفِيِّينَ للحُرُمِ

---

(١) **الأحد**: هو اسم الذات باعتبار انتفاء تعدد الصفات والأسماء والنسب والتعينات عنها، و **الأحدية:هي** اعتبارها مع إسقاط الجميع. انظر: الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية: ٥١.

(٢) -

(٣) الزمر: ٣٦

(٤) الأنعام: ٩١

(٥) - حقيقة **الخلوة**: محادثة السر مع الحق بحيث لا يرى غيره.، وأما **صورتها: فهي ما يتوصل به إلى هذا المعنى** من التبتل إلى الله. انظر: الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية: ١٨٠.

(٦) **الجلوة**: خروج العبد من الخلوة بالنعوت الإلهية.انظر: الكاشاني: رشح الزلال: ١٣٥.

أَيُّهَا السَّعِيدُ: لاَ يَتوَهَّمُ أَحَدٌ مِنْ هَذَا البَيَان أَنَّ هَذه الأَوْصَافَ وَالشَّمَائِل حَاصلةٌ لجميعِ أَسَاتذَة الطَّرِيقَة النَّقْشَبَنْدِيَّة العَلِيَّة وَتَلامذَتهِمْ، كَلا، بَل هَذه الشَّمَائِل مَخْصُوصَةٌ بأَكَابِر أَكَابر هَذه الطَّرِيقَة العَلِيَّة الذينَ بَلغُوا الأَمْرَ إِلى نهَايَة النِّهَايَة، وَالْمُبْتَدِئُونَ الرَّاشِدُونَ الذينَ صَحَّحُوا نسْبَةَ الإِرَادَة وَالانْتسَاب إِلى هَؤُلاء الأَكَابِر وَرَاعَوْا آدَابَهُمْ فَانْدرَاجُ النِّهَايَة فِي البدَايَة ثَابتٌ فِي حَقِّهِمْ، وَأَمَّا الْمُبْتَدِئُ الذي وَصَل إِلى الشَّيْخ نَاقصٌ منْ هَذَا الطَّرِيق؛ فَانْدرَاجُ النِّهَايَة غَيْرُ مُتصَوَّرٍ فِي حَقِّه؛ فَإِنَّ شَيْخَهُ لَمْ يَصِل بَعْدُ إِلى النِّهَايَة، فَكَيْفَ تُتَصوَّرُ النِّهَايَةُ فِي حَقِّ الْمُبْتَدِئ، (ع):

وَكُل إِنَاء بالذي فيه يَنْضَحُ

أَيُّهَا الطَّالِبُ لطَرِيقِ النَّجَاة: إِنَّ طَرِيقَ هَؤُلاء الأَكَابِر طَرِيقُ الأَصْحَاب الكرَام عَلَيْهِمُ الرِّضْوَانُ، وَهَذَا الانْدرَاجُ ــ أَعْني انْدرَاجَ النِّهَايَة فِي البدَايَة ــ أَثَرُ ذَلكَ الانْدرَاج الذي كَانَ يَتَيَسَّرُ لَهُمْ فِي صُحْبَته ــ صَلى اللهُ عَلَيْه وَعَلى آله وَسَلمَ ــ مَا يَحْصُل لغَيْرهِمْ فِي الانْتهَاء إِلا قَليل، وَهَذه الفُيُوضَاتُ وَالبَرَكَاتُ هُوَ عَيْنُ تلكَ الفُيُوض وَالبَرَكَات التي ظَهَرَتْ فِي القَرْن الأَوَّل وَإِنْ كَانَ الآخرُ بَعيدًا منَ الأَوَّل فِي الظَّاهِر بالنِّسْبَة إِلى الوَسَط، وَلكنَّ الأَمْرَ بالعَكْس فِي الحَقِيقَة؛ فَإِنَّ الآخرَ أَقْرَبُ إِليْه منَ الوَسَط وَمُنْصَبِغٌ بصِبْغَة يُصَدِّقُهُ الْمُتَوَسِّطُونَ أَوَّلا، بَل لاَ يُعْلَمُ إِدْرَاكُ أَكْثَر الْمُتَأَخِّرِينَ حَقيقَةَ هَذه الْمُعَامَلة.

وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَعَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلوَاتُ والتَسْليمَاتُ العُلى.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالثَّلاَثُونَ بَعْدَ الثَّلاَثمائَة
إِلى الحَاجِّ مُحَمَّد الفركتي
في جَوَاب كِتَابه

الحَمْدُ للهِ وَسَلامٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى:

قَدْ صَارَ وُرُودُ المَكْتُوب الشَّرِيف المُرْسَل منْ كَمَال الإخْلاصِ وَالمَوَدَّة مُوجبًا لفَرَحٍ كَثيرٍ، وَتَجْعَلكَ نسْبَةُ الرَّابطَة مَعَ صَاحب الرَّابطَة دَائمًا، وَتَكُونَ وَاسطَةً للفُيُوضَات الانْعكَاسيَّة، يَنْبَغي أَدَاء شُكْرِ هَذه النِّعْمَة العُظْمَى كَمَا يَنْبَغي، وَالبَسْطُ[1] وَالقَبْضُ[2] كلاهُمَا جَنَاحَا الطَّيْرِ، إنَّ في هَذَا الطَّرِيق لاَ يَنْبَغي الحُزْنُ للقَبْضِ وَالفَرَحُ للبَسْطِ، وَلَقَدْ تَمَنَّيْتُ حُصُول مُشَاهَدَة الجَمَال اللايَزَاليِّ في جَميعِ الذَّرَّات.

---

(١) - **البسط**: لغة: النشر والسعة.، انظر: ابن منظور: لسان العرب / بسط.

أما عند الصوفية: فهو بسط الحق عبده، لقوة معناه، وكمال عرفانه، بحيث يشهد الحق في الخلق، فلا يخالج الشواهد مشهوده، ولا يضرب رياح الرسوم موجوده، فهو منبسط في قبضة القبض.

وصورته في **البدايات**: الفرح بالتوفيق للموافقات، والثقة بالوعد في الآيات.

وفي **الأبواب**: غلبة الرجاء على الخوف لحسن الظن بالرب.

وفي **المعاملات**: بسط القلب برؤية الأفعال كلها لله، وجميع الأمور بيد الله، فينبسط صاحبها لاطلاعه على أسرار الحق.

وفي **الأخلاق**: البسط مع الخلق لحسن الخلق، لووقوفه على سرالقدر.

وفي **الأصول**: البسط لقوة اليقين والأنس بالله.

وفي **الأودية**: البسط بحصول السكينة، وتنور البصيرة.

وفي **الأحوال**: البسط بشهود أنوار التجليات، وذوق الموصول إلى المحبوب.

وفي **الولايات**: البسط بتولي الحق إياه، وبسطه له.

(٢) **القبض**:لغة نقيض البسط، وهو متعدد المعاني، وأصله الإمساك انظر: ابن منظور: لسان العرب / قبض.

أما عند الصوفية: فهو قبض الحق عبده عن الخلق، يستره في لباس التلبيس بظاهرالشريعة، وصورة العوام صيانة عن الناس.

وصورته في **البدايات**: قبضه عن الخالفات.، وفي **المعاملات**: قبضه عن رؤية الأفعال من المخلوقات والمسببات من الأسباب.، وفي **الأصول**: قبضه عن الفوز في السير، وحدوث العلائق والموانع.، وفي **الأودية**: قبضه عن الجهل والغباوة.، وفي **الأحوال**: قبضه عن السلو والبطالة.، وفي **الولايات**: قبضه عن كثرة الصفات إلى وحدة الذات. انظر:الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية: ٣٥٢،٣٥٣.

أَيُّهَا الْمُحِبُّ: مَا للعَبْدِ وَللتَّمَنِّي؛ فَإِنَّ مُتَمَنَّاهُ لاَ بُدَّ وَأَنْ يَكُونَ قَاصِرًا عَلَى مقْدَارِ فَهْمِه وَمُشَاهَدَةُ الجَمَال اللاَيَزَالِيِّ فِي مِرْآة الذَّرَّات مِنْ قُصُورِ النَّظَرِ؛ فَإِنَّ الذَّرَّاتِ مِنْ أَيْنَ لَهَا مَجَال أَنْ تَكُونَ مَرَايَا ذَلِكَ الجَمَال، وَمَا يُشَاهَدُ فِي مَرَايَا الذَّرَّاتِ إِنَّمَا هُوَ ظِلٌّ مِنْ ظلاَل ذَلِكَ الجَمَّال التي لاَ نِهَايَةَ لَهَا.

يَنْبَغِي أَنْ يَطْلُبَهُ تَعَالى وَرَاءَ الوَرَاءِ، وَأَنْ يَلتَمِسَهُ سُبْحَانَهُ فِي خَارِجَ دَائِرَةِ الآفَاق

وَالأَنْفُسِ وَالنِّسْبَةُ التي هِيَ فِيكَ الآنَ فَوْقَ مَا تَتَمَنَّاهُ، وَإِيَّاكَ وَالمَيْل إِلى الأَسْفَل تَقْلِيدًا لِلنَّاسِ، وَاحْذَرْ مِنْ

تَمَنِّي النُّزُول مِنَ الأَوْجِ إِلى الحَضِيضِ؛ فَإِنَّ مُعَامَلَةَ الأَكَابِرِ عَالِيَةٌ إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ مَعَالِيَ الهِمَمِ.

المَسْئُول مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ جَمْعِيَّتكُمُ الصُّورِيَّةُ وَالمَعْنَوِيَّةُ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالثَّلاثُونَ بَعْدَ الثَّلاثِمِائَة
إلى الخَوَاجَهْ شَرَف الدِّين حُسَيْن
فِي بَيَان أَنَّ كُل عَمَل يَصْدُرُ عَلى وَفْق الشَّرِيعَة الغَرَّاء فَهُوَ دَاخل فِي الذِّكر

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عِباده الذينَ اصْطَفَى:

قَدْ وَصَلَت الصَّحيفَةُ الشَّرِيفَةَ التي أَرْسَلهَا وَلدي الأَعَزُّ صُحْبَةُ مَوْلانَا عَبْد الرَّشيد وَمَوْلانَا جَانْ مُحَمَّد، وَوَصَل مَبْلَغُ النَّذْرِ أَيْضًا ــ جَزَاكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ خَيْرًا ــ قَدْ أَوْرَثَ سَمَاعُ خَبَرِ صِحَّتكُمْ فَرَحًا وَافرًا.

أَيُّهَـا الوَلَـــدُ: إنَّ الفُرْصَةَ غَنيمَةٌ، وَالصِّحَّةَ وَالفَرَاغَ مُغْتَنَمَان؛ فَيَنْبَغي صَرَفُ الأَوْقَات إلى الذِّكْرِ الإلهِيِّ ــ جَل شَأْنُهُ ــ عَلى الدَّوَام، وَكُل عَمَل يَصْدُرُ عَلى وَفْقِ الشَّرِيعَة الغَرَّاء فَهُوَ دَاخل فِي الذِّكر وَإنْ كَانَ بَيْعًا وَشراءً؛ فَيَنْبَغي مُرَاعَاةُ الأَحْكَامِ الشَّرْعيَّة فِي جَميعِ الحَرَكَات وَالسَّكَنَات لتَصيرَ كُلهَا ذكْرًا؛ فَإنَّ الذِّكْرَ عبَارَةٌ عَنْ طَرْد الغَفْلة، وَمَتَى حَصَلتْ مُرَاعَاةُ الأَوَامرِ والنواهي فِي جَميعِ الأَفْعَال فَقَدْ تَيَسَّرَت النَّجَاةُ مِنْ أَسْرِ الغَفْلة عَنِ الآمرِ بِالأَوَامرِ وَالنَّاهِي عَنِ المَنَاهِي وَحَصَل دَوَامُ ذِكْرِه تَعَالى.

وَهَذَا الذي ذَكَرْنَاهُ مِنْ دَوَامِ الذِّكْرِ وَرَاءَ يادداشت خواجكان ــ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ ــ فَإنَّهُ مَقْصُورٌ عَلى البَاطِنِ، وَهَذَا مُتَمَشٍّ فِي الظَّاهِرِ أَيْضًا وَإنْ كَانَ مُتَعَسِّرًا، وَفَّقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإيَّاكُمْ بِمُتَابَعَة صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ عَلَيْهِ وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالتَّحيَّةُ.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالثَّلاثُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائَة
إلى مَعْدن العرْفَان المرْزَا حُسَامِ الدِّين أَحْمَدَ
في جوَاب كتَابه الذي تفوحُ عَنْهُ رَائحَةُ العَصَبيَّة
وَبَيَان أَنَّ تَلقينَ الذِّكْرِ مثْل تَعْليم ألفْ بَا للصِّبْيَان

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى

وَبَعْـــــدُ: فَقَدْ تَشرَّفْتُ بمُطَالعَة الصَّحيفَة المُكرَّمَة المُرْسَلة صُحْبَةَ قَاصد كَشْمِيرَ، وَحَيْثُ كَانَتْ مُتَضمِّنَةً بخَبَرِ خَيْريَّة حَضَرَات تلكَ الحُدُود أَوْرَثَتْ فَرحًا وَافرًا جَزَاكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ خَيْرًا.

وَقَد انْدرَجَ فيهَا: أَنَّ المَخْدُومَ زَادَهْ الأَعْظَمَ والخَوَاجَهْ جَمَال الدِّينِ حُسَيْن لاَ يَقْدرَان عَلى الوُصُول هُنَاكَ بوَاسطَة الاسْتحْيَاء مَنْ تُلقينَ الشَّيْخَ مَيَّان الهَدَاد.

أَيُّهَـــا المَخْـــــدُومُ: لاَ يَزَال يَفُوحُ مَنْ مَثْل هَذَا الكَلامَ رَائحَة العَصَبيَّة، وَيَفْهَمُ منْ هَذَا الوَضْع وَالطَّرْحِ المُبَاينَةَ وَالمُخَالفَةُ، إنَّا لله وَإنَّا إليْه رَاجعُونَ، وَكَانَ يَنْبَغي للمَخْدُوم زَادَهْ الأَعْظَم أَنْ يُستَحى منْ مُخَالفَة وَصيَّة وَالده المَاجد، وَالحَيَاءُ منَ التَّوَجُّه وَالإفَادَة الوَاقعَان في حُضُوره بأَمْره إليْهمَا، وَكَانَ يَنْبَغي للشَّيْخ الهَدَاد مَعَ وُجُود دَعْوَى الانْقيَاد للشَّيْخ أَنْ لاَ يتجرئ عَلى هَذَا الأَمْر وَإنْ يُلاحظَ الوَصيَّة وَسبْقَة الإفَادَة، وَالذي كَتَبْتُمُوهُ لاَ بُدَّ وَأَنْ يَكُونَ حَقًّا وَصَوَابًا، وَلَكنَّ المَكْتُوبَ الذي أَرْسَلهُ المَخْدُوم زَادَهْ الأَعْظَمُ مَعَ أَخيه الأَعَزِّ كَانَ مُتَضمِّنًا لكَمَال التَّوَاضُع وَمُشْتَملا عَلى فَرْط الطَّلب وَلَعَلَهُ تَطَرَّقَ إليْه انْحرَافٌ بَعْدَ إرْسَاله المَكْتُوبَ {رَبَّنَا لاَ تُزغْ قُلوبَنَا بَعْد إذْ هَدَيْتنا وَهَبْ لنَا منْ لدُنْك رَحْمَة إنَّك أَنْت الوَهَّابُ}(١).

وَلَكنَّ الفَقيرَ يَعْلمُ أَنَّ وَصيَّتَهُ لاَ تَكُونُ بلا حكْمَة، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ لَهَا عَاقبَةٌ مَحْمُودَةٌ، وَلَكنِّي أَتَأَسَفُ عَلى ضَيَاع مثْل ذَلكَ الطَّلبُ الذي فَهمَتْ نُبْذَةً منْهُ منْ مَكْتُوبه وَيَقْعُدُ ضدَّهُ في مَحَله، وَهَذَا المَعْنَى ثَقيل عَلى الأَحْبَاب النَّاصحينَ جدًّا بحَيْثُ يَتمُّ عَليْهمُ المَآتم بذَلكَ.

أَيُّهَـــا المُكَــــــرَّمُ: إنْ تَمَّ الأَمْرُ بمُجَرَّد التَّلقين فَمُبَارَك، وَعنْدَ الفَقير تَلقينِ الذِّكْر كَتَعْليم أَلف بَا للصِّبْيَان، فَإنْ كَانَ مُجَرَّد ذَلكَ التَّعَلم مُحَصِّلا لمَلكَة

---

(١) آل عمران: ٨

المَوْلوِيَّة فَأَيُّ مُضَايَقَة فيه، وَالمُتوَقَّع مَنْ كَرَم التفَاتكُمْ هُوَ أَنْ تَتْرُكُوا كفَّة العَصَبِيَّة، وَأَنْ تَجْعَلواً مَحَبَّتَكُمْ وَمَوَدَّتَكُمْ لجَميعِ الإِخْوَانِ عَلى السَّوِيَّة، وَمَاذا أُبالغُ أَزْيَد مِنْ ذَلكَ ،،، وَالسَّلام.

المَكْتُوبُ الأَرْبَعُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائَة
إِلى مَوْلانَا مُحَمَّد طَاهِرِ البَدَخْشِي
فِي جَوَابِ تَشْكِيكَات الشَّيْخِ عَبْدِ العَزِيزِ الجونفوري
فِي المَكْتُوبِ الأَوَّل

المُرْسَل إِلَيْه ــ بَعْدَ الحَمْد وَالصَّلَوَات وَتَبْليغِ الدَّعَوَات ــ أَنْهَى أَنَّ المَكْتُوبَ الذي أَرْسَلْتُمُوهُ بَعْدَ مُدَّة مَديدَة أَوْجَبَ الفَرَحَ بِوُصُوله جَعَلَكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ مُحَلى وَمُزَيَّنًا بِجَمْعِيَّة(١) الظَّاهِرِ وَالبَاطِنِ عَلى الدَّوَام.

وَالفَقيرُ قَدْ كَتَبْتُ اليْكُمْ فِي هَذه المُدَّة ثَلاثَةَ مَكَاتيبَ وَوَصَل مِنْهَا إِلَيْكُمْ مَكْتُوبٌ وَاحدٌ، بُعْدُ المَسَافَة عُذْرٌ مَانعٌ، وَوَصَل أَيْضًا مَعَ مَكْتُوبكُمْ المَكْتُوبُ الذي كَتَبَهُ الشَّيْخُ عَبْدُ العَزِيزِ وَاتَّضَحَ مَا انْدَرَجَ فيه، وَممَّا انْدَرَجَ فيه أَنَّهُ لوْ كَانَتْ حَقَائقُ المُمْكنَات ــ التي هِيَ صُوَرٌ علميَّةٌ ــ العَدمَات التي هِيَ أَضْدَادُ الصِّفَات يَلزَمُ حُصُول تلكَ العَدَمَات فِي الذَّات ــ تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ ــ وَهُوَ سُبْحَانَهُ مُنزَّهٌ عَنْ ذَلكَ وَهَذه شُبْهَةٌ عَجيبَةٌ!! أَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ يَعْلمُ الأَشْيَاءَ الشَّرِيفَةَ وَالكَثيفَةَ وَلَيْسَ لشَيْءٍ منْهَا حُصُول فِي حَضْرَة الذَّات تَعَالتْ وَلا اتِّصَافَ للذَّات بشَيْءٍ مِنْهَا؟! فَمنْ أَيْنَ جَاءَ الحُصُول فِي هَذه الصُّورَة؟!

وَمنْــــهُ: أَنَّ حَقَائقَ المُمْكنَات يَنْبَغي أَنْ تَكُونَ مَوْجُوديَّةً وَثُبُوتيَّةً لا عَدَميَّةً؛ فَإِنَّ الحَقَائقَ عبَارَةٌ عَنْ أَرْوَاحِ المُمْكنَاتٌ وَنُفُوسهَا، نَعَمْ: إِنَّ لهَا وُجُودًا وَثُبُوتًا علميَّيْنِ وَهَذَا هُوَ القَدْرُ اللازمُ فِي الحَقَائق، وَكَانَ يَنْبَغي لهُ أَنْ يَعْتَرِضَ بهَذَا الاعْترَاضِ أَوَّلا عَلى الشَّيْخِ مُحْيي الدِّينِ ابْنِ العَرَبيِّ لأَنَّهُ قَال: " الأَعْيَانُ مَا شَمَّتْ رَائحَةَ الوُجُود ".

وَالعَجَبُ أَنَّهُ جَعَل الحَقَائقَ هُنَا عبَارَةً عَنْ أَرْوَاحِ المُمْكنَات وَنُفُوسهَا وَتَرَكَ الأَعْيَان الثَّابتَة وَمَعْلومَات الله تَعَالى.

وَمنْــــهُ: أَنَّ الأَنْبيَاءَ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالأَوْليَاءَ عَليْهمُ الرِّضْوَانُ وَسَائرَ أَفْرَاد الإِنْسَان ــ: منَ المُمْكنَات، فَلوْ كَانَتْ حَقَائقُ هَؤُلاءِ عَدَمَات يَكُونُ الشَّرَفُ مَسْلُوبًا عَنْ هَؤُلاءِ الزُّمْرَة العَليَّة وَالكَمَال فيهمْ مَعْدُومًا.

---

(١) - **الجمعية**: هي اجتماع الهمم في التوجه إلى الله والإشتغال به عما سواه، وبإزائها التفرقة، وهي توزع الخاطر للإشتغال بالخلق. انظر: الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية: ٦٧.

كَيْفَ يَكُونُ مَسْلوبًا ومَعْدُومًا؛ فَإنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ جَعَلَ تِلكَ العَدَمَات بحكْمَته البَالغَة وَقُدْرَته الكَاملة وَبحُسْنِ تَرْبيَته مَرَايَا عُكُوسِ أَسْمَائه وَصفَاته، وَشَرَّفَ بشَرَفِ النُّبوَّة وَالولايَة وَجُعل مُحَلى بحليَة ظلال كَمالاته وَصُيِّرَ مُعَزَّزًا وَمُكرَّمًا، كَمَا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ خَلقَ الإنْسَانَ منْ مَاء مَهين وَبَلغَهُ الدَّرَجَات العُلى.

وَالعَجــيبُ: أَنَّهُمْ يُلاحظُونَ شَرَفَ الإنْسَان وَكَرَامَتَهُ وَيُضَيِّعُونَ تَنْزيهَ الوَاجب وَتَقْديسَهُ تَعَالى وَتَقدَّسَ وَيَقُولونَ: " الكُل هُوَ "، وَيَزْعُمُونَ الأشْيَاءَ الخَسيسَةَ الرَّذيلَةَ عَيْنَ الحَقِّ تَعَالى وَتَقدَّسَ أَعْطَاهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ الإنْصَافَ.

وَمنْــــهُ: أَنَّهُ لاَ يُمْكنُ رَفْعُ الكَلام المُجْمَع عَليْه بالمُبْتَدع.

نَحْنُ نَرَى الكَلامَ المُبْتَدعَ القَوْل بأَنَّ الكُل هُوَ، لاَ القَوْل بأَنَّ الكُل منْهُ؛ فَإنَّهُ ممَّا أَجْمَعَ عَليْه العُلمَاءُ، وَإنَّمَا تَتَوَجَّهُ المَلامَةُ وَالشَّنَاعَةُ إلى صَاحب الفُصُوص إلى هَذَا الزَّمَان بوَاسطَة قَوْله: " الكُل هُوَ " وَحَاصل مَعَارف الفَقير التي كَتَبْتُهَا: " الكُل منْهُ " وَهُوَ مَقْبُول شَرْعًا وَعَقْلا وَكَيْفَ إذَا كَانَ مُؤَيَّدًا بالكَشْف وَالإلهَام(١).

ثُمَّ كَتَبَ الشَّيْخُ بَعْدَ ذكْر الاعْترَاضَات تَنَزُّلا إلى مَقَام الشَّفَقَة أَنَّهُ لوْ أُريدَ بحَقَائق المُمْكنَات الأَرْوَاحُ الإنْسَانيَّةُ فَمُوَافقٌ للجُمْهُور.

وَلَمْ أَدْر أَيَّ صنْف أَرَادَ منَ الجُمْهُور؟! فَإنَّهُ لَمْ يُسْمَعْ إلى الآن أَنَّ أَحَداً قَال بأَنَّ حَقَائقَ المُمْكنَات هيَ الأَرْوَاحُ الإنْسَانيَّةُ، وَالعَجَبُ منَ الشَّيْخ كُل العَجَب حَيْثُ تَخَيَّل أَنَّ كُل أَحَد يَقُول مَا يَقُول بالقيَاس وَالتَّخْمين وَنَسْجه بالتَّفكُّر وَالتَّخيُّل، كَلا،

(١) – **الإلهام**: لغة:مصدر ألهم، والإلهام من الله تعالى: هو ما يقذفه الله في قلب عبده من الخير.، يقال ك ألهمه الله تعالى خيرا: أى لقنه إياه. انظر: الفيروزابادي: القاموس المحيط / لهمه.، ابن منظور: لسان العرب: لهم.

أما عند الصوفية: فالمراد به: الإطلاع على الأسرار الغيبية بعين البصيرة في عالم المثال بلا شك وشبهة اطلاعا غيبيا.

وصورته في **البدايات**: صدق الخواطر.، وفي **الأبواب**: نفث الروح الأمين في الروع هتافا، أو مشافهة أو محادثة.، وفي **المعاملات**:إلقاء في القلب على سبيل التقييم، أو الوحي القاطع. وفي **الأخلاق**: التهدي إلى الأخلاق الإلهية بهداية الحق.، وفي **الأصول**:تلقي التأديبات الإلهية وشرائط السلوك، وأحكام المنازل من الحق.، وفي **الأحوال**: تلقي خصائص المحبة وأحكامها، وقبول الجذبات الإلهية بلا تعمل ولا كسب، بل بمحض الموهبة والإمتنان.، وفي **الولايات**: الإبصار والسماع ببصيرة الحق وسمعيته.

وفي **الحقائق**: جلاء عين التحقيق بالحق حال الإتصال.، وفي **النهايات**: التكلم بكلام الحق الأزلي بلا واسطة. انظر: الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية: ٢٩٨.

إنَّ المَعَارِفَ التِي تُمْلى وَتُكْتَبُ بلا كَشْف وَإلهَام أَوْ تُحَرَّرُ وَتُقَرَّر بدُون شُهُود وَمُشَاهدَة ـــ: فهيَ بُهْتَانٌ وَافْترَاءٌ، خصوصًا إذَا كَانَتْ مُخَالفَةً لمَا ذَهَبَ إليْه القَوْمُ، وَلَمْ أَدْر مَاذَا اعْتَقَدَ الشَّيْخُ المُشَارُ إليْه وَمنْ أيِّ قُبَيْل فَهِمَ هَذه المَعَارِفَ؟! {رَبَّنَا اغْفرْ لنَا ذُنُوبَنَا وَإسْرَافَنَا في أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلى القَوْمِ الكَافِرِينَ}[1]

،،، ،،، ،،، وَالسَّلامُ.

---

(١) البقرة:٢٨٦

المَكْتُوبُ الحَادِي وَالأَرْبَعُونَ بَعْدَ الثَّلاثِمِائَةِ
إِلى مَوْلانَا مُحَمَّد صَادِقٍ الكَشْمِيرِيِّ
فِي جَوَابِ اسْتِفْسَارَاتِهِ

بَعْدَ الحَمْدِ وَالصَّلَوَاتُ وَتَبْلِيغِ الدَّعَوَاتِ:

أُنْهِيَ أَنَّ المَكْتُوبَ الشَّرِيفَ قَدْ وَصَلَ وَحَيْثُ كَانَ مُتَضَمِّنًا لأَحْوَالٍ شَرِيفَةٍ مَقْبُولَةٍ صَارَ مُوجِبًا للفَرَحِ:

وَكَتَبْتَ فِيهِ أَنَّ المُعَامَلَةَ فِي الدِّرَايَةِ بَلَغَتْ مَبْلَغًا لاَ أَقْدِرُ حَمْلَ الصِّفَاتِ عَلى الذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ إلا بِالتَّكَلُّفِ، وَأَرَى أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ وَرَاءَ الكُلِّ، يَنْبَغِي السَّعْيُ إِلى أَنْ يَبْقَى هَذَا الحَمْلِ بِالتَّكَلُّفِ أَيْضًا وَيَنْجَرُّ الأَمْرُ إِلى الحَيْرَةِ الصِّرْفَةِ.

وَسُئِلتُ أَنَّهُ نُقِل فِي الرَّشَحَاتِ عَنْ بَابَا آبريز أَنَّهُ قَالَ: " لَمَّا عَجَنَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ طِينَةَ آدَمَ فِي الأَزَلِ صَبَبْتُ المَاءَ فِي ذَلِكَ الطِّينِ " فَمَا يَكُونُ تَأْوِيل هَذَا الكَلامِ؟

اعْلَـــمْ: أَنَّ المَلائِكَةَ الكِرَامَ ــ عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ كَانَ لَهُمْ دَخْل فِي خِدْمَةِ طِينَةِ آدَمَ ــ عَلَيْهِ السَّلامُ ــ كَذَلِكَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِرُوحِ المَذْكُورِ دَخْل فِي تِلْكَ الخِدْمَةِ وَأَنْ يُفَوَّضَ إِلَيْهِ خِدْمَةُ صَبِّ المَاءِ وَأَنْ يَكُونَ مُطَّلِعًا مِنْ عَالَمِ الغَيْبِ عَلى هَذَا المَعْنَى بَعْدَ نَشْأَتِهِ العُنْصُرِيَّةِ، بَل بَعْدَ كَمَالِهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يُعْطِيَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ للأَرْوَاحِ المُجَرَّدَةِ قُدْرَةً تَصْدُرُ بِهَا أَفْعَال الأَجْسَامِ، وَمِنْ هَذَا القَبِيلِ مَا أَخْبَرَ بَعْضُ الكُبَرَاءِ عَنْ أَفْعَالِهِ الشَّاقَّةِ الصَّادِرَةِ عَنْهُ قَبْلَ وُجُودِهِ العُنْصُرِيِّ بِقُرُونٍ مُتَطَاوِلَةٍ وَكَانَ صُدُورُ تِلْكَ الأَفْعَال عَنْ أَرْوَاحِهِمُ المُجَرَّدَةِ، وَحَصَلَ لَهُمُ الاطِّلاعُ عَلى هَذَا المَعْنَى بَعْدَ وُجُودِهِ العُنْصُرِيِّ، وَأَوْقَعَ صُدُورُ هَذِهِ الأَفْعَال جَمَاعَةً فِي تَوَهُّمِ التَّنَاسُخِ[1] مَعَاذَ اللهِ مِنْ تَوَهُّمِ تَعَلُّقِ تِلْكَ الأَرْوَاحِ بِأَبْدَانٍ أُخْرَى، وَالرُّوحُ المُجَرَّدَةُ هِيَ الَّتِي تَفْعَلُ أَفْعَال البَدَنِ بِأَقْدَارِ اللهِ جَل سُلْطَانُهُ، وَتُوقِعُ أَرْبَابَ الزَّيْغِ فِي الضَّلالَةِ، وَمَجَال الكَلامِ فِي هَذَا المَقَامِ كَثِيرٌ وَقَدْ فَاضَتْ تَحْقِيقَاتٌ عَجِيبَةٌ فَإِنْ وُفِّقْنَا تُثْبِتْهَا فِي مَحَل إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالى، وَالآنَ لَمْ يُسَاعِدِ الوَقْتُ.

---

(١) **التناسخ:** انتقال النفس بعد الموت إلى جسم آخر نباتي أو حيواني أو إنساني. انظر: المعجم الفلسفي: ٤٩.، الجرجاني: التعريفات: ٩٣.

وَسَأَلتَ أَيْضًا أَنَّهُ قَدْ ذُكِرَ فِي الرَّشَحَات أَنَّ الخَوَاجَهْ عَلاءَ الدِّينِ العَطَّارَ ــ قُدِّسَ سِرُّهُ ــ لَمَّا تَأَذَّى خَاطِرُهُ مِنْ مَوْلانَا نِظَامِ الدِّينِ الخاموش ــ قُدِّسَ سِرُّهُ ــ أَرَادَ أَنْ يَسْلُبَ عَنْهُ نِسْبَتَهُ فَالتَجَأَ مَوْلانَا فِي ذَلِكَ الوَقْتِ إِلى رُوحَانِيَّةِ النَّبِيِّ ــ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ فَوَصَلَ الخِطَابُ مِنْهُ ﷺ إِلى حَضْرَةِ الخَوَاجَهْ: " إِنَّ نِظَامَ الدِّين مِنَّا لَيْسَ لأَحَدٍ مَجَالُ التَّصَرُّفِ فِيهِ "، وَذُكِرَ فِي مَحَلٍّ آخَرَ مِنْ هَذَا الكِتَابِ أَنَّ الخَوَاجَهْ أَحْرَار ــ قُدِّسَ سِرُّهُ ــ أَرَادَ أَنْ يَسْلُبَ عَنْهُ نِسْبَةَ مَوْلانَا حِينَ صَيْرُورَتِه شَيخًا كَبِيرًا فَقَالَ مَوْلانَا: " إِنَّ الخَوَاجَهْ وَجَدَنَا شَيْخًا فَأَخَذَ كُل مَا كُنْتُ نِلْتُهُ وَجَمَعْتُهُ وَصَيَّرَنِي مُفْلِسًا فِي آخِرِ الأَمْرِ " كَيْفَ يَتَصَرَّفُ الخَوَاجَهْ أَحْرَار ــ قُدِّسَ سِرُّهُ ــ فِيمَنْ قَال رَسُول اللهِ ﷺ فِي حَقِّهِ:"إِنَّهُ مِنَّا لَيْسَ لأَحَدٍ مَجَالُ التَّصَرُّفِ فِيهِ"

اعْلَـــــمْ: أَنَّ حَضْرَةَ شَيْخِنَا ــ قُدِّسَ سِرُّهُ ــ كَانَ لاَ يَسْتَحْسِنُ هَذَا النَّقْلَ وَكَانَ يَتَوَقَّفُ فِي تَصْدِيقِ سَلْبِ نِسْبَةِ مَوْلانَا، وَكَانَ يَقُول: " إِنَّ هَذَا النَّقْلَ لَمْ يَثْبُتْ مِنْ مَوْلانَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ الجَامِي وَغَيْرِهِ مِنْ مُرِيدِي مَوْلانَا سَعْد الدِّينِ الكَاشغرى الذِي هُوَ مُرِيدُ مَوْلانَا فَخْرِ الدِّينِ، وَلَمْ يُنْقَل عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ بِالرَّدِّ وَالقَبُول، وَهُمْ جَمَاعَةٌ كَثِيرُونَ، فَمِنْ أَيْنَ سَمِعَهُ مَوْلانَا فَخْرُ الدِّينِ عَلِيٌّ وَكَتَبَهُ، فَإِنْ كَانَ هَذَا الخَبَرُ صَادِقًا لَنُقِل بِالتَّوَاتُرِ لِتَوَفُّرِ الدَّوَاعِي عَلَى نَقْلِه، وَحَيْثُ لَمْ يُنْقَل بِالتَّوَاتُرِ وَتَقَرَّرَ عَلَى خَبَرِ الوَاحِد، عَلى أَنَّ فِي صِدْقِه تَرَدُّدًا، وَبَعْضُ النُّقُول التِي يَنْقُلُهَا صَاحِبُ الرَّشَحَات غَيْرُ هَذَا أَيْضًا بَعِيدٌ عَنِ الصِّدْقِ، وَلأَهْلِ هَذِهِ السِّلْسِلَة العَلِيَّة تَرَدُّدَاتٌ فِي صِدْقِ تِلْكَ النُّقُول، وَهُوَ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ.

وَأَيْضَـــــا: كَانَ حَضْرَةُ شَيْخِنَا ــ قُدِّسَ سِرُّهُ ــ يَقُول: " إِنَّ التَّفْلِيسَ يَدُلُّ عَلَى سَلْبِ الإِيمَان " أَعَاذَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ مِنْهُ، وَتَجْوِيزُ هَذَا المَعْنَى مُشْكِلَةٌ جِدًّا، {رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ}(١).

---

(١) آل عمران: ٨

المَكْتُوبُ الثَّاني وَالأَرْبَعُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائة
إلى مَعْدن الفَضيلة الشَّيْخ عَبْد الحَقِّ الدَّهْلويِّ
في بَيَان أَنَّ أَفْضَل الأَمْتعَة في هَذه النَّشْأة الحُزْنُ وَالغَمّ وَأَهْنَى نعَم هَذه المَائدَة المُصيبَةُ وَالأَلَم

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى:

أَيُّهَا المَخْدُومُ المُكَرَّمُ: إنَّ الآلامَ وَالمَصَائبَ ـ وَإنْ كَانَتْ ثَقيلةً حَيْثُ إنَّهَا تَحمل الأَذَى ـ وَلكنَّ فيهَا رَجَاءَ الكَرَامَات، وَأَفْضَل أَمْتعَة هَذه النَّشْأَة الحُزْنُ وَالغَمُّ، وَأَهْنَى نَعيم هَذه المَائدَة المُصيبَةُ وَالأَلَمُ، قَدْ جُعل هَذَا السُّكَّر في غلاف رَقيق منْ دَوَاء مُرٍّ وَفَتَحَ طَريقَ الابْتلاء، بهَذه الحيلة نَظَرَ السُّعَدَاءُ إلى حَلاوَة ذَلكَ السُّكَّر وَصَارُوا يَبْلعُونَ ذَلكَ المُرَّ مثْل السُّكَّر وَوَجَدُوا المَرَارَةَ حُلوًا، عَلى عَكْس الصَّفْرَاويِّ حَيْثُ لاَ يَجدُهُ حُلوًا؛ فَإنَّ أَفْعَال المَحْبُوب كُلهَا حُلوَةٌ، وَإنَّمَا يَجدُهَا مُرًّا مَنْ كَانَ عَليلا بعلة التَّعَلق بالسِّوَى، وَأَهْل السَّعَادَة يَجدُونَ في إيلام المَحْبُوب منَ الحَلاوَة وَاللذَّة مَا لاَ يُتَصَوَّرُ وُجْدَانُ مثْله في الإنْعَام؛ فَإنَّهُ وَإنْ كَانَ كلاهُمَا منَ المَحْبُوبِ وَلكنْ لاَ مَدْخَل في الإيلامِ لنَفْس المُحبِّ وَفي الإنْعَام قيَامٌ بمُرَاد النَّفْس:

هَنيئًا لأَرْبَاب النَّعيم نَعيمُهَا

اَللهُمَّ لاَ تَحرمْنَا أَجْرَهُمْ وَلا تَفْتنَّا بعْدَهُمْ.

وَوُجُودُكُمُ الشَّريفُ وَقْتَ غُرْبَة الإسْلامِ مُغْتَنَمٌ لأَهْل الإسْلامِ، سَلمَكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَأَبْقَاكُمْ ،،، ،،، ،،، وَالسَّلامُ.

المَكْتُوبُ الثَّالثُ وَالأَرْبَعُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائَة
إلى الخَوَاجَهْ مُحَمَّد أَشْرَف وَالحَاجِّ مُحَمَّد الفركتي
في جَوَاب سُؤَالَيْهِمَا
أَحَدُهُمَا عَنْ دَوَامِ نسْبَة الرَّابطَة
وَالآخَرُ عَن الفُتُور في المَشْغُوليَّة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله وَسَلاَمٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى:

وَصَلَت الصَّحيفَةُ التي أَرْسَلَهَا الأَخُ الأَعَزُّ الأَشْرَفُ، وَاتَّضَحَت الكَيْفيَّاتُ المُنْدَرِجُ فيهَا.

بَيَـــانُهَا: كَتَبَ الخَوَاجَهْ مُحَمَّدُ أَشْرَف عَنْ دَوَامِ نسْبَة الرَّابطَة بأَنَّهَا قَد اسْتَوْلَتْ عَلى حَدٍّ أَرَاهَا في الصَّلاَة مَسْجُودَةً لي فَإنْ نَفيْتُهَا فَرْضًا لاَ تَنْتَفي أَصْلا:

أَيُّهَـــا المُحِـــــبُّ: إنَّ هَذه الدَّوْلَةَ هيَ مُتَمَنَّى الطُّلاب وَلا يُعْطَاهَا إلا وَاحدٌ منْ أُلوف، وَصَاحبُ هَذه المُعَامَلَة مُسْتَعدٌّ تَامُّ المُنَاسَبَة يُحْتَمَل أَنْ يَجْذبَ جَميعَ الكَمَالات بقَليل منْ صُحْبَة المُقْتَدَى به، وَكَيْفَ تُنْفَى الرَّابطَةُ؛ فَإنَّهَا مَسْجُودَةٌ إلَيْهَا لاَ مَسْجُودٌ لَهَا وَلَمَ تُنْفَى المَحَاربُ وَالمَسَاجدُ، وَظُهُورُ مثْل هَذه الدَّوْلَة إنَّمَا يَتَيَسَّرُ للسُّعَدَاء حَتَّى يَعْلَمَ صَاحبُ الرَّابطَة وَاسطَتَهُ في جَميعِ الأَحْوَال، وَليَكُونَ مُتَوَجِّهًا إلَيْه في جَميعِ الأَوْقَات لاَ لجَمَاعَة حُرمُوا الدَّوْلَةَ وَزَعَمُوا أَنْفُسَهُمْ مُسْتَغْنينَ وَيُحَرِّفُونَ قبْلَةَ تَوَجُّههمْ عَنْ شَيْخهمْ وَيُضَيِّعُونَ مُعَامَلَتَهُمْ.

وَكَتَبْتَ أَيْضًا خَبَرَ فَوْتَ وَالدَة الأَوْلاد فَقُلْنَا: إنَّا لله وَإنَّا إلَيْه رَاجعُونَ، وَقَرَأْنَا الفَاتحَةَ، وَفُهمَ أَثَرُ الإجَابَة في أَثْنَاء القرَاءَة.

وَذَكَرَ مَوْلاَنَا الحَاجُّ مُحَمَّدٌ أَنَّهُ قَدْ طَرَأَ الفُتُورُ في المَشْغُوليَّة مُنْذُ شَهْرَيْنِ، وَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ منَ الذَّوْق وَالحَلاوَة اللذَيْن كَانَا منْ قَبْل:

أَيُّهَـــا المُحِـــــبُّ: لاَ غَمَّ إذَا لَمْ يَطْرَأ الفُتُورُ عَلى شَيْئَيْن:

أَحَدُهُمَا: مُتَابَعَةُ صَاحب الشَّريعَة ـــ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ وَالتَّحيَّةُ.

الثَّاني: الأخلاصُ وَالمَحَبَّةُ لشَيْخه.

فَلَوْ طَرَأَ أُلوفٌ منَ الظُّلمَة مَعَ وُجُود هَذَيْنِ الأَمْرَيْنِ لاَ يَضُرُّ وَلا يُخَافُ عَلَيْه منَ الضَّيَاعِ، وَلوْ ظَهَرَ النُّقْصَانُ ـــ عيَاذًا باللهِ سُبْحَانَهُ ـــ في وَاحدٍ منْ هَذَيْنِ

الأَمْرَيْنِ فَخُسْرَانٌ فِي خُسْرَانٍ، وَإِنْ كَانَ فِي حُضُورٍ[1] وَجَمْعِيَّةٍ؛ فَإِنَّهُ اسْتِدْرَاجٌ وَلَهُ سُوءُ العَاقِبَةِ.

يَنْبَغِي أَنْ يَطْلُبَ مِنَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ بِالتَّضَرُّعِ وَالابْتِهَالِ ـــ الثَّبَاتُ عَلَى هَذَيْنِ الأَمْرَيْنِ، وَأَنْ يَسْأَلَهُ سُبْحَانَهُ الاسْتِقَامَةَ عَلَيْهِمَا؛ فَإِنَّهُمَا مِلاكُ الأَمْرِ وَمَدَارُ النَّجَاةِ.

،،، ،،، ،،، وَالسَّلامُ عَلَى سَائِرِ الإِخْوَانِ خُصُوصًا عَلَى المُحِبِّ القَدِيمِ مَوْلانَا عَبْدِ الغَفُورِ السَّمَرْقَنْدِيِّ

---

(١) الحضور: يعني حضور القلب بالحق في تجلياته الذاتية، والوصفية والفعلية، عند غيبته بالحق عن الخلق.انظر: الكاشاني: رشح الزلال: ٧٨.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالأَرْبَعُونَ بَعْدَ الثَّلاثَمائَة
إِلَى الخَوَاجَهْ شَرَفِ الدِّينِ حُسَيْنٍ
فِي الوَعْظِ وَالنَّصِيحَة

الحَمْدُ للهِ وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الذِينَ اصْطَفَى:

أَيُّهَا الوَلَدُ الأَعَزُّ: إِنَّ الفُرْصَةَ مُغْتَنَمَةٌ؛ فَيَنْبَغِي أَنْ لاَ تَصْرِفَ تَمَامَ العُمُرِ فِي أُمُورٍ لاَ طَائِلَ فِيهَا، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ تَصْرِفَ تَمَامَهُ فِي مَرَاضِي الحَقِّ جَلَّ وَعَلا:

يَنْبَغِي أَنْ تُؤَدِّيَ الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ بِالجَمْعِيَّةِ وَالجَمَاعَةِ مَعَ تَعْدِيلِ الأَرْكَانِ.

وَيَنْبَغِي أَنْ لاَ تَتْرُكَ صَلاَةَ التَّهَجُّدِ وَأَنْ لاَ تُضَيِّعَ الاسْتِغْفَارَ فِي الأَسْحَارِ مَجَّانًا.

وَأَنْ لاَ تَغْتَرَّ بِمَنَامِ الأَرْنَبِ.

وَأَنْ لاَ تَنْخَدِعَ بِالحُظُوظِ العَاجِلَة.

وَأَنْ تَجْعَلَ تَذَكُّرَ المَوْتِ وَأَهْوَالِ الآخِرَةِ نُصْبَ العَيْنِ.

وَبِالجُمْلَةِ: يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ مُعْرِضًا عَنِ الدُّنْيَا وَمُقْبِلا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنْ تَشْتَغِلَ بِالدُّنْيَا بِقَدْرِ الضَّرُورَةِ وَأَنْ تَعْمُرَ سَائِرَ الأَوْقَاتِ بِالاشْتِغَالِ بِأُمُورِ الآخِرَةِ.

وَحَاصِلُ الكَلامِ هُوَ أَنَّهُ: يَنْبَغِي أَنْ يَتَخَلَّصَ القَلْبُ مِنْ رُؤْيَةِ الأَغْيَارِ وَالسِّوَى، وَأَنْ يَكُونَ الظَّاهِرُ مُزَيَّنًا وَمُحَلًى بِالأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، (ع):

هَذَا هُوَ الأَمْرُ وَالبَاقِي خَيَالاتٌ

وَبَقِيَّةُ الأَحْوَالِ بِالخَيْرِ،،،،،،،، وَالسَّلامِ.

الْمَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالأَرْبَعُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائة
إلى المرزا قليج الله
فِي جَوَابِ عَرِيضَتِه الَّتِي كَتَبَهَا
فِي الشِّكَايَةِ مِنْ عَدَمِ جَمْعِيَّةِ البَاطِنِ
وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

بَعْدَ الحَمْدِ للهِ وَالصَّلَوَاتِ وَتَبْلِيغِ الدَّعَوَاتِ:

أُنْهِيَ أَنَّ الصَّحِيفَةَ الشَّرِيفَةَ المَكْتُوبَةَ فِي بَابِ التَّعْزِيَةِ قَدْ وَصَلَتْ، {إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}(١)، نَحْنُ رَضِينَا بِقَضَاءِ اللهِ تَعَالَى بِتَوْفِيقِهِ سُبْحَانَهُ، وَيَنْبَغِي لَكُمْ أَيْضًا أَنْ تَكُونُوا رَاضِينَ بِهِ، وَأَنْ تَكُونُوا مُعَاوِنِينَ وَمُمِدِّينَ بِالدُّعَاءِ وَالفَاتِحَةِ، وَصَارَ خَبَرُ خَلاصِكُمْ بَاعِثًا عَلَى المَسَرَّةِ وَالفَرَحِ وَسَكَنَ بِهِ أَحَدُ الأَلَمَيْنِ، للهِ سُبْحَانَهُ الحَمْدُ وَالمِنَّةُ عَلَى ذَلِكَ.

وَكَتَبْتَ شِكَايَةً عَنْ فِقْدَانِ جَمْعِيَّةِ البَاطِنِ: نَعَمْ إِنَّ لِتَشَتُّتِ الظَّاهِرِ تَأْثِيرًا عَظِيمًا فِي تَصَرُّفِ البَاطِنِ فَإِذَا وُجِدَتِ الكُدُورَةُ فِي البَاطِنِ يَنْبَغِي تَدَارُكُهَا بِالتَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ، وَإِذَا ظَهَرَتْ صُورَةٌ هَائِلَةٌ يَنْبَغِي دَفْعُهَا بِكَلِمَةِ التَّمْجِيدِ: " لاَ حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ "، وَتَكْرَارُ المُعَوِّذَتَيْنِ مُغْتَنَمٌ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ وَبَقِيَّةُ الأَحْوَالِ مُسْتَوْجَبَةٌ لِلحَمْدِ، للهِ سُبْحَانَهُ الحَمْدُ وَالمِنَّةُ دَائِمًا عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَأَعُوذُ بِاللهِ سُبْحَانَهُ مِنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ، وَفِي الفَقِيرِ أَثَرُ الضَّعْفِ؛ وَلِهَذَا صَرَفْتُ النَّظَرَ عَنْ تَحْرِيرِ تَفْصِيلِ الأَحْوَالِ، رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمُ الاسْتِقَامَةَ عَلَى جَادَّةِ الشَّرِيعَةِ المُصْطَفَوِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالتَّحِيَّةُ.

،،، ،،، ،،، وَالسَّلام.

---

(١) البقرة: ١٥٦

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالأَرْبَعُونَ بَعْدَ الثَّلاثِمائَةِ
إلى مَوْلانَا مُحَمَّد صَالِح الكولابي
فِي بَيَانِ أَنَّ المَحْبُوبَ مَحْبُوبٌ فِي نَظَرِ المُحبِّ عَلى كُلِ حَالٍ سَوَاءٌ صَدَرَ عَنْهُ الإِنْعَامُ أَوِ الإِيلامُ بَل الإِيلامُ عِنْدَ الأَقَلينَ مُوجِبٌ لازْدِيَادِ المَحَبَّةِ أَكْثَرَ مِنْ إِنْعَامِهِ وَبَيَانِ مَزِيَّةِ الحَمْدِ عَلَى الشُّكْرِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

الحَمْدُ للهِ وَسَلامٌ عَلى عِبَادِهِ الذينَ اصْطَفَى:

وَبَعْدُ: فَلْيَعْلَمِ الأَخُ الأَعَزُّ مَوْلانَا مُحَمَّدُ صَالِحٍ أَنَّ المَحْبُوبَ مَحْبُوبٌ فِي نَظَرِ المُحبِّ، بَل فِي نَفْسِ الأَمْرِ فِي جَمِيعِ الوَقْتِ وَفِي جَمِيعِ الحَالِ، سَوَاءٌ آلَمَ أَوْ أَنْعَمَ فَهُوَ مَحْبُوبٌ عَلى كِلا الحَالَيْنِ.

وَعِنْدَ أَكْثَرِ النَّاسِ الذينَ تَشَرَّفُوا بِدَوْلَةِ المَحَبَّةِ أَنَّ ازْدِيَادَ مَحَبَّةِ المَحْبُوبِ فِي وَقْتِ الإِنْعَامِ أَكْثَرُ مِنْهُ فِي وَقْتِ إِيلامِهِ أَوْ هُوَ مُسَاوٍ فِي الوَقْتَيْنِ.

وَعِنْدَ الأَقَلِ عَكْسُ هَذِهِ المُعَامَلَةِ يَعْنِي: إِيلامُهُ مُوجِبٌ لازْدِيَادِ المَحَبَّةِ أَكْثَرُ مِنْ إِنْعَامِهِ.

وَمُقَدِّمَةُ هَذِهِ الدَّوْلَةِ العُظْمَى: حُسْنُ ظَنٍّ بِالمَحْبُوبِ حَتَّى إِنَّ المَحْبُوبَ لَوْ أَمَرَّ السِّكِّينَ عَلى حُلْقُومِ المُحبِّ وَمَزَّقَ كُل عُضْوٍ مِنْهُ وَفَرَّقَهُ مِنَ الآخَرِ لعَلمَ المُحبُّ ذَلِكَ عَيْنَ صَلاحِهِ وَيَتَصَوَّرُهُ عَيْنَ فَلاحِهِ، فَإِذَا ارْتَفَعَتْ كَرَاهَةُ فِعْلِ المَحْبُوبِ عَنْ نَظَرِ المُحبِّ بِحُصُولِ هَذَا الظَّنِّ الحَسَنِ تَشَرَّفَ بِدَوْلَةِ المَحَبَّةِ الذَّاتِيَّةِ التي هِيَ مُعَرَّاةٌ عَنْ جَمِيعِ النِّسَبِ وَالاعْتِبَارَاتِ، وَمَخْصُوصَةٌ بِحَبِيبِ رَبِّ العَالمينَ ــ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ ــ وَوَجَدَ الالتِذَاذَ وَالفَرَحَ فِي الإِيلامِ أَكْثَرَ مِنْهُمَا فِي الإِنْعَامِ.

وَأَظُنُّ أَنَّ هَذَا المَقَامَ فَوْقَ مَقَامِ الرِّضَاءِ؛ فَإِنَّ فِي الرِّضَاءِ دَفْعَ كَرَاهَةِ أَلَمِ فِعْلِ المَحْبُوبِ، وَهُنَا الالتِذَاذُ بِذَلِكَ الفِعْلِ؛ فَإِنَّ الجَفَاءَ كُلمَا كَانَ مِنْ جَانِبِ المَحْبُوبِ أَجَل وَأَكْثَرَ يَكُونُ الفَرَحُ وَالسُّرُورُ مِنْ جَانِبِ المُحبِّ أَزْيَدَ وَأَوْفَرَ شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا، وَحَيْثُ كَانَ المَحْبُوبُ مَحْبُوبًا فِي نَظَرِ المُحبِّ، بَل فِي نَفْسِ الأَمْرِ فِي جَمِيعِ الأَوْقَاتِ وَجَمِيعِ الأَحْوَالِ لاَ جَرَمَ يَكُونُ المَحْبُوبُ فِي جَمِيعِ الأَوْقَاتِ وَجَمِيعِ الأَحْوَالِ ــ بَل فِي الوَاقِعِ وَنَفْسِ الأَمْرِ ــ مَحْمُودًا وَمَمْدُوحًا أَيْضًا، وَيَكُونُ المُحبُّ فِي وَقْتِ إِيلامِهِ وَإِنْعَامِهِ مَادِحًا لَهُ وَمُثْنِيًا عَلَيْهِ، فَحِينَئِذٍ يَصْدُقُ لِهَذَا المُحبِّ الصَّادِقِ

أَنْ يُقَال: " صَادقاً وَمَصْدُوقاً "، وَالحَمْدُ لله رَبِّ العَالمينَ عَلى كُل حَال، وَيَصيرُ هَذَا المُحبُّ منَ الحَامدينَ لهُ سُبْحَانَهُ في السَّرَّاء وَالضَّرَّاء حَقيقَةً.

وَيُشْبهُ أَنْ يَكُونَ مَزيَّةُ الحَمْد عَلى الشُّكْر منْ جهَة أَنَّ الشُّكْرَ مُلاحَظَةُ إنْعَام المُنعم فَيكُونُ رَاجعًا إلى الصِّفَة، بَل إلى الفعْل، وَالمَلحُوظُ في الحَمْد حُسْنُ المَحْمُود وَجَمَالهُ سَوَاءٌ كَانَ ذَاتيًا أَوْ وَصْفيًا أَوْ فعْليًّا وَسَوَاءٌ كَانَ إنْعَامًا أَوْ إيلامًا؛ فَإنَّ إيلامَهُ سُبْحَانَهُ حَسَنٌ كَإنْعَامه تَعَالى، فَيَكُونُ الحَمْدُ أَبْلغَ في الثَّنَاء وَأَجْمَعَ لمَرَاتب الحُسْن وَالجَمَال وَأَبْقَى في حَالَتي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء، بخلاف الشُّكْر؛ فَإنَّهُ مَعَ قُصُوره سَريعُ الزَّوَال عَلى شَرَف الهَلاك بزَوَال الإنْعَام وَهَلاك الإحْسَان.

فَــإنْ قيــــــل: أَنتَ كَتَبْتَ في بَعْض مَكْتُوبَاتكَ أَنَّ مَقَامَ الرِّضَاء فَوْقَ مَقَام المَحبَّة[1] وَمَقَام الحُبِّ، وَهُنَا تَكْتُبُ أَنَّ مَقَامَ هَذه المَحَبَّة فَوْقَ مَقَام الرِّضَاء، فَكَيْفَ التَّوْفيقُ بَيْنَ هَذَيْن الكَلامَيْن؟

أُجيـــــــبَ: أَنَّ هَذَا المَقَامَ ــ أَعْني: مَقَامَ المَحبَّة المَذْكُورَة هُنَا ــ وَرَاءَ ذَلكَ المَقَام ــ أَعْني: مَقَامَ المَحبَّة وَالحَبِّ هُنَاكَ ــ فَإنَّ ذَلكَ المَقَامَ مُشْتَمل عَلى النِّسَب وَالاعْتبَارَات إجْمَالا وَتَفْصيلا؛ فَإنَّهُ وَإنْ قَالوا لتلكَ المَحبَّة ذَاتيَّةٌ وَتَصَوَّرُوا ذَلكَ الحُبَّ حُبًّا ذَاتيًا وَلكنَّهُ ليْسَ فيه قَطْعُ النَّظَر عَن الشُّئُون وَالاعْتبَارَات، بخلاف هَذَا المَقَام؛ فَإنَّهُ مُعَرًّى عَن النِّسَب وَالإضَافَات كَمَا مَرَّ، وَمَا انْدَرَجَ في بَعْض المَكْتُوبَات منْ أَنَّهُ لاَ مَجَال للقَدَم فَوْقَ مَقَام الرِّضَاء إلا لخَاتَم الرُّسُل ــ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ كَأَنَّهُ عبَارَةٌ عَنْ هَذَا المَقَام؛ فَإنَّهُ مَخْصُوصٌ بخَاتَم الرُّسُل ــ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ وَاللهُ أَعْلمُ بحَقَائق الأُمُور كُلهَا.

---

(١) **المحبة**: في اللغة: نقيض الكراهية والإسم منها الحب. انظر: ابن منظور: لسان العرب / حبب

وصورة المحبة في **البدايات**: التلذذ بالعبادة، والتسلي عن فوات الأشتات المتفرقة.

وأصلها في **الأحوال**: الإبتهاج بشهود الحق، وتعلق القلب به معرضا عن الخلق،معتكفا على المحبوب بجوامع هواه غير ملتفت إلى ما سواه.

وفي **الأبواب**: جمعية الباطن بالسلو عما سوى المحبوب، والإخبات إلى جنابه مع الإعراض عما سواه من كل مرغوب.، وفي **المعاملات**: شغل القلب بالحبيب، والفراغ عن كل حميم وقريب.، وفي **الأخلاق**: محبة الخصال المقربة منه، وتجنب الملكات المبعدة عنه.، وفي **الأصول**: تجريد القصد المستوي إليه عن الموانع، وتصميم العزم وتهجر القواطع.، وفي **الولايات**: الإبتهاج بحسن الصفات، والتنور بنور الذات عند التحقق بالأسماء بمحو الرسوم والسمات.، وفي **الحقائق**: محبة تخطفه عن أودية تفرق الصفات إلى حضرة جمع الذات. انظر: الكاشاني: **معجم اصطلاحات الصوفية: ٣٠٧، ٣٠٨**.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ كَرَاهَةَ الظَّاهِرِ لَيْسَتْ بِمُنَافِيَةٍ لِرِضَا الْبَاطِنِ، وَمَرَارَةَ الصُّورَةِ لَيْسَتْ بِمُنَافِيَةٍ لِحَلاوَةِ الْحَقِيقَةِ؛ فَإِنَّ ظَاهِرَ الْعَارِفِ الْكَامِلِ وَصُورَتَهُ مَتْرُوكَانِ عَلَى مَا هُمَا عَلَيْهِ مِنَ الصِّفَاتِ الْبَشَرِيَّةِ لِيَكُونَا قِبَابًا لِكَمَالاتِهِ، وَلِيَحْصُلَ لَهُ الابْتِلاءُ وَالامْتِحَانُ، وَلِيَكُونَ الْمُحِقُّ مَمْزُوجًا بِالْمُبْطِلِ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَتَصَوَّرَ نِسْبَةُ ظَاهِرِ الْعَارِفِ الْكَامِلِ وَصُورَتُهُ إِلَى بَاطِنِهِ وَحَقِيقَتِهِ كَنِسْبَةِ ثَوْبٍ إِلَى شَخْصٍ لابِسٍ لِذَلِكَ الثَّوْبِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ مَا مِقْدَارُ الثَّوْبِ وَقَدْرُهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الشَّخْصِ، وَكَذَلِكَ قَدْرُ صُورَةِ الْعَارِفِ بِالنَّظَرِ إِلَى حَقِيقَتِهِ، وَرُبَّمَا يُظَنُّ مَكْفُوفُو الْبَصَرِ مَطْمُوسُو الْبَصِيرَةِ صُورَةَ الْعَارِفِ مِثْلَ الْجَبَلِ وَيَتَخَيَّلُونَهَا مِثْلَ صُوَرِهِمُ الَّتِي لاَ حَقَائِقَ لَهَا، فَلا جَرَمَ يَكُونُونَ فِي مَقَامِ الإِنْكَارِ وَيَكْتَسِبُونَ الْحِرْمَانَ،،،،،،،، {وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى}[1] وَالْتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى.

---

(١) طـــه: ٤٧

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالأَرْبَعُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائَة
إلى نُورِ مُحَمَّد التناري
في جَوَابِ عَرِيضَتِه التي كَتَبَهَا
لبَيَانِ تَوَارُدِ الأَحْوَال

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى:

وَبَعْـــــــدُ: فَقَدْ وَصَلَ المَكْتُوبُ الشَّرِيفُ، وَاتَّضَحَ مَا حُرِّرَ فيه مَنْ تَوَارُدِ الأَحْوَال:

اعْلَـــــــمْ: أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ دَاخِلَ العَالَمِ، كَذَلكَ لَيْسَ خَارِجَ العَالَمِ، وَكَمَا أَنَّهُ لَيْسَ بِمُنْفَصِلٍ عَنِ العَالَمِ لَيْسَ بِمُتَّصِلٍ بالعَالَمِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَوْجُودٌ، وَلَكِنَّ جَمِيعَ تلكَ الصِّفَات أَعْنِي: الدُّخُول وَالخُرُوجَ وَالاتِّصَال(١) وَالانْفِصَال(٢) مَسْلوبَةٌ عَنْهُ سُبْحَانَهُ يَنْبَغِي أَنْ يَطْلُبَهُ تَعَالى خَاليًا عَنْ هَذه الصِّفَات

---

(١) **الاتصال**: لغة نقيض الإنقطاع. انظر: ابن منظور: لسان العرب / وصل.

أما عند الصوفية: فهو أن لا يشهد العبد غير خالقه، ولا يتصل بسره خاطر لغير صانعه.

وصورته في **البدايات**: الحضور مع الله بسلامة الفطرة، والإعتصام بالله بتصحيح القصد.

وفي **الأبواب**: تصحيح التوجه بقوة التقوى، والتنبل عن السوى.

وفي **المعاملات**: قوة المراقبة، واعتقاد المقاربة.

وفي **الأخلاق**: الإتصاف بالأخلاق الإلهية.

وفي **الأصول**: السلوك إلى الله بحول الله وقوته.

وفي **الأودية**:رؤية الحقيقة بعين البصيرة.

وفي **الولايات**: التحقق بشهود الذات عند فناء الصفات. انظر: الكاشاني: معجم اصطلاحاتالصوفية: ٣٥٩

(٢) **الانفصال**:لغة: من الفصل وهو القطع. انظر: ابن منظور: لسان العرب: وصل.

والمراد به عند الصوفية: الانفصال عن الكونين الذي هو شرط الإتصال.

وصورته في **البدايات**: الانفصال عن المرادات النفسانية والعادات.

وفي **الأبواب**: الانفصال عن الفضول الزائدة على الضروريات.

وفي **المعاملات**: الانفصال عن أفعال كل ما سوى الحق، والتأثيرات

وفي **الأخلاق**: الإنفصال عن ملكات النفس والهيئات.

وفي **الأصول**: الانفصال عن التلف والجهالات.

وفي **الأحوال**: الإنفصال عن السلو، والفرار بدون المحبوب. انظر: الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية: ٣٦١.

الأَرْبَعَة وَأَنْ يجدَهُ سُبْحَانَهُ فِي خَارِجِ هَذه الصِّفَات، فَإِن امْتَزَجَ لوْنٌ منْ هَذه الصِّفَات فَلَيْسَ الحَاصل حينَئذ غَيْرَ التَّعَلق بالظِّلال وَالمثَال، بَل يَنْبَغي أَنْ يَطْلبَهُ تَعَالى بصفَة لاَ كَيْفيَّة وَلا مثْليَّة مُنزَّهَة عَنْ غُبَارِ الظِّليَّة، وَأَنْ يُحَصِّل اتِّصَالا لاَ كَيْفيًا بتلكَ المَرْتَبَة، وَهَذه الدَّوْلةُ نَتيجَةُ الصُّحْبَة لاَ تَحْصُل بالتَّكَلم وَالكتَابَة، وَلئنْ كَتَبْتُ فَمَنْ يَفْهَمُهَا وَمَنْ يُدْرِكُهَا؟!! فَيَنْبَغي المُدَاوَمَةُ عَلى المَشْغُوليَّة بالشَّوْق(١) وَالذَّوْق، وَكتَابَة كَيْفيَّاتِ الأَحْوَال إلى حين المُلاقَاة ،،، ،،، ،،، وَالسَّلامُ.

---

(١) **الشوق**: لغة نزاع النفس وحركة الهوى.انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة: شوق.

أما عند الصوفية: فهو موهبة اختص الله تعالى بها المحبين.، فاشوق عندهم ثمرة المحبة، فمن أحب الله تعالى اشتاق إلى لقائه.

وصورة الشوق في **البدايات**: الإشتياق إلى الجنة وما وعد من الثواب.

وفي **الأبواب**: الشوق إلى الكرامة عند الله والتقرب إليه.

وفي **المعاملات**: الاشتياق إلى ألطافه وآيات بره وأفضاله.

وفي **الأخلاق**: الإشتياق إلى التخلق بأخلاقه.

وفي **الأصول**: الإرتياح إلى لقائه، والتنور بنور جماله.

وفي **الأودية**: التشوق إلى ما في الغيب من الحقائق، واستشراف أنواع المعارف.

وفي **الولايات**: استلحاظ الوجه الباقي بانكشاف سبحات الجلال، واستشراف نور الذات على وجوه الجمال والكمال. انظر: الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية: ٣١١، ٣١٢.

المَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالأَرْبَعُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائة
إلى شَيْخ زَادَهْ الخَوَاجَهْ مُحَمَّد عَبْدالله
سَلمَهُ اللهُ تَعَالَى
فِي جَوَاب اسْتِفْسَارَاته عَنِ التَّوْحِيد وَعَيْنِ اليَقِين
وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَعْدَ الحَمْدِ وَالصَّلَوَاتِ وَتَبْلِيغ الدَّعَوَات:

أُنْهِيَ إلى جَنَاب مَخْدُوم زاده: أَنَّ الصَّحِيفَةَ الشَّرِيفَةَ قَدْ وَصَلتْ، وَحَصَل الفَرَحُ الوَافِرُ بِمُطَالعَتِهَا، وَانْدَرَجَ فِيهَا بَيَانُ شُمُول نِسْبَة الحُضُورِ وَاسْتِيلائِهَا فَحَسَنٌ وَمُبَارَكٌ.

وَهَذه الدَّوْلَةُ التي تَيَسَّرَتْ لكُمْ فِي مُدَّة ثَلاثَة أَشْهُر إنْ تَيَسَّرَ هِيَ فِي سَلاسِل أُخْرَى فِي مُدَّة عَشْر سِنِينَ لَيَعُدُّونَهَا نِعْمَةً عَظِيمَةً وَيَتَصَوَّرُونَهَا أَمْرًا عَظِيمًا، يَنْبَغِي أَدَاءُ شُكْرِ هَذه النِّعْمَة كَمَا يَنْبَغِي، وَحَيْثُ إِنِّي أَعْرفُ أَنَّ فِطْرَتَكُمْ عَاليَةٌ وَمُبَرَّأَةٌ عَنْ حُصُول شَائبَة العُجْب بتَحْسِين مِثْل هَذه الأَحْوَال أَظْهَرْنَا هَذه النِّعْمَةَ {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ}(١) نَصٌّ قَاطِعٌ.

وَكَتَبْتُمْ أَنَّ مُقَدِّمَةَ التَّوْحِيدِ يَعْنِي الوُجُوديَّ أَخَذَتْ فِي الظُّهُورِ فَيُبَارَكُ لكُمْ هَذه الدَّوْلَةُ أَيْضًا.

يَنْبَغِي قَبُول هَذَا الوَارِد(٢) بالأَدَب، وَلكِنَّ يَنْبَغِي رِعَايَةُ الآدَاب الشَّرْعِيَّة فِي غَلَبَة هَذَا الحَال حَقَّ رعَايَتِهَا، وَأَدَاءُ حُقُوق العَبْدِيَّة حَقَّ أَدَائهَا، وَأَنْ يُعْلَم بأَنَّ هَذه الشَّعْبَذَةَ عَلَى تَقْدِير صِحَّتِهَا وَصِدْقهَا نَاشئَةٌ بوَاسطَة اسْتيلاء مَحَبَّة المَحْبُوب حَيْثُ إنَّ المُحبَّ إذَا أَبْصَرَ شيئاً وَأَدْرَكَهُ لاَ يُبْصرُ وَلا يُدْرِكُ غَيْرَ مَحْبُوبه، وَإذَا حَصَلتْ لَهُ لَذَّةٌ وَذَوْقٌ منْ أَحَد يَنْسُبُهَا إلى مَحْبُوبه، وَفِي هَذه الصُّورَة مَشْهُودُ المُحبِّ هُوَ الكَثْرَةُ لكِنْ بِعُنْوَانِ الوَحْدَة فَلا يَتَحَقَّقُ الفَنَاءُ فِي هَذَا المَوْطِنِ؛ فَإنَّ فِي الفَنَاءِ دَفْعَ شُهُود

---

(١) إبراهيم: ٧

(٢) الوارد: هو ما يرد على القلب الظاهر من أحداث الكون من الخواطر المحمودة من غير تعمل ولا اجتلاب. انظر: الكاشاني: رشح الزلال: ٩١.

الكَثْرَة بالكُلِّيَّة بوَاسطَة استيلاء شُهُود الوَاحد، وَإنَّمَا قيل لذَلكَ أَيْضًا فَنَاءٌ بالنِّسْبَة إلى عَدَم شُهُود كَثْرَة المُمْكنَات، وَحَقيقَةُ الفَنَاء إنَّمَا تَتَحَقَّقُ إذَا اخْتَفَتْ كَثْرَةُ الأَسْمَاء وَالصِّفَات والشُّئُون وَالاعْتبَارَات بتَمَامهَا أَيْضًا عَن النَّظَر وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُ أَحَديَّة الذَّات المُجَرَّدَة تَعَالَتْ ـ: مَلحُوظًا ومَنْظُورًا أَصْلًا، وَحَقيقَةُ تَمَاميَّة السَّيْر إلى الله تُجْتَلى في هَذَا المَقَام وَفيه يُتَصَوَّرُ التَّخَلصُ عَن التَّعَلق بالظِّلال بالكُلِّيَّة، وَفي هَذَا الوَقْت تَقَعُ المُعَامَلةُ في أَصْل الأُصُول وَتَتَحَوَّل منَ الدَّال إلى المَدْلول وَيَحْصُل التَّرَقِّي(١) وَالعُرُوجُ منَ العلم إلى العَيْن وَمنَ المُرَاسَلة إلى المُعَايَنَة، وَيَتَحَقَّقُ الوَصْل العُرْيَانُ وَكَذَا وَكَذَا ثُمَّ كَذَا وَكَذَا، لاَ يُمْكنُ التَّكَلمُ وَالإنْبَاءُ عَنْ ذَلكَ المَوْطن بغَيْر الرَّمْز وَالإشَارَة وَهُوَ أَيْضًا مُبْهَمٌ وَمَسْتُورٌ.

وَقَدْ طَلَبَ مَخْدُومُ زَادَهْ منَّا بَيَانَ عَيْن اليَقين وَأَرَادَ حُصُولَهُ في العلم وَهَذَا أَمْرٌ مُشْكَل مَاذَا أَصْنَعُ وَمَاذَا أَقُول وَكَيْفَ أُبَيِّنُهُ وَأَكْشفُ عَنْهُ وَأُفْهمُهُ؛ فَيُرْجَى منْ كَرَم مَخْدُوم زاده أَنْ يَعْذُرَني وَأَنْ يَميل منْ طَلَب العلمَ إلى طَلَب الحَال.

وَالسُّؤَالان الصَّادرَان عَن المَخْدُوم أَنْبَأَ كُل منْهُمَا عَنْ عُلوِّ الفطْرَة:

أَحَدُهمَا: عَنْ بَيَان عَيْن اليَقين بطَوْر خَاصٍّ كَمَا مَرَّ:

وَثَانيهمَا: عَنْ بَيَان تَأْويل المُتَشَابهَات القُرْآنيَّة التي علمُهَا نَصيبُ العُلمَاء الرَّاسخينَ:

وَجَوَابُ السُّؤَال الثَّاني أَدَقُّ منْ جَوَاب السُّؤَال الأَوَّل وَأَخْفَى منْهُ وَأَليَقُ بالاسْتتَار وَمُنَاف للظُّهُور وَالإظْهَار، وَعلمُ تَأْويل المُتَشَابهَات كنَايَةٌ عَن المُعَامَلة التي هيَ مَخْصُوصَةٌ بالرُّسُل ـ عَلَيْهمُ الصَّلَوَاتُ والتَسْليمَاتُ ـ وَيُمْنَحُ أَقَل قَليل منَ الأُمَم نَبْذًا يَسيرًا منْ هَذَا العلم بالتَّبَعيَّة وَالورَاثَة، وَلا يُرْفَعُ البُرْقُعُ عَنْ جَمَالهَا لَهُمْ في هَذه النَّشْأَة، وَلكنَّ المَرْجُوَّ أَنْ يُشَرَّفَ بهَذه الدَّوْلة في النَّشْأَة الآخرَة جَمٌّ غَفيرٌ منَ الأُمَم أَيْضًا بطَريق التَّبَعيَّة، وَالقَدْرُ المُمْكنُ كتَابَتُهُ أَنَّهُ يَصحُّ أَنْ يُشَرَّفَ البَعْضُ الآخَرُ وَرَاءَ ذَلكَ الأَقَل بهَذه الدَّوْلة في هَذه النَّشْأَة أَيْضًا، وَلكنْ لاَ يُعْطَى لهُ العلمُ بحَقيقَة المُعَامَلة وَلا يَنْكَشفُ لهُ التَّأْويل.

وَبالجُمْلة: يَجُوزُ أَنْ يَحْصُل تَأْويل المُتَشَابهَات لذَلكَ البَعْض

---

(١) الترقي: هو التنقل في الأحوال والمقامات والمعارف بقدم الكشف والشهود، وإن تنقل من الأعلى إلى الأسفل كمن تنقل من مطالعة الأسرار العلوية إلى مطالعة الأسرار السفلية. انظر: الكاشاني: رشح الزلال: ١٣٢.

وَلكِنَّهُ لاَ يُدْرَى مَا حَاصِلهُ؛ فَإِنَّ المُتَشَابِهَات كِنَايَةٌ عَنِ المُعَامَلات، وَيَصِحُّ أَنْ تَكُونَ المُعَامَلةُ حَاصِلةً وَلا يَحْصُل العِلمُ بِتلكَ المُعَامَلة، وَشَاهَدْتُ هَذَا المَعْنَى فِي فَرْد مِنَ المُنْتَسِبِينَ إِلَيَّ وَمَاذَا يَحْصُل للآخَرِينَ، وَسُؤَالكُمْ أَوْقَعُ فِي الرَّجَاءِ مِنْ هَذِه المُعَامَلة {رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُل شَيْءٍ قَدِيرٌ}[1].

،،،،،،،، وَالسَّلامُ.

(١) التحريم: ٨

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالأَرْبَعُونَ بَعْدَ الثَّلاثِمائَة

إلى الخَوَاجَهْ مُحَمَّد التَّقيِّ

في بَيَان بَحْث الإمَامَة وَحَقيقَة مَذْهَب أَهْلِ السُّنَّة وَالجَمَاعَة وَمُخَالفيهِمْ وَأَنَّ أَهْلَ السُّنَّة مُتَوَسِّطُونَ بَيْنَ الإفْرَاط وَالتَّفْرِيطِ اللذَيْنِ اخْتَارَهُمَا الرَّوَافضُ وَالخَوَارِجُ وَمَدْحِ أَهْلِ بَيْتِ الرَّسُول ــ صَلى اللهُ عَلَيْه وَعَلى آله وَسَلمَ ــ وَمَا يُنَاسبُ ذَلكَ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَعْدَ الحَمْد وَالصَّلوَات وَتَبْليغ الدَّعَوَات:

أُنْهِيَ أَنَّ مَحَبَّةَ الفُقَرَاء وَالارْتبَاطَ بِهِمْ وَالأُلفَةَ مَعَهُمْ وَالرَّغْبَةَ فِي اسْتِمَاعِ كَلمَات هَذه الطَّائفَة العَليَّة وَالميل إلى أَوْضَاعِ هَذه الطَّبَقَة السَّنيَّة وَأَطْوَارِهِمْ ــ: منْ أَجَل نعَمِ الله جَل سُلطَانُهُ وَأَعْظَمِ عنَايَاته تَعَالى؛ قَالَ المُخْبِرُ الصَّادقُ ــ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ: " المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحبَّ " فَمُحِبُّهُمْ مَعَهُمْ وَفِي حَرَمِ حَرِيمِ القُرْب طُفَيْليُّهُمْ.

أَيُّهَا المُوَفَّقُ: إنَّ وَلدي الخَوَاجَهْ شَرَفَ الدِّين حُسَيْنًا قَدْ أَخْبَرَ أَنَّ هَذه الأَوْصَافَ الحَميدَةَ مُجْتَمعَةٌ فيه مَعَ وُجُود تَعَلقَات شَتَّى، وَهَذه المَعَاني المُسْتَحْسَنَةُ المَقْبُولَةُ مُلتَئمَةٌ فيه مَعَ وُجُود اشْتغَالات لاَ طَائل فِيهَا ــ لله سُبْحَانَهُ الحَمْدُ وَالمنَّةُ عَلى ذَلكَ ــ فَإنَّ صَلاحَكُمْ مُوجَبٌ لصَلاحِ جَمٍّ غَفير، وَفَلاحَكُمْ مُسْتَلزمٌ لفَلاحِ جَمْعٍ كثير، وَأَظْهَرَ المُشَارُ إليْه بِأَنَّهُ مُحبٌّ لكَلامكَ وَرَاغبٌ فِي اسْتمَاعِ عُلومكَ؛ فَإنْ كَتَبْتَ الى جَنَابه كَلمَات لكَنْ أَفْضل وَأَحْسنْ:

فَأَرَدْت أَنْ أَكْتُبَ كَلمَات إجَابَةً للمُلتَمس، وَحَيْثُ كَانَ فِي هَذه الأَيَّام ذكْرُ بَحْث الإمَامَة أَكْثَرَ، وَكُل شَخْصٍ يَنْسجُ الكَلامَ فِي هَذَا البَاب بالظَّنِّ وَالتَّخمين، أَرَدْتُ أَنْ أَكْتُبَ فِي هَذَا المَبْحَث سُطُورًا بِالضَّرُورَة، وَأَنْ أُبَيِّنَ حَقيقَة مَذْهَب أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة وَمَذْهَبَ المُخَالفينَ:

أَيُّهَا الطَّالبُ للنَّجَاة: إنَّ عَلامَات أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة تَفْضيل الشَّيْخَيْن وَمَحَبَّةُ الخَتَنَيْن، وَاجْتمَاعُ تَفْضيل الشَّيْخَيْن مَعَ مَحَبَّة الخَتَنَيْن منْ خَصَائص أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة، وَتَفْضيل الشَّيْخَيْن ثَابتٌ بإجْمَاعِ الصَّحَابَة وَالتَّابِعينَ؛ كَمَا نَقَلهُ أَكَابِرُ الأَئمَّة أَحَدُهُمْ الإمَامُ الشَّافعيُّ رَحمَهُ اللهُ.

وَقَال الشَّيْخُ أَبُو الحَسَنِ الأَشْعَرِيُّ: " تَفْضِيل أَبِي بَكْرٍ وَعُمَـرَ ـــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـــ عَلى سَائِرِ الأُمَّة قَطْعِيٌّ ".

وَقَدْ ثَبتَ عَنْ عَليٍّ ـــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـــ بالتَّوَاتُرِ فِي زَمَنِ خلافته وَكُرْسِيِّ مَمْلكته وَبَيْنَ الجَمِّ الغَفيرِ مِنْ شيعَته أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ أَفْضَل هَذه الأُمَّة؛ كَمَا ذَكَرَهُ الذَّهَبِيُّ، وَرَوَى عَنْهُ الإِمَامُ البُخَارِيُّ أَنَّهُ قَال: " أَفْضَل النَّاسِ بَعْدَ الرَّسُول ﷺ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ رَجُل آخَرُ فَقَال ابْنُهُ مُحَمَّدُ بْنُ الحَنَفِيَّةِ ثُمَّ أَنْتَ فَقَال مَا أَنَا إِلا رَجُل مِنَ المُسْلمينَ "

وَبِالجُمْلَـــةِ: إِنَّ تَفْضِيل الشَّيْخَيْنِ قَدْ بَلغَ مِنْ كَثْرَة الرُّوَاة الثِّقَات حَدَّ الضَّرُورَة وَالتَّوَاتُرِ فَإِنْكَارُهُ إِمَّا مِنَ الجَهْل وَإِمَّا مِنَ التَّعَصُّب، وَلَمَّا لمْ يَجدْ عَبْدُ الرَّزَّاق ـــ الذي هُوَ مِنْ أَكَابِرِ الشِّيعَة ـــ مَجَالا للإِنْكَارِ قَال بتَفْضِيل الشَّيْخَيْنِ مِنْ غَيْرِ اخْتيَارٍ، وَقَال: " حَيْثُ فَضَّل عَليٌّ الشَّيْخَيْنِ عَلى نَفْسه أُفَضِّلهَا أَنَا أَيْضًا عَليْه لتَفْضيله، وَلوْلا أَنَّهُ فَضَّلهُمَا عَلى نَفْسه لمَا فَضَّلتُهُمَا عَليْه، وَبَال عَليَّ أَنْ أَدَّعِيَ مَحَبَّةَ عَليٍّ ثُمَّ أُخَالفَهُ ".

وَلمَّا كَثُرَ فِي زَمَان خلافَة الخَتَنَيْنِ ظُهُورُ الفتَنِ وَالاخْتلال فِي أُمُورِ النَّاسِ وَحَصَلتْ مِنْ هَذه الجِهَة كُدُورَةٌ غَيْرُ مَحْصُورَة فِي قُلوب النَّاسِ وَاسْتَوْلت العَدَاوَةُ وَالبَغْضَاءُ فيمَا بَيْنَ المُسْلمينَ ـــ: عُدَّتْ مَحَبَّةُ الخَتَنَيْنِ أَيْضًا بالضَّرُورَة مِنْ جُمْلة شَرَائط كَوْن شَخْصٍ مِنْ أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة لئَلا يُسيءَ الجَاهل الظَّنَّ مِنْ هَذه الحَيْثيَّة بأَصْحَاب خَيْرِ البَشَرِ ـــ عَليْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ـــ فَكَانَتْ مَحَبَّةُ عَليٍّ ـــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـــ شَرْطًا للتَّسَنُّنِ، وَمَنْ ليْسَتْ فيه هَذه المَحَبَّةُ صَارَ خَارِجًا عَنْ أَهْل السُّنَّة وَيُسَمَّى خَارِجيًا.

وَالذي اخْتَارَ طَرَف الإِفْرَاط فِي مَحَبَّة عَليٍّ، وَوَقَع مِنْهُ الزِّيَادَة عَلى القَدْرِ اللائق، وَأَظْهَرَ الغُلوّ فِي تلكَ المَحَبَّة، وَأَطَال اللسَان بسَبَب أَصْحَاب خَيْرِ البَشَرِ عَليْه وَعَليْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، وَتَرَكَ طَرِيقَ الصَّحَابَة وَالتَّابعينَ وَالسَّلف الصَّالحينَ رِضْوَان اللهِ عَليْهِمْ أَجْمَعينَ وَرَفَضه ـــ: سُمِّيَ رافضيا؛ فَأَهْل السُّنَّة مُتَوَسِّطُونَ بَيْنَ الإِفْرَاط فِي مَحَبَّة عَليٍّ ـــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـــ وَبَيْن التَّفْرِيطُ فيهَا، اللذَيْنِ اخْتَارَهُمَا الرَّافضُونَ وَالخَوَارِج.

وَلا شَكَّ أَنَّ الحَقَّ فِي الوَسَط، وَالإفْرَاطَ وَالتَّفْرِيطَ كلاهُمَا مَذْمُومَان؛ كَمَا رَوَى الإمَامُ أَحْمَد بْن حَنْبَل عَنْ عَليٍّ أَنَّهُ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: " فيكَ مَثَل مِنْ عيسَى؛ عاداهُ اليَهُود حَتَّى بَهَتُوا أُمَّهُ وَأَحَبَّهُ النَّصَارَى حَتَّى أَنْزَلوهُ مَنْزلةً لَيْسَ هُوَ فيهَا "، يَعْني: قَالوا إنَّهُ ابْنُ الله، فَقَال عَليٌّ: " هَلكَ فِيَّ اثْنَان المُفْرط فِي مَحَبَّتي حَتَّى يُثْبتَ لِي مَا لَيْس فِيَّ، والثَّاني: مَنْ يُعَادِينِي وَيَفْتَرِي عَلَيَّ بالعَدَاوَة "؛ فَشِبْه حَال الخَوَارِجِ بِحَال اليَهُودِ، وَحَال الرَّوَافِض بِحَال النَّصَارَى، وَكُلاهُمَا وَقَعًا مِنَ الحَقِّ الوَسَط فِي الطَّرَفَيْن.

وَمَا أَجْهَل مَنْ لاَ يَعُدُّ أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة مِنْ مُحبِّي عَليٍّ، وَيَزْعُمُ مَحَبَّتَهُ مُخْتَصَّة بالرُّفَضَة، وَلَيْسَتْ مَحَبَّةُ عَليٍّ مِنَ الرَّفْض، وَإنَّمَا الرَّفْضُ: التَّبَرِّي مِنَ الخُلفَاء الثَّلاثَة، والتَّبَرِّي مِنَ الأَصْحَابِ الكِرَامِ مَذْمُومٌ وَصَاحِبُهُ عَلَيْه مَلومٌ؛ قَال الإمَامَ الشَّافعيُّ رضي الله عنه

لوْ كَانَ رَفْضًا حُبّ آل مُحَمَّد   فَليَشْهَد الثَّقَلان أَنِّي رَافض

يَعْني: أَنَّ حُبَّ آل مُحَمَّد لَيْس برَفْضٍ كَمَا يَزْعُمُونَهُ، فَإنْ قَالوا لهَذَا الحُبِّ رَفْضًا فَلَيْسَ برَفْضٍ مَذْمُوم؛ فَإنَّ ذَمَّ الرَّفْضِ إنَّمَا جَاءَ مِنْ جِهَة التَّبَرِّي عَنِ الآخَرِينَ وَرَفْضِهِمْ لاَ مِنْ جِهَة مَحَبَّتِهِمْ يَعْني آل مُحَمَّد، فَيَكُونُ مُحبُّوا أَهْل بَيْت رَسُول الله ـــ عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ والتَسْليمَاتُ ـــ مِنْ أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة، وَهُمْ شيعَة أَهْل البَيْت فِي الحَقيقَة وَالشِّيعَةُ الذينَ يَدَّعُونَ مَحَبَّةَ أَهْل البَيْت وَيَعُدُّونَ أَنْفُسَهُمْ مِنْ شيعَتِهِمْ فَإنْ لَمْ يَقْتَصِرُوا مَحَبَّتَهُمْ عَلَى أَهْل البَيْت وَلَمْ يَتَبَرَّوْا مِنَ الآخَرِينَ وَعَظَّمُوا جَمِيعَ أَصْحَاب النَّبِيِّ ـــ عَلَيْه وَعَلَى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ ـــ وَوَقَّرُوهُمْ حَقَّ تَعْظيمهمْ وَتَوْقيرهمْ، وَحَمَلوا مُشَاجَرَاتهمْ عَلَى مُحَامِل حَسَنَة، فَهُمْ دَاخلونَ فِي أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة، وَخَارِجُونَ عَنِ الخَوَارِجِ وَالرَّوَافض؛ فَإنَّ عَدَمَ مَحَبَّة أَهْل البَيْت خُرُوجٌ وَالتَّبَرِّي عَنِ الأَصْحَاب رَفْضٌ وَمَحَبَّةُ أَهْل البَيْتِ مِنْ تَعْظِيمِ جَمِيعِ الأَصْحَابِ وَتَوْقِيرِهِمْ تَسَنُّنٌ.

وَبِالجُمْـــــلة: إنَّ مَبْنَى التَّسَنُّن عَلى حُبِّ مُصَاحِبيه عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ، وَالعَاقِل المُنْصِف لاَ يَخْتَارُ بُغْضَ الأَصْحَاب الكِرَامِ عَلَى حُبِّهِمْ أَصْلاً، بَل

يُحبُّ جَميعَهُمْ بحُبِّ النَّبيِّ عَلَيْه وَعَلَيْهمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّحيَّاتُ؛ قَالَ ــ عَلَيْه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ــ: " مَنْ أَحبَّهُمْ فَبحُبِّي أَحَبَّهمْ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَببغضي أَبْغَضَهُمْ"(١).

وَلنَرْجِــعْ إلى أَصْــلِ الكَــــلامِ وَنَقُــولُ: كَيْفَ يُظَنُّ عَدَمُ مَحَبَّة أَهْلِ البَيْتِ في حَقِّ أَهْلِ السُّنَّة وَالجَمَاعَة، وَالحَالُ أَنَّ مَحَبَّتَهُمْ عِنْدَهُمْ جُزْءُ الإيمَانِ وَسَلامَةُ الخَاتِمَة مَرْبُوطَةٌ عِنْدَهُمْ برُسُوخ تلكَ المَحَبَّة.

وَكَانَ وَالد هَذَا الفَقيرِ المَاجد يَرْغَبُ في أَكْثَرِ الأَوْقَات في مَحَبَّة أَهْلِ البَيْتِ وَكَانَ عَالمًا بالعلمِ الظَّاهرِ والباطنِ وَكَانَ يَقُولُ: " إنَّ لمَحَبَّتهمْ مَدْخَلًا عَظِيمًا في سَلامَة الخَاتمَة، يَنْبَغي أَنْ يُرَاعيهَا كَمَالَ رِعَايَتهَا ".

وَكَانَ هَذَا الفَقيرُ حَاضرًا في مَرَض مَوْته، وَلَمَّا انْتَهَتْ مُعَامَلته إلى آخرهَا وَبَقيَ الشُّعُور بهَذَا العَالَمِ قَليلا ذَكَّرْتُهُ بكَلامه في ذَلكَ الوَقْت وَاسْتَفْسَرْتُهُ عَنْ تلكَ المَحَبَّة فَقَال في تلكَ الحَالَة: " إنِّي غَريق في مَحَبَّة أَهْل البَيْتِ فَأُوَدِّي شُكْرَ الحَقِّ ــ عَزَّ وَجَل ــ في ذَلكَ الوَقْت ".

وَمَحَبَّةُ أَهْلِ البَيْت رَأْس المَال أَهْلِ السُّنَّة، وَالمُخَالفُونَ غَافلونَ عَنْ هَذَا المَعْنَى وَجَاهلونَ بمَحَبَّتهمُ المُتَوَسِّطَة، اخْتَارُوا لأَنْفُسهمْ جَانب الإفْرَاط وَظَنُّوا وَرَاءَ الإفْرَاط تَفْريطًا، وَحَكَمُوا بالخُرُوجِ وَزَعَمُوهُ مَذْهَبَ الخَوَارِجِ وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ بَيْنَ الإفْرَاط وَالتَّفْريط حَدًّا وَسَطًا هُوَ مَرْكَز الحَقِّ وَمَوْطِن الصِّدْق الذي صَارَ نَصيبًا لأَهْلِ السُّنَّة وَالجَمَاعَة شَكَرَ اللهُ سَعْيهمْ.

وَالعَجَبُ أَنَّ أَهْلَ السُّنَّة هُمُ الذينَ قَتَلوا الخَوَارجَ وَاسْتَأْصَلوا أَعْدَاءَ أَهْلِ البَيْت، وَلَمْ يَكُنْ منَ الرِّفْضَة في ذَلكَ الوَقْت اسْمٌ وَلا رَسْمٌ، فَإنْ كَانَ لهُ حُكْم العَدَم وَكَأَنَّهُمْ تَصَوَّرُوا مُحِبِّي أَهْلِ البَيْت بزَعْمهمُ الفَاسد رفْضَةً، وَتَخَيَّلوا أَهْلَ السُّنَّة بتلكَ العَلاقَة رَوَافضَ، يالها منْ مُعَامَلة عَجيبَة!! حَيْثُ يَعُدُّونَ أَهْلَ السُّنَّة أَحْيَانًا منَ الخَوَارِجِ

---

(١) **حسن**: سنن الترمذي: ك: أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ باب: ما جاء في فضل من رأى النبي ﷺ ح٣٩٥٤، وقال: حسن غريب.، أحمد في المسند: أول مسند المدنيين: مسند عبد الله بن مغفل.، المعجم الكبير للطبراني: مسند البصريين ك حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب ٤٥٦/١٢ الحاكم في المستدرك.: ك: معرفة الصحابة ٧٣/٤ ، وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير النعمان بن مرة وهو ثقة.(مجمع الزوائد ح ١٦٥١٨.) وفي ح ١٦٥٢٠ قال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصححيح غير أحمد بن حاتم وهو ثقة.

وقال السيوطي: إسناده حسن. الجامع الصغير ح١٤٤٢.

لعَدَم إفْرَاط المَحَبَّة، ويزعمونهم أَحْيَانًا رَوَافضَ لَمَا يُحسُّونَ فيهمْ منْ نَفْس المَحَبَّة، وَلهَذَا تَرَاهُمْ يَزْعُمُونَ منْ جَهَالتهمُ الأَوْلِيَاءَ العظَامَ منْ أَهْل السُّنَّة الذين يَذْكُرُونَ مَحَبَّة أَهْل البَيْت، وَيُظْهرُونَ حُبَّ آل مُحَمَّد ﷺ: رَوَافضَ، وَيَظُنُّونَ كَثيرًا منْ كبَار عُلَمَاء أَهْل السُّنَّة الذينَ يَمْنَعُونَ منْ إفْرَاطِ تلكَ المَحَبَّة وَيُحَرِّضُونَ عَلى تَعْظيم الخُلفَاء الثَّلاثَة وَتَوْفيرهمْ ـــ: خَوَارج ، فَآه أَلفَ آه منْ جَرَاءَتهم الغَيْر المُنَاسبَة، أَعَاذَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ منْ إفْرَاط تلكَ المَحَبَّة وَتَفْريطهَا.

وَمنْ إفْرَاطِ المَحَبَّة اشْتَرَطُوا في تَحَقُّق مَحَبَّة عَليٍّ التَّبَرِّيَ منَ الخُلفَاء الثَّلاثَة وَغَيْرهمْ.

يَنْبَغي الإنْصَاف: مَا مَعْنَى المَحَبَّة التي يُشْتَرَطُ في حُصُولهَا التَّبَرِّي منْ نُوَّاب النَّبيِّ ﷺ وَقَائمي مَقَامه وَسَبِّ أَصْحَاب خَيْرِ البَشَر وَطَعْنهمْ رضْوَان الله عَلَيْهمْ أَجْمَعينَ.

وَذَنْبُ أَهْل السُّنَّة إنَّمَا هُوَ ضَمُّهُمْ الى مَحَبَّة أَهْل البَيْت تَوْقيرَ جَميع أَصْحَابه ﷺ وَتَعْظيمُهُمْ وَجَمْعُهُمْ إيَّاهُمَا مَعًا بحَيْثُ لاَ يَذْكُرُونَ أَحَدًا منْهُمْ بسُوء مَعَ وُجُود المُنَازَعَات وَالمُخَالفَات فيمَا بَيْنَهُمْ، وَيُنَزِّهُونَهُمْ عَن الأَهْوَاء النَّفْسَانيَّة وَالتَّعَصُّبَات البَشَريَّة منْ جهَة تَعْظيم صُحْبَة النَّبيِّ وَتَكْريم مُصَاحبيه عَلَيْه وَعَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ، وَمَعَ ذَلكَ يَقُولونَ للمُحقِّ مُحقًّا وَللمُبْطل مُبْطلا، وَلَكنْ مَعَ تَنْزيه بُطْلانه منَ الهَوَى[١] وَالهَوَس وَإحَالته عَلى الرَّأْي وَالاجْتهَاد.

وَإنَّمَا يَرْضَى الرَّوَافض عَنْ أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة إذَا هُمْ تَبَرَّوْا عَنْ سَائر الأَصْحَاب الكرَام مثْلهُمْ، وَأَسَاؤا ظَنَّهُمْ بهَؤُلاء الأَكَابر، كَمَا أَنَّ رضَاءَ الخَوَارج عَنْهُمْ مَرْبُوطٌ بعَدَاوَة أَهْل البَيْت، وَمَنُوطٌ ببُغْض آل مُحَمَّد ـــ عَلَيْه وَعَلَيْهمُ الصَّلَوَاتُ وَالبَرَكَات ـــ {رَبَّنَا لاَ تُزغْ قُلوبَنَا بَعْد إذْ هَدَيْتنَا وَهَبْ لنَا منْ لدُنْك رَحْمَة إنَّك أَنْت الوَهَّابُ}[٢].

وَكَانَ أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ عنْدَ أَكَابر أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة ـــ شَكَرَ اللهُ سَعْيَهُمْ ـــ في وَقْت مُنَازَعَة بَعْضهمْ بَعْضًا ثَلاث فرَق:

فرْقَةٌ عَرَفُوا حَقيَّةَ جَانب عَليٍّ بالدَّليل وَالاجْتهَاد.

---

(١) **الهوى**: هو ميل النفس إلى مقتضيات الطبع، والإعراض عن الجهة العلوية بالتوجه إلى الجهة السفلية. انظر: الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية: ٧٢.

(٢) آل عمران: ٨

وَجَمَاعَةٌ أُخْرَى وَجَدُوا أَيْضًا بِالدَّلِيل وَالاجْتِهَاد حَقِّيَّةَ جَانِبٍ آخَرَ.

وَطَائِفَة ثَالِثَة كَانُوا مُتَوَقِّفِينَ لَمْ يُرَجِّحُوا جَانِبًا وَاحِد بِالدَّلِيل

فَلزِمَت الطَّائِفَةَ الأَوْلى نُصْرَةُ جَانِب عَليٍّ بِمُقْتَضَى اجْتِهَادِهِمْ.

وَلزِمَت الطَّائِفَةَ الثَّانِيَةَ نُصْرَةُ جَانِب مُخَالفِيه عَلى مُؤَدَّى اجْتِهَادِهِمْ.

وَلزِمَ الطَّائِفَةَ الثَّالثَةَ التَّوَقُّفُ وَكَانَ تَرْجِيحُ إِحْدَيْهِمَا عَلى الأُخْرَى خَطَأً فِي حَقِّهِمْ.

فَعَمِل كُل فِرْقَة مِنْ هَذه الفرَق الثَّلاث بِمُقْتَضَى اجْتِهَادِهِمْ وَأَدَّوْا مَا هُوَ الوَاجِبُ وَاللازِمُ عَلى ذِمَّتِهِمْ، فَكَيْفَ يَكُونُ للمَلامَةِ مَجَال فِيهِمْ؟! وَكَيْفَ يَكُونُ الطَّعْن مُنَاسِبًا لَهُمْ؟!

وَقَال الإِمَام الشَّافعِيُّ وَنُقل عَنْ عُمَرَ بْن عَبْد العَزِيز أَيْضًا ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ــ: " تِلكَ دِمَاءٌ طَهَّرَ اللهُ عَنْهَا أَيْدِيَنَا فَلنُطَهِّرْ عَنْهَا أَلسِنَتَنَا ".

وَيُفْهَمُ مِنْ هَذه العِبَارَة أَنَّهُ لا يَنْبَغِي تَحْرِيك الشَّفَتَيْنِ أَيْضًا بِحَقِّيَّة إِحْدَيْهِمَا وَتَخْطِئَة الأُخْرَى، وَأَنْ لاَ يُذْكَرَ كُلهُمْ بِغَيْرِ الخَيْر.

وَكَذَلكَ وَرَدَ فِي الحَدِيث النَّبَوِيِّ؛ حَيْثُ قَال النَّبِيُّ ــ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ " إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا "(١).

يَعْنِي: إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي وَمُنَازَعَاتُهُمْ فَامْتَنِعُوا عَنْ ذَلكَ وَلا تَخْتَارُوا أَحَدَهُمْ عَلى الآخَر.

وَلكِنْ جُمْهُورَ أَهْل السُّنَّة ذَاهِبُونَ لَمَا ظَهَرَ لَهُمْ بِدَلِيل إِلى أَنَّ الحَقَّ فِي جَانِب عَليٍّ ــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ــ وَمُخَالفُوهُ سَالكُونَ طَرِيقَ الخَطَأ، وَلكِنْ لَمَّا كَانَ هَذَا الخَطَأُ خَطَأً اجْتِهَادِيًّا بَعُدَ عَنِ المُلائَمَة وَالطَّعْنِ، وَتَنَزَّهَ عَنِ التَّحْقِيرِ وَتَبَرَّأَ مِنَ التَّشْنِيعِ،

---

(١) **حسن**: الطبراني: أخرجه الطبراني في المعجم الكبير من حديث عبد الله بن مسعود الهذلي.، وحسنه السيوطي في الجامع الصغير ح٦١٥.، وقال الحافظ العراقي: رواه الطبراني من حديث ابن مسعود بإسناد حسن.(تخريج أحاديث الإحياء.، ك: العلم.) وقال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه يزيد بن ربيعة وهو ضعيف.(مجمع الزوائد: ك: القدر، ب: النهي عن الكلام في القدر ح١١٨٥٠)، وفي ح ١١٨٥١ قال: رواه الطبراني وفيه مسهر بن عبد الملك وثقه ابن حبان وغيره وفيه خلاف،وبقية رجاله رجال الصحيح.

وَنُقل عَنْ عَليٍّ ﷺ أَنَّهُ قَال " إِخْوَانَنَا بَغَوْا عَلَيْنَا لاَ هُمْ كُفَّارٌ وَلا فُسَّاقٌ؛ فَإِنَّ لَهُمْ تَأْوِيلا يَمْنَعُ عَنْهُمُ الكُفْرَ وَالفِسْقَ "

فَأَهْل السُّنَّة وَالرَّافِضَةُ كلاهُمَا يُخَطِّئُونَ مُحَارِبي عَلِيٍّ، وَكَلاهُمَا يَقُولُونَ بِحَقِّيَّة جَانِبِه، وَلكِنْ لاَ يُجَوِّزُ أَهْلُ السُّنَّة الزِّيَادَةَ عَلى إِطْلاق لَفْظ الخَطإِ النَّاشِئِ عَنِ التَّأْويل فِي حَقِّ مُحَارِبِيه، وَيَحْفَظُونَ اللسَانَ مِنْ طَعْنِهِمْ وَتَشْنِيعِهِمْ، وَيُرَاعُونَ حَقَّ صُحْبَة خَيْرِ البَشَرِ — عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ — قَال رَسُول الله ﷺ: " اللهَ اللهَ فِي أَصْحَابِي لاَ تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي " وَكَرَّرَ لَفْظ الجَلالة للتَّأْكِيد وَقَال أَيْضًا " أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ بِأَيِّهِمُ اقْتَدَيْتُمْ اهْتَدَيْتُم "[١]، وَوَرَدَ أَحَادِيثُ أُخْرَى كَثِيرَةٌ فِي بَاب تَعْظِيمِ الأَصْحَاب وَتَوْقِيرِهِمْ أَجْمَعِينَ؛ فَيَنْبَغِي إِعْزَازُهُمْ وَتَكْرِيمُهُمْ جَمِيعًا وَحَمْل زَلاتِهِمْ عَلى مُحَامِل حَسَنَة، وَهَذَا هُوَ مَذْهَبُ أَهْل السُّنَّة فِي هَذه المَسْأَلة.

وَالرَّوَافِض يُغَالونَ فِي هَذَا البَاب حَتَّى يُكَفِّرُونَ مُحَارِبي عَليٍّ وَيُلوِّثُونَ أَلسِنَتَهُمْ بِأَنْوَاعِ الطَّعْنِ وَأَقْسَام الشَّتْم، فَإِنْ كَانَ المَقْصُودُ ظُهُورَ حَقِّيَّة جَانب عَليٍّ وَإِظْهَارَ خَطَإِ مُحَارِبِيه فَمَا اخْتَارَهُ أَهْل السُّنَّة كَاف فيه وَعَلى حَدِّ الاعْتِدَال، وَالطَّعْن فِي أَكَابِر الدِّين بَعيدٌ عَنِ الدِّيَانَة وَالتَّدَيُّن كَمَا اخْتَارَهُ الرَّافِضَةُ وَزَعَمُوا شَتْمَ أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ دِينَهُمْ وَإِيمَانَهُمْ، مَا أَقْبَحَهُ مِنْ دِين!! حَيْثُ إِنَّ جُزْءَهُ الأَعْظَمَ سَبُّ نُوَّابِ النَّبِيِّ، وَشَتْمُ خُلفَائه عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ.

وَاخْتَارَ كُل وَاحِدَة مِنْ طَوَائِفَ المُبْتَدِعَة بِدْعَة وَامْتَازَ بِهَا عَنْ أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة، وَلكِنَّ فُرْقَةَ الخَوَارِجِ وَالرَّوَافِض مِنْ بَيْنَ جَمِيعِ هَؤُلاء الطَّوَائف بَعِيدَةٌ عَنِ الحَقِّ وَالصَّوَاب جِدًّا، فَإِذَا كَانَ سَبُّ أَكَابِر الدِّين وَلَعْنُهُمْ جُزْءًا أَعْظَمَ مِنْ إِيمَانِهِمْ، كَيْفَ يَكُونُ لَهُمْ نَصِيب مِنَ الحَقِّ؟!

وَافْتَرَقَت الرَّوَافِض عَلى اثنتى عَشْرَةَ فِرْقَة كُلهِمْ يُكَفِّرُونَ أَصْحَاب النَّبيِّ ﷺ وَيَعْتَقِدُونَ سَبَّ الخُلفَاء الرَّاشدِينَ عِبَادَةً، وَهَذه الجَمَاعَةُ يَتَحَاشَوْنَ عَنْ إِطْلاق لَفْظ الرَّفْض عَلى أَنْفُسِهِمْ وَيَزْعُمُونَ الرَّوَافِضَ غَيْرَهُمْ؛ لَمَّا وَرَدَ فِي الأَحَادِيث وَعيدٌ شَدِيدٌ فِي حَقِّ الرَّفْضَة، فَيَا لَيْتَهُمُ اجْتَنَبُوا عَنْ مَعْنَى الرَّفْضَة أَيْضًا وَلَمْ يَبْرَءُوا عَنْ أَصْحَاب النَّبِيِّ عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ.

---

(١) قال العجلوني: رواه البيهقي، و أسنده الديلمي عن ابن عباس بلفظ أصحابي بمنزلة النجوم في السماء بأيهم اقتديتم اهتديتم. وأورده القاري في شرح مسند أبي حنيفة بدون نسبة.

وَهُنُود بلاد الهند يعني مَجُوسَهُمْ أَيْضًا يَقُولونَ لأَنْفُسِهِمْ هُنُودًا وَيَتَحَاشَوْنَ عَنِ الكُفْرِ وَلا يَعْتَقِدُونَ أَنْفُسهمْ كُفَارًا، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ الكُفَّارَ هُمْ سُكَّانُ دَارِ الحَرْبِ، وَغَلطُوا في هَذَا الفَهْم، بَل كِلا الصِّنْفَيْنِ كُفَّارٌ مُتَحَقِّقُونَ بِحَقِيقَة الكُفْرِ وَكَأَنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّ أَهْلَ بَيْت النَبيِّ ــ عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ مِثْلهُمْ، وَتَخَيَّلوهُمْ أَيْضًا أَعْدَاء أَبي بَكْر وَعُمَر ــ رَضِيَ الله عَنْهُمَا ــ وَهَذه الطَّائفَة يَظُنُّونَ أَكَابِر أَهْلِ البَيْت بِحُكْمِ التُّقَاة التي يَزْعُمُونَهَا مُنَافقينَ وَمُخَادعينَ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ عَليًّا ــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ــ صَحبَ الخُلفَاءَ الرَّاشدينَ ثَلاثينَ سَنَةً بِحُكْم التُّقَاة صُحْبَةَ نفاق وَعَظَّمَهُمْ وَوَقَّرَهُمْ منْ غَيْر حَقٍّ وَاسْتحْقَاق، مَا أَحْسَنَ هَذه المُعَامَلَةَ وَمَا أَجْمَلهَا!!

فَإِنْ كَانَتْ مَحَبَّةُ أَهْل بَيْت رَسُول الله بوَاسطَة مَحَبَّة رَسُول الله ــ صَلى اللهُ عَلَيْه وَعَلَيْهِمْ وَسَلمَ ــ: يَنْبَغي أَنْ يَكُونُوا أَيْضًا أَعْدَاءً لأَعْدَاء رَسُول الله ﷺ وَأَنْ يَسُبُّوهُمْ وَيَلعَنُوهُمْ أَكْثَر مَنْ سَبِّ أَعْدَاء أَهْل البَيْت وَلعْنهمْ، وَلَمْ يُسْمَعْ منْ أَحَد منْ هَذه الطَّائفَة أَنَّهُ سَبَّ أَبَا جَهْل وَلعَنَهُ مَعَ أَنَّهُ أَشَدُّ أَعْدَاء رَسُول الله ﷺ وَآذَاهُ ﷺ بِأَنْوَاعِ الأَذيَّة وَالجَفَاء، وَلَمْ يُحَرِّكْ أَحَدٌ منْهُمْ لسَانَهُ بذكْر مَسَاويه، وَأَبُو بَكْر الصِّدِّيقُ الذي هُوَ أَحَبُّ الرِّجَال إلى رَسُول الله ﷺ يَزْعُمُونَهُ بزَعْمهمُ الفَاسد عَدُوًّا لأَهْل البَيْت وَيُطيلونَ أَلسنَتَهُمْ بسَبِّه وَطَعْنه، وَيَنْسُبُونَ إليْه أُمُورًا غَيْرَ مُنَاسبَة به، فَأَيُّ تَدَيُّن هَذَا وَأَيُّ ديَانَة لا قَدَّرَ اللهُ سُبْحَانَهُ كَوْنَ أَبي بَكْر وَعُمَرَ وَسَائر الصَّحَابَة الكرَام أَعْدَاءً أَهْل بَيْت رَسُول الله ــ عَلَيْه وَعَلَيْهمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ وَمُبْغضينَ وَمُعَادينَ لآل مُحَمَّد ﷺ.

وَليْتَ هَؤُلاء العَارِّينَ عَنْ لبَاس الإنْصَاف يَسُبُّونَ أَعْدَاءَ أَهْل البَيْت منْ غَيْر تَعْيين أَسَاميِّ أَكَابر الصَّحَابَة ــ رضْوَان الله عَلَيْهمْ أَجْمَعينَ ــ وَمنْ غَيْر إظْهَار سُوء ظَنٍّ بأَكَابرَ الدِّين؛ فَتَرْتَفعُ حينَئذ مُخَالفَتُهَمْ في هَذَا البَاب لأَهْل السُّنَّة؛ فَإنَّ أَهْل السُّنَّة أَيْضًا يُعَادُونَ أَعْدَاءَ أَهْل البَيْت وَيَقُولونَ بطَعْنهمْ وَتَشْنيعهمْ.

وَمنْ حُسْنِ أَهْل السُّنَّة أَنَّهُمْ لاَ يَقُولونَ لشَخْص مُعَيَّن مُبْتلى مُتَلبِّس بأَنْوَاعِ الكُفْر جَهَنَّميًّا وَلا يُجَوِّزُونَ إطْلاقَ اللعْنِ عَلَيْه لاحْتمَال إسْلامه وَتَوْبَته في آخر أَمْره وَإنَّمَا يُجَوِّزُونَ إطْلاق اللعْن عَلى الكَافرينَ مُطْلَقًا دُون تَعْيينُ شَخْص مُتَّهَم مَا لَمْ يَعْلَمْ سُوء خَاتمَته بدَليل قَطْعيٍّ وَالرَّوَافض يُعْلنُونَ أَبَا بَكْر وَعُمَر رَضيَ اللهُ عَنْهُمَا بلا

تَحَاشٍ وَيَسُبُّونَ أَكَابِرَ الصَّحَابَة وَيَطْعَنُونَ فِيهِمْ مِنْ غَيْرِ اكْتِرَاث هَدَاهُمُ الله إِلَى سَوَاء الصِّرَاط.

وَفِي هَذَا المَبْحَث اخْتِلاف عَظِيم بَيْنَ أَهْل السُّنَّة وَبَيْنَ مُخَالفِيهِمْ فِي مَقَامَيْن:

المَقَام الأَوَّل: هُوَ أَنْ أَهلَ السُّنَّة قَائلينَ بحَقيَة خلافَة الخفَاء الأَرْبَع وَيَقُولُونَ لكُل وَاحد منْ هَؤُلاء الأَرْبَع خَليفَة حَقًّا لأَنَّهُ قَدْ وَرَدَ فِي الحَديث الصَّحيح بطَرِيق الإِخْبَار عَنِ المُغَيَّبَات: " الخلافَة بَعْدي ثَلاثُونَ سَنَةً " وَهَذه المُدَّة تَمَّتْ بخلافَة عَلى فَبمُقْتَضَى هَذَا الحَديث يَكُونُ كُل منَ الأَرْبَعَة خَليفَة وَيَكُونُ تَرْتيب الخلافَة عَلَى الحَقِّ وَالمُخَالفُونَ يُنْكرُونَ حَقيَة خلافَة الخُلفَاء الثَّلاثَة وَيَنْسُبُونَ خلافَتَهُمْ الى التَّعَصُّب وَالتَّغَلب لاَ يَعْتَقدُونَ أَحَدًا غَيْر عَلى إمَامًا عَلى الحَقِّ وَيَحْملونَ البَيْعَة الوَاقعَة منْ عَلى للخُلفَاء الثَّلاثَة عَلى التُّقَاة وَيَظُنُّونَ الصُّحْبَة الوَاقعَة فيمَا بَيْنَ الأَصْحَاب الكرَام صُحْبَة نفَاق وَيَتَصَوَّرُونَ المُدَارَاة الكَائنَة فيهمْ مُخَادعَة؛ فَإنَّ موافقى عَلى قَدْ صَحبُوا فِي زَعْم هَؤُلاء الفرْقَة مَعَ مُخَالفيه بحُكْم التُّقَاة صُحْبَة نفَاق وإظهروا بلسَانهمْ خلافَ مَا فِي قُلوبهمْ ومخالفوا عَلى لَمَّا كَانُوا فِي زَعَمَ هَؤُلاء الطَّائفَة أَعْدَاءَهُ وَأَعْدَاء مُوَافقيه وَأَحْبَابه كَانُوا أَحْبَابًا لَهُمْ عَلى سَبيل النِّفَاق وَأَظْهرُوا المُعَادَاة فِي صُورَة المُوَالاة فَيَكُونُ جَميع أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ عَلى زَعْمهمُ الفَاسد مُنَافقينَ وَمُخَادعينَ وَمُظْهرينَ بظَوَاهرهمْ خلافَ مَا فِي بَوَاطنهمْ فَيَكُونُ شرَار هَذه الأُمَّة عنْدَ هَؤُلاء الفرْقَة هُمُ الأَصْحَابُ الكرَامُ وَيَكُونُ شَرّ الصُّحْبَات وَأَخْبَثهَا صُحْبَة خَيْر البَشَر عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ حَيْثُ نَشَأَتْ منْهَا أَمْثَال هَذه الأَخْلاق الذَّميمَة وَيَكُونُ شَرّ القُرُون قَرَنَ الأَصْحَابُ لكَوْنه مملوأ منَ النِّفَاق وَالعَدَاوَة وَالبَغْضَاء وَالحَقِّ وَقَدْ قَالَ اللهُ فِي كَلامه المَجيد فِي حَقِّهمْ {رُحَمَاء بَيْنَهُمْ}[1] أَعَاذَنَا الله سُبْحَانَهُ منْ اعْتقَادَاتهمُ السُّوء فَإذَا جَعَلوا سابقى هَذه الأُمَّة مُتَّصفينَ بهَذه الأَخْلاق الذَّميمَة فَكَيْفَ تُوجَدُ الخَيْريَّة فِي اللاحقينَ وَكَأَنَّ هَذه الطَّائفَة لَمْ يَرَوُا الآيَات القُرْآنيَّة وَالأَحَاديث النَّبَويَّة الوَاردَة فِي فَضْل صُحْبَة خَيْر البَشَر عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَفَضيلة أَصْحَابه الكرَام وَخَيْرَة هَذه الأُمَّة أَوْ رَأَوْهَا وَلكنَّهُمْ لَمْ يُؤْمنُوا بهَا وَلَمْ يَصْدُقُوهَا وَإنَّمَا وَصَل القُرْآن وَالأَحَاديث إلَيْنَا بتَبْليغ الأَصْحَاب الكرَام فَإذَا كَانَ الأَصْحَاب مَطْعُونًا فيهمْ يَكُونُ الدِّين الوَاصل إلَيْنَا بوَاسطَتهمْ وَمنْ طُرُقهمْ أَيْضًا مَطْعُونًا فيه بالضَّرُورَة نَعُوذُ بالله منْ ذَلكَ.

---

(١) الفتح: ٢٩

وَلعَل مَقْصُود هَذِهِ الطَّائِفَة أَبْطَال الدِّين وَإِنْكَار شَرِيعَته عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ

ففى ظَاهِر الصُّورَة يُظْهِرُونَ مَحَبَّةَ أَهْل بَيْت رَسُول الله وَفي الحَقِيقَة يُبْطِلونَ شَرِيعَته عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَلَيْتَهُمْ يَتْرُكُونَ عَلِيًا وَمُوَافِقيه مُسْلمًا فِيهِمْ وَلَمْ يَجْعَلوهُمْ مُتَّسِمينَ بسِمَةِ التُّقَاة التي هِيَ مِنْ سمَة أَهْل المَكْر وَالنِّفَاق وَأَيّ خَيْر يَكُونُ في جَمَاعَة مِنْ موافقى عَلى أَوْ مُخَالِفيه حَيْثُ صَحب بَعْضهم بَعْضًا ثَلاثِينَ سَنَةً بِالنِّفَاق وَعَاشَرُوا بِالمَكْر وَالخدَاع وَكَيْفَ يَسْتَحِقُّونَ الاعْتمَادَ عَلَيْهِمْ

وَهَؤُلاء يَطْعَنُونَ في أَبِي هُرَيْرَةَ[١] ﷺ وَلا يَعْلَمُونَ أَنَّ فِي طَعْنه طَعْنًا في نِصْف الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّة وَذَلكَ أَنَّ العُلَمَاءَ المُحَقِّقِينَ قَالوا وَرْد في الأَحْكَام ثَلاثَة آلاف حَدِيث يَعْني: ثَبَت ثَلاثَة آلاف حُكْم مِنَ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّة بِالسُّنَّة وَثَبتَ أَلف وَخَمْسمائَة مِنْهَا بِرِوَايَة أَبِي هُرَيْرَة فَيَكُونُ الطَّعْن فيه طَعَنًا في نِصْف الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّة وَقَال الإِمَام البُخَارِيُّ أَنْ رُوَاة أَبِي هُرَيْرَة أَزِيدُ مِنْ ثَمَانمائَة مِنَ الأَصْحَاب الكِرَامِ وَالتَّابِعِينَ العِظَامِ وَاحد مِنْهُمْ ابْنُ عَبَّاس[٢] ـــ رَضِيَ الله عَنْهُمَا ـــ وَرَوَى عَنْهُ

---

(١) ـــ **أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي**: على الراجح من اسمه، حافظ الصحابة على الإطلاق ووعاء السنة، اختلف في اسمه واسم أبيه على نحو ثلاثين قولا، أرجحها عند الأكثر عبد الرحمن بن صَخْر، مات سنة ٥٩ هـــ، وقيل: قبلها بسنة أو سنتين، قال الحاكم أبو أحمد بعد أن حكى الاختلاف في اسمه ببعض ما تقدم كان من أحفظ أصحاب رسول الله ﷺ وألزمهم له صحبة على شبع بطنه فكانت يده مع يده يدور معه حيث دار إلى أن مات، ولذلك كثر حديثه، وأخرج البخاري في صحيحه: ٣٤/٥فتح، عن الأعرج، عن أبي هريرة ﷺ قال: " يقولون: إن أبا هريرة يكثر الحديث، والله الموعد، ويقولون: ما للمهاجرين والأنصار لا يحدثون مثل أحاديثه؟ وإن أخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخوتي من الأنصار كان يشغلهم عمل أموالهم، وكنت امرءً مسكينا، ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني، فأحضر حين يغيبون، وأعي حين ينسون، وقال النبي ﷺ يوما: " لن يبسط أحد منكم ثوبه حتى أقضي مقالتي هذه، ثم يجمعه إلى صدره فينسى من مقالتي شيئا أبدا "، فبسطت نمرة ليس عليَّ ثوبٌ غيرها، حتى قضى النبي ﷺ مقالته، ثم جمعتها إلى صدري، فوالذي بعثه بالحق، ما نسيت من مقالته تلك إلى يومي هذا، والله لولا آيتان في كتاب الله، ما حدثتكم شيئا أبدا: ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات﴾ - إلى قوله -: ﴿ الرحيم ﴾، انظر: الإصابة: ٤٢٢/٧، التهذيب: ٤٧٩/٦، الكاشف للذهبي: ٣٨٥/٣.

(٢) ـــ **عبدالله بن عباس**: الصحابي الجليل عبدالله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي (أبو العباس) عم رسول الله ﷺ، ولد بمكة ونشأ بها في بدأ عصر النبوة، فلازم النبي ﷺ، وروى عنه الكثير من الأحاديث، له في الصحيحين ونغيرهما ١٦٦٠ حديثا.، قال فيه عبد اللهخ بن مسعود ﷺ نعم

ابْن عُمَر(١) أَيْضًا وَكَذَلِكَ جَابر بْن عَبْدَ الله٢ وَأَنس بْن مَالك منْ رُوَاته وَالْحَديث الَّذي يَنقُلونَ عَنْ عَلى ــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ــ في الطَّعْن في أَبي هُرَيْرَة ﷺ بال فَهْم مَعْرُوف بَيْنَ العُلَمَاء قَال أَبو هُرَيْرَة ﷺ حَضَرَتْ مُجَالسًا لرَسُول الله ﷺ، فَقَال: " مَنْ يَبْسُطُ منْكُمْ ردَاءَهُ حَتَّى أُفيضَ فيه مقالتي فَيَضُمُّهَا إلَيْه ثُمَّ لاَ يَنْسَاهَا؟! " فَبَسَطَتْ بُرْدَةٌ كَانَتْ عَلى فَأَفَاضَ رَسُول الله ﷺ مَقَالَتَهُ فَضَمَمْتَهَا إلى صدرى فَمَا نُسبتْ بَعْدَ ذَلكَ شَيْئًا ".

فَاعْتقَاد شَخْص عَظيم منْ أَكَابرَ الدِّين عَدُوًّا لعُلى بمُجَرَّد الزَّعْم وَتَجْويز السَّبّ وَالطَّعْن وَاللعْن في حَقّه بَعيد عَنِ الإنْصَاف وَهَذه كُلهَا منْ آفَات إفْرَاط المَحَبَّة حَتَّى كَادُوا يَخْرُجُونَ رؤسهم منْ ربْقَة الإيمَان فَلئنْ جَوَّزَت التُّقَاة فَرْضًا في حَقّ عَلى ــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ــ فَمَاذَا يَقُولونَ في أَقْوَاله التي نُقلتْ عَنْهُ بالتَّوَاتُر في أَفْضَليَّة الشَّيْخَيْنِ وَكَذَلكَ في كَلمَاته القُدُسيَّة التي صَدَرَتْ عَنْهُ في عَيْن خلافَته وكُرْسيّ مَمْلكَته في حَقيَة خلافَة الخُلفَاء الثَّلاَثَة؛ فَإنَّ التُّقَاة إنَّمَا تَكُونُ بستْر حَقيَة خلافَته وَعَدَم إظْهَار بُطْلان خلافَة الخُلفَاء الثَّلاثَة وَأَمَّا إظْهَار حَقيَة خلافَة الخُلفَاء الثَّلاثَة وَبَيَان أَفْضَليَّة الشَّيْخَيْن فَأَمْر عَلى حدَة وَرَاءَ تلكَ التُّقَاة مَحْمَل لهُ غَيْر الصِّدْق وَالصَّوَاب لاَ يُتصَوَّرُ رَفْعَهَا بالتُّقَاة وَأَيْضًا قَدْ وَرَدَت الأَحَاديثُ الصَّحيحَةُ في فَضَائل الخُلفَاء الثَّلاَثَة وَغَيْرهمْ وَبَلغَتْ حَدّ الشُّهْرَة، بَل حَدّ التَّوَاتُر في المَعْنَى وَبَشَّرَتْ جَمَاعَة منْهُمْ بالجَنَّة فَمَاذَا يَقُولونَ في هَذه الأَحَاديث؛ فَإنَّ التُّقَاة تَجُوزُ في حَقّ النَّبيّ ــ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلاَمُ ــ فَإنَّ التَّبْليغ لازمٌ للأَنْبيَاء عَلَيْهمُ الصَّلاةُ وَالسَّلاَمُ وَأَيْضًا قَدْ نَزلَتْ في هَذَا البَاب آيَات قُرْآنيَّة وَلا يُتصَوَّرُ فيهَا التُّقَاهُ رزَقهم اللهُ سُبْحَانَهُ الإنْصَاف.

ترجمان القرآن بن عباس.، وينسب إليه كتاب في تفسير القرآن جمعه بعض أهل العلم من مرويات المفسرين عنه في كل آية. توفي ﷺ سنة ٦٨هـ / ٦٨٧م. الأعلام ٤/٩٥.

(١) ــ **عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي**: أبو عبد الرحمن، الصحابي الجليل، نشأ في الإسلام وهاجر إلى المدينة مع أبيه، وووشهد فتح مكة، ولما قتل عثمان ﷺ عرض عليه نفر من أهل مكة أن يبايعوه بالخلافة فأبى، روى عن النبي ﷺ ٢٦٣٠ حديث، توفس سنة ٧٣هـ وكان آخر من توفي بالمدينة من الصحابة ﷺ. انظر: الأعلام ٤/١٠٨.

(٢) ــ **جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري السلمي**: الصحابي الجليل، كان من المكثرين في الرواية عن رسول الله ﷺ، ورروى عنه جماعة من الصحابة، وكان له في أواخر أيامه حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم. توفي ﷺ سنة ٧٨هـ.الأ علام ٢/١٠٤.

وَمَعْلوم عِنْدَ أَرْبَاب العُقُول أَنَّ التُّقَاةَ مِنْ صِفَات الجَبَان فَنِسْبَتُهَا إِلى أَسَد الله غَيْر مُنَاسِبَة وَإِنْ جَوَّزَت التُّقَاة بِحُكْم البَشَرِيَّة سَاعَة أَوْ سَاعَتَيْنِ وَيَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ فَلَهُ مَسَاغٌ وَمَجَال وَأَمَّا إِثْبَاتُهَا لأَسَد الله مُدَّةَ ثُلثَيْنِ سنَة وَالقَوْل بِإِصْرَارِه عَلى التُّقَاة فِي تلكَ المُدَّة فَمُسْتَكْره جدًّا وَقَدْ قَال العُلَمَاء الإِصْرَار عَلى الصَّغِيرَة كَبِيرَة فَمَا يَكُونُ حُكْم الإِصْرَار عَلى صِفَة مِنْ صِفَات أَرْبَاب الشِّقَاق وَالنِّفَاق يَا لَيْتَهُمْ يَفْهَمُونَ قَبَاحَةَ هَذَا الأَمْر.

وَهُمْ إِنَّمَا هَرَبُوا مِنْ تَقْدِيم الشَّيْخَيْنِ لِكَوْنه مُسْتَلزمًا لإِهَانَة عَلي وَتَنْقِيصه يَعْنِي: فِي زَعْمِهِمُ الفَاسد وَاخْتَارُوا إِثْبَات التُّقَاة لَهُ وَلَمْ يَفْهَمُوا شَنَاعَة هَذه الصِّفَة فَلَوْ فَهِمُوا شَنَاعَتهَا لَمَا جَوَّزُوهَا لَهُ أَصْلا وَلاخْتَارُوا أَهْوَنَ الأَمْرَيْنِ.

بَل أَقُــــــول: لاَ إِهَانَةَ لِعُلي فِي تَقْدِيم الشَّيْخَيْنِ؛ فَإِنَّ حَقِيَة خلافَتَهُ بَاقيَة عَلى حَالهَا وَدَرَجَة وِلايَته وَرُتْبَة هِدَايَته وَمَنْزِلة إِرْشَاده أَيْضًا بَاقيَة عَلى مَا هِيَ عَلَيْهَا وَفِي إِثْبَات التُّقَاة يَلزَمُ التَّنْقِيص وَالتَّوْهِين لِكَوْنهَا مِنْ خَصَائِص أَرْبَاب النِّفَاق وَلَوَازِم أَصْحَاب المَكْر وَالخدَاع.

وَالمَقَام الثَّاني: هُوَ أَنْ أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة شَكَرَ الله سَعْيهمْ يَحْملونَ مُشَاجرَات أَصْحَاب خَيْر البَشَر عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ وَمُنَازَعَاتهمْ عَلى مَحْمَل حَسَنَة وَيَعْتَقدُونَهَا بَعِيدَةً عَنِ الهَوَى وَالتَّعَصُّب؛ فَإِنَّ نُفُوسَهُمْ صَارَتْ مُزكَّاة فِي صُحْبَة خَيْر البَشَر عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَسَاحَة صُدُورهمْ طَاهِرَة نَظِيفَة مِنَ العَدَاوَة وَالغل وَالحقْد غَايَة مَا فِي البَاب أَنَّهُ لَمَّا كَانَ لِكُل وَاحد مِنْهُمْ رَأْيًا وَاجْتِهَادًا وَكَانَ العَمَل لِكُل مُجْتَهد عَلى وَفْق اجْتِهَاده وَاجبًا لزمَت المُشَاجَرَةُ وَالمُخَالفَةُ فِي بَعْض الأُمُور بِسَبَب مُخَالفَة الآرَاء بِالضَّرُورَة وَكَانَ أَتْبَاع كُل مِنْهُمْ رَأَى نَفْسه صَوَاب فَكَانَتْ مُخَالفَتهمْ مِثْل مُوَافَقَتهمْ لأَجْل الحَقِّ لاَ للهَوَى وَالهَوَس وَاتِّبَاع النَّفْس الأَمَّارَة.

وَالرَّوَافِض يَكْفُرُونَ مُخَالفي عَليٍّ وَمُحَاربيه وَيُجَوِّزُونَ فِي حَقِّهِمْ أَنْوَاع الطَّعْن وَالتَّشْنِيع، فَإِذَا صَدرَتْ مُخَالفَة الأَصْحَاب الكرَام للنَّبيِّ ﷺ فِي بَعْض الأُمُور الاجْتِهَادِيَّة وَحَكَمهمْ بِخِلاف حكمه ـ عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ـ وَلَمْ تَكُنْ مُخَالفَتهمْ هَذه مَذْمُومَة وَلَمْ يَكُونُوا مَلومِينَ عَلَيْهَا وَلَمْ يَجِئْ مَنْعهمْ عَنْهَا مَعَ وُجُود نُزُول الوَحي فِي ذَلكَ الوَقْت فَكَيْفَ تَكُونُ مُخَالفَتهمْ لعُلي فِي الأُمُور الاجْتِهَادِيَّة

كُفْر وَلَمْ يَكُونُ المُخَالِفُونَ مَطْعُونًا فِيهِمْ وَمَلومينَ كَيْفَ؛ فَإِنَّ المُخَالِفِينَ جَمّ غَفير مِنْ أَهْلِ الإِسْلامِ وَمِنْ أَجلة الأَصْحَابِ الكِرَامِ وَبَعْض مِنْهُمْ مُبَشِّر بِالجَنَّة وَلَيْسَ تَكْفِيرُهُمْ وَتَشْنِيعُهُمْ أَمْرًا يَسِيرًا كَبُرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ كَادُوا يَكُونُونَ هُمُ الذينَ بَلغُوا قَرِيبًا مِنْ نِصْفِ الدِّينِ وَالشَّرِيعَةِ فَإِذَا كَانُوا مَطْعُونًا فِيهِمْ يَزُول الاعْتِمَادُ عَنْ شَطْرِ الدِّينِ؛ كَيْفَ يَكُونُ هَؤُلاءِ الأَكَابِرِ مَطْعُونًا فِيهِمْ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَرُدَّ أَحَدٌ رِوَايَةَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أَصْلا، لاَ عليّ وَلا غَيْرَهُ.

وَأَيْضًا إِنَّ صَحِيحِ البُخَارِيِّ أَصَحّ الكُتُبِ بَعْدَ كِتَابِ اللهِ تَعَالى وَيَعْتَرِفُ بِهِ الشِّيعَة أَيْضًا وَسَمِعَ هَذَا الفَقِير أَحْمَد التبتي الذي كَانَ مِنْ أَكَابِرَ الشِّيعَةِ بِقَوْلِ إِنَّ كِتَابَ البُخَارِيِّ أَصَحّ الكُتُبِ بَعْدَ كِتَابِ اللهِ وَفِيهِ رِوَايَاتٌ مِنْ موافقى عَلى وَرِوَايَات مِنْ مُخَالِفِيهِ وَلَمْ يُجْعَلِ الرُّجْحَانِ وَعَدَمه مَبْنِيًّا عَلَى المُوَافقَةِ وَالمُخَالَفَةِ فَكَمَا أَنَّهُ يُرْوَى عَنْ عَلِيٍّ يَرْوِي عَنْ مُعَاوِيَة[1] فَلَوْ كَانَ فِي مُعَاوِيَة وَفِي رِوَايَتهُ شَائِبَة الطَّعْن لَمَا أَدْرَجَ رِوَايَتِهِ فِي كِتَابِهِ أَصْلا وَكَذَلِكَ لَمْ يُفَرِّقُ بِهَذَا الوَجْهِ فِي رِوَايَةِ الحَدِيثِ أَحَد مِنْ نُقَّاد الأَحَادِيثِ مِنَ السَّلَفِ وَلَمْ يَجْعَلِ مُخَالَفَةً عَلَى مَنْشَأ لِلطَّعْنِ.

وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّهُ لاَ يُلزِمُ أَنْ يَكُونَ عَلِيٌّ ﷺ مَحَقًا فِي جَمِيعِ الأُمُورِ الخِلافِيَّة وَلا يَقْطَعُ بِهِ وَأَنْ يَكُونَ مُخَالِفُوهُ عَلى الخَطَّاءِ إِنْ كَانَ الحَقّ فِي أَمْرِ المُحَارَبَةِ فِي جَانِبِهِ؛ فَإِنَّ عُلَمَاءَ الصَّدْرِ الأَوَّلِ مِنَ التَّابِعِينَ وَالأَئِمَّة المُجْتَهِدِينَ اخْتَارُوا مَذْهَبَ غَيْرِهِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَحْكَامِ الخِلافِيَّة وَلَمْ يَحْكُمُوا بِمَذْهَبِهِ فَإِنْ كَانَ الحَقّ مُتَعَيِّنًا فِي جَانِبِهِ لَمَا كَانُوا يَحْكُمُونَ بِخِلافِهِ وَكَانَ القَاضِى شُرَيْح[2] مِنَ التَّابِعِينَ وَصَاحِب

---

(١) ـــ **معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي:** الصحابي الجليل، مؤسس الدولة الأموية في الشام، وأحد دهاة العرب المتميزين الكبار، كان فصيحا حليما وقورا، ولد بمكة وأسلم يوم فتحها سنة ٨هـــ، وتعلم الكتابة والحساب فجعله النبي ﷺ في كتابه، ولما ولي أبي بكر ﷺ ولاه قيادة جيش فكان تحت إمرة أخيه يزيد بن أبي سفيان، فكان على مقدمته في فتح صيدا وعرقة وجبيل وبيروت، ولما ولي عمر جعله واليا على الأردن، ورأى فيه حزما وعزما فولاه دمشق بعد موت أميرها يزيد أخيه.، وتولى الخلافة سنة ٤١هـــ وتوفي سنة ٦٠هـــ ﷺ. أسد الغابة، الأعلام ٢٦١/٧.

(٢) ـــ **القاضي شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي أبو أمية:** من أشهر القضاة الفقهاء في صدر الإسلام، أصله من اليمن، وولي قضاء الكوفة في زمن عمر، وعثمان، وعلي، ومعاوية – رضي الله عنهم واستعفى في أيام الحجاج فأعفاه سنة ٧٧هـــ، وكان ثقة في الحديث مأمونا في القضاء، له باع في الأدب والشعر، وعاش طويلا، ومات بالكوفة سنة ٧٨هـــ ٦٩٧ م. شذرات الذهب ٨٥/١، الطبقات الكبرى لابن سعد ٩٠/٦، وفيات الأعيان ٢٢٤/١، الأعلام للزركلي ١٦١/٣.

اجْتِهَاد وَلَمْ يَحْكُمْ بِمَذْهَب عَلِيٍّ لَمْ يَقْبَل شَهَادَةَ ابْنه الحَسَن(١) ــ عَلَيْهِمَا الرِّضْوَانُ ــ لَهُ بِوَاسِطَة نِسْبَة البُنُوَّة وَعَمل المُجْتَهِدُونَ بِقَول شُرَيْح وَأَخَذُوا به وَلَمْ يُجَوِّزُوا شَهَادَة الابْنِ للأَب وَاخْتِيَار الأَقْوَال التي تخَالفَ رَأَى عَلِي ــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ــ كَثِير في مَسَائِل أُخْرَى أَيْضًا لاَ يَخْفَى عَلَى المُتَتَبِّعِ المُنْصِف وَتَفْصِيله يُسْتَدْعَى تَطْوِيلا فَلا يَكُونُ فِي مُخَالفَة عَلِي ــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ــ مَجَال للاعْتِرَاضِ وَلا يَكُونُ مُخَالفُوهُ مَطْعُونًا فِيهِمْ وَمَلومِينَ.

وَكَانَتْ عَائشَةُ(٢) الصِّدِّيقَة ــ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا ــ حَبِيبَةُ حَبِيب رَبِّ العَالمينَ وَمَقْبُولته وَمَنْظُورَة إِلَيْه ﷺ إِلى شَفِير اللحْد وَكَانَ ﷺ مُقِيمًا فِي حُجْرَتهَا فِي مَرَضِ مَوْته وَوَجْهُهُ الشَّرِيفُ فِي حِجْرِهَا، وَبَيْنَ سَحْرِهَا وَنَحْرِهَا، وَدُفِنَ فِي حُجْرَتها المُطَهَّرَة وَمَعَ ذَلكَ الشَّرَف كُله كَانَت رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَالمَة وَمُجْتَهِدَة وَأَحَال النَّبِيّ ﷺ.

بَيَان شَطْرِ الدِّيْنِ عَلَيْهَا وَرَجَعَ الأَصْحَاب الكِرَام فِي مُشْكِلات الأَحْكَام إِلَيْهَا وَوَجَدُوا حَل المُغْلقَات مِنْهَا فَالطَّعْن فِي مِثْل هَذه للصِّدِّيقَة المُجْتَهِدَة بِوَاسِطَة مُخَالفَة عَلِى وَنسْبَة الأَشْيَاء الغَيْر اللائقَة إِلَيْهَا غَيْر مُنَاسِبَة جدًّا وَبَعِيدَة عَنِ الإِيمَان بِالنَّبِيِّ ﷺ فَإِنْ كَانَ عَلِيٌّ ــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ــ خَتَنَهُ وَابْنَ عَمِّه فَالصِّدِّيقَةُ زَوْجَتُهُ المُطَهَّرَةُ وَحَبِيبَتُهُ المَقْبُولةُ عَلَيْه وَعَلى جَمِيعِ أَهْل بَيْته عليه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ

---

(١) ــ **الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي**: أبو محمد خامس الخلفاء الراشدين وآخرهم، أمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ، وهو أكبر أولادها وأولهم، كان عاقلا حليما محبا للخير، فصيحا من أحسن الناس منطقا وبديهة، حج عشرين حجة ماشيا، بايعه أهل العراق بالخلافة بعد مقتل أبيه سنة ٤٠ هـ وأشاروا عليه بالمسير إلى الشام لمحاربة معاوية بن أبي سفيان فأطاعهم، وزحف بمن معه، وبلغ معاوية الخبر فقصده بجيشه وتقارب الجيشان فهال الحسن أن يقتتل المسلمون، فكتب إلى معاوية يشترط شروطا للصلح، ورضي معاوية، فخلع الحسن نفسه من الخلافة وسلم الأمر لمعاوية بن أبي سفيان في بيت المقدس سنة ٤١هـ، وسمي هذا العام بعام الجماعة لاجتماع كلمة المسلمين فيه. وانصرف الحسن رضي الله عنه إلى المدينة، وأقام بها إلى أن توفي سنة ٥٠هـ.

(٢) ــ **أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق**: أحب أزواج رسول الله ﷺ إلى نفسه، الصديقة بنت الصديق، أمها أم رومان بنت عامر، خطبها رسول الله ﷺ بمكة، وبنى عليها في شوال سنة ثنتين من الهجرة، كناها النبي ﷺ بعبد الله بن الزبير، كانت فقيهة عالمة فصيحة فاضلة كثيرة الحديث عن رسول الله ﷺ روى عنها جماعة من الصحابة والتابعين، ماتت بالمدينة سنة سبع وخمسين ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان، ودفنت بالبقيع، وصلى عليها أبو هريرة. انظر: ابن حجر: الإصابة: ٨/٣٢٨-٣٢٩.

وَكَانَ دَأْب الفَقير قَبْل هَذَا بسِنينَ إذَا طَبَخَ طَعَام كُنْت أَجْعَل حصَّةً منْهُ مَخْصُوصَة برُوحَانيَّات أَهْل العَبَاء نَبيّنَا ﷺ وَعَليٌّ وَفَاطمَة[١] وَالإمَامَيْن يَعْني: السِّبْطَيْن[٢] رضْوَان الله عَلَيْهم أَجْمَعينَ فَرَأَيْت النبيّ صَلى الله عَلَيْه وَسَلمَ في المَنَام فَسَلمَتْ عَلَيْه وَهُوَ ﷺ لا يَكُونُ مُتَوَجِّهًا إلى الفَقير، بَل يَتَوَجَّهُ إلى جَانب آخَرَ وَقَال في تلكَ الأَثْنَاء للفَقير أَنَا آكل الطَّعَام في بَيْت عَائشَة فَكُل مَنْ يُرْسل الطَّعَامَ إلَى فَلْيُرْسلهُ إلى بَيْت عَائشَة فَتَيَقَّنَ الفَقير في ذَلكَ الوَقْت أَنَّ سَبَبَ عَدَم تَوَجُّهه الشَّريفَ هُوَ عَدَمٌ تَشْريك الصِّدِّيقة في الطَّعَام فَبَعْدَ ذَلكَ كُنْت أَجْعَل الصِّديقَةَ، بَل سَائر الأَزْوَاج المُطَهَّرَات التي كُلهنَّ منْ أَهْل البَيْت شُرَكَاء في الطَّعَام وَكُنْت أَتَوَسَّل بجَميع أَهْل البَيْت فَالجَفَاء وَالإيذَاء اللذَان يُصيبَان النَبيّ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ منْ جهَة الصِّديقَة أَزيدُ منَ الجَفَاء وَالإيذَاء اللذَيْن يُصيبَانه ﷺ منْ جهَة عَليٍّ، وَهَذَا المَعْنَى غَيْر مُخْفَى عَلى العُقَلاء أَصْحَاب الإنْصَاف.

نَعَـــمْ: إنَّ هَذَا عَلى تَقْدير كَوْن مَحَبَّة عَليٍّ وَتَعْظيمه بوَاسطَة مَحَبَّة الرَّسُول وَتَعْظيمه عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ بوَاسطَة قَرَابَته ﷺ.

وَأَمَّا مَنْ اخْتَارَ مَحَبَّةَ عَليٍّ اسْتقْلالا وَلَمْ يَجْعَل لحُبِّ النَبيّ فيهَا مَدْخَلا فَهُوَ خَارجٌ عَن المَبْحَث وَغَيْر قَابل للمُخَاطَبَة غَرَضه إبْطَال الدِّين وَهَدْم الشَّريعَة يُريدُ أَنْ يَتَّخذَ سَبيلا بدُون تَوَسُّط النَبيّ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَيَرْغَبُ عَنْ مُحَمَّد في عَلى وَهُوَ مَحْضُ الكُفْر وَعَيْن الزَّنْدَقَة وَعَلى ـــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـــ بَريءٌ منْهُ وَمُتَأَذٍّ منْ صَنيعه؛ فَإنَّ حُبَّ أَصْحَابه وَأَخْتَانُهُ ﷺ بوَاسطَة حُبِّه عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَتَعْظيمهمْ وَتَكْريمهمْ بوَاسطَة تَعْظيمه وَتَكْريمه ﷺ قَال عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ " مَنْ أُحبُّهَمْ فَبحُبّى أَحبُّهُمْ " وَكَذَلكَ مَنَّ كَانَ مُبْغضًا إيَّاهُمْ؛ فَإنَّمَا يَكُونُ ذَلكَ ببُغْضه ﷺ كَمَا قَال عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ " وَمنْ أَبْغَضُهُمْ فببغضى أَبْغضُهُمْ " يَعْني: أَنَّ

---

(١) ـــ السيدة فاطمة الزهراء بنت سيدنا رسول الله محمد ﷺ: بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ز، أمها السيدة خديجة بنت خويلد، من ناهات قريش، وإحدى الفصيحات العاقلات، تزوجها علي بن أبي طالب ﷺ في الثامنة عشر من عمرها، وولدت الحسن والحسين وأم كلثوم وزينب رضي الله عنهم جميعا عاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر. مناقبها كثيرة رضي الله عنها – وللسيوطي كتاب في ذلك سماه " الثغور الباسمة في مناقب السيدة فاطمة ". توفيت ﷺ سنة ١١هـــ. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٨/ ٢٠٠، تهذيب التهذيب ١٢/ ٤٤٣، الأعلام للزركلي ٥/ ١٢٢.

(٢) ـــ سيدنا الإمام الحسن، وسيدنا الإمام الحسين – سبطا رسول الله ﷺ رضي الله عنهما.

المَحَبَّةَ التي تَتَعلَقُ بأَصْحَابي عَيْنَ المَحَبَّة التي تَتَعلَقُ بي وَكَذَلِكَ بَغْضَهُمْ هُوَ عَيْن البُغْض الذي يَتَعلَقُ بي.

وَطَلحَة[١] وَزُبَيْر[٢] رَضِيَ الله عَنْهُمَا مِنْ كبَار الأَصْحَاب وَمِنَ العشْرَة المُبَشَّرَة بالجَنَّة فَالطَّعْن فيْهمَا وَتَشْنيعهمَا غَيْر مُنَاسب وَلعْنهمَا وَطَرْدهمَا عَائدَان إلى اللاعن وَالطَّارد وَهُمَا اللذَان جَعَلَهُمَا الفَارُوقُ منَ السِّتَّة التي تُرْك الخلافَة شُورَى بَيْنهمْ لَمَا لَمْ يُجَدِّدْ ليْلا وَاضحًا لتَرْجيح بَعْضهمْ عَلى بَعْض فَتَرَكَا نَصيبَ الخلافَة عَنْ أَنْفسهمَا باخْتيَارهمَا وَقَالَ كُل منْهُمَا تَرَكَتْ حُظَى وَطَلحَة هُوَ الذي قَتَل اباه بوَاسطَة صُدُور سُوء أَدَب عَنْهُ في حَقّه ﷺ وَجَاءَهُ برَأْسه وَورْد ثَنَاؤُهُ عَلى فعْله هَذَا في القُرْآن المَجيد وَالزُّبير هُوَ الذي أَخْبَرَ المُخْبَر الصَّادق عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ بكَوْن قَاتله في جَهَنَّم حَيْثُ قَال ﷺ " قَاتل الزُّبَيْر في جَهَنَّم "[٣].

وَلعَنَ الزُّبَيْر لَيْسَ بَادُونَ مَنْ قَتَلهُ فَلا عَنْهُ وَقَاتلهُ مُتَسَاوِيَان فَالحَذَر ثُمَّ الحَذَر ثُمَّ الحَذَر منَ الطَّعْن في أَكَابر الدِّين وَذَمَّ كُبَرَاءَ الإِسْلام الذينَ بَذَلوا جُهْدَهُمْ في إعْلاء كَلمَة الإِسْلام وَنُصْرَة سَيِّد الأَنَام وَأَنْفقُوا أَمْوَالهُمْ لتَأْييد الدِّين باللَيْل وَالنَّهَار وَفي السِّرّ وَالجهَار وَتَرَكُوا لحُبّ الرَّسُول عَشَائرهمْ وَقَبَائلهمْ وَأَوْلادهمْ وَأَزْوَاجهمْ

---

(١) ـــ هو الصحابي الجليل طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي المدني، أبو محمد، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، كان من دهاة قريش ومن علمائهم، ويقال له " طلحة الجود " و " طلحة الخير " و "طلحة الفياض " وكل ذلك لقبه به رسول الله ﷺ فيلا مناسبات مختلفة، ودعاه مرة " الصبيح الفصيح المليح " شهد أحدا وثبت مع رسول الله ﷺ وبايعه على الموت؛ وأصيب في ذلك اليوم بأربعة وعشرين جرحا، وسلم فشهد الخندق والمشاهد بعدها، ولم يكن يدع أحدا من بني تميم عائلا إلا كفاه مؤونته ومؤونة عياله، قتل يوم الجمل وهو بجانب عائشة - رضي الله عنها ودفن بالبصرة‌ﷺ. الطبقات لابن سعد ١٥٢/٣. صفة الصفوة ١٣٠/١. الأعلام ٢٢٩/٣.

(٢) ـــ **الزبير بن العوام بن خويلد الاسدي القرشي**: أبو عبد الله، الصحابي الجليل، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأول من سل سيفه في الإسلام، وهو ابن عمة النبي ﷺ، أسلم وله ١٢ سنة، وشهد بدراً وأحداً وغيرهما، وقالوا: " كان صدر الزبير بن العوام أ مثال العيون من الطعن والرمي "، وجعله عمر ﷺ فيمن يصلح للخلافة من بعده.، كان طويلا جدا إذا ركب تخط رجلاه الارض، خفيف اللحية، أسمر اللون، كثير الشعر. استشهد يوم الجمل ﷺ. صفة الصفوة ١٣٢/١، حلية الأولياء ٨٩/١، الأعلام ٤٣/٣.

(٣) **إسناده صحيح**:أحمد في المسند:مسند علي بن أبي طالب.، موقوفا عليه، وقال الحافظ ابن حجر: رواه أحمد وغيره من طريق زر بن حبيش عن علي بإسناد صحيح

وَأَوْطَانَهُمْ وَمَسَاكِنهمْ وَعُيُونَهُمْ وزروعهم وَأَشْجَارِهِمْ وَأَنْهَارِهِمْ وَآثَرُوا نَفْسَ الرَّسُول عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَاخْتَارُوا مَحَبَّتَهُ عَلى مَحَبَّتِهِمْ وَمَحَبَّة أَمْوَالِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَهُمُ الذينَ نَالوا شَرَفَ الصُّحْبَة وَفَازُوا في صُحْبَته ببَرَكَات النُّبُوَّة وَشَاهَدُوا الوَحَى يعى نُزُوله وَتَشَرَّفُوا بحُضُورِ المَلك وَرَأَوْا الخَوَارق وَالعُجزَات حَتَّى صَارَ غَيْبَهُمْ شَهَادَة وَعلمهمْ عَيْنًا وَأَعْطَوْا منَ اليَقين مَا لاَ يُعْطَى أَحَد منْ بَعْدهم حَتَّى لاَ يَبْلغَ إِنْفَاق غَيْرِهِمْ مثْل أَحَد ذَهَبًا وأنفاقهم مَدّ شَعير وَلا نَصيفَةَ وَهُمُ الذينَ أَثْنَى الله تَعَالَى عَلَيْهِمْ فِي القُرْآن المَجيد وَرَضَى عَنْهُمْ وَهُمْ رَضُوا عَنْهُ ذَلكَ {مثْلهمْ في التَّوْرَاة وَمَثَلهمْ في الإنْجيل كَزَرْعٍ أَخْرَجُ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقه يُعْجَبُ الزُّرَّاع ليَغيظَ بهمُ الكُفَّار}[1] سُمِّيَ الله الغَائظَ بهمْ كُفَّارًا فَليُحذِّرْ عَنْ غَيْظهمْ كَمَا يُحذِّرُ عَنِ الكُفْر وَالله المُوَفِّقُ.

وَالجَمَاعَة الذينَ صَحَّحُوا مثْل هَذه النِّسْبَة برَسُول الله ﷺ وَصَارُوا مَقْبُولينَ لدَيْه وَمَنْظُورَيْن إلَيْه ﷺ إذَا خَالفَ بَعْضهمْ بَعْضًا في بَعْض الأُمُور وَتَشَاجَرُوا وَعَملوا بمَا أَدَّى غَليه رَأْيهمْ وَاجْتهَادهمْ لاَ يَكُونُ مَجَال للطَّعْنِ فيمَ وَلا للإعتراض عَلى صَنيعهمْ، بَل الحَقّ وَالصَّوَاب في ذَلكَ المَوْطن هُوَ عَيْن الاخْتلاف وَعَدَم تَقْليد رَأى غَيْره أَلا تَرَى أَنَّ تَقْليدَ الإمَامِ أَبي يُوسُف أَبَا حَنيفَة رَضيَ الله عَنْهُمَا بَعْدَ وُصُوله إلَى دَرَجَة الاجْتهَاد خَطَأ وَالصَّوَاب إنَّمَا هُوَ تَقْليدٌ رَأى نَفْسه حَتَّى إنَّ الإمَامَ الشَّافعيَّ ﷺ لاَ يُقَدِّمُ قَوْل صحابى أى صحابى كَانَ سَوَاء كَانَ صَديقًا أَوْ عَليًا عَلى رَأْيه، بَل يَرَى الصَّوَابَ في العَمَل برَأْيه وَإنْ كَانَ مُخَالفًا لقَوْل صحابى فَإذَا كَانَ لمُجتَهد منَ الأُمَّة غَيْر صحابى مَجَال في مُخَالفَة آرَاءِ الأَصْحَاب كَيْفَ يَكُونُ الأَصْحَاب مَطْعُونًا فيهمْ إذَا خَالفَ بَعْضهمْ بَعْضًا.

مَعَ أَنَا نَقُول أَنَّ الأَصْحَاب الكرَام قَدْ خَالفُوا في الأُمُور الاجْتهَاديَّة رَأى رَسُول الله ﷺ وَلَمْ يَردْ الذَمّ عَلى خلافهمْ ذَلكَ مَعَ وُجُود نُزُول الوَحَى وَلَمْ يَردْ المَنْع عَنْ اخْتلافهمْ ذَلكَ كَمَا مَرَّ فَإنْ كَانَ اخْتلافهمْ ذَلكَ غَيْر مَرْضَى وَغَيْر مَقْبُول عنْدَ الحَقِّ جَل شَأْنُهُ لكَانَ يَرُدُّ المَنع عَنْهُ وَيَنْزل الوَعيد عَلى المُخَالفينَ أَلا تَرَى كَيْفَ جَاءَ المَنْع مَنْ رَفْعِ الصَّوْت حينَ رَفْع جَمَاعَة أَصْوَاهُمْ فَوْقَ صَوْت النبيّ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَتَرَتَّبَ عَلَيْه الوَعيدُ قَال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى {يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا لاَ

---

(١) الفتح: ٢٩

تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبيّ}[١] الآيَة وَقَعَ فِي أَسَارَى بِدْرٍ اخْتِلاف عَظِيم حَيْثُ حَكَمَ عُمَر الفَارُوق وَسَعْد بْن مُعَاذ بِقَتْلِ الأَسَارَى وَحَكَم الآخَرُونَ بِالتَّخْلِيصِ وَالفِدْيَة وَكَانَ الرَّأْي المَقْبُول عِنْدَهُ ﷺ الحَكَم بِالتَّخْلِيصِ وَالفِدْيَة وَسَائِر مَوَاضِعِ الاخْتِلافَات كَثِيرَة.

وَمِنْ هَذَا القَبِيل اخْتِلافهمْ فِي إِتْيَان القِرْطَاس وَمَنْعه الآخَرُونَ وَكَانَ الفَارُوق مِنَ الذِينَ لَمْ يَرْضَوْا بِإِتْيَان القِرْطَاس وَقَال حَسْبنَا كِتَاب الله، فَأَكَبَّ الطَّاعِنُونَ مِنْ هَذِه الجِهَة عَلى الفَارُوق وَأَطَالوا لِسَان الطَّعْن وَالشَّنِيع عَلَيْه وَلَيْسَ هَذَا فِي الحَقِيقَة مَحَلا لِلطَّعْنِ فَإِنَّ الفَارُوقَ قَدْ عَلِمَ أَنَّ زَمَان الوَحَى صَار مُنْقَطِعًا وَالأَحْكَام السَّمَاوِيَّة قَدْ تَمَّتْ وَلَمْ يُبْقِ مَجَالا لإِثْبَات الأَحْكَام غَيْر الرَّأْي وَالاجْتِهَاد وَكُل مَا لَمْ يَكْتُب النَّبيُّ ﷺ يَكُونُ مِنَ الأُمُور الاجْتِهَادِيَّة التِي فِيهَا شَرِكَة لِلآخَرِينَ بِقَوْله تَعَالى {فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَار}[٢] فَرَأَى الصَّوَاب فِي أَنْ لاَ يُصَدِّعُ النَّبيّ ﷺ عِنْدَ غَلبَة وَجَعه وَأَنْ يَكْتَفِي بِرأي غَيْره وَاجْتِهَاده حَسْبنَا كِتَابَ الله يَعْنِي: القُرْآنَ المَجِيدُ مَأْخَذُ القِيَاسِ[٣] وَالاجْتِهَاد[٤] وَكَافٍ لِلمُسْتَنْبِطِينَ فَيَسْتَنْبِطُ مِنْهُ الأَحْكَام وَتَخْصِيص الكِتَاب بِالذِّكْر يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ أَنَّهُ عَلِمَ بِالقَرَائِنِ أَنَّ تِلكَ الأَحْكَامَ التِي هُوَ ﷺ فِي صَدَدِ كِتَابَتِهَا مَأْخَذهَا الكِتَاب لاَ السُّنَّة حَتَّى يَذْكُرَ السُّنَّة فَكَانَ مَنْع الفَارُوقِ مِنْ جِهَة الشَّفَقَة وَالمَرْحَمَة لِئَلا يُصَدِّعُ النَّبيّ ﷺ بِشَيْء فِي شِدَّة الوَجَعِ وَكَانَ أَمْره ﷺ بِإِتْيَان القِرْطَاس لِلاسْتِحْسَان لاَ لِلوُجُوب لِيَكُونَ غَيْرُهُ مُسْتَرِيحِينَ مِنْ مَشَقَّة اسْتِنْبَاطه فَلوْ كَانَ أَمْرٌ ائتونِى لِلوُجُوبِ لبَالغِ النَّبيّ ﷺ فِيه وَلَمَّا كَانَ يُعْرِضُ عَنْهُ لِمُجَرَّد الاخْتِلاف.

فَإِنْ قِيل قَدْ قَال الفَارُوق فِي ذَلكَ الوَقْت أَهْجُرُ استفهموه فَمَا يَكُونُ المُرَاد مِنْهُ:

---

(١) الحجرات: ٢

(٢) الحشر: ٢

(٣) **القياس**: قول مؤلف من قضايا إذا سلمت لزم عنها لذاتها قول آخر، كقولنا العالم متغير، وكل متغير حادث؛ فإنه قول مركب من قضيتين إذا سلمتا لزم عنهما لذاتهما: **العالم حادث**. انظر: الجرجاني: التعريفات: ٢٣٢.

(٤) **الاجتهاد**: **في اللغة**: بذل الوسع، وفي الإصطلاح: استفراغ الفقيه الوسع ليحصل له ظن بحكم شرعي، وبذل المجهود في طلب المقصود من جهة الاستدلال. انظر: الجرجاني: **التعريفات**: ٢٣.

أُجيــب: لعَل الفَارُوقَ فَهِمْ فِي ذَلكَ الوَقْت أَنَّ هَذَا الكَلامَ إِنَّمَا صَدَرَ عَنْهُ ﷺ بوَاسطَة الوَجَعِ منْ غَيْرِ قَصْد اخْتيَار كَمَا يَتوَهَّمُ مَنْ لفَظ أُكْتُبْ فَإِنَّهُ ﷺ كَانَ أُمِّيًا لَمْ يَكْتُبْ شَيْئًا أَصْلا وَأَيْضًا أَنَّهُ قَالَ " لنْ تَضلوا بَعْدي"(١).

فَإذَا كَانَ الدِّين كَاملا وَصَارَت النِّعْمَة تَمَامًا وَحَصَل رِضَا المَوْلى به كَيْفَ تَتَصَوَّرُ الضَّلالَة بَعْدَ ذَلكَ وَمَاذَا يَقْدرُ يَكْتُبُ فِي سَاعَة وَاحدَة حَتَّى تَنْدَفعَ به الضَّلالة أَلَمْ يَكْفِ الذين كَتَبَ فِي مُدَّةَ ثَلاث وَعشْرينَ سَنَةً وَلَمْ تَنْدَفعْ به الضَّلالة وَيَكْتُبْ فِي سَاعَة وَاحدَة شَيْء مَعَ وُجُود شدَّة المَرَضِ تَنْدَفعُ به الضَّلالة فَعلم الفَارُوق منْ هُنَا أَنَّ هَذَا الكَلامَ جَرَى عَلى لسَانه الشَّريف منْ غَيْرِ قَصْد منْهُ بنَاءً عَلى البَشَرِيَّة فَقَال حَقِّقُوا هَذَا المَعْنَى بالاسْتفْسَار منْهُ ثَانيًا فَارْتَفَعَ الكَلمَات فِي أَثْنَاءَ الاخْتلاف فَقَال النبيّ ﷺ " قُومُوا وَلا تَخْتَلفُوا فَإنَّهُ لاَ يَسْتَحْسنُ النِّزَاعَ عنْد نَبيّ وَلَمْ يَقل ثَانيًا منْ هَذه المَقُولة شَيْئًا وَلَمْ يُذَكِّرْ دَوَاتًا وَلا قرْطَاسًا

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلمَ أَنَّ الاخْتلافَ الوَاقعَ منَ الأَصْحَاب الكرَام فِي بَعْض الأُمُور الاجْتهَاديَّة بالنِّسْبَة إلى النَبيّ عَلَيْه وَعَلَيْهمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ لوْ كَانَ عيَاذا بالله سُبْحَانَهُ فيه شَائبَة الهَوَى وَالتَّعصُّب لاَ نَجر ذَلكَ إلى اللحُوق بزُمْرَة أَهْل الارْتدَاد وَأَخْرَاج الرَّأْس منْ ربْقَة الإسْلام فَإنَّ سُوءَ الأَدَب وَسُوء المُعَاشَرَة مَعَهُ ﷺ كُفرٌ أَعَاذَنَا الله سُبْحَانَهُ منْهُ، بَل كَانَ هَذَا الاخْتلاف بنَاءً عَلى أَمْرِ فَاعْتَبرُوا فَإنَّ مَنْ كَانَ فيه رُتْبَة الاجْتهَاد فَتَقْليده اجْتهَاد غَيْره وَرَأْيه فِي الأُمُور الاجْتهَاديَّة خَطَأ وَمُنْهيَ عَنْهُ نَعَمْ لاَ مَجَال فِي الأَحْكَام المُنَزَّلة التِي لاَ مَدْخَل فيهَا للرأى وَالاجْتهَاد لغَيْر التَّقْليد وَالإيمَان وَالانْقيَاد وَاجب فيهَا غَايَة مَا فِي البَاب أَنَّ أَصْحَابَ القَرْن الأَوَّل كَانُوا بُرَآء منَ التكلفات وَمُسْتَغْنينَ عَنْ تَحْسين العبَارَات وَإنَّمَا كَانَ اهْتمَامهمْ ف إصْلاح البَاطنِ وَكَانَ ظَاهرهمْ مَطْرُوحًا عَنْ نَظَرهمْ وَغَيْر مَلحُوظ أَصْلا وَكَانَتْ مُرَاعَاة الآدَاب فِي ذَلكَ القَرْن باعْتبَار الحَقيقَة وَالمَعْنَى لاَ باعْتبَار الظَّاهر وَالصُّورَة فَقَطْ وَكَانَ حَالهمْ امْتثَال أَمْر الرَّسُول ﷺ وَمُعَامَلتهمُ الاجْتنَاب عَمَّا لَيْسَ بمَرْضَى عنْدَهُ ﷺ جَعَلوا آبَاءَهُمْ وَأُمَّهَاتهمْ وَأَوْلادهُمْ وَأَزْوَاجَهُمْ فَدَاءً لهُ عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ

---

(١) غريب حسن: الترمذي بنحوه عن جابر بن عبد الله: سنن الترمذي: ك: أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، ب: مناقب أهل بيت النبي ﷺ. ح٣٨٧٤.،وقال: حديث غريب حسن.، وأحمد في المسند مسند أبي سعيد الخدري.، الطبراني في المعجم الكبير: حديث الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعا.

وَمنْ كَمَال اعْتقَادهمْ وَإخْلاصهمْ لَمْ يَترُكُوا بُزَاق النَبىّ ﷺ ليَقَع في الأَرْض، بَل كَانُوا يَأْخُذُونَهُ وَيَمْسَحُونَهُ أَبْدَاهمْ وَوُجُوههمْ مثْل مَاء الحَيَاة وَقَصدَهُمْ شُرْب دَمه ﷺ بَعْدَ الفَصْد منْ كَمَال الإخْلاص مَشْهُور وَمَعْرُوف فَإنْ صَدَرَتْ عَنْ هَؤُلاء الأَكَابر عبَارَةٌ مُوهِمَةٌ لسُوء الأَدَب بالنِّسْبَة إلَيْه ﷺ عنْدَ أَهْل هَذه القُرُون التي هيَ مَلآنَة منَ الكَذب وَالخدَاع يَنْبَغي أَنْ يَحْملَهَا عَلى مَحْمَل حَسَنٍ وَأَنْ يَذْهَبَ إلى حَاصل العَبَّارَة وَأَنْ لاَ يُلاحظُ الأَلفَاظ منْ أى قسْم كَانَتْ وَهَذه هُوَ طَريقُ السَّلامَة وَاللهُ سُبْحَانَهُ المُوفِّقُ.

فَإنْ قيل إذَا كَانَ في الأُمُور الاجْتهَاديَّة مَجَال الخَطَأ كَيْفَ يَكُونُ الوُثُوق بجَميع الأَحْكَام الشَّرْعيَّة المَنْقُولة عَنْهُ عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ:

أُجيبَ: أَنَّ الأَحْكَامَ الاجْتهَاديَّةَ صَارَتْ في المَآل وَثَانى الحَال أَحْكَامًا منْزلة سَمَاويَّة فَإنَّ تَقْريرَ الأَنْبيَاء عَلى الخَطَأ غَيْر جَائز فَيَنْزل في الأَحْكَام الاجْتهَاديَّة بَعْدَ ثُبوت اجْتهَاد المُسْتَنْبطَيْن وَاخْتلاف آرائهم حُكْم منْ عنْد الحَقّ جَل وَعَلا يُفرِّقُ الصَّوَاب منَ الخَطَأ وَيُمَيِّزُ المُحقّ منَ المُبْطل فَكَانَت الأَحْكَام الاجْتهَاديَّة في زَمَانه ﷺ بَعْدَ نُزُول الوَحْى وَتَميُّز الصَّوَاب منَ الخَطَأ أَيْضًا قَطْعيُّ الثُّبُوت لَمْ يَبْقَ فيهَا احْتمَال الخَطَأ فَجَميع الأَحْكَام التي ثَبَتَتْ في زَمَنه ﷺ قَطْعيٌّ مَحْفُوظ عَنْ احْتمَال الخَطَأ لأَنَّهَا ثَبَتَتْ بوَحى قَطْعيٌّ ابْتدَاء وَانْتهَاء وَكَانَ المَقْصُود منَ الاجْتهَاد في اسْتنْبَاط هَذه الأَحْكَام هُوَ أَنْ يَحْصُل للمُجْتَهدينَ وَالمُسْتَنْبطينَ أَنْوَاع العنَايَة وَارْتفَاع دَرَجَات الكَرَامَة وَيَنَال المُصيب وَالمُخْطئ ثَوَابًا عَلى تَفَاوُت الدَّرَجَات ففى الأَحْكَام الاجْتهَاديَّة ارْتفَاع دَرَجَات المُجْتَهدينَ وَقَطْعيَّة تلكَ الأَحْكَام نَعَمْ إنَّ الأَحْكَامَ الاجْتهَاديَّةَ بَعْدَ انْقرَاض زَمَان النُّبُوَّة ظنيات مُفيدَة للعَمَل لاَ مُثْبتَة للاعْتقَاد حَتَّى يَكُونَ مُنْكرهَا كَافرًا إلا أَنْ يَنْعَقدَ إجْمَاع المُجْتَهدينَ عَلى حُكْمٍ فَيَكُونُ حينَئذٍ مُثْبتًا للاعْتقَاد أَيْضًا.

وَلنَختمُ المَكْتُوبَ بالخَاتمَة الحَسَنَة في فَضَائل أَهْل بَيْت الرَّسُول عَلَيْه وَعَلى آله وَأَصْحَابه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ رَوَى ابْن عَبْد البَرّ أَنَّهُ قَال عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ " مَنْ أَحَبَّ عَليًا فَقَدَ أحبنى وَمَنْ أَبْغَضَ عَليًا فَقَدَ أَبغَضْنَى وَمَنْ آذي عَليًا فَقَدْ آذَاني وَمَنْ آذَاني فَقَدَ اذي الله ".

وأَخْرَجَ الترمذي(١) وَالحَاكم(٢) وَصَحَّحَهُ عَنْ بريْدَةَ(٣) قَال قَال رَسُول اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِحُبِّ أَرْبَعَة وَأَخبرني أَنَّهُ يُحِبُّهُمْ قِيل يَا رَسُول اللَّهِ سَمِّهِمْ لَنَا، قَال: عَلِيٌّ مِنْهُمْ ـ يقَوْل ذَلِكَ ثَلاثًا ـ وَأَبُو ذَرٍّ(٤) وَالمِقْدَاد(٥) وَسَلْمَان» أَخْرَجَ

---

(١) ـ محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي البوغي الترمذي أبو عيسى، من أئمة علماء الحديث وحفاظه، تتلمذ للبخاري، وشاركه في بعض شيوخه، ورحل إلى خراسان والعراق والحجاز وعمي في آخر عمره، وكان يضرب به المثل في الحفظ، من أهم مصنفاته: الجامع الكبير المعروف بـ «سنن الترمذي»، «الشمائل النبوية»، التاريخ، العلل في الحديث. توفي سنة ٢٧٩هـ رضي الله عنه. انظر: ميزان الاعتدال للذهبي ٣/ ١١٧، تذكرة الحفاظ ٢/ ١٨٧، والأعلام للزركلي ٦/ ٣٢٢.

(٢) ـ محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي، النيسابوري، الحاكم، (أبو عبد الله) محدث، حافظ، مؤرخ، ولد بنيسابور، ورحل في طلب الحديث، وسمع على شيوخ يزيدون على ألفي شيخ، وحدث عن الأصم وعثمان بن السماك وطبقتهما، من أهم مصنفاته: المستدرك، تاريخ نيسابور، الإكليل في الحديث، تراجم الشيوخ، فضائل السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها ـ وغير ذلك. توفي سنة ٤٠٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١١/ ٣٦، وفيات الأعيان ١/ ٦١٣، لسان الميزان لابن حجر ٥/ ٢٣٢، المختصر في أخبار البشر لأبي الفدا ٢/ ١٥١. معجم المؤلفين لكحالة ٣/ ٤٥٣.

(٣) **بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث الأسلمي**: من أكابر الصحابة أسلم قبل بدر، ولم يشهدها، وشهد خيبر وفتح مكة، واستعمله النبي ﷺ على صدقات قومه، وسكن المدينة وانتقل إلى البصرة، ثم انتقل إلى مرو ومات بها سنة ٦٣هـ. تهذيب التهذيب ١/ ٤٣٢، والأعلام ٢/ ٥٠.

(٤) ـ **جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد من بني غفار**: الصحابي الجليل، من كنانة بن خزيمة (أبو ذر الغفاري) هو أول من حيا رسول الله ﷺ بتحية الإسلام، وهاجر بعد وفاة النبي ﷺ إلى بادية الشام، فأقام بها إلى أن توفي أبو بكر وعمر وولي عثمان، فسكن دمشق. ثم رحل إلى الربذة قرية من قرى المدينة، فسكنها إلى أن مات، وكان كريماً لايخزن من المال قليلاً ولا كثيراً، ولما مات لم يكن في داره ما يكفن به، وروى له البخاري ومسلم ٢٨١ حديثاً. توفي بالربذة سنة ٣٢هـ رضي الله عنه. انظر: الإصابة ٧/ ٦٠، صفة الصفوة ١/ ٢٣٨، والطبقات لابن سعد ٤/ ١٦١، الأعلام للزركلي ٢/ ١٤٠.

(٥) ـ **المقداد بن عمرو ويعرف بالمقداد بن الأسود**: الصحابي الجليل، الكندي البهراني الحضرمي، أبو عمرو، من الأبطال الذين كانوا أول من أظهر الإسلام، وهو أول من قاتل على فرس في سبيل الله، وفي الحديث: «إن الله أمرني بحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم: علي، والمقداد، وأبو ذر، وسلمان»، وكان في الجاهلية من سكان حضرموت، واسم أبيه عمرو بن ثعلبة البرهاني الكندي، ووقع بين المقداد وابن شمر بن حجر الكندي خصام فضرب المقداد رجله بالسيف وهرب إلى مكة، فتبناه الأسود بن عبد يغوث فكان يسمى المقداد بن الأسود، إلى أن نزلت آية: ﴿ادعوهم لآبائهم﴾، «فعاد يتسمى» المقداد بن عمرو، وشهد بدراً وأحداً وغيرهما من المشاهد، وسكن المدينة، وتوفي على مقربة منها، فحمل إليها ودفن فيها سنة ٣٣هـ رضي الله عنه. انظر: الإصابة: ترجمه ٨١٨٥، صفة الصفوة ١/ ١٦٧. الأعلام ٧/ ٢٣٢.

الطبراني[1] وَالحَاكِم عَن ابْنِ مَسْعُود[2] ﷺ أَنَّهُ قَال: قَال النَّبِيّ ﷺ: «النَّظَر إِلى عَليٍّ عِبَادَة»[3] إِسْنَاده حَسن وَأَخْرَجَ الشيخان عَنِ البَرَاءِ[4] رَأَيْتُ رَسُول اللَّهِ ﷺ وَالحسن عَلى عَاتِقِه وَهُوَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ يَقُول: «اللهُمَّ إِنِّي أُحبُّهُ فَأَحِبَّهُ»[5].

---

(١) ـ **سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي**: أبو القاسم: من كبار المحدثين، أصله من طبرية بالشام، وإليها نسبته، ولد بعكا، ورحل إلى الحجاز واليمن ومصر والعراق وفارس والجزيرة، من أهم مصنفاته: المعاجم الثلاثة في الحديث: الكبير، والصغير، والأوسط، وله كتب في التفسير، والأوائل، ودلائل النبوة، وغير ذلك. توفي بأصبهان سنة ٣٦٠هـ. انظر: وفيات الأعيان ١/ ٢١٥، النجوم الزاهرة ٤/ ٥٩، والأعلام ٣/ ١٢١.

(٢) ـ **عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي**: الصحابي الجليل، أبو عبد الرحمٰن، من أكابر الصحابة، فضلاً وعقلاً وقرباً من رسول الله ﷺ، وهو من السابقين إلى الإسلام، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة، وكان خادم رسول الله ﷺ، ورفيقه في حله وترحاله وغزواته، ونظر إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوماً فقال: «وعاء مليء علماً»، وولي بعد موت النبي ﷺ بيت مال الكوفة، وكان يحب الإكثار من التطيب، فإذا خرج من بيته عرف جيران الطريق أنه مر من طيب رائحته. روى عن النبي ﷺ ٨٤٨ حديثاً. انظر: الإصابة: ترجمة ٤٩٥٥، غاية النهاية لابن الجزري ١/ ٤٥٨، صفة الصفوة ١/ ١٥٤، الأعلام ٤/ ١٣٧.

(٣) ـ **صحيح**: الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك عن ابن مسعود وعن عمران بن حصين، وصححه السيوطي في الجامع الصغير ح ٩٣١٩، وقال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه أحمد بن بديل اليامي وثقه ابن حبان. وقال: مستقيم الحديث، وابن أبي حاتم، وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح. (مجمع الزوائد كتاب المناقب. أبواب: مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه. باب النظر إليه رضي الله عنه. ح: ١٤٦٩٤ عن عبد الله بن مسعود، وفي ح ١٤٦٩٥ قال: رواه الطبراني وفيه عمران بن خالد الخزاعي وهو ضعيف.

وقال الفتني: أورده ـ أي ابن الجوزي ـ في حديث أبي بكر وعثمان وابن مسعود وابن عباس ومعاذ وجابر وأنس وأبي هريرة وثوبان وعمران وعائشة ووهاها كلها قلت المتروك والمنكر إذا تعددت طرقه ارتقى إلى درجة الضعف بل ربما ارتقى إلى الحسن وهذا ورد من رواية أحد عشر صحابياً بعدة طرق وتلك طرق عدة التواتر في رأيي (تذكرة الموضوعات للفتني: ك: العلم بـ: فضائل صحابته وأهل بيته).

(٤) ـ **البراء بن عازب بن الحارث الخزرجي**: أبو عمارة، أسلم صغيراً، وغزا مع النبي ﷺ خمس عشرة غزوة، أولها غزوة الخندق، ولما ولي عثمان الخلافة جعله أميراً على الري بفارس سنة ٢٤هـ، وعاش إلى أيام مصعب بن الزبير، فسكن الكوفة واعتزل الأعمال، روى له البخاري ومسلم ٣٠٥ أحاديث، توفي سنة ٧١هـ. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٤/ ٨٠، ومعجم البلدان لياقوت. مادة زنجان، الأعلام للزركلي ٢/ ٤٦.

(٥) ـ صحيح البخاري: ك فضائل الصحابة. ب: مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما. ح ٣٥٣٩، مسلم. ك: فضائل الصحابة ـ رضي الله عنهم ح ٢٤٢٢، وسنن الترمذي. أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ. ح ٣٨٧٣، وقال: حديث حسن صحيح، سنن ابن ماجه: ك: فضائل أصحاب رسول الله ﷺ: باب: فضل الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب رضي الله عنهم. ح ١٤٢.

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي بَكْر قَال سَمِعْت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلى الْمِنْبَرِ وَالحَسَنِ إِلى جَنْبِهِ يَنْظُرُ إِلى النَّاسِ مَرَّةً وَإِلَيْهِ مَرَّةً وَيَقُول: «إِنَّ ابني هَذَا السَّيِّد وَلَعَل اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»(١).

أَخْرَجَ الترمذي عَنْ أَسَامَة بْن زَيْد قَال رَأَيْت النَّبِيَّ ﷺ وَالحَسَنَ وَالحُسَيْن عَلى وِرْكه فَقَال: «هَذَانِ ابناي وَابْنَا بِنْتِي، اللهُمَّ: إِنِّي أُحِبّهمَا وَأُحِبّ مَنْ يُحِبُّهُمَا»(٢).

أَخْرَجَ الترمذي عَنْ أَنَس قَال: «سُئِلَ رَسُول اللَّهِ ﷺ أي أَهْل بَيْتِك أَحَبّ إِلَيْك قَال الحَسَن وَالحُسَيْن»(٣) (٤).

وَرَوَى الْمِسْوَرُ بْنُ مَخْرَمَةَ(٥) أَنَّ رَسُول اللَّهِ ﷺ قَال: «فَاطِمَة بِضْعَة مِنِّي فَمَنْ أَبْغَضَهَا أَبْغَضَنِي»(٦).

---

(١) صحيح البخاري. ك: الصلح، ب: قول النبي ﷺ للحسن بن علي رضي الله عنهما: «ابني هذا سيد...» سنن الترمذي: أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ ح ٣٨٦٢، وقال: حديث حسن صحيح، النسائي. ك: الجمعة: ب: مخاطبة الإمام رعيته وهو على المنبر، سنن أبي داود: ك: السنة. ب: ما يدل على ترك الكلام في الفتنة ح ٤٦٦٢.

(٢) ـ سنن الترمذي: ك: المناقب عن رسول الله ﷺ باب: مناقب أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب والحسين بن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهم جميعاً ـ ح ٣٩٢٨. وقال: حديث حسن غريب. (تحفة الأحوذي ح ٣٩٢٨)، وعزاه السيوطي في زيادة الجامع الصغير ٣٣٧٩ لابن حبان عن أسامة بن زيد، وعزاه المتقي الهندي لعبد بن حميد (كنز العمال: فضل الحسنين ـ رضي الله عنهما ـ ٣٧٧١٤).

(٣) ـ سيدنا الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب، الهاشمي القرشي العدناني، أبو عبد الله السبط الشهيد، سيد شباب أهل الجنة، ابن فاطمة الزهراء بنت سيدنا رسول الله ﷺ، ولد بالمدينة، ونشأ في بيت النبوة، وقتل شعيداً بكربلاء في يوم الجمعة العاشر من المحرم سنة ٦١هـ رضي الله عنه. انظر: تهذيب ابن عساكر: ٤/ ٣١١، تاريخ الطبري ٦/ ٢١٥، صفة الصفوة ١/ ٣٢١، الأعلام ٢٤٢.

(٤) غريب: سنن الترمذي: ك: أبواب الْمَنَاقِب عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ب: مناقب أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب والحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، ح ٣٨٦١. وقال: حديث غريب.

(٥) ـ المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب القرشي الزهري، أبو عبد الرحمٰن: من فضلاء الصحابة وفقهائهم، أدرك النبي ﷺ وهو صغير وسمع منه، وكان مع خاله عبد الرحمٰن بن عوف ليالي الشورى، وحفظ عنه أشياء، وروى عن الخلفاء الأربعة وغيرهم من أكابر الصحابة، وشهد فتح أفريقية مع عبد الله بن سعد. وتوفي سنة ٦٤هـ رضي الله عنه. انظر: الإصابة ترجمة ٧٩٩٥، نسب قريش ٢٦٢، ٢٦٣، الأعلام ٧/ ٢٢٥.

(٦) ـ البخاري: ك: فضائل الصحابة. ب: مناقب قرابة رسول الله ﷺ، ومنقبة فاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ ح ٣٥١٠، ومسلم: ك: فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ب: من فضائل فاطمة، =

وَفِي رِوَايَةٍ «يريبني مَا أَرَابَهَا ويؤذيني مَا آذَاها»[(١)].

وأَخْرَجَ الحَاكِم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَال لِعلِيٍّ: «فَاطِمَةُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنكَ وَأَنْتَ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْهَا»[(٢)].

وَعَنْ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ قَالَتْ: «إِنَّ النَّاسَ كَانُوا يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ يَبْتَغُونَ بِذَلكَ مَرْضَاةَ رَسُول الله ﷺ»[(٣)].

وَقَالَتْ: «إِنَّ نِسَاء رَسُول الله ﷺ كُنَّ حِزْبَيْنِ: فَحِزْبٌ فِيهِ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ[(٤)] وَصَفِيَّةُ[(٥)] وَسَوْدَةُ[(٦)] وَالحِزْب الآخَرُ أُمُّ سَلَمَةَ وَسَائِرِ نِسَاءِ رَسُول اللَّهِ ﷺ

= بنت النبي، عليها الصلاة والسلام، ح ٢٤٤٩، سنن الترمذي: أبواب المَنَاقِب عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ باب ما جَاءَ في فضل من رأى النبي ﷺ وصحبه. ح ٣٩٦١، وقال: حديث حسن صحيح.

وقال حافظ العراقي: متفق عليه من حديث المسور بن مخرمة. (تخريج أحاديث الإحياء. ك: شرح عجائب القلب ح ١.

وحسنه السيوطي في الجامع الصغير ح ٥٨٣٤.

(١) ـ صحيح البخاري: ك: النكاح، ب: ذب الرجل على ابنته في الغيرة والإنصاف. ح ٤٩٣٢، سنن أبي داود: ك: النكاح، ب: ما يكره أن يجمع بينهن من النساء، ح ٢٠٧١. أحمد في المسند: أول مسند الكوفيين: حديث المسور بن مخرمة.

(٢) ـ الطبراني في الأوسط، وصححه السيوطي في الجامع الصغير ح ٥٨٣٦، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط وفيه سلمى بن عقبة لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. (مجمع الزوائد: ك: المناقب. ب: مناقب أهل البيت رضي الله عنهم ح ١٤٥١٦.

(٣) ـ صحيح البخاري. ك: الهبة وفضلها. ب: قبول الهدية. ح ٢٤٣٥، مسلم: ك: فضائل الصحابة. ب: فضل عائشة رضي الله عنها. ح ٢٤٤١. سنن الترمذي: ك: أبواب المَنَاقب عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ باب: ما جَاءَ في فضل من رأى النبي ﷺ وصحبه. ح ٣٩٦٦. وقال: حديث غريب، سنن النسائي. ك: عشرة النساء، ب: حب الرجل بعض نسائه أكثر من بعض.

(٤) ـ أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ولدت بمكة، وتزوجها خنيس بن حذافة السهمي، فكانت عنده إلى أن ظهر الإسلام، فأسلما، وهاجرت معه إلى المدينة فمات عنها، فخطبها رسول الله ﷺ من أبيها، فزوجه إياها سنة اثنتين أو ثلاث للهجرة، واستمرت في المدينة بعد وفاة النبي ﷺ إلى أن توفيت بها سنة ٤٥هـ رضي الله عنها ـ. انظر: الإصابة ٤/ ٢٧٣، الطبقات لابن سعد ٨/ ٥٦، صفة الصفوة ٢/ ١٩، الأعلام ٢/ ٢٦٤.

(٥) ـ أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب من الخزرج، كانت في الجاهلية من ذوات الشرف، تدين باليهودية، من أهل المدينة، تزوجها سلام بن مشكم القرظي، ثم فارقها فتزوجها كنانة بن الربيع النضري، وقتل عنها يوم خيبر، وأسلمت فتزوجها النبي ﷺ، لها في كتب الحديث ١٠ أحاديث، وتوفيت بالمدينة سنة ٥٠هـ رضي الله عنها. انظر: الإصابة: ترجمة ٦٤٧، صفة الصفوة ٢/ ٢٧، الطبقات لابن سعد ٨/ ٨٥، الأعلام ٣/ ٢٠٦.

(٦) ـ أم المؤمنين سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس، من لؤي من قريش، كانت في الجاهلية زوجة =

فَكَلَمَ حِزْبُ أُمِّ سَلَمَةَ فَقُلْنَ لَها كَلمِي رَسُول الله ﷺ يُكَلم النَّاسَ فَيَقُول: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يُهْدِي إلى رَسُول الله ﷺ فَلْيُهْدِ إلَيْهِ حَيْثُ كَانَ»، فَكَلمَتْهُ، فَقَال لَها: «لاَ تُؤْذِيني فَإِنَّ الوَحْيَ لَمْ يَأْتِنِي وأَنا فِي ثَوْبِ امْرَأَةٍ إلاّ عَائِشَةَ»، فَقَالتْ: أَتُوبُ إلى اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنْ أَذاكَ يَا رَسُول اللَّهِ، ثُمَّ إِنَّهُنَّ دَعَوْنَ فَاطِمَةَ فَأَرْسَلنَ إِلى رَسُول اللَّهِ ﷺ فَكَلمَتْهُ فَقَال: «يا بُنَيَّتِي، أَلا تُحِبِّينَ مَا أُحِبُّ قَالَتْ: بَلى قَال: فَأَحِبِّي هَذِهِ»[١].

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالتْ: «مَا غِرْتُ عَلى أَحَدٍ مِنْ نِساءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا غِرْتُ علَى خَدِيجَةَ[٢] وَمَا رَأَيْتُها وَلكِنْ يُكْثِر ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ شَاةً ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَة، فَرُبَّمَا قُلتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إلا خَدِيجَةُ فَيَقُول إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ»[٣].

= السكران بن عمرو بن عبد شمس، ثم أسلما وهاجرا إلى الحبشة، ثم عادا فتوفي السكران، فتزوجها النبي ﷺ بعد خديجة، وتوفيت بالمدينة سنة ٥٤هـ رضي الله عنها. انظر: الإصابة: ترجمة ٦٠٣، الطبقات لابن سعد ٨/ ٣٥، الأعلام ٣/ ١٤٥.

(١) ـ صحيح البخاري. ك: الهبة وفضلها. ب: من أهدى إلى صاحبه وتحرّى بعض نسائه دون بعض. ح ٤٢٤٢. مع اختلاف يسير.

(٢) ـ أم المؤمنين خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى، من قريش، ولدت بمكة. ونشأت في بيت عز وشرف ويسار، خرج النبي ﷺ في تجارة لها إلى سوق بصرى، وكان في الخامسة والعشرين من عمره، ثم عرضت عليه الزواج منها، فأجاب، فأرسلت إلى عمها عمرو بن أسعد بن عبد العزى فحضر، وتزوجها رسول الله ﷺ قبل النبوة، فولدت له القاسم، وعبد الله وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة، ـ وأولاد النبي ﷺ كلهم منها غير إبراهيم فإنه من مارية القبطية رضي الله عنها ـ ولما بعث رسول الله ﷺ دعاها إلى الإسلام فكانت أول من أسلم من النساء والرجال، ومكثا يصليان سراً إلى أن ظهرت الدعوة، وتوفيت سنة ٣ق. هـ ـ رضي الله عنها: انظر: الإصابة ترجمة ٣٣٣، صفة الصفوة ٢/ ٢، الطبقات لابن سعد ٨/ ٧، الأعلام ٢/ ٣٠٢.

(٣) ـ صحيح البخاري: ك: فضائل الصحابة. ب: تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها ح ٣٦٠٥، ٣٦٠٧، بنحوه.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ــ أَنَّهُ قَال: قَال رَسُول اللهِ ﷺ: "العَبَّاسُ(١) مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ"(٢).

وَأَخْرَجَ الدَّيْلَمِيُّ(٣) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ رَسُول اللهِ ﷺ قَال: " اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى مَنْ آذَانِي فِي عِتْرَتِي "(٤).

وَأَخْرَجَ الحَاكِمُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُول اللهِ ﷺ قَال " خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِي مِنْ بَعْدِي"(٥).

---

(١) ــ **العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف**: أبو الفضل، عم النبي ﷺ، من أكابر قريش في الجاهلية والإسلام، قال رسول الله ﷺ في وصفه: " أجود قريش كفا وأوصلها هذا بقية آبائي "، كانت له سقاية الحجيج وعمارة المسجد الحرام، أسلم قبل الهجرة وكتم إسلامه، وأقام بمكة يكتب إلى رسول الله ﷺ أخبار المشركين، ثم هاجر إلى المدينة وشهد وقعة حنين، وكان ممن ثبت حين انهزم الناس، وشهد فتح مكة، وعمي في آخر عمره، وكان إذ مر بعمر في أيام خلافته ترجل عمر إجلالا له، وكذلك عثمان، وأحصي ولده سنة ٢٠٠ هـ فبلغوا ٣٣٠٠٠، له في كتب الحديث ٣٥ حديث، وكانت وفاته بالمدينة سنة ٣٢هـ ﷺ انظر: أسد الغابة، الإصابة، صفة الصفوة ١/ ٢٠٣، الأعلام ٢٦٢/٣.

(٢) **حسن صحيح**: سنن الترمذي: ك: أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ. ب:(١٠٣) ح٣٨٤٨.وقال: حديث حسن صحيح غريب.، سنن النسائي. ك:القسامة. ب: القود من اللطمة.، أحمد في المسند: مسند عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، الطبراني في المعجم الكبير: أحاديث عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم. وحسنه السيوطي في الجامع الصغير ح٥٦٦٣.

(٣) ــ **الديلمي**: شيرويه بن شهردار بن شيرويهة بن فنا خسرو الديلمي، الهمذاني أبو شجاع) محدث حافظ مؤرخ، من اهم مصنفاته: تاريخ همذان، فردوس الأخبار بمأثور الخطاب، رياض الأنس لعقلاء الإنس في معرفة أحوال النبي ﷺ والخلفاء بعده، وغير ذلك. توفي سنة ٥٠٩ هـ. انظر: الوافي بالوفياتن للصفدي ٢٤/ ٥٣، شذرات الذهب لابن العماد ٤/ ٢٣، تذكرة الحفاظ للذهبي ٤/ ٥٣، مرآة الجنان لليافعي ٣/ ١٩٨، كشف الظنون لحاجي خليفة ١٢٥٤، معجم المؤلفين لكحالة ١/ ٨٢٣.

(٤) **ضعيف**: أخرجه الديلمي في مسند الفردوس عن أبي سعيد، وضعفه السيوطي في الجامع الصغير.ح١٠٤٥.، وقال المناوي: فيه أبو إسرائيل الملائي.قال الذهبي ضعفوه، فيض القدير ح ١٠٤٥

(٥) صحيح: الحاكم في المستدرك: ٣١١/٣،وقال: صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي، و وقال الهيثمي: رواه أبو يعلى ورجاله ثقات (بمجمع الزوائد.ك: المناقب.ب: في فضل أهل البيت رضي الله عنهم ح ١٥٠٢٧، و صححه السيوطي في الجامع الصغير ح ٤١٠٥.، وقال المناوي بعد ان عزاه للحاكم: ورواه أيضاً أبو يعلى وأبو نعيم والديلمي ورجاله ثقات ولكن شذ راويه بقوله لأهلي والكل إنما قالوه لأهله ذكره ابن أبي خيثمة.

أَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكِرَ(١) عَنْ عَلِيٍّ — كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ — أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ " مَنْ صَنَعَ إِلى أَهْلِ بَيْتِي يَدًا أُكَافِئْهُ عَلَيْهَا يَوْمَ القِيَامَةِ "(٢).

أَخْرَجَ ابْنُ عَدِيٍّ(٣) وَالدَّيْلَمِيُّ عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ ((أَثْبَتُكُمْ عَلَى الصِّرَاطِ أَشَدُّكُمْ حُبًّا لأَهْلِ بَيْتِي وَلأَصْحَابِي))(٤)

إلهي بحَقِّ بَنِي فَاطِمَـــــه　　كه بر قول إيمان كنى خاتمـــه

اكر دعوتم ردكنى درقبول　　من وردست ودامان آل رسول

ﷺ وَعَلى جَمِيعِ إِخْوَانِهِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَالْمَلائِكَةِ الكِرَامِ الْمُقَرَّبِينَ وَعَلى سَائِرِ عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ أَجْمَعِينَ.

---

(١) — **علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الدمشقي المعروف بابن عساكر**: أبو القاسم ثقة الدين، محدث حافظ، فقيه، مؤرخ، من أهم مصنفاته: تاريخ مدينة دمشق وأخبارها وأخبار من حلها، الإشراف على معرفة الأطراف، الموافقات، تهذيب الملتمس من عوالي مالك بن أنس، تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري، توفي سنة ٥٧١ هـ وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٤٢/١، المنتظم لابن الجوزي ١٠ / ٢٦١، النجوم الزاهرة ٧٧/٦، شذرات الذهب ٤ / ٢٣٩، معجم المؤلفين ٢ /٤٢٧.

(٢) — لم أقف عليه.

(٣) — **عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد بن المبارك الجرجاني، ويعرف أيضا بابن القطان**، أبو أحمد، محدث حافظ ناقد فقيه، من أهم مؤلفاته: الكامل في معرفة ضعفاء المحدثين وعلل الأحاديث، الانتصار على مختصر المزني في فروع الفقه، وغير ذلك. توفي سنة ٣٦٥ هـ. انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي ١٤٣/٣، هدية العارفين للبغدادي ٤٤٧/١، شذرات الذهب ٣ / ٥١، مرآة الجنان ٢/ ٢٨١، معجم المؤلفين ٢٥٧/٢.

(٤) ابن عدي في الكامل، والديلمي في مسند الفردوس عن علي — كرم الله وجهه —، وضعفه السيوطي في الجامع الصغير ح ١٥٩.

المَكْتُوب الخَمْسُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائَة
إلى الفَقير الحَقير عَبْد الحَيّ
الذي هُوَ جَامعُ هَذه المَكْتُوبات الشَّريفَة
في بَيَانِ فَضَائلِ الكَلمَة الطَّيِّبَة: " لاَ إلهَ إلا اللهُ " وَمَا يُنَاسبُ ذَلكَ
بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

"لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ" لاَ شَيْءَ أَنْفَعُ منْ هَذه الكَلمَة الطَّيِّبَة في تَسْكين غَضَب الرَّبِّ جَل سُلطَانُهُ وَعَلا بُرْهَانُهُ، فَإذَا كَانَتْ هَذه الكَلمَةُ سَبَبًا لتَسْكين غَضَب دُخُول النَّار تَكُونُ سَبَبًا لتَسْكين غَضَبَات أُخَرَ بالطَّريق الأَوْلى؛ فَإنَّهَا دُونَ ذَلكَ، كَيْفَ لاَ تَكُونُ سَبَبًا للتَّسْكين فَإنَّ العَبْدَ قَدْ أَعْرَضَ عَنِ السِّوَى نَافيًا لهُ بتَكْرَار هَذه الكَلمَة الطَّيِّبَة وَجَعَل قبْلَةَ تَوَجُّهه المَعْبُودَ عَلى الحَقِّ؟!

وَكَانَ مَنْشَأُ الغَضَب هُوَ التَّوَجُّهَات الشَّتَّى التي كَانَ العَبْدُ مُبْتَلى بهَا وَلَيْسَ " فَلَيْسَ ".

وَشَاهدُ هَذَا المَعْنَى في عَالَم المَجَاز هُوَ أَنَّ شَخْصًا إذَا تَأَذَّى عَنْ مَمْلوكه وَغَضبَ عَليْه، فَحينَئذ لوْ أَعْرَضَ المَمْلوكُ بحُسْن التَّدْبير الذي فيه عَمَّا سوَى مَالكه، وَتَوَجَّهَ إلى مَالكه بكُليَته تَظْهَرُ الشَّفَقَةُ وَالمَرْحَمَةُ في المَالك في حَقِّ المَمْلوك بالضَّرُورَة يَرْتَفعُ عَنْهُ الغَضَبُ وَالأَذَى.

وَأَجدُ هَذه الكَلمَةَ الطَّيِّبَةَ مفْتَاحَ خَزينَة تسْعٍ وَتسْعينَ رَحْمَةً أَعْني مَا جُعلتْ ذَخيرَةً لأَجْل الآخرَة.

وَأَعْلمُ أَنَّهُ لاَ شَيْءَ أَشْفَعُ منْ هَذه الكَلمَة الطَّيِّبَة في دَفْع ظُلمَات الكُفْر وَكُدُورَات الشِّرْك، وَمَنْ صَدَّقَ بمَضْمُون هَذه الكَلمَة وَحَصَّل ذَرَّةً منَ الإيمَان وَمَعَ ذَلكَ كَانَ مُبْتَلى برُسُوم الكُفْر وَرَذَائل الشِّرْك نَرْجُو أَنْ يَخْرُجَ منَ العَذَاب بشَفَاعَة هَذه الكَلمَة الطَّيِّبَة، وَأَنْ يَنْجُوَ منَ الخُلود في النَّار؛ كَمَا أَنَّ شَفَاعَةَ مُحَمَّد ﷺ أَنْفعُ في دَفْع عُقُوبَات سَائر كَبَائر هَذه الأُمَّة وَأَدْخَل فيه.

وَإنَّمَا قُلتُ: " كَبَائر هَذه الأُمَّة "؛ فَإنَّ ارْتكَابَ الكَبَائر في سَائر الأُمَم السَّابقَة أَقَل منْهُ في هَذه الأُمَّة، بَل امْتزَاجُ رُسُوم الكُفْر وَرَذَائل الشِّرْك أَيْضًا أَقَل فيهمْ وَالأَحْوَجُ إلى الشَّفَاعَة هُوَ هَذه الأُمَّةُ وَفي الأُمَم السَّابقَة كَانَ جَمْعٌ مُصرًّا عَلى

الكُفْرِ وَكَانَ جَمْعٌ آخَرُ مُؤْمِنًا خَالِصًا مُمْتَثِلا للأَوَامِرِ قَدْ هَلَكَتْ هَذه الأُمَّةُ الكَثِيرَةُ الذُّنُوبُ لَوْلا أَنْ يَكُونَ شَفِيعُهُمْ مثْل الكَلِمَة الطَّيِّبَة وَشَافِعُهِمْ مثْل خَاتَمِ الرُّسُل عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالتَّحِيَّاتُ أُمَّةٌ مُذْنِبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ وَالذي تَنَالُهُ هَذه الأُمَّةُ منْ عَفْوه وَغُفْرَانه سُبْحَانَهُ لاَ يَعْلَمُ نَيْلَ جَمِيعِ الأُمَمِ الماضِيَة هَذَا القَدْرَ وَكَأَنَّ التِّسْعَةَ وَالتِّسْعِينَ مِنَ الرَّحْمَة ادُّخِرَتْ لِهَذِه الأُمَّة المسْتَغْرِقَة في الذُّنُوب [ع]:

أَحَقُّ النَّاسِ بالكَرَمِ العُصَاةُ

وَلَمَّا كَانَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُحِبُّ العَفْوَ وَالمَغْفِرَةَ، وَلا شَيْءَ مِنَ المَادَّة لأَجْل العَفْو وَالمَغْفِرَة مُسَاوِيًا لِهَذه الأُمَّة، لاَ جَرَمَ صَارَتْ هَذه الأُمَّةُ خَيْرَ الأُمَم، وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ التي هِيَ شَفِيعَتُهِمْ أَفْضَلَ الذِّكْر، وَنَال نَبِيُّهِمُ الذي هُوَ شَفِيعُهُمْ سَيِّدَ الأَنْبِيَاء، خطَابُ {أُولئكَ يُبَدِّل اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَات وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا}(١) نَعَمْ هَكَذَا يَكُونُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَهَكَذَا يَفْعَلُ أَكْرَمُ الأَكْرَمِينَ (ع)

لا عُسْرَ فِي أَمْرٍ مَعَ الكِرَامِ

{وَكَانَ ذَلكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا}(٢)

{رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ}(٣).

وَاسْمَعْ أَيْضًا مِنْ فَضَائِل هَذه الكَلِمَة الطَّيِّبَة:

قَال رَسُول اللهِ ﷺ وَبَارَكَ وَكَرَّمَ " مَنْ قَال لاَ إِلَهَ إِلا اللهُ دَخَل الجَنَّةَ"(٤).

وَيَتَعَجَّبُ القَاصِرُونَ كَيْفَ يَتَيَسَّرُ دُخُول الجَنَّة بِأَنْ يَقُول: " لاَ إِلَهَ إِلا اللهُ " مَرَّةً وَاحِدَةً:

---

(١) الفرقان: ٧٠

(٢) الأحزاب:١٩

(٣) البقرة:٢٨٦

(٤) سنن الترمذي: ك: الإيمان. ب: فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله ح٢٧٧٥، وقال حديث حسن صحيح غريب، وقال ابن رجب الحنبلي في شرح علل الترمذي: إنما كان هذا في أول الاسلام قبل نزول الفرائض والأمر والنهي. ووجه هذا الحديث عند بعض أهل العلم أن أهل التوحيد سيدخلون الجنة، وان عذبوا في النار بذنوبهم فان لا يخلدون في النار.، سنن النسائي: ك: الأذان. ب: ثواب ذلك، سنن أبي داوود: ك: الأدب ز ب: ما يقول عند النوم ح٥٠٧٠.، وأخرجهالبزار عن أبي سعيد، وصححه السيوطي في الجامع الصغير ح٨٨٩٦.، وقال الحافظ العراقي: أخرجه الطبراني من حديث زيد بن ارقم بإسناد ضعيف.(تخريج أحاديث الإحياء. ك: الأذكار والدعوات.، الباب الأول في فضيلة الذكر.

وَهَذَا لكَوْنهِمْ غَيْرَ وَاقفينَ عَلى بَرَكَات هَذه الكَلمَة الطَّيِّبَة، وَقَدْ صَارَ مَكْشُوفًا للفقير أَنَّهُ لَوْ غُفرَ ذُنُوبُ جَميعِ العَالَمِ بتَكَلمِ هَذه الكَلمَة الطَّيِّبَة مَرَّةً وَاحدَةً وأُدْخلوا الجَنَّةَ لسَاغَ.

وَكَانَ مَشْهُودًا أَيْضًا أَنَّهُ لَوْ قُسمَتْ بَرَكَاتُ هَذه الكَلمَة المُقَدَّسة بَيْنَ تَمَام العَالَمِ لكَفَت الجَميعَ إلى أَبَد الآبَاد وَلأَرْوَت الكُل، فَكَيْفَ إذَا اجْتَمَعَتْ بهَذه الكَلمَة الطَّيِّبَة المُقَدَّسة: " مُحَمَّدٌ رَسُول الله " وَانْتَظَمَ التَّبْليغُ بالتَّوْحيد وَاقْتَرَنَت الرِّسَالَةُ بالولاَيَة؟!

وَمَجْمُوعَةُ هَاتَيْنِ الكَلمَتَيْنِ جَامعَةٌ لجَميع كَمَالات الولاَيَة وَالنُّبُوَّة وَهَادي سَبيل كلا هَاتَيْنِ السَّعَادَتَيْنِ مَنْ طَهَّرَ الولاَيَةَ منْ ظُلمَات الضَّلال وَأَوْصَل النُّبُوَّةَ إلى الدَّرَجَة العُلْيَا، اللهُمَّ لاَ تَحْرمْنَا منْ بَرَكَات هَذه الكَلمَة العَليَّة وَثَبِّتْنَا عَلَيْهَا وَأَمتْنَا عَلى تَصْديقهَا وَاحْشُرْنَا مَعَ المُصَدِّقينَ لَهَا وَأَدْخلنَا الجَنَّةَ بحُرْمَتهَا وَحُرْمَة مُبَلغيهَا عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالتَّحيَّاةُ والتَّسْليمَاتُ وَالبَرَكَاتُ.

وَأَيْضًا: إذَا عَجزَ النَّظَرُ وَالقَدَمُ وَانْخَفَضَ جَنَاحُ الهمَّة وَتَرَخَّى وَوَقَعت المُعَامَلة عَلى الغَيْب الصِّرْف لاَ يُمْكنُ السَّيْرُ في ذَلكَ المَوْطن بغَيْر قَدَمِ " لاَ إلهَ إلا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُول الله " وَلا يُمْكنُ قَطْعُ تلكَ المسَافَةَ إلا في كَنَف تلكَ الكَلمَة المُقَدَّسة وَكُلمَا قَال السَّائرُ في ذَلكَ المَوْطن هَذه الكَلمَةَ الطَّيِّبَةَ مَرَّةً وَاحدَةً يَقْطَعُ بهَا وَبإمْدَاد حَقيقَة هَذه الكَلمَة المُقَدَّسة وَإعَانَتهَا خُطْوَةً وَاحدَةً منْ تلكَ المسَافَة وَيَقَعُ بَعيدًا عَنْ نَفْسه وقَريبًا منَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَكُل جُزْءٍ منْ تلكَ المسَافَة أَزْيَدُ منْ تَمَامِ دَائرَة عَالَمِ الإمْكَان بزيَادَة مُضَاعَفَة.

فَيَنْبَغي أَنْ يُعْلَم فَضيلةُ هَذَا الذِّكْر منْ هَاهُنَا حَيْثُ لاَ مقْدَارَ لتَمَامِ الدُّنْيَا في جَنْبه وَلا إحْسَاس، ليْتَ لَهَا حُكْمَ القَطْرَة بالنِّسْبَة إلى البَحْر المحيط.

وَعَظَمَةُ هَذه الكَلمَة الطَّيِّبَة باعْتبَار دَرَجَات قَائلهَا كُلمَا كَانَتْ دَرَجَةُ القَائل أَزْيَدَ وَأَعْلى تَكُونُ تلكَ العَظَمَةُ أَكْثَرَ وَأَوْلى

يَزيدُكَ وَجْهُهُ حُسْنًا إذَا مَا زدْتَهُ نَظَرًا

وَلا يُعْلَمُ فِي الدُّنْيا تَمَنٌّ يُسَاوِي لِتَمَنِّي أَنْ يَقْعُدَ الإِنْسَانُ فِي زَاوِيَة مُلتَذًّا وَمُحْتَظًّا بِتَكْرَارِ هَذه الكَلمَة الطَّيِّبَة، وَلَكِنْ مَا نَفْعَل! لاَ يَتَيَسَّرُ جَمِيعُ التَّمَنِّيَاتِ، وَلا بُدَّ مِنَ الغَفْلَة[1] وَالاَخْتلاط بالخَلق!

{رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلى كُل شَيْءٍ قَدِيرٌ}[2].

{سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّة عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلى المُرْسَلِينَ وَالحَمْدُ لله رَبِّ العَالمِينَ}[3].

---

(١) الغفلة: متابعة النفس على ما تشتهيه، وقيل هي: إبطال الوقت بالبطالة.،وقيل: الغفلة عن الشيئ، هي ألا يخطر ذلك بباله.انظر: الجرجاني: التعريفات: ٢٠٩.

(٢) التحريم:٨

(٣) االصافات: ١٨٠

المَكْتُوب الحَادي وَالخَمْسُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائَة
إلى الحَاجِّ يُوسُفَ الكَشْميريِّ
فِي بَيَانِ أَنَّهُ لاَ تَعْلقَ لبَاطنِ أَهْلِ الله بالدُّنْيَا مقْدَارَ خَرْدَلة وَإنْ تَشَبَّثُوا فِي الظَّاهِرِ بالدُّنْيَا وَأَسْبَابِهَا وَمَا يُنَاسبُ ذَلكَ

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى:

تَكُونُ مَعْرِفَةُ الله جَل سُلطَانُهُ حَرَامًا عَلى شَخْصٍ يَكُونُ فِي بَاطنه مقْدَارُ خَرْدَلة منْ مَحبَّة الدُّنْيَا أَوْ منَ التَّعَلق بالدُّنْيَا أَوْ خَطَرَ فِي بَاطنه هَذَا المقْدَارُ منْ خَوَاطرِ الدُّنْيَا، بَقيَ ظَاهرُهُ الذي وَقَعَ بَعيدًا منْ بَاطنه بمَرَاحل، وَجَاءَ منَ الآخرَة إلى الدُّنْيَا وَاختَلطَ بالنَّاسِ لحُصُول المُنَاسبة المشْرُوطَة فِي الإفَادَة وَالاسْتفَادَة فَإنْ تَكَلمَ منَ الدُّنْيَا وَتَشَبَّثَ بالأَسْبَاب الدُّنْيَويَّة جَازَ لهُ ذَلكَ وَسَاغَ وَلا يَكُونُ مَذْمُومًا أَصْلا، بَل يَكُونُ مَحْمُودًا؛ لئَلا تَتَعَطَّل حُقُوقُ العبَاد وَكَيْلا يَنْسَدَّ طَريقُ الإفَادَة وَالاسْتفَادَة، فَبَاطنُ هَذَا الشَّخْصِ أَفْضَل منْ ظَاهره، وَحُكْمُهُ حُكْمُ بَائعِ حنْطَة تُشْبهُ الشَّعيرَ، وَالذينَ نَظَرُهُمْ مَقْصُورٌ عَلى رُؤْيَة الظَّاهرِ يَحْسَبُونَهُ كَأَنْفُسهمْ مثْل بَايعي شَعيرٍ يُشْبهُ الحنْطَةَ وَيَعْتَقدُونَ ظَاهرَهُ أَفْضَل منْ بَاطنه وَيَتَخَيَّلونَ أَنَّهُ يَرَى نَفْسَهُ فِي الظَّاهرِ عَديمَ التَّعَلقِ وَأَنَّهُ مُتَعَلقٌ فِي البَاطنِ.

{رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمنَا بالحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الفَاتحينَ}[١] {والسلام على من اتبع الهدى}[٢] وَالتَزمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَليْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ.

---

(١) الأعراف: ٨٩

(٢) طــه: ٤٧

المَكْتُوب الثَّاني وَالخَمْسُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائَة
إلى السَّيِّد عَبْد البَاقي السَّارنكبُوريِّ
في بَيَان أَصْحَاب اليَمين وَأَصْحَاب الشِّمَال وَالسَّابقِينَ وَمَا يُنَاسبُ ذَلكَ

بسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى:

اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ تَعَالَى: أَنَّ أَصْحَابَ الشِّمَال هُمْ أَصْحَابُ الحُجُب الظُّلمَانيَّة، وَأَصْحَابُ اليَمينِ أَرْبَابُ الحُجُب النُّورَانيَّة، وَالسَّابقُونَ هُمُ الذينَ تَخَلصُوا منْ هَذه الحُجُب وَتلكَ الحُجُب وَحَازُوا قَصَب السَّبْق عَلى أَقْرَانهِمْ وَوَصَلوا إلى مَيْدَان الأَصْل وَاضعينَ إحْدَى قَدَمَيْهِمْ عَلى الشِّمَال وَالأخْرَى عَلى اليَمين وَتَرَقَوْا منَ الظِّلال الإمْكَاني وَالظِّلال الوُجُوبي وَلَمْ يَرَوْا منَ الاسْمِ وَالصِّفَة وَالشَّأْنَ وَالاعْتبَار غَيْرَ الذَّات تَعَالتْ وَتَقدَّسَتْ.

أَصْحَابُ الشِّمَال أَرْبَابُ الكُفْر وَالشَّقَاوَة.

وَأَصْحَابُ اليَمين أَهْل الإسْلامِ وَأَرْبَابُ الولايَة.

وَالسَّابقُونَ بالأَصَالة هُمُ الأَنْبيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والتَّسْليمَاتُ.

وَبالتَّبَعيَّة: كُل مَنْ يَشْرُفُ بهَذه الدَّوْلة، وَهَذه الدَّوْلةُ بالتَّبَعيَّة أَكْثَرُ في أَكَابر أَصْحَاب الأَنْبيَاء ــ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ وَفي غَيْر الأَصْحَاب أَيْضًا مُتَحَقِّقَةٌ عَلى سَبيل القلة وَالنُّدْرَة وَهَذَا الشَّخْصُ أَيْضًا منْ زُمْرَة الأَصْحَاب في الحَقيقَة وَمُلحقٌ بكَلمَات الأَنْبيَاء ــ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والتَّسْليمَاتُ ــ، وَكَانَ النَّبيُّ ﷺ قَال في حَقِّه حَيْثُ قَال "لا يُدْرَى أَوَّلهمْ خَيْر أَمْ آخرهم"(١).

وَإنْ قَال عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ " خَيْرُ القُرُونِ قَرْني"(٢) قَال هَذَا باعْتبَارِ القُرُونِ وَذَاكَ باعْتبَارِ الأَشْخَاصِ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ.

---

(١) لم نقف عليه.

(٢) الحديث بهذا اللفظ لا أصل له، وإنما الثابت في الصحيحين وغيرهما من دواوين السنة " **خير الناس قرني....** " الحديث

راجع: صحيح البخاري: كتاب الشهادات: باب: لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد ح ٢٥٠٩.، مسلم: كتاب: فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب: فضل الصحابة ثم الذين يلوهم ثم الذين يلوهم ح٢٥٣٣.

وَلكِنَّ إجْمَاعَ أَهْلِ السُّنَّة عَلى أَفْضَلِيَّة الشَّيْخَيْنِ وَلا أَحَدَ يَسْبقُ أَبا بَكر بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ ــ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ وَهُوَ أَسْبَقُ سَابِقِي هَذهِ الأُمَّة، وَأَقْدَمُ قُدَمَاء أَرْبَاب هَذه الملة.

وَتَشَرَّفَ الفَارُوقُ بتَوسُّله بدَوْلَة الأَفْضَلِيَّة وَتَرَقَّى بتَوسُّطه فَوْقَ الآخَرِينَ وَمنْ هَاهُنَا قَالوا للفَارُوق خَليفَةَ الصِّدِّيق وَقَرءوا في الخُطْبَة خَليفَة خَليفَة رَسُول الله ﷺ.

وَفَارِسُ مَيْدَان هَذه المُعَامَلَة هُوَ الصِّدِّيقُ وَالفَارُوقُ رَدِيفُهُ وَحَبَّذَا الرَّدِيفُ حَيْثُ رَافَقَ الفَارِسَ وَشَارَكَهُ في أَخَصِّ أَوْصَافه.

وَلنَرْجعْ إلى أَصْل الكَلام وَنَقُـــول: إنَّ السَّابقينَ خَارجُونَ منْ أَحْكَام اليَمين وَالشِّمَال وَمُتَفَوِّقُونَ منْ مُعَامَلات الظُّلمَانيَّة وَالنُّورانيَّة، كتَابُهُمْ وَرَاءَ كتَاب اليَمين وَالشِّمَال، وَمُحَاسبَتُهُمْ وَرَاءَ مُحَاسَبَة أَصْحَاب اليَمين وَالشِّمَال، أَشْغَالُهُمْ وَأَحْوَالُهُمْ عَلى حدَة وغنجهم وَدَلالُهُمْ مُمْتَازٌ، مَاذَا يُدْركُ أَصْحَابُ اليَمين مثْل أَصْحَاب الشِّمَال منْ كَمَالاتهمْ؟! وَمَاذَا يَنَال أَرْبَابُ الولايَة كَعَامَّة المُؤْمنينَ منْ أَسْرَارهمْ؟! حُرُوفُ المقَطَّعَات القُرْآنيَّة رُمُوزُ أَسْرَارهمْ، وَالمُتَشَابهَاتُ الفَوْقَانيَّة كُنُوزُ مَدَارِج وُصُولهمْ، وَجَعلهمُ الوُصُول إلى الأَصْل فَارغينَ منَ الظِّل، وَأَبْعَدُ أَرْبَاب الظِّلال عَنْ حَرِيمهمُ الخَاصِّ بهمْ، وَهُمُ المُقَرَّبُونَ، وَالرَّوْحُ وَالرَّيْحَانُ نَصيبهُمْ، وَهُمُ الذينَ لاَ يَحْزُنُهُمُ الفَزَعُ الأَكْبَرُ وَلا يَتحَرَّكُونَ منْ مَحَلهمْ منْ أَهْوَال يَوْمَ القيَامَة في المَحْشَر كَغَيْرهمْ، اللهُمَّ اجْعَلْنَا منْ مُحبِّيهمْ؛ فَإنَّ المرْءَ مَعَ مَنْ أَحَبَّ بحُرْمَة سَيِّد المُرْسَلينَ وَعَلى آله الصَّلوَاتُ وَالتَّسْليمَاتُ وَالتَّحيَّاتُ وَالبَرَكَاتُ

سنن الترمذي: ك: أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ. ب: ما جاء في القرن الثالث.ح ٢٣٢٠.

المَكْتُوب الثَّالثُ وَالخَمْسُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائَة

إلى مَوْلانَا بَدْرِ الدِّين

فِي بَيَانِ أَنَّ خَرْقَ الحُجُب[١] باعْتبَارِ الشُّهُودِ لاَ باعْتبَارِ الوُجُودِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلكَ

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى:

إنَّ خَرْقَ حُجُبِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ والشُّئُون وَالاعْتبَارَات منْ حَضْرَة الذَّاتِ تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ عَلى قسْمَيْن:

- خَرْق باعْتبَارِ الشُّهُود.
- وَخَرْق باعْتبَارِ الوُجُود.

فَالخَرْقُ الوُجُوديُّ مُمْتَنِعٌ وَالخَرْقُ الشُّهُوديُّ مُمْكنٌ، بَل وَاقعٌ وَإنْ كَانَ نَصيبَ أَقَل قَليل وَأَخص خَوَاصٍ، وَمَا وَرَدَ في الخَبَرِ منْ قَوْله عَليْه السَّلامُ: " إنَّ لله سَبْعينَ أَلفَ حجَاب منْ نُور وَظُلمَة لوْ كُشفَتْ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهه مَا انْتَهَى إليْه بَصرُهُ منْ خَلقه"[٢] فَالمُرَاد منْ هَذَا الكَشْف وَالخَرْق الوُجُوديِّ المُمْتَنِع.

وَمَا كَتَبَ هَذَا الفَقيرُ في بَعْضِ رَسَائله منْ خَرْق جَميعِ الحُجُب منْ حَضْرَة الذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ فَالمُرَاد منْهُ الخَرْقُ الشُّهُوديُّ كَمَا أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ يُكْرِمُ شَخصًا ببصَارَة يَرَى بهَا الأَشْيَاءَ منْ وَرَاء الحُجُب وَالأَسْتَار وَخَرْقُ الحُجُب وَالأَسْتَارِ هُنَا باعْتبَارِ الشُّهُود فَكَذَا هَذَا فَعُلمَ أَنَّ مَا كَتَبَهُ الفَقيرُ منْ جَوَاز خَرْق الحُجُب ليْسَ بمُنَاف لخَبَر عَدَم جَوَاز خَرْق الحُجُب فَإنَّ ذَلكَ الخَرْقَ غَيْرُ هَذَا الخَرْق فَلا تَكُنْ منَ المُمْتَرينَ {والسلام على من اتبع الهدى}[٣] وَالتَّزَمَ مُتَابَعَة المُصْطَفَى عَليْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ.

---

(١) **الحجب**: جمع حجاب، والحجاب عرفه الكاشاني فقال: كل ما ستر مطلوبك عن عينيك، وذلك منك، ومن انحصارك في كل ما تراءى لك من عالم النور، أو الظلمة، لا من غيرك.انظر: الكاشاني: رشح الزلال: ١٣٦.

(٢) **صحيح**: مسلم: ك: الإيمان. ب: في قوله عليه السلام: " إن الله لا ينام " ح١٧٩.، سنن ابن ماجه: ك: الإيمان. ب: فيما أنكرت الجهمية. ح١٩٦.

(٣) طـه: ٤٧

المَكْتُوب الرَّابِعُ وَالخَمْسُونَ بَعْدَ الثَّلاَثمائة
إلى الشَّيْخ فَرِيد التهانيسرى
في بَيَان أنَّ في مَرَاتب نهَايَة النِّهَايَة
تَظْهَرُ مَرْتَبَةُ كُل ذَرَّة مِنْ ذَلكَ المَوْطنِ أَزْيَدَ مِنْ تَمَامِ دَائِرَةِ الإِمْكَانِ
بأَضْعَاف مُضَاعَفَة
وَمَا يُنَاسِبُ ذَلكَ

قَدْ يَظْهَرُ وَقْتَ العُرُوجِ إلى مَرَاتبِ نهَايَة النِّهَايَة بعنَايَة الله سُبْحَانَهُ وَحُرْمَة حَبيبه ــ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ ــ مَرْتَبَةُ كُل ذَرَّة مِنْ ذَلكَ المَوْطنِ أزيدَ مِنْ تَمَامِ دَائرَةَ الإمْكَان بأَضْعَاف مُضَاعَفَة، فَإذَا قَطعَ مَسَافَةً مقْدَار ذَرَّة مِنْ ذَلكَ المَوْطنِ بالسُّلوك كَأَنَّهُ تَيَسَّرَ قَطْعُ زيَادَة أَضْعَاف دَائرَة الإمْكَان، فَكَيْفَ إذَا طَوَى شَخْصٌ مَسَافَةً طَويلةً مِنْ تلكَ المَرْتَبَة؟!

فَعُلمَ أَنَّهُ لاَ مقْدَارَ لدَائرَة الإمْكَان بالنِّسْبَة إلى مَرْتَبَة الوُجُوبِ فَمَا فَوْقَهَا، يَا ليْتَ لها حُكْمَ القَطْرَة بالنِّسْبَة إلى البَحْرِ المحيط!!

فَبالضَّرُورَة لاَ يُمْكنُ وُصُول أَحَد إلَى مَنْزِل الحَبيب بِقُوَّةِ قَدَمِهِ وَلا يَقْدرُ رُؤْيَتَهُ بِبصَرِ نَفْسه لاَ يَحْمل عَطَايَا المَلك إلاَّ مَطَايَاهُ.

الْمَكْتُوب الخَامِسُ وَالخَمْسُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائَة
إلى الخَوَاجَهْ جَمَال الدِّينِ الحُسَيْنِ وَلد المرْزَا حُسَامَ الدِّينِ أَحْمَدَ
فِي بَيَان حَصْرِ الصُّوفيَّة السَّيْرَ فِي الآفَاق وَالأَنفُسِ وَإِثْبَاتِهِمُ التَّخْلِيَةَ وَالتَّحْلِيَةَ فِي ذَلِكَ السَّيْرِ وَمَنْعه هُوَ قُدِّسَ سرُّهُ هَذَا المَعْنَى وَإِثْبَاته نِهَايَةَ النِّهَايَة فِيمَا وَرَاءَ الأَنْفُسِ وَالآفَاق بعنَايَة الله سُبْحَانَهُ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلى سَيِّدِ المُرْسَلِينَ وَعَلى آله الكِرَامِ وَأَصْحَابه العظَامِ إلى يَوْمِ القِيَامَة.

أَيُّهَا الوَلَدُ العَزِيزُ أَسْعَدَكَ اللهُ تَعَالى اسْمَعْ بِسَمْعِ العَقْل، إنَّ السَّالكَ إذَا اشْتَغَل بالذِّكْرِ الإلهيَ جَل سُلطَانُهُ بَعْدَ تَصْحِيحِ النِّيَّة وَتَخْلِيصِهَا، وَقَدَّمَ الرِّيَاضَات[١] الشَّاقَّةَ وَالمُجَاهَدَات الشَّدِيدَةَ وَحَصَّل التَّزْكيَةَ وَبَدَّل الأَوْصَافَ الرَّذِيلة بالأَوْصَاف الحَسَنَة وَتَيَسَّرَتْ لَهُ التَّوْبَةُ وَالإِنَابَةُ وَزَال حُبُّ الدُّنْيَا عَنْ قَلبه وَحَصَل لَهُ الصَّبْرُ وَالتَّوَكُّل وَالرِّضَا وَشَاهَدَ هَذه المعَاني الحَاصلةَ لَهُ في عَالم المثَال بالتَّدْرِيجِ وَالتَّرْتيب وَرَأَى نَفْسَهُ طَاهِرًا وَمُصَفًّى عَنِ الكُدُورَات البَشَرِيَّة وَالصِّفَات الرَّذِيلة لكَانَ قَدْ أَتَمَّ السَّيْرَ الآفَاقِيَّ أَلبَتَّةَ، وَاخْتَارَ طَائفَةٌ في هَذَا المَقَام الاحْتيَاطَ وَقَرَّرُوا الأَمْرَ عَلى تَمَثُّل كُل لطِيفَة منَ اللطَائف السَّبْعَة الإنْسَانيَّة في عَالم المثَال بصُورَة نُور منَ الأَنْوَار المُنَاسبة لهَا وَجَعَلوا عَلامَةَ صَفَاء كُل لطيفَة ظُهُورَ نُور منْ تلكَ الأَنْوَار المثَاليَّة وَابْتَدَءُوا هَذَا السَّيْرَ منْ لطيفَة القَلب وَأَوْصَلوهُ بالتَّدْرِيجِ وَالتَّرْتِيب إلى اللطِيفَة الأَخْفَى التي هيَ مُنْتَهَى اللطَائف، وَجَعَلوا عَلامَةَ صَفَاء قَلب السَّالك مثَال ظُهُور ذَلكَ القَلبِ في عَالمِ المثَال بصُورَةَ النُّورِ الأَحْمَرِ وَجَعَلوا عَلامَةَ صَفَاءِ الرُّوحِ ظُهُورَهُ

---

(١) الرياضة: لغة: التذليل، يقال:" راض المهر رياضا ورياضة ذلـــله" انظر: الفيروزابادي: القاموس المحيط: الروضة.

أما عند الصوفية فهي: ضرب من ترويض النفس على الطاعات والزهد في مـــلاذ الحيـــاة، ويدل على ذلك قول يحي بن معاذ الرازي: " جاهد نفسك بالطاعة والرياضة، فالرياضة: هجر المنام، وقلة الكلام، وتحمل الأذى من الأنام، والقلة من الطعام، فيتولد من قلة المنام صفو الإرادات، ومن قلة الكلام السلامة من الآفات، ومن احتمال الأذى البلوغ إلى الغايات، ومن قلة الطعام موت الشهوات " انظر: الغزالي: مكاشفة القلوب: ١١، ١٢.، الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية: ٢٠٢،٢٠١.

بِصُورَةِ النُّورِ الأَصْفَرِ، وَعَلى هَذَا القِيَاسِ فَكَانَ حَاصِل السَّيْرِ الآفَاقِيِّ أَنْ يُشَاهِدَ السَّالِكُ تَبَدُّلَ أَوْصَافِه وَتَغَيُّرَ أَخْلاقِه في مَرَايَا عَالَمِ المِثَال وَأَنْ يَحسَّ زَوَال ظُلمَاتِه وَكُدُورَاتِه في ذَلكَ العَالَمِ حَتَّى يَحْصُل لَهُ اليَقِينُ بِصَفَائِه، وَيُثْبِتَ العِلمَ بِتَزْكِيَتِه وَلَمَّا كَانَ السَّالِكُ في هَذَا السَّيْرِ يُشَاهِدُ أَحْوَالَهُ وَأَطْوَارَهُ سَاعَةً فَسَاعَةً في عَالَمِ المِثَال الذي هُوَ مِنْ جُمْلَة الآفَاق وَرَأَى فيه انْتِقَالَهُ مِنْ هَيْئَة إلى هَيْئَة كَأَنَّ سَيْرَهُ كَانَ في الآفَاق وَإِنْ كَانَ هَذَا السَّيْرُ في الحَقِيقَة سَيْرًا في نَفْسِ السَّالِك وَكَانَت الحَرَكَةُ حَرَكَةً كَيْفِيَّةً في أَخْلاقِه وَأَوْصَافِه وَلكِنْ لَمَّا كَانَ سَطْحُ نَظَرِه بَعِيدًا في رُؤْيَتِه كَانَ ذَلكَ آفاقًا لاَ أَنْفُسًا وَصَارَ السَّيْرُ أَيْضًا مُنْتَسِبًا إلى الآفَاق، وَقَالوا بِتَمَام السَّيْرِ إلى الله عِنْد تَمَام هَذَا السَّيْرِ المَنْسُوب إلى الآفَاق، وَجَعَلوا الفَنَاءَ مَرْبُوطًا بِهَذَا السَّيْرِ وَعَبَّرُوا عَنْ هَذَا السَّيْرِ بِالسُّلوك فَإِذَا وَقَعَ السَّيْرُ بَعْدَ ذَلكَ يُسَمُّونَهُ سَيْرًا أَنْفُسِيًّا، وَيُقَال لَهُ أَيْضًا السَّيْرَ في الله وَيُثْبِتُونَ البَقَاءَ بِالله في هَذَا المَوْطن، وَيَرَوْنَ في هَذَا المَقَام حُصُول الجَذْبَة بَعْدَ السُّلوك، وَلَمَّا حَصَلَت التَّزْكِيَةُ لِلطَّائف السَّالك في السَّيْرِ الأَوَّل وَتَخَلصَتْ عَنِ الكُدُورَات البَشَرِيَّة، حَصَلَتْ لَهَا قَابليَّةُ ظُهُور ظِلال الاسْمِ الجَامِعِ الذي هُوَ رَبُّ السَّالك، وَعُكُوسُ ذَلكَ الاسْمِ في مَرَايَا تِلكَ اللطَائف، وَتَكُونُ تلكَ اللطَائفُ مَوَارِدَ تَجَليَات جُزْئِيَّات ذَلكَ الاسْمِ الجَامِعِ وَظُهُورَاتِهَا، وَإِنَّمَا يُسَمُّونَ هَذَا السَّيْرَ بِالسَّيْرِ الأَنْفُسِيِّ؛ لأَنَّ الأَنْفُسَ صَارَتْ مَرَايَا ظِلال الأَسْمَاء وَعُكُوسِهَا لاَ إِنَّ سَيْرَ السَّالك في الأَنْفُس، كَمَا مَرَّ في السَّيْرِ الآفَاقِيِّ مِنْ أَنَّهُ قيل سَيْرًا آفاقِيًّا بِاعْتِبَار المِرْآتِيَّة، لاَ لِكَوْن السَّيْرِ في الآفَاق وَهَذَا السَّيْرُ في الحَقِيقَة سَيْرٌ في ظِلال الأَسْمَاء في مَرَايَا الأَنْفُس؛ وَلِهَذَا قِيل لِهَذَا السَّيْرِ سَيْرُ المَعْشُوق في العَاشِق

مَا صُورَةُ المِرْآة مِنْ حَرَكَاتِهَا ... لَكِنَّهَا انْطَبَعَتْ بِهَا لِصَفَائِهَا

يُمْكِنُ أَنْ يُقَال لِهَذَا السَّيْرِ: السَّيْرُ في الله؛ بِاعْتِبَار أَنَّهُمْ قَالوا إِنَّ السَّالكَ يَتَخَلقُ في هَذَا السَّيْرِ بِأَخْلاق الله وَيَنْتَقل مِنْ خُلق إلى خُلق، فَإِنَّ لِلمُظْهر نَصِيبًا مِنْ بَعْضِ أَوْصَاف الظَّاهر وَلَوْ في الجُمْلة، فَكَأَنَّهُ تَحَقَّقَ السَّيْرُ في أَسْمَاء الله تَعَالى، هَذَا نِهَايَةُ تَحْقِيق هَذَا المَقَام وَتَصْحِيح هَذَا الكَلام وَلا يُدْرَى مَاذَا كَانَ حَال صَاحب المَقَام؟ وَأَيَّ شَيْء كَانَ مُرَادُ المُتَكلم مِنَ الكَلام، كُل شَخْص يَقُول شَيئًا عَلى مِقْدَار فَهْمِه وَوِجْدَانِه يُرِيدُ المُتَكلمُ مِنْ كَلامِه مَعْنًى وَيَفْهَمُ السَّامِعُ مِنْ ذَلكَ الكَلامِ مَعْنًى آخَرَ، وَهُمْ يَقُولُونَ لِلسَّيْرِ الأَنْفُسِيِّ سَيْرًا في الله مِنْ غَيْرِ تَكَلف وَيُسَمُّونَهُ بَقَاءً بِالله

بلا تَحَاشٍ، وَيَزْعُمُونَهُ مَقَامَ الوِصَال وَالاتِّصَال، وَهَذه الإطْلاقَات تَثْقل عَلى الفَقِير جدًّا؛ فَلا جَرَمَ يُرْتَكَبُ في تَوْجِيهِهَا وَتَصْحِيحِهَا التَّمَحُّل وَالتَّكَلفُ، بَعْضُ ذَلكَ التَّمَحُّل مَأْخُوذٌ مِنْ كَلامهِمْ، وَبَعْضُهُ وَارِدٌ مِنْ طَرِيق الإفَاضَة وَالإلهَام، وَفي السَّيْرِ الآفَاقيّ كَأَنَّهُ حَصَلت التَّخْليَةُ مِنَ الرَّذَائل، وَفي السَّيْرِ الأَنْفُسيِّ التَّحَلي بالأَخْلاق الحَميدَة، فإنَّ التَّخْليَةَ مُنَاسَبَة لمَقَام الفَنَاء، وَالتَّحْليَة مُنَاسَبَة لمَقَام البَقَاء، وَلمْ يُثْبتُوا لهَذَا السَّيْرِ الأَنْفُسيِّ نهَايَةً وَحَكَمُوا بعَدَم انْقطَاعه، وَإنْ تَيَسَّرَ العُمْرُ الأَبَديُّ، وَقَالوا: لاَ نهَايَةَ لشَمَائل المَحْبُوب وَأَوْصَافه فَلا يَزَال تَتَجَلى صفَةٌ منْ صفَاته في مرْآة السَّالك المُتَخَلق، وَيَظْهَرُ كَمَال منْ كَمَالاته، فَأَيْنَ يَكُونُ الانْقطَاعُ؟ وَكَيْفَ تَجُوزُ النّهَايَةُ؟ قَالوا:

وَلوْ سَعَتْ ذَرَّةٌ في عُمرهَا طَلبًا   خَيْرًا وَشَرًّا تَجدُ في نَفْسهَا اكْتُمْنَا

وَبهَذَا الفَنَاء وَالبَقَاء اللذَيْنَ حَصَلا بالسَّيْر الآفَاقيّ والأَنْفُسيِّ يُطْلقُونَ اسْمَ الولاَيَة وَيَرَوْنَ نهَايَةَ الكَمَال إلى هُنَا، فَإنْ وَقَعَ السَّيْرُ بَعْدَ ذَلكَ فَهُوَ سَيْرٌ رُجُوعيٌّ عنْدَهُمْ، الذي هُوَ مُعَبَّرٌ بالسَّيْر عَن الله بالله، وَكَذَلكَ السَّيْرُ الرَّابعُ الذي قَالوهُ سَيْرًا في الأَشْيَاء بالله، يَتَعلقُ بالنُّزُول أَيْضًا وَقرَّرُوا هَذَيْن السَّيْرَيْن لأَجْل التَّكْميل وَالإرْشَاد، كَمَا أَنَّ ذَيْنكَ السَّيْرَيْن لحُصُول نَفْس الولاَيَة وَالكَمَال وَالاسْترْشَاد

وَقَال جَمْعٌ: إنَّ سَبْعينَ أَلفَ حجَاب الذي وَرَدَ في الخَبَر: إنَّ لله سَبْعينَ أَلفَ حجَاب منْ نُورٍ وَظُلمَة، يَخْرُقُ في السَّيْر الآفَاقيّ فَإنَّهُ يَخْرُقُ في كُل لطيفَة منَ اللطَائف السَّبْع عَشْرَةَ آلافَ حجَاب، فَإذَا بَلغَ ذَلكَ السَّيْرُ تَمَامَهُ ارْتَفَعَت الحُجُبُ بتَمَامهَا، وَتَحَقَّقَ السَّالكُ بالسَّيْر في الله وَبَلغَ مَقَامَ الوَصْل، هَذَا حَاصل سَيْر أَرْبَاب الولاَيَة وَسُلوكهمْ، وَنُسْخَةُ كَمَالهمْ وَتَكْميلهمُ الجَامعَة، وَمَا ظَهَرَ لهَذَا الفَقير بمَحْض فَضْل الحَقّ سُبْحَانَهُ وَكَرَمه في هَذَا البَاب وَمَا سَلكَ هُوَ فيه يُحَرّرُهُ إظْهَارًا للنّعْمَة وَشُكْرًا عَلى العَطيَّة فَاعْتَبرُوا يَا أُولي الأَبْصَار

اعْلمْ أَرْشَدَكَ اللهُ وَهَدَاكَ سَوَاءَ الصّرَاط أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ الذي هُوَ مُنَزَّهٌ عَن الكَيْف وَالمثَال وَالشّبْه وَمَا يَقَعُ في الخَيَال، كَمَا أَنَّهُ وَرَاءَ الآفَاق، كَذَلكَ هُوَ سُبْحَانَهُ وَرَاءَ الأَنْفُس أَيْضًا، فَلا يَكُونُ لتَسْميَة السَّيْر الآفَاقيّ بالسَّيْر بالله، وَالسَّيْر الأَنْفُسيِّ بالسَّيْر في الله مَعْنًى، بَل كلا السَّيْرَيْن الآفَاقيّ والأَنْفُسيِّ دَاخلاَن في السَّيْر إلى الله، وَالسَّيْرُ في الله هُوَ سَيْرٌ بَعيدٌ عَن الآفَاق وَالأَنْفُس بمَرَاحل وَوَرَاءَ وَرَائهمَا، وَالعَجَبُ أَنَّهُمْ قَرَّرُوا السَّيْرَ في الله في السَّيْر الأَنْفُسيِّ وَقَالوا: بعَدَم نهَايَة ذَلكَ السَّيْر، وَلمْ يُجَوّزُوا

انْقطَاعَهُ فِي العُمرِ الأَبَديِّ كَمَا مَرَّ، وَحَيْثُ كَانَت الأَنْفسُ كَالآفَاق مِنْ جُمْلة دَائرَة الإمْكَان، فَعَلى هَذَا التَّقْدير لاَ يُمْكنُ قَطعُ دَائرَة الإمْكَان، فَلا جَرَمَ يَكُونُ الحِرْمَانُ دَائمًا وَالخسْرَانُ سَرْمَدًا، وَلا يَتحقّقُ الفَنَاءُ أَبدًا، وَلا يُتصَوَّرُ البَقَاءُ حينَئذ فَكَيْفَ الوَصْل وَالاتِّصَال؟ وَكَيفَ القُرْبُ وَالكَمَال؟ سُبْحَانَ الله إذَا اكْتَفَى الكُبَرَاءُ منَ الشَّرَاب بالسَّرَاب وَزَعَمُوا إلى الله في الله، وَتَصوَّرُوا الإمْكَانَ وُجُوبًا وَعَبَّرُوا عَنِ المثْليّ وَالكَيْفيِّ باللامثْليّ واللاكَيْفيِّ؟! كَيْفَ نَشْتَكي منَ الصِّغَارِ وَوَضيعي الفطْرَة أَيُّ بَلاء وَقَعَ بَأَيِّ اعْتبَارٍ؟ قَالوا للأَنْفُس حَقًا جَل وَعَلا، وَظَنُّوا سَيْرَهَا غَيْرَ مُتَنَاه مَعَ وُجُودِ حَدِّهَا وَنهَايَتهَا، وَظُهُورُ أَسْمَاء الوَاجب جَل سُلْطَانُهُ وَصفَاتُهُ في مرْآة السَّالك الذي قَرَّرُوهُ في هَذَا السَّيْرِ الأَنْفسيِّ ـــ هُوَ ظُهُورُ ظَل منْ ظلال الأَسْمَاء وَالصِّفَات، لاَ ظُهُورُ عَيْنِ الأَسْمَاء وَالصِّفَات كَمَا يُحرَّرُ تَحْقيقُ هَذَا المَعْنَى في آخرِ هَذَا المَكْتُوب إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالى، مَاذَا أَفْعَلُ؟ وَكَيْفَ أُجوِّزُ سُوءَ الأَدَب، هَذَا مَعَ جَنَاب قُدُسه تَعَالى مَعَ وُجُود العلمِ وَالتَّمْييز؟! وَكَيْفَ أُشْركُ غَيْرَهُ في مُلكه سُبْحَانَهُ وَتَعَالى؟! وَإن اعْتَقَدْتُ أَنَّ حُقُوقَ هَؤُلاء الأَكَابرِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ ثَابتَةٌ في ذمَّتي، فَإنِّي مُرَّ بي بأَنْوَاعِ تَرْبيَتهمْ، وَلكنَّ حُقُوقَ وَاجب الوُجُود جَل سُلْطَانُهُ فَوْقَ جَميعِ حُقُوقهمْ وَتَرْبيَتَهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ تَرْبيَة الآخرينَ، وَلقَدْ نَجَوْتُ بحُسْنِ تَرْبيَته تَعَالى منْ هَذه الوَرْطَة وَلمْ أُشْركْ في مُلكه تَعَالى غَيْرَهُ سُبْحَانَهُ.

{الحَمْدُ لله الذي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لنَهْتَديَ لوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ}(١) وَهُوَ تَعَالى مُنَزَّهٌ عَنِ الكَيْف وَالشَّبَه وَالمثَال، وَكُل مَا هُوَ مُتَّسمٌ بسمَة الكَيْف وَالكَمِّ فَهُوَ مَسْلوبٌ عَنْ جَنَابه تَعَالى، فَلا يَكُونُ لهُ سُبْحَانَهُ مَجَال في مَرَايَا الآفَاق وَمَجَالي الأَنْفُس، وَكُل مَا يَظْهَرُ في هَؤُلاء يَكُنْ كَالمَظَاهرِ كَيْفيًّا وَكَميًّا، فَيَنْبَغي أَنْ يَتجَاوَزَ الآفَاق وَالأَنْفُسَ، وَأَنْ يَطْلبَهُ سُبْحَانَهُ فيمَا وَرَاءهُمَا، وَكَذَلكَ دَائرَةُ الإمْكَان آفَاقيًّا كَانَتْ وَأَنْفسيًّا، كَمَا أَنَّهُ لاَ مَجَال لذَاته سُبْحَانَهُ فيهَا، لاَ مَجَال أَيْضًا لأَسْمَائه وَصفَاته سُبْحَانَهُ فيهَا، بَل كُل مَا هُوَ ظَاهرٌ فيهَا فَهُوَ ظلال الأَسْمَاء وَالصِّفَات ـــ تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ ـــ وَشَبَحُهَا وَمثَالهَا، بَل ظليَّةُ الأَسْمَاء وَالصِّفَات وَمثَاليَّتهَا أَيْضًا في خَارجِ الآفَاق وَالأَنْفُس، ليْسَ هُنَا غَيْرُ التَّعْبيَة وَانْتقَاشِ القُدْرَة لمنَ الظُّهُور، وَأَيْنَ التَّجَلي فَإنَّ أَسْمَاءَهُ وَصفَاته سُبْحَانَهُ كَذَاته تَعَالى مُنَزَّهَةٌ عَنِ الكَيْف وَالشَّبَه وَالمثَال، فَمَا لمْ تَخْرُجْ إلى مَا وَرَاءَ الآفَاق وَالأَنْفُس لاَ تَعْلمُ مَعْنَى ظليَّة أَسْمَائه وَصفَاته تَعَالى،

---

(١) الأعراف: ٤٣

فَكَيْفَ الوُصُول إلى الأَسْمَاء وَالصِّفَات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ؟! وَأَعْجَبُ مِنْ هَذه المُعَامَلة فَإِنِّي إِنْ تَكَلمْتُ مِنْ مَكْشُوفَاتي وَمَعْلومَاتي اليَقينيَّة لاَ تَكُونُ مُوَافقَةً لمَذَاق المَشَائخ وَمُطَابَقَةً لمَكْشُوفَاتهِمْ، فَمَنْ يُصَدِّقُهَا منِّي وَمَنْ يَقْبَلُ؟! وَإِنْ لَمْ أَتَكَلمْ، بَل أَسْكُتْ أَكُنْ مُجَوِّزًا لالتبَاسِ الحَقِّ بالبَاطل، وَلإطْلاق مَا لاَ يَجُوزُ إطْلاقُهُ عَلى الحَقِّ تَعَالى وَتَقَدَّسَ، فَأُظْهِرُ بالضَّرُورَة مَا هُوَ الحَقُّ وَاللائقُ بجَنَاب قُدُسه تَعَالى، وَأَسْلبُ مَا لَيسَ بمُنَاسب لجَنَاب قُدُسه تَعَالى، وَلا أُبَالي منْ خلاف الآخَرينَ، وَلا أَغْتَمُّ به، وَإِنَّمَا يَتَحَقَّقُ الخَوْفُ مِنْ مُخَالفَة الآخَرينَ إذَا كَانَ في مُعَامَلتي تَذَبْذُبٌ، وَفي مَكْشُوفي اشْتبَاهٌ، فَإذَا انْكَشَفَتْ حَقيقَةُ الأَمْر مثْل فَلق الصُّبْح، وَاتَّضَحَتْ مُعَامَلة الأَصْل كَالقَمَر ليْلةَ البَدْر، وَتَجَاوَزَتْ مَرَاتبَ الظِّلال وَالمِثَال، أَيْنَ يَكُونُ الاشْتبَاهُ، وَلمَنْ يَعْرضُ التَّذَبْذُبُ؟!

قَال حَضْرَةُ شَيْخنَا ـــ قُدِّسَ سرُّهُ ـــ: " عَلامَةُ صِحَّة الأَحْوَال حُصُول اليَقينِ عَلى الكَمَال ".

وَأَيْضًا كَيْفَ يُتَصَوَّرُ الاشْتبَاهُ وَالتَّذَبْذُبُ؟ فَإِنَّهُ قَدْ تَيَسَّرَ الاطِّلاعُ بعنَايَته تَعَالى التي لاَ غَايَةَ لهَا عَلى تَفْصيل أَحْوَال هَؤُلاء الأَكَابر المقَرَّرَة، وَانْكَشَفَتْ مَعَارفُ التَّوْحيد وَالاتِّحَاد وَأَسْرَارُ الإحَاطَة وَالسَّرَيَان، وَحَصَلتْ حَقيقَةُ مَكْشُوفهِمْ ومَشْهُودهِمْ، وَاتَّضَحَتْ دَقَائقُ عُلومهِمْ ومَعَارفهِمْ، وَاخْتَرْتُ الإقَامَةَ مُدَّةً مَديدَةً في هَذَا المَقَام، وَأَدْرَكْتُ قَليلَهُمْ وَكَثيرَهُمْ إلا مَا شَاءَ اللهُ تَعَالى، فَظَهَرَ آخرَ الأَمْر ـــ بفَضْل الله جَل سُلطَانُهُ ـــ أَنَّ هَذه كُلهَا شَعْبَذَاتُ الظِّلال وَشَغَفٌ بالشَّبَه وَالمثَال، وَالمَطْلوب فيمَا وَرَاءَ وَرَاءَ ذَلكَ، وَالمَقْصُود مَا سوَى هَذه، فَلا جَرَمَ صرْتُ مُتَوَجِّهًا إلى جَنَاب قُدُس اللامثْليِّ، مُعْرضًا عَنِ الكُل وَتَبَرَّأْتُ عَنْ كُل مَا هُوَ مُتَّسمٌ بسمَة الكَمِّ وَالكَيْف.

{إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِي للذي فَطَرَ السَّمَوَات وَالأَرْضَ حَنيفًا وَمَا أَنَا منَ المُشْركينَ}(١) فَلوْ لَمْ تَكُنِ المُعَامَلة هَكَذَا لَمَا حَرَّكْتُ شَفَتَيَّ عَلى خلاف المَشَائخ، وَلَمَا أَظْهَرْتُ مُخَالفَتَهُمْ بالظَّنِّ وَالتَّخْمين، وَأَيْضًا إنَّ هَذَا الخلافَ لوْ لَمْ يَتَعَلقْ بذَات الوَاجب وَصفَاته جَل سُلطَانُهُ، وَلَمْ يَكُنْ الكَلامُ منْ تَقْديسه وَتَنْزيهه تَعَالى، لَمَا وَقَعَ إظْهَارُ خلاف مَكْشُوف هَؤُلاء الأَكَابر أَلبَتَّةَ، وَلَمْ يَحْصُل الكَلاَمُ منْ مُخَالفَة عُلومهِمْ، فَإنِّي أَقَل مُقْتَطفي عَنَاقيد رِيَاضِ دولهِمْ، وَأَرْذَل مُلتَقطي كَسَرَات خُوَان نعَمهِمْ، وَأُظْهِرُ مُكَرَّرًا أَنَّهُمْ هُمُ الذينَ رَبَّوني بأَنْوَاع التَّرْبيَة، وَنَفَعُوني بأَضْعَاف

---

(١) النحل:١٢٣

الكَرَمِ وَالإِحْسَانِ وَالتَّرْقِيَة، وَلكِنْ مَاذَا نَفْعَل فَإِنَّ حُقُوقَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ فَوْقَ حُقُوقِهِمْ، فَإِذَا وَقَعَ البَحْثُ فِي ذَاتِه وَصِفَاتِه تَعَالى وَعَلِمَ أَنَّ إِطْلاقَ بَعْضِ الأُمُورِ عَلَى جَنَابِ قُدْسِه لَيْسَ بِلائِقٍ، فَالسُّكُوتُ فِي هَذَا المَوْطِنِ خَوْفًا مِنْ خِلافِ الآخَرِينَ بَعِيدٌ عَنِ الدِّينِ وَالدِّيَانَة، لاَ يُطِيقُهُ مَقَامُ العُبُودِيَّة وَالإِطَاعَة، خِلافُ العُلَمَاءِ مِنَ المَشَائِخ رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالى فِي الأُمُورِ الخِلافِيَّة كَمَسْأَلَة التَّوْحِيد وَغَيْرِهَا مِنْ طَرِيقِ النَّظَرِ وَالاسْتِدْلال، وَخِلافُ هَذَا الفَقِيرِ مَعَهُمْ فِي هَذِه الأُمُورِ مِنْ طَرِيقِ الكَشْفِ وَالشُّهُود، وَالعُلَمَاءُ قَائِلُونَ بِقُبْحِ هَذِه الأُمُور، وَهَذَا الفَقِيرُ قَائِل بِحُسْنِ هَذِه الأُمُورِ بِشَرْطِ العُبُور، وَخِلافُ الشَّيْخِ عَلاءِ الدَّوْلَة فِي مَسْأَلَة وَحْدَةِ الوُجُود يُفْهَمُ عَلَى طَوْرِ العُلَمَاء، وَيُنْظَرُ إِلى قُبْحِهَا، وَإِنْ دَخَل فِيهَا بِطَرِيقِ الكَشْفِ فَإِنَّ صَاحِبَ الكَشْفِ لاَ يَقُول بِقُبْحِهَا، فَإِنَّ هَذِه المَسْأَلَة مُتَضَمِّنَةٌ لأَحْوَال غَرِيبَة وَمُشْتَمِلَةٌ عَلَى مَعَارِفَ عَجِيبَة، غَايَةُ مَا فِي البَابِ أَنَّ دَوَامَ الإِقَامَةِ فِي هَذَا المَوْطِنِ غَيْرُ مُسْتَحْسَنٍ وَالاكْتِفَاءُ بِهَذِه الأَحْوَال لَيْسَ بِحَسَن.

فَإِنْ قِيل فَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ يَكُونُ المَشَائِخ عَلَى البَاطِل وَيَكُونُ الحَقُّ وَرَاءَ مَكْشُوفِهِمْ وَمَشْهُودِهِمْ.

أُجِيبَ: إِنَّ البَاطِل هُوَ الذي لاَ يَكُونُ لَهُ مَحْمَل مِنَ الصِّدْق، وَفِيمَا نَحْنُ فِيه: مَنْشَأُ هَذِه الأَحْوَال وَالمَعَارِف غَلَبَةُ مَحَبَّة الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَاسْتِيلاءُ حُبِّه تَعَالى عَلى نَهْجٍ لاَ يَتْرُكُ فِي نَظَرِ بَصِيرَتِهِمْ اسْمًا وَلا رَسْمًا مِمَّا سِوَاهُ تَعَالى، وَيَجْعَل اسْمَ الغَيْرِ وَالغَيْرِيَّة وَرَسْمَهَا مَمْحُوًّا وَمُتَلاشِيًا، فَفِي هَذَا الوَقْتِ يَعْلَمُونَ الأَغْيَارَ وَالسِّوَى بِوَاسِطَة السُّكْرِ، وَغَلَبَةُ الحَال مَعْدُومَةٌ بِالضَّرُورَة، وَلا يَرُونَ مَوْجُودًا غَيْرَ الحَقِّ تَعَالى، فَمَا البَاطِل هُنَا وَأَيْنَ البُطْلانُ؟! بَل فِي هَذَا المَوْطِنِ اسْتِيلاءُ الحَقِّ وَبُطْلانُ البَاطِل.

وَهَؤُلاءِ الأَكَابِرُ بَاعُوا أَنْفُسَهُمْ وَغَيْرَهُمْ فِي مَحَبَّة الحَقِّ جَلا وَعَلا وَلَمْ يَتْرُكُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَغَيْرِهِمْ اسْمًا وَلا رَسْمًا، يَكَادُ البَاطِل يَفِرُّ مِنْ ظِلِّهِمْ، وَهُنَا كُلُّهُ حَقٌّ وَلأَجْلِ الحَقِّ، مَاذَا يَنَال العُلَمَاءُ الذينَ نَظَرُهُمْ مَقْصُورٌ عَلَى الظَّاهِرِ مِنْ حَقِيقَتِهِمْ؟! وَمَاذَا يَفْهَمُونَ غَيْرَ المخَالَفَة الصُّورِيَّة؟! وَمَاذَا يَأْخُذُونَ مِنْ كَمَالاتِهِمْ؟!

وَالكَلامُ فِي أَنَّ فِيمَا وَرَاءَ هَذِه الأَحْوَال وَالمَعَارِف كَمَالات أُخَرَ، حُكْمُ هَذِه الأَحْوَال وَالمَعَارِف بِالنِّسْبَة إِلى تِلْكَ الكَمَالاتِ كَحُكْمِ القَطْرَةِ بِالنِّسْبَة إِلى البَحْرِ المحِيط.

مَتَى قِسْنَا السَّمَاء بِالعَرْشِ يَنْحَطّ   وَمَا أَعْلاهُ إِنْ قِسْنَا بِأَرْضٍ

وَلنَرْجعْ إِلى أَصْلِ الكَلام، وَنَقُول وَمَا قَالوا فِي خَرْق الحُجُب مِنْ أَنَّهُ تَرْتَفِعُ فِي السَّيْرِ الآفَاقِيّ الحَجْبُ الظُّلمَانيَّةُ وَالنُّورانيَّةُ بتَمَامهَا كَمَا مَرَّ فَهَذَا الكَلامُ عِنْدَ هَذَا الفَقيرِ مَحَل خَدْشَة، بَل ثَبَتَ خلافُهُ، وَشُوهدَ أَنَّ خَرْقَ الحُجُب الظُّلمَانيَّة مَنُوطٌ بطَيٍّ جَميع مَرَاتب الإمْكَان، وَهُوَ إِنَّمَا يَتَيَسَّرُ بالسَّيْرِ الآفَاقيّ وَالسَّيْر الأَنْفُسِيّ، وَخَرْقُ الحُجُب النُّورَانيَّة مَرْبُوطٌ بسَيْر الأَسْمَاء وَالصِّفَات الوَاجبيَّة تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ، حَتَّى لاَ يَبْقَى فِي نَظَره اسْمٌ وَلا صفَةٌ وَلا شَأْنٌ وَلا اعْتبَارٌ حَتَّى يَتَيَسَّرُ لهُ خَرْقُ الحُجُب النُّورَانيَّة بتَمَامهَا وَيَتَشَرَّفُ بالوَصْل[1] العُرْيَان وَإِنْ كَانَ هَذَا الوَصْل أَقَل حُصُولا وَهَذَا الوَصْل أَعَزّ وُجُودًا، فَفِي السَّيْر الآفَاقيّ لاَ يُعْلمُ أَنَّهُ انْخَرَقَ نصْفُ الحَجْب الظُّلمَانيَّة أَمْ لاَ؟ فَكَيْفَ يُتَصَوَّرُ هُنَاكَ خَرْقُ الحُجُب النُّورَانيَّة؟ غَايَةُ مَا فِي البَاب أَنَّ المَرَاتبَ فِي الحُجُب الظُّلمَانيَّة مُتَفَاوتَةٌ، فَيَكُونُ ذَلكَ التَّفَاوُتُ سَبَبًا للاشْتبَاه، فَإِنَّ الحُجُبَ النَّفْسَانيَّةَ فَوْقَ الحُجُب القَلبيَّة فِي الظُّلمَة مثلا، وَإِنْ ظَهَرَ قَليل الظُّلمَة نَفْسُهُ بعُنْوَان النُّورَانيَّة النِّسْبيَّة، وَخيل الظُّلمَانيُّ نُورانيًّا، وَلكنَّ الظُّلمَانيَّ ظُلمَانيٌّ فِي الحَقيقَة، وَالنُّورَانيَّ نُورَانيٌّ، لاَ يَخْلطُ حَديدُ البَصَر أَحَدَهُمَا بالآخَر، وَلا يَحْكُمُ عَلى الظُّلمَة بالنُّور لوُجْدَانه مَنْشَأَ الاشْتبَاه.

{ذَلكَ فَضْل الله يُؤْتيه مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْل العَظيم}[2] وَالطَّريقُ الذي شَرَفَ هَذَا الفَقيرُ بتَسْليكه جَامعٌ للجَذْبَة وَالسُّلوك، وَكُل وَاحد منَ التَّخْليَة وَالتَّحْليَة مُجْتَمعٌ مَعَ الآخَر، وَكُل وَاحد منَ التَّصْفيَة وَالتَّزْكيَة مُقْتَرنٌ فِي ذَلكَ المَوْطن بالآخَر، وَالسَّيْرُ الأَنْفُسيُّ مُتَضَمِّنٌ فِي ذَلكَ المَقَام للسَّيْر الآفَاقيّ، فَفِي عَيْن التَّصْفيَة تَزْكيَةٌ، وَفِي عَيْن التَّخْليَة تَحْليَةٌ، وَنَفْسُ الجَذْبَة مُحَصِّلَةٌ للسُّلوك، وَالأَنْفُس شَاملَة للآفَاق، وَلكنَّ التَّقَدُّمَ الذَّاتيَّ للتَّخْليَة وَالجَذْبَة، وَللتَّصْفيَة سبْقَةٌ ذَاتيَّةٌ عَلى التَّزْكيَة، وَمَلحُوظُ النَّظَر الأَنْفَسُ لاَ الآفَاق، فَلا جَرَمَ كَانَ هَذَا الطَّريقُ أَقْرَبَ فِي الوُصُول.

بَل أَقُول: إِنَّ هَذَا الطَّريقَ مُوَصِّل أَلبَتَّةَ، وَاحْتمَال عَدَم الوُصُول مَفْقُودٌ فيه، يَنْبَغي أَنْ يُسْأَل الحَقُّ سُبْحَانَهُ الاسْتقَامَةَ، وَأَنْ يُطْلَبَ منْهُ تَعَالى الفُرْصَةَ،

(١) الوصل: هو الوحدة الحقيقية الواصلة بين البطون والظهور، وقد يعبر به عن سبق الرحمة بالمحبة، وقد يعبر به عن قيومية الحق للأشياء فإنها تصل الكثرة بعضها ببعض حتى تتحد. انظر: الكاشاني: معجم مصطلحات الصوفية: ٧٦.

(٢) ــ الحديد: ٢١

وَإِنَّمَا قُلتُ: إِنَّ هَذَا الطَّرِيقَ مُوَصِّل أَلبَتَّةَ فَإِنَّ أَوَّل قَدَم هَذَا الطَّرِيقِ الجَذْبَةُ التِي هِيَ دِهْلِيزُ الوُصُول وَمَوَاقِعُ التَّوَقُّفَات، أَمَّا مَنَازِل السُّلوك أَوْ مُوَاطِنُ الجَذْبَات التِي لاَ تَكُونُ مُتَضَمِّنَةً للسُّلوك وَكلا المَانعينَ مُرْتَفعَان في هَذَا الطَّرِيق؛ فَإِنَّ السُّلوكَ طُفَيْلِيٌّ يَحْصُل فِي ضِمْنِ الجَذْبَة فَهَاهُنَا لَيْسَ سُلوكٌ خَالِصٌ وَلا جَذْبَةٌ أَبْتَرَ حَتَّى يَكُونَ الطَّرِيقُ مَسْدُودًا، وَهَذَا الطَّرِيقُ طَرِيقُ الأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، وَهَؤُلاء الأَكَابِرِ وَصَلُوا إِلى مَنَازِل الوُصُول عَلَى تَفَاوُت دَرَجَاتهِمْ مِنْ هَذَا الطَّرِيق، وَقَطَعُوا الآفَاق وَالأَنْفُسَ بخُطْوَة وَاحدَة، وَوَضَعُوا أَقْدَامَهُمُ الأُخَرَ فِيمَا وَرَاءَ الآفَاق وَالأَنْفُسِ، وَرَقُّوا المُعَامَلة فَوْقَ السُّلوك وَالجَذْبَة، فَإِنَّ نِهَايَة السُّلوك إِلى نِهَايَة السَّيْر الآفَاقِيّ وَنِهَايَةَ الجَذْبَة إِلى نِهَايَة السَّيْر الأَنْفُسِيِّ فَإِذَا بَلَغَ السَّيْرُ الآفَاقِيّ وَالأَنْفُسِيُّ نِهَايَتَهُ فَقَدْ تَمَّتْ مُعَامَلَةُ السُّلوكَ وَالجَذْبَة، وَبَعْدَ ذَلكَ لاَ سُلوكَ وَلا جَذْبَةَ وَهَذَا المَعْنَى لَيْسَ مِمَّا يَجِيءُ فِي حَوْصَلَة كُل مَجْذُوب سَالك، وَسَالك مَجْذُوب فَإِنَّ عِنْدَهُمْ لاَ مَجَال للقَدَمِ فِيمَا وَرَاءَ الآفَاق وَالأَنْفُسِ، فَلوْ نَالوا عُمُرًا أَبَدِيًّا بِالفَرْضِ وَالتَّقْدِيرِ لصَرَفُوهُ فِي السَّيْرِ الأَنْفُسِيِّ ثُمَّ لاَ يَظُنُّونَهُ تَمَامًا. قَال وَاحدٌ مِنَ العُظَمَاء

وَلوْ سَعَتْ ذَرَّةٌ فِي عُمرِهَا طَلَبًا   خيرًا وَشَرًّا تَنَل فِي نَفْسِهَا اكْتُمْنَا

كَمَا مَرَّ وَقَال الآخَرُ: وَالتَّجَلي مِنَ الذَّات لاَ يَكُونُ إِلا بِصُورَة المُتَجَلي لهُ، فَالمُتَجَلي لهُ مَا رَأَى غَيْرَ صُورَته فِي مِرْآة الحَقِّ، وَلا يُمْكنُ أَنْ يَرَاهُ.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ شُيُوخِي وَهُدَاتي وَأَدلائِي إِلى اللهِ تَعَالى، الذينَ فَتَحْتُ عَيْنِي فِي هَذَا الطَّرِيق بتَوَسُّلهِمْ وَحَرَّكْتُ شَفَتَيَّ بمِثْل هَذه المَقَالة بتَوَسُّطهِمْ، وَأَخَذْتُ دَرْسَ " أَلفٌ بَا " فِي الطَّرِيقَة منْهُمْ وَحَصَّلتُ مَلكَةَ المَوْلوِيَّة مِنْ تَوَجُّهَاتهِمُ الشَّرِيفَة، فَإِنْ كَانَ لِي علمٌ فَهُوَ بتَطَفُّلهِمْ، وَإِنْ كَانَتْ مَعْرِفَةٌ فَهِيَ أَيْضًا أَثَرُ التفَاتهِمْ، وَتَعَلمْتُ طَرِيقَ انْدرَاجِ النِّهَايَة فِي البدَايَة مِنْ هَؤُلاء الأَكَابِرِ وَأَخَذْتُ نسْبَةَ الانْجذَاب إِلى جهَة القَيُّومِيَّة أَيْضًا منْهُمْ، وَرَأَيْتُ بنَظَرِهمُ الوَاحد مَا لاَ يَرَاهُ النَّاسُ فِي الأَرْبَعِينَ، وَوَجَدْتُ بكَلامهمُ الوَاحد مَا لاَ يَجدُهُ الآخَرُونَ فِي السِّنينَ.

وَمَنْ نَال نَظْرَةَ شَمْسِ تبريزِ ليهزأ   باخْتلاء الأَرْبَعينَ وَعَشَرَة

وَلقَدْ أَجَادَ مَنْ قَال

أَعْجَبُ مِنَ النَّقْشَبَنْدِيِّينَ إِنَّهُمْ   يَمْشُونَ بالرَّكْب مخفيين للحرم

وَمِنْ عُلوِّ الفطْرَة وَسُمُوِّ الهمَّة قَرَّرُوا ابْتدَاءَ الطَّرِيقَة مِنَ السَّيْر الأَنْفُسِيِّ وَقَطَعُوا السَّيْرَ الآفَاقِيَّ في ضمْنه، وَالسَّفَرُ(١) في الوَطَنِ في عبَارَاتهم كنَايَةٌ عَنْ هَذَا السَّيْرِ، وَالمَسَافَةُ في طَرِيقِ هَؤُلاء الأَكَابر قَرِيبَةٌ وَأَقْرَبُ إلى الوُصُول، نهَايَةُ سَيْرِ الآخَرِينَ بدَايَةُ سَيْرِهِمْ، وَلهَذَا قَالوا: نَحْنُ نُدْرِجُ النِّهَايَةَ في البدَايَة.

وَبالجُمْلَة: إنَّ طَرِيقَ هَؤُلاء الأَكَابرِ فيمَا بَيْنَ سَائر طُرُق المَشَائخ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَ جَميعهِمْ عَالٍ جدًّا، وَحُضُورُهُمْ وَشُعُورُهُمْ يُمْكنُ أَنْ يُقَال: إنَّهُمَا فَوْقَ شُعُور أَكْثَرهِمْ وَمِنْ هُنَا قَالوا: إنْ نسْبَتَنَا فَوْقَ جَميعِ النِّسَب، وَأَرَادُوا بالنِّسْبَة الحُضُورَ وَالشُّعُورَ، وَلكنْ لَمَّا لَمْ يَكُنْ فيمَا وَرَاءَ الآفَاق وَالأَنْفُسِ وَوَرَاءَ السُّلوك وَالجَذْبَة مَجَال لقَدَم وِلايَة الأَوْلِيَاء وَمَمَرٌّ ــ لَمْ يُخْبِرْ هَؤُلاء الأَكَابرُ أَيْضًا بالضَّرُورَة عَنْ خَارِجِ الآفَاق وَالأَنْفُس، وَلَمْ يَتَكَلمُوا فيمَا وَرَاءَ السُّلوك وَالجَذْبَة، وَيَقُولونَ بمقْيَاس كَمَالات الولايَة: إنَّ أَهْلَ الله كَمَا يَرَوْنَهُ بَعْدَ الفَنَاء وَالبَقَاء يَرَوْنَهُ في أَنْفُسِهِمْ، وَكُل مَا يَعْرِفُونَ يَعْرِفُونَهُ في أَنْفُسِهِمْ، وَالحَيْرَةُ فيهِمْ في وُجُود أَنْفُسِهِمْ.

{وَفي أَنْفُسكُمْ أَفَلا تُبْصرُونَ}(٢) لله سُبْحَانَهُ الحَمْدُ وَالمنَّةُ أَنَّ هَؤُلاء الأَكَابرَ وَإنْ لَمْ يُخْبِرُوا عَنْ خَارِجِ الأَنْفُس، وَلكنَّهُمْ لَيْسُوا بمُبْتَلِينَ وَمَفْتُونينَ بالأَنْفُسِ أَيْضًا، بَل يُرِيدُونَ أَنْ يَجْعَلوا الأَنْفُسَ تَحْتَ كَلمَة " لاَ " كَالآفَاق وَأَنْ يَنْفُوهَا بعلة الغَيْرِيَّة.

قَال الخَوَاجَهْ الأَعْظَمُ ــ قُدِّسَ سِرُّهُ ــ: كُل مَا يُرَى وَيُسْمَعُ وَيُعْلمُ فَهُوَ غَيْرُهُ تَعَالى يَنْبَغي نَفْيُهُ بحَقيقَة كَلمَة " لاَ "

مَا غَرُهُمْ نَقْشُ ذَا مِنْ نَقْشِ ذَا، بَل أَتَوْا ... في كُل آن بنَقْشٍ عَزَّ عَنْ شَبَه

يَنْبَغي أَنْ يُعْلمَ: أَنَّ نَفْيَ الغَيْرِيَّة غَيْرُ انْتفَاء الغَيْرِيَّة، شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا وَإنَّمَا قُلتُ أَنْ لَيْسَ للولايَة مَجَال القَدَم في خَارِجِ الجَذْبَة وَالسُّلوك وَالآفَاق وَالأَنْفُس، فَإنَّ مَا وَرَاءَ هَذه الأَرْكَان الأَرْبَعَة للولايَة مَبَادئُ كَمَالات النُّبُوَّة وَمُقَدَّمَاتُهَا، وَيَدُ الوِلايَة قَاصرَةٌ عَنْ تلكَ الشَّجَرَة العَاليَة الرَّفيعَة، وَقَد اهْتَدَى إلى هَذه الدَّوْلة الأَكْثَرُونَ مِنْ أَصْحَاب الأَنْبيَاء عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالأَقَلونَ مِنْ سَائر الأُمَم بتَبَعيَّة الأَنْبيَاء وَوَرَاثَتهِمْ عَلَيْهِمُ الصَّلوَاتُ وَالتَّحيَّاتُ، وَقَطَعُوا بهَذَا الطَّرِيقِ الجَامِع

(١) **السفر**: عبارة عن القلب عند أخذه في التوجه، بتصحيح معاملات، وتعديل أحوال تسفر عن النفس المرتقية في مناهج كمالاتها سفساف الأخلاق ويحيلها بمعرفة مكامن القواطع، وموارد القطعيات من المراتب الكونية، والحضرات الحقية إلى الحق تعالى بالذكر. انظر: الكاشاني: رشح الزلال: ٤٤،٤٣.

(٢) الذاريات: ٢١

للجَذْبَة وَالسُّلوك مَنَازل البُعْد، وَوَضَعُوا أَقْدَامَهُمْ فيمَا وَرَاءَ السُّلوكِ وَالجَذْبَة، وَخَرَجُوا مِنْ دَائِرَة الظِّلال بالتَّمَامِ، وَخلفُوا الأَنْفُس كَالآفَاق وَرَاءَهُمْ، وَفي هَذَا المَقَام التَّجَلي الذَّاتيُّ البَرْقِيُّ ــ الذي هُوَ كَالبَرْق الخَاطِف لغَيْرِهمْ ــ دَائميٌّ لَهُمْ، بَل مُعَامَلَةُ هَؤُلاءِ الأَكَابرِ فَوْقَ التَّجَلي بَرْقِيًّا أَوْ غَيْرَهُ، فَإِنَّ التَّجَلي يَسْتَدْعي نَحْوًا مِنَ الظِّلِّيَّة، وَالنُّقْطَةُ مِنَ الظِّلِّيَّة جَبَل عَظيمٌ لهَؤُلاءِ الكُبَرَاء، وَبدَايَةُ أَمْر هَؤُلاءِ العُظَمَاءِ الجَذْبُ وَالمَحَبَّة الإلهيَّةُ جَل سُلطَانُهُ، فَإِذَا زَادَتْ تلكَ المَحَبَّة بعنَايَة الله جَل سُلطَانُهُ، وَعَظُمَ شَأْنُهُ التي لاَ غَايَةَ لهَا وَاسْتَوْلَتْ سَاعَةً فَسَاعَةً، وَقَوِيَتْ وَغَلَبتْ، تَشْرَعُ مَحَبَّةُ مَا سوَاهُ تَعَالَى بالضَّرُورَة دَرَجَةً فَدَرَجَةً في الزَّوَال، وَيَرْتَفعُ التَّعَلقُ بالأَغْيَار بالتَّدْرِيج، فَإِذَا زَالتْ مَحَبَّةُ مَا سوَاهُ تَعَالى عَنْ صَاحب دَوْلَة باسْتيلاءِ مَحَبَّته جَل سُلطَانُهُ بالكُليَّة، وَصَارَ مَحَلهَا التَّعَلقَ وَالمَحَبَّة بجَنَاب قُدُسه تَعَالَى ــ ارْتَفَعَتْ عَنْهُ أَوْصَافُهُ الرَّذيلَةُ وَأَخْلاقُهُ الرَّديئَةُ بالتَّمَامِ وَصَارَ مُحَلى بالأَخْلاق الحَميدَة، وَتَحَقَّقَ بالمَقَامات العَشَرَة، وَمَا كَانَ لهُ تَعَلقٌ بالسَّيْر الآفَاقيِّ تَيَسَّرَ بلا مُؤْنَة السُّلوكُ التَّفْصيليُّ وَبلا رِيَاضَات شَاقَّة وَمُجَاهَدَات[1] شَديدَة؛ فَإِنَّ المَحَبَّة تَقْتَضي إطَاعَة المَحْبُوب، فَإِذَا بَلغَت المَحَبَّة كَمَالهَا حَصَلت الإطَاعَةُ بتَمَامهَا، وَحَيْثُ حَصَلت الإطَاعَةُ عَلى الوَجْه الأَتَمِّ بمقْيَاس القُوَّة البَشَريَّة تَيَسَّرَت المَقَاماتُ العَشَرَةُ، وَبهَذَا السَّيْر المَحْبُوبيِّ ــ كَمَا حَصَل السَّيْرُ الآفَاقيُّ ــ تَمَّ به السَّيْرُ الأَنْفُسيُّ أَيْضًا؛ فَإِنَّهُ قَال المُخبرُ الصَّادقُ عَليْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» وَحَيْثُ كَانَ المَحْبُوب وَرَاءَ الآفَاق وَالأَنْفسِ يَنْبَغي للمُحبِّ أَيْضًا أَنْ يَتَجَاوَزَ الآفَاقَ وَالأنْفُسَ بحُكْم المَعيَّة، فَيُخَلفَ السَّيْرَ الأَنْفُسيَّ أَيْضًا وَرَاءَهُ بالضَّرُورَة، وَيُحَصِّل دَوْلَةَ المعيَّة، فَهَؤُلاءِ الأَكَابرُ لاَ شُغُل لهُمْ بالآفَاق وَلا بالأَنْفُسِ ببَرَكَة دَوْلَة المَحَبَّة، بَل الآفَاقُ وَالأَنْفُسُ تَابعَةٌ لأَمْرهمْ وَالسُّلوكُ وَالجَذْبَةُ مُتطَفِّلان بمُعَامَلاتهمْ، وَرَأْسُ بضَاعَة هَؤُلاءِ الأَكَابرِ المَحَبَّة التي إطَاعَةُ المَحْبُوب لازمَةٌ لهَا وَإطَاعَةُ المَحْبُوب مَرْبُوطَةٌ بإتْيَان الشَّريعَة عَلى صَاحبهَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالتَّحيَّةُ، التي هيَ الدِّينُ المَرْضيُّ لله تَعَالى، فَعَلامَةُ كَمَال المَحَبَّة كَمَال إتْيَان الشَّريعَة وَإتْيَانُ الشَّريعَة بكَمَالهَا مَنُوطٌ بالعلمِ وَالعَمَل وَالإخْلاصِ، وَالإخْلاصُ الذي يُتَصَوَّرُ في جَميعِ الأَقْوَال

---

(١) **المجاهدة**: هي حمل النفس على المشاق البدنية، ومخالفة الهوى على كل حال، فإن الهووى يطلب الإسترسال فيما ترغب النفس فيه بطبعها، ومخالفته تقييده بالتزام الأمر والنهي. انظر: الكاشاني: رشح الزلال: ٩٩.

وَالأعْمَال وَجَميع الحَرَكَات وَالسَّكَنَات هُوَ نَصيبُ المُخْلصينَ بفَتْح اللام وَالمُخلصين المَكْسُوري اللامِ، مَاذَا يُدْرِكُونَ مِنْ هَذَا المَعْنَى لعَلكَ سَمعْتَ، وَالمُخْلصُونَ عَلى خَطَرٍ عَظيمٍ.

وَلنَرْجعْ إلى أصْل الكَلام فَنَقُول: إنَّ المَقْصُود مِنَ السُّلوك وَالجَذْبَة وَالتَّصْفيَة تَطْهيرُ النَّفْسِ منَ الأخْلاق الرَّدَيَّة وَالأوْصَاف الرَّذيلة وَرَأْسُ جَميع تلكَ الذَّمَائم التَّعَلقُ بالنَّفْسِ وَتَحْصيل مُرَادَاتها وَهوَاهَا حَتَّى لاَ يَكُونَ بُدٌّ منَ السَّيْر الأنْفسيِّ وَلا مَنْدُوحَةَ منَ الانْتقَال منَ الصِّفَات الذَّميمَة إلى الأخْلاق الحَميدَة، وَالسَّيْرُ الآفَاقيُّ خَارجٌ عَنِ المَقْصُود وَلا تُعَلقَ به لغَرَضٍ مُعْتَدٌّ به؛ فَإنَّ العَلائقَ الآفَاقيَّة بوَاسطَة العَلائق الأنْفسيَّة، فَإنَّ كُل مَا يُحبُّهُ الإنْسَانُ إنَّمَا يُحبُّهُ لحُبِّ نَفْسه، فَإذَا أَحَبَّ الأوْلادَ وَالأمْوَال إنَّمَا يُحبُّ لأجْل اسْتمَاعه وَانْتفَاعه، فَإذَا زَالتْ في السَّيْر الأنْفسيِّ مَحَبَّتُهُ لنَفْسه بوَاسطَة اسْتيلاء مَحَبَّة الحَقِّ جَل وَعَلا زَالتْ في ضمْنه مَحَبَّتُهُ لأوْلاده وَأمْوَاله أيْضًا؛ فَكَانَ السَّيْرُ الأنْفُسيُّ ضروريًّا وَيَتَيَسَّرُ السَّيْرُ الآفَاقيُّ بالتَّطَفل في ضمْنه وَلهَذَا كَانَ سَيْرُ الأنْبياء عَلَيْهمُ الصَّلوَاتُ وَالتَّحيَّاتُ مَقْصُورًا عَلى السَّيْر الأنْفَسيِّ وَقَطْعُ السَّير الآفَاقيِّ في ضمْنه طُفَيْليًّا، نَعَمْ السَّيْرُ الآفَاقيُّ أيْضًا حَسَنٌ لوْ وُجدَت الفُرْصَةُ لقَطْعه وَتُيَسِّرَ إتْمَامُهُ منْ غَيْر تَخَلل التَّوَقُّفَات، فَلوْ لمْ تُوجَدْ الفُرْصَةُ لقَطْعه وَوَقَعَ الابْتلاءُ بالتَّوَقُّفَات يَكَادُ يُعَدُّ السَّيْرُ الآفَاقيُّ دَاخلا فيمَا لاَ يَعْني، وَيُحْسَبُ منْ مَوَانع حُصُول المَطْلوب، وَالسَّيْرُ الأنْفسيُّ كُلمَا يَقْطَعْ فَهُوَ مُغْتَنمٌ، فَإنَّهُ انْتقَال منَ السَّيِّئَة إلى الحَسَنَة، يَا لهَا منْ نعْمَة عَظيمَة لوْ أتَمَّ السَّالكُ بهَذَا السَّيْر وَتَبَخْتَرَ في خَارجَ دَائرَة الأنْفُس، وَلأيِّ شَيْءٍ يَلزَمُ أنْ يُشَاهدَ شَخْصٌ تَلوينَات[1] الأنْفُسِ في مرْآة الآفَاق وَأنْ يُعَاينَ تَغَيُّرَاته فيهَا كَمَا يَعْلمُ صَفَاءَ قَلبه مثلا في مرْآة المثَال، وَيَرَى ذَلكَ الصَّفَاءَ بصُورَة النُّور الأحْمَر فَلمَ لاَ يَسْتَعْمل وُجْدَانَهُ؟ وَلمَ لاَ يُحيل صَفَاءَهُ عَلى فرَاسَته؟ مَا حَاجَةُ مَنْ بَلغَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً إلى الطَّبيب، مَثَل مَشْهُورٌ، فَإنَّهُ يُمْكنُ أنْ يُدْركَ تَلوِّينَات أحْوَاله بوُجْدَانه الصَّحيح، وَأنْ يعْلمَ بتَفرُّسه الصَّريح صحَّتَهُ وَسَقَمَهُ، نَعَمْ إنَّ السَّيْرَ الآفَاقيَّ فيه عُلومٌ وَمَعَارفُ وَتَجَليَاتٌ وَظُهُورَاتٌ كَثيرَةٌ وَلكنَّ كُلهَا رَاجعَةٌ إلى الظِّلال، وَتُسَل بالشَّبَه وَالمثَال، فَإذَا كَانَ

---

(١) **التلوين:** هو تنقل العبد في أحواله.، وقيل: هو الإحتجاب عن أحكام حال، أو مقام سنى بآثار حال أو مقام دنى وعدمه على التعاقب. انظر: ابن عربي: اصطلاحاتالصوفية: ٢٩١.، الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية: ١٧٤.

السَّيْرُ الأَنْفُسِيُّ مُتَعَلِّقًا بالظِّلال كَمَا حَقَّقْتُهُ في رَسَائلي وَمَكَاتِيبي يَلزَمُ أَنْ يَكُونَ السَّيْرُ الآفَاقِيُّ مُتَعَلِّقًا بظِل الظِّل فَإِنَّ الآفَاقَ كَالظِّل للأَنْفُس وَمِرْآةٌ لظُهُورِهَا يَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ مِثْل مَنْ يُشَاهِدُ أَحْوَال الأَنْفُسِ في مِرْآة الآفَاقِ وَيَعْلَمُ الصَّفَاءَ وَالتَّخْلِيَةَ مِنْهَا كَمَثَل مَنْ يَرَى نَفْسَهُ في المَنَام أَوْ في الوَاقِعَة في عَالم المِثَال سُلطَانًا أَوْ يُشَاهِدُ فيه نَفْسَهُ قُطْبَ الوَقْت فَهُوَ في الحَقيقَة لَيْسَ بسُلطَان وَلا قُطْبَ الوَقْت فَإِنَّ السُّلطَانَ وَالقُطْبَ مَنْ يَكُونُ مُشَرَّفًا في الخَارِج بمَنْصب السَّلطَنَة، أَو القُطْبيَّة غَايَةُ مَا في البَاب أَنَّهُ يَعْلَمُ منْ هَذَا المَنَام أَو الوَاقعَة، اسْتعْدَادَ السَّلطَنَة وَقَابليَّةَ القُطْبيَّة يَنْبَغي بَذْل الرُّوح حَتَّى تَخْرُجَ المُعَامَلَة منَ القُوَّة إلى الفعْل وَتَنْتَقل منَ المُرَاسَلَة إلى المعَانَقَة، وَفيمَا نَحْنُ فيه أَيْضًا التَّزْكيَةُ وَالتَّحْليَةُ مَنُوطَةٌ بالسَّيْر الأَنْفُسيِّ، وَمَا رَآهُ في السَّيْر الآفَاقيِّ فَهُوَ اسْتعْدَادُ التَّزْكيَة وَقَابليَّةُ التَّحْليَة، فَمَا لم يَرَ نَفْسَهُ مُزَكًّى وَمُطَهَّرًا فَهُوَ الخَارجُ بالسَّيْر الأَنْفُسيِّ وَلَمْ يُدْركْ نَفْسَهُ مُصَفًّى بوُجْدَانه فَلَيْسَ لَهُ نَصيبٌ منَ الفَنَاء في الحَقيقَة وَلا حَظٌّ دَاخلا في السَّيْر إلى الله بالضَّرُورَة، وَكَانَتْ تَمَاميَّةُ السَّيْر إلى الله التي هيَ مَقَامُ الفَنَاء مَرْبُوطَةً بالسَّيْر الأَنْفُسيِّ، وَالسَّيْرُ في الله يُتَصَوَّرُ بَعْدَ السَّيْر الأَنْفُسيِّ بمَرَاحل.

كَيْفَ الوُصُول إلى سُعَادَ وَدُونَهَا قُلَل الجبَال وَدُونَهُنَّ خُيُوفُ

أَيُّهَا السَّعيدُ إنَّ التَّعَلقَ العلميَّ وَالحُبِّيَّ الذي كَانَ مَنْسُوبًا إلى ذَات السَّالك إذَا زَال في السَّيْر الأَنْفُسيِّ يَرْتَفعُ التَّعَلقُ الذي كَانَ بنَفْسه وَيَزُول تَعَلقُهُ بالأَغْيَار.

أَيْضًا في ضمْن زَوَال تَعَلقه بنَفْسه، فَإنَّ عَلائقَهُ بالأَغْيَار إنَّمَا هيَ بوَاسطَة عَلاقَته بنَفْسه، كَمَا تُقُدِّمَ تَحْقيقُهُ فَصَحَّ إنَّ السَّيْرَ الآفَاقيَّ يُقْطَعُ في ضمْن السَّيْر الأَنْفُسيِّ وَنُجِّيَ السَّالكُ بهَذَا السَّيْر الوَاحد منْ عَلائق الأَغْيَار وَمنْ عَلائق نَفْسه أَيْضًا فَبمقْيَاس ذَلكَ التَّحْقيق صَحَّ مَعْنَى السَّيْر الأَنْفُسيِّ وَالسَّيْر الآفَاقيِّ منْ غَيْر تَكَلف، فَإنَّ السَّيْرَ في الحَقيقَة في الأَنْفُس وَفي الآفَاق أَيْضًا فَإنَّ قَطْعَ تَعَلقَات الأَنْفُس بالتَّدْريج سَيْرٌ في الأَنْفُس وَقَطْعُ التَّعَلقَات الآفَاقيَّة الذي هُوَ يَحْصُل في ضمْن السَّيْر الأَنْفُسيِّ سَيْرٌ في الآفَاق بخلاف السَّيْر الآفَاقيِّ وَالسَّيْر الأَنْفُسيِّ بطَوْر الآخَرينَ فَإنَّهُ يَحْتَاجُ فيهمَا إلى التَّكَلف كَمَا مَرَّ، نَعَمْ إنَّ كُل مَحَل فيه حَقيقَةٌ فَهُوَ مُحَرَّرٌ عَن التَّكَلف وَالله سُبْحَانَهُ المُوَفِّقُ

اسْمَعْ اسْمَعْ: إنَّ ظُهورَ أَسْمَاءِ الوَاجب وَصفَاته جَل سُلطَانُهُ في مرْآة السَّالك الذي أَثْبَتُوهُ في السَّيْر الأَنْفُسيِّ وَظَنُّوهُ تَحْليَةً بَعْدَ تَخْليَة ليْسَ ذَلكَ الظُّهُورُ في الحَقيقَة ظُهُورَ الأَسْمَاء وَالصِّفَات وَلا هُوَ تَحْليَةً بَعْدَ تَخْليَة، بَل هُوَ ظُهُورُ ظل منْ ظلال الأَسْمَاء وَالصِّفَات وَمُحَصِّل للتَّحْليَة وَمُسَهِّلٌ للتَّزْكيَة وَالتَّصْفيَة

بَيَانُهُ أَنَّ السَّبْقَةَ منْ ذَلكَ الطَّرْف؛ لأَنَّهَا مُنَاسَبَة للمَبْدَائيَّة فَيَحْصُل أَوَّلاً ظُهُورُ ظَل منْ ظلال المَطْلوب في مرْآة الطَّالب حَتَّى يُزيل ظُلمَاته وَكُدُورَاته وَتَحْصُل لهُ التَّزْكيَةُ وَالتَّصْفيَةُ وَبَعْدَ زَوَال الظُّلمَات وَحُصُول التَّزْكيَة وَالتَّصْفيَة الذي هُوَ مَرْبُوطٌ بتَمَاميَّة السَّيْر الأَنْفُسيِّ تُتصوَّرُ التَّحْليَةُ وَيَحْصُل الاسْتعْدَادُ للتَّحْليَة وَيَصيرُ حَقيقًا وَمُسْتَحَقًّا لظُهُور أَسْمَاء الوَاجب وَصفَاته جَل سُلطَانُهُ فَفي السَّيْر الأَنْفُسيِّ تَحْصُل التَّخْليَةُ الذي هُوَ مَنُوطٌ بالتَّزْكيَة وَالتَّصْفيَة وَالتَّحْليَة التي كَانَتْ مُتَوَهَّمَةً في السَّيْر الآفَاقيِّ فهيَ صُورَةُ التَّحْليَة لاَ حَقيقَتُهَا حَتَّى يُتَصَوَّرَ في السَّيْر الأَنْفُسيِّ حُصُول التَّحْليَة وَظُهُورُ الأَسْمَاء وَالصِّفَات الوَاجبيَّة كَمَا قَالوا؛ فَلزمَ منْ هَذَا البَيَان أَنَّ الاتِّصَال بالظِّل مُقدَّمٌ عَلى الانْقطَاع وَالانْفصَال، فَإنَّهُ ـــ مَا لمْ يَنْعَكسْ ظَل منْ ظلال المَطْلوب ـــ في مرْآة السَّالك لاَ يُتَصَوَّرُ الانْقطَاعُ عَنْ غَيْر المَطْلوب وَأَمَّا الاتِّصَال بالأَصْل فَهُوَ بَعْدَ حُصُول الانْقطَاع وَالانْفصَال، فَمَنْ قَدَّمَ منَ المَشَائخ الاتِّصَال يَنْبَغي أَنْ يُرَادَ به الاتِّصَال بالظِّل وَمَنْ قَدَّمَ الانْفصَال عَلى الاتِّصَال يَنْبَغي أَنْ يُرَادَ به الاتِّصَال بالأَصْل حَتَّى يَكُونَ نزَاعُ الفَريقَيْن رَاجعًا إلى اللفْظ، وَالشَّيْخُ أَبو سَعيد الخَرَّازُ[١] ـــ قُدِّسَ سرُّهُ ـــ مُتَوَقِّفٌ في هَذَا المَقَام يَقُول: مَا لمْ تَتَخَلصْ لمْ تَنَل وَمَا لمْ تَنَل لمْ تَتَخَلصْ وَلا أَدْري أَيُّهُمَا أَقْدَمُ وَأَسْبَقُ وَقَدْ علمَ أَنَّ نَيْل الظِّل مُقَدَّمٌ عَلى التَّخَلص وَنيل الأَصْل بَعْدَ التَّخَلص فَلا اشْتبَاهَ كَمَا أَنَّ وَقْتَ الصُّبْح قَبْل طُلوع

---

(١) ـــ **أبو سعيد الخراز**: أحمد بن عيسى المتوفى سنة: ٢٧٧، وقيل سنة: ٢٨٦ هـ ـــ ٨٩٩ م، الخراز: نسبة إلى خرز الجلود، الزاهد الكبير، شيخ الصوفية، أحد المشاهير بالعبادة والمجاهدة والورع والمراقبة، له في ذلك التصانيف منها كتاب الصدق أو الطريق إلى الله، وكتاب الصيام، له كرامات وأحوال وصبر على الشدائد، قال الجنيد: " لو طالبنا الله بحقيقة ما عليه الخراز لهلكنا "، روى عن إبراهيم بن بشار صاحب إبراهيم بن أدهم، ومن جيد كلامه: " إذا بكت أعين الخائفين فقد كاتبوا الله بدموعهم "، وقال: " العافية تستر البر والفاجر، فإذا نزل البلاء تبين عنده الرجال ". انظر في ترجمته: ابن كثير: البداية والنهاية: ٦٢/١١، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب: ١٩٢/٢، ابن الأثير: اللباب: ٣٥١/١، هدية العارفين: ٥٥/٥، الزركلي: الأعلام: ١٩١/١، كحالة: معجم المؤلفين: ٢٢١/١.

الشَّمْسِ ظُهُورُ ظِلال أَشِعَّةِ الشَّمْسِ حَتَّى يُخلى العَالَمُ عَنِ الظُّلمَاتِ وَيُورِثَهُ الصَّفَاءَ وَبَعْدَ زَوَال الظُّلمَاتِ وَحُصُول الصَّفَاء طُلوعُ نَفْسِ الشَّمْسِ، فَظُهُورُ ظِلِّ الشَّمْسَ مِنْ زَوَال الظُّلمَاتِ السَّابِقَة وَطُلوعُ نَفْسِ الشَّمْسِ مِنْ زَوَال الظُّلمَات اللاحِقَة، وَالمُنَاسب لِطُلوعِ السَّلاطِينَ أَنْ يَكُونَ بَعْدَ التَّخْلِيَة وَالتَّصْفيَة، وَإِنْ لَمْ يُتَصَوَّرْ التَّخْلِيَةُ وَالتَّصْفيَةُ بِدُون مُقَدِّمَة طُلوعِهِمْ فَظَهَرَ الحَقُّ وَارْتَفَعَ النِّزَاعُ وَزَال الاشْتِبَاهُ وَاللهُ سُبْحَانَهُ المُلهِمُ للصَّوَاب.

المَكْتُوب السَّادسُ وَالخمْسُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائَة
إلى مَوْلانَا مُحَمَّد أَفْضل
فِي بَيَانِ مَعْنَى قَوْلِهِمْ: " إنَّ مَا هُوَ الميَسَّرُ للسَّالك فِي حَقِّ حَضْرَةِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ إِنَّمَا هُوَ ذَوْقُ الوُجْدَان لاَ الوُجْدَانُ "
وَتَحْقِيقُ مَعْنَى انْدرَاجِ النِّهَايَة فِي البدَايَة الذي هُوَ مِنْ خَاصَّة هَذه الطَّرِيقَة العَليَّة وَبَيَان أَفْضَليَّة هَذه الطَّرِيقَة عَلى سَائرِ الطُّرُق وَمَا يُنَاسبُ ذَلكَ

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى قَدْ وَقَعَ فِي عبَارَات مَشَائخِ هَذه الطَّرِيقَة العَليَّة قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمُ السَّنيَّةَ أَنَّ المُيَسَّرَ للسَّالك فِي حَقِّ حَضْرَة الحَقِّ جَل سُلطَانُهُ ذَوْقُ الوُجْدَان لاَ الوُجْدَانُ وَهَذَا الكَلامُ مُنَاسبٌ لمَقَامِ انْدرَاجِ النِّهَايَة فِي البدَايَة الذي هُوَ مَوْطنُ الجَذْبَة الخَاصَّة بهَؤُلاء الأَكَابر وَلَيْسَ فِي هَذَا المَقَام حَقيقَةُ الوُجْدَان، فَإِنَّهَا مَخصُوصَةٌ بالانْتهَاء وَلكنْ حَيْثُ مَزَجُوا وَدَرَجُوا ذَوْقًا وَطَعْمًا منَ النِّهَايَة فِي البدَايَة فَذَوْقُ الوُجْدَان مُيَسَّرٌ فيه فَإذَا تَرَقَّت المُعَاملةُ منَ الجَذْبَة وَبَلغَتْ منَ الابْتدَاء إلى الانْتهَاء يَشْرَعُ ذَوْقُ الوُجْدَان أَيْضًا كَالوُجْدَان فِي الانْعدَام؛ فَلا يَكُونُ فيه وُجْدَانٌ وَلا ذَوْقُ الوُجْدَان، فَإذَا بَلغَ الأَمْرُ نهَايَتَهُ يَتَيَسَّرُ الوُجْدَانُ وَيُفْقَدُ ذَوْقُ الوُجْدَان، وَحَيْثُ كَانَ ذَوْقُ الوُجْدَان مَفْقُودًا فِي المُنْتَهَى، يَكُونُ الالتذَاذُ وَالحَلاوَةُ أَقَل فِي حَقِّه، فَإنَّ المنْتَهَى قَدْ تَرَكَ الذَّوْقَ وَالحَلاوَةَ فِي القَدَمِ الأَوَّل وَصَارَ آخرًا مَخمُول زَاوِيَةِ عَدَمِ الحَلاوَةِ وَالذَّوْقِ كَانَ رَسُول الله ﷺ مُتَوَاصل الحُزْنِ دَائمَ الفكْرِ

فَإنْ قيل إذَا تَيَسَّرَ وُجْدَانُ المَطْلوب للمُنْتَهي فَلمَ لاَ يَتَيَسَّرُ ذَوْقُ الوُجْدَان فيه وَحَيْثُ لاَ نَصيبَ للمُبْتَدئ منَ الوُجْدَان منْ أَيْنَ وَجَدَ ذَوْقَ الوُجْدَان؟

أُجيبَ إنَّ دَوْلَةَ الوُجْدَان نَصيب بَاطنِ المنْتَهي فَإنَّهُ تَشَرَّفَ بهَذه الدَّوْلة بَعْدَ انْقطَاعِ تَعَلقه الذيَ كَانَ منْهُ بظَاهرَة وَحَيْثُ بَقيَ تَعَلقُ بَاطنه بظَاهره قَليلا لاَ تَسْري نسْبَةَ بَاطنه فِي ظَاهره بالضَّرُورَة وَلا يَأْخُذُ الظَّاهر ذوقًا منْ وُجْدَان البَاطن، وَلا يَكُونُ مُلتَذًّا به، فَيَكُونَ وُجْدَان المَطْلوب حاصلا فِي بَاطن المنْتَهي، وَلا يَكُونُ فِي ظَاهره ذَوْق ذَلكَ الوُجْدَان إنْ بَقيَ ذَوْقُ البَاطن الذي الوُجْدَان نَصيبهُ، وَحَيْثُ إنَّ البَاطنَ نَال نَصيبًا منَ اللامثْليّ، يَكُونُ ذَوْقُ ذَلكَ الوُجْدَان أَيْضًا منْ عَالم اللامثْليّ يَحْصُل فِي دَرْك الظَّاهر الذي هُوَ مثْليّ منَ القَدَمِ إلى الرَّأْس، فكَثيرًا مَا يَنْفِي الظَّاهر الذَّوْق منَ البَاطنِ، ويَزْعُمُ البَاطنَ أَيْضًا مثْل نَفْسه فَاقدَ

الحَلاوَة فَإِنَّ ذَوْقَ المِثْليِّ غَيْرُ ذَوْق اللامِثْليِّ مُنَاسَبَةَ بَيْنَهُمَا، فَإِذَا لَمْ يَكُنِ الظَّاهِرُ المنْتَهي خَبَرٌ عَنْ ذَوْق بَاطنه كَيْفَ يَكُونُ للعَوَامِّ الذينَ نَظَرهُمْ مَقْصُورٌ عَلى الظَّاهِرِ خَبَرٌ عَنْ بَاطِنِ المنْتَهي وَمَاذَا يَكُونُ نَصيبهمْ غَيْر الإِنْكَار، وَالذَّوْق الذي يَجيءُ في فَهْمهُمْ هُوَ ذَوْقُ الظَّاهِرِ الذي هُوَ منْ عَالم المِثْل وَمنْ هَاهُنَا كَانَ السَّمَاعُ وَالرَّقْصُ وَالصَّيْحَةُ وَالاضْطرَابُ وَأَمْثَالهَا ممَّا هُوَ منْ أَحْوَال الظَّاهِرِ وَأَذْوَاق الصُّورَة عَزيزَةَ الوُجُود وَعَظيمَةَ القُدْرَة عنْدَهُمْ، بَل رُبَّمَا يَعْتَقدُونَ انْحصَار الأَذْوَاق وَالموَاجيد في هَذه الأُمُور وَلا يَظُنُّونَ كَمَالات الولايَة في غَيْرهَا هَدَاهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ سَوَاء الصِّرَاط، وَحُكْم أَحْوَال الظَّاهِر بالنِّسْبَة إلى أَحْوَال البَاطِنِ كَحُكْم المِثْليِّ بالنِّسْبَة إلى اللامِثْليِّ، فَثَبَتَ أَنَّ لبَاطِنِ المنْتَهي وُجْدَانًا وَذَوْقَ الوُجْدَان، غَايَةُ مَا في البَاب أَنَّ ذَلكَ الذَّوْقَ لمَّا كَانَ لهُ نَصيبٌ منْ عَالم اللامِثْليِّ ـــ وَلا يَجيءُ في دَرْك ظَاهره، بَل الظَّاهِرُ حَاكمٌ بنَفْيه وَإنْ كَانَ الظَّاهِرُ مطلعًا عَلى وُجْدَان البَاطِن، وَلكنَّهُ لا يُمْكنُ أَنْ يُدْرِكَ ذَوْقَ ذَلكَ الوُجْدَان ـــ أَمْكَنَ أَنْ يُقَال بالنَّظَر إلى الظَّاهِر: إنَّ الوُجْدَان مَوْجُودٌ في المُنْتَهي، وَذَوْقَ الوُجْدَان مَفْقُودٌ فيه، وَإنَّمَا يُثْبتُونَ ذَوْقَ الوُجْدَان في المُبْتَدئ الرَّشيد منْ هَذَا الطَّريق العالي مَعَ فقْدَان الوُجْدَان؛ وَذلكَ لأَنَّ هَؤُلاء الأَكَابرَ يُدْرجُونَ في الابْتدَاء طعمًا وذوقًا منَ الانْتهَاء وَيُلقُونَ ظلا منَ النِّهَايَة في بَاطِنِ المُبْتَدئ الرَّشيد بطَريق الانْعكَاسِ وَحَيْثُ كَانَ ظَاهرُ المُبْتَدئ مُرْتَبطًا ببَاطنه وَقُوَّةُ التَّعَلق بَيْنَ الظَّاهِرِ وَالبَاطِنِ ثَابتَةٌ فَلا جَرَمَ يَسْري ظل تلكَ النِّهَايَة وَذَوْقُ الولايَة منْ بَاطِنِ المُبْتَدئ إلى ظَاهره، وَيَجْعَل ظَاهرَهُ مُنْصبغًا بلوْن بَاطنه وَيَظْهَرُ ذَوْقُ الوُجْدَان في ظَاهره منْ غَيْرِ اخْتيَارٍ، فَصحَّ أَنَّ حَقيقَةَ الوُجْدَان مَفْقُودَةٌ في المُبْتَدئ، وَذَوْقَ الوُجْدَان حَاصل فيه

وَمنْ هَذَا البَيَان يُعْلَمُ عُلوُّ طَريق أَكَابر النَّقْشَبَنْديَّة قَدَّسَ اللهُ تَعَالى أَسْرَارَهُمْ، وَرِفْعَةُ نسْبَتهمُ العَليَّة، وَيُفْهَمُ منْهُ حَسَنُ تَرْبيَة هَؤُلاء الأَكَابرِ وَكَمَال اهْتمَامهمْ في حَقِّ المُريدينَ وَالطَّالبينَ، وَإنَّهُمْ يُعْطُونَ المُريد الرَّشيدَ وَالطَّالبَ الصَّادقَ عَلى مقْدَار حَوْصَلَته في أَوَّل القَدَم مَا هُوَ فيه، وَيَرَوْنَهُ بعَلاقَة حبِّيَّة وَارْتبَاط مَعْنَويٍّ بطَريق الالتفَات وَالانْعكَاس، وَبَعْضُ مَشَايخ السَّلاسل الأُخَرَ ـــ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ ـــ في اشْتبَاهٍ مَنْ كَلمَةَ: " انْدرَاج النِّهَايَة في البدَايَة " التي صَدَرَتْ عَنْ هَؤُلاءِ الأَكَابرِ وَلَهُ

تَرَدُّدٌ فِي حقِّيَّة هَذَا الكَلام، وَلا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُبْتَدأُ هَذَا الطَّرِيق مساويًا لِمُنْتَهَى طَرِيق آخرَ، وَالعَجَبُ أنه مِنْ أَيْنَ فُهِمَ مُسَاوَاةُ مُبْتَدأ هَذَا الطَّرِيقِ لِمُنْتَهَى طُرُق أُخرَى، وَلَمْ يَصْدُرْ عَنْ هَؤُلاء الأَكَابر غَيْرُ انْدراج النِّهَايَة فِي البِدَايَة وَلَيْسَتْ فِي هَذه العبَارَة دَلالة عَلى المسَاوَاة، وَمَقْصُودهمْ منْهَا أَنَّ الشَّيْخَ المُنْتَهي فِي هَذَا الطَّرِيق يُعْطِي بالتَّوَجُّه وَالتَّصرُّف ذوقًا منْ دَوْلة نهَايَته لمُبْتَد رَشيد بطَريقِ الانْعكَاس وَيَمْزُجُ فِي بَاديَته مُلحَ نهَايته، فَأَيْنَ المسَاوَاةُ وَمَا مَحل الاشْتبَاه؟! وَأَيْنَ المجَال للتَّردُّد في حَقيَّته وَهَذَا الانْدرَاج دَوْلة عَظيمَة جدّ□ا؟! وَمُبْتدأ هَذَا الطَّرِيق وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حُكْمُ المنتهَى وَلَكنَّهُ ليْسَ محرومًا عَنْ دَوْلة النِّهَايَة وَلوْ فَرَضْنَا أَنَّ هَذَا المبْتَدى لاَ يُعْطِي فُرْصَة قَطْعِ طَرِيق الوُصُول وَطَيِّ مَنَازله، وَلَكنَّهُ لاَ يَذْهَبُ محرومًا عَنْ دَوْلة النِّهَايَة، وَتَجْعَل تلكَ الذَّرَّةُ مَنْ ملح النِّهَايَة كُلِّيَتَهُ مَليحَةً وَمَمْلوحَةً، بخلاف مُبْتَدَأ طُرُق أُخرَ، فَإِنَّهُمْ بعيدُونَ عَنْ مُعَامَلة النِّهَايَة وَعَاجزُونَ عَنْ قَطْعِ المَنَازل وَطَيِّ المسَافَات، فَيَا وَيْلهمُ أَلفَ وَيْل لوْ لَمْ يَقْطَعُوا فُرْصَةَ قطْعِ المنَازل وَطَيِّ المسَافَات فَإِذَا اتَّضحَ الفَرْقُ بَيْنَ مُبْتَدَأيِّ هَذَا الطَّرِيق وَمُبْتَدَأيِّ طرُق أُخرَ وَلاحَتْ مَزِيَّة ذَلكَ المُبْتَدئ عَلى سَائر أَرْبَاب البدَايَة، يَنْبَغي أَنْ يُعلمَ أَنَّ هَذَا الفَرْقَ ثَابتٌ بَيْنَ مُنْتَهَى هَذَا الطَّرِيقِ وَمُنْتَهَى طُرُق أُخرَ وَهَذه المزِيَّة مُتَحقِّقَة بَيْنَهُمَا، بَل نهَايَةَ هَذَا الطَّرِيقِ العَليَّة وَرَاءَ نهَايَات سَائر طُرُق المَشَائخ يُصَدِّقُونَ هَذَا الكَلامَ منِّي أَمْ لا، فَإِنْ سَلكُوا طَرِيقَ الإِنْصَاف لعَلَهُمْ يُصَدِّقُونَ، فَإِنَّ النِّهَايَةَ التي بدَايَتُهَا مُمْتَزجَةٌ بِالنِّهَايَة يَكُونُ لَها امْتيَازٌ عَنْ نِهَايَاتِ الآخَرِينَ أَلْبَتَّةَ وَتَكُونُ نهَايَةُ تلكَ النِّهَايَات أَلْبَتَّةَ، (ع):

عَام الرُّخْص يُعلمُ منْ رَبيعه

وَجَمَاعَة منْ مُتَعصِّبي سَلاسل أُخرَى يَقُولُونَ لنَا: إِنَّ نهَايَتَنَا وَصُول إِلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ، وَأَنْتُمْ تَقُولونَ: إِنَّهَا بِدَايَتُكُمْ فَإِلى أَيْنَ تَذْهَبُونَ منَ الحَقِّ؟ وَمَا يَكُونُ نهَايَتُكُمْ وَرَاءَ الحَقِّ؟

قُلْنَا: نَذْهَبُ منَ الحَقِّ إِلى الحَقِّ جَل سُلطَانُهُ وَنَهْرُبُ منْ شَائبَة الظِّليَّة، وَنَقْصدُ أَصْل الأَصْل وَنُعْرِضُ عَنِ التَّجليَات، وَنَصلبُ التَّجلي وَنَخلفُ الظُّهُورَات خَلف ظُهُورِنَا، وَنَلتَمسُ الظَّاهر فِي أَبْطُنِ البُطُون، وَحَيْثُ كَانَتْ مَرَاتبُ الأبطنية مُتَفَاوتَةً، تَذْهَبُ منْ أَبْطَنيَّة إِلى أَبْطَنيَّة أُخرَى، وَنَضعُ القَدَمَ منْ أَبْطَنيَّة أُخرَى إِلى أَبْطَنيَّة ثَالثَة، وَمنْهَا إِلى مَا شَاءَ اللهُ تَعَالى وَحَضْرَةُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَإِنْ كَانَ بسيطًا حَقيقيًّا، وَلَكنَّهُ تَعَالى وَاسعٌ أَيْضًا لاَ بِالوَسْعَة التي لهَا طُول وَعَرْض، فَإِنَّهَا منْ أَمَارَاتِ الإِمْكَان وَعَلامَات

الحُدُوث، بَل وَسَعتُهُ تَعَالى كَذَاته سُبْحَانَهُ مُنزَّهَةٌ عَنِ الكَيْفِ وَالشَّبَه وَالمِثَال، وَالسَّيْرُ الوَاقِعِ في تلكَ الوَسعَة أَيْضًا لاَ مثْليّ وَلا كَيْفيّ، وَصَاحب السَّيْرِ مَعَ وُجُود كَوْنه كَمِّيًا وكَيْفيًا يَقْطَعُ تلكَ المَنازل اللامثْليَّة بقُوَّة لاَ كَيْفيَّة وَلا مثْليَّة، وَيرْغَبُ عَنْ مثْليّ في اللامثْليّ، مَاذَا يُدْرِكُ العَاجزُونَ المفْلسُونَ عَنْ حَقيقَة المُعَامَلَة؟! وَأيُّ خَبَر يَعْرِفُ المتَعَلقُونَ بعَالم المثْلي عَنْ عَالَمِ اللامثْليّ؟! يَزْعُمُونَ قُصُورهمْ اعْترَاضًا وَيَتَبَاهَوْنَ بجَهَالاتهمْ.

كَمْ منْ بَليد غفُول عَنْ مَعَايبه … اسْتَحْسَنَ العَيْبَ زَعْمًا أَنَّهُ حَسَنٌ

أَلَمْ يَفْهَمُوا أَنَّ نهَايَةَ الأَنْبيَاء عَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلام، بَل نهَايَةُ خَاتَمِ الرُّسُل عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ أَيْضًا وُصُول إلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَنهَايَةُ هَذه الطَّائفَة لَيْسَتْ مُتَّحدَةً بنهَايَة هَؤُلاء الأَكَابر، بَل لاَ مُنَاسَبَةَ بَيْنَهُمَا أَصْلا، فَيُمْكنُ أَنْ تَتَيَسَّرَ لجَمَاعَة نهَايَةٌ تَكُونُ وَرَاءَ نهَايَة الطَّائفَة وَدُونَ نهَايَة هَؤُلاء الكُبَرَاء عَلَيْهمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّحيَّاتُ، فَصَحَّ أَنَّ نهَايَةَ الكُل هُوَ الوُصُول إلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ، وَالتَّفَاوُتَ فيمَا بَيْنَ الطَّوَائف ثَابتٌ عَلى تَفَاوُت دَرَجَاتهمْ، أَوْ نَقُول: إنَّ الكُل يَزْعُمُ أَنَّ نهَايَتَهُ الوُصُول إلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ لكنَّ كَثيرًا منَ النَّاسِ يَظُنُّ الظّلال وَظُهُورَات الحَقِّ الحَقَّ تَعَالى وَتَقدَّسَ مَعَ وُجُود تَفَاوُت دَرَجَات تلكَ الظّلال والظُّهُورَات، فَلَمْ تَكُنْ نهَايَاتُ جَميعِ أَرْبَاب النِّهَايَات في نَفْسِ الأَمْرِ الوُصُول إلى الحَقِّ تَعَالى وَتَقدَّسَ، بَل مُنْتَهَى كُل وَاحد الحَقُّ سُبْحَانَهُ بحَسْب زَعْمه، فَحينَئذ إذَا كَانَ ابْتدَاءُ شَخْصٍ ظلال الحَقِّ وَظُهُورَاته سُبْحَانَهُ التي هيَ نهَايَةُ الآخَرِ بزَعْمِ الحَقَّانيَّة، تَكُونُ نهَايَةُ ذَلكَ الشَّخْصِ الوُصُول إلى الحَقِّ تَعَالى الذي هُوَ سُبْحَانَهُ وَرَاءَ تلكَ الظّلال والظُّهُورَات، فَلَمْ يَكُونُ مُسْتَبْعَدًا؟! وَكَيْفَ يَكُونُ مَحَل اشْتبَاه؟!.

لوْ عَابَهُمْ قاصرٌ طَعْنًا بهِمْ سفَهًا … نَزَّهْتَ سَاحَتَهُمْ عَنْ أَفْحَشِ الكَلم

هَل يَقْطَعُ الثَّعْلبُ المحْتَال سلسلةً … قُيِّدَتْ بهَا أُسْدُ الدُّنْيَا بأَسْرِهِمُ

{رَبَّنَا اغْفرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإسْرَافَنَا في أَمْرنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلى القَوْمِ الكَافِرينَ}(١)

(١) البقرة: ٢٨٦

المَكْتُوب السَّابِعُ وَالخَمْسُونَ بَعْدَ الثَّلاَثِمائَة
إِلى مُحَمَّد صَادِق وَلَد الحَاجِّ مُحَمَّد مُؤْمن
فِي جَوَابِ اسْتِفْسَاره عَنْ وَحْدَة الوُجُود[١] وَتَطْبيقهَا عَلَى العُلومِ الشَّرْعيَّة وَعَنْ سُؤَاله عَنْ حَديث إِذَا أَحَبَّ الله عَبْدا... الخ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلكَ

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى قَدْ سَأَلتَ أَنَّ الصُّوفيَّةَ قَائلون بوَحْدَة الوُجُود وَيَعْتَقدُ العُلمَاءُ هَذَا القَوْلَ كُفرًا وَزَنْدَقَةً وَكلتَا الطَّائفَتَيْنِ منَ الفرْقِ النَّاجيَة فَمَا حَقيقَةُ هَذه المُعَامَلة عنْدَك

أَيُّهَـــا المحَـــبُّ: إِنَّ هَذَا الفَقيرَ قَدْ كَتَبَ تَحْقيقَ هَذَا المَبْحَث في مَكْتُوبَاته وَرَسَائله بالتَّفْصيل، وَجَعَل نزَاعَ الفَرِيقَيْنِ رَاجعًا إِلى اللفْظ، وَمَعَ ذَلكَ لَمَّا سَأَلتَ لاَبُدَّ للسُّؤَال منَ الجَوَاب فَلنَكْتُبْ كَلمَات بالضَّرُورَة، اعْلَمْ أَنَّ كُل مَنْ يَقُول منَ الصُّوفيَّة العَليَّة بوَحْدَة الوُجُود وَيَرَى الأَشْيَاءَ عَيْنَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَيَحْكُمُ بأَنَّ الكُل هُوَ لَيْسَ مُرَادَهُ، إنَّ الأَشْيَاءَ مُتَّحدَةٌ بالحَقِّ جَل وَعَلا وَإِنَّ التَّنْزيهَ صَارَ تشبيهًا متنزلا وَكَانَ الوَاجبُ ممكنًا وَانْقَلبَ اللامثْليّ مثليًّا فَإِنَّ هَذه كُلهَا كُفرٌ وَإِلحَادٌ وَضَلالةٌ وَزَنْدَقَةٌ، لَيْسَ هُنَاكَ اتِّحَادٌ وَلا عَيْنيَّةٌ وَلا تَنَزُّل وَلا تَشَبُّهٌ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ الآنَ كَمَا كَانَ فَسُبْحَان مَنْ لاَ يَتَغَيَّرُ بذَاته وَلا بصفَاته وَلا بأَسْمَائه بحُدُوث الأَكْوَان، وَهُوَ سُبْحَانَهُ عَلى صرَافَة إطْلاقه مَا مَال منْ أَوْجِ الوُجُوب إِلَى حَضيضِ الإِمْكَان، بَل مَعْنَى الكُل هُوَ أَنَّ الأَشْيَاءَ مَعْدُومَةٌ وَالمَوْجُودُ هُوَ تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَلَيْسَ مُرَادُ الحُسَيْنِ بْنِ مَنْصُورٍ الحَلاجِ[٢] منْ قَوْله " أَنَا الحَقُّ " بأَني حَقٌّ وَمُتَّحدٌ بالحَقِّ، فَإِنَّهُ

(١) انظر: المعجم الفلسفيي: ص٤.

(٢) ـــ **الحسين بن منصور الحلاج، أبو مغيث**: فيلسوف، يعد تارة في كبار المتعبدين والزهاد، وتارة في زمرة الملحدين، أصله من بيضاء فارس، ونشأ بواسط العراق، وانتقل إلى البصرة، وحج ودخل بغداد وعاد إلى تستر، ظهر أمره سنة ٢٩٩ هـــ فاتبع بعض الناس طريقته في التوحيد والإيمان، وكان ينتقل بين البلدان وينشر طريقته سرا، وقيل كان يدعي حلول الألوهية فيه، أورد ابن النديم أسماء ٤٦ كتابا له غريبة الأسماء والأوضاع، منها: طاسين الأزل والجوهر الأكبر والشجرة النورية، الظل المدود والماء المسكوب والحياة الباقية، قرآن القرآن والفرقان، السياسة والخلفاء والامراء، علم البقاء والفناء، مدح النبي والمثل الأعلى وغير ذلك، وكثرت الوشايات به إلى الخليفة العباسي المقتدر بالله، فأمر بالقبض عليه، فسجن وعذب وضرب ثم قتل سنة ٣٠٩ هـــ. انظر: روضات الجنات: ٢٢٦، لسان الميزان ٢ /٣١٤، وفيات الأعيان ١ / ١٤٦، الأعلام للزركلي ٢ / ٢٦٠.

كُفرٌ وَمُوجبٌ لقَتْله، بَل مَعْنَى قَوْله بأني مَعْدُومٌ وَالمَوْجُودُ هُوَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ، غَايَةُ مَا في البَاب أَنَّ الصُّوفيَّةَ يَرَوْنَ الأَشْيَاءَ مَرَايَا ظُهُورَات الحَقِّ تَعَالى وَتَقَدَّسَ، وَيَظُنُّونَهَا مُجَالِيْ أَسْمَائه وَصِفَاته سُبْحَانَهُ منْ غَيْر شَائبَة التَّنَزُّل، وَبلا مَظَنَّة التَّغَيُّر وَالتَّبَدُّل ، كَمَا إذَا امْتَدَّ ظَل شَخْصٍ لاَ يُمْكنُ أَنْ يُقَال: إنَّ ذَلكَ الظِّل مُتَّحدٌ بذَلكَ الشَّخْصِ وَلَهُ نسْبَةُ العَيْنيَّة مَعَهُ، أَوْ إنَّ ذَلكَ منْهُ منْ غَيْر شَائبَة التَّنَزُّل وَالتَّغَيُّر وَإنْ اختَفَى وُجُودُ الظِّل في بَعْض الأَوْقَات عَنْ نَظَر جَمَاعَة بوَاسطَة كَمَال مَحَبَّته بوُجُود الشَّخْص، بحَيْثُ لاَ يَكُونُ مَشْهُودُهُمْ شَيْئًا غَيْر الشَّخْص، أَصْلًا، فَح لعَلَهُمْ يَقُولونَ: إنَّ الظِّل عَيْنُ الشَّخْص، يَعْني: الظِّل مَعْدُومٌ وَالمَوْجُودُ هُوَ ذَلكَ الشَّخْصُ فَقطْ ، فَلزِمَ منْ هَذَا التَّحْقيق أَنَّ الأَشْيَاءَ عنْدَ الصُّوفيَّة مَرَايَا ظُهُورَات الحَقِّ لاَ عَيْنُهُ تَعَالى وَتَقَدَّسَ، فَتَكُونُ الأَشْيَاءُ منَ الحَقِّ لاَ الحَقَّ جَل شَأْنُهُ، فَيَكُونُ مَعْنَى كَلامهمُ الكُل هُوَ الكُل منْهُ وَهُوَ مُخْتَارُ العُلَمَاء الكرَام، فَلا يَكُونُ النِّزَاعُ بَيْنَ العُلَمَاء الكرَام وَالصُّوفيَّة العظَام كَثَّرَهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ إلى يَوْم القيَامَة ثَابتًا في الحَقيقَة، وَيَكُونُ مَآل القَوْلَيْنِ واحدًا، وَإنَّمَا الفَرْقُ أَنَّ الصُّوفيَّةَ يَقُولونَ: إنَّ الأَشْيَاءَ مَرَايَا ظُهُورَات الحَقِّ تَعَالى، وَالعُلَمَاءُ يَتَحَاشَوْنَ منْ هَذَا اللفْظ أَيْضًا منْ جهَة التَّحَرُّز مَنْ تَوَهُّمِ الحُلول وَالاتِّحَاد.

فَــإنْ قيـــل: إنَّ الصُّوفيَّةَ مَعَ وُجُود قَوْلهمْ بظُهُورَات الأَشْيَاء يَرَوْنَهَا مَعْدُومَةً خَارجيَّةً، وَلا يَقُولونَ بمَوْجُود في الخَارجِ غَيْر الحَقِّ سُبْحَانَهُ، وَالعُلَمَاءُ يَقُولونَ بوُجُود الأَشْيَاء في الخَارج فَثَبَتَ نزَاعُ الفَريقَيْنِ في المَعْنَى

أُجيبَ: إنَّ الصُّوفيَّةَ وَإنْ كَانُوا يَرَوْنَ العَالَمَ مَعْدُومًا خَارجيًّا، لكنَّهُمْ يُثْبتُونَ لَهُ وُجُودًا وَهْميًّا في الخَارج، وَيَقُولونَ بإرَاءة خَارجيَّة وَلا يُنْكرُونَ الكَثْرَةَ الوَهْميَّةَ الخَارجيَّةَ وَمَعَ ذَلكَ يَقُولونَ: إنَّ هَذَا الوُجُودَ الوَهْميَّ الَّذي حَصَل إرَاءَةً في الخَارج لَيْسَ منَ المَوْجُودَات التي تَرْتَفعُ بارْتفَاع الوَهْم وَلَيْسَ لَهُ قَرَارٌ وَثَبَاتٌ، بَل لَمَّا كَانَ هَذَا الوُجُود الوَهْميّ وَتلك الإرَاءَة الخَيَاليَّةُ بصُنْع الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَانْتقَاش قُدْرَته الكَاملة ــــ كَانَ محفوظًا منَ الزَّوَال ومصونًا منَ الخَلل، وَمُعَامَلَةُ هَذه النَّشْأَة وَتلكَ النَّشْأَة مَرْبُوطَةٌ به، وَالسُّوفسْطَائيَّةُ الذينَ يَظُنُّونَ العَالَمَ أَوْهَامًا وَخَيَالاتٍ، وَيَزْعُمُونَ ارْتفَاعَهُ بارْتفَاع الوَهْم وَالخَيَال، يَقُولونَ: إنَّ وُجُودَ الأَشْيَاء تَابعٌ لاعْتقَادنَا لَيْسَ لَهُ تَحَقُّقٌ في نَفْسِ الأَمْر، فَإنَّ اعْتقَادَنَا السَّمَاءَ أرضًا فَأَرْضٌ ، وَالأَرْضُ باعْتقَادنَا سَمَاءٌ

وَإِذَا تَخَيَّلْنَا الحُلوَ مُرًّا فَمرٌّ وَالمرُّ باعتقادنا حُلوٌ، وَبالجُمْلة إِنَّ هَؤُلاءِ المجَانينَ يُنْكِرُونَ إِيجَادَ الصَّانعَ المختَارَ جَل سُلطَانُهُ وَلا يُسْنِدُونَ الأَشْيَاءَ إِليْهِ تَعَالى، ضَلوا فَأَضَلوا، فَالصُّوفيَّةُ يُثْبِتُونَ للأَشْيَاءِ فِي الخَارِجِ وُجُودًا وَهْميًّا لهُ ثَبَاتٌ وَاسْتِقْرَارٌ، يَرْتَفعُ بارْتفَاعِ الوَهْمِ، وَيَجْعَلونَ مُعَامَلةَ هَذه النَّشْأَة وَتلكَ النَّشْأَة التي هِيَ مُخلدَةٌ وَمُؤَيَّدَةٌ مَرْبُوطَةً بذَلكَ الوُجُود، وَالعُلمَاءُ يَعْتَقدُونَ الأَشْيَاءَ مَوْجُودَةً فِي الخَارِجِ وَيَعْتَقدُونَ تَرْتِيبَ الأَحْكَامِ الخَارجيَّة الأَبديَّة عَلى الأَشْيَاء، وَمَعَ ذَلكَ يَتَصَوَّرُونَ وُجُودَ الأَشْيَاء فِي جَنْبِ وُجُودِ الحَقِّ جَل وَعَلا ضعيفًا وَنَحيفًا، وَيَعْتَقدُونَ وُجُودَ المُمْكن بالنِّسْبَة إِلى وُجُودِ الوَاجب تَعَالى وَتَقَدَّسَ هَالكًا، فَثَبَتَ للأَشْيَاءِ وُجُودٌ فِي الخَارِجِ عنْدَ الفَريقَيْن، وَكَانَتْ أَحْكَامُ هَذه النَّشْأَة وَتلكَ النَّشْأَة مَرْبُوطَةً به، وَإِنَّهُ غَيْرُ مُرْتَفع بارْتفَاعِ الوَهْمِ وَالخَيَال، فَارْتَفَعَ النِّزَاعُ وَزَال الخلافُ، غَايَةُ مَا فِي البَاب أَنَّ الصُّوفيَّةَ يَقُولونَ لذَلكَ الوُجُود وَهْميًّا بوَاسطَة أَنَّ وُجُودَ الأَشْيَاء يَصيرُ مُخْتَفيًا عَنْ نَظَرِهِمْ وَقْتَ العُرُوجِ، وَلا يَبْقَى فِي نَظَرِهِمْ غَيْرُ وُجُود الحَقِّ جَل شَأْنُهُ، وَالعُلمَاءُ يَتَحَاشَوْنَ عَنْ إِطْلاق لفْظ الوَهْمِ عَلى ذَلكَ الوُجُود وَلا يَقُولونَ وُجُودَ الحَقِّ جَل شَأْنُهُ وَالعُلمَاءُ يَتَحَاشَوْنَ عَنْ إِطْلاق لفْظ الوَهْمِ عَلى ذَلكَ الوُجُود وَلا يَقُولونَ وُجُودًا وَهْميًّا؛ لئَلا يَحْكُمُ قَاصرُ النَّظَرِ بارْتفَاعه فَيُنْكرُ الثَّوَابَ وَالعَذَابَ الأَبَديَّيْن

فَإِنْ قيل: إِنَّ مَقْصُودَ الصُّوفيَّة منْ إِثْبَات الوُجُود الوَهْميِّ للأَشْيَاء هُوَ أَنَّ هَذَا الوُجُودَ مَعَ وُجُود الثَّبَات وَالاسْتقْرَار ليْسَ هُوَ فِي نَفْسِ الأَمْرِ وَفِي غَيْرِ الوَهْمِ وَلا نَصيبَ لهُ عَنِ الإِرَاءَة، وَالعُلمَاءُ يَقُولونَ بوُجُودِ الأَشْيَاءِ فِي الخَارِجِ وَنَفْسِ الأَمْرِ، فَالنِّزَاعُ بَاق.

أُجيبَ إِنَّ الوُجُودَ الوَهْميَّ وَالإِرَاءَة الخَيَاليَّة لمَّا لمْ يَرْتَفعْ بارْتفَاعِ الوَهْمِ وَالخَيَال كَانَ فِي نَفْسِ الأَمْرِ، فَإِنَّا لوْ فَرَضْنَا زَوَال وَهْمِ جَميعِ الوَاهمينَ يَكُونُ هَذَا الوُجُودُ ثَابتًا لا يَزُول بزَوَال الأَوْهَام، وَلا مَعْنَى للوَاقعِ وَنَفْسِ الأَمْرِ إِلا هَذَا، وَلكنْ فَرْقٌ بَيْنَ نَفْسِ الأَمْرِ الذي يَثْبُتُ فِي وُجُود المُمْكن وَبَيْنَ نَفْسِ الأَمْرِ الذي هُوَ ثَابتٌ فِي وُجُود الوَاجب تَعَالى، فَإِنَّ الأَوَّل لهُ حُكْمُ الشَّيْءِ فِي جَنْب الثَّاني حَتَّى يَكَادَ يُعَدُّ منَ المَوْهُومَات وَالمُتخَيِّلات، مثْل أَجْزَاء الكُليِّ المشَكّك حَيْثُ إِنَّ بَيْنَهَا تَفَاوُتًا فَاحشًا كَمَا أَنَّ وُجُودَ المُمْكن لهُ حُكْمُ اللاشَّيْءَ بالنِّسْبَة إِلى وُجُودِ الوَاجب بحَيْثُ يَكَادُ يُعَدُّ منَ العدَمَات فَلا نزَاعَ فِي الحَقيقَة.

فَإِنْ قيل إِذَا كَانَ وُجُودُ جَمِيعِ الأَشْيَاءِ فِي نَفْسِ الأَمْرِ لزِمَ أَنْ تَكُونَ المَوْجُودَاتُ مُتَعَدِّدَةً فِي نَفْسِ الأَمْرِ لاَ مَوْجُودًا وَاحِدًا وَهَذَا مُنَافٍ لوَحْدَةِ الوُجُودِ التِي هِيَ مُقَرَّرَةٌ وَمُسَلمَةٌ عِنْدَ الصُّوفِيَّة

أُجِيبَ: كلاهُمَا مُطَابِقَان لنَفْسِ الأَمْرِ تَعَدُّد المَوْجُودَات وَوَحْدَةُ الوُجُود فِي نَفْسِ الأَمْرِ، وَلكنْ لَمَّا كَانَ الجِهَةُ وَالاعْتِبَارُ مُخْتَلفَان ارْتَفَعَ تَوَهُّم اجْتمَاع النَّقِيضَيْنِ، وَليَتَّضِحَ هَذَا المَبْحَث بِمثَال وَهُوَ أَنَّ صُورَةَ زَيْد مَثَلا مَرْئِيَّةٌ فِي المِرْآة وَلا صُورَةَ فِي المِرْآة فِي نَفْسِ الأَمْرِ أَصْلا فَإِنَّ تلكَ الصُّورَةَ المَرْئِيَّةَ لَيْسَتْ تَحْتَ المِرْآة وَلا فِي وَجْهِهَا، بَل وُجُودُ تلكَ الصُّورَةِ فِي المِرْآة باعْتِبَارِ التَّوَهُّم لَيْسَ لَهَا حُصُول فِي المِرْآة غَيْرُ الإِرَاءَةِ الخَيَاليَّة وَهَذَا الوُجُودُ الوَهْمِيُّ وَالإِرَاءَة الخَيَاليَّة اللذَان عَرَضَا للصُّورَة فِي المِرْآة أَيْضًا كَائنَان فِي نَفْسِ الأَمْرِ، وَلِهَذَا لوْ قَال شَخْصٌ: رَأَيْتُ صُورَةَ زَيْد فِي المِرْآة يُصَدَّقُ فِي كَلامَه هَذَا عَقْلا وعرفًا، وَيُعَدُّ مُحقًّا، وَحَيْثُ كَانَ مَبْنَى الإِيمَان عَلى العُرْف لوْ حَلفَ شَخصٌ بِأَنْ يَقُول وَالله رَأَيت صُورَةَ زَيْد فِي المِرْآة يَنْبَغِي أَنْ لاَ يَحْنَثَ به فَفِي هَذَا الصُّورَة عَدَمُ حُصُول صُورَة زَيْد فِي المِرْآة، وَحُصُولهَا فيهَا باعْتِبَارِ التَّوَهُّمِ وَالتَخَيُّل كلاهُمَا فِي نَفْس الأَمْرِ وَالوَاقِعِ، وَلَكنَّ الأَوَّل بِحَسْب نَفْسِ الأَمْرِ مُطْلقًا وَالثَّانِي بِتَوَسُّط الوَهْمِ وَالتَّخَيُّل، وَالعَجَبُ أَنَّ اعْتِبَارَ التَّوَهُّمِ وَالتَّخَيُّل الذي هُوَ مُنَافٍ لنَفْسِ الأَمْرِ صَارَ هُنَا مَحَلا لنَفْسِ الأَمْرِ إِذْ لوْلاَهُ لَمَا حَصَل ثَمَّةَ نَفْسِ الأَمْرِ.

وَالمِثَال الثَّانِي النُّقْطَة الجَوَّالة التِي تَعْرِضُ لَهَا صُورَةَ الدَّائرَة فِي الخَارِج بِحَسْبَ التَّوَهُّم وَالتَّخَيُّل، فَهَاهُنَا عَدَم حُصُول الدَّائرَة فِي الخَارِج وَحُصُولهَا أَيْضًا فيه باعْتِبَارِ التَّوَهُّمِ وَالتَّخَيُّل كلاهُمَا فِي نَفْس الأَمْرِ، وَلكنْ عَدَمَ حُصُول الدَّائرَة فِي نَفْس الأَمْرِ مُطْلقًا وَحُصُولهَا فيه بِحَسْبَ التَّوَهُّم وَالتَّخَيُّل؛ فَالأَوَّل مُطْلق وَالثَّانِي مُقَيَّد، فَفِيمَا نَحنُ فيه تَكُونُ وَحْدَة الوُجُود بِحَسَب نَفْس الأَمْرِ مُطْلقًا وَتَعَدُّد الوُجُود فِي نَفْس الأَمْرِ باعْتِبَارِ التَّوَهُّم وَالتَّخَيُّل، فَبِمُلاحَظَة الإِطْلاقُ وَالتَّقْيِيدُ لاَ يَكُونُ بَيْنَ كَوْن المُتَنَاقضَيْن بِحَسَبَ نَفْس الأَمْرِ تَنَاقُضٌ وَلا يَثْبُتُ اجْتمَاعُ النَّقِيضَيْن.

فَإِنْ قِيل: إِذَا فُرِضَ زَوَال وَهْمِ جَمِيعِ الوَاهمِينَ كَيْفَ يَكُونُ الوُجُودُ الوَهْمِيُّ وَالإِرَاءَةَ الخَيَاليَّةُ ثَابتًا؟ أُجِيبَ: إِنَّ هَذَا الوُجُودَ الوَهْمِيّ لَمْ يَحْصُل بِمُجَرَّد اخْتِرَاعِ الوَهْمِ حَتَّى يَزُول بزَوَال الوَهْمِ، بَل هُوَ حَاصِل بِصُنْع الحَقّ جَل وَعَلا فِي

مَرْتَبَة الوَهْم وَحَصَل لهُ الإتْقَانُ؛ فَلا يَتطَرَّقُ عَليْه الخَلل بزَوَال الوَهْم بالضَّرُورَة، وَإنَّمَا يُقَال لهُ وُجُودا وَهْميًّا باعْتبَار أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ خَلقَهُ في مَرْتَبَة الحسِّ وَالوَهْم، وَحَيْثُ كَانَ خَلقُهُ تَعَالى فَهُوَ مَحْفُوظٌ عَنِ الزَّوَال وَالخَلل في أيِّ مَرْتَبَة كَانَ، وَحَيْثُ إنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ خَلقَهُ كَانَ في نَفْس الأَمْر بالضَّرُورَة في أيٍّ مَرْتَبَة خَلقَهُ وَإنْ لَمْ تَكُنْ تلكَ المَرْتَبَة نَفْسَ الأمْر، بَل مُجرَّد اعْتبَار وَلكنَّ المخْلوقَ في تلكَ المَرْتَبة مَنْسُوب إلى نَفْسِ الأمْر. وَمَا قُلتُ:إنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ خَلقَهُ في مَرْتَبَة الحسِّ وَالوَهْم يَعْني: أَنَّهُ تَعَالى خَلقَ الأَشْيَاءَ غَيْرَ وَاقعيَّة وَيَرَوْنَ شَيْئًا وَاحدًا عَشَرَةَ أَشْيَاء، وَلَيْسَ لهَذه الأَشْيَاء العَشْرَة حُصُول إلا في الحسِّ وَالوَهْم ، وَلَيْسَ المَوْجُود في نَفْس الأَمْر غَيْرَ ذَلكَ الشَّيْء الوَاحد ، فَإذَا عَرَضَ لهَذه الأَشْيَاء العَشَرَة بقُدْرَة الحَقّ ــ جَل سُلطَانُهُ ــ ثَبَات وَاسْتقْرَار وَصَارَتْ مَحْفُوظَة عَنِ الخَلل وَسُرْعَة الزَّوَال تَصيرُ في نَفْس الأَمْر فَهَذه الأَشْيَاء العَشْرَة مَوْجُودَة في نَفْس الأَمْر وَمَعْدُومَةٌ فيه أيْضًا لكنْ باعْتبَارَيْن؛ فَإنَّهُ إذَا قُطعَ النَّظَر عَنْ مَرْتَبَة الحسِّ وَالوَهْم فَمَعْدُومَةٌ وَبلا مُلاحَظَة الحسِّ وَالوَهْم مَوْجُودَةٌ، وَمنَ القصَص المشْهُورَة أَنَّ أَرْبَاب الشَّعْبَذَة في بَلد منْ بلاد الهنْد أَسَّسُوا بُنْيَان الشَّعْبَذَة عنْدَ وَاحد منَ السَّلاطين ، فَفي ذَلكَ الأَثْنَاء أَظْهَرُوا في نَظَر النَّاس بالطِّلسَم وَالشَّعْبَذَة بُسْتَانَ أَشْجَار أنبَة وَأروا في ذَلكَ المجْلس أَنَّ تلكَ الأَشْجَارَ كَبرَتْ وَأَثْمَرَتْ وَأَكَل أَهْل المجْلس منْ ثمَارهَا فَأَمَرَ السُّلطَانُ في ذَلكَ الوَقْت بقَتْل أَرْبَاب الشَّعْبَذَة؛ لأَنَّهُ كَانَ قَدْ سَمعَ أَنَّهُ إذَا قَتَل صَاحبَ الشَّعْبَذَة بَعْدَ ظُهُور الشَّعْبَذَة تَبْقَى تلكَ الشَّعْبَذَةُ عَلى حَالهَا بقُدْرَة الحَقّ ــ جَل سُلطَانُهُ ــ فَلمَّا قَتَلوهُمْ بَقيَتْ تلكَ الأَشْجَارُ بقُدْرَة الله جَل سُلطَانُهُ وَسَمعْتُ أَنَّهَا بَاقيَة إلى الآن وَالنَّاس يَأْكُلونَ منْ ثمَارهَا وَمَا ذَلكَ عَلى الله بعَزيز. فَفي الصُّورَة المُتَنَازَع فيهَا أَظْهَرَ الحَقُّ ــ سُبْحَانَهُ الذي لا مَوْجُودَ غَيْره في الخَارج وَنَفْس الأَمْر ــ كَمَالات أَسْمَائه وَصفَاته بقُدْرَته الكَاملة في حَجْب صُوَر المُمْكنات في مَرْتَبَة الحسِّ وَالوَهْم، وَأَجْلى تلكَ الكَمَالات في مَجَالي الأَشْيَاء بوُجُود وَهْميّ وَثُبُوت خيَالي، يَعْني: أَوْجَدَ الأَشْيَاءَ عَلى طبْق تلكَ الكَمَالات في مَرْتَبَة الحسِّ وَالوَهْم، فَوُجُود الأَشْيَاء باعْتبَار الإرَاءَة الخَياليَّة وَلكنْ لمَّا مَنَح الحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى تلكَ الإرَاءَة الاسْتقْرَارَ وَالثَّبَاتَ وَرَاعَى الإتْقَانَ في صُنْع الأَشْيَاء وَجَعَل المُعَامَلة الأَبَديَّة مَرْبُوطَةً بهَا، صَارَ وُجُودُهَا الوَهْميُّ وَثُبُوتُهَا الخَياليُّ أَيْضًا في نَفْس الأَمْر وَكَانَتْ مَحْفُوظَة عَنِ الخَلل.

فَيُمْكنُ أَنْ يُقَال: إنَّ الأَشْيَاءَ لهَا في الخَارج وَنَفْس الأَمْر وُجُودٌ وَلَيْسَ لهَا

وُجُود كَمَا مَرَّ مُكَرَّرًا.

قَال حَضْرَةُ وَالد هَذَا الفَقير ــ قُدِّسَ سرُّهُ ــ وَكَانَ منَ العُلَمَاء المحقِّقينَ: " سَأَلني القَاضي جَلال الدِّين الأكريّ الذي كَانَ منَ العُلَمَاء المتبحِّرين: هَل الوَاقعُ الوَحْدَةُ أَو الكَثْرَة؟ فَإنْ كَانَ وَحْدَةً تَصيرُ الشَّريعَةُ التي مَبْنَاهَا عَلى الأَحْكَام المتَبَاينَة وَالمُتَمَايزَة بَاطلةً، وَإنْ كَانَ كَثْرَة يَبْطُل قَوْل الصُّوفيَّة الذينَ يَقُولونَ بوَحْدَة الوُجُود:

قَال حَضْرَة شَيْخنَا في جَوَابه: " كلتَاهُمَا مُطَابقَتَان لنَفْس الأَمْر وَوَاقعَتَان فيه "، وَبَيْنَ ذَلكَ لمْ يُبْق في خَاطر الفَقير مَا قَال في بَيَانه وَمَا أُفيضَ عَلى خَاطر الفَقير في هَذَا الوَقْت أَوْرَدَهُ في قَيْدَ الكتَابَة، وَالأمْر إلى الله سُبْحَانَهُ؛ فَالصُّوفيَّة الذينَ يَقُولونَ بوَحْدَة الوُجُود مُحقُّونَ، وَالعُلَمَاء الذينَ يَحْكُمُونَ بالكَثْرَة أَيْضًا مُحقُّونَ، وَالمُنَاسب لأَحْوَال الصُّوفيَّة الوَحْدَة، وَالمُنَاسب لأَحْوَال العُلَمَاء الكَثْرَة؛ فَإنَّ مَبْنَى الشَّرَائع عَلى كَثْرَة، وَتَغَايُرُ الأَحْكَام مَرْبُوطٌ بالكَثْرَة، وَدَعْوَةَ الأَنْبيَاء ــ عَلَيْهمُ الصَّلاةُ السَّلام ــ وَالتَّنْعيمُ وَالتَّعْذيبُ الأُخْرَويَّيْن كُلهُ مُتَعَلقٌ بالكَثْرَة، وَحَيْثُ إنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ يُريدُ الكَثْرَةَ وَيُحبُّ الظُّهُور؛ كَمَا قَال تَعَالى: " فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَفَ " فَبَقَاءُ هَذه المَرْتَبَة أَيْضًا ضَرُوريّ؛ فَإنَّ تَرْتيبَ هَذه المَرْتَبَة مَرْضَى رَبِّ العَالمينَ وَمَحْبُوبُهُ تَعَالى؛ فَإنَّهُ لاَ بُدَّ لسُلْطَان ذي شَأْن منَ الخَدَم وَالحَشَم، وَالذُّل وَالافْتقَارُ وَالانْكسَارُ لازمٌ لعَظَمَته وَكبْرِيَائه، وَمُعَامَلة وَحْدَة الوُجُود وَإنْ كَانَتْ كَالحَقيقَة وَمُعَامَلة الكَثْرَة بالنِّسْبَة إليْه كَالمَجَاز؛ وَلهَذَا يُقَال لذَلكَ العَالم: " عَالم الحَقيقَة " وَلهَذَا العَالم: " عَالم المَجَاز "، وَلكنْ لمَّا كَانَت الظُّهُورَاتُ مَحْبُوبَ رَبِّ العَالمينَ وَأَعْطَى الأَشْيَاء البَقَاءَ الأَبَديّ وَأَوْرَدَ القُدْرَة في لبَاس الحكْمَة وَجَعَل الأَسْبَابَ نقَابَ أَفْعَاله، كَانَتْ تلكَ الحَقيقَةُ كَالمُجَاوِرَة، وَصَارَ هَذَا المَجَازُ مُتَعَارَفًا وَالنُّقْطَةُ الجوَّالةُ وَإنْ كَانَتْ كَالحَقيقَة وَالدَّائرَةُ النَّاشئَةُ منْ تلكَ النُّقْطَة كَالمَجَاز، وَلكنَّ الحَقيقَةَ مَهْجُورَةٌ هُنَاكَ، وَمَا هُوَ المُتَعَارَفُ مَجَازًا، وَسَأَلتَ عَنْ مَعْنَى هَذَا القَوْل: " إذَا أَحَبَّ الله عبدا لمْ يَضُرَّهُ ذَنْبٌ ":

اعْلَــــــــمْ: أَنَّهُ إذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا لاَ يَصْدُرُ عَنْهُ ذَنْبٌ؛ فَإنَّ أَوْليَاءَ الحَقِّ جَل وَعَلا مَحْفُوظُونَ عَن ارْتكَاب الذَّنْب، وَإنْ جَازَ صُدُورُ الذَّنْب عَنْهُمْ بخلاف الأَنْبيَاء عَلَيْهمُ الصَّلاةُ وَالتَّسْليمَاتُ؛ فَإنَّهُمْ مَعْصُومُونَ عَن الذُّنُوب، وَجَوَازُ صُدُور الذَّنْب عَنْهُمْ أَيْضًا مَسْلوبٌ، فَإذَا لمْ يَصْدُر الذَّنْبُ عَن الأَوْليَاء لاَ يَكُونُ فيهمْ ضَرَرُ

الذَّنْب، فَفِي صُورَةِ عَدَمِ صَدُور الذَّنْب يَصْدُقُ " لاَ يَضُرُّهُ ذَنبٌ " كَمَا لاَ يَخْفَى عَلى أَرْبَاب العلمِ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَاد مِنَ الذَّنْب الذَّنْبَ السَّابِقَ الذي صَدَرَ عَنْهُ قَبْل الوُصُول إِلى دَرَجَةِ الوِلايَة؛ فَإِنَّ الإِسْلامَ يَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَحَقِيقَةُ الأَمْرِ عِنْدَ الله سُبْحَانَهُ.

{رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسينَا أَوْ أَخْطَأْنَا}(١)، وَالسَّلام عَلَيْكُمْ وَعَلى سَائِرِ مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالتَّحِيَّاتُ العُلا.

(١) البقرة: ٢٨٦

المَكْتُوبُ الثَّامنُ وَالخَمْسُون بَعْدَ الثَّلاثمائَة
إلى مَنْبَعِ الحَقَائقِ وَمَعْدن المَعَارِف الخَوَاجَهْ حُسَام الدِّين أَحْمَد
في بَيَان أَنَّ العَالَم بتَمَامه مَجَالي الأَسْمَاء وَالصِّفَات الوَاجبيَّة بخلافِ الذَّات؛ فَإنَّهُ لاَ نَصيبَ للمُمْكنِ منهَا وَلَيْسَ لهُ قيَامٌ بنفسه بَلْ هُوَ عَرَضٌ كُلهُ لم يَشَمَّ رَائحَةً منَ الجَوْهَريَّة وَمَا يُنَاسبُ ذَلكَ

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى : أَيُّهَا المَخْدُومُ المُكَرَّمُ: (ع):

وَأَحْسَنَ مَا يُمْلى حَديثُ الأَحبَّة

يُحَرَّرُ منَ المَعَارف الغَريبَة يَنْبَغي اسْتمَاعُهَا، وَيُبَيِّنُ طَريقُ مُرَاقبَة أَخصِّ الخَوَاصِّ فليَتَوَجَّهْ إليْه بتَوَجُّه بَليغ.

يَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ العَالم بتَمَامه مَجَالي الأَسْمَاء وَمَظَاهر الصِّفَات الوَاجبيَّة تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ: فَإنْ كَانَ في المُمْكن حَيَاةٌ، فهيَ مرْآةٌ لحَيَاة الوَاجب تَعَالى وَتَقدَّس. وَإنْ كَانَ فيه علمٌ فمرْآةُ علمه تَعَالى، وَإنْ كَانَ قُدْرَةٌ فَمرْآةُ قُدْرَته تَعَالى، وَعَلى هَذا القيَاس، وَلَيْسَ لذَاته تَعَالى مَظْهَرٌ في العَالم وَلا مرْآةٌ، بَل لاَ مُنَاسَبَةَ لذَاته تَعَالى بالعَالم أَصْلاً، وَلا اشْتِرَاكَ لَهَا به في شَيْءٍ قَطْعًا، وَإنْ كَانَتْ تلكَ المُنَاسَبَةُ فِي الاسْم وَتلكَ المُشَاركَةُ في الصُّورَة: {إنَّ اللَّهَ لغَنيٌّ عَنِ العَالمينَ}[1] بخلاف الأَسْمَاء وَالصِّفَات؛ فَإنَّ لَهَا مَعَ العَالم مُنَاسَبَةٌ اسْميَّةٌ وَمُشَاركَةٌ صُوريَّةٌ كَمَا أَنَّ في الوَاجب تَعَالى علمًا في المُمْكن أَيْضًا صُورَةُ ذَلكَ العلم، وَكَمَا أَنَّ هُنَاكَ قُدْرَةٌ هُنَا أَيْضًا صُورَةُ تلكَ القُدْرَة، بخلاف الذَّات؛ فَإنَّ المُمْكنَ لاَ نَصيبَ لهُ منْ تلكَ الدَّوْلة وَلمْ يُمْنَح القيَامَ بنَفْسه، بَل المُمْكنُ حَيْثُ كَانَ مَخْلوقٌ عَلى صُوَر أَسْمَائه وَصفَاته تَعَالى ، فَهُوَ عَرَضٌ بتَمَامه لمْ يَشَمَّ رَائحَةً منَ الجَوْهَريَّة وَقيَامُهُ بذَات الوَاجب تَعَالى وَتَقدَّس.

وَتَقْسيمُ أَرْبَاب المَعْقُول العَالمَ إلى الجَوْهَر وَالعَرَض[2]: فَهُوَ مَنْ كَوْن نَظَرهمْ مَقْصُورًا عَلى الظَّاهر، وَمَا ثَبَتَ منْ قيَام بَعْض المُمْكن ببَعْض آخَرَ فَهُوَ منْ قَبيل قيَام العَرَض بالعَرَض، لاَ منْ قَبيل قيَام العَرَض بالجَوْهَر، بَل قيَامُ ذَيْنكَ العَرَضَيْن

---

(١) العنكبوت: ٧٠

(٢) **العرض**:هو الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى موضع أي محل، يقوم به، كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يحله ويقوم به. انظر: الجرجاني: التعريفات: ١٩٢.

في الحَقيقَة بذَات الوَاجب تَعَالى وَتَقَدَّسَ، لَمْ يَثْبُتْ بَيْنَهُمَا جَوْهَرِيَّةٌ، وَقَيُّومُ جَميع المُمْكنات هُوَ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ، فليس الممكن في الحَقيقَة ذَاتًا تَكُونُ صفَاتُهُ قَائمَةً بتلكَ الذَّاتَ الوَاجبَة، بهَا قَامَتْ صفَاتُهُ تَعَالى، وَكَذَلكَ جَميعُ المُمْكنات، وَالإشَارَةُ الوَاقعَةُ منْ كُل أَحَدَ إلَى ذَاته بلفْظَ: " أَنَا " فَتلكَ الإشَارَةُ رَاجعَةٌ في الحَقيقَة إلى تلكَ الذَّات الأَحَدً الَتي قيَامُ الكُل بهَا يَعْرفُهُ المُشيرُ أَوَّلا، وَإنْ لَمْ تَكُنْ ذَاتُهُ تَعَالَى مُشَارًا إلَيْهَا بإشَارَة وَمُتَّحدَةً بشَيْء أَصْلا.

وَلاَ يَخْلطُ القَاصرُونَ هَذه المَعَارفَ الغَامضَةَ بمَعَارف التَّوْحيد الوُجُوديِّ، لاَ يَظُنُّونَ اليَدَ وَالجَيْبَ مُتَّحدًا بَعْضُهُ ببَعْض، فَإنَّ أَرْبَابَ التَّوْحيد الوُجُوديِّ لاَ يَقُولونَ بمَوْجُود غَيْرَ الذَّات الأَحَد، تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ وَيَزْعُمُونَ أَسْمَاءَهُ وَصفَاته تَعَالى أَيْضًا اعْتبَارَات علميَّةً، وَيَقُولونَ في حَقَائق المُمْكنات: " مَا وَصَلت إلَيْهَا رَائحَةٌ منَ الوُجُود، وَالأَعْيَان مَا شَمَّتْ رَائحَةَ الوُجُود منْ كَلامهمْ ".

وَهَذَا الفَقيرُ يَعْتَقدُ أَنَّ صفَاته تَعَالَى أَيْضًا مَوْجُودَةٌ بوُجُود زَائد عَلى الذَّات، كَمَا قَال عُلمَاءُ أَهْل الحَقِّ، وَيُثْبتُ للمُمْكنَات التي هيَ مَجَالي الأَسْمَاء وَالصِّفَات أَيْضًا وُجُودًا.

غَايَةُ مَا في البَاب: أَنَّهُ لاَ يَعْلمُ المُمْكنات غَيْرُ الأَعْرَاض التي لاَ قيَامَ لهَا بنَفْسهَا، وَلا يُثْبتُ الجَوْهَريَّةَ التي لهَا قيَامٌ بذَاته في المُمْكنات، بَل يَتيَقَّنُ قيَامَ الكُل بذَاته تَعَالى

فَــإنْ قيـــل: يُعْلمُ منْ هَذَا التَّحْقيق أَنَّ ذَاتَ المُمْكن عَيْنُ ذَات الوَاجب تَعَالى وَأَنَّ المُمْكنَ مُتَّحدٌ بالوَاجب جَل شَأْنُهُ، وَهَذَا مُحَالٌ؛ لاسْتلزَامه قَلبَ الحَقَائق:

أُجيـــبَ: إنَّ ذَاتَ المُمْكن ــ يَعْني مَاهيَّتَهُ وَحَقيقَته ــ هيَ عَيْنُ تلكَ الأَعْرَاض المُتَعَدِّدَة المخْصُوص التي هيَ مَجَالي أَسْمَاء الوَاجب وَصفَاته تَعَالى، وَلا عَيْنيَّةَ لتلكَ الأَعْرَاض مَعَ ذَات الوَاجب تَعَالى وَتَقَدَّسَ أَصْلا، وَلا اتِّحَادَ بَيْنَهُمَا بوَجْه مَا قَطْعًا؛ حَتَّى يَلزَمَ قَلبَ الحَقَائق، وَلَيْسَ هُنَاكَ غَيْرُ قيَام تلكَ الأَعْرَاض بالذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ وَقَيُّوميَّته تَعَالى بجَميع الأَشْيَاء.

فَــإنْ قيـــل: لمَا رَجَعَتْ إشَارَةُ كُل أَحَد إلى ذَاته بلفْظ " أَنَا " إلى ذَات الوَاجب تَعَالى لزمَ أَنْ تَكُونَ ذَاتُ المُمْكن ــ يَعْني مَاهيَّتَهُ وَحَقيقَته ــ عَيْنَ ذَات الوَاجب تَعَالى؛ فَإنَّ إشَارَةَ كُل أَحد بلفْظ " أَنَا " إلى مَاهيَّته وَحَقيقَته وَهَذَا مُسْتلزمٌ لقَلب الحَقيقَة وَعَيْن كَلام أَرْبَاب التَّوْحيد الوُجُوديِّ:

أُجيـــبَ: نَعَمْ، وَإنْ كَانَ إشَارَةُ كُل أَحد بلفْظ " أَنَا " إلى حَقيقَته وَلكنْ لمَّا كَانَتْ حَقيقَتُهُ أَعْرَاضًا مُجْتَمعَةً، ليْسَتْ فيهَا قَابليَّةُ هَذه الإشَارَة فَإنَّ

الأَعْرَاضَ لَيْسَتْ بِقَابِلَة لِلإِشَارَةِ الحِسِّيَّةِ بِالاسْتِقْلال وَبِالأَصَالة، وَلَمَّا لَمْ تَقْبَلْ حَقِيقَتُهُ هَذه الإِشَارَةَ صَارَتِ الإِشَارَةُ رَاجعَةً إلى مُقَوِّمِ تلكَ الحَقيقة، فَمَاهِيَّةُ المُمْكِنِ هِيَ عَيْنُ تلكَ الأَعْرَاضِ المُجْتَمعَة، وَإِنْ كَانَت الإِشَارَةُ بِوَاسِطَة عَدَمِ قَابِليَّةِ حَقيقته رَاجعَةً إلى مُقَوِّمِهَا الذي هُوَ ذَاتُ الوَاجب تَعَالى وَتَقَدَّسَ، فَلَمْ يَكُنْ قَلْبُ الحَقِيقَةِ وَمَا صَارَ المُمْكِنُ واجبًا تعَالى وَتَقَدَّسَ وَكَانَ الكَلامُ مُغايرًا لِكَلامِ أَرْبَابِ التَّوْحِيدِ الوُجُودِيِّ.

وَالعَجِيبُ: أَنَّ " أَنَا " الصَّادرُ منَ المُمْكن يَرْجعُ إلى الوَاجب وَيَبْقَى المُمْكِنُ مُمكنًا عَلى حَاله وَلا يَتَكلمُ بِقَوْلِ سُبْحَانِيٌّ وَأَنَا الحَقُّ، بَل لاَ يَقْدرُ أَنْ يَقُول لِكَوْنه صَاحبَ تَمَيُّز.

فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ قِيَامَ المُمْكِنِ بِذَاتِ الوَاجِبِ تَعَالى مُسْتَلزِمٌ لِقيَامِ الحَوَادث بذَاته تَعَالى وَهُوَ مُمْتَنعٌ:

أُجِيبَ: إنَّ امْتنَاعَ قِيَام الحَوَادث بِمَعْنَى حُلول الحَوَادث في ذَاته تَعَالى وَهُوَ مُحَال، وَلكنَّ القِيَامَ لَيْسَ هُنَا بِمَعْنَى الحُلول، بَل بِمَعْنَى الثُّبُوتِ وَالتَّقَرُّر، يَعْني أَنَّ ثُبوتَ المُمْكنِ وَتَقَرُّرَهُ بذَات الوَاجب تَعَالى.

فَإِنْ قِيلَ: إذَا كَانَ ثُبُوتُ المُمْكن بذَات الوَاجب وَقَدْ تَقَرَّرَ أَنَّهُ عَرَضٌ بِتَمَامه فَلاَ بُدَّ لَهُ منْ مَحل يَقُومُ به، وَمَا ذَاكَ المَحَل لَيْسَ هُوَ ذَاتَ الوَاجب تَعَالى، وَكَذَلكَ لاَ يَكُونُ المُمْتَنعُ مَحلا لَهُ:

أُجِيبَ: أَنَّ العَرَضَ مَا لاَ يَكُونُ لَهُ قِيَامٌ بذَاته، بَل يَقُومُ بغَيْره، وَلَمَّا لَمْ يَفْهَمْ أَرْبَابُ المَعْقُول في قِيَام العَرَضِ غَيْرَ الحُلول، أَثْبَتُوا لِلعَرْضِ مَحَلا بالضَّرُورَة، وَاسْتَحلوا ثُبوتَهُ منْ غَيْر مَحَل، فَإذَا ظَهَرَ للقيَام مَعْنًى آخَرُ كَمَا مَرَّ لاَ يَلزَمُ المَحَل أَصْلا، ومَحْسُوسُنَا وَمُشَاهَدَتُنَا أَنَّ قيَامَ جَميعِ الأَشْيَاء بذَات الوَاجب تَعَالى منْ غَيْر أَنْ يَكُونَ في البَيْنِ حُلول وَمَحل أَصْلا يُصَدِّقُهُ أَرْبَابُ المَعْقُول أَوَّلا، وَتَشْكيكَهمْ لاَ يَكُونُ مصَادمًا لبَدَاهتنَا، وَلا يَزُول يَقينُنَا بشَكِّهمْ.

وَلنُوَضِّحْ هَذَا المَبْحَثَ بمِثَالٍ: إنَّ أَرْبَاب الطِّلَسْمِ وَأَصْحَابَ السِّيمْيَاء يَرَوْنَ وَيُظْهِرُونَ الأَشْيَاءَ منْ جنْسِ الأَجْسَام الغَريبَة وَالأَعْرَاضِ العَجيبَة، وَفي هَذه الصُّورَة يَعْرفُ كُل شَخْصٍ أَنَّ هَذه الأَجْسَامَ لَيْسَ لَهَا قيَامٌ بنَفْسهَا كَالأَعْرَاضِ، بَل قيَامُ كليْهمَا بذَات صَاحبِ الطِّلَسْمِ، وَلا مَحَل لهُمَا أَصْلا، وَيَعْرفُونَ أَيْضًا أَنْ لَيْسَ في هَذَا القيَامِ شَائبَةُ الحَاليَّة وَالمَحَليَّة، بَل ثُبُوتُ تلكَ الأَجْسَام والأَعْرَاض بذَات صَاحب الطِّلَسْم منْ غَيْر تَوَهُّمِ حُلول، وَفيمَا نَحْنُ فيه أَيْضًا عَيْنُ هَذَا التَّصْوير؛ فَإنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ خَلَقَ الأَشْيَاء في مَرْتَبَة الحسِّ وَالوَهْمِ وَرَاعَى الإتْقَانَ وَالإحْكَامَ في صُنْعهَا، وَجَعَل المُعَامَلَةَ الأَبَديَّةَ وَالتَّنْعيمَ وَالتَّعْذيبَ السَّرْمَديَّيْنِ مَرْبُوطَةً بهَا؛ فَلا قيَامَ

لهَذه الأَشْيَاء بذَاهَا، بَل هِيَ قَائمَةٌ بذَاته تَعَالى منْ غَيْرِ شَائبَة الحُلول وَبلا مَظنَّة الحَال وَالمَحَل.

وَالتَّمْثِيل الآخَرُ: صُورَةُ جَبَل أَوْ صُورَةُ سَمَاء تَظْهَرُ فِي المرْآة، أَيُّ أَبْله يَزْعُمُ تلكَ الصُّورَةَ أجسامًا وَجَوَاهر وَيَظُنُّ أَنَّهَا قَائمَةٌ بنَفْسهَا؟!

فَإنْ زُعمَ فَرْضًا شَخْصٌ تلكَ الصُّوَرَ أَعْرَاضًا وَقَائمَةً بالغَيْرِ وَطَلبَ لهَا مَحَال بعلة العَرَضيَّة، وَيَعْد ثُبُوتَهَا منْ غَيْر مَحَال مُحَالا:

فَهَذَا الشَّخْصُ أَيْضًا سَفيهٌ؛ فَإنَّهُ يُنْكرُ بَدَاهَةَ نَفْسه بتَقْليد النَّاس؛ لأَنَّ كُل مَنْ عنْدَهُ تَمْييزٌ يَعْرفُ بالبَدَاهَة أَنْ لَيسَ لتلكَ الصُّوَر مَحَال أَصْلا، بَل لاَ احْتيَاجَ لهَا إلى المَجَال، وَهَكَذَا جَميعُ المُمْكنَات عنْدَ أَرْبَاب الحَقِّ، وَليْسَتْ غَيْرَ التَّمَاثيل مثْل هَذه الصُّوَر، غَايَةُ مَا في البَاب: أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى أَتْقَنَ تلكَ الصُّوَرَ وَالتَّمَاثيل بقُدْرَته الكَاملة وَأَحْكَمَ عَلى نَهْج صَارَتْ مَصُونَةً عَن الخَلل وَمَحْفُوظَةً منَ الزَّوَال، وَالمُعَامَلَةُ الأُخْرَويَّة الأَبَديَّةُ مَرْبُوطَةٌ بهَا كَمَا مَرَّ غَيْرَ مَرَّة، وَقَال النَّظَّامُ منَ المُتَكلمينَ وَمنْ عُلمَاء المُعْتَزلَة ــ بحُكْم رَمْيَة منْ غَيْر رَام ــ: " العَالَمُ أَعْرَاضٌ مُجْتَمعَةٌ "، وَظَنَّهُ خَاليًا منَ الجَوَاهر، نَعَمْ: إنَّ الكَذُوبَ قَدْ يَصْدُقُ، وَلمَّا لَمْ يَقُل بقيَام هَذه الأَعْرَاض بذَات وَاجب الوُجُود ــ جَل سُلطَانُهُ ــ منْ قُصُور نَظَره صَارَ مَوْرِدًا لطَعْن العُقَلاء وَتَشْنيعهمْ؛ فَإنَّ العَرَضَ لاَ بُدَّ لهُ منْ قيَام بالغَيْر، وَلا هُوَ قَائل بوُجُود الجَوْهَر حَتَّى يَجْعَل قيَامَهُ مُسْتَندًا إليْه، وَمنَ الصُّوفيَّة: اعْتَقَدَ صَاحبُ الفُتُوحَات المَكّيَّة العَالَمَ أَعْرَاضًا مُجْتَمعَةً في عَيْن وَاحد وَجَعَل العَيْنَ الوَاحدَ عبَارَةً عَنْ ذَات أَحَديَّة ــ جَل سُلطَانُهُ ــ وَلكنَّهُ حَكَمَ بعَدَم بَقَاء هَذه الأَعْرَاض في زَمَانَيْن، وَقَال: " إنَّ العَالَمَ يَنْعَدمُ في كُل آن وَيَتَجَدَّدُ مثْلُهُ ".

وَعنْــــــدَ الفَقيــــر: هَذه المُعَامَلةُ شُهُوديَّةٌ لاَ وُجُوديَّةٌ، كَمَا حُقّقَ هَذَا المَبْحَثُ في حَوَاشي شَرْح الرُّبَاعيَّات أَنَّهُ قَدْ يَرَى للسَّالك في تَوَسُّط الأَحْوَال قَبْل أَنْ تَرْتَفعَ الأَغْيَارُ عَنْ نَظَره مُطْلَقًا في آن أَنَّ العَالَمَ صَارَ مَعْدُومًا، وَفي آن ثَان يَرَى أَنَّ العَالَمَ مَوْجُودٌ، وَفي آن ثَالث يَجدُهُ أَيْضًا مَعْدُومًا، وَفي آن رَابع مَوْجُودًا، إلى أَنْ يَشْرُفَ بالفَنَاء المُطْلق، وَيَجدَ العَالَمَ مَعْدُومًا دَائمًا، فَفي هَذَا الوَقْت: العَالَمُ مُسْتَمرُّ العَدَم في شُهُوده، وَهَكَذَا حينَ تَوَسُّط حُصُول البَقَاء وَالرُّجُوع إلى العَالَم يَظْهَرُ العَالَمُ في النَّظَر تَارَةً وَيَخْتَفي أُخْرَى، وَمنْ هُنَاكَ أَيْضًا يُتَوَهَّمُ حَالَة تَجَدُّد الأَمْثَال، فَإذَا تَمَّتْ لهَذَا العَارف مُعَامَلَةُ البَقَاء وَالرُّجُوع إلى العَالَم، وَاسْتَنَدَ في مَقَام التَّكْميل وَالإرْشَاد يَظْهَرُ العَالَمُ في نَظَره أَيْضًا وَيَجدُ العَالَمَ مُسْتَمرَّ الوُجُود، فَصَارَتْ هَذه المُعَامَلَةُ رَاجعَةً إلى شُهُود السَّالك لاَ إلى وُجُود العَالَم؛ فَإنَّ وُجُودَهُ مَازَال عَلى وَتيرَة وَاحدَة، فَإنْ كَانَ تَذَبْذُبٌ فَهُوَ في الشُّهُود، وَاللهُ سُبْحَانَهُ المُلهمُ للصَّوَاب، وَالحُكْمُ

بِعَدَمِ بَقَاءِ الأَعْرَاضِ فِي زَمَانَيْنِ ـــ كَمَا قَالَ بَعْضُ المُتَكَلمينَ ـــ مَدْخُول فِيه لَمْ يَبْلغْ مَرْتَبَةَ الثُّبوت، وَالأدلةُ التي أَوْرَدُوهَا في عَدَم بَقَاء الأَعْرَاضِ غَيْرُ تَامَّة وَهَذه المَعَارفُ الغَامضَةُ كَأَنَّهَا دَرْسٌ لأَكْثَرِ الأَصْحَاب هُنَاكَ يَنْبَغِي إعْطَاءُ نَقْلهَا لكُل مَنْ لَهُ شَوْقٌ إلَيْهَا، وَلَمَّا كَانَ فِي الفَقيرِ نَوْعُ مَرَضٍ؛ لَمْ يَكْتُبْ لكُل وَاحِدٍ مِنَ الأَصْحَابِ عَلى حِدَة، وَاكْتَفَى بهَذه المَعَارف فَقطْ.

،،، ،،، ،،، وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَعَلى مَنْ لدَيْكُمْ.

اَلمكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالخَمْسُونَ بَعْدَ الثَّلاَثمائَة
إلى الشَّيْخِ حُمَيْد البَنْكَالِيّ
فِي فَضَائل الكَلمَة الطَّيِّبَة التي هِيَ مُتضَمِّنَةٌ للطَّرِيقَة وَالحَقيقَة وَالشَّرِيعَة(١)
وَبَيَانِ أَنْ لاَ مِقْدَارَ لِكَمَالات الولاَيَة فِي جَنْبِ كَمَالات النُّبوَّة أَصْلاً
وَبَيَان أَنَّ الوِلاَيَةَ لاَ بُدَّ لهَا مِنَ الشَّرِيعَة
وَمَا يُنَاسِبُ ذَلكَ

" لاَ إلهَ إلا اللهُ، مُحَمَّدٌ رَسُول الله ":

هَذه الكَلمَة الطَّيِّبَةُ مُتضَمِّنَةٌ للطَّرِيقَة وَالحَقيقَة وَالشَّرِيعَة، وَمَا دَامَ السَّالكُ فِي مَقَام النَّفْيِ فَهُوَ فِي مَقَام الطَّرِيقَة، فَإذَا فَرَغَ مِنَ النُّفي بالتَّمَامِ وَانْتَفَى جَمِيعُ الأَغْيَار عَنْ نَظَرِه وَأَتَمَّ الطَّرِيقَةَ وَوَصَلَ إلى مَقَامِ الفَنَاءَ وَجَاءَ إلى مَقَامِ الإثْبَات بَعْد النَّفْي وَمَال مِنَ السُّلوك إلى الجَذْبَة، فَقَدْ تَحقَّقَ بمَرْتَبَة الحَقيقَة، وَاتَّصَفَ بالبَقَاء.

وَبهَذَا النَّفْي وَالأثْبَات، وَبهَذه الطَّرِيقَة، وَالحَقيقَة، وَبهَذَا الفَنَاء وَالبَقَاء، وَبهَذَا السُّلوك وَالجَذْبَة، يَصْدُقُ اسْمُ الوِلاَيَة، وَتَميل النَّفْسُ مِنْ أَنْ تَكُونَ أَمَّارَةً إلى الاطْمئْنَان، وَتَصيرُ مُزَكَّاة وَمُطَهَّرَة؛ فَكَمَالاتُ الولاَيَة صَارَتْ مَرْبُوطَةً بالجُزْءِ الأَوَّل مِنْ هَذه الكَلمَة الطَّيِّبَة الذي هُوَ النَّفْي وَالأثْبَات.

وَبَقيَ الجُزْء الثَّاني مِنْ هَذه الكَلمَة المقَدَّسَة الذي هُوَ مُثْبتُ رِسَالة خَاتَمِ الرُّسُل ــ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَة والتَسْليمَاتُ ــ وَهَذَا الجُزْء الأَخير مُحَصِّلٌ للشَّرِيعَة وَمُكَمِّلٌ لهَا، وَمَا كَانَ حَاصِلا فِي الابْتدَاء وَالوَسَط مِنَ الشَّرِيعَة فَهُوَ صُورَةُ الشَّرِيعَة وَاسْمهَا وَرَسْمهَا، وَحُصُول حَقيقَة الشَّرِيعَة إنَّمَا هُوَ فِي هَذَا الموْطن الذي يَحْصُلُ بَعْدَ حُصُول مَرْتَبَة الوِلاَيَة، وَكَمَالات النُّبُوَّة التي تَحْصُل لكُمَّل تَابعي الأَنْبيَاء ــ عَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ــ بتَبَعيَّتهمْ وَورَاثَتهمْ؛ فَهيَ أَيْضًا فِي هَذَا الموْطن وَالطَّرِيقَة وَالحَقيقَة اللتَان هُمَّا مُحَصِّلَتَان للولاَيَة كَأَنَّهُمَا مِنَ الشَّرَائط لتَحْصيل حَقيقَة الشَّرِيعَة وَتَحْصيل كَمَالات النُّبوَّة.

يَنْبَغــي أَنْ يُعْتَقــد: الولاَيَةُ مثْل الطَّهَارَة وَالشَّرِيعَةُ كَالصَّلاَة؛ وَكَأَنَّ فِي الطَّرِيقَة إزَالَةَ النَّجَاسَات الحَقيقيَّة، وَفِي الحَقيقَة إزَالَة النَّجَاسَات الحُكْميَّة وَبَعْدَ

(١) الشريعة: عبارة عن الأمر بالتزام العبودية، وهو الإنقياد للأمر في كل ما جاء به أمرا أو نهيا، والتقدير برتبة تحجيره ظاهرا وباطنا. انظر: الكاشاني: رشح الزلال: ٥٢.

الطَّهَارَةَ الكَامِلة يُسْتَحَقُّ إتْيَانُ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّة وَيَحْصُل قَابلِيَّةُ أَدَاء الصَّلاة التِي هِيَ نِهَايَة مَرَاتبَ القُرْب وَعمَاد الدِّينِ وَمعْرَاج المؤْمن.

وَلَقَدْ وَجَدْتُ الجُزْءَ الأَخيرَ مِنْ هَذه الكَلمَة المقَدَّسَة بَحْرًا لاَ نهَايَةَ لهُ، وَشُوهدَ الجُزْءُ الأَوَّل فِي جَنْبه كَالقَطْرَة؛ نَعَمْ: لاَ مقْدَارَ لكَمَالات الولاَيَة فِي جَنْب كَمَالات النُّبُوَّة أَصْلا، وَمَا يَكُونُ مِقْدَار ذَرَّة فِي جَنْب الشَّمْس سُبْحَانَ الله؟!

زَعَمَ جَمَاعَةٌ مِنَ أَعْوجَاجِ النَّظَرِ أَنَّ الولاَيَةَ أَفْضَل مِنَ النُّبُوَّة، وَظَنُّوا الشَّرِيعَةَ التِي هِيَ لبُّ اللبَاب قشْرًا، وَمَاذَا يَفْعَلونَ؟! فَإِنَّ نَظَرَهُمْ مَقْصُورٌ عَلى صُورَة الشَّرِيعَة وَلَمْ يُحَصِّلوا مِنَ اللبِّ شَيْئًا غَيْرَ القشْر، وَظَنُّوا النُّبُوَّةَ بعلة التَّوَجُّه إلى الخَلق قَاصرَةً، وَزَعَمُوا هَذَا التَّوَجُّه مثْل تَوَجُّه العَوَامِّ نَاقصًا، وَرَجَّحُوا تَوَجُّهَ الوِلاَيَة الذي هُوَ إلى الحَقِّ عَلى ذَلكَ التَّوَجُّه، وَقَالوا: إنَّ الولاَيَةَ أَفْضَل مِنَ النُّبُوَّة:

وَلمْ يَدْرُوا أَنَّ التَّوَجُّهَ فِي كَمَالات النُّبُوَّة أَيْضًا إلى الحَقِّ فِي وَقْت العُرُوجِ كَمَا فِي مَرْتَبَة الوِلاَيَة، بَل فِي مَرْتَبَة الوِلاَيَة: صُورَةُ تلكَ الكَمَالات العُرُوجيَّة التِي حَصلَتْ فِي مَقَام النُّبُوَّة كَمَا سَنَذْكُرُ منْهُ نُبْذَة، وَالتَّوَجُّه فِي وَقْتَ نُزُول النُّبُوَّة إلى الخَلق كَالوِلاَيَة، وَإنَّمَا الفَرْقُ أَنَّ الظَّاهرَ فِي الوِلاَيَة مُتَوَجِّهٌ إلى الخَلق، وَالبَاطنُ إلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ، وَفِي نُزُول النُّبُوَّة: الظَّاهر وَالبَاطن كلاهُمَا مُتَوَجِّهَان إلى الخَلق وَصَاحبه يَدْعُوَا الخَلقَ إلى الحَقِّ بِكُليَّته، وَهَذَا النُّزُول أَتَمُّ وَأَكْمَل مِنْ نُزُول الوِلاَيَة كَمَا حَقَّقْتُهُ فِي كُتُبِي وَرَسَائلي.

وَتَوَجُّهُهُ هَذَا إلى الخَلق لَيسَ كَتَوَجُّه العَوَامِّ كَمَا زَعَمُوا؛ فَإنَّ تَوَجُّهَ العَوَامِّ إلى الخَلق مِنْ جهَة تَعَلقهمْ بالأغْيَار، وَتَوَجُّهَ أَخص الخَوَاصّ إلى الخَلق لَيْسَ هُوَ بوَاسطَة تَعَلقهمْ بالأَغْيَار؛ فَإنَّ هَؤُلاء الأَكَابرَ وَدَّعُوا التَّعَلق بالأغْيَار فِي أَوَّل القَدَم وَحَصَّلوا التَّعَلق بخَالق الخَلق جَل سُلطَانُهُ مَكَانَهُ، بَل تُوَجُّهُ هَؤُلاء الأَكَابر إلى الخَلق لهدَايَتهمْ وَإرْشَادهمْ ليَدُلوهُمْ عَلى خَالق الخَلق جَل وَعَلا وَليُرْشدُوهُمْ الى مَرَاضِي مَوْلاهُمْ تَعَالى وَتَقَدَّسَ، وَلا شَكَّ إنَّ مثْل هَذَا التَّوَجُّه إلى الخَلق الذي مَقْصُودُهُمْ مِنْهُ تَخْليصُهُمْ عَنْ رِقِّيَّة مَا سِوَاهُ تَعَالى أَفْضَل مِنْ ذَلكَ التَّوَجُّه إلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ لأَجْل نَفْسه.

مَثَـــلاً: إذَا كَانَ شَخْص مَشْغُولا بذكْرِ الله تَعَالى فَظَهَرَ في ذَلكَ الأَثْنَاء ضَرِيرٌ وَفي طَرِيقه بئر بحَيْثُ لوْ رَفَعَ قَدَمَهُ لوَقَعَ فيهَا، فَفي هَذه الصُّورَة: هَل الأَفْضَل لهَذَا الشَّخْصِ الذِّكْرُ أَوْ تَخْليصُ الضَّرِيرِ منَ البئْرِ، وَلا شَكَّ أَنَّ تَخْليصَ الضَّرِيرِ أَفْضَل منَ الذِّكْرِ؛ فَإنَّ الله تَعَالى غَنيٌّ عَنْهُ وَعَنْ ذكْره، وَالضَّرِيرَ عَبْدٌ مُحْتَاج، وَدَفْعُ الضَّرَرَ عَنْهُ ضَرُوريٌّ خُصُوصًا إذَا كَانَ مَأْمُورًا بهَذَا التَّخْليصِ، فَفي هَذَا الوَقْت تَخْليصُهُ عَيْنُ الذِّكْر لكَوْن امْتثَال أَمْره في الذِّكْر أَدَاءَ حَقٍّ وَاحد وَهُوَ حَقُّ المَوْلى جَل شَأْنُهُ، وَفي تَخْليص المَأْمُور به أَدَاءُ حَقَّيْن حَقِّ العَبْد وَحَقِّ المَوْلى تَعَالى، بَل يَكَادُ يَدْخُل الذِّكْر في ذَلكَ الوَقْت في المَعْصيَة؛ فَإنَّ الذِّكْرَ لَيْسَ بمُسْتَحْسَن في جَميع الأَوْقَات، بَل في بَعْض الأَوْقَات يُسْتَحْسَنُ عَدَمُ الذِّكْرِ؛ كَمَا أَنَّ الإفْطَارَ في الأَيَّام المَنْهيَّة وَتَرْكَ الصَّلاة في الأَوْقَات المَكْرُوهَة أَفْضَل منَ الصَّوْمِ وَالصَّلاة.

يَنْبَغِــي أَنْ يُعْلَـــمَ: أَنَّ الذِّكر عبَارَة عَنْ طَرْد الغَفْلة بأَيِّ وَجْه يَتَيَسَّرُ لاَ أَنَّ الذِّكْرَ مَقْصُورٌ عَلى تَكْرَار كَلمَة النَّفْي وَالأثْبَات، أَوْ عَلى تَكْرَارِ اسْم الذَّات كَمَا زُعمَ؛ فَكُل مَا هُوَ منَ امْتثَال الأَوَامر وَالانْتهَاء عَنِ النواهيَ كُلهُ دَاخل في الذِّكْر، وَالبَيْعُ وَالشِّرَاءُ مَعَ مُرَاعَاة الشُّرُوط ذكْر، وَكَذَلكَ النِّكَاح وَالطَّلاق مَعَ مُرَاعَاة شُرُوطهمَا ذكْر؛ فَإنَّ الآمرَ وَالناهيَ جَل سُلطَانُهُ حين مُبَاشَرَة هَذه الأُمُور مَعَ مُرَاعَاة شُرُوطهَا نُصْبَ عَيْن مُبَاشرهَا فَلا يَكُونُ فيهَا مَجَال للغَفْلة، وَلكنَّ الذِّكْر الوَاقعَ باسْمِ المَذْكُور وَصفَته سَرِيعُ التَّأْثير وَمُورثٌ لمَحَبَّة المَذْكُور وَقَرِيبُ الإيصَال إلَيْه.

بخلاف الذِّكْر الوَاقع منْ طَرِيق امْتثَال الأَوَامرُ وَالانْتهَاء عَنِ النواهيَ؛ فَإنَّهُ قَليل النَّصيب منْ هَذه الصِّفَات، وَإنْ وُجدَتْ هَذه الصِّفَاتُ في بَعْض الأَفْرَاد الذين ذَكَرَهُمْ بامْتثَال الأَوَامر وَالانْتهَاء عَن المَنَاهي الشَّرْعيَّة عَلى سَبيل النُّدْرَة.

قَال حَضْرَةُ الخَوَاجَهْ النَّقْشَبَنْديُّ ــ قُدِّسَ سرُّهُ ــ إنَّ حَضْرَة مَوْلانَا زَيْنَ الدِّين التَّايبَاديَّ ــ قُدِّسَ سرُّهُ ــ وَصَل إلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ منْ طَرِيق العلم، وَأَيْضًا إنَّ الذِّكْر الذي يَقعُ باسْم المَذْكُور وَصفَته وَسيلةٌ للذِّكْر الذي يَحْصُل بمُرَاعَاة الحُدُود الشَّرْعيَّة؛ فَإنَّ مُرَاعَاةَ الأَحْكَام الشَّرْعيَّة في جَميع الأُمُور غَيْر مُيَسَّرَة بدُون مَحَبَّة تَامَّة لنَاصب الشَّرْع وَهَذه المَحَبَّةُ التَّاميَّةُ مَرْبُوطَةٌ بذكْرِ اسْمه وَصفَته تَعَالى، فَلابُدَّ

أوَّلا منْ ذَلكَ الذِّكْر حَتَّى يَحْصُلَ بسَبَبه هَذَا الذِّكْر، وَمُعَامَلة العنَايَة أَمْر آخَر لَيْسَ هُنَاكَ شَرْطَ وَلا وَسيلة: {اللهُ يَجْتَبي إليْه مَنْ يَشَاءُ}(١).

وَلنَرْجع إلى أَصْل الكَلام فَنَقُول: إنَّ وَرَاءَ هَذه المعَامَلات الثَّلاث الطَّرِيقَة وَالحَقيقَة وَالشَّرِيعَة مُعَامَلةً أُخْرَى مُخْتَصَّةً بالآخَرين، يُمْكنُ أَنْ يُقَال: " أَنْ لا اعْتدَادَ بتلكَ المعَامَلات في جَنْب هَذه المُعَامَلة وَلا اعْتبَار، وَمَا حَصَل في مَرْتَبَة الحَقيقَة ممَّا لَهُ تَعَلق بالإثْبَات فَهُوَ صُورَةُ هَذه المُعَامَلة، وَهَذه المُعَامَلة حَقيقَةُ تلكَ الصُّورَة مثْل صُورَة شَرِيعَة حَاصلة في الابْتدَاء لمَرْتَبَة العَوَامِّ وَبَعْدَ حُصُول الطَّرِيقَة وَالحَقيقَة تَتَيَسَّرُ حَقيقَةَ تلكَ الصُّورَة.

يَنْبَغي التَّخَيُّل وَالتَّأَمُّل: إذَا كَانَتْ مُعَامَلة صُورَتَهَا حَقيقَةَ مُعَامَلة وَمُقَدِّمَتهَا ولاَيَة، كَيْفَ يَسعُهَا القيل وَالقَال؟! وَكَيْفَ يَفي بهَا البَيَان؟! وَلَوْ بُيِّنَتْ ــ فَرْضًا ــ مَنْ يُدْرِكُهَا وَمَاذَا يُدْركُ؟! وَهَذه المُعَامَلة ورَاثَة الأَنْبيَاء أُولي العَزْم عَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْليمَاتُ وَالتَّحيَّات وَالبَرَكَات ــ: التي هيَ نَصيب أَقَل قَليل؛ فَإنَّهُ إذَا كَانَ أُصُول هَذه المُعَامَلة قَليلة، تَكُونُ فرُوعهَا أَقَل بالضَّرُورَة.

فَــإنْ قيــــل: لزمَ منْ هَذه المعَارف أَنَّ العَارفَ يَضَعُ قَدَمَهُ في بَعْض المرَاتب خَارجَ الشَّرِيعَة وَيَعْرُجُ إلى مَا وَرَاءَ الشَّرِيعَة:

أُجيــــب: إنَّ الشَّرِيعَةَ أَعْمَال الظَّاهر، وَهَذه المُعَامَلة مُتَعَلقَة في هَذه النَّشْأَة بالبَاطن، وَالظَّاهر مُكَلفٌ بالشَّرِيعَة دَائمًا، وَالبَاطنُ مَشْغُوف بتلكَ المُعَامَلة، وَحَيْثُ إنَّ هَذه النَّشْأَةَ دَارُ عَمَل فَللبَاطن منْ أَعْمَال الظَّاهر مَدَدٌ عَظيمٌ، وَتَرَقّيَاتُ البَاطن مَرْبُوطَةٌ بإتْيَان أَحْكَام الشَّرِيعَة التي مُتَعَلقَة بالظَّاهر، فَلابُد للظَّاهر وَالبَاطن في هَذه النَّشْأَة منَ الشَّرِيعَة في جَميع الأَوْقَات فَشُغْل الظَّاهر العَمَل بمُوجب الشَّرِيعَة، وَنَصيب البَاطن نَتَائج ذَلكَ العَمَل وَثَمَرَاته، فَالشَّرِيعَة أُمُّ كُل الكَمَالات وَأَصْل جَميع المقَامَات، وَنَتَائج الشَّرِيعَة وَثَمَرَاتُهَا لَيْسَتْ مَقْصُورَةً عَلى النَّشْأَة الدُّنْيَوِيَّة؛ فَإنَّ الكَمَالات الأُخْرَوِيَّة وَالتَّنَعُّمَات السَّرْمَديَّة أَيْضًا منْ ثَمَرَات الشَّرِيعَة وَنَتَائجهَا، فَكَانَت الشَّرِيعَة شَجَرَةً طَيِّبَةً يَنْتَفعُ العَالم منْ ثَمَرَاتهَا وَفَوَاكههَا في هَذه النَّشْأَة وَفي تلكَ النَّشْأَة وَمنْهَا تُؤْخَذُ فَوَائدُ الدَّارَيْن.

---

(١) ــ الشورى: ١٣

فَإِنْ قِيلَ: يَلزَمُ مِنْ هَذَا البَيَان كَوْم البَاطن مُتَوَجِّهًا إلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ، وَالظَّاهر إلى الخَلق في كَمَالات النُّبُوَّة أَيْضًا، وَقَدْ كَتَبْتَ في مَكْتُوبَاتك وَرَسَائلك وَمَرَّ فِي هَذَا المَكْتُوب أَيْضًا أَنَّ التَّوَجُّهَ فِي مَقَام النُّبُوَّة الذي هُوَ مَحَل الدَّعْوَة إلى الخَلق بالتَّمَام فَمَا وَجَّهَ التَّوْفيق:

أُجِيبَ: أَنَّ تلكَ المُعَامَلة المَذْكُورَة تَتَعلقُ بالعُرُوجِ، وَمُقَامُ الدَّعْوَى مَرْبُوط بالهُبُوط، فَفي وَقْتَ العوَجِ يَكُونُ البَاطن مَعَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَالظَّاهر مَعَ الخَلق حَتَّى تَتَأَتَّى تَأْديَة حُقُوقهمْ عَلَى وَفْق الشَّرِيعَة الغَرَّاء، وَفي وَقْتَ الهُبُوط يَكُونُ مُتَوَجِّهًا إلى الخَلقِ بالتَّمَامِ وَيَدُلهُمْ عَلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ بكُلِّيَّته فَلا مُنَافَاةَ.

وَتَحْقيقُ هَذَا المقَام هُوَ أَنَّ التَّوَجُّهَ إلى الخَلق عَيْنُ التَّوَجُّهُ إلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ {فَأَيْنَمَا تُوَلوا فَثَمَّ وَجْهُ الله}(١) لاَ بمَعْنَى أَنَّ المُمْكن عَيْنُ الوَاجب أَوْ مرْآة الوَاجب سُبْحَانَهُ وَتَعَالى، وَمَا مقْدَار المُمْكِن الحَقيرِ حَتَّى يَكُونَ عَيْنَ الوَاجب تَعَالى أَوْ يَكُونَ قَابلا لمرْآتيَّته سُبْحَانَهُ؟!

بَل يُمْكنُ أَنْ يُقَال: إنَّ الوَاجبَ تَعَالى مرْآةُ المُمْكن وَيُتَوَهَّمُ الأَشْيَاءُ في مرْآة الوَاجب تَعَالى كَصُوَر الأَشْيَاء في مرْآة الصُّورَة، فَكَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لتلكَ الصُّوَر حُلول وَسَرَيَانٌ فِي مرْآة الصُّورَة كَذَلكَ لاَ حَوْل وَلا سَرَيَانَ للأَشْيَاء فِي مرْآة الوَاجب تَعَالى.

وَكَيْفَ يُتَصَوَّرُ الحُلول؛ فَإنَّهُ لاَ وُجُودَ للصُّوَر فِي مَرْتَبَة المرْآة، وَوُجُود الصُّوَر إنَّمَا هُوَ فِي مَرْتَبَة التَّوَهُّم وَالتَّخَيُّل فَقَطْ؛ فَالمَحَل الذي فيه المرْآة لَيْسَ فيه الصُّورَة، وَالمَحَل الذي فيه الصُّوَر عَلى المرْآة منْهُ أَلفُ عَار؛ فَإنَّهُ لاَ ثُبوتَ للصُّوَر غَيْرُ الإرَاءَة الخَيَاليَّة، وَلا وُجُودَ لَهَا غَير التَّحَقُّق الوهمى فَإنْ كَانَ لَهَا مَحَل فَهُوَ فِي مَرْتَبَة التَّوَهُّم وَإنْ كَانَ لَهَا زَمَان فَهُوَ فِي مَرْتَبَة التَّخَيُّل وَلكنْ حَيْثُ كَانَتْ تلكَ الإرَاءَة الخيلالية للأَشْيَاء بصُنْع الحَقِّ جَل سُلطَانُهُ فهيَ مَصُونَة منَ الخَلل وَمَحْفُوظَة منْ سُرْعَة الزَّوَال وَالمُعَامَلة الأَبَديَّة مَرْبُوطَة بهَا وَالعَذَاب وَالمُثوبَات السَّرْمَديَّة مَنُوطَة بهَا.

وَاعْلَمْ أَنَّ الملحُوظَ أَوَّلا فِي مرْآة الصُّورَة هُوَ الصُّورُ وَالالتفَات الثَّاني إنَّمَا هُوَ لشُهُود المرْآة وَالمَلحُوظ أَوَّلا فِي مرْآة الوَاجب هُوَ المرْآة نَفْسهَا وَالالتفَات الثَّاني إنَّمَا هُوَ لشُهُود الأَشْيَاء وَأَيْضًا فِي مرْآة الصُّورَة الصُّوَر أَيْضًا مَرَايَا أَحْكَام المرْآة وَآثَارهَا فَإنْ كَانَت المرْآة طولانية تُظْهرُ الصُّوَرَ أَيْضًا طولانية فَتَصيرُ الأَشْيَاء مَرَايَا

(١) البقرة: ١١٥.

لطُول المرْآة وَكَذَلكَ إذَا كَانَت المرْآةُ صَغيرَةً يَظْهَرُ صغرُهَا في مَرَايَا الصُّوَر بخلاف مرْآة ذَات الوَاجب تَعَالَى فَإنَّ الأَشْيَاءُ لاَ تَكُونُ مَرَايَا لأحْكَامهَا وَآثَارهَا فَإنَّهُ لاَ حُكْمَ عَلَى تلكَ المرْتَبَة العَليَّا وَلا أَثَرَ بَل جَميع النِّسَب مَسْلوب عَنْهَا فيهَا فَإنْ كَانَت الأَشْيَاء مَرَايَا مَاذَا يَظْهَرُ فيهَا نَعَمْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الأَشْيَاء مَرَايَا الصُّوَر أَحْكَام الوَاجب في مَرَاتب التَّنَزُّل الذي مَوْطن الأَسْمَاء وَالصِّفَات فَإنَّ السَّمْعَ وَالبَصَر وَالعلم وَالقُدْرَةَ مَثَلا التي هيَ ظَاهرَة في مَرَايَا الأَشْيَاء صُوَر السَّمْع وَالبَصر وَالعلم وَالقُدْرَة الثَّابتَة في مَرْتَبَة الوُجُوب التي هيَ مرْآة تلكَ الأَشْيَاء الظَّاهرَة وَمَا قُلتَ أَنَّ الملحُوظَ أَوَّلا في مرْآة الوَاجب تَعَالَى هُوَ نَفْس المرْآة وَالالتفَات الثَّاني إنَّمَا هُوَ لشُهُود الأَشْيَاء التي هيَ كَالصُّوَر في تلكَ المرْآة فَهُوَ حَال ابْتدَاء الرُّجُوع الذي تَظْهَرُ الصُّوَرُ فيه للنَّظَر بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مُرْتَفعَة مُخْتَفيَةً عَن النَّظَر بالتَّمَام فَإذَا انْتَهَتْ مُعَامَلة الرُّجُوع أَيّ آخرهَا وَوَقَعَ السَّيْر في الأَشْيَاء طُولهَا وَعَرْضهَا وَتُيَسِّرُ الاسْتقْرَار في مَرْكَز دَائرَة الإمْكَان يَتَبَدَّل الشُّهُودُ ح بالغَيْب بالضَّرُورَة وَيَصيرُ الإيمَانُ الشُّهُوديُّ إيمَانًا غَيْبيًّا وَإذَا تَمَّتْ مُعَامَلة الدَّعْوَة وَقَرَعَتْ مقْرَعَة الرَّحيل فَفي ذَلكَ الوَقْت لاَ يُبْقى الغَيْبُ وَلا يَكُونُ فيه غَيْرَ الشُّهُود وَلكنَّ هَذَا الشُّهُود يَكُونُ أَتَمّ وَأَكْمَل منْ ذَاكَ الشُّهُود الذي كَانَ حَاصلا قُبَيْل الرُّجُوع فَإنَّ الشُّهُودَ الذي يَتَعَلقُ بالأخرَة أَكْمَل منَ الشُّهُود الذي يَتَعَلقُ بالدُّنْيَا

هَنيئًا لأَرْبَاب النَّعيم نعيمهَا وَللعَاشق المسْكين مَا يَتَجَرَّعُ

يَنْبَغي: أَنْ يُعْلمَ أَنَّهُ قَدْ لاحَ منَ التَّحْقيق السَّابق أَنَّ صُورَة الشَّيْء التي تَظْهَرُ في المرْآة لاَ ثُبوتَ لهَا في غَيْر التَّخَيُّل وَالمرْآة عَلى صرَافَة تَجَرُّدهَا منْ حُصُول تلكَ الصُّورَة فيهَا وَيُمْكنُ أَنْ يُقَال لتلكَ الصُّورَة أَنَّ المرْآةَ قَريبَةٌ منْهَا وَأَيْضًا يُمْكنُ أَنْ يُقَال: إنَّ المرْآةَ مُحيْطَة بهَا وَأَنَّهَا مَعَهَا وَهَذَا القُرْب وَالأحَاطَة وَالمَعيَّة ليْسَتْ منْ قَبيل قُرْب الجسْم وَالجَوْهَر وَإحَاطَتهمَا بالعَرْض بَل هُنَاكَ قُرْبَ وَإحَاطَة العَقْل عَاجز عَنْ تَصوُّرهمَا وَقَاصر عَنْ إدْرَاك كَيْفيَّتهمَا فَفي هَذه الصُّورَة ثَبَتَت الإحَاطَةُ وَالقُرْبُ وَالمَعيَّة وَلَمْ تَعْلمْ كَيْفيَّتَهَا أَصْلا وَلله المَثَل الأَعْلى وَهَكَذَا القُرْبُ الذي للحَقِّ مَعَ العَالم وَكَذَلكَ إحَاطَته وَمَعيَّته تَعَالى مَعْلومَة الإنِّيَّة[1] مَجْهُولة الكَيْفيَّة نُؤْمنُ أَنَّهُ تَعَالى قَريبٌ

---

(١) **الأنية**: هي تحقق الوجود العيني من حيث رتبته الذاتية. انظر: الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية: ٥٨.

مِنَ العَالَمِ وَمُحيطٌ به وَمَعَهُ وَلكنْ لاَ نَعْلمُ كَيْفيَّةَ قُرْبه وَإحَاطَته وَمَعيَّته تعَالى إنَّهَا مَا هيَ فَإنَّ هَذه الصِّفَات مُغَايرَة لصفَات الأَشْيَاء وَمُبَرَّأَة عَنْ سيَّمَا الإمْكَان وَالحُدُوث وَإنْ أَوْرَدَ تَنْظيرهَا وَتَشْبيههَا في عَالَم المجَاز الَذي هُوَ قَنْطرَة الحَقيقَة وأومئ إلَيْهَا بالمرْآة وَالصُّورَة ليَجْتَهد حديدوا البَصَر في الخُرُوج منَ المَجَاز إلى الحَقيقَة وَليَميلوا منَ الصُّورَة إلى المعْنَى {والسلام على من اتبع الهدى}(١)

---

(١) طـه: ٤٧

اَلمكْتُوبُ السِّتُّونَ بَعْدَ الثَّلاَثمائَة
إلى الخَوَاجَهْ مُحَمَّد قَاسم البَدَخْشيّ
في النَّصيحَة وَالتَّنْبيه
بسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَعْدَ الحَمْد وَالصَّلاة وَتَبْليغ الدَّعوَات:

أُنْهِيَ أَنَّهُ يَفْهَمُ منْ كَلمَة ذَاكَ الأَخ وَكَلامه حَرَارَةَ الطَّلب وَتفُوحُ رَائحَة الجَمْعيَّة لله سُبْحَانَهُ الحَمْدُ وَالمنَّة عَلى ذَلكَ وَيُشْبهُ أَنَّ تَكُونَ هَذه الدَّوْلة أَثر قُرْبَ الصُّحْبَة وَلَمْ تَتْرُكْكُمُ التَعلقَات التي لاَ طَائل فيهَا أَنْ تَكُونُوا في الصُّحْبَة جُمْعَة وَاحدَة وَلا أَدْري أَنَّهُ هَل بَلغَ مَجْمُوع أَيَّام صُحْبَتكُمْ عَشْرَة أَوَّلا يَنْبَغي أَنْ يُسْتَحَى منَ الله تَعَالى حَيْثُ لاَ يَنْتَخبُ لهُ تَعَالى يَوْمًا واحَدًا منَ الف أَيَّام وَلا يَجْمَعُ نَفسه منْ تَعَلقَات شَتَّى وَقَدْ تَمَّتْ عَليْكُمُ الحُجَّةُ وَوَجَدتْ بوَجْد أَنَّك إنْ سَاعَة وَاحدَة منْ هَذه الصُّحْبَة أَفْضَل منْ أربعينات المجَاهدَة وَمَعَ ذَلكَ تَفرُّونَ منْ هَذه الصُّحْبَة وَتَرْمُونَ أَنْفسكُمْ بَعيدًا عَنْهَا بالحَبْل جَوْهَر اسْتعْدَادكُمْ نَفيس وَلكنْ مَا الفَائدَةُ لأَنَّهُ لَمْ يَخرُجْ منَ القُوَّة إلى الفعْل اسْتعْدَادكُمْ عَال وَلَكنَّ همَّتكُمْ وَضيعَة حَيْثُ قَنعَتْ عَنِ الجَوْهَرِ النَّفيسِ بقُطَعَات حزف خَسيس مثْل الأَطْفَال

وَحين الصُّبْح يَعْلمُ كَالنَّهَار حَقيقَة مَنْ هَويته في الظَّلام

وَمَا فَاتَت الفُرْصَةُ الآنَ يَنْبَغي الفكْر في الأَصْل وَعُمْدَة هَذَا الأَمْر صُحْبَة أَرْبَاب الجَمْعيَّة فَإنْ لَمْ تَتَيسَّرْ هَذه الدَّوْلة يَنْبَغي صَرْف الأَوْقَات في الاشْتغَال بالذِّكْر الإلهيَ جَل شَأْنُهُ المأْخُوذُ مَنْ صَاحب دَوْلة وَالاجْتنَاب مَنْ كُل شَيْء يُنَافى الذِّكْر ويَنْبَغي حَسَن الاحْتيَاط في الحَل وَالحُرْمَة الشَّرْعيَّيْن منْ غَير مُسَاهلة وَعَلَيْكُمْ بالتزَام الجَمَاعَة في الصَّلوَاتُ الخَمْس وَرعَايَة السَّعْي البَليغ في تَعْديل الأَرْكَان وَالمحَافَظَة عَلى دَاء الصَّلوَاتُ في أَوْقَاهَا المسْتَحَبَّة {رَبَّنَا أَتْممْ لنَا نُورَنَا وَاغْفرْ لنَا إنَّك عَلى كُل شَيْء قَدير}(١).

---

(١) التحريم: ٨

اَلمكْتُوبُ الحَادي وَالسِّتُّونَ بَعْدَ الثَّلاَثمائَة
إلى الخَوَاجَهْ مُحَمَّد طَالب البَدَخْشيِّ
في التَّرْغيب في مَقَام الرِّضَا

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اَلحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى:

ليَكُنْ الخَوَاجَهْ مُحَمَّد طَالب دَائمًا طَالب مَطْلوب قَدْ كَتَبَتْ خَبَر فَوَّتَ قُرَّة العَيْن مُحَمَّد صدِّيق أَنَا لله وَإِنَّا إلَيْه رَاجعُونَ.

أَيُّهَا الأَخُ الأَعَزّ: إنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى أَعَزُّ عنْدَ المؤْمنينَ مَنْ كَل شَيْء وَأَحَبَّ سَوَاء كَانَ أَمْوَالا أَوْ أَنْفُسًا وَالأَحْيَاء وَالأمَاتَة فعْله تَعَالى لاَ مَدْخَل فيهمَا لغَيْره فَيَكُونُ فعْله تَعَالى أَيْضًا أَحَبّ وَأَعَزّ بالضَّرُورَة يَحقُّ للمُحبِّينَ أَنْ يلتذوا منْ فعْل المحْبُوب وَأَنْ يفْرَحُوا وَكَيْفَ أَدُل عَلى الصَّبْر فَإنَّ فيه إيمَاءً إلى الكَرَاهَة وَمَقَام الرِّضَاء وَإنْ كَانَ يُخبرُ عَن الرَّغْبَة وَالسُّرُور وَلَكنْ مَرْتَبَة الالتذَاذ أَمْر آخَر

مَا العشْقُ إلا شُعْلة قَدْ أَحْـــرَقَتْ ... كُل الوَرَى غَيْر الحَبيب الباقى
قَدْ سَل في قَتْل السِّوَى صَمْصَام لاَ ... فَانْظُرْ إلى مَا بَعْدُ لاَ مَا البَاقي
بشرَاك يَا عشْق قَدْ احْتَرَقَ الوَرَى ... لَمْ يَبْقَ غَيْر إلهنَا الخَلاق

{وَالسَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[1].

---

(١) طـــه: ٤٧

المكْتُوبُ الثَّاني وَالسِّتُّونَ بَعْدَ الثَّلاثمائَة

إلى الخَوَاجَهْ كدا

فى بَيَان أَنَّ نسْيَان السِّوَى قَدَّمَ أَوَّل في هَذه الطَّرِيقَة فيَنْبَغي السَّعْي حَتَّى لاَ يَقَعَ القُصُورُ فِي ذَلكَ

نَحْمَدُهُ وَنُصَلي عَلى نَبيِّه وَنُسَلمُ عَليْه وعَلى آله الكرَام وَالنَّصيحَة للأَخِ الخَوَاجَهْ مُحَمَّد كَدًّا بَعْدَ تَصْحيح العَقَائد الكَلاميَّة وَبَعْدَ إتْيَان الأَحْكَام الفقْهيَّة هيَ المدَاومَة عَلى الذّكْر الإلهيَ جَل سُلطَانُهُ عَلى نَهْجِ حفْظه ويَنْبَغي أَنْ يُسْتَوْلى الذّكْر عَلى حَدٍّ لاَ يَتْرُكُ فِي البَاطن غَيْر المذْكُور وَيُزيل التَّعَلقُ العلميّ وَالحُبى بمَا سوَى المذْكُور فَحينَئذ يَحْصُل للقَلب نسْيَان السِّوَى وَيَكُونُ السَّالك فَارغًا عَنْ رُؤْيَة الغَير وَإدْرَاكه بحَيْثُ لوْ ذَكَّرَ بالأشْيَاء بالتَّكَلف وَالتَّعَمُّل لاَ يَتَذكَّرُ وَلا يُعرِّفُ بَل يَكُونُ مُسْتَهْلكًا ومُسْتَغْرَقًا في المطْلوب دَائمًا فَإذَا انْتَهَت المُعَامَلة إلى هُنَا يَكُونُ قَدْ خَطَى خُطْوَة فِي هَذَا الطَّريق يَنْبَغِي السَّعْي فِي أَنْ لاَ يُقَصِّرُ فِي الخُطْوَة الوَاحدَة وَأَنْ لاَ يَبْقَى فِي أَسْر رُؤْيَة الغَيْر وَعلمه

هَلمُو أَيُّهَا الأَبْطَال نَحْوَ السَّعَادَة إذْ خَلتْ عَنْ كُل مَانع

وتعلقاتكم تَرَى فِي الظَّاهر قَليلة وَلكنَّكُمْ تَجْعَلونَ أَنْفُسَكُمْ منْ جُمْلة أَرْبَاب التَّعَلق بِشَوْق التَّعَلق الراضى بِالضَّرَرِ لاَ يَسْتَحِقُّ النَّظَرَ مُسْئلة مُقَرَّرَة وَالسَّلامَ.

اَلمكْتُوبُ الثّالثُ وَالسّتُّونَ بَعْدَ الثّلاثمائة

إلى المرْزَا شَمْس الدِّين

في بَيَان أنَّ للشَّريعَة صُورَةً وَحَقيقَةً وَأنّهُ لاَ بُدَّ منَ الشَّريعَة في الابْتدَاء وَالانْتهَاء وَبَيَان تَمْكين القَلْب واطْمئْنَان النَّفْس وَاعْتدَال القَالب التي في مَرْتَبَة النُّبُوَّة وَمَا يُنَاسبُ ذَلكَ

اَلحَمْدُ لله وَسَلاَمٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى:

اعْلَـــمْ: أنَّ للشَّريعَة صُورَةً وَحَقيقَةً، فَصُورَة الشَّريعَة عبَارَة عَنْ إتْيَان الأَحْكَام الشَّرْعيَّة بَعْدَ الإيمَان بالله وَرَسُوله وَبمَا جَاءَ منْ عنْد الله سُبْحَانَهُ، وَالإيمَان مَعَ وُجُود مُنَازَعَة النَّفْس الأمَّارَة وَإبَائهَا وَطُغْيَانهَا وَإنْكَارهَا المودَعَة في جَنَبَاتهَا ــ: هُوَ وَصُرَّةُ الإيمَان وَكَذَلكَ الصَّلاة وَالصَّوْم مَعَ وُجُود صفَاتهَا هَذه الصُّورَة الصَّلاة وَالصَّوْم وَعَلى هَذَا القيَاس سَائر الأحْكَام الشَّرْعيَّة فَإنَّ النَّفْسَ التي هيَ عُمْدَة الإنْسَان وَهيَ المشَار إليْهَا لكُل فَرْد بقَوْله إنَّا عَلى كُفْرهَا وَإنْكَارهَا فَكَيْفَ يَتَصَوَّرُ منْهَا حَقيقَةَ الإيمَان وَحَقيَّة الأعْمَال الصَّالحَة وَمنْ رَحْمَته سُبْحَانَهُ وَتَعَالى قَبُوله جَل شَأْنُهُ مُجَرَّد الصُّورَة وَبشَارَته بدُخُول الجَنَّة التي هيَ مَحَل رضَائه وَرَحْمَته وَمنْ إحْسَانه تَعَالى وَتَقَدَّسَ اكْتفَاؤُهُ في نَفْس الإيمَان بتَصْديق القَلْب وَلَمْ يُكلفْ بإذْعَان النَّفْس نَعَمْ للجَنَّة أيْضًا صُورَة وَحَقيقَة يَحْتَظ أصْحَاب الصُّورَة بصُورَة الجَنَّة وَأرْبَاب الحَقيقَة بحَقيقَة الجَنَّة وَكُل منْ أصْحَاب الصُّورَة وَأرْبَاب الحَقيقَة يَتَنَاوَل منْ فَاكهَة وَاحدَة منْ فَوَاكه الجَنَّة فَيَجدُ صَاحبُ الصُّورَة منْهَا لذَّة وَصَاحبُ الحَقيقَة لذَّةً أُخْرَى وَتَكُونُ الأزْوَاج المُطَهَّرَات أُمَّهَات المؤْمنينَ مَعَ النَّبيِّ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ في جَنَّة وَاحدَة وَيَأكُلونَ مَعَهُ منْ فَاكهَة وَاحدَة وَلكنَّ التذَاذَ كُل وَاحد وَتَنَعُّمَهُ عَلى حدَة وَألا يُلزمَ فَضْل أُمَّهَاتَ المؤْمنينَ عَلى جَميع بَنى آدم بَعْدَ نَبيِّنَا عَليْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَيَلزَمُ أيْضًا أنَّ كُل مَنْ يَكُونُ أفْضَل مَنْ شَخَّصَ تَكُونُ زَوْجَته أيْضًا أفْضَل منْهُ فَإنَّ الزَّوْجَةَ مُمْتَزجَةٌ وَمُخْتَلطَة بالزَّوْج وَصُورَة الشَّريعَة بشَرْط الاسْتقَامَة مُوجبَة للفَلاح وَمُسْتَلزمَة للنَّجَاة الأخرويين وَمُصَحِّحَة لدُخُول الجَنَّة كَمَا مَرَّ فَإذَا صَحَّتْ صُورَةُ الشَّريعَة فَقَدْ حَصَلَت الولاَيَةُ العَامَّةُ وَاللهُ وَلى الذينَ آمَنُوا وَفي هَذَا الوَقْت صَارَ السَّالك مُسْتَعدًّا لأنْ يَضعَ قَدَمَهُ في الطَّريقَة وَأنْ يخْطَى

إلى الولاَيَة الخَاصَّة وأَنْ يجُرَّ نَفْسه بالتَّدْريج منْ وَصْف الأمارية إلى صفَة الاطْمئْنَان وَلكنَّ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَم أَنَّ مَنَازِل الوُصُول إلَى تلكَ الولاَيَة أَيْضًا مَرْبُوط بأَعْمَال الشَّرِيعَة وَالذِّكْرِ الآلهِيَ جَل شَأْنُهُ الذي هُوَ العُمْدَةُ في هَذَا الطَّريق منَ المَأمُوريَّات الشَّرْعيَّة وَالاجْتنَاب عَنِ المَنَاهي الشَّرْعيَّة أَيْضًا منْ ضَرُوريَّات هَذَا الطَّريق وَأَدَاء الفَرَائض منَ القُرُبَات وَطَلب شَيْخ عَارف بالطَّريق وَهَاد إليْه الذي يَسْتَحِقُّ أَنْ يَكُونَ وَسيلةً أيضًا منَ المَأمُورَاتِ الشَّرْعيَّة قَال اللهُ تَعَالَى: {وَابْتَغَوْا إلَيْه الوَسِيلَةَ}(١).

وَبالجُمْلة لاَ بُدَّ منَ الشَّريعَة صُورَة وَحقيقَة فَإنَّ أُمَّهَات جَميع كَمَالات النُّبوَّة ثَمرَات حَقيقَة الشَّريعَة كَمَا سَيَجِيءُ إنْشَاء الله تَعَالى.

وَمُقَدمَة الولاَيَة: هيَ الطَّريقَةُ التي نَفْي مَا سواهُ تَعَالى مَطْلوب فيهَا وَرَفَع الغَيْر وَالغَيْريَّة مَقْصُود منهَا فَإذَا صَارَ مَا سواهُ تَعَالى بفَضْله جَل شَأْنُهُ مُرْتَفعًا عَنِ النَّظَر بالكُلّيَّة وَلْم يَبْقَ اسْمَ وَلا رَسْمَ منْ رُؤْيَة الأغْيَار فَقَدْ حَصَل الفَنَاء وَبَلغَ مَقَام الطَّريقَة نهَايَته وَتَمَّ السَّيْرُ إلى الله وَالمَشْرُوعِ بَعْدَ ذَلكَ مَقَام الإثْبَات المعَبَّر عَنْهُ بالسَّيْر في الله وَهَذَا هُوَ مَقَام البَقَاء الذي هُوَ مَوْطن الحَقيقَة التي هيَ المقْصد الأَقْصَى منَ الولاَيَة وَبتلكَ الطَّريقَة وَالحَقيقَة اللتَيْن هُمَّا الفنَاء وَالبَقَاء يَصْدُقُ اسْمُ الولاَيَة وَتَصيرُ الأَمَارَة مُطَمْئنَة وَتَرْجعُ عَنْ كُفْرهَا وَإنْكَارهَا وَتَصيرُ رَاضيَة عَنْ مَوْلاهَا وَيَكُونُ المولَى جَل سُلطَانُهُ أَيْضًا رَاضيًا عَنْهَا وَتَزُول الكَرَاهَةُ التي كَانَتْ في جبلتهَا قَالوا إنَّ النَّفْسَ وَإنْ وَصَلت الى مَقَام الاطْمئْنَان(٢) لاَ تَرْجعُ عَنْ بَغْيهَا وَطُغْيَانهَا

وَإنْ انْتَهَتْ نَفْس إلى اطْمئْنَانهَا لكنَّهَا لاَ تُنْتَهي عَنْ غيِّهَا

---

(١) المائدة: ٣٥.

(٢) **الطمأنينة**: لغة: مرادف السكينة. انظر: الفيروزابادي: القاموس: الطمن.

أما عند الصوفية: فالمراد بها سكينة تستقربقوة اليقين المفيد للأمن ودوام الأنس بالحق.

وصورتما في **البدايات**: إطمئنان النفس بذكر الحق إلى الإنقياد بحكم الشرع والإستسلام للطاعة.

وفي **الأبواب**: طمأنينة الخائف إلى الرجاء. وفي **المعاملات**: طمأنينة القلب بالحضور والمراقبة، والثقة بالله في التوكل والتسليم. وفي **الأخلاق**: طمأنينة القلب إلى التخلق بأخلاق الحق. وفي **الأصول**: طمأنينة القلب في القصد إلى الكشف، وفي الفقر إلى الغنى بالله. وفي **الأحوال**: طمأنينة السر في الشوق إلى عدة اللقاء، وفي الرق إلى الذوق. وفي **الولايات**: طمأنينة الروح إلى التمكين في الإتصاف بالصفات الإلهية. انظر: الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية: ٣٠٢.

وَجَعَلوا المرَاد منَ الجهَاد الأَكْبَر الوَاقع في قَوْله عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ " رَجَعْنَا منَ الجهَاد الأَصْغَر إلى الجهَاد الأَكْبَر الجهَاد مَعَ النَّفس "(١).

وَمَا ظَهَرَ في كَشْف الفَقير وَوَجَدَهُ بوجْدَانه خلافَ هَذَا الحُكْم المتَعَارَف فَإنّي لاَ أَجدُ في النَّفس بَعْدَ حُصُول الاطْمئنَان عنادًا وَطُغْيَانًا أَصْلا بَل أَرَاهَا مُتَمَكّنَة في مَقَام الانْقيَاد بَل أَجدُهَا كَالقلب المتَمَكّن الذي نَسّى السّوَى فَارغَة عَنْ رُؤْيَة الغَيْر وَالغَيْريَّة وَعلمهمَا وَمُتَخَلصَة عَنْ حُبّ الجَاه وَالرّيَاسَة وَاللذَّة وَالألم فَأَيْنَ المخَالفَةُ وَبمَنِ العنَاد فَإنْ أَثْبتُوا لهَا قَبْل حُصُول الاطْمئنَان كُل شَيْء منَ المُعَانَدَة وَالطُّغْيَان وَإنْ كَانَ تَفَاوُت أَحْوَالهَا وَتَلوُّنهَا مقْدَار شَعْرَة فَلهُ المسَاغ وَلَيْسَ لنَا فيه نزَاع وَلكنَّ بَعْدَ حُصُول الاطْمئْنَان لاَ مَجَال للمُخَالفَة وَالطُّغْيَان وَلَقَدْ طَالعَ الفَقير في هَذَا البَاب بإمْعَان النَّظَر وَتَأَمُّل في حَل هَذَا المعَمَّى لكَوْنه مُخَالفًا لمَا تَقَرَّرَ عنْدَ القَوْم وَتَعَمَّقَ في الفكْر وَلكنْ بعنَايَة الله سُبْحَانَهُ لَمْ يَجدْ في النَّفس المطْمَئنَّة مقْدَار شَعْرَة منَ المُخَالفَة وَالمُعَانَدَة وَلَمْ يُر فيهَا شَيْئًا غَيْر الاسْتهْلاك وَالاضْمحْلال فَإذَا جَعَلَت النَّفس نَفْسَهَا فدَاء لمَوْلاهَا كَيْفَ يَكُونُ فيهَا مَجَال المخَالفَة وَحَيْثُ كَانَت النَّفْس رَاضيَة عَنْ حَضْرَة الحَقّ تَعَالى وَكَانَ الحَقّ تَعَالى رَاضيًا عَنْهَا كَيْفَ يَتَصَوَّرُ عَنْهَا الطُّغْيَانَ الذي هُوَ مُنَاف للرّضَى وَمَرْضَى الحَقّ جَل سُلطَانُهُ لاَ يَصيرُ غَيْرَ مَرْضَى أَصْلا وَيُمْكنُ أَنْ يَكُونَ المرَاد منَ الجهَاد الأَكْبَر وَالله سُبْحَانَهُ أَعْلم بحَقيقَة الحَال الجهَاد مَعَ القَالب الذي هُوَ مُرَكَّبٌ منَ الطَّبَائع المخْتَلفَة التي كُل طَبيعَة منْهَا مُقْتَضيَة لأَمْر ومتنفرة عَنْ أَمْر فَإنَّ كُلا منَ القُوَّة الشهوية وَالغَضَبيَّة نَاشئَة عَن القَالب أَلا تَرَى أَنَّ سَائرَ الحَيَوَانَات التي لَيْسَتْ لَهَا النَّفس النَّاطقَة هَذه الصّفَات الرَّذيلة كَائنَة فيهَا وَكُلهَا مُتَّصفَةٌ بالشَّهْوَة وَالغَضَب وَالشَّرَه وَالحرْص وَهَذَا الجهَاد كَائن دَائمًا لاَ يَسْكُنُهُ اطْمئْنَان النَّفْس وَلا يَرْفَعُهُ تَمْكين القَلب وَفي بَقَاء هَذَا الجهَاد فَوَائد كَثيرَة مُتَضَمّنَة لتَنْقيَة القَالب وَتَطْهيره حَتَّى تَكُونَ كَمَالات هَذه النَّشْأَة وَمُعَامَلة الآخرَة مَرْبُوطَة بهَا بالأصَالة فَإنَّ في كَمَالات هَذه النَّشْأَة القَالب تَابع وَالقَلب مَتْبُوع وَفي كَمَالات تلكَ النَّشْأَة الأَمْر بالعَكْس القَلب تَابع وَالقَالب مَتْبوع فَإذَا وَقَعَ الخَلل في هَذه النَّشْأَة وَظَهَرَتْ مُقَدّمَةٌ تلكَ النَّشْأَة ينقضى هَذَا الجهَاد

---

(١) **ضعيف**: ضعفه السيوطي في الجامع الصغير ٦٠١٧، وقال الحافظ العراقي: أخرجه البيهقي في الزهد من حديث جابر وقال: هذا إسناد فيه ضعف.، واورده الفتني في تذكرة الموضوعات: كتاب: العلم: باب: خرقة الصوفية، وقال: ضعيف.

وَيرتفعُ هَذَا القتَال فَإذَا بَلغت النَّفسُ بفضْل الله سُبْحَانَهُ مَقَام الاطْمئْنَان وَصَارَتْ مُنْقَادَة للحُكْمِ الإلهِيَ جَل شَأْنُهُ فَقَدْ تَيسَّرَ الإسْلام الحَقيقيّ وَحَصَلتْ حَقيقَةُ الإيمَان وَكُل مَا يَعمَل بَعْدَ ذَلكَ يَكُونُ حَقيقَةً فإذَا أَدَّيْت الصَّلاةَ تَكُونُ حَقيقَةً وَإنْ كَانَ صَوْمًا فَحقيقَة الصَّوْم وَإنْ حَجًّا فَحَقيقَة الحَجِّ عَلى هَذَا القيَاسِ إتْيَان سَائر الأَحْكَام الشَّرْعيَّة فَصَارَ كُل منَ الطَّريقَة وَالحَقيقَة مُتوَسِّطَة بَيْنَ صُورَةِ الشَّريعَة وَحَقيقَتهَا فَمَنْ لَمْ يُشْرفْ بالولايَة الخَاصَّة لاَ يَصل منَ الإسْلام المجَازى إلى الإسْلامِ الحَقيقيّ فإذَا كَانَ بفضْل الله سُبْحَانَهُ مُحلى بحَقيقَة الشَّريعَة وَتُيسِّرُ الإسْلام الحَقيقيّ صَارَ مُسْتَعدًّا لأَنَّ يَنَال حَظًّا وَافرًا ونَصيبًا تَامًّا منْ كَمَالات النُّبُوَّة بتَبعيَّة الأَنْبيَاء وَوِرَاثَتهمْ عَليْهِمْ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَكَمَا أَنَّ صُورَةَ الشَّريعَة كَشجَرَة طَيِّبَة لكَمَالات الولاَيَة وَهيَ كَثمَرَاتها كَذَلكَ حَقيقَة الشَّريعَة أَيْضًا كَشَجرَة مُبَارَكَة لكَمَالات النُّبُوَّة التي هيَ كَثَمرَاتهَا وَحَيْثُ كَانَتْ كَمَالات الولاَيَة ثَمرَات الصُّورَة وَكَمَالات النُّبوَّة ثمراة حَقيقَة تلكَ الصُّورَة تَكُونُ كَمَالات الولاَيَة بالضَّرُورَة صُوَرًا لكَمَالات النُّبُوَّة التي هيَ حَقَائق تلكَ الصُّوَر.

يَنْبَغـــي أَنْ يُعْلَـــمَ: أَنَّ الفَرْقَ بَيْنَ صُورَة الشَّريعَة وَحَقيقَتهَا كَانَ نَاشئًا منْ جهَة النَّفسِ حَيْثُ كَانَ للنَّفْسِ الأَمَارَةَ طُغْيَان في الصُّورَة وَكَانَتْ عَلى إنْكَارهَا وَصَارَتْ مُطمْئنَة في الحَقيقَة وَمُسْلمَة وَكَذَلكَ الفَرْق بَيْنَ كَمَالات الولاَيَة التي هيَ كَالصُّوَر وَبَيْنَ كَمَالات النُّبُوَّة التي كَالحَقَائق نَاش منْ جهَة القَلب فَإنَّ أَجْزَاء القَالب مَا كَانَتْ مُنْتَهيَة وَرَاجعَة عَنْ طُغْيَانهَا وَعنَادهَا في مَقَام الولاَيَة مَثلا لَمْ يَرْجعْ جزءه النَّاريّ مَعَ وُجُود اطْمئْنَان النَّفْسِ عَنْ دَعْوَى الخَيْرِ وَتَكَبُّرهَا وَكَذَلكَ لَمْ يَتَنَدَّمْ جُزْؤُهُ الأَرْضيّ عَنِ الخسَّة والدنائة وَعَلى هَذَا القيَاسِ سَائر الأَجْزَاء وَفي مَقَام كَمَالات النُّبُوَّة جَاءَتْ أَجْزَاء القَالب أَيْضًا إلى حَدِّ الاعْتدَال وَامْتَنَعَتْ عَنِ الإفْرَاط وَالتَّفريط وَيُمْكنُ أَنْ يَكُونَ منْ هَهُنَا قَال النَّبيّ ﷺ" أَسْلم شَيْطَاني"(١).

فَكَمَا أَنَّ في الآفَاق شَيْطَانًا في الأَنْفسِ أَيْضًا شَيْطَان وَهُوَ الجُزْءُ النَّاريّ الذي هُوَ مُدَّعٍ لخَيْريَّته وَمُقْتَضٍ لتَكبُّرهُ وَتَرفَعهُ وَكُل هَذه أَرْدَأ الصِّفَات الرَّذيلة

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وأخرجه مسلم والترمذي والنسائي بلفظ: " إلا أن الله أعانني عليه فأسلم " صحيح مسلم: ك: صفة القيامة والجنة والنار. ب: تحريش الشيطان، وبعثه سراياه لفتنة الناس.ح ٢٨١٤.

والترمذي: أبواب مختلفة في النكاح: ب: ١٧. ح١١٨٢.، سنن النسائي: ك: عشرة النساء. ب: الغيرة.

وإسلامه كناية عَنْ زَوَال تِلكَ الصِّفَاتِ التِي هِيَ أَرْذَل الرَّذَائِل فَفِي كَمَالات النُّبُوَّة تَمْكِينُ القَلب وَاطْمِئْنَان النَّفْسِ وَاعْتِدَال أَجْزَاء القَالب وَفِي الولاية تَمْكِين القَلْب وَبَعْد اللتيا واللتي اطْمِئْنَانَ النَّفْسِ وَإِنَّما قُلنَا بَعْدَ اللتيا واللتِي فإِنَّ اطمِئْنان النَّفْسِ عَلى وَجْهِ الكَمَال مِنْ غَيْرِ تَكَلُّف إِنَّمَا هُوَ بَعْدَ اعْتِدَال أَجْزَاء القَالِبِ وَلِهَذا جوّز أَرْبَاب الولايَةِ رُجُوع المطْمَئِنَّةِ إِلى صِفَاتِ البَشَرِيَّةِ بِوَاسِطَة عَدَم اعْتِدَال أَجْزَاء القَالِب كَما مَرَّ فِي أَوَّل المَبْحث والاطْمِئْنَا الذي يحصُل لِلنَّفس بَعْدَ اعْتِدَال أجزاء القَالِبِ فَهُوَ مَأْمُونٌ وَمُبَرَّأٌ مِنَ الرُّجُوع إِلى صِفَاتِ البَشَرِيَّةِ فَالاخْتِلاف فِي رُجُوعِ النَّفْسِ إِلى الرَّذَائِل وَعَدَم رُجُوعِها مَبْنِيٌّ عَلى اخْتِلافِ مَقَامَاتِ النَّفْسِ وَالأَنْظَارِ كُل شَخْصٍ أَخْبَرَ عَنْ مَقَامِهِ وَتَكَلَّمَ عَنْ وِجْدَانِهِ.

فَإِنْ قِيل: إِذَا جَاءَتْ أَجْزَاء القَالِبِ إِلى حَدِّ الاعْتِدَال وَامْتَنَعَتْ عَنِ المُعَانَدَةِ وَالطُّغْيَان كَيْفَ يَتَصَوَّرُ الجِهَادَ مَعَهَا بَل يَرْتَفِعُ الجِهَاد عَنْهَا ح:

أُجِيبَ: فَرْقٌ بَيْنَ المُطْمَئِنَّةِ وَبَيْنَ هَذِه الأَجْزَاءِ؛ فَإِنَّ المُطْمَئِنَّةَ صَاحِبَة اسْتِهْلاكٍ وَاضْمِحْلال وَمُلْحَقَة بِعَالم الأَمْر وَمُتَّصِفَة بِكَمَال الاسْتِهْلاكِ وَالسُّكْرِ وَهَذِهِ الأَجْزَاء لا مُنَاسَبَةَ لَهَا بِالسُّكْرِ وَالاسْتِهْلاكِ بِوَاسِطَةِ إِتْيَانِ الأَحْكَام الشَّرعِيَّةِ الذي مَبْنَاهُ عَلى الصَّحْو وَلا مَجَال في المسْتَهْلك لِلمُخَالَفَةِ وَمَا فِي صَحْو فَإِنْ صَدَرَتْ عَنْهُ صُورَةُ المُخَالفَةِ فِي بَعْضِ الأُمُورِ بِوَاسِطَةِ بَعْض مَنَافِعِهِ وَمَصَالِحِهِ فَإِنَّهُ يَجُوزُ وَلكِنَّ المَرْجُوَّ أَنْ لا تَكُونَ تِلكَ المخَالفَة بِفَضْلِ اللَّهِ جَل سُلْطَانُهُ فَوْقَ تَرْكِ الاسْتِحْبَابِ وَأَنَّهُ لا تَزِيدُ عَلى ارْتِكَاب الكَرَاهَةِ التَّنْزِيهِيَّة فَيَكُونُ الجِهَاد فِي مَرْتَبَة القَالب مَعَ اعْتِدَالِ أَجْزَائِهِ مُتَصَوَّرًا وَفِي المطمَئِنة لا يَكُونُ الجِهادُ مُجَوَّزًا أَوْ تَحْقِيق هَذا المَبْحث مُنْدَرِج فِي مَكْتُوب منَ الجلد الأَوَّل المحَرِّر فِي بَيَانِ الطَّرِيقِ المحَرِّر بِاسم وَلدِي الأَعْظَم المرْحُوم بِالتَّفْصِيل فَإِنْ بَقِيَ خَفَاء فيه فَلْيُرَاجعْ هُنَاكَ فَإِن انْتَهَتْ كَمَالات النُّبُوَّةِ التي هِيَ نَتَائِج حَقِيقَةِ الشَّرِيعَةِ وَثَمَرَاتها بِفَضْلِ اللَّهِ جَل سُلطَانُهُ إِلى آخِرِهَا يَعْنِي: حَصَلَتْ بِتَمَامِهَا لا تَكُونُ التَّرَقِيَات هُنَاكَ مَنُوطَة بِالأَعْمَال بَل المُعَامَلَة فِي ذَلكَ الموْطِن مَرْبُوطَة بِمَحْضِ فَضل اللَّهِ وَإِحْسَانِهِ سُبْحَانَهُ لا أَثَرَ للاعْتِقَادِ هُنَاكَ وَلا حُكْمَ فِيهِ للعلم وَالعَمَلِ بَل فِيهِ فَضل فِي فَضل وَكَرَم في كَرَم وَهَذَا المقَام بِالنِّسْبَةِ إِلى المَقَامَاتِ السَّابِقَة عَال جدًا وَلَهُ وَسِعَة تَامَّة وَنُورَانِيَّة لَمْ يَكُنْ أَثَر مِنْهَا فِي المَقَامَاتِ السَّابِقَةِ وَهَذا المَقام مَخْصُوص بِالأَصَالَةِ بِالأَنْبِيَاءِ أولي العَزْم عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والتَّسْلِيمَاتُ وَبِالتَّبَعِيَّةِ وَالوِرَاثَةِ يُشْرِفُ بِهِ وَيَمْنَحُ كُل مَنْ أَدْرَكَتْهُ العِنَايَةُ [ع]

لا عُسْرَ فِي أَمْرٍ مَعَ الكِرَامِ

وَلا يَغْلطَنَ هُنَا شَخص فَيَقُول إِنَّهُ قَدْ حَصَل في هَذَا المَوْطن الاسْتغْنَاء عَنْ صُورَة الشَّريعَة وَحَقيقَتهَا وَلَمْ يَبْقَ الاحْتيَاجُ إلى إِتْيَان الأَحْكَام الشَّرْعيَّة لأَنَّا نَقُول إِنَّ الشَّريعَةَ أَصْل هَذَا الأَمْر وَأَسَاس هَذه المُعَامَلة وَكُل مَا يَتَعَالى الشَّجَر أَوْ يَتطَاوَل البُنْيَان وَيُبْنَى فَوْقَهُ القُصُورُ وَالأيوَانُ لاَ يَسْتَغْنيَان عَن الأَصْل وَالأَسَاس وَلا يَزُول عَنْهُمَا الاحْتيَاجُ الذَّاتيّ فَإِنَّ البَيْتَ العُلوّ مَثلا كُل مَا كَانَ أَرْفَع وَأَعْلى لاَ يَكُونُ لهُ بُدّ منَ البَيْت السُّفْل وَلا يَزُول احْتيَاجُهُ عَنْهُ أَصْلا فَإِنْ طَرَأَ الخَلل في السُّفْل فَرْضًا يُؤثرُ ذَلكَ الخَلل في العُلوّ أَيْضًا وَيَسْتَلزمُ زَوَال السُّفْل زَوَال العُلوّ فَالشَّريعَة لازمَة في جَميع الحَال وَجَميع الوَقْت وَكُل شَخْص مُحْتَاج إلى إِتْيَانُ أَحْكَامهَا فَإذَا تَرَقَّت المُعَامَلة عَنْ هَذَا المَوْطن أَيْضًا بفَضْل الله جَل سُلطَانُهُ وَتَحَوَّل الأَمْر منَ التَّفضُّل إلى المَحبَّة يَسْتَقْبل ح مَقَام عَال خَارجَ الكتَاب مَخْصُوص بالأَصَالة بخَاتَم الرُّسُل عَليْه وَعَليْهمُ الصَّلاَةُ والتَسْليمَاتُ وَيُشْرفُ به بالتَّبَعيَّة وَالورَاثَة كُل مَنْ أُريدُ لهُ ذَلكَ وَذَلكَ القصرَ الذي يَظْهَرُ في النَّظَر منْ غَايَة الرِّفْعَة ضَيِّقًا أَجدُ حَضْرَة الصِّديق دَاخلا فيه بطَريق الورَاثَة إلى سُرَّته وَحَضْرَة الفَارُوق أَيْضًا مُهْتَد إلى هَذه الدَّوْلَة وَمنْ أُمَّهَات المُؤْمنينَ أَرَى فيه مَعَهُ عَليْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ بعَلاقَة الازْدوَاج حَضْرَة الخَديجَة وَحَضْرَة الصِّديقَة رَضيَ الله عَنْهُمَا وَالأَمْر إلى الله سُبْحَانَهُ وَلمَّا كَانَ الأَخ الأَعَزّ ذُو المَعَارف الشَّيْخ عَبْدَ الحَيِّ الذي كَانَ في الصُّحْبَة سنينَ مُتَوَجِّهًا إلى وَطَنه وَكَانَ لذَلكَ المَقَام تَعَلقٌ به كَتَبْنَا سُطُورًا بالضَّرُورَة وَاطَّلعْنَا عَلى أَحْوَال المُشَار إليْه وَوُجُود أَهْل الله مُغْتَنم في أَيّ مَكَان كَانَ وَبشَارَةَ لسُكَّان ذَلكَ المَكَان وَفي عَيْن ذَلكَ المَقَام يُقيمُ الأَخ الأَعَزّ الشَّيْخ نُور مُحَمَّد وَيَصْرفُ أَوْقَاته بالفَقْر وَفقْدَان المرَاد وَيَغْبطُ ذَلكَ المَقَام حَيْثُ اجْتَمَعَ فيه اثْنَان منْ أَهْل الله أَمْثَالهمَا وَتَحَقَّقَ فيه قُرْآن السعدين وَالسَّلام.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالسِّتُّونَ بَعْدَ الثَّلاثِمائَةِ
إِلى الخَوَاجَهْ مُحَمَّد صِدِّيق

اَلحَمْدُ للهِ وَسَلامٌ عَلى عِبَادِهِ الذينَ اصْطَفَى اعْلَمْ أَيُّهَا الأَخُ الصِّدِّيقُ أَنَّ كَلامَهُ سُبْحَانَهُ مَعَ البَشَرِ قَدْ يَكُونُ شِفَاهًا وَذَلِكَ لأَفْرَادٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والتَسْلِيمَاتُ وَقَدْ يَكُونُ لِبَعْضِ الكُمَّلِ مِنْ مُتَابِعِيهِمْ بِالتَّبَعِيَّةِ وَالوِرَاثَةِ أَيْضًا وَإِذَا كَثُرَ هَذَا القِسْمُ مِنَ الكَلامِ مَعَ وَاحِدٍ مِنْهُمْ سُمِّيَ مُحَدِّثًا كَمَا كَانَ أَمِيرُ المؤْمِنِينَ عُمَرُ ﷺ وَهَذَا غَيْرُ الالهَامِ وَغَيْرُ الالقَاءِ فِي الرَّوْعِ وَغَيْرُ الكَلامِ الذي مَعَ الملَكِ إِنَّمَا يُخَاطَبُ بِهَذَا الكَلامِ الإِنْسَانُ الكَامِلُ الجَامِعُ بُنِيَ عَالمِى الأَمْرِ وَالخَلقِ وَالرَّوْحِ وَالنَّفْسِ وَالعَقْلِ الخَيَالِ {وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ}(١).

وَلا يَلزَمُ مِنْ كَوْنِ الكَلامِ شِفَاهًا أَنْ يَكُونَ المتَكَلِمُ مَرْئِيًا لِلسَّامِعِ لِجَوَازِ أَنْ يَكُونَ السَّامِعُ ضَعِيفَ البَصَرِ لاَ يَتَحَمَّلُ شَعْشَعَاتِ أَنْوَارِهِ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَوَاتُ والتَسْلِيمَاتُ فِي جَوَابِ سُؤَالِ الرُّؤْيَةِ عَنْهُ " نور أنى أراه "(٢) وَلأَنَّ فِي الشِّفَاهِ خَرَقَ الحُجُبَ الشهودية فَافْهَمْ فَإِنَّ هَذِهِ مَعْرِفَةٌ قَلمَا تُكَلمُ بِهَا أَحَدٌ {والسلام على من اتبع الهدى}(٣).

---

(١) البقرة: ١٠٥.

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم في صحيحه: ك: الإيمان. ب: في قوله عليه السلام: " نور أنى أراه " ح١٧٨. أحمد في المسند: مسند الانصار: حديث أبي ذر الغفاري ﷺ.

(٣) طــه: ٤٧.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالسِّتُّونَ بَعْدَ الثَّلاَثمائَة
إلى الخوجه مُحَمَّد مُهْدَى عَلى الكَشْميرِيِّ
فِي التَّرْغيب فِي طَرِيقَة هَذه الطَّائفَة العَلِيَّة

اَلحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى وَصَلت الصَّحيفَة الشَّريفَة التي صَدَرَتْ منْ كَمَال المحَبَّة وَالأخْلاص مَعَ الهَدَايَا رَزَقَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى الاسْتقَامَة عَلى مَحَبَّة هَذه الطَّائفَة وَحَشَرَ مَعَهُمْ وَهُمْ قَوْمٌ لاَ يَشْقَى جَليسُهُمْ وَلا يَرْحَمُ أَنيسَهُمْ وَلا يَخيبُ جَليسُهُمْ وَهُمْ جُلسَاء الله وَهُمْ إذَا رَأَوْا ذكْرَ الله وَهُمْ مَنْ عَرَفَهُمْ وَجدَ اللهَ، نَظَرهمْ دَوَاء، وَكَلامهمْ شفَاء، وَصُحْبَتهمْ ضيَاء وَبَهَاء، مَنْ رَأَى ظَاهرَهُمْ خَابَ وَخَسرَ وَمَنْ رَأَى بَاطنَهُمْ نَجَّى وَأَفْلحَ وَنعْمَ مَا قيل إلهيَ مَا هَذَا الذي جَعَلتْ أَوْليَاءَك بحَيْثُ مَنَّ عُرْفهمْ وَجَدّك وَمَا لَمْ يَجدْك لَمْ يُعَرِّفْهُمْ يَعْني: أَنَّ مَعْرِفَتَهُمْ وَوجْدَانك ليْسَ أَحَدهمَا مُنْفَكًا عَنِ الآخرِ وَالتَّقَدُّم الذَّاتيّ باعْتبَارِ للمُعَرِّفَة وَباعْتبَارِ للوجْدَان وَمُخْتَار القَائل تَقَدُّم ذَلكَ الطَّرَف لأَنَّهُ المَبْدَأُ فَمنْهُ البدَايَةُ أُولي وَأَحْرَى وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَعَلى مَنْ لدَيْكُمْ.

اَلمكْتُوبُ السَّادِسُ وَالسِّتُّونَ بَعْدَ الثَّلاثمائَة

إلى وَاحد منْ مشائخ النَوَاحي

في جوَاب استفسَاره بأنِ لَوْ عَبَدْتُ اللهَ يَحْصُل للنَّفْس الاسْتغْنَاءُ وَإنْ صَدَرَتْ مِنِّي زَلةٌ وَخلافُ الشَّرْعِ تَظْهَرُ النَّدامَةُ وَالانْكسَارُ

اَلحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى قَدْ سَألتَ أَنَّهُ إذَا جَعَلتُ نفسى في مَقَام الرِّيَاضَة يَعْني: اشْتَغَلتُ بهَا يَظْهَرُ في النَّفْس الاسْتغْنَاء وَتَزْعُمُ أَنْ لاَ صَالحَ مثْلى وَإنْ صَدَرَ شَيْء منْ خلاف الشَّرْعِ تَتَخَيَّل نَفْسهَا مُحْتَاجَة وَمسْكينَة فمَا علاج ذَلكَ.

أَيُّهَا الموَفَّق: أنَّ الاحْتيَاجَ وَالمَسْكَنَةَ الصَّادرُ في الشِّقِّ الثَّاني الذي يُنْبئُ عَنِ النَّدَم نعْمَة عَظيمَة وَالعيَاذ بالله سُبْحَانَهُ لوْ لَمْ تَظْهَرْ النَّدَامَةُ التي هيَ منْ شَعْب التَّوْبَة بَعْدَ ارْتكَاب المحْظُور الشرعى وَكَانَت النَّفْس مُلتَذَّة وَمَحْظُوظَة بإتْيَان الذَّنْب فَإنَّ الالتذاذَ بالذَّنب إصْرَار عَلى الذَّنْب فَإنْ كَانَ الإصْرَارُ عَلى السَّيِّئَة الصَّغيرَة فَهُوَ يُوصل إلى الكَبيرَة وَالأصْرَار عَلى الكَبيرَة دهْليز الكُفْر يَنْبَغي أدَاء شُكْر هَذه النِّعْمَة العُظْمَى ليَحْصُل ازْديَاد النَّدَم فَيَمْنَعُ عَنْ ارْتكَاب خلاف الشَّريعَة قَال اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى {لئنْ شَكَرْتُمْ لأَزيدَنَّكُمْ}[1] وَحَاصل الشِّقِّ الأَوَّل حُصُول العَجَب بَعْدَ إتْيَان الأَعْمَال الصَّالحَة وَهَذَا العَجَب سُمّ قَاتل وَمَرَض مُهْلك يُبْطل الأَعْمَال الصَّالحَةَ كَمَا يَأْكُل النَّار الحَطَب وَمَنْشَأ العَجَب هُوَ أَنْ يَرَى الأَعْمَال الصَّالحَةَ مُزَيَّنَة وَمُسْتَحْسَنَة في نَظَر العَامل وَالمُعَالجَة بالأَضْدَاد فَيَنْبَغي اتِّهَام الحَسَنَات وَأَنْ يظْهَرْ قَبَائحهَا في النَّظَر وَأَنْ ينْسُبَ الإنْسَانَ نَفسه وَأَعْمَاله إلى القُصُور بَل يَجدُ مُسْتَحقًّا للطَّرْد وَاللعْن قَال عَليْه وَعَلى آله الصَّلاةَ وَالتَّسْليمَاتُ " رُبَّ قَارئ للقُرْآن وَالقُرْآن يَلعَنُهُ "، " وَكَمْ منْ صَائم ليْسَ لهُ منْ صيَامه إلا الظَّمأ وَالجوع" وَلا يَتَخَيَّل أنْ لاَ قُبح لحَسَنَة بَل لوْ تَوَجَّهَ إليْه قَليلا لوَجَدَ بعنَايَة الله سُبْحَانَهُ كُله قَبيحًا وَلا يُحسُّ رَائحَة منَ الحُسْن فَأَيْنَ العَجَبُ وَلمَنْ الاسْتغْنَاء بَل يَكُونُ منْ علة اسْتيلاء رُؤْيَة القُصُور في الأَعْمَال مُنْفَعلا وَمُسْتَحيًا منْ إتْيَان الأَعْمَال الحَسَنَة لاَ مُعْجَبًا وَمُسْتَغْنيًا فَإذَا حَصَل رُؤْيَة القُصُور في الأَعْمَال تَزيدُ قيمَةَ الأَعْمَال وَتَكُونُ حَقيقَةً بالقَبُول وَيَنْبَغي السَّعْي حَتَّى يَحْصُل هَذه الرُّؤْيَة فَيَتَخَلصُ منَ العَجَب العَجَب وَدُونَهُ خَرَطَ القَتَاد، إلا أَنْ

---

(١) إبراهيم:٧

يَشَاءَ اللهُ، وَطَائفَة مِنَ الذينَ تَيَسَّرَتْ لَهُمْ رُؤْيَةُ القُصُورِ فِي الأَعْمَال عَلى وَجْه الكَمَال يَظُنُّونَ أَنَّ كَاتبَ اليَمين مُعَطّل وَأَنَّهُ لاَ حُسْنَ لَهُ يَكْتُبُ وَكَاتبُ الشَّمَال فِي الشُّغْل دَائمًا وَإِنْ فِعْلَهُ كُله قَبِيحٌ وسيئ فَإِذَا انْتَهَتْ مُعَامَلَة العَارِفِ إِلَى هَـذَا الحَـدِّ عُومل مَعَهُ مَا عُومِل، (ع):

بَلغَ اليَرَاعُ إِلى هُنَا فَتَكَسَّرَ

{والسلام على من اتبع الهدى}[1].

---

(١) طـه: ٤٧

اَلمكْتُوبُ السَّابِعُ وَالسِّتُّونَ بَعْدَ الثَّلاثمائة

إِلَى السَّيِّدِ شَاه مُحَمَّد فِي بَيَان أَنَّ لمُتَابَعَة النَّبيِّ ﷺ مَرَاتِبَ وَدَرَجَاتٍ وَهِيَ سَبْع دَرَجَات وَبَيَان تَفْصِيل كُلِّ دَرَجَةٍ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

اَلحَمْدُ للّه وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى.

اعْلَمْ: أَنَّ لمُتَابَعَة النَّبيِّ ـــ عَلَيْه وَعَلَى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ـــ الَّتي هِيَ رَأْس كُلِّ سَعَادَة دينيَّة وَدُنْيَويَّة دَرَجَات وَمَرَاتب:

اَلدَّرَجَةُ الأُولَى: لعَوَامِّ أَهْلِ الإِسْلام منْ إِتْيَان الأَحْكَام الشَّرْعيَّة وَمُتَابَعَة السُّنَّة السَّنيَّة بَعْدَ تَصْديق القَلْب وَقَبْلَ اطْمئْنَان النَّفْس الَّذي هُوَ مَرْبُوطٌ بدَرَجَة الولايَة وَعُلَمَاء الظَّاهر وَالعبَاد وَالزُّهَّاد وَالَّذينَ لَمْ تَبْلُغْ مُعَامَلَتهمْ مَرْتَبَة اطْمئْنَان النَّفْس كُلّهمْ شُرَكَاء في هَذه الدَّرَجَة منَ المُتَابَعَة وَكُلّهمْ مُتَسَاويَةُ الأَقْدَام في صُورَة الأَتْبَاع وَحَيْثُ إِنَّ النَّفْسَ لَمْ تَخلّصْ في هَذه المقَام منْ كُفْره وَإِنْكَاره لاَ جَرَمَ تَكُونُ هَذه الدَّرَجَة مَخْصُوصَة بصُورَة المتَابَعَة وَصُورَة المتَابَعَة هَذه كَحَقيقَة المتَابَعَة مُوجبَة للْفَلاَح وَنَجَاة الآخرَة وَمُنْجيَة منْ عَذَاب النَّار وَمُبَشِّرَة بدُخُول الجَنَّة وَمنْ كَمَال كَرَمه سُبْحَانَهُ لَمْ يَعْتَبرْ إِنْكَارَ النَّفْس بَلْ اكْتَفَى بتَصْديق القَلْب وَجَعَلَ النَّجَاة مَرْبُوطَة بذَلكَ التَّصْديق.

وَلَعَلَّ يَقْبَلُ أَدمُعَى مَنْ كَانَ يَخلُقُ   لُؤْلُؤًا مِنْ قَطْرَةِ الأَمْطَارِ

وَالدَّرَجَة الثَّانيَة منَ المتَابَعَة: اتِّبَاع أَقْوَاله وَأَفْعَالُهُ ـــ عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ـــ الَّتي تَتَعَلَّقُ بالبَاطن منْ تَهْذيب الأَخْلاق وَرَفْع رَذَائل الصِّفَات وأزالة الأَمْرَاض البَاطنيَّة وَالعلَل المعْنَويَّة ممَّا يَتَعَلَّقُ بمَقَام الطَّريقَة وَهَذه الدَّرَجَة منَ الاتِّبَاع مَخْصُوصَة بأَرْبَاب السُّلُوك الَّذينَ يَقْطَعُونَ بوادى السَّيْر إِلَى اللّه ومفازه آخذينَ طَريقَة الصُّوفيَّة منْ شَيْخ مُقْتَدَى.

وَالدَّرَجَة الثَّالثَة منَ المُتَابَعَة: اتِّبَاع أَحْوَاله وأذواقه وَمَوَاجيده عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ الَّتي تَتَعَلَّقُ بمَقَام الولايَة الخَاصَّة وَهَذه الدَّرَجَة مَخْصُوصَة بأَرْبَاب الولايَة سَوَاء كَانَ مَجْذُوبًا سَالكًا أَوْ سَالكًا مَجْذُوبًا فَإِذَا انْتَهَتْ مَرْتَبَة الولايَة إِلَى آخرهَا فَقَدْ صَارَت النَّفْس مُطْمَئنَّة وَامْتَنَعَتْ منَ المُعَانَدَة وَالطُّغْيَان وَانْتَقلَتْ منَ الإِنْكَار إِلَى الإِقْرَار وَ منَ الكُفْر إِلَى الإِسْلام فَكُلُّ مَا تَجتَهدُ بَعْدَ ذَلكَ في المتَابَعَة تَكُونُ حَقيقَة المتَابَعَة فَإِنْ أَدَّى الصَّلاةَ فَقَدَ ادَّى حَقيقَة المتَابَعَة يَعْني: في أَدَاء الصَّلاة وَفي الصَّوْم

وَالزَّكَاة أَيْضًا هَذَا الحُكْم وَعَلَى هَذَا القِيَاسِ حَقِيقَة المتَابَعَة كَائِنَة فِي إِتْيَان جَمِيعِ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّة.

فَإِنْ قِيلَ مَا مَعْنَى حَقِيقَة الصَّلاة وَالصَّوْم وَالصَّلاة وَالصَّوْم كُلّ مِنْهُمَا عِبَارَة عَنْ أَفْعَال مَخْصُوصَة فَإِنْ أُدِّيَتْ تِلْكَ الأَفْعَال عَلَى وَجْه أَمَرَّ بِه فَقَد اَدَّيْت الحَقِيقَة فَمَا تَكُونُ الصُّورَةُ وَمَا تَكُونُ الحَقِيقَة وَرَاءَهَا:

أُجِيبَ: لمَا كَانَ لِلْمُبْتَدَى النَّفْسَ الأَمَّارَةَ الَّتِي هِيَ مُنْكِرَة لِلْأَحْكَامِ السَّمَاوِيَّة بِالذَّات كَانَ إِتْيَان الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّة مِنْهُ بِاعْتِبَارِ الصُّورَة وَلَمَّا صَارَتْ نَفْسَ المنْتَهِيَ مُطْمَئِنَة وَقَبِلَت الأَحْكَام الشَّرْعِيَّة بِالرِّضَا وَالرَّغْبَة كَانَ إِتْيَان الأَحْكَامِ مِنْهُ بِاعْتِبَارِ الحَقِيقَة مَثَلًا المنَافِق وَالمُسْلِم كِلاهُمَا يُؤَدِّيَان الصَّلاةَ وَحَيْثُ كَانَ فِي المنَافِق إِنْكَار البَاطِن لاَ يَصْدُرُ عَنْهُ إِلَّا أَدَاء صُورَة الصَّلاة وَالمُسْلِم بِوَاسِطَة انْقِيَاده البَاطِنِ مُتَحَلَّى بِحَقِيقَة الصَّلاة؛ فَالصُّورَة وَالحَقِيقَة بِاعْتِبَار إِنْكَار البَاطِن وَإِقْرَاره.

وَالدَّرَجَة الرَّابِعَة دَرَجَة مِنَ المُتَابَعَة: وَكَانَتْ فِي الدَّرَجَة الأُولَى صُورَة هَذه المتَابَعَة وَهُنَا حَقِيقَةُ الاتِّبَاعِ وَهَذه الدَّرَجَة الرَّابِعَة مِنَ الاتِّبَاعِ مَخْصُوصَة بِالعُلَمَاء الرَّاسِخِينَ شَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى سَعْيَهُمْ فَإِنَّهُمْ يَتَحَقَّقُونَ بِدَوْلَة المتَابعَة بَعْدَ اطْمِئْنَان النَّفْسِ وَإِنْ حَصَلَ نَحْوُ مِنْ اطْمِئْنَان النَّفْسِ لِلْأَوْلِيَاء قَدَّسَ اللَّهُ تَعَالَى أَسْرَارَهُمْ بَعْدَ تَمْكِين القَلْب وَلَكِنَّ كَمَالَ الاطْمِئْنَان يَحْصُلُ لِلنَّفْسِ فِي تَحْصِيل كَمَالات النُّبُوَّة الَّتِي لِلْعُلَمَاء مِنْهَا نَصِيب بِطَرِيق الوِرَاثَة فَيَكُونُ العُلَمَاءُ الرَّاسِخُونَ مُتَحَقِّقِينَ بِحَقِيقَة الشَّرِيعَة الَّتِي هِيَ حَقِيقَة الاتِّبَاعِ بِوَاسِطَة كَمَال.اطْمِئْنَانُ النَّفْسِ وَحَيْثُ فَقَدَ هَذَا الكَمَال فِي غَيْرِهِمْ يتلبسون أَحْيَانًا بِصُورَة الشَّرِيعَة وَآونَة يَتَحَقَّقُونَ بِحَقِيقَة الشَّرِيعَة.

وَلنُبَيِّن عَلامَة لِلْعُلَمَاء الرَّاسِخِين؛ لِئَلا يَدَّعِيَ كُلُّ عَالِم بِالظَّاهِرِ دَعْوَى الرُّسُوخ وَلا يَزْعُمُ أَمَارَاته مُطَمْئِنَة العَالِم الرَّاسِخِ هُوَ شَخْصٌ لَهُ نَصِيب مِنْ تَأْوِيلِ مُتَشَابِهَات الكِتَاب وَالسُّنَّة وَحَظٌّ مِنْ أَسْرَار مُقَطَّعَات الحَرْف الَّتِي فِي أَوَائِل السُّوَر القُرْآنِيَّة وَتَأْوِيل المتَشَابِهَات مِنْ جُمْلَة الأَسْرَار الغَامِضَة وَلا تَتَخَيَّلُ أَنَّهُ مِثْل تَأْوِيلِ اليَد بِالقُدْرَة وَالوَجْه بِالذَّات فَإِنَّهُ نَاشَ مَنْ عِلْمِ الظَّاهِرِ لاَ مَسَاسَ لَهُ بِالأَسْرَارِ وَأَصْحَاب هَذه الأَسْرَار هُمُ الأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَهَذه الرموزات إِشَارَات إِلَى مُعَامَلاتِهِمْ وَيُشَرِّفُ بِهَذه الدَّوْلَة العُظْمَى بِتَبَعِيَّة هَؤُلاءِ الأَكَابِر وَوِرَاثَتِهِمْ كُلّ مَنْ

أُرِيدُ لَهُ ذَلِكَ، وَحُصُولُ هَذه الدَّرَجَة منَ المُتَابَعَة الَّتي هِيَ مَنُوطَةٌ باطْمئْنَان النَّفْسِ وَوُصُول إلى الحَقيقَة مُتَابَعَة صَاحب الشَّرِيعَة عَلَيْه وَعَلَى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ يَتَيَسَّرُ أَحْيَانًا بدُون تَوَسُّط الفَنَاء وَالبَقَاء وَبلا تَوَسُّل السُّلُوك وَالجَذْبَة وَيُمْكنُ أَنْ لا يَكُونَ في البَيْن شَيْءٌ منَ الأَحْوَال وَالمَوَاجيد وَالتَّجَلِّيَات والظُّهُورَات وَتَكُونُ تلْكَ الدَّوْلَة نَقْد الوَقْت وَلَكنَّ الوُصُولَ إلَى هَذه الدَّوْلَة منْ طَرِيق الولايَة أَقْرَبُ منَ الوُصُول إلَيْهَا منْ طَرِيق آخرَ وَهَذَا الطَّرِيق الآخَر بزَعْم الفقير هُوَ التزَامُ مُتَابَعَة السُّنَّة السَّنيَّة عَلَى صَاحبِهَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالتَّحيَّةُ وَالاجْتنَاب عَنْ اسْم البدْعَة وَرَسْمها وَمَنْ لَمْ يَحْتَرِزْ عَنِ البدْعَة الحَسَنَة احْترَازه عَنِ البدْعَة السَّيِّئَة لا تَصلُ إلَى مشام رُوحه رَائحَة منْ هَذه الدَّوْلَة وَهَذَا المَعْنَى مُتَعَسِّرٌ في هَذَا اليَوْمَ فَإنَّ العَالَمَ مُسْتَغْرِق اليَوْمَ في لُجَّة بحْرٌ البدْعَة وَمُطْمَئنٌ بظُلُمَاتهَا لمَنِ المَجَالُ في التَّكَلُّم في رَفْع البدْعَة وَإحْيَاء السُّنَّة أَكْثَر عُلَمَاءَ هَذَا الوَقْت يُرَوِّجُونَ البدْعَةَ وَيَمْحُونَ السُّنَّةَ وَيُفْتُونَ بجَوَاز بدْعَات وَاسعَة بَلْ باسْتحْسَانهَا بعلَّة تَعَامُل الخَلْق وَيَدُلُّونَ النَّاس عَلَيْهَا لَيْتَ شعْرِي مَاذَا يَقُولُونَ لَوْ شَاعَت الضَّلالَةَ وَصَارَ البَاطل مُتَعَارَفًا تَكُونُ تَعَامُلًا أَمَا يَعْلَمُونَ أَنَّ كُلَّا التَّعَامُل لَيْسَ هُوَ دَلِيل الاسْتحْسَان وَالتَّعَامُلِ المعْتَبَر إنَّمَا هُوَ مَا جَاءَ منَ الصَّدْرِ الأَوَّل وَحَصَلَ بإجْمَاع جَميع النَّاسِ كَمَا ذَكَرَ في الفَتَاوَى الغياثية قَالَ شَيْخ الإسْلام الشَّهيد رَحمَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لاَ نَأْخُذُ باسْتحْسَان مَشَايخَ بلَخٌ وَإنَّمَا نَأْخُذُ بقَوْل أَصْحَابنَا المتَقَدِّمينَ رَحمَهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لأَنَّ التَّعَامُلَ في بَلْدَة لا يَدُلُّ عَلَى الجَوَازِ وَإنَّمَا يَدُلُّ عَلَى الجَوَاز مَا يَكُونُ عَلَى الاسْتمْرَار منَ الصَّدْرِ الأَوَّل ليَكُونَ دَليلًا عَلَى تَقْرِير النَّبيِّ عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ إيَّاهُمْ عَلَى ذَلكَ فَيَكُونُ شَرْعًا لَهُ عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَأَمَّا إذَا لَمْ يَكُنْ كَذَلكَ لاَ يَكُونُ فعْلُهمْ حُجَّة إلَّا إذَا كَانَ ذَلكَ منَ النَّاسِ كَافَّة في البُلْدَان كُلّهَا ليَكُونَ.إجْمَاعًا، والإجماع حُجَّة؛ أَلاَ تَرَى أَنَّهُمْ لَوْ تَعَامَلُوا عَلَى بَيْعِ الخَمْرِ وَعَلَى الرِّبَا لا يُفْتَى بالحَلِّ وَلا شَكَّ أَنَّ العلْمَ يَتَعَامَلُ كَافَّة الأَنَام وَالوُقُوفَ عَلَى عَمَلِ جَميعِ القُرَى وَالبُلْدَان خَارج عَنْ حَيْطَة قُوَّة البَشَر بَقيَ تَعَامُل الصَّدْر الأَوَّل الَّذي هُوَ في الحَقيقَة تَقْريره ﷺ وَرَاجعَ إلَى سَنَته فَأَيْنَ البدْعَةُ وَأَيْنَ حُسْنُهَا وَكَانَتْ صُحْبَة خَيْرِ البَشَر عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ كَافيَة في حُصُول جَميع الكَمَالات للأَصْحَاب الكرَام عَلَيْهمُ الرِّضْوَان وَكُلَّ منْ تَشَرُّف منْ عُلَمَاء السَّلَف بدَوْلَة الرُّسُوخ بدُون اخْتيَارِ طَرِيق الصُّوفيَّة وَبلا قَطْع مَسَافَةً بالسُّلُوك وَالجَذْبَة كَانَ ذَلكَ بوَاسطَة التزَامِ مُتَابَعَة السُّنَّة السَّنيَّة عَلَى صَاحبِهَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالتَّحيَّةُ

وَالاجْتِنَاب عَنْ بدْعَة غَيْر مَرْضِيَّة اللَّهُمَّ ثَبِّتْنا عَلَى مُتَابَعَة السُّنَّة وَجَنْبنا عَنْ ارْتِكَاب البدْعَة بحُرْمَة صَاحب السُّنَّة عَلَيْه وَعَلَى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

اَلدَّرَجَة الخَامسَة منَ المُتَابَعَة اتِّبَاع كَمَالاته عليه وَعَلَى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَلا مَدْخَلَ للْعلْمِ وَالعَمَلِ في حُصُول تلْكَ الكَمَالات بَلْ حُصُولهَا مَرْبُوطَة بمَحْضِ فَضْلِ الحَقِّ وَإِحْسَانه جَلَّ سُلْطَانُهُ وَهَذه الدَّرَجَة عَاليَة جدًّا لاَ مَسَاسَ للدَّرَجَات السَّابقَة بهَا وَهَذه الكَمَالات مَخْصُوصَة بالأنْبيَاء أُوْلَى العَزْم بالأَصَالَة وَيُشَرِّفُ بهَا بالتَّبَعيَّة وَالورَاثَة كُلَّ مَنْ أُريدُ لَهُ ذَلكَ.

وَالدَّرَجَة السَّادسَة منْ المتَابَعَة: اتِّبَاعه عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ في كَمَال مَخْصُوص بمَقَامِ مَحْبُوبَته عَلَيْه وَعَلَى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَكَمَا أَنَّ إفَاضَة الكَمَالات في الدَّرَجَة الخَامسَة كَانَتْ بمُجَرَّد الفَضْلِ وَالأَحْسَان كَذَلكَ في الدَّرَجَة السَّادسَة إفَاضَة كمَالاتهَا بمُجَرَّد المَحَبَّة الَّتي فَوْقَ التَّفَضُّلِ وَالأَحْسَان وَمنْ هَذه الدَّرَجَة أَيْضًا نَصيب لأَقَلَّ قَليل وَهَذه الدَّرَجَات الخَمْسَ منْ دَرجَات المتَابَعَة غَيْر الدَّرَجَة الأَوْلَى، وَكُلّهَا تَتَعَلَّقُ بمَقَامَات العُرُوج وَحُصُولهَا مَرْبُوط بالصُّعُود.

وَالدَّرَجَة السَّابعَة: مُتَابَعَة تَتَعَلَّقُ بالنُّزُول وَالهُبُوط وَهَذه الدَّرَجَة جَامعَة لجَميعِ الدَّرَجَات السَّابقَة فَإنَّ في هَذَا المَوْطن يَعْني: مَوْطن النُّزُول تَصْديق القَلْب وَتَمْكينه وَاطْمئْنَان النَّفْسِ وَاعْتدَال أَجْزَاء القَلْب لامْتنَاعهَا وَانْتهَائهَا عَنِ الطُّغْيَان وَالعنَاد وَكَأَنَّ الدَّرَجَات السَّابقَة كَانَتْ أَجْزَاء هَذه المتَابَعَة وَهَذه الدَّرَجَة كَالكُلِّ لتلْكَ الأَجْزَاء وَيَحْصُلُ للتَّابعِ في هَذَا المَقَام شباهة بالمَتْبُوعِ عَلَى نَهْجٍ كَأَنَّهُ قَدْ ارْتَفَعَ اسْم التَّبَعيَّة منَ البَيْنِ وَزَالَ امْتيَاز التَّابع وَالمَتْبُوع وَيَتَوَهَّمُ أَنَّ التَّابعَ كُلُّ مَا يَأْخُذُ يَأْخُذُهُ منَ الأَصْلِ كَالمَتْبُوعِ وَكَأَنَّ كلَيْهمَا يَشْرَبَان منْ عَيْنٍ وَاحدَة وَكلَيْهمَا في عنَاق وَاحد وَمخَدَّة وَاحدَة وَكَأَنَّهمَا لَبَنٌ وَسُكَّرٌ أَيْنَ التَّابعُ منَ المَتْبُوعِ وَلمَنِ التَّبَعيَّة فَإنَّهُ لاَ مَجَالَ للتَّغَايُرِ في اتِّحَاد.النِّسْبَةُ وَالعَجَبُ أَنَّهُ كُلَّا يُطَالعُ في هَذَا المَقَام بإمْعَان النَّظَر لاَ تَكُونُ نسْبَة التَّبَعيَّة مَلْحُوظَة وَمَنْظُورَة أَصْلًا وَلا يَكُونُ امْتيَاز التَّابعيَّة وَالمَتْبُوعيَّة مَشْهُودًا قَطْعًا وَالَّذي يُدْركُ وَيُدَّرَى أَنَّ التَّابعَ يُعَرِّفُ نَفْسه طُفَيْليًّا وَوَارث نَبيه عَلَيْه وَعَلَى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَكَانَ التَّابع غَيْر الطُّفَيْليّ وَالوَارث وَإنْ كَانَ الكُلّ في سَلَكَ التَّبَعيَّة وَالظَّاهر أَنَّ حَيْلُولَةَ المَتْبُوعَ لازمَةٌ في التَّابع وَأَمَّا في الطُّفَيْليّ وَالوَارث فَلَيْسَ بلازمَة أَصْلًا التَّابعُ آكل حصَّته والطُّفَيْليّ جَليس ضمْنى وَبالجُمْلَة إنْ

كُلّ دَوْلَة جَاءَتْ في عَرْصَة الوُجُود فإِنَّمَا هِيَ للْأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَمنْ سَعَادَة الأُمَم احتظاظهم منْ تلْكَ الدَّوْلَة بتَطَفُّل الأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ والتَسْليمَاتُ وَتَنَاوُلهمْ منْ حصَّتهمْ.

عَلمَتْ بأنى لَسْت الحَقَ رَكْبه　　فيُكْفى سماعى مَنْ وَرَّاهُ نَدَاهُ

وَالتَّابع الكَامل مَنْ يَكُونُ مُتَحَلّى بهَذه الدَّرَجَات السَّبْعَ منَ المُتَابَعَة وَالَّذي لَهُ مُتَابَعَة في البَعْض دُونَ البَعْض فهُوَ تَابع في الجُمْلَة عَلَى تَفَاوُت الدَّرَجَات وَعُلَمَاء الظَّاهر مَسْرُورُونَ بالدَّرَجَة الأُولَى وَلَيْتَهُمْ يَتمَنَّوْنَ تلْكَ الدَّرَجَةَ أَيْضًا وَهُمْ جُعلُوا المُتَابَعَةَ مَقْصُورَةً عَلَى صُورَة الشَّريعَة وَظَنُّوا مَا وَرَاءهَا أَمْرًا آخَر وَتَصَوَّرُوا طَريقَةَ الصُّوفيَّة الَّتي هيَ وَسيلَة لحُصُول دَرَجَات المُتَابَعَة شَيْئًا فَرْيًا وَلَمْ يَعْرفْ أَكْثَرهمْ شَيْخًا وَمُقْتَدَى لنَفْسه غَيْر الهدَايَة والبزدوي

وَلَيْسَ لشَيْء كَامن جَوْفَ صَخْرَة　　سوَاهَا سَموَات لَدَيْه وَلا أَرْض

حَقَّقْنَا اللّه سُبْحَانَهُ وَإيَّاكُمْ بحَقيقَة المتَابَعَة المُصْطَفَويَّة عَلَى صَاحبهَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالتَّحيَّةُ وَعَلَى جَميع إخْوَانه منَ الأَنْبيَاء الكرَام وَالمَلائكَة العظَام وَعَلى جَميع اتّبَاعهمُ الى يَوْم القيَام.

اَلمكْتُوبُ الثَّامنُ وَالسِّتُّونَ بَعْدَ الثَّلاثَمائَة

إلى المخْدُومِ زَادَه الخَوَاجَهْ مُحَمَّد سَعِيد وَالمَخْدُوم زَادَه الخَوَاجَهْ مُحَمَّد مَعْصُوم سَلَّمَهُمَا اللهُ تَعَالَى فِي بَيَانِ أَنَّ القُرْآنَ جَامع لِجَمِيعِ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّة وَفِي مَنَاقِب الإِمَامِ الأَعْظَمِ أَبِي حَنِيفَة ﷺ وَبَيَان أَنَّ أَصْلَ هَذَا الأَمْرِ هُوَ الشَّرِيعَة وَمَدْح الصُّوفِيَّة العَلِيَّة وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عِبَادِه الذينَ اصْطَفَى:

اعْلَمْ أَنَّ القُرْآنَ المجيدَ جَامِعٌ لِجَمِيعِ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّة بَل جَامِعٌ لِجَميعِ الشرايعِ المتَقَدِّمَة غَايَة مَا فِي البَاب أَنَّ بَعْضَ أَحْكَام هَذه الشَّريعَة يَفْهَمُ بعبَارَة النَّصِّ(١) وَإِشَارَة النَّصِّ(٢) وَدَلالة النَّصِّ(٣) وَاقْتِضَاء النَّصِّ(٤) وَالعَوَامّ وَالخَوَاصّ مِنْ أَهْل اللغَة مُتَسَاوِيَة الأَقْدَامِ فِي هَذَا الفَهْم وَالقِسْم الآخَر مِنَ الأَحْكَامِ مِنْ قَبِيل مَا يَفْهَمُ بِتَوَسُّط الاجْتهَاد وَالاسْتنْبَاط وَهَذَا الفَهْم مَخْصُوص بالأَئمَّة المجْتَهدينَ سَوَاء كَانَ النَّبيّ ﷺ عَلى قَوْل الجُمْهُورِ أَوْ أَصْحَابه الكرَام عَلَيْهِمُ الرِّضْوَان أَوْ سَائر مجتهدى أُمَّته عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَلكنَّ الأَحْكَامَ الاجْتهَادِيَّة فِي زَمَنه عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ لَمْ تَكُنْ مُتَرَدِّدَة بَيْنَ الخَطَأ وَالصَّوَابِ لكَوْنه أَوْ أَنَّ الوَحْي بَل كَانَ يَتَمَيَّز

---

(١) **عبارة النص:** هي النظم المعنوي المسوق له الكلام، سميت: عبارة لأن المستدل يعبر من النظم إلى المعنى.، والمتكلم من المعنى إلى النظم، فكانت هي موضع العبور، فإذا عمل بموجب الكلام من الامر و النهي يسمى: استدلالاً بعبارة النص. انظر: الجرجاني: التعريفات: ١٨٩، ١٩٠.

(٢) **إشارة النص:** هو العمل بما ثبت بنظم الكلام لغة، لكنه غير مقصود، ولا سيق له النص. المرجع السابق: ٤٣.

(٣) **دلالة النص:** عبارة عما ثبت بمعنى النص لغة لا إجتهادا، كالنهي عن التأفيف في قوله تعالى: " فلا تقل لهما أف " يوقف به على حرمة الضرب وغيره مما فيه نوع من الأذى بدون الإجتهاد. المرجع السابق: ١٣٩.

(٤) **اقتضاء النص:** عبارة عما لم يعمل النص إلا بشرط تقدم عليه، فإن ذلك أمر اقتضاه النص بصحة ما تناوله النص، وإذا لم يصح لا يكون مضافا إلى النص، فكان المقتضى كالثابت بالنص، كما إذا قال الرجل لآخر: اعتق عبدك هذا عني بألف درهم؛فأعتقه، يكون العتق من الآمر، كأنه قال: بع عبدك لي بألف درهم، ثم كن وكيلا لي بالإعتلق. المرجع السابق: ٥٠.

صَوَاب الحَقِّ مَنْ خطأ المخطّي بالوحَى القَطْعيِّ ولم يَبْقَ الحَقّ مُمْتَزجًا بالبَاطل فَإِنَّ تَقْرِير النَّبيّ وَتَثْبيتَهُ عَلى البَاطل غَيْر مُجوَّز بخلاف الأَحْكَام الحَاصلة بطَريق اسْتنْبَاط المجْتَهدينَ بَعْدَ انْقرَاض زَمَان الوَحْي فإنَّهَا مُتَرَدِّدَة بَيْنَ الخَطأ وَالصَّوَاب وَلهَذَا كَانَ الأَحْكَامُ الاجْتهَاديَّةُ التي صَارَتْ مُقرَّرَة في زَمَن الوَحْي مُوجبَة لليَقين المفيد للعَمَل وَالاعْتقَاد وَبَعْدَ زَمَان الوَحْي تَكُونُ مُوجبَة للظَّنِّ المفيد للعَمَل لاَ الاعْتقَادُ وَالقَسَمُ الثَّالثُ منَ الأَحْكَام القُرْآن ممَّا يَعْجزُ عَنْ فَهْمه الطَّاقَة البَشَريَّة وَمَا لَمْ يَحْصُل الإعْلاَمُ منْ جَانب مُنَزِّل الأَحْكَام جَل سُلطَانُهُ لاَ يُتَصوَّرُ فَهُمْ تلكَ الأَحْكَامَ وَحُصُول ذَلكَ الإعْلام مَخْصُوص بالنَّبيّ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ لاَ يَحْصُل لغَيْره وَهَذه الأَحْكَامُ وَإنْ كَانَتْ مَأْخُوذَة منَ الكتَاب وَلَكنْ لَمَّا كَانَ مَظْهَرهَا نَبيّنَا عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ نَسبَتْ هَذه الأَحْكَام إلى السُّنَّة بالضَّرُورَة كَمَا نُسبَت الأَحْكَامُ الاجْتهَاديَّةُ إلى القيَاس باعْتبَار أَنَّ القيَاسَ مَظْهَر تلكَ الأَحْكَام فَيَكُونُ كُل منَ السُّنَّة وَالقيَاس مَظْهَرًا للأَحْكَام وَإنْ كَانَ منْ بَيْنَ هَذَيْن المظْهَرَيْن فَرْقًا كَثيرًا حَيْثُ إنَّ أَحَدَهُمَا مُسْتَندٌ إلى الرَّأْي الذي فيه مَجَال الخَطأ والثَّاني مُؤَيَّد بإعْلام الحَقّ جَل وَعَلا الذي لاَ مَجَال فيه للخَطأ وَفي القسْم الأَخير كَمَال الشباهة بالأَصْل وَكَأَنَّهُ مُثْبتٌ للأَحْكَام وَإنْ كَانَ مُثَبِّت جَميع الأَحْكَام في الحَقيقَة هُوَ الكتَابُ العَزيزُ فَحَسْبُ.

فَينْبَغي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ لغَيْر النَّبيّ مَجَال الخلاف للنَبيّ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ في الأَحْكَام الاجتهاية إنْ بَلَغَ هَذَا الغَيْر مَرْتَبَة الاجْتهَاد وَالأَحْكَام التي ثَبَتَتْ بعبَارَة النَّصِّ وإشارة النَّصّ وَدَلالة النَّصِّ وَكَذَلكَ الأَحْكَام التي مَظْهَرهَا السُّنَّة لاَ مَجَال لُمخَالفَة أَحَد فيهَا بَل اتِّبَاع تلكَ الأَحْكَام لازم لجَميع الأمة، فَمُتَابَعَةُ رَأَى النَّبيّ ﷺ في الأَحْكَام الاجْتهَاديَّة لَيْسَتْ بلازمَة لمجتهدى الأُمَّة، بَل الصَّوَاب في ذَلكَ الموْطن هُوَ مُتَابَعَة رَأَى نَفْسه.

وَهَهُنَا دَقيقَة يَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ الأَنْبيَاءَ الذينَ يَتَّبعُونَ شَرَائعَ الأَنْبيَاء أُوْلي العَزْم عَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ الوَاجبُ عَلَيْهمْ هُوَ اتِّبَاع الأَحْكَام التي ثَبَتَتْ بالعبَارَة وَالأشَارَة وَالدَّلالة منْ كُتُبهمْ وَصُحُفهمْ لاَ أَتْبَاعَ الأَحْكَام التي ظَهَرَتْ باجْتهَادهمْ وَسُنَنهمْ فَإنَّهُ إذَا لَمْ يَلزَمُ المتَابَعَةَ عَلى مجتهدى الأُمَّة في الأَحْكَام الاجْتهَاديَّة كَمَا مَرَّ كَيْفَ يَلزَمُ المتَابَعَةَ عَلى النَّبيّ المتَابع وَالأَحْكَامَ التي مَظْهَرهَا سَنَةً كَمَا أَنَّهَا حَاصلة لأَوْلى العَزْم بالأَعْلام كَذَلكَ هيَ ثَابتَة لنَبيّ غَيْر أُولي العَزْم أَيْضًا

بإعْلامه تَعالى فَمَا يَكُونُ المتَابَعَة بَل لاَ مَجَال للمُتَابَعَة فَإنَّ عَلى مقْدَارِ كَل وَقْت وَمُنَاسبَة كُل طَائفَة أَحْكَامًا عَلى حدَة تَارَةً يُنَاسبُ الحَل وَتَارَةً يُنَاسبُ الحُرْمَة كَانَ الإعْلام لنَبىٍّ مَنْ أُولى العَزْم بحليَة أَمْر ولنَبىٍّ آخر منْ غَيْر أُولي العَزْم بحُرْمَته وَكُل منْ هَذَا الحَل وَالحُرْمَة مَأْخُوذ مَنْ صَحَّفَ مَنْزلة كَمَا أَنَّ المجْتَهدَيْنِ يَأْخُذَانِ مَأْخَذ وَاحد حُكْمَيْنِ مُخْتَلفَيْنِ يَفْهَمُ منْهُ أَحَدهمَا الحل وَالأخر الحُرْمَة.

فَإنْ قيل: هَذَا الاخْتلاف لَهُ مَجَال في الاجْتهَاد لكَوْن مَدَاره عَلى الرَّأْي الذي فيه احْتمَال الصَّوَاب وَالخَطَأ وَلكنْ لاَ مَجَال لهَذَا المعْنَى في إعْلامه تَعَالى لأَنَّ كَوْنَهُ مُتَرَدِّدًا بَيْنَ الخَطَأ وَالصَّوَاب غَيْر جَائز بَل الحُكْم عنْدَ الحَقِّ جَل وَعَلا وَاحد فَإنْ كَانَ حَلا لاَ مَجَال للحُرْمَة وَإنْ كَانَ حُرْمَةً لاَ مَجَال للحَل:

أُجيبَ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بالنِّسْبَة إلى قَوْم حَلا وَبالنِّسْبَة إلى قَوْم آخرَ حُرْمَة فَيَكُونُ حُكْم الله تَعَالى مُتَعَدِّدًا في وَاقعَة وَاحدَة بالنِّسْبَة إلى تَعَدُّد القَوْم وَلا مَحْذُورَ نَعَمْ هَذَا المعْنَى لاَ يَصحْ في أُمَّة خَاتَم الرُّسُل عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ فَإنَّ كَافَّةَ الأَنَامِ مَحْكُوم عَلَيْهِمْ في هَذه الشَّريعَة بحُكْمٍ وَاحدٍ لَيْسَ لله سُبْحَانَهُ فيهَا حُكْمَان في وَاقعَة وَاحدَة.

فَإنْ قيل: إذَا حَكَمَ نَبىٌّ منَ الأَنْبيَاء أَوْلى العَزْم بحَل أَمْر وَحَكَم نَبىٌّ آخَر مُتَابع بالحُرْمَة في ذَلكَ الأَمْر يَلزَمُ أَنْ يَكُونَ الحُكْم الثَّاني نَاسخًا للحُكْم الأَوَّل وَهَذَا غَيْر جَائز فَإنَّ النَّسْخَ[1] مَخْصُوصٌ بأُولى العَزْم لاَ يَكُونُ غَيْره نَاسخًا.

أُجيبَ: إنَّ النَّسْخَ إنَّمَا يُلزمُ إذَا كَانَ الحُكْم الثَّاني عَامًا بالنِّسْبَة إلى كَافَّة النَّامّ فَيَرْفَعُ الحُكْم الأَوَّل الذي كَانَ بالنِّسْبَة إلى قَوْم مَخْصُوصٍ وَالحُكْم الثَّاني لَيْسَ بعَامٍّ هُنَا بَل هُوَ حُكْمٌ بالحُرْمَة مَثَلا بالنِّسْبَة إلى قَوْم مَخْصُوصٍ فَلا مُنَافَاةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الحُكْمِ الأَوَّل أَلا تَرَى أَنْ مُجْتَهدًا يَحْكُمُ في وَاقعَة بالحليَة وَيَحْكُمُ مُجْتَهد آخَر في عَيْنَ تلكَ الوَاقعَة.بالحُرْمَة وَلا نَسْخَ فيه أَصْلا وَإنْ كَانَ بَيْن هَذَا وَبَيْنَ ذَاكَ تَفَاوُتًا فَاحشًا فَإنَّ هُنَا رَأْى وَهُنَاكَ أَعْلامٌ وَفي الرَّأْي مَجَال لتَعَدُّد الحُكْم وَفي الإعْلام لاَ مَجَال للتَّعَدُّد وَلكنَّ تَعَدُّدَ القَوْم يُجيزُ ذَلكَ كَمَا مَرَّ؛ فَأَحْكَام الشَّرَائع المتَقَدِّمَة المفْهُومَة منْ كتَاب الأَنْبيَاءِ أَوْلى العَزْم وَصُحُفهمْ بحَسْبَ اللغَة لاَ مَجَال

(١) **النسخ**: لغة: عبارة عن التبديلا والرفع والإزالة.، **وشرعا**: هو أن يرد دليل شرعي متراخيا عن دليل شرعي، مقتضيا خلاف حكمه، فهو تبديل بالنظر إلى علمنا، وبيان لمدة الحكم بالنظر إلى علم الله تعالى. انظر: الجرجاني: التعريفات: ٣٠٩.

للمُخالفة فيهَا أَيْضًا للأنْبياء المتَابعينَ بَل وَرَدَتْ تلكَ الأحْكَام بالنِّسْبَة إلى كَافَّة الأَنَامِ فكَل نَبيّ مُتَابع الرَّأي قَوّمَ أَرْسَل وَأيّ قَوْمٌ يَدْعُو لاَ يَبْلغُهُمْ خلافَ تلكَ الأَحْكَامِ فَإنَّ حَلا فَللكُل وَإنْ حُرْمَة، فعْليّ الجَميع إلى أَنَّ يَبْعَث نَبيّ آخَر مِنْ أُولي العَزْم فَيَرْفَعُ هَذَا الحُكْم فَفي هَذَا الوَقْت يَتَصَوَّرُ النُّسخ فَالنَّسْخ إنَّمَا هُوَ باعْتبَار الأَحْكَامِ المأخُوذَة منَ الصُّحُف المنْزلة بحَسَب اللغَة وَالأحْكَامِ التي ثُبّتَتْ بالاجْتهَاد وَالأعْلامِ وَنُسبَت الى القيَاس وَالسُّنَّة فَالنُّسَخ غَيْر مُتَصوِّر فيهَا فَإنَّ هَذه الأَحْكَامَ إنَّمَا هِيَ بالنِّسْبَة إلى بَعْض دُون بَعْض فَاجْتهَاد نَبيّ وَكَذَلكَ سَنَّتُهُ لاَ يَكُونَان رَافعينَ لاجْتهَاد نَبيّ آخَر وَسنَته فَإنَّ ذَاكَ بالنِّسْبَة إلى قَوْم وَهَذَا بالنِّسْبَة إلى قَوْم آخَرينَ فَإنْ كَانَ اخْتلاف الحُكْمَيْن بالنِّسْبَة إلى كَافَّة الأَنَامِ أَوْ بالنِّسْبَة إلى قَوْم وَاحد فَهُوَ نَسْخٌ البَتَّةَ كَمَا أَنَّ الحُكْمَ في شَريعَتنَا بالنِّسْبَة إلى كَافَّة الأَنَامِ وَالحَكَمِ الثّاني نَاسخٌ للحُكْمِ الأَوَّل فَسنَة نَبيّنَا عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلَوَاتُ وَالتَسْليمَاتُ اَللاحقَة تَكُونُ نَاسخَة لسنَته السَّابقَة وَلا يَجُوزُ نَسْخ هَذه الشَّريعَة بَعْدَ نُزُول عيسَى عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ وَمُتَابَعَته لهَذه الشَّريعَة وَاتّبَاعه لسُنَّة نَبيِّنَا عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ.

يَكَادُ يُنْكرُ عُلمَاءُ الظَّاهرَ لمُجْتَهدَاته عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ منْ كَمَال الدِّقَّة وَغُمُوض المأْخَذ وَيَزْعُمُونَهَا مُخَالفَة للكتَاب وَالسُّنَّة وَمثْل رَوْح الله مثْل الأَمَامِ الأَعْظَمِ الكوْفى فَإنَّهُ ببَرَكَة الوَرَع وَالتَّقْوَى وَبدَوْلة مُتَابعَة السُّنَّة نَال في الاجْتهَاد وَالاسْتنْبَاط دَرَجَة عَليًّا بحَيْثُ يَعْجزُ الآخَرُونَ عَنْ فَهْمه وَيَزْعُمُونَ مجتهداته بوَاسطَة دقَّة المَعَاني مُخَالفَة للكتَاب وَالسُّنَّة وَيَظُنُّونَهُ وَأَصْحَابه أَصْحَاب الرَّأْي كُل ذَلكَ لعَدَمِ الوُصُول إلى حَقيقَة علمه وَدرَايَته وَعَدَم الاطّلاع عَلى فَهْمه وَفرَاسَته إلا أَنَّ الإمَامَ الشَّافعيُّ وَجَدَ نُبْذَةً منْ دقَّة فَقَاهَته عَلَيْهمَا الرِّضْوَان حَيْثُ قَال النَّاس كُلهمْ عيَال في الفقْه لأَبى حَنيفَة فَوَيْل لقاصرى النَّظَر عَلى جَرَاءَتهمْ حَيْثُ يَنْسُبُونَ قُصُورهمُ الى الغَيْر.

لوْ عَابَهُمْ قَاصر طَعْنًا بهمْ سَفَهًا   بَرَّأَتْ سَاحَتَهُمْ عَنْ أَفْحَش الكَلمِ
هَل يَقْطَعُ الثّعْلبُ المحْتَال سلسلة   قَيِّدَتْ بهَا أَسَد الدُّنْيَا بأُسَرِهمْ

وَيُمْكنُ أَنْ يَكُونَ مَا قَالهُ الخَوَاجَهْ مُحَمَّد بارسا قُدّسَ سرُّهُ في الفُصُول السِّتَّة منْ أَنَّ عيسَى عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ يَعْمَل بَعْدَ النُّزُول بمَذْهَب الإمَامِ أَبي حَنيفَة بوَاسطَة هَذه المنَاسَبَة التي لهُ ﷺ بحَضْرَة رَوْح الله عَلَيْه السَّلامُ يَعْني: أَنَّ اجْتهَاد رَوْح الله يَكُونُ مُوَافقًا لاجْتهَاد الإمَامِ الأَعْظَمِ لاَ إنَّهُ يُقلدُ مَذْهَبَهُ

فَإِنَّ شَأْنَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ أَعْلَى وَأَجَل مِنْ أَنْ يُقلدَ عُلمَاء الأُمَّة وَنَقُول مِنْ غَيْرِ شَائبَة تَكَلف وَتَعَصُّب إِنْ نُورَانيَّة المَذْهَب الحَنَفيّ تَرَى وَتَظْهَرُ فِي النَّظَر الكَشْفِيّ كَالبَحْرِ العَظيم، وَسَائر المَذَاهب تَظْهَرُ مثْل الحيَاضِ وَالجَدَاول وَإِذَا لوحظَ فِي الظَّاهر أَيْضًا يُوجَدُ السَّوَادُ الأَعْظَمُ مِنْ أَهْل الإِسْلاَم مُتَابعينَ لأَبى حَنيفَة عَلَيْه الرَّحْمَة وَالرِّضْوَان وَهَذَا المَذْهَب مَعَ كَثْرَة مُتَابعيه مُمْتَاز عَنْ سَائِر المَذَاهب فِي الأُصُول وَالفُرُوع وَلَهُ فِي الاسْتنْبَاط طَريق عَلَى حدَة وَهَذَا المعْنَى مُنْبِئ عَنِ الحَقيقَة.

وَالعَجَب أَنَّ الإِمَامَ أَبَا حَنيفَة أَسْبَقُ قَدَمًا منَ الكُل فِي تَقْليد السُّنَّة وَيَعْتَقدُونَ الأَحَاديث المرْسَلة كَالأَحَاديث المسْنَدَة مُسْتَحقَّة للمُتَابَعَة وَيُقدِّمُهَا عَلى رَأْيه وَكَذَلكَ يُقدِّمُ قَوْل الصَّحَابَة عَلَى رَأْيه بوَاسطَة نَيْلهمْ شَرَف سحْبَة خَيْر البَشَر عَلَيْه وَعَلَيْهمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَسْليمَاتُ وَالأَخرُونَ لَيْسُوا كَذَلكَ وَمَعَ ذَلكَ يَزْعُمُهُ المخَالفُونَ صَاحب رَأى وَيَنْسبُونَ إِلَيْه أَلفَاظًا تُنبئُ عَنْ سُوء الأَدَب مَعَ أَنَّ الكُل مُعْتَرفُونَ بكَمَال علمه وَوُفُور وَرَعه وَتَقْوَاهُ رِزْقهمُ اللهُ سُبْحَانَهُ التَّوْفيق لئَلا يُؤْذُوا رَأَى الدِّين وَرَئيس أَهْل الإِسْلاَمِ وَالسَّوَاد الأَعْظَم منَ المُسْلمينَ يُريدُون أَنْ يُطْفئُوا نُورَ الله بأفَواههم وَالذينَ يَقُولونَ لهَؤُلاء الأَكَابر أَصْحَاب الرَّأْي فَإن اعْتَقَدُوا أَنَّهُمْ يَحْكُمُونَ برَأْيهمْ لاَ يَتَّبعُونَ الكتَابَ وَالسُّنَّة يَكُونُ السَّوَاد الأَعْظَم منْ أَهْل الإِسْلاَمِ بزَعْمهمُ الفَاسد ضَالينَ مُبْتَدعينَ، بَل يَكُونُونَ خَارجينَ عَنْ زُمْرَة أَهْل الإِسْلاَمِ، وَلا يُسْعدُ ذَلكَ إِلاَ جَاهل لَيْسَ لَهُ خَبَرٌ عَنْ جهَلة وَزِنْديق مَقْصُوده إِبْطَال شَطْرِ الدِّينِ وَمَا أَعْظَمَ جَهَالَةً نَاقص جَمْعِ أَحَاديثَ مَعْدُودَة وَجَعَل أَحْكَامِ الشَّرِيعَة مُنْحَصرَة فيهَا وَطَفقَ يُنْفَى مَا وَرَاءَ مَعْلومه وَيُجْعَل مَا لَمْ يَثْبُتْ عنْدَهُ مَنْفيًّا.

وَلَيْسَ لشَيْء كَامن جَوْفَ صَخْرَة سوَاهَا سَمَوَات لدَيْه وَلا أَرْضَ

وَيْل لَهُمُ الف مَرَّة عَلى تعصباهم البَاردَة وَأَنْظَارهمُ الفَاسدَة فَإِنَّ بانى الفقه هُوَ أَبُو حَنيفَة وَقَدْ سَلمُوا لَهُ فِي ثَلاثَة أَرْبَاعِ الفقْه وَاشْتَرَكَ البَاقُونَ فِي الرُّبْع البَاقي وَهُوَ صَاحبُ البَيْت فِي الفقْه وَيَغْرُهُ كُلهمْ عيَال لَهُ وَمَعَ وُجُود التزَام هَذَا المَذْهَب كَانَ لي مَعَ الإِمَام الشَّافعيُّ مَحَبَّة ذَاتيَّة وَاعْتَقَدَهُ عَظيمًا وَلهَذَا أُقَلدُ مَذْهَبَهُ فِي بَعْض الأَعْمَال النَّافلة وَلَكنْ مَاذَا أَصْنَعُ أَجدُ الآخرينَ فِي جَنْب الإِمَامِ أَبي حَنيفَة مَعَ وُجُودِ وَفَوْرَ العلمِ وَكَمَال التَّقْوَى كَالأَطْفَال وَالأَمْر إِلى الله سُبْحَانَهُ المتَعَال.

وَلنَرْجع إِلى أَصْل الكَلام فَنقُول: قَدْ سَبَقَ أَنْ اخْتلاف الأَحْكَامِ الاجْتهَاديَّة لَيْسَ بِمُسْتَلزِمَة لنُسخ وَإِنْ صَدَر ذَلكَ الاخْتلاف منْ نَبيّ بخلاف

الاخْتِلاف الوَاقِع فِي أَحْكَام الكِتَاب وَالسُّنَّة فَإِنَّهُ مُوجِبٌ لِلتَّسَخ كَمَا مَرَّ تَحْقِيقُهُ أَيْضًا فَتَقَرَّرُ أَنَّ المُعْتَبَرَ فِي إِثْبَات الأَحْكَام الشَّرْعِيَّة هُوَ الكِتَابُ وَالسُّنَّة وَقِيَاس المجْتَهِدِينَ وَإِجْمَاع الأُمَّة أَيْضًا مُثْبِتَان للأَحْكَام وَبَعْدَ هَذه الأَدلة الأَرْبَعَة الشَّرْعِيَّة لاَ يَكُونُ شَيْء مِنَ الدَّلِيل مُثْبِتًا للأَحْكَام أَصْلا لاَ يَكُونُ الالهَام مُثْبِتًا للحَل وَالحُرْمَة وَلا كَشْفَ أَرْبَاب البَاطِن للفَرْض وَالسُّنَّة وَأَرْبَاب الوِلاَيَة الخَاصَّة مُسَاوِيَة لعَامَّة المؤْمنينَ فِي تَقْلِيد المجْتَهدِينَ لاَ يوجبهم الكُشُوف والإلهامات مَزِيَّة عَلى غَيْرِهِمْ فِي ذَلكَ وَلا يُخْرِجُهُمْ عَنْ رِبْقَة التَّقْلِيد فِيمَا هُنَالكَ وَذُو النُّون[1] والبسْطَامِيّ وَالجُنَيْدُ والشبلى مُسَاوُونَ لزَيْد وَعَمْرو وَبَكْر وَخَالد الذينَ هُمْ منْ عَوَامِّ المؤْمنينَ فِي تَقْلِيد المجْتَهدينَ فِي الأَحْكَام الاجْتِهَادِيَّة نَعَمْ إِنْ مَزِيَّةَ هَؤُلاء الأَكَابر فِي أُمُور أُخْرَى وَهُمْ أَصْحَابُ الكُشُوف وَالمشَاهَدَات وَهُمْ أَيْضًا أَرْبَاب التَّجَليَات وَالظُّهُورَات قَدْ انْقَطَعُوا بِوَاسطَة اسْتِيلاء مَحَبَّة المحْبُوب الحَقِيقِيّ عَمَّا سِوَاهُ جَل سُلطَانُهُ وَعَتَقُوا عَنْ رُؤْيَة الغَيْر وَإِدْرَاك الغَيْرِيَّة فَإِنْ كَانَ لَهُمْ حَاصل فَهُوَ هُوَ سُبْحَانَهُ وَإِنْ كَانُوا وَاصلينَ فَإِلَيْه تَعَالى وَهُمْ فِي العَالم بلا عَالم وَمَعَ أَنْفُسِهِمْ بلا أَنْفُسِهِمْ فَإِنْ عَاشُوا يَعيشُونَ لأَجْله وَإِنْ مَاتُوا يَمُوتُونَ لأَجْله وَمُبْتَدِيهِمْ يُشَاهدُ المطْلوب بِوَاسطَة غَلبَة المحَبَّة فِي مرْآة كُل ذَرَّة منْ ذَرَّات العَالم وَيَجدُ كُل ذَرَّة جَامعًا لجَميع الكَمَالات الإسمائية والصِّفَاتيَّة فَمَا أَبْدَى منْ عَلامَات منتهيهم فَإِنَّهُمْ لاَ عَلامَةَ لَهُمْ وَأَوَّل قَدَمهمْ نسْيَان السِّوَى فَمَا أَظْهَرَ منْ قَدَمهمُ الثَّاني فَإِنَّهُ فِي خَارِجَ الآفَاق وَالأَنْفُس وَالالهَام لَهُمْ وَالكَلام مَعَهُمْ أَكَابرهمْ يَأْخُذُونَ العُلومَ وَالأَسْرَارَ منَ الأَصْل بلا تَوَسُّط وَكَمَا أَنَّ المجْتَهدَ تَابع لرَأْيه وَاجْتِهَاده هُمْ أَيْضًا تَابعُونَ فِي المعَارف وَالموَاجيد لالهَامهمْ وَفرَاسَتهمْ كَتَبَ. حَضْرَة الخَوَاجَهْ مُحَمَّد بارسا قُدِّسَ سرُّهُ أَنَّ رُوحَانيَّةَ الخضر عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ مُتَوَسِّطَة فِي إِفَاضَة العُلوم اللدُنِّيَّة وَالظَّاهر أَنَّ هَذَا الكَلامَ بالنِّسْبَة إلى الابْتدَاء وَالتَّوَسُّط وَمُعَامَلة المنْتَهي شَيْء آخر كَمَا يَشْهَدُ به الكَشْفُ الصَّريحُ.

وَيُؤَيِّدُ هَذَا التَّحْقيق مَا نَقَل عَنِ الشَّيْخ عَبْدَ القَادر الجيلانى قَدَّسَ اللهُ تَعَالى سرَّهُ منْ أَنَّهُ كَانَ يَوْمًا بَيْنَ العُلوم وَالمعَارف عَلى رَأْس المنْبَر فَمَرَّ عَلَيْه الخُضْر فِي ذَلكَ الأَثْنَاء فَقَال لهُ الشَّيْخ أَيُّهَا الإسرائيلى تَعَالى اسْمَعْ كَلام المحمدى يَفْهَمُ منْ

---

(١) ــ **ذو النون المصري**: ذو النون ابن إبراهيم المصري أبو الفيض) صوفي، من أهم كتبه: الركن الأكبر، والثقة في الصنعة. توفي سنة ٢٤٥هـــ، انظر:ة الفهرست لابن النديم ١ /٣٥٨، معجم المؤلفين لكحالة ١ /٧٧٠.

عبارة الشيخ هذه أن الخضر ليس من المحمديين بل من الملل السابقة فإذا كان كذلك كيف يكون واسطة للمحمديين.

فتحقق أن العلوم والمعارف شيء آخر ما وراء الأحكام الشرعية وأهل الله مخصوصون بها وإن كانت تلك المعارف ثمرات هذه الأحكام ونتائجها.

والمقصود من غرس الأشجار حصول الثمار ومادامت الأشجار قائمة الثمار متوقعة فإذا تطرق الخلل إلى أصل الأشجار فقد انعدم الإثمار وما أعظم حماقة من يقلع الشجر ويتوقع الثمر وكل ما يحسن تربية الأشجار يحصل منها جيد الإثمار أكثر وأوفر والثمرة وإن كانت مقصودة ولكنها فرع شجرة.

فينبغي أن يقيس ملتزم الشريعة والمداهن في الشريعة على هذا المعنى فالذي فيه التزام الشريعة فهو صاحب معرفة وكل ما كان الالتزام أكثر تكون المعرفة أوفر والذي هو مداهن لا نصيب له من المعرفة وما فيه منها بزعمه الفاسد بالفرض وإن لم يكن شيئا في الحقيقة فهو من قبيل الاستدراج الذي فيه شركة للجوكية والبراهمة كل حقيقة ردته الشريعة فهي زندقة والحاد فيجوز أن يفهم خواص أهل الله في معارف تتعلق بذاته وصفاته وأفعاله تعالى بعض الأسرار والدقايق التي ظاهر الشريعة ساكت عنها وأن يجدوا الأذن وعدم الأذن منه تعالى في الحركات والسكنات وأن يعرفوا مرضيه وغير مرضيه سبحانه وكثيرا ما يجدون أداء بعض العبادة النافلة غير مرضى ويكونون مأذونين بتركه ويفهمون أحيانا أولوية النوم من اليقظة الأحكام الشرعية مؤقتة بالأوقات والأحكام الالهامية ثابتة في جميع الأوقات فإذا كان حركات هؤلاء الأكابر وسكناتهم مربوطة بالأذن تكون النوافل عند غيرهم فرائض عندهم مثلا الفعل الواحد نفل بالنسبة إلى شخص يحكم الشريعة وفرض بالنسبة إلى شخص آخر يحكم الالهام فالأخرون يؤدون النوافل أحيانا ويرتكبون الأمور المباحة أحيانا وهؤلاء الأكابر لصدور أفعالهم بأمر المولى وأذنه تكون أفعالهم كلها من الفرائض والمستحب.والمباح عند غيرهم فرض غيرهم فرض ليدرك علو شأن هؤلاء الأكابر من ههنا وعلماء الظاهر يخصون الإخبارات الغيبية في أمور الدنيا بالأنبياء عليهم الصلوات والتسليمات لا يشركون غيرهم في تلك الأخبارات وهذا المعنى مناف للوراثة ونفي لكثير من العلوم والمعارف الصحيحة التي تتعلق بالدين المتين نعم الأحكام الشرعية مربوطة بالأدلة الأربعة لا

مَجَال فِيهَا للالهَامِ وَلكنَّ الأُمُورَ الدِّينيَّةَ وَرَاءَ الأَحْكَامِ الشَّرْعيَّة كَثيرَة وَالأَصْل الخَامسَ فيهَا الهَام بَل يُمْكنُ أَنْ يُقَال الأَصْل الثَّالثُ الهَام وَبَعْدَ الكتَاب وَالسُّنَّة هَذَا الأَصْل قَائم وَثَابت إلى انْقرَاض العَالم فَمَا تَكُونُ نسبَة الآخرينَ لهَؤلاء الأَكَابر وَرُبَّمَا تَصْدُرُ العبَادَة عَنِ الآخَرِينَ وَتَكُونُ غَيْرَ مَرْضيَّة وَهَؤُلاء الأَكَابر يَتْرُكُونَ العبَادَةَ في بَعْض الأَحْيَان وَيَكُونُ ذَلكَ التَّرْك مُرْضيًا فَكَانَتْ تَرْكهُمْ أَفْضَل عنْدَ الحَقِّ جَل وَعَلا منْ فعْل غَيْرِهِمْ وَالعَوَامّ حَاكمُونَ بخلاف ذَلكَ يَعْتَقدُونَ ذَلكَ عَابدًا وَهَذَا مَكَّارًا وَمُعَطّلا.

فإنْ قيل: لَمَا كَانَ الدِّين كَاملا بالكتَاب وَالسُّنَّة فَمَا الحَاجَةُ بَعْدَ الكمَال إلى الالهَامِ وَأَيّ نُقْصَان بَقيَ حَتَّى يَتَكَامَل بالالهَام:

أُجيبَ : الالهَام مُظْهر الكمَالات الخَفيَّة للدِّين لاَ مُثَبِّتَ الكمَالات الزَّائدَة في الدِّين كَمَا أَنَّ الاجْتهَادَ مَظْهَر للأَحْكَامِ الالهَام مَظْهَر للدَّقَائق وَالأَسْرَار التي فَهْمُ أَكْثَرُ النَّاس قَاصر عَنْهَا وَإنْ كَانَ بَيْنَ الاجْتهَادِ وَالالهَامِ فَرْق وَاضح لكَوْن ذَلكَ مُسْتَندًا إلى الرَّأْي وَهَذَا إلى

خَالق الرَّأْي

جُل سُلطَانه فَظَهَرَ في الالهَام قسم منَ الأَصَالة لَيْسَ هُوَ في الاجْتهَاد وَالالهَام شَبيه بإعْلام النَّبيّ الذي هُوَ مَأْخَذُ السُّنَّة كَمَا مَرَّ وَإنْ كَانَ الالهَام ظَنِّيًا وَالأَعْلام قَطْعيًّا {رَبَّنَا آتنَا منْ لدُنْكَ رَحْمَة وَهَيِّئْ لنَا منْ أَمْرنَا رُشْدًا}[1] {والسلام على من اتبع الهدى}[2].

---

(١) الكهف: ١٠

(٢) طـــه: ٤٧

المكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالسِّتُّونَ بَعْدَ الثَّلاَثمائة

إلى مَوْلاَنَا عَبْد القَادر الأنبالى

فِي بَيَانَ أَنَّ مُعَامَلةَ العَارِف تَبْلغُ مَرْتَبَة يَكُونُ حُكْم سَيِّئَات الآخَرِينَ بالنِّسْبَة إليْه حَسَنَات

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَال اللهُ تَبارَكَ وَتَعَالى {أُولئكَ يُبَدِّل اللهُ سَيِّئَاتهِمْ حَسَنَات}[١] تُبَلغُ مُعَامَلة العَارف بعنَايَة الله سُبْحَانَهُ وَحُرْمَة حَبِيبه عَليْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ مَرْتَبَة تَصيرُ سَيِّئَات الآخَرِينَ فِي حَقّه حَسَنَات وَتَكُونُ الصِّفَة الرَّذيلة بالنِّسْبَة إلى غَيْره حَميدَة بالنِّسْبَة إليْه مَثَلا الرِّيَاء والسمعة منَ السَّيِّئَات وَمنْ رَذَائل الأَوْصَاف يَعْرضُ لهُمَا في حَقّه الحَسَن وَتَأْخُذُ أَنَّ حُكْم الحَمْد وَالشُّكْر فَإنَّ ذَلكَ الدَّرْوِيشَ قَدْ سَلبَ عَنْ نَفسه جَميع أَقْسَام العَظَمَة وَالكبْرِيَاء وَنَسَبهَا إلى جَنَاب قُدْس الحَقّ جَل سُلطَانُهُ وَأَبْعَد عَنْ نَفْسه جَميع أَنْوَاعِ الحُسْنِ وَالجَمَال وَالخَيْر وَالكَمَال وَخَصَّصَهَا به سُبْحَانَهُ وَتَعَالى لاَ يَجدُ نَفْسه غَيْر شَرّ وَنَقْص وَلا يُرَى فِي نَفْسه غَيْر ذُل وَافْتقَار وَانْكسَار فَإنْ كَانَ فَرْدَ منْ أَفْرَاد الكَمَال فَرضًا مُتَوجِّهًا فِي الظَّاهر يَجدُهُ مرْقَاتًا يَتَرقَّى منْهَا إلى فَوْق وَيَصل إلى جُنَاب يَليقُ بالعَظَمَة وَالكبْرِيَاء وَهَكَذَا حَال الحَسَنِ وَالجَمَال وَالخَيْر وَالكَمَال ليْسَ لهُ نَصيب منْهَا غَيْر أَنَّ تَكُونَ هَذه الأَشْيَاء مراقى لتَرقّيْه وَالأَمَانَات رَاجعَة إلى أَهْل الأَمَانَات فَفِي صُورَة الرِّيَاء وَالسُّمْعَة ليْسَ مَقْصُودَة الاشْتهَار وَالافْتخَار وَالرِّفْعَة وَالعَظَمَة بَل إظْهَار نعْمَة الحَقّ وَإعْلام إحْسَانه سُبْحَانَهُ وَتَعَالى إليْه فَكَانَ الرِّيَاء وَالسُّمْعَة عَيْن حَمَد الحَقّ وَشُكْره تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَخَرَجَا منَ الرَّذَالة إلى المَحْمَدَة وَعَلى هَذَا القيَاسِ سَائر الصِّفَات {أُولئكَ يُبَدِّل اللهُ سَيِّئَاتهِمْ حَسَنَات وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا}[٢] ،،، ،،، ،،،، وَالسَّلام.

---

(١) الفرقان ٧٠

(٢) الفرقان ٧٠

المكْتُوبُ السَّبْعُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائة

إلى الملا غازى النَّائب

في بَيَان أَنَّ ذكر الحَقّ جَل وَعَلا أَوْلى منَ الصَّلوَاتُ عَلى خَيْر البَشَر عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ لكنْ بشَرْط أَنْ يَكُونَ الذّكْر حَقيقًا بالقَبُول وَمُتلقًّى منْ شَيْخ مُقْتَدًى وَمَا يُنَاسبُ ذَلكَ

قَدْ كُنْت أَوْقَاتًا مَشْغُولا بصَلاة خَيْر البَشَر عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ بأَنْوَاعهَا وَأَقْسَامهَا وَوَجَدْتهَا تَترَتَّبُ عَلَيْهَا نَتَائج وَثَمرَات عَاجلة وَاهْتُديتْ بهَا الدّقَائق الولايَة الخَاصَّة المحَمَّديَّة عَلى صَاحبهَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالتَّحيَّةُ وَأَسْرَارهَا وَلَمَّا مَضَتْ مُدَّةٌ عَلى هَذَا العَمَل وَقَعَ الفُتُورُ في هَذَا الاشْتغَال اتِّفَاقًا وَزَال تَوْفيق المواظبَة عَلَيْه وَوَقَعَ الاقْتصَار عَلى صَلوَات مُؤَقَّتَة وَاستَحْسَنَ لي في هَذَا الوَقْت الاشْتغَال بالتَّسْبيح وَالتَّقْديس وَالتَّهْليل بَدَل الصَّلوَاتُ فَقُلت وَلعَل في هَذَا الأَمْر حكْمَة أَنْظُرْ مَاذَا يَظْهَرُ فَعَلمَ أَخيرًا بعنَايَة الله تَعَالى أَنَّ الذّكْر في هَذَا الوَقْت أَفْضَل منَ الصَّلوَاتُ في حَقِّ مَنْ يُصَلي وَفي حَقِّ مَنْ يُصَلى عَلَيْه وَذَلكَ منْ وَجْهَيْن: السَّائلين أَحَدُهُمَا مَا وَرَدَ في الحَديث القُدُسيِّ: "مَنْ شَغَلَهُ ذكْري عَنْ مَسْئَلتي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَل مَا أُعْطي السَّائلينَ".

وَالوَجْه الثَّاني: هُوَ أَنَّ الذّكْرَ مَأْخُوذٌ منَ النَّبيِّ ﷺ فَكَمَا أَنَّ ثَوَاب ذَلكَ الذّكْر يَصل إلى الذَّاكر يَصل إليْه ﷺ أَيْضًا مثْل ذَلكَ الثَّوَاب قَال عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ " مَنْ سَنَّ سَنَة حَسَنَة فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجرُ مَنْ عَمل بهَا"(١).

وَكَذَلكَ كَل عَمَل صَالح حَاصل منَ الأُمَّة كَمَا أَنَّ أَجْرَهُ يَصل إلى العَامل يَصل أَيْضًا مقْدَار ذَلكَ الأَجْر إلى النَّبيِّ الذي هُوَ وَاضعُ ذَلكَ العَمَل وَشَارعه منْ غَيْر أَنْ يَنْقُصَ مَنْ أَجْرَ العَامل شَيْء وَلا يَلزَمُ أَنْ يَعْمَل العَامل عَمَله بنيَّة النَّبيِّ فَإنَّهُ عَطَاء الحَقّ جَل سُلطَانُهُ لاَ صُنْعَ للعَامل فيه نعَم إنْ وُجدَت النِّيَّة للنَّبيِّ أَيْضًا منَ

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم: ك: الزكاة. ب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة. ح ١٠١٧.، سنن النسائي: ب: التحريض على الصدقة.، وأحمد في المسند: أول مسند الكوفيين: حديث جرير بن عبد الله.، والطبراني في الكبير: جرير بن عبد الله البجلي.

العَامل يَكُونُ بَاعثًا عَلى ازْديَاد أَجْر العَامل وَهَذه الزِّيَادَة أَيْضًا تَعُودُ إلى النَّبيّ {ذَلكَ فَضْلُ الله يُؤْتيه مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظيم}(١)

وَلا شَكَّ أَنَّ المقْصُودَ الأَصْليّ منَ الذِّكر هُوَ تُذكرُ الحَقّ سُبْحَانَهُ وَطَلب الأَجْر طُفَيْليّ لهُ وَفي الصَّلاة المقْصُود الأَصْليّ هُوَ طَلَبُ الحَاجَة شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا فَالفُيُوض التي تَصل إلى النَّبيّ ﷺ منْ طَريق الذِّكْر تَكُونُ زَائدَةً بأَضْعَاف عَلى البَرَكَات التي تَصل إلَيْه ﷺ منْ طَريق الصَّلَوَاتُ.

يَنْبَغي أَنْ يُعْلَم أَنَّ هَذه الرُّتْبَةَ لَيْسَتْ هيَ لكُل ذكْرٍ بَل هيَ مَخْصُوصَة بالذِّكْر الذي حَقيق بالقَبُول وَالذِّكْر الذي ليس كذلك فلا صلاة مزية عليه ووصول البركات منها حينئذ أكثر توقعا ولكن الذكر الذي أَخْذه الطَّالب عَنْ شَيْخ كَامل مُكمّل وَدَاوَمَ عَلَيْه بشَرَائطَ الطَّريقَة أَفْضَل منَ الصَّلاة فَإنَّ هَذَا الذِّكْر وَوَسيلة ذَاكَ الذِّكْر وَمَا لَمْ يَشْتَغل بهَذَا الذِّكْر لاَ يَصل إلى ذَاكَ الذِّكْر وَمنْ هَهُنَا لَمْ يَجُوزْ مشائخ الطَّريقَة قَدَّسَ اللهُ تَعَالى أَسْرَارَهُمْ اشْتغَال المبْتَدى بغَيْر الذِّكْر وَأَمَرُوهُ بالاقْتصَار عَلى الفَرَائض وَالسُّنَن يَعْني: الرَّوَاتب وَمَنَعُوهُ منَ الأُمُور النَّافلة.

وَلاحَ منْ هَذَا البَيَان أَنَّهُ لاَ تَحْصُل لفَرْد منْ أَفْرَاد الأُمَّة وَإنْ بَلغَ في الكَمَالات دَرَجَة عَليًّا مُسَاوَاة لنَبيِّه فَإنَّ جَميعَ تلكَ الكَمَالات التي حَصَلَتْ لهُ إنَّمَا هيَ بوَاسطَة مُتَابَعَته لشَريعَة ذَلكَ.النَّبيّ فَتَكُونُ هَذه الكَمَالات كُلهَا أَيْضًا ثَابتَة لذَلكَ النَّبيّ مَعَ كَمَالات مُتَابعيه الأُخَر وَمَعَ كمَالاته المخْصُوصَة به عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَكَذَلكَ لاَ يَصل هَذَا الفَرْدُ الكَامل إلى مَرْتَبَة نَبيّ أَصْلا وَإنْ لَمْ يَتْبَعْ لهَذَا النَّبيّ أَحَد وَلمْ يَقْبَل دَعْوَته فَإنَّ كُل نَبيّ صَاحب دَعْوَة بالأَصَالة وَمَأْمُور بتَبْليغ الشَّريعَة وَلا يَسْتَلزمُ إنْكَارَ الأُمَمِ قُصُورًا في الدَّعْوَة وَالتَّبْليغ وَ منَ البَيْن الظَّاهر أَنَّهُ لاَ يَبْلغُ كَمَال أَصْلا مَرْتَبَة الدَّعْوَة وَالتَّبْليغ فَإنَّ أَحَبَّ عبَاد الله إلى الله منْ أَحَبَّ الله إلى عبَاده وَأَحَبَّ عبَاد الله إلى الله وَهُوَ الداعى وَالمبَلغ وَلَعَلك سَمعْت مَا وَرَدَ في الخَبَر " أَنَّهُ يُوزَنُ مدَاد العُلمَاء يَوْمَ القيَامَة بدَمِ الشُّهَدَاء في سَبيل الله فَيَتَرَجَّحُ مدَاد العُلمَاء عَلى دَم الشُّهَدَاء"(٢).

---

(١) الحديد: ٢١

(٢) **ضعيف شديد الضعف**: ضعفه السيوطي في الجامع الصغير ح٩٦١٩، ووقال في موضع آخر: حديث "مدَادُ العُلمَاء أَفْضَلُ منْ دَم الشُّهَدَاء" هو من كلام الحسن البصري، ورُوي مرفوعاً بلفظ: "وُزنَ حبْرُ العُلمَاء بدَم الشُّهَدَاء فَرَجحَ عَلَيْهمْ". قال الخطيب: وهو موضوع.(زيادة الجامع الصغير:

وَهَذه الدَّوْلة لَمْ تَتَيَسَّرْ للأُمَّة وَمَا هُوَ حَاصل فيهِمْ فَهُوَ طُفَيْلِيّ وَضَمْنى الأَصْل أَصْل وَالفَرْع مُسْتَنْبَط يَنْبَغي أَنَّ يُدْرِكَ منْ هَهُنَا فَضْل أَعْيَان هَذه الأُمَّة وَمُبْلغيهِمْ وَإِنْ كَانَ في الدَّعْوَة وَالتَّبْليغ دَرَجَات وَالأعْيَان وَالمُبَلغُونَ مُتَفَاوِتُونَ في الدَّرَجَات.

اَلعُلمَاء مَخْصُوصُونَ بِتَبْليغ الظَّاهر وَالصُّوفيَّة يَهْتَمُّونَ بالبَاطنِ وَالذي هُوَ عَالمٌ صوفى كبْريت أَحْمَر وَمُسْتَحقّ للدَّعْوَة والتبليغ ظاهر وباطن ونائب النبي ووراءه عليه وعلى آله الصلاة والسلام، واعتقد جماعة أنَّ محدثى هَذه الأُمَّة الذينَ يَبلغُونَ الأَحَاديثُ النَّبويَّة عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ أَفْضَل هَذه الأُمَّة فإنْ اعْتَقَدُوا أَنَّهُمْ أَفْضَل مُطْلقًا فَمَحَل خَدْشَة وَإِنْ اعْتَقَدُوا ذَلكَ بالنِّسْبَة إلى مبلغى الظَّاهر فَلهُ مَسَاغ وَالفَضْل المطْلق إنَّمَا هُوَ للمُبَلغ الجَامع بَيْنَ تَبْليغ الظَّاهر وَالبَاطن وَالدَّعْوَة الظَّاهرَة وَالبَاطنَة لأَنَّ في الاقْتصَار قُصُورًا يُنَافى إطْلاق الفَضْل فَافْهَمْ وَلا تَكُنْ منَ القَاصرِينَ.

نَعَمْ: إنَّ الظَّاهرَ وَإِنْ كَانَ عُمْدَةً وَمَنَاطًا للنَّجَاة وَكَثير البَرَكَة وَعَميم المَنْفَعَة وَلكنْ كَمَّا لهُ مَرْبُوطٌ بالبَاطنِ وَالظَّاهر بلا بَاطنِ غَيْر تَامٍّ وَالبَاطن بلا ظَاهر غَيْر مُعْتَدٍّ به وَالذي يَجْمَعُ بَيْنَ الظَّاهرِ وَالبَاطنِ كبْريت أَحْمَر {رَبَّنَا أَتْممْ لنَا نُورَنَا وَاغْفرْ لنَا إنَّكَ عَلَى كُل شَيْء قَديرٌ}[(١)] {والسلام على من اتبع الهدى}[(٢)].

حرق الميم) وقال ابن الجوزي: حديث لا يصح، وأورده الذهبي في الميزان في ترجمة محمد بن الحسن بن أزهر من حديثه وقال: اتهمه الخطيب بوضع الحديث. انظر: المناوي: فيض القدير ح٩٦١٩.

وقال التفتي: "مداد العلماء أفضل من دم الشهداء" من قول الحسن البصري ولابن عبد البر من حديث سماك بن حرب عن أبي الدرداء رفعه "يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء" وللخطيب عن ابن عمر "وزن حبر العلماء بدم الشهداء فرجح عليهم" وفي سنده محمد بن جعفر المتهم بالوضع لكنه متابع.(تذكرة الموضوعات للتفتي: كتاب العلم. فصل في فضل مدادهم وكتابهم وكتبهم وأدبهما.)

(١) التحريم: ٨

(٢) طــه: ٤٧

اَلمكْتُوبُ الحَادي وَالسَّبْعُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائَة
إلى الخَوَاجَهْ مُحَمَّد التَقَى
فِي جوَاب اسْتفْسَاره عَنْ عَالمِ المثَال
وَفِي رَدِّ جَمَاعَة يَقُولونَ بالتَّنَاسُخِ
وَبَيَان الكمُّون وَالبُرُوزِ
وَمَا يُنَاسِبُ ذَلكَ
بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اَلحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمينَ وَالصَّلاة وَالسَّلامُ عَلى سَيِّد المرْسَلينَ وَآلـه الطَّاهرَيْن، قَدْ تُشَرِّفْنَا بِمُطَالَعَة الصَّحيفَة الصَّادرَة منْ حُسْنِ النَّشْأَة وَعُلـوِّ الفطْرَة عَلى وَجْه الالتفَات سَلمَكُمُ اللهُ تَعَالى وَكتبم فيهَا أَنَّهُ نَقَل الشَّـيْخ مُحْيِي الدِّين ابْن العَرَبيِّ قُدِّسَ سرُّه حَديثًا في فُتُوحَاته المَكِّيَّة أَنَّ النَّبِـيَّ ﷺ قَال: " إنَّ اللهَ خَلقَ مائَة الف آدَم"[١] وَأَوْرَدَ حكَايَة فِي بَعْض مُشَـاهَدَات عَالمِ المثَال أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ فِي وَقْت طَوَّاف الكَعْبَة المعَظَّمَة أَنْ جَمْعًا يَطُوفُـونَ بالبَيْتِ وَأَنَا لاَ أَعْرِفُهُمْ وَأَنْشَدُوا فِي أَثْنَاءَ الطَّوَافِ بَيْتَيْنِ عَرَبِيَّيْنِ أَحَد هَذَيْنِ البَيْتَيْنِ هَذَا.

لقَدْ طُفْنَا كَمَا طُفْتُمْ سنينَا　　　بِهَذَا البَيْت طُرًّا أَجْمَعِيْنَا

وَلَمَا سَمَّعَتْ هَذَا البَيْتَ وَقَعَ الخَاطر[٢] أَنَّ هَؤُلاء منْ عَالمِ المثَال فَنَظَر أَحَدهمُ الى جانَبى مُقَارِنًا لهَذَا الخُطُورِ وَقَال أَنَا منْ جُمْلَة أَجْدَادك فَسَأَلتُهُ أَنَّهُ كَمْ مَضَى مَنْ فُوتكَ قَال أَزْيَد منْ أَرْبَعينَ الفَ سَنَة فَقُلْت عَلى وَجْه التَّعَجُّبَ إِنَّهُ لمْ يَتم منْ ابْتدَاء خلقَة آدَم أَبِي البَشَرُ عَلى نَبيِّنَا وَعَليْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ إلى الآن سَبْعَة آلاف سَنَة قَال مَنْ أَيِّ آدَم تَقُول أَنَّ هَذَا هُوَ ذَاكَ آدَم الذي خَلقَ فِي أَوَّل دَوْر سَبْعَة آلافَ، قال الشَّيْخ: فَوَقعَ فِي الخَاطِر فِي ذَلكَ الوَقْت أَنَّ الحَديثَ النَّبَوِيَّ الذي سَبَق ذكْرِه مُؤَيِّد لهَذَا القَوْل.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) **الخاطر**: هو ما يرد على القلب من الخطاب،أو الوارد الذي لا عمل للعبد فيه. انظر: الجرجـاني: التعريفات: ١٢٩.

أَيُّهَا المخْدُومُ المكْرِمُ: إنَّ مَا ظَهَرَ لهَذَا الفَقِيرِ فِي هَذه المسْأَلة بعنَايَة الله سُبْحَانَهُ هُوَ أَنَّ جَمِيع الأوادم الذينَ مَضَوْا قَبْل وُجُود حَضْرَة آدَم عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ كَانَ وُجُودهمْ فِي عَالم المثَال لاَ فِي عَالم الشَّهَادَة وَالذي وجدَ في عَالم الشَّهَادَة وَنَال الخلافَة فِي الأَرْض وَصَارَ مَسْجُود الملائكَة هُوَ حَضْرَة آدَم أَبُو البَشَر فَحَسْبُ غَايَة مَا فِي البَاب أَنَّ آدَم لَمَّا كَانَ مَخْلوقًا عَلى صفَة الجَامعيَّة وَلَهُ في حَقيقَته لطَائف وَأَوْصَاف كَثيرَة كَانَ يُوجَدُ صفَة منْ صفَاته أَوْ لَطيفَة منْ لطَائفه في كُل وَقْت منَ الأَوْقَات قَبْل وُجُوده بشَخْصه بقُرُون مُتَطَاولة بإيجَاد الحَق سُبْحَانَهُ وَتُظْهَرُ بصُورَة آدَم وَتُسَمِّيَ باسْمه وَكَانَ يَقَعُ منْهَا مَا سَيَقَعُ منْ آدَم المنْتَظَر حَتَّى ظَهَرَ منْهَا تَوَالد وَتَنَاسُل مُنَاسب لعَالم المثَال وَنَالتْ كَمَالات صُوريَّة وَمَعْنَويَّة مُنَاسبَة لذَلكَ العَالم وَصَارَتْ مُسْتَحقَّة للثَّوَاب وَالعقَاب بَل قَامَت القيَامَة في حَقّهَا وَذَهَب الجنتي إلى الجَنَّة والجهنمي إلَى جَهَنَّمَ ثُمَّ ظَهَرَتْ بَعْدَ ذَلكَ في وَقْتٍ منَ الأَوْقَات بمَشيئَة الله سُبْحَانَهُ صفَة أُخْرَى منْ صفَاته أَوْ لطيفَة أُخْرَى مَنْ لطَائفَة عَلى نَبيّنَا وَعَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ في ذَلكَ العَالم وَظَهَرَ منْهَا مَا ظَهر منَ الأُولى وَلَمَّا تَمَّ دَوْرُهَا أَيْضًا ظَهَرَ ظُهُور ثَالث منْ صفَاته وَلطَائفه عَلى نَبيّنَا وَعَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ وَلَمَّا أَتَمَّ ذَلكَ الظُّهُور أَيْضًا دوره ظَهْر ظُهُور رَابع وَهَكَذَا إلى مَا شَاءَ اللهُ تَعَالى وَلَمَّا تَمَّتْ دَوَائر ظهوراته المثَاليَّة التي تَتَعَلقُ بصفَاته وَلطَائفه وَجدَتْ آخر الأَمْر هَذه النُّسْخَة الجَامعَة في عَالم الشَّهَادَة بإيجَاد الله جَل سُلطَانُهُ وَصَارَتْ مُعَزَّزَة وَمُكَرَّمَة بعنَايَته تَعَالى فَإنْ وُجدَ مائَة الف آدَم فَلَيْسُوا إلا أَجْزَاء آدَم هَذَا وَموَادّه وَمُقْدمَات وُجُوده وَمُبَاديه وَجَدّ الشَّيْخ الأَكْبَر الذي مَضَى منْ فَوْقه أَزيدُ منْ أَرْبَعينَ الفَ سَنَة كَانَ لطيفَة في عَالم المثَال منْ لطَائفَ جَدّه فَإنَّ الشَّيْخَ الذي كَانَ لَهُ وُجُود في عَالم الشَّهَادَة طَافَ بالبَيْت وَقْتئذ في عَالم المثَال فَإنَّ للكَعْبَة المعَظَّمَة أَيْضًا صورة وشبها في المثَال هي قبلة لأهل ذَلك العالم، والفقير أرسلت نظري في هذا الباب بَعيدًا وَتَعَمَّقَتْ فيه كَثيرًا فَلَمْ يَقَعْ نظرى إلى آدَم آخَر في عَالم الشَّهَادَة وَلَمْ أَجدْ غَيْر شعابذة عَالَم المثَال وَمَا قَالهُ البَدَن المثالى أَعْني قَوْلهُ أَنَا منْ جُمْلة أَجْدَادك وَمَضَى منْ فَوْتى أَزْيَد منْ أَرْبَعينَ الفَ سَنَة أَدَل دَليل عَلى أَنَّ الأوادم الذينَ كَانَ وُجُودهمْ قَبْل وُجُود آدَم أَبُو البَشَر عَلَيْه السَّلامُ كَانُوا منْ ظهورات صفَات آدَم وَلطَائفه عَلَيْه السَّلاَمُ لاَ إنَّهُ كَانَتْ لَهُمْ خلقَةٌ عَلى حدَة مُبَايَنَة لخلقَة آدَم هَذَا فَإنَّهُ مَا نسْبَة المبَاين لآدَم هَذَا وَكَيْفَ يَكُونُ جدّ الشَّيْخ فَإنَّهُ لَمْ يَتمْ سَبْعَة آلاف سَنَة بَعْد منْ خلقَة آدَم

فإين المسَاغ لأَرْبَعينَ الفَ سَنَة وَالَذينَ فِي قُلوبهِمْ مَرَض يَفْهَمُونَ مِنْ هَذه الحِكَايَة تَناسُخًا وَيكَادُون يَقُولونَ بقدَم العَالم يُنْكرُونَ القيمَة الكُبْرَى وَبَعْض الملاحدَة الذينَ جَلسُوا فِي مُسْنَد الشَّيْخُوخَة بالبَاطل يَحْكُمُونَ بجوَاز التَّناسُخ وَيَزْعُمُونَ أَنَّ النَّفْسَ مَا لَمْ تُبَلغْ حَدّ كَمَالهَا لاَ بُدَّ لهَا مِنَ التَّقلب في الأَبَد أَنْ وَيَقُولونَ أَنَّهَا إِذَا بَلغَتْ حَدَّ الكَمَال فَقَدْ فَرَغَتْ مِنَ التَّقَلب فِي الأَبْدَان بَل مِنَ التَّعَلق بالأَبْدَان وَالمَقْصُود مَنْ خلقَتْهَا كَمَالهَا فَإذَا تَيَسَّرَ كَمَالهَا فَقَدْ حَصَل المقْصُود وَهَذَا القَوْل كُفْر صَرِيح وَإِنْكَار عَلى مَا ثَبَتَ مِنَ الدِّينِ بالتَّوَاتر[١] فَإنَّهُ إِذَا بَلغَتْ كُل النُّفُوس حَدّ الكَمَال فِي الآخر لمَنْ تَكُونُ جَهَنَّمَ وَمَنْ يَكُونُ مُعَذَّبًا وَقَوْلهُمْ هَذَا إِنْكَارٌ لجَهَنَّم وَإِنْكَارٌ للعَذَاب الأخروى وَإِنْكَارٌ أَيْضًا لحَشْر الأَجْسَاد فَإنَّهُ لَمْ يَبْقَ للنَّفْس بزَعْمهمُ الفَاسد احْتيَاجٌ إِلى الجَسَد الذي هُوَ آلة لكَمَالاتهَا حَتَّى تُحْشَرَ الأَجْسَاد وَاعْتقَاد هَذه الجَمَاعَة مُوَافق لاعْتقَاد الفَلاسفَة فَإنَّهُمْ يُنْكرُونَ حَشْر الأَجْسَاد وَيَقُولن بالثَّوَاب وَالعَذَاب الرُّوحَانيَّيْن بَل اعْتقَادهمْ أَسْوء من اعْتقَاد الفَلاسفَة فَإنَّهُمْ يُنْكرُونَ التَّنَاسُخ وَيرِدُونَ قَوْل مَنْ يَقُول به وَيُثَبّتُون العَذَاب الروحانى وَهَؤُلاء يُثْبتُونَ التَّنَاسُخ وَيُنْكرُونَ العَذَابَ الأخروى وَالعَذَابَ عنْدَ هَؤُلاء يُثْبتُونَ التَّنَاسُخ وَيُنْكرُونَ العَذَاب الأخروى وَالعَذَاب عنْدَ هَؤُلاء هُوَ عَذَابُ الدُّنْيَا وَإِنَّمَا يُثْبتُونَهُ لأَجْل تَهْذيب النَّفْس.

فَإنْ قيل: قَدْ نُقل عَنْ أَمير المؤْمنينَ عَليٌّ ــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ــ وَبَعْضُ أَوْليَاء الله أَيْضًا غَيْره أَنَّهُ وَقَعَ عَنْهُمْ بَعْضُ أَعْمَال غَريبَة وَأَفْعَال عَجيبَة قَبْل وُجُودهمُ العُنْصُريّ بقُرُونِ مُتَطَاولة فِي عَالم الشَّهَادَة فَكَيْفَ يَصحُّ ذَلكَ بدُون تَجْويز التَّنَاسُخ:

أُجيبَ: أَنَّ صُدُورَ هَذه الأَعْمَال وَالأفْعَال إِنَّمَا هُوَ منْ أَرْوَاحِ هَؤُلاء الأَكَابر صَارَتْ مُتَجَسِّدَة بالأَجْسَاد بمَشيئَة الله تَعَالى وَبَاشَرَت الأَفْعَال العَجيبَة لاَ منْ أَجْسَاد أُخَرَ تَعَلقَتْ أَرْوَاحهمْ بهَا.

وَالتَّنَاسُخ هُوَ تَعَلقُ رُوحٍ قَبْل تَعَلقه بهَذَا البَدَن ببَدَن آخرَ مُبَاينٍ وَمُغَايرٍ لهَذَا البَدَن فَإذَا تَجَسَّدَت الرُّوحُ بنَفْسه كَيْفَ يَكُونُ تَنَاسُخًا أَلا تَرَى أَنَّ الجنَّ يَتَشَكَّل بأَشْكَال مُخْتَلفَة وَيَتَجَسَّدُ بأَجْسَاد مُتَبَاينَة وَيَقَعُ عَنْهُمْ فِي هَذَا الحَال أَعْمَال عَجيبَة مُنَاسبَة لتلكَ الأَشْكَال وَالأَجْسَادِ وَلا تَنَاسُخَ فيه أَصْلا وَلا حُلول فَإذَا كَانَ فِي الجنّ

(١) **التواتر:** هو الخبر الثابت على ألسنة قوم لا يتصور تواطؤهم على الكذب. انظر: الجرجاني: التعريفات: ٩٤.

بِأَقْدَارِ اللهِ تَعَالَى قُدْرَةَ التَّشَكُّلِ بالأَشْكَالِ وَوُقُوعِ الأَعْمَالِ الغَرِيبَةِ مِنْهُمْ كَيْفَ يَكُونُ إِعْطَاءُ تِلْكَ القُدْرَةِ لأَرْوَاحِ الكُمَّلِ مَحَلَّ تَعْجَبُ وَمَا الحَاجَةُ إِلَى بَدَنٍ آخَرَ وَمِنْ هَذَا القَبِيلِ مَا نَقَلَ عَنْ بَعْضِ أَوْلِيَاءِ اللهِ تَعَالَى مِنْ أَنَّهُمْ يَحْضُرُونَ فِي أَمْكِنَةٍ مُتَعَدِّدَةٍ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ وَيَقَعُ عَنْهُمْ أُمُورٌ مُتَبَايِنَةٌ وَهَهُنَا أَيْضًا لِطَائِفِهِمْ مُتَشَكِّلَةٌ بِأَشْكَالٍ مُتَبَايِنَةٍ وَمُتَجَسِّدَةٌ بِأَجْسَادٍ مُخْتَلِفَةٍ وَكَذَلِكَ حَالُ مَنْ هُوَ مُتَوَطِّنٌ فِي الهِنْدِ مِنَ الأَعِزَّةِ وَلَمْ يُخْرِجْ مِنْ وَطَنِهِ فَجَاءَ جَمَاعَةٌ مِنْ مَكَّةَ المُعَظَّمَةِ وَقَالُوا رَأَيْنَا الشَّيْخَ الفلانى فِي حَرَمِ مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ مُشِيرِينَ إِلَى ذَلِكَ الشَّخْصِ مِنَ الأَعِزَّةِ وَجَرَى بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ كَيْتَ وَكَيْتَ وَقَالَتْ جَمَاعَةٌ أُخْرَى نَحْنُ رَأَيْنَاهُ فِي الرُّومِ وَرَآهُ طَائِفَةٌ أُخْرَى فِي بَغْدَادَ كُلُّ ذَلِكَ تَشَكُّلُ لِطَائِفِ ذَلِكَ الشَّيْخِ بِأَشْكَالٍ مُخْتَلِفَةٍ وَرُبَّمَا لاَ يَكُونُ لِذَلِكَ الشَّيْخِ اطِّلاعٌ عَلَى هَذِهِ التَشَكُّلاتِ وَلِهَذَا يَقُولُ فِي جَوَابِ هَذِهِ الجَمَاعَاتِ أَحْيَانًا كُلُّ ذَلِكَ تُهْمَةٌ عَلَيَّ أَنَا لَمْ أُخْرِجْ مِنَ البَيْتِ وَلَمْ أَرَ حَرَمَ مَكَّةَ وَلاَ أَعْرِفُ الرُّومَ وَبَغْدَادَ وَلا أَدْرِي مَنْ أَنْتُمْ وَكَذَا أَرْبَابُ الحَاجَاتِ يَسْتَمِدُّونَ مِنَ الأَعِزَّةِ الأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ فِي المَخَاوِفِ وَالمَهَالِكِ وَيَرَوْنَ أَنَّ صُوَرَ هَؤُلاءِ الأَعِزَّةِ قَدْ حَضَرَتْ وَدَفَعَتْ عَنْهُمُ البَلِيَّةَ فَأَحْيَانًا يَكُونُ لِهَؤُلاءِ الأَعِزَّةِ اطِّلاعٌ عَلَى ذَلِكَ وَأَحْيَانًا لاَ، (ع):

فَهَلْ لَنَا وَلَكُمْ شَيْءٌ سِوَى نَسَبِ

وَهَذَا أَيْضًا تَشَكُّلُ لِطَائِفِ هَؤُلاءِ الأَعِزَّةِ وَهَذَا التَّشَكُّلُ يَكُونُ أَحْيَانًا فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ وَأَحْيَانًا فِي عَالَمِ المِثَالِ كَمَا أَنَّ أَلْفَ إِنْسَانٍ يُرُونَ النَّبِيَّ ﷺ فِي المَنَامِ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ بِصُورَةٍ مُخْتَلِفَةٍ وَيَسْتَفِيدُونَ مِنْهُ ﷺ أَشْيَاءَ هَذَا كُلُّهُ تُشَكُّلُ صِفَاتِهِ وَلِطَائِفِهِ ﷺ وَكَذَلِكَ المُرِيدُونَ يَسْتَفِيدُونَ مِنْ صُوَرِ الشُّيُوخِ المِثَالِيَّةِ أَشْيَاءَ وَيَحِلُّونَ المُشْكِلاتِ وَالكُمُونَ وَالبُرُوزَ اللَّذَانِ نَقَلا عَنْ بَعْضِ المَشَائِخِ لاَ مَسَاسَ لَهُمَا بِالتَّنَاسُخِ فَإِنَّ تَعَلُّقَ الرُّوحِ بِالبَدَنِ الثَّانِي فِي التَّنَاسُخِ إِنَّمَا هُوَ لِثُبُوتِ الحَيَاةِ وَلأَجْلِ حُصُولِ الحِسِّ وَالحَرَكَةِ لِذَلِكَ البَدَنِ وَفِي البُرُوزِ لَيْسَ تَعَلُّقُ النَّفْسِ بِبَدَنٍ آخَرَ لأَجْلِ حُصُولِ الغَرَضِ بَلِ المَقْصُودُ مِنْ هَذَا التَّعَلُّقِ هُوَ حُصُولُ الكَمَالاتِ لِذَلِكَ البَدَنِ وَوُصُولُهُ إِلَى الدَّرَجَاتِ كَمَا أَنَّ جِنِّيًا إِذَا تَعَلَّقَ بِفَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الإِنْسَانِ وَبَرَزَ فِي شَخْصِهِ لَيْسَ ذَلِكَ التَّعَلُّقُ لأَجْلِ حُصُولِ الحَيَاةِ لِذَلِكَ الفَرْدِ فَإِنَّهُ حَيٌّ وَحَسَّاسٌ وَمُتَحَرِّكٌ قَبْلَ ذَلِكَ التَّعَلُّقِ وَالَّذِي يُحَدِّثُ فِيهِ مِنْ هَذَا التَّعَلُّقِ هُوَ ظُهُورُ صِفَاتِ ذَلِكَ الجِنِّي وَحَرَكَاتُهُ وَسَكَنَاتُهُ.والمشائخ المستقيمو الأَحْوَالِ لاَ يَتَفَوَّهُونَ بِعِبَارَةِ الكُمُونِ وَالبُرُوزِ وَلا يَرْمُونَ بِهِ النَاقِصِينَ فِي البَلاءِ وَالفِتْنَةِ لاَ حَاجَةَ عِنْدَ الفَقِيرِ إِلَى الكُمُونِ وَالبُرُوزِ أَصْلا

بَل لوْ أَرَادَ كَامِل أَنْ يُرَبَّى نَاقِصًا يَنْبَغِي أَنْ يَجْعَل بأَقْدَارِ الله تَعَالى صِفَاته الكَامِلَة مُنْعَكسَة فِي المرِيد النَّاقِص وَأَنْ يجْعَل ذَلكَ الانْعكَاس ثَابتًا وَمُسْتَقِرًّا ليَخْرُج المريد النَّاقِص مِنَ النَّقْصِ إلى الكَمَال، وَيَمِيل مِنَ الصِّفَات الرَّذيلَة إلى الصِّفَات الحَميدَة مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ فِي البَيْن كمُون وَبرُوز أَصْلا {ذَلكَ فَضْل الله يُؤْتِيه مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْل العَظِيم}[١] .

وَقَال بَعْض آخر بنَقْل الأَرْوَاحِ يَقُولونَ: إِنَّهُ يَحْصُل للرُّوحِ بَعْدَ الكَمَال قُدْرَة بحَيْثُ تَتْرُكُ بَدَنَهَا لوْ شَاءَ وَتَدْخُل فِي بَدَن آخر نُقل أَنَّ وَاحِدًا مِنَ الأَعِزَّة الذي كَانَ لهُ هَذَا الكَمَال وَهَذه القُدْرَة لمَا توفي فِي جوَاره شَابٌّ تُرْك بَدَن نَفْسه الذي كَانَ قَدْ أَدْرَكَ سِنَّ الشَّيْخُوخَة وَدَخَل فِي بَدَن ذَلكَ الشَّابِّ فَصَارَ بَدَنُهُ الأَوَّل مَيِّتًا وَبَدَن الشَّابِّ حَيًّا وَهَذَا القَوْل مُسْتَلزم للتَّنَاسُخِ لأَنَّ تَعَلقَ الرُّوحِ بالبَدَن الثَّاني عَلى هَذَا التَّقْدير إِنَّمَا هُوَ لحُصُول الحَيَاة لذَلكَ البَدَن وَإِنَّمَا الفَرْقُ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ التَّنَاسُخِ أَنَّ القَائل بالتَّنَاسُخِ حَاكمٌ بنَقْصِ النَّفْسِ وَثَبتَ التَّنَاسُخ لأَجْل تَكْمِيلهَا وَالذي هُوَ قَائل بنَقْل الرُّوحِ يَعْتَقدُ الرُّوح كَامل وَيَثْبتُ الانتقَال بَعْدَ كَمَال الرُّوحِ وَعنْدَ الفَقير القَوْل بانْتقَال الرُّوحِ أَسْقَطَ مِنَ القَوْل بالتَّنَاسُخِ فَإِنَّ القَائل بالتَّنَاسُخِ اعْتَبَرَ التَّنَاسُخَ لأَجْل تَكْمِيل النُّفُوسِ وَإِنْ كَانَ هَذَا الاعْتبَار بَاطلا وَزَعَمَ انْتقَال الرُّوحِ بَعْدَ حُصُول الكَمَال وَإِنْ لمْ يَكُنْ كَمَال أَصْلا فَإِذَا تَقَرَّرَ كَوْنَ تُبَدِّل الأَبْدَان لأَجْل تَحْصِيل الكَمَالات فَلا شَيْء يَكُونُ الانْتقَال إلى بَدَن آخَرَ بَعْدَ حُصُول الكَمَال وَأَهْل الكَمَال ليْسُوا بأَرْبَاب الهَوَسَ بَل هِمَّتُهُمْ بَعْدَ حُصُول الكَمَال التَّجَرُّد عَنِ الأَبَد أَنْ لاَ التَّعَلقُ بالأَبَد أَنْ فَإِنَّهُ قَدْ حَصَل مَا هُوَ المقْصُودُ مِنَ التَّعَلق وَأَيْضًا إِنْ فِي انْتقَال الرُّوحِ إِمَاته البَدَنَ الأَوَّل وَإِحْيَاء البَدَن الثَّاني فَلابُد للبَدَن الأَوَّل مِنْ حُصُول أَحْكَام البَرْزَخ كَعَذَاب القَبْر وَثَوَابه وَالبَدَن الثَّاني لمَا أَثْبَتُوا لهُ الحَيَاةَ الثَّانيَة ثَبْت فِي حَقّه الحَشْر فِي الدُّنْيَا وَأَظُنُّ أَنْ معتقدى انْتقَال الرُّوحِ لاَ يَقُولونَ بعَذَاب القَبْر وَثَوَابه وَلا يَعْتَقدُونَ الحَشْر وَالنَّشْر فَآهْ الف آهْ حَيْثُ إِنَّ أَمْثَال هَؤُلاء البَطَّالين جَلسُوا فِي مُسْنَد الشَّيْخُوخَة وَصَارُوا مُقْتَدَى بهِمْ لأَهْل الإِسْلام ضَلوا فَأَضَلوا {رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلوبَنَا بَعْد إِذَا هَدَيْتَنَا وَهَبْ لنَا مِنْ لدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ}[٢] بِحُرْمَة سَيِّد المرْسَلينَ عَليْه.وَعَليْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ.

---

(١) الحديد: ٢١

(٢) آل عمران: ٨

تَذْيِيل فِي بَيَانِ بَعْضِ العُلومِ وَالمَعَارِف التِي تَتَعَلقُ بعَالَمِ المثَال

يَنْبَغِـــي أَنْ يُعْلَـــمَ: أَنَّ عَالَمَ المثَال أَوْسَعُ مِنْ جَميعِ العَوَالِمِ وَكُل مَا هُوَ فِي جَميعِ العَوَالِمِ لهُ صُورَة فِي عَالم المثَال وَللمَعْقُولات وَالمُعَانَى كُلهَا صُورَة فيه قيل أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ لَيْسَ لهُ مثْل وَلكنَّ لهُ مَثَّال وَلله المثْل الأَعْلى وَقَدْ كَتَبَ هَذَا الفَقير فِي مكاتيبه كَمَا أَنَّ لاَ مَثَل لهُ تَعَالى فِي مَرْتَبَة التَّنْزيه الصِّرْف لَيْسَ لهُ سُبْحَانَهُ مثَال أَيْضًا {فَلا تَضْرِبُوا لله الأَمْثَال}(١) وَانَموذَج عَالمِ المثَال في العَالم الصَّغير هُوَ الخَيَال فَإنَّ صُورَةَ جَميعِ الأَشْيَاء مُتَصَوَّرَة في الخَيَال وَالخَيَال هُوَ الذي يَرَى كَيْفيَّات أَحْوَال السَّالك وَمَقَامَاته بالتَّصْوِير وَيَجْعَلهُ مِنْ أَرْبَاب العلمِ فَلوْ لَمْ يَكُنْ الخَيَال أَوْ كَانَ قَاصرًا لزِمَ الجَهْل وَمِنْ هَهُنَا لَيْسَ فَوْقَ مَرْتَبَة الظِّلال غَيْر الجَهْل وَالحَيْرَة فَإِنَّ جَوَلانَ الخَيَال إِنَّمَا هُوَ فِي مَرَاتب الظِّلال وَحَيْثُ لاَ ظلال فيه لاَ مَجَال للخَيَال فيه فَإذَا لَمْ تَكُنْ الصُّورَةُ التَّنْزيهيَّةُ في المثَال كَمَا مَرَّ كَيْفَ تَتَصَوَّرُ هيَ فِي الخَيَال الذي هُوَ ظل المثَّال فَلا جَرَمَ لاَ يَكُونُ ثَمَّةَ إلا الجَهْل وَالحَيْرَة وَكُل مَحَل لَيْسَ فيه عَلمَ لَيْسَ فيه قيل وَقَال مَنْ عَرَفَ الله كُل لسَانه عَلامَة ذَلكَ وَكُل مَحَل فيه علمٌ فيه قيل وَقَال مَنْ عَرَفَ الله طَال لسَانُهُ بَيَان مَا هُنَالكَ فَيَكُونُ طُول اللسَان فِي مَقَام الظِّلال وَكُل اللسَان فَوْقَ مَرَاتبَ الظِّلال فعْلا كَانَ أو صفة اسْمًا كَانَ أَوْ مُسمي وَكُل مَا هُوَ مَنْحُوتُ الخَيَال فَهُوَ منَ الظِّلال وَكُل مَا هُوَ منَ الظِّلال فَهُوَ مَعْلول وَبعلة الجَعْل مَجْعُول وَلَيْس هُوَ غَيْرَ أَنْ يَكُونَ منْ آثَار المطْلُوب وَعَلامَاته المفيدَة لعَلم اليَقين وَعَيْن اليَقين وَحَقّ اليَقين كلاهُمَا وَرَاءَ الظِّلال وَالخَيَال وَالخَلاص مَنْ نَحْت الخَيَال إِنَّمَا يَتَيَسَّرُ إِذَا تَرَكَ السَّيْرَ الأَنْفسيّ أَيْضًا كَالسَّيْر الآفَاقيّ وَرَاءَ الظَّهْر وَجَال فِي مَا وَرَاءَ الأَنْفسِ وَالأفَاق وَهَذَا المعْنَى يَتَيَسَّرُ لأَكْثَر الأَوْليَاء بَعْدَ الموْت وَمَا دَامَت الحَيَاة بَاقيَة فَالخَيَال مُتَشَبِّث بإذيالهم وَيَتَيَسَّرُ للأقلين منَ الأَكَابر في هَذه النَّشْأَة فَيَخْرُجُونَ منْ تَصَرُّف سُلطَان الخَيَال مَعَ وُجُود الحَيَاة الدُّنْيويَّة وَيُعَانقُونَ المطْلوب بلا نَحْت الخَيَال وَجَعْله فَفِي هَذَا الوَقْت يَصيرُ التَّجَلي البَرْقيّ دَائمًا في حَقّهمْ وَتُظْهِرُ مَبَادئ الوَصْل العُرْيَان.

هَنيئًا لأَرْبَاب النَّعيم نَعيمهَا   وَللعَاشقِ المسْكين مَا يَتجَرَّعُ

---

(١) النحل: ٧٤

فَإنْ قيلَ: قد يرى جَمَاعَة في الوَاقعَات وَالمَنَامَات في المثَال أَو الخَيَال أَنَّهُمْ صَارُوا سَلاطينَ وَيُعَاينُونَ خَدَمَهمْ وَحَشَمَهمْ أَوْ يَروْنَ أَنَّهُمْ صَارُوا أَقْطَابًا وَتُوجَهُ إلَيْهمْ جَميع العَالَم وَفي عَالَم اليَقَظَة[١] وَالأفَاقَة الذي هُوَ عَالَمُ الشَّهَادَة لاَ يَظْهَرُ شَيْءٌ منْ تلكَ الكَمَالات فَهَل لهَذه الرُّؤيَة وَجْه منَ الصِّدْق أَوْ بَاطل مَحْض:

أُجيبَ: إنْ لهَذه الرُّؤيَة مَحلا منَ الصِّدْق بَيَانه هُوَ أَنَّ مَعْنَى السَّلْطَنَة وَالقُطْبيَّة كَائن في تلكَ الجَمَاعَة وَلكنَّهُ ضَعيفٌ فيهمْ غَيْر لائق لأَنْ يَظْهَرَ في عَالَم الشَّهَادَة ثُمَّ بَعْدَ ذَلكَ لاَ يَخلو عَنْ أَحَد الحَالَيْن أَمَّا أَنْ تُحدِّثَ لهَذَا المعْنَى بعنَايَة الله سُبْحَانَهُ قُوَّة وَيَصيرُ لائقًا لأَنَّ يَظْهَرُ في عَالَم الشَّهَادَة فَيَصيرُونَ بقُدْرَة الله سُبْحَانَهُ سَلاطينَ أَوْ أَقْطَابًا، وَأَمَّا أَنْ لاَ تُحدِّثُ لهُ قُوَّة الظُّهُور في عَالَم الشَّهَادَة فَيَكْتَفى بذَلكَ الظُّهُور المثالى الذي هُوَ أَضْعَفُ الظُّهُورَات وَيَظْهَرُ فيه عَلَى قَدْر قُوَّته.

وَمَنْ هَذَا القَبيل مَا يَرَاهُ طَالبُو هَذَا الطَّريق منَ الوَاقعَات حَيْثُ يَجدُونَ أَنْفسهمْ في مَقَامَات عَاليَة وَيَرَوْنَ أَنَّهُمْ تَشرَّفُوا بمَنَاصب أَرْبَاب الولايَة فَإنَّ ظَهْر هَذَا المعْنَى في الشَّهَادَة أَيْضًا فَهُوَ دَوْلَةٌ عَظيمَةٌ وَإنْ اكْتَفَى بظُهُوره في المثَال فَلا حَاصل فيه بَل هُوَ مُصيبَة فَإنَّ كُل حَائك وَحَجَّام يَرَى نَفْسه في المَنَام سُلطَانًا وَلَيْسَ لهُ حَاصل غَيْر الخَسَارَة وَالنَّدَامَة فَلا يَنْبَغي اعْتبَار الوَاقعَات وَكُل مَا يَتَيَسَّرُ في الشَّهَادَة فَهُوَ الغَنيمَةُ.

وَإنِّي غُلام الشَّمْس أَروَى منَ الشَّمْس   ومالى وَلليْل فَأَرْوَى حَديثه

وَمنْ هَهُنَا لَمْ يَعْتَبر أَكَابر النَّقْشَبَنْديَّة الوَاقعَات وَلا يَتوَجَّهُونَ إلى تَوْجيه وَقَائع الطَّالبينَ وَتَعْبيرهَا لكَوْنهَا قَليل الجَدْوَى وَإنَّمَا المعْتَبرُ عنْدَهُمْ مَا تَيَسَّرَ في الإفَاقَة وَاليَقَظَة وَلهَذَا اعْتَبَرُوا دَوَامَ الشُّهُود وَاعْتَقَدُوا الدَّوْلَة اسْتمْرَار الحُضُور

(١) اليقظة لغة: نقيض النوم. انظر: ابن منظور: لسان العرب: يقظ.
أماعند الصوفية: فالمراد بها الفهم عن الله، وصورتها في **الأبواب**: التيقظ في التحرز عن دواهي الشيطان والتحفظ عن التخيلات الموجبة للخذلان.، وفي **الأخلاق**: التيقظ في التعفي عنرؤية فضيلته واستحقاره لركاكة حاله حتى تصير فضائله بذلك رذائل. وفي **الأصول**: أن يحيا بالحياة القلبية الذاتية المنافية للنوم والموت الموجبة لدوام المراقبة والحضور مع الله والسعي في القوت.، وفي **الأودية**: تنور البصيرة بنور القدس، والتيقظ بها عن التلف إلى جانب البدن وعالم الرجس. انظر: ابن عربي: اصطلاحات الصوفية: ٢٩٨.، الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية: ١٩٠، ١٩١.

وَالحُضُور الذي يَقْتَفيه الغَيْبَة(١) سَاقط عَنْ حَيِّز الاعْتبَار عنْدَ هَؤُلاء الأَكَابر وَمِنْ هَهُنَا صَارَ نسْيَانُ مَا سوَى الله تَعَالَى دَائميًّا في حَقِّهِمْ وَحُضُور الغَيْر في قَلبهمْ مَنْفيًّا في جَميع الأَوْقَات نَعَمْ إذَا كَانَت النِّهَايَة مُنْدَرجَة في بدَايَة شَخْص كَيْفَ يَسْتَبْعدُ عَنْهُ هَذه الكَمَالات {رَبَّنَا اغْفرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا في أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامُنَا وَانْصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ}(٢)

،،، ،،، ،،، ،،، وَالسَّلامِ.

---

(١) **الغيبة**: في اللغة: من غاب الشيء في الشيء.انظر: ابن منظور: لسان العرب: غيب.

أما في اصطلاح الصوفية: فالمراد بها غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق لشغل الحس بما ورد عليه.

وصورتها في **البدايات**: الغيبة عن رسوم العادات.

وفي **الأبواب**: الغيبة عن تمتعات الدنيا ولذاتها.

وفي **المعاملات**: الغيبة عن الخلق وأفعالهم، والنظر إلى أمورهم وأقوالهم.

وفي **الأخلاق**: الغيبة عن النفس وأهوائها.

وعن صفاتها ودواعيها وآرائها.

وفي **الأصول**: الغيبة عن القصد عما سوى المقصود.

وفي **الأودية**: الغيبة عن ظلمات عالم النفس بالإستغراق في نور القدس. انظر: ابن العربي: اصطلاحات الصوفية: ٢٨٨.، الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية: ٣٤٢،٣٤١.

(٢) البقرة:٢٨٦

المكْتُوبُ الثّاني وَالسَّبْعُونَ بَعْدَ الثّلاثمائة إلى الخَوَاجَهْ مُحَمَّد عَبْد الله وَلد شَيْخه سَلمَهُ اللهُ في بَيَان أنَّ المعْقُول وَالموْهُوم وَالمكْشُوف وَالمشْهُود كُل مَا دَاخلة في السِّوَى وَمَا يُنَاسبُ ذَلكَ

اَلحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى وَصَلت الصَّحيفَة الشَّريفَة التي أَرْسَلهَا قُرَّة العَيْنِ وَقَد انْدَرَجَ فيهَا أَنَّ تلكَ الشعابذة قَدْ زَالتْ وَارْتَفَعَتْ بكَرَم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى وَلمْ يَبْقَ منْهَا شَيْء وَالهمَّة مَصْرُوفَةٌ في أنْ لاَ يَحْصُل شَيْءٌ منَ الإثْبَات، وَالمَعْقُول وَالمَوْهُوم كُلهُ دَاخل تَحْت كَلمَة لاَ كَذَا وَكَذَا وَكَتَبْتُمْ أَنَّ هَذَا المعْنَى حَاصل بالتَّكَلف وَالمَرْجُوّ أنْ يَكُونَ نَصيبًا منْ غَيْر تَكَلف.

أيُّهَا النَّجيبُ: إنَّ المَعْقُول وَالمَوْهُوم بَل المَكْشُوف وَالمَشْهُود آفاقيًّا أَوْ أَنْفسيًّا كُله دَاخل في السِّوَى وَمنْ جُمْلة اللهْو وَاللعب وَليْسَ التَّعلق به غَيْر التَّعلق بالشعابذة وَزَوَال هَذه التَعلقَات لوْ كَانَ بالتَّكَلف فَهُوَ دَاخل في الطَّريقَة وَمنْ جُمْلة علم اليَقين فَإنَّ تَيَسَّرَتْ هَذه الدَّوْلة بَعْد اللتيا واللتي بلا تَكَلف وَتَبَدَّل حَال التَّكَلف في نَفْي السِّوَى بانْتفَائه بنَفْسه فَقَدْ خرَجَ منْ مَضيق الطَّريقَة وَسكَّة العَلمِ وَتُشْرفُ بالفَنَاء وَهَذَا المعْنَى يَسير في التَّكَلم وَعَسير بحَسْبَ الوُصُول إليْه أيّ عَسير إلا مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَالأمُور التي تَتَعَلقُ بالحَقيقَة فهيَ في الإمَام وَبَعْدَ المرُورِ منَ النُّفَى بَل بَعْدَ مُجَاوَزَة مَقَام الانْتفَاء مَقَام الإثْبَات وَمَا وَرَاء العلمِ وَالعَيْن.

اعْلمْ أنَّهُ لاَ اعْتدَادَ بالطَّريقَة في جَنْب الحَقيقَة وَلا اعْتبَارَ للنَّفْي بالنِّسْبَة إلى الإثْبَات أَصْلا فَإنَّ مُتَعَلقَ النَّفْي هُوَ المُمْكنات وَمُتَعَلقَ الإثْبَات هُوَ الوَاجبُ سُبْحَانَهُ وَالنُّفَى يَرَى في النَّظَر في جَنْبَ الإثْبَات كَقَطْرَة في جَنْب البَحْر المحيط وَيَحْصُل هَذَا النَّفْي وَذَاكَ الإثْبَات يُوَصِّل إلى الولاَيَة الخَاصَّة وَبَعْدَ حُصُول الولاَيَة الخَاصَّة إمَّا العُرُوج وَإمَّا النُّزُول وَإنْ كَانَ النُّزُول لذَلكَ العُرُوجِ لازمًا أَيْضًا {ربنا أَتْممْ لنَا نُورَنَا وَاغْفرْ لنَا ذُنُوبَنَا أَنَّك عَلى كُل شَيْء قَدير}[1].

السَّلامِ عَليْكُمْ وَعَلى سَائرِ مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المصْطَفَى عَليْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ.

---

(١) التحريم: ٨

اَلمكْتُوبُ الثَّالثُ وَالسَّبْعُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائة
إلى مُحمَّد تُقى
فِي بَيَان أَنَّ اللازمَ صَرْف العنَان عَنْ فُضُوليَّات الدِّين وَالاشْتغَال بضَرُوريَّات الدِّين وَمَا يُنَاسبُ ذَلكَ

اَلحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى قَدْ تَشرَّفْتُ بمُطَالعَة الصَّحيفَة الشَّرِيفَة وَقَد انْدَرَجَتْ فيهَا الدَّلائل التي وُفِّقْتُمْ لإقَامَتهَا وَتَرْتيبهَا في بَاب خلافَة الصِّدِّيق ﷺ التي ثَبَتَتْ بإجْمَاع أَهْل الحَل وَالعَقْد منَ الصَّدْر الأَوَّل الذي هُوَ خَيْرُ القُرُون وَفي بَاب فَضيلَة الخُلفَاء الرَّاشدينَ رضْوَان تَعَالى عَلَيْهمْ أَجْمَعينَ التي هيَ عَلى تَرْتيب خلافَتهمْ وَنَعْتهَا وَفي بَابٌ ملازمة السُّكُوت عَنْ منازعات أَصْحَاب خَيْر البَشَر وَمُشَاجَراتهمْ عَلَيْه وَعَلَيْهمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ فَأُورِثُ ذَلكَ فَرَحًا وَافرًا وَهَذَا الاعْتقَاد كَافٍ في بحَثّ الإمَامَة وَمُوَافق لاعْتقَاد أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة شَكَرَ اللهُ تَعَالى سَعْيهمْ.

أَيُّهَا المخْدُوم المشْفق: أَنَّ بَحْث الإمَامَة منْ فُرُوع الدِّين لاَ منْ أُصُوله وَضَرُوريَّات الدِّين غَيْر ذَلكَ الذي يَتَعَلقُ بالاعْتقَاد وَالعَمَل ممَّا تَكَفَّل علم الكَلام وَعلم الفقْه ببَيَانه وَالاشْتغَال بالفُضُوليَّات بتَرْك الضَّرُوريَّات صَرَفَ العُمْر فيمَا لاَ يَعْني: وَقَدْ وَرَدَ في الخَبَر " عَلامَة إعْرَاضه تَعَالى عَن العَبْد اشْتغَاله بمَا لاَ يَعْنيه" فَلوْ كَانَ بَحْث الإمَامَة منْ ضَرُوريَّات الدِّين وَأُصُول الشَّريعَة كَمَا زَعَمَت الشِّيعَة لكَانَ يَنْبَغي أَنْ يَعينَ الحَقَّ تَعَالى في كتَابه المجيد مَنْ يَسْتَحقُّ الاسْتخْلاَف وَأَنْ يُشَخِّصَ الخَليفَةَ، وَأَنْ يَأْمُرَ النَّبيَّ ﷺ أَيْضًا بخلاَفَة وَاحد، وأن يَجْعَل الوَاحد خليفَة بالتَّنْصيص وَالتَّصْريح وَلَّما لَمْ يَفْهَمُ الأهتمام في هَذَا الأَمْر منَ الكتَاب وَالسُّنَّة عَلمَ أَنَّ بَحْث الإمَامَة منْ فُضُول الدِّين لاَ منْ أُصُوله والفضولى يَشْتَغل بالفُضُول أَوَّلا لاَ بُدَّ منْ تَصْحيح الاعْتقَاد الذي يَتَعَلقُ بذَات الوَاجب وَصفَاته وَأَفْعَاله تَعَالى ويَنْبَغي الاعْتقَاد أَيْضًا أَنَّ مَا جَاءَ به النَّبيّ ﷺ منْ عنْد الحَقِّ جَل وَعَلا وَمَا عَلمَ منَ الدِّين بالضَّرُورَة وَالتَّوَاتُر منَ الحَشْر وَالنَّشْر وَالعَذَاب وَالثَّوَاب الأخرويين الدائمين وَسَائر السَّمْعيَّات كُله حَقٌّ ليْسَ في شَيْء منْهَا احْتمَال التَّخَلف فَإنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا الاعْتقَاد فَلا نَجَاة وَثَانيًا لاَ بُدَّ منْ إتْيَان الأَحْكَام الفقْهيَّة أَيْضًا منْ أَدَاء الفَرَائض وَالوَاجبَات بَل منْ أَدَاء السُّنَن وَالمُسْتَحبَّات يَنْبَغي حسَن رعَايَة الحَل وَالحُرْمَة الشَّرْعيَّين وَالاحْتيَاط في حفْظ حُدُود الشَّريعَة حَتَّى يُرْجَى الفَلاح وَالخَلاص منْ عَذَاب

الآخرَة فَإذَا صَحَّحَ الاعْتقَادَ وَالعَمَل وَصَّلت النُّوبَةَ إلى الدُّخُول فِي طَرِيق الصُّوفيَّة وَرَجَاء حُصُول كَمَالات الولايَة وَبَحْث الإمَامَة بالنِّسْبَة إلى ضَرُوريَّات الدِّين كَالمَطْرُوحِ فِي الطَّرِيق غَايَة مَا فِي البَاب أَنَّ المخَالفِينَ لَما غَالوْا فِي هَذَا البَاب وَطَعَنُوا فِي أَصْحَاب خَيْرِ البَشَر عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلوَاتُ والتَسْليمَاتُ يُورِدُ فِي رَدِّهِمْ بالضَّرُورَة مُقَدِّمَات طَوِيلة الذَّيْل لكَوْنٍ دَفعَ لزُوم الفَسَادِ منَ الدِّينِ المتِينِ مِنْ ضَرُوريَّاتِ الدِّينِ وَالسَّلامِ.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالسَّبْعُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائة
فِي تَعْزِيَةِ أَصْحَابِ المرْحُومِ مَوْلانَا أَحْمَدَ البَرْكِيِّ وَفِي نَصِيحَتِهِمْ وَجَعْلِ مَوْلانَا الحَسَنِ رَئِيسَ حَلقَتِهِمْ، وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَعْدَ الحَمْدِ وَالصَّلَوَاتِ وَتَبْلِيغِ الدَّعَوَاتِ:

أُنْهِي أَنَّ وُجُودَ المرْحُومِ المغْفُورِ لهُ مَوْلانَا أَحْمَدَ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ فِي هَذَا الوَقْتِ كَانَ لِلمُسْلِمِينَ آيَةً مِنْ آيَاتِ اللهِ - جَل وَعَلا - وَرَحْمَةً مِنْ رَحَمَاتِه تَعَالى، اللهُمَّ لاَ تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ وَلا تَفْتِنَّا بَعْدَهُ.

الإمْدَادُ وَالأعَانَةُ لِلمَاضِينَ مَأْمُول وَمَسْئُول مِنَ الأَصْحَابِ وَالأحْبَابِ، وَخِدْمَةُ أَوْلادِ المرْحُومِ وَمُتَعَلقَاتِه وَاسْتِمَالةُ قُلوبِهِمْ وَتَسْلِيَةُ خَوَاطِرِهِمْ وَاجِبَةٌ عَلى المحِبِّينَ؛ فَيَنْبَغِي سَعْيُهُمْ فِي أَنْ يَقْرَأَ أَوْلادُ المرْحُومِ وَأَنْ يَكُونُوا مُتَحَلينَ بِالعُلومِ الشَّرْعِيَّة، وَلِيُكَافِئُوا إِحْسَانَ المرْحُومِ بِالإِحْسَانِ إِلى أَوْلادِهِ {هَل جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلا الإِحْسَانُ}(١)

وَيَنْبَغِي رِعَايَةُ أَطْوَارِ المرْحُومِ وَأَوْضَاعِه وَأَحْوَاله وَأَوْقَاتِه، وَأَنْ تَشْتَغلوا بِالذِّكْرِ وَالحَلقَة لِئَلا يَقَعَ الفُتُورُ وَأَنْ يَقْعُدَ الأَصْحَابُ مُجْتَمِعِينَ فَإِنَّ كُل وَاحِد فِي الآخرِ لِيُظْهِرُ أَثَرُ الصُّحْبَة، وَقَدْ كَتَبَ هَذَا الفَقِيرُ قَبْل ذَلكَ عَلى سَبِيلِ الاتِّفَاقِ بِأَنَّ مَوْلانَا لو اخْتَارَ سَفَرًا يَنْبَغِي أَنْ يُنَصِّبَ الشَّيْخَ الحَسَنَ مَكَانَهُ، فَكَانَ المُرَادُ مِنْهُ عَلى وَفْقِ القَضَاءِ هَذَا السَّفَرُ، وَالآنَ أَيْضًا أُلاحِظُ فِي هَذَا الأَمْرِ مُكَرَّرًا وَأَجِدُ الشَّيْخَ الحَسَنَ مُتَعَيِّنًا فِي هَذَا الأَمْرِ وَلا يَثْقُل هَذَا المَعْنَى عَلى بَعْضِ الأَصْحَابِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِاخْتِيَارِنَا وَلا بِاخْتِيَارِهِمْ، وَالانْقِيَادُ لازِمٌ، وَلِطَرِيقِ الشَّيْخِ الحَسَنِ مُنَاسَبَةٌ كَثِيرَةٌ بِطَرِيقِ مَوْلانَا، وَالنِّسْبَةُ التِي أَخَذهَا مَوْلانَا مِنْ هَذَا الجَانِبِ فِي الآخرِ الشَّيْخُ الحَسَنُ شَرِكَةً مَعَهُ فِيهَا وَالأَصْحَابُ البَاقُونَ قَليلوا النَّصِيبِ مِنْهَا وَإِنْ حَصَل لَهُمْ كَشْفٌ وَشُهُودٌ وَصَارُوا مُتَحَلينَ بِالتَّوْحِيدِ وَالاتِّحَادِ وَلَكِنَّ هَذه الدَّوْلَة أَمْرٌ آخرُ لاَ يَشْتَرُونَ الكُشُوفَ وَالشُّهُودَ هُنَاكَ عَلى شُعَيْرَة، وَيَسْتَغْفِرُونَ مِنْ ذَلكَ التَّوْحِيدِ وَالاتِّحَادِ وَبِالجُمْلةِ يَنْبَغِي أَنْ لاَ يَتَوَقَّفَ الأَصْحَابُ فِي تَقْدِيمِ الشَّيْخِ الحَسَنِ وَأَنْ يَشْتَغلوا

---

(١) الرحمن: ٦٠

بِأَمْرِهِمْ جَاعِلِينَ إِيَّاهُ رَئِيسَ حَلَقَتِهِمْ وَلِيُفْهِمْ أَخُونَا الخَوَاجَهْ أُوَيْسٌ هَذَا المَعْنَى لِلأَصْحَابِ، وَلِيَدُلَّهُمْ عَلَى الاشْتِغَالِ بِعَقْدِ الحَلَقَةِ وَالصُّحْبَةِ وَيُرَغِّبَهُمْ فِي الشَّيْخِ الحَسَنِ وَيَنْبَغِي لِلشَّيْخِ الحَسَنِ أَيْضًا حِفْظُ خَوَاطِرِ الشُّرَكَاءِ وَالرُّفَقَاءِ، وَأَدَاءُ حُقُوقِ الأُخُوَّةِ، وَأَنْ لاَ يُفَارِقَ مُطَالَعَةَ الكُتُبِ الفِقْهِيَّةِ، وَأَنْ يَجْتَهِدَ فِي نَشْرِ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، وَأَنْ يُرَغِّبَ فِي مُتَابَعَةِ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ، وَأَنْ يُحَذِّرَ عَنِ البِدْعَةِ الشَّنِيعَةِ، وَأَنْ لاَ يَعْدِلَ عَنْ طَرِيقِ الاتِّحَادِ وَالتَّضَرُّعِ وَالانْكِسَارِ؛ لِئَلا يَلْقَى النَّفْسَ الأَمَّارَةَ مِنْ جِهَةِ الرِّيَاسَةِ وَالتَّقَدُّمِ عَلَى الأَقْرَانِ فِي المَهْلَكَةِ وَالحَالَةِ السَّيِّئَةِ، وَلِيَعْتَقِدْ نَفْسَهُ فِي جَمِيعِ الأَوْقَاتِ وَسَائِرِ الحَالاتِ قَاصِرًا وَنَاقِصًا، وَلِيَكُنْ طَالِبًا لِكَمَالِهِ، وَالنَّفْسُ وَالشَّيْطَانُ عَدُوَّانِ قَوِيَّانِ فِي الكَمِينِ فَلا يَخْرُجَانِ مِنَ الطَّرِيقِ خَائِبًا وَخَاسِرًا.

وَذَلِكَ مِنْ نُصْحِي لَكُمْ إِنْ قَبِلْتُمُوا ... نَجَوْتُمْ وَإِلا فَافْعَلُوا مَا بَدَا لَكُمْ

وَبِلادُ الهِنْدِ بَعِيدٌ عَنْكُمْ وَالقَافِلَةُ تَرِدُ وَتَذْهَبُ بِالأَخْبَارِ فِي سَنَةٍ مَرَّةً وَاحِدَةً فَيَنْبَغِي كِتَابَةُ الأَحْوَالِ، فَإِنْ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَى الوُصُولِ فَلا تَغْفُلُوا عَنِ الكِتَابَةِ. وَالشَّيْخُ يُوسُفُ قَرِيبٌ مِنَّا وَكَانَ هُنَا مُدَّةً وَأَخَذَ فَوَائِدَ جَمَّةً وَاطَّلَعَ عَلَى حَقِيقَةِ الفَنَاءِ وَرَجَعَ إِلَى وَطَنِهِ بِمِيعَادِ المَجِيءِ ثَانِيًا وَهُوَ رَجُلٌ مُسْتَعِدٌّ وَصَادِقُ الإِخْلاصِ، - وَاللهُ سُبْحَانَهُ المُوَفِّقُ -. وَحَيْثُ نَأَيْتُمْ عَنَّا يُبَالِغُ فِي النَّصِيحَةِ تَيَقَّظُوا وَتَنَبَّهُوا وَاعْتَقِدُوا الرِّيَاسَةَ بَلاءَ الرُّوحِ، وَكُونُوا خَائِفِينَ وَوَجِلِينَ مُشْفِقِينَ مِنْ حُدُوثِ لَذَّةٍ فِي هَذِهِ الرِّيَاسَةِ فَتَنْجَرُّ إِلَى الهَلاكِ الأَبَدِيِّ.

{رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ}(١)

{سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلَى المُرْسَلِينَ وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ}(٢).

---

(١) البقرة: ٢٨٦

(٢) الصافات: ١٨٠، ١٨١،١٨٢

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالسَّبْعُونَ بَعْدَ الثَّلاثِمائَة
إلى خَانْخَانَانَ
فِي بَيَانِ أَنَّ الإِنْسَانَ مَدَنِيُّ الطَّبْعِ مَجْبُول عَلى التَّمَدُّن وَمُحْتَاجٌ إِلى بَنِي نَوْعِه فِي تَعَيُّشه وَحُسْنُ الإِنْسَان أَيْضًا فِي هَذَا الاحْتِيَاجِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

الحَمْدُ للهِ وَسَلامٌ عَلى عِبَادِه الذِينَ اصْطَفَى، نَسْأَل اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى تَرْقِيَاتِكُمُ الصُّورِيَّةَ وَالمَعْنَوِيَّةَ فَإِنَّ خَيْرِيَّتَكُمْ وَصَلاحَكُمْ مُتَضَمِّنَةٌ لِجَمْعِيَّة جَمِيعِ المسْلمينَ وَرَفَاهِيَتِهِمْ، وَالدُّعَاءُ لكُمْ دَاءٌ لِجَمِيعِ المسْلمينَ، سَلمَكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ عَمَّا لاَ يَليقُ بِجَنَابِكُمْ بِحُرْمَة سَيِّد المُرْسَلينَ عَلَيْه وَعَلَيْهِمْ وَعَلى آل كُل المسْلمينَ سَلمَكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ عَمَّا لاَ يَليقُ بِجَنَابِكُمْ بِحُرْمَة سَيِّد المُرْسَلينَ عَلَيْه وَعَلَيْهِمْ وَعَلى آل كُل مِنَ الصَّلَوَات أَفْضَلهَا وَمِنَ التَّسْليمَات أَكْمَلهَا، وَحَيْثُ أَعْلمُ أَنَّ نسْبَةَ مَحَبَّتكُمْ وَإِرَادَتكُمْ وَإِخْلاصكُمْ لأَكَابِر النَّقْشبَنْدِيَّة العَليَّة قَدَّسَ اللهُ تَعَالى أَسْرَارَهُمْ عَلى وَجْه الأَتَمِّ وَالأَكْمَل فَبِنَاءً عَلى ذَلكَ تَصيرُ بَاعثًا عَلى تَصدِّيكُمْ

أَيُّهَا المَخْدُومُ المُكرَّمُ: إِنَّ أَهْلَ هَذه السِّلسلة العَليَّة وَقَعُوا فِي هَذه الدِّيَار غُرَبَاءَ، وَمُنَاسَبَةُ أَهْل هَذه الدِّيَار لِطَرِيقَة هَؤُلاءِ الأَكَابِر الذِينَ هُمْ مُلتَزِمُونَ للسُّنَّة بِوَاسِطَة شُيُوعِ البِدْعَة فِي هَذه الدِّيَار قَليلةٌ، وَمِنْ هَاهُنَا اخْتَرَعَ بَعْضُ أَهَالِي هَذه السِّلسلة بِوَاسِطَة قُصُور نَظَره فِي هَذه الطَّرِيقَة العَليَّة أَيْضًا بِدْعَات وَجَذَبَ قُلوبَ النَّاسِ بِعَلاقَة ارْتِكَاب تِلكَ البِدْعَات إِلَى جَانبه، وَظَنَّ هَذَا العَمَل بِزَعْمه تَكْميلا لِهَذه الطَّرِيقَة العَليَّة، حَاشَاهَا مِنْ ذَلكَ وَكَلا بَل هَؤُلاءِ الجَمَاعَةُ يَجْتَهدُونَ فِي تَخْرِيبِ الطَّرِيقَة وَتَضْيِيعهَا وَلَمْ يُدْرِكُوا حَقِيقَةَ مُعَامَلة أَكَابِر هَذه الطَّائفَة، هَدَاهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ سَوَاءَ الصِّرَاط، وَحَيْثُ إِنَّ أَهْلَ هَذه السِّلسلة العَليَّة عَزِيزُو الوُجُود فِي هَذه الدِّيَار يَنْبَغِي لِمُرِيدِي هَذه السِّلسلة وَمُحِبِّيهِمْ إِمْدَادُ هَؤُلاءِ الأَكَابِر وَطَلَبَة هَذه الطَّرِيقة وَإِعَانَتُهُمْ فَإِنَّ الإِنْسَانَ مَدَنِيُّ الطَّبْعِ مَجْبُول عَلى التَّمَدُّن مُحْتَاجٌ فِي تَعَيُّشه إِلى بَنِي نَوْعه، قَال اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالى {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنينَ}(١)

فَإِذَا كَانَ فِي كِفَايَة مُهِمَّات خَيْرِ البَشَر عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْليمَاتُ دَخْل للمُؤْمِنينَ فَمَا المُضَايَقَةُ عَلى الآخَرِين، وَأَكْثَرُ أَغْنيَاء هَذه الوَقْت

---

(١) الأنفال: ٦٤

يَزْعُمُونَ الدَّرْوَشَةَ فِي عَدَمِ الاحْتِيَاجِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ فَإِنَّ الاحْتِيَاجَ ذَاتِيٌّ لِجَمِيعِ المُمْكنات؛ بَل حُسْنُ الإِنْسَانِ هُوَ فِي هَذَا الاحْتِيَاجِ، وَذُل العُبُودِيَّة نَاشِئٌ مِنْ هَذه الجِهَة لوْ زَال الاحْتِيَاجُ فَرْضًا عَنِ الإِنْسَان وَحَصَل لهُ الاسْتغْنَاءُ لاَ يَكُونُ فيه غَيْرُ العصْيَان وَالعنَاد وَالطُّغْيَان قَال اللهُ تَعَالى {إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى}[1].

غَايَةُ مَا فِي البَاب: إِنَّ الفُقَرَاءَ لتَخلصهمْ عَنِ التَّعَلق بالأغْيار يُحيلونَ الاحْتِيَاجَ إلى الأَسْبَاب عَلى مُسَبِّب الأَسْبَاب، وَيَرَوْنَ الدَّوْلةَ المبْذُولة العَامَّةَ مِنْ خوَان نعْمَته تَعَالى وَيَعْتَقدُونَ أَنَّ المَانعَ وَالمُعْطي فِي الحَقيقَة هُوَ اللهُ تَعَالى وَحَيْثُ أُوردَتِ الأَسْبَابُ فِي البَيْنِ بوَاسطَة حُكْمٍ وَمَصَالحَ وَنَسَبَ الحَسَنِ وَالقُبْحِ إِلَيْهَا يَجْعَل هَؤُلاء الأَكَابِرُ أَيْضًا الشُّكْرَ وَالشِّكَايَةَ رَاجعَيْنِ إِلَيْهَا وَيَرَوْنَ الحَسَنَةَ وَالسَّيِّئَةَ منْهَا فَإِنَّهُمْ لوْ لَمْ يَعْتَبِرُوا الأَسْبَابَ لأَبْطلوا مُعَامَلةً عَظيمَةً {رَبَّنَا مَا خَلقْتَ هَذَا بَاطلا سُبْحَانَك}[2]

وَوُجُودُ مَعْدن الحَقَائق وَالمَعَارف أَخي الأَعَزِّ السَّيِّد مَيْرَ مُحَمَّد نُعْمَانَ مُغْتَنَمٌ فِي تلكَ الحُدُود، وَدُعَاءُوهُ وَتَوَجُّهُهُ كبْريتٌ أَحْمَرُ، وَأَظُنُّ أَنَّ بَرَكَات تَوَجُّهَاته وَفُيُوضَهَا قَوَائِمُ دَوْلتكُمْ وَأَجدُهُ فِي الحُضُور وَالغَيْبَة مُمدَّكُمْ وَمُعَاونَكُمْ. وَقَدْ كَتَبَ المَرْقُومَ قَبْل هَذَا بسَنَة منْ مَحَاسنكُمْ إِلى الفَقير، وَأَدْرَجَ فِيمَا كَتَبَ مَحَبَّتَكُمْ وَإِخْلاصَكُمْ للفُقَرَاء، وَأَظْهَرَ فيه أَنَّهُ قَدْ فَوَّضَ تَوْليه هَذه الوِلاَيَة إِلى آخرَ،

فَهَذَا الوَقْتُ وَقْتُ التَّوَجُّه وَالمَدَد فَحَصَل للفَقير فِي أَثْنَاء مُطَالعَة ذَلكَ المَكْتُوب تَوَجُّهٌ فِي هَذَا البَاب فَوَجَدْتُكُمْ فِي ذَلكَ الوَقْت رَفيعَ القَدْر، وَالظَّاهرُ أَنَّهُ قَدْ كَانَ فِي تلكَ السَّاعَة شَخْصٌ مُتَوَجِّهًا إِلى تلكَ الجِهَة فَكَتَبْتُ فِي جَوَاب ذَلكَ المَكْتُوب هَذه العبَارَةَ: أَنَّ خَانْخَانَانَ يُظْهرُ فِي النَّظَر رَفيعَ القَدْرَة وَالأَمْر عنْدَ الله سُبْحَانَهُ.

---

(١) ــ العلق:٧

(٢) ــ آل عمران: ١٩١

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالسَّبْعُونَ بَعْدَ الثَّلاَثمائَة
إلى نُورِ مُحَمَّد الأنبالي
فِي جَوَابِ اسْتِفْسَارِه بِأَنَّهُ إذَا حَضَرَ الطَّالِبُ لِطَلَبِ الحَقِّ جَل وَعَلا عِنْدَ شَيْخٍ آخَرَ مَعَ وُجُود شَيْخه هَل يَجُوزُ لهُ ذَلكَ أَوْ لاَ؟

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَعْدَ الحَمْد وَالصَّلوَات وَتَبْليغِ الدَّعَوَات:

أُنْهِيَ أَنَّ المَكْتُوبَ المُرْسَل قَدْ وَصَل وَسَأَلتَ أَنَّهُ مَعَ وُجُودِ حَيَاة الشَّيْخِ إذَا حَضَرَ الطَّالِبُ عِنْدَ شَيْخٍ آخرَ لِطَلَبِ الحَقِّ - - جَل وَعَلا - - هَل يَجُوزُ لهُ ذَلكَ أَوْ لاَ؟

اعْلَمْ أَنَّ المَقْصُودَ هُوَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ، وَالشَّيْخُ وَسيلةُ الوُصُول إلى جَنَاب الحَقِّ تَعَالَى فَإنْ رَأى الطَّالِبُ رُشْدَهُ عِنْدَ شَيْخٍ آخرَ وَوَجَدَ قَلبَهُ فِي صُحْبَته حَاضرًا مَعَ الحَقِّ يَجُوزُ أَنْ يَحْضُرَ عِنْدَهُ فِي حَيَاة شَيْخه الأَوَّل بلا إذْنه، وَيَطْلبَ منْهُ رُشْدَهُ؛ وَلكِنْ يَنْبَغي أَنْ لاَ يُنْكرَ شَيْخَهُ الأَوَّل، وَلا يَذْكُرَهُ إلا بخَيْرٍ خُصُوصًا فِي هَذَا الوَقْت، فَإنَّهُ لَمْ يَبْقَ فيه المُريديَّة وَالشَّيْخُوخَة غَيْرُ الرَّسْمِ وَالعَادَة فَإذَا لَمْ يَكُنْ لشُيُوخِ هَذَا الوَقْت خَبَرٌ عَنْ أَنْفُسهِمْ وَلا يَقْدرُونَ أَنْ يُفرِّقُوا بَيْنَ الإيمَانِ وَالكُفْرِ فَكَيْفَ يَكُونُ لَهُمْ خَبَرٌ عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَل وَعَلى أَيِّ طَرِيقٍ يَدُلُّونَ المُرِيدَ.

مَنْ لَمْ يَكُنْ ذَا خبْرَة عَنْ نَفْسه   لاَ يَقْدرُ الإخْبَارَ عَنْ هَذَا وَذَا

يَا وَيْحَ مُرِيد يَقْعُدُ عِنْدَ مثْل هَذَا الشَّيْخِ مُعْتَقدًا لهُ وَلا يَرْجعُ إلى غَيْرِه وَلا يَعْرفُ طَرِيقَ الحَقِّ - جَل وَعَلا - وَهَذَا منَ الخَطَرَات الشَّيْطَانيَّة الوَاردَة منْ جهَة الشَّيْخِ النَّاقصِ لمَنْعِ الطَّالب عَنْ طَلب الحَقِّ سُبْحَانَهُ، كُل مَوْضعٍ رَأى الطَّالبُ رُشْدَهُ وَجَمْعيَّةَ قَلبه فِيهِ يَنْبَغي الرُّجُوع فِيهِ بِلا تَوَقُّفٍ وَأَنْ تَسْتَعيذَ منَ الوَسَاوِسِ الشَّيْطَانيَّة.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالسَّبْعُونَ بَعْدَ الثَّلاَثمائَة
إِلى مُحَمَّد مُؤْمِن وَالد المرْحُوم الخَوَاجَهْ عُلَيْجَان
فِي بَيَانِ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ لاَ يَضِيقُ الصَّدْرُ عَنْ تَلوُّنِ الأَحْوَال وَعَدَمِ حُصُول الآمَال الدُّنْيَاوِيَّة الدَّنِيَّة.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَلمَكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ عَمَّا لاَ يَليقُ بحَالكُمْ، اعْلمُوا أَنَّ الدُّنْيَا سجْنُ المُؤْمنِ، وَالمُنَاسبُ لحَال السِّجْنِ هُوَ الوَجَعُ وَالأَلمُ وَالمُصِيبَةُ وَلا يَنْبَغِي التَّضَجُّرُ وَالجَزَعُ مِنْ تَلوُّنِ الأَحْوَال وَعَدَم حُصُول الآمَال.

{فَإِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا}[1] فَقَرَنَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِعُسْرٍ وَاحِدٍ يُسْرَيْنِ وَيُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ المُرَادُ منهُمَا يُسْرَى الدُّنْيَا وَالآخِرَة

لاَ عُسْرَ فِي أَمْرٍ مَعَ الكِرَامِ

وَبَاقِي أَحْوَال هَذه الحُدُود بَيَّنَهَا السَّيِّدُ عَبْدُ البَاقِي بِالمُشَافَهَةِ، وَالمُشَارُ إِليْهِ مُتَوَجِّهٌ لملاَقَاتِكُمْ مُرَاعَاةً لحُقُوقكُمْ وَإِشْفَاقًا عَليْكُمْ.

---

(١) الشرح: ٥، ٦.

المَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالسَّبْعُونَ بَعْدَ الثَّلاثِمائَة
إلى مَوْلانَا مُحَمَّد هَاشِم الخَادِم
فِي التَّحْذِيرِ عَنِ الاشْتِغَالِ بِأُمُورٍ لاَ طَائِلَ فِيهَا
بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَعْدَ الحَمْد وَالصَّلوَات وَتَبْلِيغِ الدَّعوَات:

أُنْهِيَ أَنَّكُمْ مَا كَتَبْتُمْ فِي هَذه المُدَّة عَنْ أَحْوَالكُمُ البَاطنَة خَبَرًا مُعْتَدًّا به حَتَّى يَكُونَ بَاعثًا عَلى الفَرَحِ وَأُمُورِ الدُّنْيَا ممَّا لاَ طَائل فِيهَا وَلا قَدْرَ للدُّنْيَا وَمَا فِيهَا حَتَّى يَشْتَغل الإِنْسَانُ بحَشْويَّاتهَا تَاركًا لتَذَكُّر أَحْوَال الآخرَة وَإِنْ كَانَتْ نيَّتُكُمْ نيَّةَ خَير لكنَّكُمْ قَدْ سَمعْتُمْ أَنَّ حَسَنَات الأَبْرَار سَيِّئَاتُ المقَرَّبينَ وَعَلى كُل حَال يَنْبَغي التَّوَجُّهُ إِلَى الأَحْوَال وَالاشْتغَال بالطُّفَيْليِّ بقَدْرِ الضَّرُورَة فَإِنَّ الضَّرُورَةَ تُقَدَّرُ بقَدْرهَا، لله سُبْحَانَهُ الحَمْدُ وَالمنَّةُ.

إنَّ فُقَرَاءَ هَذه الحُدُود وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلومٌ؛ وَلكنَّهُمْ يَصْرِفُونَ الأَوْقَاتَ بِالفَرَاغَة وَالوَسَعَة منْ غَيْرِ سَعْيٍ فِي أَمْرِ الرِّزْق وَلا اجْتهَاد وَنَصيبُهُمْ يُصيبُهُمْ زيَادَةً عَلى قَدْرِ الكَفَاف وَالرِّزْقُ هُوَ نَقْدُ الوَقْت، وَبَاقي أَحْوَال هَذه الحُدُود مُسْتَوْجبٌ للحَمْد وَفي هَذه الأَشْهُر عَادَ الوَبَاءُ ثَانيًا وَمَاتَ مَنْ جَاءَ أَجَلهُ وَقَد ارْتَفَعَ الآنَ لله سُبْحَانَهُ الحَمْدُ وَالمنَّةُ عَلى جَميعِ النَّعْمَاءِ وَالسَّلامُ.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالسَّبْعُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائَة
إِلَى خَانْخَانَ
فِي بَيَانِ التَّوْبَةِ[١] وَالإِنَابَةِ[٢] وَالوَرَعِ[٣] وَالتَّقْوَى وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الذِينَ اصْطَفَى وَحَيْثُ صَرَفْنَا العُمْرَ العَزِيزَ فِي المَعَاصِي وَالزَّلاتِ وَالتَّقْصِيرَاتِ وَالهَفَوَاتِ يَسْتَحْسِنُ أَنْ نَتَكَلَّمَ عَنِ التَّوْبَةِ وَالإِنَابَةِ وَالوَرَعِ وَالتَّقْوَى، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى {وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[٤] وَقَالَ تَعَالَى {يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى

---

(١) **التوبة**: لغة: الرجوع عن الذنب.،انظر: ابن منظور: لسان العرب: توب

أما عند الصوفية فلها مراتب وصور متعددة، فصورتها في البدايات: الرجوع عن المعاصي بتركها والإعراض عنها.، وفي **الأبواب**: ترك الفضول القولية والفعلية المباحة، وتجريد النفس عن هيئات الميل إليها وبقايا التروع إلى الشهوات الشاغلة عن التوجه إلى الحق.، وفي **المعاملات**: الإعراض عن رؤية فعل الغير، والإجتناب عن الدواعي وأحوال النفس برؤية أفعال الحق.، وفي **الأخلاق**: التوبة عن الرذائل النفسانية وعن إراداته وحوله وقوته.، وفي **الأصول**: الرجوع عن الإلتفات إلى الغير، والفتور في العزم. انظر: الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية: ١٩٢، ١٩٣.

(٢) **الإنابة**: **لغة** الرجوع إلى الله بالتوبة. انظر: ابن منظور: لسان العرب: نوب.

أما عند الصوفية فلها مراتب متعددة، فصورتها في **البدايات**: الرجوع إلى الحق بالوفاء بعهد التوبة.، وفي المعاملات: توجه النفس إلى جناب القلب لتنوره بنوره، وتسكن إليه عند حضوره.، وفي **الأخلاق**: التثبت في مطاوعة القلب ومشايعته عند الترقي إلى جناب الرب والطمأنينة في ذلك بالرضاالمورث للقرب.

وفي **الأصول**: طيران القلب في الترقي لصحة العزم وقوة الإرادة، وتنسم روح الأنس، واستشراف نور المودة. انظر: الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية: ١٩٥.

(٣) **الورع**: لغة: التحرج، وتورع عن كذا أي تحرج، والورع: هو الرجل التقي المتحرج. انظر: ابن منظور: لسان العرب: ورع.

أما عند الصوفية: فقد عرفه بعضهم فقال: هو أن تتورع عن أن يتشتت قلبك عن الله طرفة عين، وقال بعضهم: هو أن لا يتكلم العبد إلا بالحق غضب أو رضي، وأن يكون اهتمامه بما يرضي الله تعالى. انظر: السهروردي: عوارف المعارف: ٢٣٩، ٢٤٠. الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية: ٢١٨.

(٤) **النور**: ٣١

تُفْلِحُونَ}(١) وَقَال تَعَالى {يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا تُوبُوا إلى الله تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ}(٢) وَقَال تَعَالى {وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ}(٣).

فَالتَّوْبَةُ مِنَ الذُّنُوب وَاجِبَةٌ وَفَرْضُ عَيْنٍ فِي حَقِّ كُل شَخْصٍ لاَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَسْتَغْنَى عَنْهَا أَحَدٌ مِنَ البَشَرِ كَيْفَ وَالأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ لَمْ يَسْتَغْنُوا عَنِ التَّوْبَة، قَال خَاتَمُهُمْ وَسَيِّدُهُمْ عَلَيْه وَعَلَيْهِمْ صَلَوَاتُ الله وَتَحِيَّاتُهُ أَنَّهُ لَيُغَانُ عَلى قَلبِي وَإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ سَبْعِينَ مَرَّةً"

فَإِنْ كَانَت المَعَاصِي تَتَعَلقُ بِحَقِّ الله تَعَالى وَلا تَتَعَلقُ بِحُقُوق العبَاد مِنَ المَظَالِمِ كَالزِّنَا وَشُرْبِ الخَمْرِ وَسَمَاعِ الملاهي وَالنَّظَرِ إلى غَيْرِ مَحْرَمٍ وَمَسِّ المُصْحَف بِغَيْرِ وُضُوءٍ وَاعْتقَاد بدعَة فَالتَّوْبَةُ عَنْهَا بِالنَّدَمِ وَالاسْتغْفَارِ وَالتَّحَسُّرِ وَالاعْتذَار إلى الله عَزَّ وَجَل وَلَوْ تُرِكَ فَرْضٌ مِنَ الفَرَائِضِ لاَ بُدَّ فِي التَّوْبَة مِنْ أَدَائه وَإِنْ كَانَت المَعَاصِي تَتَعَلقُ بِالمَظَالِمِ وَالعبَاد فَتَوْبَتُهَا بِرَدِّ المظَالِمِ إِلَيْهِمْ وَالاسْتحْلال مِنْهُمْ وَالإِحْسَان إِلَيْهِمْ وَالدُّعَاء لَهُمْ وَإِنْ كَانَ صَاحِبُ المال وَالعَرضِ مَيِّتًا فَالاسْتغْفَارُ وَالإِحْسَان وَرَدُّ المال إلى أَوْلاَده وَوَرَثَته وَإِنْ لَمْ يُعْلَمْ لَهُ وَارِثٌ يَتَصَدَّقُ بِقَدْرِ المال وَالجنَايَة عَلى الفُقَرَاء وَالمَسَاكِينِ بِنِيَّة صَاحب المال وَالذي أُوذِيَ بِغَيْر حَقٍّ قَال عَلِيٌّ ــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ــ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ ﷺ يَقُول وَهُوَ الصَّادقُ: قَال رَسُول الله ﷺ"مَا مِنْ عَبْد أَذْنَبَ ذَنْبًا فَقَامَ فَتَوَضَّأَ وَصَلى وَاسْتَغْفَرَ اللهَ مِنْ ذَنْبِه إلا كَانَ حَقًّا عَلى الله أَنْ يَغْفِرَ له"(٤) لأَنَّهُ يَقُول جَل وَعَلا {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللهَ يَجد اللهَ غَفُورًا رَحِيمًا} وَقَال عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ فِي حَدِيثٍ آخَرَ: "مَنْ أَذْنَبَ ذَنْبًا ثُمَّ نَدمَ عَلَيْه فَهُوَ كَفَّارَةٌ "(٥).

وَفِي الخَبَرِ: "إِنَّ الرَّجُل إِذَا قَال: أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْك ثُمَّ عَادَ ثُمَّ قَالهَا ثُمَّ عَادَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ كُتبَ فِي الرَّابِعَةِ مِنَ الكَبَائِرِ"(٦).

---

(١) النور: ٣١

(٢) التحريم: ٨

(٣) الأنعام: ١٢١

(٤) عزاه المتقي الهندي لابن أبي حاتم وابن مردويه وابن السني في عمل اليوم والليلة. (كنز العمال: ح١٠٤٢١.)

(٥) لم أقف عليه.

(٦) لم أقف عليه.

وَفِي الحَدِيث النَّبَوِيِّ أَنَّهُ قَال عَلَيْهِ وَعَلى آلهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ هَلكَ المسَوِّفُونَ يَقُولونَ سَوْفَ نَتُوبُ ".

أَوْصَى لقْمَانُ الحَكِيمُ لابْنِه يَا بُنَيَّ لاَ تُؤَخِّرِ التَّوْبَةَ إِلى غَدٍ فَإِنَّ الموْتَ يَأْتِيكَ بَغْتَةً.

قَال مُجَاهِدٌ(١): "مَنْ لَمْ يَتُبْ إِذَا أَصْبَحَ وَأَمْسَى فَهُوَ مِنَ الظَّالمينَ".

قَال عَبْدُ اللهِ بْنُ المبَارَكِ(٢): رَحِمَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ: "رَدُّ فَلسٍ مِنَ الحَرَامِ أَفْضَل مِنْ مِائَة فَلسٍ يُتَصَدَّقُ بِه".

وَقيل: "رَدُّ دَانَقٍ مِنْ فضَّة أَفْضَل عنْدَ الله منْ ستّمائَة حَجَّةٍ مَبْرُورَة ".

{رَبَّنَا ظَلمْنَا أَنْفُسنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ منَ الخَاسرِينَ}.

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَال "إِنَّ اللهَ تَعَالى يَقُول: عَبْدِي أَدِّ مَا افْتَرَضْتُ عَليْك تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَانْتَهِ عَمَّا نَهيْتُكَ عَنْهُ تَكُنْ مِنْ أَوْرَعِ النَّاسِ، وَاقْنَعْ بِمَا رَزَقْتُكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاس"(٣).

وَقَال ﷺ لأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ".

وَقَال الحَسَنُ البَصْرِيُّ(٤) رَحِمَهُ اللهُ: "مِثْقَال ذَرَّةٍ مِنَ الوَرَعِ خَيْرٌ مِنْ أَلفِ مِثْقَال مِنَ الصَّوْمِ وَالصَّلاة".

---

(١) ـــ مجاهد بن جبر، أبو الحجاج، المكي: مولى بني مخزوم، تابعي، مفسر من أهل مكة أخذ التفسير عن ابن عباس. توفي سنة ١٠٤ هـــ. انظر: غاية النهاية لابن الجزري ٢ /٤١، صفة الصفوة ٢ /١١٧، حلية الأولياء ٣ /٢٧٩، الأعلام للزركلي ٥ / ٢٧٨.

(٢) ـــ عبدالله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء، التميمي المروزي أبو عبدالرحمن، الحافظ، شيخ الإسلام، المجاهد التاجر، صاحب التصانيف والرحلات، من أهم كتبه: الرقائق، الجهاد، توفي سنة ١٨١ هـــ انظر: تذكرة الحفاظ ١ /٢٥٣، الرسالة المستطرفة ٣٧، شذرات الذهب ١ / ٢٩٥، الأعلام ٤ ١١٥.

(٣) ورد مرفوعا إلى النبي ﷺ - بدون نسبة إلى رب العزة سبحانه وتعالى - بلفظ: " اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب " كذا أخرجه:
ابن ماجه في السنن: ك: الزهد. ب: الورع والتقوى.٤٢١٧.، سنن الترمذي: أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ. ح٢٤٠٧.وقال: حديث غريب، وقال العجلوني: رواه احمد والترمذي عن أبي هريرة بسند ضعيف، وضعفه السيوطي في الجامع الصغير ح٦٤٢٢.

(٤) ـــ الحسن بن يسار البصري (أبو سعيد) إمام أهل البصرة،وحبر الأمة في زمنه، لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إليه: " إني قد ابتليت بهذ الأمر فانظر لي أعوانا يعينوني عليه "؛ فأجابه

وَقَال أَبُو هُرَيْرَة ﷺ: جُلسَاءُ الله غدا أَهْل الوَرَعِ وَالزُّهْد أَوْحَى اللهُ إلى مُوسَى – عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ –: "لاَ يَتَقَرَّبُ إلَيَّ المتَقَرِّبُونَ بِمثْلِ الوَرَعِ"(١).

قَال بَعْضُ العُلمَاء بالله: لاَ يَتِمُّ الوَرَعُ إلا أَنْ يَرَى عَشَرَةَ أَشْيَاءَ فَرِيضَةً عَلى نَفْسه أَوَّلَهَا: حفْظُ اللسَان عَن الغيبَة، والثَّاني: الاجْتنَابُ عَنِ السُّخْرِيَة، وَالثَّالثُ: الاجْتنَابُ عَنْ سُوء الظَّنِّ، وَالرَّابِعُ: غَضُّ النَّظَرِ عَنِ المَحَارِمِ، وَالخَامسُ: صدْقُ اللسَان، وَالسَّادسُ: أَنْ يَعرِفَ منَّةَ الله كَيْلا يُعْجَبَ بنَفْسه، وَالسَّابِعُ: أَنْ يُنفقَ مَالَهُ في الحَقِّ وَلا يُنْفقَهُ في البَاطل، وَالثَّامنُ: أَنْ لاَ يَطْلبَ لنَفْسه العُلوَّ وَالكِبْرَ، وَالتَّاسِعُ: المُحَافَظَةُ عَلى الصَّلوَات. وَالعَاشرُ: الاسْتقَامَةُ عَلى السُّنَّة وَالجَامعَة".

{رَبَّنَا أَتْممْ لنَا نُورَنَا وَاغْفرْ لنَا إنَّكَ عَلى كُل شَيْءٍ قَديرٌ}(٢).

أَيُّهَا المَخْدُومُ المُكَرَّمُ المشْفَقُ الأَكْرَمُ: إنْ تَيَسَّرَت التَّوْبَةُ عَنْ جَميعِ الذُّنُوب وَحَصَل الوَرَعُ وَالتَّقْوَى منْ جَميعِ المُحَرَّمَات وَالمُشْتَبهَات فَذَلكَ نعْمَةٌ عَظيمَةٌ وَدَوْلَةٌ قُصْوَى وَإلا فَالتَّوْبَةُ منْ بَعْضِ الذُّنُوب وَالوَرَعِ منْ بَعْضِ المُحَرَّمَات أَيْضًا مُغْتَنَمَةٌ؛ وَلعَل بَرَكَات ذَلكَ البَعْضِ وَأَنْوَارَهُ تَسْرِي في الأَبْعَاضِ الأُخَر وَيَتَيَسَّرُ التَّوْفيقُ للتَّوْبَة وَالوَرَعِ منْ سَائر المعَاصي أَيْضًا وَمَا لاَ يدرك كله لا يُتْرَكُ كُلهُ.

اللهُمَّ وَفّقْنَا لمَرْضَاتكَ وَثَبِّتْنَا عَلى دينكَ وَعَلى طَاعَتكَ بحُرْمَة سَيِّد المُرْسَلينَ وَقَائد الغُرِّ المُحَجَّلينَ عَلَيْه وَعَلَيْهمْ وَعَلى آل كُل منَ الصَّلوَات أَفْضَلهَا وَمنَ التَّسْليمَات أَكْملهَا.

الحسن: " أما أبناء الدنيا فلا تريدهم، وأما أبناء الآخة فلا يريدونك، فاستعن بالله " توفي بالبصرة سنة ١١٠ هـ. انظر: تهذيب التهذيب، وفيات الأعيان، ميزان الإعتدال ١ /٢٥٤، حلية الأولياء ٢ /١٣١، الأعلام للزركلي ٢ /٢٢٦.

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن الحسن البصري مرسلا.، ورواه الطبراني في المعجم الكبير: أحاديث عبد الله بن عباس بن عبد المطلب.، وقال المناوي: رواه الطبراني من حديث أم سلمة، قال الهيثمي: رواه عن شيخه إبراهيم بن محمد وضعفه الذهبي.(فيض القدير ح٣٤٦١) وقال الهيثمي في موضع آخر: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه جويبر وهو ضعيف جدا.(مجمع الزوائد ٨/٣٧٣ ح ١٣٧٧٦).

(٢) التحريم: ٨

المَكْتُوبُ الثَّمَانُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائَة

إلى خانجها

في بَيَان عَقَائد أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة رضْوَانُ الله تَعَالى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ مَعَ بَيَانِ الأَرْكَانِ الخَمْسَة الإسْلاميَّة وَالتَّحْريض عَلى إسْمَاعِ الكَلمَة الحَقَّة يَعْني كَلمَةَ الإسْلام عَلى سَمْع سُلطَان الوَقْت

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى، وَصَلت الصَّحيفَةُ الشَّريفَةُ المُرْسَلةُ باسْمِ الفُقَرَاء المُنْقَطعينَ عَلى وَجْه الكَرَم وَالالتفَات، حَمْدًا لله سُبْحَانَهُ عَلى حُصُول الالتفَات وَالتَّوَاضُع للأَغْنيَاء ذَوي السَّعَادَة في مثْل هَذَا الزَّمَان المَمْلوء منَ الشُّبَه وَالاشْتبَاه إلى الفُقَرَاء الذينَ لاَ حَاصل لَهُمْ مَعَ عَدَم المُنَاسَبَة وَحُصُول الإيمَان لَهُمْ منْ حُسْنِ النَّشْأَة الذي فيهمْ بهَذه الطَّائفَة يَا لَهَا منْ نعْمَة عَظيمَة حَيْثُ لَمْ تَكُن التَّعَلقَاتُ الشَّتَّى مَانعَةً عَنْ حُصُول هَذه الدَّوْلة وَلَمْ يُعَاوق التَّوَجُّهَاتُ المتَفرِّقَة عَنْ مَحَبَّة هَؤُلاء القَوْم يَنْبَغي أَدَاءُ شُكْر هَذه النِّعْمَة العُظْمَى كَمَا حَقُّهُ وَأَنْ يَكُونَ راجيًا "المرْءُ مَع مَنْ أَحَبَّ" حَديثٌ نَبويٌّ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ

أَيُّهَا السَّعيدُ النَّجيبُ: لاَ بُدَّ للإنْسَان منْ تَصْحيح العَقَائد بمُوجب آرَاء الفرْقَة النَّاجيَة أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة رضْوَانُ الله تَعَالى عَلَيْهمْ أَجْمَعينَ الذينَ هُمُ السَّوَادُ الأَعْظَمُ وَالجَمُّ الغَفيرُ حَتَّى يُتَصَوَّرَ الفَلاحُ الأُخْرَويُّ وَالنَّجَاةُ الأَبَديُّ وَالعَذَابُ السَّرْمَديُّ وَالمُدَاهَنَةُ في العَمَل وَالمُسَاهَلةُ فيه يُرْجَى فيهَا المغْفرَةُ، وَأَمَّا المُدَاهَنَةُ في الاعْتقَاد فَلا مَجَال فيهَا للمَغْفرَة، {إنَّ اللهَ لاَ يَغْفرُ أَنْ يُشْرَكَ به وَيَغْفرُ مَا دُونَ ذَلكَ لمَنْ يَشَاءُ}(١)

وَلنُوردْ مُعْتَقَدَات أَهْل السُّنَّة بلسَان الإيجَاز وَالاخْتصَار، يَنْبَغي تَصْحيحُ الاعْتقَاد بمُقْتَضَاهَا وَأَنْ نَسْأَل الحَقَّ سُبْحَانَهُ بالتَّضَرُّعِ وَالابْتهَال الاسْتقَامَةَ عَلى هَذه الدَّوْلة.

اعْلمْ أَنَّ اللهَ تَعَالى مَوْجُودٌ بذَاته القَديمَة، وَسَائرُ الأَشْيَاء صارَتْ مَوْجُودَةً بإيجَاده سُبْحَانَهُ وَخَرَجَتْ منَ العَدَمِ إلى الوُجُود بتَخْليقه وَهُوَ تَعَالى قَديمٌ أَزَليٌّ،

---

(١) النساء: ٤٨

وَالأشْيَاءُ كُلهَا حَادثَةٌ وَمَوْجُودَةٌ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ وَكُل مَا هُوَ قَديمٌ أَزَلِيٌّ فَهُوَ بَاقٍ وَأَبَديٌّ، وَكُل مَا هُوَ حَادثٌ وَمَسْبُوقٌ بالعَدَمِ فَهُوَ فَانٍ وَمُسْتَهْلَكٌ يَعْني: في شَرَفِ الزَّوَال وَهُوَ سُبْحَانَهُ وَاحدٌ لاَ شَريكَ لَهُ لاَ في وُجُوب الوُجُود وَلا في اسْتحْقَاق العبَادَة لاَ يَليقُ وُجُوبُ الوُجُود لغَيْره تَعَالى، وَلا يَسْتَحقُّ العبَادَةَ سوَاهُ سُبْحَانَهُ وَلَهُ تَعَالى صفَاتٌ كَاملَةٌ فَمنْهَا الحَيَاةُ، وَالعلمُ، وَالقُدْرَةُ، وَالإرَادَةُ، وَالسَّمْعُ، وَالبَصَرُ، وَالكَلامُ، وَالتَّكْوينُ، كُلهَا مُتَّصفَةٌ بالقدَم وَالأزَليَّة وَقَائمَةٌ بحَضْرَة الذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ، والتَّعَلقَاتُ الحَادثَةُ لاَ تُورثُ خَللا في قدَم الصِّفَات وَحُدُوث المتَعَلق لاَ يَصيرُ مَانعًا لأَزَليَّتهَا وَاسْتَدَلت الفَلاسفَةُ منْ نُقْصَان عُقُولهمْ وَالمُعْتَزلةُ منْ عَمَايَتهمْ وَغوَايَتهمْ بحُدُوث المُتَعَلق عَلى حُدُوث المتَعَلق وَنَفُوا الصِّفَات الكَاملةَ وَعلمَهُ تَعَالى بالجُزْئيَّات لاسْتلزَامه التَّغَيُّرَ الذي هُوَ منْ أَمَارَات الحُدُوث وَلَمْ يَعْلمُوا أَنَّ الصِّفَات تَكُونُ أَزَليَّةً وَتَكُونَ تَعَلقَاتُهَا بالمُتَعَلقَات الحَادثَة حَادثَةً وَتَتَعَارَضُ الصِّفَاتُ مَسْلوبَةً عَنْ جَنَاب قُدْسه تَعَالى وَهُوَ تَعَالى مُنَزَّهٌ عَنْ صفَات الجَوَاهر وَالأجْسَام وَالأعْرَاض وَلوَازمهَا لاَ مَجَال للزَّمَان وَالمَكَان وَالجهَة في حَضْرَته تَعَالى، وَهَذه كُلهَا مَخْلوقَاتُهُ تَعَالى. وَزَعَمَ جَمَاعَةٌ ممَّنْ لاَ خَبَرَ لَهُمْ أَنَّهُ تَعَالى فَوْقَ العَرْش وَأَثْبَتُوا لَهُ سُبْحَانَهُ جهَةَ الفَوْق، وَالعَرْشُ وَمَا سوَاهُ ممَّا حَوَاهُ كُلهَا حَادثَةٌ وَمَخْلوقَاتُهُ تَعَالى وَكَيْفَ يَكُونُ للمَخْلوق الحَادث مَجَال أَنْ يَكُونَ مَكَانًا للخَالق القَديم وَمَقَرًّا لَهُ؛ وَلكنَّ العَرْشَ أَشْرَفُ مَخْلوقَاته، وَالنُّورَانيَّةُ وَالصَّفَاءُ أَزْيَدُ فيه منْهَا في غَيْره منَ المُمْكنات فَلا جَرَمَ لَهُ حُكْمُ المُرَآتيَّة لاَ يُظْهرُ عَظَمَةَ الخَالق وَكبْرِيَاءَهُ - جَل وَعَلا - فيه ظُهُورًا بَيِّنًا وَبعَلاَقَة هَذَا الظُّهُور، يُقَال لَهُ عَرْشُ الله، وَإلا فَالعَرْشُ وَغَيْرُهُ كُلهُ مُتَسَاوٍ بالنِّسْبَة إليْه تَعَالى، وَكُلهُ مَخْلوقُهُ تَعَالى وَلكنْ للعَرْش قَابليَّةُ الإرَاءَة وَليْسَتْ هيَ لغَيْره، أَلا تَرَى أَنَّ المرْآةَ التي تَرَى صُورَةَ إنْسَان لاَ يُقَال إنَّ ذَلكَ الإنْسَانَ في المرْآة بَل نسْبَةُ هَذَا الإنْسَان إلى المرْآة وَنسْبَتُهُ إلى غَيْره منَ الأَشْيَاء المتَقَابلة إليْه مُتَسَاويَةٌ وَإنَّمَا التَّفَاوُتُ منْ جهَة القَابليَّة وَعَدَمهَا حَيْثُ إنَّ في المرْآة قَابليَّةَ انْطبَاع الصُّورَة وَليْسَتْ هَذه القَابليَّةُ في غَيْرهَا وَهُوَ تَعَالى ليْسَ بجسْمٍ وَلا جسْمَانيٌّ وَلا جَوْهَر وَلا عَرَضٍ وَلا مَحْدُود وَلا مُتَنَاه وَلا طَويل وَلا عَريضٍ وَلا قَصير وَلا ضَيِّق بَل وَاسعٌ لاَ بالوَسْعَة التي تُدْرَكُ بأَفْهَامنَا، وَمُحيطٌ لاَ بالإحَاطَة التي تَكُونُ مَدْرَكًا بإدْرَاكنَا، وَقَريبٌ لاَ بالقُرْب الذي يَتَعَلقُ بعُقُولنَا، وَهُوَ تَعَالى مَعَنَا لاَ بالمَعيَّة المتَعَارَفَة، نُؤْمنُ بأَنَّهُ تَعَالى وَاسعٌ وَمُحيطٌ وَقَريبٌ وَأَنَّهُ مَعَنَا وَلكنْ لاَ نَعْرفُ كَيْفيَّات هَذه الصِّفَات مَا هيَ

وَكُل مَا نَعْرِفُ مِنْ كَيْفِيَّاتِ هَذه الصِّفَاتِ نَعْرِفُ أَنَّ لهُ قَدْرًا مَا فِي مَذْهَبِ الْمجَسِّمَة، وَهُوَ تَعَالى لاَ يَتَّحدُ بشَيْءِ أَصْلا وَلا يَتَّحدُ مَعَهُ شَيْءٌ وَلا يَحل فيه تَعَالى شَيْءٌ قَطْعًا، وَلا يَكُونُ هُوَ تَعَالى حَالا فِي شَيْءٍ، وَالتَّجزِّي وَالتَّبعُّضِ مُحَالان فِي جنَابِ قُدْسه تَعَالى، وَالتَّرْكيبُ وَالتَّحْليل مَمْنُوعَانِ فِي حَضْرَته تَعَالى وَلَيْسَ لهُ تَعَالى كُفُوٌ وَلا مثْل وَلا صَاحبَةٌ لهُ وَلا وَلدٌ، وَهُوَ تَعَالى مُنَزَّهٌ فِي ذَاته وَصفَاته عَنِ الكَيْف وَالشّبه وَالمثَال، وَمَبْلغُ علمنَا فيه أَنَّهُ تَعَالى مَوْجُودٌ وَبالأَسْمَاء وَالصِّفَات الكَاملَة التي وَصَفَ بهَا نَفْسَهُ وَأَثْنَى، مَوْصُوفٌ وَلكنْ كُل مَا يُدْرَكُ منْهَا بأَفْهَامنَا وَإِدْرَاكنَا وَيُتَصَوَّرُ بعُقُولنَا فَهُوَ تَعَالى مُنَزَّهٌ عَنْهُ وَمُتَعَال كَمَا مَرَّ؛ {لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ}(١)

وَمَا فَاهَ أَرْبَابُ النُّهَى وَالحجَى بمَا سوَى أَنَّهُ الموْجُودُ لاَ رَبَّ غَيْرُهُ

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ أَسْمَاءَ الله تَعَالى تَوْقيفيَّةٌ يَعْني أَنَّ إِطْلاقَهَا عَلَيْه تَعَالى مَوْقُوفٌ عَلى السَّامعِ منْ صَاحب الشَّرْعِ، كُل اسْمٍ وَرَدَ إِطْلاقُهُ فِي الشَّرْعِ عَلى حَضْرَة الحَقِّ سُبْحَانَهُ يَجُوزُ إِطْلاقُهُ عَلَيْه تَعَالى وَمَا لاَ فَلا وَإِنْ كَانَ مَعْنَى الكَمَال مُنْدَرجًا فِي ذَلكَ الاسْمِ فَيَجُوزُ إِطْلاقُ الجَوَادِ لوُرُوده فِي الشَّرْعِ وَلا يَجُوزُ إِطْلاقُ السَّخيِّ لعَدَمِ وُرُوده.

وَالقُرْآنُ كَلامُ الله تَعَالى أُنْزل عَلى نَبيِّنَا عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ مُتَلبِّسًا بلبَاسِ الحَرْف وَالصَّوْت وَأَمَرَ به عبَادَهُ وَنَهَاهُمْ فَكَمَا نَحْنُ نُظْهرُ كَلامَنَا النَّفْسيَّ بتَوَسُّط الفَم وَاللسَان فِي لبَاسِ الحُرُوف وَالأَصْوَات وَنُوردُ به مَقَاصدَنَا الخَفيَّةَ فِي عَرْصَة الظُّهُور كَذَلكَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ أَظْهَرَ كَلامَهُ النَّفْسيَّ لعبَاده فِي لبَاسِ الحَرْف وَالصَّوْت بقُدْرَته الكَاملَة بلا تَوَسُّط فَم وَلسَان وَأَجْلى أَوَامرَهُ وَنَوَاهيه الخَفيَّةَ فِي ضمْنِ الحَرْف وَالصَّوْت عَلى مَنَصَّة الظُّهُور فَكلا قسْمَيِ الكَلامِ كَلامُ الحَقِّ - - جَل وَعَلا - - يَعْني: النَّفْسيَّ وَاللفظيَّ، وَإِطْلاقُ الكَلام عَلى كلا القسْمَيْنِ بطَريق الحَقيقَة كَمَا أَنَّ كلا قسْمَيْ كَلامنَا النَّفْسيَّ وَاللفْظيَّ كَلام بطَريق الحَقيقَة لاَ أَنَّ القسْمَ الأَوَّل حَقيقَةٌ وَالثَّاني مَجَازٌ، فَإِنَّ نَفيَ المَجَاز جَائزٌ وَنَفْيَ الكَلامِ اللفْظيِّ وَإِنْكَارَ كَوْنه كَلامَ الله تَعَالى كُفرٌ، وَكَذَلكَ سَائرُ الكُتُب وَالصُّحُف الأُخْرَى التي أُنْزلتْ إِلى الأَنْبيَاءِ المُتَقَدِّمينَ عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْهمُ الصَّلوَاتُ وَالتَّسْليمَاتُ كُلهَا كَلامُ الله

---

(١) الأنعام:١٠٣

سُبْحَانَهُ، وَكُل مَا انْدَرَجَ فِي القُرْآنِ وَفِي تِلكَ الكُتُبِ وَالصُّحُفِ أَحْكَامُ اللهِ تَعَالى كَلفَ بِهَا عِبَادَهُ عَلى وَفْقِ الأَوْقَاتِ وَالأَزْمَانِ.

وَرُؤْيَةُ المُؤْمِنِينَ الحَقَّ سُبْحَانَهُ فِي الجَنَّةِ مِنْ غَيْرِ جِهَةٍ وَمُقَابَلَةٍ وَبِلا كَيْفٍ وَإِحَاطَةٍ حَقٌّ نُؤْمِنُ بِتِلكَ الرُّؤْيَةِ الأُخْرَوِيَّةِ وَلا نَشْتَغِل بِكَيْفِيَّتِهَا، فَإِنَّ رُؤْيَتَهُ تَعَالى لاَ كَيْفِيَّةً لاَ يَظْهَرُ لأَرْبَابِ الكَيْفِ وَالمِثَالِ فِي هَذِهِ النَّشْأَةِ مِنْ حَقِيقَتِهَا شَيْءٌ وَلا نَصِيبَ لَهُمْ مِنْهَا غَيْرَ الإِيمَانِ بِهَا، فَيَا خَسَارَةَ الفَلاسِفَةِ وَالمُعْتَزِلَةِ وَسَائِرِ الفِرَقِ المُبْتَدِعَةِ حَيْثُ يُنْكِرُونَ الرُّؤْيَةَ الأُخْرَوِيَّةَ مِنَ العَمَى وَالحِرْمَانِ، وَيَقِيسُونَ الغَائِبَ عَلى الشَّاهِدِ وَلا يُشَرَّفُونَ بِالإِيمَانِ بِهَا وَهُوَ تَعَالى كَمَا أَنَّهُ خَالِقُ العِبَادِ كَذَلِكَ هُوَ تَعَالى خَالِقُ أَفْعَالِهِمْ أَيْضًا خَيْرًا كَانَ فِعْلُهُمْ أَوْ شَرًّا، وَكُلهَا بِتَقْدِيرِ اللهِ تَعَالى وَلكِنَّهُ رَاضٍ عَنِ الخَيْرِ غَيْرُ رَاضٍ عَنِ الشَّرِّ، وَإِنْ كَانَ كِلاهُمَا بِإِرَادَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ تَعَالى، وَلكِنْ يَنْبَغِي أَنْ لاَ يُنْسَبَ الشَّرُّ وَحْدَهُ إِليْهِ تَعَالى بِوَاسِطَةِ الأَدَبِ وَأَنْ لاَ يَقُول خَالِقَ الشَّرِّ بَل يَنْبَغِي أَنْ يَقُول: خَالِقُ الخَيْرِ وَالشَّرِّ كَمَا قَال العُلمَاءُ: يَنْبَغِي أَنْ يَقُول: إِنَّهُ تَعَالى خَالِقُ كُل شَيْءٍ وَلا يَنْبَغِي أَنْ يَقُول: خَالِقُ القَاذُورَاتِ وَالخَنَازِيرِ لِرِعَايَةِ أَدَبِ جَنَابِ قُدُسِهِ تَعَالى، وَالمُعْتَزِلَةُ مِنَ الثَّنَوِيَّةِ التِي فِيهِمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ خَالِقَ أَفْعَالِ العِبَادِ هُوَ العِبَادُ وَيَنْسُبُونَ فِعْلَ الخَيْرِ وَالشَّرِّ إِليْهِمْ، وَالشَّرْعُ وَالعَقْل يُكَذِّبَانِهِمْ، نَعَمْ قَدْ جَعَل عُلمَاءُ الحَقِّ دَخْلا لِقُدْرَةِ العَبْدِ فِي فِعْلِهِ، وَأَثْبَتُوا فِيهِ الكَسْبَ فَإِنَّ الفَرْقَ بَيْنَ حَرَكَةِ المُرْتَعِشِ وَحَرَكَةِ المُخْتَارِ وَاضِحٌ، لأَنَّهُ لاَ مَدْخَل لِلقُدْرَةِ وَالكَسْبِ فِي حَرَكَةِ الارْتِعَاشِ وَفِي حَرَكَةِ الاخْتِيَارِ مَدْخَل لَهُمَا، وَهَذَا القَدْرُ مِنَ الفَرْقِ يَكُونُ بَاعِثًا عَلى المُؤَاخَذَةِ وَمُثْبِتًا لِلثَّوَابِ وَالعِقَابِ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ مُتَرَدِّدُونَ فِي وُجُودِ القُدْرَةِ وَالكَسْبِ وَالاخْتِيَارِ فِي العَبْدِ، وَيَزْعُمُونَ العَبْدَ مُضْطَرًّا وَعَاجِزًا وَهُمْ لَمْ يَفْهَمُوا مُرَادَ العُلمَاءِ فَإِنَّ إِثْبَاتَ القُدْرَةِ وَالاخْتِيَارِ فِي العَبْدِ لاَ بِمَعْنَى أَنَّهُ يَفْعَل كُل مَا يُرِيدُ وَلا يَفْعَل كُل مَا لاَ يُرِيدُ فَإِنَّ التَّقَوُّل بِذَلِكَ بَعِيدٌ عَنِ العُبُودِيَّةِ بَل بِمَعْنَى أَنَّ المَعْنَى أَنَّ العَبْدَ يَقْدِرُ أَنْ يُخْرِجَ عَنْ عُهْدَةِ جَمِيعِ مَا أُمِرَ بِهِ مَثَلا أَنَّهُ يُقَدِّرُ أَنْ يُؤَدِّيَ الصَّلوَاتِ الخَمْسَ وَيُقَدِّرُ إِعْطَاءَ الزَّكَاةِ وَاحِدًا مِنَ الأَرْبَعِينَ، وَيُقَدِّرُ صَوْمَ شَهْرٍ مِنْ اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا وَيُقَدِّرُ أَنْ يَحُجَّ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي عُمْرِهِ مِنَ الاسْتِطَاعَةِ إِلى الزَّادِ وَالرَّاحِلةِ وَعَلى هَذَا القِيَاسِ بَاقِي الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ قَدْ رَاعَى الحَقُّ سُبْحَانَهُ فِيهَا مِنْ كَمَالِ الرَّأْفَةِ

والسُّهُولة وَاليُسْر لضَعْف العَبْد وَقلة اقْتدَاره ، قَال اللهُ تَعَالى: {يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ اليُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ}(١).

وَقَال تَعَالى أَيْضًا: {يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا}(٢)، يَعْني: يُرِيدُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ثقَل التَّكْليفَات الشَّاقَّة وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا لا يَصْبِرُ عَنِ الشَّهَوَات وَلا يَقْدرُ أَنْ يَتَحَمَّل التَّكْليفَات الشَّاقَّةَ ، وَالأَنْبيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْليمَاتُ رُسُل الحَقِّ سُبْحَانَهُ إلى الخَلق ليَدْعُوَهُمْ اليْه تَعَالى وَيَدُلوهُمْ منَ الضَّلالة عَلى طَرِيق الهدَايَة ، كُل مَنْ يَقْبَل دَعْوَتَهُم يُبَشِّرُونَهُ بالجَنَّة وَكُل مَنْ يُنْكرُ يُهَدِّدُونَهُ بعَذَاب جَهَنَّمَ وَمَا بَلغُوهُ منْ طَرَف الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَأَعْلَمُوا به كُلهُ حَقٌّ وَصدْقٌ ليْسَ فيه شَائبَةُ التَّخَلق، وَخَاتَمُ الأَنْبيَاء مُحَمَّدٌ رَسُول الله ﷺ وَدينُهُ نَاسخٌ لجَميع الأَدْيَان السَّابقَة وَكتَابُهُ أَفْضَل الكُتُب المتَقَدِّمَة وَلا نَاسخَ لشَرِيعَته بَل هيَ قَائمَةٌ إلى قيَام القيَامَة وَينْزل عيسَى - عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ - وَيَعْمَل بشَرِيعَته وَيَكُونُ منْ جُمْلة أُمَّته وَمَا أَخْبَرَ به ﷺ منْ أَحْوَال الآخرَة كُلهُ حَقٌّ منْ عَذَاب القَبْر وَضَغْطَة اللحْد وَسُؤَال مُنْكَر وَنَكير فيه وَفَنَاء العَالم وَانْشقَاق السَّمَوَات وَانْتثَار الكَوَاكب وَزَوَال الأَرْض وَالجبَال وَانْدكَاكهَا وَالحَشْر وَالنَّشْر وَإعَادَة الرُّوح إلى الجَسَد وَزَلزَلة السَّاعَة، وَأَهْوَال القيَامَة وَمُحَاسَبَة الأَعْمَال، وَشَهَادَة الجَوَارح بالأَعْمَال المُكْتَسبَة، وَإتْيَان دَفَاتر الحَسَنَات وَالسَّيِّئَات يَمينًا وَشمَالا ، وَوَضْع الميزَان ليُوزَنَ به الحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَات ليُعْرَفَ نُقْصَانُ الحَسَنَة وَالسَّيِّئَة وَزِيَادَتُهمَا فَإنْ ثَقُلتْ كفَّةُ الحَسَنَات فَعَلامَةُ النَّجَاة وَإنْ خَفَّتَ فَعَلامَةُ الخُسْرَان وَالشَّقَاوَة، وَثقَل ذَلكَ الميزَان وَخفَّتُهُ عَلى خلاف ثقَل ميزَان الدُّنْيَا وَخفَّته فَإنَّ الكفَّةَ المرْتَفعَةَ هيَ الثَّقيلةُ هُنَاكَ وَالمُتَسَفِّلة هيَ الخَفيفَةُ ،

وَشَفَاعَةُ الأَنْبيَاء وَالصُّلحَاء عَليْهمُ الصَّلاةُ وَالتَّسْليمَاتُ أَوَّلا وَثَانيًا لعُصَاة المُؤْمنينَ بإذْن مَالك يَوْم الدِّين - جَل سُلطَانُهُ - ثَابتَةٌ

قَال عَليْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: "شَفَاعَتي لأَهْل الكَبَائر منْ أُمَّتي"(٣).

---

(١) البقرة:٨٥

(٢) النساء: ٢٨

(٣) حسن صحيح غريب: أخرجه الترمذي قي السنن: أبواب صفة القيامة. ب: ١١ ح ٢٥٥٢. وقال حسن صحيح غريب من هذا الوجه، و أبو داود في السنن: ك: السنة. ب: في الشفاعة. ح٤٧٣٩.، وأحمد في المسند: مسند أنس بن مالك.، الطبراني في المعجم الكبير: أنس بن مالك.

وَالصِّرَاطُ يُوضَعُ عَلى مَتْنِ جَهَنَّمَ فَيَمُرُّ مِنْهُ المُؤْمِنونَ وَيَذْهَبُونَ إلى الجَنَّة وَيَزْلَقُ مِنْهُ أَقْدَامُ الكَافِرِينَ فَيَسْقُطُونَ في جَهَنَّمَ، وَالجَنَّةُ التي أُعِدَّتْ لِتَنَعُّمِ المُؤْمِنينَ وَجَهَنَّمُ التي أُعِدَّتْ لِتَعْذِيبِ الكَافِرِينَ كِلتَاهُمَا مَخْلوقَتَانِ الآنَ وَتَبْقَيَانِ إلى أَبَدِ الآبَادِ وَلا تَفْنَيَانِ فَإِذَا دَخَلَ المُؤْمِنونَ الجَنَّةَ بَعْدَ المُحَاسَبَةِ يَدُومُونَ فيهَا لا يَخْرُجُونَ مِنْهَا وَكَذَلِكَ الكُفَّارُ إذَا دَخَلوا النَّارَ يَدُومُونَ فيهَا يُعَذَّبُونَ فيهَا أَبَدَ الآبَادِ وَتَخْفِيفُ العَذَابِ عَنْهُمْ غَيْرُ جَائِزٍ، قَالَ تَعَالى {لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ العَذَابُ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ}[(١)].

وَمَنْ كَانَ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إيمَانٍ فَإِنْ أُدْخِلَ النَّارَ بِسَبَبِ إفْرَاطِهِ في المَعَاصِي يُعَذَّبُ بِقَدْرِ عِصْيَانِهِ ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ أَخِيرًا وَلا يَسْوَدُّ وَجْهُهُ كَمَا يَسْوَدُّ وَجْهُ الكُفَّارِ وَلا يُجْعَلُ فيهِ الأَغْلالُ وَالسَّلاسِلُ لِحُرْمَةِ إيمَانِهِ كَمَا تُجْعَلُ لِلكُفَّارِ، وَالمَلائِكَةُ عِبَادُ اللهِ سُبْحَانَهُ المُكَرَّمُونَ

{لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلونَ مَا يُؤْمَرُونَ}[(٢)] مُبَرَّأُونَ مِنْ صِفَاتِ الذُّكُورَةِ وَالأُنُوثَةِ، وَالتَّوَالُدُ وَالتَّنَاسُلُ مَفْقُودٌ في حَقِّهِمْ اصْطَفَى اللهُ سُبْحَانَهُ بَعْضَهُمْ لِلرِّسَالَةِ وَشَرَّفَهُمْ بِتَبْلِيغِ الوَحْيِ وَهُمُ الذينَ بَلَغُوا الكُتُبَ وَالصُّحُفَ، الأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ وَهُمْ مَحْفُوظُونَ عَنِ الخَطَأِ وَالخَلَلِ وَمَعْصُومُونَ عَنْ كَيْدِ العَدُوِّ وَمَكْرِهِ وَمَا بَلَغُوهُ مِنْ عِنْدِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى كُلُّهُ صِدْقٌ وَصَوَابٌ لَيْسَ فيهِ شَائِبَةُ احْتِمَالِ الخَطَأِ وَالاشْتِبَاهِ، وَهَؤُلاءِ الكُبَرَاءُ خَائِفُونَ مِنْ عَظَمَةِ الحَقِّ وَجَلالِهِ سُبْحَانَهُ لا شُغْلَ لَهُمْ غَيْرُ امْتِثَالِ أَوَامِرِهِ تَعَالى،

وَالإيمَانُ تَصْدِيقٌ بِالقَلْبِ وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ بِمَا بَلَغَنَا مِنَ الدِّينِ بِالتَّوَاتُرِ وَالضَّرُورَةِ إجْمَالا وَتَفْصِيلا، وَأَعْمَالُ الجَوَارِحِ خَارِجَةٌ مِنْ نَفْسِ الإيمَانِ وَلَكِنَّهَا تَزِيدُ الكَمَالَ في الإيمَانِ وَتُورِثُ فيهِ الحُسْنَ قَالَ الإمَامُ الأَعْظَمُ الكُوفِيُّ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ: الإيمَانُ لا يَقْبَلُ الزِّيَادَةَ وَالنُّقْصَانَ فَإِنَّ التَّصْدِيقَ القَلْبِيَّ عِبَارَةٌ عَنْ يَقِينِ القَلْبِ وَإِذْعَانِهِ وَلا مَجَالَ فيهِ لِلتَّفَاوُتِ بِالزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ، وَمَا يَقْبَلُ التَّفَاوُتَ فَهُوَ دَاخِلٌ في دَائِرَةِ الظَّنِّ وَالوَهْمِ، وَكَمَالُ الإيمَانِ وَنُقْصَانُهُ بِاعْتِبَارِ الطَّاعَاتِ وَالحَسَنَاتِ، كُلَّ مَا زَادَتِ الطَّاعَةُ زَادَ كَمَالُ الإيمَانِ فَلا يَكُونُ إيمَانُ عَامَّةِ المُؤْمِنينَ مِثْلَ إيمَانِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ، فَإِنَّ إيمَانَهُمْ بَلَغَ ذُرْوَةَ الكَمَالِ بِوَاسِطَةِ اقْتِرَانِ الطَّاعَاتِ، وَإِيمَانُ العَوَامِّ بِمَرَاحِلَ عَنْ نَفْسِ الكَمَالِ فَضْلا عَنْ ذُرْوَتِهِ

---

(١) النحل: ٨٥

(٢) التحريم: ٦

وَإِنْ كَانَ إِيمَانُ كُل منْهمَا مُتشَارِكَيْنِ فِي نَفْسِ التَّصْديق وَلَكنَّ إِيمَانَ الأَنْبيَاء عَرَضٌ لهُ بوَاسطَة طَوْق الطَّاعَات، حَقيقَةٌ أُخرَى وَكَأَنَّ إِيمَانَ العَوَامِّ ليْسَ فَرْدًا منْ ذَلكَ الإِيمَان وَالْمُمَاثَلةُ وَالْمُشَارَكَةُ مَفقُودَةٌ بَيْنَهُمَا أَلا تَرَى أَنَّ عَوَامَّ النَّاسِ وَإِنْ كَانُوا شُرَكَاءَ للأَنْبيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ فِي نَفْسِ الإِنْسَانيَّة وَلكنَّ الكَمَالات الأُخَرَ للأَنْبيَاء بَلغَتْهُمُ الدَّرَجَات العُليَا وَأَثْبَتَتْ لَهُمْ حَقيقَةً أُخرَى وَكَأَنَّهُمْ خَارجُونَ عَنِ الحَقيقَة المشْتَركَة بَل هُمُ النَّاسُ وَالعَوَامُّ لَهُمْ حُكْمُ النَّسْنَاسِ قَال الإِمَامُ الأَعْظَمُ عَليْه الرَّحْمَةُ: أَنَا مُؤْمنٌ حَقًّا، وَقَال الإِمَامُ الشَّافعيُّ عَليْه الرَّحْمَةُ: أَنَا مُؤْمنٌ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالى وَلكُل وَجْه باعْتبَارِ الحَال يَجُوزُ أَنْ يُقَال: أَنَا مُؤْمنٌ حَقًّا وَباعْتبَارِ الخَاتمَة وَالمَآل يَصحُّ أَنْ يُقَال: أَنَا مُؤْمنٌ إِنْ شَاءَ اللهُ وَلكنَّ الاجْتنَابَ عَنْ صُورَة الاسْتثْنَاء أَفْضَل بأَيٍّ وَجْه قَال.

وَلا يَخْرُجُ الْمُؤْمنُ بارْتكَاب المَعَاصي منَ الإِيمَان وَلوْ كَبيرَةً وَلا يَدْخل فِي دَائرَة الكُفْر، نُقل أَنَّ الإِمَامَ الأَعْظَمَ كَانَ يَوْمًا جَالسًا مَعَ جَمْعٍ منَ العُلمَاء فَجَاء شَخْصٌ فَقَال: مَا تَقُولونَ فِي حَقِّ مُؤْمنٍ فَاسقٍ قَتَل أَبَاهُ بغَيْرِ حَقٍّ وَقَطَعَ رَأْسَهُ وَشَربَ الخَمْرَ فِي كَأْسِ رَأْسه ثُمَّ زَنَا بأُمِّه هَل هُوَ مُؤْمنٌ أَوْ كَافرٌ؟ فَتَكَلمَ كُل وَاحد منَ العُلمَاء فِي حَقِّه بمَا ليْسَ بصَوَاب وَوَقَعُوا فِي غَلط فَقَال الإِمَامُ الأَعْظَمُ فِي ذَلكَ الأَثْنَاء: إِنَّهُ مُؤْمنٌ لمْ يَخرُجْ بارْتكَابَ هَذه الكَبَائر منَ الإِيمَان فَثقُل قَوْل الإِمَامِ هَذَا عَلى العُلمَاء فَأَطَالوا لسَانَ الطَّعْنِ فيه وَالتَّشْنيعَ عَليْه وَلكنْ لمَّا كَانَ قَوْل الإِمَام حَقًّا قَبلهُ كُلهُمْ أَخيرًا وَاعْتَرَفُوا بأَنَّهُ الحَقُّ فَلوْ وُفِّقَ الْمُؤْمنُ العَاصي للتَّوْبَة قَبْل الغَرْغَرَة فَنَرْجُوا لهُ نَجَاةً عَظيمَةً لوَعْد قَبُول تَوْبَته وَإِنْ لمْ يَتَشَرَّفْ بالتَّوْبَة وَالإِنَابَة فَأَمْرُهُ للهِ سُبْحَانَهُ فَإِنْ شَاءَ عَفَا وَأَدْخلهُ الجَنَّةَ وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ بقَدْرِ مَعْصيَته بالنَّار أَوْ بغَيْر النَّار وَلكنْ آخرُ أَمْره النَّجَاةُ وَمَآلهُ الجَنَّةُ فَإِنَّ الحرْمَانَ منْ رَحْمَة اللهِ تَعَالى فِي الآخرَة مَخصُوصٌ بأَهْل الكُفر، وَأَمَّا مَنْ فيه ذَرَّةٌ منْ إِيمَان فَهُوَ مُسْتَحقٌّ للرَّحْمَة وَالغُفرَان، وَإِنْ لمْ تَبْلغْهُ الرَّحْمَةُ فِي الابْتدَاءِ بوَاسطَة علَة المَعْصيَة وَلكنَّهَا تَشْمَلهُ أَخيرًا بعنَايَة اللهِ سُبْحَانَهُ.

{رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ}(١) وَبَحْثُ الإِمَامَة وَالخلافَة وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّة شَكَرَ اللهُ تَعَالى سَعْيَهُمْ مِنْ أُصُول الدِّينِ وَمُتَعلقًا بالاعْتقَاد وَلكنْ لَمَّا غَالت الشِّيعَةُ في هَذَا البَاب وَأَفْرَطُوا فيه وَفَرَّطُوا الحَقَّ أَهْلِ الحَقِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ هَذَا المَبْحَثَ بعلمِ الكَلامِ بالضَّرُورَة وَبَيَّنُوا حَقيقَةَ الحَال وَالإِمَامُ عَلى الحَقِّ وَالخَليفَةُ عَلى الإِطْلاق بَعْدَ خَاتَمِ الرُّسُل عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ثُمَّ عُمَرُ الفَارُوقُ ثُمَّ عُثْمَانُ ذُو النُّورَيْنِ ثُمَّ عَليُّ بْنُ أَبي طَالب رضْوَانُ اللهِ تَعَالى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، وَأَفْضَلِيَّتُهُمْ عَلى تَرْتيب خلافَتهِمْ وَأَفْضَلِيَّةُ الشَّيْخَيْنِ ثَابِتَةٌ بإِجْمَاعِ الصَّحَابَة وَالتَّابعينَ كَمَا نَقَلَهُ أَكَابِرُ الأَئمَّة وَاحدٌ منْهُمُ الإِمَامُ الشَّافعيُّ قَالَ رَئِيسُ أَهْلِ السُّنَّة الشَّيْخُ أَبو الحَسَنِ الأَشْعَرِيُّ: إِنَّ أَفْضَلِيَّةَ الشَّيْخَيْنِ عَلى بَاقي الأُمَّة قَطْعِيَّةٌ لاَ يُنْكرُهَا إِلا جَاهِل أَوْ مُتَعَصِّبٌ. قَال عَليٌّ ـــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـــ " مِنْ فَضَّلَني عَلى أَبي بَكْرٍ وَعُمَرَ فَهُوَ مفتر أَضْرِبُهُ بالسَّوْط كَمَا يُضْرَبُ المُفْتَرُونَ .

قَال الشَّيْخُ عَبْدَ القَادرِ الجيلانيُّ ـــ قُدِّسَ سرُّهُ ـــ في كتَابه الغنيَّة نَقْلا عَنِ النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَال: "لَمَّا عُرِجَ إِلى السَّمَاء سَأَلتُ اللهَ سُبْحَانَهُ أَنْ تَجْعَلِ الخَليفَةَ مِنْ بَعْدي عليَّ بْنَ أَبِي طَالبٍ فَقَال المَلائكَةُ: يَا مُحَمَّدُ، كُل مَا يَشَاءُ اللهُ يَكُنْ الخَليفَةَ بَعْدَكَ أَبُو بَكْرٍ"(٢)

وَقَالَ حَضْرَةُ الشَّيْخِ أَيضًا قَال عَليٌّ ـــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـــ "مَا خَرَجَ رَسُول اللهِ ﷺ منَ الدُّنْيَا حَتَّى أَخذَ عليَّ عَهْدًا عَلى أَنَّ أَبَا بَكْرٍ يَلي منْ بَعْدي ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عُثْمَانُ منْ بَعْده ثُمَّ أَنْتَ منْ بَعْده "رَضيَ اللهُ تَعَالى عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ وَالإِمَامُ الحَسَنُ أَفْضَل منَ الإِمَام الحُسَيْن ﵄وَعُلمَاءُ أَهْلِ السُّنَّة يُفَضِّلونَ عَائشَةَ رَضيَ اللهُ عَنْهَا عَلى فَاطمَةَ رَضيَ اللهُ عَنْهَا في العلمِ وَالاجْتهَاد وَالشَّيْخُ عَبْدُ القَادرِ الجيلاَنيُّ قُدِّسَ سرُّهُ يُقَدِّمُ عَائشَةَ عَلى فَاطمَةَ رَضيَ اللهُ عَنْهَا في كتَابه الغنيَّة.

وَمَا هُوَ مُعْتَقَدُ الفَقير: أَنَّ عَائشَةَ أَسْبَقُ قدَمًا في العلمِ وَالاجْتهَاد وَفَاطمَةُ أَقْدَمُ في الزُّهْد وَالانْقطَاعِ وَلَهَذَا قيل لفَاطمَة بَتُولا وَهُوَ صيغَةُ المَبَالغَة في الانْقطَاعِ وَعَائشَةُ هيَ مَرْجعُ فَتَاوَى الصَّحَابَة رضْوَانُ اللهِ تَعَالى عَلَيْهِمْ أَجْمَعينَ ، مَا وَقَعَ عَلى صَاحبِ النَّبيِّ ﷺ مُشْكل في العلمِ إِلا كَانَ حَلهُ عَنْ عَائشَةَ رَضيَ اللهُ عَنْهَا ،

---

(١) آل عمران: ٨

(٢) لم أقف عليه.

وَالْمُحَارَبَاتُ وَالْمُنَازَعَاتُ التي وَقَعَتْ بَيْنَ الأَصْحَاب الكرَامِ عَلَيْهِمُ الرِّضْوَانُ مِثْل مُحَارَبَة الجَمَل وَمُحَارَبَة الصِّفِّين يَنْبَغي أَنْ يَحْملهَا عَلى مَحَامل صَحيحَة حَسَنَة أَنْ يُبْعدَهُمْ عَنِ الهَوَى وَالتَّعَصُّب فَإنَّ نُفُوسَ هَؤُلاءِ الأَكَابِرِ كَانَتْ مُزَكَّاةً عَنِ الهَوَى وَالهَوَسِ وَمُطَهَّرَةً عَنِ الحقْد وَالحرْصِ في صُحْبَة خَيْرِ البَشَر عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ، فَإِنْ وَقَعَتْ عَنْهُمْ مُصَالحَةٌ فَهيَ لأَجْلِ الحَقِّ ، وَإِنْ ظَهَرَتْ مِنْهُمْ مُنَازَعَةٌ وَمُشَاجَرَةٌ فَهيَ أَيْضًا للحَقِّ سُبْحَانَهُ كُل فرْقَة مِنْهُمْ عَملوا بِمُقْتَضَى اجْتهَادهِمْ وَدَفَعُوا الْمُخَالفَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ بلا شَائبَة هَوًى وَتَعَصُّبٍ فَكُل مَنْ هُوَ مُصِيبٌ في اجْتهَاده فَلَهُ دَرَجَتَان منَ الثَّوَاب وَفي قَوْل عَشْرُ دَرجَات، وَمَنْ هُوَ مُخْطِئٌ فَلَهُ دَرَجَةٌ وَاحدَةٌ منَ الثَّوَاب.فَالْمُخْطِئُ كَالْمُصيب بَعيدٌ عَنِ المَلامَة بَل يَتَوَقَّعُ لَهُ دَرَجَةً منْ جرَّات الثَّوَاب، قَال العُلَمَاءُ: إِنَّ الحَقَّ في تلكَ الْمُحَارَبَات.

كَانَ في جَانب عَليٍّ ــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ــ وَكَانَ الْمُخَالفونَ في طَرَف منَ الصَّوَاب وَمَعَ ذَلكَ لَيْسُوا بِمَوَاردَ للطَّعْنِ وَلا مَجَال للمَلامَة فِيهِمْ فَضْلا عَنْ أَنْ يُنْسَبَ إِلَيْهِمُ الكُفْرُ وَالفسْقُ قَال عَليٌّ ــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ــ إِخْوَانُنَا بَغَوْا عَلَيْنَا لَيْسُوا بكُفَّارٍ وَلا فُسَّاق فَإنَّ لَهُمْ تَأْويلا يَمْنَعُ عَنْهُمُ الكُفْرَ وَالفسْقَ .

قَالَ نَبيُّنَا ﷺ "إِيَّاكُمْ وَمَا شَجَرَ بَيْنَ أَصْحَابي"(١)

فَيَنْبَغي تَعْظِيمُ جَميعِ أَصْحَاب النَّبيِّ ﷺ وَأَنْ يُذْكَرَ جَميعُهُمْ بخَيْرٍ وَأَنْ لاَ يُسَاءَ الظَّنُّ بأَحَد منْهُمْ وَأَنْ يُرَى مُنَازَعَتُهُمْ أَفْضَل منْ مُصَالحَة غَيْرِهِمْ ، هَذَا هُوَ طَريقُ النَّجَاة وَالفَلاحِ فَإنَّ حُبَّ الأَصْحَاب الكرَام بوَاسطَة حُبِّ النَّبيِّ، وَبُغْضَهُمْ يَنْجَرُّ إِلى بُغْضه عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلاةُ السَّلامُ ، قَال وَاحدٌ منَ الكُبَرَاء: مَا آمَنَ برَسُول الله ﷺ مَنْ لَمْ يُوَقِّرْ أَصْحَابَهُ

وَعَلامَاتُ القيمَة التي أَخْبَرَ عَنْهَا المخْبرُ الصَّادقُ ﷺ كُلهَا حَقٌّ لَيْسَ فيهَا احْتمَال التَّخَلف كَطُلوعِ الشَّمْسِ منْ جَانب المغْرب عَلى خلاف العَادَة وَظُهُورِ مَهْديٍّ عَلَيْه الرِّضْوَانُ وَنُزُول رُوْحِ الله - عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ - وَخُرُوجِ دَجَّال وَظُهُورِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَخُرُوجِ دَابَّة الأَرْضِ، وَدُخَان يَظْهَرُ منَ السَّمَاءِ يَغْشَى النَّاسَ كُلهُمْ وَيُعَذِّبُهُمْ بِعَذَابٍ أَليمٍ وَيَقُول النَّاسُ منَ الاضْطرَاب

---

(١) النهاية لابن الأثير: باب الشين مع الجيم.، لسان العرب: شجر.

{رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا العَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ}(١) وَآخِرُ العَلامَاتِ نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ عَدَنٍ.

وَزَعَمَ جَمَاعَةٌ مِنَ الجَهَالَةِ أَنَّ الشَّخْصَ الذي ادَّعَى المَهْدَوِيَّةَ مِنْ أَهْلِ الهِنْدِ هُوَ المهْدِيُّ الموْعُودُ فَالمَهْدِيُّ قَدْ مَضَى بِزَعْمِهِمْ وَفَاتَ وَيَقُولونَ: إِنَّ قَبْرَهُ فِي فَرَّه، وَفِي الأَحَادِيث الصَّحِيحَةَ التي بَلَغَتْ حَدَّ الشُّهْرَةِ بَل حَدَّ التَّوَاتُرِ المَعْنَوِيِّ مَا يُكَذِّبُ هَذه الطَّائِفَةَ فَإِنَّهُ ﷺ بَيَّنَ للمَهْدِيِّ عَلامَات وَتلكَ العَلامَاتُ مَفْقُودَةٌ في ذَلكَ الشَّخْصِ الذي يَعْتَقدُونَهُ مَهْدِيًا، وَرَدَ فِي الأَحَاديث النَّبَوِيَّة أَنَّهُ يَخْرُجُ المهْدِيُّ وَعَلى رَأْسه قطْعَةُ سَحَاب فِيهَا مَلَكٌ يُنَادي: إِنَّ هَذَا الشَّخْصَ مَهْدِيٌّ فَاتَّبِعُوهُ وَقَال عَلَيْه الصَّلاَةَ وَالسَّلامُ مَلَكَ جَميعِ الأَرْضِ أَرْبَعَةٌ اثْنَان منَ المُؤْمنينَ وَاثْنَان منَ الكَافرِينَ ذُو القَرْنَيْنِ وَسُلَيْمَانُ منَ المُؤْمنينَ وَنَمْرُودُ وَبُخْتُ نَصَّرَ مِنَ الكَافِرِينَ وَسَيَمْلكُ الأَرْضَ خَامسٌ منْ أَهْلِ بَيْتي يَعْني: المهْدِيَّ وَقَال عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ لاَ تَزُول الدُّنْيَا حَتَّى يَبْعَثَ اللهُ رَجُلا منْ أَهْلِ بَيْتي اسْمُهُ يُوَافقُ اسْمي وَاسْمُ أَبيه يُوَافقُ اسْمَ أَبي فَيَمْلأُ الأَرْضَ قسْطًا وَعَدْلا كَمَا مُلئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا "(٢).

وَوَرَدَ فِي الحَديث أَيْضًا: "إِنَّ أَصْحَابَ الكَهْف يَكُونُونَ أَعْوَانَ المهْدِيِّ"(٣).

وَيَنْزِل عيسَى ـــ عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ـــ فِي زَمَانه وَهُوَ يُوَافقُ عيسَى عَلَيْه السَّلامُ فِي قتَال الدَّجَّال وَفِي زَمَان ظُهُور سَلطَنَته تَنْكَسفُ الشَّمْسُ فِي الرَّابِعَ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ وَيَنْخَسفُ القَمَرُ فِي أَوَّل ذَلكَ الشَّهْرِ عَلَى خلاف العَادَة وَخلاف حسَاب المُنَجِّمينَ.

ينبغي أن ننظر بنظر الإنصاف: هل كانت هذه العلامات لذلك الشخص الميت أم لا؟ وله عَلامَاتٌ أُخَرُ كَثيرَةٌ أَخْبَرَ بِهَا المُخْبِرُ الصَّادقُ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ

(١) الدخان: ١٢

(٢) أحمد في المسند بنحوه: مسند ابي سعيد الخدري.، والحاكم في المستدرك ٤/٤٦٥،وقال الذهبي:إسناده مظلم.، وقال الهيثمي: رواه الترمذي وغيره باختصار كثير.رواه أحمد بأسانيد وأبو يعلى باختصار كثير ورجالهما ثقات. (مجمع الزوائد. ك: الفتن. ب: ما جاء في المهدي ح١٢٣٩٣.

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور لابن مردويه عن ابن عباس (الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي: تفسير سورة الكهف الآية: ١٠ – ١٢)، وقال الحافظ ابن حجر: وفي تفسير ابن مردويه عن ابن عباس: أصحاب الكهف أعوان المهدي وسنده ضعيف، فإن ثبت حمل على أنهم لم يموتوا بل هم في المنام إلى أن يبعثوا لإعانة المهدي. (فتح الباري بشرح صحيح البخاري. ك: أحاديث الأنبياء. ب: " أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم "

وَالسَّلامُ وَكَتَبَ الشَّيْخُ ابْنُ حَجَرٍ رِسَالَةً فِي بَيَانِ عَلامَةِ المَهْدِيِّ المُنْتَظِرِ تَبْلغُ مِأتَ عَلامَة، وَبَقَاءُ جَمَاعَة فِي ضَلالة مَعَ وُضوحِ أَمْرِ وُضوحِ المَهْدِيِّ المَوْعُودِ مِنْ نِهَايَةِ الجَهَالة هَدَاهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ سَوَاءَ الصِّرَاط.

قَالَ رَسُول اللهِ ﷺ "إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيل تَفرَّقَتْ عَلى اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلهُمْ فِي النَّارِ إلا وَاحدَةً، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة قَالوا: وَمَنْ هَذِهِ الفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ يَا رَسُول اللهِ؟ قَال: هُمْ عَلى مَا أَنا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي"(١).

وَهَذه الفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ أَهَل السُّنَّة وَالجَمَاعَة

فَإِنَّهَمْ هُمُ المُلتزِمُونَ مُتَابعَتَهُ وَمُتَابعَةَ أَصْحَابه عَلَيْه الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْليمَاتُ

اللهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلى مُعْتَقَدَاتِ أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة وَأَمِتْنَا فِي زُمْرَتِهِمْ وَاحْشُرْنَا مَعَهُمْ

{رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ}(٢)

وَبَعْدَ تَصْحِيحِ الاعْتقَاد لاَ بُدَّ مِنِ امْتثَال الأَوَامِر وَالانْتهَاء عَنِ المَنَاهِي الشَّرْعِيَّتَيْنِ المتَعَلقَتَيْنِ بِالعَمَل يَنْبَغِي أَدَاءُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ مِنْ غَيْرِ فُتُورٍ مَعَ تعديل الأركان والجماعة، وَالفَارِقُ بَيْنَ الإِسْلاَمِ وَالكُفْرِ هُوَ هَذه الصَّلاَةُ فَإِذَا تَيَسَّرَ أَدَاء الصَّلاة عَلى الوَجْه المسْنُون فَقَدْ حَصَل الاسْتمْسَاكُ بِأَحْبُل المَتِينِ مِنَ الدِّين فَإِنَّ الصَّلاَةَ هِيَ الأَصْل الثَّانِي مِنَ الأُصُول الخَمْسَة الإِسْلامِيَّة ، الأَصْل الأَوَّل: الإِيمَانُ بِاللهِ وَبِرَسُوله سُبْحَانَهُ ، وَالأَصْل الثَّانِي الصَّلاةُ، وَالثَّالثُ أَدَاءُ الزَّكَاة ، وَالرَّابعُ صَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَالخَامسُ حَجُّ بَيْت الله، الأَصْل الأَوَّل يَتَعَلقُ بالاعْتقَاد، وَالأُصُول الأَرْبَعَةُ البَاقيَةُ تَتَعَلقُ بِالأَعْمَال، وَأَجْمَعُ جَميعِ العبَادَات وَأَفْضَلهَا الصَّلاةُ وَيَكُونُ ابْتدَاءُ المحَاسَبَة يَوْمَ القيَامَة مِنَ الصَّلاة فَإِذَا تَمَّ أَمْرُ الصَّلاة تَمْضي مُحَاسَبَةُ الأُخْرَى بعنَايَة الله سُبْحَانَهُ بِالسُّهُولة فينبغي الاجتناب عن المحظورات الشرعية مهما أمكن وأن يرى ما لا يرضاه المولى سبحانه سُمًّا مُهْلكًا، وَأَنْ يجْعَل مَوَادَّ التَّقْصيرات نُصْبَ

---

(١) **حسن غريب**: سنن أبي داوود: ك: السنة. ب: شرح السنة ح ٤٥٨٥.، سنن الترمذي: أبواب الإيمان: ب: إفتراق هذه الأمة ح ٢٧٧٩ بنحوه وقال: حديث حسن غريب.، والطبراني في الكبير: حديث عمرو بن عوف بن ملحة المزني. وقال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه كثير بن عبد الله وهو ضعيف وقد حسن الترمذي له حديثاً،وبقية رجاله ثقات.، ابن جرير في جامع البيان ٥٩٨٧ تفسير سورة آل عمران: تأويل قوله تعالى " ولا تفرقوا "

(٢) آل عمران: ٨

العَيْنِ وَأَنْ يَكُونَ خَجلا وَمُنْفَعلا منْ ارْتكَابهَا وَأَنْ يَكُونَ مُتَنَدِّمًا وَمُنْحَسرًا عَلَى فعْلهَا وَاقْترَافهَا هَذَا هُوَ طَرِيقُ العُبُوديَّة، وَاللهُ المُوَفِّقُ وَالذي يَرْتَكبُ مَا لاَ يَرْضَى عَنْهُ مَوْلاهُ بلا تَحَاشٍ وَلا يَكُونُ خَجلا وَمُنْفَعلا عَنْ ذَلكَ العَمَل فَهُوَ ماردٌ مُتَمَرِّدٌ وَيَكَادُ يُخْرِجُ إصْرَارُهُ وَتَمَرُّدُهُ رَأْسَهُ عَنْ رِبْقَة الإسْلام وَيُدْخلهُ في دَائرَة الأَعْدَاء.

{رَبَّنَا آتنَا منْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا منْ أَمْرنَا رَشَدًا}(١)

وَالدَّوْلَةُ التي جَعَلَكَ اللهُ سُبْحَانَهُ مُمْتَازًا بهَا وَأَكْثَرُ النَّاسِ غَافلونَ بَل تَكَادُ لاَ تُدْركُهَا أَنْتَ أَيْضًا هيَ أَنَّ سُلطَانَ الوَقْت مُسْلمٌ منْ جَدِّه السَّابعِ وَمنْ أَهْل السُّنَّة وحَنَفيُّ المَذْهَب وَإنْ تَقَرَّبَ بَعْضُ طَلَبَة العُلوم بشُؤْم الطَّمَع النَّاشئ منْ خَبَث البَاطنِ منْ مُنْذُ سنينَ في هَذه الأَوَان التي هيَ أَوَانُ قُرْب القيَامَة وَبُعْد العَهْد منْ زَمَان النُّبُوَّة إلى الأُمَرَاء وَالسَّلاطين وَدَاخلوهُمْ منْ طَرِيق المُطَايَبَة وَالمُدَاهَنَة وَأَوْقَعُوا في الدِّين المَتين تَشْكيكَات وَأَظْهَرُوا فيه شُبُهَات وَأَضلوا الأَغْنيَاءَ عَنِ الطَّرِيق، وَلكنْ لَمَّا كَانَ مثْلَ هَذَا السُّلطَان عَظيمَ الشَّأْن مَصْغيًا إلى قَوْلكُمْ بحُسْن الاسْتمَاع وَمُتَلَقِّيًا إيَّاهُ بالقَبُول كَانَ اللازمُ أَنْ يُعَدَّ ذَلكَ دَوْلَةً عَظيمَةً وَأَنْ يَبْلغ الكَلمَةَ الحَقَّةَ يَعْني: كَلمَةَ الإسْلامِ المُوَافقَةَ لمُعْتَقَدَات أَهْل السُّنَّة شَكَرَ اللهُ تَعَالَى سَعْيَهُمْ صَرَاحَةً أَوْ إشَارَةً إلى سَمْع السُّلطَان، وَأَنْ يَعْرضَ إليْه الكَلامَ أَهْل الحَقِّ بقَدْر الإمْكَان بَل يَنْبَغي أَنْ يَتَرَصَّدَ وَيَنْتَظرَ دَائمًا فُرْصَةً لإيرَاد كَلامِ أَهْل المَذَاهب الحَقِّ في البَيْن حَتَّى تَظْهَرَ حَقيقَةُ الإسْلامِ وَيَبْدُوَ بُطْلانُ الكُفْر وَشَنَاعَتُهُ، وَالكُفْرُ هُوَ ظَاهرُ البُطْلان لاَ يَسْتَحْسنُهُ عَاقلٌ أَصْلا يَنْبَغي أَنْ يَظْهَرَ بُطْلانُهُ بلا تَحَاشٍ وَأَنْ يَنْفي آلهَتَهُمُ البَاطلةَ منْ غَيْر تَوَقُّف وَأَنْ يُثْبتَ الإلَهَ الحَقَّ الذي هُوَ خَالقُ السَّمَوَات وَالأَرْض بلا تَرَدُّد هَل كَانَ مَسْمُوعًا أَصْلا أَنَّ آلهَتَهُمُ البَاطلَةَ خَلقُوا ذُبَابَةً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ كُلهُمْ بَل لَوْ قَرَصَهُمُ الذُّبَابُ وَآذَاهُمْ لاَ يَقْدرُونَ حفْظَ أَنْفُسهمْ منْهُ فَضْلا عَنْ حفْظ غَيْرهمْ وَكَأَنَّ الكَفَرَةَ قَالوا مُلاحظًا لشَنَاعَة هَذَا الأَمْر: {هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عنْدَ الله}(٢) وَأَنَّهُمْ ليُقَرِّبُونَا إلى الله زُلفَى، وَلَمْ يَدْرِ هَؤُلاء المَجَانينُ أَنَّهُ لَيْسَ لهَذه الجَمَادَات مَجَال الشَّفَاعَة وَإنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ لاَ يَقْبَل شَفَاعَةَ الشُّرَكَاء الذينَ هُمْ في الحَقيقَة أَعْدَاؤُهُ تَعَالَى في حَقِّ عَبَدَة أَعْدَائه مثْل قَيِّم بُسْتَان خَرَجَ عَلَى سُلطَان فَجَاءَ جَمَاعَةٌ منَ البُلهَاء يَمُدُّونَ القَيِّمَ بزَعْمِ أَنَّهُ يُشَفِّعُهُمْ عنْدَ السُّلطَان وَقْتَ المُضَايَقَة وَأَنَّهُمْ يَتَقَرَّبُونَ

---

(١) الكهف: ١٠

(٢) يونس: ١٨

إلى السُّلطَان بالتَّوَسُّل به مَا أَعْظَمَ حَمَاقَتَهُمْ حَيْثُ يَخْدمُونَ القَيِّمَ وَيَطْلُبُونَ العَفْوَ منَ السُّلْطَان بشَفَاعَته وَيَتَقَرَّبُونَ إليْه به لَم لاَ يَخْدمُونَ السُّلطَانَ عَلى الحَقِّ وَيَكْسرُونَ القَيِّمَ حَتَّى يَكُونُوا منْ أَهْل القُرْب وَأَهْل الحَقِّ وَيَكُونُوا في أَمْن وَأَمَان وَهَؤُلاء المجَانينُ يَنْحتُونَ الحَجَرَ بأَيْديهمْ وَيَعْبُدُونَهُ سنينَ وَيُطْعمُونَ منْهُ تَوَقُّعَات وَبالجُمْلَة الكُفْرُ ظَاهرُ البُطْلان وَالذينَ بَعدُوا عَن الطَّريق الحَقِّ وَالصِّرَاط المسْتَقيم منَ المُسْلمينَ هُمْ أَهْل الهَوَى وَالبدْعَة وَذَلكَ الطَّريقُ المسْتَقيمُ هُوَ طَريقُ النَّبيِّ وَطَريقُ خُلفَائه الرَّاشدينَ – عَلَيْه وَعَلَيْهمُ الصَّلَوَاتُ والتَّسْليمَاتُ –. قَال الشَّيْخُ عَبْدُ القَادر الجيلانيُّ ـــ قُدِّسَ سرُّهُ ـــ في كتَابه الغُنْيَة: إنَّ أَدْيَانَ المُبْتَدعَة الذينَ أُصُولُهُمْ تسْعَةُ طَوَائفَ الخَوَارجُ وَالشِّيعَةُ، وَالمُعْتَزلَةُ، وَالمُرْجئَةُ، وَالمُشَبِّهَةُ، وَالجَهْميَّةُ، وَالضِّرَاريَّةُ، وَالنَّجَّاريَّةُ، وَالكلابيَّةُ، لَمْ تَكُنْ في زَمَن النَّبيِّ ﷺ وَلا في زَمَان خلافَة أَبي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ، وَعَليٌّ – رَضيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعين – أَيْضًا.

وَاخْتلافُ هَذه الطَّوَائف وَتَفرُّقُهُمْ إنَّمَا حَدَثَ بَعْدَ سنينَ منْ مَوْت الصَّحَابَة وَالتَّابعينَ، وَمَوْت الفُقَهَاء السَّبْعَة – رَضيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعينَ

قَال النَّبيّ ﷺ "إنَّهُ مَنْ يَعشْ منْكُمْ فَسَيَرَى اخْتلافًا كَثيرًا فَعَلَيْكُمْ بسُنَّتي وَسُنَّة الخُلفَاء الرَّاشدينَ منْ بَعْدي وَتَمَسَّكُوا بهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بالنَّوَاجذ وَإيَّاكُمْ وَمُحْدَثَات الأُمُور فَإنَّ كُل مُحْدَثَة بدْعَةٌ وَكُل بدْعَة ضَلالَةٌ، وَكُل مَا حَدَثَ بَعْدي فَهُوَ رَدٌّ "(١).

فَالمَذْهَبُ الذي حَدَثَ بَعْدَ زَمَان النَّبيِّ وَخُلفَائه الرَّاشدينَ ـــ عَلَيْه وَعَلَيْهمُ الصَّلَوَاتُ والتَّسْليمَاتُ ـــ سَاقطٌ عَنْ حَيِّز الاعْتبَار لَيْسَ بلائق به يَنْبَغي أَدَاءُ شُكْر نعْمَة الحَقِّ سُبْحَانَهُ العُظْمَى حَيْثُ جَعَلنَا منْ كَمَال كَرَمه وَفَضْله دَاخلينَ في الفرْقَة النَّاجيَة الذينَ هُمْ أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة وَلَمْ يَجْعَلنَا مَنْ فرَق أَهْل الهَوَى وَالبدْعَة، وَلَمْ يَبْتَلنَا باعْتقَادهمُ الفَاسد وَلَمْ يَجْعَلنَا منَ الذينَ يُشْركُونَ العَبْدَ بالله في أَخَصِّ صفَاته – تَعَالَى – وَيَزْعُمُونَ أَنَّ خَالقَ أَفْعَال العَبْد هُوَ العَبْدُ، وَيُنْكرُونَ الرُّؤْيَة

(١) ـــ **حسن صحيح**: سنن الترمذي. ك: العلم. ب: ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة. ح٢٧٤٦. بنحوه وقال: حسن صحيح.، سنن ابن ماجه: ك: فضائل الصحابة. ب: اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين. ح ٤٣.،

أحمد في المسند: مسند الشاميين: حديث العرباض بن سارية.، الطبراني في المعجم الكبير: حديث العرباض بن سارية.١٨/٢٤٧.

الأُخْرَوِيَّةَ التِي هِيَ رَأْسُ بِضَاعَةِ السَّعَادَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالأُخْرَوِيَّةِ وَيَنْفُونَ الصِّفَاتِ الكَامِلةَ عَنِ الوَاجِبِ تَعَالَى.

وَلَمْ يَجْعَلَنَا أَيْضًا مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ اللتَيْنِ يُبْغِضُونَ أَصْحَابَ خَيْرِ البَشَرِ - عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ - وَيُسِيئُونَ الظَّنَّ بِأَكَابِرِ الدِّينِ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُعَادُونَ بَعْضَهُمْ بَعْضًا، وَيَتَّهِمُونَهُمْ بِالبُغْضِ المضْمَرِ، وَالحِقْدِ المُبْطَنِ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ فِي حَقِّهِمْ {رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ}(١).

وَهَاتَانِ الطَّائِفَتَانِ يُكَذِّبُونَ كَلامَ الحَقِّ جَلَّ وَعَلا وَيُثْبِتُونَ بَيْنَهُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ وَالحِقْدَ، رَزَقَهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ التَّوْفِيقَ وَبَصَّرَهُمُ الصِّرَاطَ المسْتَقِيمَ وَلَمْ يَجْعَلْنَا أَيْضًا مِنَ الذِينَ يُثْبِتُونَ الجِهَةَ وَالمَكَانَ لِلحَقِّ تَعَالَى، وَيَزْعُمُونَهُ جِسْمًا وَجِسْمَانِيًّا وَيُثْبِتُونَ فِي الوَاجِبِ القَدِيمِ - جَلَّ شَأْنُهُ - أَمَارَاتِ الحُدُوثِ وَالإِمْكَانِ وَلنَرْجِعْ إِلى أَصْلِ الكَلامِ فَنَقُولُ: مَعْلُومُكُم أَنَّ السُّلطَانَ كَالرُّوحِ وَسَائِرَ النَّاسِ كَالجَسَدِ فَإِنْ كَانَتِ الرُّوحُ صَالِحَةً فَالبَدَنُ صَالِحٌ، وَإِنْ كَانَتِ الرُّوحُ فَاسِدَةً فَالبَدَنُ فَاسِدٌ فَالاجْتِهَادُ وَالسَّعْيُ فِي إِصْلاحِ السُّلطَانِ اجْتِهَادٌ وَسَعْيٌ فِي إِصْلاحِ جَمِيعِ بَنِي آدَمَ.

وَالإِصْلاحُ فِي إِظْهَارِ كَلِمَةِ الإِسْلامِ بِأَيِّ طَرْزٍ كَانَ يُسَاعِدُهُ الوَقْتُ.

وَبَعْدَ إِظْهَارِ كَلِمَةِ الإِسْلامِ يَنْبَغِي أَنْ يُوصِلَ سُمْعَةَ مُعْتَقَدَاتِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ أَيْضًا فِي بَعْضِ الأَحْيَانِ وَأَنْ يرُدَّ مَذْهَبَ المُخَالِفِ فَإِنْ تَيَسَّرَتْ هَذِهِ الدَّوْلَةُ فَقَدْ حَصَلَتِ الوِرَاثَةُ العُظْمَى مِنَ الأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالسَّلامُ - وَهَذِهِ الدَّوْلَةُ قَدْ حَصَلَتْ لَكُمْ مَجَّانًا فَيَنْبَغِي أَنْ يُعْرَفَ قَدْرُهَا وَمَاذَا أُبَالِغُ أَزْيَدَ مِنْ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَتِ المُبَالغَةُ مُسْتَحْسَنَةً، وَاللهُ سُبْحَانَهُ المُوَفِّقُ.

---

(١) الفتح: ٢٩.

فهرس الجزء الثاني من المكتوبات

المكتوب ٢٥٥ : في التحريض على إحياء السنة السنية ورفع البدعة ٥
المكتوب ٢٥٦ : في جواب سؤال عن القطب وقطب الأقطاب والغوث والخليفة ٦
المكتوب ٢٥٧ : في بيان الطرق على طريق الإجمال ١٠
المكتوب ٢٥٨ : في بيان أقربيته تعالى وتقدس ١٢
المكتوب ٢٥٩ : في بيان فوائد إرسال الرسل وعدم استقلال العقل في معرفته تعالى ١٣
المكتوب ٢٦٠ : في بيان الولايات الثلاث الصغرى والكبرى والعليا ١٧
المكتوب ٢٦١ : في بيان فضائل الصلاة والكمالات المخصوصة بها ٣٩
المكتوب ٢٦٢ : في بيان أن ارتباط النقشبندية حبية ونسبتهم انعكاسية ٤٣
المكتوب ٢٦٣ : في بيان معارف تتعلق بالكعبة الربانية ٤٤
المكتوب ٢٦٤ : في بيان لزوم جر المعاملة نحو الحيرة والجهالة ٤٦
المكتوب ٢٦٥ : في التحذير عن تضييع حقوق المسلمين بالعزلة ٤٨
المكتوب ٢٦٦ : في بيان بعض المسائل الكلامية على وفق آراء أهل السنة والجماعة ٥٠
المكتوب ٢٦٧ : في بيان أن الأسرار والدقائق التي امتاز بها لا يمكن إظهار نبذة منها ٧٩
المكتوب ٢٦٨ : في بيان العلم الموروث من الأنبياء ٨١
المكتوب ٢٦٩ : في الترغيب في إيصال الإهانة إلى أعداء الدين ٨٤
المكتوب ٢٧٠ : في بيان ترجيح بعض الصحبة على العزلة ٨٥

المكتوب ٢٧١ : إلى الشيخ حسن البركي في حل استفساره عن الواقعة التي رآها ٨٦
المكتوب ٢٧٢ : في بيان الإيمان الغيبي والإيمان الشهودي ٨٧
المكتوب ٢٧٣ : في بيان أنه ينبغي للسالك أن يكون ثابتاً ومستقيماً على طريق شيخه ١٠١
المكتوب ٢٧٤ : في الحث على علو الهمة وعدم الالتفات إلى الشهودات السفلية ١٠٥
المكتوب ٢٧٥ : في التحريض على تعليم العلوم الشرعية ونشر الأحكام الفقهية ١٠٧
المكتوب ٢٧٦ : في بيان محكمات القرآن ومتشابهاته ١٠٩
المكتوب ٢٧٧ : في بيان علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين ١١٣
المكتوب ٢٧٨ : في بيان أنه لا بد لكل إنسان بعد تصحيح العقائد من سلامة القلب ١١٦
المكتوب ٢٧٩ : في أداء شكر نعمة دلالته إياه على الطريقة النقشبندية العلية ... ١١٨
المكتوب ٢٨٠ : في بيان أن محبة هذه الطائفة رأس مال السعادة ١٢٠
المكتوب ٢٨١ : في بيان شكر نعمة الانتساب إلى سلسلة الطريقة النقشبندية العلية ١٢١
المكتوب ٢٨٢ : في بيان ملاقاة الخضر وإلياس ١٢٣
المكتوب ٢٨٣ : في بيان أن رؤية النبي ربه ليلة المعراج كانت في موطن الآخرة ١٢٤
المكتوب ٢٨٤ : في بيان أن الأحوال المواجيد نصيب عالم الأمر ١٢٥
المكتوب ٢٨٥ : في بيان أحكام السماع والوجد والرقص وبعض المعارف المتعلقة بالروح ١٢٧
المكتوب ٢٨٦ : في بيان أن الاعتقاد الصحيح المأخوذ من الكتاب والسنة ١٣٤

المكتوب ٢٨٧ : في بيان الجذبة والسلوك وبيان المعارف المناسبة لهذين المقامين ١٤٠
المكتوب ٢٨٨ : في المنع عن أداء صلاة النفل بالجماعة ١٥٩
المكتوب ٢٨٩ : في بيان أسرار القضاء والقدر ١٦٢
المكتوب ٢٩٠ : في بيان الطريق الذي خصه الله سبحانه به في أوائل حاله ١٦٨
المكتوب ٢٩١ : في بيان مراتب التوحيد الوجودي والشهودي ١٨٣
المكتوب ٢٩٢ : في بيان الآداب الضرورية للمريدين ١٨٩
المكتوب ٢٩٣ : في جواب سؤال عن قوله عليه الصلاة والسلام : «لي مع الله وقت» ١٩٤
المكتوب ٢٩٤ : في بيان ما يتعلق بصفات الحق سبحانه الثمان ١٩٩
المكتوب ٢٩٥ : في بيان النظر على القدم والسفر في الوطن ٢٠٦
المكتوب ٢٩٦ : في بساطة صفات الحق جل وعلا ٢٠٩
المكتوب ٢٩٧ : في تحقيق إحاطة الحق وسريانه سبحانه وتعالى وتوضيح ذلك بأمثلة ٢١١
المكتوب ٢٩٨ : في بيان الوصول إلى نهاية الأمر بطريق الإشارة ولطيف العبارة ٢١٣
المكتوب ٢٩٩ : في التعزية والدلالة على الرضا بالقضاء وبيان فضيلة الموت بالطاعون ٢١٤
المكتوب ٣٠٠ : في بيان الأسرار الغامضة والمعارف الغريبة بلسان الرمز والإشارة ٢١٦
المكتوب ٣٠١ : في بيان قرب النبوة وقرب الولاية والطرق الموصلة إلى قرب النبوة ٢١٨
المكتوب ٣٠٢ : في بيان فرق الولاية الثلاث وأن النبوة أفضل من الولاية ٢٢١
المكتوب ٣٠٣ : في بيان معاني كلمات الأذان ٢٢٧

المكتوب ٣٠٤: في بيان الأعمال الصالحة التي نيط بها وعدد دخول الجنة ٢٢٨
المكتوب ٣٠٥: في بيان أسرار الصلاة ٢٣٠
المكتوب ٣٠٦: في ذكر بعض مناقب المخدوم زاده الأكبر الخواجه محمد
صادق ٢٣٢
المكتوب ٣٠٧: في بيان معنى الكلمة الطيبة سبحان الله وبحمده ٢٣٥
المكتوب ٣٠٨: في بيان معنى قوله: «كلمتان خفيفتان على اللسان ٢٣٧
المكتوب ٣٠٩: في بيان المحاسبة اليومية والليلية ٢٣٨
المكتوب ٣١٠: في بيان جامعية الإنسان ٢٤٠
المكتوب ٣١١: في بيان الأسرار الغامضة والحقائق النادرة المتعلقة بالحروف
المقطعات ٢٤٢
المكتوب ٣١٢: في السؤال عن تحقيق الإشارة في التشهد عند الحنفية ٢٤٤
المكتوب ٣١٣: إلى الخواجه محمد هاشم في حل أسئلة كتبها ٢٤٨
المكتوب ٣١٤: في مذهب الشيخ محيي الدين بن العربي في وحدة الوجود وما
هو مختار حضرة شيخنا سلمه الله تعالى فيها ٢٦٠
المكتوب ٣١٥: في أن مرتبة ذات الحق ومرتبة صفاته سبحانه فوق اعتبار الوجود
والوجوب ٢٧٤
المكتوب ٣١٦: في أن معاملة الآفاق والأنفس داخلة في دائرة الظلال وبيان
الولاية الصغرى والكبرى وكمالات النبوة الخ ٢٧٦
المكتوب ٣١٧: في أن علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين شطران الخ ٢٨٣
المكتوب ٣١٨: إلى المير شمس الدين الخلخالي أن لصفات اعتبارين ٢٨٧
المكتوب ٣١٩: في بعض الأسرار الغامضة ٢٨٩
المكتوب ٣٢٠: في مراتب الخمس المحبة والمحبوبية والمحبة والحب
والرضا ٢٩٢
المكتوب ٣٢١: في الفرق بين إيمان أخص الخواص والعوام والمتوسطين ... ٢٩٥

المكتوب ٣٢٢: في فضائل الكلمة الطيبة والإيمان بالغيب ٢٩٧
المكتوب ٣٢٣: إلى أخيه الحقيقي ميان محمد مودود إن كل ظهور لا يكون بدون الظلية ٣٠٠
المكتوب ٣٢٤: في بعض خصائص ظهور ما فوق العرش ومعنى قوله تعالى: ﴿الله نور السمٰوات والأرض﴾ التأويلي الخ ٣٠٢
المكتوب ٣٢٥: في فرق شهود الملك والإنسان ٣٠٩
المكتوب ٣٢٦: في أن نصيب علماء الظاهر والصوفية والعلماء الراسخين ٣١٢
المكتوب ٣٢٧: في أن صاحب المنصب هل يكون صاحب علم البتة ٣١٣
المكتوب ٣٢٨: في ذم خطيب ترك ذكر الخلفاء الراشدين في خطبة عيد الأضحى وتقريعهم الخ ٣١٥
المكتوب ٣٢٩: في عجائب أحوال البرزخ الصغير ٣١٩
المكتوب ٣٣٠: في أن مصيبات هذا العالم باعثة لترقيات الخ ٣٢١
المكتوب ٣٣١: في نصيب علماء الظاهر والراسخين والصوفية ٣٢٣
المكتوب ٣٣٢: في اتباع السنة السنية وترك البدعة الغير المرضية ٣٢٥
المكتوب ٣٣٣: في فضائل الصلاة وتكميل الشرائط ٣٢٦
المكتوب ٣٣٤: في أن المراد بالقلب في الحديث القدسي لا يسعني أرضي هو المضغة ٣٢٧
المكتوب ٣٣٥: في تشرف بلدة سرهند ببركة الخ ٣٣٦
المكتوب ٣٣٦: في اتباع السنة ومدح الطريقة ٣٣٧
المكتوب ٣٣٧: إلى الحاج محمد الفركتي في جواب كتابه ٣٤٣
المكتوب ٣٣٨: في أن كل عمل يصدر على الشريعة داخل في الذكر ٣٤٥
المكتوب ٣٣٩: في تلقين الذكر مثل تعليم ألف الخ ٣٤٦
المكتوب ٣٤٠: في تشكيكات الشيخ عبد العزيز ٣٤٨
المكتوب ٣٤١: في جواب استفساراته ٣٥١

المكتوب ٣٤٢: في أن أفضل الأمتعة في هذه النشأة الحزن والغم وأهنى الخ . ٣٥٣
المكتوب ٣٤٣: في جواب سؤال عن دوام نسبة الرابطة ٣٥٤
المكتوب ٣٤٤: في الوعظ والنصيحة ٣٥٦
المكتوب ٣٤٥: في الشكاية من عدم جمعية الباطن ٣٥٧
المكتوب ٣٤٦: في أن المحبوب محبوب في نظر المحب ٣٥٨
المكتوب ٣٤٧: في جواب عريضته عن توارد الأحوال ٣٦١
المكتوب ٣٤٨: في التوحيد وعين اليقين ٣٦٣
المكتوب ٣٤٩: إلى الخواجه محمد التقي في الإمامة ومذهب أهل السنة ومدح أهل بيت ٣٦٦
المكتوب ٣٥٠: في فضائل الكلمة الطيبة ٢٩٣
المكتوب ٣٥١: لا تعلق لباطن أهل البيت بالدنيا مقدار خردلة ٣٩٧
المكتوب ٣٥٢: في أصحاب اليمين والشمال والسابقين ٣٩٨
المكتوب ٣٥٣: في أن خرق الحجب باعتبار الشهود الخ ٤٠٠
المكتوب ٣٥٤: في أن في مراتب نهاية النهاية تظهر مرتبة الخ ٤٠١
المكتوب ٣٥٥: في حصر الصوفية السير في الآفاق والأنفس وإثباتهم التخلية والتحلية الخ ٤٠٢
المكتوب ٣٥٦: في بيان معنى قولهم أن ما هو الميسر للسالك في حضرة الحق إنما هو ذوق الوجدان لا الوجدان واندراج النهاية الخ ٤١٦
المكتوب ٣٥٧: في وحدة الوجود وتطبيقها على علوم الشريعة وعن سؤاله عن حديث إذا أحب الله عبداً الخ ٤٢٠
المكتوب ٣٥٨: في أن العالم بتمامه مجالي الأسماء والصفات الواجبة خلاف الذات فإنه لا نصيب للممكن منها الخ ٤٢٧
المكتوب ٣٥٩: في فضائل الكلمة الطيبة التي هي متضمنة للطريقة والحقيقة والشريعة لا مقدار لكمالات الولاية في جنب كمالات النبوة ٤٣٢

المكتوب ٣٦٠: في النصيحة والتنبيه ٤٣٩
المكتوب ٣٦١: في الترغيب في مقام الرضا ٤٤٠
المكتوب ٣٦٢: في بيان أن نسيان السوي قدم أول في هذه الطريقة ٤٤١
المكتوب ٣٦٣: في أن للشريعة صورة وحقيقة وتمكين القلب الخ ٤٤٢
المكتوب ٣٦٤: في أن كلامه سبحانه قد يكون شفاهًا الخ ٤٤٨
المكتوب ٣٦٥: في الترغيب في الطريقة ٤٤٩
المكتوب ٣٦٦: في جواب استفساره بأني لو عبدت الخ ٤٥٠
المكتوب ٣٦٧: في أن لمتابعة النبي ﷺ مراتب ودرجات ٤٥٢
المكتوب ٣٦٨: في أن القرآن جامع لجميع الأحكام الشرعية ومناقب الإمام
الأعظم الخ ٤٥٧
المكتوب ٣٦٩: في حسنات الأبرار سيئات المقربين ٤٦٥
المكتوب ٣٧٠: في أن ذكر الحق أولى من الصلوات لكن بشرط الخ ٤٦٦
المكتوب ٣٧١: في رد جماعة يقولون بالتناسخ وبيان الكمون الخ ٤٦٩
المكتوب ٣٧٢: في أن المعقول والموهوم والمكسوف والمشهود كلها داخلة في
السوي ٤٧٧
المكتوب ٣٧٣: في أن اللازم صرف العنان عن فضوليات الدين الخ ٤٧٨
المكتوب ٣٧٤: في تعزية أصحاب المرحوم مولانا أحمد البركي وفي
نصيحتهم ٤٨٠
المكتوب ٣٧٥: في أن الإنسان مدني الطبع ومحتاج إلى بني نوعه الخ ٤٨٢
المكتوب ٣٧٦: إذا حضر الطالب عند شيخ آخر مع وجود شيخه ٤٨٤
المكتوب ٣٧٧: ينبغي أن لا يضيق الصدر عن تلون الأحوال الخ ٤٨٥
المكتوب ٣٧٨: في التحذير عن الاشتغال بأمور لا طائل فيها ٤٨٦
المكتوب ٣٧٩: في التوبة والإنابة والورع والتقوى وما يناسب ذلك ٤٨٧
المكتوب ٣٨٠: في عقائد أهل السنة والأركان الخمسة الإسلامية الخ ٤٩١

المكتوبات الربانية

للإمام الرباني أحمد بن عبد الأحد
السرهندي الفاروقي النقشبندي
المتوفى سنة ١٠٣٤ هـ

جمعها
يار محمد الجديد البدخشي الطالقاني

علق عليها ووضع حواشيها
مصطفى حسنين عبد الهادي

المجلد الثالث

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
DKI
بيروت - لبنان

المكتوبات الربانية

للإمام الرباني أحمد بن عبد الأحد
السرهندي الفاروقي النقشبندي
المتوفى ١٠٣٤هـ

جمعها

يار محمد الجديد البدخشي الطالقاني

علق عليها ووضع حواشيها

مصطفى حسنين عبد الهادي

الجزء الثالث

دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKI
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

الكتاب: المكتوبات الربانية

Title : **AL-MAKTUBĀT AR-RABBĀNIYYA**

التصنيف : تصوف

Classification: Sufism

المؤلف: الإمام أحمد بن عبد الأحد السرهندي الفاروقي النقشبندي (ت 1034هـ)

Author : Al-Imam Ahmad ben Abdul-Ahad As-Sarhandi Al-Farouqi An-Naqshabandi (D.1034H.)

المحقق : مصطفى حسنين عبد الهادي

Editor : Mustafa Hasanayn Abdul-Hadi

الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت

Publisher: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

Pages (3 Volumes) 1472 (3 مجلدات) عدد الصفحات

Size 17x24 cm قياس الصفحات

Year 2015 A.D - 1436H. سنة الطباعة

Printed in: Lebanon بلد الطباعة : لبنان

Edition : 2nd الطبعة: الثانية

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

Exclusive rights by © **Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah** Beirut-Lebanon No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à © **Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah** Beyrouth-Liban Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت-لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: +٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٠/١١/١٢
فاكس: +٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٣
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

ISBN-13: 978-2-7451-4111-8
ISBN-10: 2-7451-4111-2

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المَكْتُوبُ الحَادِي وَالثَّمَانُونَ بَعْدَ الثَّلاثِمِائَةِ
إِلى الخَوَاجَهْ شَرَف الدِّينِ الحُسَيْنِ
فِي بَيَانِ العَمُودِ النُّورَانِيِّ وَكَوْكَبٍ ذِي ذَنْبٍ طَلَعَ مِنْ جَانِبِ المشْرِقِ وَفِي عَلامَاتِ القِيَامَةِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلكَ

﴿الحَمْدُ لِلَّهِ الذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالحَقِّ﴾[1] عَلَيْهِمُ الصَّلوَاتُ وَالتَّحِيَّاتُ قَدْ سَرَتِ الصَّحِيفَةُ الشَّرِيفَةُ التي أَرْسَلَهَا الوَلَدُ الأَعَزُّ صُحْبَةَ مَوْلانَا أَبِي الحَسَنِ بِوُصُولِهَا وَقَد اسْتَفْسَرَ ثُمَّ مُكَرَّرًا عَنِ العَمُودِ النُّورَانِيِّ الذِي طَلَعَ مِنْ جَانِبِ المشْرِقِ، اعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ وَرَدَ فِي الخَبَرِ: «أَنَّهُ إِذَا بَلَغَ الملكُ العَبَّاسِيُّ الذِي هُوَ مِنْ مُقَدِّمَاتِ ظُهُورِ المهْدِيِّ المَوْعُودِ عَلَيْهِ الرِّضْوَانُ خُرَاسَانَ يَطْلُعُ فِي جَانِبِ المشْرِقِ قَرْنٌ ذُو سِنِينَ».

وَكُتِبَ فِي الحَاشِيَةِ يَعْنِي: يَكُونُ للعَمُودِ المَذْكُورِ رَأْسَانِ وَكَانَ أَوَّل طُلوعِهِ فِي زَمَانِ هَلاكِ قَوْمِ نُوحٍ ـ عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ـ.

وطَلَعَ أَيْضًا فِي زَمَانِ إِبْرَاهِيمَ ـ عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ـ حِينَ رَمَوْهُ فِي النَّارِ.

وَظَهَرَ أَيْضًا وَقْتَ هَلاكِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ وَحِينَ قُتِلَ يَحْيَى ـ عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ السَّلامُ ـ فَمَنْ رَآهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنْ شَرِّ الفِتَنِ.

وَهَذَا البَيَاضُ الذِي حَدَثَ فِي جَانِبِ المشْرِقِ كَانَ أَوَّلاً فِي صُورَةِ العَمُودِ المنَوَّرِ ثُمَّ عَرَضَ لَهُ اعْوِجَاجٌ وَشَبَاهَةٌ بِالقَرْنِ وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ إِطْلاقُ الرَّأْسَيْنِ لَهُ بِاعْتِبَارِ أَنَّ كُلا مِنْ طَرَفَيْهِ صَارَ دَقِيقًا شَبِيهًا بِالسِّنِّ فاعْتُبِرَ كُل مِنْ طَرَفَيْهِ رَأْسًا كَمَا أَنَّ الرِّيحَ إِذَا كَانَ كُل مِنْ طَرَفَيْهِ دَقِيقًا يُعْتَبَرُ كُل مِنْهُمَا رَأْسًا.

وَهَذَا الطُّلوعُ غَيْرُ ذاكَ الطُّلوعِ الذِي يَحْدُثُ حِينَ ظُهُورِ المهْدِيِّ فَإِنَّ ظُهُورَهُ يَكُونُ عَلى رَأْسِ مِائَةٍ، وَالآنَ قَدْ مَضَى مِنَ المائَةِ ثَمَانٍ وَعِشْرُونَ سَنَة. جَاءَ أَخِي الشَّيْخُ مُحَمَّدُ طَاهِرِ البَدَخْشِيُّ مِنْ جُونْفُورَ وَهُوَ يَقُولُ: إِنَّ هَذَا العَمُودَ كَانَ لَهُ فِي

---

(١) الأعراف: ٤٣.

طَرَف الفَوْق أَيْضًا رَأْسَان شَبيهَان بسنين وَكَانَتْ بَيْنَهُمَا فَاصلةٌ يَسيرَةٌ حَصَل تَشْخيصُ هَذَا المَعْنَى فِي الصَّحْرَاء، وَأَخْبَرَ جَمْعٌ آخرُ أَيْضًا بمثْل ذَلكَ.

وَوَرَدَ أَيْضًا فِي الخَبَر: "في عَلامَات المهْديِّ أَنَّهُ يَطْلُعُ فِي جَانب المشْرق كَوْكَبٌ لهُ ذَنَبٌ يُضيءُ: "وَهَذَا الكَوْكَبُ أَيْضًا قَدْ طَلعَ هَل هُوَ ذَاكَ أَوْ مثْلهُ وَيُمْكنُ أَنْ يَكُونَ إطْلاقُ ذي ذَنَبٍ عَلى هَذَا الكَوْكَب لَما قَالوا: إنَّ سَيْرَ الثَّوَابت منَ المَغْرب إلى المشْرق.

فَوَجْهُ ذَلكَ الكَوْكَب بحَسَب سَيْره نَحْوَ المشْرق، وَظَهره نَحْوَ المغْرب فَهَذَا البَيَاضُ الطَّويل وَرَاءَ ظَهْره فَنَاسَبَ أَنْ يُسَمَّى ذَنبًا.

وَارْتفَاعُهُ في كُل يَوْمٍ منَ المَشْرق إلى المغْرب إنَّمَا هُوَ بسَيْره القَسْرَى المرْبُوط بسَيْر الفَلك الأَعْظَم - وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلم - بحَقيقَة الحَال.

وَبالجُمْلة: إنَّ وَقْتَ ظُهُور المهْديِّ قَريبٌ وَكَمْ منْ مُقَدِّمَات وَمَبَادٍ تَظْهَرُ إلى رَأْس المَائة الذي هُوَ أَوَانُ ظُهُوره.

وَمُقَدِّمَاتُ ظُهُوره عَلَيْه الرِّضْوَانُ وَمَبَاديه مثْل إرْهَاصَات نَبيِّنَا - عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ - التي ظَهَرَتْ قَبْل ظُهُور نُبُوَّته عَلَيْه السَّلامُ، كَمَا قَالوا: إنَّ نُطْفَةَ عَبْد الله التي كَانَتْ صُورَةَ مُحَمَّد رَسُول الله ﷺ لَمَّا اسْتَقَرَّتْ في رَحم آمنَةَ سَقَطَ جَميعُ الأَصْنَام في وَجْه الأَرْض عَلى وَجْههَا وَامْتَنَعَ جَميعُ الشَّيَاطين عَنْ شغْلهَا وَقَلبَ المَلائكَةُ تَخْتَ إبْليسَ ظَهْرًا لبَطْن، وَرَمَوْهُ في البَحْر وَعَذَّبُوهُ أَرْبَعينَ يَوْمًا وَتَزَلزَل ليْلةَ ولادَته - عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ -إيوانُ كسْرَى، وَسَقَطَتْ منْهُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ شُرَافَات وانْطَفَتْ نَارُ مَجُوس.

وَقَدْ مَضَى منْ إيقَادهَا ألفُ سَنَة لمْ تَنْطَف في تلكَ المُدَّة قَطُّ.

وَحَيْثُ إنَّ المهْديَّ يَكُونُ عَظيمًا وَيَحْصُل بسَبَبه للإسْلام وَالمُسْلمينَ تَقْويَةٌ عَظيمَةٌ وَيَكُونُ لولايَته تَصَرُّفٌ عَظيمٌ في الظَّاهر وَالبَاطن، وَيَكُونُ صَاحبُ خَوَارقَ وَكَرَامَات[١] كَثيرَة وَتَظْهَرُ في زَمَانه آيَاتٌ عَجيبَةٌ يَجُوزُ أَنْ يَظْهَرَ قَبْل وُجُوده أَشْيَاء خَوَارقَ للعَادَات مثْل إرْهَاصَات[٢] النَّبيِّ

---

(١) **الكرامة**: هي ظهور أمر خارق للعادة من شخص غير مقارن لدعوى النبوة، فما لا يكون مقرونا بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجا، وما يكون مقرونا بدعوى النبوة يكون معجزة. انظر: الجرجاني: التعريفات: ٢٣٦،٢٣٥.

(٢) **الإرهاص**: هو ما يظهر من الخوارق عن النبي ﷺ قبل ظهوره، كانور الذي كان في جبين والد وأجداد نبينا ﷺ. انظر: الجرجاني: التعريفات: ٣١.

عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ - وَتَكُونُ مِنْ مَبَادِئِ ظُهورَاته كَمَا يُفْهَمُ ذَلكَ مِنَ الأَحَاديث.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ وَرَدَ فِي الخَبَرِ أَنَّ المهْديَّ يَظْهَرُ حَتَّى يَسْتَوْلِي الكُفْرُ وَتَجْرِي أَحْكَامُهُ عَلَى المَلأ

فَالمُتَوَقَّعُ فِي هَذَا الوَقْت هُوَ اسْتيلاءُ الكُفْر وَقُوَّتُهُ وَضَعْفُ الإِسْلامِ وَالمُسْلمينَ وَهُوَ ذَاكَ الوقت الذِي قَال النَّبيُّ ﷺ فِي حَقِّ غُرَبَاءِ أَهْلِ الإِسْلامِ فِيه: "طُوبَى لَهُم"[(١)].

وَبَشَّرَهُمْ وَقَال - عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ - "العبادَةَ فِي الهَرْجِ كَهجْرَة إليَّ"[(٢)].

وَمَعْلومُكم أَنَّ العَسَاكرَ إذَا صَدَرَتْ عَنْهُمْ وَقْتَ اسْتيلاء الفتْنَة وَالفَسَاد جَرَاءَةٌ يَسيرَةٌ وَحَرَكَةٌ قَليلةٌ يَحْصُلَ لَهُمْ اعْتبَارٌ كَثيرٌ وَفي وَقْت تَسْكين الفتْنَة لاَ اعْتبَارَ لَهُمْ وَلَوْ صَدَرَتْ عَنْهُمْ حَرَكَاتٌ كَثيرَةٌ فَوَقْتُ العَمَل وَوُقُوعُهُ مَوْقعَ القَبُول هُوَ وَقْتُ الفتَن فَيَنْبَغي بَذْل النَّفْسِ بالتَّمَام فِي مَرْضيَّات الله تَعَالى.

وَأَنْ لاَ يَخْتَارَ شَيْئًا غَيْرَ مُتَابَعَةِ السُّنَّة السَّنِيَّة عَلى صَاحِبِهَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالتَّحيَّةُ.

لوْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُحْشَرُوا منَ المَقْبُولِينَ ألا تَرَى أَنَّ أَصْحَابَ الكَهْف بَلغُوا دَرَجَةً عَلَيًّا بهجْرَة وَاحدَة وَأَنْتُم مَنَّ المُحَمَّديِّينَ وَدَاخلونَ فِي زُمْرَة أُمَّته خَيْرِ الأُمَمِ فَلا تُضَيِّعُوا أَوْقَاتَكُمْ باللَّهْوِ وَاللعب وَلا تَغْتَرُّوا بالجَوْز وَالمَوْز مثْل الأَطْفَال.

وَأَبْدَيْتُ منْ كَنْز المَرَامِ عَلامَةً لعَلَكَ أَنْ تَحْظَى به أَنْ تُحَاول

وَالعَمُودُ النُّورَانيُّ الذي طَلَعَ قَبْل ظُهُور هَذَا الكَوْكَب ذي الذَّنَب لمْ يُرَ فيه ظُلمَةٌ وَكَدُوْرَةٌ وَلمْ يَظْهَرْ فِي النَّظَر غَيْرُ الخَيْر وَأَمَّا الكَوْكَبُ ذُوَا الذَّنَب فَقَدْ كَانَتْ فِيهِ شَائبَةُ الكُدُورَة لاَ بَل النَّافعُ وَالضَّارُّ هُوَ اللهُ - سُبْحَانَهُ - لاَ مَدْخَل لشَيْءٍ مِنَ

---

(١) **صحيح**: ولفظه كما عند مسلم صحيح مسلم. "بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ غريبا. فطوبى للغرباء". صحيح مسلم: ك: الإيمان. ب: بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا، وإنه يأرز بين لمسجدين. ح١٤٥.، أحمد في المسند: أول مسند المدنيين: حديث عبد الرحمن بن سنة.

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم في صحيحه: ك: الفتن وأشراط الساعة. ب: فضل العبادة في الهرج. ح ٢٩٤٨. سنن الترمذي: أبواب الفتن. ب: ما جاء في الهرج ح ٢٢٩٧.وقال: حديث صحيح غريب، سنن ابن ماجه. ك: الفتن.ب: الوقوف عند الشبهات ح٣٩٨٥. وصححه السيوطي في الجامع الصغير ح٥٦٦٢.

الكَوَاكب في مَوْت شَخْص وَحَيَاته وَوِلادَته، وَمَا يُفْهَمُ مِنَ الكَلامِ المجيد أَنَّ الأَغْرَاضَ التي تَتَعلَقُ بالنُّجُومِ ثَلاثَةٌ قَالَ تَعَالَى {وَبالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ}(١)

يَعْني: يَهْتَدُونَ بهَا إِلى الطَّرِيق في أَسْفَارِ البَرِّ وَالبَحْرِ.

وَقَالَ تَعَالى:{وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا للشَّيَاطِينِ}(٢).

وَالغَرَضُ الثَّالثُ هُوَ رَجْمُ الشَّيَاطِينِ لئَلا يَسْتَرِقُوا السَّمْعَ وَكُل مَا قيل وَرَاءَ هَذه الأَغْرَاضِ الثَّلاثَة فَلَيْسَ بِثَابت بَل دَاخل في الأَوْهَامِ وَالخَيَالاتِ أَنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئًا بَل نَقُول: إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ.

وَيَكْتُبُ للوَلَد الأَعَزِّ مُكَرَّرًا أَنَّهُ قَدْ جَاءَ وَقْتُ التَّوْبَة وَالإِنَابَة.

وَزَمَانُ التَّبَتُّلِ وَالانْقطَاعِ فَإِنَّ هَذَا الزَّمَانَ زَمَانُ وُرُود الفتَنِ يَكَادُ يُصَبُّ الفتَنُ مثْل مَطَرِ النَّيْسَان وَتَغْشَى جَميعَ العَالم.

قَال سَيِّدُنَا وَنَبيُّنَا الصَّادقُ المصْدُوقُ ــ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ: "إِنَّ بَيْنَ يَدَي السَّاعَة فتَنًا كَقطَعِ الليْل المظْلمِ يُصْبحُ الرَّجُل فيهَا مُؤمنًا وَيُمْسي كَافرًا وَيُمْسي مُؤمنًا وَيُصْبحُ كَافرًا القَاعدُ فيهَا خَيْرٌ منَ القَائمِ، والماشي فيهَا خَيْرٌ منَ السَّاعي فَكَسِّرُوا فيهَا قسيَّكُمْ وَاقْطَعُوا فيهَا أَوْتَارَكُمْ وَاضْرِبُوا سُيُوفَكُمْ بالحجَارَة فَإِنْ دُخل عَلى أَحَد منْكُمْ فَليَكُنْ كَخَيْرِ ابْنَيْ آدَمَ".

وَفي روَايَة: "قَالوا فَمَا تَأْمُرُنَا فَقَال: كُونُوا أَحْلاسَ بُيُوتكُمْ"(٣)، وَفي روَايَة "وَالزَمُوا فيهَا أَجْوَافَ بُيُوتكُمْ".

وَلَعَلهُ كَانَ مَعلومُكم أَنَّ كُفَّارَ دَارِ الحَرْب في نَوَاحي نَكَرْ كَوتْ مَاذَا فَعَلوا عَلى المسْلمينَ منَ الجوْرِ وَالجفَاء في هَذه الأَيَّامِ وَمَاذَا صَنَعُوا في بلاد الإِسْلامِ وَأَيَّةَ إِهَانَة أَصَابَتْهُمْ منْهُ خَذَلهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ.

وَمثْل هَذَا الورْد كَريهُ الرَّائحَة يَتَفَتَّقُ كَثيرًا بمُقْتَضَى آخر الزَّمَان

ثَبَّتَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ وَجَميعَ المُؤمنينَ عَلى مُتَابَعَة المُرْسَلينَ عَلَيْه وَعَلَيْهمْ وَآل كُل وَعَلى المَلائكَة المقَرَّبينَ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ.

---

(١) النحل:١٦

(٢) فصلت:١٢

(٣) **حسن**: سنن أب داود: ك: الفتن والملاحم. ب: النهي عن السعي في الفتنة. ح ٤٢٥٢.، سنن ابن ماجه: ك: الفتن. ب: التثبت في الفتنة ح ٣٩٦١.، مسند احمد: أول مسند الكوفيين:حديث أبي موسى الأشعري.

المَكْتُوبُ الثَّانِي وَالثَّمَانُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائَة
إلى مُحَمَّد مُرَاد البَدَخْشِيِّ
فِي بَيَان تَعْدِيل أَرْكَان الصَّلَاة وَالطُّمَأْنِينَة وَتَسْوِيَة الصُّفُوف وَلزُوم تَصْحِيح النِّيَّة عِنْدَ الذَّهَاب إلى مُحَارَبَة الكُفَّار وَالأَمْر بِصَلاة التَّهَجُّد وَالاحْتِيَاط فِي القِمَّة وَمَا يَتَعَلَّقُ بِه

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِه الذِينَ اصْطَفَى

وَصَلت الصَّحِيفَةُ الشَّرِيفَةُ التي أَرْسَلْتُمُوهَا وَلَمَّا كَانَتْ مُتَضَمِّنَةً لِثَبَات الأَصْحَاب وَاسْتِقَامَتِهِمْ أَوْرَثَتْ فَرَحًا وافرًا أَزَادَكُم اللهُ سُبْحَانَهُ ثَبَاتًا وَاسْتِقَامَةً وَانْدَرَجَ فِيهَا أَمْرُ الأَمْرِ الذي كُنَّا مَأْمُورِينَ به نُدَاوِمُ عَلَيْه مَعَ جَمْعٍ مِنَ الأَصْحَاب الذينَ دَخَلوا في الطَّرِيقَة وَنُؤَدِّي الصَّلَوَات الخَمْسَ بِجَمَاعَة مُشْتَمِلَةٍ عَلَى خَمْسِينَ أَوْ سِتِّينَ نفرًا حمدًا للهِ سُبْحَانَهُ عَلَى ذَلكَ يَا لَهَا مِنْ نِعْمَة عَظِيمَة إذَا كَانَ البَاطِنُ مَعْمُورًا بالذِّكْرِ الإلهيِّ - جَل شَأْنُهُ - وَالظَّاهِرُ مُتَحَلِّي بالأَحْكَام الشَّرْعِيَّة وَلَمَّا كَانَ أَكْثَرُ النَّاسِ فِي هَذه الأَيَّامِ يَتَسَاهَلونَ فِي أَدَاءِ الصَّلاة وَلا يَتَقَيَّدُونَ بالطُّمَأْنِينَة وَتَعْدِيل الأَرْكَان أَرَدْتُ أَنْ أَكْتُبَ فِي هَذَا البَاب بالتَّأْكِيد وَالمُبَالَغَة بالضَّرُورَة فَيَنْبَغِي الاسْتِمَاعُ وَالإصْغَاء.

قَال المُخْبِرُ الصَّادِقُ - عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ - أَسْوَأُ النَّاسِ سَرِقَةً الذي يَسْرِقُ مِنْ صلاته ، قَالوا يَا رَسُول اللهِ: وَكَيْفَ يَسْرِقُ مِنْ صلاته؟ قَال: لَا يُتِمُّ رُكُوعَهَا وَلَا سُجُودَهَا "(١).

---

(١) **صحيح**: أحمد في المسند: مسند أبي سعيدالخدري.، سنن الدارمي: ك: الصلاة. ب: في الذي لا يتم الركوع والسجود ح ١٢٩٤.، والطبراني في المعجم الكبير: باب الحاء: الحارث بن ربعي. وصححه السيوطي في الجامع الصغير ح ١٠٤٠.، وقال الهيثمي: رواه أحمد و الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله رجال الصحيح.٠(مجمع الزوائد. ك: الصلاة: ب: ما جاء في الركوع والسجود ح٢٧١٩) وفي ح ٢٧٢٠ قال: رواه أحمد والبزار وأبو يعلى وفيه علي بن زيد وهو مختلف في الاحتجاج به وبقية رجاله رجال الصحيح.، وفي حديث ٢٧٢١ قال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه عبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين وثقه أحمد وأبو حاتم وابن حبان وضعفه دحيم وقال النسائي: ليس بالقوي. وبقية رجاله ثقات.

وَقَال – عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ – أَيْضًا " لاَ يَنْظُرُ اللهُ إلى صَلاة عَبْدٍ لاَ يُقيمُ فيهَا صُلْبَهُ بَيْنَ خُشُوعهَا وَسُجُودهَا "(١).

"وَرَأَى النَّبِيُّ ــ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ رَجُلا يُصَلي وَلا يُتمّ رُكُوعَه وَلا سُجُودَه فَقَال: "أَمَا تَخافُ لوْ متَّ عَلى ذَلكَ لمتَّ عَلى غَيْرِ دينِ مُحَمَّد"(٢).

وَأَيْضاً قَال ــ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ "لاَ تَتمُّ صَلاةُ أَحَدكُمْ حَتَّى يَقُومَ بَعْدَ رُكُوعهَا بالتَّمَامِ وَيُثْبتَ صُلْبُهُ وَيَسْتَقرَّ كُل عُضْوٍ منْهُ في مَحله".

وَكَذَلكَ قَال – عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ" مَا لَمْ يَقْعُدْ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ وَلَمْ يُقمْ صُلْبَهُ وَثَبتَ لاَ يُتمُّ صَلاتَهُ ".

وَمَرَّ النَّبيُّ ﷺ بوَاحد منَ الْمُصَلينَ فَرَآهُ لاَ يُتمُّ أَحْكَامَ الصَّلاة وَأَرْكَانَهَا وَالقَوْمَةَ وَالجلسَةَ فقَال لوْ متَّ عَلى ذَلكَ لاَ يُقَال لك منْ أُمَّتي يَوْمَ القيامَة"

وَقَال في مَحَل آخرَ لوْ متَّ عَلى ذَلكَ متَّ عَلى غَيْرِ دينِ مُحَمَّد"

قَال أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه "يَكُونُ شَخْصٌ يُصَلي ستِّينَ سَنَةً وَلا تُقْبَل وَاحدَةٌ منْ صَلوَاتهَا وَهُوَ شَخْصٌ لاَ يُتمُّ رُكُوعَهَا وَلا سُجُودَهُ" قيل رَأَى زَيْدُ بْنُ وَهْب رَجُلا يُصَلي وَلا يُتمُّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ فَدعَاهُ وَقَال: مُنْذُ كَمْ سَنَة تُصَلي هَكَذَا قَال مُنْذُ أَرْبَعينَ سَنَةً قَال: مَا صَلَيْتُ في هَذه الأَرْبَعينَ سَنَةً لوْ متُّ لُمتُّ عَلى غَيْرِ سُنَّة مُحَمَّد"

"نُقل أَنَّهُ إذَا صَلى الْمُؤْمنُ وَأَحْسَنَ صَلاتَهُ وَأَتَمَّ رُكُوعَهُ وَسُجُودَهُ يَكُونُ لصَلاته بَشَاشَةٌ وَنُورٌ فَتَعرُجُ بهَا الْمَلائكَةُ إلى السَّمَاء وَتَدْعُو الصَّلاةُ للمُصَلي وَتَقُول: حَفظَكَ اللهُ كَمَا حَفظْتَني فَإنْ لَمْ يُحْسنْ أَدَاءَ الصَّلاة تَكُونُ تلكَ الصَّلاةُ ظُلمَانيَّةً فَتكْرَهُهَا الْمَلائكَةُ وَلاَ يَعْرُجُونَ بهَا إلى السَّمَاء فَتدْعُو الصَّلاةُ عَلَى الْمُصَلي دُعَاءَ الشَّرِّ وَتَقُول: ضَيَّعَكَ اللهُ تَعَالى كَمَاضَيَّعْتَني".

فيَنْبَغي إتْمَامُ أَدَاءِ الصَّلاة وَتَعْديل الأَرْكَان وَرعَايَةُ القَوْمَة وَالجلسَة ويَنْبَغي دَلالَةُ الآخَرينَ أَيْضًا عَلى إتْمَامِ الصَّلاة بالطُّمأْنينَة وَتَعْديل الأَرْكَان

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود في السنن: ك: الصلاة. ب: صلاة من لا يقيم صلبه في الركوع والسجود ح٨٤٠، ابن ماجه: ك: إقامة الصلاة: ب: الركوع في الصلاة ح٨٧٠، ٨٧١ وقال البوصيري في الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات.(كنز العمال للمتقي الهندي ح ١٩٧٥٩.) مسند أحمد: أول مسند المدنيين: حديث طلق بن علي.، الطبراني في الكبير: عبد الله بن يزيد الخطمي.

(٢) لم أقف عليه.

وَأَكْثَرُ النَّاسِ مَحْرُومُونَ مِنْ هَذِهِ الدَّوْلَةِ ، وَهَذَا العَمَل صَارَ مَتروكًا بِالكُلِّيَّةِ ، وَإِحْيَاؤُهُ مِنْ أَهَمِّ مُهِمَّات الإِسْلام

قَال رَسُول اللهِ ﷺ "مَنْ أَحْيَا سُنَّتِي بَعْدَ أَنْ أُمِيتَتْ فَلَهُ ثَوَابُ مِائَةِ شَهِيد"(١).

وَاعْلَمْ أَيْضًا أَنَّهُ يَنْبَغِي تَسْوِيَةُ الصُّفُوفِ فِي صَلاة الجَمَاعَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَحَدٌ مِنَ المُصَلينَ وَلا يَتَأَخَّرُ بَل يَنْبَغِي السَّعْيُ فِي تَسْوِيَةِ الكُل كَانَ رَسُول اللهِ ﷺ أوَّلا يُسَوِّي الصُّفُوفَ ثُمَّ يَشْرَعُ فِي الصَّلاةِ .

وَقَال ﷺ : "تَسْوِيَةُ الصُّفُوفِ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلاةِ"(٢).

{رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ}(٣)

أَيُّهَا السَّعِيدُ: العَمَل إِنَّمَا يَصِحُّ بِالنِّيَّةِ وَحَيْثُ ذَهَبْتُمْ إِلى الجِهَادِ مِنْ كُفَّارِ دَارِ الحَرْبِ يَنْبَغِي أولا تَصْحِيحُ النِّيَّةِ حَتَّى يَتَرَتَّبَ عَلَيْهِ النَّتِيجَةُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ المَقْصُودُ مِنْ هَذَا الحَرْبِ وَالجِدَال إِعْلاءَ كَلِمَةِ اللهِ وَتَوْهِينَ أَعْدَاءِ الدِّينِ وَتَخْرِيبَهمْ فَإِنَّا مَأْمُورُونَ بِذَلِكَ المَقْصُود مِنْ جَمِيعِ الجِهَاد هُوَ هَذَا فَلا تُبْطِلوا نِيَّاتَكُمْ بِأُمُورٍ أُخَرَ ، وَعُلوفَةُ الغُزَاةِ مُقَرَّرَةٌ وَمُتَعَيِّنَةٌ مِنْ بَيْتِ المَال لَيْسَتْ بِمُنَافِيَةٍ للجِهَادِ فِي سَبِيل اللهِ وَلا تُوجِبُ النُّقْصَانَ فِي أُجْرَةِ الغُزَاةِ وَإِنَّمَا يَبْطُل العَمَل النِّيَّاتُ الفَاسِدَةُ فَيَنْبَغِي تَصْحِيحُ النِّيَّةِ ، وَأَخْذُ العُلوفَةِ مِنْ بَيْتِ المَال وَالجِهَادُ مَعَ الكُفَّارِ وَتَوَقُّعُ أَجْرِ الغُزَاةِ وَالشُّهَدَاءِ وَنَحْنُ نَغْبِطُ حَالكُمْ حَيْثُ إِنَّكُمْ مَشْغُولونَ فِي البَاطِنِ بِالحَقِّ سُبْحَانَهُ.

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وهو عند الترمذي بلفظ: " من أحيا سنتي قد أميتت بعدي كان له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئا، ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله ورسوله كان عليه من آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئا". وقال: حديث حسن. سنن الترمذي: أبواب العلم، عن رسول الله ﷺ. باب: الأخذ بالسنة واجتناب البدعة. ح:٢٨١٨.
وقال الشعراني: وروى البيهقي مرفوعا: من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد.(العهود المحمدية للشعراني: قسم المأمورات).
وقال الفتني في تذكرة الموضوعات: في حديث حسن "من أحيى سنة وأمات بدعة كان له أجر مائة شهيد". (تذكرة الموضوعات للفتني: ك: العلم. ب: التطوع.: الفصل الرابع في رجب والرغائب.

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري في صحيحه: ك: الجماعة والإمامة. ب: إقامة الصف من تمام الصلاة ح ٦٩٠.، ومسلم: ك: الصلاة. ب: تسوية الصفوف ح ٤٣٣.

(٣) آل عمران: ٨

وَفِي الظَّاهِرِ تُؤَدُّونَ الصَّلاةَ مَعَ جَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ وَمَعَ ذَلِكَ تَشَرَّفْتُمْ بِالجِهَادِ مَعَ الكُفَّارِ فَمَنْ سَلِمَ فَهُوَ غَازٍ وَمَنْ هَلَكَ فَهُوَ شَهِيدٌ وَلَكِنْ كُلّ ذَلِكَ إِنَّمَا يُتَصَوَّرُ بَعْدَ تَصْحِيحِ النِّيَّةِ فَإِنْ لَمْ تَتَحَقَّقْ حَقِيقَةُ النِّيَّةِ يَنْبَغِي تَحْصِيلُهَا بِالتَّكَلُّفِ وَأَنْ يَكُونَ مُلْتَجِئًا وَمُتَضَرِّعًا إِلَى اللهِ تَعَالَى لِتَتَيَسَّرَ حَقِيقَةُ النِّيَّةِ

{رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}(١).

وَالنَّصِيحَةُ الأُخْرَى الَّتِي أَنْصَحُ بِهَا التِزَامُ صَلاةِ التَّهَجُّدِ فَإِنَّهَا مِنْ ضَرُورِيَّاتِ الطَّرِيقِ

وَقَدْ قِيلَ لَكُمْ فِي الحُضُورِ أَيْضًا: إِذَا تَعَسَّرَ عَلَيْكُمْ هَذَا المَعْنَى وَلَمْ يَتَيَسَّرْ الانْتِبَاهُ عَلَى خِلافِ المُعْتَادِ يَنْبَغِي أَنْ يُوكَلَ لِهَذَا الأَمْرِ جَمْعًا مِنَ المُتَعَلِّقِينَ لِيُوقِظُوكُمْ وَقْتَ التَّهَجُّدِ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا وَلا يَتْرُكُوكُمْ عَلَى نُورِ الغَفْلَةِ فَإِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ أَيَّامًا يُرْجَى أَنْ تَتَيَسَّرَ المُدَاوَمَةُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ.

وَالنَّصِيحَةُ الأُخْرَى الاحْتِيَاطُ فِي اللُّقْمَةِ لَا يَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَنْ يَأْكُلَ كُلَّ مَا التَقَاهُ مِنْ أَيِّ مَحَلٍّ كَانَ مِنْ غَيْرِ مُلاحَظَةِ الحِلِّيَّةِ وَالحُرْمَةِ الشَّرْعِيَّتَيْنِ فَإِنَّ الإِنْسَانَ لَمْ يُتْرَكْ سُدًى حَتَّى يَفْعَلَ كُلَّ مَا يُرِيدُ بَلْ لَهُ مَوْلَى - جَلَّ شَأْنُهُ - كَلَّفَهُ بِالأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَبَيْنَ مَرْضَاهُ وَغَيْرَ مَرْضَاهُ بِتَوَسُّطِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ الَّذِينَ هُمْ رَحَمَاتٌ لِلعَالَمِينَ.

وَالمَحْرُومُ مِنَ السَّعَادَةِ مَنْ يَقْتَضِي خِلافَ مَرْضَى مَوْلاهُ، وَيَتَصَرَّفُ فِي مِلْكِهِ وَمُلْكِهِ بِلا إِذْنِهِ يَنْبَغِي الاسْتِحْيَاءُ حَيْثُ يُرَاعُونَ رِضَا الصَّاحِبِ المَجَازِيِّ وَلا يُرِيدُونَ فَوْتَ دَقِيقَةٍ فِي هَذَا البَابِ وَمَوْلاهُمُ الحَقِيقِيُّ قَدْ نَهَاهُمْ عَنِ الأُمُورِ الغَيْرِ المَرْضِيَّةِ بِالتَّأْكِيدِ وَالمُبَالَغَةِ وَزَجَرَهُمْ زَجْرًا بَلِيغًا وَهُمْ لَا يَلْتَفِتُونَ إِلَيْهِ أَصْلا فَهَذَا هَلْ هُوَ إِسْلامٌ أَوْ كُفْرٌ فَلْيَتَفَكَّرْ وَأَتَفَكَّرُ جَيِّدًا وَمَا فَاتَتِ الفُرْصَةُ يُمْكِنُ أَنْ يُتَدَارَكَ مَا سَبَقَ

"التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ"(٢).

---

(١) التحريم: ٨

(٢) سنن ابن ماجه: ك: الزهد. ب: ذكر التوبة.ح.٤٢٥٠.، الطبراني في المعجم الكبير: باب الظاء ح عبد الله بن مسعود.

وقال العجلوني: التائبُ من الذنب كَمن لا ذنبَ له.

رواه ابن ماجه والطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود رفعه، قال في الأصل ورجاله ثقات، بل حسنه شيخنا يعني لشواهده، وإلا فأبو عبيدة بن عبد الله أحد رجاله لم يسمع من

بِشَارَةٌ لِلْمُقَصِّرِينَ فَلَوْ أَصَرَّ شَخْصٌ عَلى الذَّنْبِ مَعَ وُجُودِ ذَلِكَ وَفَرِحَ بِهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ لاَ تَرْفَعُ صُورَةُ إِسْلامِه عُقُوبَتَهُ وَلا تَمْنَعُ عَنْهُ عَذَابًا

وَمَاذَا أُبَالِغُ زِيَادَةً عَلى ذَلِكَ العَاقِلِ تَكْفِيهِ الإِشَارَةُ وَقِرَاءَةُ سُورَةِ قُرَيْشٍ فِي المَخَاوِيفِ وَمُحَالِ اسْتِيلاءِ الأَعْدَاءِ مُجَرَّبَةٌ لِلأَمْنِ وَالرَّفَاهِيَةِ فَيَنْبَغِي قِرَاءَتُهَا فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ مَرَّةً لاَ أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ.

وَوَرَدَ فِي الحَدِيثِ المُصْطَفَوِيِّ: "أَنَّ مَنْ نَزَلَ مَنْزِلا ثُمَّ اعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لاَ يَضُرُّهُ شَيْءٌ حَتَّى ارْتَحَلَ مِنْ مَنْزِلِه ذَلِكَ"(١).

{والسلام على من اتبع الهدى}(٢).

أبيه،ومن شواهده ما أخرجه البيهقي وأبن عساكر عن ابن عباس بزيادة والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه، ومن آذى مسلما كان عليه من الإثم مثل كذا وكذا، وفي لفظ كان عليه من الذنوب مثل منابت النخل، وسنده ضعيف، بل الحديث موقوف على الراجح.

ولأبي نعيم والطبراني في الكبير بسند ضعيف عن أبي سعيد الأنصاري مرفوعا الندم توبة، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له،(كشف الخفاء: ح٩٤٤)

وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه.. (مجمع الزوائد ح١٧٥٢٦.)

وقال الحافظ العراقي: حديث "التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له" أخرجه ابن ماجه من حديث ابن مسعود بالشطر الثاني دون الأول، وأما الشطر الأول فروى ابن أبي الدنيا في التوبة وأبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث أنس بسند ضعيف "إن الله يحب الشاب التائب" ولعبد الله بن أحمد في زوائد المسند وأبي يعلى بسند ضعيف من حديث علي "إن الله يحب العبد المؤمن المفتن التواب". وضعفه السيوطي في الجامع الصغير ح ٩٣١٦.

(١) **صحيح**: مسلم: ك: الذكر والدعاء: ب: في التعوذ من سوء القضاءء ودرك الشقاء وغيره. ح ٢٧٠٨.، سنن الترمذي: أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ: ب: ما جاء في ما يقول إذا نزل مترلا.ح ٣٤٩٩.وقال: حديث: حسن غريب صحيح.، أحمد في المسند: أحاديث فاطمة بنت رسول الله ﷺ، الطبراني في المعجم الكبير ٢٤/٢٣٨.

(٢) طــه: ٤٧

المَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالثَّمَانُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائة
إلى مَوْلانَا عَبْد الوَاحِد اللاهوري
فِي بَيَانِ الأَسْرَارِ وَالحَقَائِقِ المتَعَلِّقَة بالكَعْبَة المعَظَّمة وَكَمَا أَنَّ فِي الإِنْسَانِ أُنْمُوذَجَ العَرْشِ فِيه أُنْمُوذَجُ الكَعْبَة أَيْضًا وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

اعْلَمْ أَنَّ قَلْبَ الإِنْسَانِ أُنْمُوذَجُ عَرْشِ الرَّحْمَنِ - جَل سُلطَانُهُ - وَالظُّهُورُ القَلبِيُّ فِيه مِثْل الظُّهُورِ العَرْشِيِّ كَذَلِكَ مِنْ بَيْتِ الله أَيْضًا فِي الإِنْسَانِ عَلامَةٌ حَيْثُ إِنَّهُ مُعْتَدِل وَعَنِ اليَمِينِ وَالشِّمَال مُمْتَازٌ وَمُعْتَزِل وَبِحُسْنِ الصِّفَة مُتَفَرِّدٌ وَمُتَجَمِّل

وَأَرْبَابُ هَذه الدَّوْلَة العَظِيمَة بالأَصَالَة الأَنْبِيَاءُ - عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ - وَيُشَرَّفُ بِهَا أُمَمِهِمْ بِتَبَعِيَّة هَؤُلاءِ الأَكَابِرِ وَوِرَاثَتِهِمْ كُل مَنْ أُرِيدُ لهُ ذَلِكَ

وَكَانَتْ هَذه الدَّوْلَةُ فِي أَصْحَابِ الأَنْبِيَاء - عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالتَّحِيَّاتُ - بِبَرَكَة صُحْبَة الأَنْبِيَاء - عَلَيْهِمُ السَّلامُ - أَكْثَرَ وَأَزْيَدَ وَقَلتْ بَعْدَ زَمَانِ الأَصْحَاب بِحَيْثُ لوْ تَشَرَّفَ بِهَا أَحَدٌ بَعْدَ قُرُون مُتَطَاوِلة بالتَّبَعِيَّة وَالوِرَاثَة كَانَتْ مُغْتَنَمَةً وَكِبْرِيتًا أَحْمَرَ وَهَذَا الشَّخْصُ دَاخِل فِي زُمْرَةِ الأَصْحَابِ الكِرَام - عَلَيْهِمُ الرِّضْوَانُ

وَمِنْ جُمْلَة السَّابِقِينَ وَصَاحِب هَذه النِّسْبَة العَلِيَّة مُمْتَازٌ بِدَوْلَة مَرْكَزِ المَطْلُوب ، وَإِنْ كَانَ فِي نَفْسِ المرْكَزِ أَيْضًا مَرَاتِبُ وَلَكِنَّهُ مُشَرَّفٌ بِدَوْلَةِ السَّبْقَة وَمَا أَكْشَفَ مِنْ هَذَا المَعْمِيِّ زِيَادَةً عَلى ذَلِكَ ،

وَمَا أَشْرَحَ بغَيْرِ هَذه الرُّمُوزِ فَإِذَا ظَهَرَتْ هَذه النِّسْبَةُ العَلِيَّةُ بِفَضْلِ الله سُبْحَانَهُ تَزُول النِّسَبُ السَّابِقَةُ كُلهَا لا يَبْقَى مِنْهَا اسْمٌ وَلا رَسْمٌ سَوَاءً كَانَتْ نِسْبَةَ القَلبِ أَوْ غَيْرَهَا إِذَا جَاءَ نَهَرَ الله بَطَل نَهْرُ عِيسَى

عَلامَةُ ذَلِكَ المَوْطِنِ وَأَصْحَابُ هَذه الدَّوْلَة عَلى الصِّرَاط المسْتَقِيم الذي وَقَع مُحَاذِيًا بِوُصُول المَطْلُوب وَالذي هُوَ مِنْ هَذَا الصِّرَاط عَلى يَمِين وَشِمَال فَوُصُولهُ إِلى ظِل مِنَ الظِّلال وَإِنْ كَانَتِ المَرَاتِبُ فِي الظِّلال أَيْضًا مُتَفَاوِتَةً وَلَكِنْ كُلهَا مُتَّسِمَةٌ بِسِمَة الظِّلِّيَّة.

وَمَا قَل هِجْرَانُ الحَبِيبِ وَإِنْ غَدَا　　　قَليلا وَنِصْفُ الشَّعْرِ فِي العَيْنِ ضَائِرُ

وَمَنْ فَارَقَ الصِّرَاطَ المسْتَقِيمَ مِقْدَارَ خَرْدَلةٍ فَكُل مَا يَمْشِي وَيَسِيرُ يَنْأَى عَنْهُ وَيَتَبَاعَدُ عَنِ الوُصُول إلى المَطْلوب.

لنْ تَبْلغَ الكَعْبَةَ العَليَاءَ يَا بدَوِيَ إنَّ الطَّرِيقَ الذي تَمْشِي إلى الخَتَنِ

ثَبَّتَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَلَى الصِّرَاطِ المسْتَقِيمِ، {والسلام على من اتبع الهدى}[1].

---

(١) طـه: ٤٧

المَكْتُوب الرَّابعُ وَالثَّمَانُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائة
إلى حَضْرَةِ المَخْدُومِ زَادَه جَامعِ العُلومِ العَقْلِيَّة وَالنَّقْلِيَّة
الخَوَاجَهْ مُحَمَّد سَعيد سَلمَهُ اللهُ تَعَالَى

لا إلهَ إلا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُول الله

الكَلمَةُ الأُولى مُتَضَمِّنَةٌ لإثْبَات مَرْتَبَة الذَّات تَعالتْ وَتَقَدَّسَتْ. ظُهُور مَرْتَبَة الوُجُوب في الصُّورَة المثَاليَّة بصُورَة النُّقْطَة يُشاهَدُ أَقْرَبَ منْ ظُهُور تلكَ المَرْتَبَة بصُورَة الطُّول وَالعَرْض وَإنْ لَمْ يَكُنْ في تلكَ المَرْتَبَة مَجَال للنُّقْطَة وَلا للدَّائرَة وَلا للطُّول وَلا للعَرْض وَلا للعُمْق فَلا جَرَمَ تَرَى الكَلمَةَ المُثْبَتَةَ في الصُّورَة الكَشْفيَّة كَالنُّقْطَة، وَكَلمَةُ مُحَمَّد رَسُول الله لَمَّا كَانَتْ مُنْبئَةً عَنْ دَعْوَة الخَلق التي تَتَعلَّقُ بالأجسَام وَالجَوَاهر وَللطُّول وَالبَسْط فيهَا قَدَمٌ رَاسخٌ فَلا جَرَمَ تَظْهَرُ صُورَةُ هَذَا المَقَامِ المثَاليَّة في النَّظَر الكَشْفيِّ طَويلةً عَريضَةً وَفي هَذَا المَقَام يَجدُ السَّالكُ الكَلمَةَ الثَّانيَةَ بوَاسطَة بَقيَّة السُّكْر فيه كَالبَحْر، وَيَتَخيَّل الكَلمَةَ الأوْلى كَالنُّقْطَة في جَنْب ذَلكَ البَحْر وَمنْ هَاهُنَا حَكَمَ هَذَا الفَقيرُ بوَاسطَة بَقيَّة السُّكْر فيه وَكَتَبَ أَنَّ الكَلمَةَ الثَّانيَةَ بَحْرُ الكَلمَة الأُولى كَالنُّقْطَة في جَنْبه.

وَقَال صَاحبُ الفُتوحَات المَكّيَة أيْضًا ـ في هَذَا المَقَام ـ: «إنَّ الجَمْعَ المُحمَّديَّ أَجْمَعُ منَ الجَمْعِ الإلهيِّ المتناهي فَإذَا بَدَتْ وَسعَةُ مَرْتَبَة الوُجُوب اللاكَيْفيَّة تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ بعنَايَة الله سُبْحَانَهُ وَظَهَرَتْ إحَاطَةُ تلكَ المَرْتَبَة المُقَدَّسة اللاكَيْفيَّة أَيْضًا وَصَارَ حُكْمُ العَالَم بالتَّمَام بهَذَا الطُّول وَالعَرْض حُكْمَ الجُزْء الذي لاَ يَتجَزَّى بالنِّسْبَة إلى بَحْر لاَ نهَايَةَ لَهُ يَجدُ السَّالكُ في ذَلكَ الوَقْت الشَّيْءَ الذي وَجَدَهُ أوَّلا نُقْطَةً بَحرًا لاَ نهَايَةَ لَهُ وَيَرَى البَحْرَ المحيطَ أَصْغَرَ منَ الجُزْء الذي لاَ يَتجَزَّى، وَلا يَظُنَّنَّ أَحَدٌ هُنَا أَنَّ الولاَيَةَ أَفْضَل منَ النُّبُوَّة لكنَّ الولاَيَةَ للكَلمَة الأُولى ، وَالنُّبُوَّةُ مُلائمَةٌ للكَلمَة الثَّانيَة؛ لأَنَّا نَقُول إنَّ النُّبُوَّةَ عبَارَةٌ عَنْ مَحْصُول كلتَا الكَلمَتَيْن المُقَدَّستَيْن عُرُوجُ النُّبوَّة يَتَعلَّقُ بالكَلمَة الأَوْلى وَنُزُولهَا بالكَلمَة الثَّانيَة فَيَكُونُ مَجْمُوعُ الكَلمَتَيْن حَاصل مَقَام النُّبُوَّة لاَ إنَّ الكَلمَةَ الثَّانيَةَ فَقَطْ حَاصل النُّبُوَّة كَمَا ظَنَّ البَعْضُ وَزَعَمَ أَنَّ الكَلمَةَ الأُولى مَخْصُوصَةٌ بالولاَيَة وَلَيْسَ كَذَلكَ بَل كلتَا الكَلمَتَيْن حَاصل مَقَام الولاَيَة باعْتبَار العُرُوج وَالنُّزول، وَحَاصل مَقَام النُّبُوَّة أَيْضًا كَذَلكَ باعْتبَار العُرُوج وَالنُّزُول».

غَايَةُ مَا فِي البَاب: أنَّ مَقَامَ الوِلاَيَة ظِل مَقَام النُّبُوَّة، وَكَمَالاتُ الولاَيَة ظِل لكَمَالات النُّبُوَّة وَكُل مَا يُقَال فِي مَقَامِ السُّكْر مَعْذُورٌ وَمَعْفُوٌّ عَنْهُ وَهَذَا الفَقيرُ أَيْضًا شَرِيكٌ لَهُمْ فِي السُّكْرِيَّات؛ وَلِهَذَا كَتَبَ فِي بَعْضِ مَكَاتِيبه أَنَّ الكَلِمَةَ الأُولى مُنَاسِبَةٌ لمَقَامِ الوِلاَيَة وَالكَلِمَةَ الثَّانِيَةَ مُنَاسِبَةٌ لمَقَام النُّبُوَّة.

وَالسُّكْرُ أَيْضًا نِعْمَةٌ عُظْمَى إِنْ تَيَسَّرَ الخُرُوجُ مِنْهُ إِلى الصَّحْوِ وَمِنْ كُفْرِ الطَّرِيقَة إِلى إِسْلاَم الحَقِيقَة

{رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا}(١) بِحُرْمَة حَبِيبِكَ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَيَرْحَمُ اللهُ عَبْدًا قَال آمِينَا.

---

(١) البقرة: ٢٨٦

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالثَّمَانُونَ بَعْدَ الثَّلاَثِمِائَةِ
إِلى المَخْدُوم زَادَه الخَوَاجَهْ مُحَمَّد مَعْصُوم
فِي بَيَانِ أَنَّ مُعَامَلَةَ بَيْتِ اللَّهِ المُقَدَّسِ المُطَهَّرِ فَوْقَ التَّجليَاتِ وَالظُّهُورَاتِ وَفَوْقَ الظُّهُورِ العَرْشِيِّ وَفِي بَيَانِ اللحَاقِ وَالوُصُولِ إِلى حَقِيقَةِ الكَعْبَةِ وَشَوْقِ الصُّورَةِ إِلى زِيَادَةِ صُورَةِ الكَعْبَةِ المُعَظَّمَةِ

الحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلاَمٌ عَلى عِبَادِهِ الذِينَ اصْطَفَى:

الظُّهُورُ العَرْشِيُّ وَإِنْ كَانَ فَوْقَ جَمِيعِ الظُّهُورَاتِ وَلكِنَّ المُعَامَلَة المَرْبُوطَةَ بَيْتُ اللَّهِ المُقَدَّسِ المُطَهَّرِ فَوْقَ الظُّهُورَاتِ وَالتَّجلِّيَاتِ حَتَّى إِنْ ذُكِرَ اسْمُ الظُّهُورِ وَالتَّجلي عَارَ فِي ذَاكَ المحَل.

وَالتَّجليَاتُ وَالظُّهورَاتُ حُكْمُهَا حُكْمُ مُحِيطِ الدَّائِرَةِ.

وَهَذِهِ المُعَامَلَةُ فِي حُكْم مَرْكَزِ تلكَ الدَّائِرَةِ وَلاَ شَكَّ أَنَّ مُحِيط الدَّائِرَةِ مَعَ وُجُودِ وسعته ظِل مَرْكَزِ الدَّائِرَةِ؛ فإن نقطة التمركز هي التي وسعت ظلها وظهرت في صفة مائة نقطة، وصار محيط الدائرة.

وَالتَّعْبِيرُ بِالنُّقْطَةِ فِيمَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ قَبِيل التَّعْبِيرِ عَنِ الشَّيْءِ بِأَقْرَبِ الأَشْيَاءِ إِلَيْهِ وَإِلا فَالنُّقْطَةُ أَيْضًا هُنَاكَ كَالدَّائِرَةِ مَفْقُودَةٌ لاَ مَجَالَ هُنَاكَ للظَّاهِرِ وَلا للمَظْهَرِ وَلاَ مَسَاغَ للأَصْلِ وَلاَ للظِّل فَإِنَّ الأَصْل أَيْضًا بَاقٍ فِي الطَّرِيقِ مِنَ الوُصُولِ إِلى قَصْرِ تِلكَ الدَّوْلَةِ كَالظِّل.

وَمَا أُبْدِيك مِنْ طَيْرِي عَلاَمَهْ　　وَأَضْحَى مِثْلَ عَنْقَاءٍ وَهَامَهْ

وَلِلْعَنْقَاءِ بَيْنَ النَّاسِ اسْمٌ　　وَلَيْسَتْ لاسْم طَيْرِي اسْتِدَامَهْ

وَكَعْبَةُ أَنْبِيَاءِ إِسْرَائِيل عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ التِي هِيَ صَخْرَةُ بَيْتِ المَقْدِسِ يَكُونُ رُجُوعُ كَمَالاَتِهَا وظهوراتِهَا فِي الآخِرِ إِلى كَمَالاَتِ هَذِهِ الكَعْبَةِ المعَظَّمَةِ وَتَكُونُ تِلكَ الكَمَالاتُ مُلحَقَةً بِهذِهِ الكَمَالاَتِ فَإِنَّهُ لاَ بُدَّ للأَطْرَافِ مِنَ اللحُوقِ بِالمَرْكَزِ وَمَا لَمْ يَتَّصِل الطَّرَفُ بِالمَرْكَزِ الذِي هُوَ الطَّرِيقُ المسْتَقِيمُ لاَ يَجِدُ سَبِيلاً إِلى المَطْلَبِ وَاشْوْقَاهُ إِلى لِقَاءِ الكَعْبَةِ المُعَظَّمَةِ قَال اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ للنَّاسِ للذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى للعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ

عَنِ العَالَمِينَ}(١) وَإِنْ تَيَسَّرَ اللحَاقُ بِحَقِيقَة الكَعْبَة بِفَضْل الله سُبْحَانَهُ وَحَصَل بَعْدَ اللحَاق بِهَا تَرَقِّيَاتٌ بلا نِهَايَة وَلَكِنَّ شَوْقَ مُلاقَاة الصُّورَة إلى الصُّورَة مَوْجُودٌ وَقَدْ صَارَ الحَجُّ فرضا وتحقق من الطريق أيضا، وأكمل أيضا من فرضية الحج ذَلِكَ تَسْوِيفًا فِي تَسْوِيف لاَ تُسَاعِدُ الاسْتِخَارَةُ عَلى السَّفَر كُل مَا كَانَتْ مُتَوَجِّهًا بِحُسْنِ التَّوَجُّه لاَ يَنْكَشِفُ المَسيرُ فِي الطَّرِيقِ وَلا يَظْهَرُ الوُصُول إلى الكَعْبَة فِي النَّظَر وَمَاذَا نَصْنَعُ وَكُل هَذه الأَعْذَار لاَ تُجْدي في تَأْخير أَدَاء الفَرْضِ يَنْبَغي أَنْ نَخْرُجَ مِنَ البَتِّ بِقَصْد أَدَاء فَرْضِ الحَجِّ بِتَوْفيق الله تَعَالى عَلى أَيِّ حَال كَانَ وأَنْ نَسيرَ لِقَطْعِ المَرَاحِل فَإِنْ تَيَسَّرَ الوُصُول فَنعْمَةٌ عُظْمَى وَإِنْ بَقينَا في الطَّرِيقِ فَالرَّجَاءُ نَقْدُ الوَقْت

{رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلى كُل شَيْءٍ قَديرٌ}(٢)، وَصَلى اللهُ تَعَالى عَلى سَيِّدنَا مُحَمَّدٍ وَآله وَصَحْبِه وَسَلمَ.

---

(١) آل عمران: ٩٦

(٢) التحريم: ٨

الْمَكْتُوبُ السَّادسُ وَالثَّمَانُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائَة
إلى حَضْرَةِ الْمَخْدُومِ زَادَه مَجْد الدِّين الْخَوَاجَهْ مُحَمَّد مَعْصُوم سَلَمَهُ اللهُ
فِي بَيَان ظَاهِرِ الإِنْسَان الكَامِلِ وَبَاطِنه وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

الْحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى:

اعْلَمْ أَنَّ الإِنْسَانَ عبارَةٌ عَنْ مَجْمُوعِ عَالِم الأَمْرِ وَعَالِم الخَلق عالمُ الخَلق هُوَ صُورَةُ الإِنْسَان وَظَاهِرُه وَعَالمُ الأَمْرِ هُوَ حَقيقَةُ الإِنْسَان وَبَاطنَهُ وَإِنَّمَا قَالوا للأَعْيَان الثَّابتَة حَقَائقَ الْمُمْكنات باعتبار أن الممكنات ظلال تلك الأعيان أصولها، فإن حقيقة المَمْكَنات وَمَاهيَّتَهَا هيَ نَفْسُ ظلال تلكَ الأَعْيَان لأَنَّ الْمُمْكنات صَارَتْ مُمْكنَات بتلكَ الظِّلال وَحَصَل لَهَا بهَا وُجُودٌ ظليٌّ بخلاف الأَعْيَان التي يَقْبتُون فيهَا تَعَيُّنَات وُجوبيَّةً وَيَرَوْنَهَا فَوْقَ مَرَاتبَ الإِمْكَان فَإِنْ تَعَيَّنَ الوَحْدَةُ وَتَعَيَّنَ الواحديَّةُ اللذَيْن هَمَّا في مَرْتَبَة الأَعْيَان الثَّابتَة قَالوا إنَّ كُلاً منْهُمَا تَعَيُّنٌ وُجُوبيٌّ وَاعْتَقَدُوا التَّعَيُّنات الثَّلاثَةَ البَاقيَةَ أَعْني التَّعَيُّنَ الرُّوحيَّ وَالتَّعَيُّنَ المثَاليَّ وَالتَّعَيُّنَ الجسْميَّ تَعَيُّنات إمْكَانيَّةً.

فَالقَوْل يَكُونُ التَّعَيُّنُ الوُجُوبيُّ حَقيقَةً للتَّعَيُّن الإمكَانيِّ عَلى سَبيل التَّجَوُّز لأَنَّ الحَقيقَةَ الإِمْكَانيَّةَ إِنَّمَا تَكُونُ منْ عَالِم الإِمْكَان لاَ منْ مَرْتَبَة الوُجُوب وَكَأَنَّ أَصْل الشَّيْءِ هُوَ حَقيقَةُ الشَّيْء فَمَا قَالوا منَ الصُّوفيِّ كَائنٌ بَائنٌ يَعْني: بظَاهره مَعَ الخَلقِ وَبِبَاطنه مُفَارِقٌ عَنْهُمْ وَكَائنٌ مَعَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَأَرَادُوا بظَاهره عَالَمَهُ الخَلقيَّ وَببَاطنه عَالَمَهُ الأَمْديَ.

وَقَالوا في حَقِّ هَذَا المَقَامِ الذي هُوَ مَقَامُ الجَمْعِ بَيْنَ التَّوَجُّهَيْن: إِنَّهُ عَال جدًّا وَاعْتَقَدُوهُ مَقَامَ التَّكْميل وَالإِرْشَاد وَظَنُّوهُ مَرْتَبَةَ الدَّعْوَة وَلهَذَا الفَقير في ذَلكَ المَوْطن مَعْرِفَةٌ خَاصَّةٌ وَهيَ أَنَّهُ يَكُونُ شَخصٌ منْ أَخصِّ الخَوَاصِّ وَيَكُونُ مَجْمُوعُ عَالِم الخَلقِ وَالأَمْرِ بالنِّسْبَة إليْه صُورَةً وظاهرًا وَتَكُونُ حَقيقَتُهُ وَبَاطنُهُ الاسْمَ الذي هُوَ مَبْدَأُ تَعَيُّنه مَعَ أَسْمَاء وَشئونَات أُخرَ هيَ كَالأَصْل لذَلكَ الاسْمِ حَتَّى تَنْتَهيَ إِلَى حَضْرَة الذَّات المجَرَّدَة عَن الشُّئُون وَالاعْتبَارَات وَهَذَا العَارفُ التَّامُّ المَعْرِفَة إِذَا تَيَسَّرَ لَهُ الوُصُول إِلى الاسْمِ الذي هُوَ قَيُّومُه بَعْدَ طَيِّه جَميعَ المَرَاتب الإِمْكَانيَّة وَصَارَ قَوْلُهُ أَنَا مُنْقَلعًا عَنِ المَرَاتب الإِمْكَانيَّة ومُطبقًا عَلى ذَلكَ الاسْمِ وَانْطَبَقَ عَلى مَرَاتبَ فَوْقَ ذَلكَ الاسْمِ التي هيَ كَالأُصُول لذَلكَ الاسْمِ أَنَا فأنا بالتَّرْتيب عَلى سَبيل العُرُوجِ وَبَلغَ بهَذَا النَّمَط مَرْتَبَةَ الأَحَديَّة المجَرَّدَة تَصيرُ تلكَ المَرَاتبُ التي انْطَبَقَ عَلَيْهَا قَوْلُهُ أَنَا كُلهَا حَقيقَتَهُ وَيَكُونُ عَالَمُهُ الأَمْريُّ كَعَالَمه الخُلقيِّ.

وصُورَةُ تلكَ الحَقيقَة وَتلكَ الصُّورَة مثْل الكُسْوَة لتلكَ الحَقيقَة وَهيَ كَالشَّخْصِ اللابسِ لتلكَ الكُسْوَة وَحَيْثُ كَانَ إطْلاقُ أنَا فِي الآخَرينَ مَقصورًا عَلى عَالَمِ الخَلقِ وَالأمْرِ لاَ جَرَمَ تَكُونُ صُورَتُهُمْ وَحَقيقَتُهُمْ عَيْنَ عَالَم الخَلقِ وَالأمْرِ وَالأسْمَاء التي هِيَ مَبَادئُ تعيناتهم لَيْسَتْ غَيْرَ أنْ تَكُونَ قَيُّومَات لَهُمْ

فَإنْ قِيل: إنَّ العَارفَ وَإنْ حَصَل كَمَال المَعْرفَة منْ جُمْلة المُمْكنات لاَ يَخْرُجُ مِن الإمكَان وَلا يَتَّصفُ بالوُجُوب، فَالاسْمُ الذي هُوَ قَيُّومُهُ وَمنْ مَرْتَبَة الوُجُوب كَيْفَ يَكُونُ حَقيقَتَهُ وَجُزءهُ؟

أُجيبُ: إنَّ هَذه الحَقيقَةَ باعْتبَار الشُّهُود لاَ باعْتبَار الوُجُود حَتَّى يُلزَمَ المحْذُورُ كَمَا قَالوا: البَقَاءُ بالله وَهَذَا الشُّهُودُ لَيْسَ مُجرَّدَ تَخيُّل بَل تَتفَرَّعُ عَليْه ثَمرَاتٌ وَنَتَائجُ.

خَليلي مَا هَذَا بهَزْل وَإنَّهُ حَديثٌ عَجيبٌ منْ بَديعِ الغَرَائب

فَتحَقَّقَ أنَّ مَا هُوَ مَجمُوعُ الصُّورَة وَالحَقيقَة للآخَرينَ صُورَةُ هَذَا العَارف التي هِيَ بالنِّسْبَة إلى الحَقيقَة كَالثَّوْب العَديم نَظيرُهُ بالنِّسْبَة إلى شَخْص لابسٍ إيَّاهُ فَمَاذَا يُدْرِكُ الآخَرُونَ منْ حَقيقَته وَمَاذَا يَفْهَمُونَ وَمَاذَا يَتَصَوَّرُونَ غَيْرَ كَوْنه مُمَاثلا لَهُمْ فِي صُوَرهمْ وَحَقَائقهمْ.

وَمَعْرفَةُ مثْل هَذَا العَارف مُسْتَلزَمَةٌ للمَعْرفَة الحَقِّ سُبْحَانَهُ إذَا رَأَوْا ذكْرَ الله سُبْحَانَهُ عَلامَتُهمُ إلهي مَا هَذَا الذي جَعَلتَ أوْلِيَاءَكَ بحَيْثُ مَنْ عَرفَهُمْ وَجَدَكَ وَمَنْ لَمْ يَجدْكَ لَمْ يَعْرفْهُمْ.

وَمَا كَتَبَهُ الفَقيرُ فِي بَعْضِ كُتُبه وَرَسَائله منْ أنَّ العَارفَ التَّامَّ المعْرفَة يَكُونُ بَعْدَ رُجُوعه للدَّعْوَة مُتَوَجِّهًا بكُليَّته إلى العَالم؛ لأَنَّ ظَاهرَهُ مَعَ الخَلقِ وَبَاطنَهُ مَعَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ.

فَالمُرَادُ منْ تلكَ الكُليَّة عَالَميَّةُ الخَلقيِّ وَالأمْريِّ كَمَا هُوَ مُتَعَارَفُ القَوْمِ يَعْني: إنَّهُ يَكُونُ مُتوجِّهًا للدَّعْوَة بعَالَم الخَلقِ وَعَالَم الأمْر كليْهمَا.

وَأمَّا تلكَ الحَقيقَةُ وَالبَاطنُ اللذَان كَتَبَهُمَا هَذَا الفَقير فيمَا سَبَقَ مُرَادًا بهمَا الاسْمُ القَيُّومُ وَمَا فَوْقَهُ فَلا مَعْنَى لتَوَجُّهه إلى الحَقِّ - جَل وَعَلا - فَإنَّهُمَا منْ عَالَمِ الوُجُوب كَمَا مَرَّ فَعَلى كُل تَقْدير تَوَجَهَ العَارفُ الكَامل إلى جَانب الخَلق بالتَّمَامِ وَالذي لَهُ وَجهٌ إلى الخَلقِ وَوَجهٌ آخَرُ إلى الحَقِّ - جَل وَعَلا - فَهُوَ فِي تَوَسُّط السَّيْرِ

وَلكنَّهُ أَعْلى منَ الشَّخْصِ الذي تَوَجُّهُهُ إلى الحَقِّ - جَل وَعَلا - بالتَّمَام فَإنَّ هَذَا الشَّخْصَ نَاقصٌ في أَدَاءِ حُقُوق العبَاد وَذَلكَ يُكْمل أَدَاءَ كُل منْ حَقِّ الخَالق وَحَقِّ المخْلوق مَهْمَا أَمْكَنَ وَيَدْعُوَا الخَلقَ إلى جَانب الحَقِّ سُبْحَانَهُ فَيَكُونُ أَكْمَل بالنِّسْبَة إليْه.

يَنْبَغي أَن يُعْلم: أَنَّ التَّوَجُّهَ إلى الحَقِّ - جَل سُلطَانُهُ - يَسْتَدْعي بُعْدًا وَالبُعْدُ في حَقِّ هَذَا العَارف صَارَ نَصيبَ الآخَرينَ الذينَ يَحْتَاجُونَ إلى التَّوَجُّه، هَل رَأَيْتَ أَحَدًا يَكُونُ مُتوجِّهًا إلى نَفْسه فَكَيْفَ إلى شَيْءٍ هُوَ أَقْرَبُ منْ نَفْسه فَإنَّهُ لاَ يُتَصَوَّرُ تَوَجُّهُه إليْه وَعَدَمُ التَّوَجُّه هَذَا منْ خَصَائص كَمَالات هَذَا العَارف، يَكَادُ القَاصرُونَ يَظُنُّونَهُ نَقْصًا وَيَزْعُمُونَ التَّوَجُّهَ كَمَالا بالنِّسْبَة إلى عَدَم التَّوَجُّه رَزَقَهمُ اللهُ سُبْحَانَهُ الإنْصَافَ حَتَّى لاَ يَحْكُمُوا بجَهْلهمُ المُرَكَّب وَلاَ يَزعمُوا الحُسْنَ عَيْبًا.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالثَّمَانُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائة
إلى الخَوَاجَهْ هَاشم
في تَأْويل قَوْله تَعَالى {فَمنْهُمْ ظَالِمٌ لنفْسه}[1] الآيَةَ
وَبَيَانُ قَوْله تَعَالى {إنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلى السَّمَوَات}[2] الآيَة
وَبَيَانُ خلافَة الإنْسَان الكَامل
وَإنَّ مُعَامَلَتَهُ تَبْلغُ مَبلغًا يُجْعَل قَيُّومًا لجَميع الأَشْيَاء

وَهُوَ ظَالِمٌ لنَفْسه وَعَبَّرَ عَنِ المُقْتَصد بالنَّديم وَالخَليل وَعَنِ السَّابِق بِالمُحبِّ وَالمَحْبُوب ، وَرَأْسُ حلقَتهمْ مُحَمَّدٌ رَسُول الله ﷺ

قَال اللهُ تَعَالى وَتَعَاظَمَ : {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكُتَّابَ الذينَ اصْطَفَيْنَا منْ عبَادنَا فَمنْهُمْ ظَالمٌ لنَفْسه}[3] الآيَةَ وَقَال تَعَالى

{إنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَة عَلى السَّمَوَات وَالأَرْض}[4] الآيَةَ.

المُرَادُ منَ الآيَتيْنِ مَا أَرَادَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى وَنَحْنُ نُؤَوِّلُهما بمَا ظَهَرَ لنَا {رَبَّنَا لاَ تُؤَاخذْنَا إنْ نَسينَا أَوْ أَخْطَأْنَا}[5]

يَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ : "أَنَّ اللهَ تَعَالى خَلقَ آدَمَ عَلى صُورَته وَهُوَ تَعَالى مُنَزَّهٌ عَنِ الصُّورَة وَمُتَعَال فَيُمْكنُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى خَلقَ آدَمَ عَلى صُورَته سُبْحَانَهُ أَنَّهُ لوْ فُرضَ لمَرْتَبَة التَّنْزيه صُورَةٌ في عَالم المثَال لكَانَتْ تلكَ الصُّورَةُ جَامعَةً وَالإنْسَانُ الجَامعُ صَارَ مَوْجُودًا عَلى تلكَ الصُّورَة وَليْسَتْ لصُوَرٍ أُخرَ قَابليَّةٌ لأَنْ تَكُونَ تمْثَالا لتلكَ المَرْتَبَة المقَدَّسَة وَمرْآةً لهَا.

وَمَنْ هَاهُنَا صَارَ الإنْسَانُ مُستحقًّا لخلافَته تَعَالى فَإنَّ الشَّيْءَ مَا لمْ يُخلَقْ عَلى صُورَة شَيْءٍ لاَ يَكُونُ مُستحقًّا لخلافَة ذَلكَ الشَّيْء فَإنَّ خلافَةَ الشَّيْء خَلفَ ذَلكَ الشَّيْءِ وَنَائبٌ وَمَنَابُهُ

---

(١) فاطر: ٣٢

(٢) الأحزاب: ٧٢

(٣) فاطر: ٣٢

(٤) الأحزاب: ٧٢

(٥) البقرة: ٢٨٦

وَلَمَّا صَارَ الإِنْسَانُ خَلِيفَةَ الرَّحْمَنِ تَعَيَّنَ بِالضَّرُورَةِ لِتَحَمُّلِ ثِقَلِ الأَمَانَةِ لا يَحْمِل عَطَايَا الملك إلا مَطَايَاهُ مِنْ أَيْنَ يَنَال السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُونَ وَالجِبَال الجَامعيَّة حَتَّى تُخْلَقُوا عَلَى صُورَتِه تَعَالَى وَتَكُونُوا مُسْتَحِقِّينَ لخلافته وَلِتَتَحَمَّلُوا ثِقَل أَمَانَتِه سُبْحَانَهُ وَقَدْ يُحِسُّ أَنَّهُ لَوْ أُحيلتْ ثِقْلَةُ هَذِهِ الأَمَانَةِ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِينَ لصرْنَ قِطعًا قِطعًا وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُنَّ أَثَرٌ أَصْلا.

وَتِلْكَ الأَمَانَةُ يَزْعُمُ هَذَا الحَقِيرُ قَيُّومِيَّةَ جَمِيعِ الأَشْيَاءِ عَلَى سَبِيلِ النِّيَابَةِ التي هِيَ مَخْصُوصَةٌ بِكَمَالِ أَفْرَادِ الإِنْسَانِ يَعْنِي: أَنَّ مُعَامَلَةَ الإِنْسَانِ الكَامِلِ تَبْلُغُ مَبلغًا يَجْعَل قَيُّومًا لجميعِ الأَشْيَاءِ بِحُكْمِ الخلافة.

وَتَحْصُل إِفَاضَةُ الوُجُودِ وَبَقَاءُ سَائِرِ الكَمَالاتِ الظَّاهِرِيَّةِ وَالبَاطِنِيَّةِ للكُل بِتَوَسُّطِه، فَعَنَّ كَانَ مَلَكٌ فِيهِ مُتَوَسِّلٌ وَإِنْ كَانَ إِنْسٌ أَوْ جِنٌّ فِيهِ مُتَشَبِّثٌ وَفِي الحَقِيقَةِ تُوَجُّهُ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ إِلَى جَانِبِه.

وَالكُل مَائِل إِلَيْهِ عَرَفُوا هَذَا المَعْنَى أَوَّلا إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا كَثِيرَ الظُّلم عَلَى نَفْسِه بِحَيْثُ لاَ يَبْقَى مِنْ وُجُوه وَلا مِنْ تَوَابِعِ وَجُوه أَثَرٌ وَلا حُكْمٌ وَمَا لَمْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ بِمِثْل هَذَا لاَ يَكُونُ مُستحقًّا لِتَحَمُّل ثِقَل الأَمَانَةِ جَهُولا كَثِيرَ الجَهْل بِحَيْثُ لاَ يَكُونَ لَهُ عِلمٌ وَلا إِدْرَاكٌ بِالمَطْلُوب بَل عَجَزَ عَنِ الإِدْرَاك وَجَهل عَنِ العلم بِالمَقْصُود وَهَذَا العَجْزُ وَالجَهْل فِي ذَلِكَ المَوْطِن كَمَال المعْرِفَة؛ لأَنَّ أَجْهَلَهُمْ أَعْرَفُهُمْ ثَمَّةَ وَلا شَكَّ أَنَّ أَعْرَفَهُمْ أَلْيَقُ بِحَمْل الأَمَانَة.

وَهَذَانِ الوَصْفَانِ كَأَنَّهُمَا عِلتَانِ لِحَمَل ثِقَل الأَمَانَةِ وَهَذَا العَارِفُ الذي تَشَرَّفَ بِمَنْصِبِ قَيُّومِيَّةِ الأَشْيَاءِ حُكْمُه حُكْمُ الوَزِيرِ حَيْثُ فُوِّضَتْ كِفَايَةُ مُهِمَّاتِ المَخْلُوقَاتِ إِلَيْه وَالإنعَامَاتُ وَإِنْ كَانَتْ فِي الحَقِيقَةِ مِنَ السُّلْطَانِ وَلَكِنَّ وُصُولَهَا إِلَى أَرْبَابِهَا مَرْبُوطٌ بِتَوَسُّط الوَزِير.

وَرَئِيسُ أَهْل هَذِه الدَّوْلَة أَبُو البَشَرِ آدَم - عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ - وَهَذَا المَنْصِبُ مَخْصُوصٌ بِالأَنْبِيَاءِ أُولِي العَزْم عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالتَّحِيَّاتُ أَصَالَةً وَيَشْرُفُ بِهِ بِتَبَعِيَّةِ هَؤُلاءِ الأَكَابِر وَوَرَاثَتِهِمْ كُل مَنْ أُرِيدَ لَهُ ذَلِكَ، (ع):

لاَ عُسْرَ فِي أَمْرٍ مَعَ الكِرَامِ

وَالطَّائِفَةُ الأُولى مِنْ وَارِثِي الكِتَابِ الذينَ هُمُ المُصْطَفَوْنَ مِنْ عِبَادِهِ تَعَالى هُمْ هَؤُلاءِ الظَّالِمُونَ لأَنْفُسِهِمُ الذينَ تَشَرَّفُوا بِمَنْصِب الوِزَارَةِ وَالقَيُّومِيَّة.

وَالطَّائِفَةُ الثَّانِيَةُ مِنْ هَؤُلاءِ المصْطَفَيْنَ الذِينَ عَبَّرَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ بِالمُقْتَصِد مَنْ

تَشَرَّفُوا بِدَوْلَة الخَلة وَصَارُوا أَصْحَابَ سِرٍّ وَمَشُورَةٍ وَمُعَامَلَةُ الملكِ وَالسَّلْطَنَة وَإِنْ كَانَتْ مَرْبُوطَةً بالوَزِيرِ وَلكنَّ الخَلِيل نَدِيمٌ وَصَاحِبُ أُنْسٍ وأُلفَةٍ هَذَا لأَجْل فَرَحِ نَفْسهِ وَذَاكَ لأَجْل مُهِمَّاتِ الآخَرِينَ.

شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا وَرَأْسُ أَرْبَاب هَذَا المَقَامِ العَالي إِبْرَاهِيمُ خَلِيل الرَّحْمَنِ - عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ - وَيَشْرُفُ به كُل مَنْ أُرِيدَ لهُ ذَلكَ وَفَوْقَ مَقَامِ الخَلة مَقَامُ المَحَبَّة الذي تَشْرُفُ به الطَّائفَةُ الثَّالثَةُ الذينَ هُمُ السَّابقُونَ بالخيرات بإذن الله، وفرق بين الأصحاب والنديم والمحب والمحبوب، والأسرار والمعاملات التي تَمُرُّ وَتَمْضِي عَلى المُحبِّ وَالمَحْبُوب لاَ مَدْخَل فيهَا للأَحْبَاب.

وَالنَّدِيمُ وَإِنْ كَانَ يُمْكنُ إِيرَادُ أَسْرَار حَقيقَة المَحَبَّة في البَيْنِ في وَقْت كَمَال الأُنْسِ وَالأُلفَةِ مَعَ الخَلِيل الجَليل القَدْرِ، وَيُمْكنُ أَنْ يَجْعَلهُ مَحْرَمًا لأَسْرَارِ المُحبِّ وَالمَحْبُوب.

وَرَئيسُ حلقَة المحِبِّينَ كَلِيمُ الله - عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاةُ التَّسْلِيمَاتُ - ورئيس زمرة المحبين خاتم الرسل عليه وعليهم الصلوات والتحيات.

وَيَشْرُفُ بِهَذَيْنِ المَقَامَيْنِ بِتَبَعِيَّة أَصْحَابِ هَاتَيْنِ الدَّوْلَتَيْنِ وَوِرَاثَتِهِمْ كُل مَنْ أُرِيدَ لهُ ذَلكَ.

وَالمَقَامَاتُ التِي فَوْقَ مَقَامِ المَحَبَّة قَدْ ذُكِرَتْ فِي مَكْتُوبٍ مِنْ مَكْتُوبَاتِ الجلد الثَّاني للفقير.

وَالصَّدَارَةُ فيهَا أَيْضًا لمُحَمَّد رَسُول الله ﷺ وَكُلهَا دَاخِلةٌ فِي مَقَامِ السَّابقِينَ الذي هُوَ نَصيبُ الفرقَة الثَّالثَة منْ وَارِثي الكتَاب.

{رَبَّنَا آتنَا مِنْ لدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا}(١) {والسلام على من اتبع الهدى}(٢).

(١) الكهف: ١٠
(٢) طــه: ٤٧

المَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالثَّمَانُونَ بَعْدَ الثَّلاَثمائة
إلى المِرْزَا مُظَهْفَر
في بَيَان أَنَّ المحَنَ وَالبَلِيَّات كَفَّارَاتٌ لزَلات الأَحْبَاب وَأَنَّهُ يَنْبَغِي طَلَبُ العَفْوِ وَالعَافِيَة بِالتَّضَرُّعِ وَالابْتِهَال إلى اللهِ المتَعَال

سَلمَكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ عَمَّا لاَ يَليقُ بجَنَابكُمْ إنَّ الأَلمَ وَالمحَنَ وَالبَلِيَّات في الأَحْبَاب كَفَارَّاتٌ لزَلاتهِمْ يَنبَغي طَلبُ العَفْو وَالعَافيَة منْ جَنَاب قُدْسه تَعَالَى بالتَّضَرُّع وَالابْتهَال وَالالتجَاء وَالانْكسَار إلى أَن يُفْهَمَ أَثَرُ الإجَابَة وَيُعْلَمَ تَسْكينُ الفتَن وَإنْ كَانَ الأَحْبَابُ وَالنَّاصحُونَ في هَذَا الأَمْر، وَلكنْ صَاحبُ المُعَامَلة أَحَقُّ به فَإنَّ شُرْبَ الدَّوَاء وَالاحْتمَاءَ شَغْل صَاحب المرَض.

وَالآخَرُونَ منَ الإخْوَان لَيْسُوا غَيْرَ أَنْ يَكُونُوا من الأَعْوَان في إزَالة المرَض.

وَحَقيقَةُ المُعَامَلة هيَ أَنَّ كُل مَا يُصيبُ منَ المَحْبُوب الحَقيقيِّ يَنْبَغي أَنْ يَقْبَلهُ ببَشَاشَة الوَجْه وَانْشرَاح الصَّدْر بَل يَنْبَغي أَنْ يَتلذَّذَ به وَحُصُول العَار الذي هُوَ مُرَادُ المَحْبُوب أَفْضَل عنْدَ المُحبِّ منْ زَوَاله الذي هُوَ مُرَادُ نَفْسه فَإنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا المَعْنَى حَاصلا في المُحبِّ فَهُوَ نَاقصٌ في المَحَبَّة بَل كَاذبٌ فيهَا

وَأَتْرُكُ مَا أَهْوَى لَما قَدْ هَوَيْته وَأَرْضَى بمَا يَرْضَى وَإنْ هَلكَتْ نَفْسي

وَلَمَّا رَجَعَ جَنَابُ مَرْجعِ الشَّريعَة منَ الخدْمَة بَيْنَ أَحْوَال السَّفَر وَضيق أَحْوَال المُسَافرينَ فَقَرَأْنَا الفَاتحَةَ لسَلامَتهمْ وَعَافيَتهمْ

{رَبَّنَا لاَ تُؤَاخذْنَا إنْ نَسينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمل عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلتَهُ عَلى الذينَ منْ قَبْلنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلنَا مَا لاَ طَاقَةَ لنَا به وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفرْ لنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلاَنَا فَانْصُرْنَا عَلى القَوْم الكَافرينَ}(١)

{سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العزَّة عَمَّا يَصفُونَ وَسَلامٌ عَلى المُرْسَلينَ وَالحَمْدُ لله رَبِّ العَالمينَ}(٢).

---

(١) البقرة:٢٨٦

(٢) الصافات: ١٨٠، ١٨٢،١٨١

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالثَّمَانُونَ بَعْدَ الثَّلاثَمِائَة
إلى مَوْلانَا فَرْخ حُسَيْن
فِي بَيَانِ حَقِيقَةِ العَرْشِ الذِي هُوَ بَرْزَخٌ بَيْنَ عَالَمِ الخَلْقِ وَعَالَمِ الأَمْرِ وَلَهُ وَصْفٌ مِنْ كِلَيْهِمَا
وَلَيْسَ مِنْ جِنْسِ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَبَيَانِ الكُرْسِيِّ وَسَعَتِه

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عِبَادِه الذِينَ اصْطَفَى:

اعْلَمْ أَنَّ العَرْشَ المجِيدَ مِنْ عَجَائِبِ مَصْنُوعَاتِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَبَرْزَخٌ بَيْنَ عَالَمِ الأَمْرِ فِي العَالَمِ الكَبِيرِ وَفِيه وَصْفٌ مِنْ هَذَا وَوَصْفٌ مِنْ ذَاكَ.

وَعَالَمُ الخَلْقِ الذِي خَلَقَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَالأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ وَالجِبَالَ التِي وَقَعَ ذِكْرُهَا فِي قَوْلِه تَعَالَى {خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ) الآيَةَ.

إِيجَادُ العَرْشِ مُقَدَّمٌ عَلى خَلْقِ هَذِه كَمَا قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالى {هُوَ الذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ}[1] بَل يُفْهَمُ تَقَدُّمُ خَلقه مِنْ هَذِه الآيَةِ أَيْضًا.

فَالعَرْشُ المجِيدُ كَمَا أَنَّهُ لَيسَ مَنْ جِنسِ الأَرْضِ لَيْسَ مَنْ جِنسِ السَّمَوَاتِ أَيْضًا فَإِنَّ لهُ حَظًّا وافرًا مِنْ عَالَمِ الأَمْرِ.

أَيْضًا لَيسَ شَيْءٌ مِنْهَا لِهَؤُلاءِ

غَايَةُ مَا فِي البَابِ أَنَّ مُنَاسَبَتَهُ لِلسَّمَوَاتِ زيد فيها للأرض، فلا جرم عد من السموات والأرض فكما أنه ليس من الأرض ليس من السموات فِي الحَقِيقَة فَلا جَرَمَ تَكُونُ آثَارُ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَأَحْكَامهمَا مُغَايِرَةً لآثَارِ العَرْشِ وَأَحْكَامهَا بَقِيَتْ مُعَامَلَةُ الكُرْسِيِّ وَالذِي يُفْهَمُ مِنْ قَوْلِه تَعَالى: {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ}[2] أَنَّ الكُرْسِيَّ أَيْضًا مُغَايِرٌ لِلسَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَوْسَعُ مِنْهُمَا وَلا شَكَّ أَنَّ الكُرْسِيَّ لَيسَ مِنْ عَالَمِ الأَمْرِ فَإِنَّهُ قيل إِنَّهُ تَحْتَ العَرْشِ.

وَمُعَامَلَةُ عَالَمِ الأَمْرِ فَوْقَ العَرْشِ فَإِذَا كَانَ مِنْ عَالَمِ الخَلقِ يَكُونُ خَلقُهُ مُغَايِرًا لِخَلقِ السَّمَوَاتِ وِيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ خَلقُه فِي مَا وَرَاءَ الأَيَّامِ السِّتَّة وَلا يَلزَمُ مِنْ هَذَا

(١) هود: ٧

(٢) البقرة: ٢٥٥

المَعْنَى مَحْذُورٌ أَصْلا فَإِنَّهُ تَعَالى لَمْ يَخْلقْ تَمَامَ عَالمِ الخَلقِ فِي هَذه الأَيَّامِ السِّتَّة فَإِنَّ خَلقَ الماء كَانَ فِيمَا وَرَاءَ هَذه الأَيَّامِ السِّتَّة وَمُقَدَّمًا عَلَيْهَا كَمَا مَرَّ.

وَلَمَّا لَمْ تَكُنْ مُعَامَلَةُ الكُرْسِيِّ مَكْشُوفَةً لنَا كَمَا يَنْبَغِي أَخَّرْنَا تحقيقَهُ إلى وَقْتٍ آخَرَ راجيًا مِنْ كَرَمِ الحَقِّ جَل وَعَلا {رَبِّ زِدْني علمًا}(١).

وَمِنْ هَذَا التَّحْقِيقِ ارْتَفَعَ اعْتِرَاضَان قَوِيَّان أَحَدُهمَا إِنَّهُ إِذَا لَمْ تَكُنْ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ مِنْ أَيْنَ كَانَ تَعْيِينُ الأَيَّامِ السِّتَّة وَتَشْخِيصُهَا وَكَيْفَ افْتَرَقَ يَوْمُ الأَحَد مِنْ يَوْمِ الاثْنَيْنِ وَكَيْفَ امْتَازَ يَوْمُ الثّلاثاء مِنْ يَوْمِ الأَرْبعَاء، وَبأَيِّ وَجْهٍ صَارَ يَوْمُ الخَمِيسِ مُتَمَيِّزًا مِنْ يَوْمِ الجُمْعَة.

وَلَمَّا عُلِمَ سبْقَةُ خَلقِ العَرْشِ عَلى خَلقِ الأَرْضِ وَالسَّمَوَات صَارَ حُصُولُ الزَّمَانِ مُتَصَوَّرًا وَاتَّضَحَ ثُبُوتُ الأَيَّامِ وَانْدَفَعَ الاعْتِرَاضُ وَمِنْ أَيْنَ يَلزَمُ كَوْنُ امْتِيَازِ الأَيَّامِ خصوصا بطلوع الشمس وغروبها؛ ألا ترى أن الجنةَ ليس فيها طلوعٌ ولا غروبٌ، وامتيازُ الأيام ثَابتًا كَمَا وَرَدَ فِي الأَخْبَارِ وَالاعْتِرَاضِ الثَّاني الَّذي انْدَفَعَ مَخْصُوصٌ بعُلومِ الفَقيرِ وَهُوَ أَنَّهُ قَدْ وَرَدَ فِي الحَديث القُدْسيِّ لاَ يَسَعُني أَرْضِي وَلا سَمَائي وَلكنْ يَسَعُني قَلبُ عَبْدي المُؤْمنُ فَإِنَّهُ يُفْهَمُ مِنْ هَذَا الحَديث أَنَّ الظُّهُورَ الأَتَمَّ مَخْصُوصٌ بقَلب المُؤْمن وَإِنَّ هَذه الدَّوْلَةَ غَيْرُ مُيَسَّرَة لغَيْره.

وَأَنْتَ قَدْ كَتَبْتَ فِي مَكْتُوبَاتك خلافَهُ حَيْثُ قُلتَ: إنَّ الظُّهُورَ الأَتَمَّ للعَرْشِ المجيد وَالظُّهُورَ القَلبيَّ لَمْعَةٌ مِنَ الظُّهُورِ العَرْشِيِّ وَعُلمَ مِنَ التَّحْقِيقِ السَّابقِ مِنْ أَنَّ آثَارَ العَرْشِ المجيد وَأَحْكَامَهُ مُغَايِرَةٌ لأَحْكَامِ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ لاَ وَسَعَةَ فِي الأَرْضِ وَالسَّمَوَات وَفِي العَرْشِ وَسَعَةٌ.

نَعَمْ إنَّ الأَرْضَ وَالسَّمَوَات مَعَ مَا فِيهِنَّ لَيْسَتْ لَهُنَّ قَابليَّةُ الوَسَعَة غَيْرَ قَلب المُؤْمنِ فَإِنَّهُ مُسْتَعدٌّ لهَذه الدَّوْلة فَكَانَ حَصْرُ الوَسَعَة عَلى القَلبِ باعْتبَارِ الأَرْضِ وَالسَّمَوَات لاَ بالنِّسْبَة إِلى جَمِيعِ المصْنُوعَات التي تَكُونُ شَاملةً للعَرْشِ المجيد أَيْضًا حَتَّى يُتَصَوَّرَ خلافُ مَفْهُوم الحَديث القُدْسيِّ فَانْدَفَعَ الاعْتِرَاضُ الثَّاني أَيْضًا

يَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ العَرْشَ المجيدَ الذي هُوَ مَحَل الظُّهُور التَّامِّ إذَا رَمَيْنَا الأَرْضَ وَالسَّمَوَات مَعَ مَا فِيهِمَا فِي مُقَابَلته تَكُونُ مُتَلاشيَةً وَمُضْمَحلةً بلا تَوَقُّفٍ وَلا تَبْقَى أَثَرٌ منْهَا أَصْلا إلا القَلبَ الإنْسَانيَّ الذي هُوَ مُنْصَبغٌ بلوْنه فَإِنَّهُ يَبْقَى وَلاَ يَكُونُ مُتلاشيًا مَحْضًا وَكَذَلكَ الظُّهُورُ فِي جَانبِ الفَوْقِ الذي يَتَعَلقُ بمَا وَرَاءَ

---

(١) طـه:١١٤

العَرْشِ الذي هُوَ مِنْ عَالَمِ الأَمْرِ الصِّرْف ، حُكْمُ العَرْشِ بالنِّسْبَة إلى تلك المَرْتَبَة حُكْمُ الأَرْضِ وَالسَّمَوَات بالنِّسْبَة إلى العَرْشِ وَهَكَذَا حُكْمُ كُل فَوْق بالنِّسْبَة إلى مَا تَحْتَهُ هُوَ هَذَا الحُكْمُ بعَيْنه إلى أَن يَنْتَهِيَ عَالَمُ الأَمْرِ وَبَعْدَ تَمَام هَذه الدَّائِرَة تَنْجَرُّ المُعَامَلَةُ إلى الجَهْل وَالحَيْرَة فَإِنْ كَانَتْ مَعْرِفَةً فهِيَ أَيْضًا مَجْهُولةُ الكَيْفيَّة لَيْسَتْ ممَّا يَحْصُل في حَوْصَلة العَقْل الحَادث وَلْنُبَيِّنْ شمَّةً منَ الكَمَالات الإنْسَانيَّة وَالقَلْب الإنْسَانيِّ أَيْضًا.

وَقَدْ أَطْنبتَ في عَيْبه فَبيِّنْ حُسْنَهُ أَيْضًا

العَرْشُ المجيدُ وَإِنْ كَانَ أَوْسَعُ مَظْهَر أَتَمَّ وَلكنْ لَيْسَ فيه علمٌ بحُصُول هَذه الدَّوْلة وَلا شُعُورَ لَهُ بهَذَا الكَمَال بخلاف القَلْب الإنْسَانيِّ فَإِنَّهُ صَاحبُ شُعُور وَبالعلمِ وَالمَعْرفَة مَعْمُورٌ وَالمَزيَّة الأُخْرَى للقَلْب هيَ مَا نُبَيِّنُهُ يَنْبَغي أَنْ يَسْتَمعَ كَمَالَ الاسْتمَاع أَنَّ مَجْموعَ الإنْسَان الذي يُسَمُّونَهُ عَالَمًا صَغيرًا وَإِنْ كَانَ مُرَكَّبًا منْ عَالَم الخَلق وَالأَمْر وَلكنَّ لهُ هَيْئَةً وَحْدَانيَّةً حَقيقيَّةً.

وَالأَثَارُ وَالأَحْكَامُ مُتَرَتِّبَةٌ لتلكَ الهَيْئَة وَالعَالَمُ الكَبيرُ لَيْسَتْ لهُ تلكَ الهَيْئَة فَإِنْ كَانَتْ فهِيَ اعْتبَاريَّةٌ فَالفُيُوضُ التي تَردُ منْ جهَة هَذه الهَيْئَة الوَحْدَانيَّة عَل الإنْسَان وَبتَوَسُّطه عَلى قَلْب الإنْسَان لاَ يَحْصُل منْهَا للعَالَم الكَبير وَالعَرْش المجيد الذي هُوَ بمَثَابَة القَلْب للعَالَم الكَبير سوَى النَّزْر اليَسير فَإِنَّهُمَا قَليلا النَّصيبُ منْ تلكَ الفُيُوض وَالبَرَكَات.

وَأَيْضًا أَنَّ الجُزْءَ الأَرْضيَّ الذي هُوَ في الحَقيقَة خُلاصَةُ المَوْجُودَات وَمَعَ وُجُود بُعْده أَقْرَبُ الظُّهُورَات قَدْ سَرَتْ كمَالاتُه في مَجْمُوعَة عَالَم الصَّغير.

وَلَمَّا لَمْ تَكُنْ تلكَ المَجْمُوعَةُ في العَالَمِ الكَبيرِ في الحَقيقَة فَقَدَتْ فيه هَذه السِّرَايَة فَلقَلْب الإنْسَان هَذه الكَمَالاتُ أَيْضًا بخلاف العَرْش المجيد.

يَنْبَغي أَن يُعْلَمَ أَنَّ هَذه الفَضَائل وَالكَمَالات التي أَثْبَتْنَاهَا في القَلْب إِذَا لاحَظْنَا مُلاحَظَةً جَيِّدَةً نَجدُهَا دَاخلةً في فَضْل جُزْئيٍّ وَالفَضْل الكُليُّ إِنَّمَا هُوَ للظُّهُور العَرْشيِّ وَتَجدُ مثْل العَرْشِ وَالقَلْب كَمَثَل نَار وَسيعَة نَوَّرَتْ جَميعَ البراريِّ وَالصَّحَارَى وَأَوْقَدَتْ منْ تلكَ النَّار مُشْعلةً حَصَلَتْ لَهُ بوَاسطَة لحُوق بَعْضِ الأُمُور نُورَانيَّةٌ أُخْرَى لَيْسَتْ هيَ في تلكَ النَّار وَلا شَكَّ أَنَّ تلكَ الزِّيَادَةَ لاَ يَثْبُتُ لهَا غَيْرُ الفَضْل الجُزْئيِّ وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بحَقَائق الأَمْر وكُلهَا.

{رَبَّنَا أَتْمِمْ لنا نُورَنَا وَاغْفِرْ لنَا إِنَّكَ عَلى كُل شَيْءٍ قَديرٌ}[1] وَصَلى اللهُ تَعَالى عَلى سَيِّدنَا مُحَمَّد وَآله وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ وَبَارِكْ عَلى جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَالمَلائِكَةِ المقَرَّبِينَ أَجْمَعِينَ.

---

(١) التحريم: ٨

المَكْتُوبُ التِّسْعُونَ بَعْدَ الثَّلاثِمائَة
إلى مَوْلانَا الحَسَنِ البَرْكِيِّ
فِي جَوَابِ عَرِيضَتِه التي اعْتَرَضَ فيهَا عَلَى كَلِمَاتِ الصُّوفيَّةِ باعْتِرَاضَاتٍ كَثِيرَةٍ وَسَائِرِ اسْتِفْسَارَاتِه الأُخَرِ التِي كَتَبَهَا

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عِبَادِه الذينَ اصْطَفَى قَدْ وَصَلت الصَّحِيفَةُ الشَّرِيفَةُ مِنْ أَخِينَا الشَّيْخِ حَسَنٍ أَحْسَنَ اللهُ حَالَهُ وَلَمَّا كَانَتْ فِيهَا رَائِحَةٌ مِنَ التشَرُّعِ وَالاسْتِقَامَةِ أَوْرَثَت الفرَحَ وَالمَسَرَّةَ وَكَتَبْتُمْ أَنَّ السُّلوكَ الذي هُوَ مَشْهُورٌ وَمُعْتَقَدٌ للسَّالكِينَ بحَسَبِ فَهْمِنَا هُوَ أَنَّهُ يَنْبَغِي للمُبْتَدِئ أَنْ يَشْتَغِلَ بالذِّكْرِ إلى أَنْ جَرَى القَلبُ بالذِّكْرِ ثُمَّ إلى أَنْ يَتوَقَّفَ عَنِ الذِّكْرِ وَيَكُونُ مَحلا للإلهامات وَالتَّجليَات وَأَنْ يصل السَّالكُ إلى مَقَامِ الفَنَاءِ الذي هُوَ أَوَّل قَدَمٍ فِي الولايَة وَقَالوا: إنَّ الفَنَاءَ هُوَ أَنْ يَزُول عَنْ نَظَرِ السَّالك وَعلمه مَا هُوَ مُسُمًّى بالغَيْرِ وَلا يَبْقَى فِي نَظَرِه وَعلمه غَيْرُ الوَاجِب تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَقِيلَ لِهَذه الحَالة شُهُودًا وَمُشَاهَدَةً وَغَيْرَهما.

وَالمَقْصُودُ أَنَّهُ يَرَى الحَقَّ تَعَالى بزَعْمه وَلا يَرَى المسُمَّى بالغَيْرِ وَيُسَمُّونَ رَأْيَ الاثْنَيْنِ مُشْرِكُ الطَّرِيقَة، وَكَتَبْتُمْ أَنَّ هَذه المَعَارِفَ وَأَمْثَالهَا تُزَعْزِعُ الفَقِيرَ عَنْ مَحَله فَإِنَّهُ لوْ كَانَ مَقْصُودُهُمْ أَنَّهُ يَرَى الحَقَّ - جَل وَعَلا - فِي الدُّنْيَا بالبَصَرِ أَوْ بالبَصِيرَةِ فَإنْ كَانَ لَهُمْ شُعُورٌ بهَذَا الشُّهُود وَالرُّؤْيَة فَهُمْ أَيْضًا مُشركو الطَّرِيقَة وَإنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُعُورٌ بهَذَا المَعْنَى فَمنْ أَيِّ شَيْءٍ يُخبرُونَ وَمَنْ يُخبِرُ.

كَتَبْتُمْ أَنَّ كُل مَا يَرَوْنَهُ بكُل وَجْه منَ الوُجُوه سَوَاءٌ كَانَ تَجليًا صوريًا أَوْ معنويًا أَوْ نوريًّا أَوْ غَيْرَ ذَلكَ ويَعتقدونَ ذَلكَ الفَقيرَ الذي لاَ حَاصِل لهُ بَعيدًا عَنِ المُعَامَلة وَخلافَ نَصٍّ: {لَيسَ كَمثْله شَيْءٌ}[1].

وَآيَةُ. {لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ}[2] شَاهدَةٌ لِهَذَا المَعْنَى فَهَذَا القَوْمُ مَاذَا يَرَوْنَ وَمَاذَا يُدْرِكُونَ حَيْثُ يَقُولونَ: لاَ نَرَى غَيْرَ الحَقِّ - جَل وَعَلا - وَلا نَدْري وَعَبَّرُوا عَنْهَا بالشُّهُود وَالمُشَاهَدَة وَهَذه الأَفْكَارُ فِي تَدْبيرِ أَنْفُسهِمْ وَتَدْبيرِ الأَهْل وَالعيَال هَل هِيَ مَوْسُومَةٌ بِالغَيْرِ أَوْ لاَ؟

---

(١) الشورى:١١

(٢) الأنعام:١٠٣

اعْلَمْ وَتَنَبَّهَ أَنَّ كُل ذَلكَ النَّفْيِ وَالاعْتِرَاضَات الطَّوِيلة الغَيْر الملائمَة عَلى مشائخ الطَّرِيقَةِ قَدَّسَ اللهُ تَعَالى أَسْرَارَهُمُ العَلِيَّةَ مَنْشَؤُهَا عَدَمُ الاطِّلاعِ عَلى مُرَادِ هَؤُلاءِ الأَكَابِرِ.

وَالتَّوْحِيدُ الشُّهُودِيُّ الذي هُوَ رُؤْيَةُ الوَاحِد وَمَرْبُوطٌ بنسْيَان السِّوَى منْ ضَرُورِيَّات طَرِيقَة هَؤُلاءِ الكُبَرَاء وَمَا لَمْ يَحْصُل ذَلكَ لاَ يَتَيَسَّرُ الخَلاصُ عَنِ التَّعَلقِ بالأغْيَارِ وَأَنْتُمْ تَسْخَرُونَ بهَذه الدَّوْلة وَبأَرْبَاب هَذه الدَّوْلة.

وَالشُّهُودُ وَالرُّؤْيَةُ اللذَان وَقَعَا فِي عبَارَةِ أَكَابرَ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ كنَايَتَان عَنْ حُضُوره تَعَالى وَتَقدّسَ الكَيْفِيِّ المُنَاسب لمَرْتَبَة التَّنْزِيه الخَارِجِ عَنْ حَيْطَة الإِدْرَاك الذي هُوَ منْ عَالمِ الكَيْف وَخَصَّصُوا دَوْلَةَ هَذَا الحُضُورِ فِي الدُّنْيَا بالبَاطنِ وَلا بُدَّ للظَّاهرِ منْ رُؤْيَة الاثْنَيْنِ فِي جَميعِ الأَوْقَات وَلهَذَا قَالوا كَمَا أَنَّ فِي العَالمِ الكَبِير مُشْرِكًا وَمُوَحِّدًا فِي العَالمِ الصَّغِيرِ أَيْضًا المُشْرِكُ مُجْتَمعٌ بالمُوَحِّد بَاطنُ الكَامل مُوَحِّدٌ فِي جَميعِ الوَقْت وَظَاهرُهُ مُشْرِكٌ فَيَكُونُ بَاطنُهُ باللهِ - جَل وَعَلا - وَظَاهرُهُ فِي تَدْبيرِ الأَهْل وَالعيَال وَلا يَلزَمُ مَحْذُورٌ أَصْلا.

وَالاعْتِرَاضُ منْ عَدَمِ الفَهْمِ وَإِيَّاكُمْ وَأَمْثَال هَذه الكَلمَاتِ وَاحْذَرُوا منْ غَيْرَة الحَقِّ جَل سُلطَانُهُ.

وَالظَّاهرُ أَنَّ مُدَّعي هَذَا الوَقْت هُمُ الذينَ يُورِدُونَكُمْ عَلى ذَلكَ لاَ بُدَّ منْ مُلاحَظَة جَانب الأَكَابرِ فَإِنَّهَا ضَرُورِيَّةٌ فَإِنْ تَتَكَلمُوا فِي مُحْدَثَات المُدَّعِينَ وَمُخْتَرَعَاتهمْ فَلهُ مَسَاغٌ وَأَمَّا مَا هُوَ مُقَرَّرٌ عنْدَ القَوْم وَلا بُدَّ منْهُ فَالتَّكَلمُ فيه غَيْرُ مُنَاسب وَلقَدْ رَأَيْتُمْ فِي رَسَائل الفَقيرِ ومَكْتُوبَاته كَمْ كُتبَ منَ التَّوْحيد الشُّهُودِيِّ وَقَرَّرَهُ منْ ضَرُورِيَّات الطَّرِيقِ وَكَانَ اللازمُ عَليْكُمْ أَنْ تَسْتَفْسرُوا عَنْ هَذَا المَعْنَى وأَنْ تَسألوا بحُسْنِ الآدَاب، وَهَذَا زَهْرٌ تَفَتَّقَ منْ مُفَارَقَة المَرْحُومِ مَوْلانَا أَحْمَدَ عَليْه الرَّحْمَةُ وَلمْ يَظْهَرْ منْكُمْ مثْل هَذَا الكَلامِ فِي حَيَاة مَوْلانَا أَصْلا.

وَقَدْ وَقَعَتْ كتَابَتُكُمْ هَذه مَوْقعَ الحَسَن حَيْثُ وَجَدْتُمُ التَّنْبيهَ وَكُل مَا يَقَعُ بَعْدَ ذَلكَ يَنْبَغي أَنْ تَكْتُبُوهُ منْ غَيْرِ مُلاحَظَة صحَّته وَسَقَمه فَإِنَّهُ لوْ كَانَ صَحيحًا يَكُونُ بَاعثًا للمَسَرَّة وَإِنْ كَانَ سَقيمًا يَكُونُ سَبَبًا للانْتبَاه وَعَلى كُل حَال يَنْبَغي أَنْ لاَ تَتَقَاعَدَ عَنِ الكتَابَة وَالكتَابَةُ إِنَّمَا يَجيءُ بَعْدَ سَنَة منَ القَافلة وَالنَّصَائح الضَّرُورِيَّة ضَرُورِيَّةٌ فِي كُل سَنَةٍ مَرَّةً وَاحدَةً وَمَا لمْ تَكْتُبُوا منْ ذَاكَ الطَّرَفِ وَلمْ تَسْأَلوا عَنْ

أَشْيَاءَ لاَ يَنْفَتِحُ طَرِيقُ القِيلِ وَالقَالِ وَسَأَلْتُمْ أَنَّ القَلبَ هَل هُوَ مِنْ جُمْلَةِ الظَّاهِرِ أَوْ هُوَ مِنْ جُمْلَةِ البَاطِنِ.

وَقَدْ بَيَّنْتُ ظَاهِرَ العَارِفِ وَبَاطِنَهُ فِي مَكْتُوبٍ بِالتَّفْصِيلِ.

وأَمَرَ المُلا عَبْدُ الحَيِّ بِإِرْسَالِ نَقْلِه إِلَيْكُمْ فَتَرَاجَعُوا فيه وَسَأَلْتُمْ أَيْضًا أَنَّ الطَّرِيقَ الآخَرَ الذي يَكُونُ مِنْ غَيْرِ تَجليَاتٍ وكَشفيَّاتٍ مَا طَرِيقُ مَعْرِفَةِ المتَوَسِّطِ والمُنْتَهِي فيه.

اعْلَمْ أَنَّ هَذَا السَّالكَ الذي لاَ علمَ لهُ بِأَحْوَالِه إِذَا كَانَ فِي خِدْمَةِ شَيْخٍ كَامِلٍ وَمُكَمِّلٍ عَالِمٍ بالطَّرِيقِ وَبَصِيرٍ بِه فَعَلِمَ ذَلِكَ الشَّيْخُ بِحَالَةٍ كَافٍ لَهُ يَعرِفُ التَّوَسُّطَ وَالانْتِهَاءَ بِإِعْلامِه وَأَيْضًا إِذَا أَجَازَهُ الشَّيْخُ بِإِرْشَادِ الخَلقِ نَوْعَ إِجَازَةٍ تَكُونُ أَحْوَالُ مُرِيدِيه مَرَايَا كَمَالاتِه وَيُطَالِعُ مِنْهَا نَقْصَهُ وَكَمَالَهُ.

وَعَلامَةٌ أُخْرَى لِمَعْرِفَةِ الانْتِهَاءِ هِيَ أَنْ لاَ يَبْقَى فِي السَّالِكِ مُقْتَضَى غَيْرِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَصْلا وَأَنْ يَكُونَ صَدْرُه خَالِيًا وصافيًا مِنْ جَمِيعِ المُقْتَضَيَاتِ المتَعَلقَةِ بالسِّوَى وَلِلنِّهَايَةِ مَرَاتِبُ كَثِيرَةٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ.

وَالقدَمُ الأَوَّلُ فِي النِّهَايَةِ هُوَ الذي ذُكِرَ - وَاللهُ سُبْحَانَهُ الموَفِّقُ - وَكَتَبْتُمْ أَنَّ المَعَارِفَ التي تَسلى هَذَا الفَقِيرُ القَلِيلُ البِضَاعَةِ هِيَ المَعَارِفُ الشَّرْعِيَّةُ وَكَأَنَّ كُل حُكْمٍ مِنَ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ طَرِيقٌ مُوصِّلٌ إِلَى مَنْزِلِ المَقْصُودِ وَعَلامَةٌ مِنَ المَلكِ الذي لَيْسَتْ لَهُ عَلامَةٌ وَهَذَا البَيْتُ نُصْبَ العَيْنِ.

مَا بسفر ميرويم عزم تما شاكر است   مايرا وميروميم كزهمه عالم وراست

وَمَعْرِفَتُكُمْ هَذه أَصْلِيَّةٌ جِدًّا وَعَالِيَةٌ وَمُورِّثَةٌ للرَّجَاءِ وَقَدْ جَعَلَنِي مُطَالَعَةُ هَذه المَعْرِفَة مَحْظُوظًا جدًّا وَأَزَالَتْ عَدَمَ مُلايمة صَدْرِ المَكْتُوبِ أَوْصَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى المَقْصُودِ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ وَسأَلتُمْ أَنَّهُ قَدْ يَجِيءُ بَعْضُ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَيَلتَمِسُونَ الطَّرِيقَةَ وَلَكِنْ لاَ يَحْتَرِزُونَ مِنَ الأَكْلِ وَاللبْسِ الحَاصِليْنِ مِنَ الرِّبَا هَل نُعَلمُهُمُ الطَّرِيقَةَ أَوْ لاَ وَيَقُولونَ نَحْنُ نُصْلِحُ بالحِيَلِ الشَّرْعِيَّةِ

يَنْبَغِي أَنْ يُعلمَهُمُ الطَّرِيقَةَ وَأَنْ يُرَغِّبَهُمْ فِي الاجْتِنَابِ مِنَ المُحَرَّمِ وَلَعَلهُمْ يَتَخلصُونَ مِنْ ذَلكَ الاشْتِبَاه بِبَرَكَةِ الطَّرِيقَة وَأَنْ يُرَغِّبَهُمْ فِي الاجْتِنَابِ مِنَ المُحَرَّمِ وَلَعَلهُمْ يَتَخلصُونَ مِنْ ذَلكَ الاشْتِبَاه بِبَرَكَةِ الطَّرِيقَة وَاسْتَفْسَرْتُ أَيْضًا عَنِ العلمَيْنِ اللذَيْنِ ظَهَرَ كُل مِنْهُمَا عَقِيبَ الآخرِ مِنْ جَانِبِ المَشْرِقِ وَقَدْ كَتَبَ الفَقِيرُ مَكْتُوبًا فِي

هَذَا البَاب باسْتِفْسَارِ الأَصْحَاب نَأْمُرُ الْمُلا عَبْدَ الحَيِّ بِإِرْسَال نَقْله أَيْضًا إِلَيْكُمْ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى وَسَأَلْتُمْ أَيْضًا أَنَّهُ هَل الأَفْضَل إِهْدَاءُ ثَوَاب خَتْمِ القُرْآن وَأَدَاء صَلاة النَّفْل وَالاشْتِغَال بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيل إِلى الوَالِدَيْنِ أَوْ إِلى الأُسْتَاذِ أَوِ الأَخَوَانِ أَوْ عَدَمِ الإِعْطَاءِ لأَحَدٍ؟

فَاعْلَمْ أَنَّ الأَفْضَل الإِهْدَاءُ فَإِنَّهُ نَفْعٌ لِلغَيْرِ وَنَفْعٌ لِلعَامِل وَفِي عَدَم الإِهْدَاء النَّفْعُ مَخْصُوصٌ بِالعَامِل وَأَيْضًا يُرْجَى فِي الإِهْدَاءِ قَبُول العَمَل المهْدِيِّ ثَوَابُهُ بِبِرْكَةِ الآخَرِينَ، وَالسَّلامِ.

المَكْتُوبُ الحَادِي وَالتِّسْعُونَ بَعْدَ الثَّلاَثمائَة

إِلى دَارَ اب خَانَ

فِي بَيَانِ أَنَّ مَحَبَّةَ الطَّائِفَةِ العَلِيَّةِ وَإِخْلاصِهِمْ وَسِيلَةُ الفَنَاءِ فِي اللهِ وَالبَقَاءِ بِاللهِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

الحَمْدُ للهِ وَسَلامٌ عَلى عِبَادِهِ الذينَ اصْطَفَى قَدْ يُحسُّ فِي طَائِفَتِكُمْ دَوْلَةً هَنِيئَةً وَهِيَ التَّوَاضُعُ للفُقَرَاءِ وَالخِدْمَةُ لِهَذِهِ الطَّبَقَةِ العَلْيَا مَعَ وُجُودِ أَسْبَابِ الغنَاءِ وَحُصُولِ مَوَادِّ الاسْتِغْنَاءِ وَهَذَا مُنْبِئٌ عَنْ مَحَبَّةِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ العَلِيَّةِ وَالإِخْلاصِ لَهُمْ وَمُشْعِرٌ بِمَوَدَّةِ هَذِهِ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ وَالاخْتِصَاصِ بِهِمْ وَحَدِيثُ المَرْءِ مَعَ مَنْ أَحَبَّ "كَافٍ لأَنْ تَكُونَ بِشَارَةً لِمُحِبِّي هَذِهِ الطَّائِفَةِ وَحَدِيثُ" وَهُمْ قَوْمٌ لاَ يَشْقَى جَلِيسُهُمْ "[١] وَافٍ لِمَسَرَّةِ جُلَسَاءِ هَذِهِ الطَّبَقَةِ.

فَإِذَا اسْتَوْلَتْ هَذِهِ المَحَبَّةُ بِعِنَايَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَغَلَبَتْ عَلَى نَهْجٍ لاَ تَتْرُكُ غَيْرَهَا فِي القَلْبِ وَزَالَت التَّعَلُّقَاتُ الأُخَرُ عَنِ القَلْبِ بِالتَّمَامِ وَظَهَرَتْ لَوَازِمُ المَحَبَّةِ التِي هِيَ إِطَاعَةُ المَحْبُوبِ وَالقِيَامُ بِمُرَادِهِ وَالتَّخَلُّقُ بِأَخْلاقِهِ وَأَوْصَافِهِ فَحِينَئِذٍ يَحْصُلُ الفَنَاءُ فِي المَحْبُوبِ شَبِيهُ الفَنَاءِ فِي الشَّيْخِ الذِي هُوَ الدَّرَجَةُ الأُولَى فِي هَذَا الطَّرِيقِ وَهَذَا الفَنَاءُ يَعْنِي: الفَنَاءَ فِي الشَّيْخِ بَصِيرٌ.

ثَانِيًا وَسِيلَةٌ إِلى الفَنَاءِ فِي اللهِ الذي البَقَاءُ بِاللهِ مُتَرَتِّبٌ عَلَيْهِ وَهُوَ المُحَصِّلُ لِلوِلاَيَةِ وَبِالجُمْلَةِ إِذَا تَيَسَّرَتْ مَحَبَّةُ المَحْبُوبِ الحَقِيقِيِّ فِي الابْتِدَاءِ مِنْ غَيْرِ تَوَسُّطِ أَحَدٍ فَهِيَ دَوْلَةٌ عَظِيمَةٌ مُحَصِّلَةٌ لِلفَنَاءِ وَالبَقَاءِ وَإِلا لاَ بُدَّ مِنْ تَوَسُّطِ كَامِلٍ مُكَمِّلٍ فَيَنْبَغِي أَوَّلاً أَنْ يَجْعَلَ جَمِيعَ مُرَادَاتِهِ تَابِعَةً لِمُرَادَاتِ شَيْخِهِ وَأَنْ يَصِيرَ فَانِيًا فِيهِ لِيَكُونَ ذَلِكَ الفَنَاءُ وَسِيلَةً إِلى الفَنَاءِ فِي اللهِ وَلِخَلصِهِ مِنْ تَعَلُّقَاتِ السِّوَى بِالتَّمَامِ وَلِيُوَصِّلَهُ إِلى دَرَجَاتِ الوِلاَيَةِ.

وَعَلَيْكُمْ بِالسُّكْرِ يَا أَهْلَ صَفْرَاءَ   عَلى رَغْمِ ذَوِي السَّوْدَاءِ

وَأَمْثَالُ هَذِهِ الكَلِمَاتِ إِنَّمَا تُورِدُ لِتَرْغِيبِ الطَّالِبِينَ وَالمَهُوسِينَ وَتَشْوِيقِهِمْ – وَاللهُ سُبْحَانَهُ المُوَفِّقُ – لِلصَّوَابِ.

---

(١) **متفق عليه**: البخاري. ك: الدعوات. ب: فضل ذكر الله عز وجل. ح ٦٠٤٥.، مسلم: ك: الذكر والدعاء والإستغفار. ب: فضل مجالس الذكر. ح ٢٦٨٩.

بَقِيَّةُ المَرَامِ أَنَّ رَافِعَ رَقِيمَة دُعَاءِ الفُقَرَاءِ مُحَمَّد قَاسِمٍ مِنْ أَوْلاد الكِبَارِ وَكَانَ فِي خِدْمَةَ الفُقَرَاءِ وَلَكِنَّهُ كَبرَ فِي حِجْرِ تَرْبِيَة أَخِيه الأَكْبَر بِأَنْوَاعِ التَّرْبِيَة وَالنِّعَمِ وَرَأَى مِحَنَ الأَيَّامِ قليلا وَفِيه شَوْقٌ وَمُلازَمَتُكُمْ فَإِنْ جَعَلْتُمُوهُ دَاخلا فِي مَلازِمي الأُمَرَاءِ وَرَاعَيْتُمُ الالتِفَاتَ فِي حَالِه لاَ يَكُونُ بَعِيدًا عَنِ الكَرَمِ وَالزِّيَادَة تَصْدِيعٌ، وَالسَّلامُ.

المَكْتُوبُ الثَّاني وَالتِّسْعُونَ بَعْدَ الثَّلاثِمائَة
إلى الشَّيْخِ يُوسُفَ البَرْكِيِّ
في جَوَابِ رِسَالته التي كَتَبَهَا مُشْتَملةً عَلى الإعْرَاضِ عَنِ الكُفْرِ الحَقيقيِّ وَمُشْعِرَةً بالإقْبَال عَلى الإسْلامِ الحَقيقيِّ وَمَا يُناسِبُ ذَلِكَ

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى

إنَّ الرِّسَالَةَ المسْطُورَةَ التي أَحَلْتُمُوهَا عَلى مَوْلانَا عَبْد الحَيِّ لِيُرِيَهَا لَمْ يَرِهَا في هَذه المُدَّة وَيَوْمَ سَافَرَ مَوْلانَا بَابُوا حَضَرهَا وَلَمَّا طَالعْنَاهَا صَارَتْ بَاعِثَةً عَلى الفَرَحِ لِكَوْنِهَا مُشْتَملةً عَلى الإعْرَاضِ عَنِ الكُفْرِ وَمُشْعِرَةً بِالإقْبَال عَلى الإسْلامِ كَمَا أَنَّ الإسْلامَ المَجَازِيَّ أَفْضَل مِنَ الكُفْرِ المَجَازِيِّ.

إسْلامُ الطَّرِيقَة أَيْضًا أَفْضَل مِنْ كُفْرِ الطَّرِيقَة وَكُفْرُ الطَّرِيقَة كُلهُ سُكْرٌ وَإسْلامُ الطَّرِيقَة كُله صَحْوٌ وَكَمَا أَنَّ الصَّحْوَ المَجَازِيَّ أَفْضَل مِنَ السُّكْرِ المَجَازِيِّ.

صَحْوُ الطَّرِيقَة أَيْضًا أَفْضَل مِنْ سُكْرِ الطَّرِيقَة، ثَمرَةُ كُفْرِ الطَّرِيقَة تَشْبِيهٌ وَنَتيجَةُ إسْلامِ الطَّرِيقَة تَنْزِيهٌ وَالفَرْقُ الذي بَيْنَ التَّشْبيه والتنزيه هُوَ فَوْقَ مَا بَيْنَ كُفْرِ الطَّرِيقَة وَإسْلامُ الطَّرِيقَة وَالذينَ اخْتَارُوا الجَمْعَ بَيْنَ التَّشْبيه وَالتَّنْزيه وَاعْتَقَدُوهُ كَمَالا ذَاكَ التَّنْزِيهُ أَيْضًا مِنْ جُمْلة تَشْبيه رَأَوْهُ تَنْزِيهًا وَإلا فَأَيْنَ المَجَال للتَّشْبيه حَتَّى يَجْتَمِعَ مَعَ التَّنْزيه الحَقيقيِّ وَلا يَصيرُ مُضْمَحلا ومُتلاشيًا في تَشَعْشُعِ أَنْوَاره.

وَمَتَى بَدَتْ أَنْوَارُ بَدْرٍ في الدُّجَا   مَا للسُّهَى مِنْ حيلة سوَى الأَخْتَفا

شَرَّفَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى بحَقيقَة الإسْلامِ الحَقيقيِّ بِالنَّبيِّ وَآله الأَمْجَاد - عَليْه وَعَليْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْليمَاتُ - وَحَيْثُ كَانَ مَوْلانَا بِأبو مُهَيَّأً للسَّفرِ وَقَعَ الاخْتِصَارُ عَلى كَلمَات

وَالسَّلامُ عَليْكُمْ وَعَلى مَنْ لدَيْكُمْ.

الْمَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالتِّسْعُونَ بَعْدَ الثَّلاثِمائَة

إلى الشَّيْخ حَامد النَّهَارِيِّ

فِي جَوَابِ سُؤَاله عَنْ قَوْل عَيْنِ القُضَاة فِي تَمْهِيدَاته:" أَنَّ الذي تَعْتقدونَه إلهًا هُوَ عنْدَنَا مُحَمَّد ﷺ

وَالذي تَعْتَقدُونَهُ مُحَمَّدًا هُوَ عنْدَنَا إلهٌ جَل سُلطَانُهُ

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى وَصَلت الصَّحيفَةُ الشَّرِيفَةُ المُرْسَلةُ منْ كَمَال المَحبَّة وَالإخْلاصِ وَوُفُورِ المودَّة وَالاخْتصَاصِ وَأَوْرَثَتْ فَرَحًا وافرًا رَزَقَ اللهُ سُبْحَانَهُ الاسْتقَامَةَ عَلى هَذه الدَّوْلة فَإنَّ مُحبَّ كُل طَائفَة مَعَ هَذه الطَّائفة المرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ حَديثٌ نَبَوِيٌّ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَاسْتَفسَرْتَ عَنْ مَعْنَى عبَارَة تَمْهيدَات عَيْن القُضَاة أَنَّهُ قَال: إنَّ الذي تَعْتَقدُونَهُ إلهًا هُوَ عنْدَنَا مُحَمَّدٌ عَليْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالذي تَعْتَقدُونَهُ مُحَمَّدًا ﷺ هُوَ عنْدَنَا إلهٌ جَل سُلطَانُهُ

أَيُّها المَخدُومُ إنَّ أَمْثَال هَذه العبَارَة المُنبئَة عَنِ التَّوْحيد وَالاتِّحَاد تَصْدُرُ عَن المَشَائخ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ في غَلَبَات السُّكْر التي هيَ مَرْتَبَةُ الجَمْع وَالمُعبِّرَةُ عَنْهُ بكُفْر الطَّرِيقَة فَإنَّهُمْ لارْتفَاع الامْتيَاز والإثْنينيَّة عَنْ نَظَرهمْ يَجدُونَ المُمْكنَ عَيْنَ الوَاجب تَعَالى بَل لاَ يَجدُونَ المُمْكنَ أَصْلا وَلا يَبْقَى في شُهُودهمْ غَيْرُ الوَاجب تَعَالى فَمَعْنَى هَذه العبَارَة عَلى هَذَا التَّقْدير أَنَّ الامْتيَازَ الحَاصل بَيْنَ الله - جَل وَعَلا - وَبَيْنَ مُحَمَّد عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ عنْدَكُمْ لَيسَ هَذَا الامْتيَازُ بثَابت عنْدَنَا وَلا مُغَايرَةَ بَيْنَهُمَا بَل ذَاكَ الوَاحدُ الذي هُوَ مُنَزَّهٌ عَن الوَاحديَّة عَيْنَ ذَاكَ الآخَر فَإنَّهُ إذَا ارْتَفعَتْ نسْبَةُ المغَايرَة إلى سَائر المُمْكنات كَيْفَ تَكُونُ نسْبَةُ الامْتيَاز ثَابتَةً لمُحَمَّد رَسُول الله ﷺ الذي هُوَ المظْهَرُ الأَتَمُّ لكَمَالاته تَعَالى وَهَذه الرُّؤْيَةُ مَخْصُوصَةٌ بمَرْتَبَة الجَمْع فَإذَا تَرَقَّى السَّالكُ منْ هَذَا المَقَام وَفَتَحَ عَيْنَهُ منْ إفْرَاط السُّكْر يَجدُ مُحَمَّدًا صَلى اللهُ عَليْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَبْدَهُ وَرَسُوله تَعَالى كَمَا وَجَدَهُ في الابْتدَاء كَذَلكَ وَلعَلك سَمعْتَ قَوْلهُمْ،

النِّهَايَةُ هيَ الرُّجُوعُ إلى البدَايَة.

اعْلَمْ أَنَّ الاشْترَاكَ بَيْنَ المُبْتَدئ وَالمُنْتَهي في الصُّورَة فَقَطْ التي هيَ قبَابُ المُنْتَهي وَإلاَّ، (ع):

مَا نسْبَةُ العَرْشيِّ للفَرْشيِّ

فَإِذَا لَمْ تَكُنْ لِلمُتَوَسِّطِ نِسْبَةٌ مَعَ المُنْتَهِي كَيْفَ تَكُونُ لِلمُتَبَدِّي البَعِيدِ عَنِ المُعَامَلَةِ نِسْبَةٌ مَعَهُ

{رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}(١).

وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى مَنْ لَدَيْكُمْ .

---

(١) التحريم: ٨

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالتِّسْعُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائة
إِلَى مُحَمَّد مُرَاد القوربيكي فِي النَّصَائِح وَالتَّحْذِيرِ عَنِ الاغْتِرَارِ بِمُزَخْرَفَات الدُّنْيَا الدَّنِيَّة وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى أَخْشَى مِنْ أَنْ يَنْخَدِعَ الأَصْحَابُ أُولو الأَلبَاب مِثْل الأَطْفَال بمُزخرفات الدُّنْيَا الدَّنِيَّة التي لهَا طَرَاوَةٌ وَحَلاوَةٌ فِي الظَّاهر، وَأَخَافُ مَيلانَهُم مِنَ المُبَاحِ إِلَى المُشْتَبَه وَمِنَ المُشْتَبَه إِلى المُحَرَّمِ فَيَبْقُونَ خَجلِينَ مُنْفَعلينَ مِنْ مَوْلاهُمْ.

يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِي التَّوْبَةِ وَالإِنَابَة قَدَمٌ رَاسِخٌ وَأَنْ يعْتَقِدَ المَنْهِيَّاتِ الشَّرْعِيَّةَ سُمًّا قَاتلا.

وَهَذَا لَكُمْ نُصْحِي صَحَابِيٌّ فَإِنَّكُمْ كَطفْل وَدُنْيَانَا كَبَيْت مُزَخْرَف

وَقَدْ جَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى بكَرَمه دَائِرَةَ المُبَاحِ وَسيعَةً فَمَا أَشْقَى مَنْ يَظُنُّ كُل هَذه الوَسعَة ضَيِّقَةً مِنْ ضيق صَدْره وَيَضَعُ قَدَمَهُ فِيمَا وَرَاءَ هَذه الدَّائِرَة الوَسِيعَة يَتَجَاوَزُ الحُدُودَ الشَّرْعِيَّةَ وَيَقَعُ فِي المشْتَبَه وَالمُحَرَّم.

يَنْبَغِي للعَاقِل أَنْ يَلتزِمَ الحُدُودَ الشَّرْعِيَّةَ وَأَنْ لاَ يَتَجَاوَزَهَا مِقْدَارَ شَعْرَة.

المصَلونَ وَالصَّائمُونَ بِحَسَبِ الرَّسْمِ وَالعَادَة كَثِيرٌ وَلكِنِ المُتَّقُونَ المُتَوَرِّعُونَ المحَافظُونَ عَلى الحُدُود الشَّرْعِيَّة أَقَل قَلِيل.

وَالفَارِقُ المُمَيِّزُ بَيْنَ الحَقِّ وَالمُبْطِل هُوَ هَذَا الاتِّقَاءُ وَالتَّوَرُّعُ فَإِنَّ الصَّوْمَ وَالصَّلاةَ بِحَسَبِ الصُّورَة يَصْدُرَان مِنْ كلَيْهمَا.

قَال - عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ -: " **مِلاكُ دِينكُمُ الوَرَعُ** "(١).

وَقَال أَيْضًا - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ - " **لاَ تَعْدل بالرِّعَة شَيْئًا** "(٢).

وَالأَصْحَابُ وَإِنْ كَانُوا يَأْكُلون أَطْعِمَةً لذيذَةً وَيَلْبَسُونَ أَلبِسَةً جَمِيلةً وَلَكِنَّ الالتذَاذَ وَالانْتفَاعَ فِي طَعَام الفُقَرَاء وَلبَاسِهِمْ ذَلكَ للمُلوك وَهَذَا للصُّعْلوك.

وَالفَرْقُ بَيْنَهُمَا كَثِيرٌ فَإِنَّ ذَاكَ بَعِيدٌ عَنْ رِضَا المَوْلى - جَل سُلطَانُهُ - وَهَذَا قَرِيبٌ مِنْ رِضَاهُ تَعَالى وَأَيْضًا مُحَاسَبَةُ ذَاكَ ثَقِيلةٌ وَمُحَاسَبَةُ هَذَا خَفِيفَةٌ.

---

(١) لم أقف عليه، وراجع المبسوط للسرخسي: كيفية الدخول في الصلاة.

(٢) **حسن غريب**: سنن الترمذي: ك: صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ باب: ١٥٨٩ ح ٢٥٧١.، وقال: حديث حسن غريب.

{رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا }

وَقَدْ وُفِّقَ المَحْظُوظُ سُلطَانُ مُرَاد لِلتَّوْبَةِ وَالإِنَابَةِ وَأَخَذَ الطَّرِيقَةَ والمَسْئُول مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ الثَّبَاتُ وَالاسْتِقَامَةُ وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَعَلى سَائِرِ الإِخْوَانِ.

المَكْتُوبُ الخَامسُ وَالتِّسْعُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائَة
إلى الخَوَاجَهْ شَرَف الدِّين الحُسَيْن
في التَّحذِّي عَنِ الدُّنْيَا الدَّنيَّة وَالتَّحْريضِ عَلى الشَّرِيعَة الغَرَّاء وَمَا يُنَاسِبُ ذَلكَ

اللهُمَّ صَغِّر الدُّنْيَا بأَعْيُننا وَكَبِّر الآخرَةَ في قُلوبنَا بحُرْمَة حَبيبك مُحَمَّد – عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ – أَيُّهَا الوَلَدُ العَزيزُ صَاحِبُ التَّميُّز إِيَّاكَ وَالرَّغْبَة في زَخَارِف الدُّنْيَا الدَّنيَّة وَالانْخدَاعَ بالشَّوْكَة الفَانيَة وَعَلَيْك بالسَّعْي في العَمَل بمُقْتَضَى الشَّريعَة الغَرَّاء في جَميع الحَرَكَات وَالسَّكَنَات وَالمَعيشَة عَلى وَفْق الملة الزَّهْرَاء فَلا بُدَّ أَوَّلا منْ تَصْحيح الاعْتقَاد بمُقْتَضَى آراء عُلَمَاء أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة شَكَرَ اللهُ تَعَالى سَعْيَهُمْ فَإِنَّهُ ضَرُوريٌّ وَبَعْدَ ذَلكَ يُصْرَفُ عَنَانُ الهمَّة إلى إتْيَان الأَحْكَام الفقْهيَّة العَمَليَّة فيَنْبَغي الاهْتمَامُ التَّامُّ في أَدَاء الفَرَائض وَالاحْتيَاطُ في الحل وَالحُرْمَة وَالعبَادَات النَّافلة في جَنْب الفَرَائض كَالمَطْرُوح في الطَّريق وَسَاقطَة عَنْ إتْيَان نَوَافل العبَادَات وَيَعُدُّونَ الفَرَائضَ حَقيرَةً وَعَديمَةَ الاعْتبَار يُعْطُونَ مَبْلَغًا كُليًّا للمُسْتَحقِّ وَغَيْر المستَحقِّ بتَقْريب وَبغَيْر تَقْريب وَلكنَّ إعْطَاءَ فَلْس في آداء الزَّكَاة للمَصْرف مُتعَسِّرٌ عَلَيْهمْ وَلا يَدْرُونَ أَنَّ إعْطَاءَ فَلْسٍ منَ الزَّكَاة للمَصْرَف خَيْرٌ لَهُمْ منْ إعْطَاء أُلوف صَدَقَةً نَافلةً فَإنَّ في إعْطَاء الزَّكَاة مُجَرَّدَ امْتثَال أَمْر المَوْلى – جَل سُلطَانُهُ – وَفي الصَّدَقَة النَّافلة كَثيرٌ مَا يَكُونُ المَنْشَأُ الهَوَاءَ النَّفْسَانيَّ وَلهَذَا لاَ مَسَاغ للرِّيَاء في الفَرْض.

وَأَمَّا النَّفْل فَفيه مَجَال للرِّيَاء وَمنْ هَاهُنَا كَانَ الأَوْلى في أَدَاء الزَّكَاة الإظْهَارُ لنَفْي التُّهْمَة وَفي الصَّدَقَة النَّافلة الإخْفَاءُ لكَوْنه أَليَقَ بالقَبُول وَبالجُلَة لاَ بُدَّ منَ التزَام الأَحْكَام الشَّرْعيَّة حَتَّى يُتَصَوَّرَ الخَلاصُ منْ مَضَرَّة الدُّنْيَا فَإنْ لَمْ تَتَيَسَّرْ حَقيقَةُ تَرْك الدُّنْيَا يَنْبَغي أَنْ لاَ يُقَصِّرُ في التُّرْك الحُكْميِّ وَهُوَ التزَامُ الشَّريعَة في الأَقْوَال وَالأَفْعَال

وَاللهُ سُبْحَانَهُ الموَفِّقُ {والسلام على من اتبع الهدى}(١).

---

(١) طـــه: ٤٧

الْمَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالتِّسْعُونَ بَعْدَ الثَّلاثِمائَةِ
إلى الميرماه مَحْمُود
فِي بَيَانِ أَنَّ مَحَبَّةَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ العَلِيَّةِ رَأْسُ بِضَاعَةِ جَمِيعِ السَّعَادَاتِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عِبَادِه الذينَ اصْطَفَى.

أَحْوَال فُقَرَاءِ هَذه الحُدُود وَأَوْضَاعُهُمْ مُسْتَوْجبَةٌ للحَمْد.

والمَسْئُول مِنَ الله سُبْحَانَهُ سَلامَتُكُمْ وَعَافيَتُكُمْ وَثَبَاتُكُمْ وَاسْتِقَامَتُكُمْ عَلى جَادَّة الشَّرِيعَة المُصْطَفَوِيَّة عَلى صَاحِبِهَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالبرْكَةُ وَالتَّحِيَّةُ.

الطَّرِيقَةُ التي أَخَذَهَا الأَخُ الأَعَزُّ الأَرْشَدُ مِنْ هَذَا الفَقِيرِ وَإِنْ لَمْ تَتَرَتَّبْ عَلى ذَلكَ الأَخْذ بوَاسطَة قلة نَيْل الصُّحْبَة التي هِيَ أَصْل عَظِيمٌ عِنْدَ هَؤُلاءِ الأَكَابِرِ بَرَكَاتٌ وَثَمَرَاتٌ لائقَةٌ وَلَكنْ إذَا بَقِيَتْ شمَّةٌ منَ الارْتبَاط الحُبِّيِّ الذي هُوَ منْ لوَازِمِ تَعْليمِ الطَّرِيقَة فهِيَ دَوْلَةٌ عَظِيمَةٌ؛ لأَنَّ المرْءَ مَعَ مَنْ أَحَبَّ.

وَالبَرَكَةُ الأُولى التي تَحْصُل فِي أَوَّل صُحْبَة لُمْبَتَدئ رَشيد منْ هَذه الطَّرِيقَة العَليَّة دَوَامُ تَوَجُّه القَلب إلى المَطْلوب الحَقيقيِّ - جَلَّ سُلطَانُهُ - وَدَوَامُ التَّوَجُّه هَذَا يُوصِل فِي فُرْصَة يَسيرَة إلى نسْيَان السِّوَى بحَيْثُ لوْ وَفَى عُمْرُ السَّالك فَرْضًا أَلفَ سَنَة لاَ يَخْطُرُ عَلى قَلبه غَيْرُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ بوَاسطَة حُصُول نسْيَان السِّوَى لهُ بَل لوْ ذَكَّرُوهُ بالسِّوَى بالتَّكَلُّف وَالتَّعَمُّل لاَ يَكَادُ يَتَذَكَّرُ فَإذَا حَصَلتْ هَذه النِّسْبَةُ فَقَدْ وَضَعَ قَدَمًا أَوَّل فِي الطَّرِيقَة فَمَاذَا أَكْتُبُ منَ القَدَمِ الثَّاني ، وَالثَّالثِ وَالرَّابعِ إلى مَا شَاءَ اللهُ تَعَالى.

القَليل يَدُل عَلى الكَثير وَالقَطْرَةُ تُنْبئُ عَنِ الغَدير.

المَقْصُودُ تَرْغيبُ الأَحبَّة نَفَعَ اللهُ عَزَّ وَجَل وَأَوْرَدَنَا فِي هَذَا القيل وَالقَال المَيَّان عَبْدُ العَظيم ببَيَان مَحَبَّتكُمْ وَالإخْبَار عَنْ إخْلاصكُمُ السَّلامُ عَليْكُمْ وَعَلى سَائرِ مَنِ اتَّبعَ الهُدَى وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى، عَليْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ.

الْمَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالتِّسْعُونَ بَعْدَ الثَّلاثِمائَةِ

إِلى الشَّيْخِ حُمَيْد الْبَنْكَالِيِّ.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ وَسَلامٌ عَلى عِبَادِه الذينَ اصْطَفَى قَدْ اخْتَارَ أَخِي الشَّيْخُ مِيَّانُ حُمَيْدٌ انْزِوَاءً عَجِيبًا بِحَيْثُ إِنَّ المَجَالَ فِيه للكَلامِ وَالسَّلامُ أَيْضًا قَلِيل حَتَّى لَمْ يَصِل فِي مُدَّة سَبْعِ سِنِينَ أَوْ ثَمَانِي سِنِينَ مِنْ جَانِبِكُمْ إِلا كِتَابٌ وَاحِدٌ وَهُوَ أَيْضًا غَيْرُ تَامٍّ وَلا يُعْلَمُ أَنَّهُ هَل تَصِل المَكَاتِيبُ المُرْسَلَةُ مِنْ هَذَا الجَانِبِ إِلَيْكُمْ أَوْ لا؟

وَلَمَّا كَانَ أَخِي الأَعَزُّ الشَّيْخُ عَبْدُ الحَيِّ فِي صَدَدِ التَّوَجُّه إِلى وَطَنِه أَمَرْتُهُ أَنْ يُوصِل نَفْسَهُ إِلَيْكُمْ أَوَّلا وَلَمَّا كَانَ أَخِي الأَعَزُّ الشَّيْخُ عَبْدُ الحَيِّ فِي صَدَدِ التَّوَجُّه إِلى وَطَنِه أَمَرْتُهُ أَنْ يُوصِل نَفْسَهُ إِلَيْكُمْ وَأَنْ يطَّلِعَ عَلى أَحْوَالِكُمْ.

وَالشَّيْخُ عَبْدُ الحَيِّ كَانَ فِي الخِدْمَة قَرِيبًا مِنْ خَمْسِ سِنِينَ وَكَانَ أَكْثَرُ خِدْمَاتِ الحُضُورِ مُتَعَلِّقًا بِه وَهُوَ رَيَّانٌ مِنْ عُلومِ الفَقِيرِ وَمَعَارِفِه وَخَبِيرٌ بِأَحْوَالِ السُّلوكِ وَالجَذْبَةِ وَأَمَرْتُ المُشَارَ إِلَيْه بِأَنْ يُقِيمَ فِي مَنْزِلِكُمْ أَيَّامًا وَأَنْ يورِدَ فِي البَيْنِ مَا يُنَاسِبُ الوَقْتَ وَالحَال مِنَ العُلومِ وَالمَعَارِف وَيَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تُطْلِعُوا المُشَارَ إِلَيْه عَلى أَحْوَالِكُمُ المَاضِيَة وَمَا هُوَ نَقْدُ الوَقْتِ مِنَ الأَحْوَالِ وَالمَوَاجِيد كُلِّهَا.

وَأَنْ تَقْبَلوا كُل مَا يَنْصَحُ بِه وبَاقِي الأَحْوَال يُبَيِّنُهُ المُشَارُ إِلَيْه لَكُمْ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالى وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَعَلى سَائِرِ مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى.

المَكْتُوبُ الثامن وَالتِّسْعُونَ بَعْدَ الثَّلاثَمائَةِ
إلى الشَّيْخِ نُورِ مُحَمَّدٍ

الحَمْدُ للهِ وَسَلامٌ عَلى عِبَادِهِ الذينَ اصْطَفَى.

أَحْوَال فُقَرَاءِ هَذِهِ الحُدُودِ وَأَوْضَاعُهُمْ مُسْتَوْجَبَةٌ لِلحَمْدِ والمَسْئُول مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ اسْتِقَامَتُهُ وَأَخِي الشَّيْخُ مِيَّانُ عَبْدُ الحَيِّ مِنْ بِلادِكُمْ وَنَازِلٌ في جِوَارِكُمْ وَهُوَ نُسْخَةُ العُلومِ وَالمَعَارِفِ الغَرِيبَةِ وَضَرُورِيَّاتُ هَذَا الطَّرِيقِ مُودَعَةٌ عِنْدَهُ وَمُلاقَاتُهُ مُغْتَنَمَةٌ لِلأَصْحَابِ النَّائِينَ فَإِنَّهُ قَرِيبُ عَهْدٍ بِالصُّحْبَةِ وَاسْتَصْحَبَ مَعَهُ أَشْيَاءَ جَدِيدَةً وَعِنْدَهُ عَلامَةٌ مِنَ الفَنَاءِ وَالبَقَاءِ وَبَيَانٌ مِنَ السُّلوكِ وَالجَذْبَةِ بَل هُوَ خَبِيرٌ مِنْ مَا وَرَاءَ الفَنَاءِ وَالبَقَاءِ المُتَعَارِفَيْنِ

وَالجَذْبَةِ وَالسُّلوكِ المقَرَّرِينَ بَل يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ لهُ مَمَرًّا فيهَا وَأَكْثَرُ مَعَارِفِ المَكْتُوبَاتِ الغَرِيبَةِ قَدْ قَرَعَتْ سَمْعَهُ وَأَدْرَكَهَا بِالاسْتِفْسَارِ مَهْمَا أَمْكَنَ وَاللهُ سُبْحَانَهُ المُوَفِّقُ.

وَيَعْلَمُ الأَحْوَالَ مِنَ المُشَارِ إِلَيْهِ بِالتَّفْصِيلِ فَلا نَشْتَغِلُ بِالزَّوَائِدِ وَالسَّلامُ.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالتِّسْعُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائة
إلى الشَّيْخِ طَاهِرِ البَدَخْشِيِّ
فِي جَوَابِ كِتَابِه

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عِبَادِه الذِينَ اصْطَفَى وَصَلت الصَّحِيفَةُ الشَّرِيفَةُ مِنَ الأَخِ الأَعَزِّ وَاتَّضَحَ مَا انْدَرَجَ فِيهَا مِنْ بَيَانِ الأَحْوَالِ وَالمَعَارِفِ وَأُورِثَ السُّرُورُ وَالفَرَحُ مَا أَعْظَمَ دَوْلَةً تُوَجّهُ المحِبِّينَ وَالمُخْلصينَ إلى جَنَابِ قُدْسِه نَافضِينَ أَيْدِيَهُمْ مِنَ الكُل وَإقْبَالهمْ عَلَيْه سُبْحَانَهُ بِكُلِّيَتِهِمْ ضَارِبِينَ السِّوَى بِأَرْجُلِهِمْ وباقِي كَيْفِيَّاتِ هَذِه الحُدُودِ لعَل الأَخَ الشَّيْخَ عَبْدَ الحَيِّ يُبَيِّنُهَا.

وَالعُلومُ اللسَانِيَّةُ وَالمَعَارِفُ الكِتَابِيَّةُ كَثِيرَةٌ عِنْدَ هَذَا المُشَارِ إلَيْه وَلهَذَا لَمْ نَكْتُبْ شَيْئًا مِنْ تِلكَ المَقُولة جَعَل اللهُ عَوَاقِبَ جَمِيعِ الأُمُورِ بِالخَيْرِ بِالنَّبِيِّ وَآلِه الأَمْجَادِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالتَّحِيَّةُ.

المَكْتُوبُ الأَرْبَعُمائَة
إِلى الفَتْحِ خان الأَفْغَانِيِّ
فِي النَّصَائِح

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عِبَادِه الذينَ اصْطَفَى:

وَصَل المَكْتُوبُ الشَّرِيفُ المُنْبِئُ عَنْ كَمَال مَحَبَّة الفُقَرَاءِ وَإِخْلاصِهِمْ رَزَقَ الله سُبْحَانَهُ الاسْتِقَامَةَ عَلى مَحَبَّة هَؤُلاءِ الفُقَرَاء.

وَالنَّصيحَةُ التي أَنْصَحُ بهَا الأَحِبَّةَ ذَوِي السَّعَادَة اتِّبَاعُ السُّنَّة السَّنِيَّة عَلى صَاحِبِهَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالتَّحيَّةُ وَالاجْتِنَابُ عَنِ البِدْعَة الغَيْرِ المُرْضِيَة فَإِنَّ مَنْ أَحْيَا سُنَّةً مِنَ السُّنَنِ التي صَارَتْ مَتْرُوكَةَ العَمَل بهَا فَلَهُ ثَوَابُ مِائَة شَهيد، فَكَيْفَ مَنْ وَاجِب عِنْدَ أَكْثَرِ العُلَمَاءِ الحَنَفيَّة وَفَرْضٍ عِنْدَ الإِمَامِ أَبي يُوسُفَ وَالإِمَامِ الشَّافعيِّ وَسُنَّةٍ عِنْدَ بَعْضِ العُلَمَاءِ الحَنَفيَّة صَارَ مَتْروكًا عِنْدَ أَكْثَرِ النَّاسِ فَأَجْرُ إِحْيَاءِ هَذَا العَمَلِ الوَاحِد يَكُونُ أَزْيَدَ مِنْ ثَوَاب مِائَة شَهيد في سَبيل الله وَعَلى هَذَا القِيَاسِ سَائِرُ الأَحْكَامِ الشَّرْعيَّة مِنَ الحل وَالحُرْمَة وَالكَرَاهَة وَغَيْرِهَا وَقَالوا: إِنَّ رَدَّ نصْف دَانَقٍ إِلى شَخْصٍ أُخذَ عَنْهُ ظُلمًا بلا وَجْه شَرعيٍّ أَفْضَل مِنْ أَنْ يَتَصدَّقَ مائَتي درْهَمٍ.

وَقَالوا: لوْ كَانَ لشَخْصٍ منَ العَمَلِ الصَّالحِ مثْل عَمَل نَبيٍّ وَبَقِيَ فِي ذمَّته حَقُّ شَخْصٍ مقْدَارُ نصْف دَانَق لاَ يَدْخُل الجَنَّةَ حَتَّى يُؤَدِّي ذَلكَ.

وَبالجُمْلة: يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مُتوجِّهًا إِلى البَاطِنِ بَعْدَ جَعْل الظَّاهرِ مُحلى بإِتْيَانِ الأَحْكَامِ الشَّرْعيَّة لئَلا يَكُونَ العَمَل مُختلطًا بالغَفْلَة.

والتَّحلي بالأَحْكَامِ الشَّرْعيَّة بدُون إِمْدَاد البَاطِنِ مُتَعَذِّرٌ، وَظيفَةُ العُلَمَاءِ الإِفْتَاءُ وَشَغْل أَهْلَ الله العَمَل والاهتمامُ فِي البَاطِنِ مُسْتَلزِمٌ للاهْتمَام فِي الظَّاهِرِ وَالذي يهْتَمُّ بالبَاطِنِ وَيَعْجزُ عَنِ الظَّاهرِ فَهُوَ مُلحدٌ وَأَحْوَالهُ البَاطنيَّةُ اسْتدراجَاتُه.

وَعَلامَةُ صحَّة حَال البَاطن تَحَلي الظَّاهرِ بالأَحْكَامِ الشَّرْعيَّة.

وَطَرِيقُ الاسْتِقَامَةِ هُوَ هَذَا وَالله سُبْحَانَهُ المُوَفِّقُ.

المَكْتُوبُ الحَادي وَالأَرْبَعُمائَة
إلى المُلا بَديع الدِّين
في بَيَانِ الرِّضَاء بِالقَضَاء

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى العَبْدُ المقْبُول مَنْ يَكُونُ رَاضيًا بفعْل مَوْلاهُ وَالذي هُوَ تَابعُ الرِّضَاء نَفْسه فَهُوَ عَبْدُ نَفْسه فَلوْ أَمَرَّ المَوْلى سكِّينًا عَلى حُلقُوم العَبْد يَنْبَغي أَنْ يَكُونَ العَبْدُ مَسْرُورًا وَمُبْتَسمًا في ذَلكَ الوَقْت وَأَنْ يجدَ فعْل مَوْلاهُ ذَلكَ مُرْضيًا لنَفْسه بَل يَنْبَغي أَنْ يَكُونَ مُتَلذِّذًا به فَلوْ حَصَلَتْ لَهُ الكَرَاهَةُ منْ ذَاكَ الفعْل عيَاذًا بالله سُبْحَانَهُ وَضَاقَ منْهُ صَدْرُهُ فَهُوَ بَعيدٌ عَنْ دَائرَة العُبُوديَّة وَمَطْرُودٌ عَنْ قُرْب المَوْلى وَمَهْجُورٌ وَحَيْثُ كَانَ الطَّاعُونُ مُرَادُه سُبْحَانَهُ وَتَعَالى يَنْبَغي أَنْ يَعُدَّهُ مُرَادَ نَفْسه وَأَنْ يَكُونَ مسرورًا به وَمُتَبَسِّمًا وَأَنْ لاَ يَكُونَ عَبُوسًا وَضَيِّقَ الصَّدْر منْ اسْتيلاء الطَّاعُون بَل يَنْبَغي أَنْ يَكُونَ مُتلذِّذًا به لكَوْنه فعْل المَحْبُوب وَلكُل أَحَد أَجَل مُسَمًّى لاَ احْتمَال فيه للزِّيَادَة وَالنُّقْصَان فَمَا مَعْنَى الاضْطرَاب.

وَغَايَةُ مَا في البَاب يَنْبَغي أَنْ يَطْلبَ العَافيَةَ منَ البَليَّة وَالالتجَاءَ إليْه سُبْحَانَهُ منَ السَّخَط فَإنَّ رضَاهُ تَعَالى في دُعَاء العَبْد وَسُؤَاله قَال رَبُّكُمْ ادْعُوني أَسْتَجبْ لكُمْ.

جَاءَ مَوْلاَنَا عَبْدُ الرَّشيد وَبَيَّنَ أَحْوَال تلكَ البُقْعَة عَافَاكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ عَنِ البَليَّات الظَّاهرَة وَالبَاطنَة.

المَكْتُوبُ الثَّانِي وَالأَرْبَعُمائَة
إِلى السَّيِّد مِيْر مُحِبِّ الله
فِي النَّصِيحَة

ثَبَّتَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَلى جَادَّةِ آبَائِكُمُ الكِرَامِ بِحُرْمَةِ حَبِيبِهِ سَيِّدِ الأَنَامِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ.

أَحْوَال فُقَرَاءِ هَذه الحُدُود وَأَوْضَاعُهُمْ مُسْتَوْجَبَةٌ للحَمْد لله سُبْحَانَهُ الحَمْدُ وَالمِنَّةُ دَائمًا وَعَلى نَبِيِّه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ سَرْمدًا والمَسْئُول مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ سَلامَتُكُمْ وَعَافِيَتُكُمْ وَثَبَاتُكُمْ وَاسْتِقَامَتُكُمْ

أَيُّهَا المَخْدُومُ المُكَرَّمُ المشْفقُ: قَدْ تَمْضِي أَوْقَاتُ الاشْتِغَال بِالعَمَلِ كُل مَا يَمُرُّ آنٌ يَنْقُصُ شَيْءٌ مِنَ العُمْرِ وَيَقْرَبُ الأَجَل المُسَمَّى فَلوْ لَمْ يَحْصُل التَّنَبُّهُ اليَوْمَ لاَ يَكُونُ نَقْدُ الوَقْت غَدًا غَيْرَ الحَسْرَة وَالنَّدَامَة.

يَنْبَغي الاهْتمَامُ فِي المُعَامَلَة عَلى وَفْق الشَّرِيعَة الغَرَّاء فِي هَذه الأَيَّامِ المَعْدُودَة حَتَّى تُتَصَوَّرَ النَّجَاةُ وَهَذَا الوَقْتُ وَقْتُ العَمَل لاَ وَقْتُ الرَّاحَة فَإِنَّ الرَّاحَةَ التِي هِيَ ثَمَرَةُ العَمَل أَمَامَنَا وَالاسْتِرَاحَةُ فِي وَقْت العَمَل تَضْيِيعٌ للزِّرَاعَة.

وَمَنْعٌ لَهَا عَنِ الثَّمَرَات، وَالزِّيَادَةُ عَلى ذَلكَ تَصْدِيعٌ نَسْأَل اللهَ سُبْحَانَهُ حُصُول الدَّوْلَةِ الصُّورِيَّةِ وَالمَعْنَوِيَّة.

المَكْتُوبُ الثالث وَالأَرْبَعُمائَة
إلى المرْزَا عَرَبْ خَانْ
فِي تَفْوِيضِ شَخْصٍ

أَيّدكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَنصرَكُمْ عَلى أَعْدَاء الآفَاقِيّة والأنْفسِيّة وَنَجَّاكُمْ عَنِ البَلِيّات الصُّورِيَّة وَالمَعْنَوِيَّة قَال رَسُول اللهِ ﷺ " الخَلقُ عِيَال اللهِ وَأَحَبُّ الخَلقِ إلى اللهِ مَنْ أَحْسَنَ إلى عِيَاله "(١).

وَقَدْ تَكَفَّلَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ بأَرْزَاق الخَلائق فَتَكُونُ الخَلائقُ بمَنْزِلة عِيَاله تَعَالى وَمَنْ وَاسَى عِيَال شَخْصٍ وَتَحمَّلَ ثقلَهُ يَكُونُ مَحبُوبَ صَاحب العِيَال أَلبَتَّةَ حَيْثُ خَفَّفَ عَنْهُ برَفْعِ مُؤْنَته بنَاءً عَلى ذَلكَ تَجْتَرئُ عَلى التَّصْديعِ أَنَّ الحَافظَ حَامدًا رَجُل صَالحٌ وَتَالي القُرْآن المجيد وَقَدْ يُشَوِّشُهُ كَثْرَةُ العيَال وَأَنَّهُ لاَ يَقْدرُ الخُرُوجَ عَنْ عدَّة تَرْبيَتهمْ والمَسْئُول منْ كَرَمكُمْ إمْدَادُ المُشَارِ إلَيْهِ وَإعَانَته وَيَكْفِي الكُرَمَاءَ للكَرَمِ علَةٌ جُزْئِيَّةٌ وَالسَّلامُ.

---

(١) ــ قال الهيثمي: رواه أبو يعلى والبزار، وفيه يوسف بن عطية الصفار وهو متروك.(مجمع الزوائد ح١٣٧٠٦)

قال ابن حجر المكي في الفتاوى الحديثية "حديث الخلق عيال الله، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله" ورد من طرق كلها ضعيفة، ولفظ بعضها الخلق كلهم عيال الله وتحت كنفه، فأحب الخلق إلى الله من أحسن لعياله، وأبغض الخلق إلى الله من ضيق على عياله انتهى. كشف الخفاء ١٢٢٠.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالأَرْبَعُمائَة
إلى المَخْدُوم زَادَهْ الخَوَاجَهْ مُحَمَّدْ سَعِيد
فِي بَيَانِ أَسْرَارِ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عِبَادِهِ الذينَ اصْطَفَى اسْمَعْ سِرًّا عَظِيمًا فِي مَقَامِ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى

إنَّ الإنْسَانَ الكَامِل إذَا تَحقَّقَ بالسَّيْرِ فِي الله بَعْدَ السَّيْرِ إلى الله وَتَخلق بأَخْلاق الله وَأَتمَّ هَذَا السَّيْرَ أَيْضًا بطَرِيقِ الإجْمَال وَأَتَمَّ دَوَائِرَ ظُهُورِ عُكُوسِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ التي إتْمَامُهَا مَرْبُوطٌ بالسَّيْرِ فِي الله يَصيرُ لائقًا ومُستحقًا لأَنْ يَظْهَرَ فيه المعْشُوقُ بالأصَالة بلا شَائبَة الظِّلّيَّة وَبلا تَوهُّم الحَاليَّة وَالمَحَليَّة وَحَيْثُ لاَ انْفكَاكَ لصفَات المعْشُوق الذَّاتيَّة عَنْ ذَاته يَكُونُ ظُهُورُ الذَّات مَعَ الصِّفَات في عَيْن العَاشق بالضَّرُورَة وَيَحْصُلُ القَوْسَان يَعْني: قَوْسَ الصِّفَات وَقَوْسَ الذَّات وَهَذَا المَقَامُ الأَعْلَى مَقَامُ قَابَ قَوْسَيْنِ الذي هُوَ مُتَعَلقٌ بظُهُور الأَصْل بلا شَائبَة الظِّلّ

وَإذَا ظَهَرَ فِي العَاشقِ الصَّادق بعنَايَة الله سُبْحَانَهُ كَمَا الارْتبَاطُ وَالتَّعَلقُ بذَات المعْشُوق عَلى حَدٍّ لاَ يُريدُ شَيْئًا منَ الاسْمِ وَالصِّفَة فَفي هَذَا الوَقْت يَسْتَترُ الاسْمُ وَالصِّفَةُ بفَضْل الله - جَل سُلطَانُهُ - عَنْ نَظَره بالتَّمَامِ وَلا يُبْقي مَلحُوظَةً ومَشْهُودَةً شَيْئًا غَيْرَ الذَّات وَإنْ كَانَت الصِّفَاتُ مَوْجُودَةً وَلكنَّهَا لاَ تَكُونُ مَشْهُودَةً لهُ فَيَظْهَرُ في هَذَا الحَال سرٌّ أَوادنى وَلا يَبْقَى أَثَرٌ منَ القَوْسَيْنِ.

فَإذَا وَقَعَ الهُبوطُ منْ هَذَا المَقَامِ الأَعْلَى يَقَعُ وَضْعُ القَدَمِ الأَوَّل فِي عَالمِ القُدْسِ.

وَكَوْنُهُ مَهْجورًا عَنْهُ أَقْرَبُ إلى عَالمِ القُدُسِ منَ الكُل وَإذَا نَظَرْنَا إلى النُّزُول وَالهُبُوط نَجدُ دَوْلَةَ القُرْب نَصيبَ عَالمِ الخَلق بَل نَصيبَ عُنْصُرِ التُّرَاب.

نَعَمْ إذَا لاحَظْنَا النُّقْطَةَ الأُولى منَ الدَّائرَة فِي جَانبِ العُرُوجِ نَجدُ أَقْرَبَ النُّقط إلى ذَلكَ الجَانب النُّقطَةَ الثَّانيَةَ منْ تلكَ الدَّائرَة.

وَإذَا لاحَظْنَا فِي جَانب الهُبُوط نَجدُ أَقْرَبَ النُّقط إلى النُّقْطَة الأُولى النُّقْطَةَ الأَخيرَةَ مُقْبِلَةً وَمُتَوَجِّهَةً إلى النُّقْطَة الأُولَى وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ المُقْبِل وَالمُعْرِضِ.

النُّقْطَةُ الثَّانِيَةُ لَهَا مَيْل إلى ظُهورات النُّقْطَة الأُولى وَالنُّقْطَةُ الأَخِيرَةُ مُخلفَةٌ للظُّهورات وَرَاءَ ظَهْرِهَا وَمُرِيدَةٌ للذَّات الظَّاهِرَة فَأَيْنَ هُوَ مِنْ ذَاكَ.

{رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا}[١] {والسلام على من اتبع الهدى}[٢].

---

(١) الكهف: ١٠

(٢) طـه: ٤٧

المَكْتُوبُ الخَامسُ وَالأَرْبَعُمائَة
إِلى المير مُحَمَّد نُعْمَانَ في بَيَان أَنَّ الولاَيَةَ عبارَةٌ عَنْ قُرْب إلهيٍّ جَل سُلطَانُهُ لَيْسَت الخَوَارِقُ وَالكَرَامَاتُ منْ شَرْطِهَا وَبَيَانِ حُكْمِ سَجْدَةِ التَّحيَّةِ للسَّلاطِينِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلكَ

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى لِيَطِبْ وَقْتُ الأَخِ الأَعَزِّ السَّيِّد مير مُحَمَّد نُعْمَانَ وَلْيَعْلَمْ أَنَّ ظهر وَالخَوَارِقَ وَالكَرَامَات لَيْسَ منْ شَرْط الولاَيَة.

وَكَمَا أَنَّ العُلمَاءَ لَيْسُوا مُكَلفينَ بحُصُول الخَوَارِق الأَوْلِيَاءَ أَيْضًا لَيْسُوا مُكَلفينَ بظُهُورِ الخَوَارِق فَإِنَّ الولاَيَةَ عبَارَةٌ عَنْ قُرْب إلهيٍّ - جَل سُلطَانُهُ - يُكْرِمُ به أَوْلِيَاءَهُ بَعْدَ نسْيَان السِّوَى، شَخْصٌ يُعْطَى هَذَا القُرْبَ وَلا يُعْطَى الاطِّلاعَ عَلى أَحْوَال المُغَيَّبَات وَالمُحْدَثَات.

وَشَخْصٌ ثَانٍ يُعْطَى هَذَا القُرْبَ وَيُعْطَى الاطِّلاعَ أَيْضًا عَلى المُغَيَّبَات وَالمُحْدَثَات.

وَشَخْصٌ ثَالثٌ لاَ يُعْطَى منَ القُرْب شَيْئًا وَيُعْطَى الاطِّلاعَ عَلى المُغَيَّبَات.

وَهَذَا الشَّخْصُ الثَّالثُ منْ أَهْل الاسْتدْرَاج.

وَجَعْلُهُ صَفَاءَ النَّفْسِ مُبْتَلى بكَشْف المُغَيَّبَات وَأَالقَاهُ في الضَّلالَة وَآيَةُ {وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلى شَيْء أَلاَ إِنَّهُمُ الكَاذبُونَ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذكْرَ الله أُولئكَ حزْبُ الشَّيْطَان أَلا إنَّ حَزْبَ الشَّيْطَان هُمُ الخَاسرُونَ} عَلامَةُ حَالهمْ.

وَالشَّخْصُ الأَوَّل وَالشَّخْصُ الثَّاني اللذَان مُشَرَّفَان بدَوْلَة القُرْب منْ أَوْلِيَاء الله تَعَالى لاَ يَزِيدُ كَشْفُ المُغَيَّبَات شَيْئًا في وِلايَتِهمْ وَلا يُنْقِصُ عَدَمُ الكَشْف شَيْئًا منْ وِلايَتِهِمْ.

وَالتَّفَاوُتُ بَيْنَهُمْ إِنَّمَا هُوَ باعْتبَار دَرَجَات القُرْب وَكَثِيرًا مَا يَكُونُ صَاحبُ عَدَمِ كَشْف الصُّوَرِ الغَيْبِيَّة أَفْضَل منْ صَاحب كَشْف تلْكَ الصُّوَرِ وَأَسْبَقَ منْهُ قَدَمًا بوَاسطَة مَزِيَّة القُرْب الحَاصل لَهُ.

صَرَّحَ بِهَذَا المَعْنَى صَاحِبُ العَوَارِف الذي هُوَ شَيْخُ الشُّيُوخِ وَمَقْبُول جَمِيعِ الطَّوَائِف فِي كِتَابه العَوَارِف فَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْ هَذَا الكَلامَ مِنِّي فَلْيُرَاجِعْ ذَلِكَ الكِتَابَ فَإِنَّهُ ذَكَرَ فيه بَعْدَ ذكْرِ الكَرَامَات وَالخَوَارِق: وَكُل هَذه مَوَاهِبُ الله تَعَالى وَقَدْ يُكَاشَفُ بهَا قَوْمٌ وَيُعْطَى وَقَدْ يَكُونُ فَوْقَ هَؤُلاءِ مَنْ لاَ يَكُونُ لهُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا لأَنَّ هَذه كُلهَا تَقْوِيَةُ اليَقِين.

وَمَنْ مُنِحَ صَرْفَ اليَقِين لاَ حَاجَةَ لهُ إِلى شَيْءٍ مِنْ هَذَا فَكُل هَذه الكَرَامَات دُونَ مَا ذَكَرْنَاهُ مَنْ تَجَوْهُرِ الذِّكْرِ فِي القَلب وَوُجُود ذِكْرِ الذَّات انْتَهَى.

قَال إِمَامُ هَذه الطَّائفَة الخَوَاجَهْ عَبْدُ الله الأَنْصَاريُّ المُلَقَّبُ بشَيْخِ الإِسْلام فِي كتَابه مَنَازِل السَّائرِينَ: إِنَّ الفرَاسَةَ عَلى نَوْعَيْنِ فرَاسَةُ أَهْل المَعْرِفَة وَفرَاسَةُ أَهْل الجُوعِ وَالرِّيَاضَة فَفرَاسَةُ أَهْل المَعْرِفَة فِي تَمْييزهِمْ مَنْ يَصْلحُ لحَضْرَة الله - جَل وَعَلا - مِمَّنْ لاَ يَصْلحُ.

وَمَعْرِفَتُهمْ أَهْل الاسْتعْدَاد الذينَ اشْتَغَلوا بذكْرِ الله سُبْحَانَهُ وَوَصَلوا إِلى حَضْرَة الجَمْعِ، وَفرَاسَةُ أَهْل الرِّيَاضَة وَأَرْبَاب الجُوعِ مَخْصُوصَةٌ بكَشْف الصُّوَر وَالأَخْبَارِ عَنِ المُغَيَّبَات المختَصَّة بالمَخْلوقَات وَلَمَّا كَانَ العَالَمُ أَكْثَرَهُمْ أَهْل انْقطَاعٍ عَنِ الله سُبْحَانَهُ وَاشْتغَالا بالدُّنْيَا مَالَتْ قُلوبُهُمْ إِلى أَهْل كَشْف الصُّوَر وَالأَخْبَارِ عَمَّا غَابَ مِنْ أَحْوَال المخْلوقَات فَعَظَّمُوهُمْ وَاعْتَقَدُوا أَنَّهُمْ مِنْ أَهْل الله وَخَاصَّته وَأَعْرَضُوا عَنْ كَشْف أَهْل الحَقِيقَة وَاتَّهَمُوهُمْ فِيمَا يُخْبِرُونَ عَنِ الله سُبْحَانَهُ وَقَالوا: لوْ كَانَ هَؤُلاء أَهْل الله كَمَا يَزْعُمُونَ لأَخْبَرُونَا عَنْ أَحْوَالنَا الغَيْبيَّة وَأَحْوَال سَائرِ المخْلوقَات وَإِذَا كَانُوا لاَ يَقْدرُونَ عَلى كَشْف أَحْوَال المخْلوقَات فَكَيْفَ يَقْدرُونَ عَلى كَشْف أُمور عَلى مَنْ هَذه وَكَذَّبُوهُمْ فِي فرَاسَتهمُ المُتَعَلقَة بذَات الوَاجب وَصفَاته - جَل وَعَلا - بهَذَا القيَاسِ الفَاسد وَعَميَتْ عَليْهمُ الأَنْبَاءُ الصَّحيحَةُ وَلَمْ يَعْلمُوا أَنَّ اللهَ قَدْ حَمَى هَؤُلاء عَنْ مُلاحَظَة الخَلق وَخَصَّهُمْ بجَنَاب قُدْسه وَشَغَلهُمْ عَمَّا سوَاهُ حمَايَةً لهُمْ وَغَيْرَةً عَليْهمْ وَلوْ كَانُوا مِمَّنْ يَتَعَرَّضُونَ لأَحْوَال الخَلقِ مَا صَلحُوا للحَقِّ سُبْحَانَهُ انْتَهى كَلامُهُ.

وَقَال كَلمَاتٍ أُخَرَ أَيْضًا.

أَمْثَال ذَلكَ وَأَنَا سَمعْتُ حَضْرَةَ شَيْخي ــ قُدِّسَ سرُّهُ ــ يَقُول: كَتَبَ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ بْنُ العَرَبيِّ أَنَّ بَعْضَ الأَوْليَاء الكرَام الذي ظَهَرَتْ منْهُ كَرَامَاتٌ وَخَوَارِقُ كَثيرَةٌ نَدمَ فِي آخرِ النَّفَسِ مِنْ ظُهُورِ تلكَ الكَرَامَات وَقَال تَمَنِّيًا: يَا ليْتَ

هَذه الكَرَامَاتُ لَمْ تَظْهَرْ مِنِّي فَلوْ كَانَ التَّفَاضُل بِاعْتِبَارِ كَثْرَةِ ظُهُورِ الخَوَارِقِ لاَ يَكُونُ للنَّدَامَةِ عَلى ذَلكَ الطَّوْرِ مَعْنًى

فَإِنْ قِيل: إِذَا لَمْ يَكُنْ ظُهُورُ الخَوَارِق شَرْطًا فِي الوِلاَيَةِ كَيْفَ يَتَمَيَّزُ الوَلِيُّ مِنْ غَيْرِ الوَلِيِّ وَكَيْفَ يَتَبَيَّنُ الحقُّ مِنَ المُبْطلِ؟

أُجِيبُ: لاَ يَلزَمُ التَّمْيِيزُ بَل يَكُونُ الحقُّ مُمتزجًا بِالمُبْطل فَإِنَّ اخْتلاطَ الحَقِّ بِالبَاطِل لازِمٌ لِهَذه النَّشْأَة الدُّنْيَوِيَّة وَالعلمُ بِولاَيَة وَلِيٍّ لَيْسَ بِلازِمٍ أَصْلا.

وَكَثِيرٌ مِنْ أَوْلِيَاءِ الله تَعَالى لاَ اطِّلاعَ لَهُمْ، وَلا يُتَّهَمُ فَكَيْفَ يَكُونُ الاطِّلاعُ عَلى وِلايَتهِمْ لازِمًا لِغَيْرهِمْ وَفِي النَّبيِّ لاَ بُدَّ مِنَ الخَوَارِق لِيَتَمَيَّزَ النَّبِيُّ مِنْ غَيْرِ النَّبِيِّ فَإِنَّ العلمَ بِنُبُوَّةِ نَبِيٍّ وَاجِبٌ، وَالوَلِيُّ لَمَّا كَانَ دَاعِيًا إِلى شَرِيعَة نَبِيِّه كَفَاهُ مُعْجِزَةُ نَبِيِّه فَلوْ كَانَ الوَلِيُّ يَدْعُو إِلى مَا وَرَاءَ الشَّرِيعَة لَمَا كَانَ لَهُ بُدٌّ مِنْ خَارِق.

وَحَيْثُ كَانَتْ دَعْوَتُهُ مَخْصُوصَةً بِشَرِيعَة نَبِيٍّ لاَ يَلزَمُ الخَارِقُ أَصْلا.

العُلمَاءُ يَدْعُونَ إِلى ظَاهِرِ الشَّرِيعَة وَالأَوْلِيَاءُ يَدْعُونَ إِلى ظَاهِرِ الشَّرِيعَة وَبَاطِنِ الشَّرِيعَة يَدُلونَ المُرِيدِينَ وَالطَّالبِينَ أَوَّلا عَلى التَّوْبَة وَالإِنَابَة وَيُرَغِّبُونَهُمْ فِي إِتْيَانِ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّة وَيَهْدُونَهُمْ ثَانِيًا إِلى طَرِيقِ ذِكْرِ الحَقِّ - جَل وَعَلا - وَيُؤَكِّدُونَ فِي اسْتغْرَاق جَمِيعِ أَوْقَاتِهِمْ بِالذِّكْرِ الإِلهِيِّ - جَل سُلطَانُهُ - إِلى أَنْ يستَوْلِى الذِّكْرُ وَلا يَبْقَى فِي القَلب غَيْرُ المَذْكُورِ أَصْلا لِيَحْصُل النِّسْيَانُ عَنْ جَمِيعِ مَا سِوَى المَذْكُورِ حَتَّى لوْ كُلفَ يَتَذَكَّرُ الأَشْيَاءَ لا يَكَادُ يَتَذَكَّرُ وَمِنَ اليَقِينِ أَنَّهُ لاَ حَاجَةَ للوَلِيِّ لأَجْلِ هَذهِ الدَّعْوَةِ التِي تَتَعَلقُ بِظَاهِرِ الشَّرِيعَة وَبَاطِنهَا إِلى الخَوَارِقِ أَصْلا.

والشُّخُوخةُ وَالمُرِيدِيَّةُ عِبَارَتَان عَنْ هَذه الدَّعْوَة التِي لاَ تَعَلقَ لَهَا بِالخَوَارِق وَلا مَسَاسَ لَهَا بِالكَرَامَة مَعَ أَنَّا نَقُول: إِنَّ المُرِيدَ الرَّشِيدَ وَالطَّالبَ المسْتَعدَّ يُحسُّ فِي كُل سَاعَة فِي أَثْنَاءَ سُلوك الطَّرِيقِ خَوارِقَ شَيْخه وَكَرَامَاته وَيَسْتَمدُّ مِنْهُ فِي المُعَامَلة الغَيْبِيَّة فِي كُل زَمَان وَيَجدُ مِنْهُ فِيهَا مَدَدًا.

وَظُهُورُ الخَوَارِق بِالنِّسْبَة إِلى الأَغْيَار لَيْسَ بِلازِم. وَأَمَّا بِالنِّسْبَة فَإِلى المُرِيدينَ فَكَرَامَاتٌ فِي كَرَامَات وَخَوَارِقُ فِي خَوَارِقَ وَكَيْفَ لاَ يُحسُّ المُرِيدُ خَوَارِقَ الشَّيْخ فَإِنَّ الشَّيْخَ أَحْيَا القَلبَ المَيِّتَ وَأَوْصَل إِلى المكاشفة وَالمُشَاهَدَة فَإِذَا كَانَ عِنْدَ العَوَامِّ

الإِحْيَاءُ الجَسدِيُّ عَظِيمُ الشَّأْنِ فَعِنْدَ الخَواصِّ الإِحْيَاءُ القَلبِيُّ والرُّوحِيُّ بُرْهَانٌ رَفِيعُ البُنْيان.

كَتَبَ الخَوَاجَهْ مُحَمَّدٌ بَارسا ـــ قُدِّسَ سرُّهُ ـــ في الرِّسَالة القُدْسِيّة:

وَلَمَّا كَانَ الإِحْيَاءُ الجَسَدِيُّ مُعتبرًا عِنْدَ أَكْثَرِ النَّاسِ أَعْرَضَ عَنْهُ أَهْلُ اللهِ وَاشْتَغَلوا بالإِحْيَاء الرُّوحِيِّ وَتَوَجَّهُوا إلى إِحْيَاءِ القَلب المَيِّت.

وَالحَقُّ أَنَّ الإِحْيَاءَ الجَسَدِيَّ بالنِّسْبَة إلى الإِحْيَاء القَلبِيِّ والرُّوحِيِّ كَالمَطْرُوحِ في الطَّرِيقِ وَدَاخِلٍ في العَبَث بالنَّظَرِ إِلَيْه فَإِنَّ هَذَا الإِحْيَاءَ سَبَبُ حَيَاة أَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ وَذَاكَ الإِحْيَاءُ وَسِيلَةٌ للحَيَاة الدَّائميَّة.

بَل نَقُول: إنَّ وُجُودَ أَهْلِ اللهِ في الحَقِيقَة كَرَامَةٌ مِنَ الكَرَامَات وَدَعْوَتُهمُ الخَلقَ إلى الحَقِّ - جَلَّ سُلطَانُهُ - رَحْمَةٌ مِنَ اللهِ تَعَالى وَإِحْيَاؤُهُمُ القُلوبَ المَيِّتَةَ آيَةٌ مِنَ الآيَات العُظْمَى.

وَهُمْ أَمَانُ أَهْلِ الأَرْضِ وَغَنَائمُ الأَيَّامَ بِهِمْ يُمطَرونَ وَبِهِمْ يُرْزَقُونَ وَارِدٌ في شَأْنِهِم: كَلامُهمْ دَوَاءٌ وَنَظَرُهمْ شِفَاءٌ، هُمْ جُلسَاءُ الله، وَهُمْ قَوْمٌ لاَ يَشْقَى جَلِيسُهُمْ، وَلا يَخِيبُ أَنِيسُهُمْ، وَالعَلامَةُ التي يَتَمَيَّزُ بهَا مُحقُّ هَذه الطَّائفَة مِنْ مُبْطلِهِمْ هِيَ أَنَّهُ إذَا كَانَ شَخْصٌ لهُ اسْتِقَامَةٌ عَلى الشَّرِيعَة وَيَحْصُلَ للقَلبِ في مَجْلسه مَيْل وَتَوَجُّهٌ إلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى وَيُفْهَمُ حُصُول بُرُودَة عَمَّا سِوَاهُ تَعَالى فَذَلكَ الشَّخْصُ شَخْصٌ مُحقٌّ وَلا يُعَدُّ مِنَ الأَوْلِيَاء عَلى تَفَاوُت الدَّرَجَات مُسْتَحِقٌّ.

وَهَذَا أَيْضًا بِالنَّظَرِ إلى أَرْبَابِ المُنَاسَبة وَالذي لاَ مُنَاسَبَةَ لهُ فَهُوَ مَحْضٌ مَحْرُومٌ مُطْلَقٌ.

مَنْ لَمْ يَكُنْ في نَفْسه مَيْل الهُدَى ... فَشُهُودُه وَجْهُ النَّبيِّ لاَ يَنْفَعُهُ

وَقَد انْدَرَجَتْ في المَكْتُوب الشَّرِيف شمَّةٌ منْ طَلَب سُلطَان الوَقْت للهِ تَعَالى منْ حُسْنِ النَّشْأَة وَوَقَعَ رَمْزٍ إلى العَدَالَة وَالتزَام الأحكَام الشَّرِيعَة فَأَوْرَثَتْ مُطَالعَةُ ذَلكَ فَرَحًا وَافِرًا وَذَوْقًا كَمَا أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ نَوَّرَ العَالَمَ بنُور عَدْل سُلطَان الوَقْت وَعَدَالته نَصرَ الشَّرِيعَةَ المُحَمَّدِيَّةَ وَأَعزَّ المِلةَ المُصْطَفَوِيَّةَ أَيْضًا بحُسْنِ اهْتمَامه.

أَيُّهَا المحبُّ: بحُكْمِ الشَّرِيعَةِ تَحْتَ السَّيْفِ رَوَاجُ الشَّرِيعَةِ الغَرَّاءُ مَرْبُوطٌ بحُسْنِ اهْتمَامِ السَّلاطِين العظَام.

وَهَذَا المَعْنَى قَدْ طَرَأَ عَليْه الضَّعْفُ مِن مُنْذُ أَوْقَات فَصَارَ الإِسْلامُ ضَعيفًا بالضَّرُورَة وَطَفِقَ كُفَّارُ الهِنْدِ يَهْدِمُونَ المسَاجِدَ بلا تَحَاشٍ وَيُعَمِّرُونَ في مَوَاضِعهَا

مَعابِدَهم كَانَ فِي تانيسر فِي دَاخِلِ حَوْضِ كركيهت مَسْجِدٌ وَقبْرُ وَاحِدٍ مِنَ الأَعِزَّة فَهَدَمُوهُ وَبَنَوْا مَوْضِعَه دَيْرًا كبيرًا وَأَيْضًا الكُفَّار يُجْرُونَ مَرَاسِمَ الكُفْرِ عَلى المَلأ كَمَا شَاءُوا وَالمُسْلِمُونَ عَاجِزُونَ عَنْ إجرَاءِ أَحْكَامِ الإِسْلامِ وَيَوْمَ الكَادس للهُنُود الذينَ يَتْرُكُونَ فيه الأَكْلَ وَالشُّرْبَ يَهْتَمُّونَ فِي أَنْ لَا يَطْبُخَ وَلا يَبيعَ أَحَدٌ مِنَ المُسْلمينَ خُبْزًا فِي أَسْوَاق بلاد المسْلمينَ وَفي شَهْرِ رَمَضَانَ المبَارَك يَطْبُخُونَ الخُبْزَ وَالطَّعَامَ في المَلأ وَيَبيعُونَ وَلا يَقْدرُ أَحَدٌ مِنْ ضَعْفِ الإِسْلامِ عَلى مَنْعه، يَا أَسفًا عَلى ذَلكَ مائَةَ ألف أَسَف

سُلطَانُ الوَقْت مِنَّا وَنَحْنُ الفُقَرَاءُ بِهَذَا الضَّعْفِ وَالوَهْنِ وَقَدْ قَوِيَ الإسْلامُ بإِكْرَامِ أَصْحَاب الدَّوْلَة وَإعْزَازِهِمْ إِيَّاهُ وَكَانَ العُلَمَاءُ وَالصُّوفيَّةُ مُعَزَّزينَ وَمُحْتَرَمينَ وَكَانُوا يَجْتَهِدُونَ فِي تَرْوِيجِ الشَّرِيعَة بتَقْوِيَة هَؤُلاء وَسَمعْتُ أَنَّ الأَميرَ تَيْمُورَ عَلَيْه الرَّحْمَةُ كَانَ يَوْمًا يَمُرُّ مِنْ بَعْضِ أَزِقَّة بُخَارَا وَكَانَ دَرَاوِيشُ خَانَقَاهُ الخَوَاجَهْ النَّقْشَبَنْديِّ يَنْفُضُونَ فَرْشَ خَانَقَاهُ الخَوَاجَهْ اتِّفَاقًا فَتَوَقَّفَ الأَميرُ فِي ذَلكَ المَحَل منْ حُسْنِ نَشْأَته الإِسْلاميَّة حَتَّى جَعَلَ غُبَارَ الخانقاه عَنْبَرًا لنَفْسه ضِدَّلَ يَتَشَرَّفُ ببَرَكَات فُيوضِ الدَّرَاوِيشُ وَلَعَلَّهُ بهَذَا التَّوَاضُعِ وَالانْكسَارِ تَشَرَّفَ بحُسْنِ الخَاتمَة.

نُقل أَنَّ حَضْرَةَ الخَوَاجَهْ النَّقْشَبَنْديَّ ــ قُدِّسَ سرُّهُ ــ قَال بَعْدَ وَفَاة الأَمير تَيمُورَ: " أَمير مردو إيمان يرد " يَعْني: مَاتَ الأَميرُ وَاسْتَصْحَبَ إِيمَانَهُ هَل تَعْلَمُ مَا وَجْهُ نُزُولِ الخُطَبَاء إِلى دَرَجَة سُفْلِيَّة عنْدَ ذكْرِ أَسَامي السَّلاطينِ فِي خُطْبَة الجُمَعِ هُوَ تَوَاضُعُ السَّلاطينِ العظَام بالنِّسْبَة إِلَى نَبيِّنَا وَخُلفَائه الرَّاشدينَ عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَلَمْ يُجَوِّزُوا أَنْ تُذْكَرَ أَسَاميهِمْ مَعَ أَسَامي أَكَابِرِ الدِّين فِي دَرَجَةٍ وَاحِدَةٍ شَكَرَ اللهُ تَعَالى سَعْيَهُمْ.

تَذْيِيـــــل

أَيُّهَا الأَخُ: إنَّ السَّجْدَةَ التي هِيَ عِبَارَةٌ عَنْ وَضْعِ الجَبِين عَلى الأَرْضِ مُتَضَمِّنَةٌ لِنِهَايَةِ التَّذَلل وَالانْكسَار وَمُشْتَمِلَةٌ عَلى كَمَال التَّوَاضُعِ وَالافْتِقَار وَلِهَذَا جَعَلُوا هَذَا القِسْمَ مِنَ التَّوَاضُعِ مَخصوصًا بِعِبَادَةِ وَاجِبِ الوُجُودِ - جَل سُلْطَانُهُ - وَلَمْ يُجِيزُوهُ لِغَيْرِه تَعَالى.

نُقل أَنَّ رَسُول الله صَلى اللهُ عَلَيْه سَلمَ كَانَ يَوْمًا يَمْشِي عَلى طَرِيقٍ فَجَاءَ أعْرابيٌّ فَطَلَبَ منْهُ مُعْجزَةً حَتَّى يُؤْمِنَ فَقَالَ لهُ ﷺ: قُل لِهَذه الشَّجَرَة إنَّ رَسُول الله يَطْلُبُك فَتحَرَّكَتْ وَانْقَلَعتْ عَنْ مَحلهَا وَجَاءَتْ حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُول الله ﷺ فَلَمَّا شَاهَدَ الأعرابيُّ هَذَا الحَال أَسْلمَ وَقَال: ائْذَنْ لِي أَسْجُدُ لك يَا رَسُول الله قَال: لاَ تَجُوزُ السَّجْدَةُ لِغَيْرِ الله تَعَالى لوْ أَمَرْتُ أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ لأَمَرْتُ المَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا "(١).

وَبَعْضُ الفُقَهَاء وَإِنْ جَوَّزُوا سَجْدَةَ التَّحيَّة للسَّلاطِين وَلكنَّ اللائقَ بحَال السَّلاطِين العظَام أَنْ يَتَوَاضَعُوا فِي هَذَا الأَمْر لِحَضْرَة الحَقِّ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالى - وَأَنْ لاَ يُجَوِّزُوا نِهَايَةَ التَّذَلل وَالانْكسَار هَذه لِغَيْرِه تَعَالى.

وَقَدْ سَخَّرَ لَهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ العَالَمَ وَأَحْوَجَهُمْ إلَيْهِمْ فَيَنْبَغِي أَدَاءُ شُكْرِ هَذه النِّعْمَة العُظْمَى وَأَنْ يُخَصِّصُوا مثْلَ هَذَا التَّوَاضُعِ المُنْبِئِ عَنْ كَمَال العَجْزِ وَالانْكسَار بجَنَاب قُدْسه تَعَالى وَأَنْ لاَ يُجَوِّزُوا الشَّرِكَةَ مَعَهُ تَعَالى فِي هَذَا الأَمْرِ وَإِنْ جَوَّزَ جَمْعٌ هَذَا المَعْنَى وَلكنْ يَنْبَغِي لِحُسْنِ تَوَاضُعِهِمْ أَنْ لاَ يُجَوِّزُوهُ هَل جَزَاءُ الإِحْسَان إلا الإِحْسَانُ وَحَيْثُ إِنَّ سُلْطَانَ الوَقْت نَزَل إِلى دَارِ الخِلافَة رَاجِعًا مِنْ أَقْصَى مَمالكه

---

(١) بنحو هذا عند الحاكم في المستدرك: في "المستدرك - في البر والصلة في باب حق الزوج على الزوج" ١٧٢/٤.، وقال صحيح الإسناد، وتعقبه الذهبي فقال: صالح بن حيان متروك.

وعند الترمذي بلفظ " "لَوْ كُنْتُ آمراً أحَداً أنْ يَسْجُدَ لأحَد، لأمَرْتُ المَرْأَةَ أنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا". وليس فيه القصة أوله، سنن الترمذي: ك: الرضاع. ب: ما جاء في حق الزوج على المرأة. ح ١١٥٥، وقال: حسن غريب.، وابن ماجه في السنن: ك: النكاح. ب: حق الزوج على المرأة. ح١٨٥٢. والطبراني في الكبير: ب: السين: سراقة بن مالك بن جعشم.

وقال الهيثمي: رواه البزار وفيه الحكم بن طهمان أبو عزة الدباغ وهو ضعيف.(مجمع الزوائد ح٧٦٥٢) وقال في موضع آخر: رواه الطبراني من طريق وهب بن علي عن أبيه و لم أعرفهما،وبقية رجاله ثقات.(مجمع الزوائد: ح٧٦٥٣)

يَتَحَمَّل أَنْ يُوصِل هَذَا الفَقِيرَ نَفْسَهُ عَنْ قَرِيبٍ إلى دَارِ الخِلافَة بِمَشِيئَة الله تَعَالى. والبَاقِي عِنْد التَّلاقِي {والسلام على من اتبع الهدى}[1] وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلى آلهِ الصَّلاةُ والتَّسْلِيمَاتُ العُلى.

(١) طـه: ٤٧

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالأَرْبَعُمِائَة

إِلى الخَوَاجَهْ هَاشِم البَدَخْشِيِّ الكَشْمِيِّ

فِي بَيَان أَنَّ لِكُل مِنْ لطَائِف عَالَمِ الخَلْق وَعَالَمِ الأَمْر أَوْ بَاطِنًا وَلُحُوق هَذَا البَاطِن بِاسْمٍ هُوَ قَيُّومُ العَارِف وَبَيَانٍ أَنَّ العَارِفَ فِي وَقْتَ النُّزُول إِلى القَلب مُتَوَجِّهٌ إِلى دَعْوَة العِبَاد ظَاهِرًا وَبَاطِنًا

اعْلَمْ أَنَّ عَالَمَ الخَلق وَعَالَمَ الأَمْرِ للعَارِف التَّامِّ المَعْرفَة وَإِنْ كَانَ كلاهُمَا دَاخلَيْنِ فِي الظَّاهِرِ وَالصُّورَةُ بالنِّسْبَة إِلى الاسْمِ القَيُّوم الذِي هُوَ وَجْهُهُ الخَاصُّ وَفي الحَقيقَة هُوَ بَاطِنَةٌ وَحَقيقتُه كَمَا حَرَّرَ تَحْقيقَهُ فِي مَكْتُوب وَلكِنْ إِذَا لاحَظْنَا هَذَا الظَّاهِرَ وَالصُّورَةَ بحدَّةَ النَّظَرِ التِي هِيَ صَارَتْ مَوْهبَةً بمَحْضِ فَضْل الله - جَل سُلطَانُهُ - يَظْهَرُ هُنَا أَيْضًا ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ وَتَبْدُو صُورَةٌ وَحَقيقَةٌ لاَ إِنَّهُ تَجدُ عَالَمَ الخَلق بالتَّمَامِ ظَاهِرًا وَعَالَمَ الأَمْرِ بَاطنًا كَمَا ظَنَّ جَمَاعَةٌ بَل فِي كُل لطيفَة مِنْ لطَائِف عَالَمِ الخَلقِ وَالأَمْرِ صُورَةٌ وَحَقيقَةٌ عُنْصُرُ التُّرَاب لهُ ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ وَكَذَلكَ الأَخْفَى لَهُ ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ وَهَذَا البَاطِنُ الذِي يَتَعَلقُ بعَالَمِ الخَلق وَعَالَمِ الأَمْرِ يَكُونُ يَوْمًا قَيُّومًا بتَوَسُّط الأَعْمَال الصَّالحَة بَل بمَحْضِ مَوْهبَة الله - جَل سُلطَانُهُ - مُلحَقًا بِذَاكَ البَاطِنِ الذِي هُوَ مَرْبُوطٌ بالاسْمِ القَيُّومِ شَيْئًا فَشَيْئًا إِلى حَدٍّ لاَ يَبْقَى مِنْ هَذَا البَاطِنِ أَثَرٌ أَصْلا وَكُل مَا هُوَ غَيْرُ الظَّاهِرِ الصِّرْف يَصيرُ مُخْتَفيًا.

وَلحَاقُ هَذَا البَاطِنِ بالاسْمِ القَيُّوم لَيْسَ هُوَ بمَعْنَى أَنَّ هَذَا البَاطِنَ يَكُونُ فِي ذَلكَ الاسْمِ وَأَنَّهُ يَتَّحدُ مَعَهُ فَإِنَّ ذَلكَ الحَادَّ سُبْحَانَ مَنْ لاَ يَتَغَيَّرُ بذَاته وَلا بصِفَاته وَلا بأَسْمَائه بحُدُوث الأَكْوَان بَل بمَعْنَى أَنَّهُ تَحْصُل لهَذَا البَاطِنِ نِسْبَةٌ إِلى ذَلكَ الاسْمِ مَجْهُولَةُ الكَيْفيَّة تَكُونُ مُوَهِّمَةً للحُلول وَالاتِّحَاد.

وَفي الحَقيقَة لاَ حُلول وَلا اتِّحَادَ فَإِنَّ ذَلكَ مُسْتَلزمٌ لقَلب حَقيقَة الإِمْكَان إِلى حَقيقَة الوُجُوب تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ وَهُوَ مُحَال عَقْليٌّ وَزَنْدَقَةٌ فِي الشَّرِيعَة وَذَاكَ الظَّاهِرُ الصِّرْفُ الذِي يَبْقَى وَإِنْ كَانَ مِنْ عَالَمِ الشَّهَادَة فَإِنَّهُ مَشْهُودٌ وَمَرْئِيٌّ وَلَكنَّهُ مُنْصبِغٌ بلوْن البَاطِنِ وَإِنْ كَانَ البَاطِنُ خَارجًا مِنْ حَيْطَة الشُّهُود وَالإِدْرَاك وَصَارَ مُلحَقًا بالغَيْب وَأَخَذَ لوْنَهُ فَإِنَّ الكَيْفيَّ مَا لمْ يَأْخُذ لوْنَ الكَيْفيِّ وَلمْ يَخْرُجْ مِنْ حَيْطَة الإِدْرَاك الكَيْفيِّ وَلمْ يَحْمل حُمُولهُ مِنَ الشَّهَادَة إِلى الغَيْب لاَ يَنَال نَصيبًا مِنَ الكَيْفيِّ الحَقيقيِّ وَلا يَكُونُ مُطَّلعًا عَلى غَيْب الغَيْب.

يَنْبَغي أَن يُعْلَمَ: أَنَّ هَذَا الظَّاهِرَ الذي بَقيَ عَلى حَاله مُتَمَيِّزًا منَ البَاطن وَجْهُهُ إلى الخَلق بالتَّمَام وَالطَّاعَاتُ وَالعبَادَاتُ الشَّرْعيَّةُ مَرْبُوطَةٌ به وَمُعَامَلَةُ الدَّعْوَة وَالتَّكْميل أَيْضًا مَنُوطَةٌ به وَبَاطنُ هَذَا العَارف صَاحب التَّكْميل سَوَاءٌ كَانَ مُتعلقًا بالمَرَاتب الإمْكَانيَّة أَوْ بالمَقَامات الوجوبيَّة أَيْضًا مُتَوَجِّهٌ إلى الظَّاهر وَإلى أَيِّ شَيْءٍ يَتَوَجَّهُ الظَّاهرُ يَتَوَجَّهُ البَاطنُ أَيْضًا إلى تلكَ الجهَة لأَجْل التَّكْميل وَالتَّرْبيَة وَتَتْميم العبَادَة فَإنَّ هَذَا الدَّارَ دَارُ العَمَل وَهَذَا المَوْطنَ مَوْطنُ الدَّعْوَة وَحَقيقَةُ الشُّهُود وَالمُشَاهَدَة إنَّمَا هيَ في الآخرَة وَمُعَامَلَةُ الكَشْف وَالمُعَايَنَة أَمَامَنَا وَعبَادَةُ المَعْبُود – جَلَ سُلطَانُهُ – في هَذَا المَوْطن أَفضَل منَ الاسْتغْرَاق في المَعْبُود تَعَالى.

وَانْتظَارُ المَطْلوب الذي هُوَ نَاشئٌ منَ المَحَبَّة خَيْرٌ منَ الاسْتهْلاك في المَطْلوب.

يُصَدِّقُ أَرْبَابُ السُّكْر ذَلكَ أَوَّلا.

وَتَوَجُّهُ الظَّاهر وَالبَاطن هَذَا الذي حَصَل لعَارف صَاحب تَكْميل إلى جَانب الخَلق هُوَ إلى بُلوغ الأَجَل المسمَّى الذي هُوَ مُنْتَهي مَقَام الدَّعْوَة فَإذَا بَلغ الأَجَل يَطَّلعُ عَلى جسْر المَوْت وَيَضعُ قَدَمَهُ في مَنْزل وصَال المَحْبُوب وَيَشْرُفُ بدَوْلة الوَصْل وَالاتِّصَال بلا مُزَاحَمَة الأَغْيَار.

هَنيئًا لأَرْبَاب النَّعيم نَعيمُهَا وَللعَاشق المسْكين مَا يَتَجَرَّعُ

{رَبَّنَا أَتْممْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفرْ لَنَا إنَّكَ عَلى كُل شَيْءٍ قَديرٌ}[1] وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالتَّحيَّةُ وَالبَرَكَةُ عَلى خَيْر خَلق الله وَعَلى إخْوَانه الكرَام وَعَلى آله وَصَحْبه العظَام إلى يَوْم القيَام.

---

(١) التحريم: ٨

الْمَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالأَرْبَعُمِائَة
إِلى مَوْلانَا عَبْد القَادِرِ الأُنبالِيِّ
فِي بَيَانِ حَقِيقَةِ الفَنَاء وَالبَقَاء
وَانْفِكَاكِ العَدَمِ مِنْ حَقِيقَةِ العَارِفِ وَصُورَتِه وَتَكْمِيل نِسْبَةِ الْمُجَاوِرَة
بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمِينَ وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلى سَيِّد المُرْسَلينَ:

اعْلَمْ أَنَّ حَقَائِقَ المُمْكنات بعلمِ هَذَا الفَقيرِ كَمَا كَتَبَ فِي بَعْضِ المكَاتيب عبَارَةٌ عَنِ العَدَمَات التي هِيَ مَنْشَأُ جَميعِ الشَّرِّ وَالنَّقْصِ مَعَ عُكُوسِ الصُّوَرِ العلميَّة للأَسْمَاء وَالصِّفَات الإلهيَّة - جَل شَأْنُهُ - التي ظَهَرَتْ في تلكَ العدَمَات، غَايَةُ مَا في البَاب أَنَّ تلكَ العَدَمَات مثل الهيُولى وَتلكَ العُكُوسِ كَالصُّورَة الحَالة في الهَيُولى تُشَخِّصُ تلكَ العَدَمَات وَتُمَيِّزُهَا بتلكَ العُكُوسِ الظَّاهِرَة فيهَا وَقيَامُ تلكَ العُكُوس بتلكَ العَدَمَات المتَمَيِّزَة وَهَذَا القيَامُ ليْسَ هُوَ كَقيَام العَرْضِ بالجَوْهَر بَل كَقيَامِ الصُّورَة بالهَيُولى عَلى مَا قَالوا إنَّ قيَامَ الصُّورَة بالهَيُولى وَتَشْخيصَ الهيُولى بالصُّورَة فَإِذَا كَانَ السَّالكُ مُتَوَجِّهًا بتَوْفيقِ الله سُبْحَانَهُ إلى جَنَاب قُدْسِ الحَقِّ - جَل شَأْنُهُ - بالذِّكْرِ وَالمُرَاقَبَة وَأَعْرَضَ عَمَّا سوَاهُ سُبْحَانَهُ سَاعَةً فَسَاعَةً تَحْصُل لتلكَ الصُّوَر العلميَّة للصِّفَات الوَاجبَة - جَل شَأْنُهُ - في كُل آن قُوَّةٌ وَغَلبَةٌ وَتَسْتَوْلي عَلى قَرينهَا الذي هُوَ العَدَمَاتُ وَتَتَسَلطُ أَلا إنَّ حزْبَ الله هُمُ الغَالبُونَ.

وَتَبْلغُ المُعَامَلةُ مَبْلغًا تَشْرَعُ العَدَمَات التي هِيَ كَالأَصْل وَالهَيُولى لتلكَ العُكُوس فِي الاسْتتَارِ بَل تَكُونُ مُخْتَفيَةً عَنْ نَظَرِ السَّالك بالتَّمَام وَلا يَبْقَى فِي نَظَر غَيْرِ العُكُوسِ وَالأَصُول وَأُصُول الأُصُول بَل تَكُونُ العُكُوسُ التي هِيَ مَرَايَا أُصُولها مُخْتَفيَةً عَنِ النَّظَرِ فَإنَّهُ لاَ بُدَّ للمَرَايَا منَ الاخْتفَاء وَهَذَا المَقَامُ مُقَامُ الفَنَاء وَعَال جدًّا فَإنَّ شَرَفَ هَذَا السَّالك الفَاني بالبَقَاء بالله، وَارْجَعْ إلى العَالمِ يَجدُ عَدَمَهُ كَالجلد الضَّيِّق الذي هُوَ لوقَايَة البَدَن وَيَكَادُ يُعَبِّرُ عَنْهُ منْ غَايَة عَدَم مُنَاسَبَته لهُ بقَميصٍ منْ شَعْرٍ وَيَجدُهُ مُبَاينًا لنَفْسه.

وَلكنْ مَا كَانَ العَدَمُ مُبَاينًا لهُ في هَذَا الموْطنِ في الحَقيقَة بَل هُوَ دَاخل في مَظَانِّ أَنَانيَّته وَبالجُمْلة إنَّ العَدَمَ في هَذَا المَقَام جُزْؤُهُ المَغْلوبُ وَالمَسْتُورُ وَمُتَنَزِّل عَنِ

الحَالَة التي كَانَتْ لهُ فِيمَا قَبْل وَصَارَ تَابِعًا بَل قائمًا بِتِلكَ العُكُوسِ التي كَانَ قِيَامُهَا بِه.

وَهَذَا الفَقِيرُ كَانَ فِي هَذَا المَقَامِ سِنِينَ وَوَجدَ عَدَمَهُ مُبَايِنًا لِنَفْسِه كَقَمِيصٍ مِنْ شَعْرٍ وَلَمَّا كَانَتْ عِنَايَةُ اللهِ سُبْحَانَهُ التي لاَ غَايَةَ لَهَا شَامِلَةً لِحَالِه بَعْد اللّتَيَا واللتي رَأَى أَنَّ ذَلكَ الجُزْءَ المَغْلوبَ انْحَل مِنْ هَذَا التَّرْكِيب وَفَارَقَهُ وَفَقدَ التَّشَخُّصَ الذي كَانَ عارِضًا لهُ بِحُصُول تِلكَ العُكُوسِ وَكَأَنَّهُ صَارَ مُلحَقًا بِالعَدَمِ المُطْلَق كَصُورَة تُجْعَل فِي قَالب وَيُجْعَل قِيَامَهَا به فَإِذَا كَمُلتْ وَحصَل لَهَا ثَبَاتٌ وَرُسُوخٌ يَكْسرُ ذَلكَ القَالبَ وَتَخْرُجُ الصُّورَةُ مِنْهُ وَيَجْعَل قِيَامَهَا به فَإِذَا كَمُلتْ وَحَصَل لَهَا ثَبَاتٌ وَرُسُوخٌ يَكْسرُ ذَلكَ القَالبَ وَتَخْرُجُ الصُّورَةُ مِنْهُ وَيُجْعَل قَائمَةً بِنَفْسِهَا وَفِيمَا نَحْنُ فيه أَيْضًا العُكُوسُ التي كَانَ قِيَامُهَا به حُصُولاً لَهَا قِيَامُهَا بِنَفْسِهَا بَل بِأُصُولِهَا فَفِي هَذَا الوَقْت لَمْ يَبْقَ إِطْلاقُ أَنَا عَلى غَيْرِ العُكُوسِ وَأُصُول تِلكَ العُكُوس وَكَانَ الجُزْءُ العَدَمِيُّ لَمْ يَكُنْ لهُ مَسَاسٌ بِهَا. وَوُجْدَانُ حَقِيقَة الفَنَاء إِنَّمَا حَصَلتْ فِي هَذَا المَوْطِنِ وَكَأَنَّ الفَنَاءَ السَّابِقَ كَانَ صُورَةَ هَذَا الفَنَاء.

وَلَمَّا أُخرِجَ إِلى البَقَاء مِنْ هَذَا المَقَامِ وَأُرْجِعَ إِلى العَالَمِ أُعِيدَ ذَلكَ العَدَمُ الذي كَانَتْ لهُ نِسْبَةُ الجُزْئِيَّة وَكَانَتْ لهُ الأَصَالةُ وَالغَلبَةُ وَجُعل مُجاوِرًا وَقَرِينًا لهُ وَمُبَايِنًا عَنْ حَقِيقَتِه وَصُورَتِه وَأَبْعَدُ عَنْ إِطْلاق لَفْظ أَنَا عَليْه وَأَلبَسُ هواياه كَقَمِيصِ الشَّعْرِ ثَانِيًا لأَجْل حِكَمٍ وَمَصَالحَ وَفِي هَذه الحَالة وَإِنْ أُعِيدَ العَدَمُ وَلكِنْ لَمْ يُجْعَل قِيَامُ تِلكَ العُكُوسِ مَرْبُوطًا به بَل جُعل قِيَامُ العَدَمِ بِتِلكَ العُكُوس كَمَا مَرَّ فِي البَقَاءِ السَّابِقِ فَإِذَا كَانَ فِي ذَلكَ البَقَاء هَذه النِّسْبَةُ تَكُونُ هَذه النِّسْبَةُ فِي تِلكَ الحَالة التي هِيَ حَقِيقَةُ البَقَاء عَلى الوَجْه الأَتَمِّ،

غَايَةُ مَا فِي البَاب: أَنَّ لِلثَّوْب تَأْثِيرًا فِي صَاحِب الثَّوْب بَعْدَ لُبْسه فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ الثَّوْبُ حَارًّا يَتَأَثَّرُ اللابسُ بِالحَرَارَة وَإِنْ كَانَ بَارِدًا يَتَأَثَّرُ بِالبُرُودَة وَكَذَلكَ هَذَا العَدَمُ المشَابِهُ بِالثَّوْب وَجَدَ لهُ تَأْثِيرًا فِي نَفْسه وَرَأَى أَثَره سارِيًا فِي جَمِيعِ بَدَنه وَلكِنْ يُعْرَفُ أَنَّ هَذَا التَّأْثِيرَ وَالسِّرَايَةَ ظَاهِرِيٌّ لاَ بَاطِنِيٌّ عَرَضِيٌّ لاَ ذَاتِيٌّ حَاصِل مِنَ المُجَاوِرِ الخَارِجِ لاَ مِنَ المُجَانِسِ الدَّاخل.

وَإِنْ وُجدَ الشَّرُّ وَالنَّقْصُ اللذَان نَاشِئَان مِنْ ذَلكَ العَدَمِ فَهُمَا أَيْضًا عَرَضِيَّان خَارِجِيَّانِ لاَ ذَاتِيَّان أَصْلِيَّان.

وَصَاحِبُ هَذَا الْمَقَامِ وَإِنْ كَانَ مُشَارِكًا لِسَائِرِ النَّاسِ فِي الْبَشَرِيَّةِ وَمُسَاهِمًا مَعَ غَيْرِهِ فِي صُدُورِ الصِّفَاتِ الْبَشَرِيَّةِ وَلَكِنَّ ظُهُورَ الصِّفَاتِ الْبَشَرِيَّةِ مِنْهُ وَمِنْ أَبْنَاءِ جِنْسِهِ عَرَضِيٌّ نَاشِئٌ مِنَ الْمُجَاوِرِ وَمِنَ الآخَرِينَ ذَاتِيٌّ وَأَصْلِيٌّ.

شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا، وَالعَوَامُّ يَتَصَوَّرُونَ الخَوَاصَّ بَلْ أَخَصَّ الخَوَاصِّ كَأَنْفُسِهِمْ مُلاحَظِينَ الْمُشَارَكَةَ الصُّورِيَّةَ وَيَكُونُونَ فِي مَقَامِ الإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ وَيَحْرِمُونَ بَرَكَاتِهِمْ قَوْلُهُ تَعَالَى {فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا} فَكَفَرُوا وَقَوْلُهُ تَعَالَى {وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ} عَلامَةُ حَالِهِمْ.

وَكُلُّ مَا أَرَى فِي نَفْسِي مِنْ جَرْيٍ فِي كُلِّيَتِي وَسِرِّي وَأَجِدُ نَفْسِي بِالتَّمَامِ وَالكَمَالِ طَاهِرًا وَمُبَرَّأً مِنْ تِلْكَ الصِّفَاتِ وَلا أُحِسُّ فِي نَفْسِي نُبْذَةً مِنْ تِلْكَ الصِّفَاتِ للهِ سُبْحَانَهُ الحَمْدُ وَالْمِنَّةُ عَلَى ذَلِكَ وَهَذِهِ الصِّفَاتُ الَّتِي تَظْهَرُ بِسَبَبِ المُجَاوَرَةِ كَحُمْرَةٍ تَظْهَرُ مِنْ شَخْصٍ لابِسٍ لِبَاسًا أَحْمَرَ بِسَبَبِ حُمْرَةِ اللِّبَاسِ المُجَاوِرِ، وَالحُمَقَاءُ لِعَدَمِ تَمْيِيزِهِمْ يَظُنُّونَ حُمْرَةً مُجَاوِرِ شَخْصٍ حُمْرَةَ ذَلِكَ الشَّخْصِ وَيَنسبونَ إِلَيْهِ أَحْكَامًا مُخَالِفَةً لِلْوَاقِعِ.

خَابَ الَّذِي قَدْ يَرَى ذَا القُبْحِ كَالحَسَنِ ... وَفَازَ مَنْ كَانَ فِيهِ حِدَّةُ البَصَرِ
النِّيلُ كَانَ دَمًا لِلقِبْطِ وَلِبَنِي ... يَعْقُوبَ مَاءٌ وَذَا مِنْ أَعْظَمِ العِبَرِ

{رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ}[١] {والسلام على من اتبع الهدى}[٢].

---

(١) آل عمران: ٨

(٢) طــه: ٤٧

المَكْتُوب الثَّامِنُ وَالأَرْبَعُمائَة
إلى مَقْصُود عَلِيٍّ التِّبْرِيزِيِّ
فِي جَوَابِ سُؤَالِه عَنِ الكُفْرِ الحقيقيِّ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ وَسَلامٌ عَلى عِبَادِه الذينَ اصْطَفَى:
وَصَلت الصَّحيفَةُ الشَّرِيفَةُ وَوَقَعَ فِيهَا الاسْتِفْسَارُ عَنْ بَعْضِ كَلمَات الصُّوفيَّة أَيُّها المَخْدُومُ وَإِنْ لَمْ يَقْتَضِ الوَقْتُ وَالمَكَانُ قَوْلا وَكتَابَةً وَلكِنْ لاَ بُدَّ للسُّؤَال منَ الجَوَاب فَحَرَّرْتُ كَلمَات وَمُجْمَل الكَلامِ فِي حل جَمِيعِ تلكَ المَسَائِل هُوَ أَنَّهُ كَمَا أَنَّ فِي الشَّرِيعَة كُفْرًا وَإِسْلامًا فِي الطَّرِيقَة أَيْضًا كُفْرٌ وَإِسْلامٌ وَكَمَا أَنَّ كُفْرَ الشَّرِيعَة شَرٌّ وَنَقْصٌ وَالإِسْلامُ كَمَال كَذَلكَ كُفْرُ الطَّرِيقَة أَيْضًا نَقْصٌ وَشَرٌّ وَإِسْلامُهَا كَمَال وَكُفْرٌ.

الطَّرِيقَةُ عبَارَةٌ عَنْ مَقَام الجَمْعِ الذي هُوَ مَحَل الاسْتتَارِ وَتَمَيُّزُ الحَقِّ منَ البَاطل مَفْقُودٌ فِي هَذَا المَوْطنِ فَإِنَّ مَشْهُودَ السَّالك فيه فِي المَرَايَا الجَميلة وَالرَّذيلة هُوَ جَمَال وَحْدَة المَحْبُوبِ فَلا يَجِدُ الخَيْرَ وَالشَّرَّ وَالكَمَال وَالنَّقْصَ غَيْرَ مُظَاهِرٍ لتلكَ الوَحْدَة وَظِلالهَا.

فَلا جَرَمَ يَكُونُ نَظَرُ الإِنْكَارِ الذي نَاشئٌ عَنِ التَّمْييزِ مَعْدُومًا فِي حَقِّه فَبالضَّرُورَة يَكُونُ مَعَ الكُل فِي مَقَامِ الصُّلحِ وَيَجدُ الكُل عَلى صرَاط مُسْتَقِيمٍ وَيَتَرَنَّمُ بِهَذه الآيَة الكَرِيمَة {وَمَا منْ دَابَّة إلا هُوَ آخذٌ بنَاصيَتهَا إِنَّ رَبِّي عَلى صرَاط مُسْتَقيم} وَأَحْيَانًا يُرَى المظْهَرُ عَيْنَ الظَّاهِرِ فَيَظُنُّ الخَلقَ عَيْنَ الحَقِّ وَالمَرْبُوبَ عَيْنَ الرَّبِّ وَكُل هَذه أَزْهَارٌ تَتَفَتَّقُ منْ مَرْتَبَة الجَمْعِ قَال الحَلاجُ فِي هَذَا المَقَامِ

كَفَرْتُ بدينِ اللهِ وَالكُفْرُ وَاجبٌ لديَّ وَعنْدَ المسْلمينَ قَبيحُ

وَلكُفْر الطَّرِيقَة هَذَا مُنَاسَبَةٌ تَامَّةٌ بكُفْر الشَّرِيعَة وَإِنْ كَانَ كَافرُ الشَّرِيعَة مَرْدُودًا وَمُسْتَحقًّا للعَذَاب وَكَافرُ الطَّرِيقَة مَقْبُولا وَمُسْتَوْجبًا للدَّرَجَات فَإِنَّ هَذَا الكُفْرَ وَالاسْتتَارَ نَاش منْ غَلبَة مَحَبَّة المَحْبُوب الحَقيقيِّ وَنسْيَان غَيْره كُله فَيَكُونُ مَقْبُولا وَذَاكَ الكُفْرُ حَاصل منَ الاسْتيلاء الجَهْل وَالتَّمَرُّد فَيَكُونُ مَرْدُودًا بالضَّرُورَة وَإِسْلامُ الطَّرِيقَة عبَارَةٌ عَنْ مَقَامِ الفَرْق بَعْدَ الجَمْعِ الذي هُوَ مَقَامُ التَّمْييز.

وَالحَقُّ وَالخَيْرُ مُتَمَيِّزَانِ هُنَا مِنَ البَاطِلِ وَالشَّرِّ وَلا سَلامُ الطَّرِيقَة هَذَا مُنَاسَبَةٌ تَامَّةٌ بِإِسْلام الشَّرِيعَةِ بَل إِذَا بَلغَ إِسْلامُ الشَّرِيعَة كَمَا لهُ تَحْصُل لهُ نسْبَةُ الاتِّحَاذ بِهَذَا الإِسْلامِ بَل كلا الإِسلامَين إِسْلامُ الشَّرِيعَة وَالفَرْقُ بَيْنَهُمَا بِظَاهِرِ الشَّرِيعَةِ وَبَاطِنِ الشَّرِيعَة. وَبِصُورَة الشَّرِيعَة وَحَقِيقَة الشَّرِيعَة.

وَمَرْتَبَةُ كُفرِ الطَّرِيقَة أَعْلَى مِنْ مَرْتَبَة إِسْلامِ صُورَةِ الشَّرِيعَة وَإِنْ كَانَتْ أَدْوَنَ بِالنِّسْبَة إِلى إِسْلامِ حَقِيقَة الشَّرِيعَة.

مَتَى قسْنَا السَّمَا بِالعَرْشِ يَنْحَطُّ   وَمَا أَعْلاهُ إِنْ قسْنَا بِأَرْضِ

وَكُل مَنْ تَكلمَ مِنَ المَشَائخِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ بِالشَّطحِيَّات مِنَ الكَلمَات المُخَالفة لظَاهِرِ الشَّرِيعَةِ كُل ذَلكَ فِي مَقَامِ كُفْرِ الطَّرِيقَةِ الذي هُوَ مَوْطنُ السُّكْرِ وَعَدَمُ التَّمييز.

وَالكُبَرَاءُ الذينَ تَشرَّفُوا بِدَوْلة إِسْلامِ الحَقِيقَة فَهُمْ مُنَزَّهُونَ وَمُبرَّأونَ مِنْ أَمْثَال هَذه الكَلمَات وَمُقْتَدُونَ بالأَنْبيَاء وَمُتَابِعُونَ لَهُمْ ظَاهِرًا وباطنًا فَالشَّخْصُ الذي يَتَكلمُ بِالشطحيَّات وَيَكُونُ فِي مَقَامِ الصُّلحِ مِنَ الكُل وَيَظُنُّ الجَمِيعَ عَلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَلا يُثْبتُ التَّمْييزَ بَيْنَ الحَقِّ وَالخَلق وَلا يَقُول بِوُجُود الأَثْنينيَّة فَإِنَّ وَصَلَ هَذَا الشَّخْصِ إِلى مَقَامِ الجَمْعِ وَتَحَقَّقَ بِكُفْرِ الطَّرِيقَة وَنَسِيَ السِّوَى فَهُوَ مَقْبُول وَكَلمَاتُهُ نَاشئَةٌ مِنَ السُّكْرِ وَمَصْرُوفَةٌ عَنِ الظَّاهِرِ.

وَإِنْ تَكَلمَ بِهَذه الكَلمَات بِدُون حُصُول هَذَا الحَال وَبلا وُصُول إِلى الدَّرَجَة الأُولى مِنَ الكَمَال وَزَعَمَ الكُل عَلَى حَقٍّ وَعَلى صِرَاط مُسْتَقِيمٍ وَلَمْ يُمَيِّزْ البَاطل مِنَ الحَقِّ فَهُوَ مِنَ الزَّنَادقَة وَالمَلاحدَة الذينَ مَقْصُودُهُمْ إِبْطَال الشَّرِيعَة وَمَطْلُوبُهمْ رَفْعُ دَعْوَة الأَنْبيَاء الذينَ هُمْ رَحْمَةٌ للعَالمينَ عَلَيْهِمُ الصَّلوَاتُ وَالتَّحِيَّاتُ فَهَذه الكَلمَاتُ الخلافيَّةُ تَصْدُرُ مِنَ المُبْطل وَهِيَ للمُحقِّ مَاءُ الحَيَاة وَللمُبْطل سُمٌّ قَاتل كَمَاء نيل حَيْثُ كَانَ لبَني إِسْرَائيل مَاءٌ زُلال وَللقبْط دمًا وَنَكَالا وَهَذَا المَقَامُ مِنْ مَزَلة الأَقْدَام قَدْ انْحَرَفَ جَمٌّ غَفيرٌ مِنْ أَهْل الإِسْلامِ عَنِ الصِّرَاط المسْتَقيم بِتَقْليد كَلمَات أَكَابرِ أَرْبَاب السُّكْرِ وَوَقَعُوا فِي بَوَادي الضَّلالة وَالخَسَارَة وَجَعَلوا دِينَهُمْ هَبَاءً مَنْثُورًا وَلَمْ يَعْلمُوا أَنَّ قَبُول هَذَا الكَلامِ مَشْرُوطٌ بِالشَّرَائط وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِي أَرْبَاب السُّكْرِ وَمَفْقُودَةٌ فِي هَؤُلاء.

وَمُعْظَمُ هَذه الشَّرَائط نسْيَانُ مَا سوَى الحَقِّ سُبْحَانَهُ الذي هُوَ دهْليزُ القَبُول وَمِصْدَاقُ امْتيَازِ المحَقِّ مِنَ المُبْطل الاسْتقَامَةُ عَلى الشَّرِيعَة وَعَدَمُ الاسْتقَامَة عَلَيْهَا

وَالذي هُوَ مُحقٌّ لاَ يَرْتَكِبُ خِلافَ الشَّرِيعَة مِقْدَارَ شَعْرَةٍ مَعَ وُجُودِ السُّكْرِ وَعَدَمِ التَّمْييز كَانَ الحَلاجُ مَعَ صُدُورِ قَوْل أَنَا الحَقُّ عَنْهُ يُصَلي كُل لَيْلة فِي السِّجْنِ خَمْسَمائَة رَكْعَة مَعَ قَيْد ثَقيل عَلَيْه مثْل جَبَل قَاف كَبُرَ عَلَى المُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمُ إليْه ، عَلامَةُ حَالهمْ {رَبَّنَا آتنَا منْ لدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لنَا منْ أَمْرِنَا رَشَدًا}(١) {والسلام على من اتبع الهدى}(٢).

---

(١) الكهف: ١٠

(٢) طــه: ٤٧

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالأَرْبَعُمائة
إلى الخَوَاجَهْ أبي الحَسَنِ بَهَاء البَدَخْشيِّ الكَشْميِّ
فِي حِل مَنْعِ الفُرُوقِ إِتْيَانُ القِرْطَاسِ حِينَ طَلَبَهُ النَّبيُّ ﷺ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ لِيَكْتُبَ شيئًا(١) بِوُجُوهٍ شَتَّى

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى

سُؤَال: إنَّ حَضْرَةَ خَاتَمِ الرُّسُل وَبالرِّسَالة - عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ - وَالتَّحيَّةُ طَلَبَ قِرطَاسًا فِي مَرضِ مَوْتِهِ وَقَال: ائْتُوني بِقِرْطَاسٍ أَكْتُبُ لكُمْ كِتَابًا لنْ تَضلوا بَعْدي.

وَمَنَعَ الفَارُوقُ مَعَ جَمْعٍ آخرَ مِنَ الأَصْحَاب رَضْوَانُ الله إِتْيَانَ القِرْطَاسِ وَقَال: حَسْبُنَا كِتَابُ الله وَقَال أَيْضًا أَهْجَرَ: اسْتفهموه وَمَا قَال النَّبيُّ ﷺ قَالَهُ بطَرِيقِ الوَحْيِ كَمَا قَال اللهُ تَعَالى {وَمَا يَنْطقُ عَنِ الهَوَى إنْ هُوَ إلا وَحْيٌ يُوحَى} وَمَنْعُ الوَحْيِ وَرَدُّهُ كُفْرٌ كَمَا قَال تَعَالى {وَمَنْ لمْ يَحْكُمْ بمَا أَنْزَل اللهُ فَأُولئكَ هُمُ الكَافِرُونَ} وَأَيْضًا إنَّ تَجْوِيزَ الهَجْرِ وَالهَذَيَان للنبيِّ ﷺ مُسْتَلزمٌ لرَفْعِ الاعْتمَاد عَلى الأَحْكَامِ الشَّرْعيَّة وَهُوَ كُفْرٌ وإلحَادٌ وَزَنْدَقَةٌ فَمَا حَل هَذه الشُّبْهَة القَويَّة.

اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ وَهَدَاك سَوَاءَ الصِّرَاط أَنَّ هَذه الشُّبْهَةَ وَأَمْثَالهَا التي يُورِدُهَا جَمَاعَةٌ عَلى حَضَرَات الخُلفَاء الثَّلاثَة وَعَلى سَائرِ الصَّحَابَة الكِرَام رَضيَ اللهُ عَنْهُمْ وَيُريدُونَ بهَذه التَّشْكيكَات رَدَّهُمْ، لوْ أَنْصفَ هَؤُلاء الجَمَاعَةُ وَقَبلوا شَرَفَ صُحْبَة خَيْرِ البَشَرِ - عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ - وَعَلمُوا أَنَّ نُفوسَهُمْ كَانَتْ مُزَكَّاةً فِي صُحْبَة خَيْرِ البَشَرِ منَ الهَوَى وَالهَوَس وَصَارَتْ صُدُورُهمْ صَافيَةً عَنِ الحقْد وَالعَدَاوَة وَعَلمُوا أَنَّهُمْ أَكَابرَ الدِّينِ وَكُبَرَاءُ الإسْلام وَأَنَّهُمْ بَذلوا جَهْدَهُمْ فِي إعْلاءِ كَلمَة الإسْلامِ وَنُصْرَة سَيِّد الأَنَام وَأَنفقُوا أَمْوَالهُمْ فِي تَأْييد الدِّينِ المتين ليْلا وَنَهارًا سرًّا وَجهَارًا وَتَرَكُوا فِي مَحَبَّة رَسُول الله ﷺ عَشَائرَهُمْ وَقَبَائلهُمْ وَأَوْلادَهُمْ وَأَزْوَاجَهُمْ وَأَوْطَانَهُمْ وَمَسَاكنَهُمْ وَعُيُونَهُمْ وزُرُوعَهُم وَأَشْجَارَهُمْ وَأَنهارَهُمْ وَآثَرُوا

(١) صحيح: البخاري: أبواب الجزيةوالموادعة.ب: إخراج اليهود من جزيرة العرب ح٢٩٩٧، مسند أحمد: مسند عبد الله بن عباس.

نَفْسَ رَسُول الله ﷺ عَلى نُفُوسِهِمْ وَاخْتَارُوا مَحَبَّةَ رَسُول الله عَلى مَحَبَّة أَنْفُسِهِمْ وَمَحَبَّة أَوْلادِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَنَّهُمُ الذينَ شَاهَدُوا الوَحْيَ وَالمَلكَ وَرَأَوُا المُعْجِزَات وَالخَوَارِقَ حَتَّى صَارَ غَيْبُهُمْ شَهَادَةً وَعلمُهُمْ عَيْنًا وَهُمُ الذينَ أَثْنَى اللهُ تَعَالى عَلَيْهِمْ فِي القُرْآن المجيد {رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاة وَمَثَلُهُمْ فِي الإنْجيل} فَإِذَا كَانَ جَميعُ الأَصْحَاب الكرَام شُرَكَاءَ فِي هَذه الكرَامَات فَمَاذَا أَظْهَرَ منْ جَلالة شَأْن أَكَابر الأَصْحَاب الذينَ هُمُ الخُلفَاءُ الرَّاشدُونَ.

وَالفَارُوقُ هُوَ الذي قَال اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى فِي شَأْنه لرَسُوله {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ منَ المُؤْمنينَ}

قَال ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: إنَّ سَبَبَ نُزُول هَذه الآيَة إسْلامُ عُمَرَ ﷺ فَبَعْدَ حُصُول نَظَرِ الإنْصَاف وَقَبُول شَرَف صُحْبَة خَيْرِ البَشَرِ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالتَّحيَّاتُ وَبَعْدَ علمِ جَلالة شَأْن أَصْحَابه الكرَام وَعُلوِّ دَرَجَاتهمْ عَلَيْهِمُ الرِّضْوَانُ.يَكَادُ يَتَصَوَّرُ المعْتَرضُونَ المشَكِّكُونَ هَذه الشُّبهَات مثْل المغَالطَات وَالسَّفْسَطَة المزَخْرَفَة وَيُسْقطُونَهَا عَنْ دَرَجَة الاعْتبَار وَإنْ لَمْ يُشَخِّصُوا مَادَّةَ الغَلط في تلكَ الشُّبهَات وَلَمْ يُعَيِّنُوا مَحَل السَّفْسَطَة في أَقَل منْ أَن يَعْرفُوا مُجْمَلا أَنَّ مُؤَدَّى هَذه الإسْلاميَّة وَمَرْدُودَةً بالكتَاب وَالسُّنَّة النَّبَويَّة وَمَعَ ذَلكَ نَكْتُبُ في جَوَاب هَذَا السُّؤَال وَتَعْيين مَوَادِّ تلكَ الشُّبْهَة مُقَدمَات بعَوْن الله تَعَالى.

اسْمَعْ: إنَّ حَل هَذَا الإشْكَال عَلى وَجْه الكَمَال مُبْتَنٍ عَلى مُقَدِّمَاتٍ وَإنْ كَانَ كُل مُقَدِّمَة جَوَابًا عَلى حدَة

المُقَدِّمَةُ الأُولى: جَميعُ مَنْطُوقَاته وَمَقُولاته صَلى اللهُ عَلَيْه وَعَلى آله وَسَلمَ ــ لَمْ تَكُنْ بمُوجب الوَحْيِ.

وَآيَةُ {وَمَا يَنْطقُ عَنِ الهَوَى} مَخْصُوصَةٌ بالنُّطْقِ القُرآني كَمَا قَالهُ أَهْلُ التَّفْسير وَأَيْضًا لوْ كَانَ جَميعُ مَنْطُوقَاته ﷺ بمُوجب الوَحْي لَمَا وَرَدَ الاعْترَاضُ منْ عنْد الحَقِّ - جَل شَأْنُهُ - عَلى بَعْضِ مَقُولاته - عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ - وَلَمَّا كَانَ للعَفْوِ عَنْهُ مَعْنًى قَال اللهُ تَعَالى خطَابًا لنَبيِّه ﷺ عَفَا اللهُ عَنْك لمَ أَذنْتَ لَهُمْ.

وَالمُقَدِّمَةُ الثَّانيَةُ: أَنَّ الأَصْحَابَ الكرَامَ كَانَ لَهُمْ مَجَال القيل وَالقَال في الأَحْكَامِ الاجْتهَاديَّةِ وَالأُمورِ العَقْليَّة مَعَ النَّبيِّ ﷺ بمُوجب قَوْله تَعَالى {فَاعْتَبرُوا يَا

أُولِي الأَبْصَارِ} وَقَوْله تَعَالى {وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ} وَكَانَ لَهُمْ فِي هَذه الأُمُورِ مَسَاغٌ للرَّدِّ وَالتَّبْديل فَإِنَّ الأَمْرَ بالاعْتبَارِ وَالْمَشُورَة لاَ يُتَصَوَّرُ منْ غَيْر حُصُول رَدٍّ وَتَبْديل وَقَدْ وَقَعَ الاخْتلافُ في قَتْل أُسَارَى بَدْرٍ وَأَخْذ الفدْيَة عَنْهُمْ وَحَكَمَ الفَارُوقُ بالقَتْل فَوَرَدَ الوَحْيُ موافقًا لرَأْي فَارُوق وَنَزَل لأَخْذ الفدْيَة وَعيدٌ فَقَال النَّبيُّ ﷺ " لَوْ نَزَل العَذَابُ لَمَا نَجَى غَيْرُ عُمَرَ وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ "(١) فَإِنَّ سَعْدًا أَيْضًا كَانَ أَشَارَ إِلَى قَتْل الأُسَارَى.

وَالْمُقَدِّمَةُ الثَّالثَةُ: أَنَّ السَّهْوَ وَالنِّسْيَانَ جَائزَان للنَبيِّ ﷺ بَل وَاقعَان وَقَدْ وَرَدَ في حَديث ذُو اليَدَيْنِ أَنَّهُ ﷺ سَلمَ فِي رَبَاعِي الفَرْضِ عَلى رَكْعَتَيْنِ فَقَال لهُ ذُو اليَدَيْنِ أَقْصُرَت الصَّلاَةُ أَمْ نَسيتَ يَا رَسُول الله وَبَعْدَ ثُبُوت صدْق ذُو اليَدَيْنِ قَامَ رَسُول الله ﷺ وَضَمَّ إِلَيْهِمَا رَكْعَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ وَسَجَدَ للسَّهْوِ "(٢).

فَإِذَا كَانَ السَّهْوُ وَالنِّسْيَانُ جَائزَيْنِ في حَالة الصِّحَّة وَالفَرَاغَة بمُقْتَضَى البَشَريَّة فَصُدُورُ الكَلامِ منْهُ ﷺ منْ غَيْر قَصْد وَاخْتيَار في مَرَضِ المَوْت وَوَقْت اسْتيلاءِ الوَجَعِ بمُقْتَضَى البَشَريَّة لَمَ لاَ يَكُنْ جائزًا وَلَمْ يَرْتَفعْ الاعْتمَادُ عَنِ الأَحْكَامِ الشَّرْعيَّة فَإِنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ أَطْلَعَهُ ﷺ عَلى سَهْوه وَنسْيَانه بالوَحْيِ القَطْعيِّ وَمَيَّزَ الصَّوَابَ منَ الخَطَأ فَإِنَّ تَقْريرَ النَّبيِّ ﷺ عَلى الخَطَأ لَيْسَ بجَائزٍ لكَوْنه مُسْتَلزمًا لرَفْعِ الاعْتمَاد عَنِ الأَحكَامِ الشَّرْعيَّة فَثَبَتَ أَنَّ مُوجبَ رَفْعِ الاعْتمَاد لَيْسَ نَفْسَ السَّهْوِ وَالنِّسْيَان بَل التَّقْريرُ عَلى السَّهْوِ وَالنِّسْيَان وَمنَ المُقَرَّرِ أَنَّ ذَلكَ التَّقْرير لَيْسَ بمُجَوَّزٍ.

المُقَدِّمَةُ الرَّابعَةُ: أَنَّ حَضْرَةَ الفَارُوقَ بَل الخُلَفَاءَ الثَّلاثَةَ مُبَشَّرُونَ بالجَنَّة بالكتَاب وَالسُّنَّة وَالأَحَاديث الوَاردَة في بَاب بشَارَتهمْ بالجَنَّة بخُصُوصهَا يُمْكنُ أَنْ يُقَال منْ كَثْرَة الرُّوَاة الثِّقَات أَنَّهَا بَلغَتْ حَدَّ الشُّهْرَة بَل حَدَّ التَّوَاتُر المَعْنويِّ

(١) جامع البيان لابن جرير: تفسير سورة الأنفال: تأويل قوله تعالى: " لولا كتاب من الله سبق " ح١٢٦٧٩

(٢) **صحيح**: البخاري: ك: الجماعة والإمامة. ب: هل يأخذ الغمام إذا شك بقول الناس. ح٦٨٢.، مسلم: ك: المساجد ومواضع الصلاة. ب: السهو في الصلاة والسجود له. ح٥٧٣.، سنن الترمذي: أبواب الصلاة: ب: ما جاء في الرجل يسلم في الركعتين من الظهر والعصر. ح٣٩٧. وقال: حديث حسن صحيح، سنن ابن ماجة:ك: إقامة الصلاة والسنة فيها. ب:فيمن سلم من اثنتين أو ثلاث ساهيا ح ١٢١٣.، النسائي: ك: السهو: ب: ما يفعل من سلم من ركعتين ناسيا.، أبو داود: ك: الصلاة: جماع أبواب التشهد في الصلاة. ب: السهو في السجدتين.ح١٠٠٨.

فَإِنْكَارُهَا إِمَّا مِنَ الجَهْلِ أَوْ مِنَ العِنَادِ ، وَرُوَاةُ الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ وَالحِسَانِ أَهْلِ السُّنَّة أَخَذُوهَا مِنْ أَسَانِيدِهِمْ مِنَ التَّابِعِينَ ، وَالصَّحَابَةُ وَرُوَاةُ جَمِيعِ الفِرَقِ المُخَالِفَة لَوْ جَمَعَ كُلهَا لاَ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَبْلُغُونَ عُشْرَ عَشِيرِ أَهْلِ السُّنَّة أَوَّلا كَمَالا.

لا يَخْفَى عَلى المُتَتَبِّعِ المُتَفَحِّصِ المُنْصِف ، وَكُتُبُ أَهْلِ السُّنَّة مَشْحُونَةٌ بِبِشَارَةِ هَؤُلاءِ الأَكَابِرِ بِالجَنَّة وَلا غَمَّ لَوْ لَمْ تَرِدْ هَذه البِشَارَةُ فِي كُتُبِ الأَحَادِيثِ المَخْصُوصَة بِبَعْضِ الفِرَقِ المُخَالِفَة فَإِنَّ عَدَمَ رِوَايَة البِشَارَة لاَ يَدُلُ عَلى عَدَمِ البِشَارَة.

وَأَمَّا ثُبُوتُ بِشَارَةِ هَؤُلاءِ الأَكَابِرِ بِالجَنَّة فِي القُرْآنِ المجيد بِآيَات مُتَكَثِّرَة فَكَافٍ قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالذينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ}، وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى {لاَ يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الذينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلوا} قَبْلَ الفَتْحِ وَبَعْده مُبَشَّرِينَ بِالجَنَّة فَمَا نَقُول فِي أَكَابِرِ الصَّحَابَة الذينَ هُمُ الأَسْبَقُونَ فِي الإِنْفَاقِ وَالمُقَاتَلة وَالمُهَاجَرَة وَمَاذَا نَقْدِرُ أَنْ نَقُول وَكَيْفَ نُدْرِكُ أَعْظَمِيَّةَ دَرَجَاتِهِمْ أَنَّهَا مَا هِيَ؟

قَالَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ: قَوْله تَعَالى {لاَ يَسْتَوِي مِنْكُمْ} الآيَةَ:

نَزَلَ فِي حَقِّ الصِّدِّيقِ ﷺ الذي هُوَ أَسْبَقُ السَّبَّاقِينَ فِي الإِنْفَاقِ وَالمُقَاتَلة وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى {لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ المُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَة} الآيَة.

نَقَلَ الإِمَامُ البَغَوِيُّ مُحْيِي السُّنَّة فِي مَعَالِمِ التَّنْزِيل عَنْ جَابِرٍ ﷺ أَنَّهُ قَال: قَال رَسُول اللهِ ﷺ " لاَ يَدْخُل النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَة "(١).

---

(١) **حسن صحيح**: سنن أبي داود ك: السنة.ب: في الخلفاء ح٤٦٥٣.، سنن الترمذي: أبواب المَناقب عَن رَسُولِ اللَّه ﷺ باب:فضل من بايع تحت الشجرة ح٤٠٢٣. وقال: حديث حسن صحيح، أحمد في المسند: مسند جابر بن عبد الله.، الطبراني في الكبير: ب: السين حديث سلمة بن عمرو بن الأكوع.، وقال الهيثمي: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير خداش بن عياش وهو ثقة.(مجمع الزوائد ح١٤٩٤٩.)

وَهَذه البَيْعَةُ يُقَال لَهَا بَيْعَةُ الرِّضْوَان؛ لأَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ رَضِيَ فِيهَا عَنْ هَؤُلاءِ القَوْمِ وَلا شَكَّ أَنَّ تَكْفِيرَ شَخْصٍ مُبَشَّرٍ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّة كُفْرٌ وَمِنْ أَقْبَحِ القَبَائِحِ.

المُقَدِّمَةُ الخَامسَةُ: إِنَّ تَوَقُّفَ الفَارُوق فِي إِتْيَان القِرْطَاسِ لَمْ يَكُنْ عَلى وَجْه الرَّدِّ وَالإِنْكَارِ عِيَاذًا بِالله سُبْحَانَهُ مِنْ ذَلكَ، كَيْفَ يَصْدُرُ هَذَا القسْمُ مِنْ سُوء الأَدَب مِنْ وُزَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ الذي هُوَ مُتَّصفٌ بِالخُلق العَظِيمِ وَنُدَمَائه ﷺ بَل لاَ يَتَوَقَّعُ هَذَا المَعْنَى مِنْ أَدْنَى الصَّحَابَة الذي تَشَرَّفَ بِشَرَف صُحْبَة خَيْرِ البَشَرِ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ بَل لاَ يَتَوَهَّمُ مِثْل هَذَا الرَّدِّ وَالإِنْكَارِ مِنْ هَوَامِّ أُمَّته ﷺ الذي اسْتَسْعَدَ بِدَوْلَة الإِسْلامِ، فَكَيْفَ يُتَخَيَّل هَذَا المَعْنَى فِيمَنْ كَانَ مَنْ أَكَابِرِ الوُزَرَاءِ وَالنُّدَمَاء وَمِنْ أَعَاظِمِ المهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ رَزَقَهمُ اللهُ سُبْحَانَهُ الإِنْصَافَ حَتَّى لاَ يُسِيئُوا الظَّنَّ بِأَكَابِرِ الدِّين وَلا يُوآخذُوا بكُل كَلمَة وَكَلامِ بلا فَهْمٍ.

بَل كَانَ مَقْصُودُ الفَارُوقِ الاسْتفْهَامَ وَالاسْتفْسَارَ كَمَا قَال: اسْتَفْهِمُوه يَعْنِي: لَوْ طَلَبَ القِرْطَاسَ بِالوَحْي وَالأَمْرِ لكَانَ يَطْلُبُهُ بِالمُبَالغَة وَالتَّأْكِيد وَيَكْتُبُ مَا كَانَ مَأْمُورٌ بِكتَابَته فَإِنَّ تَبْلِيغَ الوَحْيِ وَاجبٌ عَلى النَّبِيِّ ﷺ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا الطَّلبُ بِالأَمْرِ وَالوَحْيِ بَل أَرَادَ أَنَّهُ يَكْتُبُ شَيْئًا عَلى وَجْه الاجْتِهَاد وَالفكْرِ فَالوَقْتُ لاَ يُسَاعدُ ذَلكَ.

وَمَرْتَبَةُ الاجْتهَاد بَاقيَةٌ بَعْدَ ارْتِحَاله ﷺ وَالمُسْتَنْبِطُونَ مِنْ أُمَّته يَسْتَنْبِطُونَ الأَحكَامَ الاجْتهَاديَّةَ مِنَ الكتَاب الذي هُوَ أَصْل أُصُول الدِّينِ فَإِذَا كَانَ لاسْتنْبَاط المُسْتَنْبطينَ مَجَال فِي حُضُوره الذي هُوَ أَوَانُ نُزُول الوَحْيِ فَبَعْدَ ارْتحَاله الذي هُوَ زَمَانُ انْقطَاعِ الوَحْيِ يَكُونُ اسْتنْبَاطُ أُولِي العلمِ وَاجْتهَادُهمْ مَقْبُولا بِالطَّرِيق الأَوْلَى وَلَمَّا لَمْ يَهْتَمِّ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا البَابِ وَلَمْ يَجدَّ بَل أَعْرَضَ عَنْ هَذَا الأَمْرِ عُلمَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَلى وَجْه الوَحْيِ.

وَالتَّوَقُّفُ لمُجَرَّد الاسْتفْسَارِ لَيْسَ بِمَذْمُومٍ وَقَدْ عَرَضَ المَلائكَةُ الكرَامُ عَلى وَجْه الاسْتفْسَارِ وَالاسْتعْلامِ مِنْ وَجْه خلافَة آدَمَ عَلى نَبِيِّنَا وَ عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلى الملك العَلامِ بِقَوْلهمْ {أَتَجْعَل فيهَا مَنْ يُفْسدُ فيهَا وَيَسْفكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدك وَنُقَدِّسُ لك} وَقَال زَكَرِيَّا حِينَ بُشِّرَ بِيَحْيَي عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهمَا الصَّلاةُ

وَالسَّلامُ {أَنى يَكُونُ لِي غُلامٌ} المضَايَقَةُ لوْ تَوقَّفَ الفَارُوقُ أَيْضًا فِي إِتْيَانِ القِرْطَاسِ لأَجْلِ الاسْتِفْهَامِ وَالاسْتِفْسَارِ وَأَيُّ شَرٍّ وَأَيُّ ضَرَرٍ فِيه.

المُقَدِّمَةُ السَّادسَةُ: أَنَّ حُصُول حُسْنِ الظَّنِّ بصُحْبَة خَيْرِ البَشَرِ وَبأَصْحَابه عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ لازِمٌ وَمَعْرِفَةُ أَنَّ خَيْرَ القُرُون قَرْنُه ﷺ وَأَنَّ أَصْحَابَهُ أَفْضَل بَنِي آدَمَ بَعْدَ الأَنْبيَاء عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ أَيْضًا لازِمَةٌ حَتَّى يَحْصُل اليَقِينُ بأَنَّ الجَمَاعَةَ الذينَ هُمْ أَفْضَل بَنِي آدمَ بَعْدَ الأَنْبيَاء عَلَيْهِمُ السَّلامُ لاَ يَجْتَمعُونَ فِي خَيْرِ القُرُون عَلى عَمَل بَاطل بَعْدَ ارْتحَاله ﷺ وَأَنَّهُمْ لاَ يَجلسُونَ مَكَانَه ﷺ فَسَقَةً وَلا كَفرَةً وَإِنَّمَا قُلتُ: إنَّ الأَصْحَابَ أَفْضَل بَنِي آدَمَ فَإِنَّ هَذه الأُمَّةَ خَيْرُ الأُمَم بنَصِّ القُرْآنِ وَهُمْ أَفْضَل هَذه الأُمَّة؛ لأَنَّهُ لاَ يَبْلغُ وَلِيٌّ مَرْتَبَةَ صَحَابيٍّ أَصْلا فيَنْبَغي الرُّجُوعُ إِلى الإِنْصَاف قَليلا وَأَنْ يُفهَمَ أَنَّ مَنْعَ إِتْيَان القِرْطَاسِ لوْ كَانَ كُفْرًا منَ الفَارُوق لَما نَصَّ الصِّدِّيقُ الذي هُوَ أَتْقَى هَذه الأُمَّة التي هِيَ خَيْرُ الأُمَمِ بنَصِّ القُرْآن المجيد وَرِضَى عَنْهُمْ وَوَعْدهمْ بالجَنَّة وَلَمَّا أَجْلسُوهُ مَكَانَه ﷺ فَإِذَا حَصَلَ حُسْنُ الظَّنِّ بصُحْبَته وَأَصْحَابه ﷺ الذي هُوَ مُقَدِّمَةُ المَحَبَّة فَقَدْ تُيسَّرَ النَّجَاةُ منْ مُزَاحمَة أَمْثَال هَذه الشُّبُهَات وَحَصَل حَدْسُ بُطْلان هَذه التَّشْكيكَات فَإِنْ لَمْ يَحْصُل عيَاذًا بالله سُبْحَانَهُ حُسْنُ الظَّنِّ بصُحْبَته وَبأَصْحَابه عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ بَل انْجَرَّ الأَمْرُ إِلى سُوء الظَّنِّ يَكُونُ ذَاكَ الظَّنُّ السُّوءُ مُنْجَرًّا إِلى صَاحب تلكَ الصُّحْبَة وَصَاحب تلكَ الصُّحْبَة وَصَاحب الأَصْحَاب بالضَّرُورَة بَل يَنْجَرُّ إِلى مَوْلى ذَاكَ الصَّاحب أَيْضًا يَنْبَغي وَجْدُ أَنَّ شَنَاعَةَ هَذَا الأَمْر كَمَا يَنْبَغي مَا آمَنَ برَسُول الله مَنْ لَمْ يُوَقِّرْ أَصْحَابَهُ قَال - عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ - فِي شَأْن أَصْحَابه الكرَام عَلَيْهِمُ الرِّضْوَان: مَنْ أَحَبَّهُمْ فَبحُبِّي أَحَبَّهمْ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَببغْضي أَبْغَضُهُمْ فَصَارَتْ مَحَبَّةُ الأَصْحَاب مُسْتَلزِمَةً لمَحَبَّته وَبُغْضُ الأَصْحَاب مستلزِمًا لبُغْضه عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ فَإِذَا عَلمْتَ هَذه المقَدِّمَات حَصَل جَوَابُ هَذه الشُّبْهَة وَأَمْثَال هَذه الشُّبْهَة بلا تَكَلف بَل حَصَلتْ أَجْوبَةٌ مُتَعَدِّدَةٌ فَإِنَّ كُل مُقَدِّمَةٍ منْ هَذهِ المقَدِّمَات يُمْكنُ أَنْ يُقَال: إِنَّهَا

جَوَابٌ مِنْ أَجْوِبَة مُعْتَدٌّ بِهَا كَمَا مَرَّ وَمَجْمُوعُ هَذه المقَدِّمَات تَحْسِمُ مَادَّةَ هَذه المقَدِّمَات يُمْكِنُ أَنْ يُقَال: إِنَّهَا جَوَابٌ مِنْ أَجْوبَة مُعْتَدٌّ بِهَا كَمَا مَرَّ وَمَجْمُوعُ هَذه المقَدِّمَات تَحْسِمُ مَادَّةَ هَذه الشُّبْهَة بِعَوْن الله سُبْحَانَهُ وَتُخْرِجُ دَفْعَ هَذَا التَّشْكِيك مِنَ النَّظَر إِلى الحَدْس كَمَا لاَ يَخْفَى عَلى الفَطِن المُنْصف وَلفْظُ الحَدْس إِنَّمَا يَجْري عَلى اللسَان مُقْحمًا وَإِلا فَأَمْثَال هَذه التَّشْكِيكَات بَديهيَّةُ البُطْلان وَالمُقَدِّمَاتُ التي أُوردَتْ في بَيَان بُطْلان تلكَ الشُّبَهَات إِنَّمَا هِيَ مِنْ قَبيل التَّنْبيهَات عَلى تلكَ البَديهَة بَل أَمْثَال هَذه الشُّبَهَات وَالتَّشْكِيكَات عنْدَ الفَقير كَصَنْعَة ذي فُنُون جَاءَ عنْدَ قَوْمٍ حَمْقَاءَ وَأَخَذَ حَجَرًا مَحْسُوسًا لَهُمْ وَأَثْبَتَ بِالدَّلائل وَالمُقَدمَات المزَخْرَفَة أَنَّهُ ذَهَبَ وَحَيْثُ كَانَ هَؤُلاء الحَمْقَى عَاجزينَ عَنْ دَفْع تلكَ المقَدِّمَات وَالمُمَوَّهَة وَقَاصرينَ في تَعْيين مَوَادِّ غَلَط تلكَ الدَّلائل يَقَعُونَ في الاشْتبَاه بَل يَعْتَقدُونَ ذَهَبيَّتَه يَقينًا وَيَنْسَوْنَ حسَّهُمْ بَل يَتَّهمُونَهُ وَالذَّكيُّ يَنْبَغي أَنْ يَعْتَمدَ عَلى ضَرُورَة الحسِّ وَأَنْ يَتَّهمَ المقْدمَات المموَّهَة وَفيمَا نَحْنُ فيه أَيْضًا أَنَّ جَلالَةَ شَأْن الخُلَفَاء الثَّلاثَة وَعُلُوَّ دَرَجَاتهمْ بَل جَلالَةَ جَميع أَصْحَاب خَيْر البَشَر عَلَيْه وَعَلَيْهمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ بمُقْتَضَى الكتَاب وَالسُّنَّة مَحْسُوسَةٌ وَمَشْهُودَةٌ وَقَدْحُ القَادحينَ وَطَعْنُ الطَّاعنينَ فيهمْ بدَلائل مُمَوَّهَة كَالقَدْح وَالطَّعْن في وُجُود ذَلكَ الحَجَر وَمُغَالطَتهمْ فيه {رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلوبَنَا بَعْد إِذَا هَدَيْتَنَا وَهَبْ لنَا منْ لدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّك أَنْتَ الوَهَّابُ}(١)

فَيَا ليْتَ شعْري!! مَا حَمَلَهُمْ عَلى سَبِّ أَكَابر الدِّين وَطَعْن كُبَرَاء الإِسْلام وَلَيْس طَعْنُ أَحَد وَسَبُّ شَخْصٍ منَ الفَسَقَة وَالكَفَرَة ممَّا يُعَدُّ في الشَّرْع عبَادَةً وَكَرَامَةً وَفَضيلةً وَوَسيلةً إِلى نَجاة فَكَيْفَ سَبُّ هُدَاة الدِّين وَطَعْنُ حُمَاة الإِسْلام وَلَمْ يَردْ في الشَّرْع أَنَّ سَبَّ أَعْدَاء الرَّسُول - عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ - كَأَبي جَهْل وَأَبي لَهَب

مَثَلا وَطَعْنَهمْ ممَّا يُعَدُّ عبَادَةً وَكَرَامَةً بَل الإِعْرَاضُ عَنْهُمْ وَعَنْ أَحْوَالهمْ أَوْلَى وَأَنْسَبُ وَأَسْلمُ عَنْ تَضْييع الوَقْت وَالاشْتغَال بمَا لاَ يَعْنيه.

{تلكَ الأُمَّةُ قَدْ خَلتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلونَ}.

---

(١) آل عمران: ٨

قَال اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى فِي القُرْآنِ المجيد فِي صِفَة أَصْحَاب النَّبيِّ ﷺ {رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ}(١) فَظَنُّ العَدَاوَةِ وَالشَّحْنَاءِ فِي حَقِّ هَؤُلاءِ الأَكَابِرِ مُنَافٍ لنَصٍّ القُرْآن.

وَأَيْضًا إنْ إثْبَاتَ العَدَاوَةِ وَالحقْد فِي هَؤُلاء الأَكَابِرِ يَسْتَلزِمُ القَدْحَ فِي كلا الفَرِيقَيْنِ وَيَرْفَعُ الأَمَانَ عن الطَّائفَتَيْنِ فَيَلزَمُ أَنْ يَكُونَ كلا الفَرِيقَيْنِ منَ الأَصْحَاب مَطْعُونًا فِيهِمْ عيَاذًا بالله سُبْحَانَهُ منْ ذَلكَ فَيَكُونُ أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ الأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ شَرَّ النَّاسِ وَيَكُونُ أَفْضَلُ القُرُون شَرَّ القُرُون فَإنَّ أَهْلَ ذَاكَ القَرْنِ كَانُوا كُلهِمْ مُتَّصِفِينَ بالعَدَاوَة وَالحقْد وَلا يَجْتَرِئُ عَلى التَّفَوُّه بذَلكَ أَحَدٌ منَ المُسْلمينَ وَلا يَجُوزُ هَذَا المَعْنَى ، أَيُّ جَلالة وَأَيُّ عَظَمَة لعَليٍّ ـــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـــ فِي كَوْنِ الخُلفَاء الثَّلاثَة مُعَادينَ لهُ وَيَكُونُ فيه عَدَاوَةٌ مُبْطَنَةٌ لهَؤُلاء الحضَرَات وَمَا ذَاكَ الإقداحُ فِي الطَّرَفَيْنِ لمَ لاَ يَكُونُ بَعْضُهمْ منْ بَعْضٍ كَاللبَنِ مَعَ السُّكَّرِ وَلا يَكُونُ بَعْضُهمْ فَانيًا فِي البَعْضِ وَلمْ يَكُنْ أَمْرُ الخلافَة مَرغوبًا فيه عنْدَهُمْ وَمَطْلوبًا لهُمْ حَتَّى يَكُونَ سَبَبًا للعَدَاوَة وَالحقْد.

كَيْفَ وَقَوْل" أَقيلوني" مَعْرُوفٌ وَمَشْهُورٌ منَ الصِّدِّيقِ وَقَال الفَارُوقُ: لوْ وَجَدْتُ مَنْ يَشْتَري الخلافَةَ لبعْتُهَا عَلى دينَار.

وَمُحَارَبَةُ عَليٍّ ـــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـــ مَعَ مُعَاوِيَةَ وَمُنَازَعَته مَعَهُ لمْ تَكُنْ بوَاسطَة الميْل إلى أَمْرِ الخلافَة وَالرَّغْبَة فيه بَل لكَوْن القتَال مَعَ البُغَاة فَرْضًا وَدَفْعهمْ ضَرُوريًّا قَال اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالى {فَقَاتلوا التي تَبْغي حَتَّى تَفيئَ إلى أَمْرِ الله}

غَايَةُ مَا فِي البَاب: أَنَّ مُحَارِبِي عَليٍّ لمَّا كَانُوا بَاغينَ مَأمولينَ وَأَصْحَابَ رَأْيٍ وَاجْتهَاد وَإنْ كَانُوا مُخْطئينَ فِي هَذَا الاجْتهَاد كَانُوا مُبَرَّئينَ عَنِ الطَّعْنِ وَالمَلامَة وَبَعيدينَ عَنِ التَّفْسيق وَالتَّكْفير قَال عَليٌّ فِي شَأْنهمْ: إخْوَانُنَا بَغَوْا عَليْنَا ليْسُوا كَفَرَةً وَلا فَسَقَةً لمَا لهُمْ منَ التَّأْويل.

قَال الشَّافعيُّ: وَهُوَ مَنْقُول عَنْ عُمَرَ بن عَبْد العَزيزِ تلكَ دمَاءٌ طَهَّرَ اللهُ عَنْهَا أَيْديَنَا فَلنُطَهِّرْ عَنْهَا أَلسنَتَنَا رَبَّنَا اغْفرْ لنَا وَلإخْوَاننَا الذينَ سَبَقُونَا بالإيمَانِ وَلا

---

(١) الفتح: ٢٩.

تَجْعَل فِي قُلوبِنَا غِلا للذِينِ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّك رءُوفٌ رَحِيمٌ وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلى سَيِّدِ الأَنَامِ وَعَلى آلِهِ وأَصحابِه الكِرَامِ إِلى يَوْمِ القِيَامِ.

المَكْتُوبُ العَاشِرُ وَالأَرْبَعُمائَة
إلى الخَوَاجَهْ مُحَمَّد هَاشِم الكَشْميِّ
فِي جَوَابِ طَلَبِهِ حَل مَا فِي المَكْتُوبِ السَّادِسِ

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عِبَادِه الذينَ اصْطَفَى قَدْ سَأَلتُمْ أَنَّهُ مَا مَعْنَى هَذه العِبَارَة الوَاقعَة في المَكْتُوب السَّادس أَظُنُّ أَنَّ المَقْصُودَ منْ خلقَتي هُوَ أَنَّ تَنْصَبغَ الوِلايَةُ المُحَمَّدِيَّةُ بِالوِلايَةِ الإِبْرَاهيمِيَّة عَلَيْهِمَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَأَنْ يَكُونَ حُسْنُ مَلاحَة هَذه الوِلايَة مُمْتَزِجًا بِجَمَال صَبَاحَة تلكَ الوِلايَةِ وَأَنْ يبْلغَ مَقَامُ المَحْبُوبيَّة المُحَمَّدِيَّةِ بِهَذَا الانْصِبَاغِ وَالامْتِزَاجِ دَرَجَةً عَلْيَاءَ.

اعْلَمْ أَنَّ مَنْصبَ الدَّلالة وَالمشَاطَة لَيْسَ بِمَمْنُوعٍ وَلا مَحْذُورٍ فيه أَصْلا وَالدَّلال الذي يُجْعَل بِحُسْنِ الدَّلالة كُلا منَ المَحْبُوبينَ صَاحِبَي الجَمَال وَالكَمَال مُخْتَلطًا بالآخَرِ وَيُجْعَل حُسْنُ كُل منْهُمَا مُقْتَرِنًا بِحُسْنِ الآخَرِ فعْله هَذَا منْ كَمَال خدْمَته وَنهَايَة شَرَفه وَسَعَادَته وَلا يَلزَمُ منْ هَذَا المَعْنَى نَقْصٌ وَلا قُصُورٌ في شَأْنهمَا أَصْلا. وَكَذَلكَ إِذَا زَادَ في حُسْنهمَا وَجَمَالهمَا بالمشَاطَة وَحَصَلتْ لهُمَا بسَبَبه طَرَاوَةٌ وَزِينَةٌ أُخْرَى فَذَلكَ شَرَافَته وَسَعَادَتُهُ وَلا يَلزَمُ منْ ذَلكَ نَقْصٌ وَقُصُورٌ لهُمَا أَصْلا.

فَى مَجْدكُمْ لاَ يَلحَقُ النُّقْصَانُ منْ هَذَا وَلى في ذَاكَ ألفَ شَرَافَة

وَبالجُمْلة إنَّ حُصُول الانْتفَاعِ وَالاسْتفَادَة لأَصْحَاب الدَّوْلة منْ جهَة الغلمَان وَالخَدَمَة لَيْسَ بِمَمْنُوعٍ وَلا مَحْذُورٍ فيه أَصْلا لأَنَّهُ لَيْسَ بِمُسْتَلزِمٍ للقُصُورِ وَالنُّقْصَان بَل كَمَال أَصْحَاب الدَّوْلة في خدْمَة الغلمَان وَالخدْمَةُ قَاصرُ الدَّوْلة مَنْ لاَ يَكُونُ مُنْتفعًا ومُتمتِّعًا بالخدْمَة وَيُعَدُّ الانْتفَاعُ وَالتَّمَتُّعُ بِهِمْ نُقْصَانًا ، وَالاسْتمْدَادُ وَالاسْتفَادَةُ منْهُمْ قُصُورًا قَال اللهُ عَنْهُمَا إنَّ سَبَبَ نُزُول هَذه الآيَة إِسْلامُ الفَارُوق ﷺ وَ منَ البَديهيِّ أَنَّ خدْمَات الأَصَاغرِ وَالأَسَافل مُوجبَةٌ لمَزِيَّة مَرْتَبَة الأَكَابرِ وَالأَعَالي فَمَنْ لمْ يَهْتَد لأَمْرٍ بديهيٍّ فَمَا قُصُورُ العبَارَة أَلا تَرَى أَنَّ السَّلاطينَ وَالأُمَرَاءَ مُحْتَاجُونَ إلى الخَدَمِ وَالحَشَمِ في التَّجَمُّل وَالتَّسَلط وَيَرَوْنَ أَنَّ كمالاتهم مَرْبُوطَةٌ بهِمْ وَلا قُصُورَ وَلا نُقْصَانَ منْ هَذَا المَعْنَى في مَرَاتبِهِمْ أَصْلا كَمَا هُوَ مَعْلومٌ للوَضيعِ وَالشَّريف.

وَمُنْشَأُ هَذَا الاشْتِبَاه عَدَمُ الفَرْق بَيْنَ التَّمتُّع وَالانْتِفَاع الحَاصل منْ جَانب الأَصَاغر وَالتَّمَتُّع وَالانْتِفَاع الحَاصل منْ جَانب الأعالي وَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الأَوَّل مُوجبٌ للكَمَال والثَّاني يَزِيدُ فِي النُّقْصَان وَالأَوَّل مُجَوَّزٌ والثَّاني مُمْتَنعٌ وَاللهُ سُبْحَانَهُ المُلهِمُ للصَّوَاب {رَبَّنَا آتنَا منْ لدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لنَا منْ أَمْرِنَا رَشَدًا}[١] {والسلام على من اتبع الهدى}[٢].

---

(١) الكهف: ١٠

(٢) طـه: ٤٧

المَكْتُوبُ الحَادي عَشَرَ وَالأَرْبَعُمائَة
إلى المَخْدُوم زَادَه الخَوَاجَهْ مُحَمَّد سَعِيد
وَالمَخْدُومِ زَادَهْ جَامعِ الأَسْرَارِ وَالعُلومِ الخَوَاجَهْ مُحَمَّد مَعْصُومٍ

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى قَدْ سَأَلْتُمْ أَنَّ العُلَمَاءَ قَالوا: إنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى لَيْسَ دَاخِل العَالَمِ وَلا خَارِجَ العَالَمِ وَلا مُتَّصِلا بالعَالَمِ وَلا مُنْفَصِلا عَنِ العَالمِ فَمَا تَحْقيقُ هَذَا المَبْحَث؟ الجَوَابُ أَنَّ حُصُول نسْبَة الدُّخُول وَالخُرُوجِ وَالاتِّصَال وَالانْفصَال إنَّمَا يُتَصَوَّرُ بالنَّظَرِ إلى المَوْجُودينَ فَإنَّ أَحَدَ المَوْجُودينَ لاَ يَخْلو منْ إحدَى هَذه النِّسَب بالنَّظَرِ إلى الآخَرِ وَلا تَحْقيقَ للمَوْجُودينَ فيمَا نَحْنُ فيه حَتَّى يُتَصَوَّرَ حُصُول نسْبَة منْ هَذه النِّسَب فَإنَّهُ تَعَالى مَوْجُودٌ وَالعَالَمُ الذي هُوَ مَا سواهُ تَعَالى مَوْهُومٌ وَمُتَخَيَّلٌ وَإنْ حَصَلَ للعَالَمِ بصَنْعَة سُبْحَانَهُ وَتَعَالى إتْقَانٌ وَاسْتحْكَامٌ عَلى نَهْجٍ لاَ يَرْتَفعُ بارْتفَاعِ الوَهْمِ وَالخَيَال وَكَانَتْ مُعَامَلَةُ التَّنْعيمِ وَالتَّعْذيب الأَبديَّين مَرْبُوطَةً به وَلَكنَّ ثُبُوتَهُ في مَرْتَبَة الحسِّ وَالوَهْمِ وَلا مَقَرَّ لهُ خَارِجَ الحِسِّ وَالوَهْمِ وَمنْ كَمَال قُدْرَته سُبْحَانَهُ وَتَعَالى أَعْطَى للمَوْهُومِ المتخَيَّل حُكْمَ المَوْجُود في حَقِّ الثَّبَات وَالاسْتقْرَار وَأَجْرَى عَلَيْه أَحْكَامَ المَوْجُود وَلكنَّ المَوْجُودَ وَالمَوْهُومَ مَوْهُومٌ وَإنَّ تَصَوُّرَهُ منْ قَصَرَ نَظَرهِمْ عَلى الظَّاهرِ مَوْجُودًا نظرًا إلى ثَبَاته وَاسْتقْرَاره.

وَحَكَمُوا بأَنَّهُ مَوْجُودٌ وَتَحْقيقُ هَذَا المَعْنَى مَكْتُوبٌ في كُتُبي ورسَائلي بالتَّفْصيل فَإنْ وَقَعَ الاحْتيَاجُ فَليُرَاجَعْ هُنَاكَ فَلا شَيْءَ يُثْبتُ للمَوْجُود منْ هَذه النِّسَب بالنِّسْبَة إلى مَوْهُومٍ بَل يُمْكنُ أَنْ يُقَال:

إنَّ المَوْجُودَ لَيْسَ دَاخل المَوْهُومِ وَلا خَارجَه وَلا مُتَّصلا به وَلا مُنْفَصلا عَنْهُ فَإنَّ هُنَاكَ مَوْجُودٌ فَقطْ الجَوَّالَةُ تَتَوَهَّمُ منْ سُرْعَة سَيْرهَا بصُورَة الدَّائرَة وَالمَوْجُودُ هُنَاكَ هُوَ تلكَ النُّقْطَةُ فَقَطْ وَصُورَةُ الدَّائرَة لاَ ثُبُوتَ لَهَا في غَيْرِ الوَهْمِ وَالمَحل الذي فيه النُّقْطَةُ لاَ اسْمَ فيه منَ الدَّائرَة المَوْهُومَة وَلا رَسْمَ فَفي هَذه الصُّورَة لاَ يُمْكنُ أَنْ يُقَال: إنَّ النُّقْطَةَ في دَاخل الدَّائرَة وَلا أَنَّهَا في خَارجهَا أَيْضًا وَكَذَا لاَ يُتَصَوَّرُ بَيْنَهُمَا الاتِّصَال وَالانْفصَال أَيْضًا فَإنَّهُ لاَ دَائرَةَ في تلكَ المَرْتَبَة حَتَّى تُتَصوَّرَ النِّسْبَةُ ، أَثْبَتَ الجدَارُ أَوْ لاَ ثُمَّ انْقُشْ.

فَإِنْ قِيل: إِنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ أَثْبَتَ نِسْبَةَ قُرْبِه وَإِحَاطَتِه بِالعَالَمِ وَالحَال أَنَّهُ مَا نِسْبَةُ قُرْبِ المَوْجُودِ إلى الموْهُومِ وَأَيُّ إِحَاطَةٍ لهُ بِه فَإِنَّهُ لاَ اسْمَ مِنَ المَوْهُومِ وَلا رَسْمَ فِيمَا فِيه المَوْجُودُ حَتَّى يُتَصَوَّرَ المحِيطُ وَالْمُحَاطُ بِه؟

أُجِيبَ: أَنَّ ذَاكَ القُرْبَ وَالإِحَاطَةَ لَيْسَ مِنْ قَبِيل قُرْبِ جِسْمٍ مِنْ جِسْمٍ وَإِحَاطَة جِسْمٍ بِجِسْمٍ بَل هُمَا مِنَ النِّسَب المجْهُولَة الكَيْفِيَّة وَالمَعْلومَة الأَنِّيَّة نُثْبِتُ القُرْبَ وَالإِحَاطَةَ لَهُ سُبْحَانَهُ وَنُؤْمِنُ بِهِمَا وَلَكِنْ لاَ نَعْرِفُ كَيْفِيَّتَهُمَا مَا هِيَ بِخلافِ النِّسَب الأَرْبَعِ التِي نَفَيْنَاهَا فِيمَا سَبَقَ فَإِنَّهَا كَمَا أَنَّهَا مَجْهُولَةُ الكَيْفِيَّة غَيْرُ مَعْلومَة الإنِيَّةِ أَيْضًا فَإِنَّ الشَّرْعَ لَمْ يَرِدْ بِثُبُوت هَذه النِّسَب حَتَّى نُثْبِتَهَا وَنَقُول إِنَّهَا مَجْهُولَة الكَيْفِيَّة وَإِنْ أَمْكَنَ تَجْوِيزُ مَعْنَى اتِّصَال لاَ كَيْفِيَّ فِيه سُبْحَانَهُ وَتَعَالى مِثْل مَعْنَى قُرْب وَإِحَاطَة لاَ كَيْفِيَّ وَلَكِنْ لَمَّا لَمْ يَرِدْ إِطْلاقُ لَفْظِ الاتِّصَال كَمَا وَرَدَ لَفْظُ القُرْبِ وَالإِحَاطَة لاَ يَنْبَغِي أَنْ يَقُول مُتَّصلا وَيَجُوزُ أَنْ يَقُول قَرِيبًا وَمحِيطًا.

وَإِطْلاقُ الانْفِصَال وَالخُرُوجِ وَالدُّخُول أَيْضًا لَمْ يَرِدْ مِثْل إِطْلاق الاتِّصَال وَفِي المِثَال المَذْكُور أَيضًا لوْ أَثْبَتْنَا للنُّقْطَة الجَوْلة إِحَاطَةً وَقُرْبًا وَمَعِيَّةً بِالنِّسْبَة إلى الدَّائِرَة الموْهُومَة تَكُونُ تلكَ المَذْكُوراتُ مَجْهُولَةَ الكَيْفِيَّة فَإِنَّهُ لاَ بُدَّ للنِّسْبَة مِن المنْتَسبِينَ وَلَيْسَ الموْجُودُ إلا النُّقْطَةَ الجَوَّالَةَ المنْتَسِبِينَ فَإِنَّ لزُومَ وُجُود الطَّرَفَيْنِ إِنَّمَا هُوَ لنِسْبَة مَعْلومَة الكَيْفِيَّة لكَوْنهَا مُتَعَارَفَةً وَمُتَعَادَةً وَمَا هُوَ مَجْهُول الكَيْفِيَّة فَهُوَ خَارِجٌ عَنْ حَيْطَةِ العَقْل وَالحُكْم فِيهَا بِلزُومِ وُجُود الطَّرَفَيْنِ مِنَ الأَحكَامِ الوَهْمِيَّة التِي هِيَ سَاقِطَةٌ عَنْ حَيِّز الاعْتِبَار لكَوْنه قِيَاسَ الغَائِب عَلى الشَّاهد.

تَنْبِيهٌ: وَقَوْلُنَا: إِنَّ العَالَمَ مَوْهُومٌ وَمُتَخَيَّل بِمَعْنَى أَنَّ العَالَمَ وَقَاعٌ فِي مَرْتَبَة الوَهْمِ وَالخَيَال وَوَضْعُه حَاصِل فِي دَرَجَة الحِسِّ وَالإِرَاءَة كَمَا إِذَا خَلَقَ القَادِرُ المتَّصِفُ بِالمَال بِصُنْعِه الكَامِل الدَّائِرَةَ الموْهُومَةَ التِي لاَ نَصِيبَ لَهَا غَيْرَ اخْتِرَاعِ الوَهْمِ وَالخَيَال فِي مَرْتَبَة الوَهْم وَالخَيَال وَجَعَلهَا فِي تلكَ المَرْتَبَة مُتْقَنَةً وَمُسْتَحْكَمَةً عَلى نَهْجٍ لوْ ارْتَفَعَ الوَهْمُ وَالخَيَال بِالكُلِّيَّة لاَ يَتَطَرَّقُ الخَلل إلى ثُبُوتهَا وَلا يَطْرَأُ القُصُورُ عَلى بَقَائِهَا وَهَذه الدَّائِرَةُ الموْهُومَةُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا ثُبُوتٌ فِي الخَارِج والموجودُ فِي الخَارِج هُوَ تلكَ النُّقْطَةُ فَقَطْ وَلكِنَّ لهَا انْتِسَابٌ إلى وُجُود خارجيٍّ وَاسْتِنَاد إلى مُوجِدٍ خارجيٍّ فَإِنَّهُ لوْ لَمْ تَكُنْ النُّقْطَةُ مِنْ أَيْنَ تَكُونُ الدَّائِرَةُ نَاشِئَةً.

إِنِّي أُوَرِّي لغَيْرِي حِينَ أُذَكِّرُهَا ... بِذكْرِ زَيْنَبَ عَنْ لَيْلَى فَأُوهِمُهُ

وَيَجُوزُ أَنْ نَقُول لهَذه الدَّائِرَة إِنَّهَا نِقَابُ تِلكَ النُّقْطَة وَيَسُوغُ أَيْضًا أَنْ

نَقُول: إِنَّهَا مِرْآةٌ لِشُهُودِ النُّقْطَةِ وَلَوْ قُلْنَا إِنَّهَا دَلِيل عَلَى تِلكَ النُّقْطَة وَهَادٍ إِلَيْهَا فَلَهُ وَجْهٌ أَيْضًا إِطْلاقُ النِّقَاب بِالنَّظَرِ إِلى العَوَامِّ وَإِطْلاقُ مِرْآة الشُّهُود وَالظُّهُورِ مُنَاسِبٌ لِمَقَامِ الولايَة وَمُلائِمٌ لِلإِيمَان الشُّهُودِيّ

وَإِطْلاقُ الدَّلِيل والهَادِي مُنَاسِبٌ لِمَرْتَبَة كَمَالات النُّبُوَّة وَمُلائِمٌ لِلإِيمَان الغَيْبِيِّ الذي هُوَ أَتَمُّ وَأَكْمَل مِنَ الإِيمَان الشُّهُودِيِّ فَإِنَّهُ لاَ بُدَّ في الشُّهُود مِنَ التَّعَلق بِالظِّل وَفي الغَيْب فَرَاغَةٌ مِنْ هَذَا التَّعَلقِ وَفِي الغَيْبِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ حَاصِل بِالفعْل وَلكِنْ فِيه وَصُول وَتَعَلقٌ بِالأَصْل.

وَفي الشُّهُود وَإِنْ كَانَ حَاصِلا وَلكِنْ لَيْسَ فيه وَصُول لأَنَّ فيه تعلقًا بِالغَيْر وَهُوَ ظِل الأَصْل وَبالجُمْلة إِنَّ الحُصُول نَقْصٌ وَالوُصُول كَمَال وَهَذَا الكَلامُ لَيْسَ مِمَّا يَحْصُل فِي حَوْصَلة قَاصِرٍ وَنَاقِصٍ بَل يَكَادُونَ يَزْعُمُونَ الحُصُول أَفْضَل مِنَ الوُصُول والسُّوفُسطائِيُّ يَقُول مِنْ عَدَمِ عَقْله: العَالمُ مَوْهُومٌ وَمُتَخَيَّل بِمَعْنَى أَنَّهُ لاَ ثُبُوتَ لَهُ وَلا تَحَقُّقَ بِغَيْرِ اخْتِرَاعِ الوَهْمِ وَنَحْت الخَيَال فَإِذَا تَبَدَّل الوَهْمُ وَالخَيَال بِتَغَيُّرِ ذَلكَ الثُّبُوت وَالتَّحَقُّق أَيْضًا مَثَلا إِذَا تُصُوِّرَ الوَهْمُ شَيْئًا بِالحَلاوَة فَهُوَ حُلوٌ وَإِذَا تُصُوِّرَ عَيْنُ ذَلكَ الشَّيْءِ فِي وَقْت آخرَ بِالمَرَارَة فَهُوَ مُرٌّ وَهَؤُلاء المخْذُولونَ غَافلونَ عَنْ خَلق الله سُبْحَانَهُ وَصُنْعه تَعَالى بَل مُنْكرُونَ وَبِانْتسَابه إِلى وُجُود خارجيٌّ وَاسْتِنَاده إِلى مَوْجُود خارجيٍّ جَاهلونَ يَرَوْنَ بِهذه البَلاهَة رَفْعَ الأحكامِ الخَارِجيَّة التي هِيَ مَرْبُوطَةٌ بِالعَالمِ، وَدَفْعِ العَذَاب وَالثَّوَاب الأُخرويِّين الدائميَّين وَقَدْ أَخْبَرَ عَنْهُمَا المخبرُ الصَّادق - عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ - وَلا احْتمَال فِيه لِلتَّخَلف {أُولئكَ حِزْبُ الشَّيْطَان أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَان هُمُ الخَاسِرُونَ}

فَإِنْ قِيل: حَيْثُ أُثْبِتَ الثَّبَاتُ وَالاسْتِقْرَارُ لِلعَالمِ وَلَوْ فِي مَرْتَبَة الوَهْمِ وَالخَيَال وَأُثْبِتَ فِي حَقّه مُعَامَلَةُ التَّعْذيب وَالتَّنْعيم الأبديَّيْنِ أَيْضًا فَلمَ لاَ تَجُوزُ إِطْلاقَاتُ الوُجُود عَليْهَا وَلا تَقُول: إِنَّهُ مَوْجُودٌ وَالحَال أَنَّ الثُّبُوتَ وَالوُجُودَ مُتَرَادِفَان كَمَا هُوَ مُقرَّرٌ عِنْدَ المتَكلمينَ؟

أُجِيبَ: إِنَّ الوُجُودَ عِنْدَ هَذه الطَّائفَة العَليَّة أَشْرَفُ الأَشْيَاء وَأَكْرَمُهَا وَأَعزُّهَا وَيَعْتَقدُونَ أَنَّهُ مَبْدَأُ كُل خَيْرٍ وَمَنْشَأُ كُل كَمَال فَلا يُجوِّزُونَ إِطْلاقَ مِثْل هَذَا الجَوْهَرِ النَّفيسِ عَلى مَا سِوَى الحَقِّ سُبْحَانَهُ الذي هُوَ نَقْصٌ وَشَرٌّ مِنَ القَدَمِ إِلى الرَّأْسِ وَلا يَرْضَوْنَ بِإِعْطَاءِ الأَشْرَاف إِلى الأَخسِّ.

وَمُقْتَداهم فِي هَذَا الأَمْرِ الكَشْفُ وَالفِرَاسَةُ وَقَدْ صَارَ مكْشوفًا وَمَحْسُوسًا لَهُمْ أَنَّ الوُجُودَ مَخْصُوصٌ بحَضْرَة الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى وَإِذَا قَالو لغَيْره تَعَالى مَوْجُودًا فإِنَّمَا هُوَ باعْتبَار أَنَّ لذَلكَ الغَيْر نسْبَةً وَارْتبَاطًا بالوُجُود وَإنْ كَانَتْ مَجْهُولةَ الكَيْفيَّة وَأَنَّهُ قَائمٌ بذَلكَ الوُجُود قيَامَ الظِّل بالأَصْل.

وَأَيْضًا إنَّ الثُّبُوتَ الذي حَصَلَ لهُ فِي مَرْتَبَة الوَهْمِ وَالخَيَال هُوَ ظِل منْ ظلال ذَلكَ الوُجُود.

وَلَمَّا كَانَ ذَلكَ الوُجُودُ خَارجيًّا وَالحَقُّ سُبْحَانَهُ مَوْجُودٌ فِي الخَارِجِ لوْ قيل لمَرْتَبَة الوَهْمِ بَعْدَ صُنْعه تَعَالى وَإتْقَانه إنَّهَا ظل منْ ظلال ذَلكَ الخَارِجِ لجَازَ وَلوْ قيل لهَذَا الثُّبُوت الوَهْميِّ باعْتبَار هَاتَيْن الظِّلِّيَّتَيْن أَيْضًا وُجُودًا خَارجيًّا لسَاغَ بَل لوْ قيل للعَالم باعْتبَار هَذه الظِّلِّيَّة أَيْضًا مَوْجُودًا خَارجيًّا لكَانَ جَائزًا.

وَبالجُمْلَة: إنَّ كُل مَا هُوَ فِي المُمْكنِ مُسْتَفَادٌ منْ حَضْرَة الوُجُود تَعَالى وَتَقَدَّسَ مَا جَاءَ بشَيْءٍ منْ بَيْت أَبيه.

وَالقَوْل بأَنَّهُ مَوْجُودٌ خَارجيٌّ بدُون مُلاحَظَة الظِّلِّيَّة أَمْرٌ عَسيرٌ وَإشْرَاكٌ لهُ مَعَ الحَقِّ تَعَالى فِي أَخصِّ أَوْصَافه تَعَالى اللهُ عَنْ ذَلكَ عُلوًّا كَبيرًا، وَمَا كَتَبَهُ الفَقيرُ فِي بَعْضِ مَكَاتيبه وَرَسَائله منْ أَنَّ العَالَمَ مَوْجُودٌ خارجيٌّ يَنْبَغي إرْجَاعُه إلى هَذَا البَيَان وَحَمْله إلى اعْتبَارِ الظِّلِّيَّة وَمَا قَال المتَكلمُونَ منْ تَرَادُف الوُجُود للثُّبُوت وَالتَّحقُّق لعَلهُ باعْتبَارِ المَعْنَى اللغويِّ وَإلا فَأَيْنَ الوُجُودُ وَأَيْنَ الثُّبُوتُ.

قَال جَمٌّ غَفيرٌ منْ أَرْبَاب الكَشْف وَالشُّهُود وَمنْ أَهْل النَّظَرِ وَالاسْتدْلال فِي حَقِّ الوُجُودُ: إنَّهُ عَيْنُ حَقيقَة وَاجب الوُجُود تَعَالى.

وَالثُّبُوتُ منَ المَعْقُولاَت الثَّانَوِيَّة شَتَّانَ مَا بَيْنَهَا.

فَائدَةٌ

كَمَا أَنَّ الوُجُودَ مَبْدَأُ كُل خَيْرٍ وَكَمَال وَمَنْشَأُ كُل حَسَنٍ وَجَمَال كَذَلكَ العَدَمِ الذي هُوَ مُقَابلهُ يَكُونُ أَلبَتَّةَ مَبْدَأَ كُل شَرٍّ وَنَقْص وَمَنْشَأَ كُل قُبْحٍ وَفَسَاد.

فَإنْ كَانَ وَبَال فَمنْهُ نَاشٍ وَإنْ ضَلال فَمنْهُ كَائنٌ وَمَعَ ذَلكَ فيه مَحَاسنُ مُودَعَةٌ وَحرَفٌ مَكْنُونَةٌ فَمنْ مَحَاسنه جَعَلهُ نَفْسَهَ فِي مُقَابَلة الوُجُود عَدَمًا مُطْلَقًا وَلا شَيْئًا مَحْضًا.

وَمنْ حرَفه المسْتَمْلحَة جَعْل نَفْسه وقَايَةً للوُجُود وَأَخْذهُ الشُّرُورَ وَالنَّقْصَ لنَفْسه.

وَأَيْضًا إِظْهَارٌ لِكَمَالاتِ الوُجُودِ وَتَمْيِيزُهُ كُل وَاحِدٍ مِن تِلْكَ الكَمَالاتِ مِنَ الأُخْرَى فِي خَارِجِ مَوْطِنِ العِلمِ وَإِيرَادِه إِيَّاهَا مِنَ الإِجْمَالِ إِلَى التَّفْصِيلِ مِنْ صِفَاتِه المسْتَحْسَنَة وَبِالجُمْلَة إِنَّهُ قَائِمٌ بِخَدَمَاتِ الوُجُود.

وَحُسْنُ الوُجُود وَجَمَالُهُ وَكَمَالُهُ ظَاهِرٌ مِنْ قُبْحِه وَشَرِّه وَنَقْصِه.

وَاسْتِغْنَاءُ الوُجُودِ مِنْ افْتِقَارِه وَعِزِّه مِنْ ذُلِه وَثُبُوتُ العَظَمَةِ وَالكِبْرِيَاءِ لِلوُجُودِ بِوَاسِطَةِ تَسَفُّلِه وَدَنَاءتِه وَشَرَافَةُ الوُجُودِ مِنْ خِسَّتِه وَسِيَادَةُ الوُجُودِ مِنْ عُبُودِيَّتِه.

إِنَّا الذِي جَعَلَ الأُسْتَاذَ أُسْتَاذًا عَبْدٌ وَلكِنَّنِي أَعْتَقْتُ مَوْلايَا

وَإِبْلِيسُ اللعِينُ الذِي هُوَ مَنْشَأُ كُل فَسَادٍ وَضَلالٍ شَرٌّ مِنَ العَدَمِ أَيْضًا.

وَالحَرْفُ التِي هِيَ كَائِنَةٌ فِي العَدَمِ هَذَا المخْذُول مَحْرُومٌ عَنْهَا أَيْضًا وَصُدُورُ قَوْلِ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ حَسْمُ مَادَّةِ الخَيْرِيَّة مِنْهُ وَدَل عَلَى شَرَاسَتِه الصِّرْفَة وَحَيْثُ قَابَلَ العَدَمَ الوُجُودُ بِلا شَيْئِيَّة وَعَدَمِيَّة فَلا جَرَمَ صَارَ مِرْآةً لِلوُجُود وَلَمَّا عَارَضَهُ اللعِينُ بِوُجُودِه وَخَيْرِيَّتِه كَانَ مَرْدُودًا وَمَطْرُودًا بِالضَّرُورَة.

يَنْبَغِي أَنْ يُتَعَلمَ: حُسْنُ التَّقَابُلِ مِنَ العَدَمِ حَيْثُ قَابَلَ الوُجُودِيَّةَ بِالعَدَمِيَّة وَالكَمَال بِالنَّقْصِ وَحَيْثُ وَقَعَ عَلَى طَرَفٍ مِنَ العِزَّة وَالجَلال ظَهَرَ بَذْلُهُ وَانْكِسَارُهُ وَكَأَنَّ اللعِينَ جَرَّ جَمِيعَ قِبَاحِ العَدَمِ عَلَى نَفْسِه بِعِلةِ التَّكَبُّرِ وَالتَّمَرُّدِ الذِي كَانَا فِيه وَيُتَخَيَّل أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ فِي العَدَمِ شَيْئًا غَيْرَ الخَيْرِ.

نَعَمْ لَوْلا الخَيْرُ لَمَا يَكُونُ مِرْآةً وَمَظْهَرًا لِلخَيْرِ لاَ يَحْمِل عَطَايَا المَلِكِ إِلا مَطَايَاهُ مَثَل مَشْهُورٌ.

وَعُلِم أَنَّ: إِبْلِيسَ كَانَ لازِمًا فِي هَذَا المَوْطِنِ العَالِي لِيَأْخُذَ مَزَابِل الكُل عَلَى رَأْسِه بِكُنَاسَتِه وَلِيُطَهِّرَ غَيْرَه وَلكِنْ لَمَّا جَاءَ المخْذُول مِنْ طَرِيقِ التَّكَبُّرِ وَالتَّرَفُّعِ وَأَوْرَدَ خَيْرِيَّتَه فِي نَظَرِه وَحَبِطَ عَمَلُهُ وَحُرِمَ الأَجْرَ كَانَ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ.

عَلامَةُ حَالِه فِي الحَقِيقَة بِخِلافِ العَدَمِ فَإِنَّهُ مَعَ وُجُودِ الشَّرِّ وَالنَّقْصِ وَاللاشَيْئِيَّة الذَّاتِيَّات فِيه خَرَجَ مِنَ الحِرْمَان وَشَرُفَ بِمِرْآتِيَّة حَضْرَةِ الوُجُود

فَإِنْ قِيل: مِنْ أَيْنَ نَشَأَتْ كَثْرَةُ الشَّرِّ فِي إِبْلِيسَ فَإِنَّ فِيمَا وَرَاءَ العَدَمِ وُجُودًا وَلَمْ يَتَطَرَّقْ إِلَيْه شَرٌّ؟

أُجِيبُ: كَمَا أَنَّ العَدَمَ مِرْآةٌ للوُجُود وَمَظْهَرٌ للخَيْرِ وَالكَمَال، الوُجُودُ أَيْضًا مِرْآةٌ للعَدَمِ وَمَظْهَرٌ للشَّرِّ وَالنَّقْصِ وَإِبْلِيسُ عَلَيْهِ اللعْنَةُ كَمَا أَنَّهُ أَخَذَ الشَّرَّ فِي جَانب العَدَمِ مِنَ العَدَمِ الذي هُوَ مَوْطِنُ الشَّرِّ أَخَذَ فِي جَانب الوُجُود الخَبَاثَةَ المُتَوَهَّمَةَ التي ظَهَرَتْ فِي مِرْآة الوُجُود مِنْ جِهَة مِرآتِيَّته ومَظْهريَّته للعَدَم فَكَانَ حَامِلا لشَرِّ الطَّرَفَيْنِ الذَّاتِيِّ والعَرضِيِّ والأَصْلِيِّ والظِّلِّي فَبالضَّرُورَة جَعَلَهُ مَاليخوليَا الوُجُود المُشَابه بالشَّرِّ مَحْرُومًا مِنَ العَدَمِيَّة وَاللاشَيْئِيَّة التي مِنَ الصِّفَات الحَسَنَة للعَدَمِ وَمَعَ ذَلكَ كَانَ الشَّرُّ المُتَوَهَّمُ فِي جَانب الوُجُود مِنْ مِرآتِيَّته للعَدَمِ أَيْضًا نَصيبُهُ فَأَوْصَلَهُ بالضَّرُورَة إلى الخَسَارَة الأَبَدِيَّة {رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلوبَنَا بَعْد إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لنَا مِنْ لدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّك أَنْتَ الوَهَّابُ}(١) {والسلام على من اتبع الهدى}(٢) وَالتَّزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلى آله أَتَمُّ الصَّلاة وَأَكْمَل التَّسْليمَات.

---

(١) آل عمران: ٨

(٢) طــه: ٤٧

الْمَكْتُوبُ الثَّانِي عَشَرَ وَالأَرْبَعُمائَة
إِلى المِيرِ مُحَمَّد نُعْمَان
فِي جَوَابِ أَسْئِلَته

الْحَمْدُ للهِ وَسَلامٌ عَلى عِبَادِه الذينَ اصْطَفَى قَدْ سَأَلْتُمْ إِنَّ السَّالِكَ يَرَى نَفْسَه أَحْيَانًا فِي وَقْت العُرُوجِ فِي مَقَامَات أَصْحَاب الأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّحِيَّاتُ الذينَ هُمْ أَفْضَل منْهُ بالإجْمَاعِ بَل رُبَّمَا يَجدُ نَفْسَهُ فِي مَقَامَات الأَنْبيَاء عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ فَمَا حَقيقَةُ هَذه المُعَامَلة وَبَعْضُ النَّاسِ هُنَا يَتَوَهَّمُونَ مُسَاوَاةَ ذَلكَ السَّالك لأَرْبَاب تلكَ المَقَامات وَيَتَخَيَّلونَ شَرِكَتَهُ فِي تلكَ المَقَامات مَعَ أَرْبَاب تلكَ المَقَامات وَبِهَذَا التَّوَهُّمِ وَالتَّخَيُّل يَرُدُّونَهُ وَيَطْعَنُونَ فيه وَيُطيلونَ فِي حَقِّه لسَانَ المَلامَة وَالشِّكَايَة يَنْبَغي كَشْفُ الغطَاء عَنْ وَجْه هَذَا المعَمَّى؟

جَوَابُه هُوَ أَنَّ وَصُول الأَسَافل إِلى مَقَامَات الأعالي يَكُونُ أَحْيَانًا منْ قَبيل وُصُول الفُقَرَاء وَالمُحْتَاجينَ إلى أَبْوَاب أَصْحَاب الدُّوَل وَأَمْكنَة أَرْبَاب النِّعَم الخَاصَّة بهِمْ ليَطْلُبُوا منْ هُنَاكَ حَاجَةً وَيَسْأَلوا منْ دُوَلهِمْ وَنعَمهِمْ مُحَاجَةَ وَالقَاصرُ فِي أَمْره يَزْعُمُ هَذَا الوُصُول مُسَاوَاةً وَشَرِكَةً لَهُمْ وَكَثيرًا مَا يَكُونُ هَذَا الوُصُول منْ قَبيل النِّظَارَة وَالتَّنَزُّه فِي الأَمَاكنِ الخَاصَّة بالأمَرَاء وَالسَّلاطين بِالوَسَائط وَالوَسَائل ليَنْظُرَ بنَظَرِ الاعْتبَارِ وَليَحْصُل لهُ رَغْبَةٌ فِي عُلُوِّ الأَنْظَار.

وَأَيْنَ المجَال لتَوَهُّم المسَاوَاة فِي هَذَا الوُصُول وَكَيْفَ يُتَصَوَّرُ تَخَيُّل الشَّرِكَة منْ هَذَا المُنَزَّه وَالنِّظَارَة وَوُصُول الخَادمينَ إِلى أَمْكنَة خَاصَّة بِالمَخْدُومينَ لأَدَاء حُقُوق الخدْمَة ،

مَحْسُوسُ الوَضيعِ وَالشَّريف وَالأبْله يَتَوَهَّمُ منْ هَذَا الوُصُول المسَاوَاةَ وَالشَّرِكَةَ وَكُل فرَاشٍ وَذَابَ ذُبَابٌ وَسَيَّافُ قُرَنَاء السَّلاطين وَحَاضرُونَ فِي أَخَصِّ أَمْكنَتهِمْ فَمَنْ تَوَهَّمَ الشَّرِكَةَ وَالمُسَاوَاةَ منْ هَاهُنَا فَقَدْ كَشَفَ عَنْ غَايَة خَبْطه، (ع):

بَلاءُ ذَوِي الآلامِ منْ كُل جَانب وَالنَّاسُ يَطْلُبُونَ العلةَ لَملامَة غَريب

وَيَخْتَرِعُونَ الحيلَةَ لطَعْنه وَتَشْنيعه رَزَقَهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى الإِنْصَافَ وَكَانَ اللائقُ بِهِمْ أَنْ يَطْلُبُوا مَحْمَلا لرَفْعِ الشُّرُور وَدَفْعِ الملامَة عَنِ الضَّعيف وَأَنْ يَجْتَهِدُوا فِي حفْظِ عَرْضِ الإِسْلاميَّة وَأَمْرُهُمْ فِي الطَّعْنِ لاَ يَخْلو عَنْ أَحَد الحَالَيْنِ إِمَّا

أَنْ يَعْتَقِدُوا أَنَّ صَاحِبَ هَذَا الحَالِ مُعْتَقِدٌ لِلشَّرِكَةِ وَالمُسَاوَاةِ لأَرْبَابِ تِلْكَ المَقَامَاتِ أَوْ لاَ فَإِنِ اعْتَقَدُوا ذَلِكَ فَقَدْ حَكَمُوا عَلَيْهِ بِالكُفْرِ وَالزَّنْدَقَةِ وَأَخْرَجُوهُ مِنْ زُمْرَةِ أَهْلِ الإِسْلاَمِ فَإِنَّ اعْتِقَادَ الشَّرِكَةِ لِلأَنْبِيَاءِ وَالمُسَاوَاةِ مَعَهُمْ عَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ كُفْرٌ وَكَذَلِكَ اعْتِقَادُ المُسَاوَاةِ لِلشَّيْخَيْنِ عَلَيْهِمَا الرِّضْوَانُ الذِينَ ثَبَتَتْ أَفْضَلِيَّتُهُمَا بِإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ كَمَا نَقَلَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَكَابِرِ الأَئِمَّةِ وَاحِدٌ مِنْهُمُ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ عَلَيْهِمُ الرِّضْوَانُ بَلِ الفَضْلِ لِجَمِيعِ الصَّحَابَةِ عَلَى بَاقِي الأُمَّةِ فَإِنَّهُ لاَ تَكُونُ فَضِيلَةٌ مِنَ الفَضَائِلِ أَصْلاً عَدِيلَةً لِفَضْلِ صُحْبَةِ خَيْرِ البَشَرِ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

وَالفِعْلِ اليَسِيرُ الذِي صَدَرَ مِنَ الأَصْحَابِ الكِرَامِ عَلَيْهِمُ الرِّضْوَانُ وَقْتَ ضَعْفِ الإِسْلاَمِ وَقِلَّةِ المُسْلِمِينَ لِتَأْيِيدِ الدِّينِ المَتِينِ وَنُصْرَةِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ لَوْ صَرَفَ غَيْرُهُمْ جَمِيعَ عُمْرِهِمْ فِي الطَّاعَاتِ بِالرِّيَاضَاتِ وَالمُجَاهَدَاتِ لاَ يَبْلُغُ ذَلِكَ مَرْتَبَةَ ذَاكَ الفِعْلِ القَلِيلِ مِنَ الأَصْحَابِ وَلِهَذَا قَالَ - عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا لاَ يَبْلُغُ مُدَّ شَعِيرِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ "[١].

وَأَفْضَلِيَّةُ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ إِنَّمَا هِيَ مِنْ جِهَةِ أَنَّهُ أَسْبَقُ السَّابِقِينَ فِي الإِيمَانِ وَإِنْفَاقِ الأَمْوَالِ الكَثِيرَةِ وَالخِدْمَاتِ اللاَئِقَةِ وَلِهَذَا نَزَلَ فِي شَأْنِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى {لاَ يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ وَقَاتَلَ} الآيَةَ.

وَصَرَفَ جَمَاعَةٌ نَظَرَهُمْ إِلَى كَثْرَةِ فَضَائِلِ غَيْرِهِ وَمَنَاقِبِهِ وَتَوَقَّفُوا فِي أَفْضَلِيَّتِهِ وَلاَ يَعْلَمُونَ أَنَّ سَبَبَ الأَفْضَلِيَّةِ لَوْ كَانَ كَثْرَةَ فَضَائِلِ غَيْرِهِ وَمَنَاقِبِهِ وَتَوَقَّفُوا فِي أَفْضَلِيَّتِهِ وَلاَ يَعْلَمُونَ أَنَّ سَبَبَ الأَفْضَلِيَّةِ لَوْ كَانَ كَثْرَةَ الفَضَائِلِ وَالمَنَاقِبِ يَكُونُ كَثِيرٌ مِنْ آحَادِ الأُمَّةِ الذِينَ فِيهِمْ هَذِهِ الفَضَائِلُ أَفْضَلَ مِنْ نَبِيِّهِمُ الذِي لَيْسَتْ فِيهِ هَذِهِ الفَضَائِلُ فَمَا بِهِ التَّفَاضُلُ شَيْءٌ آخَرُ وَرَاءَ هَذِهِ الفَضَائِلِ وَالمَنَاقِبِ وَهُوَ فِي زَعْمِ هَذَا الفَقِيرِ الأَسْبَقِيَّةُ فِي تَأْيِيدِ الدِّينِ وَالأَقْدَمِيَّةُ فِي إِنْفَاقِ الأَمْوَالِ وَبَذْلِ الأَنْفُسِ لِنُصْرَةِ أَحْكَامِ دِينِ رَبِّ العَالَمِينَ.

وَحَيْثُ كَانَ النَّبِيُّ أَسْبَقَ مِنَ الكُلِ يَكُونُ أَفْضَلَ مِنَ الكُلِ وَكَذَلِكَ كُلُ مَنْ هُوَ أَسْبَقُ فِي هَذَا الأَمْرِ فَهُوَ أَفْضَلُ مِنَ المَسْبُوقِينَ وَكَانَ السَّابِقُ أُسْتَاذًا لِلاحِقِينَ

((١) **متفق عليه**: صحيح البخاري: ك: فضائل الصحابة. ب: قول النبي ﷺ " لو كنت متخذا خليلا " ح٣٤٧٠.، مسلم: ك: فضائل الصحابة. ب: تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم. ح ٢٥٤٠.

وَمُعَلِّمَهُمْ فِي أَمْرِ الدِّينِ وَاللاحِقُونَ يَقْتَبِسُونَ مِنْ أَنْوَارِ السَّابِقِينَ وَيَسْتَفِيدُونَ مِنْ بَرَكَاتِهِمْ.

وَصَاحِبُ هَذِهِ الدَّوْلَةِ العُظْمَى فِي هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّنَا - عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ - الصِّدِّيقُ الأَكْبَرُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ فَإِنَّهُ أَسْبَقُ السَّابِقِينَ فِي إِنْفَاقِ الأَمْوَالِ الكَثِيرَةِ وَالمُقَاتَلَةِ وَالمُجَاهَدَةِ الشَّدِيدَةِ وَبَذْلِ العِرْضِ وَالجَاهِ وَرَفْعِ الفَسَادِ وَالاشْتِبَاهِ لِتَأْيِيدِ الدِّينِ المَتِينِ وَنُصْرَةِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ فَالأَفْضَلِيَّةُ عَلَى غَيْرِهِ مُسَلَّمَةٌ إِلَيْهِ وَحَيْثُ طَلَبَ النَّبِيُّ - عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ - عِزَّةَ الإِسْلامِ وَغَلَبَتَهُ بِإِمْدَادِ عُمَرَ "(١).

وَكَفَى اللهُ سُبْحَانَهُ فِي نُصْرَةِ حَبِيبِهِ فِي عَالَمِ الأَسْبَابِ بِهِ وَقَالَ {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ}.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ إِسْلامُ عُمَرَ تَتَعَيَّنُ الأَفْضَلِيَّةُ بَعْدَ الصِّدِّيقِ ﷺ لَهُ وَلِهَذَا انْعَقَدَ إِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ عَلَى أَفْضَلِيَّةِ هَذَيْنِ الشَّيْخَيْنِ المُعَظَّمَيْنِ كَمَا مَرَّ وَقَالَ عَلِيٌّ ـــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـــ أَيْضًا: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ أَفْضَلُ هَذِهِ الأُمَّةِ فَمَنْ فَضَّلَنِي عَلَيْهِمَا فَهُوَ مُفْتَرٍ أُشْرِبُهُ بِالسِّيَاطِ كَمَا يُضْرَبُ المُفْتُون.

وَتَحْقِيقُ هَذَا المَبْحَثِ مُنْدَرِجٌ فِي كُتُبِي ورَسَائِلِي بِالتَّفْصِيلِ لاَ مَجَالَ لِلزِّيَادَةِ عَلَى ذَلِكَ فِي هَذَا المَقَامِ وَالأَبْلَهُ مَنْ يَجْعَلُ نَفْسَهُ عَدِيلاً لأَصْحَابِ خَيْرِ البَشَرِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصلاةُ والتَّسْلِيمَاتُ وَالجَاهِلُ بِالأَخْبَارِ وَالآثَارِ مَنْ يَتَصَوَّرُ نَفْسَهُ مِنَ السَّابِقِينَ وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ دَوْلَةَ تِلْكَ السَّابِقَةِ التِي هِيَ بَاعِثَةٌ عَلَى الأَفْضَلِيَّةِ مَخْصُوصَةٌ بِأَهْلِ القَرْنِ الأَوَّلِ الذينَ تَشَرَّفُوا بِشَرَفِ صُحْبَةِ خَيْرِ البَشَرِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَوَاتُ والتَّسْلِيمَاتُ وَهَذَا المَعْنَى مَفْقُودٌ فِي قَرْنٍ آخَرَ بَلْ يَكُونُ حَقُّ بَعْضِ

---

(١) وذلك في قوله ﷺ: "اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلاَمَ بِأَحَبِّ هذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ" سنن الترمذي: كتاب المَنَاقِبِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ. باب: في مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب ﷺ.

ح٣٨٣٣ من حديث ابن عمر، وقال حسن صحيح.، سنن ابن ماجه: ك: الإيمان وفضائل الصحابة. ب: في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ. (فضل عمر ﷺ)، المعجم الكبير للطبراني: باب الظاء: حديث عبد الله بن مسعود، وروى الحاكم من حديث عائشة: "اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلاَمَ بِعُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ خَاصَّةً" وقال صحيح على شرط، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير والأوسط بنحوه باختصار وقال: "أيد الإسلام".ورجال الكبير رجال الصحيح غير مجالد بن سعيد وقد وثق.

القُرُون أَفْضَل مِنْ سابقي قُرُون أُخرَ بَل يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اللاحقُ فِي قَرْن أَفْضَل مِنَ السَّابق فِي ذَلكَ القَرْن بَصَّرَ اللهُ سُبْحَانَهُ الطَّاعنينَ بشَنَاعَة طَعْنِ مُسْلمٍ وَطَرْد مُؤْمنٍ بمُجَرَّد التَّوَهُّمِ وَالتَّخيُّل وَبقَبَاحَة تَكْفير مُسْلمٍ وَتَضْليله بمَحْضِ التَّعَنُّت وَالتَّعَصُّب فَمَا العلاجُ لوْ لَمْ يَكُنْ المقُول فيه قابلا للتَّكْفيرِ وَمُسْتَحقًّا للتَّضْليل يَرْجعُ ذَاكَ الكُفْرُ وَالضَّلال بالضَّرُورَة إلى أَرْبَاب ذَاكَ القَوْل وَيَتَّصل مِنَ المَرْميِّ بالكُفْرِ إلى الرامِي به كَمَا وَرَدَ فِي الحَديث النَّبويِّ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ السَّلامُ.

{رَبَّنا اغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنا على القَوْمِ الكَافِرِينَ}(١).

وَلنَرْجعْ إلى أَصْل الكَلامِ فَنُبَيِّنُ الشِّقَّ الثَّانِيَ وَنَقُول: لوْ لَمْ يَكُنْ للطَّاعنينَ هَذَا الاعْتقَادُ فِي حَقِّ صَاحب

هَذَا الحَال وَلا يُوصلونَ مُعَامَلتَهُ إلى حَدِّ الكُفْرِ فَحَالُهُمْ أَيْضًا لاَ يَخلو مِنْ أَحَد الحَالَيْنِ إمَّا أَنْ يَحْملوا وَاقعَتَهُ عَلى الكَذب وَالبُهْتَان فَهَذَا عَيْنُ سُوء الظَّنِّ بالمُسْلمِ وَهُوَ مَحْظُورٌ عَنْهُ شَرْعًا وَإمَّا أَنْ لاَ يُحْمَلوا عَلى الكَذب وَالبُهْتَان وَأَنْ لاَ يَظُنُّوهُ مُعْتَقدًا للشَّرِكَة المسَاوَاة فَحينَئذ مَا وَجْهُ الطَّعْنِ وَالمَلامَة وَمَا سَبَبُ تَشْنيعه وَتَعْييبه فَإنَّ اللائقَ بالوَاقعَة الصَّادقَة أَنْ يُحْمَل عَلى مَحَامِل صَحيحَةٍ لاَ أَنْ يُشَنَّعَ صَاحبُهَا وَيُقَبَّحَ .

فَإنْ قيلَ: مَا وَجْهُ إظْهَار مثْل هَذه الوَاقعَة الموجبَة للفتْنَة؟

نَقُول: إنَّ ظُهُورَ مثْل هَذه الأَحْوَال مَنْ مشائخ الطَّريقَة كَثيرُ الوُقُوعِ وَذَلكَ عَادَةٌ مُسْتَمرَّةٌ لَهُمْ وَلَيْسَ هَذَا أَوَّل قَارُورَة كُسرَتْ فِي الإسْلامِ وَلاَ يَكُونُ بلا نيَّات حَقَّانيَّة وَإرَادَة صَادقَة وَالمَقْصُودُ منْ هَذه الكتَابَة أَحْيَانًا إظْهَارُ أَحْوَاله الموْهُوبَة عنْدَ شَيْخه ليُبَيِّنَ صحَّةَ حَاله وَسَقَمه وَليُطَّلعَهُ عَلَى تَعْبيره وَتَأْويله وَأَحْيَانًا تَرْغيبُ الطُّلاَب والتلامذَة وَتَحْريضُهمْ وأَحيَانًا لاَ يَكُونُ مَقْصُودٌ منَ الكتَابَة لاَ هَذَا وَلا ذَاكَ بَل يُوردُهُ فِي هَذَا القيل وَالقَال مُجَرَّدُ السُّكْرِ وَغَلَبَةُ الحَال ليَتَنَفَّسَ ممَّا به قليلا وَليُخَفِّفَ عَنْ نَفْسه لَمْحَةً مَنْ كَانَ مَقْصُودُه منْ إظْهَارِ أَمْثَال هَذه الأَحْوَال الشُّهْرَةَ وَقَبُول الخَلق فَهُوَ مُدَّعٍ بَطَّال.

هَذه الأَحْوَال اسْتدْرَاجٌ عَلَيْه وَوَبَال وَمُتَضَمِّنَةٌ لخذْلانه وَأَنْوَاعِ الأَهْوَال.

---

(١) البقرة:٢٨٦

{رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلوبَنَا بَعْدإِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لنَا مِنْ لدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ}(١) وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنْ رَبِّي لغَفُورٌ رَحِيمٌ.

وَسَأَلتُمْ أَيْضًا أَنَّهُ مَا السَّبَبُ فِي أَنَّ الأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ الصَّلوَاتُ والتَّسْلِيمَاتُ وَالأَوْلِيَاءَ عَلَيْهِمُ الرِّضْوَانَ يُبْتَلوْنَ فِي الدُّنْيَا بِأَشَدِّ البَلاءِ وَالمَصَائِبِ وَالمِحَنِ كَمَا قِيل: إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ بَلاءً الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَوْلِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَل فَالأَمْثَل

وَقَال اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى فِي كِتَابِهِ المجِيدِ {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ}

وَيُفْهَمُ مِنْ هَذِهِ الآيَةِ الكَرِيمَةِ أَنَّ كُل مَنْ يَكُونُ اكْتِسَابُهُ للسَّيِّئَاتِ أَكْثَرَ يَكُونُ مَوْرِدًا للمُصِيبَةِ فِي الأَكْثَرِ فَيَنْبَغِي أَنْ يُبْتَلى بِأَشَدِّ البَلاءِ وَالمُصِيبَةِ غَيْرَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ وَغَيْرُ الأَوْلِيَاءِ عَلَيْهِمُ الرِّضْوَانُ دُونَ الأَنْبِيَاءِ وَالأَوْلِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَأَيْضًا إِنْ هَؤُلاءِ الكُبَرَاءَ مَحْبُوبُو الحَقِّ سُبْحَانَهُ أَصَالةً وَتَبَعًا وَمِنْ خَوَاصِّ مُقَرَّبِيهِ تَعَالى فَكَيْفَ يَصِحُّ إِحَالةُ البَلِيَّاتِ وَالمحَنِ إِلى المَحْبُوبِينَ وَخَوَاصِّ المقَرَّبِينَ وَبِأَيِّ وَجْهٍ يَجُوزُ أَذَاهُمْ وَكَيْفَ يَسْتَقِيمُ كَوْنُ الأَعْدَاءِ فِي رَاحَةٍ وَنَعِيمٍ وَإِقَامَةَ الأَحِبَّاءِ فِي بَلِيَاتٍ وَعَذَابٍ أَليمٍ

اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ وَهَدَاكَ سَوَاءَ الصِّرَاطِ أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِمَوْضُوعَةٍ للتَّنَعُّمِ وَالتَّلذُّذِ وَإِنَّمَا المعَدُّ للتَّنَعُّمِ وَالتَّلذُّذِ هِيَ الآخِرَةُ وَحَيْثُ كَانَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ نِسْبَةُ الضِّدِّيَّةِ وَالنَّقَاضَةِ وَرِضَاءُ أَحَدِهِمَا مُسْتَلزِمٌ لِسَخَطِ الأُخْرَى يَكُونُ التَّلذُّذُ فِي إِحْدَاهُمَا مُسْتَلزِمًا للتَّأَلمِ فِي الأُخْرَى بِالضَّرُورَةِ فَمَنْ يَكُونُ تَلذُّذُه وَتَنَعُّمُه فِي الدُّنْيَا أَوْفَرَ يَكُونُ تَأَلُّمُه وَتَنَدُّمُه فِي الآخِرَةِ أَكْثَرَ وَكَذَلكَ مَنْ كَانَ ابْتِلاؤُهُ بِالبَلِيَّاتِ وَالمحَنِ فِي الدُّنْيَا أَكْثَرَ يَكُونُ احْتِظَاظُهُ وَسُرُورُه فِي الآخِرَةِ بِالتَّنَعُّمَاتِ والتلذذات أَزْيَدَ وَأَوْفَرَ وَلَيْتَ لِبَقَاءِ الدُّنْيَا بِالنِّسْبَةِ إِلى بَقَاءِ الآخِرَةِ حُكْمُ القَطْرَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلى البَحْرِ المُحِيطِ نَعَمْ مَاذَا تَكُونُ نِسْبَةُ المتَنَاهِي إِلى غَيْرِ المتَنَاهِي فَلا جَرَمَ كَانَ اللائِقُ بِمُقْتَضَى الكَرَمِ ابْتِلاءَ الأَحْبَابِ

بِمحْنَةِ أَيَّامٍ فِي هَذِهِ الدَّارِ لِيحتَظُوا وَيَفْرَحُوا بِتنعُّمات أَبَدِيَّةٍ وَكَانَ المُنَاسِبُ بِمُوجِبِ المَكْرِ وَالاسْتِدْرَاجِ احتظاظَ الأَعْدَاءِ بتلذذاتٍ قَليلةٍ لِيَتَبَتَّلوا بِتأَلماتٍ كَثِيرَةٍ

---

(١) آل عمران: ٨

فَإنْ قيل: إنَّ الكَافرَ الفَقيرَ الذي هُوَ مَحْرُومٌ في الدُّنْيَا وَالآخرَة لَمْ يَكُنْ تَأَلُّمه فِي الدُّنْيَا مُسْتَلزمًا لتَلذُّذه في الآخرَة فَمَا وَجْهُ ذَلكَ؟

نَقُول: إنَّ الكَافرَ عَدُوُّ الله - جَل سُلطَانُهُ - وَمُسْتَحقٌّ للعَذَاب الدَّائميِّ وَرَفْعُ العَذَاب عَنْهُ فِي الدُّنْيَا وَتَرْكُهُ عَلى وَضْعه وَحَاله عَيْنُ التَّلذُّذ وَالتَّنعُّم وَنَفْسُ الإحْسَان في حَقِّه وَلِهَذَا قيل لنَفْسِ الدُّنْيَا في حَقِّ الكَافر إنَّهَا جَنَّةٌ، غَايَةُ مَا في البَاب أَنَّ بَعْضَ الكُفَّار يُرْفَعُ عَنْهُ العَذَابُ فِي الدُّنْيَا وَيُعْطَى أُخْرَى بَل يُكْتَفَى فِي حَقِّه بالتلذذ إعطَاءُ الفُرْصَة وَالمُهْلة وَرَفْعُ العَذَاب لكُل ذَلكَ حُكْمٌ وَمَصَالحُ

فَإنْ قيل: إنَّ اللهَ تَعَالى قَادرٌ عَلى كُل شَيْءٍ وَمُقْتَدرٌ لإكْرَام أَوْليَائه بتلذذات دنيَاوية وتَنَعُّمات أُخْرَويَّة منْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ التَّلذُّذُ فِي إحْدَاهُمَا مُسْتَلزمًا للتَّأَلم في الأُخْرَى في حَقِّهمْ.

أُجيبُ بوُجُوه:

الأَوَّل: أَنَّهُمْ لَوْ لَمْ يَذُوقُوا في الدُّنْيَا بليَات أَيَّام قَليلة وَمحَنَ أُوَيْقَات يَسيرَةٍ لاَ يَعْرفُونَ قَدْرَ تلذذات وتنعمات أَبَديَّة وَلاَ يُدْرِكُونَ قَدْرَ نعْمَة الصِّحَّة وَالعَافيَة الدَّائمَة كَمَا يَنْبَغي نَعَمْ مَنْ لَمْ يَجُعْ بَطْنُهُ لاَ يَجدُ لَذَّةَ الطَّعَام وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مُبْتَلى لاَ يَعْرفُ قَدْرَ الفَرَاغَة وَكَأَنَّ المَقْصُودَ منْ تَأَلمهمُ المُوَقَّت تَحْصيلهمْ لكَمَال التَّلذُّذ الدَّائميِّ.

وَظَهَرَ الجَمَال فِي حَقِّ هَؤُلاءِ الأَكَابرِ بصُورَة الجَلال لابْتلاء العَوَامِّ يَضل بِه كَثيرًا وَيَهْدي به كَثيرًا .

والثَّاني: أَنَّ البَليَّات وَالمحَنَ إنْ كَانَتْ عنْدَ العَوَامِّ منْ أَسْبَابِ التَّأَلمِ وَلَكنْ مَا يُصيبُ منَ الجَميل المُطْلق فَهُوَ منْ أَسْبَاب التَّنَعُّم.

وَالالتذَاذُ عنْدَ هَؤُلاءِ الأَكَابرِ وَهُمْ يَجدُونَ منَ التَّلذُّذ بالبَلايَا مَا يَجدُونَ منَ التَّنَعُّم بالنَّعْمَاء بَل احتظَاظُهم منَ البَلاَيَا أَكْثَرُ لكَوْنهَا خَالصَ مُرَاد المَحْبُوب وَلَيْسَ هَذَا الخُلوصُ فِي النَّعْمَاء فَإنَّ النَّفْسَ أَيْضًا مُريدَةٌ لَهَا وَهَاربَةٌ منَ البَلاَيَا فَيَكُونُ البَلاءُ عنْدَ هَؤُلاءِ الأَكَابرِ أَفْضَل منَ النِّعْمَة وَيَكُونُ التذاذُهم منَ البَلاء أَكْثَرَ مَن التذاذهم منَ النِّعْمَة وَحَظُّهمْ في الدُّنْيَا منَ البَليَّات وَالمَصَائب فَلوْ لَمْ يَكُنْ هَذَا الملحُ في الدُّنْيَا لَمَا سَاوَتْ عنْدَهُمْ بشُعَيْرَة وَلوْ لَمْ تَكُنْ هَذه الحَلاوَةُ فيهَا لكَانَتْ عَبثًا في نَظَرهمْ.

أَلا إنَّ قَصْدي منْ هَوَاكَ تَأَلمي وَإلا فَأَسْبَابُ النَّعيم كَثيرَةٌ

فَأَوْليَاؤهُ تَعَالى مُتَلذِّذُونَ فِي الدُّنْيَا وَمُحتَظُونَ وَمَسْرُورُونَ فِي الآخرَة

وَلَذَّتُهم هَذه فِي الدُّنْيَا لاَ تَنَافِي حَظَّهِمْ فِي الآخرَة وَالتَّلَذُّذُ الذي يُنَافِي حَظَّ الآخرَة هُوَ غَيْرُ ذَلكَ ممَّا هُوَ حَاصل للعَوَامِّ إلهيَ مَا هَذَا الذي جَعَلتَ أَوْلِيَاءَك بحَيْثُ إنَّ مَا هُوَ سَبَبُ تَأَلم الآخَرينَ سَبَبٌ لتلذّذهُم وَمَا هُوَ زَحْمَةٌ عَلى الآخَرينَ رَحْمَةٌ لهَؤُلاء الأَكَابر وَنقْمَةُ الآخَرينَ نعْمَةٌ لهُمُ النَّاسُ مَسْرُورُونَ فِي السُّرُور مَغْمُومُونَ فِي الغَمِّ وَهَؤُلاء الأَكَابرُ مَسْرُورُونَ فِي السُّرُور وَفَرحُونَ فِي الغَمِّ فَإنَّ نَظَرَهُم مَصْرُوفٌ عَنْ خُصُوصيَّات الأَفْعَال الجَميلة وَالرَّذيلة وَمَقْصُورٌ عَلى جَمَال فَاعل تلكَ الأَفْعَال الذي هُوَ جَميل مُطْلَقٌ وَكَانَت الأَفْعَال عنْدَهُمْ أَيْضًا مَحْبُوبَةً بحُبِّ الفَاعل وَمُورِّثَةٌ للالتذَاذ. كُل مَا يَصْدُرُ فِي العَالَم بمُرَاد الفَاعل الجَميل - جَل سُلطَانُهُ - وَإنْ كَانَ منْ إيلامهمْ وَأَضْرَارهمْ فَهُوَ عَيْنُ مُرَادهمُ المَحْبُوب لهُمْ وَسَبَبُ التذاذهم إلهيَ مَا هَذَا الفَضْل وَالكَرَامَةُ حَيْثُ أَعْطَيْتَ مثْل هَذه الدَّوْلَة الخَفيَّة وَالنِّعْمَة الهَنيئَة لأَوْليَائك مُخْفيًّا إيَّاهَا منْ نَظَر الأَغْيَار وأقْمَتهمْ بمُرَادك دَائمًا مُحْتَظينَ وَمُتلذِّذينَ وَرَفَعْتَ عَنْهُمُ الكَرَاهَةَ وَالتَّأَلمَ وَجَعَلتَهَا نُصُبَ غَيْرِهمْ وَجَعَلتَ العَارَ وَالفَضيحَةَ اللذَيْن منْ عُيُوب الآخَرينَ جَمَال هَذه الطَّائفَة العَليَّة وَكَمَالهُمْ وَأَوْدَعْتَ مُرَادَهُمْ فِي عَيْن عَدَم حُصُول المُرَاد وَجَعَلتُ التذاذَهم وَسُرُورَهُمُ العَاجليْن سَبَبًا لزيَادَة حُظُوظهمُ الأُخْرَويَّة عَلى عَكْس الآخَرينَ {ذَلكَ فَضْل الله يُؤْتيه مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْل العَظيم}(١)

وَالثَّالثُ: إنَّ هَذه الدَّارَ دَارُ ابْتلاء وَالحَقُّ مُمْتَزجٌ فيهَا بالبَاطل وَالمُحقُّ مُخْتَلطٌ بالمُبْطل حكْمَةَ الاخْتبَار وَالامْتحَان وَذَلكَ مُنَافٍ للإيمَان بالغَيْب الذي السَّعَادَةُ الدُّنْيَويَّةُ وَالأخْرَويَّةُ مُوَدَعَةٌ فِي ضمْنه.

قَوْله تَعَالى {الذينَ يُؤْمنُونَ بالغَيْب} وَقَوْلهُ تَعَالى {وَليَعْلمَ اللهُ مَنْ يَنصُرُهُ وَرُسُله بالغَيْب} شَاهدٌ لهَذَا المَعْنَى فَجَعَل اللهُ سُبْحَانَهُ أَوْليَاءَه مُبْتَلينَ بصُورَة البَلاء وَالمحَن وَرَمَى فِي عُيُون الأَعْدَاء التُّرَابَ لتَتمَّ بذَلكَ حكْمَةُ الابْتلاء وَالامْتحَان وَليَكُونَ أَوْليَاؤهُ مُتَلذِّذينَ فِي عَيْن البَلاء وَليَكُونَ الأَعْدَاءُ مَطْمُوسُو البَصيرَة خَائبينَ وَخَاسرينَ غَافلينَ عَنْ هَذَا الابْتلاء يُضل به كَثيرًا وَيَهْدي به كَثيرًا.

وَكَانَتْ مُعَامَلةُ الأَنْبيَاء مَعَ الكُفَّار أَنْ تَكُونَ الغَلبَةُ أَحْيَانًا فِي هَذَا الجَانب وَأَحْيَانًا فِي ذَاكَ الجَانب كَانَت النُّصْرَةُ فِي البَدْر فِي جَانب أَهْل الإسْلام وَكَانَت

---

(١) الحديد: ٢١

الغَلَبَةُ فِي الأُحُد فِي جَانِب الكُفَّار.

قَال اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالى {إنْ يَمْسَسْكُمْ قُرْحُ فَقَدْ مَسَّ القَوْمَ قُرْحٌ مثْلهُ وَتلكَ الأَيَّامُ نُدَاولهَا بَيْنَ النَّاسِ وَليَعْلمَ اللهُ الذينَ آمَنُوا وَيَتَّخذَ منْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللهُلا يُحبُّ الظَّالمينَ وَليُمَحِّصَ اللهُ الذينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الكَافرينَ}

وَالرَّابِعُ: إنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى وَإنْ كَانَ قَادرًا عَلى كُل شَيْءٍ وَمُقْتَدرًا عَلى إكْرَامِ أَوْلِيَائه بالتَّنَعُّمِ الدُّنْيويِّ والأخرَويِّ وَلكنَّ هَذَا المَعْنَى مُنَافٍ لحكْمَته وَعَادَته سُبْحَانَهُ وَتَعَالى وَهُوَ تَعَالى يُحبُّ أَنْ يَجْعَل قُدْرَتَهُ مَسْتُورَةً تَحْتَ حكْمَته وَعَادَتُهُ أَنْ يجْعَل العلل وَالأَسْبَابَ نقَابَ جَنَاب قُدُسه فَبحُكْم النِّقَاضَة بَيْنَ الدُّنْيَا وَالآخرَة لاَ بُدَّ للأَوْليَاء منْ محَنِ الدُّنْيَا وَبَليَّتهَا حَتَّى تَكُونَ لَهُمْ تنعماتُ الآخرَة هَنيئَةً مَريئَةً وَقَدْ مَرَّ فِي جَوَاب أَصْل السُّؤَال رَمْزٌ إلى هَذَا المَعْنَى

وَلنَرْجعَ إلى أَصْل الكَلاَمِ وَنُبيِّنَ تَتمَّةَ الجَوَاب منْ أَصْل السُّؤَال وَنَقُول: إنَّ سَبَبَ الأَلمِ وَالبَلاء وَالمُصيبَة وَإنْ كَانَ كَسْبَ الذُّنُوب.

وَالسَّيِّئَات وَلكنَّ البَليَّات مُكَفِّرَةٌ فِي الحَقيقَة للسَّيِّئَات والمُصيبَات مُزيلةٌ لظُلمَات الذُّنُوب وَالخطيَّات فَالكَرَمُ فِي زيَادَة محَنِ الأَوْليَاء وَبَليَّاتهمْ لتَكُونَ كَفَارَةً لسَيِّئَاتهمْ وَمُزيلةً لظُلمَات ذُنُوبهمْ وَزَلاتهمْ وَلا يَنْبَغي أَنْ تُتَصَوَّرَ سَيِّئَاتُ الأَوْليَاء وَذُنُوبُهمْ مثْل سَيِّئَات الأَعْدَاء وَذُنُوبهمْ.

وَلَعَلكُمْ سَمعْتُمْ قَوْلهُمْ حَسَنَاتُ الأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ المقَرَّبينَ فَلوْ صَدَرَ عَنْهُمُ الذَّنْبُ وَالعصْيَانُ لاَ يَكُونُ ذَلكَ كَذَنْب غَيْرهمْ وَعصْيَانه بَل يَكُونُ منْ قسْمِ السَّهْوِ وَالنِّسْيَان بَعيدًا منَ العَزْمِ وَالجدِّ وَالطُّغْيَان قَال اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالى {وَلقَدْ عَهدْنَا إلى آدَمَ منْ قَبْل فَنَسيَ وَلمْ نَجدْ لهُ عَزْمًا}

فَكَثْرَةُ الآلامِ وَالمَصَائب وَالبَليَّات تَدُل عَلى كَثْرَة كَفَّارَة السيئات لاَ عَلى كَثْرَة كَسْب السَّيِّئَات فَيُعْطي أَكْثَرَ البَلاء للأَوْليَاء ليُكَفِّرَ عَنْهُمْ سيئاتهم فَيَقْدَمُونَ إلى رَبِّهمْ طَاهرينَ مُطَهَّرينَ وَيَكُونُونَ مَحْفُوظينَ منْ محْنَة الآخرَة وَمَصُونينَ

نُقل أَنَّ فِي حينَ احْتضَار النَّبيِّ ﷺ ظَهَرَ فيه قَلقٌ وَاضْطرَابٌ فَلمَّا شَاهَدَتْ فَاطمَةُ رَضيَ اللهُ عَنْهَا منْهُ ﷺ ذَلكَ صَارَتْ منْ كَمَال شَفَقَتهَا وَتَحَنُّنهَا لرَسُول الله ﷺ ذَاكَ الاضْطرَابَ عَليْه وَسَلمَ فَاطمَةُ بضْعَةٌ منِّي مُضْطَربَةٌ وَمُنْزَعجَةٌ فَلمَّا شَاهَدَ النَّبيُّ ﷺ ذَاكَ الاضْطرَابَ وَالانْزعَاجَ منْ فَاطمَةَ الزَّهْرَاء فِي ذَلكَ الوَقْت قَال لتَسْليَتهَا رَضيَ اللهُ عَنْهَا: إنَّ محْنَةَ أَبيكِ هيَ هَذه فَقَطْ لاَ مَكْرُوهَ بَعْدَ ذَلكَ مَا أَعْظَمَ

دَوْلَةً لوْ ارْتَفعَ العَذَابُ الأَشَدُّ وَالأبْقَى بمحْنَة أَيَّام قَليلة وَإِنَّمَا يُعَامَل بهَذه المُعَامَلة الأَوْلِيَاءُ دُون غَيْرِهِمْ فَإِنَّ ذُنُوبَ غَيْرِهِمْ لاَ تُكَفَّرُ هُنَا كَمَا يَنْبَغِي بَل يُؤْخَذُ مُجَازَاتُهمْ إلى الآخرَة فَيكُونُ الأَوْلِيَاءُ أَحقَّاءَ بكَثْرَة الآلام وَالبَلِيَّات الدُّنْيَوِيَّة وَليْسَ غَيْرُهمْ مُسْتَحقِّينَ لهَذه الدَّوْلة فَإِنَّ ذُنُوبَهُمْ كَبِيرَةٌ ومشغوليَّتَهم بالالتجَاء وَالتَّضرُّعِ وَالاسْتِغْفَارِ والانكسارِ قَليلَةٌ وَنُفُوسَهمْ عَلَى كَسْبِ المَعَاصِي جَسُورَةٌ يَكْتَسبُونَ الذُّنُوبَ بالجِدِّ وَالعَزْمِ وَلا يَخلونَ منَ التَّمَرُّد وَالطُّغْيَان وَالرَّجْمِ بَل يَكَادُونَ يَسْتَهْزِئُونَ وَيَسْخَرُونَ بآيَات الله عَزَّ وَجَل وَالجَزَاءُ عَلَى قَدْرِ الجَرِيمَة فَإِنْ كَانَت الجَرِيمَةُ خَفِيفَةً وَصَاحِبُهَا مُلتَجئًا وَمُتَضَرِّعًا إلى الله تَعَالى فهِيَ قَابلةٌ للكَفَّارَة بالبَلاءِ الدُّنيويِّ أَمَّا إذَا كَانَتْ غَليظَةً وَصَاحبُ الجَرِيمَة مُتَمَرِّدًا وَمُتَكَبِّرًا فهِيَ حَرِيَّةٌ بالجَزَاءِ الأخرَوِيِّ الذي هُوَ أَشَدُّ وَأَدْوَمُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلكنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلمُونَ.

وَكَتَبْتُمْ أَيْضًا أَنَّ النَّاسَ يَسْتَهْزِئونَ وَيَسخَرُونَ وَيَقُولونَ: إِنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ لَمْ يَبْتَلي أَوْلَيَاءَهُ بالمحْنَة وَالبَلاء وَلَم لاَ يَجْعَلهُمْ فِي التَّلذُّذ وَالتَّنعُّم دَائمًا وَيُريدُونَ نَفيَ هَذه الجَمَاعَة بهَذَا القيل وَالقَال نَعَمْ: قَدْ قَال الكُفَّارُ أَمْثَال هَذه الكَلمَات في حَقّه ﷺ قَال الله تَعَالى {وَقَالوا مَا لهَذَا الرَّسُول يَأْكُل الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاق لوْلا أُنْزِل عَليْه مَلكٌ فَيكُونُ مَعَهُ نَذيرًا أَوْ يُلقَى إِليْه كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُل مِنْهَا} الآيَةَ وَمَدَارُ أَمْثَال هَذه الكَلمَات عَلى إِنْكَارِ الآخرَة وإنكارِ العَذَاب وَالثَّوَاب الدَّائمَيْنِ وَعَلى الاعتداد بالتلذذات الفَانيَة العَاجلة وَالذي يُؤْمنُ بالآخرَة وَيُذْعنُ بالثَّوَاب وَالعَذَاب الدَّائمَيْنِ لاَ يُوردُ محْنَةَ أَيَّامٍ قليلة عَلى نَظَرِه أَصْلا بَل يَتَصَوَّرُ هَذه المحْنَةَ المؤَقَّتَةَ التي هيَ سَبَبُ رَاحة مُؤَبَّدَة عَيْنَ الرَّاحَة لاَ يَنْبَغي الإصْغَاءُ إلى قيل النَّاسِ وقالهم، وَالأَلَمُ وَالبَلاءُ وَالمحْنَةُ منْ شَوَاهد المَحَبَّة، فَإِنَّ زَعْمَهَا مُطمُوسو البَصيرَة مُنَافيَةً للمَحَبَّة مَاذَا نَصْنَعُ لاَ علاجَ غَيْرَ الإِعْرَاضِ عَنِ الجَاهلينَ وَمَقَالتهمْ فَاصْبرْ صَبْرًا جَميلا.

جَوَابٌ آخَرُ: عَنْ أَصْل السُّؤَال أَنَّ البَلاءَ سَوْطُ المَحْبُوب المسْتَحقِّ للأَلَم وَالبَلاء الأَوْلِيَاء ليَكُونَ هَذَا البَلاءُ مُكَفِّرا لسَيِّئَة التفاتهمْ إلى مَا سوَاهُ وَلا يَكُونُ غَيْرُهمْ لائقًا بهَذه الدَّوْلة وَكَيْفَ لاَ يُجَاءُ به إلى جَانب المَحْبُوب بالجَرِّ وَالضَّرْب وَيُجتَبَى للمَحْبُوبيَّة وَمَنْ لاَ فَيُتْرَكُ عَلى اخْتيَارِه فَإِنْ أَدْرَكَتْهُ السَّعَادَةُ الأَبَديَّةُ يَسْلكُ طَرِيقَ الإِنَابَة وَيَصل إلى المقْصد بإِمْدَاد الفَضْل وَالعنَايَة وَإلا فَإِيَّاهُ وَحَاله اللهُمَّ لاَ تَكلني إِلى نَفْسي طَرْفَةَ عَيْنٍ فَعُلمَ مِنْ هَذَا أَنَّ البَلاءَ فِي المُرَادينَ والمحبوبينَ مَا أَوْذي

نَبِيٌّ مِثْل مَا أُوذِيتُ فَظَهَرَ فِي البَلاءِ مَعْنَى الدَّلالِيَّة حَيْثُ إِنَّهُ أَوْصَلَ الحَبِيبَ إِلَى الحَبِيبِ بِحُسْنِ دَلالته وَجَعَله صَافِيًا مِنَ الالتفَات إِلَى غَيْرِ الحَبِيب.

وَالعَجِيبُ أَنَّ الأَوْلِيَاءَ لَوْ وَجَدُوا أُلوفًا لاشْتَرَوْا بِهَا البَلاءَ وَغَيْرُهمْ يُرِيدُون دَفْعَ البَلاءِ بِإِعْطَاءِ أُلوف

فَإِنْ قِيلَ: قَدْ يُفهَمُ الاضْطِرَابُ وَالكَرَاهَةُ فِي الأَوْلِيَاءِ أَيْضًا وَقْتَ إِصَابَةِ الأَلمِ وَالبَلاءِ فِي بَعْضِ الأَحْيَان فَمَا وَجْهُ ذَلكَ؟

أُجِيبَ: أَنَّ ذَلكَ الاضْطِرَابَ صُورِيٌّ يَصْدُرُ عَنْهُمْ أحيَانًا بِمُقْتَضَى الطِّينَة البَشَرِيَّة وَفِي إِبْقَائه حكَمٌ وَمَصَالحُ فَإِنَّ الجِهَادَ مَعَ النَّفسِ لاَ يُتَصَوَّرُ بدُونه وَقَدْ سَمِعْتُ مَا ظَهَرَ مِنْ سَيِّد الأَوَّلِينَ وَالآخرِينَ - عَلَيْه وَعَلَى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ - مِنَ الاضْطِرَاب وَالقَلَقِ فِي سَكَرَات المَوْت وَكَانَ ذَلكَ بَقِيَّةَ الجِهَاد مَعَ النَّفْسِ ليَكُونَ خَاتمَةَ خَاتَمِ الرُّسُل عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى الجِهَاد مَعَ أَعْدَاء الله تَعَالَى وَشدَّة الْمجَاهَدة تَحْسِمُ مَوَادَّ الصِّفَات البَشَرِيَّة وَتُوصلِ النَّفْسَ إِلَى كَمَال الانْقِيَاد وَحَقِيقَةِ الاطْمِئْنَان وَتَجْعَلهَا صَافيَةً زَاكيَةً فَصَارَ البَلاءُ دَلال سَوْق المَحَبَّة وَمَنْ لاَ مَحَبَّةَ لَهُ لاَ شُغْل لهُ بالدَّلال وَلا يَحْتَاجُ إِلَى الدَّلالِيَّة وَلا يَكُونُ لَهَا عنْدَهُ قَدْرٌ وَلا قِيمَةٌ وَوَجْهٌ آخرُ للأَلمِ وَالبَلاء حُصُول الامْتِيَاز بَيْنَ المحبِّ الصَّادق وَبَيْنَ المدَّعِي الكَاذب فَإِنَّ مَنْ كَانَ صَادقًا يَكُونُ مُلتَذًّا ومُحتَظًّا بالبَلاء وَمَنْ كَانَ مُدَّعيًا لاَ يَكُونُ نَصِيبُه مِنَ البَلاءِ غَيْرَ التَّأَلمِ وَالكَرَاهَة وَلا يَهْتَدي إِلَى هَذَا التَّمْيِيز إِلا مَنْ كَانَ فِيه شَائبَةٌ مِنَ الصِّدْق حَتَّى يُمَيِّزَ بَيْنَ حَقِيقَةِ التَّأَلمِ وَصُورَتِه وَيُفرِّقَ بَيْنَ حَقِيقَةِ الصِّفَاتِ البَشَرِيَّةِ وَصُورَتِهَا:

الوَلِيُّ يَعْرِفُ الوَلِيَّ رَمْزَ إِلَى هَذَا البَيَانِ وَاللهُ سُبْحَانَهُ الهَادِي إِلَى سَبِيل الرَّشَاد.

وَسَأَلتُمْ أَيْضًا أَنَّ العَدَمَ لاَ شَيْءَ مَحْضٌ كَمَا قَالوا فَلا يَكُونُ لهُ وُجُودٌ فَإِذَا لَمْ يَكُنْ لهُ وُجُودٌ كَيْفَ تَكُونُ لهُ آثَارٌ وَتَرَقِّيَاتٌ مَعَ الوُجُود الذي عَرَضَ لهُ فِي الذِّهْنِ فَإِنْ كَانَتْ تَكُونُ ذهْنِيَّةً فَكَيْفَ تَخرُجُ عَنْ دَائرَة الخَيَال؟

اعْلمْ أَنَّ العَدَمَ وَإِنْ كَانَ لاَ شَيْئًا وَلكنَّ مُعَامَلةَ الأَشْيَاء كُلهَا قَائمَةٌ به وَمَنْشَأُ تَفصِيل الأَشْيَاءِ وَكَثْرَتهَا مرآتيَّته وَالصُّوَرُ العلميَّةُ للأَسْمَاء الإِلهيَّة - جَل شَأْنُهُ - التي انْعَكَسَتْ فِي مرْآة العَدَمِ جَعَلتْهُ مُتَميِّزًا وَالتزمَته ثُبُوتًا علميًّا فَبالضَّرُورَة أَخْرَجَتْهُ أَيْضًا مِنَ اللاشَيْئِيَّةِ المحْضَة وَصَيَّرَتْهُ مَنْشَأً للآثَارِ وَالأَحْكَامِ وَهَذه الآثَارُ

وَالأحْكَامُ أَيْضًا كَائِنَةٌ فِي خَارِجِ مَوْطِنِ العِلمِ وَثَابتَةٌ فِي مَرْتَبَة الحِسِّ وَالوَهْمِ وَحَيْثُ حَصَلَ لَهَا فِي تلكَ المَرْتَبَة باسْتحْكَام صُنْعِ الله - جَل شَأْنُهُ - ثَبَاتٌ وَاسْتقْرَارٌ بحَيْثُ لاَ تَرْتَفعُ بزَوَال الحِسِّ وَالوَهْمِ يُمْكِنُ أَنْ يُقَال: إنَّ هَذه الآثَارَ وَالأحْكَامَ خَارجيَّةٌ وَأَنْتُمْ كَيْفَ

تَتَعَجَّبُونَ منْ تَرَقِّيَات العَدَمِ فَإنَّ جَميعَ مُعَامَلَة الكَائنَات مُبْتَنيَةٌ عَلى العَدَمِ يَنْبَغي أَن يُشَاهدَ كَمَال قُدْرَة الله - جَل شَأْنُهُ - حَيْثُ وَسعَ دَائرَةَ المُعَامَلَة هَذه كُلهَا منَ العَدَمِ وَأَظْهَرَ كَمَالات الوُجُود بنَقَائصه وَوَجْه تَرَقِّيَة في كَمَال الوُضُوحِ فَإنَّ الصُّوَرَ العلميَّةَ للأسْمَاء الإلهيَّة - جَل سُلطَانُهُ - مُتَمَكِّنَةٌ فيه وَكَائنَةٌ به وَمنَ الصُّوَرِ إلى الحَقيقَة وَالظِّلال إلى الأَصْل طَريقُ سُلطَانه مُتَمَكِّنَةٌ فيه وَكَائنَةٌ به وَمنَ الصُّوَرِ إلى الحَقيقَة وَالظِّلال إلى الأَصْل طَريقٌ سُلطَانيٌّ وَمَنْ لَمْ يُحْصِ ذَلكَ فَهُوَ مَطْمُوسُ البَصيرَة إنَّ هَذه تَذْكرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إلى رَبِّه سَبيلا.

وَلَفْظُ الذِّهْنِ وَالخَيَال لاَ يُوقعَنَّكَ في الاشْتبَاه وَالاحْتمَال وَلا يَجْعَلنَّ صُدُورَ الآثَارِ وَالتَّرَقِّيَات عَسيرًا فِي نَظَركُمْ فَإنَّهُ مَا منْ مُعَامَلَة إلا وَهيَ في العلمِ وَالخَيَال لَيْسَتْ بخَارجَة منْهُمَا، غَايَةُ مَا في البَاب أَنَّ بَيْنَ خَيَالٍ وَخَيَال فَرْقًا كَثيرًا فَإنَّ الخَلقَ في مَرْتَبَة الوَهْمِ وَالخَيَال غَيْرَ اخْترَاعِ الوَهْمِ وَالخَيَال فَإنَّ الأَوَّل وَاقعيٌّ وَكَائنٌ في نَفْسِ الأَمْرِ وَيُمْكنُ أَنْ يُقَال: إنَّهُ مَوْجُودٌ خارجيٌّ وَالثَّاني قَليل النَّصيب منْ هَذه الدَّوْلَة وَقَليل الحَظِّ منَ الثَّبَات وَالاسْتقْرَار وَقَدْ كَتَبْتُ بَعْضَ خَصَائص العَدَمِ في مَعْرفَة عَلى حدَة وَأَخَذَ نَقْلهَا المِيرُ مُحبُّ الله فَإنْ أَرَدْتُمُ الاطِّلاعَ عَلَيْهَا يَنْبَغي المرَاجَعَةُ إلَيْهَا.

وَسَأَلتُمْ أَيْضًا عَنِ الفَنَاء وَالبَقَاء وَقَدْ كَتَبَ هَذَا الفَقيرُ مَعْنَى هاتين الكَلمَتَيْنِ في مَوَاضعَ كَثيرَة منْ كُتُبه وَرَسَائله وَمَعَ ذَلكَ لوْ بَقيَ الخُلَفَاءُ فيه فَعلاجُهُ الحُضُورُ وَالمُشَافَهَةُ فَإنَّ تَمَامَ الحَقيقَة لاَ يَحْصُل بالكتَابَة فَإنْ حَصَل رُبَّمَا يَكُونُ إظْهَارُه بَعيدًا عَنِ المُصَالحَة فَإنَّهُ لاَ يُدْرَى مَاذَا يَفْهَمُ منْهُ الإنْسَانُ وَمَاذَا يُدْركُ.

الفَنَاءُ وَالبَقَاءُ شُهوديَّانِ لاَ وُجُوديَّانِ العَبْدُ لاَ يَكُونُ مُتَلاشيًا وَمُتَّحدًا بالحَقِّ تَعَالى.

العَبْدُ عَبْدٌ أَبَدًا وَالرَّبُّ رَبٌّ سَرْمَدَا

زَنَادقَةٌ مَنْ يَزْعُمُونَ الفَنَاءَ وَالبَقَاءَ وُجُوديَّيْنِ وَيَظُنُّونَ أَنَّ العَبْدَ يَرْفَعُ عَنْ نَفْسه تَعَيُّنَات وُجُوده وَيَتَّحدُ مَعَ أَصْله الذي مُنَزَّهٌ عَنِ التَّعَيُّنَات وَالقُيُودات وَيَصيرُ

مُضْمَحِلا ومتلاشيًا وَبَاقِيًا بِرَبِّه كَقَطْرَة تَكُونُ فانيًا عَنْ نَفْسه وَتَلحَقُ بِالبَحْرِ وَتَرْفَعُ عَنْ نَفْسه القَيْدَ وَتَتَّحدُ بِالْمُطْلَق أَعَاذَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ مِنْ مُعْتَقَدَاتهمُ السُّوء.

وَحَقِيقَةُ الفَنَاء عِبَارَةٌ عَنْ نسْيَان مَا سِوَاهُ تَعَالى وَعَدَمُ التَّعَلق بغَيْره وَتَطْهيرُ سَاحَة الصَّدْرِ عَنْ جَميعِ مُرَادَات النَّفْسِ وَمُقْتَضَيَاتهَا الذي هُوَ مُنَاسِبٌ لِمَقَامِ العُبُودِيَّة وَالْمُنَاسِبُ لِمَقَامِ البَقَاء هُوَ قِيَامُ العَبْد بمُرَادَات مَوْلاهُ - جَل سُلطَانُهُ - وَأَنْ يجِدَ مُرَادَاته سُبْحَانَهُ عَيْنَ مُرَادَات نَفْسه وَذَلكَ بَعْدَ شُهُود الآيَات الأنفسيَّة.

وَسَأَلتُم أَيْضًا أَنَّهُ قَدْ أَثْبَتُّمْ سَيْرًا فِيمَا وَرَاءَ الأَنْفُسِ وَالسَّيْرُ فِي المَرَاتب العَشَرَة لعَالَم الخَلق وَعَالَم الأَمْرِ وَسَيْرُ الهَيْئَة الوَحْدَانيَّة دَاخِل فِي السَّيْرِ الأَنْفُسِيِّ فَمَا يَكُونُ السَّيْرُ فِيمَا وَرَاءَ الأَنْفُس؟

اعْلَمْ أَنَّ الأَنْفُسَ كَالآفَاق ظلال الأَسْمَاء الإلهيَّة - جَل سُلطَانُهُ - فَإِذَا نَسيَ الظِّل بفَضْل الله - جَل سُلطَانُهُ - نَفْسَه وَتَوَجَّهَ إِلى أَصْله وَحَصَل لهُ تَمَامُ مَحَبَّة الأَصْل فَبحُكْمِ المرْءِ مَعَ مَنْ أَحَبَّ يَجدُ نَفْسَه عَيْنَ أَصْله وَيَصْرِفُ لفْظَ أَنَا الذي كَانَ يُطْلقُهُ عَلى نَفْسه إليْه وَكَذَلكَ لهَذَا الأَصْل أَصْل أَيْضًا فَيَتَوَجَّهُ مِنْ هَذَا الأَصْل إلى ذَاكَ الأَصْل بَل يَجدُ نَفْسَه عَيْنَ ذَاكَ الأَصْل وَهَلمَّ جرًّا إلى أَنْ يَبْلغَ الكتَابُ أَجَلهُ وَهَذَا السَّيْرُ سَيْرٌ فِيمَا وَرَاءَ الأَنْفُسِ وَالآفَاق وَلكنْ يَنْبَغي أَنْ يُعْلمَ أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ القَوْمِ قَالوا للسَّيْرِ الأَنْفُسيِّ إِنَّهُ سَيْرٌ فِي الله وَذَاكَ السَّيْرُ الذي بَيَّنَّاهُ آنفًا غَيْرُ هَذَا السَّيْرِ الذي قَالهُ بَعْضُ المَشَائخِ فَإِنَّ هَذَا السَّيْرَ حُصوليٌّ وَذَاكَ السَّيْرُ وصُوليٌّ وَالفَرْقُ بَيْنَ الحُصُول وَالوُصُول مَذْكُورٌ فِي مَكَاتِيبَ مُتَعَدِّدَةٍ بِالتَّفْصِيل فَليُعْلمْ مِنْ هُنَاكَ

وَسَأَلتُمْ أَيْضًا عَنْ أقربيَّة ذَاته وَصفَاته وَأَفْعَاله - جَل سُلطَانُهُ - بَيَانُهُ أَيْضًا مُتَعَلقٌ بالحُضُور فَإِنَّهُ لاَ مَصْلحَةَ فِي كتَابَته وَلَئنْ كَتَبْنَاهُ يَكُونُ مُغلقًا لاَ يُعْلمُ انفهامُه بَل لوْ فُهِمَ بالتَّقْرير فِي الحُضُورِ فَهُوَ أَيْضًا مُغْتَنَمٌ.

وَسَأَلتُمْ أَيْضًا عَنْ كَمَالات مَرْتَبَة النُّبُوَّة قَائلا بأَنَّ الفَنَاءَ وَالبَقَاءَ والتَّجَلي ومَبدئيَّة التَّعَيُّنِ كُلهَا فِي مَرَاتب العُرُوجِ مَا دَامَ بَعْضُهَا مُتَميِّزًا عَنْ بَعْضٍ وَيَحْصُل السَّيْرُ فِي مَرَاتب كَمَالات النُّبُوَّة.

اعْلمْ أَنَّ مَرَاتبَ العُرُوجِ مَا دَامَ بَعْضُهَا مُتَميِّزًا عَنْ بَعْضٍ وَيَحْصُل السَّيْرُ منْ أَصْل فَكُل كَمَالات حَاصلة فيهَا دَاخلةٌ فِي دَائرَة الولاَيَات فَإِذَا زَال ذَلكَ التَّميُّزُ وَانْعَدَمَ التَّفْصِيل ووَقَعَت المُعَامَلةُ فِي الإجْمَال وَالبَسَاطَة يَقعُ الشُّرُوعُ فِي كَمَالات

مَرْتَبَة النُّبُوَّة وَإِنْ كَانَ فِي تِلْكَ المَرْتَبَة أَيْضًا وَسَعَةٌ أَنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ وَلَكِنَّ تِلْكَ الوَسَعَةَ وَسَعَةٌ أُخْرَى فَإِنْ كَانَ فِيهَا تَمَيُّزٌ فَهُوَ أَيْضًا تَمَيُّزٌ آخَرُ وَمَاذَا أَكْتُبُ زِيَادَةً عَلَى ذَلِكَ وَمَاذَا يُفْهَمُ مِنْهُ {رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا}[1].

وَسَأَلْتُمْ أَيْضًا عَنْ بَعْضِ أَسْرَارِ الصَّلَاة فَأَخَّرْنَا جَوَابَهُ إِلَى وَقْت آخَرَ فَإِنَّ الوَقْتَ الآنَ ضَيِّقٌ جِدًّا وَإِنَّمَا نَكْتُبُ بَعْضَ المَعَارِف بِسَرِقَة الوَقْت مِنْ يَد الزَّمَان وَأَهْله ارْحَمُوا الفَقِيرَ وَلَا تَجَاسَرُوا فِي الاسْتِفْسَار {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ}[2]

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ أَوَّلًا وَآخِرًا وَالصَّلَاةُ وَالتَّحِيَّةُ عَلَى رَسُولِه دَائِمًا وَسَرْمَدًا وَعَلَى آلِه الكِرَامِ وَصَحْبِه العِظَامِ إِلَى يَوْمِ القِيَامِ.

---

(١) الكهف: ١٠

(٢) البقرة: ٢٨٦

المَكْتُوبُ الثَّالِثَ عَشَرَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى السَّيِّد المير مُحَمَّد نُعْمَانَ
فِي جَوَابِ سُؤَالِه عَنْ أَقْرَبِيَّة أَفْعَال الوَاجِب وَصِفَاته وَذَاته جَل سُلطَانُهُ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَي وَصَلت الصَّحيفَةُ الشَّرِيفَةُ قَد ارْتَكَبْتُم مَشقَّةً كَثيرَةً جَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا ولما استَفْسَرْتُمْ عَنْ أَقْرَبِيَّة أَفْعَال الوَاجِب وَصِفَاته وَذَاته جَل سُلطَانُهُ مُكَرَّرًا وَوَلهْتُمْ بِبَيَانه أَرَدْنَا أَنْ نَذْكُرَ مِنْهَا قَدْرًا يَسيرًا.

اعْلَمْ: أَنَّ كُل شَيْءٍ هُوَ ذَلكَ الشَيْءُ بِمَاهيَّته وَجَعْل الجَاعِل لِثُبُوت المَاهيَّة لِذَلكَ الشيْء لَيْسَ بِلازِم أَصْلا فَإنَّ ثُبُوتَ الشَيْء لِنَفْسه ضَرُوريٌّ وَمنْ هَهُنَا قَالوا إنَّ الجَعْل لَيْسَ بِثَابت فِي نَفْسِ المَاهيَّة وَالمَاهيَّةَ لَيْسَتْ بِمَجْعُولة وَالجعل إنَّمَا هُوَ لاتِّصَاف المَاهيَّة بالوُجُود أَلا تَرَى أَنَّ فَعْلَ الصَّبَّاغِ إنَّمَا هُوَ فِي اتِّصَاف الثَّوْب باللوْن لا أَنَّهُ يَجْعَل الثَّوْبَ ثَوْبًا وَاللوْنَ لوْنًا فَإنَّهُ مُحَال لِكَوْنه تَحْصيل الحَاصل فَلَمْ يَكُن الجَعْل فِي نَفْسِ الشَيْء بَل فِي اتِّصَاف الشَيْء بالوُجُود فَثَبَتَ أَنَّ الشَيْءَ إنَّمَا يَكُونُ شَيْئًا بِمَاهيَّته وَهَذَا المَعْنَى مَفْقُودٌ فِي ظل الشَيْء وَعَكْس الشَيْء فِي النَّظَر الكَشْفيِّ فَإنَّ عَكْسَ الشَيْء وَظلهُ لَيْسَا بِظل وَعَكْسٍ بِمَاهيَّتهمَا الظِّليَّة وَالعَكْسيَّة بَل بِمَاهيَّة أَصْلهمَا فَإنَّ الظِّل لا مَاهيَّةَ لهُ وَالظَّاهرُ به إنَّمَا هُوَ مَاهيَّةُ الأَصْل أَظْهَرَتْ نَفْسَهَا بالظِّل فَيَكُونُ الأَصْل أَقْرَبَ إلى الظِّل منْ نَفْسه فَإنَّالظِّل ظل بأَصْله لا بِنَفسه وَحَيْثُ إنَّ العَالمَ ظلال أَفْعَال الوَاجب جَل سُلطَانُهُ وَعُكُوسُهَا تَكُونُ الأَفْعَال التي هيَ أُصُولهَا أَقْرَبُ إلى العَالم منَ العَالمِ بالضَّرُورَة وَكَذَلكَ الأَفْعَال ظلال صفَات الوَاجب جَل شَأْنُهُ فَتَكُونُ أَقْرَبَ إلى العَالمِ منَ العَالمِ وَأُصُولهُ التي هيَ الأَفْعَال لِكَوْنهَا أَصْل الأَصْل وَحَيْثُ إنَّالصِّفَات ظلال حَضْرَة الذَّات التي هيَ أَصْل جَميعِ الأُصُول فَلا جَرَمَ تَكُونُ الذَّاتُ أَقْرَبَ إلى العَالم منَ العَالم وَمنَ الأَفْعَال وَالصِّفَات الوَاجبيَّة هَذَا هُوَ بَيَانُ أَقْرَبيَّته تَعَالى المُمْكنُ إيرَادُهُ فِي حَيِّز التَّحْرير فَلوْ أَنْصَفَ العُقَلاءُ يَحْتَمل أَنَّهُم يَقْبلونَ هَذَا المَعْنَى فَإنْ لَمْ يَقْبَلوا فَلا غَمَّ لأَنَّهُ خَارجٌ عَن المَبْحَث وَحَيْثُ انْدَرَجَ فِي هَذَا البَيَان المُقَدمَاتُ المَعْقُولةُ لوْ أَشْرَكْتُمُ السَّيِّدَ المير شَمْسُ الدِّين عَليٌّ فِي مُطَالعَة هَذَا المَكْتُوب لسَاغَ وَكَتَبْتُمْ أَنَّهُ قَدْ أَرَدْنَا الشُّرُوعَ فِي جَمْعِ الجلد الثَّالث وَالمَكْتُوبَاتِ فَامْضُوا عَلَى مَا أَرَدْتُمْ فَإنَّ أَهْل الله إذَا رَأَوْا فِي أَمْرٍ صَلاحَهُ

يُحْتَمَل أَنْ يَكُونَ مُبَارَكًا وَإِذَا فَوَّضْتُمْ هَذَا الأَمْرَ إِلَى المير المُشَار إِلَيْه فَلْيَجْعَل النُّسخَ مُتَعَدِّدَةً وَلْيُرْسِل نُسْخَةً إِلَى سَرْهَنْدَ وَلْيَحْفَظ المُسَوَّدَات وَلَعَلَّهَا يُقَعُ الاحْتِيَاجِ إِلَيْهَا وَالفَقِيرُ مُتَحَيِّرٌ فِي سَفَرِكُمْ وَقُعُودِكُمْ فَمِنْ جِهَة أَنَّهُ حَرِيصٌ عَلى مُلاقَاتِكُمْ لا يَقْدِرُ أَنْ يُحَرِّكَ شَفَتَيْه بِسَفَرِكُمْ وَلا يَقْدِرُ أَنْ يَدُلَّكُمْ عَلى القُعُود أَيْضًا لِخَوْف كَوْن القُعُود سَبَبًا لِفَوْت مَصَالِح جَمِيع كَثِير وَلَكِنْ إِذَا سَافَرْتُمْ أَرْسِلوا هُنَا الخَواجَهْ مُحَمَّدَ هَاشِم لِيَكُونَ فِي الصُّحْبَة أَيَّامًا وَلِيَأْخُذَ بَعْضَ العُلوم وَالمَعَارِف فَإِنَّهُ يُرَى شَابًّا قَابِلا وَحَيْثُ إِنَّ المُشَارَ إِلَيْه مُرَبَّاكُمْ وَعَارِفٌ بِمَذَاقِكُمْ فَيَنْبَغِي أَنْ تُحِيلوا الاسْتِفْسَارَات عَلَيْه فَيَسْتَمِعَ الجَوَابَ وَيُؤَدِّيَهُ إِلَيْكُمْ وَالسَّلامُ

المَكْتُوبُ الرَّابِعَ عَشَرَ بَعْدَ الأَرْبَعِمائَة
إلى جَامِعِ الأَسْرَارِ وَالعُلومِ
حَضْرَةِ المَخْدُومِ زَادَهُ الخَوَاجَهْ مُحَمَّد مَعْصُومٍ
سَلَمَهُ اللهُ تَعَالى
في المَوَاعِظ وَالانْقطَاعِ عَنِ الخَلق
وَالالتجَاء إلى جَنَاب الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى

الحَمْدُ لله رَبِّ العَالمينَ في السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَفي اليُسْرِ وَالعُسْرِ وَفي النِّعْمَة وَالنِّقْمَة وَفي الرَّحْمَة وَالزَّحْمَة وَفي الشِّدَّة وَالرَّخَاء وَفي العَطيَّة وَالبَلاء، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلى مَنْ: مَا أُوذيَ نَبيٌّ مثْل إيذَائه"، "وَمَا ابْتُلِيَ رَسُول بنَحْوِ ابْتلائه، لهَذا صَارَ رَحْمَةً للعَالمينَ وَسَيِّدَ الأَوَّلينَ وَالآخرينَ.

أَيُّهَا الأَوْلادُ الكرَامُ: إنَّ وَقْتَ الابْتلاء وَإنْ كَانَ مُرًّا كَريهَ الطَّعْمِ وَلكنَّ الفُرْصَةَ مُغْتَنَمَةٌ وَحَيْثُ إنَّكُمْ أُعْطيتُمُ الفُرْصَةَ في هَذَا الوَقْت يَنْبَغي أَنْ تُؤَدُّوا حَمْدَ الله جَل شَأْنُهُ وَأَنْ تَتَوجَّهُوا إلى أَمْركُمْ منْ غَيْرِ أَنْ تُجَوِّزُوا لأَنْفُسكُمْ فَرَاغا لَمحَةً وَلَحْظَة وَلا يَنْبَغي لكُمُ الخُلوُّ عَنْ أَحَد أُمُور ثَلاثَة تلاوَة القُرْآن المَجيد وَأَدَاء الصَّلاة بطُول القرَاءَة وَتَكْرَار الكَلمَة الطَّيِّبَة لا إلهَ إلا اللهُ يَنْبَغي أَنْ يُنْفَى بكَلمَة: "لا" آلهَةُ أَهْوَاءِ النَّفْسِ، وَأَنْ يُدْفَعَ المَقَاصدُ وَالمُرَادَاتُ؛ فَإنَّ طَلَبَ الإنْسَانِ مُرَادَهُ دَعْوَى منْهُ الأُلوهيَّة.

ينبغي: أَنْ لا يَكُونَ في سَاحَة الصَّدْرِ مَجَال مُرَاد أَصْلا وَأَنْ لا يَبْقَى هَوَسٌ في المُتَخَيَّلة قَطْعًا حَتَّى تَتَحقَّقَ حَقيقَةُ العُبُوديَّة طَلَبُ العبد حُصُول مُرَاده مُسْتَلزمٌ لدَفْعِ مُرَادِ مَوْلاهُ وَمُعَارضَة عَلى رَبِّه وَهَذَا المَعْنَى مُسْتَلزمٌ لنَفْيِ مَوْلاهُ وَإثْبَات مَوْلويَّة نَفْسه.

ينبغي: أَنْ يُدْركَ قُبْحَ هَذَا الأَمْرِ وَأَنْ يَنْفيَ دَعْوَى الأُلوهيَّة عَنْ نَفْسه إلى أَنْ لا يَبْقَى شَيْءٌ منَ الأَهْوَاء وَالهَوَسَات وَالمُرَادَات غَيْرَ مُرَاد المَوْلى وَهَذَا المَعْنَى نَرْجُو أَنْ يَتَيَسَّرَ في أَيَّامِ البَلاء وَأَوْقَات الابْتلاء بالسُّهُولة بعنَايَة الله سُبْحَانَهُ وَأَمَّا في غَيْر هَذه الأَيَّام فَكُل وَاحد منْ هَذه الأَهْوَاء وَالهَوَسَات كَسَدِّ يَأْجُوجَ فَيَنْبَغي الاشْتغَال بهَذَا الأَمْرِ قَاعدينَ في الزَّوَايَا، إنَّ الفُرْصَةَ مُغْتَنَمَةٌ، القَليل في أَيَّام الفتَنِ يُتَقَبَّل بالكَثير في غَيْرِ أَيَّامِ الفتَنِ لا بُدَّ منَ الرِّيَاضَات وَالمُجَاهَدَات، الخَبَرُ شَرْطٌ يَقَعُ المُلاقَاةُ أَمْ لا وَالنَّصيحَةُ هيَ أَنْ لا يَبْقَى مُرَادٌ وَلا هَوَسٌ أَصْلا وَأَطْلَعُوا وَالدَتَكُمْ أَيْضًا

عَلى هَذَا المَعْنَى وَدلوهَا عَلَيْه، وَأَحْوَال هَذه النَّشْأَة حَيْثُ كَانَتْ مَاضيَةً مَاذَا نُوردُ منْهَا في مَعْرَض البَيَان ارْحَمُوا الصِّغَارَ وَرَغِّبُوهُمْ في القرَاءَة وَأَرْضُوا أَهْل الحُقُوق منْ جَانبنَا مَهْمَا أَمْكَنَ وَكُونُوا مُمدِّينَ وَمُعَاونينَ بدُعَاء سَلامَة الإيمَان وَلنَكْتُبْ مُكَرَّرًا وَمُؤَكَّدًا أَنَّهُ لا تَصْرفُوا هَذَا الوَقْتَ في أُمُور لا طَائل فيهَا ويَنْبَغي أَنْ لا تَشْتَغلوا بشَيْء غَيْر ذكْر الله جَل شَأْنُهُ وَإنْ كَانَ مُطَالعَةُ الكُتُب وَتَعْليمَ الطَّلَبَة فَإنَّ الوَقْتَ وَقْتَ الذِّكْر وَاجْعَلوا الأَهْوَاءَ النَّفْسَانيَّةَ دَاخلةً تَحْتَ لا حَتَّى تَكُونَ مُنْتَفيَةً بالتَّمَام وَلا يَبْقَى مُرَادٌ وَمَقْصُودٌ في الصَّدْر حَتَّى إنْ تَخلصَ بالفعْل الذى هُوَ منْ أَهَمِّ مَقَاصدكُمْ يَنْبَغي أَنْ لا يَكُونَ مُرَادًا لكُمْ وَارْضَوْا بتَقْديره وَفعْله وَإرَادَته تَعَالى ويَنْبَغي أَنْ لا يَكُونَ في جَانب الإثْبَات منَ الكَلمَة الطَّيِّبَة شَيْءٌ غَيْرُ غَيْب أُلوهيَّة الذي هُوَ وَرَاءَ وَرَاءَ المَعْلومَات وَالمُتَخيَّلات وَهُمُ الدَّارُ وَالقَصْرُ وَالبئْرُ وَالبُسْتَانُ وَالكُتُبُ وَأَشْيَاءُ أُخَرَ سَهْل يَنْبَغي أَنْ لا يَكُونَ شَيْءٌ مُزَاحمًا لوَقْتكُمْ وَلا يَكُونُ شَيْءٌ غَيْرَ مَرْضيَّات الحَقِّ جَل وَعَلا مُرْضيًا وَمُرَادًا لكُمْ فَإنَّا لوْ ذَهَبْنَا ذَهَبَتْ هَذه الأَشْيَاءُ كُلهَا فَتَذْهَبُ في حَيَاتنَا لا تَتَفكَّرُوا فيهَا وَقَدْ تَرَكَ الأَوْليَاءُ هَذه الأُمُورَ باخْتيَارهمْ فَلنَتْرُكْهَا نَحْنُ باخْتيَاره تَعَالى وَنَشْكُرُهُ سُبْحَانَهُ فَعَسَى أَنْ نَكُونَ منَ المُخْلصينَ، بفَتْح اللام.

وَكُل مَوْضع قَعَدْتُمْ فيه يَنْبَغي أَنْ تَعْتَقدُوهُ وَطَنًا وَفي أَيِّ مَحَل تَمُرُّ حَيَاةُ أَيَّام قَليلةٌ يَنْبَغي أَنْ تَمُرَّ بذكْر الحَقِّ جَل شَأْنُهُ فَإنَّ مُعَامَلةَ الدُّنْيَا سَهْلةٌ يَنْبَغي التَّوَجُّهُ إلى مُعَامَلة الآخرَة ويَنْبَغي أَنْ تَسْأَلوا وَالدَتَكُمْ وَأَنْ تُرَغِّبُوهَا في الآخرَة فَإنْ قَدَّرَ الله سُبْحَانَهُ المُلاقَاةَ في الدُّنْيَا فَتَتَيَسَّرُ وَإلا فَيَنْبَغي الرِّضَا وَالتَّسْليمُ بتَقْدير الله تَعَالى وَالدُّعَاءُ لأَنْ يَجْمَعَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى في دَار السَّلام مَجيلا لتَلاقي مُلاقَات الدُّنْيَا بكَرَمه تَعَالى عَلى الآخرَة الحَمْدُ لله عَلى كُل حَال.

المَكْتُوبُ الخَامِسَ عَشَرَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى المير مُحبِّ الله المانكبوري
فِي بَيَانِ مَعْنَى الكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ: "لا إلَهَ إلا اللهُ"

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى:

لا إلهَ إلا اللهُ لا أَحَدَ يَسْتَحقُّ الأُلوهيَّةَ وَالمَعْبُوديَّةَ إلا الله الذي لا نَظيرَ لهُ الوَاجبَ الوُجُود المُنزَّهَ عَنْ سمَات النَّقْص المُبَرَّأَ عَنْ صفَات الحُدُوث فَإنَّ المُسْتَحقَّ للعبَادَة التي هيَ عبَارَةٌ عَنْ كَمَال التَّذَلل وَالخُضُوع وَالانْكسَار ثَبتَ مَنْ لهُ جَميعُ الكَمَالات وَسُلبَ عَنْهُ جَميعُ النَّقَائص وَاحْتَاجَ إلَيْه جَميعُ الأَشْيَاء في الوُجُود وَتَوَابعِ الوُجُود وَهُوَ لَيسَ بمُحْتَاجٍ في أَمْرٍ إلى شَيْءٍ وَهُوَ الضَّارُّ النَّافعُ لا شَيْءَ يَقْدُرُ إيصَال ضَرَرٍ أَوْ نَفعٍ إلى أَحَد بلا إذْنه، وَالمُتَّصفُ بهَذه الصِّفَات الكَاملة لَيْسَ إلا اللهُ تَعَالى وَلا يَنْبَغي أَنْ يَكُونَ فَإنَّهُ لوْ تَحقَّقَ غَيْرُهُ تَعَالى بهَذه الصِّفَات الكَاملة منْ غَيْر زيَادَة وَلا نُقْصَان لا يَكُونُ غَيْرَهُ تعَالى لأَنَّ الغيرَيْن مُتَمَايزَان وَلا تَمَايُزَ ثَمَّةَ فَلوْ أَثْبَتْنَا الغَيْريَّةَ بإثْبَات التَّمَايُز يَلزَمُ نَقْصُهُ وَهُوَ مُنَاف للأُلوهيَّة وَالمَعْبُوديَّة وَذَلكَ لأَنَّا لوْ لَمْ نُثبتْ لَهُ جَميعَ الكَمَالات ليَحصُل التَّمَايُزُ يَلزَمُ نَقصُهُ وَكَذَلكَ لوْ لَمْ نَسْلبْ عَنْهُ جَميعَ النَّقَائص يَلزَمُ نَقْصُهُ أَيْضًا فَإنْ لَمْ تَكُن الأَشْيَاءُ مُحْتَاجَةً إليْه فَلا شَيْءَ يَكُونُ مُسْتَحقًّا للعبَادَة فَإنْ كَانَ مُحْتَاجًا إلى شَيْءٍ منَ الأَشْيَاء في أَمْرٍ منَ الأُمُور يَكُونُ نَاقصًا وَكَذَلكَ لوْ لَمْ يَكُنْ نافعًا وَضَارًّا فيمَا ذَا يَكُونُ احْتيَاجُ الأَشْيَاء إليْه وَلَمْ يَكنْ مُسْتَحقًّا لعبَادَتهمْ إيَّاهُ فَإنْ قَدَرَ أَحَدٌ عَلى إيصَال ضُرٍّ أَوْ نَفعٍ إلى الأَشْيَاء بلا إذْنه يَكُونُ مُعطَّلا لا يَبْقَى مُسْتَحقًّا للعبَادَة فَلا يَكُونُ الجَامعُ لهَذه الصِّفَات الكَاملة إلا وَاحدٌ لا شَريكَ لهُ وَلا يَسْتَحقُّ للعبَادَة إلا هُوَ الوَاحدُ القَهَّارُ.

فَإنْ قيـــــــل: إنَّ التَّمَايُزَ بهَذه الصِّفَات وَإنْ كَانَ مُسْتَلزمًا للنَّقص عَلى مَا بُيِّنَ وَهُوَ مُنَاف للأُلوهيَّة وَالمَعْبُوديَّة وَلَكنْ يُمْكنُ أَنْ تَكُونَ لذَاكَ الغَيْر صفَاتٌ أُخَرُ تَكُونُ بَاعثَةً عَلَى الامْتيَاز لا يَلزَمُ نَقصٌ أَصْلا وَإنْ لَمْ تُعْرَفْ تلكَ الصِّفَاتُ أَنَّها مَا هيَ:

أُجيــــــــب: إنَّ هَذه الصِّفَات أَيْضًا لا تَخْلو إمَّا أَنْ تَكُونَ منَ الصِّفَات الكَاملة أَوْ منَ الصِّفَات النَّاقصَة وَعَلى كلا التَّقْديرَيْن يَلزَمُ المَحْذُورُ المَذْكُورُ وَإنْ لَمْ

نَعْرِفُ تلكَ الصِّفَات بخُصُوصهَا أَنَّهَا مَا هيَ وَلكنْ نَعْرِفُ أَنَّهَا لَيْسَتْ بخَارِجَة منْ دَائِرَة الكَمَال أَو النُّقْصَان وَعَلى كَلا التَّقْديرَيْن النَّقْصُ لازِمٌ كَمَا مَرَّ.

وَدَليل آخَرُ عَلى عَدَمِ اسْتحْقَاق غَيْرِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى للمَعْبُوديَّة: هُوَ أَنَّ اللهَ تَعَالى إذَا كَانَ كَافيًا في جَميعِ ضَرُوريَّات وُجُود الأَشْيَاء وَتَوابعِ وُجُودهَا وَكَانَ نَفْعُ الأَشْيَاء وَضَرَرهَا مَرْبُوطًا به سُبْحَانَهُ يَكُونُ غَيْرُهُ تَعَالى مُعَطَّلا مَحْضًا لا يَقَعُ احْتيَاجُ الأَشْيَاء إلَيْه أَصْلا فَمنْ أَيِّ جهَة يَحْصُلُ لهُ اسْتحْقَاقُ العبَادَة وَلا شَيْءَ تَتَوجَّهُ إلَيْه الأَشْيَاءُ بالذِّلة وَالخُضُوعِ وَالانْكسَار، وَالكُفَّارُ الأَشْرَارُ يَعْبُدُونَ غَيْرَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى وَيَجْعَلونَ الأَصْنَامَ المَنْحُوتَةَ مَعْبُودَهُمْ بزَعْمِ أَنَّهَا تَكُونُ شُفَعَاءَهُمْ عنْدَ الله تَعَالى وَيُقَرِّبُهُمْ إلى الله تَعَالى بتَوسُّلهَا مَا أَعْظَمَ حَمَاقَتَهُمْ منْ أَيْنَ عَلمُوا أَنَّ لَهَا مَرْتَبَةَ الشَّفَاعَة وَأَنَّهُ تَعَالى يَأْذَنُ لَهَا في الشَّفَاعَة، وَإشْرَاكُ أَحَد في عبَادَته جَل وَعَلا بمُجَرَّد التَّوَهُّمِ نهَايَةُ الخذْلان وَالخَسَارَة، العبَادَةُ لَيْسَتْ بأَمْرٍ سَهْل حَتَّى يُعْبَدَ كُل حَجَر وَجَمَاد وَيُتَصوَّرُ كُل عَاجز بَل أَعْجَزَ منَ العَابد مُسْتَحقًّا للعبَادَة فَإنَّ اسْتحْقَاقَ العبَادَة لا يُتَصوَّرُ بدُون تَحَقُّق مَعْنَى الأُلوهيَّة فَمَنْ فيه صَلاحيَةُ الأُلوهيَّة فَمُسْتَحقٌّ للعبَادَة وَمَنْ لا فَلا وَصَلاحيَّةُ الأُلوهيَّة مَرْبُوطَةٌ بوُجُوب الوُجُود فَمَنْ لَيْسَ فيه وُجُوبُ الوُجُود لا يَليقُ بالأُلوهيَّة فَلا يَسْتَحقُّ للعبَادَة، مَا أَشَدَّ سَفَاهَةَ مَنْ يُشْرِكُونَ بالله سُبْحَانَهُ شَيْئًا في وُجُوب الوُجُود وَمَعَ ذَلكَ يُشْرِكُونَ به تَعَالى شُرَكَاءَ في العبَادَة، أَلَمْ يَعْلمُوا أَنَّ وُجُوبَ الوُجُود شَرْطُ اسْتحْقَاق العبَادَة فَإنْ لَمْ يَكُنْ لهُ شَريكٌ في وُجُوب الوُجُود لا يَكُونُ لهُ تَعَالى أَيْضًا شَريكٌ في اسْتحْقَاق العبَادَة، وَالإشْرَاكُ في اسْتحْقَاق العبَادَة مُسْتَلزِمٌ للإشْرَاك في وُجُوب الوُجُود أَيْضًا فَيَنْبَغي أَنْ يُنْفَى بتَكْرَار هَذه الكَلمَة الطَّيِّبَة شَريكُ وُجُوب الوُجُود وَشَريكُ اسْتحْقَاق العبَادَة بَل الأَهَمُّ وَالأَحْوَجُ إلَيْه وَالأَنْفَعُ في هَذه الطَّريق نَفْيُ شَريك اسْتحْقَاق العبَادَة المَخْصُوص بدَعْوَة الأَنْبيَاء عَلَيْهمُ الصَّلوَاتُ وَالتَّسْليمَات فإن المخالفين الذين ليسوا بملتزمين ملة نبي من الأَنْبيَاء عَلَيْهمُ الصَّلوَاتُ وَالتَّسْليمَات أَيْضًا يَنْفُونَ شَريكَ وُجُوب الوُجُود بدَلائل عَقْليَّة وَلا يثبتون غَيْرَ وَاحد منْ وَاجب الوُجُود وَلكنَّهُمْ غَافلونَ عَنْ مُعَامَلة اسْتحْقَاق العبَادَة وَفَارِغُونَ عَنْ نَفْي شَريك اسْتحْقَاق العبَادَة لا يَتَحَاشَوْنَ منْ عبَادَة الغَيْر وَلا يَتَكَاسَلونَ منْ عمَارَة الدَّيْر، الأَنْبيَاءُ هُمُ الذينَ يَهْدمُونَ الدَّيْرَ وَيَنْهَوْنَ عَنْ عبَادَة الغَيْر، وَالمُشْرِكُ في لسَان هَؤُلاء

الأَكَابِرِ مَنْ يَكُونُ أَسِيْرًا لعبَادَة غَيْرِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَإِنْ كَانَ قَائلا بنَفْيِ شَرِيك وُجُوبِ الوُجُود فَإِنَّ اهْتِمَامَهُمْ فِي نَفْيِ عِبَادَة مَا سوَى الحَقِّ سُبْحَانَهُ المُتَعلقَة بالعَمَل وَالمُعَامَلَة المُسْتَلزِمِ لنَفْيِ شَرِيك الوُجُوب الوُجُودَ فَمَنْ لَمْ يَتَحقَّقْ بشَرَائعَ هَؤُلاء الأَكَابِرِ عَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ المُنْبِئَة عَنْ نَفْيِ اسْتِحْقَاق مَا سوَى الله سُبْحَانَهُ للعبَادَة لا يَتَخلصُ منَ الشِّرْك وَلا يَنْجُو منْ شُعَب شرْك عبَادَة الآلهَة الأَفَاقيَّة وَالأَنْفَسيَّة فَإِنَّ المُتَكَفِّل بهَذَا المَعْنَى هُوَ شَرَائعُ الأَنْبيَاء عَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّحيَّاتُ؛ بَلِ المَقْصُودُ منْ بعْثَتهِمْ هُوَ تَحْصيل هَذه الدَّوْلة وَالنَّجَاةُ منْ هَذَا الشِّرْك غَيْرَ مُتَيَسِّرَة فِي غَيْرِ شَرَائعَ هَؤُلاء الأَكَابِرِ، وَالتَّوْحيدُ غَيْرُ مُمْكنٍ بدُون التزَام ملتهمْ عَلَيْهمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّحيَّاتُ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالى {إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ به}[1] الآيَةَ المُرَادُ منَ الآيَة الكَرِيمَة مَا أَرَادَ اللهُ سُبْحَانَهُ، وَيَتَحَمَّل أَنْ يُرَادَ لا يَغْفرُ أَنْ لا يُلتَزَمَ بالشَّرَائعِ؛ لأَنَّ عَدَمَ التزَامِ الشَّرَائعِ لازِمٌ للشِّرْك فَذَكَرَ المَلزُوم وَأَرَادَ اللازمَ فَح يَنْدَفعُ مَا يُتَوَهَّمُ منْ أَنَّ الشِّرْكَ كَمَا لا يُغْفَرُ لا يُغفَرُ إِنْكَارُ سَائر الشَّرْعيَّات أَيْضًا فَمَا وَجْهُ التَّخْصيص، وَيُحتَمَل أَنْ يَكُونَ مَعْنَى أَنْ يُشْرَكَ به أَنْ يُكْفَرَ به لا إِنْكَارُ الشَّرَائعِ كُفْرٌ باللهِ سُبْحَانَهُ فَلا يَغْفرُ، وَالعَلاقَةُ بَيْنَ الشِّرْك وَالكُفر بالعُمُومِ وَالخُصُوصِ فَإِنَّ الشِّرْكَ كُفْرٌ خَاصٌّ منْ مُطْلَقِ الكُفْرِ فَذَكَرَ الخَاصَّ وَأَرَادَ العَامَّ.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ عَدَمَ اسْتحْقَاق غَيْرِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ للعبَادَة بديهيٌّ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ بَديهيًّا فَلا أَقَل منْ أَنْ يَكُونَ حَدْسيًّا فَإِنَّ مَنْ فَهِمَ مَعْنَى العبَادَة كَمَا يَنْبَغِي وَتَأَمَّل غَيْرَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ كَمَا هُوَ حَقُّهُ يَحْكُمُ بعَدَم اسْتحْقَاقه للعبَادَة بلا تَوَقُّف وَالمُقْدمَاتُ التي أُوردَتْ فِي بَيَان هَذَا المَعْنَى فَهيَ منْ قَبيل التَّنْبيهَات عَلَى البَديهيَّات لا مَجَال لإيرَاد النَّقْضَ وَالمُنَاقضَة وَالمُعَارَضَة عَلَى هَذه المُقَدِّمَات وَلا بُدَّ منْ نُورِ الإيمَان حَتَّى تُدْرَكَ هَذه المُقَدِّمَاتُ بالفرَاسَة وَكَثيرٌ منَ البَديهيَّات بَقيَ مَخْفيًّا عَلَى القَاصرِينَ وَالأَغْبيَاء وَكَذَلكَ الذينَ مُبْتَلوْنَ بمَرَضِ الظَّاهرِ وَعلة البَاطنِ صَارَت البَديهيَّاتُ الجَليَّةُ وَالخَفيَّةُ مَخفيَّةً عَلَيْهِمْ.

---

(١) ـــ جزء من الآيتين: ٤٨، ١١٦ من سورة النساء.

فَإِنْ قِيــــل: قَدْ وَقَعَ فِي عِبَارَة مَشَائِخِ الطَّرِيقَة قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ أَنَّ كُل مَا هُوَ مَقْصُودُكَ فَهُوَ مَعْبُودُكَ فَمَا مَعْنَى هَذه العِبَارَة وَمَا المَحْمَل لَهَا مِنَ الصِّدْق؟

أُجِيـــــبَ: أَنَّ المَقصُودَ الشَّخْصُ هُوَ المُتَوَجِّهُ إِلَيْه لِذَلِكَ الشَّخْصِ فَمَا دَامَ ذَلِكَ الشَّخْصُ حيَالا يَفْتُرُ وَلا يَتَقَاعَدُ عَنْ تَحْصِيل ذَلِكَ المَقْصُود وَكُل ذُل وَانْكِسَارٍ يُصِيبُهُ فِي تَحْصِيله يَتَحَمَّلهُ وَيُهَوِّنُ ذَلكَ عَلَيْه وَلا يَتْرُكُهُ به وَهَذَا المَعْنَى هُوَ مُؤَدَّى العِبَادَة؛ لِكَوْنه كَمَال الذُل وَالانْكسَار، فَمَقْصُودِيَّةُ الشَيْء مُسْتَلزِمَةٌ لَمَعْبُودِيَّته فَنَفْيُ مَعْبُودِيَّة غَيْرِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ إِنَّمَا يَتَحَقَّقُ إِذَا لَمْ يَبْقَ مَقْصُودٌ غَيْرُ الحَقِّ تَعَالَى وَلَمْ يَكُنْ مُرَادُ سَوَاء، وَالمُنَاسِبُ لِحَال السَّالك فِي تَحْصِيل هَذه الدَّوْلة أَنْ يُلاحَظَ مَعْنَى الكَلمَة الطَّيِّبَة لا إِلَهَ إِلا اللهُ بِعُنْوَان لا مَقْصُودَ إِلا اللهُ وَيَنْبَغِي أَنْ يُكَرِّرَ هَذه الكَلمَةَ إِلَى أَنْ لَا يَبْقَى مِنْ مَقْصُودِيَّة الغَيْرِ اسْمٌ وَلا رَسْمٌ وَلا يَكُونُ مُرَادَ غَيْره تَعَالَى لِيَكُونَ صَادقًا فِي نَفْيِ مَعْبُودِيَّة الغَيْرِ وَمُحقًّا فِي رَفْعِ الآلِهَة المُتَكَثِّرَة وَنَفْيِ الآلِهَة المُتَكَثِّرَة بِهَذَا المنْوَال وَالمُتَوَصَّل مِنْ نَفْيِ المَقْصُودِيَّة إِلَى نَفْيِ المَعْبُودِيَّة عَلَى مَا سَبَقَ بَيَانُهُ بِالمَقَال مِنْ شَرْط كَمَال إِيمَان عِنْدَ أَهْل الحَال المَرْبُوط بِالوِلايَة المَنُوطَة بِنَفْيِ آلِهَة الأَهْوَاء النَّفْسَانِيَّة وَمَا لَمْ تَكُنُ النَّفْسُ مُطْمَئِنَّةً لا يُتَوَقَّعُ هَذَا المَعْنَى وَاطْمِئْنَانُ النَّفسِ إِنَّمَا يُتَصَوَّرُ بَعْدَ كَمَال الفَنَاء وَالبَقَاء

وَتَوْجِيهُهَا فِي ظَاهِرِ الشَّرِيعَة الغَرَّاء الذي هُوَ مُنْبِئٌ عَنِ اليُسْرِ وَالسُّهُولة وَمُشْعِرٌ بِرَفْعِ الحَرَجِ عَنِ العِبَاد الذينَ خُلقُوا عَلَى الضَّعْف هُوَ أَنَّ مَنْ أَخْرَجَ رَأْسَهُ عِيَاذًا بِاللهِ سُبْحَانَهُ مِنْ رِبْقَة الشَّرِيعَة فِي تَحْصِيل مَقْصُوده وَتَجَاوُزَ الحُدُود الشَّرْعِيَّة فِي حُصُوله يَكُونُ ذَلكَ المَقْصُودُ مَعْبُودَهُ وَإِلَهَهُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلكَ المَقْصُودُ كَذَلكَ وَلَمْ يَرْتَكِبْ فِي تَحْصِيله وَحُصُوله المُنْكَرَات الشَّرْعِيَّة لا يَكُونُ ذَلكَ المَقْصُودُ مَمْنُوعًا شَرْعِيًّا وَكَأَنَّ ذَلكَ المَقْصُودَ لَيْسَ مِنْ مَقَاصده وَالشَيْءَ المَطْلُوبَ لَيْسَ مِنْ مَطَالبه بَل مَقْصُودُهُ فِي الحَقِيقَة هُوَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ وَمَطْلُوبُهُ أَمْرُهُ تَعَالَى وَنَهْيُهُ الشَّرْعِيَّيْن وَلَمْ يَحْدُثْ لذَلكَ الشَيْء مَقْصُودِيَّةٌ سِوَى مَيْله الطَّبِيعِيِّ إِلَيْه وَهُوَ أَيْضًا مَغْلوبُ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّة، وَحَسْمُ مَادَّة مَقْصُودِيَّة الغَيْر مَطْلُوبٌ فِي حَقِيقَة الشَّرِيعَة التي تَدُل عَلَى كَمَال الإِيمَان فَإِنَّهُ لوْ جُوِّزَ مَقْصُودِيَّةُ غَيْرِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رُبَّمَا تَكُونُ تلكَ المَقْصُودِيَّةُ بِإِمْدَاد اسْتِيلاءِ الهَوَى وَإِعَانَة غلبَة الهَوَسِ وَمُعَارَضَة لِمَقْصُودِيَّة الحَقِّ

سُبْحَانَهُ وَتَعَالى بَل كَثِيرًا مَا يُخْتَارُ فِي حُصُولِهَا عَلى حُصُول مَرَاضِي الحَقِّ جَل وَعَلا فَيُؤَدِّي إِلى الخَسَارَة الأَبَدِيَّة فَنَفْيُ مَقْصُودِيَّة الغَيْر كَانَ ضَرُورِيًّا فِي كَمَال الإِيمَان مُطْلَقًا حَتَّى يَكُونَ مَأْمُونًا وَمَحْفُوظًا منَ الزَّوَال وَالرُّجُوعِ عَنْهُ نَعَمْ قَدْ يُجْعَل بَعْضُ الأَوْلِيَاء صَاحِبَ إِرَادَة وَاخْتِيَار بَعْد نَفْي الإِرَادَة وَرَفْعِ الاخْتِيَار وَيُعْطَى لهُ الاخْتِيَارُ وَالإِرَادَةُ وَالكِيَانُ بَعْدَ سَلب الاخْتِيَار وَالإِرَادَة الجُزْئِيَّيْنِ عَنْهُ وَسَيَجِيءُ تَحْقِيقُ هَذَا المَعْنَى فِي مَكْتُوب آخرَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالى {رَبَّنَا أَتْمِمْ لنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لنَا إِنَّكَ عَلى كُل شَيْءٍ قَديرٌ}(١) {وَالسَّلامُ عَلى مَن اتَّبَعَ الهُدَى}(٢) وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَليْه وَعَلى جَمِيعِ الأَنْبِيَاء أَتَمُّ الصَّلوَات وَأَكْمَل التَّسْليمَات.

---

(١) ــ الآية: ٨ من سورة التحريم.

(٢) ــ الآية: ٤٨ من سورة طه.

المَكْتُوبُ السَّادِسَ عَشَرَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إِلى مَعْدن السِّيَادَة وَالرَّشَادَة
المِيْر مُحَمَّد نُعْمَان
فِي تَأْوِيل قَوْله تَعَالى: {لا يَمَسُّهُ إِلا المُطَهَّرُونَ }[١]

قَال اللهُ تَعَالى: {إِنَّهُ لقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَاب مَكْنُون لا يَمَسُّهُ إِلا المُطَهَّرُون}[٢] المُرَادُ مِنَ الآيَة الكَرِيمَة مَا أَرَادَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى ، وَالرَّمْزُ الذي يَخْطرُ فِي الخَاطرِ الفَاترِ وَيَقَعُ فِي الفَهْم القَاصرفِي هَذَا المَقَامِ أَنَّهُ لا يَمَسُّ الأَسْرَارَ المَكْنُونَةَ القُرْآنيَّةَ إِلا الذينَ صَفَتْ سَرَائِرُهُمْ مَنْ لوَث التَعلقَات البَشريَّة فَإِذَا كَانَ نَصيبُ الأَطْهَار مسَاسَ الأَسْرَار القُرْآنيَّة مَاذَا يُصيبُ لغَيْرهمْ ، وَرَمْزُ آخرُ لا يَقْرَأُ القُرْآنَ يَعْني: لا يَنْبَغي أَنْ يَقْرَأَ القُرْآنَ إِلا الذينَ زَكَتْ نُفُوسُهُمْ عَنِ الهَوَى وَالهَوَسِ وَطَهُرَتْ عَنِ الشِّرْك الجَليِّ وَالخَفيِّ وَمنَ الآلهَة الآفَاقيَّة وَالأَنْفسيَّة ، بَيَانُهُ أَنَّ المُناسبَ لحَال مُبْتَدئ السُّلوك هُوَ الذِّكْرُ وَنَفْيُ مَا سوَى مَذْكُورِ عَلى حَدٍّ لا يَبْقَى شَيْءٌ ممَّا سوَاهُ تَعَالى مَعْلومًا وَلا يَكُونُ مُرَادُهُ شَيْئًا غَيْرَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ فَإِنْ ذَكَرُوهُ بالأَشْيَاء بالتَّكْليف لا يَكَادُ يَتذَكَّرُ وَلا يَكُونُ مَقْصُودٌ فَإِذَا صَارَ طَاهرًا منَ الشِّرْك وَمُحَررًا منَ الآلهَة الآفَاقيَّة وَالأَنْفسيَّة فَحينَئذ يَسْتَحقُّ أَنَّ يَقْرَأَ القُرْآنَ بَدَلَ الذِّكْرِ وَيَترَقَّى بدَوْلة التِّلاوَة ، وَتلاوَةُ القُرْآن قَبْلَ حُصُول هَذه الحَالة المَذْكُورَة دَاخلةٌ فِي أَعْمَال الأَبْرَارِ وَبَعْدَ حُصُول هَذه الحَالة دَاخلةٌ فِي أَعْمَال المُقَرَّبينَ كَمَا أَنَّ الذِّكْرَ قَبْل حُصُول هَذه النِّسْبَة كَانَ منْ عدَاد أَعْمَال المُقَرَّبينَ ، وَأَعْمَال الأَبْرَار منْ جُمْلة العبَادَات وَأَعْمَال المُقَرَّبينَ منْ جُمْلة التَّفكُّرَات وَلعَلكُمْ سَمعتُمْ: "تَفكُّرُ سَاعَة خَيْرٌ منْ عبَادَة سَنَة أَوْ سَبْعينَ سَنَةً" وَالتَّفكُّرُ عبَارَةٌ عَن الانْتقَال مَنْ بالبَاطل إِلى الحَقِّ وَالفَرْقُ بَيْنَ الأَبْرَار وَالمُقَرَّبينَ هُوَ فَرْقُ مَا بَيْنَ عبَادَة ذَاكَ وَتَفكُّر هَذَا.

يَنْبَغي أَنْ يُعَلمَ: أَنَّ الذِّكْرَ الذي يَكُونُ فِي عدَاد أَعْمَال المُقَرَّبينَ منَ المُبْتَدئ هُوَ مَا أَخَذَهُ منَ الشَّيْخِ الكَامل المُكَمِّل وَكَانَ مَقْصُودَ سُلوك الطَّريقَة وَإِلا فَالذِّكْرُ أَيْضًا منْ جُمْلة أَعْمَال الأَبْرَارِ وَاللهُ سُبْحَانَهُ المُلهِمُ للصَّوَاب: {وَالسَّلامُ عَلى

---

(١) ــ الآية: ٧٥ من سورة الواقعة.

(٢) ــ الآيات: (٧٧-٧٩) من سورة الواقعة.

مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[١] وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلى آلهِ أَتَمُّ الصَّلَوَاتِ وَأَكْمَل التَّسْلِيمَاتِ.

(١) ــ الآية: ٤٨ من سورة طه.

المَكْتُوبُ السابع عَشَرَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى السَّيِّد المَير مُحَمَّد نُعْمَانَ
في بَيَانِ بَعْضِ الأَحْوَال وَالأَذْوَاق الخَاصَّة بِحَضْرَة شَيْخنا مُدَّ ظلهُ العَالي

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى:

لا يَخْفَى أَنَّهُ مَا لَمْ تَتَجل عنَايَةُ الله سُبْحَانَهُ بعنَايَته تَعَالى بصُورَة جَلاله وَغَضَبه تَعَالى وَلَمْ أَكُنْ مَحْبُوسًا في قَفَصِ السِّجْنِ لَمْ أَتَخَلَصْ منْ مَضيق الإيمَانِ الشُّهُوديِّ بالكُلِّيَّة وَلَمْ أَخْرُجْ منْ سكَك ظلال الخَيَال وَالمثَال بالتَّمَامِ وَلَمْ أَتَبَخْتَرْ في طَريق الإيمَان الغَيْبيِّ مُطْلَقَ العنَان وَلَمْ أَتَحَوَّل منَ الحُضُور إلى الغَيْب وَمنَ العَيْنِ إلى العلم وَمنَ الشُّهُود إلى الاسْتدْلال عَلى وَجْه الكَمَال وَلَمْ أجدْ مَحَاسنَ الآخرينَ عُيُوبًا وَعُيُوبَهُمْ مَحَاسنَ بالذَّوْق الكَامل وَالوجْدَان الصَّادق وَلَمْ أَذُقْ زُلال الذُّل وَالانْكسَارِ وَلذَائذَ مُرَبَّى الحَقَارَة وَالفَضيحَة وَالافْتقَار وَلَمْ أَحْتَظ منْ جَمَال طَعْنِ الخَلق وَمَلامَتهمْ وَلَمْ التَذَّ بحُسْنِ بَلاء النَّاسِ وَجَفَائهمْ وَلَمْ أَتْرُكَ الإرَادَةَ وَالاخْتيَارَ بالكُلِّيَّة كَائنًا كَالميِّت بَيْنَ يَدَي الغَسَّال وَلَمْ أَقْطَعْ حبَال التَعلقَات الآفَاقيَّة وَالأَنْفسيَّة عَلى وَجْه التَّمَامِ وَالكَمَال وَلَمْ أَحُزْ حَقيقَةَ التَّضَرُّعِ وَالالتجَاء وَالإنَابَة وَالاسْتغْفَارِ وَالذُّل وَالانْكسَار وَلَمْ أُشَاهدْ قسْطَاسَ اسْتغْنَاء الحَقِّ سُبْحَانَهُ الرَّفيعِ المَنْزلة المَحْفُوف بسُرَادقَات العَظَمَة وَالكبْريَاء وَلَمْ أَعْتَقدْ نَفْسي عَبْدًا حَقيرًا ذَليلا عَديمَ الاعْتبَار العَاري عَنِ الخَاصِّيَّة مَفْقُودَ الاقْتدَار كَامل الاحْتيَاج وَالافْتقَار {وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسي إنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بالسُّوء إلا مَا رَحمَ رَبِّي}(١) فَلَوْ لَمْ يَكُنْ تَوَاتُرُ الفُيُوضِ وَالوَارِدَات الإلهيَّة جَل سُلْطَانُهُ وَتَوَالى عَطيَاتُهُ وَإنْعَامَاتُهُ اللامُتَنَاهيَةُ في دَار المحْنَة هَذه شَاملا لحَال هَذَا العَبْد المَكْسُور البَال كَادَت المُعَامَلَةُ تَنْجَرُّ إلى اليَأْسِ وَأَوْشَكَ حَبْلُ الرَّجَاء أَنْ يَنْقَطعَ، الحَمْدُ لله الذي عَافَاني في عَيْنِ البَلاء وَكَرَّمَني في نَفْسِ الجَفَاء وَأَحْسَنَ لي في حَالة العَنَاء وَوَفَّقَني عَلى الشُّكْرِ في السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَجَعَلني منْ مُتَابعي الأَنْبيَاء وَمنْ مُقْتَفي آثَار الأَوْليَاء وَمنْ مُحبِّي العُلَمَاء وَالصُّلحَاء صَلوَاتُ الله سُبْحَانَهُ وَتَسْليمَاتُهُ عَلى الأَنْبيَاء أَوَّلا وَعَلى مُصَدِّقهمْ ثَانيًا.

---

(١) ــ الآية: ٥٣ من سورة يوسف.

المَكْتُوبُ الثَّامِنَ عَشَرَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى صَاحب المَعَارف الشَّيْخ بَديع الدِّين
في بَيَان أَنَّ إيلامَ المَحْبُوب وَجَلالَهُ أَحَبُّ منْ إنْعَامه وَجَمَاله

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى:

وَصَلت الصَّحيفَةُ الشَّرِيفَةُ المُرْسَلَةُ مَصْحُوبَةً بالشَّيْخ فَتْح الله وَقَدْ كَتَبْتُمْ الشِّكَايَةَ منْ جَفَاء الخَلق وَمَلامَتهِمْ وَالحَال أَنَّهَا عَيْنُ جَمَال هَذه الطَّائفة وَصَيْقَل صَدَائهمْ فَكَيْفَ تَكُونُ بَاعثَةً عَلى القَبْض وَالكُدُورَة وَلَمَّا وَصَل هَذَا الفَقيرُ في أَوَائل الحَال إلى هَذه القَلْعَة صَارَ مَحْسُوسًا أَنَّ أَنْوَارَ مَلامَة الخَلق تَردُ منَ القُرَى وَالبلاد مُتَوَاليَةً وَمُتَتَابعَةً كَالسَّحَاب النُّورَانيِّ وَتَرْقَى المُعَامَلةُ منَ الحَضيض إلى الأَوْج وَقَدْ قَطَعْتُمَ المَرَاحل سنينَ بالتَّرْبيَة الجَماليَّة فَيَنْبَغي الآنَ أَنْ تَقْطَعُوا المَسَافَةَ بالتَّرْبيَة الجَلاليَّة وَأَنْ تَكُونُوا في مَقَام الصَّبْر بَل في مَقَام الرِّضَاء وَأَنْ تَرَوُا الجَمَال وَالجَلال مُتَسَاويَيْن وَكَتَبْتُمْ أَيْضًا إنَّ منْ وَقْت ظُهُور الفتْنَة لَمْ يَبْقَ ذَوْقٌ وَلا حَال كَانَ يَنْبَغي أَنْ يَتَضَاعَفَ الذَّوْقُ وَالحَال فَإنَّ جَفَاءَ المَحْبُوب يُورثُ اللذَّةَ أَكْثَرَ منْ وقَائه أَيَّ بَلاء وَقَعَ حَتَّى يَتَكَلمَ مثْل **العَوَامِّ** وَيَتَبَاعَدَ منَ المَحَبَّة الذَّاتيَّة يَنْبَغي أَنْ يَعْتَقدَ الجَلال فَوْقَ الجَمَال وَأَنْ **يَتَصَوَّرَ** الإيلامَ أَفْضَل منَ الإنْعَام عَلى خلاف مَا مَضَى فَإنَّ في الجَمَال **وَالإنْعَام** مُرَادَ المَحْبُوب مَشُوبَ بمُرَاد النَّفْس وَفي الجَلال وَالإيلام خَالصُ مُرَاد **المَحْبُوب** وَخلافُ مُرَاد النَّفْس وَالوَقْت وَالحَال هُنَا غَيْرُ الوَقْت وَالحَال السَّابقَيْن **شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا** وَكَتَبْتُمْ في حَقِّ زيَارَة الحَرَمَيْن الشَّريفَيْن لا مَانعَ منْهُ حَسْبُنَا **اللهُ وَنعْمَ الوَكيل**.

المَكْتُوبُ التَّاسِعَ عَشَرَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى السَّيِّد المير مُحبّ الله المَانَكبورى
في التَّحْرِيضِ عَلَى التَّحَمُّل لإيذَاءِ الخَلقِ

بَعْدَ الحَمْد وَالصَّلوَات وَتَبْليغ الدَّعوَات أُنْهِيَ أَنَّهُ قَدْ وَصَلت الصَّحِيفَةُ الشَّرِيفَةُ مَنْ أَخِي السَّيِّد المَيْر مُحبّ الله فَأَوْرَثَتْ فَرَحًا وَافرًا لا بُدَّ مِنْ تَحَمُّل إيذَاء الخَلق وَلا مَهْرَبَ مِنْ جَفَاء الأَقَارب قَالَ اللهُ تَعَالى آمرًا لحَبِيبه عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولو العَزْمِ مِنَ الرُّسُل وَلا تَسْتَعْجِل لَهُم}[1] وَالملحُ فِي سُكُونَة ذَاكَ المَقَامِ هُوَ هَذَا الإِيذَاءُ وَالجَفَاءُ وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَ الفِرَارَ مِنْ ذَلكَ المِلحِ نَعَمْ إنَّ مَأْلُوفَ السُّكَّر لا يُطِيقُ المِلحَ مَاذَا نَصْنَعُ شعر.

لا يَسْتَقِيمُ تَدَلل مِنْ عَاشِقٍ لوْ أَنَّهُ مَحْبُوبُ كُل خَلائقَ

وَانْدَرَجَ فِيهَا أَنَّهُ لوْ صَدَرَت الإجَازَةُ لاخْتَرْتُ مَنْزِلا فِي آله آبَادَ عَيِّنُوا مَنْزِلا حَتَّى تَذْهَبُوا هُنَاكَ وَتَتَخَلصُوا مِنْ إفْرَاط الجَفَاء هَذَا هُوَ طَرِيقُ الرُّخْصَة وَطَرِيقُ العَزِيمَة الصَّبْرُ وَالتَّحَمُّل عَلى الإِيذَاء وَقَدْ غَلبَ الضَّعْفُ عَلى الفَقِيرِ فِي هَذِهِ الأَيَّامِ كَمَا هُوَ مَعْلومُكُمْ وَلهَذَا اقْتَصَرْنَا عَلى كَلمَاتٍ ،،، وَالسَّلامُ.

---

(١) ـــ الآية: ٣٥ من سورة الأحقاف.

المَكْتُوبُ العشْرُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى صَاحب الحَقَائق مَوْلانَا مُحَمَّد صدِّيق
في بَيَان أَصَالَة الغَيْب وَظلِّيَّة الشُّهُود

أَيُّهَــــا المُحبُّ: إنَّ الغَيْبَ مُقَابل الشُّهُود الذي فيه شَائبَةُ الظِّلِّيَّة وَالغَيْبُ مُبَرَّأٌ منْ ذَاكَ الشَّوْب فَيَكُونُ أَكْمَل منَ الشُّهُود وَلكنْ إذَا كَانَ سَيِّدُ البَشَر عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ مُشْرفًا في لَيْلَة المعْرَاج بدَوْلَة الرُّؤْيَة التي هيَ مَا وَرَاءَ وَرَاء سُرَادقَات الظِّلال وَأَقْدَسُ منَ الشَّوْب بشَائبَة الظِّلِّيَّة لَما يَكُونُ الغَيْبُ في حَقِّه ﷺ أَكْمَل منَ الرُّؤْيَة وَقَدْ كَانَ الاكْتفَاءُ بالغَيْب لرَفْع الظِّلِّيَّة وَحَيْثُ تَيَسَّرَ رَفْعُ الظِّلِّيَّة بالكُلِّيَّة في عَيْن الحُضُور لماذَا يُحْتَاجُ إلى الغَيْب هَذه دَوْلَةٌ مَخْصُوصَةٌ بسَيِّد الكَوْنَيْن عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَلكُمَّل تَابعيه أَيْضًا نَصيبٌ منْ هَذَا المَقَام بالتَّبعيَّة وَالورَاثَة كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ برُؤْيَة لَيْسَ بشُهُود وَمُشَاهَدَة أَيْضًا فَالتَّعْبيرُ عَنْهُ بالغَيْب أَحْسَنُ العبَارَات وَتَفْصيل ذَاكَ المَقَام لا يُمْكنُ بالقَوْل بَل كُل مَنْ يَجدُهُ يَجدُهُ عَلى مقْدَار وجْدَانه وَهُوَ وَرَاءَ ذَلكَ وَلا نَصيبَ منْهُ إلا لأَقَل القَليل وَالسَّلام.

المَكْتُوبُ الحَادِي وَالعشْرُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى السَّيِّد مُحَمَّد نُعْمَان
في بَيَانِ قَوْلِه تَعَالَى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُول فَخُذُوه}(١) الآيَة
بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَال اللهُ تَعَالى: {مَا آتاكُمُ الرَّسُول فَخُذُوهُ وَمَا نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ}(٢) الآيَة؛ ذَكَرَ التَّقْوَى بَعْدَ ذِكْرِ الامْتِثَال للأَوامِرِ وَالانْتِهَاء عَنِ المَنَاهي إشَارَةً إلى الاهْتِمَامِ بالانْتِهَاء الذي هُوَ حَقِيقَةُ التَّقْوَى وَأَنَّهُ هُوَ مِلاكُ الدِّينِ قَال رَسُول اللهِ ﷺ وَبَارَك: "مِلاكُ دِينكُمُ الوَرَعُ".

وَقَال عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ في مَوَاضِعَ أُخَر: "لا تَعْدلْ بالرِّعَة شيئًا" وَالرِّعَةُ هُوَ الوَرَعُ وَالوَجْهُ لهَذَا الاهْتِمَامِ وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بالصَّوَاب أَنَّ الانْتِهَاءَ أَعَمُّ وُجُودًا وَأَكْثَرُ نَفْعًا لمَا أَنَّهُ يُوجَدُ فِي ضمْنِ الامْتِثَال أَيْضًا لأَنَّ الإتْيَانَ بالأَمْرِ انْتِهَاءٌ عَنْ ضدِّه وَهُوَ ظَاهرٌ وَأَمَّا كَثْرَةُ نَفْعِ الانْتِهَاء بغَيْرِ جِهَة عُمُومه فلأَنَّهُ مُخَالفَةٌ مَحْضَةٌ مَعَ النَّفْسِ لا حَظَّ للنَّفْسِ فيه بخلاف صُوَرِ الامْتِثَال فَإنَّ النَّفْسَ قَدْ تَتَلذَّذُ فيه وَكُل مَا فيه زِيَادَةُ مُخالفَة مَعَ النَّفْسِ لا شَكَّ أَنَّهُ أَكْثَرُ نَفْعًا وَأَقْرَبُ طُرُق إلى النَّجَاة فَإنَّ المَقْصُودَ الأَصْليَّ منَ التَّكْليفَات الشَّرْعيَّة قَهْرُ النَّفْسِ لأَنَّهَا انْتَصَبَتْ لمُعَادَاة الله سُبْحَانَهُ وَوَرَدَ في الحَديث القُدْسيِّ: "عَاد نَفْسَكَ فإنَّهَا انْتَصَبَتْ لمُعادَات" فَكُل طَرِيق منْ طُرُق المَشَائخِ تَكُونُ رعَايَةُ الأَحْكَام الشَّرْعيَّة فيهَا أَكْثَرَ يَكُونُ أَقْرَبَ طُرُق الله سُبْحَانَهُ لوُجُود كَثْرَة المُخَالفَة مَعَ النَّفْسِ أَلا وَهُوَ طَرِيقُ النَّقْشَبَنْديَّة وَلهَذَا قَال سَيِّدُنَا وَقبلَتُنَا الشَّيْخُ الأَجَل بَهاءُ الدِّينِ المُشْتَهرُ بنَقْشَبَنْدَ قَدَّسَ سرَّهُ وَجَدْتُ طَرِيقًا أَقْرَبَ طُرُق الله سُبْحَانَهُ لوُجُود كَثْرَة المُخَالفَة مَعَ النَّفْسِ وَأَمَّا بَيَانُ زِيَادَة رعَايَة أَحْكَام الشَّرِيعَة في هَذه الطَّرِيقَة فَممَّا لا يَخْفَى عَلَى المُنْصف الفَطِنِ الخَائضِ في طُرُق المَشَائخِ وَمَعَ ذَلكَ بَيَّنْتُهُ بزِيَادَة الإيضَاحِ في بَعْضِ الرَّسَائل وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بحَقيقَة الحَال وَهُوَ سُبْحَانُهُ حَسْبي وَنعْمَ الوَكيل وَصَلى اللهُ عَلى سَيِّدنَا مُحَمَّد وَآله وَصَحْبه وَسَلمَ وَبَارَكَ وَكَرَّمَ{وَالسَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}(٣).

---

(١) ـــ الآية: ٧ من سورة الحشر.

(٢) ـــ الآية: ٧ من سورة الحشر.

(٣) ـــ الآية: ٤٨ من سورة طه.

المَكْتُوبُ الثَّاني وَالعشْرُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى السَّيِّد مُحَمَّد نُعْمَانَ
في تَفْسِير قَوْله تَعَالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادي عَنِّي}(١) الآيَةَ

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى:

قَال اللهُ تَعَالى : {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ}(٢) قُرْبُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى وَإِنْ كَانَ لا كَيْفيًّا وَلا مثْليًّا وَلكنْ للوَهْم هُنَاكَ مَجَال وَالخَارجُ منْ حَيْطَة الوَهْم وَدَائرَة الخَيَال هُوَ أَقْرَبيَّتُهُ تَعَالى وَلهَذَا كَانَ العَالمُ بالقُرْب كَثيرًا وَالعَالمُ بالأَقْرَبيَّة أَقَل قَليل وَنهَايَةُ القُرْب إلى حُصُول الاتِّحَاد وَإنْ كَانَ الاتِّحَادُ أَيْضًا مُجَرَّدَ تَوَهُّم والأَقْرَبيَّةُ إنَّمَا هيَ بَعْدَ مُجَاوَزَة الاتِّحَاد وَأَنَّ تَصَوُّرَ العَقْل في جَانب القُرْب مَنْ هُوَ أَقْرَبُ منْ نَفْسه بَعيدًا وَذَلكَ منْ قُصُور نَظَر العَقْل حَيْثُ اعْتَادَ رُؤْيَةَ البُعْد وَلَمْ يَجدْ أَقْرَبَ منْ نَفْسه وَالسَّلامُ.

---

(١) ــ الآية: ١٨٦ من سورة البقرة.

(٢) ــ الآية: ١٨٦ من سورة البقرة.

المَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالعِشْرُونَ بَعْدَ الأَرْبعمائَة
إلى السَّيِّد المير شَمْس الدِّين عَلِيٍّ الخَلخَالِيِّ
في بَيَانِ جَامعيَّة الإنْسَان الذي هُوَ مُرَكَّبٌ منْ أَجْزَاء عَالَم الخَلقِ وَالأَمْرِ وَتَرْجِيحُ قَلبِ الإنْسَان عَلى العَرْش المَجِيد

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى:

اعْلَـــــمْ: أَنَّ الإنسَانَ نُسْخَةٌ جَامعَةٌ مُركَّبٌ منَ الأَجْزَاء العَشْرَة العَنَاصر الأَرْبَعَة وَالنَّفْس النَّاطقَة وَالقَلب وَالرُّوح وَالسِّرِّ وَالخَفيِّ وَالأَخْفَ، وَسَائرُ القُوَى وَالجوَارِح في الإنْسَان رَاجعَةٌ إلى هَذه الأَجْزَاء وَبَيْنَ هَذه الأَجْزَاء تَضَادٌّ وَتَضَادُّ بَعْضِ العَنَاصر ببَعْضٍ آخرَ ظَاهرٌ وَكَذَلكَ تَضادُّ عَالم الخَلق بعَالم الأَمْر أَيْضًا بَاهرٌ وَكُل وَاحد منْ أَجْزَاء عَالم الأَمْر الخَمْسَة مَخْصُوصٌ بأَمْر وَمَنْسُوبٌ إلى كَمَال وَالنَّفْسُ النَّاطقَةُ هيَ مُقْتَضيَةٌ لهوَاهَا لا تُريدُ إطَاعَةَ أَحَد سوَاهَا وَقَدْ جَمعَ اللهُ سُبْحَانَهُ هَذه الأَشْيَاءَ المُتَضادَّةَ كَاسرًا سُورَةَ كُل منْهَا بعنَايَته الشَّاملة وَقُدْرَته الكَاملة وَأَعْطَاهَا مزَاجهَا خَاصًّا وَهيْئَةً وَحْدَانيَّةً وَبَعْدَ حُصُول المزَاج الخَاصِّ وَالهيْئَة الوَحْدَانيَّة وَهَبَ لهَا صُورَةً بحكْمَته البَالغَة حَتَّى تَحْفَظَ أَجْزَاءهُ المُتَفرِّقَةَ المُتَضادَّةَ وَسُمِّيَ هَذَا المَجْمُوعُ بالإنْسَان وَشَرَّفَهُ بشَرَف اسْتعْدَاد الخلافَة باعْتبَار جَامعيَّته وَحُصُول الهَيْئَة الوَحْدَانيَّة وَهَذه الدَّوْلَةُ لمْ تَتيَسَّرْ لشَيْءٍ غَيْر الإنْسَان، وَالعَالَمُ الكَبيرُ وَإنْ كَانَ عَظيمًا وَلكنَّهُ خَال منَ الجَامعيَّة وَلا نَصيبَ لهُ منَ الهَيْئَة الوَحْدَانيَّة وَهَذه المُعَامَلةُ جَاريَةٌ في جَميعِ أَفْرَاد الإنْسَان وَعَوَامُّ الإنْسَان مُشَاركَةٌ فيهَا لخَوَاصِّه.

يَنْبَغي أَنْ يُعْلَـــــم: أَنَّ أَشْرَفَ أَجْزَاء العَالم الكَبير هُوَ العَرْشُ المَجيدُ وَالتَّجلي المَخصُوص به فَوْقَ تَجليَات الأَجْزَاء الأُخَر فَإنَّ ذَاكَ التَّجلي جَامعٌ وَذَلكَ الظُّهُورُ مُسْتَجْمِعٌ للأَسْمَاء وَالصِّفَات الوُجُوبيَّة تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ وَأَيْضًا إنَّ ذَاكَ التَّجلي دَائميٌّ لا مَجَال فيه للاسْتتَار وَقَلبُ الإنْسَان الكَامل الذي لهُ مُنَاسبَةٌ للعَرْش وَيُقَال لهُ عَرْشُ الله لهُ نَصيبٌ وَافرٌ منْ تَجلي العَرْش وَحَظٌّ كَامل غَايَةُ مَا في البَاب أَنَّ ذَاكَ التَّجلي كُليٌّ وَهَذَا التَّجلي بالنِّسْبَة إليْه جُزْئيٌّ وَلكنْ في القَلب مَزيَّةٌ ليْسَتْ هيَ في العَرْش وَهيَ الشُّعُورُ بالمُتَجلي وَأَيْضًا إنَّ القَلبَ مَظْهَرٌ لهُ تَعَلقٌ بمَا ظَهَرَ فيه بخلاف العَرْش فَإنَّهُ خَال عَنْ هَذَا التَّعلق فَلا جَرَمَ أَمْكَنَ التَّرَقِّي للقَلب بوَاسطَة هَذَا

الشُّعُور وَالتَّعَلقُ به هُوَ وَاقِعٌ فَإِنَّ القَلبَ بحُكْمِ المَرْءِ مع من أَحَبَّ مَنْ لهُ تُعَلقٌ به وَمَفْتُونٌ بمَحَبَّته فَإِنْ كَانَ مُحِبًّا للأَسْمَاءِ وَالصِّفَات فَمَعَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَات وَإِنْ كَانَ مُحِبًّا للذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ فَقَدْ صَحَّحَ المَعيَّةَ هُنَاكَ وَتَرَقَّى مَنَ التَّعَلق بالأَسْمَاءِ وَالصِّفَات بخلاف العَرْشِ المَجيد فَإِنَّ التَّجَليَ المُجَرَّدَ عَنِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ غَيْرُ وَاقِعٍ فِي حَقِّه وَالسَّلامُ.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالعِشْرُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى السَّيِّد المير مُحَمَّد نُعْمَانَ
في بَيَانِ فَوَائِدِ التَّضَرُّعِ وَالانْكِسَارِ وَالذِّكْرِ وَتلاوَةِ القُرْآنِ وَطُول القُنُوتِ فِي الصَّلاة

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى:

وَصَلت الصَّحيفَةُ الشَّرِيفَةُ مَنْ أَخي مَعْدن السِّيَادَة فَأَوْرَثَتْ سُرُورًا وَقَدْ كَتَبْتُمْ فيهَا أَنَّهُ هَلِ الأَفْضَل الدُّعَاءُ وَالتَّضَرُّعُ وَالانْكِسَارُ وَدَوَامُ الالتجَاء إلى حَضْرَة الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَالذِّكْرُ أَوْ هَذه المَذْكُورَاتُ مَمْزُوجَةً بالذِّكْر.

لا بُدَّ منَ الذِّكْر وَكُل شَيْءٍ يَجْتَمعُ مَعَهُ فَهُوَ دَوْلَةٌ وَقَدْ وَضَعُوا مَدَارَ الوُصُول عَلى الذِّكْر وَأَشْيَاءَ أُخْرَى غَيْره كَثَمَرَاته وَنَتَائجه.

وَسَأَلتُمْ **أَيْضًا**: إنَّ هَذه الثَّلاثَة أَفْضَل النَّفْيُ وَالإِثْبَاتُ أَوْ تلاوَةُ القُرْآن أَوِ الصَّلاةُ بطُول القُنُوت.

اعْلَمْ: أَنَّ ذكْرَ النَّفْيِ والإِثْبَات كَالوُضُوء الذي هُوَ شَرْطُ الصَّلاة وَمَا لَمْ يُوجَد الوُضُوءُ لا يَصحُّ الشُّرُوعُ فِي الصَّلاة كَذَلكَ مَا لَمْ تَتمَّ مُعَامَلَةُ النَّفْيِ وَالإِثْبَات فَكُل عَمَل يُعْمَل غَيْرَ الفَرَائضِ وَالوَاجبَات وَالسُّنَنِ دَاخل فيمَا لا يُعْنَى يَنْبَغي أَوَّلا إزَالَةُ المَرَضِ وَهيَ مَرْبُوطَةٌ بالنَّفْيِ وَالإِثْبَات ثُمَّ الاشْتغَال بَعْدَ ذَلكَ بعبَادَات وَحَسَنَات أُخْرَى ممَّا هُوَ كَالغذَاء الصَّالح للبَدَن وَكُل غذَاء يُتَنَاوَل قَبْل زَوَال المَرَضِ فَهُوَ فَاسدٌ وَمُفْسد (ع):

كُل مَا أَخَذَ المَعْلول مَعْلول

وتَمَاميَّةُ هَذه المُعَامَلة لا يَلزَمُ أَنْ تَتَعَيَّنَ فَإنَّ تلكَ الحَالةَ نَاطقَةٌ بتَمَاميَّتهَا بنَفْسهَا.

وَكَتَبْتُمْ أَيْضًا أَنَّ الجلدَ الثَّالثَ يُسَجَّل باسْمِ مَنْ وَالظَّاهرُ أَنَّ الفَقيرَ كُنْتُ كَتَبْتُ قَبْل ذَلكَ أَنَّهُ يُجْعَل مُسَجَّلا باسْمكُمْ وَفي جَوَاب كتَابكُمْ الآنَ أَيْضًا الكَلامُ هُوَ هَذَا وَمَنْ يَكُونُ أَفْضَل وَاحق به منْكُمْ يُمْكنُ أَنْ يُقَال: إنَّ مَيَلانَ القَلب دائمًا إلى جَانبكُمْ وَلا يُعْلمُ وَجْهُ قُعُودكُمْ في أكره فَإنَّهُ وَإنْ كَانَ في الجوَار وَلكنْ لمَّا كَانَ خَاليًا عَنِ المُلاقَات فَهُوَ عَارٍ عَنِ الاعْتبَارِ لا يَنْبَغي إقَامَتُكُمْ هُنَاكَ لأَجْل الفَقيرِ

تَوَجَّهُوا إِلى الوَطَنِ مُفَوِّضِينَ الفَقيرَ إلى أَرْحَمِ الرَّاحمينَ وَاجْعَلوا المُشْتَاقينَ هُنَاكَ مَسْرُورِينَ فَإِنْ كَانَ فِي قَلبكُمْ وَجْهٌ آخَرُ لقُعُودكُمْ هُنَاكَ فَهُوَ أَمْرٌ آخَرُ وَلتَكُنْ وَالدَةُ مُحَمَّد أَمين مُوَفَّقَةً مَصْحُوبَةً بالعصْمَة وَالعفَّة قَدْ طَالعْتُ مَا كَتَبْتُ منْ وَاقعَاتهَا الطَّويلَة العَريضَة وَإِنْ كَانَ فيه أَشْيَاءُ مُوحِشَةٌ وَمُكَدِّرَةٌ وَلكنَّهُ خَيْرٌ سَيَنْقَلبُ مَآل كُل منْهَا إِلى الخَيْر فِي الآخر وَلتَكُنْ مُتَنَبهَةً منْ أَمْثَال هَذه الوَاقعَات وَمُتَلافيَةً للتَّقْصيرات بالتَّوْبَة وَالاسْتغْفَارَات وَلتَعْلَمْ أَنَّ التَّمَتُّعات الدُّنْيَويَّةَ وَالمُزَخْرَفَات الفَانيَةَ لا شَيْءٌ مَحْضٌ لا يَصيرُ العَاقل مَفْتُونًا وَمُبْتَلا بهَا .

يَنْبَغي أَنْ تَكُونَ أَحْوَال الآخرَة نَصْبَ العَيْنِ وَأَنْ يَكُونَ مَشْغُولا بالذِّكْر وَلاي شَيْءٍ يُلزِمُ حُصُول لذَّة تَامَّة فِي الذِّكْر وَظُهُور أَشْيَاءَ في النَّظَر فَإِنَّ ذَلكَ دَاخلٌ فِي اللهْوِ وَاللعب بَل كُلُّ مَا تُوجَدُ المَشَقَّةُ فِي الذِّكْر يَكُونُ أَفْضَل وَأَنْفَعَ.

يَنْبَغي تَعْميرُ الأَوْقَات بالذِّكْر الإِلهيِّ جَل شَأْنُهُ بَعْدَ أَدَاء الصَّلوَات الخَمْس دُونَ أَنْ يَتَعطَّل بالالتذَاذ بالذِّكْر.

وَيَنْبَغي لَهَا أَنْ تَلتَمس رضَاكُمْ مُغْتَنمَةً لخدْمَتكُمْ.

وَيَنْبَغي لكُمْ أَيْضًا أَنْ تَرْفُقُوا بهَا وَأَنْ تَجْذبُوهَا إِلى جَانبكُمْ وَأَنْ تَدُلوهَا عَلى الحَسَنَات وَالسَّلامُ.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالعِشْرُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إِلى السَّيِّد المير مُحبِّ الله المانكبوري
فِي التَّحْرِيضِ عَلى كَمَال مُتَابَعَة صَاحِب الشَّرِيعَة الغَرَّاء عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَمُتَابَعَة شَيْخ الطَّرِيقَة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَ المَكْتُوبُ الشَّرِيفُ مَعَ مَرْجِعِ السِّيَادَة أَخي المير مُحبِّ الله وَاتَّضَحَتْ مُقَدِّمَاتُ اليَأْسِ المُنْدَرِجَةُ عَلى وَجْه الاضْطِرَار وَالاضْطِرَاب ، اليَأْسُ كُفْرٌ يَلزَمُ أَنْ تَكُونُوا رَاجِينَ لوْ كَانَ رُسُوخٌ فِي أَمْرَيْنِ فَلا غَمَّ ، ح مُتَابَعَةُ صَاحِب الشَّرِيعَة الغَرَّاء عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ، وَالاعْتقَادُ فِي شَيْخِ الطَّرِيقَة وَمَحَبَّته يَنْبَغي أَنْ تَكُونُوا وَاقفِينَ وَمُلتَجئِينَ وَمُتَفرِّغينَ لئَلا يَقَعَ الفُتُورُ فِي هَذه الدَّوْلة وَكُل شَيْءٍ سوَاهَا كَائنًا مَا كَانَ وَتَلافيه مُمْكنٌ وَقَدْ كُنْتُ كَتَبْتُ فيمَا قَبْل أَنَّهُ إذَا كُنْتُمْ كَارهينَ للإقَامَة فِي مَانكبوري يَنْبَغي اخْتيَارُ الوَطَنِ فِي آله آبَادَ يُحتَمَل أَنْ يَكُون مُبَارَكًا وَأَنْتُم فَهِمْتُمْ منْهُ العَكْسَ وَلَمْ يَدُل لفْظُ المُبَارَك أَيْضًا عَلى المَقْصُود وَالكَلامُ الآنَ أَيْضًا هُوَ ذَاكَ وَقَدْ ظَهَرَ الليْلَة فِي النَّظَرِ أَنَّهُ قَدْ حُوِّل رَحْلكُمْ منْ مانكبور إِلى إله آبادَ فَاخْتَارُوا هُنَاكَ خَرَابَةً وَعَمِّرُوا أَوْقَاتَكُمْ بالذِّكْرِ الإِلهيِّ جَل شَأْنُهُ وَلا يَكُونُ لكُمْ شُغْل بأَحَد وَالتَزمُوا ذكْرَ النَّفْي وَالإِثْبَات وَأَخْرجُوا بتَكْرَار هَذه الكَلمَة الطَّيِّبَة منْ سَاحَة الصَّدْر جَميعَ المُرَادَات حَتَّى لا يَكُونَ المَقْصُودُ وَالمَطْلوبُ وَالمَحْبُوبُ غَيْرَ وَاحد فَإِنْ عَجزَ القَلبُ عَنِ الذِّكْر فَقُولوا باللسَان بشَرْط الإِخْفَاء عَنِ الجَهْر مَمْنُوعٌ فِي هَذَا الطَّرِيق وَقَدْ عَلمْتُمْ بَقيَّة طُرُق الطَّرِيقَة وَأَوْضَاعهَا وَإِيَّاكُمْ وَالعُدُول عَنْ طَرِيق التَّقْليد مَا اسْتَطَعْتُمْ فَإِنَّ لتَقْليد شَيْخ الطَّرِيقَة ثَمرَات فِي خلاف لطَرِيقَة طَرَات مَاذَا كُتُبُ يَادَةً لى لكَ {وَالسَّلامُ عَلى مَن اتَّبَعَ الهُدَى}[1] وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى آله وَأَصْحَابه أَتَمُّ الصَّلوَات وَأَكْمَل التَّحيَّات.

---

(١) ــ الآية: ٤٨ من سورة طه.

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالعِشْرُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى المِيْر شَمْسِ الدِّين عَليٍّ
في جَوَابِ سُؤَالِه عَنْ وُجُودِ وَاجِبِ الوُجُودِ تَعَالى

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى:

قَدْ صِرْتُ مَحْظُوظًا وَمُلتَذًا بِمُطَالعَة الصَّحِيفَة الشَّرِيفَة المُرْسَلة عَلى وَجْه الكَرَمِ وَالشَّفَقَة جَزَاكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ خَيْرًا وَانْدَرَجَ فِيهَا أَنَّ ذَاتَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى إذَا كَانَتْ مَوْجُودَةً بِمَاهِيَّتِهَا لا بالوُجُود عَيْنًا كَانَ أَوْ زَائدًا فَكَيْفَ يَتحَقَّقُ التَّقَابُل بَيْنَ وَاجبِ الوُجُود الذي هُوَ ذَاتُ الله سُبْحَانَهُ بلا اعْتبَارِ الوُجُوب وَالوُجُود وَبَيْن مُمْتَنِع الوُجُود وَبأَيٍّ وَجْه يُمْكنُ إطْلاقُ وَاجِب الوُجُود عَلى الذَّات المُعَرَّاة عَن الوُجُوب وَالوُجُود وَكَيْفَ يَثْبُتُ اسْتحْقَاقُ العِبَادَة الذي هُوَ مَنُوطٌ بِوُجُوب وَبأَيِّ اعْتبَارٍ يَكُونُ إطْلاقُ وَاجِب الوُجُود عَلى الذَّات العَدِيمَة الوُجُوب وَالوُجُود.

أَيُّهَـــــا المَخْـــــدُومُ: إنَّ جَوَابَ هَذه الأَسْئلة مُنْدَرِجٌ بالتَّفْصيل في مَكْتُوب منْ مكتوبات المجلد الثَّاني وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ مُحَرَّرٌ بَاسمِ وَاحدٍ منْ أَوْلادِ الفَقير فَإنْ طَالَعْتُمُوهُ لعَلكُمْ تَحْتَظُونَ به.

وَبالجُمْلَـــــة: يُمْكنُ أَنْ تَكُونَ مَاهيَّةُ الوَاجب ـــ جَل سُلطَانُهُ ـــ مَوْجُودَةً بنَفْسهَا لا بالوُجُود وَإطْلاقُ الوُجُوب عَلى تلكَ الحَضْرَة يَكُونُ منْ قَبيل مُنْتَزعَات العَقْل بَل لله المَثَل الأَعْلى وَكَمَا أَنَّ وُجُوبَ الوُجُود منْ قَبيل المُنْتَزعَات امْتنَاعُ العَدَمِ أَيْضًا في تلكَ الحَضْرَة جَل سُلطَانُهَا منَ المُنْتَزعَات وَكَمَا أَنَّ الذَّاتَ البَحْتَ لَيْسَتْ فيهَا نسْبَةُ وُجُوب الوُجُود لَيْسَتْ فيهَا أَيْضًا نسْبَةُ امْتنَاعِ العَدَم وَحَيْثُ ظَهَرَتْ نسْبَةُ وُجُوب الوُجُود حَصَلَتْ نسْبَةُ امْتنَاعِ العَدَم الذي هُوَ مُقَابلةٌ وَظَهَرَتْ نسْبَةُ اسْتحْقَاق العبَادَة الذي هُوَ مُتَفَرِّعٌ عَلى وُجُوب الوُجُود "كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ شَيْءٌ" وَإنْ كَانَ منَ النِّسَب وَالاعْتبَارَات فَإذَا ظَهَرَت النِّسَبُ ظَهَرَ التَّقَابُل وَالسَّلامُ أَوَّلًا وَآخرًا.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالعِشْرُونَ بَعْدَ الأَرْبَعِمائَة
إِلى المِيْرِ مُحَمَّد نُعْمَانَ
فِي بَيَانِ أَنَّ لذَّةَ إِيلامِ المَحْبُوب أَلَذُّ وَأَجْلى فِي نَظَرِ المُحِبِّ مِنْ لذَّة إِنْعَامه

الحَمْدُ للهِ وَسَلامٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى:

لِيَكُنْ مَعْلومُ الأخِ السَّيِّد مُحَمَّد نُعْمَانَ أَنَّهُ صَارَ مَفْهُومًا أَنَّ الأَحْبَابَ النَّاصِحينَ كُلمَا اجْتَهَدُوا فِي التَّشَبُّث بِأَسْبَاب الخَلاصِ لَمْ يَكُنْ نَافعًا الخَيْرُ فِيمَا صَنَعَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ فَحَدَثَ مِنْ هَذَا الأَمْرِ نَوْعُ حُزْنٍ بِمُقْتَضَى البَشَرِيَّة وَظَهَرَ ضِيقُ الصَّدْرِ ثُمَّ بَعْدَ زَمَانٍ تَبَدَّل الحُزْنُ وَضِيقُ الصَّدْرِ بِفَضْل الله جَل سُلطَانُهُ بِالفَرَحِ وَشَرْحِ الصَّدْرِ وَعَلمْتُ بِيَقِينٍ خَاصٍ أَنَّ مُرَادَ هَذه الجَمَاعَة الذينَ فِي صَدَد الإِيذَاءِ لوْ كَانَ مُوَافقًا لمُرَاد الحَقِّ جَلَّ شَأْنُهُ لا مَعْنَى للاسْتكْرَاه وَضِيقِ الصَّدْرِ بَل هُوَ مُنَافٍ لدَعْوَى المَحَبَّة فَإِنَّ إِيلامَ المَحْبُوب مثْل إِنْعَامه مَحْبُوبٌ للمُحبِّ وَمَرْغُوبٌ فيه لهُ كَمَا أَنَّ المُحبَّ يَلتَذُّ بِإِنْعَامه يَلتَذُّ أَيْضًا بِإِيلامه بَل يَجدُ اللذَّةَ فِي إِيلامه أَكْثَرَ لكَوْنه مُبرأً منْ شَائبَة حَظِّ النَّفْسِ وَمُرَادهَا وَحَيْثُ إِنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ جَميل مُطْلَقٌ فَإِذَا أَرَادَ إِيذَاءَ شَخْصٍ تَكُونُ إِرَادَتُهُ تَعَالى بِعنَايَته سُبْحَانَهُ فِي نَظَرِ ذَلكَ الشَّخْصِ جَميلةً البَتَّةَ بَل تَكُونُ سَبَبًا للالتذَاذ وَحَيْثُ إِنَّ مُرَادَ هَذه الجَمَاعَة مُوَافقٌ لمُرَاد الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَرَوْزَنَةٌ لمُرَاده تَعَالى فَمُرَادُهُمْ أَيْضًا مُسْتَحْسَنٌ فِي النَّظَرِ وَمُوجبٌ للالتذَاذ وَفعْل الشَّخْصِ الذي هُوَ مُظْهرٌ لفعْل المَحْبُوب مَحْبُوبٌ أَيْضًا كَنَفْسِ فعْل المَحْبُوب وَذَلكَ الشَّخْصُ الفَاعل أَيْضًا يَظْهَرُ فِي نَظَر المُحبِّ بِهَذه العَلاقَة مَحْبُوبًا وَالعَجَبُ أَنَّ الجَفَاءَ كُلمَا يُتَصَوَّرُ منْ ذَلكَ الشَّخْصِ أَزْيَدَ يَظْهَرُ فِي نَظَرِ المُحبِّ أَحْسَنَ وَأَمْجَدَ لكَوْن إِرَادَته لصُورَة غَضَب المَحْبُوب أَكْثَرَ وَأَزْيَدَ وَأَمَرَّ وَالهيَ هَذَا الطَّرِيق مَقْلوبٌ وَمَعْكُوسٌ وَإِرَادَةُ السُّوء لذَاكَ الشَّخْصِ وَإِسَاءَتُهُ مُنَافيَةٌ لمَحَبَّة المَحْبُوب فَإِنَّ ذَلكَ الشَّخْصَ لَيْسَ بِأَزْيَدَ فِي ذَلكَ منْ أَيْنَ يَكُونُ مرْآةً لفعْل المَحْبُوب وَالذينَ هُمْ فِي صَدْرِ الإِيذَاءِ يَظْهَرُونَ فِي النَّظَرِ مَحْبُوبِينَ بِالنِّسْبَة إِلى سَائر الخَلائق فَليُزِل الإِخْوَانُ ضِيقَ الصَّدْرِ عَنْ أَنْفُسهِمْ وَلا يَحْقدُوا عَلى الذينَ فِي صَدَد الإِيذَاءِ بَل يَنْبَغي أَنْ يَكُونُوا مُتَلذِّذينَ بِفعْلهِمِ نَعَمْ حَيْث كُنَّا مَأْمُورِينَ بِالدُّعَاءِ وَالحَقُّ سُبْحَانَهُ يُحبُّ

الدُّعَاءَ وَالالتجَاءَ وَالتَّضَرُّعَ وَالابْتهَال يَنْبَغي الدُّعَاءُ لدَفْع البَليَّة وَسُؤَال العَفْو وَالعَافيَة ، وَإِنَّمَا قُلتُ مرْآةَ صُورَة الغَضَب فَإنَّ حَقيقَةَ الغَضَب نَصيبُ الأَعْدَاء وَصُورَةَ الغَضَب مع الأَحبَّاء عَيْنُ الرَّحْمَة في الحَقيقَة وَكَمْ منْ مَنَافعَ لُمحبٍّ أُودعَتْ في صُورَة الغَضَب هَذه لا يُمْكنُ شَرْحُهُ وأَيْضًا في صُورَة الغَضَب التي أُعْطيهَا الأَحبَّاءُ هَلاكُ المُنْكرينَ وَهيَ بَاعثَةٌ عَلى ابْتلائهمْ وَلعَلكُمْ عَلمْتُمْ مَعْنَى عبَارَة الشَّيْخ مُحْيي الدِّين ابْن العَرَبيِّ قَدَّسَ سرَّهُ حَيْثُ قَال لا همَّةَ للعَارف يَعْني أَنَّ الهمَّةَ التي يُقْصَدُ بهَا دَفْعُ البَليَّة مَسْلوبَةٌ عَن العَارف فَإنَّ العَارفَ إذَا رَأَى البَليَّةَ منَ المَحْبُوب وَتَيَقَّنَ أَنَّهَا مَارِدَةٌ كَيْفَ يَصْرفُ همَّتَهُ لدَفْعهَا وَكَيْفَ يُريدُ رَفْعَهَا وَأَنَّهُ وَإنْ أَجْرَى دُعَاءَ الدَّفْع عَلى لسَانه بحَسَب الصُّورَة لامْتثَال الأَمْر بالدُّعَاء وَلكنَّهُ لا يُريدُ شَيْئًا في الحَقيقَة بَل هُوَ مُلتَذٌّ بكُل ما يُصيبُهُ {وَالسَّلامُ عَلى مَن اتَّبَعَ الهُدَى}[١].

---

(١) ــ الآية: ٤٨ من سورة طه.

المَكْتُوبُ الثامن وَالعِشْرُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى مَوْلانَا أَحْمَدَ الديبني
فِي بَيَانِ سر عَدَمِ اطِّلاعِ السَّالك عَلى أَحْوَاله وَمُشَاهَدَتِهَا فِي مَرَايَا المُسْتَرْشِدينَ

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى:

وَصَل **المَكْتُوبُ الشَريفُ وَذَكَرْتُمْ** فيه بأَنِّي لا أجد فى نَفْسي شَيْئًا مِنْ أَحْوَال هَذه الطَّائفَة العَليَّة **وَمَوَاجيدهِمْ** وَعُلومهِمْ وَمَعَارفِهِمْ وَمَعَ ذَلكَ كُنْتُ عَلمْتُ الطَّالبينَ الطَّريقَةَ فَتَأَثَّرَا **تَأَثُّرًا كثيرًا** وَظَهَرَتْ منْهُمَا أَحْوَال غَريبَةٌ فَمَا يَكُونُ وَجْهُ ذَلكَ.

اعْلَـــــمْ: أَنَّ الأَحْوَال التي ظَهَرَتْ منْ ذَيْنكَ الشَّخْصَيْنِ كَانَتْ مِنْ عَكْسِ أَحْوَالكُمْ ظُهُورًا فِي مَرَايَا اسْتعْدَادهمَا وَلَمَّا كَانَا صَاحبَيْ علمٍ عَرَفَا أَحْوَالَهُمَا وَدَلاكُمْ أَيْضًا عَلى العلم بحُصُول الحَال المَسْتُور كَمرْآة تَدُل عَلى كَمَالات خَفيَّة في الإنْسَان وَتَظْهَرُ مَحَاسنُهُ المَكْنُونَةُ ، المَقْصُودُ حُصُولُ الأَحْوَال وَالعلمُ بأَحْوَال دَوْلة أُخرَى يُعْطَى جَمْعٌ هَذَا العلمَ وَجَمْعٌ آخَرُ لا يُعْطَاهُ وَمَعَ ذَلكَ يَكُونُ كلاهُمَا مِنْ أَرْبَاب الولايَة وَمُتَسَاويَيْنِ فِي القُرْب فَمنَّا مَنْ عَلمَ وَمنَّا مَنْ جَهل منْ كَلامِ هَذه الطَّائفَة يَنْبَغي أَنْ لا يَكُونَ مَحْزُونًا وَمُتَأَلمًا منْ عَدَمِ العلمِ بالأَحْوَال ويَنْبَغي السَّعْيُ حَتَّى يَحْصُلَ الأَحْوَال بَل حَتَّى يَحْصُل الوُصُول إلى مُحَوِّل الأَحْوَال تَجَاوُزًا منَ الأَحْوَال فَإنْ لَمْ يَحْصُل العلمُ بالأَحْوَال بلا تَوَسُّط المُسْتَرْشدينَ يَنْبَغي أَنْ يَقْنَعَ بمُطَالعَتهَا فِي مَرَايَاهُمْ وَأَنْ يَكُونَ مُحْتَظًا منْ طَريقِ المَظَاهرِ وَلَيَحْصُل الأَحْوَال فَإنْ لَمْ يَتَيَسَّر العلمُ بالأَحْوَال بلا تَوَسُّط فَعَسَاهُ أَنْ يَحْصُل بتَوَسُّط.

وَكَتَبْتُمْ أَيْضًا أَنَّ دَوَامَ الحُضُور عبَارَةٌ عَنْ أَيِّ شَيْءٍ وَكَثيرًا مَا يُحسُّ ذُهُول القَلب عَنْ هَذَا الحُضُور فِي بَعْضِ المَشَاغل فيَنْبَغي تَشْخيصُ الحُضُور وَدَوَامُ الحُضُور.

اعْلَـــــمْ: أَنَّ الحُضُورَ عبَارَةٌ عَنْ حُضُور البَاطنِ مَعَ جنَاب قُدْسِ الحَقِّ جَل سُلطَانُهُ شَبيهٌ بالعلمِ الحُضُوريُ الذي الدَّوَامُ لازمُهُ هَل سَمعْتَ **أَحَدًا** أَنَّهُ غَفَل عَنْ نَفْسه فِي وَقْت منَ الأَوْقَات وَذُهل وَالغَفْلةُ وَالذُّهُول إنَّمَا **يُتَصوَّرَان في** العلمِ الحُصُوليِّ لوُجُودِ المُغَايَرَة فِي البَيْنِ وَفِي العلمِ الحُضُوريِّ **حُضُورٌ فِي حُضُورٍ** دائمًا

وَإِنْ كَانَ الأَبْلَهُ فِي جَهْل مِنْ هَذَا الحُضُور وَنُفُور وبحصول فِي غُرُور فَكَانَ الدَّوَامُ لازمًا للحُضُور وَالذي لا دَوَامَ لَهُ فَهُوَ مَيلانٌ إِلى المَطْلوب وَلَهُ شَبَاهَةٌ بِالحُضُور المَذْكُور وَدَوَامُهُ مُتَعَذِّرٌ؛ لكَوْنه شَبيهًا بالعلم الحُصُوليِّ الذي هُوَ قَليل النَّصيب منَ الدَّوَام، ولله المَثَل الأَعْلى وَإِطْلَاقُ العلم الحُصُوليِّ وَالعلم الحُضُوريِّ بالنِّسْبَة إلى جَنَاب قُدْسه تَعَالى إِنَّمَا هُوَ عَلى سَبيل التَّشْبيه وَالتَّنْظير فَإِنَّهُ تَعَالى إِذَا كَانَ أَقْرَبَ إِلى الإِنْسَان منْ نَفْسه يَكُونُ خَارجًا عَنْ حَيْطَة العلم الحُضُوريِّ وَالعلم الحُصُوليِّ وَإِنْ عَجَزَ أَرْبَابُ المَعْقُول عَنْ تَصَوُّره وَلَمْ يَجدُوا أَقْرَبَ منْ أَنْفُسهمْ وَلكنَّ هَذَا المَعْنَى وَاضحٌ عنْدَ أَرْبَاب العلم اللدُنِّيِّ وَحَاصل بالسُّهُولة بعنَايَة الله تَعَالى ﴿رَبَّنَا آتنَا منْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا منْ أَمْرنَا رَشَدًا﴾[1]، ثُمَّ لا يَخْفي إِنَّ لأَخي السَّيِّد حُقُوقًا كَثيرَةً عَلَيْكُمْ وَهُوَ مُتَأَذٍّ لَمجيئكُمْ بغَيْر إذْنه فيَنْبَغي حُضُورُكُمْ في مُلازَمَتُهُ بلا تَوَقُّف لتَلافي الإيذَاء فَإِنْ جئتُمْ بإذْنه فَلا مُضَايَقَة يَنْبَغي أَنْ تَعْمَلوا مُوافقًا لمَرْضَاته وَأَنْ تَجيئوا بإذْنه وَمَا أَكْتُبُ زيَادَةً عَلى ذَلكَ.

---

(١) ــ الآية: ١٠ من سورة الكهف.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالعِشْرُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى امْرَأَة صَالِحَة مَنْ أَهْلِ الإِدَارَة
في بَيَانِ العَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ وَالتَّرْغيبِ على العِبَادَاتِ الشَّرْعِيَّة

الحَمْدُ لله الذي أَنْعَمَ عَلَيْنَا وَهَدَانَا إلى الإِسْلامِ وَجَعَلنَا مِنْ أُمَّة مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الأَنَامِ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ.

يَنْبَغِـي أَنْ يُعْلَـم: أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى مُنْعِمٌ عَلى الإِطْلاقِ فَإِنْ كَانَ وُجُودُ فَمَوْهُوبٌ مِنْ جَنَابِ قُدْسه تَعَالى وَإِنَّ بَقَاهُ فَعطَاءٌ مَنْ حَضْرَته جَل سُلطَانُهُ وَأَنَّ صِفَات كَامِلةً فَمِنْ رَحْمَته الشَّامِلة والحَيَاةُ وَالعلمُ وَالقُدْرَةُ وَالبَصَرُ وَالسَّمْعُ وَالنُّطْقُ كُلهَا مُسْتَفَادَةٌ مِنْ حَضْرَته جل شَأْنه وَأَنْوَاعُ النِّعَمِ وَصُنُوفُ الكَرَمِ التي خَارِجَةٌ عَنِ الحَدِّ وَالعَدِّ كُلهَا مُفَاضَةٌ مِنْ جَنَابِ قُدْسه تَعَالى وَهُوَ تَعَالى يُزِيلِ العُسْرَ وَالشِّدَّةَ وَيُجِيبُ الدَّعْوَةَ وَيَدْفَعُ البَلِيَّةَ رَزَّاقٌ لا يَمْنَعُ الأَرْزَاقَ عَنْ عبادَة مِنْ كَمَال رَأْفَته بعلة ذُنُوبِهِمْ سَتَّارٌ لا يَهْتِكُ سِتْرَ حُرْمَتِهِمْ مِنْ وُفُورِ عَفْوه وَتَجَاوُزِه بارْتكَاب السَّيِّئَات وَلا يَفْضَحُهُمْ بعُيُوبِهِمْ، حَليمٌ لا يَسْتَعْجل في مُؤَاخَذَتِهِمْ وَعُقُوبَاتِهِمْ، كَرِيمٌ لا يَمْنَعُ عُمُومَ كَرَمه عَنِ الأَحبَّاء وَالأَعْدَاء وَأَجَل هَذه النِّعَمِ وَأَعْظَمُهَا وَأَعزُّهَا وَأَكْرَمُهَا الدَّعْوَةُ إِلى الإِسْلامِ وَالهِدَايَةُ إِلى دَارِ السَّلامِ وَالدَّلالَة عَلى مُتَابَعَة سَيِّد الأَنَامِ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ فَإِنَّ الحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ وَالتَّنَعُّمَات السَّرْمَدِيَّةَ مَرْبُوطَةٌ بِهَذه وَرضَا المَوْلَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالى مَنُوطٌ بهَا.

وَبالجُمْلَـــة: إِنَّ إِنْعَامَهُ وَإِكْرَامَهُ وَإِحْسَانَهُ تَعَالى أَظْهَرُ مِنَ الشَّمْسِ وَأَجْلى مِنَ القَمَرِ وَأَبْيَنُ مِنَ الأَمْسِ وَإِنْعَامُ غَيْرِه تَعَالى بِأَقْدَارِه وَتَمْكِينِه سُبْحَانَهُ وَطَلَب الإِحْسَان مِنْهُمْ مِنْ قِبَلِ الاسْتعَارَة مِنَ المُسْتَعِيرِ وَالسُّؤَال مِنَ الفَقِيرِ الجَاهِل كَالعَالِمِ مُقِرٌّ بهَذَا المَعْنَى وَالغبى مثْل ذكي مُعْتَرِف بهَذَا الأَمْرِ

فَلَوْ أَنَّ لى في كُل مَنْبَت شَعْرَة ... لِسَانًا يَبُثُّ الشُّكْرَ كُنْتُ مُقَصِّرًا

وَلا شَكَّ أَنَّ بَدَاهَةَ العَقْلِ حَاكِمَةٌ بوُجُوبِ شُكْرِ المُنْعِمِ وَلزُومِ تَوْقِيرِه وَتَعْظِيمِه فَصَارَ شُكْرُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى الذي هُوَ المُنْعِمُ الحَقِيقيُّ وَاجبًا ببَدِيهَةِ العَقْلِ وَكَانَ تَكْرِيمُهُ وَتَعْظِيمُهُ تَعَالى لازمًا وَحَيْثُ كَانَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى في كَمَال التَّنَزُّه وَالتَّقَدُّسِ وَالعبَادُ في غَايَةِ التَّلوُّث وَالتَّدَنُّسِ تَعَذَّرَ مِنْ كَمَال عَدَمِ المُنَاسَبَة وجْدَانُ تَعْظِيمه وَتَكْرِيمه تَعَالى في أَيِّ شَيْءٍ وَعَلى أَيِّ كَيْفِيَّة فَإِنَّ العبَادَ كَثِيرًا مَا يَسْتَحْسِنُونَ إِطْلاقَ بَعْضِ الأُمُورِ عَلى جَنَابِ قُدْسه تَعَالى وَيَكُونُ هُوَ في

الحَقِيقَة مُسْتَهْجَنًا عِنْدَهُ تَعَالى وَيَخَالُونَ شَيْئًا تَعْظِيمًا وَيَكُونُ تَوْهِينًا وَيَزْعُمُونَ شَيْئًا تَكْرِيمًا وَيَكُونُ تَحْقِيرًا فَمَا لَمْ يَكُنْ تَعْظِيمُهُ وَتَكْرِيمُهُ تَعَالى مُسْتَفَادًا مِنْ جَنَاب قُدْسه لا يَكُونُ لائِقًا بِأَدَاءِ الشُّكْرِ بِه وَقَابِلاً لِعِبَادَتِه تَعَالى فَإِنَّ الحَمْدَ الذي يَصْدُرُ عَنِ العِبَادِ مِنْ قِبَلِهِمْ رُبَّمَا يَكُونُ هَجْوًا وَمَدْحُهُمْ قَدْحًا وَالتَّعْظِيمُ وَالتَّوْقِيرُ وَالتَّكْرِيمُ التي كَانَتْ مُسْتَفَادَةً مِنْ حَضْرَتِه سُبْحَانَهُ هِيَ عَيْنُ شَرِيعَتِنَا الحَقَّة عَلى مَصْدَرِهَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالتَّحِيَّةُ فَإِنْ كَانَ تَعْظِيمٌ قَلْبِيٌّ فَمُبَيَّنٌ في الشَّرِيعَة الحَقَّة وَإِنَّ ثَنَاءَ لِسَانِي فَمُبَرْهَنٌ هُنَاكَ ، وَالأَعْمَال والافعال الجَوارحيَّةُ أَيْضًا بَيَّنَهَا صَاحِبُ الشَّرِيعَة بِالتَّفْصِيل فَأَدَاءُ شُكْرِه تَعَالى صَارَ مُنْحَصِرًا في إِتْيَان أَحْكَام الشَّرِيعَة قَلْبًا وَقَالِبًا اعْتِقَادًا وَعَمَلاً ، وَكُل تَعْظِيم وَعِبَادَة لَهُ تَعَالى يُؤَدَّى بِمَا وَرَاءَ الشَّرِيعَة لا يَكُونُ قَابِلاً لِلاعْتِمَاد بَل كَثِيرًا مَا يَكُونُ مُحَصِّلاً لِلأَضْدَاد وَالحَسَنَةُ المُتَوَهَّمَةُ تَكُونُ سَيِّئَةً في الحَقِيقَة فَبِمُلاحَظَة البَيَان المَذْكُور كَانَ العَمَلُ بِالشَّرِيعَة أَيْضًا وَاجِبًا بِالعَقْل وَكَانَ أَدَاءُ شُكْرِ المُنْعِم تَعَالى مُتَعَذِّرًا بِدُون الإِتْيَان بِهَا وَالشَّرِيعَةُ لَهَا جُزْءَانِ اعْتِقَادِيٌّ وَعَمَلِيٌّ ، فَالاعْتِقَادِيُّ مِنْ أُصُول الدِّين ، وَالعَمَلِيُّ مِنْ فُرُوعِ الدِّين ، وَفَاقِدُ الاعْتِقَاد لَيْسَ مِنْ أَهْل النَّجَاة وَالخَلاص مِنْ عَذَاب الآخِرَة غَيْرُ مُتَصَوَّرٍ في حَقِّه وَفَاقِدُ العَمَل أَمْرُهُ مُفَوَّضٌ إِلى مَشِيئَته سُبْحَانَهُ وَتَعَالى فَإِنْ شَاءَ عَفَى عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ بِقَدْر ذَنْبه ، وَالخُلودُ في النَّار مَخْصُوصٌ بِفَاقِد الاعْتِقَاد وَمَقْصُورٌ عَلى مُنْكِر ضَرُورِيَّات الدِّين وَفَاقِدُ العَمَل وَإِنْ كَانَ مُعَذَّبًا وَلَكِنَّ الخُلودَ في النَّار مَفْقُودٌ في حَقِّه وَلَمَّا كَانَت الاعْتِقَادِيَّاتُ مِنْ أُصُول الدِّين وَضَرُورِيَّات الإِسْلام لَزِمَ أَنْ نُبَيِّنَهُ بِالضَّرُورَة وَحَيْثُ كَانَ تَفْصِيل في العَمَلِيَّات مَعَ وُجُود فَرْعِيَّاتِهَا أَحَلْنَا بَيَانَهَا عَلى كُتُب الفِقْه مَعَ بَيَان شِمَّة لِلتَّرْغِيب في بَعْض العَمَلِيَّات الضَّرُورِيَّة.

الاعْتِقَادِيَّاتُ إِنَّ اللهَ تَعَالى مَوْجُودٌ بِذَاته الأَقْدَس وَوُجُودُهُ تَعَالى بِنَفْسه سُبْحَانَهُ وَكَمَا أَنَّهُ تَعَالى مَوْجُودٌ كَانَ دَائِمِيًّا وَيَكُونُ دَائِمِيًّا لا سَبِيل لِلعَدَم السَّابِق وَالعَدَم اللاحِق إِلى جَنَاب قُدْسه تَعَالى فَإِنَّ وُجُوبَ الوُجُود أَحْقَرُ خُدَّام ذَلِكَ الجَنَاب المُقَدَّس ، وَسَلْبُ العَدَم أَذَل كناس ذَاكَ المَوْطِن المُحْتَرَم وَهُوَ تَعَالى وَاحِدٌ لا شَرِيكَ لَهُ لا في وُجُوب الوُجُود وَلا في الأُلوهِيَّة وَاسْتِحْقَاق العِبَادَة فَإِنَّ الشَّرِيكَ إِنَّمَا يُحْتَاجُ إِلَيْه إِذَا لَمْ يَكُن اللهُ تَعَالى كَافِيًا وَمُسْتَقِلاً وَذَلِكَ نَقْصٌ مُنَافٍ لِلأُلوهِيَّة فَإِذَا كَانَ كَافِيًا وَمُسْتَقِلاً يَكُونُ الشَّرِيكُ مُعَطَّلاً وَعَبَثًا وَهُمَا أَيْضًا مِنْ عَلامَة النَّقْص المُنَافي لِلأُلوهِيَّة فَصَارَ إِثْبَاتُ الشَّرِيك مُسْتَلزِمًا لِنَقْص أَحَد الشَّرِيكَيْن المُنَافي لِلشَّرِكَة فَصَارَ إِثْبَاتُ الشَّرِكَة مُسْتَلزِمًا لِنَفْي الشَّرِكَة وَهُوَ مُحَال فَشَرِيكُ البَارِي تَعَالى أَيْضًا

مُحَال، وَلَهُ تَعَالى صِفَاتٌ كَاملَةٌ مِنَ الحَيَاة وَالعلمِ وَالقُدْرَة وَالإِرَادَة وَالسَّمْعِ وَالبَصَرِ وَالكَلام وَالتَّكْوِين، وَيُقَال لهَذه الصِّفَات الثَّمانيَة صِفَاتٌ حَقيقيَّةٌ وَهِيَ قَديمَةٌ مَوْجُودَةٌ فِي الخَارِج بوُجُود زَائد عَلى وُجُود الذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ كَمَا هُوَ مُقرَّرٌ عنْدَ عُلمَاء أَهْل الحَقِّ شَكَرَ اللهُ تَعَالى سَعْيَهُمْ وَلَمْ يَقُل بوُجُود الصِّفَات الزَّائدَة أَحَدٌ مِنَ الفرَق المُخَالفَة غَيْرَ أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة شَكَرَ اللهُ تَعَالى سَعْيَهُمْ حَتَّى إنَّ الصُّوفيَّةَ المُتَأَخِّرينَ مِنَ الفرْقَة النَّاجيَة قَالوا بعَيْنيَّة الصِّفَات للذَّات وَوَافَقُوا في ذَلكَ المُخَالفينَ فَإنَّهُمْ وَإنْ تَحَاشَوْا عَنْ نَفْي الصِّفَات وَلكنَّهُ لازمٌ عَلى أُصُولهمْ وَتَبَادُر عبَارَاتهمْ وَقَدْ زَعَمَ المُخَالفُونَ الكَمَال في نَفْي الصِّفَات الكَاملة وَفَارَقُوا النُّصُوصَ القُرْآنيَّةَ بعُقُولهمْ هَدَاهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ سَوَاءَ الصِّرَاط.

وَسَائر الصِّفَات إمَّا اعْتبَاريَّةٌ أَوْ سَلبيَّةٌ كَالقدَمِ وَالأَزَليَّة وَالأُلوهيَّة كَمَا قَالوا وَهُوَ تَعَالى لَيْسَ بجسْمٍ وَلا جُسْمَانيٌّ وَلا عَرَضٍ وَلا جَوْهَرٍ وَلا مَكَانيٌّ وَلا زَمَانيٌّ وَلا حَال وَلا مَحَل وَلا مَحْدُود وَلا مُتَنَاه لا جِهَةَ لهُ وَلا نسْبَةَ وَالكَفَاءَةُ وَالمثْليَّةُ مَسْلوبَةٌ عَنْ جَنَاب قُدْسه، وَالضِّدِّيَّةُ وَالنِّدِّيَّةُ مَفْقُودَةٌ فِي حَضْرَة أُنْسه وَهُوَ تَعَالى مُنَزَّهٌ مُبَرَّأٌ منْ وَالد وَوَالدَة وَصَاحبَة وَوَلد فَإنَّ هَذه كُلهَا منْ أَمَارَات الحُدُوث وَمُسْتَلزمَةٌ للنَّقْصِ، وَجَميعُ الكمَالاَت ثَابتَةٌ لجَنَاب قُدْسه وَجَميعُ النَّقَائصِ مَسْلوبَةٌ عَنْ حَضْرَة أُنْسه.

وَبالجُمْلَة: يَنْبَغي أَنْ يُسْلبَ عَنْ جَنَاب قُدْسه تَعَالى جَميعُ صفَات الإِمْكَان وَالحُدُوث التي هِيَ نَقصٌ وَشَرٌّ مِنَ القَدَمِ إلى الرَّأْسِ وَهُوَ تَعَالى عَالمٌ بالكُليَّات وَالجُزْئيَّات وَمُطَّلعٌ عَلى الأَسْرَار الخَفيَّات وَلا يَخْرُجُ عَنْ حَيْطَة علمه سُبْحَانَهُ في السَّموَات وَالأَرْضينَ مثْقَال ذَرَّة حَقيرَة نَعَمْ حَيْثُ كَانَ خَالقُ جَميع الأَشْيَاء هُوَ سُبْحَانَهُ يَنْبَغي أَنْ يَكُونَ أَيْضًا عَالمًا بجَميعهَا فَإنَّ الخَلقَ لا بُدَّ لهُ منْ علم الخَالق به وَالذينَ حُرمُوا السَّعَادَةَ يَزْعُمُونَ أَنَّ اللهَ تَعَالى لَيْسَ بعَالمٍ بالجُزْئيَّات وَيَظُنُّونَ ذَلكَ بعُقُولهمُ النَّاقصَة كَمَالاً كَمَا أَنَّهُمْ يَقُولونَ منْ كَمَال سَخَافَة عُقُولهمْ إنَّهُ لمْ يَصْدُرْ منْ وَاجب الوُجُود جَل سُلطَانُهُ غَيْرُ شَيْء وَاحد وَهُوَ أَيْضًا صَدَرَ عَنْهُ منْ غَيْر اخْتيَار منْهُ تَعَالى وَيَظُنُّونَ ذَلكَ أَيْضًا كَمَالاً مَا أَجْهَلهُمْ حَيْثُ يَزْعُمُونَ الجَهْل كَمَا لا يُرَجِّحُونَ الاضْطرَارَ عَلى الاخْتيَار وَمنَ الجَهْل الذي فيهم يَزْعُمُونَ سَائرَ الأَشْيَاء مُسْتَندَةً إلى غَيْره تَعَالى، وَيَنْحتُونَ منْ عنْد أَنْفُسهمْ عَقْلاً فَعَّالاً وَيَنْسُبُونَ الأَشْيَاءَ إليْه وَيَزْعُمُونَ خَالقَ السَّموَات وَالأَرْضينَ مُعَطَّلاً وَعنْدَ الفَقير لمْ يُوجَدْ في العَالمِ أَحَدٌ أَشَدَّ سَفَاهَةً منْ هَذه الطَّائفَة سُبْحَانَ الله وَقَدْ زَعَمَ جَمَاعَةُ هَؤُلاء

السُّفَهَاءِ أَرْبَابُ المَعْقُول وَيَنْسُبُون أَقْوَالَهُمْ إِلى الحِكْمَة وَلعَلهُمْ يَظُنُّونَ أَحْكَامَهُمْ الكَاذِبَةَ مُطَابقَةً لنَفْسِ الأَمْر ﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلوبَنَا بَعْدَ إِذَا هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّك أَنْتَ الوَهَّاب ﴾[١] وَهُوَ تَعَالَى مُتَكَلِّمٌ مِنَ الأَزَل إِلى الأَبَد بكَلامٍ وَاحد فَهُوَ آمِرٌ نَاه مُخبِرٌ به وَالتَّوْرَاةُ وَالإِنْجيل وَالزَّبُورُ وَالفُرْقَانُ وَكَذَلكَ سَائِرُ الصُّحُفِ المُنَزَّلَة إِلى الأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالتَّسْليمَاتُ كُلهَا دَالةٌ عَلى هَذَا الكَلام الوَاحد وَعَلامَةٌ لهُ وَتَفْصيل لهُ فَإِذَا كَانَ الأَزَل وَالأَبَدُ بهَذه الوسْعَة وَالامْتدَاد آنًا وَاحدًا بَل لا مَجَال للآنَ أَيْضًا هُنَاكَ وَإِطْلاقُ الآنَ إِنَّمَا وَقَعَ لضيق العبَارَة فَالكَلامُ الذي يَصْدُرُ في ذَلكَ الآنَ يَكُونُ كَلمَةً وَاحدَةً بَل حَرْفًا وَاحدًا بَل نُقْطَةً وَاحدَةً وَإِطْلاقُ النُّقْطَة أَيْضًا هُنَاكَ كَإِطْلاق الآنَ وَاقعٌ منْ ضيق العبَارَة وَإِلا فَلا مَجَال للنُّقْطَة أَيْضًا هُنَاكَ وَالوَسْعَةُ في ذَاته وَصفَاته جَل سُلطَانُهُ لا كَيْفيَّةٌ وَلا كَمِّيَّةٌ وَهُوَ تَعَالى مُبرَّأٌ مُنَزَّهٌ بذَاته وَصفَاته منْ هَذه الوَسْعَة وَالضِّيق اللذَيْنِ منْ صفَات الإِمْكَان.

وَيَرَاهُ سُبْحَانَهُ المُؤْمنُونَ في الجَنَّة بعُنْوَان اللاكَيْفيِّ وَاللامثْليِّ فَإِنَّ الرُّؤْيَةَ التي تَتَعلقُ بالكَيْفيِّ تَكُونُ لا كَيْفيَّةً بَل يَنَال الرَّائي أَيْضًا حَظًّا وَافرًا منَ اللاكَيْفيِّ حَتَّى يَسْتَطيعَ رُؤْيَةَ اللاكَيْفيِّ، لا يَحْمل عَطَايَا المَلك إِلا مَطَايَاهُ وَقَدْ حَل سُبْحَانَهُ اليَوْمَ هَذَا العَمَى لأَخَصِّ الخَوَاصِّ منْ أَوْليَائه وَجَعَلهُ مُنْكَشفًا لهُمْ فَهَذه المَسْأَلةُ الغَامضَةُ تَحْقيقيَّةٌ عنْدَ هَؤُلاء الأَكَابر وَتَقْليديَّةٌ عنْدَ غَيْرهمْ وَلمْ يَقُل بهَذه المَسْأَلة أَحَدٌ منَ الفرَق المُخَالفينَ مُؤْمنيهمْ وَكَافريهمْ غَيْرَ أَهْل السُّنَّة وَيَعُدُّ رُؤْيَةَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ عَدَا هَؤُلاء الأَكَابر كُلهُمْ مُحَالاً، وَمُسْتَشْهدُ المُخَالفينَ قيَاسُ الغَائب عَلى الشَّاهد البَيِّنِ الفَسَاد، وَحُصُول الإِيمَان بمثْل هَذه المَسْأَلة الغَامضَة بلا نُور مُتَابَعَة السُّنَّة السَّنيَّة عَلى صَاحبهَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالتَّحيَّةُ مُتَعَذِّرٌ.

لائق دولت نبودهر سرى   بار مسيحا نكشدهرى خرى

وَالعَجَبُ أَنَّهُ كَيْفَ يَسْتَبْعدُ بحُصُول سَعَادَة الرُّؤْيَة مَنْ لا إِيمَانَ لهُمْ بهَا فَإِنَّ نَصيبَ المُنْكر حرْمَانٌ وَكَيْفَ لا يَرَاهُ مَنْ يَدْخُل الجَنَّةَ فَإِنَّ المُتَبَادرَ منَ الشَّرْعِ حُصُول دَوْلَة الرُّؤْيَة لجَميع أَهْل الجَنَّة فَإِنَّهُ لمْ يَرِدْ في الشَّرْعِ أَنَّ بَعْضَ أَهْل الجَنَّة يَرَاهُ وَبَعْضَهُمْ لا يَرَاهُ تَعَالى وَالجَوَابُ في حَقِّ هَؤُلاء هُوَ جَوَابُ مُوسَى عَلى نَبيِّنَا وَعَليْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ لسُؤَال فرْعَوْنَ قَال اللهُ تَعَالى حَاكيًا عَنْهُمَا ﴿ قَال فَمَا بَال القُرُونِ الأُولى قَال علمُهَا عنْدَ رَبِّي في كتَابٍ لا يَضِل رَبِّي وَلا يَنْسَى ﴾[٢].

---

(١) ــــ الآية: ٨ من سورة آل عمران.

(٢) ــــ الآية: ٥٢ من سورة طه.

يَنْبَغِي أَنْ يُعلَمَ: أَنَّ الجَنَّةَ وَمَا وَرَاءَ الجَنَّة كُلهَا بالنِّسْبَة إلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ مُتسَاوِيَةٌ فَإِنَّ كُلهَا مَخْلوقُ الله تَعَالى وَلَيْسَ لهُ سُبْحَانَهُ حُلول وَتَمَكُّنٌ في شَيْءٍ منْهَا وَلكنْ لَيْسَ لبَعْضِ المَخْلوقَات لِيَاقَةُ ظُهُور أَنْوَار الوَاجب جَل سُلطَانُهُ بخلاف بَعْضٍ آخرَ فَإِنَّ فيه هَذه اللِيَاقَةَ كَمَا أَنَّ المرْآةَ فيهَا لِيَاقَةُ ظُهُورِ الصُّوَر وَلَيْسَتْ هَذه اللِّيَاقَةُ في الحَجَرِ وَالمَدَرِ فَالتَّفَاوُتُ في هَذَا الطَّرَف مَعَ وُجُود نسْبَة المُسَاوَاة لا في حَضْرَته سُبْحَانَهُ وَتَعَالى.

أين قاعدة يادادار آنجاكه خداست نه جزونه كل نه ظرف نه مظروف است

وَالرُّؤْيَةُ لَيْسَتْ بوَاقعَة في الدُّنْيَا فَإِنَّ هَذَا المَحَل لَيْسَ فيه لِيَاقَةُ ظُهُور هَذه الدَّوْلة وَكُل مَنْ قَال بوُقُوعِ الرُّؤْيَة في الدُّنْيَا فَهُوَ كَذَّابٌ وَمُفْترٍ زَعَمَ غَيْرَ الحَقِّ حَقًّا سُبْحَانَهُ فَلوْ تَيَسَّرَتْ هَذه الدَّوْلةُ في هَذه النَّشْأَة كَانَ كَليمُ الله عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ أَحَقَّ بهَا وَإِنْ تَشَرَّفَ نَبيِّنَا عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ بهَذه الدَّوْلة لَمْ يَكُنْ وُقُوعُهَا في الدُّنْيَا بَل دَخَلَ الجَنَّةَ وَرَأَى فيهَا وَهيَ منْ عَالمِ الآخرَة لا أَنَّهُ رَأَى في الدُّنْيَا بَل خَرَجَ منَ الدُّنْيَا وَصَارَ مُلحَقًا بالآخرَة فَرَأَى.

وَهُوَ تَعَالى خَالقُ السَّمَوَات وَالأَرَضينَ وَخَالقُ الجبَال وَالبحَار وَخَالقُ الأَشْجَار وَالإِثْمَار وَخَالقُ المَعَادن وَالنَّبَاتَات وَكَمَا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ زَيَّنَ السَّمَاءَ بخَلق الإِنْسَان فَإِنْ كَانَ بَسيطٌ فَكَائنٌ بإِيجَاده تَعَالى وَإِنْ مُرَكَّبٌ فَمَخْلوقٌ بخَلقه تَعَالى بالجُمْلة أَخْرَجَ سُبْحَانَهُ جَميعَ الأَشْيَاء منْ كَتْم العَدَم إلى عَرْصَة الوُجُود وَأَحْدَثَهَا بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ لا يَليقُ القدَمُ بغَيْره تَعَالى وَلا شَيْءَ بقَديمٍ سوَاهُ سُبْحَانَهُ وَإِجْمَاعُ جَميعِ أَهْل الملل مُنْعَقدٌ عَلى حُدُوث مَا سوَاهُ سُبْحَانَهُ وَكُلهُمْ مُتَّفقُونَ عَلى أَنْ لا قَديمَ غَيْره تَعَالى وَيَحْكُمُونَ بتَضْليل مَنْ يَقُول بقدَم غَيْره تَعَالى بَل يَحْكُمُونَ بتَكْفيره صَرَّحَ الإِمَامُ الغَزَاليُّ بهَذَا في رسَالته المُنْقذ عَنِ الضَّلال وَحَكَمَ بكُفْر جَمَاعَة قَائلينَ بقدَمِ غَيْره تَعَالى وَالذينَ يَقُولونَ بقدَمِ السَّمَوَات وَالكَوَاكب وَأَمْثَالهَا يُكَذِّبُهُمُ القُرْآنُ المَجيدُ كَمَا قَال الله تَعَالى {اللهُ الَّذي خَلقَ السَّمَوَات وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا في ستَّة أَيَّام ثُمَّ اسْتَوَى عَلى العَرْشِ}[١] وَأَمْثَال هَذه منَ الآيَات القُرْآنيَّة كَثيرَةٌ وَسَفيهٌ مَنْ يُخَالفُ النُّصُوصَ القُرْآنيَّةَ بعَقْله النَّاقص {وَمَنْ لَمْ يَجْعَل اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ منْ نُورٍ}[٢] وَكَمًّا أَنَّ العبَادَ مَخْلوقُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ، أَفْعَال العبَاد أَيْضًا مَخْلوقَةُ تَعَالى فَإِنَّ الخَلقَ لا يَليقُ بغَيْرِه وَإِيجَادُ مُمْكنٍ لا يَجيئُ منْ مُمْكنٍ فَإِنَّهُ مُتَّسمٌ بقُصُورِ القُدْرَة

---

(١) ـــ الآية: ٤ من سورة السجدة.

(٢) ـــ الآية: ٤٠ من سورة النور.

مُتَّصفٌ بنَقْصِ العلمِ لا يَليقُ بالإيجَاد وَالخَلق وَدَخْل العَبْدُ في أَفْعَاله الاختيَاريَّة إنَّمَا هُوَ بكَسْبِه الوَاقِعِ بقُدْرَته وَإرَادَته وَخَلق الفعْل منَ الله سُبْحَانَهُ وَكَسْبه منَ العَبْد، فَفعْل العَبْد الاخْتيَاريُّ وَاقعٌ بمَجْمُوعِ كَسْب العَبْد وَخَلق الحَقِّ جَل وَعَلا فَلوْ لَمْ يَكُنْ لكَسْب العَبْد وَاختيَاره مَدْخَل في فعْله يَكُونُ حُكْمُهُ حُكْمَ فعْل المُرْتَعش وَالفَرْقُ مَحْسُوسٌ وَمَشَاهَدٌ فَإنَّا نَعْلمُ بالبَدَاهَة أَنَّ فعْل المُرْتَعش غَيْرُ فعْل المُخْتَار وَهَذَا القَدْرُ منَ الفَرْق يَكْفي لمَدْخَليَّة كَسْب العَبْد في فعْله وَجَعَل الحَقُّ سُبْحَانَهُ خَلقَهُ تَابعًا لقَصْد العَبْد في فعْله منْ كَمَال رَأْفَته حَيْثُ يُوجَدُ الفعْل في العَبْد بَعْدَ تَعَلق قَصْدُ العَبْدَ به فَيَكُونُ العَبْدُ بالضَّرُورَة مَمْدُوحًا وَمَلومًا وَمُعَاقَبًا وَمُثَابًا وَقَصْدُ العَبْد وَاخْتيَاره اللذَان أُعْطيهمَا منْ قبَل الحَقِّ سُبْحَانَهُ يَتَعلقَان بجهَتي الفعْل وَالتَّرْك وأَيْضًا قَدْ بَيَّنَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ حُسْنَ الفعْل وَالتَّرْك وَقُبْحهمَا بلسَان الأَنْبيَاء عَليْهمُ الصَّلوَاتُ وَالتَّسْليمَاتُ بالتَّفْصيل فَمَعَ وُجُود ذَلكَ لو اخْتَارَ العَبْدُ إحْدَى الجهَتَيْن لا بُدَّ منْ أَنْ يَكُونَ مُلامًا أَوْ مَمْدُوحًا وَلا شَكَّ أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ أَعْطَى العَبْدَ منَ القُدْرَة وَالاخْتيَار مقْدَارَ مَا يُمكِّنُ لهُ الخُرُوجَ منْ عُهْدَة الأَوَامر والنواهي الشَّرْعيَّتَيْن وَلَمَاذَا يَلزَمُ إعْطَاءُ قُدْرَة كَاملة وَاخْتيَار تَامٌّ وَقَد أُعْطيَ مقْدَارَ مَا يَحْتَاجُ إليْه وَإنْكَارُ المُنْكرينَ مُصَادمٌ للبَدَاهَة وَبهمْ مَرَضٌ قَلبيٌّ عَجزُوا به عَنْ إتْيَان الأَحْكَام الشَّرْعيَّة

كَبُرَ عَلى المُشْركينَ مَا تَدْعُوهُمْ إليْه وَهَذه المَسْأَلةُ منْ غَوَامض المَسَائل الكَلاميَّة وَنهَايَة شَرْحهَا وَغَايَة بَيَانهَا هيَ مَا سُوِّدَ في هَذه الأَوْرَاق وَاللهُ سُبْحَانَهُ المُوَفِّقُ

يَنْبَغي الإيمَانُ بمَا قَالهُ عُلمَاءُ أَهْل الحَقِّ دُون أَنْ يَقَعَ في البَحْث وَالجَدَل.

نه هر جائى مركب توان تاختن   كه جاها سپربايد أنداختن

وَالأَنْبيَاءُ عَليْهمُ الصَّلوَاتُ وَالتَّسْليمَاتُ رَحمَاتٌ للعَالمينَ بَعَثَهمُ اللهُ سُبْحَانَهُ لهدَايَة الخَلق وَدَعَا عبَادَهُ بتَوَسُّط هَؤُلاء الأَكَابر إلى جَنَاب قُدْسه وَهَدَاهُمْ إلى دَار السَّلام التي هيَ مَحَل رضَاهُ وَأُنْسه وَالمَخْذُول مَنْ لا يُجيبُ دَعْوَةَ الكَريم وَلا يَنْتَفعُ منْ مَائدَة دَوْلته وَمَا بَلغَ هَؤُلاء الأَكَابرُ منْ طَرَف الحَقِّ سُبْحَانَهُ كُلهُ حَقٌّ وَصدْقٌ وَالإيمَانُ به لازمٌ وَالعَقْل وَإنْ كَانَ حُجَّةً وَلَكنَّهُ نَاقصٌ في الحُجِّيَّة وَالحُجَّةُ البَالغَةُ إنَّمَا حَصَلتْ ببعْثَة الأَنْبيَاء عَليْهمُ الصَّلوَاتُ وَالتَّسْليمَاتُ فَإنَّهَا لَمْ تَتْرُكْ مَحَلاً للعُذْر وَأَوَّل الأَنْبيَاء عَليْهمُ السَّلامُ آدَمُ وَآخرُهُمْ وَخَاتَمُ نُبُوَّتهمْ مُحَمَّدٌ رَسُول الله عَليْه وَعَليْهمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ يَنْبَغي الإيمَانُ بجَميع الأَنْبيَاء وَأَنْ يَعْتَقدَ كُلهُمْ مَعْصُومينَ صَادقينَ وَعَدَمُ الإيمَان بوَاحد منْهُمْ مُسْتَلزمٌ لعَدَم الإيمَان بجَميعهمْ فَإنَّ كَلمَتَهُمْ مُتَّفقَةٌ

وَأُصُول دينهِمْ وَاحدَةٌ وَيَنْزل عيسَى عَلى نَبيِّنَا وَعَليْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَيَتّبعُ شَريعَةَ خَاتَمِ الرُّسُل عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْليمَاتُ وَأَوْرَدَ الخَواجَهْ مُحَمَّدٌ بارسا الذي هُوَ مِنْ كَمَل خُلفَاءِ الخَوَاجَهْ النقشبند قَدَّسَ سرَّهُمَا وَعَالمٌ وَمُحْدثٌ نَقْلاً مُعْتَمَدًا في كتَابه الفَصُول السِّتَّة إنَّ عيسَى عَلَيْه السَّلامُ يَعْمَل بَعْدَ النُّزُول بمَذْهَبِ الإمَامِ أَبي حَنيفَةَ ﷺوَيُحل حَلالَهُ وَيُحرِّمُ حَرَامَهُ.

وَالمَلائكَةُ عبَادُ الله تَعَالى المُكَرَّمُونَ وَبدَوْلَة الرِّسَالة وَتَبْليغِ وَحْيه تَعَالى مُشْرفُونَ وَمَا هُمْ مَأْمُورُونَ به مُتَمَثِّلونَ وَالعصْيَانُ وَالخُرُوجُ عَنْ طَاعَة الله تَعَالى مَفْقُودٌ في حَقِّهِمْ لا يَأْكُلونَ وَلا يَشْرَبُونَ وَلا يَلبَسُونَ وَلا يُوصَفُونَ بذُكُورَة وَلا أُنوثَة وَلَيْسَ لَهُمْ تَوَالدٌ وَلا تَنَاسُل وَالكُتُبُ وَالصُّحُفُ الإلهيَّةُ كُلهَا نَزَلتْ بتَوَسُّطهِمْ وَبَقيَتْ مَحْفُوظَةً وَمَصُونَةً بصَدَاقَتِهِمْ في أَدَاء أَمَانَتِهِمْ، وَالإيمَانُ بهِمْ أَيْضًا منْ ضَرُوريَّات الدِّين وَتَصْديقُهُمْ منْ وَاجبَات الإسْلامِ وَخَوَاصُّ البَشَرِ أَفْضَل منْ خَوَاصِّ المَلَك عنْدَ جُمْهُور أَهْل الحَقِّ فَإنَّ وُصُول البَشَر مَعَ وُجُود العَوَائق وَقُرْبَ القُدْسيِّينَ حَاصلَ لَهُمْ بلا مُزَاحَمَة الاشْتغَال وَمُمَانَعَة الخَلائق وَإنْ كَانَ التَّسْبيحُ وَالتَّقْديسُ شُغْل القُدْسيِّينَ وَلكنَّ جَمْعَ الجهَاد بهَذه الدَّوْلة شُغْل كَمَل الإنْسيِّينَ قَال الله تَعَالى {فَضَّل اللهُ المُجَاهدينَ بأَمْوَالهمْ وَأَنْفُسهِمْ عَلى القَاعدينَ دَرَجَة}[1].

وَمَا أَخْبَرَ عَنْهُ المُخْبِرُ الصَّادقُ عَليْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ "منْ أَحْوَال القَبْر وَأَهْوَال القيامَة وَالحَشْر وَالنَّشْر وَمنَ الجَنَّة وَالنَّار" كُلهُ حَقٌّ وَالإيمَانُ بالآخرَة كَالإيمَان بالله منْ ضَرُوريَّات الدِّين وَمُنْكرُ الآخرَة كَمُنْكر الصَّانع كَافرٌ قَطْعًا وَعَذَابُ القَبْر منَ الضَّغْطَة وَغَيْرهَا حَقٌّ وَالمُنْكرُ لهُ وَإنْ لمْ يَكُنْ كَافرًا وَلكنَّهُ مُبْتَدعٌ لكَوْنه مُنْكرًا للأَحَاديث المَشْهُورَة وَحَيْثُ إنَّ القَبْرَ بَرْزَخٌ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالآخرَة يُشْبهُ عَذَابُهُ منْ وَجْه بعَذَاب الدُّنْيَا وَهُوَ قَبُولهُ الانْقطَاعَ وَمنْ وَجْه بعَذَاب الآخرَة وَهُوَ كَوْنُهُ مَنْ جنْسه، وَأَكْثَرُ مَنْ يُبْتَلى به مَنْ لا يَسْتَنْزهُونَ منَ البَوْل وَمَنْ يَمْشُونَ بالنَّميمَة"

وَسُؤَالُ مُنْكَر وَنَكير في القَبْر أَيْضًا حَقٌّ وَهُوَ فتْنَةٌ عَظيمَةٌ وَابْتلاءٌ جَسيمٌ في القَبْر ثَبَّتَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ بالقَوْل الثَّابت وَيَوْمُ القيَامَة حَقٌّ وَاقعٌ البَتَّة يَوْمئذ تَنْشَقُّ السَّمَوَاتُ وَتَنْتَثرُ الكَوَاكبُ وَتَتَقطَّعُ الأَرْضُ وَالجبَال وَتَكُونُ مُلحَقَةً بالعَدَم كَمَا أَنَّ النُّصُوصَ القُرْآنيَّةَ نَاطقَةٌ بهَا وَإجْمَاعُ جَميع الفرَق الإسْلاميَّة مُنْعَقدٌ عَلَيْهَا وَالمُنْكرُ عَلَيْهَا كَافرٌ وَإنْ سَوَّل كُفْرَهُ

---

(١) ـــ الآية: ٩٥ من سورة النساء.

بِمُقْدِّمَات مُوهمَة وَأَضَل بهَا السُّفَهَاء عَن الطَّرِيق وَالبُعْث يَوْمئذ عَن القَبْر وَإِحْيَاء العِظَام البَالِيَة المُتَفرِّقَة كُلهُ حَقٌّ وَحِسَابُ الأَعْمَال وَوَضْعُ المِيزَان وَطَيرَان صُحُف الأَعْمَال وَمَجِيءُ صُحُف أَرْبَاب اليَمِين مِنَ اليَمِين وَصُحُف أَصْحَاب الشِّمَال مِن الشِّمَال أَيْضًا حَقٌّ وَالصِّرَاطُ الذي يُوضَعُ عَلَى مَتْن جَهَنَّمَ فَيَمُرُّ عَلَيْه الجَنَّتِيُّ إِلى الجَنَّة وَيَسْقُطُ الجَهَنَّمِيُّ في جَهَنَّمَ أَيْضًا حَقٌّ" فَإِنَّ هَذه كُلهَا أُمُورٌ مُمْكنَةٌ أَخبَرَ المُخبِرُ الصَّادِقُ بِوُقُوعهَا فَيَنْبَغي قَبُولهَا بلا تَوَقُّف مِنْ غَيْر أَنْ يَتَشَكَّكَ وَيَتَرَدَّدَ بِمُقَدِّمَات وَهْمِيَّة{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُول فَخُذُوه}(١) نَصٌّ قَطْعِيٌّ وَشَفَاعَةُ الصُّلحَاء وَالاخْتيَارُ يَوْمئذ في حَقِّ العُصَاة وَالأَشْرَار بِإِذْن الغَفَّار حَقٌّ قَال رَسُول الله: "شَفَاعَتِي لأَهْل الكَبَائر مِنْ أُمَّتِي" وَخلودُ الكُفَّار بَعْدَ الحِسَاب فِي النَّار وَعَذَابهَا أَيْضًا حَقٌّ وَعَذَابهَا أَيْضًا حَقٌّ وَكَذَلكَ خُلودُ المُؤْمنينَ فِي الجَنَّة وَتَنَعُّمَاتهَا حَقٌّ وَالمُؤْمنُ الفَاسقُ وَإِنْ جَازَ فِي حَقِّه دُخُول النَّار وَكَوْنُهُ مُعَذَّبٌ فِيهَا أَيَّامًا وَلكنَّ الخُلودَ فِي النَّار مَفْقُودٌ فِي حَقِّه وَمَنْ كَانَ فِي قَلْبه مثْقَال ذَرَّة مِنَ الإِيمَان لا يَكُونُ مُخَلدًا فِي النَّار بَل مَآل حَاله إِلى الرَّحْمَة وَمَرْجعُ أَمْره إِلى الجَنَّة وَمَدَارُ الإِيمَان وَالكُفْر عَلى الخَاتمَة وَكَثيرًا مَا يَكُونُ الإِنْسَانُ مُتَّصفًا بوَاحدَة مِنْ هَاتَيْن الصِّفَتَيْن طُول عُمْره وَيَتَحَقَّقُ بِضدِّهَا فِي الآخر وَإِنَّمَا العبْرَةُ بالخَوَاتم {رَبَّنَا لا تُزغْ قُلوبَنَا بَعْد إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ}(٢)، وَالإِيمَانُ عبَارَةٌ عَنْ تَصْديق قَلبيٌّ بمَا عُلمَ مِنَ الدِّين بطَرِيق الضَّرُورَة وَالتَّوَاتُر، وَالإِقْرَارُ به أَيْضًا ضَرُورِيٌّ كَالإِيمَان بوُجُود الصَّانع وَتَوْحيده تَعَالى وَكَذَلكَ الإِيمَانُ بحَقِّيَّة الكُتُب وَالصُّحُف المُنَزَّلة وَالإِيمَانُ بالأَنْبيَاء الكرَام وَالمَلائكَة العظَام عَلَيْهمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ إِلى يَوْم القِيَام وَالإِيمَانُ بالآخرَة مِنْ حَشْر الأَجْسَاد وَخُلود العَذَاب وَالثَّوَاب فِي النَّار وَالجَنَّة وَانْشقَاق السَّمَوَات وَانْتثَار الكَوَاكب وَانْدكَاك + الأرض والجبال وكذلك الإيمان بفرضية الصلوات الخمس وتعيين أعداد ركعتها وبفرضية زكاة الأَمْوَال وَصَوْم رَمَضَانَ وَحَجِّ بَيْت الله الحَرَام عَلى تَقْدير الاسْتطَاعَة وَكَذَلكَ الإِيمَانُ بحُرْمَة شُرْب الخَمْر وَقَتْل النَّفْس بغَيْر الحَقِّ وَعُقُوق الوَالدَيْن وَالسَّرِقَة وَالزِّنَا وَأَكْل مَال اليَتيم وَأَكْل الرِّبَا وَأَمْثَالهَا ممَّا ثَبَتَ بالتَّوَاتُر وَصَارَ مِنْ ضَرُوريَّات الدِّين وَلا يَخْرُجُ المُؤْمنُ بارْتكَاب الكَبيرَة مِنَ الإِيمَان، وَاسْتحْلال الكَبيرَة كُفْرٌ وَارْتكَابُهَا فسْقٌ وَيَنْبَغي للمُؤْمن أَنْ يَعْتَقدَ نَفْسَهُ مُؤْمنًا حَقًّا يَعْني أَنْ يَعْتَرفَ بثُبُوت إِيمَانه وَتَحَققه وَلا

---

(١) ــــ الآية: ٧ من سورة الحشر.

(٢) ــــ الآية: ٨ من سورة آل عمران.

يَنْبَغِي أَنْ يَجْعَلَ كَلِمَةَ الاسْتِثْنَاء يَعْنِي كَلِمَةَ إِنْ شَاءَ اللهُ مَقْرُونَةً بِالإِيمَان لِكَوْنِهَا مُنْبِئَةً عَنِ الشَّكِّ وَمُنَافِيَةً لِثُبُوت الإِيمَان بِحسَب بِالصُّورَة وَإِنْ جَعَلَ الاسْتِثْنَاءَ رَاجِعًا إِلَى الخَاتِمَة لِكَوْنِهَا مُبْهَمَةً وَلَكِنَّهُ لا يَخْلُو مِنَ اشْتِبَاه الثُّبُوت الحَالِيِّ فَالاحْتِيَاطُ فِي تَرْك صُورَة الشَّكِّ وَالاشْتِبَاه وَأَفْضَلِيَّةُ الخُلَفَاء الأَرْبَعَة عَلَى تَرْتِيب خِلافَتِهِمْ فَإِنَّ إِجْمَاعَ أَهْلِ الحَقِّ مُنْعَقِدٌ عَلَى أَنَّ أَفْضَلَ البَشَر بَعْدَ الأَنْبِيَاء صَلَوَاتُ اللهِ تَعَالَى وَتَسْلِيمَاتُهُ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ثُمَّ عُمَرُ الفَارُوقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَوَجْهُ الأَفْضَلِيَّة عَلَى مَا فَهِمَهُ هَذَا الفَقِيرُ لَيْسَ كَثْرَةَ الفَضَائِل وَالمَنَاقِب بَل الأَسْبَقِيَّةَ فِي الإِيمَان وَالأَقْدَمِيَّةَ فِي إِنْفَاق الأَمْوَال وَالأَوَّلِيَّةَ فِي بَذْل الأَنْفُسِ فِي كُل حَال لِتَأْيِيد الدِّينِ وَتَرْوِيجِ مِلَّة سَيِّد المُرْسَلِينَ فَإِنَّ السَّابِقَ كَأَنَّهُ أُسْتَاذُ اللاحِق فِي أَمْرِ الدِّينِ وَكُل مَا يَنَال اللاحِق يَنَالُهُ مِنْ مَائِدَة دَوْلَة السَّابِق وَمَجْمُوعُ هَذه الصِّفَات الكَامِلَة الثَّلاثَة مُنْحَصِرَةٌ فِي حَضْرَة الصِّدِّيق ﷺ فَإِنَّ الذِي جَمَعَ بَيْنَ الأَسْبَقِيَّة فِي الإِيمَانَ وَبَيْنَ إِنْفَاق المَال وَبَذْل النَّفْس هُوَ هُوَ ﷺ وَهَذه الدَّوْلَةُ لَمْ تَتَيَسَّرْ فِي هَذه الأُمَّة لِغَيْره قَالَ رَسُول اللهِ ﷺ فِي مَرَضه الذي مَاتَ فِيه "إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاس أَحَدٌ أَمنَ عَلَيَّ فِي نَفْسه وَمَاله مِنْ أَبِي بَكْر ابْن أَبِي قُحَافَةَ وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنَ النَّاس خَليلاً لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَليلاً وَلكنَّ أُخُوَّةَ الإِسْلامِ أَفْضَل سُدُّوا عَنِّي كُل خَوْخَة غَيْرَ خَوْخَة أَبِي بَكْر".

وَقَال عَلَيْهِ وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ "إِنَّ اللهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلتُمْ كَذَبْتَ وَقَال أَبُو بَكْرٍ صَدَقْتَ وَوَاسَانِي بِنَفْسه وَمَاله فَهَل أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي".

وَقَالَ عَلَيْهِ وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ "لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ عُمَرَ بْنَ الخَطَّاب".

وَقَال أَميرُ المُؤْمنينَ عَليٌّ ﷺ "إِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ كِليْهِمَا أَفْضَل هَذه الأُمَّة وَمَنْ فَضَّلنِي عَلَيْهِمَا فَهُوَ مُفْتَرٍ أَضْرِبُهُ كَمَا يُضْرَبُ المُفْتَرِي".

وَمَا وَقَعَ بَيْنَ أَصْحَاب خَيْرِ البَشَر عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ مِنَ المُنَازَعَات وَالمُحَارَبَات يَنْبَغِي أَنْ يَحْمِلهَا عَلَى مُحَامِل حَسَنَة وَأَنْ يُبْعِدَهُم عَنْ مَظَنَّة الهَوَى وَالهَوَس وَمِنْ حُبِّ الجَاه وَالرِّيَاسَة وَمِنْ طَلَبِ الرِّفْعَة وَالمَنْزِلَة فَإِنَّ هَذه الرَّذَائِل مِنَ النَّفْسِ الأَمَّارَة، وَنُفُوسُ هَؤُلاء الأَكَابر صَافِيَةٌ وَمُزَكَّاةٌ فِي صُحْبَة خَيْرِ البَشَر عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَلَكنَّ الحَقَّ كَانَ فِي جَانب أَمير المُؤْمنينَ عَليّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ فِي تِلكَ المُشَاجَرَات وَالمُحَارَبَات الوَاقِعَة فِي حَقِّ خِلافَته وَمُخَالِفُوهُ كَانُوا مُخْطِئِينَ بِالخَطَأ الاجْتِهَادِيِّ الذي لا مَجَالَ فِيه لِلمَلامَة وَالطَّعْنِ فَضْلاً عَنِ التَّفْسِيق

فَإِنَّ الصَّحَابَةَ كُلهُمْ عُدُول وَمَرْوِيَّاتُهُمْ مَقْبُولَة وَمَرْوِيَّاتُ مُوافقي عَليٍّ وَمُخَالفيه كُلهَا مُتسَاوِيَةٌ فِي الصِّدْق وَالوُثُوق وَلَمْ تَصر المُشَاجَرَةُ وَالمُحَارَبَة علة لجَرْح أَحَد فَيَنْبَغي أَنْ يُحبَّ جَميعَهُمْ فَإِنَّ حُبَّهُمْ بحُبِّ النَّبيِّ عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْليمَاتُ فَإِنَّهُ قَال: "مَنْ أَحَبَّهُمْ فَبحُبي أَحَبَّهُم" وَيَنْبَغي الاجْتنَابُ عَنْ بُغْضهمْ وَعَدَاوَتهمْ فَإِنَّ بُغْضَهُمْ ببُغْضه ﷺ كَمَا قَال وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَببُغْضي أَبْغَضَهُمْ وَفي تَعْظيم هَؤُلاء الأَكَابر وَتَوْقيرهمْ تَعْظيمُ خَيْر البَشَر عَلَيْه وَعَلَى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَتَوْقيرُهُ وَفي عَدَم تَعْظيمهمْ عَدَمُ تَعْظيمه فَيَنْبَغي تَعْظيمُ جَميعهمْ منْ جهَة تَعْظيم خَيْر البَشَرِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ قَال الشَّيْخُ الشِّبْليُّ مَا آمَنَ بِرَسُول الله مَنْ لَمْ يُوَقِّرْ أَصْحَابَهُ.

وَبَعْدَ تَصْحيح الاعْتقَاد لا بُدَّ منْ إتْيَان الأَعْمَال أَيْضًا قَال النَّبيُّ ﷺ: "بُنيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْس شَهَادَةَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُول الله" وَهيَ عبَارَةٌ عَنِ الإِيمَان وَالاعْتقَاد بمَا ثَبَتَ بتَبْليغ مُحَمَّد رَسُول الله صَلى اللهُ تَعَالَى عَلَيْه وَسَلمَ كَمَا مَرَّ وَالثَّاني أَدَاءُ الصَّلَوَات الخَمْس التي هيَ عمَادُ الدِّين وَالثَّالثُ أَدَاءُ زَكَاة المَال وَالرَّابعُ صَوْمُ شَهْر رَمَضَانَ وَالخَامسُ حَجُّ بَيْت الله الحَرَام فَالصَّلاةُ أَفْضَل العبَادَات بَعْدَ الإِيمَان بالله وَرَسُوله وَحَسُنَ لذَاته مثْل الإيمَان بخلاف سَائر العبَادَات فَإِنَّ حُسْنَهَا لَيسَ بذَاتيٍّ فَيَنْبَغي أَدَاءُ الصَّلاة بحُسْنِ التَّأَمُّل وَالتَّقَيُّد بَعْدَ طَهَارَة كَاملَة كَمَا بُيِّنَ في كُتُب الشَّرْع منْ غَيْر فُتُور وَيَنْبَغي الاحْتيَاطُ في القرَاءَة وَالرُّكُوع وَالسُّجُود وَالقَوْمَة وَالجلسَة وَسَائر الأَرْكَان حَتَّى تُؤَدَّى عَلى وَجْه الكَمَال وَيَنْبَغي التزَامُ السُّكُونَة وَالطُّمَأْنينَة في الرُّكُوع وَالسُّجُود وَالقَوْمَة والجلسَة

وَيَنْبَغي الاحْترَازُ عَنِ المُسَاهَلة وَيَنْبَغي أَدَاؤُهَا في أَوَائل أَوْقَاتها منْ غَيْر أَنْ يَجُوزَ التَّأْخيرُ عَلى وَجْه التَّكَاسُل وَالتَّجَاهُل وَالعَبْدُ المَقْبُول مَنْ يَمْتَثل أَمْرَ مَوْلاهُ بمُجَرَّد أَمْره فَإِنَّ التَّأْخيرَ في امْتثَال الأَمْر منَ التَّمَرُّد وَسُوء الأَدَب وَيَنْبَغي أَنْ يَسْتَصْحبَ منَ الكُتُب الفقْهيَّة مَا كُتبَ بعبَارَة فَارسيَّة مثْل تَرْغيب الصَّلاة وَتَيْسير الأَحْكَام وَأَمْثَالهمَا في جَميع الأَوْقَات وَأَنْ يَأْخُذَ المَسَائل الشَّرْعيَّةَ منْهَا وَالعَمَل بمُقْتَضَاهَا وَكتَابُ كلستان وَمثْلهُ دَاخل فُضُول في جَنْب كُتُب الفقْه الفَارسيَّة بَل ممَّا لا يُعْنَى بالنِّسْبَة إلى الأُمُور الضَّرُوريَّة مَا يُحتَاجُ إلَيه في الدِّين يَنْبَغي أَنْ يَعُدَّهُ لازمًا دُونَ أَنْ يَلتَفتَ إلى مَا وَرَائه وَصَلاةُ التَّهَجُّد أَيْضًا كَأَنَّهَا منْ ضَرُوريَّات هَذَا الطَّريق فَيَنْبَغي السَّعْيُ حَتَّى لا تُتْرَكَ منْ غَيْر ضَرُورَة فَإِنْ كَانَ هَذَا المَعْنَى مُتَعَسِّرًا في الابْتدَاء وَلَمْ يَتَيَسَّر التَّيَقُّظ يَنْبَغي تَعْيينُ جَمَاعَة منَ الخُدَّام ليُوقظُوا في ذَلكَ الوَقْت بلا اخْتيَار وَلا

يُتْرَكُوا عَلى النَّوْمِ وَبَعْدَ اعْتِيَاد القِيَام أَيَّامًا لا تَحْتَاجُ إلى التَّكلف وَالتَّعمُّل وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقُومَ فِي آخرِ الليْل يَنْبَغِي أَنْ يَنَامَ في أَوَّله بَعْدَ العشَاء منْ غَيْر أَنْ يَشْتَغل بمَا لا طَائل فيه ويَنْبَغي أَنْ يَغْتَنمَ الاسْتغْفَارَ وَالتَّوْبَةَ وَالالتجَاءَ وَالتَّضرُّعَ وَتَذْكُرَ المَعَاصي وَالذُّنُوبَ وَتُفكِّرَ النَّقَائصِ وَالعُيُوبِ وَخَوْفَ العَذَابِ الأُخْرَوِيِّ وَالإِشْفَاقَ مِنَ الأَلمِ الدَائميِّ في ذَلكَ الوَقْت وَأَنْ يَطْلبَ العَفْوَ وَالمَغْفرَةَ منَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى وَأَنْ يَقُولَ هَذه الكَلمَةَ باللسَان مُتَوَجِّهًا إلى القَلْب مائَةَ مَرَّة أَسْتَغْفرُ اللهَ العَظيمَ الذي لا إلهَ إلا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ وَأَتُوبُ إليْه سُبْحَانَهُ ويَنْبَغي أَنْ يَقُول هَذه الكَلمَةَ بَعْدَ أَدَاء العَصْر أَيْضًا مائَةَ مَرَّة منْ غَيْر أَنْ يَتْرُكَهَا بطَهَارَة أَوْ بلا طَهَارَة وَقَدْ وَرَدَ في الخَبَر طُوبَى لَمنْ وُجدَ في صَحيفَته اسْتغْفَارٌ كَثيرٌ وَأَدَاءُ صَلاة الضُّحَى ، وَأَنْ تَتَيَسَّرَ دَوْلَةٌ عَظيمَةٌ فيَنْبَغي السَّعْيُ حَتَّى تُؤَدَّى رَكْعَتَان منْهَا عَلى الدَّوَام وَأَكْثَرُ رَكَعَاتهَا كَصَلاة التَّهَجُّد اثْنَتَا عَشْرَةَ رَكْعَةً وَمقْدَارُ مَا يُؤَدَّى بمُقْتَضَى الوَقْت وَالحَال مُغْتَنَمٌ ويَنْبَغي أَنْ يَجْتَهدَ لقرَاءَة آيَة الكُرْسيِّ بَعْدَ أَدَاء كُل فَرْض فَإنَّهُ قَدْ وَرَدَ في الخَبَر مَنْ قَرَأَ آيَةَ الكُرْسيِّ بَعْدَ كُل صَلاة فَرْض لا يَمْنَعُهُ منْ دُخُول الجَنَّة إلا المَوْتُ ، وَأَيْضًا يَنْبَغي أَنْ يَقُول بَعْدَ كُل صَلاة منْ صَلوَات الخَمْس كَلمَةَ التَّنْزيه سُبْحَانَ الله ثَلاثًا وَثَلاثينَ مَرَّةً وَكَلمَةَ التَّحْميد الحَمْدُ لله ثَلاثًا وَثَلاثينَ مَرَّةً وَكَلمَةَ التَّكْبير اللهُ أَكْبَرُ ثَلاثًا وَثَلاثينَ مَرَّةً وَمَرَّةً لا إلهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لهُ لهُ المُلكُ وَلهُ الحَمْدُ يُحْيي وَيُميتُ وَهُوَ عَلى كُل شَيْءٍ قَديرٌ حَتَّى يَسْتَكْمل العَدَدَ مائَةً ، وَيَقُول أَيْضًا في كُل يَوْم وَليْلة" سُبْحَانَ الله وَبحَمْده مائَةَ مَرَّة " فَإنَّ فيهَا ثَوَابًا كَثيرًا وَيَقُول وَقْتَ الصُّبْح مَرَّةً " اللهُمَّ مَا أَصْبَحَ بي منْ نعْمَة أَوْ بأَحَد منْ خَلقك فَمنْك وَحْدَكَ لا شَريكَ لك فَلك الحَمْدُ وَلك الشُّكْرُ " وَيَقُولُ في المَغْرب بَدَل مَا أَصْبَحَ مَا أَمْسَى وَيُتمُّ ، وَوَرَدَ في الحَديث النَّبويِّ " أَنَّ مَنْ قَرَأَ هَذَا الدُّعَاءَ في النَّهَار فَقَدَ أَدَّى شُكْرَ ذَلكَ النَّهَار وَمَنْ قَرَأَهُ في الليْل فَقَد أَدَّى شُكْرَ ذَلكَ الليْل " وَلا يَلزَمُ أَنْ يَكُونَ قرَاءَةَ هَذَا الوِرْد عَلى طَهَارَة بَل يَنْبَغي قرَاءَتُهُ في جَميعِ الأَوْقَات.

وَأَدَاءُ زَكَاة الأَمْوَال أَيْضًا منْ ضَرُوريَّات الدِّين فيَنْبَغي أَدَاؤُهَا وَإيصَالهَا إلى مَصَارفهَا بالرَّغْبَة وَقَبُول المنَّة فإذَا قَال اللهُ سُبْحَانَهُ أَعْطُوا الفُقَرَاءَ وَالمَسَاكينَ حصَّةً وَاحدَةً منْ أَرْبَعينَ حصَّةً منْ عَطيَّتي وَإنْعَامي فَأُعْطيكُمْ في مُقَابَلته أَجْرًا جَزيلاً وَجَزَاءً جَميلاً فَالتَّوَقُّفُ في أَدَاء هَذَا الجُزْء المُحَقَّر وَالبُخْل في إعْطَائه منْ غَايَة عَدَم الإنْصَاف بَل منَ التَّمَرُّد وَالاعْتسَاف وَأَمْثَال هَذَا التَّوَقُّف في امْتثَال الأَوَامر الشَّرْعيَّة مَنْشَؤُهَا مَرَضٌ قَلبيٌّ وَعَدَمُ يَقين بالأَحْكَام السَّمَاويَّة وَلاَ يَكْفي مُجَرَّدُ النُّطْق بكَلمَة

الشَّهَادَة بِدُون تَصْدِيق قَلبيٍّ بِمَضْمُونهَا فَإِنَّ المُنَافقينَ أَيْضًا نَاطقُونَ بِهَذه الكَلمَة وَعَلامَةُ يَقين القَلب إتْيَانُ الأَوَامر الشَّرْعيَّة بِطَوْع وَرَغْبَة وَإعْطَاء فَليس لفَقير بنيَّة أَدَاء الزَّكَاة أَفْضَل منْ إنْفَاق أُلوف بغَيْر هَذه النِّيَّة فَإِنَّ ذَاكَ أَدَاءُ فَرْضٍ وَهَذَا إتْيَان نَفْل وَلا اعْتدَادَ لإتْيَان النَّفل بالنِّسْبَة إلى أَدَاء الفَرْض أَصْلاً وَلا اعْتبَارَ وَليْتَ لهُ حُكْمُ القَطْرَة بالنِّسْبَة إلى البَحْر المُحيط وَمنْ تَسْويلات الشَّيْطَان اللعين مَنعَهُمْ منْ أَدَاء الفَرَائض وَحَمَلهُمْ عَلى أَدَاء النَّوَافل وَصَدَّهُمْ عَنْ أَدَاء الزَّكَاة.

وَصَوْمُ شَهْر رَمَضَانَ المُبَارَك: أَيْضًا منْ وَاجبَات الإسْلام وَضَرُوريَّات الدِّين فَيَنْبَغي الاهْتمَامُ في أَدَائه أَيْضًا وَلا يَنْبَغي الإفْطَارُ بِأَعْذَار غَيْر مَسْمُوعَة قَالَ النَّبيُّ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالتَّحيَّةُ " الصَّوْمُ جُنَّةٌ منْ نَار جَهَنَّمَ " فَإِنْ كَانَ بَعْضُ الأَعْذَار مَانعًا منَ الصَّوْم وَمَلجَأً إلى الإفْطَار كَمَرَض وَرُكُوب مَتْن الأَسْفَار يَنْبَغي قَضَاؤُهُ بلا مُهْلَة بَعْدَ زَوَال الأَعْذَار دُونَ أَنْ يُؤَخِّرَهُ بالتَّكَاسُل إلى مُرُور الآصَال وَالإبْكَار فَإِنَّ العَبْدَ لَيْسَ لَهُ اخْتيَارٌ كُليٌّ بَل لهُ مَوْلى لا بُدَّ لهُ منَ المُعَاشَرَة بمُقْتَضَى أَوَامره وَنَوَاهيه حَتَّى يَتَصَوَّرَ رَجَاءَ النَّجَاة فَلوْ لمْ يَكُنْ كَذَلكَ يَكُونُ عَبْدًا مُتَمَرِّدًا جَزَاؤُهُ أَنْوَاعُ العُقُوبَات.

وَالرُّكْنُ الخَامسُ منْ أَرْكَان الإسْلام: حَجُّ البَيْت الحَرَام وَلهُ شَرَائطُ مَذْكُورَةٌ في كُتُب الفقْه فَإذَا تَحَقَّقَتْ شَرَائطُهُ يَجبُ أَدَاؤُهُ قَال النَّبيُّ ﷺ: "الحَجُّ يَهْدمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ منَ المَعَاصي " وَيَنْبَغي حُسْنُ الاحْتيَاط في الحل وَالحُرْمَة الشَّرْعيَّيْن وَالامْتنَاعُ عَمَّا مَنعَ عَنْهُ صَاحبُ الشَّريعَة عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالتَّحيَّةُ وَالمُحَافَظَةُ عَلى الحُدُود الشَّرْعيَّة لوْ كَانَ المَطْلوبُ السَّلامَةَ وَالنَّجَاةَ إلى مَتَى يَمْتَدُّ نَوْمُ الأَرْنَب وَحَتَّى مَتَى قَطَنَ الغَفْلَة في الصِّمَاخ فَإِنَّ الأَرْنَبَ سَيُوقَظُ وَالقُطْنَ سَيُنْزَعُ فَلا يَكُونُ نَقْدُ الوَقْت حينَئذ غَيْرَ النَّدَامَة وَالحَسْرَة وَالخَجَالة وَالخَسَارَة ، المَوْتُ قَريبٌ وَأَنْوَاعُ عَذَاب الآخرَة مُهَيَّأَةٌ ، مَنْ مَاتَ فَقَدْ قَامَتْ قيَامَتُهُ يَنْبَغي الانْتبَاهُ قَبْل أَنْ يُنَبَّهَ فَإِنَّ ح لا يَنْفَعُ وَالعَمَل بمُقْتَضَى الأَوَامر والنواهيَ الشَّرْعيَّتَيْن وَالاجْتنَابُ عَنْ مُوجبَات العَذَاب الأُخْرَويِّ قَال اللهُ تَعَال {قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْليكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحجَارَةُ}(١) الآيَةَ وَبَعْدَ تَصْحيح الاعْتقَاد وَإتْيَان الأَعْمَال الصَّالحَة بمُقْتَضَى الشَّريعَة الحَقَّة عَلى صَاحبهَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالتَّحيَّةُ يَنْبَغي + تعمير الأَوْقَاتُ بالذِّكْر الإلهيِّ جَل شَأْنُهُ وَأَنْ + لا يَكُونَ فَارغًا عَنْ ذكْره تَعَالى أَصْلاً فَإِنْ كَانَ الظَّاهرُ مَشْغُولاً بالخَلق يَنْبَغي أَنْ يَجْعَل البَاطنَ بالحَقِّ سُبْحَانَهُ وَأَنْ يَكُونَ مُلتَذًا

(١) ـــ الآية: ٦ من سورة التحريم.

بذِكْره تَعَالى وَهَذه الدَّوْلَةُ مُتَيسِّرَةٌ للمُتَبَدِّئينَ فِي طَرِيقَة خَوَاجْكَان قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ فِي أَوَّل قَدَم فِي صُحْبَة الشَّيْخِ الكَامل المُكَمِّل بعنَايَة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى وَلعَلَّهُ حَصَل لكُمُ الإِيمَانُ بهَذَا المَعْنَى بَل تَيَسَّرَ نَصيبٌ منْهُ وَلَوْ كَانَ قَليلاً وَكُل مَا حَصَل يَنْبَغِي المُحَافَظَةُ عَلَيْه وَالقيَامُ بشُكْره وَالرَّجَاءُ فِي الزِّيَادَة وَحَيْثُ إِنَّ فِي طَرِيقَة الحَضَرَات النَّقْشَبَنْدِيَّة انْدرَاجَ النِّهَايَة فِي البِدَايَة فَإِنْ حَصَل

قَليل منْهَا فَهُوَ كَثيرٌ فَإِنَّ السَّالكَ لَهُ خَبَرٌ فِي البدَايَة منَ النِّهَايَة وَلكنْ يَنْبَغِي للمُبْتَدئ أَنْ يَسْتَقل مَا حَصَّلَهُ وَإِنْ كَانَ كَثيرًا منْ غَيْر أَنْ يَكُونَ فَارغًا عَنْ شُكْره بَل يَنْبَغِي أَدَاءُ شُكْره وَطَلبُ الزِّيَادَة وَالمَقْصُودُ الأَصْليُّ منَ الذِّكْر زَوَال التَّعلق بمَا دُونَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ الذي المَرَضُ القَلبيُّ عبَارَةٌ عَنْهُ ومَا لَمْ يُحَصِّل هَذَا الزَّوَال لا يَكُونُ نَصيبٌ منْ حَقيقَة الإِيمَان وَلا يَتَيَسَّرُ وَالسُّهُولَةُ في أَدَاء الأَحْكَام الشَّرْعيَّة.

أَلا فَاذْكُرُوا رَبَّ البَرَايَا فَإِنَّهُ صفَاءُ القُلُوب وَالغذَاء لأَرْوَاحِ

وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ المَطْلُوبُ منْ أَكْل الطَّعَام حَظَّ النَّفْسِ بَل يَكُونُ حُصُول القُوَّة وَالاسْتطَاعَة عَلى العبَادَة فَإِنْ لَمْ تُتَيسَّرْ هَذه النِّيَّةَ فِي الابْتدَاء يَنْبَغِي أَنْ يَكُون عَلَيْهَا بالتَّكَلف وَأَنْ يلتجئ وَيَتَضَرَّع للتَّيَسُّر هَذه النِّيَّةَ وَكَذَلكَ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ النِّيَّةُ فِي لبْس اللبَاس التَّزَيُّنُ للعبَادَة وَأَدَاء الصَّلاة فَإِنَّهُ قَدْ وَرَدَ فِي القُرْآن المَجيد {خُذُوا زِينَتَكُمْ عنْدَ كُل مَسْجد}(١)

وَلا يَكُونُ المَقْصُودُ منْ لبْس الالبسَة المُزَيَّنَة مُرَآة الخَلق فَإِنَّهَا مَمْنُوعٌ عَنْهَا وَكَذَلكَ يَنْبَغِي أَنْ يَسْعَى فِي أَنْ يَكُونَ المَنْظُورُ فِي جَميع الأَفْعَال وَالحَرَكَات وَالسَّكَنَات رِضيَ المَوْلى جَل سُلطَانُهُ وَأَنْ يَعْمَل بمُقْتَضَى شَريعَته الحَقَّة فَفي هَذَا الوَقْت يَكُونُ كُل منَ الظَّاهر وَالبَاطن مُتَوَجِّهًا إِلى الحَقِّ تَعَالى وَذَاكرًا لَهُ سُبْحَانَهُ مَثَلاً إِذَا اخْتَارَ العَبْدُ النَّوْمَ الذي هُوَ غَفْلَةٌ منْ أَوَّله إِلى آخره بنيَّة دَفْع التَّكَاسُل فِي أَدَاء الطَّاعَة يَكُونُ ذَلكَ النَّوْمُ بهذه النِّيَّة عَيْنَ العبَادَة فَمَا دَامَ فِي ذَاكَ النَّوْم فَكَأَنَّهُ فِي الطَّاعَة لكَوْنه بنيَّة أَدَاء الطَّاعَة وَقَدْ وَرَدَ فِي الخَبَر " نَوْمُ العُلمَاء عبَادَةٌ " وَإِنْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ حُصُول هَذَا المَعْنَى فيكُمَ اليَوْمَ مُتَعَذِّرٌ لهُجُوم المَوَانع وَوُجُود التزَام العَادَات وَالرُّسُوم وَكَوْن المَنْظُور الحَميَّةَ وَالأَنَفَة التي هيَ مُضَادَّةٌ للشَّريعَة الغَرَّاء فَإِنَّ الشَّريعَةَ وَاردَةٌ لدَفْع الرُّسُوم وَالعَادَات وَرَفْع الحَميَّة الجَاهليَّة النَّاشئَة عَن النَّفْس الأَمَّارَة وَلكنْ إِذَا حَصَلت المُدَاوَمَةُ عَلى الذِّكْر القَلبيِّ وَأَدَاء الصَّلَوَات الخَمْس بشَرَائطهَا منْ غَيْر فُتُور بتَوْفيق الله سُبْحَانَهُ وَتَيَسَّرَ الاحْتيَاطُ فِي الحل وَالحُرْمَة

(١) ــ الآية: ٣١ من سورة الأعراف.

الشَّرْعِيَّيْنِ مَهْمَا أَمْكَنَ يُحْتَمَل أَنْ يَظْهَرَ جَمَال هَذَا المَعْنَى وَيَحْصُل الرَّغْبَةُ فيه.

وَوَجْه آخَرُ لكِتَابَة أَمْثَال هَذه النَّصَائح هُوَ أَنَّهُ وَإِنْ لَمْ يَحْصُل العَمَل بمُقْتَضَى هَذه النَّصَائِح فَلا أَقَل مِنْ أَنْ يَحْصُل الاعْتِرَافُ بالقُصُورِ وَالنَّقْصِ وَهُوَ أَيْضًا دَوْلَةٌ عَظِيمَةٌ.

وَمَنْ نَال يَلقَى دَوْلَةً فَوْقَ قَدْرِه وَمَنْ لا فَيَكْفيه الأَسَى مِنْ فَوَاتِهَا

وَنَعُوذُ بِاللهِ سُبْحَانَهُ مِنْ حَال مَنْ لا يَنَال وَلا يَغْتَمُّ مِنْ عَدَم نَيْله وَلا يَعْمَل وَلا يَتَنَدَّمُ مِنْ عَدَم عَمَله وَلا يَكُونُ ذَلكَ إلا جَاهلاً مُتَمَرِّدًا أَخْرَجَ رَأْسَهُ مِنْ رِبْقَة العُبُودِيَّة وَرِجْلَهُ مِنْ قَيْد الرِّقِّيَة .

{رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا}(١) .

وَإِنَّ لَمْ يَقْتَضِ الوَقْتُ وَالحَال وَالزَّمَانُ وَالمَكَانُ تَحْرِيرَ شَيْء وَلكِنْ لَمَّا رَأَيْتُ شَوْقَكُمْ وَرَغْبَتَكُمْ عَلى وَجْه الكَمَال كَتَبْنَا سُطُورًا بِالتَّكَلف وَسَلمْنَاهَا إلَى كَمَال الدِّينِ حُسَيْنٍ رَزَقَ اللهُ سُبْحَانَهُ العَمَل بمُقْتَضَاهَا .

{وَالسَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}(٢).

---

(١) ـــ الآية: ١٠ من سورة الكهف.

(٢) ـــ الآية: ٤٨ من سورة طه.

المَكْتُوبُ الثَّلاثُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى المِيْر مُحَمَّد نُعْمَانَ
في بَيَانِ عَدَمِ التَّعَلق بمَا سوَى الحَقِّ
وَالتَّرْغِيب فِي صُحْبَة طَالِبِي الحَقِّ جَل وَعَلا

الحَمْدُ لله رَبِّ العَالمِينَ دَائمًا عَلى كُل حَال في السَّرَّاء وَالضَّرَّاء قَدْ وَصَلت الصَّحيفَةُ الشَّريفَةُ المُرْسَلةُ مَعَ سُلَيْمَانَ مَعَ الهَديَّة جزَاكُمُ اللهُ خَيْرًا وَكَتَبْتُمْ فيهَا أَنَّ المَقْصُودَ منْ هَذَا السَّفَر كَانَ حُصُول بَعْض المَقَاصد المُتَعَسَّر الحُصُول عَلَيْكُمْ بالرَّجَاء فَإِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا قَال ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: "لنْ يَغْلبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ".

وَمَاذَا أَكْتُبُ منْ أَحْوَالي المَلآنَة بالأَهْوَال وَأُشَوِّشُ بهَا خَوَاطرَ الأَحْبَاب وَمَعَ ذَلكَ الشُّكْر لله الفَ الفَ مَرَّة عَلى مَا رَزَقَنَا العَافيَةَ في عَيْنِ البَلاء فَسُبْحَانَ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ الضِّدَّيْن وَقَرَنَ بَيْنَ المُتَنَافيَيْنِ كُنْتُ يَوْمًا أَتْلو القُرْآنَ المَجيدَ فَوَصَلتُ إلى هَذه الآيَة {قُل إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإخْوَانُكُم}[1] الآيَةَ فَاسْتَوْلى عَليَّ مَنْ تلاوَتهَا بُكَاءٌ عَظيمٌ وَغَلبَ الخَوْفُ فَطَالعْتُ حَالي في تلكَ الأَثْنَاء فَوَجَدْتَني أَنْ لا تَعَلقَ لي بوَاحد منْهَا بحَيْثُ لوْ تَلفَ كُلهَا وَتَلاشَتْ لا يَقَعُ تَجْويزُ أَمْر مُنْكَر وَمُسْتَقْبَح في الشَّريعَة وَلا تُخْتَارُ تلكَ الأُمُورُ عَلى ذَلكَ الأَمْر، بَقيَّةُ المَرَام أَنَّ الأَصْحَابَ حَيْثُ كَانُوا يَصْحَبُونَنَا لله يَنْبَغي لنَا أَيْضًا أَنْ نُكْرمَهُمْ وَنَسْتَخْرجَهُمْ عَنْ أَحْوَالهمَ الظَّاهريَّة وَالبَاطنيَّة وَهَذَا الحَديثُ القُدْسيُ" يَا دَاوُدُ إِذَا رَأَيْتَ لي طَالبًا فَكُنْ لهُ خَادمًا" مَشْهُورٌ فَيَنْبَغي التَّوَجُّهُ إلى الطَّالبينَ بَعْدَ ذَلكَ أَزيدُ ممَّا كَانَ سَابقًا وَأَنْ لا يَجْعَل شيمَةَ التَّغَافُلش وَعَدَمَ الالتفَات مَنْظُورَةً وَثَانيًا يَنْبَغي أَنْ تَكْتُبَ أَنَّهُ هَل كَانَ مَكْتُوبُ الأَقْرَبيَّة مَعْقُولاً أَوْ لا فَإِنْ كَانَ فَبهَا وَإلا فَاكْتُبُوا بتَشْخيص مَحَل التَّرَدُّد وَمَا أَكْتُبُ زيَادَةً عَلى ذَلكَ المَسْئُول منَ الله سُبْحَانَهُ سَلامَتَكُمْ وَعَافيَتَكُمْ وَثَبَاتَكُمْ وَاسْتقَامَتَكُمْ وَمَزيدَ تَوْفيقكُمْ وَحُسْنَ عَاقبَتكُمْ وَالسَّلامُ.

---

(١) ـــ الآية: ٢٤ من سورة التوبة.

المَكْتُوبُ الحادي والثلاثون بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى السَّيِّد المير مُحَمَّد نُعْمَانَ
في الصَّبْرِ وَالرِّضَاء بِقَضَائه تَعَالى

الحَمْدُ لله رَبِّ العَالمينَ في السَّرَّاء وَالضَّرَّاءِ وَفي العَافيَة وَالبَلاء فعْل الحَكيم جَل سُلطَانُهُ لا يَخْلو عَنْ حكْمَة لعَل اللهَ يُريدُ به الصَّلاحَ ؛ {وَعَسَى أَنْ تَكرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لكُمْ وَاللهُ يَعْلمُ وَأَنْتُـمْ لا تَعْلمُون}(١).

فَاصْبرُوا عَلى بَلائه، وَارْضُوا بقَضَائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالى، وَاثْبُتُوا عَلى طَاعَته، وَاجْتَنبُوا عَنْ مَعَاصيه سُبْحَانَهُ، إنَّا لله وَإليْه رَاجعُونَ قَال اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَال: { وَمَا أَصَابَكُمْ منْ مُصيبَة فبمَا كَسَبَتْ أَيْديكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثير}(٢)

فَتُوبُوا إلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَاسْتَغْفرُوا عَمَّا كَسَبَتْ أَيْدينَا وَاسْأَلوا العَفْوَ وَالعَافيَةَ منَ الله سُبْحَانَهُ فَإنَّهُ تَعَالى يُحبُّ العَفْوَ وَاجْتَنبُوا عَنَ البَلاء مَا اسْتَطَعْتُمْ فَإنَّ العَافيَةَ فَلله سُبْحَانَهُ الحَمْدُ وَالمنَّةَ وَالسَّلامُ عَليْكُمْ وَعَلى سَائرِ مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى وَالتَزمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَليْه وَعَلى آله الصَّلوَاتُ وَالتَّسْليمَاتُ العُلى.

(١) ــ الآية: ٢١٦ من سورة البقرة.

(٢) ــ الآية: ٣٠ من سورة الشورى.

المَكْتُوبُ الثَّانِي وَالثَّلاثُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إِلَى مَوْلانَا أَمَان الله
فِي التَّحْرِيضِ عَلَى عُلوِّ الهِمَّةِ وَإِرْجَاعِ وُصُول جَمِيعِ النِّعَمِ إِلَى شَيْخِه

وَصَل مَكْتُوبُ الأَخِ أَمَان الله وَاتَّضَحَ مَا حَرَّرَ مِنْ بَيَان أَحْوَاله وَمَوَاجِيده وَالمُتَوَقَّعُ مِنْكُمْ أَزِيدُ مِنْ هَذِه الأُمُورِ وَكُل مَا يُعْطَى يَنْبَغِي قَبُولهُ بِالأَدَب وَقَبُول المِنَّة وَأَنْ يُطْلَبَ الزِّيَادَةُ وَالمَقَامُ الفَوْقَانِيُّ بِالتَّضَرُّعِ وَالابْتِهَال وَالالتِجَاء وَالانْكِسَارِ قَائِلاً هَل مِنْ مَزِيدٍ وَأَنْ يُرَاعَى إِتْيَانُ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّة مُرَاعَاةَ كَامِل مُصَدِّق الأَحْوَال وَمُصَحِّحُهَا الاسْتِقَامَةُ عَلَى الشَّرِيعَة وَتَعْبِيرُ الوَاقِعَة مِنْ عَالَمِ المِثَال التِي حَرَّرْتُ قَرِيبًا مِنَ المُعَامَلَة وَالأَمْرِ إِلى الله سُبْحَانَهُ وَلَمَّا كُنْتُمْ فِي الصُّحْبَة كَثِيرًا وَقَعَ نَظَرُكُمْ عَالِيًا لا تَغْتَرُّونَ بِالجَوْزِ وَالمَوْزِ مِثْل الأَطْفَال إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ مُعَالِيَ الهِمَمِ وَكَتَبْتُمْ وَاقِعَةَ تَرْبِيَة عِيسَى عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ لأَخِينَا الحَافِظ مَهْدِيٍّ عَلِيٍّ، نَعَمْ إِنَّ لِلحَافِظ مُنَاسَبَةً كَثِيرَةً بِطَرِيقِنَا وَلكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ الدَّوْلَةَ مِنْ أَيِّ مَحَل يَحْصُل فِي الصُّورَة يَنْبَغِي إِرْجَاعُهَا فِي الحَقِيقَة مِنْهُ وَهَذَا المَقَامُ مِنْ مَزَال أَقْدَامِ الطُّلاب يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ وَاقِفًا مُتَيَقِّظًا حَتَّى لا يَجِدَ العَدُوُّ اللعِينُ سَبِيلاً وَلَعَلكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ مَنْ كَانَ فِي مَحَل وَاحِد فَهُوَ فِي كُل مَحَل وَمَنْ كَانَ فِي كُل مَحَل فَلَيْسَ هُوَ فِي مَحَل أَصْلاً وَبَلغُوا الحَافِظَ مِنِّي الدُّعَاءَ وَالسَّلامَ.

المَكْتُوبُ الثَّالثُ وَالثَّلاثُون بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى المِيْرِ مُحَمَّد نُعْمَان
فِي جوَابِ أَسْئلته عَنْ كَوْنه تَعَالى مُشَارًا إِلَيْه بالضَّمَائِر
وَعَنْ فَضْلِ الزُّهَّاد
وَعَنْ كَيْفيَّةِ علمِ الحَقِّ تَعَالى بِذَاته جَل سُلطَانُهُ وَعَمَّ إحْسَانُهُ

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى:

قَدْ سَأَلتُمْ أَنَّهُ إِذَا لم تَكنِ الأَشْيَاءُ بمَاهيَّتهَا الظِّليَّة بَل بمَاهيَّة أَصْلهَا يَنْبَغي أَنْ يَكُونَ المُشَارُ إِلَيْه بلفْظ هُوَ وَأَنْتَ وَأَنَا هُوَ ذَاكَ الأَصْل فَحينَئذ كَيْفَ يَصْدُقُ حَمْل بَعْضِ الصِّفَات الغَيْر المُلائمَة لذَاكَ الأَصْل عَلى الضَّمَائر كَقَوْلنَا أَنَا آكُل وَأَنَا نَائمٌ.

اعْلَـــــمْ: أَنَّ الظِّل وَإِنْ كَانَ قَائمًا بأَصْله وَلَكنَّ ثُبُوتَهُ الظِّليَّ وَإِنْ كَانَ في مَرْتَبَة الحِسِّ وَالخَيَال مُتَحَقِّقٌ دَائمًا وَأَحْكَامُهُ الظِّليَّةُ دَائمَةٌ وَبَاقيَةٌ وَخُلقْتُمْ للأَبَد شَاهدٌ لذَلكَ وَحَمْل الصِّفَات عَلى تلكَ الضَّمَائر إِنَّمَا هُوَ بمُلاحَظَة اعْتبَار ظليَّتهَا وَلكنْ مَرْتَبَةٌ منْ مَرَاتب الوُجُود حُكْمٌ عَلى حدَةٍ وَكُل مَا هُوَ مُتَلاشٍ وَمُضْمَحل في الإله لَيْسَ بإِله جَل وَعَلا.

وَسَأَلتُمْ أَيْضـــــــًا: عَنْ مَعْنَى الحَديث القُدْسيِّ الوَارد في فَضَائل الزُّهَّاد الكرَامِ مَعَاني الفَاظه ظَاهرَةٌ وَلَيْسَ ببَعيد عَنْ فَضْله وَكَرَمه تَعَالى أَنْ يُخَصِّصَ جَمَاعَةً بفَضَائل وَخصَائصَ وَأَنْ يُنْعمَ عَلَيْهمْ بدَرَجَات وَمَرَاتبَ يَغْبطُهُمْ فيهَا غَيْرُهُمْ وَعَدَمُ حسَاب هَؤُلاء لَيْسَ بمَحَل تَرَدُّد فَإِنَّ كَثيرًا منْ أُمَّة خَيْر البَشَر عَلَيْه وَعَلَيْهمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْليمَاتُ يَدْخُلونَ الجَنَّةَ بغَيْر حسَاب وَمنْ جُمْلة ذَلكَ مَا وَرَدَ في الحَديث الصَّحيح "يَدْخُل الجَنَّةَ منْ أُمَّتي سَبْعُونَ الفًا بغَيْر حسَاب فَقَالوا مَنْ هُمْ يَا رَسُول الله؟ قَال الذينَ لا يَكْتَوُونَ وَلا يَسْتَرْقُونَ وَعَلى رَبِّهمْ يَتَوَكَّلون" وَفي هَذَا المَقَام سرٌّ عَظيمٌ لا مَصْلحَةَ في إظْهَاره لكَوْنه بَعيدًا عَنْ أَفْهَام الأَكْثَرينَ فَإِن اتَّفقَتَ المُلاقَاةُ منْ مَكْتُوبَات الجلد الثَّاني فَإِذَا وَجَدْتُمُوهُ لعَلكُمْ تَجدُونَهُ.

وَسَأَلتُمْ أَيْضـــــًا: أَنَّ علمَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ هَل يَكُونُ مُحيطًا بكُنْه ذَاته أَوْ لا؟ فَإِنْ كَانَ مُحيطًا يَلزَمُ تَنَاهي الذَّات.

اعْلَـــمْ: أَنَّ العلمَ عَلى قِسْمَيْنِ حُصُوليٍّ وَحُضُوريٍّ وَمُحَال أَنْ يَتَعَلقَ العلمُ الحُصُوليُّ بِكُنْه ذَاتِ الوَاجِبِ جَل سُلطَانُهُ لكَوْنه مُسْتَلزِمًا للإحَاطَة وَالتَّنَاهِيوَأَمَّا العِلمُ الحُضُورِيُّ فَيَجُوزُ أَنْ يَتَعَلقَ بِكُنْه ذَاتِه تَعَالى وَلا يَلزَمُ مِنْهُ تَنَاه أَصْلاً وَالسَّلامُ.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالثَّلاثُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى المُلا مَقْصُود عَليّ التبريزيّ
فِي بَيَان المُرَادُ مِنْ نَجَاسَة المُشْرِكينَ خُبْثُهم البَاطنيُّ وَاعْتقَادُهم السُّوءَ لا كَوْنُهُمْ نَجسَ العَيْنِ

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى:

أَيُّهَا المَخْدُومُ: المُشْفِقُ لَمْ يَعْلَمِ المَقْصُودَ مِنْ إرْسَال التَّفْسِير الحُسَيْنِيِّ وَصَاحِبُ التَّفْسِيرِ بَيَّنَ مَعْنَى الآيَة الكَرِيمَة وَمُوافقًا لأَئِمَّة الحَنَفيَّة وَيُرِيدُ مِنَ النَّجَاسَة الشِّرْكَ وَخُبْثَ البَاطِنِ وَسُوءَ الاعْتقَاد وَمَا قَالَهُ بَعْدَ ذَلكَ مِنْ أَنَّ هَؤُلاء لا يَجْتَنِبُونَ عَنَ النَّجَاسَات فَهَذَا المَعْنَى مَوْجُودٌ فِي أَكْثَر أَهْل الإِسْلام أَيْضًا فِي هَذه الأَيَّامِ وَالفَرْقُ بَيْنَ عَوَامِّ أَهْل الإيمَان وَبَيْنَ الكُفَّار مَفْقُودٌ منْ هَذه الحَيْثيَّة فَلَوْ كَانَ عَدَمُ الاجْتنَاب عَنِ النَّجَاسَة سَبَبًا لنَجَاسَة الشَّخْص تَصيرُ المُعَامَلَةُ ضَيِّقَةً وَلا حَرَجَ فِي الإِسْلام وَمَا نَقَل الشَّاذُّ وَرَدَتْ كَثيرًا مِنْ أَكَابر الدِّين وَكُلها مَحْمُولَةٌ عَلى التَّوْجيه وَالتَّأْويل كَيْفَ يَكُونُ نَجسَ العَيْنِ فَإِنَّ النَّبيَّ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ " قَدْ أَكَل الطَّعَامَ منْ بَيْت يَهُوديٍّ وَتَوَضَّأَ مِنْ ظَرْف مُشْرِك " " وَتَوَضَّأَ الفَارُوقُ ﷺ أَيْضًا مِنْ ظَرْف امْرَأَة نَصْرَانيَّة.

فَإِنْ قِيلَ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ تَعَالى {إِنَّمَا المُشْرِكُونَ نَجَس}(١). مُتَأَخِّرًا وَنَاسخًا للمَذْكُورَات:

أُجِيبَ: أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كَذَلكَ لا يَكْفِي هَذَا المَقَامُ بَل لا بُدَّ مِنْ إِثْبَات التَّأَخُّر حَتَّى تَصحَّ دَعْوَى النَّسْخ؛ فَإِنَّ الخَصْمَ منْ وَرَاء المَنْع.

وَلَوْ سُلِّمَ أَنَّهُ مُتَأَخِّرٌ: يَنْبَغي أَنْ لا يَكُونَ مُثْبتًا للحُرْمَة وَيَكُونُ المُرَادُ منَ النَّجَاسَة خُبْثُ البَاطِنِ لأَنَّهُ قَدْ نُقل أَنَّهُ لَمْ يَرْتَكبْ نَبيٌّ مِنَ الأَنْبيَاء أَمْرًا يَكُونُ مَآلُهُ فِي شَرِيعَته أَوْ فِي شَرِيعَة غَيْره منَ الأَنْبيَاء مُنْجَرًّا إلى الحُرْمَة وَيَكُونُ مُحَرَّمًا مَا فِي الآخر وَإِنْ كَانَ مُبَاحًا حِينَ ارْتكَاب أَلا تَرَى أَنَّ الخَمْرَ كَانَ مُبَاحًا وَالإِثْمَ حُرِّمَ وَلَمْ يَشْرَبْهُ نَبيٌّ قَطُّ فَلَوْ كَانَ مَآل أَمْرِ المُشْرِكينَ إلى النَّجَاسَة الظَّاهِرَة وَكَانُوا مثْل الكلاب نَجسَ العَيْنِ لَمَا كَانَ النَّبيُّ ﷺ الذي هُوَ مَحْبُوبُ رَبِّ العَالمينَ يَمَسُّ ظُرُوفَهُمْ فَضْلاً عَنْ أَكْل طَعَامهمْ وَأَيْضًا إِنَّ النَّجسَ العَيْنِ نَجسُ عَيْنٍ فِي جَميع

---

(١) ــ الآية: ٢٨ من سورة التوبة.

الأَوْقَات لا مَجَال فيه للإِبَاحَة سَابقَةً وَلاحقَةً فَلوْ كَانَ المُشْرِكُون نَجَسَ عَيْنِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونُوا كَذَلكَ فِي الابْتِدَاءِ وَأَنْ يُعَامَل النَّبِيُّ ﷺ بِهِمْ بِمقْيَاسِه وَمُقْتَضَاهُ فِي الأَوَّل وَلَيْسَ فَلَيْسَ.

وأَيْضًا إِنَّ الحَرَجَ مَدْفُوعٌ عَنِ الدِّينِ وَمَعْلومٌ أَنَّ الحُكْمَ بنَجَاسَتهِمْ وَاعْتقَاد أَنَّهُمْ نَجَسٌ عَيْنٌ تَضْييق عَلى المُسْلمينَ جدًّا وَالقَاؤُهُمْ فِي الحَرَجِ وَالمَشَقَّة يَنْبَغِي أَنْ يَقْبَل المنَّةَ منْ أَئمَّة الحَنَفيَّة رَضيَ اللهُ عَنْهُمْ حَيْثُ هَيَّئُوا مُخْلصًا للمُسْلمينَ وَأَخْرَجُوهُمْ منِ ارْتكَاب الحَرَامِ دُونَ أَنْ يُطْعَنَ فيهِمْ وَزَعَمَ حُسْنَهُمْ قُبْحًا وَعَيْبًا وَأَيْنَ مَجَال الاعْتِرَاضِ عَلى المُجْتَهد فَإِنَّ لخَطَئه أَيْضًا دَرَجَةً منَ الثَّوَاب وَتَقْليدُهُ وَإِنْ كَانَ مُخْطئًا مُوجبٌ للنَّجَاة وَاجْتنَابُ جَمَاعَة يَقُولونَ بحُرْمَة أَطْعمَة الكُفَّار وَأَشْرِبَتهمْ عَنِ ارْتكَاب أَكْلهَا وَشُرْبهَا مُحَال عَاديٌّ خُصُوصًا فِي بلاد الهنْد فَإِنَّ هَذَا الابْتلاء أَكْثَرُ فيهَا وَإِذَا كَانَ فِي مَسْأَلة دينيَّة عُمُومُ البَلوَى فَالأَوْلى أَنْ يُفْتَى بأَسْهَل الأَمْر وَأَيْسرهَا بقَوْل أَيِّ مُجْتَهد كَانَ وَإِنْ لمْ يَكُنْ مُوَافقًا لمَذْهَبه قَال اللهُ تَعَالى {يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ اليُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ}(١) وَقَال تَعَالى {يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا}(٢) وَالتَّضْييقُ عَلى خَلقِ الله وَإِيذَاؤُهُمْ حَرَامٌ وَمُنَافٍ لرِضَا الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَالشَّافعيَّةُ يُفْتُونَ فِي بَعْضِ المَسَائل الذي ضَيَّقَ فيه الإِمَامُ الشَّافعيُّ بمَذْهَب الحَنَفيَّة بأَنَّهَا المُؤَلفَةُ القُلوبَ وَهُمْ مَفْقُودُونَ فِي هَذه الأَيَّام فَأَفْتَى عُلمَاءُ الشَّافعيَّة بمَذْهَب الحَنَفيَّة بأَنَّهَا إِذَا أُدِّيَتْ عَلى أَيِّ صِنْف منْهَا يَكْفِي وَأَيْضًا إِذَا كَانَ المُشْرِكُونَ نَجَسَ العَيْنِ يَنْبَغِي أَنْ لا يُطَهَّرُوا بالإِيمَان أَيْضًا؛ فَعُلمَ أَنَّ كَوْنَهُمْ نَجَسًا إِنَّمَا هُوَ بوَاسطَة خُبْث اعْتقَادهِمِ القَابل للزَّوَال وَمَقْصُورٌ عَلى البَاطنِ الذي هُوَ مَحَل الاعْتقَاد وَنَجَاسَةُ البَاطنِ لا تُنَافي طَهَارَةَ الظَّاهر كَمَا هُوَ مَعْلومٌ للوَضيع وَالشَّريف وَأَيْضًا إِنَّ قَوْلهُ تَعَالى: {إِنَّمَا المُشْرِكُونَ نَجَسٌ}(٣) إِخْبَارٌ عَنْ حَال المُشْرِكينَ وَالإِخْبَارُ لا يَكُونُ نَاسخًا وَلا مَنْسُوخًا فَإِنَّ النَّسْخَ فِي إِنْشَاء حُكْم شَرْعيٍّ لا فِي الإِخْبَار عَنْ شَيْءٍ فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ المُشْرِكُونَ نَجَسًا فِي جَميعِ الأَوْقَات وَيَكُونَ المُرَادُ منَ النَّجَسِ خُبْثَ الاعْتقَاد حَتَّى لا تَتَعَارَضَ الأَدلةُ وَلا يَكُونَ مسَاسُهُمْ

(١) ــ الآية: ١٨٥ من سورة البقرة.

(٢) ــ الآية: ٢٨ من سورة النساء.

(٣) ــ الآية: ٢٨ من سورة التوبة.

مَحْظُورًا في وَقْت منَ الأَوْقَات وَيَوْمَ قَرَأْتُ قَوْلَهُ تَعَالى {وَطَعَامُ الذينَ أُوتُوا الكِتَابَ حِل لكُم}(١) الآيَةَ قُلتُمْ في مُقَابَلته إنَّ المُرَادَ منَ الطَّعَام هُنَا البُرُّ وَالحِمَّصُ وَالعَدَسُ فَلَوْ قَبل هَذَا التَّوْجيهَ أَهْل العُرْف فَمَا المُضَايَقَةُ وَلكِنْ لا بُدَّ منَ الإنْصَاف وَالمَقْصُودُ الأَصْليُّ منْ هَذَا التَّصْديق وَإطَالة

الكَلام هُوَ أَنَّهُ يَنْبَغي أَنْ يُرْحَمَ الخَلقُ وَأَنْ لا يُحْكَمَ بعُمُوم نَجَاسَتهمْ وَأَنْ لا يُعْتَقَدَ نَجَاسَةُ أَهْل الإسْلام أَيْضًا بوَاسطَة اخْتلاطهمْ بالكُفْر الذي لا بُدَّ منْهُ وَلا مَهْرَبَ عَنْهُ وَأَنْ لا يَجْتَنبَ عَنْ أَطْعمَة المُسْلمينَ وَأَشْرَبَتهمْ بعلة النَّجَاسَة المُتَوَهَّمَة فَيَحْصُل التَّبَرِّي منَ الكُل منْ هَذه الحُجَّة وَيَظُنُّ ذَلكَ احْتيَاطًا وَالحَال أَنَّ الاحْتيَاطَ في تَرْك هَذَا الاحْتيَاط وَمَاذَا أَكْتُبُ زيَادَةً عَلَى ذَلكَ.

بَثَثْتُ لدَيْكُمْ منْ هُمُومي وَخفْتُ أَنْ ... تَملوا وَإلا فَالكَلامُ كَثيرٌ

وَالسَّلامُ.

---

(١) ــ الآية: ٥ من سورة المائدة.

المَكْتُوبُ الخامِسُ وَالثَّلاثُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة

إلى الخَوَاجَهْ إبْرَاهِيمَ القَبَادَيَانيِّ

فِي بَيَانِ أَنَّ اللهَ تَعَالى أَخْبَرَ بِوَاسِطَةِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ عَنْ ذَاته وَصِفَاته وَأَعْمَالِ العِبَادَةِ المَرْضِيَّةِ وَغَيْرِ المَرْضِيَّةِ الَّتِي لا مَدْخَلَ فِيهَا للعَقْل

الحَمْدُ لله الذي أَنْعَمَ عَلَيْنَا وَهَدَانَا إلى الإِسْلامِ وَجَعَلَنَا مِنْ أُمَّة مُحَمَّد عَلَيْه وَعَلَى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ إنَّ الأَنْبِيَاءَ رَحمَاتٌ للعَالمينَ أَخْبَرَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى بِوَاسطَة بَعْثَة هَؤُلاءِ الأَكَابِرِ عَنْ ذَاته وَصِفَاته لأَمْثَالنَا نَاقصي العُقُول وَقَاصري الإِدْرَاك وَأَطْلَعْنَا عَلَى كَمَالاته الذَّاتيَّة وَالصِّفَاتيَّة بمقْيَاسِ أَفْهَامنَا وَفَرَّقَ مَرَاضيه عَنْ غَيْرِ مَرَاضيه وَمَيَّزَ مَنَافعَنَا الدُّنْيَويَّةَ وَالأُخْرَوِيَّةَ عَنْ مُضَارِّنَا فَلَوْ لَمْ يَكُنْ تَوَسُّطُ وَجُودهمِ الشَّرِيفُ لكَانَت العُقُول البَشَرِيَّةُ عَاجزَةً فِي إِثْبَات الصَّانعِ تَعَالى وَقَاصرَةً فِي إِدْرَاك كَمَالاته تَعَالى وَكَانَتْ قُدَمَاءُ الفَلاسفَة الذينَ يَزْعُمُونَ أَنْفُسَهُمْ أَكَابرَ أَرْبَابَ العُقُول مُنْكَرينَ للصَّانعِ عَزَّ وَجَل وَكَانُوا يَنْسُبُونَ الأَشْيَاءَ إلى الدَّهْرِ منْ نُقصَان عُقُولهمْ، وَمُجَادَلَةُ النَّمْرُودِ الذي كَانَ سُلطَانَ جَميعِ أَهْلِ الأَرْضِ مَعَ الخَليل عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ فِي إِثْبَات خَالق السَّموَات وَالأَرْضِ مَشْهُورَةٌ وَفي القُرْآن المَجيد مَذْكُورَةٌ وَقَال فرْعَوْنُ المَخْذُول {مَا عَلمْتُ لَكُمْ منْ إله غَيْري}[1].

وَقَال أَيْضًا خطَابًا لمُوسَى عَلَيْه السَّلامُ: {لئنِ اتَّخذْتَ إلهًا غَيْري لأَجْعَلَنَّكَ منَ المَسْجُونينَ}[2] وَقَال أَيْضًا لهَامَان {يَا هَامَانُ ابْنِ لى صَرْحًا لعَلي أَبْلغُ الأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّموَات فَأَطَّلعَ إلى إله مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذبًا}[3]

وَبالجُمْلَـــــة: إنَّ العَقْل قَاصرٌ فِي إِثْبَات هَذه الدَّوْلة العُظْمَى لا يَكَادُ يَهْتَدي إِلَيْهَا بدُون هدَايَة هَؤُلاء الأَكَابرِ وَلَمَّا اشْتَهرَتْ دَعْوَةُ الأَنْبِيَاء عَلَيْهم الصَّلوَاتُ وَالتَّسْليمَاتُ إلى الله الذي هُوَ خَالقُ الأَرْضِ وَالزَّمَان وَالسَّموَات وَتَوَاتَرَتْ وَعَلتْ كَلمَاتُهُمْ وَارْتَفعَتْ اطَّلعَ سُفَهَاءُ كُل وَقْت كَانَ لَهُمْ تَرَدُّدٌ فِي ثُبُوتِ الصَّانعِ عَلى

(١) ــ الآية: ٣٨ من سورة القصص.

(٢) ــ الآية: ٢٩ من سورة القصص.

(٣) ــ الآية: ٣٨ من سورة القصص.

قَبَائحهمْ وَقَالوا بوُجُود الصَّانع بلا اخْتيَار وَجَعَلوا الأَشْيَاءَ مُسْتَندَةً إليْه تَعَالى وَهَذَا نُورٌ مُقْتَبَسٌ منْ أنْوَار الأَنْبيَاء وَنعْمَةٌ مُسْتَفَادَةٌ منْ مَوَائدهمْ عَلَيْهمُ الصَّلوَاتُ وَالتَّسْليمَاتُ إلى يَوْم التَّنَاد بَل إلى أَبَد الآبَاد وَكَذَلكَ سَائرُ السَّمْعيَّات بَلغَتْنَا بتَبْليغ الأَنْبيَاء عَلَيْهمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ منْ وُجُود صفَاته تَعَالى الكَاملة وَبَعْثَة الأَنْبيَاء وَعصْمَة المَلائكَة عَلَيْهمُ السَّلامُ وَمنَ الحَشْر وَالنَّشْر وَمنْ وُجُود الجَنَّة وَالنَّار وَالتَّنْعيم وَالتَّعْذيب الدَّائمَيْن وَأَمْثَالها ممَّا نَطَقَتْ به الشَّريعَةُ وَالعَقْل قَاصرٌ عَنْ إدْرَاكه وَنَاقصٌ في إثْبَاته منْ غَيْر سَامعٍ منْ هَؤُلاء الأَكَابر لا اسْتقْلال لهُ في شَيْءٍ منْهَا وَكَمَا أَنَّ طَوْرَ العَقْل وَرَاءَ طَوْر الحس حَيْثُ يُدْرَكُ بالعَقْل مَا لا يُدْرَكُ بالحس طَوْرُ النُّبُوَّة أَيْضًا وَرَاءَ طَوْر العَقْل يُدْرَكُ بهَا مَا لا يُدْرَكُ بالعَقْل وَمَنْ لَمْ يُثْبتْ للمَعْرفَة طَريقًا وَرَاءَ طَوْر العَقْل فَهُوَ في الحَقيقَة مُنْكرٌ لطَوْر النُّبُوَّة وَمُصَادفٌ للبَدَاهَة فَلا بُدَّ منْ وُجُود الأَنْبيَاء ليَدُلُوا عَلى كَيْفيَّة أَدَاء شُكْر النِّعَم الذي هُوَ وَاجبٌ عَقْلاً وَليُظْهرُوا تَعْظيمَ مَوْلى النِّعَم جَل وَعَلا المُتَعَلق بالعلم وَالعَمَل المُتَلقَّى منْ قبَله سُبْحَانَهُ فَإنَّ التَّعْظيمَ الذي لَمْ يَكُنْ مُسْتَفَادًا منْ عنْده سُبْحَانَهُ لا يَكُونُ لائقًا بأَدَاء شُكْره تَعَالى فَإنَّ القُوَّةَ البَشَريَّةَ عَاجزَةٌ عَنْ إدْرَاكه بَل كَثيرًا مَا يُظَنُّ غَيْرُ تَعْظيمه تَعَالى تَعْظيمًا فَيُعْدَل عَن الشُّكْر إلى الهَجْو وَطَريقُ اسْتفَادَة تَعْظيمه سُبْحَانَهُ منْ حَضْرَته تَعَالى وَتَقدَّسَ مَقْصُورٌ عَلى النُّبُوَّة وَمُنْحَصرٌ في تَبْليغ الأَنْبيَاء عَلَيْهمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالالهَامُ الذي هُوَ للأَوْليَاء عَلَيْهمْ

السَّلامُ مُقْتَبَسٌ مَنْ أَنْوَار النُّبُوَّة وَمُسْتَفَاضٌ منْ بَرَكَات مُتَابَعَة الأَنْبيَاء وَفُيُوضهَا فَلوْ كَانَ العَقْل كَافيًا في هَذَا الأَمْر لَمَا بَقيَ فَلاسفَةُ اليُونَان الذينَ جَعَلوا مُقْتَدَاهُمْ عُقُولَهُمْ في تيه الضَّلالة وَلعَرَفُوا الحَقَّ سُبْحَانَهُ قَبْل كُل النَّاس وَالحَال أَنَّ أَشَدَّ النَّاس جَهَالةً في ذَات الحَقِّ وَصفَاته سُبْحَانَهُ هُوَ هَؤُلاء حَيْثُ زَعَمُوا الحَقَّ سُبْحَانَهُ فَارغًا وَمُعَطَّلاً وَلَمْ يَجْعَلوا غَيْرَ شَيْءٍ وَاحد مُسْتَندًا إليْه تَعَالى وَهُوَ أَيْضًا بالإيجَاب لا بالاخْتيَار وَنَحَتُوا منْ عنْدهمْ عَقْلاً فَاعلاً وَنَسَبُوا الحَوَاسَّ إليْه مَانعينَ إيَّاهَا منْ خَالق السَّموَات وَالأَرْض وَصَرَفُوا الأَثَرَ عَنَ المُؤَثِّر الحَقيقيِّ جَل شَأْنُهُ وَزَعَمُوهُ أَثَرَ مَنْحُوتهمْ فَإنَّ المُعَوَّل عنْدَهُمْ أَثَرَ العلة القَريبَة لا يَرَوْنَ للعلة البَعيدَة تَأْثيرًا في حُصُول المَعْلول وَزَعَمُوا عَدَمَ اسْتنَاد الأَشْيَاء إليْه سُبْحَانَهُ مَنْ جَهْلهمْ كَمَالاً لَهُ سُبْحَانَهُ وَظَنُّوا التَّعْطيل تَبْجيلاً إيَّاهُ وَالحَال أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ يَمْدَحُ نَفْسَهُ

بخَلق السَّموَات وَالأَرض وَيَقُول في مَدح نَفسه {رَبُّ المَشْرق وَالمَغرب}(١) وَلا احْتيَاجَ لهَؤُلاء السُّفَهَاء إلى حَضْرَة الحَقِّ سُبْحَانَهُ بزَعْمِهِم الفَاسِد أَصْلاً وَلا التجَاءَ لَهُمْ إلَيْه تَعَالى قَطعًا يَنْبَغي لَهُم أَنْ يُرَاجعُوا وَقتَ الاضْطرَار وَالاحْتيَاج إلى العَقْل الفعَّال وَأَنْ يَطْلُبُوا قَضَاءَ حَوَائجهمْ منْهُ بَل لا يُتَصَوَّرُ طَلَبُ قَضَاء الحَاجَة منَ العَقْل الفعَّال أَيْضًا لكَوْنه مُوجبًا وَمُضْطَرًّا غَيْرَ مُخْتَار في زَعْمهمْ أَنَّ الكَافرينَ لا مَوْلَى لَهُمْ وَمَا هُوَ العَقْل الفَعَّال حَتَّى يُدَبِّرَ الأَشْيَاءَ وَتَكُونَ الحَوَادثُ مُسْتَندَةً إلَيْه وَفي نَفْس وُجُوده وَثُبُوته الفُ كَلمَة فَإنَّ تَحَقُّقَهُ وَحُصُولَهُ مُبْتَنٍ عَلَى المُقَدِّمَات المُمَوَّهَة الفَلسَفيَّة التي هيَ غَيْرُ تَامَّة عَلَى الأُصُول الإسْلاميَّة وَالأَبْلَهُ مَنْ يَصْرفُ اسْتنَادَ الأَشْيَاء عَنَ القَادر المُخْتَار جَل شَأْنُهُ وَيَجْعَلهَا مُسْتَندَةً إلى مَنْحُوت الفَلسَفيِّ بَل الأَشْيَاءُ تَكُونُ رَاضيَةً وَمَسْرُورَةً بعَدَمهَا وَلا تَميل إلَى الوُجُود أَصْلاً منْ فَضيحَة اسْتنَاد وُجُودهَا إلى مَجْعُول الفَلسَفيِّ وَخَوْف الحرْمَان منْ سَعَادَة الانْتسَاب إلى قُدْرَة القَادر المُخْتَار جَل سُلطَانُهُ {كَبُرَتْ كَلمَةً تَخرُجُ منْ أَفْوَاههمْ إنْ يَقُولونَ إلا كَذبًا}(٢)، وَكُفَّارُ دَار الحَرْب مَعَ وُجُود عبَادَة الأَصْنَام أَحْسَنُ حَالاً منْ هَذه الجَمَاعَة فَإنَّهُمْ يَلتَجئُونَ إلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ في المَضَايق وَلا يَجْعَلونَ أَصْنَامَهُمْ غَيْرَ وَسَائل الشَّفَاعَة عنْدَهُ تَعَالى وَأَعْجَبُ منْ هَذَا أَنَّ جَمَاعَةً يُسَمُّونَ هَؤُلاء السُّفَهَاء حُكَمَاءَ وَيَنْسُبُونَ أَقْوَالهُمْ إلى الحكْمَة وَأَكْثَرُ أَحْكَامهم سيَّمَا في الإلهيَّات التي هيَ المَقْصدُ الأَسْنَى كَاذبَةٌ وَمُخَالفَةٌ للكتَاب وَالسُّنَّة فَبأَيِّ اعْتبَار يُطْلَقُ الحُكَمَاءُ عَلَى هَؤُلاء الذينَ لا نَصيبَ لَهُمْ غَيْرَ الجَهْل المُرَكَّب اللهُمَّ إلا إذَا قيل عَلَى سَبيل التَّهَكُّم وَالاسْتهْزَاء وَيُعَدُّ منْ قَبيل إطْلاق البَصَر عَلى الأَعْمَى

وَجَمْعٌ منْ هَذه السُّفَهَاء اخْتَارُوا طَريقَ الرِّيَاضَات وَالمُجَاهدَات منْ غَيْر التزَام طَريق الأَنْبيَاء عَلَيْهمُ السَّلامُ بَل بمُجَرَّد تَقْليد وَاعْتَمَدُوا عَلى مَنَامَاتهمْ وَخَيَالاتهمْ وَجَعَلوا كُشُوفَهُم الخَياليَّة مُقْتَدَاهُمْ في سَائر حَالاتهمْ ضَلوا فَأَضَلوا وَلَمْ يَعْلمُوا أَنَّ ذَلكَ الصَّفَاءَ هُوَ صَفَاءُ النَّفْس الذي يُؤَدِّي إلى طَريق الضَّلالة لا صَفَاءُ القَلب الذي هُوَ رَوْزَنَةُ الهدَايَة فَإنَّ صَفَاءَ القَلب مَنُوطٌ بمُتَابَعَة الأَنْبيَاء عَلَيْهمُ الصَّلوَاتُ وَالتَّسْليمَاتُ وَتَزْكيَةُ النَّفْس مَرْبُوطَةٌ بصَفَاء القَلب وَسيَاسَته إيَّاهَا وَحُكْمُ

---

(١) ــ الآية: ٢٨ من سورة الشعراء، والآية: ٩ من سورة المزمل.

(٢) ــ الآية: ٥ من سورة الكهف.

تَصْفِيَة النَّفْسِ مَعَ وُجُود ظلِّيَّة القَلْب الذي هُوَ مَحَل ظُهُور أَنْوَارِ القِدَمِ كَحُكْمِ إِسْرَاجِ سِرَاجٍ لِنَهْبِ العَدُوِّ الذي هُوَ في الكَمِينِ وَهُوَ إِبْلِيسُ اللعينُ.

وَبالجُمْلَة: إنَّ طَرِيقَ الرِّيَاضَة وَالمجَاهَدَة كَطَرِيقِ النَّظَرِ وَالاسْتِدْلال إنَّمَا يُعْتَبَرُ وَيُعْتَمَدُ عَلَيْه إِذَا كَانَ مَقْرُونًا بتَصْدِيق الأَنْبيَاء عَلَيْهمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْليمَاتُ الذينَ يُبَلغُونَ الأَمَانَةَ منْ قبَل الحَقِّ جَل وَعَلا وَمُؤَيَّدُونَ بتَأْييده سُبْحَانَهُ وَمُعَامَلتُهُمْ مَحْفُوظَةٌ منْ كَيْد اللعين وَمَكْرِه بنُزُول المَلائكَة المَعْصُومين {إنَّ عبَادي لَيْسَ لكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ}(١). نَقَدَ وَقْتَهُمْ وَهَذه الدَّوْلَةُ لَمْ تَتَيَسَّرْ لغَيْرِهمْ وَلَمْ يَحْصُلْ لَهُمْ التَّخَلصُ منْ شرْك اللعين إلا إذَا التَزَمَ مُتَابَعَةَ هَؤُلاء الأَكَابر وَمَشَى عَلى آثَارِهمْ عَلَيْهمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْليمَاتُ.

وَمنَ المُحَال المَشْيُ في طَرِيق الصَّفَا ... يَا سَعْدَ مَنْ غَيْرَ أَتْبَاعِ المُصْطَفَى

عَلَيْه وَعَلى جَميع إخْوَانه الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْليمَاتُ العُلى سُبْحَانَ الله إنَّ أَفْلاطُونَ الذي هُوَ رَئيسُ الفَلاسفَة أَدْرَكَ دَوْلَةَ بعْثَة عيسَى عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَلَمْ يُصَدِّقْهُ زَعْمًا منْهُ بجَهَالَته أَنَّهُ مُسْتَغْنٍ عَنْهُ وَلَمْ يَنَل نَصيبًا منْ بَرَكَات النُّبوَّة {وَمَنْ لَمْ يَجْعَل اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ منْ نُورٍ}(٢) قَال اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالى {لَقَدْ سَبَقَتْ كَلمَتُنَا لعبَادنَا المُرْسَلينَ إنَّهُمْ لَهُمُ المَنْصُورُونَ وَإنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الغَالبُونَ}(٣) وَالعَجَبُ أَنَّ طَوْرَ عُقُول الفَلاسفَة النَّاقصَة كَأَنَّهُ وَاقعٌ عَلى طَرَف نَقيضِ طَوْر النُّبوَّة في المَبْدَأ وَفي المَعَاد وَأَحْكَامُهُمْ مُخَالفَةٌ لأَحْكَام الأَنْبيَاء عَلَيْهمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ فَإنَّهُمْ مَا صَحَّحُوا الإيمَانَ بالله وَلا الإيمَانَ بالآخرَة وَقَالوا بقدَم العَالم وَالحَال أَنَّ الإجْمَاعَ المَتينَ مُنْعَقدٌ عَلى حُدُوث العَالم بجَميع أَجْزَائه وَلَمْ يَقُولوا بانْشقَاق السَّمَوَات وَانْتشَار الكَوَاكب وَانْدكَاك الجبَال وَانْفجَار البحَار المَوْعُودَة في يَوْم القيَامَة وَيُنْكرُونَ حَشْرَ الأَجْسَاد وَيُخَالفُونَ النُّصُوصَ القُرْآنيَّةَ وَمُتَأَخِّرُوهُمَ الذينَ عَدُّوا أَنْفُسَهُمْ دَاخلينَ في زُمْرَة أَهْل الإسْلام رَاسخُونَ في أُصُولهم الفَلسَفيَّة كَمَا هيَ وَقَائلونَ بقدَم السَّمَوَات وَالكَوَاكب وَأَمْثَالهَا وَحَاكمُونَ بعَدَم فَنَائهَا وَهَلاكهَا، قُوَّتُهُمْ تَكْذيبُ النُّصُوص القُرْآنيَّة وَرزْقُهُمْ إنْكَارُ ضَرُوريَّات الدِّين وَالمَسَائل اليَقينيَّة يُؤْمنُونَ بالله وَبرَسُوله وَلا يَقْبَلونَ مَا أَمَرَ اللهُ به وَرَسُولهُ فَهَل تَتَجَاوَزُ السَّفَاهَةُ عَنْ

---

(١) — الآية: ٤٢ من سورة الحجر، والآية: ٦٥ من سورة الإسراء.

(٢) — الآية: ٤٠ من سورة النور.

(٣) — الآية: ١٧١، ١٧٢ من سورة الصافات.

ذلِكَ.

أَكْثَرُ فَلسَفَة جَاسَهَا فَكَذَا جَميعُهُ إذْ كُل لكُل حُكْمُ أَكْثَره

وَهَذه الجَمَاعَةُ صَرَفُوا أَعْمَارَهُمْ في تَعْليم آلة عَاصمَة للذِّهْنِ عَنَ الخَطإِ الفكْريِّ وَتَعْلمَهُ وَدَقَّقُوا فيهَا تدقيقات كَثيرَةً وَلَمَّا بَلغُوا المَقصدَ الأَقْصَى يَعْني مَسَائلَهُ وَالصِّفَات وَالأَفْعَال الوَاجبيَّةَ جَل سُلطَانُهُ ضَيَّعُوا حَوَاسَّهُمْ وَأَضَاعُوا الآلةَ العَاصمَةَ وَخَبَطُوا خَبْطَ عَشْوَاءَ وَبَقُوا في تيه الضَّلالة كَمَنْ يُهَيِّئُ آلات الحَرْب سنينَ ثُمَّ إذَا جَاءَ وَقْتُ الحَرْب يُضَيِّعُ حَوَاسَّهُ وَلا يَسْتَعْمل الآلةَ وَالنَّاسُ يَظُنُّونَ عُلومَ الفَلاسفَة مُتَّسقَةً وَمُنْتَظمَةً وَيَزْعُمُونَهَا مَحْفُوظَةً عَنِ الغَلط وَالخَطَأ وَمَصُونَةً وَعَلى تَقْدير التَّسْليم إنَّمَا يَكُونُ هَذَا الحُكْمُ صَادقًا في عُلومِ اللعَقْل فيهَا اسْتقْلال وَاسْتبْدَادٌ وَهيَ خَارجَةٌ عَنَ المَبْحَث وَدَاخلةٌ في دَائرَة مَا لا يُعْنَى لا تَعَلقَ لَهَا بالآخرَة التي هيَ دَائميَّةٌ وَالنَّجَاةُ الأُخْرَويَّةُ لَيْسَتْ بمَرْبُوطَة بهَا فَإنَّ الكَلامَ إنَّمَا هُوَ في عُلوم العَقْل عَاجزٌ عَنْ إدْرَاكهَا وَقَاصرٌ وَمَرْبُوطَةٌ بطَوْر النُّبُوَّة وَالنَّجَاةُ الأُخْرَويَّة مَنُوطَةٌ بهَا قَال حُجَّةُ الإسْلام الإمَامُ الغَزَاليُّ في رسَالته المُنْقذ عَنَ الضَّلال إنَّ الفَلاسفَةَ سَرَقُوا علمَ الطِّبِّ وَعلمَ النُّجُوم منْ كُتُب الأَنْبيَاء المُتَقَدِّمينَ عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْهمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَاقْتَبَسُوا خَوَاصَّ الأَدْويَة وَغَيْرهَا ممَّا لا سَبيل للعَقْل إلى إدْرَاكه منَ الصُّحُف وَالكُتُب المُنَزَّلة إلى الأَنْبيَاء عَلَيْهمُ السَّلامُ وَسَرَقُوا علمَ تَهْذيب الأَخْلاق عَنْ كُتُب الصُّوفيَّة المُتَأَلهينَ المَوْجُودينَ في كُل عَصْرٍ وَفي أُمَّة كُل نَبيٍّ لتَرْويج أَبَاطيلهمْ فَهَذه العُلومُ الثَّلاثَةُ المُعْتَبَرَةُ لدَيْهمْ كَانَتْ مَسْرُوقَةً وَقَدْ ذَكَرْتُ شمَّةً منْ خَبْطهمْ في العلمِ الإلهيِّ في مَبَاحث الذَّات وَالصِّفَات وَالأَفْعَال الوَاجبيَّة وَفي الإيمَان بالله وَالإيمَان بالآخرَة وَمُخَالفَتهم النُّصُوصَ القُرْآنيَّةَ فيمَا سَبَقَ فَبَقيَ علمُ الهَنْدَسَة وَمثْلهُ ممَّا لهُ نَوْعُ اخْتصَاص به فَلوْ كَانَ مُتَّسقًا وَمُنْتَظمًا فَمَا ذَمُّهُ وَلأَيِّ شَيْءٍ يُحْتَاجُ إليْه وَأَيُّ عَذَاب الآخرَة يَبْعُدُ به وَيَدْفَعُ، عَلامَةُ إعْرَاضِ الله تَعَالى عَنَ العَبْد اشْتغَالهُ بمَا لا يَعْنيه وَكَمَا هُوَ غَيْرُ نَافعٍ في الآخرَة فَهُوَ ممَّا لا يُعْنَى وَعلمُ المَنْطق الذي هُوَ آلةٌ وَقَالوا إنَّهُ عَاصمٌ عَنِ الخَطَإِ لَمْ يَنْفَعْهُمْ وَلَمْ يُخْرجْهُمْ عَنِ الغَلط وَالخَطَأ في المَقْصُود الأَسْنَا كَيْفَ يَنْفَعُ الآخَرينَ وَكَيْفَ يُخَلصُهُمْ عَنِ الخَطإِ {رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلوبَنَا بَعْدَ إذَا هَدَيْتَنَا وَهَبْ لنَا منْ لدُنْكَ رَحْمَةً إنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ}(١)، وَبَعْضُ النَّاسِ الذينَ لَهُمْ رَغْبَةٌ في العُلومِ الفَلسَفيَّة وَمَفْتُونُونَ بالتَّسْويلات الفَلسَفيَّة يَعْتَقدُونَ

---

(١) ـــ الآية: ٨ من سورة آل عمران.

هَذه الجَمَاعَةَ حُكَمَاءَ وَيَزْعُمُونَهُمْ عَديل الأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ بَل يَكَادُونَ يُقَدِّمُونَ عُلومَهُمَ الكَاذِبَةَ بِظَنٍّ أَنَّهَا صَادقَةٌ عَلَى شَرَائِعِ الأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ السَّلامُ أَعَاذَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ عَنِ الاعْتِقَاد السُّوء، نَعَمْ إِذَا اعْتَقَدُوا هَؤُلاء حُكَمَاءَ وَزَعَمُوا عُلومَهُمْ حِكْمَةً يَقَعُونَ فِي هَذَا البَلاء بِالضَّرُورَة فَإِنَّ الحِكْمَةَ عِبَارَةٌ عَنِ العلمِ بِالشَّيْءِ مُطَابقًا لنَفْسِ الأَمْرِ فَتَكُونُ العُلومُ التي خَالفَهَا غَيْرَ مُطَابقَة لنَفْسِ الأَمْرِ

وَبِالجُمْلَة: إِنَّ تَصْديقَ هَؤُلاء وَتَصْديقَ عُلومهِم مُسْتَلزِمٌ لتَكْذيب الأَنْبِيَاء وَتَكْذيب عُلومهم عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالتَّحِيَّاتُ وَهَذَان العلمَان وَاقعَان في طَرَفَي النَّقيضِ فَتَصْديقُ أَحَدهمَا مُسْتَلزمٌ لتَكْذيب الآخَر مَنْ شَاءَ فَلْيَلتَزِمْ ملةَ الأَنْبيَاء يَكُنْ منْ حزْب الله سُبْحَانَهُ وَمنْ أَهْلِ النَّجَاة وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكُنْ مَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ {إِنَّا أَعْتَدْنَا للظَّالمينَ نارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادقُهَا وَإِنْ يَسْتَغيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالمُهْل يَشْوي الوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا}[١]، {وَالسَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[٢] وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى جَميعِ إِخْوَانه منَ الأَنْبِيَاءِ الكرَامِ وَالمَلائكَة العظَامِ أَتَمُّ الصَّلوَاتِ وَأَكْمَل التسليمات وَالسَّلامُ.

---

(١) ــ الآية: ٢٩ من سورة الكهف.

(٢) ــ الآية: ٤٨ من سورة طه.

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالثَّلاثُون بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إِلَى المُلا مُحَمَّد مُرَاد الكشْميِّ الذي هُوَ منْ خدَّام المير مُحَمَّد نُعْمَانَ
فِي بَيَان مَنَاقب أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ وَرَحْمَتهمْ وَرَأْفَتهمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ

قَال اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى {مُحَمَّدٌ رَسُول الله وَالذينَ مَعَهُ أَشدَّاءُ عَلَى الكُفَّار رُحَمَاءُ بَيْنَهُم}(١) الآيَةَ. مَدَحَ اللهُ سُبْحَانَهُ فِي هَذه الآيَة أَصْحَابَ خَيْرِ البَشَر عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ بكَمَال رَحْمَة بَعْضهمْ لبَعْضٍ التي كَانُوا عَلَيْهَا فَإِنَّ الرَّحِيمَ الذي هُوَ وَاحدُ رُحَمَاءَ مُتَضَمِّنٌ للمُبَالَغَة فِي الرَّحْمَة وَحَيْثُ إِنَّ الصِّفَةَ المُشَبَّهَةَ دَلالَةٌ عَلَى الاسْتمْرَار أَيْضًا يَنْبَغي أَنْ يَكُونَ رَحْمَةُ بَعْضهِمْ بَعْضًا عَلَى صفَة الدَّوَام وَالاستمْرَار سَوَاءٌ كَانَ فِي حُضُوره ﷺ أَوْ بَعْدَ ارْتحَاله وَكُل مَا هُوَ مُنَاف لرَحْمَة بَعْضهمْ بَعْضًا يَنْبَغي أَنْ يَكُونَ مَسْلُوبًا عَنْهُمْ عَلَى سَبيل الاسْتمْرَار فَإِنْ كَانَ جَميعُ الصَّحَابَة الكرَامِ مُتَّصفينَ بهَذه الصِّفَة المَرْضيَّة كَمَا هُوَ مُقْتَضَى كَلمَة وَالذينَ التي هِيَ منْ صيَغ العُمُوم وَالاسْتغْرَاق مَاذَا تَقُول منْ أَكَابر الصَّحَابَة فَإِنَّ هَذه الصِّفَةَ تَكُونُ فِيهمْ أَتَمَّ وَأَكْمَل وَأَوْفَى وَلهَذَا قَال ﷺ: "**أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ**"

وَقَال عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ فِي شَأْن الفَارُوق ﷺ لوْ كَانَ بَعْدي نَبيٌّ لكَانَ عُمَرَ " يَعْني أَنَّ لوَازمَ النُّبوَّة وَكَمَالاتهَا كُلهَا حَاصلةٌ فِي عَمَرَ وَلكنْ لمَّا خُتمَ مَنْصبُ النُّبوَّة بخَاتَم الرُّسُل عَلَيْه وَعَلَى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ لمْ يُشرَّفْ بدَوْلة مَنْصب النُّبُوَّة ، وَأَحَدُ لوَازمِ النُّبوَّة كَمَال الرَّحْمَة وَالشَّفَقَة عَلَى الخَلق وَأَيْضًا إِنَّ الرَّذَائل التي تُنَافي الشَّفَقَةَ وَالرَّحْمَةَ وَمنْ ذَمَائمِ الأَخْلاق منَ الحَسَد وَالبُغْض وَالحقْد وَالعَدَاوَة كَيْفَ تُتَصَوَّرُ منْ قَوْم تَشرَّفُوا بشَرَف صُحْبَة خَيْرِ البَشَر عَلَيْه وَعَلَيْهمُ الصَّلوَاتُ وَالتَّسْليمَاتُ فَإِنَّهُمْ أَفْضَل هَذه الأُمَّة التي هِيَ خَيْرُ الأُمَم وَأَسْبَقُ أَهْل هَذه الملة التي هِيَ نَاسخَةٌ لجَميعِ الملل لأَنَّ قَرْنَهُمْ كَانَ خَيْرَ القُرُون وَصَاحبَهُمْ كَانَ أَفْضَل الأَنْبيَاء وَالمُرْسَلينَ فَلوْ كَانُوا مَوْصُوفينَ بهَذه الصِّفَات الرَّديَّة التي عَلَى أَحْقَر هَذه الأُمَّة المَرْحُومَة عَارٌ منْهَا كَيْفَ يَكُونُونَ أَفْضَل هَذه الأُمَّة وَبأَيٍّ وَجْه تَكُونُ هَذه الأُمَّةُ خَيْرَ الأُمَمِ وَأَيُّ مَزيَّةٍ وَأَيُّ فَضيلةٍ تَكُونُ لا سَبَقيَّةُ الإيمَان وَأَوَّليَّةُ إِنْفَاق

---

(١) ـــ الآية: ٢٩ من سورة الفتح.

الأَمْوَال وَبَذْل النَّفسِ وَأَيُّ تَأْثير يَكُونُ لخَيْريَّة القَرْن وَأَيُّ أَثَر يَتَرَتَّبُ عَلى فَضيلة صُحْبَة خَيْر البَشَر عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالذين يَكُونُونَ في صُحْبَة أَوْلِيَاء هَذه الأُمَّة يَنْجُونَ منْ هَذه الرَّذَائل فَكَيْفَ تُتَوهَّمُ هَذه الذَّمَائمُ في حَقِّ جَمَاعَة صَرَفُوا أَعْمَارَهُمْ في صُحْبَة أَفْضَل الرُّسُل عَلَيْه وَعَلَيْهمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْليمَاتُ وَبَذَلوا أَمْوَالهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ لتَأْييد دينه وَنُصْرَة ملته وَإِعْلاء كَلمَته إلا إذَا سَقَطَ عيَاذًا بالله سُبْحَانَهُ عَظَمَةُ خَيْر البَشَر عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَجَلالتُهُ عَن النَّظَر وَتُوهِّمَ أَنَّ صُحْبَتَهُ ﷺ أَنْقَصُ منْ صُحْبَة وَليِّ الأُمَّة نَعُوذُ بالله سُبْحَانَهُ منْهُ وَمنَ المُقرَّر أَنَّهُ لا يَبْلغُ وَليٌّ مِنْ أَوْلياءِ الأُمَّة مَرْتَبَةَ صَحَابيٍّ مِنْ صَحَابَة تلكَ الأُمَّة فَكَيْفَ بمَرْتَبَة نَبيِّهَا.

قَال الشَّيْخُ الشِّبْليُّ عَلَيْه الرَّحْمَةُ: مَا آمَنَ برَسُول الله مَنْ لَمْ يُوَقِّرْ أَصْحَابَهُ

وَجَمَاعَةٌ منَ النَّاس يَظُنُّونَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّبيِّ عَلَيْه وَعَلَيْهمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ كَانُوا فِرْقَتَيْنِ فرْقَةٌ كَانَتْ لهُمْ مُخَالفَةٌ مَعَ عَليٍّ ﷺ وَعَنْهُمْ وَفرْقَةٌ كَانَتْ لهُمْ مُوَافقَة به كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ وَكَانَ في كُل وَاحدَة منْ هَاتَيْن الفرْقَتَيْن عَدَاوَةٌ وَبُغْضٌ وَحقْدٌ في حَقِّ الأُخْرَى وَبَعْضٌ منْهُمْ بَطَنَ صفَاته هَذه تَقيَّةً وَمُلاحَظَةً لبَعْض المَصَالحِ وَزَعَمُوا أَنَّ تلكَ الرَّذَائل امْتَدَّتْ فيهمْ إلى

قَرْن وَاحد وَمَا كَانُوا كَانَتْ فيهمْ هَذه الذَّمَائمُ وَبهَذَا التَّوَهُّم يَذْكُرُونَ مُخَالفي عَليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ بالشَّرِّ وَيَنْسُبُونَ إلَيْهمْ أَشْيَاءَ غَيْرَ مُنَاسبَة يَنْبَغي أَنْ يُنْصفَ فَإنَّهُ عَلى هَذَا التَّقْدير يَكُونُ كلا الفَريقَيْن مَوْردًا للطَّعْن وَمُتَّصفينَ برَذَائل الصِّفَات وَيَصيرُ أَفْضَل هَذه الأُمَّة شَرَّ هَذه الأُمَّة بَل شَرَّ جَميع الأُمَم وَتَتَبَدَّل خَيْريَّةُ تلكَ الفرْقَة بالشَّرِّيَة، أَيُّ إنْصَاف في ذكْر الشَّيْخَيْن رَضيَ اللهُ عَنْهُمَا بسُوء بهَذَا التَّوَهُّم وَنسْبَة أُمُور غَيْر مُنَاسبَة إلى كُبَرَاء الدِّين وَحَضْرَة الصِّدِّيق ﷺ أَتْقَى هَذه الأُمَّة بحُكْم نَصِّ القُرْآن فَإنَّ المُفَسِّرينَ ابْنَ عَبَّاس وَغَيْرَهُ أَجْمَعُوا عَلى أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالى: {وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى}[1] الآيَةَ نَزَل في شَأْن الصِّدِّيق ﷺ وَالمُرَادُ منَ الأَتْقَى هُوَ الصِّدِّيقُ ﷺ فَإذَا قَال اللهُ تَعَالى في حَقِّ شَخْص إنَّهُ أَتْقَى هَذه الأُمَّة التي هيَ خَيْرُ الأُمَمِ يَنْبَغي أَنْ يُتَأَمَّل أَنَّ تَكْفيرَهُ وَتَفْسيقَهُ وَتَضْليلَهُ إلى أَيِّ حَدٍّ منَ الشَّنَاعَة يُوَصِّل.

---

(١) ــ الآية: ١٧ من سورة الليل.

وَاسْتَدَلَ الإِمَامُ الفَخْرُ الرَّازِيُّ بِهَذِه الآيَة الكَرِيمَة عَلى أَفْضَلِيَّة الصِّدِّيق ﷺ فَإِنَّ أَكْرَمَ هَذه الأُمَّة المُخَاطَبَة بِقَوْله تَعَالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُم}(١) بِحُكْمِ هَذه الآيَة هُوَ أَتْقَى هَذه الأُمَّة حَيْثُ كَانَ الصِّدِّيقُ أَتْقَى هَذه الأُمَّة بِنَصِّ القُرْآن يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ أَكْرَمَ هَذه الأُمَّة عنْدَ الحَقِّ جَل وَعَلا بِحُكْمِ النَّصِّ اللاحق هُوَ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ تَعَالى عَنْهُ أَيْضًا وَأَثْبَتَ أَكَابِرُ أَئِمَّة السَّلَف وَاحِدٌ مِنْهُمُ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللهُ تَعَالى عَنْهُمْ إِجْمَاعَ الصَّحَابَة وَالتَّابِعينَ عَلى أَفْضَلِيَّة الشَّيْخَيْن رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَحَكَمَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ أَيْضًا بِأَفْضَلِيَّة الشَّيْخَيْن قَال الذَّهَبِيُّ الذي هُوَ مِنْ أَكَابِرِ المُحَدِّثِينَ رَوَى ذَلكَ عَنْ عَلِيٍّ نَيِّفٌ وَثَمَانُونَ نَفَرًا وَعَبْدُ الرَّزَّاق الذي هُوَ مِنْ أَكَابِرِ الشِّيعَة حَكَمَ بِأَفْضَلِيَّة الشَّيْخَيْنِ بِمُوجب هَذَا النَّقْل وَقَال بِهَذه العبَارَة أُفَضِّلُ الشَّيْخَيْنِ لتَفْضيل عَلِيٍّ إِيَّاهُمَا عَلى نَفْسه وَإِلا لَمَا فَضَّلْتُهُمَا كَفَى بِي وِزْرًا أَنْ أُحِبَّهُ ثُمَّ أُخَالفَهُ فَتَنْقِيصُ مَنْ كَانُوا أَفْضَل هَذه الأُمَّة التي هِيَ خَيْرُ الأُمَمِ بِحُكْمِ الكتَاب وَالسُّنَّة وَإِجْمَاعِ الأُمَّة وَبِاعْتِرَاف عَلِيٍّ أَيْضًا وَتَحْقِيرُهُمْ مِنْ أَيِّ إِنْصَاف وَمِنْ أَيِّ دِيَانَة وَأَيِّ خَيْرٍ مُودَعٍ فِي ضِمْنه فَلَوْ كَانَ فِي سَبِّ أَحَد مَعْنَى الخَيْرِيَّة وَالعبَادَة لَكَانَ فِي سَبِّ أَبِي جَهْل وَأَبِي لَهَب الذينَ هُمَا مَلْعُونَان وَمَطْرُودَان بِحُكْمِ نَصِّ القُرْآن وَلَحَصَل فِي ضِمْنه حَسَنَاتٌ كَثِيرَةٌ أَيُّ خَيْرِيَّة فِي السَّبِّ الذي هُوَ مُتَضَمِّنٌ للفُحْشِ وَالقَطِيعَة خُصُوصًا فِي حَقِّ شَخْصٍ لا يَسْتَحِقُّهُ وَلا يَكُونُ أَهْلاً لَهُ وَوَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضعه ظُلْمٌ وَفَرْقٌ بَيْنَ شَيْءٍ وَشَيْءٍ وَتَفَاوتٌ بَيْنَ مَوْضعٍ فَيَكُونُ بَيْنَ ظُلْمٍ وَظُلْمٍ بَوْنًا بَعِيدًا.

وَخلافَةُ ذِي النُّورَيْنِ ﷺ ثَابِتَةٌ بِإِجْمَاعِ الصَّحَابَة الكرَام وبِإِتفاق صغَار ذَلكَ القَرْن الذي هُوَ خَيْرُ القُرُون وَكبَارِهمْ وَذُكُورِهمْ وَإِنَاثِهمْ وَلِهَذَا قَال العُلَمَاءُ إِنَّ الاتِّفَاقَ وَالإِجْمَاعَ الذي وَقَعَ فِي خلافَة ذِي النُّورَيْنِ لَمْ يَتَّفقْ فِي خلافَة أَحَد مِنْ سَائِرِ الخُلَفَاء الثَّلاثَة فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَ فِي بَدْء خلافَته نَوْعُ تَرَدُّدٍ رَاعَى أَهْلُ ذَلكَ القَرْن فِي تلكَ المَادَّة احْتِيَاطًا كَثِيرًا ثُمَّ أَقْدَمُوا عَلَيْهَا.

يَنْبَغِـــي أَنْ يُعْلَـــمَ: أَنَّ الأَصْحَابَ الكرَامَ رَضِيَ اللهُ تَعَالى عَنْهُمْ بَلغُوا الكتَابَ وَالسُّنَّةَ وَكَانَ الإِجْمَاعُ أَيْضًا مَنُوطًا بِقَرْنِهِمْ فَلَوْ كَانَ جَمِيعُهُمْ أَوْ بَعْضُهُمْ

(١) ــ الآية: ١٣ من سورة الحجرات.

مُتَّصفِينَ بِالضَّلالة وَالفسْقِ يَرْتَفِعُ الاعْتِمَادُ عَنْ كُل الدِّينِ أَوْ بَعْضِه وَتَكُونُ فَائِدَةُ بَعْثَة خَاتَمِ الأَنْبِيَاءِ وَأَفْضَل

الرُّسُل قَليلةً وَجَامِعُ القُرْآن المَجيد هُوَ حَضْرَةُ عُثْمَان بَل حَضْرَةُ الصِّدِّيق وَحَضْرَةُ الفَارُوق رَضيَ اللهُ تَعَالى عَنْهُمْ فَلوْ كَانَ هَؤُلاء مَطْعُونًا فيهِمْ ومسْلوبي العَدَالة أَيُّ اعْتِمَاد يبْقَى عَلى القُرْآن وَبِأَيِّ شَيْءٍ يَكُونُ الدِّينُ قَائمًا يَنْبَغي أَنْ يُتَأَمَّل فِي شَنَاعَة هَذَا الأَمْرِ ، أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ كُلهُمْ عُدُول وَكُل مَا بَلغَنَا بِتَبْليغهِمْ حَقٌّ وَصِدْقٌ وَالمُخَالفَاتُ وَالمُنَازَعَاتُ الوَاقِعَةُ فِي زَمَنِ خِلافَة عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ تَعَالى عَنْهُ لَمْ تَكُنْ مِنْ جِهَةِ الهَوَى وَالهَوَسِ وَلا لأَجْل حُبِّ الجَاه وَالرِّيَاسَة بَل كَانَتْ عَلى وَجْه الاجْتِهَاد وَالاسْتِنْبَاط وَإِنْ كَانَ فِي اجْتِهَاد وَاحد منْهُمْ خَطَأٌ وَاسْتِنْبَاطُهُ بَعِيدًا عَنِ الصَّوَاب وَمِنَ المُقَرَّر عِنْدَ عُلمَاء أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة رَضِيَ اللهُ تَعَالى عَنْهُمْ أَنَّ المُحِقَّ فِي تلكَ المُحَارَبَات وَالمُشَاجَرَات كَانَ عَلِيًّا كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ وَمُخَالفُوهُمْ كَانُوا عَلى خَطَإٍ وَلكنْ لمَّا كَانَ مَنْشَأُ هَذَا الخَطَإِ الاجْتِهَادَ كَانَ صَاحِبُهُ بَعِيدًا عَنِ الطَّعْنِ وَالمَلامَة عَليْه وَالمَقْصُودُ حَقِّيَّةُ جَانب عَلِيٍّ وَخَطَأُ جَانب مُخَالفيه.

وَأَهْلُ السُّنَّة قَائلونَ بِذَلكَ وَاللعْنُ وَالطَّعْنُ زِيَادَةٌ بِلا فَائدَة بَل مُتَضَمِّنَةٌ لاحْتِمَال الضَّرَر فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّبيِّ ﷺ وَرَضِيَ عَنْهُمْ وَبَعْضُهُمْ مُبَشَّرٌ بِالجَنَّة وَبَدْرِيٌّ مَغْفُورٌ لهُ وَالعَذَابُ الأُخْرَوِيُّ مَرْفُوعٌ عَنْهُ كَمَا وَرَدَ فِي الأَحَاديث الصِّحَاحِ " أَنَّ اللهَ اطَّلعَ عَلى أَهْل بَدْرٍ فَقَال اعْمَلوا مَا شِئْتُمْ فَإِنِّي غَفَرْتُ لكُم ".

وَبَعْضُهُمْ تَشَرَّفَ بِبَيْعَة الرِّضْوَان وَقَدْ قَال النَّبِيُّ ﷺ: "لا يَدْخُل النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَة " بَل قَال العُلمَاءُ يُفْهَمُ مِنَ القُرْآن المَجيد أَنَّ جَميعَ الصَّحَابَة منْ أَهْل الجَنَّة لقَوْله تَعَالى: {لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْل الفَتْحِ وَقَاتَل أُولئكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الذينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلوا وَكُلاً وَعَدَ اللهُ الحُسْنَى وَاللهُ بِمَا تَعْمَلونَ خَبِير}(١) وَالحُسْنَى هُوَ الجَنَّةُ فَكَل صَحَابِيٌّ أَنْفَقَ وَقَاتَل قَبْل الفَتْحِ وَبَعْدَهُ مَوْعُودٌ لهُ بِالجَنَّة قَالوا إِنَّ صِفَةَ الإِنْفَاق وَالقتَال لَيْسَتْ للتَّقْييد بَل للمَدْحِ فَإِنَّ جَميعَ الصَّحَابَة كَانُوا مُتَّصفينَ بِهَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ فَكُلهُمْ يَكُونُونَ مَوْعُودًا لهُمْ بِالجَنَّة فَيَنْبَغي المُلاحَظَةُ إِنَّ ذكْرَ أَمْثَال هَؤُلاءِ الأَكَابِرِ بِشَرٍّ وَسُوءِ الظَّنِّ بِهِمْ فَكَيْفَ يَكُونُ مِنَ الإِنْصَاف وَالدِّيَانَة.

---

(١) ـــ الآية: ١٠ من سورة الحديد.

فَإِنْ قِيــــل: قَال جَمَاعَةٌ إِنَّ بَعْضَ الأَصْحَاب الكِرَام لَمْ يَبْقَ بَعْدَ ارْتِحَاله ﷺ عَلَى ذَلكَ الطَّرِيق بَل انْحَرَفَ مِنْ طَرِيقِ الحَقِّ بِوَاسطَة حُبِّ الخلافَة وَطَلَب الجَاه وَالرِّيَاسَة وَغَصَبَ عَنْ عَليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ مَنْصبَ الخَلافَة بَل يَظُنُّونَ أَنَّ انْحِرَافَهُ بَلغَ حَدَّ الكُفْر وَالضَّلالة فَيَكُونُ هَؤُلاء المَذْكُورُون بِزَعْم هَذه الجَمَاعَة مَحْرُومِينَ عَمَّا وُعدَ به الأَصْحَابُ الكِرَامُ فَإِنَّ نَيْل فَضِيلة الصُّحْبَة فَرْعُ تَحَقُّق الإِسْلام فَإِذَا كَانَ فِي إِسْلامِهِمْ كَلامٌ كَيْفَ يَكُونُ للصُّحْبَة تَأْثِيرٌ:

أُجِيــــب: أَنَّ الخُلَفَاءَ الثَّلاثَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ مُبَشَّرُونَ بِالجَنَّة ثَبَتَ ذَلكَ بِأَحَاديث صَحِيحَة بَلغَتْ حَدَّ التَّوَاتُر المَعْنَوِيِّ فَاحْتِمَال الكُفْر وَالضَّلالة مَدْفُوعٌ عَنْهُمْ وَالشَّيْخَان مِنْ أَهْل بَدْرٍ وَهُمْ مَغْفُورٌ لَهُمْ مُطْلَقًا عَلى مَا فِي الأَحَاديث الصِّحَاحِ وأَيْضًا إِنَّهُمْ مِنْ أَهْل بَيْعَة الرِّضْوَان وَهُمْ مِنْ أَهْل الجَنَّة بِأَحَاديث صَحِيحَة كَمَا مَرَّ وَعُثْمَانُ لَمْ يَحْضُرْ بَدْرًا ؛ لأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَرَكَهُ فِي المَدِينَة لِتَمْرِيض أَهْله بِنْت النَّبِيِّ ﷺ قَائلاً " بأَنَّ لك مِنَ الأَجْر مَا لأَهْل بَدْرٍ " وَلَمْ يَحْضُرْ بَيْعَةَ الرِّضْوَان " لأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ أَرْسَلَهُ إِلى مَكَّةَ عِنْدَ قُرَيْشٍ وَبَايَعَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ بِنَفْسه " كَمَا هُوَ مَشْهُورٌ وأَيْضًا إِنَّ القُرْآنَ المَجِيدَ يَشْهَدُ بِجَلالة شَأْن هَؤُلاء الأَكَابِر وَيُخْبِرُ عَنْ عُلوِّ دَرَجَاتِهِمْ فَمَنْ أَغْمَضَ عَنِ الكِتَاب وَالسُّنَّة فَهُوَ خَارِجٌ عَنَ المَبْحَث قَال الشَّيْخُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ.

مَنْ لَمْ يَقِفْ عِنْدَ الكِتَاب وَسُنَّة فَجَوَابُهُ أَنْ لا تُجِيبَ وَتَسْكُتَا

أَيُّ بَلاءٍ وَقَعَ لوْ كَانَ فِي الصِّدِّيقِ احْتِمَال الكُفْر وَالضَّلالة لَمَا أَجْلَسَهُ الصَّحَابَةُ مَعَ عَدَالَتِهِمْ وَكَثْرَتِهِمْ مَكَانَ النَّبِيِّ صَلى اللهُ وَسَلمَ وَفِي تَكْذِيب خلافَة الصِّدِّيق تَكْذِيبُ ثَلاث وَثَلاثِينَ الفًا وَمِنْ أَهْل ذَلكَ القَرْن الذي هُوَ خَيْرُ القُرُون وَلا يُجَوِّزُ ذَلكَ مَنْ لهُ أَدْنَى دِرَايَة ، أَيُّ خَيْرٍ يَبْقَى فِي قَرْن يَجْتَمِعُ مِنْ أَهْله ثَلاثٌ وَثَلاثُونَ الفًا عَلى البَاطِل وَيُجْلِسُونَ مَكَانَ النَّبِيِّ ﷺ ضَالاً وَمُضِلاً رَزَقَ اللهُ سُبْحَانَهُ لِهَؤُلاء الجَمَاعَة الإِنْصَافَ حَتَّى يَكُفُّوا لِسَانَهُمْ عَن الطَّعْن فِي أَكَابر الدِّين وَيُرَاعُوا حَقَّ صُحْبَة النَّبِيِّ ﷺ قَال عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ " اللهَ اللهَ فِي أَصْحَابِي لا تَتَّخذُوهُمْ غَرَضًا مِنْ بَعْدي مَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُم " مَاذَا أَكْتُبُ زِيَادَةً عَلى ذَلكَ وَكَيْفَ أَجْلي أَجْلى البَدِيهَات وَالقُرْآنُ المَجِيدُ مَمْلوءٌ بِمَدْح الصِّدِّيق نَزَلتْ فِيه سُورَةُ الليْل وَآيَاتٌ أُخَرُ وَرُوِيَ فِي كَمَالاته

وَفَضَائله منَ الأَحَاديث الصِّحَاحِ مَا لا يُعَدُّ وَلا يُحْصَى وَوَرَدَ في كُتُب الأَنْبيَاء المُتَقَدِّمينَ ذكْرُ شَمَائله وَأَوْصَافه بَل ذكْرُ جَميع الصَّحَابَة كَمَا قَال اللهُ تَعَالى: {مَثَلهُمْ فِي التَّوْرَاة وَمَثَلهُمْ فِي الإِنْجيل}(١) وَرَأْسُ هَذه الأُمَّة المَرْحُومَة التي الأُمَمُ وَرَئيسُهُمْ هُوَ الصِّدِّيقُ فَإِذَا رَمَوْهُ بالكُفْرِ وَالضَّلالة بمَا يَعْتَذرُونَ في حَقِّ غَيْره وَبأَيِّ طَريق يَتَكَلمُونَ {اللهُمَّ فاطرَ السَّمَوَات وَالأَرْضَ عَالمَ الغَيْب وَالشَّهَادَة أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عبَادكَ فيمَا كَانُوا فيه يَخْتَلفُونَ}(٢) {وَالسَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}(٣) وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَليْه وَعَلى آله أَتَمُّ الصَّلوَات وَأَكْمَل التَّسْليمات.

---

(١) ـــ الآية: ٢٩ من سورة الفتح.

(٢) ـــ الآية: ٤٦ من سورة الزمر.

(٣) ـــ الآية: ٤٨ من سورة طه.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالثَّلاثُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى المُلا طاره البدخشي
في بَيَانِ النَّتَائِجِ وَتَرَقِّي المَرَاتِب التي تَحْصُل مِنَ الذِّكْرِ وَتِلاوَة القُرْآن وَأَدَاء الصَّلاة

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى:

لا بُدَّ لمُبْتَدئ طَلَبَة هَذه الطَّرِيق منَ الذِّكْر فَإنَّ تَرَقِّيه مَرْبُوطٌ بتَكْرَار الذِّكْر بشَرْط أَنْ يَأْخُذَهُ منَ الشَّيْخ الكَامل المُكَمِّل فَإنْ لَمْ يَكُنْ بهَذَا الشَّرْط فَكَثيرًا مَا يَكُونُ منْ قَبيل أَوْرَاد الأَبْرَار التي نَتيجَتُهَا الثَّوَابُ لا دَرَجَةُ القُرْب التي تَتَعلقُ بالمُقَرَّبينَ وَإنَّمَا قُلتُ كَثيرًا إمَّا يَكُونُ منْ قَبيل أَوْرَاد الأَبْرَار فَإنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُرَبِّي فَضْل الحَقِّ جَل سُلطَانُهُ الطَّالبَ بلا تَوَسُّط شَيْخ وَيَجْعَلهُ تَكْرَارُ الذِّكْر منَ المُقَرَّبينَ بَل يَجُوزُ أَنْ يَتَشرَّفَ بمَرَاتب القُرْب منْ غَيْر تَكْرَار ذكْر أَيْضًا وَيَكُونَ منْ أَوْليَائه تَعَالى وَالشَّرْطُ المَذْكُورُ إنَّمَا هُوَ باعْتبَار الأَكْثَر الأَغْلَب وَعَلى وَفْق المُحْكَمَة وَالعَادَة فَإذَا تَمَّتَ المُعَامَلةُ التي كَانَتْ مَرْبُوطَةً بالذِّكْر بفَضْل الله سُبْحَانَهُ وَتَيَسَّرَ الخَلاصُ منَ التَّعَلق بآلهَة الهَوَى وَصَارَت الأَمَارَةُ مُطَمْئنَةً فَحينَئذ لا يَحْصُل التَّرَقِّي دُونَ الذِّكْر وَيَكُونُ حُكْمُ الذِّكْر حُكْمَ أَوْرَاد الأَبْرَار وَقَطْعُ مَرَاتب القُرْب في ذَلكَ المَوْطن مَرْبُوطٌ بتلاوَة القُرْآن وَأَدَاء الصَّلاة بطُول القُنُوت وَمَا كَانَ يَتَيَسَّرُ أَوَّلاً بالذِّكْر يَتَيَسَّرُ بتلاوَة القُرْآن خُصُوصًا إذَا كَانَتْ في الصَّلاة.

وَبالجُمْلة: إنَّ الذِّكْرَ حينَئذ يَكُونُ حُكْمُهُ حُكْم تلاوَة القُرْآن في الابْتدَاء في كَوْنه منْ قَبيل أَوْرَاد الأَبْرَار وَيَكُونُ حُكْمُ التِّلاوَة حُكْمَ الذِّكْر في الابْتدَاء وَالوَسَط حَيْثُ كَانَ منَ المُقَرَّبَات وَالعَجَبُ أَنَّ الذِّكْرَ إذَا كُرِّرَ في ذَلكَ الوَقْت بعُنْوَان تلاوَة القُرْآن لكَوْنه منْ كَلمَات الآيَات القُرْآنيَّة وَشَرَعَ فيه بالاسْتعَاذَة يَتَرَتَّبُ عَليْه منَ الفَائدَة مَا يَتَرَتَّبُ عَلى تلاوَة القُرْآن فَإنْ لَمْ يُكَرَّرْ بعُنْوَان القرَاءَة يَكُونُ مثْل عَمَل الأَبْرَار وَلكُل عَمَل مَقَامٌ وَمَوْسمٌ فَإنْ أُدِّيَ في مَوْسمه يَكُونُ لَهُ حُسْنٌ وَمَلاحَةٌ وَإلا فَكَثيرًا مَا يَكُونُ خَطَأً وَإنْ كَانَ حَسَنَةً في ذَاته أَلَا تَرَى أَنَّ قرَاءَةَ الفَاتحَة في التَّشَهُّد خَطَأً وَإنْ كَانَتْ أُمَّ الكتَاب فَكَانَ الشَّيْخُ في هَذَا الطَّرِيق

مِنَ الضَّرُورِيَّاتِ وَتَعْليمُهُ مِنْ أَهَمِّ الْمُهِمَّاتِ وَبِدُونِهِ خَرْطُ القَتَادِ قَال وَاحِدٌ مِنَ الأَعِزَّةِ.

مِنْ أَجْلِ كَوْنكَ فِي البِدَايَةِ أَحْوَلا لا بُدَّ مِنْ شَيْخٍ يَقُودُك أَوَّلا

{وَالسَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}(١).

(١) ـــ الآية: ٤٨ من سورة طه.

المَكْتُوبُ الثَّامنُ وَالثَّلاثُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى السَّيِّد مُحَمَّد نُعْمَانَ
فِي بَيَانِ أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ كَمَا هُوَ مَوْجُودٌ بذَاته لا بالوُجُود حَيٌّ وَعَالِمٌ وَمَوْصُوفٌ بالصِّفَات الثَّمَانيَة بذَاته لا بِصفَاتٍ زَائدَةٍ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلكَ

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى:

العلمُ أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ كَافٍ بذَاته القُدْسِ في نَفْسِ الوُجُود وَفي سَائرِ كَمَالاتِ الوُجُود وَتَوَابعه منَ الحَيَاة وَالعلمِ وَالقُدْرَة وَالسَّمْعِ وَالبَصَرِ وَالإرَادَة وَالكَلامِ وَالتَّكْوينِ لَيسَ بمُحْتَاجٍ في حُصُول هَذه الكَمَالات إلى صفَات زَائدَة وَإنْ كَانَتْ لَهُ سُبْحَانَهُ صفَاتٌ كَاملَةٌ زَائدَةٌ أَيْضًا فَهُوَ تَعَالى كَمَا أَنَّهُ مَوْجُودٌ بذَاته الأَقْدَسِ لا بالوُجُود حَيٌّ بذَاته لا بالحَيَاة التي هيَ صفَتُهُ تَعَالى عَالمٌ بذَاته لا بصفَة العلمِ يَصيرُ بذَاته لا بصفَة الإرَادَة وَمُتَكَلمٌ بذَاته لا بصفَة الكَلامِ وَمُبْدئُ إيجَاد الكَائنَات بذَاته لا بصفَة التَّكْوينِ وَإنْ كَانَ وُجُودُ العَالَم بتَوَسُّط التَّكْوينِ وَسَائرُ الصِّفَات كَمَا سَيَجيءُ تَحْقيقُ هَذَا المَعْنَى وَهَذَا التَّكْوينُ وَرَاءَ القُدْرَة فَإنَّ في القُدْرَة صحَّةَ الفعْلِ وَالتَّرْك وَفي التَّكْوينِ جَانبُ الفعْل مُتَعَيِّنٌ وَأَيْضًا للقُدْرَة تَقَدُّمٌ عَلى الإرَادَة وَالتَّكْوينُ بَعْدَ الإرَادَة وَهَذَا التَّكْوينُ شَبيهٌ باسْتطَاعَة العَبْد التي قَال عُلمَاءُ أَهْل الحَقِّ إنَّهَا مَقْرُونَةٌ بالفعْلِ وَوَرَاءَ القُدْرَة وَالإرَادَة القُدْرَةُ مُصَحِّحَةٌ لكلا طَرَفي الفعْل وَالتَّرْك وَالإرَادَةُ مُرَجِّحَةٌ لأَحَد الطَّرَفَيْن.

وَالإيجَادُ يَتَعَلقُ بالتَّكْوينِ بَعْدَ تَرْجيحِ الإرَادَة فَلوْ لَمْ تَثْبُت القُدْرَةُ التي هيَ مُصَحِّحَةُ الطَّرَفَيْنِ يَلزَمُ الإيجَابُ وَلوْ لَمْ يُثْبَت التَّكْوينُ يَلزَمُ الإيجَادُ منْ غَيْرِ مُسْتَنَد فَإنَّ القُدْرَةَ مُصَحِّحَةُ الإيجَاد وَالتَّكْوينُ مُبَاشرُ الإيجَاد فَلا بُدَّ إذًا منْ إثْبَات التَّكْوينِ وَقَد اهْتَدَى إليْه عُلمَاءُ المَاتريديَّة وَلمَّا وَجَدَ الأَشَاعرَةُ إضَافَتَهُ وَتَعلقَهُ إلى الأَشْيَاء أَكْثَرَ ظَنُّوهُ منَ الصِّفَات الإضَافيَّة وَاللهُ يُحقُّ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدي السَّبيل وَإرْجَاعُ التَّخلقِ وَالتَّرْزيقِ وَالإحْيَاء وَالإمَاتَة وَأَمْثَالهَا إلى صفَة التَّكْوينِ أَحْسَنُ منَ القَوْل بكَوْن كُل منْهَا صفَةً قَديمَةً برَأْسهَا لئَلا يَلزَمَ إثْبَاتُ قُدَمَاءَ مُتَكَثِّرَة منْ غَيْرِ ضَرُورَة ، فَلاحَ منْ هَذَا البَيَانِ أَنَّ مَا يَتَيَسَّرُ لغَيْره تَعَالى بإيجَاده سُبْحَانَهُ بوَاسطَة الصِّفَات حَاصلٌ لهُ تَعَالى

بذَاته مِنْ غَيْرِ تَوَسُّط الصِّفَات فإنَّ ذَاتَهُ تَعَالى جَامعَةٌ لجَميعِ الكَمَالات مِنْ غَيْرِ مُلاحَظَةِ أَمْرٍ وَاعْتبَارٍ بَل هيَ عَيْنُ كُل كَمَال فإنَّ التَّبعُّضَ وَالتَّجزِّيَ مَفْقُودٌ في حَضْرَته فَهُوَ سُبْحَانَهُ عَالمٌ بتَمَام ذَاته وَسَميعٌ بالتَّمَامِ وَبَصيرٌ بالتَّمَام عَلى هَذَا القيَاسِ سَائرُ الصِّفَات وَمَعَ ذَلكَ لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى صفَاتٌ سَبْعَةٌ بَل ثَمَانيَةٌ كَمَا قَالَ بهَا عُلَمَاءُ أَهْل الحَقِّ شَكَرَ اللهُ تَعَالى سَعْيَهُمْ وَهَذه الصِّفَاتُ الكَاملةُ القَديمَةُ ظلال تلكَ الكَمَالات الذَّاتيَّة وَمَظَاهرُهَا وَيُمْكنُ أَنْ يُقَال إنَّهَا نقَابُ تلكَ الكَمَالات وَحُجُبُ أَنْوَارهَا المَكْنُونَة.

فَإنْ قيــــل: إذَا كَانَ ذَاتُهُ تَعَالى كَافيَةً في حُصُول جَميع الكَمَالات فَلأيِّ شَيْءٍ تَثْبُتُ الصِّفَاتُ وَلَمْ يُقَال بوُجُود تَعَدُّد القُدَمَاء وَلهَذا اكْتَفَى الفَلاسفَةُ وَالمُعْتَزلَةُ بالذَّات وَهَرَبُوا منَ القَوْل بتَعَدُّد القُدَمَاء وَقَالوا بنَفْي الصِّفَات:

أُجيـــــب: أَنَّ حَضْرَةَ الذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ وَإنْ كَانَتْ كَافيَةً في حُصُول الكَمَالات وَلكنْ لا بُدَّ في تَكْوينِ الأَشْيَاء وَتَخْليقهَا منَ الصِّفَات الزَّائدَة فَإنَّ ذَاتَهُ تَعَالى في نهَايَة التَّنزُّه وَالتَّقَدُّس وَفي غَايَة العَظَمَة وَجَلال الكبْرِيَاء وَكَمَال الغنَاء لا مُنَاسَبَةَ لَهَا بالأَشْيَاء إنَّ اللهَ لَغَنيٌّ عَنِ العَالَمينَ، وَبمُقْتَضَى الحكْمَة وَوَفْق العَادَة لا بُدَّ في الإفَادَة وَالإفَاضَة منَ المُنَاسَبَة للمُسْتَفيد وَالمُسْتَفيض وَالصِّفَاتُ قَدْ تَنَزَّلَتْ دَرَجَةً وَاحدَةً وَحَصَلَتْ ظلِّيَّةٌ وَمُنَاسَبَةٌ بالأَشْيَاء وَلَوْ في الجُمْلَة فَلَوْ لَمْ يَكُنْ تَوَسُّطُ الصِّفَات لَمَا يُتَصَوَّرُ حُصُول شَيْءٍ منَ الأَشْيَاء فَإنَّهُ لا نَصيبَ للأَشْيَاء في سَطْوَة أَشعَّة أَنْوَار حَضْرَة الذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ غَيْرَ الهَلاك وَالفَنَاء وَالانْمحَاء وَالانْعدَام وَلا فكْرَ فيمَنْ يَنْسُبُ إيجَادَ الأَشْيَاء إلى الذَّات البَحْت منْ غَيْرِ إثْبَات الصِّفَات وَمَا هُوَ الصَّادرُ الأَوَّل حَتَّى لا يَكُونَ مُضْمَحلاً وَمُتَلاشيًا في سبَحَات وَجْه ذَاته تَعَالى.

فَإنْ قيــــل: إنَّ الفَلاسفَةَ وَالمُعْتَزلَةَ وَإنْ لَمْ يُثْبتُوا الصِّفَات في الخَارجِ وَلكنَّهُمْ قَائلونَ باعْتبَارَات علميَّة وَمُثْبتُونَ لكَمَالات ذَاتيَّة مُتَمَايزَة في العلم فَلَمْ يَكُنْ إيجَادُ الأَشْيَاء مَنْسُوبًا إلى الذَّات البَحْت بَل بتَوَسُّط الاعْتبَارَات:

أُجيـــــب: إنَّ إيجَادَ العَالَم في الخَارجِ وَالعَالَمُ مَوْجُودٌ في الخَارجِ فَلا بُدَّ منَ الحُجُب الخَارجيَّة حَتَّى يُمْكنَ أَنْ تَكُونَ وَسيلةً لوُجُود الأَشْيَاء في الخَارجِ وَحَافظَةً إيَّاهَا عَنِ الانْمحَاء وَالاسْتهْلاك، وَالاعْتبَارَاتُ العلميَّةُ لا تُجْدي شَيْئًا في الوُجُودَات الخَارجيَّة وَلا يَكْفي الحجَابُ العلميُّ في مُحَافَظَة المَوْجُودَات الخَارجيَّة،

وَبَعْضُ الصُّوفِيَّة الذينَ لا يَقُولونَ بوُجُود العَالَمِ فِي غَيْرِ العِلمِ لعَل الاعْتِبَارَاتِ العلميَّةَ تَنفَعُهُمْ وَيُمكِنُ أَنْ تَكُونَ وَسِيلةً لوُجُودَات علميَّة وَلكنَّ العَالَمَ مَوْجُودٌ فِي الخَارِجِ وَإِنْ كَانَ هَذَا الخَارِجُ ظِل ذَلكَ الخَارِجِ وَهَذَا الوُجُودُ ظِل ذَاكَ الوُجُود فَلا بُدَّ مِنَ الحُجُب الخَارجيَّة حَتَّى يُمْكِنَ أَنْ تَكُونَ وَسِيلةً لوُجُود العَالَم فِي الخَارِجِ فَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الصِّفَاتُ الحَقيقيَّةُ مَوْجُودَةً فِي الخَارِجِ وَمُرَبِّيَةً للأَشْيَاء وَمُجْليَةً للكمَالات الذَّاتيَّة بوَسَاطَة نَفْسهَا فِي مَرَايَا العَالَم وَمُورِّدَةً إيَّاهَا فِي منَصَّة الظُّهُور وَالصِّفَاتُ وَإِنْ كَانَتْ حَجْبًا للذَّات تَعَالتْ وَلكنَّ ظُهُورَ الكَمَالات الذَّاتيَّة مَرْبُوطٌ بوُجُودهَا وَحجَابيَّةُ الصِّفَات كَحجَابيَّة المُنظَّرَة التي هِيَ سَبَبٌ للإرَاءَة وَهَذَا الظُّهُورُ وَإِنْ كَانَ ظليًّا وَلكنْ مَاذَا نَصْنَعُ قَدْ جُعل وُجُودُنَا مَرْبُوطًا بالظِّل ٩ وَتَحقُّقُنَا مَنُوطًا بالحجَاب مَا بالذَّات لا يَنفَكُّ عَنَ الذَّات، (ع):

سياهي أزحبشى كى رودكه خودرنك است

وَمنْ بَعْد هَذَا مَا يَدقُّ صفَاتُهُ وَمَا كَتمَهُ أَحْظَى لديَّ وَأَجْمَل

العَبْدُ لا يَكُونُ حَقًّا سُبْحَانَهُ وَلكنْ بفَضْله تَعَالى لا يَنْفَكُّ عَنِ الحَقِّ جَل شَأْنُهُ " المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَب " وَإِنْ كَانَتْ لهُ سُبْحَانَهُ نسْبَةُ المَعيَّة بجَميعِ الأَشْيَاء وَلكنَّ هَذه المَعيَّةَ التي مَنْشَؤُهَا المَحبَّةُ غَيْرُ تلكَ المَعيَّة وَمَنْ لا مَحبَّةَ لهُ لا مَعْرفَةَ لهُ بتلكَ المَعيَّة وَحَيْثُ إنَّ الدَّرَجَات مُتَفَاوتَةٌ فِي المَحبَّة فَالتَّفَاوُتُ أَيْضًا حَاصِل فِي المَعيَّة بقَدْرِ تَفَاوُت المَحبَّة وَهَذه المَعيَّةُ هِيَ السَّبَبُ للتَّخلص عَنَ الظِّليَّة وَالوَاسطَة للاضْمحْلال بالكُليَّة وَهِيَ المُزيلةُ للرِّقيَّة وَالمُثْبتَةُ للحُرِّيَّة فِي عَيْنِ العَبْديَّة وَهِيَ المُسْقطَةُ للأَنَانيَّة بَل الرَّافعَةُ للأَنَانيَّة إلى الدَّرَجَات الكَماليَّة.

يَنْبَغِي أَنْ يُعلَم: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ قَال فِي المَعيَّة العَامَّة بالأَشْيَاء وَهُوَ مَعَكُمْ فَأَثْبَتُ المَعيَّةَ فِي طَرَفه سُبْحَانَهُ وَفِي المَعيَّة الخَاصَّة بحُكْم " المَرْء مَع مَنْ أَحبَّ " أَثْبَتَ المَعيَّةَ فِي هَذَا الطَّرَف بمُقْتَضَى المَحبَّة شَتَّانَ مَا بَيْنَ المَعيَّتَيْنِ فَإنَّ فِي المَعيَّة الخَاصَّة إثْبَاتَ المَعيَّة منَ الطَّرَفَيْنِ وَفِي المَعيَّة العَامَّة منْ ذَاكَ الطَّرْف فَقَطْ فَيلزَمُهَا الحرْمَانُ فِي عَيْنِ الوجْدَان {يَا حَسْرَتنَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْب الله}[1] ، وَالعَالَمُ وَإِنْ كَانَ ظلال الصِّفَات وَعَرَضَ لهُ الوُجُودُ وَالبَقَاءُ بتَوَسُّط الصِّفَات وَلكنْ مُحبُّ حَضْرَة الذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ بتَوَسُّط المَحبَّة الذَّاتيَّة مَعَ حَضْرَة الذَّات تَعَالتْ قَدْ تَرَقَّى مِنَ الصِّفَاتِ التي هِيَ أُصُولهُ بعُرُوجٍ لا كَيْفيٍّ وَاتَّصَل بأَصْل الأُصُول مُتَجَاوزًا

(١) ــ الآية: ٥٦ من سورة الزمر.

الأُصُول وَلكنَّ اتِّصَالهُ لا كَيْفيَّ فَلوْ لَمْ يَترَقَّ عَنْ أَصْله فَمَا تَكُونُ الفَائدَةُ في مَجيئه يَعْني وَجُودَهُ وَمَا الحَاجَةُ إلى المَحبَّة فَإنَّهُ كَانَ لهُ اتِّصَال بأَصْله في جَميع الأَوْقَات وَكَانَ الوَصْل الظِّليُّ مُيسَّرًا لهُ دَائمًا وَالأَمْرُ هُوَ جَعْل الأَصْل مُرقَّاةً كَالظِّل والتَّرقِّي بأَجْنحَة المَحبَّة إلى مَا فَوْقَهُ وَفَهْمُ هَذَا العُرُوج ليْسَ ممَّا يَحْصُل في حَوْصَلة فَهْم كُل أَحَدَ والتَّرقِّي عَنْ نَفْسه تَاركًا لنَفْسه ليْسَ ممَّا يَكُونُ مَعْقُولاً لأَرْبَاب النَّظَر وَالفكْر بَل الصُّوفيَّةُ أَيْضًا يُشرَّفُ منْهُمْ بهَذه الدَّوْلة وَاحدٌ منْ أُلوف وَيَنْكَشفُ لهُ سرُّ هَذَا المُعمَّى

هزار نكتهء باريك ترز موئ اينجاست   نه هركه سر بترا شد قلندرى داند

فَإنْ قيــــــل: إنَّ هَذَا السَّيْرَ هَل هُوَ آفاقيٌّ وَأَنْفسيّ

أُجيـــــــب: أَنَّهُ ليْسَ بآفَاقيٍّ وَلا أَنْفَسيٍّ فَإنَّ المُرَادَ منَ الآفَاق وَالأَنْفس الدَّاخل وَالخَارجُ وَهَذه المُعَامَلةُ وَرَاءَ الدُّخُول وَالخُرُوج وَإنْ كَانَتْ مُحَالاً عنْدَ أَرْبَاب النَّظَر فَإنَّهُ إذَا كَانَ المَطْلوبُ أَقْدَسَ منَ الدُّخُول وَالخُرُوج وَتَكُونُ النِّسْبَةُ مَعَهُ أَيْضًا مُنَزَّهَةً عَن الدُّخُول وَالخُرُوج بالضَّرُورَة وَهَذَا كسير الدهلي وَأَكْرَهُ وَكُل مَنْزل مُمْتَازٌ عَنْ مَنْزل آخرَ.

تَنْبيــــــهٌ: إنَّ العَالَمَ وَإنْ كَانَ ظلال الصِّفَات وَالصِّفَاتُ ظلال حَضْرَة الذَّات وَلكنْ للظِّليَّة دَرَجَاتٌ وَمَرَاتبُ كُل منْهَا حجَابٌ للمَطْلوب، " إنَّ للهِ سَبْعينَ الفَ حجَاب منْ نُور وَظُلمَة " وَمَا لَمْ تُخْترَقَ الحُجُبُ بالتَّمَام لا يُتَخلصُ منَ الظِّليَّة وَالمُرَادُ منْ خَرْق الحجَاب هُنَا خَرْقٌ شُهُوديٌّ وَمَا وَرَدَ في آخر هَذَا الخَبَر منْ مَنْع خَرْق جَميع الحُجُب فَالمُرَادُ منْهُ خَرْقٌ وُجُوديٌّ وَهُوَ مُمْتَنعٌ لأَنَّهُ مُسْتَلزمٌ لرَفْع الصِّفَات القَديمَة وَهُوَ مُحَال وَلكنْ إذَا حَصَلت المَعيَّةُ الغَيْرُ المُتَكيِّفَة فَلهَا حُكْمُ الخَرْق الوُجُوديِّ وَمَعَ الحُجُب كَأَنَّهُ لا حُجُبَ فَإنَّ للمَعيَّة دقَّةً بحَيْثُ لا تُطيقُ الحَائل {رَبَّنَا أَتْممْ لنَا نُورَنَا وَاغْفرْ لنَا إنَّكَ عَلى كُل شَيْءٍ قَديرٍ}[1] الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمينَ وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلى سَيِّد المُرْسَلينَ وَعَليْهمْ وَعَلى آله الطَّاهرينَ أَجْمَعينَ.

---

(١) ـــ الآية: ٨ من سورة التحريم.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالثَّلاثُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَةِ
إلى المُلا عَليٍّ الكَشْميٍّ
فِي بَيَانِ أَنَّ اللائقَ بالعَبْدِ أَنْ يَخْرُجَ عَنْ مُرَادَاتِه بالتَّمَامِ وأَنْ يَكُونَ عَلى مُرَادِه سُبْحَانَهُ وتَعَالى مَعَ بَيَانِ المَرَضِ الذَّاتِيِّ وَالعَرَضِيِّ

يَنْبَغِي للعَبْدِ أَنْ لا يَكُونَ لَهُ مُرَادٌ وَمَطْلوبٌ غَيْرَ مَوْلاهُ عَزَّ وَجَل وَغَيْرَ مُرَادِه أَصْلاً فَلوْ لَمْ يَكُنْ كَذَلكَ فَهُوَ مُخرِجٌ رَأْسَهُ عَنْ رِبقَة العُبُوديَّة وَقَدَمَهُ عَنْ قَيْد الرِّقِّيَّة وَالعَبْدُ إِذَا كَانَ فِي أَسْرِ مُرَادَات نَفْسه وَمُنْخَدعًا بهوَاهُ وَهَوَسه فَهُوَ عَبْدُ نَفْسه وَفي طَاعَة الشَّيْطَان اللعين وَتلكَ الدَّوْلَةُ المَذْكُورَةُ مَرْبُوطٌ حُصُولُهَا بحُصُول الوِلايَة الخَاصَّة المَرْبُوط حُصُولُهَا بالفَنَاء الأَتَمِّ وَالبَقَاء الأَكْمَل.

فَإنْ قِيـــــل: رُبَّمَا تَظْهَرُ المُرَادَاتُ وَالمُقْتَضَيَاتُ منَ الكُمَّل أَيْضًا وَيَحْصُل تَمَنِّيَاتُ حُصُول مَطَالب شَتَّى منَ الكُبَرَاء الأُوَل وَكَانَ إِمَامُ الأَنْبيَاء وَسُلطَانُ الأَوْليَاء عَلَيْه وَعَلَيْهِمْ أَتَمُّ الصَّلوَات وَأَكْمَل التَّسْليمات يُحبُّ المَاءَ البَاردَ وَالحَلوَى وَحرْصُهُ عَلى هدَايَة الأُمَّة مُبَيَّنٌ فِي القُرْآنِ المَجيد فَمَا يَكُونُ وَجْهُ بَقَاء أَمْثَال هَذه المُقْتَضَيَات فِي هَؤُلاء الأَكَابِر:

أُجيــــــبَ: إنَّ بَعْضَ المُقْتَضَيَات مَنْشَؤُهَا الطَّبيعَةُ فَمَا دَامَتْ نَشْأَةُ الطَّبيعَة قَائمَةً فتلكَ المُقْتَضَيَاتُ بَاقيَةٌ فَإنَّ الطَّبيعَةَ مَائلَةٌ إلى البُرُودَة وَقْتَ الحَرَارَة منْ غَيْرِ اخْتيَارٍ وَرَغْبَة إلى الحَرَارَة وَقْتَ البُرُودَة بالاضْطرَار، وَمثْل هَذَا الاقْتضَاء لا يُنَافِي العُبُوديَّةَ وَلاَ هُوَ سَبَبُ التَّعَلق بالهَوَى وَالهَوَسِ فَإنَّ ضَرُوريَّات الطَّبيعَة خَارجَةٌ منْ دَائرَة التَّكْليف وَلَيْسَتْ هيَ منْ هَوَى النَّفْسِ الأَمَّارَة فَإنَّ مَيلانَ النَّفْس إمَّا إلى فُضُول المُبَاح أَوْ إلى المُشْتَبه وَالمُحرَّمِ وَمَا هُوَ ضَرُوريٌّ لا مَدْخَل فيه للنَّفْسِ فَظَهَرَ أَنَّ مَنْشَأَ التَّعَلقِ وَالتَّعَوُّق هُوَ الاشْتغَال بفُضُوليَّات الأَفْعَال وَإنْ كَانَتْ مَنْ قسْمِ المُبَاحِ فَإنَّ لفُضُول المُبَاحِ نسْبَةَ قُرْب الجوَارِ بالمُحَرَّم فَلوْ رَفَعَ قَدَمَهُ منْهُ بإغْوَاء العَدُوِّ اللعين لِيَضَعَ فِي المُحرَّم بلا اخْتيَارِ فَكَانَ الاقْتصَارُ عَلى المُبَاحِ ضَرُوريًّا فَإنْ لوْ رَفَعَ القَدَمَ منْهُ يُوضَعُ فِي فُضُول المُبَاحِ بخلاف مَا إذَا أَقَامَ فِي فُضُول المُبَاحِ أَوْ لا فَإنَّهُ لوْ وَقَعَ القَدَمُ خَارِجَهُ ليَقَعُ فِي المُحَرَّم كَمَا مَرَّ آنفًا.

وَظُهُورُ بَعْضِ المُرَادَات رُبَّمَا يَكُونُ بِسَبَبِ مِنْ خَارِجٍ مَعَ خُلوصِ الشَّخْصِ فِي نَفْسِه عَنِ المُرَادَات وَهَذَا السَّبَبُ الخَارِجُ إمَّا وَاعِظُ الرَّحْمَنِ فَيَلقَى الخَيْرَات فَإِنَّ لله سُبْحَانَهُ وَاعِظًا فِي قَلْبِ كُلِ مُؤْمِنٍ أَوِ الشَّيْطَانُ فَيَلقَى الشُّرُورَ وَالعَدَاوَةَ ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إلا غُرُورًا﴾(١) وَهَذَا الفَقِيرُ كَانَ يَوْمًا بَعْدَ صَلاة الصُّبْحِ قَاعِدًا بِطَرِيقِ السُّكُوت كَمَا هُوَ شِيمَةُ أَهْلِ هَذه الطَّرِيقَة العَلِيَّة أَيَّامَ إقَامَتِي فِي القَلعَة فَهَجَمَ عَلَيَّ الخَاطِرُ تَمَنِّيَاتٌ لا طَائل فِيهَا وَسَلَبَت الحَلاوَةَ بِهُجُومِهَا وَمَنَعَتْ مِنَ الجَمْعِيَّة ثُمَّ رَجَعَتَ الجَمْعِيَّةُ بَعْدَ لَمْحَة بعنَايَة الله سُبْحَانَهُ إلى حَالهَا فَرَأَيْتُ أَنَّ تلكَ التَّمَنِّيَات خَرَجَتْ مِنَ الخَاطِرِ وَارْتَفَعَتْ كَقِطَعِ السَّحَاب وَخَرَجَتْ مِنَ البَاب مَعَ مُلقِيهَا وَخَلَتَ البَيْتَ عَنْهَا فَعُلمَ فِي ذَاكَ الوَقْت أَنَّ تلكَ المُرَادَات إنَّمَا ظَهَرَتْ مِنْ خَارِجٍ لا مِنْ دَاخلٍ حَتَّى تُنَافِيَ العُبُودِيَّةَ.

وَبالجُمْلَة: إنَّ كُل فَسَاد مَنْشَئُوهُ النَّفْسُ الأَمَّارَةُ فَهُوَ مَرَضٌ ذَاتِيٌّ وَسُمٌّ قَاتِل وَمُنَاف لمَقَامِ العُبُودِيَّة وَكُل فَسَاد حَصَلَ مِنْ خَارِجٍ وَلوْ كَانَ بِالقَاءِ الشَّيْطَان فَهُوَ مِنَ الأَمْرَاضِ العَارِضَة الزَّائلة بِأَدْنَى العلاجِ قَال الله تَبَارَكَ وَتَعَالى ﴿إنَّ كَيْدَ الشَّيْطَان كَانَ ضَعِيفًا﴾(٢) وَبَلاؤُنَا إنَّمَا هُوَ أَنْفُسُنَا وَعَدُوُّ أَرْوَاحنَا مُصَاحِبُنَا السُّوءُ وَالعَدُوُّ الخَارجيُّ يَسْتَوْلى عَليْنَا بِمَدَده إيَّاهُ وَيُزِيلنَا عَنْ مَنْزلتنَا بِإعَانَته إليْه وَأَشَدُّ الأَشْيَاء جَهَالةً هُوَ النَّفْسُ الأَمَّارَةُ فَإِنَّهَا عَدُوُّ نَفْسِهَا وَمُرِيدَةٌ بِالسُّوءِ إِيَّاهَا وَهِمَّتُهَا إهْلاكُ نَفْسِهَا
وَمُتَمَنَّاهَا مَعْصِيَةُ رَبِّهَا الذِي هُوَ مَوْلاهَا وَوَلِيُّ نِعَمِهَا وَإطَاعَةُ الشَّيْطَانِ الذِي هُوَ عَدُوُّهَا.

يَنْبَغِـــي أَنْ يُعلَـــــم: أَنَّ التَّمْييزَ بَيْنَ المَرَضِ الذَّاتيِّ وَالعَرَضِيِّ وَمَعْرِفَة الفَسَاد الدَّاخليِّ وَالخَارجيِّ فِي غَايَة التَّعَذُّرِ وَرُبَّمَا يَظُنُّ النَّاقصُ نَفْسَهَ كَاملاً بزَعْمِ أَنَّ مَرَضَهُ عَارِضِيٌّ لا ذَاتِيٌّ فَيَبْقَى فِي الخَسَارَة الأَبَدِيَّة وَمِنْ هَذَا الخَوْف لَمْ أَجْتَرِئْ فِي تَحْرِيرِ هَذَا السِّرِّ وَلَمْ أَسْتَحْسِنْ إظْهَارَ هَذَا المَعْنَى وَكُنْتُ فِي هَذَا الاشْتبَاه مُدَّةَ سَبْعَةَ عَشَرَ سَنَةً وَوَجَدْتُ الفَسَادَ الذَّاتيَّ مُخْتَلطًا بِالفَسَاد العَارِضِيِّ وَفِي هَذَا الوَقْت مَيَّزَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ الحَقَّ مِنَ البَاطل وَأَبَانَ الفَسَادَ الذَّاتيَّ مِنَ الفَسَاد العَارِضيِّ لله سُبْحَانَهُ الحَمْدُ وَالمنَّةُ عَلى ذَلكَ وَعَلى جَمِيعِ نَعْمَائه وأَحد بِأَسْبَاب إظْهَارِ أَمْثَال هَذه

---

(١) ـــ الآية: ١٢٠ من سورة النساء.

(٢) ـــ الآية: ٧٦ من سورة النساء.

الأَسْرَارِ ، وَحِكْمَةٌ مِنْ حِكَمِه الإشْفَاقُ عَلى قَاصِرِ النَّظَرِ لِئَلا يُظَنَّ الكَامِل نَاقِصًا بِوُجُودِ أَمْثَالِ هَذه التَّمَنِّيَات وَالمُرَادَات الخَارِجِيَّة فيه فَيُحْرَمَ مِنْ بَرَكَاته وَكَانَ سَبَبُ حِرْمَانِ الكُفَّارِ مِنْ دَوْلَة تَصْديق الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وُجُودُ أَمْثَال هَذه الصِّفَاتِ فِيهِمْ ﴿فَقَالوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا﴾[1] وَمَا قيل إنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ يَجْعَلِ العَارِفَ بَعْدَ زَوَالِ المُرَادَات وَالمُقْتَضَيَات عَنْهُ صَاحِبَ إرَادَة وَاخْتِيَارٍ فَتَفْصِيلهُ يُذْكَرُ وَيُحَرَّرُ بعنَايَة الله تَعَالى فِي مَحَلٍ آخَرَ وَهَذَا الوَقْتُ لا يُسَاعِدُ ذَلِكَ ﴿وَالسَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى﴾[2] وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى آله أَتَمُّ الصَّلَوَات وَأَكْمَلُ التَّسْلِيمَات.

---

(١) ــ الآية: ٦ من سورة التغابن.

(٢) ــ الآية: ٤٨ من سورة طه.

المَكْتُوب الأربعون بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى المُلا صَالِح التُّرْك
في بَيَانِ كَيْفِيَّة التَّصْديقِ عَنْ أَرْوَاحِ المَوْتَى

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى:

وَقَعَ يَوْمًا في الخَاطِرِ أَنْ أَتَصَدَّقَ عَنْ أَرْوَاحِ بَعْضِ الأَقَارِبِ المَوْتَى فَظَهَرَ في ذَلكَ الأَثْنَاء أَنَّهُ قَدْ حَصَلَ الفَرَحُ وَالسُّرُورُ لذَلكَ المَيِّت المَرْحُومِ بمُجَرَّد هَذه النِّيَّة وَظَهَرَ في النَّظَرِ فَرحًا وَمَسْرُورًا وَلمَّا جَاءَ وَقْتُ إعْطَاء تلكَ الصَّدَقَة قَصَدْتُ بهَا أَوَّلاً رُوحَانيَّةَ خَاتَمِ الرُّسُلِ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ كَمَا كَانَ ذَلكَ عَادَتي ثُمَّ رُوحَانيَّةَ ذَلكَ المَيِّت فَأَحْسَسْتُ في ذَلكَ المَيِّت في ذَاكَ الوَقْت غَمًّا وَحُزْنًا وَظَهَرَ بالوَحْشَة وَالكُدُورَة فَحَصَلَ لى تَعَجُّبٌ تَامٌّ منْ مُشَاهَدَة هَذَا الحَال؛ لأَنَّهُ لَمْ يَظْهَرْ وَجْهُ تَكَدُّره وَوَحْشَته مَعَ أَنَّهُ كَانَ مَحْسُوسًا أَنَّهُ قَدْ حَصَلَ لهُ منْ تلكَ الصَّدَقَة بَرَكَاتٌ عَظيمَةٌ وَلَمْ يَظْهَرْ فيه أَثَر فَرَحٍ وَسُرُورٍ وَكَذَلكَ نَذَرْتُ يَوْمًا مَبْلَغًا لرُوحَانيَّته ﷺ وَأَدْخَلتُ في ذَلكَ النَّذْرِ سَائرَ الأَنْبيَاء الكرَام عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْهمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ فَلَمْ يُعْلَمْ مَرْضَاةُ ﷺ في ذَلكَ الأَمْرِ وَكَذَلكَ إذَا أَشْرَكْتُ سَائرَ الأَنْبيَاء نَبيِّنَا عَلَيْهمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ في الصَّلوَات في بَعْضِ الأَوْقَات لا يَظْهَرُ رضَاهُ ﷺ مَعَ أَنَّهُ قَدْ عُلمَ أَنَّهُ إذَا تَصَدَّقْتُ عَنْ رُوحَانيَّة وَاحد وَأَشْرَكْتُ فيهَا جَميعَ المُؤْمنينَ يَصل ثَوَابُهَا إلى الكُل منْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ شَيْءٌ منْ ثَوَاب الشَّخْصِ المَنْويِّ عَنْهُ ﴿إنَّ رَبَّك وَاسعُ المَغْفرَة﴾(١) فَمَا يَكُونُ وَجْهُ التَّكَدُّرِ وَعَدَم الرِّضَاء في ذَلكَ التَّقْدير وَبَقيَ هَذَا الإشْكَال مُدَّةً فَظَهَرَ آخرَ الأَمْرِ بفَضْل الله سُبْحَانَهُ أَنَّ وَجْهَ التَّكَدُّرِ وَالحُزْن هُوَ أَنَّ الصَّدَقَةَ إذَا تُصدِّقَ بهَا عَنَ المَيِّت بلا شَرِكَة يَحْمل ذَلكَ المَيِّتُ تلكَ الصَّدَقَةَ منْ جَانبه إلى مُلازَمَة النَّبيِّ ﷺ بطَريقِ الهَدِيَّة وَيَأْخُذُ عَنْهُ ﷺ فُيُوضًا وَبَرَكَات بوَسَاطَتهَا بخلاف مَا إذَا قَصدَ صَاحبُ الصَّدَقَة بصَدَقَته النَّبيَّ ﷺ فَإنَّهُ لا نَفْعَ حينَئذ للمَيِّت سوَى الثَّوَاب فَفي صُورَة الشَّرِكَة إنْ قُبلت الصَّدَقَةُ فَللمَيِّت تلكَ الصَّدَقَةُ وَفي عَدَم الشَّرِكَة إنْ قُبلتْ ثَوَابُ الصَّدَقَة وَبَرَكَاتُ إتْحَاف تلكَ الصَّدَقَة وَفُيُوضُ إهْدَائهَا لهُ ﷺ وَهَذَا المَعْنَى كَائنٌ في كُل صَدَقَة يُشْرَكُ فيهَا المَيِّتُ بالغَيْرِ فَإنَّ في صُورَة الشَّرِكَة دَرَجَةً وَاحدَةً منَ الثَّوَاب وَفي صُورَة عَدَم الشَّرِكَة دَرَجَتَيْنِ دَرَجَة الصَّدَقَة وَدَرَجَة

---

(١) ـــ الآية: ٣٢ من سورة النجم.

حَمْلهَا منْ عنْده إلى ذَلكَ الغَيْر وكَذَلكَ صَارَ مَعْلومًا أَنَّ غَريبًا إذَا حَمَل تُحْفَةً وَهَديَّةً إلى وَاحد منَ الأَكَابر الأَفْضَل أَنْ يَحْملهَا إليْه منْ غَيْر شَركَة أَحَديَّة ولَوْ كَانَ طُفَيْليًّا وَالمُهْدَى إليْه يُعْطيهَا منْ عنْده مَنْ شَاءَ منْ إخْوَانه وَغَيْرهمْ وَالآل وَالأَصْحَاب الذينَ هُمْ بمَثَابَة عيَاله عَلَيْه وَعَلَيْهمُ الصَّلوَاتُ وَالتَّسْليمَاتُ فَلوْ جَعَلهُمْ دَاخلاً في هَديَّته ﷺ يَكُونُ ذَلكَ مَرْضيًّا ومَقْبولاً نَعمْ منَ المَعْرُوف أَنَّ مَنْ أَهْدَى هَدَايَات إلى وَاحد منَ الأَعزَّة وَأَشْرَكَ به فيهَا أَقْرَانَهُ يَكُونُ ذَلكَ بَعيدًا منَ الأَدَب وَالتمَاسُ رضَا المُهْدَى إليْه بخلاف مَا إذَا أَهْدَى إلى خدْمَته بتَبَعيَّته فَإنَّ ذَلكَ يَكُونُ مَرْضيًا لأَنَّ إعْزَازَ خدْمَة شَخْص إعْزَازُ ذَلكَ الشَّخْص فَعُلمَ أَنَّ أَكْثَرَ رضَاء المَوْتَى في إفْرَاد الصَّدَقَة لا في الإشْرَاك وَلكنْ إذَا قَصدَ التَّصَدُّقَ عَنْ ميِّت يَنْبَغي أَنْ يُهْدَى أَوَّلاً شَيْئًا بنيَّة رُوحَانيَّة النَّبيِّ ﷺ عَلى حدَة ثُمَّ يُتَصَدَّقَ عَنَ المَيِّت فَإنَّ حُقُوقَهُ ﷺ فَوْقَ حُقُوق

سَائر الخَلق وأَيْضًا إنَّ في هَذَا التَّقْدير احْتمَال كَوْن الصَّدَقَة مَقْبُولةً ببَرَكَة النَّبيِّ ﷺ وَهَذَا الفَقيرُ إذَا عَجزَ عَنْ تَصْحيح النِّيَّة في بَعْض الصَّدَقَات عَن المَوْتَى لا يَجدُ علاجًا أَفْضَل منْ أَنْ أَتَصَدَّقَ بهَا بنيَّته ﷺ وَأَجْعَل ذَلكَ المَيِّتَ طُفَيْليًّا لهُ فَإنَّهُ يُرْجَى أَنَّ تُقْبَل ببَرَكَته ﷺ وَقَدْ قَال العُلمَاءُ إنَّ الصَّلاةَ عَلى النَّبيِّ ﷺ مَقْبُولةٌ وَلوْ صَدَرَتْ ريَاءً وَسُمْعَةً وَهيَ وَاصلةٌ إلى النَّبيِّ ﷺ وَإنْ لمْ يَحْصُل منْهَا ثَوَابٌ إلى المُصَلي فَإنَّ حُصُول الثَّوَاب منَ الأَعْمَال مَرْبُوطٌ بتَصْحيح النِّيَّة ، وَأَمَّا وُصُولهَا إلى النَّبيِّ الذي هُوَ مَحْبُوبُ رَبِّ العَالمينَ وَكَوْنُهَا مَقْبُولةً في حَقِّه عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ فَتَكْفيه أَدْنَى علة وَقَوْلهُ تَعَالى: ﴿وَكَانَ فَضْل الله عَليْكَ عَظيمًا﴾[1] نَازل في حَقِّه صَلى اللهُ عَليْه وَعَلى آله وَعَلى جَميع إخْوَانه الكرَام منَ الأَنْبيَاء وَالمَلائكَة العظَام إلى يَوْم القيَامَة.

---

(١) ــ الآية: ١١٣ من سورة النساء.

المَكْتُوبُ الحادي وَالأربعون بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى المير مُحبِّ الله
في بَيَانِ حُصُول فَهْم بَعْضِ الكَلِمَاتِ القُدْسيَّة مِنَ الآيَاتِ القُرْآنيَّة

وَلَمَا ظَهَرَ سَابِقًا تَرَدُّدٌ في فَهْمِ بَعْض كَلِمَات القُرْآن وَعَجزْتُ عَنْ تَطْبيقه لَمْ أجدْ بعنَايَة الله تَعَالى في دَفْعِ الوَسَاوِس علاجًا أَفْضَل منْ أَنْ أَقُول لنَفْسي إِنَّك تَعْتَرِفُ بأَنَّ هَذَا النَّظْمَ القُرْآنِيَّ كَلامُ الله عَزَّ وَجَل وَتُؤْمنُ به أَوْ لا فَلوْ لَمْ تُؤْمنْ فَأَنْتَ كَافِرٌ وَخَارِجٌ عَنِ المَبْحَث فَإنْ تُؤْمنْ فَالقُصُورُ في فَهْمكَ لا في نَظْمِ القُرْآن الذي هُوَ كَلامُ خَالقِ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَات وَمُبْدِعِ العُقُول وَالإِدْرَاكَات ، وَلَمَّا حَصَلَ الإِيمَانُ بفَضْل الله جَل سُلطَانُهُ بحَقيقَة كَلام الله تَعَالى صَارَتْ تلكَ الوَسْوَسَةُ مُضْمَحلةً وَمُتَلاشيَةً وَنَجَوْتُ منَ التَّرَدُّد وَفي هَذه الأَوَان بَلغَ الأَمْرُ بفَضْل الله تَعَالى مَبْلغًا إذَا كَانَ لي في مَحَل منْ نَظْمِ القُرْآن مَجَال تَرَدُّد منْ قُصُورِ الإِدْرَاك صَارَ ذَلكَ المَحَل بَاعثًا عَلى ازْديَاد الإيمَان بالقُرْآن وَكَانَ ذَاكَ التَّرَدُّدُ وَاسطَةً لظُهُور الإعْجَاز في القُرْآن وَصرْتُ أَتَصَوَّرُ إغْلاقَ مَا فيه منْ شُعَب الإعْجَاز وَأَحْمل الأَشْكَال عَلى كَمَال البَلاغَة وَالفَصَاحَة التي البَشَرُ عَاجزٌ عَنْ فَهْمهَا لكَوْنهَا وَرَاء الاخْتصَار وَالإيجَازُ وَالإيمَانُ الحَاصل في عَدَمِ فَهْم القُرْآن لَيسَ هُوَ في فَهْمه فَإنَّ في عَدَمِ الفَهْمِ انْكشَافَ طَرِيقِ الإعْجَاز وَهُوَ مَفْقُودٌ في صُورَة الفَهْم سُبْحَانَ الله إنَّ عَدَمَ فَهْمِ القُرْآن يَكُونُ سَبَبًا لضَلالة قَوْم وَإنْكَارِهمْ كَلامَ الله تَعَالى وَيَصيرُ لبَعْضِ آخَرَ سَبَبًا لكَمَال الإيمَان بالقُرْآن وَيُؤَدِّيهمْ إلى الهدَايَة يُضل به كَثيرًا وَيَهْدي به كَثيرًا {رَبَّنَا آتنَا منْ لدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لنَا منْ أَمْرِنَا رَشَدًا}[1] وَالسَّلامُ.

---

(١) ــ الآية: ١٠ من سورة الكهف.

المَكْتُوبُ الثَّانِي وَالأَرْبَعُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إِلى المِيْرِ مُحَمَّد نُعْمَانَ
فِي بَيَانِ العُرُوجِ إِلى مَرَاتِبِ الأُصُول وَمَرَاتِبِ العِبَادَاتِ

الحَمْدُ لله رَبِّ العَالمِينَ وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلى سَيِّد المُرْسَلِينَ:

وَمَرْتَبَةُ الإِنْسَان فِي آخرِ الوَرَى لذَلكَ عَنْ عزِّ الحُضُور تَأَخَّرَا
فَلوْ لَمْ يَعُدْ منْ بَعْده وَاغْترَابه فَلا شَيْءَ مَحْرُومٌ كَأُنْسٍ منَ الوَرَى

فَإِذَا وَقَعَ لهُ العُرُوجُ بعنَايَة الله تَعَالى إِلى أُصُوله التي هُوَ كَالظِّلِّ لَها يَكُونُ لهُ فِي كُل أَصْل منْ تلكَ الأُصُول فَنَاءٌ وَبَعْدَهُ بَقَاءٌ به وَبهَذَا الفَنَاء وَالبَقَاء يَزُول إِطْلاقُ لفْظ أَنَا عَنْ ذَلكَ الظِّل وَيُطلَقُ عَلى ذَاكَ الأَصْل الذي كَانَ فَانيًا فيه وَبَاقيًا به وَيَرَى نَفْسَهُ عَيْنَ ذَاكَ الأَصْل وَكَذَلكَ إِذَا وَقَعَ لهُ العُرُوجُ بكَرَم الحَقِّ جَل وَعَلا منْ ذَاكَ الأَصْل يَحْصُل لأَصْله الأَوَّل فَنَاءٌ وَبَقَاءٌ بالأَصْل الذي هُوَ فَوْقَ ذَاكَ الأَصْل وَذَاكَ الأَصْل كَالظِّل لهُ يَزُول إِطْلاقُ أَنَا منَ الأَصْل الأَوَّل وَيَقَعُ فِي الأَصْل الثَّاني وَيَجدُ نَفْسَهُ عَيْنَ ذَلكَ الأَصْل الثَّاني وَإِذَا وَقَعَ العُرُوجُ منَ الأَصْل الثَّاني إِلى الأَصْل الثَّاني إِلى الأَصْل الثَّالث يَتَقَرَّرُ إِطْلاقُ أَنَا عَلى الأَصْل الثَّالث الذي الأَصْل الثَّاني ظلهُ وَهَذه النِّسْبَةُ كَائنَةٌ فِي كُل أَصْل تَحْتَانيٍّ مَعَ الأَصْل الفَوْقَانيِّ الذي الأَصْل التَّحْتَانيُّ كَالظِّل لهُ يَعْني إِذَا وَقَعَ العُرُوجُ بمَحْضِ فَضْل الله سُبْحَانَهُ منَ الظِّل إِلى الأَصْل يَزُول إِطْلاقُ أَنَا منْ ذَلكَ الظِّل وَيَقَعُ عَلى الأَصْل وَيَجدُ نَفْسَهُ عَيْنَ ذَلكَ الأَصْل إِلى مَا شَاءَ اللهُ تَعَالى عَلى تَفَاوُت دَرَجَات الاسْتعْدَاد وَتَصيرُ تلكَ الأُصُول بتلكَ الكَثْرَة وَالرِّفْعَة أَجْزَاءَهُ وَتُجْعَل القَطْرَةُ بَحْرًا وَتَصيرُ الذَّرَّةُ جَبَلاً فَإِذَا كَانَتْ هَذه الأُصُول أَجْزَاءَهُ فَلا جرَمَ يَكُونُ منْ كَمَالاتهَا وَبَرَكَاتهَا نَصيبٌ كَامل لهُ وَيَكُونُ كَمَالهُ جَامعًا لكَمَالات تلكَ الأَجْزَاء فَيَنْبَغي أَنْ يُعْرَفَ هُنَا فَرْقُ مَا بَيْنَ الإِنْسَان الكَامل وَسَائر أَفْرَاد الإِنْسَان فَإِنَّهُ بَحْرٌ مُحيطٌ وَهَؤُلاء كَقَطَرَاته المُحقَّرَة فَهَؤُلاء كَيْفَ يَعْرفُونَهُ وَمَا يُدْركُونَ منْ كَمَاله وَنعْمَ مَا قيل إلهي مَا هَذَا الذي جَعَلتَ أَوْليَاءَك بحَيْثُ مَنْ عَرَفَهُمْ وَجَدَكَ وَمَا لَمْ يَجدْكَ لَمْ يَعْرفْهُمْ وَكَمَا أَنَّ بَيْنَ الإِنْسَان الكَامل وَالإِنْسَان النَّاقص تَفَاوُتًا بقلة الأَجْزَاء وَكَثْرَتهَا بَيْنَ طَاعَاتهمَا وَحَسَنَاتهمَا أَيْضًا تَفَاوُتٌ بقَدْرهَا إِذَا أُعْطيَ شَخْصٌ مَثَلاً مائَةَ لسَان فَيَذْكُرُ الحَقَّ سُبْحَانَهُ بكُل لسَانٍ

مِنْهَا أَيُّ نِسْبَةٍ تَكُونُ لَهُ بِمَنْ أُعْطِيَ لِسَانًا وَاحِدًا يَذْكُرُ اللّٰهَ تَعَالَى بِهِ وَيَنْبَغِي أَنْ يَقِيسَ الإِيمَانَ وَالمَعْرِفَةَ وَسَائِرَ الكَمَالاتِ عَلَى هَذَا المَعْنَى ﴿ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1] الحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ العَالَمِينَ أَوَّلاً وَآخِرًا وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى رَسُولِهِ دَائِمًا وَسَرْمَدًا وَعَلَى آلِهِ الكِرَامِ وَصَحْبِهِ العِظَامِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ.

---

(١) ـــ الآية: ٨ من سورة التحريم.

المَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالأَرْبَعُونَ بَعْدَ الأَرْبَعِمائَةِ
إِلى المَلا بَدْرِ الدِّين
فِي تَحْقِيقِ عَالَمِ الأَرْوَاحِ وَعَالَمِ المِثَالِ وَعَالَمِ الأَجْسَادِ

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عِبَادِه الذينَ اصْطَفَى:

قَدْ كَتَبْتُمْ أَنَّ الرُّوحَ كَانَ قَبْلَ تَعَلقه بالبَدَن في عَالَمِ المِثَال وَيَذْهَبُ بَعْدَ مُفَارَقَته منَ البَدَن أَيْضًا إلى عَالَمِ المِثَال فَيَكُونُ عَذَابُ القَبْرِ في عَالَم المِثَال كَأَلَمٍ يَحسُّ به الإِنْسَانُ في المَنَام في عَالَمِ المِثَال وَكَتَبْتُمْ أَنَّ هَذَا الكَلامَ لَهُ تَشَعُّبَاتٌ كَثِيرَةٌ فَإِنْ قَبلتُمْ نُفَرِّعُ عَلَيْه فُرُوْعَات كَثِيرَةً.

اعْلَـــمْ: أَنَّ أَمْثَالَ هَذه الخَيَالات قَليلةُ النَّصيب منَ الصِّدْق نَخَافُ منْ أَنْ تَدُلَّكُمْ عَلى طَرِيقٍ غَيْرِ مُتَعَارَف فَلنَكْتُبْ في تَحْقِيقِ هَذَا المَبْحَث كَلمَات بالضَّرُورَة مَعَ وُجُود المَوَانِعِ وَاللهُ سُبْحَانَهُ الهَادي إلى سَبيل الرَّشَاد.

أَيُّهَـــا الأَخُ: إنَّ عَالَمَ المُمكِنَات مُنْقَسمَةٌ إلى ثَلاثَة أَقْسَامٍ عَالَمِ الأَرْوَاحِ وَعَالَمِ المِثَال وَعَالَمِ الأَجْسَاد وَقَالوا إنَّ عَالَمَ المِثَال بَرْزَخٌ بَيْنَ عَالَمِ الأَرْوَاحِ وَعَالَمِ الأَجْسَاد وَقَالوا أَيْضًا إنَّ عَالَمَ المِثَال كَالمِرْآة لمَعَاني العَالمَيْنِ المَذْكُورَيْن وَحَقَائقهمَا وَتَظْهَرُ مَعَاني عَالَمِ الأَرْوَاحِ وَالأَجْسَاد في عَالَمِ المِثَال بصُوَرٍ لطيفَة فَإنَّ لكُل مَعْنًى وَحَقيقَة هُنَاكَ صُورَةً وَهَيْئَةً أُخْرَى مُنَاسبَةً لهُمَا وَذَلكَ العَالَمُ لَيْسَ هُوَ في حَدِّ ذَاته مُتَضَمِّنًا للصُّورَة وَالهَيْئَات وَالأَشْكَال وَإنَّمَا ظَهَرَتْ فيه الصُّورَةُ وَالأَشْكَال مُنْعَكسَةً منْ عَوَالمَ أُخَرَ كَالمِرْآة التي لَيْسَتْ هيَ مُتَضَمِّنَةً لصُورَة أَصْلاً في حَدِّ ذَاتهَا فَإنْ كَانَتْ فيهَا صُورَةٌ فَهيَ حَاصلَةٌ منْ خَارجٍ فَإذَا عُلمَ هَذَا الكَلامُ فَاعْلَمْ أَنَّ الرُّوحَ كَانَ قَبْلَ تَعَلقه بالبَدَن في عَالَمه الذي هُوَ فَوْقَ عَالَمِ المِثَال فَإنَّهُ تَنَزَّل بَعْدَ التَّعَلق وَإنَّمَا يُطَالعُ بَعْضَ أَحْوَاله بعنَايَة الله تَعَالى في مرْآة ذَلكَ العَالَمِ في بَعْضِ الأَوْقَات وَيَسْتَعْلمُ حُسْنُ أَحْوَاله وَقُبْحُهَا منْ هُنَاكَ كَمَا أَنَّ هَذَا المَعْنَى وَاضحٌ وَلائحٌ في صُورَة الوَاقعَات وَالمَنَامَات وَرُبَّمَا يُحَسُّ هَذَا المَعْنَى منْ غَيْر أَنْ يَغيبَ عَنَ الحس وَبَعْدَ المُفَارَقَة عَنَ البَدَن فَإنْ كَانَ عُلويًّا فَمُتَوَجِّهَةٌ إلى فَوْق وَإنْ كَانَ سُفْليًّا فَمَأْسُورٌ في السُّفْل لا شغْل لَهُ بعَالَمِ المِثَال وَعَالَمُ المِثَال إنَّمَا هُوَ للمُشَاهَدَة وَالرُّؤْيَة لا للكَيْنُونَة فيه وَمَحَل الكَيْنُونَة إمَّا عَالَمُ الأَرْوَاحِ وَإمَّا عَالَمُ الأَجْسَادِ وَعَالَمُ المِثَال إنَّمَا هُوَ مرْآةٌ

لهَذَيْنِ العَالَمَيْنِ كَمَا مَرَّ وَالأَلَمُ الذي يُرَى في المَنَام في عَالَم المِثَال إنَّمَا هُوَ صُورَةُ العُقُوبَة وَشَبَحُهَا التي اسْتَحَقَّهَا الرَّائي ظَهَرَتْ لَهُ للتَّنْبيه وَعَذَابُ القَبْرِ لَيْسَ منْ هَذَا القَبيل فَإنَّهُ حَقيقَةُ العُقُوبَة لا صُورَتُهَا وَشَبَحُهَا وأَيْضًا إنَّ الآلَمَ الذي يُحَسُّ في المَنَام لوْ كَانَ لَهُ حَقيقَةٌ فَرْضًا فَهُوَ منْ قَبيل الآلام الدُّنْيَويَّة ، وَعَذَابُ القَبْر منْ جُمْلَة عَذَاب الآخرَة شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا فَإنَّ العَذَابَ الدُّنْيَويَّ لا مقْدَارَ لَهُ وَلا اعْتبَارَ بالنِّسْبَة إلى عَذَاب الآخرَة أَعَاذَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ فَلوْ وَقَعَتْ في الدُّنْيَا شَرَارَةٌ منْ نَار جَهَنَّمَ لأَحْرَقَتَ الكُل وَجَعَلَتْهُ مُتَلاشيًا ، وَزَعْمُ عَذَاب القَبْر كَعَذَاب المَنَام منْ عَدَم الاطِّلاع عَلى صُورَة العَذَاب وَحَقيقَة العَذَاب وأَيْضًا إنَّ مَنْشَأَ هَذَا الاشْتبَاه هُوَ تَوَهُّمُ مُجَانَسَة عَذَاب الدُّنْيَا بعَذَاب الآخرَة وَهَذَا تَوَهُّمٌ بَاطل بَيِّنُ البُطْلان

فَإنْ قيــــلَ: قَدْ يُفْهَمُ منْ قَوْله تَعَالَى {اللهُ يَتَوَفَّي الأَنْفسَ حينَ مَوْتهَا والتي لَمْ تَمُتْ في مَنَامها}[١] إنَّ تَوَفِّيَ الأَنْفُسِ كَمَا هُوَ في المَوْت كَذَلكَ هُوَ في المَنَام أَيْضًا فَمَا وَجْهُ عَدِّ عَذَاب أَحَدهمَا منْ عَذَاب الدُّنْيَا وَعَذَابُ الآخرَة منْ عَذَاب الآخرَة:

أُجيـــــبَ: إنَّ التَّوَفِّيَ في المَنَام منْ قَبيل خُرُوجِ شَخْصٍ منْ وَطَنه المَأْلوف بالشَّوْق وَالرَّغْبَة للنَّزَاهَة وَالنَّظَّارَة ليَحْصُلَ لهُ الفَرَحُ

وَالسُّرُورُ فَيَرْجعَ إلى وَطَنه فَرحًا مَسْرُورًا وَمُنْتَزَهه عَالَمِ المِثَال الذي مُتَضَمِّنٌ لعَجَائب المُلك وَالمَلكُوت وَلا كَذَلكَ التَّوَفِّي حينَ المَوْت فَإنَّ فيه هَدْمَ الوَطَن المَأْلوفَ وَتَخْريبَ البنَاء المَعْمُور وَمنْ هَهُنَا لا تَحْصُلُ المحْنَةُ وَالكُلفَةُ في تَوَفِّي النَّوْم بَل هُوَ مُتَضَمِّنٌ للفَرَحِ وَالسُّرُور وَفي تَوَفِّي المَوْت شدَّةٌ وَكُلفَةٌ فَيَكُونُ وَطَنُ المُتَوَفِّي النَّوْميِّ هُوَ الدُّنْيَا وَتَكُونُ المُعَامَلَةُ التي تَظْهَرُ لَهُ منْ مُعَامَلات الدُّنْيَا وَالمُتَوَفِّي المَوْتيُّ مُنْتَقل إلى الآخرَة بَعْدَ تَخْريب وَطَنه المَأْلوف وَكَانَت المُعَامَلَةُ مَعَهُ منْ مُعَامَلات الآخرَة وَلَعَلَكُمْ سَمعْتُم " مَنْ مَاتَ فَقَدْ قَامَتْ قيَامَتُه " وَإيَّاكُمْ وَالانْحرَافَ عَنَ الاعْتقَادَات وَأَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة شَكَرَ اللهُ تَعَالى سَعْيَهُمْ اغْترَارًا بالكَشْف الخَيَاليَّة وَظُهُور الصُّوَر المثَاليَّة فَإنَّ النَّجَاةَ بدُون مُتَابَعَة هَذه الفرْقَة النَّاجيَة غَيْرُ مُتَصَوَّرَة فَعَلَيْكُمْ بالاجْتهَاد في اتِّبَاعِ هَؤُلاء الأَكَابر غَايَةَ الإمْكَان تَارِكينَ مَا يُنَافيه كَائنًا مَا كَانَ {مَا عَلَى الرَّسُول إلا البَلاغُ}[٢] وَقَدْ أَوْرَدَني انْبسَاطُكُمْ في العبَارَة في تَوَهُّم

(١) ـــ الآية: ٤٢ من سورة الزمر.

(٢) ـــ الآية: ٩٩ من سورة المائدة، والآية: ٥٤ من سورة النور، والآية: ١٨ من سورة العنكبوت.

أَنَّ هَذه التَّخيُّلات تَكَادُ تُخرجُكُمْ منْ تَقْليد هَؤُلاء الأَكَابر وَتجْعَلكُمْ ممَّنْ يَتْبَعُ كَشْفيَّات نَفْسه نَعُوذُ بالله سُبْحَانَهُ منْهَا منْ شُرُور أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَات أَعْمَالنَا الشَّيْطَانُ عَدُوٌّ قَويٌّ يَنْبَغي للإنْسَان أَنْ يَكُونَ وَاقفًا عَلى نَفْسه حَتَّى لا يَخْرُجَ منَ الصِّرَاط المُسْتَقيم إلى سكَك أُخَر، أَيُّ بَلاء وَقَعَ لَمْ تَنْجَرْ مُدَّةُ المُفَارَقَة إلى سَنَة حَتَّى وَقَعَ الذُّهُول عَنَ الاحْتيَاط وَالتزَام مُتَابَعَة السُّنَّة وَأَهْل السُّنَّة وَحَصْر النَّجَاة في تَقْليد هَؤُلاء الأَكَابر التي كَانَتْ فيكُمْ وَجَعَلتُمْ مُتَخيِّلاتكُمْ مُقْتَدَاكُمْ وَفَرَّعْتُمْ عَلَيْهَا فُرُوعَات كَثيرَةً وَاحْتمَال مُلاقَاتنَا يُرَى بحسِّ الظَّاهر بَعيدًا جدًّا فَعَلَيْكُمَ المَعيشَةَ وَالمُعَامَلَةَ بحَيْثُ لا يَنْقَطعُ حَبْل الرَّجَاء {رَبَّنَا آتنَا منْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا منْ أَمْرنَا رَشَدًا }[1] {وَالسَّلامُ عَلى مَن اتَّبَعَ الهُدَى}[2].

(١) ـــ الآية: ١٠ من سورة الكهف.

(٢) ـــ الآية: ٤٨ من سورة طه.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالأَرْبَعُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة

إلى المَقْصُود عَليٍّ

فِي بَيَانِ أَنَّ مَا قِيل إِنَّ كَثْرَةَ الخَطَرَات مِنْ أَسْبَاب الوَصْل إِنَّمَا هُوَ عَلى مِقْدَارِ التَّجَلي وَفِي تَحْقِيقِ حَقِيقَة الكَثْرَة الوَهْمِيَّة وَمَا يُنَاسِبُ ذَلكَ

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى:

قَدْ كَتَبْتُمْ أَنَّ سَارِيَ طَرِيق اشْتَكَى إلى عَالِم طَرِيق مِنْ هُجُوم الخَطَرَات فَقَال حَيْثُ إِنَّ إِحَاطَةَ المَطْلُوب وَشُمُولَهُ بِحُكْمِ وَهُوَ بِكُل شَيْءٍ مُحيطٌ مَعْلومٌ يَنْبَغي أَنْ تُعَدَّ الخَطْرَةُ مِنْ أَسْبَاب الوَصْل لا مِنْ مُوجِبَات الفَصْلِ وَأَنْ يَجْعَل أَبْوَابَ المُشَاهَدَة مَفْتُوحَةً وَرَوْزَنَةَ الغَفْلة مَسْدُودَةً.

هَذَا الكَلامُ صَادقٌ بِحَسَب التَّجَلي الصُّوريِّ الذي هُوَ مُقَدِّمَةٌ مِنْ مُقَدِّمَات هَذَا الطَّرِيق فَإِنْ كَانَ فِي هَذَا المَوْطِنِ وَصْل فَمَعَ كَوْنه فِي الحَقِيقَة فَصْلاً فَهُوَ بِاعْتِبَارِ الصُّورَة وَإِنْ كَانَتْ مُشَاهَدَةً وَلوْ هِيَ فِي الوَاقِع مُبَاعَدَةٌ فَهِيَ أَيْضًا بِمُلاحَظَة الصُّورَة وَهَذَا التَّجَلي سَاقطٌ عَنْ حَيِّز الاعْتِبَار عِنْدَ أَكَابِر هَذَا الطَّرِيق لأَنَّهُ لَيْسَ بِمُغْنٍ لوُجُود السَّالك، وَالمُحِقُّ وَالمُبْطل شَرِيكَان فيه فَإِنَّ لجُوكيَّة الهنْد وَفَلاسفَة اليُونَان خَبَرًا عَنْهُ وَهُمْ مَحْظُوظُونَ وَمُلتَذُّونَ بِعُلومه وَمَعَارِفه غَايَةَ مَا فِي البَاب أَنَّ حُصُول هَذه الدَّوْلة للمُحِقِّ مِنْ طَرِيقِ صَفَاء القَلْب وَللمُبْطل مِنْ طَرِيق صَفَاء النَّفْس فَلا جَرَمَ أَنَّ ذَاكَ يُفْضي إِلى الهدَايَة وَهَذَا يَجُرُّ إِلى الضَّلالة وَلكنْ كلاهُمَا فِي أَسْرِ الصُّورَة لا خَبَرَ لهُمَا عَنَ المَعْنَى

مَا يَعْرِفُ الغُفْلانُ عَابدَ صُورَة حَسَنَ المَقْنَعِ عَنْ جَمِيعِ مُؤَانِسِ

وَلكنْ فِي الحَقِّ احْتِمَال النَّجَاة مِنْ أَسْرِ الصُّورَة، وَالمُبْطل مُنْهَمكٌ فِي الصُّورَة فَإِنَّ الخَلاصَ مِنْ أَسْرِ الصُّورَة مِنْ غَيْرِ التِزَامِ مِلة الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ مُحَال.

وَأَيْضًا إِنَّ التَّجَليَ الصُّوريَّ دَاخل فِي دَائِرَة العِلمِ وَلكنْ لمَّا طُرِحَ الحَال وَالذَّوْقُ فيه الشُّعَاعُ يُرَى مِثْل الحَال

وَأَيْضًا إِنَّ المَهُودَ فِي التَّجَلي الصُّوريِّ الكَثْرَةُ لكنْ بِعُنْوَان المَظْهَريَّة للوَحْدَة وَشُهُود الكَثْرَة بِأَيِّ عُنْوَان كَانَ وَبَال فِي وَبَال يَنْبَغي أَنْ لا يَبْقَى فِي نَظَرِ البَاطنِ اسْمٌ مِنَ الكَثْرَة وَشُهُودهَا وَلا رَسْمٌ وَلا يَكُونُ المَشْهُودُ غَيْرَ الوَاحد الحَقيقيِّ أَصْلاً حَتَّى يَتَيَسَّرَ الفَنَاءُ الذي هُوَ قَدَمٌ أَوَّل فِي هَذَا الطَّرِيق فَإِنَّ الفَنَاءَ عِبَارَةٌ عَنْ نِسْيَان مَا

سِوَى الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَزَوَالُهُ مِنَ البَاطِنِ فَكَيْفَ يَكُونُ لِلكَثْرَةِ مَجَال فِي ذَلكَ المَوْطِنِ وَمَا يَكُونُ شُهُودُ الكَثْرَة فيه.

مَا قَال القَائل مِنْ أَنَّ الخَطْرَةَ مِنْ أَسْبَاب الوَصْل وَأَبْوَاب المُشَاهدَة فَالمُرَادُ بِذَاكَ الوَصْل وَالمُشَاهَدَة الوَصْل وَالمُشَاهَدَةُ الصُّوريَّان وَهمَا عَيْنُ المُفَارَقَة وَالمُبَاعَدَة فَإِنَّ الوَصْل المُعْتَبَرَ عِنْدَ أَكَابِر هَذه الطَّائفَة العَليَّة إِنَّمَا هُوَ فِي مَقَام البَقَاء بالله الذي يَحْصُل بَعْدَ الفَنَاء وَنسْيَانُ جَميع مَا سوَاهُ تَعَالى وَوُجُودُ الخَطْرَة مُنَاف لِتلكَ الدَّوْلَة وَحُصُول الوَسْوَسَة مَانعٌ لتلكَ المَنْزلة وَفي مَقَام الفَنَاء الذي هُوَ دهْليزُ ذَلكَ الوَصْل يَكُونُ انْتفَاءُ الخَوَاطرِ عَلى نَوْع لوْ كُلفَ بتَذكُّر الأَشْيَاء لا يَتَذَكَّرُ بوَاسطَة نسْيَان السِّوَى الذي حَصَل لهُ وَقَدْ كَتَبْتُمْ وَهُوَ عَلى كُل شَيْء مُحيطٌ بَيَانُ الإحَاطَة مَا جَاء بهَذه العبَارَة يُشْبهُ أَنْ تَكُونَ هَذه منْ كَلام المُولدينَ فَإنَّ تَعْديَةَ الإحَاطَة بكَلمَة عَلى كَثيرَةُ الوُقُوعِ فِي كَلامِ العَجَمِ وَالمُتَعَارَفُ فِي العبَارَة العَرَبيَّة الفَصيحَة تَعْديَةُ الإحَاطة بالبَاء قَال الله تَبَارَكَ وَتَعَالى {وَكَانَ اللهُ بكُل شَيْء مُحيطًا}(١) وَقَال تَعَالى: {إِنَّهُ بكُل شَيْء مُحيط}(٢) وَالظَّاهرُ أَنَّ هَذه العبَارَةَ إِنَّمَا أُوردَتْ بطَريق الاسْتشْهَاد بتَخيُّل أَنَّهَا منَ القُرْآن وَليْس كَذلكَ فَإنَّ بَيَانَ هَذَا المَعْنَى فِي الكَلام المَجيد بعبَارَة أُخْرَى كَمَا مَرّ وَكَتَبْتُمْ أَيْضًا أَنَّ الكَثْرَةَ الوَهْميَّةَ وَالتَّعَدُّدَ الاعْتبَاريَّ قَدْ تَرَاكَمَتْ عَلى وَجْه وَقَعَ أَكْثَرُ العُلَمَاء فِي الغَلط بتَوَهُّم تَعَدُّد الوُجُود وَقَنعُوا منَ اللبِّ بالقشْر.

اعْلَمْ: أَنَّ الكَثْرَةَ وَالتَّعَدُّدَ وَإنْ كَانَتْ وَهْميَّةً وَاعْتبَاريَّةً وَلَكنْ لمَّا صَدَرَتْ وَظَهَرَتْ بصُنْع الله جَل سُلطَانُهُ صَارَتْ مُتْقَنَةً وَمُسْتَحْكَمَةً وَكَانَت المُعَامَلةُ الدُّنْيَويَّةُ وَالأُخْرَويَّةُ مَرْبُوطَةً بهَا وَالآثَارُ الخَارجيَّةُ مُتَرَتِّبَةٌ عَليْهَا وَارْتفَاعُهَا مَمْنُوعٌ وَإن ارْتَفَعَ الوَهْمُ وَالاعْتبَارُ فَإنَّ العَذَابَ وَالثَّوَابَ الدَّائمَيْن الأُخْرَوَيْن الذينَ أَخْبَرَ عَنْهُمَا المُخبرُ الصَّادقُ مَنُوطَان بالكَثْرَة مَرْبُوطَان بالتَّعَدُّد وَالحُكْمُ بارْتفَاع الكَثْرَة وَالتَّعَدُّد دُخُول فِي الالحَاد وَالزَّنْدَقَة أَعَاذَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ منْ ذَلكَ فَالصُّوفيَّةُ العَليَّةُ وَالعُلمَاءُ الكرَامُ كُلهُمْ قَائلونَ بثُبُوت هَذه الكَثْرَة وَاسْتمْرَار هَذَا التَّعَدُّد وَيَرَوْنَ المُعَامَلةَ الأُخْرَويَّةَ الدَّائميَّةَ مَرْبُوطَةً بهَا وَلَكنْ لمَّا كَانَ منْ شَأْن هَذه الكَثْرَة الارْتفَاعُ منْ شُهُود الصُّوفيَّة وَقْتَ العُرُوج يَجدُونَهَا وَهْميَّةً وَاعْتبَاريَّةً وَحَيْثُ إِنَّهَا لا تَرْتَفعُ فِي

---

(١) ــ الآية: ١٢٦ من سورة النساء.

(٢) ــ الآية: ٥٤ من سورة فصلت.

نَفْسِ الأَمْرِ وَإِنْ كَانَتْ مُرْتَفعَةً مِنَ الشُّهُود يَقُول العُلَمَاءُ إِنَّهَا مَوْجُودَةٌ فَنزَاعُ الفَرِيقَيْنِ صَارَ رَاجِعًا إِلى اللفْظ بَعْدَ الاتِّفَاق فِي المَعْنَى كُل مِنَ الفَرِيقَيْنِ حَكَمَ بِمقْيَاسِ وِجْدَانه فَالصُّوفيَّةُ اعْتَبَرُوا الشُّهُودَ وَحَكَمُوا بالوَهْميَّة وَالاعْتبَاريَّة

بِمُلاحَظَة الارْتفَاع الشُّهُوديِّ، وَقَال العُلَمَاءُ بِوُجُودهَا بِمُلاحَظَة ثُبُوتهَا وَاسْتقْرَارِهَا فِي نَفْسِ الأَمْرِ؛ وَلِكُل وِجْهَةٌ، وَقَدْ بَيَّنَ هَذَا الفَقيرُ هَذَا المَعْنَى فِي مَكْتُوبَاته وَرَسَائله بالتَّفْصيل وَأَرْجَعَ نزَاعَ الفَرِيقَيْنِ إِلى اللفْظ فَإِنْ بَقيَ خَفَاءٌ يَنْبَغي أَنْ يُرَاجَعَ فيهَا، نَظَرُ العُلَمَاء قَرِيبٌ مِنَ الصَّوَاب لأَنَّهُ مُطَابقٌ لنَفْس الأَمْرِ وَنَظَرُ الصُّوفيَّة باعْتبَار السُّكْرِ وَغَلَبَة الحَال أَلا تَرَى أَنَّ النُّجُومَ مُخْتَفيَةٌ فِي النَّهَار وَثَابتَةٌ فِي نَفْسِ الأَمْرِ وَإِنْ كَانَتْ مَسْتُورَةً عَنِ الشُّهُود فَالحُكْمُ بثُبُوت النُّجُوم أَقْرَبُ إِلى الصَّوَاب مِنَ الحُكْمِ بعَدَمهَا بِمُلاحَظَة عَدَمِ شُهُودهَا وَمَقْصُودُ العُلَمَاء مِنَ القَوْل بوُجُود الكَثْرَة إِبْقَاءُ الشَّرِيعَة التي مَبْنَاهَا عَلى التَّعَدُّد وَإِجْرَاءُ وَعْد صَاحب الشَّرِيعَة وَوَعيده فَإِنَّهُ لا يُتَصَوَّرُ بدُون الكَثْرَة وَالصُّوفيَّةُ أَيْضًا مُعْتَرفُونَ بهَذَا المَعْنَى وَإِنْ أَطْبَقُوهُ عَلى الشَّرِيعَة بالتَّكَلف وَمَا قَالهُ العُلَمَاءُ صَادقٌ بلا تَكَلف وَمُطَابقٌ بلا تَمَحُّل لا غُبَارَ فيه أَصْلاً وَلا كَدُورَةَ وَإِنَّهُمْ لا يُثْبتُونَ وُجُودًا مُسْتَقلاً مُسْتَبدًّا حَتَّى يَكُونَ فيه مَجَالٌ للكَلام وَيَكُونُ شَرِكَةً بالوَاجب تَعَالى وَإِنَّمَا يُثْبتُونَ وُجُودًا ضَعيفًا مُفَاضًا وَمُسْتَعَارًا مِنَ الغَيْرِ كَيْفَ يَجُوزُ تَخْطئَةُ العُلَمَاء فَإِنَّهُمْ أَكَابرُ الدِّين وَنسْبَةُ الغَلط إِلَيْهِمْ غَلطٌ مَحْضٌ وَمَحْضُ الغَلط وَنَحْنُ العَاجزِينَ المُتَعَوِّقينَ أَخَذْنَا الدِّينَ وَالشَّرِيعَةَ مِنَ العُلَمَاء وَاسْتَفَدْنَا المَذْهَبَ وَالملةَ مِنْ بَرَكَاتهمْ فَلوْ كَانَ فيهمْ مَجَال للطَّعْنِ لارْتَفَعَ الاعْتمَادُ عَنَ الشَّرِيعَة وَالملة وَلهَذَا قَالوا الطَّاعنُ فِي السَّلَف ضَال وَمُبْتَدعٌ وَعَدُّوا طَعْنَهُ مِنْ أَسْبَاب التَّضْليل وَالتَّشْكيك فِي الدِّينِ وَحَكَمُوا ببُطْلانه.

وَكَتَبْتُمْ أَيْضًا أَنَّهُمْ قَنعُوا مِنَ اللبِّ بالقشْرِ، يُشْبهُ أَنَّكُمْ تَخَيَّلتُمَ الصُّوَرَ لبًّا وَالتَّنْزِيهَ قشْرًا فَإِنَّ دَعْوَةَ العُلَمَاء وَدَلالتهمْ إِلى التَّنْزِيه وَمَشْهُودُ صَاحب التَّجَلي الصُّوريِّ وَمَطْلوبُهُ الصُّوَرُ وَالأَشْكَال يَنْبَغي الإِنْصَافُ أَيُّهمَا مُتَشَبِّثٌ باللبِّ وأَيُّهمَا مُنْخَدعٌ بالقشْرِ {وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لعَلى هُدًى أَوْ فِي ضَلال مُبِينٍ}(١)

{رَبَّنَا آتنَا مِنْ لدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا}(٢) وَالسَّلامُ أَوَّلاً وَآخرًا.

---

(١) ــ الآية: ٢٤ من سورة سبأ.

(٢) ــ الآية: ١٠ من سورة الكهف.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالأَرْبَعُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى المُلا شَمْسِ الدِّين
فِي تَحْقِيقِ كَلامِ الشَّيْخِ شَرَفِ الدِّينِ يَحْيَى المنيري مِنْ أَنَّ: "السَّالكَ مَا لَمْ يَكْفُرْ وَلَمْ يَقْطَعْ رَأْسَ أَخِيهِ وَلَمْ يَتَزَوَّجْ بِأُمِّه لا يَكُونُ مُسْلمًا"

عَلَيْكُمْ بالاسْتقَامَة يَا مُلا شَمَّسُ قَدْ سُئلتُمْ أَنَّ شَيْخَ المَشَايِخِ شَرَفَ الدِّينَ يَحْيَى المنيري كَتَبَ فِي رِسَالته إرْشَاد السَّالكين إنَّ السَّالكَ مَا لَمْ يَكْفُرْ لا يَكُونُ مُسْلمًا وَمَا لَمْ يَقْطَعْ رَأْسَ أَخِيهِ لا يَكُونُ مُسْلمًا وَمَا لَمْ يَتَزَوَّجْ بِأُمِّهِ لا يَكُونُ مُسْلمًا فَمَا المُرَادُ بهَذه الكَلمَات.

اعْلَـــمْ: أَنَّ المُرَادَ بالكُفْرِ كُفْرُ الطَّرِيقَة الذي هُوَ عبارَةٌ عَنْ مَرْتَبَة الجَمْعِ الذي هُوَ مَوْطنُ الاسْتتَار وَمَقَامُ عَدَم الامْتيَازِ بَيْنَ حُسْنِ الإِسْلام وَقُبْحِ الكُفْر بَل كَمَا يَرَى الإِسْلامَ مُسْتَحْسَنًا يَجدُ للكُفْر أَيْضًا حُسْنًا فيه وَيَجدُ كليْهمَا مُظْهرًا للاسْمِ الهَادي وَالاسْمِ المُضل وَيَنَال منْ كُل منْهُمَا حَظًّا وَيَكُونُ بهمَا مُسْتَلذًا وَهَذَا هُوَ ذَلكَ الكُفْرُ الذي أَخْبَرَ عَنْهُ حُسَيْنِ بْنُ مَنْصُورٍ الحَلاجُ وَكَانَ فيه وَمَاتَ عَلَيْه وَقَال

كَفَرْتُ بدينِ الله وَالكُفْرُ وَاجبٌ لديَّ وَعنْدَ المُسْلمينَ قَبيحُ

وَالشَّطحيَّاتُ مثْل قَوْل أَنَا الحَقُّ وَقَوْل سُبْحَاني وَقَوْل لَيْسَ فِي جُبَّتي سوَى الله كُلهَا منْ إثْمَارِ شَجَرَة الجَمْعِ الذي مَنْشَؤُهُ اسْتيلاءُ الحُبِّ وَغَلبَةُ مَحَبَّة المَحْبُوب الحَقيقيِّ لَمْ يَبْقَ فِي نَظَرِ شُهُودهمْ غَيْرُ المَحْبُوب بَل صَارَ مُخْتَفيًا وَمَسْتُورًا وَهَذَا المَقَامُ مَقَامُ الجَهْل وَالحَيْرَة أَيْضًا وَلَكنَّ جَهْل هَذَا المَقَام مَحْمُودٌ وَحَيْرَتُهُ مَمْدُوحَةٌ فَإنْ وَقَعَ سيرَ إلى أَعْلَى منْ مَقَام الجَمْعِ بعنَايَة الله سُبْحَانَهُ وَاجْتَمَعَ العلْمُ بالجَهْل وَاقْتَرَنَت المَعْرفَةُ بالحَيْرَة وَظَهَرَ الفرْقُ وَالتَّميُّزُ وَتَبَدَّل السُّكْرُ بالصَّحْو فَحينَئذ يَحْصُل الإِسْلامُ الحَقيقيُّ وَتَتَيَسَّرُ حَقيقَةُ الإيمَان وَهَذَان الإِسْلامُ وَالإيمَانُ مَحْفُوظَان منَ الزَّوَال وَمَأْمُونَان منْ طَرَيَان الكُفْر وَالاسْتبْدَال وَالمُرَادُ بمَا وَرَدَ فِي بَعْضِ الأَدْعيَة المَأْثُورَة منْ قَوْله ﷺ: "اللهُمَّ إنِّي أَسْأَلكَ إيمَانًا لَيْسَ بَعْدَهُ كُفْر " هُوَ هَذَا الإيمَانُ لأَنَّهُ

مَحْفُوظٌ عَنِ الزَّوَال وَقَوْلُهُ تَعَالى: {أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُون}(١)

بَيَانٌ لِعَلامَةِ حَال أَهْلِ هَذَا الإِيمَان فَإِنَّ الولايَةَ لا تُتَصَوَّرُ بِدُون هَذَا الإِيمَان وَإِنْ كَانَ يُمْكِنُ إِطْلاقُ اسْمِ الوِلايَةِ فِي مَرْتَبَةِ الجَمْعِ أَيْضًا وَلَكِنَّ النَّقْصَ وَالقُصُورَ لازِمُ تِلكَ المَرْتَبَة دائمًا فَإِنَّ الكَمَال فِي الإِيمَان وَالمَعْرِفَة لا فِي الكُفْرِ وَالجَهْل أَيُّ كُفرٍ وَأَيُّ جَهْلٍ كَانَ فَصَحَّ مَا قَال الشَّيْخُ فَإِنَّهُ مَا لَمْ يَتَحَقَّقْ بِكُفْرِ الطَّرِيقَةِ لا يَتَشَرَّفُ بِإِسْلامِ الحَقِيقَة وَمَا قَال إِنَّهُ مَا لَمْ يَقْطَعْ رَأْسَ أَخِيهِ لا يَكُونُ مُسْلِمًا فَالمُرَادُ مِنَ الأَخِ الشَّيْطَانُ الذي يُولَدُ مَعَهُ وَيَكُونُ قَرِينَهُ وَيَدُلُّهُ عَلى الشَّرِّ وَالفَسَاد دائمًا كَمَا وَرَدَ فِي الحَدِيث عَلى قَائِله الصَّلاةُ وَالسَّلام مَا مِنْ ابْنِ آدَمَ إِلا وَمَعَهُ قَرِينٌ مِنَ الجِنِّ قَالوا وَمَعَكَ يَا رَسُول الله؟ قَال نَعَمْ وَلَكِنَّ أَعَانَنِي اللهُ عَلَيْهِ فَأَسْلَم " يَعْنِي مِنْ شَرِّه إِنْ كَانَ بِصِيغَةِ المُتَكَلِم أَوْ فَأَسْلَمَ شَيْطَانِي إِنْ كَانَتِ الرِّوَايَةُ بِصِيغَةِ المَاضِي وَهَذِه الرِّوَايَةُ الأَخِيرَةُ مَشْهُورَةٌ وَقَتْل هَذَا القَرِينِ عِبَارَةٌ عَنْ عَدَمِ الانْقِيَاد إِلَيْه وَاسْتِحْقَارِه وَاسْتِرْذَاله.

فَإِنْ قِيــــلَ: إِنَّ الإِنْسَانَ مَعَ وُجُودِ العَقْل وَالفِرَاسَةِ فِيه لَمْ يَكُنْ مَغْلوبًا لِلشَّيْطَان وَيَرْتَكِبُ غَيْرَ مَرْضَاته تَعَالى:

أُجِيـــــبَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ فِتْنَةٌ وَبَلاءٌ سَلطَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ عَلى عِبَادِه لِلابْتِلاء وَالامْتِحَان وَجَعَلَهُ مَسْتُورًا عَنْ نَظَرِهِمْ وَلَمْ يُطْلِعْهُمْ عَلى أَحْوَاله وَجَعَلَهُ بَصِيرًا بِأَحْوَالِهِمْ وَأَجْرَاهُ مَجْرَى الدَّمِ مِنْهُمْ وَالسَّعِيدُ مَنْ يَكُونُ مَحْفُوظًا بِعِنَايَةِ الله تَعَالى مِنْ كَيْدِ مِثْل هَذَا البَلاءِ وَمَكْرِه وَمَعَ ذَلكَ ذَكَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ كَيْدَهُ فِي القُرْآن المَجِيد بِالضَّعْفِ وَجَرَّأَ السُّعَدَاءَ وَشَجَّعَهُمْ نَعَمْ إِنَّ حُكْمَ الشَّيْطَان بِهَذَا التَّسَلط مَعَ إِعَانَةِ الله لِعَبْدِه حُكْمُ الثَّعْلب وَبِدُون إِمْدَاد فَضْله أَسَدٌ مُفْتَرِسٌ

أَلا فَأَعْطِنِي قَلبًا تَرَى مِنْ جَسَارَةِ الأُسُودِ وَإِنْ الفَيْتَنِي قَبْلَ ثَعْلبًا

وَالجَوَابُ الآخَرُ: إِنَّ الشَّيْطَانَ رُبَّمَا يَجِيءُ مِنْ طُرُقِ أَهْوَاءِ النَّفْسِ وَيَدُلُّهُ عَلى المُشْتَبِهَات فَيَجِدُ النُّصْرَةَ عَلَيْه بِالضَّرُورَة بِإِعَانَةِ النَّفْسِ الأَمَّارَة التِي هِيَ العَدُوُّ المُنْزِل، وَيَجْعَلُهَا مُنْقَادَةً لِنَفْسِه، وَكَيْدُ الشَّيْطَان ضَعِيفٌ فِي حَدِّ ذَاتِه وَإِنَّمَا يَفْعَل مَا يَفْعَل بِإِعَانَةِ مَنْ يُؤْوِي العَدُوَّ إِلَيْه وَبَلاؤُنَا فِي الحَقِيقَة هُوَ النَّفْسُ الأَمَّارَةُ التِي هِيَ عَدُوَّةُ أَرْوَاحِنَا لا أَحَدَ عَدُوٌّ لِنَفْسِه إِلا هَذِه الخَسِيسَةَ وَالعَدُوُّ الخَارِجِيُّ إِنَّمَا يَصْنَعُ مَا

---

(١) ــ الآية: ٦٢ من سورة يونس.

يَصْنَعُ بِإِمْدَادِهَا فَيَنْبَغِي أَوَّلاً أَنْ يَقْطَعَ رَأْسَ النَّفْسِ وَأَنْ يَمْتَنِعَ عَنِ الانْقِيَادِ إِلَيْهَا وَالازْدِرَاءِ بِهَا وَإِهَانَتِهَا وَرَأْسُ الأَخِ يُقْطَعُ فِي ضِمْنِ هَذَا الجِهَادِ وَيَصِيرُ حَقِيرًا وَذَلِيلاً، وَحِجَابُ طَرِيقِ السَّالِكِ وَسَدُّهُ هُوَ نَفْسُهُ وَالأَخُ خَارِجٌ عَنِ المَبْحَثِ فَإِنَّهُ يَدْعُو إِلَى الشَّرِّ مِنْ بُعْدٍ وَمِنْ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ إِلَى سُبُلٍ مُعْوَجَّةٍ، وَدَفْعُ العَدُوِّ الخَارِجِيِّ بَعْدَ التَّخَلُّصِ مِنِ انْقِيَادِ النَّفْسِ مُتَصَوَّرٌ بِإِمْدَادِ اللهِ تَعَالَى بِأَسْهَلِ الوُجُوهِ {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ}[1] بِشَارَةٌ لِلْعِبَادِ الَّذِينَ تَخَلَّصُوا مِنْ رِقِّيَّةِ النَّفْسِ وَأَخْلَصُوا العِبَادَةَ لِلْمَعْبُودِ الحَقِيقِيِّ وَاللهُ سُبْحَانَهُ المُوَفِّقُ.

وَمَا قَالَ مِنْ أَنَّهُ مَا لَمْ تَتَزَوَّجْ بِأُمِّهِ لا يَكُونُ مُسْلِمًا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مُرَادُهُ بِأُمِّهِ عَيْنَهُ الثَّابِتُ الَّذِي هُوَ سَبَبُ ظُهُورِ وُجُودِهِ فِي الخَارِجِ وَوَرَدَ التَّعْبِيرُ عَنِ العَيْنِ الثَّابِتِ بِالأُمِّ فِي اصْطِلاحِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ قَالَ وَاحِدٌ مِنَ الأَعِزَّةِ

وَلَدَتْ أُمِّي أَبَاهَا إِنَّ ذَا مِنْ عَجَبَاتْ

أَرَادَ بِالأُمِّ عَيْنَهُ الثَّابتَ وَبِأَبِيهَا اسْمًا مِنَ الأَسْمَاءِ الإِلَهِيَّةِ الَّذِي العَيْنُ الثَّابِتُ ظِلُّ ذَلِكَ الاسْمِ وَعَكْسُهُ وَلَمَّا كَانَ ظُهُورُ ذَلِكَ الاسْمِ فِي الخَارِجِ بِتَوَسُّطِ ذَاكَ العَيْنِ الثَّابِتِ عَبَّرَ عَنْ ذَلِكَ الظُّهُورِ بِالوِلادَةِ.

وَبِالجُمْلَةِ: يَقُولُونَ الأُمُّ وَيُرِيدُونَ بِهِ العَيْنَ الثَّابتَ وَيُقَالُ لِهَذَا العَيْنِ الثَّابِتِ تَعَيُّنًا وَجْبِيًّا فَإِنَّ التَّعَيُّنَاتِ عِنْدَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ العَلِيَّةِ خَمْسَةٌ يُقَالُ لَهَا التَّنَزُّلاتُ الخَمْسَةُ وَالحَضَرَاتُ الخَمْسُ أَيْضًا يقبتون مِنْهَا فِي مَرْتَبَةِ الوُجُوبِ تَعَيُّنَيْنِ وَثَلاثَةٌ فِي مَرْتَبَةِ الإِمْكَانِ وَالتَّعَيُّنَانِ الوُجُوبِيَّانِ هُمَا تَعَيُّنُ الوَحْدَةِ وَتَعَيُّنُ الوَاحِدِيَّةِ وَكِلاهُمَا فِي مَرْتَبَةِ العِلْمِ وَالفَرْقُ بِالإِجْمَالِ وَالتَّفْصِيلِ العِلْمِيَّيْنِ وَالتَّعَيُّنَاتُ الثَّلاثَةُ الإِمْكَانِيَّةُ هِيَ التَّعَيُّنُ الرُّوحِيُّ وَالتَّعَيُّنُ المِثَالِيُّ وَالتَّعَيُّنُ الجَسَدِيُّ وَلَمَّا كَانَ التَّعَيُّنُ الثَّابتُ فِي مَرْتَبَةِ الوَاحِدِيَّةِ يَكُونُ تَعَيُّنُهُ وُجُوبِيًّا بِالضَّرُورَةِ وَحَيْثُ إِنَّ حَقِيقَةَ المُمْكِنِ عَيْنُهُ الثَّابِتُ الَّذِي لَهُ وَجْهٌ إِلَى التَّعَيُّنِ الوُجُوبِيِّ وَذَلِكَ المُمْكِنُ كَالظِّلِّ لَهُ فَيَكُونُ أُمُّ ذَلِكَ المُمْكِنِ مِنْ عَالَمِ الوُجُوبِ الَّذِي أَظْهَرَتْهُ فِي عَالَمِ الإِمْكَانِ وَالتَّزَوُّجُ بِالأُمِّ بِمَعْنَى أَنَّ تَعَيُّنَ المُمْكِنِ الإِمْكَانِيَّ يَتَّحِدُ مَعَ تَعَيُّنِهِ الوُجُوبِيِّ

لَوْ نَقَضَ المُمْكِنُ أَغْبِرَةَ الإِمْـ ـكَانِ لا يَبْقَى سِوَى وَاجِبٌ

(١) ــ الآية: ٤٢ من سورة الحجر، والآية: ٦٥ من سورة الإسراء.

يَعْني يَكُونُ تَعيُّنُهُ الإمْكَانيُّ مُخْتَفيًا عَنْ نَظَره ، وَيُطْلَقُ لفْظُ إنَّا عَلى التَّعيُّن الوُجُوبيِّ لا بمَعْنَى أَنَّ التَّعيُّنَ الإمْكَانيَّ يَتَّحدُ بالتَّعيُّن الوُجُوبيِّ في نَفْس الأَمْر فإنَّهُ مُحَال وَالقَوْل به مُسْتَلزمٌ للالحَاد وَالزَّنْدَقَة لأَنَّ المُعَامَلةَ هُنَا بحَسَب الشُّهُود فَإنْ كَانَ زَوَال تَعيُّنٍ فَباعْتبَار الشُّهُود وَإن اتِّحَادٌ فَبالشُّهُود أَيْضًا

وَهَذَا لا يَصيرُ قَطٌّ ذَاكَا وَذَاكُمْ لا يَصيرُ قطٌ هَذَا

فَإذَا وَجَدَ السَّالكُ تَعيُّنَهُ مُتَّحدًا بذَاكَ التَّعيُّن صَارَ مُسْتَحقًّا لأَنْ يَتَخلصَ عَن التَّلوُّثَات الإمْكَانيَّة وَأَنْ يَشْرُفَ بدَوْلة الإسْلام وَالانْقيَاد لمَرْتَبَة الوُجُوب.

يَنْبَغـــي أَنْ يُعَلـــمَ: أَنَّ التَّنَزُّلات الخَمْسَةَ التي قَال بهَا ٨ الصُّوفيَّة مُجَرَّدُ اعْتبَارَات في الوُجُود وَتَتَعلقُ بالكَشْف وَالشُّهُود لا أَنَّهُ في الحَقيقَة تَنَزُّل هُنَاكَ وَتَغيُّرٌ وَتَبَدُّل فَسُبْحَانَ مَنْ لا يَتَغيَّرُ بذَاته وَلا بصفَاته وَلا في أَسْمَائه بحُدُوث الأَكْوَان وَرُبَّمَا يُوردُ الصُّوفيَّةُ عَلى السنَتهمْ أَشْيَاءَ عَلى قَدْر وجْدَانهم الذي مُتَضمِّن للسُّكْر وَغَلبَة الحَال كَلامَ السُّكَارَى يُحْمَل وَيُصْرَفُ عَن الظَّاهر وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بحَقَائق الأُمُور كُلهَا ، وَلَمَّا نَقَلتُ هَذه الكَلمَات المُوجبَةَ للقَلق وَالاضْطرَاب عَنْ شَخْص عَظيم كَتَبْنَا في حَلهَا أَشْيَاءَ بالضَّرُورَة وَإلا فَهَذَا الفَقيرُ لا يَلتَفتُ إلى أَمْثَال هَذه الكَلمَات المُشْعرَة بالمُخَالفَة وَلا يُحَرِّكُ شَفَتَيْه بالرَّدِّ وَالقَبُول {رَبَّنَا اغفرْ لنَا ذُنُوبَنَا وَإسْرَافَنَا في أَمْرنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلى القَوْم الكَافرينَ}[١] الحَمْدُ لله رَبِّ العَالمينَ أَوَّلاً وَآخرًا وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلى رَسُوله دائمًا وَسَرْمَدًا وَعَلى آله الكرَام وَصَحْبه العظَام إلى يَوْم القيَام.

---

(١) ــ الآية: ١٤٧ من سورة آل عمران.

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالأَرْبَعُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى وَالدَة المِيْر مُحَمَّد أَمِين
فِي النَّصِيحَة

النُّصْحِيَّةُ التي أَنْصَحُ بِهَا هِيَ تَصْحِيحُ العَقَائد أَوَّلاً بِمُوجب آرَاء أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة الذينَ هُمَ الفرْقَةُ النَّاجيَةُ شَكَرَ اللهُ تَعَالى سَعْيَهُمْ، وَالعَمَل بِمُقْتَضَى الأَحْكَامِ الفقْهيَّة بَعْدَ تَصْحِيحِ الاعْتقَاد أَيْضًا ضَرُوريٌّ لا بُدَّ من امْتثَال مَا نَحْنُ مَأْمُورُونَ به وَلا مَهْرَبَ منَ الانْتهَاء وَالاجْتنَاب عَمَّا نَحْنُ مَنْهيُّونَ عَنْهُ يَنْبَغي أَدَاءُ الصَّلوَات الخَمْسِ منْ غَيْر كَسَل وَلا فُتُور مَعَ رِعَايَة الشَّرَائط وَتَعْديل الأَرْكَان وَلا بُدَّ منْ أَدَاء الزَّكَاة أَيْضًا عَلى تَقْدير حُصُول النِّصَاب وَعنْدَ الإمَام الأَعْظَم ﷺ تَجبُ الزَّكَاةُ في حُليِّ النِّسَاء أَيْضًا وَلا يَنْبَغي صَرْفُ الأَوْقَات في اللهْو وَاللعب وَإتْلافُ العُمْر فيمَا لا يَعْني فَضْلاً عَنْ صَرْفهَا في أُمُور مَنْهيٍّ عَنْهَا وَإيَّاكُمْ وَالرَّغْبَةَ في الغنَاء وَالنَّغْمَة وَالانْخدَاعِ بالالتذَاذ بهَا فَإنَّهَا سُمٌّ مُطْلى بالعَسَل وَعَليْكُمْ بالاجْتنَاب عَن الغيبَة وَالنَّميمَة بَيْنَ النَّاسِ فَإنَّهُ قَدْ وَرَدَ في ارْتكَاب هَاتَيْن الذَّميمَتَيْن وَعيدٌ شَديدٌ وَالاجْتنَابُ عَنَ الكَذب وَالبُهْتَان أَيْضًا ضَرُوريٌّ وَهَاتَان الرَّذيلتَان حَرَمَان في جَميعِ الأَدْيَانَ وَمُرْتَكبُهُمَا مَوْعُودٌ عَلَيْه بوَعيدَات كَثيرَة، وَسَتْرُ عُيُوب الخَلق وَذُنُوب الخَلائقِ وَالعَفْوُ وَالتَّجَاوُزُ عَنْ زَلاتهمْ منْ عَزَائمِ الأُمُور ويَنْبَغي الشَّفَقَةُ وَالمَرْحَمَةُ عَلى المَمَاليك وَالاتْبَاعِ وَالإغْمَاضُ عَنْ تَقْصيرَاتهمْ دُونَ أَنْ يُؤَاخذَهُمْ بهَا، وَضَرْبُ هَؤُلاء المَسَاكين بوُجُوه وَبلا وَجْه وَشَتْمُهُمْ وَإيذَاؤُهُمْ غَيْرُ مُنَاسب وَغَيْرُ مُلائمٍ يَنْبَغي للإنْسَان أَنْ يَنْظُرَ إلى تَقْصيرَاته الوَاقعَة في كُل سَاعَة بالنِّسْبَة إلى جَنَاب قُدْسه تَعَالى وَهُوَ تَعَالى لا يُعَجِّل في المُؤَاخذَة عَلَيْهَا وَلا يَمْنَعُ الرِّزْقَ بسَبَبهَا، وَبَعْدَ تَصْحيحِ الاعْتقَاد وَإتْيَان الأَحْكَام الفقْهيَّة يَنْبَغي اسْتغْرَاقُ الأَوْقَات بذكْر الله تَعَالى عَلى نَهْجٍ أَخَذْتُمُوهُ وَكُل مَا يُنَافيه يَنْبَغي أَنْ يُجْتَنَبَ عَنْهُ

كُل شَيْءٍ غَيْر ذكْر الله لوْ أَكَل قَنْدًا فَهُوَ سُمٌّ قَاتل

وَقَدْ قيل في الحُضُور أَيْضًا إنَّهُ كُلمَا يُحْتَاطُ في الأُمُور الشَّرْعيَّة يَزيدُ في المَشْغُوليَّة وَإذَا وَقَعَت المُسَاهَلةُ في الأَحْكَام الشَّرْعيَّة يَزُول الحَلاوَةُ وَالالتذَاذُ بالمَشْغُوليَّة وَمَا أَكْتُبُ زِيَادَةً عَلى ذَلكَ وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالأَرْبَعُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى المَيْرزا منوجهر
فِي التَّعْزِيَة وَالنَّصِيحَة وَاغْتِنَام الشَّبَاب

أَدَامَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى جَمْعِيَّةَ ذَاكَ السَّعِيد وَالمُحْتَشِم وَطَيَّب أَوْقَاتَهُ وَتَلافَى فِي حَقِّه حُزْنَ مَا مَضَى وَفَاتَ بِأَحْسَنِ الوُجُوه وَأَفَاضَ عَلَيْه مِنْ إِنْعَامَاته.

أَيُّهَـــــا الوُلْدَانُ: زَمَانُ عُنْفُوَان الشَّبَاب كَمَا هُوَ أَوْ إِنَّ الهَوَى وَالهَوَسَ كَذَلكَ هُوَ زَمَانُ تَحْصِيل العلمِ وَاكْتِسَاب العَمَل أَيْضًا وَالعَمَل الذي يُوجَدُ فِي هَذه الأَوَان بِمُقْتَضَى الشَّرِيعَة الغَرَّاء مَعَ وُجُود اسْتيلاء المَوَانعِ الشَّهْوَانِيَّة وَالأَغْرَاضِ النَّفْسَانِيَّة لَهُ أَضْعَافُ مَزِيَّة وَاعْتِبَار وَاعْتِدَاد عَلَى العَمَل الذي يَقَعُ فِي غَيْر هَذه الأَوَان، فَإِنَّ وُجُودَ المَانعِ الذي هُوَ بَاعِثٌ عَلَى المَشَقَّة وَالمحْنَة رُفِعَ شَأْنُهُ إِلى السَّمَاء، وَعَدَمَ المَانعِ الذي هُوَ مُسْتَلزِمٌ لِعَدَمِ الكَد والعناطر ح مُعَامَلَتُهُ إلى الأَرْض وَمِنْ هَهُنَا كَانَ خَوَاصُّ البَشَرِ أَفْضَل مِنْ خَوَاصِّ المَلائكَة فَإِنَّ طَاعَةَ البَشَر مَقْرُونَةٌ بِالمَوَانعِ وَعِبَادَةُ المَلك بِلا مُزَاحمَة المَوَانِع، أَلا تَرَى أَنَّ وَقْتَ اعْتِبَارِ العَسَاكِر إِنَّمَا يَكُونُ فِي أَوَان اسْتيلاء الأَعْدَاء الذينَ هُمْ مَوَانِعُ الدَّوْلَة وَيَكُونُ لِحَرَكَتِهِمَ اليَسِيرَة فِي ذَلكَ الوَقْت أَضْعَافُ مَزِيَّة وَالاعْتبَارُ عَلَى حَرَكَتهِمَ الكَثِيرَة فِي غَيْرِ هَذَا الوَقْت، وَمَعْلومٌ أَنَّ الهَوَى وَالهَوَسَ مَرْضَى أَعْدَاء الله تَعَالى النَّفْسِ وَالشَّيْطَان وَالعلمِ وَالعَمَل بِمُقْتَضَى الشَّرِيعَة الغَرَّاء مَرْضَى حَضْرَة الرَّحْمَنِ جَل سُلطَانُهُ وَإِرْضَاءُ أَعْدَاء المَوْلَى وَإِسْخَاطُ المَوْلَى الذي هُوَ مَوْلَى النِّعَمِ بَعِيدٌ عَنِ الفَطَانَة وَالذَّكَاوَة وَاللهُ سُبْحَانَهُ المُوَفِّق.

المَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالأَرْبَعُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى جَنَابِ المِير مُحَمَّد نُعْمَانَ
فِي رَفْعِ شُبُهَاتِ مُنْكِرِي عَذَابِ القَبْرِ

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى:

اعْلَـــــمْ: أَنَّ الجَمَاعَةَ تَرَدَّدَتْ فِي عَذَابِ القَبْرِ الذي ثَبَتَ بِأَحَاديثَ مَشْهُورَة صَحيحَة بَل بآيَات قُرْآنيَّة بَل يَكَادُونَ يُنْكرُونَهُ وَيَجْزمُونَ باسْتحَالته، وَمُقْتَدَاهُمْ فِي هَذَا الاشْتبَاه إحْسَاسُ أَحْوَال المَوْتَى الغَيْر المَدْفُونَة منَ الاسْتدَامَة عَلى نَهْجٍ وَاحد التي هيَ مُنَافيَةٌ للتَّعْذيب وَالإيلام الذي منْ لوَازمه التَّذَبْذُبُ وَالاضْطرَابُ وَالجَوَابُ فِي حَل هَذَا الإشْكَال هُوَ أَنَّ حَيَاةَ عَالَم البَرْزَخِ الذي هُوَ مَوْطنُ القَبْرِ ليْسَتْ منْ قَبيل الحَيَاة الدُّنْيَويَّة التي الحَرَكَةُ الإرَاديَّةُ وَالإحْسَاسُ كلاهُمَا منْ لوَازمهَا فَإنَّ انْتظَامَ هَذه النَّشْأَة مَرْبُوطٌ بهَذَيْن الأَمْرَيْن وَفِي حَيَاة البَرْزَخِ لا حَاجَةَ إلَى حَرَكَة أَصْلاً بَل هيَ مُنَافيَةٌ لتلكَ النَّشْأَة البَرْزَخيَّة، وَالإحْسَاسُ فَقَطْ كَاف هُنَاكَ لوجْدَان أَلَم العَذَاب، فَحَيَاةُ البَرْزَخِ كَأَنَّهَا نصْفُ الحَيَاة الدُّنْيَويَّة وَتَعَلقُ الرُّوحِ هُنَاكَ بالبَدَن نصْفُ التَّعَلق به فِي النَّشْأَة الدُّنْيَويَّة فَالأَمْوَاتُ الغَيْرُ المَدْفُونَة يُحسُّونَ أَلَمَ العَذَاب بحَيَاة بَرْزَخيَّة وَلا يُوجَدُ منْهُمْ شَيْءٌ منَ الحَرَكَة وَالاضْطرَاب بتلكَ الحَيَاة أَصْلاً وَمَا أَخْبَرَ عَنْهُ المُخْبِرُ الصَّادقُ عَلَيْه وَعَلى آله أَتَمُّ الصَّلَوَات وَأَكْمَل التَّسْليمَات يَكُونُ صَادقًا.

أَوْ نَقُول؛ حَسْمًا ــ لمَادَّة هَذَا الإشْكَال وَأَمْثَاله ــ: إنَّ طَوْرَ النُّبُوَّة وَرَاءَ طَوْرِ العَقْل وَالفكْر، وَالأُمُورُ التي العَقْل قَاصرٌ فِي إدْرَاكهَا تَثْبُتُ بطَوْر النُّبُوَّة فَإنْ كَانَ العَقْل كَافيًا فَلأَيِّ شَيْء يَكُونُ بَعْثَةُ الأَنْبيَاء عَلَيْهمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَلأَيِّ شَيْء يَكُونُ العَذَابُ الأُخْرَويُّ مَرْبُوطًا ببعْثَتهمْ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالى {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا}(١) العَقْل وَإنْ كَانَ حُجَّةً وَلَكنَّهُ لَيسَ بحُجَّة بَالغَة كَاملة، وَالحُجَّةُ البَالغَةُ إنَّمَا تَحَقَّقَتْ ببعْثَة الأَنْبيَاء عَلَيْهمُ السَّلامُ وَبهَا قَطَعَت السُّنَّةُ أَعْذَارَ المُكَلفينَ قَال اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالى: {رُسُلاً مُبَشِّرينَ وَمُنْذرينَ لئَلا يَكُونَ للنَّاسِ عَلى الله

---

(١) ــ الآية: ١٥ من سورة الإسراء.

حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا}(١) فَإذَا ثَبَتَ للعَقْلِ قُصُورٌ فِي إِدْرَاكِ بَعْضِ الأُمُورِ فَوَزْنُ جَمِيعِ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ بِمِيزَانِ العَقْلِ لا يَكُونُ مُسْتَحْسَنًا وَالتِزَامُ تَطْبِيقِهَا عَلَى العَقْلِ حُكْمٌ فِي الحَقِيقَةِ بِاسْتِقْلالِ العَقْلِ وَإِنْكَارِ بِطَوْرِ النُّبُوَّةِ أَعَاذَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ مِنْ ذَلِكَ، يَنْبَغِي أَوَّلاً فِكْرُ الإِيمَانِ بِرَسُولِ اللهِ وَتَصْدِيقُ رِسَالَتِهِ ﷺ حَتَّى يُصَدَّقَ فِي جَمِيعِ الأَحْكَامِ وَبِوَسَاطَتِهِ يَتَيَسَّرُ الخَلاصُ مِنْ ظُلُمَاتِ الشُّكُوكِ وَالشُّبُهَاتِ يَنْبَغِي أَنْ يَتَعَقَّلَ الأَصْلَ حَتَّى يَتَعَقَّلَ الفَرْعُ بَعْدَ ذَلِكَ وَيُعْلَمَ مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ وَتَعَقُّلٍ كُلُّ فَرْعٍ بِلا إِثْبَاتِ أَصْلٍ مُتَعَسِّرٌ جِدًّا وَأَقْرَبُ طُرُقِ الوُصُولِ إِلَى ذَلِكَ التَّصْدِيقُ وَحُصُولُ اطْمِئْنَانِ القَلْبِ بِذِكْرِ اللهِ جَلَّ سُلْطَانُهُ قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ}(٢) {الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ}(٣) وَالوُصُولُ إِلَى هَذَا المَطْلَبِ العَالِي مِنْ طَرِيقِ النَّظَرِ وَالاسْتِدْلالِ بَعِيدٌ جِدًّا

أَقْدَامُ أَهْلِ نَظَرٍ مِنْ خَزَفٍ وَمَا الذي تَمْكِينُهُ يَا لَهْفِي

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ مُقَلِّدِي الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ بَعْدَ إِثْبَاتِ نُبُوَّتِهِمْ وَبَعْدَ تَصْدِيقِ رِسَالَتِهِمْ مِنَ المُسْتَدِلِّينَ وَتَقْلِيدُهُمْ إِيَّاهُمْ وَتَصْدِيقُ كَلامِهِمْ ح عَيْنُ الاسْتِدْلالِ مَثَلاً إِذَا أَثْبَتَ شَخْصٌ أَصْلاً مِنَ الأُصُولِ بِاسْتِدْلالٍ فَجَمِيعُ الفُرُوعِ الَّتِي تَنْشَأُ وَتَتَشَعَّبُ مِنْ هَذَا الأَصْلِ تَكُونُ مُسْتَنِدَةً إِلَى الاسْتِدْلالِ وَبِاسْتِدْلالِ الأَصْلِ يَكُونُ مُسْتَدِلاً فِي جَمِيعِ فُرُوعِهِ ، {الحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالحَقِّ}(٤) {وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}(٥).

---

(١) ـــ الآية: ١٦٥ من سورة النساء.

(٢) ـــ الآية: ٢٨ من سورة الرعد.

(٣) ـــ الآية: ٢٩ من سورة الرعد.

(٤) ـــ الآية: ٤٣ من سورة الأعراف.

(٥) ـــ الآية: ٤٨ من سورة طه.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالأَرْبَعُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى مَوْلانَا مُحَمَّد طَاهِرِ البَدَخْشِيِّ
فِي بَيَانِ أَنَّ: " كُلَ مَا يَصْدُرُ فِي الجَمِيلِ المُطْلَقِ فَهُوَ جَمِيل مُطْلَقًا "

الحَمْدُ لله رَبِّ العَالمينَ دَائمًا وَعَلى كُل حَال إيَّاكُمْ وَالتَّوَحُّشَ وَالتَّضجُّرَ مِنْ سَمَاعِ الأَخْبَارِ المُوحشَة فَإنَّ كُلَ مَا يَصْدُرُ عَنَ الجَميلِ المُطْلَقِ يَكُونُ حَسَنًا وَمَليحًا وَإنْ كَانَ ظُهُورُهُ بصُورَة الجَلال؛ وَلكنَّهُ فِي الحَقيقَة منَ الجَمَال، لا تَحْملنَّ هَذَا الكَلامَ عَلى التَّقوُّل وَلا تَصْرفَنَّهُ إلى الفُتُوَّة بَل لهُ تَمَامُ الحَقيقَة وَكَمَال اللبِّ لا يَصحُّ بالتَّكَلم وَالكتَابَة فَإنْ تَيَسَّرَت المُلاقَاةُ فِي الدُّنْيَا فَبهَا وَإلا فَمُعَامَلَةُ الآخرَة قَريبَةٌ وَبشَارَةُ المَرْءِ مَعَ مَنْ أَحَبَّ مُوَرِّثَةٌ التَّسَلي للمَهْجُورَيْنِ وَوَصَلت الصَّحيفَةُ الشَّريفَةُ المُرْسَلةُ مَعَ الدَّرْويشِ مُحَمَّد عَليٍّ الكَشْميرِيِّ وَأَطْلَعْنَا مَا كَتَبْتُمْ وَكَتَبْنَا فِي جَوَابه مَا يَسَعُهُ الوَقْتُ ليَكُنِ الأَوْلادُ وَالأَحْبَابُ عَلى جَمْعيَّةٍ ثَابتينَ فِي مَكَانهِمْ رَاضينَ بقَضَاء الله تَعَالى.

المَكْتُوبُ الخَمْسُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى المُلا إبْرَاهِيمَ
فِي جَوَابِ سُؤَالِهِ عَنْ مَعْنَى حَدِيث: "سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي" الحَدِيث وَدَرَجَةُ أَرْبَابِ الفَقْرِ

يَنْبَغِي أَنْ يُعَلَمَ: أَنَّ المُرَادَ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ " كُلهُمْ فِي النَّارِ إِلا وَاحِدَةً "، الوَاقِعُ فِي حَدِيث " سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي إِلى اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً " دُخُولهُمْ فِي النَّارِ وَمُكْثُهُمْ فِي عَذَابِهَا مُدَّةً لا خُلودُهُمْ فِي النَّارِ وَدَوَامُهُمْ فِي عَذَابِهِمْ فَإِنَّ ذَلكَ مُنَافٍ للإِيمَانِ وَمَخْصُوصٌ بِالكُفَّارِ، غَايَةُ مَا فِي البَابِ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ البَاعِثُ عَلى دُخُولهِمْ فِي النَّارِ مُعْتَقَدَاتُهُمَ السُّوءَ يُدْخِلهُمْ فِيهَا بِالضَّرُورَةِ وَيُعَذَّبُونَ عَلى مِقْدَارِ خُبْثِ اعْتِقَادِهِمْ بِخِلافِ الفِرْقَةِ الوَاحِدَةِ بَعْضٌ مِنْهُمُ الأَعْمَالَ السَّيِّئَةُ وَلمْ يُعْفَ عَنْهُ بِالتَّوْبَةِ أَوِ الشَّفَاعَةِ يَجُوزُ أَنْ يُعَذَّبَ بِالنَّارِ بِقَدْرِ ذَنْبِهِ وَيَتَحَقَّقُ الدُّخُول فِي النَّارِ فِي حَقِّهِ فَدُخُول النَّارِ فِي سَائِرِ الفِرَقِ شَامِل لِجَمِيعِ الأَفْرَادِ وَإِنِ انْتَفَى الخُلودُ وَفِي حَقِّ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ مَخْصُوصٌ بِبَعْضِ مُرْتَكِبِ المَعْصِيَةِ وَفِي كَلِمَةِ كُلهُمْ رَمْزٌ إِلى هَذَا البَيَانِ كَمَا لا يَخْفَى وَحَيْثُ إِنَّ هَذِهِ الفِرَقَ المُبْتَدِعَةَ مِنْ أَهْلِ القِبْلةِ لا يَنْبَغِي الجَرَاءَةُ فِي تَكْفِيرِهِمْ مَا لمْ يُنْكِرُوا لِضَرُورِيَّاتِ الدِّينِ وَلمْ يَرُدُّوا مَا ثَبَتَ مِنَ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ بِالتَّوَاتُرِ وَقَبِلوا مَا عُلِمَ مَجِيئُهُ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ قَال العُلمَاءِ لوْ وُجِدَ فِي مَسْأَلةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ وَجْهًا تُوجِبُ التَّكْفِيرَ وَوَجْهٌ وَاحِدٌ يَنْبَغِي تَصْحِيحُ هَذَا الوَجْهِ وَأَنَّ لا يُحْكَمَ بِالكُفْرِ وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلمُ وَكَلِمَتُهُ أَحْكَمُ.

وَأَيْضًا يَنْبَغِي أَنْ يُعَلمَ: أَنَّ المُرَادَ وَمِنْ نِصْفِ اليَوْمِ الذِي يَدْخُل فُقَرَاءُ هَذِهِ الأُمَّةِ قَبْل الأَغْنِيَاءِ بِتِلكَ المُدَّةِ فِي الجَنَّةِ هُوَ خَمْسُمِائَةِ سَنَةٍ مِنْ سِنِي الدُّنْيَا فَإِنَّ اليَوْمَ عِنْدَ اللهِ تَعَالى أَلفُ سَنَة {وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ}(١) شَاهِدٌ لِهَذَا المَعْنَى وَكَيْفِيَّةُ تَقْدِيرِ تِلكَ المُدَّةِ مُفَوَّضَةٌ إِلى عِلمِ اللهِ جَل شَأْنُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ لَيْل وَلا نَهَارٌ وَلا سَنَةٌ وَلا قَمَرٌ مُتَعَارَفَةٌ وَالمُرَادُ مِنَ الفَقِيرِ الفَقِيرُ الصَّابِرُ الذِي هُوَ مُلتَزِمٌ لِإِتْيَانِ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَمُجْتَنِبٌ عَنِ المَنْهِيَّاتِ الشَّرْعِيَّةِ وَللفُقَرَاءِ دَرَجَاتٌ وَمَرَاتِبُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ وَأَعْلى مَرَاتِبِهِ إِنَّمَا يُتَصَوَّرُ فِي مَقَامِ الفَنَاءِ الذِي يَكُونُ فِيهِ غَيْرُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ مُضْمَحِلاً وَمُتَلاشِيًا مَنْسِيًّا وَمَنْ هُوَ جَامِعٌ لِجَمِيعِ مَرَاتِبِ

---

(١) ـــ الآية: ٤٧ من سورة الحج.

الفَقِيرِ أَفْضَلَ مِمَّنْ يَتَحَقَّقُ بِبَعْضِهَا دُونَ بَعْضٍ فَمَنْ فَقْرٍ ظَاهِرٍ مَعَ وُجُودِ الفَنَاءِ أَفْضَلَ مِمَّنْ لَهُ الفَنَاءُ فَقَطْ دُونَ الفَقْرِ الظَّاهِرِ فَافْهَمْ.

المَكْتُوبُ الحَادِي وَالخَمْسُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة إلى الخَوَاجَهْ حُسَامِ الدِّينِ أَحْمَدَ في جَوَابِ مُشَاوَرَتِه لسَفَرِ الحَجِّ مَعَ تَوَابِعه

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى:

وَبَعْـــدُ: إنَّ أَحْوَال فقَرَاء هَذه الحُدُود وَأَوْضَاعَهُمْ مُسْتَوْجبَةٌ للحَمْد المَسْئُول منَ الله سُبْحَانَهُ سَلامَتُكُمْ وَعَافيَتُكُمْ وَقَدْ تَشَرَّفْتُ بمُطَالعَة الصَّحيفَة الشَّريفَة المُرْسَلة باسْم هَذَا الفَقْر عَلى وَجْه الشَّفَقَة وَالمَرْحَمَة وَقَدْ أَظْهَرَ ثَمَّ اشْتيَاقَ التَّوَطُّنِ في أَحَدَ الحَرَمَيْنِ الشَّريفَيْن مَعَ الأَهْل وَالعيَال وَالمَوْتَ فيه.

أَيُّهَـــا المَخْـــدُومُ المُكَـــرَّمُ: إنَّ ذَهَابَ الأَهْل وَالعيَال لا يَظْهَرُ في النَّظَر بَل يَكَادُ يُفْهِمُ المَنعَ وَذَهَابُكُمْ وَحْدَكُمْ يَظْهَرُ في النَّظَرِ مُسْتَحْسَنًا وَنَرْجُو وُصُولَكُمْ بالسَّلامَة، وَالأَمْرُ إلى الله سُبْحَانَهُ.

وَكَتَبْتُمْ أَيْضًا في مَادَّة السَّيِّد أَنَّ الأَطبَّاءَ حَاكمُونَ بضَرَره.

أَيُّهَـــا المُشْفقُ: إنَّهُ كُلمَا يُمْعنُ النَّظَرَ لا يُشَاهدُ فيه الضَّرَرَ بَيْدَ أَنَّهُ يُحسُّ ظُلمَةً غَيْرَ ظُلمَة الضَّرَر وَلَمْ نَدْر مَا وَجْهُهَا.

وَبالجُمْلَة: إنَّ ضَرَرَ الأَطبَّاء مَفْقُودٌ وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ وَالسَّلامُ.

المَكْتُوبُ الثَّاني وَالخَمْسُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى مَوْلانَا مُحَمَّد صَادق الكَشْميريِّ
في بَيَان علم اليَقين الحَاصل للصُّوفيَّة
وَعلم اليَقين الكَائن لأَرْبَاب المَعْقُول

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى:

اعْلَـــمْ: أَنَّ علمَ اليَقين عبَارَةٌ عنْدَ الصُّوفيَّة عَنْ يَقين حَاصل منَ الاسْتدْلال بالأَثَر عَلى المُؤَثِّر وَهَذَا المَعْنَى مُيَسَّرٌ لأَهْل النَّظَر وَالاسْتدْلال فَمَا يَكُونُ الفَرْقُ بَيْنَ علم اليَقين المَخْصُوص بالصُّوفيَّة وَعلم اليَقين الحَاصل لأَرْبَاب المَعْقُول وَلَم يَكُونُ علمُ اليَقين المُخْتَصِّ بالصُّوفيَّة دَاخلاً في الكَشْف وَالشُّهُود وَلا يَكُونُ مَا للعُلمَاء خَارجًا عَنْ مَضيق النَّظَر وَالفكْر.

يَنْبَغـــي أَنْ يُعلَـــمَ: أَنَّ شُهُودَ الأَثَر لازمٌ في علم كلتَا الطَّائفتَيْن حَتَّى يَنْتَقل منْهُ إلى المُؤَثِّر الذي هُوَ غَيْرُ مَشْهُود، غَايَةُ مَا في البَاب أَنَّهُ لَمَّا كَانَ بَيْنَ الأَثَر وَالمُؤَثِّر ارْتبَاطٌ أَيْضًا مَكْشُوفٌ وَمَشْهُودٌ في علم اليَقين المُخْتَصِّ بالصُّوفيَّة دُونَ مَا للعُلمَاء فَإنَّهُ نَظَريٌّ وَفكْريٌّ فيه فَيَكُونُ الانْتقَال أَيْضًا نَظَريًّا وَفكْريًّا بالضَّرُورَة فَيَكُونُ يَقينُ الطَّائفَة الأُولى دَاخلاً في الكَشْف وَالشُّهُود دُونَ يَقين الطَّائفَة الثَّانيَة فَإنَّهُ لا يَكُونُ خَارجًا منْ مَضيق الاسْتدْلال، وَإطْلاقُ الاسْتدْلال عَلى يَقين الصُّوفيَّة مَبْنيٌّ عَلى الظَّاهر وَالصُّورَة لكَوْنه مُتَضَمِّنًا للانْتقَال منَ الأَثَر إلى المُؤَثِّر وَإلا فَفي الحَقيقَة دَاخل في الكَشْف وَالشُّهُود بخلاف يَقين العُلمَاء فَإنَّ فيه حَقيقَةَ الاسْتدْلال وَلَمَّا كَانَ هَذَا الفَرْقُ الدَّقيقُ مَخْفيًّا عَلى الأَكْثَرين بَقوْا في مَرْتَبَة الحَيْرَة بالضَّرُورَة وَأَطَال جَمَاعَةٌ منْهُمْ منْ قُصُوره لسَانَ الاعْترَاض عَلى بَعْض الأَعزَّة الذي فَسَّرَ علمَ اليَقين المُخْتَصَّ بالصُّوفيَّة بالاسْتدْلال منَ الأَثَر إلى المُؤَثِّر كُل ذَلكَ لعَدَم الاطِّلاع عَلى حَقيقَة الأَمْر وَالله يُحقُّ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدي السَّبيل {وَالسَّلامُ عَلى مَن اتَّبعَ الهُدَى}(١).

---

(١) ـــ الآية: ٤٨ من سورة طه.

المَكْتُوبُ الثَّالثُ وَالخَمْسُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى وَاحدَة منَ النِّسَاء الصَّالحَات
في النَّصَائح الضَّرُوريَّة لطَائفَة النِّسَاء

قَال اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالى {يَا أَيُّهَا النَّبيُّ إذَا جَاءَكَ المُؤْمنَاتُ يُبَايعْنَكَ عَلى أَنْ لا يُشْركْنَ بالله شَيْئًا}(١) الآيَةَ " نَزلَتْ هَذه الآيَةُ يَوْمَ فَتْح مَكَّةَ وَلَمَّا فَرَغَ رَسُول الله ﷺ منْ بَيْعَة الرِّجَال شَرَعَ في بَيْعَة النِّسَاء " وَكَانَتْ بَيْعَةُ النِّسَاء بمُجَرَّد القَوْل لَمْ تَمَسَّ يَدُ النَّبيِّ ﷺ يَدَ النِّسَاء البَايعَات أَصْلاً وَلَمَّا كَانَت الذَّمَايمُ وَالأَخْلاقُ الرَّديَّةُ في النِّسَاء أَكْثَرَ منْهَا في الرِّجَال بَيَّنَ في بَيْعَة النِّسَاء شَرَائطَ زَائدَةً عَلى مَا في بَيْعَة الرِّجَال وَنَهى النِّسَاءَ عَنْ تلكَ الذَّمَايم في ذَلكَ الوَقْت لامْتثَال أَمْر الله تَعَالى ، الشَّرْطُ الأَوَّل عَدَمُ اشْرَاك شَيْء بالله تَعَالى لا في وُجُوب الوُجُود وَلا في اسْتحْقَاق العبَادَة وَمَنْ لَمْ يَكُنْ عَمَلُهُ مُبَرَّأً عَنْ شَائبَة الرِّيَاء وَالسُّمْعَة وَمَظنَّة طَلَب الأَجْر منْ غَيْر الله تَعَالى وَلَوْ بالقَوْل وَالذِّكْر الجَميل فَلَيْسَ هُوَ بخَارج منْ دَائرَة الشِّرْك وَلا هُوَ مُوَحِّدٌ مُخْلصٌ قَال عَلَيْه وَعَلى آله وَصَحْبه الصَّلاةُ وَالسَّلام " الشِّرْكُ في أُمَّتي أَخْفَى منْ دَبيب النَّمْلَة التي تَدبُّ في لَيْلة ظَلْمَاءَ عَلى صَخْرَة سَوْدَاءَ "

لاف بر شركى مزن كان ازنشان بائى مور درشب تَاربك برسنك نازكتراست

وَقَال عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلام: "وَاتَّقُوا الشِّرْكَ الأَصْغَرَ قَالوا: مَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ؟ قَال: الرِّيَاءُ".

وَلتَعْظيم مَرَاسم الشِّرْك وَمَوَاسم الكُفْر كُلهَا قَدَمٌ رَاسخٌ في الشِّرْك وَالمُصدِّقُ للدِّينَيْن منْ أَهْل الشِّرْك وَالمُتَشَبِّثُ بمَجْمُوع أَحْكَام الإسْلام وَالكُفْر مُشْركٌ وَالتَّبرِّي منَ الكُفْر شَرْطُ الإسْلام وَالاجْتنَابُ عَنْ شَائبَة الشِّرْك تَوْحيدٌ ، وَاسْتمْدَادٌ منَ الأَصْنَام وَالطَّاغُوت في دَفْع الأَمْرَاض وَالأَسْقَام كَمَا هُوَ شَائعٌ فيمَا بَيْنَ جَهَلة أَهْل الإسْلام عَيْنُ الشِّرْك وَالضَّلالة وَطَلَبُ الحَوائج منَ الأَحْجَار المَنْحُوتَة نَفْسُ الكُفْر وَإنْكَارٌ عَلى وَاجب الوُجُود تَعَالى وَتَقَدَّسَ قَال اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالى شكَايَةً عَنْ حَال بَعْض أَهْل الضَّلال {يُريدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إلى الطَّاغُوت وَقَد أُمرُوا أَنْ يَكْفُرُوا به وَيُريدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضلهُمْ ضَلالاً بَعيدًا}(٢)

---

(١) ــ الآية: ١٢ من سورة الممتحنة.

(٢) ــ الآية: ٦٠ من سورة النساء.

وَأَكْثَرُ النِّسَاء مُبْتَلَيَاتٌ بِهَذَا الاسْتِمْدَاد المَمْنُوعِ عَنْهُ بِوَاسِطَة كَمَال الجَهْل فِيهِنَّ يَطْلُبْنَ دَفْعَ البَلِيَّة مِنْ هَذه الأَسْمَاء الخَالِيَة مِنَ المُسَمَّيَات وَمَفْتُونَاتٌ بِأَدَاء مَرَاسِمِ الشِّرْك وَأَهْل الشِّرْك خصوصًا وَقْتَ عُرُوضِ مَرَضِ الجُدَرِيِّ المَعْرُوفُ فِيمَا بَيْنَ نسَاء الهُنُود بالستيلة فَإِنَّ ذَلكَ الفعْل مَشْهُودٌ وَمَحْسُوسٌ مِنْ خيَارهِمْ وَشرَارِهِنَّ فِي ذَلكَ الوَقْت بحَيْثُ لا تَكَادُ تُوجَدُ امْرَأَةٌ خَاليَةٌ منْ دَقَائق هَذَا الشِّرْك وَتَارِكَةٌ الإِقْدَامَ عَلَيْه برَسْمٍ مِنْ رُسُومه إلا مَنْ عَصَمَهَا اللهُ تَعَالى، وَتَعْظِيمُ الأَيَّام المُعَظَّمَة عنْدَ الهُنُود وَأَدَاءُ رُسُومِ الأَيَّام المُتَعَارَفَة عنْدَ اليَهُود مُسْتَلزمٌ للشِّرْك وَمُسْتَوْجِبٌ للكُفْر كَمَا أَنَّ جَهَلَةَ أَهْل الإِسْلامِ خُصُوصًا طَائفَةَ نسَائِهِمْ يُؤَدُّونَ رُسُومَ أَهْل الكُفْر فِي أَيَّام دَوَالِي الكُفَّار وَيَجْعَلونَهُمْ عيدَهُمْ وَيُرْسلونَ إلى بُيُوت بَنَاتهمْ وَإِخْوَانهمْ هَدَايَا كَهَدَايَا أَهْل الشِّرْك وَيَصْبُغُونَ فِي ذَلكَ المَوْسمِ ظُرُوفَهُمْ مثْل الكُفَّار وَيَمْلئُونَهَا بالأَرُزِّ الأَحْمَر ثُمَّ يُرْسلونَهَا هَدَايَا وَيَعْتَنُونَ بهَذَا المَوْسم كَمَا الاعْتنَاءُ وَكُل ذَلكَ شرْكٌ وَكُفْرٌ بدينِ الإِسْلامِ قَال اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالى {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ باللهِ إلا وَهُمْ مُشْرِكُون}[1] وَمَا يَفْعَلونَهُ منْ ذَبْحِ الحَيَوَانَات المَنْذُورَة للمَشَائِخِ عنْدَ قُبُورِ المَشَائخ المَنْذُورَة لهُمْ جَعَلهُ الفُقَهَاءُ أَيْضًا فِي الرِّوَايَات الفقْهيَّة دَاخلاً فِي الشِّرْك وَبَالغُوا فِي هَذَا البَاب وَالحَقُوهُ بجِنْسِ ذَبَائحِ الجِنِّ المَمْنُوعِ عَنْهَا شَرْعًا وَالدَّاخل فِي دَائرَة الشِّرْك فَيَنْبَغي الاجْتنَابُ عَنْ هَذَا العَمَل أَيْضًا لكَوْن شَائبَة الشِّرْك فيه فَإِنَّ وُجُوهَ النَّذْرِ غَيْرَ ذَلكَ كَثيرَةٌ فَأَيُّ شَيْءٍ يُرْتَكَبُ ذَبحُ الحَيَوَان وَيُجْعَل مُلحَقًا بذَبَائحِ الجنِّ وَيَتَشَبَّهُ به بعَبَدَة الجِنِّ وَمثْل ذَلكَ صيَامُ نسَاء بنيَّة المَشَايِخ وَبلا بَيَان وَيَنْحَتْنَ أَكْثَرَ أَسَاميهمْ منْ عنْد أَنْفُسهنَّ وَيَصُمْنَ بنيَّتهمْ وَيُعَيِّنَّ لكُل إِفْطَارِ يَوْمٍ وَضْعًا مَخْصُوصًا وَيُعَيِّنَّ الأَيَّامَ أَيْضًا للصِّيَام وَيَجْعلنَ مَطَالبَهُنَّ وَمَقَاصِدَهُنَّ مَرْبُوطَةً بتلكَ الصِّيَام وَيَطْلُبْنَ حَوَائجَهُنَّ منْهُمْ بوَاسطَة تلكَ الصِّيَام يَزْعُمْنَ قَضَاءَ حَوَائجِهُنَّ منْهُمْ وَذَلكَ الفعْل إِشْرَاكٌ للغَيْرِ فِي عبَادَة اللهِ تَعَالى وَطَلَبٌ لقَضَاء الحَوَائج عَنَ الغَيْر بوَاسطَة العبَادَة إليْه.

يَنْبَغِــي أَنْ يُعْلَــــمَ: شَنَاعَةُ هَذَا الفعْل وَقَدْ وَرَدَ فِي الحَديث القُدْسيِّ قَال اللهُ تَعَالى " الصَّوْمُ لى وَأَنَا أَجْزِي به " يَعْني أَنَّ الصَّوْمَ مَخْصُوصٌ بِي لا شَرِكَةَ للغَيْرِ بِي فِي الصَّوْمِ وَإِنْ لمْ يَجُزْ إِشْرَاكُ أَحَدٍ بِهِ تَعَالى فِي جَميعِ العبَادَات

---

(١) ــ الآية: ١٠٦ من سورة يوسف.

وَلكنَّ تَخْصيصَ الصَّوْمِ لاهْتمَامٍ به وَالتَّأْكيد في نَفْيِ الشَّرِكَة عَنْهُ وَقَوْل بَعْضِ النِّسَاءِ وَقْتَ إظْهَارِ شَنَاعَة هَذَا الفعْلِ نَحْنُ نَصُومُ هَذه الصِّيَامَ لله تَعَالى وَإنَّمَا نَهْدي ثَوَابَهَا لأَرْوَاحِ المَشائخ جلَةً

منْهُنَّ فَإنْ كُنَّ صَادقَات في ذَلكَ فَلأَيِّ شَيْءٍ يُحْتَاجُ إلى تَعْيين الأَيَّام للصِّيَامِ وَتَخْصيصِ الطَّعَامِ وَتَعْيين أَوْضَاعٍ شَنيعَة مُخْتَلفَةً في الإفْطَارِ وَكَثيرًا مَا يَرْتَكبْنَ المُحَرَّمَات وَقْتَ الإفْطَارِ وَيُفطرْنَ بشَيْءٍ حَرَامٍ وَيَسْأَلنَّ شَيْئًا منْ غَيْرِ حَاجَة وَيُفطرْنَ به وَيَزْعُمُونَ قَضَاءَ حَوَائجهُنَّ مَخصُوصًا بارْتكَابِ هَذَا المُحَرَّمِ وَهَذَا عَيْنُ الضَّلالَة وَتَسْويل الشَّيْطَان اللعين وَاللهُ العَاصمُ.

وَالشَّرْطُ الثَّاني: المَذْكُورُ في بَيْعَة النِّسَاء النَّهْيُ عَنِ السَّرِقَة وَهيَ منْ كَبَائرِ السَّيِّئَات وَحَيْثُ كَانَتْ هَذه الذَّميمَةُ مُتَحَقِّقَةً في أَكْثَرِ أَفْرَاد النِّسَاء حَتَّى لا تَكَادَ تُوجَدُ امْرَأَةٌ خَاليَةٌ عَنْهَا جَعَلَ النَّهْيَ منْ شَرَائط بَيْعَتهنَّ والتي يَتَصرَّفْنَ في أَمْوَال أَزْوَاجهنَّ منْ غَيْرِ إذْنهمْ وَيُتْلفْنَهَا بلا تَحَاشٍ دَاخلاتٌ في جُمْلَة السَّارقَات وَهَذَا المَعْنَى يُمْكنُ أَنْ نَقُول إنَّهُ ثَابتٌ في عُمُومِ النِّسَاء وَهَذه الخيَانَةُ تَكَادُ تُوجَدُ في جَميعِ أَفْرَادهنَّ إلا مَنْ عَصَمَهَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَليْتَهُنَّ يُعْددْنَ ذَلكَ سَيِّئَةً وَخيَانَةً ، وَخَوْفُ اسْتحْلال هَذه السَّيِّئَة غَالبٌ في حَقِّهنَّ وَخَوْفُ الكُفْرِ منْ جهَة هَذَا الاسْتحْلال أَزْيَدُ في شَأْنهنَّ وَالحَكيمُ المُطْلَقُ جَل شَأْنُهُ نَهَى النِّسَاءَ عَنِ السَّرِقَة بَعْدَ النَّهْيِ عَنِ الشِّرْك بعَلاقَة أَنَّ لهَذه الذَّميمَة قَدَمًا رَاسخًا في الكُفْرِ في حَقِّهنَّ وَذَلكَ بوَاسطَة شُيُوعِ اسْتحْلالهنَّ إيَّاهَا وَإنَّهَا إنْكَارٌ منْ سَائرِ كَبَائرِ السَّيِّئَات في حَقِّهنَّ فَإذَا حَصَلَ للنِّسَاء بوَاسطَة تَكْرَارِ أَخْذُ أَمْوَال أَزْوَاجهنَّ مَلَكَةُ الخيَانَة وَزَال قُبْحُ التَّصرُّف في أَمْوَال الغَيْرِ عَنْ نَظَرهنَّ لا يَبْعُدُ أَنْ يَتَعَدَّى تَصرُّفُهُنَّ في أَمْوَال غَيْرِ أَزْوَاجهنَّ فَيَسْرقْنَ أَمْوَال الغَيْرِ وَيَخُنَّ فيهَا بلا تَحَاشٍ يَكَادُ يَكُونُ هَذَا المَعْنَى وَاضحًا بأَدْنَى تَأَمُّلٍ فَتَحَقَّقَ أَنَّ نَهْيَ النِّسَاء عَنِ السَّرِقَة منْ أَهَمِّ مُهمَّات الإسْلامِ وَتَعَيَّنَ كَوْنُ قُبْحهَا بَعْدَ قُبْحِ الشِّرْك بالنِّسْبَة إلَيْهنَّ.

تذْييل

قَال نَبيُّنَا ﷺ يَوْمًا للأَصْحَاب أَتَدْرُونَ مَا أَسْوأُ السَّرِقَة؟ قَالوا اللهُ وَرَسُولهُ أَعْلَمُ ، قَال إنَّ أَسْوَأَ السَّرِقَة مَنْ يَسْرِقُ منْ صلاته " يَعْني لا يُكْمل أَرْكَانَ صَلاته وَلا يُؤَدِّيهَا عَلى وَجْه الكَمَال وَالاجْتنَابُ عَنْ هَذه السَّرِقَة أَيْضًا ضَرُورَةٌ حَتَّى يَكُونَ منْ أَسْوأ السَّارقينَ فَيَنْبَغي أَنْ يَنْويَ الصَّلاةَ بحُضُورِ القَلْب فَإنَّ

العَمَل لا يَصِحُّ بِدُونِ حُصُول النِّيَّة وَأَنْ يَقْرَأَ القِرَاءَةَ صَحِيحَةً وَأَدَاءُ الرُّكُوعِ وَالسُّجُود وَالقَوْمَة وَالجلسَة بالاطْمِئنَان يَعْني يَنْبَغي أَنْ يَقُومَ بَعْدَ الرُّكُوعِ قِيَامًا كَاملاً وَأَنْ يَسْكُنَ فيهَا مقْدَارَ تَسْبيحَة وَأَنْ يَجْلسَ بَيْنَ السَّجْدَتَيْن مقْدَارَ تَسْبيحَة أَيْضًا حَتَّى يَتَيَسَّرَ الاطْمئْنَانُ في القَوْمَة وَالجلسَة فَمَنْ لَمْ يَفْعَل كَذَلكَ فَقَدْ أَدْخَلَ نَفْسَهُ فِي زُمْرَة السَّارقينَ وَصَارَ مَوْرِدًا للوَعيد.

وَالشَّرْطُ الثَّالثُ: المَنْصُوصُ في بَيْعَة النِّسَاء النَّهْيُ عَنِ الزِّنَا وَتَخْصيصُ بَيْعَة النِّسَاء بِهَذَا الشَّرْط بوَاسطَة أَنَّ حُصُول الزِّنَا إِنَّمَا يَكُونُ في الأَغْلَب بتَوَسُّط حُصُول رضَاء النِّسَاء بِهَذَا العَمَل وَعَرْض أَنْفُسهنَّ عَلَى الرِّجَال فَتَكُونُ النِّسَاءُ أَسْبَقَ فيه وَيَكُونُ رضَاهُنَّ مُعْتَبَرًا في حُصُوله فَيَكُونُ النَّهْيُ عَنْهُ آكَدُ في حَقِّهِنَّ وَيَكُونُ الرِّجَال تَابعينَ للنِّسَاء فيه وَمنْ هُنَا قَدَّمَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ الزَّانيَةَ عَلَى الزَّاني في كتَابه المَجيد وَقَال تَعَالَى: {الزَّانيَةُ وَالزَّاني فَاجْلدُوا كُل وَاحد منْهُمَا مائَةَ جَلْدَة }(١) وَهَذه الذَّميمَةُ مُوجبَةٌ لخَسَارَة الدُّنْيَا وَالآخرَة وَمُسْتَقْبَحَةٌ في جَميعِ الأَدْيَان وَمُسْتَنْكَرَةٌ رَوَى أَبُو حُذَيْفَةَ ﷺ عَنِ النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَال أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا منَ الزِّنَا فَإِنَّ فيه ستَّةَ خصَال ثَلاثَةٌ منْهَا في الدُّنْيَا وَثَلاثَةٌ في الآخرَة فَأَمَّا التي في الدُّنْيَا الأُولى أَنَّ الزِّنَا يُذْهبُ بَهَاءَ الإِنْسَان وَنُورَانيَّتَهُ وَصَفَاءَهُ وَالثَّانيَةُ أَنَّهُ يُورِّثُ الفَقْرَ وَالثَّالثَةُ أَنَّهُ يُورِّثُ النُّقْصَانَ في العُمْر وَأَمَّا التي في الآخرَة فَأَحَدُهَا سَخَطُ الله وَغَضَبُهُ تَعَالى وَالثَّانيَةُ سُوءُ الحسَاب وَالثَّالثَةُ عَذَابُ النَّار "

اعْلَـــمْ: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَال " زنَا العَيْنِ النَّظَرُ إِلى الأَجْنَبيَّات وَزنَا اليَدَيْنِ مَسُّ الأَجْنَبيَّات وَزنَا الرِّجْلَيْنِ المَشْيُ نَحْوَ الأَجْنَبيَّات " قَال اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالى {قُل للمُؤْمنينَ يَغُضُّوا منْ أَبْصَارِهمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبيرٌ بمَا يَصْنَعُونَ}(٢) وَقَال تَعَالى: {وَقُل للمُؤْمنَات يَغْضُضْنَ منْ أَبْصَارِهنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُن}(٣)

يَنْبَغِـــي أَنْ يُعلَـــمَ: أَنَّ القَلْبَ تَابعٌ للعَيْنِ وَمَا لَمْ تُغْمضَ العَيْنُ عَنَ المُحَرَّمَات فَحفْظُ القَلْب مُشْكل وَمَا دَامَ القَلْبُ مَشْغُولاً فَحفْظُ الفَرْجِ مُتَعَسِّرٌ فَكَانَ غَضُّ البَصَرِ منَ المُحَرَّمَات ضَرُوريًا حَتَّى يَتَيَسَّرَ حفْظُ الفَرْجِ وَنُهيَ في القُرْآنِ المَجيد

---

(١) ـــ الآية: ٢ من سورة النور.

(٢) ـــ الآية: ٣٠ من سورة النور.

(٣) ـــ الآية: ٣١ من سورة النور.

النِّسَاءُ عَنْ لينِ الكَلامِ مَعَ الرِّجَالِ الأَجَانبِ مثْلِ الفَاجِرَاتِ لئَلا يَطْمَعَ الذينَ في قُلوبِهِمْ مَرَضٌ فَيَهُمُّونَ بالسُّوءِ بَلْ يَقُلنَ قَوْلاً مَعْرُوفًا خَاليًا عَنِ الوَهْمِ وَالطَّمعِ وَوَرَدَ النَّهْيُ أَيْضًا عَنْ إِبْدَاءِ النِّسَاءِ زِينَتَهُنَّ عِنْدَ الرِّجَالِ لئَلا يَظْهَرَ فيهِمَ الاقْتضَاءُ وَوَرَدَ النَّهْيُ أَيْضًا عَنِ الضَّرْبِ بِأَرْجُلِهِنَّ إِلى الأَرْضِ ليُعْلَم مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ مِثْل الخَلخَالِ وَأَمْثَالِه فَيَتَحَرَّكُ وَيَظْهَرُ شَنْشَنَتُهُ وَهِيَ مُسْتَلزِمَةٌ لمَيْلِ الرِّجَالِ إِلى النِّسَاء.

وَبالجُمْلَة: إنَّ كُل مَا هُوَ مُنْجَرٌّ إِلى الفِسْقِ فَهُوَ مُسْتَقْبَحٌ وَمَنْهِيٌّ عَنْهُ يَنْبَغِي الاحْتِيَاطُ مِنْهُ لئَلا تُرْتَكَبَ مُقَدِّمَاتُ المُحَرَّمَات وَمَبَادِيهَا حَتَّى يَتَيَسَّرَ السَّلامَةُ مِنْ نَفسِ المُحَرَّمَات وَاللهُ سُبْحَانَهُ العَاصِمُ {وَمَا تَوْفِيقِي إِلا باللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}(١) لا يَخْفِي أَنَّ المَرْأَةَ الأَجْنَبِيَّةَ كَالرَّجُلِ الأَجْنَبِيِّ فِي حَقِّ النَّظَرِ إِلى المَرْأَةِ وَمَسِّهَا بِشَهْوَةٍ وَلا يَجُوزُ تَزْيِينُ المَرْأَةِ نَفْسَهَا لغَيْرِ بَعْلِهَا رَجُلاً كَانَ ذَلكَ الغَيْرُ أَوِ امْرَأَةً وَكَمَا أَنَّ نَظَرَ الرِّجَالِ إِلى الأَمْرَدِ وَمَسَّهُمْ أَيَاهُ بِالشَّهْوَةِ حَرَامٌ ، نَظَرُ النِّسَاءِ إِلى النِّسَاءِ إِلى النِّسَاءِ وَمَسُّهُنَّ إِيَّاهُنَّ بِالشَّهْوَةِ أَيْضًا حَرَامٌ يَنْبَغِي أَنْ يُرَاعَى ، هَذِه الدَّقِيقَةَ كَمَالَ الرِّعَايَةِ فَإِنَّهَا طَرِيقٌ وَاسِعٌ إِلى خَسَارَةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَة وَفِي وُصُولِ الرَّجُلِ إِلى المَرْأَةِ تَعَسُّرٌ بِوَاسطَةِ التَّبَايُنِ بَيْنَ الصِّنْفَيْنِ وَوُجُودُ المَوَانعِ بِخِلافِ وُصُولِ المَرْأَةِ إِلى المَرْأَةِ فَإِنَّهُ لاتِّحَادِ الصِّنْفِ فِي كَمَالِ اليُسْرِ وَالسُّهُولة فَيَنْبَغِي رِعَايَةُ الاحْتِيَاطِ فِي ذَلكَ أَكْثَرَ مِنْهَا فِيمَا هُنَالكَ وَيَنْبَغِي المَنْعُ البَلِيغُ عَنْ نَظَرِ المَرْأَةِ إِلى المَرْأَةِ وَنَظَرِ الرَّجُلِ إِلى المَرْأَةِ وَنَظَرِ المَرْأَةِ إِلى الرِّجَالِ.

وَالشَّرْطُ الرَّابعُ: المَذْكُورُ فِي بَيْعَةِ النِّسَاءِ النَّهْيُ عَنْ قَتْلِ الأَوْلادِ وَكَانَ نِسَاءُ الجَاهِلِيَّةِ يَقْتُلنَ بَنَاتِهِنَّ مُخَافَةَ الفَقْرِ وَهَذَا العَمَلُ الشَّنِيعُ كَمَا أَنَّهُ مُتَضَمِّنٌ لقَتْلِ النَّفسِ مُتَضَمِّنٌ لقَطْعِ الرَّحِمِ أَيْضًا وَهُوَ مِنَ الكَبَائِر.

وَالشَّرْطُ الخَامسُ: المَذْكُورُ فِي بَيْعَةِ النِّسَاءِ النَّهْيُ عَنَ البُهْتَانِ وَالافْتِرَاءِ وَلَمَّا كَانَتْ هَذِه الذَّمِيمَةُ فِي النِّسَاءِ أَكْثَرَ خَصَّهُنَّ بِالنَّهْيِ عَنْهَا وَهَذِه الصِّفَةُ مِنْ أَشَدِّ ذَمَائِمِ الصِّفَاتِ قُبْحًا وَأَرْذَلِ رَذَائِلِ الأَخْلاقِ فَإِنَّهَا مُتَضَمِّنَةٌ للكَذِبِ الذي هُوَ حَرَامٌ فِي جَمِيعِ الأَدْيَانِ وَمُسْتَنْكَرٌ وَأَيْضًا إِنَّهُ مُتَضَمِّنٌ لإِيذَاءِ المُؤمِنِ وَهُوَ حَرَامٌ وَإِنَّهُ مُسْتَلزِمٌ للفَسَادِ فِي الأَرْضِ وَهُوَ مَحْظُورٌ وَمَمْنُوعٌ عَنْهُ وَمُحَرَّمٌ وَمُسْتَنْكَرٌ بِنَصِّ القُرْآنِ.

---

(١) ــ الآية: ٨٨ من سورة هود.

وَالشَّرْطُ السَّادِسُ: النَّهْيُ عَنْ مَعْصيَة النَّبيِّ وَمُخَالفَته ﷺ في كُل أَمْرِ مَعْرُوف يَأْمُرُ به وَهَذَا الشَّرْطُ مُتَضَمِّنٌ لامْتثَال جَميع الأَوَامر وَالانْتهَاء عَنْ جَميع المَنَاهي الشَّرْعيَّة منَ الصَّلاة وَالصَّوْم وَالزَّكَاة وَالحَجِّ وَهَذه الأَرْبَعَةُ ممَّا بُني الإِسْلامُ عَلَيْهَا بَعْدَ الإِيمَان بالله تَعَالى وَبمَا جَاءَ منْ عنْده بالضَّرُورَة فَيَنْبَغي أَدَاء الصَّلوَات الخَمْس منْ غَيْر كَسَل وَفُتُور بالجدِّ وَالجُهْد وَيَنْبَغي أَيْضًا أَدَاءُ الزَّكَاة المَاليَّة إلى مَصَارفهَا بقَبُول المنَّة وَيَنْبَغي أَيْضًا صيَامُ شَهْر رَمَضَانَ الذي هُوَ مُكَفِّرٌ لسَيِّئَات سَنَة وَيَنْبَغي أَيْضًا أَدَاءُ الحَجِّ الذي قَال النَّبيُّ ﷺ في حَقِّه "الحَجُّ يَجبُّ مَا كَانَ قَبْله" حَتَّى يَكُونَ الإِسْلامُ قَائمًا وَكَذَلكَ لا بُدَّ منَ الوَرَع وَالتَّقْوَى قَال النَّبيُّ ﷺ "ملاكُ دينكُمُ الوَرَع" وَهُوَ عبَارَةٌ عَنْ تَرْك المَنْهيَّات الشَّرْعيَّة فَيَنْبَغي الاجْتنَابُ عَنْ تَنَاوُل المُسْكرَات وَأَنْ يَعُدَّهَا كَالخَمْر مُحَرَّمًا وَمُسْتَنْكَرًا وَالاجْتنَابُ عَن الغنَاء أَيْضًا ضَرُوريٌّ فَإِنَّهُ دَاخل في اللهْو وَاللعب الحَرَام وَوَرَدَ أَنَّ الغنَاءَ رُقْيَةُ الزِّنَاء وَالاجْتنَابُ عَن الغيبَة وَالنَّميمَة أَيْضًا لازمٌ فَإِنَّهُمَا مَمْنُوعٌ عَنْهُمَا وَأَيْضًا الاجْتنَابُ عَنَ السُّخْريَة وَإِيذَاء المُؤْمن ضَرُوريٌّ فَإِنَّ إِيذَاءَ المُؤْمن بغَيْر حَقٍّ بأَيِّ وَجْه كَانَ وَسُخْريَته مَنْهيٌّ عَنْهَا وَلا يَنْبَغي اعْتبَارُ الطِّيَرَة وَاعْتقَاد تَأْثيرهَا وَيَنْبَغي أَيْضًا اعْتقَادُ عَدَم تَعَدِّي المَرَض منْ شَخْص إلى آخَرَ فَإِنَّ المُخْبرَ الصَّادقَ عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ مَنَعَ عَنْ كليْهمَا حَيْثُ قَال "لا طيرَةَ وَلا عَدْوَى" وَلا يَنْبَغي اعْتبَارُ كَلام الكَاهن وَالمُنَجِّم وَلا يَسْأَلُهُمَا عَن الأُمُور الغَيْبيَّة وَلا يَعْتَقدُ مَعْرفَتَهُمَا بالأُمُور الغَيْبيَّة فَإِنَّهُ قَدْ وَرَدَ المَنْعُ عَنْ ذَلكَ بالمُبَالغَة وَيَنْبَغي الاجْتنَاب عَنْ اسْتعْمَال السِّحْر مُبَاشَرَةً وَأَمْرًا إِنَّهُ حَرَامٌ قَطْعيٌّ وَلَهُ قَدَمٌ رَاسخٌ في الكُفْر وَلا كَبيرَةَ أَقْرَبُ إلى الكُفْر من اسْتعْمَال السِّحْر يَنْبَغي الاحْتيَاطُ عَنْهُ حَتَّى لا تَصْدُرَ دَقيقَةٌ منْ دَقَائقه فَإِنَّهُ قَدْ وَرَدَ مَا دَامَ المُسْلمُ مُسْلمًا لا يَصْدُرُ عنْدَ السِّحْر فَإِذَا زَال عَنْهُ الإِيمَانُ أَعَاذَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ عَنْ ذَلكَ يَصْدُرُ عَنْهُ السِّحْرُ فَكُل منَ السِّحْر وَالإِيمَان كَأَنَّهُ نَقيضُ الآخَر فَإِذَا وَقَعَ السِّحْرُ لا يَبْقَى الإِيمَانُ فَيَنْبَغي رعَايَةُ هَذه الدَّقيقَة لئَلا يَتَطَرَّقَ الخَلل في الإِيمَان وَلئَلا يَخْرُجَ الإِسْلامُ عَن اليَد بشُؤْم هَذَا العَمَل.

وَبالجُمْلَة: كُل مَا أَمَرَ به المُخْبرُ الصَّادقُ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَبَيَّنَهُ العُلَمَاءُ في الكُتُب الشَّرْعيَّة يَنْبَغي الاجْتهَادُ وَالسَّعْيُ البَليغُ في امْتثَاله مُعْتَقدًا خلافَهُ سُمًّا قَاتلاً مُوَصِّلاً إلى المَوْت الأَبَديِّ وَمُوقعًا في أَنْوَاع العَذَاب السَّرْمَديِّ وَلَمَّا

قَبلت النِّسَاءُ المُبَايعَاتُ هَذه الشَّرَائطَ كُلهَا بَايَعَهُنَّ النَّبيُّ ﷺ بمُجَرَّد القَوْل وَاسْتَغْفَرَ لَهُنَّ اللهَ بأَمْره جَل وَعَلا وَالاسْتغْفَارُ الذي وَقَعَ عَن النَّبيِّ ﷺ في حَقِّ جَمَاعَة يُرْجَى رَجَاءً تَامًّا أَنْ يَكُونَ مُستَجَابًا وَأَنْ تَكُونَ الجَمَاعَةُ مَغْفُورَةً لَهَا وَكَانَتْ هنْدُ زَوْجَةُ ٦ أَبي سُفْيَانَ رَضيَ اللهُ عَنْهُمَا دَاخلةً في المُبَايَعَات بَل كَانَتْ هيَ رَئيسَتَهُنَّ وَتَكلمَتْ منْ لسَانهنَّ فَفي هَذه البَيْعَة وَالاسْتغْفَار رَجَاءٌ عَظيمٌ في حَقِّهَا فَأَيُّ امْرَأَة تَعْتَرفُ بهَذه الشَّرَائط وَتَعْمَل بمُقْتَضَاهَا تَكُونُ دَاخلةً في هَذه البَيْعَة حُكْمًا وَيُرْجَى لَهَا منْ بَرَكَات ذَلكَ الاسْتغْفَار وَقَال اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالى {مَا يَفْعَل اللهُ بعَذَابكُمْ إنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُم}[1] وَالشُّكْرُ عبَارَةٌ عَنْ قَبُول الأَحْكَام الشَّرْعيَّة وَالعَمَل بمُقْتَضَاهَا وَطَريقُ النَّجَاة وَالخَلاص هيَ مُتَابَعَةُ صَاحب الشَّريعَة عَليْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ في الاعْتقَاد وَالعَمَل وَالأُسْتَاذُ وَالشَّيْخُ إنَّمَا هُمَا للدَّلالَة عَلى الشَّريعَة وَليَحْصُل اليُسْرُ وَالسُّهُولَةُ في الاعْتقَاديَّات وَالعَمَليَّات ببَرَكَتهمَا لا لأَنْ يَفْعَل المُريدُونَ مَا أَرَادُوا وَيَأْكُلوا مَا شَاءُوا ثُمَّ يَكُونَ الشَّيْخُ سَتْرًا لَهُمْ عَنَ النَّار وَيَمْنَعُ عَنْهُمُ العَذَابَ فَإنَّ هَذَا المَعْنَى تَمَن مَحْضٌ لا يَشْفَعُ هُنَاكَ أَحَدٌ إلا بإذْن الله وَمَنْ لَمْ يَكُنْ ممَّن ارْتَضَاهُ رَبُّهُ لا يَشْفَعُ فيه أَحَدٌ وَإنَّمَا يَكُونُ مُرْتَضًى إذَا كَانَ عَاملاً بمُقْتَضَى الشَّريعَة فَحينَئذ إذَا صَدَرَتْ عَنْهُ زَلةٌ بمُقْتَضَى البَشَريَّة فَتَدَارُكُهَا يُمْكنُ بالشَّفَاعَة.

فَإنْ قيــــل: بأَيِّ اعْتبَار يُمْكنُ أَنْ يُقَال للمُذْنب مُرْتَضًى:

أُجيـــــب: إنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ إذَا أَرَادَ مَغْفرَةَ شَخْص يُبْدي وَسيلةً للعَفْو عَنْهُ فَهُوَ مُرْتَضًى في الحَقيقَة وَإنْ كَانَ مُذْنبًا في الظَّاهر وَاللهُ سُبْحَانَهُ المُوَفّقُ {رَبَّنَا آتنَا منْ لدُنْكَ رَحْمَةً وَهيِّء لنَا منْ أَمْرنَا رَشَدًا}[2] وَالسَّلامُ.

---

(١) ـــ الآية: ١٤٧ من سورة النساء.

(٢) ـــ الآية: ١٠ من سورة الكهف.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالخَمْسُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى الخواجه مُحَمَّد هَاشِمٍ
في بِشَارَتِه

بَعْدَ الحَمْدِ وَالصَّلاة وَتَبْليغِ الدَّعَوَات إنَّ الصَّحيفَةَ الشَّريفَةَ المُرْسَلَةَ مَعَ الملا فَتْحِ الله قَدْ وَصَلَتْ وَحَيْثُ كَانَتْ مُتَضَمِّنَةً لبَيَان المَحبَّة وَالإخْلاص وَالحَرَارَة وَالاشْتيَاق أَوْرَثَتْ فَرَحًا وَسُرورًا وَظَهَرَ انْبساطُ نُورَانيَّتكُمْ في النَوَاحي وَقْتَ مُطَالعَة كتَابكُمْ انْبسَاطًا كَثيرًا في النَّظَرِ وَأَوْقَعَني ذَلكَ في الرَّجَاء لله سُبْحَانَهُ الحَمْدُ وَالمنَّةُ عَلَى ذَلكَ وَمَا أَكْتُبُ زيَادَةً عَلى ذَلكَ.

أَيُّهَـــــا المُحبُّ: إنَا مَا نَعْلمُ مَا كَانَ البَاعثُ عَلى تلكَ المَيْرَ مُحَمَّدَ النُّعْمَان المُرَاسَلات فَإنْ كَانَ لهُ تَوَهُّمُ شَيْءٍ منْ هَذَا الجَانب فَليسَ بوَاقعٍ أَصْلاً بَل يَنْبَغي تَصَوُّرُ كَمَال الصِّفَات وَالفَقيرُ مُرَاعٍ لغَايَة السَّعْي في مُحَافَظَة جَانب المَيْر مُحَافَظَةَ الطَّيْر لبَيْضَته لئَلا يَقَعَ فُتُورٌ في أَمْر الطَّلَب فَيَكُونُ سَدًّا في طَرِيق السَّالكينَ وَقَدْ طَرَأَ الضَّعْفُ عَلَى الفَقير مُنْذُ شَهْرَيْن وَلهَذَا عَجزَ عَنْ تَسْويد جَوَاب بَعْض أَسْئلته المُنْدَرجَة في المَكْتُوب السَّابق فَإنْ رَزَقَ اللهُ سُبْحَانَهُ الصِّحَّةَ وَالعَافيَةَ نَكْتُبُ إنْ شَاءَ اللهُ وَإلا فَالمُلتَمَسُ منَ الأَحْبَاب الدُّعَاءُ وَالفَاتحَةُ وَحَسْبُنَا اللهُ وَنعْمَ الوَكيل وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَعَلى سَائرِ أَهْل الله وَليَكُن الأَوْلادُ الكرَامُ سَالمينَ غَانمينَ مَحْفُوظينَ.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالخَمْسُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى الخَوَاجَهْ مُحَمَّد سَعيد وَالخَوَاجَهْ مُحَمَّد مَعْصُوم سَلمَهُمَا اللهُ تَعَالى
في بَيَانِ مُكَالَمَتِه الوَاقِعَة في مَحْفَل سُلطَانِ الوَقْت مُدَّ ظِلّهُ

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى:

وَبَعْـــــدُ: إنَّ أَحْوَال هَذه الحُدُود وَأَوْضَاعَهَا مُسْتَوْجبَةٌ للحَمْد قَدْ تَمرُّ صُحْبَاتٌ عَجيبَةٌ وَغَريبَةٌ وَبعنَايَة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى لا يَتطَرَّقُ مقْدَارُ شَعْرَة منَ المُسَاهَلة وَالمُدَاهَنَة في هَذَا القيل وَالقَال إلى الأُمُور الدِّينيَّة وَالأُصُول الإسْلاميَّة وَيَقعُ البَيَانُ في هَذه المَعَارك بعَيْنِ العبَارَة التي كَانَتْ تَصْدُرُ في الخَلوَات وَالمَجَالسِ الخَاصَّة بتَوْفيق الله سُبْحَانَهُ فَإنْ كَتَبْنَا مَا جَرَى في مَجْلسٍ وَاحد يُسْتَدْعَى أَنْ يَكُونَ مُجَلدًا خُصُوصًا في البَارحَة التي هيَ اللَّيْلةُ السَّابعَةَ عَشْرَ منْ شَهْر رَمَضَانَ قَدْ ذَكَرْتُ أَشْيَاءَ كَثيرَةً منْ فَائدَة بَعْثَة الأَنْبيَاء عَلَيْهمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَعَدَم اسْتقْلال العَقْل وَالإيمَان بالآخرَة وَعَذَابهَا وَثَوَابهَا وَمنْ إثْبَات الرُّؤْيَة وَخَاتميَّة خَاتَم الرُّسُل وَمنْ مُجَدِّد كُل مائَة وَمنَ الاقْتدَاء بالخُلفَاء الرَّاشدينَ رَضيَ اللهُ تَعَالى عَنْهُمْ أَجْمَعينَ وَسُنِّيَّة التَّرَاويحِ وَبُطْلان التَّنَاسُخ وَمنْ أَحْوَال الجنِّ وَمنْ عَذَابهمْ وَثَوَابهمْ وَأَمْثَال ذَلكَ وَصَارَتْ مَسْمُوعَةً بحُسْنِ الاسْتمَاعِ وَذُكرَ في ضمْنِ ذَلكَ أَيْضًا أَشْيَاءُ أُخَرُ منْ أَحْوَال الأَقْطَاب وَالأَبْدَال وَالأَوْتَاد وَبَيَانُ خُصُوصيَّاتهمْ كَذَا وَكَذَا الحَمْدُ لله سُبْحَانَهُ تَكُونُونَ عَلى مَا أَنْتُمْ عَلَيْه لا يَظْهَرُ تَغَيُّرٌ أَصْلاً وَلَعَل لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى في هَذه الوَاقعَات وَالمُلاقَاة مَصَالحُ مَسْتُورَةٌ وَأَسْرَارًا مَكْنُونَةً {الحَمْدُ لله الذي هَدَانَا لهَذَا وَمَا كُنَّا لنَهْتَديَ لوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ لقَدْ جَاءَتْ رُسُل رَبِّنَا بالحَقِّ}(١) وَأَوْصَلتْ خَتْمَ القُرْآن إلى سُورَة عَنْكَبُوت وَكُل لَيْلة انْصرَافٌ منْ ذَاكَ المَجْلسِ وَأُوجعُ إلى مَحَلي أَشْتَغل بالتَّرَاويحِ وَفَائدَةُ الحفْظ التي هيَ دَوْلةٌ عَظيمَةٌ قَدْ حَصَلتْ في هَذه الفَتَرَات التي هيَ عَيْنُ الجَمْعيَّة الحَمْدُ لله أَوَّلاً وَآخرًا.

---

(١) ـــ الآية: ٤٣ من سورة الأعراف.

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالخَمْسُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إِلى المِيْر عَبْد الرَّحْمَن بْن المِيْر مُحَمَّد نُعْمَانَ
فِى دَفْعِ شُبُهَات المُنْكِرينَ للرُّؤْيَة الأُخْرَوِيَّة
بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاعْتِرَاضُ الذى يُورِدُونَ فِى مَسْأَلة الرُّؤْيَة بَل الدَّليل الذى يُقيمُونَهُ عَلى نَفْيِ الرُّؤْيَةِ هُوَ أَنَّ الرُّؤْيَةَ البَصَرِيَّةَ تَقْتَضِي مُحَاذَاةَ المَرْئِيِّ وَمُقَابَلَتَهُ بالرَّائي، وَهِيَ مَفْقُودَةٌ فِي حَقِّ الوَاجب تَعَالى؛ لكَوْنِهَا مُسْتَلزِمَةً لللهْجَة المُنْجَرَّة إِلى الإِحَاطَة وَالتَّحْديد، وَالنِّهَايَة المُسْتَلزِمَة للنَّقْصِ المُنَافي للأُلوهيَّة تَعَالى اللهُ عَنْ ذَلكَ عُلوًّا كَبيرًا.

وَالجَوَابُ أَنَّ القَادرَ عَلى الكَمَال جُل سُلطَانه إِذَا أَعْطَى للبَصَرِ الذى هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ القطْعَتَيْنِ العَصَبيَّتَيْنِ المُجَوَّفَتَيْنِ الخَاليَتَيْنِ عَنِ الحسِّ وَالحَرَكَة فِي هَذه النَّشْأَة الضَّعيفَة الفَانيَة قُوَّةَ إِحْسَاسِ الأَشْيَاء وَإِبْصَارهَا بشَرْط المُقَابَلة وَالمُحَاذَاة لَمِ لا يُمْكنُ أَنْ يُعْطَى فِي النَّشْأَة الآخرَة القَويَّة البَاقيَة لهَاتَيْنِ القطْعَتَيْنِ العَصَبيَّتَيْنِ قُوَّةً تُبَصِّرُ بهَا المَرْئيَّ بلا مُقَابَلة وَمُحَاذَاة سَوَاءٌ كَانَ ذَلكَ المَرْئيُّ فِي جَميع الجهَات أَوْ لَم يَكُنْ فِي جهَة أَصْلاً، فَمَا الاسْتبْعَادُ فِي ذَلكَ، وَأَيْنَ المُحَال؛ فَإِنَّ الفَاعلَ المُخْتَارَ جُل سُلطَانَه فِي أَعلا مُرْتَبَة الاقْتدَاء وَقَابل مُسْتَعدّ لأَنْ يَتَعلقَ به الإِحْسَاسُ وَالإِبْصَارُ غَايَةُ مَا فِي البَاب أَنَّهُ تَعَالَى رَاعَى فِي بَعْضِ الأَمْكنَة لمَصَالح شَرْط المُحَاذَاة وَتَعَيُّنِ الجهَة فِي إِحْسَاس الأَبْصَار وَفِي بَعْضِ أَمْكنَة وَأَزْمنَة أُخرَ أَسْقَطَ ذَلكَ الشَّرْطَ عَنْ حَيِّز الاعْتبَار وَقَرَّرَ منْ غَيْرِ هَذَا الشَّرْط رُؤْيَةَ الأَبْصَار وَقيَاسَ مَوْطنٍ عَلى مَوْطنٍ آخرَ مَعَ وُجُود كَمَال الاخْتلاف وَالتَّضَادِّ بَيْنَهَا بعيدًا عَنِ الإِنْصَاف وَقَصرَ النَّظَرِ عَلى مَكْشُوفَات عَالمِ المُلك وَالشَّهَادَة وَإِنْكَارِ عَلى عَجَائب عَالمِ المَلكُوت.

فَإِنْ قيـــل: إِذَا كَانَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ مَرْئيًا يَنْبَغي أَنْ يَكُونَ مُحَاطًا وَمُدْرَكًا بالبَصرِ وَذَلكَ مُسْتَلزمٌ للحَدِّ وَالنِّهَايَة، تَعَالى اللهُ عَنْ ذَلكَ عُلوًّا كَبيرًا:

أُجيـــب: يُمْكنُ أَنْ يَكُونَ مَرْئيًا وَلا يَكُونَ مُحَاطًا وَمُدْرَكًا بالبَصَرِ؛ قَال اللهُ تَعَالَى {لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللطيفُ الخَبيرُ}(١).

---

(١) ــ الآية: ١٠٣ من سورة الأنعام.

وَالمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ الحَقَّ سُبْحَانَهُ فِي الآخرَة وَيَجدُونَ باليَقِين الوجْدَاني أَنَّهُمْ يَرَوْنَهُ جَل شَأْنُهُ وَيَجدُونَ في أَنْفُسهمُ الالتذَاذَ المُتَرَتِّبَ عَلى الرُّؤْيَة عَلى وَجْه الكَمَال، وَلكنَّ المَرْئِيَّ لا يَكُونُ مُدْرَكًا لَهُمْ أَصْلاً وَلا يَحْصُل لَهُمْ شَيْءٌ منْهُ قَطْعًا غَيْرَ وِجْدَان الرُّؤْيَة وَغَيْرَ الالتذَاذ بهَا

وَلا أَحَدَ يَصْطَادُ عَنْقَاءَ فَاسْتَرِحْ وَأَلا تَكُونَ حَامل الفَخِّ دَائمًا

وَالنُّقْصَانُ الذى يُتَوَهَّمُ في الرُّؤْيَة مِنْ كَوْن المَرْئِيِّ مُحَاطًا وَمُدْرَكًا مَفْقُودٌ في ذَلكَ المَوْطن، وَمُجَرَّدُ ثُبُوت الرُّؤْيَة بلا جهَة وَالالتذَاذُ الحَاصل للرَّائي منْ تلكَ الرُّؤْيَة لا نَقْصَ وَلا قُصُورَ فيه أَصْلاً؛ بَل منْ كَمَال إنْعَام المَرْئِيِّ وَإحْسَانه إجْلاءُ جَمَا له الكَامل لمُحْتَرقي نَائرَة مَحَبَّته وَإرْوَائهِمْ منْ ذلال رُؤْيَته وَتَشْريفهِمْ بوِصَال حَضْرَته منْ غَيْر أَنْ يَعُودَ شَيْءٌ منَ النَّقْص وَالقُصُور إلى جَنَاب قُدُسه تَعَالى وَبدُون ثُبُوت الجهَة وَالإحَاطَة في حَضْرَة أُنْسه سُبْحَانَهُ

ازآن طَرَف نَبْذ يَردُ كَمَال أَوْ نُقْصَان وَزَيَّن طَرَفٌ شرَف روزكار منْ باشد
تَرْجَمَةٌ

في مَجْدكُمْ لا يَلحَقُ النُّقْصَانُ مَنْ هَذَا وَلى فيه أُلوفٌ كَرَامَةً

أَوْ نَقُول لَوْ كَانَت المُقَابَلَةُ وَالمُحَاذَاةُ شَرْطًا في حُصُول الرُّؤْيَة يَنْبَغي أَنْ تَكُونَ شَرْطًا في جَانب الرَّائي أَيْضًا لكَوْنهَا شَرْطًا في جَانب المَرْئِيِّ، فَإنَّ المُقَابَلَة نسْبَةٌ قَائمَةٌ بالمُتَقَابلينَ أَعْني الرَّائيَ والمَرْئِيَّ؛ فَلزمَ أَنْ لا يَرَى الحَقَّ سُبْحَانَهُ الأَشْيَاء وَلا تَكُونَ صفَةُ رُؤْيَة الأَشْيَاء ثَابتَةً لهُ تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَذَلكَ مُخَالفٌ للنُّصُوص القُرْآنيَّة؛ قَالَ اللهُ تَعَالى {وَاللهُ بمَا تعْمَلونَ بَصيرٌ}(١) {وَهُوَ السَّميعُ البَصيرُ}(٢) {وَسَيَرَى اللهُ عَمَلكُم}(٣) وَأَيْضًا هُوَ نَقْصٌ وَسَلبٌ للصِّفَة الكَاملة منْهُ تَعَالى.

فَإنْ قيـــل: إنَّ الرُّؤْيَةَ في الوَاجب تَعَالى عبَارَةٌ عَن العَلمِ بالأَشْيَاء، لا أَنَّهَا أَمْرٌ آخَرُ وَرَاءَ العلم مُسْتَلزمٌ للجهَة:

أُجيـــب: لا شَكَّ أَنَّ الرُّؤْيَةَ منَ الصِّفَات الكَاملة ثَابتَةٌ للوَاجب سُبْحَانَهُ بالاسْتقْلال بنَصِّ القُرْآن، وَإرْجَاعُهَا إلى العلم ارْتكَابُ خلاَف الظَّاهر، وَلَوْ سُلمَ أَنَّهَا منْ أَقْسَام العلم لا يَلزَمُ منْهُ عَدَمُ اشْترَاط المُحَاذَاة فيهَا؛ فَإنَّ العلمَ عَلى

---

(١) ــ الآية: ٢٦٥ من سورة البقرة.

(٢) ــ الآية: ١١ من سورة الشورى.

(٣) ــ الآية: ٩٤ من سورة التوبة.

قِسْمَيْنِ

قِسْمٌ لا يُشْتَرَطُ فيه مُحَاذَاةُ المَعْلُوم ،

وَقِسْمٌ آخَرُ تُشْتَرَطُ فِيه المُحَاذَاةُ، وَهُوَ المُسَمَّى بالرُّؤْيَة، وَهَذَا القِسْمُ أَعْلَى أَقْسَامِ فِي المُمْكِنَات وَحَاصِل فِي مَرْتَبَة اطْمِئْنَان القَلب، وَلا أَمْنَ فِي المَعْقُولات مِنْ مُعَارِضِيهِ الوَهْمِ ، وَالخَالِي عَنْ تلكَ المُعَارَضَة إِنَّمَا هُوَ المَحْسُوسُ، وَمِنْ هَهُنَا طَلَبَ الخَلِيل عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ رُؤْيَةَ إِحْيَاءِ المَوْتَى ؛ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبُهُ مَعَ وُجُود الإِيمَان وَاليَقِين به.

يَنْبَغِـــي أَنْ يُعَلَـــمَ: أَنَّ الرُّؤْيَةَ التي هِيَ مِنَ الصِّفَات الكَامِلة إِذَا لَمْ تَكُنْ فِي الوَاجِب تَعَالى مِنْ أَيْنَ جَاءَتْ للمُمْكِنِ، فَإِنَّ كُل كَمَال حَاصِل للمُمْكِنِ هُوَ عَكْسُ الكَمَال الذى فِي مَرْتَبَة الوَاجِب تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَحَاشَا أَنْ يَكُونَ فِي المُمْكِنِ مَا لَيسَ للوَاجِب تَعَالى، فَإِنَّ المُمْكِنَ هُوَ عَيْنُ النَّقْصِ فِي حَدِّ ذَاته، فَإِنْ كَانَ فيه كَمَال فَهُوَ عَارِيَةٌ مِنْ مَرْتَبَة حَضْرَة الوُجُوبِ تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ التي هِيَ عَيْنُ كُل خَيْرٍ وَكَمَال

مَا جِئْتُ مِنْ بَيْتِي بِشَيْءٍ إِنَّمَا أَعْطَيْتَنِي مَا بِي وَنَفْسِي بَعْضُ ذَا

وُجُوبٌ آخَرُ عَنْ أَصْل السُّؤَال

إِنَّ هَذَا الاعْتِرَاضَ مُتَمَشٍّ فِي وُجُود الوَاجِب تَعَالى وَتَقَدَّسَ فَكَمَا أَنَّهُ يَنْفِي الرُّؤْيَةَ بِنَفْيِ الوُجُود مِنْ جَنَاب قُدُسه تَعَالى فَهَذَا الاعْتِرَاض لَيسَ بِوَارِدٍ ؛ لِكَوْنه مُسْتَلزِمًا للمُحَال العَقْلِيِّ

بَيَانُهُ: إِنَّ الوَاجِبَ سُبْحَانَهُ إِذَا كَانَ مَوْجُودًا يَكُونُ البَتَّةَ فِي جِهَة مِنْ جِهَات العَالم مِنْ فَوْق وَتَحْت وَقُدَّام وَخَلف وَيَمِين وَشِمَال، وَذَلكَ مُسْتَلزِمٌ للإِحَاطَة وَالتَّحْدِيد المُسْتَلزِم للنَّقْصِ المُنَافِي للأُلوهِيَّةِ، تَعَالى اللهُ وَتَقَدَّسَ عَنْ ذَلكَ.

فَإِنْ قِيـــلَ: يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فِي جَمِيع جِهَات العَالم، فَلا يَلزَمُ الإِحَاطَة وَالتَّحْدِيدَ:

أُجِيـــبَ: إِنَّ كَوْنَهُ فِي جَمِيع جِهَات العَالم لا يَنْفِي الإِحَاطَةَ وَالتَّحْدِيدَ ؛ فَإِنَّهُ عَلى هَذَا التَّقْدِير أَيْضًا يَكُونُ وَرَاءَ العَالم البَتَّةَ، فَإِنَّ الاثْنَيْنِيَّةَ لازِمَةٌ للغَيْرِيَّة ؛ الاثْنَانِ مُتَغَايِرَان قَضِيَّةٌ مُقَرَّرَةٌ عِنْدَ أَرْبَاب المَعْقُول وَذَلكَ مُسْتَلزِمٌ للتَّحْدِيد

لا يَخْفَى أَنَّ طَرِيقَ التَّقصِّي مِنْ أَمْثَال هَذه الشُّبُهَات المُمَوَّهَة الغَيْر الحَقَّة التزَامُ الفرْق بَيْنَ أَحْكَامِ الغَيْبَة وَأَحْكَام الشَّهَادَة وَعَدَم قِيَاسِ الغَائِب عَلَى الشَّاهد؛ فَإِنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ بَعْضَ الأَحْكَام صَادِقًا في الشَّاهد وَكَاذِبًا في الغَائب، وَكَمَالاً في الشَّاهد وَنَقْصًا في الغَائب، فَإِنَّ تَبَايُنَ الأَحْكَام ثَابتٌ؛ خُصُوصًا إِذَا كَانَ بَيْنَ المُوَاطِنِ بَوْنٌ بَعيدٌ مَا للتُّرَاب وَرَبِّ الأَرْبَاب رَزَقَهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ الإِنْصَافَ حَتَّى لا يُنْكِرُوا النُّصُوصَ القُرْآنيَّةَ بِهَذه التَّوَهُّمَات وَالتَّخَيُّلات المُشْتَبِهَة، وَلا يُكَذِّبُوا الأَحَاديثَ الصَّحِيحَةَ النَّبَوِيَّةَ يَنْبَغِي الإِيمَانُ بِأَمْثَال هَذه الأَحْكَام المُنَزَّلَة مُحِيلاً كَيْفِيَّتَهَا عَلَى العِلمِ الكَيْفِيِّ مُعْتَرِفًا بِقُصُورِ الإِدْرَاك عَنْ مَعْرِفَتِهَا لا أَنَّهُ يَنْبَغِي نَفْيُ تلكَ الأَحْكَامِ بِانْتِفَاءِ الإِدْرَاك؛ فَإِنَّهُ بَعيدٌ عَنِ السَّلامَة وَالصَّوَاب، فَإِنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ أَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ صَادِقَةً فِي نَفْسِ الأَمْرِ وَتَكُونُ مُسْتَبْعَدَةً عَنْ إِدْرَاك عُقُولنَا النَّاقِصَة؛ فَلَوْ كَانَ العَقْل كَافِيًا لَكَانَ مِثْل أَبِي عَلِيٍّ سِينَا الذى هُوَ مُقْتَدَى أَرْبَاب المَعْقُول مُحِقًّا فِي جَمِيعِ الأَحْكَام العَقْلِيَّة غَيْرَ غَالِط فِيهَا، وَالحَال أَنَّهُ أَخْطَأَ فِي مَسْأَلَة وَاحِدَة، وَهِيَ الوَاحِدُ لا يَصْدُرُ عَنْهُ إِلا الوَاحِدُ، مَا هُوَ وَاضِحٌ لِلنَّاظِرِ المُنْصِف بِأَدْنَى تَأَمُّل، وَطَعَنَ فيه الأَمَامُ الفَخْرُ الرَّازِيّ فِي هَذَا المَقَام بِهَذه العِبَارَة وَالعَجَبُ مِمَّنْ يَفْنَى عُمُرَهُ فِي تَعْلِيمِ الآيَة العَاصِمَة عَنِ الخَطَأ فِي الفِكْر وَتَعلمهَا، ثُمَّ إِذَا جَاءَ إِلَى هَذَا المَطْلَب الأَشْرَف وَقَعَ مِنْهُ أَشْيَاءُ يَضْحَكُ مِنْهَا الصِّبْيَانُ، وَعُلَمَاء أَهْل السُّنَّة شَكَرَ اللهُ تَعَالَى سَعْيَهُمْ يُثْبِتُونَ جَمِيعَ الأَحْكَام الشَّرْعِيَّة سَوَاءٌ كَانَتْ مَعْقُولَةَ المَعْنَى أَوْ لا، وَلا يَنْفُونَهَا بِعلة عَدَم إِدْرَاك كَيْفِيَّتهَا؛ مِثْل عَذَاب القَبْر، وَسُؤَال مُنْكَرٍ وَنَكِير، وَالصِّرَاط وَالمِيزَان، وَأَمْثَالهَا مِمَّا عَجزَتْ عُقُولنَا النَّاقصَةُ عَنْ إِدْرَاكه، وَهَؤُلاءِ الكُبَرَاءُ جَعَلوا مُقْتَدَاهُمُ الكتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَجَعَلوا عُقُولَهُمْ تَابعَةً لَهُمَا، فَإِنْ ظَفرُوا بِإِدْرَاكهَا فَبِهَا وَإِلا يَقْبَلُونَ الأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ وَيَحْملونَ عَدَمَ الإِدْرَاك عَلَى قُصُورِ فَهْمِهِمْ لا أَنَّهُمْ كَغَيْرِهِمْ يَقْبَلُونَ مَا تَقْبَلُهُ وَتُدْرِكُهُ عُقُولُهُمْ وَيَرُدُّونَ مَا يَعْجِزُ عَنْ إِدْرَاكه عُقُولُهُمْ، أَلا يَعْلَمُونَ أَنَّ بِعْثَةَ الأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ إِنَّمَا هِيَ بِوَاسِطَة قُصُورِ العُقُول عَنْ إِدْرَاك بَعْضِ المَطَالب المَرْضِيَّة لِلمَوْلَى سُبْحَانَهُ، وَالعَقْل وَإِنْ كَانَ حُجَّةً وَلَكِنَّهُ لَيْسَ بِحُجَّة كَامِلة، وَالحُجَّةُ الكَامِلَةُ إِنَّمَا تَمَّتْ بِبِعْثَة الأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً}(١)

(١) ـــ الآية: ١٥ من سورة الإسراء.

وَلنَرْجعْ إلى أَصْل الكَلام، فَنَقُول إنَّ المُقَابَلة وَالمُحَاذَاةَ وَإنْ كَانَتْ شَرْطًا في رُؤْيَة الشَّاهد، وَلكنْ يُمْكنُ أنْ لا يَكُونَ ذَلكَ شَرْطًا في الغَائب كَمَا أَنَّ الغَائبَ مَوْجُودٌ وَلَيْسَ في جهَة منْ جهَات الوُجُودَات أَصْلاً، فَكَمَا أَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنْ جَميع الجهَات بلا رُؤْيَة الرَّائي لَا تَكُونُ جهَةٌ منَ الجهَات ثَابتَةً لهُ بَعْدَ الرُّؤْيَة أَيْضًا، وَتَكُونُ المُقَابَلَةَ وَالمُحَاذَاةُ مَفْقُودَةً هُنَاكَ، فَأَيُّ اسْتبْعَاد وَأَيُّ اسْتحَالة هُنَا وَرُؤْيَةُ الكَيْفيِّ لا كَيْفيَّةَ، فإنَّهُ لا سَبيل للكَيْفيِّ إلى الكَيْفيِّ لا يَحْمل عَطَايَا المَلك إلا مَطَايَاهُ، وَقيَاسُ الرُّؤْيَة المُنَزَّهَة عَنِ الكَيْف عَلى الرُّؤْيَة المُتَكَيِّفَة بكَيْف المُتَعلقَة بمَرْئيَّات غَيْرُ مُنَاسبٍ وَبَعيدٌ عَنِ الإنْصَاف، وَاللهُ سُبْحَانَهُ المُوَفِّقُ للصَّوَاب.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالخَمْسُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى مَوْلانَا سُلطَانَ السرهندى
فِي عُلوِّ شَأْنِ قَلبِ المُؤْمِنِ، وَالمَنْعِ عَنْ إيذَائه نَقْل بالمَعْنَى

الحَمْدُ لله رَبِّ العَالمينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلى رَسُوله مُحَمَّدٍ وَآله أَجْمَعين، أَمَّا بَعْدُ:

فَاعْلَمُوا أَنَّ القَلبَ جَارُ الله ــ سُبْحَانَهُ ــ وَلَيْسَ شَيْءٌ أَقْرَبُ إلى جَنَاب قُدُسه كَالقَلب؛ إيَّاكُمْ وَإيذاءَهُ، أَيَّ قَلب كَانَ مُؤْمنًا كَانَ أَوْ عَاصيًا؛ فَإنَّ الجَارَ ــ وَإنْ كَانَ عَاصيًا ــ حمًى؛ فَاحْذَرُوا منْ ذَلكَ وَاحْذَرُو، فَإنَّهُ لَيْسَ بَعْدَ الكُفْر ــ الذى سَبَبُ إيذَاء الله تَعَالَى ــ ذَنْبٌ مثْل إيذَاء القَلب؛ فَإنَّهُ أَقْرَبُ مَا يَصل إلَيْه سُبْحَانَهُ، وَالخَلقُ كُلهُمْ عَبيدُ الله سُبْحَانَهُ، وَالضَّرْبُ وَالإهَانَةُ لعَبْد ــ أَيِّ شَخْص كَانَ ــ يُوجبُ إيذَاءَ مَوْلاهُ، فَمَا شَأْنُ المَوْلَى الذى هُوَ المَالكُ عَلى الإطْلاق؟ فَلا يُتَصرَّفُ فِي خَلقه إلا بالقَدْر الذى أَمَرَ به؛ فَإنَّهُ لَيْسَ بدَاخل فِي الإيذَاء بَل هُوَ امْتثَال لأَمْر الله تَعَالَى؛ مثْل الزَّاني البكْر حَدُّهُ مائَةُ سَوْط، فَلَوْ زَادَ أَحَدٌ عَلى مائَة كَانَ ظُلمًا وَدَاخلاً فِي الإيذَاء، وَاعْلَمُوا أَنَّ القَلبَ أَفْضَل لجَامعيَّته مَا فِي الإنْسَان وَكَمَال بَسَاطَته وَإجْمَاليَّته؛ فَإنَّهُ كُل مَا كَانَ الشَّيْءُ أَشَدَّ إجْمَالاً وَأَكْثَر جَمْعيَّةً يَكُونُ أَقْرَبَ إلَى جَنَابه تَعَالَى، وَأَنَّ مَا فِي الإنْسَان إمَّا هُوَ منْ عَالَم الخَلق، أَوْ عَالم الأَمْر، وَالقَلبُ بَرْزَخٌ بَيْنَهُمَ، وَفِي مَرَاتب العُرُوج يُعْرُجُ ممَّا يَتَضَمَّنُهَا لطَائفُ الإنْسَان إلى أُصُوله، مَثَلاً يَكُونُ عُرُوجُهُ أَوَّلاً إلَى المَاء، ثُمَّ إلى الهَوَاء، ثُمَّ إلى النَّار، ثُمَّ إلَى أُصُول اللطَائف، ثُمَّ إلى الاسْم الجُزْئيِّ الذى هُوَ رَبُّهُ، ثُمَّ إلى كُليِّه، ثُمَّ إلى مَا شَاءَ اللهُ تَعَالَى، بخلاف القَلب؛ فَإنَّهُ لَيْسَ لَهُ أَصْل يُعْرَجُ إلَيْه بَل يَكُونُ العُرُوج منْهُ أَوَّلاً إلَى الذَّات تَعَالَتْ، وَإنَّهُ بَابُ غَيْب الهُويَّة لكنَّ الوُصُول منْ طَريق القَلب وَحْدَهُ بغَيْر ذَلكَ التَّفْصيل مُتَعسِّرٌ، وَإنَّمَا يَتيَسَّرُ الوُصُول بَعْدَ إتْمَام ذَلكَ التَّفصيل؛ أَلا تَرَى أَنَّ الجَامعيَّة وَالوَسعَةَ فيه إنَّمَا تَكُونُ بَعْدَ طَيِّه تلكَ المَرَاتب التَّفْصيليَّة، وَالمُرَادُ منَ القَلب هَهُنَا هُوَ القَلبُ الجَامعيَّةُ البَسيطُ لا المُضْغَةُ اللحْميَّةُ.

المَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالخَمْسُونَ بَعْدَ الأَرْبعمائَة
إلى حَضْرَةِ المَخْدُومِ زَادَهْ مُحَمَّد سَعيد ــ مُدَّ ظِلَّهُ العَالي ــ
في بَيَانِ العُرُوجِ وَالنُّزُولَ نَقْل بالمَعْنَى

نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنُصَلي عَلى سَيِّدِنَا وَمَوْلانَا وَشَفِيعِ ذُنُوبِنَا مُحَمَّدٍ وَآله وَأَصْحَابِه

اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَظْهَرَ لِى أَنَّ فِي الكَائنَات نُقْطَةً هِيَ مَرْكَزُ العَالمِ الظِّلِّيِّ، وَتلكَ النُّقْطَةُ إجْمَال جَميعِ العَالمِ، وَالعَالمُ بتَمَامه تَفْصيل لذَلكَ الإجْمَال، وَتلكَ النُّقْطَةُ كَالشَّمْسِ في السَّمَاء بهَا يُنَوَّرُ مَا في الآفَاق فَكل مَنْ يَصل إلَيْه الفَيْضُ منْهُ سُبْحَانَهُ يَكُونُ بتَوَسُّل تلكَ النُّقْطَة، وَتلكَ النُّقْطَةُ مُحَاذيَةٌ لنُقْطَة غَيْب الهُويَّة، وَتلكَ النُّقْطَةُ كَائنَةٌ في مَرْتَبَة النُّزُول، فَمَا لَمْ يَكُن النُّزُول في هَذه المَرْتَبَة منَ الهُبُوط، وَالأَسْفَليَّةُ لا يَكُونُ العُرُوجُ إلى تلكَ المَرْتَبَة المُسَمَّاة بغَيْب الهُويَّة، وَهَذَا النُّزُول في الدَّعْوَة وَالتَّكْميل، وَفي ذَلكَ النُّزُول الذى يَكُونُ في مَرْتَبَة تلكَ النُّقْطَة يُتَخيَّل كَأَنَّ الوَجْهَ إلى العَالمِ وَالظَّهْرَ إلَيْه سُبْحَانَهُ وَظَهَرَ أَنَّ هَذَا التَّوَجُّهَ إلى العَالمِ وَالانْقطَاعَ عَنْهُ سُبْحَانَهُ إنَّمَا هُوَ إلى المَوْت، فَإذَا جَاءَ وَقْتُ الوصَال انْعَكَسَ الحَال، فَفي هَذه النَّشْأَة الفرَاقُ وَالشَّوْقُ منَ الجَانبَيْن، وَالمُلاقَاةُ إنَّمَا تَكُونُ بَعْدَ المَوْت، وَظَهَرَ مَعْنَى الحَديث القُدْسي: " أَلا طَال شَوْقُ الأَبْرَارِ إلى لقَائي، وَأَنَا إلَيْهِمْ لأَشَدُّ شَوْقًا "

وَاعْلَمْ أَنَّهُ مَعَ تَحقُّق النُّزُول في هَذه المَرْتَبَة لَيْسَ بَيْنَ السَّالك وَبَيْنَ الله سُبْحَانَهُ حجَابٌ بَل الحُجُبُ كُلهَا مَفْقُودَةٌ، وَلَكنَّ التَّوَجُّهَ إلى الله سُبْحَانَهُ مَفْقُودٌ بَل التَّوَجُّهَ بتَمَامه إلى الخَلق فَهَذَا مَقَامُ الدَّعْوَة، وَقَدْ يَقَعُ النُّزُول منْ تلكَ النُّقْطَة التي هيَ مَرْكَزُ دَائرَة العَالمِ الظِّلِّيِّ إلى النُّقْطَة التي هيَ مَرْكَزُ دَائرَة العَدَم، وَهُوَ مَقَامُ الكُفْر بالله تَعَالى وَالإنْكَار لهُ سُبْحَانَهُ وَللأَنْبيَاء عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَلآيَاته تَعَالى، وَيَقعُ العُرُوجُ عَنْ تلكَ النُّقْطَة التي ذَكَرْنَاهَا ظُلمَانيَّةً؛ فَالنُّزُول في ذَلكَ المَقَام لتَنْويره وَإشْرَاقه أَمْرٌ عَظيمُ القَدْر، وَمُقَابلهَا نُقْطَةُ الإسْلام، وَهيَ النُّقْطَةُ التي يَقَعُ العُرُوجُ إلَيْهَا بَعْدَ هَذَا النُّزُول الظُّلمَانيِّ، وَمصْبَاحُ تلكَ النُّقْطَة الظُّلمَانيَّة كَلمَةُ لا إلَهَ إلا اللهُ وَالسَّلام.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالخَمْسُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى سُلطَانَ الوَقْتَ مُدَّ ظلّهُ
في أَسْرَارِ الدُّعَاءِ وَمَدحَ العُلمَاءَ وَالصُّلحَاءَ

إنَّ أَقَل الدَّاعينَ أَحْمَدُ يَظْهَرُ الانْكسَارُ وَالتَّوَاضُعُ لخُدَّام ذَلكَ الجَنَاب المُعَلى وَيُؤدَّى شُكْرُ نعْمَة الأَمْنِ وَالأَمَّان التي هيَ شَاملةٌ لحَال الخَوَاصِّ وَالعَوَامِّ وَيَطْلبُ الفَتْحَ وَالنُّصرَةَ للعَسَاكرِ الإسْلاميَّة في أَوْقَات مَظنَّة إجَابَة الدُّعَاء وَزَمَان اجْتمَاع الفُقَرَاء، فَإنَّ كُل أَحدُ مَخلوقَ لأَمْر وَكُل مُيسَّرٌ لمَا خُلقَ لهُ فَإنَّ العَبَثَ في أَفْعَال الله تَعَالى مُمْتَنعٌ، وَالأَمْرُ الذى جُعل مَرْبُوطًا بالعَسَاكرِ الغُزَاة المُجَاهدينَ هُوَ تَقْويَةُ قَوَائم الدَّوْلة القَاهرَةَ وَتَأْييد أَرْكَان السَّلطَنَة البَاهرَة التي إلى تَرْويج الشَّريعَة الغَرَّاء مَنُوطٌ بهَا لَمَا قيل منْ أَنَّ الشَّرْعَ تَحْتَ السَّيْف، وَهَذَا الأَمْرُ جَليل القَدْر أَيْضًا مَرْبُوطٌ بعَسْكَرِ الدُّعَاءِ الذينَ هُمُ الفُقَرَاءُ وَأَصْحَابُ البَلاء، فَإنَّ الفَتْحَ وَالنُّصْرَةَ على قسْمَيْن

قسْمٌ جُعل مَرْبُوطًا بالأَسْبَاب، وَهُوَ صُورَةُ الفَتْحِ وَالنُّصْرَةِ المُتَعَلقَة بعَسْكَرِ الغُزَاة

وَالقسْمُ الثَّاني حَقيقَةُ الفَتْحِ وَالنُّصْرَةِ الكَائنَة منْ عنْد مُسَبِّب الأَسْبَاب، وَقَوْلهُ تَعَالى: {وَمَا النَّصْرُ إلا منْ عنْد الله}.

إشَارَةٌ إلى ذَلكَ وَهيَ مُتَعلقَةٌ بعَسْكَرِ الدُّعَاء، فَعَسْكَرُ الدُّعَاء سَبَقَ بَذْلهُ وَانْكسَارُهُ عَسْكَرَ الغُزَاة، وَتَرقَّى منَ السَّبَب إلى المُسَبِّب ، (ع) :

بردند شكستان الزَّيْن مَيْدَان كَوَرَى

وَأَيْضًا: إنَّ الدُّعَاءَ يَرُدُّ القَضَاءَ[1] كَمَا قَال المُخْبرُ الصَّادقُ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلام لا يَرُدُّ القَضَاءَ إلا الدُّعَاء "

وَالسَّيْفُ وَالجهَادُ لَيْسَ فيهمَا قُدْرَةُ رَدِّ القَضَاء؛ فَعَسْكَرُ الدُّعَاء مَعَ وُجُود الضَّعْف وَالانْكسَار كَانَ أَقْوَى منْ عَسْكَرِ الغُزَاة، وَأَيْضًا إنَّ عَسْكَرَ الدُّعَاء كَالرُّوح لعَسْكَرِ الغُزَاة وَهَوْلهُ بمَثَابَة القَالب، فَلا بُدَّ للتَّأْييد وَالنُّصْرَة، وَمنْ هَهُنَا قَالوا " كَانَ رَسُول الله ﷺ يَسْتَفْتحُ بصَعَاليكَ المُهَاجرينَ " مَعَ وُجُود جُنْد الغُزَاة وَاسْتيلاء المُحَاربينَ فَالفُقَرَاءُ الذينَ هُمْ جُنُودُ الدُّعَاءِ مَعَ وُجُودِ الذِّلة وَالمَسْكَنَة وَعَدَمِ اعْتبَارِ

---

(١) ـــ قَوْله لا يَرُدُّ القَضَاءَ إلَخ أَخرَجَهُ الترمذى عَنْ سَلْمَان الفارسى رضَى الله عَنْهُ سَنَد.

كَمَا قَالوا الفُقَرَاءُ سَوَادُ الوَجْه فِي الدَّارَيْنِ وَقَعَ عَلَيْهِمُ الاحْتِيَاجُ فِي بَعْضِ المَوَاقِعِ وَحُصُول لَهُمُ الاعْتِبَارُ مَعَ عَدَمِ اعْتِبَارِهِمْ هَذَا فِي الوَاقِعِ، وَفَاقُوا أَقْرَانَهُمْ فِي أَمْثَال هَذه المَوَاضع قَال المُخْبِرُ مدَادُ العُلَمَاء : "سُبْحَانَ الله وَبحَمْده قَدْ صَارَ ذَاكَ المدَادُ وَسَوَادُ الوَجْه بَاعثًا عَلى عِزَّتِهِمْ وَرِفْعَتِهِمْ، وَبَلغَ الحَضِيضُ إِلى الحَضيضِ إِلى الأَوْجِ دَرَجَاتُهُمْ نَعَمْ ، (ع):

وَفِي الظُّلمَات منْ مَاءِ الحَيَاة

قَال الشَّاعِر:

غُلام خوشيتنم خواند له رخساری سياه رَوَى منْ كُرْد عَاقَبَتْ كَارَى

وَهَذَا الفَقِيرُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لائقًا بِأَنْ يَجْعَل نَفْسَهُ فِي عدَاد جُنُود الدُّعَاء وَلكِنْ بِمُجَرَّد اسْمِ الفَقْرِ وَلاحْتِمَال إِجَابَة الدُّعَاء لا يَجْعَل نَفْسَهُ فَارِغًا منْ دُعَاء الدَّوْلة القَاهِرَة وَيَكُونُ رَطْبَ اللسَان بالدُّعَاءِ وَالفَاتحَة بلسَان الحَال وَالقَال {رَبَّنَا تَقبَّل مِنَّا ؛ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَليم}[1].

---

(١) ـــ الآية: ١٢٧ من سورة البقرة.

المَكْتُوبُ السِّتُّونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إِلى حَضْرَةِ المَخْدُومِ زَادَهْ الخَوَاجَة مُحَمَّد سَعِيد مُدَّ ظلهُ العَالي
في بَيَان سرِّ أَقْرَبِيْته تَعَالى
وَبَيَانِ أَنَّ انْكِشَافَ كُنْه الذَّات بالعلمِ الحُضُوريِّ
بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله، وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى:

اعْلَـــمْ: أَنَّ أَقْرَبِيَتَهُ تَعَالى مَرْبُوطَةٌ بالعلمِ الحُضُوريِّ الذى تُعلقَ بأَصْلِ المَعْلومِ لا بظلٍ منْ ظلاله وَبصُورَة منْ صُوَره؛ فَإِنَّ ذلكَ نَصيبُ العلمِ الحُصُوليّ، فَالعلمُ الحُصُوليُّ لا يَكُونُ في الحَقيقَة علمَ نَفْسِ الشَّيْءِ بَل علمَ صُورَةٍ منْ صُوَره، وَيَكُونُ الجَهْل مُتَحَقّقًا بالنِّسْبَة إلى نَفْسِ ذَلكَ الشَّيْءِ سُبْحَانَ اللهِ قَدْ قَالوا للجَهْل بالشَّيْءِ علمًا بذَلكَ الشَّيْء، وَكَأَنَّهُم تَصَوَّرُوا صُورَةَ الشَّيْءِ وَظله عَيْنَ الشَّيْء، وَزَعَمُوا علمَ تلكَ الصُّورَة علمَ ذَلكَ الشَّيْء، وَذَلكَ مَمْنُوعٌ، وَدَعْوَى العَيْنيَّة غَيْرُ مَسْمُوحٍ، فَإِنَّ بَيْنَ الشَّيْءِ وَصُورَته نسْبَةَ الاثْنَيْنيَّة، وَكُلما ثَبَتَتْ نسْبَةُ الاثْنَيْنيَّة فَالتَّغَايُرُ لازمٌ الاثْنَان مُتَغَايرَان قَضيَّةٌ مُقَرَّرَةٌ منْ قَضَايَا أَرْبَاب المَعْقُول، وَأَيْضًا إنَّ العلمَ بصُورَة الشَّيْء، كَيْفَ يَكُونُ مُسْتَلزمًا للعلمِ بذَلكَ الشَّيْءِ كَمَا هُوَ، فَإنَّ صُورَةَ الشَّيْءِ تمثَال.

تُمَاثل ظَاهرَ الشَّيْءِ ظَهَرَ مُتَلبِّسًا بأَحْكَامِ المرْآة، وَكَمْ منْ دَقَائقِ شَيْءٍ وَأَسْرَارِه ليْسَ منْهَا في الصُّورَة اسْمٌ وَلا رَسْمٌ

لوْ صَوَّرَ النَّقَّاشُ صُورَةَ ذَا المَنَا وأحيرنى مَا حيلتى في غنيجه

ليْتَ ظَاهرَ الشَّيْءِ يَظْهَرُ بصرَافَته في صُورَة الشَّيْء، وَيَكُونُ البَاطنُ مَوْقُوفًا وَمَسْكُوتًا عَنْهُ، فَإِنَّهُ إذَا ثَبَتَ أَنَّ ظَاهرَ الشَّيْءِ يَظْهَرُ في صُورَة الشَّيْءِ مُتَلبِّسًا بأَحْكَام المَحل وَالمرْآة عَلى مَا مَرَّ لا يَبْقَى الظَّاهرُ عَلى صرَافَته يَقينًا بَل تَعْرضُ لَهُ هَيْئَةٌ أُخْرَى، فَالصُّورَةُ كَمَا أَنَّهَا مَحْرُومَةٌ منْ بَاطنِ الشَّيْءِ مَحْرُومَةٌ أَيْضًا منْ ظَاهره، فَلا يَكُونُ علمُ تلكَ الصُّورَة مُسْتَلزمًا لعلم ذَلكَ الشَّيْءِ كَمَا هُوَ بالضَّرُورَة.

وَبالجُمْلَة: إنَّ المَعْلومَ هُوَ مَا يَكُونُ كَائنًا في الذِّهْنِ، وَلَمَّا كَانَ الكَائنُ في الذِّهْنِ الصُّورَةَ يَكُونُ المَعْلومُ أَيْضًا هُوَ تلكَ الصُّورَةُ، وَلَمَّا كَانَتْ بَيْنَ الصُّورَة وَالشَّيْءِ نسْبَةُ التَّبَاينِ وَالتَّغَايُرِ لا يَكُونُ علمُ الصُّورَة مُسْتَلزمًا منْ غَيْرِ أَنْ يَتَخلل في

البَيْنِ شَيْءٌ منَ الظِّل وَالصُّورَة، فَيَكُونُ المَعْلُومُ في هَذَا العلم هُوَ نَفْسُ الشَّيْء لا صُورَةٌ منْ صُوَرِه، فَيَكُونُ العِلْمُ الحُضُورِيُّ أَشْرَفَ بَل يَكُونُ العلمُ هُوَ فَقَطْ لا غَيْرَ، وَيَكُونُ مَا سوَاهُ منَ العلمِ الحُصُوليِّ جَهْلاً مُشْتَبهًا بصُورَة العلم، وَالمُتَّصفُ بالجَهْل المُرَكَّب مَنْ يَزْعُمُ جَهْلَهُ علمًا، وَلا يَدْري بأَنَّهُ لا يَدْري، فَلا يَكُونُ للعلمِ الحُصُوليِّ إلى ذَاته وَصفَاته تَعَالى سَبيل، وَلا تَكُونُ الذَّاتُ وَالصِّفَاتُ الوَاجبيَّةُ تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ مَعْلُومَةً بهَذَا العلم، فَإنَّ هَذَا العلمَ في الحَقيقَة علمٌ بصُورَة المَعْلوم لا بنَفْسِ المَعْلوم كَمَا مَرَّ وَلا سَبيل للصُّورَة في حَضْرَته جَل سُلطَانُهُ حَتَّى يُظَنَّ العلمُ بالصُّورَة بالأَصْل، وَإنْ قَال البَعْضُ: إنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ المَنْفيَّةَ التي يَتَعَلقُ بهَا العلمُ يُمْكنُ أَنْ تَكُونَ الصُّورَةَ كَائنَةً في المثَال عَلى تَقْدير ثُبُوتهَا غَيْرَ تلكَ الصُّورَة المَنْفيَّة التي يَتَعَلقُ بهَا العلمُ يُمْكنُ أَنْ تَكُونَ الصُّورَةَ كَائنَةً في المثَال الذى هُوَ أَوْسَعُ المَخْلوقَات، وَلا تَكُونُ ثَابتَةً في الذِّهْنِ، وَهَذَا الحَديثُ القُدُسيّ " لا يَسَعُني أَرْضي وَلا سَمَائي وَلكنْ يَسَعُني قَلبُ عَبْدي المُؤْمن " مَخْصُوصٌ بقَلب العَبْد المُؤْمن الذى مُعَامَلتُهُ مُغَايرَةٌ لمُعَامَلة سَائر النَّاس؛ لتَشَرُّفه بالفَنَاء وَالبَقَاء وَتَخَلصه منَ الحُصُول وَتَحَقُّقه بالحُضُور، فَإنْ كَانَ هُنَاكَ التَّوَسُّعُ فَهُوَ باعْتبَارِ الحُضُورِ لا باعْتبَارِ الحُصُول، (ع):

في أيِّ مرْآة يَكُونُ مُصَوَّرًا

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ في العلمِ الحُضُوريِّ اتِّحَادَ العَالمِ بالمَعْلوم، فَزَوَال هَذَا العلم عَن العَالمِ يَجُوزُ، فَإنَّ المَعْلومَ هُوَ نَفْسٌ، فَلا يَنفَكُّ عَنْهُ بَل العلمَ ثَمَّةَ عَيْنُ العَالمِ وَعَيْنُ المَعْلوم، فَأَيْنَ المَجَال للانْفكَاك

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ المَعْلومَ لمَا كَانَ في العلمِ الحُضُوريِّ نَفْسٌ الئ لا صُورَتُهُ يَنْكَشفُ المَعْلومُ فيه كَمَا هُوَ بالضَّرُورَة، وَيَصيرُ مَعْلومًا بالكُنْه، فَإنَّ كُنْهَ الشَّيْء عبَارَةٌ عَنْ نَفْسِ الشَّيْء، وَلَمَّا كَانَ جَميعُ الوُجُوه وَالاعْتبَارَات سَاقطَةً وَبَقيَ نَفْسُ الذَّات الحَاضرَة عنْدَ المُدْركَة صَارَ كُنْهُهَا مَعْلومًا بخلاف العلم الحُصُوليّ، فَإنَّ العُلومَ هُنَاكَ وُجُوهُ الشَّيْء وَاعْتبَارَاتٌ التي هيَ صُورُهُ وَأَشْبَاحُهُ لأَنْفُسه كَمَا مَرَّ، فَلا يَكُونُ المَعْلومُ هُنَاكَ كُنْهَ الشَّيْء، وَلا يَكُونُ الشَّيْءُ فيه مَعْلومًا بكُنْهه، غَايَةُ مَا في البَاب أَنَّ في العلمِ الحُصُوليِّ انْكشَافَ الشَّيْء وَدَرْكَ الشَّيْء، وَفي العلمِ الحُضُوريِّ

انْكِشَافُ الشَّيْءِ مَوْجُودٌ وَدَرْكُهُ مَفْقُودٌ، فَكُنْهُ المَعْلومِ يَصِيرُ مُنْكَشِفًا لا يَكُونُ مُدْرَكًا.

يَخْفَى أَنَّهُ إِذَا ثَبَتَ العلمُ الحُضُوريُّ بالنِّسْبَة إلى ذَات الوَاجب جَل سُلطَانُهُ كَمَا مَرَّ لزِمَ أَنْ يَكُونَ كُنْهُ الذَّات مُنْكَشفًا وَتَكُونَ الذَّاتُ مَعْلومَةً كَمَا هِيَ، وَهَذَا خلافُ مَا تَقرَّرَ عنْدَ العُلمَاء، وَأَقُول إِنَّ هَذَا العلمَ الحُضُوريَّ الذى تَعلقَ بذَات الوَاجب تَعَالى منْ قَبيل الرُّؤْيَة التي يُثْبتُونَهَا بالنِّسْبَة إليْه تَعَالى، وَهُنَاكَ الانْكشَافُ مَوْجُودٌ وَالدَّرْكُ مَفْقُودٌ، وَكَذَا هُنَا الانْكشَافُ مَوْجُودٌ وَالدَّرْكُ مَفْقُودٌ، فإذَا تَعَلقَت الرُّؤْيَةُ بذَات الوَاجب تَعَالى لَمْ لا يَتَعَلقُ بهَا العلمُ الذى هُوَ الطَفُ منَ الرُّؤْيَة، وَالمَحْذُورُ أَنَّمَا هُوَ في الإِدْرَاك المُسْتَلزِمِ للإحَاطَة لا في الانْكشَاف؛ قَالَ اللهُ تَعَالى {لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَار}[1]؛ لَمْ يَقُل لا تَرَاهُ الأَبْصَار.

فَإِنْ قِيـــــل: إذَا لَمْ يَحْصُل الدَّرْكُ، مَاذَا يُجْدي الانْكشَافُ؟

أَقُـــــول: إِنَّ المَقْصُودَ منَ الانْكشَاف هُوَ التذَاذُ الرَّائي، وَهُوَ حَاصل تَحَقُّقِ الدَّرْك.

فَإِنْ قِيـــــل: إِنَّ الانْكشَافَ بلا دَرْك، كَيْفَ يَكُونُ مُسْتَلزمًا للالتذَاذ؟

أُجِيـــــب: إِنَّ العلمَ بالانْكشَاف كَاف، حَصَل الدَّرْكُ أَوْ لا، أَوْ نَقُول: إِنَّ الدَّرْكَ أَيْضًا حَاصل في ذَاكَ المَوْطنِ، وَلكنَّهُ مَجْهُول الكَيْفيَّة، وَالدَّرْكُ المَنفيُّ ـــ وَاللهُ أَعْلمُ ـــ هُوَ مَا تَعْلمُ كَيْفيَّتَهُ، وَيُوجبُ إحَاطَةَ المَعْلوم لا يُحيطُونَ به علمًا مُنَاسبًا للعلمِ الحُصُوليّ، فَإِنَّهُ إذَا لَمْ يَكُنِ الدَّرْكُ في العلم الحُضُوريِّ، منْ أَيْنَ يَكُونُ في العلمِ الحُصُوليّ؛ فَإِنَّ كُل مَا هُوَ في الظِّل مُسْتَفَادٌ منْ مَرْتَبَة الأَصْل، وَلكنَّ الدَّرْكَ في الأَصْل مَجْهُول الكَيْفيَّة، وَفي الظِّل مَعْلومُ الكَيْفيَّة.

(١) ـــ الآية: ١٠٣ من سورة الأنعام.

المَكْتُوبُ الحَادِي وَالسِّتُّونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى جَنَاب حَضْرَة المَيْر مُحَمَّد نُعْمَانَ
فِي بَيَانِ أَنَّ العِلمَ الحُضُورِيَّ للعَارِف بِنَفْسه يَتَعلَقُ بِه تَعَالى

الحَمْدُ لله، وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى:

يَنْبغِي أَنْ يُعلَم: أَنَّ الحُصُوليَّ هُوَ بالنِّسْبَة إلى الآفَاق وَالعلمَ الحُضُوريَّ بالنِّسْبَة إلى الأَنْفس، فَإذَا ظَهَرَتْ مُعَامَلَةُ أَقْرَبِيَّته تَعَالى لعَارف تَامِّ المَعْرفَة وَحَصلَتْ، وَكَانَ العَارفُ مُتَحَليًا بهَذَا المَقَامِ العَالي يَكُونُ حُكْمُ تلكَ الأَنْفُسِ في حَقِّه حُكْمَ الآفَاق، وَيَتَبدَّل العلمُ الحُضُوريُّ المُتَعلقُ بهَا علمًا حُصُوليًا، وَفي هَذَا الوَقْت يَعْرِضُ لأَقْرَبيَّته تَعَالى حُكْمَ الأَنْفسِ وَالعلمَ الحُضُوريَّ الذى كَانَ أَوَّلاً مُتَعلقًا بالأَنْفُسِ يَكُونُ ح مُتَعَلقًا بتلكَ الأَقْرَبيَّة لا بمَعْنَى أَنَّهُ يَجدُ نَفْسَهُ عَيْنَ الوَاجب تَعَالى، وَيَظُنُّ أَنَّ العلمَ المُتَعلقَ بنَفْسه مُتَعَلقٌ بعَيْنه بالوَاجب سُبْحَانَهُ، فَإنَّ هَذَا هُوَ بعَيْنه مُعَامَلَةُ التَّوْحيد، وَمُتَعلقٌ بمَقَامَات القُرْب، وَنهايَةُ القُرْب هِيَ الاتِّحَادُ، والأَقْرَبيَّةُ غَيْرُ ذَلكَ، وَمُعَامَلَتُهُ شَيْءٌ آخَرُ

يَنْبَغي مُجَاوَزَةُ الاتِّحَاد وَالاعْتِرَافُ بالاثْنينيَّة حَتَّى يُتصَوَّرَ الأَقْرَبيَّةُ وَلا يَقعَنَ القَاصرُ منْ لفْظ الاثْنَيْنيَّة في التَّوَهُّم وَلا يَزْعُمَنَ أَنَّ الاتِّحادَ فَوْقَ الاثْنَيْنيَّة، فَإنَّ الاثْنَيْنَيَّةَ التي هيَ دُونَ الاتِّحَاد مَقَامُ العَوَامِّ كَالأَنْعَام، وَهَذه الاثْنَيْنيَّةُ التي لَهَا أُلوفُ مَزيَّة عَلى الاتِّحَاد مَقَامِ الأَنْبيَاء الكرَام عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ كَمَا أَنَّ الصَّحْوَ الذى دُونَ السُّكْرِ هُوَ حَال العَوَامِّ وَالصَّحْوُ الذى بَعْدَ السُّكْرِ مَقَامُ الخَوَاصِّ بَل أَخَصِّ الخَوَاصِّ، وَكَمَا أَنَّ الإسْلامَ الذى ثبل كُفْرَ الطَّريقَة إسْلامُ عَوَامٍّ أَهْلِ الإسْلام، وَالإسْلامُ الذى بَعْدَ كُفْر الطَّريقَة إسْلامُ أَخصِّ الخَوَاصِّ، وَالعَجَبُ أَنَّ العَارفَ وَإنْ لَمْ يَرَ نَفْسَهُ وَاجبًا تَعَالى، وَلكنَّ العلمَ الحُضُوريَّ المُتَعلقَ بنَفْسِ العَارفِ يَتعَلقُ بالوَاجبِ وَيَكُونُ علمُهُ بنَفسه الذى هُوَ حُضُوريٌّ حُصُوليٌّ، (ع):

وَكَمْ فِي العِشْقِ منْ عَجَب عَجيب

وَالعَقْل المُعْتَقّل لا يَهْتَدي إلى هَذه الدَّقيقَةِ بَل يَجْعَلهَا رَاجعَةً إلى جَمْعِ الضِّدَّيْنِ

قَال وَاحدٌ منَ العَارِفِينَ عَرَفْتُ رَبِّي بِجَمِيعِ الأَضْدَاد {رَبَّنَا آتنَا مِنْ لدُنْكَ رَحْمَةً، وَهَيِّئْ لنَا مَنْ أَمْرِنَا رَشَدًا}(١)، {وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}(٢).

---

(١) ــ الآية: ١٠ من سورة الكهف.

(٢) ــ الآية: ٤٨ من سورة طه.

المَكْتُوبُ الثَّاني وَالسِّتُّونَ بَعْدَ الأَرْبعمائَة
إلى القَاضِي نَصْرِ الله
في بَيَانِ الفَرْقِ بَيْنَ اسْتِدْلالِ العُلَمَاءِ الرَّاسخِينَ وَاسْتِدْلالِ أَرْبَابِ الظَّاهِرِ بالأَثَرِ عَلَى المُؤَثِّرِ

إنَّ الاسْتِدْلالَ بالأَثَرِ عَلى المُؤَثِّرِ، وَبالمَخْلوقِ عَلى الخَالِقِ جَل سُلْطَانُهُ شَغَل عُلَمَاءَ الظَّاهِرِ وَشَغَلَ العُلَمَاءَ الرَّاسِخِينَ أَيْضًا الذينَ هُمْ وَرَثَةُ الأَنْبياءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ

عُلَمَاءُ الظَّاهِرِ يَحْصُلونَ منَ العلمِ بوُجُودِ المَخْلوقِ العلمَ بوُجُودِ الخَالقِ، وَيَجْعَلونَ وُجودَ الأَثَرِ دَليلاً عَلى وُجُودِ المُؤَثِّرِ، وَيَحْصُلونَ الإيمَانَ وَاليَقِينَ بوُجُودِ المُؤَثِّرِ، وَالعُلمَاءُ الرَّاسِخُونَ الذينَ قَطَعُوا دَرَجَاتِ كَمَالاتِ الولايَة وَبَلغُوا مَقَامَ الدَّعْوَةِ التي هيَ خَاصَّةُ الأَنْبيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ بالأَصَالَة أَيْضًا يَسْتَدلونَ عَلى المُؤَثِّرِ بَعْدَ حُصُولِ التَّجَليَاتِ وَالمُشَاهَدَاتِ وَيَكْتَسبُونَ بهَذَا الطَّريقِ أَيْضًا إيمَانًا بالمُؤَثِّرِ الحَقيقيِّ، فَإنَّهُمْ يَعْرفُونَ في آخرِ الأَمْرِ أَنَّ كُل مَا كَانَ مَشْهُودًا وَمُتَجَليًا لَهُمْ كَانَ ظلاً منْ ظلالِ المَطْلوبِ مُسْتَحقًّا للنَّفْيِ وَعَدَمِ الإيمَانِ وَيَتَيَقَّنُونَ أَنَّ الإيمَانَ بالكَيْفيِّ لا يَتَيَسَّرُ في هَذَا المَوْطنِ منْ غَيْرِ اسْتدْلالٍ فَلا جَرَمَ يُقْبلونَ عَلى الاسْتدْلالِ وَيَطْلُبُونَ المَطْلوبَ بلا حَيْلولةِ الظِّلالِ، وَلَمَّا كَانَتْ لهَؤُلاءِ الكُبَرَاءِ مَحَبَّةٌ قَويَّةٌ لجَنَابِ قُدُسه تَعَالَى بحَيْثُ جَعَلوا مَا سواهُ فدَاءً لهُ سُبْحَانَهُ فَلا جَرَمَ يَصلونَ إلى المَطْلوبِ الحَقيقيِّ منْ طَريقِ الاسْتدْلالِ لقَوْله ﷺ المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ " وَيَتَخلصُونَ منْ مَضيقِ التَّجليَاتِ وَالظُّهُورَاتِ المَشُوبَة بالظِّلالِ وَيَعْدُونَ نَحْوَ أَصْلِ الأَصْلِ، وَالمَقَامُ الذى يُبْلغُ فيه علمُ عُلمَاءِ الظَّاهرِ يَصلُ فيه هَؤُلاءِ الأَكَابرُ بأَنْفُسهمْ مُنْجَذبينَ بجَذَبَاتِ المَحَبَّة وَيَحْصُلُ لَهُمُ الاتِّصَالُ الكَيْفيُّ وَهَذَا الفَرْقُ إنَّمَا نَشَأَ منْ طَريقِ المَحَبَّة، فَكُل مَنْ هُوَ مُحبٌّ مُنْقَطعٌ عَنْ غَيْرِ المَحْبُوبِ مُتَّصلٌ به، وَمَنْ لَيْسَتْ فيه هَذه يُكْتَفَى بالعلمِ وَيَغْتَنمُ ذَلكَ بَل رُبَّمَا يَبْلغُ هَؤُلاءِ الكُبَرَاءُ مَبْلغًا لا يَبْلغُ فيه عَلمُ العُلمَاءِ، وَنهَايَةُ العلمِ عَلى تَقْديرِ الصِّحَّة إلى دهْليزِ المَطْلوبِ وَالذي هُوَ وَاصلٌ إلى المَطْلوبِ، فَهُوَ مَعَ المَطْلوبِ، وَالمَعيَّةُ لا تَتْرُكُ دَقيقَةً لا تَكُونُ نَصيبًا لَهُمْ

قَال وَاحدٌ منَ الكُبَرَاءِ، (ع):

بنده بأحق همجوشير وشكر ست

وَلله المَثَل الأَعْلى يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَبْدًا، وَأَنْ يَتَخَلص عَنْ عُبُدِيَّة مَا سِوَاهُ تَعَالى، وَاللهُ سُبْحَانَهُ المُوَفِّقُ.

المَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالسِّتُّونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى مُلا شير مُحَمَّد الهورى
في بَيانِ الفَرْقِ بَيْنَ تَصْديقِ القَلْبِ وَيَقينه

الحَمْدُ لله، وَسَلامٌ عَلى عِبادِه الذينَ اصْطَفَى.

سُـــــؤَال قَال بَعْضُ مُحَقِّقِي المُتَكَلمين إنْ حَقيقَةَ الإيمَان قَبُول القَلب وَانْقيَادُهُ بِالمُؤْمنِ به، فَمَا مَعْنَى ذَلكَ؟ وَهَل القَبُول وَالانْقيَادُ عِبارَةٌ عَنْ نَفسِ التَّصْديقِ، وَيَقينُ القَلب بِالمُؤْمنِ به أَوَامرُ زَائدٌ عَلَيْهمَا؟

الجَوَابُ إنَّ قَبُول القَلب غَيْرُ يَقينه، وَإنْ لَمْ يَكُنْ غَيْرَ التَّصْديق، وَلكنَّهُ مُتَفرِّعٌ عَلى اليَقين، فَإنَّ القَلبَ لا يَخْلو بَعْدَ حُصُول اليَقين منْ إحْدَى الحَالَتَيْن إمَّا التَّسْليمُ وَالانْقيَادُ بِالمُؤْمنِ به، أَو الجُحُودُ به وَالإنْكَارُ عَلَيْه، وَعَلامَةُ التَّسْليمِ وَالانْقيَاد رِضَاءُ القَلب بِالمُؤْمنِ به، وَانْشرَاحُ الصَّدْرِ لهُ، وَعَلامَةُ الجُحُود وَالإنْكَارِ كَرَاهَةُ القَلب بِالمُصدِّق به وَضيقُ الصَّدْرِ عَلَيْه؛ قَال اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالى: {فَمَنْ يُرِد اللهُ أَنْ يَهْديَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ للإسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضلهُ يَجْعَل صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَدُ في السَّمَاء}[1] الآيَةَ، وَحُصُول التَّسْليمِ وَالانْقيَاد للقَلب بِالمُؤْمنِ به بَعْدَ حُصُول التَّصْديقِ وَاليَقين به وَاليَقينُ به بِمَحْضِ المَوْهبَة الإلهيَّة جَل سُلطَانُهُ وَيَصْرِفُ كَرَمَهُ المُتَنَاهي، رومنْ هَهُنَا قيل إنَّ الإيمَانَ مَوْهبَةٌ إلهيَّةٌ، وَمَنْشَأُ الجُحُود وَالإنْكَارِ بَعْدَ حُصُول اليَقين وَالتَّصْديق بِالمُصدِّق به رُسُوخُ الصِّفَات الرَّديَّة في النَّفْسِ الأَمَّارَة وَتَمرُّنها فيهَا لكَوْنهَا مَجْبُولَةً عَلى حُبِّ الجَاه وَالرِّيَاسَة وَمَطْبُوعَةً عَلى عَدَمِ قَبُول تَبَعيَّة أَحَد وَتَقْليده تُريدُ أَنْ يُصَدِّقَهَا وَيَقْبَلهَا كُل أَحَد وَهيَ لا تُقلدُ أَحَدًا وَلا تَتْبَعُ وَلا تَسْتَسْلمُ فَرْدًا منَ الأَفْرَاد، وَلا تَنْقَاد {وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلكنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلمُون}[2] وَقَدْ خَلصَ اللهُ سُبْحَانَهُ طَائفَةً بِمَحْضِ فَضْله وَكَرَمه منْ هَذَا المَرَضِ الجُبْليِّ، وَشَرَّفَهُمْ بشَرَف تَسْليمِ الأَنْبيَاء وَانْقيَادهمْ عَلَيْهمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ الذينَ هُمْ هُدَاةُ الأَنَامِ إلى سُبُل السَّلامِ وَالصِّرَاط المُسْتَقيم، وَوَعَدَ لهُمْ بِجَنَّاتِ النَّعيمِ التى هيَ مَحَل رِضَائه تَعَالى، وَتَرَكَ طَائفَةً عَلى طَوْرِهمْ وَ لَمْ يُخَلصْهُمْ

---

(١) ــ الآية: ١٢٥ من سورة الأنعام.

(٢) ــ الآية: ١١٧ من سورة آل عمران.

مِنْ تلكَ الرَّذَائِل جَبْرًا وَقَهْرًا، وَلَمْ يَجْذِبْهُمْ إلى هَذه الدَّوْلة وَلكنْ بَالغَ فِي بَيَان الصِّرَاطِ المُسْتَقيمِ وَتَبْشيرِ المُصدِّق وَإِنْذَارِ المُكَذِّبِ العَاصِي بِإِرْسَال الرُّسُل وَإِنْزَال الكُتُبِ، وَأَقَامَ الحُجَّةَ عَلَى الفَرِيقَيْنِ.

المَكْتُوبُ الرَّابعُ والسِّتُّونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى الفَقيرِ مُحَمَّد هَاشم الكَشْميريِّ
فِي بَيَانِ فَنَاءِ القَلْبِ وَالنَّفْسِ وَزَوَالِ العلمِ الحُصُوليِّ والحُضُوريِّ

الفَنَاءُ عبَارَةٌ عَنْ نسْيَان مَا سوَى الحَقِّ سُبْحَانَهُ، وَمَا سوَاهُ تَعَالى عَلى قسْمَيْنِ أَفَاقِيٌّ، وَأَنْفُسِيٌّ، فَنسْيَانُ الآفَاقِيِّ عبَارَةٌ عَنْ زَوَال العلمِ الحُصُوليِّ بالنِّسْبَة إلى الآفَاق، وَنسْيَانُ الأَنْفُسِيِّ عبَارَةٌ عَنْ زَوَال العلمِ الحُضُوريِّ بالنِّسْبَة إلى الأَنْفُس، فَإنَّ العلمَ الحُصُوليَّ يَتَعَلقُ بالآفَاق، وَالعلمَ الحُضُوريَّ بالأَنْفُس، وَزَوَال العلمِ الحُصُوليِّ بالأَشْيَاء مُطْلقًا، وَإنْ كَانَ مُتَعَسِّرًا؛ لكَوْنه نَصيبَ الأَوْليَاء، وَلكنَّ زَوَال العلمِ الحُضُوريِّ مُطْلقًا عَسيرٌ جدًا، وَنَصيبَ الكُمَّل منَ الأَوْليَاء يَكَادُ يَكُونُ تَجْويزَهُ بَل تَصوُّرَهُ مُحَالاً عنْدَ أَكْثَر العُقَلاء لزَعْمهمْ عَدَمَ حُضُور المُدْرك عنْدَ المُدْرك سَفْسَطَةً؛ فَإنَّ حُضُورَ الشَّيْء عنْدَ نَفْسه ضَرُوريٌّ عنْدَهُمْ؛ فزَوَال العلمِ الحُضُوريِّ وَإنْ كَانَ لَمحَةً لا يَكُونُ مُجَوَّزًا عنْدَهُمْ، فَكَيْفَ إذَا كَانَ زَوَال العلمِ مُطْلقًا، بحَيْثُ لا يَعُودُ أَبدًا، وَالنِّسْيَانُ الأَوَّل الذى هُوَ بالنِّسْبَة إلى العلمِ الحُصُوليِّ يَتَعَلقُ بفَنَاء القَلب، وَالنِّسْيَانُ الثَّاني الذى هُوَ بالنِّسْبَة إلى العلمِ الحُضُوريِّ مُسْتَلزمٌ لفَنَاء الأَوَّل كَالصُّورَة لهَذَا الفَنَاء وَكَالظِّل لهُ، فَإنَّ العلمَ الحُصُوليَّ ظل العلمِ الحُضُوريِّ في الحَقيقَة، فَيَكُونُ فَنَاؤُهُ ظلَ فَنَاء هَذَا بالضَّرُورَة، وَبحُصُول هَذَا الفَنَاء تَسْتَقرُّ النَّفْسُ في مَقَامِ الاطْمئْنَان، وَتَصيرُ رَاضيَةً عَنِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَمَرْضيَّةً لهُ تَعَالى، وَبَعْدَ البَقَاء وَالرُّجُوع تَتَعَلقُ مُعَامَلَةُ التَّكْميل وَالإرْشَاد بهَا، وَلَهَا يَتَيَسَّرُ الجهَادُ وَالغُزَا مَعَ طَبَائعِ العَنَاصرِ الأَرْبَعَة المُخْتَلفَة التي هيَ أَرْكَانُ البَدَن، وَكُل وَاحد منْهَا يَقْتَضي أَمْرًا منَ الأُمُور غَيْرَ مَا يَقْتَضيه الآخَرُ، وَيُريدُ شَيْئًا منَ الأَشْيَاء خلافَ مَا يُريدُهُ الآخَرُ، وَهَذه الدَّوْلَةُ غَيْرُ مُتَيَسِّرَة لوَاحدَة منَ اللطَائف، وَهيَ التي تُصْلحُ الأَنَانيَّةَ الإبْليسيَّةَ النَّاشئَةَ منْ عُنْصُر النَّار بسيَاسَتهَا، وَتُورثُ الاعْتدَال للقُوَّة الشَّهْويَّة وَالغَضَبيَّة وَسَائر الأَوْصَاف الذَّميمَة التي فيهَا شَركَةٌ للبَهَائم وَالحَيوَانَات بحُسْن تَرْبيَتهَا سُبْحَانَ الله قَدْ صَارَ شَرُّ اللطَائف خَيْرَهَا؛ قَال عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلام: "خيَارُكُمْ فِي الجَاهليَّة خيَارُكُمْ فِي الإسْلامِ إذَا فَقهُوا".

تَنْبِيــــهٌ: عَلامَةُ نسْيَان السَّوِيِّ عَدَمُ حُضُوره في القَلب، وَعَلامَةُ زَوَال العلمِ الحُضُورِيِّ بنَفْسِ العَالَمِ انْتفَاءُ العَالَمِ بالكُل عَيْنًا وَأَثَرًا حَتَّى يَتَصَوَّرَ زَوَال العلمِ وَالعُلومِ عَنْهُ، فَإِنَّ العلمَ وَالمَعْلومَ في ذَلكَ المَوْطنِ نَفْسُ العَالمِ فَمَا لَمْ يَزَل نَفْسُ العَالمِ لا يَنْتَفِي العِلمُ وَالمَعْلومُ، وَالفَنَاءُ الأَوَّل هُوَ فَنَاءُ الآفَاق، وَالفَنَاءُ الثَّانِي فَنَاءُ الأَنْفُسِ الذى هُوَ حَقِيقَةُ الفَنَاءِ.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ والسِّتُّونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى حَضْرَةِ المَخْدُومِ زَادَهْ الخَوَاجَة مُحَمَّد مَعْصُوم مُدَّ ظِلهُ
فِي بَيَانِ زَوَالِ العَيْنِ وَالأَثَرِ وُجُودًا وَشُهُودًا
بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَال اللهُ تَعَالَى {هَل أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا}(١) بَلى، يَا رَبِّ قَدْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا، لا عَيْنًا وَلا أَثرًا، وَلا شُهُودًا وَلا وُجُودًا، ثُمَّ يَصِيرُ بَعْدَ ذَلِكَ إِنْ شِئْتَ حَيًّا بِحَيَاتِكُمْ وَبَاقِيًا بِبَقَائِكَ، وَمُتخلقًا بِأَخْلاقِكَ، بَل صَارَ بَاقِيًا بِكَ بِفَضْلِكَ فِي عَيْنِ الفَنَاءِ، وَفَانِيًا فِيكَ فِي عَيْنِ البَقَاءِ؛ لِتَلازُمِ بَيْنَهُمَا وَحُصُولِ كَمَالِ كُلِ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِوُجُودِ الآخَرِ، مَثلهُ مَثَلِ إِنْسَانِ القِيَ فِي مَعْدِنِ مِلحٍ حَتَّى صَارَ شَيْئًا فَشيْئًا مُنْصَبِغًا بِأَحْكَامِ المِلحِ إِلى أَنْ صَارَ كُلهُ مِلحًا مَا بَقِيَ مِنْهُ عَيْنٌ وَلا أَثرٌ، فَلا جَرَمَ أُبِيحَ قَتْلهُ وَقَطْعُهُ وَحَل أَكْلهُ وَبَيْعُهُ وَشِرَاؤُهُ فَلوْ بَقِيَ مِنْهُ عَيْنٌ أَوْ أَثرٌ لمَا جَازَ ذَلِكَ وَلنِعْمَ مَا قِيل فِي الشِّعْرِ الفَارِسِيِّ

سكى كاندرنمك زادَ افتداوكم كردداندروى   منْ أَينَ درياى برشورازنمك كمترنميدانم

فَإِنْ قُلتَ إِنَّكَ قَدْ كَتَبْتَ فِي المَكَاتِيبِ وَالرَّسَائِلِ أَنَّ زَوَالَ العَيْنِ وَالأَثَرِ إِنَّمَا يَكُونُ شُهُودِيًّا لا وُجُودِيًّا لاسْتِلزَامِهِ الاِتِّحَادَ وَالزَّنْدَقَةَ وَرَفْعَةَ الاثْنَيْنِيَّةِ الثَّابِتَةِ بَيْنَ العُبُودِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ، فَمَا مَعْنَى زَوَالِ العَيْنِ وَالأَثَرِ فِي الوُجُودِ أَيْضًا هُنَا.

قُلتُ انْصِبَاغُ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ بِحَيْثُ يَصِيرُ أَحَدُهُمَا مُنْخَلِعًا عَنْ أَحْكَامِهِ وَمُنْصَبِغًا بِأَحْكَامِ الآخَرِ لا يُوجِبُ رَفْعَ الاثْنَيْنِيَّةِ عَنْهُمَا حَتَّى يَكُونَ اتِّحَادًا وَزَنْدَقَةً، فَإِنَّ الإِنْسَانَ المُلقَى فِي مَعْدِنِ المِلحِ مَا اتَّحَدَ مَعَ المِلحِ وَمَازَالَت الاثْنَيْنِيَّةُ بَل حَصَل لهُ مِنْ جِوَارِ المِلحِ وَسُلطَانِهِ فَنَاءٌ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ صِفَاتِهِ وَبَقَاءٌ بِالمِلحِ وَأَحْكَامِهِ مَعَ بَقَاءِ الاثْنَيْنِيَّةِ

غَايَةُ مَا فِي البَابِ أَنَّ هَذِهِ الاثْنَيْنِيَّةَ شَبِيهَةٌ بِاثْنَيْنِيَّةٍ بَاقِيَةٍ بَعْدُ، فَلا اتِّحَادَ وَلا زَنْدَقَةَ، وَأَمَّا مَا مَعِي فِي الكُتُبِ وَالرَّسَائِلِ عَنِ الزَّوَالِ الوُجُودِيِّ فَمَحْمُول عَلَى

---

(١) ــ الآية: ١ من سورة الإنسان.

قُصُور فَهْم العَوَامِّ؛ فَإِنَّهُمْ يَفْهَمُونَ مِنْهُ رَفْعَ الاثْنَيْنِيَّةِ وَيَقَعُونَ فِي الالحَاد وَالزَّنْدَقَة، تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقُولونَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

بَقِيَ أَنَّ الشَّيْخَ الذى يَقَعُ مِنْ ذَلِكَ الإِنْسَان بَعْدَ صَيْرُورَته ملحًا حُكْميًّا هُوَ فِي الحَقِيقَة صُورَةُ الملح الذى انْصَبَغَ ذَلِكَ الإِنْسَانُ بِصبْغَة لا صُورَةُ الإِنْسَان إلا أَنَّهُ قِيسَ ذَلِكَ الملحُ الحُكْمِيُّ بِمِقْيَاسِ شَبَح ذَلِكَ الإِنْسَان، وَصُوِّرَ بِصُورَتِه لا أَنَّهُ بَقِيَ شَبَحُ الإِنْسَان فَبَقِيَ أَثَرُهُ.

تَنْبِيـــــهٌ: ذَلِكَ الشَّبَحُ فِي الملحِ الذى قِيسَ بِمِقْيَاسِ صُورَة الإِنْسَان مُمْكِنٌ بَل وَاقعٌ، وَأَمَّا مَنْ نَحْنُ بِصَدَده فَلَيْسَ كَذَلِكَ، فَلله المَثَل الأَعْلى، فَهُوَ سُبْحَانَهُ لا يَتَّحدُ مَعَ شَيْء، وَلا يَتَّحِدُ مَعَهُ شَيْءٌ، وَلا يَتَّصلُ بالأَشْيَاء وَلا يَنْفَصِلُ عَنْهَا، وَالأَشْيَاءُ أَيْضًا غَيْرُ مُتَّصلة به، سُبْحَانَهُ الآنَ كَمَا كَانَ عَلَى صِرَافَة التَّنْزيه وَالتَّقْديس، فَهُوَ تَعَالى قَرِيبٌ منَ العَالَمِ وَمَعَ العلم بالقُرْب، وَالمَعِيَّةُ المَجْهُولَةُ كَيْفِيَّتُهُمَا لا كَقُرْب الجِسْمِ مَعَ الجسْمِ وَلا كَقُرْب الجسْمِ مَعَ العَرْضِ.

وَبالجُمْلَة: إِنَّ صِفَاتِ الإِمْكَانِ وَسِمَاتِ الحُدُوث كُلها مَسْلوبَةٌ عَنْ جَنَاب قُدُسه

عُرُوجُ الأَوْلِيَاء لا يَزِيدُ فِي قُرْبه سُبْحَانَهُ للعَبْد، وَوُصُول الأَصْفِيَاء لا يَحْصُل اتِّصَالُهُ مَعَ الله، وَالفَنَاءُ وَالبَقَاءُ أَحْوَال للعُرَفَاء غَيْرُ مَا فَهِمَهَا العُقَلاءُ، وَزَوَال العَيْنِ وَالأَثَر لهُ مَعْنًى لا يَفْهَمُهُ إلا مَنْ رُزِقَ ذَلِكَ كَمَا سَيَجِيءُ

الظَّاهِرِيُّ وَمَدْلولهُ المُطَابَقِيُّ فَإِنَّهُ رُبَّمَا تَغْلطُ فِيه غَلَطًا فَاحِشًا فَتَضِل وَتُضِل وَاللهُ سُبْحَانَهُ المُوَفِّقُ المُلهِمُ للصَّوَاب.

فَإِنْ قُلتَ قَدْ جَوَّزْتَ زَوَال العَيْنِ وَالأَثَر منَ الإِنْسَان فَمَا تَقُول فِيمَا جَاءَ فِي القُرْآن المَجيد فِي شَأْن خَاتَم الرُّسُل عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْليمَات {قُل إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ}(١).

وَمَا جَاءَ فِي الحَدِيث النَّبَوِيّ " إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلكُمْ يُوحَى إِلَيَّ ".

وَمَا جَاءَ فِي الحَدِيث النَّبَوِيّ: "إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ البَشَر"

وَلَيْسَ هَذَا لإِبْقَاء الأَثَر منَ الإِنْسَانِيَّة، قُلتُ لَيْسَ كَذَلكَ، وَلا دَلالَةَ فِيه عَلى بَقَاء الأَثَر إلا أَنَّهُ لَمَّا أُرِيدَ إِرْجَاعُ الإِنْسَان الكَامل بَعْدَ الفَنَاء وَالبَقَاء إِلى العَالَمِ وَدَعْوَة الخَلقِ إِلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ رُكِّبَتْ فِيهِ الصِّفَاتُ البَشَرِيَّةُ وَالخَصَائِصُ الإِنْسَانِيَّةُ

(١) ــ الآية: ١١٠ من سورة الكهف.

الزَّائلة بَعْدَ كَسْرِ صُورَة تلكَ الصِّفَات لتَحْصُل المُنَاسَبَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ العَالَمِ بَعْدَ مَا زَالتْ، وَيَفْتَحُ اللهُ بَابَ الإفَادَة وَالاسْتفَادَة بَيْنَهُ وَبَيْنَ العَالَمِ بتلكَ المُنَاسَبَة، والحكْمَةُ الأُخْرَى في إرْجَاعِ هَذه الصِّفَات البَشَريَّة وَالحَاقهَا بَعْدَ زَوَالهَا ابْتلاءُ المُكَلَّفينَ وَاخْتبَارُ المَدْعُوينَ ليُميِّزَ الخَبيثَ منَ الطِّيب، وَيَعْتَزِلَ المُكَذِّبَ منَ المُصَدِّق، وَيَحْصُل الإيمَانُ بالغَيْب بَعْدَ مَا لبَسَ الأَمْرُ وَسَتَرَ الحَال برُجُوعِ تلكَ الصِّفَات قَال اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى {وَلَوْ جَعَلنَاهُ مَلكًا لجَعَلنَاهُ رَجُلاً وَللَبَسْنَا عَليْهِمْ مَا يَلبسُونَ}[1].

فَإنْ قَالَ قَائل: مَا مَعْنَى زَوَال العَيْنِ وَالأَثَرِ منَ الإنْسَانِ الكَامل، وَالحَال أَنَّ ظَاهرَهُ دَائمٌ عَلى الصِّفَات البَشَريَّة؛ يَأْكُل وَيَشْرَبُ وَيَنَامُ وَيَسْتَريحُ؟

قَال اللهُ في شَأْنِ الأَنْبيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ {وَمَا جَعَلنَاهُمْ جَسَدًا لا يَأْكُلونَ الطَّعَامَ}[2]

قُلتُ الفَنَاءُ وَالبَقَاءُ منْ صفَات البَاطنرلا تَعَلقَ للظَّاهرِ بهمَا بالأَصَالة؛ فَإنَّ الظَّاهرَ دَائمٌ عَلى أَحْكَامه وَالبَاطنَ يَنْخَلعُ وَيَتَلبَّسُ.

فَإنْ قيل: لطَائفُ البَاطنِ مُتَعَدِّدَةٌ كُلهَا مُتَحَقِّقَةٌ بالفَنَاءِ وَالبَقَاءِ، أَوْ بَعْضُهَا، فَأَيُّ بَعْضٍ هُوَ؟

قُلتُ: المُتَحَقِّقُ بهمَا إنَّمَا هُوَ لطيفَةُ النَّفْسِ التي هيَ في الحَقيقَة حَقيقَةُ الإنْسَان المُشَارُ إليْهَا بإشَارَة قَوْل أَنَا، فَهيَ الأَمَّارَةُ بالسُّوءِ أَوَّلاً، وَالمُطْمَئنَّةُ آخرًا، وَالقَائمَةُ بعَدَاوَة الرَّحْمَنِ جَل شَأْنُهُ ابْتدَاء، وَالرَّاضيَةُ به وَالمَرْضيَّةُ عَنْهَا انْتهَاء، فَهيَ شَرُّ الأَشْرَارِ، وَخَيْرُ الأَخْيَارِ، زَادَ شَرَّهُ شَرًّا إبْليسُ، وَزَادَ خَيْرَهُ عَلى خَيْرٍ أَهْل التَّسْبيحِ وَالتَّقْديس.

تَنْبيهٌ: ليْسَ مَعْنَى الفَنَاءِ زَوَال هُوَ الفَنَاءُ الوُجُوديُّ وَالزَّوَال الوُجُوديُّ، وَمَعْنَى البَقَاء بالله هُوَ زَوَال الإمْكَان منَ المُمْكنِ رَأْسًا وَحُصُول الوُجُوب لهُ ثَانيًا؛ فَإنَّهُ مُحَال عَقْليٌّ، وَالقَوْل بذَلكَ كُفْرٌ بَل هُوَ خَلعٌ وَلبْسٌ مَعَ بَقَاءِ الإمْكَانيَّة مثْل خَلعِ وَلبْسٍ أَثْبَتَهُ أَرْبَابُ المَعْقُول في العَنَاصر بطَريق الكَوْن وَالفسَاد إلا أَنَّهُمْ أَبْقَوْا هَيُولاهَا ثَابتًا في الحَاليْنِ مَعَ تَبَدُّل الصُّوَرِ النَّوْعيَّة، وَنَحْنُ لا نَقُول بالهَيُولى وَلا بثُبُوته بَل نَقُول إنَّ الفَنَاءَ وَالبَقَاءَ إعْدَامٌ وَإيجَادٌ منَ القَادرِ المُخْتَارِ جَل شَأْنُهُ جَاء

---

(١) ـــ الآية: ٩ من سورة الأنعام.

(٢) ـــ الآية: ٨ من سورة الأنبياء.

فِي الخَبَر " لَنْ يَلِجَ مَلَكُوتَ السَّمَوَات مَنْ لَمْ يُولَدْ مَرَّتَيْن "، كَأَنَّهُ أَشَارَ إِلَى الإِيجَاد الثَّاني بالوِلادَة الثَّانيَة، وَإِنَّمَا قَالُوا البَقَاءُ بالله تَجَوُّزًا وَتَشْبِيهًا لزَوَال الصِّفَات الرَّذِيلَة وَحُصُول الأَخْلاق الحَمِيدَة كَأَنَّهَا شَبِيهَةٌ بِصفَات مَرْتَبَة الوُجُوب تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ، وَقَدْ حَقَّقَتْ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ أَنَّ ذَاتَ المُمْكِن هُوَ العَدَمُ لَيْسَ إِلا هُوَ، فَلا مَعْنَى لزَوَاله، فَإِنَّ المُمْكِنَ مُمْكِنٌ فِي جَمِيعِ الأَحْوَال حَال الفَنَاء وَالبَقَاء كَمَا كَانَ فِي حَال عَدَمِهِمَا، وَالوَاجِبُ تَعَالَى وَاجِبٌ عَلَى الاسْتِمْرَارِ وَالدَّوَامِ وَلا يَلحَقُ بِجَنَابِ قُدُسِه شَيْءٌ، وَلا يَنْفَصِل عَنْهُ أَمْرٌ، وَلنعْمَ مَا قِيل فِي الشِّعْر الفَارسِيِّ

سياه رَوِيْ زَمَمكُنَّ درود وَعَالم جدًّا هرّ كَزّ نَشُدُّ، وَاللهُ أَعْلَمُ

وَلا يَخْفَى عَلَيْكَ أَنَّ بَقَاءَ الإِمْكَان فِي المُمْكِن لَيْسَ عِبَارَةً عَنْ بَقَاء الأَثَر فِي المُمْكِن وَبَقَاء ثُبُوته فِي مَرْتَبَة مِنْ مَرَاتب الثُّبُوت، فَإِنَّهُ مُنَاف للفَنَاء الأَتَمِّ، وَالفَاني بِهَذَا الفَنَاء ـــ بَعْدَ رَدِّ الآمَانَات إِلَى أَهْلِهَا، وَرَدِّ الظِّلال المُنْعَكِسَة فيه إِلَى أَصْلهَا مِنَ الوُجُود وَتَوَابعه كُلهَا مِنَ الصِّفَات الكَامِلَة وَالنُّعُوت الفَاضِلَة ـــ لَحِقَ هُوَ بِالعَدَمِ الصِّرْف الكَامِل فِي العَدَمِيَّة بحَيْثُ لَمْ يُوجَدُ فيه إِضَافَةٌ، وَلا نسْبَةٌ إِلَى شَيْءٍ وَلا اسْمٍ وَلا رَسْمٍ، فَإِنَّ وُجُودَ الإِضَافَة فِي العَدَمِ يُنْبِئُ عَنْ ثُبُوته وَلَوْ فِي الجُمْلَة.

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالسِّتُّونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة

إلى خانجهان

فِي اتِّبَاعِ الشَّرْعِ المُبِينِ وَمُحَارَبَة أَعْدَاءِ الدِّينِ

رَزَقَكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ التَّوْفِيقَ عَلَى مُرْضَيَاته وَسلمَكُمْ وَجَعْلكُمْ مُعَزَّزًا وَمُحْتَرَمًا بالنَّبِيِّ وَآله الأَمْجَاد عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ

أَلقُو سَعَادَة دَارينَ بمَعْرَكَة مَا رَامَهَا أَحَد مَاذَا عَلى البَطَل

إنَّ التَّلَذُّذَات الدُّنْيَاوِيَّةَ وَالتَّنَعُّمَات الفَانيَةَ إنَّمَا تَكُونُ هَنيئَةً مَريئَةً إذَا حَصَل في ضمْنهَا العَمَل بمُقْتَضَى الشَّريعَة الغَرَّاء، وَاجْتَمَعَتْ بتَنَعُّمَات الآخرَة، وَإلا فَحُكْمُهَا حُكْمُ السُّمِّ القَاتل المُمَوَّه بالسُّكَّر ليَغْتَرَّ به الأَبْلَهُ، فَيَا أَسَفي لَوْ لَمْ تُعَالَجْ بتريَاق الحَكيم المُطْلقروَ لَمْ تَتَلافَ حَلاوَتَها بمَرَارَة الأَوَامر وَالنَّوَاهي الشَّرْعيَّة.

وَبالجُمْلَة: إنَّ المُلكَ الأَبديَّ يُمكنُ تَحْصيلهُ بأَدْنَى سَعْيٍ وَحَرَكَة عَلى وَفْق الشَّريعَة التي مَبْنَاهَا عَلى السُّهُولَة، وَيَزُول وَيَخْرُجُ منَ اليَد بأَدْنَى غَفْلَة وَفَرَاغ، وَكَذَلكَ يَنْبَغي اسْتعْمَال العَقْل المُدْرك، وَإنْ لا يُعَوَّضُ المُلكَ الأَبَديَّ بالجَوْز وَالمَوْز مثْل الأَطْفَال، وَتلكَ الخدْمَةُ التي أَنْتُم قَائمُونَ بهَا لوْ جَمَعْتُمُوهَا بإتْيَان أَحْكَام الشَّريعَة المُصْطَفَويَّة عَلى مَصْدَرهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ وَالتَّحيَّةُ فَقَدْ عَلمْتُمْ عَمَل الأَنْبيَاء عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ وَنَوَّرْتُمُ الدِّينَ المَتينَ وَعَمَّرْتُمُوهُ، وَنَحْنُ الفُقَرَاءُ لو اجْتَهَدْنَا سنينَ وَعَذَّبْنَا أَرْوَاحَنَا لا نَلحَقُ في هَذَا العَمَل وَلا نُدْركُ غُبَارَ أَمْثَالكُمُ البَرَرَة

القَوْا سَعَادَة دَارينَ بمَعْرَكَة مَا رَامَهَا أَحَد مَاذَا عَلى البَطَل

اللهُمَّ وَفِّقْنَا لمَا تُحبُّ وَتَرْضَى بَقيَّةَ المَرَام إنَّ رافعى قيمة الدُّعَاء الفَاضلينَ الخَوَاجَة مُحَمَّد سَعيد وَالخَوَاجَة مُحَمَّد أَشْرَفَ منَ الأَصْحَاب المَخْصُوصينَ، فَكُلَّمَا رَاعَيْتُمْ أَحْوَالهُمَا تَكُونُ مُوجبَةً لامْتنَان الفُقَرَاء أَمْرَكُمْ أَعْلى وَشَأْنكُمْ أَرْفَع.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالسِّتُّونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى ممر يزخان أَفْغَان
فِي ذَمِّ الرُّجُوع مِنَ الفقْرِ إلى الغنَاء

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى:

إنَّ الأَخِ ميان ممر يزخان هَرَبَ مِنْ ضيق الفَقْرِ وَالتَجَأَ إلى الأَغْنيَاء، وَرَغبَ في تَنَعُّمَات الغنَاء وَتَلذُّذَاته، إنَّا لله وَإنَّا إليْه رَاجعُونَ، مَا أَبْعَدَهُ عَنِ الفَهْمِ، فَإنَّ حُصُول مَا في صُحْبَة الأَغْنيَاء غَايَةُ التَّرَقِّي في الدُّنْيَا يَصيرُ هزاريا فَإنْ بَلغْتُمْ فَرْضًا مَنْصبَ المَانكسنكى تَفكَّرُوا إذَا مَا يَحْصُل لكُمْ منْهُ، وَأَيُّ حشْمَة تَكْتَسبُونَ به، وَلقْمَةُ الخُبْزِ كَانَتْ تَصل في الفَقْرِ أَيْضًا، وَالآنَ تَأْكُلون لقْمَةً أَسْمَنَ منْهَا فَذَاكَ فَاتَ وَهَذَا أَيْضًا يَفُوتُ، وَلكنْ تَفكَّرُوا وَتَأَمَّلوا أَيُّ أَمْرٍ يَضيعُ وَيَخْرُجُ منْ يَدكُمْ وَتَصيرُونَ أَفْلسَ الوَرَى الرَّاضي بالضَّرَر لا يَسْتَحقُّ النَّظَرَ، وَحَيْثُ ابْتُليتُمْ بذَلكَ فَعلَيْكُمُ السَّعْيَ حَتَّى لا يَخْرُجَ طَريقُ الاسْتقَامَة وَالتزَامُ الشَّريعَة منْ يَدكُمْ، وَلا يَقَعَ الفُتُورُ أَيْضًا في شُغْل البَاطنِ، وَإنْ كَانَ جَمْعُهُ بالدُّنْيَا مُشْكلاً لكَوْنه جَمْعَ الضِّدَّيْن، وَلكنْ لَمَّا اخْتَرْتُمْ هَذَا الوَضْعَ عَلَيْكُمْ باخْتيَار خدْمَة دَرُوبَان إنْ صَحَّتْ نيَّتُكُمْ في دَاخله في العَزْوِ وَعَمَل حَسَنٍ، وَلكنَّ تَصْحيحَ النِّيَّة مُشْكل، وَاليَوْمَ أَنْتُمْ في هَذه الخدْمَة التي لَهَا حَسَنٌ في الجُمْلةروَلَعَل غدًا يَأْمُرونَكُمْ بخدْمَة أُخْرَى تَكُونُ عَيْنَ الوَبَال.

وَبالجُمْلة: الأَمْرُ مُشْكل يَنْبَغي التَّيَقُّظُ {مَا عَلى الرَّسُول إلاَّ البَلاغ}[1] وَالسَّلامُ.

---

(١) ـــ الآية: ٩٩ من سورة المائدة، والآية: ٥٤ من سورة النور، والآية: ١٨ من سورة العنكبوت.

المَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالسِّتُّونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة

إِلى جَنَاب الخَوَاجَة مُحَمَّد عَبْد الله بْن شَيْخ حَضْرَة شَيْخنَا وَالخَوَاجَة جَمَال الدِّين الحُسَيْن بْن الخَوَاجَة حَسَّانَ الدِّين أَحْمَدَ فِي التَّأَسُّفِ عَلى فَوْتِ الصُّحْبَة المَاضيَة وَالإِيمَاء إِلى الأَسْرَارِ الجَديدَة وَمَا يُنَاسبُ ذَلكَ

لِيَكُنْ قُرَّةُ العَيْنَيْنِ وَمَسَرَّةُ الأُذُنَيْنِ الخَوَاجَة مُحَمَّدَ عَبْد الله وَالخَوَاجَة جَمَال الدِّين الحُسَيْنَ مُتَحَلِيَيْنِ بِجَمْعيَّة صُوريَّة وَمَعْنَويَّة، وَالعَجَبُ أَنَّهُمَا قَد اخْتَارَا تَغَافُلاً لا تَغَافُل مثْل عَدَم الرَّأْفَة وَالمَرْحَمَة؛ حَيْثُ لَمْ يَصلا إِلى سرهند مَعَ وُجُود قُرْب الجوَار، وَلَمْ يَسْأَلا عَنْ حَال هَذَا الغَريب، وَلَمْ يُؤَدِّيَا حُقُوقَ المَوَدَّة، وَمَاذَا أَقُول الخَوَاجَةُ مُحَمَّدٌ أَفضَلٌ؛ فَإِنَّهُ يُعدُّ نَفْسَهُ أَبْعَدَ عَنْهُمَا في المَوَدَّة بمَرَاحل، بَل هُوَ خَائفٌ منْ مَوَدَّتنَا، وَمَا أَقُول للمَيْر مَنْصُور، فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى الصُّحْبَةَ دَائمًا، وَلكنْ لا يَخْرُجُ تَمَنِّيهُ منَ القُوَّة إِلى الفعْل، وَمنْ قَوْل الفقَهَاء العظَام الرَّاضي بالضَّرَر لا يَسْتَحقُّ النَّظَرَ العَسْكَرُ وَإِنْ كَانَ بَحْرَ الظُّلمَات وَلَكنَّهُ مُتَضَمِّنٌ لمَاء الحَيَاة، وَهُنَا بعنَايَة الله سُبْحَانَهُ يَحْصُل منَ الجَوَاهر وَلَوْ عَلى سَبيل النُّدْرَة مَا لَوْ حَصَل في مَوَاضع أُخْرَى شَبَحُهُ لكَانَ مُغْتَنمًا، وَكُل مُبَارز اكْتَسَبَ قَدرًا وَقيمَةً إِنَّمَا يَتَيَسَّرُ لَهُ ذَلكَ حينَ اسْتيلاء الأَعْدَاء وَالسَّلامَة، وَإِنْ كَانَتْ في الزَّاويَة، وَلكنَّ دَوْلَةَ الغَزْو وَالشَّهَادَة في المَعْرَكَة، وَالزَّاويَةُ إِنَّمَا هيَ مُنَاسبَةٌ لأَهْل السَّتْر وَأَرْبَاب الضَّعْف، وَقَدْ وَرَدَ في الحَديث المُؤْمنُ القَويُّ خَيْرٌ منَ المُؤْمن الضَّعيف " وَحَال الرِّجَال الأَقْويَاء المُبَارزَةُ في المَعْرَكَة العَسْكَرُ بَعْدَ مُضيٍّ مُدَّة الرُّخْصَة، وَالأَذْنُ تَرَكْتُ وَلدي مُحَمَّدَ سَعيد في البَيْت بالضَّرُورَة، وَلَمَّا تَفَكَّرْتُ في الفُيُوض وَالبَرَكَات وَالعُلوم وَالمَعَارف الحَاصلة بَعْدَ مُفَارَقته نَدمْتُ عَلى مُفَارَقته كَأَنِّي منْ طَائفَة الملامتى وَفي زُمْرَة القَلَنْدَريَّة مَعَ أَنِّي ممتز منَ الفريقَيْن وَمُغَايرٌ لَهُمَا وَلي مُعَامَلَةٌ عَلى حدَة، اسْمَعُوا شَمَّةً منَ العُلوم الجَديدَةروَهَذَا عُنْوَانٌ مَكْتُوبٌ قَال اللهُ تَعَالى ﴿هَل أَتَى عَلَى الإِنْسَان حينٌ منَ الدَّهْر لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾(١)

---

(١) ــ الآية: ١ من سورة الإنسان.

بَل يَا رَبِّ قَدْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا لا عَيْنًا وَلا أَثَرًا وَلا شُهُودًا وَلا وُجُودًا إِلَى آخره، وَأَنْتُمْ قَدْ رَأَيْتُمْ فِي بَعْضِ الْمَكَاتِيبِ أَنِّي جَعَلتُ القَوْلَ بِالزَّوَالِ الوُجُودِيِّ مِنْ قَبِيلِ الالحَادِ وَالزَّنْدَقَةِ، وَهَهُنَا كَتَبْتُ بِهَذِهِ العِبَارَةِ وَعَالجْتُ ذَلِكَ بِكَرَمِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، (ع):

وَقِسْ مِنْ حَالِ بُسْتَانِي رَبِيعِي

وَهَذِهِ الدُّوَلُ كُلُّهَا مِنْ بَرَكَاتِ هَذِهِ الوَاقِعَاتِ لَوْلاهَا لَمَا وُجِدَتْ تِلْكَ {رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا؛ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[1] وَلَمَّا كَانَ مَوْلانَا مُحَمَّدٌ مُرَادٌ مُتَوَجِّهًا إِلَى تِلْكَ الحُدُودِ كَتَبْنَا كَلِمَتَيْنِ: "العَاقِبَةُ بِالخَيْرِ".

---

(١) ـــ الآية: ٨ من سورة التحريم.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالسِّتُّونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى مَوْلانَا حَميد الأَحْمَديِّ
فِي بَيَانِ حُدُوثِ العَالَمِ وَرَدِّ عَبيدِ العَقْلِ الفعَّال

الحَمْدُ لله رَبِّ العَالمينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلى سَيِّد المُرْسَلينَ، إنَّ اللهَ تَعَالى مَوْجُودٌ بذَاته، وَوُجُودَهُ سُبْحَانَهُ بنَفْسه، وَهُوَ تَعَالى قَدْ كَانَ عَلى مَا عَلَيْه الآنَ، وَيَكُونُ عَلَى ذَلكَ إلى أَبد الآبَاد، وَلا سَبيل للعَدَم السَّابق وَالعَدَم وَاللاحق إلى جَنَاب قُدْسه تَعَالى؛ فَإنَّ وُجُوبَ الوُجُود أَحْقَرُ خُدَّام ذَلكَ الجَنَاب المُقدَّس، وَسَلبَ العَدَم أَذل كَنَّاسي ذَاكَ الحَريمِ المُحْتَرَم، وَمَا سواهُ تَعَالى المُسَمَّى بالعَالَم منَ العَنَاصرِ وَالأَفْلاك وَالعُقُول وَالنُّفُوسِ وَالبَسَائط وَالمُرَكَّبَات كُلهَا مَوْجُودَةٌ بإيجَاد الله تَعَالى وَمُخْرَجَةٌ منَ العَدَم إلى الوُجُود، وَالقدَمُ الذَّاتيُّ وَالقدَمُ الزَّمَانيُّ كلاهُمَا ثَابتَان لجَنَاب قُدُسه تَعَالى فَقَطْ، وَالحُدُوثُ الذَّاتيُّ وَالزَّمَانيُّ كَائنٌ لغَيْره تَعَالى كَمَا أَنَّهُ خَلقَ الأَرْضَ في يَوْمَيْنِ؛ أَخرَجَ السَّمَوَات وَالكَوَاكبَ بَعْدَ خَلق الأَرْضِ منَ العَدَمِ إلى الوُجُود في يَوْمَيْنِ قَوْلهُ تَعَالى {خَلقَ الأَرْضَ في يَوْمَيْن}[١]، وَقَوْلهُ تَعَالى: {فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَات في يَوْمَيْن}[٢]؛ مصْدَاقُ هَذَا الكَلامِ

سَفيهٌ بَل مُنْكرٌ لنَصِّ القُرْآن مَنْ يَتَفَوَّهُ بقدَم بَعْضِ مَا سوَاهُ كَالأَفْلاك وَمَا فيهَا، وَبسَائط العَنَاصرِ وَالعُقُول وَالنُّفُوسِ، وَقَد انْعَقَدَ إجْمَاعُ المليينَ إلى حُدُوث مَا سوَاهُ تَعَالى وَحَكَمُوا بوُجُوده بَعْدَ العَدَمِ السَّابقِ بالاتِّفَاق كَمَا صَرَّحَ به الإمَامُ حُجَّةُ الإسْلامِ الغَزَاليُّ في رسَالته المُنْقذُ منَ الضَّلال وَكَفَّرَ جَمَاعَةً قَالوا بقدَمِ بَعْضِ أَجْزَاء العَالَمِ، فَالحُكْمُ بقدَم شَيْء منَ المُمْكنَات خُرُوجٌ عَنِ الملة وَدُخُول في الفلسَفَة، وَكَمَا أَنَّ العَدَمَ السَّابقَ كَائنٌ لمَا سوَّاهُ تَعَالى العَدَم اللاحق أَيْضًا لاحق به فَتَنْتَثرُ الكَوَاكبُ وَتَنْشَقُّ السَّموَاتُ وَتَنْدَكُّ الأَرْضُ وَالجبَال، وَتَلحَقُ بالعَدَم كَمَا نَطَقَ به نَصُّ القُرْآن وَانْعَقَدَ عَلَيْه إجْمَاعُ جَميع الفرَق الإسْلاميَّة، قَال اللهُ تَعَالى في كَلامه المَجيد: {فَإذَا نُفخَ في الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحدَةٌ وَحُملت الأَرْضُ وَالجبَال فَدُكَّتَا

---

(١) ــ الآية: ٩ من سورة فصلت.

(٢) ــ الآية: ١٢ من سورة فصلت.

دَكَّةً وَاحِدَةً فَيَوْمَئذ وَقَعَت الوَاقِعَةُ وَانْشَقَّت السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئذ وَاهِيَةٌ}(١) وَقَال: {إذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ وَإذَا الجبَال سُيِّرَت}(٢).

وَقَال: {إذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ، وَإذَا الكَوَاكِبُ انْتَثَرَت}(٣)، وَقَال: {إذَا السَّمَاءُ انْشَقَّت}(٤).

وَقَال : {كُل شَيْءِ هَالكٌ إلا وَجْهَهُ لهُ الحُكْمَ وَإليْه تُرْجعُون}(٥).

وَوَرَدَتْ فِي القُرْآن أَمْثَال ذَلكَ آيَاتٌ كَثيرَةٌ، وَالجَاهِل يُنْكرُ فَنَاءَ هَؤُلاءِ بجَهْله وَيَرُدُّ النُّصُوصَ القُرْآنيَّةَ مُفْتَتنًا بالمُمَوِّهَات الفلسَفيَّة.

وَبالجُمْلة: إنْ إثْبَاتَ العَدَم اللاحق في المُمْكنَات كَائنَات العَدَم السَّابق فيهَا منْ ضَرُوريَّات الدِّين، وَالإيمَانُ به لازمٌ، وَمَا قَال بَعْضُ العُلمَاء منْ أَنَّ سَبْعَة أَشْيَاءَ لا يَتطَرَّقُ عَليْهَا الفنَاءُ بَل تَكُونُ بَاقيَةً، وَهيَ العَرْشُ، وَالكُرْسيُّ، وَاللوْحُ، وَالقَلمُ، وَالجَنَّةُ، وَالنَّارُ، وَالرُّوحُ، لا بمَعْنَى أَنَّ هَذه الأَشْيَاءَ لا تَقْبَل الفَنَاءَ وَليْسَتْ فيهَا قَابليَّةُ الزَّوَال حَاشَا منْ ذَلكَ وَكَلا بَل بمَعْنَى أَنَّ القَادرَ المُخْتَارَ جَل شَأْنُهُ يُفْني بَعْدَ الوُجُود مَنْ يَشَاءُ وَيُبْقي مَنْ يَشَاءُ لحكَمٍ وَمَصَالحَ يَفعَل اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُحْكمُ مَا يُريدُ، وَلاحَ منْ هَذَا البَيَان أَنَّ العَالَمَ بجَميع أَجْزَائه مُسْتَندٌ إلى الوَاجب تَعَالى وَمُحْتَاجٌ إليْه سُبْحَانَهُ في الوُجُود وَالبَقَاء، فَإنَّ البَقَاءَ عبَارَةٌ عَن اسْتمْرَار الوُجُود في زَمَان ثَان وَثَالث إلى مَا شَاءَ اللهُ تَعَالى لَيْسَ فيه أَمْرٌ زَائدٌ وُجُودُهُ وَثُبُوتُهُ الفُ كَلام فَإنَّ تَحقُّقَهُ وَحُصُولهُ مُبْتَنٍ عَلى المُقَدِّمَات الفَلسَفيَّة المُمَوَّهَة كُلهَا غَيْر تَامَّة عَلى أُصُول جَميع الفرَق الإسْلاميَّة، وَالأَبْلهُ مَنْ يَصْرفُ الأَشْيَاءَ عَن القَادر المُخْتَار جَل شَأْنُهُ وَيُسْندُهَا إلى مثْل هَذَا الأَمْر المَوْهُوم بَل يُلحقُ للأَشْيَاء أُلوفًا منَ العَار منْ أَنْ تَكُونَ مُسْتَندَةً إلى مَنْحُوت الفَلسَفيِّ بَل الأَشْيَاءُ بعَدَمهَا رَاضيَةٌ منْ أَنْ يَكُون اسْتنَادُهَا إلى مَجْعُول سَفْسَطيٍّ مَحْرُومَةٌ منْ سَعَادَة الانْتسَاب إلى قُدْرَة القَادر المُخْتَار جَل سُلطَانه {كَبُرَتْ كَلمَةً تَخْرُجُ منْ أَفْوَاههمْ إنْ يَقُولونَ إلا كَذبًا}(٦).

---

(١) ـــ الآيات: (١٣-١٦) من سورة الحاقة.

(٢) ـــ الآية: (١-٣) من سورة التكوير.

(٣) ـــ الآية: (١-٢) من سورة الانفطار.

(٤) ـــ الآية: ١ من سورة الانشقاق.

(٥) ـــ الآية: ٨٨ من سورة القصص.

(٦) ـــ الآية: ٥ من سورة الكهف.

المَكْتُوبُ السَّبْعُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى الخَوَاجَة صَلاحِ الدِّينِ الأَحْرَارِيِّ
فِي بَيَانِ أَنَّ خَلقَ المُمْكَنَاتِ وَوُجُودهَا فِي مَرْتَبَةِ الوَهْمِ

كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ شَيْءٌ، وَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يُظْهِرَ كَمَالاته المَكْنُونَةَ طَلبَ كُل اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِه تَعَالى مَظْهَرًا مِنَ المَظَاهِرِ لِيُجْلِيَ كَمَالاتِه فِي ذَلكَ المَظْهَرِ وَلا قَابل لمَظْهَرِيَّة الوُجُود وَتَوَابعه غَيْرَ العَدَمِ؛ فَإِنَّ مَظْهَرَ الشَّيْءِ وَمِرْآتَهُ مُبَاينٌ وَمُقَابل لذَلكَ الشَّيْءِ، وَالمُبَاينُ وَالمُقَابل للمَوْجُود هُوَ العَدَمُ فَقَط، فَعَيْنُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ بكَمَال قُدْرَته فِي عَالَمِ العَدَمِ لكُل اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِه مَظْهَرٌ مِنَ المَظَاهِر، وَخَلقَهُ فِي مَرْتَبَة الحسِّ وَالوَهْمِ فِي أَيِّ وَقْتٍ أَرَادَهُ عَلى أَيِّ طَوْرٍ شَاءَ خَلقَ الأَشْيَاءِ مَتَى شَاءَ وَجَعَل المُعَامَلَة الأَبَديَّةَ مَرْبُوطَةً بهَا

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ المُنَافِيَ للعَدَمِ هُوَ الخَارِجُ لا الثُّبُوتُ العَارِضُ لهُ فِي مَرْتَبَة الحسِّ وَالوَهْمِ؛ فَإِنَّهُ لا مُنَافَاةَ بَيْنَهُمَاروَثُبُوتَ العَالَمِ فِي مَرْتَبَة الحسِّ وَالوَهْمِ لا فِي مَرْتَبَة الخَارِجِ حَتَّى يَكُونَ مُنَافيًا لهُرفَيَجُوزَ أَنْ يَعْتَرِضَ العَدَمَ ثُبُوتٌ فِي مَرْتَبَة الحسِّ وَالوَهْمرويَحْصُل لهُ هُنَاكَ بصُنْعِ الله جَل سُلطَانُهُ إِتْقَانٌ وَرُسُوخٌ، وَيَكُونَ فِي تلكَ المَرْتَبَة حَيًّا وَعَالمًا وَقَادرًا وَمُريدًا وَبَصيرًا وَسَميعًا وَمُتَكَلمًا بطَريقِ الانْعكَاسِ وَالظِّلِّيَّة، وَلا يَكُونَ لهُ فِي مَرْتَبَة الخَارِجِ اسْمٌ وَلا رَسْمٌ، وَلا يَكُونَ شَيْءٌ غَيْرُ ذَات الوَاجب وَصفَاته تَعَالى ثَابتًا وَمَوْجُودًا فِي الخَارجر، وَبهَذَا المَعْنَى يُمْكنُ أَنْ يُقَال وَهُوَ الآنَ كَمَا كَانَ، وَمثَال ذَلكَ النُّقْطَةُ الجَوَّالَةُ، وَالدَّائرَةُ المَوْهُومَةُ، فَإِنَّ المَوْجُودَ هُوَ النُّقْطَةُ فَقَط، وَالدَّائرَةُ مَعْدُومَةٌ فِي الخَارجِ، لا اسْمَ منْهَا فيه، وَلا رَسْمَ، وَمَعَ ذَلكَ عَرَضَ لهَا فِي مَرْتَبَة الحسِّ وَالوَهْمِ ثُبُوتٌ، وَحَصَل لهَا فِي تلكَ المَرْتَبَة بطَريقِ الظِّلِّيَّة إِنَارَةٌ وَإِشْرَافٌ، وَمِنْ هَذَا التَّحْقيقِ حَصَل الاسْتغْنَاءُ عَنِ المُقَدِّمَات المَبْسُوطَة التي ذَكَرَهَا الشَّيْخُ مُحْيي الدِّين، وَتَابَعُوهُ فِي تَكْوِينِ العَالَمِ مِنْ بَيَانِ التَّنَزُّلاتِ وَالتَّعيُّنَات العلميَّة وَالخَارجيَّة وَإِثْبَات الحَقَائق وَالأَعْيَان الثَّابتَة فِي مَرْتَبَة علمِ الوَاجب تَعَالى، وَإِثْبَات عُكُوسهَا فِي الخَارجِ الذى هُوَ ظَاهِرُ الوُجُود، وَتَسْميَة آثَارهَا خَارجيَّةً كَمَا لا يَخْفَى عَلى المُنْصف النَّاظرِ فِي كَلامهمُ المُطَّلعِ عَلى اصْطلاحِهمْ، وَبهَذَا التَّحْقيقِ صَارَ مَعْلومًا أَنْ لا مَوْجُودَ فِي الخَارجِ غَيْرُ الحَقِّ جَل

وَعَلا، لا الأعْيَانَ وَلا آثَارَ الأعْيَان، بَل ثُبوتَ هَؤُلاء فِي مَرْتَبَة الحسِّ وَالوَهْم، وَلا مَحْذُورَ فِي ذَلكَ أَصْلاً؛ فَإنَّ ذَلكَ لَيْسَ بمَوْهُوم ثَابت باخْتِرَاعِ الوَهْمِ حَتَّى يَرْتَفعَ بارْتفَاعِ الوَهْمِ، بَل ثُبوتُهُ بصُنْعِ الله جَل شَأْنُهُ فِي مَرْتَبَة الوَهْم، وَلَهُ فِي تلكَ المَرْتَبَة تَقَرُّرٌ وَإتْقَانٌ وَاسْتحْكَامٌ {صُنْعَ الله الذى أَتْقَنَ كُل شَيْء}(١).

وَاتَّضحَ منْ هَذَا البَيَان أَنَّ حَقَائقَ المُمْكنَات عَدمَاتٌ عَرَضٌ لَهَا فِي مَوْطن علم الوَاجب تَمَيُّزٌ وَتَعينُ، وَصَارَتْ ثَابتَةً فِي مَرْتَبَة الحسِّ وَالوَهْم مَرَّةً ثَانيَةً بصُنْع الله تَعَالى، وَصَارَ بَعْضٌ منْهَا مَرَايَا الأَسْمَاء الإلهيَّة جَل شَأْنُهُ، وَصَارَ فِي تلكَ المَرْتَبَة بطَرِيقِ الظِّلِّيَّة وَالانْعكَاسِ حَيًّا وَعَالمًا وَقَادرًا وَمُرِيدًا وَبَصيرًا وَسَميعًا وَمُتَملكًا، وَتَحْقيقُ الشَّيْخِ وَمُتَابعيه أَنَّ حَقَائقَ المُمْكنَات صُوَرُ الأَسْمَاء الإلهيَّة العلميَّة التي هيَ أَحَدُ التَّنَزُّلات الخَمْسَة الوُجُوديَّة.

وَبالجُمْلَة: إنَّ حَقَائقَ المُمْكنَات صُوَرُ الأَسْمَاء الإلهيَّة العلميَّة التي هيَ أَحَدُ التَّنَزُّلات الخَمْسَة الوُجُوديَّة فِي فَهْمِ هَذَا الفَقيرِ عَدمَاتٌ، وَعنْدَ الشَّيْخِ وُجُودَاتٌ مُتَنَزِّلَةٌ، وَحَضْرَةُ الشَّيْخِ أَثْبَتَتْ آرَاءَهُ الكَثْرَةَ فِي الخَارجر، وَقَال إنَّ الصُّوَرَ العلميَّةَ المُتَكَثِّرَةَ التي هيَ حَقَائقُ المُمْكنَات، وَعَبَّرَ عَنْهَا بالأَعْيَان الثَّابتَة صَارَتْ مُنْعَكسَةً فِي مرْآة ظَاهرِ الوُجُود تَعَالى الذي لا مَوْجُودَ غَيْرَهُ فِي الخَارِج، وَعَرَضَ لَهَا آرَاءَهُ فِي الخَارِجِ وَصَارَتْ تُرَى كَأَنَّهَا مَوْجُودَةً فِي الخَارِجِ وَلا مَوْجُودَ فِي الحَقيقَة فِي الخَارِجِ غَيْرَ الذَّات تَعَالتْ، وَقَال إنْ كُل وَاحدَة منَ الصُّوَرِ العلميَّة تَحْدُثُ لَهَا فِي وَقْت منَ الأَوْقَات نسْبَةٌ مَجْهُولَةُ الكَيْفيَّة بظَاهرِ الوُجُود الذى هُوَ كَالمرْآة لتلكَ الصُّوَر، وَتَصيرُ تلكَ النِّسْبَةُ سَبَبًا، لكَوْنهَا مَرْئيَّةً فِي الخَارِج، وَهَذه النِّسْبَةُ لَيْسَتْ بمَعْلومَة لأَحَد حَتَّى إنَّ الأَنْبيَاءَ عَلَيْهمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ لَمْ يَطَّلعُوا عَلى هَذَا السِّرِّ، وَقَال لإظْهَارِ تلكَ الصُّوَرِ فِي الخَارِجِ بَعْدَ حُصُول تلكَ النِّسْبَة المَجْهُولة الكَيْفيَّة خَلقًا وَإيجَاد الأَشْيَاء، وَعَلى التَّحْقيقِ السَّابقِ الذى اهْتَدَى إليْه هَذَا الفَقيرُ كَمَا أَنَّ الأَشْيَاءَ لا وُجُودَ لَهَا فِي الخَارِجِ، كَذَلكَ كَوْنُهَا مَرْئيَّةً فيه أَيْضًا عَلى لا لوْنيَّتهَا لا وُجُودَ فيه للغَيْرِ وَلا آرَاءَهُ وَلا شَأْنَ، فَإنْ ثَبَتَتْ لَهُ آرَاءَهُ فَهيَ فِي مَرْتَبَة الوَهْم، وَإنْ كَانَ لَهُ ثُبوتٌ فَهُوَ أَيْضًا بصُنْعِ الله تَعَالى فِي مَرْتَبَة الوَهْم.

وَبالجُمْلَة: إنْ ثُبوتَهُ وَآرَاءَهُ فِي مَرْتَبَة وَاحدَة لا أَنَّ ثُبوتَهُ فِي مَوْضعٍ، وَآرَاءَهُ فِي مَوْضعٍ آخرَ مَثَلاً

(١) ــ الآية: ٨٨ من سورة النمل.

إنَّ الدَّائِرَةَ المَوْهُومَةَ النَّاشِئَةَ مِنَ النُّقْطَة الجَوَّالة كَمَا أَنَّ ثُبُوتَهَا فِي مَرْتَبَة الوَهْمِ لا فِي الخَارِجِ آرَاءَهُ أَيْضًا فِي تلكَ المَرْتَبَة، فَإِنَّهُ لا رَسْمَ لَهَا فِي الخَارِجِ حَتَّى تَصِيرَ مُرَتَّبَةً فيه غَايَةُ مَا فِي البَاب أَنَّهُ رُبَّمَا يَظُنُّ الإرَادَةَ الوَهْمِيَّةَ إِرَادَةً خَارِجيَّةً كَمَا إِذَا رَأَى الرَّائِي الصُّورَةَ المِثَالِيَّةَ فِي عَالَمِ المِثَال فِي اليَقْظَة بحِسِّ البَاطِنِ فَيَخَال أَنَّهُ يَرَاهَا فِي عَالَمِ الشَّهَادَة بحَسَب الظَّاهِر، وَأَمْثَال هَذَا الاشْتِبَاه تَقَعُ كَثِيرًا، وَيَجدُ السَّالِكُ مَرْتَبَةً مِنَ المَرَاتِب مُشْتَبِهَةً بِأُخْرَى فَيَحْكُمُ عَلَى ذَاكَ بحُكْمِ هَذَا، فَفِيمَا نَحْنُ فيه أَنَّ تلكَ الدَّائِرَةَ المَوْهُومَةَ التي صَارَتْ مُرْتَسِمَةً فِي الخَيَال تُرَى فِي مَرْتَبَة هِيَ مُرْتَسِمَةٌ فِيهَا بِبَصَرِ الخَيَال وَيُتَخَيَّل أَنَّهَا تُرَى فِي الخَارِجِ بعَيْنِ الرَّأْسِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، فَإِنَّهُ لا اسْمَ لَهَا فِي الخَارِجِ الذى هُوَ مَحَل النُّقْطَة الجَوَّالة، وَلا رَسْمَ حَتَّى تَكُونَ مَرْئِيَّةً فيه، وَصُورَةُ الشَّخْصِ التي صَارَتْ مُنْعَكِسَةً فِي المِرْآة عَلَى هَذَا المِنْوَال أَيْضًا، فَإِنَّهُ لا ثُبُوتَ لَهَا فِي الخَارِجِ وَلا إِرَادَةَ بَل ثُبُوتُهَا وَإِرَادَتُهَا كِلاهُمَا فِي مَرْتَبَة الخَيَال، وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ؛ فَمَا ظَنَّهُ الشَّيْخ قُدِّسَ سِرُّهُ خَارِجًا، وَأَثْبَتَ للأَشْيَاءِ الإرَادَةَ وَالمَرْئِيَّةَ فيه بطَرِيقِ الانْعِكَاسِ لَيْسَ هُوَ خَارِجًا بَل مَرْتَبَةَ الوَهْمِ قَدْ حَصَلَ لَهَا ثَبَاتٌ وَتَقَرَّرَ بِصُنْعِ اللهِ جَلَ شَأْنُهُ وَتَوَهَّمَ أَنَّهَا خَارِجٌ، وَالخَارِجُ وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ بمَعْزِل عَنْ شُهُودِنَا وَإِحْسَاسِنَا، وَمَا هُوَ مَشْهُودٌ وَمَحْسُوسٌ وَمَعْقُول وَمُتَخَيَّل لَنَا كُلهَا دَاخِلةٌ فِي دَائِرَة المَوْجُود الخَارِجِيِّ هُوَ مَا وَرَاءَ وَرَاءَ أَفْهَامِنَا لا مَجَال هُنَاكَ للمِرْآتِيَّة، وَأَيُّ صُورَة تَنْعَكِسُ فِي تِلْكَ الحَضْرَة وَالمَرَايَا وَالصُّوَر كُلهَا فِي مَرَاتِب الظِّلال التي تَتَعَلقُ بدَائِرَة الوَهْمِ وَالحِسِّ {رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا}[1].

---

(١) ـــ الآية: ١٠ من سورة الكهف.

المَكْتُوبُ الحَادِي وَالسَّبْعُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إِلَى الخَوَاجَة شَرَف الدِّين الحُسَيْن
فِي إِرْجَاعِ الحَوَادِثِ اليَوْمِيَّة إِلَى إِرَادَة الله تَعَالَى وَالتَّلَذُّذ بِهَا

رَزَقَ اللهُ سُبْحَانَهُ الاسْتِقَامَةَ عَلَى جَادَّة الشَّرِيعَة المُصْطَفَوِيَّة عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ، وَجَعَلَنَا مَشْغُولِينَ بِجَنَاب قُدُسه بِالكُلِّيَّة.

أَيُّهَا الوَالِدُ العَزِيزُ صَاحِبَ التَّمْيِيز: إِنَّ الحَوَادِثَ اليَوْمِيَّةَ لَمَّا كَانَتْ بِإِرَادَة وَاجِبِ الوُجُود جَلَّ سُلْطَانُهُ وَمَشِيئَته يَنْبَغِي أَنْ يَجْعَلَ العَبْدُ إِرَادَتَهُ تَابِعَةً لِإِرَادَته تَعَالَى، وَأَنْ يَعْتَقِدَ الحَوَادث عَيْنَ مُرَادَاته، وَأَنْ يَكُونَ مُلْتَذًّا بِهَا، فَإِنْ كَانَ المَقْصُودُ العُبُودِيَّةَ يَنْبَغِي اكْتِسَابُ هَذه النِّسْبَة، وَإِلا فَإِنْكَارٌ لِلعُبُودِيَّة وَمُعَارَضَةٌ بِمَوْلَاهُ وَقَدْ وَرَدَ فِي الحَدِيث القُدُسِي مَنْ لَمْ يَرْضَ بِقَضَائِي، وَلَمْ يَصْبِرْ عَلَى بَلَائِي فَلْيَطْلُبْ رَبًّا سِوَايْ، وَلْيَخْرُجْ مِنْ تَحْت سَمَائِي "، نَعَمْ قَدْ كَانَ الفُقَرَاءُ وَالمَسَاكِينُ وَمُتَعَلِّقَاتُكُمْ مُسْتَرِيحِينَ وَمُرَفَّهَةَ الأَحْوَال بِرِعَايَتِكُمْ وَحِمَايَتِكُمْ وَحَيْثُ إِنَّ لَهُمْ صَاحِبًا يَكْفِيهِمْ ذَلِكَ وَحَسَنَ ثَنَائِكُمْ وَذِكْرُكُمُ الجَمِيل بَاقٍ جَزَاكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِالجَزَاءِ العَاجِلِ وَالآجِلِ، وَالسَّلَامُ.

المَكْتُوبُ الثَّاني وَالسَّبْعُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى وَلَد شَيْخه الخَوَاجَة عَبْد الله
في بَيَان عَدَمِيَّة ذَات الإنْسَان
وَبَيَان أَنَّ ذَاتَهُ هيَ النَّفْسُ النَّاطقَةُ
مَعَ بَيَانِ فَنَاءِ النَّفْسِ وَالقَلْبِ وَزَوَال العِلْمِ الحُصُوليِّ

هُوَ الحَقُّ المُبِينُ سُبْحَانَهُ مَنْ لا يَتَغَيَّرُ بذَاته وَلا بصفَاته وَلا في أَسْمَائه بحُدُوث الأَكْوَان، فَإِنَّ كُل تَغيُّر وَتَلوُّن وَقَعَ في حُدُوث الأَكْوَان، فإِنَّمَا هُوَ في مَرَاتب العَدَم وَلَمْ يَتَطَرَّقْ إلى حَضْرَة الوُجُود تَعَالى وَتَقَدَّسَ تَنزل وَلا تَبدُّل لا في العلم أَصْلاً بَيانُهُ أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يُظْهرَ كَمَالاته الذَّاتيَّةَ وَالصِّفَاتيَّةَ وَالأَسْمَائيَّةَ وَأَنْ يُجليَهَا في مَجَالي الأَشْيَاء وَمَرَايَاهَا، عَيْنُ الكُل كَمَال في مَرَاتب العَدَم نَقيضُ ذَلكَ الكَمَال المُقَابل لهُ وَالمُتَميِّز عَنْ سَائر الأَعْدَام بالإضَافَة إلَيْه ليَكُونَ مرْآةً لهُ، فَإِنَّ مرْآةَ الشَّيْء مُقَابل المَشْي وَسَبَبٌ لظُهُوره وَبضدِّهَا تَتبَيَّنُ الأَشْيَاءُ وَالأَعْدَامُ التي فيهَا قَابليَّةٌ لأَنْ تَكُونَ مَرَايَا للكَمَالات أَوْجَدَهَا في مَرْتَبَة الحسِّ وَالوَهْم في أَيِّ وَقْت بذَلكَ الانْعكَاس حَيًّا وَعَالمًا وَقَادرًا وَمُريدًا وَبَصيرًا وَسَميعًا وَمُتَكلمًا في تلكَ المَرْتَبَة، وَلكنْ قَدْ كَانَ مَحْسُوسًا أَنَّهُ قَدْ يَتصَرَّفُ أَوَّلاً في العَدَم منْ غَيْر أَنْ يَجْعَل فيه شَيْئًا آخرَ، وَيَجْعَل هُوَ بذَلكَ التَّصرُّف مُلائمَةً وَليِّنًا، ثُمَّ يَظْهَرُ فيه الكَمَال كَمَا أَنَّ الشَّمْعَ يُجْعَل أَوَّلاً ليِّنًا وَمُلائمًا، ثُمَّ يُصَوَّرُ بَعْدَ ذَلكَ صُورًا وَأَشْكَالاً.

يَنْبَغي أَنْ يُعلَم: أَنَّ المُرَادَ هُنَا منَ العَدَم هُوَ العَدَمُ الخَارجيُّ المُقَابل للوُجُود الخَارجيِّ فَلا يَكُونُ مُنَافيًا لإيجَاده الوَاقعَ في مَرْتَبَة الوَهْم مَعَ أَنَّا نَقُول إنَّ المُنَافيَ للعَدَم هُوَ الوُجُودُ الذى نَقيضُهُ وَلا يَصيرُ العَدَمُ وُجُودًا، وَأَمَّا إذَا كَانَ مَوْجُودًا لا يَلزَمُ منْهُ مَحْذُورٌ أَصْلاً كَمَا قَالوا في الوُجُود إنَّهُ منَ المَعْقُولات الثَّانويَّة، وَلا وُجُودَ لَهَا في الخَارجِ بَل هيَ مُعَوَّمَةٌ فيه، فَعُلمَ منْ هَذَا التَّحْقيق أَنَّ حَقَائقَ الأَشْيَاء أَعْدَامٌ انْعَكَسَتْ فيهَا كَمَالاتُ مُرَتَّبَةُ الوُجُود تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ، وَحَصَلَتْ لَهَا بإيجَاد الله تَعَالى تَحَقُّقٌ وَثُبُوتٌ وَهْميٌّ وَاسْتقْرَارٌ وَاسْتمْرَارٌ في مَرْتَبَة الحسِّ وَالوَهْمِ، وَكَانَ ذَوَاتُ الأَشْيَاءِ تلكَ الأَعْدَامَ، وَانْعكَاسُ الكَمَالات فيهَا بمَثَابَة

قُوَاهَا وَجروحِها، وَبَعْدَ تَمْهِيد هَذه المُقَدِّمَات نَذْكُرُ في بَيَان المَقْصد الأَصْلِيِّ الذى يَتَعَلَّقُ بالولايَة الخَاصَّة، كَلمَات يَنْبَغي اسْتمَاعُهَا بسَمْع العَقْل.

اعْلَـــمْ ــ أَرْشَدَكَ اللهُ وَهَدَاكَ سَوَاءَ الطَّرِيقِ ــ: أَنَّ حَقيقَةَ الإنْسَان وَذَاتَهُ العَدَمُ الذى هُوَ حَقيقَةُ النَّفْسِ النَّاطقَة التي يُعَبَّرُ عَنْهَا في الابْتدَاء بالنَّفْس الأَمَّارَة، وَكُل فَرْد منْ أَفْرَاد الإنْسَان يُشيرُ بلفظ أَنَا إليْهَا فتَكُونُ ذَاتُ الإنْسَان هيَ النَّفْسُ الأَمَّارَةُ، وَتَكُونُ سَائرُ لطَائف الإنْسَان كَالقُوَى وَالجَوَارح لهَا، وَحَيْثُ إنَّ العَدَمَ شَرٌّ مَحْضٌ في حَدِّ ذَاته لَمْ يَشُمَّ رَائحَةً منَ الخَيْريَّة تَكُونُ النَّفْسُ أَيْضًا شَرًّا مَحْضًا لا تَكُونُ فيهَا رَائحَةٌ منَ الخَيْريَّة، وَمنْ خَبَاثَتهَا وَجَهْلهَا تَدَّعي الكَمَالات الظَّاهرَةَ فيهَا بطَريق الانْعكَاس وَالظِّلِّيَّة لنَفْسهَا، وَتَنْسُبُ قيَامَ تلكَ الكَمَالات الثَّابتَة بأَصْلهَا إلى نَفْسهَا وَتَزْعُمُ نَفْسُهَا بتلكَ الكَمَالات كَاملَةً وَخَيِّرَةً وَتَكْتَسبُ منْ هَذه الحَيْثيَّة دَعْوَى السِّيَادَة وَتُشْركُ نَفْسَهَا بربِّهَا في الكَمَالات وَتَظُنُّ الحَوْلَ وَالقُوَّةَ منْ نَفْسهَا، وَتَزْعُمُ نَفْسُهَا مُتصَرِّفَةً، وَتُريدُ أَنْ يَكُونَ الكُل تَابعًا لهَا، وَتُحبُّ نَفْسَهَا أَكْثَرَ منَ الكُل، وَتُحبُّ غَيْرَهَا لنَفْسهَا لا لأَجْلهمْ، وَمنْ هَذه التَّخَيُّلات الفَاسدَة تَكْتَسبُ عَدَاوَةً ذَاتيَّةً لمَوْلاهَا وَلا تُذْعنُ بأَحْكَامهَا المُنَزَّلَة، بَل تَتَّبعُ هَوَاهَا وَوَرَدَ في الحَديث القُدْسي عَاد نَفْسَكَ؛ فَإنَّهَا انْتَصَبَتْ لمُعَادَاتي " وَبَعَثَ اللهُ سُبْحَانَهُ الأَنْبيَاء عَلَيْهمُ السَّلامُ منْ كَمَال رَأْفَته وَرَحْمَته رَحْمَةً للعَالَمينَ؛ ليَدْعُوَا الخَلقَ إلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ، وَليُخَرِّبُوا بُيُوتَ الأَعْدَاء، وَليَدُلُّوهَا عَلى مَوْلاهَا، وَليُخَلصُوهَا منْ جَهْلهَا وَخُبْثهَا، وَليُطْلعُوهَا عَلى شَرِّهَا وَنَقْصهَا، فَمَنْ أَدْرَكَتْهُ السَّعَادَةُ الأَزَليَّةُ أَجَابَ دَعْوَةَ هَؤُلاء الأَكَابر، وَرَجَعَ منْ جَهْله وَخُبْثه، وَصَارَ مُنْقَادًا للأَحْكَام المُنَزَّلَة.

يَنْبَغـــي أَنْ يُعَلَـــمَ: أَنَّ طَرِيقَ تَزْكيَة النَّفْس عَلى نَوْعَيْنِ طَريقٌ يَتَعَلقُ بالرِّيَاضَات وَالمُجَاهَدَات، وَهُوَ طَريقُ الإنَابَة وَمَخْصُوصٌ بالمُريدينَ، وَالطَّريقُ الثَّاني طَريقُ الجَذْب وَالمَحَبَّة وَهُوَ طَريقُ الاجْتبَاء، وَيَتَعَلقُ بالمُرَادينَ، شَتَّانَ مَا بَيْنَ الطَّريقَيْنِ؛ الطَّريقُ الأَوَّل سَيرٌ إلى جَنَاب المَطْلُوب، وَالطَّريقُ الثَّاني جَرٌّ نَحْوَ القُصُور، وَبَيْنَ السَّيْر وَالجَرِّ فَرْقٌ كَثيرٌ، وَتَفَاوُتٌ فَاحشٌ، فَإذَا أُريدَ لصَاحب دَوْلَة بسَابق الكرَام الجَرُّ منْ طَريق الاجْتبَاء يُعْطَى لهُ الجَذْبُ وَالمَحَبَّةُ لجَنَاب القُدْس وَيُوَصَّل به إلى المَقْصُود جَرًّا جَرًّا، فَإذَا كَانَ فيمَا بَيْنَ هَؤُلاء مَنْ أَدْرَكَتْهُ السَّعَادَةُ يُوَصَّل به إلى حَدِّ الفَنَاء، وَيَتَخَلصُ منْ رُؤْيَة السِّوي وَعلمه، وَيُجَاوزُ به الآفَاقَ وَالأَنْفُسَ، وَنسْيَانُ الآفَاق مَرْبُوطٌ بفَنَاء القَلب، وَنسْيَانُ الأَنْفُس مَوْقُوفٌ عَلى فَنَاء

النَّفْسِ الأَمَّارَة، وَفِي الأَوَّل زَوَال العلمِ الحُصُوليِّ، وَفِي الثَّاني زَوَال العلمِ الحُضُوريِّ و وَزَوَال العلمِ الحُضُوريِّ وَزَوَال العلمِ الحُضُورِيِّ لا يُتَصَوَّرُ مَا لَمْ يَتَحقَّقْ زَوَال النَّفْسِ الحَاضِرَة، وَمَا دَامَت النَّفْسُ الحَاضِرَةُ قَائمَةً، فَالعلمُ الحُضُوريُّ عبَارَةٌ عَنِ النَّفْسِ الحَاضِرَةِ لا أَمْرَ زَائدٌ عَلَيْهَا؛ فَالزَّوَال الشُّهُوديُّ فِي فَنَاء النَّفْسِ يَكُونُ عبَارَةً عَنْ زَوَالهَا الوُجُوديِّ بخلاف الزَّوَال الشُّهُوديِّ الذى اعْتُبرَ فِي فَنَاء القَلْب، فَإِنَّهُ لَيسَ بمُسْتَلزِمٍ لزَوَال وُجُود القَلْب، فَإِنَّ الشُّهُودَ هُنَاكَ زَائدٌ عَلى الشَّاهد، وَفَنَاء أَحَدهمَا لَيْسَ بمُسْتَلزِم لفَنَاء الآخَر

تَبْنيةٌ: لا يَتَخَيَّلَنَّ الأَبْلَهُ أَنَّ زَوَال النَّفْسِ الحَاضِرَة حَاصِل أَيْضًا فِي مَقَام البَقَاء باللهِ الذى هُوَ مُيَسَّرٌ لأَرْبَاب التَّوْحيد الوُجُوديِّ، فَإِنَّ الحَاضِرَ ثَمَّةَ هُوَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ لا نَفْسَ السَّالك الفَانيَةَ لا أَنْ نَقُولَ إِنَّ الحَاضرَ فِي ذَلكَ المَقَام هُوَ نَفسُ السَّالك وَقَدْ تَصَوَّرَهَا السَّالكُ بعُنْوَان الحَقِّيَّة، وَالحَقُّ سُبْحَانَهُ مُنَزَّهٌ وَمُبَرَّأٌ منْ هَذَا التَّعَيُّنِ وَالحُضُورِ، وَهَذَا منْ قَبيل مَا قيل، (ع):

وَصَارَ الفَأْرُ فِي رُؤْيَاهُ نَاقَة

وَإِنَّا هُنَا زَوَال العلمِ بالنَّفْسِ الحَاضِرَة وَهُوَ منْ أَقْسَامِ العلمِ الحُصُوليِّ زَوَال النَّفْسِ الحَاضِرَة المُسْتَلزِمُ لزَوَال العلمِ الحُضُوريِّ، وَزَوَال النَّفْسِ الحَاضِرَة عبَارَةٌ عَنْ زَوَال عَيْنِهَا وَأَثَرِهَا لا أَنَّهُ عبَارَةٌ عَنْ زَوَال العلمِ بهَا، شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا.

المَكْتُوبُ الثَّالثُ وَالسَّبْعُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى حَضْرَةِ المَخْدُوم زَادَهْ الخَوَاجَة مُحَمَّد سَعِيد مُدَّ ظلهُ
في بَيَان أَنَّ رُؤْيَةَ العَارِف لبَعْضِ المَظَاهرِ تَصيرُ لهُ سَبَبًا للعُرُوجِ في بَعْضِ الأَحْيَانِ وَمَا يُنَاسبُ ذلكَ

إذَا وَقَعَتْ مُعَامَلَةُ العَارِف في صِرْف الذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ وَسَقَطَتْ جَميعُ النِّسَب وَالاعْتبَارَات، فَفي ذَاكَ المَوْطنِ يَتَعَسَّرُ الخُرُوجُ منْ غَيْرِ عَلاقَة وَتَعلق، وَفِي ذَلكَ الوَقْت بحُكْمِ النَّظْرَة الأُولى لكَ رُبَّمَا يَمُدُّ النَّظرَ الأَوَّل إلى المَظَاهر الجَميلة في ذَاكَ المَقَام، وَيرُقيٍّ إلى فَوْقُ، وَبالسُّرْعَة وَيُوصل منَ المَجاز الذى قيل لَهُ قَنْطَرَةُ الحَقيقَة، وَلكنَّ الاجْتنَابَ عَنِ النَّظْرَة الثَّانيَة التي وَرَدَ في حَقِّهَا النَّظْرَةُ الثَّانيَةُ عَلَيْكَ لازمٌ في ذَلكَ الوَقْت، فَإنَّها مُضرَّةٌ وَسُمٌّ قَاتل، فَكَيْفَ يُتَصَوَّرُ منْهُ الإِمْدَادُ وَالإعَانَةُ؟ وَمَا جَعَل اللهُ لكَ في الحَرَام شفَاءً، وَقَدْ سَارَ مَحْسُوسًا أَنَّهُ إذا وَقَعَ النَّظرُ الثَّاني بالطَّمَع الفَاسد يُرَى مَرْميًّا خَاليًا كَسَائر الحَجَر وَالمَدَر، وَالذينَ يَعْتَقدُونَ النَّظْرَةَ الثَّانيَةَ وَالثَّالثَةَ وَالرَّابعَةَ المُتَعَلِّقَةَ بالمَظَاهر الجَميلة مُفيدَةً، وَيَزْعُمُونَهَا منْ أَسْبَاب العُرُوجِ إلى الحَقيقَة فَهُمْ أَرْبَابُ الاسْتدْرَاج، وَالحَقيقَةُ الذينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَعْرُجُونَ إلَيْهَا منْ عَالَمِ المَجاز قَوْلُهُ تَعَالى ﴿قُل للمُؤْمنينَ يَغُضُّوا منْ أَبْصَارهم﴾(١) كَافٍ في رَدِّ هَذه الجَمَاعَة، وَرُبَّمَا تَكُونُ ظُلمَاتُ الجوَار نَافعَةً في تلكَ الوَقْعَة، وَكَفرُ الجيرَان وَفسْقُهُمْ مُمدًّا في هَذه المُعَامَلة حَتَّى إنَّهُ كُلمَا تَزيدُ الظُّلمَات يَزيدُ الإمْدَادُ لا لَمَا قيل إنَّ الفُيُوضَ الوَاردَةَ عَلى المُسْتَغْرقينَ في ظُلمَة الغَفْلة لا تَصل عَلَيْهمْ؛ لعَدَمِ قَابليَّتهمْ لَهَا بَل تَتَوَجَّهُ إلى مَنْ يَكُونُ في جوَارهمْ بالحُضُور وَالجَمْعيَّة، وَهُوَ يَتَرَقَّى بفُيُوضِ الآخرينَ، فَإنَّ الأَمْرَ ليْسَ كَذَلكَ؛ لأَنَّهُ يُمْكنُ أَنْ يُقَال إنَّ تلكَ الفُيُوضَ الوَاردَةَ لا تَصل إلى حَوَالِيْ ذَلكَ العَارف بوَاسطَة عُلوِّ دَرَجَته فَضْلاً عَنْ أَنْ تَمُدَّهُ في العُرُوجِ، وَشَأْنُ هَؤُلاء الأَكَابر عَلا لا يَنْفَعُ في شُئُونهمْ كُل عَمَل وَفَيْض بَل ثَمَّةَ سرٌّ دَقيق مُنْكَشف لأَرْبَاب ذَلكَ الحَال، وَالقَدْرُ المُمْكنُ إظْهَارُ أَنَّ الظُّلمَةَ أَيْضًا يُحْتَاجُ إلَيْهَا لأَجْل كَمَال ظُهُورِ النُّورِ وَلَعَلكُمْ

---

(١) ـــ الآية: ٣٠ من سورة النور.

سَمعْتُمْ وَبِضِدِّهَا تَتَبَيَّنُ الأَشْيَاءُ، وَلَمَّا كَانَ ارْتكَابُ الظُّلْمَة مَنْهيًّا عَنْهُ اعْتُبِرَتْ ظُلْمَةُ الجِوَارِ أَيْضًا مِنْ كَمَال الكَرَمِ، وَجُعِلتْ نَافِعَةً فِي ظُهُورِ النُّورِ الذى هُوَ نُورُ الأَنْوارِ.

فَإِنْ قِيــــلَ: كَيْفَ لا يَكُونُ للطَّاعَات وَالعبَادَات خُصُوصًا أَدَاءَ الفرَائض نَفْعٌ فِي ذَلكَ المَوْطنِ؟ وَلِمَ لا تَمُدُّ فِي العُرُوجِ؟ قُلتُ لَمْ لا تَكُونُ نَافعَةً وَلِمَ لا تَمُدُّ فِي العُرُوجِ وَلَكنَّ النَّفْعَ وَالإمْدَادَ المُعْتَدَّ بهمَا المُتحَقِّقَان سَابقًا لَيْسَا بحَاصل فِي ذَلكَ الوَقْت، وَلَيْسَ لَهَا نَفْعٌ كَنَفْعِ الأَسْبَاب الخَارجيَّة المَذْكُورَة فيمَا سَبَقَ وَأَمْثَالهَا، وَالله سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بحَقيقَة الحَال {سُبْحَانَكَ لا علمَ لَنا إلا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَليمُ الحَكيم}[1] {وَالسَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبعَ الهُدَى}[2]

---

(١) ـــ الآية: ٣٢ من سورة البقرة.

(٢) ـــ الآية: ٤٨ من سورة طه.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالسَّبْعُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى حَضْرَة المَخْدُومِ زَادَهْ الخَوَاجَة مُحَمَّد مَعْصُوم مُدَّ ظِلّهُ العَالِي
فِي بَيَانِ انْتِفَاءِ الفَنَاءِ الوُجُودِيِّ عَنِ الإِنْسَانِ بِنَاءً عَلى عَدَمِ الذَّاتِيِّ

إنَّ حَقيقَةَ الإنْسَان وَذَاته هِيَ النَّفْسُ النَّاطقَةُ المُشَارُ إليْهَا لكُل فَرْد منْ أَفْرَاد الإنْسَان بلفْظ أَنَا، وَحَقيقَةُ النَّفْسِ النَّاطقَة العَدَمُ، وَقَدْ تَوَهَّمَتْ نَفْسَهَا بوَاسطَة انْعكَاسِ الوُجُود والصِّفَاتُ الوُجُوديَّةُ مَوْجُودَةٌ وَحَيَّةٌ وَعَالمَةٌ وَقَادرَةٌ بالاسْتقْلال، وَزَعَمَتْ هَذه الصِّفَاتُ الكَاملةُ منَ الحَيَاة وَالعلمِ وَغَيْرهمَا منْ نَفْسهَا وَقَائمَةً بهَا وَتَيَقَّنَتْ نَفْسُهَا بهَذَا التَّوَهُّمِ كَاملةً وَخَيِّرَةً وَنَسيَتْ خَبَاثَتَهَا وَنَقْصَهَا الذَّاتيَّيْنِ النَّاشئَيْنِ منَ العَدَمِ الذى هُوَ شَرٌّ مَحْضٌ، فَإذَا أَدْرَكَتْهَا عنَايَةُ الله سُبْحَانَهُ وَخَلصَتْهَا منَ الجَهْل المُرَكَّب وَتَصْديق الكَاذب تَعْرفُ أَنَّ هَذه الكَمَالات منْ مَحَل آخرَ لا منْهَا وَلا أَنَّهَا قَائمَةٌ بهَا، وَتَعْلَمُ أَنَّ حَقيقَتَهَا وَذَاتَهَا العَدَمُ الذى هُوَ شَرٌّ مَحْضٌ وَنَقْصٌ خَالصٌ، فَإذَا غَلَبَتْ هَذه الرُّؤْيَةُ بكَرَمِ الله تَعَالى، وَسَلمَت الكَمَالات إلى صَاحبهَا بالتَّمَام، وَأَدَّتْ هَذه الأَمَانَةَ إلى أَهْلهَا بالكُليَّة، وَوَجَدَتْ نَفْسَهَا عَدَمًا مَحْضًا، وَلَمْ تَشُمَّ في نَفْسهَا رَائحَةً منَ الخَيْريَّة، فَحينَئذ لا يَبْقَى منْهَا اسْمٌ وَلا رَسْمٌ وَلا عَيْنٌ وَلا أَثَرٌ، فَإنَّ العَدَمَ لا شَيْءَ مَحْضًا لا ثُبوتَ لَهُ في مَرْتَبَة منَ المَرَاتب، فَلوْ تَحَقَّقَ لهُ فَرْضًا ثُبوتٌ في مَرْتَبَة منَ المَرَاتب لمَا كَانَتْ جَميعُ الكَمَالات مَسْلوبَةً عَنْهُ، فَإنَّ الثُّبوتَ عَيْنُ الكَمَال بَل أُمُّ الكَمَالات، فَلزمَ منْ هَذَا التَّحْقيق أَنْ يَكُونَ هَذَا الفَنَاءُ أَتَمَّ وَأَكْمَل لا حَاجَةَ إلى زَوَال وُجُود الفَاني أَصْلاً، فَإنَّهُ لَمْ يُثْبَتْ لهُ وُجُودٌ أَصْلاً حَتَّى يُتَصَوَّرَ الزَّوَال، بَل كَانَ عَدَميًّا مُثْبتًا نَفْسَهُ بتَوَهُّم الوُجُود، وَلَمَّا زَال ذَلكَ التَّوَهُّمُ وَتَحَقَّقَ بالعَدَمِ الصِّرْف بَقيَ هَالكًا، وَلا شَيْئًا مَحْضًا فَلا يَكُونُ بُدٌّ منَ الزَّوَال الشُّهُوديِّ، وَلا يَحْتَاجُ إلى الزَّوَال الوُجُوديِّ، وَالله سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بحَقيقَة الحَال.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالسَّبْعُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إِلَى المِيْرِ مَنْصُور
فِي كَشْفِ سِرِّ الإِحَاطَةِ وَالقُرْبِ وَالمَعِيَّةِ الكَائِنَةِ لله تَعَالَى وَإِرْجَاعِ هَذِهِ إِلَى مُجْمَلِ الكِتَابِ الكَرِيمِ وَمُشْكَلِه

إِنَّ القُرْبَ وَالمَعِيَّةَ وَالإِحَاطَةَ وَالسَّرَيَانَ وَالوَصْلَ وَالاتِّصَالَ وَالتَّوْحِيدَ وَالاتِّحَادَ وَأَمْثَالَهَا فِي حَضْرَتِه سُبْحَانَهُ مِنْ قَبِيلِ المُشْكَلاتِ وَالشَّطَحَاتِ، وَجَنَابُ قُدُسِه جَلَ شَأْنُهُ مُنَزَّهٌ وَمُبَرَّأٌ مِنْ قُرْبِ المَعِيَّةِ وَالوَصْلِ وَالاتِّصَالِ التِي تَكُونُ مُدْرَكَةً بِفُهُومِنَا وَمُتَعَقَّلَةً بِعُقُولِنَا، وَلَكِنَّ القَدْرَ الذى أَطْلَعَنَا عَلَيْه فِي آخِرِ الأَمْرِ أَنَّ هَذَا القُرْبَ وَغَيْرَهُ شَبِيهٌ بِالقُرْبِ وَالاتِّصَالِ الحَاصِلَيْنِ بَيْنَ المِرْآةِ وَبَيْنَ الصُّورَةِ المُتَوَهَّمَة فِيهَا الذى هُمَا مِنْ قَبِيلِ قُرْبِ المَوْجُودِ وَاتِّصَالِه بِالمَوْهُومِ، وَحَيْثُ إِنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ مَوْجُودٌ حَقِيقِيٌّ وَالعَالَمُ مَخْلُوقٌ فِي مَرْتَبَةِ الحِسِّ وَالوَهْمِ يَكُونُ القُرْبُ وَالاتِّصَالُ بَيْنَ الوَاجِبِ وَالمُمْكِنِ مِنْ قَبِيلِ قُرْبِ المَوْجُودِ وَاتِّصَالِه بِالمَوْهُومِ، وَلا يَعُودُ مِنْ هَذَا القُرْبِ وَالاتِّصَالِ إِلَى جَنَابِ قُدُسِه تَعَالَى مَحْذُورًا أَصْلاً؛ فَإِنَّ الأَشْيَاءَ الحِسِّيَّةَ قَدْ تَنْعَكِسُ فِي المِرْآةِ وَيَحْصُلُ لِلمِرْآةِ قُرْبٌ وَإِحَاطَةٌ بِهَا وَلا يَتَطَرَّقُ إِلَى المِرْآةِ نَقْصٌ أَصْلاً، وَلا تَرَى فِيهَا خِسَّةً قَطْعًا؛ فَإِنَّهُ لا اسْمَ لِتِلْكَ الأَشْيَاءِ فِي المَرْتَبَةِ التِي فِيهَا المِرْآةُ وَلا رَسْمَ حَتَّى تُؤَثِّرَ فِيهَا صِفَاتُهَا، غَايَةُ مَا فِي البَابِ أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ لَمَّا خَلَقَ العَالَمَ فِي مَرْتَبَةِ الحِسِّ وَالوَهْمِ، وَأَرَادَ أَنْ يُثْبِتَ هَذِه المَرْتَبَةَ وَيُحْكِمَ أَنْ أَجْرَى الأَحْكَامَ وَالآثَارَ المُتَرَتِّبَةَ عَلَى المَوْجُودِ عَلَى هَذَا المَوْهُومِ، وَلِهَذَا أَثْبَتَ القُرْبَ وَالإِحَاطَةَ المَوْهُومِيَّةَ كَالقُرْبِ وَالإِحَاطَةِ المَوْجُودَيْنِ، وَجَعَلَهُمَا مِنَ الأَحْكَامِ الصَّادِقَة؛ أَلا تَرَى أَنَّ رُؤْيَةَ الصُّورَةِ الجَمِيلَةِ فِي الخَارِجِ كَمَا أَنَّهَا مُسْتَلْزِمَةٌ لِلالتِذَاذِ وَحُصُولِ العَلاقَة، كَذَلِكَ تِلْكَ الصُّورَةُ مُوجَبَةٌ لِلالتِذَاذِ وَالعَلاقَة حِينَ انْعِكَاسِهَا فِي المِرْآةِ وَحُصُولِ الثُّبُوتِ الوَهْمِيِّ لَهَا فِيهَا مَعَ أَنَّ الصُّورَةَ الأُولَى مَوْجُودَةٌ، وَالثَّانِيَةَ مَوْهُومَةٌ، وَفِي حُصُولِ الأَثَرِ بَيْنَهُمَا شَرِكَةٌ، وَلَمَّا حَصَلَتْ لِلمَوْهُومِ بِكَرَمِ الله تَعَالَى شَرِكَةٌ مَعَ المَوْجُودِ فِي تَرْتِيبِ الأَحْكَامِ وَتَرَتَّبَتِ الآثَارُ عَلَى المَوْهُومِ تَرَتُّبَهَا عَلَى المَوْجُودِ انْبَعَثَتْ فِي المَوْهُومِ المَحْرُومِ أَطْمَاعٌ وَرَجَايَا مِنَ المَوْجُودِ، وَحَصَلَتْ لَهُ بِشَارَاتُ حُصُولِ دَوْلَةِ القُرْبِ وَالاتِّصَالِ بِالمَوْجُود

هَنيئًا لأَرْبَابِ النَّعِيمِ نَعِيمَهَا وَللعَاشِقِ المِسْكِينِ مَا يَتَجَرَّعُ

{ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ}(١).

يَنْبَغِـــي أَنْ يُعَلــــمَ: أَنَّ القُرْبَ وَالاتِّصَالَ كُلمَا تَصَوَّرَا وَتَعَقَّلا بِغَيْرِ المَعْنَى الذى ذُكِرَ لا يَكُونَانِ مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهٍ وَتَجْسِيمٍ إلا أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِمَا، وَلَمْ يَشْتَغِلُوا بِكَيْفِيَّتِهِمَا وَيُفَوِّضُوهُمَا إِلى عِلْمِ اللهِ تَعَالى، وَحَيْثُ لحقَ بِهَذِهِ الالفَاظِ نَوْعُ بَيَانٍ سَاغَ أَنْ نُخْرِجَهَا مِنَ التَّشْبِيهَاتِ وَنُلحِقَهَا بِالجُمَلِ أَوِ المُشْكِلِ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الحَالِ.

---

(١) ـــ الآية: ٥٤ من سورة المائدة، والآية: ٢١ من سورة الحديد، والآية: ٤ من سورة الجمعة.

المَكْتُوبُ السَّادِس وَالسَّبْعُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى حَضْرَة الخَواجَة مُحَمَّد سَعيد
وَحَضْرَة الخَواجَة مُحَمَّد مَعْصُوم سَلمَهُمَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَأَبْقَاهُمَا
في بَيَانُ الفَناء الأَتَمِّ المَرْبُوط بزوَال العَيْن وَالأَثَر
مَعَ تَحْقيق وُجُود الوَاجب سُبْحَانَهُ
وَبَيَانُ زَوَال العَدَمِ مِنَ المُمْكنِ وَبَقَاء الثُّبُوت وَعُرُوجَاته

الفَنَاءُ الأَتَمُّ إِنَّمَا يَتَحَقَّقُ إِذَا حَصَل زَوَال العَيْنِ وَالأَثَرِ عَنِ الفَانِي، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ اسْمٌ وَلا رَسْمٌ.

فَإِنْ قيـــــل: إذَا كَانَتْ حَقيقَةُ المُمْكنَات الإعْدَامَ التي تَمَايَزَتْ بالإضَافَة، وَصَارَتْ مَجَالِيَ أَسْمَاء الوَاجب وَصفَاته سُبْحَانَهُ كَمَا حَقَّقَتْ ذَلكَ في مَكَاتيبَ لزمَ أَنْ لا يَبْقَى منَ العَدَمِ الذى هُوَ حَقيقَتُهُ اسْمٌ وَلا رَسْمٌ في المُمْكنِ عَلى تَقْدير حُصُول هَذَا الفَنَاء وَأَنْ لا يَكُونَ فيه شَيْءٌ غَيْرَ الوُجُود الصِّرْف، فَإِنَّ زَوَال أَحَد النَّقيضَيْنِ مُسْتَلزِمٌ لحُصُول الآخَرِ لئَلا يَلزَمَ ارْتفَاعُ النَّقيضَيْنِ مَعًا، وَالوُجُودُ عنْدَ الصُّوفيَّة عَيْنُ الوَاجب تَعَالى أَوْ أَخَصُّ صفَاته سُبْحَانَهُ، وَعَلى كلا التَّقْديرَيْنِ يَلزَمُ قَلبُ الحَقيقَة وَهُوَ مُسْتَلزِمٌ للالحَاد وَالزَّنْدَقَة:

أُجيـــــب: إنَّ نَقيضَ العَدَم ليْسَ هُوَ ذَاكَ الوُجُودَ الذى هُوَ حَقيقَةُ الوَاجب تَعَالى أَوْ أَخَصُّ صفَاته الذَّاتيَّة سُبْحَانَهُ بَل هُوَ ظل منْ ظلال ذَلكَ الوُجُود، وَعَكْسٌ مَنْ عُكُوسه.

وَبالجُمْلَة: إنْ كُل وُجُود وَقَعَ العَدَمُ في الطَّرَف المُقَابل لهُ فَهُوَ منْ مَظَانِّ الإمْكَان، وَمُحْتَاجٌ إلى رَفْعِ العَدَم الذى هُوَ نَقيضُهُ، وَصفَاتُ الوَاجب جَل شَأْنُهُ وَإنْ كَانَتْ خَارجَةً منْ دَائرَة الإمْكَان، وَلكنْ لَمَّا كَانَتْ لَهَا احْتيَاجٌ إلى ذَات الوَاجب تَعَالى وَمُقَابَلَةُ الإدَام ثَابتَةٌ بكُل منْهَا ليْسَتْ بخَارجَة منْ شَوْب الإمْكَان، وَالاحْتيَاجُ إلى الذَّات لازمٌ لَهَا دَائمًا، وَإنْ كَانَتْ قَديمَةً غَيْرَ مُنْفَكَّة عَن الذَّات، وَنَفْسُ الاحْتيَاج دَليل الإمْكَان، فَإنْ كَانَ احْتيَاجًا إلى الغَيْر فَهُوَ نَقْصٌ كَامل، وَالمُتَّصفُ به دَاخل في دَائرَة الإمْكَان، وَإنْ لَم يَكُن احْتيَاجًا إلى الغَيْر فَالمُتَلبِّسُ به فيه رَائحَةٌ مَنَ الإمْكَان، وَإنْ لَمْ يَكُنْ دَاخلاً في دَائرَة الإمْكَان، كَمَا أَنَّ صفَات الوَاجب تَعَالى كَمَا لَهَا دُونَ كَمَال الذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ، فَالوُجُوبُ المُطْلَقُ مُخْتَصٌّ بذَات الوَاجب تَعَالى، فَإنَّهَا مُنَزَّهَةٌ عَنْ مَظنَّة النَّقْص، وَمُبَرَّأَةٌ منْ شَائبَة القُصُور، وَصفَاتُ الوَاجب وَإنْ

كَانَ لَهَا قدَمٌ فِي دَائِرَة الوُجُوب لكنْ لَمَّا كَانَتْ مُحْتَاجَةً إلى الذَّات كَانَ وُجُوبُهَا دُونَ وُجُوب الذَّات، كَمَا أَنَّ وَجُودَهَا دُونَ وُجُود الذَّات تَعَالتْ فَإِنَّ فِي وَجُودهَا نُقَاضَةً بالعَدَم، وَهُوَ عَدَمُ العلمِ وَعَدَمُ القُدْرَة مَثلاً، وَلَيْسَ لوُجُود الذَّات تَعَالتْ عَدَمٌ مُقَابِل أَصْلاً، وَلا يُتَصوَّرُ لَهُ نَقيضٌ قطْعًا، فَلوْ كَانَ عَدَمٌ منَ الإعْدَام نَقيضًا لوُجُود الوَاجب تَعَالى لكَانَ مُحْتَاجًا إلى رَفْعِ ذَلكَ النَّقيض، وَالاحْتيَاجُ منْ سمَات النَّقص المُنَاسب لحَال الإمْكَان تَعَالى اللهُ عَنْ ذَلكَ عُلوًّا كَبيرًا لا يَخْفَى أَنَّهُ يَنْبَغي التَّحَاشي منْ إطْلَاق لفْظ الإمْكَان عَلى صفَات الوَاجب جَل سُلطَانُهُ لكَوْنه مُوهمًا للحُدُوث، وَصفَاتُ الله تَعَالى قَديمَةٌ، وَإنْ لَمْ تَكُنْ وَاجبَةً بذَوَاتها، وَلكنَّهَا وَاجبَةٌ بالنَّظَر إلى ذَات الوَاجب جَل شَأْنُهُ، فَإِنَّهَا غَيْرُ مُنْفَكَّة عَنْهَا، وَحَاصل هَذَا المَعْنَى، وَإنْ كَانَ مُنْجَرًّا إلى الإمْكَان، وَلكنَّهُ خَال عَنْ تَوَهُّم الحُدُوث، وَعَدَمُ حُصُول النَّقيض منَ العَدَم لوُجُود الوَاجب تَعَالى كَشفَى وَشُهُودي وَإن اسْتَدل عَلَيْه بحَسَب الصُّورَة كَمَا يُوردُ عَلى بَديهي تَنْبيهٌ في صُورَة الاسْتدْلال.

وَلنَرْجعْ إلى أَصْل الكَلَام فَنقُول: في جَوَاب السُّؤَال لا يَبْقَى فِي المُمْكنِ عَلى تَقْدير الفَنَاء بَعْدَ زَوَال العَدَم شَيْءٌ غَيْرَ الوُجُود، وَلا يَكُونُ لَهُ نَصيبٌ غَيْرَ الثُّبوت وَالتَّحَقُّق؛ فَإِنَّهُ قَد انْتَفى عَنْهُ العَيْنُ وَالأَثَرُ، وَلكنَّ هَذَا الوُجُودَ وَالثُّبُوتَ ممَّا أُثْبتَ لمُمْكنٍ في مَرْتَبَة الوَهْم وَالحسِّ وَتَرَتَّبَتْ عَلَيْه الآثَارُ، وَصَارَ مرْآةً لكَمَالات مَرْتَبَة حَضْرَة الوُجُوب تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ بَعْدَ زَوَال العَدَم، وَصَارَ ذَاتُ المُمْكنِ وَحَقيقَتُهُ كَالعَدَم الزَّائل، وَكَانَ هَذَا الثُّبُوتُ قَبْل زَوَال العَدَم منْ صفَات العَدَم مُثْبتًا لَهُ في مَرْتَبَة الحسِّ وَالوَهْم، وَقَدْ صَارَ ذَلكَ الثُّبُوتُ الآنَ بَعْدَ زَوَال العَدَم نَائبًا في كَوْنه ذَاتَ المُمْكنِ وَانْتسَابَ الصِّفَات إلَيْه وَقيَامَ مُعَامَلة العَدَم به، وَقيَامُ مُعَامَلة نيَابَة العَدَم هَذه مَنُوطٌ ببَقَاء نَقيض ذَلكَ الثُّبُوت وَبَقَاء الإمْكَان، فَإذَا تَرَقَّت المُعَامَلَةُ منْ نَقيضِ الثُّبُوت وَلَمْ يَبْقَ للوُجُود مَا يُقَابلهُ بَل لَمْ يَبْقَ للعَدَم مَجَال للمُقَابَلة به، وَلَمْ يَبْقَ للامْكَان مَسَاغٌ فيه، فَحينَئذ تَتَبَدَّل المُعَامَلةُ غَيْرَ المُعَامَلة وَتَقَعُ بَيْنَ الجُلسَاء وَالنُّدَمَاء مُغَايرَةٌ وَمُبَادلَةٌ، فَيَنْبَغي طَلَبُ سُرًّا وَأَدْنَى ثَمَّةَ وَكُل مَحَل فيه شَوْبُ الإمْكَان وَمَجَال العَدَم، وَلوْ بالنُّقَاضَة فَهُوَ دَاخل في قَاب قَوْسَيْن، فَإذَا شَرَعَ الإمْكَانُ وَالعَدَمُ في الرَّحيل وَقُرعَتْ لَهُمَا مقْرَعَةُ التَّحْويل فَح تَسْتَقبل كَمَالات أَوْ أَدْنَى لا بمَعْنَى أَنَّ المُمْكنَ يَصيرُ في ذَلكَ الوَقْت ذَاتَ الوَاجب يَعْني عَيْنَهُ بَل بمَعْنَى أَنَّ قيَامَهُ يَكُونُ بالذَّات البَحْت تَعَالتْ، وَيَزُول قيَامُهُ الذى كَانَ بظلٍ منْ ظلال الذَّات تَعَالتْ، (ع):

لَيْسَ مَنْ غَابَ فِي الإِله إلهًا

وَقيَامُ هَذَا العَارِف بذَات وَاجب الوُجُود كَقيَام صفَاته بذَاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالى بَل قيَامُهُ بمَرْتَبَة لَيْسَت الصِّفَاتُ مَلحُوظَةً فيهَا أَصْلاً، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ للصِّفَات انْفكَاكٌ عَنِ الذَّات إلاَّ أَنَّ قيَامَ الصِّفَات أَزَليٌّ وَأَبَديٌّ وَهيَ قَديمَةٌ، وَقيَامُهُ لَيْس بأَزَليٍّ وَهُوَ مُتَّسمٌ بسمَة الحُدُوث، وَلكنَّ للصِّفَات نَقَائضَ منَ الأَعْدَام كَعَدَم العلم وَعَدَم القُدْرَة مَثَلاً، وَمُعَامَلة هَذَا العَارف قَدْ تَرَقَّتْ منْ نُقَاضَة الأَعْدَام كَمَا حَقَّقْنَا.

لا يَخْفَى أَنَّ المُعَامَلَةَ إذَا تَرَقَّتْ منْ نُقَاضَة العَدَم يَتَحَقَّقُ الوُجُوبُ وَيَصيرُ المُمْكنُ وَاجبًا وَهُوَ مُحَال:

أُجيـــــب: إنَّمَا يَصيرُ المُمْكنُ وَاجبًا إذَا عَرَضَ لَهُ الوُجُودُ الخَارجيُّ وَلا ثُبُوتَ للمُمْكن في غَيْر مَرْتَبَة الوَهْم وَالحسِّ، فَمنْ أَيْنَ يُتَصَوَّرُ في حَقّه وُجُودٌ بالوُجُود، وَظَهَرَ منْ هَذَا البَيَان أَنَّ قيَامَ العَارف وَقيَامَ الصِّفَات فَرْقٌ آخَرُ، وَهُوَ أَنَّ قيَامَ الصِّفَات باعْتبَار الوُجُود الخَارجيِّ، وَقيَامَ العَارف باعْتبَار الوُجُود الوَهْميِّ، وَإنْ كَانَ لَهُ ثَبَاتٌ وَاسْتقْرَارٌ، وَكَانَ مَبْدَأُ الآثَار.

يَنْبَغــي أَنْ يُعَلـــم: أَنَّ بَقَاءَ صُدُور أَنَا منَ العَارف مَرْبُوطٌ ببَقَاء العَدَم الذى هُوَ حَقيقَتُهُ، فَإذَا زَال العَدَمُ لَمْ يَبْقَ لأَنَا مَوْردٌ حَتَّى يُطْلقَ عَلَيْه، وَمُعَامَلة الثُّبُوت بَعْدَ زَوَال العَدَم وَإنْ كَانَتْ طَويلَة الذَّيْل، وَصَارَ الثُّبُوتُ ذَاتًا للمُمْكن، وَلكنْ لا مَوْردَ لكَلمَة أَنَا هُنَاكَ، وَكَأَنَّ وَضْعَ لَفظ أَنَا كَانَ للحَقيقَة العَدَميَّة حَيْثُ تَنْفرُ منَ الحَقيقَة الثُّبُوتيَّة، نَعَمْ إنَّ الجُزْءَ الأَعْظَمَ في المُمْكن هُوَ العَدَمُ، وَصَارَ المُمْكنُ مُمْكنًا منَ العَدَم وَاتَّسعَتْ مُعَامَلةُ المُمْكن منَ العَدَم، وَاحْتيَاجُ المُمْكن إنَّمَا نَشَأَ منَ العَدَم، وَالحُدُوثُ اللازمُ للامْكَان إنَّمَا تَرَتَّبَ عَلى العَدَم، وَكَثْرَةُ المُمْكن مُنْشَعبَةٌ منْ جهَة العَدَم، وَالامْتيَازُ فيه أَيْضًا حَصَل منَ العَدَم، وَالوُجُودُ في حَقّه مُسْتَعَارٌ، وَهُوَ أَيْضًا بالتَّخَيُّل وَالتَّوَهُّم، وَلَوْ كَانَ لَهُ ثَبَاتٌ وَاسْتقْرَارٌ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ الصِّفَات القَائمَةَ بذَات الوَاجب جَل سُلطَانُهُ تُظْهرُ الذَّاتَ عَزَّ شَأْنُهَا بتَمَامهَا بلوْن كَل وَاحدَة منْهَا لا أَنَّ بَعْضَ الذَّات يَكُونُ مُتَّصفًا بصفَة وَبَعْضًا آخَرَ منْهَا مُتَّصفًا بصفَة أُخْرَى فَإنَّهُ لا تَبَعُّضَ في حَضْرَة الذَّات، وَلا تَجَزُّؤَ بَل هيَ بَسيطٌ حَقيقيٌّ، وَكَل حُكْم يُثْبتُ ثَمَّةَ فَهُوَ باعْتبَار الكُليَّة كَمَا قَالوا إنَّ ذَاتَ الله تَعَالى كُلهَا علمٌ وَكُلهَا قُدْرَةٌ وَكُلهَا إرَادَةٌ، وَالقيَامُ الذى يَحْصُل للعَارف بذَات الوَاجب جَل سُلطَانُهُ بلا مُلاحَظَة الأَسْمَاء وَالصِّفَات أَيْضًا منْ هَذَا القَبيل حَيْثُ تَظْهَرُ بالكُليَّة بلوْنه وَتُبْدَى مرْآتيَتهَا بتَشَخُّصه عَلى عَكْس مَرَايَا

أُخَرَ فهِمَ مَنْ فهِمَ

أَتَقْييمٌ يَا سَعْدَ القيامَةِ منْ حَلا وَة مَنْطق عَطَّلتْ به البَبَّغَاءُ

وَمثْل هَذَا الظُّهُور أَعْني ظُهُورَ المرْآة بلوْن الصُّورَة بالكُلِّيَّة إنْ حَصَلَ للعَارف بَعْدَ الفَنَاء الأَتَمِّ بَقَاءٌ بذَلكَ الظُّهُور يَكُونُ أَكْمَل تَعَيُّنَاته لكَوْنه وُجُودًا مَوْهُوبًا حَقَّانيًّا قَدْ تَيَسَّرَ لهُ بالولادَة الثَّانيَة وَهَذَا التَّعَيُّنُ مَعَ حُدُوثه وَإمْكَانه لما كَانَ نَاشئًا منْ مَرْتَبَة الجَمْع لهُ مزيَّةٌ وَفضْلٌ عَلى تَعَيُّنَات أُخَرَ ليْستْ نَاشئَةً منْ تلْكَ المَرْتَبَة كَمَزيَّة حُرُوف القُرْآن وَكَلمَاته عَلى حُرُوف وَكَلمَات أُخَرَ، وَإنْ كَانَ كُلُّهَا مُتَّسمَةً بسمَة الحُدُوث، وَأَبْلهُ مَنْ يَرَى هَذَا التَّعَيُّنَ منْ اقْتصَار نَظَره عَلى الظَّاهر مُسَاويًا لتَعَيُّنَات أُخَرَ، وَتَزَعَّمَ مُسَاوَاةَ حُرُوف القُرْآن وَكَلمَاته مَعَ حُرُوف كَلمَات أُخَرَ، فَاعْرفْ فَضْلَ العَارف منْ هَهُنَا، وَقسْ مَزيَّتَهُ عَلى الآخَرينَ عَلى مَزيَّة كَلامِ الله عَزَّ وَجَل عَلى كَلام الآخَرينَ

خَابَ الذى قَدْ يَرَى ذَا القُبْح كَالحُسْن وَفَازَ مَنْ كَانَ فيه حدَّةُ البَصَر

وَقَالَ المَحْجُوبُونَ في حَقِّ مُحَمَّد رَسُول الله ﷺ: "إنَّهُ بَشَرٌ وَتَصَوَّرُوهُ كَسَائر البَشَر، فَأَنْكَرُوهُ بالضَّرُورَة وَتَصَوَّرَهُ أَصْحَابُ الدَّوْلة وَأَرْبَابُ السَّعَادَة بعُنْوَان الرِّسَالة وَالرَّحْمَة للعَالمينَ وَاعْتَقَدُوهُ مُمْتَازًا منْ سَائر النَّاس فَتَشَرَّفُوا بدَوْلة الإيمَان وَصَارُوا منْ أَهْل النَّجَاة.

تَنْبيـــهٌ: إذَا أَوْرَدَ في أَثْنَاء أَدَاء بَعْض المَطَالب العَاليَة المُتَعلقَة بذَات الوَاجب جَل شَأْنُهُ وَصفَاتُهُ بوَاسطَة ضيق مَيْدَان العبَارَة الفَاظًا مُوَهِّمَةً بصفَات المُمْكن المُسْتَلزمَة للنَّقْص وَالقُصُور يَنْبَغي أَنْ يَصْرفَ تلْكَ الالفَاظَ عَنْ ظَاهرهَا وَأَنْ يَعْتَقدَ جَنَابَ قُدُسه تَعَالى مُنَزَّهًا وَمُبَرَّأً عَنْ جَميع صفَات النَّقْص وَسمَات القُصُور، وَأَطْلقَ بَعْضَ الالفَاظ الذى لمْ يَردْ به الشَّرْعُ عَلى حَضْرَته تَعَالى بتَقْليد المَشَايخ العظَام بطَريق التَّجَوُّز، مثْلَ الذاتية وَغَيْرهَا، وَأَنَا خَائفٌ مُشْفقٌ منْهُ ﴿ رَبَّنَا لا تُؤَاخذْنَا إنْ نَسينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾(١).

فَإنْ قيـــلَ: إنَّهُ قَدْ يَقَعُ في عبَارَاتكَ لفْظُ التَّجَلي وَالظُّهُور الظِّليِّ وَأَمْثَالهمَا فَيَلزَمُ منْهُ تَنَزُّل الوُجُود في مَرَاتب الظُّهُورَات كَمَا قَال به المَشَايخُ وَأَنْتَ تُنْكرُ عَلى ذَلكَ فَمَا وَجْهُ مَا ذَكَرْتَ هُنَالكَ؟ قُلتُ إنَّ التَّنَزُّل إنَّمَا يَلزَمُ إذَا قُلنَا إنَّ المَظْهَرَ عَيْنُ الظَّاهر كَمَا قَال الآخَرُونَ، وَأَمَّا إذَا لمْ نَقُل إنَّهُ عَيْنُهُ لا يَلزَمُ التَّنَزُّل، وَمُخْتَارُ هَذَا الفَقير عَدَمُ عَيْنيَّة الظَّاهر بالمَظْهَر، وَالله سُبْحَانَهُ المُوَفّقُ.

---

(١) ــ الآية ٢٨٦: من سورة البقرة

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالسَّبْعُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى مَوْلانَا صَفَرِ أَحْمَدَ الرُّومِيِّ
فِي بَيَانِ أَنَّ كُل صِفَة مِنْ صِفَاتِ العَارِف وَكُل لطِيفَة مِنْ لطَائفه تَظْهَرُ بِعُنْوَان كُلِّيَّة ذَاته بَعْدَ بَقَاء ذَاته

إِذَا أُعْطِيَ العَارِفُ الكَامِل التَّامُّ المَعْرِفَة بَعْدَ بَقَاء الذَّات الصِّفَات الكَامِلَة وَالأَخْلاقَ الحَمِيدَةَ تَظْهَرُ كُل صِفَة مِنْ تِلكَ الصِّفَات مُتَّصِفَةً بِعُنْوَان كُلِّيَّة ذَاته لأَنَّ بَعْضَ ذَاته يَكُونُ مُتَّصِفًا بِصِفَة وَبَعْضًا آخرَ مُتَّصِفًا بِصِفَة أُخْرَى، مَثَلاً تَكُونُ ذَاتُهُ بِتَمَامِهَا عِلاً وَبِتَمَامِهَا بَصَرًا وَبِتَمَامِهَا سَمْعًا كَمَا قَال مُحَقِّقُو الصُّوفِيَّة فِي صِفَات الوَاجِب جَل شَأْنُهُ ذَاتُ اللهِ تَعَالَى كُلهَا عِلمٌ وَكُلهَا قُدْرَةٌ وَكُلهَا سَمْعٌ وَكُلهَا بَصَرٌ مَثَلاً، وَمِنْ هَهُنَا يَرَى المُؤْمِنُونَ الحَقَّ سُبْحَانَهُ فِي الجَنَّة بِلا جِهَة؛ فَإِنَّهُمْ يَكُونُونَ بِكُلِّيَّتِهِمْ أَبْصَارٌ، فَإِذَا كَانُوا بِكُلِّيَّتِهِمْ أَبْصَارًا كَيْفَ يَكُونُ هُنَاكَ مَجَال للجِهَة؟ قَالُوا إِنَّمَا تَيَسَّرَ لِعَوَامِّ المُؤْمِنِينَ فِي الآخِرَة بُعْدًا للتَّيَا وَالتي يَتَيَسَّرُ للأَوْلِيَاء الذِينَ هُمْ خَوَاصُّ المُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا فَيَكُونُ مَا هُوَ نَسِيئَةٌ فِي حَقِّ هَؤُلاء نَقْدًا لِهَؤُلاء يَنْبَغِي أَنْ يَقِيسَ نَسِيئَتَهُمْ مِنْ ذَلِكَ (ع)

وَقِسْ مِنْ حَال بُسْتَانِي رَبِيعِي

{ذَلِكَ فَضْل اللهِ يُؤْتِيه مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْل العَظِيم}[1] وَكَذَلِكَ كُل لطِيفَة مِنْ لطَائفَ ذَلِكَ العَارِف تَظْهَرُ بِوَصْف كُلِّيَّته فَيَصِيرُ العَارِفُ بِتَمَامه لطِيفَة الرُّوحِ وَبِتَمَامه لطِيفَةَ القَلب، وَعَلى هَذَا القِيَاسِ سَائِرُ اللطَائف الإِنْسَانِيَّة مِنَ النَّفْس النَّاطِقَة وَالسِّرِّ وَالخَفِيِّ وَالأَخْفَى، وَعَلى هَذَا المِنْوَال أَيْضًا كُل جُزْء مِنْ أَجْزَائه وَكُل عُنْصُرٍ مِنْ عَنَاصِره يَأْخُذُ حُكْمَ الكُل، مَثَلاً يَجِدُ العَارِفُ نَفْسَهُ بِالتَّمَام عُنْصُرَ التُّرَاب وَبِتَمَامه عُنْصُرَ المَاء، فَإِذَا انْصَبَغَتْ لطِيفَةُ القَلب التي هِيَ الحَقِيقَةُ الجَامِعَةُ بِلوْن الكُل وَزَال تَعَلقُهُ الذِى كَانَ بِالمُضْغَة القَلبِيَّة وَبَقِيَت المُضْغَةُ خَالِيَةً فِي ذَلِكَ الوَقْت كَالجَسَد الخَالِي عَنِ الرُّوحِ يَتَخَيَّل أَنَّهُ مَا أَصَابَهَا فِي هَذَا المَجِيء وَالذَّهَاب غُبَارٌ مِنْ هَذَا الطَّرِيق بَل هِيَ عَلى صِرْفَتِهَا الأَصْلِيَّة كَحَبَّة بَقِيَتْ فِي قِدْر مَغْل غَيْر مَطْبُوخَة، بِحَيْثُ لَمْ تُؤَثِّرْ فِيهَا الحَرَارَةُ وَلَمْ يُصِبْهَا المَاءُ، غَايَةُ مَا فِي البَاب أَنَّهَا بَعْدَ رَفْع ذَلِكَ

---

(١) ـــ الآية: ٥٤ من سورة المائدة، والآية: ٢١ من سورة الحديد، والآية: ٤ من سورة الجمعة.

التَّعَلقِ وَبَعْدَ الخُلوِّ تَكُونُ مُنْصَبِغَةً بِلوْنِ سَائِرِ الأَجْزَاءِ، وَتَأْخُذُ حُكْمَ الكُل كَأَجْزَاءٍ أُخرَ.

المَكْتُوبُ الثَّامِن وَالسَّبْعُون بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إِلَى مُحَمَّد مُقِيم القُصُورِيِّ
فِي جَوَابِ سُؤَالِه عَنْ مَعْنَى المَجَازُ قَنطَرَةُ الحَقِيقَة

سَأَل أَخِي مُحَمَّدُ مُقِيم أَنَّهُ بِأَيِّ مَعْنًى قَالُوا المَجَازُ قَنطَرَةُ الحَقِيقَة؟
اعْلَمْ أَنَّ المَجَازَ ظِل الحَقِيقَة، وَمِنَ الظِّل إِلَى الأَصْل طَرِيقٌ سُلطَانِيٌّ، وَلَعَلهُمْ بِهَذَا الاعْتِبَار قَالُوا مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ؛ فَإِنَّ مَعْرِفَةَ الظِّل مُسْتَلزِمَة لِمَعْرِفَة الأَصْل، فَإِنَّ الظِّل كَائِنٌ عَلَى صُورَة أَصْله فَيَكُونُ سَبَبًا لانْكِشَاف الأَصْل؛ لأَنَّ صُورَةَ الشَّيْءِ مَا يَنْكَشِفُ بِه ذَلِكَ الشَّيْءُ لكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلمَ المَجَازُ إِنَّمَا يَكُونُ قَنْطَرَةَ الحَقِيقَة إِذَا لَمْ يَدْخُل فِي البَيْنِ تَعَلقٌ بِالمَجَاز، وَلَمْ يَنْجَرَّ الأَمْرُ إِلَى نَظْرَة ثَانِيَة، وَقَنْطَرَةُ الحَقِيقَة هِيَ النَّظْرَةُ الأُولَى التِي قَال المُخبِرُ الصَّادِقُ عَلَيْه وَعَلَى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فِي حَقِّهَا: "النَّظْرَةُ الأُولَى لكَ" وَكَأَنَّهُ أَشَارَ بِلفْظ لكَ إِلَى حُصُول هَذه الدَّوْلة، وَأَمَّا إِذَا دَخَل التَّعَلقُ بِالمَجَاز فِي البَيْنِ عِيَاذًا بِالله سُبْحَانَهُ وَانْجَرَّ الأَمْرُ إِلَى النَّظْرَة الثَّانِيَة فَذَلكَ المَجَازُ سَدٌّ فِي طَرِيق الوُصُول إِلَى الحَقِيقَة فَضْلاً عَنْ أَنْ يَكُونَ قَنْطَرَةً بَل هُوَ صَنَمٌ يَدْعُو إِلَى عِبَادَته وَغُول يُضل عَنْ طَرِيق الحَقِيقَة بِغَوَايَته، وَلِهَذَا قَال المُخبِرُ الصَّادِقُ بَيَانًا لمَضَرَّة النَّظْرَة الثَّانِيَة النَّظْرَةُ الثَّانِيَةُ عَلَيْكَ " وَأَيُّ شَيْءٍ يَكُونُ أَضَرَّ مِمَّا يَصُدُّ عَنِ الحَقِّ، وَيَشْغَل بِالبَاطل.

يَنْبَغِــي أَنْ يُعلَـــم: أَنَّ النَّظْرَة الأُولَى إِنَّمَا تَكُونُ نَافِعَةً إِذَا لَمْ تَكُنْ عَنِ اختِيَار، وَأَمَّا إِذَا كَانَتْ بِالاختِيَار فَحُكْمُهَا حُكْمُ النَّظْرَة الثَّانِيَة؛ قَوْلُهُ تَعَالَى {قُل للمُؤْمنينَ يَغُضُّوا منْ أَبْصَارِهم}[1] كَاف فِي إِثْبَات هَذَا المَطْلَب، وَلَمْ يَفْهَمْ جُهَلاء الصُّوفِيَّة النَّاقِصُونَ مَعْنَى هَذه العِبَارَة، فَغَلطُوا وَخَلطُوا وَطَفِقُوا يَشْغَفُونَ بِالصُّوَر الجَميلة، وَيَنْخَدعُونَ بِغُنْجِهمْ وَدَلالِهمْ بِطَمَعِ أَنَّهُمْ يَجْعَلونَهُمْ وَسِيلةَ الوُصُول إِلَى الحَقِيقَة وَمِعْرَاجًا لحُصُول المَطْلُوب، كَلا إِنَّ ذَلكَ هُوَ عَيْنُ سَدِّ طَرِيق المَطْلُوب وَحَاجِبٌ عَنْ حُصُول المَقْصُود وَالذِي زُيِّنَ فِي نَظَرِهمْ هُوَ البَاطل، وَهُمْ قَدْ وَقَعُوا فِي الغُرُورِ بِأَنَّهُ الحَقِيقَةُ، وَزَعَمَ جَمعٌ مِنْهُمْ حُسْنَ تِلكَ الصُّوَرِ، وَجَمَالَهُمْ حُسْنُ عَيْنِ

---

(١) ـــ الآية: ٣٠ من سورة النور.

الحَقِّ جَل شَأْنُهُ وَجَمَاله وَظَنُّوا التَّعَلق بِهِمْ عَيْنَ التَّعَلقِ بِالحَقِّ، وَزَعَمُوا مُشَاهَدَتَهُمْ عَيْنَ مَشَاهَدَة الحَقِّ حَتَّى قَال بَعْضُهُمْ

أَمَرَ وَزَجُّونَ جَمَال توبي برِدِّه ظَاهر اسْت دَرحير تَمُكُّهُ وَعْده فَرْدًا برَأْي جيست

تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقُول الظَّالِمُونَ عُلوًّا كَبِيرًا مَاذَا ظَنَّ هَؤُلاء القَاصِرُونَ الحَقَّ سُبْحَانَهُ؟ وَمَاذَا زَعَمُوا حُسْنَهُ وَجَمَالهُ تَعَالى؟ أَمَا سَمِعُوا أَنَّهُ إذَا وَقَعَتْ شَعْرَةٌ مِنْ شَعْرِ حُورِ الجِنَانِ التي هِيَ مِنْ مَخْلوقَاته سُبْحَانَهُ فَرْضًا في الدُّنْيَا لَمَا أَظْلمَت الدُّنْيَا مِنْ إضَاءَتِهَا وَإشْرَاقِهَا أَبَدًا، وَقَدْ ثَبتَ احْترَاقُ جَبَل الطُّورِ وَانْدكَاكه بتَجَل وَاحد مِنْ تَجَليَات الحَقِّ جَل وَعَلا، وَسُقُوطُ كَلِيم الله عَلى نَبيِّنَا وَعَليْه أَفْضَل الصَّلاة وَالسَّلامِ مَغْشيًّا عَليْه مِنْ ذَلكَ التَّجَلي مَعَ عُلوِّ مَنْزِلته وَزِيَادَة قُرْبه وَرِفْعَته بنَصِّ القُرْآن، وَهَؤُلاءِ مَعَ قُصُور عُقُولهِمْ هَذه يَرَوْنَ الحَقَّ سُبْحَانَهُ بلا حجَاب في جَميعِ الأَوْقَات، وَتَعْجَبُونَ مِنْ وَعْد الرُّؤْيَة الأُخْرَوِيَّة {لَقَد اسْتَكْبَرُوا في أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا}[1]، وَعُلمَاءُ أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة شَكَرَ اللهُ تَعَالى سَعْيَهُمْ بَذَلوا غَايَةَ جُهْدهِمْ في إثْبَات الرُّؤْيَة الأُخْرَوِيَّة ببَرَاهينَ نَقْليَّة، وَخَالفُوا في ذَلكَ جَميعَ الفرَق، فَإنَّهُ لَمْ يَقُل برُؤْيَة الحَقِّ جَل وَعَلا غَيْرُ أَهْل السُّنَّة أَحَدٌ مِنَ الفرَق المُخَالفينَ مليُّوهُمْ وَغَيْرُ مليِّيهِمْ بَل عَدُّوهَا مِنَ المُحَال العَقْليِّ وَأَهْل السُّنَّة أَيْضًا قَالوا إنَّهَا بلا كَيْف، وَإنَّهَا مَخْصُوصَةٌ بتلكَ النَّشْأَة، وَهَؤُلاء المَهْوُسُونَ يَزْعُمُونَ حُصُول هَذه الدَّوْلة البَاهرَة في هَذه النَّشْأَة الفَانيَة، وَصَارُوا مَسْرُورِينَ بمَنَامهِمْ وَخَيَالهِمْ {رَبَّنَا آتنَا مِنْ لدُنْكَ رَحْمَةً، وَهَيِّئْ لنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا}[2] {وَالسَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبعَ الهُدَى}[3] وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَليْه وَعَلى آله أَتَمُّ الصَّلوَات وَأَكْمَل التَّسْليمَات.

(١) ــ الآية: من سورة.

(٢) ــ الآية: ١٠ من سورة الكهف.

(٣) ــ الآية: من سورة.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالسَّبْعُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى المير مَنْصُور
في بَيَان حَقيقَة الكَائنَات
وَبَيَانِ الفَرْقِ بَيْنَ مَكْشُوفِ حَضْرَةِ شَيْخنَا وَمَكْشُوف صَاحِبِ الفُتُوحَات

إنَّ عَرْصَةَ هَذه الكَائنَات التي تَخَيُّل مُعَاينَة وَمَشْهُودَة وَمُنْبَسطَة وَمُسَطَّحَة وَطَويلَة وَعَريضَة هيَ عنْدَ حَضْرَة الشَّيْخ مُحْيي الدِّين بْنِ العَرَبيِّ وَتَابعيه حَضْرَةُ الوُجُود الذى لا مَوْجُودَ في الخَارجِ غَيْرُهُ، وَذَلكَ الوُجُودُ هُوَ ذَاتَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ الذى يُسَمُّونَهَا ظَاهرَ الوُجُود الذى بوَاسطَة انْعكَاسه في الصُّوَر العلميَّة المُتَكَثِّرَة التي يُسَمُّونَهَا بَاطنَ الوُجُود، وَيُقَال لَهَا الأَعْيَانُ الثَّابتَةُ، وَتَلَبُّسُهُ بهَا يَتَخَيَّل مُتَكَثِّرًا وَمُنْبَسطًا وَطَويلاً وَعَريضًا مَعَ كَوْنه عَلى وَحْدَته وَبَسَاطَته، وَيَقُولونَ إنَّ مَشْهُودَ الكُل وَمَحْسُوسَ الجَميع منَ العَوَامِّ وَالخَوَاصِّ في هَذه الصَّفْحَة في الكُسْوَة الكَوْنيَّة وَفي الصُّوَرِ وَالأَشْكَال المُتَمَايزَة هُوَ حَضْرَةُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ يَتَوَهَّمُ للعَوَامِّ عَالَمًا، وَالعَالَمُ لَمْ يَخرُجْ منْ مَوْطنِ العلمِ أَصْلاً، وَلَمْ يَشُمَّ رَائحَةً منَ الوُجُود الخَارجيِّ، وَالظَّاهرُ في مرْآة حَضْرَة الوُجُود هُوَ عُكُوسُ تلكَ الصُّوَر العلميَّة أَوْقَعَت العَوَامَّ في تَوَهُّمِ الوُجُود الخَارجيِّ بظُهُورهَا في الخَارجِ لمَوْلانَا الجَاميِّ عَلَيْه الرَّحْمَةُ (رباعى):

مَجْمُوعَة كَوْن رَابقًا نُون سَبَق   كَرديم تَفَحُّص وَرَقًا بَعْدَ وَرَق
حَقًّا كهْ نديديم وَنُهْ خواندم دراو   جَزًّا ذَات حَقّ وَشئون ذاتيهء حَقّ

وَمَا هُوَ مَكْشُوفٌ هَذَا الفَقيرُ وَمُعْتَقَدُهُ هُوَ أَنَّ هَذه العَرْصَةَ هيَ عَرْصَةُ الوَهْمِ وَهَذه الصُّوَر وَالأَشْكَال التي فيهَا هيَ صُورَةُ المُمْكنَات وَأَشْكَالهَا ثَبَتَتْ بصُنْعِ الله سُبْحَانَهُ في مَرْتَبَة الحسِّ وَالوَهْمِ وَصَارَتْ مُتْقَنَةً، وَكُل مَا هُوَ مَحْسُوسٌ مَشْهُودٌ في هَذه الصَّفْحَة فَهُوَ منَ المُمْكنَات، وَإنْ كَانَ تَوَهُّمُ ذَلكَ المَشْهُود لبَعْضِ السَّالكينَ وَاجبًا، وَظَهَرَ بعُنْوَان الحَقيَّة، وَلكنَّهُ منْ أَفْرَاد العَالَمُ هُوَ تَعَالى وَرَاءَ الوَرَاء وَمُنَزَّهٌ عَنْ رُؤْيَتنَا وَعلمنَا، مُبَرَّأٌ منْ كَشْفنَا وَشُهُودنَا

أَنَّى يُرَى للخَل نُورُ جَماله   وَبأَيِّ مرْآة يَكُونُ مُصَوَّرًا

غَايَةُ مَا في البَاب أَنَّ هَذه العَرْصَةَ المَوْهُومَةَ ظل تلكَ العَرْصَة الخَارجيَّة التي هيَ حَريَّةٌ بمَرْتَبَة الوُجُوبِ تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ كَمَا أَنَّ وُجُودَ هَذه المَرْتَبَة لوُجُود تلكَ

المَرْتَبَة، فَلوْ قيل لَمرْتَبَة الوَهْمِ هَذه باعْتبَار كَوْنهَا ظلاً لَمرْتَبَة الخَارِجِ خَارجًا لسَاغ كَمَا يُقَال لَهَا باعْتبَارِ الوُجُود الظِّلِّيِّ مَوْجُودًا أَيْضًا، وَعَرْصَةُ الوَهْمِ هَذه كَعَرْصَة الخَارِجِ منْ جُمْلَة نَفْسِ الأَمْر، وَلَهَا أَحْكَامٌ صَادقَةٌ، وَالْمُعَامَلَةُ الأَبَديَّةُ مَرْبُوطَةٌ بهَا كَمَا أَخْبَرَ به الْمُخْبَرُ الصَّادقُ عَلَيْه وَعَلَى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ

يَنْبَغي أَنْ يُلاحَظَ أَنَّ أَيًّا منْ هَذَيْنِ المَكْشُوفَيْنِ أَقْرَبُ إلى تَنْزِيه الله تَعَالى وَالْيَقُ بتَقْديسه سُبْحَانَهُ وَأُولى وَأَنْسَبُ بالنِّسْبَة إلى جَنَاب قُدُسه تَعَالى، وَأَيٌّ منْهُمَا مُنَاسبٌ لبدَايَة الحَال وَتَوَسُّطه، وَأَيُّهمَا مُنَاسبٌ لحَال الانْتهَاء، وَكَانَ هَذَا الفَقيرُ مُعَقِّدًا للمَكْشُوف الأَوَّل مُنْذُ سنينَ، وَمَرَّتْ عَلَيْه في ذَلكَ الْمَوْطنِ أَحْوَال عَجيبَةٌ وَمُشَاهَدَاتٌ غَريبَةٌ، وَحَصَل لهُ في ذَاكَ المَقَام حَظٌّ وَافرٌ، ثُمَّ صَارَ آخرَ الأَمْرِ بمَحْضِ فَضْل الله جَل شَأْنُهُ مَعْلومًا أَنَّ كُل مَا يَرَى وَيَعْلمُ فَهُوَ غَيْرُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ لازمُ النَّفْي، وَبَعْدَ اللتَيَّا وَالتى انْجرَّت الْمُعَامَلَةُ بكَرَمِ الله جَل شَأْنُهُ مَنَ النَّفْي إلى الانْتقَاء، وَزَال البَاطل الذى أَظْهَرَ نَفسَهُ بعُنْوَان الحَقِّ عَنِ الرُّؤْيَة وَالعلمِ وَحُصُول التَّعَلق بغَيْب الغَيْب، وَامْتَازَ الْمَوْهُومُ منَ الْمَوْجُود وَافْتَرَقَ القَديمُ منَ الحَادث، وَذَلكَ الحَاصل المَكْشُوفُ الثَّاني للمُؤَلف (رباعى) :

دُرْ عرصهء كَائنَات بادقه فَهُمْ ‏ بسَيَّار كذشيتم بسرعت جَوْن سَهْم

كَشْتيم هَمّه جَشَّمَ نديديم درو ‏ جزّ ظَل صفَات آمده ثَابت دروهم

المَكْتُوبُ الثَّمَانُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إِلى الفَقيرِ مُحَمَّد هَاشم الكُشْمِيِّ
فِي تَحْقيقِ مَرْتَبَةِ الوَهْمِ التِي ظَهَرَ العَالَمُ فِي تلكَ المَرْتَبَةِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلكَ

إِنَّ قَوْلَنَا للعَالَمِ مَوْهُومًا لا بِمَعْنَى أَنَّهُ مَنْحُوتُ الوَهْمِ وَمَجْعُولُهُ، كَيْفَ يَكُونُ مَنْحُوتَ الوَهْمِ؛ فَإِنَّ الوَهْمَ أَيْضًا مِنْ جُمْلَةِ العَالَمِ بَلْ بِمَعْنَى أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ خَلَقَ العَالَمَ فِي مَرْتَبَةِ الوَهْمِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الوَهْمُ مَوْجُودًا فِي ذَلكَ الوَقْتِ، وَلكِنَّهُ كَانَ فِي عِلمِ اللهِ تَعَالى، وَمَرْتَبَةُ الوَهْمِ عِبَارَةٌ عَنْ ظُهُورٍ بلا كَوْنٍ، وَوُجُودٍ كَمِثْلِ دَائِرَةٍ نَاشِئَةٍ مِنْ جَوَلانِ النُّقْطَةِ الجَوَّالَةِ حَيْثُ إِنَّ لَهَا ظُهُورًا وَلا وُجُودَ، وَالحَكِيمُ المُطْلَقُ جَلَّ سُلطَانُهُ خَلَقَ العَالَمَ فِي تلكَ المَرْتَبَةِ وَأَعْطَى الظُّهُورَ المَحْضَ ثُبُوتًا وَثَبَاتًا، وَأَخْرَجَهُ مِنَ الغَلَطِ إِلى الصِّحَّةِ، وَمِنَ الكَذِبِ إِلى الصِّدْقِ، وَجَعَلَهُ نَفْسَ الأَمْرِ ﴿وَلئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾(١) وَالمَرْتَبَةُ المَوْهُومَةُ مَرْتَبَةٌ عَجِيبَةٌ لا مُزَاحَمَةَ لَهَا بِالمَوْجُودِ أَصْلاً، وَلا تَدَافُعَ، وَلا تَثْبُتُ لَهُ جِهَةٌ مِنَ الجِهَاتِ، وَلا حَدَّ، وَلا نِهَايَةَ، كَمَا لا تَنَازُعَ للدَّائِرَةِ المَوْهُومَةِ مَعَ النُّقْطَةِ الجَوَّالَةِ المَوْجُودَةِ، وَلا جِهَةَ مِنَ الجِهَاتِ ثَابِتَةٌ لَهَا مَعَهَا، وَلَمْ يَحْدُثْ فِي النُّقْطَةِ نِهَايَةٌ أَصْلاً مِنْ حُدُوثِ الدَّائِرَةِ المَوْهُومَةِ حَيْثُ لا يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ إِنَّ النُّقْطَةَ فِي يَمِينِ الدَّائِرَةِ أَوْ فِي شِمَالِهَا أَوْ فِي قُدَّامِهَا أَوْ فِي خَلفِهَا أَوْ فَوْقِهَا أَوْ تَحْتِهَا، وَثُبُوتُ هَذِهِ الجِهَاتِ للدَّائِرَةِ إِنَّمَا هُوَ بِالنِّسْبَةِ إِلى الأَشْيَاءِ التِي لَهَا ثُبُوتٌ فِي مَرْتَبَتِهَا، وَأَمَّا مَا هُوَ كَائِنٌ فِي مَرْتَبَةٍ فَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الجِهَاتِ بِثَابِتٍ للدَّائِرَةِ مَعَهَا، وَأَيْضًا لَمْ يَثْبُتْ لِهَذِهِ النُّقْطَةِ حَدٌّ وَنِهَايَةٌ بِحُدُوثِ تلكَ الدَّائِرَةِ، بَلْ هِيَ عَلَى صَرَافَتِهَا، وَللهِ المَثَلُ الأَعْلَى.

يَنْبَغِي أَنْ يُعلَمَ: مِنْ هَذَا البَيَانِ حَالُ العَالَمِ مَعَ صَانِعِ العَالَمِ جَلَّ شَأْنُهُ بِأَنَّهُ لَمْ يُحدثْ لَهُ سُبْحَانَهُ مِنْ إِيجَادِ العَالَمِ حَدٌّ وَلا نِهَايَةٌ، وَلَمْ تَحْصُلْ لَهُ جِهَةٌ مِنَ الجِهَاتِ، وَهَذِهِ النِّسْبَةُ كَيْفَ تُتَصَوَّرُ هُنَاكَ، فَإِنَّهُ لا اسْمَ مِنْ هَؤُلاءِ فِي تلكَ المَرْتَبَةِ العَلْيَاءِ، وَلا رَسْمَ حَتَّى تُتَصَوَّرَ النِّسَبُ، وَطَائِفَةٌ مِنَ المَخْذُولِينَ تَوَهَّمُوا مِنْ قُصُورِ نَظَرِهِمْ حُصُولَ هَذِهِ النِّسَبِ وَثُبُوتَ الجِهَاتِ فِي حَقِّ صَانِعِ العَالَمِ جَلَّ شَأْنُهُ مَعَ العَالَمِ، وَنَفَوْا رُؤْيَتَهُ تَعَالى، وَزَعَمُوهَا مُحَالاً، وَقَدَّمُوا جَهْلَهُمُ المُرَكَّبَ وَتَصْدِيقَهُمْ

---

(١) ـــ الآية: من سورة.

للكَاذِبِ عَلى الكتَاب وَالسُّنَّة، وَظَنُّوا أَنَّهُ لوْ كَانَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ مَرْئيًا لكَانَ في جهَة مِنْ جهَات الرَّائي، وَذَلكَ مُسْتَلزِمٌ للحَدِّ وَالنِّهَايَة، وَقَدْ عُلم منَ التَّحْقيق السَّابق أَنَّ لا شَيْءَ في حَقِّه سُبْحَانَهُ ثَمَّ هَذه النِّسَبَ مَعَ العَالمِ سَوَاءٌ أَثْبَتَت الرُّؤْيَةَ أَوْ لا، فَتَكُونُ الرُّؤْيَةُ، وَلا تَحْدُثُ الجهَةُ، كَمَا تَحقَّقَ هَذَا المَعْنَى، أَمَا عَلمُوا أَنَّ هَذَا المَحْذُورَ لازمٌ أَيْضًا في وَقْت وُجُود العَالمِ، فَإِنَّ الصَّانعَ تَعَالى يَكُونُ في جهَة منَ العَالمِ، وَيَكُونُ أَيْضًا وَرَاءَ العَالمِ، وَهُوَ مُسْتَلزِمٌ للحَدِّ وَالنِّهَايَة، فَإِنْ قَالوا إِنَّهُ في جَميع جهَات العَالمِ، فَمَا يَقُولونَ في حَقِّ لزُوم الحَدِّ وَالنِّهَايَة اللازمِ للوَرَائيَّة، وَأَيْضًا الفَسَادُ وَالمَحْذُورُ في ثُبوت الجهَة إِنَّمَا هُوَ لاسْتلزَامهَا النِّهَايَةَ، وَهيَ بنَفْسهَا لازمَةٌ هُنَا وَالخَلاصُ منْ هَذَا المَضيق إِنَّمَا هُوَ في اخْتيَار قَوْل الصُّوفيَّة أَعْني قَوْلهُمْ للعَالمِ مَوْهُومًا فَيحْصُل، التَّخَلصُ حينَئذ منْ أَشْكَال الجهَة وَالنِّهَايَة، وَلا مَحْذُورَ في القَوْل، بأَنَّهُ مَوْهُومٌ أَصْلاً، فَإِنَّ لهُ أَحْكَامًا صَادقَةً كَالمَوْجُود، وَالمُعَامَلةُ الأَبَديَّةُ وَالتَّنَعُّمَاتُ وَالتَّعْذيبَاتُ السَّرْمَديَّةُ مَرْبُوطَةٌ به، وَالمَوْهُومُ الذى قَال به السُّوفسْطَائيَّةُ المَجَانينُ شَيْءٌ آخَرُ، فَإِنَّهُ مُخْتَرَعُ الوَهْم وَمَنْحُوتُ الخَيَال شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا.

وَلنَرْجعْ إِلى أَصْل الكَلامِ، فَنَقُول إِنَّهُ لا جهَةَ للدَّائرَة المَوْهُومَة النَّاشئَة منَ النُّقْطَة الجَوَّالة بالنِّسْبَة إِليْهَا، بَل هيَ خَارجَةٌ منْ جَميع جهَاتهَا، فَلوْ صَارَتْ تلكَ الدَّائرَةُ فَرْضًا بتَمَامهَا بَصَرًا لرَأَت النُّقْطَةَ منْ غَيْر جهَة البَتَّةَ؛ لأَنَّ الجهَةَ مَفْقُودَةٌ بَيْنَهُمَا، وَفيمَا نَحْنُ فيه أَيْضًا لوْ صَارَ الرَّائي بتَمَامه بَصَرًا، وَرَأَى الحَقَّ جَل وَعَلا بلا جهَة أَيُّ مَحْذُور يَلزَمُ فيه وَالمُؤْمنُونَ يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ في الجَنَّة بكُليَّتهمْ، وَلا يُثْبتُ جهَةً أَصْلاً وَبحُكْمِ تَخَلقُوا بأَخْلاق الله تُحْصَل هَذه الدَّوْلةُ للأَوْليَاء في الدُّنْيَا وَيَصيرُونَ بكُليَّتهمْ بَصَرًا، وَإِنْ لمْ تَكنْ رُؤْيَةً، فَإِنَّهَا مُخْتَصَّةٌ بالآخرَة، وَلكنَّ لهَا حُكْمَ الرُّؤْيَة، وَإِنَّمَا قُلتُ تَخَلقُوا بأَخْلاق الله، فَإِنَّهُمْ قَالوا في الوَاجب تَعَالى ذَاتُهُ كُلهَا بَصَرٌ، وَكُلهَا سَمْعٌ، وَكُلهَا علمٌ، وَللمُتَخَلقينَ نَصيبٌ منْ هَذه الأَخْلاق البَتَّةَ، وَكُل صفَة منْ صفَاتهمْ تَأْخُذُ في ذَلكَ المَقَام حُكْمَ كُليَّتهمْ، فَيَصيرُونَ بكُليَّتهمْ بَصَرًا مَثَلاً، وَيُعْطَى سَائرُ المُؤْمنينَ هَذه النِّسْبَةَ في الآخرَة، فَيَتَشَرَّفُونَ هُنَالكَ بدَوْلة الرُّؤْيَة إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالى، وَلا يَلزَمُ عَلى هَذَا التَّقْدير مَحْذُورٌ وَاشْتبَاهٌ أَصْلاً، وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلمُ بحَقيقَة الحَال.

المَكْتُوبُ الحَادِي وَالثَّمَانُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى القَاضِي مُوسَى شوحين
فِي التَّرْغِيبِ فِي التِزَامِ الشَّرِيعَةِ وَصُحْبَةِ أَرْبَابِ الجَمْعِيَّة

بَعْدَ الحَمْدِ للهِ وَالصَّلَوَاتِ وَتَبْلِيغِ الدَّعَوَاتِ :

أَنْهَى أَنَّ أَحْوَالَ فُقَرَاءِ هَذِهِ الحُدُودِ مُسْتَوْجِبَةٌ لِلحَمْدِ، وَسَرَّتِ الصَّحِيفَةُ الشَّرِيفَةُ المُرْسَلَةُ مَعَ الدَّرْوِيشِ رحم عَلى بِوُصُولِهَا رَزَقَكُمُ اللهُ السَّلامَةَ وَالاسْتِقَامَةَ، وَانْدَرَجَ فِيهَا طَلَبُ النَّصَائِحِ.

أَيُّهَا المَخْدُومُ: النَّصِيحَةُ هِيَ الدِّينُ وَمُتَابَعَةُ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالتَّسْلِيمَاتُ غَايَةُ مَا فِي البَابِ أَنَّ لِلمُتَابَعَةِ أَقْسَامًا، قِسْمٌ مِنْهَا إِتْيَانُ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّة، وَبَاقِي الأَقْسَامِ ذَكَرَهَا الفَقِيرُ بِالتَّفْصِيلِ فِي مَكْتُوبٍ حَرَّرَهُ لِبَعْضِ المُحِبِّينَ آمْرُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالى بِإِرْسَال ، نَقْلِه إِلَيْكُمْ.

وَبالجُمْلَة: إِنَّ مَدَارَ الإِفَادَةِ وَالاسْتِفَادَةِ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ عَلى صَاحِبِهِ لا يُكْتَفَى فِيهَا بِالقَوْلِ وَالكِتَابَة؛ قَالَ حَضْرَةُ الخَوَاجة النَّقْشَبَنْد قُدِّسَ سِرُّهُ إِنَّ طَرِيقَتَنَا صُحْبَةٌ فَضْلُ أَصْحَابِ خَيْرِ البَشَرِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلاةُ، وَالسَّلامُ عَلى غَيْرِهِمْ مِنْ أَوْلِيَاءِ الأُمَّةِ بِالصُّحْبَةِ حَتَّى لا يَبْلغَ وَلِيٌّ مِنَ الأَوْلِيَاءِ مَرْتَبَةَ صَحَابِيٍّ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ الوَلِيُّ أُوَيْسًا القَرَنِيَّ لَمَسْئُولٌ مِنَ الأَخَوَانِ الدُّعَاءُ بِسَلامَةِ الإِيمَانِ ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾[1] وَقَلبَ رَحِمٍ عَلى وَرَقَتِه، وَرِزْقَ الصَّلاحِ وَالإِصْلاحَ أَعْطَاهُ الحَقُّ سُبْحَانَهُ الاسْتِقَامَةَ، وَالسَّلامُ.

---

(١) ـــ الآية: ١٠ من سورة الكهف.

المَكْتُوبُ الثَّاني وَالثَّمانُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى مَوْلانَا إسْحَاقَ بْنِ القَاضي مُوسَى
في التَّحْرِيضِ عَلى صُحْبَة أَرْبَابِ الجَمْعيَّة

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى، وَصَل المَكْتُوبُ الشَّريفُ المُرْسَل مَعَ الدَّرْويشِ رَحمَ عَلي وَلَمَّا كَانَ مُنبِّأً عَنِ الذَّوْق وَالشَّوْق أَوْرَثَ المَسَرَّةَ، وَحَصَل الفَرَحُ منْ مُطَالعَة مَا كَتَبْتُمْ في وَرَقَة عَلى حدَة منَ الوَاقعَة التي ظَهَرَتْ لكُمْ، وَاعْلَمْ أَنَّ مثْل هَذه الوَاقعَة منَ المُبَشِّرَات يَنْبَغي السَّعْيُ حَتَّى يَخْرُجَ الأَمْرُ منَ القُوَّة إلى الفعْل وَمنَ المُرَاسَلة إلى المُعَانَقَة، وَتَدَارُكُ التَّقْصير اليَوْمَ مُمْكنٌ فَيَنْبَغي اغْتنَامُ الفُرْصَة دُونَ أَنْ يُسَوِّفَ في الأَمْرِ وَيُؤَخِّرَ قَال حَضْرَةُ الخَوَاجَة أَحْرَار قُدِّسَ سرُّهُ كُنَّا مَعَ جَمَاعَة منَ الدَّرَاويشِ فَجَرَى الكَلامُ بَيْنَنَا في السَّاعَة المُسْتَجَابَة المُودَعَة في يَوْمِ الجُمْعَة بأَنَّهَا إذَا تَيَسَّرَتْ مَاذَا يَنْبَغي أَنْ يُطْلبَ منَ الله تَعَالى فيهَا؟ فَقَال كُل أَحَد كَلامًا، فَمَا بَلغْتُ النَّوْبَةَ إلى قُلتُ يَنْبَغي أَنْ يُطْلبَ فيهَا صُحْبَةُ أَرْبَاب الجَمْعيَّة، فَإنَّ جَميعَ السَّعَادَات الانْتفَاعُ به، ثُمَّ إنَّ أَخي الشَّيْخَ كَريمَ الدِّين جَاءَ مُنْذُ مُدَّة، وَلعَلهُ يَكْتُبُ إلَيْكُم منْ أَحْوَاله، وَالمُتَوَقَّعُ منَ الأَحْبَاب الدُّعَاء ﴿رَبَّنَا أَتْممْ لنَا نُورَنَا وَاغْفرْ لنَا إنَّكَ عَلى كُل شَيْءٍ قَدير﴾(١) وَالسَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبعَ الهُدَى وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلوَاتُ وَالتَّسْليمَاتُ.

(١) ــ الآية: ٨ من سورة التحريم.

المَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالثَّمانُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى جَنَابِ المَخْدُومِ زَادَهْ مُحَمَّد عُبَيْد الله
في بَيَانِ التَّمييزِ بَيْنَ دَقَائِقِ المَوْهُومِ الذى هُوَ العَالَمُ وَبَيْنَ المَوْجُودِ الحَقِيقِيِّ الذى هُوَ صَانِعُ العَالَمِ

وَلله المَثَل الأَعْلى، إنَّ النُّقْطَةَ الجَوَّالَةَ التي نَشَأَتْ منْهَا الدَّائرَةُ في الوَهْمِ كَمَا أَنَّهَا مَوْجُودَةٌ في الخَارِجِ مَوْجُودَةٌ في الوَهْمِ أَيْضًا، وَلكِنَّ وُجُودَهُ هُنَاكَ بلا نقَاب ظُهُورُ الدَّائرَة، وَهُنَا بهَذَا النِّقَاب، وَكَوْنُهَا مَوْجُودَةً في الخَارجِ لا بمَعْنَى أَنَّ لهَا في كلا المَرْتَبَتَيْنِ وُجُودًا عَلى حدَة، كَلا بَل لَهَا وَجُودًا وَاحدًا في الخَارِجِ، وَالوَهْمُ هُنَاكَ بلا نقَاب الدَّائرَة، وَهُنَا مَعَ النِّقَاب، وَهَذه الدَّائرَةُ المَوْهُومَةُ التي لَهَا ظُهُورٌ في الوَهْمِ بلا وُجُود إنَّمَا حَدَثَتْ مَنْ غلط الحسِّ، فَإنْ جَعَلتَ في تلكَ المَرْتَبَة مَوْجُودَةً، وَأَعْطَيْتَ ثَبَاتًا وَاسْتقْرارًا وَظُهُورًا بالوُجُود لخَرَجْتَ منْ غلط الحسِّ البَتَّةَ، وَصَارَتْ منْ جُمْلة نَفْس الأَمْر، وَتَرَتَّبَ عَلَيْهَا أَحْكَامٌ صَادقَةٌ، فَلهَذه الدَّائرَة في الوَهْمِ حَقيقَةٌ وَصُورَةٌ، فَحَقيقَتُهَا هيَ النُّقْطَةُ الجَوَّالةُ التي هيَ بهَا قَائمَة، وَصُورَتُهَا هيَ الدَّائرَةُ نَفْسُهَا التي عَرَضَ لَهَا فيه ثُبوتٌ وَثَبَاتٌ، وَهيَ الصُّورَةُ وَإنْ لَمْ تَكُنْ عَيْنَ تلكَ الحَقيقَة لثُبوت أَحْكَام مُتَمَايزَة فيهَا وَلكنَّهَا لَيْسَتْ ببَعيدَة عَنِ الحَقيقَة وَمُنْفَكَّة عَنْهَا، فَإنَّ المُتَخَيَّل بهَذَا الظُّهُور هُوَ الحَقيقَةُ

إنْ أَرْوِي لغَيْري حينَ أُذَكِّرُهُ بذكْرِ زَيْنَبَ عَنْ لَيْلى فَأُوهمُهُ

قَال حَضْرَةُ الشَّيْخِ مُحْيي الدِّين بْن العَرَبيِّ قُدِّسَ سرُّهُ في ه، ذَا المَقَام إنْ شئْتَ قُلتَ إنَّهُ حَقٌّ، وَإنْ شئْتَ قُلتَ إنَّهُ خلقٌ، وَإنْ شئْتَ قُلتَ إنَّهُ منْ وَجْه حَقٌّ، وَمنْ وَجْه خلقٌ، وَإنْ شئْتَ قُلتَ بالحَيْرَة ؛ لعَدَم التَّميُّز بَيْنَهُمَا.

يَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ هَذَا التَّميُّزَ بَيْنَ الحَقيقَة وَالصُّورَة، وَإنْ كَانَ في الوَهْم، وَلكنْ لَمَّا صَارَت الصُّورَةُ مَوْجُودَةً في تلكَ المَرْتَبَة بإيجَاد الله تَعَالى، وَحَصَل لَهَا فيهَا ثَبَاتٌ وَتَقَرُّرٌ كَانَتْ منْ جُمْلة نَفْس الأَمْر البَتَّةَ، وَحَصَل لَهَا تَمَيُّزٌ، مُطَابقٌ لنَفس الأَمْر، وَصَارَتْ مَوْجُودَةً خَارجيَّةً بطَريق الظِّلِّيَّة، فَإنْ وُجدَ الصُّورَةُ كَمَا أَنَّهُ ظَل وُجُودُ الحَقيقَة كَذَلكَ كَانَتْ ، مَرْتَبَةُ الظُّهُور بَعْدَ حُصُول الكَوْن وَالوُجُود ظل الخَارِجِ أَيْضًا، فلمَّا كَانَ التَّميُّزُ بَيْنَ الحَقيقَة وَالصُّورَة بحَسَب نَفْس الأَمْر بَل كَانَ خَارجيًا امْتَنَعَ حَمْل إحْدَاهُمَا عَلى الأُخْرَى، وَلَمْ تَكُنْ إحْدَاهُمَا عَيْنَ الآخَر، وَمَنْ قَال بعَيْنيَّتهمَا فَهُوَ لَمْ يَفْهَمْ غَيْرَ التَّميُّز الوَهْميِّ، وَلَمْ يَثْبُتْ عنْدَهُ غَيْرُ الامْتيَاز العلميِّ

سُبْحَانَ اللهِ قَدْ صَارَتْ مَرْتَبَةُ الوَهْمِ بِوَاسِطَةِ إيجَادِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ الوَاقِعِ في تِلكَ المَرْتَبَةِ خَارِجًا، وَنَفْسُ الأَمْرِ وَصَارَتْ مَا وَرَآءَ العِلمِ وَالخَارِجِ المُتَعَارفَيْنِ، وَلَمَّا صَارَتْ هَذِه المَرْتَبَةُ خَارِجًا مُيِّزَتْ فِيهَا مَرْتَبَةُ الوَهْمِ وَصَارَتِ النُّقْطَةُ مَوْجُودَةً خَارِجيَّةً، وَالدَّائِرَةُ النَّاشِئَةُ مِنْهُ سُمِّيَتْ مَوْهُومَةً، وَالعَجَبُ أَنَّ الصُّورَةَ التي هِيَ نَاشِئَةٌ مِنَ الحَقِيقَةِ، وَكُل مَا فِيهَا حَاصِل فَهُوَ مِنَ الحَقِيقَةِ وَلا انْفِكَاكَ لَهَا عَنِ الحَقِيقَةِ أَصْلاً قَد اقْتَرَفَتْ عَنِ الحَقِيقَةِ بِلا اخْتِيَارٍ، وَأَخْرَجَتْ مِنَ التَّوَهُّمِ إلى التَّحَقُّقِ، وَصَارَ التَّمَيُّزُ الوَهْمِيُّ خَارِجيًّا يَنْبَغِي أَنْ يُلاحَظَ قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُل شَيْءٍ﴾(١).

هُنَا ــ حَيْثُ صَيَّرَ الشَّيْءَ المَحْضَ بِقُدْرَتِهِ الكَامِلَةِ شَيْئًا عَالِمًا بَصِيرًا قَادِرًا مُرِيدًا ــ قَال وَاحِدٌ مِنَ الأَكَابِرِ

جونكه اوشد جَشْمَ كوش وَدَسْتْ وَباى ... خيْره أمْ دُرْ جَشْمَ بندَى أيّ خداى

وَلا مَجَال لِرَبْطِ العَيْنِ، فَإِنَّ رَبْطَ العَيْنِ إنَّمَا يَثْبُتُ في مَحَل يُرَى فِيهِ غَيْرُ الوَاقِعِ وَاقِعيًا، وَهُنَا قَدْ صَيَّرَ قُدْرَةُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ غَيْرَ الوَاقِعِ وَاقِعًا، وَجَعَلَ الأَحْكَامَ الكَاذِبَةَ التي كَانَتْ في تِلكَ المَرْتَبَةِ صَادِقَة وَالشَّيْخُ يَقُول بِعَدَمِ التَّمَيُّزِ بَيْنَهُمَا، وَالحَال أَنَّ بَيْنَ العَبْدِ وَالرَّبِّ مَسَافَةَ خَمْسِينَ الفَ سَنَة، قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿تَعْرُجُ المَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلفَ سَنَةٍ﴾(٢) إشَارَةً إلى ذَلكَ وَالشَّيْخُ بِنَفْسِهِ أَيْضًا مُعْتَرِفٌ بِبُعْدِ الطَّرِيقِ هَذَا، وَلِهَذَا قَال بِالحَيْرَةِ وَلا يَظُنَّنَّ الأَبْلَهُ مِنْ بُعْدِ الطَّرِيقِ أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ بَعِيدٌ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ قَرِيبٌ، بَل أَقْرَبُ إلى العَبْدِ مِنْ نَفْسِ العَبْدِ، بَل هَذَا البُعْدُ إِنَّمَا هُوَ بِاعْتِبَارِ الدَّرْكِ وَالمَعْرِفَةِ لا بِاعْتِبَارِ المَكَانِ وَالمَسَافَةِ، وَالنُّقْطَةُ الأَخِيرَةُ مِنَ الدَّائِرَةِ أَقْرَبُ النُّقَطِ إلى المَبْدَأ، وَلكِنْ لَمَّا جُعِلَ ظَهْرُهَا إلى جَانِبِ المَبْدَأ، وَوَجْهُهَا إلى طَرَفٍ آخَرَ وَقَعَ وِجْدَانُهُ مَعَ وُجُودِ قُرْبِهِ مِنَ المَبْدَأ بَعِيدًا وَمَرْبُوطًا بِطَيِّ جَمِيعِ النُّقَطِ

أى كَمَان وَتيرهَا برساخته ... صَيْد نزديك تودور اندراخته
هركه دوراندا زترا وَدورتر ... ازجنين صَيْد است وَمهجورتر

نَعَمْ مَنْ لَمْ يَقِسْ شَدِيدُ البُعْدِ لا يُعْرَفْ قَدَرَ المُقَرَّبِ، مَا صَنَعَ اللهُ سُبْحَانَهُ فَهُوَ خَيْرٌ ﴿وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى﴾(٣).

---

(١) ــ الآية: من سورة.

(٢) ــ الآية: من سورة.

(٣) ــ الآية: من سورة.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالثَّمَانُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إِلَى جَنَاب الخَوَاجَة حُسَام الدِّين أَحْمَدَ
فِي بَيَان أَنَّ تَلوينَات العَسْكَر تَمْكينٌ لأَرْبَاب الجَمْعيَّة
مَعَ جَوَاب اسْتفْسَاره عَنْ قرَاءَة المَوْلد

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى، قَدْ تَشَرَّفْتُ بمُطَالعَة الصَّحيفَة الشَّريفَة وَمُلاحَظَة المُلاطَفَة المُنيفَة المُرْسَلة باسْم هَذَا الفَقير عَلى وَجْه الكَرَم وَالشَّفَقَة لله سُبْحَانَهُ، الحَمْدُ وَالمنَّةُ عَلَى صحَّتكُمْ وَعَافيَتكُمْ وَعَدَم خُلوِّكُمْ عَنْ تَفقُّد أَحْوَال الأَحْبَاب المَهْجُورينَ، وَأَحْوَال فُقَرَاء هَذه الحُدُود، وَأَوْضَاعُهُمْ مُسْتَوْجبَةٌ للحَمْد حَيْثُ إنَّ في عَيْن البَلاء عَافيَةً وَفي مَظَانِّ التَّفرقَة جَمْعيَّةً، وَالأَوْلادُ وَالأَحْبَابُ الذينَ في الرِّفَاقَة تَمُرُّ أَوْقَاتُهمْ عَلَى الجَمْعيَّة وَأَحْوَالُهُمْ في التَّرقِّي وَالتَّزَايُدُ وَالعَسْكَرُ في حَقِّهمْ خَانَقَاهُ مَحْضٌ، وَنَصيبهُمْ في عَيْن تَلوينَات العَسْكَر جَمْعيَّةٌ وَهُمْ في عَيْن التَّعلقَات الشَّتَّى التي هيَ منْ لوَازم هَذَا المَوْطن مُتَوَجِّهُونَ إلى مَطْلب وَاحد وَمَشْغُوفُونَ به لا شُغْل، لأَحَد مَعَهُمْ وَلا ضَرَرَ عَلَيْهمْ منْ أَحَد، وَمَعَ ذَلكَ هُمْ مَسْلوبُو الاعْتبَار، وَبدَوْلة الحَبْس وَالقَيْد لَهُمْ اشْتهَارٌ، يَا لَهُ منْ حَبْسٍ لا يُشْتَرَى في عوَضه الخَلاصُ يَجُوزُ، وَيَا لَهُ منْ قَيْد لَيْسَ للإطْلاق في جَنْبه مقْدَارُ مَوْزٍ الحَمْدُ لله سُبْحَانَهُ وَالمنَّةُ عَلى ذَلكَ وَعَلى جَميع نعْمَائه.

أَيُّهَا المَخْدُومُ: إنَّ المَقْصُودَ منْ إرْسَال الكتَاب إلى قُرَّة العَيْن إظْهَارُ التَّحَسُّر عَلى فَوْت بَعْض النِّعَم التي كَانَ حُصُولهَا مُتَوَقَّعًا في جوَار الوَطَن، وَالمَجيءُ إلى العَسْكَر وَالصُّحْبَةُ فيه مَرْبُوطٌ بصَلاحهمْ، فَإنَّ مَعْرفَتَهُمْ بأَوْضَاع العَسْكَر أَكْثَرُ، وَإطْلاعَهُمْ عَلى نَفْع هَذَا المَوْطن وَضَرَره أَزْيَدُ وَأَوْفَرُ وَانْدَرَجَ فيهَا أَنَّهُ إنْ كَتَبْتُ أَنَّهُ لا تُصيبُهُمْ آفَةٌ يَذْهَبُونَ هُنَاكَ الغَيْبَ عنْدَ الله تَعَالى، وَلَكنْ حَمْدًا لله سُبْحَانَهُ لَمْ تُصبْ أَحَدًا منَ الأَصْحَاب وَالرُّفَقَاء بكَرَم الله سُبْحَانَهُ آفَةٌ التَّفْرقَةُ إلى الآن مَعَ كَثْرَة الاخْتلاط بأَرْبَاب التَّفْرقَة، وَلَمْ يَمْتَنعْ أَحَدٌ منْهُمْ عَن المَطْلب، وَانْدَرجَ أَيْضًا مَا في بَاب قرَاءَة المَوْلد مَا المُضَايَقَةُ في نَفْس قرَاءَة القُرْآن وَقرَاءَة القَصَائد النَّعْتيَّة وَالمَنَاقب بصَوْت حَسَن، وَالمَنْهيُّ عَنْهُ هُوَ تَحْريفُ حُرُوف القُرْآن وَتَغْييرُهَا وَالتزَامُ رعَايَة أَوْزَان النَّغْمَة وَتَرْديد الصَّوْت بهَا بطَريق الالحَان مَعَ تَصْفيق مُنَاسب

لَهَا غَيْرِ مُبَاحٍ فِي الشِّعْرِ أَيْضًا، فَإِنَّ قَرَأُوا عَلى نَهْجٍ لا يَقَعُ تَحْرِيفٌ فِي كَلمَاتِ القُرْآنِ وَلا تَتَحقَّقُ الشَّرَائِطُ المَذْكُورَةُ فِي قِرَاءَةِ القَصَائِدِ وَكَانَتْ قِرَاءَتُهَا بِغَرَضٍ صَحِيحٍ فَمَا المَانِعُ حِينَئذ.

أَيُّهَا المَخْدُومُ: قَدْ يَقَعُ فِي خَاطِرِ الفَقِيرِ أَنَّهُ لَمْ يَنْسَدَّ هَذَا البَابُ مُطْلقًا لا يَمْتَنِعُ عَنْهُ المَهُوسُونَ فَلوْ جَوَّزْنَا فِي القَليلِ لِيَنْجَرَّ إِلى الكَثِيرِ قَليلهُ يُفْضِي إِلى كَثِيرِه قَوْل مَشْهُورٌ، وَالسَّلامُ.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالثَّمَانُونَ بَعْدَ الأَرْبعمائة
إلى حَضْرَة المَخْدُومِ زَادَهْ الخَوَاجَة مُحَمَّد سَعِيد
في أَسْرَارِ صفة الحَيَاة التي هيَ فَوْقَ العلمِ
وَبَيَانِ أَنَّ العلمَ كَمَا أَنَّهُ منَ الصِّفَات الزَّائدَة كَذَلكَ هِيَ مِنَ الشُّئُون الغَيْرِ الزَّائدَة أَيْضًا وكَذَا سَائرُ الصِّفَات

اعْلَمْ أَنَّ حَضْرَةَ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ بْنِ العَرَبِيّ قُدِّسَ سِرُّهُ وَمُتَابعَة الذينَ أَثْبَتُوا التَّنَزُّلات الخَمْسَ اعْتَبَرُوا التَّعَيُّنَ الأَوَّل منْ إجْمَال حَضْرَة العلم، وَقَالوا لهُ الحَقيقَةَ المُحَمَّدِيَّةَ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، وَاعْتَقَدُوا انْكشَافَ ذَلكَ التَّعَيُّنِ تَجَليًا ذَاتِيًّا، وَاعْتَقَدُوا مَا فَوْقَهُ التَّعَيُّنُ الذى هُوَ مَرْتَبَةُ الذَّات البَحْت وَالأَحَديَّة المُجَرَّدَة منْ جَميعِ النِّسَب وَالاعْتبَارَات الأَقْدَسَ بوَاسطَة عُلوِّه وَاحدًا منْ هَذَيْنِ النَّقيضَيْنِ، فَإذَا كَانَ جَميعُ النِّسَب وَالاعْتبَارَات مَسْلوبَةً عَنْ تلكَ الحَضْرَة فَالعلمُ وَعَدَمُ العلمِ اللذَان منْ جُمْلة النِّسَب يَكُونَان مَسْلوبَيْنَ أَيْضًا وَالذي لا بُدَّ لَهُ منَ النِّسَب وَالاعْتبَارَات، وَلا يَكُونُ فيه رَفْعُ النَّقيضَيْنِ وَلا جَمْعُهُمَا هُوَ المُمْكنُ، وَخَالقُ النِّسَب وَالاعْتبَارَات مُنَزَّهٌ عَنِ النِّسَب وَالاعْتبَارَات، وَقيَاسُ الغَائب عَلى الشَّاهد مُمْتَنعٌ فِي ذَلكَ المَوْطنِ، أَوْ نَقُول إنَّ انْتفَاءَ العلمِ الخَاصِّ لا يَسْتَلزِمُ عَدَمَ العلمِ المُطْلَق بَل يَسْتَلزمُ عَدَمَ العلمِ الخَاصِّ الذى هُوَ مُتَضَمِّنٌ لشَائبَة الظِّلِّيَّة فَعَلى هَذَا التَّقْديرِ لا يَلزَمُ مَحْذُورٌ أَصْلاً، وَلا يَكُونُ إرْتفَاعُ النَّقيضَيْنِ ؛ فَافْهَمْ.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَم: أَنَّ العلمَ الذى هُوَ منَ الشُّئُون الذَّاتيَّة لا مُنَاسَبَةَ لَهُ أَصْلاً بالعلمِ الذى هُوَ منَ الصِّفَات، الزَّائدَة، وَإنْ كَانَ أَصْل هَذَا العلم هُوَ ذَاكَ العلمُ، فَإنَّ الصِّفَات الزَّائدَةَ ظل الشَّأْن الذَّاتيِّ، وَثَمَّةَ كُلهُ انْكشَافٌ في انْكشَاف، وَحُصُول فِي عَيْنِ الحُضُور، وَمنْ عُلوِّ دَرجَته لا يَقْدرُ الجهْل أَنْ ، يَقَعَ في الطَّرَف المُقَابل لهُ، وَأَنْ يَقُومَ بنُقَاضَته بخلاف صفَة العلم، فَإنَّ الجهْل قَائمٌ بنُقَاضَتها، وَإنْ كَانَ وُقُوعُهُ غَيْرَ جَائزٍ، وَاحْتمَال النَّقيضِ لهُ هَذَا صَارَ بَاعثًا عَلى انْحطَاطه وَمَنْعه منَ التَّعَلي بجَنَاب القُدُس، فَإنَّ كُل مَا فيه احْتمَال النَّقيضِ أَيُّ كَمَال كَانَ لا مَجَال لَهُ في تلكَ الحَضْرَة القُدْرَةُ التي أَثْبَتُوهَا في تلكَ المَرْتَبَة المُقَدَّسَة مَثَلاً هِيَ القُدْرَةُ التي عَجزَ فِي مُقَابَلته بخلاف صفَة القُدْرَة، فَإنَّ فيهَا ، احْتمَال النَّقيضِ، وَإنْ لَمْ يَكُنْ

وَاقِعًا، وَعَلَى هَذَا القِيَاسِ جَمِيعُ الشُّئُون وَالصِّفَات الوَاجِبَة تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ لِشَأْن العِلم مُنَاسَبَةٌ بِصِفَة العِلم أَصْلاً كَيْفَ يَكُونُ لِعلم المَخْلُوقَات مُنَاسَبَةٌ بِهَذَا الشَّأْن عَظِيمَ الشَّأْن؟ وَكَيْفَ يُتَصَوَّرُ لَهُ تَعَلقٌ بِتلكَ المَرْتَبَة المُقَدَّسَة إِلا أَنْ يَكُونَ مِنَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ رِعَايَةً وَعِنَايَةً لِلعَبْد، فَأَعْطَى لانْكشَافه النَّاقِص جَلاءً مِنْ عِنْد انْكشَافه، وَأَعْطَاهُ البَقَاءَ الأَكْمَل مِنْ عِنْده بَعْدَ الفَنَاءِ الأَتَمِّ، فَفِي هَذَا الوَقْت يُمْكِنُ أَنْ يَحْصُلَ لَهُ تَعَلقٌ لا كَيْفِيٌّ بِتلكَ المَرْتَبَة المُقَدَّسَة، وَيَبْلغ مَبْلغًا يَقْصُرُ دُونَهُ، الأَصْل وَيَصِل إِلى أَصْل الأَصْل مُتَجَاوِزُونَ الأَصْل وَأَصْل الأَصْل أَيْضًا وَيَبْلغُونَ مَبْلغًا يَبْقَى الأَصْل كَالظِّل فِي الطَّرِيق ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾(١) وَالسَّلامُ.

---

(١) ـــ الآية: ٥٤ من سورة المائدة، والآية: ٢١ من سورة الحديد، والآية: ٤ من سورة الجمعة.

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالثَّمَانُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى حَضْرَةِ المَخْدُومِ زَادَهْ الخَوَاجَة مُحَمَّد مَعْصُوم
في شَرْحِ كَلامِ صَاحِب الفصُوص في بَيَان تَجَلي الذَّات
وَتَحْقِيقِ الرَّأْيِ الخَاصِّ بحَضْرَةِ شَيْخنَا وَلَمْ يَتِمَّ هَذَا المَكْتُوبُ اتِّفَاقًا

الحَمْدُ للهِ وَسَلامٌ عَلى عِبَادِهِ الذينَ اصْطَفَى قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ العَرَبِيِّ قُدِّسَ سِرُّهُ وَالتَّجَلي مِنَ الذَّات لا يَكُونُ إلا بصُورَةِ المُتجلى لهُ، مَا رَأَى سِوَى صُورَته في مرْآة الحَقِّ، وَمَا رَأَى الحَقَّ، وَلا يُمْكِنُ أَنْ يَرَاهُ، وَالمُرادُ مِنْ مرْآة الذَّات هُوَ الشَّأْنُ الذَّاتيُّ الذى ظلهُ الاسْمُ الزَّائدُ الذى هُوَ مَبْدأٌ لتَعَيُّنِ المُتجَلى لهُ، فَإنَّ لكُل اسْمٍ زَائد هُوَ مَبْدَأٌ لتَعَيُّنٍ مِنْ تَعَيُّنَات المَخْلوقَات أَصْلاً في مَرْتَبَة الذَّات، وَهُوَ الشَّأْنُ الذى هُوَ مُجَرَّدُ اعْتبَارٍ في الذَّات كَمَا حَقَّقْتُ في غَيْرِ مَوْضعٍ وَلَيْسَ المُرَادُ مِنْهُ الذَّاتُ مُطْلقًا، فَإنَّ المُطْلقَ لا يَكُونُ مرْآةً للمُقَيَّد، وَلَمَّا كَانَت المرْآةُ مُقَيَّدَةً مثْلَ الصُّورَة الكَائنَة فيهَا، وَأَصْلاً لأَصْلِ تلكَ الصُّورَة لا جَرَمَ بتَجَلي المرْآة في نَظَرِ المُتجَلى لهُ بصُورَته الكَائنَة فيهَا منْ غَيْرِ زيَادَة وَلا نُقصَانٍ؛ لأَنَّ تَجَليَ ذَلكَ الشَّأْن وَظُهُورَهُ في هَذه المَرْتَبَة التي وَقَعَ التَّجَلي فيهَا لا يَكُونُ إلَّا بهَذه الصُّورَة التي كَانَ المُتجَلى لهُ عَلَيْهَا إلا أَنَّ ظُهُورَهُ بهَذه الصُّورَة لغنَائه وَعَدَم تَعَلقه بالعَالم مَشْرُوطٌ بتَوَسُّط الاسْمِ الظِّليِّ الذى هُوَ مَبْدَأٌ لتَعَيُّنِ صُورَة المُتجَلى لهُ، وَهَذه المرْآةُ المُقَدَّسَةُ مُبَاينَةٌ لسَائر المَرَايَا، فَإنَّ ظُهُورَ الصُّورَة في تلكَ المَرَايَا كَائنٌ في زَاوِيَة منْ زَوَايَاهَا، وَلا تَظْهَرُ المَرَايَا بأَعْيَان الصُّورَة الحَالة فيهَا لمُبَاينَة بَيْنَهُمَا بخلاف هَذه المرْآة المُقَدَّسَة، فَإنَّ الصُّورَةَ غَيْرُ حَالة فيهَا وَلا حَاصلةً في زَاوِيَة منْ زَوَايَا العَدَمِ الحَاليَّة وَالمَحَليَّة في تلكَ الحَضْرَة وَلوْ حسًّا، وَعَدَمُ التَّبَعُّض وَالتَّجَزِّئ في تلكَ المَرْتَبَة المُقَدَّسَة وَلوْ وَهْمًا بَل تَظْهَرُ هَذه المرْآةُ المُقَدَّسَة بكُليَّتهَا بصُورَة المُتجَلى لهُ فَتَكُونُ هيَ مرْآةٌ وَصُورَةٌ، فَالمُتجَلى لهُ مَا رَأَى سوَى صُورَته في مرْآة الحَقِّ الذى هُوَ شَأْنُ الذَّات الذى ظَهَرَ بصُورَة المُتجَلى لهُ، وَمَا رَأَى الحَقَّ المُطْلقَ، وَلا الشَّأْنَ الخَاصَّ عَلى النَّهْجِ التَّنْزِيهيِّ وَالنَّمَط التَّقْديسيِّ، وَلا يُمْكنُ أَنْ يَرَاهُ هَذا مَبْنيٌّ عَلى رَأْيِ الشَّيْخِ في نَفْيِ إمْكَان الرُّؤْيَة التَّنْزِيهيَّة وَإثْبَاتُ الرُّؤْيَة في الظُّهُورَات التَّشْبيهيَّة الجَامعَة اللطيفَة بطَرِيق التَّمَثُّل وَالمثَال وَهُوَ كَمَا تَرَى مُخَالفٌ لمَا اتَّفقَ عَلَيْه عُلمَاءُ أَهْل السُّنَّة شَكَرَ اللهُ تَعَالى

سَعْيَهُمْ مِنْ أَنَّ رُؤْيَتَهُ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا جَائِزَةٌ غَيْرُ وَاقِعَةٍ، وَفِي الآخِرَةِ بِلا كَيْفٍ وَاقِعَةٌ لا يَكُونُ بِتَمَثُّلٍ وَمِثَالٍ

يَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ بِغَيْرِ كَيْفٍ وَإِدْرَاكٍ وَضَرْبٍ مِنْ مِثَالٍ

لا رُؤْيَةَ التَّمَثُّلِ رُؤْيَةَ كَيْفٍ، وَأَيْضًا لَيْسَتْ رُؤْيَةً لَهُ تَعَالَى بَلْ رُؤْيَةَ مَخْلُوقٍ أَوْجَدَهُ وَأَظْهَرَهُ بِطَرِيقِ التَّمَثُّلِ، وَهُوَ تَعَالَى وَرَاءَ التَّمَثُّلِ وَالمِثَالِ، وَوَرَآءَ التَّوَهُّمِ وَالخَيَالِ، وَكُلُّ ذَلِكَ مَخْلُوقٌ لَهُ تَعَالَى، وَالعَجَبُ مِنْ كُبَرَاءِ العُرَفَاءِ أَنَّهُمْ تَسَلَّوْا بِالتَّشْبِيهِ عَنِ التَّنْزِيهِ، وَبِالحَادِثِ عَنِ القَدِيمِ إِذَا اكْتَفَوْا بِالمِثَالِ وَعَكَفُوا عَلَى التِّمْثَالِ، ظَنِّي أَنَّ ذَلِكَ المَرَضَ حَدَثَ لَهُمْ مِنْ قَوْلِهِمْ بِالتَّوْحِيدِ وَالاتِّحَادِ، وَإِصْرَارِهِمْ عَلَى قُصُورِ حُكْمِهِمْ بِأَنَّ العَالَمَ هُوَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ، فَلا جَرَمَ تَكُونُ رُؤْيَةُ أَيِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ العَالَمِ رُؤْيَةً لَهُ تَعَالَى عِنْدَهُمْ لِلاتِّحَادِ بَيْنَهُمَا، وَمِنْ هَهُنَا قَالَ بَعْضُهُمْ بِالشِّعْرِ الفَارِسِيِّ:

امروز جَمَال توبى برِدَّه ظَاهر اسْت ... دُرَ حَيَّرتَمْ كَهَ وَعدهء فَرْدَا برأي جيست

إِلا أَنَّ الشَّيْخَ خَصَّ مِنْ بَيْنِ ذَلِكَ الأَفْرَادِ فَرْدًا خَاصًّا جَامِعًا حَصَلَ بِطَرِيقِ التَّمَثُّلِ وَهُوَ لا يُجْدِي نَفْعًا وَكَأَنَّهُ قُدِّسَ سِرُّهُ بِوُفُورِ عِلْمِهِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَأَقْوَالِ العُلَمَاءِ تَنَبَّهَ عَلَى شَنَاعَةِ القَوْلِ بِإِطْلاقِ الرُّؤْيَةِ وَالحُكْمِ بِأَنْ يُؤْتِيَهُمْ مُطْلَقًا بِرُؤْيَةٍ لَهُ سُبْحَانَهُ، وَمَعَ ذَلِكَ لِغَلَبَةِ السُّكْرِ وَقُوَّةِ حَالِ التَّوْحِيدِ مَا تَخَلَّصَ عَنْ مَضِيقِ التَّشْبِيهِ مُطْلَقًا وَمَا تَفَرَّغَ لِتَحْصِيلِ كَمَالاتِ التَّنْزِيهِ مُفْرِدًا، بَلْ زَعَمَ أَنَّ المُنَزَّهَ الصِّرْفَ قَاصِرٌ وَنَاقِصٌ وَمُحَدَّدٌ لَهُ تَعَالَى كَالمُشَبَّهِ فَفَرَّ عَنِ التَّنْزِيهِ الصِّرْفِ وَجَزَمَ بِأَنَّ الكَمَالَ فِي الجَمْعِ بَيْنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّنْزِيهِ وَالحُكْمِ بِأَنَّ أَحَدَهُمَا عَيْنُ الآخَرِ لِيَرْتَفِعَ التَّحْدِيدُ وَالتَّقْيِيدُ مُطْلَقًا، وَلا يَخْفَى عَلَيْكَ أَنَّ التَّشْبِيهَ وَالتَّنْزِيهَ وَالحَكَمَ بِأَنَّ أَحَدَهُمَا عَيْنُ الآخَرِ لِيَرْتَفِعَ التَّحْدِيدُ وَالتَّقْيِيدُ مُطْلَقًا، وَلا يَخْفَى عَلَيْكَ أَنَّ التَّشْبِيهَ مَعْدُومٌ فِي الخَارِجِ عِنْدَهُ، وَإِنَّمَا المَوْجُودُ فِي الخَارِجِ هُوَ التَّنْزِيهُ الصِّرْفُ فَلا يَكُونُ أَحَدُهُمَا مُحَدَّدًا وَمُقَيِّدًا لِلآخَرِ عَلَى قِيَاسِ الوُجُودِ وَالعَدَمِ الخَارِجِيَّيْنِ؛ فَإِنَّ العَدَمَ غَيْرُ مُحَدِّدٍ لِلوُجُودِ وَلا العَكْسَ فَإِنَّ الوُجُودَ عَلَى إِطْلاقِهِ مَعَ العَدَمِ، إِطْلاقُهُ مَعَ الوُجُودِ غَيْرُ مُقَيِّدٍ أَحَدِهِمَا بِالآخَرِ، وَلَوْ كَانَ العَدَمُ مُحَدِّدًا لِلوُجُودِ لَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُحْكَمَ بِأَنَّ الحُكْمَ بِأَنَّ الكَمَالَ فِي الجَمْعِ بَيْنَ الوُجُودِ وَالعَدَمِ وَيَكُونُ أَحَدُهُمَا عَيْنَ الآخَرِ وَهُوَ سَفْسَطَةٌ ظَاهِرَةٌ، فَلا يَكُونُ القَوْلُ بِالتَّنْزِيهِ الصِّرْفِ تَحْدِيدًا لَهُ تَعَالَى، وَلا يَكُونُ الجَمْعُ كَمَالاً بَلْ نَقْصًا، وَالحَاقًا لِلنَّاقِصِ بِالكَامِلِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ المُرَكَّبَ مِنَ النَّاقِصِ

وَالكامِل نَاقِصٌ بَقِيَت الصُّوَرُ المُسَمَّاةُ بالأَعْيَان الثَّابِتَة عِنْدَهُ ثَابِتَةٌ فِي العلمِ، وَهِيَ أَيْضًا لا تَسْتَلزِمُ تَحْدِيدَ المَوْجُود الخَارِجيِّ حَتَّى يَحْكُمَ بالاتِّحَاد وَالعَيْنِيَّة بَيْنَهُمَا وَبَيْنَهُ، وَإِنَّمَا يُحَدِّدُ المَوْجُودَ الخَارِجيَّ مِثْلُهُ، وَأَمَّا المَوْجُودُ العلميُّ فَلا يُحَدِّدُ المَوْجُودَ الخَارِجيَّ، وَلا يُزَاحِمُهُ لتَبَايُنِ المَرْتَبَتَيْنِ، أَلا تَرَى أَنَّ تَصَوُّرَ شَرِيكِ البَارِي وَثُبُوته فِي العَالِمِ لِيُحْكُمُ عَلَيْه بالاسْتحَالة لا يُزَاحِمُ البَارِيَ تَعَالَى المَوْجُودَ فِي الخَارِجِ وَلا يُحَدِّدُهُ وَلا يُقَيِّدُهُ أَصْلاً حَتَّى يَتَمَحَّل فِي دَفْعه تَمَحُّلاً غَيْرَ وَاقِعٍ بِأَنَّ أَحَدَهُمَا عَيْنُ الآخَرِ هَذَا، وَلنَرْجِعْ إِلى كَلامِ الشَّيْخِ فِي التَّجَلي الذَّاتيِّ، وَمَا يُنَاسِبُهُ، فَنَقُول ذَكَرَ الشَّيْخُ بَعْدَ ذِكْرِ هَذَا التَّجَلي مَا حَاصِلهُ أَنَّ هَذَا التَّجلِيَ نِهَايَةُ التَّجليَات وَغَايَةُ العُرُوجَات، وَمَا بَعْدَ هَذَا إِلا العَدَمُ المَحْضُ، فَلا تَطْمَعْ وَلا تُتْعِبْ نَفْسَكَ بتَحْصيل العُرُوجِ فَوْقَهُ وَالوُصُول وَرَاءَهُ، فَلا مَقَامَ أَعْلَى مِنْ هَذِه الدَّرَجَة فِي التَّجَلي الذَّاتِيِّ.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالثَّمانُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى هَذَا الفقيرِ مُحمَّد هَاشم الكَشْميِّ
فِي بَيَانِ تَجلي أَفْعَاله وَتَجلي صفَاته وَتَجلي ذَاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
وَهَذَا المَكْتُوبُ كَأَنَّهُ تَتِمَّةٌ للمَكْتُوب السَّابِق

لِيَعْلَمْ أَخِي الخَوَاجَةَ مُحَمَّدَ هَاشِم الكَشْميَّ أَنْ تَجَلِّيَ الأَفْعَال عِبَارَةٌ عَنْ ظُهُورِ فعْلِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ للسَّالك عَلى نَهْجٍ يَرَى أَفْعَال العِبَاد ظلال ذَلكَ الفعْل، وَيَجدُ ذَلكَ الفعْل أَصْل تلكَ الأَفْعَال، وَيَعْتَقدُ قيَامَ تلكَ الأَفْعَال بذَلكَ الفعْل الوَاحد، وَكَمَال هَذَا التَّجلي هُوَ أَنْ تَختَفي تلكَ الظِّلال عَنْ نَظَره بالتَّمَام، وَتَكُونَ مُلحَقَةً بأَصْلهَا، وَتَجدَ فَاعل تلكَ الأَفْعَال بلا حسٍّ وَلا حَرَكَة كَالجَمَاد، وَمَا قَالهُ أَرْبَابُ التَّوْحيد الوُجُوديِّ بالعَيْنيَّة، وَقَالوا الكُل هُوَ إنَّمَا هُوَ في ذَلكَ المَوْطن حَيْثُ رَأَوْا هَذه الأَفْعَال المُتَكَثِّرَةَ الصَّادرَةَ منَ العبَاد فعْل فَاعل وَاحد جل شَأْنُهُ، وَهُنَاكَ اختفَاءُ انْتسَاب الأَفْعَال إلى فعْلتهَا وَحُدُوث الانْتسَاب فيهَا إلى فَاعل وَاحد لاختفَاء نَفْسِ الأَفْعَال وَالحَاقهَا بأَصْلهَا شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا، وَإِنْ كَادَ أَنْ يَخفَى عَلى البَعْضِ وَتَجلي الصِّفَاتُ، عبَارَةٌ عَنْ ظُهُورِ صفَات الحَقِّ سُبْحَانَهُ للسَّالك عَلى نَهْجٍ يَرَى صفَات العبَاد ظلال صفَات الوَاجب جل سُلطَانُهُ وَأَنْ يجدَ قيَامَهَا بأُصُولهَا فَيَجدُ علمَ المُمْكن مَثَلاً ظِل علم الوَاجب وَقَائمًا به وَكَذَلكَ يَجدُ قُدْرَتَهُ ظل قُدْرَته تَعَالى وَقَائمَةً بهَا، وَكَمَال هَذَا التَّجلي هُوَ أَنْ تَختَفي تلكَ الصِّفَاتُ الظِّلاليَّةُ عَنْ نَظَرِ السَّالك بالتَّمَام، وَتَكُونُ مُلحَقَةً بأُصُولهَا، وَيَجدُ نَفْسَهُ الذي كَانَ مَوْصُوفًا بهَذَا الصِّفَات خَاليًا عَنْهَا كَالجَمَاد بلا حَيَاة، وَلا علم، وَلا يَجدُ في نَفْسه أَثَرًا منَ الوُجُود وَكَمَالاته وَتَوَابعه حَتَّى لا يَكُونَ هُنَاكَ ذكْرٌ وَلا تَوَجُّهٌ وَلا حُضُورٌ وَلا شُهُودٌ، فَلوْ كَانَ بَعْدَ اللحُوق بالأَصْل تَوَجُّهٌ فَهُوَ مُتَوَجِّهٌ منْ نَفْسه إلى نَفْسه، أَوْ حُضُورٌ فَحَاضرٌ بنَفْسه مَعَ نَفْسه، وَنَصيبُ السَّالك منْ هَذَا المَقَام حُصُول حَقيقَة الفَنَاء وَالاضْمحْلال وَانْتفَاء انْتسَاب الكَمَالات التي كَانَ يَنْسُبُهَا إلى نَفْسه بزَعْمه، وَأَدَاءَ الأَمَانَة التي كَانَ يَظُنُّ تُهمَةً وَكَذبًا أَنَّهَا منْ نَفْسه إلى أَهْل الأَمَانَة وَزَوَال مَوْرد كَلمَة أَنَا أَيْضًا عَلى حَدٍّ لوْ تُشَرِّفُ بالبَقَاء لا يَكُونَ مُوَرِّدًا لأَنَا وَلا يَقْدرُ أَنْ يُعَبِّرَ عَنْ نَفْسه بأَنَا، وَإِنْ وَجَدَ نَفْسَهُ عَيْنَ أَصْله لا يَتَيَسَّرُ لهُ مَجَال إطْلاق أَنَا عَلى ذَلكَ الأَصْل، وَلا يَقْدرُ أَنْ يَقُول أَنَا عَيْنُ الأَصْل؛ فَإِنَّ الأَنَانيَّةَ قَدْ زَالتْ عَنْهُ، وَقَوْل أَنَا الحَقَّ إنَّمَا هُوَ لعَدَم حُصُول هَذه النِّسْبَة وَإجْرَاءِ سُبْحَانيٍّ عَلى اللسَان لعَدَم

الوُصُول إلى هَذه الدَّوْلة، وَلكنْ يَنْبَغي حَمْل صُدُور أَمْثَال هَذه الالفَاظ عَن الأَكَابر عَلى تَوَسُّط أَحْوَالهمْ، وَاعْتقَادُ كَمَالهمْ وَرآءَ هَذَا القيل وَالقَال، وَالفَنَاءُ الذى هُوَ حَقيقَةُ الانْمحَاء وَالاضْمحْلال وَإنْ كَانَ مُنْتَهى تَجَلي الصِّفَات وَلكنَّ حُصُولَهُ منْ أَشعَّة تَجَلي الذَّات، وَمَا لَمْ تَتجَلى الذَّاتُ لا تَتَيَسَّرُ دَوْلَةُ الفَنَاء، بَل لا يَتمُّ تَجَلي الصِّفَات أَيْضًا مَا لَمْ تَجدْ لَمْ تُخلص، وَمنْ تَجلي الذَّات تَزُول بَقيَّةُ العَارف التي تُرَى لهُ كَالجَمَاد وَتلكَ البَقيَّةُ هي عَدَمُ الذى هُوَ أَصْل جَميع المُمْكن، وَقَدْ حَصَل لهُ منْ انْعكَاس صفَات حَضْرَة الوُجُوب تَعَالى وَتَقَدَّسَتْ فيه امْتيَازٌ وَتَشَخُّصٌ، وَكَانَ بهَذه المرْآتيَّة مُمْتَازًا منْ أَعْدَام أُخَرَ، وَلَمَّا صَارَتْ تلكَ الظِّلال المُنْعَكسَةُ مُلحقَةً بأُصُولها لَمْ يَبْقَ بَيْنَ تلكَ الأَعْدَام مَا به الامْتيَاز، وَصَارَ هَذَا العَدَمُ الخَاصُّ أَيْضًا مُلحقًا بالعَدَم المُطْلَق فَلمْ يَبْقَ منَ العَارف اسْمٌ وَلا رَسْمٌ لا تَبْقى وَلا تَذَرُ كَمَا أَنَّ الوُجُودَ وَتَوَابعَ الوُجُود وَدَّعَهُ وَرَاحَ كَذَلكَ هَذَا العَدَمُ فَارَقَهُ أَيْضًا وَلحقَ بأَصْله وَاسْتَرَاحَ

يَنْبَغي أَنْ يُعْلَم: أَنَّ امْتيَازَ هَذَا العَدَم منْ أَعْدَام أُخَرَ الذى حَصَل بوَاسطَة حُصُول ظلال الصِّفَات فيه كَانَ باعْتبَار التَّوَهُّم، وَفي الحَقيقَة لَمْ يَكُنْ فيه ظل أَصْلاً مثْل مَرَايَا أُخرَ، فَإنَّ حُصُول الصُّوَر فيهَا باعْتبَار التَّوَهُّم، فَإذَا كَانَ حُصُول الظِّلال فيهَا باعْتبَار التَّوَهُّم يَكُونُ امْتيَازُهُ أَيْضًا وَهْميًا. فَكَمَا أَنَّ وُجُودَ المُمْكن باعْتبَار التَّوَهُّم يَكُونُ عَدَمُهُ أَيْضًا باعْتبَار التَّوَهُّم، فَمَا اعْطي في خَارج دَائرَة الوَهْم مَوْضعُ قَدَم فَإنَّ الوُجُودَ وَالعَدَمَ في الحَقيقَة عَلى سَرَاقَة إطْلاقهمَا مَا لذَاكَ عَرَضَ تَنَزُّل وَلا لهَذَا حَصَل تَرَقٍّ، وَمنْ كَمَال اقْتدَار الصَّانع تَعَالى خَلقُ العَالم في مَرْتَبَة الوَهْم منْ ذَاكَ وَهَذَا، وَأَتْقَنَهُ وَجَعَل المُعَاملَةَ الأَبَديَّة وَالمُجَازَاةَ السَّرْمَديَّة مَنُوطَةً به ﴿وَمَا ذَلكَ عَلى الله بعَزيز﴾[1]، وَمَا قُلتُ فيمَا سَبَقَ إنْ حُصُول دَوْلَة الفَنَاء منْ أَشعَّة تَجَلي الذَّات يَعْني أَنَّ حُصُول نَفْس تَجَلي الذَّات بَعْدَ حُصُول دَوْلَة الفَنَاء مَا لَمْ تَتَخَلصْ لَمْ تَجدْ، وَالفَرْقُ بَيْنَ أَشعَّة التَّجَلي وَنَفْس التَّجَلي كَالفَرْق بَيْنَ أَسْفَار الصُّبْح وَطُلوع الشَّمْس، فَإنَّ في وَقْت الأَسْفَار ظُهُورَ أَشعَّة تَجَلي الشَّمْس وَبَعْدَ الطُّلوع نَفْس تَجَلي الشَّمْس، وَرُبَّمَا لا يُشْرفُ البَعْضُ بنَفْس التَّجَلي مَعَ ظُهُور أَشعَّة التَّجَلي، وَلا يُوَصَّل به إلى تلكَ الدَّوْلَة القُصْوَى بوَاسطَة عُرُوض بَعْض العَوَارض، كَمَا يُدْركُ

(١) ــــ الآية ٢٠: من سورة إبراهيم.

الأَسْفَارَ وَلا يُدْرِكُ الطُّلوعَ بعُرُوضِ علة سَمَاوِيَّة أَوْ أَرْضِيَّة، وَأَيْضًا لا حَاجَةَ في شُهُود الأَسْفَار إِلى كَمَال قُوَّة البَاصرَة، وَشُهُودُ الشَّمْسِ هُوَ الذى يَسْتَدْعي كَمَال قُوَّة البَاصرَة وَحدَّة النَّظَر، أَلا تَرَى أَنَّ الخُفَّاشَ قَادرٌ عَلى إِدْرَاك الأَسْفَار وَعَاجزٌ عَنْ إِبْصَار الشَّمْسِ في النَّهار، وَإِبْصَارُ الشَّمْسِ يَسْتَدْعي أَنْ يَحْصُل لَهُ بَصَرٌ آخرُ، وَرُبَّمَا اسْتعْدَادُ مُشَاهدَة أَشعَّة تَجَلي الشَّمْسِ وَلَيْسَ فيه اسْتعْدَادُ نَفْسِ التَّجَلي وَالخُفَّاشُ فيه اسْتعْدَادُ مُشَاهدَة أَشعَّة تَجَلي الشَّمْسِ وَلَيْسَ فيه اسْتعْدَادُ نَفْسِ تَجَلي الشَّمْسِ هَا أَنَا أَقُول كَلامًا عَاليًا لَعَلهُ يَكُونُ نَافعًا وَبَعْدَ انْصرَام تَجَلي الصِّفَات وَبَعْدَ حُصُول فَنَاء الصِّفَات وَالذَّات يَسْتَقْبل العَارفُ تَجَل كَأَنَّهُ دهْليزُ تَجَلي الذَّات، وَكَأَنَّهُ بَرْزَخٌ بَيْنَ تَجَلي الصِّفَات وَتَجَلي الذَّات وَالذي يَتَرَقَّى منْ هَذَا التَّجَلي لَهُ نَصيبٌ منْ تَجَلي الذَّات بقَدْر اسْتعْدَاده، وَهَذَا التَّجَلي البَرْزَخيُّ بزَعْم هَذَا الفَقير أَصْل لذَلكَ التَّجَلي الذَّاتيِّ الذى قَال الشَّيْخ ابْنُ العَرَبيِّ قُدِّسَ سرُّهُ في حَقِّه هَذه العبَارَةُ وَالتَّجَلي منَ الذَّات لا يَكُونُ إِلا بصُورَة المُتَجَلى لَهُ فَالمُتَجَلى لَهُ مَا رَأَى سوَى صُورَته في مرْآة الحَقِّ، وَمَا رَأَى الحَقَّ، وَلا يُمْكنُ أَنْ يَرَاهُ، وَقَال لهَذَا التَّجَلي مُنْتَهى التَّجَليَات وَلَمْ يَقُل بمَقَام فَوْقَهُ، وَقَال وَمَا بَعْدَ هَذَا التَّجَلي إِلا العَدَمُ المَحْضُ؛ فَلا تَطْمَعْ وَلا تَتْعَبْ في تَحْصيل ا، لعُرُوجِ وَالتَّرَقِّي فَوْقَهُ، فَلا مَقَامَ أَعْفَى منْ هَذه الدَّرَجَة في التَّجَلي الذَّاتيِّ، وَالعَجَبُ أَنَّ الوُصُول إِلى المَطْلوب الحَقيقيِّ فيمَا وَرَاءَ هَذَا التَّجَلي وَالشَّيْخُ يُخَوِّفُ وَيُحَذِّرُ عَنْهُ بقَوْله تَعَالى وَيُحَذِّرُكَ اللهُ نَفْسَهُ، وَيُهَدِّدُ فَلوْ لَمْ نَطْمَعْ نَحْنُ المَهْجُورُونَ المُتَحَيِّرُونَ فيه، وَلَمْ نَتْعَبْ لحُصُوله مَاذَا كُنَّا فَعلنَاهُ غَيْرَ التَّسَلي منَ الجَوَاهر النَّفيس بقُطْعَان الخَزَف، غَايَةُ مَا في البَاب أَنَّ النَّصيبَ منْ كُل مَرْتَبَة مُنَاسبٌ لتلكَ المَرْتَبَة، فَالنَّصيبُ المُيَسَّرُ منَ، الكَيْفيِّ يَكُونُ لا كَيْفيًّا لا سَبيل للكَيْف إِلى الكَيْفيِّ، فَالمَعْرفَةُ التي تَتَعَلقُ بتلكَ المَرْتَبَة ليْسَتْ كَمَعْرفَة تَتَعَلقُ بالكَيْفيِّ، فَإِنَّهُ لا مَجَال لهَذه المَعْرفَة هُنَاكَ العلمُ في ذَات الله سُبْحَانَهُ جَهْل أَيْ ليْسَ علمًا منْ جنْس العلم المُتَعَلق بعلم المُمْكن، فَإِنَّهُ منْ مَقُولة الكَيْف وَلا كَيْفَ ثَمَّةَ، وَالمَنْعُ منَ التَّفَكُّر في ذَات الله سُبْحَانَهُ إِنَّمَا هُوَ بوَاسطَة أَنَّهُ تَعَالى وَرَاءَ التَّفَكُّر وَالتَّخَيُّل، وَوُجدَ أَنَّهُ تَعَالى إِنَّمَا يُمْكنُ به سُبْحَانَهُ لا بالفكْر وَالخَيَال {رَبَّنَا آتنَا منْ لدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لنَا منْ أَمْرنَا رَشَدًا}(١)

---

(١) ــ الآية: ١٠ من سورة الكهف.

وَكَانَ يَنْبَغِي لِلشَّيْخِ قُدِّسَ سِرُّهُ أَنْ يَقُول وَمَا بَعْدَ هَذَا التَّجَلِي إلا الوُجُودُ الصِّرْفُ وَالنُّورُ المَحْضُ، وَإِنَّمَا قَال وَمَا بَعْدَ هَذَا، التَّجَلِي إلا العَدَمُ باعْتِبَارِ أَنَّ العَالَمَ ظِلِ الصِّفَات، وَالتَّفوُّقُ وَالتَّرَقِّي مِنَ الصِّفَات اجْتِهَادٌ وَسَعْيٌ فِي أَعْدَامِ نَفْسِه وَلَيْسَ كَذَلِكَ، فَإِنَّ العَارِفَ إِذَا لَمْ يَتَرَقَّ مِنَ الصِّفَةِ التِي هِيَ أَصْلُهُ وَلَمْ يَتَفَوَّق عَلَى الشُّئُون وَالاعْتِبَارَات الذَّاتِيَّة مَاذَا يَكُونُ فِعْلهُ وَلا شَيْءَ يَكُونُ مَجِيئُهُ، وَالفَنَاءُ وَالبَقَاءُ اللذَان تَيَسَّرَا لَهُ فِي كُلِ مَرْتَبَة جَرَّآهُ لِلتَّجَاوُزِ إِلى مَا فَوْقَ أَصْلِه، فَتَجَاوَزَ بِبَقَاءِ الأَصْلِ عَنِ الأَصْلِ، وَوَصَلَ إِلى أَصْلِ الأَصْل

يُحْرَقُ بالنَّارِ مَنْ يُمَسُّ بِهَا وَمَنْ هُوَ النَّارُ كَيْفَ يَحْتَرِقُ

فَلوْ وَصَلَ الشَّيْخُ قُدِّسَ سِرُّهُ إِلى أَصْلِ ذَلكَ الظِّل لخَافَ مِنَ التَّرَقِّي للفَوْق وَلَمْ يُخَوِّفْ وَلكنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْتَضِي تَرَقِّي هَذَا الشَّيْخِ المُعَظَّمِ بِفَضْلِ الله جَل سُلطَانُهُ مِنْ هَذَا المَقَامِ، وَإِدْرَاكُهُ حَقِيقَةَ الأَمْرِ لا يَنْبَغِي وَزْنَ حَاله العَظِيمِ بِمِيزَانِ قَالهُ، وَلعَلهُ قَال ذَلكَ فِي الابْتِدَاءِ وَالتَّوَسُّط ثُمَّ جَاوَزَهُ بِمَرَاحِل مَنِ اسْتَوَى يَوْمَاهُ فَهُوَ مَغْبُونٌ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ المُوَفِّقُ، وَمَاذَا أَكْتُبُ مِنَ التَّجَلِي الذَّاتِيِّ، وَمَاذَا أَقْدرُ أَنْ أَكْتُبَ فَإِنَّهُ ذَوْقِي، فَمَنْ ذَاقَ عَرفَ، وَمَنْ لمْ يَذُقْ لَمْ يَدْرِ، (ع):

بَلغَ اليَرَاعِ إِلى هُنَا فَتَكَسرَا

وَالقَدْرُ المُمْكِنُ إِظْهَارِه أَنَّ التَّجَلِيَ الذَّاتِيَّ فِي حَقِّ العَارِفِ الذى ذَكَرَ فَنَاءَهُ فِيمَا سَبَقَ دَائِمِيٌّ، وَمَا هُوَ كَالبَرْقِ لغَيْرِه عَلى الدَّوَامِ فِي حَقِّه بَل التَّجَلي البَرْقِيُّ لَيْسَ هُوَ تَجَليًا ذَاتِيًا فِي الحَقِيقَة وَإِنْ قَالوا لَهُ تَجَليًا ذَاتِيًا، بَل هُوَ تَجَلي شَأْن مِنْ شُئُون الذَّات سَرِيعِ الاسْتِتَارِ، فَإِنَّهُ مَتَى مَا حَصَلَ التَّجَلي الذَّاتِيُّ مِنْ غَيْرِ مُلاحَظَةِ الشُّئُون وَالاعْتِبَارَات فَالدَّوَامُ لازِمٌ لهُ وَالاسْتِتَارُ غَيْرُ مُتَصَوَّرٍ فِيه، وَتَلوِينَاتُ التَّجَليَات تُنْبِئُ عَنِ الصِّفَاتِ وَالشُّئُونَات وَحَضْرَة الذَّات مُنَزَّهَةٌ وَمُبَرَّأَةٌ مِنَ التَّلوِينَات وَلا مَجَالَ فِيهَا للاسْتِتَارِ {ذَلكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ}[(١)].

---

(١) ــ الآية: ٥٤ من سورة المائدة، والآية: ٢١ من سورة الحديد، والآية: ٤ من سورة الجمعة.

المَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالثَّمانُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى المَخْدُوم زَادَهْ الخَوَاجَة مُحَمَّد مَعْصُوم
فِي بَيَان عُلوِّ شَأْن العلمِ وَالمَرْتَبَة المُقَدَّسَة فَوْقَهُ المُعَبَّر عَنْهَا بالنُّور الصِّرْف

اعْلَمْ أَنَّ الشَّأْنَ العلمُ وَإنْ كَانَ تَابعًا لشَأْن الحَيَاة وَلكنَّ للعلم في مَرْتَبَة حَضْرَة الذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ بَعْدَ سُقُوط اعْتبَار الصِّفَات وَالشُّئُون شَأْنًا لَيْسَ هُوَ للحَيَاة فَضْلاً عَنْ سَائر الصِّفَات وَالشُّئُون، وَفِي مَوْطنِ التَّجَرُّد عَنْ جَميعِ النِّسَب مَرْتَبَةٌ لا تَجُوزُ إطْلاقَ غَيْر النُّور عَلى نَفْسهَا أَظنُّ أنَّ للعلمِ أَيْضًا مَجَالاً فيهَا لا ذَاكَ العلمُ الذى يُقَال لهُ حُصُوليًا أَوْ حُضُوريًا؛ فَإنَّهُ مَعَ قسْمَيْه تَابعٌ للحَيَاة بَل هُوَ لا كَيْفيٌّ وَلَا مثْليٌّ كَحَضْرَة الذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ، وَكُلهُ شُعُورٌ لا كَيْفيٌّ بلا اعْتبَار العَالمِ وَالمَعْلوم، وَفَوْقَ تلكَ المَرْتَبَة مَرْتَبَةٌ أُخْرَى لا مَجَال فيهَا للعلمِ كَسَائر الشُّئُون، لا شَيْءَ هُنَاكَ غَيْرَ النُّور الذى هُوَ أَصْل ذَلكَ الشُّعُور الكَيْفيِّ وَاللامثْليِّ، فَإذَا كَانَ ظل ذَلكَ النُّور لا كَيْفيًّا وَلَا مثْليًّا مَاذَا نَقُول مَنْ لا كَيْفيَّةَ الأَصْل الذى هُوَ عَيْنُ النُّور؟ مَاذَا نَقْدرُ أَنْ نَقُول وَجَميعُ الكَمَالات وُجُوبيَّةٌ وَإمْكَانيَّةُ ظلال النُّور وَقَائمَةٌ بالنُّور، وَوُجُودُ الكُل صَارَ مَوْجُودًا وَمَبْدَأً للآثَار منَ النُّور، وَالمَرْتَبَةُ الأُولى لَمَّا كَانَتْ فيه رَائحَةُ الانْحطَاط منْ مَرْتَبَة حَضْرَة النُّور الصِّرْف، وَالجَامعُ للشُّعُور هُوَ النُّورُ؛ قَال المُخبرُ الصَّادقُ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ فِي حَقِّه إنَّهُ مَخْلوقٌ، وَعَبَّرَ عَنْهُ أَحْيَانًا بالعَقْل؛ حَيْثُ قَال أَوَّل مَا خَلقَ اللهُ العَقْل "، وَأَحْيَانًا بالنُّور، وَقَال " أَوَّل مَا خَلقَ اللهُ نُوري "، وَكلاهُمَا شَيْءٌ وَاحدٌ، فَإنَّهُ نُورٌ وَعَقْلٌ وَشُعُورٌ، وَحَيْثُ نَسَبَ النَّبيُّ ﷺ إلى نَفْسه، وَقَال نُوري يُمْكنُ أَنْ نَقُول إنَّ هَذه المَرْتَبَةَ هيَ الحَقيقَةُ المُحَمَّديَّةُ وَالتَّعَيُّنُ الأَوَّل لا تلكَ الحَقيقَةَ وَالتَّعَيُّنُ الأَوَّل المُتَعَارفَان، بَل لوْ كَانَ ذَلكَ التَّعَيُّنُ ظلاً منْ ظلال ذَلكَ التَّعَيُّن فَهُوَ أَيْضًا مُغْتَنَمٌ، كَمَا أَنَّ المُرَادَ منْ هَذَا العَقْل لَيْسَ هُوَ ذَاكَ العَقْل الذى قَال الفلاسفَة إنَّهُ الصَّادرُ الأَوَّل منَ الوَاجب تَعَالى بطَريق الإيجَاب، وَجَعَلوهُ مَصْدَرَ الصُّدُور الكَثيرَة

يَنْبَغي: أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ كُل مَوْطنٍ فيه تَعَيُّنٌ رَائحَة منَ الإمْكَان، وَمَعَهُ شَوْبٌ منَ العَدَمِ الذى صَارَ بَاعثًا عَلى تَعَيُّن الوُجُود وَتَميُّزه، وَبضدِّهَا تَتَبَيَّنُ الأَشْيَاء، وَصفَاتُ الوَاجب جَل شَأْنُهُ هيَ التي عَرَضَ لَهَا التَّعَيُّنُ وَالتَّمَيُّزُ، فَهيَ مَعَ وُجُود قدَمهَا لَيْسَتْ بوَاجبَة لذَوَاتهَا بَل وَاجبَةً لذَات الوَاجب تَعَالى، وَحَاصل ذَلكَ وُجُوبٌ بالغَيْر الذى هُوَ منْ أَقْسَام المُمْكن، وَإنْ كَانَ التَّحَاشي لازِمًا منْ إطْلاق لَفْظ

الإِمْكَان فِي الصِّفَات القَدِيمَة لكَوْنه مُوهِمًا للحُدُوث، وَالمُنَاسِبُ هُنَاكَ إِطْلَاقُ الوُجُوب لَمجيئهَا منْ ذَات الوَاجب تَعَالى، وَلكنْ للإِمْكَان فِيهَا مُحَال فِي الحَقِيقَة؛ لعَدَم وُجُوبهَا لذَوَاتها بَل لغَيْرهَا، وَإِنْ لَمْ يَقُولوا بالغَيْريَّة، وَأَرَادُوا بالغَيْر الغَيْرَ المُصْطَلح، وَلكنَّ الاثْنَيْنيَّةَ مُقْتَضيَةٌ للغَيْريَّة، الاثْنَان مُتَغَايرَان قَضيَّةٌ مُقرَّرَةٌ منْ قَضَايَا أَرْبَاب العُقُول.

وَالعَجَبُ أَنَّ الشَّيْخَ مُحْيي الدِّين بْنَ العَرَبيِّ قَال للاثْنَيْن منَ التَّعيُّنَات تَعيُّنًا وُجُوبيًّا، وَللثَّلاثَة إِمْكَانيَّةٌ، وَفي الحَقيقَة في كُل التَّعيُّنَات سمَةُ الظِّليَّة، وَرَائحَةُ الإِمْكَان، وَإِنْ كَانَ بَيْنَ مُمْكنٍ وَمُمْكنٍ فَرْقٌ كَثيرٌ، وَكَانَ أَحَدُهُمَا قَديمًا وَالآخَرُ حَادثًا، وَلكنَّ الكُل غَيْرُ خَارجٍ منْ دَائرَة الإِمْكَان، وَفي الكُل رَائحَةٌ منَ العَدَم.

وَإِيَّاكَ وَتَخيُّل المَرْتَبَة الثَّانيَة التي هيَ النُّورُ الصِّرْفُ وَالمُتَعيِّنُ بالتَّعيُّن ذَاتًا بَحتًا وَاحديَّةٌ مُجَرَّدَةٌ مثْل الآخَرينَ، فَإِنَّهُ أَيْضًا حجَابٌ منَ الحُجُب النُّورَانيَّة، إِنَّ لله سَبْعينَ الفَ حجَاب منْ نُور وَظُلْمَة، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ تَعيُّنًا، وَلكنَّهُ حجَابُ المَطْلُوب الحَقيقيِّ، وَإِنْ كَانَ آخرَ الحُجُب، وَهُوَ تَعَالى وَرَاءَ الوَرَاء، وَهَذَا النُّورُ الصِّرْفُ لَمَّا لَمْ يَكُنْ دَاخلاً في دَائرَة التَّعيُّن كَانَ مُنَزَّهًا وَمُبَرَّأً منْ ظُلْمَة العَدَم، وَلله المَثَل الأَعْلى، وَمَثَل ذَلكَ النُّور كَمَثَل تَشَعْشُعُ نُور الشَّمْس الذى هُوَ حَاجبٌ لقُرْصهَا انْتَشَرَ منْ عَيْن القُرْص، وَصَارَ حجَابًا لهَا، وَفي الحَديث حجَابُهُ النُّور" وَهَذه المَرْتَبَةُ العَليَاءُ فَوْقَ التَّجليَات الذَّاتيَّة، فَضْلاً عَنْ تَجليَات الأَفْعَال وَالصِّفَات، فَإِنَّ التَّجَلي بلا شَوْب التَّعيُّن غَيْرُ مُتَصَوَّر، وَهَذَا المَقَام فَوْقَ جَميع التَّجليَات، وَلكنَّ مَنْشَأَ التَّجليَات الذَّاتيَّة هُوَ هَذَا النُّورُ الصِّرْفُ، وَالتَّجلي إِنَّمَا يُتَصَوَّرُ بوَاسطَته، وَلوْلاهُ لَمَا حَصَل التَّجلي، وَحَقيقَةُ الكَعْبَة الرَّبَّانيَّة أَظُنُّهَا حَضْرَةُ ذَلكَ النُّور الذى هُوَ مَسْجُودُ الجَميع، وَأَصْل جَميع التَّعيُّنَات، فَإِذَا كَانَ مَنْشَأُ التَّجليَات الذَّاتيَّة وَمَلجَأُهَا ذَلكَ النُّورُ، مَاذَا يَزيدُ في مَدْحه كَوْنُهُ مَسْجُودَ الآخَرينَ، فَإِذَا شَرَّفَ اللهُ سُبْحَانَهُ بكَمَال فَضْله وَعنَايَته عَارفًا منْ أُلوف بالوُصُول إِلى هَذه الدَّوْلَة، وَخَصَّهُ بالفَنَاء وَالبَقَاء في هَذَا المَوْطن يُمْكنُ أَنْ يَنَال بَقَاءً بهَذَا النُّور، وَحَظًّا وَافرًا منَ الفوْق وَفَوْق الفوْق، وَأَنْ يَتَجَاوَزَ منَ النُّور بالنُّور فَيَصل إِلى أَصْل النُّور ذَلكَ، وَهَذه المَعَارفُ كَمَا أَنَّهَا وَرَاءَ طَوْر النَّظَر وَالفكْر وَرَاءَ طَوْر الكَشْف وَالشُّهُود أَيْضًا، وَأَرْبَابُ الكَشْف

وَالشُّهُود فِي فَهْمِ هَذه العُلوم كَأَرْبَاب العلمِ وَالعَقْل لا بُدَّ فِي الاهْتدَاء إلى دَرْك هَذه الحَقَائق بمُتَابَعَة الأَنْبيَاء عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ مِنْ نُور فِرَاسَة النُّبُوَّة.

يَنْبَغِي: أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ هَذَا النُّورَ حَاشَاهُ مِنْ أَنْ تَكُونَ فِيه شَائِبَةُ الإِمْكَان، فَيَكُونَ مُمْكِنًا، وَمِنْ جنْسِ الجَوْهَرِ وَالعَرَضِ، بَلْ هُوَ مَرْتَبَةٌ لا يُمْكِنُ إطْلاقُ شَيْءٍ عَلَيْهَا غَيْرَ النُّورِ، وَإِنْ كَانَ ذَلكَ الغَيْرُ وُجُوبَ الوُجُود، فَإِنَّ الوُجُوبَ دُونَهُ.

تَنْبِيــــهٌ: لا يَتَوَهَّمُ أَحَدٌ مِنْ هَذَا البَيَان أَنَّ خَرْقَ جَميعِ الحُجُب عَنِ الذَّات تَعَالَتْ قَدْ تَحَقَّقَ فِي حَقِّ هَذَا العَرَّاف لِكَوْن هَذَا النُّورِ آخرَ الحُجُب عَلَى مَا مَرَّ وَهُوَ مُمْتَنعٌ؛ لِحَديث نَقَلوه إنَّ لله سَبْعِينَ الفَ حجَاب مِنْ نُور وَظُلمَة، لوْ كُشفَتْ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْه مَا انْتَهَى إلَيْه بَصَرُهُ مِنْ خَلْقه "؛ لأَنَّ ثَمَّةَ تَحَقُّقٌ وَبَقَاءٌ بالحُجُب التي كُل منْهَا مُعَدٌّ للآخَرِ، لا خَرْقُ الحُجُب، شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا {رَبَّنَا آتنَا منْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، وَهَيِّئْ لنَا من أَمرِنَا رَشَدًا}(١)، {والسَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبعَ الهُدَى}(٢).

---

(١) ــ الآية: ١٠ من سورة الكهف.

(٢) ــ الآية: ٤٨ من سورة طه.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالثَّمَانُون بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى حَضْرَة المَخْدُوم زَادَهْ الخَوَاجَة مُحَمَّد سَعِيد
في أَسْرَار حَقيقَة القُرْآن المَجيد
مَعَ بَيَان دَقَائق العَجْز وَالمَعْرِفَة
وَحَقيقَة الصَّلاة وَالكَلمَة الطَّيِّبَة

{الحَمْدُ لله الذى هَدَانَا لهَذَا وَمَا كُنَّا لنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُل رَبِّنَا بالحَقِّ}[١] وَبَعْدَ مَرْتَبَة النُّور الصِّرْف التي وَجَدَهَا الفَقيرُ حَقيقَةَ الكَعْبَة الرَّبَّانيَّة، وَبَيْنَهَا مَرْتَبَةٌ عَاليَةٌ جدًّا وَهيَ حَقيقَةُ القُرْآن المَجيد السُّبْحَانيِّ، وَالكَعْبَةُ المُعَظَّمَةُ إنَّمَا صَارَتْ قبْلَةَ الآفَاق، وَتَشَرَّفَتْ بدَوْلَة المَسْجُوديَّة للكُل بحُكْم القُرْآن المَجيد، الإمَامُ قُرْآنٌ وَالمَأْمُومُ الأَوَّل كَعْبَةٌ مُعَظَّمَةٌ، وَهَذه المَرْتَبَةُ المُقَدَّسَةُ مَبْدَأٌ لوَسْعَة حَضْرَة الذَّات اللاكَيْفيَّة، وَأَيْضًا إنَّ مَبْدَأَ امْتيَاز تلكَ الحَضْرَة الكَيْفيِّ وَاللامثْليِّ هُوَ هَذه الدَّرَجَةُ العُلْيَا وَالوَسعَةُ في تلكَ الدَّرَجَة المُقَدَّسَة لَيْسَتْ هيَ بحَسَب الطُّول وَالعَرْض، فَإنَّ ذَلكَ منْ سمَات النَّقْص وَالإمْكَان، بَل هيَ أَمْرُ مَنْ لَمْ يَتَحَقَّقْ به لا يَدْر به، وَكَذَلكَ الامْتيَازُ في تلكَ المَرْتَبَة المُقَدَّسَة لَيْسَ هُوَ المُزَايلَة وَالمُبَاينَة؛ فَإنَّ ذَلكَ مُسْتَلزمٌ للتَّبَعُّض وَالتَّجَزُّئ اللذَيْن منْ لَوَازم الجسْم وَالجسْمَانيِّ تَعَالى اللهُ سُبْحَانَهُ عَنْ ذَلكَ، وَلا يُتَصَوَّرُ في ذَلكَ المَوْطن فَرْضُ شَيْء غَيْرُ شَيْء، فَإنَّ الغَيْريَّةَ تُنْبئُ عَن الاثْنَيْنيَّة، بَل لا مَجَال فيه للفَرْض لكَوْنه منْ قَبيل فَرْض المُحَال؛ مَنْ لَمْ يَذُقْ لَمْ يَدْر

وَمَا أُبْديكَ منْ طَيْري عَلامَهْ ... وَأَضْحَى مثْل عَنْقَاءَ وَهَامَهْ
وَللعَنْقَاء بَيْنَ النَّاس اسْمٌ ... وَلَمْ يَكُ لاسْم طَيْريَ اسْتدَامَهْ

وَكُل شَيْء يَفْرضُ في ذَلكَ المَوْطن وَإنْ كَانَ فَرْضَ المُحَال، وَبتَعَمُّق النَّظَر في ذَلكَ الشَّيْء لا يَظْهَرُ فيه أَمْرٌ لَهُ اخْتصَاصٌ بذَلكَ الشَّيْء المُحَقّق، وَلا يُوجَدُ في شَيْء آخَرَ مَفْرُوضٌ، وَمَعَ ذَلكَ يَكُونُ الامْتيَازُ ابْنُ ذَيْنكَ الشَّيْئَيْن المَفْرُوضَيْن كَائنًا وَبَائنًا، وَتَكُونُ أَحْكَامُ كُل منْهُمَا مُتَميِّزَةً عَنْ أَحْكَام الآخَر، فَسُبْحَانَ مَنْ لَمْ يَجْعَل للخَلْق إلَيْه سَبيلاً إلا بالمُعْجز عَنْ مَعْرفَته، وَالعَجْزُ عَن المَعْرفَة نَصيبُ الأَكَابر

---

(١) ــ الآية ٤٣: من سورة الأعراف.

الأَوْلِيَاء، وَعَدَمُ المَعْرِفَة غَيْرُ العَجْز عَنِ المَعْرِفة؛ مَثلا الحُكْمُ بعَدَمِ الامْتِيَازِ فِي ذَلِكَ المَوْطِنِ المُقَدَّسِ، وَوِجْدَانُ كُلِ كَمَالٍ ذَاتِيٍّ عَيْنُ الآخر، كَمَا قَالُوا إنَّ العلمَ عَيْنُ القُدْرَة، وَالقُدْرَةَ عَيْنُ الإِرَادَة، وَعَدَمَ المَعْرِفَة بامْتِيَازِ ذَلِكَ المَوْطِنِ وَالحُكْم بالامْتِيَازِ فِي ذَلِكَ المَوْطِنِ وَالاعْتِرَاف بعَدَمِ وِجْدَان كُنْه ذَلِكَ الامْتِيَازِ عَجْزٌ عَنْ مَعْرِفَة امْتِيَازِ ذَلِكَ المَوْطِنِ، وَعَدَمَ المَعْرِفَة جَهْل، وَالعَجْز عَنِ المَعْرِفَة عِلْمٌ، بَل العَجْزَ مُتَضَمِّنٌ للعلمَيْن؛ عِلمُ الشَّيْءِ وَالعِلْمُ بعَدَمِ وِجْدَانِ كُنْه ذَلِكَ الشَّيْءِ مِنْ غَايَة عَظَمَة ذَلِكَ الشَّيْءِ وَكِبْرِيَائه، فَلَوْ أَدْرَجْنَا فيه عِلمًا ثَالثًا أَيْضًا لسَاغ، وَهُوَ عِلمُ الإِنْسَان بعَجْزِه وَقُصُوره الذى هُوَ مُؤَيِّدٌ لمَقَام عَبْدِيَّته وَعُبُودِيَّته، وَفِي عَدَمِ المَعْرِفَة التِي هُوَ الجَهْل رُبَّمَا يَكُونُ ذَلكَ الجَهْلُ مُرَكَّبًا إذَا لَمْ يُعَرِّفْ جَهْلَ نَفْسه أَنَّهُ جَهل، بَل زَعَمَ أَنَّهُ عِلمٌ، وَفِي العَجْزِ عَنِ المَعْرِفَة نَجَاةٌ تَامَّةٌ مِنْ هَذَا المَرَضِ، بَل لا مَجَال فِيه لِهَذَا المَرَضِ؛ لكَوْنه مُعْتَرِفًا بعَجْزِه، فَلَوْ كَانَ عَدَمُ المَعْرِفَة نجَاةً تَامَّةً مِنْ هَذَا المَرَضِ، بَل لا مَجَال فيه لِهَذَا المَرَضِ لكَوْنه مُعْتَرِفا بعَجْزِه، فَلَوْ كَانَ عَدَمُ المَعْرِفَة، وَالعَجْزُ عَنِ المَعْرِفَة مُتَسَاوِيَيْنِ لكَانَ الجُهَلاءُ كُلُّهُمْ عُرَفَاءَ، وَكَانَ جَهْلُهُمْ وَاسطَةً لكَمَالهِمْ، بَل هُنَاكَ كُل مَنْ كَانَ أَجْهَل يَكُونُ أَعْرَفَ، فَإِنَّ المَعْرِفَة هُنَاكَ فِي عَدَمِ وِجْدَانِ المَعْرُوف، وَفِي العَجْزِ عَنِ المَعْرِفَة هَذه المُقَدِّمَةُ صَادقَةٌ، فَإِنَّ كُل مَنْ يَكُونُ أَعْجَزَ عَنِ المَعْرِفَة يَكُونُ أَعْرَفَ بالمَعَارِف، وَالعَجْزُ عَنِ المَعْرِفَة مَدْحٌ يُشْبهُ الذَّمَّ، وَعَدَمُ المَعْرِفَة ذَمٌّ صِرْفٌ، لَيْسَتْ فيه رَائحَةُ المَدْحِ رَبِّ زِدْنِي عِلمًا بكَمَالِ العَجْزِ عَنْ مَعْرِفَتكَ سُبْحَانَكَ، فَلَوْ لاحَظَ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ بْنُ العَرَبِيِّ قُدِّسَ سرُّهُ هَذَا الفَرْقَ الذى اهْتَدَى إلَيْه هَذَا الفَقيرُ لَمَا ذَكَرَ العَجْزَ عَنِ المَعْرفَة بالجَهْلِ أَصْلاً، وَلَمَا عَدَّهُ مِنْ عَدَمِ العِلمِ قَطْعًا؛ حَيْثُ قَال منَّا مَنْ عَلِمَ، وَمنَّا مَنْ جَهِل، فَقَال العَجْزُ عَنْ دَرْك الإِدْرَاكِ إِدْرَاكٌ، وَبَعْدَ ذَلكَ بَيَّنَ عُلومَ الشِّقِّ الأَوَّلِ وَبَاهَى بهَا وَاعْتَقَدَهَا مِنْ نَفْسه، وَقَال خَاتَمُ الأَنْبيَاء يَأْخُذُ هَذه العُلومَ مِنْ خَاتَمِ الوِلايَة، وَعَنَى بخَاتَمِ الوِلايَة المُحَمَّدِيَّة نَفْسَهُ، فَصَارَ مِنْ هَذه الجِهَة مَوْرِدُ المَطَاعِنِ الخَلائقَ، وَشُرَّاحُ النُّصُوصِ صَرَفُوا فِي تَوْجِيهَات هَذَا الكَلامِ هِمَمَهُمْ، وَعِنْدَ الفَقير يُمْكنُ أَنْ يُقَال إنَّ هَذَا الكَلامَ فِي الحَقيقَة دُونَ ذَلكَ العَجْزِ بَل لا مُنَاسَبَةَ لَدَيْه لكَوْنه مَرْبُوطًا بالظِّلالِ وَالعَجْز فِي مَوْطنِ الأَصْلِ سُبْحَانَ اللهِ، إنَّ قَائل هَذَا القَوْلِ هُوَ الصِّدِّيقُ ﷺ كَمَا قَالُوا، وَهُوَ رَأْسُ العُرَفَاء وَرَئيسُ الصِّدِّيقِينَ، فَأَيُّ عِلم يَسْبقُ ذَلكَ العَجْزَ؟ وَأَيُّ قَادرٍ يَكُونُ أَسْبَقَ قَدَمًا مِنْ ذَاكَ العَاجِزِ؟ نَعَمْ، إذَا قَالَ فِي حَقِّ أُسْتَاذ الصِّدِّيقِ يَعْنِي النَّبِيَّ عَلَيْه

وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ مَا قَال، كَيْفَ لا يَقُول ذَلكَ فِي حَقِّ الصِّدِّيقِ ؟ وَالعَجَبُ أَنَّ الشَّيْخَ بِهَذَا القَال، وَبِهَذَا الشَّطْحِ مِنَ المَقَال يَظْهَرُ فِي النَّظَرِ مِنَ المَقْبُولينَ وَيُشَاهَدُ فِي عِدَادَ الأَوْلِيَاء المُكَرَّمِينَ

ع وَلا عُسْرَ فِي أَمْرٍ مَعَ الكِرَام

نَعَمْ: رُبَّمَا يَحْصُلُ التَّأَذِّي مِنَ الدُّعَاء، وَرُبَّمَا يَحْصُلُ السُّرُورُ وَالابْتِهَاجُ مِنَ الشَّتْمِ وَالإِيذَاء، وَالذينَ يَرُدُّونَ الشَّيْخَ فِي خَطَرٍ، وَالذينَ يَقْبَلونَهُ وَيَقْبَلونَ كَلامَهُ أَيْضًا فِي خَطَرٍ يَنْبَغِي أَنْ يَقْبَلَ الشَّيْخَ، وَيَنْبَغِي أَنْ لا يَقْبَلَ كَلِمَاته المُخَالفَةَ، هَذَا هُوَ الطَّرِيقُ الوَسَطُ فِي قَبُول الشَّيْخِ وَعَدَمِ قَبُوله الذى هُوَ اخْتيَارُ هَذَا الفَقِير، وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَة الحَال.

وَلنَرْجِعْ إِلَى أَصْلِ الكَلام، فَنَقُول إِنَّ هَذه المَرْتَبَةَ المُقَدَّسَةَ التي قُلنَا إِنَّهَا حَقِيقَةُ القُرْآن لا مَجَال فِيهَا لإِطْلاق النُّور أَيْضًا، وَبَقِيَ النُّورُ فِي الطَّرِيقِ كَسَائِر الكَمَالات الذَّاتِيَّة لا يُوجَدُ هُنَاكَ شَيْءٌ أَصْلاً غَيْرُ الوَسعَة اللاكَيْفيَّة وَالامْتيَاز اللامثْليِّ، فَلوْ كَانَ المُرَادُ مِنْ قَوْله تَعَالى {قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُور}[1] القُرْآنُ يُمْكنُ أَنَّ ذَلكَ باعْتبَار الإِنْزَال وَالتَّنْزِيل كَمَا تُومِئُ إِلَيْه كَلِمَةُ جَاءَكُمْ، وَفَوْقَ هَذه المَرْتَبَة المُقَدَّسَة مَرْتَبَةٌ عَاليَةٌ جدًّا وَهِيَ حَقِيقَةُ الصَّلاة التي صُورَتُهَا قَائِمَةٌ فِي عَالمِ الشَّهَادَة بالمُصَلينَ مِنْ أَرْبَاب النِّهَايَة، وَلعَل فِيمَا وَرَدَ ف، ي قِصَّة المعْرَاجِ فِي قَوْله ﷺ حكَايَةً " قفْ يَا مُحَمَّدُ؛ إِنَّ اللهَ يُصَلي " إِيمَاءً إِلى حَقِيقَة الصَّلاة هَذه، نَعَمْ، إِنَّ العِبَادَةَ التي تَكُونُ لائقَةً بمَرْتَبَة التَّنزُّه وَالتَّجرُّد لعَلهَا تَكُونُ صَادرَةً عَنْ مَرَاتب الوُجُوب، وَتَظْهَرُ منْ أَطْوَار القدَم، فَالعبَادَةُ اللائقَةُ بجَنَاب قُدْسه تَعَالى هيَ الصَّادرَةُ منْ مَرَاتب الوُجُوب لا غَيْرَ فَهُوَ العَابدُ وَالمَعْبُودُ، وَفي هَذه المَرْتَبَة المُقَدَّسَة كَمَال الوَسعَة اللاكَيْفيَّة وَالامْتيَاز اللامثْليِّ، فَإِنَّ حَقيقَةَ الكَعْبَة وَحَقيقَةَ القُرْآن جُزْآهَا، وَالصَّلاةُ هيَ جَامعَةٌ لجَميعِ كَمَالات مَرَاتب العبَادَات وَكَائنَةٌ عَلى نسْبَة أَصْل الأَصْل، فَإِنَّ المَعْبُوديَّةَ الصِّرْفَةَ مُتَحَقّقَةٌ فيهَا، وَحَقيقَةُ الصَّلاة التي هيَ جَامعَةٌ لجَميعِ العبَادَات عبَادَةٌ في هَذه المَرْتَبَة للمَرْتَبَة المُقَدَّسَة التي فَوْقَهَا، وَاسْتحْقَاقُ المَعْبُوديَّة الصِّرْفَة ثَابتٌ لهَا؛ فَإِنَّهَا أَصْل الكُل، وَمَلاذُ الجَميعِ، وَتَقْصُرُ الوَسعَةُ أَيْضًا دُونَ هَذَا المَوْطنِ وَيَبْقَى الامْتيَازُ في الطَّريقِ، وَإِنْ كَانَ لا كَيْفيًّا وَلا مثْليًّا، وَمُنْتَهَى أَقْدَام

(١) ـــ الآية ١٥: من سورة المائدة.

الكُمَّل مِنَ الأَنْبيَاءِ وَأَكَابِرِ الأَوْلِيَاء عَلَيْهِمُ الصَّلوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ أَوَّلاً وَآخِرًا إِلى نِهَايَة مَقَام، حَقِيقَة الصَّلاة التي هِيَ نِهَايَةُ عِبَادَة العِبَاد، وَفَوْقَ ذَلِكَ المَقَامِ مَقَامُ المَعْبُودِيَّة الصِّرْفَة التي لا شَرِكَةَ فِيهَا لأَحَدٍ بوَجْه مِنَ الوُجُوه حَتَّى يَضَعَ قَدَمَهُ إِلى فَوْقُ، وَكُل مَقَامٍ فِيه شَوْبُ عِبَادَة وَعَابدٍ فِيه مَجَال للقَدَم كَالنَّظَر، وَإِذَا وَقَعَت المُعَامَلَةُ إِلى المَعْبُودِيَّة الصِّرْفَة يَقْصُرُ القَدَمُ وَيَتِمُّ السَّيْرُ، وَلَكِنْ بحَمْد الله سُبْحَانَهُ لَمْ يَمْنَعْ مِنَ النَّظَرِ فِيهَا، بَل لهُ فِيهَا مَجَال بقَدْرِ الاسْتعْدَاد، (ع):

لَوْ لَمْ يَكُنْ هَذَا لَكَانَ بَلاءٌ

يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فِي أَمْرِ قفْ يَا مُحَمَّدُ، إِشَارَةٌ إِلى قُصُورِ القَدَمِ هَذَا يَعْنِي قفْ يَا مُحَمَّدُ، وَلا تَضَعْ قَدَمَكَ فَوْقَ ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ لا مَجَال للقَدَمِ فَوْقَ مَرْتَبَة الصَّلاة التي هِيَ صَادِرَةٌ عَنْ مَرْتَبَة الوُجُوب، وَمَرْتَبَة تَجَرُّد حَضْرَة الذَّات وَتَنَزُّههَا تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ، وَحَقِيقَةُ الكَلِمَة الطَّيِّبَة لا إِلَهَ إِلا اللهُ تَتَحَقَّقُ فِي ذَلِكَ المَقَامِ، وَنَفْيُ عِبَادَة الآلِهَة الغَيْرِ المُسْتَحِقَّة للعِبَادَة يُتَصَوَّرُ فِي ذَلِكَ المَوْطِن، وَإِثْبَاتُ العُبُود الحَقِيقِيِّ الذِى لا مُسْتَحِقَّ للعِبَادَة غَيْرَهُ يَحْصُلِ فِي ذَلِكَ المَقَامِ، وَكَمَال الامْتِيَاز بَيْنَ العَابدِينَ وَالمَعْبُودِيَّة يَظْهَرُ هَهُنَا، وَيَمْتَازُ فِيه العَابدُ مِنَ المَعْبُود كَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَمْتَازَ، وَيَعْلَمُ أَنَّ مَعْنَى لا إِلَهَ إِلا اللهُ بِالنِّسْبَة إِلى حَال المُنْتَهِيِّينَ لا مَعْبُودَ إِلا اللهُ كَمَا تَقَرَّرَ فِي الشَّرْعِ أَنَّهُ مَعْنَى هَذه الكَلِمَة وَمُلاحَظَةً لا مَقْصُودَ وَلا مَوْجُودَ بِالنِّسْبَة إِلى الابْتِدَاءِ وَالوَسَط وَلا مَقْصُودَ فَوْقَ لا مَوْجُودَ، فَإِنَّهُ رَوْزَنَةٌ لا مَعْبُودَ إِلا اللهُ.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ التَّرَقِّيَ فِي النَّظَرِ فِي ذَلِكَ المَوْطِنِ وَحِدَّةُ البَصَرِ فِيه مَرْبُوطَةٌ بِالصَّلاة التي هِيَ شُغُل المُنْتَهِيِّينَ، وَسَائِرُ العِبَادَات لَعَلَهَا تَمُدُّ فِي تَكْمِيل الصَّلاة وَتَتَلافَى نَقْصَهَا، وَلَعَلهُ مِنْ هَذَا الوَجْه قَالُوا فِي حَقِّ الصَّلاة إِنَّهَا حُسْنٌ لِذَاتِهَا كَالإِيمَان وَسَائِرِ العِبَادَات لَيْسَتْ حُسْنًا لِذَوَاتِهَا.

المَكْتُوبُ التِّسْعُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى حَضْرَةِ المَخْدُومِ زَادَهْ الخَوَاجَة مُحَمَّد سَعِيد
وَالخَوَاجَة مُحَمَّد مَعْصُوم
في إظْهَار الاشْتِيَاق إيَّاهُمْ وَالإشْفَاق عَلَيْهِمْ
مَعَ ذِكْرِ ثَمَرَاتِ العَسْكَرِ

الحَمْدُ لله وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلى رَسُول الله، وَإنْ كَانَ الأَوْلادُ الكِرَامُ مُشْتَاقِينَ إلَيْنَا وَمُرِيدِينَ لِدَوَامِ صُحْبَتِنَا وَنَحْنُ أَيْضًا مُتَمَنِّينَ لِحُضُورِهِمْ وَمُلاقَاتِهِمْ، وَلكِنْ مَاذَا نَفْعَل لا يَحْصُل جَمِيعُ المُتَمَنِّيَات، (ع) :

تَجْرِي الرِّيَاحُ بمَا لا تَشْتَهِي السُّفُن

وَإنِّي أَرَى بَقَائِي فِي العَسْكَرِ عَلى هَذَا الطَّوْرِ بلا اخْتِيَارٍ وَلا رَغْبَة مُغْتَنمًا، وَأَعْتَقِدُ سَاعَةً وَاحِدَةً في هَذِه العَرْصَة أَفْضَل مِنْ سَاعَات كَثِيرَةٍ في سَائِرِ الأَمْكِنَة، وَقَدْ يَتَيَسَّرُ هُنَا مَا لا يُعْلَمُ تَيَسُّرَ تمْثَاله فِي مَوَاضِعَ أُخْرَى، وَمَعَارِفُ هَذَا المَوْطِنِ مُمْتَازَةٌ مِنْ سَائِرِ المَعَارِف، وَأَحْوَال هَذَا المُجْتَمع وَمَقَامَاته لَيْسَتْ ممَّا يَنَالهَا كُل عَارِف، وَالمَنْعُ الذى وَرَدَ مِنْ جَانِب السُّلْطَان أَرَاهُ رَوْزَنَةً رِضَاءَ مَوْلايَ العَزِيزَ الشَّأْنَ، وَأَظُنُّ سَعَادَتِي فِي هَذَا الحَبْسِ وَخُصُوصًا في أَيَّامِ المُشَاجَرَة، هَذِه أُمُورٌ وَمُعَامَلَةٌ عَجِيبَةٌ، وَفي أَوْقَات التَّفرقَة هَذِه غُنْجٌ وَدَلال وَمُلاطَفَةٌ غَرِيبَةٌ، وَلكِنْ كُلمَا تَحْصُل دَوْلَةٌ جَدِيدَةٌ عَجِيبَةٌ يَوْمًا فَيَوْمًا يَقَعُ الأَوْلادُ في الخَاطرِ، وَيَضْطَرِبُ الفُؤَادُ مِنْ أَلمِ الهَجْرِ وَالبعَاد وَعَدَم نَيْل المُلاقَاة، وَأَظُنُّ أَنَّ شَوْقِي أَكْثَرَ وَأَزْيَدَ مِنْ شَوْقِكُمْ وَغَالبًا عَلَيْه، وَمِنَ المُقَرَّر أَنَّ الوَلَدَ لا يُرِيدُ مثْل مَا يُرِيدُ الوَالدُ إيَّاهُ، وَإنْ كَانَتْ قَضِيَّةُ الأَصَالة وَالفرْعيَّة مُقْتَضِيَةً عَكْسَ ذَلكَ، فَإنَّ الأَصْل لا احْتِيَاجَ لهُ وَالفرْع مُحْتَاجٌ إلى الأَصْل مِنَ القَدَمِ إلى الرَّأْسِ، وَلكِنْ جَرَت المُعَامَلةُ عَلى ذَلكَ وَثَبَتَ أَشَدُّ الشَّوْقِ للأَصْل، (ع) :

درخانه بكَدّ خداى ماندهمه حيز الدهلى في جِوَارِكُمْ

وَأَكرَهُ أَيْضًا قربب مِنْكُمْ، وَالسَّلامُ.

المَكْتُوبُ الحَادي وَالتِّسْعُونَ بَعْدَ الأَرْبعمائة
إلى حَضْرَة المَخْدُومِ زَادَهْ الخَواجة مُحَمَّد مَعْصُومٍ
في أَسْرَارِ ذَات العَارف المَوْهُوبَة اللاكَيْفيَّة
وَتحقيقِ تَجَلي الذَّات وَالرُّؤْيَة الأُخْرَوِيَّة
وَمَا يُنَاسبُ ذَلكَ

فَإِذَا تَرَقَّتْ مُعَامَلَةُ العَارِف مِنَ الشُّئُون وَالصِّفَات، وَتَعَدَّتْ مِنْ وُجُوه اعْتبَارَات الذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ وَحَصَلَ لَهَا التَّفَوُّقُ مِنَ المَقَام الذى عَبَّرنَا عَنْهُ بحَقيقَة الصَّلاة يَكُونُ التَّوَجُّهُ وَالمُتَوَجِّهُ ثَمَّةَ بلا كَيْف كَالمُتَوَجَّه إليْه، فَإِنَّهُ لا سَبيل للكَيْفيِّ إلى الكَيْفيِّ ، وَذَلكَ المُتَوجِّهُ هُوَ ذَاتُ العَارفُ بَعْدَ حَذْف جَميعِ الوُجُود وَالاعْتبَارَات عَنْهُ، وَالكُنْهُ عبَارَةٌ عَنْ هَذه الذَّات المُجَرَّدَة المُتَوَجِّهَة إلى ذَات مَعْرُوفهَا، وَكُنْهُهُ مَطْلوبُهَا بنَفْسهَا لا بالوَجْه وَالاعْتبَار، وَإنَّمَا قُلتُ إنَّ الكُنْهَ عبَارَةٌ عَن الذَّات المُجَرَّدَة، فَإِنَّ كُنْهَ الشَّيْء هُوَ مَا يَكُونُ وَرَاءَ جَميعِ وُجُوه الشَّيْء وَاعْتبَارَاته، وَذَاتَ الشَّيْء أَيْضًا مَا يَكُونُ وَرَاءَ جَميعِ وُجُوه الشَّيْء وَاعْتبَارَاته، فَإِنْ كَانَ يُلاحَظُ منْ وُجُوه الشَّيْء وَاعْتبَارَاته تَوَجُّهُ ذَات الشَّيْء وَرَاءَ ذَلكَ كُلهَا لا مَجَال لإثْبَات أَمْرٍ في مَرْتَبَة الذَّات أَصْلاً، وَكُل شَيْء يَثْبُتُ ثَمَّةَ فَهُوَ دَاخل في الوُجُوه وَالاعْتبَارَات، وَالذَّاتُ مَا وَرَاءَ ذَلكَ لا يُتَصَوَّرُ في ذَلكَ المَقَام أَمْرٌ غَيْرُ النَّفي وَالسَّلب، فَإنْ كَانَ فيه علمٌ بالامْتيَاز فَبالسَّلب، وَإنْ كَانَ تَعْبيرٌ وَتَفْسيرٌ فَبالسَّلب أَيْضًا، وَكُل شَيْء لا مَجَال فيه للإثْبَات وَلا يُمْكنُ التَّعْبيرُ عَنْهُ بغَيْر السَّلب فَهُوَ مَجْهُول الكَيْفيَّة وَلَهُ نَصيبٌ منَ الكَيْفيِّ، وَالتَّوَجُّهُ الذى يَثْبُتُ في مَرْتَبَة الذَّات يَكُونُ عَيْنَ ذَات المُتَوجِّه لا وَجْهًا منْ وُجُوه الذَّات وَلا اعْتبَارًا منَ اعْتبَارَاتهَا ؛ فَإنَّ جَميعَ الوُجُوه وَالاعْتبَارَات صَارَتْ مَسْلوبَةً عَنْهَا، وَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ غَيْرُ الذَّات الأَحَد، فَيَكُونُ لذَاكَ التَّوَجُّه الذى هُوَ عَيْنُ الذَّات نَصيبٌ منَ الكَيْفيِّ بالضَّرُورَة، فَصَحَّ أَنَّ التَّوَجُّهَ وَالمُتَوجِّهَ يَكُونَان ثَمَّةَ بلا كَيْف كَالمُتَوَجَّه إلَيْه وَإنْ كَانَ بَيْنَ لا كَيْفيٍّ وَلا كَيْفيٍّ فَرْقٌ كَثيرٌ مَا للتُّرَاب وَرَبِّ الأَرْبَاب، وَلهَذَا أَثْبَتْنَا في التَّوَجُّه وَالمُتَوجِّه نَصيبًا منَ الكَيْفيِّ، وَالكَيْفيُّ الحَقيقيُّ هُوَ المُتَوَجَّهُ إلَيْه فَقَط، فَإِذَا كَانَ ذَاكَ المُمْكنُ وَكُنْهُهُ مَجْهُول الكَيْفيَّة وَلا يُمْكنُ إثْبَاتُ شَيْء فَيَا كَيْفَ تَكُونُ ذَاتُ الوَاجب تَعَالى التي هيَ في كَمَال اللطَافَة وَالتَّقَدُّس وَالتَّنَزُّه مُدْركَةً، وَمَاذَا يَحْصُل منْهَا

مَنْ لَمْ يَكُنْ ذَا خبْرَةٍ عَنْ نَفْسه   هَل يَقْدرُ الإخْبَار عَنْ هَذا وَذَا

وَأَعْطَى أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ مِنْ كَمَالِ رَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ المُمْكِنَ الذي مُتَّصِفٌ بِالكَيْفِ بِالتَّمَامِ نَصِيبًا مِنَ الكَيْفِيِّ؛ لِيَحْصُلَ لَهُ حُضُورٌ وَشُعُورٌ بِالكَيْفِيِّ الحَقِيقِيِّ، (ع):

وَللأَرْضِ مِنْ كَأْسِ الكِرَامِ نَصِيبٌ

وَمَا قِيلَ مِنَ اسْتِحَالَةِ مَعْرِفَةِ كُنْهِ الذَّاتِ لَعَلَّهُمْ أَرَادُوا بِالمَعْرِفَةِ المَعْرِفَةَ المُتَعَارَفَ عَلَيْهَا مِنْ عَالَمِ الكَيْفِ، وَتَعَلُّقُهَا بِالكَيْفِيِّ مُحَالٌ، وَأَمَّا إِذَا اتَّصَلَ أَمْرٌ مِنْ عَالَمِ لا كَيْفِيَّ بِلا كَيْفِيٍّ بِاتِّصَالٍ لا كَيْفِيَّ، وَنَالَ مِنْ تِلْكَ الدَّوْلَةِ العُظْمَى حَظًّا وَافِرًا لَمْ يَكُنْ مُحَالاً مَعْرِفَةٌ غَرِيبَةٌ وَمَسْأَلَةٌ دَقِيقَةٌ عَجِيبَةٌ، قَلَّمَا ظَهَرَتْ إِلى الآنَ مِنْ أَهْلِ الكَشْفِ وَالعِرْفَانِ أَنَّ هَذِهِ الذَّاتَ المُجَرَّدَةَ الَّتِي لَهَا نَصِيبٌ مِنَ الكَيْفِيِّ وَبَيَّنْتُ بِالتَّفْصِيلِ مَخْصُوصَةً بِعَارِفٍ تَامِّ المَعْرِفَةِ، وَأَصِلُ إِلى حَضْرَةِ الذَّاتِ المُجَرَّدَةِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ، وَحَصَلَ لَهُ الفَنَاءُ وَالبَقَاءُ فِي تِلْكَ الدَّرَجَةِ العُلْيَا، وَهَذِهِ الدَّوْلَةُ أَثَرُ ذَلِكَ البَقَاءِ الذَّاتِيِّ، وَسَائِرُ المُمْكِنَاتِ سِوَى هَذَا العَارِفِ لا نَصِيبَ لَهُمْ مِنَ الذَّاتِ أَصْلاً، وَلَيْسَتْ لَهُمْ ذَاتٌ قَطْعًا حَتَّى تَكُونَ صِفَاتُهُمْ قَائِمَةً بِهَا بَلْ جَمِيعُ وُجُودِهِمْ ظِلالُ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَعُكُوسِ الشُّئُونِ، وَالاعْتِبَارَاتُ قَائِمَةٌ بِأُصُولِهَا الَّتِي هِيَ الأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ لا بِأَمْرٍ يُعَبَّرُ عَنْهُ بِالذَّاتِ وَاللَّطَائِفِ السَّبْعِ لِلإِنْسَانِ الذي هُوَ أَجْمَعُ جَمِيعِ المُمْكِنَاتِ سَوَاءٌ كَانَتْ خَفِيًّا أَوْ أَخْفَى آثَارِ الصِّفَاتِ، وَجِسْمَانِيُّهَا وَرُوحَانِيُّهَا ظِلالُ الأَسْمَاءِ، وَاعْتِبَارَاتُ الذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ مَا أُودِعَ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ نَفْسِ الذَّاتِ وَمَا جُعِلَ قِيَامُهَا بِتِلْكَ الذَّاتِ.

فَإِنْ قِيـــــلَ: لا قِيَامَ لِلأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ بِأَنْفُسِهَا بَلْ قِيَامُهَا بِالذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ، فَكَيْفَ يَقُومُ الغَيْرُ بِهَا؟

قُلتُ إِنَّ الغَيْرَ إِنَّمَا لا يَقُومُ بِهَا إِذَا كَانَ مَوْجُودًا، وَأَمَّا إِذَا حَصَلَ لَهُ ثُبُوتٌ وَاسْتِقْرَارٌ فِي مَرْتَبَةِ التَّوَهُّمِ، فَلِمَ لا يَكُونُ قَائِمًا بِهَؤُلاءِ، فَإِنَّهُ أَضْعَفُ؟

وَمَا قُلْتُ، وَكَتَبْتُ إِنَّ ذَاتَ المُمْكِنِ عَدَمٌ فَهُوَ كَقَوْلِنَا المُمْكِنُ لا ذَاتَ لَهُ، ذَاتُهُ عَدَمٌ، وَلا ذَاتَ لَهُ، كِلاهُمَا بِمَعْنًى وَاحِدٍ، وَإِنْ أَبْدَى التَّحْقِيقُ الفَلْسَفِيُّ تَغَايُرًا بَيْنَ هَذَيْنِ المَفْهُومَيْنِ، وَلَكِنْ لا مَفْهُومَ لَهُ، وَفِي الحَقِيقَةِ مَرْجِعُهُمَا وَمَآلُهُمَا وَاحِدٌ، وَالعَدَمُ لا نَفْعَ فِيهِ لِنَفْسِهِ، وَمَاذَا يُجْدِي لِغَيْرِهِ وَلا يَقْدِرُ إِمْسَاكَ نَفْسِهِ؟ فَكَيْفَ يُمْسِكُ غَيْرَهُ؟ وَتَحْقِيقُ المَبْحَثِ أَنَّ عُكُوسَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ لَمَّا ظَهَرَتْ

في مرْآة العَدَمِ يُرَى قيَامُهَا في الظَّاهرِ بتلكَ المرْآة، وتُتخ، يَّل المرْآةُ كَالذَّات لَهَا باعْتبَار قيَامهَا بهَا، وَفي الحَقيقَة قيَامُهَا بأَصْلهَا لا تَعلقَ لَهَا بالمرْآة أَصْلاً، وَلا شُغُل لَهَا بمرْآة العَدَمِ في غَيْر التَّوهُّم، وَأَيْنَ المَجَال لجَوْهَريَّة تلكَ المرْآة وَذَاتيَّتهَا هَهُنَا؟ وَالعَدَمُ لا قَابليَّةَ لَهُ لأَنْ يَكُونَ عَرَضًا، فَكَيْفَ يَكُونُ جَوْهَرًا؟ وَهَذَا العَارِفُ تَامُّ المَعْرفَة الوَاصل إلى مَرْتَبَة الذَّات تَعَالتْ وَتَقدَّسَت الحَاصل لَهُ البَقَاءُ بالذَّات الذى حُكْمُهُ حُكْمُ عَنْقَاء

المَغْرب في جَميعِ الأَوْقَات؛ لكَوْنه عَزيزَ الوُجُود وَغَريبَ الوُقُوعِ أُعْطَى بَعْدَ الفَنَاء وَالبَقَاء ذَاتًا يَكُونُ قيَامُ ظلال الأَسْمَاء وَالصِّفَات وَعُكُوسهَا التي هيَ حَقيقَتُهُ بتلكَ الذَّات، كَمَا أَنَّ قيَامَ أُصُولهَا التي هيَ الأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ بحَضْرَة الذَّات يَكُونُ قيَامُ ظلال تلكَ الأَسْمَاء وَالصِّفَات بظل تلكَ الذَّات التي أَعْطيهَا العَارفُ، فَيَكُونَ ذَلكَ العَارفُ مُرَكَّبًا منَ الجَوْهَر وَالعَرَض، وَيَكُونُ سَائرُ أَفْرَاد المُمْكنِ مُجرَّدَ الأَعْرَاض لا شَائبَةَ فيهمْ منَ الجَوْهَريَّة، نعْمَ مَا قَال صَاحبُ الفتُوحَات المَكِّيَّة منْ أَنَّ العَالَمَ أَعْرَاضٌ مُجْتَمعَةٌ قَائمَةٌ بذَات وَاحدَة، وَلكنْ ذَهل الشَّيْخُ هُنَا عَنْ دَقيقَتَيْنِ، إحْدَاهُمَا أَنَّهُ لَمْ يَسْتَثْنِ العَارفَ الأَكْمَل منْ هَذَا الحُكْم، وَثَانيَتُهُمَا أَنَّهُ جَعَل قيَامَهُ بالذَّات الأَحَد، وَالحَال أَنَّ قيَامَهُ بأَصْله الذى هُوَ الأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ لا بالذَّات تَعَالتْ، وَإنْ كَانَ قيَامُ الأَسْمَاء وَالصِّفَات بالذَّات فَإنَّ لحَضْرَة الذَّات كَمَال الاسْتغْنَاء عَنِ العَالمِ، فَكَيْفَ يُمْكنُ قيَامُ العَالمِ بتلكَ الدَّرَجَة العُلْيَا؟ وَمَاذَا يَكُونُ العَالَمُ حَتَّى يَكُونَ فيه هَوَسُ القيَامِ بتلكَ الذُّرْوَة القُصْوَى؟

مَا تُمَاشَا كنَان كُوَّته دُسَت تودرخت بلند بالاى

وَمُعَامَلَةُ هَذَا العَارف خَارجَةٌ عَنْ مُعَامَلَة العَالمِ، وَحُكْمُهُ مُسْتَثْنًى منْ أَحْكَامِ العَالمِ، وَهُوَ بحُكْمِ "المَرْء مَعَ مَنْ أَحَبَّ" نَال بالمَحَبَّة الذَّاتيَّة مَعيَّةً بأَصْل الأَصْل مُتَجَاوزًا أَصْلَهُ وَأَفْنَى نَفْسَهُ في أَصل الأُصُول، وَأُكْرمَهُ أَكْرَمُ الأَكْرَمينَ بمُقْتَضَى هَل جَزَاءُ الإحْسَان إلا الإحْسَانُ ببَقَائه مُكَافَأَةً لفَنَائه، وَجَعَلهُ بَاقيًا بمَا قَدْ فنيَ فيه، وَصَيَّرَهُ مَظْهَرًا لذَاته وَأَسْمَائه وَصفَاته، وَجَعَلهُ مرْآةً جَامعَةً، فَكَانَ حُكْمُ سَائر أَفْرَاد العَالمِ في جَنْب هَذَا العَارف العَاشق حُكْمَ القَطْرَة بالنِّسْبَة إلى البَحْرِ المُحيط، فَإنَّ الأَسْمَاءَ وَالصِّفَات لا قَدْرَ لَهَا في جَنْب حَضْرَة الذَّات وَلا مقْدَارَ، وَللقَطْرَة قَدْرٌ بالنِّسْبَة إلى البَحْرِ، وَهَؤُلاء يُمْكنُ أَنْ يُقَال لَيْس لَهَا ذَلكَ في جَنْب تلكَ يَنْبَغي أَنْ يَقيسَ علمَ هَذَا العَارف وَمَعْرفَتَهُ وَدرْكَهُ وَإدْرَاكَهُ منْ هَهُنَا

بالنِّسْبَة إلى الآخَرينَ، وَأَنْ يَفْهَمَ ثَمَّةَ عظَمَ شَأْنه وَعُلوَّ مَنْزلته {ذَلكَ فَضْلُ الله يُؤْتيه مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفضْل العَظيم}(١).

وَهَذَا العَارفُ الذى تَشَرَّفَ بالبَقَاء الذَّاتيِّ وَأُعْطَى ذَاتًا يَكُونُ قيَامُ صفَاته مثْل العلْم وَالقُدْرَة بهَا كَمَا كَانَ قيَامُهَا أَوَّلاً بأُصُولهَا كَسَائر أَفْرَاد العَالَم لا يَعُودُ إلَيْه بوُجُود هَذَا البَقَاء الأَكْمَل إطْلاقُ كَلمَة أَنَا التي قَدْ زَالتْ عَنْهُ وَلا يَقْدرُ إطْلاقَ أَنَا في مَرْتَبَة منْ مَرَاتب البَقَاء، فَإنَّ البَقَاءَ الأَكْمَل مُتفَرِّعٌ عَلى الفَنَاء الأَتَمِّ الذى لَمْ يَتْرُكْ منْ إطْلاق كَلمَة أَنَا اسْمًا وَلا رَسْمًا، وَلَمْ يُبْق لهُ مَجَالاً، الزَّائل لا يَعُودُ قَضيَّةٌ مَشْهُورَةٌ، وَالذي يَعُودُ فَلَيْسَ هُوَ بزَائل بَل كَانَ مَغْلوبًا وَمَسْتُورًا، ثُمَّ قَويَ بعَرُوض عَارضٍ وَغلَبَ، فَإنَّ المَغْلوبَ قَدْ يَغْلبُ.

يَنْبَغـــي أَنْ يُعلَـــمَ: أَنَّ النَّصيبَ منْ مَرْتَبَة الذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ مَخْصُوصٌ بهَذَا العَارف الذى صَارَ بَاقيًا بحَضْرَة الذَّات، وَقَامَتْ به الصِّفَاتُ، وَأَيُّ قسْمٍ منَ الفَنَاء وَالبَقَاء حَصَّلهُ غَيْرُهُ يَكُونُ نَصيبُهُ منَ الأَسْمَاء وَالصِّفَات لا منَ الذَّات، تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ وَإنْ لَمْ يَكُنْ للأَسْمَاء وَالصِّفَات انْفكَاكٌ عَن الذَّات تَعَالتْ، وَلكنَّ النَّصيبَ منَ الذَّات غَيْرُ النَّصيب منَ الصِّفَات، وَإنْ أَوْقَعَ عَدَمَ انْفكَاك الصِّفَات عَن الذَّات جَمَاعَةً في تَوَهُّم اتِّحَاد النَّصيب منَ الصِّفَات وَعَيْنيَّته بالنَّصيب الحَاصل منَ الذَّات، وَلكنَّ لكُل منْهُمَا عَلامَات وَأَمَارَات عَلى حدَة وَعُلومًا وَمَعَارفَ مَخْصُوصًا لا يَخْفَى ذَلكَ لأَرْبَاب الوُصُول إلى هَذه الدَّوْلَة العُظْمَى وَلكنْ لا يَخْفَى عَلَيْكَ أَنَّ التَّجَلي الذَّاتيَّ لَيْسَ بمَخْصُوص بهَذَا العَارف بَل يَجُوزُ أَنْ يَتَيَسَّرَ التَّجَلي الذَّاتيُّ لغَيْره أَيْضًا، وَلكنْ لا يَكُونُ لهُ نَصيبٌ منْ نَفْس الذَّات، فَإنَّ التَّجَليَ يَسْتَدْعي نَحْوًا منَ الظِّليَّة، فَإنَّهُ ظُهُورٌ في مَرْتَبَة ثَانيَة، وَالنَّصيبَ منْ نَفْس الذَّات الذى مَرَّ ذكْرُهُ لا يَتَحَمَّل شَائبَةً منَ الظِّليَّة وَيَكُونُ هَاربًا عَنْ نَفْس التَّجَلي وَالظُّهُور أَيْضًا وَظُهُورَ الذَّات بصفَةْ منَ الصِّفَات هُوَ أَيْضًا ظُهُورُ الذَّات في مَرْتَبَة ثَانيَة، وَلكنَّهُ لَيْسَ تَجَليًا ذَاتيًا بَل تَجَليَ اعْتبَار منَ اعْتبَارَات الذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ فَإنَّ الذَّاتَ عَزَّ شَأْنُهَا جَامعَةٌ لجَميع الاَعْتبَارَات بَل مُنَزَّهَةٌ عَن الجَميع، فَلا يَكُونُ تَجَلي اعْتبَارٍ منَ الاعْتبَارَات تَجَليًا ذَاتيًا.

---

(١) ــ الآية: ٥٤ من سورة المائدة، والآية: ٢١ من سورة الحديد، والآية: ٤ من سورة الجمعة.

فَإِنْ قِيــــل: إِنَّ الشَّيْخَ مُحْيِي الدِّين بْنَ العَرَبِيّ قُدِّسَ سِرُّهُ وَتَابِعُوهُ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ قَالوا للتَّعيُّنِ الأَوَّل تَعيُّنًا ذَاتيًا وَهُوَ ظُهُورُ الذَّات بالتَّعيُّنِ العلميِّ الجُمْليِّ الذى هُوَ اعْتبَارٌ منَ اعْتبَارَات الذَّات، وَإِنْ كَانَتْ لَهُ جَامعيَّةٌ:

أُجِيــــب: إِنَّ مُعْتَقَدَ هَذَا الدَّرْويشِ هُوَ أَنَّ هَذَا الظُّهُورَ العلميَّ الجُمْليَّ الذى عَبَّرُوا عَنْهُ بالتَّعيُّنِ الأَوَّل لَيسَ هُوَ أَيْضًا تَجَلِّيًا ذَاتيًا بَل هُوَ تَجَلِّيَ شَأْنٍ منْ شُئُونَات الذَّات، وَالذَّاتُ جَامعَةٌ لجَميعِ الشُّئُون وَالاعْتبَارَات، بَل فَوْقَ جَميعِ الشُّئُون وَالاعْتبَارَات، وَاعْتبَارُ العلمِ هُنَاكَ كَسَائرِ اعْتبَارَاتِ الذَّات التي أَبْدَى وُصُولَهَا قَاصرَةً عَنْ ذَيْل غَنَّا تلكَ المَرْتَبَة المُقَدَّسَة.

فَإِنْ قِيــــل: إِنَّ الظُّهُورَ في مَرْتَبَة ثَانيَة مَقْصُورة عَلَى العلم، فَإِنَّ في الخَارجِ نَفْسَ الذَّات تَعَالَتْ، فَيَكُونُ ظُهُورُهَا في مَرْتَبَة ثَانيَة في مَوْطنِ العلم، فَإِنَّ الظُّهُورَ إِمَّا في الظُّهُور أَوْ في الخَارجِ وَلَمْ يُبَيِّنِ الشِّقَّ الثَّالثَ حَتَّى يَثْبُتَ فيه الظُّهُور.

قُلتُ إِنَّ القَادرَ الذى ظَهَرَ بشَأْن العلم الذى هُوَ العلمُ الذى هُوَ اعْتبَارٌ من اعْتبَارَات الذَّات يَقْدرُ أَنْ يَظْهَرَ عَلَى نَهْجٍ يَكُونُ ظُهُورُ اعْتبَارِ العلمِ بَعْضًا منْ ذَلكَ الظُّهُورِ الجَامعِ، بَل يَظْهَرُ عَلَى نَهْجٍ لا يَكُونُ لاعْتبَارِ العلمِ وَلا لسَائرِ الاعْتبَارَات فيهَا مَجَال، وَيَكُونُ مَرْتَبَةُ ذَلكَ الظُّهُورِ الجَامعِ مَا وَرَاءَ مَرْتَبَة الخَارجِ وَمَرْتَبَة العلمِ بِأَنْ يَكُونَ ظلاً للخَارجِ وَأَعْلَى منْ مَرْتَبَة العلمِ وَجَعْل تَجَلي الذَّات مُقَيَّدًا بالتَّعيُّنِ العلميِّ منْ قَبيل حَصْرِ بَحْرٍ في كُوزٍ، بَل منْ قَبيل طَلَب الشَّرَاب منَ السَّرَاب، قَال الشَّاعرُ

كَسْرَى دُرّ صَحْن كاجى قَليه جويد أَضَاعَ العُمْرَ في طَلَب المُحَال

نَعَمْ، إِنَّ اعْتبَارَ العلمِ هُوَ أَجْمَعُ جَميعِ اعْتبَارَات الذَّات، وَفيه منْ شُمُول كَمَالات الذَّات مَا لَيْسَ في غَيْره منَ الاعْتبَارَات فَلَوْ قَالوا للظُّهُورِ العلميِّ ظُهُورُ الذَّات، عَلَى سَبيل التَّجَوُّز، وَأَطْلَقُوا عَلَيْه تَجَلِّيًا ذَاتيًا لسَاغَ وَإِنْ كَانَ ذَلكَ بَعيدًا عَنْ إِطْلاقَاتهمْ وَمُسْتَبْعَدًا منْ مَذَاقهمْ، كَمَا لا يَخْفَى عَلَى النَّاظرينَ في كَلامهمْ.

فَإِنْ قِيــــل: إِنَّ الشَّيْخَ مُحْيِي الدِّين بْنَ العَرَبِيّ قُدِّسَ سِرُّهُ قَال تَكُونُ الرُّؤْيَةُ الأُخْرَويَّةُ بصُورَة لَطيفَة جَامعَة مثَاليَّة، فَمَا اعْتقَادُكَ في هَذه المَسْأَلَة؟

قُلتُ إِنَّ رُؤْيَةَ الصُّورَة الجَامعَة المَذْكُورَة لَيْسَتْ هي رُؤْيَة الحَقِّ سُبْحَانَهُ بَل رُؤْيَةَ مَظْهَرٍ منْ مَظَاهرِ كَمَالاته سُبْحَانَهُ، حَصَل في عَالَمِ المثَال

يَرَاهُ المُؤْمنُونَ بغَيْرِ كَيْفٍ وَإِدْرَاكٍ وَضَرْبٍ منْ مثَال

وَالقَوْل بكَوْن رُؤْيَة الحَقِّ سُبْحَانَهُ بالصُّورَة يَنْفي رُؤْيَةَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ في الحَقيقَة، وَأَيْضًا إنَّ الصُّورَةَ التي تَحْصُل في عَالَمِ المثَال، وَإنْ كَانَتْ جَامعَةً تَكُونُ عَلى مقْدَار عَالَمِ المثَال، وَعَالَمُ المثَال وَإنْ كَانَتْ لَهُ وَسعَةٌ، وَلكنَّهُ وَاحدٌ منْ عَوَالمه تَعَالى المَخْلوقَة، فَكَيْفَ يَكُونُ للصُّورَة الجَامعَة التي فيهَا مَجَال لأَنْ تَكُونَ جَامعَةً لجَميعِ الكَمَالات الوُجُوبيَّة وَأَنْ تُضْبَطَ كُلهَا حَتَّى تَصيرَ مرْآةً لتلكَ المَرْتَبَة المُقَدَّسَة، وَتَكُونَ رُؤْيَتُهَا رُؤْيَتَهُ تَعَالى، فَإذَا لَمْ يَكُنْ في صفَة العلمِ التي هيَ منَ الصِّفَات الوُجُوبيَّة، وَأَجْمَعُ الصِّفَات الذَّاتيَّة مَجَال لأَنْ تَكُونَ جَامعَةً لجَميعِ الصِّفَات وَالاعْتبَارَات الذَّاتيَّة كَمَا مَرَّ تَحْقيقُهُ، مَاذَا يَكُونُ عَالَمُ المثَال الذى هُوَ مُمْكنٌ وَمَخْلوقٌ حَتَّى يَكُونَ فيه صُورَةٌ جَامعَةٌ لجَميعِ الكَمَالات الوُجُوبيَّة، فَلوْ سَلمْنَا فَرْضًا وَتَقْديرًا أَنَّهَا جَامعَةٌ تَكُونُ ظلاً منْ ظلال تلكَ المَرْتَبَة المُقَدَّسَة، وَرُؤْيَةُ الظِّل ليْسَتْ هيَ في الحَقيقَة رُؤْيَةَ الأَصْل، وَالمُخْبرُ الصَّادقُ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ "شَبَّهَ الرُّؤْيَةَ الأُخْرَويَّةَ برُؤْيَة القَمَر ليْلَةَ البَدْر"، وَلمْ يَتْرُكْ خَافيَةً أَصْلاً، وَرُؤْيَةُ الظِّل هيَ كَرُؤْيَة القَمَر في الطَّشْت، وَأَرْبَابُ الفطْرَة العُليَا لا يَقْبَلونَ ذَلكَ، وَالذي نُدْركُهُ وَنَعْلمُهُ أَنَّهُ يُمْكنُ أَنْ يَحْصُلَ لتلكَ المَرْتَبَة المُقَدَّسَة ظُهُورٌ في الخَارجِ دُونَ العلمِ، وَيَكُونُ لهُ ثُبوتٌ في ظل مَرْتَبَة الخَارجِ كَمَا مَرَّ، وَيَكُونُ لهَذَا الظُّهُور الجَامعِ ظل جَامعٌ في مَوْطنِ العلمِ يُعَبِّرُونَ عَنْهُ بالتَّعَيُّنِ الأَوَّل، وَيَكُونُ لهَذَا الظُّهُور الجَامعِ ظل آخَرُ في عَالَمِ المثَال جَامعٌ يَكُونُ مرْآةً للظِّل الجَامعِ العلميِّ، وَهَذَا الظِّل الجَامعُ المثَاليُّ الذى يَظْهَرُ بصُورَة لطيفَة في عَالَمِ المثَال يَكُونُ بصُورَة الإنْسَان الذى هُوَ أَجْمَعُ المَخْلوقَات، وَحَديثُ "أَنَّ اللهَ خَلقَ آدَمَ عَلى صُورَته" يُمْكنُ أَنْ يَكُونَ وَاردًا بهَذَا الاعْتبَار، وَلكنَّ رُؤْيَةَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ هيَ مَا تَكُونُ وَرَاءَ الظُّهُورَات وَالصُّوَر، وَتَكُونَ منْ عَالَمِ لا كَيْفيٍّ وَلا مثْليٍّ يَنْبَغي الإيمَانُ بالرُّؤْيَة الأُخْرَويَّة دُونَ أَنْ يُشْتَغَل بكَيْفيَّتهَا وَكَمِّيَّتهَا وَلَمِّيَتهَا لا مُنَاسَبَةَ لخَلق الآخرَة وَوُجُودهَا بخَلق الدُّنْيَا وَوُجُودهَا أَصْلاً حَتَّى تُقَاسَ أَحْكَامُ أَحَدهمَا عَلى أَحْكَام الأُخْرَى، وَالبَصَرُ هُنَاكَ غَيْرُ البَصَر الذى هُنَا، وَالفهْمُ وَالإدْرَاكُ هُنَاكَ غَيْرُ الفهْم وَالإدْرَاك اللذَيْن هُنَا، لهَا الدَّوَامُ وَالأَبَدُ وَلهَذَا الفَنَاءُ وَالزَّوَال، وَلهَا كَمَال النَّظَافَة وَتَمَامُ اللطَافَة وَلهَذَا غَايَةُ الخُبْث وَنهَايَةُ الكَثَافَة وَالشَّيْخ قُدِّسَ سرُّهُ لا يُثْبتُ للحَقِّ جَل وَعَلا

ظُهُورًا فِي خَارِجِ مَوْطِنِ العِلمِ، وَلا يَجُوزُ فِيمَا وَرَاءَ المَجَالِي وَالمُظَاهِرِ شُهُودٌ وَمُشَاهِدَةٌ وَرُؤْيَةٌ، (ع) :

وَذَلكَ رَأْي غَيْر مَا هُوَ رَأْيُهُم

فَمَاذَا نَفْعَل؟ لا أَحَدَ فِي هَذه العَرْصَة غَيْرَ الشَّيْخ قُدِّسَ سِرُّهُ فَأَحْيَانًا نُحَارِبُهُ وَأَحْيَانًا نُصَالحُهُ، وَهُوَ الذى أَسَّسَ كَلامَ المَعْرِفَة وَالعِرْفَان وَشَرَحَهُ وَبَسطَهُ، وَهُوَ الذى تَكَلمَ مِنَ التَّوْحِيد وَالاتِّحَاد بالتَّفْصِيل، وَبَيَّنَ مَنْشَأَ التَّعَدُّد وَالتَّكَثُّر، وَهُوَ الذى أَعْطَى الوُجُودَ بالكُلِّيَّة للحَقِّ جَل وَعَلا، وَجَعل العَالمَ مَوْهُومًا وَمُتَخَيَّلاً، وَهُوَ الذى أَثْبَتَ للوُجُود التَّنَزلات، وَمَيَّزَ أَحْكَامَ كُل مِنْهَا عَنْ أَحْكَامِ الآخر، وَهُوَ الذى اعْتَقَدَ العَالمَ عَيْنَ الحَقِّ، وَقَالَ كُلهُ هُوَ، وَمَعَ ذَلكَ وَجَدَ مَرْتَبَةَ تَنْزيه الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَرَاءَ وَرَاءَ العَالم، وَاعْتَقَدَ الحَقَّ سُبْحَانَهُ مُنَزَّهًا وَمُبَرَّأً مِنَ الرُّؤْيَة وَالإِدْرَاك، وَالمَشَايخُ المُتَقَدِّمُونَ عَلى الشَّيْخ إِنْ تَكَلمُوا فِي هَذَا البَاب تَكَلمُوا بالإِشَارَات وَالرُّمُوز، وَلَمْ يَشْتَغلوا بالشَّرْح وَالتَّفْصِيل، وَالذي جَاءُوا مِنْ بَعْد الشَّيْخِ مِنْ هَذه الطَّائفَة اخْتَارَ أَكْثَرهُمْ تَقْليدَ الشَّيْخ، وَسَاقَ الكَلامَ عَلى طَبْق اصْطلاحه، وَنَحْنُ المُتَأَخِّرِينَ العَاجزُونَ أَيْضًا اسْتَفَضْنَا مِنْ بَرَكَاته وَنلنَا حَظًّا وَافرًا مِنْ عُلومه وَمَعَارفه جَزَاهُ اللهُ سُبْحَانَهُ عَنَّا خَيْرَ الجَزَاء، غَايَةُ مَا فِي البَاب أَنَّهُ لَمَّا كَانَ كُل مِنْ مَظَانِّ الخَطَأ وَمَجَال الصَّوَاب مُخْتَلطًا بالآخَر بحُكْم البَشَرِيَّة، وَالإِنْسَانُ أَحْيَانًا مُخْطِئٌ وَأَحْيَانًا مُصِيبٌ فَلا جَرَمَ كَانَ اللازمُ جَعْل المُوَافَقَة لأَحْكَام السَّوَاد الأَعْظَم الذينَ هُمْ أَهْل الحَقِّ عَلامَةً للصَّوَاب وَمُخَالفَتَهُمْ دَليلاً للخَطَأ أَيًا مَنْ كَانَ القَائل وَأَيًا مَا كَانَ المَقُول، قَال المُخْبرُ الصَّادقُ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلام: "عَلَيْكُمْ بالسَّوَاد الأَعْظَم" وَمُقَرَّرٌ أَيْضًا أَنَّ تَكْميلَ الصِّنَاعَة بتَلاحُق الأَفْكَار وَاخْتلاف الأَنْظَار، وَإِنْ كَانَ يُمْكنُ أَنْ يُقَال لسيبَوَيْه إِنَّهُ بَنَى أَحْكَامَ علم النَّحْو، وَلَكنَّ النَّحْوَ الذى حَصَل لَهُ بتَلاحُق أَفْكَار المُتَأَخِّرينَ وَاخْتلاف أَنْظَارهمْ كَمَال وَتَنْقيحُ شَيْء آخرَ حَيْثُ حَدَثَ فيه زينَةٌ أُخْرَى حَتَّى يُمْكنَ أَنْ يُقَال إِنَّهُ نَوْعٌ آخرُ وَعَرَضٌ عَلَيْه أَحْكَامٌ عَلى حدَة {رَبَّنَا آتنَا منْ لدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لنَا منْ أَمْرنَا رَشَدًا}(١).

---

(١) ـــ الآية: ١٠ من سورة الكهف.

المَكْتُوبُ الثَّاني وَالتِّسْعُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
أَيْضًا: إلى حَضْرَةِ المَخْدُومِ مُحَمَّد مَعْصُوم سَلَمَهُ اللهُ
في بَيَانِ اسْتِنَادِ الأَشْيَاءِ إلى ذَاتِ العَارِفِ المَوْهُوبَةِ

{الحَمْدُ لله الذى هَدَانَا لهَذَا وَمَا كُنَّا لنَهْتَديَ لوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ، لقَدْ جَاءَتْ رُسُل رَبِّنَا بالحَقِّ}(١) عَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْليمَاتُ.

اعْلَـــــمْ: أنَّ للظِّل إلى أَصْله طَرِيقًا سُلطَانيًّا لا حَائل بَيْنَهُمَا، مُقَدَّرًا تَبْنَة أَصْلاً فَإنْ كَانَ بَيْنَهُمَا حَيْلولةٌ، فَإنَّمَا هيَ إقْبَالهُ عَلى نَفْسه وَإعْرَاضُهُ منَ الأَصْل، وَالظِّل لَيْسَ إلا حَامل أَمَانَات الأَصْل، فَإنَّ كُل مَا فيه منْ حُسْنِ الوُجُود وكَمَاله وَتَوَابعه مُسْتَفَادٌ منَ الأَصْل وَنَصيبه منْ غَيْر تَوَسُّط الأَصْل لعَلهُ العَدَمُ، وَهُوَ لا شَيْءَ مَحْضٌ وَمُجرَّدُ اعْتبَار هَذَا الظِّل نَسيَ أَصْلَهُ منْ كَمَال جَهَالته، وَزَعَمَ أَمَانَاته منْ قبَل نَفْسه، فَخَانَ الأَمَانَةَ وَظَنَّ نَفْسَهُ مَعَ وُجُود قُبْحه الذَّاتيِّ حَسَنًا وَكَاملاً وَلَكنَّ مَعَ وُجُود إقْبَاله عَلى نَفْسه وَإعْرَاضه عَنْ أَصْله لهُ مَحَبَّةٌ وَمَيْل طَبيعيٌّ إلى أَصْله عَرَفَ، أَوْ لَمْ يَعْرفْ بَل مَحَبَّتُهُ لنَفْسه مُتَعلقَةٌ في الحَقيقَة بأَصْله، فَإنَّ الحُسْنَ وَالكَمَال الذَيْن هُمَا مُتَعلقَا المَحَبَّة منَ الأَصْل لا منْهُ، فَإنَّهُ لَيسَ لهُ شَيْءٌ غَيْرَ العَدَم وَالقُبْح حَتَّى تَتَعلقَ به المَحَبَّةُ كَمَا حَقَّقَ غَيْرَ مَرَّة، فَإذَا زَال عَنْهُ بكَرَم الله سُبْحَانَهُ مَرَضُ الأَنَانيَّة وَالعُجْبُ وَتَخلصَ منَ الجَهْل المُرَكَّب الذى فيه، وَاعْتَرَفَ بكَوْن الأَمَانَة منْ أَهْل الأَمَانَة، وَحَصَل لهُ الإعْرَاضُ عَنْ نَفْسه بَدَل الإقْبَال عَلى نَفْسه، وَتَبَدَّل إعْرَاضُهُ عَنِ الأَصْل بالإقْبَال عَلَيْه، فَحينَئذ يَسْتَمْسكُ بحَبَل السَّعَادَة بيَده، وَيَحْصُل لهُ رَجَاءَ الوُصُول إلى الأَصْل، غَايَةُ مَا في البَاب أَنَّ العَالمَ لَمَّا كَانَ ظلال الأَسْمَاء وَالصِّفَات الوَاجبيَّة كَانَ أُصُولهَا هيَ الأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ، وَهَذه الظِّلال أَعْرَاضٌ قَائمَةٌ بأُصُولهَا التي هيَ الأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ لَيسَ بَيْنَهَا جَوْهَرٌ حَتَّى تَكُونَ قَائمَةً به، وَقَال النَّظَامُ من المُعْتَزلة بحُكْم الكَذُوب قَدْ يَصْدُقُ مُطَّلعًا عَلى ذَا السِّرِّ العَالمِ بتَمَامه أَعْرَاضٌ لا جَوْهَرَ حَتَّى يَقُومَ به، وَلَكنَّهُ أَخْطَأَ في قَوْله بقيَامِ هَذه الأَعْرَاضِ بأَنْفُسهَا غَافلاً عَنْ أُصُولهَا التي تَقُومُ بهَا، وَقَال الشَّيْخُ مُحْي الدِّين بْنُ العَرَبيّ قُدِّسَ سرُّهُ منَ الصُّوفيَّة إنَّ العَالمَ أَعْرَاضٌ مُجْتَمعَةٌ، وَجَعَل قيَامَهَا

---

(١) ـــ الآية ٤٣: من سورة الأعراف.

بذَات الله جَل وَعَلا لا بالأَسْمَاء وَالصِّفَات التي هِيَ أُصُولهَا فَيَا لَيتَ شعْرِي مَا مَعْنَى القيَامِ بالذَّات المُجَرَّدَة عَنِ الوُجُوه وَالاعْتبَارَات، وَلا مَعْنَى للقيَام ثَمَّةَ إلا اخْتصَاصُ النَّاعت بالمَنْعُوت، وَلا نَعْتَ ثَمَّةَ فَلا قيَامَ، وَأَيْضًا إنَّ القيَامَ منْ جُمْلَة الوُجُوه وَالاعْتبَارَات المُتعَيِّنَة فَلا مَعْنَى لإثْبَاته في تلكَ المَرْتَبَة المُقَدَّسَة، فَإذَا كَانَ أَفْرَادُ العَالم ظلال الأَسْمَاء وَالصِّفَات فَلا جَرَمَ يَكُونُ وُصُولهَا إلى أُصُولهَا التي هِيَ الأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ، فَلوْ وَصَلَ إلى أُصُول الأُصُول أَيْضًا لا يَكُونُ مُنْتَهيًا إلى الذَّات المُجَرَّدَة المُقَدَّسَة، وَلا يَقْدرُ أَنْ يَتجَاوزَهَا، وَلا مَجَال هُنَاكَ للأَصَالة أَيْضًا فَإنَّ ثَمَّةَ غنًا ذَاتيًا عَنِ الكُل لا ارسْمَ فيه وَلا صفَةَ وَلا شَأْنَ وَلا اعْتبَارَ، فَلا يَكُونُ للعَالم منْ مَرْتَبَة الذَّات المُقَدَّسَة نَصيبٌ غَيْرُ الحرْمَان، وَلا يَكُونُ للوُصُول وَالاتِّصَال فيه مَجَال، وَلكنْ قَدْ جرَتْ عَادَةُ الله سُبْحَانَهُ بأَنْ يُعْطي بَعْدَ قُرُون مُتطَاولة وَأَزْمنَة مُتَبَاعدَة منْ كَمَال رَحْمَته وَرَأْفَته لصَاحب دَوْلة بَعْدَ الفَنَاء الأَتَمِّ بَقَاءً أَكْمَل وَأُنْمُوذَجًا منَ الذَّات الأَقْدَس، فَكَمَا أَنَّ قيَامَهُ كَانَ أَوَّلاً بأَصْله الذى هُوَ الأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ يَكُونُ الآنَ قَائمًا بذَلكَ الأُنْمُوذَج،، وَمَجْمُوعُ تلكَ الأَعْرَاض السَّابقَة التي كَانَتْ تَكُونُ تلكَ الذَّاتُ المَوْهُوبَةُ حَقيقَتُهَا، وَيَنْتَهي كَمَالهُ الإنْسَانُ إلى نهَايَته، وَتَتمُّ النِّعْمَةُ في حَقِّه، هَا أَنَا أَقُول كَلامًا يَنْبَغي حُسْنُ الإصْغَاء إنَّ القيَامَ بتلكَ الذَّات المَوْهُوبَة لَيسَ مَخْصُوصًا بذَلكَ العَارف بَل قيَامُ جَميع أَفْرَاد العَالم التي هِيَ أَعْرَاضٌ مُجْتَمعَةٌ كَمَا كَانَ أَوَّلاً بالأَسْمَاء وَالصِّفَات، جُعل الآنَ مَرْبُوطًا بتلكَ الذَّات المَوْهُوبَة، وَجُعل الكُل قَائمًا بتلكَ الذَّات المَوْهُوبَة

لَيْسَ عَلَى الله بمُسْتَنْكَر أَنْ يَجْمَعَ العَالمَ في وَاحد

وَسرُّ خلافَة الإنْسَان التي جَاءَتْ في قَوْله تَعَالى {إنِّي جَاعلٌ في الأَرْض خَليفَة}(١) يَتَحَقَّقُ هَهُنَا، وَحَقيقَةُ خَبَر أَنَّ الله خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَته تَتَّضحُ ثَمَّةَ، وَمَا قُلتُ منْ أَنَّهُ يُعْطَى أُنْمُوذَجًا منَ الذَّات الأَقْدَس، فَهُوَ منْ ضيق مَيْدَان العبَارَة، وَإلا فَأَيْنَ المَجَال هُنَاكَ للأُنْمُوذَج؟ وَأَيُّ شَيْءٍ يَظْهَرُ بصُورَته؟ وَأَيْنَ المَجَال ثَمَّةَ للصُّورَة؟

يَنْبَغي نْ يُعْلَم: أَنَّ مثْل هَذَا العَارف لا يَكُونُ مُتَعَدِّدًا في عَصْر وَاحد، فَإنَّهُ إذَا ظَهَرَ بَعْدَ قُرُونٍ مُتَطَاولَةٍ، كَيْفَ يُتَصَوَّرُ تَعَدُّدُهُ في عَصْرٍ وَاحدٍ؟ فَلَوْ عَيَّنَّا مُدَّةً

---

(١) ـــ الآية ٣٠: من سورة البقرة.

ظُهُور مثْل هَذه الدَّوْلَة لَمَا صَدَّقَهُ غَيْرُ الأَقَلِينَ {رَبَّنَا آتنَا منْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا منْ أَمْرنَا رَشَدًا}(١).

ينبغـــــي: أَنْ يُعْلَم أَنَّ العَارفَ الذى شَرُفَ ببَقَاء الذَّات تَكُونُ تلكَ الذَّاتُ المَوْهُوبَةُ لا كَيْفيَّةَ وَتَكُونُ وَرَاءَ جَميع الوُجُوه وَالاعْتبَارَات، وَالذَّاتُ تَكُونُ تلكَ الذَّاتَ التي لَهَا نَصيبٌ منَ اللا كَيْف لَهَا طَريقٌ سُلْطَانيٌّ إلَى الذَّات المُجَرَّدَة اللاكَيْفيَّة، وَتَكُونُ الذَّاتُ التي لَهَا نَصيبٌ منَ الكيف لَهَا طَريقٌ سُلْطَانيٌّ إلَى الذَّات المُجَرَّدَة اللاكَيْفيَّة، وَتَكُونُ الذَّاتُ المَوْهُوبَةُ هيَ كُنْهُ العَارف، فَإنَّ الكُنْهَ عبَارَةٌ عَمَّا هُوَ وَرَاءَ جَميع الوُجُوه وَالاعْتبَارَات، وَهَذه الذَّاتُ مَا وَرَاءَ جَميع الاعْتبَارَات، وَلا كُنْهَ لسَائر أَفْرَاد العَالَم؛ فَإنَّ جَميعَ وُجُودهَا وُجُوهٌ وَاعْتبَارَاتٌ، وَلا ذَاتَ لَهَا مَا وَرَاءَ الاعْتبَارَات حَتَّى يُقَالَ لَهَا كُنْهُهَا، فَإذَا لَمْ يَكُنْ لَهَا كُنْهٌ، مَاذَا يَكُونُ لَهَا نَصيبٌ منْ كُنْه الأَصْل؟ وَالذي لَهُ سَبيل إلَى الكُنْه هُوَ الكُنْهُ، وَأَيُّ مُنَاسبَة للوَجْه مَعَ الكُنْه وَكَأَنَّ الكُنْهَ وَقَعَ مُحَاذيًا للكُنْه للوَجْه انْحرَافٌ منَ الكُنْه، فَكَيْفَ يَصل إلَى الكُنْه؟ بَل كَمَا يَكُونُ حَرَكَتُهُ وَسَيْرُهُ أَكْثَرَ يُقَع منَ الكُنْه وَأَبْعَدَ

لنْ تَبْلغَ الكَعْبَةَ العَلْيَاءَ يَا بدَويٌّ إنَّ الطَّريقَ الذى تَمشّي إلى الخُتَنِ

وَإطْلاقُ مُحَاذَاة الكُنْه الكُنْهَ منْ ضيق مَجَال العبَارَة، وَإلا كَيْفَ تُتَصَوَّرُ المُحَاذَاةُ في تلكَ الحَضْرَة، وَلَكنْ تُطْلَقُ المُحَاذَاةُ عَلَى سَبيل التَّجَوُّز المُتَمثّل ذَلكَ المَعْنَى الكَيْفيَّ بصُورَة مثَاليَّة مُتَكَيِّفَة {رَبَّنَا لا تُؤَاخذْنَا إنْ نَسينَا أَوْ أَخْطَأْنَا}(٢).

اسْمَعْ أَنَّهُ لَمَّا حَصَلَ لأَفْرَاد العَالَم التي هيَ أَعْرَاضٌ مُجْتَمعَةٌ قيَامٌ بذَات العَارف المَوْهُوبَة كَمَا مَرَّ حَصَلَتْ لَهَا أَيْضًا نسْبَةٌ بالذَّات الأَقْدَس جَل شَأْنُهَا بتَوَسُّط ذَات العَارف المَذْكُورَة، وَحَصَلَ لَهَا نَصيبٌ منْ تلكَ المَرْتَبَة المُقَدَّسَة منْ هَذه الحَيْثيَّة، فَإنَّ ذَاتَ هَؤُلاء هيَ عَيْنُ ذَات العَارف كَأَنَّهَا حَصَلَ لَهَا بتَوَسُّط ذَوَاتهَا ارْتبَاطٌ لا كَيْفيٌّ بذَات لا كَيْفيَّة، وَمَعَ ذَلكَ انْتسَابُهَا إلَى الذَّات الأَقْدَس بتَوَسُّط العَارف، فَإنَّ تلكَ الذَّاتَ في الحَقيقَة هيَ ذَاتُ العَارف، اسْمَعْ كَلامًا غَريبًا أَنَّ كُل أَحَد لَهُ انْتسَابٌ إلَى الذَّات الأَقْدَس بذَاته، وَوُصُول لا كَيْفيٌّ إلَى تلكَ المَرْتَبَة المُقَدَّسَة لَهُ أَصَالَةٌ وَاسْتقْلال في أَخْذ الفُيُوض وَالبَرَكَات منْ تلكَ المَرْتَبَة المُقَدَّسَة، وَلا تَوَسُّطَ

---

(١) ـــ الآية: ١٠ من سورة الكهف.

(٢) ـــ الآية ٢٨٦: من سورة البقرة.

فِي البَيْنِ وَالوَسَائط، إنَّمَا هِيَ فِيمَا دُونَ تلكَ المَرْتَبَة المُقَدَّسَة، وَلكُل أَحَد مِنَ الوَاصلينَ إلى تلكَ المَرْتَبَة المُنَزَّهَة نَصيبٌ بقَدْر اسْتعْدَاده بطَريق الأَصَالة، وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِحَقَائِقِ الأُمُورِ كُلِّهَا {وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[1].

(١) ـــ الآية: ٤٨ من سورة طه.

المَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالتِّسْعُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلَى الخَوَاجَة جَمَال الدِّين الحُسَيْن
فِي تَعْبِيرِ وَاقِعَته

بَعْدَ الحَمْد وَالصَّلوَات وَتَبْليغ الدَّعوَات ليَعُمَّ الوَلَدُ الأَعَزُّ، إنَّ الصَّحِيفَةَ الشَّرِيفَةَ التي أَرْسَلتَهَا قَدْ وَصَلَتْ، وَحَيْثُ كَانَتْ مُتَضَمِّنَةً الخَبَرَ وَالعَافِيَةَ وَالجمْعِيَّةَ الصُّورِيَّةَ وَالمَعْنَوِيَّةَ أَوْرَثَت الفَرَحَ وَالسُّرُورَ، وَكَتَبْتَ الوَاقِعَةَ التي ظَهَرَتْ وَطَلَبْتَ تَعْبِيرَهَا، وَهِيَ أَنِّي كُنْتُ مَرَّةً فِي صَدَد التَّوَضِّي، فَسَقَطْتُ مَغْشِيًّا عَلَيَّ، وَصِرْتُ كَأَنَّهُ خَرَجَ الرُّوحُ مِنْ بَدَنِي، وَلَمَّا أَفَقْتُ رَأَيْتُ نُورًا لامعًا كَالشَّمْسِ حَتَّى غُشِيَ عَلَيَّ مِنْ غَايَة لطَافَته كَمَا إذَا رَأَى شَخْصٌ مَحْبُوبَهُ فَيَنْمَحِي فِي أَشعَّة جَمَاله، وَلا يَبْقَى مِنْهُ اسْمٌ وَلا رَسْمٌ ليَكُنْ مَكْشُوفًا لوَلَدِي وَمَعْلومًا أَنَّ الإنْسَانَ مُرَكَّبٌ مِنْ لطَائفَ سَبْعَة مَشْهُورَة، وَلكُل لطيفَة مُعَامَلَةٌ عَلَى حدَة وَأَحْوَال وَمَوَاجِيدُ مُخْتَصَّةٌ بهَا، وَكَانَتْ أَحْوَال وَلَدِي وَأَذْوَاقُهُ مُتَعَلِّقَةً بلطيفَة رُوحكَ، وَأَدْخَلهَا فِي تَصرُّفه {إنَّ المُلوكَ إذَا دَخَلوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلوا أَعِزَّةَ أَهْلهَا أذلة}[1]، وَلَمَّا كَانَت الرُّوحُ التي هِيَ مَنْشَأُ الإدْرَاك وَالشُّعُور مَغْلوبَةَ الوَارِد كَانَ الغَشْيُ نَقْدَ الوَقْت، وَمُعَامَلَتُكَ فِي ذَلكَ الوَقْت مُتَعَلِّقَةٌ بلطيفَة الرُّوح، وَقَدْ وَقَعَ فِي حَلقه هَذَا اليَوْمَ نَوْعُ إمْدَاد وَإعَانَة فِي تَكْمِيل هَذه النِّسْبَة، وَشُوهدَ ظُهُورُ أَثَرهَا، وَعُلمَ أَنَّهُ قَدْ حَصَلَ لهَا وُسعَةٌ وَهِيَ بَعْدُ فِي صَدَد السِّرَايَة، رَزَقَ اللهُ سُبْحَانَهُ إتْمَامَهَا، وَالوَاقِعَةُ الثَّانِيَةُ التي كَتَبْتَهَا أَنَّكَ رَأَيْتَ تَلاقِيَ الثُّرَيَّا ببَنَات نَعْشٍ فِي بَيْتِي، تَعْبِيرُ هَذه الوَاقِعَة مُنَاسبٌ لتَعْبِير الوَاقِعَة الأُولى، وَحَيْثُ ظَهَرَ اجْتمَاعُ نسْبَة القَلب بنسْبَة الرُّوح بتَلاقِي هَذَيْنِ القسْمَيْن منَ الكَوَاكب، وَحَيْثُ إنَّ فِي الثُّرَيَّا انْتظَامَ الكَوَاكب، فَهُوَ مُنَاسبٌ بالقَلب، وَحَيْثُ إنَّ فِي بَنَات النَّعْش انْتشَارًا فَهُوَ مُنَاسبٌ بالرُّوح، فَإنْ ظَهَرَت الوَاقِعَةُ الثَّانيَةُ بَعْدَ الوَاقِعَة الأُولى فَصَحِيحَةٌ وَدَالَّةٌ عَلَى اجْتمَاع النِّسْبَتَيْن، وَإنْ ظَهَرَتْ أَوَّلاً فَذَلكَ أَيْضًا صَحِيحٌ، فَإنَّهُ كَثِيرٌ مَا تَحْصُل النِّسْبَةُ وَلا تَظْهَرُ، فَأُرِيتَ أَوَّلاً

(١) ــــ الآية ٣٤: من سورة النمل.

حُصُولِهَا، ثُمَّ ظَهَرَتْ بِوَاقِعَةٍ ثَانِيَةٍ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ {سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلا مَا عَلَّمْتَنَا}(١) وَالسَّلَامُ.

(١) ــ الآية ٣٠: من سورة البقرة.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالتِّسْعُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة إلى حَضْرَة المَخْدُومِ زَادَهْ الخَوَاجَة مُحَمَّد سَعيد وَالخَوَاجَة مُحَمَّد مَعْصُوم مُدَّ ظلهُمَا في إظْهَارِ المُهَاجَرَة مَعَ بَعْضِ البشَارَات

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَادَة الذينَ اصْطَفَى، ليَكُنْ أَوْلادي الكرَامُ مُتحقِّقينَ بالجَمْعيَّة الصُّوريَّة وَالمَعْنَويَّة أَنْ لا أَجدَ في هَذه الأَسْفَار وَالمحَنِ شَيْئًا منَ الآلام مُسَاويًا لمُفارَقة أَوْلادي الأَعزَّة، وَقَلمَا أَكونُ فَارغًا عَنْ تذْكَارهمْ، وَكُلما كَانَ وَصُول النِّعَمِ منَ المُنْعِم الحَقيقيِّ أَكْثَرَ يَكُونُ تَذَكُّرُ الأَحبَّة النَّائينَ أَزْيَدَ وَأَوْفَرَ، وَالسَّوَانحُ الجَديدَةُ تُكْتَبُ يَوْمًا فَيومًا في المُسوَّدَة، وَتُنْقَل إلى البَيَاض، وَلكنْ مَن الذى يُدْركُهَا وَمَنْ يَحْتَظُّ بهَا وَالخَوَاجَةُ مُحَمَّدُ هَاشم مُغْتَنم، فإنَّ فيه اسْتعْدَادَ فَهْم الكَلام، وَيَكُونُ مُلتَذًّا في الجُمْلة، وَلكنَّهُ صَارَ في سَفَر أجمير هَذَا منْ شدَّة المحَن منَ المُخلصينَ الصَّحيحي الأَعْذَار لا يُرَافقُونَ إلا قَليلاً، حَسْبُنَا اللهُ وَنعْمَ الوَكيل، الرُّفَقَاءُ قَليلونَ وَالأَذْوَاقُ أَيْضًا قَليلة {أَلَيْسَ اللهُ بكَاف عَبْدَه}[1]؟ بَلى، ثُمَّ إنِّي لَمَّا كُنْتُ لَيْلةً مَحْزُونًا وَمُتَأَلمًا منْ مُفَارَقَتكُمْ رَأَيْتُ بَعْدَ صَلاة التَّهجُّد أَنَّكُمَا الأَخَوَيْن ذَهَبْتُمَا مَعَ وَاحد منْ هَؤُلاء الأَصْحَاب عنْدَ وَكيل سُلطَان، فَتَكُونُوا مُلازمينَ لهُ، وَتَمْييزُ مَنْ يَصْلُحُ للمُلازمَة مُفَوَّضٌ إلى ذَلكَ الوَكيل، فَكُلٌ مَنْ يَرَاهُ قَابلاً للمُلازمَة يَأْخُذُهُ مُلازمًا، وَيَكْتُبُونَ لوْنَهُ وَعَلائمَهُ عَلى وَرَق، فَكَتَبُوا منْ بَيْن الثَّلاثَة لوْنَكُمَا، وَأَخَذُوكُمَا للمُلازمَة، وَلَمْ يَكْتُبُوا لوْنَ الثَّالث منَ الأَصْحَاب، وَلَمْ يَقْبَلوهُ للمُلازمَة، وَأَنَا أَسْأَلكُمَا أَنَّهُ لمَ لمْ يَكْتُبُوا لوْنَهُ؟ فَتقُولان إنَّهُ قَرَّبَ وَجْهَهُ إلى وَجْهه وَقْتَ كتَابَة اللوْن وَتَأَمَّل فيه تَأَمُّلاً تَامًّا، فَقَال إنَّ به سَوَادًا، أَوْ قَال لفْظًا قَريبًا منْ ذلكَ، فَلَمْ يَكْتُبْ حَمْدًا لله سُبْحَانَهُ قَد اطْمَئَنَّ القَلبُ منْ جَانبكُمَا حَيْثُ قَبلوكُمَا، وَلكنْ بَقيَ الخَاطرُ مُتَأَلمًا منْ طَرَف هَذَا الثَّالث وَالأَصْحَاب حَيْثُ لمْ يَقْبَلوهُ، وَلَيْتَ يَقبَلونَهُ لمُلازمَة مُلازمي السُّلطَان، العَاقبَةُ بالخَيْر.

(١) ــــ الآية ٣٦: من سورة الزمر.

المَكْتُوبُ الخَامسُ وَالتِّسْعُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى حَضْرَة المَخْدُوم الخَوَاجَة مُحَمَّد سَعِيد
وَالخَوَاجَة مُحَمَّد مَعْصُوم سَلمَهُمَا اللهُ
في بَيَانِ بَرَكَاتِ كَوْنه في العَسْكَرِ منْ غَيْرِ اخْتيَارٍ

ليَكُنْ أَوْلادي الكرَامُ على جَمْعيَّة؛ إنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ إلى محَننَا في جَميع الأَوْقَات وَيَطْلُبُونَ مَخْلصًا منْ هَذَا المَضيق، وَلا يَدْرُونَ أَنَّ في عَدَم حُصُول المُرَاد وَعَدَم الاخْتيَار وَعَدَم نَيْل المَقْصُود وَالمَرَام بَلاءً حَسَنًا وَجَمَالاً، وَأَيُّ نعْمَة تُسَاوي إخْرَاجَ الإنْسَان منَ اخْتيَاره بلا اخْتيَاره وَإعْطَاءَ المَعيشَة لهُ بلا اخْتيَار، وَجَعْل أُمُوره الاخْتيَاريَّة تَابعَةً لعَدَم اخْتيَاره، وَجَعْلهُ كَالمَيِّت بَيْنَ يَدَي الغَسَّال، وَفي أَيَّام الحَبْس إذَا تَأَمَّلتُ أَحْيَانًا في اضْطرَاري وَعَدَم اخْتيَاري كُنْتُ أَحْتَظُّ منْهُ حَظًّا عَجيبًا وَأَجدُ منْهُ ذَوْقًا غَريبًا، نَعَمْ مَاذَا يَجدُ أَرْبَابُ الفرَاغ منْ أَذْوَاق أَرْبَاب البَلاء، وَمَاذَا يُدْركُونَ منْ جَمَال بَلائه وَالحَظُّ عنْدَ الأَطْفَال مُنْحَصرٌ في الحَلاوَة، وَالذي نَال حَظًّا وَافرًا منَ المَرَارَة لا يَشْتَري الحَلاوَةَ بشَعْرَة؛ (ع):

مُرِّغْ آتشنحواره كَيْ لذَّة شناسددانه دا

{وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[1].

(١) ـــ الآية: ٤٨ من سورة طه.

المَكْتُوبُ السَّادسُ وَالتِّسْعُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى الحَافظ عَبْد الغَفُور
في بَيَان آدَاب هَذه الطَّرِيقَة العَليَّة

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى، يَنْبَغي لطَالب هَذَا الطَّريق بَعْدَ تَصْحيحِ العَقَائد بمُوجَب آرَاء أَهْل الحَقِّ شَكَرَ اللهُ تَعَالى سَعْيَهُمْ وَبَعْدَ تَعَلمِ الأَحْكَام الفقْهيَّة وَالعَمَل بمُقْتَضَى العلمِ أَنْ يصْرِفَ جَميعَ أَوْقَاته في ذكْرِ الله جَل شَأْنُهُ بشَرْط أَنْ يَكُونَ ذَلكَ الذِّكْرُ مَأْخُوذًا منَ الشَّيْخِ الكَامل المُكَمِّل، فَإنَّهُ لا يَحْصُل الكَاملَ منَ النَّاقص، وَيَنْبَغي تَعْميرِ الأَوْقَات بالذِّكْر عَلى نَهْجٍ لا يَشْتَغل بَعْدَ أَدَاء الفرَائضِ وَالسُّنَنِ المُؤَكَّدَة بشَيْء غَيْر الذِّكْر أَصْلاً حَتَّى بتَرْك تلاوَة القُرْآن وَنَوَافل العبَادَات أَيْضًا، وَيَشْتَغل بالذِّكْر بالوُضُوءِ وَبغَيْر الوُضُوء، قَائمًا وَقَاعدًا، وَلا يَخْلو عَنْهُ في مَجيئه وَذَهَابه، وَوَقْت أَكْله وَنَوْمه

أَلا فَاذْكُرُوا رَبَّ الرَّايَا فَإنَّهُ   جَلاءُ القُلوب، وَالغذَاءُ لأَرْوَاحِ

وَلَيَشْتَغل بالذِّكْرِ عَلى الدَّوَامِ حَتَّى لا يَبْقَى في سَاحَة الصَّدْر منْ غَيْرِ المَذْكُور اسْمٌ وَلا رَسْمٌ لا يَخطرُ مَا سوَى المَذْكُورِ في قَلْبه بطَريقِ الخَطْرَة أَيْضًا، فلَوْ تَكَلفَ في إحْضَارِ الغَيْر لا يَتَيَسَّرُ لَهُ ذَلكَ بوَاسطَة نسْيَان القَلب غَيْرَ المَذْكُور، وَذَلكَ النِّسْيَانُ أَعْني نسْيَانَ القَلب جَميعَ مَا سوَى المَطْلوب مُقَدِّمَةُ حُصُول المَطْلوب وَمُبَشِّرٌ بالوُصُول إلَيْه، وَمَاذَا أَكْتُبُ منْ حُصُول المَطْلوبِ وَالوُصُول الحَقيقيِّ إلى المَقْصُود، فَإنَّ ذَلكَ وَرَاءَ الوَرَاء

كَيْفَ الوُصُول إلى سُعَادَ وَدُونَهَا   قُلل الجبَال وَدُونَهنَّ حُيُوفُ

فَإذَا أَتَمَّ الأَخُ الأَعَزُّ هَذَا الدَّرْسَ بعنَايَة الله سُبْحَانَهُ يَطْلبُ دَرْسًا آخرَ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ المُوَفِّق

{وَالسَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}(١).

---

(١) ــ الآية: ٤٨ من سورة طه.

المَكْتُوبُ السَّابعُ وَالتِّسْعُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة إلى حَضْرَةِ المَخْدُومِ الخَوَاجَة مُحَمَّد مَعْصُومٍ في التَّحْرِيضِ عَلى حِفْظِ الأَوْقَات

أَحْوَال هَذه الحُدُود وَأَوْضَاعُهَا مُسْتَوْجبَةٌ للحَمْد المَسْئُول منَ الله سُبْحَانَهُ سَلامَتُكُمْ وَاسْتقَامَتُكُمْ فَإذَا تَيَسَّرَ الوُصُول بمَشيئَة الله تَعَالى إلى أَجْمير وَحَصَلَت النَّجَاةُ منْ هَذه العَقَبَات الشَّديدَة، وَالحَرُّ المُفْرَطُ أَكْتُبُ لَكُمْ كتَابًا، وَأَطْلُبُكُمْ إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالى عَلَيْكُمْ بالجَمْعيَّة وَصَرْف الهمَّة في مَرَاضي المَوْلى جَل شَأْنُهُ بالتَّمَام حَذَرَ الوُقُوع في الفَرَاغ، وَاسْتيفَاء حَظِّ النَّفْس وَالمُؤَانَسَة التَّامَّة بالأَهْل وَالعيَال فَيَقَعُ الفُتُورُ في مُعَامَلَة مُهمَّة فَلا يَحْصُل شَيْءٌ غَيْرُ الحرْمَان وَالنَّدَامَة وَلا تُجْدي النَّدَامَةُ شَيْئًا، وَعَلَيْكُمْ باغْتنَام هَذه الصُّحْبَة، وَصَرْف الأَوْقَات في أَهَمِّ الأُمُور {مَا عَلَى الرَّسُول إلا البَلاغ}(١)، وَالمَعَارفُ الجَديدَةُ التي حَرَّرَتْ كُلهَا دَرَسَكُمْ بَعْدَ دَرْس إيَّاكُمْ وَسَرْدَهَا، بَل يَنْبَغي أَنْ تَجْتَهدُوا في مُطَالَعَتهَا بالجدِّ وَالجُهْد، فَلعَلَهُ تَنْكَشفُ رَوْزَنَةٌ منْ مَكْنُونَاتهَا، فَتَكُونُ رَأْسَ مَال سَعَادَتكُمْ، وَقَدْ وَجَدْتُ بشَارَةً في مَادَّتكُمْ، وَكَتَبْتُهَا في مَكْتُوب، وَفَوَّضْتُهُ إلى الخَوَاجَة مُحَمَّد هَاشم لكَشْميٍّ ليُوَصِّلَهُ إلَيْكُمْ، وَلعَل اللهَ سُبْحَانَهُ لا يُضَيِّعُكُمْ بكَرْمه وَيَقْبَلكُمْ، وَلَكنْ عَلَيْكُمْ بالخَوْف وَالإشْفَاق، وَإيَّاكُمْ وَصَرْفَ الأَوْقَات في اللهْو وَاللعب؛ فَلا يَبْقَى للصُّحْبَة تَأْثيرٌ، وَكُونُوا مُلتَجئينَ وَمُتَضَرِّعينَ إلى حَضْرَة الحَقِّ سُبْحَانَهُ، وَعَلَيْكُمْ الاخْتلاطَ بأَهْل الحُقُوق بقَدْر الضَّرُورَة، وَاسْتمَالَةَ خَوَاطرهمْ، وَعَاشرُوا الجَمَاعَةَ المَسْتُورَةَ بالوَعْظ وَالنَّصيحَة، وَلا تَبْخلوا في حَقِّهمْ بالأَمْر بالمَعْرُوف وَالنَّهْي عَن المُنْكَر، وَرَغِّبُوا جَميعَ أَهْل البَيْت في الصَّلاة وَالصَّلاح وَإتْيَان الأَحْكَام الشَّرْعيَّة؛ فَإنَّكُمْ مَسْئُولونَ عَنْ رَعيَّتكُمْ وَقَدْ أَعْطَاكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ العلمَ، وَنَسْأَلهُ تَعَالى أَنْ يَرْزُقَكُمُ العَمَل عَلى وَفْقه، وَالاسْتقَامَةَ عَلَيْه، آمينَ.

---

(١) ــ الآية: ٩٩ من سورة المائدة، والآية: ٥٤ من سورة النور، والآية: ١٨ من سورة العنكبوت.

المَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالتِّسْعُونَ بَعْدَ الأَرْبَعمائَة
إلى الدَّرْوِيش حَبِيب الخَادِم
فِي بَيَانِ سِرِّ كَثْرَة ظُهُورِ الخَوَارِقِ وَقِلتِهَا

اعْلَمْ أَنَّ ارْتِكَابَ فُضُول المُبَاحَات بَاعِثٌ عَلَى قِلة ظُهُورِ الخَوَارِق خُصُوصًا إِذَا أَفْضَى كَثْرَةُ مُبَاشَرَة الفضول إلى حَدِّ المُشْتَبَه وَأَدَّتْ مِنْهُ عِيَاذَ بِالله سُبْحَانَهُ إلى حَوَالِي المُحرَّمِ، فَأَيْنَ الكِرَامُ حِينَئذ؟ وَأَيْنَ الخَوَارِقُ؟ وَكُلمَا يَضِيقُ دَائِرَةُ مُبَاشَرَة المُبَاحِ، وَاكْتَفِي مِنْهُ بِقَدْرِ الضَّرُورَة يَكُونُ مَجَال الكَشْف وَالكَرَامَة أَوْسَع، وَطَرِيقُ ظُهُورِ الخَوَارِق أَوْضَح، وَظُهُورُ الخَوَارِق مِنْ شَرَائِط النُّبُوَّة لا مِنْ شَرَائِط الوِلايَة، فَإِنَّ إِظْهَارَ النُّبُوَّة وَاجِبٌ دُونَ إِظْهَار الوِلايَة، بَل السِّرُّ وَالإِخْفَاءُ فِي هَذِه المَرْتَبَة أَوْلى، فَإِنَّ هُنَاكَ دَعْوَةَ الخَلق وَهُنَا قُرْبَ الحَقِّ جَل شَأْنُهُ، وَمَعْلومٌ أَنَّ الإِظْهَارَ لازِمٌ للدَّعْوَة، وَالسَّتْرَ مُنَاسِبٌ للقُرْب، وَكَثْرَةُ ظُهُور الخَوَارِق مِنْ وَلِيٍّ لا يَدُل عَلى أَفْضَليَّته عَلى غَيْرِه مِنَ الذينَ لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُمْ مِنَ الخَوَارِق مِثْل مَا ظَهَرَ مِنْهُ بَل يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ وَلِيٌّ لا يَظْهَرُ مِنْهُ خَارِقٌ أَصْلاً أَفْضَل مِنَ الأَوْلِيَاء الذينَ ظَهَرَتْ مِنْهُمُ الخَوَارِقُ، كَمَا حَقَّقَ شَيْخُ الشُّيُوخِ هَذَا المَعْنَى فِي كِتَابَة العَوَارِف، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ قلةُ ظُهُور الخَوَارِق وَكَثْرَتُهَا فِي الأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ مُوجِبَةً للأَفْضَليَّة وَالمَفْضُوليَّة مَعَ كَوْنِهَا شَرْطًا للنُّبُوَّة، كَيْفَ تَكُونُ فِي الوِلايَة مُوجبَةً للتَّفَاضُل مَعَ كَوْنِهَا غَيْرَ شَرْط فِيهَا؟ وَأَظُنُّ أَنَّ المَقْصُودَ الأَصْليَّ مِنْ رِيَاضَات الأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَمُجَاهَدَاتِهِمْ وَتَضْيِيقِهِمْ فِي مُبَاشَرَة المُبَاحِ عَلى أَنْفُسِهِمْ هُوَ تَحْصِيل ظُهُورِ الخَوَارِق التي هِيَ وَاجِبَةٌ عَلَيْهِمْ، وَشَرْطُ نُبُوَّتِهِمْ لا الوُصُول إلى دَرَجَات القُرْب الإلهِيِّ جَل سُلطَانُهُ فَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ الصَّلوَاتُ وَالتَّحِيَّاتُ مُجْتَبُونَ، فَيُجَرِّبُهُمْ بِسِلسِلة جَذْب المَحبَّة جَرًّا جَرًّا، وَيُوَصِّل بِهِمْ إلى دَرَجَات القُرْب الإلهِيِّ جَل شَأْنُهُ بِلا مَشَقَّة مِنْهُمْ، وَالطَّرِيقُ الذى يُحْتَاجُ فِيه للوُصُول إلى دَرَجَات القُرْب الإلهِيِّ جَل سُلطَانُهُ إلى الرِّيَاضَات وَالمُجَاهدَات هُوَ طَرِيقُ الإِنَابَة وَالإِرَادَة الذى هُوَ طَرِيقُ الاجْتِبَاء هُوَ طَرِيقُ المُرَادِّينَ وَالمُرِيدُونَ يَذْهَبُونَ بِأَرْجُلهِمْ بِالمَشَقَّة وَالمِحْنَة، وَالمُرَادُّونَ يَحْملونَ إلى مَنْزِل المَقْصُود بِالإِعْزَازِ وَالإِكْرَامِ وَيُوَصِّل بِهِمْ إلى دَرَجَات القُرْب بِلا مِحْنَة مِنْهُمْ.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ الرِّيَاضَات وَالْمُجَاهدَات مِنْ شَرَائط طَرِيق الإِنَابَة وَالإِرَادَة، وَإِنَّهَا لَيْسَتْ بشَرْط فِي طَرِيقِ الاجْتِبَاء، وَمَعَ ذَلكَ هِيَ نَافعَة، مَثَلاً إِذَا حَصَلَ حَمْل شَخْصٍ جرًّا جَرًّا وَهُوَ مَعَ ذَلكَ الجرِّ يَسْتَعْمل سَعْيَهُ أَيْضًا فَلا شَكَّ أَنَّهُ أَسْرَعُ ذَهَابًا مِنَ الذى لا يَسْتَعْمل سَعْيَهُ، وَإِنْ جَازَ أَنْ يَكُونَ الجَرُّ وَحْدَهُ أَحْيَانًا أَقْوَى وَأَجْدَى مِنَ الجَرِّ الْمُرَكَّب الْمَذْكُور، فَالسَّعْيُ وَالْمَشَقَّةُ لا يَكُونُ شَرْطَ كَمَال الوُصُول فِي طَرِيقِ الاجْتبَاء كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ بشَرْط فِي نَفْسِ الوُصُول نَعَمْ فيه احْتمَال النَّفْعِ وَلوْ فِي بَعْضِ الْمحَال، وَفَوَائدُ الرِّيَاضَات وَمَنَافعُ الْمُجَاهدَات التي هِيَ عبَارَةٌ عَنِ الاقْتصَارِ عَلى ضَرُوريَّات الْمُبَاحِ كَثيرَةٌ لأَرْبَاب الاجْتبَاء أَيْضًا بغَيْر الْمَعْنَى الْمَذْكُور، مثْل دَوَامِ الجهَاد الأَكْبَر، وَطَهَارَة البَاطنِ وَنَظَافَته مِنَ التَّلويثَات الدُّنْيويَّة، فَإِنَّ كُل حَوَائجَ ضَرُوريَّة لَيْسَتْ بدَاخلة فِي الدُّنْيَا، وَكُل مَا هُوَ فُضُول فَدَاخل فِي الدُّنْيَا وَالنَّفْعُ الآخرُ فِي الرِّيَاضَة وَالاقْتصَارِ عَلى الضَّرُورَة قلةُ الْمُحَاسَبَة وَالْمُؤَاخذَة الأُخْرَويَّتَيْنِ، وَإِنَّهَا سَبَبٌ لارْتفَاعِ الدَّرَجَات الأُخْرَويَّة، فَإِنَّ مَسَرَّةَ الآخرَة تَكُونُ أَضْعَافَ محْنَة الدُّنْيَا، فظَهَرَ لرِيَاضَات الأَنْبيَاء وَمُجَاهَدَاتهمْ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وُجُوهٌ أُخَرُ غَيْرُ الوُجُوه الذى ذَكَرْنَاهُ آنفًا، فَاتَّضَحَ أَنَّ الرِّيَاضَةَ وَالاقْتصَادَ عَلى ضَرُوريَّات الْمُبَاحِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ شَرْطًا للوُصُول فِي طَرِيقِ الاجْتبَاء وَلكنَّهَا مَحْمُودَةٌ فِي حَدِّ ذَاتهَا وَمُسْتَحْسَنَةٌ بَل النَّظَرُ إِلى الفوَائد الْمَذْكُورَة ضَرُورَةٌ وَلازمَة {رَبَّنَا آتنَا مِنْ لدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا}[1] {وَالسَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[2].

---

(١) ــ الآية: ١٠ من سورة الكهف.

(٢) ــ الآية: ٤٨ من سورة طه.

المَكْتُوبُ التاسع وَالتِّسْعُونَ بَعْدَ الأَرْبَعِمائَة
إلى مَوْلانَا صَالِح الكُولابِيِّ
فِي بَيَانِ أَسْرَارِ مُرَادِيَةِ حَضْرَةِ شَيْخِنَا وَمُرِيدِيَته مُدَّ ظِلهُ العَالِي

الحَمْدُ للهِ، وَسَلامٌ عَلى عِبَادَةِ الذينَ اصْطَفَى أَنَا مُرِيدُ اللهِ أَيْضًا وَسلسلةُ أَرَادَتِي مُتَّصِلةٌ بِاللهِ تَعَالى بلا تَوَسُّطٍ، وَيَدِي نَائِبُ مَنَابِ يَدِ اللهِ تَعَالى، وَإِرَادَتِي مُتَّصِلةٌ بِمُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِوَسَائِطَ كَثِيرَة، فَبَيْنِي وَبَيْنَهُ فِي الطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّة إحْدَى وَعِشْرُونَ وَاسِطَةً، وَفِي الطَّرِيقَةِ القَادِرِيَّة خَمْسٌ وَعِشْرُونَ وَاسِطَةً، وَفِي الطَّرِيقَةِ الجَشْتِيَّة سَبْعٌ وَعِشْرُونَ وَاسِطَةً، وَإِرَادَتِي بِاللهِ تَعَالى لا تَقْبَلُ الوَسَاطَةَ كَمَا مَرَّ، فَأَنَا مُرِيدُ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمُجْتَمِعٌ مَعَهُ فِي مُرْشِدٍ وَاحِدٍ أَيْضًا مُقْتَفٍ أَثَرَهُ ﷺ، وَأَنَا وَإِنْ كُنْتُ طُفَيْلِيًّا فِي خِوَانِ هَذِه الدَّوْلة، وَلكِنِّي مَا جِئْتُ بلا دَعْوَة، وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ تَابِعًا وَلكِنِّي لسْتُ خَالِيًا مِنَ الأَصَالة، وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ أُمَّةً وَلكِنِّي شَرِيكٌ فِي الدَّوْلة لا بِالشَّرِكَةِ التي يَقُومُ عَنْهَا دَعْوَى المُسَاوَاة، فَإِنَّ ذَلكَ كُفْرٌ بَل شَرِكَةُ الخَادِمِ مَعَ المَخْدُومِ، وَمَا لَمْ أُطْلَبْ لَمْ أَحْضُرْ فِي سُفْرَةِ هَذِه الدَّوْلة، وَمَا لَمْ أُدْعَ لَمْ أَمُدَّ يَدِي إلى هَذِه الدَّوْلة، وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ وَيْسِيًّا وَلكِنْ لِي مُرَبٍّ حَاضِرٌ وَنَاظِرٌ، وَإِنْ كَانَ شَيْخِي فِي الطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّة عَبْدَ البَاقِي رَضِيَ اللهُ تَعَالى عَنْهُ وَلكِنَّ المُتَكَلفَ بِتَرْبِيَتِي هُوَ البَاقِي جَل جَلالهُ وَعَمَّ نَوَالهُ، وَإِنِّي تَرَبَّيْتُ بِالفَضْلِ وَذَهَبْتُ مِنْ طَرِيقِ الاجْتِبَاءِ وَسلسلتِي سلسلةٌ رَحْمَانِيَّةٌ، وَأَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، فَإِنَّ رَبِّي رَحْمَانُ جَل شَأْنُهُ، وَعَمَّ إحْسَانُهُ، وَمُرَبِّي أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وَطَرِيقَتِي طَرِيقَةٌ سُبْحَانِيَّةٌ لأَنِّي ذَهَبْتُ مِنْ طَرِيقِ التَّنْزِيه، وَلَمْ أُرِدْ مِنَ الاسْمِ وَالصِّفَةِ غَيْرَ الذَّاتِ الأَقْدَسِ تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ وَهَذَا السَّجَّانِيُّ لَيْسَ هُوَ ذَاكَ السَّجَّانِيُّ الذى قَال بِه البِسْطَامِيّ فَإِنَّهُ لا مَسَاسَ لهُ بِهَذَا، فَإِنَّهُ مَا تَخلصَ مِنْ دَائِرَةِ الأَنْفُسِ وَهَذَا مَا وَرَاءَ الأَنْفُسِ وَالآفَاقِ وَهُوَ تَشْبِيهُ كُسَا لبَاسِ التَّنْزِيه لَمْ يُصِبْهُ غُبَارُ التَّشْبِيه، وَذَاكَ فَائِرٌ مِنْ مَنْبَعِ السُّكْرِ، وَهَذَا مُنْفَجِرٌ عَنْ عَيْنِ الصَّحْوِ، وَلَمْ يَجْعَل أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ أَسْبَابَ التَّرْبِيَةِ فِي حَقِّي غَيْرَ المُعَدَّاة، وَلَمْ يَجْعَل العلةَ الفَاعِلِيَّةَ فِي تَرْبِيَتِي غَيْرَ فَضْله وَاهْتِمَامه تَعَالى وَتَقَدَّسَ، وَإِعْنَاؤُهُ مِنْ كَمَالِ كَرَمِه فِي حَقِّي لا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لفِعْلِ الغَيْرِ مَدْخَلٌ فِي تَرْبِيَتِي أَوْ أَنْ أَكُونَ

أَنَا مُتَوَجِّهًا فِي هَذَا المَعْنَى إِلى الغَيْرِ، فَإِنَّا مُرَبِّي الإلهُ جَل شَأْنُهُ، وَنَجْتَبِي فَضْلَهُ وَكَرَمَهُ اللامُتَنَاهِي، (ع):

لاَ عُسْرَ فِي أَمْرٍ مَعَ الكِرَام

الحَمْدُ للهِ ذِي الجَلال وَالإِكْرَامِ، وَالمِنَّةُ وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلى رَسُولِهِ، وَالتَّحِيَّةُ أَوَّلاً وَآخِرًا

المَكْتُوبُ الخَمْسُمائَة
إلى حَضْرَةِ المَخْدُومِ زَادَهْ العَالِي المَرْتَبَة
الخواجه مُحَمَّد سَعِيد سَلمَهُ اللهُ تَعَالى
فِي أَسْرَارِ خُلةِ الخَلِيلِ وَإِثْبَاتِ التَّعَيُّنِ الوُجُودِيِّ

إنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ إذَا شَرَّفَ عَبْدًا بِدَوْلَة خلته التي هِيَ بالأَصَالة مَخْصُوصَةٌ بحَضْرَة إبْرَاهِيمَ عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، وَجعَلهُ مُمْتَازًا بالولايَة الإبْرَاهِيميَّة بجَعْله أَنيسَهُ وَنَديمَهُ، وَيُوردُ في البَيْنِ نسْبَةَ الأُنْسِ وَالالفَة التي هِيَ مِنْ لوَازِم الخلة، وَلَمَّا حَصَلتْ فِي البَيْنِ نسْبَةُ الخلة التي منْ لوَازِمهَا الأُنْسُ وَالالفَةُ ارْتفعَ مِنَ النَّظَر قُبْحُ أَخْلاق الخَليل وَكَرَاهَةُ أَوْصَافه، فَإنَّهُ لوْ كَانَ قُبْحٌ في النَّظَر لكَانَ بَاعثًا عَلى النَّفْرَة وَعَدَمِ الالفَة وَهيَ مُنَافيَةٌ لمَقَام الخلة التي هِيَ الفَةٌ بالكُلِّيَّة.

فَإنْ قيــــل: إنَّ ارْتفَاعَ قُبْحِ أَوْصَاف الخَليل عَنِ النَّظَرِ في مَرْتَبَة المَجَاز ظَاهرٌ، فَإنَّهُ يَجُوزُ أَنْ تَغْلبَ نسْبَةُ الخلة في ذَلكَ المَوْطنِ، فَتَسْتُرَ قُبْحَ أَوْصَاف الخَليل، وَأَمَّا في مَرْتَبَة الحَقيقَة التي فيهَا العلمُ بالأَشْيَاءِ كَمَا هِيَ فَلا يَجُوزُ فيهَا ظُهُورُ القَبيحِ غَيْرَ قَبيحٍ، وَكَوْنُهُ مَغْلوبَ نسْبَة الخلة.

قُلتُ إنْ فِي كُل قَبيحٍ وَجْهًا منْ وُجُوه الحُسْنِ، فَيُمْكنُ أَنْ يُرَى ذَلكَ القَبيحُ حَسَنًا بالنَّظَرِ إلى ذَلكَ الوَجْه الحَسَنِ، وَيُحْكَمَ بحُسْنه.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ ذَاكَ القَبيحَ وَإنْ لمْ يَعْرضْ لهُ حُسْنٌ مُطْلقٌ، وَلكنْ لمَّا كَانَ وَجْهُهُ الحَسَنُ مَلحُوظًا وَمَنْظُورًا للمَوْلى جل شَأْنُهُ كَانَ بحُكْمِ {أَلا إنَّ حزْبَ الله هُمُ الغَالبُون}[(١)] غَالبًا عَلى سَائرِ وُجُوهه القَبيحَة، وَجَعَل كُلهَا في لوْنه وَصَيَّرَهَا مُسْتَحْسَنَة {أُولئكَ يُبَدِّل اللهُ سَيِّئَاتهِمْ حَسَنَات}[(٢)].

اعْلــــــمْ ــ أَرْشَدَكَ اللهُ تَعَالى سَوَاءَ الصِّرَاط ــ: إنَّ النِّسْبَةَ بَيْنَ الخلة وَالمَحَبَّة عُمُومٌ وَخُصُوصٌ مُطْلقًا، فَإنَّ الخلةَ عَامَّةٌ وَالمَحَبَّةَ فَرْدُهَا الكَامل، فَإنَّ إفْرَاطَ الأُنْسِ وَالالفَة هُوَ المَحَبَّةُ التي هِيَ بَاعثَةٌ عَلى الهَيَمَان، وَمُورِّثَةٌ لعَدَمِ القَرَار وَعَدَمِ الرَّاحَة، وَالخلةُ بتَمَامهَا أُنْسٌ وَالفَةٌ وَاسْترَاحَة، وَالمَحَبَّةُ هِيَ التي عُرضَتْ لهَا كَيْفيَّةٌ

---

(١) ــ الآية ٥٦: من سورة المائدة.

(٢) ــ الآية ٧٠: من سورة الفرقان.

أُخْرَى وَصَارَتْ مُمْتَازَةً مِنْ سَائِرِ أَفْرَاد الخلة، وَكَأَنَّهَا صَارَتْ جِنْسًا آخَرَ، وَالخَاصيَّةُ التي امْتَازَت المَحَبَّةُ بِهَا عَنْ سَائِرِ أَفْرَاد الخَلة هِيَ الحُزْنُ وَالأَلَمُ، وَنَفْسُ الخَلة كُلُهَا عَيْشٌ فِي عَيْشٍ، وَفَرَحٌ فِي فَرَحٍ، وَأُنْسٌ فِي أُنْسٍ، وَلَعَلَهُ مِنْ هَذه الحَيْثِيَّة أَعْطَى اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالى خَليلهُ عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ أَجْرَ عَمَله فِي الدُّنْيَا التي هِيَ دَارُ المِحَنِ وَفي الآخِرَة أَيْضًا، قَال اللهُ تَعَالى: {وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالحِين}(١)

فَإِذَا كَانَت المَحَبَّةُ مَنْشَأَ الأَلم وَالحُزْن، فَكل فَرْد تَكُونُ المُحبَّةُ فِيهَا غَالبًا يَكُونُ الأَلَمُ وَالحُزْنُ فيه أَزْيَدَ، وَمِنْ هَهُنَا قيل " كَانَ رَسُول الله ﷺ مُتَوَاصل الحُزْن "، وَقَال عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلام: "مَا أُوذِيَ نَبيٌّ مثْلمَا أُوذيت"، فَإِنَّ الفرْدَ الكَامل مِنْ أَفْرَاد الإِنْسَان فِي حُصُول المَحَبَّة كَانَ هُوَ النَّبِيُّ ﷺ، وَإِنْ كَانَ هُوَ عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ مَحْبُوبًا، وَلكنْ لَمَّا حَصَلَتْ فِي البَيْنِ نسْبَةُ المُحبَّة كَانَ المَحْبُوبُ المُحبُّ وَالهًا وَمَشْغُوفًا، وَقَدْ وَرَدَ فِي الحَديث القُدُسيِّ: "أَلا طَال شَوْقُ الأَبْرَارِ إلى لقَائي وَأَنَا إِلَيْهِمْ لأَشَدُّ شَوْقًا" وَهَهُنَا سُؤَال مَشْهُورٌ وَهُوَ أَنَّ الشَّوْقَ إِنَّمَا يَكُونُ إلى المَفْقُود وَلا شَيْءَ مَفْقُودٌ عَنْ حَضْرَته تَعَالى، فَكَيْفَ يَكُونُ فيه الشَّوْقُ، وَمَا يَكُونُ أَشَدُّ الشَّوْق:

وَالجَوَابُ أَنَّ مُقْتَضَى كَمَال المَحَبَّة هُوَ رَفْعُ الاثْنَيْنيَّة وَاتِّحَادُ المُحبِّ مَعَ المَحْبُوب، وَحَيْثُ إِنَّ هَذَا المَعْنَى مَفْقُودٌ، فَالشَّوْقُ مَوْجُودٌ، وَلَمَّا كَانَ تَمَنِّي الاتِّحَاد فِي جَانب المَحْبُوب بالضَّرُورَة، وَيَكُونُ تَوَاصُل الحُزْن منْ صفَة الحَبيب.

فَإِنْ قيـــــل: إِنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ قَادرٌ عَلى جَميعِ الأُمُورِ، وَكُل مَا يُرِيدُهُ مُيَسَّرٌ لَه، فَلا يَكُونُ شَيْءٌ مَفْقُودًا فِي حَقِّه حَتَّى يَتَحَقَّقَ الشَّوْقُ:

أُجيــــــب: إِنَّ تَمَنِّيَ أَمْرٍ غَيْر إِرَادَته وَمُرَاده تَعَالى لا يَتَخَلفُ عَنْ إِرَادَته، وَلَكِنْ يَجُوزُ أَنْ يُوجَدَ تَمَنِّي أَمْرٍ وَلا تُوجَدُ الإِرَادَةُ بِحُصُوله، وَلا يُرَادُ وُجُودُهُ، (ع):

وَكَمْ فِي العشْق منْ عَجَب عَجيب

وَأَحْيَانًا يَكُونُ المَطْلوبُ فِي العشْقِ مُجَرَّدَ الأَلم، وَلا يَكُونُ الوَصْل مَلحُوظًا أَصْلاً بَل يُرَادُ الوَصْل وَيَهْرَبُ مِنَ اتِّصَال المَحْبُوب، وَهَذَا القِسْمُ مِنْ أَقْسَامِ جُنُونِ العِشْقِ بَل مِنْ مَحَاسِنِ العِشْقِ مَنْ لَمْ يَذُقْ لَمْ يَدْرِ.

---

(١) ــ الآية ١٢٢: من سورة النحل.

وَلنَرْجِعْ إِلى أَصْل الكَلام، فَنقُول إنَّ الخَلة مَقَامٌ عَال جدًّا وَكَثِيرَ البَرَكَة، وَكُل مَنْ فيه أُنسٌ وَالفةٌ وَسُكُونَةٌ وَاطْمئنَانٌ مَعَ الآخَرِ في عَالمِ المَجاز كُل ذَلكَ مِنْ ظلال مَقَام الخَلة، وَكَذلكَ كُل حَظٍّ وَلذَّة وَاطْمِئْنَان بالصُّوَر الحَسَنَة وَالمَظَاهر الجَميلة نَاشئَةٌ مِنْ مَقَام الخَلة، وَالمَحبَّةُ شَيْءٌ آخَرُ، فَإنَّ فيهَا كَيْفيَّةً أُخرَى، فَلوْ لمْ يَكُنْ في البَيْنِ خَلةٌ وَأُنسٌ وَالفَةٌ لَمَا وُجدَ مُرَكَّبٌ أَصْلاً، وَلا يَنْضَمُّ جُزْءٌ بجُزْء آخَرَ؛ خُصُوصًا إذَا كَانَتْ بَيْنَهُمَا نسْبَةُ التَّضَادِّ بَل لَمَا يَنْضَمُّ وُجُودٌ إلى مَاهيَّة مَا أَصْلاً، بَل لا يَدْخُل وُجُودٌ الأَشْيَاء، هُوَ الحُبُّ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَفَ، فَخَلَقْتُ الخَلْقَ " حَديثٌ قُدُسيٌّ، وَالحبُّ فَرْدٌ كَامل مِنَ الخَلة كَمَا مَرَّ، فَلوْ لَمْ تَكُنِ الخَلةُ لمَا وُجدَ شَيْءٌ مِنَ الأَشْيَاء، وَلا يَجْتَمعُ شَيْءٌ بشَيْء، وَلا يَحْصُل بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ الفَةٌ، وَوُجُودُ العَالمِ وَنظَامه كلاهُمَا مَرْبُوطَان بالخَلة، فَلوْ لَمْ تَكُنْ خَلةٌ لكَانَ النِّظَامُ كَالوُجُود مَفْقُودًا، فَكَانَت الخَلةُ أَصْل الإيجَاد منْ جَانب المُوجد وَمنَ المَوْجُود، فَإنَّ الذى جَعَل المُمْكنَ مَأْنُوسًا لقَبُول الوُجُود وَأَوْرَدَهُ في قَيْد الإيجَاد هُوَ الخَلةُ، بَل العَدَمُ أَيْضًا مُطْمَئنٌ وَمُسْتَريحٌ في بَيْت خَلوَته بدَوْلة الخَلة مُؤَانَسٌ بلا شَيْئيَّته، بَل مُؤْتَلفٌ وَمُؤَانَسٌ بنَقيضه أَيْضًا، وَلهَذَا صَارَ مرْآةً لكَمَالاته وَوَاسطَةً لوُجُود المُمْكنَات، فَكَانَت الخَلةُ أَكْثَرَ بَرَكَةً منْ جَميع الأَشْيَاء، وَكَانَتْ بَرَكَتُهَا شَاملةً للمَوْجُود وَالمَعْدُوم، فَإذَا عَلمْتَ مَعَارفَ مَقَام الخَلة وَدَقَائقهَا وَعُمُوم بَرَكَاتها، وَعَلمَتْ أَيْضًا أَنَّ مَقَامَ الخَلة بالأَصَالة مَخصُوصٌ بحَضْرَة إبْرَاهيمَ عَلى نَبيِّنَا وَعَليْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، وَإنَّ وَلايَتَهُ وَلايَةٌ إبْرَاهيميَّةٌ، فَاعْلمْ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ لهَذَا الفَقير الآنَ بتَوَسُّط بَرَكَات هَذه المَعَارف أَنَّ التَّعَيُّنَ الأَوَّل هُوَ تُعَيُّنُ حَضْرَة الذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ بحَضْرَة الوُجُود، وَذَلكَ التَّعَيُّنُ الأَوَّل هُوَ رَبُّ حَضْرَة الخَليل عَلى نَبيِّنَا وَعَليْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، وَلهَذَا كَانَ هُوَ إمَامَ الكُل {إنِّي جَاعلكَ للنَّاسِ إمَامًا}(١) وَصَارَ سَيِّدَ البَشَر مَأْمُورًا بمُتَابَعته؛ {اتَّبعَ ملة إبْرَاهيمَ حَنيفًا}.

وَكُل نَبيٍّ جَاءَ بَعْدَهُ كَانَ مَأْمُورًا بمُتَابَعته، وَسَائرُ التَّعَيُّنَات مُنْدَرجَةٌ في ضمْنَ هَذَا التَّعَيُّن الوُجُوديِّ سَوَاءٌ كَانَ تُعَيُّنًا علميًا جُمْليًّا أَوْ تَفْصيليًّا، وَيُمْكنُ أَنْ يَكُونَ منْ هَهُنَا ذكْرُ نَبيِّنَا عَليْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ إبْرَاهيمَ عَليْه السَّلامُ بالأُبُوَّة، وَذكْرُ سَائرِ الأَنْبيَاء عَلى جَميعهمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ بالأُخُوَّة، فَلوْ ذَكَرَ سَائرَ الأَنْبيَاء بالبُنُوَّة

---

(١) ـــ الآية ١٢٤: من سورة البقرة.

لجازَ، فإنَّ تعيُّناتهمْ مُندرجةٌ في تُعيُّنه الذى هُوَ التَّعيُّنُ العلميُّ الجُمْليُّ عَلى مَا قَالوا، وَمَا وَرَدَ في الصَّلاة المَأْثورَة منْ قَوْله ﷺ كَمَا صَلَّيْتَ عَلى إبْراهيم " يُمْكنُ أَنْ يَكُونَ منْ جهَة أَنَّ الوُصُول إلى حَضْرَة الذَّات تَعالتْ وَتَقدَّستْ بدُون تَوَسُّط التَّعيُّن الأَوَّل الذى هُوَ التَّعيُّنُ الوُجُوديُّ وَبلا إتْمَام لكَمالات الوِلايَة الإبْرَاهيميَّة غَيْرَ مُيسَّر؛ فَإنَّهُ هُوَ العُقُوبَةُ الأُولى لتلكَ المَرْتبَة المُقدَّسَة وَهُوَ الذى صَارَ مرْآةً لغَيْب الغَيْب، فَأَوْرَدَ بَطْنَ البُطُون إلى عَرْصَة الظُّهُور فَلا بُدَّ حينَئذ لكُل أَحَد منْ تَوَسُّطه، وَأَمَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ خَاتَمَ الأَنْبيَاء عَلَيْه وَعَلَيْهمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ بمُتَابعَته ليَصلَ بتَبَعيَّته إلى ولايَته، ثُمَّ يَتَبَخْتَرُ منْهَا إلى حَضْرَة الذَّات جَل شَأْنُهُ.

فَإنْ قيـــــل: لزمَ منْ هَذَا البَيَان أَنْ يَكُونَ إبْرَاهيمُ أَفْضَل منْ خَاتَم الرُّسُل عَلى جَميعهمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، وَالحَال أَنَّ الإجْمَاعَ عَلى أَفْضَليَّة خَاتَم الرُّسُل عَلى جَميعهمْ، وَلزمَ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ التَّجَلي الذَّاتيُّ نُصبَ حَضْرَة الخَليل بالأَصَالة، وَيَكُونَ لغَيْره بتَبَعيَّته، وَمنَ المُقرَّر عنْدَ أَكَابر الصُّوفيَّة أَنَّ التَّجَليَ الذَّاتيَّ بالأَصَالَة مَخْصُوصٌ بخَاتَم الرُّسُل وَلغَيْره بتَبَعيَّته:

أُجيـــــبَ: إنَّ الوُصُول إلى الذَّات كَتَجَلي الذَّات تَعالتْ وَتَقدَّستْ عَلى قسْمَيْن باعْتبَار النَّظَر، وَباعْتبَار القَدَم، يَعْني أَنَّ الوَاصل، إمَّا النَّظَرُ أَو النَّاظرُ بنَفْسه، وَالوُصُول النَّظَريَّ نَصيبُ الخَليل عَلَيْه السَّلامُ بالأَصَالة، فَإنَّ أَقْرَبَ التَّعيُّنَات إلى حَضْرَة الذَّات هُوَ التَّعيُّنُ الأَوَّل الذى هُوَ رَبُّهُ كَمَا مَرَّ، وَمَا لَمْ يُوصَل إلى ذَلكَ التَّعيُّن لا يَنْفُذُ النَّظَرُ إلى مَا وَرَائه وَالوُصُول القَدَميُّ نَصيبُ الحَبيب بالأَصَالة، فَإنَّهُ مَحْبُوبُ رَبِّ العَالمينَ وَيُوصل بالمَحْبُوبينَ إلى مَحَل يَعْجزُ عَنْهُ الأَخلاءُ إلا أَنْ يَ، ذْهَبُوا فيه بتَبَعيَّته، وَاللائقُ بالخَليل أَنْ يَصل نَظَرُهُ إلى مَقَام يَصل إلَيْه رَئيسُ المَحْبُوبينَ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، وَأَنْ لا يُقصِّرَ في الطَّريق.

وَبالجُمْلة: إنْ تَجَليَ الذَّات منْ وَجْه مَخْصُوصٌ بالخَليل، وَغَيْرُهُ تَابعٌ لَهُ، وَمنْ وَجْه مَخْصُوصٌ بخَاتَم الرُّسُل، وَغَيْرُهُ تَابعٌ لَهُ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، وَلَمَّا كَانَ الوَجْهُ الثَّاني أَقْوَى وَأَدْخَل في مَرَاتب القُرْب كَانَتْ مُنَاسَبَةُ التَّجَلي الذَّاتيِّ بخَاتَم الرُّسُل أَكْثَرَ وَأَزْيَدَ، وَكَانَ هُوَ ﷺ أَفْضَل منَ الخَليل وَمنْ سَائر الأَنْبيَاء بالضَّرُورَة، فَكَانَ الفَضْل الكُليُّ نَصيبَ الحَبيب وَالخَليل منْ بَيْن الأَنْبيَاء، وَإنْ كَانَ أَحَدُهُمَا أَفْضَل منَ الآخَر، وَلَمَّا كَانَ مُوسَى عَلَيْه وَعَلى نَبيِّنَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ رَئيس المُحبِّينَ كَمَا كَانَ نَبيُّنَا ﷺ رَئيسَ المَحْبُوبينَ كَانَ لَهُ بحُكْم المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ

" مَعِيَّةٌ بِحَضْرَةِ الذَّاتِ بِالضَّرُورَةِ لَيْسَتْ هِيَ لِغَيْرِهِ، وَلَهُ أَيْضًا فِي تِلْكَ الحَضْرَةِ مُنْزِلَةٌ لا مَدْخَلَ فِيهَا لِغَيْرِهِ، وَإِنَّمَا نَالَ ذَلِكَ بِوَاسِطَةِ مَحَبَّتِهِ فَقَطْ، وَلَكِنَّ هَذَا الفَضْلَ رَاجِعٌ إِلَى جُزْئِيٍّ يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ إِنَّهُ عَدِيلٌ لِلْكُلِّيِّ، فَإِنَّ الجَمَّ الغَفِيرَ مِنَ الأَنْبِيَاءِ تَابِعُونَ لَهُ فِي ذَلِكَ المَقَامِ، وَمَعَ ذَلِكَ، الفَضْلُ الكُلِّيُّ هُوَ مَا كَانَتْ نَصِيبُ الخَلِيلِ وَالحَبِيبِ عَلَيْهِمَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، وَإِنْ كَانَ كُلٌّ مِنْهُمَا تَابِعًا لِلآخَرِ مِنْ وَجْهٍ حَيْثُ إِنَّ الخَلِيلَ أَصْلٌ فِي الوُصُولِ النَّظَرِيِّ، وَالحَبِيبُ تَابِعٌ لَهُ فِيهِ، وَعَكْسُهُ فِي الوُصُولِ القَدَمِيِّ وَفِي الخَاطِرِ أَنْ أَكْتُبَ مَا ظَهَرَ لِي مِنَ الكَمَالاتِ وَالفَضَائِلِ المَخْصُوصَةِ بِحَضْرَةِ الكَلِيمِ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ فِي وَرَقَةٍ عَلَى حِدَةٍ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ الأَنْبِيَاءَ إِذَا وَصَلُوا إِلَى حَضْرَةِ الذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ بِتَوَسُّطِ نَبِيٍّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ لا يَكُونُ ذَلِكَ النَّبِيُّ حَائِلاً بَيْنَ حَضْرَةِ الذَّاتِ وَبَيْنَ هَؤُلاءِ الأَنْبِيَاءِ بَلْ لَهُمْ مِنْ حَضْرَةِ الذَّاتِ نَصِيبٌ بِالأَصَالَةِ، غَايَةُ مَا فِي البَابِ أَنَّ وُصُولَهُمْ إِلَى تِلْكَ الدَّرَجَةِ مَرْبُوطٌ بِتَبَعِيَّةِ ذَلِكَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ بِخِلافِ أُمَّةِ نَبِيٍّ وَصَلَتْ بِتَوَسُّطِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ النَّبِيَّ حَائِلٌ فِي البَيْنِ إِلا أَنْ يَكُونَ لِفَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الأُمَّةِ نَصِيبٌ مِنْ حَضْرَةِ الذَّاتِ بِالأَصَالَةِ، فَالحَيْلُولَةُ ثَمَّةَ أَيْضًا مَفْقُودَةٌ وَتَبَعِيَّتُهُ لَهُ مَوْجُودَةٌ، وَقَلِيلٌ مَا هُمْ بَلْ أَقَلُّ.

فَإِنْ قِيـــــلَ: فَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ، مَا يَكُونُ الفَرْقُ بَيْنَ ذَلِكَ الفَرْدِ مِنَ الأُمَّةِ وَبَيْنَ سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ؟ فَإِنَّ الحَيْلُولَةَ مَفْقُودَةٌ فِي كِلَيْهِمَا، وَالتَّبَعِيَّةَ مَوْجُودَةٌ:

أُجِيـــــبَ: إِنَّ تَبَعِيَّةَ ذَلِكَ الفَرْدِ مِنَ الأُمَّةِ بِاعْتِبَارِ التَّشْرِيعِ، فَإِنَّهُ مَا لَمْ يَتَّبِعْ شَرِيعَةَ نَبِيٍّ لا يَصِلُ، وَالتَّبَعِيَّةُ فِي الأَنْبِيَاءِ بِاعْتِبَارِ أَنَّ وُصُولَ النَّبِيِّ المَتْبُوعِ إِلَى تِلْكَ الدَّرَجَةِ أَوَّلاً وَبِالذَّاتِ وَوُصُولَ غَيْرِهِ ثَانِيًا وَبِالعَرَضِ، فَإِنَّ المَطْلُوبَ مِنَ الدَّعْوَةِ هُوَ المَحْبُوبُ، وَغَيْرُهُ إِنَّمَا يُدْعَى بِتَطَفُّلِهِ وَيُطْلَبُ بِتَبَعِيَّتِهِ، وَلَكِنَّ الكُلَّ جُلَسَاءُ عَلَى سُفْرَةٍ وَاحِدَةٍ، وَمُسْتَوْفُونَ لِلتَّلَذُّذَاتِ وَالتَّنَعُّمَاتِ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ عَلَى تَفَاوُتِ دَرَجَاتِهِمْ، وَالأُمَمُ هُمُ الذِينَ يَنَالُونَ مِنْ زَلاتِهِمْ وَيَأْكُلُونَ مِنْ فَضَلاتِهِمْ إِلا أَنْ يَكُونَ فَرْدٌ مِنْ أَفْرَادِهِمْ مَخْصُوصًا بِكَرَمِ اللهِ جَلَّ شَأْنُهُ فَيَصِيرُ جَلِيسَ مَجْلِسِ الأَكَابِرِ كَمَا مَرَّ، (ع):

لا عُسْرَ فِي أَمْرٍ مَعَ الكِرَامِ

وَمَعَ ذَلكَ الأُمَّةُ أُمَّةٌ، وَالنَّبيُّ نَبيٌّ، وَالأُمَّةُ وَإِنْ حَصَلَ لَهَا غَايَةُ الرِّفْعَة وَنهَايَةُ العُلوِّ وَلكنْ لا تَبْلغُ رَأْسُهَا قَدَمَ نَبيٍّ منَ الأَنْبيَاء؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلمَتُنَا لعبَادنَا المُرْسَلينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ المَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الغَالبُون}(١).

فَإِنْ قيـــل: وَمَا المُرَادُ منْ مُتَابَعَة ملة إِبْرَاهيمَ التي أَمَرَ نَبيُّنَا ﷺ بهَا، وَمَا يَكُونُ الأَمْرُ بالتَّبَعيَّة مَعَ وُجُود اسْتقْلال شَريعَته ﷺ؟

أُجيـــب: لا مُنَافَاةَ بَيْنَ اسْتقْلال الشَّريعَة وَبَيْنَ التَّبَعيَّة، فَإِنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نَبيُّنَا عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ أَخَذَ الشَّريعَةَ بالأَصَالَة، وَلكنَّهُ يَصيرُ مَأْمُورًا بمُتَابَعَة الخَليل عَلَيْه السَّلامُ في حُصُول أَمْرٍ منَ الأُمُور، لكَوْن ذَلكَ الأَمْر منْ خَصَائص ذَلكَ المَتْبُوعِ الذى أُمرَ بمُتَابَعَته، وَلكَوْن حُصُوله مَرْبُوطًا بمَحْصُول المُتَابَعَة كَمَا إِذَا أَدَّى شَخْصٌ مَثَلاً فَرْضًا منَ الفَرَائض وَمَعَ ذَلكَ يَنْوي المُتَابَعَة، وَيَقُولَ إِنَّ هَذَا الفرْضَ قَدْ أَدَّاهُ نَبيُّنَا ﷺ فَأُؤَدِّيه أَنَا أَيْضًا، فَعَلى هَذَا التَّقْدير يَنَال ثَوَابًا للمُتَابَعَة سوَى ثَوَاب أَدَاء الفَرَائض، وَيَحْصُلُ لهُ مُنَاسبَةٌ بالنَّبيِّ، فَيَسْتَفيدُ منْ بَرَكَات وَتَفْتيش أَنَّ المُرَادَ منْ مُتَابَعَة الملة هَل هُوَ مُتَابَعَةُ تَمَام الملة أَوْ بَعْضهَا، فَإِنْ كَانَ مُتَابَعَةَ تَمَام الملة، فَكَيْفَ يُتَصَوَّرُ مُتَابَعَةُ الكُل مَعَ وُجُود نَسْخ بَعْض الأَحْكَام؟ وَإِنْ كَانَ مُتَابَعَةَ البَعْض، فَلا يَخْلو عَنْ خَدْشه أَيْضًا فَقَدْ حَلهُ عُلمَاءُ التَّفْسير، فَيَنْبَغي المُرَاجعَةُ ثَمَّةَ، فَإِنَّهُ منْ عُلوم عُلمَاء الظَّاهر، وَمُنَاسَبَتُهُ بعُلوم الصُّوفيَّة قَليلةٌ، سُبْحَانَ الله إِنَّ المَعَارفَ التي تَظْهَرُ منِّي حَتَّى يَكَادَ أَبْنَاءُ الجنْس يَنْفرُونَ عَنِّي بسَبَب غَرَابَتهَا وَيَصيرُ المَحَاريمُ في مَقَام البُغْض، فَيُحَرِّمُونَهَا، وَأَيُّ اخْتيَار لي في حُصُول تلكَ المَعَارف، وَأَيُّ غَرَضٍ لي في إِظْهَارهَا وَقَدْ أُعلمْتُ أَنَّ التَّعَيُّنَ الأَوَّل هُوَ التَّعَيُّنُ الوُجُوديُّ وَأَنَّهُ رَبُّ الخَليل وَمَبْدَأُ تَعَيُّنه عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَلَمْ يَسْمَعْ أَحَدٌ في مُدَّة الف سَنَة أَنَّ التَّعَيُّنَ الأَوَّل هُوَ التَّعَيُّنُ الوُجُوديُّ وَأَنَّهُ رَبُّ خَليل الرَّحْمَن عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، فَإِنَّ هَذه العبَارَات وَالاصْطلاحَات لَمْ تَكُنْ مُتَعَارَفَةً بَيْنَ المُتَقَدِّمينَ وَلَمْ يَكُنْ للتَّعَيُّن وَالتَّنَزُّل مَجَال عنْدَهُمْ، وَالمُقَرَّرُ عنْدَ المُتَأَخِّرينَ الذينَ صَارَتْ هَذه الكَلمَاتُ مُتَعَارَفَةً فيمَا بَيْنَهُمْ أَنَّ التَّعَيُّنَ الأَوَّل هُوَ التَّعَيُّنُ العلميُّ، وَأَنَّهُ رَبُّ خَاتَمِ الرُّسُل عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، وَاليَوْمَ يَظْهَرُ خلافَ مَا هُوَ المُقَرَّرُ منْ شَخْص، فَيَنْبَغي التَّخَيُّل أَنَّهُ مَاذَا يَردُ عَلى رَأْسه، وَمَا يُطْلَقُ عَلَيْه منَ الطَّعْن وَالمَلامَة يَظُنُّونَ أَنَّهُ يُفَضِّل الخَليل عَلى الحَبيب، وَيَجْعَل الحَبيبَ جُزْءًا منَ الخَليل

(١) ـــ الآيات ١٧٠، ١٧١، ١٧٢: من سورة الصافات.

حَيْثُ يَعْتَقِدُ أَنَّ سَائِرَ التَّعَيُّنَات مُنْدَرِجَةٌ فِي التَّعَيُّنِ الأَوَّل، وَإِنْ دَفَعَ تَوَهُّمَهُمْ ذَلِكَ فِيمَا مَرَّ، وَأَجَابَ جَوَابًا شَافِيًا، وَلَكِنْ لا يَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَكْتَفُونَ بِذَلِكَ الدَّفْعِ وَيَتَشَفَّوْنَ بِذَلِكَ الجَوَابِ الشَّافِي، أَوَّلاً مَاذَا نَفْعَل؟ فَإِنَّهُ لا عِلاجَ لِلجَهْلِ وَالعِنَادِ وَالتَّعَصُّبِ إِلا أَنْ يُقَلِّبَ مُقَلِّبُ القُلُوبِ بِقُدْرَتِه الكَامِلَة قُلُوبَهُمْ وَيُصَيِّرَهُمْ قَابِلِينَ لاسْتِمَاعِ الحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَدُلكَ عُلُوُّ شَأْنِ حَضْرَةِ الخَلِيلِ مِنْ أَمْرِ اتُّبِعَ الذى صَدَرَ مِنْهُ سُبْحَانَهُ إِلَى حَبِيبِه، فَإِنَّهُ مَا مُنَاسَبَةُ المَتْبُوعِ بِالتَّابِعِ وَلَكِنَّ المَحْبُوبِيَّةَ التِي صَارَتْ نَصِيبَ خَاتَمِ الرُّسُلِ عَلَيْهِ وَعَلَى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ رَجَحَتْ عَلَى جَمِيعِ الفَضَائِلِ وَمَرَاتِبِ القُرْبِ، وَجَعَلَتْهُ ﷺ أَسْبَقَ قَدَمًا مِنَ الكُلِ لا يُسَاوَى الفُ مَرْتَبَة مِنْ مَرَاتِبَ القُرْبِ لِنِسْبَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ نِسَبِ المَحْبُوبِيَّةِ، وَالمُحِبُّ يَرَى مَحْبُوبَهُ أَعَزَّ مِنْ نَفْسِه، فَأَيْنَ لِلغَيْرِ مَجَال دَعْوَى المُشَارَكَة مَعَهُ؟

فَإِنْ قِيـــــلَ: إِنَّكَ كَتَبْتَ فِي رَسَائِلكَ أَنَّ رَبَّ الخَلِيلِ أَيْضًا شَأْنُ العِلمِ كَمَا أَنَّهُ رَبُّ الحَبِيبِ عَلَيْهِمَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، وَالفَرْقُ أَنَّهُ هُنَاكَ بِالتَّفْصِيل وَهُنَا بِالإِجْمَال:

أُجِيـــــبَ: إِنَّ تِلكَ المَعْرِفَةَ إِنَّمَا كَانَتْ قَبْلَ الوُصُولِ إِلَى حَقِيقَةِ وَلايَة الخلة هَذِه، وَلَمَّا تَحَقَّقَتْ بِحَقِيقَةِ هَذِه الوِلايَة ظَهَرَت المُعَامَلَةُ كَمَا هِيَ، وَكَأَنَّ تِلكَ المَعْرِفَةَ كَانَتْ مُتَعَلِّقَةً بِظِلِ هَذِه الحَقِيقَة، وَاللهُ سُبْحَانَهُ المُلهِمُ لِلصَّوَاب، فَاتَّضَحَ مِنْ هَذَا البَيَانِ أَنَّ الوُجُودَ لَيْسَ بِعَيْنِ الذَّات، بَلْ تَعَيُّنٌ أَسْبَقُ مِنْ سَائِرِ تَعَيُّنَات الذَّات تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ مَنْ قَال بِعَيْنِيَّة الوُجُود لِلذَّات فَقَدْ ظَنَّ التَّعَيُّنَ لا تَعَيُّنًا، وَزَعَمَ غَيْرَ الذَّات ذَاتًا، وَالمُنَاقَشَةُ فِي قَوْلِ الغَيْرِ لا حَاصِل فِيهَا، فَإِنَّهُ جِيءَ بِه لِضِيقِ مَيْدَانِ العِبَارَة.

فَإِنْ قِيـــــلَ: مَا نِسْبَةُ هَذَا التَّعَيُّنِ الأَوَّل الوُجُودِيِّ الذى وَجَدْتَهُ بِذَاكَ التَّعَيُّنِ الأَوَّل العِلمِيِّ الجُمْلِيِّ الذى وَجَدَهُ الآخَرُونَ؟ وَهَل بَيْنَ هَذَيْنِ التَّعَيُّنَيْنِ تَعَيُّنٌ آخَرُ أَوْ لا؟

أُجِيـــــبَ: إِنَّ التَّعَيُّنَ الوُجُودِيَّ فَوْقَ التَّعَيُّنِ العِلمِيِّ، وَمَا قَالُوا إِنَّ فَوْقَ التَّعَيُّنِ العِلمِيِّ مَرْتَبَةَ حَضْرَةِ الذَّات، وَالتَّعَيُّنُ هُوَ هَذَا التَّعَيُّنُ الوُجُودِيُّ وَجَدُوهُ عَيْنَ الذَّات، وَحَكَمُوا بِعَيْنِيَّة الوُجُود لِلذَّات، وَبَيْنَ هَذَيْنِ التَّعَيُّنَيْنِ شَأْنُ الحَيَاة التِي هِيَ أَقْدَمُ جَمِيعِ الشُّئُونَاتِ وَبَعْدَهَا شَأْنُ العِلمِ إِجْمَالاً وَتَفْصِيلاً، وَهُوَ تَابِعٌ لَهَا،

وَلكِنْ لا يَظْهَرُ مَظْهَرِيَّةُ هَذَا التَّعَيُّنِ المُتَوَسِّط فِي النَّظَر وَمُنَاسَبَتُهُ بحَضْرَةِ الذَّات تَعَالَتْ أَزْيَدُ مِنَ الكُل وَالاسْتِغْنَاءُ الذَّاتِيُّ وَاضِحٌ فِيه جدًّا، وَلكِنْ يُفْهَمُ أَنَّ فُيُوضَهُ وَبَرَكَاته مُسْتَفَاضَةٌ خُصُوصًا عَلى الرُّوحَانِيِّينَ وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الحَال {سُبْحَانَكَ لا عِلمَ لنَا إلا مَا عَلمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيم}[١].

تَنْبِيــــهٌ: إنَّ مَا مَرَّ فِيمَا سَبَقَ مِنْ أَنَّ الوُصُول النَّظَرِيَّ نَصِيبُ الخَلِيل بالأَصَالة وَالوُصُول القَدَمِيَّ نَصِيبُ الحَبِيب عَلَيْهِمَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ بالأَصَالة لا بِمَعْنَى أَنَّ هُنَاكَ شُهُودًا وَمُشَاهَدَةً أَوْ للقَدَم مَجَالاً ثَمَّةَ، فَإِنَّهُ لا مَجَال هُنَاكَ لشَعْرَة فَضْلاً عَنِ القَدَمِ بَل هُوَ وُصُول مَجْهُول الكَيْفِيَّة، فَإِن ارْتَسَمَ فِي الصُّورَةِ المِثَالِيَّة بِالنَّظَر فَوُصُول نَظَرِيٌّ وَإِنْ بالقَدَم فَوُصُول قَدَمِيٌّ، وَإلا فَالقَدَمُ وَالنَّظَرُ كلاهُمَا وَالهَانِ وَمُتَحَيِّرَانِ فِي تِلكَ الحَضْرَة جَل شَأْنُهَا {وَالسَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[٢].

---

(١) ــ الآية ٣٢: من سورة البقرة.

(٢) ــ الآية ٤٨: من سورة طه.

المَكْتُوبُ الحَادي وَالخَمْسُمائة
إلى القَاضي إسْمَاعيل الفريدآبَاديِّ
في شَرْحِ كَلامِ الشَّيْخِ رُوزْبَهَانَ البَقْليِّ
مَعَ بَيَانِ بَعْضِ دَقَائِقِ التَّوْحيدِ الوُجُوديِّ

قَال الشَّيْخ الوَليُّ رُوزْبَهَان البَقْليّ قُدِّسَ سِرُّهُ في تَبْيين غَلطَات الصُّوفيَّة وَغَلط آخرَ أَنَّهُمْ يَقُولونَ الكُل هُوَ، وَيُريدُونَ بجَميع هَذه الجُزْئيَّات المُتفرِّقَة الحَادثَة ذَاتًا وَاحدَةً، وَيَقُول بَعْضُهُمْ ببَعْض بالرَّمْز مَا نَحْنُ إلا هُوَ، فَيَكُونُ لهَؤُلاء الكُفَّار مائَةُ الف إله، وَرَبُّ العَالَمينَ تَعَالى وَتَقَدَّسَ مُنَزَّهٌ منْ جَمْع المُحْدَثَات وَتَفْرقَتهَا، وَاحدٌ لا سَبيلَ إلَيْه للجُزْء، وَلا يَقْبَل الحُلول، وَلا يَكُونُ مُتلوِّنًا، وَهُمْ كُفَّارٌ بهَذَا القَوْل، لا يَعْرفُونَ اللهَ، وَلا يَعْرفُون أَنْفُسَهُمْ، فَإنْ كَانَ الإنْسَانُ حَقًّا، كَيْفَ يَكُونُ فَانيًا؟ وَغَلطَ القَوْمُ في رُوحٍ، وَغَلطَ هَؤُلاء في الجسْم، قَاتَلهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ انْتَهَى.

لا يَخْفَى أَنَّ عبَارَةَ الكُل هُوَ، وَإنْ لَمْ تَكُنْ مُتَعَارَفَةً فيمَا بَيْنَ قُدَمَاء الصُّوفيَّة قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ، وَلكنْ كَانَ بَيْنَهُمْ مثْل أَنَا الحَقُّ، وَسُبْحَاني، وَمَا في جُبَّتي سوَى الله، وَأَمْثَالهَا ممَّا يَعْسُرُ تَعْدَادُهُ، وَمُؤَدَّى هَذه العبَارَة وَتلكَ العبَارَة وَاحدٌ

إذَا مَا تَعَدَّى المَاءُ عَنْ مَفرق فَلا تَفَاوَتْ في مقْدَار رُمْحٍ وَأَرْمَاحٍ

مَثَل مَوْزُونٌ مَشْهُورٌ، وَهَذه العبَارَةُ شَائعَةٌ ذَائعَةٌ مَا بَيْنَ مُتَأَخِّري الصُّوفيَّة وَيَقُولونَ الكُل هُوَ، بلا تَكَلف، وَيُصرُّونَ عَلى هَذَا القَوْل إلا أَنَّ القَليل منْهُمْ لَهُم تَرَدَّدَ في هَذه العبَارَة وَأَمْثَالهَا، بَل يُظْهرُونَ صُورَةَ الإنْكَار عَلَيْهَا، وَمَا يَفْهَمُهُ هَذَا الفَقيرُ منْ مَعْنَى ، قَوْلهُمُ الكُل هُوَ، أَنَّ جَميعَ هَذه الجُزْئيَّات المُتفرِّقَة الحَادثَة ظُهُورُ ذَات وَاحدَة تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ كَمَا إذَا انْعَكَسَتْ صُورَةُ زَيْد في مَرَايَا مُتَعَدِّدَة، وَظَهَرَتْ فيهَا، فَيُقَال الكُل هُوَ يَعْني أَنَّ جَميعَ هَذه الصُّوَر التي ظَهَرَتْ في مَرَايَا مُتَعَدِّدَة ظُهُور ذَات وَاحدَة لزَيْد فَهُنَا أَيُّ جُزْئيَّة وَاتِّحَاد وَأَيُّ حُلول وَتَلوُّن، بَل ذَاتُ زَيْد مَعَ وُجُود الصُّوَر كُلهَا عَلى صرَافَتهَا وَحَالتهَا الأَصْليَّة مَازَادَتْ هَذه الصُّورَةُ فيهَا شَيْئًا وَمَا نَقَصَتْ لا اسْمٌ ، للصُّوَر فيمَا فيه ذَاتُ زَيْد وَلا

رَسْمٌ حَتَّى يَحْصُلَ لَهَا مَعَهَا نِسْبَةٌ مِنْ نِسَبِ الجُزْئِيَّةِ، وَالاتِّحَادُ وَالحُلول وَالسَّرَيَانُ يَنْبَغِي أَنْ يُطْلَبَ سِرًّا لأَنَّ كَمَا كَانَ فِي هَذَا المَكَانِ فَإِنَّ مَرْتَبَتَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَمَا لَمْ يَكُنْ لِلعَالَمِ فِيهَا مَجَال قَبْلَ الظُّهُورِ لا يَكُونُ لَهُ فِيهَا مَجَال أَيْضًا بَعْدَ الظُّهُورِ، فَلا جَرَمَ يَكُونُ الآنَ كَمَا كَانَ.

وَالعَجَبُ أَنَّ كَثِيرًا مِنْ أَكَابِرِ مُتَقَدِّمِي الصُّوفِيَّةِ فَهِمُوا مِنْ هَذِهِ العِبَارَةِ المَمْزُوجَةِ بِشَهْدِ التَّوْحِيدِ مَعْنَى الحُلول وَالاتِّحَاد، وَكَفَّرُوا قَائِلِيهَا وَضَلَّلوهُمْ، وَبَعْضُهُمْ يُوَجِّهُ هَذِهِ العِبَارَةَ عَلَى نَهْجٍ لا مُنَاسَبَةَ لَهُ بِمَذَاقِ قَائِلِيهَا بِوَجْهٍ، وَلا نِسْبَة قَال صَاحِبُ العَوَارِف إِنَّ صُدُورَ أَنَا الحَقُّ مِنَ الحَلاجِ، وَسُبْحَانِي مِنْ أَبِي يَزِيدَ البِسْطَامِيِّ كَانَ بِطَرِيقِ الحِكَايَةِ يَعْنِي مِنَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَلَوْ لَمْ يَكُنْ بِطَرِيقِ الحِكَايَةِ بَل كَانَ فِيهِ شَائِبَةُ الحُلول وَالاتِّحَاد، نَرُدُّ قَائِلِي هَذِهِ الأَقْوَال كَمَا نَرُدُّ النَّصَارَى؛ لِقَوْلِهِمْ بِالحُلول وَالاتِّحَاد، وَقَد اتَّضَحَ مِنَ التَّحْقِيقِ السَّابِقِ أَنَّهُ لا حُلول فِي هَذِهِ العِبَارَةِ الشَّبِيهَةِ بِالشَّطْحِ وَالاتِّحَاد، وَالحَمْل فِيهَا إِنَّمَا هُوَ بِاعْتِبَارِ الظُّهُورِ وَالشُّهُود لا بِاعْتِبَارِ الوُجُود كَمَا فَهِمُوا وَحَمَلوا عَلَى الحُلول، وَكَانَ هَذِهِ المَسْأَلَةُ يَعْنِي مَسْأَلَةَ التَّوْحِيدِ الوُجُودِيِّ لَمْ تَكُنْ مُحَرَّرَةً وَمُلَخَّصَةً فِيمَا بَيْنَ مُتَقَدِّمِي الصُّوفِيَّةِ كَمَا يَنْبَغِي وَكُل مَنْ كَانَ مِنْهُمْ مَغْلُوبُ الحَال ظَهَرَ مِنْهُ كَلِمَةٌ فِي التَّوْحِيد شَبِيهَةٌ بِالقَوْل بِالاتِّحَاد وَهُوَ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى سِرِّهَا مِنْ غَلَبَةِ السُّكْرِ وَلَمْ يَصْرِفْهَا مَنْ ظَاهِرِهَا الذى يُفْهَمُ مِنْهُ شَائِبَةُ الحُلول وَالاتِّحَاد، وَلَمَّا وَصَلَت النَّوْبَةُ إِلَى الشَّيْخِ الأَجَل مُحْيِي الدِّينِ بْنِ العَرَبِيِّ قُدِّسَ سِرُّهُ شَرَحَ هَذِهِ المَسْأَلَةَ الدَّقِيقَةَ مِنْ كَمَالِ المَعْرِفَةِ وَبَوَّبَهَا وَفَصَّلَهَا وَدَوَّنَهَا تَدْوِينَ الصَّرْف وَالنَّحْوِ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَفْهَمْ جَمْعٌ مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ مُرَادَهُ فَخَطَّئُوهُ وَطَعَنُوا فِيهِ وَأَطْلَقُوا عَلَيْهِ لِسَانَ المَلامِ وَالشَّيْخُ مُحِقٌّ فِي أَكْثَرِ تَحْقِيقَاتِ هَذِهِ المَسْأَلَةِ، وَالطَّاعِنُونَ فِيهِ بَعِيدُونَ عَنِ الصَّوَابِ يَنْبَغِي أَنْ يُعْرَفَ جَلالَةُ شَأْنِ الشَّيْخِ وَوُفُورُ عِلْمِهِ مِنْ تَحْقِيقِ هَذِهِ المَسْأَلَةِ لا أَنْ نَرُدَّهُ وَنَطْعَنَ فِيهِ وَكُل مَا يَمُرُّ عَلَى هَذِهِ المَسْأَلَةَ زَمَانٌ تَصِيرُ وَاضِحَةً وَمُنَقَّحَةً بِتَلاحُقِ أَفْكَارِ المُتَأَخِّرِينَ وَتَبْعُدُ عَنْ شُبُهَاتِ الحُلول وَالاتِّحَاد، أَلا تَرَى أَنَّ النَّحْوَ الذى صَارَ الآنَ وَاضِحًا وَمُنَقَّحًا بِتَلاحُقِ أَفْكَارِ المُتَأَخِّرِينَ مِنَ النَّحْوِيِّينَ لَمْ يَكُنْ فِيهِ ذَلِكَ التَّنْقِيحُ وَالوُضُوحُ فِي زَمَانِ سِيبَوَيْهِ وَالأَخْفَش، فَإِنَّ تَكْمِيلَ الصِّنَاعَةِ بِتَلاحُقِ الأَفْكَارِ، وَقَدْ بَاحَثَ الإِمَامُ الأَعْظَمُ وَالإِمَامُ أَبُو يُوسُفَ فِي مَسْأَلَةِ خَلقِ القُرْآنِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ وَجَرَى بَيْنَهُمَا الرَّدُّ وَالنَّقْضُ، ثُمَّ اسْتَقَرَّ رَأْيُهُمَا عَلَى أَنَّ مَنْ قَال إِنَّ القُرْآنَ مَخْلُوقٌ يَصِيرُ

كَافِرًا، وَطُول هَذه المُنَازَعَة إِنَّمَا كَانَ لعَدَم تَنْقيح هَذه المَسْأَلة في ذَلكَ الوَقْت، وَالآنَ حَيْثُ كَانَتْ مُنقحَةً بتَلاحُق الأَفْكَار نَقُول لوْ كَانَ مَحَل النِّزَاع هُوَ الحُرُوفُ وَالكَلمَاتُ الدَّالةُ عَلى الكَلام النَّفْسيِّ فَلا شَكَّ أَنَّهَا حَادثَةٌ وَمَخْلوقَةٌ، وَإنْ كَانَ المُرَادُ هُوَ المَدْلولاتُ فَقَديمَةٌ وَغَيْرُ مَخْلوقَة، وَهَذَا التَّنْقيحُ منْ بَرَكَات تَلاحُق الأَفْكَار.

وَلنَرْجعْ إلى أَصْل الكَلام، فَنَقُول إنَّ لهَذه العبَارَة مَعْنًى آخَرَ بَعيدًا عَن الحُلول وَالاتِّحَاد، يَعْني أَنَّ الكُل مَعْدُومٌ وَالمَوْجُودُ هُوَ اللهُ تَعَالى لا أَنَّ الكُل مَوْجُودٌ وَمُتَّحدٌ مَعَهُ تَعَالى، فَإنَّ هَذَا الكَلامَ لا يَتَكَلمُ به أَبْلهُ فَكَيْفَ يُتَصَوَّرُ صُدُورُهُ عَن الأَكَابر، وَلكنْ إذَا كَانَ مَا سوَى المَحْبُوب مَسْتُورًا عَنْ نَظَر هَؤُلاء الأَكَابر عنْدَ غَلبَة المَحَبَّة وَلمْ يَبْقَ غَيْرُهُ في شُهُودهمْ وَهُمْ يَقُولونَ الكُل هُوَ، يَعْني أَنَّ جَميعَ هَذَا الذى يُرَى ثَابتًا مَوْهُومٌ وَمُتَخَيَّل، وَالمَوْجُودُ هُوَ ذَلكَ، لا يَسْتَحْسنُ هَذَا الفَقيرُ أَمْثَال هَذه العبَارَة، وَإنْ كَانَتْ مُبَرَّأَةً منْ هَذه المَفَاسد؛ لأَنَّهَا لَيْسَتْ بلائقَة بمَرْتَبَة تَقْديسه وَتَنْزيهه تَعَالى، وَمَا مقْدَارُ هَؤُلاء المَوْجُودَات حَتَّى تَكُونَ مَظَاهرَ لهُ تَعَالى، (ع):

في أَيِّ مرْآة يَكُونُ مُصَوَّرًا

وَأَيْنَ فيهَا اسْتحْقَاقُ أَنْ تَكُونَ مَحْمُولةً عَليْه تَعَالى، وَلوْ باعْتبَار الظُّهُور وَالشُّهُود، فَإنْ كَانَتْ مَظْهَرًا فَمَظْهَرٌ لظل منْ ظلال كَمَالاته تَعَالى وَلعَل بَيْنَ ذَلكَ الظِّل الذى صَارَت المَوْجُودَاتُ مَظْهَرًا لهُ وَبَيْنَ الذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ أُلوفًا منَ الحُجُب، أَلمْ تَسْمَعْ أَنَّ لله تَعَالى سَبْعينَ الفَ حجَاب منْ نُور وَظُلمَة، فَحَمْل مَظْهَر ظل منْ ظلال كَمَاله سُبْحَانَهُ عَليْه تَعَالى منْ غَيْر تَحَاشٍ وَالقَوْل بأَنَّهُ هُوَ، سُوءُ أَدَب وَكَمَال جرَاءَة، وَلكنْ لمَّا كَانَ صُدُورُ ذَلكَ في غَلبَة الحَال، وَاسْتيلاءُ السُّكْر ليْسَ بمَذْمُوم جدًّا، وَكَذَلكَ اعْتقَادُ مَشْهُودهمْ عَيْنَ الحَقِّ عَلى الوَجْه الثَّاني وَحَمْلهُ عَليْه تَعَالى بهَذَا الاعْتبَار أَيْضًا سُوءُ أَدَب، بَل خلافُ الوَاقع؛ فَإنَّ ذَلكَ المَشْهُودَ أَيْضًا ظل منْ ظلال كَمَالاته تَعَالى وَهُوَ تَعَالى وَرَاءَ الوَرَاء، ثُمَّ وَرَاء الوَرَاء، وَأَيْضًا إنَّ كُل مَا هُوَ مَشْهُودٌ وَمُسْتَحقٌّ للنَّفْي فَلا يَكُونُ الحَقَّ جَل وَعَلا قَال الخَوَاجَةُ النَّقْشَبَنْديّ قُدِّسَ سرُّهُ كُل مَا يَكُونُ مَسْمُوعًا وَمَرْئيًا وَمُدْرَكًا فَهُوَ غَيْرُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ يَنْبَغي نَفْيُهُ بحَقيقَة كَلمَة لا، وَمَا هُوَ مُخْتَارُ هَذَا الفَقير في هَذه المَسْأَلة وَالمُنَاسبُ لشَأْن التَّقْديس وَالتَّنْزيه عبَارَةُ الكُل منْهُ، لا بمَعْنَى يَقْتَصرُ عَليْه

عُلمَاءُ الظَّاهِر، وَيَقُولونَ إنَّ صُدُورَ الخَلق كُله مِنْهُ، فَإنَّ هَذَا وَإنْ كَانَ صَادِقًا وَلكِنْ مَعَ ذَلكَ هُنَا عَلاقَةٌ أُخرَى أَيْضًا، لمْ يَهْتَد العُلمَاءُ إليْهَا، وَامْتَازَت الصُّوفيَّة بإدْرَاكهَا وَوجْدَانهَا، وَهيَ الارْتبَاطُ بَيْنَ الأَصَالة وَالظِّليَّة يَعْني أَنَّ وُجُودَ المُمْكن نَاشئٌ منْ وُجُود الوَاجب تَعَالى، وَظل لوُجُوده سُبْحَانَهُ، وَكَذَلكَ حَيَاتَهُ نَاشئَةٌ منْ صفَة حَيَاته سُبْحَانَهُ، وَظل لتلكَ الحَيَاة المُقَدَّسَة، وَعَلى هَذَا القيَاس العلمُ وَالقُدْرَةُ وَالإرَادَةُ وَغَيْرُهَا فَالعَالمُ عَلى رَأْي الصُّوفيَّة صَادرٌ منَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَظل لكَمَالاته وَنَاشئٌ منْ تلكَ الكَمَالات المُنَزَّهَة، مَثَلاً الوُجُودُ الذى أُعْطيه المُمْكنُ ليْسَ هُوَ أَمْرًا عَلى حدَة مُسْتَقل برَأْسه بَل هُوَ وُجُودُ الوَاجب تَعَالى، وَكَذَلكَ الحَيَاةُ وَالعلمُ وَغَيْرُهُمَا ممَّا أُعْطيه المُمْكنُ ليْسَتْ أُمُورًا ثَبتَ لَهَا الاسْتقْلال منَ الوَاجب تَعَالى بَل هيَ مَعَ وُجُود صُدُورهَا عَن الوَاجب تَعَالى ظلال كَمَالاته سُبْحَانَهُ وَصُوَرهَا وَأَمْثَالهَا، وَالاهْتدَاءُ إلى هَذَا الارْتبَاط يَعْني ارْتبَاطَ الأَصَالة وَالظِّليَّة رَفَعَ مُعَامَلةَ الصُّوفيِّينَ إلى أَعْلى عليِّينَ وَأَوْصَلهُمْ إلى الفَنَاء وَالبَقَاء وَجَعَلهُمْ مُتَحَقِّقينَ بالولايَة الخَاصَّة، وَلمَّا لمْ يَتَيَسَّرْ لعُلمَاء الظَّاهر هَذه الرُّؤْيَةُ وَالاهْتدَاءُ لمْ يُصبْهُمْ نَصيبٌ منَ الفَنَاء وَالبَقَاء وَلمْ يَتحَقَّقْ، وَبالولايَة الخَاصَّة، و الصُّوفيَّة وَجَدُوا كَمَالاتهمْ ظلال كَمَالات الوَاجب، وَعَلمُوا أَنَّ الوُجُودَ وَتَوَابعَ الوُجُود عُكُوسُ تلكَ الكَمَالات؛ فَلا جَرَمَ لمْ يَرَوْا أَنْفُسَهُمْ غَيْرَ حَاملي أَمَانَات كَمَالاته سُبْحَانَهُ، وَلمْ يَجدُوا أَنْفُسَهُمْ سوَى أَنْ يَكُونُوا مَرَايَا لتلكَ الكَمَالات، فَإذَا أَدَّوْا هَذه الأَمَانَات بحُكْم ﴿إنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَات إلى أَهْلهَا﴾[1] الآيَة إلى أَهْل الأَمَانَات وَأَعْطَوْا هَذه الكَمَالات بالتَّمَام إلى الأَصْل ذَوْقًا يَجدُونَ أَنْفُسَهُمْ سوَى أَنْ يَكُونُوا مَرَايَا لتلكَ الكَمَالات، فَإذَا أَدَّوْا هَذه الأَمَانَات وَأَعْطَوْا هَذه الكَمَالات بالتَّمَام إلى الأَصْل ذَوْقًا يَجدُونَ أَنْفُسَهُمْ مَعْدُومينَ مَيِّتينَ، فَإنَّهُ لمَّا ذَهَبَ الوُجُودُ وَالحَيَاةُ إلى الأَصْل بَقُوا مَعْدُومينَ وَمَيِّتينَ، فَتَحَقَّقَ الفَنَاءُ للمَوْلويِّ الرُّوميِّ، رَحمَهُ اللهُ

فَإذَا عَرَفْتَهُ أَنْتَ مَنْ هُوَ أَوَّلاً وَنَسَبْتَ نَفْسَكَ نَحْوَ حَضْرَتكَ العُلا

وَعَرَفْتَ أَنَّكَ ظل مَنْ يَا مَنْ دَرَى كُنْ فَارغًا حَيًّا وَمَيِّتًا مَنْ مَلا

فَمَنْ تَشَرَّفَ بالبَقَاء بَعْدَ الفَنَاء أُعْطيَ الوُجُودَ، وَتَوَابعُ الوُجُود منَ الصِّفَات الكَاملة مَرَّةً ثَانيَةً، وَيَتَحَقَّقُ بالولادَة الثَّانيَة لنْ يَلجَ مَلكُوتَ السَّموَات، مَنْ لمْ يُولدْ مَرَّتَيْن، (ع):

(١) ـــ الآية: ٥٨ من سورة النساء.

هَنِيئًا لأَرْبَابِ النَّعِيمِ نَعِيمَهَا

إلهي قَدْ أَطْلَقَ مَنْ ضيقِ العِبَارَةِ الالفَاظَ التي لَمْ يَرِدِ الشَّرْعُ بإطْلاقِهَا كَالظِّلِّيَّةِ وَغَيْرِهَا، وَأَقُول إنَّ وُجُودَ المُمْكِنِ ظِل وُجُودِ الوَاجِبِ تَعَالى، وَصفَاته ظلال صفَاته الكَاملة، وَأَنَا خَائفٌ وَجل منْ هَذه الإطْلاقَات وَإذْ قَدْ سَبَقَ أَوْلِيَاؤُك بإطْلاق هَذه العبَارَاتِ نَرْجُو العفْوَ وَالمُعَافَاة ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخذْنَا إنْ نَسينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾(١).

يَنْبَغي أَنْ يُعْلَم: أَنَّهُ قَد اتَّضَحَ منَ التَّحْقيقِ السَّابقِ أَنّ الصُّوفيَّة القَائلونَ بكَلامِ الكُل هُوَ، لا يَعْتَقدُونَ اتِّحَادَ العَالَم بالحَقِّ جَل وَعَلا وَيُثْبتُونَ الحُلول وَالسَّرَيَانَ، وَالحَمْل الذى يَحْصُل منْ كَلامهمْ هَذَا فَإنَّمَا هُوَ باعْتبَارِ الظُّهُورِ وَالظِّلِّيَّة لا باعْتبَارِ الوُجُود وَالتَّحَقُّق، وَإنْ تُوُهِّمَ منْ ظَاهرِ عبَارَاتهمُ الاتِّحَادُ الوُجُوديُّ، وَلكنْ حَاشَاهُمْ منْ أَنْ يَكُونَ مُرَادُهُمْ ذَلكَ؛ فَإنَّهُ كُفْرٌ وَالحَادٌ، فَإذَا كَانَ حَمْل أَحَدهمَا عَلى الآخَر باعْتبَارِ الظُّهُورِ وَالشُّهُود لا باعْتبَارِ الوُجُود كَانَ مَعْنَى الكُل هُوَ الكُل منْ؛ فَإنَّ ظل الشَّيْء نَاشئٌ منْ ذَلكَ الشَّيْء، وَإنْ كَانُوا يَقُولونَ وَقْتَ غَلَبَة الحَال ال، كُل هُوَ، وَلكنْ يَكُونُ مُرَادُهُمْ منْ هَذه العبَارَة في الحَقيقَة الكُل منْهُ، فَلا مَجَال في الطَّعْنِ في كَلامهِمْ، وَالحُكْمِ بتَضْليل قَائليه وَتَكْفيرهمْ.

اعْلَـــــمْ: أَنَّ ظل شَيْء عبَارَةٌ عَنْ ظُهُورِ الشَّيْء في مَرْتَبَة ثَانيَة أَوْ ثَالثَة أَوْ رَابعَة، مَثَلاً إنَّ صُورَةَ زَيْد المُنْعَكسَةَ في المرْآة ظل زَيْد وَظُهُورُهُ في مَرْتَبَة ثَانيَة وَزَيْدٌ في الحَقيقَة في مَرْتَبَة وُجُوده الأَصْليِّ أَظْهَرَ نَفْسَهُ في المرْآة بالظِّل منْ غَيْرِ أَنْ يَطْرَأَ لَهُ في ذَاته وَصفَاته تَل، وٌنْ وَتَغَيُّرٌ كَمَا مَرَّ ﴿رَبَّنَا أَتْممْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفرْ لَنَا إنَّكَ عَلى كُل شَيْءٍ قَديرٌ﴾(٢) ﴿وَالسَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى﴾(٣).

---

(١) ـــ الآية: ٢٨٦ من سورة البقرة.

(٢) ـــ الآية ٨: من سورة التحريم.

(٣) ـــ الآية: ٤٨ من سورة طه.

المَكْتُوبُ الثَّاني وَالخَمْسُمائَة

إلى الفقير هَاشم الكَشْميّ

في جَوَاب سُؤَاله عَنْ حَقيقَة مُشَاهَدَة العُرَفَاء الحَقَّ سُبْحَانَهُ بالقَلب وَتَحْقيقه

قَدْ سَأَلْتُمْ أَنَّهُ قَدْ أَثْبَتَ بَعْضُ مُحَقِّقي الصُّوفيَّة رُؤْيَةَ الحَقِّ وَمُشَاهَدَتَهُ تَعَالى بِبَصَرِ القَلْبِ في الدُّنْيَا قَال الشَّيْخُ العَارِفُ في كتَابه "العَوَارف" مَوْضعُ المُشَاهَدَة بَصَرُ القَلْب إلخ، وَأَوْرَدَ الشَّيْخُ أَبُو إسْحَاقَ الكَلابَادي قُدِّسَ سرُّهُ الذى هُوَ منْ قُدَمَاء هَذه الطَّائفَة وَرُؤَسَائهمْ في كتَابه "التَّعَرُّف" وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى لا يُرَى في الدُّنْيَا بالأَبْصَار وَلا بالقُلوب إلا منْ جهَة الإيقَان، فَكَيْفَ التَّوْفيقُ بَيْنَ هَذَيْن التَّحْقيقَيْن؟ وَعَلى أَيٍّ منْهُمَا يُوَافقُ رَأْيكَ؟ وَمَا مَعْنَى الإجْمَاع مَعَ وُجُود الاخْتلاف؟

اعْلَـــمْ ـــ أَرْشَدَكَ اللهُ ـــ: أَنَّ مُخْتَارَ هَذَا الفَقيرِ في هَذه المَسْأَلة هُوَ قَوْل صَاحب التَّعَرُّف قُدِّسَ سرُّهُ وَاعْلَمْ أَنَّهُ لا نَصيبَ للقُلوب منْ تلكَ الحَضْرَة في هَذه النَّشْأَة غَيْرَ الإيقَان سَوَاءٌ ظَنُّوهُ رُؤْيَةً أَوْ مُشَاهَدَةً، فَإذَا لَمْ تَكُنْ للقَلب رُؤْيَةٌ، مَاذَا يَكُونُ للأَبْصَار؟ فَإنَّ البَصَرَ مُعَطَّل في هَذه المُعَامَلة في هَذه النَّشْأَة، غَايَةُ مَا في البَاب أَنَّ المَعْنَى المُسَمَّاةَ بالإيقَان الحَاصل في القَلب يَظْهَرُ في عَالم المثَال بصُورَة الرُّؤْيَة، وَالمُوقنُ به يَظْهَرُ بصُورَة المَرْئيِّ، فَإنَّ لكُل مَعْنًى صُورَةً في عَالم المثَال مُنَاسبَةً لهُ في عَالم الشَّهَادَة، وَحَيْثُ إنَّ كَمَال اليَقين في عَالم الشَّهَادَة في الرُّؤْيَة يَظْهَرُ الإيقَانُ أَيْضًا في عَالم المثَال بصُورَة الرُّؤْيَة، فَإذَا ظَهَرَ الإيقَانُ بصُورَة الرُّؤْيَة يَظْهَرُ مُتَعَلَّقُهُ الذى هُوَ المُوقنُ به صُورَةُ المَرْئيِّ بالضَّرُورَة، فَإذَا شَاهَدَهُ السَّالكُ في مرْآة المثَال يُذْهَل عَنْ تَوَسُّط المرْآة، وَيَظُنُّ الصُّورَةَ حَقيقَةً، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ حَصَلَتْ لَهُ حَقيقَةُ الرُّؤْيَة، وَظَهَرَ لهُ المَرْئيُّ وَلا يَدْري أَنَّ تلكَ الرُّؤْيَةَ هيَ صُورَةُ إيقَانه، وَذَلكَ المَرْئيَّ صُورَةُ المُوقن به وَهَذَا منْ أَغْلاط الصُّوفيَّة وَتَلَبُّسَات الصُّورَة بالحَقَائق، فَإذَا غَلَبَتْ هَذه الرُّؤْيَةُ وَتَرَشَّحَتْ منَ البَاطن في الظَّاهر تُوقعُ السَّالكَ في تَوَهُّم أَنَّهُ قَدْ حَصَل لهُ رُؤْيَةُ البَصَر أَيْضًا، وَتُحَوِّل المَطْلُوبَ منَ السَّمَاع إلى المُعَانَقَة، وَلا يَدْرُونَ أَنَّ حُصُول هَذَا المَعْنَى في الأَصْل الذى هُوَ البَصيرَةُ أَيْضًا مَبْنيٌّ عَلى التَّوَهُّم وَالتَّلبُّس، فَمَاذَا يُصيبُ للبَصَر الذى هُوَ فَرْعٌ عَلَيْهَا في هَذه النَّشْأَة؟ وَمنْ أَيْنَ تَحْصُل لهَا الرُّؤْيَةُ؟ وَفي الرُّؤْيَة القَلبيَّة وَقَعَ جَمٌّ غَفيرٌ منَ الصُّوفيَّة في التَّوَهُّم، وَحَكَمُوا بوُقُوعهَا بخلاف الرُّؤْيَة البَصَريَّة، فَإنَّهُ لَمْ يَقَعْ في تَوَهُّم وُقُوعهَا إلا

النَّاقصُونَ منْ هَذه الطَّائفَة وَهُوَ مُخَالفٌ لِمَا عَليْه أَهْل السُّنَّة وَالجَماعَة، شَكَرَ اللهُ تَعَالى سَعْيَهُمْ.

فَإنْ قيـــــل: إذَا كَانَ للمُوقنِ بِهِ صُورَةٌ فِي عَالِمِ المِثَال يَلزَمُ أَنَّ للحَقِّ سُبْحَانَهُ صُورَةً هُنَاكَ؟

أُجيـــــب: إنَّ الصُّوفيَّةَ قَدْ جَوَّزُوا أَنْ يَكُونَ للحَقِّ سُبْحَانَهُ مثَال وَأَنْ يَكُونَ لهُ تَعَالى مِثْل وَجَوَّزُوا ظُهُورَهُ سُبْحَانَهُ في المِثَال بصُورَة كَمَا قَرَّرَ صَاحبُ الفُتُوحُ قُدِّسَ سرُّهُ كَوْنَ الرُّؤْيَة الأُخْرَويَّة أَيْضاً بصُورَة جَامعَة لطيفَة مثَاليَّة، وَتَحْقيقُ هَذَا الجَوَاب أَنَّ صُورَةَ المُوقنِ به ليْسَتْ هيَ صُورَةُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ في المِثَالِ بَل هِيَ صُورَةُ مَكْشُوف صَاحبِ الإيقَان الذى تَعَلقَ إيقَانُهُ به، وَذَلكَ المَكْشُوفُ بَعْضُ وُجُوه الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَاعْتبَارَاته لاَ ذَاتُهُ جَل وَعَلا وَلهَذَا إذَا بَلغَتْ مُعَامَلةُ العَارِف الذَّاتَ لا يَظْهَرُ لهُ مِثْل هَذه التَّخيُّلات وَلا يَتَخَيَّل رُؤْيَةٌ وَلا مَرْئيٌّ أَصْلاً؛ فَإنَّهُ لا صُورَةَ لذَاته الأَقْدَسِ سُبْحَانَهُ في المِثَال حَتَّى تَظْهَرَ لهُ وَيَرَى إيقَانَهُ بصُورَةَ الرُّؤْيَة أَوْ نَقُول إنَّ في عَالِمِ المِثَال صُورَةَ المَعَاني لا صُوَرَ الذَّوَات وَحَيْثُ إنَّ العَالمَ بتَمَامه مَظَاهرُ الأَسْمَاء وَالصِّفَات لا يَكُونُ لهُ نَصيبٌ، منَ الذَّاتيَّات كَمَا حَقَّقْتُهُ فِي مَوَاضِعَ مُتَعَدِّدَة، فَيَكُونُ بتَمَامه منْ قسْمِ المَعَاني بالضَّرُورَة، وَتَكُونَ لهُ صُورَةٌ في المِثَال، وَفي الكَمَالات الوُجُوبيَّة كُل مَرْتَبَة فيهَا الشَّأْنُ وَالصِّفَةُ التي قيَامُهَا بالذَّات تَعَالتْ وَمنْ قَبيل المَعَاني لوْ كَانَتْ لهَا صُورَةٌ في المِثَال وَلوْ بالنَّقْص لسَاغَ، وَأَمَّا ذَاتُهُ سُبْحَانَهُ فَحَاشَاهَا منْ أَنْ تَكُونَ لهَا صُورَةٌ في مَرْتَبَة منَ المَرَاتب، فَإنَّ الصُّورَةَ مُستَلزمَةٌ للتَّحْديد وَالتَّقْييد، وَذَا ليْسَ بمُجَوَّز في أَيِّ مَرْتَبَة كَانَ، وَأَيْنَ المَجَال للمَرَاتب التي كُلهَا مَخْلوقَةٌ لله تَعَالى أَنْ يَجْعَل الخَالقُ سُبْحَانَهُ مَحْدُودَ أَوْ مُقَيَّدًا وَكُل مَنْ جَوَّزَ المِثَال في حَضْرَته سُبْحَانَهُ وَتَعَالى فَهُوَ باعْتبَارِ الوُجُوه وَالاعْتبَارَات لا باعْتبَار عَيْنِ الذَّات تَعَالتْ، وَإنْ كَانَ تَجْوِيزُ المِثَال في وُجُوه الذَّات وَاعْتبَارَاتهَا أَيْضًا ثَقيلاً عَلى هَذَا الفَقيرِ إلا أَنْ يَجُوزَ ذَلكَ فِي ظِل منَ الظِّلال البَعيدَة.

فَاتَّضَحَ منْ هَذَا البَيَان أَنَّ ارْتسَامَ الصُّوَرِ فِي المِثَال إنَّمَا هُوَ للمَعَاني وَالصِّفَات لا للذَّات، فَمَا مَرَّ من صَاحب الفُصُوصِ منْ تَجْويز كَوْن الرُّؤْيَة الأُخْرَويَّةِ بِصُورَةِ مثَاليَّة ليْسَتْ هِيَ بِرُؤْيَة الحَقِّ سُبْحَانَهُ بَل ليْسَتْ بِرُؤْيَة صُورَة

الحَقِّ، فَإِنَّهُ لا صُورَةَ لَهُ سُبْحَانَهُ حَتَّى تَتَعلَقَ بهَا الرُّؤْيَةُ، فَإِنْ كَانَتْ في المثَال صُورَةٌ فَهيَ لظل منْ ظلاله البَعيدَة، فَكَيْفَ تَكُونُ رُؤْيَتُها رُؤْيَةَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ؟ وَالشَّيْخ قُدِّسَ سِرُّهُ لا يُقَصرُ في نَفْي الرُّؤْيَة منَ المُعْتَزلة وَالفَلاسفَة بَل يُثْبتُ الرُّؤْيَةَ عَلى نَهْجٍ يَسْتَلزمُ نَفْيَ الرُّؤْيَة وَهُوَ أَبْلغُ في النَّفْي منْ صَريحِ النَّفْي؛ لأَنَّ الكنَايَةَ أَبْلغ منَ الصَّريحِ قَضيَّةٌ مُقرِّرَةٌ، إِنَّمَا الفرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ مُقْتَدَى تلكَ الجَمَاعَة عُقُولهُمُ العَقْليَّةُ وَمُقْتَدَى الشَّيْخِ الكَشْفُ البَعيدُ عَنِ الصِّحَّة، وَيُشْبهُ أَنْ تَكُونَ أَدلةُ المُخَالفينَ الغَيْرُ التَّامَّةُ قَدْ تَمَكَّنَتْ في مُتَخَيَّلة الشَّيْخ فَحَرَّفَتْ كَشْفَهُ أَيْضًا في هَذه المَسْأَلة عَنْ صَوْب الصَّوَاب، وَجَعَلتْهُ مَائلاً إلى مَذْهَب المُخَالفينَ، وَلكنْ لمَا كَانَ منْ أَهْل السُّنَّة أَثْبَتَهَا صُورَةً وَاكْتَفَى بهَذَا القَدْر وَظَنَّهَا رُؤْيَةً.

﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخذْنَا إنْ نَسينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[1]

وَتَحْقيقُ هَذه المَسْأَلة الدَّقيقَة مُحَرَّرٌ أَيْضًا فيمَا كَتَبْتُهُ لحَل بَعْضِ مَوَاضعِ كتَاب: " العَوَارفُ ".

وَمَا سَأَلتُمْ منْ تَحَقُّق الإجْمَاعِ مَعَ وُجُود الاخْتلاف، فَلعَل الخلافَ المُعْتَدَّ به لَمْ يَكُنْ وَقْتَ الإجْمَاعِ أَوْ أَنَّهُ أَرَادَ بالإجْمَاعِ إِجْمَاعَ مَشَايخِ عَصْره، وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بحَقيقَة الحَال.

(١) ـــ الآية: ٢٨٦ من سورة البقرة.

المَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالخَمْسُمائَة
إلى مَوْلانَا طَاهِرِ البَدَخْشِيِّ
فِي جَوَابِ سُؤَالِهِ عَنِ الفرْقِ بَيْنَ المَعْرِفَةِ وَالإيمَانِ الحَقيقيِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ

بَعْدَ الحَمْدِ وَالصَّلوَاتِ وَتَبْلِيغِ الدَّعَوَاتِ أُنْهِيَ أَنَّ صَحِيفَةَ أَخِي الأَعَزِّ المُرْسَلَةَ صُحْبَةَ الشَّيْخِ سَيُحَاوِل قَدْ وَصَلت الحَمْدُ لله سُبْحَانَهُ عَلى سَلامَتِكُمْ وَعَافِيَتِكُمْ وَقَد انْدَرَجَتْ فِيهَا أَسْئِلَةٌ مُتَعَدِّدَةٌ، فَكَتَبْنَا فِي جَوَابِهَا مَا خَطَرَ فِي الخَاطِرِ يَنْبَغِي أَنْ يُلاحِظَهُ بِالتَّوَجُّهِ الكَامِل.

السُّؤَالُ الأَوَّلُ: مَا الفرْقُ بَيْنَ المَعْرِفَةِ وَالإيمَان الحَقِيقيِّ؟

وَجَوَابُهُ: إنَّ المَعْرِفَةَ غَيْرُ الإيمَان، فَإِنَّ المَعْرِفَةَ يُعَبَّرُ عَنْهَا بالفَارسيَّة بشناختن وَالإيمَانَ يُعَبَّرُ عَنْهُ بكرويدن، وَرُبَّمَا تَحْصُلُ المَعْرِفَةُ بِالمَعْنَى المَذْكُورِ، وَلا يَحْصُلُ الإيمَانُ؛ أَلا تَرَى أَنَّ أَهْلَ الكِتَابِ كَانَتْ لَهُمْ مَعْرِفَةُ نَبِيِّنَا عَلَيْهِ وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَرَفُوا أَنَّهُ نَبِيٌّ كَمَا قَالَ اللهُ {يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُم}[1] وَلَكِنْ لَمَّا لَمْ يَحْصُل لَهُمُ التَّصْدِيقُ بِوَاسِطَةِ العِنَادِ لَمْ يَتَحَقَّق الإيمَانُ.

وَالمَعْرِفَةُ أَيْضًا مُنْقَسِمَةٌ إلى قِسْمَيْنِ مِثْل الإيمَان صُورَةُ المَعْرِفَةِ كَصُورَةِ الإيمَان، وَحَقِيقَةُ المَعْرِفَةِ كَحَقِيقَةِ الإيمَان، وَصُورَةُ الإيمَانِ هِيَ مَا اكْتُفِيَ بِهِ الحَقُّ سُبْحَانَهُ مِنْ كَمَالِ رَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ فِي الشَّرِيعَةِ لِلنَّجَاةِ الأُخْرَوِيَّةِ، وَهُوَ تَصْدِيقٌ مَعَ وُجُودِ إنْكَارِ النَّفْسِ الأَمَّارَةِ وَتَمَرُّدِهَا، وَصُورَةُ المَعْرِفَةِ هِيَ أَيْضًا كَوْنُ المَعْرِفَةِ مَقْصُورَةً عَلى تِلْكَ اللطِيفَةِ مَعَ وُجُودِ جَهْلِ الأَمَّارَةِ، وَحَقِيقَةُ المَعْرِفَةِ هِيَ خُرُوجُ النَّفْسِ الأَمَّارَةِ مِنْ جَهَالَتِهَا بِالجَبَلِيَّةِ، وَحُصُولُ المَعْرِفَةِ لَهَا، وَحَقِيقَةُ الإيمَانِ هِيَ تَصْدِيقُ النَّفْسِ بَعْدَ حُصُولِ المَعْرِفَةِ لَهَا وَاطْمِئْنَانِهَا بَعْدَ خُرُوجِهَا مِنَ الأَمَّارِيَّةِ التِي هِيَ كَانَتْ طَبِيعِيَّةً لَهَا.

فَإِنْ قِيلَ: قَد اعْتُبِرَ فِي الشَّرِيعَةِ التَّصْدِيقُ القَلْبِيُّ فِكْرٌ وَبَدَنُ هَذَا هَل هُوَ عَيْنُ التَّصْدِيقِ أَوَامِرُ وَرَاءَهُ؟ فَإِنْ كَانَ وَرَاءَ يَلْزَمُ أَنْ يُعْتَبَرَ فِي الإيمَانِ ثَلاثَةُ

(١) ـــ الآية: ١٤٦من سورة البقرة.

أَجْزَاء الإِقْرَارُ وَالتَّصْديقُ وَكرويدن، وَهُوَ خلافُ مَا هُوَ مُقَرَّرٌ عِنْدَ العُلَمَاءِ، وَيَكُونُ العَمَل عِنْدَ مَنِ اعْتَبَرَهُ مِنَ الإِيمَان جُزْءًا رَابعًا:

أُجِيـــــبَ: إِنَّ كرويدن هُوَ عَيْنُ التَّصْديقِ، فَإِنَّ التَّصْديقَ الذى هُوَ الحُكْمُ عِبَارَةٌ عَنِ الإِذْعَانِ المُعَبَّرِ عَنْهُ فِي الفَارِسيَّة: " بكرويدن ".

فَإِنْ قِيــــلَ: إِذَا عَرَفَ أَهْلِ الكتَابِ نَبِيَّنَا ﷺ بعُنْوَان النُّبُوَّة فَقَدْ حَكَمُوا بِنُبُوَّته بِالضَّرُورَة، وَحَصَلَ لَهُمُ الإِذْعَانُ المُعَبَّرُ عَنْهُ بكرويدن، فَإِنَّ الحُكْمَ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ عَيْنُ هَذَا الإِذْعَانِ، فَلِمَ لا يَكُونُ الإِيمَانُ مُتَحَقِّقًا فِي حَقِّهِمْ، وَبِأَيٍّ عِلة لا يَخْرُجُونَ مِنَ الكُفْرِ؟

قُلتُ: قَدْ عَرَفُوهُ بعُنْوَانِ النُّبُوَّة، وَلكِنْ لَمْ يَحْصُلْ لقَلبِهِمُ الإِذْعَانُ بِوَاسطَة التَّعَصُّب وَالعنَاد حَتَّى يَحْصُلَ لَهُمُ الحُكْمُ بِنُبُوَّته، فَإِنَّهُ رُبَّمَا يَحْصُلُ المَعْرِفَةُ وَالتَّصَوُّرُ وَلا يَحْصُلُ الإِذْعَانُ حَتَّى يُوجَدَ التَّصْديقُ وَيَتَحَقَّقَ الإِيمَانُ وَيَخْرُجُونَ مِنَ الكُفْرِ الفَرْقُ دَقِيقٌ اسْمَعْ وَارْجِعْ إِلَى وِجْدَانِكَ وَمَعَ وُجُود العنَاد يُمْكِنُ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ فَعَلَ كَذَا وَلا يُمْكِنُ أَنْ يَقُولَ إِنَّهُ نَبِيُّ اللهِ مَا لَمْ يَحْصُلِ الإِذْعَانُ، فَإِنَّ فِي الصُّورَة الأُولى تَصَوُّرًا فَقَطْ وَإِحَالَةً إِلَى مَعْرِفَة مَشْهُورَة، وَفِي الصُّورَة الثَّانِيَة تَصْديقًا مَبْنِيًّا عَلَى الإِذْعَانِ، فَإِذَا لَمْ يُوجَد الإِذْعَانُ، كَيْفَ يُتَصَوَّرُ وُجُودُ التَّصْديقِ؟ وَأَيْضًا لَيْسَ المَقْصُودُ فِي الصُّورَة الأُولى إِثْبَاتَ النُّبُوَّة، بَل إِثْبَاتَ الفعْل، وَفِي الصُّورَة الثَّانِيَة إِثْبَاتَ النُّبُوَّة، وَالعنَادُ لا يَجْتَمِعُ مَعَهُ، فَكَيْفَ يُتَصَوَّرُ وُجُودُ الإِذْعَانِ، فَلَوْ حَصَلَ التَّصْديقُ وَالحُكْمُ فَرْضًا بلا حُصُول الإِذْعَان فَهُوَ أَيْضًا دَاخل فِي التَّصَوُّرَات وَصُورَة التَّصْديق، وَمَا لَمْ يَحْصُلِ الإِذْعَانُ لا تَحْصُلُ حَقِيقَةُ التَّصْديق، فَلا يَحْصُلُ الإِيمَانُ، وَهَذه المَسْأَلَةُ مِنْ أُمَّهَات مَسَائل علم الكَلامِ وَدَقِيقَةٌ جدًّا حَتَّى عَجَزَ فِي حَلهَا فُحُول العُلَمَاءِ، وَزَادَ بَعْضُهُمْ رُكْنًا ثَالثًا فِي الإِيمَان بالاضْطرَار، وَقَال بزِيَادَة كرويدن عَلَى التَّصْديق، وَالذينَ قَالوا بعَيْنيَّة التَّصْديق بكرويدن لَمْ يَحل هَذَا المَعْنَى كَمَا يَنْبَغي، بَل اكْتَفَى بالإِجْمَال وَمَضَى ﴿الحَمْدُ للهِ الذى هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لنَهْتَديَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ﴾(١).

اسْمَعْ إِنَّ المُرَكَّبَ التَّقْييديَّ وَالمُرَكَّبَ التَّوْصيفيَّ مثل نَبيِّ اللهِ وَهَذَا النَّبيُّ وَإِنْ كَانَا مُتَضَمِّنَيْنِ للحُكْمِ بِأَنَّهُ نَبِيٌّ وَمُشْتَمليْنِ عَلَى مَعْرِفَته بعُنْوَان النُّبُوَّة، وَلكنَّ حُصُول التَّصْديقِ بِأَنَّهُ نَبيٌّ مَوْقُوفٌ عَلَى الإِذْعَان الذى هُوَ مُثْبِتٌ للإِيمَانِ ؛ غُلامُ زَيْد

---

(١) ـــ الآية: ٤٣ من سورة الأعراف.

فَعَل كَذَا، وَرَجُل صَالِحٌ حَكَمَ بِكَذَا كِلاهُمَا صَحِيحٌ بلا إِذْعَان، وَالمَعْرِفَةُ بِعُنْوَان الغُلامِيَّة وَعُنْوَان الصَّلاحِيَّة ثَابِتَةٌ فِي كِلَيْهِمَا، وَلَكِنْ لا إِذْعَانَ فِيهِمَا حَتَّى يَحْصُلَ التَّصْدِيقُ بِالغُلامِيَّة، وَعُنْوَانُ الصَّلاحِيَّة ثَابِتَةٌ فِي كِلَيْهِمَا، وَلَكِنْ لا إِذْعَانَ فِيهِمَا حَتَّى يَحْصُلَ التَّصْدِيقُ بِالغُلامِيَّة وَالصَّلاحِيَّة.

فَإِنْ قِيــــل: إِنَّكَ قُلتَ إِنَّ إِذْعَانَ النَّفْس بَعْدَ إِذْعَان القَلْب، وَعَبَّرْتَ عَنْ إِذْعَان النَّفْس بِالإِيمَان الحَقِيقِيِّ، وَالحَال أَنَّ الفَلاسِفَةَ وَأَرْبَابَ المَعْقُول أَخَذُوا فِي التَّصْدِيق مُطْلَقَ إِذْعَان النَّفْس، وَلَمْ يَتَكَلَّمُوا فِي إِذْعَان القَلْب.

قُلتُ: إِنَّ أَرْبَابَ العُقُول يُرِيدُونَ بِالنَّفْسِ فِي بَعْضِ الإِطْلاقَاتِ الرُّوحَ، وَفِي بَعْضِ الإِطْلاقَات القَلبَ.

وَبالجُمْلَة: إِنَّ تَدْقِيقَاتِهِمُ الفَلسَفِيَّةَ فِي مُحَال آخَرَ وَأَكْثَرَهَا مِمَّا لا طَائِل فِيه، وَهُمْ مُعَطِّلُونَ وَعَاجِزُونَ فِي هَذِه المَسْأَلَة، وَحُكْمُهُمْ فِيهَا حُكْمُ العَوَامِّ وَنَوْبَةُ التَّدْقِيق ثَمَّةَ انْتَهَتْ إِلَى الصُّوفِيَّة، فَإِنَّهُمْ يَتَلَبَّسُونَ بِأَحْكَام كُل لَطِيفَة وَيَتَرَقَّوْنَ مِنْ جَمِيعِ اللطَائِف بِالسَّيْر وَالسُّلُوك وَيُفَرِّقُونَ النَّفْسَ مِنَ القَلب، وَالرُّوحَ مِنَ السِّرِّ، وَيُمَيِّزُونَ بَيْنَ الخَفِيِّ وَالأَخْفَى، وَلا يُعْلَمُ حُصُول نَصِيب مِنْ هَؤُلاء، لأَرْبَاب المَعْقُول غَيْرَ مَعْرِفَة أَسَامِيهَا، وَقَد اعْتَقَدَت الفَلاسِفَةُ النَّفْسَ الأَمَّارَةَ شَيْئًا عَظِيمًا، وَعَدُّوهَا مِنَ المُجَرَّدَات، وَلَمْ يَجْرِ اسْمُ القَلب وَالرُّوحِ عَلَى أَلسِنَتِهِمْ، وَلَمْ يَبْدُ مِنَ السِّرِّ وَالخَفِيِّ وَالأَخْفَى عَلامَةٌ أَنَّ لله سُبْحَانَهُ مَلَكًا يَسُوقُ الأَهْلَ إِلَى أَهْل.

وَجَوَابٌ آخَرُ أَنَّ أَرْبَابَ العُقُول إِنَّمَا ذَكَرُوا إِذْعَانَ النَّفْسِ نَظَرًا إِلَى الأَحْكَامِ العَادِيَّة وَالعُرْفِيَّة؛ لِكَوْنِهَا قَرِيبَةً إِلَى فَهْمِهِمْ، وَكَلامُنَا فِي تَصْدِيقَات الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّة وَلِلنَّفْسِ إِنْكَارٌ عَلَيْهَا بِالذَّات، فَأَيْنَ الإِذْعَانُ وَهَذَا الإِنْكَارُ إِنْكَارٌ مُوصِل لِلمُنْكِر إِلَى حَدِّ عَدَاوَة صَاحِب تِلكَ الأَحْكَام نَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَات أَعْمَالِنَا؟ وَقَدْ وَرَدَ فِي الحَدِيث القُدُسِيِّ عَاد نَفْسَكَ؛ فَإِنَّهَا انْتَصَبَتْ لِمُعَادَاتِي " وَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ لَمْ يَجْعَل إِذْعَانَ النَّفْس مِنْ كَمَال رَأْفَته مَنْظُورٌ فِي أَوَائِل الحَال، وَجَعَل النَّجَاةَ مَرْبُوطَةً بِإِذْعَان القَلب، فَلَوْ تَيَسَّرَ إِذْعَانُ النَّفْسِ ثَانِيًا بِمَحْضِ كَرَمِه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَهُوَ نُورٌ وَسُرُورٌ وَوُصُول إِلَى دَرَجَات الوِلايَة، وَحُصُول حَقِيقَة الإِيمَان، وَقَدْ كَتَبْتُمْ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ تَكْتُبُوا جَوَابًا مُوَافِقًا لِفَهْمِ الفَقِير وَإِدْرَاكِه حَتَّى يُمْكِنَ لِي فَهْمُهُ مَاذَا أَصْنَعُ المَسْأَلَةُ دَقِيقَةٌ جدًّا وَحَلهَا أَيْضًا بِلا دِقَّةٍ

مُشْكِل بَل نَفْسُ الحَل يَقْتَضِي الدِّقَّةَ، فَمَا ذَنْبُ العِبَارَة، وَكَانَ يَنْبَغِي لكُمْ أَنْ تُفَكِّرُوا هَذَا أَوَّلاً حَتَّى لا تَجْتَرِئُوا عَلى سُؤَال حَل مِثْل هَذَا المُعَمَّى {فَلا تَلومُونِي وَلومُوا أَنْفُسَكُمْ}(١).

السُّؤَال الثَّانِي: إِنَّ الزُّهَّادَ وَالعُبَّادَ هَل هُمْ مُشَرَّفُونَ بِالإِيمَانِ الحَقِيقِيِّ أَوْ لا؟:

جَوَابُهُ إِنَّهُمْ إِنْ بَلغُوا مَرْتَبَةَ المُقَرَّبِينَ وَصَارَتْ نُفُوسُهُمْ مُطَمْئِنَّةً فَقَدْ بَلغُوا مَرْتَبَةَ الإِيمَان الحَقِيقِيِّ.

وَالسُّؤَال الثَّالِثُ: إِنَّ أَصْحَابَ المَعْرِفَة الإِجْمَالِيَّة التِي مَنْشَأُهَا الكُفْرُ الحَقِيقِيُّ، كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يُقَال لَهُمُ العُرَفَاءُ؟ لَمْ يَفْهَمْ مَعْنَى هَذه العِبَارَة كَمَا يَنْبَغِي، وَأَنْتُمْ تَكْتُبُونَ العِبَارَةَ مُغْلقَةً، وَتَمْنَعُونَ الآخَرِينَ مِنْ ذَلكَ، فَإِنْ كَانَ المَقْصُودُ أَنَّ الكُفْرَ الطَّرِيقَةُ بِأَيِّ مَعْنًى يُقَال لهُ إِنَّهُ عَارِفٌ

فَجَوَابُهُ إِنَّ كَافِرَ الطَّرِيقَة أَيْضًا عَرَفَ الحَقَّ سُبْحَانَهُ بِالوَحْدَانِيَّة، وَجَعَل مَا سِوَاهُ مَمْحُوًّا وَمُتَلاشِيًا فَهُوَ عَارِفٌ، وَلكِنَّهُ لَيْسَ بِعَارِف مُطْلَقًا؛ لأَنَّهُ خَرَجَ مِنْ دَائِرَة التَّمْيِيز، فَإِذَا رَجَعَ إِلى التَّمْيِيزِ يَصِيرُ عَارِفًا مُطْلَقًا، وَيَكُونُ مُشَرَّفًا بِالإِيمَان الحَقِيقِيِّ، وَالسَّلامُ.

---

(١) ـــ الآية: ٢٢ من سورة إبراهيم.

المَكْتُوبُ الرَّابِعِ وَالخَمْسُمائَة
إلى الفَقِيرِ هَاشِم الكَشْمِيِّ
فِي جَوَابِ سُؤَالِه عَنْ سَمَاعِ الصُّوفِيَّةِ كَلامَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَمُكَالمَتِهِمْ مَعَهُ تَعَالى

قَدْ سَأَلْتُمْ أَنَّهُ: "مَا مَعْنَى مَا قَالَهُ بَعْضُ العُرَفَاءِ مِنْ إِنَّا نَسْمَعُ كَلامَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ، أَوْ تَقَعُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ مُكَالمَةٌ؟

كَمَا نُقِلَ عَنِ الإمَامِ الهُمَامِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ مَازِلتُ أُرَدِّدُ الآيَةَ حَتَّى سَمِعْتُهَا مِنَ المُتَكَلِّمِ بِهَا وَيُفْهَمُ ذَلكَ أَيْضًا مِنَ الرِّسَالَةِ الغَوْثِيَّةِ التي هِيَ مَنْسُوبَةٌ إلى حَضْرَةِ الشَّيْخِ عَبْدِ القَادِرِ الجِيلانِيِّ قُدِّسَ سِرُّهُ ؟ وَمَا تَحْقِيقُ ذَلكَ عَنْكَ؟

اعْلَمْ ــ أَرْشَدَكَ اللهُ تَعَالى ــ: أَنَّ كَلامَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى كَذَاتِه وَسَائِرِ صِفَاتِه لا كَيْفِيٌّ وَلا مِثْلِيٌّ، وَسَمَاعَ الكَلامِ الكَيْفِيِّ أَيْضًا لا كَيْفِيٌّ، فَإِنَّهُ لا سَبِيلَ للكَيْفِيِّ، فَلا يَكُونُ ذَلكَ السَّمَاعُ مَرْبُوطًا بحَاسَّةِ السَّمْعِ؛ فَإِنَّهَا مُتَكَيِّفَةٌ بالكَيْفِ بالكُلِّيَّةِ، فَإِنْ كَانَ هُنَاكَ للعَبْدِ سَمَاعٌ، فَهُوَ بتَلَقٍّ رُوحَانِيٍّ، فَإِنَّ لها يَعْنِي الرُّوحَ نَصِيبًا مِنَ الكَيْفِيِّ وَبلا تَوَسُّطِ الحُرُوفِ وَالكَلمَاتِ، وَأَيْضًا لوْ كَانَ الكَلامُ مِنَ العَبْدِ فَهُوَ أَيْضًا بالقَاءِ رُوحَانِيٍّ بلا حُرُوفٍ وَكَلمَاتٍ، وَيَكُونُ لهَذَا الكَلامِ نَصِيبٌ مِنَ الكَيْفِيِّ حَيْثُ يَكُونُ مَسْمُوعًا للكَيْفِيِّ مَعَ أَنَّا نَقُولُ إِنَّ الكَلامَ اللفْظِيَّ الذى يَصْدُرُ عَنِ العَبْدِ يَسْمَعُهُ الحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى بسَمَاعٍ لا كَيْفِيٍّ بلا تَوَسُّطِ الحُرُوفِ والكَلمَاتِ، وَبلا تَقْدِيمٍ وَتَأْخِيرٍ إذْ لا يَجْرِي عَلَيْه تَعَالى زَمَانٌ يَسَعُ فيه التَّقْدِيمَ وَالتَّأْخِيرَ فَلوْ كَانَ فِي ذَلكَ المَوْطِنِ مِنَ العَبْدِ سَمَاعٌ فَهُوَ سَامِعٌ بكُلِّيَّتِه، وَإِنْ كَلامٌ فَمُتَكَلِّمٌ بكُلِّيَّتِه فَالعَبْدُ بتَمَامِه سَمْعٌ وَبتَمَامِه لسَانٌ، وَقَدْ سَمِعَت الذَّرَّاتُ المُخْرَجَةُ يَعْنِي مِنْ ظَهْرِ آدَمَ قَوْلَ ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[1] يَوْمَ المِيثَاقِ، بكُلِّيَّتِهِمْ بغَيْرِ وَاسِطَةٍ، وَأَجَابُوهُ وَكَانُوا بتَمَامِهِمْ أَسْمَاعًا وَبتَمَامِهِمْ السُنًا، فَإِنَّهُ لوْ كَانَ السَّمْعُ مُتَمَيِّزًا مِنَ اللسَانِ لَمَا يَحْصُلُ السَّمَاعُ وَالكَلامُ اللاكَيْفِيَّيْنِ، وَلا يَكُونُ لائقًا بارْتِبَاطِ المَرْتَبَةِ الكَيْفِيَّةِ لا يَحْمِلُ عَطَايَا المَلكِ إلا مَطَايَاهُ، غَايَةُ مَا فِي البَابِ أَنَّ ذَلكَ المَعْنَى المُتَلَقَّى الذى أَخَذَهُ مِنْ طَرِيقِ الرُّوحَانِيَّةِ يَتَمَثَّلُ ثَانِيًا فِي عَالمِ الخَيَالِ الذى هُوَ فِي

---

(١) ــ الآية: ١٧٢ من سورة الأعراف.

الإِنْسَان تمْثَال عَالَم المِثَال بصُورَة الحُرُوف وَالكَلمَات المُرَتَّبَة وَيَرْتَسِمُ ذَلكَ التَّلَقِّي وَالالقَاءَ بصُوَر السَّمَاع، وَالكَلامُ اللفْظِيُّ فَإنَّ لكُل مَعْنًى صُورَةً في ذَلكَ العَالَم، وَإنْ كَانَ ذَلكَ المَعْنَى مُنَزَّهًا منَ الكَيْف وَلكنْ يَكُونُ ارْتسَامُ المُنَزَّه عَن الكَيْف أيْضًا هُنَاكَ بصُورَة مُكَيَّفَة بكَيْف، فَإنَّ الفهْمَ وَالإفْهَامَ المَقْصُودَيْن منَ الارْتسَام مَرْبُوطَان بهَا، فَإذَا وَجَدَ السَّالكُ المُتَوَسِّطُ في نَفْسه حُرُوفًا وَكَلمَات مُتَرَتِّبَةً وَأَحَسَّ سَمَاعَ الكَلامِ اللفْظِيِّ يَتَخَيَّل أنَّهُ قَدْ سَمعَ هَذه الكَلمَات منَ الأَصْل وَأَخَذَهُ منْ هُنَاكَ بلا تَفَاوُت وَلا يَدْري أنَّ هَذه الحُرُوفَ وَالكَلمَات صُوَرٌ خيَاليَّةٌ لذَلكَ المَعْنَى المُتَلقَّى وَذَلكَ السَّمَاعُ وَالكَلامُ اللَفْظِيُّ تمْثَال ذَلكَ السَّمَاع، وَالكَلامُ وَالكَيْفيُّ وَالعَارفُ التَّامُّ المَعْرِفَة يَنْبَغي أَنْ يُمَيِّزَ حُكْمَ كُل مَرْتَبَة عَن الأُخْرَى وَلا يَلبسَ حُكْمَ إحْدَاهُمَا بحُكْم الأُخْرَى، فَسَمَاعُ هَؤُلاء الأَكَابِر وَكَلامهمُ المَرْبُوطينَ بمَرْتَبَة لا كَيْفيَّة منْ قَبيل التَّلقِّي وَالالتقَاء الرُّوحَانيَّيْن، وَهَذه الكَلمَاتُ وَالحُرُوفُ التي يُعَبَّرُ بهَا عَنْ ذَلكَ المَعْنَى المُتَلقَّى منْ عَالَم الصُّوَر المثَاليَّة وَالذينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ يَسْمَعُونَ الحُرُوفَ وَالكَلمَات منَ الله سُبْحَانَهُ فَرِيقَان، فَريقٌ يَقُولونَ إنَّ هَذه الحُرُوفَ وَالكَلمَات الحَادثَةَ المَسْمُوعَةَ دَوَال عَلى الكَلامِ النَّفْسيِّ القَديم، وَهَؤُلاء أَحْسَنُ حَالاً منَ الفريق الثَّاني، وَالفريقُ الثَّاني يُطْلقُونَ القَوْل بسَمَاع كَلامِ الحَقِّ جَل شَأْنُهُ وَيَعْتَقدُونَ الحُرُوفَ وَالكَلمَات المُرَتَّبَة المَسْمُوعَةَ كَلامَ الحَقِّ جَل وَعَلا وَلا يُفرِّقُونَ بَيْنَ مَا هُوَ لائقٌ بجَنَاب قُدُسه تَعَالى وَبَيْنَ مَا هُوَ لَيْسَ بلائق به، وَهُوَ الجَهْل البَطَّال لَمْ يَعْرفُوا مَا يَجُوزُ عَلَيْه وَمَا لا يَجُوزُ عَلَيْه تَعَالى ﴿سُبْحَانَكَ لا علْمَ لَنَا إلا مَا عَلَّمْتَنَا إنَّكَ أَنْتَ العَليمُ الحَكيمُ﴾[١]، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلى خَيْرِ البَشَرِ وَآله وَأَصْحَابه الأَطْهَرِ.

---

(١) ــ الآية: ٣٢ من سورة البقرة.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالخَمْسُمائَة
إلى حَضْرَة المَخْدُوم زَادَهْ الخَوَاجَة مُحَمَّد سَعِيد
في تَحْقيق التَّعَيُّن الأَوَّل الوُجُوديِّ
وَبَيَان الفرَق بَيْنَ مُبَادئ تَعَيُّنَات الحَبيب وَالخَليل وَالكَليم
عَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْليمَاتُ

وَالذي صَارَ مَكْشُوفًا في الآخر بكَرَم الله وَفَضْله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى، هُوَ أَنَّ التَّعَيُّنَ الأَوَّل لحَضْرَة الذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّستْ هُوَ تَعَيُّنُ حَضْرَة الوُجُود وَالمُحيط بجَميع الأَشْيَاء وَالجَامع لجَميع الأَضْدَاد وَالخَيْر المَحْض وَكَثير البَرَكَة حَتَّى إنَّ الأَكْثَرينَ منَ مَشَايخ هَذه الطَّائفَة قَالوا إنَّهُ عَيْنُ الذَّات وَمَنَعُوا كَوْنَهُ زَائدًا عَلى الذَّات تَعَالى وَفيه غَايَةُ الدِّقَّة وَكَمَال اللطَافَة بحَيْثُ لا يَكَادُ بَصَرُ كُل شَخْص يُدْركُهُ وَلا يَقْدرُ تَمْييزَهُ منَ الأَصْل، وَلهَذَا بَقيَ تَعَيُّنُهُ مُخْتَفيًا إلى هَذه المُدَّة وَلَمْ يَتَميَّزْ منَ المُتَعيِّنُ وَعَبَدَهُ جَمٌّ غَفيرٌ بزَعْم أَنَّهُ هُوَ الله، وَلَمْ يَطْلُبوا مَعْبُودًا وَمَطْلوبًا مَا وَرَاءَهُ، وَاعْتَقدُوا أَنَّهُ هُوَ المَبْدَأُ للآثَار الخَارجيَّة، وَظَنُّوا أَنَّهُ المُكَوِّنُ للحَوَادث اليَوْميَّة وَهَذَا التَّمْييزُ أَعْني تَمْييزَ الحَقِّ عَمَّا دُونَ الحَقِّ كَانَ دَوْلَةً مُدَّخَرَةً لهَذَا المسْكين العَاجز المُتَأَخِّر، وَنَفْيُ مُشَارَكَة غَيْر المَعْبُود مَعَ المَعْبُود سُبْحَانَهُ وَتَعَالى كَانَ حصَّةً بَاقيَةً منَ الأَنْبيَاء عَلَيْهمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ مُخْتَبيَةً لُملتَقط مَا سَقَطَ منْ مَوَائدهمْ هَذَا {الحَمْدُ لله الذى هَدَانَا لهَذَا وَمَا كُنَّا لنَهْتَديَ لوْلا أَنْ هَدَانَا الله، لقَدْ جَاءَتْ رُسُل رَبِّنَا بالحَقِّ}(١)، وَقَدْ صَارَ مَكْشُوفًا أَنَّ هَذَا التَّعَيُّنَ الأَوَّل الوُجُوديَّ هُوَ رَبُّ خَليل الرَّحْمَن عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، وَمَبْدَأُ تَعَيُّنه وَتَعَيُّن خلته، وَصَارَ مَكْشُوفًا أَيْضًا أَنَّ مَرْكَزَ هَذَا التَّعَيُّن الذى هُوَ جُزْؤُهُ الأَشْرَفُ وَفيه نسْبَةُ الأَقْرَبيَّة بالأَصْل منْ بَيْن الأَجْزَاء الأُخَر هُوَ رَبُّ حَبيب الله وَمَبْدَأُ تَعَيُّنه وَتُعَيُّن مَحَبَّتَهُ عَلَيْه وَعَلى جَميع الأَنْبيَاء الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْليمَاتُ.

فَإنْ قيــــل: إذَا كَانَ التَّعَيُّنُ الأَوَّل رَبَّ الخَليل، فَمَا مَعْنَى قَوْل نَبيِّنَا عَلَيْهمَا الصَّلاةُ وَالسَّلام أَوَّل مَا خَلقَ اللهُ نُوري "؟ قُلتُ إنْ مَرْكَزَ الدَّائرَة أَسْبَقُ أَجْزَاء الدَّائرَة، وَأَيْضًا إنَّ للجُزْء تَقدُّمًا عَلى الكُل فَيَكُونُ مَبْدَأُ تَعَيُّنه ﷺ الذى عَبَّرَ عَنْهُ بنُوري أَسْبَقَ منَ الكُل بالضَّرُورَة، وَمَرْكَزُ الدَّائرَة وَإنْ كَانَ جُزْءًا منَ

---

(١) ـــ الآية: ٤٣ من سورة الأعراف.

الدَّائِرَةِ وَالدَّائِرَةُ كُلاً لَهُ وَلَكِنَّهُ جُزْءٌ نَشَأَ مِنْهُ سَائِرُ أَجْزَاءِ الكُلِ، فَإِنَّ جَمِيعَ أَجْزَاءِ مُحِيطِ الدَّائِرَةِ ظِلال ذَلِكَ الجُزْءِ الذى هُوَ مَرْكَزُ تِلْكَ الدَّائِرَةِ، فَلَوْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الجُزْءُ لَمَا كَانَ مِنَ الدَّائِرَة اسْمٌ وَلا رَسْمٌ.

فَاتَّضَحَ أَنَّ رَبَّ حَضْرَةِ الخَلِيلِ وَمَبْدَأَ تَعَيُّنِه هُوَ التَّعَيُّنُ الأَوَّلُ وَمَنْشَأُ التَّعَيُّنِ الأَوَّلِ الذى هُوَ الجُزْءُ وَالمَرْكَزُ، وَأَشْرَفُ أَجْزَاءِ تِلْكَ الدَّائِرَةِ رَبُّ حَضْرَةِ خَاتَمِ الرُّسُلِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَمَبْدَأُ تَعَيُّنِه، فَيَكُونُ أَسْبَقَ الكُلِ هُوَ حَقِيقَةُ خَاتَمِ النُّبُوَّةِ، وَيَكُونُ مَنْشَأُ ظُهُورِ الآخَرِينَ أَيْضًا هِيَ، وَمِنْ هَهُنَا وَرَدَ فِي الحَدِيثِ القُدُسِيِّ فِي شَأْنِ حَبِيبِ اللهِ لَوْلاكَ لَمَا خَلَقْتُ الأَفْلاكَ، وَلَمَا أَظْهَرْتُ الرُّبُوبِيَّةَ " فَإِذَا كَانَ مَبْدَأُ تَعَيُّنِ خَاتَمِ الرُّسُلِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ مَرْكَزَ دَائِرَةِ التَّعَيُّنِ الأَوَّلِ الذى هُوَ مَبْدَأُ تَعَيُّنِ الخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلامُ، فَلا جَرَمَ تَكُونُ الوِلايَةُ المُحَمَّدِيَّةُ التي مَنْشَؤُهَا المُحِبِّيَّةُ مَرْكَزَ الوِلايَةِ الخَلِيلِيَّةِ التي مَنْشَؤُهَا الخُلَّةُ وَالوِلايَةُ الخَلِيلِيَّةُ مَعَ وُجُودِ أَوَّلِيَّتِهَا لا تَكُونُ حَائِلَةً وَحَاجِزَةً بَيْنَ الوِلايَةِ المُحَمَّدِيَّةِ وَبَيْنَ حَضْرَةِ الذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ فَإِنَّ لِمَرْكَزِ الدَّائِرَةِ سِبْقَةً ذَاتِيَّةً عَلَى الدَّائِرَةِ، فَلا يَكُونُ الخَلَفُ حَائِلاً لِلسَّلَفِ بَلِ الأَمْرُ بِالعَكْسِ.

وَوَجْهٌ آخَرُ لِسَبْقِ هَذَا المَرْكَزِ وَقُرْبِه اسْمَعْ إِنَّهُ كُلَمَا يُتَعَمَّقُ فِي السَّيْرِ فِي هَذِه النُّقْطَةِ التي هِيَ المَرْكَزُ يَتَمَيَّزُ المُحِبُّ مِنَ المَحْبُوبِ مِنْ تِلْكَ النُّقْطَةِ التي حَاصِلُهَا المُحِبِّيَّةُ وَتَظْهَرُ صُورَةُ دَائِرَةٍ مَرْكَزُهَا المَحْبُوبِيَّةُ، وَمُحِيطُهَا المُحِبِّيَّةُ وَتِلْكَ المُحِبِّيَّةُ هِيَ مَبْدَأُ الوِلايَةِ المُوسَوِيَّةِ وَالمَحْبُوبِيَّةُ هِيَ مَبْدَأُ الوِلايَةِ المُحَمَّدِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، فَهَذَا المَرْكَزُ الذى هُوَ المَحْبُوبِيَّةُ أَسْبَقُ مِنْ ذَاكَ المَرْكَزِ الذى هُوَ المُحِبِّيَّةُ وَصَارَ دَائِرَةً وَأَقْرَبَ إِلَى حَضْرَةِ الذَّاتِ، فَإِنَّ لِلمَرْكَزِ سِبْقَةً وَقُرْبًا لَيْسَا لِلدَّائِرَةِ، فَكَانَتِ الوِلايَةُ المُحَمَّدِيَّةُ أَسْبَقَ مِنَ الوِلايَةِ المُوسَوِيَّةِ أَيْضًا وَأَقْرَبَ.

وَوَجْهٌ آخَرُ لِسِبْقَةِ الوِلايَةِ المُحَمَّدِيَّةِ وَقُرْبِهَا: اسْمَعْ إِنَّهُ كُلَمَا يُتَعَمَّقُ فِي السَّيْرِ فِي هَذَا المَرْكَزِ الذى هُوَ المَحْبُوبِيَّةُ بِفَضْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَعْرِضُ لِهَذَا المَرْكَزِ أَيْضًا صُورَةُ دَائِرَةٍ يُرَى مَرْكَزُهَا مَحْبُوبِيَّةً صِرْفَةً، وَيَظْهَرُ مُحِيطُهَا مَحْبُوبِيَّةً مُمْتَزِجَةً بِالمُحِبِّيَّةِ وَهِيَ نَصِيبُ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ أُمَّتِه بِتَبَعِيَّتِه عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، بَلْ بِتَبَعِيَّةِ الوِلايَةِ المُوسَوِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ التي لَهَا مُنَاسَبَةٌ بِمُحِيطِ الدَّائِرَةِ، وَمِنْ هَهُنَا قِيلَ إِنَّ الوِلايَةَ المُحَمَّدِيَّةَ مَرْكَزٌ فِي جَمِيعِ الأَوْقَاتِ، وَكَيْفِيَّةُ المُحِبِّيَّةِ أَيْضًا مِنْ بَرَكَاتِ تِلْكَ الوِلايَةِ، فَإِنَّ المَرْكَزَ الثَّانِي إِنَّمَا صَارَ دَائِرَةً بِامْتِزَاجِهَا بِه وَظَهَرَ مِنْهُ مَرْكَزٌ آخَرُ.

نْبَغي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ هَذَا المَرْكَزَ الثَّالثَ أَوْرَثَ للمُعَامَلة تَرَقِّيًا كَثيرًا، وَجَعَلهَا أَقْرَبَ منَ الأَقْرَب، (ع):

لا عُسْرَ في أَمْرٍ مَعَ الكرَام

وَمَا أُظْهرُ زيَادَةً عَلى ذَلكَ منْ هَذه الأَسْرَار وَالدَّقَائق، وَمَاذَا يُقَال وَيُبَيَّنُ ممَّا وَرَاءَ التَّعَيُّنِ الأَوَّل أَكْثَرُ منْ ذَلكَ؟ وَإنْ لَمْ يَكُنْ وَرَاءَ التَّعَيُّنِ الأَوَّل لكَوْنه جُزْءَهُ أَوْ جُزْءَ جُزْئه بوَاسطَة أَوْ بوَاسطَتَيْنِ، وَلكنَّهُ بَعيدٌ عَنِ التَّعَيُّنِ الأَوَّل في النَّظَرِ الكَشْفيِّ بمَرَاحل وَأَقْرَبُ منْهُ إلى المَطْلوب بمَنَازل.

فَإنْ قيــــل: إنَّ كُل كَمَال مُيَسَّرٌ للجُزْء مُيَسَّرٌ للكُل، فَإنَّ الكُل عبَارَةٌ عَنْ ذَلكَ الجُزْءِ مَعَ أَجْزَاءٍ أُخَرَ فَمَا وَجْهُ حُصُول السَّبْقَة؛ وَالقُرْبُ للجُزْء دُونَ الكُل؟

قُلت: إنَّ الكَمَال الذى يَحصُل للجُزْء بالأَصَالة يَحْصُل ذَلكَ للكُل بتَبَعيَّته للجُزْء لا بالأَصَالة وَلا شَكَّ أَنَّ للأَصَالة سبْقَةً لَيْسَتْ هيَ للتَّبَعيَّة وَللأَصْل قُرْبًا لَيْسَ هُوَ للفَرْعِ، فَلوْ كَانَ مَرْكَزُ الدَّائرَة أَسْبَقَ قَدَمًا منَ الدَّائرَة في كَمَالاته المَخْصُوصَة به لسَاغَ.

وَالتَّحْقيقُ في الجَوَاب أَنَّ كَمَال الجُزْء إنَّمَا يَسْري في الكُل إذَا كَانَ ذَلكَ الكَمَال نَاشئًا منْ مَاهيَّة الجُزْء الأَصْليَّة، وَأَمَّا إذَا كَانَ الكَمَال عَرَضًا لجُزْء بَعْدَ انْقلاب مَاهيَّته لا يَلزَمُ أَنْ يَسْريَ ذَلكَ الكَمَال في الكُل فَإنَّ ذَلكَ لجُزْء لَمْ يَبْقَ جُزْءٌ لذَلكَ الكُل بَعْدَ انْقلاب مَاهيَّته حَتَّى يَسْرِيَ الكَمَال فيه مَثَلاً إذَا جُعل جُزْءٌ منَ الوَرق بعَمَل الأكسير ذَهَبًا، وَانْقَلبَ منْ مَاهيَّة الوَرق إلى مَاهيَّة الذَّهَب لا يُمْكنُ أَنْ يُقَال إنَّ كَمَالات هَذَا الجُزْء الذَّهَبيَّة تَسْري في الفضَّة التي هيَ كُلهُ، فَإنَّ ذَلكَ الجُزْءَ لَمْ يَبْقَ جُزْءًا لَهَا بَعْدَ الانْقلاب حَتَّى تَسْري كَمَالاتُهُ؛ فَافْهَمْ وَقسْ عَلَيْه مَعْرفَةَ مَا نَحْنُ فيه.

فَإنْ قيــــل: إنَّ التَّعَيُّنَ الأَوَّل الوُجُوديَّ هَل لهُ وُجُودٌ في الخَارجِ أَوْ ثُبُوتٌ علميٌّ فَقَطْ وَكُل وَاحد منْ هَذَيْنِ الشِّقَّيْنِ غَيْرُ صَحيحٍ؛ فَإنَّهُ لا مَوْجُودَ في الخَارجِ عنْدَ هَؤُلاء الأَكَابر غَيْرَ ذَات وَاحدَة تَعَالتْ، وَلا اسْمَ في ذَلكَ الخَارج منَ التَّعيُّنَات وَالتَّنَزُّلات وَلا رَسْمَ، وَلوْ قُلنَا بالثُّبُوت العلميِّ يَلزَمُ أَنْ يَكُونَ التَّعَيُّنُ العلميُّ سَابقًا عَليْه، وَهُوَ خلافُ المُقرَّر؟

أُجيــــب: إنَّهُ ثَابتٌ في نَفْس الأَمْر، فَلوْ قيل بالثُّبُوت الخَارجيِّ بمَعْنَى أَنَّ لهُ ثُبُوتًا فيمَا وَرَاءَ العلمِ أَيْضًا لسَاغَ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ المُلهمُ للصَّوَاب.

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالخَمْسُمائَة

إلى حَضْرَةِ المَخْدُومِ زَادَهْ الخَوَاجَة مُحَمَّد مَعْصُوم سَلمَهُ اللهُ في بَيَانِ دَقَائِقِ الكَمَالِ وَالجَمَالِ الذَّاتِيَّيْنِ وَمَرْتَبَةٍ مُقَدَّسَةٍ فَوْقَ مَرْتَبَتِهِمَا وَنَصِيبِ تَعَيُّنَاتِ الحَبِيبِ وَالخَلِيلِ وَالكَلِيمِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ مِنْ تَيْنِكَ المَرْتَبَتَيْنِ وَحَظِّ حَضْرَةِ شَيْخِنَا مِنْهَا

إنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ جَميل في حَدِّ ذَاته وَالحُسْنَ وَالجَمَال الذَّاتيَّيْن ثَابتَان لهُ لا ذَلكَ الحُسْنُ وَالجَمَال اللذَان نُدْرِكُهُمَا وَنَتَعَقَّلُهُمَا وَنَتَخَيَّلُهُمَا، وَمَعَ ذَلكَ في تلكَ الحَضْرَة مَرْتَبَةٌ أَقْدَسُ لا يُمْكنُ الوُصُول إلى تلكَ المَرْتَبَة منْ غَايَة عَظَمَتهَا وَكبْريَائهَا، وَلا يُمْكنُ تَوْصيفُهَا بالحُسْنِ وَالجَمَال، وَالتَّعَيُّنُ الأَوَّل الذى هُوَ التَّعَيُّنُ الوُجُوديُّ تَعَيُّنُ ذَلكَ الكَمَال وَالجَمَال الذَّاتيَّيْن وَظلهُمَا الأَوَّل وَتلكَ المَرْتَبَةُ الأَقْدَسُ التي لا مَجَال فيهَا للحُسْنِ وَالجَمَال أَيْضًا لَيْسَ فيهَا تَعَيُّنٌ أَصْلاً؛ فَإنَّهَا منْ غَايَة عَظَمَتهَا وَكِبْرِيَائِهَا لا تَكُونُ مُتَعَيِّنَةً بتَعَيُّنٍ أَصْلاً، (ع):

في أَيِّ مرْآة يَكُونُ مُصوَّرًا

وَمَعَ ذَلكَ أَوْدَعَ في مَرْكَز دَائرَة التَّعَيُّن الأَوَّل سرًّا وَكَيْفيَّةً منْ تلكَ المَرْتَبَة الأَقْدَس، وَعُبِّيَتْ فيه عَلامَةٌ منْ تلكَ المَرْتَبَة المُقَدَّسَة المُنَزَّهَة عَن العَلامَة، فَكَمَا أَنَّ التَّعَيُّنَ الأَوَّل مَنْشَأُ الولايَة الخَليليَّة كَذَلكَ السِّرِّ وَالكَيْفيَّة المُودَعَيْن في مَرْكَز دَائرَة التَّعَيُّن مَنْشَأٌ للولايَة المُحَمَّديَّة عَلَى صَاحبهمَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالتَّحيَّةُ، وَلَذَيْنكَ الحُسْنِ وَالجَمَال الذَّاتيَّيْنِ الذينَ التَّعَيُّنُ الأَوَّل ظلهُمَا شَبَاهَةٌ بالصَّبَاحَة التي هيَ في عَالم المَجَاز منْ قَبيل حُسْنِ الخَدِّ وَجَمَال الخَال وَلذَلكَ السِّرِّ وَالكَيْفيَّة المُودَعَيْن في المَرْكَز مُنَاسبَةٌ بالمَلاحَة التي هيَ وَرَاءَ رَشَاقَة الخَدِّ، وَصَبَاحَةُ الخَدِّ وَوَرَاءَ حُسْن العَيْن وَجَمَال الخَال، وَإنَّمَا هُوَ أَمْرٌ ذَوْقيٌّ، مَنْ لَمْ يُعْط ذَوْقًا لا يُدْركُهُ، قَال الشَّاعرُ

بِي ظَبْيَةٌ فيهَا المَلاحَةُ كُلهَا ... مَنْ لي بوَصْف جَمَالهَا وَدَلالهَا

فَاعْرف التَّفَاوُتَ بَيْنَ هَاتَيْن الولايَتَيْن منْ هَذَا البَيَان، وَإنْ كَانَ كلتَاهُمَا نَاشئَتَيْن مَنْ قُرْب الذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ وَلكنَّ مَرْجعَ إحْدَيْهمَا كَمَالاتُ الذَّات وَمُعَاد الأُخْرَى صَرْفُ الذَّات تَعَالتْ، فَإذَا كَانَت المَلاحَةُ فَوْقَ الصَّبَاحَة، فَالوُصُول إلى المَلاحة إنَّمَا يُتَصوَّرُ بَعْدَ طَيِّ جَميع مَرَاتب الصَّبَاحَة، وَمَا لَمْ يَتَيَسَّر الوُصُول إلى جَميع مَرَاتب الولايَة الإبْرَاهيميَّة لا يَتَيَسَّرُ الوُصُول إلى حَقيقَة هَذه الولايَة التي هيَ ذُرْوَةُ الولايَة المُحَمَّديَّة العَليَّة عَلَى صَاحبهمَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، وَيُمْكنُ أَنْ يَكُونَ كَوْنَ نَبيِّنَا ﷺ مَأْمُورًا بمُتَابَعَة ملة إبْرَاهيمَ عَلَيْه وَالسَّلام، لأَنَّ

يَصل بوَاسطَة تلكَ المُتابَعَة إلى حَقيقَة ولايَته، ثُمَّ يَترَقّى منْهَا إلى حَقيقَة ولايَة نَفْسه التي وَقَعَ التَّعْبيرُ عَنْهَا بالمَلاحَة وَيَتحقّقُ بهَا، وَحَيْثُ كَانَ لنَبيِّنَا ﷺ مُنَاسبَةٌ ذَاتيَّةٌ بمَرْكَز ولايَة الخَلة التي هيَ أَقْرَبُ إلى حَضْرَة إجْمَال الذَّات وَمُنَاسبَته بمُحيط الدَّائرَة أَقَل لكَوْن وَجْههَا إلى تَفْصيل كَمَالات الذَّات فَمَا لَمْ يَتحقَّقْ بكَمَالات مُحيط تلكَ الدَّائرَة أَيْضًا لا تَتمُّ ولايَةُ الخَلة، وَمنْ هَهُنَا وَرَدَ في الصَّلاة المَأْثورَة " كَمَا صَلّيْتَ عَلى إبْرَاهيم " ليَتيَسَّرَ لهُ كَمَالاتُ ولايَة الخَلة بالتَّمَام كَمَا كَانَتْ مُيَسَّرَةً لصَاحب تلكَ الولايَة عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، وَلَمَّا كَانَ المَكَانُ الطَّبيعيُّ للولايَة المُحَمَّديَّة نُقطَةَ مَرْكَز دَائرَة الولايَة الخَليليَّة عَلَيْهمَا الصَّلاةُ وَالتَّحيَّةُ، وَسَيْرُهُ ﷺ أَيْضًا مَقْصُورًا عَلى مَرْكَز تلكَ الدَّائرَة تَعَسَّرُ خُرُوجَهُ منْهُ وَدُخُولهُ في مُحيط الدَّائرَة وَاكْتسَابَ كَمَالاته بالضَّرُورَة لكَوْن ذَلكَ خلافَ مُقْتَضَى طَبيعَته فَاقْتَضَى الحَال أَنْ يَكُونَ مُتَوَسِّطٌ منْ أَفْرَاد أُمَّته عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ يَكُونُ بتَبَعيَّته ﷺ في عَيْن ذَلكَ المَرْكَز وَتَكُونُ لَهُ مُنَاسَبَةٌ بمُحيط تلكَ الدَّائرَة منْ وَجْه آخرَ حَتَّى يَكْتَسبَ كَمَالات تلكَ المَرْتَبَة وَيَتحقَّقَ بحَقيقَتهَا وَبحُكْم " مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمل بهَا " يَتحقَّقُ.

تَنْبيـــهٌ: المَتْبوعُ بتلكَ الكَمَالات أَيْضًا، وَيَتمُّ مَرَاتبُ الولايَة الخَليليَّة وَبَيَانُ سرٍّ هَذَا المُعَمَّى عَلى مَا ظَهَرَ لهَذَا الفَقير أَنَّ نُقطَةَ مَرْكَز دَائرَة ولايَة الخَلة التي امْتَازَتْ عَنْ سَائر نُقَطهَا بالمَحبَّة وَإنْ كَانَتْ بَسيطَةً وَلكنْ لمَّا كَانَتْ مُتَضَمِّنَةً لاعْتبَار المَحبَّيَّة وَالمَحْبوبيَّة ظَهَرَتْ منْهَا صُورَةُ دَائرَة مُحيطُهَا اعْتبَارُ المَحبِّيَّة وَمَرْكَزُهَا اعْتبَارُ المَحْبوبيَّة وَمَنْشَأُ الولايَة المُوسَويَّة اعْتبَارُ المَحبِّيَّة التي هيَ مُحيطُ الدَّائرَة وَمَنْشَأُ الولايَة المُحَمَّديَّة اعْتبَارُ المَحْبوبيَّة التي هيَ مَرْكَزُ الدَّائرَة يَنْبَغي أَنْ يُتصَوَّرَ حُصُول الولايَة المُحَمَّديَّة هَهُنَا وَبَعْد مُضيِّ الف سَنَة عَرَضَتْ لمَرْكَز هَذه الدَّائرَة الثَّانيَة التي الحَقيقَةُ المُحَمَّديَّةُ مَرْبُوطَةٌ بهَا وَسعَةٌ أَيْضًا وَظَهَرَ فيه اعْتبَارَان، فَظَهَرَ في صُورَة دَائرَة مَرْكَزُهَا المَحْبوبيَّةُ الصِّرْفَةُ، وَمُحيطُهَا المَحْبُوبيَّةُ المُمْتَزجَةُ بالمَحبِّيَّة وَمَنْشَأُ الولايَة الأَحْمَديَّة مَرْكَزُ هَذه الدَّائرَة، وَأَحْمَدُ اسْمٌ ثَان للنَبيِّ ﷺ وَهُوَ عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ مَعْرُوفٌ فيهَا بَيْنَ أَهْل السَّمَوات بهَذَا الاسْم كَمَا قَالوا، وَيُمْكنُ أَنْ تَكُونَ بشَارَةُ عيسَى عَلَيْه السَّلامُ الذى صَارَ منْ أَهْل السَّمَوات بقُدُوم النَّبيِّ ﷺ باسْم أَحْمَدَ لذَلكَ، وَلهَذَا الاسْمِ المُبَارَك قُرْبٌ كَثيرٌ منَ الذَّات الأَحَد، وَأَقْرَبُ إلَيْهَا منْ ذَاكَ الاسْمِ الثَّاني يَعْني الاسْمَ المُبَارَكَ مُحَمَّدًا بمَرْحَلَة وَاحدَة كَمَا بُيِّنَ، وَهَذَا الاسْمُ امْتَازَ منَ الاسْمِ المُبَارَك أَحْمَدَ بحَلقَة ميمٍ وَاحدَة وَهيَ مَبْدَأُ المَحبَّة التي صَارَتْ بَاعثَةً

عَلى الظُّهور وَالإظْهَار، وَأيْضًا الميمُ الذى انْدَرَجَ في أَحْمَدَ منْ مُقَطَّعَات الحُرُوف القُرْآنيَّة المُنْزَلَة في أَوَائل السُّور، وَمنَ الأَسْرَار الغَامضَة لحَرْف الميم هَذَا خُصُوصيَّةٌ خَاصَّةٌ به ﷺ، وَتلكَ الخُصُوصيَّةُ صَارَتْ بَاعثَةً عَلى مَحْبُوبيَّته ﷺ، وَجَعَلتْهُ فَائقًا عَلى الكُل.

وَلنَرْجعْ إلى أَصْل الكَلام، فَنَقُول إنَّ مُحيطَ تلكَ الدَّائرَة التي هيَ عبَارَةٌ عَن المَحْبُوبيَّة المُمْتَزجَة بالمَحَبَّيَّة مَنْشَأ ولايَة فَرْد منْ أَفْرَاد أُمَّته عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ كَانَ لهُ مُنَاسَبَةٌ بمُحيط الدَّائرَة مَعَ حُصُول الولايَة المُحَمَّديَّة وَالمَرْكَزيَّة، وَإنَّهُ اكْتَسَبَ كَمَالاته وَعَلمَ أَنَّ هَذه الدَّوْلَةَ الثَّانيَةَ يَعْني مُنَاسَبَتَهُ بمُحيط الدَّائرَة، وَاكْتسَابُ كَمَالاَته حَصَلتْ لهُ منْ طَريق الولاَيَة المُوسَويَّة وَكَانَ هُوَ بتَطَفُّل هَاتَيْن الولاَيَتَيْن جامعًا كَمَالاته المَرْكَزَ وَالمُحيطَ، وَمنَ المُقرَّر أَنَّ كُل كَمَال حَاصل للأُمَّة حَاصل لنَبيٍّ تلكَ الأُمَّة أَيْضًا بحُكْم مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً " الحَديث، فَتَيَسَّرَ لهُ ﷺ بتَوَسُّط هَذَا الفرْد كَمَالاتُ مُحيط تلكَ الدَّائرَة أَيْضًا، وَتَمَّتْ وَلايَةُ الخلة في حَقّه عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، وَاقْتَرَنَ دُعَاءِ اللهُمَّ صَل عَلى مُحَمَّد كَمَا صَلَيْتَ عَلى إبْرَاهيم " بَعْدَ الف سَنَة بالإجَابَة، وَكَانَ المَسْئُول مُسْتَجَابًا، وَمُعَامَلتُهُ ﷺ بَعْد تَمَام ولاَيَة الخَلة مَعَ ذَاكَ السِّرِّ الذى أَوْدَعَ في المَرْكَز الذى عُبِّرَ عَنْهُ بالمَلاحَة وَأَرْجَعَ ذَلكَ الفرْدَ منْ ذَلكَ المَقَام إلى العَالم لحرَاسَة أُمَّته، وَأَخْتَلى بنَفْسه الكَريمَة مَعَ المَحْبُوب في حُجْرَة الغَيْب

هَنيئًا لأَرْبَاب النَّعيم نَعيمهَا وَللعَاشق المسْكين مَا يَتجَرَّعُ

يَنْبَغي أَنْ يُعْلمَ أَنَّ مُحيطَ المَرْكَز الثَّالث وَإنْ كَانَ يُرَى أَصْغَرَ بالنِّسْبَة إلى مُحيط مَرْكَز التَّعَيُّن الأَوَّل، وَلكنَّهُ أَجْمَعُ، فَإنَّ كُل مَا هُوَ أَقْرَبُ إلى حَضْرَة الذَّات يَكُونُ أَجْمَعَ يَنْبَغي أَنْ يُعْلمَ صغَرُهُ كَصغَر الإنْسَان، فَإنَّهُ مَعَ وُجُود الصِّغَر فيه أَجْمَعَ جَميعَ أَصْنَاف العَالم، وَأَيْضًا إنَّ الشَّخْصَ الذى تَحَقَّقَ بكَمَالات هَذَا المُحيط، وَخَرَجَ منْ إجْمَال المَرْكَز إلى تَفصيل المُحيطَ زَال عَنْهُ عَدَمُ مُنَاسَبَة بالمُحيط وَالتَّفْصيل الذى كَانَ فيه أَوَّلاً، وَذَهَبَ منْ تَفْصيل إلى تَفصيل منْ غَيْر تَكَلف، وَتَحَقَّقَ بكَمَالات ذَاكَ التَّفْصيل أَيْضًا.

مَعْ نَّهُ منْ وُجُود كَمَال الاقْتدَار لمَا كَانَ نظَامُ العَالم مَنُوطًا بالحكْمَة، لا بُدَّ في تَرْبيَة المَحْبُوبينَ أَيْضًا منْ وُجُود الأَسْبَاب وَإنْ لَمْ يَكُنْ وُجُودُ السَّبَب غَيْرَ العلل وَسوَى نقَاب القُدْرَة " سُنَّةَ الله التي قَدْ خَلتْ منْ قَبْل وَلنْ تجدَ لسُنَّة الله تَبْديلاً ".

تَنْبيــــــهٌ: اعلمْ أَنَّ النَّبيَّ وَإنْ حَصَّل بَعْضَ الكَمَالات بتَوَسُّط فَــرْد مــنْ

أَفْرَاد أُمَّته وَوَصَلَ إِلى بَعْضِ المَقَامَاتِ بِتَوَسُّله، وَلكِنْ لا يَلزَمُ مِنْ ذَلكَ نَقْصُ ذَاكَ النَّبيِّ وَمَزِيَّةُ ذَلكَ الفرْد عَليْه فَإِنَّ ذَلكَ الفرْدَ إِنَّمَا نَال ذَاكَ الكَمَال بِمُتَابَعَة ذَاكَ النَّبيِّ وَوَصَل إِلى هَذه الدَّوْلَة بِتَطَفُّله فَذَاكَ الكَمَالُ فِي الحَقيقَة مِنْ ذَلكَ النَّبيِّ وَنَتيجَةُ المُتَابَعَة لَهُ وَمَا مَثَل ذَلكَ الفرْدُ إِلا كَمَثَل خَادم يَصْرفُ الخَرَاجَ مِنْ خَزَائن مَخْدُومه وَيُهَيِّئُ لَهُ البسَةً مُزَيِّنَةً لتَكُوْنَ بَاعثَةً عَلى مَزِيد حُسْنه وَجَمَاله وَزيَادَة حشْمَته وَجَلاله، فَأَيُّ نَقْص ثَمَّةَ فِي المَخْدُوم وَأَيُّ مَزِيَّة للخَادم عَليْه؛ وَالإِمْدَادُ إِنَّمَا يَكُونُ نَقْصًا إِذَا كَانَ مِنَ الأَقْرَان، وَأَمَّا إِذَا وَقَعَ مِنَ الخُدَّام وَالغلمَان فَهُوَ عَيْنُ الكَمَال وَمُوجبٌ لازْديَاد الجَاه وَالجَلال، وَالنَّاقصُ مَنْ يَخلطُ أَحَدَهُمَا بالآخر، وَيَقَعُ فِي تَوَهُّمِ المُنْقَصَة أَلا يَرَوْنَ أَنَّ المُلوكَ يَأْخُذُونَ البلادَ وَالأَمْلاكَ بإِمْدَاد الخَدَم وَالحَشَم، وَيَفْتَتحُونَ القلاعَ وَلا يُعْلمُ مِنْ هَذَا الإِمْدَاد غَيْرُ حُصُول العَظَمَة وَالأُبَّهَة للمُلوك، وَلا يَظْهَرُ أَيْضًا شَيْءٌ مَنْ شَرَف الخَدَم وَالحَشَم وَعزَّتهمْ وَالأُمَمُ خُدَّامُ الأَنْبيَاء عَلَيْهمُ السَّلامُ وَغلمَانُهمْ، فَيَحْصُل الإِمْدَادُ منْهُمْ إِلى هَؤُلاء الأَكَابر، فَكَيْفَ يُتَوَهَّمُ منْهُ مَنْقَصتُهُمْ، وَمَا يَقُولونَ إِنَّ هَؤُلاء الأَكَابرَ لَيْسُوا مُحْتَاجينَ إِلى إِمْدَاد أَصْلاً وَجَميعَ مَرَاتب الكَمَال حَاصل لَهُمْ بالفعْل مُكَابَرَةٌ صَريحَةٌ، فَإِنَّ هَؤُلاء الأَكَابرَ أَيْضًا عبَادُ الله سُبْحَانَهُ يَرْجُونَ دَائمًا منْ فُيُوض فَضْله وَبَرَكَات رحْمَته، وَيُريدُونَ التَّرَقّي عَلى الدَّوَام وَقَدْ وَرَدَ فِي الحَديث "مَن اسْتَوَى يَوْمَاهُ فَهُوَ مَغْبُون"، وَقَال ﷺ: "سَلوا لِي الوَسيلَة" وَوَرَدَ أَيْضًا فِي الأَحَاديث الصِّحَاح "كَانَ رَسُول الله ﷺ يَسْتَفْتحُ بصَعَاليكَ المُهَاجرينَ" وَهَذه كُلهَا طَلبُ إِمْدَاد وَإِعَانَة وَالذينَ لا يُجَوِّزُونَ إِمْدَادَ الأُمَم وَإِعَانَتَهُمْ فِي حَقِّ هَؤُلاء الكُبَرَاء نَظَرُهُمْ وَاقعٌ فِي عَظَمَة الأَنْبيَاء وَعُلُوِّ دَرَجَاتهمْ، فَلوْ وَقَعَ نَظَرُهُمْ إِلى عُبُوديَّتهمْ أَيْضًا، وَصَارَ احْتيَاجُهُمْ إِلى مَوْلاهُمْ مَعْلومًا لَديْهمْ لَمَا أَنْكَرُوا إِمْدَادَ الأُمَم، وَلا يَسْتَبْعدُونَ إِعَانَةَ الخُدَّام وَالغلمَان {رَبَّنَا أَتْممْ لَنَا نُورَنَا وَاغفرْ لَنَا إِنَّكَ عَلى كُل شَيْء قَدير}(١) وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلى نَبيِّنَا وَعَلى جَميع الأَنْبيَاء العظَام وَالمَلائكَة الكرَام.

---

(١) ـــ الآية: ٨ من سورة التحريم.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالخَمْسُمائَة
إلى مَوْلانَا صَالِح الكُولابِيِّ
في بَيَان الأَسْرَار المَخْصُوصَة بولايَة حَضْرَة شَيْخنا مُدَّ ظلهُ العَالي

ولايَةُ هَذَا الفَقير وَإنْ كَانَتْ مُرَبَّاةَ الولايَة المُحَمَّديَّة وَالولايَة المُوسَوِيَّة عَلى صَاحِبَيْهِمَا الصَّلاةُ وَالتَّحيَّةُ وَمُرَكَّبَةٌ مِنْ نسْبَة المَحْبُوبيَّة وَنسْبَةُ المَحَبَّيَّة بتطَفُّلهمَا فَإنَّ رَئيسَ المَحْبُوبينَ مُحَمَّدُ رَسُول الله ﷺ، وَرَئيس المُحبِّينَ كَليمُ الله عَلَيْه السَّلام، وَلكنَّ فيهَا أمْرًا آخرَ وَرُبطَتْ بهَا مُعَامَلَةٌ عَلى حدَة وَأَصْل هَذه الولايَة وَإنْ كَانَتْ وَلايَةَ نَبيِّه التي هِيَ الولايَةُ المُحَمَّديَّةُ عَلى صَاحِبهَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ التي هِيَ بالأَصَالة نَاشئَةٌ منَ المَحْبُوبيَّة الصِّرْفَة وَلكنْ لَمَّا انْضَمَّتْ إلى هَذه الولايَة كَيْفيَّةٌ منَ الولايَة المُوسَوِيَّة التي هِيَ بالأَصَالة نَاشئَةٌ منَ المَحَبَّيَّة الصِّرْفَة، وَصَارَتْ مُنْصَبغَةً بصَبْغهَا أَيْضًا عَرَضَتْ لَهَا هَيْئَةٌ أُخْرَى بَل يُمْكنُ أنْ يُقَال: إنَّهَا صَارَتْ حَقيقَةً أُخْرَى وَأَثْمَرَتْ ثَمَرَةً أُخْرَى وَأَنْتَجَتْ نَتيجَةً أُخْرَى، وَنعْمَ مَا قَال:

ازاين افيون كَهْ سَاقي درمى افكند حَرِيفًا نرانه سرماند وَنَه دستار

{رَبَّنَا آتنَا منْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لنَا مَنْ أَمْرِنَا رَشَدًا}(١)، {وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}(٢)

فَصْل بالخَيْر، فَلوْ أَظْهَرْتُ ثَمَّةَ منْ تلكَ المُعَامَلة التي هِيَ مَرْبُوطَةٌ بتلكَ الولايَة قُطعَ البُلعُومُ وَذُبحَ الحُلقُومُ، فَإذَا قَال أَبُو هُرَيْرَة ﷺ في إظْهَار بَعْض العُلوم الذى أَخَذَهُ منْ رَسُول الله ﷺ قُطعَ البُلعُومُ مَاذَا يُقَال في حَقِّ غَيْره وَقَدْ جَعَل اللهُ سُبْحَانَهُ غَوَامضَ الأَسْرَار الإلهيَّة بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخصِّ الخَوَاصِّ منْ عبَاده، وَلمْ يَتْرُك إلا جَانبَ أنْ يَحُومُوا حَوَالَيْهَا وَحَضْرَةُ خَاتَم الرُّسُل عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ الذى هُوَ رَحْمَةٌ للعَالمينَ أَظْهَرَ هَذه الأَسْرَارَ المَصُونَةَ منْ كَمَال مَعْرفته وَوُفُور رَأْفَته لأَبي هُرَيْرَةَ وَغَيْره وَآثَرَهُمْ بهَذه الدُّرَر المَكْنُونَة لَمَا عَرَفَ قَابليَّتَهُمْ لتُمَيِّزَ الشَّرَّ منْ خَيْره، وَأَنَا المُفْلسُ القَليل البضَاعَة خَائفٌ وَجل منْ تَذَكُّر تلكَ الأَسْرَار وَخُطُورهَا، وَلا أَجدُ في نَفْسي مَعَ سُوء حَالي هَذَا وَعَدَم اسْتعْدَادي مُنَاسَبَةً بتلكَ المَطَالب العُلْيَا وَلكنِّي أَعْرفُ وَأَعْترفُ بأَنَّهُ (ع):

---

(١) ـــ الآية: ١٠ من سورة الكهف.

(٢) ـــ الآية: ٤٨ من سورة طه.

لا عُسْرَ في أَمْرٍ مَعَ الكرَام

نَعَمْ: يَنْبَغِي لله أَنْ يَكُونَ هَكَذَا، وَهَذَا الكَرَمُ يَليقُ به سُبْحَانَهُ، وَكَرَمُهُ تَعَالَى لنَا لَيْسَ فِي هَذَا اليَوْمِ فَقَطْ بَل لَمَا أَخَذَ قُبْضَةَ التُّرَاب الَّذى خُلقْنَا منْهُ منَ الأَرْضِ جَعَلَهُ خَليفَةَ نَفْسه وَصَيَّرَهُ قَيُّومَ الأَشْيَاء نيَابَةً عَنْ نَفْسه وَعَلَمَهُ أَسْمَاءَ جَميعِ الأَشْيَاء بلا وَاسطَة وَجَعَلَ المَلائكَةَ الذينَ هُمْ عُبَّادُهُ المُكَرَّمُونَ تَلامذَتَهُ، وَأَمَرَهُمْ من جَلالَة شَأْنهمْ بسُجُودهمْ وَطَرْد إِبْليسَ الذى كَانَ مُلقبًا بمُعَلمِ المَلَكُوت، وَكَانَ لَهُ شَأْنٌ عَظيمٌ فِي العبَادَة وَالطَّاعَة وَأَبْعَدَهُ عَنْ عزِّ حَضْرَة لامْتنَاعه عَنْ سُجُوده وَعَدَم تَعْظيمه وَتَوْقيره، وَجَعْلَهُ مَلعُونًا وَمَلومًا وَمَطْعُونًا وَأَعْطَى لذَاكَ التُّرَاب قُدْرَةً وَهمَّةً تَحَمَّلَ بهَا ثقَلَ الأَمَانَة التي أَبَت السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ الذى هُوَ مُنَزَّهٌ عَنِ الكَيْف وَمُتَعَال عَنِ المثَال مَعَ كَوْنه مُكْتَنَفًا مَعَ كَوْنه مُكْتَنَفًا بالكَيْف وَالمثَال مَعَ أَنَّ الجَبَلَ صَارَ قطَعًا قطَعًا مَعَ صَلابَته بتَجَل وَاحد منْهُ سُبْحَانَهُ وَصَارَ رَمَادًا، فَذَلكَ اللهُ الذى هُوَ قَديمُ الإِحْسَان وَأَرْحَمُ الرَّاحمينَ قَادرٌ عَلى أَنْ يُبلغَ أَمْثَالنَا العَاجزينَ دَرجَات السَّابقينَ وَيَجْعَلنَا شُرَكَاءَ دَوْلتهمْ بتَطَفُّلهمْ:

فَإِذَا أَتَى بَابَ العَجُوز خَليفَةٌ إِيَّاكَ يَا صَاحِ وَنَتْفَ سبَالكَا

تَنْبيـــــةٌ: اعْلمْ أَنَّ حَضْرَةَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ عَلى تَنْزيهه وَتَقْديسه دَائمًا مُنَزَّهٌ عَنْ صفَات الحُدُوث وَمُبَرَّأٌ منْ سمَات النُّقْصَان وَلا سَبيل للتَّبَدُّل وَالتَّغَيُّر إِلى حَضْرَته جَلَ سُلطَانُهُ، وَلا مَجَال هُنَاكَ للاتِّصَال وَالانْفصَال، وَتَجْويزُ الحَاليَّة وَالمَحَليَّة ثَمَّةَ كُفْرٌ، وَالحُكْمُ بالاتِّحَاد وَالعَيْنيَّة عَيْنُ الالحَاد وَالزَّنْدَقَة، وَإِنْ حَصَلَ لخَوَاصِّ عبَاده سُبْحَانَهُ وَتَعَالى قُرْبٌ وَوَصْل إِلى تلكَ الحَضْرَة، وَلكنْ لَيْسَ ذَلكَ منْ قَبيل قُرْب الجسْمِ بالجسْمِ وَلا منْ جنْسِ اتِّصَال الجَوْهَر بالعَرَض، فَلوْ كَانَ هُنَاكَ قُرْبٌ فَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنِ الكَيْف، وَإِنْ كَانَ وَصْل فَمُبَرَّأٌ أَيْضًا عَنِ الكَمِّ وَالأَيْنَ، وَجَميعُ مُعَامَلات هَؤُلاء الأَكَابر فِي تلكَ الحَضْرَة منَ العَالم اللاكَيْفيِّ، وَنسْبَةُ العَالم الكَيْفيِّ إِلى العَالَمِ اللاكَيْفيِّ كَنسْبَة القَطْرَة إِلى البَحْر المُحيط كَيْفَ لا؛ فَإِنَّ ذَلكَ مُمْكنٌ وَهَذَا وَاجبٌ تَعَالى، وَذَاكَ كَائنٌ فِي ضيق المَكَان وَالزَّمَان وَهَذَا مُنَزَّهٌ عَنْ ضيق الزَّمَان وَالمَكَان، نَعَمْ مَيْدَانُ العبَارَة مُتَّسعٌ فِي ذَاكَ العَالمِ وَضَيِّقٌ فِي هَذَا العَالم لعُلوِّه منَ العبَارَة وَبُعْده عَنِ الإِشَارَة وَقَدْ أَعْطَى أَرْحَمُ الرَّاحمينَ خَوَاصَّ عبَاده نَصيبًا منَ العَالمِ اللاكَيْفيِّ وَسيرًا فيه وَشَرَّفَهُمْ بمُعَامَلاتِ لا كَيْفيَّة، فَلوْ عُبِّرَ عَنْ ذَاكَ الكَيْفيِّ

بالكَيْفِيِّ فَرْضًا لكَانَ أَبْعَدَ مِنْ تَعْبِيرِ البَالغِينَ عَنْ لذَّة الجمَاعِ للأَطْفَال بلذَّة العَسَل وَالسُّكَّرِ، فَإِنَّ كلتَا هَاتَيْنِ اللذَّتَيْنِ مِنْ عَالَمٍ وَاحد، وَذَاكَ المُعَبَّرُ به وَالمُعَبَّرُ عَنْهُ مِنَ العَالَمَيْنِ المُتَبَاينَيْنِ فَمَنْ عَبَّرَ عَنِ اللاكَيْفِيِّ بالكَيْفِيِّ وَأَجْرَى أَحْكَامَ اللاكَيْفِيِّ عَلَى الكَيْفِيِّ حُقَّ لهُ أَنْ يَكُونَ مَوْرِدًا للطَّعْنِ وَالطَّرْد، وَأَنْ يُتَّهَمَ بالالحَاد وَالزَّنْدَقَة بالضَّرُورَة، فَكَوْنُ تلكَ الأَسْرَار دَقيقَةً وَغَمُوضَةً إِنَّمَا جَاءَ مِنْ جهَة العبَارَة وَالتَّعْبِير لا مِنْ جهَة التَّحْقيق وَالحُصُول، فَإِنَّ تَحْقيقَ الإِنْسَان بتلكَ الأَسْرَار كَمَالُ الإِيمَان وَالتَّعْبِيرَ عَنْهَا بعبَارَة كَيْفيَّة عَيْنُ الكُفْر وَالالحَاد. يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَعْمل مَنْ عَرَفَ اللهَ كُل لسَانه فِي هَذَا المَقَام { رَبَّنَا أَتْمِمْ لنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لنَا إِنَّكَ عَلى كُل شَيْءٍ قَدير} (١).

الحَمْدُ لله أَوَّلاً وَآخرًا، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلى رَسُوله دَائمًا وَسَرْمَدًا.

(١) ــ الآية: ٨ من سورة التحريم.

المَكْتُوبُ الثّامِنُ وَالخَمْسُمائَة
إلى الفَقيرِ هَاشِمِ الكَشْميِّ
فِي الأَسْرَارِ المُتَعَلِّقَة بِاسْمَيْه ﷺ

اعْلَمْ أنَّ نَبِيَّنا عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ مُسَمًّى باسْمَيْنِ، وَكُل مِنْ هَذَيْنِ الاسْمَيْنِ المُبَارَكَيْنِ مَذْكُورٌ فِي القُرْآنِ المَجِيدِ، قَال تَعَالَى { مُحَمَّدٌ رَسُول اللهِ } (١).

وَقَال سُبْحَانَهُ أَيْضًا حِكَايَةً عَنْ بِشَارَة رُوحِ الله { اسْمُهُ أَحْمَدُ } (٢).

وَلكُل مِنْ هَذَيْنِ الاسْمَيْنِ المُبَارَكَيْنِ وِلايَةٌ عَلى حدَة، فَالولايَةُ المُحَمَّديَّةُ وَإنْ كَانَتْ نَاشئَةً مِنْ مَقَامِ مَحْبُوبيَّته عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، وَلكنْ لَيْسَتْ هُنَاكَ مَحْبُوبيَّةٌ صرْفَةٌ، بَل مُزِجَتْ فيهَا كَيْفيَّةُ المُحبِّيَّة أَيْضًا وَإنْ لَمْ يَكُنْ ذَلكَ المَزْجُ ثَابتًا لَهُ ﷺ بالأَصَالة، وَلكنَّهُ مَانعٌ لَمحْبُوبيَّته الصِّرْفَة، وَالولايَةُ الأَحْمَديَّةُ نَاشئَةٌ منَ المَحْبُوبيَّة الصِّرْفَة لَيْسَتْ فيهَا شَائبَة المَحبِّيَّة، وَهَذه الولايَةُ أَسْبَقُ قدَمًا منَ الولايَة السَّابقَة، وَأَقْرَبُ منْهَا إلى المَطْلوب بمَرْحَلة وَاحدَة، وَرَغْبَةُ المُحبِّ فيهَا أَكْثَرُ، فَإنَّ المَحْبُوبَ كُل مَا كَانَ أَتَمَّ فِي المَحْبُوبيَّة يَكُونُ اسْتغْنَاؤُهُ وَدَلالُهُ أَتَمَّ، وَيَكُونُ فِي نَظَرِ المُحبِّ أَحْسَنَ وَأَمْلَحَ، وَيَكُونُ. جَذْبُهُ. للمُحبِّ إلى نَفْسه وَجَعْلهُ مَشْغُوفًا وَوَالهًا به أَكْثَرَ وَأَزْيَدَ.

لَيْسَ افْتتَاني مِنْ جَمَاله وَحْدَهُ بَل كُل ذَا مِنْ غَنْجه وَدَلاله

وَالمُرَادُ بالافْتتَان إفْرَاطُ العشْق الذي هُوَ مَطْلوبُ العَاشقِ، سُبْحَانَ الله أَنْ أَحْمَدَ اسْمَ عَجيب سَامٍ مُرَكَّب منَ الكَلمَة المُقَدَّسَة الأَحَد، وَمنْ حَلقَة حَرْف الميمِ الذي هُوَ منْ غَوَامضِ الأَسْرَارِ الإلهيَّة فِي العَالمِ الكَيْفيِّ وَلا يُمْكنُ التَّعْبيرُ عَنْ ذَلكَ السِّرِّ المَكْنُون فِي العَالمِ الكَيْفيِّ بغَيْر حَلقَة الميم، فَلوْ أَمْكَنَ لعَبَّرَ به الحَقُّ سُبْحَانَهُ، وَالأَحَدُ هُوَ الأَحَدُ الذي لا شَريكَ لهُ، وَحَلقَةُ الميم هُوَ طُرُقُ العُبُوديَّة الذي مَيَّزَ العَبْدَ منَ المَوْلى، فَالعَبْدُ هُوَ حَلقَةُ الميم، وَلفْظُ الأَحَد إنَّمَا وَرَدَ لتَعْظيمه وَإظْهَارِ اخْتصَاصه، عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلام.

---

(١) ـــ الآية: ٢٩ من سورة محمد.

(٢) ـــ الآية:٦ من سورة الصف.

وَمَنْ كَانَ هَذَا اسْمُهُ صَاحِ فَاعْمَلَنْ يَكُونُ مُسَمَّاهُ أَعَزَّ وَأَكْرَمَا

وَبَعْدَ مُضِيِّ الف سَنَة انْجرَّتْ مُعَامَلَةُ تلكَ الوِلايَة إلى هَذه الوِلايَة، وَانْتَهَتْ الوِلايَةُ المُحَمَّدِيَّةُ إلى الوِلايَة الأَحْمَدِيَّة، وَبَقِيَتْ مُعَامَلَةُ طَوْقَي العُبُودِيَّة إلى طَوْق وَاحد، وَتَمَكَّنَ في مَكَان الطَّوْق الأَوَّل حَرْفُ الألف الذي هُوَ رَمْزٌ إلى رَبِّه ﷺ وَصَارَ مُحَمَّدٌ أَحْمَدَ، عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، فَإنَّ لمُضِيِّ الالف تَأْثِيرًا في تَغَيُّرِ الأُمُورِ العظَام.

بَيَانُهُ: إنَّ طَوْقَي العُبُودِيَّة عبَارَةٌ عَنْ حَلقَتَي الميمِ المُنْدَرِجَيْنِ في الاسْمِ المُبَارَك مُحَمَّد، وَيُمْكنُ أَنْ يَكُونَ هَذَان الطَّوْقَان إشَارَةً إلى تَعَيُّنه عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، أَحَدُهُمَا تَعَيُّنُهُ الجَسَديُّ البَشَرِيُّ، وَثَانيهمَا تَعَيُّنُهُ الرُّوحيُّ المَلكيُّ، وَتَعَيُّنُهُ الجَسَديُّ وَإنْ وَقَعَ فيه الفُتُورُ بوَاسطَة عُرُوضِ المَوْت، وَقُوَى تَعَيُّنه الرَّوْحيّ، وَلكنْ كَانَ بَقِيَ أَثَرُ ذَلكَ التَّعَيُّنِ، فَلَمَّا مَضَى الفُ سَنَة وَلَمْ يَبْقَ أَثَرٌ منْ ذَاكَ التَّعَيُّنِ، وَانْقَطَعَ طَوْقٌ وَاحدٌ منْ طَوْقَي العُبُودِيَّة، وَطَرَأَ عَلَيْه الزَّوَال وَالفَنَاءُ، وَقَعَدَ أَلفُ الأُلوهيَّة الذي يُمْكنُ أَنْ يُقَال لهُ أَنَّهُ كَالبَقَاء بالله، صَارَ مُحَمَّدٌ أَحْمَدَ بالضَّرُورَة، وَانْتَقَلَتْ الوِلايَةُ المُحَمَّدِيَّةُ إلى الوِلايَة الأَحْمَدِيَّة، فَمُحَمَّدٌ عبَارَةٌ عَنْ التَّعَيُّنَيْنِ، وَأَحْمَدُ كنَايَةٌ عَنْ تَعَيُّنٍ وَاحدٍ فَحَسْبُ، وَيَكُونُ هَذَا الاسْمُ أَقْرَبَ إلى حَضْرَة الإطْلاق وَأَبْعَدَ منَ العَالم.

فَإنْ قيـــــل: مَا مَعْنَى الفَنَاء وَالبَقَاء الذينَ قَرَّرَهُمَا المَشَائخُ وَجَعَلوا الوِلايَةَ مَرْبُوطَةً بهمَا؟ وَمَا مَعْنَى هَذَا الفَنَاء وَالبَقَاء اللذَيْنِ ذَكَرْتَهُمَا في التَّعَيُّنِ المُحَمَّديّ؟

أُجيـــــبَ: إنَّ الفَنَاءَ وَالبَقَاءَ اللذَيْنِ الوِلايَةُ مَرْبُوطَةٌ بهمَا الفَنَاءُ وَالبَقَاءُ الشُّهُوديَّان، فَإنْ كَانَ هُنَاكَ فَنَاءٌ وَزَوَال فَباعْتبَارِ النَّظَر، وَإنْ بَقَاءٌ وَثَبَاتٌ فَهُمَا أَيْضًا باعْتبَارِ النَّظَر، وَهُنَاكَ اسْتتَارُ الصِّفَات البَشَرِيَّة لا زَوَالهَا، وَفَنَاءُ هَذَا التَّعَيُّنِ لَيْسَ كَذَلكَ، بَل هُنَا تَحَقُّقُ الزَّوَال الوُجُوديِّ للصِّفَات البَشَرِيَّة، وَالانْخدَاعِ منَ الجُسْمَانيَّة إلى الرُّوحَانيَّة، وَفي جَانب البَقَاء أَيْضًا وَإنْ لَمْ يَكُنِ العَبْدُ حَقًّا، وَلَمْ تَنفكَّ عَنْهُ العُبُوديَّةُ، وَلَكنَّهُ يَقَعُ إلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ أَقْرَبَ، وَتَحْصُل لهُ زِيَادَةُ المَعيَّة، وَيَكُونُ عَنْ نَفْسه أَبْعَدَ، وَيَكُونُ ارْتفَاعُ الأَحْكَام البَشَرِيَّة عَنْهُ أَزْيَدَ.

يَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ هَذَا العُرُوجَ المُحَمَّديَّ الذي هُوَ مَرْبُوطٌ بانْتفَاء الصِّفَات البَشَرِيَّة، وَإنْ رَقَّتْ مُعَامَلتُهُ – عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ – إلى الذُّرْوَة العُلْيَا، وَخَلصَتْهُ منْ جَذَبَات الغَيْرِ وَالغَيْرِيَّة، وَلَكنْ صَارَت المُعَامَلةُ إلى أُمَّته ﷺ

أَضيَقَ، وقَل نُورُ هدايَته الذي كَانَ بواسطَة المُناسَبَة، وقَل أَيْضًا تَوَجُّهُهُ إلى أَحْوَال هَؤُلاءِ المُتَأَخِّرِينَ العَاجزِينَ، وتُوَجُّهُ بكُلِّيَّته إلى القَبْلِيَّة الحَقيقيَّة، وَيْل لرَعَايَا لا يَلتَفتُ السُّلطَانُ إلى حَالِهِمْ، وَيَكُونُ بكُلِّيَّته مُتَوَجِّهًا إلى مَحْبُوبه، وَمِنْ هَهُنَا اسْتَوْلَتْ ظُلمَاتُ الكُفْرِ وَالبِدْعَة بَعْدَ الف سَنَة، وَنَقَصَ نُورُ الإِسْلامِ وَالسُّنَّة { رَبَّنَا أَتْمِمْ لنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لنَا، إِنَّكَ عَلَى كُل شَيْءٍ قَدِيرٌ }[1].

(١) ــ الآية: ٨ من سورة التحريم.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالخَمْسُمائَة
إلى الصُّوفِيِّ قُرْبَانَ الجَدِيد
فِي سِرِّ كَوْنِ العَالَمِ مَوْهُومًا

قَال الصُّوفِيَّة: العَالَمُ مَوْهُومًا لا بِمَعْنَى أَنَّهُ مَحْضُ مُخْتَرِعِ الوَهْمِ وَمَنْحُوتُه، فَإِنَّ ذَلكَ مَذْهَبُ السُّوفسْطَائِيَّة الحُمُق، بَل هُوَ مَوْهُومٌ بِمَعْنَى أَنَّهُ مَخْلوقٌ بِخَلق الله سُبْحَانَهُ فِي مَرْتَبَة الوَهْمِ، وَحَصَل لهُ فِي تلكَ المَرْتَبَة بِصُنْعه سُبْحَانَهُ ثُبُوتٌ وَاسْتِقْرَارٌ، وَلكِنَّ الخَيْرَ وَالكَمَال اللذَيْنِ فِيهَا مُسْتَعَارٌ مِنْ حَضْرَة الوُجُود تَعَالى وَتَقَدَّسَ، وَظِل مِنْ ظِلال كَمَالات تلكَ المَرْتَبَة الأَقْدَسِ، وَالشَّرَّ وَالنَّقْصَ اللذَيْنِ فِيه مُسْتَعَارٌ مِنَ العَدَمِ، وَظِل مِنْ ظِلال الشُّرُور وَالنَّقَائِصِ المَخْزُونَة فِي ذَلكَ العَدَمِ الذي هُوَ مَنْشَأُ جَمِيعِ الشَّرِّ وَالنَّقْصِ، فَإِذَا أَدَّى السَّالكُ المُسْتَعِدُّ للمَسَالك - بِحُكْمِ تَرْبِيَته تَعَالى - هَذه الأَمَانَات إلى أَهْلهَا، بِأَنْ رَدَّ الخَيْرَ وَالكَمَال إلى أَهْلهمَا، وَأَحَال الشَّرَّ أَيْضًا إلى صَاحبه، يَصيرُ مُتَحَقِّقًا بِدَوْلة الفنَاء بالضَّرُورَة، وَلا يَبْقَى مِنْهُ رَسْمٌ لا يَكُونُ فِيه أَثَرٌ مِنَ الخَيْرِ، وَلا يُتَوَقَّعُ لهُ ضَرَرٌ مِنَ الشَّرِّ، فَإِنَّ جَمِيعَ مَا فِيه مِنَ الخَيْرِ وَالشَّرِّ كَانَ مُسْتَعَارًا مِنَ الوُجُود وَالعَدَمِ، فَإِنَّهُ مَا جَاءَ مِنْ بَيْت أَبِيه بِشَيْءٍ، وَمَا كَانَ عَمَلهُ غَيْرَ حَمْل الأَمَانَة، فَإِذَا رَدَّ الأَمَانَات إلى أَهْلهَا بالتَّمَامِ، فَلا جَرَمَ يَتَخَلصُ مِنْ مُزَاحَمَة أَنَا وَنَحْنُ، وَيَكُونُ مُلحَقًا بالفنَاءِ وَالعَدَمِ.

المَكْتُوبُ العَاشِرُ وَالخَمْسُمائَة
إلى الحَاجِّ عَبْد اللطيف الخَوَارِزْمِيِّ
فِي بَيَانِ ضَرَرِ الالتذَاذ مِنَ الحُسْنِ الصُّورِيِّ

اعْلَمْ أَنَّ كُلاً مِنَ الخَيْرِ وَالكَمَال وَالحُسْنِ وَالجَمَال فِي أَيِّ مَكَان كَانَ أَثَرُ الوُجُود الذي هُوَ خَيْرٌ مَحْضٌ، وَمَخْصُوصٌ بوَاجِب الوُجُود جَل سُلطَانُهُ، فَكَمَا أَنَّ الوُجُودَ مُنْعَكِسٌ فِي المُمْكِنِ مِنْ تلكَ الحَضْرَة بطَرِيقِ الظِّلِّيَّة، جَاءَ الحُسْنُ وَالجَمَال أَيْضًا مِنْ تلكَ المَرْتَبَة بطَرِيقِ الظِّلِّيَّة، وَذَاتُ المُمْكِنِ بوَاسطَة عَدَمه الذَّاتِيِّ شَرٌّ مَحْضٌ، وَقُبْحٌ وَنَقْصٌ، وَلكِنَّ هَذَا الحُسْنَ وَالجَمَال اللذَيْنِ مَشْهُودَيْنِ فِي المُمْكِنِ وَإِنْ جَاءَ مِنَ الوُجُودِ، وَلكِنْ لَمَّا ظَهَرَا فِي مِرْآةِ العَدَمِ أَخَذَا حُكْمَ المِرْآةِ وَنَالا نَصِيبًا مِنَ القُبْحِ، وَعَرَضَ لَهُمَا النَّقْصُ، وَلَمَّا كَانَ فِي المُمْكِنِ قُبْحٌ ذَاتِيٌّ لا يَجدُ مِنَ الحُسْنِ الخَالصِ لذَّةً مقْدَارَ مَا يَجدُ مِنْ هَذَا الحُسْنِ، مَعَ كَوْن ذَاكَ مَبْدَأً لهَذَا، فَإِنَّ مُنَاسَبَتَهُ بهَذَا أَزْيَدُ، كَكَنَّاسٍ يَجدُ مِنَ الرَّائحَة المُنْتنَة بوَاسطَة أُنْسيَّته وَالفته بهَا لذَّةً لا يَجدُ مثْلهَا منَ الرَّائحَة الطَّيِّبَة، كَمَا وَرَدَ في قصَّة مَشْهُورَة: أَنْ كَنَّاسًا مَرَّ مَرَّةً منْ مَحَلة العَطَّارينَ فَسَقَطَ مَغْشيًّا عَلَيْه منْ فَرْط الرَّائحَة الطَّيِّبَة، فَمَرَّ به وَاحدٌ منَ الأَكَابرِ فَلمَّا اطَّلعَ عَلى سرِّ مُعَامَلته أَمَرَ بأَنْ يَحْشُوا في أَنْفه قطْعَةَ رَوَثٍ فَفَعَلوا، فَأَفَاقَ وَقَامَ وَمَضَى لسَبيله.

المَكْتُوبُ الحادي عشر وَالخَمْسُمائَة
إلى جَنَاب السَّيِّد المَيْر مُؤْمن البَلخيِّ
في إظْهَارِ شُكْرِ النِّعَمِ الظَّاهِرِيَّةِ وَالبَاطنيَّة المُفَاضَة مِنْ بَركَاتِ أكَابرِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ رَحمَهُمُ اللهُ تَعالى

الحَمْدُ لله ، وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى ، " مَنْ لَمْ يَشْكُر النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللهَ " ، إنَّ حقُوقَ عُلمَاء مَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَمَشَائخهَا - شَكَرَ اللهُ تَعَالى سَعْيَهُمْ - في ذمَّة أمْثَالنَا العَاجزينَ المُتَأخِّرينَ ، بَل في ذمَّة كَافَّة أهْل الإسْلام في بلاد الهنْد لَيْسَتْ ممَّا يُدْرَجُ بَيَانُهَا في ضمْنِ التَّقْرير ، وَحَيِّزِ التَّحْرير ، فَإنَّا قد اكْتَسَبْنَا الاعْتقَادَ الصَّحيحَ عَلى وَفْق آرَاء أهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة ، كَثَّرَ اللهُ أمْثَالهُمْ في الأمْصَار ، ثَمَّ تَحْقيقَات هَؤُلاء الأكَابر ، وَحَصَّلْنَا صحَّةَ العَمَل بمُوجب أقْوَال العُلَمَاء الحَنَفيَّة رَضيَ اللهُ تَعَالى عَنْهُمْ منْ تَدْقيقَاتهمْ ، وَسُلوك طَريقَة الصُّوفيَّة العَليَّة - قَدَّسَ اللهُ أسْرَارَهُمْ - في هَذه الدِّيَار أيْضًا مُسْتَفَادٌ منْ بَرَكَات تلكَ البُقْعَة الشَّريفَة ، وَتَحْقيقُ مَقَام الجَذْبَة وَالسُّلوك وَالفَنَاء وَالبَقَاء وَالسَّيْر إلى الله ، وَالسَّيْر في الله التي كُلها مَرْبُوطَةٌ بمَرْتَبَة الوِلايَة الخَاصَّة ، مُفَاضَةٌ منْ فُيُوض أكَابرِ هَذه العَرْصَة المُتَبَرِّكَة.

وَبالجُمْلَة: مَا به صَلاحُ الظَّاهرِ وَفَلاحُ البَاطنِ مَأْخُوذٌ منْ هُنَاكَ.

شكر فيض توجمن جون نداى ابربهار   كه أكر خاروا كركل همه برودهء تست

حَرَسَهَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَأهَاليهَا منَ الآفَات وَالبَليَّات ، بحُرْمَة سَيِّد السَّادَات ، عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالتَّسْليمَاتُ ، وَالأصْحَابُ الذينَ يَردُونَ منْ تلكَ الدِّيَار العُليَا إلى هَذه الدِّيَار السُّفْلى لحَاجَة مَا يُظْهرُونَ الطَافَ الحَضَرَات ذَوي البَرَكَات القَاطنينَ هُنَاكَ بالنِّسْبَة إلى هَذَا الحَقير خُصُوصًا إشْفَاق ملازمي حَشْرَة مَعْدنُ الإرْشَاد وَالهدَايَة ، وَمَنْبَعُ الإفَادَة وَالإفَاضَة ، سَلمَهُ اللهُ تَعَالى ، وَيَقُولونَ أنَّ لجَنَابه العَالي حُسْنُ ظَنٍّ بكَ ، وَإنَّهُ طَالعَ بَعْضَ عُلومكَ وَمَعَارفكَ المُحَرَّرَة وَاسْتَحْسَنَهَا ، وَمثْل هَذه البشَارَات منَ الأكَابر يَكُونُ بَاعثًا عَلى ازْديَاد الرَّجَاء ، وَالجَرَاءَة عَلى تَحَرُّر بَعْض الأذْوَاق وَالمَوَاجيد ، وَلمَّا وَرَدَ الشَّيْخُ أبُو المَكَارم الصُّوفيُّ في هَذه الأيَّام ، وَإظْهَارُ أنْوَاع الطَافكُمْ ، وَأصْنَاف إشْفَاقكُمْ ، اجْتَرَأْنَا عَلى التَّصْديع بكَلمَات اعْتمَادًا عَلى كَرَمكُمْ ، وَحَيْثُ إنَّ الأخَ مُحَمَّدَ هَاشم الذي هُوَ منَ الأحْبَاب المُخْلصينَ ، أرْسَل بَعْضَ نَقُول مُسَوَّدَات هَذَا الفَقير في صُحْبَة

الصُّوفِيِّ المُشَارِ إِلَيْه، اكْتَفَيْنا بذَلكَ وَلَمْ نُدْرِجْ فِي هَذه الصَّحيفَة حَرْفًا مِنْ عُلومِ هَذه الطَّائفَة العَلِيَّة وَمَعَارِفِهِمْ، وَنَرْجُو مِنْ عِنَايَةِ الحَضْرَةِ وَإِشْفَاقه أَنْ لا يَجْعَلهُ مَنْسِيًّا مِنَ الدُّعَاءِ بِسَلامَة الخَاتِمَة.

{رَبَّنَا آتنَا مِنْ لدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّءْ لنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا}[1]، وَنَخُصُّ كُلاً مِنَ الحَضَرَاتِ العَالِيَة الدَّرَجَاتِ جَنَابَ النَّقيبِ النَّجيبِ، مَلاذ أَهْل الله السَّيِّد ميرك شَاه، وَجَنَابَ عَلامَة الوَرَى، وَمَوْلانَا حَسَنٍ، وَجَنَابَ نَاصِرِ الشَّرِيعَة، وَحَافظ القَاضِي تُوللك أَدَامَ اللهُ بَرَكَاتِهِمْ بِالدَّعَوَاتِ، وَيُسَلِّمُ أَوْلادَ الفَقيرِ أَيْضًا إِلى مَخَادِيمِنَا الكِرَامِ، وَيَلْتَمِسُونَ مِنْهُمُ الدُّعَاءَ.

(١) ــ الآية: ١٠ من سورة الكهف.

المَكْتُوبُ الثَّاني عَشَرَ وَالخَمْسُمائَة
إلى الشَّيْخ نُور الحَقِّ
فِي كَشْف سرِّ مَحَبَّة يَعْقُوبَ لِيُوسُفَ عَلَيْهِمَا السَّلامُ
مَعَ بَيَانِ بَعْضِ أَسْرَارٍ عَجِيبَة، وَعُلومٍ غَرِيبَة

الحَمْدُ لله، وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى، قَد اسْتَفْسَرَ أَخي الأَعَزّ الشَّيْخُ نُورُ الحَقِّ عَنْ مَحَبَّة يَعْقُوبَ لِيُوسُفَ عَلَى نَبيِّنَا وَعَلَيْهِمَا الصَّلوَاتُ وَالتَّسْليمَاتُ بالاهْتمَام وَالشَّوْق التَّامِّ، وَكَانَ شَوْقُ انْكشَاف هَذَا المَعْنَى في هَذَا الفَقير أَيْضًا مُنْذُ مُدَّة، وَلَمَّا كَانَ شَوْقُهُ علاوَةً عَلى شَوْق هَذَا الفَقير صرْتُ مُتَوَجِّهًا بكُلّيَتي إلى كَشْف هَذه الدَّقيقَة بلا اخْتيَار، فَظَهَرَ في بَادئ النَّظَر أَنَّ خلقَتَهُ وَحُسْنَهُ وَجمَالَهُ عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ لَيسَتْ مَنْ جنْس خلقَة النَّشْأَة الدُّنْيَويَّة وَحُسْنهَا وَجمَالهَا، بَل إنَّ جمَالَهُ مَنْ جنْس جمَال أَهْل الجَنَّة، وَصَارَ مَشْهُودًا أَنْ صَبَاحَتَهُ مَعَ كَوْنهَا في هَذه النَّشْأَة لَهَا مُشَابَهَةٌ بحُسْن الحُور وَالغلمَان، ثُمَّ كَتَبْتُ مَا كَانَ مُفَاضًا في هَذَا البَاب بَعْدَ ذَلكَ بكَرَم الله وَفَضْله تَعَالَى بالتَّفْصيل، وَأَرْسَلتُهُ إلَيْكُمْ، {سُبْحَانَكَ لا علمَ لَنا إلا مَا عَلمْتَنَا}[١]

وَأَمْسكُوني ورى المرأى كدورتهم أَقُول مَا قَال لي أُسْتَاذيَ الأَزَلي

فَإنْ قيل: مَا وَجْهُ إفْرَاط مَحَبَّة يَعْقُوبَ لِيُوسُفَ عَلَيْهِمَا السَّلامُ، وَقَدْ قَال اللهُ تَعَالَى في حَقّه وَحَقِّ آبَائه الكرَام {أُولي الأَيْدي وَالأَبْصَار إنَّا أَخْلصْنَاهُمْ بخَالصَة ذكْرَى الدَّار وَإنَّهُمْ عنْدَنَا لَمنَ المُصْطَفَيْنَ الأَخْيَار}[٢].

فَكَيْفَ يَكُونُ التَّعَلقُ بمَا دُونَ الحَقِّ وَعَلاَ مُنَاسبًا لشَأْن الأَنْبيَاء أُولي الأَيْدي وَالأَبْصَار؟ وَكَيْفَ يَسَعُ المُصْطَفَيْنَ المُخْلصينَ مَحَبَّةُ المَخْلوقينَ؟ لا يُقَال أَنَّ ذَلكَ لَيْسَ بتَعَلق بمَا دُونَ الحَقِّ تَعَالى، فَإنَّ المَخْلوقَ لَيْسَ إلا مرْآةً حَسَنَةً، وَجمَالُهُ تَعَالى كَمَا قَالتَ الصُّوفيَّةُ، وَجَوَّزُوا شُهُودَ الوَحْدَة في مرْآة الكَثْرَة، وَأَثْبَتُوا المُشَاهدَات وَالمَكْشُوفَات في مَجَالي صُوَر المُمْكنَات وَمَظَاهرهَا في هَذه النَّشْأَة، سوَى الرُّؤْيَة الأُخْرَويَّة؛ لأَنَّ مثَال هَذَا الكَشْف وَالشُّهُود ممَّا يَظْهَرُ للسَّالكينَ في هَذه النَّشْأَة الفَانيَة وَقْتَ غَلبَات التَّوْحيد، وَخَوَاصُّ الأُمَّة يَكَادُونَ يَسْتَنْكفُونَ عَنْهَا وَيَتَحَاشَوْنَ، فَإذَا كَانَتْ مُعَامَلةُ خَوَاصِّ الأُمَّة هَكَذَا، فَكَيْفَ يَتَحمَّل ثُبُوتُ هَذه الأَحْوَال في حَقِّ الأَنْبيَاء المُصْطَفَيْنَ الأَخْيَار؟ بَل تَصَوُّرُ هَذَا المَعْنَى في حَقّهمْ عَيْنُ الوَبَال.

---

(١) ـــ الآية: ٣٢ من سورة البقرة.

(٢) ـــ الآية: ٤٦ من سورة ص.

قُلتُ: إنَّ جَوابَ هَذَا السُّؤَال مَبْنِيٌّ عَلى مُقَدِّمَة وَهيَ: إنَّ حُسْنَ الآخرَة وَجَمَالَهَا، وَكَذَلكَ التَّلذُّذَاتُ وَالتَّنَعُّمَاتُ، في ذَلكَ المَوْطنِ لَيْسَتْ كَحُسْنِ الدُّنْيَا وَجَمَالهَا، وَلا كَالتَّلذُّذَات وَالتَّنَعُّمَات فيهَا، فَإنَّ ذَاكَ الحُسْنَ وَالجَمَال خَيْرٌ في خَيْر، وَذَاكَ التَّلذُّذُ وَالتَّنَعُّمُ مَرْضيٌّ عنْدَ المَوْلَى جَل شَأْنُهُ وَمَقْبُول، وَكُل هَذَا الحُسْنِ وَالجَمَال شَرٌّ وَنَقْصٌ، وَجَميعُ هَذَا التَّلذُّذ وَالتَّنَعُّم غَيْرُ مَقْبُول وَغَيْرُ مُسْتَحْسَنٍ، وَلهَذَا كَانَتْ دَارُ الآخرَة دَارَ الرِّضَا، وَدَارُ الدُّنْيَا دَارَ غَضَب المَوْلَى.

فَإنْ قيلَ: إذَا كَانَ الحُسْنُ وَالجَمَال في المُمْكنِ مُسْتَعَارًا منْ مَرْتَبَة حَضْرَة الوُجُوب تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ وَلَمْ يَكُن المُمْكنُ شَيْئًا غَيْرَ أَنْ يَكُونَ مرْآةً وَمَظْهَرًا لذَلكَ الحُسْنِ وَالجَمَال، فَإنَّ المُمْكنَ لَيْسَ لهُ شَيْءٌ، بَل كُل مَا فيه مُسْتَعَارٌ منْ حَضْرَة الوُجُوب، فَمنْ أَيْنَ جَاءَ التَّفَاوُتُ بَيْنَ المَوْطنَيْنِ؟ وَلمَ كَانَ أَحَدُهُمَا مَرْضيًّا وَمَقْبُولاً، وَالآخرُ غَيْرَ مَقْبُول وَغَيْرَ مُسْتَحْسَنٍ؟

قُلتُ جَوَابُ هَذَا مَبْنيٌّ عَلى مُقَدِّمَات:

المُقَدِّمَةُ الأُولَى إنَّ العَالَمَ بتَمَامه مَجَالي أَسْمَاء الوَاجب، وَمَظَاهرُ صفَاته جَل شَأْنُهُ، وَمَرَايَا كَمَالاته الأَسْمَائيَّة وَالصِّفَاتيَّة.

المُقَدِّمَةُ الثَّانيَةُ إنَّ صفَاتَ الوَاجب وَإنْ كَانَتْ دَاخلةً في دَائرَة الوُجُوب، وَلكنْ لمَّا ثَبَتَ لهَا الاحْتيَاجُ في الوُجُود وَالقيَامُ إلى حَضْرَة الذَّات تَعَالَتْ، كَانَتْ فيهَا رَائحَةٌ منَ الإمْكَان وَالوُجُوب الذَّاتيِّ غَيْرَ مَقْطُوعٍ في حَقِّهَا، فَإنَّ وُجُوبَهَا لَيْسَ لنَفْسهَا بَل لذَات الوَاجب، وَإنْ لَمْ يَقُولوا لهَا غَيْرَ الذَّات، وَلكنْ لا بُدَّ منَ الغَيْريَّة، فَإنَّ الاثْنَيْنيَّةَ كَائنَةٌ بَيْنَهُمَا الاثْنَان مُتَغَايرَان، قَضيَّةٌ مُقَرَّرَةٌ منْ قَضَايَا أَرْبَاب المَعْقُول، وَمَعَ ذَلكَ لا يَنْبَغي إطْلاقُ الإمْكَان في حَقِّهَا لكَوْنه مُوهمًا للحُدُوث؛ لأَنَّ كُل مُمْكنٍ حَادثٌ عنْدَهُمْ، وَلا يَنْبَغي تَجْويزُ الوُجُوبُ بالغَيْر أَيْضًا في ذَلكَ المَوْطنِ؛ لأَنَّهُ مُوهمٌ لانْفكَاكهَا عَنْ حَضْرَة الذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ.

المُقَدِّمَةُ الثَّالثَةُ: إنَّ كُل مَا فيه رَائحَةُ الإمْكَان فيه مَجَال للعَدَم في حَدِّ ذَاته، وَإنْ كَانَ حُصُولهُ مُحَالاً فَإنَّ اسْتحَالتَهُ مَا جَاءَتْ منْ نَفْسه، بَل منْ مَحَل آخَرَ.

المُقَدِّمَةُ الرَّابعَةُ: إنَّ أَسْمَاءَ الوَاجب وَصفَاته تَعَالى كَمَا أَنَّ لهَا في جَانب وُجُودهَا حُسْنًا وَجَمَالاً، كَذَلكَ لهَا في جَانب احْتمَالهَا للعَدَم أَيْضًا حُسْنٌ وَجَمَال، وَإنْ كَانَ ثُبُوتُ هَذَا الحُسْنِ في مَرْتَبَة الوَهْمِ وَالحسِّ، وَمُنَاسبًا للعَدَم، وَكَانَ مُسْتَعَارًا

منَ الجوار؛ لأَنَّ العَدَمَ لا نَصيبَ لهُ في حَدِّ ذَاته، غَيْرُ الشَّرِّ وَالقُبْحِ، وَالوُجُودُ هُوَ الذي بكُلِّيَّته خَيْرٌ وَكَمَال، وبتَمَامه حُسْنٌ وَجَمَال.

يَنْبَغي أَنْ يُعْلم: أَنَّ الحُسْنَ الذي يُحَسُّ في العَدَمِ كَحَنْظَل غُلفَ بالسُّكَّر، وَأُوهِمَ أَنَّهُ حُلوٌ.

المُقَدِّمَةُ الخَامسَةُ: إنَّهُ قَدْ لاحَ بكَرَم الله تَعَالى بالنَّظَر الكَشْفيِّ أَنَّ جَانبَ عَدَم المُمْكن قَدْ حَصَلَتْ لهُ التَّرْبيَةُ في هَذه النَّشْأة بكَمَال الاقْتدَار، وَثَبَتَ لهُ في مَرْتَبَة الحسِّ وَالوَهْم بالصُّنْع الكَامل ثَبَاتٌ وَاسْتقْرَارٌ، وَجُعل مَظْهَرًا لحُسْن الصِّفَات وَجَمَالها الكَائنَات في جَانب احْتمَالها للعَدَم، وَاتَّضَحَ أَيْضًا أَنَّ جَانبَ وُجُود المُمْكن يَرْجَحُ في النَّشْأَة الأُخْرَويَّة، وَيَجْعَل مَظْهَرَ الحَسَن الصِّفَات وَجَمَالها الكَائنَيْن في جَانب وُجُودهَا، فَإذَا عَلمْتَ هَذه المُقَدِّمَات الخَمْسَ صَارَ التَّفَاوُتُ بَيْنَ حُسْن هَذه النَّشْأَة وَجَمَالهَا، وَبَيْنَ حُسْن تلكَ النَّشْأَة وَجَمَالهَا وَاضحًا، وَكَانَ حُسْنُ إحْدَى النَّشْأَتَيْن وَقُبْحُ الأُخْرَى لائحًا، وَصَارَ المَرْضيُّ مُتَمَيِّزًا منْ غَيْر المَرْضيِّ، وَمنْ هَذه التَّحْقيقَات انْحَل هَذَا السُّؤَال، وَاتَّضَحَت المُقَدَّمَةُ التي كَانَ السُّؤَال الأَوَّل مَبْنيًّا عَلَيْهَا، كَمَا لا يَخْفَى عَلى الفطن المُتَأَمِّل، فَإذَا اتَّضَحَتْ هَذه المُقَدِّمَةُ أَقُول في جَوَاب السُّؤَال الأَوَّل بفَضْل الله جَل شَأْنُهُ إنَّهُ قَدْ صَارَ مَعْلومًا بالكَشْف الصَّريح أَنَّ وُجُودَ يُوسُفَ عَلَى نَبيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، وَإنْ ظَهَرَ في هَذه النَّشْأَة، وَلكنَّ وُجُودَهُ منَ النَّشْأَة الأُخْرَويَّة عَلى خلاف وُجُود سَائر مَوْجُودَات هَذه النَّشْأَة، وَأَنَّهُ قَدْ رَجَحَ جَانبُ وُجُوده وَجُعل مَظْهَرًا للحُسْن وَالجَمَال المُتَعَلقَيْن بوُجُود الأَسْمَاء وَالصِّفَات، وَانْتَفَى عَنْهُ تَعَلقُ شَائبَة العَدَميَّة بنَفْسه أَوْ بأَصْله، وَجُعل هُوَ وَأَصْلهُ طَاهرًا منْ علة العَدَم الذي هُوَ مَنْشَأُ كُل قُبْح وَنَقْص، وَلَمْ يُتْرَكْ فيه غَيْرُ اسْتيلاء نُور جَانب الوُجُود الذي هُوَ نَصيبُ أَهْل الجَنَّة، فَكَانَ التَّعَلقُ بحُسْنه وَجَمَاله، كَالتَّعَلق بحُسْن الجَنَّة وَجَمَالهَا وَحُسْن أَهْلهَا وَجَمَالهمْ مَحْمُودًا بالضَّرُورَة، وَنَصيبًا للكُل، وَكُل مَا كَانَ المُحبُّ أَكْمَل يَكُونُ تَعَلقُهُ بحُسْن تلكَ النَّشْأَة وَجَمَالهَا أَزيدَ، وَيَكُونُ قَدَمُهُ في مَرَاضي المَوْلى جَل شَأْنُهُ أَسْبَقَ، فَإنَّ التَّعَلقَ بتلكَ النَّشْأَة وَمَحَبَّتَهَا عَيْنُ التَّعَلق بصَاحب تلكَ النَّشْأَة وَمَحَبَّته، فَإنَّ تلكَ النَّشَاةَ لَيْسَتْ إلا طَلسَمُ حكْمَته، وَنقَابُ جَمَاله، كَردَاء الكبْرياء ﴿وَاللهُ يَدْعُو إلى دَار السَّلام﴾[١] نَصٌّ قَاطعٌ في هَذَا الأَمر ﴿وَاللهُ يُريدُ الآخرَةَ﴾[٢] حُجَّةٌ وَاضحَةٌ لهَذَا المَعْنَى، وَالذى

---

(١) ـــ الآية: ٢٥ من سورة يونس.

(٢) ـــ الآية: ٦٧ من سورة الأنفال.

جعَلَ التَّعلقَ بالآخرَة كَالتَّعلق بالدُّنْيَا مَذْمُومًا، وَجَعَلَهُ مُغَايرًا للتَّعَلق بالمَوْلى جَل شَأْنُهُ فَهُوَ لَمْ يَعْلمْ حَقيقَةَ الآخرَة كَمَا هيَ، وَقَاسَ الغَائبَ عَلى الشَّاهد مَعَ وُجُود الفَارق البَيِّن، فَلو اطَّلَعَتْ رَابعَة المسْكينَةُ عَلى حَقيقَة الجَنَّة كَمَا هيَ لَمَا كَانَتْ في فكْرِ إحْرَاق الجَنَّة، وَلَمَا اعْتَقَدَت التَّعَلقَ بهَا مُغَايرًا للتَّعَلق بمَوْلاهَا، وَقَال آخرُ إنَّ في آية {منْكُمْ مَنْ يُريدُ الدُّنْيَا وَمنْكُمْ مَنْ يُريدُ الآخرَة}[١] .

شكَايَةٌ منَ الفَريقَيْنِ، أَعْطَاهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ الإنْصَافَ كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَدْعُوَ اللهُ تَعَالى إلى جَنَّة ثُمَّ يَشْكُو ممَّنْ يُجيبُ دَعْوَتَهُ؟ فَلوْ كَانَ التَّعَلقُ بذَلكَ المَوْطنِ المُقَدَّسِ مَذْمُومًا، أَوْ كَانَتْ فيه شَائبَةُ الذَّمِّ لَمَا كَانَت الجَنَّةُ دَارَ الرِّضَا، وَالرِّضَا هُوَ نهَايَةُ مَرَاتب القَبُول، بَل كَانَتْ مثْل الدُّنْيَا مَغْضُوبًا عَلَيْهَا، وَعلةُ الغَضَب وَبَاعثُ الذَّمِّ العَدَمُ الذي هُوَ أَصْل كُل قُبْحٍ وَنَقْصٍ، وَصَارَ نَصيبًا للدُّنْيَا وَسَبَبًا لكَوْنهَا مَلعُونَةً، وَلَمَّا حَصَل التَّبَرِّي منَ العَدَم زَالتْ شَائبَةُ الذَّمِّ وَالقُبْحِ، وَكَانَ عَدَمُ الرِّضَا وَعَدَمُ المَقْبُوليَّة نَصيبَ الأَعْدَاء، وَلَمْ يَبْقَ غَيْرُ الرِّضَا وَالقَبُول وَالوُجُود وَالنُّور، وَغَيْرُ الوُصُول وَالرَّاحَة وَالسُّرُور أَصْلاً، قَال المُخْبرُ الصَّادقُ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلام

إنَّ الجَنَّةَ قيعَانٌ وَإنَّ غَرْسَهَا قَوْلكَ سُبْحَانَ الله، وَالحَمْدُ لله، وَلا إلَهَ إلا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَر " وَالمَعْنَى التَّنْزيهيُّ الذي ظَهَرَ هَهُنَا في كُسْوَة، وَالتَّلَذُّذُ منْهُ عَيْنُ التَّعلق وَالتَّلذُّذ بالمَعْنَى التَّنْزيهيِّ، وَعَلى هَذَا القيَاس وَمَا بَيَّنَهُ الصُّوفيَّةُ العَليَّةُ منَ الأَسْرَار وَالدَّقَائق في التَّوْحيد وَالاتِّحَاد، وَنَزَلوا عَلى المَظَاهر الجَميلة في هَذه النَّشْأَة وَعَشقُوهَا، وَأَثْبَتُوا في ضمْنِ ذَلكَ شُهُودًا وَمُشَاهَدَةً، وَاعْتَقَدَ وَأَحْسَنَ تلكَ المَظَاهرَ وَجَمَالَهَا عَيْنُ حُسْنِ المَوْلَى وَجَمَالهُ، حَتَّى قَال بَعْضُهُمْ ذُقْتُكَ في كُل طَعَامٍ لذيذ، وَقَال الآخرُ

أَمرً وزجون جمال تودر برده ظاهر ست درحيرتم كه وعده فردا براي جيست

وَقَال الثَّالثُ

مَا هَمَّ قَوْمٌ بشُرْب المَاء منْ عَطَشٍ إلا رَأَوْا مَا هُوَ المَقْصُودُ في قَدَحٍ

صَدَقَ أَمْثَالَ هَذه الكَلمَات بَعيدٌ عَنْ فَهْمِ هَذَا الفَقير وَوجْدَانه في هَذه النَّشْأَة، وَلا أَجدُ هُنَا طَاقَةً تَحملَ هَذه الدَّقَائقَ، وَلا أَرَاهَا قَابلةً لقَبُول هَذه الدَّوْلة، فَلوْ كَانَتْ فيهَا طَاقَةٌ وَقَابليَّةٌ لَمَا كَانَتْ مَغْضُوبًا عَلَيْهَا، وَلَمَا قَال النَّبيُّ ﷺ: "الدُّنْيَا مَلعُونَةٌ " وَاللائقُ بالكَرَامَات، وَالقَابل لهَذه المَقَامَات هُوَ الجَنَّةُ ذُقْتُكَ

(١) ـــ الآية: ١٥٢ من سورة آل عمران.

في كُل طَعَام لذيذ، صَادقٌ عَلى طَعَام الجَنَّة لا عَلى طَعَام الدُّنْيَا، الذي هُوَ مَخْلوطٌ بمَاء العَدَم المَسْمُوم، وَلهَذا لَمْ يُسْتَحْسَن ارْتكَابُ ذَلكَ.

وَعنْدَ هَذَا الفَقير جَنَّةُ كُل شَخْص عبَارَةٌ عَنْ ظُهُور الاسْم الإلهيِّ الذي هُوَ مَبْدَأُ تَعيُّن ذَلكَ الشَّخْص، وَظَهَرَ ذَلكَ الاسْمُ بصُورَة الأَشْجَار وَالأَنْهَار، وَبصُورَة الحُور وَالقُصُور، وَبصُورَة الولدَان وَالغلمَان، فَكَمَا أَنَّ في الأَسْمَاء الإلهيَّة تَفَاوُتًا باعْتبَار العُلوِّ وَالسُّفْل، وَباعْتبَار الجَامعيَّة وَعَدَمهَا، كَذَلكَ في الجَنَّات أَيْضًا تَفَاوُتٌ بمقْدَارهَا، فَلئنْ أَثْبَتَ الشُّهُودُ وَالمُشَاهَدَةُ في ضمْن ذَلكَ الظُّهُور فَهُوَ حَسَنٌ وَمُسْتَحْسَنٌ، وَوَضْعُ شَيْء في مَوْضعه، وَأَمَّا إطْلاقُ أَمْثَال هَذه الكَلمَات في غَيْر هَذَا المَوْضع فَجَرَاءَةٌ وَوَضْعُ شَيْء في غَيْر مَوْضعه، وَكَأَنَّ الصُّوفيَّةَ العَليَّةَ منْ فَرْط مَحَبَّتهمْ للمَطْلوب وَكَمَال اشْتيَاقهمْ إلَيْه، اغْتَنَمُوا كُل مَا وَصَل إلى مَشَام أَرْوَاحهمْ منْ رَائحَة المَطْلوب، وَظَنُّوهُ من اسْتيلاء سُكْر المَحبَّة عَيْنَ المَطْلوب وَالمَقْصُود، وَعَامَلوا مَعَهُ مُعَامَلةَ العُشَّاق التي تَليقُ بنَفْس المَطْلوب، وَاحْتَظَوْا منْهُ بحُظُوظ وَافرَة، وَأَثْبَتُوا المُشَاهَدَةَ وَالمُكَاشَفَةَ، قَال وَاحدٌ منَ الأَكَابر

ببوى توازجا جهم مست بيخود   زهر سوكه أو ازباى برآيد

نَعَمْ أَمْثَال هَذه المُعَامَلات مُجَوَّزَةٌ في العَاشقيَّة، وَعَدَمُ القَرَار وَالاسْترَاحَة منْ غَلبَة المَحَبَّة، بَل مُسْتَحْسَنَةٌ لأَنَّهَا لأَجْل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى، وَنَاشٍ منْ شَوْق لقَاء المَطْلوب المُتَفرِّد، ولحَظائم حُكْمُ الصَّوَاب، وَلسُكْرهمْ حُكْمُ الصَّحْو، وَوَرَدَ في الخَبَر " سينُ بلال عنْدَ الله شينٌ"

براشهد توخنده زندا سهد بلال

يَنْبَغي أَنْ يَعْلَمَ: أَنَّ مَكْشُوفَ هَذَا الفَقير هُوَ أَنَّ رُؤْيَةَ كُل شَخْص جَنَّتي في الجَنَّة أَيْضًا عَلى مقْدَار ذَلكَ الاسْم الإلهيِّ، الذي هُوَ مَبْدَأُ تَعيُّنه وَشَخْصه، وَيَظْهَرُ ذَلكَ الاسْمُ في كُسْوَة الأَشْجَار وَالأَنْهَار، وَالحُور وَالغلمَان، بمَعْنَى أَنَّ تلكَ الأَشْجَارَ وَالأَنْهَارَ وَغَيْرَهَا ممَّا كَانَ مَظَاهرُ ذَلكَ الاسْم المُقَدَّس، يَكُونُ حُكْمُهَا زَمَانًا بكَرَم الله تَعَالى حُكْمَ النَّاظُور، وَتَصيرُ وَسيلَةً إلى رُؤْيَة ذَلكَ الشَّخْص الغَيْر المُتَكَيِّفَة، ثُمَّ تَعُودُ إلى حَالتهَا الأَصْليَّة، وَتَشْغَلهُ بأَنْفُسهَا وَهَكَذَا إلى أَبَد الآبدين، كَالتَّجَلي البَرْقيِّ الذَّاتيِّ الذي أَثْبَتُوهُ في هَذه النَّشْأَة، فَإنَّ تَجَلي الذَّات في حَجْب الأَسْمَاء وَالصِّفَات دَائميٌّ في حَقِّ المُسْتَعدِّينَ لتلكَ الدَّوْلة، وَبَعْدَ مُدَّة تَرْتَفعُ حُجُبُ الأَسْمَاء وَالصِّفَات وَتَتَجلى حَضْرَةُ الذَّات بلا حُجُب الأَسْمَاء وَالصِّفَات، وَحَيْثُ إنَّ ذَلكَ الاسْمَ الإلهيَّ اعْتبَارٌ منَ اعْتبَارَات الذَّات تَعَالتْ،

يَكُونُ مُتَعَلقُ رُؤْيَة كُل شَخْصٍ ذَلكَ الاعْتبَارَ الذَّاتيَّ الذي هُوَ رَبُّ ذَلكَ الشَّخْصِ بالضَّرُورَة.

وَلا يَتوَهَّمْ هُنَا أَحَدٌ تبَعُّضًا وَتَجزُّيًا ، فَإنَّ الذَّاتَ تَعَالتْ بتَمَامهَا ذَلكَ الاعْتبَارَ لا إنَّ بَعْضَ الذَّات ذَلكَ الاعْتبَارُ ، وَبَعْضٌ آخرُ منْهَا اعْتبَارٌ آخرُ ، فإنَّ ذَلكَ عَلامَةُ النَّقْص وَالحُدُوث تَعَالى اللهُ عَنْ ذَلكَ.

قَالوا إنَّ ذَاتَ اللهِ تَعَالى تَمَامُهَا علمٌ ، وَتَمَامُهَا قُدْرَةٌ ، وَتَمَامُهَا إرَادَةٌ ، وَإنْ كَانَ كُل اعْتبَار تَمَامَ الذَّات ، وَلكنَّ المَرْئيَّ هُوَ ذَلكَ الاعْتبَارُ لا اعْتبَارَاتٌ أُخَرُ ، يَنْبَغي أَنْ يُطْلَبَ سرّ {لا تُدْركُهُ الأَبْصَار}[1].

منْ هَهُنَا: لا يُقَال إذَا لَمْ يَكُنْ تُمَيُّزٌ بَيْنَ الاعْتبَارَات ، وَكَانَ كُل وَاحد منْهَا عَيْنَ الذَّات ، فَمَا مَعْنَى جَعْل مُتَعَلق الرُّؤْيَة اعْتبَارًا منْ بَيْن اعْتبَارَات كَثيرَة ، لأَنَّا نَقُول أنَّ هَذه الاعْتبَارَات وَإنْ كَانَتْ عَيْنَ الذَّات ، بَل كُل وَاحد منْهَا عَيْنُ الآخَر ، وَلَيسَ بَيْنَهَا التَّمَيُّزُ وَالامْتيَازُ الكَيْفيَّيْن المُعْتبرَيْن عنْدَ مَأْسُوري عَالَم الكَيْف ، وَلكنَّ بَيْنَهَا امْتيَازٌ لا كَيْفيٌّ ، وَالذينَ تَخَلصُوا منَ العَالَم الكَيْفيِّ وَاتَّصَلوا بالعَالَم الكَيْفيِّ باتِّصَال لا كَيْفيٍّ لا يَخفَى عَلَيْهمْ هَذَا الامْتيَازُ الكَيْفيُّ ، بَل هُوَ وَاضحٌ عنْدَهُمْ ، وَيَجدُونَهُ كَامْتيَاز الأُذُن منَ العَيْن ، نَعَمْ مَنْ كَانَ مَبْدَأَ تَعَيُّنه اسْمٌ جَامعٌ فَلَهُ منْ جَميع اعْتبَارَات الذَّات تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ نَصيبٌ عَلى سَبيل الاعْتدَال عَلى تَفَاوُت الدَّرَجَات ، وَلَوْ عَلى سَبيل الإجْمَال ، وَرُؤْيَتُهُ مُتَعَلقَةٌ بجَميعهَا وَلكنْ لَمَّا كَانَ ضَيقُ جَامعيَّة الإجْمَال الذي هُوَ نَصيبُهُ لازمًا لَهُ دائمًا ، يَكُونُ الإدْرَاكُ وَالإحَاطَةُ مَفْقُودَيْن في حَقّه ، وَيَكُونُ {لَا تُدْركُهُ الأَبْصَار}[2] صَادقًا {وَمَنْ أَصْدَقُ منَ الله حَديثًا}[3].

ينبغـــــي: أَنْ يَعْلمَ أَنَّهُ إذَا شَرَّفَ اللهُ سُبْحَانَهُ عَبْدًا بدَوْلَة الفَنَاء الأَتَمِّ بكَرَمه ، وَخَلصَهُ مَنْ قَيْد العَدَم الذي كَانَ هُوَ مَاهيَّتَهُ ، وَلَمْ يَتْرُكْ منْهُ عينًا وَلا أَثرًا ، أَيَهَبُ لَهُ بَعْدَ مثل هَذَا الفَنَاء وُجُودًا شَبيهًا بوُجُود النَّشْأَة الأُخْرَويَّة ، وَمُتَعَلقًا بتَرْجيح جَانب وُجُود المُمْكن ، وَيَكُونُ مَظْهَرُ الكَمَالات جَانبَ وُجُود الأَسْمَاء وَالصِّفَات الإلَهيَّة ، وَقَدْ ذُكرَ تَحْقيقُ وَجْه ذَلكَ فيمَا سَبَقَ ، وَكَانَ يُوسُفُ عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ مُشَرَّفًا بهَذه الدَّوْلَة بوُجُوده الأَوَّل ، وَهَذَا العَارفُ

(١) ــ الآية: ١٠٣ من سورة الأنعام.

(٢) ــ الآية: ١٠٣ من سورة الأنعام.

(٣) ــ الآية: ٨٧ من سورة النساء.

تَشَرَّفَ بهَا بوُجُوده الثَّاني بالولادَة الثَّانيَة ، وَلَمَّا كَانَ ذَاكَ جبليًا أَعْطَاهُ الحُسْنَ الظَّاهرَ أَيْضًا ، وَهَذَا لَمَا حَصَلَ بَعْدَ تَجَشُّم الكَسْب ، اكْتَفَى فيه بنُور البَاطل ، وَادَّخَرَ لهُ الحُسْنَ الظَّاهرَ في الآخرَة ، وَمثْل هَذَا العَارف بَعْدَ الأَنْبيَاء عَلَيْهمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَزيزُ الوُجُود ، وَأَقَل قَليل ، وَمثْل هَذَا العَارف وَإنْ لَمْ يَكُنْ نَبيًّا وَلكنْ لَهُ بتَبَعيَّة الأَنْبيَاء شَرِكَةٌ في دَوْلَة ،

وَخَاصَّةً بالأَنْبيَاء عَلَيْهمُ الصَّلوَاتُ ، وَهُوَ وَإنْ كَانَ طُفَيْليًّا وَلكنَّهُ جَالسٌ عَلَى سُفْرَة نعْمَتهمْ ، وَإنْ كَانَ خَادمًا وَلكنَّهُ جَالسٌ مَعَ المَخْدُومينَ ، وَإنْ كَانَ تَابعًا وَلكنَّهُ مُصَاحبُ المَتْبُوعينَ ، وَرُبَّمَا يُمْنَحُ أَسْرَارًا بغبْطَة الأَنْبيَاء عَلَيْهمُ السَّلامُ فيهَا ، كَمَا أَخْبَرَ به المُخْبرُ الصَّادقُ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ، وَلكنَّ مثْل هَذه المُعَامَلة دَاخلٌ في فَضْل جُزْئيٍّ ، وَالفَضْل الكُليُّ إنَّمَا هُوَ للأَنْبيَاء عَلَيْهمُ السَّلامُ ، وَهَذَا الفَضْل أَيْضًا لَمَا تَيَسَّرَ لهُ بسَبَب مُتَابَعَته إيَّاهُمْ كَانَ منْهُمْ وَلَيْسَ العَارفُ غَيْرَ حَامل أَمَانَاتهمْ ، وَآيَة {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلمَتُنَا لعبَادنَا المُرْسَلينَ إنَّهُمْ لَهُمُ المَنْصُورُونَ وَإنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الغَالبُون}[1].

نَصُّ القُرْآن رَفَعَ شَأْنَ هَؤُلاءِ الأَكَابر فَوْقَ شَأْن غَيْرهمْ ، وَنَصرَهُمْ عَلى الكُل ، وَجَعَلَهُمْ غَالبينَ.

فَإنْ قيـــــل: إنَّ هَذَا العَارفَ الذي وُهبَ لهُ هَذَا الوُجُودُ بَعْدَ الفَنَاء الأَتَمِّ ، هَل هُوَ بهَذَا الوُجُود أَيْضًا في مَرْتَبَة الحسِّ وَالوَهْم كَسَائر مَوْجُودَات هَذه النَّشأَة ، أَوْ خَرَجَ منْ هَذه المَرْتَبَة؟ فَإنْ خَرَجَ فَهَل عَرَضَ لهُ وُجُودٌ خَارجيٌّ أَوْ لا؟ وَمنَ المُقرَّر عنْدَ القَوْم أَنَّهُ لا مَوْجُودَ في الخَارج غَيْرَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى.

قُلتُ إنَّ مَا هُوَ صَارَ مَعْلومًا في آخر الأَمْر إنَّهُ خَرَجَ وَصَارَ مَنْسُوبًا إلى نَفْس الأَمْر ، وَمَرْتَبَةُ الوَهْم وَإنْ كَانَ حُكْمُهَا حُكْمَ نَفْس الأَمْر باعْتبَار الثَّبَات وَالتَّقَرُّر ، وَلكنَّهَا في الحَقيقَة لَمْ تَكُنْ نَفْسَ الأَمْر ، فَإنَّ نَفْسَ الأَمْر وَرَاءَ تلكَ المَرْتَبَة ، وَكَأَنَّ هَذه المَرْتَبَة بَرْزَخٌ بَيْنَ الوَهْم وَالخَارج ، وَمَوْجُودَاتُ النَّشْأَة الأُخْرَويَّة كُلهَا كَائنَةٌ في مَرْتَبَة نَفْس الأَمْر ، بَل الصِّفَاتُ الوَاجبيَّةُ سوَى الصِّفَات الثَّمَانيَة الحَقيقَةُ كُلهَا في تلكَ المَرْتَبَة ، وَلا مَوْجُودَ في مَرْتَبَة الخَارج غَيْرَ الذَّات الأَقْدَس ، وَغَيْرَ صفَاته الثَّمَانيَة ، فَظَهَرَ للمَوْجُودَات ثَلاثُ مَرَاتبَ مَرْتَبَةُ الوَهْم التي هيَ نَصيبُ أَكْثَر أَفْرَاد هَذه النَّشْأَة ، وَالأَنْبيَاءُ عَلَيْهمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ خَارجُونَ بأَجْمَعهمْ عَنْ هَذه المَرْتَبَة ، وَكَذَلكَ المَلائكَةُ الكرَامُ عَلَيْهمُ السَّلامُ ، فَإنَّ وُجُودَهُمْ

---

(١) ــ الآيات: ١٧٠، ١٧١، ١٧٢ من سورة الصافات.

مُنَاسِبٌ لوُجُود النَّشْأَة الأُخْرَوِيَّة ، وَصَارَ أَقَل أَوْلِيَاء العِظَامِ مُشَرَّفًا بِهَذِه الدَّوْلَة أَيْضًا ، وَتَخلصَ مِنْ مَرْتَبَة الوَهْم وَصَارَ مُلحَقًا بنَفْسِ الأَمْر.

المَرْتَبَةُ الثَّانيَةُ مَرْتَبَةُ نَفْسِ الأَمْر ، وَفيهَا صِفَاتُ الوَاجب وَأَفْعَالهُ تَعَالى ، وَالمَلائكَةُ الكرَامُ أَيْضًا مَوْجُودُونَ في تلكَ المَرْتَبَة ، وَوُجُودُ النَّشْأَة الأُخْرَوِيَّة أَيْضًا ثَابتٌ في تلكَ المَرْتَبَة ، وَكَذَلكَ الأَنْبيَاءُ ، وَالأَقَل منَ الأَوْليَاء أَيْضًا خَرَجُوا إلى تلكَ المَرْتَبَة ، وَإنَّمَا الفَرْقُ أَنَّ صفَات الوَاجب جَل شَأْنُهُ في مَرْكَز ذَلكَ المَقَام الذي هُوَ أَشْرَفُ أَجْزَائِه ، وَسَائرُ المَوْجُودَات في أَطْرَاف ذَلكَ المَرْكَز وَأَكْنَافه عَلى حَسَب الاسْتعْدَاد.

وَالمَرْتَبَةُ الثَّالثَةُ مَرْتَبَةُ الخَارج ، وَالمَوْجُودُ هُنَاكَ الذَّاتُ وَصفَاتُ الوَاجب الثَّمَانيَةُ ، فَإنْ كَانَ فَرْقٌ فَإنَّمَا هُوَ باعْتبَار المَرْكَز وَغَيْر المَرْكَز ، فَإنَّ الأَشْرَفَ أَنْسَبُ بالأَقْدَس.

فَإنْ قيـــــل: مَا مَزيَّةُ الخُرُوج منْ مَرْتَبَة الوَهْم إلى مَرْتَبَة نَفْس الأَمْر؟ وَأَيُّ قُرْب مَرْبُوطٌ به؟

قُلتُ إنَّ مَنْشَأَ كُل خَيْر وَكَمَال وَحُسْن وَجَمَال هُوَ الوُجُودُ ، وَكُل مَا يَكُونُ حُصُول القُوَّة وَالاسْتقْرَار للوُجُود أَزيدَ ، تَكُونُ تلكَ الصِّفَاتُ أَكْمَل بالضَّرُورَة ، وَأَيُّ كَلام في قُرْب مَنْ كَانَ مَوْجُودًا في مَرْتَبَة صفَاته وَأَفْعَاله تَعَالى ، وَحَصَل لَهُ جوَارُ صفَات الخَالقيَّة وَالرَّازقيَّة وَغَيْرهمَا.

يَنْبَغـــي أَنْ يُعلَـــم: أَنَّ ثُبُوتَ العَدَم ، وَكَذَلكَ ثُبُوتَ الكَمَالات التي مَلحُوظٌ فيهَا شَائبَةُ العَدَم وَإنْ كَانَتْ تلكَ

الكَمَالاتُ منَ الكَمَالات الصِّفَاتيَّة كُله في مَرْتَبَة الحسِّ وَالوَهْم ، فَإنَّهُ مَا لَمْ يَحْصُل التَّبَرِّي منَ العَدَم بالكُليَّة ، وَلَمْ يَزَل عَيْنُ العَدَم وَأَثَرُهُ لا يَكُونُ لائقًا بالوُصُول إلى مَرْتَبَة نَفْس الأَمْر ، وَإنْ كَانَ في الثُّبُوت الوَهْميِّ باعْتبَار القُوَّة وَالضَّعْف دَرَجَاتٌ ، فَإنَّهُ كُل مَا كَانَ العَدَمُ أَقْوَى يَكُونُ التَّعَلقُ بمَرْتَبَة الوَهْم أَتَمَّ ، وَإذَا ضَعُفَ يَكُونُ التَّعَلقُ أَقَل ، وَكَثيرٌ منَ الأَوْليَاء الذينَ جَاوَزُوا مَرَاتبَ العَدَم وَلَمْ يَبْقَ فيهمْ شَيْءٌ منَ العَدَم غَيْرُ الأَثَر ، وَإنْ لَمْ يَكُونُوا دَاخلينَ في مَرْتَبَة نَفْس الأَمْر مَا دَامَ هَذَا الأَثَرُ بَاقيًا ، وَلَكنَّهُمْ يَتَجَاوَزُونَ مَرْتَبَةَ الوَهْم وَيَصلونَ إلى نُقْطَتَا الأَخيرَة ، وَيَصيرُونَ منْ نُظَّار مَرْتَبَة نَفْس الأَمْر ، وَيُحَصِّلونَ نَصيبًا منْ هَذَا المَقَام ، وَيَكُونُ مَحْسُوسًا أَنَّ الأَنْبيَاءَ الكرَامَ وَالمَلائكَةَ العظَامَ عَلَيْهمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَكَذَلكَ بَعْضُ مُتَابعي الأَنْبيَاء ، وَإنْ كَانَ أَقَل وَصَلوا إلى نهَايَة مَرْتَبَة نَفْس الأَمْر ، وَلكُل منْهُمْ

هُنَاكَ مَوْطِنٌ خَاصٌّ وَمَقَامٌ عَلى حدَة، عَلى تَفَاوُت دَرَجَاتهمْ، وَيُشَاهدُ الحُرُوفَ وَالكَلمَات القُرْآنيَّة أَيْضًا هُنَاكَ يُورَّى مَقَامُ هَؤُلاء فَوْقَ مَقَام الأَنْبيَاء عَلَيْهمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، وَكَأَنَّهَا خَرَجَتْ منْ هَذَا المَقَام وَصَارَتْ بَرْزَخًا بَيْنَ هَذَا المَقَام وَبَيْنَ مَقَام فَوْقَهُ قَبْلَ الوُصُول إلَيْه، وَاخْتَارَت الإقَامَةَ هُنَاكَ، فَإنَّ المَقَامَ الفَوْقَانيَّ مَخْصُوصٌ بذَات الوَاجب وَصفَاته تَعَالى، وَلا مَوْجُودَ في الخَارج غَيْرُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى، وَلَمَّا كَانَتْ في هَذه الحُرُوفَ وَالكَلمَات سمَاتُ الحُدُوث لَيْسَتْ فيهَا قَابليَّةُ الوُصُول إلى ذَلكَ المَقَام وَلَكنَّهَا أَسْبَقُ قدَمًا منْ جَميع مَوْجُودَات تلكَ المَرْتَبَة، وَلَهَا تَمَسُّكٌ بأَذْيَال مَدْلولاتهَا، وَالكُبَرَاءُ الذينَ يُقيمُونَ في مُنْتَهَى مَرْتَبَة نَفْس الأَمْر نَاظرُونَ إلى مَرْتَبَة فَوْقَانيَّة وَكَأَنَّهُمْ بكُليَّتهمْ صَارُوا أَبْصَارًا منْ كَمَال شَوْقهمْ إلَيْهَا، وَالعَجَبُ أَنَّ هَؤُلاَء الأَكَابرَ مَعَ وُجُود هَذَا التَّوَطُّن وَالإقَامَة لَهُمْ بحُكْم " المَرْءِ مَعَ مَنْ أَحَبَّ " مَعيَّةٌ مَعَ مَحْبُوبهمْ مَجْهُولةُ الكَيْفيَّة وَهُمْ مَعَهُ بلا أَنْفُسهمْ، وَمَأْنُوسُونَ وَمَأْلوفُون به بلا اتِّحَاد الاثْنَيْنيَّة، وَلَمَّا لوحظَ في ذَلكَ الأَثْنَاء مَعيَّةُ الحُرُوف وَالكَلمَات القُرْآنيَّة بتلكَ المَرْتَبَة المُقَدَّسَة عُلمَ أَنَّهُ لا نسْبَةَ لهَذه المَعيَّة بمَعيَّة الآخرينَ، وَأَنَّهَا عَاليَةٌ جدًّا لا يُمْكنُ إدْرَاكُهَا لكَوْنهَا مَرْبُوطَةً ببَاطن البُطُون، وَأَيْنَ المَجَال هُنَاكَ لفَهْم المَخْلوقينَ، وَمنْ عُلوِّ شَأْن هَذه الحُرُوف وَالكَلمَات المُقَدَّسَة وَرَدَ القُرْآنُ كَلامُ الله غَيْرُ مَخْلوق، وَيَعْلَمُ أَنَّ كَلامَ النَّفْسي هُوَ هَذه الحُرُوفُ وَالكَلمَاتُ، كَمَا حَقَّقَهُ القَاضي عَضُدٌ، وَقَال إنَّ هَذه الحُرُوفَ وَالكَلمَات هيَ الكَلامُ القَديمُ النَّفْسيُّ بلا تَقْديم وَتَأْخير، وَجَعَل التَّقْديمَ وَالتَّأْخيرَ عَائدًا إلى قُصُور الآلات الحَادثَة.

فَإنْ قيـــــل: لوْ كَانَتْ هَذه الحُرُوفُ وَالكَلمَاتُ كَلامًا نَفْسيًّا يَنْبَغي أَنْ تَكُونَ دَاخلَةً في مَرْتَبَة الخَارج، وَقَدْ مَرَّ آنفًا أَنَّهَا لا تَكُونُ دَاخلَةً في ذَلكَ المَقَام، فَمَا وَجْهُ ذَلكَ؟

قُلتُ إنَّ هَذه الحُرُوفَ وَالكَلمَات حَيْثُ كَانَتْ مَرْكُوزَةً في الأَذْهَان بالتَّقْديم وَالتَّأْخير، يَظْهَرُ بهَذه المُلاحَظَة في النَّظَر الكَشْفيِّ عَدَمُ دُخُولهَا في مَرْتَبَة الخَارج بالضَّرُورَة، وَلَمَّا لوحظَتْ مَرَّةً ثَانيَةً بلا مُلاحَظَة التَّقْديم وَالتَّأْخير شُوهدَتْ دَاخلَةً فيهَا، وَمُلْحَقَةً بأَصْلهَا، بَل مُتَّحدَةً بهَا، فَأَيُّ نسْبَة لمَعيَّتهَا بمَعيَّة الآخرينَ، فَإنَّ فيهَا اتِّحَادًا وَلا مَجَال للاتِّحَاد في مَعيَّة الآخرينَ سُبْحَانَ الله، إذَا كَانَ هَذه الحُرُوفُ وَالكَلمَاتُ القُرْآنيَّةُ نَفْسَ الكَلام القَديم السُّبْحَانيِّ يَكُونُ ظُهُورُهُ في هَذه النَّشْأَة بخلاف سَائر الصِّفَات القَديمَة بنَفْسه، فَإنَّ الحُرُوفَ وَالكَلمَات عَلى هَذَا التَّقْدير نَفْسُه وَلَيْسَ لهُ نقَابٌ غَيْرُ التَّقْديم وَالتَّأْخير وَالعَارضينَ منْ جهَة قُصُور آلة

التَّكَلمِ ، فَأَقْرَبُ الأَشْيَاءِ إلى جَنَابِ قُدْسِ الحَقِّ جَل وَعَلا الذي هُوَ القُرْآنُ المَجيدُ أَجْلى وَأَظْهَرُ في عَالَمِ الظِّلال بأَصَالته منْ غَيْرِ أَنْ يُصيبَهُ غُبَارُ الظِّلِّيَّة ، وَجُعل التَّقْديمُ وَالتَّأْخيرُ حجَابًا لعُيُون المَحْجُوبينَ ، وَلهَذا كَانَ أَفْضَل العبَادَة تلاوَةَ القُرْآن المَجيد ، وَكَانَتْ شَفَاعَتُهُ أَسْرَعَ قَبُولاً منْ شَفَاعَة الآخَرينَ ، سَوَاءٌ كَانَتْ شَفَاعَةَ مَلَك مُقَرَّب ، أَوْ نَبيٍّ مُرْسَل ، وَلا يُمْكنُ تَفْصيل النَّتَائج وَالثَّمَرَات المُتَرَتِّبَة على تلاوَة القُرْآن ، وَكَثيرًا مَا تُوصل التَّالي إلى مَحَل لا مَجَال فيه لذَرَّة.

فَإنْ قيـــل: هَل هَذه الدَّوْلَةُ مَخْصُوصَةٌ بالحُرُوف وَالكَلمَات القُرْآنيَّة ، وَاشْتَرَكَتْ مَعَهَا في هَذه الدَّوْلَة حُرُوفُ سَائر الكُتُب المُنَزَّلَة وَكَلمَاتُهَا ، وَكَانَتْ كَلامًا نَفيسًا كَمثْلهَا؟

قُلتُ للكُل شَرِكَةٌ في هَذه الدَّوْلة ، وَالفَرْقُ الذي يَتَمَثَّل في نَظَر كَشْفيٍّ هُوَ أَنَّ القُرْآنَ المَجيدَ كَأَنَّهُ مَرْكَزُ الدَّائرَة وَسَائرُ الكُتُب المُنَزَّلة ، بَل جَميعُ مَا يَقَعُ به التَّكَلمُ منَ الأَزَل إلى الأَبَد كَأَنَّهُ مُحَيِّطٌ تلكَ الدَّائرَة ، فَكَانَ القُرْآنُ أَصْل الكُل ، وَأَشْرَفَ جَميع الكُتُب ، فَإنَّ المَرْكَزَ أَشْرَفُ أَجْزَاء الدَّائرَة ، وَأَصْل جَميع نُقَط الدَّائرَة ، وَسَائرُ النُّقَط كَأَنَّهَا تَفْصيلهُ وَهُوَ إجْمَالهَا ، قَال اللّهُ تَعَالى {وَإنَّهُ لَفي زُبُر الأَوَّلينَ}(١)

فَإنْ قيـــل: قَدْ عُلمَ منَ التَّحْقيق السَّابق أَنَّ الشُّهُودَ المُشَاهَدَةَ في ضمْن المَظَاهر الجَميلة كَمَا قَالوا غَيْرُ وَاقع في هَذه النَّشْأَة ، وَلا قَابليَّةَ في هَؤُلاء لمَظْهَريَّة تلكَ المَرْتَبَة المُقَدَّسَة ، فَهَل لهَا تَحَقُّقٌ في هَذه النَّشْأَة في غَيْر هَذه المَظَاهر أَوْلا؟

قُلتُ إنَّ مُعْتَقَدَ هَذَا الفَقير هُوَ أَنَّ نَصيبَ هَذه النَّشْأَة الإيقَانُ فَقَطْ ، وَالرُّؤْيَةُ البَصَريَّةُ وَالمُشَاهدَةُ التي هيَ عبَارَةٌ عَن الرُّؤْيَة القَلبيَّة ، عَلى تَفَاوُت الدَّرَجَات نَتيجَة ذَلكَ الإيقَان وَثَمَرَاته المَرْبُوطَة بالآخرَة ، نَقَل صَاحبُ التَّعَرُّف الذي هُوَ منْ أَكَابر هَذه الطَّائفَة العَليَّة في كتَابه إجْمَاعُ المَشَائخ في هَذَا البَاب ، وَقَال وَأَجْمَعُوا عَلى أَنَّهُ تَعَالى لا يُرَى في الدُّنْيَا بالأَبْصَار وَلا بالقُلوب إلا منْ جهَة الإيقَان.

فَإنْ قيـــل: إنَّ منَ المُقَرَّر عنْدَ هَذه الطَّائفَة العَليَّة أَنَّ لليَقين مَرَاتبَ ثَلاثًا علْمُ اليَقين ، وَعَيْنُ اليَقين ، وَحَقُّ اليَقين ، وَقَالوا إنَّ علمَ اليَقين عبَارَةٌ عَن الاسْتدْلال بالأَثَر عَلى المُؤَثِّر كَيَقين حَاصل بوُجُود النَّار مَثَلاً منْ طَريق

(١) ــ الآية: ١٩٦ من سورة الشعراء.

الاسْتِدْلال بالعلم بوُجُود الدُّخَان ، وَعَيْنُ اليقين عبارَةٌ عَنْ رُؤْيَة النَّار نَفسهَا مَثلاً ، وَحَقُّ اليَقين عبَارَةٌ عَن التَّحقّق بالنَّار مَثلاً ، فإذَا فَقدَت الرُّؤْيَةُ القَلبيَّةُ أَيْضًا كَيْفَ يَتحقّقُ عَيْنُ اليَقين؟ وَكَيْفَ يُصَدّقُ إجْمَاعُ المَشَائخ عَلى عَدَم الرُّؤْيَة مُطْلقًا؟

قُلتُ لعَل مُرَادَهُ بالإجْمَاع إجْمَاعُ المَشَائخ المُتَقدّمينَ ، وَالمُتَأَخّرُونَ حَكَمُوا عَلى خلاف ذَلكَ ، وَجَوَّزُوا الرُّؤْيَةَ القَلبيَّةَ ، وَهَذَا الحُكْمُ لَمْ يَثْبُتْ عنْدَ هَذَا الفَقير ، وَهَذه الدَّرَجَاتُ الثَّلاثُ التي بَيَّنُوهَا لليَقين كُلهَا دَاخلَةٌ في علم اليَقين لَمْ تَخْرُجْ بَعْدُ منَ الاسْتدْلال ، وَلَمْ تَتَحَوَّل منَ العلم إلى العَيْن ، وَمَا قَالوا في تَمْثيل عَيْن اليَقين منْ رُؤْيَة النَّار ليسَ هُوَ رُؤْيَةَ النَّار بَل رُؤْيَةَ الدُّخَان التي اسْتَدَلوا بهَا عَلى وُجُود النَّار ، فكَمَا أَنَّهُ كَانَ في علم اليَقين اسْتدْلال منَ العلم بوُجُود الدُّخَان عَلى وُجُود النَّار ، كَذَلكَ هُنَا اسْتدْلال منْ رُؤْيَة الدُّخَان عَلى وُجُود النَّار ، وَهَذَا اليَقينُ الثَّاني أَتَمُّ منَ اليَقين الأَوَّل ؛ لقُوَّة دَليله ، فَإنَّ هُنَاكَ علمًا بالدَّليل ، وَهُنَا رُؤْيَة الدَّليل ، وَكَذَلكَ في حَقّ اليَقين تَحَقُّقٌ بالدُّخَان لا بالنَّار ، وَاسْتدْلال به عَلى النَّار ، وَهَذَا اليَقينُ أَتَمُّ منْ كُل منَ اليَقينَيْن السَّابقَيْن وَأَكْمَل ، فَإنَّهُ اسْتدْلال بنَفسه الذي صَارَ دُخَانًا عَلى وُجُود النَّار ، وَبَيْنَ الأَنْفُس وَالآفَاق فَرْقٌ وَاضحٌ ، قَال اللهُ تَعَالى ﴿سَنُريهِمْ آيَاتنَا في الآفَاق وَفي أَنْفُسهمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ﴾(١).

وَقَال اللهُ تَعَالى ﴿وَفي الأَرْض آيَاتٌ للمُوقنينَ وَفي أَنْفُسكُمْ أَفلا تُبْصرُون﴾(٢).

وَكُل مَا يُرَى في الآفَاق وَالأَنْفُس آيَاتُ المَطْلوب لأَنْفُس المَطْلوب ، فَكَانَ المَرْئيُّ في الآفَاق وَالأَنْفُس هُوَ الدُّخَانَ الذي هُوَ آيَةُ النَّار لا النَّارَ ، فَتَكُونُ المُعَامَلةُ في الآفَاق وَالأَنْفُس هيَ الاسْتدْلال الذي هُوَ حَقيقَةُ علم اليَقين ، وَأَمَّا حَقُّ اليَقين فَيَنْبَغي تَشْخيصُهَا فيمَا وَرَاءَ الآفَاق وَالأَنْفُس ، سُبْحَانَ الله كَيْفَ قَرَّرَ الأَكَابرُ وجْدَانَ المَطْلوب في الأَنْفُس ، وَاعْتَقَدُوا خَارجَ الأَنْفُس ممَّا لا حَاصل فيه ، قَال وَاحدٌ منْهُمْ

لا تَطْفَ في كُل صَوْب مثْل أَعْــــمَى فَإنَّ الكُل مَعَكَ في العَبَا

وَقَال الآخرُ ـ

جون جلوهء ان جمال بيرون زتونيست بادردا من وسردر جيب اندركش

وَقَال الثَّالثُ

---

(١) ـــ الآية: ٥٣ من سورة فصلت.

(٢) ـــ الآية: ٢٠، ٢١ من سورةالذاريات.

فَلوْ سَعَتْ ذرَّةٌ فِي عُمْرِهَا طَلَبًا   خَيْرًا وَشَرًّا تُرَى فِي نَفْسِهَا اكْتَمَنَا

قَال صَاحِبُ الفُصُوص   التَّجَلِي مِنَ الذَّات لا يَكُونُ إلا بِصُورَة المُتَجلى لهُ ، وَقَال غَيْرُهُ مِنَ الأكَابِر   إنَّ أَهْل الله كُل مَا يَرَوْنَ بَعْدَ الفَنَاء وَالبَقَاء يَرَوْنَ فِي أَنْفُسِهِمْ ، وَكَمَا يَعْرِفُونَ يَعْرِفُونَهُ فِي أَنْفُسِهِمْ ، وَحَيْرَتُهُمْ فِي وُجُود أَنْفُسِهِمْ {وَفي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُون}(١).

وَعِنْدَ هَذَا الفَقِيرِ الأنْفُسُ أَيْضًا كَالآفَاق مِمَّا لا حَاصِل فِيه ، خَالِيَةٌ عَنْ وِجْدَان المَطْلوب فِيهَا ، وَلا نَصِيبَ مِنْهُ لَهَا ، وَالذَى فِي الآفَاق وَالأنْفُس هُوَ الاسْتِدْلال عَلى المَطْلوب ، وَالدَّلالَةُ عَلَى المَقْصُود وَالوُصُول إلى المَطْلوب مَرْبُوطٌ بِمَا وَرَآءَ الآفَاق وَالأنْفُس ، وَمَنُوطٌ بِمَا سوَى السُّلوك وَالجَذْبَة ، فَإنَّ السُّلوكَ سَيْرٌ آفَاقِيٌّ ، وَالجَذْبَةَ سَيْرٌ أَنْفُسِيٌّ ، فَيَكُونُ السُّلوكُ وَالجَذْبَةُ وَالسَّيْرُ الآفَاقِيُّ وَالأنْفُسِيُّ كُلهَا دَاخِلةٌ فِي السَّيْرِ إلى الله ، وَمَا قَالوا   إنَّ السُّلوكَ وَالسَّيْرَ الآفَاقِيَّ فِي السَّيْر إلى الله ، وَالجَذْبَةَ السَّيْرُ الأنْفُسِيُّ فِي السَّيْرِ فِي الله ، مَاذَا نَصْنَعُ ، ظَهَرَ لَهُمْ كَذَلكَ ، وَظَهَرَ لِي هَكَذَا

{سُبْحَانَكَ لا عِلمَ لنَا إلا مَا عَلمْتَنَا }(٢).

وَأَيْنَ القُدْرَةُ لِمِثْلي المِسْكِين الآكِل مِنْ فَضْلتِهِمْ أَنْ يَتَكَلمْ عَلى خِلاف مَذَاقِهِمْ ، وَلكِنْ لمَّا تَرَقَّت المُعَامَلةُ مِنَ التَّقْلِيد قَال مَا نَالهُ خَالفَ القَوْمَ أَوْ وَافَقَهُمْ وَالتِزَام أَبَى يُوسُف بَعْدَ تَرَقِّيه مِنَ التَّقْليد مُوَافَقَةَ أَبِي حَنِيفَة الذي هُوَ أُسْتَاذُهُ خَطَأٌ .

{رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا}(٣).

فَإنْ قِيـــــل: إذَا كَانَ هَذه الدَّرَجَاتُ الثَّلاثُ مِنَ اليَقِينِ دَاخِلةً فِي عِلمِ اليَقِينِ ، فَمَا يَكُونُ عَيْنُ اليَقِين عِنْدَكَ؟

قُلتُ   إنَّ عَيْنَ اليَقِين عِبَارَةٌ عَنْ تِلكَ الحَالة التي هِيَ للدُّخَان مَعَ النَّار ، فَإذَا انْتَهَى المُسْتَدل إلى مُنْتَهَى دَرَجَة الدَّليل الذي هُوَ الدُّخَانُ ، تَحْدُثُ فِيه أَيْضًا حَالةٌ ثَابِتَةٌ للدُّخَان مَعَ النَّار ، وَعِنْدَ هَذَا الفَقِير هَذه الحَالةُ مُعَبَّرٌ عَنْهَا بِعَيْنِ اليَقِين ، فَإنَّهُ فَوْقَ عِلم الاسْتِدْلال ، وَوَرَاءَ الآفَاق وَالأنْفُس ، وَلَمَّا ارْتَفَعَ حِجَابُ الاسْتِدْلال مِنَ البَيْنِ الذي هُوَ نِهَايَةُ مَرْتَبَة العِلم خَرَجَ الأمْرُ مِنَ العِلمِ إلى الكَشْفِ بِالضَّرُورَة ، وَاتَّجَرَ مِنَ الغَيْبِ إلى الشُّهُود وَالحُضُور.

---

(١) ــ الآية: ٢١ من سورة الذاريات.

(٢) ــ الآية: ٣٢ من سورة البقرة.

(٣) ــ الآية: ٢٨٦ من سورة البقرة.

يَنْبَغِي أَنْ يُعلَم: أَنَّ الشُّهُودَ وَالحُضُورَ غَيْرُ الرُّؤْيَةِ وَالإِحْسَاسِ، أَلا تَرَى أَنَّ شُهُودَ الشَّمْسِ لِضَعِيفِ البَصَرِ وَقْتَ انْتِشَارِ شُعَاعِهَا حَاصِلٌ بِخِلافِ الرُّؤْيَةِ، فَإِنَّهَا غَيْرُ مُتَحَقِّقَةٍ؟

تَنْبِيهٌ: أَنَّ لِلتَّحَقُّقِ بِالدُّخَانِ دَرَجَتَيْنِ، وَأَنَّهُ شَامِلٌ لِعِلْمِ اليَقِينِ وَعَيْنِ اليَقِينِ عَلَى التَّحْقِيقِ الذي ذَكَرْنَاهُ، فَإِنَّهُ مَا لَمْ يَطْوِ جَمِيعَ نُقَطِ الدُّخَانِ فِي التَّحَقُّقِ بِهِ وَلَمْ يَنْتَهِ إِلَى نُقْطَتِهِ الأَخِيرَةِ فَهُوَ عِلْمُ اليَقِينِ، فَإِنَّ كُلَّ نُقْطَةٍ بَقِيَتْ حِجَابٌ مُسْتَلْزِمٌ لِلاسْتِدْلالِ، فَإِذَا تَحَقَّقَ بِجَمِيعِ النُّقَطِ وَانْتَهَى إِلَى النُّقْطَةِ الأَخِيرَةِ خَرَجَ مِنَ الاسْتِدْلالِ؛ لأَنَّ الحُجُبَ قَدِ ارْتَفَعَتْ بِالتَّمَامِ، وَثَبَتَ لَهُ عَيْنُ اليَقِينِ كَنَفْسِ الدُّخَانِ، فَافْهَمْ وَمَاذَا أَكْتُبُ مِنْ حَقِّ اليَقِينِ، فَإِنَّ كَمَالَ تَحَقُّقِهِ مَرْبُوطٌ بِالنَّشْأَةِ الأُخْرَوِيَّةِ، فَإِنْ كَانَ مِنْهُ نَصِيبٌ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ مَخْصُوصٌ بِأَخَصِّ الخَوَاصِّ الذي كَانَ السَّيْرُ الأَنْفُسِيُّ الذي لَهُ مُشَابَهَةٌ بِحَقِّ اليَقِينِ دَاخِلاً عِنْدَهُ فِي عِلْمِ اليَقِينِ، وَكَانَ الأَنْفُسُ لَدَيْهِ فِي حُكْمِ الآفَاقِ، وَصَارَ عِلْمُهُ الحُضُورِيُّ المُتَعَلِّقُ بِالأَنْفُسِ عِلْمًا حُصُولِيًّا، وَحَصَلَ لَهُ عَيْنُ اليَقِينِ فِيمَا وَرَاءَ الآفَاقِ وَالأَنْفُسِ.

وَقَلِيلٌ مَا هُمْ .

خَاتَمُ حَسَنَة فِي بَيَان الحُسْن وَالجَمَال المُحَمَّدِيَّيْن عَلى صَاحبهمَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ، الَّذين هُمَا مُتعَلقُ مَحَبَّة رَبِّ العَالَمينَ ، وَأَنَّه ﷺ كَانَ بذَلكَ الجَمَال مَحْبُوبَ رَبِّ العَالَمينَ جَل شَأْنُهُ.

اعْلَــــــمْ: أَنَّ يُوسُفَ عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَإِنْ كَانَ بالصَّبَاحَة التي كَانَتْ فيه مَحْبُوبَ يَعْقُوبَ عَلَيْه السَّلامُ ، وَلكنَّ نَبيَّنَا خَاتَمَ الرُّسُل عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ بالملاحَة التي هيَ فيه مَحْبُوبُ خَالق الأَرْضِ وَالسَّمَاوَات ، وَخَلقُ الأَرْضِ وَالسَّمَاء وَالمَكَان وَالزَّمَان بطُفَيْلِيَّته ﷺ كَمَا وَرَدَ.

يَنْبَغِــي أَنْ يُعلَـــمَ: أَنَّ الخَلقَ المُحَمَّديَّ لَيْسَ كَخَلق سَائر أَفْرَاد الإِنْسَان ، بَل لا مُنَاسَبَةَ لهُ بخَلق فَرْد منْ أَفْرَاد العَالَم ، وَهُوَ ﷺ مَعَ وُجُود النَّشْأَة العُنْصُرِيَّة خُلقَ منْ نُور الحَقِّ جَل وَعَلا ، كَمَا قَال عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ خُلقْتُ منْ نُور الله " وَهَذه الدَّوْلةُ لمْ تَتيَسَّرْ لغَيْره ﷺ وَبَيَانُ هَذه الدَّقيقَة هُوَ أَنَّهُ قَدْ مَرَّ فيمَا سَبَقَ أَنَّ الصِّفَات الثَّمَانيَةَ الحَقيقيَّةَ الوَاجبيَّةَ وَإِنْ كَانَتْ دَاخلةً في دَائرَة الوُجُوب وَلكنْ فيهَا بوَاسطَة احْتيَاجها إلى حَضْرَة الذَّات رَائحَةُ الإِمْكَان ، فَإِذَا كَانَ في الصِّفَات الحَقيقيَّة القَديمَة مَجَال لرَائحَة الإِمْكَان يَكُونُ في الصِّفَات الإِضَافيَّة الوَاجبيَّة ثُبُوتُ الإِمْكَان بالطَّريق الأَوْلى ، وَعَدَمُ قدَمهَا أَوَّل دَليل عَلى الإِمْكَانيَّة فيهَا ، وَقَدْ عُلمَ بالكَشْف الصَّريح أَنَّ خلقَتَهُ ﷺ نَاشئَةٌ منَ الإِمْكَان الذي هُوَ مُتَعَلقٌ بالصِّفَات الإِضَافيَّة ، لا الإِمْكَان الذي هُوَ كَائنٌ في سَائر أَفْرَاد العَالَم ، وَكُل مَا يُطَالعُ صَحيفَةَ مُمْكنَات العَالم بدقَّة النَّظَر لا يُشَاهدُ وُجُودَهُ ﷺ فيهَا ، بَل يَكُونُ مَنْشَأُ خلقَته وَإِمْكَانه ﷺ في عَالَم المُمْكنَات ، بَل يَكُونُ فَوْقَ هَذَا العلم ، فَلا جَرَمَ لا يَكُونُ لهُ ظل ، وَأَيْضًا إنَّ ظل كُل شَخْص في عَالم الشَّهَادَة الطَفُ منْ ذَلكَ الشَّخْص ، فَإِذَا لمْ يَكُنْ الطَفُ منْهُ ﷺ في العَالَم كَيْفَ تُصُوِّرَ لهُ ظل.

اسْمَعْ: إنَّ صفَةَ العلم منَ الصِّفَات الحَقيقيَّة ، وَدَاخلةٌ في دَائرَة المَوْجُود الخَارجيِّ ، فَإِذَا عَرَضَتْ لَهَا الإِضَافَةُ وَانْقَسَمَتْ بهَا عَلى العلم الإِجْمَاليِّ وَالعلم التَّفْصيليِّ مَثَلاً تَكُونُ تلكَ الأَقْسَامُ منَ الصِّفَات الإِضَافيَّة ، وَدَاخلةً في مَرْتَبَة النَّفْس ، الأَمْرُ التي هيَ مَقَرُّ الصِّفَات الإِضَافيَّة ، وَيُشَاهدُ أَنَّ العلمَ الإِجْمَاليَّ الذي صَارَ منَ الصِّفَات الإِضَافيَّة نُورٌ ظَهَرَ في النَّشْأَة العُنْصُريَّة بَعْدَ الانْصبَاب منَ

الأَصْلاب إلى الأَرْحَامِ المُتَكَثِّرَة بمُقْتَضَى حكَم وَمَصَالح بصُورَة الإنْسَان الذي هُوَ عَلى أَحْسَنِ تَقْويم ، وَصَارَ مُسَمًّى بمُحَمَّد وَأَحْمَدَ.

يَنْبَغي أَنْ يَستَمعَ كَمَال الاسْتمَاعِ ، إنَّ هَذَا القَدْرَ منَ الإجْمَال وَإنْ جَعَل العلمَ الطَّلقَ مُقَيَّدًا وَأَخْرَجَهُ منَ الحَقيقَة إلى الإضَافَة ، وَلكنْ لَمْ تَحْصُل منْهُ زيَادَةٌ في المُقَسَّمِ أَصْلاً ، وَلَمْ يُقَيِّدْهُ شَيْءٌ قَطْعًا ، فَإنَّ إجْمَال العلمِ نَفْسُ العلمِ ، لا إنَّهُ أَمْرٌ زَائدٌ مُنْضَمٌّ إلى العلمِ ، بخلاف تَفْصيل العلمِ ، فَإنَّهُ يَقْتَضي جُزْئيَّات مُتَكَثِّرَةً حَتَّى يَتَصَوَّرَ التَّفْصيل وَالعَجَبَ منْ قَيْد كَانَ مَظْهَرًا للإطْلاق وَالعَجَب منْ مُقَيَّد صَارَ نَفس المُطلق يَنْبَغي أَنْ يُلاحظَ مثْلَ هَذه اللطَافَة في مُطْلَق العلم بالنِّسْبَة إلى الذَّات فَإنَّهُ يُمْكنُ أَنْ يَكُونَ العلمُ نَفْسَ العَالمِ وَنَفْسَ المَعْلومِ ، كَمَا أَنَّهُ كَائنٌ في العلم الحُضُوريِّ بخلاف صفَات آخرَ فَإنَّها لَيْسَتْ فيه هَذه القَابليَّةُ ، فَإنَّهُ لا يُمْكنُ أَنْ يُقَال إنَّ القُدْرَةَ عَيْنُ القَادرِ ، وَعَيْنُ المَقْدُورِ ، وَالإرَادَةَ عَيْنُ المُريد وَعَيْنُ المُرَاد ، فَللعلمِ اتِّحَادٌ مَعَ ذَات العَالمِ وَاضمحْلال فيه لَيْسَ ذَلكَ لغَيْره يَنْبَغي أَنْ يُدْركَ منْ هَهُنَا قُرْبَ أَحْمَدَ منَ الأَحَد ، فَإنَّ الوَاسطَةَ بَيْنَهُمَا صفَةُ العلمِ التي لَهُ اتِّحَادٌ بالمَطْلوبِ ، فَكَيْفَ يَكُونُ للحجَابيَّة فيهَا مَجَال؟ وَأَيْضًا في العلمِ حُسْنٌ ذَاتيٌّ لَيْسَ هُوَ

لغَيْره منَ الصِّفَات ، وَلهَذَا أَحَبُّ صفَات الوَاجب عنْدَ الحَقِّ جَل وَعَلا بزَعْمِ هَذَا الفَقير هُوَ صفَةُ العلمِ ، وَحَيْثُ إنَّ في حُسْنه شَائبَةَ اللاكَيْفيَّة فَالحسُّ قَاصرٌ عَنْ إدْرَاكه ، وَإدْرَاكُ ذَاكَ الحُسْنِ عَلى وَجْه التَّمَام مَرْبُوطٌ بالنَّشْأَة الأُخْرَويَّة التي هيَ مَوْطنُ الرُّؤْيَة ، فَإذَا رَأَوُا اللهَ عَزَّ وَجَل يُدْركُونَ جَمَال مُحَمَّد ﷺ وَإنْ أَعْطَى يُوسُفَ عَلَيْه السَّلامُ في هَذه النَّشْأَة ثُلثَي الحُسْنِ وَقَسَمَ الثُّلثَ البَاقيَ للكُل ، وَلكنَّ الحُسْنَ في النَّشْأَة الأُخْرَويَّة هُوَ الحُسْنُ المُحَمَّديُّ ، وَالجَمَال هُوَ الجَمَال المُحَمَّديُّ عَليْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ، فَإنَّهُ مَحْبُوبُ الحَقِّ جَل سُلطَانُهُ ، وَكَيْفَ يَكُونُ لحُسْنِ الآخرينَ مُشَارَكَةٌ بحُسْنِ صفَة العلمِ ، فَإنَّ حُسْنَهَا بوَاسطَة اتِّحَادهَا بالمَطْلوب عَيْنُ حُسْنِ المَطْلوب ، وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ هَذَا الاتِّحَادُ لغَيْرهَا لَيْسَ فيه هَذَا الحُسْنُ ، فَالخلقَةُ المُحَمَّديَّةُ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ مَعَ وُجُود الحُدُوث مُسْتَندَةٌ إلى قدَمِ الذَّات تَعَالتْ ، وَكَانَتْ أَحْكَامُهَا أَيْضًا مُنْتَهيَةً إلى وُجُوب الذَّات ، وَكَانَ حُسْنُهُ حُسْنَ الذَّات منْ حَيْثُ إنَّهُ لَيس فيه شَائبَةٌ غَيْرُ الحُسْنِ ، فَلمَّا كَانَ كَذَلكَ صَارَ مُتَعَلقَ المَحَبَّة الجَميل المُطْلقُ ، وَكَانَ مَحْبُوبُهُ " أَنَّ اللهَ جَميل يُحبُّ الجَمَال ".

فَإِنْ قِيـــل: إنَّ قَوْلَهُ تَعَالى {يُحِبُّهُمْ}(١): يَدُل عَلى أَنَّ مَحَبَّةَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ مُتَعَلقٌ بغَيْره ﷺ أَيْضًا ، وَيَكُونُ الآخَرُونَ أَيْضًا مَحْبُوبيه سُبْحَانَهُ وَتَعَالى ، فَمَا وَجْهُ تَخْصِيصه ﷺ مَعَ كَوْنهَا مَوْجُودَةً في غَيْره؟

قُلتُ المَحَبَّةُ قسْمَان قسْمٌ يَتَعَلقُ بذَات المُحب ، وَقسْمٌ يَتَعَلقُ بغَيْر ذَاته ، وَالقسْمُ الأَوَّل مَحَبَّةٌ ذَاتيَّةٌ ، وَهيَ أَعْلى أَقْسَام المُحبَّة ، فَإِنَّهُ لا يُحبُّ أَحَدٌ شيئًا مثْل حُبِّه لنَفْسه ، وَأَيْضًا هَذَا القسْمُ منَ المَحَبَّة أَحْكَمُ وَأَوْثَقُ ، فَإِنَّهَا لا تَزُول بعُرُوض عَارض ، وَأَيْضًا مُتَعَلقُ هَذَا القسْم مَحْبُوبٌ صرْفٌ ليْسَتْ فيه شَائبَةُ المُحبيَّة بخلاف القسْم الثَّاني فَإِنَّهَا عَرَضيَّةٌ وَقَابلَةٌ للزَّوَال ، وَمُتَعَلقُهُ وَإِنْ كَانَ منْ وَجْه مَحْبُوبًا وَلكنْ فيه مُحبيَّةٌ أَيْضًا منْ وُجُوه مُتَعَدِّدَة ، وَحَيْثُ كَانَ حُسْنُ خَاتَم الرُّسُل وَجَمَالُهُ عَليْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ مُسْتَندَيْن إلى حُسْن حَضْرَة الذَّات تَعَالتْ وَجَمَالهَا كَمَا مَرَّ ، يَكُونُ القسْمُ الأَوَّل الذي هُوَ مُتَعَلقٌ بالذَّات مُتَعَلقًا به عَليْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ بالضَّرُورَة ، وَيَكُونُ ﷺ يَتَعَلقُ المَحَبَّةَ كَالذَّات مَحْبُوبًا صرْفًا ، وَلمَّا لمْ تَكُنْ هَذه الدَّوْلةُ مُيَسَّرَةً لغَيْره ، وَقَل نَصيبُهُمْ منَ الحُسْن الذَّاتيِّ ، يَتَعَلقُ بهمْ منَ المَحَبَّة القسْمُ الثَّاني ، وَيَجْعَلهُمْ مَحْبُوبًا منْ وَجْه ، وَالمَحْبُوبُ المُطْلقُ هُوَ النَّبيُّ ﷺ؛ فَإِنَّهُ كَذَات المُحب مَحْبُوبٌ دَائمًا ، وَيَكُونُ مَحْسُوسًا ، إنَّ غَلبَةَ المَحَبَّة التي هيَ في مُوسَى للحَقِّ سُبْحَانَهُ ، وَكَانَ هُوَ بتلكَ المَحَبَّة رَئيسَ المُحبِّينَ مثْلهَا في الحَقِّ سُبْحَانَهُ لحَضْرَة خَاتَم الرُّسُل عَليْه وَعَليْهمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ، وَكُل مَا يَغُوصُ هَذَا الفَقيرُ في بَحْر هَاتَيْن المُحبَّتَيْن ليُدْركَ التَّفَاوُتَ بَيْنَهُمَا قُوَّةً وَضَعْفًا ، وَيَجدُ المُحبَّةَ التي هيَ في الخَالق أَشَدَّ منْ مَحَبَّة المَخْلوق بحُكْم {أَلا إنَّ حـــزْبَ الله هُمُ الغَالبُون}(٢).

لا يَظْهَرُ التَّفَاوُتُ أَصْلاً ، وَكَأَنَّ هَاتَيْن المُحبَّتَيْن وُزنَتْ بميزَان أَنَّ العَدَالة مُتَسَاويَتَيْن وَلمْ يَقَعْ بَيْنَهُمَا تَفَاوُتٌ بالزِّيَادَة وَالنُّقْصَان مقْدَارَ شَعْرَة.

فَإِنْ قِيـــل: إنَّ الصُّوفيَّة العَاليَّةَ حَكَمُوا بكَوْن تَمَام أَفْرَاد العَالم مَظَاهرَ الأَسْمَاء الإلهيَّة وَمَجَاليهَا ، وَوَجَدُوا حَقَائقَ الأَشْيَاء عَيْنَ تلكَ الأَسْمَاء ، وَاعْتَقَدُوا أَنَّ الأَشْيَاءَ ظلال الأَسْمَاء ، فَجَعَلوا تَمَامَ العَالم ظُهُورَ الأَسْمَاء الإلهيَّة ، فَمَا وَجْهُ تَخْصيص ظُهُور بَعْض الأَسْمَاء بخلقته ﷺ كَمَا مَرَّ؟

---

(١) ــ الآية: ٥٤ من سورة المائدة.

(٢) ــ الآية: ٥٦من سورة المائدة. (فإن حزب الله هم الغالبون)

قُلتُ إنَّ حَقَائقَ الأَشْيَاء عِنْدَ الصُّوفيَّة هيَ الأَعْيَانُ الثَّابتَةُ التي هِيَ عبَارَةٌ عَن الصُّوَر العلميَّة للأَسْمَاء الإلهيَّة، لا الأَسْمَاءُ الإلهيَّةُ أَنْفسُهَا، وَقَالوا إنَّ هَذَا العَالَمَ هُوَ ظُهُورُ تلكَ الصُّوَر العلميَّة، وَإنْ قَالوا إنَّهُ ظُهُورُ الأَسْمَاء أَيْضًا عَلى سَبيل التَّجوُّز، بَل الصُّورَةُ العلميَّةُ للشَّيْء عنْدَهُمْ عَيْنُ ذَلكَ الشَّيْء، لا شَبَحُ ذَلكَ الشَّيْء وَمثَالهُ، وَمَا قَالهُ هَذَا الفَقيرُ في خلقَته ﷺ ظُهُورُ نَفس الاسْم الإلهيِّ جَل شَأْنُهُ، لا ظُهُورُ الصُّورَة العلميَّة لذَلكَ الاسْم، شَتَّانَ مَا بَيْنَ نَفس الشَّيْء وَبَيْنَ صُورَته العلميَّة، أَلا تَرَى أَنَّ النَّارَ إذَا تَصَوَّرَتْ في الأَذْهَان أَيْنَ لَهَا الأَشْوَاقُ وَالإضَاءَةُ وَقَدْ كَانَ كَمَال النَّار وَجَمَالهَا هُوَ الإشْرَاقَ وَالإضَاءَةَ، وَلَيْسَ في صُورَتهَا العلميَّة غَيْرُ شَبَحهَا، وَمثَالهَا قَبْلهُ أَرْبَابُ المَعْقُول أَوَّلاً، بَل قَالوا إنَّهَا عَيْنُ النَّار، وَلَكنَّ كَشْفَنَا الصَّريحَ مَكْذُوبٌ لقَوْل مَنْ قَال بالعَيْنيَّة، وَصُورَةُ النَّار العلميَّةُ لَيْسَتْ غَيْرَ شَبَح النَّار المَوْجُودَة في الخَارج، وَيَكُونُ مَحْسُوسًا أَنَّ كُل مَا هُوَ ظُهُورُ الصُّوَر العلميَّة للأَسْمَاء إمْكَانُهُ وَوُجُودُهُ منْ قَبيل إمْكَان العَالم وَوُجُوده الذي تَحقَّقَ لهُ ثَبَاتٌ وَتَقَرُّرٌ بصُنْع الله تَعَالى في مَرْتَبَة الوَهْم، وَمَا هُوَ ظُهُورُ الاسْم الإلهيِّ كَمَا مَرَّ في خلقَته ﷺ إمْكَانُهُ منْ قَبيل إمْكَان الصِّفَات الإضَافيَّة، وَوُجُودُهُ أَيْضًا مثْل وُجُود تلكَ الصِّفَات في نَفْس الأَمْر، وَلا يَقعُ النَّظرُ عَلى أَحَد يَكُونُ ظُهُورًا للاسْم الإلهيِّ جَل سُلطَانُهُ غَيْرَ النَّبيِّ ﷺ إلا القُرْآنَ المَجيدَ فَإنَّهُ أَيْضًا ظُهُورُ نَفس اسْم إلهيٍّ كَمَا ذَكَرَتْ شمَّة منْهُ فيمَا سَبَقَ غَايَةً مَا في البَاب أَنَّ مَنْشَأَ الظُّهُور القُرْآنيِّ منَ الصِّفَات الحَقيقيَّة، وَمَنْشَأَ الظُّهُور المُحَمَّديِّ منَ الصِّفَات الإضَافيَّة، فبالضَّرُورَة قَالوا لذَلكَ قَديمًا، وَغَيْرُ مَخْلوق، وَلهَذَا حَادثًا وَمَخْلوقًا، وَمُعَامَلةُ الكَعْبَة الرَّبَّانيَّة أَعْجَبُ منْ هَذَيْن الظُّهُورَيْن الاسْميَّيْن، فَإنَّ هُنَاكَ ظُهُورَ مَعْنًى تَنْزيهيٌّ بلا كُسْوَة الصُّوَر وَالأَشْكَال، فَإنَّ الكَعْبَةَ التي هيَ مَسْجُودٌ إليْهَا لجَميع الخَلائق لَيْسَتْ بعبَارَة عَن الحَجَر وَالمَدَر، وَلَيْسَتْ هيَ أَيْضًا سَقْفًا وَجُدَرًا، فَإنَّهُ لوْ لَمْ تَكُنْ هَذه فَرْضًا تَكُونُ الكَعْبَةُ كَعْبَةً بَاقيَةً عَلى حَالهَا وَمَسْجُودًا إليْهَا، فَهُنَاكَ ظُهُورٌ وَلا صُورَةَ أَصْلاً، وَهَذَا منْ أَعْجَب العَجَائب.

اسْمَع اسْمَعْ، إنَّهُ وَإنْ لَمْ يَكُنْ لأَحَد شَركَةٌ في هَذه الدَّوْلة الخَاصَّة المُحَمَّديَّة، لكنْ يُدْركُ هَذَا القَدْرَ أَنَّهُ قَدْ بَقيَتْ بَقيَّةٌ منْ تلكَ الدَّوْلَة وَهيَ الخَاصَّةُ به بَعْدَ تَخْليقه وَتَكْميله عَليْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، فَإنَّ الزِّيَادَةَ وَالفَضْلَةَ منْ لوَازم خوَان ضيَافَة الكُرَمَاء لتَكُونَ نَصيبًا للخَدَم، وَحصَّةً فَأُعْطيَهَا وَاحدٌ منْ أُمَّته ﷺ وَجُعلَتْ خَميرَ طينَته، وَجُعل بتَبَعيَّته وَورَاثَته شَريطَ دَوْلَته الخَاصَّة به عَليْه

وَعَلى آلِه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ (ع):

لا عُسْرَ في أَمْرٍ منَ الكرَام

وَهَذه البَقيَّةُ كَبَقيَّة طينَة آدَمَ عَلَيْه السَّلامُ حَيْثُ كَانَتْ نَصيبًا لخلقَة النَّخْلَة، كَمَا قَال عَلَيْه وَعَلى آلِه الصَّلاةُ أَكْرِمُوا عَمَّتَكُمُ النَّخْلَةَ فَإنَّهَا خُلقَتْ منْ بَقيَّة طينَة آدَمَ بَلى " (ع):

وَللأَرْضِ منْ كَأْسِ الكرَام نَصيب

فَإنْ قيــــل: قَدْ جَعَل الشَّيْخُ مُحْيي الدِّين بْنُ عَرَبيٍّ وَأَتْبَاعُهُ الحَقيقَةَ المُحَمَّديَّةَ عبَارَةً عَنْ حَضْرَة إجْمَال العلم، وَقَالوا لَهُ تَعَيُّنًا أَوَّلاً وَتَجَليًا ذَاتيًّا، وَاعْتَقَدُوا مَا فَوْقَهُ التَّعَيُّنُ الذي هُوَ حَضْرَةُ الذَّات البَحْت، وَأَنْتَ جَعَلتَهُ قسْمًا منَ العلمِ، وَأَدْخَلتَهُ في الصِّفَات الإضَافيَّة التي هيَ دُونَ الصِّفَات الحَقيقيَّة، فَمَا وَجْهُ ذَلكَ؟

قُلتُ إنَّ الشَّيْخَ مُحْيي الدِّين بْنَ العَرَبيِّ لا يَقُول بوُجُود مَوْجُود في الخَارِجِ غَيْر أَحَديَّة الذَّات المُجرَّدَة، وَلا يُثْبتُ الوُجُودَ للصِّفَات وَلوْ كَانَتْ حَقيقَة في غَيْر العلم، فَيَكُونُ التَّعَيُّنُ الأَوَّل عنْدَهُ بالضَّرُورَة علمًا إجْمَاليًّا، وَتَصَوُّرُ ثُبُوت الصِّفَات بَعْدَهُ، فَإنَّ ثُبُوتَهَا فَرْعُ ثُبُوت العلم، فَإنَّهُ لا يَقُول بثُبُوتهَا في غَيْر العلم فَيَكُونُ العلمُ أَسْبَقَ منَ الكُل، وَجَامعًا لجَميع الكَمَالات، وَالذي صَارَ مَكْشُوفًا لدَى الفَقير هُوَ أَنَّ الصِّفَات الحَقيقيَّةَ الثَّمَانيَةَ كَالذَّات مَوْجُودَةٌ في الخَارِج، وَالتَّفَاوُتُ إنَّمَا هُوَ باعْتبَار المَرْكَزيَّة وَعَدَم المَرْكَزيَّة كَمَا مَرَّ، وَهَذَا القَوْل مُوَافقٌ لآرَاء عُلمَاء أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة، شَكَرَ اللهُ سَعْيَهُمْ، حَيْثُ قَالوا إنَّ وُجُودَ الصِّفَات زَائدَةٌ عَلى وُجُود الذَّات، وَعَلى هَذَا التَّقْدير لا مَعْنَى لجَعْل التَّعَيُّن الأَوَّل عبَارَةً عَن العلم الإجْمَاليِّ، بَل لا مَجَال لإطْلاق التَّعَيُّن أَيْضًا، وَأَسْبَقُ جَميع الصِّفَات صفَةُ الحَيَاة، وَصفَةُ العلم تَابعَةٌ لهَا، فَتَقْديمُ العلم عَلَيْهَا غَيْرُ مُتَصَوَّر، خُصُوصًا إذَا انْضَمَّ قَيْدٌ إلى العَلمِ، فَإنَّهُ أَدْوَنُ منْ مُطْلَق العلمِ، وَدَاخل في الإضَافيَّة كَمَا مَرَّ، نَعَمْ إذَا قَالوا للعلمِ الإجْمَاليِّ أَنَّهُ تَعَيُّنٌ أَوَّل للعلمِ، فَلهُ مَسَاغٌ، وَيَكُونُ تَعَيُّنُهُ الثَّاني علمًا تَفْصيليًّا.

فَإنْ قيــــل: إنَّ الشَّيْخَ مُحْيي الدِّين قَال للعلم الإجْمَاليِّ أَنَّهُ حَقيقَةٌ مُحَمَّديَّةٌ، وَاعْتَقَدَ هَذه النَّشْأَةَ العُنْصُريَّةَ ظُهُورَهُ، فَلهُ مُرَادُهُ منَ الظُّهُور ظُهُورُ نَفْسِ الاسْمِ، كَمَا قُلتُ، أَوْ ظُهُورُ صُورَة ذَلكَ الاسْمِ، كَمَا هُوَ في سَائرِ المُمْكنَات.

قُلتُ مُرَادُهُ ظُهُورُ صُورَةِ الاسْمِ، فَإنَّ التَّعَيُّنَ الأَوَّل عنْدَهُ قُدِّسَ سرُّهُ تَعَيُّنٌ علميٌّ، فَإنَّهُ قَال للتَّعَيُّنَيْنِ الأَوَّلَيْنِ تَعَيُّنًا علميًّا، وَللتَّعَيُّنَات الثَّلاثَة الأَخيرَة تَعَيُّنًا خَارجيًّا، وَالتَّعَيُّنُ العلميُّ هُوَ صُورَةُ شَأن العَلمِ الذي قَال إنَّهُ عَيْنُ الذَّات في الخَارجِ، وَأَثْبَتَ صُورَتَهُ في العلمِ، وَتلكَ الصُّورَةُ العلميَّةُ التي هِيَ الحَقيقَةُ المُحمَّديَّةُ ظَهَرَتْ في النَّشْأَة العُنْصُريَّة بصُورَة إنْسَانيَّة مُحَمَّديَّة.

وَبالجُمْلة: إنَّ كُل مَقَام فيه ظُهُورٌ فَهُوَ ظُهُورُ الصُّورَة العلميَّة عنْدَ الشَّيْخِ وَإنْ كَانَتْ صفَاتُ الوَاجب جَل شَأنُهُ، فَالصِّفَاتُ لا وُجُودَ لَهَا عنْدَهُ في غَيْرِ العِلمِ، وَلا مَوْجُودَ عنْدَهُ في الخَارجِ غَيْرَ الذَّات البَحْت.

فَإنْ قيـــــل: في تلكَ المَرْتَبَة اتِّحَادُ العلم وَالعَالمِ وَالمَعْلوم، وَحَاصل ذَلكَ هُوَ العلمُ الحُضُوريُّ، فَلا يَكُونُ لصُورَةِ الاسْمِ هُنَاكَ مَجَال، لأنَّ حُصُول الصُّورَة إنَّمَا هُوَ فِي العِلمِ الحُصُوليِّ، وَالحَاضرُ فِي العلمِ الحُضُوريِّ هُوَ نَفْسُ المَعْلومِ لا صُورَتُهُ.

قُلتُ إنَّ تلكَ المَرْتَبَةَ لَيْسَتْ هيَ مَرْتَبَةُ الذَّات البَحْت، وَلهَذَا قَال لَهَا تَعَيُّنًا وَتَنَزُّلاً، فَلا تَكُونُ مَوْجُودَةً في الخَارجِ، فَإذَا لمْ تَكُنْ مَوْجُودَةً في الخَارجِ لا بُدَّ لَهَا منَ الثُّبُوت العلميِّ، وَلهَذَا قَال لَهَا تَعَيُّنًا علميًّا وَلا بُدَّ للثُّبُوت العلميِّ منْ صُورَة المَعْلومِ، فَلزِمَ منْ هَذَا البَيَان أنَّ في العلمِ الحُضُوريِّ أَيْضًا صُورَةً للمَعْلوم مَعَ وُجُود حُضُور نَفْسِ المَعْلومِ، وَأَنَّ الحَاضرَ لَيْسَ هُوَ المَعْلومَ الخَالصَ، بَل تَطَرَّقَ إليْه الاعْتبَارُ، وَأَخْرَجَهُ منَ النَّفْسِ إلى الصُّورَة، وَلا يُدْركُ فَهْمُ كُل أَحد هَذه الدِّقَّةَ، وَمَنْ لمْ يَصل إلى الذَّات البَحْت بوُصُول لا كَيْفيٍّ لا يُدْركُ هَذه الدَّقيقَةَ، سُبْحَانَ الله، أيُّ قُدْرَة وَاسْتطَاعَة لمثْلي الفَقيرِ العَاجز المُتَأَخِّرِ أَنْ يَتَكَلمَ بمَعَارف أَكَابرِ الأَنْبيَاء أُولي العَزْمِ بَعْدَ ألف سَنَة منْ بَعْثَة خَاتَمِ الرُّسُل عَليْه وَعَليْهمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، وَيُبَيِّنُ دَقَائقَ كمَالات المَبْدَأ في شَفيرِ المَعَاد

وَلكنْ سَيِّدي أَعْلى مَقَامي فَحَقَّتْ لي مُبَاهَاتي الهلال
كَأَنِّي تُرْبَةٌ فيهَا سَحَابُ الـ رَّبيع مُمْطِّرٌ مَاءَ زُلالا
فَلوْ لي ألفُ السنة وَأُثْني بهَا مَا ازْدَدْتُ إلا انْفعَالا

{الحَمْدُ لله الذي هَدَانَا لهَذَا وَمَا كُنَّا لنَهْتَديَ لوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ لقَدْ جَاءَتْ رُسُل رَبِّنَا بالحَقِّ}(١).

وَقَدْ كَانَ فِي خَاطِرِي أَنْ أَكْتُبَ شمَّةً منْ بَيَانِ الصَّبَاحَة وَالمَلاحَة الوَاردَتَيْنِ

(١) ــ الآية: ٤٣ من سورة الأعراف.

فِي الحَدِيثِ النَّبوِيّ: "**أَخِي يُوسُفُ أَصْبَحُ وَأَنَا أَمْلَح**" وَأَنْ أَتَكَلَّمَ فِي هَذَا البَابِ بالرَّمْزِ وَالإِشَارَة، وَلَكِنْ رَأَيْتُ أَنَّ الرَّمْزَ وَالإِشَارَةَ قَاصِرٌ فِي أَدَاءِ المَقْصُود، وَالمُسْتَمِعُونَ عَاجِزُونَ عَنْ فَهْمِه، وَمُقَطَّعَاتُ الحُرُوف القُرْآنِيَّةُ كُلُّهَا رُمُوزٌ وَإِشَارَاتٌ إِلى حَقَائِقِ الأَحْوَال، وَدَقَائِقِ الأَسْرَارِ الكَائِنَة بَيْنَ المُحِبِّ وَالمَحْبُوب، وَلَكِنْ مَن الذي يُدْرِكُهَا وَيَفْهَمُهَا، وَالعُلَمَاءُ الرَّاسِخُونَ الذِينَ حُكْمُهُمْ حُكْمُ خُدَّامِ حَبِيبِ رَبِّ العَالَمِينَ وَغِلْمَانِه، وَإِنْ كَانَ لَهُمُ اطِّلَاعٌ عَلَيْهَا، لَمَّا أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِلخُدَّامِ اطِّلَاعٌ عَلَى بَعْضِ أَسْرَارِ مَخَادِيمِهِمُ الخَفِيَّة، بَل يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ بَيْنَ الخَادِمِ وَالمَخْدُومِ مُعَامَلَةٌ بِطَرِيقِ تَبَعِيَّتِه لِلمَخْدُوم، وَأَنْ يَكُونَ الخَادِمُ شَرِيكًا لَهُ فِي دَوْلَتِه الخَاصَّة بِه بِتَطَفُّلِه، وَلَكِنَّهُمْ لَوْ أَظْهَرُوا شَمَّةً مِنْ هَذَا البَيَانِ يَكُونُونَ خَوَنَةً وَمُهْلِكِينَ أَنْفُسَهُمْ، وَيَصْدُقُ فِي حَقِّهِمْ قَطْعُ البُلْعُومِ الذِي قَالَه

أَبُو هُرَيْرَة ﷺ، يَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي، نَفَدَ الوَقْت {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ}(١)، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى سَائِرِ مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى، عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه وَأَصْحَابِه البَرَرَةِ التُّقَى.

---

(١) ــ الآية: ٢٨٦ من سورة البقرة.

المَكْتُوبُ الثَّالثَ عَشَرَ وَالخَمْسُمائَة
إلى الشَّيْخ عَبْد الله
فِي المَنْعِ مِنْ تَفْسِيرِ آيَاتِ القُرْآنِ وَتَأْوِيلِهَا عَلى طِبْقِ مَذَاقِ الفَلاسِفَة

سَلمَكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَعَافَاكُمْ مِنَ البَلِيَّات، قَدْ أَرْسَلتَ كِتَابَ تَبْصِرَة الرَّحْمَنِ الذي كُنْتُمْ أَرْسَلتُمُوهُ، وَقَدْ طَالعْتُ بَعْضَ مَوَاضِعِهَا، فَوَجَدْتُ أَنَّ لمُصَنِّفه مَيْلاً عَظِيمًا إلى مَذْهَب الفَلاسِفَة، بحَيْثُ يَكَادُ يَجْعَل الحُكَمَاءَ مُسَاوِينَ للأَنْبِيَاء، عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، ووَقَعَ النَّظَرُ عَلى آيَة فِي سُورَة هُود قَدْ فَسَّرَهَا عَلى طَرْز الحُكَمَاء، خلافَ طَوْرِ الأَنْبِيَاء، وَسَوَّى بَيْنَ قَوْل الحُكَمَاء وَالأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ السَّلامُ، وَقَال فِي بَيَان مَعْنَى هَذه الآيَة: أُولئكَ الذينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي باتِّفَاق الأَنْبِيَاء وَالحُكَمَاء إلا النَّارُ الحسيُّ أَو العَقْليُّ إلخ، وَأَيْنَ المَجَال لاتِّفَاق الحُكَمَاء مَعَ وُجُود إجْمَاع الأَنْبِيَاء، وَأَيُّ اعْتِبَارٍ فِي قَوْلِهِمْ فِي العَذَاب الأُخْرَوِيِّ، خُصُوصًا إذَا كَانَ مُخَالفًا لقَوْل الأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ السَّلامُ، وَمَقْصُودُ الفَلاسِفَة مِنْ إثْبَات العَذَاب العَقْليِّ هُوَ رَفْعُ العَذَاب الحِسِّيِّ الذي وَقَعَ إجْمَاعُ الأَنْبِيَاء عَلى ثُبُوته، وَبَيْنَ الآيَات القُرْآنيَّة مُوَافقًا لمَذَاق الحُكَمَاءِ فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ أَيْضًا، وَإنْ لَمْ يَكُنْ مُخَالفًا للمَذْهَب المُبَيَّن، فَمُطَالعَة هَذَا الكِتَاب لا يَخْلو عَنْ مَضَرَّات خَفيَّة بَل جَليَّة، وَاعْتَقَدْنَا إظْهَارَ هَذَا المَعْنَى لازِمًا، وَكَتَبْنَا فِي ذَلكَ كَلمَاتٍ، وَإنْ كَانَتْ تَصْديعًا، وَالسَّلامُ.

المَكْتُوبُ الرَّابِعَ عَشَرَ وَالخَمْسُمائَة
إلى جَنَاب المِير مُحَمَّد نُعْمَان
فِي التَّرْغِيبِ فِي المُجَاهَدَاتِ وَالانْزِوَاءِ وَتَرْبِيَةِ طَالِبي الحَقِّ جَل وَعَلا

الحَمْدُ للهِ، وَسَلامٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى:

اعْلَـــــمْ: أنَّ أحْوَال هَذه الحُدُود وَأوْضَاعَهَا مُسْتَوْجبَةٌ للحَمْد، للهِ سُبْحَانَهُ الحَمْدُ وَالمنَّةُ دَائمًا وَعَلى كُلِّ حَال، وَلمْ أطَّلعْ عَلى أحْوَالكُمْ منْ مُدَّة مَديدَة، وَالمَرْجُوُّ أنَّكُمْ قَلبْتُمْ ذَلكَ الوَرَقَ، وَبَدَّلتُمُ الكَسَل بالعَمَل، وَتَوَجَّهْتُمْ منَ الفَرَاغِ إلى المُجَاهَدَة، فَإنَّ الوَقْتَ وَقْتُ العَمَل وَالاشْتغَال لا مَوْسمُ الأكْل وَالمَنَام، يَنْبَغي إعْدَادُ نصْف الليْل للنَّوْم، وَالنِّصْف الآخر للطَّاعَة وَالعبَادَة، فَإنْ لمْ يَكُنْ قُدْرَةٌ اخْتيَار هَذه الهمَّة يَنْبَغي أنْ يَلتَزمَ ثُلثُ الليْل منَ النِّصْف إلى السُّدْس، يَنْبَغي أنْ يَسْعَى لئَلا يَقَعَ فُتُورٌ في دَوَام هَذه الدَّوْلة، وَيَنْبَغي أنْ يَخْتَلطَ بالنَّاس، وَأنْ يَنْبَسطَ إليْهمْ مقْدَارَ مَا تُؤَدَّى به حُقُوقُهُمْ، الضَّرُورَةُ تُقَدَّرُ بقَدْرهَا، وَالانْبسَاطُ إلى الخَلائق زيَادَةً عَلى قَدْر الحَاجَة منَ الفُضُول، وَدَاخل فيمَا لا يَعْني، وَرُبَّمَا يَتفرَّعُ عَليْه مَضَرَّاتٌ كَثيرَةٌ، وَيَصيرُ دَاخلاً في مَحْظُورَات الشَّريعَة، وَالطَّريقَةُ وَالشَّيْخُ الذي يُفرِّطُ في الانْبسَاط إلى المُريدينَ يُخرجُهُمْ منَ الإرَادَة بالضَّرُورَة، وَيُوقعُ الفُتُورَ في طَلبهمْ، عيَاذًا بالله سُبْحَانَهُ منْ ذَلكَ، يَنْبَغي أنْ يُدْركَ قُبْحَ هَذَا المَعْنَى، وَأنْ يَسْلكَ بالطَّالبينَ عَلى وَجْه يَكُونُ سَبَبًا لأُنْسهمْ وَالفتهمْ، لا مُوجبًا لنُكْرَتهمْ وَنَفْرَتهمْ، وَالانْزوَاءُ منَ الخَلائق ضَروريٌّ، فَإنَّ الاخْتلاطَ وَالائْتلافَ مَعَهُمْ بلا دَاعٍ وَلا حَاجَة سُمٌّ قَاتل، وَهَذَا المَعْنَى مُيَسَّرٌ لكُمْ بتَوْفيق الله تَعَالى بالسُّهُولة، وَمَاذَا يَصْنَعُ أرْبَابُ الابْتلاء فَإنَّهُمْ مَشْغُولونَ مَعَ أرْبَاب التَّفْرقَة دَائمًا؟ يَنْبَغي لكُمْ أنْ تَعْرفُوا قَدْرَ هَذه النِّعْمَة وَالعَمَل بمُقْتَضَاهَا، وَعَليْكُمْ بكَمَال الاسْتخْبَار عَنْ حَال الطَّالبينَ، وَبالتَّوَجُّه إلى تَرْبيَتهمْ ظَاهرًا وَبَاطنًا، وَمَا أكْتُبُ أزْيَدُ منْ ذَلكَ

المَكْتُوبُ الخَامِسَ عَشَرَ وَالخَمْسُمائَة
إلى الشَّيْخِ حُمَيْد الأَحْمَديِّ
في التَّرْهِيب عَنْ قُصُورِ الأَحْوَال
وَالتَّرْغِيب في حُصُول التَّكْمِيل وَالكَمَال

الحَمْدُ لله ، وَسَلامٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى ، قَدْ سَرَّ مَكْتُوبُ أَخي الأَعَزِّ الشَّيْخِ حُمَيْد بِوُصُوله ، مَا أَعْظَمَ نعْمَةَ حُصُول الرَّغْبَة في جَنَاب قُدْسِ الحَقِّ جَل سُلطَانُهُ ، وَالبُرُودَةَ عَمَّا سِوَاهُ تَعَالى لجَمَاعَة في صُحْبَة شَخْصٍ في مِثْل هَذَا الزَّمَان المَمْلوءِ مِنَ الفِتَنِ ، وَمَعَ ذَلكَ لا يَغْتَرُّ ذَلكَ الأَخُ بِهَذِهِ الدَّوْلة ، وَلا يَكُونُ فَارِغًا مَنْ شُغْله:

هنوز دهلى دوراست

مَثَل مَشْهُورٌ ، يَعْني الدِّهْليُّ بعيد بَعْدَ وَلا يَعْلمُ هَل تَمَّ وَاحدٌ منَ المائَة أَمْ لا؟ وَهَذه الأَحْوَال التي تَحْصُل للطَّالبينَ في الابْتدا وَتُورِثُهُم ذَوْقًا وَلذَّةً منْ قَبيل تَمْرِينِ الأَطْفَال بتَعْليم الف وَبَا ، وَالأَمْرُ أَنْ يُجَاوِزَ التَّهَجِّيَ ، وَالوُصُول إلى مَرْتَبَة المَوْلويَّة ، والتَّرَقِّي مِنَ الأَذْوَاق وَالالتذَاذَات، وَالدُّخُول إلى الولايَة الخَاصَّة

وَذَا إيوَان الاسْتعْلاء عَال ... فَإيَّاكُمْ وَأَخْطَارَ الوصَال

وَعَلَيْكُمْ بتَعْمير الأَوْقَات ، وَالتَّحَلي بالشَّريعَة وَالطَّريقَة ظَاهِرًا وَبَاطنًا ، وَاعلَمْ أَنَّ تَكْميل الغَيْر فَرْعُ كَمَال الإنْسَان نَفْسه ، وَهُوَ دَرَجَةُ الوَلايَة الخَاصَّة ، وَلكنْ إذَا ظَهَرَ في الصُّحْبَة رُشْدٌ في الطَّالبينَ ، وَحَصَلتْ لَهُمْ أَحْوَال مَوَاجيدَ فَهِيَ أَيْضًا غَنيمَةٌ ، وَإنْ لَمْ يَبْلغُوا حَدَّ الفَنَاء وَالبَقَاء ، وَحُكْمُهَا في هَذَا الوَقْت حُكْمُ الكبْريت الأَحْمَرِ إنْ فَعَل ذَلكَ أَيْضًا ، وَلكنَّ تَعْليمَ الطَّريقِ أَيًّا مَنْ كَانَ بَعْدَ الاسْتخَارَات وَالتَّوَجُّهَات مُنَاسبٌ بَل لازمٌ ، وَيَنْبَغي أَنْ تَكُونُوا عَلى خَوْف وَخَشْيَة منْ هَذَا العَمَل ، حَذَارِ مِنْ تَسَلط الشَّيْطَان منْ هَذه الجهَة ، أَعَاذَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ منْ شَرِّه ، فَإنْ أَتْمَمْتُمُ العَدَدَ الذي أَمَرْتُكُمْ به اشْتَغلوا بضعْفه ثُمَّ أَخْبِرُوني بَعْدَ ذَلكَ حَتَّى يَصْدُرَ الأَعْلامُ بمَا يُنَاسبُ الحَال ، وَسَلمُوا منَّا عَلى الأَصْحَاب عنْدَكُمْ ، وَوَصَلتْ أَيْضًا الصَّحيفَةُ الشَّريفَةُ التي كَتَبَهَا السَّيِّدُ يَحْيَى ، حَمْدًا لله سُبْحَانَهُ عَلى كَوْن قُلوب النَّاسِ مُنْجَذبَةً إلى حَضْرَة الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى، وَكَوْنِهِمْ وَالهينَ مُشْتَاقينَ إلى ذَلكَ الجَنَاب الأَقْدَسِ جَل سُلطَانُهُ في مثْل هَذَا الوَقْت الذي لهُ كَمَال القُرْبِ مِنَ القِيَامَة ، وَقَدْ وَرَدَ فِي الخَبَر: "وَتَقُومُ السَّاعَةُ عَلى أَشْرَارِ النَّاسِ" وَالتَّوَقُّعُ

مِنَ الأَحِبَّة الدُّعَاءَ عَلى ظَهْرِ الغَيْب سَلامَة الخَاتِمَة ، {رَبَّنَا أَتْمِمْ لنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لنَا إِنَّكَ عَلى كُل شَيْءٍ قَدِير}(١) ، وَالسَّلامُ أَوَّلاً وَآخِرًا.

(١) ـــ الآية: ٨ من سورة التحريم.

المَكْتُوبُ السَّادِسَ عَشَرَ وَالخَمْسُمائَة
إلى الحَضَرَات ذَوي البَرَكَات حَضْرَة المَخْدُوم زَادَه الخَواجَه مُحَمَّد سَعيد وَحَضْرَة المَخْدُوم زَادَه الخَواجَه مُحَمَّد مَعْصُوم في بِشَارَتِهِمَا بالوُصُول إلى بَعْضِ المَرَاتِب

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى ، لَمْ يَكْتُب الأَوْلادُ الكِرَامُ مُنْذُ مُدَّة شَيْئًا مِنْ أَحْوَالهمْ الظَّاهِرَة وَالبَاطِنَة ، وَلَعَل ذَلكَ بِسَبَب طَرُوٍّ النِّسْيَان وَالذُّهُول عَنْ حَال المَهْجُورَيْن بوَاسطَة تَمَادي أَيَّامِ المُفَارَقَة ، وَلَنَا أَيْضًا أَرْحَمُ الرَّاحِمِين {أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَه}(١)

مُوَرِّثٌ التَّسَلي للغُرَبَاء المَحْرُومينَ ، وَالعَجَبُ أَنَّ الخَاطِرَ مُتَوَجِّهٌ إلى أَحْوَالكُمْ دَائمًا مَعَ عَدَمِ التفَاتكُمْ هَذَا كُله ، وَمُرِيدٌ لكَمَالكُمْ ، وَقَدْ كُنْتُ أَمْسِ عَقَدْتُ مَجْلسَ السُّلوك بَعْدَ صَلاة الصُّبْحِ ، فَظَهَرَ أَنَّ الخُلعَةَ التي كَانَتْ لى انْفَصَلتْ عَنِّي وَتَوَجَّهَتْ إلى خُلعَة أُخْرَى ، مَكَانُهَا فَوْقَ ، في الخَاطِر أَنَّ هَذه الخُلعَةَ الزَّائلةَ هَل يُعْطَاهَا شَخْصٌ أَمْ لا؟ وَكُنْتُ أَتَمَنَّى أَنَّهَا أُعْطيهَا وَلَدي الأَرْشَد مُحَمَّد مَعْصُوم فَرَأَيْتُ بَعْدَ لَمْحَة أَنَّ وَلَدي قَدْ أُعْطيهَا وَالبسَهَا بالتَّمَام ، وَكَانَتْ تلكَ الخُلعَةُ الزَّائلةُ كنَايَةً عَنْ مُعَامَلَة القَيُّوميَّة التي تَتَعَلقُ التَّرْبيَةُ وَالتَّكْميل ، وَكَانَتْ هيَ البَاعثَةَ عَلى ارْتبَاط هَذه العَرْصَة المُجْتَمعَة ، فَإِذَا انْتَهَتْ مُعَامَلَةُ هَذه الخُلعَة الجَديدَة إلى آخرهَا ، وَصَارَتْ مُسْتَحقَّةً للخلَعِ ، نَرْجُو مِنْ كَمَال الكرَامِ أَنْ يُعْطيهَا وَلَدي الأَعَزَّ مُحَمَّد سَعيد، وَهَذَا الفَقيرُ يَسْأَل ذَلكَ بالتَّضَرُّعِ عَلى الدَّوَامِ ، وَيَفْهَمُ أَثَرَ الإجَابَة ، وَيَجدُ وَلَدي مُسْتَحقًّا لهَذه الدَّوْلة، (ع):

لا عُسْرَ في أَمْرٍ مَعَ الكرَام

وَالاسْتعْدَادُ أَيْضًا منْ عَطَائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالى:

مَا جئْتُ منْ بَيْتي بشَيْءٍ أَوَّلا وَمَنَحْتَني مَا بي وَإنِّي بَعْضُ ذَا

قَال اللهُ تَعَالى {اعْمَلوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَليل منْ عبَاديَ الشَّكُور}(٢).

وَاعْلمُوا أَنَّ الشُّكْرَ عبَارَةٌ عَنْ صَرْف العَبْد جَميعَ مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْه منَ الجَوَارحِ وَالقُوَى الظَّاهريَّة وَالبَاطنيَّة إلى مَا خَلقَهَا اللهُ وَأَعْطَاهُ لأَجْله ، لوْلاهُ لمَا

---

(١) ـــ الآية ٣٦: من سورة الزمر.

(٢) ـــ الآية: ١٣ من سورة سبأ.

حَصَلَ الشُّكْرُ، وَاللهُ المُوَفِّقُ، وَمِثْل هَذه العُلوم مِنَ الأَسْرَار الخَفيَّة، وَإِنْ قُلنَاهُ جِهَارًا وَلكنَّهُ لازِمُ الخفَاء لئلا يَفْتَتِنَ النَّاسُ، ثُمَّ إنَّ ذَاكَ المُشْكل الذي كَانَ في مِنْ أَنَّ تلكَ المُعَامَلةَ لعَلهَا في عَالم المثَال قَد انحَل في هَذه الأَيَّام، وَلَمْ يَبْقَ فيه خُلفَاءُ أَصْلاً، وَلعَل لرُوحَانيَّة الخَوَاجَه مَعين الدِّينِ أَيْضًا مَدْخَلاً فِي هَذَا المَعْنَى، وَلعَل ذَلكَ المُشْكِل بَاقٍ فِي خَاطِرِ مُحَمَّد مَعْصُوم.

المَكْتُوبُ السَّابِعَ عَشَرَ وَالخَمْسُمائَة
إلى الشَّيْخِ حَسَنِ البَرْكِيِّ
في جَوَاب كتَابه الذي كَتَبَهُ لبَيَان أَحْوَاله وَفي الحَثّ عَلَى إحْيَاء السُّنَّة وَالتَّحْذِير عَن ارْتكَاب البدْعَة

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى ، قَدْ سَرَّتْ صَحيفَةُ أَخي الأَعَزِّ الشَّيْخ حَسَنٍ أَحْسَنَ اللهُ حَالَهُ بوُصُولهَا ، وَقَد انْدَرَجَ فيهَا منَ العُلوم وَالمَعَارف فَزَادَتْ مُطَالَعَتُهَا فَرَحًا عَلى فَرَحٍ ، حَمْدًا لله سُبْحَانَهُ ، كُلهَا عُلومٌ صَحيحَةٌ ، وَمَعَارفُ صَادقَةٌ مُطَابقَةٌ للكتَاب وَالسُّنَّة ، مُوَافقَةٌ لاعْتقَاد الفرْقَة النَّاجيَة ، رَزَقَ اللهُ سُبْحَانَهُ الاسْتقَامَةَ ، وَأَوْصَلَ إلى مُنْتَهَى المَقَاصد العَليَّة ، وَكَتَبْتَ منْ رَفْع البدَع شَمَّةً ، يَا لهَا منْ نعْمَة عَظيمَة ، لوْ وُفّقَ شَخْصٌ لرَفْع بدْعَة منَ البدَع في مثْل هَذَا الوَقْت الذي تَرَاكَمَتْ فيه ظُلُمَاتُ البدْعَة ، وَأَحْيَا سُنَّةً منَ السُّنَن ، وَقَدْ وَرَدَ في الأَحَاديث الصَّحيحَة مَنْ أَحْيَا سُنَّةً مَيّتَةً فَلهُ ثَوَابُ مائَة شَهيد " فَليَعْلمْ دَرَجَةَ هَذَا العلم منْ هَهُنَا ، وَلكنْ يَنْبَغي أَنْ يُرَاعيَ دَقيقَةً وَهيَ أَنْ لا يَنْجَرَّ الأَمْرُ إلى إيقَاظ الفتْنَة وَأَنْ لا تَكُونَ ، وَأَنْ لا تَكُونَ الحَسَنَةُ الوَاحدَةُ بَاعثَةً عَلى سَيّئَات كَثيرَة ، فَإنَّ الزَّمَانَ آخرُ الزَّمَان ، وَأَوَانُ ضَعْف الإسْلام وَالإيمَان ، وَحَصَلَ الأَفْرَاحُ وَالمَسَرَّاتُ أَيْضًا منْ مُطَالعَة الرّسَالة التي أَرْسَلتَهَا ، الحَمْدُ لله سُبْحَانَهُ ، المُوَافقَةُ في العُلوم لهَذَا الفَقير كَثيرَةٌ ، وَفي الكَشْف مُطَابقَةٌ ، وَالأَنْظَارُ أَيْضًا عَاليَةٌ ، وَقَدْ كُنْتُ فَوَّضْتُ كتَابَكَ الذي كَانَ مُتَضَمّنًا للأَحْوَال وَالعُلوم وَالاسْتفْسَارَات إلى أَخي مُحَمَّد هَاشم الكَشْميِّ ليَحْضُرَهُ وَقْتَ تَحْريره الجَوَابَ ، فَأَضَاعَهُ اتّفَاقًا ، وَلهَذَا وَقَعَ التَّوَقُّفُ في تَفْصيل الأَجْوبَة ، وَمَا بَقيَ منْهَا في الخَاطر كَتَبْتُ جَوَابَهُ ، وَمُجْمَلهَا أَنَّهَا أَحْوَالٌ مُسْتَحْسَنَةٌ ، وَعُلومٌ صَحيحَةٌ ، ثُمَّ إنَّهُ يَنْبَغي لكُمُ السَّعْيُ البَليغُ في تَرْبيَة أَوْلاد المَرْحُوم المَغْفُور لهُ مَوْلانَا أَحْمَدَ ، وَتَعْليمُهُمْ ، وَرعَايَةُ الهدَايَة بالآدَاب الظَّاهريَّة وَالبَاطنيَّة ، وَعَلَيْكُمْ بدَلالة سَائر الأَصْحَاب الفُقَرَاء ، بَل جَميع أَهْل الإسْلام الكَائنينَ في تلكَ البُقْعَة عَلى الشَّريعَة ، وَالتزَام السُّنَّة ، وَتَهْديدهمْ وَتَحْذيرهمْ عَنِ ارْتكَاب البدْعَة ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ المُوَفّقُ ، وَقَدْ أَرْسَلَ إليْكُمُ الخَوَاجه مُحَمَّد هَاشم نُقُول بَعْض مَكَاتيب الجلد الثَّالث نَفعَكُمُ اللهُ بهَا ، وَأَوْقَاتُ الفَقير مُخْتَلفَةٌ ، فَأَحْيَانًا تَظْهَرُ الرَّغْبَةُ في تَسْويد العُلوم وَالمَعَارف بلا اخْتيَار ، وَفي بَعْض الأَوْقَات

تَظْهَرُ النَّفْرَةُ مِنَ الكِتَابَة مَعَ إِفَاضَة الأَسْرَار الغَرِيبَة، بِحَيْثُ لا يُسْتَطَابُ أَخْذُ القَلَم باليَد، فَبنَاءً عَلى ذَلِكَ يَقَعُ الفُتُورُ في تَفْصِيل جَوَاب كُتُبكُمُ التي وَصَلَتْ، وَلا أَقْدرُ أَنْ أَكْتُبَ شَيْئًا بالتَّكَلف، وَبَقيَّةُ الأَحْوَال مُسْتَوْجبَةٌ للحَمْد، وَقَدْ تَيَسَّرَ التَّخَلصُ بعنَايَة الله سُبْحَانَهُ مِنْ رِفَاقه العَسْكَر، أَدَامَ اللهُ لَنَا الاسْتقَامَةَ، وَلِجَميعِ الأَصْحَابِ الكَائنينَ هُنَاكَ دَعَوَاتٌ مَخْصُوصَةٌ، وَالسَّلامُ.

المَكْتُوبُ الثَّامِنَ عَشَرَ وَالخَمْسُمِائَة
إلى حَضَرَاتِ المَخَادِيمِ سَلمَهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ
فِي بَيَانِ وَاقِعَتِه التِي رَأَى فِيهَا النَّبِيَّ ﷺ وَنَالَ مِنْهُ البِشَارَاتِ العُلْيَا

قَدْ وَصَلت الصَّحِيفَةُ الشَّرِيفَةُ مَنْ أَوْلادِي الكِرَامِ ، حَمْدًا لله سُبْحَانَهُ عَلى مَا كَانُوا عَلى الصِّحَّةِ وَالعَافِيَة ، وَأَكْتُبُ المُعَامَلَةَ التِي ظَهَرَت اليَوْمَ جَدِيدَةً يَنْبَغِي اسْتِمَاعُهَا بِكَمَالِ الإِصْغَاءِ ، كُنْتُ البَارِحَةَ التِي هِيَ لَيْلَةُ السَّبْت ذَهَبْتُ إلى مَجْلِسِ السُّلطَانِ ، فَلمَّا رَجَعْتُ مِنْهُ بَعْدَ مُضِيِّ مِقْدَارِ ثَلاث سَاعَات تَيَسَّرَ النَّوْمُ ، وَحَيْثُ كَانَ بِي تَعَبُ اللَيْل نِمْتُ بَعْدَ حَلقَة الصُّبْحِ ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ كَتَبَ الإِجَازَةَ للفَقير كَمَا هُوَ عَادَةُ المَشَايِخِ مِنْ كِتَابَة الإِجَازَة للخُلفَاءِ ، وَوَاحِدٌ مِنْ أَصْحَابِي المُخْلصِينَ مُتَصَدٍّ لهَذه المُعَامَلة ، فَظَهَرَ فِي تلكَ الأَثْنَاءِ أَنَّ فِي إِمْضَاءِ الإجَازَة نَحْوًا مِنَ الفُتُورِ ، وَوَجْهُ الفُتُورِ أَيْضًا مَعْلومٌ فِي ذَلكَ الوَقْت ، فَحَمَلَ الذِي هُوَ مُتَصَدٍّ لِهَذه الخِدْمَة مِنْ أَصْحَابِي تلكَ الإجَازَةَ إلى مُلازمَته ﷺ مَرَّةً ثَانِيَةً ، وَكَتَبَ النَّبِيُّ ﷺ عَلى ظَهْرِهَا إِجَازَةً أُخْرَى وَأَمَرَ الغَيْرَ بِكِتَابَتِهَا ، لمْ أَقْدرْ عَلى تَشْخِيصِ ذَلكَ ، وَلكِنَّهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْه ﷺ مَعْلومٌ ، وَبَعْدَ الكِتَابَة زَيَّنَهَا بِخَتْمه ، عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ، مَضْمُونُ تلكَ الإِجَازَة هُوَ أَنَّهُ قَدْ أُعْطِيتُ إجَازَةَ الآخرَة عِوَضًا عَنْ إجَازَة الدُّنْيَا ، وَأُعْطِيتُ نَصِيبًا مِنْ مَقَامِ الشَّفَاعَة ، وَالكَاغَدُ أَيْضًا طُولانِيٌّ وَكُتبَ فِيه سُطُورٌ كَثِيرَةٌ ، وَأَنَا أَسْأَل مِنَ المُتَصَدِّي لِتلكَ الخِدْمَة أَنَّ أَيًّا مِنْهُمَا الأُولى وَأَيًّا مِنْهُمَا الثَّانِيَةُ ؟ وَأَنَا أَجِدُنِي فِي ذَلكَ الوَقْت فِي مَحَل وَاحد مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَأُعَاشِرُهُ كَالوَلد مَعَ الوَلد وَليْسَ حُضُورُهُ وَحُضُورُ أَهْل بَيْته غَرِيبًا لِي ، وَأَنَا أَخَذْتُ ذَلكَ الكَاغَدَ بِيَدِي وَلفَفْتُهُ وَكُنْتُ دَاخلاً فِي حَرَمه الشَّرِيفِ كَالأَوْلاد المَحَارِيمِ ، وَتَأْمُرُنِي أُمَّهَاتُ المُؤْمنِينَ فِي حُضُوره ﷺ بِبَعْضِ الخِدْمَات بالاهْتمَام التَّامِّ وَتَقُول كُنْتُ مُنْتَظرَةً لكَ يَنْبَغِي أَنْ تَفْعَل كَذَا وَكَذَا ، فَعَرَضَت الإِفَاقَةُ فِي تلكَ الأَثْنَاءِ ، وَارْتَفَعَ مِنَ الخَاطرِ وَجْهُ ذَلكَ الفُتُورِ ، وَبِالقَدْرِ اليَسِيرِ مَنْ فَتْحِ العَيْنِ زَالتْ خُصُوصِيَّاتُ تلكَ الوَاقِعَة من الخَاطر مُعَايَنَةً ، وَلعَلهُ بَقِيَ فِي خَاطرِكُمْ إِنِّي قَدْ كُنْتُ ذَكَرْتُ كَلامًا فِي هَذَا البَاب أَكْثَرَ مِنْ ذَلكَ مِنْ أَنَّ العَجَبَ أَنَّ هَذه النِّسْبَةَ العُلْيَا لا تَظْهَرُ عَلى مِقْدَارِهَا ، وَكَانَ يَخْطُرُ فِي الخَاطرِ أَنَّ ظُهُورَهَا لعَلهُ يَكُونُ ذَخِيرَةً لأَجْل الآخرَة ، وَيَتَيَسَّرُ نِعَمُ البَدَل فَحَصَل مِنْ هَذه الوَاقِعَة التَّشَفِّي مِنْ تلكَ التَّرَدُّدَات ،

الوَقْتُ وَقْتُ قُرْبِ القِيمَة ، وَوَقْتُ تَرَاكُم الظُّلمَات ، فَأَيُّ خَيْرِيَّة فيه؟ وَأَيُّ نُورَانِيَّة إلا أَنْ يُرَوِّجَهَا الحَضْرَةُ المَهْدِيُّ عَلَيْه الرِّضْوَانُ مُؤَيَّدًا بِالخِلافَة الظَّاهِرِيَّة ، وَقَدْ أَمَرْتُ اليَوْمَ شُكْرًا للنِّعْمَة بِطَبْخِ أَطْعِمَة مُتَنَوِّعَة لِرُوحَانِيَته ﷺ وَأَنْ يَعْقِدُوا مَجْلِسَ السُّرُور ، وَلَعَلَّ رَافِعِي الكُتُب أَيْضًا يَأْكُلونَ مِنْ تِلْكَ الأَطْعِمَة ، ثُمَّ إِنِّي قَدْ كُنْتُ كَتَبْتُ فِي مَكْتُوب فِي بَيَان وَاقِعَة ظَهَرَتْ أَنَّهُ لَمْ يَقْبَل وَاحِدٌ مِنَ الأَصْحَاب مَعَكُمَا لِمُلازَمَة السُّلْطَان ، ثُمَّ ظَهَرَ بَعْدَ زَمَان أَنَّهُ قَدْ قُبِل هُوَ أَيْضًا بِمَحْضِ الكَرَم ، وَظَهَرَ آثَارُ القَبُول ، للهِ سُبْحَانَهُ الحَمْدُ وَالمِنَّةُ عَلى ذَلِكَ وَعَلى جَمِيعِ النَّعْمَاء ، وَفِي هَذِه الأَيَّامِ تَظْهَرُ مَعَارِفُ غَرِيبَةٌ ، وَعُلومٌ عَجِيبَةٌ ، وَكَأَنَّ ذَلِكَ الوَرَقُ صَارَ مَرْقُومًا ، وَظَهَرَت المُعَامَلَةُ للآخِر ، الأَوْلادُ بَعِيدُونَ ، وَمُعَامَلَةُ العُمْر قَرِيبَةٌ، وَإِلى مَا يَنْجَرُّ الأَمْرُ وَنَصْبِرُ قَائِلِينَ الخَيْرُ فِيمَا صَنَعَ اللهُ {رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا}(١)، {وَالسَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}(٢).

---

(١) ـــ الآية: ١٠ من سورة الكهف.

(٢) ـــ الآية: ٤٨ من سورة طه.

المَكْتُوبُ التَّاسِعَ عَشَرَ وَالخَمْسُمائَة
إلى الخَوَاجَه مُحَمَّد أَشْرَف
فِي بَيَانِ سَبَبِ وُقُوعِ الفُتُورِ فِي نِسْبَةِ الرَّابِطَةِ وَالالتِذَاذِ بِالطَّاعَةِ

بَعْدَ الحَمْدِ لله وَالصَّلاة وَتَبْلِيغ الدَّعَوَات:

أَنْهَى، إِنَّهُ قَدْ وَصَلَتْ صَحِيفَةُ أَخِي الأَعَزِّ، حَمْدًا لله سُبْحَانَهُ عَلى مَا كَانُوا عَلى الصِّحَّة وَالعَافِيَة، وَقَدْ سُئِلتُمْ أَنَّهُ مَا السَّبَبُ فِي أَنَّهُ إِذَا طَرَأَ الفُتُورُ فِي نِسْبَة الرَّابِطَة لا يُوجَدُ الالتِذَاذُ بِسَائِر الطَّاعَات، اعْلَمُوا أَنَّ الوَجْهَ الذي صَارَ سَبَبَ الفُتُورِ نِسْبَةُ الرَّابِطَة مَانِع عَنِ الالتذَاذ بالطَّاعَات، وَسَبَبُ الفُتُورِ أَحْيَانًا يَكُونُ قَبْضًا، وَأَحْيَانًا كُدُورَة طَارِيَة بِوَاسطَة ارْتكَاب زَلَّات وَإِنْ كَانَتْ قَليلةً، وَالوَجْهُ الأَوَّل لَيْسَ بِمَذْمُوم، بَل هُوَ مِنْ لوَازم سُلوك الطَّرِيقَة، وَيَنْبَغي تَدَارُكُ عُرُوضُ الوَجْه الثَّاني بالتَّوْبَة وَالاسْتغْفَار، إلى أَنْ يَرْتَفعَ أَثَرُهُ بِكَرَم الله سُبْحَانَهُ، وَحَيْثُ إِنَّ التَّمْييزَ بَيْنَ القَبْضِ وَالكُدُورَة يَسْتَدْعِي دِقَّةَ النَّظَرِ، فَالتَّوْبَةُ نَافعَةٌ عَلى كُل حَال، أَدَامَ اللهُ سُبْحَانَهُ اسْتِقَامَتَكُمْ، وَالسَّلام.

المَكْتُوبُ العِشْرُونَ وَالخَمْسُمِائَة
إلى المُلا طَاهِر الخَادِم
فِي بَيَان المُعَامَلات المُتَعَلِّقَة بِأَصْل الأَصْل
وَهَذِه المَعْرِفَةُ مَنْقُولَةٌ بالمَعْنَى

إنَّ المُعَامَلَةَ التي تَتَعَلقُ بِأَصْل الأَصْل عَلى نَوْعَيْنِ نَوْعٍ يُمْكِنُ مَعْرِفَتُهَا بِصُورَة مِثَالِيَّة أَوْ بِأَمْرٍ آخرَ ، وَهَذه المُعَامَلةُ مُوَقَّتَةٌ بِوَقْت كَوْن السَّيْر فِي مَقَامَات لَهَا مُنَاسبَةٌ أَوْ مُشَاكلة بِالعلم وَلوْ بالوَجْه وَالاسْم ، وَذَلكَ إلى نِهَايَة مَقَام الرِّضَا ، فَإذَا تَيسَّرَ السَّيْرُ لشَخْصٍ فَوْقَ مَقَامِ الرِّضَا لا يَكُونُ لهُ شَيْءٌ مَعْلومٌ لا بِصُورَة مِثَاليَّة ، وَلا بِأَمْرِ آخرَ ، فَحينَئذ يَكُونُ لِذَلكَ العَارف علمٌ بِمَحْضِ حُصُول مَقَامَات فوقانية مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَيْءٌ منْهَا مَعْلومٌ حَتَّى إنَّ اسْمَ النُّبُوَّة وَالرِّسَالة وَأَمْثَالهِمَا أَيْضًا مَفْقُودَةٌ فِي هَذه المَقَامَات ، وَأَظُنُّ أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ سَيُعْطِي فِي دَارِ الخُلد علمَ تلكَ المَقَامَاتِ ، وَنِهَايَةُ هَذَا السَّيْرِ إلى مَرْتَبَة مَخْصُوصَة لا تَخْفَى عَلى أَرْبَابِهَا، وَالسَّلامُ.

المَكْتُوبُ الحَادِي وَالعِشْرُونَ وَالخَمْسُمائَة
إِلى حَضْرَةِ المَخْدُومِ زَادَهُ الخَوَاجَه مُحَمَّد مَعْصُوم سَلمَهُ اللهُ سُبْحَانَه
فِي بَيَانِ أَنَّ إِيجَادَ العَالَمِ فِي مَرْتَبَةِ الوَهْمِ
وَلكِنَّهُ بِوَاسِطَةِ الاسْتِقْرَارِ وَتَعَلقُ الإِيجَادِ به صَارَ مَنْسُوبًا إِلى نَفْسِ الأَمْرِ
وَهَذِه المَرْتَبَةُ وَرَاءَ مَرْتَبَةِ العِلمِ وَالخَارِجِ
وَبَيَانُ أَنَّ الوَحْدَةَ وَالكَثْرَةَ كِلتَيْهِمَا فِي نَفْسِ الأَمْرِ
وَتَحْقِيقُ أَنَّ فَنَاءَ السَّالِكِ مَعَ وُجُودِ الثَّابِتِ وَالاسْتِقْرَارِ بِأَيِّ مَعْنًى يَكُونُ
وَهَذَا المَكْتُوبُ بَقِيَ غَيْرَ تَامٍّ بِوَاسِطَةِ حَوَادِثِ الأَيَّامِ

اعْلمْ أَنَّ مَرْتَبَةَ الوَهْمِ عِبَارَةٌ عَنْ مَرْتَبَةٍ يَكُونُ فِيهَا ظُهُورٌ بِلا وُجُودٍ ، كَمَا أَنَّ صُورَةَ زَيْدٍ مَثَلاً إِذَا كَانَتْ مُتَوَهَّمَةً فِي المِرْآةِ فَهُنَاكَ ظُهُورٌ بِلا وُجُودٍ ؛ لأَنَّهُ لا صُورَةَ فِي المِرْآةِ أَصْلاً ، وَلَيْسَ لَهَا ثُبُوتٌ فِيهَا غَيْرُ الظُّهُورِ الوَهْمِيِّ ، وَقَدْ لاحَ بِالكَشْفِ الصَّحِيحِ وَالشُّهُودِ الصَّادِقِ أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ خَلقَ العَالمَ مِنْ كَمَالِ اقْتِدَارِهِ فِي تِلكَ المَرْتَبَةِ ، وَأَعْطَاهُ بِصَنْعَةِ الكَامِلِ ظُهُورًا مَحْضًا ، وَإِنْ كَانَ فِي تِلكَ المَرْتَبَةِ ظُهُورًا بِلا كَوْنٍ وَوُجُودٍ ، وَلكِنْ لَمَّا صَارَ العَالمُ مَخْلُوقًا فِي تِلكَ المَرْتَبَةِ كَانَ ظُهُورًا مَعَ وُجُودٍ ، فَإِنَّ إِيجَادَهُ تَعَالى يَكُونُ مُثْبِتًا وَمُوجِدًا ، وَلَمَّا كَانَ ظُهُورًا مَعَ وُجُودٍ كَانَ فِي مَرْتَبَةِ نَفْسِ الأَمْرِ ، وَتَرَتَّبَتْ عَلَيْهِ أَحْكَامٌ وَآثَارٌ صَادِقَةٌ ، وَمَرْتَبَةُ الوَهْمِ هَذِهِ وَرَاءَ مَرْتَبَةِ العِلمِ وَالخَارِجِ ، وَمُشَابَهَتُهَا وَمُنَاسَبَتُهَا بِمَرْتَبَةِ الخَارِجِ أَزْيَدُ مِنْ مُنَاسَبَةِ مَرْتَبَةِ العِلمِ بِهَا ، وَثُبُوتُهَا شَبِيهٌ بِثُبُوتٍ خَارِجِيٍّ بِخِلافِ الثُّبُوتِ العِلمِيِّ الذِي يُقَالُ لهُ وُجُودٌ ذِهْنِيٌّ ، فَإِنَّهُ فِي الطَّرَفِ المُقَابِلِ لِلوُجُودِ الخَارِجِيِّ ، وَالظُّهُورُ الذِي هُوَ فِي مَرْتَبَةِ الوَهْمِ لهُ أَيْضًا شَبَهٌ تَامٌّ بِالظُّهُورِ الخَارِجِيِّ بِخِلافِ مَرْتَبَةِ العِلمِ ، فَإِنَّ هُنَاكَ بُطُونًا وَكُمُونًا ، وَكَأَنَّهُ وَقَعَ فِي مَرْتَبَةِ الوَهْمِ ظِل مِنْ مَرْتَبَةِ الخَارِجِ فَأُوجِدُ العَالمُ فِيهَا بِظِلِ الخَارِجِ ، فَلا يَكُونُ فِي نَفْسِ الخَارِجِ مَوْجُودٌ غَيْرُ الذَّاتِ الأَحَدِيَّةِ ، وَيَكُونُ العَالمُ مَعَ هَذَا التَّعَدُّدِ وَالتَّكَثُّرِ مَوْجُودًا فِي ظِل الخَارِجِ بِإِيجَادِ اللهِ تَعَالى بِوُجُودٍ ظِلِّيٍّ ، وَفِي خَارِجِ نَفْسِ الأَمْرِ وَحْدَةٌ ، وَفِي ظِل خَارِجِ نَفْسِ الأَمْرِ كَثْرَةٌ كَمَا أَنَّ المُطَابِقَ لِنَفْسِ الأَمْرِ فِي العِلمِ أَيْضًا كَثْرَةٌ ، فَتَكُونُ الحِدَةُ وَالكَثْرَةُ كِلتَاهُمَا فِي نَفْسِ الأَمْرِ ، وَيَكُونُ لِكُل مِنْهُمَا اعْتِبَارٌ عَلى حِدَةٍ وَلا مَحْذُورَ فِيهِ ، كَمَا أَنَّ هَذَا الخَارِجَ وَالوُجُودَ لِلعَالمِ ظِلِّيَّانِ كَذَلِكَ سَائِرُ صِفَاتِهِ مِنَ الحَيَاةِ وَالعِلمِ وَالقُدْرَةِ

وَغَيْرِهَا أَيْضًا ظِلال صِفَات الوَاجِب جَل سُلطَانُهُ ، بَل نَفْسُ الأَمْرِ الذي يَثْبُتُ فِي إِثْبَات العَالَمِ أَيْضًا ظَل نَفْسِ الأَمْرِ الكَائِنِ فِي مَرْتَبَة الخَارِج

مَا جِئْت مِنْ بتي بِشَيْءٍ أَوَّلاً ... وَمَنَحْتَنِي مَا بِي وَإِنِّي بَعْضُ ذَا

قَال اللهُ تَعَالى وَتَقَدَّسَ {أَلَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّل}[(١)].

فَإِنْ قِيــــل: إِنَّكَ كَتَبْتَ فِي رَسَائِلكَ أَنَّ مَا فِي الظِّل كُلهُ مِنَ الأَصْل وَلَيْسَ فِي يَدِ الظِّل شَيْءٌ غَيْرُ حَمْل أَمَانَات الأَصْل ، فَإِذَا رَدَّ السَّالكُ المُسْتَعِدُّ جَمِيعَ مَا فِي يَده مِنَ الخَيْرِ وَالكَمَال وَالوُجُود وَتَوَابِعِ الوُجُود بِحُكْمِ الظِّلِّيَّة إِلى أَصْله وَوَجَدَ نَفْسَهُ خَاليًا مِنْ جَمِيعِ الكَمَالات يَصِيرُ مُتَحَقِّقًا بِالفَنَاء وَالاضْمِحْلال بِالضَّرُورَة ، وَلا يَبْقَى مِنْهُ اسْمٌ وَلا رَسْمٌ ، فَمَا حَاصِل هَذَا الكَلامِ؟ وَمَا مَعْنَى رَدِّ الكَمَالات إِلى الأَصْل؟ وَبِأَيِّ اعْتِبَارٍ يَكُونُ فَنَاءُ السَّالكِ وَاضْمِحْلالهُ مَعَ وُجُود ثَبَاته وَاسْتِقْرَاره؟

قُلتُ إِنَّ هَذَا الفَنَاءَ يُشْبِهُ حَال شَخْصٍ لبسَ أَثْوَابَ العَارِيَة وَيَعْلمُ أَنَّهَا لَيْسَ لهُ بَل لغَيْره ، وَإِنَّمَا لبسَهَا بِطَرِيق العَارِيَة ، فَإِذَا غَلبَتْ هَذه الرُّؤْيَةُ وَاسْتَوْلت اسْتِيلاءً تَامًّا يُمْكِنُ أَنْ يُعْطَى تلكَ الأَثْوَابَ مَعَ وُجُود التَّلبُّسِ بِهَا لصَاحِبِهَا ، وَيَجِدُ نَفْسَهُ عُرْيَانًا حَتَّى يَنْفَعِل وَيَسْتَحِيَ مِنْ جُلسَائه بِسَبَب عُرْيِه مِنَ الثِّيَاب ، وَيَجُرُّ نَفْسَهُ إِلى زَاوِيَة ، وَحَيْثُ إِنَّ السَّالكَ صَارَ مَخْلوقًا فِي مَرْتَبَة التَّوَهُّمِ وَالتَّخَيُّل يَكْفِيه الفَنَاءُ التَّخَيُّليُّ أَيْضًا ، فَإِنَّ اسْتِيلاءَ هَذَا التَّخَيُّل يُوصِلهُ إِلى اليَقِينِ القَلبِيِّ ، وَيَجْعَلهُ ذَوْقِيًّا وِجْدَانِيًّا ، فَيُوجَدُ مَا هُوَ المَقْصُودُ مِنَ الفَنَاء وَالاضْمِحْلال ؛ لأَنَّ المَقْصُودَ مِنَ الفَنَاء زَوَال التَّعَلق بِالظِّل وَحُصُول التَّعَلق بِالأَصْل ، وَلمَّا صَارَ رُجُوعُ الظِّل إِلى الأَصْل يَقِينًا وَذَوْقِيًّا وَوِجْدَانِيًّا زَال التَّعَلقُ بِالظِّل بِالضَّرُورَة ، وَجَاءَ مَكَانَهُ التَّعَلقُ بِالأَصْل ، فَلوْ لمْ يَحْصُل هَذَا التَّخَيُّل لمَا تَيَسَّرَتْ دَوْلةُ زَوَال التَّعَلق بِالظِّل ، بَل مَدَارُ سُلوك هَذَا الطَّرِيق عَلى التَّوَهُّمِ وَالتَّخَيُّل ، وَالأَحْوَال وَالمَوَاجِيدُ التِي هِيَ المَعَانِي الجُزْئِيَّةُ فِي هَذَا الطَّرِيق إِنَّمَا تُدْرَكُ بِالوَهْمِ وَالتَّجَليَات ، وَالتَّلوِينَاتُ إِنَّمَا تُشَاهَدُ للسَّالكِينَ فِي مِرْآة الخَيَال ، فَلوْلا الوَهْمُ لقَصُرَ الفَهْمُ ، وَلوْلا الخَيَال لاسْتَتَرَ الحَال ، لمْ يُوجَدْ فِي هَذَا الطَّرِيق شَيْءٌ أَنْفَعُ مِنَ الوَهْمِ وَالخَيَال ، وَجَاءَ أَكْثَرُ إِدْرَاكِهِمَا وَانْكِشَافِهِمَا وَمُطَابِقًا لوَاقِعٍ ، وَالذي يَقَعُ مَسَافَةَ خَمْسِينَ الفَ سَنَة كَائِنَة

---

(١) ــ الآية: ٤٥ من سورة الفرقان.

بَيْنَ العَبْد وَالرَّبِّ فِي مُدَّة قَليلة بكَرَمِ الله تَعَالى ، وَيُوصل العَبْدَ إلى دَرَجَات عَالِيَة هُوَ الوَهْمُ ، وَالذي يَجْعَل دَقَائِقَ غَيْب الغَيْب وَأَسْرَارَهُ مُنْكَشفَةً فِي مِرْآته ، وَيُطْلِعُ السَّالكَ المُسْتَعدَّ عَلَيْهَا هُوَ الخَيَال ، وَمِنْ شَرَافَة الوَهْم اخْتيَارُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ خَلقَ العَالَمِ فِي تلكَ المَرْتَبَة ، وَجَعْلهَا مَحَلاً لظُهُورِ كَمَالاته ، وَمِنْ جَلالة الخَيَال جَعَلَهُ اللهُ أُنْمُوذَجًا لعَالَمِ المِثَال الذي هُوَ أَوْسَعُ جَميعِ العَوَالِمِ حَتَّى قَالوا بوُجُود صُورَة فيه لمَرْتَبَة الوُجُوب أَيْضًا ، وَحَكَمُوا بأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَيسَ لهُ مِثْل وَلكنْ لهُ مثَال ، وَللهِ المَثَل الأَعْلى ، وَالذي يُحسُّهُ العَارِفُ فِي مِرْآةِ خَيَاله ، وَيَتَرَقَّى بذَوْق وِجْدَانه هُوَ صُوَرُ الأَحْكَام الوُجُوبيَّة.

فَإِنْ قِيـــــل: قَد اتَّضَحَ مِنَ التَّحْقِيق السَّابق أَنَّ الفَنَاءَ باعْتبَار التَّخَيُّل وَإنْ كَانَ مُوصِلاً إلى اليَقين قَلبيٌّ ، وَجَعَلهُ ذَوْقِيًّا وَوِجْدَانيًّا ، وَتَرَتَّبَتْ عَلَيْه أَحْكَامٌ صَادقَةٌ لا باعْتبَارِ التَّحَقُّق ، وَأَنْتَ بنَفْسكَ كَتَبْتَ فِي بَعْضِ رَسَائلكَ أَنَّ هَذَا الفَنَاءَ باعْتبَارِ الوُجُود ، وَأَنَّهُ زَوَال العَيْنِ وَالأَثَر ، فَمَا حَقيقَةُ هَذه المُعَامَلَة.؟

قُلتُ لَمَا كَانَ رُجُوعُ وُجُود الظِّل إلى الأَصْل يَقينيًّا وَذَوْقيًّا وَوِجْدَانيًّا حُكمَ بزَوَال الوُجُود أَيْضًا بالضَّرُورَة ، وَقيل بارْتفَاعِ العَيْنِ وَالأَثَر.

فَإِنْ قِيـــــل: إنَّ هَذَا الحُكْمَ بالفَنَاءِ الوُجُوديِّ مَعَ ثُبوتِ الفَاني وَاسْتِقْرَارِه ، هَل هُوَ صَادقٌ أَوْ كَاذبٌ؟

المَكْتُوبُ الثَّانِي وَالعِشْرُونَ وَالخَمْسُمائَة
إلى المَخْدُومِ زَادَه مُحَمَّد مَعْصُوم أَيْضًا سَلَمَهُ اللهُ
فِي بَيَان أَنَّ مُعَامَلَةَ العَارِف تَبْلغُ مَبْلَغًا لا تَحْصُل فيه صُورَةُ مَعْلومٍ أَصْلاً فَحِينَئِذ تَكُونَ لهُ كُل ذَرَّة منَ الذَّرَّات طَرِيقًا سُلطَانيًا إلى المَطْلوب وَبَيَان أَنَّ حُبَّ مثْل هَذَا العَارِفُ يَنجَرُّ إلىٰ حُبِّ الحَقِّ، وَبُغْضَهُ إلى بُغْضه سُبْحَانَهُ وَهَكَذَا حُكْمُ تَعْظِيمِ آل النَّبيِّ ﷺ وَإِهَانَتُهُمْ بالنِّسْبَة إلَيْه ﷺ وَهَذه المَعَارِفُ نُقلتْ بالمَعْنَى

إذَا بَلغَ العَارفُ مُعَامَلتَهُ إلى الأَصْل بَعْدَ طَيِّ مَقَامَات الظِّل يَكُونُ علمهُ المُتَعلق بالأَشْيَاء، مُبَرَّأً مَنْ قَيْد الظِّلِّيَّة، يَعْني تَكُونُ الأَشْيَاءُ مَعْلومَةً لهُ منْ غَيْر أَنْ يَحْصُل فيه منْهَا شَيْءٌ، فَإِنَّهُ كُل مَا حَصَل فيه شَيْءٌ يَكُونُ ظل ذَلكَ الشَّيْء، كَمَا قيل في تَعْريف العلم هُوَ حُصُول صُورَة الشَّيْء في العَقْل، لا شَكَّ أَنَّ الصُّوَرَ الحَاصلة منَ الشَّيْء في العَقْل شَبَحٌ، وَمثَال لذَلكَ الشَّيْءُ لا عَيْنُهُ كَمَا يَشْهَدُ به الكَشْفُ الصَّرِيحُ وَالالهَامُ الصَّحيحُ، فَحينَئذ لا يُثْبتُ هَذَا العَارفُ للعَالم نسْبَةً بالحَقِّ سُبْحَانَهُ سوَى نسْبَة الصَّانعيَّة وَالمَصنُوعيَّة، وَيَتَحَاشَى منَ القَوْل بالظِّلِّيَّة وَالعَيْنيَّة والمرْآتيَّة، وَهَذه المُعَامَلَةُ مَرْبُوطَةٌ بالكمَالات الذَّاتيَّة، فَإِنَّ للذَّات غنًى ذَاتيًّا عَن العَالم عَن الله الغَنِّي عَنِ العَالمينَ، بخلاف بَعْضِ مَرَاتب الأَسْمَاء وَالصِّفَات، فَإِنَّ هَذه النِّسْبَة مُتَصوَّرَةٌ فيهَا، فَمَا لَمْ يَتَعدَّ العَارفُ منْ تلكَ المَقَامَات، وَلَمْ يَصل إلى أَصْل الأَصْل لَيْسَ لهُ نَصيبٌ منْ هَذه النِّسْبَة، وَكُل ذَرَّة منَ الذَّرَّات تَكُونُ للعَارف في هَذَا المَقَامِ طَرِيقًا سُلطَانيًّا إلى جَنَاب قُدْسِ الحَقِّ جَل شَأْنُهُ بخلاف العلمِ الحُصُوليِّ، فَإِنَّ العَالمَ في تلكَ الصُّورَة يَجْذبُ كُل شَيْء إلى جَانب نَفْسه وَيَصيرُ بنَفْسه مرْآةً لجَميعِ الأَشْيَاء، وَكَذَلكَ في صُورَة الظِّلِّيَّة والمرْآتيَّة، يَجْذبُ كُل شَيْء صَاحبَ ذَلكَ العلم إلى نَفْسه، وَلا يَتْرُكُ نَظَرَ بَصيرَته يَنْفُذُ إلى مَا وَرَاءَهُ، فَإذَا تَخَلصَ بكَرَمِ الله سُبْحَانَهُ عَنْ قَيْد حُصُول الظِّلِّيَّة تَصيرُ لَهُ كُل ذَرَّة منْ ذَرَّات المَوْجُودَات، عَرَضًا كَانَتْ أَوْ جَوْهَرًا، آفَاقيَّةً كَانَتْ أَوْ أَنفُسيَّةً، بَابَ غَيْب الغَيْب.

يَنْبَغـــي أَنْ يُعَلَـــمَ: أَنَّ ذَلكَ الشَّخْصَ كَمَا أَنَّهُ كَانَ سَابقًا مرْآةً لجَميعِ الأَشْيَاء، وَكُل مَا فَعَل فَعَلهُ لأَجْل نَفْسه، وَكُل مَا صَدَرَ عَنْهُ كَانَ رَاجعًا إلَيْه

بالضَّرُورَة نَوَى أَوْ لَمْ يَنْوِ ، وَلَمَّا مَنَعَ الآنَ مِرْآةَ نَفْسه عَنِ المِرْآتِيَّة ، وَامْتَنَعَ مِنَ التَّقَيُّد بالظِّل ، وَصَارَ مثْل صُنْدُوق الرَّحَى كُل مَا يُلقَى فيه لا يَبْقَى ، فَلا جَرَمَ كُل مَا يَفعَل لا يَفْعَلهُ لنَفْسه ، بَل يَفْعَلهُ لأَجْل الحَقِّ سُبْحَانَهُ ، نَوَى أَوْ لَمْ يَنْوِ ، فَإِنَّ النِّيَّةَ إِنَّمَا هِيَ فِي أَمْرٍ مُحْتَمَل لا فِي أَمْرٍ مُتَيَقَّنٍ ، فَحينَئذ يَنْجَرُّ حُبُّ هَذَا العَارِف إِلى حُبِّه تَعَالى ، وَبُغْضُهُ إِلى بُغْضه سُبْحَانَهُ ، وَكَذَلكَ تَعْظيمُهُ وَتَوْقيرُهُ تَعْظيمٌ وَتَوْقيرٌ للحَقِّ سُبْحَانَهُ ، وَإِهَانَتُهُ وَإِسَاءَةُ الأَدَب مَعَهُ تَنْجَرُّ إِلى إِهَانَة الله سُبْحَانَهُ وَإِسَاءَة الأَدَب مَعَهُ ، وَكَانَتْ هَذه النِّسْبَةُ لأَصْحَاب النَّبيِّ ﷺ مَعَهُ ﷺ عَلى تَفَاوُت دَرَجَاتهِمْ ، حَيْثُ إِنَّ حُبَّهُمْ وَبُغْضَهُمْ مُثْمرَان لحُبِّه وَبُغْضه ﷺ قَال عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ " مَنْ أَحَبَّهُمْ فَبحُبِّي أَحَبَّهُمْ ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَببُغْضي أَبْغَضَهُم " وَهَذه النِّسْبَةُ أَيْضًا ثَابتَةٌ في آل النَّبيِّ مَعَهُ ﷺ وَلكنَّ ظُهُورَ هَذه النِّسْبَة في عَليٍّ المُرْتَضَى وَفَاطمَةَ الزَّهْرَاء وَالحَسَنَيْن رَضيَ اللهُ عَنْهُمْ أَتَمّ ، وَيُشَاهَدُ سَرَايَتُهَا في بَقيَّة الأَئمَّة الاثْنَيْ عَشَرَ أَيْضًا ، وَلا يُحَسُّ هَذه النِّسْبَةُ فيمَا وَرَاءَهُمْ ، وَالسَّلامُ.

المَكْتُوبُ الثَّالثُ وَالعشْرُونَ وَالخَمْسُمائَة
إلى الشَّيْخ نُور مُحَمَّد التَّهَارِيِّ
فِي بَيَانِ بَعْضِ الأَسْرَارِ المُتَعَلقَة بمَقَام {قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى}[١]
وَبَيَان سرِّ عَدَم وِجْدَان العَارِف كَامل شِمَالَهُ
وَهَذه المَعَارِفُ أَيْضًا مَنْقُولَةٌ بالمَعْنَى

اعْلَمْ أَنَّ مُعَامَلَة {قَابَ قَوْسَيْن}[٢] في الظَّاهِرِ لونًا منَ المَظْهَرِ، وَذَلكَ لعَدَمِ حُصُول ذَهَاب العَيْنِ وَالأَثَر منَ السَّالك للسَّالك، بخلاف مُعَامَلة {أَوْ أَدْنَى}[٣] فَإِنَّهُ لا يَبْقَى فيهَا حُكْمٌ وَلا أَثَرٌ منَ المَظْهَر أَصْلاً، فَيَكُونُ المَظْهَرُ في هَذه المَرْتَبَة الثَّانيَة أَمْرًا مُسْتَفَادًا منْ مَرْتَبَة الوُجُوب بالضَّرُورَة، وَهُوَ خَلقٌ للعَارِف خَاصٌّ به، أُعْطيَهُ بَعْدَ إتْمَام مُعَامَلَة الأَصْل، وَيُمْكنُ أَنْ يُعَبَّرَ عَنْهُ بإفَاضَة الصُّورَة أَيْضًا، وَهَذَا سرٌّ غَامضٌ جدًّا، وَلَعَل تَفْصيلهُ يُثْبَتُ في مَوْضعٍ آخَرَ إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالى، فَيَكُونُ المَظْهَرُ في هَذه المُعَامَلة أَمْرًا لَمْ يَتَطَرَّقْ إليْه رَائحَةٌ منَ العَدَم، وَليْسَ لشَائبَة الإمْكَان فيه مَجَال، فَلوْ أَثْبَتْنَا انْفعَالاً في تلكَ المَرْتَبَة يَكُونُ ذَلكَ منْ نَفْسه لا منَ الغَيْرِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَبْقَ فيهَا رَسْمٌ منَ الغَيْر

وَلوَجْهه مَنْ وَجْهه قَمَرٌ   وَلعَيْنه مَنْ عَيْنه كُحُل

وَإنْ كَانَ الانْفعَال الذي يَثْبُتُ في مَرْتَبَة قَابَ قَوْسَيْنِ   أَيْضًا حَقًّا، وَالظُّهُورُ فيهَا ظُهُورَ الأَصْل، وَلَكنَّهُ ليْسَ خَاليًا منْ شَائبَة الظِّلِّيَّة وَلائقًا بتلكَ المَرْتَبَة العُليَا، وَالانْفعَال الذي يَليقُ بتلكَ المَرْتَبَة المُقَدَّسَة هُوَ مَا لا يَكُونُ لرَائحَة الظِّلِّيَّة إليْه سَبيل، وَلا يَكُونُ للغَيْر مَدْخَل في البَيْنِ بوَجْه منَ الوُجُوه، فَإِنَّ الغَيْرَ غَيْرُ خَال عَنْ لوَث العَدَم، وَنَقْصِ الإمْكَانِ، فَلوْ كَانَت انْفعَالاتُ مَرَاتب الظِّلال لذَلكَ لسَاغَ فيمَا هُنَالكَ.

يَنْبَغِي أَنْ يُعَلَم: أَنَّ في مُعَامَلة " أَوْ أَدْنَى " الذي ذَكَرْتُ شَمَّةٌ منْهَا لا يَجدُ العَارِفُ الكَاملِ شِمَالَهُ، وَسرُّهُ أَنَّ شِمَالَهُ أَخَذَ حُكْمَ اليَمينِ؛ لأَنَّ الشِّمَال كَانَ

---

(١) ـــ الآية: ٩ من سورة النجم.

(٢) ـــ الآية: ٩ من سورة النجم.

(٣) ـــ الآية: ٩ من سورة النجم.

مِنْ مُقْتَضَيَات العَدَمِ ، فَلمَّا زَالتْ أَحْكَامُ العَدَمِ مَا بَقِيَ إلا الوُجُودُ الصِّرْفُ ، وَلَيْسَ ثَمَّةَ شمَال بَل كلتَا يَدَيْه سُبْحَانَهُ يَمينٌ ، فَافْهَمْ وَلا تَقَعْ في الزَّنْدَقة ، فَإذا عَرفْتَ هَذه الأَسْرَارَ الغَامضَةَ ، وَالمَعَارِفَ الغَرِيبَةَ فَاسْمَعْ ما سَبَق؛ فَإِنَّهُ مَا بَقِيَ حُكْمٌ وَأَثَرٌ في العَارِف وَلَمْ يَتَبَرَّأْ مِنْ لوَث العَدَم لَيْسَتْ لَهُ لياقَةٌ بِهَذَا الدُّنُوِّ الخلق تَظْهَرُ صُورَة قَوْسَيْن، وَإنْ لَمْ يَبْقَ مِنَ القَوْسِ الأَوَّل أَثَرٌ وَحُكْم، وَلَكِنْ لَمَّا تَشَرَّفَ بالتَّدَلي بتَوَهُّمِ في ذَلكَ الوَقْت صُورَةَ القَوْسَيْنِ وَإِنَّمَا قَال: بَعْدَ التَّدَلي {فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْن}[١]

باعْتبَارِ أَنَّ الثَّابتَ صُورَةُ القَوْسَيْنِ لا حَقيقَتُهُمَا{أَوْ أَدْنَى}[٢] بَل أَدْنَى إذَا مَا بَقِيَ مِنَ القَوْسِ الثَّاني هُنَاكَ أَثَرٌ وَلا حُكْمٌ فَلَيْسَ قَوْسَيْن.

هَهُنَا حَقيقَةٌ ، وَهَذه المَعَارفُ منْ أَسْرَارِ اللهِ سُبْحَانَهُ يُظْهرُهَا عَلى أَخصِّ الخَوَاصِّ مِنْ عِبَاده ، وَالسَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى ، وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى ، عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالبَرَكَاتُ العُلا.

---

(١) ـــ الآية: ٩ من سورة النجم.

(٢) ـــ الآية: ٩من سورة النجم.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالعِشْرُونَ وَالخَمْسُمائة
إلى القَاضِي أَسْلَمَ
فِي بَيَانِ أَنَّ صِفَاتِهِ تَعَالَى لا عَيْنُ ذَاتِهِ سُبْحَانَهُ وَلا غَيْرُ ذَاتِهِ

الحَمْدُ للهِ، وَسَلامٌ عَلى عِبَادِهِ الذينَ اصْطَفَى، مَا أَحْسَنَ مَا قَالَ عُلَمَاءُ أَهْلِ السُّنَّةِ شَكَرَ اللهُ تَعَالى سَعْيَهُمْ مِنْ أَنَّ الصِّفَاتِ الثَّمَانِيَةَ الحَقِيقِيَّةَ لِوَاجِبِ الوُجُودِ لا هُوَ وَلا غَيْرُهُ، وَهَذِهِ المَعْرِفَةُ وَرَاءَ طَوْرِ العَقْلِ، وَإِنَّمَا وَجَدُوهَا بِنُورِ الفِرَاسَةِ، وَبِبَرَكَةِ مُتَابَعَةِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، وَأَرْبَابُ المَعْقُولِ يَفْهَمُونَ مِنْ هَذِهِ العِبَارَةِ ارْتِفَاعَ النَّقِيضَيْنِ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اتِّحَادَ المَكَانِ وَالزَّمَانِ مِنْ شُرُوطِ حُصُولِ التَّنَاقُضِ فَإِذَا لَمْ يَكُنْ لِلزَّمَانِ وَالمَكَانِ مَجَالٌ فِي تِلْكَ الحَضْرَةِ كَيْفَ تُصُوِّرَ فِيهَا التَّنَاقُضُ؟ وَمَا تَصَرَّفَ العُلَمَاءُ فِي لَفْظِ الغَيْرِ لِدَفْعِ التَّنَاقُضِ، وَأَرَادُوا بِالغَيْرِ مَعْنًى خَاصًّا لا حَاجَةَ إِلَيْهِ أَصْلاً، بَلِ النَّظَرُ الكَشْفِيُّ يَمْنَعُ هَذَا التَّخْصِيصَ، وَيُثْبِتُ نَفْيَ الغَيْرِيَّةِ بِأَيِّ مَعْنًى كَانَتْ، وَنَجِدُ أَنَّ صِفَاتِهِ تَعَالَى كَمَا أَنَّهَا لَيْسَتْ عَيْنَ ذَاتِهِ الأَقْدَسِ بَلْ زَائِدَةً لَيْسَتْ غَيْرَ ذَاتِهِ أَيْضًا، وَلَوْ كَانَتْ زَائِدَةً وَثَبَتَتْ نِسْبَةُ الاثْنَيْنِيَّةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الذَّاتِ، وَقَدْ تَخَلَّفَ هُنَا القَضِيَّةُ المُقَرَّرَةُ لَدَى أَرْبَابِ المَعْقُولِ مِنْ أَنَّ الاثْنَيْنِ مُتَغَايِرَانِ، وَنَقَضَتْ أُصُولَهُمْ، وَمَا قُلْتُ مِنْ أَنَّهُ وَرَاءَ طَوْرِ العَقْلِ بِمَعْنَى أَنَّ العَقْلَ لا يَهْتَدِي إِلَيْهِ قَاصِرٌ عَنْ إِدْرَاكِهِ، لا أَنَّهُ يَحْكُمُ بِخِلافِهِ، كَيْفَ يَحْكُمُ بِخِلافِهِ وَهُوَ لَمْ يَتَصَوَّرْهُ بَعْدُ؟ بَلْ هُوَ خَارِجٌ عَنْ حِيطَةِ إِدْرَاكِهِ، فَكَيْفَ يُتَصَوَّرُ حُكْمُهُ بِإِثْبَاتِهِ وَنَفْيِهِ؟

{ رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا }(١).

---

(١) ــ الآية: ١٠ من سورة الكهف.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالعِشْرُونَ وَالخَمْسُمائَة

إلى المُلا سُلْطَان السرهندى

في بَيَان أَنَّ صِفَاته تَعَالَى مُتَّصِفَةٌ بالحَيَاة وَالعلم وَسَائِر الكمَالات وَفي تَحْقِيقِ مَعْنَى قِيَامِ الصِّفَات بذَاته جَل سُلْطَانُهُ

اعْلَمْ أَنَّ صِفَات وَاجب الوُجُود التي هِيَ قَائِمَةٌ بذَاته سُبْحَانَهُ مثْل الحَيَاة وَالقُدْرَة وَالعلم وَغَيْرهَا لا مُنَاسَبَةَ لَهَا مِنْ كَمَال التَّقْدِيسِ وَالتَّنْزِيه بصفَات المُمْكن أَصلاً ، فَإِنَّ صفَات المُمْكنِ أَعْرَاضٌ قَائمَةٌ بالجَوَاهِر ، وَصفَاتُ الوَاجب جَل سُلْطَانُهُ مُقَوِّمَاتُ الجَوَاهِر ، فَإِنَّ قِيَامَ الجَوَاهِر إِنَّمَا هُوَ بهَا ، وَأَيْضًا إِنَّ صفَات المُمْكنِ جمَادٌ مَحْضٌ ، حُكْمُهَا حُكْمُ المَيِّت ، لَيْسَ لَهَا نَصيبٌ مِنَ الحَيَاة وَالعلم وَغَيْرهمَا ، وَلكنَّ المُمْكنَ يَصيرُ بتَوَسُّطهَا حَيًّا وَعَالمًا وَقَادرًا ، وَأَمَّا هِيَ أَنْفُسُهَا فَلَيْسَتْ بحَيَّة وَلا عَالمَة وَلا قَادرَة بخلاف صفَات وَاجب الوُجُود تَعَالى وَتَقَدَّسَ ، فَإِنَّهَا في نَظَر هَذَا الحَقير الكَشْفيِّ حَيَّةٌ عَالمَةٌ كَمَوْصُوفهَا ، وَمُدْرِكَةٌ لكمَالاتهَا المُنْدَرجَة فيهَا ، وَمَشْغُوفَةٌ بهَا ، وَلكنَّ علمَهَا يُفْهَمُ منْ قَبيل العلم الحُضُوريِّ لا العلم الحُصُوليِّ ، وَكَذَلكَ كَل صفَة وَشَأْن ، تَثْبُتُ في مَرْتَبَة الوُجُوب تَنْكَشفُ كُلهَا بثُبُوت الحَيَاة وَالعلم لَهَا ، وَتَظْهَرُ في النَّظَر نُورًا صرْفًا ، وَكَأَنَّ ذَلكَ النُّورَ بتَمَامه حَيَاةٌ بتَمَامه علمٌ وَانْكشَافُ الكمَالات ، وَهُوَ مُتَعَلقٌ بصفَة العلم ، وَلَمَّا كَانَ العلمُ تَابعًا للحَيَاة لا بُدَّ منْ صفَة الحَيَاة أَيْضًا ، وَالقُدْرَةُ وَالإِرَادَةُ مَرْبُوطَتَان بالمَقْدُور وَالمُرَاد ، وَيُمْكنُ الاكْتفَاءُ منَ السَّمْع وَالبَصَر بالعلم ، وَالمَقْصُودُ منَ الكَلام هُوَ الإِفَادَةُ ، وَالتَّكْوينُ إِنَّمَا هُوَ للمُكَوِّنَات ، وَمَعَ ذَلكَ لَمَّا كَانَتْ كُل صفَة جَامعَةً كَانَتْ هَذه الصِّفَاتُ الكَاملَةُ فيهَا ثَابتَةً ، ظَهَرَتْ أَوْ لَمْ تَظْهَرْ لا يُقَال يَلزَمُ منْ هَذَا البَيَان قيَامُ المَعْنَى بالمَعْنَى ، فَإِنَّ الصِّفَات إِذَا كَانَتْ حَيَّةً وَعَالمَةً لا بُدَّ منْ قيَام الحَيَاة وَالعلم بهَا لأَنَّا نَقُول كلتَاهُمَا قَائمَتَان بذَات الوَاجب تَعَالى ، إِحْدَاهُمَا الأَصَالَةُ وَالأُخْرَى بالتَّبَعيَّة ، كَمَا قَال العُلَمَاءُ في بَقَاء الأَعْرَاض أَنَّ العَرَضَ وَبَقَاءَ العَرَض كليْهمَا قَائمَان بمَحَل العَرَض.

وَتَحْقيقُ هَذَا المَبْحَث أَنَّ قيَامَ صفَات الوَاجب بذَاته الأَقْدَس لَيْسَ هُوَ كَقيَام العَرَض بالجَوْهَر ، كَلا بَل هُوَ شَبيهٌ بقيَام المَصْنُوع بالصَّانع ، فَإِنَّ الصَّانعَ قَيُّومُ المَصْنُوع ، وَإِنْ كَانَ هُنَاكَ اتِّصَافٌ وَفُقدَ ذَلكَ الاتِّصَافُ هُنَا ، لا بَل هُوَ كَقيَام الشَّيْء بذَاته وَإِنَّمَا الفَرْقُ أَنَّ هُنَاكَ زيَادَةً ، وَالزِّيَادَةُ غَيْرُ مُتَصَوَّرَة هُنَا ، وَلكنَّ تلكَ

الزِّيَادَةَ غَيْرُ مُوَصِّلَة إلى حَدِّ الغَيْرِيَّة ، فَإِنَّهُمْ قَالوا وَلا غَيْرُهُ ، فَكَانَ التَّغَايُرُ الاعْتِبَارِيُّ ثَابِتًا فِي المَوْضِعَيْنِ ، وَالقِيَامُ مُتَحَقِّقًا ، وَحُصُول الاتِّصَاف هُنَا مِنْ قَبِيل اتِّصَاف الإِنْسَان بِالإِنْسَانِيَّة ، وَاتِّصَافُ الجَوْهَرِيَّة بِالجَوْهَر ، بَل أَقُول إِنَّ مَرْتَبَةَ الذَّات الأَقْدَسِ وَالصِّفَات الحَقِيقِيَّة المُقَدَّسَة القَائِمَة بِهَا لَيْسَتْ فِيهَا مُلاحَظَةُ الصِّفَات وَالاتِّصَاف أَصْلاً ، لا فِي حَضْرَة الذَّات مُلاحَظَةُ المَوْصُوفِيَّة ، وَلا فِي الصِّفَات مُلاحَظَةُ الصِّفَاتِيَّة ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ لِلوُجُود وَوُجُوب الوُجُود مَجَال فِي تِلْكَ الحَضْرَة ، كَيْفَ يَكُونُ لِلصِّفَة وَالاتِّصَاف فِيهَا مَجَال؟ فَإِنَّهَا فَرْعُ الوُجُود ، لا مَجَال فِي ذَلِكَ المَوْطِنِ المُقَدَّسِ لِشَيْءٍ غَيْرَ النُّور ، وَهُوَ أَيْضًا لا كَيْفِيٌّ ، فَإِنْ كَانَ فِيه حَيَاةٌ فَهُوَ نُورٌ ، وَإِنْ كَانَ عِلْمٌ فَهُوَ أَيْضًا نُورٌ ، وَعَلى هَذَا القِيَاس فَلَوْ أُثْبِتَ لِهَذَا النُّورِ الأَقْدَسِ الكَيْفِيِّ ظُهُورٌ فِي مَرْتَبَة ثَانِيَة بِلا تَغَيُّر وَانْتِقَال لا يَكُونُ القَابِل لِمَظْهَرِيَّته شَيْءٌ غَيْرُ الوُجُود ، وَلِهَذَا كَانَ التَّعَيُّنُ الأَوَّل عِنْدَ هَذَا الحَقِير هُوَ التَّعَيُّنَ الوُجُودِيَّ ، وَسَائِرُ التَّعَيُّنَات تَابِعَةٌ لِهَذَا التَّعَيُّنِ الأَوَّل ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لإِطْلاقَ لَفْظ التَّعَيُّنِ هَهُنَا مَجَال بِمُقْتَضَى عُلُوم هَذَا الفَقِير ، وَلَكِنْ لَمَّا صَارَ هَذَا اللَفْظُ مُتَعَارَفًا فِيمَا بَيْنَ القَوْمِ ، وَنَحْنُ أَيْضًا جَرَيْنَا عَلى اصْطِلاحَاتِهِمْ ، وَاخْتَرْنَا المُسَاهَلَة فِي إِطْلاقه

{رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلى كُل شَيْءٍ قَدِيرٌ }(١).

---

(١) ــ الآية: ٨ من سورة التحريم.

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالعِشْرُونَ وَالخَمْسُمائَة
إلى مُحَمَّد هَاشِم الكُشمِيِّ
في تَحْقِيقِ صِفَاتِ الوَاجِبِ تَعَالى
وَبَيَان كَيْفِيَّة تَعَلق علمه تَعَالى بكمَالاته
وَبَيَان أنَّهُ لا بُدَّ للمَعْنَى مِنَ القِيَام بالعَيْنِ وَلكنْ لا يُحْتَاجُ فيه إلى إثْبَات المَحَل
وَبَيَانِ التَّعَيُّنِ الوُجُوديِّ وَمَبَادِئ تَعَيُّنَات الأَنْبِيَاء المَتْبُوعِينَ وَالأَنْبِيَاء التَّابعينَ، وَالمَلائكَة الكرَام، عَلى الأَنْبِيَاء وَعَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ
وَمَبَادِئ تَعَيُّنَات الأَوْلِيَاء وَعَوَامِّ المُؤْمنينَ وَالكُفَّار وَمَوْجُودَات النَّشْأَة الأُخْرَوِيَّة

إنَّ الصِّفَات الحَقِيقيَّةَ التي نُثْبتُهَا في مَرْتَبَة حَضْرَة الذَّات لا يَحْدُثُ منْ ذَلكَ الإثْبَات تَعَيُّنٌ وَلا تَنَزُّل في تلكَ الحَضْرَة تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ، وَلا تَثْبُتُ مَرْتَبَةٌ أُخرَى وَرَاءَ المَرْتَبَة الأوْلى، وَلا يُتَصوَّرُ انْفكَاكُهَا منْهَا بوَجْه منَ الوُجُوه، وَمَا لَمْ تَتَحقَّقْ مَرْتَبَةٌ ثَانيَةٌ وَلَمْ يَحْصُل انْفكَاكٌ بوَجْه منَ الوُجُوه لا يُتَصوَّرُ تَعَيُّنٌ وَلا تَنزُّل، وَكَأَنَّ حَضْرَةَ الذَّات وَالصِّفَات في مَرْتَبَة وَاحدَة، وَكَأَنَّ الصِّفَات مَعَ وُجُود الزِّيَادَة عَيْنُ الذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ، وَهَذه الصِّفَاتُ وَإنْ كَانَتْ تَفْصيل الكمَالات المُنْدَرجَة في حَضْرَة الذَّات، وَلكنَّ حُكْمَهَا مُمْتَازٌ عَنْ حُكْم سَائر الإجْمَال وَالتَّفْصيل، فَإنَّ الإجْمَال إنَّمَا يَكُونُ في مَرْتَبَة لَيْسَ فيهَا تَفْصيل، بَل مَرْتَبَةُ التَّفْصيل دُونَ مَرْتَبَة الإجْمَال، وَهَذَا المَعْنَى مَفْقُودٌ في تلكَ الحَضْرَة، فَإنَّ التَّفْصيل فيهَا في عَيْن مَرْتَبَة الإجْمَال، وَهَذه المَعْرفَةُ وَرَاءَ طَوْر العَقْل، وَإنَّمَا اهْتَدَى إلَيْه النَّظَرُ الكَشْفيُّ، وَعلْمُ الوَاجب الذي تَعَلقَ بهَذه الصِّفَات في تلكَ المَرْتَبَة كَعلمه بذَاته وَكمَالاته المُنْدَرجَة في ذَاته علمٌ حُضُوريٌّ، وَهَذه الصِّفَاتُ مَعَ وُجُود زيَادَتهَا عَيْنُ العَالم، وَحُضُورُهُمَا كَحُضُور نَفْس العَالم، وَمنْ كَمَال اتِّحَادهمَا بحَضْرَة الذَّات، قَال جَمٌّ غَفيرٌ منَ الصُّوفيَّة بعَيْنيَّة الصِّفَات بالذَّات، وَأَنْكَرُوا عَلى زيَادَة الصِّفَات، وَمَنَعُوا قَوْلهُمْ لا هُوَ، وَأَثْبَتُوا قَوْلهُمْ لا غَيْرُهُ، وَالكَمَال هُوَ أنْ يُثْبتَ لا غَيْرُهُ، مَعَ وُجُود التَّصْديق بـــ لا هُوَ، وَأنْ يَسْلبَ الغَيْريَّةَ مَعَ وُجُود الزِّيَادَة، وَهَذَا الكَمَال مُوَافقٌ لعُلوم الأَنْبيَاء عَلَيْهمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْليمَاتُ، وَمُطَابقٌ لآرَاء الفرْقَة النَّاجيَة أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة، شَكَرَ اللهُ سَعْيَهُمْ.

يَنْبَغي أنْ يُعلَم: أَنَّ الانْكشَافَ الذَّاتيَّ في المَرْتَبَة التي يَتَعَلقُ بحَضْرَة الذَّات وَالصِّفَات المُقَدَّسَة منْ قَبيل العلم الحُضُوريِّ، فَإنَّ للصِّفَات المُقَدَّسَة أَيْضًا

حُكْمُ حَضْرَةِ الذَّات كَمَا مَرَّ ، وَإِنَّمَا قُلتُ أَنَّهُ مِنْ قَبيل العلمِ الحُضُوريِّ فَإِنَّ العلمَ الحُضُوريَّ عبَارَةٌ عَنْ حُضُور نَفْسِ العَالِم ، وَحَيْثُ إِنَّ الصِّفَات لَيْسَتْ عَيْنَ العَالِم ، يَنْبَغِي أَنْ لا يَكُونَ علمُهَا علمًا حُضوريًّا ، وَلكِنْ لَمَّا لَمْ تُنتزَعْ مِنْهَا صُورَةٌ ، وَحُضُورُ أَنْفُسِهَا كَائِنٌ ، كَانَ علمُهَا مِنْ قَبيل العلم الحُضُوريِّ ، وَالانْكِشَافُ الذي يَتَعَلقُ بِصِفَةِ العِلمِ مِنْ قَبِيل العلمِ الحُصُوليِّ ، وَإِنَّمَا قُلتُ مِنْ قَبيل العلمِ الحُصُوليِّ ، فَإِنَّ العلمَ الحُصُوليَّ عبَارَةٌ عَنْ صُورَة حَاصلة مِنَ المَعْلوم فِي العَقْل ، وَقَدْ صَارَ مُحَقَّقًا عِنْدَ هَذَا الفَقيرِ وَمَكْشُوفًا إِنَّهُ لا انْتقَاشَ لصُورَة شَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاء فِي علم الوَاجب جَل سُلطَانُهُ ، وَإِنَّ علمَهُ تَعَالى لَيْسَ مَحَلاً لصُورَة مِنْ صُوَر المَعْلومَات ، فَكَيْفَ يُتَصَوَّرُ حُصُول الصُّورَة فِي ذَات العَالِم تَعَالى؟ بَل لَعَلهُ سُبْحَانَهُ تَعَلقَ بِمَعْلوم ، وَانْكِشَافُهُ لَهُ تَعَالى مِنْ غَيْرِ أَنْ تَثْبُتَ صُورَةٌ مِنْ مَعْلومٍ فِي العِلمِ ، وَمَوْطِنُ العِلمِ خَال مِنَ النُّقُوش ، وَمُصَفًّى مِنَ الصُّوَر العلميَّة ، وَمَعَ ذَلكَ لا يَعْزُبُ مِنْ علمه مِثْقَال ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاء ، وَلكِنْ يَكُونُ مَكْشُوفًا أَنَّ علمَهُ تَعَالى إِذَا تَعَلقَ بِمَعْلومٍ تُنتزَعُ مِنْهُ بِسَبَب هَذَا التَّعَلق صُورَةٌ تَقُومُ بعلمه تَعَالى مِنْ غَيْرِ أَنْ يَحْدُثَ فِي العلمِ شَيْءٌ مِنَ الحُلول وَالحُصُول ، فَلمَّا انْتُزعَ مِنَ المَعْلومِ بِسَبَب التَّعَلق صُورَةٌ ، وَقَامَتْ بالعلمِ بَل بالعَالِم صَحَّ كَوْنُهُ مِنْ قَبيل العلم الحُصُوليِّ ، فَإِذَا تَعَلقَتْ صِفَةُ العلمِ بِكَمَالاته المُنْدرجَة فِي ذَاته تَعَالى تُنتزَعُ بِهَذَا التَّعَلقِ مِنْ تلكَ الكَمَالات صُوَرٌ علميَّةٌ وَتَقُومُ بالعلمِ وَإِنْ لَمْ يَثْبُتْ حُلولهَا وَحُصُولهَا فِي العلمِ.

فَإِنْ قِيـــــل: قَدْ أَثْبَتَ لهَذه الصُّوَر العلميَّة قيَامًا بصفَةِ العلمِ ، وَلكِنْ لَمْ يَعْلَمْ مَا مَحَل ثُبُوت هَذه الصُّوَرِ ، فَإِنَّ المَعْنَى كَمَا أَنَّهُ لا بُدَّ لهُ مِنَ القيَام بالعَيْنِ لا بُدَّ لهُ مِنْ مَحَليَّة العَيْنِ أَيْضًا.

قُلتُ نَعَمْ لا بُدَّ للمَعْنَى مِنَ القيَامِ بالعَيْنِ ، وَلكِنْ لا حَاجَةَ إِلى إِثْبَات المَحَل لهُ أَصْلاً ، فَإِنَّ المَقْصُودَ مِنْ إِثْبَات المَحَل للمَعْنَى إِنَّمَا هُوَ إِثْبَاتُ قيَامه لا أَنَّهُ أَمْرٌ زَائدٌ عَلى القيَام ، فَإِذَا قيل فِي الجَوَاهر المُجرَّدَة المُمْكنَة التي هِيَ كَالظِّلال لتلكَ الصُّوَر العلميَّة ، وَتلكَ الصُّوَرُ مَبَادئُ تَعَيُّنَات تلكَ الجَوَاهر إِنَّهَا لَمْ يَثْبُتْ لهَا مَحَل وَلا مَكَانٌ ، بَل لا حَاجَةَ إِليْه أَصْلاً فَلا مَجَال للتَّعَجُّب إِنْ لَمْ يَكُنْ لأُصُول تلكَ الجَوَاهر المُجرَّدَة مَحل ، إِيَّاكَ وَتَصَوُّرَ هَذه الصُّوَر العلميَّة كَالأَعْرَاض التي تَقُومُ بالغَيْرِ فَيَذْهَبُ بكَ الوَهْمُ فِي إِثْبَات المَحَل لهَا عَلى قيَاسِ الأَعْرَاضِ ، فَإِنَّ الصُّوَرَ العلميَّة

أُصُول تلكَ الجَوَاهِرِ التي بِهَا تَقُومُ الأَعْرَاضُ بَل مَبَادِئُ تَعَيُّنَاتِهَا ، فَكَيْفَ تُقَاسُ هِيَ عَلَى الأَعْرَاضِ؟ بَلْ نَقُولُ فِي الأَعْرَاضِ أَيْضًا أَنَّ المَقْصُودَ مِنْ إِثْبَاتِ المَحَل لَهَا إِنَّمَا هُوَ لإِثْبَات قِيَامِهَا بالمَحَل مَقْصُودٌ بالاسْتِقْلال.

وَتَحْقِيقُ ذَلكَ أَنَّ هَذه الصُّوَرَ العلميَّةَ كَائنَةٌ فِي مَرْتَبَة الوُجُوب ، وَلا مَجَال للمَحَل وَالمَكَان هُنَاكَ ، وَلا يُتَصَوَّرُ فِيهَا غَيْرُ القِيَام ، أَلا تَرَى أَنَّ صِفَاته تَعَالى الحَقِيقيَّةَ قَائمَةٌ بحَضْرَة ذَاته الأَقْدَس ، وَلا حَاليَّةَ هُنَاكَ وَلا مَحَليَّةَ ، وَمَا قَالُوا مِنَ الثُّبوت الذِّهْنِيِّ وَالخَارجيِّ فَإِنَّمَا هُوَ مُنْقَسمٌ عَلَيْهِمَا فِي مَرْتَبَة الإِمْكَان ، فَإِنَّهُ لا مَجَال فِي تلكَ الحَضْرَة للخَارجِ وَلا للعلم ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ للوُجُود فِيهَا مَجَال كَيْفَ يَكُونُ للذِّهْنِيِّ وَالخَارجِيِّ اللذَيْن هُمَا منْ أَقْسَامه فيهَا مَجَال؟ وَكَيْفَ يُتَصَوَّرُ فِيهَا ظَرْفيَّةُ العلمِ وَالخَارجِ للوُجُود ، فَهَذه الصُّوَرُ العلميَّةُ تَكُونُ ثَابتَةً وَقَائمَةً بصفَة العلم ، وَلا يَكُونُ شَيْءٌ منَ الثُّبوت العلميِّ وَالخَارجيِّ مُتَحَقِّقًا فيهَا ، بَل يَكُونُ الوُجُودُ العلميُّ وَالخَارجيُّ عَارًا عَلَيْهَا لكَوْنه منْ صفَات الإِمْكَان وَسمَات الحُدُوث ، فَإِنَّ كُل مُمْكنٍ حَادثٌ عنْدَهُمْ ، وَالوُجُودُ وَإِنْ كَانَ ثَابتًا فِي مَرْتَبَة الوُجُوب ، وَلكنْ لَمْ يَثْبُتْ ظَرْفيَّةُ العلمِ وَالخَارجِ لذَلكَ الوُجُود ؛ لأَنَّهُ لا مَجَال فيهَا للظَّرْفيَّة وَالمَظْرُوفيَّة.

اسْتَمِع اسْتمَاعًا كَاملاً أَنَّ صُورَةَ المَعْلوم عبَارَةٌ عَنْ نَفْس العلمِ ، فَمَا يَكُونُ مَعْنَى حُصُولهَا وَحُلولهَا فِي العلمِ ، وَقَال المُتَأَخِّرُونَ منَ الصُّوفيَّة العَليَّة إِنَّ الصُّوَرَ العلميَّةَ التي هِيَ عبَارَةٌ عَنِ الأَعْيَان الثَّابتَة ، وَحَقَائقُ المُمكنَات ثُبُوتُهَا فِي العلمِ فَقَطْ وَفِي خَارجِ العلمِ لَمْ تَصل إِلَيْهَا رَائحَةٌ منَ الوُجُود ، وَلكنْ لَمَّا وَقَعَتْ عُكُوسُ تلكَ الصُّوَر العلميَّة فِي مرْآة ظَاهر الوُجُود الذي لا مَوْجُودَ فِي الخَارجِ غَيْرُهُ صَارَتْ تَتَوَهَّمُ أَنَّهَا مَوْجُودَةٌ فِي الخَارجِ ، كَمَا أَنَّ الصُّورَةَ إِذَا انْعَكَسَتْ فِي المرْآة تَتَوَهَّمُ أَنَّهَا فِي المرْآة ، فَيَا لَيْتَ شعْرِي مَا مُرَادُ هَؤُلاء الكُبَرَاء؟ وَمَا مَعْنَى حُصُول الصُّوَر فِي العلمِ؟ وَمَا الصُّوَرُ فِي الشَّاهد الأَنْفس العلمِ وَفِي الغَائب علمُهُ تَعَالى أَزَليٌّ قَديمٌ بَسيطٌ وَحْدَانيٌّ ، تَعَلقَ بمَعْلومَات مُتَكَثِّرَة حَصَلتْ مَنْ تُعَلقه صُورَةً مُتَعَدِّدَةً مُتَمَيِّزَةً لتلكَ المَعْلومَات منْ غَيْرِ أَنْ يُثْبتَ حُصُولهَا وَحُلولهَا فِي ذَلكَ العلمِ الأَزَليِّ ، كَيْفَ تَحْصُل الصُّورَةُ المُتَعَدِّدَةُ فيه وَهُوَ يَسْتَلزِمُ التَّبَعُّضَ وَالانْقسَامَ للمَحَل؟ وَفَرْضُ شَيْءٍ فيه غَيْرُ شَيْء وَهُوَ يُوجبُ التَّرْكيبَ المُنَافِي للقدَم وَالأَزَليَّة؟

وَالعَجَبُ أَنَّ أَرْبَابَ المَعْقُول أَثْبَتُوا الصُّورَةَ الحَاصلةَ منَ المَعْلومِ فِي الذِّهْنِ

وَاعْتَقَدُوا حُلولهَا فِي الذِّهْنِ لا فِي العلمِ ، فَإِنَّ تلكَ الصُّورَةَ عِنْدَهُمْ عَيْنُ العِلمِ لا أَنَّهَا حَالَةٌ فِي العلمِ ، وَالمُتَبادرُ مِنْ عبَارَة مُتَأَخِّرِي الصُّوفِيَّة حُصُول تلكَ الصُّورَة فِي العلمِ الذي يَقُولونَ لهُ بَاطِنُ الوُجُود ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ.

يَنْبَغِي أَنْ يُعلَم: أَنَّ تلكَ الصُّورَةَ العلميَّةَ التي ثَبَتَتْ مِنْ تَعَلق صفة العلمِ بكمَالاته تَعَالى الذَّاتيَّة تَلوحُ فِي النَّظَرِ الكَشْفِيِّ أَنَّ لهَا حَيَاةً وَعلمًا ، وَالانْكشَافُ المُنَاسبُ للعلمِ الحُضُوريِّ بالنِّسْبَة إلى الكمَالات المُنْدَرجَة فيهَا ثَابتٌ لهَا كَمَا بَيَّنَّا تَحْقيقَ هَذَا المَبْحَث فِي مَكْتُوب بالتَّفْصيل ، فَإِذَا بَقِيَ خَفَاءٌ مِنْ غرَابَة هَذه المَعْرفَة ، وَاحْتِيجَ إلى الاسْتكْشَاف وَالاسْتفْسَار ، فليُرَاجعْ هُنَاكَ ، فَإِذَا اتَّضَحَ مِنَ البَيَان السَّابق أَنَّ ذَاتَهُ تَعَالى الأَقْدَسَ وَصفَاته المُقَدَّسَةَ فِي مَرْتَبَة وَاحدَة ، وَأَنَّهُ لَمْ تَحْدُثْ فِي تلكَ الحَضْرَة مِنْ كَوْن وُجُود الصِّفَات زَائدًا عَلَى وُجُود الذَّات تَنَزُّل وَتَعَيُّنٌ أَصْلاً ، فَاعْلَمْ أَنَّ لهَذه المَرْتَبَة المُقَدَّسَة التي هِيَ مَرْتَبَةُ حَضْرَة الذَّات مَعَ الصِّفَات ظُهُورًا أَوَّلاً فِي مَرْتَبَة ثَانيَة بلا تَبْديل وَلا تَغْيير ، وَهُوَ عنْدَ هَذَا الحَقير عَلى وَجْه الكَشْف وَالشُّهُود حَضْرَةُ الوُجُود الذي هُوَ خَيْرٌ مَحْضٌ ، وَكَمَال صرْفٌ ، وَفيه قَابليَّةُ ظُهُور جَميع الكمَالات بطَريق الظِّلِّيَّة ، وَهَذه الدَّوْلةُ لَمْ تَتَيَسَّرْ لغَيْر الوُجُود ، وَلهَذَا لوْ تَعَلقَ بهَذه المَرْتَبَة المُقَدَّسَة علمٌ وَانْتزعَتْ كمَالاتُهَا كَمَا مَرَّ ، يَكُونُ أَوَّل شَيْء يُنْتَزَعُ مِنْ تلكَ الحَضْرَة حَضْرَةُ الوُجُود البَتَّةَ ، وَالكمَالاتُ الأُخَرُ تَكُونُ تَوَابعَهُ ، وَمنْ هَهُنَا اعْتَقَدَ الجَمُّ الغَفيرُ مِنَ الصُّوفيَّة وَغَيْرهمْ أَنَّ الوُجُودَ عَيْنُ الذَّات ، وَظَنُّوا تَعَيُّنَ الوُجُود لا تَعَيُّنًا ، وَثُبُوتُ هَذَا التَّعَيُّنِ الأَسْبَق مَا وَرَاءَ العلمِ وَالخَارجِ كَمَا بُيِّنَ تَحْقيقُ هَذَا المَعْنَى فِي مَوَاضعَ مُتَعَدِّدَة ، وَحَضْرَةُ الوُجُود هَذَا جَامعٌ لجَميعِ الكمَالات الذَّاتيَّة وَالصِّفَاتيَّة بطُرُق الظِّلِّيَّة إجْمَالاً ، وَلهَذه المَرْتَبَة الجَامعَة الإجْمَاليَّة تَفْصيل يُمْكنُ أَنْ يُقَال لهُ تَعَيُّنًا ثَانويًّا ، وَأَوَّل شَيْء ظَهَرَ فِي مَرْتَبَة التَّفْصيل صفَةُ الحَيَاة التي هِيَ أُمُّ جَميعِ الصِّفَات ، وَصفَةُ الحَيَاة هَذه كَأَنَّهَا ظل صفَة الحَيَاة التي فِي مَرْتَبَة حَضْرَة الذَّات تَعَالتْ ، وَلا هُوَ وَلا غَيْرُهُ صَادقٌ فِي حَقِّهَا بخلاف هَذَا الظِّل فَإِنَّهُ لمَّا ظَهَرَ فِي مَرْتَبَة وَرَاءَ مَرْتَبَة حَضْرَة الذَّات لا يَكُونُ لا غَيْرُهُ ثَابتًا فِي حَقِّه البَتَّةَ ، بَل يَكُونُ مُتَّسمًا بسمَة الغَيْريَّة ، وَبَعْدَ صفَات الحَيَاة صفَةُ العلمِ بطَريق الظِّلِّيَّة ، كَمَا مَرَّ فِي صفَة الحَيَاة ، وَهَذه الصِّفَةُ جَامعَةٌ لجَميعِ الصِّفَات ، وَصفَةُ القُدْرَة وَالإرَادَة وَغَيْرُهُمَا مَعَ وُجُود اسْتقْلالهَا كَالأَجْزَاء لهَا فَإِنَّ لهَذه الصِّفَة نَوْعُ اتِّحَاد بحَضْرَة الذَّات ، وَلَيْسَ ذَلكَ الاتِّحَادُ لغَيْرهمَا ؛ لأَنَّ فِي

صُورَةَ العلمِ الحُضُورِيِّ اتِّحَادُ العَالِمِ وَالعُلومِ، وَالقُدْرَةُ لَمْ تَتَّحِدْ بالمَقْدُورِ وَالقَادِرِ قَطُّ، وَهَذَا الاتِّحَادُ لَيسَ هُوَ أَيْضًا فِي الإِرَادَةِ التي هِيَ تَخْصِيصُ أَحَدِ المَقْدُورِينَ، وَعَلى هَذَا القِيَاسِ وَعِنْدَ هَذَا الحَقِيرِ مَبْدَأُ تَعَيُّنِ الخَلِيلِ، عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، التَّعَيُّنَ الأَوَّلَ الذي هُوَ التَّعَيُّنُ الوُجُودِيُّ، وَمَرْكَزُ هَذَا التَّعَيُّنِ الذي هُوَ أَشْرَفُ أَجْزَائِه مَبْدَأٌ لِتَعَيُّنِ خَاتَمِ الرُّسُلِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ بالأَصَالَةِ، كَمَا ذُكِرَ تَحْقِيقُ هَذَا المَبْحَثِ فِي مَكْتُوبٍ بالتَّفْصِيلِ، وَحَيْثُ إِنَّ وَلايَةَ الخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلامُ وَلايَةٌ إِسْرَافِيلِيَّةٌ يَكُونُ مَبْدَأُ تَعَيُّنِ إِسْرَافِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ هُوَ هَذَا التَّعَيُّنَ الوُجُودِيَّ البَتَّةَ، وَمَبْدَأُ تَعَيُّنِ كُلِّ نَبِيٍّ وَرَسُولٍ بالأَصَالَةِ حِصَّةٌ مِنْ حِصَصِ هَذَا التَّعَيُّنِ الأَوَّلِ الوُجُودِيِّ، فَلَوْ كَانَ لِشَخْصٍ مِنَ الأُمَمِ نَصِيبٌ

مِنْ هَذَا التَّعَيُّنِ، أَوْ نُقْطَةٌ مِنْ نُقَطٍ مَبْدَأَ تَعَيُّنِه فَهُوَ مُجَوَّزٌ بَل وَاقِعٌ، وَمَا لَمْ يَكُنْ فِي هَذَا التَّعَيُّنِ مَبْدَأُ تَعَيُّنٍ لا يَكُونُ لِلوُصُولِ إِلى حَضْرَةِ الذَّاتِ بالأَصَالَةِ مَجَالٌ، وَمَبَادِئُ تَعَيُّنَاتِ المَلائِكَةِ العَلِيَّةِ الذينَ هُمْ مُقَرَّبُو حَضْرَةِ الذَّاتِ أَيْضًا فِي هَذَا التَّعَيُّنِ الوُجُودِيِّ، فَإِنَّ الوُصُولَ إِلى حَضْرَةِ الذَّاتِ مَرْبُوطٌ بِه.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ صِفَةَ العِلْمِ التي ظَهَرَتْ فِي مَرْتَبَةِ تَفْصِيلِ التَّعَيُّنِ الوُجُودِيِّ وَإِنْ كَانَتْ حِصَّةً مِنْ حِصَصِ ذَلِكَ التَّعَيُّنِ الوُجُودِيِّ وَلَكِنْ لَمَّا كَانَتْ لَهَا جَامِعِيَّةٌ صَارَتْ كَأَنَّهَا نَفْسُ الوُجُودِ، جَامِعَةٌ لِجَمِيعِ حِصَصِ ذَلِكَ التَّعَيُّنِ، وَلَهَا أَيْضًا إِجْمَالٌ وَتَفْصِيلٌ، وَالإِجْمَالُ لَهُ حُكْمُ مَرْكَزِ الدَّائِرَةِ، وَالتَّفْصِيلُ لَهُ حُكْمُ المُحِيطِ، فَمَرْكَزُ هَذَا التَّعَيُّنِ العِلْمِيِّ الذي هُوَ إِجْمَالٌ كَأَنَّهُ ظِلُّ مَرْكَزِ ذَلِكَ التَّعَيُّنِ الأَوَّلِ الوُجُودِيِّ، وَبِهَذِه العَلاقَةِ تَيَقَّنَ جَمَاعَةٌ أَنَّ مَبْدَأَ تَعَيُّنِ خَاتَمِ الرُّسُلِ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ إِجْمَالُ حَضْرَةِ العِلْمِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ، بَلْ هَذَا الإِجْمَالُ ظِلُّ مَبْدَأِ تَعَيُّنِه عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، الذي هُوَ مَرْكَزُ التَّعَيُّنِ الأَوَّلِ الوُجُودِيِّ كَمَا مَرَّ، وَأَيْضًا اعْتَقَدُوا إِجْمَالَ العِلْمِ هَذَا تَعَيُّنًا أَوَّلاً، وَاعْتَقَدُوا المَرْتَبَةَ الفَوْقَانِيَّةَ لا تَعَيُّنًا، وَظَنُّوهَا عَيْنَ حَضْرَةِ الوُجُودِ، نَعَمْ إِنَّهَا عَيْنُ الوُجُودِ، وَلَكِنَّهَا مَنْسُوبَةٌ إِلى التَّعَيُّنِ كَمَا مَرَّ.

لا يَخْفَى أَنَّ التَّعَيُّنَ الأَوَّلَ وَإِنْ كَانَتْ حِصَصُهُ المُنْدَرِجَةُ فِيه مَبَادِئَ تَعَيُّنَاتِ الأَنْبِيَاءِ الكِرَامِ وَالمَلائِكَةِ العِلِّيِّينَ العِظَامِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ الإِجْمَالُ كَائِنًا فِي تِلْكَ المَرْتَبَةِ لا يَعْلَمُ مَبَادِئَ كُلٍّ مِنْهُمْ بالتَّفْصِيلِ عَلَى حِدَةٍ، وَلا تَكُونُ مُسَمَّاةً بِاسْمٍ، وَلَمَّا عَرَضَ التَّفْصِيلُ عَلَيْهَا صَارَتْ مَبَادِئُ كُلٍّ مُتَمَيِّزَةً، وَصَارَ

كُل مَبْدَأ مُسَمًّى بِاسْمٍ عَلى حِدَةٍ، مَثَلاً حِصَّةٌ مِنْ ذَلكَ التَّعَيُّنِ الأَوَّل الوُجُودِيِّ سُمِّيَتْ بِاسْمِ الحَيَاة، وَحِصَّةٌ أُخْرَى بِاسْمِ العلمِ، عَلى هَذَا القِيَاسِ، وَصَارَ مَشْهُودًا أَنَّ اسْمَ الحَيَاة بِاعْتِبَارِ جَامعيَّتهَا مَبْدَأٌ لتَعَيُّنِ المَلائكَة العلِّيِّينَ العظَامِ، عَلَيْهِمُ السَّلامُ، وَلَمَّا كَانَ لرُوحِ الله، عَلَى نَبيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ، مُنَاسبَةٌ بِالمَلأ الأَعْلى كَانَ لَهُ نَصيبٌ منْ هَذَا المَقَامِ، وَحَيْثُ إِنَّ للمَهْدِيِّ عَلَيْه الرِّضْوَانُ مُنَاسبَةً خَاصَّةً بِرُوحِ الله فَهُوَ أَيْضًا رَاجٍ منْ هَذَا القِيَامِ.

يَنْبَغِي أَنْ يُعلَمَ: أَنَّ كُل وَاحد منَ الصِّفَات الثَّمَانيَة التي عَرَضَ لَهَا التَّفْصيل في مَرْتَبَة التَّعَيُّنِ الثَّاني مَبْدَأٌ لكُل نَبيٍّ ذي شَأْن مُقْتَدًى به، فَالعلمُ مَثَلاً مَبْدَأُ تَعَيُّنِ خَاتَمِ الرُّسُل، عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ، وَالقُدْرَةُ مَبْدَأُ تَعَيُّنِ عيسَى عَلَيْه السَّلامُ، وَالتَّكْوينُ مَبْدَأُ تَعَيُّنِ آدمَ عَلَيْه السَّلامُ، وَجُزْئيَّاتُ هَذه الأَسْمَاء الكُلِّيَّة المُقَدَّسَة مَبَادئُ تَعَيُّنَات سَائر الأَنْبيَاء عَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ، فَكُل طَائفَة منْ هَؤُلاء الكُبرَاء لَهَا مُنَاسبَةٌ بِاسْم خَاصَّة وَبنَبيٍّ مُقْتَدًى به، كَانَ جُزْئيَّات ذَلكَ الاسْمِ مَبَادئُ تَعَيُّنَاتهِمْ وَمَبَادئُ تَعَيُّنَات الأَوْليَاء الذينَ هُمْ عَلَى قَدَم نَبيٍّ منَ الأَنْبيَاء المُقْتَدَى بهِمْ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ جُزْئيَّات لجُزْئيَّات الاسْمِ الذي هُوَ مَبْدَأٌ لتَعَيُّنِ ذَلكَ النَّبيِّ عَلَيْه السَّلامُ، وَكَذَلكَ تَعَيُّنُ سَائرِ المُؤْمنينَ جُزْئيَّاتُ الاسْمِ الذي هُوَ مَبْدَأٌ لتَعَيُّنِ نَبيٍّ، كَانَ هَؤُلاء عَلَى قَدَمه، وَمَبَادئُ تَعَيُّنَاتِ الكُفَّارِ مُتَعَلقَةٌ بِاسْمِ المُضل، وَمُمْتَازَةٌ منَ التَّعَيُّنَات المَذْكُورَة.

فَإِذَا عَلمْتَ مَبَادئَ تَعَيُّنَات المُمكنَات فَاعْلمْ أَنَّ تَمَاميَّةَ دَائرَة الوُجُوب بِانْتهَاء هَذه التَّعَيُّنَات إلى مُنْتهَاهَا، وَالشُّرُوعِ بَعْدَ ذَلكَ في دَائرَة المُمْكنَات، وَلَمَّا أَرَادَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ منْ كَمَال كَرَمه وَإِحْسَانه أَنْ يَفيضَ فُيُوضَاته وَإِنْعَامَاته عَلى الغَيْر، وَأَنْ ينْشُرَ خزَائنَهُ، خَلقَ الخَلقَ، وَوَهَبَ لَهُمْ منْ كَمَالات وُجُوده وَتَوابعه منْ غَيْر أَنْ يَنْفَكَّ منْ هُنَاكَ شَيْءٌ وَيَلحَقَ هُنَا، فَإِنَّ ذَلكَ منْ سمَات النَّقْصِ، تَعَالى اللهُ عَنْ ذَلكَ عُلوًّا كَبيرًا، وَالمَقْصُودُ منَ الخُلق إِفَاضَةُ الإِنْعَام وَالإِحْسَان عَلَيْهمْ، لا تَكْميل الكَمَالات الأَسْمَائيَّة وَالصِّفَاتيَّة وَتَتْميمُهَا بِالتَّوسُّل بهمْ، حَاشَاهُ سُبْحَانَهُ منْ ذَلكَ وَكَلاَ، فَإِنَّ صفَاته تَعَالى كَاملَةٌ في حَدِّ ذَاتهَا، لا احْتيَاجَ لَهَا إلى ظُهُورٍ وَمَظْهَرٍ أَصْلاً، وَكُل كَمَال حَاصل في تلكَ الحَضْرَة جَل شَأْنُهَا بِالفعْل لا بِالقُوَّة، حَتَّى يَكُونَ حُصُولهُ مَرْبُوطًا بِأَمْرٍ، فَإِنْ كَانَ في حَضْرَته سُبْحَانَهُ شُهُودٌ وَمُشَاهَدَةٌ فَهُمَا منْ نَفْسه لنَفْسه تَعَالى، وَإِنْ كَانَ علمٌ وَمَعْلومٌ فَهُوَ سُبْحَانَهُ بنَفْسه عَالمٌ

وَبنَفْسه مَعْلُومٌ، وَكَذَلكَ هُوَ سُبْحَانَهُ مُتَكَلِّمٌ فِي نَفْسه، وَسَامِعٌ بنَفْسه، وَجَميعُ الكَمَالاَت مُفَصَّلَةٌ هُنَاكَ وَمُتَمَيِّزَةٌ، لكنْ بعُنْوَان اللاكَيْفيَّة، فَإنَّهُ لا سَبيل للكَيْفيِّ إلَى اللاكَيْفيِّ، وَمَا هُوَ الخَلقُ حَتَّى يَكُونَ مرآةً لكَمَالاته سُبْحَانَهُ، (ع):

في أيِّ مرْآة يَكُونُ مُصَوَّرًا

وَمَا يَكُونُ العَالَمُ حَتَّى يُفصِّلَ ذَلكَ الإجْمَال، وَحَضْرَتُهُ سُبْحَانَهُ تَفْصيل في عَيْنِ الإجْمَال لا بُدَّ لهُ منَ التَّفْصيل، وَهُوَ مَرْبُوطٌ بخَلق العَالَم، وَإنَّ تَكْميلَ ذَلكَ الإجْمَال بهَذَا التَّفْصيل، وَالحَقُّ أنَّ هُنَاكَ إجْمَالاً وَتَفْصيلاً كَمَا مَرَّ {وَاللهُ وَاسعٌ عَليمٌ}(١).

يَنْبَغِي أنْ يُعْلَمَ: أنَّ خَلقَ هَذَا العَالَم وَاقعٌ في مَرْتَبَة لا مُزَاحَمَةَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ تلكَ المَرْتَبَة المُقَدَّسَة أصْلاً وَلا مُدَافَعَةَ، وَوُجُودُ أحَد المَوْجُودَيْن وَإنْ كَانَ مُقْتَضيًا لتَحْديد وُجُود الآخَر، لكنَّ هَذه القَاعدَةَ مَفْقُودَةٌ هُنَا، فَإنَّ وُجُودَ العَالَم لَمْ يُحْدثْ تَحْديدًا وَلا نهَايَةً لذَلكَ الوُجُود الأقْدَس، وَلَمْ يُثْبتْ فيه نسْبَةً وَلا جهَةً أصْلاً، ألا تَرَى أنَّ صُورَةَ زَيْد المُتَوَهَّمَةَ في المرْآة ثُبُوتُهَا كَائنٌ في مَرْتَبَة لا مُزَاحَمَةَ بَيْنَ هَذَا الثُّبُوت وَثُبُوت زَيْد الذي هُوَ أصْل تلكَ الصُّورَة أصْلاً وَلا مُدَافَعَةَ، وَثُبُوتُ هَذه الصُّورَة لَمْ يَحْدُثْ في ثُبُوت أصْلهَا تَحْديدًا وَلا نهَايَةً، وَلَمْ يُورثْ لهُ نسْبَةً أصْلاً وَلا جهَةً، وَوُجُودُ العَالَم كَوُجُود تلكَ الصُّورَة، كَائنٌ في مَرْتَبَة الوَهْم، لا مُزَاحَمَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أصْله المَوْجُود في الخَارج، وَلَمْ يَحْدُثْ منْ هَذَا الثُّبُوت الوَهْميِّ تَحْديدٌ وَلا نهَايَةٌ وَلا جهَةٌ في الأصْل، وَلله المَثَل الأعْلى، وَقَدْ فُهمَ منْ هَذَا التَّحْقيق حَقيقَةُ مَا قَالوا إنَّ العَالَمَ ثَابتٌ في مَرْتَبَة الوَهْم، يَعْني أنَّ العَالَمَ خُلقَ في مَرْتَبَة شَبيهَة بمَرْتَبَة الوَهْم الثَّابتَة للصُّورَة المُنْعَكسَة في المرْآة بالنِّسْبَة إلى أصْلهَا الذي هُوَ مَوْجُودٌ في الخَارج، بَل يُمْكنُ أنْ يُقَال إنَّ إطْلاقَ الوُجُود الخَارجيِّ في تلكَ المَرْتَبَة المُقَدَّسَة أيْضًا منْ قَبيل التَّشْبيه وَالتَّنْظير، فَإنَّهُ لا مَجَال هُنَاكَ للخَارج، فَإذَا تَقَاصَرَ الوُجُودُ عَنْ تلكَ المَرْتَبَة الأقْدَس مَاذَا يَكُونُ الخَارجُ فَإنَّهُ فَرْعُهُ وَقسْمُهُ.

خَاتمَةٌ حَسَنَةٌ

إنَّ جَميعَ مَبَادئ التَّعَيُّنَات المَذْكُورَة هَذه سَوَاءٌ كَانَ تَعَيُّنًا وُجُوديًّا إجْمَاليًّا أوْ تَفْصيليًّا بالنِّسْبَة إلى مُمْكنَات هَذه النَّشْأة الدُّنْيَويَّة، وَوُجُودُ مَوْجُودَات هَذه

---

(١) ــ الآية: ٢٦١ من سورة البقرة.

النَّشْأَة وَتَشَخُّصَاتُهَا مَرْبُوطٌ بتلكَ المَبادِئ العَالِيَة ، وَأَمَّا المَوْجُودَاتُ الأُخْرَوِيَّةُ فَقَدْ تُشاهَدُ أَنَّهَا لَيْسَتْ مَنُوطَةً بتلكَ المَبَادِئ المَذْكُورَة ، بَل مَبادِئُ تَعَيُّنَاتهَا أُمُورٌ أُخَرُ ، وَتلكَ الأُمُورُ عنْدَ هَذَا الفَقير كَمَالاتٌ ذَاتيَّةٌ لَمْ يُصِبْ ذَيْلهَا المُطهَّرَ غُبَارٌ منَ الظِّلِّيَّة ، وَمُنْدَرِجَةٌ في تلكَ المَرْتَبَة الأَقْدَسِ ، مُفَصَّلَةٌ وَمُتَمَيِّزَةٌ في تلكَ المَرْتَبَة المُقَدَّسَة بتَفْصيل وَتَمَيُّز لا كَيْفِيَّيْنِ ، وَكُل وَاحد منْ تلكَ الكمَالات المُفَصَّلة الذَّاتيَّة المُقَدَّسَة مَبْدَأُ تَعَيُّنِ مَوْجُود منْ مَوْجُودَات تلكَ النَّشْأَة الأُخْرَوِيَّة ، وَوُجُودُ أَهْل الجَنَّة كَأَنَّهُ لا مَسَاسَ لَهُ بتلكَ التَّعَيُّنَات الوُجُوديَّة الإجْمَاليَّة وَالتَّفْصيليَّة التي تَتَعَلَقُ بالنَّشْأَة الدُّنْيَوِيَّة ، وَمَوْجُودَاتُ تلكَ النَّشْأَة كَأَنَّهَا مُوَاجِهَةٌ لتلكَ المَرْتَبَة المُقَدَّسَة عَلى عَكْس مَوْجُودَات هَذه النَّشْأَة فَإِنَّهَا قَليلةُ النَّصيب منَ المُوَاجَهَة ، وَمَاذَا أُبَيِّنُ منْ مَوْجُودَات تلكَ النَّشْأَة الدَّائمَة ، فَإِنَّ لَهَا نَصيبًا وَحَظًّا منْ تلكَ المَرْتَبَة المُقَدَّسَة لا يُمْكنُ وَصْفُهُ، (ع):

هَنيئًا لأَرْبَاب النَّعيم نَعيمُهَا

وَمنْ بَعْد هَذَا مَا يَدُقُّ صفَاته وَمَا كَتْمَهُ أَحْظَى لدَيَّ وَأَجْمَل

{رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا}[1] {وَالسَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[2].

---

(١) ــ الآية: ٢٨٦ من سورة البقرة.

(٢) ــ الآية: ٤٨ من سورة طه.

المَكْتُوبُ السَّابع وَالعشْرُونَ وَالخَمْسُمائَة
إلى الخَوَاجَه أَبى المَكَارِم
في التَّحْرِيضِ عَلى خِدْمَة خَلقِ الله تَعَالى

رَزَقَ اللهُ سُبْحَانَهُ الاسْتِقَامَةَ عَلى حَدِّ الاعْتدَال وَمَرْكَزِ العَدَالة ، وَمِنَ الدَّوْلة العَظيمَة جَعَل اللهُ سُبْحَانَهُ عَبْدًا مَخصُوصًا ببَعْضِ الفَضَائل وَالمَزَايَا ، فَيُحيل مفْتَاحَ حَوَائِجِ جَمَاعَة منْ عبَاده إلى يَد تَصرُّفه ، وَيَجْعَلَهُ مَلاذًا وَمَلجَأً لتلكَ الجَمَاعَة ، وَمنْ نعَمه سُبْحَانَهُ جَعَل جَمْعًا منَ الخَلائق الذينَ هُمْ عيَالهُ تَعَالى مُرْتَبطينَ به، فَيُفَوِّضُ تَرْبيَتَهُمْ إليْه ، وَالسَّعيدُ مَنْ يَقُومُ بحَمْد هَذه الدَّوْلة ، وَالعَاقل مَنْ يُؤَدِّي شُكْرَ هَذه النِّعْمَة ، وَيَعُدُّ الخدْمَةَ بمَال صَاحبه سَعَادَةَ نَفْسه ، وَيَعْتَقدُ تَرْبيَةَ عَبيد مَوْلاهُ وَإمَائه شَرَفَ رَأْسه ، حَمْدًا لله سُبْحَانَهُ عَلى أَنَّ أَهْل تلكَ البُقْعَة رُطْبُ اللسَان بذكْره الخَيْر، وَالجَاري عَلى السنَتهمْ أَحَاديثُ كَرَمه لا غَيْرَ.

المَكْتُوبُ الثَّامِن وَالعِشْرُونَ وَالخَمْسُمائَة
إلى مَوْلانَا الشَّيْخ غُلام مُحَمَّد
في بَيَانِ مَعْنَى قَوْله تَعَالى: {إنَّ في ذَلكَ لذكْرَى}(١) الآيَةَ وَبَيَانِ اعْتِرَاضَات أُخَرَ

الحَمْدُ لله، وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى قَال الشَّيْخُ الأَجَل، قُدِّسَ سرُّهُ في كتَابه العَوَارِف، في البَاب الثَّاني منْهُ، في بَيَان مَعْنَى قَوْله تَعَالى {إنَّ في ذَلكَ لذكْرَى لمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ القَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهيدٌ}(٢)

قَال الوَاسطيّ أيْ لذكْري لقَوْم مَخْصُوصينَ لا لسَائِرِ النَّاسِ، وَهُمُ الذينَ قَال اللهُ تَعَالى فيهم {أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ}(٣)

قَال الوَاسطيُّ أَيْضًا المُشَاهَدَةُ تُذهل، وَالحَجَبَةُ تَفْهَمُ؛ لأَنَّ اللهَ تَعَالى إذَا تَجَلى لشَيْءٍ خَضَعَ لَهُ وَخَشَعَ، قَال الشَّيْخُ وَهَذَا الذي قَالهُ الوَاسطيُّ صَحيحٌ في حَقِّ أَقْوَام، وَهَذه الآيَةُ تَحْكُمُ بخلاف هَذَا الأَمْرِ لأَقْوَام آخَرينَ، وَهُمْ أَرْبَابُ التَّمْكين، يَجْمَعُ لَهُم بَيْنَ المُشَاهَدَة وَالفَهْمِ، لا يَخْفَى أَنَّ مَا قَالهُ الوَاسطيُّ أَوَّلاً يَدُل عَلى أَنَّ الذّكْرَى لأَهْل التَّمْكينِ خُصُوصًا؛ لأَنَّهُمُ الذينَ أَحْيَاهُمُ اللهُ بَعْدَ المَوْت، أَيْ أَبْقَاهُمْ بَعْدَ الفَنَاء، وَأَهْل التَّلوينِ لا فَنَاءَ لَهُمْ وَلا بَقَاءَ، فَلا حَيَاةَ لَهُمْ مَوْهُوبَةً ثَانيَةً؛ لأَنَّهُمْ في وَسَط الطَّريق، وَالفَنَاءُ وَالبَقَاءُ منْ أَحْوَال الانْتهَاء، وَقَوْلُهُ الثَّاني أَنَّ ذكْرَهُ في بَيَان الآيَة يَدُل عَلى أَنَّ الذّكْرَى لأَهْل التَّلوينِ في حَال الاحْتجَاب وَالاسْتتَار، لا في وَقْت المُشَاهَدَة وَالمُكَاشَفَة؛ لأَنَّهُ لوْ أَنَّ الذهُول فينَا في هَذَا القَوْل قَوْلهُ الأَوَّل، وَأَنَّ ذكْرَ هَذه المَعْرفَة في تَوَسُّط حَاله في مَوْضعٍ آخَرَ لا في بَيَان هَذه الآيَة، فَلا مُنَافَاةَ وَلا اعْتِرَاضَ للشَّيْخ قُدِّسَ سرُّهُ بأَنَّ مَا قَالهُ الوَاسطيُّ صَحيحٌ في أَقْوَام، أَيْ لأَهْل التَّلوين، وَهَذه الآيَةُ تَحْكُمُ بخلاف هَذَا الأَمْرِ لقَوْم آخَرينَ وَهُمْ أَرْبَابُ التَّمْكين؛ لأَنَّ الوَاسطيَّ بَيَّنَ في مَعْنَى الآيَة أَنَّ الذّكْرَى مَخْصُوصَةٌ بأَرْبَاب التَّمْكين؛ لأَنَّهُمْ هُمُ الأَحْيَاءُ بَعْدَ المَوْت لا أَهْل التَّلوين، غَايَةُ مَا في البَاب أَنَّهُ ذَكَرَ

---

(١) ـــ الآية: ٣٧ من سورة ق.

(٢) ـــ الآية:٣٧ من سورةق.

(٣) ـــ الآية: ١٢٢ من سورة الأنعام.

ثَانيًا مَعْرفَةً برَأْسهَا في بَيَان أَحْوَال أَهْل التَّلوين لا تَعلَقَ لَهَا ببَيَان الآيَة، فَلا اعْتراضَ عَلَيْه بأَنَّهَا تُخَالفُ حُكْمَ الآيَة؛ لأَنَّ الآيَةَ وَرَدَتْ في حَقِّ قَوْم، وَهَذه المَعْرِفَةُ بَيَانٌ لأَحْوَال قَوْم آخَرينَ، وَلوْ أَنَّ الوَاسطيَّ لَمْ يَخصَّ الذِّكْرَى بأَهْل التَّمْكين أَوَّلاً وَأَثْبَتَ الذِّكْرَى لأَهْل التَّلوين أَيْضًا في حَال احْتجَابهمْ بقَوْله الثَّاني لَمَا حَصَلَ المُنَافَاةُ بَيْنَ قَوْلَيْه، وَلَمَا وَرَدَ اعْترَاضُ الشَّيْخ عَلَيْه، وَالظَّاهرُ عنْدي أَنَّ الآيَةَ الكَريمَةَ بَيَانُ حَال الفَريقَيْن، فَمَنْ كَانَ لَهُ قَلبٌ هُمْ أَرْبَابُ القُلوب الذينَ تَلوَّنَتْ أَحْوَالُهُمْ، وَهُمْ أَصْحَابُ التَّلوين، وَقَوْلُهُ تَعَالى ﴿أَوْ القَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهيدٌ﴾(١)

بَيَانُ حَال أَهْل التَّمْكين، فَإنَّهُمْ القَوْا سَمْعَهُمْ للفَهْم في حَال عَيْن الشُّهُود، إلاَّ أَنَّ الذِّكْرَى للقَوْم الأَوَّل في بَعْض الأَوْقَات، وَللثَّاني في جَميع الأَحْوَال كَمَا تَرَى، وَلوْ قَال الشَّيْخُ قُدِّسَ سرُّهُ وَهَذه الآيَةُ تَحْكُمُ بخلاف هَذَا الأَمْر لقَوْم آخَرينَ أَيْضًا، لكَانَ أَنْسَبَ، وَكَلمَةُ أَوْ، لمَنْع الخُلوِّ، فَلا يُنَافي الجَمْعُ بَيْنَ الفريقَيْن في الذِّكْرَى، ثُمَّ قَال الشَّيْخُ بَعْدَ ذَلكَ فَمَوْضعُ الفَهْم مَحَل المُحَادَثَة وَالمُكَالمَة، وَهُوَ سَمْعُ القَلب، وَمَوْضعُ المُشَاهَدَة بَصَرُ القَلب، فَمَنْ هُوَ في سُكْر الحَال يَغيبُ سَمْعُهُ في بَصَره، وَمَنْ هُوَ في حَال الصَّحْو وَالتَّمْكين لا يَغيبُ سَمْعُهُ في بَصَره؛ لتَمَلكه نَاصيَةَ الحَال، وَيَفْهَمُ بالوعَاء الوُجُوديِّ المُسْتَعدِّ لفَهْم المَقَال؛ لأَنَّ الفَهْمَ مَوْردُ الالهَام وَالسَّمَاع، وَالالهَامُ وَالسَّمَاعُ يَسْتَدْعيَان وعَاءً وُجُوديًّا، وَهَذَا الوُجُودُ يَكُونُ مَوْهُوبًا مُنْشَأً إنْشَاءً ثَانيًا للتَّمَكُّن في مَقَام الصَّحْو، وَهُوَ غَيْرُ الوُجُود الذي يَتَلاشَى عنْدَ لَمَعَان نُور المُشَاهَدَة لمَنْ جَاوَزَ عَلى مَمَرِّ الفنَاء إلى مَقَارِّ البَقَاء، انْتَهَى قَوْلُهُ، فَمَوْضعُ الفَهْم مَحَل المُحَادَثَة وَالمُكَالمَة، أَيْ منَ الله عَزَّ وَجَل، يَغيبُ سَمْعُهُ في بَصَره، أَيْ لا يَفْهَمُ وَقْتَ المُشَاهَدَة، وَهُوَ حَال أَهْل التَّلوين، يَذْهَل عنْدَ المُشَاهَدَة كَمَا قَالهُ الوَاسطيُّ لا يَغيبُ سَمْعُهُ في بَصَره، أَيْ يَفْهَمُ في عَيْن المُشَاهدَة، وَهُوَ حَال أَهْل التَّمْكين، يُجْمَعُ لَهُمْ بَيْنَ المُشَاهَدَة وَالفَهْم كَمَا مَرَّ، لمَنْ جَاوَزَ مُتَعَلقٌ بقَوْله: مَوْهُوبًا، أَيْ مَوْهُوبًا لمَنْ جَاوَزَ الفَنَاءَ وَوَصَل إلى البَقَاء، لا يَخْفَى أَنَّهُ مَا مَعْنَى المُشَاهَدَة في أَهْل التَّلوين، وَالمُشَاهَدَةُ إنَّمَا تَكُونُ في الذَّات كَمَا قَالوا، وَهُوَ غَيْرُ وَاصل بَعْدُ إلى الذَّات، فَالأَوْلى في حَقِّه المُكَاشَفَةُ بالصِّفَات المُتَخيَّلة المُتَلوِّنَة، وَمَا هُوَ في الذَّات لا تَلوينَ لهُ وَلا تَغيُّرَ، وَليْسَ في تلكَ الحَضْرَة المُقَدَّسَة تَارَةً الذُّهُول، وَأُخْرَى الشُّعُورُ، بَل شُعُورٌ في عَيْن الذُّهُول، وَفَهْمٌ في نَفْس الشُّهُود، وَالظَّاهرُ منْ

(١) ــ الآية: ٣٧ من سورة ق.

كَلامِ الشَّيْخِ قُدِّسَ سِرُّهُ جَوَازُ وُقُوعِ المُشَاهَدَةِ فِي الدُّنْيَا بِبَصَرِ القَلْب، وَصَاحِبُ التَّعَرُّف قُدِّسَ سِرُّهُ وَهُوَ إِمَامُ الطَّائفَة مَنَعَ رُؤْيَتَهُ تَعَالى فِي الدُّنْيَا بِالبَصَرِ وَالقَلب مَعًا، وَادَّعَى الإجْمَاعَ عَلَيْه، وَقَال وَأَجْمَعُوا عَلى أَنَّهُ تَعَالى لا يُرَى فِي الدُّنْيَا بِالأَبْصَارِ وَبِالقُلوب إلا مِنْ جهَة الإيقَان، وَمَا قَاله صَاحِبُ التَّعَرُّف قُدِّسَ سِرُّهُ أَقْرَبُ إِلى الصَّوَاب عِنْدي، بَل هُوَ الصَّوَابُ؛ لأَنَّ مَا يَتَخيَّل أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يُرَى فَإِنَّمَا هُوَ رُؤْيَةُ خَيَال، أَيْ كَشْفُ صُورَة فِي الخَيَال للإيقَان الذي حَصَل للقَلب، وَللمُوقنِ به أَيْضًا صُورَةٌ كُوشفَتْ للقَلب، فَإِنَّهُمْ جَوَّزُوا المثَال للحَقِّ سُبْحَانَهُ وَإِنْ لمْ يَكُنْ لَهُ تَعَالى مِثْل، فَلله المَثَل الأَعْلى، وَإِنَّمَا ارْتَسَمَ فِي الخَيَال صُورَةُ الإيقَان وَصُورَةُ المُوقنِ به، وَإِنْ لمْ يَكُنْ لهُ تَعَالى صُورَةٌ فِي الوَاقعِ؛ لأَنَّ المَعَانِيَ الحَاصلَةَ للقَلب وَلسَائر اللطَائف، بَل كُل مَا وَجَدَ وَيُوجدُ لَهَا صُورَةٌ فِي الخَيَال الذي هُوَ تِمْثَال المثَال الذي هُوَ أَوْسَعُ العَوَالمِ كُلهَا، فَليسَ هَهُنَا الإيقَانُ للقَلب، وَصُورَةُ إيقَان وَصُورَةُ مُوقنٍ به تُمَثَّل فِي الخَيَال بِصُورَة رُؤْيَة وَمَرْئِي، وَلا رُؤْيَةَ فِي الحَقيقَة للقَلب لهُ تَعَالى، فَضْلاً عَنْ أَنْ يَكُونَ للبَصَر، وَإِنَّمَا هِيَ رُؤْيَةٌ مثَاليَّةٌ للقَلب، تُمَثِّل إِيقَانَهُ بِصُورَة الرُّؤْيَة، وَتُمَثِّل المُوقنَ به بِصُورَة المَرْئِيِّ، فَظَنَّ مِنْهُ أَنَّهُ رَآهُ حَقيقَةً، وَمَا هِيَ إلا رُؤْيَةٌ خَيَاليَّةٌ، بَل نَقُول إِنَّ صُورَةَ المُوقنِ لَيْسَتْ صُورَةً مثَاليَّةً للحَقِّ سُبْحَانَهُ، بَل صُورَةُ كَشْف تَعَلقَ الإيقَانُ به، وَظَهَرَتْ فِي الخَيَال، وَحَاشَا لله أَنْ يَكُونَ لهُ تَعَالى صُورَةٌ وَلوْ فِي الخَيَال، وَإِنَّمَا هُوَ صُورَةٌ لبَعْضِ مَكْشُوفَات قَلب السَّالك مِنَ الوُجُوه وَالاعْتبَارَات التي لَهَا تَعَلقٌ بِالذَّات تَعَالتْ، وَلهَذَا إِذَا وَصَل العَارفُ إِلى الذَّات تَعَالتْ لا يَتَخيَّل لهُ مِثْل هَذَا الخَيَال، فَليسَ لذَاته تَعَالى صُورَةٌ وَلوْ فِي المثَال وَالخَيَال، وَليْسَ لهُ تَعَالى مثَال عِنْدي كَمَا لا مِثْل لهُ سُبْحَانَهُ، إِذ الصُّورَةُ تَسْتَلزمُ الحَدَّ وَالنِّهَايَةَ، وَلوْ فِي مَرْتَبَة مِنَ المَرَاتب، وَهُوَ سُبْحَانَهُ مُنَزَّهٌ مِنَ التَّحْديد وَالتَّقْييد، وَجَميعُ المَرَاتب مَخْلوقَةٌ لهُ تَعَالى فَافْهَمْ، الحَمْدُ لله الذي أَعْطَانَا سُلطَانَ الخَيَال، وَجَعَلهُ مرْآةً لحُصُول صُوَر المَعَاني وَالكَمَال، وَلوْلا الخَيَال لَمَا أَدْرَكْنَا دَرَجَات الاتِّصَال عَنْ دَرَكَات الانْفصَال، وَلَمَا عَلمْنَا وَارِدَات الأَحْوَال، فَإِنَّ لكُل مَعْنًى وَحَال صُورَةً فيه إِنْ كُوشفَتْ يُدْرَكْ به ذَلكَ المَعْنَى وَالحَال، فَشَأْنُ اللطَائف السَّبْعِ السَّيْرُ وَالسُّلوكُ وَالانْتقَال مِنْ حَال إِلى حَال، وَشَأْنُ الخَيَال إِرَاءَتُهُ دَرَجَات السَّيْرِ وَالسُّلوك الحَاصلة للسَّالك بِصُوَرِهَا

المُرْتَسِمَة فيه، وَإِرَاءَةُ مُرِيدِ الرَّغْبَةِ إِلى الفَوْقِ، وَأَيْضًا بِإِرَاءَتِه يَحْصُل السَّيْرُ عَلى بَصِيرَةٍ، وَيَتَيَسَّرُ السُّلوكُ عَلى مَعْرِفَةٍ، وَبِسُلطَانه يَخْرُجُ السَّالِكُ عَنِ الجَهْل، وَيَكُونُ مِنْ أَهْلِ العِلمِ، فَللهِ سُبْحَانَهُ دَرُّهُ، {وَالسَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[1].

---

(١) ــ الآية: ٤٨ من سورة طه.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالعِشْرُونَ وَالخَمْسُمائَة
إلى مَوْلانَا عَبْدِ القَادِرِ الأَنْبَالِيِّ

قَال الشَّيْخُ ﷺ في البَاب الثَّاني مِنْ كتَابه العَوَارِف في بَيَان الحَديث المَرْفُوعِ إلى رَسُول الله ﷺ :"مَا نَزَل مِنَ القُرْآن آيَةٌ إلا وَلَهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ، وَلكُل حَرْف حَدٌّ، وَلكُل حَدٌّ مَطْلَعٌ، وَيُخَالِجُ سرِّي أَنْ يَكُونَ المَطْلَعُ لَيْسَ بالوُقُوف بصَفَاءِ الفَهْمِ عَلَى دَقيقِ المَعْنَى، وَغَامضِ السِّرِّ في الآيَة، وَلكنَّ المَطْلَعَ أَنْ يَطَّلعَ عنْدَ كُل آيَة عَلَى شُهُود المُتَكَلم بهَا؛ لأَنَّهَا مُسْتَوْدَعُ وَصْف منْ أَوْصَافه، وَنَعْت مِنْ نُعُوته، فَتُجَدَّدُ لهُ التَّجَليَاتُ بتلاوَة الآيَات وَسَمَاعهَا، وَتَصيرُ مَرَايَا مُنْبئَةً عَنْ عَظيم الجَلال إلى آخر مَا قَال في تَأْييد هَذَا التَّوْجيه وَشَرْحه، وَيَخْطُرُ ببَالي بكَرَم الله المُتَعَالي أَنَّ الظَّهْرَ نَظْمُ القُرْآنِ البَالغُ إلى حَدِّ الإعْجَاز، وَالبَطْنُ تَفْسيرُهُ وَتَأْويلهُ عَلى اخْتلاف صَفَاء الفَهْمِ عَلى دَقيق المَعَاني وَغَامض السِّرِّ، وَالحَدُّ نهَايَةُ مَرَاتب الكَلامِ، وَهُوَ شُهُودُ المُتَكَلم بهَا وَهُوَ التَّجَلي النَّعْتيُّ المُنْبئُ عَنْ عَظيم الجَلال، وَالمَطْلَعُ مَا هُوَ فَوْقَ ذَلكَ التَّجَلي النَّعْتيِّ، وَهُوَ التَّجَلي الذَّاتيُّ المُعَرَّى عَنِ النِّسَب وَالاعْتبَارَاتُ، أَثْبَتَ لحَدِّ الكَلام وَنهَايَته مَطْلَعًا، فَيَكُونُ المَطْلَعُ وَرَاءَ الكَلامِ وَوَرَاءَ نهَايَته، وَالكَلامُ صفَتُهُ تَعَالى وَشُهُودُهُ المُتَكَلمُ في مرْآة تلْكَ الصِّفَة تَجَلى لتلْكَ الصِّفَة، ك وَنهَايَة لمَرَاتب كَمَالهَا وَالاطِّلاعِ عَلى وَرَاء تلْكَ التَّجَلي يَكُونُ بالتَّرَقِّي منْهُ إلى التَّجَلي الذَّاتيِّ لا مَحَالةَ، فَالوُصُول إلى الذَّات هَهُنَا يَكُونُ بتَوَسُّط صفَة الكَلامِ، وَبتَوَسُّل تلاوَة النَّظْم القُرْآنيِّ الدَّال عَلى تلْكَ الصِّفَة، فَلا بُد منَ الخَطْوَتَيْنِ، خَطْوَةٌ منَ النَّظَرِ الدَّال إلى المَدْلول الذي هُوَ الصِّفَةُ، وَالخُطْوَةُ الثَّانيَة منَ الصِّفَة إلى المَوْصُوف، قَال العَارفُ قُدِّسَ سرُّهُ خُطْوَتَان وَقَدْ وَصَلتْ، وَمَا ذَكَرَ الشَّيْخُ قُدِّسَ سرُّهُ إلا الخُطْوَةَ الأُولى، وَأَتَمَّ بهَا هَذَا السَّيْرَ، وَقَيَّدَ فَائدَةَ التِّلاوَة بهَا لا غَيْرَ{سُبْحَانَكَ لا علْمَ لنَا إلا مَا عَلمْتَنَا إنَّكَ أَنْتَ العَليمُ الحَكيمُ}[١]، وَقَال الشَّيْخُ قُدِّسَ سرُّهُ بَعْدَ ذَلكَ إنَّهُ قَدْ نُقل عَنْ جَعْفَر الصَّادق ﷺ وَعَنْ آبَائه الكرَام أَيْضًا أَنَّهُ خرَّ مَغْشيًّا عَليْه وَهُوَ في الصَّلاة، فَسُئل عَنْ ذَلكَ فَقَال مَا زلْتُ أُرَدِّدُ الآيَةَ حَتَّى سَمعْتُهَا منَ المُتَكَلم بهَا، فَالصُّوفيُّ لمَا لاحَ لهُ نُورُ نَاصيَة التَّوْحيد،

---

(١) ــ الآية: ٣٢ من سورة البقرة.

وَالقَى سَمْعَهُ عِنْدَ سَمَاعِ الوَعْدِ وَالوَعِيدِ ، وَقَلْبَهُ بِالتَّخَلصِ عَمَّا سِوَى اللهِ تَعَالَى ، صَارَ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ تَعَالَى حَاضِرًا شَهِيدًا ، يَرَى لِسَانَهُ أَوْ لِسَانَ غَيْرِه فِي التِّلاوَةِ كَشَجَرَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ حَيْثُ أَسْمَعَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْهَا خِطَابَهُ إِيَّاهُ بِأَنِّي أَنَا اللهُ ، فَإِذَا كَانَ سَمَاعُهُ مِنَ اللهِ ، وَاسْتِمَاعُهُ إِلَى اللهِ ، صَارَ سَمْعُهُ بَصَرَهُ ، وَبَصَرُهُ سَمْعَهُ ، وَعِلْمُهُ عِلْمَهُ ، وَعَمَلُهُ عَمَلَهُ ، وَعَادَ آخِرُهُ أَوَّلَهُ ، وَأَوَّلُهُ آخِرَهُ ، إِلَى أَنْ قَال فَإِذَا تَحَقَّقَ الصُّوفِيُّ بِهَذَا الوَصْفِ صَارَ وَقْتُهُ سَرْمَدًا ، وَشُهُودُهُ مُؤَيَّدًا ، وَسَمَاعُهُ مُتَوَالِيًا مُتَجَدِّدًا ، قَوْلُهُ فَالصُّوفِيُّ لَمَّا لاحَ لَهُ نُورُ نَاصِيَةِ التَّوْحِيدِ ، بَيَانٌ لِقَوْلِ الإِمَامِ ، ﷺ وَشَرْحٌ لِسَمَاعِهِ مِنَ المُتَكَلِّمِ ، بِأَنَّ الصُّوفِيَّ لَمَّا غَلَبَ عَلَيْهِ حَال التَّوْحِيدِ ، وَزَال عَنْ نَظَرِهِ شُهُودُ الغَيْرِ ، صَارَ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ حَاضِرًا شَهِيدًا ، يَجِدُ كُل مَا سَمِعَ كَلامًا مِنْ نَفْسِهِ أَوْ مَنْ غَيْرِه أَنَّهُ سَمِعَهُ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ ، وَيَرَى لِسَانَهُ وَلِسَانَ غَيْرِه كَشَجَرَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَالإِمَامُ كُل مَا كَرَّرَ الآيَةَ سَمِعَهَا مِنْ نَفْسِهِ وَمِنْ لِسَانِهِ إِلَى أَنْ لاحَ لَهُ فِي أَثْنَاءِ التَّكْرَارِ حَال التَّوْحِيدِ فَسَمِعَهَا مِنَ المُتَكَلِّمِ بِهَا وَإِنْ كَانَ صَدَرَ مِنْهُ وَمِنْ لِسَانِهِ ، فَإِنَّهُ وَجَدَ لِسَانَهُ كَالشَّجَرَةِ المُوسَوِيَّةِ ، فَالكَلامُ الظَّاهِرُ مِنَ اللِّسَانِ كَالكَلامِ الظَّاهِرِ مِنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ فِي أَنَّهُ كَلامُ اللهِ سُبْحَانَهُ ، أَقُول وَبِاللهِ سُبْحَانَهُ العِصْمَةُ وَالتَّوْفِيقُ إِنَّ المَسْمُوعَ مِنَ الشَّجَرَةِ المُوسَوِيَّةِ كَانَ كَلامَ اللهِ سُبْحَانَهُ لا مَحَالَةَ ، حَتَّى لَوْ أَنْكَرَهُ أَحَدٌ كَانَ كَافِرًا ، وَالمَسْمُوعُ مِنَ الالسِنَةِ لَيْسَ فِي الحَقِيقَةِ كَلامَ اللهِ وَإِنَّ تَخَيَّل الصُّوفِيُّ فِي غَلَبَةِ التَّوْحِيدِ أَنَّهُ كَلامُ اللهِ حَتَّى لَوْ أَنْكَرَهُ أَحَدٌ لا يَكُونُ كَافِرًا ، بَل يَكُونُ مُحِقًّا صَادِقًا لأَنَّهُ حَصَل مِنْ حَرَكَةِ اللِّسَانِ وَاعْتِمَادِ المَخَارِجِ وَلا كَذَلِكَ فِي الشَّجَرَةِ ، فَأَيْنَ أَحَدُ الكَلامَيْنِ مِنَ الآخَرِ ، فَإِنَّ الأَوَّل تَحْقِيقِيٌّ وَالآخَرَ تَخْيِيلِيٌّ ، وَالعَجَبُ مِنَ الشَّيْخِ الأَجَل قُدِّسَ سِرُّهُ أَنَّهُ بَالغَ هَهُنَا فِي التَّوْحِيدِ حَتَّى جَعَل التَّخْيِيلِيَّ تَحْقِيقِيًّا ، وَجَعَل الكَلامَ الصَّادِرَ مِنَ العَبْدِ فِي غَلَبَةِ الحَال صَادِرًا مِنَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ ، وَقَدْ أَنْكَرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْ كِتَابِهِ الأَقْوَال الصَّادِرَةَ فِي التَّوْحِيدِ مِنْ أَرْبَابِهِ فِي غَلَبَةِ الحَال ، وَحَمَلَهَا عَلَى الحِكَايَةِ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ فِرَارًا مِنْ شَائِبَةِ تَوْحِيدِ الحُلول وَالاتِّحَادِ ، وَمَا فَرَّ هُنَا مِنْ شَوْبِ الحُلولِ ، بَل حَكَمَ بِالاتِّحَادِ وَالعَيْنِيَّةِ ، وَالحَقُّ فِي هَذَا المَقَامِ أَنَّ الحُكْمَ بِالاتِّحَادِ وَالعَيْنِيَّةِ فِي غَلَبَةِ الحَال تَخْيِيلِيٌّ لا تَحْقِيقِيٌّ ، سَوَاءٌ كَانَ الاتِّحَادُ فِي الذَّاتِ أَوْ فِي الصِّفَاتِ أَوْ فِي الأَفْعَال ، فَسُبْحَانَ مَنْ لا يَتَغَيَّرُ بِذَاتِهِ وَلا بِصِفَاتِهِ وَلا فِي أَسْمَائِهِ بِحُدُوثِ الأَكْوَانِ ، وَلا يَتحِدُ مَعَهُ أَحَدٌ ، وَلا يَتَّحِدُ صِفَاتُ أَحَدٍ مَعَ

صِفَاته تَعَالى ، وَلا أَفْعَال أَحَد مَعَ أَفْعَاله سُبْحَانَهُ ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ هُوَ هُوَ ، وَالمُمْكِنُ مُمْكِنٌ حَادِثٌ فِي الذَّات وَفِي الصِّفَات وَالأَفْعَال ، الحُكْمُ بالاتِّحَاد بَيْنَ القَدِيم وَالحَادث مِنْ تَلوينَات العشْق ، وَغَلَبَات المَحبَّة وَالسُّكْر ، فَلا يُؤَاخَذُ عَلَيْهِمْ بِشَائبَة الحُلول ، وَمَظنَّة الاتِّحَاد المُسْتَلزمَة للكُفْر وَالالحَاد ، فَإِنَّهَا غَيْرُ مُرَادَة لَهُمْ ، حَاشَا اللهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ مُرَادُهُمْ مَا هُوَ غَيْرُ لائق بجَنَاب قُدُسه تَعَالى ، فَإِنَّهُمْ أَوْلِيَاءُ الله وَأَحبَّاؤُهُ سُبْحَانَهُ ، المَحْفُوظُونَ مِنْ تَجْوِيز مَا لا يَجُوزُ عَلَى الله ، وَالذين تَشبَّهُوا بِهِمْ مِنْ غَيْر حَال وَبدُون صدْق المَقَال ، وَتَكَلمُوا بكَلمَاتهمْ ، وَفَهمُوا مِنْهَا غَيْرَ مُرَادَاتِهِمْ ، فَوَقَعُوا فِي الالحَاد وَالزَّنْدَقَة ، حَتَّى أَثْبَتُوا الحُلول وَالاتِّحَادَ مَعَ الله سُبْحَانَهُ ، وَحَكَمُوا بصَيْرُورَة المُمْكنِ وَاجبًا ، فَهُمُ الزَّنَادقَةُ الخَارجَةُ مِنَ المَبْحَث ، {قَاتَلهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُون}(١) ، وَلا يَخْفَى أَنَّ مَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ قُدِّسَ سرُّهُ في بَيَان قَوْل الإمَام ﷺ وَإِنْ صُدِّقَ فِي حَقِّ قَوْم مِنْ أَهْل التَّلوين الذينَ اسْتَوْلى عَلَيْهمُ السُّكْرُ ، وَغَلبَ عَلَيْهمُ التَّوْحِيدُ ، وَلكنَّى لِحُسْنِ ظَنِّي بشَأْن الإمَامِ لا أُجَوِّزُ صدْقَهُ في حَقِّه ﷺ؛ لأَنَّهُ عنْدي مَنْ أَكَابرِ أَرْبَاب التَّمْكين وَالصَّحْو ، لا يَلتَبسُ عنْدَهُ المُتخَيَّل بالمُتحقِّق ، وَالسَّمَاعُ مِنَ الغَيْر بالسَّمَاع منَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ ، فَليُطْلَبْ لكَلامه مَحْمَل حَسَنٌ مُنَاسبٌ لحَاله غَيْرُ هَذَا الوَجْه ، وَهُوَ أَنَّهُ يُمْكنُ أَنْ يَسْمَعَ العَبْدُ كَلامَ الرَّبِّ العالي بلا كَيْف ، كَمَا سَمِعَ مُوسَى عَلَيْه السَّلامُ في الطُّور فَإِنْ قُلتَ مَا مَعْنَى سَمَاعِ الكَلامِ مِنَ الله تَعَالى وَلا يُسْمَعُ إلا مَا هُوَ حَرْفٌ وَصَوْتٌ.

قُلتُ مَمْنُوعٌ أَلا يَرَى أَنَّ اللهَ تَعَالى يُسْمِعُ كَلامًا بلا حَرْف وَصَوْت ، فَجَازَ أَنْ يَكُونَ العَبْدُ إِذَا صَارَ مُتخَلقًا بأَخْلاقه تَعَالى يَسْمَعُ بلا حَرْفٍ وَصَوْتٍ ، وَالاسْتحَالةُ ببَديهَة الوَهْم النَّاشئَةُ مِنْ قيَاس الغَائب عَلى الشَّاهد مَعَ وُجُود الفَارق ، كَيْفَ يُقَاسُ وَالشَّاهدُ في مَضيق الزَّمَان المُقْتَضي للتَّرتُّب وَالتَّقدُّم وَالتَّأَخُّر ، وَالغَائبُ لا يَجْري عَلَيْه زَمَانٌ وَلا تَقدُّمٌ وَلا تَأَخُّرٌ وَلا تَرْتيبٌ ، فَجَازَ في الغَائب ثُبُوتُ أَشْيَاءَ لا يَجُوزُ في الشَّاهد ، فَليُفْهَمْ ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بالصَّوَاب.

وَالتَّحْقيقُ أَنَّ السَّمَاعَ إِنْ كَانَ بحَاسَّة السَّمْع فَلا بُدَّ أَنْ يَكُونَ المَسْمُوعُ حَرْفًا أَوْ صَوْتًا ، وَأَمَّا إِذَا كَانَ السَّمَاعُ بكُل جُزْء مِنْ أَجْزَاء السَّامع غَيْرَ مَخْصُوص بالحَاسَّة فَجَازَ أَنْ يَحْصُل بلا حَرْفٍ وَصَوْتٍ مِنَ المَسْمُوعِ ، فَإِنَّا نَسْمَعُ بكُليَّتنَا

---

(١) ـــ الآية: ٤ من سورة المنافقون.

وَبِكُلِّ جُزْءٍ مِنْ أجزائنَا كَلامًا لَيْسَ مَنْ جِنْسِ الحُرُوفِ ، وَإِنْ كَانَ يُتَخَيَّل فِي الخَيَال بالحُرُوف وَالأَصْوَات الخَيَالِيَّة ، فَعُلِمَ أَنَّ الكَلامَ المَأْخُوذَ المَسْمُوعَ بِكُلِّيَّتِنَا كَانَ أَوَّلاً مُجَرَّدًا عَنِ الحُرُوف وَالأَصْوَات ، وَتَلَبَّس ثَانِيًا فِي الخَيَال بالحَرْف وَالصَّوْت الخَيَالِيِّ ، لِيَقْرُبَ مِنَ الفَهْم وَالأَفْهَام ، عَلى أَنَّا نَقُول مَا هِيَ أَعْجَبُ مِنْهُ ، وَهُوَ أَنَّ اللهَ تَعَالى يَسْمَعُ كَلامَنَا المُرَكَّبَ مِنَ الحُرُوف وَالكَلمَات المُتَرَتِّبَة المُتَقَدِّمَة المُتَأَخِّرَة لكنَّ سَمَاعَهُ تَعَالى إِنَّمَا يَكُونُ بلا تَوَسُّط حَرْف وَكَلِمَة ، وَبلا تَرَتُّب وَتَقَدُّم وَتَأَخُّر ؛ لأَنَّ الكَلامَ المُرَكَّبَ المُتَرَتِّبَ المُتَقَدِّمَ المُتَأَخِّرَ يَقْتَضِي زَمَانًا وَلا يَجْرِي عَلَيْه سُبْحَانَهُ زَمَانٌ ، وَهُوَ تَعَالى خَلقَ الزَّمَانَ ، فَلمَّا جَازَ سَمَاعُ الكَلام المُرَكَّب مِنَ الحُرُوف وَالكَلمَات بلا تَوَسُّط حَرْف وَكَلمَة ، فَأَوْلى أَنْ يَجُوزَ سَمَاعُ كَلام لَيْسَ مَنْ جِنْسِ الحُرُوف وَالأَصْوَات ، فَافْهَمْ وَلاَ تَكُنْ مِنَ القَاصرينَ وَلا مِنَ العُقَلاء الجَاهلينَ ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ المُلهِمُ للصَّوَاب ، وَالذى الهمْتُ به ثَانيًا بَعْدَ تَسْوِيد هَذَا المَسْطُور فِي تَحْقِيق هَذَا الكَلام أَنَّ فَهْمَ العَبْد المُسْتَعدِّ لخطَابه تَعَالى وَأَخْذه منْهُ سُبْحَانَهُ إِنَّمَا يَكُونُ أَوَّلاً بتَلقٍّ رَوْحَانِيٍّ بلا تَوَسُّط صَوْت وَندَاء ، ثُمَّ يَتَمَثَّل هَذَا المَعْنَى المُتَلقَّى فِي سُلطَان الخَيَال الذي فيه ارْتَسَمَ صُوَرُ الأَشْيَاء كُلّهَا بصُورَة حَرْف وَصَوْت ؛ لأَنَّ الإِفَادَةَ وَالاسْتفَادَةَ فِي عَالم الشَّهَادَة لا تَكُونُ إلا بتَوَسُّط الالفَاظ وَالحُرُوف ، وَيَجُوزُ أَنْ يُطْلَقَ عَلى هَذَا التَّلقِّي سَمَاعٌ بلا كَيْف أَيْضًا ؛ لأَنَّ الكَلامَ بلا كَيْف فَلا بُدَّ أَنْ يَكُونَ سَمَاعُهُ أَيْضًا بلا كَيْفَ ، إِذْ لا سَبِيل لكَيْف إِلى مَا لا كَيْفَ فيه ، فَصَحَّ أَنْ يَجُوزَ أَنْ يُسْمَعَ كَلامُهُ تَعَالى المُجَرَّدُ مِنَ الحَرْف وَالصَّوْت بلا كَيْف ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلكَ يَتَمَثَّل ذَلكَ الكَلامُ فِي الخَيَال بصُورَة حَرْف وَكَلمَة ليَحْصُل الإِفَادَةُ وَالاسْتفَادَةُ فِي عَالم الأَجْسَام أَيْضًا ، وَمَنْ لمْ يَطَّلعْ عَلى هَذه الدَّقيقَة بزَعْم بَعْضٍ منْهُمْ وَهُمْ أَحْسَنُ حَالاً أَنَّهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَهُ تَعَالى لكنْ بتَوَسُّط حُرُوف وَكَلمَات حَادثَة دَالة عَلَيْه ، وَبَعْضُهُمْ أَطْلَقُوا القَوْل بأَنَّهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَهُ تَعَالى وَلمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ مَا يَليقُ بشَأْنه تَعَالى وَمَا لا يَليقُ ، وَهُمُ الجُهَّال البَطَّالونَ ، لمْ يُفَرِّقُوا مَا يَجُوزُ عَلى الله تَعَالى عَمَّا لا يَجُوزُ ، وَالحَقُّ مَا حَقَّقْتُ بفَضْل الله سُبْحَانَهُ وَإِحْسَانه تَعَالى ، قَوْلُهُ صَارَ سَمْعُهُ بَصَرَهُ ، وَبَصَرُهُ سَمْعَهُ ، إِلى أَنْ قَال وَعَادَ آخرُهُ أَوَّلهُ ، وَأَوَّلهُ آخرَهُ ، أَيْ أَخَذَ سَمْعُهُ حُكْمَ بَصَره ، وَبَصَرُهُ حُكْمَ سَمْعه ، أَيْ سَمعَ بكُليَّته ، وَبَصرَ بكُليَّته ، وَعَلمَ بكُليَّته ، لا أَنَّهُ سَمعَ ببَعْضه ، وَبَصرَ ببَعْضه الآخَرِ مَثلاً ، فَحِينَئذ لا يَكُونُ السَّمْعُ غَيْرَ البَصَر ، ثُمَّ بَيَّنَ قَوْلَهُ وَعَادَ آخرُهُ

أَوَّلُه، وَأَوَّلُهُ آخرَهُ لخُلفائه، وَحَاصلهُ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ خَاطَبَ الذَّرَّ بقَوْله {أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ}(١) فَسَمِعَت النِّدَاءَ بلا وَاسطَة عَلى غَايَة الصَّفَاء، ثُمَّ لَمْ تَزَل الذَّرَّاتُ تَتَقلبُ في الأَصْلاَب وَتَنْتَقل في الأَرْحَام حَتَّى بَرَزَتْ إلى أَجْسَادهَا، فَاحْتَجَبَتْ بالحكْمَة عَنِ القُدْرَة، وَتَرَاكَمَ ظُلمَاتُهَا بالتَّقَلب في الأَطْوَار، فإذَا أَرَادَ اللهُ بالعَبْد حُسْنَ الاسْتمَاع بأَنْ يُصَيِّرَهُ صُوفيًّا صَافيًا لا يَزَال يَرْقيه في رُتَب التَّزْكيَة وَالتَّحْليَة حَتَّى يَخلص إلى فَضَاء القُدْرَة، وَيُزَال عَنْ بَصيرَته النَّافذَة حجَابُ الحكْمَة فَيَصيرُ سَمَاعُهُ بـ {أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ}(٢) كَشْفًا وَعيَانًا، وَتَوْحيدُهُ وَعرْفَانُهُ تبْيَانًا وَبُرْهَانًا، حَيْثُ أَخذَ لسَانُهُ وَلسَانُ غَيْره في حَقّه حُكْمَ شَجَرَة مُوسَى، يَسْمَعُ منْهُ كَلامَهُ تَعَالى كَمَا سَمعَ مُوسَى منْ تلكَ الشَّجَرَة، فَصَحَّ أَنَّهُ عَادَ آخرُهُ أَوَّلَهُ، وَأَوَّلَهُ آخرَهُ، حَيْثُ سَمعَ كَلامَهُ تَعَالَى آخرًا، كَمَا سَمعَ أَوَّلاً، وَعَلى هَذَا حُمل قَوْل البَعْض أَنَّهُ قَال أَنَا أَذْكُرُ خطَابَ {أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ}(٣) أَيْ كَانَ ذَلكَ الخطَابُ الذي أَسْمَعُ الآنَ منْهُ تَعَالى عَلى الالسنَة، وَلا يَخْفَى عَلَيْك أَنَّ الخطَابَ الأَوَّل منْهُ تَعَالى كَانَ تَحْقيقًا، وَسَمَاعَ الذَّرِّ منْهُ تَعَالى كَانَ عَلى سَبيل الحَقيقَة، وَهَذَا الخطَابُ المَأْخوذُ المَسْمُوعُ منَ الالسنَة إنَّمَا يَكُونُ خطَابَ الله تَعَالى عَلى سَبيل التَّخيُّل وَالتَّوَهُّم كَمَا مَرَّ، فَأَيْنَ أَحَدُهُمَا منَ الآخر؟ فَالعَجَبُ كُل العَجب أَنَّ الشَّيْخَ مَعَ جَلالة قَدْره جَعَل أَحَدَهُمَا عَيْنَ الآخر، وَلَمْ يُفرِّقْ بَيْنَ المُتَحَقّق وَالمُتخَيَّل، وَمَا هُوَ إلا عَيْنُ السُّكْر وَصرْفُ التَّوْحيد، مثْلُهُ مثْل قَوْله أَنَا الحَقُّ وَسُبْحَاني، وَلَيْسَ في جُبَّتي سوَى الله، وَأَعْجَبُ منْ هَذَا مَا قَالَهُ بَعْدَ ذَلكَ فَإذَا تَحَقّقَ الصُّوفيُّ بهَذَا الوَصْف صَارَ وَقْتُهُ سَرْمَدًا إلخ، لا يَذْهَبُ عَلَيْكَ أَنَّ الصُّوفيَّ في هَذَا المَقَام مَا تَحَقّقَ إلا بالتَّجَلي المَعْنَويِّ الصِّفَاتيِّ كَمَا مَرَّ، وَهُوَ مَقَامُ التَّلوين لا يَغرْ فَمنْ أَيْنَ صَارَ وَقْتُهُ سَرْمَدًا، وَمَشْهُودُهُ مُؤَبَّدًا؟ أَوْ مَا الدَّوَامُ السَّرْمَدُ للوَقْت الأَوْفَى؟ الوُصُول إلى الذَّات تَعَالتْ وَالتَّجَلي الذَّاتيُّ، وَكَذَلكَ الشُّهُودُ وَالمُشَاهدَةُ لا يَكُونُ إلا بالوُصُول إلَى الذَّات تَعَالتْ، وَالتَّجَلي الذَّاتيُّ وَكَذَلكَ الشُّهُودُ وَالمُشَاهدَةُ لا يَكُونُ إلا بالوُصُول إلى الذَّات تَعَالتْ كَمَا قَالوا، وَمَا حَصَل في مَرْتَبَة

(١) ـــ الآية: ١٧٢ من سورة الأعراف.

(٢) ـــ الآية: ١٧٢ من سورة الأعراف.

(٣) ـــ الآية: ١٧٢ من سورة الأعراف.

الصِّفَاتِ يُسَمَّى بالمُكَاشَفَة، فَالمَشْهُودُ وَدَوَامُهُ هُوَ نَصِيبُ أَرْبَابِ التَّمْكِينِ الوَاصِلِينَ إِلى الذَّاتِ، لا أَهْلِ التَّلوِينِ المُقَيَّدِينَ بِالصِّفَاتِ، فَإِنَّهُمْ أَرْبَابُ القُلوبِ وَأَصْحَابُ التَّقَلبِ.

{سُبْحَانَكَ لا عِلمَ لنَا إِلا مَا عَلمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَليمُ الحَكِيمُ}[1].

(١) ـــ الآية: ٣٢ من سورة البقرة.

المَكْتُوبُ الثَّلاثُونَ وَالخَمْسُمائَة
إلى الشَّيْخِ مَوْدُود مُحَمَّد

قَال الشَّيْخُ قُدِّسَ سِرُّهُ فِي البَاب التَّاسِعِ مِنْ كِتَاب العَوَارِف فِي ذِكْرِ مَنِ انْتَمَى إلى الصُّوفيَّة مِنْ جُمْلة أُولئكَ قَوْمٌ يَقُولونَ بالحُلول خَذَلَهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ اللهَ تَعَالى يَحل فِيهِمْ، وَيَحُل فِي أَجْسَامٍ يَصْطَفِيهَا، وَيَسْبقُ إلى فُهُومِهِمْ مَعْنًى مِنْ قَوْل النَّصَارَى فِي اللاهُوت وَالنَّاسُوت، وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَبيحُ النَّظَرَ إلى المُسْتَحْسَنَات إشَارَةً إلى هَذَا الوَهْم، وَيَتَخَايَل لهُ أَنَّ مَنْ قَال كَلمَات فِي بَعْضِ غَلَبَاته كَانَ مُضْمِرًا لشَيْءٍ ممَّا زَعَمُوهُ، مِثْل قَوْل الحَلاج: "أَنَا الحَقُّ"، وَمَا يُحْكَى عَنْ أَبي يَزيدَ مِنْ قَوْله سُبْحَاني، حَاشَا أَنْ نَعْتَقدَ فِي أَبي يَزيدَ أَنَّهُ يَقُول ذَلكَ إلا عَلَى مَعْنَى الحِكَايَة عَنِ اللهِ تَعَالى، وَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ نَعْتَقدَ فِي قَوْل الحَلاجِ، ذَلكَ وَلوْ عَلمْنَا أَنَّهُ ذَكَرَ ذَلكَ القَوْل مُضْمِرًا لشَيْءٍ مِنَ الحَوْل رَدَدْنَاهُ كَمَا نَرُدُّهُمْ، انْتَهى، فَيَا ليْتَ شِعْري مَا مَعْنَى الحِكَايَة عَنِ اللهِ تَعَالى، وَمَا وَجْهُ تَخْصِيصِ أَرْبَاب السُّكْر بمِثْل هَذَا القَوْل عَلى مَعْنَى الحِكَايَة، اللهُمَّ إلا أَنْ يُقَال إنَّهُ قُدِّسَ سِرُّهُ أَرَادَ أَنَّ القَائل بمِثْل هَذَا القَوْل إنْ كَانَ هُوَ العَبْدَ كَمَا هُوَ الظَّاهرُ عِنْدَ الأَكْثَرِ فَلا بُدَّ أَنْ يَكُونَ حِكَايَةً مِنَ اللهِ تَعَالى، فَإنَّ العَبْدَ لا يَصيرُ رَبًّا، لكنَّ القَائِل بِهِ فِي الحَقِيقَة هُوَ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ، وَلسَانُ العَبْد مِثْل الشَّجَرَة المُوسَويَّة فَلا اعْترَاضَ عَلَى الحَلاجِ، وَلا تَعَرُّضَ عَلى أَبي يَزيدَ قَدَّسَ اللهُ تَعَالى أَسْرَارَهُمَا، وَالظَّاهرُ مِنْ عِبَارَة الشَّيْخِ أَنَّهُ لوْ لَمْ يُحْمَل عَلى مَعْنَى الحِكَايَة يُفْهَمُ مِنْهُ الحُلول، وَليْسَ كَذَلكَ، إذْ يَجُوزُ أَنْ يَقُول ذَلكَ عِنْدَ غَلَبَات التَّوْحيد، وَاسْتتَار مَا سِوَى الوَاحِد المَشْهُود، عِنْدَ لمَعَان نُورِ الشُّهُود بلا شَائبَة حُلول وَاتِّحَاد، فَمَعْنَى قَوْله أَنَا الحَقُّ، عِنْدَ اخْتفَائه عَنْ نَظَره لسْتُ أَنَا بشَيْءٍ، وَإنَّمَا المَوْجُودُ الحَقُّ، لا أَنِّي مُتَّحدٌ مَعَ الحَقِّ، أَوْ حَال فِي الحَقِّ، فَإنَّهُ كُفْرٌ، وَمُنَاف للتَّوْحيد الشُّهُوديِّ، فَإنَّ المَشْهُودَ فِيه ليْسَ إلا الوَاحدَ الأَحَدَ، وَعَلى تَقْديرِ الحُلول وَالاتِّحَاد المَشْهُود مُتَعَدِّدٌ، وَلوْ عَلى صفَة الاتِّحَاد وَالحَاليَّة.

قَوْلهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَبيحُ النَّظَرَ إلى المُسْتَحْسَنَات، إشَارَةٌ إلى هَذَا الوَهْمِ، أَي الحُلول، وَالعَجَبُ مِنَ الشَّيْخِ الأَجَل إنَّمَا يُفْهَمُ مِنْ أَمْثَال هَذه العِبَارَات،

الاتِّحَاد وَالحُلول وَالحَال ، أَنَّ المُتَبَادرَ منْ هَذه الأَقْوَال الظُّهورُ ، وَهُوَ وَرَاءُ الحُلول؛ لأَنَّ الحُلول كَيْنُونَةُ نَفْسِ شَيْءٍ في شَيْءٍ ، مثْل كَيْنُونَة نَفْسِ زَيْد في البَيْتِ ، وَالظُّهُورُ كَيْنُونَةُ عَكْسِ شَيْءٍ ، مثْل كَيْنُونَة عَكْسِ زَيْد في المِرْآة ، وَالأَوَّل مُحَال في مَرْتَبَة الوُجُوب ، وَنَقْصٌ لتلكَ المَرْتَبَة المُقَدَّس ، والثَّاني لا مَنْعَ لثُبُوته وَلا نَقْصَ عنْدَ حُصُوله ، فَإِنَّ الأَوَّل يَسْتَلزمُ التَّغَيُّرَ المُنَافيَ للقدَم ، والثَّاني لا مَنْعَ لثُبُوته وَلا نَقْصَ عنْدَ حُصُوله ، فَإِنَّ الأَوَّل يَسْتَلزمُ التَّغَيُّرَ المُنَافيَ للقدَم ، وَالثَّاني لا يَسْتَلزمُ كَمَا لا يَخْفَى ، فَلَوْ ظَهَرَت الكمَالاتُ الوُجُوبيَّةُ في مَرَايَا الإعْدَام وَالإمْكَان لَمْ يَلزَمْ منْهُ حُلول تلكَ الكمَالات في تلكَ المَرَايَا وَلا تَغَيُّرُهَا وَلا انْتقَالُهَا المُنَافي للقدَم ، وَإِنَّمَا هُوَ ظُهُورٌ وَإِرَاءَةُ كَمَال في مرْآة ، فَتَجْويزُ شُهُود كَمَالاته تَعَالَى في مَرَايَا الإمْكَان لَيْسَ تَجْويزًا لحُلول تلكَ الكمَالات فيهَا ، بَل هُوَ تَجْويزٌ لظُهُور الكَمَال في المرْآة ، وَلا نَقْصَ فيه ، وَإِنْ كَانَ المُجَوِّزُ لمثْل هَذَا الشُّهُود صَاحبَ نَقْصٍ وَغَيْرَ مُسْتَقيمٍ عَلَى الجَادَّة ، لَكنَّ المَقْصُودَ دَفْعُ تُهْمَة الحُلول عنْدَهُ لا إِثْبَاتُ كَمَاله وَكَوْنه عَلَى شَيْءٍ ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بحَقَائق الأُمُور كُلهَا

المَكْتُوبُ الحَادِي وَالثَّلاثُونَ وَالخَمْسُمائَة
إلى المير مَنْصُور
في بَيَانِ اخْتِيَارِ العُزْلَة

الحَمْدُ لله، وَسَلامٌ عَلى عِبَادِه الذينَ اصْطَفَى، وَقَدْ أَطَابَ الوَقْتُ صَحَائِفَ أَخِي الأَعَزِّ بوُرُودِهَا مُتَعَاقِبَةً، حَمْدًا لله سُبْحَانَهُ، لَمْ يَتَطَرَّق الفُتُورُ والتوين لى مَحَبَّتِكُمْ للفُقَرَاءِ وَارْتِبَاطِكُمْ بِهِمْ، مَعَ وُجُود أَسْبَاب عَدَمِ المُنَاسَبَة، بَل زَادَتْ قُوَّةُ ذَلِكَ الارْتِبَاط، رَزَقَ اللهُ سُبْحَانَهُ الاسْتِقَامَةَ عَلى مَحَبَّة هَذِه الطَّائِفَة التي هِيَ رَأْسُ بِضَاعَةِ السَّعَادَة.

أَيُّهَــــــا المُشْفِقُ: قَدْ غَلبَ شَوْقُ الانْزِوَاءِ في هَذه الفُرْصَة فَاخْتَرْتُ القُعُودَ في زَاوِيَةٍ حَتَّى لا أَذْهَبَ إلى المَسْجد لغَيْرِ صَلاة الجُمْعَة، وَجَمَاعَةُ الأَوْقَات الخَمْسَة تَنْعَقدُ في تلكَ الزواية، وَصَارَ طَرِيقُ مُلاقَاة النَّاسِ مَسْدُودًا، وَتَمُرُّ الأَوْقَاتُ عَلى جَمْعِيَّة تَامَّة، وَكَأَنَّ مُتَمَنَّى جَميعِ العُمْرِ تَيَسَّرَ الآنَ، حَمْدًا لله سُبْحَانَهُ عَلى ذَلِكَ، وَبَقِيَّةُ الأَحْوَال الصُّورِيَّةُ أَيْضًا مَقْرُونَةٌ بالعَافِيَة وَالأَوْلاد، وَسَائِرُ المُتَعَلقينَ عَلى جَمْعِيَّة، وَقَدمَ الخَوَاجَه عَبْدُ الله عَلى دهْلي قَبْل شَهْرِ رَمَضَانَ المُبَارَك، حَمْدًا لله سُبْحَانَهُ قَدْ حَصَلَ الخَوَاجَه في مَجيئه هَذَا فَوَائدُ كَثيرَةٌ، وَقَلبَ الوَرَقَ بالتَّمَامِ، وَتَخَلصَ مِنْ غَلبَات التَّوْحيد وَخَاصَّةً في بحْرِ التَّنْزِيه، وَمُتَوَجِّهٌ إلى العُمْقِ وَالقَعْرِ، وَذَاهِبٌ مِنَ الظَّاهِر إلى البَاطِنِ، بَل إلى البَاطِنِ البُطُون تَفْصِيلُ الأَحْوَال لَمَا قَدمَ الحَافظُ بَهَاء الدِّينِ هُنَاكَ أَحَلنَاهُ إليْه.

المَكْتُوبُ الثَّاني وَالثَّلاثُونَ وَالخَمْسُمائَة
إلى المِرْزَا حُسَام الدِّين أحْمَدَ
في حَل عِبارَاتِ مَكْتُوبٍ مُتَضَمِّنٍ للأسْرَارِ

الحَمْدُ لله، وَسَلامٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى:

قَدْ شَرُفْتُ بمُطَالعَة الصَّحيفَة الشَّريفَة المُرْسَلة إلى هَذَا الفَقير عَلى وَجْه الشَّفَقَة وَالرَّأفَة ، وَقَد انْدَرَجَ فيهَا أَنَّ للوَاحدَ منَ الأَعزَّة اعْترَاضَات عَلى عبارَات المَكْتُوب الذي كَتَبَهُ منْ أَجميرَ ، فَيَنْبَغي كتَابَةُ شَيْءٍ في حَلهَا ، وَلَمَّا كَتَبَ بَعْضُ الأَصْحَاب بتَعْيين مَوَاضع الاشْتبَاه كَتَبْنَا في حَلهَا مُقَدِّمَات بمقْيَاس التَّعْيين ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ الهَادي إلى سَبيل الرَّشَاد.

أَيُّهَــــا المَخْــــدُومُ المُكَــــرَّمُ: إنَّ السَّيْرَ المُرَاديَّ وَالسَّيْرَ المُريديَّ كُل منْهُمَا أَمْرٌ يَتَعَلقُ بوجْدَان صَاحب ذَلكَ السَّيْر لا أَنَّهُ الزَامٌ أَمْرٍ يَتَعلقُ بالغَيْر ، فَلا مَجَال إذًا لطَلَب الحُجَّة وَالبُرْهَان عَلى إثْبَاته ، وَمَعَ ذَلكَ إذَا أَعْطَى اللهُ سُبْحَانَهُ شَخْصًا قُوَّةً قُدْسيَّةً وَلاحَظَ في أَحْوَال صَاحب ذَلكَ السَّيْر وَأَوْضَاعه مُلاحَظَةً تَامَّةً ، وَشَاهَدَ الفُيُوضَ وَالبَركَات وَالعُلومَ وَالمَعَارفَ الإلهيَّةَ التي هيَ مُمْتَازٌ بهَا ، يُمْكنُ أَنْ يَحْكُمَ بكَوْن سَيْره سَيْرًا مُراديًا منْ غَيْر احْتيَاجٍ إلى دَليل أَصْلاً كَمَا يَحْكُمُ بكَوْن نُور القَمَر مُسْتَفَادًا منْ نُور الشَّمْس بَعْدَ مُلاحَظَة قُرْب القَمَر منَ الشَّمْس ، وَبُعْده عَنْهَا ، وَمُقَابَلته بهَا ، وَاجْتمَاعه مَعَهَا ، وَإنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا المَعْنَى حُجَّةً لغَيْر أَرْبَاب الحَدْس ، وَأَيْضًا قَال حَضْرَةُ شَيْخنَا قُدِّسَ سرُّهُ في أَوَائل حَال سَيْر هَذَا الفَقير أَنَّ سَيْرَهُ سَيْرٌ مُراديٌّ ، وَلَعَل الأَصْحَابَ أَيْضًا سَمعُوا منْهُ هَذَا الكَلامَ ، وَأَنْشَدَ هَذَيْن البَيْتَيْن منَ المَثْنَوي مُعْتَقدًا بأَنَّهُمَا مُطَابقَان لحَال هَذَا الفَقير.

عشْقُ مَعْشُوق خَفيٌّ وَستِّيرْ ... عشْقُ عُشَّــاق بطَبْــل وَنَفيرْ
غَيْرَ أَنَّ الثَّاني مُضْنٍ للبَدَنْ ... عشْقُ مَعْشُوق مُزيدٌ في السِّمَنْ

وَكُل مَنْ وَصَل منَ المُرَادين كَانَ سَيْرُهُ عَلى طَريق الاجْتبَاء ، وَطَريقُ الاجْتبَاء لَيْسَ مَخْصُوصًا بالأَنْبيَاء عَلَيْهمُ السَّلامُ ، صَرَّحَ بذَلكَ صَاحبُ العَوَارف قُدِّسَ سرُّهُ في بَيَان المَجْذُوب السَّالك وَالسَّالك المَجْذُوب ، وَقَال لطَريق المُريدينَ طَريقَ الإنَابَة ، وَلطَريق المُرَادينَ طَريقَ الاجْتبَاء ، بالأَصَالة مَخْصُوصٌ بالأَنْبيَاء عَلَيْهمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ، وَللأُمَّة كَسَائر الكَمَالات بتَبعيَّتهمْ لا أَنَّهُ مَخْصُوصٌ بالأَنْبيَاء مُطْلقًا ، لا نَصيبَ منْهُ للأُمَّة أَصْلاً فَإنَّهُ غَيْرُ وَاقعٍ.

عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ، وَللأُمَّة كَسَائِرِ الكمَالات بتَبَعيَّتهِمْ لا أَنَّهُ مَخْصُوصٌ بالأَنْبِيَاء مُطْلقًا ، لا نَصيبَ منْهُ للأُمَّة أَصْلاً فَإِنَّهُ غَيْرُ وَاقعٍ.

أَيُّهَـــا المَخْـــدُومُ: إنَّ وُصُول الفَيْضِ إلى السَّالك بتَوسُّط خَيْرِ البَشَر وَحَيْلولته عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ، إنَّمَا هُوَ قَبْل أَنْ تَنْطَبقَ حَقيقَةُ السَّالك المُحَمَّديِّ المَشْرَب عَلَى الحَقيقَة المُحَمَّديَّة ، وَقَبْل أَنْ تَتَّحدَ بهَا ، فَإذَا حَصَل الاتِّحَادُ بَيْنَ هَاتَيْنِ الحَقيقَتَيْنِ فِي مَقَامَات العُرُوجِ بكَمَال مُتَابَعَته بَل بمَحْضِ الفَضْل ارْتَفعَ التَّوَسُّطُ منَ البَيْنِ ، فَإنَّ التَّوَسُّطَ إنَّمَا هُوَ حينَ المُغَايَرَة ، وَفي الاتِّحَادُ لا مُتَوسِّطَ وَلا مُتَوَسَّطَ لهُ ، وَلا حَاجبَ وَلا مَحْجُوبَ ، بَل المُعَامَلَةُ في مَقَامِ الاتِّحَاد بالشَّرِكَة ، وَلكنْ لَمَّا كَانَ السَّالكُ تَابعًا وَمُلحقًا وَطُفَيْليًّا لزمَ أَنْ تَكُونَ تلكَ الشَّرِكَةُ منْ قَبيل شَرِكَة الخَادم بالمَخْدُوم.

وَمَا قُلتُ منْ أَنَّهُ يَحْصُل لحَقيقَته انْطبَاقٌ عَلى حَقيقَته ﷺ وَإنَّهَا تَتَّحدُ بهَا ، بَيَانُهُ أَنَّ الحَقيقَةَ المُحَمَّديَّةَ جَامعَةٌ لجَميعِ الحَقَائق ، وَيُقَال لهَا حَقيقَةُ الحَقَائق ، وَحَقَائقُ الآخَرينَ كَالأَجْزَاء لهَا أَوْ كَالجُزْئيَّات ؛ لأَنَّ السَّالكَ لوْ كَانَ مُحَمَّديَّ المَشْرَب فَحَقيقَتُهُ كَالجُزْئيِّ لتلكَ الكُليَّة ، وَمَحْمُولةٌ عَليْهَا ، وَإنْ كَانَ غَيْرَ مُحَمَّديِّ المَشْرَب ، فَحَقيقَتُهُ كَالجُزْء بالنِّسْبَة إلى الكُل ، وَغَيْرُ مَحْمُولة عَليْهَا ، فَإنْ عَرَضَ لحَقيقَة غَيْرِ مُحَمِّديِّ المَشْرَب اتِّحَادٌ في أَثْنَاء العُرُوجِ إنَّمَا يَكُونُ ذَلكَ بحَقيقَة نَبيٍّ هُوَ عَلى قَدَمه ، وَتَكُونُ مَحْمُولَةً عَلى تلكَ الحَقيقَة، وَتَحْصُل لهُ شَرِكَةٌ مَعَهُ في الكَمَالات المُنَاسبَة به ، وَلكنْ تَكُونُ تلكَ الشَّرِكَةُ منْ قَبيل شَرِكَة الخَادمِ بالمَخْدُوم كَمَا مَرَّ ، فَإذَا حَصَل لذَلكَ الجُزْئيِّ بعَلاقَة كَمَال المُتَابعَة، بَل بمَحْضِ الفَضْل، مَحَبَّةٌ خَاصَّةٌ لكُليَّته، وَأَخَذَ شَوْقُ الوُصُول إليْه بيَده، يَشْرَعُ القَيْدُ الذي جَعَل الكُليَّ جُزْئيًّا بفَضْل الله تَعَالى في الزَّوَال، وَبَعْدَ زَوَاله بالتَّدْريجِ يَحْصُل لذَلكَ الجُزْئيِّ انْطبَاقٌ عَلى ذَلكَ الكُليِّ، وَالحقَ به، وَمَا قُلتُ منْ أَنَّهُ إذَا حَصَل لهُ مَحَبَّةٌ خَاصَّةٌ، فَهيَ كَمَا حَصَلتْ لهَذَا الفَقير بمَحْضِ الفَضْل، حَتَّى قُلتُ في غَلبَات تلكَ المَحَبَّة إنَّ مَحَبَّتي لحَضْرَة الحَقِّ سُبْحَانَهُ إنَّمَا هيَ منْ جهَة كَوْنه تَعَالى رَبَّ مُحَمَّد ﷺ، وَتَعجَّبَ المِيَّانْ تَاجْ وَغَيْرُهُ منَ الأَصْحَاب منْ هَذَا الكَلام، وَأَظُنُّ أَنَّهُ لمْ يَخْرُجْ منْ خَاطرِكُمْ أَيْضًا، وَمَا لمْ يَحْصُل مثْل هَذه المَحَبَّة كَيْفَ يُتَصوَّرُ اللحَاقُ وَالاتِّحَادُ؟

{ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ}(١)

وَلْنُبَيِّنَ حَقِيقَةَ التَّوَسُّط، وَعَدَمَ التَّوَسُّط، يَنْبَغِي أَنْ يُسْمَعَ بِحُسْنِ الاسْتِمَاعِ.

اعْلَـــــم: أَنَّ فِي طَرِيقِ الجَذْبَةِ لَمَّا كَانَ الجَذْبُ وَالجَرُّ مِنْ جَانِبِ المَطْلُوبِ، وَكَانَتِ العِنَايَةُ الإِلَهِيَّةُ مُتَكَلِّفَةً لِحَالِ الطَّالِبِ، لا يُقْبَلِ الوَسَاطَةُ بِالضَّرُورَةِ، وَفِي طَرِيقِ السُّلُوكِ لَمَّا كَانَتِ الإِنَابَةُ مِنْ طَرَفِ الطَّالِبِ لا بُدَّ فِيهِ مِنْ وُجُودِ الوَسَائِطِ، وَالوَسَائِط وَإِنْ كَانَ لا يُحْتَاجُ إِلَيْهَا فِي نَفْسِ الجَذْبَةِ، وَلكِنَّ تَمَامِيَّةَ الجَذْبَةِ مَنُوطٌ بِالسُّلُوكِ، فَإِنْ لَمْ يَنْضَمَّ السُّلُوكُ الذِي هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ إِتْيَانِ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ مِنَ التَّوْبَةِ وَالزُّهْدِ وَغَيْرِهِمَا إِلَى الجَذْبَةِ، فَتِلْكَ الجَذْبَةُ غَيْرُ تَامَّةٍ، بَلْ أَبْتَرُ، وَقَدْ رَأَيْتُ كَثِيرًا مِنَ الهُنُودِ وَالمَلاحِدَةِ فِيهِمْ جَذْبَةٌ، وَلكِنْ لَمَّا لَمْ يَكُونُوا مُتَحَلِينَ بِمُتَابَعَةِ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالتَّحِيَّةُ، لَيْسَ لَهُمْ نَصِيبٌ غَيْرَ صُورَةِ الجَذْبَةِ، وَحَالُهُمْ خَرَابٌ وَأَبْتَرُ.

فَإِنْ قِيـــــل: إِنْ حُصُولَ الجَذْبِ يَسْتَدْعِي نَحْوًا مِنَ المَحْبُوبِيَّةِ، فَكَيْفَ يَجُوزُ فِي حَقِّ الكُفَّارِ الذِينَ هُمْ أَعْدَاءُ اللهِ كَوْنُ نَصِيبٍ مِنَ الجَذْبَةِ ؟

قُلتُ: يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فِي بَعْضِ الكُفَّارِ نَحْوٌ مِنْ مَعْنَى المَحْبُوبِيَّةِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ بَاعِثًا لِحُصُولِ الجَذْبِ، وَلكِنْ لَمَّا لَمْ يَكُونُوا مُتَحَلِينَ بِمُتَابَعَةِ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ بَقُوا خَاسِرِينَ مَخْذُولِينَ، وَلَمْ تَزِدْهُمْ تِلْكَ الجَذْبَةُ غَيْرَ الحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، حَيْثُ آذَنَتْ بِاسْتِعْدَادِهِمْ، وَلَمْ يُخْرِجُوهُ مِنَ القُوَّةِ إِلَى الفِعْلِ بِسَبَبِ الجَهْلِ وَالعِنَادِ {وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}(٢) فَإِذَا تَيَسَّرَ الوُصُولُ إِلَى المَطْلُوبِ فِي طَرِيقِ الجَذْبَةِ بِمُتَابَعَةِ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ التِي هِيَ عِبَارَةٌ عَنِ السُّلُوكِ يَكُونُ بِلا وَاسِطَةٍ، وَبِلا حَيْلُولَةِ أَمْرٍ، قَالُوا لَوْ دَلَيْتُمْ بِدَلْوٍ لَوَقَعْتُمْ عَلَى اللهِ يَعْنِي لَوِ انْجَذَبْتُمْ وَانْجَرَرْتُمْ إِلَى حَضْرَةِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ، وَوَصَلْتُمْ إِلَى أَبْطَنِ البُطُونِ لا يَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الحَقِّ جَلَّ وَعَلا حَيْلُولَةُ أَمْرٍ وَحِجَابِيَّتُهُ، وَلَعَلَّ بَقِيَ فِي خَاطِرِكُمْ الشَّرِيفِ أَيْضًا مَا قَالَهُ حَضْرَةُ شَيْخِنَا قُدِّسَ سِرُّهُ إِنَّ تَيَسُّرَ الوُصُولِ لِلعَبْدِ إِلَى الحَقِّ سُبْحَانَهُ مِنْ طَرِيقِ المَعِيَّةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَعَالَى يَكُونُ بِلا تَوَسُّطِ أَمْرِ البَتَّةَ، فَإِنَّهُ هُوَ المُنَاسِبُ لِلمَعِيَّةِ، وَالوَاسِطَةُ إِنَّمَا هِيَ فِي سِلسِلَةِ التَّرْبِيَةِ التِي هِيَ عِبَارَةٌ عَنِ السُّلُوكِ،

---

(١) ــ الآية: ٥٤ من سورة المائدة، والآية: ٢١ من سورة الحديد، والآية: ٤ من سورة الجمعة.

(٢) ــ الآية: ١٦٠ من سورة الأعراف.

يَكُونُ ذَلكَ بلا حَيْلولة أَمْرٍ البَتَّةَ، وَحَيْثُ إنَّ ذَلكَ الأَصْلَ اسْمٌ منَ الأَسْمَاء الإلهيَّة لا يَكُونُ بَيْنَ الاسْمِ وَبَيْنَ مُسمَّاهُ حَائلٌ البَتَّةَ، وَيَكُونُ وُصُول الظِّل منْ هَذا الطَّريق إلى أَصْل الأَصْل الذي هُوَ مُسَمَّى ذَلكَ الاسْمِ بلا تَوَسُّط أَمْر، وَأَيْضًا إنَّ كُل مَنْ كَانَ وَاصلاً إلى حَضْرَة الذَّات تَعَالتْ بوُصُول لا كَيْفي فَتَوَسُّطُ أَمْرٍ وَحَيْلولتُهُ مَفْقُودٌ في حَقِّه، فَإذَا ارْتَفَعَتْ حَيْلولةُ صفَات الوَاجب وَحجَابيَّتُهَا في صُورَة الوُصُول إلى حَضْرَة الذَّات، فَكَيْفَ يَكُونُ لحَيْلولة غَيْرِ الصِّفَات وَحجَابيَّتهُ مَجَال؟!

فَإنْ قيــــل: إذَا لمْ يَجُزْ انْفكَاكُ الصِّفَات عَنِ الذَّات، فَمَا مَعْنَى ارْتِفَاعِ حَيْلولة الصِّفَات منْ بَيْنِ الوَاصل وَالمَوْصُول إليْه؟

قُلتُ: إذَا حَصَلَ للسَّالك وُصُول إلى أَصْله الذي هُوَ اسْمٌ منَ الأَسْمَاء الإلهيَّة، وَالسَّالكُ ظلهُ، وَتَحَقَّقَ السَّالكُ به، لا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَضْرَة الذَّات تَعَالتْ تَوَسُّطٌ وَحَيْلولةٌ البَتَّةَ، كَمَا لا حَيْلولة بَيْنَ الاسْمِ وَمُسَمَّاهُ، فَعَلى هَذَا لا يَلزَمُ ارْتفَاعٌ وَلا انْفكَاكٌ وَقَدْ مَرَّ مثْل هَذَا التَّحْقيق آنفًا في بَيَان اتِّحَاد حَقيقَة السَّالك بالحَقيقَة المُحَمَّديَّة، وَقَدْ مَرَّتْ أَيْضًا شَمَّةٌ منْ هَذَا البَيَان عنْدَ بَيَانِ وَصُول الظِّل إلى أَصْله.

تَنْبيــــهٌ: وَلا يَظُنَّ أَبْلهُ منْ عَدَم التَّوَسُّط الذي ذُكرَ في طَريق الجَذْبَة وَغَيْرِهَا الاسْتغْنَاءَ عَنْ تَبَعيَّة خَيْر البَشَر عَليْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، فَإنَّ ذَلكَ كُفْرٌ وَزَنْدَقَةٌ، وَإنْكَارٌ عَلى الشَّريعَة الحَقَّة، وَقَدْ مَرَّ آنفًا الجَذْبَةُ بلا انْضمَام السُّلوك إليْه، الذي هُوَ عبَارَةٌ عَنْ إتْيَان أَحْكَام الشَّريعَة غَيْرَ تَامَّة وَأَبْتَرَ، وَنقْمَةَ ظَهَرَتْ في صُورَة النِّعْمَة، وَأَتَمَّت الحُجَّةَ عَلى صَاحبهَا.

وَبالجُمْلة: قَدْ بَلغَ مَرْتَبَةَ اليَقين بالكَشْف الصَّحيحِ وَالالهَام الصَّريح أَيْضًا أَنَّهُ لا يَتَيَسَّرُ دَقيقَةٌ منْ دَقَائقَ هَذَا الطَّريق وَلا مَعْرفَةٌ منْ مَعَارفَ القَوْم بلا وَسَاطَته، وَوَسَاطَة مُتَابَعَته عَليْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، وَفُيُوضُ هَذَا الطَّريق وَبَرَكَاتُهُ لا تَحْصُل للمُنْتَهي كَالمُبْتَدي وَالمُتَوَسِّط بلا تَبَعيَّته وَتَطَفُّله ﷺ.

وَمنِ المُحَال المَشْيُ في طُرُق الصَّفَا ... يَا سَعْدُ منْ غَيْرِ اتِّبَاعِ المُصْطَفَى

وَزَعَمَ أَفْلاطُونُ الأَبْلَهُ نَفْسَهُ مُسْتَغْنِيًا عَنِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ بِسَبَبِ الصَّفَاءِ الذي حَصَلَ لِنَفْسِه مِنَ الرِّيَاضَاتِ وَالمُجَاهِدَاتِ وَقَال نَحْنُ قَوْمٌ مُهَذَّبُونَ، لا حَاجَةَ بِنَا إلى مَنْ يُهَذِّبُنَا.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ هَذَا الصَّفَاءَ الذي يَحْصُلُ بِالرِّيَاضَاتِ بِلا تَوَسُّطِ مُتَابَعَةِ الأَنْبِيَاءِ حُكْمُهُ حُكْمُ نُحَاسٍ أَسْوَدَ طُلِيَ بِالذَّهَبِ أَوْ سُمٌّ غُلِفَ بِالسُّكَّرِ، وَالذَى يَقْلِبُ حَقِيقَةَ النُّحَاسِ ذَهَبًا خَالِصًا وَيُخْرِجُ النَّفْسَ مِنَ الأَمَّارِيَّةِ إلى الاطْمِئْنَانِ هُوَ مُتَابَعَةُ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، وَالحَكِيمُ المُطْلَقُ جَل وَعَلا إِنَّمَا قَرَّرَ بِعْثَةَ الأَنْبِيَاءِ وَوَضَعَ شَرَائِعَهُمْ لِتَعْجِيزِ النَّفْسِ الأَمَّارَةِ وَتَخْرِيبِهَا، وَلَمْ يَجْعَل تَخْرِيبَهَا بَل إِصْلاحَهَا فِي غَيْرِ مُتَابَعَةِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ، فَمَنِ ارْتَكَبَ أُلوفًا مِنَ الرِّيَاضَاتِ وَالمُجَاهِدَاتِ بِلا مُتَابَعَةِ هَؤُلاءِ الأَكَابِرِ لا يَنْقُصُ مِنْ أَمَّارِيَّتِهَا مِقْدَارَ شَعْرَةٍ، بَل تَزِيدُ فِي طُغْيَانِهَا وَعِنَادِهَا ، (ع):

كُل مُخْتَارِ العَلِيل عِلةٌ

وَإِزَالَةُ مَرَضِهَا الذَّاتِيِّ مَنُوطَةٌ بِالتَّمَسُّكِ بِشَرَائِعِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ، وَبِدُونِه خَرْطُ القَتَاد

يَنْبَغِي: أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الجَذْبَةَ وَإِنْ كَانَتْ لا بُدَّ لَهَا مِنَ السُّلوكِ، سَوَاءٌ كَانَتْ مُقْدمَةً عَلَيْه أَوْ مُؤَخَّرَةً عَنْهُ، وَلكِنَّ الفَضْل لِتَقَدُّمِ الجَذْبَةِ عَلى السُّلوكِ، فَإِنَّ السُّلوكَ ح خَادِمُهَا وَفِي تَأْخِيرِ الجَذْبَةِ يَكُونُ مَخْدُومُهَا، لأَنَّ الجَذْبَ ح إِنَّمَا يَتَيَسَّرُ لهُ بِدَوْلَةِ السُّلوكِ، وَفِي تَقَدُّمِ الجَذْبَةِ لَيْسَ كَذَلِكَ، فَإِنَّهُ عَلى هَذَا التَّقْدِيرِ بِنَفْسِه مَدْعُوٌّ وَمَطْلوبٌ، وَلِهَذَا كَانَ مُرَادًا، وَذَاكَ مُرِيدًا، وَرَأْسُ المُرَادِينَ وَرَئِيسُ المَحْبُوبِينَ مُحَمَّدٌ رَسُول اللهِ صَلى عَلَيْه وَسَلمَ، فَإِنَّ المَقْصُودَ الذَّاتِيَّ وَالمَدْعُوَّ الأَوَّل فِي هَذه الدَّعْوَة هُوَ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، وَغَيْرُهُ إِنَّمَا دَعَوْا بِتَطَفُّله، سَوَاءٌ كَانُوا مُرَادِينَ أَوْ مُرِيدِينَ، لوْلاهُ لَمَا خَلقَ اللهُ الخَلقَ، وَلَمَا أَظْهَرَ الرُّبُوبِيَّةَ كَمَا وَرَدَ، فَإِذَا كَانَ كُل مَنْ سِوَاهُ طُفَيْلِيَّةً وَكَانَ هُوَ ﷺ مَقْصُودًا أَصْليًّا مِنْ هَذه الدَّعْوَة، فَلا جَرَمَ يَكُونُ الكُل مُحْتَاجِينَ إِليْه، وَيَأْخُذُونَ الفُيُوضَ وَالبَرَكَاتِ بِتَوَسُّطِه عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ فَلوْ قِيل لِلكُل آلهُ مِنْ هَذه الحَيْثِيَّةِ لَجَازَ، فَإِنَّ الكُل مُتَّبِعُونَ لهُ، لا يَأْخُذُونَ كَمَالاً إِلا بِتَوَسُّطِه، فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ وُجُودُ مَنْ سِوَاهُ لا يُتَصَوَّرُ بِدُون وُجُوده، كَيْفَ تُتَصَوَّرُ كَمَالاتُهُمُ التِي هِيَ تَابِعَةٌ لِلوُجُود بِدُون تَوَسُّطه عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ؟ نَعَمْ يَنْبَغِي لِمَحْبُوبِ رَبِّ العَالمِينَ أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ.

اسْمَعْ قَدْ صَارَ مَكْشُوفًا أَنْ مَحْبُوبِيَّتَهُ ﷺ كَائِنَةٌ بِمَحَبَّتِه تَعَالى المُتَعَلِّقَة بِذَاته البَحْت بِلا مُلاحَظَة الشُّئُون وَالاعْتبَارَات ، وَصَارَتْ حَضْرَةُ الذَّات مَحْبُوبَةً بِتلْكَ المَحَبَّة بِخِلاف مَحْبُوبِيَّة غَيْرِه ﷺ فَإِنَّهَا كَائِنَةٌ بِالمَحَبَّة المُتَعَلِّقَة بِالشُّئُون وَالاعْتبَارَات ، وَمُتَلَبِّسَةٌ بِالأَسْمَاءِ وَالصِّفَات ، أَوْ بِظِلال الأَسْمَاءِ وَالصِّفَات عَلى تَفَاوُت الدَّرَجَات

فَإِنَّ فَضْلَ رَسُول الله لَيْسَ لَهُ حَدٌّ فَيُعْرِبُ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَم

عَلَيْه وَعَلى جَمِيعِ إِخْوَانِه مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ وَالمَلائكَة المُقَرَّبِينَ الصَّلوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ وَالبَرَكَاتُ.

وَتَحْقِيقُ هَذَا المَقَامِ إِنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ تَوَسُّطُهُ ﷺ بِمَعْنَيَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ يَكُونُ حَائِلاً وَحَاجِبًا بَيْنَ السَّالِك وَالمَطْلُوب ، وَالثَّاني أَنَّ السَّالِكَ يَصِل إِلى المَطْلُوب بِتَطَفُّله وَبِتَوَسُّط تَبَعِيَّته وَمُتَابَعَته عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ، فَفِي طَرِيق السُّلُوك التَّوَسُّطُ كَائِنٌ بِمَعْنَيَيْه قَبْلَ الوُصُول إِلى الحَقِيقَة المُحَمَّدِيَّة ، بَل أَظُنُّ أَنَّ كُل مَنْ كَانَ وَاسطَةً فِي البَيْنِ مِنَ الشُّيُوخ فِي هَذَا الطَّرِيق فَهُوَ حَاجِبٌ عَنْ شُهُود السَّالِك ، فَوَيْل لِمثْل هَذَا السَّالِك لَوْ لَمْ يَتَدَارَكْ ذَلكَ أَخِيرًا بِالجَذْبَة ، وَلَمْ تُبْحرْ مُعَامَلَتُهُ مِنَ الحجَاب إِلى عَدَم الحجَابيَّة، فَإِنَّ فِي طَرِيق الجَذْبَة ، وَبَعْدَ الوُصُول إِلى حَقِيقَة الحَقَائِق التَّوَسُّطُ بِالمَعْنَى الثَّاني الذي هُوَ تَطَفُّل السَّالِك وَتَبَعِيَّتُهُ دُونَ الحَيْلولَة وَالحجَاب حَتَّى يَكُونَ حجَابًا لِلشُّهُود وَالمُشَاهدَة وَأَمْثَالهمَا.

لا يُقَال: إِنَّ عَدَمَ التَّوَسُّط وَإِنْ كَانَ بِمَعْنًى وَاحد يَسْتَلزِمُ قُصُورًا لِجَنَابه ﷺ لأَنَّا نَقُول أَنَّ عَدَمَ التَّوَسُّط بِالمَعْنَى المَذْكُور مُسْتَلزِمٌ لِكَمَال جَنَابه ﷺ لا لِلقُصُور ، بَل القُصُورُ فِي وُجُود التَّوَسُّط ، فَإِنَّ كَمَال المَتْبُوعِ هُوَ أَنْ يَصِل تَابِعُهُ بِتَطَفُّله وَتَبَعِيَّته إِلى جَمِيعِ دَرَجَات الكَمَال وَأَنْ لا يَتْرُكَ دَقِيقَةً مِنْ دَقَائقه ، وَهَذَا إِنَّمَا هُوَ فِي عَدَمِ التَّوَسُّطُ لا فِي وُجُوده ، فَإِنَّ فِي عَدَم التَّوَسُّط شُهُودًا بِلا حجَاب ، وَهُوَ أَقْصَى دَرَجَات الكَمَال ، وَفِي وُجُود التَّوَسُّط الشُّهُودُ فِي حجَاب ، فَيَكُونُ الكَمَال فِي عَدَم التَّوَسُّط ، وَالقُصُورُ فِي التَّوَسُّط ، وَمِنْ شَرِكَة المَخْدُوم وَعَظْمَته أَنْ لا يَتَخَلفَ عَنْهُ خَادمُهُ فِي مَقَام أَصْلاً ، وَيَكُونَ بِتَبَعِيَّته شَرِيكًا فِي دَوْلَة أَقْرَانه ، وَمِنْ هَهُنَا قَال عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلام عُلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاء بَنِي إِسْرَائيل " ، وَسَتَكُونُ الرُّؤْيَةُ الأُخْرَوِيَّةُ بِلا تَوَسُّط شَيْءٍ وَحَيْلولَة أَمْرٍ ، وَقَدْ وَرَدَ فِي الحَديث

الصَّحيح إنَّ العَبْدَ إذَا دَخَل فِي الصَّلاة يَرْتَفعُ الحجَابُ الذي بَيْنَ العَبْد وَالرَّبِّ " وَلهَذَا كَانَت الصَّلاةُ معْرَاجَ المُؤْمن، وَصَارَ الحَظُّ الوَافرُ منْهَا نَصيبًا للمُنْتَهَى الوَاصل، فَإنَّ رَفْعَ الحجَاب مَخْصُوصٌ بالمُنْتَهَى الوَاصل، فَثَبَتَ ارْتفَاعُ التَّوَسُّط وَالحَيْلولة، وَهَذه المَعْرفَةُ منْ خَوَاصِّ المَعَارف اللدُنِّيَّة بِهَذَا الفَقير أُعْطيهَا بمَحْض الفَضْل وَالكَرَم، وَتَحقَّقَ بحَقيقَتهَا

كَأَنِّي بُقْعَةٌ فِيهَا سَحَابُ الـ ـــرَّبِيعِ مُمْطِرٌ مَاءً زُلالا

وَنعْمَ مَا قيل

وَإذَا أَتَى بَابَ العَجُوزِ خَلِيفَةٌ إيَّاكَ يَا صَاحِ وَنَتْفَ سَبَالكَا

وَلمَشَائخِ الطَّريقَة قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ اخْتلافَاتٌ في تَوَسُّطه وَعَدَم تَوَسُّطه ﷺ، ذَهَبَ جَمَاعَةٌ إلى وُجُود التَّوَسُّط، وَطَائفَةٌ إلى عَدَمه، وَلَمْ يُبِنْ منْهُمْ أَحَدٌ تَحْقيقَ التَّوَسُّط وَعَدَم التَّوَسُّط، وَلَمْ يَتَكَلَّمْ في كَمَالهمَا وَقُصُورهمَا، وَأَرْبَابُ الظَّاهر يَكَادُونَ يَظُنُّونَ عَدَمَ التَّوَسُّط الذي هُوَ كَمَال الإيمَان كُفْرًا، وَيُضَللونَ القَائل به منْ جَهَالاتهمْ، وَيَتَصَوَّرُونَ التَّوَسُّطَ منْ كَمَال الإيمَان، وَيَعُدُّونَ القَائل به منْ كُمَّل المُتَابعينَ، وَالحَال أَنَّ عَدَمَ التَّوَسُّط مَبْنيٌّ عَنْ كَمَال المُتَابعَة، وَوُجُودُ التَّوَسُّط مُشْعرٌ بقُصُور المُتَابعَة كَمَا مَرَّ كُل ذَلكَ منْهُمْ لعَدَم الدَّرْك إلى حَقيقَة الحَال، قَال اللهُ تَعَالَى: ﴿بَل كَذَّبُوا بمَا لَمْ يُحيطُوا بعلمه وَلَمَّا يَأْتهمْ تَأْويلُهُ﴾ ،{كَذَلكَ كَذَّبَ الذينَ منْ قَبْلهمْ}(١).

أَيُّهَا المَخْدُومُ إنَّ القَوْل بالأُوَيْسيَّة لَيْسَ بإنْكَار عَلى الشَّيْخ الظَّاهر؛ فَإنَّ الأُوَيْسيَّ شَخْص يَكُونُ للرُّوحَانيِّينَ مَدْخَل في تَرْبيَته؛ أَلاَ تُرَى أَنَّ الخواجه أَحْرَار قُدِّسَ سرُّهُ لَمَا وَجَدَ الإمْدَاد منْ رُوحَانيَّة الخواجه النَّقْشَبَنْديِّ ـــ قُدِّسَ سرُّهُ ـــ قيل لهُ مَعَ وُجُود شَيْخه الظَّاهر أُوَيْسيًّا، وَكَذَلكَ الخواجه النَّقْشَبَنْديُّ لَمَا نَال الإمْدَادَ منْ رُوحَانيَّة الخواجه عَبْد الخَالق الغجدواى ـــ قُدِّسَ سرُّهُمَا ـــ كَانَ مَعَ وُجُود شَيْخه الظَّاهر أُوَيْسيًّا خُصُوصًا إذَا كَانَ شَخْص مَعَ وُجُود الأُوَيْسيَّة مُقرًّا بشَيْخه الظَّاهر وَجَعَل المُرَاد إنْكَارًا عَلى الشَّيْخ بالزُّور وَالبُهْتَان إنْصَافٌ عَجيب.

أَيُّهَا المَخْدُومُ: إنَّ المُرَادَ منْ تَرْكيب لفْظ عَبْدَ البَاقي مَعْنَاهُ الإضافي لاَ العلمي وَإنْ كَانَ فيه إشْعَارٌ بالمَعْنَى العلمي أيضاً بأَبْلَغ الوُجُوه يُعْنَى أَنْ شيخى وَإنْ

---

(١) ـــ الآية: ٣٩ من سورة يونس.

كَانَ عَبْد البَاقِي وَلكنَّ المُتَكَفِّل بتربيتِ اَللهِ البَاقِي فَأَى تَحْرِيف وَانْحِرَاف هُنَا وَأَى سُوء أَدَب رزَق اَللهِ الإِنْصَاف.

أَيُّهَا المَخْدُومُ: إنَّ القُصُورَ الذى قِيل فِي مَعْنَى قَوْل سبحانى الذى صَدَرَ عَنْ أَبى يَزِيدُ البِسْطَامِيّ قُدِّسَ سِرُّهُ فِي غَلَبَات اَلسُّكْر لوْ سَلمَ لاَ يَلزَمُ منْهُ أَنْ يكُونُ ذَلكَ القُصُور مُسْتَقرًّا وَمُسْتَمرًّا فِي قَائله حَتَّى يَكُونَ غَيْرَ أَفْضَل منْهُ فَإنَّ كَثيرًا منْ المَعَارِف تَصْدُرُ فِي وَقْت بمُقْتَضَى حَال ذَلكَ الوَقْت ثُمَّ لَمَّا ظَهْر قُصُور تلكَ المَعْرِفَة بعنَايَة اَللهِ تَعَالَى فِي وَقْت آخرَ تَتْرُكُ تلكَ المَعْرِفَةَ وَيَترَقَّى إلى مَقَام فوقانى قَدْ انْدَرَجَ فِي المَكْتُوب اَلشَّرِيف إنَّ أَمْثَال هَذه الكَلمَات المَمْزُوجَة بالشَّطْحِ لوْ كَتَبَهَا أَرْبَاب اَلسُّكْر لجَازَ وَلكنَّ إظْهَارَ أَرْبَاب اَلصَّحْو أَمْثَال هَذه الكَلمَات مُسْتَبْعَد جداً.

أَيُّهَا المَخْدُومُ: إنَّ كُل منْ كُتُبٍ هَذه الكَلمَات فَمَنْشَأَة اَلسُّكْر لَمْ يُحرِّكْ القَلم فِي هَذَا البَاب بلاَ مَزْج اَلسُّكْر غَايَةً مَا فِي البَاب أَنْ فِي اَلسُّكْر مَرَاتب كَثيرَة وَكُل مَا كَانَ اَلسُّكْرُ أَكْثرَ يَكُونُ اَلشَّطْحُ أَغْلَبَ .وَأَوْفَرُ وَسُكْر البِسْطَامِيّ هُوَ مَا يَصْدُرُ عَنْهُ قَوْل لوائى أَرْفَع منْ لوَاء مُحَمَّد بلاَ تَحَاش فَكُل منْ حَاله اَلصَّحْو لاَ يَظُنُّ به أَنَّهُ لاَ سُكْرَ مَعَهُ أَصْلا فَإنَّهُ عَيْنُ القُصُورُ لأَنَّ اَلصَّحْو الخَالص نَصِيبَ العَوَامِّ وَمَنْ رَجَّحَ اَلصَّحْو فَمُرَاده غَلَبَة اَلصَّحْو لاَ اَلصِّرْفُ وَكَذَلكَ كُل مَنْ يُرَجِّحُ اَلسُّكْر فَمُرَاده غَلبَة اَلسُّكْر لاَ اَلسُّكْرُ الخَالصُ فَإنَّهُ آفَةٌ أَلاَ تَرَى أَنَّ الجُنَيْد قُدِّسَ سرُّهُ مَعَ كَوْنه رَئيس أَرْبَاب اَلصَّحْو وَتَرْجيحه اَلصَّحْو عَلى اَلسُّكْر لهُ عبَارَات كَثيرَة مَمْزُوجَة بالسُّكْر يَعْسُرُ تَعْدَادهَا قَال العَارِفُ هُوَ المَعْرُوفُ وَقَال لوْن المألون أَنَائهٌ وَقَال المُحَدِّث إذَا قَرَنَ بالقَديم لَمْ يَبْقَ لهُ أَثَر وَصَاحب العَوَارِف مَنْ كَمَّل أَرْبَاب اَلصَّحْو وَمَعَ ذَلكَ فِي كتَابه منْ المَعَارِف اَلسُّكْرِيَّة مَا لاَ يُمْكنُ شَرْحُهُ وَهَذَا الفَقير قَدْ جَمعَ بَعْضَ مَعَارِفه اَلسُّكْرِيَّة فِي وَرَقَ وَمنْ بَقَايَا اَلسُّكْر تَجْويز إفْشَاء الأَسْرَار وَمنْهُ المباهات وَالافْتخَار وَمنْهُ إدعَاء المَزيَّة عَلى الأَغْيَار فَلوْ كَانَ صَحْو خَالص يَكُونُ إفْشَاء الأَسْرَار ح كُفْرًا وَاعْتقَاد الأَفْضَليَّة عَلى الغَير شرْكًا وَبَقيَّة اَلسُّكْر فِي اَلصَّحْو كَالمُلحِ المُصْلحِ للطَّعَامِ فَلوْ لَمْ يَكُنْ ملح يَكُونُ اَلطَّعَام مُعَطَّلا .

فَلوْ لَمْ يَكُنْ عِشْق وَهَيَمَانُ عَاشق لَمَا كَانَ مَنْ يَصْغَى وَمَا كَانَ سَامَرَ

وَقَدْ حَمَلَ صَاحب العَوَارِف ــ قُدِّسَ سرُّهُ ــ قَوْل: «**قدمى هَذه عَلى رَقَبة كَل وَلى**» اَلصَّادر عَنْ اَلشَّيْخ عَبْد القَادر ــ قُدِّسَ سرُّهُ ــ عَلى اَلسُّكْر، وَليْسَ

مُرَاده إِثْبَات القُصُور لِهَذَا القَوْل كَمَا تَوَهَّمَ فَإِنَّهُ عَيْنُ مَحْمَدَة لَهُ، بَل بَيَان الوَاقِع يَعْنِي أَنَّ صُدُور مثْل هَذَا الكَلاَمِ المُنْبِئِ عَنْ المباهات وَالافْتخَار لَيْسَ هُوَ بلاَ بَقيَّة سُكْرٍ فَإِنَّ التَّكلمَ بِأَمْثَال هَذَا الكَلاَمِ في الصَّحْو الخَالص عَسير وَكُل هَذه الدَّفَاتِر التِي كَتَبَهَا هَذَا الفَقيرُ في عُلوم هَذه الطَّائفَة العَليَّة وَأَسْرَارهمْ كَأَنَّهُ تَقرَّرَ في خَاطركُمْ الشَّريف أَنَّهُ كَتبَهَا عَنْ صَحْو خَالص بلاَ مَزْجِ السُّكْر حَاشَا وَكَلا منْ ذَلكَ فَإِنَّهُ حَرَامٌ مُنْكرٌ وَجُزَافٌ وَنَسج للكَلاَمِ وَالَّذينَ يَنْسجُونَ الكَلاَمَ المُتَصفُونَ بصَحْو خَالص كَثير فَلمَ لاَ يَنْسجُونَ الأَقْوَال عَلى هَذَا المَنْوَال وَلاَ يُحرِّكُونَ بهَا قُلوبَ الرِّجَال .

خليليّ مَا هَذَا بهَزْل وَإنَّمَا حَديث عَجيب منْ بَديع الغرَائب

أَيُّهَا المَخْدُومُ: أَنَّ المثَال هَذه الكَلمَات المُنْبئَة عَنْ إفْشَاء الأَسْرَار المَصْرُوفَة عَنْ الظَّاهر قَدْ صَدَرَتْ عَنْ مشَائخ الطَّريقَة قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ في كُل وَقْت وَصَارَ ذَلكَ عَادَتَهُمْ المُسْتَمرَّة لَيْسَ هُوَ أَمْرٌ ابتدعة هَذَا الفَقير وَاخْتَرَعَهُ لَيْسَ هَذَا أَوَّلَ قَارُورَة كُسرَتْ في الإسْلاَم فَمَا كُل هَذَا الاضْطرَاب وَالجدَال فَإِنَّ صَدْر لفظ لاَ يُطَابقُ ظَاهرَهُ بعُلوم الشَّريعَة ينبغى أَنْ يَصْرفَهُ عَنْ الظَّاهر بأَدْنَى تَوَجُّه وَأَنْ يجْعَلهُ مطابقاً بعُلومِ الشَّريعَة دُونَ أَنْ يَتَّهمَ مُسْلمًا فَإذَا كَانَ إشَاعَة فَاحشَةً وَإفْضَاح فَاسْق حراماً ومنكراً في الشَّريعَة فَإفْضَاح مُسْلم بمُجَرَّد اشْتبَاه كَيْفَ يَكُونُ مُنَاسبًا وَأَي تَدينُ في النِّدَاء منْ بَلد إلى بَلد وَطَريق الإسْلاَميَّة وَالشَّفَقَة هُوَ أَنَّهُ إذَا صَدَرَ عَنْ شَخْص كَلمَة ظَاهرهَا مُخَالف للعُلوم الشَّرْعيَّة ينبغى أَنْ يَنْظُرَ إلى قَائلة أَنَّهُ مَنْ هُوَ فَإنْ كَانَ مُلحدًا وَزنْديقًا ينبغى أَنْ يَرُدَّهُ وَإنَّ لاَ يَشْتَغل بإصْلاَحه وَإنْ كَانَ منْ المُسْلمينَ وَكَانَ لهُ إيمَانٌ باللهِ وَرَسُوله ينبغى أَنْ يَجتَهدَ في إصْلاَح كَلاَمه وَأَنْ يحْملهُ عَلى مَحْمَل صَحيحٍ وَأَنْ يَطْلبَ حَله في قَائله فَلوْ عَجزَ عَنْ حَله ينبغى أَنْ يَنْصَحَهُ فَإنَ الأَمْرَ بالمَعْرُوف وَالنَّهى عَنْ المُنْكَرِ هُوَ الرِّفْقُ لكَوْنه قَريبًا منْ الإجَابَة فَإنْ لَمْ يَكُنْ المَقْصُود الإجَابَة بَل كَانَ تفضيحا فَهُوَ أَمْرٌ آخَرُ رزَق اللهُ تَعَالى التَّوْفيق وَأَعْجَب منْ ذَلكَ أَنَّهُ يَفْهَمُ منْ المَكْتُوب الشَّريف أَنَّهُ قَدْ طَرَأَ الاشْتبَاه وَالانْحرَاف عَلى مُلاَزميكُمْ أيضاً بَعْدَ اسْتمَاع مَكْتُوب هَذَا الفَقير منْ ذَاكَ العَزيز وَيُشَبِّهُ أَنْ يَكُونَ انْعكَاسًا وَكَانَ ينبغى لَهُمْ أَنْ يُحلوا مَظَانَّ الاشْتبَاه بأَنْفُسهمْ منْ غَيْر أَنْ يَطْرَحَ لِهَذَا الفَقير وَأَنْ يَسْكُنُوا الفتْنَة فَمَاذَا في حَقّ سَائر الأَصْحَاب بأَنَّ بَعْضَهمْ لَمْ يَدْفَعْ الاشْتبَاهَ وَلَمْ تَسْمَحْ نَفْسه بذَلكَ وَاخْتَارَ السُّكُوت مَعَ وُجُود القُدْرَة عَلى الدَّفْعِ .

وَنَحْنُ قَدْ تَوَقَّعْنَا مِنْ الأَحْبَابِ إِمْدَادًا

رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لدُنْكَ رَحْمَةً هيئ لنَا مَنْ أَمْرِنَا رُشْدًا، وَالسَّلَامِ أولاً وَآخِرًا.

المَكْتُوبُ الثالث والثلاثون وَالخَمْسُمائَة

إلى مَوْلاَنَا حَسَن الدهلي

بِسْمِ اَللهِ اَلرَّحْمَنِ اَلرَّحِيمِ

اَلحَمْدُ لله وَسَلاَمٌ عَلى عِبَادَة اَلذينَ اصْطَفَى:

اعْلَمْ أَنَّ الحَقِيقَة المُحَمَّدِيَّة ظُهُور أَوَّل وَحَقِيقَة الحَقَائِق بِمَعْنَى أَنَّ سَائِرَ الحَقَائِقِ سَوَاء كَانَتْ حَقَائِق الأَنْبِيَاءِ الكِرَامِ أَوْ حَقَائِق المَلاَئِكَة العظَام عَلَيْهِمْ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ كَالظِّلاَل لَهَا وَإِنَّهَا أَصْل جَمِيعِ الحَقَائِقِ قَال عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أَوَّل مَا خَلقَ اَللهُ نورى وَقَال عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ خَلقَتْ مِنْ نُورِ اَلله وَالمُؤْمِنُونَ مِنْ نورى فَبالضَّرُورَة تَكُونُ تلكَ الحَقِيقَة بَيْنَ سَائِر الحَقَائِقِ وَبَيْنَ الحَقِّ جَل وَعَلاَ وَيَكُونُ وُصُول أَحَد إلى المَطْلوب بِلاَ تَوَسُّطه عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مُحَالا فَهُوَ نبى الأَنْبِيَاء وَالمُرْسَلينَ وَإِرْسَاله رَحْمَة للعَالمينَ وَمِنْ هُنَا يَتَمَنَّى الأَنْبِيَاءُ أُولو العَزْمِ مَعَ وُجُود الأَصَالة فِيهِمْ تَبَعِيَّته وَالدُّخُول فِي عَدَّاد أُمَّته كَمَا وَرَدَ عَنْهُ عَلَيْه وَعَلَيْهِمْ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

فَإِنْ قِيل: أَيّ كَمَال مَرْبُوط بِكَوْن الأَنْبِيَاء مَنْ أُمَّته صَلى اَللهُ عَلَيْه وَسَلمَ وَلمْ يَتَيَسَّرْ لَهُمْ مَعَ وُجُود دَوْلة اَلنُّبُوَّة فِيهِمْ.

قُلت: نَّ ذَلكَ الكَمَال هُوَ الوُصُول إلى حَقِيقَة الحَقَائِق وَالاتِّحَاد به وَهُمَا مَنُوطَان بِالتَّبَعِيَّة وَالورَاثَة بَل موقو فَإِنَّ عَلى كَمَال فَضْلهُ تَعَالى فَإِنَّهُمَا نَصِيبٌ أَخصُّ الخَوَاصِّ مَنْ أُمَّتُهُ صَلى اَللهُ عَلَيْه وَسَلمَ وَمَنْ لمْ يَكُنْ مِنْ أُمَّته لاَ يَصِل إلى هَذه اَلدَّوْلة وَلاَ يَرْتَفِعُ فِي حَقّه الحِجَاب فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَتَيَسَّرُ بِسَبَب اَلاتِّحَاد وَلعَل اَللهَ سُبْحَانَهُ قَال مِنْ هَذه الحَيْثِيَّة كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّة فَهُوَ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَمَنْ لمْ يَكُنْ مِنْ أُمَّته لاَ يَصِل إلى هَذه اَلدَّوْلة وَلاَ يَرْتَفِعُ فِي حَقّه الحِجَاب فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَتَيَسَّرُ بِسَبَب اَلاتِّحَاد وَلعَل اَللهَ سُبْحَانَهُ قَال مِنْ هَذه الحَيْثِيَّة كَمُنْتُم خَيْرَ أُمَّة فَهُوَ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ كَمَا هُوَ أَفْضَل مِنْ كُل فَرْد مِنْ الأَنْبِيَاءِ الكِرَامِ وَالمَلاَئِكَة العظَامِ كَذَلكَ هُوَ عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أَفضَّل مِنْ الكُل مِنْ حَيْثُ الكُل عَلَيْه وَعَلَيْهِمْ

الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فَإِنَّ للأَصْل فَضْلا عَلى ظله وَإِنْ كَانَ ذَلكَ اَلظِّل متضمناً لأُلوف مِنْ اَلظِّلاَل فَإِنَّ وَصْل الفَيُوض مِنْ المَبْدَأ الفَيَّاضِ سُبْحَانَهُ إلى اَلظِّل إِنَّمَا هُوَ بِتَوَسُّط الأَصْل وَقَدْ حَقَّقَ هَذَا الفَقيرُ فِي رَسَائله أَنَّ للنُّقْطَة الفَوْقَانيَّة فَضْلا عَلى جَمِيعِ اَلنُّقَط التى تَحْتَهَا وَهُنَّ كَالظِّلاَل لَهَا وَقَطْع العَارِف لتلكَ اَلنُّقْطَة الفَوْقَانيَّة التى هى كَالأَصْل أَزيدَ مِنْ قطْعَة لجَميعِ اَلنُّقَط اَلتَّحْتَانيَّة التى هى كَالظِّلاَل لَهَا.

فَإِنْ قِيل: يَلزَمُ مِنْ هَذَا البَيَانِ فَضْل خَوَاصّ هَذهِ الأُمَّة عَلى الأَنْبيَاءِ عَلَيْهِمْ اَلسَّلاَمُ:

قُلت: لاَ يَلزَمُ ذَلكَ أَصْلا وَإِنَّمَا يَلزَمُ شَرِكَة خَوَاصّ هَذهِ الأُمَّة مَعَ الأَنْبيَاء فِي تلكَ اَلدَّوْلة وَمَعَ ذَلكَ فِي الأَنْبيَاء كَمَالاَت كَثيرَة وَمَزَايَا عَديدَة مُخْتَصَّة بهمْ وَأَخُصُّ الخَوَاصّ مِنْ .هَذهِ الأُمَّةُ لوْ تَرَقَى غَايَةٌ التَّرَقِّي لاَ يَصِل رَأْسه إلى قَدَمِ أَدْنَى الأَنْبيَاءِ وَأَيْنَ المَجَال للمُسَاوَاة وَالمزْيَة بَعْد قَال اَللهُ تَعَالى وَلقَدْ سَبَقَتْ كَلمَتُنَا لعبَادنَا المُرْسَلينَ عَليْهِمْ الصَّلوَاتُ والتسليمات فَلوْ تَرَقَّى فَرْدٌ مِنْ أَفْرَادِ الأُمَّة بتَطَفُّل نَبيه وَتَبعيَّته فَوْقَ بَعْضِ الأَنْبيَاءِ عَليْهِمْ اَلسَّلاَمُ إِنَّمَا يَكُونُ ذَلكَ بعُنْوَان الخادمية وَالتَّبَعيَّة وَمِنْ المَعْلومِ أَنَّهُ مَا نسبَةُ الخَادمِ إلى أَقْرَان المَخْدُوم غَيْر الخادمية وَالتَّبَعيَّة وَالخَادم الطفيلى طفيلى فِي جَميع الوَقْت وَالحَقيقَة المُحَمَّديَّة التى هى حَقيقَة الحَقَائق عَلى مَا انْكَشَفَ لهَذَا الفَقيرِ فِي آخر الأَمْرِ بَعْد طى جَميع مَرَاتبَ اَلظِّلاَل هى اَلتَّعَيُّن الحُبى وَظُهُوره الذى هُوَ مَبْدَأ الظهورات وَمَنْشَأ خَلق المَخْلوقَات كَمَا وَرَدَ فِي الحَديث القدسى المَشْهُور كُنْت كَنْزًا مخفياً فَأَحْبَبْت أَنْ أَعْرِفَ فَخَلقَتْ الخَلقَ لاَ عُرْفَ وَأَوَّل شَيْء جَاءَ إِلى منَصَّة اَلظُّهُور مِنْ ذَلكَ الكَنْزِ الخفى كَانَ الحُبّ الذى صَارَ سَبَبًا لخَلق الخَلاَئق فَلوْ لَمْ يَكُنْ هَذَا الحُبُّ، لَمَا انْفتَحَ بَاب الإيجَاد وَكَانَ قَدَم العَالِم رَاسخًا ومستقراً فِي العَدَم وينبغى أَنَّ يَطْلبَ سرّ حَديث لوْلاَك لَمَا خَلقَتْ الأَفْلاَك وَلَمَّا أَظْهَرَتْ البوبية فِي هَذَا المَقَام.

فَإِنْ قِيل: إِنَّ صَاحِبَ الفُتُوحَات المَكِّيَة جَعَل اَلتَّعَيُّن الأَوَّل الذى هُوَ الحَقيقَة المُحَمَّدِيَّة عِبَارَة عَنْ إِجْمَال العِلم وَأَنْتَ قُلت فِي رَسَائلك أَنَّ اَلتَّعَيُّنَ الأَوَّل هُوَ

اَلتَّعيُّنُ الوُجُوديّ وَجعَلتْ مَرْكَزهُ الذى هُوَ أَشْرَفُ أَجزَائه وَأَسْبَقُهَا عبَارَة عَنْ الحَقيقَة المُحمَّديَّة وَظَنَنْت تُعينُ حَضْرَة الإجْمَال ظَل هَذَا اَلتَّعيُّن الوُجُوديّ وَتَكْتُبُ الآنَ هَهُنَا أَنَّ اَلتَّعيُّنَ الأَوّل هُوَ اَلتَّعيُّنُ الحُبى وَأَنَّهُ حَقيقَةٌ مُحَمَّديَّةٌ فَمَا وَجّهَ اَلتَّوْفيق بَيْنَ هَذه الأَقْوَال:

قُلت: كَثيرًا مَا يَظْهَرُ ظِل شَيْء بصُورَة أَصْله وَيَجْعَل اَلسَّالك مَشْغُولا ومشغوفاً بنَفْسه فَذَانكَ التعينات منْ ظلاَل اَلتَّعيُّن الأَوَّل ظهراً للسَّالكِ وَقْتَ العُرُوجِ بصُورَة أَصْلهِمَا الذى هُوَ اَلتَّعيُّنُ الأَوّل الحُبى.

فإنْ قيل: كَيْفَ يَسْتَقيمُ القَوْل بأَنَّ اَلتَّعيُّنَ الوُجُوديّ ظَل لتُعينَ الحُبى وَالحَال أَنَّ للوُجُود سبْقَة عَلى الحُبِّ فَإنَّ الحُبَّ فَرْع الوُجُود:

قُلت: أَنَّ هَذَا الفَقيرَ قَدْ حَقَّقَ في رَسَائله أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى مَوْجُودٌ بذَاته لاَ بالوُجُود وَكَذَلكَ صفَاته اَلثَّمانيَة الحَقيقيَّة مَوْجُودَة بذَاته جَل شَأْنُهُ لاَ بالوُجُود فَإنَّهُ لاَ مَجَال للوُجُود بَل للوُجُوب في تلكَ المَرْتَبَة لأَنَّ الوُجُودَ وَالوُجُوب كليْهمَا منْ اَلاعْتبَارَات وَأَوّل اعْتبَار ظَهَرَ لإيجَاد العَالم هُوَ الحُبُّ ثُمَّ بَعْدَهُ اعْتبَار الوُجُود الذى هُوَ مُقَدّمَة إيجَاد العَالم فَإنَّ لحَضْرَة اَلذَّاتَ تَعَالتْ بلاَ اعْتبَار هَذَا الحُبِّ وَالوُجُود استْغْنَاء عَنْ العَالمِ وَعَنْ إيجَادِ العَالمِ أَنَّ اَللهَ لغَنى عَنْ العَالمينَ نَصّ قَاطِع وَالقَوْل بظليَّة اَلتَّعيُّن العلمى .اَلإجْمَال لذينَك التعينين باعْتبَار أَنَّهُمَا منْ اعْتبَارَات حَضْرَة اَلذَّات بلاَ مُلاَحَظَة اَلصّفَات وَالمَلحُوظ في هَذَا اَلتَّعيُّن هُوَ اَلصّفَة الذى هى كَالظّل للذّات.

يَنْبَغي: أَنْ يَعْلمَ أَنَّهُ إذَا أُجيل اَلنَّظَر في اَلتَّعيُّن الأَوّل الذى هُوَ اَلتَّعيُّنُ الحُبى بالدّقَّة وَالإمْعَان يَعْلمُ بفَضْل اَللهِ سُبْحَانَهُ أَنَّ مَرْكَز ذَلكَ اَلتَّعيُّن هُوَ الحُبُّ الذى هُوَ الحَقيقَة المُحَمَّديَّة وَمُحيطه الذى هُوَ كَالدَّائرَة في صُورَة المثَال وَكَالظّل لذَلكَ المَرْكَز هُوَ الخَلة التى هى الحَقيقَة الإبْرَاهيميَّة فَكَانَ الحُبّ أَصْلا وَالخَلة كَالظّل لهُ وَمَجْمُوع المَرْكَز وَالمُحيطِ الذى هُوَ دَائرَة وَاحدَة تُعينُ أَوّل وَمُسُمّي بَاسم أَشْرَف أَجْزَائه وَأَسْبَقهَا الذى هُوَ المَرْكَزُ الذى هُوَ عبَارَة عَنْ الحُبِّ وَفى اَلنَّظَر الكشفى أيضاً يَظْهَرُ

باعْتبَار أَصَالة ذَلكَ الجُزْء وَغلَبته تُعينا حبياً وَمنْ حَيْثُ إنَّ مُحيطَ اَلدَّائرَة كَالظِّل لمَرْكَزهَا وَنَاش منْهُ وَإنَّ ذَلكَ المَرْكَزَ أَصْل وَمَنْشأ لهُ لوْ قيل للمُحيط تعيناً ثانوياً أيضاً لجَازَ وَلكنْ ليْسَ في اَلنَّظَر الكشفى تُعينَان بَل تُعَيِّنُ وَاحد مُشْتَمل عَلى الحُبِّ وَالخَلة اَللذَيْن هَمَّا المَرْكَز وَالمُحيط وَالتَّعَيُّن الثَّاني في اَلنَّظَر الكشفى هُوَ اَلتَّعَيُّنُ الوُجُوديّ الذى هُوَ كَالظِّل للتَّعَيُّنِ الأَوَّل كَمَا مَرَّ فإذَا كَانَ المَرْكَز أَصلا للمُحيط لاَ بُدَّ للمُحيط في الوُصُول إلى المَطْلوب منْ تَوَسُّط المَرْكَز فَإنَّ الوُصُول إلى المَطْلوب منْ طَريقِ المَرْكَزِ الذى هُوَ أَصْل اَلدَّائرَة وَإجْمَالهَا ينبغى أَنَّ يُعرِّفَ منْ هَذَا البَيَان مُنَاسبَة حَبيب اَلله وَاتِّحَاده بخَليل اَلله عَليْهمَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَلَمَّا كَانَ الأَصْل وَاسطَة للظِّل في الوُصُول إلى المَطْلوبِ لاَ جَرَمَ أَرَادَ الخَليل تَوَسَّطَ حَبيب اَلله وَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ دَاخلا في عَدَّاد أُمَّته عَليْهمَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ كَمَا وَرَدَ في الخَبَر.

فَإنْ قيل: إذَا كَانَتْ المُعَامَلة هَكَذَا فَمَا مَعْنَى أَمْر حَبيب اَلله بمُتَابَعَة ملة خَليل اَلله عَليْهمَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَلَمَ قَال صَلى اَللهُ عَليْه وَسَلمَ في بَيَان الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلى نَفْسه اَلشَّريفَة كَمَا صَليْت وَكَمَا سَلمَتْ عَلى إبْرَاهيمَ:

قُلت: إنَّ اَلحَقيقَةَ الشَيْء كُل مَا كَانَتْ أَعْلى وَأَقْرَب إلى اَلتَّنْزيه يَكُونُ مَظْهَر تلكَ الحَقيقَة في عَالم العَنَاصرِ أَسْفَل وَيَكُونُ تَلبُّسُهُ بالصِّفَات البَشَريَّة أَكْثَرَ فَوُصُول ذَلكَ المَظْهَرِ إلى تلكَ الحَقيقَة بطَريقِ العُرُوج يَكُونُ متضمناً للعُسْر وَالملة التى أَعْطَاهَا اَللهُ سُبْحَانَهُ لإبْرَاهيمَ عَليْهمُ اَلسَّلاَمُ طَريق وَاضح للوُصُول إلى الحَقيقَة الإبْرَاهيميَّة التى هى وَاقعَة في جوَار الحَقيقَة المُحَمَّديَّة كَمَا مَرَّ إبْرَاهيمُ عَليْه اَلسَّلاَمُ وَصَّل هُنَاكَ منْ هَذَا اَلطَّريقِ وَلهَذَا أَمْر صَلى اَللهُ عَليْه وَسَلمَ بمُتَابَعَة مَلتُهُ ليَصل بهَا إلى حَقيقَة الحَقَائق وَقَال صَلى اَللهُ عَليْه وَسَلمَ كَمَا صَليْت وَكَمَا سَلمَتْ لأَنَّ اَلصَّلاَةَ وَالرَّحْمَةَ .عَليْه اَلسَّلاَمُ إنَّمَا هى بَعْدَ حُصُول دَوْلة الوُصُول إلى الحَقيقَة مَعَ أَنَا نَقُول أَنَّ الفَاضل يُؤْمَرُ في بَعْض الأَحْيَان بمُتَابَعَة المَفْضُول وَلاَ يُلزمُ منْ ذَلكَ الأَمْر بالمُتَابَعَة قُصُور في فاضليته قَال اَللهُ تَعَالى لنَبيِّه عَليْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَشَاوِرْهُمْ في الأَمْر وَالأَمْر بمَشُورَة الأَصْحَاب لاَ يَخْلو منْ تَضَمَّنَ الأَمْرُ بمُتَابَعَتهمْ وَإلا فَمَا فَائدَة المَشُورَة.

وَاعْلَمْ: أَنَّ حَقِيقَةَ الصِّديق رضي الله عَنْهُ يُعْنَى رَبَّه مِنْ الأَسْـمَاءِ الإِلهيَّة الذى هُوَ مَبْدَأُ تُعينُهُ ظِل الحَقِيقَة المُحمَّدِيَّةِ بلاَ تَوسُّط أَمْرٌ على نَهْجِ كل مَا هُوَ كَائن في تلكَ الحَقيقَة ثَابتٌ لذلكَ الظِّل بطريق التَّبعِيَّة وَالورَاثَة وَمِنْ هَهُنَا كَانَ هُوَ رضى الله عَنْهُ أكْمَل وَرَثَة هَذه الأُمَّة وَأَفْضَلهمْ قَال عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مَا صَبَّ اللهُ شيئاً في صَدْري إلا وَقَدْ صَبَبْته في صَدْر أَبى بَكْر.

وَلاَحَ أيضاً أَنَّ الحَقِيقَةَ الإِسْرَافيلِيَّةَ أيضاً هى تلكَ الحَقيقَة بَل في كليْهمَا أَصَالة هُنَا لاَ ظليَّةَ حائلة وَإِنَّمَا الفَرْقُ بَيْنَهُمَا بالكُلِّيَة وَالجُزْئيَّة فَإِنَّ حَقيقَتَهُ صَلى الله عَلَيْه وَسَلمَ كُلِّيَّةٌ وَلهَذَا كَانَتْ تلكَ الحَقيقَة مَنْسُوبَة إلى اسْمه عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَحَقَائق المَلاَئكَة الكِرَام عَلَيْهِمْ السَّلاَمُ نَاشئَة مِنْ الحَقيقَة الإسرافيلية.

فَإِنْ قِيل: هَل يَجُوزُ أَنْ يَترَقَّى العَارِفُ مِنْ حَقِيقَته التى هى عِبَارَة عَنْ الاِسْمِ الإلهى الذى هُوَ رَبُّهُ بَعْدَ الوُصُول إلِيْهَا أولاً:

قُلت: إنَّ الوُصُول إلى تلكَ الحَقِيقَة بَعْد طى مَرَاتب السُّلوك الذى قَالوا إنَّهُ عبَارَةٌ عَنْ تَمَاميَّة السَّيْر إلى الله عَلى نَوْعَيْنِ أَحدهمَا وُصُول إلى ظل مِنْ ظلال ذَلكَ الاِسْم الذى ظَهَرَ في المَظَاهر الوجوبية في صُورَة حَقيقَته وَبَرَزَ بوَصْف أَصْله وَهَذَا الاشْتبَاه كَثير الوُقُوع في هَذَا الطَّرِيق وَعَقَبَة عَظيمَة عَلى السَّالك إلا أَنْ يَتَيسَّرَ مُخَلص مِنْ هَذه العَقَبَة بِمَحْضِ فَضْل الله تَعَالى وَلاَ شَكَّ أَنَّ هَذَا التَّرَقِّي مِنْ هَذَا الظِّل الشَّبيه بالحَقِيقَة جَائز بَل وَاقع وَأَمَّا إذَا وَقَعَ الوُصُول إلى نَفْسِ الحَقيقَة فَلاَ يَجُوزُ التَّرَقِّي منْهَا بلاَ تَطَفُّل أَحَد وَتَبَعيَّته فَإنَّ تلكَ الحَقِيقَةَ نهَايَةُ مَرَاتب اسْتعْدَاده الذَّاتيِّ وَأَمَّا إذَا وَصَل إلى حَقيقَة غَيْره التى هى فَوْقَ حَقيقَته بطَرِيق التَّطَفُّل فَجَائز بَل وَاقع وَهَذَا السَّيْر كَأَنَّهُ سَيْرَ قسرى وَرَاءَ السَّيْر الطبيعى الاستعدادى كَمَا مَرَّتْ شمَّة مِنْ ذَلكَ عِنْدَ بَيَان الوُصُول إلى الحَقِيقَة المُحمَّدِيَّة.

فَإِنْ قِيل: هَل يَجُوزُ التَّرَقِّي مِنْ الحَقِيقَة المُحمَّدِيَّة التى هى حَقيقَة الحَقَائق وَلاَ حَقيقَةَ فوْقَهَا مِنْ حَقَائقَ المُمكّنات أولاً وَأَنْتَ كَتبْتَ فِي رَسَائلك أَنَّ التَّرَقِّي مِنْ الحَقِيقَة المُحمَّدِيَّة قَدْ وَقَع فَمَا حَقيقَة هَذه المُعَامَلة:

قُلت: لاَ يَجُوزُ فَإنَّ فَوْقَهَا مَرْتَبَة التعين وَوُصُول المُتَعَيِّن إِلَيْهَا وَلحُوقه بِهَا مُحَال وَالقَوْل .بالوُصُول وَاللحُوق بِلاَ تَكَيُّف مُجَرَّد نَفوْهُ يَتَسَلى بِه قَبل الوُصُول إلى حَقِيقَة المُعَامَلة وَأمَّا بَعْدُ الوُصُول إلى حَقِيقَة الأَمْرِ فالحُكْم بَعْدَ الوُصُول وَاللحُوق لاَزِم لأَنَّهُ ليْسَ فِيه شَائبَة الرَّيْب وَمَا كَتَبْتُ أَنَّهُ قَدْ وَقَعَ التَّرَقِّي مِنْ الحَقِيقة المُحَمَّدِيَّة فَالمُرَاد مِنْ تِلكَ الحَقِيقَة ظَل تِلكَ الحَقِيقَة الذى قَالوا أَنَّهَ عبَارَة عَنْ إجْمَال حَضْرَة العِلم وَمَعْبَر عَنْهُ بالوَحْدَة كَانَ فِي ذَلكَ الوَقْت اشْتبَاه الظِّل بالأَصْل وَلَمَّا تَيَسَّرَ التَّخَلصُ بِمَحْضِ فَضْل اَللهِ جُل سُلطَانه مِنْ ذَلكَ الظِّل وَسَائِر الظِّلاَل علم أَنَّ التَّرَقِّي مِنْ حَقِيقَة الحَقَائِق غَيْر وَاقِعٍ بَل غَيْر جَائِزٍ فَإنَّ رَفْعَ القَدَم مِنْهَا وَوَضْعَهَا فِيمَا فَوْقَهَا وَضْع القَدَمِ فِي الوُجُوب وَخُرُوج مِنْ الإِمْكَان وَذَلكَ مُحَال عَقْلا وشرعاً.

فَإنْ قِيل: يُلزمُ مِنْ هَذَا التَّحْقِيقِ أَنَّ التَّرَقِّي مِنْ تِلكَ الحَقِيقَة غَيْر وَاقِعٍ لخَاتَمِ الرُّسُل عَليْه وَعَليْهِمْ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أيضاً:

قُلتُ: إنَّهُ صَلى اَللهُ عَليْه وَسَلمَ أيضاً مَعَ عُلوِّ شَأْنه وَجَلاَلة قَدْرِه مُمْكِن دائماً ل يَخْرُجُ مِنْ الإِمْكَان قَطُّ وَلاَ يَلحَقُ بالوُجُوب أَصْلا فَإنَّهُ مُسْتَلزِمٌ للتَّحَقُّقِ بالأُلوهِيَّة تَعَالى اَللهُ أَنْ يَكُونَ لهُ ندّ وَشَرِيك دَعْ مَا ادَّعَتْهُ اَلنَّصَارَى فِي نَبِيِّهِمْ الخَ.

فَإنْ قِيل: قَدْ اتَّضَحَ مِنْ اَلتَّحْقِيقِ اَلسَّابقِ أَنَّ الوُصُول إلى حَقِيقَة الحَقَائقِ وَاللحُوقَ وَالاتِّحَادَ بهَا بِتَطَفُّله وَوِرَاثَته صَلى اَللهُ عَليْه وَسَلمَ ثَابت للآخَرِينَ أيضاً وَشَرِكَتهمْ لهُ فِي كَمَاله الخَاصِّ بِه صَلى اَللهُ عَليْه وَسَلمَ كَائنَة فَعَلى هَذَا اَلتَّقْدِيرِ مَا الفَرْقُ بَيْنَ المَتْبُوعِ الأَصْل وَبَيْنَ اَلتَّابعِ الطفيلى فِي هَذَا الكَمَال الذى هُوَ مُتَضَمِّنٌ لرَفْعِ الحجَابِ وَارْتِفَاع الوَاسطَة وَفَوْقَ جَمِيعِ الكَمَالاَتِ وَأى مَزِيَّة فِي المَتْبُوع وَالأَصْل ليْسَتْ هى فِي اَلتَّابع والطفيلي:

قُلت: أَنَّ وُصُول الآخَرِينَ إلى تِلكَ الحَقِيقَة ولحوقهم بهَا مِنْ قَبِيل لحُوق الخَادم بالمَخْدُومِ وَوُصُول الطفيلى إلى الأَصِيل فَإنْ كَانَ الوَاصِل مِنْ أَخَصِّ خَوَاصِّ الأُمَّة اَلذينَ هُمْ الأقلون فَهُوَ خَادمٌ وَإنْ كَانَ مِنْ الأَنْبِيَاءِ عَليْهِمْ اَلسَّلاَمُ فَهُوَ أيضاً طفيلى وَالخَادمُ الذى هُوَ نَائل حِصَّة مِمَّا فِي يَد المَخْدُوم أيّ شَرِكَة لهُ مَعَ المَخْدُومِ

وَأى عِزَّة لَهُ وَأى مَزِيَّة فِي جَنْبه والطفيلى وَإِنْ كَانَ جايسا وشريكاً فِي اَللقْمَة وَلكِنَّ الطفيلى طفيلى وَوُصُول الخِدْمَة بِتَبَعِيَّة المَخْدُوم إلى إمكنة عَالِيَة وَأَكْلهِمْ مِنْ الأَطْعِمَة المَخْصُوصَة بِهِ وَنَيْلهِمْ الإِعْزَاز وَالاحْتِرَام مِنْ عَظَمَة شَأْن المَخْدُوم وَعُلو مُنَوَّلته وَكَأَنَّهُ يَلحَقُ للمَخْدُومِ ح عِزَّة أُخْرَى مِنْ جِهَةِ لُحُوق خِدْمَة بِهِ مَعَ وُجُود عِزَّتِه اَلذَّاتِيَّة وَيَزِيدُ بِذَلكَ قُدْرَةً وَيرْتَفِعُ شَأْنُهُ.

اِسْمَعْ سماعاً حسناً: أَنَّهُ قَدْ وَرَدَ فِي الحَدِيث النَّبوِيّ عَلى صَاحِبه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مَنْ سَنَّ سَنَة حَسَنَة فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْر مَنْ عَمِل بِهَا فَالمَتْبُوع كُل مَا كَانَ اَلتَّابِعُ لَهُ فِي سَنَته الحَسَنَة أَكْثَر يَكُونُ أَجْرُهُ مِثْل أُجُورِهِمْ أَزْيَدَ وَأَوْفَرَ وَيَكُونُ موجباً لاِزْدِيَاد مُنْزِلته فَكَيْفَ يَكُونُ للتَّابِعِينَ شَرِكَةً مَعَ المَتْبُوعِ وَكَيْفَ تَتَوَهَّمُ المُسَاوَاة بَيْنَهُمَا.

اِسْمَعْ اِسْمَعْ: إِنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَمَاعَة فِي مَقَام وَاحِد وَشُرَكَاء فِي دَوْلة وَاحِدَة وَلكِنْ يَكُونُ مَعَ كُل مِنْهُمْ مُعَامَلةً عَلى حِدَة وَلاَ يَكُونُ لأَحَد مِنْهُمْ اِطِّلاَع عَلى الآخَرِ أَلاَ تَرَى أَنَّ أَزْوَاج النبى صَلى اَللهُ عَلَيْه وَسَلمَ يَكُنْ مَعَهُ فِي الجَنَّة فِي مَقَام وَاحِد وَيَتَنَاوَلنَ مِنْ طَعَامٍ وَاحِدٍ وَشَرَاب وَاحِد وَلكِنَّ المُعَامَلةَ التِى تَكُونُ مَعَ النبى صَلى اَللهُ عَلَيْه وَسَلمَ لاَ تَكُونُ مَعَهُنَّ وَالالتِذَاذ وَالسُّرُور اَللذَان يُكَوِّنَان لَهُ صَلى اَللهُ عَلَيْه وَسَلمَ لاَ يَكُونَانِ لهُنَّ فَلوْ كَانَتْ لهُنَّ شَرِكَةً هُنَاكَ مَعَهُ فِي جَمِيع الأُمُورِ يَلزَمُ أَفْضَليَّتهنَّ عَلى الكُل كَأَفْضَليَّتِهِ صَلى اَللهُ عَلَيْه وَسَلمَ فَإِنَّ الأَفْضَليَّةَ هُنَا بِمَعْنَى كَثْرَةِ اَلثَّوَاب عِنْدَ اَللهِ.

فَإِنْ قِيل: إِنَّ هَذَا اَلتَّعَيُّنَ الحُبى الذى هُوَ اَلتَّعَيُّنُ الأَوَّل وَالحَقِيقَة المُحَمَّدِيَّة هَل هُوَ مُمْكِنٌ أَوْ وَاجِبٌ حَادِثٌ أَوْ قَدِيمٌ وَقَدْ قَال صَاحِب الفُصُوص للتَّعَيُّن الأَوَّل حَقِيقَة مُحَمَّدِيَّة وَعَبَّرَ عَنْهُ بِالوَحْدَة وَكَذَلكَ قَال للتَّعَيُّن الثَّانِي وَأُحْدِيَّة وَأَثْبَتَ الأَعْيَان اَلثَّابِتَة التِى هِى حَقَائِق المُمَكَّنَات عِنْدَهُ فِي تِلكَ المَرْتَبَة وَقَال لكِلاَ التعينين تَعَيَّنَا وجوبياً وَاعْتَقَدَ قَدَمهمَا وَقَال تعينات اَلثَّلاَثَة البَاقِيَة أَعَنى الروحى والمثالى والجسدى تُعِينَا إمكانياً فَمَا مُعْتَقَدك فِي هَذِهِ المَسْأَلَة:

قُلت: لاَ تُعينُ عِنْدَ الفَقيرِ أَصْلا وَلاَ مُتَعَيِّنَ أيَ تُعينُ يَجْعَلِ المتعين متعيناً وَهَذه الأَلفَاظ مُوَافَقة لمَذاق حَضْرَة اَلشَّيْخ محيى اَلدِّين وَأَتْبَاعه قَدَّسَ اَللهُ تَعَالى أَسْرَارَهُمْ فَإِنَّ وَقْع مِثْل هَذه الأَلفَاظ فِي عِبَارَات الفَقير ينبغى أَنْ نَعْتَقدَهُ منْ قبيل صَنْعَة المُشَاكَلة وَعَلى كُل حَال أَقُول إنَّ ذَلكَ اَلتَّعَيُّن تُعينُ إمكانى وَمَخْلوق وَحَادث قَال عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أَوَّل مَا خَلقَ اَللهُ نورى وَوَرَدَ فِي أَحَاديث أُخَرَ تُعَيَّنُ وَقْت خلقَةُ ذلكَ اَلنُّور أيضاً كَمَا وَرَدَ قَبْل خَلق اَلسَّمَوَات بألفى عَام وَأَمْثَاله وَكُل مَا هُوَ مَخْلوقٌ وَمَسْبُوقٌ بالعَدَمِ فَهُوَ مُمْكنٌ وَحَادثٌ فَإِذَا كَانَتْ حَقيقَة الحَقَائق التى هى أَسْبَق الحَقَائق مَخلوقَة وَمُمْكنَة تَكُونُ حَقَائق الآخرينَ مَخْلوقَة وَمُمْكنَة وَحَادثَة بالطَّرِيقِ الأَوَّل وَالعَجَب منْ اَلشَّيْخ قَدَّسَ سرَّهُ منْ أَيْنَ يَحْكُمُ للحَقيقَة المُحَمَّدِيَّة بَل حَقَائق جَميع المُمكّنَات التى قَال لَها أَعْيَانًا ثَابتَة بالوُجُوب وَيَعْتَقدُ قدمها وَيُخالفُ قَوْل نَبيه عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالمُمْكن مُمْكن بجَميعِ أَجْزَائه وَمُمْكن بصُورَته وَحَقيقَته لأَى شَيْء يَكُونُ اَلتَّعَيُّن الوجوبى حَقيقَة المُمْكن وَحَقيقَة المُمْكن ينبغى أَنْ تَكُونَ مُمْكنَة أَلبَتَّة فَإِنَّ المُمْكنَ لاَ اشْتِرَاكَ لهُ مَعَ الوَاجب تَعَالى أَصْلا وَلاَ انْتسَابَ .غَيْرُ أَنْ يَكُونَ المُمْكن مَخلوقَة وَهُوَ سُبْحَانُهُ خَالقُهُ وَالشَّيْخُ لعَدَمِ تَمْييزه بَيْنَ الوَاجبِ وَالمُمْكنِ حَيْثُ قَال بنَفْسه بعَدَمِ اَلتَّميُّز بَيْنَهُمَا لاَ يُبَالى منْ أَنْ يَقُول للوَاجب مُمْكنًا وَللمُمْكنِ واجباً فَلوْ سُومحَ فِي ذَلكَ فَهُوَ منْ كَمَال الكَرَمِ وَالعَفْوِ رَبّنَا لاَ تُؤَاخذْنَا إنْ نَسينَا أَوْ أَخْطَأْنَا.

فَإِنْ قيل: إنّك قَدْ أَثْبتَّ فِي رَسَائلك بَيْنَ الوَاجب تَعَالى وَالمُمْكنِ نسْبَة الأَصَالة وَالظِّلّيَّة:

قُلت: فِي حَقّ المُمْكن إنَّهُ ظَل الوَاجبُ تَعَالى وَكَتَبْتُ أيضاً أَنَّ الوَاجبَ تَعَالى باعْتبَارِ الأَصَالة حَقيقَة للمُمْكنِ الذى هُوَ كَالظّل لهُ وَفَرَّعْتُ عَلى ذَلكَ مَعَارِفَ كَثيرَةً فَلوْ قَال اَلشَّيْخ قَدَّسَ سرَّهُ أيضاً للوَاجب حَقيقَة المُمْكن بهَذَا الاعْتبَارِ أَيّ مَحْذُور يُلزِمُ منْهُ وَلمْ يَكُونُ ملومًا به.

قُلت: إنَّ مِثْل هَذه العُلومِ التي تَثْبُتُ بَيْنَ الوَاجبِ تَعَالى وَالُمْكِنِ نِسْبَة وَلَمْ يُرِدْ بِهَا اَلشَّرْع كُلهَا مِنْ المَعَارِف اَلسُّكّرِيَّة وَلعَدَمِ اَلاطِّلاَعِ عَلى حَقيقَــة المُعَامَلَـة وَلعَدَمِ إِدْرَاك كُنَّة الأَمْر وَمَاذَا يَكُونُ المُمْكِن حَتَّى يَكُون ظِل الوَاجب تَعَالى وَكَيْفَ يَكُونُ للوَاجب تَعَالى ظِل فَإِنَّ اَلظِّل مُوَهِّم لتَوْليدِ المثْل وَمُنْبِئ عَنْ شَائبَة عَدَم كَمَال لطَافَة الأَصْل فَإِذَا لَمْ يَكُنْ لمحَمَّد رَسُول اَللهِ صَلى اَللهُ عَليْه وَسَلمَ مِنْ لطَافَته ظَــل كَيْفَ يَكُونُ لآله مُحَمَّد ظِل وَالمَوْجُود فِي الخَارِج بِالذَّات وَبِالاسْتقْلاَل هُوَ حَضْرَة اَلذَّات تَعَالتْ وَصِفَاته اَلثَّمَانيَة الحَقيقيَّة وَمَا سِوَاهَا أَيًّامًا كَانَ صَارَ مَوْجُودًا بإِيجَــاده تَعَالى وَمُمْكِنَ وَمَخْلوقَ وَحَادثَ وَلاَ شَيْء مِنْ المَخْلوق بِظِل لخَالقــه وَلَــيْسَ لَــهُ انْتسَاب إِلى الخَالقِ تَعَالى غَيْر المخلوقية وَغَيْر مَا وَرْديَّة اَلشَّرْع وَهَذَا العلــم بِظليَّــة العَالم يَنْفَعُ للسَّالك فِي اَلطَّرِيق نفعاً كَثيرًا وَيُؤَدِّيه بجَذْبه إِلى الأَصْل فَــإِذَا طَــوَى بكَمَال العنَايَة مَنَازِل اَلظِّلاَل وَوَصْل إِلى الأَصْل يَجدُ بِفَضْل اَللهِ تَعَالى أَنَّ هَذَا الأَصْل أيضاً حُكْمه حُكْم اَلظِّل لَيْسَ لهُ لِيَاقَةً بالمطلوبية لكَوْنه متسماً بِسِمَة الإِمْكَــان وَأَنَّ المَطْلوبَ مَا وَرَاءَ حَيْطَة الإِدْرَاك وَالوَصْل وَالاتِّصَال رَبَّنَا آتنَا مِنْ لدُنْكَ رَحْمَة وهئ لنَا مِنْ أَمْرِنَا رُشْدًا .

فَصْــــــل

قَدْ كَانَ مَنْبَع الفَضَائِل وَالكمَالاَت مَوْلاَنَا حَسَن الكشــميرى الــدَّهْلويّ أَحْسَن اَللهُ سُبْحَانَهُ أَحْوَاله وَحَصَل آمَالهُ أَرْسَل رِسَالةً إلى هَذَا الفَقيرِ وإدرج فِيهَــا أَسْئلة مُتَعَدِّدَة وَطَلب حَلهَا وَلَمَّا كَانَ حَلهَا مُتضَمِّنًا لإظْهَارِ بَعْضِ الأَسْرَارِ مَعَ بَعْض مَوَانِع أَخَّرَ مَا اجْتَرَأَ الفَقِير عَلى تَحْرِيرِ الجَوَاب وَأَمْر الوَقْت بِالتَّعَلل وَلكِنْ لَمَّا كَــانَ للمُشَارِ إِلَيْهِ حُقُوق عَظِيمَة عَلى ذِمَّة الفَقيرِ حَيْثُ تُشْرفُ بحُسْن دَلاَلَتــه بِدَوْلَــة الحُضُور عِنْد صَاحِب الولاَيَة حاوى طَرِيق إِنْدرَاج اَلنِّهَايَة فِي البدَايَة فَأُخذَ مِنْهُ تَعْليم أَلف با فِي هَذَا اَلطَّرِيق وَاسْتَفَادَ فِي هَدمَتْهُ فُيوضَات وَبَرَكَات غَيْر مُتَنَاهِيَــة أَدْرَاج حَل بَعْض أَسْئلتهِ التِى لَهَا مُنَاسبَة بِعُلومِ هَذه اَلرِّسَالة فِي ذَيَّل هَذه اَلرِّسَالَةَ بِالضَّرُورَة وَاَللهُ سُبْحَانَهُ الهادى إلى سَبِيل اَلرَّشَاد.

وَقَدْ سَأَل أَنَّ الكمَالاَت اَلصُّورِيَّة وَالمَعْنَوِيَّة وَالظَّاهِرِيَّة وَالبَاطِنِيَّة وَالعلميَّــة وَالعَمَليَّة وَالدُّنْيَوِيَّة وَالأُخْرَوِيَّة وَمَا يُمْكِنُ فِي نَوْع البَشَرِ كُلهَا حَاصِل لحَضْرَة خَيْــر البَشَرِ عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِلى يَوْمِ الحَشْرِ وَمُتَمَكِّنَة فيه بالفعْل كَمَــا يَفْهَــمُ مِــنْ حَدِيثِ أَنَا سَيِّدُ وَلد آدم وَلاَ فَخْرَ وَآدَم وَمنْ دُونِه تَحْت لوائى يَوْم القيمَة فَعلمَــتْ عِلم الأَوَّلينَ وَالآخرِينَ وَأَمْثَالهَا وَمَا كَانَ مَشْرُوطًا بشُرُوط أَوْ مَوْقُوفًا عَلــى وَقْــت يَحْصُل لهُ بِأَحْسَنِ الوُجُوهِ أَلْبَتَّةَ فَعَلى هَذَا اَلتَّقْدِيرِ لِمَاذَا يَكُونُ حُزْنه صَلى اَللهُ عَلَيْــه وَسَلمَ المَوْصُوف بِالدَّوَامِ المَعْرُوف بِالكَثْرَةِ وَمَا سَبَبَ ذَلكَ فَإِنَّ اَلسَّبَبَ للحُزْنِ وَالغَمِّ فِقْدَان شَيْء يَطْلُبُهُ وَيُرِيدُهُ أَلبَتَّةَ.

أَيُّهَا المَخْدُومُ: أَنَّ اسْتبْعَادَ وُجُود الحُزْن وَفقْدَانِ الكَمَال بِالنِّسْبَة إِلى خَاتَمِ اَلرُّسُل عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ نظراً إلى جَاهه وَجَلاَلــه المحمــدى وَعِنَايَة اَللهِ جُل سُلطَانه اَلشَّاملة لحَاله فِي حَاله وَمَآله عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مُسْــلم وَمُسْتَحْسَن وَإِذَا نَظَرْنَا إلى عبديته وَعَجْزه البُشْرَى صَلى اَللهُ عَلَيْه وَسَلمَ وَلاَحَظْنَــا عِزَّته وَجَلاَلَهُ وَعَظَمَتَهُ وَكِبْرِيَاءَهُ وَاسْتغْنَاءَهُ تَعَالى اَلذَّاتيَّات لاَ يَسْتَبْعِدُ حُصُول حُــزْن

لهُ أَوْ فِقْدَان كُل مِنْ كَمالاَته تَعَالى الغَيْر المُتَنَاهِيَة فِي حَقّه صَلى اَللهُ عَلَيْه وَسَلمَ أيضاً بَل ذَلكَ لاَئق بِحَال العُبُودِيَّة قَوْله تَعَالى وَلاَ يُحيطُونَ به علمًا وَقَوْلُهُ تَعالى لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ كلاَهُمَا شَاهِدَان عَدْلاَن لهَذَا المَعْنَى وَيُثْبِتَان الفقْدَان فِي حَقّ الكُل نَعَــمْ إنَّ المُمْكِنَ وَإنْ بَلغَ اَلدَّرَجَات العُلى مَاذَا يُدْرِكُ مِنْ حَقِيقَة الوَاجبَ وَمَاذَا يَنَال الحَادثُ مِنْ القَديم وَكَيْفَ يُحيطُ المُتَنَاهَى بمَا هُوَ غَيْر مُتَنَاه وَمَا كَتَبُوهُ مِنْ أَنَّ كُل كَمَــال مُمْكِنِ الحُصُول لنَوْعِ البَشَرِ فَهُوَ حَاصِل فِيه صَلى اَللهُ عَلَيْه وَسَلمَ بالفِعْل نَعَــمْ أَنَّ الفَضْل الكُلى عَلى الكُل مَخْصُوص به عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَلكنْ يَجُوزُ أَنْ .يَكُونُ كَمَال رَاجِع إلى فَضْل جزئى مخصوصاً ببَعْضِ الأَنْبيَاء الكِرَامِ أَوِ اَلمَلاَئكَــة العظَــامِ عَلَيْهِمْ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَلاَ يُوجِبُ ذَلكَ قُصُورًا فِي فَضْله صَلى اَللهُ عَلَيْــه وَسَــلمَ الكُلى أَصْلا وَقَدْ وَرَدَتْ أَحَاديثُ صَحِيحَةٌ بكَوْن بَعْض الكمَالاَت فِي أَفْرَاد الأُمَّــة حَتَّى يَغْبطَهُ الأَنْبيَاء عَلَيْهِمْ اَلسَّلاَمُ وَالحَال أَنَّ الفَضْل الكُلى عَلى جَميعِ أَفْرَاد الأُمَّــة للأَنْبيَاء عَلَيْهِمْ اَلسَّلاَمُ وأيضاً قَدْ وَرَدَ فِي الحَديث أَنْ لشُهَدَاءَ فِي سَــبِيل اَللهِ مَزيَّــة عَلى الأَنْبيَاءِ بأَشْيَاءَ حَيْثُ إنَّ اَلشُّهَدَاءَ لاَ احْتيَاجَ لهُمْ إلى الغَسْل وَلمْ يَشْرَعْ صَــلاَةَ الجَنازَة عَلى اَلشُّهَدَاءِ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ الإمَامِ الشَّافعيُّ وَالأَنْبيَاء لاَ بُدَّ لهُمْ مِنْ اَلصَّلاَةَ وَقَال فِي القُرْآن المَجيد وَلاَ تَقُولوا لمَنْ يُقْتَل فِي سَبيل اَللهِ أَمْوَات بَل أَحْيَــاء الآيَــة وَقَال فِي حَقّ الأَنْبيَاء مَوْتَى وَهَذه كُلهَا فَضَائل جُزْئيَّة لاَ تَسْتَلزِمُ القُصُور فِي فَضْل الأَنْبيَاء الكُلى فَيُمْكِنُ أَنْ يَطْرَأَ عَلَيْه صَلى اَللهُ عَلَيْه وَسَلمَ حُزْنٌ وَغَمٌّ بِسَبَب فِقْــدَان هَذه الفَضَائل الجُزْئيَّة وَيَكُونُ ذَلكَ الحُزْن سَبَبًا لحُصُول اَلاسْــتعْدَاد وَالوُصُــول إلى تلكَ الفَضَائل بأَنْ تَجْتَمِعَ اَلشَّهَادَة مَثَلا مَعَ اَلنُّبوَّة وَلئنْ سَلمْنَا أَنَّ جَميعَ كَمَــالاَت جَميع أَفْرَاد الإنْسَان حَاصِلة لهُ صَلى اَللهُ عَلَيْه وَسَلمَ بالفِعْل نَقُول أَنَّ همَّتَهُ صَلى اَللهُ عَلَيْه وَسَلمَ لمَّا كَانَتْ عَاليَة لمْ يَكْتَف بتلكَ الكمَالاَت بَل اشْتَاقَ إلى مَا فَوْقَهَا قائلاً هَل مِنْ مَزيد وَلمَّا كَانَ حُصُول الكمَالاَت الفَوْقَانيَّة للبَشَر خَارجًا عَنْ حَدِّ الإمْكَان كَانَ دَوَام الحُزْن وَإفْرَاط الغَمّ نَقْد وَقْته صَلى اَللهُ عَلَيْه وَسَلمَ وَتَحْقيق هَذَا المَبْحَــث وَاَللهُ أَعْلمُ بحَقيقَة الحَال إنْ مَدَارَ الأَمْر فِي اَلطَّريقَة وَالحَقيقَة وَفى القربَــة وَالمَعْرفَــة عَلى الفنَاء وَعَلى زَوَال اَلصِّفَات البَشَريَّة وَالأَحْوَال الإمْكَانيَّة .

وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِي حُبِّ مَوْلاَهُ فانياً فَلَيْسَ لهُ فِي كِبْرِيَاء سَبِيل

وَكُل مَا يَبْقَى مِنْ وُجُودِ البَشَرِيَّةِ يَكُونُ حِجَاب الطَّرِيق بِقَدْرِهِ وَارْتِفَاع الصِّفَاتِ البَشَرِيَّة بالكُلِّيَّة غَيْر مُمْكِن فِي حَقّ الكُل سَوَاء كَانَ مِنْ الخَوَاصِّ أَوْ مِنْ أَخَصِّ الخَوَاصِّ قَال الشَّيْخُ فَرِيد الدِّينِ العَطَّارَ .

أَلاَ تَرَى سَيِّد الكونين مَا وَصَلاَ لكنَّهُ فَقْرٌ فَدَعْ عَنْ نَفْسك التعبا

وَأَرَادَ بِكُنْه الفَقْر زَوَال الصِّفَات البَشَرِيَّة وَالأَحْكَام الإِمْكَانِيَّة بالكُلِّيَّة وَحُصُول ذَلكَ غَيْر مُتَصَوِّرٍ لكَوْنه مُسْتَلزمًا لقَلبِ الحَقَائق فَإِنَّ المُمْكِنَ إِذَا تَرَقَّى وَانْخَلعَ مِنْ إِمْكَانِيَّتِهِ يَصِيرُ واجباً أَلبَتَّةَ وَذَلكَ مُحَال عَقْلا وشرعاً وَمَا قَالهُ وَاحِد مِنْ الأَعِزَّةِ .

لوْ نَقَضَ المُمْكِن أَغْبَرَة الـ ـإمكان لاَ يُبْقَى سِوَى وَاجِب

مَحْمُول عَلى التَّمْثِيل وَالتَّشْبِيهِ لاَ عَلى التَّحْقِيقِ وَالتَّقْرِيرِ فَإِنَّهُ غَيْرُ وَاقِعٍ قَال وَاحِد مِنْ الأَعِزَّة

سَوَادُ الوَجْه فِي الدَّارَيْنِ صَاحَ مِنْ المَخْلوق أَصْلا لاَ يَزُول

فَإِنْ قِيل: إِنْ بَقَاءَ إِحْكَامِ الإِمْكَان وَآثَارِهِ ظَاهِر فِي مَقَام قَاب قَوْسَيْنِ فَإِنَّ قَوْس الوُجُوب وَقَوْس الإِمْكَان كِليْهِمَا قَائِمَان فِيه وَأَمَّا مَقَامٌ أَوْ أَدْنَى الذى هُوَ بِالأَصَالة مَخْصُوص بِهِ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ فَمَا مَعْنَى بَقَاء أَحْكَامِ الإِمْكَان فِيهِ:

قُلت: أَنَّ مَا بِهِ الاِمْتِيَاز بَيْنَ الوُجُوبِ وَالإِمْكَانِ هُوَ العَدَمُ الذى هُوَ أَحَدُ طَرَفَيْ الإِمْكَان فَإِنَّ الطَّرَفَ الآخرَ مِنْ الإِمْكَان الذى هُوَ الوُجُودُ مُشْتَرَك بَيْنَ الوُجُوبِ وَالإِمْكَانِ وَفِى مَقَام أَوْ أَدْنَى تَشْرَعُ أَحْكَام تلكَ العَدَم فِي الزَّوَال فَيَرْتَفِعُ الاِمْتِيَاز مِنْ بَيْنَ القَوْسَيْنِ لاَ أَنَّ الإِمْكَان يَرْتَفِعُ بالكُلِيَّة وَيَنْقَلبُ وجوباً فَإِنَّهُ مُحَال كَمَا مَرَّ وَإِنَّمَا الفَرْقُ أَنْ فِي مَقَام قَاب قَوْسَيْنِ لاَ تَخلصُ مِنْ الحُجُبِ الظلمانية التى هى مِنْ آثَار العَدَم وَفِى مَقَام أَوْ أَدْنَى لوْ وُجِدَتْ الحُجُب فهى نُورَانِيَّة وَنَاشِئَة مِنْ طَرَف الوُجُودِ الإمكانى وَيُمْكِنُ حَمْل مَعْنَى ذَلكَ البَيْت الذى مَرَّ عَلى هَذَا التَّوْجِيه بِأَنْ يُرَادَ مَنْ نَفضَ غُبَار الإِمْكَان وَيُمْكِنُ حَمْل مَعْنَى ذَلكَ البَيْتِ الذى مَرَّ عَلى هَذَا

اَلتَّوْجيه بِأَنْ يُرَادَ مَنْ نَفضَ غُبار الإِمْكَان زَوَال أَحْكَام العَدَم الـتى هـى كَـدُوْرَة بالكُلِيَّة.

فَإِنْ قِيل: إِذَا زَال طَرَف العَدَمِ عَنْ الإِمْكَانِ وَارْتَفَعَ مَا بِهِ الاَمْتِيَاز مِنْ بَـيْنَ الوُجُوب وَالإِمْكَان وَ لَمْ يَبْقَ فِيهِ غَيْر الوُجُود الذى هُوَ طَرَفٌ آخرُ مِـنْ الإِمْكَـان وَقَدْرٌ مُشْتَرِكٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الوُجُوب فَقَد انْخَلعَ الإِمْكَان عَنْ حَقيقَته وَصَـارَ ملحقـاً بالوُجُوبِ الذى هُوَ الوُجُودُ الصِّرْف وَلَزِمَ قَلب الحَقِيقَة وَكَانَ مَعْنَى البَيْتِ المَذْكُور أَعْنَى لَمْ يَبْقَ فِيهِ شَيْء غَيْر الوَاجِب مَحْمُولا عَلى حَقِيقَته:

قُلت: إِنَّ الوُجُوبَ الذى هُوَ أَحَدُ طَرَفَيْ الإِمْكَان ظَل الوُجُود الذى هُـوَ ثَابت فِي الوُجُوب لاَ عَيْنُهُ وَذَاكَ الوُجُوب الذى حَدَّثَ فِي المُمْكِن بِسَـبَب زَوَال طَرْفِهِ العَدَم هُوَ وُجُوبٌ بِالغَيْرِ الذى هُوَ قَسَمٌ مِنْ المُمْكِنِ لاَ وُجُوبَ بِالذَّات حَتَّـى يُلزِمَ انْقِلاَب الحَقِيقَةَ وَذَلكَ لأَنَّ ارْتِفَاع هَذَا العَدَم مَا جَاءَ مِنْ جِهَة المُمْكِنِ حَتَّـى يَصِيرُوا جُبًّا بِالذَّات وَيُلزِمُ المُحَال بَل ارْتِفَاع هَذَا العَدَم مِنَ المُمْكِنِ إِنَّمَا هُوَ لاسْتِيلاَء وُجُود الوَاجِبِ وَقَهْر الوُجُوب الذَّاتِيّ لِلمُكْنَّ الذَّاتِيّ وَالمُتَبَادر مِنْ الوُجُوب المَذْكُورِ فِي المِصْرَاعِ السَّابِق هُوَ الوُجُوبُ الذَّاتِيّ لاَ الوُجُوبُ بِالغَيْرِ وَالقَوْل بِكَوْن الوُجُـود قَدْرًا مُشْتَرِكًا بَيْنَ الوَجْب وَالمُمْكِنِ فَهُوَ مِنْ قَبِيل الاشْتِرَاك اللفظى لاَ المعنـوى وَإِنْ قَالوا إِنَّهُ كُلى مُشَكِّك فَإِنَّهُ لاَ شَرِكَةَ لِوُجُودِ المُمْكِنِ مَعَ وُجُودِ الوَاجِبِ فِي الحَقِيقَة أَصْلا حَتَّى تَتَصَوَّرَ الكُلِيَّة وَالجُزْئِيَّة.

فَإِنْ قِيل: فَمَا مَعْنَى الفَنَاء وَالبَقَاء اللذَيْنِ قَال بِهِمَا الصُّوفِيَّة وَجَعَلوا الوِلاَيَة عِبَارَة عَنْهُمَا فَإِنَّهُ إِذَا لَمْ .يَتَصَوَّرُ ارْتِفَاع الصِّفَات البَشَرِيَّة كَيْفَ يَتَصَوَّرُ الفَنَاء:

قُلت: أَنَّ الفَنَاءَ الذى هُوَ مُعْتَبر فِي الوِلاَيَة بِاعْتِبَارِ الشُّعُورِ وَالشُّهُود فَإِنَّـهُ عِبَارَةٌ عَنْ نِسْيَان مَا سِوَى الحَقِّ سُبْحَانَهُ لاَ ارْتِفَاعَ مَا سِوَاهُ غَايَة مَا فِي البَـاب أَنَّ صَاحِبَ ذَلكَ الفَنَاء رُبَّمَا يَظُنُّ فِي غَلبَات السُّكْر عَدَم الشُّعُور بِالأَشْيَاء عَدَم الأَشْيَاء وَيَتَوَهَّمُهُ ارْتِفَاع مَا سِوَاهُ تَعَالى وَيَتَسَلى بِذَلكَ فَإِذَا تَرَقَّى مِنْ ذَلكَ بِمَحْضِ فَضْـله تَعَالى وَتَشَرَّفَ بِدَوْلة الصَّحْو وَصَارَ صَاحِبَ تَمَيُّزٍ يَعْلمُ أَنَّ ذَلكَ الفَنَاءَ كَانَ نِسْـيَان الأَشْيَاءِ لاَ انْعِدَامَ الأَشْيَاءِ فَلوْ زَال بِسَبَبِ هَذَا النِّسْيَان شَيْء فَإِنَّمَا هُوَ التَّعَلقُ بِالأَشْيَاءِ

الذى كَانَ مُتَمَكِّنًا وَمَذْمُومًا لاَ نَفسَ الأَشْيَاءِ فَإِنَّهَا قَائِمَةٌ عَلى صَرَّافَتِهَا مُمْتَنِع نَفْيهَا وَإِعْدَامِهَا ،(ع):

سياهى ازحبشى كى رودكه خودر نَكَّسَتْ

فَإِذَا حَصَل بِفَضْل اَللهِ تَعَالى هَذه اَلرُّؤْيَة وَالتَّمْيِيز زَال ذَلكَ التسلى وَقَعَّدَهُ مَكَانه الحُزْن وَالغَمّ وَعَدَم اَلاسْتِرَاحَة وَتَيَقّن أَنَّ وَجُوده مَرْضَى لاَ يَكُونُ بِسَعْيه وَاهْتِمَامه وَمَعْدُومًا وَعلم أَنَّ نَقْصَ الإِمْكَان وَقُصُورَ الحُدُوث لاَ زَمَانَ لَهُ دائمًا وَالعَجَب أَنَّ العَارِفَ كُل مَا يَتَرَقَّى إِلى فَوْق وَيَكُونُ عروجاته أَكْثَر يَكُونُ رُؤْيَة اَلنَّقْصِ وَالقُصُورِ فِيهِ أَزِيدُ وَيَكُونُ عَدمَ القَرَارِ وَالرَّاحَة وَتَشَبُّه مُعَامَلة هَذَا العَارِف بِقصَّة تلميذ رَسَن تَابَ حَيْثُ قَال لأُسْتَاذه عَلى وَجْه اَلتَّعَجُّبَ كَمَا يَكُونُ عملى أَزِيدُ أَقَعُ أَبْعَد وَلعَلهُ مِنْ هَهُنَا قَال عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ كَمَا وَرَدَ يَا لَيْتَ رَبَّ مُحَمَّد لَمْ يَخْلقْ محمداً وَقَال أيضاً صَلى اَللهُ عَلَيْه وَسَلمَ مَا أُوذَى نبى مِثْل مَا أُوذِيتْ وَيُشَبِّهُ أَنْ يَكُونَ المُرَاد بِهَذه الأَذيَّة رُؤْيَة اَلنَّقْصِ وَالقُصُور المُوجبَة لكَمَال الحُزْن وَالغَمِّ فَإِنَّ سَائِر الأَذيَّة يُمْكِنُ أَنْ يُقَال : إِنَّهَا كَانَتْ فِي سَائِرِ الأَنْبِيَاء أَكْثَرُ فَإِنَّ نُوحًا عَلَيْه اَلسَّلاَمُ كَانَ بَيْنَ قَوْمه تسعمائة وَخَمْسِينَ عاماً وَرَأَى مِنْهُمْ أَنْوَاع الأَذيَّة وَنَقَل أَنَّ قَوْمَهُ رَمَوْهُ حِينَ دَعَاهُمْ إِلى الإِيمَان بالأَحْجَار حَتَّى سَقَطَ مغشياً عَلَيْه مِنْ كَثْرَة الأَحْجَار كَالأَمْطَار فَكَانَ مستوراً تَحْتَ الأَحْجَار فَلمَّا أَفَاقَ شَرَع إِلى اَلدَّعْوَة وَعَامَلة قَوْمه بِالمُعَامَلة اَلسَّابِقَة وَهَكَذَا إِلى أَنَّ يُبَلغَ الكتَاب أَجْله ينبغى أَنْ يَعْلمَ أَنَّ رُؤْيَةَ اَلنَّقْصِ وَالقُصُور هَذه لَيْسَتْ هى مِنْ البُعْد بَل هى القُرْب وَالحُضُور فَإِنَّ الكُدُورَةَ القَليلة فِي المَحَل النورانى تَرَى فِي اَلنَّظَرِ كَثيرَة وَالكُدُورَة الكَثيرَة فِي المَحَل الظلمانى تَرَى يَسيرَة وَإِنَّمَا قُلت فِيمَا سَبَقَ أَنْ مَدَار الأَمْرِ فِي القُرْب وَالمَعْرِفَة عَلى الفَنَاء فَإِنَّ اَلسَّالكَ مَا لَمْ يَفْنَ عَنْ نَفْسه وَلَمْ يَخْرُجْ مِنْ اَلصِّفَات البَشَرِيَّة وَالإِمْكَانِيَّة بِالكُلِّيَّة لاَ يَصِل إِلى المَطْلُوب فَإِنَّ اجْتمَاعَهُ مَعَ المَطْلُوبِ مِنْ قَبِيل اجْتمَاع اَلنَّقِيضَيْنِ فَإِنَّ ثُبُوت العَدَم ضرورى فِي الإِمْكَان وَفى الوُجُوب سَلبه ضرورى وَمَا لَمْ يَصِل إِلى المَطْلُوبِ مَاذَا يُدْرِكُ مِنْ كِمَالاَت المَطْلوب لاَ يُدْرِكُ الشَّيْء إِلا بِمَا يُضَادُّهُ

وَيُغَايِرُهُ قَضِيَّة مُقَرَّرَة عِنْدَ أَرْبَاب المَعْقُول أَلاَ تَرَى أَنَّ الصَّبى الذي لاَ يَعْرفُ لذَّة الجِمَاعِ إِذَا وُصِفَتْ لَهُ لذَّته ليُقَال : إِنَّهُ حُلوٌ لأَمْرٍ وَهُوَ يَتوهَّمُ حَلاَوَته كَحَلاَوَة النَّبَات وَالعَسَل البَتَّة فَإِنَّهُ لاَ حَلاَوَةَ فِي وِجْدَانه غَيْرهَا وَهَذه اللذَّة لَيْسَتْ هى لذَّته بَل هى لذَّة مَجْعُولة وَمُخْتَرَعَة باخْترَاعٍ وَهْمُ ذَلكَ الصَّبى وَفى الحَقيقَة هى رَاجعَة إِلَيْه لاَ إِلى ذَاكَ فَالعَارِف كُل مَا يُحْكَى مِنْ المَطْلُوب مِنْ قَبْل نَفْسه بلاَ إِعْلاَم منْهُ إِنَّمَا يَكُونُ حاكياً مِنْ نَفْسه وَإِذَا مَدَحَهُ كَانَ مادحاً لنَفْسه قَال عَرَّاف فِي هَذَا المَقَام يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ ضَمير بِحَمْده فِي قَوْله تَعَالى وَإِنَّ مَنْ شَيْء إِلا يَسْبَحُ بحَمْده راجعاً إِلى الشَيْء يُعْنَى لاَ يَسْبَحُ شَيْء وَلاَ يُقَدِّسُ وَلاَ يَمْدَحُ إِلا نَفْسه لهَذَا قَال البسْطَامِيّ سبحانى لإِعَادَة التَّسْبيح إِلَيْه وَنعَمْ مَا قيل بِالفَارِسيَّة المَثْنَويَّة أَشْعَار، (ع) :

أى شدَّة هُمْ دَرَّ جمَال خويشتن ... مى برستى هُمْ خَيَال خويشتن

قُسَّمَ خُلقَان زَانَ جَمَال وَزَان كَمَال ... هَسَّتْ اكْرَ برْهمْ نَهى مَشَتْ خَيَال

كَرَز معشوقت خيالى درسر ستّ ... نيسَتْ مَعْشُوق آنَ خَيَال ديكر اسْت

قَال صَاحب الفُصُوصِ: «والتجلى مِنْ الذَّات لاَ يَكُونُ إِلا بِصُورَة المُتجَلى لهُ فَالمُتجَلى لهُ مَا رَأى سوَى صُورَته فِي مرْآة الحَقِّ وَمَا رَأى الحَقّ وَلاَ يُمكنُ أَنْ يَراهُ وَقَال بِإِمْكَان الرُّؤْيَة عَلى وَجْه المُتَابَعَة لأَعْلى وَجْه التَّحْقيق فَإِنَّ الرُّؤْيَة فِي الدُّنْيَا جَائزَة وَفى الآخرَة وَاقعَة وَلمَّا كَانَ فَنَاء السَّالك بِالكُليَّة ممتنعاً وَكَانَ الوُصُول إِلى المَطْلُوب وَالاتِّصَال به بِدُونه ممنوعاً وَلَمْ تَتَصَوَّرْ المَعْرِفَة بدُون الوُصُول لزِمَ العَجْز عَنْ المَعْرِفَة بالضَّرُورَة وَصَارَ العَجْز عَنْ المَعْرفة عَيْن المَعْرِفَة لاَ يُقَال أَنَّ العَجْزَ عَنْ المَعْرِفَة كَيْفَ يَكُونُ عَيْن المَعْرفَة فَإِنَّهُ نَقيضُهَا لأَنَّ العَجْزَ عَنْ المَعْرِفَة عبارَة عَنْ مَعْرفَة بِأَنَّهُ لاَ يَعْرفُ قَال الصِّديق الأَكْبَر رضى الله عَنْهُ العَجْز عَنْ دَرْك الإِدْرَاك إِدْرَاك فَسُبْحَان مَنْ لَمْ يَجْعَل للخَلقِ إِلَيْه سَبيلا إِلا بِالعَجْزِ عَنْ مَعْرِفَته قَال وَاحد مِنْ الأَكَابر .

سُبْحَانَهُ مِنْ خَالق ... أَوْصَافه مَنَّ كبرياه

أَلقَى عَلى تُرَاب عجزَ فيه عَقْل أَنْبيَاءَ

فَإِذَا كَانَ الأَنْبيَاء عَلَيْهِمْ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَاجزِينَ فِي مَعْرفَة صفَة كبْرِيَائه

وَقَال المَلاَئكَة الكرَام عَلَيْهِمْ اَلسَّلاَمُ سُبْحَانَك مَا عَرَفْنَاك حَقّ مَعْرِفَتــك وَاعْتَــرَفَ اَلصَّدِيقُ رِضَى اَللهُ عَنْهُ الذي هُوَ رَئِيسُ هَذه الأُمَّة التي هي خَيْر الأُمَم بِالعَجْزِ فَمَنْ ذَا الذي يُدْعَى المَعْرِفَة بَعْدَ هؤُلاَءِ إلا أَنْ يَظُنَّ جَهْله المُرَكَّب مَعْرِفَة وَيَعْتَقدَ غَير الحَقِّ حقاً وَهَذَا العَجْز عَنْ المَعْرِفَة هُوَ نِهَايَة نِهَايَات مَرَاتبَ العُرُوج وَمُنْتَهى غَايَات مَدَارِج القُرْب وَمَنْ لَمْ يَصِل إلى اَلنُّقْطَة الأَخــيرَة وَلَمْ يَطْــو مَرَاتــبَ اَلتَّجَليَــات وَالظهورات وَلَمْ يَجدْ الوَصْل وَالاتّصَال الذينَ كَانَ مسروراً بِهِمَا مُدَّة كَثيرَة عَــيْنُ اَلانْفصَال لاَ يَكُونُ مُشْرِفًا بِدَوْلَةِ هَذَا العَجْز وَلاَ يَتخَلصُ عَنْ الجَهْل بِاَللهِ وَمُعَرَّفَــة غَيْر الحَقِّ حَقًّا.

فَإنْ قِيل: فَعَلى هَذَا مَا مَعْنَى وُجُوب مَعْرِفَة اَللهِ تَعَالى.

قَلتْ: مَعْنَى وُجُوب المَعْرِفَة هُوَ أَنْ كُل مَا وَرَدَ بِه اَلشَّرْعُ فِي مَعْرِفَة اَلذَّات وَالصِّفَات الإلهيَّة فَمَعْرِفَته وَاجبَة وَكُل مَعْرِفَةٍ تُسْتَفَادُ منْ غَيْر اَلشَّرِيعَة فَإطْلاَق مُعَرَّفَة الحَقّ عَلَيْهَا جرَاءَة عِنْدَ هَذَا الفَقيرِ وَحُكْم عَلى الحَقِّ جَل وَعَلاَ بِــالظَّنِّ وَالــتَّخْمين أَتَقُولونَ عَلى اَللهِ مَا لاَ تَعْلمُونَ وَلعَلهُ لذَلكَ قَال سرَاج الأُمَّة وَإمَام الأَئمَّـــة الإمَـــام الأَعْظَم الكَوْفي رِضَى اَللهُ عَنْهُ سُبْحَانَك مَا عَبَدْنَاك حَقّ عِبَادَتك وَلكنْ عَرَفْنَاك حَقّ مَعْرِفَتك وَإنْ كَانَ هَذَا القَوْل ثَقيلا عَلى الأَكْثَرِ وَلكنَّهُ قَابل للتَّوْجيه الوَجيه فَإنَّ حَقَّ المَعْرِفَة أَنْ يُعَرِّفَ الحَقّ بِجَميعِ مَا نَطَقَتْ بِه اَلشَّــرِيعَة مِــنْ كَمَالاَتِــه وتتريهاتــه وتقديساته تَعَالى لأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ مَا وَرَاءَهُ مَعْرِفَة حَتَّى تَكُونَ مَانعَة عَنْ المَعْرِفَة.

فَإنْ قِيل: للعَوَامِّ شَرِكَة فِي هَذه المَعْرِفَة مَعَ الخَوَاصِّ بَل مُسَاوَاة فَيلــزَمُ أَنْ تَكُونَ مَعْرِفَة عَوَامِّ المُؤْمنينَ مثْل مَعْرِفَة المُؤْمنينَ مثْل إيمَان الأَنْبيَاء علــيْهِمْ اَلسَّــلاَمُ (قُلت إنَّ حَاصل هَذه اَلشُّبْهَة القَوِيَّة مَبْنيَّة عَلى دَقيقَة اهْتَدَى إلَيْهَا هَذَا الفَقيرُ بِمَحْضِ الفَضْل وَالكَرَم وَهي أَنَّ حَقَّ المَعْرِفَة هُوَ أَنْ يَلحَقَ بِتلكَ المَعَارِف اَلشَّرْعيَّة الحَاصــلَة للعَارِف العَجْز عَنْ المَعْرِفَة مَثَلا وَرَدَتْ اَلشَّرِيعَة بِثُبُوت صفَة العلم للوَاجب تَعَــالى وَذَلكَ العلم غَير مُتَكَيِّفٍ وَغَيْر مُتَكَمٍّ كَذَاته تَعَالى وَخَارِج عَنْ حَيْطَة إدْرَاكنَا فَمَــنْ عُرْف ذَلكَ العلم قيَاسًا عَلى علمه فَهُوَ لَمْ يَعْرِفْهُ بَل اَلمَعْرِفَة هُنَاكَ مَجْعُــول وَهَمَّــهُ وَمُخْتَرِع خيَالهُ لاَ مَعْرِفَةَ علمِ الحَقِّ الذي هُوَ صفَته الكَاملة فَفي هَــذه اَلصُّــورَة لَمْ

تُوجَدْ نَفْسه المُعَرَّفَة فَضْلا عَنْ حَقِّ المَعْرِفَة فَإِنْ انْجَرَّتْ مُعَامَلته مِنْ القِيَاسِ وَالتَّخْمِين إِلى العَجْزِ وَوَجَدَ بِوجْدَانه وَحَاله أَنَّهُ لاَ يُمْكِنُ .مَعْرِفَتُهُ وَأَيْقَنَ أَنَّهُ لاَ نَصيب لهُ مِنْ ذَلكَ غَيْر الإِيمَان بِثُبُوت تلكَ الصِّفَة الكَامِلة فَحِينَئذ قَدْ حَصَّل لهُ نَفْسَ المَعْرِفَة وَحَقَّ المَعْرِفَة فَكَانَ أَصْل المَعْرِفَة هُوَ حَقُّ المَعْرِفَة فِي الحَقِيقَة وَمَا لَيْسَ بِحَقِّ المَعْرِفَة لَيْسَ بِأَصْل المَعْرِفَة فَلَمْ يَكُنْ للعَوَامِّ شَرِكَةً مِنْ الخَوَاصِّ فِي حَقِّ المَعْرِفَة وَأَيْنَ المُسَاوَاةُ بَعْد (فَإِنْ قِيل إِذَا كَانَ حَقّ المَعْرِفَةِ نَفْس المَعْرِفَة يَلزَمُ أَنْ لاَ يَكُونُ فِي العَوَامِّ نَفْسَ المَعْرِفَة لِعَدَمِ حَقِّ المَعْرِفَة فِيهِمْ (قُلت إِنَّ المَعْرِفَةَ صُورَة وَحَقِيقَة وَالمَعْرِفَةَ التِي هِى عَيْن حَقِّ المَعْرِفَةِ هِى حَقِيقَة المَعْرِفة المَرْبُوطَة بِالعَجْزِ عَنْ المَعْرِفَة وَصُورَتَهَا هِى مَا لَمْ تَبْلغْ حَدَّ هَذَا العَجْزِ وَلاَ تَتَخَلصْ مِنْ شَائِبَة المُقَايَسَة عَلى صِفَات الإِمْكَان كَمَا مَرَّ وَمِنْ كَمَال فَضَلهُ تَعَالى اعْتَبَرَ صُورَةَ المَعْرِفَة فِي نَفْسِ الإِيمَان وَجَعَل النَّجَاةَ مَرْبُوطَة بِهَا كَمَا اعْتَبَرَ صُورَةَ الإِيمَان أيضاً وَجَعَل دُخُول الجَنَّة مُتَرَتِّبًا عَليْهَا وَصُورَة المَعْرِفَة كَافِيَة فِي صُورَةِ الإِيمَان وَأَمَّا حَقِيقَةُ الإِيمَان فَلاَبُد فِيهَا مِنْ حَقِيقَة المَعْرِفَة فَعَلمَ مِنْ هَذَا التَّحْقِيق أَنَّ للإِيمَان أيضاً فَرْدَيْنِ صُورَة وَحَقِيقَة وَمَا هُوَ نَصِيبُ العَوَامِّ هُوَ الصُّورَة وَمَا أُعْطِيه الخَوَاصّ هُوَ الحَقِيقَة فَلمْ يَكُنْ إِيمَان العَوَامِّ مِثْل إِيمَان الأَنْبِيَاء عَليْهِمْ السَّلاَمُ الذِينَ هُمْ أَخصُّ الخَوَاصّ فَإِنَّ ذَاكَ الإِيمَانَ غَيْر هَذَا الإِيمَان لاَ مُمَاثَلةَ بَيْنهمَا وَلَمَّا كَانَ العَجْز عَنْ المَعْرِفَة مَأْخُوذًا فِي حَقِيقَة الإِيمَان وَكَانَتْ المَعْرِفَة بِأَنَّهُ لاَ يَعْرِفُ مَوْجُودَة فِيهَا لاَ جَرَمَ يَكُونُ الزِّيَادَةَ وَالنُّقْصَانَ مَفْقُودِينَ فِيهَا فَإِنَّهُ لاَ احْتِمَال لتَفَاوُت دَرَجَات المَعْرِفَة فِي سَلب المَعْرِفَة وَتَفَاوُت الدَّرَجَات إِنَّمَا هُوَ فِي الثُّبُوت فَلاَ يَكُونُ فِي حَقِيقَة الإِيمَان زِيَادَةً وَلاَ نُقْصَانَ وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلم بِحَقِيقَة الحَال (فَإِنْ قِيل يَلزَمُ عَلى هَذَا التَّقْرِير أَنْ تَكُونَ عُلوم الصُّوفِيَّة ومارفهم الكَشْفِيَّة سَاقِطَة عَنْ حَيِّزِ الاعْتِبَار وَأَنْ لاَ تَكُونُ مَعْرِفَة الحَقِّ جَل وَعَلاَ مروبطة بِهَا أَصْلا فَإِنَّ حَقَّ المَعْرِفَة حَصَل بِالعُلومِ الشَّرْعِيَّة وَلمْ تُبْقَ مُعَرَّفَة حَتَّى يَكْتَسبهَا الصُّوفِيَّة بِالسَّعْي وَالاجْتِهَاد فَلمْ نَثْبُتْ للصُّوفِيَّة مَزِيَّة عَلى العُلمَاءِ فِي مَعْرِفَة الحَقِّ جَل شَأْنُهُ أَصْلا (قُلت إِنَّ عُلومَ الصُّوفِيَّة وَمَعَارِفهِمْ الكَشْفِيَّة مُعدَّات لذَلكَ العَجْزِ الذي يَتَيَسَّرُ للمُنْتَهِيِّين مِنْهُمْ إِلى نِهَايَة

اَلنِّهَايَة وَهؤُلاَءِ الأَكَابِر يَتَدرَّجُونَ فِي مَدَارِجِ تِلْكَ المَعَارِفِ الكَشْفِيَّة إِلى أَنْ يَتَشَرَّفُوا اَلتَّحْقِيقِ أَنَّ لِلإِيمَان أيضاً فَرْدَيْنِ صُورَةٍ وَحَقِيقَة وَمَا هُوَ نَصِيبُ العَــوَامِّ هُــوَ اَلصُّورَة وَمَا أُعْطِيه الخَوَاصّ هُوَ الحَقِيقَة فَلَمْ يَكُنْ إِيمَان العَوَامِّ مِثْل إِيمَــان الأَنْبِيَــاء عَلَيْهِمْ اَلسَّلاَمُ اَلذينَ هُمْ أَخصُّ الخَوَاصّ فَإِنَّ ذَاكَ الإِيمَانَ غَيْر هَذَا الإِيمَان لاَ مُمَاثَلَــةَ بَيْنهما وَلَمَّا كَانَ العَجْز عَنْ المَعْرِفَة مَأْخُوذًا فِي حَقِيقَة الإِيمَان وَكَانَتْ المَعْرِفَة بِأَنَّهُ لاَ يَعْرِفُ مَوْجُودَة فِيهَا لاَ جَرَمَ يَكُونُ اَلزِّيَادَةَ وَالنُّقْصَانَ مَفْقُودِينَ فِيهَا فَإِنَّهُ لاَ احْتِمَال لِتَفَاوُت دَرَجَات المَعْرِفَة "بي سَلب المَعْرِفَة وَتَفَاوُت اَلدَّرَجَات إِنَّمَا هُوَ فِي اَلثُّبُــوت فَلاَ يَكُونُ فِي حَقِيقَة الإِيمَان زِيَادَةً وَلاَ نُقْصَان وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَم بِحَقِيقَة الحَــال (فَإِنْ قِيل يَلزَمُ عَلى هَذَا اَلتَّقْرِير أَنْ تَكُونَ عُلوم اَلصُّوفِيَّة ومارفهم الكَشْفِيَّة سَــاقِطَة عَنْ حَيِّز اَلاعْتِبَار وَأَنْ لاَ تَكُونُ مَعْرِفَة الحَقِّ جَل وَعَلاَ مروبطة بِهَا أَصْلا فَإِنَّ حَــقَّ المَعْرِفَة حَصَل بِالعُلومِ اَلشَّرْعِيَّة وَلَمْ تُبْقَ مُعَرَّفَة حَتَّى يَكْتَسِــبَهَا اَلصُّــوفِيَّة بِالسَّــعْي وَالاجْتِهَاد فَلَمْ تَثْبُتْ لِلصُّوفِيَّة مَزِيَّة عَلى العُلمَاءِ فِي مَعْرِفَة الحَقِّ جَل شَأْنُهُ أَصْــلا (قُلت إِنَّ عُلومَ اَلصُّوفِيَّة وَمَعَارِفهمْ الكَشْفِيَّة مُعِدَّات لِذَلكَ العَجْــز الــذِي يَتَيَسَّــرُ لِلمُنْتَهِيِّينِ مِنْهُمْ إِلى نِهَايَة اَلنِّهَايَة وَهؤُلاَءِ الأَكَابِر يَتَدرَّجُونَ فِي مَدَارِجِ تِلكَ المَعَارِف الكَشْفِيَّة إِلى أَنْ يَتَشَرَّفُوا بِدَوْلة الوُصُول إِلى ذَلكَ العَجْز فَتَكُونُ مَعَــارِف هَــؤُلاَءِ الأَصْفِيَاء مُعْتَبِرَة لِكَوْنهَا وَسِيلةً لِحُصُول حَقَّ المَعْرِفَة وَذَرِيعَةَ الوُصُول إِلى تِلكَ الحَقِيقَة (فَإِنْ قِيل إِذَا ثَبَتَ العَجزُ عَنْ المَعْرِفَة وَكَانَ الكَمَال مُنْحَصِرًا فِي العَجْز فَمَا مَعْنَــى اعْتِبَار اَلصُّوفِيَّة ثَلاَثَة مَرَاتِبَ فِي المَعْرِفَة وَمَا .يَكُونُ المُرَاد بِعلم اليَقِين وَعَيْن الــيَقِين وَحَقّ اليَقِين (قُلت إِنَّ لِهَذَا الفَقِير مُشَاجَرَةً فِي هَذه المَسْأَلة مَــعَ القَــوْمِ وَهَــؤُلاَءِ الأَكَابِر اعْتَبَرُوا هَذه المَرَاتِبَ اَلثَّلاَثَ بِالنِّسْبَة إِلى ذَاته تَعَالى وَأَثْبَتُوا علم اليَقِين وَعَيْن اليَقِين وَحَقّ اليَقِين فِي حَضْرَته جَل شَأْنُهُ وَفِى اَلتَّمْثِيل الذي أَوْرَدُوهُ لِــذَلكَ قَــالُوا لِلعلمِ بِالنَّار الحَاصِل مِنْ اَلاسْتِدْلاَل بِالدُّخَان علم اليَقِين بِالنِّسْبَة إِلى اَلنَّــارِ وَقَــالُوا لِرُؤْيَة اَلنَّار عَيْن اليَقِين وَلِلتَّحَقُّق بِالنَّار حَقّ اليَقِين وَهَذَا الفَقِير نَزَّل هَــذه المَرَاتِــب اَلثَّلاَث إِلى الآيَات اَلدَّالة عَلى ذَات الوَاجِب جَل سُلطَانه وَقَال بِالعلم وَالعَيْن وَالحَقِّ فِي اَلدَّوَال لاَ فِي المَدْلول فَإِنَّهُ أَجَل وَأَعْلى مِنْ العِلمِ وَالعَيْنِ وَالحَقِّ وَفِى اَلتَّمْثِيل أَثْبَتَ

العلم وَالعَيْن وَالحَقّ بالنِّسْبَة إلى اَلدُّخَان لاَ بالنِّسْبَة إلى اَلنَّار فَإنَّ العلمَ بالــدُّخَان إذَا حَصَل بالاِسْتِدْلاَل فَهُوَ علم اليَقين بالنِّسْبَة إلى اَلدُّخَّان المُسْتَلزم للنَّار وَإذَا حَصَـلتْ رُؤْيَةُ اَلدُّخَان وَاستَدَل به لوُجُود اَلنَّار فَهُوَ عَيْنُ اليَقين بالنِّسْـبَة إلى اَلــدُّخَان وَإذَا حَصَل اَلتَّحقُّق بالدُّخَان وَاستَدَل به عَلى وُجُود اَلنَّار فَهُوَ حَقّ الــيَقين بالنِّسْـبَة إلى اَلدُّخَان وَهَذَا اَلاستْدْلاَل أَتَمّ منْ اَلاستدْلاَل اَلسَّابق فإنَّ ذَاكَ استدْلاَل منْ الآفَــاق وَهَذَا استدْلاَل منْ الأَنْفُس لحُصُول اَلتَّحقُّق بالدُّخَان وأيضاً إنَّ اَلدُّخَانَ وَاسطَة فــي عَيْن اليَقين وَفى حَقّ اليَقين ليْسَ بوَاسطَةٍ بَل اَلنِّسْبَةَ التى هى كَائنَة للدُّخَان مَعَ اَلنَّار تُحصِّل تلكَ اَلنِّسْبَةَ بعَيْنهَا للمُستَدل فَيصل إلى أَعلاَ مَدَارج القُرْب الذي هُــوَ مَــا وَرَاءَ العلمِ وَالعَيْنِ وَالحَقِّ (وَلاَ يُقَال إذَا ارْتَفعَتْ الوَاسطَة فَقَدْ تَحقَّقَتْ اَلرُّؤْيَة الــتى هى عَيْن اليَقين (لأَنَّا نَقُول إنَّ ارْتفَاع الوَاسطَة لاَ يُكْفَى في تَحقُّق اَلرُّؤْيَة بَل لاَ بُدَّ منْ أَشْيَاءَ أُخَرَ وَهى مَفْقُودَة وَلَمَّا كَانَتْ مَرَاتب اليَقين رَاجعَة إلى الآيَات وَلَمْ تُبْــق مَعْرفَةٌ تَكُونُ رَاجعَة إلى المَدْلول لزمَ العَجز عَنْ المَعْرفَة في المَــدْلول بالضَّــرُورَة وَلَمْ تَتَحقَّقْ هُنَاكَ مَعْرفَة غَيْر سَلب المَعْرفَة فلوْ لَمْ تَجْعَل هَذه المَرَاتب اَلــثَّلاَث للــيَقين رَاجعَة إلى الآيَات وَكَانَتْ رَاجعَة إلى المَدْلول كَيْفَ يَتَصوَّرُ العَجْز عَنْ المَعْرفَة وَمَــا يَكُونُ منَى سَلب المَعْرفَة .

اَلْمَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالثَّلاَثُونَ وَالخَمْسُمِائَة
إلى نُور مُحَمَّد التهاري
فِي بَيَانِ اَلطَّرِيقِ الْمُوصل إلى جَنَاب قُدْس الحَقّ تعالى اثنان
بِسْمِ اَللهِ اَلرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اَلحَمْدُ للهِ وَسَلاَمٌ عَلى عِبَاده اَلذينَ اصْطَفَى:

إنَّ اَلطَّرِيقَ المُوصل إلى جَنَاب قَدَّسَهُ تَعَالى اثْنَان طَرِيق يَتَعَلقُ بِقُرْب اَلنُّوبَة عَلى أَرْبَابهَا اَلصَّلاَة وَالتَّحيَّة وَهُوَ مُوصل إلى أَصْل الأَصْل وَالوَاصلونَ مِنْ هَذَا اَلطَّرِيق بالأَصَالة هُمْ الأَنْبيَاءَ عَلَيْهِمْ اَلسَّلاَمُ وَأَصْحَابهمْ الكرَام وَيُشْرِفُ به أيضاً مَنْ أُريدَ لَهُ ذَلكَ مِنْ سَائر أَوْليَاء الأُمَّة العظَام وإنَّ كَانُوا قَليلينَ بَل أَقَل وَلاَ تَوَسُّطَ فِي هَذَا اَلطَّرِيق وَلاَ حَيْلولة، وَكُل مَنْ يَأْخُذُ الفَيْض مِنْ هَؤُلاَء الوَاصلينَ يَأْخُذُهُ مِنَ الأَصْل بلاَ تَوَسُّط أَحَد وَلَيْسَ أَحَدهمْ حَائلا للآخَر وَطَرِيقٌ يَتَعَلقُ بِقُرْب الولاَيَة وَالأَقْطَاب وَالأَوْتَاد وَالبُدَلاَء وَالنُّجبَاء وَعَامَّة أَوْليَاء اَللهِ تَعَالى وَاصلونَ مِنْ هَذَا اَلطَّرِيق وَطَرِيق اَلسُّلوك عبَارَة عَنْ هَذَا اَلطَّرِيق بَل اَلجَذْبَة المُتَعَارفَة أيضاً دَاخلة فيه، وَفيه اَلتَّوَسُّط وَالحَيْلولة وَمُقْتَدَى الوَاصلينَ مِنْ هَذَا اَلطَّرِيق وَرَئيسهمْ وَمَنْبَع فَيْض هَؤُلاَء الأَكَابر عَلى المُرْتَضَى كَرم اَللهُ تَعَالى وَجْهه الكَرِيم وَهَذَا المَنْصب العَظيم اَلشَّأْنِ مُتَعَلق به وَكَأَنَّ قدمى النبى صَلى اَللهُ عَلَيْه وَسَلمَ فِي هَذَا المَقَامِ عَلى فَرْقَة المُبَارَك كَرَم اَللهُ تَعَالى وَجْهه وَحَضْرَة الفَاطمَة وَحَضَرَات الحُسْنَيْنِ شُرَكَاء مَعَهُ فِي هَذَا المَقَام وَأَظُنُّ أَنَّهُ كَرَّمَ اَللهُ وَجْهه كَانَ مَلاَذ هَذَا المَقَام قَبْل اَلنَّشْأَة العُنْصُرِيَّة أيضاً كَمَا أَنَّ بَعْدَ اَلنَّشْأَة العُنْصُرِيَّة كُل مِنْ وَصَلَ إليْه الفَيْض وَالهدَايَة مِنْ هَذَا اَلطَّرِيق وَصْل بتَوَسُّطه فَإنَّهُ عنْدَ نُقطَة مُنْتَهَى هَذَا اَلطَّرِيق وَمَرْكَز هَذَا المَقَام وَمُتَعَلق به وَلَمَّا تَمَّ دَوْرُهُ كَرَم اَللهُ وَجَّهَهُ فَوَّضَ هَذَا المَنْصب العَظيم القَدْر وَسَلمَهُ إلى حَضَرَات الحُسْنَيْنِ عَلى اَلتَّرْتيب وَبَعْدهمَا إلى كُل وَاحد مِنْ الأَئمَّة الاثنى عَشَر عَلى اَلتَّرْتيب وَالتَّفْصيل وَلك مَنْ وَصَل إليْه الفَيْضُ وَالهدَايَةُ فِي إعْصَار هَؤُلاَء الأَكَابر وَكَذَلكَ بَعْدَ ارْتحَالهمْ وَصَل بتَوَسُّطهمْ وَبحَيْلولتهمْ وَإنْ كَانَ مِنْ الأَقْطَاب وَنُجبَاء الوَقْت وَكَانَ مَلاَذ الجَميع وَمَلجأ الكُل هَؤُلاَء الأَكَابر فَإنَّهُ لاَ بُدَّ لأَطْرَاف مِنَ الحَوْق بالمَرْكَز إلى أَنْ وَصَلتْ اَلنَّوْبَةُ إلى اَلشَّيْخ عَبْد القَادر الجيلانى قَدَّسَ سرَّهُ وَلَمَّا بَلغتْ

النَّوْبَةُ إِلَيْه فَوَّضَ الْمَنْصب الْمَذْكُور إِلَيْه قَدَّسَ سرَّهُ وَلاَ يُشَاهدُ عَلى هَذَا الْمَرْكَزِ أَحَد بَيْنَ الأَئمَّة الْمَذْكُورينَ وَبَيْنَ الشَّيْخ قَدَّسَ سرَّهُ وَيَفْهَمُ وصُول الفُيُوض وَالبَركَات في هَذَا الطَّرِيق إلى أَيِّ فَرْدٍ كَانَ منْ الأَقْطَاب وَالنُّجبَاء بِتَوَسُّطه الشَّرِيف فَإنَّ هَذَا المَرْكَزَ لَمْ يَتَيَسَّرْ لغَيْره وَلهَذَا قَال .

أَفلتْ شُمُوسُ الأَوَّلينَ وَشَمْسُنَا أَبَدًا عَلى أُفقِ العُلى لاَ تَغْرُبُ

وَالمُرَادُ بالشَّمْسِ شَمْس فَيضَان الهدَايَة وَالإِرْشَاد وَمنْ أُفولهَا عَدَم الفَيْضَان المَذْكُور وَلمَّا تَعلقَتْ المُعَامَلة التى كَانَتْ أَوَّلا مُتعلقَة بالأَوَّلينَ بالشَّيْخ بَعْدَ وُجُوده وَصَارَ هُوَ وَاسطَة وَصُول الرُّشْد وَالهدَايَة كَمَا كَانَ الأَوَّلونَ قَبْلهُ وَيَكُونُ وُصُول الفَيْضِ أيضاً بتَوَسُّطه مَا دَامَتْ مُعَامَلة التَّوَسُّط بَاقيَة صَحَّ قَوْلهُ (شعر):

* أَفلتْ شُمُوسُ الأَوَّلينَ وَشَمْسُنَا * البيت

فَإِنْ قيلَ: إِنْ هَذَا الحُكْمَ مُنْتَقض بمُجَدِّد الألف الثَّاني فَإِنَّهُ قَدْ انْدَرَجَ في مَكْتُوب منْ مكتوبات الجلد الثَّاني في بَيَان مَعْنَى مُجَدَّد الأَلف الثَّاني إِنَّ كُل مَا يَصل إلَى الأُمَّة في تلكَ المُدَّة منْ أَنْوَاعِ الفَيْضِ إِنَّمَا يَصل بتَوَسُّطه سَوَاء كَانُوا أَقْطَابًا أَوْ أوتاداً أَوْ بدلاَء أَوْ نُجبَاء في ذَلكَ الوَقْت:

قُلتَ: إِنَّ مُجَدِّد الأَلف في هَذَا المَقَام نَائب مَنَاب حَضْرَة الشَّيْخ قَدَّسَ سرَّهُ وَهَذه المُعَامَلة مَرْبُوطَة به نيَابَة عَنْ حَضْرَة الشَّيْخ كَمَا قَالوا إِنْ نُورَ القَمَرِ مُسْتَفَاد منْ نُورِ الشَّمْسِ فَلاَ مَحْذُور.

فَإِنْ قيل: إِنْ مَعْنَى مُجَدَّد الأَلف الذي ذَكَرَ فيمَا سَبَق مُشْكل لأَنَّ عيسَى عَلَيْه السَّلاَمُ يُنْزل في المُدَّة المَذْكُورَة وَالمُهْدَى عَلَيْه الرِّضْوَان أيضاً يَظْهَرُ في تلكَ المُدَّة وَمُعَامَلتهمَا أَجل وَأَعْلى منْ أَنْ تَأْخذَا الفُيُوض بتَوَسُّط أَحد:

قُلت: إِنَّ مُعَامَلة التَّوَسُّط مَرْبُوطَة بالطَّريق الثَّاني منْ الطَّريقَيْنِ المَذْكُورَيْنِ الذي هُوَ عبَارَة عَنْ قُرْب الولاَيَة وَفى الطَّرْق الأَوَّل الذي هُوَ عبَارَة عَنْ قُرْب البورة مُعَامَلة اتوسط مَفْقُودَة وَكُل منْ وَصَل منْ ذَاكَ الطَّريق لَيْسَ لهُ حَائل وَمُتَوَسِّط في البَيْنِ بَل أَخذَ الفُيُوض وَالبَركَات بلاَ تَوَسُّط أَحد وَالتَّوَسُّط وَالحَيْلولة إِنَّمَا هُمَا في الطَّريقِ الأَخير فَقَطْ وَمُعَامَلة ذَلكَ المَوْطن مُمْتَازَة عَنْ غَيْره كَمَا مَرَّ وَعيسَى عَلَيْه السَّلاَمُ وَالمُهْدَى عَلَيْه الرِّضْوَان وَاصلاَن منْ الطَّريقِ الأَوَّل كَمَا أَنَّ الشَّيْخَيْنِ رضَى الله عَنْهُمَا وَصلاَ منْ الطَّريقِ الأَوَّل في ضمْنه صَلى الله عَلَيْه وسَلمَ وَلهُمَا فيه شَأْن خَاصّ عَلى تَفَاوُت دَرجَاتهمَا.

تَنْبيه: ينبغي أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ يَصِحُّ أَنْ يَصِل شَخْصٌ مِنْ طَرِيقِ قُرْبِ الولاَيَة إلى قُرْبِ النُّبوَّة وَيَكُونُ شَرِيكًا فِي كلتَا المُعَامِلتَيْنِ وَيُعْطَى مَحَلاً هُنَاكَ أيضاً يَتطَفَّل الأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَيَجْعَل مُعَامَلَةَ كُلا الطَّرِيقَيْنِ مَرْبُوطَة بِه .

لَيْسَ عَلَى اللهِ بِمُسْتَنْكِر أَنْ يَجْمَعَ العَالَمَ في وَاحِد

{ذَلكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيه مَنْ يَشَاءُ وَالله ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ} .

{سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلاَمٌ عَلَى المُرْسَلِينَ وَالحَمْدُ لله رَبِّ العَالمينَ} .

وَصَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّد سَيِّد المُرْسَلينَ وَآله وَصَحبه أَجْمَعينَ قَدْ منَّ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى هَذَا العَبْد العَاجز الشى بإتْمَامِ هَذه التَّرْجَمَةِ الحَقيرَة بَعْدَ إتْعَاب الجسْمِ وَالرُّوحِ فِي عدَّة شُهُورٍ وَصَارَتْ بحَيْثُ يُطْلَقُ عَلَيْه اسْم المَسْطُور فَلوْلاَ أَنَّ منَّ الله به عَلى لَمَّا تَيَسَّرَ مَدَى الدُّهُور لأَنى حينَ الاشْتغَال كُنْت مُبْتلى بغَايَة سُوء الحَال وَتَشَتُّت بعَسيرٍ وَهُوَ عَلى كُل شَيْء قَدير وَكَانَ الشُّرُوع فيهَا في أَوَاسط شَعْبَان المُعظَّم عَام ثَلاثَة وَثَلاثمائَة وَأَلف وَالفرَاغ منْهَا في ذى القَعْدَة منَ العَامِ الثَّاني وَكَمْ شَرَدَتْ فِي تلكَ المُدَّة لاقْتنَاص شَوَاردهَا رقَادى وَكَمْ فَرَّقَتْ لجَمْع فَرَائدهَا وَشَمْل فؤادى وَكَمْ فَارَقَتْ لوَصْل خرائدها قومى وَكَمْ صَبَرَتْ لقَيْد فَوَائدهَا عَلى إيذَاء مَنْ خَاضَ في لوْمَى وَكَمْ اقْتَحَمَتْ لاسْتيضَاح نُكْتَة منْهَا مَوَاقع السَّهَر في ظَلمَاء الدياجر وَكَمْ أَقْدَمَتْ لتَصْحيح شُبْهَة منْهَا ظمَاء الهَوَاجر فَنسْأَل الله سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلهَا خَالصَة لوَجْهه الكَرِيمِ وَأَنْ يَنْفَعَ بهَا أَخوَان الصَّفَاء النَّفع العَميم إنَّهُ لطيفٌ بعبَاده رَؤُفٌ رَحيم وَصَلى الله عَلى سَيِّدنَا مُحَمَّد ذى الخُلق العَظيم وَآله وَصَحبه الذينَ تَأَهَّبُوا ليَوْمٍ عَظيمٍ .

ترجمة أحوال المعرب رحمه الله تعالى

يقول الراجى من ربه نيل الأمانى * عبد الحميد فردوس المكى الخالدى الأفغانى مصحح الكتب العربية * بالمطبعة الأميرية * غفر الله له ولواديه ولمحبيه وللمسلمين .

الحمد لله الذي نور قلب العارفين بنور اليقين * وشرح صدور الواصلين بالمشاهدة فكانوا هداة الدين * فأعبوا عن الحقائق الإلهية بلسان الحق المبين * والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين * ترجمان لسان القدم * ومنبع الحكمة والحكم * من أوتى فصل الخطاب وجوامع الكلم * وعلى آله وأصحابه هداة الأمم * والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين * وبعد فد تم بحمد الله الوهاب * طبع الكتاب المستطاب * الموسوم بالدرر المكنونات النفيسة * في تعريب المكتوبات الشريفة * للإمام الكامل المكمل ذى الجناحين * المرشد المجدد للألف الثاني بلا ريب ولا مين * العلامة الأستاذ الشيخ الربانى * والهيكل الصمدانى * سيدى ومولاى الشيخ أحمد السرهندى * الأفغانى * النقشبندى * نفع الله به آمين والتعريب والتعريب للعالم الفاضل الكامل الجامع بين عملى الظاهر والباطن العلامة الشيخ محمد مراد القزانى المكى فلله در مؤلفه فقد افاد وأجاد * بلغه الله وإيانا المراد * وشكر سعيه ونفع به كما نفع بأصله إنه سميع قريب مجيب * و لم نألوا جهداص في التصحيح ثم نرفعه لملاحظة المؤلف فيطبع بعد ذلك وذلك في المطبعة الميرية * الكائنة بمكة المحمية * في ظل ظل الله في الأرض * وخليفته في الطول والعرض * ملك البرين وخاقان البحرين والممالك التي تحصى * خادم الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى * مولانا السلطان المظفر المعان المحفوظ بالقرآن والسبع المثانى * مولانا السلطان الغازى (عبد الحميد خان الثاني اللهم انصره نصرا تعز به الدين * وتنجز وعد وكان حقا علينا نصر المؤمنين * ووفقه ووزراءه وقضاته وعماله لما تحب وترضى في كل وقت وحين * بنظر وإدارة مديرها من للمكارم بيدى * شويكى زاده عبد الغنى أفندى * والتصحيح بمصاحبة العالم الفاضل الشيخ عبد الله

زبير وكان تمام الطبع * وختام الترتيب والوضع في اليوم السابع عشر من شهر ربيع الأول من عام السابع عشر والثلاثمائة والألف * من هجرة من خلقه الله على أكمل وصف * صلى الله عليه وعلى آله * وكل ناسج على منواله ما طاف بالبيت العتيق طائف * ووقف بعرفة واقف * ولما بدا بدر تمامه * وفاح مسك ختامه * قلت مؤرخا .

دُرَرٌ زَهَتْ بِالطَّبْعِ يَا صَاحِ ... أَمْ غَادَةٌ جُلِيَتْ بِأَفْرَاحِ
أَمْ رَوْضَةٌ مَأْنُوسَةٌ جُمِعَتْ ... لِلرَّوْحِ وَالرَّيْحَانِ وَالرَّاحِ
أَمْ ذَا كِتَابٌ عَرِّبَتْ وَعَلَتْ ... أَلفَاظُهُ بِالطِّبَقِ يَا صَاحِ
سِرُّ الطَّرِيقَةِ وَالحَقِيقَةِ قَدْ ... أَبْدَاهُ فِيهِ لَنَا بِإِيضَاحِ
لِلفَاضِلِ الشَّيْخِ الذِّكْرِ مُرَا ... دٍ مَنْ أُمِدَّ بِفَيْضٍ فَتَّاحِ
فَاللهُ يُعْلِي قَدْرَهُ أَبَدًا ... بِالأَنْبِيَا وَالسَّيِّدِ المَاحِي
مِنْ غَيْرِ كَافٍ ثُمَّ أَرَّخَهُ ... تَعْرِيبُ مَكْتُوبٍ بِإِفْصَاحِ
١٣١٧ ٥ ١٨٢ ٤٤٨ ٦٨٢

ترجمة أحوال المعرب على سبيل الإجمال

هو الشيخ محمد مراد سلمه الله تعالى ابن عبد الله ولد سنة اثنين وسبعين ومائتين وألف في منتصف ربيع الآخر يوم الثلاثاء والشمس في أواسط برج الجدى في قرية المت من مضافات قصبة مترلة التابعة لولاية أوفا من ممالك قزان المدعوة سابقا بممالك بلغار الشهيرة في الكتب الفقهية بعد غيبوبة الشفق لتوغلها في الشمال أسلم أهلها طوعا في حدود سنة ثلاثمائة أيام المقتدر بالله العباسى أو قبلها التابعة الآن من حدود سنة أحدى ستين وتسعمائة لدولة الروسية فلما بلغ سلمه الله تعالى ست سنين شرع في قراءة العلوم أخذ القرآن المجيد أولا من أبويه ثم من خاله الشيخ الملا حسن الدين الذي هو من أكبر تلامذة المنلا إسمعيل القشقارى المشهور في تلك البلاد وشرع في قراءة الصرف في سن تسع وقرأ عوامل الجرجانى في سن احدى عشرة ولازم خاله المذكور إلى أن بلغ عمره ثمانى عشرة سنة وقرأ في تلك المدة عليه من النحو والمنطق والأخلاق والفقه إلى شرح العقائد النسفية للتفتازانى وكان معيدا لدروسه وبهذا حصل له ملكة جيدة فيما قرأ وبعد ذلك سافر إلى بلدة قزان في أول ربيع من عام تسعين ومائتين وألف واختار مدرسة العلامة شهاب الدين القزانى المرجانى صاحب الناظورة وغيرها من التآليف الكثيرة ولكن لم يوفق للإقامة هناك بل سافر منها قاصدا بخارا وما وراء النهر صحبة واحد من السياحين إلا أنه توقف أثناء سفره هذا في بلدة طرويسكى مقدار سنين واختار للإقامة هناك مدرسة المرحوم الحاج المنلا شرف الدين والمنلا محمد جان وقرأ عليهما شرح العقائد وسلم العلوم في المنطق مع حواشيه وهو غير السلم المنورق النظوم المستعمل في بلاد العرب بل هو منثور وأكبر من المذكور وأجمع لقواعد المنطق إلا أنه مخلوط بمسائل الفلسفة خصوصا بحاشيته المشهورة للقاضى مبارك الكوفاموى الهندى وكان له شغف تام به حتى كتبه وحاشيته المذكورة وحاشية المنلا حسن بيده وحفظه من أوله لكونه رائجا في بلاده والناس لا بد لهم من أن يرغبوا لما هو رائج عند أهل زمانه وبلاده وكان يعتقد كاهل بلاده أن لا كمال

فوق الذي يحويه هذا الكتاب وحاشيته المذكورة ولهذا كان لا يفارقهما في سفره وحضره ثم توجه إلى بخارا من طريق طاشكند وأقام بطاشكند مقدار شهرين وكان يحضر درس شرح العقائد وشرح حكمة العين عند بعض علمائها ثم دخل بخارا سنة ثلاثة وتسعين وحضر درس شرح العلامة الدوانى على تهذيب المنطق للعلامة التفتازانى من أوله عند المنلا عبد الله المفتى السرطاوى القزانى والمنلا عبد الشكور التركمانى رحمهما الله فأتم بحث الحمد في مدة ستة أشهر بقراءة أربعة من حواشيه على ما هو عادة تلك البلاد في هذه الأزمنة الأخيرة فيقرأونه بهذه الكيفية إلى بحث الموضوع في مدة أربع سنين ثم يتركونه قبل الوصول إلى مقصود الفن وهكذا عادتهم في جميع الكتب فطرأ الفتور على تحصيله بعد اطلاعه على ذلك وتيقن أن بخارا لم تبق معدنا للكمالات كما كان أولا وأن شهرتها إنما هى بالنظر إلى حالها الأول وعلم يقينا أن الإقامة فيها على هذه الحالة تضييع للوقت لا غير وحرمان من المقصود فخرج منها في أول الربيع متوجها إلى طاشكند ثانيا فأقام بها وبنواحيها سنتين وحضر دروس علمائها المتداول هناك وأقام في رباط بعض المشائخ في نواحيها مدة معلما وصادف عنده كثيرا من كتب التصوف بالعربية والفارسية وكتب السير أيضا فطالعها كلها بالشوق والالتذاذ واستيقن أن ما ظنه كمالا نقص محض وأنه تضييع للوقت وأن الكمال فيما وراءه ورأى النبى صلى الله عليه وسلم في منامه أثناء مطالعته كتب السير وتشرف بالإنابة في الطريقة على يد بعض المشائخ في تلك الناحية ثم أراد الرجوع إلى بخارا ثانيا فدله بعض أحبابه على التوجه إلى الحجاز وشوقه إلى ذلك فخرج من طاشكند في أواسط سنة خمس وتسعين في رفاقه بعض أعيان بلاده المجاورين بطاشكند متوجها إلى الحجاز فسلكوا طريق سمرقند وقرشى وعذار وبلخ وكابل وجلال آباد وبشاور وهور وأمرتسر فتوقفوا هناك جمعة واحدة بسبب انكسار الجسر في طريق بابور البر فرجعوا من هناك إلى هور ثانيا فسلكوا طريق ملتان فسقر بقر فحيدر آباد السندفكراجى فبمبى فأقاموا هناك مدة شهر رمضان وبعد العيد ركبوا البابور ووصلوا .إلى جدة بعد ثمانية عشر

يوما ودخلوا مكة المكرمة في أواخر شوال وبعد أن حج في السنة المذكورة توجه إلى المدينة المنورة فدخل هناك أولا في مدرسة أمين أغا ثم تحول بعد شهور إلى مدرسة الشفا ثم انتقل منها بعد ثمانية أشهر إلى المدرسة المحمودية بسبب أن مدرسها الذي كان جاء من الآستانة في العام المذكور وأحدث الامتحان لقبلو الطلبة في المدرسة المذكورة فحضر دروس العلوم الدينية كالفقه والحديث والتفسير عند علمائها الكبار وانكب على مطالعة العلوم العربية خصوصا الفنون الثلاثة والعروض فحصل منها شيأ صالحا وطالع أكثر الأحياء وسائر كتب التصوف وقرأ التوضيح في الأصول مع حاشيته التلويح على واحد من علماء بلاده وكان جاور في المدينة في العام المذكور وأتم حفظ القرآن في العام الذي دخل المدينة ونال الإجازة من كبار علماء المدينة الذين حضر دروسهم من الأهالي والمجاورين في سائر الفنون والعلوم ودخل الطريقة النقشبندية المجددية عند قطب وقته والمشار إليه بالبنان في الطريقة والحقيقة في عصره والذى لا يشق له غبار فيهما مولانا الشيخ محمد مظهر قدس الله سره وروح روحه ونور ضريحه وكان له قدس سره في حقه عناية تامة والتفات خاص وقد اثنى عليه مرارا عند خواص أصحابه حين غيبوبته أخبره بذلك وبشره بما هنالك المرحوم المخدوم اسمعيل أفندى التوسى الذي كان من خواص أصحابه وناظر كتبه رحمه الله تعالى وقال المترجم سمله الله رأيت مرة في المنام حين كنت في صحبة سيدى محمد مظهر قدس سره بيتا عاليا في صحراء واسعة وحوله أصحاب سيدى الشيخ وفى أيديهم المخدوم الأعظم الشيخ أحمد بهاؤ الدين حفظه الله تعالى ولد شيخنا يريدون أن يدخلوه في البيت المذكور ويتداولونه من يد إلى يد يجيئون به تارة إلى باب وتارة إلى الطاقة ولا يقدرون على إدخاله بوجه ما لأن العتبة عالية جدا والحقير انظر إليها من بعيد وأضحك متعجبا من عدم قدرتهم على الإدخال فلما تبين لى عجزهم أخذته من أيديهم ووضعته في العتبة وقلت له ادخل البيت فدخل اهـ قال فكان الأمر كذلك لأن شيخنا

المذكور لما توفى بقي المخدوم المذكور حفظه الله في سن عشرة فأخذه سيدى السيد محمد صالح الزواوى المكى قدس الله سره وروح روحه ونور ضريحه في حجر تربيته

فلما جاء به مكة المكرمة سلمه إلى للأقراء فقرأ على مـدة حيـاة سـيدى المذكور وسنتين بعد وفاته أيضا واستفاد طريقة أجداده أيضا في تلك .المدة حـتى حملته إلى المدينة سنة عشر وثلاثمائة وألف ووضعته في عتبة باب آبائـه وأجـداده العالية وهو الآن جالس في مسند آبائه الكرام رزقه الله تعالى حسـن الاسـتقامة والحمد لله على ذلك وحين كان يستفيد في صحبة شيخه المذكور مـن الأسـرار ويستضئ فيها بأنواع الأنوار وحصل له فيها أحوال القلب وسائر اللطائف في مدة يسيرة وشاهد حصولها في عالم المثال بصور الأنوار إذ غدر عليه الدهر الغدار حيث حصل له مرض شديد سلب عنه الصبر والقرار فلزمه تبديل الهواء بالسفر إلى بلاده فحصل الأذن من شيخه بأنواع الحيلة إذ كان غير راض .بمفارقته لعدم مجيئ أوانهـا فسافر إلى وطنه وبعد أن أقام به عدة أشهر كر راجعا إلى الحجاز في عامـه ذلـك وبعد أن حج في العام المذكور أقام .بمكة المكرمة و لم يرجع إلى المدينة المنورة وحضر صحبة مولانا الشيخ العلامة عبد الحميد أفندى الداغستانى قدس الله سـره وروح روحه ونور ضريحه ثم سافر إلى وطنه ثانيا وعاد في عامة إلى الحجاز ودخل المدينـة أولا في هذه النوبة من طريق ينبع وأقام بها ثمانية عشر يومـا ثم توجـه إلى مكـة المكرمة وأقام بها أيضا بعد إتمام الحج وحضر صحبة مولانا الشيخ عبـد الحميـد أفندى المذكور واستفاد منه الطريقة وحضر درس سنن أبي داود عنده في رمضـان وكان يحضر دروس بعض علمائها الكبار في فنون شتى وبينما هو في صدد الرجوع إلى المدينة بنية التشمر على سحبة شيخه المذكور وقصر وقته عليها إذ جاءه خـبر وفاة شيخه المذكور قدس سره سنة أحد وثلاثمائة وألف فرجع عن عزيمته بالضرورة والتزم صحبه مولانا الشيخ عبد الحميد قدس سره ولكن خانه الدهر الخؤن أيضـا حيث توفى آخر العام المذكور شيخه المبرور المذكور أيضا فحصل له غاية القلـق والاضطراب حيث ذاق طعم شراب القوم وأدرك كنهه وتيقن أن لا كمال سوى مشربهم ذوقا وحالا كما قال الإمام الغزالى قدس سره وهو في غاية العطش و لم ينل منه مقصوده و لم يحصل بغيته فهم بالمسافرة إلى الهند لأخذ الطريقـة مـن كبـار

المشائخ هناك لا لأجل غرض آخر ولكن لما جلس مولانا السيد محمد صالح الزواوى مكان الشيخ عبد الحميد أفندى قدس سرهما اطمئن خاطره وحضر صحبته وصار يستفيد منه الطريقة ولكن لما سافر السيد المذكور في رجب عام اثنين وثلاثمائة عاد عليه القلق والاضطراب ثانيا فشرع حينئذ في تعريب الرشحات لدفع الهموم عن نفسه بإشغالها به ورجاء حصول النفع للإخوان وورد إليه من المدينة المنورة من .السيد المذكور مع قافلة رجب ورقة الإجازة والاستخلاف في مكانه مشتركا مع واحد من إخوانه الجاويين فزاد تحيره واضطرابه من ذلك لأنه كان معتقدا أنه لم يضع قدمه في الطريقة بل لم يحصل له مناسبة بها بعد فكتب إلى شيخه بطلب الإقالة منه فلم يقله بل لما

عاد مكة المكرمة في العام الثاني أكد الإجازة بالباس الخرقة إياهما في مجمع كافة الإخوان والإجازة قولا وكتب له إجازة مخصوصة في سائر العلوم على ظهر رسالة الامم للشيخ إبراهيم الكوراني وكان يخلفهما بمكة المكرمة حين توجهه إلى المدينة المنورة وكان يبذل في حقه أنواع العنايات وصنوف الألطاف ولما قدمه تعريب الرشحات بعد عوده إلى مكة المكرمة استحسنه وأمره تعريب المكتوبات أيضا فاعتذره بأنه مشكل جدا وفى غاية الصعوبة فقال إن الله يعينك بحمرة المشائخ الكرام وأنه (ع لا عسر في أمر مع الكرماء * فعربها أيضا امتثالا لأمره فاستحسنه غاية الاستحسان وسر به نهاية السرور وقابله بما عربه بعض العلماء منتخبا من المكتوبات وعزم على طبعه بعد طبع الرشحات ولكن اخترمته المنية قدس سره قبل بلوغه تلك الأمنية سنة طبع فيها الرشحات وقد كتب له إجازة ثالثة على ظهر كتابه حصر الشارد من إسانيد الشيخ عابد في الطريقة وسائر العلوم والفنون وكتب فيها هذه العبارة وإنه له من اسمه نصيب وكما أنه مريد فهو مراد وأنه يحصل منه نفع تام للعباد اهـ وقد بشره بالمرادية والمحبوبية مشافهة مرارا ولكنه مع هذه كلها لا يغتر بها بل دائما في خوف ووجل من المسؤلية عند الله بالجلوس في هذا المكان ولهذا ترك حضور الحلقة مرة بعد الاعتذار على الإخوان وإذنه إياهم بالذهاب إلى أي محل شاؤا ولكن لما لم يترك الإخوان ذيله وجاءه الملام من كل

طرف بتضييع محل المشائخ وتركه إياه خاليا في حياته عاد إليه ثانيا لكن بالتصريح بأنه غير مستحق له وأنه إنما يجلس فيه لكونه مأمورا من جانب مشائخه ويؤكد ذلك دائما ويعتقده من قلبه ويشهد على ذلك كل واحد لئلا يكون مسؤلا عند الله تعالى ولذلك لا يختار أوضاع المشائخ ولا يحب أن يمشى أحد خلفه وقت المشى أو يحمل أحد سجادته أو أن يتكلم مع الناس على طور المشائخ بإيراد كلمات الصوفية وبيان اصطلاحاتهم كما هو ديدن مشائخ الوقت بل يتكلم مع كل أحد كلاما مناسبا لحاله وصنعته لا ستر الحالة بل لئلا يكون منه دعوى ما ليس فيه ولو ضمنا وكان في حياة شيوخه كل ما يحضر عندهم يحضر بغاية الخوف من .ظهوره عند بصر بصيرتهم بصورة واحدة من الأخلاق الذميمة وبالجملة إنه لا يرى في نفسه شيأ من كمالات القوم وكل من أراد منه الطريقة يقول ليس عندى شيء أطلبها من أهلها وإنما اجلس في هذا المحل امتثالا لأمر مشائخى فإن الح في الطلب يقبله بالضرورة خوفا من البخل والكتمان وكذلك من راجع إليه في شيء من علوم القوم يبين له ما وصل إليه بمطالعة كتب القوم أو من مشائخه مشافهة وعنده جملة من تأليفات مشائخه كالمكتوبات المعصومية والمقامات المظهرية والمعمولات المظهرية ورسائل مولانا أحمد سعيد ومولانا محمد مظهر قدس سرهما والمقامات الدهبيدية ومناقب الإمام الربانى وغيرهما من كتب التصوف وقد طالع كلها مرارا وما سواها أيضا في خوانات الكتب في المدينة المنورة وطالع العوارف والفتوحات المكية والفصوص مع عدة من شروحه وحواشيه بحيث اطلع على حقيقة مذهب الشيخ محيى الدين ابن عربى كما أنه مطلع على حقيقة مذهب الإمام الربانى قدس سرهما كما ينبغى بحيث قلما يخفى

عليه دقيقة من دقائقهما علما وكذلك طالع شروح التائية الكبرى وشرح اللمعات ولوائح الجامى وشرح الرباعيات وشرح الخميرات له وبالجملة اعتناؤه بكتب التصوف أزيد من اعتنائه بغيرها ومع ذلك لا يخلو أيضا من مطالعة كتب التفسير والحديث والسير وتراجم المشائخ والعلماء وتواريخ الأمم ويتمنى دائما أن يمضى

عمره بعد عبادة الله تعالى في مطالعة هذه الفنون ومذكراتها مع أهلها وله من التصانيف تعريب الرشحات وذيله وقد طبع في مكة المكرمة سنة سبع وثلاثمائة من جيب شيخه السيد محمد صالح الزواوى قدس سره وتاريخ قزان وبلغار إلا أنه لم يتم إلى الآن لتوقفه على ترجمة بعض تواريخ الروسية بل لتوقفه على إرادة الله تعالى وتعريب المكتوبات هذا وما وضع في هامش الجلد الأول من ترجمة أحوال الإمام الربانى وما وضع في هامش الجلد الثاني من تعريب المبدأ والمعاد ورسائل أخر لم تنتشر بعد ومدار تعيشه يحصل من كرماء أهل بلاده بقدر الكفاية والستر خصوصا أصحاب تكيته التي هو ساكن بها الآن بمكة المكرمة وهم الذين عرفوه حين جهله الناس وأخرجوه من زاوية الخمول إلى عرصة الظهور والاشتهار واشتروا له هذه التكية بألف ذهب عثمانى ولا ينسونه في كل عام من إحساناتهم جزاهم الله سبحانه خير الجزاء وعمر دنياهم وأخراهم وكذلك سائر أهل الإحسان وطبع هذا الكتاب أيضا من جملة إحسانات أهل بلاده ولولاهم لما تيسر طبعه ونشره وهو ليس .بأثر قليل بل هو أثر جليل امتاز هذا الزمان المسعود عما قبله بنشره فيه وقد قيل أن المرحوم السلطان عبد العزيز رحمه الله تعالى أمر العلامة اليد داود البغدادى بتعريبها أعنى مكتوبات الإمام الربانى ووعده بإنعامات جزيلة بعد الإتمام زيادة على ما عينه له حين الاشتغال بتعريبه من المصارف اللازمة وشرع فيه ولكن خانه الزمان وحيل بين العير والنزوان وشربا من كأس الحمام قبل أن يتم ويخرج في الميدان ولله سبحانه في كل أمور حكم ولكل وقت حادث قل أوجم وبالجملة إنه كل ما يفتح بصره يقع نظره على إحسانات أهل ممالك قزان وليس في ذمته حقوق لسواهم في باب الإحسان إلا أن يكون من أهل الجاوة بعض الإخوان جزى الله الجميع خير جزائه وعاملهم بلطفه يوم جزائه والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين تم بقلم بعض أصحابه على سبيل الاختصار وخير الكلام ما قل ودل .

للشَّيْخِ أَبي مُحَمَّد عَبْد اَللهِ بْن القَاسِم اَلشَّهْرَزُورِيِّ
رَحِمَهُ اَللهُ تَعَالى فِي اَلتَّصَوُّفِ

لَمَعَتْ نَارُهُمْ وَقَدْ عَسْعَسَ اللَيْـــــــ ـــــلُ وَمَل الحَادِي وَحَارَ اَلدَّلِيل
فَتَــأَمَّلتُهَـــا وَفِــكْرِي مِنْ البَيْــــ ـــــنِ عَلِيل وَلَحْظُ عيني كَلِيْل
وَفُؤَادِي ذَاكَ اَلفُؤَادُ اَلْمُعَنَّى وغرامى ذَاكَ اَلغَرَام اَلدَّخِيل
ثُمَّ قَابَلتُهَا وَقُلتُ لِصَحْبِى هَذِهِ اَلنَّارُ نَارُ لَيْلى فَمِيلوا
فَرَمَوْا نَحْوَهَا لَحَاظًا صَحِيحًا ت فَعَادَتْ خَوَاسِئًا وَهْيَ حُول
ثُمَّ مَالوا إِلى اَلمَلاَمِ وَقَالوا خلبٌ مَا رَأَيْتُ أَمْ تَخْيِيل
فَتَجَنَّبْتُهُمْ وَمِلتُ إِلَيْهَـــا وَالهَوَى مَرْكَبِي وَشَوْقِي اَلزَّمِيل
وَمِعَى صَاحِبٌ أَتَى يَقْتَفِي الآ ثَارَ وَالحُبُّ شَرْطُهُ اَلتَّطْفِيل
وَهْيَ تَعْلُو نَحْنُ نَدْنُوا إِلى أَنْ حَجَزَتْ دُونَهَا طُلُول مَحُول
فَدَنَوْنَا مِنْ اَلطُّلُول فَحَالَتْ زَفَرَاتٍ مِنْ دُونِهَا وَغَلِيل
قُلت مَنْ بِالدِّيَارِ قَالوا جَرِيح وَأَسِيرٌ مُكَبَّل وَقَتِيل
مَا الذِي جِئْتَ تُبْتَغِي قُلتُ ضَيْف جَاءَ يَبْغِي اَلقِرَى فَأَيْنَ اَلنُّزُول
فَأَشَارَتْ بِالرَّحْبِ دُونَكَ فَاعْقُرْ هَا فَمَا عِنْدَنَا لِضَيْفٍ رَحِيل
مَنْ أَتَانَا أَلقَى عَصَى اَلسَّيْرِ عَنْهُ قُلتُ مَنْ لى بِهَا وَأَيْنَ اَلسَّبِيل
فَحَطَطْنَا إِلى مَنَازِل قَوْمٍ صَرَعَتْهُمْ قَبْل اَلمَذَاقِ اَلشَّمُول
دَرَسَ اَلوَجْدُ مِنْهُمْ كُل رَسْمٍ فَهُوَ رَسْم وَالقَوْمُ فِيهِ حلول
مِنْهُمْ مَنْ عَفَى وَلَمْ يَبْقَ للشَّكْــــــ ـــوَى وَلاَ لِلدُّمُوعِ فِيهِ مَقِيل
لَيْسَ إِلاَّ اَلأَنْفَاسُ تُخْبِرُ عَنْهُ وَهْوَ عَنْهَا مُبَرَّأٌ مَعْزُول
وَمِنَ اَلقَوْمِ مَنْ يُشِيرُ إِلى وَجْــــــ ـــدٍ تَبْقَى عَلَيْهِ مِنْهُ اَلقَلِيل

وَلِكُلٍ منــهم رَأَيْتُ مَقَــاماً شَرْحُهُ فِي اَلكِتَابِ ممَّا يَطُول
قُلتُ أَهْلَ اَلهَوَى سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لِي فُؤَادٌ عَنْكُمْ بِكُمْ مَشْغُول
وَجُفُونٌ قَدِ اقْتَرَحَتْهَا مِنَ الدَّمْـــ ـــعِ حَنِينًا إِلى لِقَاكُمْ سُيُول
لَمْ يَزَل حَافِزٌ مِنَ اَلشَّوْقِ يَحْدُو نِي إِلَيْكُمْ وَالحَادِثَاتُ تَحُول
واعْتِذَارِيَ ذَنْبٌ فَهَل عِنْدَ مَنْ يَعْـــ ـــلَمُ عُذْرِي فِي تَرْكِ عُذْرِي قَبُول
جِئْتُ كَيْ أَصْطَلى فَهَل لى إِلى نَا رِكُمْ هَذِهِ اَلغَدَاةَ سَبِيل
فَأَجَابَتْ شَوَاهِدُ اَلحَال عَنْهُمْ كُل حَدٌّ مِنْ دُونِهَا مَفْلول
لاَ تَرُوقَنَّكَ اَلرِّيَاضُ الأَنِيقَا تُ فَمِنْ دُونِهَا رُبًا وَدُحُول
كَمْ أَتَاهَا قَوْمٌ عَلى غِرَّةٍ منْـــ ـــهَا وَرَامُوا أَمْرًا فَعَزَّ اَلوُصُول
وَقَفُوا شَاخِصِينَ حَتَّى إِذَا مَا لاَحَ لِلوَصْل غِرَّةٌ وَحُجُول
وَبَدَتْ رَايَةُ الوَفَا بِيَدِ الوَجْـــ ـــدِ وَنَادَى أَهْلَ اَلحَقَائِقِ جُولوا
أَيْنَ مَنْ كَانَ يَدَّعُونَا فَهَذَا الـــ ـــيَوْمُ فِيهِ صَبْغُ اَلدَّعَاوَى يَحُول
حَمَلوا حَمْلَةَ اَلفُحُول وَلاَ يُصْـــ ـــرَعُ يَوْمَ اَللقَاءِ إِلاَّ اَلفُحُول
بَذَلوا أَنْفُسًا سَخَتْ حِينَ شَحَّتْ بِوِصَال وَاسْتُصْغِرَ اَلمَبْذُول
ثُمَّ غَابُوا مِنْ بَعْدِ مَا اقْتَحَمُوهَا بَيْنَ أَمْوَاجِهَا وَجَاءَتْ سُيُول
قَذَفَتْهُمْ إِلى اَلرُّسُومِ فَكُل دَمِهِ فِي طُلولهَا مَطْلول
نَارِنَا هَذِهِ تُضِيءُ لِمَنْ يَسْـــ ـــرِي بِلَيْل لِكَوْنِهَا لاَ تُنِيل
مُنْتَهَى اَلحَظِّ مَا تَزَوَّدَ مِنْهُ اللحْـــ ـــظُ وَالمُدْرِكُونَ ذَاكَ قَلِيل
جَاءَهَا مَنْ عَرَفْتَ يَبْغِي اقتباسًا وَلَهُ اَلبَسْطُ وَالمُنَى وَالسُّول
فَتَعَالتْ عَنِ اَلمَنَال وَعَزَّتْ عَنْ دُنُوٍّ إِلَيْهِ وَهْوَ رَسُول
فَوَقَفْنَا كَمَا عَهِدْتَ حَيَارَى كُل عَزْمٍ مِنْ دُونِهَا مَخْذُول
نَدْفَعُ اَلوَقْت بِالرَّجَاءِ وَنَاهِيـــ ـــكَ بِقَلبٍ غِذَاؤُهُ اَلتَّعْلِيل
كُلمَا ذَاقَ كَأْسَ بَأْس مَرِيرٍ جَاءَ كَأْسٌ مِنَ اَلرَّجَا مَعْسُول
فَإِذَا سَوَّلَتْ لَهُ اَلنَّفْسُ أَمْرًا حِيدَ عَنْهُ وَقِيل صَبْرٌ جَمِيل

هَذِهِ حَالُنَا وَمَا وَصَلَ العِلـــ ـــمُ إِلَيْهِ وَكُلُّ حَالٍ تَحُولُ

فهـــــرس الجزء الثالث من المكتــوبات

فهـــــرس الجزء الثالث من المكتـــوبات

المكتوب ٣٨١: في العمود النوراني وكوكب الخ... ... ... ٥
المكتوب ٣٨٢: في تعديل الأركان وصلاة التهجد الخ... ... ... ٩
المكتوب ٣٨٣: في الحقائق المتعلقة بالكعبة المعظمة... ... ... ١٤
المكتوب ٣٨٤: في بيان لااله إلا الله الخ... ... ... ١٦
المكتوب ٣٨٥: في أن معاملة بيت الله فوق التجليات الخ... ... ... ١٨
المكتوب ٣٨٦: في بيان ظاهر الانسان الكامل وباطنه وما يناسبه... ... ... ٢٠
المكتوب ٣٨٧: في تأويل قوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه وقوله انا عرضنا الأمانة على السموات الآية وبيان خلافة الانسان الكامل الخ... ... ... ٢٣
المكتوب ٣٨٨: في أن المهن والبليات كفارات لزلات الأحباب الخ... ... . ٢٦
المكتوب ٣٨٩: في حقيقة العرش الذي هو برزخ بين عالم الخاق وعالم الأمر وبيان الكرسي ووسعته... ... ... ٢٧
المكتوب ٣٩٠: في جواب اعتراضات على كلمات الصوفية... ... ... ٣١
المكتوب ٣٩١: في بيان ان محبة هذه الطائفة وسيلة الفناء والبقاء... ... ... ٣٥
المكتوب ٣٩٢: في الاعراض عن الكفر الحقيقي الخ... ... ... ٣٧
المكتوب ٣٩٣: إلى الشيخ حامد النهاري في جواب سؤاله عن قول عين القضاة. ٣٨
المكتوب ٣٩٤: في النصائح وعدم الاغترار بمزخرفات الدنيا... ... ... ٤٠
المكتوب ٣٩٥: في التحذير عن الدنيا الدنية... ... ... ٤٢
المكتوب ٣٩٦: في أن محبة هذه الطائفة رأس بضاعة السعادات... ... ... ٤٣
المكتوب ٣٩٧: الى الشيخ حميد البنكالي في قدوم الشيخ عبد الحي إليه... ... .. ٤٤
المكتوب ٣٩٨: إلى الشيخ نور محجمد في قدوم الشيخ ميان عبد الحي الى جواره ٤٥
المكتوب ٣٩٩: إلى الشيخ طاطر البدخشي في جواب كتابه... ... ... ٤٦

المكتوب ٤٠٠: إلى الفتح خان الأفغاني في النصائح... ... ... ٤٧
المكتوب ٤٠١: في بيان الرضا بالقضاء... ... ... ٤٨
المكتوب ٤٠٢: في النصيحة... ... ... ٤٩
المكتوب ٤٠٣: الى المرزا عرب خان في تفويض شخص... ... ... ٥٠
المكتوب ٤٠٤: في اسرار قاب قوسين او ادنى... ... ... ٥١
المكتوب ٤٠٥: في أن الولاية عبارة عن قرب الهى وليست الكرامات من شرطها وبيان حكم السجدة التحية للسلاطين... ... ... ٥٣
المكتوب ٤٠٦: في لطائف عالم الخلق والأمر... ... ... ٦٠
المكتوب ٤٠٧: في حقيقة الفناء والبقاء الخ... ... ... ٦٢
المكتوب ٤٠٨: الى مقصود التبريزى في جواب سؤاله عن الكفر الحقيقي... .. ٦٥
المكتوب ٤٠٩: في حل منع الفاروق إتيان القرطاس حين طلبه النبي ﷺ في مرض موته ليكتب شيئا بوجوه شتى... ... ... ٦٨
المكتوب ٤١٠: الى محمد هاشم الكشمى في جواب طلبه حل ما في المكتوب السادس... ... ... ٧٧
المكتوب ٤١١: في أن الحق سبحانه ليس داخل العالم ولا خارج العالم إلخ... .. ٧٩
المكتوب ٤١٢: إلى المير محمد نعمان في جواب أسئلته أن السالك يرى نفسه أحيانا في وقت العروج في مقامات أصحاب الأنبياء ٨٥
المكتوب ٤١٣: في أقربية افعال الواجب وصفاته وذاته... ... ... ٩٨
المكتوب ٤١٤: في المواعظ والانقطاع عن الخلق... ... ... ١٠٠
المكتوب ٤١٥: في معنى الكلمة الطيبة لا اله الا الله... ... ... ١٠٢
المكتوب ٤١٦: في تاويل قوله تعالى {لا يمسه الا المطهرون} ١٠٧
المكتوب ٤١٧: في بعض الاحوال الخاصة بحضرة شيخنا... ... ... ١٠٩
المكتوب ٤١٨: في بيان ايلام المحبوب أحب من إنعامه... ... ... ١١٠
المكتوب ٤١٩: في التحريض على التحمل لإيذاء الخلق... ... ... ١١١

المكتوب ٤٢٠: في بيان أصالة الغيب وظلية الشهود... ... ... ١١٢
المكتوب ٤٢١: في قوله تعالى: {وما اتاكم الرسول فخذوه}... ... ... ١١٣
المكتوب ٤٢٢: في تفسير قوله تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي} الاية... ... . ١١٤
المكتوب ٤٢٣: في بيان جامعية الانسان... ... ... ١١٥
المكتوب ٤٢٤: في فوائد التضرع وطول القنوت في الصلاة... ... ... ١١٧
المكتوب ٤٢٥: في التحريض على المتابعة... ... ... ١١٩
المكتوب ٤٢٦: في الجواب عن وجود واجب الوجود تعالى... ... ... ١٢٠
المكتوب ٤٢٧: في أن لذة ايلام المحبوب ألذ وأحلى في نظر المحبوب... ... . ١٢١
المكتوب ٤٢٨: في بيان سر عدم اطلاع السالك على أحواله... ... ... ١٢٣
المكتوب ٤٢٩: في بيان العقائد والعبادات الشرعية... ... ... ١٢٥
المكتوب ٤٣٠: في بيان عدم التعلق بما الحق الخ... ... ... ١٣٩
المكتوب ٤٣١: في الصبر والرضا بقضائه تعالى... ... ... ١٤٠
المكتوب ٤٣٢: في علو الهمة وإرجاع وصول جميع النعم إلى شيخه... ... ... ١٤١
المكتوب ٤٣٣: في فضل الزهاد وكيفية علم الحق تعالى بذاته... ... ... ١٤٢
المكتوب ٤٣٤: في المراد من نجاسة المشركين خبثهم الباطني... ... ... ١٤٤
المكتوب ٤٣٥: في أن الله تعالى أخبر بواسطة الأنبياء عليهم السلام إلخ... ... . ١٤٧
المكتوب ٤٣٦: في مناقب أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم الخ... ... ... ١٥٣
المكتوب ٤٣٧: في النتائج التي تحصل من الذكر والقران والصلاة... ... ... ١٥٩
المكتوب ٤٣٨: في أن الحق كما هو موجود بذاته لا بالوجود الخ... ... . ١٦١
المكتوب ٤٣٩: في أن اللائق بالعبد أن يخرج عن مراداته بالتمام... ... ... ١٦٥
المكتوب ٤٤٠: في بيان كيفية التصدق على ارواح الموتى... ... ... ١٦٨
المكتوب ٤٤١: في حصول فهم بعض الكلمات القدسية من القرآنية... ... ... ١٧٠
المكتوب ٤٤٢: في العروج إلى مراتب الاصول ومراتب العبادات... ... ... ١٧١
المكتوب ٤٤٣: في تحقيق علم الارواح وعالم الاجساد... ... ... ١٧٣

المكتوب ٤٤٤: في التجلي الصوري والكثرة الوهمية وما يناسب ذلك... ... .. ١٧٦
المكتوب ٤٤٥: في تحقيق كلام الشيخ شرف الدين يحيى المنيري... ... ... ١٧٩
المكتوب ٤٤٦: في النصيحة... ... ... ١٨٣
المكتوب ٤٤٧: في التعزية والنصيحة وإغتنام الشباب... ... ... ١٨٤
المكتوب ٤٤٨: في رفع شبهات منكري عذاب القبر... ... ... ١٨٥
المكتوب ٤٤٩: في أن كلما يصدر عن الجميل جميل... ... ... ١٨٧
المكتوب ٤٥٠: عن معنى الحديث ((ستفترق أمتي)) ١٨٨
المكتوب ٤٥١: في جواب مشاورته لسفر الحج... ... ... ١٩٠
المكتوب ٤٥٢: في علم اليقين للصوفية وارباب العقول... ... ... ١٩١
المكتوب ٤٥٣: في النصائح الضرورية لطائفة النساء... ... ... ١٩٢
المكتوب ٤٥٤: إلى الخواجة محمد هاشم في بشارته... ... ... ١٩٩
المكتوب ٤٥٥: إلى الخواجة محمد سعيد والخواجة محمد معصوم سلمهما الله في
بيان مكالمته الواقعة في محضر سلطان الوقت... ... ... ٢٠٠
المكتوب ٤٥٦: في دفع شبهات المنكرين للرؤية الاخروية... ... ... ٢٠١
المكتوب ٤٥٧: في علو شان قلب المؤمن والمنع عن إيذائه... ... ... ٢٠٦
المكتوب ٤٥٨: في العروج والنزول نقل بالمعنى... ... ... ٢٠٧
المكتوب ٤٥٩: في اسرار الدعاء ومدح العلماء والصلحاء... ... ... ٢٠٨
المكتوب ٤٦٠: في بيان سر أقربيته تعالى الخ... ... ... ٢١٠
المكتوب ٤٦١: في أن العلم الضروري للعارف بنفسه يتعلق به تعالى... ... ... ٢١٣
المكتوب ٤٦٢: في الفرق بين استدلال علماء راسخين وارباب الظاهر... ... . ٢١٥
المكتوب ٤٦٣: في الفرق بين تصديق القلب ويقينه... ... ... ٢١٧
المكتوب ٤٦٤: في فناء القلب والنفس الخ... ... ... ٢١٩
المكتوب ٤٦٥: في زوال العين والاثر وجودا وشهودا... ... ... ٢٢١
المكتوب ٤٦٦: في اتباع الشرع المبين ومحاربة اعداء الدين... ... ... ٢٢٥

المكتوب ٤٦٧: في ذم الرجوع من الفقر إلى الغنا... ... ... ٢٢٦
المكتوب ٤٦٨: في التأسف على فوت الصحبة الماضية والإيماء إلى أسرار... ... ٢٢٧
المكتوب ٤٦٩: في حدوث العالم ورد عبيد العقل الفعال... ... ... ٢٢٩
المكتوب ٤٧٠: في أن خلق الممكنات في مرتبة الوهم... ... ... ٢٣١
المكتوب ٤٧١: في إرجاع الحوادث الى إرادة الله... ... ... ٢٣٤
المكتوب ٤٧٢: في بيان عدمية ذات الانسان الخ... ... ... ٢٣٥
المكتوب ٤٧٣: في أن رؤية العارف لبعض لبعض المظاهر تصير له... ... . ٢٣٨
المكتوب ٤٧٤: في انتفاء الفناء الوجودي... ... ... ٢٤٠
المكتوب ٤٧٥: في كشف سر الإحاطة والقرب والمعية الكائنة لله الخ... ... ... ٢٤١
المكتوب ٤٧٦: في الفناء الأتم المربوط بزوال العين والأثر مع تحقيق وجود الواجب إلخ... ... ... ٢٤٣
المكتوب ٤٧٧: في بيان ان كل صفة من صفات العارف... ... ... ٢٤٧
المكتوب ٤٧٨: إلى محمد مقيم القصوري في جواب سؤاله عن معنى المجاز قنطرة الحقيقة... ... ... ٢٤٩
المكتوب ٤٧٩: في حقيقة الكائنات والفرق بين مكشوف شيخنا الخ... ... ... ٢٥١
المكتوب ٤٨٠: في تحقيق مرتبة الوهم التي ظهر العالم في تلك المرتبة... ... ... ٢٥٣
المكتوب ٤٨١: إلى القاضي موسى شوحين في التزام الشريعة وصحبة أرباب الجمعية... ... ... ٢٥٥
المكتوب ٤٨٢: في بيان التمييز بين دقائق الموهوم الذى هو العالم وبين الموجود الحقيقي الذى هو صانع العالم... ... ... ٢٥٦
المكتوب ٤٨٣: إلى المخدوم زاده محمد عبيد الاله في بيان التمييز بين دقائق الهموم الذي هو العالم... ... ... ٢٥٧
المكتوب ٤٨٤: في أن تلوينات العسكر تمكين لأصحاب الجمعية... ... ... ٢٥٩
المكتوب ٤٨٥: في اسرار صفة الحياة التي هي فوق العلم... ... ... ٢٦١

المكتوب ٤٨٦: في شرح كلام صاحب الفصوص الخ... ... ... ٢٦٣
المكتوب ٤٨٧: إلى هذا الحقير محمد هاشم الكشمي في تجلي أفعاله وصفاته وذاته سبحانه ٢٦٦
المكتوب ٤٨٨: في علو شان العلم والمرتبة المقدسة الخ... ... ... ٢٧٠
المكتوب ٤٨٩: في أسرار حقيقة القران المجيد الخ... ... ... ٢٧٣
المكتوب ٤٩٠: في إظهار الاشتياق... ... ... ٢٧٧
المكتوب ٤٩١: في أسرار ذات العارف الموهوبة الخ... ... ... ٢٧٨
المكتوب ٤٩٢ في استناد الأشياء إلى ذات العارف الموهوبة... ... ... ٢٨٥
المكتوب ٤٩٣: إلى الخواجه جمال الدين الحسين في تعبير واقعته... ... ... ٢٨٩
المكتوب ٤٩٤: في اظهار آلام المهاجرة مع بعض البشارات... ... ... ٢٩١
المكتوب ٤٩٥: في بيان بركات كونه في العسكر من غير اختيار... ... ... ٢٩٢
المكتوب ٤٩٦: في بيان آداب هذه الطريقة العلية... ... ... ٢٩٣
المكتوب ٤٩٧: في التحريض على حفظ الاوقات... ... ... ٢٩٤
المكتوب ٤٩٨: في بيان سر ظهور كثرة الخوارق وقلة... ... ... ٢٩٥
المكتوب ٤٩٩: في مرادية حضرة شيخنا ومريديته... ... ... ٢٩٧
المكتوب ٥٠٠: في أسرار خلة الخليل وإثبات التعين الوجودي... ... . ٢٩٩
المكتوب ٥٠١: في شرح كلام الشيخ روز بهان البقلي... ... ... ٣٠٧
المكتوب ٥٠٢: إلى الفقير هاشم الكشمي في جواب سؤاله عن حقيقة مشاهدة العرفاء... ... ... ٣١٢
المكتوب ٥٠٣: إلى مولانا طاهر البدخشي في الفرق بين المعرفة والايمان الحقيقي ٣١٥
المكتوب ٥٠٤: في سماع الصوفية كلام الحق ومكالمتهم معه... ... ... ٣١٩
المكتوب ٥٠٥: في تحقيق التعيين الأول الوجودي الخ... ... ... ٣٢١
المكتوب ٥٠٦: في دقائق الكمال والجمال الذاتيين... ... ... ٣٢٤
المكتوب ٥٠٧: في الأسرار المخصوصة بولاية شيخنا مد ظله... ... ... ٣٢٨

المكتوب ٥٠٨ : في الأسرار المتعلقة باسميه ﷺ ٣٣١
المكتوب ٥٠٩ : في سرّ كون العالم موهومًا ٣٣٤
المكتوب ٥١٠ : في بيان ضرر الالتذاذ من الحسن الصوري ٣٣٥
المكتوب ٥١١ : في إظهار شكر النعم الظاهرية. . . الخ ٣٣٦
المكتوب ٥١٢ : في كشف سرّ محبة يعقوب ليوسف عليه السلام مع بيان بعض أسرار عجيبة، وعلوم غريبة ٣٣٨
المكتوب ٥١٣ : في المنع من تفسير آيات القرآن وتأويلها على طبق مذاق الفلاسفة ٣٥٨
المكتوب ٥١٤ : في الترغيب في المجاهدات والانزواء وتربية طالبي الحق جلّ وعلا ٣٥٩
المكتوب ٥١٥ : في الترهيب عن قصور الأحوال والترغيب في حصول التكميل والكمال ٣٦٠
المكتوب ٥١٦ : إلى الحضرات ذوي البركات. . . الخ ٣٦٢
المكتوب ٥١٧ : إلى الشيخ حسن البركي في جواب كتابه. . . الخ ٣٦٤
المكتوب ٥١٨ : إلى حضرات المخاديم. . . الخ ٣٦٦
المكتوب ٥١٩ : في بيان سبب وقوع الفتور في نسبة الرابطة والالتذاذ بالطاعة . ٣٦٨
المكتوب ٥٢٠ : في بيان المعاملات المتعلقة بأصل الأصل وهذه المعرفة منقولة بالمعنى ٣٦٩
المكتوب ٥٢١ : إلى حضرة الخواجه المخدوم زاده الخواجه. . . الخ ٣٧٠
المكتوب ٥٢٢ : إلى المخدوم زاده محمد. . . الخ ٣٧٣
المكتوب ٥٢٣ : في بيان بعض الأسرار المتعلقة. . . الخ ٣٧٥
المكتوب ٥٢٤ : في بيان أن صفاته تعالى لا عين ذاته سبحانه ولا غير ذاته ٣٧٧
المكتوب ٥٢٥ : في بيان أن صفاته تعالى متصفة بالحياة. . . الخ ٣٧٨

المكتوب ٥٢٦: في تحقيق صفات الواجب تعالى وكيفية تعلق علمه بكمالاته
وبيان التعين الوجودي ومبادى تعينات الانبياء الخ... ... ... ٣٨٠
المكتوب ٥٢٧: في التحريض على خدمة خلق الله تعالى... ... ... ٣٨٨
المكتوب ٥٢٨: في معنى قوله تعالى ان في ذلك لذكرى الاية... ... ... ٣٨٩
المكتوب ٥٢٩: الأنبالي في تحقيق كلام الله تعالى وسماعه... ... ... ٣٩٣
المكتوب ٥٣٠: إلى الشيخ مودود محمد في حل بعض مسائل كتاب العوارف... ٣٩٩
المكتوب ٥٣١: في بيان اختيار العزلة... ... ... ٤٠١
المكتوب ٥٣٢: في حل عبارات مكتوب متضمن للأسرار... ... ... ٤٠٢
المكتوب ٥٣٣: في بيان الحقيقة المحمدية وحقيقة الحقائق... ... ... ٤١٢
المكتوب ٥٣٤: في بيان أن الطريق الموصل الى جناب قدس الحق تعالى اثنان... . ٤٣١
ترجمة أحوال المعرب على سبيل الإجمال ٤٣٤
فهارس الكتاب... ... ... ٤٤٥